المسلمون والحضارة الغربية

تأليف

د. سفر بن عبد الرحمن الحوالي

المسلمون والحضارة الغربية

مع ملحق من ثلاث نصائح:

- النصيحة الأولى للعلماء
- النصيحة الثانية للدعاة
- النصيحة الثالثة لآل سعود

مكتب المؤلف (فاكس)

(٠١٢٥٥٣٣٣٠٧)

(الطبعة التمهيدية)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا
وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾

[سورة الجاثية، الآية: ١٨]

أولا

المقدمة والتمهيد

مُقَدِّمَة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد.

فيمكن اختصار هذا الكتاب في أنه **رؤية جديدة للعالم أو نظارة جديدة ننظر بها إلى أنفسنا وإلى الحضارة الند -أي الحضارة الغربية-**، وما أسهل أن نضع نظارة مكان أخرى إذا شئنا، وهذا الكتاب ليس نتيجة نظرة سطحية عجلى، أو مجرد تشدد أو تعصب كما قد يُظن، بل هو ثمرة تفكير طويل وتأمل عميق ودراسات متأنية في التاريخ الحضاري العالمي، مع تدبر لكتاب الله ونظر في سيرة نبيه ﷺ، وقراءة طويلة في الفكر الغربي وفي الأديان المختلفة الشرقي منها والغربي، استمرت سنوات طويلة بل عقودا، وأرجو أن يتحول به المسلم من اليقين إلى حق اليقين، وذلك بالإيمان عن معرفة بأنه لا خلاص لهذه البشرية البائسة إلا بالإسلام، وأن ما عداه جري وراء السراب والغرور، فإن أكن وفقت لذلك فالفضل لله وحده، وإن أكن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله ورسوله من ذلك بريئان، والمسلمون هم أمة التوحيد وأمة الحق والعدل يقبلون ذلك ممن كان.

وحسبي أنني ابتدأت طريقا أرجو أن يقيض الله من يتمه من المؤمنين، وكان علي لكي أخرج هذا الكتاب أن أتجاوز كثيراً من العقبات والتحديات في الطريق، ومنها:

أولاً: عقبة الفسح: وهي عقبة في غاية الصعوبة بالنسبة لي، وقد قال الموظف المسؤول -حينما قدَّمَت إحدى دور النشر أحد كتبي للفسح- المشكلة ليست في المضمون وإنما هي في اسم المؤلف، فلو وضعتم اسما آخر أو مركزا بحثيا مثلا لكان الفسح بلا إشكال.

وأنا من عادتي دائما الكتابة باسمي الصريح ولا أرضى أن يوضع اسم غيري مكانه، ولم يكن أمامي إزاء هذه المعضلة إلا أحد طريقين:

أ- تقديم رشوة وهو -وإن كان أصبح معتادا في كل دائرة- لا أرضاه و لم أفعله مطلقا ولن أفعله.

ب- الطباعة بدون فسح، وهو ما اخترته لا سيما ونحن في عصر يهمّ الناس الكسب المادي وليس الالتزام بالإجراءات الروتينية، وهذا أهون علي من أن أفقأ عيني وأسير في زمرة المطبلين، وأستخدم شهادتي ومواهبي لكي أكسب رضا مَن شعارُه ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، ومنهجه "إن لم تكن عبدا فأنت عدو، وإن لم تكن مداحا فأنت متطرف".

ثانياً: العقبة المادية: فأنا كما يعلم الجميع ليس لي عمل، بل قد حرموني حتى من راتب التقاعد الذي اقتطعوه أصلا من مستحقاتي، والحمد لله الذي أغناني بالافتقار إليه، وكرمني بأن لا أمد يدي إلى المخلوقين، على أنه لو كان لدي أموال لأنفقتها على المحتاجين لا سيما من يجاهد في سبيل الله في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، ومن يطلب العلم في هذه البلاد المقدسة.

ثالثاً: العقبة الاجتماعية: فأنا ابن مجتمعٍ يغلب عليه الانغلاق وتقديس الماضي دون أن يضم إلى ذلك تقدير الجديد.

رابعا: عقبة الوقت: فأنا لم أشرع في كتابة هذا الكتاب إلا قريبا، وعليّ أن أنجزه قبل دخول الشهر الكريم، شهر الفتوحات والانتصارات والبركات والدعوات.

أضف إلى ذلك أنني أخشى أن يفاجئني الموت كل لحظة، وقد أنذرني الله بالشَّيب وقال: ﴿وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ﴾ [الأعراف:١٨٥]، والموت عقبة كؤود لا يجوزها إلا المخفّون وما بعده من السؤال أصعب منه:

ولو أنّا إذا متنا تُركنا لكان الموت غاية كل حيّ
ولكنا إذا متنا بُعثنا ونسأل بعدها عن كل شيء

وعليَّ أن أنقذ نفسي ومن يسمع قولي والإنسانية الحائرة بالاهتداء بهدى الله والاستقامة على أمره، وأتحول من اليقين إلى حق اليقين بقدر

استطاعتي، وكلما قرأت لفيلسوف غربي ازددت قناعة بأن لدى المسلمين الحل الأمثل والدواء الناجع لكل أزمة إنسانية أو مشكلة اجتماعية، وواجب النصح يقتضي أن أقدم ما أعلم تاركا لغيري إتمام ما نقص مني، ولا يستوي مَن أنفق مِن قبل الفتح وقاتل مع من أنفق مِن بعدُ وقاتَل.

وأنا -ولله الحمد- لست عدواً لمن يقبل الحق ولا عبداً إلا لله وحده، وإنما أنا ناصح مشفق لكل إنسان ومستعد لمناظرة غيري بالعقل، وإقامة الحجة على المخالف في الشرق أو الغرب، وهدفي هو إيصال هذا الإنسان الحائر المسكين إلى الغفور الودود، الذي أخبرنا مصطفاه ﷺ عن رحمته حين رأى امرأة من السبي فرحت بابنها وألصقته بصدرها، فقال لأصحابه الكرام: (أترون هذه طارحة ولدها في النار؟ قالوا: لا، قال: فالله أرحم بعباده من هذه بولدها)، ومقتضى رحمته الواسعة أن يرسل لنا رسولاً، وينزل علينا كتابا كي نتبعه ونحتكم إليه في كل خلاف، فنحن بالفطرة نحب العدل ونكره الظلم، ونحب الحق ونكره الباطل، ولكن كيف نعرف تفصيلات كل منهما بدون كتاب: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

والسمة العامة لي في حياتي كلها هي الوضوح والصراحة مع كل أحد، والإسلام عندي أكبر من كل حزب أو فصيل أو فئة أو تيار، والكتاب والسنة يسعان الجميع، كما وسعا الكتيبة الخضراء (كتيبة المهاجرين والأنصار يوم الفتح، ووسعا كتائب الأعراب، وكما وسعا سعبد بن ابي وقاص وأبا محجن الثقفي).

وأنا أعلم أن بعض الناس يحب المجاملة ولا تعجبه الصراحة، ولكن هذا طبعي فليتحملني على علاتي:

ولت بمستبق أخا لا تلمّه   على شعث أي الرجال المهذب؟

وكل إنسان له عيبه وربما كان هذا عيبي الذي أعلم، وما أكثر ما لا أعلم.

وأنا لست عدوًا إلا للباطل أينما كان، وصديقا للحق أينما كان، وهذه الأمة المحمدية المباركة هي أمة العدل والحق لا نظلم من ظلمنا ولا نفتري على من افترى علينا، ولا نغدر بمن غدر بنا، ولا نجحد فضائل من جحد فضائلنا، وليس ذلك سياسة براجماتية منا ولا جلبا للمصلحة ودرأ للمفسدة، بل بهذا أمرنا ديننا ونص عليه ربنا، وقد أثنى الله على من هذه الأمة خير منهم فقال: ﴿وَمِن قَوۡمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٞ يَهۡدُونَ بِٱلۡحَقِّ وَبِهِۦ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩]، وهذا شأننا لا سيما منذ أمر الخليفة الراشد الخامس المجدد عمر بن عبد العزيز رحمه الله بتذكيرنا بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل:٩٠]، وخطباء الجمعة جزاهم الله خيرا يذكروننا بذلك أسبوعيا.

ومن العدل أن نقر أن الغرب أجود منا، ليس في الصناعة فقط، بل في النظام والسياسة والإدارة واحترام الشعوب ونصرة المظلوم، لكنه كشف عن عداوته المتأصلة للإسلام في وقائع محسوسة دفعت مثلي للكتابة عنه ومنها:

١. الانحياز الدائم للصهاينة.

٢. محاولات وأد أي نموذج ناجح عند المسلمين كترتيب الانقلاب بتركيا، وتقويض النمور الآسيوية.

٣. إدخال المسلمين في نفق محاربة البعبع المفتعل (الإرهاب) الذي ضخَّموه حتى أنسونا غيره.

وقد قال أحد السناتورات في أمريكا –وسمعته–: "سوف تكون أمريكا سعيدة لو انقلب الأتراك على أردوغان"، ولكن مصيبتهم أن جوال أردوغان غلب دبابات الانقلابيين وطائراتهم كما اعترفت صحفهم.

ولقد أثبت ذلك الصحفي (ديفيد هيرس) كبير محرري صحيفة (الجارديان) البريطانية الذي يعيش في المنطقة ويرصد أحداثها! ولا أدري أكان حينها في تركيا أم في بيروت (فندق السان جورج)، وهكذا أطلق الغرب هذه الحملة الصليبية الماكرة على الإسلام وأبى الله إلا أن يتم نوره

ويحقق وعده الذي لا يتخلف ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٦].

ونحن لا ينقصنا المال ولكننا نبذره وننفقه في الفساد مع شدة حاجتنا إليه، وحسب ما يعلنه المسؤولون في السعودية مثلا سوف ينفقون (٦٥ مليار دولار) أي أكثر من مئتي مليار ريال على افتتاح دور للسينما! ألم يكن الأجدر إنفاق هذه المليارات في الإعداد للجهاد والقضاء على البطالة، وبناء المستشفيات والمدارس، لا سيما ونحن نعاني من تلك المشكلات لا سيما تردي الخدمات أو انعدامها في بعض المناطق، وهذه الدور سوف تبلغ عند نهاية رؤية (٢٠٣٠) أكثر من ٣٠٠ دار كما يقولون.

والواقع المؤلم يقول إن الهجوم على الصحوة في بلاد الحرمين ليس علمانية فقط، وإنما هو انتقال من العلمانية اللادينية إلى العلمانية المحاربة للدين، وإنما العلمانية اللادينية هي ألا يتدخل أهل العلم في الشؤون السياسية، ولا ينظر القضاة في كثير من القضايا، ولكنهم انتقلوا اليوم إلى الهجوم المباشر على قطعيات الاعتقاد وثوابت المجتمع، وما التطور المفاجئ في النظر إلى لعبة الورق (الكوتشينة) إلا مثال واحد على ذلك، وأنا أطالب بإصلاح الأوضاع كلها لتوافق العقيدة كما في الكتاب والسنة، ولا أطالب لا بملكية دستورية ولا بغيرها.

ونحن من عدلنا أننا نقف ضد الظلم ولو كان المظلوم كافرًا.

وقد قال ﷺ عن امرأة مظلومة، ألقى أحد المارين الظلمة ما فوق رأسها في الحبشة: (كيف تقدس أمة لا يؤخذ لضعيفها الحق من قويها وهو غير متعتع).

فانظر كيف عد الصحابة فعله ذلك أعجب ما رأوه بأرض الحبشة التي فيها أعاجيب من الحياة النباتية والمائية والحيوانية والآثار، وكيف أنه ﷺ تعاطف مع المظلومة وهي ليست مسلمة، وقال قوله العظيم هذا في حق كل أمة حتى وإن كانت كافرة، وانظر مع هذا العدل والسمو الأخلاقي، كيف

يعامل الغرب الأمم القوية اليوم والأشخاص الأقوياء، وكيف أن الأمريكان دمروا (دوسلدروف) الألمانية وألقوا القنابل على هيروشيما ونجازاكي واعتدوا على الصومال والعراق وأفغانستان وقتلوا ملايين المدنيين، اعترف كسينجر بسبعة ملايين في شبه الجزيرة الكورية وحدها، وقد أثبتت وزارة البيئة العراقية أن أمريكا تفتقر حتى إلى العدالة البيئية، فأمريكا لا تفتقر إلى العدالة السياسية والعدالة الاجتماعية والعدالة الفكرية فقط، بل إلى العدالة البيئية أيضا، بنيما تذهب صرخات المحتجين فيها بلا تجاوب.

فإذا كانت الحبارى في وكرها تشكو من ظلم الظالم -كما نقل ابن القيم- فكم من البشرية يشكون من ظلم الإدارة الأمريكية داخل أمريكا وخارجها؟.

والمسلمون سنيُّهم وبدعيُّهم يد واحدة على من سواهم، وهم فيما بينهم يتحاورون ويعتقدون الحق هذا هو ما ينبغي لهم.

وقد ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية مع شيوخ المذاهب والطرق إلى قازان، ومع ذلك للشيخ ردود ومناقشات طويلة مع مخالفيه لاسيما شيوخ الصوفية، وهؤلاء يقولون إنهم يحبون الدين ويدافعون عنه، وأقل ما في ذهابهم مع الشيخ من المصالح ألا يظلوا لقمة سائغة لأعداء الإسلام الذين يستغلون الخلافات بين المسلمين لإيقاد الفتن وتفريق الصف، هذا مع ما في اصطحابهم من حكم أخرى ليس هذا موضعها.

ونحن ليس لدينا فوبيا ضد الحق قط، بل نحن ندعو العالم كله شرقه وغربه إلى اتباع ملة أبينا إبراهيم عليه السلام، ونحن أولى بموسى عليه السلام من اليهود، وأولى بعيسى عليه السلام من النصارى.

وهذا طبعا عكس المخطط الأمريكي الظالم، حيث اعتدت أمريكا على العراق وافتعلت لإسقاط بغداد تمثيلية إسقاط التمثال، وكان يحمي ساقتها قوات (بدر)، وإنما فعلت ذلك بعد حصارها المهلك الطويل، ووجدت بديلا عن أحمد الجلبي في حيدر العبادي ونوري المالكي وصحواتها المزعومة، وهي

تفصل بين أهل السنة في جزيرة العرب وإخوانهم في الأنبار، فجعلت الأجزاء الجنوبية من الأنبار تابعة لمحافظة النجف!!

ومن أوحال ذلك المستنقع استنقذها أوباما فانسحب يجر أذيال الهزيمة، ورضيت أمريكا من الغنيمة بالإياب، وانسحب معها تحالفها الذي يضم أكثر من ثلاثين دولة، ولم يعثر ضباطها في بغداد بالطبع لا على القاهرة ولا على شارع الهرم، وإن كانوا سألوا عن ذلك كثيرًا.

والسعيد من الأمريكيين الغزاة في العراق هم من خلع عنه البزة العسكرية، ولبس ثياب عجوز وعبر الحدود مشياً زاعما أنه عجوز كردية.

وظهرت (قادسية صدام حسين) في شكل جديد تولى كِبر تسويقه الإعلام السعودي لا سيما برنامج (همسات)، ولكي تدمر أمريكا ما سماه البنتاغون (المثلث السني) حشدت ضعف التحالف السابق لتحويل أكبر تجمع سني في العراق (الموصل) إلى أطلال وخراب، وقتلت وهجرت الملايين من أهل السنة في العراق.

على أن لذلك تبعات لا بد منها لكل من يطلب جنة عرضها السماوات والأرض، وفيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ومنها:

أ- الصدع بالحق: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحِجر:٩٤].

ب- النصح للخلق: فقد كان الأنبياء الكرام ناصحين لأقوامهم كما في القرآن الكريم.

ت- الصبر على الأذى: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَا﴾ [إبراهيم:١٢].

ث- بيع النفس لله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [التوبة:١١١].

ج- اتباع الرسول ﷺ ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

ح- لزوم العدل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

وأنا لن أسافر إلى أي بلد ولا أخاف إلا الله.

وليست القضية عنادا وصلابة رأس أو شهوة انتقام، بل هي تمسك بالثوابت، ونصح للمسلمين وحرص على اجتماع كلمتهم.

وقد بايع النبي ﷺ أصحابه ليلة العقبة على أن يقولوا الحق أينما كانوا، ولا يخافوا في الله لومة لائم، وبايعوا على النصح لكل مسلم، وقد قال نبي الله هود عليه السلام: ﴿إِنِّيٓ أُشۡهِدُ ٱللَّهَ وَٱشۡهَدُوٓاْ أَنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٥٤ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤-٥٦]، وغاية ما يفعله الأعداء هو القتل، وتلك شهادة لا أستحقها، وإن مَنَّ الله عليَّ بها فهو من كرمه وجوده المتتابع علي منذ الصغر، وإنني إذ أقول هذا لأنصح كل أحد بقراءة ما كنت كتبته من قبل وهو (الموقف الشرعي من أحداث ١١ سبتمبر) والخطاب المرفق معه للرئيس آنذاك "جورج ووكر بوش"، ليرى ما الذي تغير جوهريا، لا سيما بعد أن تورطت أمريكا في الانقلاب الفاشل الذي وقع في تركيا، وانهزمت في العراق، وظهرت هزيمتها في أفغانستان للعيان، وأخزى الله عملاءها وسلط عليها العقوبات من كل جانب، وما سيأتي أعظم.

والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه أمرنا إذا خُيِّر أحدنا بين دينه وضرب عنقه أن يقدّم عنقه.

والواجب علينا في هذه المرحلة هو بيان ما نرى أنه الحق للصحوة المباركة الصاعدة، ورسم الطريق القويم لها، وقد ثبت لدي باستقراء التاريخ واستشراف المستقبل أن المسلمين أفاقوا من غفلتهم ومستعدون للمواجهة، ومن الطبيعي جدا أن يتخبط المستيقظون ويختلفوا، وربما استمر ذلك طويلا ولكن العاقبة للمتقين ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة: ٢١].

وقد بدأت تركيا مثلا في الصعود في حين أن الغرب أخذ في الانحدار، وإن يكن أحد يستحق الرثاء لحاله فهو بعض المخدوعين من المسلمين الذين

لا يزالون يعلقون آمالهم على هذه الحضارة وأوليائها، ويرجون الخير في اتباع آراء فلاسفتها ومفكريها، ويظنون أنه لا سبيل للتقدم والرقي إلا باقتفاء سبيلها، وقد وقف المسلمون طوال تاريخهم في وجه من يريد تعكير مصدر التلقي الصافي وتشويهه بأقوال الفلاسفة، وإلى ذلك دعا كل من دعا إلى الكتاب والسنة، وأبرز تلك الوقفات تاريخيا هي ما خطه ثلاثة من علماء الإسلام، كان لهم أثر فيمن عاصرهم أو جاء بعدهم، وهم الإمام أحمد بن حنبل، وشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله جميعاً.

والآن يجب علينا المحافظة كما حافظوا، وإن كان ما قاموا به يتطلب أمةً وليس أفرادا.

فقد وقف الإمام أحمد رحمه الله وقفة حازمة لكي لا يتعكر المنبع الصافي "الوحي" بالمصادر الملوثة، لا سيما الفلسفات الوضعية، وكان رحمه الله أبعد نظراً وأصوب رأياً من ناقديه، وبعضهم في عصره، حيث ظنوا أن المسألة أهون مما يعتقده الإمام لا سيما مطالبته المستمرة وإلحاحه الدائم بأن يأتوه بشيء من الكتاب والسنة، وذلك لعلمه أن مصدر الحق هو ذلك، وأن الضلالات والبدع إذا سمح العلماء بها تبدو أول الأمر صغيرة ثم تكبر، وتبدأ الزاوية حادة ثم تنفرج حتى يستحيل التقاء ضلعيها، وإنما بدأت البدع بتلويث المصادر الكتابية شيئا فشيئا، حتى انتهى بهم الأمر إلى صريح الإلحاد، والكفر بالتدين في أي شكل كما نرى اليوم.

واليهود -قبحهم الله- أقروا بذلك حين دخل عليهم النبي ﷺ بيت المدراش ومعه عالمهم سابقا عبدالله بن سلام رضي الله عنه، ولما رفع ابن باعوراء يده عن آية الرجم، اعتذر الأحبار بأن الرجم هو حكم الله فعلا، ولكن الزنا كثر في أشرافهم فرأوا أن يصطلحوا على ما يقيمونه على الشريف والوضيع وهو التحميم والجلد، أي أنهم قدّموا المساواة المزعومة على حكم الله، واصطلحوا

على خلاف شرع الله في حين أنه لا مجال للاجتهادات البشرية مع حكم الله.

أما إخوانهم النصارى فقد أضافوا إلى بدع اليهود بدعا أخرى، ومنها الرهبانية التي قال فيها جل شأنه: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:٢٧]، ولجأوا إلى التصويت حين ينبغي الرجوع إلى كتاب الله، فاتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فكان أول مجمع عقده علماؤهم هو مجمع نيقية سنة ٣٢٥ جريجورية، وكان المتحكم فيه هو الامبراطور الوثني الروماني قسطنطين، وفضَّل حينها عقيدة التثليث على عقيدة التوحيد، إذ كان التثليث أقرب لوثنيته، ولم يكتف النصارى بذلك بل لعنوا القائلين بالتوحيد وحرموهم، واعتقدوا ألوهية المسيح وابتدعوا صلبه، وتكلفوا استخراج التثليث من ألفاظ مشتبهة في التوراة "الناموس"، وهكذا استنصحوا الرجال في دين الله واتبعوا أهواء البشر، معرضين عن حكم الله، فعكروا مصدر التلقي بتلك الآراء البشرية.

غير أن الله تعالى حفظ كتابه الأخير "القرآن" بنفسه، وسخر له من يدافع عنه ويحفظ له قدسيته ونقاءه، فكان منهم الإمام المبجل أحمد بن حنبل رحمه الله الذي وقف في وجه الردة الثانية كما وقف الصديق في وجه الردة الأولى.

وهكذا بقي كتاب الله محفوظا، وبقي دينه هو المرجع الوحيد للإنسانية العطشى، واقتضت رحمته تعالى بالعالمين، أن يجعل رسالة خير خلقه محمد ﷺ معصومة، وأن يظل عليها طائفة منصورة من هذه الأمة المباركة التي لا تجتمع على ضلالة قط، وسخر لها في كل قرن من الناس من يجدد الملة ويحيي ما اندرس من الدين أو نُسي، ويرد الناس عن بُنيَّات الطريق إلى السُّنة القويمة والمنهاج اللاحب.

وفي العصور الوسطى الإسلامية منّ الله على المسلمين بعبقرية فذة وعقلية جبارة ومواهب لدنية أُودِعها شيخ الإسلام ابن تيمية الذي رد على

كل أعداء الإسلام، وعلى كل من جنحت به عقلياته أو حدسه عن عقيدة السلف الصالح، وأنشأ مدرسة فكرية في الحديث والتفسير والإيمانيات، وكان مرجعا لمن جاء بعده كما قال تلميذه العلامة ابن القيم: "كلنا من بحره نغترف".

وكان ممن اغترف من هذا البحر الزخار الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الذي انتشرت دعوته حتى أقاصي الأرض، وكان كشيخ الإسلام ابن تيمية ناصراً للحق بعيدا عن تكفير المعيَّن، داعيا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ومجادلا بالتي هي أحسن، ولم يتكلم عن شيء دون الاطلاع عليه، حتى قيل إنه رحل إلى (قم) ليرى بعينه ما يفعله الرافضة بعد أن كان زار العراق ورأى أعمالهم، واطلع على أقوالهم من كتبهم نفسها، وقُل مثل ذلك عن عباد القبور والأضرحة، وكل من جدد ملة عمرو بن لحي، أو دين قوم نوح.

ثم شاء الله أن تغشى الأمة غاشية الحضارة الغربية الزائفة، وأن تخضع أكثر بلاد الإسلام لأولئك الصليبيين الجدد، وأن تتشعب العلوم وتكثر البدع وينتشر الهرج بين الناس، ويحكمون بالقوانين الوضعية، ويحكِّمون الأهواء البشرية، ولكن الله للمفسدين بالمرصاد، ووعده حق، ولا يزال ينشىء لهذا الدين نشأ يستعمله في طاعته إلى أن تقوم الساعة.

والله تعالى ليس في حاجة إلى البشر في شيء أبداً وإنما أنزل القرآن العظيم رحمة منه بخلقه كما قال، وقد قال لسيد ولد آدم خير الخلق أجمعين محمد ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران:١٢٨] وقال: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨] وقال: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ﴾ [النازعات:٤٥]، ولو قدرنا أن الله لم يخلق البخاري ومسلم ولا أحمد بن حنبل ولا ابن تيمية ولا محمد بن عبدالوهاب ولا أي مجدد أيعجز سبحانه عن الإتيان بمثلهم ممن خلق؟

ألم يقل سبحانه لأكرم جيل وأفضله: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

ويقل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، ويقل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الحُجُرات:١٧].

واليهود هم الذين يحسدون العرب على أن نبي آخر الزمان منهم، فكيف نكون مثلهم وندعي أن الخير محصور فينا وحدنا، ونحسد الغرب أو الجاوة أو الترك أو الأفارقة إذا كان تجديد الدين ونصرته على أيديهم؟

وكيف نحتكر الحقيقة ونحصر التوحيد فيما نظن، وما عداه شرك أوضلال أو خطأ.

فإذا وفق الله العالم أو الداعية أو الحاكم للدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فالفضل له وحده وعلى من وفقه الله لذلك أن يكثر الحمد والاستغفار والطاعة.

وأنا حين أبين ما فيه هذه الحضارة من عيوب، لا أقصد أن أعاملها بالمثل وأحط من قيمتها كما حطت هي من قيمة الحضارة الإسلامية، وإنما أعدل معها وأريد أن تتوازن الصورة، وليس أن ننسب كل سئية لنا وكل حسنة للغرب.

ونحن إذ ندعو الناس إلى الصراط المستقيم، لا ندعوهم إلى ما سماه "دييتر سنغاس" القيم الآسيوية، بل إلى القيم الكونية التي أنزل الله على الآسيوي والغربي، وجعل فيها الهدى والخير وتقوم على التوحيد لا على الوثنية، فالحضارة الغربية حاليا هي صنم العصر الأكبر، بل هي في الحقيقة مجموعة من الأصنام المتراكمة، بعضها فلسفي وبعضها مشخّص، ويجمعها جميعا أنها معبودات وأرباب متنوعة تتراوح بين إنكار خالق الكون صراحة وبين تعطيل صفاته وتأويلها، ولكن في ثوب علمي زائف، وبصورة أخرى جديدة، وهي القاع الذي ترسبت فيه كل ضلالات الأمم القديمة، وزادت على ذلك تنظيرا وتفلسفا.

وإن شئت فقل إن الحضارة الغربية هي "هبل" الذي يليه ثلة من الأصنام كالديمقراطية وحقوق الإنسان والسلام العالمي وتحرير المرأة، والعولمة، والتجارة الحرة والمساواة .. إلخ.

ومع احتفاظ الغرب بعدوانيته كما في الحروب الصليبية، والاستعمار العسكري، أضاف إلى ذلك في الآونة الأخيرة أعمالا أخرى أوصى بها "لويس" التاسع و"ريموند لول" و"يوحنا الدمشقي" كإثارة الشبهات وتنصير المسلمين وغزوهم فكريا وسلوكيا، وزاد على ذلك استعباد سائر البشر ونهب خيرات الأمم وثرواتها بأسماء جديدة كالعولمة والاستثمار والاقتصاد الحر، وأمثال ذلك من الشعارات التي سماها "هابرماس" الألماني استعمار الحياة.

ومن سبل الاستعمار الجديد، أن المستعمرين يكلِّفون الدول المستعمَرة نفقات ما يريد المستعمرون عمله، ومن ذلك أن "دونالد ترامب" صرح أن على المكسيك أن تتكفل بنفقات بناء جداره العازل، وأن على دول النفط التكفل بنفقات إنشاء المناطق الآمنة في بلاد الشام التي يعتزم إقامتها، وما خفي أعظم.

وجمع الغرب بين نوعين من القوة: القوة الصلبة أو الخشنة، والقوة الناعمة التي تسهّلها وسائل الاتصال الحديثة، وفي ظل هذه الحضارة اختفت الأخلاق والفضيلة والقيم لتحل محلها الواجبات الوطنية أو النفعية بأي اسم، ووقعوا في تناقض شائن فاللواط مثلا عندهم مسألة شخصية يحق للإنسان أن يمارسها أو يدعها، أما قطع إشارة المرور فهو كارثة تستوجب إحالة فاعلها إلى المحكمة!

وعبارة (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضا) هي عندهم عبارة ليست واقعية بل ينبغي محاربتها، وأن تحل محلها قاعدة "الغاية تبرر الوسيلة" كما قال "مكيافيللي"، أو أن الإنسان ما هو إلا ذئب على أخيه الإنسان فإذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب، كما أرشدهم "هوبز"، أو الفلسفة

البراجماتية المعاصرة، فمبادئ الغرب هي مصالحه المادية، أما التضحية بالمصالح من أجل المبادئ الأخلاقية فهو عند الغرب من فعل المتأخرين.

ولكي يكون الإنسان متقدما عند القوم، لا بد أن يكون "فاوستيا" يبيع نفسه للشيطان.

والمصيبة أن "فاوست" هذا إنما انطلق إلى العالم الإسلامي وحاربه تحت ستار الحرب على الإرهاب هذه المرة، وهي حرب فضفاضة طويلة، لا يستطيع أحد أن يحدد معالمها أو أن يتنبأ بنهاياتها، وهكذا أصبح الغرب هو دراكولا مصاص الدماء، وأصبح العالم الإسلامي هو الضحية!

والعِلم الذي يسعى إليه كل البشر لا بد عندهم أن يكون علما منفلتا، حتى ولو كان فتحا لصندوق "بندورا" الذي تخرج منه كل الأفاعي والعقارب والشرور، كما تقول أساطيرهم.

وفي غزو غير مسبوق ولأهداف متسترة وضعت الحضارة الغربية رجلا على القمر، ولكنها عجزت عن وضع إنسان في أسرة مستقرة أو في مجتمع آمن، ومن علامات التقدم في هذه الحضارة أن تتحول الجريمة من فردية كحال المجتمعات البدائية، إلى جماعية تقوم بها عصابات منظمة، أما كثرة العانسات وأبناء السفاح فهي عندهم ضريبة التحضّر التي لا بد من دفعها، وليس ذلك عندهم بغريب، وإنما الغريب أن يتحضر شعب دون دفعها!

وهذه الحضارة لإنسانيتها وديمقراطيتها! ترعى أطفال السفاح، وتنشئ لهم المحاضن، دون التفكير لماذا كثروا أصلا.

واستعباد الآلة "الماكينة" للبشر لا يسبب لهم مشكلة، فهؤلاء العبيد الآليون أو عبيد التكنولوجيا هم عمال يتقاضون مرتبات ويحق لهم الترفيه واللهو، وهذا هو المهم.

وبمقتضى الديمقراطية يحدد الأكثرون المعايير اللازمة لما يجب على الحكومة فعله أو تركه، وبمقتضى حقوق الإنسان والقوانين الغربية يحق للابن أو الابنة أن يشكو أحد الوالدين أو كليهما للبوليس!

وبمقتضى الحضارة الوضعية يجوز اعتقال أي مسلم على أنه إرهابي محتمل، أما من يرتكب فاحشة قوم لوط فهو لم يخرج عن القانون!.

وإذا كان من حق أي إنسان أن يهرب من الأرض القفر "اليباب" – على حد تعبير "إليوت"– وأن يتقي انتحار الغربيين كما قال "أوبنهايم"، وأن يجتنب "موت الغرب" –الذي تحدث عنه "بوكانين"– فإن على الإنسان المسلم أن يوقن بأن ما صرح به طه حسين وتبعه كثيرون –وهو أن نأخذ الحضارة الغربية حلوها ومرها– زعمٌ باطل، وغير علمي وغير إنساني، وهو قبل ذلك كله غير شرعي.

فالإسلام يعلّمنا أن ننتقي ونختار لا أن نأخذ كل شيء ويربينا على العقل والحكمة وليس على التطفل والاستجداء.

وقد جرب المغرورون مثل هذه النصائح غير الثمينة، وعرّوا نساءهم وأضاعوا الصلوات واتبعوا الشهوات، ونبذوا دينهم وشربوا الخمور وتعاطوا المخدرات وتعاملوا بالربا، وبعضهم ألغى الحروف العربية، وألغى الشريعة الإسلامية، ورطن هؤلاء بلغة الأجانب، وسموا أبناءهم وبناهم بأسماء غربية، وعمروا الملاهي وانصرفوا عن المساجد فماذا جنى أولئك؟ وأي طائرة لا تطير إلا إذا كان قبطالها يرطن باللغة الإنجليزية مثلا؟ وأي مصنع يشترط لكي يعمل أن يكون الخبير أشقر الشعر؟ وأي قناة تصر على أن تكون المذيعة أو المراسلة متبرجة؟ أم أنه لا بد من دخول جحر الضب!

خذ مثالا محسوسا لذلك: ألم يكن التركي يأتينا أيام الجهاد والفتوحات باشا أو واليا نسمع له ونطيع، وكنا معجبين به جداً إلى حد أننا سمينا أبناءنا "تركي"، ثم أصبح يأتينا أيام العلمانية والجمهورية التركية الحديثة طباخا أو حلاقا أو عاملا في ورشة؟

وبمن يفتخر التركي اليوم، أبمحمد الفاتح أم بكمال أتاتورك؟ ولماذا قفزت تركيا هذه القفزة الهائلة من دولة مستضعفة، إلى أن تكون الثانية في (حلف الناتو) من حيث القوة العسكرية، وأن تصنع الطائرات والدبابات!

وأن يتضاعف دخل الفرد التركي نحو أربعة أضعاف، ألا يدل هذا على الرجوع التدريجي للإسلام؟

ثم انظر إلى من يسمى الصديق التاريخي والحليف الاستراتيجي "دونالد ترامب" هل صرح بمنع تنظيم بعينه أم منع المسلمين كلهم من دخول أمريكا؟ وانظر إلى الصور المسيئة للرسول ﷺ التي نشرتها مجلات وصحف، منها الكاثوليكي ومنها البروتستانتي ومنها الإسرائيلي، أكانت صورة لبن لادن أو لأبي بكر البغدادي؟ وكيف جرت مكافأة الرئيس "أولاند" بأن يحضر لأول مرة في التاريخ، مؤتمر القمة الخليجية في الرياض ودون أن يعتذر عن الصور طبعاً.

وانظر إلى الغرب المتحضر كيف أغرق المهاجرين إليه في البحر الأبيض، وكيف يعلن قولاً أنه يؤيد حكومة الوفاق الوطني، ويقاتل في الوقت نفسه مع "حفتر"؟!.

وتأمل في تعبير "أوباما (إرهابي محتمل)، ألا ينطبق ذلك علي وعليك وعلى كل مسلم؟

وانظر كيف نبادر نحن -بل علماؤنا- إلى استنكار ما يقع في باريس وبروكسل وفلوريدا قبل أن يبدأوا هم في التحقيق؟ بينما لا تسمع نأمة لإنكار ما يفعله اليهود في المسجد الأقصى وهو أقرب إلينا على الأقل؟

وانظر كيف رفض السلطان عبد الحميد الثاني إغراءات "هرتزل" وكيف قدّم العرب مبادرة مجانية لليهود موافقة لقرار التقسيم الذي رفضناه سابقا.

وانظر من الذي رضي أن يكون جنديا تحت قيادة "اللنبي" ومعولاً في يد "لورانس" لتدمير سكة الحديد التي تربط بين المدينة النبوية واسطنبول؟

ولماذا لا تعيدها الدويلات التي أنشأوها بعد إعدام الرجل المريض؟ نعم السكة نفسها لا وجود لها، ولكن أليس مكانها باقيا وقد أراد العثمانيون مدها إلى مكة بل إلى صنعاء ووضعوا خططا لذلك.

ألم يضع حكام سورية مكانها خطا دولية يربط بين حلب ودمشق؟

واقرأ الصحف الغربية ووسائل الإعلام الغربية نفسها لتعرف لماذا يرفضون دخول تركيا في عضوية الاتحاد الأوروبي، ولماذا صمت الغرب حين قام الانقلاب العسكري الفاشل في تركيا، وكيف غيَّر لهجته بسرعة بعد فشل الانقلاب؟

ولماذا لا يعطون تركيا مقعدا دائماً في مجلس الأمن، مع أن هيئة الأمم نفسها تقول إن منظمة التعاون الإسلامي هي ثاني منظمة عالمية بعد الأمم المتحدة وأهم دول المنظمة هي تركيا؟

وانظر كيف أن هؤلاء الذين يدعون الديمقراطية وحرب الإرهاب يصورون أردغان على رأسه مسدس ويكتبون "اقتلوا أردغان"، وهذا منظر يمكنك مشاهدته بعينك في أوروبا!

والناس كلهم يقولون إن تعديل ميثاق هيئة الأمم ضروري، ويستنكرون بقاء حق النقض "الفيتو" حكرا على الدول التي هزمت "هتلر" قبل عقود، ويستغربون كيف يتطور العالم كله ويتغير سريعاً، إلا ميثاق هيئة الأمم؟

وانظر لكي تعرف بنفسك طبيعة المعركة لماذا يصدرون أوامرهم إلى الفنادق بعدم إسكان أي مسلم، ولماذا ينزلون المسلم من القطار أو الحافلة أو الطائرة، ولماذا يعاقبون أي صاحب لحية حتى يثبت لهم أنه غير مسلم؟ ويغرمون المسلمة إذا وضعت منديلا على بعض شعر رأسها أو لبست البوركيني!

والسياسة الغربية سياسة مراوغة، تستخدم من شاءت إما بالتحالف معها وإما بقتال عدوها باسم "محاربة الإرهاب"، وبعد استخدامه ترميه وتتخلى عنه، كما فعلت بالمجاهدين في أفغانستان بعد أن هزموا السوفييت، وفي ليبيا لما قاتلوا جيش الدولة الإسلامية في "سرت"، وكما فعلوا في اليمن لما قضى التحالف العربي على تنظيم القاعدة في المكلا، والأمريكيون يفعلون

ما يشاؤون، وإذا استنكر العالم شيئا، قالوا حدث ذلك بطريق الخطأ وسوف نحقق في ذلك.

ويقول الروس إنهم أتوا لبلاد الشام كي يحاربوا داعش! مع أنهم يقاتلون في مناطق ليس فيها داعشي واحد، ويدمرون سبعة مستشفيات في يوم واحد في حلب، وهذه المستشفيات يحرم القانون الدولي استهدافها، ثم إنهم دمروا حلب كلها وهجروا أهل السنة منها ليتم التغيير الديمغرافي المنشود.

دع روسيا فأمرها مكشوف من قديم؛ ولكن انظر إلى ألمانيا أكبر صديق للأتراك ظاهرا وأهم دول الاتحاد الأوروبي، كيف كشفت القناع عن وجهها وقالت مستشارتها "انجيلا ميركل" "إنه من المستحيل انضمام تركيا إلى الاتحاد الأوروبي لأن أوروبا مسيحية -كما قالت- والأتراك مسلمون؟" وألمانيا مثل غيرها من الدول الأوروبية، تمنع العمال الأتراك من المسيرات التي هي حق ديمقراطي؟ ولا تسمح إلا للأكراد والانقلابيين!

واسأل عقلك كيف تعترف الدولة الديمقراطية الحرة "أمريكا" بانقلاب السيسي، وتدبر انقلابا مماثلا في تركيا الديمقراطية؟

وهناك شواهد واقعية كثيرة لا نريد الاسترسال في ذكرها، تدل على أن القوم لم يعودوا يحملون الصليب في أيديهم، بل وضعوه في قلوبهم، ولكن المصيبة أننا لسنا كلنا ضد الصليب بل بعضنا يقول "إن أكثر الغرب ملحدون"، صحيح أن فيهم ملحدين، ولكنهم كلهم متعصبون، وفيهم سذّج أغرار مثل ما فينا! والصوت الليبرالي الآخر في الغرب ليس له قوة إلزامية.

وصحيح أن أكثر المسلمين اليوم يعيشون في القفص الحديدي الذي عبر عنه "ماكس فيبر" ولكن من صنَع ذلك القفص، ومن يحرسه؟ ومن يصر على بقائنا داخله؟

وهل يتغير الحال لو جعلوه ذهبياً، ولو أننا حطّمناه وخرجنا منه هل تستطيع أي قوة على وجه الأرض أن تعيدنا فيه؟

هب أهم استطاعوا قتل النخبة المفكِّرة منّا والقضاء على كل أعمدة الاستقلال فينا، فهل يستطيعون نزع الإيمان من قلب كل فرد؟

هب أهم استطاعوا قتل رجب طيب أردغان أو إبعاد حزب العدالة، فهل القضية قضية شخص أو حزب، أم دين يتدين به الشعب التركي ولن يتخلى عنه؟

ونحن نؤمن بأن مصير الليبرالية في الغرب هو مصير الماركسية في الشرق، ونوقن يقينا جازما أنه لا خلاص للإنسانية من هذا الشقاء ولا فكاك لها من هذا الجحيم إلا بالإسلام وحده.

والغرب مع صليبيته وتعصبه لدينه وتاريخه، ينتج ثقافة الاستهلاك ويصدرها للعالم الذي يشتري منتوجاته بأضعاف مضاعفة، وعلى الدول الغربية أن تشتري المواد الخام بثمن بخس ثم تبيع بعضها إلى المغفلين الذين لا يقولون "هذه بضاعتنا ردت إلينا".

وقد دخلت الصحف السعودية في جحر الضب هذا، واهتمت بثقافة الاستهلاك، فإذا كنت تسكن في جدة مثلا، فإنك تجد صحيفة مجانية معلقة على باب مترلك يوميا، تمتلئ بالإعلانات والتخفيضات!

دع الصحافة الصفراء، وصحافة التعري.

أما القنوات فهي في أمريكا مثلا قنوات جنس وإباحة وإثارة ونكات جنسية، أي أنها تدور حول الشهوات والمتع الرخيصة، وما عدا ذلك فهو إعلانات تجارية وقليل من الأخبار.

وفي القنوات المتخصصة في الآثار والرياضة تجد صنوف الملهيات والمشغلات باستمرار إلى جانب الإعلانات التجارية.

وإذا تطرقت الصحافة الغربية أو القنوات إلى السياسيين، فإنها مع الاقتضاب تركز على الفضائح والاتهامات التي يوجهها كل طرف للطرف الآخر.

وتجد صدى الإعلام المادي المسيّس في مواقع التواصل الاجتماعي وفي مظاهر الحياة العامة.

والإعلان هو الذي يجلب المال للقناة أو الصحيفة ولو كانت إخبارية، أو عامة مثل محطة "سي إن إن" ومحطة "فوكس" وصحيفة "يو اس تودي".

والغرب –حتى كباره– يتبع الشهوات ويخضع للتروات ويعظمها.

فقد انتخبوا إحدى الجاهلات لسبب واحد فقط، هو أنها جعلت برنامجها الانتخابي أن تخلع ملابسها قطعة قطعةً، فهي امرأة متحررة من التقاليد البالية!

وخرج أعضاء الكونغرس إلى الشرفة ليروا امرأة عارية في مترل مجاور.

تلك هي حكاية الحضارة الغربية بإيجاز، وسيأتي بإذن الله التفصيل فيها، وكثير من الناس يتساءلون عن حكايتي مع أتباعها الليبراليين هنا، وهي حكاية طويلة تمتد عشرات السنين ومئات الصفحات، بل آلافا، ولكني سأوجزها جدا.

ولكي أكون عادلا كما أمر الله، وفي الوقت نفسه مشفقا على هؤلاء، راثيا لمأساتهم كأي داعية، تعرفت شخصيا على كثير منهم، وزرت من استطعت، والغريب حقا أن بعضهم انقلب في جلسة واحدة فقط، وأضرب مثالا لذلك أنني قمت بزيارة جريدة عكاظ يوم كان يرأس تحريرها الأستاذ هاشم عبده هاشم، فكتبت عني في اليوم الثاني ما لا أستحق من الثناء.

كما حرصت على قراءة ما كتبه من وفقه الله للتوبة، مثل خالد الغنامي ومشاعل العيسى ونورة الصالح، إلى جانب القراءة المستفيضة لما كتبه كبار المفكرين الغربيين، مع مشاهداتي الواقعية لحال المجتمعات الغربية خصوصا في أمريكا وبريطانيا، وسماع مقابلاتهم الفكرية التي تجريها الصحف أو القنوات الفكرية كقناة الجزيرة القطرية، كما قابلت الأستاذ محمد سعيد طيب مرارا، وقد قال إنه وحدوي وليس قُطريا، وكان مما قلت له: اعلم يا أستاذ أن شعبيتك في مكة وليست في القطيف! وأنا أعذر هؤلاء الليبراليين لأنهم في

نظري جهلة لا أعني أنهم جهلة بالإسلام؛ فهذا يعلمه كل أحد، ولكنهم يجهلون الفكر الغربي نفسه والواقع الغربي المشاهد.

ولذلك أنا مستعد لمناظرة أي إنسان منهم اعتماداً على ذلك الفكر نفسه، إذا كانوا لا يريدون المناظرة بالكتاب والسنة.

ومستعد لقبول الحق ولو من كافر، والرجوع عن أي خطأ وقعت فيه، وما عليهم إلا بيانه وهم مشكورون على ذلك.

وأنا أرثي لهؤلاء الليبراليين لشذوذهم عن الوطن والمجتمع، ومن الأدلة عندي على هذا الشذوذ أنهم لا يستطيعون إبداء آرائهم إلا في الصحف والقنوات والمواقع والأندية الخاصة، ولا يستطيعون مواجهة عامة الناس في المنتديات العامة والملتقيات الجماهيرية، وقبائلهم تتبرأ منهم كما رأيت بنفسي، والمواطنون من أقاربهم أو قراهم أو هِجرهم يردون عليهم بأنفسهم، وانظر مثلا إلى أسرة العمير في الزلفي، ولماذا لا يسكن عثمان إلا في المغرب أو في أحد القصور في الرياض إذا جاء، ولماذا لم يتزوج، ومن الذي أعطاه شيكا على بياض؟

ومثل العمير أخوه عبدالرحمن الراشد الذي مضى عمره ولم يتزوج ويقولون إنه أخيرا خطب إحدى المتبرجات اللبنانيات! وقد عينوه رئيسا للغرفة التجارية بالشرقية وعضوا بمجلس الشورى!! وهو مرشح ليكون مسؤولا عن الملف الشيعي بالديوان الملكي!

وأهل الدين لا يهمهم أن تسرق الحدأة منهم طريقة الطبخ ما دام اللحم نفسه (الشعوب) بأيديهم.

ومع أن الشذوذ لا يخلو منه مجتمع حتى المجتمع النبوي الشريف، فأنا أرثي لمن يولي أعداء التدين هؤلاء المناصب، ويتيح لهم أن يكتبوا ما يشاؤون، ظنا منه أن ذلك أقصر وسيلة لتحبيب العامة فيه ورضا الغرب عنه، وأن السير على القاعدة الدنلوبية الشهيرة "سلوبت شور" أي (بطيء، ولكنه

مؤكد)، يمكن أن يؤدي إلى النتيجة المرجوة فهذا وهم، والشعب ساخط وحاله معلوم مهما سكت.

وأما الغرب فلن يرضى عنا ما دمنا مسلمين، وما دام أكثرنا سودا أو ملونين.

وهو (أي الغرب) يؤمن بالقوة ويحتقر من يقلده ويتابعه، بل يستهزئ به ولا يحترم إلا من كان أصيلا قويا، حتى أن أحدهم قال عن المدعو "أتاتورك" ومن وافقه: "نحن أغرينا الرجل التركي أن يترك دينه فلما تركه نحن احتقرناه".

ولا يمكن لأي عاقل أن يصدق أن كوريا الشمالية أقوى من الأمة الإسلامية.

وكان يمكن في نظري بجرة قلم أن تتبدد الليبرالية والديمقراطية وحقوق الإنسان المزعومة ودعاوى تحرير المرأة، ولكن ذلك كله مقصود.

وأنصح الليبراليين ومن وراءهم بأن السباحة عكس التيار غير مجدية، وأن الاعتقال أو القتل لا يخيفنا، وأن ذلك إنما هو تنقية للصف من المنافقين، وإنما نخاف من ذنوبنا وتقصيرنا في جنب الله، ونخاف أن يقول لنا أحد الحق فنرده حمية وعصبية عياذا بالله.

ونخاف أن نحجر على الرأي المخالف لرأينا، أو الفهم المغاير لفهمنا، ونعوذ بالله أن نضِل أو نُضَل.

ولذا أرجو من كل ليبرالي أيًّا كانت عقيدته الدينية أن ينبهني إلى ما قد أكون نسيته أو سهوت فيه، وأن يحدد موعدا لمقابلتي وليُحضر معه من يشاء، وليحدد المكان الذي يريد، ولن يمنعني من ذلك عائق إلا الموت أو المرض، وأنا أحمد الله على كل حال -وأعوذ به من حال أهل النار- وأتمتع بحرية لا يدانيها أي حرية في هذا الكون، وذلك بعبوديتي لله وحده وأتمتع كذلك بملكٍ لا يحلم به أي مَلِك في الوجود، وأنا ليس في فمي ماء، وأنا أعلم يقينا

أن الجنة محفوفة بالمكاره، وأن النار محفوفة بالشهوات، وأنه يجب أن يكون غرض للمسلم هو الحق وحده.

ومن كان له عليّ فضل فلا سامحه الله إن لم يذكره ويقله، وقد قطعوا عني الراتب والتقاعد ثم يقولون لي بعد ذلك بسنين لا تتبرع لفلسطين ولا غيرها، ومن أين أتبرع؟ ولم يزحزحني ذلك شعرة واحدة، وأنا راض كل الرضا قانع كل القناعة غني كل الغنى، وحسبي من الغنى الافتقار إلى الله وحده.

وقد عفوت عن كل من أساء إلي، وما أكثر الإساءات والافتراءات، رجاء أن يعفو الله عني، وأحتسب عند الله عفوي عن من ظلمني، كما أحتسب عنده وحده مناصرتي لكل قضايا المسلمين، لا سيما قضية المسجد الأقصى المبارك وأهل البيت الشريف.

كما أحتسب عنده أنني لم أغش أي إنسان ولو كان كافرا أو فاجرا ولا أستحل ذلك بل أنصحه بما أعلم وأقول له ما أستطيع من الحق، وأحتسب عند الله أذاه إن آذاني.

وقد حكى النبي ﷺ نبيا من الأنبياء شجَّه قومُه فمسح الدم عن جبينه وهو يقول: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)، وذكر الله تعالى أن الرسل الكرام قالوا لأقوامهم: ﴿وَلَنَصۡبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيۡتُمُونَاۚ﴾ [إبراهيم:١٢]، وذكر سبحانه أن المؤمن الصالح الذي يقال إن اسمه حبيب النجار، لم ينس قومه حتى لما قال له ربه: ادخل الجنة، قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦-٢٧].

وقد ضرب الرسول ﷺ أروع الأمثلة في العفو حين قال لمن كذبوه وآذوه وأخرجوه واتهموه بأنه ساحر أو شاعر أو مجنون أو صابئ أو مفتر أو يعلمه بشر أو اكتتب أساطير الأولين، وسموه ابن أبي كبشة: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

ومن جاءني في بيتي فحياه الله أيا كان، وقد قابلت كثيرا من الكفار حتى من أعلم أنه استخبارات غربية، وكثيرا من الصحفيين أو مندوبي وكالات الأنباء الغربية، أو بعثات التلفزيون الغربية، وقد وجدت ذلك فرصة ثمينة لدعوقم وتعريفهم حقيقة الإسلام، ولأسألهم عن دين مجتمعاقم وواقع حياقا وطريقة تفكيرها، وكيف ينظرون إلى المسلمين، ولأسألهم عن فلان وفلان من مفكريهم ما آخر كتبهم وهل هم الآن لا يزالون أحياء؟

وحين يقولون أهم كتبوا عني وعن المعارضة في السعودية أصحح معلوماقم، وأقول أنا لست معارضاً، ولكنني ناصح على منهج الأنبياء الكرام، وأطمع أن يهدي الله كل من ضل من الحكام أو الكُتّاب وما ذلك عليه بعزيز.

ولا أعتذر لليبراليين إلا عن شيء شخصي واحد، وهو أن وسيلة الاتصال بي هي الفاكس، فأنا لا أملك هاتفا محمولا "جوالا" قط.

ولو حملته فرضا فأنا لا أستطيع استخدامه، بل إن بعض الناس لا يفهم ما أقول.

وأرجو المعذرة إن كانت بعض الصراحة محرجة أو كان بعض الحق مرا، فهكذا خلقني ربي لا أستجيز الغش ولا أعرف النفاق ولا أجيد الأساليب الملتوية، ومن ذلك: أن مدير عام التحقيق في المملكة عرض علي أن أكتب أنني فرحت بشفاء الملك وأن ذلك سيكون وسيلة لخروجي من السجن، فقلت له: كيف أقول بأني فرحت وأنا لم أفرح، بل أدعو عليه في كل سجدة من الصلاة، وكيف أكذب وأنا لم أكذب في حياتي ما استطعت، وقد سئل النبي ﷺ (أيسرق المؤمن، قال نعم، قيل أيزني المؤمن قال نعم، قيل أيكذب المؤمن قال لا)، أعوذ بالله من هذه الثلاثة، وكان العرب في جاهليتهم لا يكذبون ويرون أن الكذب يأتي على كل منقبة، كما أن الكرم يغطي كل عيب، وأما الخروج من السجن فله وقته الذي كتبه الله قبل أن

يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، ولا أستطيع لا أنا ولا الملك ولا ولي عهده ولا وزير الداخلية ولا أي مخلوق أن يغيّر ما كتب الله.

وهنا ينبغي أن نصحح نظرة بعض الناس عن العفو أو أنه دليل ضعف أو أنه ترك للحزم!

نعم، من النفوس من لا يرتدع إلا بالقوة، وبعض الرؤوس مثل رأس صبيغ بن عسل لا بد أن تبدد الشبهات عنها بضربها، وبعض الأصنام مثل أصنام قوم إبراهيم عليه السلام لا بد من تحطيمها وجعلها جذاذا، وبعض الناس لا يدع الافتراء فهو كالحطيئة لا يدع الهجاء، وإن لم يجد هجا نفسه، ولم يسكت حتى سجنه عمر رضي الله عنه واشترى منه أعراض المسلمين وهذا حق، ولكن لا بد لنا من الدفع بالتي هي أحسن، وأن نقول الحق كما أمرنا الله، وننهى عن المنكر حسب الترتيب الوارد، والله تعالى هو الذي يتولى حفظ من حفظه، وإيجاد المخرج لمن اتقاه، ولا يخلو حال من كان عمله لله من أمرين: ١- إما الإعذار إليه بالبلاغ وإقامة الحجة، ٢- وإما توبة المخاطَب ورجوعه إلى الحق، وكل ذلك خير، أي كما قال المؤمنون الأولون لما قيل لهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف:١٦٤]، وكان جوابهم كما أخبرنا الله ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤].

وكل من راهن على ما في قلوب المسلمين من خير متجذر مهما ظهر غير ذلك لم يخب ولم يخسر، وكذا كل من عرف ما في قلوب أهل هذه الجزيرة من طيبة وكرم.

والله تعالى على كل شيء قدير، وهو يجعل العاصي تائبا متى شاء، وقد كان خالد بن الوليد قائدا للمشركين يوم أحد، ثم قاد المسلمين عام الفتح، وكان عمرو بن العاص سفيرا للمشركين لدى ملك الحبشة، ثم أصبح سفيرا للمسلمين يقابل أرطبون الروم.

وأبو سفيان بن حرب قال يوم أحد "أعلُ هبل" ثم أصبح واعظ المسلمين يوم اليرموك.

وللتوبة أمثلة حديثة كثيرة، فالدكتور عبدالوهاب المسيري كان يساريا، ومنير شفيق كان نصرانيا، وكان الدكتور زكي نجيب محمود فيلسوفا، وكان عبدالرحمن بدوي وجوديا.. وهكذا.

والله تعالى يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة:١٦٠] فجعل للرجوع لمن عاد إلى الحق ثلاثة شروط: ١- التوبة، ٢- الإصلاح، ٣- البيان، وكل ذلك مستطاع، ليس فوق الطاقة البشرية، ولذا أهيب بإخواني جميعا أن يبادروا إلى ذلك وأهيب بكل داعية أن يجهر بالحق ولا يبالي بالخلق، وأبشرهم بأن أخوف ما يخافونه وهو السجن يفتح الله فيه من الرحمة ما لا يمسكه أحد من البشر، وفيه من النعيم واللذة ما جعل أحد إخواننا السودانيين يرفض الخروج منه ويقول تخرجونني من الجنة إلى الدنيا!

أما الشهادة فهي أمنية عزيزة وشرف عظيم، وأشك أن ننالها إلا إذا بلَّغنا الله إياها، وما أكثر نعمه علينا ورحمته بنا، وهو الكريم المنان.

وقد قرأت قول من قال: مرحبا بالديمقراطية ولو جاءتنا على ظهر دبابة أمريكية، وأنا أقول: مرحبا بإقامة الدين ولو أقيم على رقابنا ودمائنا وأشلائنا!

ونحن ندعو المسلمين لا سيما المقيمون في الغرب إلى الدعوة والاستعلاء، وتعليم الناس هناك دين الإسلام ومحاسنه، فالحرية الموجودة عندهم للدعوة فرصة لا تعوض، والناس هناك أحوج ما يكونون إلى الإسلام، وإن سموا أنفسهم متقدمين، أو سموا الإسلام في إعلامهم إرهابا!

ولا يغرنهم تقلب الغربيين في البلاد، ولا ما يدعونه من التقدم، فتلك المجتمعات ضالة حائرة، وقد شهد بضلالها الكثير من أبنائها نأخذ هنا بإيجاز بالغ ما قاله بعضهم:

١- قول المفكر "جارودي" الذي كان يسارياً وعضواً في الجمعية الفرنسية الوطنية، ثم أعلن إسلامه وسمى نفسه "رجاء" بدلا من "روجيه"، وإنما أعلن إسلامه هربا من لفح الحضارة الغربية الضائعة ويأسا من فلسفاتها

المدرسية والشيوعية، بل قال عنها "فرعونية"، قال: "إذا كنتم تزعمون أن الأرض لا تستطيع إطعام كل الناس، فلماذا تجبر الولايات المتحدة الدول الأوروبية بأن تبوِّر ١٥% من الأراضي لكي تبقى أسعار قمحها على ما هي عليه".

ومما يدل على صدق "جارودي" بل على أن للأمريكان أهدافا مادية، ليست الأرباح الطائلة إلا مقدمة لها، أن وزير الزراعة السعودي السابق قال: "قال لي وزير الزراعة الأمريكي أوقفوا كل إنتاجكم من القمح وأمريكا مستعدة أن تبيع لكم القمح الأمريكي بنصف السعر الذي تبيعه لكم الآن"، وأنا أعرف وزير الزراعة هذا، يوم كان عميداً لكلية الزراعة بالرياض.

٢- يقول الرئيس الامريكي السابق "ويلسون": "إن اختصار القضية كلها هي أن حضارتنا لا تستطيع الاستمرار في البقاء ماديا إلا إذا استردت روحانيتها".

٣- يقول "دالاس" وهو وزير خارجية سابق لأمريكا: "إن كثيرا من الناس فقدوا إيمانهم في مجتمع حر".

٤- يقول أحد الشعراء الألمان: "نحن جيل بلا دين وبلا راحة!".

٥- يقول رئيس بلدية "كيفلاند" الأمريكية: "سوف يذكرنا التاريخ بأننا الجيل الذي أوصل إنسانا إلى القمر بينما هو يغوص إلى ركبتيه في الأوحال والقاذورات"، وهذه العبارة تذكرني بعبارة أخرى مماثلة قالها أحد الباحثين الاجتماعيين في كتاب "المجتمع الأمريكي عاريا!".

فأي مجتمع هذا وأية حضارة؟ وأين التقدم والرقي؟

أما علمهم فلا بد أن يسرقوه ويغتصبوه كما يحكون عن "بروميثوس" سارق النار في الميثيولوجيا اليونانية، وأن الخالق في كتابهم المقدس حظر على الإنسان الأكل من شجرة معرفة الخير والشر كما يقول سفر التكوين من توراتهم، وهو على أية حال علم ظاهري ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم:٧].

وقد صور الكاتب "بيير بول" تلك الحالة قبل عقود في روايته الشهيرة "كوكب القردة"، وكذلك ميخائيل كريشتون في رواية الخيالية "الفريسة".

وإذا كنت أخي القارئ لا تحب الروايات أو لا تقرؤها، فخذ هذه الحقائق الواقعية التي تتحدث عنها صحفهم ولا ينكر وقوعها أحد في أمريكا، فالإنسان في ظل هذه الحضارة يستخدم العبث لأجل العبث، ويرتكب الجريمة لأجل الجريمة، ويستمتع بتضليل الشرطة، وهذا أحد مظاهر الضياع والتيه والحيرة وفقدان الهدف من الحياة!

وبعض هذا العبث شاهدته أو قرأته وقليل منه حدثني به الثقات، فالمجرم ليس له أي دافع إنساني كما في المجتمعات المتأخرة! بل دافعه هو فقط الإقدام على جريمة لا تكتشفها الشرطة مطلقا، وفي تضليل الشرطة تكون متعة المجرم الوحيدة.

وقد بلغ التقدم في أمريكا وبالذات في ولاية فلوريدا إلى حد أن طالبا أمريكيا قتل زميلا له وأكل جثته! فهذا هو مجتمع آكلي لحوم البشر الحقيقي، وآخر أعلن أليكترونياً أنه يريد أن يأكله أي شخص وفعلا تقدم أحدهم لتلبية طلبه فقتله ثم أكله بموجب الاتفاق بينهما!

وأظن أن قتل الوالدين عندنا أو حرقهما -أحدهما أو كلاهما- هو مقدمة لكي نتطور ونكون في مصاف هذه المجتمعات الراقية!!

ووصل الأمر بأحدهم إلى حد أنه تبرز ووضع البراز في وعاء كرتوني وكتب عليه "براز فنان صافي ١٠٠%"، وما عليك إلا أن تستسلم لذلك وتقول: حقا إن الجنون فنون!

ومن التقدم في أمريكا أن إحداهن قتلت ابنتها ووضعت الجثة في "البانيو" وكلمت عشيقها مخبرة إياها بهذا الخبر السار! وطالبة منه القدوم، ولولا أن العشيق شم رائحة الجثة وأزعجته لما علم بذلك أحد.

وكل يوم في أمريكا تقع مثل هذه الجرائم بل كل ساعة وربما كل دقيقة، والفضل في ذلك يعود لأفلام الرعب وأفلام الجنس التي تظهر في الإعلام باستمرار، وتتفنن هوليود فيها.

وإذا كان المجرم أكثر ذكاء وأشطر فإنه يرسل للشرطة كودا مشفرا عنه يذكر فيه سيرته وحياته، وتجتهد الشرطة في فك رموز الكود، وأحسب أن الجرائم المصورة التي تحدث هنا في جدة إرهاص بذلك، ألم يصور اللصوص عدوانهم على مطعم القلزم مثلا، لإثبات عجز الشرطة عن ملاحقتهم، ولو أنهم أخبروني بذلك لقلت لهم كما قال جرير: "أبشر بطول سلامة يا مربع"، فأنا لي تجربة مع الشرطة كان جوابها "الله يخلف عليك، هذا كثير ولا تستطيع الشرطة متابعته".

هذا والشرطة في أمريكا تصلك في وقت وجيز ولا تقول لك "الله يخلف عليك"، أو "تاخذها يوم القيامة" مثل شرطتنا.

والمحذور جدا عند ربعنا أن يمسّ أحد مرتب الشرطي، أما الجريمة الكبرى فهي أن تطلب منه الاستقالة، وهل هو الرئيس العام لتعليم البنات، أو رئيس مركز هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى تطلب منه الاستقالة؟

ولئن كنا متأخرين عن أمريكا في مجال الشرطة، فإننا نتفوق عليها في مجالات أخرى وربما نساويها أو نتفوق عليها في مجال تعاطي المخدرات!

ومن تأخر أمريكا الذي لا وجود له عندنا أن تكلفة علاج المريض بالسرطان بسبب التدخين تدفعها شركات التبغ والسجائر في أمريكا، أما هنا فيتحملها بيت مال المسلمين!

وإنما تخلو الحضارة من هذا الضياع وهذه الآفات إذا آمنت بالله واليوم الآخر.

ولا تحتاج المسألة إلى كثير من الذكاء أو العمق الفلسفي، لكي نقول إن الحياة الإنسانية تتدهور باستمرار، لقد نجحت الأحزاب الخضر ومؤتمرات

المناخ وغيرها في إنتاج طاقة بديلة صديقة للبيئة، ولكن هذا النجاح صحبه إخفاق مريع في الجانب الإنساني، جعل كثيرا من البشر يتلمس القيم الكونية العامة في الأساطير والخرافات القديمة، أو في الفلسفات الشرقية، وبعض الغربيين اتجهوا للإسلام الذي يحرر العقل البشري من الخرافة، وتعمل عباداته وقيمه للاتساق المطلق بين التقدم التقني والتقدم الأخلاقي معاً، وبه وحده يمكن سد الفجوة العميقة بين الاتجاه العلمي في بحوث "الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، وغيرها"، وبين الاتجاه الأخلاقي القيمي متمثلا في التراحم والتواصل والتراهة والشفقة والحياة الإنسانية السعيدة في الدارين.

فالإنسان الغربي القانط الذي سماه "كولن ولسن" "اللامنتمي" وسماه "البيركامو" "المتمرّد"، وأيا كان الاسم أو الوصف هو في أمس الحاجة إلى الدين، والدين عند الله هو الإسلام دين جميع الأنبياء ودين التوحيد، وهو دين الفطرة اللاهثة التي أضناها السير وهي تبحث عن الحق.

لقد قال "نيتشه" "إن الرب قد مات"، ولكن بعد هلاكه بمدة ظهرت مقولة جديدة تقول "إن الإنسان قد مات"، وهو ما يؤمن به عمالقة الفكر في كلا الفلسفتين الغربيتين: الاشتراكية والرأسمالية، وكيف لا يكون الإنسان قد مات في عالم ليس له ضمير ولا أخلاق ولا قيم، عالم نسبوي طبقي استهلاكي، تسود فيه المادة ويسيطر عليه السوق الحرّ.

ومن المحال أن يحيا الميت من داخله، أي أنه مهما تطور العلم الإنساني لا يمكن انتشال الإنسان ونفخ الروح فيه.

والذين يظنون أن العلم البشري يمكنه إحياء الإنسان هم مثل الذي يطلب من الميت أن يحيي نفسه، دع الميت، ولكن هل يستطيع المريض أن يعالج نفسه؟ أم لا بد من طبيب خارج عن ذاته ليعالجه، ولا بدّ أن يكون الطبيب متصفا بالخبرة الطويلة والرحمة بالمريض؟ وصفات كثيرة لا بد من توفرها وإلا كان مشعوذا، ولا بد أن يكون في بعض الأدوية مرارة يرفضها

المريض ويتقيؤها، غير أنه لا مناص من تناولها، وسوف يجد بذلك العافية الحميدة وتصبح مستساغة بل مطلوبة.

وفي ظل الإسلام تقوم الحضارة المستقيمة التي كتابها هو القرآن، وليس "سفر التكوين" و"أصل الأنواع"، ورسولها محمد ﷺ ليس "هيجل" و"نيتشة"، ومرجعها هو ما صح من الحديث وليس "مقال في المنهج".

وهي الحضارة التي تنشئ الإنسان الحر وليست الحضارة التي تجعل الإنسان عبدا آليا أو رقيقا للمادة الصماء، أو إنسانا عدميا لا هم له إلا الاستهلاك، واقتناص اللذة والانهماك في الشهوات.

وهي الحضارة التي تجعل العلم محكوما بالعدل والأمانة، وليس منفلتا يتفنن في إنتاج وسائل الدمار، وإبادة المستضعفين.

وهي حضارة تعتقد أن المال مال الله، وإنما نحن البشر مستخلفون فيه بل إن الوجود الإنساني كله على هذه الأرض إنما هو استخلاف وابتلاء لنا معشر البشر؛ فإما أن نقوم بحق الاستخلاف كما أمر الله، وإما أن نفسد في الأرض ونهلك الحرث والنسل كما يريد منا الشيطان!

والإنسان المسلم ليس هو الإنسان الاقتصادي كما يظنه "آدم سميث" و"ريكاردو"، ولا الإنسان الذئب كما يقول "هوبز" ولا الإنسان غير الأخلاقي كما تخيله "ميكيافللي"، ولا الإنسان الجنسي كما يظن "فرويد"، ولا هو عبارة عن معدة وأمعاء كما تظن الماركسية أو هو إنسان استهلاكي يضيع عمره في الترفيه والسياحة كما تقول الليبرالية، وإنما هو إنسان متفرد فوق ذلك كله فيه نفخة من روح الله، ومادة طينية، وله أخلاق ثابتة وعقل ثابت ومعايير ثابتة، وهو عبد لله أينما ذهب وبذلك يكون له كيانه الفريد والحرية المطلقة.

وهذا الإنسان الحر لا يقيّده الإعلام الاستهلاكي، ولا تسجنه القوى الظلامية الاستبدادية، ولا تتحكم في مصيره النظريات العلمانية، ولا يتخلق بالأخلاق النسبية، وهو يحمد الله على ما أعطاه من حرية، ووهبه من

أخلاق، ورفعه عن ذلك المستوى السافل الذي تريد الصحافة والإعلام الغربي عامة أن تسقطه فيه، فهي صحف استهلاكية مادية، وهذه الظاهرة تراها في أي صحيفة أمريكية حتى المتدينة منها تقول: المسيحية و١٠%، ولهذا الاستهلاك يعمل من لا يؤمن إلا بالدنيا من التجار، ويكثر فيها الإعلان عن التخفيضات والمعروضات.

وأنا هنا أنبه المسلمين كافة إلى أن الخطة الغربية تتغير حسب الظروف، فلما رأى الغرب أن محاربة الإسلام بحدّه لا تؤتي ثمارها، جنح إلى شيء من الواقعية السياسية الماكرة كما أوصت مراكز البحوث الأمريكية، لاسيما بعد النجاح الشعبي الفائق للربيع العربي، وانهيار الأنظمة المستبدة أو ضعفها المفاجئ، فالممنوع عنده فقط هو قيام دولة تحكم بالشريعة، مع مراعاة خصائص المجتمعات في بعض القضايا، كالحجاب ومنع دخول غير المسلمين المدينتين المقدستين، وبناء المساجد وطباعة المصاحف، وتوزيع نسخ من القرآن الكريم والسماح للشرطة الدينية ببعض الصلاحيات الاجتماعية إذا اقتضى الأمر، وإبقاء دار للإفتاء وإنشاء قنوات دينية خاضعة للقانون وأمثال ذلك، وهذا عند الغرب أخف الضررين، وأهون الشرين مرحلياً.

وقد جاء في التقرير الذي أصدرته مؤسسة (بروكينجر): "لا مانع من المرجعية الدينية ولكن بدون دولة إسلامية"، وفي منتدى (أمريكا والعالم الإسلامي) ينص أحد البحوث على أن أمريكا تجيز للدولة تنظيم المؤسسات الدينية، وحياة مواطنيها الدينية، دون أن يكون لها دور في تحريم المسكرات، أو دعوة النساء للحجاب، أو دعوة الناس للصلاة، وعليها بتبني الفصل بين الدين والدولة مع مراعاة الظروف الاجتماعية للبلد".

وبعبارة جامعة نقول إن النهج الأمريكي في محاربة الإسلام لا يحارب التدين في الجملة، ولكن يبقي نوعا منه كشعارات باهتة، ومسألة شخصية، بحيث لا يتعارض مع المصالح الأمريكية، وهو لا يعارض وجود الأحزاب الإسلامية في مصر والأردن والكويت وليبيا وتونس، إذ هي حقيقة شعبية

واقعة، ولكنه يرى ضرورة التأثير على سلوكها وضرورة دخولها في اللعبة السياسية بحكم الديمقراطية، وأمريكا تجعل دار إحياء التراث الإسلامي في الكويت منظمة إرهابية، وتدفعها لكي تدخل مجلس الأمة.

والغرب يقول كما قال المشركون ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]، أي سيموت الجيل المتدين!

وفي الندوة التي عقدها مركز "سابان" يضرب المدعو "عمر عاشور" مثالا للسلفية المقبولة غربيا بالمملكة العربية السعودية التي هي أقوى الدول السلفية تأثيرا كما يقول، وفي الوقت نفسه أكبر حليف إسلامي "للولايات المتحدة الأمريكية"، ويقول إن السعودية ترعى ما سماه "السلفية المدخلية"، أي كما صرّح "ميتران" بأنه لا مانع لديه من أن يكون إسلام جبهة الإنقاذ على النهج السعودي، وإنما يمنع أن يكون على النهج المتشدد، ويوصي تقرير عنوانه "شيوخ وسلفيون" الولايات المتحدة الأمريكية بضرورة التحاور المباشر مع "حزب النور"، وألا تتجاهل السلفية المؤيدة للحكومات التي يسمونها (سلفية الوضع الراهن)، على أن في التقرير ما يحتاج إلى أن نستمع فيه إلى وجهة نظر حزب النور نفسه، كقول كاتبه "ستيفن لاكروا" إن في مؤسسي الحزب أعضاء مسيحيون، وينسبون للدكتور ياسر برهامي قوله في الحزب أعضاء غير مسلمين، وينسبون لنادر بكار قوله "إن في الموسيقى خلافا سائغا".

وكذا قول "مروان المعشر" وهو الذي كان نائبا لرئيس الوزراء في الأردن ثم وضعه الأمريكان نائبا لرئيس مركز دراسات الشرق الأوسط في مؤسسة كارنيجي، وقول خليل العناني الذي هو خبير سياسي بمعهد الشرق الأوسط: "إن حزب النور براجماتي، وإنه ليس مناهضا للنظام السياسي بل للإخوان"، وقريبا من ذلك ما قرره "شادي حميد" وهو مدير أبحاث مركز "بروكينجر" بالدوحة، وكل هذه الأقوال تحتاج لإيضاح من حزب النور ومن غيرهم.

كما أن مؤسسة (راند) تشير إلى الخطأ الذي وقعت فيه الإدارة الأمريكية إذ تعاملت مع الصوفية وأهملت حزب النور، وقد أعد (جوناثان براون) دراسة عن الطرفين عنوانها (السلفيون والصوفيون في مصر).

وقد أعد مركز "القرن الأمريكي الجديد" بحثا عنوانه "التكيف الإستراتيجي"، يبدو أن الإدارة الأمريكية اعتمدته رسميا، ومن التوصيات التي رأى أن على أمريكا اتباعها:

أ- حماية أمن حلفاء أمريكا ورعاية السلام العربي الإسرائيلي.

ب- نشر القيم الأمريكية وأسلوب الحياة الأمريكية.

ت- محاربة الإرهاب.

ث- الوصول الآمن للنفط.

ج- دعم الأنظمة العربية المستقرة ولو كانت ديكتاتورية.

ح-التمييز بين الأفراد والحركات المعادية للقيم الأمريكية وبين من يقبلونها.

وتوصي مراكز البحث المختلفة بأن تتعامل السياسة الأمريكية مع ما هو متاح لا ما هو مرجو.

وأنا أوصي بالاهتمام بما يصدر عن المراكز البحثية الأمريكية، فهي كما نقل محمد حسنين هيكل عن الايكنومست البريطانية "حكومة الظل الأمريكية"، وهي التي تصوغ السياسة الأمريكية وتترك التوقيع عليها للرئيس الأمريكي.

فمثلا إذا أراد الباحث معرفة سياسة الجمهوريين فعليه بتتبع إصدارات القرن الأمريكي، وإذا أراد معرفة سياسة الديمقراطيين فعليه بتتبع إصدارات (مركز الأمن الأمريكي).

أما من كان سلفيا في الجملة ويعارض المصالح الأمريكية المخالفة للإسلام، فيجب وضعه في قائمة الإرهاب، كما وضعوا مجموعة من العلماء والمصلحين في السعودية والكويت واليمن وبلاد الشام ومصر وغيرها.

والغرب يريد إخراجنا من التوحيد إلى الشرك، ومن الطاعة إلى المعصية، ومن السنة إلى البدعة كما أمر الشيطان، وإن لم نفعل ذلك ولن نفعله، فحسبه التشكيك وتحويلنا من مسلمين إلى ضائعين لا دين لنا.

وإنما خلقنا الله لعبادته وأمرنا بتوحيده، ونص الكتاب والسنة على أن المؤمن الموحد لا يشرك بالله شيئا، وقد كان للشرك صور قديمة منها اتباع فلسفة اليونان، "الأوائل"، وذلك عكس ما أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهذه الفلسفة رد عليها بعمق شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ونقدها نقد الخبير بها ودافع عن عقيدة السلف في كل ميدان، وبيّن أن فيها من الحق ما يشفي ويكفي، وليس بعد الحق إلا الضلال، ونقض كلام من يسمون "الفلاسفة الإسلاميين"، كالفارابي وابن رشد، ونقض مقولاتهم، ولا تزال كتبه منهلا عذبا لمن أراد الرد على تلك الفلسفات أو تخصص فيها، غير أنه لم يكن يعلم الغيب، وأن الفلسفات الغربية سوف تأتي بما لم يكن في حسبان أحد، و لم يأمر بتقليده.

ونحن إذ نطلب من المتخصصين قراءة كتبه والرد على المنحرفين بمقتضاها، يجب أن نرد على الفلسفات والنظريات التي ظهرت بعده، كالبروتستانتية والهيجلية والبنيوية وغيرها، ولا نحارب شرك القبور وندع شرك القصور، ولا نغرق في الجزئيات ونعلِّمها للناس في الحلقات أو مجالس الوعظ والتذكير، تاركين ما يعصف بنا من أنواع المخالفات العصرية أو نتحدث عنها إجمالا، بل ندعو العامة والمثقفين وطلبة العلم إلى الجمع بين الأمرين، ونشكر من تخصص في نقض الفلسفات العصرية، كما نشكر من تخصص في نقض الفلسفات القديمة، فالشرك شرك في أي صورة منه، والبدعة بدعة كذلك، والمعصية لها أشكال وألوان، والشيطان يوحي إلى الأجيال اللاحقة كما كان يوحي إلى الأجيال السابقة، والمجوسية هي المجوسية سواء في شكلها القديم أو في الشكل الصفوي الحديث، والنصرانية هي النصرانية سواء ما قاله "بولس" أو ما قاله "بات روبتسون"، والشيوعية

هي الشيوعية سواء دعا إليها "مزدك" أو "ماركس"، والاستعمار هو الاستعمار سواء جاءت به الجيوش أو الشركات، واليهود هم اليهود سواء من كفر أيام موسى عليه السلام أو أيام محمد ﷺ، وقد جاء الحديث في القرآن عنهم واحدا، وكذا الصهاينة وأمثالهم ودولتهم المسماة "إسرائيل"، وكان الفرس والروم يتقاسمان مناطق النفوذ كما يتقاسمها اليوم الروس والأمريكان.

وكانت امرأة لوط تدل المجرمين على أضيافه، ثم عملت المحكمة العليا الأمريكية ما لم تعمله امرأة لوط، وأصبح الليبراليون اليوم يدلون الغرب على من هو إرهابي من المسلمين وبعض الأمريكيات يرتكبن فاحشة السحاق، ولكن ابنة "ديك شيني" السحاقية تأمر بما هو أشنع، حيث أمرت وزراء التعليم في دول الخليج أن يتبعوا المناهج الحديثة (الأمريكية طبعاً).

وهكذا لكل ذنب صورة، وقد تتغير الصورة، ولكن الحقائق واحدة والأمور في جوهرها واحدة، بل ربما كان الحال اليوم أسوأ، وعلينا أن نتدبر القرآن والسنة لنعلم منهما كل شيء ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، قال ابن عباس رضي الله عنه: (ما من شبهة إلى قيام الساعة إلا وفي كتاب الله جوابها).

فهلا آمنا بالكتاب كله، وبالشريعة كلها، ودخلنا في السلم كافة، وتدبرنا كتاب الله حق التدبر، وكنا سلَما لله ليس فينا شركاء متشاكسون وهلا تركنا عبادة الأصنام في شكلها الجديد المشار إليه، وهلا عرفنا المسلمين بعدوهم الأرقط الماكر!

والمفكرون الغربيون الذين يتفقون على ما في الحضارة الغربية من عيوب، يختلفون فيما يسمونه "آفة الحضارة الغربية"، فقال بعضهم آفتها هي الخمر والمخدرات مثل "آرنولد توينبي"، وقال آخرون بل آفتها الطبقية والاستئثار كالشيوعيين، وقال بعضهم آفتها هي الحروب الطاحنة مثل لايبنتز" و"برتراند رسل".

وقال بعضهم آفتها هي العنصرية، وعلى ذلك كثير من الأمريكان المعاصرين خصوصا بعد أحداث تكساس، وألمح إلى ذلك الكاتب الأمريكي "رايلي"، وقرره الرئيس الأمريكي السابق القس "كارتر"، والواقع أن كل ذلك مجتمع فيها، وكله مظاهر لأمر واحد هو الكفر بالله، وكل من كفر بالله فقد سفه نفسه وقال على الله شططا كسفيه الجن.

وهكذا يتضح أننا أمة التوحيد والإيمان ننبذ الشرك والكفر، ولا نجزئ الطبيعة فتلك مشكلة عويصة كما قال "هوايتهد" والتوحيد أولى خصائصنا، والخصيصة الثانية هي أننا أمة العدل والمكيال الواحد لكل شيء.

ونحن نقبل الحق ممن خالفنا ولا ننكر ما يقول كله، وإن خالفنا في بعض الأمور، فنحن مثلا نتفق مع الصوفية في دوام الصلة بالله دون أن نأخذ ما هم فيه من البدع، والالتزام بالزهد الهندوسي والمنازل التي قدروها والشطحات التي وقعوا فيها، ولنا عليهم مؤاخذات فصلناها عند الحديث عنهم، وسيأتي بإذن الله.

ونحن مع الشيعة في أن الأمريكان والصهاينة لا يفرقون بين مسلم سني وآخر شيعي، وفي محبة آل البيت وفي أن الحسين قتل مظلوما، وما عندهم من الحق، ولكننا نحب الخلفاء الراشدين كلهم -خصوصا الشيخين- ونرفض أي طعن فيهما، وفي أصحاب النبي ﷺ، ونؤمن بالصحاح وما ثبت من السنة، ولا نحصر الإمامة في آل البيت بل هي حق لكل قرشي، ولنا عليهم مؤاخذات مبسوطة في موضعها.

ونحن مع الفلاسفة العقليين والمناطقة وأهل الكلام في أن العقل يدل على الحق، وأن الاستدلال والنظر حق، ولكنا لسنا معهم في أن العقل هو المحكَّم في الوحي وأنه لا بد أن يخضع للعقل بل العقل كالبصر والوحي كالنور.

ونحن مع المدرسة التجريبية في أن (التجريب) أو ما قد يسميه علماؤنا (الدُّربة) أو (الاستقراء) يوصل العقل للحكم الصادق، ولكننا لسنا معهم في

أن كل شيء يجب أن يخضع للتجربة العلمية ويوضع في المختبر، فعالم الغيب كله لا مجال فيه للتجربة وإنما علينا الإيمان والتسليم.

ونحن نتفق مع علماء النفس في أن النفس الإنسانية معقدة جدا يصعب معرفة حقيقتها، ولكننا لسنا معهم في إنكار الروح أو الجن أو الملائكة أو إنكار الفطرة.

ونحن مع علماء الأحياء حين يبحثون خصائص الكائنات، ولكننا لا نقف عند ذلك بل نجعله يقودنا إلى الخالق سبحانه، ويزيدنا إيمانا به وبحكمته وبإحسانه كل شيء خلقه، وهكذا.

ولكي نعرف الغرب ينبغي التفريق بين التدين والتعصب له، فليس "دونالد ترامب" في أمريكا ولا "مارين لوبان" في فرنسا ولا "بوتين" في روسيا بمتدينين، ولكن يتعصبون لنصرانيتهم ويكرهون الإسلام جدا. وكذا كل الأحزاب اليمينية المسماة (شعبوية)، بل هذا أيضا يصدق على الأحزاب اليسارية في أوروبا، صحيح أن بعض اليساريين يسمح بالإسلام ولكن ليس لأنه الحق بل لأنه اختيار بعض الناس!

ونحن لا نتعصب حتى للحق، إذا أفضى ذلك إلى ما يظننه غيرنا من كون مجرد تعصب لا يقوم على دليل منطقي، وقد نهى ﷺ عن تفضيله على موسى ويونس أو التفضيل بين الأنبياء، مع أن تفضيل بعض النبيين على بعض وارد في القرآن.

ومع التزامنا بالعدل، ومع أن بعض المسلمين قد يفقد دينه ويذوب في المجتمعات الغربية، تجد الغربيين دائمي الحرب على الإسلام كثيري الخوف منه، والإسلاموفوبيا لا تقوم عليها الإدارة الأمريكية وحدها، بل هي الشغل الشاغل لحوالي أربعين منظمة أمريكية يعرفها مجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية "كير"، وهي منظمات تساعد الإدارة الأمريكية، ويصطلي بنارها المسلمون في أمريكا، كما يعرفها اللاتين والسود هناك، وأكثرها يميني أصولي، وبعضها يمثله ما يسمى اليسار المتدين، أي الليبراليون النصارى!

فالغرب ينطلق من روح صليبية، ومن عقدة فينّا التاريخية، لكنه تستّر بالحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والعدالة والمساواة، وما أشبه ذلك من الشعارات وثقافته ثقافة عدائية -إلا القليل- وتعصبه جلي، وحله للقضية الفلسطينية إنما يقوم على محاباة اليهود، وإطلاق يدهم لأخذ ما يريدون، ورد ما يريدون من القرارات الدولية، ومناصرة ظلمهم بالسلاح وبالفيتو، مع أنهم كما تقول الأناجيل هم الذين وشوا بالمسيح بن مريم عليه السلام.

ومن صليبيته تأليف كتاب "هل الاقتداء بمحمد أسوأ من الشيطان؟".

أما المسلمون الذين يجلون المسيح ويعقدون الذمة لأهل الكتاب فهم عندهم "وثنيون" لن يختطفهم المسيح إلى السحاب! كما يقولون، وعليهم سوف يقيم أبناء الله وأحباؤه معركة "هرمجدون"، والمسلمون يستحقون هذا العنف والكراهية والحروب، لأنهم في نظر الغرب هم الأخطر، وصدق الله ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا﴾ [البقرة:١٠٩]، و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٠٠]، ومن الغفلة والسذاجة السياسية ألا نربط هذه الهجمة الشرسة على الإسلام والعداوة المقيتة له بالإخفاق الكبير في الجهود التنصيرية التي يبذلها البابا الكاثوليكي أو "جيمي كارتر" المعمداني في إندونيسيا واليمن وإفريقيا وغيرها. رغم ما يرصدون له من المليارات الهائلة في دولة الفاتيكان ومركز أطلانطا.

ومن الطرائف الدالة على عمق التدين وفطرية الإسلام واستجابة الله تعالى لدعوة خليله إبراهيم: أن أحد المنصرين حوّل بعض جهلة وفقراء المسلمين إلى النصرانية ووعدهم بالجوائز التي يختارون، ولما فرغ من عمله قال لهم اختاروا أفضل جائزة أقدمها لكم، فقالوا أفضل جائزة أن نرى الكعبة!!

فالإسلام هو دين الفطرة وليس التثليث المزعوم، وهو لفطريته لا يتكلف الأدلة، وهو دين الكون كله ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:٨٣].

فالهدهد يستدل على ذلك بأن الله هو الذي يخرج الخبء، والبدوي يكفيه النظر إلى بعيره كيف خلقه الله، والعالم المتعمق ينظر في تركيب الذرات "الخلايا"، والفلكي يرجع مرصده فلا يرى في السماء من فطور... إلخ.

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فما أقسى قلوب هؤلاء الكفرة، وما أشد عماهم عن الحق الواضح، وما أعظم جحودهم لنعم الله عليهم، وما أجدرهم بعذاب جهنم، وما أضل من يقول من أبناء المسلمين "الإسلام السياسي"، أو يقول إنه "مسلم ليبرالي".

ومن كيد أهل الكتاب ومكرهم الكُبّار أن الغرب يجيد صناعة الفزاعات، وسياسة تغليف الأهداف، فمن الفزاعات التي صنع فزاعة الوهابية وهي عنده حركة إرهابية تكفيرية، ولذلك يتحالف مع الرافضة، وكأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هو الذي يكفر أبا بكر وعمر، وكأن النصيرية والحشاشين كانوا أيضا وهابية!! وتبعا لرأيه نجد مؤتمر "جروزني" يخرج تلك الدعوةَ من أهل السنة!!

ومن تغليف الأهداف أنه لما احتل العراق خدمة لإسرائيل جعل الهدف الثاني "النفط" كل شيء ولا يكاد يذكر أمن إسرائيل أو شيكات اليهود، وشركاتهم التي أوعزت للإدارة الأمريكية باحتلال العراق، غير أن الله ينطقهم وهم لا يشعرون، فقد قال أوباما بعد توقيع الاتفاق النووي "الآن أصبحت إسرائيل أكثر أمانا"، ويأتي عليهم بشاهد من أنفسهم، فقد قالت رئيسة نادي الصحافة الأمريكي، التي عملت سنين في البيت الأبيض وعرفت كثيرا عن رؤساء أمريكا عن قرب، "هيلين توماس" للشعب الأمريكي: "يقولون (أي ساسة أمريكا) إنهم يحاربون الإرهاب نيابة عن العالم، وهم صناع هذا الإرهاب، والإعلام يسوق أكاذيبهم لأن الذين يملكونه هم يهود إسرائيل".

وكانت "هيلين" من المعارضين لغزو العراق، ولها شهرة لدى الأمريكيين، وكلامها يشهد لما قالته الموظفة الأخرى في البيت الأبيض

"غريس هالسل" لا سيما في كتابها "النبوءة والسياسة"، ويبدو أنه لما بدأت شمس الإرهاب -الوهابي كما يزعمون- في الأفول جاءوا بمصطلح الإسلام السياسي" أو "الإسلام الأصولي"، ويوصون بإنشاء شبكة من الإسلام المعتدل الأمريكاني لمقاومته، وهذا الكلام وأمثاله يؤيد ما قاله عنهم الخبير بأحوالهم الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، وكذا رئيس وزراء ماليزيا سابقا محاضر محمد، والسفير سابقا مراد هوفمان.

والغرب مع تركه الدين يعترف بتعصبه للنصرانية، ويفضلها على الإسلام، فانظر مثلا كتاب الدين في السياسة الأمريكية تأليف "فرانك لاميرت" حيث ذكر فيه أن التدين لا يختص باليمينيين بل تسرب إلى اليساريين، كما كتب في ذلك يوسف الحسن سفير الإمارات في واشنطن سابقا.

وقال "نيكسون" في كتابه "الفرصة السانحة" ترجمة أحمد صدقي: "إن الإسلام والغرب متضادان، وسوف يضطر الغرب إلى أن يتوحد مع موسكو ليواجه الخطر العدواني للعالم الإسلامي"، وهذا ما يحدث الآن في الشام، ويقول نيكسون أيضا "معظم الأمريكيين ينظرون نظرة موحدة للمسلمين على أنهم غير متحضرين، وسخين، برابرة، غير عقلانيين، غير أن الحظ حالف بعض حكامهم فأصبحوا يحكمون بلادا تختزن حوالي ثلث الاحتياطي العالمي من النفط"!

ويقول "دونالد ترامب" معترضا على قضاة أمريكا الذين اتهموه بالعنصرية ضد المسلمين: "الإسلام دين الإرهاب وقتل الكفار".

ويقول (روبن كوك) وزير خارجية بريطانيا السابق "الغرب بحاجة إلى عدو، وما دامت الحرب الباردة قد انتهت، فإن الإسلام سيأخذ مكان الاتحاد السوفيتي القديم، وسيصبح هو العدو".

ويقول بوش الصغير لطلاب الكلية الحربية: "إن مهمتكم الكبرى ستكون محاربة هذا الإسلام الراديكالي حربا طويلة، ويقول "سورس"

الملياردير الذي رشح نفسه للرئاسة الأمريكية: "بعد سقوط المعسكر الاشتراكي احتاج الغرب لعدو جديد.. فوجده في الأصولية الإسلامية".

وتقول ملكة الدانمارك: "إننا نواجه هذه السنوات تحديا من الاسلام، على المستوى العالمي والمستوى المحلي".

وهذه النقول وما أكثر أمثالها تصدق مقالة "كلاوس" الأمين السابق لحلف الناتو بعد سقوط الشيوعية "لقد انتهى العدو الأحمر وجاء العدو الأخضر" يعني الإسلام.

وعن واقع أمريكا يقول الشيخ صالح الحصين رحمه الله ضمن حديثه عن (أحداث ١١ سبتمبر) أي ١٤٢٠/٦/٢٣هـ وقد كان في أمريكا حينها: "في اليوم الأول لحادث ١١سبتمبر سنة ٢٠٠١م شُحنت ذهنية المتلقي (أي متلقي الإعلام الأمريكي) بأن مسلمين ولا غيرهم، وراء تدبير وتنفيذ العملية المرعبة. وفي اليوم التالي غطت شاشات التلفاز في الولايات المتحدة الأمريكية صور الأخوين بخاري الطيارَين السعوديين، مع التأكيد بأنهما قادا طائرتين من طائرات الهجوم على مركز التجارة العالمي ومبنى البنتاغون، ثم تبع ذلك الأخبار عن توصل الأجهزة الأمنية للتعرف على هويات تسعة عشر شخصا، المشاركين في تنفيذ العملية، وملأت صورهم وأسماؤهم الصحف وشاشات التلفاز وحوائط المطارات المحلية والعالمية، مع طلب المعلومات ممن يعرف أي شيء عنهم، وأكد الإعلام توصل الأجهزة الأمنية لمعرفة جنسيات أحد عشر من هؤلاء بأنهم سعوديون.

وقد انكشف في الأيام القليلة القادمة أن أحد الأخوين بخاري توفي قبل سنة، كما انكشف أن ثمانية من بين الأحد عشر سعوديا، الذي عرَفت الأجهزة الأمنية هوياتهم بأنهم من الانتحاريين لا يزالون أحياء... خارج الولايات المتحدة الأمريكية".

"أما الانتحاري التاسع عشر الذي وجدوا جواز سفره سليما فلا تزال كيفية وصول هذا الجواز إلى الإدارة الأمريكية لغزا لم يحل" اهـ.

والعجيب أن شركات الطيران الأمريكي قالت غير ذلك، وذكرت أسماء الطيارين، وقالت إنهم أمريكيون من المشاركين في حرب فيتنام، ويواصل الشيخ رحمه الله قوله "وحتى بعد انكشاف هذه الحقائق بمدة طويلة ظلت صور هؤلاء الأحياء وأسماؤهم تزين حوائط المباني العامة والمطارات الدولية، على أن الأمر الذي يحمل أكثر من دلالة هو أن الإعلام الأمريكي وغير الأمريكي لم يهتم على خلاف العادة بالاهتمام بالخبر المثير، وليس أكثر إثارة من ظهور المنتحرين أحياء" اهـ.

ويقول قائد حلف الناتو الجنرال "ويسلي كلارك": "من يظن أننا ذهبنا إلى أفغانستان انتقاما لأحداث ٩/١١ فليصحح خطأه، بل ذهبنا لقضية أخطر هي الإسلام، ولا نريد أن يبقى الإسلام مشروعا طليقا يقرر فيه المسلمون ما هو الإسلام، بل نحن من نُقرّر ما هو الإسلام"!

والغريب حقا أنه لم يستلفت نظر الإدارة الأمريكية ما نشرته "الواشنطن بوست"، أكثر الصحف الأمريكية انتشارا في اليوم السابق للحادث من أن الموساد الإسرائيلي يخطط لحادث ضخم في الولايات المتحدة الأمريكية وينسب فعله للعرب، ولا أن اليهود تغيبوا ذلك اليوم عن الدوام في مركز التجارة المذكور متعللين بأن الحادث وقع في يوم عيد لهم، ولا أن الموساد الإسرائيلي صور الحادث كاملا ولا أن الجاسوس اليهودي (جوناثان بولارد) أراد سرقة الأسرار النووية الأمريكية... وأمثال ذلك من القرائن التي تدفع للتحقيق في كون اليهود وراء العملية! وتسرعت الإدارة باتهام المسلمين والسعودية تحديدا بما جرى، واتهام طالبان بإيواء الإرهابيين!!

مع أن غزو أفغانستان مبيت قبل الحادث، واتهام السعودية جاهز، لابتزازها لكي تدفع المليارات، وكأن أمريكا تنتظر وقوع الأحداث، وصدق الدكتور محمد بن عبدالله السلومي في كتابه (ضحايا بريئة للإرهاب!!)، وتلا ذلك اتهام صدام حسين بعلاقة قوية مع أسامة بن لادن!!

ويقول العالم اللغوي الأمريكي الشهير "نعوم تشومسكي": (لو أن

أحداث الحادي عشر من سبتمبر وقعت في دولة أخرى لمرت كما يمر أي خبر عادي)!!

وهكذا قال كثير من الأمريكيين، ولكن الله تعالى شاء أن تخرج أضغان المنافقين ويميز الخبيث من الطيب، وتظهر عداوة أمريكا ووجها الآخر للعالم أجمع، وأن تهزمها العشائر السنية في العراق والقبائل الأمية في أفغانستان، وأن يصبح العالم على أعتاب نظام دولي جديد، وغير ذلك من الحِكم.

والتعامل مع هذا الحدث يعطيك دلالة على واقعية قول "كيسنجر" عنا "أننا أمة نائمة"، كما يعطيك صورة عن العدالة الأمريكية، وكيف أن الإدارة الأمريكية تركت الأجهزة الأمنية الأمريكية تتخبط هذا التخبط في أمرٍ النية منعقدة عليه قبل الأحداث، وبلا محاكمة، وهو غزو أفغانستان والعراق!! هذه العدالة التي منعت كل وسائل الإعلام الأمريكية من نشر خطاب من الملا عمر رحمه الله للشعب الأمريكي لأن الإرهابي كما زعم بوش يجب منعه!

ومن الذي أثبت أصلا أنه إرهابي يا بوش؟ فما أحلم الله على الظالم حين يجعل نفسه هو الخصم والحكم معا.

ألا تدل تلك العدالة الانتقائية على صحة المثل العربي الذي يقول "كاد المريب أن يقول خذوني" .

ولماذا يا ترى يقولون عما ينسب إلى القاعدة "إرهاب إسلامي" ولا يقولون عن جرائم "ستالين" إنها إرهاب نصراني أرثوذكسي، ولا عن جرائم هتلر إنها إرهاب نصراني كاثوليكي كما قال المفكر الألماني "مراد هوفمان"؟ أليس المستغفل هو من يصدق الأمريكان ويعطيهم التريليونات في شكل ودائع أو سندات أو استثمارات وغير ذلك، ويستشيرهم في حل المشاكل الإقليمية أو المحلية؟

وحينما أكتب مقارنة بين الحضارتين الغربية والإسلامية، ينبغي أن أنبه الأمريكيين خاصة إلى أصل القضية الذي ينبغي أن يكون فيه الحوار، فليست

القضية أن أكون من معسكر الشر أو من يأجوج ومأجوج أو متشددا متطرفا، أو أكون إرهابيا كما خاطبني بعض الأمريكان، أو أكون حاجي أبله أحمق، أو أكون من زنوج الصحراء، أو أن أكون كل ذلك!، وإنما القضية أني أناقش بالعقل والمنطق والوقائع التاريخية، فإن أصبت فمن توفيق الله، وإن أخطأت فمن نفسي، وأرجو منكم تصحيح أي خطأ، وإبداء أي ملاحظة، أما مجرد الشتم والسب، فنبينا ﷺ أمره ربه أن يعرض عنه، وكل أحد مهما كان جهله يمكن أن يسب ويتهم، وكل ينفق مما عنده.

وانطلاقا من ذلك نقول إن الحضارة الغربية -عدا ما وافق الإسلام منها- ربما سحرت مقلديها باختراعاتها الكثيرة على النحو الذي شبه به "ليكونت دي نوي"، تأثير الجبهة المادية بتأثير أول مشهد من السيرك على عقول الأطفال!

والإنسان الغربي هو "تنتالوس" المعاصر، وهو المكلف بدحرجة صخرة "سيزيف"، وأن يسرق المعرفة كما سرقها "برميثوس" من إله النار كما تقول ميثيولوجيتهم الإغريقية.

وقد فر الإنسان الغربي من الخرافات المتمسحة بالدين ليقع في أحضان الخرافات المتمسحة بالعلم، ومن سيطرة رجال الدين ليقع في قبضة رجال الأعمال، ومن حكم العقل ليقع في حكم الحس، ومن حكم النظام الإقطاعي إلى مظالم النظام الرأسمالي، وهرب من خيال الرومانسية ليقع فريسة لأوهام الواقعية، ومن عصر الإيمان إلى عصر الإلحاد ومن أفكار المعقول إلى اللا معقول.

والكلام في ذلك طويل والأمثلة كثيرة، والحاصل: أنه يفر من شقاء ليقع في شقاء أعظم منه.

ولما يعانيه البشر من الإفلاس والتبعية والضياع والفوضى والمعيشة الضنك، لجأ أهل الفكر إلى الخيال لعله يسعفهم بما ليس في الواقع:

فكتب "أوغسطين" عن "مدينة الله"، ثم كتب "كامبا نيلا" عن "مدينة الشمس"، وكتب "توماس مور" عن "اليوتوبيا" وكتب بعضهم عن "الجزيرة السعيدة".

وأكثر كلامهم منقول عن إخوانهم الفلاسفة في بلاد الإسلام، لا سيما مصنّف الفارابي "آراء أهل المدينة الفاضلة"، وإنما المدينة الفاضلة هي المدينة النبوية التي كان فيها محمد ﷺ وخلفاؤه الراشدون.

وربما لجأ الفلاسفة إلى شروط وصفات افتراضية في المجتمع المثالي وضعوها بحسب تربيتهم وثقافتهم وعلمهم، مثلما وضع "آلدوس هكسلي" و"برتراند رسل" و"فوكوياما".

وللتدليل على ما وصل إليه الغرب من التعصب والحقد، خذ مثلا كيف تعامل مع المسلمين، فكل مسلم ولو كان أمريكيا أو غربيا هو خلية نائمة، والدليل على أنه يبيِّت في نفسه التفجير، هو أن هذا التفجير لم يقع حتى الآن، أي أنه حتى لو ترك الصلاة -عياذًا بالله- واشتغل بالتدخين والتشجيع، هو خلية نائمة، سيأتيه العقاب ولو بعد حين، وإنما يبدأ الغرب بأكل الثور الأبيض، إن لم يكن هو الذي صبغه بالبياض.

ومن الجائز في بلاد الحرية "أمريكا" أن تقتل الشرطة أي إنسان ملون أو أسود أو حتى أبيض وتتهمه بأنه مسلمٌ ابتدأ بإطلاق النار، ولو لم يكن يحمل آنذاك سلاحًا، كما قتلوا لقمان عبد الله وهو إمام مسجد.

والغرب يحظر أي نوع من التستر مثل "البوركيني" في فرنسا التي تدعي أنها بلد النور وأن شعارها هو الحرية والإخاء والمساواة، أما الراهبات فمن حقهن ذلك في أي مكان!

والعنصرية تضاعفت في بريطانيا، دع أمريكا فهي مفضوحة في كل مؤتمر، وفيها يعتدون على المساجد والمراكز الإسلامية يحرقونها حرقا إن استطاعوا.

ولما اتهم بعض الأمريكيين الرئيس أوباما بأنه أخلف وعده بإقفال معتقل "جوانتنامو"، وانتقدوا ما فيه من أساليب التعذيب، عمد أوباما إلى إنشاء "السجون السرية" التي كل شيء فيها سري "التحقيق والتعذيب والعقوبة".

أما الرئيس السابق "جيمي كارتر" فقد اعترف أثناء حملة "ترامب" الانتخابية بأن "ترامب" يستغل العنصرية المتأصلة في المجتمع الأمريكي، ومعلوم من هم أكثر نزلاء السجون السرية، وأكثر المستهدفين بالعنصرية المقيتة؟

ويقول الغربيون: (في حين أن الحاكم في إسرائيل -الدولة الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط!- ينتخبه الشعب ولا يتجاوز مدته، تجد الحاكم الوهّابي في جزيرة العرب مستبد له سلطة إلهية مطلقة يحكم بموجبها حتى يموت).

(وفي حين تجد إسرائيل بتسامحها وإنسانيتها وديمقراطيتها! تفتح معبر كرم أبو سالم، تجد أن العربي المسلم "السيسي" لا يفتح معبر رفح، وذلك بمساعدات مالية من دول النفط العربية وبتأييد من قنواتها وصحافتها، ولا يشذ عن ذلك إلا قناة الجزيرة المتعصبة التي بلغ بها الشذوذ إلى حد أنها لا تقول الإرهاب بل ما يسمى الإرهاب، وأنها ضد اتفاقية "سايكس/ بيكو"، وأنها وفق خطة منهجية ذكية تسمي سعي أمريكا لنشر الحرية والحضارة "حروب أمريكا القذرة"، وتستضيف المعارضين لأمريكا من أمثال "نعوم تشومسكي" ولإسرائيل من أمثال "ديفيد وايز"!!)، وتقول عن سجناء جوانتنامو: هل كتب عليهم ألا يكونوا؟

هذا كلامهم وفلسفتهم لواقعنا.

والمسلمون يعلمون أن في الغرب من يحبون الصدق والعدل والأمانة، ونحن ندعو الأمريكان إلى أن يكونوا أمة راقية متقدمة تؤمن بكل رسل الله وبكل كتب الله، وأن يؤمنوا بملة إبراهيم عليه السلام، وحينئذ سيجدون أنه لا مناص من اتباع ابنه محمد ﷺ، وإذا رأوا منا خروجًا عن ملة إبراهيم عليه

السلام، فلينبهونا مشكورين، ونحن والله لا نريد لهم إلا الخير، ومن أسلم منهم فهو أخونا له ما لنا وعليه ما علينا، وربما كان عند الله خيرًا منا.

فهل هذه العنصرية هي آفة الحضارات الغربية كما ألمح المفكر الأمريكي "رابلي" في كتابه "الغرب والعالم"؟ وهل هي متأصلة في الثقافة الغربية كما يقول "تشومسكي"؟ أم أن آفتها هو الانحدار الأخلاقي كما قال "توينبي" و"شبنجلر" و"جيبون"، أما نحن فنقول إن العنصرية ما هي إلا أثر من آثار الكفر الذي تتخبط في ظلماته هذه الحضارة وأنها عرَض وليست هي المرض.

ومما يعين الغرب على هذا التخبط واقعُ المسلمين البعيد عن حقيقة الإسلام، وما تعيش فيه مجتمعاتهم من تخلف واستبدادية، فأصلحُ المسلمين هم أصحاب العقيدة الوهابية من عرب النفط! الذين هبطت عليهم من السماء ثروة لا يستحقونها -كما يقول الغربيون- إلى حد أن هؤلاء البدو الديكتاتوريين لا يدرون كيف يبذرون الثروة، وفيم يهدرونها، والأمثلة التي يراها الغرب لدى هؤلاء البدو كثيرة.

منها: كثرة سجناء الرأي عندهم، وأنه لا شفافية لديهم ولا محاسبة، وأنه يجب على الكل مدح رئيس الدولة وإسناد كل خير لسياسته.

ومنها: أن أحدهم يركب سيارة مصفحة بالذهب في الشوارع الغربية.

ومنها: أن أحد أثريائهم تبرع بمليار دولار لإعادة مبنى مركز التجارة العالمي.

ومنها: أن أحدهم عرض على زوج إحداهن أن ينام مع زوجته ليلة واحدة بعشرة ملايين دولار.

ومنها: أنهم يتبرعون بمئات الملايين من الدولارات للنوادي الرياضية في الغرب.

ومنها: أن أحد أثريائهم اشترى لوحة فنية بمائة مليون دولار.

ومنها: أن بعض أثريائهم يشتري اليخوت والجزر بمليارات الدولارات ولا يحاسبه عليها أحد.

ومنها: أن الودائع السعودية وحدها في أمريكا تبلغ ترليون دولار وربما أكثر، وعلماءها يباركون ذلك أو يسكتون عنه، كما كان الكهنوت النصراني يسكت عما يفعله الأباطرة والنبلاء الاقطاعيون في العصور المظلمة!

هذا موجز كلامهم.

والغرب لا بد له من عدو كما سبق، فإن لم يجده افتعله، والحرب القادمة ستكون -والله أعلم- بين الغرب والإسلام لا لأن الصراع بين الحضارات حتمي كما قال "هاتنغتون"، بل لأن سنن الله في خلقه هي الواقعة، ولأن الصراع بين الحق والباطل حتمي كما قال الله.

والغربيون لا يخفون ذلك بل هو ما تتوقعه دراساتهم الاستشرافية، وبدأوا ذلك بالفعل فاحتل الروس أفغانستان ثم بلاد الشام، واحتل الأمريكان الصومال وأفغانستان والعراق بالقوة الصلبة، واحتلوا دول الخليج بالقوة الناعمة، وكانوا وراء الانقلاب الفاشل في تركيا، غير أن الغرب يبدل جلده ويغزونا بالمصطلحات الجديدة ذات القفازات الناعمة، ويقولون نحن لا نحارب الإسلام بل نحارب الإرهاب، ويجعلون سبب الإرهاب هو الراديكالية (أي التطرف) كما هو في كلام ابن تيمية والعقائد الوهابية وسار عليه الحنابلة من قبل!!

حتى عباد البقر ولجوا هذا المولج، فاتهموا الداعية الإسلامي "ذاكر نايق" بالإرهاب لأنه يدعو بالحجة والبرهان لعبادة الله وحده، بينما الصحف والقنوات السعودية مشغولة بأخبار المنتخب الهندي.

والغرب يتنكر للفطرة الإنسانية نفسها، فلم يقف عند حد قول "هوبز" إن الإنسان شريرٌ بفطرته، بل تعدى إلى آراء "فرويد" حيث زعم هذا اليهودي الخبيث، بأن الإنسان ما هو إلا حيوان جنسي تسيطر عليه الوساوس الشهوانية.

والغرب غره المتاع الدنيوي، وألهاه الحطام المادي ودفعه إلى المغامرة والسيطرة، فاحتل أكثرَ العالم ونهب ثرواته بالاستعمار قديما، ثم باسم

الشركات العابرة للحدود وبالاستثمار حديثًا، واكتشف كثيرًا من المجاهل لكي يحصل على الذهب والنفط، وأصبح مجتمعا غشاشا لا بالغش البدائي الساذج المعروف، بل بالغش المتحضر المتطور والأخلاق التجارية والابتسامات الصفراء، وهكذا غيّر الغرب جلده، وخرج مكرها من الطاقة، ليعود مرحبًا به من الباب، وجاء بشعاراته البراقة عن الديمقراطية وحقوق الإنسان وتحرير المرأة ومعاداة الديكتاتورية...الخ، وصدَّق هذه الدعاية كثيرون في الدنيا شرقًا وغربًا.

وبعد أن كان المغامرون الأوروبيون الأوائل يحاربون الهنود الحمر بالبنادق، تطوروا وأصبحوا يلقون عليهم البطانيات الموبوءة بجراثيم الجدري، ثم تطورت الولايات المتحدة أكثر من ذلك، فأصبحت معاملها ومختبراتها تنتج فيروسات الحرب البيولوجية، "ومنها فيروسات الإيدز والأيبولا والجمرة الخبيثة"، وكثيراً من التقدم الأمريكي الذي لا نعلم! والسياسة البنتاجونية الخفية، ويبيعون الأسلحة التقليدية على دول الخليج بمئات المليارات.

وباسم حرية الفكر نشر الكهنة الجدد إلحادهم وكفرهم من أمثال "جوليان هكسلي" و"ريتشارد داوكيتز"، وسخّروا لذلك فهمهم الشخصي للمورِّثات "الجينات" ولعلوم الأعصاب، فلم يجد أكثر الغربيين مخرجًا إلا بالعبّ من الشهوات والهروب من الواقع، وبإدمان الخمور والمخدرات، وكما ذكر شيخ الإسلام أن رؤساء النصارى في أيامه كانوا يتلهّون بالمنطق والشطرنج فراراً من الحقيقة، تجد هؤلاء المتقدمين يفرون من واقعهم المقلق وحضارتهم النكدة إلى التلهي بالشهوات والملذات، وتأبى فطرتهم إلا أن تعود إلى التدين، ولكنهم يعيدونها إلى الآثار والذكريات واللوحات الفنية والتحف القديمة وأمثال ذلك، ونصبوا أصناما جديدة كالتقدم والرقي والإنسانية، مكان الأوثان التي كان يعبدها البدائيون، وبعد أن كان الإنسان البدائي – وفق نظرتهم– مطمئنًا إلى أسلافه وأوثانه، أصبح الإنسان المتحضر يعاني من القلق الدائم والقنوط واليأس، فقد قال الفيلسوف الكبير "برتراند راسل":

"إن العلم هو بوابة اليأس"، وحالت معرفتهم الضحلة عن دين الله والدعايات المضللة، عن الاطمئنان بذكر الله، ومن فرَّ منهم إلى الله -وهم قليل- وجد السكينة والراحة والطمأنينة، وإلا بقي في ذلك الجحيم والمعيشة الضنك.

وأصبح أكثر المؤلَّفات والأفلام والروايات رواجًا، هو ما يتحدث عن مأساة الإنسان، ونهاية الحضارة، وموت الغرب، وانتحار العلم.

وفي ظل هذه الأعاصير المزعجة وصحراء القنوط الغربية، عاد الهندوس لخرافاتهم واحتموا بوحدة الوجود وعبادة البقر والإيمان بالطبقات الأربع، وأمثال ذلك من الضلالات التي ينادي بها حزب "بهارتا جانتيا".

كما عاد الصينيون إلى آراء "كنفشيوس"، وبزغت شمس البوذية الحارقة والجينية والطاوية، في كوريا واليابان وفيتنام وكثير من الدول الآسيوية، ولم يبق مؤمنًا بالليبرالية الغربية إلا بعض المتثقفين في الغرب وبعض مقلديهم في العالم الإسلامي وتحققت تنبؤات "بيرنهام" حين تنبأ بعد الحرب الثانية بنهاية الحضارة الغربية وانتحارها، وقال: إن الليبرالية هي أيدولوجية الانتحار الغربي، وبعده قال وزير التعليم البريطاني: "إن الليبرالية تسمح للحضارة الغربية بأن تكون متصالحة مع فنائها".

والمقصود أن الحضارة الغربية قد ضاعت وتاهت، وأضاعت مقلديها، وكتبت بنفسها موتها، حين فقدت الإيمان ومبرر وجودها وغاية خلقها:

قال وزير الثقافة الفرنسي: "الحضارة الغربية أول حضارة في التاريخ لا معنى لها"، أي: ليس لها هدف ولا غاية.

وقال رئيس جمهورية التشيك: "الحضارة الغربية أول حضارة ملحدة في التاريخ".

أما مرشح الرئاسة الأمريكي سابقًا عن الحزب الجمهوري "ج بوكانين" فقد كتب عن تحول أمريكا من جمهورية إلى إمبراطورية، ثم كتب كتابه المشهور "موت الغرب"، وقال إن موت الغرب ليس بنبوءة عن المستقبل بل هو ما يحدث حاليًا، وعزا "بوكانين" موت الغرب إلى سببين:

١- التفكك الاجتماعي المتمثل في انهيار الأسرة وخروج المرأة للعمل.

٢- الهرم السكاني الذي يعاني منه الغرب، وكثرة المهاجرين من الشرق.

والواقع أن كل هؤلاء يشخِّصون المرض ويتحدثون كثيرًا عن أعراضه، ولكن الدواء الناجح إنما هو بالإيمان بالله، فالفكر الغربي لا يرى الصورة الكبيرة فكيف يرى الصورة الكاملة، فهو كمن يتلمس رجل الفيل بيده ويجزم أنها جذع شجرة.

وتسود الغرب عامة وأمريكا خاصة حالة من "الإسلاموفوبيا" تزيدها الإدارة الأمريكية الجديدة اشتعالا، ويجتهد في محاربة الإسلام تحت غطاء محاربة الإرهاب، مع أن ساسته ومثقفيه يسمون أي عمل ضدهم إرهابًا إسلاميًا، ويربطون عن عمد بين الإرهاب والإسلام، ليبرروا دعوى الكنيسة القديمة أن الإسلام إنما انتشر بالسيف، وأنه يفتقر إلى الإقناع المنطقي، بخلاف دينهم الذي هو متسامح وعقلاني، وحضارتهم الحديثة التي تقوم على الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان!

ويعتقدون أنه في حين يعيش المسلم -لاسيما المرأة- مكبلا بأصفاد القهر والإكراه والتعذيب، يعيش الإنسان الغربي في مجتمع متسامح متعدد التوجهات حرا من كل قيد، وأن المسلمين هم النموذج للحياة الهمجية البائسة، التي يعانيها "الجنوب الفقير" والدول النامية وسبب ذلك في نظر الغربيين هو تمسكهم بالإسلام، الذي يحث -كما يزعمون- على الاستكانة والضعف والظلامية ويمجد الفقر والمرض!!

وبتأثير هذا الأفيون -كما يعتقدون- يعيش المسلم محبًّا للشهوات واللهو، وتشجيع الكرة والغناء والعرضات، أو لا يجد ما يحتفي به إلا آثار الأمم القديمة كالفراعنة والبابليين وحضارات اليمن القديمة، ومدائن صالح وأصنام قوم نوح وما شاده اليهود في المدينة وخيبر ... إلخ، ولو لا اليهود والنصارى لما كان المسلمون شيئًا مذكورًا!!

فماهوت أي محمد ﷺ ما هو إلا "قسيس آريوسي" هارب وضع القرآن -حاشاه ﷺ- ليضمن بذلك السلطة الدنيوية لقبيلة قريش ولأهل بيته خصوصًا!، وأتباعه وثنيون يعبدون الحجر الأبيض والحجر الأسود.

وهؤلاء الوثنيون -أي المسلمين- يكرهون الشيطان واليهود والنصارى، لأن أطول فصول القرآن وهي سورة البقرة تقول إن إبليس باض ثلاث بيضات خرج منها اليهود والنصارى والمجوس!

ومما يؤكد ذلك عندهم ثورة آية الله الخميني وآراؤه، التي ضمنها كتابه عن الحكومة الإسلامية، واحتلال أتباعه للسفارة الأمريكية في طهران، وحربه الدائمة على إسرائيل والشيطان الأكبر أمريكا، وإهداره دم سلمان رشدي، ولا يزال شعار أتباعه إلى اليوم "الموت لأمريكا الموت لإسرائيل"!

هذا ما يعرفه أكثر الغربيين عن الإسلام، وإن عرفوا غير ذلك فهو غالبًا العقيد معمر القذافي الذي أسقط الطائرة الأمريكية فوق "لوكربي"، أو صدام حسين الذي صنع أسلحة الدمار الشامل في العراق، وهم ينشرون الإسلاموفوبيا في الغرب، ويفبركون الصور ليوافق ذلك ما يقولون.

ومما ينبغي للقارئ معرفته أنني لا أدعي أنني "موضوعي" كما يقال، بل أنا أدعو نفسي وكل أحد إلى كتاب الله، والله أمر باتباع شرعه، ومن شرعه العدل في القول، وأقول إن نشأتي وتربيتي ودراستي كانت دينية، وأساتذتي كانوا كلهم أهل دين وتقوى والحمد لله على ذلك.

ومن المحال عندي أن يتخلص الإنسان من أثر النشأة والبيئة والثقافة ويقول إنه "موضوعي"، ولذلك أمثلة كثيرة من واقع الغرب نفسه:

فالمجنون "نيتشه" حين قال إن الرب قد مات إنما يتوجه كلامه إلى رب الكنيسة، ذلك الرب المزعوم الذي رضي أن يُصلب لكي يخلص البشر من الخطيئة كما يقول مجتمع نيتشه، مع أن نيتشه نفسه يهودي، والبيئة التي ترسّخ في وجدانها قرونا أن الرب قد صلب، لا يصعب عليها قبول أن الرب مات.

وحين تروج في الغرب مقولة "قهر الطبيعة" أو "الاستيلاء على الطبيعة"، فإنما ذلك امتداد للعقيدة التوراتية بأن الإنسان خالف الرب واستطاع أن يأكل بإغراء الحية من شجرة معرفة الخير والشر فانفتحت عيناه، وذلك مثل ما تحكي الأسطورة اليونانية: إن "بروميثوس" سرق النار من الأرباب.

والأسطورة الرومانية بأن الأرباب عاقبت "هرقل" لأنه أراد معرفة الحقيقة.

وحين يقول "هوبز" إن الإنسان شرير بطبعه فإنما هو لأن بيئته النصرانية تعتقد أن الإنسان يولد موصوما بالخطيئة.

وحين يزعم بعض ملاحدة الغرب أن الأصل في الإنسان هو الشرك وتعدد الآلهة، فإن مصدر ذلك هو العقيدة التوراتية التي تزعم أنه حتى هارون أقر بني إسرائيل على عبادة العجل، وأنه حتى سليمان كان نساؤه يعبدن الأصنام!

وحين تقول الحكومات الغربية، وكثير من علمانيي الغرب، إن الدين شيء والسياسة شيء آخر، وأنه ينبغي الفصل بينهما فإن ذلك تحوير لفظي للمقولة النصرانية التي ينسبونها للمسيح عليه السلام، "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، ويتبعهم في ذلك بعض المغفلين من أبناء المسلمين، فجعلوا الإسلام نوعين: إسلام ديني وإسلام سياسي!

وحين يقول بعض المفكرين في أوروبا وأمريكا بنهاية التاريخ كما قال "هيجل" و"فوكوياما" وغيرهما، فإنما ذلك يعود إلى عقيدة النصارى المسماة "الألفية" حين يعتقدون أن عيسى عليه السلام إذا نزل سوف يحكم العالم ألف سنة سعيدة، وبذلك ينتهي الوجود الإنساني على هذه الأرض.

وكثير من المتخصصين في اللغة من الغربيين، يقولون إن أصل تعدد اللغات هو أن الله تعالى بلبل الألسنة في برج بابل كما تقول التوراة.

وأصحاب التأويلية الحديثة "الهرمونيطيقيا"، يستبطنون ما قرأوه عن الحركات الباطنية التي استنبطت بدورها ما قاله مؤولو اليهود، وعلى هذا قال "رولان بارت": "إنه يجب قراءة أي نص على أساس أن مؤلفه قد مات".

وحين يدعي نبي المورمن "جوزيف سمث" أن الله أوحى إليه في المنام، وحين يقول الرئيس الأمريكي "بوش" الصغير: إن الله أمره أن يحتل العراق، فإنما يستندان إلى أن النصارى في الغرب يؤمنون برؤيا "بطرس" و"قسطنطين".

والأمثلة كثيرة، وكل إناء بالذي فيه ينضح، ولهذا لا نستغرب ممن أدمن قراءة النظريات والفلسفات الغربية، معرضا عن الكتاب والسنة وسير السلف أن يكون فكره غربيا، وأن يدعونا للدخول في جحر الضب!

والمتأمل في خط سير التاريخ الإنساني يجد أنه لا بد من الإسلام لله وحده والكفر بما يعبد الناس من دونه، وأنه ما من فكرة أو دين وضعي يؤمن به الغرب إلا أحدث هو ما ينقضه ولو بعد حين، وأن النهاية الحقيقية للتاريخ على الأرض إنما تكون بيوم القيامة، وتبتدئ بنزول المسيح عليه السلام عاملا بشريعة محمد ﷺ قاتلا للخنزير.

ولئن كان اليهودي الأمريكي "صمويل هنتنغتون" سرق من بعض المسلمين فكرة صدام الحضارات، وجعل ذلك الصدام حتميا، فإن بعض الغربيين تصدوا له وتوقعوا صداما داخل الحضارات نفسها كما فعل "سنغاس" مثلا.

وقد حدث في القرن العشرين حدثان مهمان، كان لها الأثر في تغيير مسار التاريخ هما:

١- انتهاء مرحلة الاستعمار الأوروبي، وهي مرحلة كشفت عن الأهداف الحقيقية للغرب، وهي الهيمنة على العالم، ذلك الحلم الذي راود الغرب وآمن به فلاسفتهم، حتى أن "هيجل" لما تحدث عن الصين والهند قال:

إن قدرهما أن يخضعا للغرب ويستعمرهما، وكان الغرب يستر هيمنته باسم "التحضير" المزعوم.

٢- الرفض الغربي نفسه للأفكار التقليدية للحضارة الغربية، وذلك في الثورة الطلابية التي قامت سنة ١٩٦٨ في فرنسا، وامتدت منها إلى الغرب كله، وسادت في التسعينات الميلادية على الثقافة الغربية، ولم يسلم منها المسلمون، إذ وفدت إليهم عن طريق ما سمي "الحداثة"، ونعني بها الحداثة الأدبية وليس المفهوم العام للتحديث، وهنا سَرَت في الغرب نفسه روح الشك في الموروثات لا سيما الفلسفة، وبعد أن كتب "ماركس" "لودفيغ فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية" انهارت الماركسية نفسها، وكتب كثيرون في الغرب عن نهاية الفلسفة الكلاسيكية كلها، وانتقل الغرب من مرحلة الإطلاق والأحكام الكلية، إلى مرحلة النسبية في كل شيء لا سيما في القيم، وساعد على ذلك النظرية النسبية التي قررها "آينتشاين"، وكانت الفلسفة الغربية غالبا تقوم على البنائية أو البنيوية، فانتقلت إلى عصر ما بعد الحداثة حيث ساد التفكيك والنسبية الثقافية.

وانتقل الفكر الغربي من مرحلة الاستنارة المضيئة إلى الاستنارة المظلمة، وأعادوا النظر فيما قرره عصر التنوير عندهم لا سيما أفكار "ديكارت" و"فولتير" و"ديدرو" و"رسو" و"مونتسكيو"، وظن الغرب أن سقوط الماركسية يعني نهاية التاريخ، وأن الرأسمالية هي ذروة الفكر الإنساني والتنظيم الاجتماعي، وعبر عن ذلك "فوكوياما" في كتابه "نهاية التاريخ"، وأصاب الغرور الغربيين بانهيار الاتحاد السوفيتي، وادعت أمريكا وريثة القيم الغربية أن قيمها هي القيم الكونية لا سيما بعد أحداث ٩/١١ عندها، وورثت الفكر الكتابي بل أصبحت قائدته، بعد أن هرمت القارة العجوز (أوروبا) على حد تعبير "رامسفليد"، واعتمدت على قوتها العسكرية إلى جانب القوة الفلسفية المستمدة من الداروينية التي تقول إن البقاء للأقوى أي أن الحضارة الأنجلوساكسونية هي الباقية بما أنها هي الأقوى، كما عبّر الفيلسوف النفسي

"سكيز" حين قال: "مثلما أن تطوُّر الأنواع والصراعَ من أجل البقاء أفضى إلى سيادة نوع من الأنواع، كذلك فإن تطور وصراع الثقافات يفضي إلى سيادة الثقافة الأفضل"، التي هي الثقافة الأمريكية بالطبع، وبذلك الغرور والافتعال آمن الغرب بمركزيته وسمّى نفسه "العالم"، فإذا سمعت هذه الكلمة في نشرة أخبار مثلا فاعلم أنهم يقصدون الغرب وحده، غير أن ذلك اصطدم بأحداث عالمية وتحولات فكرية عميقة منها:

١- الثورة الثقافية التي دعا إليها "غرامشي" كبديل عن الثورة الماركسية الحمراء، وقد راجت هذه الثورة في أمريكا وتخوف منها "ج. بوكانين" على المسيحية.

٢- ظهور نظريات علمية جديدة أثبتت بطلان الإطلاق الذي كانت عليه النظريات الموروثة، فمثلا أضاف "آينشتاين" إلى الأبعاد المعروفة بعدا آخر هو الزمن، وعدّل كثيراً من النظريات الميكانيكية لا سيما نظريات "نيوتن"، وأثبت أن الضوء ليس موجة، كما كان يظن "نيوتن"، كما تعرضت الداروينية لنقد شديد لا سيما بعد أن اكتشفوا الحمض النووي "دي إن إيه"، والشفرة الوراثية، حيث ثبت التباين الحاد بين القردة والبشر، وبشّر الرئيس الأمريكي في ذلك الحين "وليم كلينتون" العالم بهذا الاكتشاف، وتوقع أن يصل العلماء إلى ذروته في القرن الواحد والعشرين، كما اكتشف الغرب أن مركزيته لم تكن إلا وهما، حين علم أن كل الحضارات أسهمت بشكل ما في التقدم البشري، وأن كل الشعوب كان لها نصيب وإسهام في ذلك، حتى الشعوب التي كان الغرب يحتقرها، ويسميها الرومان برابرة، أو يسميها الأمريكان السوداء، واكتشف أن الديمقراطية لم تبتدئ من المدن اليونانية، وإنما ورثها اليونان عن شعوب أخرى، وكتب بعض الأمريكان الأفارقة كتابا مشهورا في ذلك مثل كتاب "التراث المسروق"، الذي كتبه "جورج جيمس"، وكتاب "أثينا إفريقية" الذي كتبه "مارتن بنوبونال"، وبذلك قوي الاتجاه المضاد لليبرالية في أمريكا، ونجح دعاة المحافظة في

الوصول إلى البيت الأبيض بطرق كثيرة، منها الفرز اليدوي الذي أجروه في فلوريدا، وتحدث عنه باستفاضة "بالاست" في كتابه "أفضل ديمقراطية يمكن شراؤها بالمال"، وبعد أن كان "جورج دبليو بوش" سكيرا عربيدا أصبح من المحافظين الجدد، واحتل العراق التزاما بأمن إسرائيل، وعرفانا منه بالجميل للشركات اليهودية التي جعلته رئيسا، لكن احتلال العراق أدى فيما أدى إليه إلى تراجع فكرة المحافظين الجدد، وعاب "فوكوياما" نفسه سياسة "بوش"، وقرر أن احتلال العراق كان خطأً فادحاً، ودمّر الغرب نفسه بنفسه -إن صدقاً وإن خداعاً- وحلت الأسلحة البيولوجية محل الأسلحة النووية، التي رأى الغرب ضرورة تدميرها، واقتضى الأمر إعادة النظر في التاريخ الحضاري والفكري للعالم بعيدا عن مركزية الغرب وهيمنته، وابتدأ الغرب عصر ظلمات جديد، وهاجر مثقفوه أو ساحوا في بلاد لا أثر فيها للحضارة الغربية، ووجب على كل أمة عاقلة أن تنفض عنها غبار التبعية للغرب، الذي عبد جنَّ الأهرامات وسجد لبوذا وزرادشت، وبعضهم أسلم، وجزم كثير من الغربيين أنه وجد الحلّ فيما يسميه الفلسفات الشرقية.

ومن هنا تضاعف الواجب على أمة الإسلام خير أمة أخرجت للناس، وآن لها أن تكفر بالفكر الغربي وأن تقاوم باطله بالحق، لا أن تضيع جهدها في مقاومة الخرقة الحمراء التي يرفعها ليُذهب المسلمون فيها قوتهم، وأن يحل المعضلة الإنسانية بقيمه الراسخة وعدالته المطلقة، وأن يقضي على السلطة التقليدية المزعومة لما يسمى "العلم"، فالقضية أكبر من أن تكون صراعا بين قوى تقليدية غربية محافظة وأخرى تقدميه ليبرالية، إذا هي قضية توحيد وشرك، وكفر وإيمان، وقد صرح كثير من الغربيين ومنهم كولن ولسن (أن الإنسان في حاجة إلى معبود)، وذلك ما يفرضه الواقع مثل سماح "ستالين" بفتح الكنائس للدعاء على "هتلر"، وإلزام القوات البريطانية والقوات الأمريكية جنودها بما يسمى "الشؤون الدينية"!!

والغرب في اعتقاده أن حضارته خالدة وأن فكره هو أرقى ما يتوصل إليه البشر، هو كصاحب الجنة الذي قال للآخر: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا﴾ [الكهف: ٣٤-٣٦]، وما عليك إلا أن تضع الحضارة الغربية مكان الجنة، إذ يخال أهلها والمعجبون أنها جنة ولكنها جنة دنيوية فانية، والجواب لهذا الجاحد أو الشاك هو ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرۡتَ بِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلٗا﴾ [الكهف: ٣٧]، ثم يقول له بعد ذلك أخيرا ﴿إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالٗا وَوَلَدٗا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوۡ يُصۡبِحَ مَآؤُهَا غَوۡرٗا فَلَن تَسۡتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبٗا﴾ [الكهف: ٣٩-٤١]، وبعضهم إذا قيل له أسلم قال: ﴿أَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ خَيۡرٞ مَّقَامٗا وَأَحۡسَنُ نَدِيّٗا﴾ [مريم:٧٣].

والآن تبشر هذه الحضارة نفسها بأن العصر الجليدي سوف يعود، أو أن الجفاف سوف يغير أمريكا وأوروبا، وبأن الصحاري القاحلة سوف تعود مروجا وأنهارا، وأن ظاهرة النونو سوف تتعرض لتغير عنيف، وأن الاحتباس الحراري سوف يؤدي إلى أن تغمر المياه كل المدن الساحلية، وأن طبقة الأوزون سوف يزداد تقلصها ويتسع خرقها، وأن النفط سوف ينفد أو يغور في البحار كما غار النفط الأمريكي في خليج المكسيك، وأن الزلازل سوف تدمر أمريكا فيبتلعها المحيط.. هكذا يتوقعون، وما أكثر ما لا يعلمون، وما يعلم جنود ربك إلا هو، وكان الدمار متوقعا علميا، قبل أن تجيز المحكمة الأمريكية زواج الرجل بالرجل فكيف بعده؟

وقد قال الله عن قوم لوط ﴿وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [الذاريات:٣٧]، وقال تعالى: ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود: ٨٢-٨٣].

إن الحضارة الغربية ليست في طريقها إلى الانهيار والتدهور فحسب كما عبر "شبنجلر"، بل هي في طريقها إلى الانتحار والموت كما ذكر "أوبنهايم" و"بوكانين"، وأنها تسحق الإنسان وتجعله مزرعة للحيوان على حد تعبير "أورويل"، ولكن الملك فيها ليس الأسد بل الخنزير، وقد عبر أكبر فلاسفتها في القرن العشرين "برتراندرسل" بعد زياراته وتأملاته الطويلة لروسيا والصين وأمريكا وبريطانيا وألمانيا عن انتهاء دورها الريادي حين قال: "انتهت قيادة الرجل الأبيض"، وسمى "رسل" الشيوعية نظام موسكو، وسمى الرأسمالية نظام روما، وقال إن النظامين مفلسان ووجهان لعملة واحدة.

فهذه الحضارة تتخبط في كفرها وضلالها، وكفاها الضلال الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾ [الضُّحى:٧]، وهو الجهل بالكتاب السنة ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى:٥٢].

فإذا كان هذا هو حال أفضل خلق الله، فكيف بهذه الحضارة المعاندة لما أنزل الله، والتي هي كما قالت اليونسكو (مثل السفينة التائهة في بحر لجِّي ليس لديها خريطة ولا بوصلة)، فهي تتخبط يمنة ويسرة في الظلمات، وليست بخارجه منها إلا أن يمن الله عليها بالإسلام.

وليس الحل لمن كان حبيسا في القفص أن يقفز داخل القفص، فهذه الحضارة حبيسة علمها وتقدمها التقني، غير أن ذلك لا يغني عنها شيئا.

ويجب أن يعلم المسلمون أن هدف اليهود والصليبيين ليس مجرد الحصول على الأرض، بل السيادة فيها واستعباد أهلها، ولا يهم أن يكون لمصر بعض أرض سيناء أو للدولة الفلسطينية المزعومة بعض أرض فلسطين، أو دعوى الاستقلال، وإنما يهمهم استعمارهم الفكري واسترقاق المسلمين ثقافيا، وأن يكونوا هم السادة، سواء سميت مشروعاتهم الشرق الأوسط الجديد أو الولايات المتحدة الشرق أوسطية، أو أي اسم، وهم يعلمون أن

مصر وحدها يسكنها عشرة أضعاف سكان إسرائيل، لكن السيد الواحد يمكن أن يملك ألف عبد!

وإذا حقق الانقلابيون أهداف اليهود والنصارى، فماذا يريدون أعظم من هذه الخدمة؟

فالجيش المصري نفسه يحمي حدودهم ويغرق أعداءهم، والقاذفات الإسرائيلية تقتل المتطرفين، والرز الخليجي يمد هذا الجيش، وليبق غيرهم تعصف به الأوهام وتراوده الأحلام، ويقول إن "بوتين" إنما أعلن أنه انسحب من بلاد الشام خوفا من رعد الشمال، وإن أوباما إنما فكر في الانتحار خوفا من حنكة فلان، وأمثال ذلك من الاختلاقات التي تزيد الأمة تيها وعمى، فلا تبصر دربها ولا تعرف ما يريد لها عدوها، وكيف يمكر بها، ﴿وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]، ولا شك أن أمة تكون هذه سذاجتها وهذا مكر أعدائها لا بد أن تنهزم وتخضع.

وليس البديل عن الخنوع للغرب هو إلقاء النفس في أتون اليأس ومقاومة كبره بقتاله، بل هذا هو عين ما يريده الغرب ويسعى إليه، لكي يبرر عدوانه أمام العالم، وإنما الحل الوحيد هو الصبر والتقوى، ومنها الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠].

ونحن لا نأخذ ديننا عن مؤمني أهل الكتاب، فكيف نأخذه عن زنادقتهم، والغرب تسيطر عليه ما يسميه هو "فوبيا الإسلام"، وتحقق فيه الأحزاب اليمينية تقدما ملحوظا.

ويجب البراءة من هذه الحضارة الزائفة كما تبرأ إبراهيم من أبيه وقومه، وما كانوا يعكفون عليه من التماثيل والهياكل والكواكب، وينبغي تركها كما ترك يوسف عليه السلام ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرن، وكما ترك محمد ﷺ عبادة اللات والعزى وسفّه أحلام المشركين،

أي أن الواجب علينا هو تسفيه أحلام الغرب ومن يتخذ ما عليه الغرب قدوة بالعلم والدليل.

وكذا من يحسب أن ما هم عليه تقدم ورقي، وإنما هو انحطاط وتأخر، ولا تغرّنا قوة الغرب ولا فكره المزخرف ودعواه الرقّي الثقافي، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩].

والغرب إذا شاء يميز بين القوانين العلمية والنظريات، خذ مثلا النسبية فهو يقول بها في المجال الأخلاقي والقيمي، لكنه في المجال العلمي التجريبي لا يعدها قانونا علميا كالجاذبية مثلا، وإنما هي نظرية فيزيائية كلاسيكية، ولما سادت النظرية الكمية تركوا النسبية وهكذا.

وهو مع عنصريته وازدواجيته يعترف علميا بجهله في كثير من الأمور المادية، كالثقوب السوداء التي عجز الفلكيون والفيزيائيون عن فهمها، وكذلك يعلن عجزه عن تفسير وقت حدوث ما يسمونه الانفجار العظيم ومكانه الذي نشأ عنه الكون كما يقولون، والله أعلم، إذ العقل البشري لا يتصور انفجارا إلا في مكان أو زمان، ولكن ما تسميه فيزياء الكم "جدار بلانك"، يحول دون معرفة ذلك، ويصرحون أن ما وراء جدار بلانك ليس من شأن العلم، وإنما يحتاج لمصدر آخر، وصرح بعضهم أنه من شأن الدين أو الوحي.

ولما لم يكن لديهم ما يميزون به بين الدين والخرافة، جنح كثير من مفكريهم إلى خرافات عصره، فإسحاق نيوتن مثلا أعمل عقله فكفر بالتثليث ولم يستطع تصور مخلوقات بلا خالق، فآمن بالله ولكنه جنح إلى تفكير غير علمي إطلاقا، فآمن بخرافة التنجيم، أما عالمهم الشهير "آينشتاين" فقد كان يؤمن بوجود الله وربوبيته على الطريقة التوراتية، لكنه حائر بين الإيمان بخرافات التوراة وبين ما يعلمه عن يقين، وفضل العلم على الدين المعروف لديه، وهاله ما في الكون من شدة الوضوح مع ما فيه من شدة الغموض، فقال عبارته الشهيرة "إن أشد شيء استعصاء على العقل هو أن

يفهم هذا الكون الذي هو كون مفهوم"! وقد قال أحمد شوقي "وفي شدة الوضوح الخفاء".

وهكذا كل قادة الفكر الغربي وأبطال أوروبا عموما، إذا تأملت سيرة أحدهم وحياته وثقافته تجد أنه غالبا درس في معهد لاهوتي، وأن له خلفية دينية، وأن والديه أرادا أن يكون كاهنا في كنيسة ما، مع أن أغلبهم أبناء غير شرعيين، وإنما له أب بالتبني، فالتدين فطرة بشرية، ولما أرادوا أن يؤمن "آينشتاين" بالمصادفة قال: "كلا، إن الله لا يلعب بالنرد".

وهكذا قال المؤرخ اليوناني "بلوتارك" الذي يسميه العرب -ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- "بلوتارخ": "إنه يوجد مدن بلا أسوار، ومدن بلا فن، ومدن بلا مسارح، ومدن بلا آداب، ولكن لم يوجد قط مدن بلا معابد"، والإنسان إن لم يؤمن بالدين الحق آمن بالدين الباطل، وإن لم يوحد الله آمن به مشركا به غيره، أو سمّاه بغير اسمه مثل "الطبيعة" التي قال "تشارلز داروين" عنها: "الطبيعة تخلق كل شيء".

وإن لم يسلم لله طائعا أسلم لله كارها ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [الرعد: ١٥]، وانظر إلى أمريكا مثلا كيف تؤمن بالله وتتعلم لغة القرآن، ولكن من طريق ملتوية.

فدستورها ينص على أنها دولة علمانية "أي لا دينية"، ولكنها في الواقع دولة دينية ليس من جهة أنها أكثر دول العالم اشتغالا بالدين كما قال ادوارد سعيد، ولا من جهة تسمية بعض ولاياتها بأسماء دينية مثل "فرجينيا" أي العذراء، وليس من جهة أن فيها ما يسمونه "حزام البايبل"، أو من جهة أن ميادينها لا تكاد تخلو من صورة للمسيح وأمه، وأن مدنها وولاياتها تسمى بأسماء القديسين أو المعظمين في دين النصارى مثل "سانتياجو" أو "أوريجين"، ليس هذا، مع أنه كله موجود في أمريكا عيانا، ولكن من جهة علمية بحتة أرغمهم عليها الاصطدام بجدار بلانك على الدين.

وأما اللغة فهم يكرهون العرب ولغتهم، والقرآن ولغته، لكن دستورهم

لا ينص على لغة بذاتها -حتى الإنجليزية التي يتكلم بها أكثرهم-، وذلك لأن الأسبانية منتشرة في ولايات عدة، واعترف كثير منهم بما يسمونه ثنائية اللغة، وبعض المدن الأمريكية أعلنت أن الأسبانية هي لغتها الرسمية، ومعلوم أن الأسبانية تحتوي على كلمات عربية كثيرة لا تقل عن آلاف الكلمات، وهكذا يعودون للإسلام والعربية بطرق غير مباشرة، بينما يقبع الأرقاء في بلاد الإسلام في التبعية لكفرهم وتعلم لغتهم.

وينبغي أن ننبه هنا إلى أننا لا نسلب الحضارة الغربية كل حسنة، فقد أمرنا ربنا بالعدل والإحسان وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]، فلهذه الحضارة إنجازات كثيرة تخدم الإنسان، ولكنها مع ذلك لا تعادل فقْدَ الإنسانِ لإنسانيته وسحقَه وعبوديته لغير الله، وقد قرر ابن تيمية رحمه الله قاعدة معرفية عامة وهي "أن الباطل لا ينفق في الوجود إلا مشوبا بالحق"، ونحن نقيم الميزان ولا نطغى فيه كالغرب، وقد ذكر عمرو بن العاص كما في صحيح مسلم فضائل الروم مع أنهم كانوا أعداءه، وقال: "وأخرى حسنة جميلة -أي خصلة أخرى لهم-: وأمنعهم من ظلم الملوك"، وأمر الله تعالى نبيه بالعدل فقال: ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى:١٥]، وقال ابن القيم في النونية عما جاء به الرسل:

وكذاك نقطع أنهم جاؤوا بعد ل الله بين طوائف الإنسان

وحين نعدل لا نفعل ذلك كي يقول الناس عنا إننا موضوعيون، بل لأن هذا هو ديننا.

به أمر الله نبيه الكريم كما تقدم، وبه أوصانا ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام:١٥٢]، وبه يوصينا خطباء الجمعة جزاهم الله خيرا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠].

والمهم أننا لسنا كأكثر الباحثين الغربيين يرى أحدهم القذاة في عين غيره ولا يرى الجذع في عينه.

ملاحظات للقارئ الكريم:

– أن الاعتناء بهذه الجزيرة المباركة إنما هو لما أودع الله فيها من خصائص فذة ليست لغيرها، وحين أقول هنا أو في بلاد الحرمين فأنا أتحدث عما أعلم وأشاهد، ولا يعني أني أعترف بالزرائب والحظائر التي صنعها "سايكس" وزميله "بيكو"، فالمسلمون أمة واحدة أحمرهم وأسودهم، تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم، ويرد قويهم على ضعيفهم، والأجنبي هو الكافر، ولا مقام له في جزيرة العرب التي لا يجتمع فيها دينان ولا قبلتان قط، والنبي ﷺ قال: (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب)، ولم يقل من الحرمين.

وهذه الجزيرة المباركة هي مهد الحضارة الإنسانية الذي لا يزيده البحث في النقوش والآثار وغيرها إلا تأكيدا.

– إنني أقبل التنبيه إلى أي خطأ وأشكر من نبهني إليه، وللمساعدة هذا رقم الفاكس (٠١٢٥٥٣٣٠٧)، ومن شاء فلا يكتب اسمه وإنما يكتفي بذكر وسيلة الاتصال به لكي نجيبه عليها.

– أنني بسّطت الأسلوب ما استطعت وفصلت الكلام، إذ أن بعض القراء شكا لي أنه لم يفهم مرادي مما قلت سابقا، ولا يعرف المصطلحات التي ذكرت، وبعضهم خلط بين الأعلام التي قلت وغيرها.

– لم أتعمد مطلقا التكرار، وإنما يكون الاستشهاد بالحادثة الواحدة أو القول الواحد في أكثر من موضع، ومع ذلك فإن ذلك ربما وقع نظرا لطول الكتاب وتشعب الموضوعات.

– لن أرد على المخالف وليس من عادتي الاشتغال بالردود، فلدي ما هو أهم.

– تعمدت ألا أثقل الكتاب بالحواشي أو الإشارة الدائمة إلى صفحات المصدر، لا سيما وأن كثيرا مما أذكره استنباطات لا مرجع لها، وأكثر الناس

اليوم يعتمدون على الشبكة العنكبوتية، والطبعات تختلف وغير ذلك من الأسباب التي تجعل الإثقال بالحواشي لا معنى له.

- كل ما ذكرت من الأحاديث صحيحة، وما كان غير ذلك وهو قليل جدا أنبه إليه في موضعه.

- تحريت العدل في القول ما استطعت، و لم أنسب قولا لغير قائله قط، و لم أقوّل أحدا ما لم يقل.

- تعمدت المخاطبة باللين ما استطعت، فهكذا جعلني ربي، وقد أرشدنا تعالى إلى أن أفضل وسيلة لقلب المدعو هو القول اللين معه، وقد أرسل عبده النبي العظيم موسى أحد أولي العزم وأكثر الأنبياء ذكرا في القرآن، الذي عمل برأيه النبي ﷺ ليلة الإسراء، والذي لقوته لام أباه آدم عليه السلام وأمره هو وأخوه هارون عليهما السلام أن يقولا لمدعي الألوهية وأعتى البشر وأكثرهم تمردا على الله (فرعون) قولا لينا.

قال ابن كثير عند هذه الآية: "وهذه الآية فيها عبرة عظيمة، وهي أن فرعون في غاية العتو والاستكبار، وموسى صفوة الله من خلقه إذ ذاك، ومع هذا أُمر ألا يخاطب فرعون إلا بالملاطفة والقول اللين"، ثم نقل أقوال السلف عند ذلك وقال: "والحاصل من أقوالهم أن دعوته له تكون بكلام رقيق لين سهل ليكون أوقع في النفوس وأبلغ"، ثم نقل عن الحسن البصري قوله "لا تقل أنت يا موسى وأخوك هارون أهلكه الله قبل أن أعذر إليه" اهـــ.

ودخل أحد الوعاظ على هارون الرشيد وقال له إني سأعظك وأغلظ عليك، فقال له هارون: يا هذا إن الله أرسل من هو خير منك إلى من هو شر مني وقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه:٤٤].

وبذلك أوصي كل داعية، ومن يدعو إلى الله إنما مقصده الهداية، وغرضه إقامة الدين وليس هو التشفي والانتقام، ولذلك لا يقفز الداعية إلى إقامة الحجة قبل الدعوة ولا إلى الجهاد قبل إقامة الحجة، وليتذكر دائما هذه

الآية الكريمة، مع قوله تعالى عمن أنكر على المعتدين في السبت ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٤].

وقوله لأفضل الخلق ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨]، وقوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص:٥٦]، وأمثال ذلك كثير.

- **أخيرا:** أرجو أن يزداد المؤمن إيمانا ويحمد الله الذي هدانا للإسلام وجعلنا على الصراط المستقيم، وأنزل إلينا نورا مبينا يهدي للتي هي أقوم في كل أمر، وأرجو أن يكون المسلمون أكثر جرأة في نقد هذه الحضارة التائهة وكل علومها، وألا يتهيبوا ذلك فما هي إلا كالسراب، كما أرجو المعذرة إن وجد القارئ فيما كتبت أخطاء لغوية أو طباعية، فالأمر قضي على عجل، وفي ظروف الله وحده يعلمها.

وقد جعلت هذه الطبعة تمهيدية لاستقبال الملاحظات أو حل الإشكالات، والرد على الاستفسارات.

تنبيه:

بعد الانتهاء من الكتاب وقعت الأزمة الخليجية، وليس لدي معلومات كافية بخصوصها، ولكن أرجو أن يكون ما ذكرته دالاً على الحق، والحل عندي أعمق من أن يكون صلحا سياسياً بين مختلفين، وأنا أدعو طرفي الأزمة إلى تحكيم كتاب الله داخلياً وخارجياً في كل أمر، وأنصح الإخوة من علماء ودعاة بترك الخوض في هذه الفتنة والبدء بالأساسيات، مع دعاء الله أن يهدي جميع المسلمين للصواب، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

سفر بن عبد الرحمن الحوالي

١٤٣٩/٧/٣٠هـ

الموافق ٢٠١٨/٤/١٨م

تعريف الحضارة وكيفية سيرها

أولا: تعريف الحضارة وكيفية سيرها:

تطلق الحضارة بمعنى ما يقابل البداوة، كما قال الشاعر قديمًا:

ومن تكن الحضارة أعجبته   فأي رجال بادية ترانا

وكتب الأستاذ حمد الجاسر رحمه الله حديثاً عن الأسر المتحضرة في نجد أي التي تسكن المدن والقرى، وليس القبائل البدوية التي تتنقل من مكان لآخر متتبعة منابت الكلأ ومواقع القطر.

وهذا ليس مقصودنا بالطبع هنا، وإنما مقصودنا الحضارة بمعنى المدنية.

ونعني بذلك أي جهد يبذله الإنسان من علم أو عمل، لتحسين وسائل حياته، وتحقيق السعادة في الدارين معًا أو في إحداهما.

ويريد بها ابن خلدون معنى قريباً من هذا، أما العرب عنده فهم البدو الرُّحل، وعلى هذا لا يزال الناس إلى اليوم.

ولفظ الحضارة لم يرد في القرآن الكريم وإنما ورد (القرون، الأمم، القرى).

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن تكون الحضارة البشرية جهدا تراكميا يزيد فيه اللاحق على السابق، ووضع لذلك أسبابا يستعين بها الإنسان كالضرب في الأرض، والسنن الثابتة، والتاريخ، وحركة الحياة البشرية، مع أن رحمته تعالى بالإنسان تكفّلت بما لا يبلغه عقله وعلمه من أمور الغيب، وكذا جانبه اللا إرادي.

وفي سير الحضارة البشرية نظريتان:

الأولى: نظرية التقدم المطلق، وهي نظرية تفاؤلية مضمونها أن الإنسان في تقدم مستمر ورقي دائم كما قال "كوندرسيه"، ثم وسع المفهوم "ايمانويل كانت".

والأخرى: نظرية الانتكاسات، ومضمونها أن الإنسانية تتقدم ثم تنتكس، وتعلو ثم تسفل، وقد ظهرت نظرية الانتكاسة جلية بعد الحرب

الأولى ضمن كتاب "شبنجلر" "تدهور الحضارة الغربية"، كما أن مواطنه "اوبنهايم" كتب "انتحار الغرب" بعد الحرب العالمية الثانية.

وليس من شأننا إصدار حكم أيها أصح، وإنما نعرض ذلك ضمن محتوى الكتاب، ونترك الحكم النهائي للقارئ الكريم.

وأنا أرى أن الحضارة الإنسانية عامة والغربية خاصة ملء السمع والبصر، ووضْع تعريف محدد لها هو من باب تعريف الجلي بما هو أخفى منه، كما جهد علماؤنا السابقون في وضع تعريف للمحبة، ولكن ابن القيم رحمه الله في "مدارج السالكين"، ذكر أنها أجلى من أن تعرّف.

ولذلك تجد أن العلماء المتقدمين لم يضعوا تعريفًا لكثير مما يناقشون أو يبحثون، ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

متى عرف الناس الحضارة؟

الذي ظهر لي أن الحضارة قديمة قدم الوجود الإنساني على هذه الأرض، فقد كان آدم عليه السلام نبيا مكلما وعلمه الله الأسماء كلها، وهذا بلا شك حضارة فكرية، غير أن المصطلح اليوم إذا أطلق يتناول أكثر ما يتناول الجوانب المادية.

وقال بعض السلف إن الله تعالى أنزل الحديد مع آدم، وقال بعضهم إن التنور الذي فار في زمن نوح عليه السلام كان لآدم وحواء، وقال آخرون إن أحد ابنَي آدم كان صاحب زرع، وكان الآخر صاحب ماشية.

وإذا ثبت هذا فإن الحضارة البشرية قديمة، وإن صح ما يقوله الجيولوجيون وغيرهم عن العصر الحجري مثلا، فما ذلك إلا انتكاسة حضارية وهي مرحلة تالية لما سبقها، أما ما قبل ذلك فيجهلونه ولا يعلمه إلا المؤمنون بالوحي.

وكلام السلف يستند إلى أثارة من علم، وهو ليس مجرد تقديرات كالعصور الجيولوجية.

وبعض السلف يقول إن الدُّسر التي تلاصق بين ألواح سفينة نوح هي مسامير الحديد، وعليه يكون ما يزعمه أولئك من تقدم العصر الحجري على العصر الحديدي باطلا، أو على الأقل مجرد ظن أو من تخرصاتهم، ومن تلك التخرصات الظنية زعمهم أن الإنسان مر بمرحلة شيوعية جنسية، وأنه كان يعيش على الصيد، وأنه اكتشف النار مصادفة وأن اكتشاف الزراعة كان صدفة أيضا، وهذا كله قائم على الظنون والاحتمالات، وهو فرع عن زعمهم أن الأصل في الإنسانية هو الشرك.

ولو جاء بصدقه الوحي أو اعتمد على حقائق تاريخية، لكنا أول من يؤمن به.

ومما هو باطل قطعا قولهم إن الأصل في البشرية هو الشرك، وعبادة مظاهر الطبيعة كما سنرى إن شاء الله.

وهذا مبني على ما عرفوه من تاريخ الفراعنة والصابئين، فقد كان قدماء المصريين الفراعنة مشركين يعبدون الكواكب لا سيما "الشعرى" اليمانية، وبنو الأهرام لتكون قبورا لهم كما يُظن، وحرسوها بالجن وعملوا لها طلاسم، وكثيرا ما ظهرت الجن في صورة أفعى الكوبرا "الأيم"، والله تعالى أعلم.

ومن الثابت اليوم أن أصل الحضارة اليونانية، هو حضارة قدماء المصريين، وعليه يكون الغرب مدينا للشرق، ليس فقط في دينه، بل في حضارته.

ويكون الشاعر الغربي الذي قال: "الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان" مخطئ.

وهكذا كلما تقدمت البحوث وتعممت شهدت لصدق هذا الدين، وكان حال الغرب الذي يجري البحوث وينفق عليها، كحال من يستأجر محاميا لإثبات دعوى خصمه.

ومما يدل على قدم الحضارة أن الله تعالى أوحى إلى نبيه نوح أن يصنع

الفلك قبل الطوفان، ثم إنه تعالى علم نبيه داود صناعة الدروع لتقينا السيوف والرماح، فالعلم نعمة منه سبحانه، والحضارة منه أيضا وهو الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

ثانيا: أصل الحضارة البشرية:

أول أصحاب الفكر المادي عند الغرب هو "طاليس"، وقد أخذ "طاليس" و"أفلاطون" و"أرسطو" عن مشركي المصريين وعن زنادقة أهل الكتاب، ثم أخذ عنهم من يسمون "الفلاسفة الإسلاميين" كالكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد، وعلى منهج "الرشدية" سارت الفلسفة الغربية من مدرسية ومثالية وعقلية، ثم ماركسية ووجودية مع تطوير وزيادة فيها، ثم انتشرت مدارس اللامعقول و"الهرمونيطيقا" والسبرانية والعبثية والبنيوية ومدارس ما بعد الحداثة، ولا تنتهي ضلالات الغرب وسبله المختلفة، ولكن لا بد أن يأتي يوم قد بدأت بشائره، يعود الناس فيه إلى الله تعالى، ويعلمون أن الإسلام وحده هو الحق كما فهمه السلف الصالح، لا كما يدعو إليه من يسميهم الغرب "المعتدلين".

وليس من المعتدلين بالطبع محمد مرسي، ورجب طيب أردغان، ومحاضر محمد، وكل من قال إنه لا بد من التحرر من السيطرة الغربية والتبعية للروم.

ويتفق الفلاسفة السائرون على طريقة الصابئة والمجوس، مع المؤرخين للحضارة البشرية على أن الحضارة قديمة، وبعض الباحثين يقول إنها كانت قبل الطوفان وأنها تنسب إلى الهرامسة وأن "هرمس" الهرامسة هو المسمى عند اليهود "أخنوخ"، وعند المسلمين "إدريس"، ويقول شيخ الإسلام إن "هرمس" اسم جنس، أي أنه ليس علما على شخص بعينه، ويقول الصابئة إن نبيهم هو إدريس عليه السلام، ويفيض كتّاب التواريخ في الحديث عنه وعن انجازاته وأعماله، ويذكرون أنه أول من كتب بالقلم، وأول من خط الرمل، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في ذلك أثرا ونسبه لبعض السلف،

وهو أن أول من خط وخاط "إدريس"، وإذا صح ذلك فيكون إدريس هو المقصود بقوله ﷺ: (قد كان نبي من الأنبياء يخط، فمن وافق خطه فذاك)، ويقول الصابئة إنه بشّر بنبي يأتي آخر الزمان، وأن الله أنزل عليه أول كتاب سماوي.

ولا تكاد تقرأ كتابا عن طبقات الحكماء أو الفلاسفة، إلا وجدته يذكر الهرامسة و"آل سقلابيس"، ويقول إن إدريس هو "هرمس"، وهو الذي يسميه المصريون "إمنحوتب" والله أعلم.

ولو صح كلام الصابئة أن نبيهم هو إدريس وأن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة، لقلنا إنهم بدّلوا دينه كما بدل أهل الكتاب من بعدهم، والذي يظهر وأرجِّحه أنا، أن إدريس المذكور في القرآن أحد أنبياء بني إسرائيل، فإما أن من يزعمونه "هرمس" هو إدريسٌ آخر، وإما أن يكون حديث المؤرخين والصابئة غير صحيح، والله أعلم.

والمسألة قابلة للبحث والنقاش، على أن تسمية "أوراني" ثابتة عندهم، أي نوراني بالعربية المبينة، وأن ذكرهم "سقلابيس" تلميذ "هرمس"، وعلمه بالطب مما يؤيد ما أورده ابن تيمية وابن حجر عن بعض العلماء أن أصل الطب هو الوحي، وهو قول ذكره أرسطو أيضا كما في كتابه "سر الأسرار".

ويقول أولئك إن "سقلابيس" هو الذي بنى هرم سقارة، بينما يقول علماء المصريات الغربيون -أو كثير منهم- إن الذي بناه هو "سوسر" والله أعلم.

أما الطب الفرعوني فلا ريب أنه كان متفوقا، وهو في التحنيط مثلا أرقى من الطب الحديث، ومن عجائب أولئك القدماء أنهم بنوا الأهرام ومنها الهرم الأكبر الذي يبلغ وزن حجارته أكثر من عشرين مليون طن!

كما أن المنجمين من قدامى المصريين هم أصل التنجيم في الشرق والغرب، وهم أول من بحث في علم الفلك، إذ كانوا يعبدون الكواكب،

وهم أقدم أمة جعلت أعيادها مرتبطة بالانقلابات الفصلية والبروج الشمسية كأول الميزان وأول الربيع.

والمعروف عن فلاسفة اليونان هو هجرتهم إلى الشرق لاقتباس العلم والحضارة، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنهم هاجروا إلى الشام ليأخذوا عن أهل الكتاب بعد سليمان عليه السلام.

وكان ممن قدم إلى مصر الشاعر "هيردوس" والمؤرخ "هيرودوت" الذي قال: "مصر هبة النيل"، ثم جاء "طاليس" وهو أول الفلاسفة الماديين في القرن السابع قبل الميلاد، وبعده كان "أرسطو" وزير الاسكندر الكبير المقدوني.

وقد ألف الباحث المصري الأستاذ أحمد عثمان كتابا عن كون أصل الحضارة مصري، جعل عنوانه "خرج من مصر".

والباحثون الغربيون أنفسهم يقرون أن أصل المصريين القدامى عرب، وأنهم قدموا من الجزيرة العربية وعبروا بحر القلزم إلى مصر، وهذا يؤيد كلام المقريزي في "الخطط" أن الذين بنوا الأهرام هم قوم عاد، وأن شداد بن عاد هو الذي حمل المسلاّت من مقطع الأقصر إلى مواضعها الحالية، ومن الباحثين الغربيين الذين أيدوا ذلك "والاس بدج".

وقد دلت الأبحاث الحديثة التي يصعب حصرها وكذا الأبحاث التاريخية وما يكتشف من النقوش على ما دل عليه القرآن، من أن مهد الحضارة هو جزيرة العرب، ومنها انتقلت إلى ما بين النهرين ومصر والحبشة، ومن شواهد ذلك أن الصنم "نسر" الذي عبده قوم نوح كما في القرآن، وعبده العرب كما في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، لا يزال محفوظا اليوم في الرياض.

والرحالة الغربيون سمّوا "شبام" مانهاتن الصحراء، وذلك لما فيها من البنايات الشامخة، على أن في اليمن مناطق شامخة أخرى لم أرها مثل كوكبان.

أخيرا أقول لإخواني من علماء ودعاة ووعاظ ومرشدين وخطباء: إنه

مع وجوب الاعتزاز بديننا وبأسبقية حضارتنا في كل ميدان، يجب أن نحذر تسرب العلمانية إلى مجتمعاتنا ونحن لا نشعر، فهي تغيّر جلدها.

وكما أنه ظهر شيوعيات غير شيوعية "ماركس" وثورته الحمراء، ظهر أيضا علمانيات متلونة في العالم الإسلامي لا تعتمد المنهج الصارخ الذي اعتمده "أتاتورك"، وهو منهج إجباري متسرع أدى إلى نتيجة عكسية، بل تعتمد المنهج التدريجي البطيء والتغيير القِيَمي بعيد المدى، حيث يقول متبعو هذا المنهج إن الكبار يموتون بتقاليدهم، ويراهنون على أن الجيل التالي سيكون جيلا يضع شهواته فوق كل اعتبار، ويرى أن من الواجب إعادة النظر في كل الموروث الثقافي، وبذلك تكون العلمانية الطوعية الجديدة، مع بقاء المجتمعات تحسب أنها على شيء، ما دامت الأسماء إسلامية وبعض الشعارات إسلامية.

- مهد الحضارة العالمية:

السؤال عن مهد الحضارة العالمية سؤال ملحّ يصادف الباحثين باستمرار ويحار فيه المؤرخون، ويترتب عليه معرفة أشياء كثيرة منها (كيف نشأ الفكر الإنساني وتطور؟).

وعند المسلمين طرف من الجواب استنباطا من كتاب الله، فالله تعالى أظهر فضل ابينا آدم بالعلم وعلمه الأسماء كلها، ثم أرسل الرسل لهداية الخلق لما انحرفوا ووقعوا في الشرك، وأولهم نوح عليه السلام الذي في عهده كان الطوفان، ثم إن السفينة استقرت على الجودي.

ثم إن العرب عبدوا أصنام قوم نوح نفسها، ولا يمنع أن تكون بلاد الرافدين آنذاك تابعة لجزيرة العرب، أو أن جبل الجودي في جزيرة العرب، ثم إن أهل العراق سموا باسمه الجبل المعروف، والله أعلم.

والعلم البشري محدود وغاية ما عرفه الناس في هذا العصر هو الحضارات التي ذكرها "توينبي"، وهي إحدى وعشرون حضارة، مع أن

الرسول ﷺ قال: (أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله)، رواه الإمام أحمد والترمذي، وله إسناد على شرط مسلم كما قال الأرناؤط.

وفي جزيرة العرب بيت الله المحرم الذي هو مركز الدنيا، كما أن لها خصائص فريدة منها ما قرره علماء الهيئة وابن تيمية وابن خلدون، من وقوعها في الإقليم الرابع الذي هو أفضل الأقاليم، والباحثون المتجردون اليوم يقولون إن مركز العالم هو مكة شرفها الله.

وفيها بعث الله أشرف رسله محمد ﷺ، ومنه اختار الله أفضل الأصحاب، وبلغتها أنزل الله كتابه، فكيف لا تكون هي مهد الحضارة وبلد التوحيد ومنبع العلم.

فلا تنظر إلى من ضل وجعل لها ماخورا، بل ربما لو كان له الأمر لجعلها كلها ماخورا أو (حماما) للسواح الأجانب.

- مهد الحضارة الغربية (أوروبا):

أوروبا هي في الحقيقة أصغر من أن تسمى قارة، فهي شبه جزيرة في غرب قارة أسيا، وبعض الدول الآسيوية أكبر منها، وشبه جزيرة العرب مثلا أكبر من القسم المتقدم منها.

وكانت الأساطير الرومية، تعتقد بوجود عالم سفلي مظلم تسميه "أوروبا" ثم استعارت الكلمة لتلك البلاد، فسمتها "أوروبا" أي البلاد المظلمة السفلية، وفي عصر النهضة الأوربية أو غيره افتعل الغرب أصوله اليونانية، وادعى أن عرقه الآري هو العرق المتحضر الوحيد، وأن العلم غربي أصلاً ومنشأ، وجحد كل فضيلة لدى الآخرين، أي أنه مارس عملية إسقاط نفسي بامتياز، ولكي يحصِّن الملكيون النصارى شعوب المنطقة من الإسلام "دين الفطرة" الذي امتد شرقًا وغربًا في مدة وجيزة، قالوا إنه لم ينتشر إلا بالسيف والإكراه، وإلا فالناس في الحقيقة نصارى يؤلهون يسوع ويدينون بالتثليث! وما الإسلام إلا هرطقة إسماعيلية، يجب القضاء عليها! وكل ما عند المسلمين

من علم فهو في نظر الغربيين إنما هو علم إغريقي نقلوه وترجموه إلى العربية، وما الفتوحات الإسلامية عندهم إلا نسخة جديدة من الغزو البربري لروما سنة (٤١٠).

وقالوا إنما تقدم العلم بفضل اكتشاف "بيكون" للعلم التجريبي القائم على الحس والملاحظة، وليس على الاستنباط الذهني المجرد، الذي قال به "أرسطو"، وتبعه فيه العرب! وتتبع النصارى الصفات التي أسبغها الباطنيون على إمامهم، فجعلوها صفات للبابا وتكلَّفوا إرجاعها إلى أصول إنجيلية بحتة.

ولأن الغرب -كالعادة- يعترف بالجميل لأهله في نظرهم- فإنه يعترف بالفضائل التي أسداها الملوك الكاثوليك على شبه جزيرة "إيبريا" "الأندلس" بإرجاعها إلى حظيرة النصرانية أثناء حرب الاسترداد وطرْد المسلمين إلى بلادهم في إفريقيا!.

وقد أوصى مجمع "كليرمونت" بشن حرب مقدسة على الكفار الوثنيين الذين ينكرون ألوهية "يسوع" ويعبدون الحجرين الأبيض والأسود؟ ويعتقدون كما يقول قرآنهم إن إبليس باض ثلاثة بيضات خرج النصارى من إحداها.

أما نبيهم "ماهوت" فهو قسيس هارب أراد تولي منصب البابا، ولكن الكنيسة رفضت ذلك فأنشأ دينا جديدا سماه "الإسلام".

ودنس هؤلاء الوثنيون مهد المسيح منذ أن دخله خليفتهم عمر بن الخطاب ومنعوا الحج إليه!

ولما رأى بطريرك القدس آنذاك "صفرونيوس" عمر يدخل القدس قال: "هذه رجسة الخراب التي أخبر عنها دانيال وحذر منها يسوع"!!.

وبناء على قرارات مجمع "كلير مونت" والخطب النارية لــ"بطرس" الناسك، قامت الحملات الصليبية المتتابعة.

أقول: بمثل هذا المنطق المعكوس والتاريخ المزيف، جاء الصليبيون إلى بلاد المسلمين وارتكبوا الفظائع الوحشية التي تقشعر لها الأبدان، وقتلوا في

القدس وحدها سبعين ألفا حتى غاصت خيولهم في الدماء إلى الركب، عدا الشيّ على الأسياخ الذي تحدث عنه بعض البيزنطيين وكذا غلي القدور.

وإلى هنا كل شيء طبيعي عند أولئك الوحوش، غير أنهم صدموا صدمة كبرى، حين أبصروا ما في مدينة إسلامية صغيرة كمعرة النعمان من كتب، وكيف أن المسلمين صغيرهم وكبيرهم يقرؤون كتابهم المقدس بأنفسهم دون وصاية من أحد، وكيف أن في وسع المذنب من المسلمين أن يتوب إلى الله وحده، دون الاعتراف بالذنب لأي مخلوق!

وذهلوا حين شاهدوا أمورا كثيرة تخالف ما اعتادوا عليه في بلادهم، ومن ذلك الاستحمام الذي عرفوه لأول مرة في تاريخهم، كما عرفوا الاستحداد وسلموا نساءهم للمسلمين، لكي يزيلوا عنهن الشعر الذي على فروجهن، كما تحدث أسامة بن منقذ عن تجربته الخاصة في ذلك في كتابه "الاعتبار"، فتكونت بذلك طفولتهم وانتابهم لأول مرة الاحساس بأنهم أمة، ولكنها أمة متخلفة بالنسبة لهذا التقدم والرقي عند أعداء المسيح الكفار!! ومن عادة الأمة أنها لا تنسى أحداث الطفولة كما لا ينساها أي طفل! وعند تشكُّل "الذات" الأوروبية هذا لأول مرة استيقن الغرب أن له عدوا لدودا لابد من القضاء عليه ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩]، وهذا العدو هو مقلوب الحضارة الغربية، وأخيرا طردهم المسلمون وانتصر عليهم صلاح الدين الأيوبي.

لقد كان درسا قاسيا للغرب ولكنه أفاد منه كثيرا، لا سيما في جانبين:

الأول: ألا يحمل صلبانه مرة ثانية بل يجعلها في قلبه، وإن نضحت بذلك عبارات صادرة عن بعض كبارهم عجزوا عن إخفاء ما في صدورهم من الغل، مثل قول الجنرال الإنجليزي "اللنبي" لما دخل القدس في الحرب الأولى: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، وقول الجنرال "غورو" الفرنسي لما دخل دمشق: "قم يا صلاح الدين ها نحن قد عدنا".

الثاني: أن الوسيلة لكي يؤمن المسلمون بالنصرانية هي أن يسلك

الصليبيون طريق الغزو غير المباشر للمسلمين، الذين إذا أثيرت غيرتهم الدينية انقلبوا مقاتلين من الطراز الأول.

وفعلا قدم أولئك النصارى بغير صلبان في حملة "نابليون" ثم في الاستعمار الحديث.

ويزعم الممسوخون من العلمانيين أن حملة "نابليون" كانت فجر النهضة الحديثة، وأن هزيمته لم تكن على يد أحمد باشا الجزار، أو الطالب الأزهري سلمان الحلبي الذي قتل القائد العام "كليبر" إثر عودة "نابليون" إلى أوربا، ويقولون إن هزيمته إنما كانت بسبب الهجوم الذي قام به الأسطول الإنجليزي بقيادة "نلسن" على الأسطول الفرنسي الرابض في أبي قير.

ويقول الغربيون إن المصريين ينفرون من الاستعمار "الاسترقاق" لا سيما بعد أن دخل "نابليون" الأزهر، وأفتى بعض الشيوخ الأزهريين بأن الفرنسيين طبائعية إباحية، وأسلم أحد القادة الفرنسيين، وسمى نفسه "عبد الله"، وباءت محاولة "نابليون" السخرية منهم وادعاء الإسلام بالفشل.

وإنفاذا للفائدة الثانية شرع "ريموندلول" ومدرسته في تعلم اللغة العربية، الأمر الذي نشأ عنه الاستشراق، ثم مراكز البحث وخزانات الفكر في هذا العصر.

وترجم "جورج سيل" معاني القرآن الكريم ترجمة توافق هوى القوم وما كانوا يعتقدون.

ولأنه لا يقطع الشجرة كما قال "لويس التاسع" الذي هزمه المصريون وسجنوه في دار ابن لقمان "إلا أحد أغصانها"، فلابد من المنافقين والجواسيس لمقدمة الفكر الغربي.

واختلس أكبر مفكري النصرانية في العصر القديم "توما الأكويني" ما كان كتبه ابن سينا والفارابي وابن رشد، من حجج رأوها على إثبات وجود الصانع كما أسموه، وضمّنها "توما" كتابه "الخلاصة اللاهوتية ضد الكفار" وظل الغرب حتى يومنا هذا عالة على كثير مما أبدعه المسلمون مع الجحود

الكامل لأي أثر إسلامي، ونسبة كل شيء إلى الغرب وحده، ابتداء من الإغريق ومرورا بالروم، وانتهاء بالغرب الحديث المعاصر.

وهكذا أنشأ الغرب حضارته اعتمادا على أصلين كبيرين:

١- العلم الطبيعي المنقول عن الفلاسفة المنتسبين للإسلام وعن علماء المسلمين.

٢- الإصلاح الديني المنسوب لـ"مارتن لوثر"، والذي تعود جذوره إلى حركة تحطيم الصور والتماثيل في الدولة البيزنطية المتأثرة بالمد الإسلامي العظيم.

وليس هذا الإصلاح خاصًا بظهور البروتستانتية لأول مرة؛ بل شمل كذلك ما سمي الإصلاح الكاثوليكي.

ومع أن ابن الهيثم عدل الأخطاء التي وقع فيها "أرسطو" وفلاسفة اليونان، وعلى تصويبات ابن الهيثم في البصريات استطاع الغرب أن يصنع النظارات، فإن الغرب نسب كلام ابن الهيثم إلى "جون ويلسون" الإنجليزي.

ومع أن المسلمين كانوا يعتقدون وبدون ضجة أن الشمس أكبر من الأرض، نسب الغرب ذلك إلى القسيس البولندي "كوبر نيكوس"!.

وكان الروم يستخدمون الأرقام المسماة الرومانية، وهي أشكال بدائية تشابه أصابع اليد، والأربعة عندهم هي خمسة ناقص واحد، ولم يكن الغربيون يعرفون "الصفر" فضلا عن الكسور العشرية والبسط والمقام والكسور الاعتيادية حتى تعلموا من المسلمين ما سموه "الأرقام العربية"، التي لا تزال عندهم إلى اليوم، وقل مثل ذلك في العلوم والطب والفلك وغيرها كما سيأتي توضيحه إن شاء الله.

وقد سبق المسلمون "إسحاق نيوتن" إلى علم الحركة حيث كتب ابن باجة وأبو حمزة البغدادي ذلك قبل "نيوتن" بقرون، بل إن نظريته عن الجاذبية قد تحدث عنها جعفر بن موسى وأبو الفتح الخزيني "أو الخازني".

وإذا عرف الباحث المتجرد أن العلم الذي يفاخر به الغرب اليوم له

جذور إسلامية سرقها الغربيون من المسلمين دون إشارة، عرف عظيم الكارثة التي يريد الليبراليون وأشباههم أن يجرونا إليها، حين يدعوننا إلى سلوك طريق الغرب ومنهجه واستمداد الثقافة منه!!.

والمسلمون هم أول من فكر تفكيرا إنسانيا عاما، فقد تحدث ابن تيمية عن القيم المشتركة بين كل الأمم، كما في "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح".

وكان لهم السبق جغرافيا أيضا بالخرائط العثمانية الدقيقة التي وضعها الريّس "محمد بيري" وأثبتت صحتها الأقمار الصناعية الأمريكية.

وانظر لما قاله الامبراطور البيزنطي المعاصر للسلطان محمد الفاتح، الذي سمع كثيرا عن عدل العثمانيين، وقيل له عند حصار القسطنطينية "ألا تستنجد بالبابا؟" فقال: "كلا، لأن أرى العمائم العثمانية أحب إلي من أن أرى الصلبان البابوية"!!

وهذا غير ما عرفه المسلمون مبكراً مثل الساعات الحائطية التي كانت معروفة ببغداد، والتكييف عن طريق الجدران، والبريد، والورق، والأساليب الزراعية المتطورة، وفن الهندسة المعمارية لا سيما الأسقف والقناطر والأنفاق، وكذا التطوير الذي أحدثه المسلمون للبارود، الذي كان الصينيون قد عرفوه، وكذلك المدافع التي يذكر الأساقفة الغربيون أنفسهم أن المسلمين استخدموها في الأندلس وعين جالوت، وأمثال ذلك من الاختراعات التي يدين الغرب بالفضل فيها للمسلمين، ومع هذا كله فقد فرح النصارى بانتصارات الوثني المجوسي "جنكيز خان" على المسلمين، وتحالفوا مع "هولاكو"، ولا يزال الرئيس الأمريكي في هذا العصر يستقبل "الدالاي لاما" ويطالب بحق البوذيين في الاستقلال عن الصين، وإنشاء دولة لهم في "التبت"، مع أن الدالاي لاما يدعي الألوهية وأنه تجسيد لبوذا وأمثال ذلك من الخرافات.

بينما لا يذكر الرئيس المسلمين في تركستان، وكيف يرغمهم الصينيون

على الإفطار في رمضان ويجبروهم على تحديد النسل، ويجعلون جائزة نقدية لمن يخبرهم عن أي رجل ملتحٍ أو امرأة محجبة، ويسكت ذلك الرئيس المؤمن بالديمقراطية عن مآسي المسلمين في بورما، وعن حرمانهم حتى من الدخول في الانتخابات! ولكن لا غرابة إذا علمنا أن الكفر ملة واحدة، وأن بعضهم أولياء بعض، وأن أهل الكتاب شهدوا أن المشركين الجاهليين أهدى من الذين آمنوا سبيلا!

ويفخر الغرب بأنه حرر الرقيق وألغى الرق، ويتجاهل أن ذلك مع أنه لم يكن بدافع إنساني بل بدافع اقتصادي، إنما هو بعض التكفير عن الإثم الذي احتقبه باصطياده لذوي البشرة السوداء، والزعم بأنهم عبيد، حتى من كان منهم سلطانا لدولة أو شيخا لقبيلة، وكيف أن ديمقراطيتهم جعلت الحاكم النصراني يفرض دينه وقانونه على شعبٍ ٩٥% من أهله مسلمون وربما ٩٨%، وكان الذي حرر العبيد هو إبراهيمً لينكولن، وهو من أصول إسلامية أندلسية.

هؤلاء المصطادون قدَّرهم الباحث الفرنسي البروفيسور "تزفيان" بمائة مليون إنسان، وكتب عنهم الكاتب الأمريكي "ألبرت كان" كما في كتابه "مصرع الديمقراطية"، وذكرت بعض مأساهم الكاتبة الأمريكية "هارييت ستو" في كتابها "كوخ العم توم"، وكذا الكاتب الأمريكي "ريتشارد وايت"، وكان المالك السيد "الكاوبوي" يقطع أقدامهم ليعملوا له في مزارع القطن ولا يستطيعون الهروب، قارن هذه المعاملة غير الإنسانية بقوله ﷺ: (إخوانكم خولكم)، ووصيته بأن يطعمهم المالك مما يأكل ويكسوهم مما يلبس، مع أنهم أرقاء بالفعل وليسوا أحرارا اصطادهم الغربيون بزعم تعليمهم الحضارة والتقدم والرقي!

وكانت وصيته ﷺ لما حضرته الوفاة (الصلاة وما ملكت أيمانكم)!

وكيف أن عمر بن الخطاب جعل بلال سيدا له حين قال: "أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا".

ولما تنازل "تشرشل" لـــ"روزفلت" ورثت الامبراطورية الأمريكية أختَها البريطانيةَ، واستخدم الاستعمار الأمريكي الجديد كلا نوعي القوة: أ- القوة الخشنة أو الصلبة، كما حدث في الصومال وأفغانستان والعراق وفيتنام وأمريكا الجنوبية تجديدا للحروب الصليبية الأولى، ب- القوة الناعمة كما عملوا في جزيرة العرب ومصر والشمال الإفريقي وكثير من الدول، ولهذه القوة جيوش كثيرة منها: هيئة الأمم المتحدة ومنها المجتمع الدولي، ومنها ما يسمى العالم المتحضر، ومنها البنك الدولي والشركات العابرة للحدود، وأمثال ذلك مما تسميه الشعوب الخاضعة للاستعمار الجديد "استثمارا أجنبيا" يقضي في نظرها على البطالة ويساعد على التنمية!

وأصبح أكبر هم تلك الشعوب المسماة "نامية" ليس دفع الديون نفسها، بل دفع فوائد الديون، وإنتاج المواد الخام التي يرغبها السادة المستهلكون، حتى أن أمريكا فرضت على الدول النفطية تصدير النفط خاما، ولما حاصرت السودان لم تستثن إلا الصمغ الخام لشدة حاجة الشركات الأمريكية الصناعية إليه، وقس على ذلك كثيرا من المعادن والثروات.

وبهذه الطريقة الذكية تمت الاغتيالات الاقتصادية ونجح القراصنة الجدد ولكن الله من ورائهم محيط.

ونتج عن ذلك سباق التسلح المحموم، وكلما أنتجت مصانع السلاح الغربية سلاحا أكثر تطورا باعت القديم أو أجّرته للمستعمرات، والدولة الوحيدة التي يحق لها أن ترد القديم وتستبدل به الجديد هي إسرائيل، وباعتراف الأمم المتحدة نفسها أصبح ٥% من سكان العالم ينهبون أكثر من ٩٠% من ثرواته، وأصبحت نفقات السلاح أكثر من نفقات الغذاء.

وأصبح ثمانية فقط من السوبر أغنياء يملكون ما يعادل ثروة النصف الإنساني الفقير كله.

أما دول الخليج فهي مجرد "كيس نقود" أو خزينة تأخذ منها أمريكا عند الطلب!

ولكي يفوز أي رئيس أمريكي في الانتخابات لا بد أن يبشر الأمريكيين بالتحسن الاقتصادي الذي من روافده عطايا الأعراب، مثلما بشرهم "دونالد ترامب" بعد عقوده الهائلة في الرياض بالوظائف ثم الوظائف ثم الوظائف.

وفي حين يفخر بعض المنافقين بأن قانون "الإعارة والتأجير" الأمريكي يشملهم، وضع الأمريكيون مشروع "مارشال" لإعادة إعمار أوروبا وتخليصها من دمار الحرب العالمية الثانية، وحول الألمان واليابانيون مدخراتهم من قروض للبنوك إلى البناء من جديد، وسرعان ما ازدهر اقتصاد الدولتين.

أما الحرب الأمريكية على العراق فقد أثبتت فيما أثبتت أن حكام إيران أحنك وأدهى من الأمريكان؛ حيث استخدموا الجيش الأمريكي في القضاء على خصمهم اللدود صدام حسين، وفي الوقت نفسه اقتحم الإيرانيون الحدود، وفرضوا عملتهم ولغتهم على العراق لا سيما في الجنوب، وأصبحت الصدارة لـــ"قم" وليس للنجف، واستطاعوا احتلال أربع عواصم عربية بعد أن كانوا عاجزين عن احتلال "ديالى" أو "مجنون" فضلا عن بغداد، واستطاعوا إقامة حكومات شيعية موالية لهم في العراق لا سيما حكومتي المالكي والعبادي، وهكذا دمرت الدول الخليجية نفسها، حين دمرت العراق وساعدت أمريكا على حل الجيش العراقي! وقضت على خط الدفاع الأول "سنة العراق".

وثبت أن النمل هم الأمريكان وأن الجنرال الأمريكي "فالون" هو النملة، التي تفوّق عليها الثعلب العجوز "رفسنجاني"، كما أن الأمريكان ضحوا بجيشهم للقضاء على حركة طالبان المعادية لإيران، وفي الوقت نفسه خسروا كل المسلمين لسكوتهم عن تجار المخدرات مقابل صراخهم المرتفع عن مظالم المسلمات اللاتي يرتدين الحجاب في أفغانستان، وكانوا هم الخاسر الأكبر مع أنهم ورطوا معهم دول حلف "الناتو" ودولا عربية، ولا تنظر إلى من تقتله طالبان فقط، بل انظر إلى من يقتله جنود الحكومة الأفغانية الدمية نفسها!

وهكذا جلب الأمريكيون سخط المسلمين وكان لا بد لأوباما أن يغير سياسة القوة الصلبة التي انتهجها بوش" وأدت إلى هذه الكوارث، وأن يأتي بالقوة الناعمة التي ينجذب لسحرها المخدوعون من المسلمين، وزار مصر وألقى فيها خطابه الشهير مفتتحا إياه بالجملة التي يعرفها كل مرتد "السلام عليكم".

ومهما تنكرت أمريكا لشيء،فإنها لا تتنكر أبدا للمناهج الإسرائيلية التي تقول إن العرب إذا أرادوا الاستحمام يبصقون في أيديهم ثم يدلكون أجسادهم.

هذا والمفكرون الأمريكيون يتوقعون لأمريكا الدمار، وبعضهم يقول إن أزمتها مثل أزمة اليونان، والمفكرون الأوربيون أنفسهم يتوقعون لأوروبا انهيارا قادما.

واليوم نجد اليونان وإسبانيا وغيرها تعاني من الأزمات الاقتصادية والسياسية العنيفة، كما أن الاتحاد الأوروبي قابل للانهيار، وقد خرجت منه بريطانيا وسوف يخرج غيرها، والفرنسيون يعانون من أزمات متلاحقة، واضطرابات، وأعمال شغب، ومظاهرات، وسخط على الحكومة.

وأكثر الاقتصاديات الغربية تماسكا هو الاقتصاد الألماني، ومع ذلك تجد في ألمانيا اضطرابات داخلية، مع تحملها لمشاكل بقية دول الاتحاد الاقتصادية، وينتشر في ألمانيا الاتجاه اليميني الذي يسمونه "الشعبوي"، وهو نوع جديد من الشعوبية الصريحة في عداوتها للإسلام.

وفي أوروبا استقطاب حاد بين اليمين المتطرف واليسار المتطرف، وهذا الواقع يصحح قول "رامسفيلد" عنها "القارة العجوز"، غير أن الانهيار نفسه يواجه أمريكا اليوم.

وليس هناك تناغم بين المجموعات الأوروبية الكثيرة، كالبرلمان الأوروبي، والمجلس الأوروبي لكذا، فضلا عن الوحدة العامة التي يطمح إليها الاتحاد الأوروبي، و"اليورو" في هبوط، وكثير من دول الاتحاد الأوروبي تقول

إن كونها منفردة أفضل من الاتحاد الأوروبي، مع ما في أوروبا الصليبية من انقسامات داخلية ومعاملة سيئة للاجئين تقض مضاجع المنظمات الحقوقية، لا سيما وأن الأوروبيين يغرقون اللاجئين في البحر، والسياسة الأوروبية مناقضة لما يرفعونه من الشعارات، ولذلك يصدق فيهم ما يقوله عنهم الرئيس السوداني والرئيس التركي، والمجاهدون في فلسطين وبلاد الشام عامة وفي العراق وفي كل بلد مسلم.

وأوروبا حائرة بين إيمانها المزعوم بحقوق الإنسان وحرية التدين، وبين محاربة ما يسمى "الإرهاب" وإدماج المسلمين في المجتمعات الأوروبية!

وهي تدفع فاتورة الظلم الأمريكي لشعوب الشرق والشعوب الأفريقية، وتشكو من تدفق سكان مستعمراتها السابقة إليها، وتعاني ما يعانيه الأمريكان من آفات الحضارة العلمانية، كالعنصرية، وشرب المسكرات، وتعاطي المخدرات، والانتحار، والأمراض العصبية، والتعري، والدياثة، والقلق، واليأس، والعدمية أو العبثية، وانتشار أفكار اللامعقول، والنظريات الغريبة، وهكذا من أعرض عن ذكر الله لا بد له من المعيشة الضنك.

وهذا غير التضاريس الأوروبية القاسية، والموقع الجغرافي السيئ، وغير الظروف المناخية المتقلبة، والرعب الدائم، والجفاف القادم، والأحزاب المتعارضة والفلسفات المتناقضة.

فمع أن أوروبا من أصغر قارات العالم نجدها من أقسى البيئات في العالم أيضا، ففي شتائها تتجمد الأنهار والبحيرات، ثم تتحول في ربيعها إلى مستنقعات وفيها جبال شاهقة وتضاريس صعبة.

وفيها تفكك لغوي وعرقي واضح.

وخريطتها أكثر خريطة في العالم تغيرا.

وفيها قامت الحربان العالميتان.

وفيها النظريات المتناقضة والمذاهب المتناحرة.

وفيها الجهل المطبق والخرافات الشائعة.

وفيها الدياثة والتعري والانحطاط.

وكل أدوائها انتقلت إلى امريكا بل عند الأمريكان ما هو أعظم، وكما انهارت الامبراطورية الرومانية واضمحلت، سوف تنهار الامبراطورية الأمريكية وتضمحل، لا سيما بعد أن أصبحت أمريكا تشرّع الخبائث، بل إن الأمريكان يتفوقون في الفحش على قوم لوط، فقد كان قوم لوط يأتون في ناديهم المنكر فطوَّر ذلك الأمريكان، وأصبحوا أكثر تقدما في الفاحشة من قوم لوط، إذ يوجد في أمريكا نوادٍ للعراة، ومع كونهم عراة يرتكبون كل الفواحش.

وكان قدماء المجوس في الهند والصين، ثم بعض الصوفية في العصر الإسلامي، سذَّجا يأخذون الحشيش من الطبيعة، ولكن التقدم الحديث والتكنولوجيا الأمريكية تتفنن في إنتاج المخدرات، فصنعت منها الحبوب والإبر وغيرها، بل اكتشفوا أنواعا من المخدرات أشد من الحشيش، وأصبحت عصابات المخدرات في بعض الدول أكثر تنظيما من الجيش الحكومي.

وهكذا كان لا بد للغرب من حرب صليبية عنصرية، وافتعال أسس فكرية لحضارته المنهارة.

وأهم الأسس الفكرية التي يدعيها الغرب لحضارته:

١. التنوير.
٢. الديمقراطية.
٣. الحرية (حرية الكلمة، حرية التعبير والرأي، الحرية الإعلامية).
٤. حقوق الإنسان.
٥. التعددية والتسامح الديني.
٦. المساواة (بين الشعوب وبين الجنسين).

ومع أن الفصول الداخلية للكتاب تتضمن ما هو حق وما هو باطل من هذه الأسس، فإن الغرب مرّ بأسس أخرى يتناساها، ولكن التاريخ لن

ينساها ومنها:

١. الحروب الدينية.
٢. التنوير المظلم!
٣. الاستعمار.
٤. العنصرية.
٥. مركزية النظرة.
٦. (الإسلامو فوبيا).
٧. خطف من يسمون العبيد واسترقاق السود.

الحرب الصليبية الثانية:

لم تبدأ الحروب الصليبية مع الحملات الصليبية المتتابعة في القرن الخامس الهجري فقط، بل منذ بزوغ شمس الإسلام، فإن ملك غسان الذي ولاه ملك الروم كاتب كعب بن مالك، كما هو معلوم، وكان الروم مؤيدين للمنافقين الذين بنوا مسجد الضرار ليكون وكرا لهم.

وكان هرقل نصيرا للنصارى في معركة مؤتة، وجهز النبي ﷺ جيش العسرة لمحاربة الروم، ثم أمر عند موته بإنفاذ جيش أسامة إلى الشام، وقد كان عقد لواءه قبل وفاته، وعيَّن أسامة بن زيد أميرا له ليأخذ بثأر أبيه الذي استشهد في مؤتة، وفي أيام عمر رضي الله تعالى عنه، فر أحد ملوك غسان إلى الامبراطور البيزنطي الرومي.

وليست العداوة الأمريكية للإسلام جديدة ابتدأها كلينتون أو بوش، وأظهرها "دونالد ترامب"، ولكن الشركات الغربية التي أكثر ما يملكها اليهود، تغير الخطة، وقد تُغير الرئيسَ الأمريكي إن لزم الأمر.

واليوم تعم الغرب موجة صليبية يسمونها "الإسلاموفوبيا"، وهي مرض نفسي يصح تسميته بالهوس الاكتئابي، وهذه "الإسلاموفوبيا" ليست عقلانية على الاطلاق، والحل عند الغربيين هو منع المسلمين من الهجرة إلى الغرب،

والعمل على دمجهم في المجتمعات الغربية، ذلك الدمج الذي يعني تخلي المسلم كليا عن دينه، وتحوله إلى نصراني أو علماني، أو ملحد، ويعني أن عليه أن يزني وأن يشرب الخمر ويتزوج غربية أو تتزوج المسلمة من الكافر، وأن على المؤمنة أن تخلع الحجاب، وألا تغطي شعر رأسها، كما على المسلمين أن يجتنبوا بناء المساجد، أو قراءة القرآن، أو إنشاء المراكز الإسلامية، أما دعوى التعددية، ونبذ خطاب الكراهية، وحق الإنسان في أن يتدين بما شاء، والتسامح الديني والعلمانية وأمثال ذلك، فهي مجرد شعارات تنادي بها المنظمات الحقوقية ذات الصفة غير الإلزامية، فلا تحقِّق ولا تحكم ولا تلزم أي حكومة أو فرد بأي قرار، بل كثيرا ما سمعنا الرد عليها وأن تقاريرها مسيَّسة وآراءها متحيزة وأمثال ذلك.

وهكذا تتبخر الشعارات، حين يصطدم المسلم بالواقع المؤلم، والعنصرية الجاهلية لدى الغرب التي لا يسلم منها أي ملوّن، إذ لا يؤمن الغرب إلا بلونين اثنين: لون أشقر معتدل متقدم، يمثله البيض، ولون غير ذلك وهو متأخر بربري شرقي عموما، ومسلم خصوصا، حتى في باريس التي يسميها الليبراليون عاصمة النور لا يتكلم الناس إلا بالفرنسية.

ولا شك أن الغرب مغرور بتقدمه الدنيوي، مع أنه ضال خاسر، قال تعال: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٥].

وينشأ عن ذلك سؤال يرد على كل مسلم "هل يشن الغرب علينا حملة صليبية أخرى"؟.

لا نستعجل الجواب، بل ننظر إلى الواقع سياسيا وفكريًا.

لقد تجمعت لدي شواهد كثيرة على أن الغرب عامة -وأمريكا خاصة- يشن علينا حربا صليبية جديدة بصراحة، أو متسترة بأسماء أخرى، غير أني لم أقرر ذلك من كلامي أو من كلام المفكرين الغربيين أنفسهم، حتى لا يقول

الليبراليون إني متحامل أو انتقائي -معاذ الله-، أو أنني أدافع عن الإرهاب.

فقبل وجود تنظيم القاعدة، فضلا عن تنظيم الدولة الإسلامية المسمى إعلاميا "داعش" كان الغرب قد تحدث عن أسباب عداوته للإسلام، واستخدامه أي وسيلة لذلك لا سيما القوة المادية التي يتكئ عليها الغرب، ولا ينكرها أحد، ولكن كيف يستخدم الغرب هذه القوة، أو كيف عبر الفلاسفة الغربيون عن ذلك؟

يقول الانجليزي "جود": "نحن نستخدم قوة العفاريت بعقول الأطفال"، أي أن الغرب كما يقول أهل مكة "غشيم ومتعافي"، أو مثل الديناصور ضخم الجثة ولكن مخه في حجم الليمونة.

فليست مشكلة الغرب هي الضعف المادي، ولكنها سوء التوجيه والاستخدام، إذ يقوم على القوة سياسيون لديهم قدر كبير من الحماقة وسوء التصرف.

وربما كان أشهر من استخدم عبارة "الحملة الصليبية" هم رؤساء أمريكا، فقد استخدمها "ايزنهاور" في حربه على الشيوعية، ثم استخدمها الرئيس "جورج ووكر بوش" في حربه على الإسلام بعد أحداث (٩/١١)، لكنْ قال ناطق باسم إدارته إنها زلة لسان منه، غير أن "بوش" كرر ذلك بعد هذا، انظر مثلا خطابه في الجيش الأمريكي بولاية آلاسكا! وأصبحت زلة اللسان منهجا دائما (لفخامته)، وهذه الحملة الصليبية قديمة لا ترتبط بأحداث ما يسمى ١١ سبتمبر، ومن مظاهرها القديمة من يسميهم الغربيون "شهداء قرطبة"، وهم النصارى الذين كانوا يشتمون الرسول ﷺ في مجامع المسلمين لا سيما مساجدهم!

وقبل أن توجد حركة حماس فضلا عن غيرها كانت أمريكا تهاجم "فتح" ومنظمة التحرير الفلسطينية عامة، أو تصف أعمالها بأنها إرهابية، أما ما تقوم به إسرائيل فهو حق مشروع لأنه كما تقول أمريكا دفاع عن النفس!

واستمر الغرب على هذا المنوال الذي أخبرنا الله تعالى عنه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١]، وهكذا يدل الواقع، فلما اعتدت إسرائيل مثلا على السفينة التركية "مرمرة" بررت أمريكا ذلك، مع أن من بين القتلى شخص أمريكي لكنه من أصل تركي وهو مسلم، أي ليس آريا نصرانيا.

وقبل أحداث (٩/١١) كانت أمريكا قد قتلت النصراني الفلسطيني "أليكس عودة" ظنا منها أنه مسلم، وكذلك الداعية الإسلامي إسماعيل راجي الفاروقي، دع من قتلت من السعوديين قبل وبعد، وكان عملاء المباحث الأمريكية "إف بي آي" في داخل أمريكا يتجسسون على كل مسلم قبل تلك الأحداث ويسجلون مكالماته، حتى إنهم اعترفوا أنهم سجلوا على العريان وحده ٥٠٠ ألف مكالمة، وأراني أخ سوداني في ولاية "كولورادو" سنة ١٩٨٩م كيف أنهم يتجسسون عليه بوضع جهاز في المغسلة، أي أنهم حسب تعبير صائد الجواسيس "بيتر رايت" وضعوا له مكرفونا، وسجلوا على "سامي الحصين" الذي عمه الشيخ "صالح الحصين" مكالمة قبل ١٥ سنة من محاكمته، لعن فيها أمريكا كما يقولون.

مع شواهد كثيرة تدل على أن موجة "الإسلاموفوبيا" قديمة لم تفارقهم قط، وإنما أخرجت أحداث (٩/١١) الجمر من تحت الرماد، هذا إن لم تكن هي مدبَّرة.

والإرهاب عندهم محصور في جبهة جهاد اليهود والصليبيين، وبالذات في تنظيم القاعدة، ولكن القس "تيري جونز" لم يحرق كتابا لأسامة بن لادن في فلوريدا، وإنما أحرق القرآن الكريم ذاته.

وكذلك لم يسم "فالين روفين" أعمال القاعدة "الفاشية القاعدية"، بل سماها الفاشية الإسلامية، وهو اصطلاح دأب الغرب على استعماله لا سيما الرئيس "بوش"، والصور التي نشرتها "جيلان غوستين" الدنماركية أو "شارلي إيبدو" الفرنسية ثم انتشرت في أوروبا وأمريكا وإسرائيل لم تكن صورا تسيء

لأسامة بن لادن، وإنما كانت تسيء لنبي الإسلام صلوات الله وسلامه عليه.

وبالرغم من التصريحات المتكررة لأسامة بن لادن في الإعلام الأمريكي بأنه يجب على أمريكا أن تعدل في القضية الفلسطينية، ولا تتحيز لإسرائيل، فقد وقّع ستون مثقفا أمريكيا على خطاب وجهوه للمثقفين السعوديين يقولون فيه إن دافع الجريمة هو الجريمة ذاتها.

والإرهابيون عند الغرب هم الذين هاجموا "شارلي إيبدو" وهاجموا سينما باريس وقتلوا المخرج الهولندي "ثيوفان غوخ".

والبابا "بندكت السادس عشر" في خطابه في جامعة "ريجينسبورج" لم يهاجم أسامة بن لادن، بل هاجم الإسلام ذاته، وضمَّن خطابه أقوالا للإمبراطور البيزنطي "عمانوئيل" الذي حكم بيزنطة قبل قرون من ولادة أسامة بن لادن، وكذلك فعل "فولتير" قبل أن يُخلق أسامة بن لادن بقرون، فقد كانت رواية "فولتير" الصليبية عنوانها "محمد"، وعاش "فولتير" قبل الثورة الفرنسية في العصر الذي يسمونه عصر التنوير.

وقد قال "برمان هاريس" وهو ملحد مشهور وليس أصوليا: "نحن لا نشن حربا على الإرهاب، بل نقاتل نظاما لاهوتيا مهلكا وتواقا إلى الجنة" أي على الإسلام.

وقد منعت بعض الدول الأوروبية طائرة وزير الخارجية التركي من الهبوط في أراضيها، وعند كل أحد أن الوزير ليس من داعش أو القاعدة ولكنه مسلم يعتقد أن الله واحد.

وكانت أمريكا وراء الانقلاب التركي الذي أطاح بنجم الدين أربكان، وحزب السلامة في تركيا وأوعزت إلى أوليائها في الخليج بإمداد الانقلابيين بالمال ففعلوا، لأن دوافع أمريكا نصرانية وليست إخوانية، كما كانت أمريكا وراء الإعدامات التي قامت بها وكيلتها الشيخة حسينة في بنغلاديش، وكان رجب طيب أردغان هو المستنكر الوحيد لتلك الإعدامات الجائرة التي جاءت بعد يوم واحد فقط من زيارة "كيري" لبنغلاديش.

وفي مقابل تنظيمين إرهابيين في بلاد الإسلام، يوجد في أوروبا أكثر من ألف تنظيم وصل بعضها للحكم، كما يوجد في أمريكا ما لا يقل عن ٤٠٠ تنظيم، وكثير من التنظيمات ميليشيات مسلحة متعصبة.

والرئيس "نيكسون" لم يحذر في كتابه "١٩٩٩ نصر بلا حرب" من الأصولية الداعشية أو القاعدية، بل من الأصولية الإسلامية، وفي كتابه الآخر "انتهزوا الفرصة" قال مثل ذلك.

والقاعدة أنه كلما تعرض المسلمون للنكبة في أي مكان فابحث عن أمريكا وابحث عن المتحكم في السياسة الأمريكية، وابحث عن اللذين يمولون هذه السياسة، وأقدم الرئيس "بوش" على غزو العراق مدعيا أن هناك صلة وثيقة بين صدام حسين وأسامة بن لادن، وأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل يهدد بها جيرانه "عرب النفط"، وتجاهل "بوش" مفتشي الأمم المتحدة في العراق، وأن الأمم المتحدة لم تفوضه بذلك، كما تجاهل أكبر حشد بشري في التاريخ، وهو المظاهرات المليونية الصاخبة التي كانت في أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وأسبانيا، وغيرها، فضلا عن الدول الإسلامية تنديدا بالحرب، ومنعا لوقوعها، فالديمقراطية الأمريكية هي فقط عندما يريدها الرئيس الأمريكي!

واستجاب "بوش" للأصولية الإنجيلية الأمريكية، لا سيما موعظة ما يسمى "الزمالة المسيحية" ومحاربي "ملكوت الله"، وآراء المتطرفين الجمهوريين في ما سمي "حزب الشاي"، وقال إن الله فوضه، وإنه يطبق ما ذكره "حزقيال" وما في سفر "الرؤيا"، وإن صدام حسين هو الآشوري، وإن العراقيين هم يأجوج ومأجوج وشعب الشمال الوارد ذكره في التوراة، غير أن العراقيين تصدوا له بما لم يكن له في الحسبان، وقتلوا من الأمريكان ما قدره بعض قادة الجهاد بخمسين ألفا غير الجرحى، وقد قال أحد أساتذة العلاقات الدولية في جامعة بوسطن إن أمريكا خسرت الآلاف من القتلى والجرحى -دع عنك إحصائيات البنتاجون العنصرية الكاذبة-، وكانت

العمليات ضد جيشه تصل إلى مئة عملية في اليوم الواحد، واشتعل العراق كله ضد الأمريكان و لم يحم ساقة الجيش الأمريكي إلا قوات بدر الشيعية، وهزمت مدينة المآذن "الفلوجة" جيش "بوش" مرتين، أما هيت فحرمت دخوله إليها، وهكذا ما سماه "رامسفيلد" المثلث السني، وكذلك هدف مذكرات "بول بريمر"، وأعلنت أمريكا إحدى عشرة مرة أنها دخلت "أم قصر"، وفي المرة الأخيرة وجد جيش بوش أن فيها ٢٤ جنديا عراقيا فقط.

وجاء بعد "بوش" الرئيس المرتد "باراك حسين أوباما" الذي كان على المسلمين أشد مما كان عليهم "أحمد سيكو توري" في غانا، أي أنه نكل بهم لكي ينفي تهمة الإسلام عن نفسه، وأكد مرارا أنه نصراني، ولكن نسبة كبيرة من الأمريكان ٢٥% يقولون إنه ما يزال مسلما، ولفقوا ما شاءوا عن ولادته وتربيته ونشأته.

وأعلن أنه سوف يسير على غير سياسة بوش الاستعدائية، وفعلا غيَّر سياسة "بوش" إلى الأسوأ داخليا وخارجيا، فقد كان "بوش" يركز على القوة الصلبة، ولكن أوباما زادها سعارا مع زيادة القوة الناعمة.

أما داخليا فقد شرعن قانون المواطنة "باتريوت"، فبعد أن كان انتهاكا لوثيقة الحقوق المدنية أيام "بوش"، وحدًّا من حريات الأمريكيين، أصبح أخلاقيا ومشروعا أيام "أوباما".

وتضاعفت الإسلاموفوبيا في عهد "أوباما" وزاد حدها في أمريكا والغرب.

ونكث "أوباما" بوعده إغلاق معتقل "غوانتنامو"، وجعل من حق المباحث أن تتنصت على من تشاء بدون حكم قضائي.

ومهد أوباما لمن يأتي بعده بأن تم في عهده بناء حوالي ثلث الجدار مع المكسيك، والباقي أسوار من الأسلاك الشائكة.

وفي عهده ازدادت المساعدات الأمريكية لإسرائيل فبلغت ٣٨ مليون دولار، غير أن إسرائيل لم تشبع ولن تشبع، فوقع خلاف تكتيكي بين

"نتنياهو" و"أوباما"!

واستحدث "أوباما" ما سماه "الإرهابي المحتمل"، واستحدث الأدلة السرية، واستحدث نقل السجناء من "غوانتنامو" إلى دول تجيز قوانينها التعذيب، وتطيل في المدة بحسب أهواء الحاكمين، وكم من سجين غادر غوانتنامو بعد انتهاء محكوميته لكن الحكومات الموالية لأمريكا سجنته طويلا.

وأنشأ أوباما السجون السرية حتى لا يطالبه أحد بإغلاقها، وحتى لا تخضع للقضاء، ولما زار القاهرة قال العبارة التي يعرفها كل مرتد "السلام عليكم"، فخدر بها الذين يغرقون في شبر من الماء ويسكرون من زبيبة كما يقال.

وابتهج لأن أمريكا أنتجت النفط الصخري وقال: الآن نستغني عن النفط الأجنبي!

وربما كانت الإيجابية الوحيدة له عند الأمريكان، أنه استنقذ الجيش الأمريكي من جحيم العراق، ومن العنف الذي شكاه جنرالات الجيش الجويين والبحريين لرئيس لجنة القوات الأمريكية بالكونجرس "مارك تورمبي"، وطالبوا بنفقات أكبر، وأكدوا ضرورة إقفال بعض القواعد العسكرية الداخلية، وقد ذكر القادة أيضا أن الطلعات الجوية ضئيلة، وأن الجاهزية ضعيفة.

واستمرت مواعظ العم سام ودروسه، وتقارير وزارة الخارجية الأمريكية عن انتهاكات حقوق الإنسان وعن التضييق على الأقليات والحد من حريتها الدينية في بلاد المسلمين.

وأما خارجيا فقد شملت غزوات "أوباما" سبع دول، وهجماته بطائرات بدون طيار تضاعفت ثماني مرات عن أيام "بوش" وازدادت عداوته للأتراك عما كانت عليه أيام "بوش" اعتمادا على أن البرلمان التركي رفض أن يستخدم الجيش الأمريكي أيام "بوش" أي ميناء أو قاعدة تركية للهجوم على العراق كقاعدة "انجرليك"، وتركيا هي الدولة الوحيدة التي رفضت ذلك مع

أنها عضو في حلف الناتو، واستنكر أوباما الخطوات التي قام بها حزب العدالة في تركيا، واستمر في إيواء "فتح الله غولن" الذي قال: إنه كان يجب على مرسلي السفينة التركية "مرمرة" استئذان إسرائيل.

وأوعز "أوباما" إلى أوليائه في أوروبا أن لا تدخل تركيا "القلعة الأوروبية" لأنها مسلمة وأوروبا نصرانية، وحسب تعريف الكاتب الأمريكي "جون فيفر" "أصبحت تركيا العدو اللدود للإسلاموفوبيين الساعين إلى إنقاذ الحضارة الغربية".

وهاجم "أوباما" القبائل العزل في "وزيرستان" و"وادي سوات"، وغيّر اسم العدوان أيام "بوش" الذي كان دفاعا عن الأمن القومي الأمريكي .. إلخ إلى "عمليات الطوارئ في الخارج"، واغتال أسامة بن لادن بدون إذن حتى من الحكومة الباكستانية التي كان الاغتيال على أرضها، وأنقذ الجيش الأمريكي من كارثة احتلال العراق واستبقى على ما يشاء من القواعد الأمريكية المحصنة فيه، مع بعض الجنرالات الذين سماهم مستشارين وخبراء يساعدون الجيش العراقي الذي يتزعمه وكيله العبادي، أي كما غيَّر "بوش" الأب اسم القساوسة في السعودية إلى مستشارين روحيين، وأوكل "أوباما" المهمة العسكرية إلى رافضة العراق فقاموا بما لا يخفى على أحد من القتل والتهجير والتغيير الديمغرافي الشامل.

وفي أيامه ظهر تنظيم الدولة الإسلامية الذي أصبحت القاعدة إلى جانبه حملا وديعا، تقول "هيلاري كلينتون": إن أمريكا هي التي أوجدته، أما خصمها "دونالد ترامب" فيقول: إن "أوباما" هو الذي صنعه، أما السناتور "جون ماكين" فيقول "بشار" هو الذي صنع داعش، فهم يتفقون أنه مصنوع لكن يختلفون من الصانع!، ومهما يكن من أمر فإن "أوباما" مثلما اغتال أسامة بن لادن اغتال المنظر الفكري للتنظيم "أبو محمد العدناني"، ولا يلزم من كونه هو الذي أنشأ التنظيم أن يستمر في رعايته للأبد أو أن التنظيم كله مصنوع.

والمقصود في كل حال هو الإسلام نفسه والمسلمون كلهم، وإن كان أولئك الصليبيون يبدأون بأكل الثور الأبيض.

على أن بعبع الإرهاب يستخدم لحرب الإسلام، ويستفيدون من انتهاكات التنظيم في اسطنبول وأبها ودكا.

وأقول وأكرر: إن الصليبيين الجدد يخفون صلبانهم ويسترون شعاراتهم وليسوا كلهم متدينين، بل منهم من هو ملحد أو ليبرالي، حتى الأصوليين منهم فساق يستحلون الزنى واللواط، وأكثرهم ينفذ دون أن يعلم الأهداف الخفية، إذ هو لا يقرأ أصلا، وجاهل جهلا مركبا، وليسوا كالصليبيين القدامى ظاهرين مكشوفين للأمة هدفهم حماية العقيدة النصرانية من الوثنيين حسب قولهم.

وإنما يتستر الصليبيون الجدد تحت أسماء أخرى قد يكون بعضها أهدافا ثانوية مثل حماية الأنظمة الديمقراطية والسيطرة على منابع النفط، ونجدة الدول الصديقة بناء على طلبها ونزع أسلحة الدمار الشامل وأمثال ذلك.

يقول الكاتب الأمريكي "جون فيفر" في كتابه الذي سماه "الحرب الصليبية الثانية حرب الغرب المستعرة مجددا ضد الإسلام": (حملتنا الصليبية الراهنة ...معقدة إذ دخلت الولايات المتحدة الحرب دفاعا عن معتقد مزعوم مختلف ليس المسيحية بل الديمقراطية الليبرالية).

أقول هذه الحملة لا يشبهها تاريخيا إلا حملة الكاثوليك على إخواننا المسلمين في الأندلس الذين يسمّون "الموريسك"، وعليهم اعتدى الكاثوليك بعد سقوط غرناطة، وعقد الأسبان شروطهم التي عقدوها مع أبي عبد الله الصغير وبلغت (٦٢) شرطًا ولم يف الكاثوليك منها بأي شرط، ولم يكونوا يهاجمون إرهابيين كما يتسترون اليوم، بل يهاجمون الدين الإسلامي نفسه.

كما أن الحملة الإعلامية الغربية لا تخص تنظيما بعينه ولا تتمحور حول ما يسمى "الإرهاب"، وإنما تهاجم الإسلام في ذاته لأنه كما قال "فرانكلين غراهام": "دين الشر"!

والمستهدف في أمريكا ليس هو القاعدة أو "داعش"، بل كل مسلم فيها، الأمر الذي دفع اليهودية "مادلين أولبرايت" إلى القول إنها تقف مع المسلمين، و لم تقل أبدا إنها تقف مع القاعدة أو داعش.

والعداوة للإسلام سياسة أمريكية ثابتة مهما تغير الرئيس أو الحزب، وهي تزداد ضراوة كل حين، وإذا لاحظوا قلة شعبيتها أوعزوا من جديد إلى قنواتهم وإعلامهم لتنفخ فيها الحياة، والشعب الأمريكي غارق في دنياه ولا يدري شيئا عن خطط حكومته وشركاتها، وهو شعب مشاهِد لا قارئ، وإن قرأ فقراءاته في الصحف التي تعرض المبيعات والتخفيضات والعروض، أما ما ينشره السياسيون ومراكزهم في "فورين أفايرز" أو "بولسي أفايرز" فلا يهمه من قريب ولا من بعيد، كما لا يهمه مَنِ الحاكمُ في البيت الأبيض وربما جهل حتى اسمه.

وإذا صرح "أوباما" بأن حربه على الإرهاب ستكون طويلة، فإنه يستلهم أن الحروب الصليبية الأولى استغرقت قرونا واقتضت تسع حملات متتالية تحدثت عنها "كارين أرمسترونج"، أما تمويل هذه الحروب فليس عليه فكيف لا تطول؟

ويبدو أن أوربا أكثر تطرفا؛ فإن البلد الذي يوصف بالحياد "سويسرا" وليس فيه إلا ثلاث مآذن فقط، قد أجرى استفتاء حول بناء المآذن وصوّت أكثر شعبه لمنع بنائها، وفعلا نفذت الحكومة السويسرية ذلك، وفي النمسا صوّت أكثر الشعب لليمين المتطرف، الذي أصبح الغرب وأذنابه يسمونه "الشعبوي"، وفي الدولة العلمانية "فرنسا" مهد الحرية والإخاء والمساواة، كما يزعم بعض الليبراليين في السعودية، ومنها انطلقت ثورة النور كما يزعمون، حظرت الحكومة ارتداء الحجاب أو البوركيني، و لم يكن يتحجب حسب الإحصاءات الفرنسية نفسها إلا حوالي ألفي (٢٠٠٠) امرأة من بين خمسة ملايين من المسلمين، أي ملايين المتبرجات!

ومع التسليم أنه يوجد بين المسلمين تنظيمان متطرفا اثنان، يوجد في

الغرب أكثر من ١٤٠٠ تنظيم متطرف -كما تقدم- منها النازيون الجدد وحليقو الرؤوس والذئاب الغُبر، والألوية الحمراء، والصليبيون الجدد، وأصحاب القمصان الزرق، ومنها التنظيم الذي قتل رئيس وزراء النرويج ووزيرة خارجية السويد، ولم يقتل ذلك الآري الأشقر في النرويج إلا ٩٠ شخصا فقط كلهم بيض! غير من أصيب، ولو كان مسلما لقالوا: هذه أكبر عملية إرهابية في التاريخ وشهروا به طويلا حتى لا ننسى، وقالوا هكذا صناعة الموت في الإسلام!

وتخرج المظاهرات المعادية للإسلام في كافة أنحاء القارة، وأوربا هي التي منعت المهاجرين المسلمين من دخول البلاد، وأغرقتهم عمدا في البحر المتوسط وعممت على الفنادق بعدم إسكان أي مسلم!

أما في أمريكا فإن الميليشيا فيها تحارب الحكومة الفدرالية، وتدمر الجسور، وتسطو على البنوك، وتقول إن الإشارات الضوئية أدوات تتجسس بها الأمم المتحدة على أمريكا، وما عمله "تيموثي ماكفي" في أوكلاهوما ليس إلا جزءا من أعمال تلك المليشيات، وقد قتل "تيموثي" أكثر من "١٦٠" "مئة وستين أمريكيا" في حادث واحد، ولكن الحادث مر كأي حادث عادي، ولو كان الذي فعله مسلما أو ملونا فضلا عن السود لاختلف الأمر جدا، ومع أن الجاني كان أشقرا آريا، وذلك ما عرفته أمريكا منذ اللحظات الاولى للحادث، فقد قرأت في جريدة "الحياة" أن ملامح الجاني شرق أوسطية وأن أمريكا تبحث عن مترجمين!

وقد وضع "كلينتون" حدا لهذه الافتراءات حيث قال بعد مدة وبتصريح مقتضب "إن الجاني كان أمريكيا"، وعلى أية حال هذا الحادث أكبر من حادث الملهى الليلي لقوم لوط الجدد في فلوريدا، الذي قالوا إنه مات فيه ٥٠ منهم ووصفوه بأنه أكبر حادث تعرضت له أمريكا منذ الحرب العالمية الثانية!

وقد قال المفكر الأمريكي "نعوم تشومسكي" إنه لو كانت أحداث ١١

سبتمبر وقعت في أي بلد آخر لكانت خبرا عاديا ينساه الناس، أوَ لم ينسوا أحداث ملجأ العامرية في بغداد!

وليس "ماكفي" هو الوحيد بل سبقه "جونز" وجماعته الذين انتحروا جماعيا وكذلك جماعة بوابة السماء التي تزعمها "ديفيد"، وكتبت جريدة الشرق الأوسط أن في أمريكا أكثر من ٢٥٠٠ نحلة.

وفيها بالطبع عبادة إبليس المنتشرة في كاليفورنيا ونيويورك ولا تنسى أن الملحد المصري عبد الله القصيمي أهدى أحد كتبه "إلى سيد الأحرار إبليس" كما سماه.

على أن الأمريكان لم يحيوا عبادته لأنه سيد الأحرار، بل بسبب الفقر الروحي كما عبرت عنه المنصرة "ماريا تريزا".

وإذا كان غرض أمريكا هو نشر الديمقراطية فكيف اختار أهل غزة حماس، واختار الجزائريون "جبهة الإنقاذ"، واختار المصريون "محمد مرسي"؟ ولماذا تساند أمريكا الدول الاستبدادية لا سيما العربية؟ وكيف اختار أهالي "تشيلي" "سلفادور أليندي"، ولماذا اغتالته أمريكا إذن؟ بل كيف جاء الشيطان (عندهم) "أدولف هتلر"؟

ولماذا يشهرون بتركيا ويقولون إن حزب العدالة والتنمية الحاكم يريد إعادة أمجاد العثمانيين؟ ولماذا يحرم إعادة أمجاد العثمانيين، ويحرم إتاحة الحرية لمن أرادت أن تتحجب، ولمن أراد أن يصلي في تركيا، بينما يسمح الغرب بحملة "الإسلاموفوبيا" ويحظر دخول تركيا في الاتحاد الأوربي، لأن الأتراك مسلمون والأوربيين نصارى.

ولماذا تضع أمريكا خطا أحمر لإعادة أمجاد العثمانيين وخطا أخضر لإعادة أمجاد القياصرة والأسر الحاكمة في أوروبا؟ أليست الصلاة والحجاب من الحريات الشخصية؟

وكيف يكون حزب العدالة التركي إرهابيا غير ديمقراطي مع أن المصوتين له من الأتراك أكثر من المصوتين لخروج بريطانيا من الاتحاد

الأوروبي!

وإذا كان المستهدف هو القاعدة كما يزعمون، فلماذا وضعوا كتاب "الفرقان الحق"؟ ولماذا قصف "الناتو" البوسنة والهرسك، قبل أن يقصف صربيا.

صحيح أن تصريحات "ترامب" هي التي وضعت النقاط على الحروف وكشفت حقيقة المعركة التي قال الله عنها: ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨]، ولكن على أي شيء استند "ترامب"؟ ألم يكن الحزب الجمهوري قبله قد رصد ملايين الدولارات لحرب الإسلام؟ ألم يكن "بوش" الجد قد كتب كتابه "محمد مؤسس إمبراطورية المسلمين" قبل أن يولد "ترامب"؟، والكتاب نشرته دار العبيكان -وللعلم العبيكان فرع من آل سعود- وليسوا متطرفين! ومثله كتاب "حقيقة محمد مؤسس أكثر الأديان تعصبا في العالم".

وكيف وصف عالم الاجتماع المشهور عند الأكاديميين العرب "ماكس فيبر" الإسلام بأنه دين حروب؟

وأراد عالم الاجتماع الفرنسي "موترو" تحذير الأوربيين من خطر الشيوعية فقال في الأربعينيات من القرن الماضي: الشيوعية هي الإسلام الجديد!

وقال "بات روبتسون" الأصولي المعروف ومرشح الرئاسة الأمريكية: إن مصدر العنف هو الإسلام.

بينما قال اللواء "جيري كاري" الذي خدم في الجيش الأمريكي أيام قدوم الجيش الأمريكي إلى جزيرة العرب "إن القرآن هو مصدر العنف"، فهل القرآن أيضا أنزله أسامة بن لادن أو أبو بكر البغدادي؟

أما "جيري فالويل" فقال: "إن نبي الإسلام محمدا (ﷺ) إرهابي"!

يقولون إن "فالويل" اعتذر عن كلمته هذه، ولست أدري أكان اعتذاره عنها لأنها تستفز المسلمين بالإساءة إلى نبيهم محمد ﷺ وربما قتلوه، أم لأنها

تكشف النوايا المبيّتة ضد الإسلام والتي تنضح بها خطابات "فالويل" الأخرى.

وعلى أية حال، قال "روبرت سبنسر" مؤسس موقع "جهاد وتش": "مثل هذا الكلام كثير ورّوته الصحف الأمريكية"، ولا دخان بلا نار.

ومن أعداء الإسلام المشهورين الجنرال "فلين" الذي جعله "ترامب" كبير مستشاريه، ثم إنه استقال! وكذلك "ستيفن بانون" الأب الروحي لـــ"ترامب" الذي اصطحبه "ترامب" معه إلى الرياض.

وكيف نصدق الاسم الذي وضعه "بوش" الأب للقساوسة "المستشارون الروحانيون" ولا نقول إن عملهم يندرج ضمن الخطة الأمريكية، (١٠/٤٠)، أي تنصير الناس الذين يقطنون بين خط العرض ١٠ وخط العرض ٤٠، وهم طبعا المسلمون، ولماذا يوزع هؤلاء المستشارون الإنجيل، لو كانت المسألة مجرد استعانة بالكفار.

وإذا كان لـــ"ترامب" أسلافه، فإن لتركي الحمد العقيلي البريداوي أسلافه أيضا، فهو ما فتئ -هو والليبراليون- يستخدم مصطلح "الإسلام السياسي" وأول من استخدمه كما قرأت هو "هتلر"، وتركي الحمد يطالبنا بالتخلي عن ابن تيمية، أي أن نتخلى عن محمد بن عبد الوهاب الذي اعتمد على كلام ابن تيمية.

ولم تردّ عليه هيئة كبار العلماء حتى بدون ذكر اسمه، بل إن الهيئة الجليلة لا أعلم أنها ردت على أي صحيفة ورقية أو الكترونية يقوم عليها الليبراليون.

وربما لأن ذلك يجرح مشاعر ورثة الذي أعطى تركي الحمد قلمه وقال له "اكتب ما شئت".

أو يسيء إلى من وراءه في "الوطن" و"عكاظ" وأخواتها وموقع "إيلاف" وإخوانه!

وهنا ينبغي أن نذكّر الليبراليين بأن الذين يرفضون أي وسيلة حضارية

ولا يزالون يركبون الدواب ويحرمون ركوب السيارات هم طائفة دينية نصرانية تنتشر في عشرين ولاية أمريكية، ومقرها الرئيس في "بنسلفانيا" وليس في بريدة.

ولما أدرك الغرب أن قول "الإسلام السياسي" قد يستفز المسلمين كما فعل "محمد بديري" المغربي الأصل حين قتل المخرج الهولندي "ثيوفان غوخ"، غيروا المصطلح فقالوا "الإسلام الراديكالي"، مع أن كل قارئ للقرآن يعلم أن السياسة جزء من الإسلام، وأن الإسلام لا يقر الراديكالية (التطرف).

وقبل هؤلاء كان المصلح الديني -كما يقال- "مارتن لوثر" قد شبه البابا الكاثوليكي في الفاتيكان بالأتراك، وقال "روما هي بابل الجديدة".

وأهاب "لوثر" بأوروبا التي وقفت في وجه الخطر التركي كما سماه -أي الإسلامي- أن تقف في وجه البابا.

وأكثر الأمريكيين اليوم بروتستانتيون كانت كنائسهم مختلفة، وقد أباد الوحش الأمريكي من سماهم "الهنود الحمر" سكان البلاد الأصليين، وقد كان فيهم مسلمون وبقيتهم ذميون، وقد تحدث عنهم "نعوم تشومسكي" وهو يهودي أمريكي، كما تحدث عنهم المطران الإسباني الذي كان شاهد عيان على ما فعله الأسبان في أمريكا الجنوبية.

وأمريكا المعاصرة تعد الذين ابادوا الهنود أبطالا قوميين ومنهم الرئيس الأمريكي قدوة ترامب "جاكسون" الذي وضعوا صورته على فئة العشرين دولارا تخليدا لذكراه، ونحتوا له التماثيل.

ومن بطولاته وخدماته للشعب الأمريكي أنه خفف عنهم، فبعد أن كانوا يحضرون راس هندي ليأخذوا الجائزة، اكتفى "جاكسون" بفروة الرأس فقط، وكل من أحضر فروة هندي يعطى ١٠٠ جنيه، وهو مبلغ كبير حسب ذلك الزمن.

وهذا غير ما برع فيه الرجل الأبيض من صنوف أخرى من الحرب والإبادة كالحرب البيولوجية، وتعقيم الهنديات!! واستغل معرفته الحضارية في

إفناء هؤلاء المساكين.

هذا في العالم البروتستانتي، فماذا عن بقية النصارى.

أما الكاثوليك، فهم الأغلبية في فرنسا التي حظرت ارتداء الحجاب والبوركيني، مع أنها تدعي أنها مصدر النور والحرية!!

ومنهم "الكروات" الذين كونوا مع الصرب جيشا واحدا ارتكب مذبحة في "سربنتشا" وغيرها من المجازر في البوسنة والهرسك.

ومنهم الأسبان الذين أخرجوا المسلمين بالقوة والغدر من الأندلس، وأرسلوا (خرتسوف) "كريستوفر كولمبس" للبحث عن موقع آخر للكاثوليكية لا يمر بالدولة العثمانية، ودفع البابا المال لرحلته التي اكتشف فيها الغربيون أمريكا بطريق الخطأ.

ومنهم البرتغاليون الذين أرسلوا "فاسكوديجاما" إلى الهند وعرف لهم طريق "رأس الرجاء الصالح" الذي لا يمر بالأراضي العثمانية.

ومن الكاثوليك المنصِّر "ماجلان" الذي على جهوده التنصيرية نشأت في شمال الفلبين الدولة الكاثوليكية الوحيدة في قارة آسيا غير أن السلطان المجاهد المسلم "لابولابو" قتله.

وأما الأرثوذكس، فحسبك أن منهم بطريرك موسكو الذي قال لجيش القيصر الماكر "بوتين" الرئيس السابق للمخابرات الروسية: (أنتم في حرب مقدسة)، وذلك حين كان جيش "بوتين" يريد التوجه لاحتلال بلاد الشام، وبناء قاعدة "حميميم" الروسية فيها، ومن أعمال ذلك الجيش المشهورة مناوراته مع إسرائيل.

كما أن صحيفة "برافدا" التي تصدر من موسكو قالت بأن الإسلام سوف يصبح سنة ٢٠٥٠م دين روسيا، وذلك تحذيراً منها من التناقص المتزايد في السكان.

ومنهم الأرثوذوكس اليونانيون الذين منعوا الوجود الإسلامي مطلقا، وجحدوا جميل الدولة العثمانية التي كانت اليونان إحدى أقاليمها.

ومنهم الصرب الذين يغني ذكرهم عن أفعالهم وجرائمهم، وحسبك أن المحكمة الدولية نفسها تحاكم "سلوفودان ميلوسوفيتش"، فحتى المجرم "كلينتون" ويهوده السبعة، لم يقروه على جرائمه البشعة في حق المسلمين.

والمندوب البريطاني "أوين" قال: إن المسلمين لن ينسوا ذلك (أي مذابح البوسنة والهرسك)، وإن آثاره سوف تمتد قرونا، وصدق فنحن لم ننس الأندلس وبخارى ولن ننساهما!

وهكذا يرى كل ذي عينين أن الغرب أعرف بأهدافه منا، وأن تربيته وبيئته وتاريخه ومناهجه تقوم على حرب الإسلام.

أما اليهود الذين يتحكمون في السياسة الغربية والاقتصاد الغربي فهم أصحاب التوجيه والدراسات التي قام بها "جولدزيهر" وتلميذه "غرنباوم" في الماضي ويقوم بها في عصرنا "برنارد لويس" وصديقه "صمويل هنتنغتون" اليهوديان وتلاميذهما.

ويتبَع اليهود والنصارى جيش من المنافقين مثل (بسام طيبي، وفريد زكريا الهندي، وفؤاد عجمي اللبناني، وإرشاد مانجي الباكستانية، ووفاء سلطان السورية، ونوني درويش المصرية، وهرسي علي الصومالية، وخالد دوران، وزينة أنور، وصحوات العراق)، ومهما قال المسلم إنه غير إرهابي أو أنه يحارب الإرهاب فلن يقبلوا منه، بل إن الأمر على حد تعبير "ستيفن زيورخ" في كتابه "أشباح محمد" "إن عدم الدليل هو دليل بحد ذاته"، وهذا يذكرنا بالرسالة التي وجهها أحد الأمريكيين إلى وزير الحربية الأمريكي في الحرب الثانية "فالوين" محرضا له على وضع اليابانيين في معسكرات اعتقال، لأن عدم قيام اليابانيين بأي عمل ضد أمريكا حتى الآن هو نفسه دليل على أن هذا العمل مبيّت كما قال.

ويستطيع أي باحث بعقله المتجرد أن يجد جذور الإرهاب الأمريكي ضد المسلمين في الأعمال الأمريكية وغيرها قديما، فالجنرال الأمريكي "إدوارد يرييل" أثناء عدوانه على السفن الإسلامية في ميناء طرابلس –عاصمة ليبيا

حاليا- أمر جنوده بالهجوم الانتحاري على الميناء ومات كثير من الأمريكيين، بينما غرقت سفينة طرابلسية واحدة.

وأثنى بابا الفاتيكان على عمل "يريبل" هذا قائلا: "قدَّم "يريل" للمسيحية بقوة صغيرة وفي وقت قصير أكثر مما قدم لها أكثر أمم العالم المسيحي قوة على مدى عصور".

والطيارون اليابانيون استخدموا طريقتهم الانتحارية في مهاجمة السفن الأمريكية في الحرب العالمية الثانية بعد قصف "بيرل هاربر"، ولم يسمهم الأمريكان الإرهابيين.

وكذلك فرق الانتحار التي أنشأها اليابانيون وكانوا على حد قول حافظ إبراهيم من قبل:

هكذا الميكادو قد علّمنا أن نرى الأوطان أمّاً وأباً

ثم إن محكمة العدل الدولية في "لاهاي" حكمت على أمريكا بأنها أفرطت في استخدام القوة، أي أنها حسب تعبير الكاتب اليهودي الأمريكي "نعوم تشومسكي" "دولة إرهابية مارقة ومتوحشة".

دع الإرهاب الصهيوني فهو ملء السمع والبصر وهو الذي أنشأ عصابات إرهابية قبل قيام دولة إسرائيل وقبل أن يولد أسامة بن لادن وأبو بكر البغدادي، ومنها عصابات "شتيرن" و"هاغانا" و"أصحاب الخناجر"، وما مذبحة دير ياسين عنا ببعيد.

واستحق منشئ تلك العصابات الإرهابي "مناحيم بيجن" أن يمنحه الغرب جائزة نوبل للسلام!

وعلى هذه العصابات قامت الأحزاب الدينية في إسرائيل مثل حزب "شاس" و"إيمانغوش"، و"راية التوراة"، و"المفدال"، وأجوادات إسرائيل".

ولا تزال العصابات تتوالد بنشوء أحزاب جديدة أو انشقاقات حزبية جديدة، واليهود يتلونون كالحرباء، غير أن إسرائيل يجب عند الغرب محاباتها وهي فوق كل قانون دوليا كان أم محليا، وكلهم قتلة سفاكون للدماء.

حتى الذين قتلتهم إسرائيل في "دير ياسين" أو "قانا" إنما فعلت ذلك حسب المعايير الأمريكية دفاعا عن النفس!

وهكذا ترى أن الإرهاب له جذور قديمة تسبق القاعدة و"داعش".

والإرهاب لم تضع له الأمم المتحدة تعريفا حتى تاريخه.

وكيف تضع له تعريفا وأكبر الإرهابيين في العالم هما إسرائيل وأمريكا اللتين ابتدأتا تاريخيهما بإبادة الهنود الحمر وإبادة الشعب الفلسطيني، ثم استمرت أمريكا على ذلك في الصومال والعراق وأفغانستان وغيرها مما هو معلوم.

ولو قالت هيئة الأمم اليوم إن حق الدفاع عن النفس ومقاومة المحتل ليس إرهابا كما هو نص المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، لكان ذلك يعني أن المجاهدين في فلسطين ليسوا إرهابيين وذلك ما لا يريدونه، حتى أمريكا على شرها لما احتلت العراق اضطرت للإقرار بأنها قوة احتلال!

وإسرائيل لا تزال تقتل الفلسطينيين يوميا تقريبا، بواسطة شذاذ الآفاق الذين قدموا إلى أرض الميعاد من بلاد شتى، دع الإرهابيين العرب الذين تقف معهم أمريكا مثل زين العابدين بن علي، وحسني مبارك، والسيسي، والعبادي، بل حتى من تصنفهم أمريكا نفسها إرهابيين مثل "حزب اللات" و"قاسم سليماني" والمليشيات التابعة لإيران التي هي -حسب التقارير الأمريكية- أكبر داعم للإرهاب في العالم.

ولما أرادت الأمم المتحدة الإساءة إلى التحالف العربي بعد سوء علاقته تكتيكيا بأمريكا وصمته بالإرهاب، وقتل الأطفال وتدمير المدارس والمستشفيات في اليمن!

ومع اهتمام قمة البحر الميت العربية بالإرهاب أشارت بخجل إلى الإسلاموفوبيا وعبرت عن قلقها من انتشار الظاهرة في الغرب!!

وطالب وزير خارجية بريطانيا "هلموند" علنا بالتحقيق فيما ينسب للسعودية من انتهاكات حقوق الإنسان، أما خلفه "جونسون" فقال إن

السعودية تحارب بالوكالة في اليمن!

وأمريكا تحصر الإرهاب في المسلمين لا سيما "أسامة بن لادن" و"أبو مصعب الزرقاوي" و"أنور العولقي" و"أبو بكر البغدادي" و"عبدالله المحيسني" و"عمر عبد الرحمن" و"خالد مشعل" و"إسماعيل هنية" و"موسى أبو مرزوق" و"رمضان شلّح"، وكل المجاهدين حتى من كان منهم في الشيشان وأمثالهم ممن هو الثور الأبيض حاليا للوحش الأمريكي.

وهذا الوحش يعلن ظاهرا أن نظام بشار لا شرعية له، بينما يحارب باطنا المجاهدين في بلاد الشام إما بنفسه وإنما مستخدما قوات التحالف وكلاهما سواء.

وتبعا لهذه الازدواجية تمضي السياسة الأوروبية في تأييد حكومة "الوفاق" في طرابلس علانية بينما تقاتل إلى جانب "حفتر" سرا.

وكذلك يعلن الغرب أنه ضد بناء المستوطنات اليهودية وهو يمد إسرائيل بكل عوامل البقاء، ويعلن الأمريكان التزامهم بالقانون الدولي بينما تجد سفنهم في مضيق هرمز في قرصنة متسترة، ويقولون إن القراصنة الصوماليين يهاجمون سفنهم فهل الصوماليون هم الذين ذهبوا إلى أمريكا؟

وهكذا يصدِّر الغرب للمسلمين "صندوق بندورا" كما تقول الأسطورة ويجعلهم يدحرجون الصخرة من أعلى الجبل إلى أسفله ثم يدحرجونها من أسفله إلى أعلاه، وهكذا أبد الدهر كما تقول الأسطورة الأخرى عن "سيزيف"!

لماذا يعادي الغرب وأذنابه تركيا؟

(الأتراك مسلمون وأوروبا مسيحية، فكيف يطمح الأتراك في الانضمام للاتحاد الأوروبي، هل تستطيع بناء كنيسة في إسطنبول؟).

هذا ما قالته "انجيلا ميركل" علانية، وكل المتعصبين من "دونالد ترامب" إلى "فيلدرز" يقتبسون منه وبه يوصون، فماذا سيقول الليبراليون في

بلاد الحرمين بعد هذا؟

وماذا يقولون وهم يطالبون بما يسمونه "الحرية"؟

فيا أيها الليبراليون متى تفيقون؟ وأنتم ترون المرأة تقود السيارة في تركيا والصحافة هناك حرة وفيها معارضة حرة، ويمكن للمعارضين أن يكفروا أو يلحدوا ويمكن لهم أن يشربوا الخمر ويأكلوا الخنزير ويعروا نساءهم، وليس فيها هيئة للنهي عن المنكر، فكل ما تطالبون به مجتمعنا المحافظ موجود في تركيا، ولكن الغرب لا يرضى بهذا بل يريد منا أن ننسلخ من ديننا ويتخذكم مطية لذلك.

فهل أنتم تحاربون الإسلام وليس بعض المظاهر لدينا؟ وتصدقون ما قاله فؤاد زكريا "ليس للبراليين مشروع، مشروعهم هو هدم مشروع الإسلاميين"!

وهل تريدوننا أن نكفر بالله عياذا بالله لكي يرضى عنا أولئك الذين لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم.

أم أنكم أصحاب شهوات تريدون أن تخرقوا سفينة المجتمع كي تستمتعوا ببنات الناس؟

وأنا مع أنني لست ضد التجربة التركية الفذة لا أبرئها من الأخطاء، فنحن البشر جميعا نخطئ عدا محمدا ﷺ، وكيف لا يخطئ من في برلمانه وشعبه كثير من العلمانيين والقوميين ودستوره علماني؟

والنظام الرئاسي ليس لأردغان وحده بل هو لكل رئيس يأتي بعده، وهو نظام غربي معروف تنتهجه فرنسا وأمريكا التي ليس فيها رئيس للوزراء مطلقا.

كيف نحلل ونقرأ:

بعض التحليلات التي يراها فؤاد جرجيس وخطار أبو ذياب وعبد الناصر العايد وحسن أبو هنية صحيحة، ولا بد للمسلم من تأملها جيدا، على أن من الضروري فيما أرى اقتناء إصدارات مركز الزيتونة، وينبغي معرفة نقاط الاتفاق بين بوش الجمهوري الأبيض وبين أوباما الديمقراطي الأسود، لا سيما وأن أوباما أصبغ على حملة بوش الصليبية صبغة أخلاقية وقانونية، وحوّل القيم الأمريكية من كونها قيما غربية كما قال بوش لتكون قيما إنسانية مشتركة، لكي يجذب العالم لمحاربة ما يسميه الإرهاب بدلا من مبدأ بوش القائل: "من لم يكن معنا فهو ضدنا"، أما الإعلام السعودي ومن يظهر فيه، فقد جعلوا أوباما شيطانا وترامب ملاكا!

كما يجب دراسة التاريخ وأخذ العبر منه، وهذا ما وعاه بعض الأمريكيين جيدا، فإن امتناع أمريكا عن إرسال جنود إلى البر العربي، إنما جاء بعد الهزيمة المنكرة التي أنزلتها بهم المقاومة العراقية التي لا يسميها المسؤولون الأمريكان هزيمة بل يقولون "تجربة سيئة" و"محاولة فاشلة" و"خطأ استراتيجي" .. إلخ، ولكن المفكرين الأمريكيين يسمونها هزيمة.

وقد كانت الامبراطورية البريطانية سبقت الامبراطورية الأمريكية إلى أخذ الدرس، حين هاجم البريطانيون قرية بني بو علي السنية في عُمان، فهزموا هزيمة نكراء على يد من هم أقل منهم عددا وعدة، ومنذ ذلك الحين قرر البريطانيون أن الدخول إلى البر العربي مغامرة تغني عنها المدافع الأسطولية، وهكذا ضرب كلينتون الديمقراطي بغداد بصورايخ كروز من البحر الأحمر، ولكن بوش الابن لحماقته وصليبيته، احتل بغداد وعرّض جيشه لعشرات العمليات يوميا، ولم يقلل ذلك إلا إيجاده الصحوات بتأثيرات عربية.

وكما أن الأزمة عميقة في أمريكا هي عميقة في بريطانيا وفي الغرب

كله، فقد أثبت الاستفتاء على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي أن الدوافع القومية والوطنية أقوى من الدوافع العقلية والعلمية، كما أثبت أن الديمقراطية حين تجعل للخبير الاقتصادي ومدير إحدى المؤسسات المالية صوتا يعادل الفلاح الجاهل هي مجحفة حقا.

كما أظهر الجهل الفاضح بالعواقب والمآلات في المجتمعات التي يسميها المنافقون متقدمة أو راقية، وأن تفكك الغرب هو حقيقة واقعة ولو بعد حين، وأن صعود التطرف اليميني ومعاداة المسلمين نذير بأن تتحد هذه الأمة، وتقاوم أهل الكتاب بالقرآن والسنة مقاومة تقوم على العلم والعمق، كما أن الأزمة الاقتصادية العالمية أبعد مما يظن بعض الناس، وأن الإعجاب بالغرب مرض يجب أن يزول.

وغير ذلك من الدلالات التي لا تخفى على الباحث المتعمق، ولما تتبعت ذلك الحدث ورأيت جهل البريطانيين، التمست العذر لجهلة المسلمين الذين كنا نحذرهم من الوقوف ببطن عرنة، ومع ذلك يصرون على الوقوف فيه، وأيقنت أن الجهل كله جهل سواء صدر ممن يسكن الأبراج العالية أو ممن يسكن الخيام في الصحراء الكبرى.

ومن العدل الذي أمرنا الله به، القول بأن في الغرب منظمات كثيرة ضد التعصب، بل هي بحكم حريتها هي التي تفضحه، وهذه المنظمات إما يسارية، وإما حقوقية تدافع عن الديمقراطية وحرية التعبير وتكره العنصرية والتعصب، وصدق الله في قوله عن أهل الكتاب: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقد كان في اليهود أيام النبي ﷺ حُييّ بن أخطب، وفيهم أيضا عبد الله بن سلام.

وقد كان فيهم حنظلة الفاسق وأيضا زيد بن سنعة، وفي الغرب اليوم مئات المنظمات التي تجهر بعداوتها للإسلام، وفيه أيضا من يدافع عن الإسلام، ويذكر أن الغرب غارق في أوهامه الصليبية مثل الباحث الفرنسي "شارل ديو" والباحثة الأمريكية "ناتانا دي لونج".

فالأمر جلي، ولكن الليبراليين في سكرتهم يعمهون، وكثير من المسلمين في غفلة ساهون، دينار عند أحدهم أحب إليه من صلاته، مع أن الذين لم يرجعوا يوم أحد مع عبدالله بن أبي بل الأخيار الذين بقوا مع رسول الله ﷺ قال الله فيهم: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢] فقد وقع أكرم جيل في شرك الإرادة فكيف بحالنا اليوم؟

ثانيا
تفوق الحضارة الإسلامية وتقدمها

تنبيه:

نحن إذا تحدثنا عن الحضارة الإسلامية وميزاتها، فإنما نتحدث عنها في صورتها المثلى التي كانت عليها في عصرها الذهبي، أي أيام النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، والقرون لاثلاثة المفضلة، وليس في عصور الانحراف الأخيرة.

- مرجع الحضارة الإسلامية:

مرجع الحضارة الإسلامية هو الكتاب والسنة والإجماع والقياس، فأما الإجماع فإنما يكون مستنده النص، وأما القياس فإنما هو على ما ورد فيه النص، فعاد الأمر إلى المصدرين المعصومين الكتاب والسنة، وهما في الحقيقة مصدر واحد وهو الوحي أو النقل، أو بحسب تعبير المتكلمين السماع، ومن وفقه الله لفهم النص وتدبره كتابا أو سنة، استنبط منه مئات الأحكام، كما استنبط بعض العلماء من حديث بريرة ثلاثمائة حكم.

ولهذا المرجع العظيم فضْله على العلم البشري، فقد أمر الله تعالى في الكتاب بالتعقل والتفكر والسير في الأرض واكتشاف السنن، ونهى عن تقليد الآباء وعن اتخاذ الأحبار والرهبان أربابا من دون الله، وعن تصديق النماردة والفراعنة فيما يزعمون، وحث على الأخلاق الكريمة، وأمر بالتوسط، وعلى ضوء الكتاب والسنة نبغ قادة العلم في كل فن.

ولخدمة هذين المرجعين صدَّر كل مؤلِّف مصنَّفه، حتى العلوم التي هي للكسب كالطب والعمارة.

- المرجع الأول: القرآن:

أما القرآن فهو كتاب الله وآيته الخالدة مدى الدهر، وبه تكون التزكية الإيمانية وعليه التربية الوجدانية وهو مصدر كل علم ونور وهدى، تحدى الله به الثقلين وأوجب اتباعه على هذه الأمة المباركة، وكتب الشقاء والضلال على كل من خالفه قديما وحديثا، وكتب النصر والغلبة لمن تمسك به، وكل من هجره فردا أو دولة قصمه الله، وليس لإعجازه وجه واحد، بل هو معجز في ألفاظه ومعانيه، وكل آياته متناسبة، علم ذلك من علمه وجهله من جهله، وذكر بعضها الكرماني والبقاعي، وله علوم كثيرة ذكر بعضها الزركشي وابن تيمية وابن القيم والسيوطي والزرقاني ورشيد رضا ومناع القطان

وغيرهم، وقال شاعر أمريكي معاصر: القرآن مثل البحر، إذا نظر الجاهل إلى الموج فقط ظن أنه مختلف، والواقع أن البحر واحد.

وقد امتن الله به على البشر قبل خلق الإنسان نفسه، كما في سورة الرحمن.

وكان الصحابة الكرام يتدبرونه ويعرفون قيمته، ولا يجاوزون بضع آيات منه حتى يعرفوا ما فيهن من العلم والعمل، وكان لبعض السلف ختمتان إحداهما: يختمها فيما شاء الله، والأخرى تطول، وربما استمر عشرين عاما يتدبر كل آية.

وقد قام النبي ﷺ ليلة كاملة بآية واحدة ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨] وكل آياته عجيبة، فهو كلام رب العالمين، ونسبته لكلام البشر كنسبة الخالق إلى خلقه.

وعلوم القرآن كثيرة، ومن علومه علم القراءات والتجويد، وعلم معرفة المكي من المدني، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمجمل من المبين، والمطلق من المقيد.

وليس المانع من الإتيان بمثله هو مجرد الصرفة كما زعم إبراهيم النظام المعتزلي، ومن اتبعه، بل عجز أفصح الناس وأبلغهم عن ذلك عجزا تاما، مع سهولة ألفاظه وتيسيره للذكر، ولما قابل الأصمعي إحدى الأعرابيات وسمع شعرها قال: ما أفصحك: قالت: هيهات ذهب القرآن بهذا كله، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، وكيف ذكر الله أمرين ونهيين وبشارتين في آية واحدة.

وجعل الله لكل سورة ميزة تغلب عليها كما جعل سورة البقرة تعدِّد مساوئ اليهود، وجعل سورة آل عمران للرد على النصارى، وسورة النحل لتعداد النعم.. وهكذا.

ومن معجزات القرآن: إخباره بالمغيبات في الماضي والمستقبل، التي لا

يمكن للعقل البشري أن يعلمها مطلقا، كما في سورة هود وسورة الإسراء وسورة الروم وسورة النحل وغيرها، وصرح بالترتيب التاريخي لأمم غابرة بعضها لا نعرف عنه شيئا، فأخبر أن عادا بعد قوم نوح، وأنه بعث موسى عليه السلام بعد القرون الأولى.

وانظر مثلا كيف أخبر عن عاقبة الأمم التي قبلنا (بني إسرائيل) في سورة الأعراف، وفي سورة الإسراء، وأخبر أنهم يحرفون الكلم عن مواضعه، وأنهم يكتبون الكتاب بأيديهم، ويقولون هذا من عند الله، بل قالوا كما في سورة الأنعام: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١]، فعلام إذن فيهم الربانيون والأحبار والحاخامات، وقارن ذلك بما ذكر عنهم في هذا العصر المؤرخ "كينيث وايتلام" في كتابه الذي سماه "اختلاق إسرائيل القديمة"، وكيف أنهم يحفرون تحت المسجد الأقصى، وفي كل مكان، فلا يجدون أثرا يهوديا باعتراف الآثاريين الإسرائيليين أنفسهم، ونقب معهم قاتل الأطفال "نتنياهو"، وأقرت بذلك منظمة اليونسكو.

ويدعون أنهم يريدون إحياء هيكل سليمان عليه السلام ومملكته، وسليمان عليه السلام كان مسلما كما ذكر الله في سورة النمل، وإنما بنى مسجدا كما ذكر الرسول ﷺ، فلو عثروا على شيء فنحن أولى به منهم.

وممن شهد أن القرآن حق وآمن به من علماء بني إسرائيل "عبدالله بن سلام" رضي الله عنه.

وأخبر الله في كتابه أنه جعل الحرم آمنا، وهو كذلك إلى أن يأتي أمر الله، وأخبر أنه سوف يري الكفار آياته في الآفاق وفي أنفسهم، وذلك ما يكتشفه الغربيون كل يوم، وإجمالا كل أخبار القرآن حق وصدق ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام:١١٥]، أي صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلاف كثيرا كما هو حال كتبنا نحن البشر.

والقرآن أيضا شفاء ورحمة، يسترقي به المرضى فيذهب مرضهم، وهو

علاج لكل الأدواء الاجتماعية والنفسية والبدنية، حتى قصصه إنما قصها الله علينا لنعتبر ونتعظ، ونعرف سنن الله في الخلق، قال عمر ﷺ: "إن بني إسرائيل قد مضوا وإنما المعنيون بهذا الحديث أنتم".

ونحن يجب علينا أن نؤمن ونعمل بكل ما جاء فيه، ولا ننتقي منه ما تريده أهواؤنا، قال حذيفة ﷺ: "نعم أبناء عم لكم اليهود إذا كان ما في القرآن من حلوة لكم وما فيه من مرة لهم".

والقرآن هو كلام الله الذي يجب أن يتخذه البشر مصدرا وحيدا للهداية في خضم هذه الحياة، وقد عاب الله على بني إسرائيل أنهم عبدوا العجل مع أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا، وجعلوا الدين مظاهر جوفاء، وأوامر شكلية يجوز تحريفها والتحايل عليها، وإنما ميزة العجل عندهم أنه من ذهب، والقوم يعبدون الذهب ويقدسون المادة وهم اليوم يريدون أن يعبد الناس الاقتصاد، ويضيعون أعمارهم في تتبع أسعار الذهب والعملات، والكارثة أن المسلمين لما تركوا الجهاد حرمهم الله المادة أيضا، فصاروا كفقراء اليهود لا دنيا ولا آخرة.

وسوف نذكر مثالا واحدا لدقة هذا الكتاب وإعجازه قد لا يعلمه كثير من الناس، وينبهر له أصحاب العلم التجريبي المحسوس، ويخرس أمامه أصحاب الفلسفات النظرية، فقد أجرى باحث ياباني مجوسي بحثا في التين والزيتون وعلم أنهما دواء وشفاء، ولكنه عجز عن معرفة كيف يمكن أن يتركب منها دواء، وبعد طول تنقيب وكثرة تجارب ومضي سنين، قال لنفسه: مالي لا أرجع إلى القرآن فقد يكون فيه ما أريد، فلما رجع للقرآن وجد فيه ما لا يعرفه إلا من اكتشف بعض أسراره المذهلة، وقرّر هذا الباحث أن يجعل لكل مرة ذكر الله فيها التين والزيتون رمز (١).

ولكن حيَّرته آية من كتاب الله وعجز أن يجعل لها رمزا وهي قوله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٠].

إذ هي الزيتون ولكن ما رمزها، إذ ليس فيها التصريح باسم الزيتون؟

وبعد حيرة وضع لها رمزا (نصف).

وهنا تكشفت الحقيقة، فلم يملك إلا أن أعلن إسلامه مقراً بأن هذا الكتاب أنزله الذي يعلم السر في السماوات والأرض، ومن المحال أن يضعه بشر قبل أربعة عشر قرنا.

وقد أظهرت الحاسوبات الحديثة بعض عجائب القرآن وأسراره، ومن ذلك أن حرف النون تنتهي به نصف الآيات بالضبط.

ومن دلائل حكمة صانع الآلة أن يرفق بها كتابا يبين كيفية عملها ومحذورات ذلك.

والإنسان إذا اشترى آلة لا بد أن يقرأ الكتيب المرفق معها، ويتبع توجيهات صانعها التي يذكر فيه، والله تعالى هو أحكم الحاكمين، وهو الغني الحميد، ولما خلق الإنسان أنزل الكتب ليقوم الناس ليقوم الناس بالقسط ولتبين له كيف يسعد ويحيا الحياة الطيبة، وبيَّن حقيقة العدل والحرية والأخوة، وأمثال ذلك مما لا يستطيع البشر أن يعرف تفصيلاته وضوابطه لولا الوحي.

والقرآن أُنزل للعمل وليس لمجرد التبرك، ولم يترل لإقامة حروفه وترك حدوده، قال الحسن البصري: "نزل القرآن ليعملوا به فاتخذوا قراءهم له عملا"، فلا يكفي تجويده عن تحكيمه.

والسلف الصالح عرفوا قيمة القرآن وتدبروه، حتى أن بعضهم كان إذا سمع شيئا منه بكى، وتظاهر بأن ذلك بسبب الزكام (الرشح)، وقال: "ما أكثر الزكام اليوم"، وأعظم من ذلك أن بعضهم ربما سقط ميتا، كما خر "زرارة بن أوفى" ميتا في المحراب، لما قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر:٨]! وبعضهم أذهله ما في القرآن من الوعد والوعيد وذكر الجنة والنار عن أعماله الدنيوية واهتماماته الشخصية.

وبعضهم لما سمعه قال: (إن شأن الله عظيم)، وارتجفت أعضاؤه وسقط، وبعضهم أذهلته سورة منه أو قطعة من سورة.

- إشارة إلى بعض الأسرار في القرآن:

كتب الله لي وأنا في الحبس الانفرادي بسجن "الحائر" أن أتأمل القرآن، فوجدت فيه عجائب أنستني ما أنا فيه، ومنها معرفة الضمائم التي ذكر ابن مسعود، فاستنبطت رغم ضعفي بعض المشابهات، التي جعلها الله تخفى على كثير من الناس، وتحتاج إلى تأمل عميق كالتشابه بين سورتي السجدة والملك.

واكتشفت أن لكل سورة مفتاحا، وأن من المفاتيح ما تشير إليه الحروف المقطعة في أوائل السور، ثم وجدت أن ابن القيم رحمه الله أشار إلى ذلك في "بدائع الفوائد".

وقد وجدت أن لكل سورة خصيصة قد تغلب عليها، بل قد تكون فيها كلها، فسورة الأنبياء مثلا هي سورة الاستجابة، وسورة القصص هي سورة العاقبة، وسورة المائدة هي سورة ما يحرم من المطعومات وما يحل، وسورة النمل هي سورة العجائب والتدرج في المعجزات، من الغيب النسبي إلى الغيب المطلق، والأنفال سورة الجهاد .. وهكذا.

وقد لاحظت أن كثيرا من سور القرآن يغلب عليها حرف من حروف الهجاء، مثلا يغلب حرف الميم على سورة البقرة، وحرف القاف على سورة طه، وحرف الكاف على سورة الأنبياء.

وفي هذه الأيام الحاضرة كشف الدكتور عبد الباقي شرف الإسلام البنغالي، بعض ما توصل إليه عن طريق الحاسوب، إذ كانت رسالة الدكتوراه له في جامعة "ليدز" ببريطانيا عن هذا الموضوع، ومن ذلك مثلا أن سورة (ص) مبناها على الخصومة، ففيها الخصومة بين الرسول ﷺ والمشركين في التوحيد، وقصة الخصمين الذين تسوروا المحراب على داود عليه السلام، وقصة اختصام الملأ الأعلى، ومخاصمة إبليس لربه تعالى، وأمثلة ذلك كثيرة يعرفها من تدبر السورة.

وفي سورة يوسف ذكرٌ مكرر للقميص كما سنذكر إن شاء الله، ثم إنني فكرت طويلا في سورة البقرة التي تضمنت أصول الأحكام وأركان الإسلام، وبيان مخالفات اليهود، وفي سورة آل عمران التي تضمنت بيان شرك النصارى، وكيفية الرد عليهم، ولما كان النصارى في كل زمان ومكان يتشبثون بالمتشابه مثلما يقرأون في التوراة "مثلنا" أو "نحن"، ويزعمون أن ذلك إشارات للتثليث ويتركون المحكم مثلما في الوصايا العشر وغيرها من توحيده تعالى، جاءت سورة آل عمران خالية من المتشابه، ولو أنك قرأت من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران:٣٣] إلى آخرها لم تجد ضمير الجمع مطلقا، بل لم يرد إلا مرة واحدة في الآية الحادية عشرة من السورة فقط.

فسبحان العليم الحكيم الذي له الحجة البالغة.

والقرآن الكريم لا يستطيع بشر أن يحاكيه مهما أبدع أو حاول، كما كتب بديع الزمان الهمداني رسالة يكون جوابها بقراءتها من آخرها، وكتب الحلاج الطواسين، وكتب المعري "الفصول والغايات"!

وانظر مثلا ما يقرره العلم الحديث من العلوم التجريبية، وما يقرره الوعاظ تجد أن كليهما يأخذ من القرآن وإن لم يشعر، وقد اشتمل قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ﴾ [الأعراف:١٨٥] مأخذ كلا الطرفين، ولذلك فلا غرابة أن تجد خريجي كليات الطب والهندسة والعلوم وما يتفرع عنهما أقرب للإيمان من خريجي كليات ما يسمى بالعلوم الإنسانية أو الاجتماعية، حتى في بلاد الغرب، فإحصاءات الأمم المتحدة ومعهد "جالوب" وغير ذلك تنطق بما تقدم، كما تجد أن أبعد الناس عن التدين الصحيح، هم من يتعلم الدين مغلوطا، كما في بعض دارسي الشريعة، فهذا النوع ليس إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وهم مادة خصبة للجواسيس المقنعين، بل إن بعضهم ليتجسس تطوعاً.

وفي إمكانك إقناع خريج هذه العلوم التوحيدية العلمية كالطب والأحياء والرياضيات وأمثالها، بما في خلق الله من العجائب، وأنه لم يخلق شيئا عبثا، وأن هذا الكون متوازن، وأن الأقدار حق، وأن الله تعالى حكيم خبير، وأن النبي ﷺ ما أمر بشيء إلا وفيه الخير والمصلحة في العاجل والآجل.

وتأمل ما اشتملت عليه "آل حاميم" المسماه "عرائس القرآن" من الآيات البينات، وكم كان شيخ الإسلام صادقا حين ود لو أنه اشتغل بالقرآن وحده، مع أن كل ردوده على الفلاسفة وأهل الكتاب إنما هي مشتقة من القرآن ودفاع عنه.

وتأمل ما في سورة الإخلاص الكبرى (سورة الأنعام) من الدلائل والبراهين، وكذا سورة الإخلاص الوسطى (الزمر) وسورة الإخلاص الصغرى (الصمد).

وتأمل كيف جاء ذكر الرحمة في سورة الفاتحة، وخلت من ذكر النار والعذاب، فرحمته تعالى سبقت غضبه، والإسلام هو دين الرحمة.

ومع إعجاز القرآن بلاغة وأسلوباً، فقد اشتمل أيضا على الأخبار بمغيبات لا يعرفها بشر، لا سيما ما سيأتي مستقبلا، ومن المغيبات المسقبلية أحوال الناس في البرزخ، وقيام الساعة، والبعث، والجنة، والنار، ونهاية إسرائيل، وانتصار الروم وظهور الإسلام على الدين كله، وكون العاقبة دائما للمتقين، وأنه تعالى سوف يري الكافرين آياته في الأنفس والآفاق، وأخبر عن خروج الدابة، حيث لا يوقن الناس بما أنزل ولا يتبعون رسله من البشر، فلم يستحقوا إلا الدابة، وإذا لم يؤمنوا بما أنزل الله عليهم من السماء من الوحي، فسوف يترل عليهم منها دخانا يغشاهم، ويقولون: ﴿رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ [الدخان:١٢].

فالناس حين تنحدر عقولهم إلى الدرك الأسفل لا يستحقون رسولا من البشر أو الملائكة، بل تظهر لهم دابة من الأرض ويترل عليهم دخانا من السماء، وإذا تغيرت أحوالهم وانتكست معاييرهم، أطلع الشمس من مغربها

وحجب التوبة عنهم، وإذا جهلوا صفات الله و لم يعرفوه بعث عليهم الدجال فيدعي أنه هو الله، وإذا طغوا في الأرض وأكثروا فيها الفساد خسف بهم الثلاث الخسوفات، وإذا ترك أهل جزيرة العرب دينهم أرسل الله عليهم النار من قعر عدن تسوقهم إلى المحشر بالشام.

ومما جاء في القرآن من الغيبيات نهاية هذا الكون العجيب، من أن الشمس سوف تخسف وتكوَّر، وأن النجوم سوف تتكور وتتساقط، والعشار سوف تعطل، والأرض سوف تزلزل، والبحار سوف تسجر، أي أن ما يسمونه الجاذبية سوف يسلبه الله، وأخبر أن يوما عنده كألف سنة مما نعد، وكيف أنه جعل "الرياح" مبشرات بين يدي رحمته، وإذا شاء جعلها عذابا لمن استكبر عليه، معتدا بقوته، كما عذب الله عادا الأولى، مع أنها مخلوق ضعيف، وينشئ بها الحسبانات والأعاصير، وأشده ما كان فيه نار وموجات تسونامي، وقد سخر الله الرياح لتكون مصدرا للطاقة في هذا العصر، وهي لا تكلف ما يكلفه النفط.

وأطول قصص القرآن الكريم هي قصة يوسف عليه السلام، ومن عجائبها قميص يوسف الذي ورد فيها عند كل حادثة مهمة، فإخوته جاءوا على قميصه بدم كذب، والذي شهد من أهل امرأة العزيز جعل قدّ القميص دليلا على البراءة أو عدمها، ولما أراد يوسف عليه السلام أن يبشر أباه أرسل إليه بقميصه!

وفي القرآن ذكر الله قوم ثمود مرات، وذكر أنه كان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، والمفسدون التغريبيون اليوم في بلاد الحرمين أكثر من تسعة، والله تعالى منّ على ثمود بحليب الناقة الذي هو وقود الحياة البشرية، والحليب يكفي وحده غذاء للأطفال، ومنّ على هذه البلاد بالنفط الذي هو وقود المركبات من سيارة أو طائرة، ولما عقر قدار بن سالف الناقة أهلك الله ثمودا كلها، تُرى من سيكون قدار هذه البلاد؟

وأمر الله في القرآن مرارا أن نسير في الأرض، وأن نتفكر في مصير الأمم الغابرة كلها، ونأخذ العبرة والعظة من مصيرهم وأحوالهم، فله سبحانه سنته الثابتة في كل الأمم والحضارات، ومهما حلم أو أمهل لا بد أن يأخذ كلاًّ بذنبه.

وأكثر ما ورد في القرآن هو خبر موسى عليه السلام وفرعون اللعين، ولكل أمة فرعونها، كما كان أبو جهل فرعون هذه الأمة، وكل من حكم مصر غير مؤمن فهو فرعون، في أي قرن عاش، وقد كان شأن فرعون القديم الفخر بأوتاده (الأهرام)، والفخر بما أجرى الله تحته من الأنهار وكل الفراعنة المعاصرين على هذا، ولذلك عرف السيسي وأعوانه أنهم هم المقصودون إذا دعا أحد على فرعون وجنوده.

والقرآن يأتي بنهايات الأمور ومآلاتها، فإذا ذكر الكفر فهو الأكبر، وإذا ذكر الإيمان فهو الكامل وإذا ذكر صفات المؤمنين فتلك أعلاها وإذا ذكر صفات الكافرين والمنافقين فتلك غايتها.

والمتأمل للقرآن يجد الخطاب فيه مباشرا من الله تعالى ويجد الرسول ﷺ عبدا مخاطبا.

ومن عجائبه أنه يخاطب النفس البشرية ويعالج أدواءها، وكل من يقرؤه يشعر كأنه يعنيه في خصوصه ويتحدث عن حالته ومرضه هو، وهذا ما أذهل البروفسور الأمريكي المهتدي "جيفري لانج" وهو بروفسور رياضي عانى كثيرا وفكر طويلا ثم أسلم، وقال: "لما قرأت القرآن أحسست أنه هو الذي يقرؤني".

ومن عجائبه أن من حفظه قل أن يصيبه الخرف، مع عجز الطب الأمريكي عن علاج ذلك المرض "الزهايمر" لما أصاب الرئيس ريجان!! وما أصاب ريجان إنما هو جزء من التنكيس في الخلق المذكور في سورة "يس".

والحاصل أن لهذا القرآن عجائب كثيرة، ومعجزات بليغة، لا نستطيع حصرها هنا فيجب على كل مسلم دوام تلاوته وتدبره، وشكر الله على إنزاله، وقد يفتح الله عليه بما ليس في كتب التفسير.

وقد أجملت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الأخلاق النبوية في أخصر الكلمات فلما سئلت عن خلقه ﷺ قالت كان خلقه القرآن.

وقد قال بعض السلف كما في الدر المنثور (٣٤٨/١) (عجبت لثلاثة آيات ذكرهن الله في القرآن:

﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠] وليس بينهما حرف وكانت إنما تكون لنبي فأباحها الله لهذه الأمة.

والثانية: قف عندها ولا تعجل، ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢] فلو استقر يقينها في قلبك ما جفت شفتاك.

والثالثة: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البقرة:٢٦٨]) اهـ كلامه.

وتامل يا أخي المسلم مثلا آخر سورة هود لتر العجب العجاب ابتداء من آية (١١١) إلى آخرها فكيف لو تأملت السورة كلها فكيف لو تأملت القرآن كله!.

ومما ذكر الله في ذلك الموضع: الأمر بالاستقامة، والنهي عن الركون للظالمين، وأهمية العبادة لا سيما الصلاة، وأن الحسنات يذهبن السيئات، والحث على الصبر، ووجوب الأمر بالمعروف والإصلا على كل أمة، وأن الترف قرين الظلم وأن لله سنة في هلاك الأمم، وأن له حكمة في اختلاف الناس في قصص الأنبياء السابقين من الحكم، وأن كل شي مرجعه إليه وحده وأنه يعلم الغيب، وأنه لا يغفل عما نعمل.

وهذا مجرد إشارة واختصار.

المرجع الثاني: السنة النبوية:

بعد القرآن الكريم، تأتي السنة النبوية مفسرة له، وشارحة لما غمض منه، ومبينة لمجمله، ومقيدة لمطلقه ومفصلة لعموم أحكامه. فالله تعالى أمرنا أن نصلي ولكن كيف نصلي؟ وفي أي وقت؟ وكم ركعة نصلي كل فريضة؟ وماذا نقول. وأمثال ذلك مما لا يمكن أن نعرفه إلا عن طريق السنة، وقل مثل ذلك في أحكام الزكاة والصيام وفي كيفية الحج.

وقد وضع الزنادقة والوضاعون أحاديث ليلبسوا على المسلمين دينهم، لكن الله سخر للسنة علماء أجلاء ينخلونها نخلا، ويعرفون العلل الخفية في المتن أو السند، وهل روى فلان عن فلان فعلا؟ بل إنهم ليكتشفون التدليس والإرسال الخفيين، ويفرقون بين ما يرويه الثقة قبل الاختلاط وبعده، أو قبل احتراق كتبه أو بعده، ومن روى عنه في الحالين ومتى مات؟

وإذا شك الراوي أنه زاد أو أنقص ذكر ذلك، وإذا نسي بعض الحديث بيَّن أنه نسي.

وكان جهابذة الفقهاء والمفسرين، يعتمدون على أقوال العارفين بالحديث، فالشافعي رحمه الله مع عبقرية وفطنته، أخذ عن مالك حديث أهل المدينة وقال للإمام أحمد: "أنتم أعلم مني بالحديث، فأخبروني عن الحديث الصحيح كي آخذ به سواء أكان عراقيا أم شاميا أم حجازيا".

وسهر ليلة حتى أصبح، وقال لزميل له قام الليل كله: "أنت صليت الليل كله وأنا استخرجت من أثر واحد سبعين فائدة"!!

والعبقري الآخر الإمام أبو حنيفة رحمه الله توقى في الحديث، واعتمد على ظاهر القرآن والقياس لأن بيئته "العراق" كانت بيئة تشيع ووضع، ولما حدث أحد الثقات عنده بحديث عمل به، واستنبط منه مسائل كثيرة فقال محدثه: من أين أخذت هذا؟ قال الإمام: من الحديث نفسه الذي حدثتني! وصدق الرسول الكريم (رب مبلّغ أوعى من سامع).

وكان الصحابة الكرام آيات في العلم عجز عنها من سبقهم، ولم يلحقهم فيها أحد بعدهم، مع أنهم اقتبسوا ما آتاهم الله من شخصية الرسول الكريم الفذة ومن اكتشافه لمواهبهم وتربيته لعبقرياتهم، وأوتي ﷺ جوامع الكلم، وعلى ذلك تربى أصحابه فكان تحت الكلمة التي يقولون عمل غزير يحتاج شرحه لمجلدات، قال حماد بن زيد: "الكلام اليوم أكثر ولكن العلم أقل".

وأقر صلوات الله وسلامه عليه تنوع مواهب أصحابه، ورباهم مراعيا ذلك التنوع، واختلاف ما آتاهم الله من المواهب، فخرج ذلك الجيل الفريد الذي لا يتكرر في التاريخ أبدا، فهل عرف التاريخ حاكما مثل عمر، أو مفتشا إداريا كمحمد بن مسلمة، أو أمينا كأبي عبيدة، أو عالما كابن مسعود ومعاذ، أو قاضيا كعلي، أو حكيما كأبي الدرداء، أو قائدا كخالد، أو حافظا كأبي هريرة، وقس على ذلك، وانظر مثلا ثناء ابن القيم في الفوائد على كلمة عظيمة لأبي الدرداء وكلمة أخرى لعمر، وتبعا لذلك الإيجاز وما فيه من العلوم كانت المصنفات الأولى صفحات معدودات فقط.

والله تعالى جعل رسوله الأمي الكريم من العرب، وهو شرف عظيم كانت كل الأمم تسعى إليه، لا سيما اليهود الذين كانوا يعرفون صفته ومبعثه ومكان هجرته، وهاجروا إلى بلاد العرب طمعًا أن يبعثه الله منهم، وسكنوا خيبر والمدينة لما علموا أن مهاجره أرض ذات نخل.

وكانوا يستفتحون به على قبائل العرب، وأخبروا عنه سلمان الفارسي وتبعًا وغيرهم ممن ثبت خبره، وشاع في العالم ذكره حتى أن بعض الناس سمى ابنه محمدًا كمحمد بن مسلمة الأنصاري، وسرعان ما آمن به عالم بني إسرائيل "عبد الله بن سلام" ولما دعا الأوس والخزرج إلى بيعته ليلة العقبة سارعوا وقالوا: لا يسبقنكم إليه اليهود، عليهم لعائن الله المتتابعة إذ كفروا بما عرفوا حسدا وبغياً، وعلى سنة اليهود المعاصرين له سار يهود هذا الزمن،

وزين لهم الشيطان أعمالهم وزادهم كفرًا به وعداوة له ما يفعله المنتسبون إليه من أدعياء الإسلام.

وهو ﷺ دعوة أبيه إبراهيم عليه السلام، وبشرت به الكتب السابقة، وأخذ الله العهد على كل نبي لئن أدركه ليؤمنن به ويتبعه، وكانت ملائكة السماء تترقب بعثته، وجعله الله شهيدا على هذه الأمة المباركة، وجعل أمته شهداء على الأمم، ولعظيم قدره ﷺ نهى الله عن التقديم بين يديه، أو رفع الصوت فوق صوته الشريف، والجهر له بالقول كما يجهر بعض الناس لبعض، وأمر بتقديم صدقة بين يدي نجواه إذ ليس سؤاله أو مخاطبته كسؤال غيره أو مخاطبته، ونهى عن أذاه وتوعد من يؤذيه.

وقد أجمعت الأمة على تحريم ذلك، وعلى أن بغضه عليه الصلاة والسلام مناف للإيمان.

وإنما قال عنه المنافقون في أيامه هو أُذُن، ولا ريب أن ما فعلته الصحف الغربية اليوم مثل "شارلي ايبدو" الفرنسية أعظم من قول أُذُن.

وجعل الله شانئه هو الأبتر، وكان المسلمون إذا حاصروا حصنا للكفار فسب أحد منهم الرسول ﷺ أيقنوا أن النصر قريب، وأرسله ربه ليكون رحمة للعالمين ونذيرا لهم بين يدي عذاب شديد، وجعل له صفات تشهد بذاتها أنه رسول من عنده لا ينطق عن الهوى ولا يحلل ولا يحرم ولا يأمر ولا ينهى إلا بأمر ربه، وجعله قدوة للمؤمنين وأسوة للصالحين في كل جيل.

وجمع له ربه الكمالات البشرية كلها، فهو أشجع الناس وأعدل الناس، وأكرم الناس، وأحسن الناس خلقا، وأحلم الناس، وأطهر الناس، وأطيب الناس رائحة وأقومهم عادة، وهكذا.

ولو أن أحدا مهما بلغت عبقريته أراد أن يكون مثل رسول الله ﷺ في جانب واحد من جوانب سيرته الشريفة، لعجز عن ذلك، خذ مثلا أمرا سهلا فيما نرى، وهو معاملته ﷺ لزوجاته الطاهرات.

والله تعالى أعطى كل نبي ما يؤمن الناس على مثله من الآيات والبراهين، وجمع لنبيه محمد ﷺ بين الآية الخالدة القرآن وبين نحو ألف آية حسية في الأرض والسماء، وعلمه ما لم يكن يعلم، وكل من لم يؤمن بتلك الآيات والبراهين فعليه بالواقع التاريخي للسيرة النبوية، وكفى بذلك دليلا لمن تبصّر، وعلى هذا الدليل الحسي الواقعي اعتمد شيخ الإسلام في مجادلة النصارى، حين لم يؤمنوا بالبراهين الأخرى، كما اعتمد ابن القيم أيضا كما في "الزاد"، وسار عليه ابن أبي العز في شرح العقيدة الطحاوية، وفي عصرنا هذا أسلم الدكتور "موريس بوكاي" عن علم ويقين ومعرفة.

فما أعجب سيرته وما أكثر آياته وما أدل علاماته.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الجواب الصحيح: "وسيرة الرسول ﷺ من آياته، وأخلاقه من آياته، وأقواله وأفعاله وشريعته من آياته، وأمته من آياته، وعلم أمته في دينهم من آياته، وكرامات صالحي أمته من آياته".

إلى أن يقول ضمن كلامه النفيس في فصل عظيم جامع في "الجواب الصحيح" نقله عنه ابن كثير والشيخ السعدي: "وكان أميا من قوم أميين لا يعرف لا هو ولا هم ما يعرفه أهل الكتاب، ولم يقرأ شيئا من علوم الناس ولا جالس أهلها، ولم يدع النبوة إلى أن أكمل الله له أربعين سنة فجاء بأمر هو أعجب الأمور وأعظمها، وبكلام لم يسمع الأولون والآخرون بنظيره، وأخبر بأمرٍ لم يكن في بلده ولا في قومه مثله، ولم يكن مثله قبله ولا بعده في مصر من الأمصار، ولا في عصر من الأعصار من أتى بمثل ما أتى به، ولا من ظهر كظهوره ولا من أتى بالعجائب والآيات بمثل ما أتى به، ولا من دعا إلى شريعة أكمل من شريعته، ولا من ظهر دينه على الأديان كلها بالعلم واالحجة وباليد والقوة كظهوره".

ثم يذكر رحمه الله طرفا من سيرته العطره وما فيها من الآيات الدالة على صدقه وعدله صلوات الله وسلامه عليه، ومنها الانقلاب العظيم،

والتغيرات الهائلة، التي أحدثها في أولئك الأميين، وكيف أصبحوا سادة وعلماء وحكماء للعالمين.

وكيف أنه لم يكن مريداً للدنيا ولا ملكاً يريد الملك لنفسه ويوليه أقاربه من بعده.

وقال: "وهو ﷺ مع ظهور أمره وطاعة الخلق له، وتقديمهم له على الأنفس والأموال، مات ولم يخلف درهما ولا دينارا، ولا دابة إلا بغلته وسلاحه، ودرعه مرهونة عند يهودي على ثلاثين وسقا من شعير ابتاعه لأهله، وكان بيده عقار ينفق منه على أهله، والباقي يصرفه في مصالح المسلمين، وحكم بأنه لا يورَث ولا يأخذ ورثته منه شيئا (يعني الشيخ فدك).

إلى أن يقول الشيخ رحمه الله: "لم يأمر بشيء فقيل ليته لم يأمر به، ولا نهى عن شيء فقيل ليته لم ينه عنه"، وقال شيخ الإسلام في موضع آخر: "ولهذا قدم رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر على أقاربه، لأنه رسول الله يأمر بأمر الله ليس من الملوك الذين يقدمون أقاربهم ومواليهم وأصدقاءهم".

وإن مما يدل على منزلته ﷺ في القلوب، أن أفسق الناس من أمته يصلي عليه ويغضب له ويأبى أن يسبه، وإليك بعض الأمثلة:

١- سبه أحد القساوسة في دولة غربية فقام أحد السكارى من العراق، فلكم القسيس وسبعة كانوا معه حتى طرحهم أرضا ثم هداه الله وحدثني بقصته في تركيا.

٢- حدثني أحد الإخوة الفلسطينيين، أن رجلا حقق معه أحدهم وأمره أن يسب حاكمه فسبّه، وما أمره بشيء إلا فعله، ولما قال له قل كذا في حق الرسول ﷺ أبى، وتحمل صنوف التعذيب دون أن يقول في حقه شيئا مع أنه لم يكن متدينا.

٣- جعل السيسي الصلاة عليه دليلا على أن من يكتب ذلك على سيارته ينتمي لمنظمة إرهابية محظورة!! ومع ذلك لم يمح الصلاة عليه أحد ورضي كاتبوها أن يكونوا من نزلاء سجون السيسي التي فيها ما فيها.

٤- ضج الشعب المصري عندما قال أحمد الزند وزير عدل السيسي وصديقه "أيّ واحد يخالف القانون لا بد من اعتقاله ولو كان رسول الله -أستغفر الله-"، فاضطر السيسي إلى عزله.

والأمثلة على ذلك كثيرة.

فيا أخي القارئ من الذي يترك هدي من هذه بعض مناقبه، وهذه منزلته في القلوب، ويتبع ضلالات المشركين وخرافات الكافرين من "أرسطو" إلى "ترامب"؟ وهل من دَركٍ بعد هذا يهو ي إليه العقل البشري في مكان سحيق؟

وهل تصح دعوى أحد -حضارته فاوستيه- أنها حضارة تقدميه؟

وقد شرف الله أمته وأعلى درجتها وميزها عن الأمم، دع الشريعة والعادات الأصيلة، وانظر إلى الجانب المادي البحت، ألست ترى في اسطنبول أو كوالالمبور ما ليس في لندن ونيويورك، بل إنني لكثرة ما ركبت طائرات دي سي ٦ أو ٩، فرحت عندما كانت الطائرة التي تطير بنا من لوس أنجلس إلى بورتلاند من طراز بوينج ٧٣٧، وقارن بين مطار اسطنبول ومطار (جي إف كي) في نيويورك! وبين تلوث مدن أمريكا ونقاء مدن ماليزيا، حسب ترتيب الأمم المتحدة نفسها، حيث قررت الهيئة الأممية أن المدن الماليزية هي أنظف مدن العالم وأبعدها عن التلوث وكذا المدن التركية، علما بأن مفتشيها لم يروا غالبا إلا كوالا لمبور واسطنبول، وكثير من المدن في الدولتين أنظف بيئة منهما، ومن زار إحدى الدولتين ورأى ما في نيويورك من التلوث عرف ذلك عيانًا، فأتباعه ﷺ ليسوا الأنظف أخلاقيا فقط، بل هم الأنظف حسياً.

وبعض خصائصه ﷺ هي لأمته أيضا كجواز التيمم، والصلاة في أي أرض طاهرة، (وقد كان من يسمون الخواجات يعجبون ويذهلون حين يرون المسلمين يصلون بين مكة وجدة)، والنصر بالرعب، وقد رأى ذلك المرابطون في المسجد الأقصى وأهل فلسطين في قلوب اليهود حين يخيفونهم

بالتكبير، وحين يخوفون اليهود بأن جيش محمد سوف يعود، وحين يتحدث عن جبنهم أطفال فلسطين وتصفع طفلة فلسطينية ضابطًا صهيونيًا، وكذا حل الغنائم، ووصفه ربه صلوات الله عليه بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وكذا وصف أمته، وجعل العاقبة له على من يشنؤه، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن المسلمين كانوا إذا حاصروا حصنا فأطل منه كافر وشتم الرسول ﷺ أيقنوا أن النصر قريب.

وهذا ما نتوقع حصوله لكل من يشنؤه ﷺ من أصوليي أمريكا وهوليود "وترامب" وشلّته، وكذا "فرنسا" ومجلتها "شارلي إيبدو" ومن تبعها من الدول الغربية وإسرائيل وشلتها، وكل ذلك قد بدأت بوادره.

وعندي أن ادعاء المباحث الفرنسية أنها عثرت على جواز منفذ هجمات باريس بجوار جثته المحترقة، هو مثل ادعاء المباحث الأمريكية أنها عثرت على جواز أحد منفذي تفجيرات ١١ سبتمبر لم يحترق، وهذا من الطرفين استخفاف بعقولنا!!

والغربيون يقيسون ديننا على دينهم وشعائرنا على شعائرهم، ويظنون أننا نسمي أنفسنا محمديين كما يسمون أنفسهم مسيحيين، أو أنا نعتقد أن محمدا ﷺ هو أحد الأقانيم الثلاثة كما أن أقانيمهم ثلاثة وهم في الحقيقة (بولسيين) ولا ينتمون للمسيح عليه السلام أخي محمد ﷺ.

ولازم محبته ﷺ هو اتباع سنته وليس الابتداع في دينه، ومن محبته ﷺ أن نحب أهل بيته الشريف الذين هم أشرف بيت على وجه الأرض كما قال الحافظ ابن كثير، وإذا كان هناك من قال لأحد من الأشراف تحدث عن نفسك فقط فإني أشهد الله ثم خلقه على أنني سوف أتحدث عن حقوق آل البيت ولا أتحدث عن نفسي قط!!

وفي أمته الشريفة العباقرة الذين لو رأى الأنبياء الكرام جودة قرائحهم لعجبوا من حسن استخراجهم ودقة استنباطهم، ومجال اجتهادهم هو تصرفاته ﷺ في الأحوال المختلفة، فقد يتصرف بمقتضى كونه إماما لأمته وقد

يتصرف بمقتضى كونه القائد الأعلى للجيش، وقد يتصرف بمقتضى كونه القاضي بين المسلمين وقد يتصرف بمقتضى كونه المفتي الذي يرجع الناس إلى فتواه، وقد يتصرف بمقتضى كونه مجرد شافع غير آمر، وهذه كلها غير التصرف الأعظم وهو كونه الرسول المخبر عن الله، وعلى ذلك نص القرافي في "الفروق" وابن القيم في "الزاد".

الوصايا النبوية الكريمة:

في آخر عمره ﷺ أوصى أمته بوصايا ناطقة بكمال نصحه وشفقته وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وأنه تركها على مثل البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك ومن وصاياه الشريفة:

١- أوصى بكتاب الله.

٢- أوصى بالصلاة.

٣- أوصى بالرحمة والشفقة لا سيما بملك اليمين.

٤- أوصى بالأنصار.

٥- أوصى بالإقتداء بالشيخين اللذين بعده.

٦- أوصى بأهل بيته الشريف وعترته الطاهرة.

٧- أوصى بإخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب.

٨- أوصى بإنفاذ بعث أسامة بن زيد لقتال النصارى.

٩- أوصى بإجازة الوفد كما كان يجيزه ﷺ.

فإذا أخرج صلوات الله عليه أهل الكتاب من ديارهم التي سكنوها قرونا، فيجب منعهم من القدوم إلى جزيرة العرب مطلقا، وعلى ذلك أجمع الصحابة رضي الله عنهم، كما أخرج عمر يهود خيبر ونصارى نجران وعليه درج المسلمون من عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عهد العثمانيين، والمجوس أولى بالإخراج من أهل الكتاب بذلك، ومن كان ملحدا لا دين له أولى بالطرد من المجوس.

ويجمع وصاياه الشريفة كلها: العمل بالكتاب والسنة وفهمهما كما فهمها الصحابة والسلف.

كما علمنا ﷺ الحذر من المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، ومن الكفرة عبيد الدنيا الذين يجعلون الآخرة مجرد احتمال وموضع شك، فإذا سألهم عنها قالوا "ربما قد يكون ذلك"، أو حسب لغتهم "ميبي".

وهو صلوات الله رحمة للعالمين دع من آمن به فرحمته له ظاهرة، ولكن حتى من كفر برسالته لكنه دخل في العهد والذمة هو رحمة له في الدنيا، بل حتى من قاتله هو رحمة له من جهة أنه لو لم يمت لازداد كفراً فازداد عذابه، فكان رحمة له من هذه الجهة.

وبالرغم من أن بعض المستشرقين درس حياته ﷺ ليكذب عليه ويقلب الحقيقة، وأن بعض من درس حياته كان من متعصبي أهل الكتاب، وكان باعثه الحقد والحسد، إلا أن سيرته الشريفة بهرهم، حتى أن بعضهم أسلم وبعضهم كتم إيمانه، وبعضهم وقف عند حد الإعجاب به.

وكثير من دعاة الحرية والإنسانية أو المساواة بهرهم سيرته، وبعضهم مدحه بأنه ﷺ كان زاهدا، ولم يكن يريد الملك أو المال، ولا ورَّث لأحد من ذريته ملكا ولا ثروة، بل كان هو نفسه زاهدا في الدنيا كلها.

أما الفتوحات الإسلامية وسرعتها وانتشارها في زمن قياسي، وأما أمته العظيمه وتاريخها المجيد وحضارتها السامقة، والتغيير الجذري الذي أحدثه ﷺ في العرب، فقد أذهل ذلك كل من اطلع على التاريخ الإسلامي بعدل وتجرد، وتخلَّص من أكاذيب رجال الدين النصارى وافتراءاتهم ومن الحسد اليهودي، الذي امتد ليصبغ الحضارة الغربية كلها إلا من رحم ربك.

ولكثرة فضائله ﷺ حرصت كل قبيلة من العرب على الصلة به، والفرح بأن تكون جَدته منها ولو كانت بعيدة، وهو نبي مبارك أينما كان، وكل من وقره وعزره حفظ الله له ذلك، حتى من كان كافرًا فإن الله توعد أبالهب بالنار لكن لما أعتق ثويبة حين بشرته بمولده ﷺ جعل لأبي لهب يوم الاثنين

نقرة يشرب منها كما روى البخاري عن عروة بن الزبير، ورواه كذلك ابن سعد، وذلك في رؤيا منامية تصح ولو كان الرائي كافرًا والله أعلم.

كما أن آثاره الشريفة كلها مباركة ومن أهانها فقد جلب الشؤم لنفسه، فانظر كيف أبقى الله لهرقل بعض ملكه لما عظم كتابه الشريف، وبقي ذلك عند ذريته حتى آل إلى الفونسو بالأندلس، بينما مزق الله ملك كسرى لما مزق كتابه، وقيل إن خالد بن الوليد كان يضع بعض شعراته الشريفة تحت عمامته، فلم ينهزم في أي معركة.

ومن أعظم ما بهر اليهود والنصارى في الإسلام هذا الاحترام العجيب الذي يكنه المسلمون بأمر ربهم لكل الأنبياء، بل إن حبهم لموسى وعيسى ومريم ليفوق ما عند اليهود والنصارى، وقد ورد ذكر مريم في القرآن والسنة أكثر مما ورد في الإنجيل، بل إن الإنجيل ليعبّر عنها بعبارة "مريم الأخرى" إذا ذكر مريم المجدلية، وأكثر من يرفض تصوير هؤلاء أو تمثيلهم هم المسلمون حتى في بلاد الغرب، حيث تجد من استنكر فيلم "حياة المسيح الجنسية" مثلا من المسلمين أكثر وأدوم ممن استنكر ذلك من النصارى، وأخشى ما تخشاه هوليود هو غضب المسلمين، وتجد أن اليهود يتهمون مريم عليها السلام بالزنا، وأن المسيح عليه السلام ابن زنا حاشاهما من ذلك، وتنسبه أنا جيل النصارى إلى يوسف النجار، وهذا ما يكفر به المسلمون، والقرآن نفسه فيه أنه بلا أب، وأن الله تعالى خلقه كذلك كما خلق آدم بلا أم ولا أب، إثباتا لقدرته التي لا حدود لها، وحكمته التي تعجز العقول عن الإحاطة بها.

والرسول ﷺ جعل مريم عليها السلام إحدى أربعٍ هن سيدات نساء العالمين وهن الكاملات من النساء.

كما صرح القرآن بأن العصا التي لقفت حبال السحرة وعصيّهم هي عصا موسى عليه السلام، وليست لهارون كما تقول التوراة في مواضع كثيرة، وهي ليست عصا سحرية كما قال بعض الفراعنة قديما وبعض الملاحدة حديثا، بل هي برهان من الله وآية على نبوته، وإنما كان أخوه

هارون مساعدا له لأنه أفصح منه لسانا، وإنما جعله الله وزيرا له وردءا ليصدقوه.

ولما قدم ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء لأن الله أنجى فيه موسى ومن معه قال: (نحن أولى بموسى منكم!).

وطابَق بنو إسرائيل بين خِلْقته التي في كتبهم، وبين ما رأوه من صفته عيانا، فآمن به من كتب الله له الفلاح مثل عبدالله بن سلام، وذكرت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب أن عمها قال لأبيها: "أهو هو؟ قال نعم" الحديث، وكذا أخبر أحبار الشام سلمان الفارسي، وقال عبدالله بن عمرو إنه لموصوف في التوراة بصفته التي في القرآن، وذكر بعض الصفات الواردة في سفْر أشعياء وبعض الصفات باق اليوم، كقوله ﷺ: (ما أنا بقارئ)، وإن كان اليهود حرفوا معناها.

وقال هرقل بعقله الكبير وعلمه الواسع بعد أن اختبر زعيم المشركين آنذاك أبا سفيان: "لقد علمت أنه ما كان ليذر الكذب على الناس ثم يكذب على الله!! وقد كنت أعلم أنه خارج ولولا ما أنا فيه من الملك لتجشمت إليه..." إلخ. وفي نهاية الأمر ضن بملكه بعد أن عرف الحق واكتفى بالاحتفاظ بكتابه ﷺ.

ولما فتح المسلمون دمشق، كان أحبار النصارى يقارنون بين الصحابة الكرام وبين الحواريين الذين صحبوا عيسى عليه السلام، وشهدوا أن الصحابة أفضل، وهكذا كان أهل الكتاب، كما كان المشركون كذلك انظر إلى قصة زيد بن عمرو بن نفيل، وحسبك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١].

وانظر كيف عرف العالم "عبدالله بن سلام" ذلك بمجرد رؤية طلعته الشريفة، لما قدم المدينة:

لو لم تكن فيه آيات مبينة ... كانت بديهته تأتيك بالخبر

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وقد كان لدى أهل الكتاب صور الأنبياء جميعا، ومنها صورة النبي ﷺ وأبي بكر الصديق آخذ بعقبه، فوا عجبا كيف لم يؤمن به كل أهل الكتاب.

وقد كان التصوير معروفا عند الأقدمين وصور المشركون إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يستقسمان بالأزلام كما يزعمون، بل كانت الصور المجسمة جائزة في شرع الأنبياء السابقين، وورد في القرآن أن الجن يصنعون التماثيل لسليمان عليه السلام، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ﴾ [سبأ:١٣] الآية، وصح أن عائشة رضي الله عنها كانت تلعب بخيل مجنحة وتقول إنها كخيل سليمان!!

هذا وقد شمل العداء للدين خصوصًا في جزيرة العرب العداء للنبي ﷺ واتهامه بما ليس فيه وفقا للمنهج اللاديني الذي يعد المنهج السائد في أمريكا والغرب، ومن ذلك قول بعضهم من دولة الإمارات (إذا كان قدوة الإرهابيين هو محمد الرسول فنحن قدوتنا محمد بن زايد)، وقول ملحد آخر: (جاء الرسول الكريم محمد ليصحح عقيدة إبراهيم الخليل، وجاء زمن نحتاج فيه إلى من يصحح عقيدة محمد بن عبد الله)، وأمثال ذلك مما هو كذب وافتراء على رسول الله ﷺ، وكل من يقرأ القرآن ويدرس حياته الشريفة يظهر له ما في القولين من كذب، عليه الصلاة والسلام.

والتاريخ الديني والتاريخ الحضاري والتاريخ العلمي بل التاريخ البشري كله، يقطع بصدقه ﷺ وبكذب من عاداه، ومن عرف الله تعالى وحكمته وعادته في إهلاك الظالمين والكاذبين علم أنه صلوات الله عليه لولا صدقه لم ينصره الله ويمكن لأمته من بعده وتلك سنة الله التي لن تجد عنها تحويلا ولا تبديلا.

بعض ميزات الحضارة الإسلامية

كما أن الحضارة الإسلامية تتميز بمصدرها الرباني تتميز كذلك بميزات ليست في غيرها منها:

الميزة الأولى: أنها حضارة تقوم على الحجة والبرهان واليقين وليست حضارة تقليد أعمى وتسليم مطلق ولا تقوم على الظنون والاحتمالات التي لا يعرف الفكر الغربي غيرها لاسيما في بحوثه النفسية والاجتماعية، وكلامه عن نشأة الكون ووجود الحياة وتقديره للعصور الجيولوجية وأمثال ذلك.

فالنصرانية يقوم إيمانها على قاعدة (آمن ثم فكر)، وعلى عقيدة الأسرار التي يستعصي على العقول فهمها، وعقيدتها هي التثليث الذي لا تؤمن به الفطر السليمة والعقول المستقيمة ولا تقره بدهيات الرياضيات.

ولما هرب العلمانيون في الغرب من خرافات الكنيسة وضلالاتها تفرقوا، فكان منهم الشيوعي والوجودي والعبثي والسريالي والفوضوي، وادعوا الحرية والديمقراطية والعقلانية وغير ذلك من المبادئ والنظريات ليحتموا بها من العقائد الكنسية، لا لأنها نتيجة تفكير هادئ متزن.

وهذا كله بخلاف الإسلام الذي يشترط للحق أن يكون دل عليه البرهان والمنطق والبينة، ولذلك أدلة كثيرة من القرآن والسنة منها مثلا:

١. قوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل:٦٤].

٢. ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ [النساء:١٢٣].

٣. ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة:١٨].

٤. قوله تعالى عن اليهود: ﴿وَقَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٨٠].

٥. قال تعالى عن المشركين: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧-٧٨].

٦. قال تعالى عن المشركين: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧]، وقال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ﴾ [الأحقاف:١٠].

٧. وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الصافات:١٥٧].

٨. وقال: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف:٤].

٩. وقال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

١٠. وقال: ﴿أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٤].

١١. وقال: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢].

والآيات والأحاديث كثيرة جدا.

ومن هذه النظرة العلمية القطعية يشترط علماء الإسلام لثبوت أي مصدر للمعرفة شروطا لابد من تحققها: فالقرآن لابد أن يكون متواترا والحديث لابد أن يكون صحيحا.

فليس في الإسلام -ولله الحمد- توراة أو أناجيل مجهولة المترجم، ليحكم في ثبوتها الكهنوت، فضلا عن كون أناجيلهم الرسمية متناقضة ونسخ التوراة مختلفة، ولا يدري أحد بيقين من كتبها ومتى كُتبت؟

وليس في الإسلام نُسخ سِرِّية ولا غرف سرية ومكتبات سرية كما في الفاتيكان.

وليس في مصادره مخطوطات يقال إنها منحولة ولا بد أن ينقحها الأحبار والرهبان لكي توافق التوراة المعمول بها في إسرائيل، أو الأناجيل الرسمية عند النصارى مثل مخطوطات كهوف قمران ونجع حمادي.

ولو أننا طبقنا شروط علماء الجرح والتعديل على ما عند أهل الكتاب اليوم لحكمنا على أن التوراة والإنجيل واهية جدا، والخلاصة أنها غير مقبولة ولا حجة فيها.

وهي نُسخٌ بشرية عدَّل فيها من عدَّل ورفضها كثيرون، ليس من المفكرين الغربيين العلمانيين وحدهم، بل من فرق اليهود والنصارى أنفسهم.

وإذا أسلم منهم أحد بهته اليهود والنصارى وافتروا عليه الأكاذيب، وشوهوا سيرته وحياته وأهملوا ذكره مطلقا.

وهذه الطبيعة عِلمها عبد الله بن سلام ﵁، وقال: (يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، سلهم عني أولا، فقال ﷺ لليهود: ما تقولون في عبدالله بن سلام؟ قالوا حبرنا وابن حبرنا وعالمنا وابن عالمنا. قال أرأيتم إن أسلم؟ قالوا معاذ الله. فخرج عليهم عبدالله بن سلام وأعلن إسلامه فقالوا هو شرنا وابن شرنا! فقال: ألم أقل لك يا رسول الله إن اليهود قوم بهت).

وطمس النصارى ذكر النجاشي المسلم من قائمة ملوك الحبشة، وكذا طمسوا "منليك" الذي أسلم، وطمسوا كذلك الملك الانجليزي المسلم "إيفا ريكس" من التاريخ الانجليزي والأوربي، مع أنه كان يحكم انجلترا والنرويج وكثيرا من شمال أوروبا ووسطها، فأين حقائق التاريخ عن هؤلاء؟

وأهل الكتاب مع هذا البهتان وطمس الحقائق يحرفون كلام الله، قال تعالى عنهم: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦]، وقال: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:٤١]، وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩]، وهم يلوون ألسنتهم بالكتاب ليحسبه السامع من الكتاب.

وبذلك وضع اليهود أساس التأويل الذي تبعه عليهم المعتزلة والأشعرية، ثم بالغ فيه الباطنية كثيرا، وتبع الباطنية فيه (رولان بارت) حديثا، وكذا ما يسمى التأويلية الحديثة (الهرمونيطيقا)، وهم مع ذلك يأكلون أموال الناس بالباطل، وقد كان للكنيسة كثير من الأوقاف فضلا عن الجبايات الأخرى

كالعشور والصدقات الاجبارية، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [التوبة:٣٤].

وعاين ذلك قديما سلمان الفارسي رضي الله عنه، حتى أنه دلهم على جرار الذهب التي كان ينهبها الحبر الكاذب، كما رأى ذلك حديثا وتحدث عنه "مارتن لوثر"، وهم مع ذلك اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وأدخلوا في دينهم العقائد الوثنية كالتثليث مضاهاة منهم للأمم الوثنية السابقة، وكذا الشرائع الوثنية كعيد الميلاد، قال تعالى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة:٣٠].

والتاريخ العام نفسه يثبت أن أصول تلك العقائد والشرائع النصرانية والوضعية هي ما كان عليه الفراعنة والهندوس والسبئيون، وأخذ النصارى عن الأفلاطونية الحديثة عقيدتهم في الكلمة التي سماها "فرفريوس" (اللوغوس)، كما أخذوا عن المشركين قبلهم الأقانيم، والأقنوم كلمة مختلف فيها أهي تعني الشخص أم الجزء أم الطبيعة أم ماذا؟

وعلى هذه الوثنية اليوم الرئيس الأمريكي الذي يستقبل "الدالاي لاما" التبتي مدعي الألوهية الذي يؤمن البوذيون بأنه إله، دون أن يقف الرئيس الأمريكي مع مطالب أهالي تركستان وكلِّ مسلمي الصين "الأيغور" الذين يبلغون أضعاف كفار التبت، والذين يعظِّمون المسيح وأمه كأي مسلم، فالسياسة الأمريكية ضالة بكل مقياس إنساني أو رباني.

فلماذا يا فخامة الرئيس تختار الخرافة على الحقيقة؟ وكيف تؤمن بحق الأقليات إذا كانت خرافية ولا تؤمن بحقها إذا كانت مسلمة؟ وهل تعلم أحدا من زنادقة المسلمين -فضلا عن الصالحين منهم- يشتم المسيح وأمه، وكيف صار البوذي أفضل عندك من المسلم؟ وكيف تصمت على إرغام المسلمين على الإفطار في رمضان؟ وعلى تحديد النسل؟ وعلى نزع الحجاب؟ وعلى تحديد سن أداء الصلاة في المساجد؟ فأين الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان؟

أمن الحرية والديمقراطية ما يفعله الشيوعيون في الصين ضد الأيغور، كمنع الأذان بالمكبرات ومنع تحفيظ القرآن حتى الفاتحة؟

وكيف تكون الراهبة الأمريكية محجبة ولا تكون المسلمة كذلك؟

وكيف تقول إن أمريكا تنشر الديمقراطية في العالم ولا تنكر على بورما أنها حرمت المسلمين من التصويت؟

أهكذا الديمقراطية أم الإنجيلية؟

أم أنه الحقد والحسد.

وكما قامت النصرانية على التقليد والظنون والاحتمالات والتخرصات قام أيضا أكثر النظريات الغربية والفرضيات الغربية، وربما صح منها شيء في حق أوروبا وحدها، ولكن تعميم ذلك على العالم كله والمجتمعات كلها خطأ علمي.

والظنون لا يصح تطبيقها على عالم الغيب بل ولا على العالم المادي إذا كان العقل البشري يجهله، ومن ذلك كلامهم عن الكواكب مع اعترافهم أن بعضها كالمشتري مثلا أكبر من الأرض بألف ضعف، وأبعد منه كلامهم عن المجرات مع أن المسافة بين مجرة وأخرى تقدر بملايين أو مليارات السنين الضوئية، أي أنهم لم يحيطوا بها علما، وذلك من أسباب كفر الكافرين، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس:٣٩] وقال: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾ [النمل:٨٤]، وكثير من نظرياتهم ليس لها أساس علمي وإنما هي رجم بالظن من مكان بعيد.

على أن الرحمن الرحيم سبحانه علم الإنسان ما لم يعلم، وجعل الميزة العظمى للإنسان هي العلم وجعل اليقين هو المعتمد.

وليست الشجرة التي نُهي أبوانا عن الأكل منها هي شجرة معرفة الخير والشر كما تزعم التوراة، ولا هي العلم كما تزعم أسطورة "بروميثوس" اليونانية، وكيف يكون الدين عدوا للمعرفة وكلاهما رحمة من الله!

ومن المعلوم أن الله علم آدم الأسماء كلها وأنزل أول ما أنزل (اقرأ)، والنبي ﷺ جعل فداء المشركين تعليم أبناء المسلمين، وأقر زيدا أن يتعلم لسان اليهود، وأفاد من التجارب البشرية للمجتمعات الكافرة، وقال: (لقد هممت أن أمنع الغيلة ثم وجدت فارس والروم يغيلون فلا يضر أولادهم).

وقبل أن يثبت "بيكون" و"جاليلو" أن الاعتبار إنما هو للملاحظة التجريبية، وليس التفكير العقلي المجرد كما فعل أرسطو، كان الله في القرآن قد أمر بالنظر في ملكوت السموات والأرض.

ولكون الإسلام دين الثقة المطلقة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، نجد المسلمين لا يخشون أبدا اكتشاف أي مخطوط للقرآن أو للأحاديث، بل يبتهجون لذلك، وإنما يصيب الهلع والرعب قلوب أهل الكتاب، كما رأينا هلع إسرائيل والفاتيكان عند اكتشاف مخطوطات البحر الميت، ونجع حمادي، وذلك الآن أكثر، ومحاولات اليهود والنصارى تنقيح ما يعثرون عليه كي يوافق معتقداتهم أصبحت اليوم صعبة بل مستحيلة، مع تقدم وسائل الاتصال الحديثة وانتشارها.

وقد استقال البابا "بندكت السادس عشر" من منصبه وبيّن سكرتيره أن من أسباب ذلك تسرب بعض الوثائق من مكتبة الفاتيكان، وأظن أن الذي تسرّب هو الأناجيل القديمة التي يظهر بها أن اختيار الكنيسة للأناجيل الأربعة المعروفة مجرد تحكّم وهوى وليس عن علم وتمحيص، وهذه الأناجيل لا سيما الآرامية –فوق أنها أقدم– مكتوبة بلغة المسيح نفسه، وليست مترجمة، وفيها ما يوافق القرآن خصوصا في المسألة البالغة الخطورة (صلب المسيح عليه السلام)، وهذا الاكتشاف يثبت وحدة الدين المنزل ويبطل عقيدة التثليث والصلب الوثنية، التي يؤمن بها النصارى لا يشذ عنهم إلا القلة المعتقدة للتوحيد من البروتستانت، وفي هذه الأناجيل التصريح باسم النبي ﷺ، وصدق الله ﴿ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، والشيء الذي ربما غفل عنه البابا "بندكت السادس عشر" هو أن مثل هذه

الأناجيل موجودة في الحبشة، وفي تركيا، وفي مناطق كثيرة من العالم خارجة عن سيطرة الفاتيكان.

وهذه الاكتشافات تجعل الغرب يزداد كفرا بالنصرانية ويعدُّ ما يسمى "الحوار النصراني الإسلامي" عبثا سياسيا لا محل له، لا سيما والنصارى يستثنون المسائل المختلف فيها من الحوار!! ويجعلون الحوار وسيلة للمطالبة ببناء كنائس لهم في السعودية.

فالعقيدة الإسلامية يقينية قطعية ولا مجال فيها للظنون والاحتمالات، أما الغربيون فكثير منهم يأتون لبلاد الحرمين ويعملون للدنيا فقط، ولو أن أحدا سألهم عن أخطر قضية مستقبلية تواجه العالم، وهي فناء الحضارات واندثار البناء الكوني في جملته والبعث بعد الموت، لقال: قد يكون ذلك أو يحتمل أو ربما، فهم كما قال جل شأنه عنه: ﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية:٣٢]، وهذا الظن هو قول أمثلهم طريقة، دع من يلحد ويقول إن الكون جاء صدفة.

- الميزة الثانية: أنها حضارة توحيدية:

فالله تعالى واحد والرسول واحد والقبلة واحدة والقرآن واحد، ودين الأنبياء واحد والمسلمون أمة واحدة وحكمة الوجود واحدة.. إلخ.

والإسلام دين التوحيد وليس فيه تعدد، وليس فيه كما في اليهودية أحبار معبودون واستنصاح للرجال في دين الله، أو اصطلاح على خلاف شرع الله، وليس فيه تثليث كالنصرانية، ولا يشرع علماؤه شيئا كما يشرع الأحبار والرهبان.

وكلمة التوحيد هي شهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولو كان المسلمون يعرفون قدرها ووزنها، ما فضلوا الكافر الأشقر أو الكافرة الشقراء على المسلم الأسود أو المسلمة السوداء!

والتوحيد في الإسلام حقيقة كبرى لا يحققها الإنسان إلا بتحقيق الإخلاص ظاهرا وباطنا، فالإيمان واجب ظاهرا وباطنا، والإثم يجب تركه ظاهرا وباطنا، قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾[الأنعام:١٢٠]، والشكليات والشعارات لا تنفع عند الله ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة:١٧٧] و﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا﴾ [الحج:٣٧]، أما الحضارة الغربية فهي طلاء تختفي تحته الوثنية الكامنة.

والروح الوثنية التي تتشبع بها الحضارة المعاصرة كانت لدى مشركي اليونان وورثها عنهم مشركو الرومان وورثتها الامبراطورية الأمريكية عن الإمبراطورية الرومانية.. وهكذا.

وجعل أولئك الوثنيون لكل شيء ربا أو ربة، فللنار رب "بروميثوس"، وللخمر رب "ماخوس" وللخصب رب "أدونيس"، وللجمال رب "فينوس"، وللشتاء رب "تموز"، وللسماء رب "أبولّو"، وللشعر رب وهكذا، ويتضرعون إلى أربابهم كما تضرع الشاعر الانجليزي "ملتون" إلى ربة الشعر في مطلع قصيدته "الفردوس المفقود".

ولما أنكر عليهم سقراط تعدد الأرباب سقوه السم.

وكانت الفراعنة ومن بعدهم على التثليث وتبعهم الروم، وادعى أولئك المشركون أن الله اتخذ ولدا وصاحبة، تعالى الله عما يشركون، وورث منهم ذلك النصارى ومشركو العرب في الجاهلية، وعليه ملايين الأمريكيين اليوم، وهذا من قياس الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد على تلك الأوثان.

وفي التاريخ الحديث ظهرت نظريات وثنية كثيرة مثل النظرية المدية، والنظرية الأثيرية، ونظرية التطور العضوي، ونظرية المصادفة!!

وليس في الإسلام دوائر منفصلة ولا تقسيم للنفس الإنسانية، فالإسلام يوحد بين الروح والمادة، وبين العقل والنقل، وبين التجربة والفكر، وبين الزهد وجمع المال، وبين النظافة والبذاذة، وبين الدنيا والآخرة، وبين الحقوق

والواجبات، وبين الحرية والعبودية، وبين السياسة والأخلاق، وبين القوة والرحمة، وبين الكرم والاقتصاد، وبين الشهوة والعفة، وبين عمل المرأة وحجابها، وبين الإنسان والطبيعة، وبين بر الوالدين ومعصيتهما إذا خالفا الدين، وبين طاعة الملوك في الطاعة ومعصيتهم في المعصية، وبين ما لله وما لقيصر، وبين حق الله وحق عباده، وبين المحسوس والغيب.

ومن كلمات "هوايتهد" المشهورة: (إن مشكلة الإنسان العويصة هي تجزئة الطبيعة).

وهذا الشرك أنكره نبي الله يوسف عليه السلام الذي هو قبل كل بني إسرائيل، وقبل كل أنبيائهم كموسى وداود وسليمان، وإنما أخذ أرسطو عن زنادقة أهل الكتاب بعد سليمان عليه السلام.

وهذه الوثنية والشرك والنزول بالتصورات الإلهية إلى درك المشابهة للبشر، تجدها حتى عند من يسمون علماء الفيزياء المعاصرون حيث آمنوا بما ما يسمونه خوذة الإله أو خوذة الرب تعالى الله عما يشركون.

وبالتوحيد يكون الإنسان سلَما لله لا شريك له، وبغيره يكون فيه شركاء متشاكسون، ولا علمانية في الإسلام أو فصل بين الدين والسياسة.

وهكذا خسر العالم الشيء الكثير بانحطاط المسلمين، كما ذكر الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله، ولو لم يخسر إلا القيم والأخلاق لكفاه، وإذا أراد العالم أن يتجاوز أزماته الكثيرة فليسلم لله وليتبع كتابه، وبغير ذلك لا يصلح الناس أبدا، قال الإمام مالك رحمه الله: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها"، وإذا صلح المسلمون صلح العالم كله.

ومتى آمنت البشرية بأن الله واحد، وأن الشيطان واحد، آمنت أيضا بأن النفس البشرية واحدة يفلح من يزكيها ويخيب من يدسيها.

وبالتوحيد يتحقق الإخلاص، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقال ﷺ: (من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة).

قال أبو العالية الرياحي: "أُسِّس دين الإسلام على الإخلاص".

وقال سهل بن عبد الله التستري: "الإخلاص أن تكون حركاته وسكناته لله وحده".

وقال تعالى عن المشركين وأهل الكتاب: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيِّنة:٥].

وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ١٤-١٥].

وبه تتطهر النفوس من أدران الشرك والرياء والعمل للدنيا.

– الميزة الثالثة: ربانية التشريع:

للحضارة الإسلامية ميزة عظمى تفتقر إليها المجتمعات، ولا تزال الحضارة الغربية متأخرة عنها ألا وهي الثروة الفقهية الهائلة التي تبين الأحكام التفصيلية لكل حادثة، مع إتاحة الفرصة الكاملة للاختلاف والاجتهادات ووجهات النظر، في حدود القواعد الشرعية والأصول الكلية، ومع المرونة الكاملة في التطبيق ومراعاة المصالح والمفاسد وتغيّرها بحسب أحوال الأمة.

وهي ثروة لا نظير لها قط، وتواردت عليها عبقريات كثيرة على امتداد التاريخ، وذهل لها القانونيون في هذا العصر، حتى أن السنهوري لم يملك إلا الإقرار بعظمتها وسعتها، وتأثيرها في القوانين واضح جلي، أما الغرب المظلم فإنه لم يعرف التقنين المكتوب إلا في القرن التاسع عشر الجريجوري لما كتب نابليون قوانينه بعد الثورة الفرنسية، واقتبس نابليون من أحكام الفقه المالكي كثيرًا لا سيما مختصر خليل، وهذه الثروة الفقهية الكبيرة أصلها من الكتاب والسنة.

والإنجليز إنما يعملون بنظام السوابق وليس بالقانون المكتوب.

وكانت الكنيسة قبل نابليون تعتمد على كثير من الشريعة الإسلامية، كما بيّن شيخ الإسلام في "الجواب الصحيح".

ومن المزاعم المتهافتة قول بعض المستشرقين إن الفقه الإسلامي منقول عن القانون الروماني، وهذا افتراء صريح يمكن رده بسهولة من المقارنة بين الفقهين، كما يمكن القول بأن أحدًا من الفقهاء المسلمين كأبي حنيفة مثلا لم يسمع بالقانون الروماني فضلا عن النقل منه.

وانظر مثلا إلى اللوائح التي وضعها الامبراطور "جستنيان" المشهورة عندهم باسم "لوائح جستنيان" وهي ساذجة ضحلة بدائية، إذا قورنت بفقه السلف المتعمق الأصيل، كما قضى به عمر بن الخطاب مثلا.

ولم يترجموا شيئا منها لما ترجم النساطرة وأشياعهم، الفلسفة اليونانية في "بيت الحكمة".

والتاريخ الدستوري في العالم يشهد أن أول دستور مكتوب هو الصحيفة التي كتبها النبي ﷺ لما قدم المدينة، ورواها الإمام أحمد وغيره، ومنها اقتبس الغرب بعد قرون أول دساتيره، وأفاد منها الدستور الأمريكي جدًا، ولا تزال حرية الاعتقاد أحد منجزات القانون الدولي إلى اليوم، كما أن عبارة الفاروق رضي الله عنه "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا" لا تزال مادة من مواد الدستور الأمريكي، لا سيما ما أسموه وثيقة الحقوق المدنية، وإنما غيَّر الأمريكان عبارة الفاروق إلى "يولد الناس كلهم أحراراً متساوين" هب أن ذلك مجرد توارد خواطر، فأيهما الأسبق؟

ثم أفادت من ذلك عصبة الأمم ثم هيئة الأمم في عصرنا الحاضر.

ولكي تصل أوربا إلى هذه العقيدة التي دعا إليها الإسلام، كان عليها أن تخوض حروبًا دينية شرسة لا سيما بين البروتستانت والكاثوليك.

ومن الخطأ اعتبار مطالب "جروسيوس" فاتحة القانون الدولي، فهو إنما طالب الدول النصرانية الأوروبية، أن تترك الصراع فيما بينها وتجتمع يدًا واحدة لحرب الأتراك "أي المسلمين".

وقبله كان القرآن الكريم قد بين كثيرا من قواعد ما يسمى اليوم القانون الدولي، انظر مثلا ما ذكره سبحانه في سورة براءة عن المواثيق الدولية، وما في سورة الممتحنة من أحكام العلاقة بين المسلمين والكفار في المعاملات كالبرِّ والزواج، وما في سورة الحشر من أحكام أخرى كالجلاء والقطع، والسِّيَر في الإسلام هي التطبيق العملي لذلك.

وقد عجبت مؤتمرات المستشرقين مما كتبه الإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ الإمام أبي حنيفة في كتابه المشهور "السِّير" وقالوا إنه أول كتاب في القانون الدولي.

وقد أراد الغرب عن طريق الأمم المتحدة فرض ثقافته وحضارته على الدنيا كلها، فألزم الدول كلها بقانونه الدولي والإنساني.

والقانون الدولي إذا تجرد عن صفة الإلزام أصبح مجرد فتوى كما قاله "هيجل" والمسلمون يفرقون بين القضاء والفتوى، وهم بذلك واقعيون لا يجنح بهم الخيال كما جنح بـــ"عمانوئيل كانت"، وكتبة ميثاق الأمم المتحدة، إذا أحسنا بهم الظن، فقد كان "كانت" وأتباعه يؤمنون بما يسمى السلام العالمي أو التقدم المطلق، وهو خلاف سنه الله ودفعه الناس بعضهم ببعض، علمًا أنه عكس الواقع التاريخي للأمم.

ولما استخفت إسرائيل بالقانون الدولي واستخدمه الطواغيت الخمسة لخدمة أمنها ومصالحهم، فقد قيمته ولم يعد للالتزام به معنى، اللهم إلا إذا اعتبروا الاتفاقيات الثنائية بين الدول جزءًا من القانون الدولي، فيجب على كل دولة الالتزام بما وقعت عليه.

والجديد في القوانين الدولية المعاصرة، هو تغيير الألفاظ والمصطلحات، مثل كلمة الرُّسل المعروفة في "السِّير" وأنهم لا يقتلون، والعرف الدولي الآن يسميهم "الدبلوماسيين" أو "السفراء والقناصل" وكذلك ما يسميه فقهاء المسلمين "الذراري" يسمونه اليوم "الأطفال" وما يسميه المسلمون

"المعصومين" يسموهم اليوم" الأبرياء" وهكذا على أن الفضل للمتقدم، والعبرة إنما هي بالمعاني لا بالمباني!

على أن القانوني الفرنسي "دوجي" قال بعد معاناة تشريعية طويلة "لا يشرع للخلق إلا من خلقهم".

وبتأثير الإسلام خرجت أوروبا من العصور المظلمة إلى عصرها الحديث، وفيه عرفت القانون الدولي.

- متى بدأ العصر الحديث؟

يختلف الباحثون الغربيون متى بدأ العصر الحديث، أي متى خرجت أوروبا من عصر الظلمات إلى العصر الحديث الذي ابتدأ بما يسمونه عصر النهضة الأوربية وأهمّ أقوالهم قولان:

١- أنه بدأ منذ تمرد الامبراطور "فردريك" على الكنيسة، وهؤلاء يسمون فردريك "أول المحدثين"، وهو امبراطور إيطالي أمره البابا أن يشن حملة صليبية على المسلمين، لكنه لم يفعل فحرمه البابا ثم إنه قام بحملة وقابل السلطان الكامل الأيوبي، وعقد معه هدنة وتكلم معه بالعربية دون حاجة لمترجم، وقالت الكنيسة: إنه أسلم -والله أعلم- وسمته "الزنديق الأعظم" والشيء المتفق عليه بين المؤرخين لحياته أنه كان يجيد العربية وأن بلاطه كان عربيًا، وأن طراز البناء في أيامه -بل كل العادات- كانت عربية، أي: إسلامية، حتى الكنائس بنوها على شكل المساجد.

٢- إن العصر الحديث بدأ بفتح القسطنطينية على يد السلطان العثماني "محمد الفاتح"، والمهم أن الإسلام أو التأثر به هو سبب خروج الغرب من عصر الظلمات، ولا يستطيع أي مؤرخ غربي يحترم فنَّه انكار ذلك.

وأعظم حركة نصرانية هي الحركة البروتستانتية حيث دعا من يسمون "الإصلاحيون الأوائل" إلى الاحتجاج على الكنيسة الكاثوليكية، وأعلن مارتن لوثر احتجاجه عليها في بنوده الخمس والتسعين التي علقها على

كنيسته "ويتنبرج"، وكان الكاثوليك قد طغوا دينياً وماديا وأصدروا صكوك الغفران لتمويل الحملات الصليبية، واحتكروا حق تفسير الكتاب المقدس، وجعلوا لأنفسهم حق المغفرة وحق التحلة وتحكموا في الأباطرة والملوك، كما فعلوا بهنري الرابع، والعلماء والفنانين وغيرهم، وأحرقوا من خالفهم وهو حي كما فعلوا بجردانو برونو، وقالوا إن من يخالف التعاليم البابوية إنما هو مهرطق متأثر بالقرآن والمحمدية، كما فعلوا بسرفت الذي أحرق حيًا.

غير أن البروتستانتية انتشرت، وقام لها دول مما أدى فيما بعد إلى ظهور ما يسمى "الإصلاح الكاثوليكي" أي: إصلاح البابوية من داخلها، ومن المجمع عليه أن البروتستانتية ابتدأت بحركة تحطيم الصور والتماثيل في الكنائس لا سيما أيام الامبراطور البيزنطي "ليو الثالث" ولا شك أنه تأثر بالمد الإسلامي العظيم، حيث حرم ذلك المسلمون، وذكر المسلمون الذين هاجروا إلى الحبشة أنهم رأوا كنيسة فيها تصاوير فقال ﷺ: (أولئك شرار الخلق عند الله).

واليوم أصبحت "هوليود" تمثل موسى عليه السلام، وأصبح في الغرب تماثيل لموسى وعيسى عليهما السلام، أي أن شرك قوم نوح انتقل إلى الأمريكان من طريق البابوية، فلا عجب أن تنتشر البروتستانتية لدى كل العقلاء، ولا سيما بريطانيا وأمريكا وكندا واستراليا، وأن يكون منهم الفرقة المسماة "الموحِّدين" الذين كفروا بالتثليث الكاثوليكي، ولديهم بعض الحق كما قال الحسن بن أيوب قديما.

ولما رأى الكاثوليك انحسار دينهم داخل أوروبا وتقدم العثمانيون فيها اجتهدوا في نشر دينهم خارجها، فقاموا بما يسمى الكشوف الجغرافية، وصدروا دينهم إلى المسلمين عن طريق التنصير وفرحوا بوقوع المسلمين في شباكهم واختلقوا فكرة الحوار بعيدًا عن القرآن، وجعلوا مقر الحوار الإسلامي النصراني "روما"!

وتبعًا لهذا الشرك قامت السياسة المعاصرة على المكيافيلية والبراجماتية، وتقول إنها فن الممكن، أما السياسة الشرعية فتقوم على الأخلاق، ولا سيما العدل وعلى فن الصعب أو "المعجز"، خذ مثلا حال الامبراطوريتين الفارسية والرومية، فقد ظلتا قرونًا تتصارعان دون أن تقضي إحداهما على أخرى، ولكن المسلمين مع قلة العدد والعدة قضوا على الامبراطوريتين كليهما في نحو ربع قرن، وهذه معجزة واقعية مشاهدة.

ومن التوحيد ومن السياسة الشرعية أن البيعة في الإسلام حق للأمة بالشورى، واختيار الأكفاء واجب شرعي وليس ذلك بمجرد ولاية العهد أو انتخاب أكثرة الناس، كما يزعم الرافضة والديمقراطيون.

وولاية العهد التي يوصي بها الإمام السابق هي مجرد توصية لها اعتبارها ولكن الأمة غير ملزمة بها، وقد كذَّب شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة الرافضة في دعواهم أن بيعة عمر بن الخطاب إنما كانت لأن أبا بكر جعل الأمر من بعده لعمر، ونص على أنها كانت باتفاق المهاجرين والأنصار عليها.

وهكذا يكون التشريع والحكم وكل شيء لله وحده لا شريك له في الأصل، وإنما يفوض الله سبحانه من يطبق ذلك من أهل العلم والإيمان.

– الميزة الرابعة: أنها حضارة ذات قيم وموازين خاصة ومعايير مستقلة، ولكل قيمة مفهومها الإسلامي الخاص الذي تختلف به عن سائر الحضارات:

فليست القوة في الإسلام هي القوة العسكرية أو القوة البدنية وحدها، بل فيه ما هو أقوى لا سيما القوة النفسية، وفي الحديث الذي رواه الامام أحمد رحمه الله في المسند بسند صحيح (أن الله لما خلق الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فاستقرت، فعجبت لذلك الملائكة فقالت: يا رب هل خلقت خلقا أشد من الجبال؟ قال نعم الحديد)، واستمر الحديث في عرض القوى

الكونية بعد الحديد كالنار والريح وأخيرا سألت الملائكة ربها (هل خلقت أقوى من ذلك؟ قال: نعم، ابن آدم ينفق النفقة بيمينه لا تعلم بها شماله).

وقال ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب)، فليست الشدة هي ما كان يفعله الرومان في مصارعاتهم المشهورة، ولا هي أيضا في الهيمنة الأمريكية المعاصرة.

وبهذا المفهوم الإسلامي يكون البقاء للأتقى وليس للأقوى، كما يصوره داروين في انتخابه الطبيعي.

وليس المفلس من فقد ماله فقط، بل هو من ضرب هذا وشتم هذا وأخذ مال هذا كما بينه الحديث، كما أن الغنى ليس عن كثرة أعراض الدنيا، وإنما الغنى غنى النفس، وليس الفساد هو الرشوة وسرقة المال ونهب الثروات فقط، بل هو كل خلل في الدين أو في الكون أو في المجتمع ... الخ.

قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢]، وقال: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، وقال: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤].

صحيح أن فساد فرعون كان موجها إلى بني إسرائيل وليس للمسلمين والسود واللاتين كما تفعل الجاهلية الأمريكية، وأن فرعون لتأخره لم يسم ذلك فوبيا كما يقول الأمريكان "الإسلامو فوبيا"، أي أن جاهلية فرعون كانت متأخرة ليست كالجاهلية الأمريكية اليوم!

وقد عاب السياسة الفرعونية بعضُ الكُتّاب قياسا على ما فعله الغرب وأذنابه بالمسلمين، فقالوا لو أن فرعون لم يقتل أبناء بني إسرائيل بل وضع لهم مناهج فرعونية وابتعثهم إلى المناطق الفرعونية..إلخ، أي لو قتلهم معنويا لنجح.

وليست الجاهلية مرحلة زمنية كان عليها العرب قبل الإسلام فقط، بل هي مرض عضال يقع في أي زمن ولها مسائل معلومة من تشبه فيها بعرب

الجاهلية أصابه الداء، ولما قال المهاجرون يا للمهاجرين وقال الأنصار: يا للأنصار، قال ﷺ: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم)، هذا والطائفتان أفضل الناس بعد الأنبياء.

ومن الجاهلية والتنابز بالألقاب ما نسمعه اليوم من قولهم فلان خضيري أو طرش بحر أو صانع أو صفر سبعة أو صلبي أو هتيمي أو بلحطي وما أشبه ذلك.

والجاهلية لا يلزم منها تكفير المعين، بل المعاصي من أمور الجاهلية كما ترجم البخاري رحمه الله في الصحيح، والقاعدة في هذه هي كما ذكر شيخ الإسلام، "كلما ضعفت أنوار النبوة ظهرت ظلمات الجاهلية"، وسيأتي لها ما هو أكثر تفصيلا بإذن الله.

وليس النصر هو إنزال الهزيمة بالعدو فقط، بل له في الاسلام معنى أشمل وهو رد الظالم عن ظلمه فذلك نصر له، كما ثبت في السنة، وإذا انتصرت على نفسك وشهواتك وشيطانك فأنت المنتصر.

وأكبر النصر هو الثبات على الحق ولو كنت وحدك، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر:٥١].

وقد رأى النبي ﷺ الأنبياء، فرأى النبي وليس معه أحد، ومع ذلك هو منصور إذْ استقام في نفسه وبلغ غيره.

وليس الضعفاء هم ما هو معلوم عند الناس، ويستوجبون الموت كما يقول المالتوسيون، وأصحاب ما يسمونه القتل الرحيم، وعلى ذلك سارت النازية فكان "هتلر" يتخلص من الجرحى الألمان لأنهم يكلّفون بعلاجهم دون أي جدوى مادية.

وإنما للضعيف في الإسلام فوائد معنوية عظيمة، قال ﷺ كما في الصحيح وغيره: (إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم)، وأكبر ما تسعى إليه أمم الأرض قديما وحديثا هو الغلبة على العدو والرفاهية المادية، وهما إنما يحصلان بهؤلاء الضعفاء، وبعض من ظاهره معاق فيه مزايا

أخرى، وقد كان الشيخان الفاضلان الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله بن حميد كفيفين.

وليست ريادة العالم هي التفوق الصناعي وإنتاج الأسلحة المسماة (ذكية) أو بيولوجية، ولا بالتقدم المادي والرقي العمراني، وإنما الريادة والإمامة بالصبر واليقين، قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

وليست الكثرة والقلة بمفهومها الأرضي هما المعتبران، بل بالمفهوم الشرعي والمقياس الشرعي.

فالرياضيون يقولون = إن العدد الكبير هو الكثير، ولا نجادل في ذلك.

والمصرفيون وأصحاب البنوك يقولون إنه لا بد من كثرة السيولة.

والخبراء الاقتصاديون يقولون لا بد من كثرة الناتج من المزروعات والمواد الأخرى.

والماديون عموما يزنون الأمور بميزان الوفرة المادية. وهكذا.

غير أن الشرع جاء لذلك بمفهوم أشمل وربما كان عكس ما يظنون:

فقد قال عليه الصلاة والسلام: (سبق درهم مئة ألف درهم).

وقال: (ثلاث أحلف عليهن ما نقص مال من صدقة) الحديث.

وقال: (إن الربا وإن كثر أمره إلى قُلّ).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة:١٠٠].

وأوضح ابن القيم ذلك بمثال محسوس وهو التفكر في عدد الكلاب وعدد الغنم، مع أن الكلبة تلد ستة والشاة تلد واحدا، والجزار يذبح الغنم يوميا ولا يذبح الكلاب.

ومع ذلك تجد الغنم أكثر عددا من الكلاب: فالعبرة إذن بالبركة، فقد لا يجد المؤمن شيئا يتصدق به، وقد لا يجد إلا صاعا أو ملء الكف من رديء التمر فيسخر منه المنافقون ويلمزونه ويقولون: (إن الله عن صدقة هذا لغني).

والبركة أمر مشاهد محسوس ولذلك يفر كثير من المؤمنين من العمل في البنوك الربوية ولو كانت تدفع راتبا أكثر ويعملون أعمالا حلالاً قد ينالون فيها نصف ذلك الراتب لكنه مبارك.

وليس الغش مختصا بالفاكهة والحبوب وما أشبه ذلك، بل يشمل أمورا كثيرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أكبر الغش الغش في الديانات".

وقال عليه الصلاة والسلام: (ما من راع يموت وهو غاش لرعيته إلا كان من أهل النار).

والغرب اليوم مفتون بمنتوجاته الصناعية لاسيما في الأسلحة والسيارات، ومع ذلك يكتشف هو أو أولياؤه ما فيها من غش وكذب، ألم يقل قائد سلاح الجو الإسرائيلي إن المظلة الأمنية أكذوبة. فما ظنك بما تبيعه أمريكا لدول الخليج؟.

وقد ظهر أخيرًا أن صواريخ باتريوت الأمريكية مغشوشة وأن الناس يخافون منها أكثر من صواريخ الحوثيين.

ومن الغش أن يغش أحد في النصيحة أو في الاستشارة أو يسكت عن نصح من أوجب الله له النصح.

ومن الغش الذي يمارسه بعض الناس في الشرق والغرب أنهم يكتبون على البضاعة: صديق للبيئة أو طبيعي، أو عالي الجودة أو متميز، والواقع بخلاف ذلك.

وليس الربا هو مجرد أكل أموال الناس بالباطل مقابل ربح مركب أو بسيط، وإن كان ذلك عند الله عظيما، لكن أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم.

وليست السَّنة هي ألا يُسقى الناس ولا يهطل الغيث، بل أشد من ذلك أن تمطر السماء ولكن لا تنبت الأرض شيئا كما في الحديث.

وليست الخسارة هي ضياع المال فقط، بل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة كما ذكر الله، وكل إنسان خاسر إلا من استثناه الله كما في سورة العصر.

وليس العمى هو كف البصر فقط، بل اشد منه عمى القلب عن الحق قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

وليست الدعاية هي ترويج البضاعة بالكذب والتدليس والخداع فقط، بل كل دعوة تفتقر إلى الصدق والوضوح، وقد بايع النبي ﷺ جرير بن عبدالله البجلي على النصح لكل مسلم، فكان يقول للبائع إذا اشترى منه شيئا: اعلم أن ما أخذنا منك خير مما أعطيناك!

وليست الكرامة هي خرق قوانين الطبيعة كما يقول الغربيون، أو خرق العادات الجارية كما يقول الصوفية، بل هي أعم من ذلك، وأعظم كرامة للإمام أحمد بن حنبل هي ثباته في المحنة، وأعظم كرامات الإمام البخاري هي تأليف الصحيح.

وليست العظمة في امتلاك الثروة أو الجاه أو المنصب، بل هي في التقوى، ولهذا كان بلال أعظم من أبي جهل.

واليوم نجد الدكتور رافل العراقي، وعلي التميمي العراقي، وتركي الحميدان وأمثالهم من العظماء، وكذا كل سجين في "غوانتانامو" أو في أي مكان هم الأعظم، والمباحث الأمريكية (إف بي آي) هي الوضيعة وكل مباحث في العالم، وسيأتي إن شاء الله ما قاله لواء أمريكي يعمل في سجن غوانتنامو.

وقد طالب فرعون قومه أن يقارنوا بينه وبين موسى ليروا أيهما أعظم، فقال: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥١-٥٢].

وعلى الطريق نفسه اقترح المشركون أن يُنزَّل القرآن على رجل من القريتين عظيم، وقالوا: يا محمد اطرد عنا الموالي حتى نجلس معك.

وقبل ذلك كان قوم نوح قد قالوا: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هود:٢٧].

وبهذا لمقياس الجاهلي العنصري تقيس أمريكا اليوم فتضع نفسها على رأس العالم الأول وتضع المسلمين ضمن العالم الثالث.

وقد كان هرقل على كفره أعقل من هؤلاء حين قال: "هكذا الأنبياء يتبعهم ضعفة الناس ثم تكون لهم العاقبة".

وليس الفرح هو في جمع الحطام الفاني، بل هو في الهداية والاستقامة، قال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨].

وليس الأمن هو الاستقرار المعيشي، بل أعظم منه توحيد الله وعبادته لا شريك له، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢].

وليس إلقاء النفس في التهلكة هو الإقدام والانغماس في صفوف العدو، بل هو ترك الإنفاق في سبيل الله وترك الجهاد لإعلاء كلمة الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، واقرأ كيف فسرها أبو أيوب رضي الله عنه.

وليس الموت هو فقد الحياة فقط، بل أعظم منه ترك الهدى وترك الحق، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢].

ونهى الله عن قول إن الشهداء أموات، وقال عليه الصلاة السلام: (مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره كمثل الحي والميت).

قال أحمد شوقي في مدح رسول الله ﷺ:

أخوك عيسى دعا ميتا فأنشَرَه   وأنت أحييت أجيالا من العدم

والجهل موت فإن أوتيت معجزة   فابعث من الجهل أو فابعث من الرمم

وهكذا معايير كثيرة كالسعادة، والسلام، والفخر، والرقوب، والظلام، وأمثال ذلك مما غيّره الإسلام أو وسّع مفهومه.

والمعايير الإسلامية منضبطة، تحدث عنها العلماء وحددوا ضوابطها، وإنما يريد الغرب وأذنابه أن يجروا المسلمين إلى ما هم فيه من مصطلحات متناقضة ومعايير غير منضبطة، يفسرها كل أحد على ما يهوى، ومن هذه المعايير (الحشمة، الاعتدال، المعقولية، الترشيد، الشفافية، العدالة الانتقالية، الإرهاب) وأمثال ذلك من المصطلحات المطاطة والمعايير الفضفاضة.

- الميزة الخامسة: أنها حضارة إنسانية لكل بني آدم لا تختص بعرق أو جنس أو لون.

فهذه الأمة أخرجت للناس، وهي تشهد عليهم يوم القيامة، والرسول ﷺ أرسله الله رحمة للعالمين وبعثه إلى الناس كافة.

وكل من استظل بظل الحضارة الإسلامية أمن واطمأن أيا كان دينه أو عرقه أو لونه.

وليس في الإسلام طبقات اجتماعية كالهندوس، ولا طبقات انتاجية كالشيوعية، ولا طبقة أرستقراطية وطبقة برجوازية وطبقة كادحة "بروليتاريا" كما في الغرب، وليس فيه دم أزرق يجري في عروق الملوك والنبلاء، ودم عادي للعبيد وأرقاء الأرض كما يظن ويتوهم الإقطاعيون الغربيون.

وليس في شريعته شعوب متحضرة وشعوب بربرية همجية، كما يظن الرومان.

وليس فيها رجال دين وعلمانيون، كما كانت تفعل الكنيسة.

وليس فيها عالَم أول حر، وعالم ثالث متأخر، كما يظن الرأسماليون والجاهليون في الغرب، وليس فيها عرق أبيض راقٍ وعرق أسود أو ملون منحط، كما يزعم العنصريون في أمريكا، ومنهم ترامب الذي قال إن غير البيض هم حثاله البشر!

وليس في الشريعة منطق صوري قديم ومنطق حديث قد يسمى "رمزيا" كما فعل "هيجل" و"ستيوارت" و"برتراند رسل"، بل ربما كان الصواب في القديم والخطأ في الحديث.

وليس فيها شعوب أصلية همجية، وشعوب مهاجرة متقدمة، كما في أمريكا وكندا وأستراليا.

وليس فيها ابن قبيلة أو حمولة أصيلة أو عبد مجهول القبيلة.

وليس فيها بيض بروتستانت "واسب" ولاتين كاثوليك كما في أمريكا.

وليس فيها سلالات حاكمة بموجب الحق الالهي مثل آل "هابسبورج" في أوروبا، وآل "شو" في الصين.

وليس فيها تنويري مثقف، وظلامي جاهل، بل الكفر كله ظلام، وكل من عصى الله جاهل.

وليس فيها أكثرية محقة وأقلية مبطلة.

وليس فيها أقلية حاكمة مستبدة، قبيلة أو أسرة ولا حكم فردي مطلق، ولا فرعونية.

وليس فيها حكومة حكامها رجال الدين "ثيوقراطية" ولا فرد متسلط "أوليغاركية" ولا حكم أقلية "مانوركية".

وليس فيها مواطن يحمل الجنسية وأجنبي لا يحملها، بل الأجنبي هو الكافر أيا كان بلده، والمسلم يسكن حيثما شاء.

وليس الحق دائما مع صاحب العمل، أو مع الرجل، فقد يكون مع العامل أو المرأة، وإن لم يكن أي منهما عضوا في نقابة أو حركة أو منظمة ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء:١٣٥].

وليس في الحضارة الإسلامية سلوك حضاري وسلوك غير حضاري كما يفهمه الغرب، فالمتوضئ نظيف ولو سكن في كهف، والكافر نجس ولو سكن في فندق فخم.

وأحط السلوك من كان صاحبه مثل الأنعام بل هم أضل، بأن يشرك بالله، أو يكون ديوثا أو سيء الأخلاق.

ولا تعترف الحضارة الإسلامية بأمتين إحداهما إسلامية والأخرى عربية، فهذا مزج بين التوحيد والقومية، ورحم الله الشيخ ابن باز الذي فصل ما في القومية العربية من مفاسد، ومثلها القومية الطورانية أو الكردية أو الطوارقية أو القومية الهندية أو القومية البربرية أو أي قومية في الشرق أو الغرب.

والناس بجهلهم جاملوا أقلية نصرانية ضئيلة فجعلوا الناس أمّتين.

وبناء على هذه الجاهلية المنتنة كنا ننشد في طابور الصباح:

بلاد العرب أوطاني، وكان فيه (فلا دين يباعدنا).

ثم إنهم غيروه بنشيد فلسطين للشاعر علي محمود طه وفيه:

لنحمي الكنيسة والمسجدا.

ثم إنه غيروه بنشيد آخر من شعر الأخطل الصغير "النصراني":

داعٍ إلى العهد الجديد دعاك

وكان من أبياته:

إنا نقاضي الطعن في أحسابنا   بالرأي لا بالصارم الفتاك

أي أن الحل هو في المفاوضات والحوار وليس في السيف والجهاد!

وكان بعض الزعماء المحليين يردد:

"ليس الخلاف بيني وبين أخي جمال في عزة العرب وتقدمهم، وإنما هو في الوسيلة!"

ورحم الله الشيخ عبدالرحمن الدوسري الذي كان كثيرا ما يردد مستعظما قول الشاعر القروي:

هبوني عيدا يجعل العُرب أمة   وطوفوا بجثماني على دين برهم!

أي أن المهم عند القروي هو أن يكون العرب أمة على أي دين كان!

ومن إنسانية هذه الحضارة أنها تنصر كل مظلوم، وتستقبل كل من هاجر إليها، ومن ذلك مثلا أن محاكم التفتيش لما حكمت على اليهود بما

يعرفه المؤرخون قاطبة، هاجر اليهود من الأندلس إلى الدولة العثمانية، فآووهم في "سلانيك" ولم يريدوا أن يغرقوا أحدا منهم.

ولذلك جعلها ربها الأعلى بإيمانها، وجعلها خير أمة أخرجت للناس وجعلها الشهيدة على الناس يوم القيامة وكل ذلك ينافي قول الكافرين وبعض مقلديهم: إنها أمة متخلفة متأخرة، وإن الحياة الإنسانية إنما هي في اتباع الغرب، نعم الغربيون أقوى من المسلمين -حاليا- عسكريا وأكثر منهم صناعة، ولكن كثيرا من المسلمين لا يأخذون بأسباب القوة، وإنما يأخذون من الغرب دياثته وانحطاطه.

ونحن بنفس المقدار الذي نرفض عنصرية العرق الأبيض نرفض أيضا عنصرية العرق الأسود، كما نادى به أليجيا محمد في أمريكا زعيم ما سمي أمة الإسلام، فالأشرار والأخيار في كل عرق، كما يقال إن السناتور الأمريكي "ديوك" ضد كل ما هو يهودي، والعدل هو التفريق بين اليهود والنصارى وبين المشركين، فليسوا كلهم سواء لا هؤلاء ولا هؤلاء.

- الميزة السادسة: أنها حضارة عدل مطلق:

والعدل من القيم المطلقة في الإسلام، وبه قامت السموات والأرض، ولم يحد عنه النبي ﷺ ولا خلفاؤه الراشدون أو صحابته الكرام أو أحد من السلف قيد شعرة، واستنباطا من القرآن والسنة وسير السلف قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "العدل واجب على كل أحد لكل أحد في كل حال".

وقال ابن القيم: "أي طريق استخرج بها العدل والقسط، فهي من الدين وليست مخالفة له".

وقال عن الشريعة "عدل كلها".

ومن العدل أن نفرق بين فلسفة ابن سينا وابن رشد، ومن العدل أن نفرق بين عداوة الشيعة لإسرائيل وما هم فيه من الضلال.

ومما ينافي العدل الظلم والاستبداد، فليس في الإسلام استبداد كما قد يظنون.

والعالَم اليوم أحوج ما يكون إلى العدل، يشهد بذلك المؤمن والكافر سواء.

وكثرة الظلم في عالمنا اليوم هو أحد الأسباب الموجبة للإطالة فيه أكثر من غيره من الميزات، ونوضح ذلك في عدة نقاط:

١. أنه في الإسلام عدل شامل في الأقوال والأفعال والمعتقدات، ويذكرنا به خطباء الجمعة جزاهم الله خيرا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠].

ومن الوصايا العشر في سورة الأنعام ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام:١٥٢].

٢. أن ذلك العدل مع العدو والصديق قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، وأعدى أعداء الله هم اليهود، ومع ذلك قال فيهم الله: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الأعراف:١٦٨]، والصالحون هم من آمن بموسى عليه السلام ثم بعيسى عليه السلام ثم بمحمد ﷺ.

٣. أنه أيضا مع القريب والبعيد ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وقال: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [النساء:١٣٥].

٤. أن العدل واجب حتى مع المشركين الذين يصدون أهل الايمان عن بيت الله الحرام قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة:٢].

وحتى مع الكفار من المشركين وأهل الكتاب، ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ [الشورى:١٥]، ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً﴾ [آل عمران:١١٣].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "جماع كل خير العدل وجماع كل شر الظلم".

وقال تلميذه ابن القيم في النونية عن دعوة الرسل:

وكذاك نقطع أنهم جاءوا بعد ل الله بين طوائف الإنسان

وأعدل الخلق هو رسول الله محمد ﷺ، وبذلك أوصاه ربه: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:١٩٤].

ونهاه أن يجادل عن الذين يختانون أنفسهم، وأمره بالعدل إن عاقب على أن الصبر خير: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

ولما قال له أصل الخوارج: اعدل يا محمد. قال: (ويحك، ومن يعدل إن لم أعدل).

وأعظم العدل إنما يكون بالحكم بين الناس وفق كتاب الله قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣].

وليس التحاكم إلى عبارات فضفاضة أو شعارات مطاطة مثل القانون الطبيعي، الحقوق الإنسانية، الحرية... الخ.

ومن شدة كراهية الظلم حرمه الله على نفسه فقال في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا).

ومن كان ناصحا فليحذِّر من الظلم كل من يرتكبه ولو كان ملكا، أو شركة أو أمة أو جماعة.

وليس من العدل أن يتهم النصارى، أحطَّ خلق الله وأكثرهم مكرا – أعني اليهود– بأنهم سبب ما يسمى "الوباء الأسود"، أو اتهام هتلر بإبادة الشعوب وإهمال ما فعله "ستالين" و"روزفلت" و"تشرشل" و"ماوتسي تونغ"، لا سيما وقد قتل "ستالين" من المسلمين أكثر مما قتل "هتلر" من اليهود.

وليس من العدل إنشاء محاكمات "نورمبرغ" لمحاكمة النازيين دون إنشاء محاكم أخرى لمحاكمة الشيوعيين والرأسماليين.

والعدل هو القسط الذي أمر الله به، والميزان الذي لا يحيف قال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الحديد:٢٥].

وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۞ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ﴾[الرحمن:٧-٩].

قال مجاهد وقتادة: الميزان هو العدل.

وازدواجية المعايير أو الكيل بمكيالين كما يفعله الغرب اليوم هو ما فعله قوم شعيب عليه السلام (أهل مدين) الذين كان من جرائمهم كما ذكر الله، تطفيف الكيل والوزن، وبخس الناس أشياءهم، وتوعد الله تعالى المطففين في كل زمان ومكان بالنار فقال: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ۞ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣] الآيات.

وأكبر المطففين في عالمنا المعاصر هم الأمريكان الذين يكيلون للفلسطينيين بمكيال ولليهود بمكيال آخر، ويشترون برميل النفط برخص ويصنعون منه أنواعا لا حصر لها يبيعونها على الدول النفطية نفسها بأضعاف مضاعفة.

وهكذا دأبت شركاتهم الاقتصادية على هذا التطفيف، ولكن في صورة عصرية. فأين هذا من الإسلام الذي يزن الأمور بالعدل مع الموافق والمخالف.

وقد قلت لمن يقول إنه سلفي، ويوزع كتبه في كل مكان: كيف تحكم إذا أنا قطعت الإشارة وصدمت كوريا بوذيًّا: قال: لا يمكن أن أحكم للكافر على المسلم. قلت: ولكني أنا الذي قطعت الإشارة وجنيت عليه، والعدل أن أكون أنا المخطئ، أما كونه كافرا أو كونه لا يجوز استقدامه فتلك مسألة أخرى!

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء:٥٨].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وأهل السنة لا يبتدعون قولا ويكفرون من اجتهد فأخطأ وإن كان مخالفا لهم مستحلا لدمائهم". أي كما ينسبون اليوم لتنظيم الدولة والحوثيين! وعلى ذلك أنكر أهل السنة المحضة قول الرازي "لا نكفِّر إلا من كفرنا".

ومن عدل أهل السنة أنهم يعاملون أهل الذمة بمقتضى عقْدهم، كما عاملهم النبي ﷺ وصحابته، وسار على ذلك السلف والمتأخرون من أتباعهم، وخذ مثالا لذلك من واقع شيخ الإسلام ابن تيمية حين كتب لملك قبرص يحثه على إطلاق أهل الذمة مع المسلمين، وحين أفتى بأن رافضة كسروان لا يُقتلون بل يفرِّقون بين أهل ا لإسلام ويُعلَّمون الدين.

وهكذا جاء المسلمون بالعدل بعد أن كانت الجاهلية تراه ضعفا وهوانا.

قال شاعرهم:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشر في شيء وإن هانا

كأن ربك لم يخلق لخشيته سواهم من جميع الناس إنسانا

وقال الآخر في معرض الذم:

قبيِّلة لا يخفرون بذمة ولا يظلمون الناس حبة خردل

فأين هؤلاء من قوله ﷺ: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك أن يعمهم الله بعذاب منه).

بل قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨].

وهذه الأمة من عدلها أنها تعترف بالخطأ ولا تنكره، فهكذا أمرها ربها تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٧]، فنحن لا

نقر القتال في الأشهر الحرم كما ينسبون لابن الحضرمي، ولكن الكفر أكبر منه.

وليس من العدل في شيء أن تدمر أمريكا الشعب الأفغاني بتهمة أنه يؤوي تنظيم القاعدة المتهم بأنه نفذ أحداث ٩/١١ دون أن يحاكم الأمريكان أحداً، أو يتيحوا للملا عمر أن يقول كلمته، وكذلك أن تعتدي أمريكا على العراق وتحتله لاحتمال وجود أسلحة دمار شامل فيه.

وليس منه استخدام الأمريكان في الاحتلال الأسلحة المحرمة دوليا، والأسلحة النووية التكتيكية كما يقولون، والأسلحة الذكية والحرب البيولوجية واليورانيوم المنضَّب.

وليس من العدل ما فعله الأمريكان من إزهاق أرواح الملايين وقتل المواليد في أرحام أمهاتهم، ودفن النفايات النووية، ونشر السرطان في المنطقة كلها وليس في العراق وحده، ولا يكفي لتبرير ذلك اعتراف "بوش" بأن المخابرات ضلَّلته، ومن الذي أنشأ وحدة التضليل غيره؟ وهل حاكم المخابرات على هذا التضليل أم أن دماء المسلمين رخيصة إلى هذا الحد؟

قارن ذلك بعتاب الله تعالى لنبيه الكريم حين ظن أن قائل الشعر الباطل هو فلان اليهودي، وليس فلانا المنافق مع أن كلا منهما كافر، وكيف أنه ﷺ دفع ديات بني جذيمة لما قالوا صبأنا، ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا.

وكيف أن الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز حكم لأهل سمرقند لما علم أن قتيبة بن مسلم الباهلي دخل مدينتهم غدرا.

وأنكر عمرو بن عبسة على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما أن يهاجم الروم قبل أن ينبذ إليهم.

وأنكر أبو عبيدة أن يقام أهل الذمة في الشمس.

وأمثال ذلك كثير في الكتاب والسنة وأحداث التاريخ الإسلامي.

ومن العدل الذي أمر الله به أن يسمع القاضي من كلا الطرفين، ولا يتعجل بالحكم لأحدهما وهذه هي خطيئة داود عليه السلام كما في سورة (ص).

ومن عدل هذه الأمة أنها تجعل المخالف أقساما ودرجات وذلك ليس في تاريخ غيرها قط، فالناس درجات منهم الكافر والمعاهد، ومن هو للكفر أقرب منه للإيمان ومنهم ضعيف الإيمان ومنهم صاحب الهوى ومنهم المبتدع الداعي وغير الداعي ومنهم المكابر والجاهل.. وهكذا.

وبالعدل تستقر الأمور ويأمن الناس، وفي التاريخ أن الحجاج المشهور بظلمه لما جاء إلى المدينة وكان أميرها عمر بن عبدالعزيز سأل أهلها: (كيف أدبه؟ قالوا ربما ضرب السوط أو السوطين، قال: كيف محبته عندكم؟ قالوا: هو أحب إلينا من أبنائنا، قال كيف هيبته فيكم؟ قالوا: لا نستطيع أن نملأ عيوننا منه هيبة له، فقال الحجاج: هذا أدبه وهذه محبته وهذه هيبته، هذا أمر من السماء).

واستأذن أحد عمال عمر بن عبدالعزيز أن يستخدم القوة وقال: إن بلاد كذا لا يصلحها إلا السيف والسوط! فكتب عمر: كذبت وإنما يصلح الناس بالعدل.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد دراسة مستقصية لأحوال المجتمعات: "إن الله فطر النفوس كلها على محبة العدل وكراهية الظلم"، ولذلك ينبهر بعض المسلمين إذا سافر من بلاد ديكتاتورية في الشرق إلى بلاد ديمقراطية في الغرب.

ومن العدل الأمانة العلمية وصحة النقل، ونسبة القول إلى قائله، ومعرفة سياق القول، واعتبار لازم المذهب ليس بمذهب.

ومن العدل أداء الحقوق التي أمر الله بأدائها كحق الوالدين وحق الأزواج وحق الإمام العادل وحق اليتيم وحق الضعيف وحق الأسير وحق

الضيف، وحق الحيوان وحق المملوك وحق العالم وحق الكبير وحق المريض وحق الميت وحق الطريق... الخ.

ومن العدل المساواة بين الرِّجلين في الانتعال، والمساواة بين أجزاء الجسم في الاستظلال من الشمس.

والله تعالى من صفاته أنه الحكم العدل، وقد وصف أهل الكتاب بأنهم ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً﴾ [آل عمران:١١٣]، وقال عن اليهود: ﴿مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الأعراف:١٦٨]، وذكر أن ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران:٧٥]، وجعل اليهود أشد عداوة من النصارى.

وليس للعدل علاقة برغبات النفس وما فيها من حب وبغض، فلما أراد يهود خيبر أن يرشوا عبدالله بن رواحة ﷺ قال: "لقد جئتكم من عند أحب الناس إليّ -يعني رسول الله ﷺ- وأنتم والله أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير، وما كنت لأحابيه وأظلمكم، قالوا: بهذا قامت السموات والأرض".

وابن القيم على حبه لشيخ الإسلام الهروي قال في "مدارج السالكين": "شيخ الإسلام حبيب إلينا ولكن الحق أحب منه".

ونهى الله عن اتباع هوى النفس بترك العدل فقال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾ [النساء:١٣٥]، وقال لعبده داود عليه السلام: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص٢٦].

فالإسلام يقوم على العدل وليس على الفلسفة (البراجماتية) التي تجعل المصلحة فوق المبدأ كما قال اليهود: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾[المائدة:٤١]، والمسلمون يعدلون بين الحضارات والفلسفات والنظريات والبحوث والأفراد والجماعات والفرق.

ولا يحكمون على أحد من خلال كلام خصمه، ولا يبهتون أحدا أو يقوّلونه ما لم يقل، أو يقتطعون من كلامه أو يحرفونه.

ويقبلون الحق ولو قاله الطرف الآخر، ذكر ابن رجب في كتابه "الفرق بين النصيحة والتعيير" أن بعض السلف الصالح ما ناظر أحدا إلا ألجمه وقطعه، فقيل له بم يحصل لك ذلك؟ قال: "ما ناظرت أحدا إلا تمنيت أن يظهر الله الحق على لسانه".

وقال الربيع تلميذ الشافعي عنه: "ما ناظرت أحدا وأوردت عليه الحق فقبله إلا هبتُه، ولا كابرني أحد ورد الحق إلا سقط من عيني".

والمسؤولية عن العدل مشتركة بين كل المسلمين، جاء أحد الشُّرَط إلى بعض أئمة السلف -قيل إنه الإمام أحمد وقيل سفيان الثوري- فسأله: هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال له الإمام: بل أنت من الظلمة أنفسهم، أعوان الظلمة: الخباز والبقال والخياط وأمثالهم.

وقال المفسرون من السلف والخلف في قوله تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصافات:٢٢]، أي أشباههم وأمثالهم، ويشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَٰطِـِٔينَ﴾ [القصص:٨].

ولا عذر للأتباع في ترك الحق ولا ينفعهم أن يقولوا للسادة الكبراء يوم القيامة: ﴿إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات:٢٨]، قال ابن عباس: معناه كنتم تقهروننا. فلو أن أحدا استقال أو أنكر المنكر بقدر استطاعته ما أرغموه.

وقولهم هذا إقرار منهم بشرك الطاعة الذي ذكره شيخ الإسلام، وبطاعتهم فيما نهى الله عنه يكونون قد اتخذوهم طواغيت كما ذكر ابن القيم وابن جرير، إلا إن كانوا لا يعلمون مخالفتهم لأمر الله.

وحب الأتباع للدنيا وتعلقهم بها هو الذي يدفعهم للعبودية، وإلا فإن أرض الله واسعة ورزقه مكتوب.

ومن العدل أن نأخذ حكمنا على بني أمية وبني العباس وآل عثمان من مصادره الموثوقة وكلام العلماء الأثبات، ولا نأخذه من كلام أعدائهم كأبي الفرج الأصبهاني الرافضي أو القوميين العرب.

والله تعالى من عدله يحكم حتى بين البهائم: وقد مر النبي ﷺ بعترين تنتطحان فقال لمن كان معه: (أتدرون فيم تنتطحان؟ قالوا لا. قال: ولكن الله يعلم وسيقضي بينهما).

وهو تعالى كما يقضي بين البهائم وينصف الشاة الجماء من الشاة القرناء ينصف الأمم المستضعفة من الأمم المستكبرة، فأحكامه تعالى في الدنيا والآخرة تدور بين العدل والعفو، وذلك من كمال عدله وتترهه عن الظلم، وليس ذلك راجعا إلى محض المشيئة كما يقول المتكلمون، نعم له تعالى المشيئة المطلقة بحيث لو عذب أهل الأرض لعذبهم غير ظالم لهم، ولكن له تعالى مع ذلك الحكمة فيما يفعل ويختص بكمال الحكمة وكمال القدرة. فخذ صفات الله من النصوص ودع عنك ترهات أهل الكلام وقياسات الفلاسفة، ومن الترهات قول صاحب الجوهرة:

وكل نص أوهم التشبيها أوِّله أو فوِّض ورم تتريها

لا والله، بل نؤمن بالنص ونسلم ولا نؤوله ولا نفوضه.

فالتفويض معناه أن الله أمرنا أن نتدبر ما لم نفهم، والتأويل مقتضاه قياس الغائب على الشاهد، فيقول أهله لا نعلم الوجه إلا كذا وليست المحبة إلا كذا.. أما المؤمنون فيقولون كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

ولكل عالَم قوانينه وسننه، والعقل البشري محدود والحواس الإنسانية ضعيفة فالعين تحجبها الورقة، والأذن تسدها القطنة، واللسان تغيّره الحمى حتى يذوق العذْب مرا، والأنف تسده الخرقة، واليد تفقد اللمس إذا حال بينها وبين الملموس حائل وهكذا.

فمن العدل مع أنفسنا أن نسلم للوحي ونؤمن بالنص.

ومن العدل رد المتشابهات إلى المحكمات والعمل بالناسخ لا بالمنسوخ، ومنه حسن الخلق مع الناس كافة، (حتى اليهود لما دخلوا على النبي ﷺ وقالوا: السام عليك يا محمد، أي الموت، فهمت ذلك الصديقة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فقالت: بل عليكم السام واللعنة، لكنه ﷺ قال لها: يا عائشة: إن الله يكره الفحش والتفحش).

ومن العدل أن يعطى كل إنسان حقه وإن أخطأ، وأكثر الناس بدعة اليوم وانتشارا في صفوف المسلمين هم أهل التصوف، فلا ينسينا أن ليس في إحياء علوم الدين كلام عن الجهاد ما فيه من المحاسن لاسيما في ربع المهلكات.

ولا ينسينا كون ابن عطاء الله السكندري مثلا شاذليا، ما في الحِكَم من الحق،

وقد ضرب ابن القيم المثَل في العدل مع الصوفية، في أول شرح "منازل السائرين" للهروي الذي شرحه ابن القيم "بمدارج السالكين" المعروف.

وإذا جاهد رجال الطريقة النقشبندية في العراق كان ذلك عملا حسنا لا نجحده، بل نحن نؤمن بالميزان ونؤمن بأن الشهيد يغفر الله عند أول قطرة من دمه.

والنقشبندية وإن كنا نحذر منها هي أقل شرا من المولوية والبكتاشية وشر منها العلمانية التي نادى بها أتاتورك وبموجبها ألغى الحروف العربية حتى إنه منع الأذان بالعربية، وأمر الناس بالجلوس على الكراسي في المساجد كما يفعل النصارى في كنائسهم، وأجبر الناس على الكفر.

ولا ريب أن خيرا من ذلك كله اتباع السلف الصالح، وما كان أبو حنيفة وتلاميذه أبو يوسف ومحمد بن الحسن وزفر بن الهذيل إلا دعاة لتحكيم النص، وكذا سائر الأئمة الأربعة وفقهاء أهل العراق، كإبراهيم وعلقمة ومسروق، وكل من أخذ عن ابن مسعود أو علي رضي الله عن الجميع، وإلى هذا ندعو الأتراك وأنفسنا وكل المسلمين.

والذين سوف يفتحون روما هم كل المسلمين وليس فرقة منهم فقط، وكذا الشرطة التي يشترطها المسلمون للموت عند الملاحم، وبالمسلمين جميعا يبلغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار.

وقد أثنى النبي ﷺ على الجيش الذي يفتح القسطنطينية كما رواه أحمد والحاكم، والتاريخ علو وهبوط، نصر مؤزر يوم بدر وقرح شديد يوم أحد، وهكذا الناس يردون موردا واحدا ولكنهم يصدرون مصادر شتى.

وليس من العدل أن نكلِّف يوسف عليه السلام أن يكون كمحمد ﷺ، ولا أن نكلف النجاشي أن يكون كأبي بكر الصديق، أو أن نكلف مؤمن آل فرعون أن يكون كصهيب.

ومن العدل أن نفرق بين المعاملة الحسنة والاستشارة، فرسول الله ﷺ بكمال شفقته ورأفته، نزع قميصه الشريف ليكون كفنا لعبد الله ابن أبيٍّ بن سلول، ومع ذلك لم يكن يستشيره ويستوزره، وإنما كان وزراؤه أبا بكر وعمر، و لم يول أحدا من المنافقين على إقليم أو جيش أو جباية.

فهذه سيرته الطاهرة بين أيدينا، حيث الجمع بين كمال الرحمة والشفقة، وكمال الحذر والاحتراس.

وليس الإنسان إما سلفي متبع وإما ضال مبتدع، فأكثر الناس يعيش في المنطقة الرمادية التي ليست بيضاء ولا سوداء، وحسْب عقيدة أهل السنة والجماعة يجتمع في الشخص الواحد ما هو طاعة وما هو معصية، وطلب الكمال البشري قليل بل نادر بين الناس، فليس ابن حجر والنووي كمال محض، ولا كان كذلك ابن الجوزي، وحسبك من فضل المرء أن تكون أخطاؤه معدودة، ومن الناس من يكون إيمانه مجملاً ومعرفته بالكفر مفصَّلة كما كان أبو الحسن الأشعري رحمه الله.

ومن عدل هذه الشريعة الغراء أنها تقطع يد السارق لسرقته، لكنها تعطيه لحاجته إذا كان فقيرا كما قال ابن تيمية، وأنها تقتل المسلم إذا كان محارباً، وتترك الكافر إذا كان معاهدا.

ومن العدل أن ننظر إلى كمال النهاية لا إلى نقص البداية فقد نشأ النبي ﷺ لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان، ونشأ الشافعي محبا للأدب والشعر، ونشأ الشيخ حسن البنا على الطريقة الحفصية، كما نشأ الفضيل بن عياض قاطع طريق، ونشأ أبو الحسن الأشعري معتزليا، ونشأ إبراهيم بن أدهم مترفا، ونشأ صلاح الدين مقاتلا في جيش نور الدين، ونشأ ابن مسعود راعي غنم، ونشأ عثمان جد العثمانيين شيخا لعشيرة تركية في أواسط آسيا، وهكذا.

ومن عدل الله في خلقه أن جعل العين بالعين والسن بالسن والنفس بالنفس، وعاتب أحد أنبيائه لما قرصته نملة فانتقم من قرية النمل كلها، وأوحى إليه فهلا نملة واحدة! ومن العدل التفريق بين وحدة الوجود ووحدة الشهود.

ومن العدل أن نرد الكلام المجمل أو الغامض أو المشتبه، إلى الكلام المفصل الواضح المحكم، ثم نحكم على أي قائل أو كاتب وإنما العبرة بالمنهج.

ومن العدل معرفة الظرف الذي قال فيه القائل ما قال، أهو ظرف إكراه أم ظرف اختيار، أم ظرف تربية لفرد بعينه أو منهج عام مع كل فرد.

والعدل هو مفخرة كل الأمم في كل عصر فلا يزال المسلمون يفخرون بعدل عمر بن الخطاب ولا يزال الفرس يفخرون بعدل "أنوشروان" ولا يزال الأمريكان يفخرون بعدل "بنيامين فرانكلين"، كما أن الفرنسيين يفخرون بما حققته الثورة الفرنسية من العدل.

أما الظلم فينفر منه الناس مؤمنهم وكافرهم سنيهم وبدعيهم، لكن على المسلم إرغام نفسه على العدل ولو كان مع الكفار وأهل البدع، فالألمان مثلا هم أقرب الشعوب للفطرة الإيمانية مع ما في بلادهم من الكفر وما في حكومتهم من الظلم.

وقد كان منهم أعظم عباقرة الغرب ومنظريهم، مثل "لوثر" و"هيجل" و"كانت" و"لايبنتز" و"بلانك و"جوته" و"آينشتاين" و"ماركس" و"ياسبرز" و"بيت هوفن" و"فيورباخ" و"شوبنهور" و"شبنجلز" و"نيتشه" و"كبلر".

ولم يستعمر الألمان أي بلد إسلامي، وزار الامبراطور الألماني "ويليم الثاني" القدس وإسطنبول أيام السلطان عبدالحميد الثاني، ووقفت الدولة العثمانية مع الألمان في الحرب الأولى ولا يزال كثير من الأتراك في ألمانيا.

وبعض الأمريكيين يقولون إن أكثرهم مهاجرون من ألمانيا، وليس من إنجلترا.

ومن المجلات الألمانية المشهورة في أمريكا مجلة "إي آي آر"، وهم يكرهون اليهود وإن كانت حكومتهم تدفع تعويضات لإسرائيل، ويضغطون على بقية دول الاتحاد الأوربي لاستقبال اللاجئين.

وقد قال ﷺ: (خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا).

هكذا نعدل مع الكفار، وأما أهل البدع فلا نساوي بعضهم ببعض ولا نظلمهم في شيء، فالزيدية مثلا خير من الاثني عشرية، والأشعرية خير من المعتزلة، والمعتزلة خير من الفلاسفة وهكذا.

وأنا على ضعفي استنكرت قتل "جعفر الحائك" تحت التعذيب، واعتذر مدير عام التحقيق بأنه رافضي، وقلت: حتى لو كان رافضيا فلقتله محاكم معلومة، وجهات مختصة بعد محاكمة عادلة فلا يحل قتل أحد كائنا من كان.

وإذا لم يكن المبتدع داعيا لبدعته فهو أخف، والثقة تقبل روايته ما لم يكن داعية لبدعة.

وقد جعل الله لكل شيء قدرا.

والحق مقبول وإن كان قائله من أهل الكلام أو البدعة، قال شيخ الإسلام في "منهاج السنة": "والله قد أمرنا ألا نقول عليه إلا الحق ولا نقول عليه بلا علم وأمرنا بالعدل والقسط فلا يجوز لنا إذا قال يهودي أو نصراني

فضلا عن الرافضي ما فيه حق أن نتركه أو نرده كله بل لا نرد إلا ما فيه من الباطل دون ما فيه من الحق".

فرحم الله شيخ الإسلام على عدله، فهل نتخلى عنه ونطيع تركي الحمد الذي قال يجب أن نتخلى عنه!

والعدل هو أساس الملك كما أوضح الوزير نظام الملك في "سياست نامه" أو "سير الملوك"، وأقره على ذلك شيخ الإسلام، وبيّن ما ينبغي للحاكم في كتابه "السياسة الشرعية"، وبه أعلى الله شأن عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز ونور الدين محمود زنكي.

وقاضي القسطنطينية حكم على فاتحها محمد الفاتح الوارد الثناء عليه في الحديث لصالح رجل من العامة.

وقس هذا العدل الرباني بما يفعله الجاهليون في أمريكا اليوم من الظلم، وكيف أن موجة "الإسلاموفوبيا" لا تستثني مسلما ولو كان طفلا، فقد قبضت المباحث الأمريكية المسماة مكتب التحقيق الفدرالي "إف بي آي" على طفل مسلم رسم طائرة، وقالوا إنه إرهابي يريد أن يرسم بروفه، (أي نموذجا) لاختراق الأبراج الأمريكية بالطائرات!

وفي إحدى المحاكم الأمريكية قبض أحد الشهود على الشاهد الآخر، وقال هذا هو الخصم.

وداخل أحد المحاكم الغربية قتلوا أحد أطراف القضية لأنه مسلم.

وبالعدل الرباني كانت المجتمعات الإسلامية أقل المجتمعات غشا وسرقة وتزويرا، أما المجتمعات الغربية فهم لحرصهم على المادة بأي وسيلة لا يتورعون عن شيء، وقد وصل بهم الحال إلى تزوير الآثار، ويقولون لك: هذه آثار فرعونية وهذه آثار بابلية، وهذا من مخطوطات "ليوناردو دافنشي"، وهذا من لوحات فلان وفلانة.

على أن النفوس المريضة تكره العدل إلا إذا وافق هواها، وقد حذر ابن الوردي ابنه من تولي القضاء قائلا:

إن نصف الناس أعداء لمن   ولي الأحكام هذا إن عدل

وكان "برناردشو" يقول إن كل الساسة مكروهون، ومن سخرياته اللاذعة: أنه لما أراد أن يحضر و"ينستون تشرشل" إحدى مسرحياته أرسل إليه تذكرتين وكتب فيهما: هاتان تذكرتان، لك واحدة ولصديقك واحدة إن كان لك صديق!

والمسلمون بالعدل لهم موقفهم المتميز فلا يتبعون الدعاية النازية ولا دعاية الحلفاء بل يقومون بالعدل مع هذه وتلك، أما الأمريكان فيريدون منا أن نعد هتلر شيطانا رجيما وروزفلت ملكا رحيما، ولو كانت محاكمات "نورمبرغ" إسلامية لاختلفت أحكامها!

وعلى كل من رضي تولي عمل له علاقة بالظلم أن يوطن نفسه على الاتهام بالظلم، كمن يعمل في القضاء أو في السجون أو في الشرطة وما أشبه ذلك بأن يتقي الله ويراعي وجهه.

وليعلم الإنسان أن العدل قد يتركه بلا أصدقاء، قال بعض السلف "إن قول الحق لم يدع لي صديقا".

- الميزة السابعة: أنها حضارة اختيار وظاهر:

فلا تتكلم عن السرائر والنيات بلا علم، ولا تقتدي بما يقوله الإنسان وهو غير مختار له، ولا تتكلف باطنا ينكره صاحبه، وليس فيها إكراه ولا محاكم تفتيش ولا صكوك غفران، فالأصل في ديننا هو سلامة النية والمقصد، والأصل في المسلم أنه يصلي ويتقى الله ولا يشرب الخمر أو يزني، والعالِم في الإسلام له منزلته لكن لا نعترف له بذنوبنا ولا يملك صك غفران.

وقد قال لي مدير عام الدعوة في الداخل وجزيرة العرب سابقا الشيخ عبدالله الفنتوخ رحمه الله: لا تقبلوا من كان في جماعة كذا أو كذا، فقلت: أما من جاءنا وعلى صدره لوحة أنه من جماعة كذا أو شهد عليه الثقات، أو نطقت بذلك كتبه فنعم. وأما أن ننقب عما في القلوب فلا، ونحن لنا برامج

محددة تأتينا من الرئاسة فمن التزم بها فهو أخ لنا ولا يجوز رده، ومن لم يعمل بها لا نقبله.

والمسلمون ينبذون الإكراه، سوءا كان مصدره الأحبار والبابوات أو كان مصدره الصوفية والمنافقون والأنظمة المستبدة.

قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ [البقرة:٢٦٥].

وقال: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ﴾ [النحل:١٠٦].

وقال جل شأنه ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ﴾ [غافر:٢٨].

وقال ﷺ لحبِّه وابن حبِّه أسامة بن زيد (أشققت عن قلبه).

واستأذنه بعض أصحابه في قتل أصل الخوارج "ذي الخويصرة التميمي" فقال: (لعله يصلي، إني نهيت عن قتل المصلين).

وأراد بعض الصحابة أن يقتل رأس النفاق عبدالله بن أبي فقال: (لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه).

وقال تعالى في آكلي الربا تلك الكبيرة الشنيعة: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَـٰغُ﴾ [الشورى:٤٨].

فهو صلوات الله عليه ليس بحفيظ وليس على الكافرين برقيب ولا وكيل، كما في الآيات الأخرى، وقال له: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٩٩].

وقال ﷺ: (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا).

وقال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله).

وقال تعالى عن القرون الخالية: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]، وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء:٩٤]، وقال عن عبده نوح عليه السلام: ﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ﴾ [هود:٢٨]، وقال عن عبده شعيب لما دعاه قومه أن يعود في ملتهم: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ [الأعراف:٨٨].

وأفتى الإمام مالك بأن يمين المكره لا تنعقد وبيعته لا تلزم.

وقال رسول الله ﷺ: (إنما أقضي بينكم بما أسمع)، وأبطل صلوات الله عليه نكاح المكرهة.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن رسول الله ﷺ كان يأتيه الوحي من ربه، أما نحن فإنما نحكم بالظاهر فمن أظهر خيرا قبلناه ومن أظهر شرا عاقبناه".

وقال سفيان الثوري رحمه لله: "الناس عندنا مسلمون في المواريث والأنكحة ولا ندري ما حالهم عند الله".

فهذه حضارة لا يعمل لديها إلا اليقين، أما الشكوك والظنون والتخرصات فلا قيمة لها في ميزان الحق.

- الميزة السابعة: أنها حضارة عفو وإحسان:

والحضارة الغربية اليوم لا تعامل بالعدل ولا تقف مع الحق، أما العفو فهو عنها بعيد، وإنما يعفو الغني الحميد سبحانه، ثم الأنبياء الكرام، ثم من سار على منهاجهم قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]، وقال: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقال في معرض صفات المتقين: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ [آل عمران:١٣٤]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل:٩٠].

فالعدل واجب والإحسان مستحب، والمحسنون هم أهل المروءات والشهامة والكرم وأحباب الله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥]، وقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ﴾ [المائدة:١٣]، وقال: ﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ [النور:٢٢].

وقد كانت حياة النبي ﷺ نموذجا عاليا في العفو، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وعلى ذلك ترى سيرته الشريفة في كل موقف، فلما قتل المشركون سبعين من أصحابه يوم أحد تألم جدا، وقال: (لئن نصرني الله عليهم لأقتلن منهم) فأنزل الله عليه ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل: ١٢٦]، فقال ﷺ: (بل نصبر ونصفح).

ولما فتح مكة قال بعض الناس: الآن ينتصر رسول الله ﷺ ممن آذاه، لكنه صلوات الله عليه قال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

وهكذا علمه ربه ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فُصِّلَت:٣٤].

وقال بشأن أسرى بدر: (لو كان المطعم بن عدي حيا وكلَّمني في هؤلاء النتنى لوهبتهم له)، وذلك أن مطعم بن عدي أجار النبي ﷺ في انصرافه من الطائف، وقد مات مشركا.

ولما بلغه صلوات الله وسلامه عليه شعر قتيلة بنت الحارث قال: (لو بلغني هذا وأخوها النضر حي لعفوت عنه)، ومن شعرها:

ما كان ضرك لو مننت وربما   منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

وقد اشتهر عن الإمام أحمد عفوه عمن جلده غير داع للبدعة، كما اشتهر عن شيخ الإسلام ابن تيمية عفوه عن ظلمه واتهمه.

وقال الله لنبيه الكريم: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحِجر:٨٥]، وهو الصفح الذي لا عتاب معه كما بينه شيخ الإسلام: "الصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه، والهجر الجميل هو الذي لا قطيعة معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه".

قال الشاعر:

لما عفوت و لم أحمل على أحد أرحت نفسي من شر العداوات

- الميزة التاسعة: أنها حضارة المساواة:

المساواة المطلقة مستحيلة شرعا وعقلا، أما المساواة فيما يمكن فيه المساواة فحق والشرع هو الفيصل بينهما.

ونحن الآن نعيش في عالم تنعدم فيه المساواة، فقد كان الناس فيما مضى ثلاث طبقات: الأغنياء، والطبقة الوسطى، والفقراء، فأصبحوا اليوم طبقتين غالبا، طبقة فاحشة الثراء، وطبقة شديدة الفقر، وانعدمت الطبقة الوسطى أو كادت.

وقد ألّف أيضا في ذلك الغربيون أنفسهم اعتمادا على إحصاءات الأمم المتحدة، أو الإحصاءات الحكومية الرسمية (انظر مثلا كتاب عالم بلا مساواة، أوضاع العالم ٢٠١٦).

والمساواة قيمة تفتقر إليها البشرية اليوم، فانظر مثلا كيف يعامل الأمريكيون البيض الأمريكيين السود والملونين، وكيف قال "نتنياهو" أن بعض الأسرى لدى حركة حماس من يهود الحبشة، الأمر الذي فجر مظاهرات عنيفة في تل أبيب وغيرها، وذلك عكس ما فعل النبي ﷺ مع بلال الحبشي الذي علت درجته فوق أبي سفيان المنافي القرشي زعيم المشركين في الجاهلية، وعكس إذنه ﷺ للحبشة أن يلعبوا في مسجده الشريف وأن تزفن فيه نساؤهم.

وقد علمنا تبارك وتعالى أصل المساواة بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ [الحُجُرات:١٣].

وقد كان عطاء أسود نوبيا، وكان ممطور أبو سلام حبشيا، وقال زين العابدين رضي الله عنه: "إن لله كتب الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا، وكتب النار لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا".

وقال تعالى عن المسجد الحرام وبيته المعظم: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥].

وقال ﷺ: (كلكم لآدم وآدم من تراب).

وقال: (لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى)

فقارن ذلك بعنصرية "ترامب" وما سجله عمر كتنا الأمريكي في رواية "الجذور"، وما كتبه "ألبرت إ.كان" في "مصرع الديمقراطية"، وما كتبته "هارييت ستو" في "كوخ العم توم"، وما ذكره الرئيس كارتر من تأصل العنصرية في المجتمع الأمريكي، وهب أن "ترامب" الأصولي العنصري أخفق في الانتخابات و لم يصوت له إلا ٤٠% من الأمريكيين أليس ذلك كثيرا؟

وبالمساواة الإسلامية بين العروق المختلفة واعتبار التقوى هي سبب الامتياز الوحيد أصبح سلمان الفارسي وبلال الحبشي أعلى درجة من أبي سفيان وسهيل بن عمرو وأمثالهما ممن كانوا سادة معظمين في الجاهلية، وأصبحت القومية دعوى جاهلية، وأصبح التفاخر بالأنساب من أمور الجاهلية.

ولما جاء رجل إلى النبي ﷺ وسأله عن أبيه فقال: (في النار)، تألّم الرجل فقال له النبي ﷺ: (أبي وأبوك في النار).

ولما استأذن بعض كبار قريش للدخول على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان فيهم سهيل بن عمرو، وأمر عمر مولاه "يرفا" أن يقدِّم عليهم السابقين الأولين الذين عُذِّبوا في الله، قال سهيل لأصحابه إن هؤلاء سبقوا وتأخرتم، فما أرى لكم إلا أن تجاهدوا، وأقسم عمر على صهيب أن يكشف عن ظهره ليرى الناس آثار التعذيب عليه.

وهكذا جعل الإسلام التقوى هي ميزان التفاضل بين الناس، وأخبر ﷺ أن الله تعالى قبض قبضة من الأرض فخلق منها الناس فكان منهم الأبيض والأحمر والأسود بحسب تلك الطينة.

فإذا تساوت الفرص ظهرت الفروق الحقيقية بين البشر، تقول الاحصائيات في أمريكا إن الطلبة الزنوج أكثر تفوقا من زملائهم البيض.

فلا عرق أبيض آري متحضر يكون منه "واسب" ولا أفارقه سود ولا مكسيكيين ملوّنين لاتين، وإنما أهل الحق في الإسلام سواء، ومن حق اليهودي أن يقاضي أمير المؤمنين ويجلس معه في مجلس الحكم، والعامل اليماني في ديترويت خير من العاطل الأبيض في واشنطن دي سي، ويحق للبروتستانتي الأسود في الإسلام أن يكون قسيسا في كنيسة بروتستانتية بيضاء، وإذا كان كاثوليكيا فإنه من حقه أن يكون قسيسا لكنيسة كاثوليكية بيضاء، والمساواة في الحقوق لا تعني المساواة في الأرزاق كما يقول الشيوعيون، ولا يلزم منها سلب الملكية الفردية قهرا وإنما المساواة عمل مشكور يثاب فاعله لوجه الله.

قال ﷺ: (إن الأشعريين إذا أرملوا جمعوا متاعهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بالسوية، أولئك مني وأنا منهم).

ومما تنفرد به الشريعة الإسلامية وعملت به الحضارة الإسلامية المساواة بين أصحاب الدين الواحد، فلما قدم النبي ﷺ المدينة كانت المساواة مفقودة بين قبائل اليهود.

وكان بنو النضير قد قهروا بني قريظة في الجاهلية، وجعلوا دية القرظي خمسين وسقا، بينما دية النضيري مئة وسق، فجعل النبي ﷺ ديتهما سواء، والغرب حتى اليوم لا يعرف المساواة بين البشر، فـ"بلير" اعتذر لمقتل بعض الجنود البريطانيين، ولم يعتذر لمقتل الألوف من العراقيين، فالقتيل الغربي الواحد، كما حدث في قصة "ريجيني" الإيطالي، يقيمون الدنيا ولا يعقدونها لأجله، ويسكتون عن آلاف المصريين الذين أحرقهم السيسي في رابعة والنهضة أو حكم عليهم بالإعدام أو عذبهم سرا أو اختُطفوا قسرا، والأمريكي الأسود لا يكون قسيسا لكنيسة بيضاء، وإن كان مثلهم في الدين.

ويذهب الغربيون وفودا إلى غزة لمقابلة قادة حماس من أجل إطلاق أسير يهودي واحد، ولا يذكرون آلاف الأسرى الفلسطينيين في سجون الاحتلال، ولكن وفد حماس في المفاوضات كان أذكى منهم، لا سيما حين قال: إن "شاليط" أسلم، فصُدم الغربيون صدمة شديدة.

وفي مقابل المعاملة الحسنة التي اعترف بها "شاليط"، تجد المعاملة السيئة للأسرى في سجون الاحتلال، الأمر الذي يضطر الأسرى للإضراب عن الطعام مُددا تفوق المدة التي أضربها أحد المناضلين الإيرلنديين، وملأوا الدنيا ضجيجا لأجله.

وأصبح الاهتمام بالغربي -كأنه عرف دولي سائد- حتى أن الخطوط السعودية حملت بعض السواح الألمان مجانا لما تعطلت بهم السفينة في البحر الأحمر، ولو كانوا آسيويين أو أفارقة ما نظرت إليهم، بل إن هيئة كبار العلماء في السعودية تستنكر ما يقوم به المسلمون في سينما باريس ولا تستنكر حصار غزة واعتداءات اليهود المتكررة على المسجد الأقصى، ولا زيارة المدعو "أنور عشقي" لإسرائيل، ومقابلته لوزراء فيها، وقبله كان إياد مدني قد زارها ومر الأمر بسلام.

وفي أيام الفاروق ﵁ لطم أحد ملوك غسان أعرابيا فاشتكى إلى عمر، فقال عمر للغساني: القصاص، فهرب إلى ملك الروم، وقال: كيف يقتص مني وأنا ملك وهو سوقة؟

ونحن نأسف لمقارنة المسلمين بالكفار والمساجد بالمسارح، ولكن هذا هو واقعنا اليوم!

- الميزة العاشرة: أنها حضارة حق يجب قوله ويحرم كتمه.

وليست حرية التعبير مقيدة باتباع الحاكم كما يفعل الدكتاتوريين، ولا هي مطلقة كما يزعم الديمقراطيون، بل لابد أن يكون القول حقا، وأن يجهر به صاحبه وأن يكون كتمه حراما فلا قيود عليه ولا خطوط حمراء إلا ما لا

يجوز شرعا، وهذه دائرة محدودة منضبطة وما عداها رحب فسيح، ولا يحق لأحد أن يفتري على الله أو يشتم أحد الأنبياء الكرام أو الصحابة الأطهار، أو الأئمة المسلمين أو ينشر الفاحشة في المؤمنين متعللا بحرية التعبير، فإن كلمة "برس" التي يكتبونها باللاتينية على صدورهم قد تعفيهم من المساءلة القانونية، ولكنها لا تعفي أبداً من السؤال بين يدي العليم الخبير، الذي وكل على كل منا كراما كاتبين وقال: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وهذه الأمانة الثقيلة والمسؤولية الجسيمة يجب أن تستعد لها صاحبة الجلالة الصحافة وكل الفضائيات.

كما لا يحل كتم الحق أو تحريف الكلم عن مواضعه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ ٱلْكِتَـٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ﴾[الأعراف: ١٦٩]، وقال في ذكر المحرمات وهو أعظمها: ﴿وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣]، والأحبار والرهبان وأتباعهم يجمعون بين كتم الحق والافتراء على الله، وقال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الأنعام:٢٠]، وقال: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦].

وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَـٰبِ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الناس يستفظعون سكوت العالم وجبن الجندي".

وكان ﷺ يصدع بالحق ويربي أصحابه على ذلك ويبايعهم على قوله أينما كانوا، قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه -وقد كان أحد النقباء ليلة العقبة-: (بايعنا رسول الله ﷺ على أن نقول الحق أينما كنا، ولا نخاف لومة لائم)، قال ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر).

ولما مات المغيرة بن شعبة ﷺ قام جرير بن عبدالله البجلي ﷺ فخطب في الناس، وقال: (بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم، وإني لكم ناصح)، وكان من دعائه ﷺ: (وأسألك قول الحق في الغضب والرضا).

ومن الحق كل ما شرع الله أمرا أو نهيا، فلا نكره شيئا من الشريعة التي هي حق كلها، وعدل كلها، وحكمة كلها، ما علمنا حكمته وما جهلناه، بل نقبل ذلك ونذعن له بذلك رضا ومحبة، ونعلم أن الله إنما شرع الله لنا ما شرع لمصلحتنا نحن، ومن ذلك أنه حرم علينا أكل الربا والدياثة وشرب الخمر والمخدرات والزنا وكل الخبائث، وحرم العنصرية والفخر بالأحساب وجعل ذلك من دعوى الجاهلية.

وأوجب علينا حماية العرض، ومراعاة الحقوق والقيام بالواجبات، لا سيما ما كان حقا للعالم أو المفتي أو الإمام أو المجاهد أو الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، فلكل فرد حقوق كما أن عليه واجبات.

وفرَّق سبحانه بين الذكر والأنثى في بعض الأحكام تفريق الحكيم العليم، وكل ذلك لمصلحتنا، أما هو سبحانه فهو غني عنا لا تنفعه طاعة المطيع ولا تضره معصية العاصي، وليس بحاجة أن يحابي الرجل أو المرأة أو الغني أو الفقير.

وهكذا لم يتخبط المسلمون بين خيال مجنح، أو واقعية مريضة، أو افتراضات ذهنية، كما نرى في "جمهورية أفلاطون" و"آراء أهل المدينة الفاضلة" للفارابي، أو نظريات "هوبز ومونتسكيو وروسو وهيجل وماركس"، وأمثالهم من أصحاب النظريات التي ثبت فشلها حتى في بيئتها الغربية.

- **الميزة الحادية عشرة: أنها حضارة حب وتقدير:**

بالرغم مما تعانيه المجتمعات الإسلامية من تخلف مادي وتأخر تقني لديها بقايا من القيم النبيلة والعادات الأصيلة التي ينبغي توجيهها لتكون خالصة لله موافقة لشرعه، ولنا ميزات معنوية وأخلاقية تندر أو لا توجد في الغرب المادي الجاف.

ومن ذلك:

١. نحن نوقر الكبير ونعطف على الصغير، بدون مردود مادي.

٢. نحن نحافظ على العرض ونصون المرأة من الابتذال، فهي عندنا جوهرة مكنونة لا تمسها أيدي العابثين ولا تفتك بها الذئاب البشرية الضارية.

٣. نحن نكفل اليتيم ونرحمه بدون مقابل.

٤. نحن نتصدق على المسكين والفقير والأسير لا نريد منهم جزاء ولا شكورا، ولا نتبع صدقاتنا بالمن والأذى، وننشئ الأوقاف ونبني المساجد، ولا نرائي بذلك بل نكتب فاعل خير أو على نفقة بعض المحسنين.

٥. نحن نرعى حق الصاحب بالجنب، وهو زميل العمل أو الدراسة، ونرعى حق الجوار ونكرم الضيف ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر.

٦. نحن لا نأخذ من الابن أو الابنة أو أي قريب مالا مقابل السكن والطعام كما يفعل الغربيون بأولادهم بعد السن القانونية.

٧. نحن لا نأكل الميتة أو الخنزير، بل نرى من الواجب أن نذبح الخروف أو الحاشي للضيف.

٨. نحن نرضى أن نموت ولا يمتهن أحد كرامتنا أو ينتهك عرضنا، وشعارنا هو كما قال الشاعر:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه   لا بارك الله بعد العرض في المال

٩. نحن نصوم رمضان ونحج البيت الحرام ولدينا مقدسات كثيرة.

١٠. نحن لا نتقاضى مالا مقابل ما تفرضه الرجولة وتدعو إليه المروءة.
١١. نحن لدنيا فضائل اجتماعية كثيرة، لا نشعر بها وهي عند الغربيين عظيمة.

وبما لدينا من بقية القيم نرى كثيراً من الغربيين يدخلون في الإسلام فكيف لو أنهم رأوا الإسلام على حقيقته؟ وقد أسلمت دبلوماسية ألمانية في جدة، لما زارت أحد البيوت ورأت كيف يحترم الأبناء الأمهات وكيف يوقر الأحفاد الجدات، ويُعجب بتعاملنا وأخلاقنا كثير من السواح الغربيين الذين يأتون إلى بلاد المسلمين مثل مصر والمغرب وباكستان وتركيا وماليزيا وغيرها فضلا عما في جزيرة العرب من ذلك.

وقد قال أحد كبار السن من قبيلة قحطان: كنت في احد مستشفيات لندن فدخل عليَّ ابني ومعه مجموعة من زملائه لا أعرفهم، فقال لي جاري الإنجليزي كل هؤلاء يعرفونك؟ قلت له: لا ولكنهم زملاء ابني في الجامعة. فعجب وقال أنا لي ابن يسكن في هذا الحي، وإذا كتب لي بطاقة في عيد الميلاد عددت ذلك منه برا!

وأنا سألت إحدى العجائز العاملات في فندق "بديترويت" فقلت لها هل لك أبناء؟ قالت: نعم لي اثنان أحدهما في كاليفورنيا، والآخر لا أعلم عنه ولا يعلم عني!

- الميزة الثانية عشرة: أنها حضارة طيبات:

والله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، والرسول ﷺ أطيب الخلق، وقد وصفه ربه بأنه يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٧٣].

وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤].

وقال: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾[الأعراف: ٣٢].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون:٥١].

ومن الخبائث التي حرمها الله الجيف التي يأكلها الغربيون، والخمر التي يشربونها، والفواحش التي يرتكبونها، ومن المحرمات أيضا لحم الخنزير ذلك الحيوان الديوث الذي يأكل العذرة وينشر الأمراض، ويأكله الكفار فيتخلقون بأخلاقه لاسيما الدياثة.

وهو مع ذلك له دهون ضارة، وتحذر من أكله وزارة الزراعة الأمريكية، وكل الأطباء في الغرب، وقال الدكتور "جايلورد هاوزر" الملقب زعيم التغذية في العصر الحديث: لا يدخل الخنزير في أي نظام صحي. فالخنزير محرم شرعا ضار طبا مكروه طبعا.

ويزعم الأمريكان أن للجمل رائحة كريهة، وأنه حيوان قذر مع أنه إذا أراد أحد منهم أن يسب آخر قال له يا خنزير و لم يقل له يا جمل!

أما المجوس في اليابان والصين وكوريا وأمثالها، فيأكلون مع الخنزير الحشرات كالصراصير والخنافس، بل إن بعض اليابانيين يأكلون البراز، وقد نشرت ذلك لهم صحيفة الرياض أو الجزيرة ويقولون إنه يحتوي على فيتامينات، وقد يكون ذلك، فالجسم يأخذ ما يحتاج إليه منها ويخرج الباقي. ولكن البراز نجس خبيث لا يأكله إلا المتأخرون جدا كهؤلاء المجوس، ولو كان الذي أكله مسلم لم يَنشر له أحد، وإن نشروه قالوا هكذا يفعل الإرهابيون وربما كرروه حتى لا ننسى.

فالحمد لله الذي أغنانا بالطيبات عن الخبائث، وبالطاهرات عن النجسات، وبالحلال عن الحرام، وعوضنا عن شرب المسكرات بأنواع شتى من العصيرات.

ومن الخبائث المحرمة في ديننا كذلك: المخدرات والتدخين.

- الميزة الثالثة عشرة: أنها حضارة أخلاق:

وبذلك أثنى الله على رسوله الكريم ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، واختصر صلوات الله عليه وسلامه دعوته في جملة واحدة (إنما بعثت

لأتمم مكارم الأخلاق)، ولما سئلت عائشة عن أخلاقه ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن).

وأقر بذلك الكفار فسموه في الجاهلية "الصادق الأمين" وقالوا له في الإسلام (ما عهدناك إلا وصولا للرحم).

وبهذه الأخلاق وصفه جعفر الطيار للنجاشي، ووصفه ربعي بن عامر لرستم ووصفه زعيم المشركين آنذاك أبو سفيان بن حرب لهرقل، وشهد له بها المقوقس ملك القبط والجلندى ملك عمان.

ومن الأخلاق الكريمة التي حث عليها الشرع كظم الغيظ وترك الغضب، والإحسان إلى كل ذي كبد رطبة، حتى ولو كان كافرا أو كلبا أو بهيمة أو طيرا أو حشرة، والعفو، والصفح، وترك الغيبة والبهتان والحسد والحقد والكبر، وكل مرض قلبي، والتزام الصدق في الأقوال والأعمال، والوفاء، ومعرفة حق الجار ولو كان كافرا، والحياء، وإماطة الأذى عن الطريق، وترك الغش في أي شيء، وصلة الأرحام، والعفاف، وغض النظر عن الأجنبيات، وترك مد العين للدنيا، والتواضع، والتأني، والحلم، وشكر المحسن، والذب عن عرض المسلم في غيابه، ونصرة المظلوم، والأمانة في الأقوال والأفعال، والعمل الخيري، وإفشاء السلام حتى على من لم يعرفه المسلم، وإعارة الإناء، وغيره... الخ.

وحسب المؤمن أنه يبلغ بحسن خلقه درجة الصائم القائم، وأن يكون أقرب الناس جميعا يوم القيامة من النبي ﷺ.

ومع بالغ الأسى فقد المسلمون كثيرا من هذه المعاني، ومنها الأمانة التي قال عنها النبي ﷺ أول ما تفقدون من دينكم الأمانة.

فعلى ديوان الخدمة المدنية تقديم الموظف الأمين وإن لم تكن له قرابة أو واسطة، قال تعالى عن ابنة العبد الصالح: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦].

ولما فقدت البلديات الأمانة، أصبح حالنا كما نرى، و لم يغن شيئا أن يسموا البلدية أمانة!

والمسلم دائما يتعامل بالصدق والوضوح، وليس من الأخلاق الإسلامية التعامل بالغش والغبن والخلابة والكذب، أما الغش الغربي فهو غش متطور متحضر، ليس مثل الغش المكشوف المباشر الذي يمارسه المتأخرون!

فالإنسان الغربي المتحضر يسرق الأموال من الحسابات بواسطة الاختراق الالكتروني، وربما سرق القطارات، كما أنه يسطو على المراكز التجارية مستخدما الطائرات، و لم تعد الجريمة فردية متأخرة! بل تطورت لكي تصبح جماعية يشترك فيها عصابة.

ويربح الغرب أكثر مما يربح منتجو النفط باسم ضريبة الكربون، ويستورد المادة الخام برخص كالنفط والبن والكاكاو والقطن والصمغ، ويصنع من جزء ضئيل منها أدوية أو مطهرات أو عطوراً وملابس أو حلويات أو ما شاء، ثم بيعها لصاحب المادة الخام بمبالغ طائلة أو يستورد ما تصنعه دول أخرى، كالصين وسنغافورة وهونج كونج، ويكتب عليها صنع في كذا من البلاد الغربية ويبيعها بسعر باهظ.

ومن طبيعته الأخلاقية أنه يتلاعب بالمصطلحات وكثيرا ما يعكسها، فيسمي احتلاله "مطلبا حكوميا"، ويسمي حربه للإسلام "مكافحة الإرهاب"، ويسمي اغتيال المنتخبين أو عزلهم "قضاء على الديكتاتورية"، ويسمي إمداده المستمر للصهاينة "نشراً للديمقراطية"، ويسمي المسلمين "هراطقة"، ويسمي غزوه لبلاد المسلمين "تحريرا"، ويسمي تسلطه الاقتصادي "وفرة"، ويسمي تقسيمه "فدرالية"، ويسمي وحشيته "حقوقا للإنسان"، ويسمي دياثته "تطورا"، ويسمي ظلمه "مساواة"، ويسمي هيمنته الاقتصادية "استثمارا"، ويسمي احتكاره "تسويقا"، ويسمي إخضاعه للضعفاء "تفاوتا"، ويسمي الإقرار بتفتيته "حسن جوار"، ويسمي عملاءه "أصدقاء"، ويسمي اللصوصية "تنمية"، ويسمي مواطنيه "خبراء" أو مستشارين، ويسمي الربا

"فائدة"، ويسمي الانفصال "حق تقرير المصير"، ويسمي الأقليات اليهودية أو النصرانية "مكونا اجتماعيا"، ويسمي المسلمين المحرومين من الانتخاب في بورما "أقلية بنغالية"، ويسمي أي دعوة جاهلية وإحياء اللغات المنقرضة "تنوعا ثقافيا"، ويسمي التماثيل "إرثا إنسانيا"، ويسمي الأصنام "آثارا"، وعموما إذا سمعت وقرأت تصريحا أو بيانا لأي دولة قالت إنها فعلت كذا وكذا من أجل حقوق الإنسان، أو العدالة، أو الديمقراطية، فاعلم أن تحت ذلك الكلام غرضا سياسيا وغالبا ما يكون مصلحة نفعية.

ويجوز عنده أن يفخر أهل الشام بالآثار الرومانية في تدمر مثلا، وأن يفخر أهل البلقاء "عمّان" بآثار الأنباط، وأن يفتخر أهل العراق بحمورابي وأن يفخر أهل مصر بالفراعنة، وأن يفخر أهل لبنان بالفينيقيين، وأن يفخر أهل تونس بقرطاج، أو يفخر أهل السودان بشندي.

أما المحظور على الجميع فهو أن يفخروا بشيء من أمجاد الإسلام وحضارته ومدنه وفتوحاته، ومَن ذَكر القرآن والرسول ﷺ فهو إرهابي تكفيري أصولي متطرف.

ونحن أمة عدل وخلق نقول الحق لنا أو علينا، ولا نقول الشيء ونخالفه بفعلنا، كحال الغرب الذي يدعي حقوق الإنسان وينتهكها علنا في بلاد الشام، ويقول إنه مع حكومة الوفاق في ليبيا ويكون مع "حفتر" بطائراته، ويقول إنه دائما مع الحكم الديمقراطي، وإذا كان الانتخابات إسرائيلية أقرها وأمدها، وإذا كانت فلسطينية فلا بد من الانقلاب عليها.

ويقف مع الانقلابيين في مصر، وليس مع الديمقراطية في تركية، وهكذا في الجزائر وبورما بل في كل الدول الإفريقية حيث يكون المسلمون فوق ٩٠% ويحكمهم نصراني!

أما الأمة الإسلامية فالحق واجب عليها بمقتضى شريعتها، وهكذا كان رسولها ﷺ وصحابته والتابعون، ثم من سار على نهج أولئك الجيل الفريد.

فانظر مثلا إلى عدل شيخ الإسلام ابن تيمية ومواقفه، وكيف أن المسلمين في زمانه يتبعون فتواه ويحتكمون إلى رأيه، ولم يحفظ عنه ولا عن أحد من السلف أنه جانب الحق والعدل والوفاء وحسن الخُلق.

وهذه الأخلاق يتميز بها المسلم في السلم والحرب حتى قال "غوستاف لوبون" بعد طول دراسة تاريخية: "ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب" أي المسلمين.

ومن أخلاق المسلمين في الحرب: عدم قتل من لم يقاتل كالنساء والأطفال والرهبان وكبار السن والمدنيين!!

ومن أخلاق المسلمين الحربية: الوفاء بالعقود، والصدقة على الأسير، ومنع التعذيب واحترام كرامة الإنسان وتخيير الطرف الآخر قبل قتاله، والنزول على حكم من يرضون من المسلمين، ودفع ديات قتلاهم إذا ثبت أنهم لم يفهموا الإسلام، وإرادة هداية الأمم وليس نهب ثروتها وخيراتها.

ومن الأخلاق التي حث عليها الشرع في السلم والحرب المروءة والشهامة والزهد.

وشتان بين من يريد الله والدار والآخرة، ومن يريد هذه الدنيا والعلو في الأرض.

وقارن بين قوله ﷺ: (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها)، وبين حرص الحلفاء الغربيين ومنهم الأمريكان على إبادة الأمة الألمانية، ولو كان المبادون مدنيين كما فعلوا مثلا بمدينة "دوسلدروف"، وكم اباد الأمريكان في "هيروشيما" من المدنيين، وكيف حرصوا على إبادة الأمة الفيتنامية، وإبادة الصوماليين والأفغان والعراقيين، وهم يريدون اليوم إبادة كل المسلمين، إلا من رأوا مصلحتهم في بقائه لكي يستعبدوه، مثل فرعون الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ﴾ [القصص:٤]، فالأمريكان اليوم يريدون أن تكون دول الخليج لهم كالإسرائيليات للفراعنة، وإذا نفد النفط انقلبوا على

أهله إلا أن يرضوا باسترقاق العم سام لهم، ووضعهم حيث شاء فالمهم هو مصلحته الاقتصادية.

ولذلك لا غرابة أن تُجمع دول العالم على اتفاقية إبادة الجنس إلا امريكا، وأن تمد أمريكا حليفتها إسرائيل بكل أسباب القوة، وتعطيها أكبر مساعدات في التاريخ لكي تبيد الفلسطينيين بل العرب الرافضين لإسرائيل، وهل هاجمت المفاعل النووي في العراق واغتالت قادة منظمة التحرير في تونس وبيروت إلا لهذا الهدف، وقد زعم الأمريكان أنها أعطت إسرائيل تلك الصفقة لأنها تعيش في محيط مضطرب، وتصف أعمالها العدوانية بأنها "دفاع عن النفس"!

ومن رفض وجود الدويلة الصهيونية، فهو متطرف إرهابي أصولي يعيش بعقلية القطيع ذي النزعة العدوانية، أو بعقلية الإنسان البدائي الانتقامي، الذي يؤمن بتقاليد العشيرة ولا يؤمن بالإنسانية والديمقراطية، ووفقا لهذه العقلية القديمة كانت الغزوات النبوية والفتوحات الجهادية وحارب المسلمون الصليبيين والتتار!!

هكذا يزعم الظانون بالله ظن السوء والله من ورائهم محيط.

ونحن ليس في ديننا قتل النساء -ما لم يقاتلن- أو قتل الأطفال، وليس هذا في الماضي فقط، بل حتى اليوم، فإن أحد المجاهدين الفلسطينيين قتل مستوطنا صهيونيا ولم يقتل من كان معه في السيارة من النساء والأطفال، وعجب اليهود لذلك وكتبت عنه صحفهم نفسها، وعمله هذا عكس ما عندهم في التوراة لا سيما "سفر يوشع" وما يفتي به الحاخامات ويسير عليه نتنياهو!

دع المجاهدين في فلسطين، ولكن انظر كيف أن تنظيم الدولة الذي يجمع الغربيون على أنه تنظيم إرهابي، يسمح للصحفيين الغربيين بدخول الموصل فهل يسمح الأمريكان والانجليز لمن كان ينتمي إلى تنظيم الدولة الإسلامية بدخول واشنطن أو لندن.

- الميزة الرابعة عشرة: أنها حضارة وفاء والتزام:

فالغدر فيها حرام حتى مع الكفار، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، وقال: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء:٣٤]، وقال: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾ [الأنفال:٥٨]، أي أعلمهم بأن العهد انتقض.

وكان ﷺ مثالا للوفاء في حياته كلها، وفيا بعهده ووعده، ونهى عن الغدر وقال: (يرفع لكل غادر لواء يوم القيامة، وشر الغدر غدر أمير عامة).

وعلى ذلك سار أصحابه من بعده، فلما همّ معاوية ﷺ أن يغزو الروم فور انتهاء الهدنة وقبل أن ينبذ إليهم، صاح به عمرو بن عبسة ﷺ: الله أكبر هذا يوم وفاء لا غدر. فقال معاوية: من هذا؟ قالوا عمرو بن عبسة، فقفل بالجيش.

قارن هذا الوفاء بغدر الروس في بلاد الشام وغدر الأمريكان في العراق وغيرها، وما يفعله المنافقون من مداهمات وقتل وتعذيب.

وقد كان أول كلمة لصدام حسين بعد العدوان الأمريكي على العراق "لقد غدر الغادرون"!

وقد قال ﷺ في تعداد صفات المنافق (وإذا عاهد غدر)، ومن طبيعة الكفار نقض العهد والغدر حتى فيما يسمونه الاحلاف المقدسة.

وانظر مثلا ما كان بين وزير خارجية النمسا مترنيخ، ووزير خارجية بريطانيا سالسبوري هل يساوي قيمة الحبر الذي كتب به؟

وانظر كيف غدر الانجليز بالدولة العثمانية وكيف غدر علي عبدالله صالح والسيسي بمن أعطوهما المليارات، وكيف غدر السيسي برئيسه مرسي، والشعب المصري كله، وكيف غدر اليهود بالفلسطينيين، وأمثال ذلك كثير، حتى أصبح الغدر هو الأصل في السياسة الدولية، وأصبح الوفاء والصدق

مدعاة للسخرية، ودليلا على السذاجة السياسية عندهم، وأصبحت الغاية المصلحية تبرر الوسيلة الميكافيلية.

والوفاء ميزة عظيمة للحضارة الإسلامية على غيرها من الحضارات التي تتميز بانتهاج مواعيد عرقوب، وأن كلام الليل يمحوه النهار، كحال الحضارة الغربية وسياستها المعاصرة.

وليس في الإسلام اتفاقيات أو مواثيق لا تساوي قيمة المداد الذي كتبت به، مثل اتفاقيات جنيف ولاهاي، وميثاق حقوق الإنسان، واتفاقية تحريم العنصرية، وميثاق حقوق الطفل، واتفاقية تحريم الإبادة العرقية.

والمسلمون يلتزمون منذ اللحظة الأولى لكتابة الميثاق ببنوده، فلما كتب النبي ﷺ صلح الحديبية مع سهيل بن عمرو، جاء ابن سهيل مسلما وطلب من النبي ﷺ ألا يرده إلى المشركين، لكن النبي ﷺ أبى وقال: (قد واثقناهم وسيجعل الله لك ولمن معك مخرجا).

– الميزة الخامسة عشرة: أنها حضارة اجتماع وألفة:

فلا تجعل العالَم معسكرين متحاربين إما بالحرب الباردة أو الساخنة لأسباب نفعية بحتة، ولا تجعله حلفين متعاديين، ومن ترك أحد الحلفين أو المعسكرين افتخر بأنه ليس منحازا، بل كان المسلمون أمة واحدة مهما اختلفت لغاتهم وألوانهم وأعراقهم.

فالدور داران إما دار كفر وإما دار إسلام وكل دار بحسب سكانها، وما يظهر فيها من الشعائر، وما يجري عليها من الأحكام. قال تعالى للمؤمنين: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠]، وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥]، وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦].

ومن الممكن جدا الاجتماع على حرب العدو، مع النقاش والتباحث فيما بين المسلمين.

وقال عن أهل الكتاب: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾ [البيِّنة:٤]، وقال عنهم: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:١٤]، وقال ﷺ: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ولا يحقره، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم).

وقال: (وكونوا عباد الله إخوانا)، وآخى صلوات الله وسلامه عليه بين المهاجرين والأنصار، وينبغي علينا اليوم أن نآخي بين المجاهدين في فلسطين وبين أهل جزيرة العرب، وأن نآخي بين مكة والقدس، وحث الإسلام على الاجتماع، وجعل شعائره قائمة عليه، كصلاة الجماعة والجمعة والعيدين وصلاة عرفة وأمثال ذلك.

وأمر بالاجتماع على السنة والدين، ونهى عن التفرق بالابتداع أو الكفر، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣].

وأمرت الشريعة الغراء بوحدة الكلمة واتباع من جاء بالحق أو أمر به من عالمٍ أو حاكم أو آمر بالمعروف أو ناهٍ عن المنكر أو مجاهد أو قاض أو مفت.

ونهى النبي ﷺ أن يخطب الرجل على خطبة أخيه أو يبيع على بيع أخيه، أو أن تسأل المرأة طلاق أختها.

ونهى عن الابتداع والإحداث في الدين وقال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، والأحاديث وأقوال السلف في ذم التفرق والابتداع كثيرة.

وأمر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن يظل الناس على ما أفتاهم به ابن مسعود، وقال حتى يكون الناس جماعة.

ولما قال لتلميذه عبيدة السلماني: "كنت أرى ألا يباع أمهات الأولاد ثم رأيت الآن بيعهن، قال له عبيدة: رأيك في الجماعة أحب إلينا من رأيك في الفرقة".

وأتم عبدالله بن مسعود الصلاة خلف عثمان ﷺ، ولما قيل له في ذلك قال: الخلاف شر.

وهكذا قرر المسلمون قاعدة أصيلة مصدرها الهدي النبوي وإجماع الصحابة، أن الجماعة رحمة والفرقة عذاب وأن يد الله مع الجماعة.

فالأصل هو اتباع المسلمين واتباع الدليل، وإنما استثنى المسلمون من ذلك أن يجتمع الناس على البدعة والمنكر والكفر، فكلمة التوحيد هي أساس توحيد الكلمة، والكافر عدو والمبتدع ضال وفاعل المنكر فاسق.

قال بعض السلف (محمد بن أسلم الطوسي هو الجماعة) وقالوا الجماعة ما وافق الحق ولو كنت وحدك.

قال ابن القيم: "لا تستصعب مخالفة الناس والتحيز إلى الله ورسوله ولو كنت وحدك". وقال الله عن عبده نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، وقال عن القرون الأولى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هود:١١٦].

وعلى الحرص على الاجتماع عملت هذه الأمة المباركة اقتداء بالصحابة والفقهاء الأخيار، ولما قدم أحد أصحاب الإمام أبي حنيفة إلى المدينة صلى خلف الإمام مالك، وعمل بما عليه أهل المدينة، وقال عن الإمام أبي حنيفة: "لو رأى صاحبي ما رأيت لرجع".

– الميزة السادسة عشرة: أنها حضارة عمل:

فبعد أن ذكر تفكر المؤمنين في خلق السموات والأرض، وتوسلهم إليه بالإيمان ودعائهم له، قال سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ﴾ [آل عمران:١٩٥]، وفي مواضع كثيرة من

كتابه تعالى قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ [البقرة:٢٥]، فقرن الإيمان بالعمل الصالح فالدين قول وعمل أي اعتقاد وامتثال، وليست شريعتنا مجرد مشاعر وجدانية هائمة، أو عواطف يمكن لكل أحد أن يدعيها، أو شعارات يمكن لكل أحد أن يرفعها، ولا هو احتفالات أو موالد كما يفعل أهل البدع.

ومن الشعارات التي لا يقبلها الله ما لم تكن حقيقية أن بعض الدول تسمي نفسها (إسلامية) وبعضها تسمي حاكمها (أمير المؤمنين)، وبعضها تكتب على أعلامها أو على الطائرات وما أشبهها (لا إله إلا الله)، أو بعضها تكتب (الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل)، وبعضها يسمي مدارسه أو قواعده ومناوراته بأسماء الصحابة الكرام، ومعارك الإسلام الفاصلة، ويسمي شوارعه (شارع الإمام أحمد، والشافعي، وابن باز، وفلسطين)!! وأمثال ذلك.

قال الحسن البصري: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل".

والعمل يشق على بعض الناس ولكن لابد منه ولا تكفي الدعوى وحدها.

والنصرانية المحرفة هي التي تدعي أن المخلِّص يسوع يكفي الإيمان به، وأنه افتدى الناس بموته على الصليب!! وحسب المؤمنين به كما يزعم النصارى الإيمان بذلك ولا يتبرر بالعمل. وهذا البهتان لم يقرره بولس فحسب بل كذلك "لوثر" ومن اتبعه من النصارى وتأثر به، وعليه اليوم كثير منهم لاسيما في أمريكا وبريطانيا وألمانيا وأستراليا، ولا يجتمع النصارى إلا في إيمانهم بذلك ثم يذهبون طرائق قددا.

ويعزو الباحث الاجتماعي (ماكس فيبر) تقدم الدول البروتستانتية، إلى أن المذهب يحث على العمل، فإذا قارن أحدٌ حال الولايات المتحدة البروتستانتية بحال الدول الكاثوليكية في أمريكا الجنوبية ظهر له الفرق، وهذا صحيح لكن الإسلام أعظم من البروتستانتية وشريعته تحث على العمل ولو

كان فيما يرى الناس عملا دنيويا خالصا، والعمل قاعدة وجودية مطردة فكل من عمل وجد نتيجة عمله، وكل من زرع حصد سواء أكان بروتستانتيا أو كاثوليكيا أو مسلما أو مجوسيا.

وقد حث ديننا الحنيف على أن يأكل الرجل من كسب يده، وأن يعمل في التجارة أو الصناعة أو الزراعة أو ما شاء، بشرط التقوى، ومنها ألا ينسى حق الله وحق المحتاجين فيما يعمل.

وهكذا كان الأنبياء والصالحون، فكان نبي الله زكريا نجارا، ونبي الله داود حدادا، وكان من السلف الصالح البقال والزيات والسمان والنجاد والفاكهي والقطان والفراء والصابوني والسروجي والخياط والماوردي، وأمثال ذلك من المهن.

وخير الملوك قاطبة ملوك الأنبياء كداود وسليمان عليهما السلام، وقد كانا يأكلان من عمل أيديهما ولم ينهبا بيت المال، فعلّم الله داود صناعة الدروع، وحث أحد الملائكة سليمان ألا يأكل من بيت المال.

وأقر ﷺ الصحابي حينما أعطاه دينارا، وقال له اشتر به شاة فجاءه بشاة ودينار وقال: اشتريت به شاة فبعتها بدينارين.

وقال عبدالرحمن بن عوف لأخيه الأنصاري: "دلَّني على سوق المدينة".

وكان أهل مكة أهل تجارة أما أهل المدينة فأهل زراعة وأقر النبي ﷺ كلا الطريقين، واختار الله لنبيه الكريم ﷺ أشرف المكاسب وأعلاها، وهو غنائم الجهاد في سبيل الله.

ووسعت الشريعة مفهوم الصدقة، وجعل النبي ﷺ منها اللقمة يضعها الرجل في فم امرأته.

فإن لم يجد المرء شيئا يتصدق به، تصدق على نفسه بكف شره عن الناس.

وأرشد النبي ﷺ إلى فضل العمل، وأنه خير من المسألة أعطاه الناس أو حرموه، ولو لم يجد الإنسان إلا حبلا فاحتطب وباعه، وهكذا كان أصحاب الصفة رضي الله عنهم.

وأمرنا رسول الله ﷺ إذا قامت الساعة وفي يد أحدنا فسيلة أن يغرسها.

وجعلت الشريعة الأصل في سؤال الناس هو التحريم، ومن سأل الناس وعنده ما يغنيه، جاء يوم القيامة وليس على وجهه مزعة لحم. وإنما تحل المسألة في حالات مخصوصة بينها الشرع المطهر.

وبعض السلف قرأ حديث (فمن وجد خيرا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه)، فقال: "والله لنعملن ولنجتهدن، فإن كانت الجنة فذلك ما كنا نبغي، وإن كانت الأخرى لم نلم أنفسنا بل نقول عملنا و لم ينفعنا"!!

والعمل هو المحك الحقيقي للإيمان، وإلا فمن السهل أن تكتب دولة أو إنسان على رايته أو طائرته "لا إله إلا الله"، أو يقولون دولة إسلامية، أو يسمي نفسه أمير المؤمنين، وما أشبه ذلك، -كماتقدم- بل حتى من نافق أيام النبي ﷺ وأقسم بالأيمان أنه صادق أمره الله بالعمل ﴿وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [التوبة:١٠٥].

فالعمل يصدِّق الشعار أو يكذِّبه، ويظهر هل لقلب صاحب الشعار مادة أم مادتان؟

والعبرة إنما هي بالعمل وليس بالشعار، وفي المأثورات من الحكم أن صيادا كان ينصب فخه وعيناه مغرورقتان بالدموع لسبب ما، فقال أحد العصافير هذا صياد رحيم، ألا ترون الدمع في عينيه، فقال عصفور حكيم: لا تنظروا إلى دمع عينيه ولكن انظروا إلى عمل يديه".

والله تعالى لا ينظر إلى الصور والأموال، بل ينظر إلى القلوب والأعمال، فالمسألة حقائق عملية، وليس البر هو أن تتوجه قبل المشرق أو المغرب،

وأمثال ذلك من الشكليات، وليس الهدي هو مجرد إراقة الدم، فلن ينال الله منا لحومُها ولا دماؤها.

وألف الخلال -جامع علم الإمام أحمد- كتابا في فضل التجارة، وسبقه إلى ذلك أحد مقربي الإمام أبي حنيفة، وألف في ذلك بعض المتأخرين كالوصابي الذي كتب "البركة في فضل السعي والحركة"، والأمثلة على ذلك لا تحصى إلا بكلفة.

فأين هذه الحضارة النيرة من الحضارة الغربية المظلمة التي إما أن تترك الدنيا وتترهبن، وإما أن تأخذ بجشع وتقطع الصلة بالوالدين والأبناء ما لم يكونوا منتجين.

وأين حثُّ الإسلام على العمل من ترك الإنسان عالة على الدولة أو الكنيسة؟

والمسلم لا يكون عاطلا أبدا، فهو إما أن يفعل المأمورات وإما أن يتصدق على المساكين أو على نفسه، ويحسن نيته في كل عمل، حتى وهو يأتي أهله قال ﷺ: (وفي بُضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ قالوا: نعم. قال: فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر).

وحتى إذا احتسب النوم، قال معاذ ﷺ: "إني لأحتسب نومتي كما احتسب قومتي" كما في البخاري.

والمؤمن يكون نطقه ذكرا وصمته فكرا ونظره عبرة حتى وهو ينظر إلى المرآة يحمد الله على حسن خلقه ويتفكر في الشيب إذا كان شابا، وفي الموت إذا كان ذا شيبة، ولما نظر سيد بني تميم بعد الأحنف بن قيس إلى المرآة، ورأى الشيب قد بدأ، قال لغلامه: قل لبني تميم فليختارو سيدا غيري، فقد آن تفرغي لعبادة ربي.

والمؤمن دائما مع الله لا ينسى ذكره، وكانت رائعة بنت إسماعيل تقدم الطعام لزوجها وتقول: كل، فإنما أنضجه بالتسبيح!

ومن أدوأ أدواء الرأسمالية المعاصرة البطالة التي يعترفون بها ويجرون لها الاحصائيات.

وقد اتبعهم في ذلك بعض المقلدين للغرب، لكن الفرق أن المقلِّدين يضعون أرقاما غير حقيقية، ويسكتون عن البطالة المقنّعة.

والأمريكيون ألهاهم التكاثر ولا تقنعهم وظيفة واحدة فقط، واليابانيون المجوس يفتخرون بأن أحدهم يعمل حتى بعد تقاعده وأن منهم من يرضى أن يعمل بدون أجر!

أما شباب المسلمين -أصلحهم الله- فربما استنكفوا عن أعمال كان يعملها آباؤهم، أو يشترط أكثرهم أن يكون عمله إداريا في مكتب فخم ومكيفات للهواء وفيه إجازات أكثر، حتى أنهم بعد أن جعلوا العمل خمسة أيام فقط يرون ذلك حقا لهم ويستأذنون أو يهربون لكيلا يعملوا إلا أقل، وبعضهم يضع العمامة والعقال ويذهب حيث شاء موهما المدير أو المراجع أنه موجود.

وبعضهم يأتيه الناس فينشغل بقراءة المجلات والصحف ويقول للمراجعين: العمل اليوم كثير فتعالوا بكرة.

وأهم ما عندهم هو المظهر، وفوز الفريق الفلاني على الفريق الآخر، وإذا رأيت الشوارع شبه خالية فاعلم أن في البلد مباراة، وإنما المصيبة العظمى أن ينقص من راتب أحدهم ريال واحد!!

أما إذا كانت الوظيفة عالية فالتأخر طبيعي وربما جاء أحدهم ظهرا.

والحضارة الإسلامية تجمع بين كونها حضارة صدق وأمانة وأخلاق، وبين أن التجارة فيها حلال، وتتجنب ما قد يكون في التجارة من الجشع أو الدعاية الكاذبة، وطلب الربح بأي وسيلة، والمسلمون دائما مع الحق والصدق، حتى لو جاءهم كافر، وهم يلزمون بذلك أنفسهم ومن يعمل معهم، ويتحرزون من أدنى كذبة أو مما قد يظن الناس أنه دعاية لتجارتهم أو لأنفسهم.

وقد ضرب السلف في ذلك أمثلة لا نظير لها في التاريخ، دع سيرة النبي ﷺ وأصحابه، وانظر إلى التابعين ومن بعدهم تر العجب العجاب، فهذا يونس بن عبيد يقول لمولاه لما نشر القماش وقال: اللهم صل على محمد: "اطوه، أخشى أن تكون مدحته".

وذهب محمد بن واسع إلى سوق مرو ليبيع حمارا له، فقال له رجل: أترضاه لنفسك؟ قال: لو رضيته لم أبعه!.

ولما أراد آخر أن يبيع شاة له، قال لوكيله: أخبر المشتري أنها تنثر العلف وتقتلع الوتد، ولا تقل ذلك له بعد شرائه بل قبل أن يشتري.

وجيء لأحد السلف بكساء منسوج وقيل له: اشتره بخمسمائة فقال: إنه يساوي ألفا.

وأمثال ذلك كثير، فقارنه بالكذب والدجل والتمويه الذي عليه أكثر الناس اليوم، فالمنتجات متميزة والمناديل ناعمة، والمياه نقية، والشقق أو المكاتب فاخرة، وهذا عرض خاص، وهذه تخفيضات كبرى، وهذه فرصة لا تعوض، وهذه بدأ البيع أو التأجير فيها، وهكذا، حتى أن أحدهم قال: لو كانت لدي عشرة دولارات لاشتريت سلعة بدولار وأنفقت تسعة على الدعاية.

- الميزة السابعة عشرة: أنها حضارة حقوق وآداب:

وأعظم حق هو حق الله تعالى بتوحيده وعبادته وحده لا شريك له، وذلك ما لا تعرفه الحضارة الغربية التي يغلب عليها الالحاد أو التثليث.

وبعد حق الله يأتي حق رسوله ﷺ، وأهل بيته الشريف، وبقية الأنبياء الكرام عليهم السلام جميعا، ثم حق الصحابة رضي الله عنهم ثم الحقوق الأخرى كحق الوالدين وحق العلماء الذين يقولون الحق ولا يخشون الخلق، وحقوق الإمام العادل الذي يحكم بالشرع ويقسم المال بالسوية ويجاهد مع السرية، وحق الزوج أو الزوجة وحق القريب وحق الجار، وحق الميت وحق

إمام المسجد، وحق الخادم، وحق المملوك، وحق الحيوان، وحق الصلاة في مساجد حقيقية لا مساجد ديكورية كالتي على كورنيش جدة، وحق الواعظ الذي يذكرنا بالله، وبالاستعداد للدار الآخرة، وحق من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وهو مناصرته بما نستطيع، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله في مبحث الحقوق.

وإلى جانب هذه الحقوق شرعت الشريعة المطهرة آدابا ينبغي التخلق بها، وأذكاراً يشرع تكرارها، ودعوات لا ينبغي لمسلم تركها، وإذا فعل المسلم ذلك سلم بإذن الله من أذى الجن وذوات السموم، ومن نظرة الحساد، وشفي من المرض، وشرع الله لنا التيمن، وأمثال ذلك مما لا وجود له في القوانين الوضعية والمواضعات الاجتماعية، فترى أحدهم يأكل أو يشرب بشماله، ولا يحمد الله على نعمة، ولا يذكر الله في الصباح والمساء، وإذا تعارّ من الليل، ولا يسمى الله عند بداية عمله، وأنكى من ذلك أن من حافظ على الأذكار والأدعية هو في نظر الليبراليين وأضرابهم إرهابي أو متطرف، أو متخلف، أو أصولي رجعي، أو ضيق الأفق عديم التفكير، الخ التهم.

أما إذا أكل بشماله وعرى نساءه، وترك الصلاة والأذكار، فهو عندهم متحضر متطور متقدم، مثلما كتبوا عن أحدهم أنه تزوج رجلا مثله، وذكرت الصحافة الأمريكية أن "ديك تشيني" حضر حفلة زفاف ابنته على عشيقتها!

والأمم المتحدة تعمل لنشر الثقافة الغربية باعتبارها النموذج الأسمى للبشرية، ومثلها منظمات حقوق الإنسان، وقد نجح الغافلون في وضع ما سموه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، وضمّنوه ما هو حق وما هو باطل.

والشريعة الإسلامية سبقت إلى ذلك الحق كله وزادت عليه حقوقا وآدابا ليست في الميثاق ولا تتضمنها المعاهدات الدولية، وأوجبت نصرة المظلوم والوقوف مع صاحب الحق.

- الميزة الثامنة عشرة: أن الحضارة الإسلامية هي الأسبق إلى كل علم ومعرفة ومصلحة.

وللمسلمين فضل على كل العلوم في المجالات كلها، بل إنهم لا يزالون متفوقين في بعضها حتى اليوم لاسيما في المجالات الإنسانية والاجتماعية.

وقد كتب في فضلها كثير من المسلمين وغيرهم مثل الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله والمستشرقة الألمانية "سغريدهونكه" والمستشرق "نلينو"، وسيأتي لذلك تفصيل لا سيما في موضوع (الفكر العلمي)، ولو أن الغربيين بحثوا عن أصل كل شيء بعدل وتجرد، لعلموا من أين جاءهم وكفوا عن دعوى أن العلم غربي، وأن الحضارة غربية، وليست القيم الغربية أو بعض مظاهر التقدم عندهم هي وحدها التي جاءتهم من الشرق، بل جاءهم ما هو أعظم من ذلك، وهو دينهم.

وقد كان اليونانيون القدامى أفحش شركًا من عرب الجاهلية الأولى، فقد جعل اليونانيون لكل شيء ربًّا -تعالى الله عما يشركون- أما الجاهليون فكان شركهم ساذجًا ويقولون: "ما نعبدهم إلا ليقربونا إلا الله زلفى"! وإنما أنقذ الغربيين من ذلك التعدد -النصرانية- التي كانت أقل خرافة من أساطيرهم.

غير أن القوم عنصريون متعصبون تأصل فيهم هذان الداءان.

وقد ابتدأت العنصرية عندهم من دعوى اليهود أنهم شعب الله المختار، وانتقلت منهم إلى الروم فقسّموا الناس إلى أسياد متحضرين وهم الروم، وغيرهم برابرة، ثم انتقلت إلى النصارى قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨]، ثم ادعى الأمريكان المهاجرون أنهم هم إسرائيل الجديدة ثم قال "هتلر": "ألمانيا فوق الجميع" وقال "موسوليني": إيطاليا فوق الجميع، ومثل ذلك قاله القوميون في الغرب، وقلدهم القوميون في الشرق.

ثم انحسرت القومية ليحل محلها الدولة الإقليمية أو الوطنية ثم تكونت الأحلاف العقائدية كما نرى اليوم، والمستقبل بيد الله وحده.

ومما يدل على أسبقية المسلمين أنه حتى في المجال الفلسفي يحتاج الناس للإسلام.

يقول فلاسفة الغرب اليوم: إن توما الأكويني والفلسفة المدرسية عامة كانت رشدية!.

ويقول بعض الغربيين إن الرشدية الجديدة هي الفلسفة التي ينبغي أن يكون العالم عليها اليوم!.

فما دين ابن رشد؟ ولماذا يأخذون منه كلامه عن الحكمة "الفلسفة" ولا يأخذون كلامه عن الشريعة؟ ألم يؤلف هو كتاب "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال" ويتنصل من الكفريات كلها ويقول إنها مدسوسة عليه، وكان قاضيًا مالكيًا مشهورًا! وألف "بداية المجتهد"، ألم يثن عليه المؤلفون في التاريخ العلمي، أم أن الغرب لا يأخذ من ابن رشد إلا ما وافق كفره وإلحاده؟ والحضارة الإسلامية هي الأسبق والعلم الإسلامي هو الأصل، حتى أن الغربيين اليوم يبحثون اليوم عن الأصول الإسلامية لنظرية القس البولندي "كوبرنيكوس" في كتب ابن رشد لا سيما كتابه السماء والعالم.

كما أن المسلمين سبقوا الكثير من النظريات المنسوبة لأناس غربيين، فقبل أن يأتي "بافلوف" بنظريته عن الفعل المنعكس الشرطي، كان المسلمون والفقهاء منهم تحدثوا في آداب دخول الخلاء عن أن الإنسان يشعر بالحاجة إلى التبول لمجرد دخوله بيت الخلاء، أو رؤيته لمكان البول، فهم يتحدثون عن الإنسان نفسه -وليس كما قال "بافلوف"- عن نظرية الكلاب!

وما تفوق فيه الغرب يمكن للمسلمين معرفته بل ذلك واجب كفائي عليهم، والعلوم البحتة التي لا تختلف باختلاف البيئات والأزمان- يمكن تعلمها مجردة عن فلسفاتها، فهي معرفة تراكمية تسهم فيها الشعوب جميعًا

وليست خاصة بالغرب كما يظن تعصبًا منه وعنصرية، وربما يكشف الزمن أصولا لبعضها لا نعلمه اليوم، وقد تكشف الأيام عن حضارات أخرى والله أعلم، وسوف يبدو للناس أن ما هو غريب اليوم مألوف غدًا.

وكان المسلمون هم الأسبق إلى الصناعات الحربية التي هي عماد قوة الغرب اليوم.

ولا ريب أن من تخصص في علم أو فن يعلم أن ما جاء في القرآن والسنة أفضل، وأن المسلمين أسبق إلى كل خير، وإنما كلامنا هنا مجرد إشارات عاجلة للذكرى.

وسوف يأتي لذلك تفصيلات ومباحث مستقلة بإذن الله.

– الميزة التاسعة عشرة: أن الحضارة الإسلامية حضارة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقال: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١٠٤]، وقال في صفة نبيه محمد ﷺ: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧].

وبين أن الأمة التي تترك ذلك أمة ملعونة فقال: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

روى الإمام أحمد في مسنده أن النبي ﷺ قال: (إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تودّع منها).

وقال: (لا يمنعن أحدكم عن قول الحق مهابة الناس).

وقال: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه، أوشك أن يعمهم الله بعقابه).

وفي رواية أخرى صحيحة أيضا (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه).

والأحاديث في ذلك كثيرة، فيجب علينا إنكار المنكر في الإعلام والأسواق والمعارض والإدارات والمواقع والحفلات والاجتماعات، وفي كل مكان، على من يفعلها حاكما أو محكوما رئيسا أو مرؤوسا صغيرا أو كبيرا، ولا يجوز ترك من يخرق السفينة يخرقها بأي ذريعة.

وإنما مهمة الغرباء هي إصلاح ما أفسد الناس، وليس اختلاق المعاذير لهم، ولذلك يضاعف لهم الأجر، وصح أن النبي ﷺ أخبر أن من ينكرون المنكر يؤتون كأجور الأولين.

وقد ابتلى الله هذه الأمة بصيد البر، وابتلى بني إسرائيل بصيد البحر، فأما هذه الأمة فإذا أحرمت اجتنبت ما حرم الله على المحرم، وجعل الله لها مخرجا بالكفارة، وأما بنو إسرائيل فقد اعتدوا في السبت واحتالوا لإيقاع الصيد في الشباك، ولم يصغوا لنهي الناهين فمسخهم الله قردة خاسئين.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سهم من سهام الإسلام، وعلى كل راء للمنكر أن ينكر بقدر استطاعته، قال ﷺ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه).

والتغيير باليد واجب خصوصا على صاحب الولاية، كالإمام والأب والزوج والمدير وأشباههم، كما أن التغيير بالقلب لا بد معه من تمعر الوجه أو تقطيب الجبين، وما أشبه ذلك، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

والحمد لله الذي فرض هذه الشعيرة على كل مسلم ولم يجعلنا مثل البهائم كحال الأمريكان اليوم، فالفتاة الأمريكية يغتصبها المجرم أمام الناس وتصرخ وتستغيث فلا يستجيب لها أحد وخيرهم من يستدعي البوليس، وإذا حقق مكتب التحقيقات الفدرالي "إف بي آي" مع المغتصب تركته الجهات الأخرى، وكأن الأمر لا يعنيها في شيء.

ومن المنكرات المنتشرة هناك أيضا "الاختطاف"، فالمجرم يختطف البنت أو الابن تحت تهديد السلاح، وإذا كان غرضه من الاختطاف فعل الفاحشة، فإنه يفعلها أمام الزوج أو المحرم وولي الأمر، والأمريكان إذا خافوا على العامل أو الجرسون كتبوا له لوحة وأمروه بتعليقها، وهي مكتوب عليها "لا يحمل نقودا"، ومن كثرة السرقة وخشيتها يتعاملون بالبطاقات وليس بالنقود.

وفي كل مدينة أمريكية لاسيما المدن الكبيرة أحياء للجريمة لا تدخلها الشرطة إلا في أوقات محددة من النهار، والمجرمون هناك يستخدمون كل أنواع السلاح، ومنه القنابل، وأنا نفسي سمعت صوت قنبلة في نيويورك.

وكل جريمة في الدنيا تجدها في أمريكا، كالسرقة والقتل وشرب الخمر وتعاطي المخدرات والتبرج والدياثة والاختلاط والتدخين وجريمة قوم لوط، وهكذا شأن أي مجتمع ليس فيه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، وهذا ما يريده الليبراليون ودعاة ما يسمى تحرير المرأة ونزع ولاية الرجل عليها، وكل المفسدين.

وكان بعض الصوفية قديما يقولون إنه ما نهى أحد عن المنكر إلا ندم، وهذا ما ذكره صاحب الإحياء وغيره، وقد ضلوا في ذلك، فإنه ما أمر أحد بالمعروف ونهى عن المنكر إلا جعل الله له هيبة في قلب الكبير والصغير، حتى أن كثيراً من أصحاب المنكرات أنفسهم يدعون له ويذكرونه بالخير، ولأجل هذه الشعيرة العظيمة يدخل في الإسلام من كتب الله له الخير من الغربيين الهاربين من جحيم الحضارة الغربية، وقد تكونت من الصوفية فرقة يسمونها "الملامتية" وهم الذين يتصدون للوم الناس، فإذا لم يكن من اللوم بد، فليكن في طاعة الله وما أمر الله به، وليكن المؤمن ممن لا يخاف في الله لومة لائم.

وقال العُمَري: لو أن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أمر بعض ولده لا ستخف به.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر نوع من الجهاد بل هو أولى من غيره؛ لأن في حفظه حفظاً لرأس المال فلا يتركه أحد ويذهب للجهاد إلا جاهل بقدره ومترلته من الدين.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو وسيلة الإصلاح الشرعية، وبه يدفع الله العذاب وينجي من الهلاك قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧].

وبه تدوم لأهل الدنيا دنياهم، وبعض العصاة إذا تاب -ولو بعد حين- يدعو لمن أمره وهاه.

والمنكرات درجات، فلا ينبغي لأحد أن ينكر منكرا لو فعله مرتكبه كان أهون من ارتكاب ما هو أشد منه، وذلك مثل أن يعلم الناهي عن المنكر أنه لو نهى أحدا عن دخول بيت للدعارة لذهب إلى بنك ربوي، وقد قال ﷺ: (درهم ربا أشد من ست وثلاثين زنية)، وقال: (الربا سبعون بابا أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه).

وكما إذا علم أن شارب الخمر لو لم يسكر لقتل نفسا معصومة أو كفر بالله وهكذا.

وفي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مصلحتان لا يعرفهما الغرب، ولا بد أن تتحققا أو أحداهما وكل ذلك خير، إما أن يتوب صاحب المنكر ويتغير إن شاء الله، وإما أن تقوم عليه الحجة ويسقط الإثم عمن أنكر عليه ويعذر بذلك إلى الله، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وقد وصف الله تعالى مصطفاه محمدا ﷺ، بأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وبذلك وصف أمته المباركة، وجعله أول أوصاف خيريتها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وليس للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهة إدارية معينة يقيدونها بالأوامر ويمنعون عنها ما شاءوا، كبعض وسائل الاتصال، ويخضعونها للسلطة التنفيذية، أو شرطة آداب كما قد تسمى في بعض الدول، بل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بحسب استطاعته كما تقدم.

كما أن المنكر ليس هو ما يظنه الناس منكرا، ويقولون إن فاعله خرج على الآداب العامة أو التقاليد المرعية، وإنما هو كل ما خالف أمر الله ورسوله ودين الإسلام الشامل الكامل، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي في شرائع الإسلام كلها كما رجح ابن جرير.

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩]، وسمى النظام المعمول به دينا، قال في قصة يوسف عليه السلام: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦].

فيجب الإنكار على كل أحد من ملك أو وزير أو أمير أو محافظ أو قاض أو معلم، ولا يترل المسلم عن مرتبة من المراتب الثلاث المذكورة في الحديث إلى ما دونها، إلا إذا خشي وقوع منكر أكبر.

– الميزة العشرون: أنها حضارة جهاد:

فالكفار يقاتلون أعداءهم بدون أجر من الله، أما المسلمون فهم أمة خلقها الله للجهاد وهم يغنمون في أيام أو ساعات ما بناه الكفار في قرون وكل ما يشيّده الكفار من الأبراج والأبنية والمسارح والمتاحف والمستوطنات والمصانع يغنمه المسلمون بالجهاد.

وإذا ترك المسلمون الجهاد ورضوا بالزرع، أو ما يسمى التقدم الاقتصادي أو المعيشة الرخية، أو الرفاهية سلط الله عليهم ذلا لا يرفعه عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم، قال ﷺ: (إذا اشتغلتم بالزرع وأخذتم بأذناب البقر وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا يرفعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

فالجهاد هو عزنا ورفاهيتنا وتجارتنا قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [التوبة:٢٤].

وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[الصف: ١٠-١١].

وكل خطة أو رؤية ليس فيها جهاد خاسرة ولابد.

ولو أن المسلمين جعلوا همهم أن يكونوا مثل أكثر دول الكفر مالاً وتجارة لما استطاعوا، ولو كانت العبرة بكثرة الأرباح وتدفق الأموال لما أعطاها الله أحقر خلقه اليهود.

ولما بلغ النبي ﷺ أن هوازن خرجت بقضها وقضيضها حتى أنها خرجت بالنساء والمواشي قال: تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله.

وقد استقرأ اللواء الركن محمود شيت خطاب رحمه الله وفيات الصحابة الكرام وجهادهم فوجد أكثرهم مات شهيدا في الجهاد، ومن مات منهم على فراشه اتهم نفسه إما بأن له ذنبا قَصُر به، أو بأن للشهداء منزلة عالية لا يبلغها.

وكان السلف الصالح يغبطون من ختم الله له بالشهادة مثل زياد بن جارية، وسعيد بن جبير، وأحمد بن نصر الخزاعي.

وأفضل الجهاد هو كما بيَّن رسول الله ﷺ (كلمة حق عند سلطان جائر).

والجهاد أنواع منه ما يكون بالنفس ومنه ما يكون بالمال ومنه ما يكون بالدعاء ومنه رد المبتدع عن بدعته، قال عبدالكريم بن أبي أمية: "لأن أرد رجلا عن رأي سيء أحب إلي من عبادة شهرين"، وفي رواية أن عبدالكريم قال: "من اعتكاف شهرين".

ولا بد للحق من قوة تسنده، فالله تعالى أنزل الكتاب وأنزل الحديد قال ﷺ: (جاهدوا المشركين بأيدكم وألسنتكم).

والغرب يرهب الجهاد جدا وإذا أراد التحذير من شخص أو جماعة قال إنه جهادي، أو إرهابي وكذا أتباع الغرب وأولياؤه!

وللجهاد مبحث خاص به سيأتي إن شاء الله.

– الميزة الحادية والعشرون: أن الحضارة الإسلامية حضارة مؤمنة:

فهي تؤمن بالغيب وأعظمه الإيمان بالله وبأسمائه وصفاته ويجمع المسلمون على قول "كل ما خطر على بالك فالله بخلاف ذلك"، وأصل ذلك عند أهل السنة والجماعة قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى:١١].

فلكل عالم قوانينه وطبيعته، حتى أن الجنة وهي من مخلوقات الله، فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وهذه الأمة بالإيمان بالغيب يتسع أفقها وتتنور بصيرتها ويزداد علمها، ومن الغيب أيضا الإيمان بالجنة والنار والآخرة عموما والملائكة والجن، وهي تؤمن بالجزاء والحساب، وبذلك لا يعتدي أحد على أحد ولا تحتل دولة أخرى ولا يغتصب شعب شعبا.

أما الحضارة الغربية فهي حضارة ملحدة كافرة، وصفها الرئيس التشيكي بقوله بأنها "أول حضارة ملحدة في التاريخ".

وقال وزير الثقافة الفرنسية عنها: "هذه أول حضارة في التاريخ بلا معنى".

وقال "جورج لوكاش": "من ينقذنا من الحضارة الغربية".

ومثل ذلك ما قاله "برتراندرسل" و"آرثركوستلر" و"كولن ولسن" و"ج بوكانين"، وكثير من دارسي الحضارات.

ولأجل إيماننا بالغيب ينقم منا الليبراليون والعلمانيون وأهل الكتاب والملاحدة: ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج:٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٥٩].

والإيمان بالغيب هو الفارق الواضح بين المسلم والملحد، حتى أن المتشرد في شوارع لندن ونيويورك يفرق بين المسلم والملحد بمقدار عطيتهما.

فإذا أعطاه أحد عملة تافهة عرف أن معطيها ملحد أو غير مسلم، وإذا أعطاه أحد عملة ذات ثمن علم أن معطيها مسلم، وربما اكتفى بها ذلك اليوم، وعرف أن مجتمعه المادي لا يعطي مثل هذا المبلغ.

ولإيمان المسلمين بالغيب يرضون بما قدر الله، وتهون لديهم المصائب الدنيوية، إذ هي كفارة للذنب ورفع للدرجة، حتى الموت ما هو في حس المؤمن إلا نقله من دار البلاء والنكد إل دار النعيم والرخاء، وصدق الامام أحمد رحمه الله في قوله: "لا يجد المؤمن راحة دون لقاء ربه".

والمؤمن يتنعم في الدنيا بتلاوة القرآن وبالصلاة والذكر، وقد دعا أحد السلف الله تعالى أن يرزقه تلاوة القرآن في قبره، ولما وقع طاعون عمواس بالشام دعا معاذ ربه أن يجعل نصيب آل معاذ منه وافرا، وكان الطبيب "موريس بوكاي" يفرق بذلك بين مرضاه من المسلمين ومرضاه من غيرهم.

والغربيون لا يفكرون في الآخرة بل لا يعلمون عنها بيقين، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:٦٦]، وينحصر علمهم في حدود هذه العاجلة بل في ظاهرها فقط، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧].

فهم في هذا الضلال والعمى والغفلة، كالذي جاء لرسول الله ﷺ وفي يده عظم وقال: "من يحيي العظام وهي رميم"؟

ومن حرص الغربيين على هذه الدنيا، أنهم إذا سمعوا أن سفينة غرقت في مكان كذا قبل قرون وفيها ذهب وفضة، يغوصون أو يستأجرون الغواصين لنيلها.

ولما هاجر الأوربيون إلى أمريكا انساحوا في الأودية ليحصلوا على الذهب حتى وصلوا إلى كاليفورنيا والمحيط الهادي.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾[يونس:٧-٨].

وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦].

وكان المسلمون الأولون في حياته ﷺ ينشدون:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر اللهم للأنصار والمهاجرة

أو:

هذي الحمال لا حمال خيبر هذي أبر ربنا وأطهر

فلا حمال خيبر ولا بورصة لندن ولا أموال وول ستريت ولا سوق الأسهم في اليابان ينفع المرء إذا وضعوه في القبر حيث لا منصب ولا حرس ولا مال يتخوض فيه ولا فقهاء سوء يفتونه بما يريد.

وقال بعض الصالحين لما مر بأحد الأسواق: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان:٢٧].

والإيمان بالغيب هو أول وصف للمؤمنين كما في أول البقرة.

– الميزة الثانية والعشرون: أنها حضارة تنوع:

فهي ليست حضارة جمود مطلق كما كان الغرب في عصر الاقطاع، ولا حضارة صراع كما هو حال الغرب اليوم، بل هي حضارة تنوع لا تضاد.

فقد كان الإنسان في عصر الاقطاع الغربي يولد على ما عليه أسرته، فالنبلاء أُسَر معروفة، والارستقراطيون والأباطرة والملوك كذلك، ثم انتقل الغرب إلى الصراع المر بين الحكومات والشعوب، وبين الرجال والنساء وبين

العمال وأرباب العمل، وبين منتهكي كل الحقوق وبين المنظمات الحقوقية وبين الفردية والجماعية وهكذا..

أما الحضارة الإسلامية فلا تعرف كلا الأمرين، إذ لها نصوص دائمة، ومعالم مرسومة لا تتجاوز شيئا من ذلك، مع أنها حضارة متحركة متغيرة فلا صراع فيها، فهي بحق حضارة الحركة حول محور ثابت، ففيها يمكن لأبناء الجهلة أن يصبحوا علماء، ولأبناء الفقراء أن يصبحوا أغنياء، ولأبناء العوام أن يصبحوا ملوكا وهكذا.. فمن كل حسب جهده وله نتيجة عمله، وكل ميسّر لما خلق له، لكن الغاية واحدة والهدف واحد والنهاية واحدة والالتزام واحد، وإنما تختلف المواهب والطاقات.

والناس فيهم الفقيه، والشاعر، وفيهم الطبيب، والمؤرخ، وفيهم المترف والمتقشف، وفيهم الجندي، والعابد، وفيهم القارئ، واللغوي، وفيهم الملك، والسوقة، وغير ذلك.

وهكذا كان الجيل الأول فلسعد بن أبي وقاص سهامه، ولحسان بن ثابت سهامه لكنها من نوع آخر، ومنهم الحاكم الفذ كالشيخين ومنهم من نهاه النبي ﷺ عن الولاية كأبي ذر وعبدالرحمن بن سمرة، ومنهم من أكثر من الحديث كأبي هريرة وعائشة وأنس وابن عمر، ومنهم من كان عمله الحرب والجلاد كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، ومنهم من كان عمله الجباية والتحصيل كأبي عبيدة، ومنهم من كان عمله التفتيش والتنقيب كمحمد بن مسلمة، ومنهم من كان عمله الوعظ كأبي الدرداء، ومنهم من كان همه الجهاد كمعاوية رضي الله عن الجميع.

وكان من الصحابة الكرام الفرضي مثل زيد، والقارئ مثل أُبي، والعالم بالحلال والحرام كمعاذ، ثم كان في المسلمين من هو عالم بالسير والمغازي مثل ابن إسحاق وموسى بن عقبة والواقدي، ومن هو عالم بالشعر والأدب واللغة كالخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن هو فقيه متمرس مثل إبراهيم التيمي، ومن هو محدث جليل كالزهري ومن هو عابد زاهد كصفوان بن

سليم، ومن له باع في الحكمة وتصوير الحياة كالحسن البصري، ومن هو مشهور بالحلم كالأحنف بن قيس، أو بالفطنة كإياس بن معاوية، أو بالقضاء بين الناس مثل شريح وهكذا، وكان فيهم الواعظ البليغ كالحسن البصري وبلال بن سعد، وفيهم البليغ الفصيح كالأوزاعي وعبدالحميد الكاتب والمشهور بالتعبير كابن سيرين والمشهور بالزهد كيونس بن عبيد ومحمد بن واسع وداود الطائي، وبلغ بهم التنوع إلى حد أن بعض المدن والأمصار اشتهرت بنوع من الأنواع كما اشتهر أهل الشام بالجهاد، وأهل البصرة والكوفة بالنحو، وأهل الحجاز بالحديث.

وقد أقر النبي ﷺ هذا التنوع الفكري والاختلاف في الطبع والمزاج، وشبه أبا بكر الصديق بإبراهيم وعيسى، وشبه عمر الفاروق بنوح وموسى عليهم صلوات الله أجمعين.

وهكذا لا حرج علينا في اختلاف وجهات النظر وتعدد الاجتهادات، فالحضارة الإسلامية ليست نمطية على حد تعبير "توفلر"، ولا تعليبية كما هي عبارة الدكتور المفكر علي عزت بيغوفيتش رحمه الله حين تحدث عن نظرة الغرب لها.

وكان بين الجميع محبة ووئام واحترام وتقدير.

والمهم أنه في ظل الحياة الإسلامية، يمكن أن تتعدد وجهات النظر، وأن تتغير وجهة النظر للشخص الواحد، وأن تختلف التخصصات.

ولا يوجد في الإسلام ما عرفه الغربيون من التحكم والرأي الواحد، الذي تفرضه الدولة المتغولة المركزية "التنين"، كما عبّر "هوبز"، وهو تنين يضع الفرد بين فكي كماشة لا مناص منهما:

١- إما الدولة المركزية المسيطرة، ذات الأجهزة الضخمة والرأي الواحد، سواء كان ذلك في الإعلام أو في الإدارات الحكومية، أو في المؤسسات العامة.

٢- وإما الانضمام للمعارضة أو إحدى النقابات المستقلة، كنقابة المهندسين، ونقابة المحامين، ونقابة المعلمين، ونقابة العمال.

وهو في الحالين مسحوق الشخصية، وخاضع للإجراءات الديمقراطية!

ومن مساوئ الرأي الواحد تحكّم الدولة في مناهج التعليم: الأمرُ الذي جربناه هنا، ثم عدلت عنه وزارة المعارف كتدريس اللغة الفرنسية، الذي كان جزءا من عملية التغريب في هذه البلاد ثم ألغوها.

وعليك لكي تثبت براءتك وتتخلص من القمع البوليسي، أن تسند أي فعل أو قول لك إلى ما صرح به فلان أو نشرت الجريدة الفلانية أو القناة الفلانية، واحذر أن تقول إن الله أمر بهذا، فتكون أصوليا ومتطرفا، ومخالفة الرأي الرسمي مشكلة كبرى يعاقب فاعلها!

وينبغي أن يكون واضعو المناهج حكماء، وما دام هدفنا هو الحق فلا يضرنا التنوع، وأذكر أنا لما كنا ندرس في الجامعة الإسلامية -التي وضع مناهجها كبار علماء المسلمين، ومنهم العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله، وبقي الأمر على حاله أيام الشيخ ابن باز والشيخ الشنقيطي- كنا ندرس "سبل السلام" في الحديث وهو يذكر قول الزيدية "الهادوية"، في كل مسألة، وكنا ندرس في العقيدة "شرح الطحاوية" لابن أبي العز الحنفي، وكنا ندرس في الأصول "روضة الناظر" لابن قدامة، وهو حنبلي، وكنا ندرس في التفسير كتاب الشوكاني "فيض القدير"، وندرس في الفقه "بداية المجتهد" لابن رشد المالكي، وفي المصطلح "مقدمة بن الصلاح" الشافعي.

ومع هذه التشكيلة كان كتاب "تيسير العزيز الحميد" في السنة الأولى من كلية الشريعة، أما المدرسون فكانوا من بلاد شتى، ولا تشترط الجامعة أن يكونوا سعوديين، وإنما الشرط أن يكونوا على عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد سمى شيخنا حماد الأنصاري رحمه الله الجامعة الإسلامية "هيئة الأمم المتحدة الإسلامية".

والعجيب حقا في بنية هذه الحضارة أنها مع تنوعها تدور حول محور ثابت كما سبق.

- الميزة الثالثة والعشرون: أنها الحضارة الوحيدة التي للمصيب فيها أجران وللمخطئ أجر واحد:

فالمجتهد مأجور على كل حال أصاب أو أخطأ كما ثبت في الحديث وهذا ما لا تجده في أي حضارة أخرى لاسيما في الحضارة الغربية حيث لا أجر للمصيب ولا للمخطئ.

أما التقليد فلا يصح لمن قدر على الاجتهاد ولو في مسألة أو أمر، قال شيخ الإسلام بن تيمية: "ومعلوم أن الناس إذا اشتبهت عليهم القبلة في السفر وكلهم مأمور بالاجتهاد... ثم بعضهم يتمكن من معرفة جهتها وبعضهم يعجز عن ذلك"، ثم يقول: "لكن هو مطيع لله (يعني الغالط) ولا إثم عليه في صلاته لأن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها فعجزه عن العلم بها كعجزه عن التوجه إليها كالمقيد والخائف والمحبوس والمريض" اهـ كلامه.

وبعض الناس يظن أن الإنسان مأمور بإصابة عين الحق، حتى إنهم إذا جاء رمضان أو العيد أو الحج يتباكون على حال المسلمين إذ يصوم أحدهم والآخر مفطر، وأنه إن لم يكن العبد محسنا قائما بأمر الله ١٠٠% فهو مقصر ولا يعطونه إلا صفر % وهذا غير صحيح.

قال شيخ الإسلام أيضا: "وكذلك الكفار من بلغته دعوة النبي ﷺ في دار الكفر وعلم أنه رسول الله وآمن به وآمن بما أنزل عليه واتقى الله ما استطاع، كما فعل النجاشي ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام ولا التزام جميع شرائع الإسلام، فهو مؤمن من أهل الجنة".

أقول: وفي عصرنا هذا من يشبه النجاشي ويضطر لكثرة العداء من أهل الكتاب والمنافقين والقوميين وأهل الشر إلى إقامة الدين بالتدريج ولا يكلف

الله نفسا إلا وسعها، لا سيما إذا أحاط به هؤلاء الأعداء من كل جهة وعليه أن يحيدهم ما استطاع ويقيم من الدين ما استطاع.

حتى أبعد الناس عن الوحي وهم الفلاسفة لا يلزم من الرد عليهم وبيان ما في كلامهم من التناقض والاختلاف، أن يكونوا أشقياء في الآخرة إلا إذا جاءهم رسول فلم يتبعوه كما ذكر شيخ الإسلام أيضا وسيأتي قريبا.

وكل من بذل جهده في معرفة الحق لم يؤاخذه الله، ورجونا له النجاة يوم القيامة، وكان زيد بن عمرو بن نفيل في زمن الفترة، غير أنه كان سليم الفطرة باحثا عن الدين الحق، وكان ينهى عن أكل الميتة، ويكفل الموءودة، ونهى النبي ﷺ عن سبه وكذا الحنفاء عامة، كما نهى صلوات الله وسلامه عليه عن سبّ تبّع، وقصة زيد بن عمرو بن نفيل رواها البخاري.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن المناطقة بعد أن أورد بعض أقوالهم ونقضها: "واعلم أن بيان ما في كلامهم من الباطل والنقص لا يستلزم كونهم أشقياء في الآخرة، إلا إذا بعث الله إليهم رسولا فلم يتبعوه"، إلى أن يقول: "والقوم لولا الأنبياء لكانوا أعقل من غيرهم".

ومعلوم أن المنطق باب الفلسفة فرحم الله شيخ الإسلام، ما أعدله وأقوله بالحق، وكلامه موافق لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسراء:١٥].

وفي إمكاننا اليوم أن نرد على أهل الباطل ونبين ما في أقوالهم من التناقض دون التعرض لمآلاتهم عند لله، كما ثبت أن بعض الناس يمتحنهم الله يوم القيامة، ولا يظلم ربك أحدا، وقال ﷺ فيمن أقيم عليه الحد في الدنيا: (الله أعدل من أن يجمع له بين عذابين).

وشريعتنا هي شريعة العدل ليس بين الحاكم والمحكوم أو بين الزوج والزوجة، أو بين المسلم والكافر فقط، بل حتى بين حذاء اليمين وحذاء اليسار كما تقدم.

وكما أن النجاشي لم يستطع إقامة كل الشريعة، كذلك لم يستطع يوسف عليه السلام أن يحكم بها في كل شيء وكذلك لم يشترط النبي ﷺ على مسلمي خزاعة أن يهاجروا، وعدم الهجرة ينقص مرتبتهم، لكن لا يلغي فضلهم.

والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ﴾ [الأنفال:٧٢].

فأثبت لهم الإيمان وجعل لهم حق النصرة، مع أنهم لم يهاجروا ويقيموا في دار الإسلام، وهكذا ينبغي لنا أن نثبت الإيمان لحزب العدالة والتنمية التركي مثلا وننصره بما نستطيع، ولا نكلفه إقامة الدين كله، بل ننصحه ونسدده إذا أخطأ ونقدر ما يحيط به من العداوات الغربية والمحلية.

والنبي ﷺ قال لعمرو بن عبسة: (فإذا بلغك أن الله أظهرني فتعال)، وقد كان ﷺ يظن أنه ربع الإسلام، وقال لأبي ذر: (ارجع إلى قومك) وهكذا.

والخلاصة أن كل من اتقى الله ما استطاع أو بذل جهده في طلب الحق لا يؤاخذه الله إن أخطأ.

وعلى المسلم أن يقدر المصالح والمفاسد، ولا يكون كذي الخويصرة التميمي، الذي أهمل ذلك وقال (اعدل يا محمد)، وأن يؤمن بأن الله لا يظلم الناس شيئا ولا يكلف نفسا إلا وسعها.

- الميزة الرابعة والعشرون: أنها حضارة تراعي سنن الله في المجتمعات وتجتنب الأدواء الاجتماعية:

قال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾[فاطر:٤٣].

فله تعالى سنن في المجتمعات، وذكَر أدواء اجتماعية إذا حلت بأمة أصابها أثرها ولا بد، ومن هذه الأدواء المأمورين باجتنابها (غير التكذيب):

١. **الترف** قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴾ [الإسراء:١٦]، فإذا رأيت الطبقة المترفة هي المسيطرة، فاعلم أن الهلاك قريب، وربما كان للهلاك صور لا تعلمها، والذي خسف بقارون الأرض قادر على إهلاك "ترامب" ونظرائه بما شاء.

٢. **البطر** وهو أخو الترف وقرينه قال تعالى: ﴿ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَرۡيَةِۭ بَطِرَتۡ مَعِيشَتَهَاۖ فَتِلۡكَ مَسَٰكِنُهُمۡ لَمۡ تُسۡكَن مِّنۢ بَعۡدِهِمۡ إِلَّا قَلِيلٗاۖ وَكُنَّا نَحۡنُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص:٥٨]، وهذه المساكن قد تكون قصورا مشيدة، وقد تكون أبراجا عالية وغير ذلك.

٣. **كفر النعمة** وهو ملازم لما سبق قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴾ [النحل: ١١٢]، والمؤمن يشكر الله على نعمه ويستديمها بطاعته.

٤. ومنها **ترك المفسدين يفسدون ويمكرون ويعيثون**، قال تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكۡرِهِمۡ أَنَّا دَمَّرۡنَٰهُمۡ وَقَوۡمَهُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾ [النمل:٥١]، فلما لم تأخذ ثمود على أيدي التسعة الرهط المفسدين أهلكهم الله كلهم.

٥. ومن **الأدواء الانسياق وراء الأعمال الكاذبة وتصديق الأوهام الافتراضية**، قال تعالى عن عاد: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡهُ عَارِضٗا مُّسۡتَقۡبِلَ أَوۡدِيَتِهِمۡ قَالُواْ هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ رِيحٞ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيۡءِۭ بِأَمۡرِ رَبِّهَا فَأَصۡبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾[الأحقاف:٢٤-٢٥].

٦. ومن الأدواء **تبرج النساء**، وتركهن يتهتكن والدعوة لخروجهن باسم العمل، قال تعالى: ﴿ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣]، وهذا ما أفاض فيه "شبنجلر" و"توينبي" و"بوكانين"

و"جيبون" و"بول كندي" وغيرهم، قال ﷺ: (إن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء).

٧. ومن الأدواء **التزيين** فتُلبس الفرضيات الاجتماعية ثوب الحقيقة، وتلبس النظريات الافتراضية ثوب اليقين، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل:٢٤]، وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ [الأنعام:١٠٨].

٨. ومن الأدواء التي تصيب الأمم فتصدها عن الحق **داء التقليد** واتباع العادات التي كان عليها الآباء والأجداد أو من يظنونهم هم القدوات ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة:١٠٤]، وكذلك الليبراليون اليوم إذا دعوتهم إلى كتاب الله تعالى قالوا نحن نقرأ (مقال في المنهج لديكارت) أو (نقد العقل الخالص لكانت)، أو (فلسفة التاريخ لهيجل) و(موت المؤلف) لرولان بارت و(أصل الأنواع لداروين)، وأعمال "وليم جيمس" وأمثال ذلك.

٩. ومن الأدواء الضارة بالمجتمعات **ترك الجهاد** والاشتغال عنه بالرفاهية الاقتصادية وقد تقدم ذكر ذلك والآيات فيه في الميزة العشرين.

١٠. ومن الأدواء **دعوى الحرية في المال واقتصاد السوق**، وهذا ما توهمه قوم شعيب من قبل، قال تعالى عنهم: ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِيٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود:٨٧].

١١. ومن الأدواء **موالاة الكفار والتحالف معهم واتخاذهم بطانة**، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، وقال عن بني إسرائيل: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٨١].

١٢. ومن الأدواء القديمة الحديثة **اتخاذ المشرعين** من الملوك والأحبار والرهبان وشيوخ الصوفية، وسلوك نهج أصحاب القوانين الوضعية، مع أنهم يخالفون شرع الله ويخلطون بين ما شرع الله محكما وبين ما تركه رحمة من غير نسيان لاجتهادنا البشري، قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

١٣. ومن الأدواء المهلكة **إقامة الحد على الضعيف وترك إقامته على الشريف،** قال ﷺ: (إنما أهلك من كان قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإذا سرق فيهم الشريف تركوه) وكذا تارك إقامته على من له واسطة.

١٤. ومن أدواء الأمم السارية **الحرص على الدنيا والتحاسد فيها، قال** ﷺ: (دب فيكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء).

١٥. ومن الأدواء الخبيثة **سفك الدماء،** وهو ما خشيته الملائكة قبل خلق آدم عليهم جميعا السلام، وحذر منه النبي ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض)، وجعل الله ذلك من أنواع عقوبته ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥].

- الميزة الخامسة والعشرون: أنها حضارة توسط واعتدال:

فالمسلمون يدعون الله في كل ركعة أن يهديهم الصراط المستقيم، وليست الحضارة الإسلامية كالحضارة الغربية تفر من النقيض إلى نقيضه، قال تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف:٣١]، وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧]، ويقول المؤرخون إن الرومان كانوا يأكلون ثم يتقيأون كي يأكلوا مرة أخرى!

وهكذا صان الله هذه الملة عن أن يكون فيها رهبانية مبتدعة يجنحون منها إلى الإباحية المنفلتة، أو أن يكون فيها نظريات فردية رأسمالية يجنحون

منها إلى النظرية الجماعية الشيوعية، أو أن يكون فيها زواج كاثوليكي لا طلاق فيه، يهربون منه إلى إباحة الطلاق لأتفه الأسباب، أو يكون فيها تعدد مُطْلق للزوجات قد يصل إلى المائة، أو الاقتصار على زوجة واحدة كالنصارى، وليس في الإسلام احتقار للمرأة، إلى حد قول بعض القسيسين إنها حيوان أو شيطان، ولا تعظيم كاذب لها يقول أصحابه إنهم يساوونها بالرجل في كل شيء، ولا ثبات مطلق (ستاتيكية) يقابله تطور مطلق (ديناميكية)، ولا يقول المسلمون إن عيسى عليه السلام ابن زنا كاليهود ولا إنه إله كالنصارى.

فأهل الإسلام وسط بين أهل الملل، وأهل السنة وسط بين الفرق، فأهل السنة يحبون أهل البيت لكن لا يعبدونهم كالرافضة ولا يجحدون فضائلهم كالنواصب.

وهم لا يكفرون المسلمين بأي ذنب كالخوارج، ولا يقولون إن الإنسان يكون مسلما بمجرد النطق أو المعرفة كالمرجئة، ولا يعبدون الدرهم والدينار كالرأسماليين ولا يلغون الملكية الفردية كالشيوعيين.

والوسطية الإسلامية تظهر في كل أمر مثلما في الأمور الشخصية، فانظر مثلا كيف كانت المرأة في الجاهلية الأولى تعتد حولا، وكيف أنها في الجاهلية الأمريكية لا تعتد مطلقا، بل كثيرا ما تزني، وأن الشريعة الإسلامية وسط بينهما، فالمرأة المتوفى عنها زوجها تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام إلا إذا أوصى لها الزوج بالسكنى حولا فلا تخرج إن شاءت.

ولا يقولون إن التاريخ البشري كله تقدم وسير للأمام كما قال "كانت" و"هيجل"، ولا أنه كله انحطاط كما يقول الفلاسفة المتشائمون أمثال "شوبنهور" و"أورويل"، ولا يقولون إن الحياة يمكن أن تكون فاضلة لا صراع فيها ولا طبقات، كما يقول الخياليون أمثال الفارابي وكامبانيلا.

أو تكون كلها صراع كما يقول التطوريون ومنهم داروين و"أوجست كونت"، ولا ينفون تأثير الأسباب كبعض الصوفية والأشعرية والوضعيين، ولا ينسبون لها كل شيء كالتجريبيين ومنكري خوارق العادات.

وقد أوحى الله إليهم بهدى يغنيهم عن النظرية الثالثة، والطريق الثالث خارج الإسلام، وليس في الإسلام شح يهودي أو تقشف بوذي يقابله الاحتكار والقرصنة عند الغرب.

وليس في الإسلام وصية كاذبة "لا تقتل" كما عند البوذيين، وليس منه قتل من لم يقاتل، كما تفعل أمريكا وحلفاؤها وروسيا وحلفاؤها.

وليس من الإسلام تسمية الحشد الشيعي والميليشيات الشيعية (الجيش العراقي أو الجيش العربي السوري) كما أنه ليس فيه أيضا قتل كل شيعي.

ولا يؤمن المسلمون بالقدرية التي يقول بها الكاثوليك تبعا للمعتزلة، ولا بالجبرية التي يؤمن بها بعض البروتستانت لاسيما الكنائس اللوثرية.

ومع كونها حضارة متميزة نجد في تاريخها نقاطا سوداء، نتجت عن البعد عن حقيقة الإسلام واتباع الهوى مثل قتل الاخوة كي لا ينشقوا ويطالبوا بالحكم، ومنها تولية القريب، ومنها ولاية العهد لاثنين أو إيجاد منصب ولي وليِّ العهد، فلا يقتدي أحد بأفعال من ينتسبون إليها ولا إلى البقع السوداء في تاريخها.

أما ما كان لدى الغرب أو الشرق من خير وحكمة فهي أولى به وأحق.

دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه، فالغالي يستحل الدماء المعصومة بغير حق، ويحكم بكفر المسلمين بسبب أخطاء بشرية هي من طبيعة الإنسان.

والجفاة يكون لأحدهم حاكم لا يذكر الله ولا يصلي، وإعلامه كله تعرٍّ وفواحش ودياثة، ومع ذلك من أطاع حاكمه فهو متبع لمنهج السلف، ومن خالفه فهو مبتدع عندهم، وكلاهما (الغالي والجافي) لا يزن بالعدل ولا

يأمر بالقسط، ولا حيلة فيمن اتخذ إلهه هواه، وهكذا أطل علينا من جديد المذهبان الضالان: مذهب الخوارج ومذهب المرجئة، والضلال أشكال وألوان.

وليس من طبع أهل الإيمان الهروب من النقيض إلى النقيض، ومن الإفراط إلى التفريط، ومن التزمت إلى التساهل.

وليس في الإسلام رهبانية نفر منها إلى الفرويدية.

وليس فيه استئثار فردي نفر منه إلى المذاهب الجماعية.

وليس منه إيمان بالتقدم المطلق نفر منه إلى اليأس والقنوط.

وليس فيه مادية جافة نفر منها إلى الروحية الغربية.

وليس الأديب المسلم مؤمنا بالرومانسية كي يهرب منها إلى الواقعية.

ولا عقلانية مغرقة يفر منها إلى اللامعقول.

وليس في الإسلام سكون مطلق نفر منه إلى الانفلات المطلق.

وليس فيه مدح للجنون والحماقة والكسل كما فعل "أرازمس" و"ميشيل فوكو" وأضرابهما من الغربيين.

ولا عبودية مطلقة للملوك، نفر منها إلى الثورة العارمة عليهم كما فعلوا في بريطانيا وفرنسا.

وبهذه الوسطية والاعتدال يكون الإسلام حقا كله، ومن درسه بعدل تبيّن له ذلك، وبهره ما فيه من الايات والبراهين الساطعة، وقد قال لي بعض من كان قسيسا، وكلفوه بدراسة الإسلام ونقده: لما درسته وجدت أنه عين الحق والصواب!!

- **الميزة السادسة والعشرون:** أن الحضارة الإسلامية تخرج رجالا عباقرة أفذاذا، دع الجيل الأول فلن يلحق به أحد مطلقا، ولكن قارن بين من جاء بعده بأي غربي شئت، فهل يعرف الغرب من فاقت عبقريته الخليل بن أحمد الفراهيدي الدوسي الزهراني؟ وهل لدى الغرب من يضارع البخاري في

حفظه؟ وما أكثر المسلمين الذين كالبخاري في الحفظ، وهل يعرف الغرب كالإمام أحمد في دقة استنباطه وقوة فكره؟ وهل يعرف الغرب عالما متبحرا كابن تيمية؟ أو ذا عبقرية علمية كالشافعي؟

خُذْ جانبا واحدا من جوانب شيخ الإسلام ابن تيمية فقط وهو نقده للفلسفة وردّه عليها، فهل في الغرب مثله؟.

ومن نظر إلى المتأخرين من هذه الأمة وقارنهم بمعاصريهم من الغربيين عرف ذلك، فهل في الغرب مفكر عبقري مثل علي عزت بيجوفيتش؟ أو رئيس مثل رجب طيب أردوغان؟

وهل عرف الفرنسيون عبقريات تماثل عباقرة الجزائر أو المغرب أو تونس؟ وهل في أمريكا من هو أذكى من أهل الشام؟.

الميزة السابعة والعشرون: ومن ميزات الحضارة الإسلامية: أنها تدعو إلى الهمة العالية من الصغير والكبير، قال ﷺ: (إن الله يحب معالي الأمور، ويكره سفسافها)، وقال ﷺ: (إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أعلى الجنة).

ولما قيل لهند بن عتبة إن ابنك معاوية سوف يسود قومه، قال: ثكلته أمه إن لم يسد إلا قومَه.

وقال الشافعي:

إذا مر بي يوم ولم أتخذ يداً ... ولم أستفد علماً فما ذاك من عمري

وذكروا في صفة أبي عبيد القاسم بن سلام أنه كان كأنما هو جبل نفخ فيه الروح، وقاتل الصحابة رضي الله عنهم وهم ثلاثة آلاف فقط يوم مؤتة وكان نصارى العرب وحدهم مئتي ألف، وهذا غير نصارى الروم.

ولما أنشد النابغة الجعدي بين يدي النبي ﷺ قوله:

بلغنا السماء مجدنا وسناءنا ... وإنا لنرجو فوق ذلك مطلعا

قال عليه الصلاة والسلام: إلى أين؟ قال النابغة إلى الجنة.

وقال عمر بن عبدالعزيز ﷺ: "تاقت نفسي للإمارة فلما نلتها تاقت نفسي إلى الخلافة، فلما نلتها تاقت نفسي إلى الجنة".

وقال ابن القيم: "نزول همة الكَسّاح، حطه في بئر الأنجاس".

وقال: رأى بعض الحكماء برذونا يسقى عليه فقال (لو هملج هذا لَرُكِب).

وأبى أبناء عفراء (معاذ ومعوذ) إلا أن يجاهدا وأن يقتلا أبا جهل.

ولما بايع النبي ﷺ الأنصار لم يبايعوا على أن يكون الملك لهم، بل على أن تكون لهم الجنة إذا وفوا.

وفتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية وعمره ٢٤ عاما فقط، وسحب السفن على اليابسة.

وأفتى من لا يحصون من الفقهاء وهم دون العشرين.

والصحابي الجليل أبو طلحة ﷺ كبر سنه وسقط حاجباه ومع ذلك لم يترك الغزو، ولما قال له أبناؤه قد غزوت وجاهدت كثيرا والآن نحن نغزو عنك، قال: لا، إن الله قال: ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [التوبة:٤١]، فما أراه إلا استنفرنا جميعا.

وابن تاشفين المرابطي جاء من إفريقيا لنجدة أهل الأندلس، وهزم الفونسو في معركة الزلاقة، وكان عمره ٨٠ عاما، ومثل ذلك كثير.

- **الميزة الثامنة والعشرون أنها حضارة يسر:** قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

وقال: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة:٦].

وقال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

وقد فسر ابن عباس الحرج بالضيق، وقال ابن كثير: ما كلفكم ما لا تطيقون.

وقال عن نبيه ﷺ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ومن الآصار التي لا يزال عليها المتدينون من اليهود حتى اليوم، ترك مباشرة المرأة الحائض، فلا يؤاكلوها ولا يشاربوها ولا يساكنوها، وأن يوم السبت لا يعملون فيه شيئا حتى ركوب السيارة أو الطائرة، وهذا يشمل رؤساء الجمهورية ووزراء الدفاع، وأن السنة السابعة لا يزرعون فيها ويسموها سنة التبوير، وأن البول إذا وقع على ملابس أحدهم قصّها.

وحرم الله عليهم بعض الطيبات وحرم الشحوم بينما شرع الله لنا التيمم وشرع لنا الاستجمار بالحجارة، وشرع قصر الصلاة والجمع بين الصلاتين والقضاء، والتحلل من اليمين، وأباح الميتة للمضطر، وشرع النضح لبول الصبي، والغسل من بول الجارية، وأباح مجالسة الحائض والنفساء ومؤاكلتهما، ورخص لنا في الإفطار حالة السفر وغير ذلك.

قال الشافعي رحمه الله عن استقراء وعلم (هذا الدين كلما ضاق اتسع وكلما اتسع ضاق)، وقال ﷺ: (حتى تعلم يهود أن في ديننا فسحة)، وقال: (أيها الناس إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)، وقال: (بعثت بالحنيفية السمحة).

ونهى ﷺ عن التعنت والتشدد والتعسير وعن الوصال في الصوم، وأمر أمه بتأخير السحور وتعجيل الإفطار.

ولما أرسل معاذا وأبا موسى إلى اليمن كان ضمن وصيته لهما (يسِّرا ولا تعسرا)، وقال: (ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما كان العنف في شيء إلا شانه).

وأنكر ﷺ أن تقول عائشة رضي الله عنها لليهود "بل عليكم السام واللعنة" بعد أن قالوا قبحهم الله : السام عليك.

وأمر صلوات الله وسلامه عليه بالإحسان إلى الوالدين، وبصلة الرحم، والقرابة، وبحسن الجوار وبالصدقة، وبالرفق بالزوجة والخادم والمملوك وبالحيوان، ونهى عن تحميل مخلوق ما لا يطيق حتى الدواب.

وجاءه ﷺ رجل يخبره بأنه وقع على امرأته في نهار رمضان، وفي نهاية الأمر عاد الرجل إلى أهله محملا بالطعام.

وقال بعض الخلفاء -وورد ذلك مرفوعا- لسارق سرق شملة: "أسرقت؟ ما أخالك تسرق".

وجعلت الشريعة الغراء الأصل في الأشياء هو الحل، وفيما اشتَبه عليها طهارته أو نجاسته أنه طاهر، وشرعت لنا سجود السهو إذا نسينا أو شككنا في الصلاة، وأُحلت لنا الغنائم، وكان الذين من قبلنا يجمعونها فتترل عليها نار من السماء فتحرقها.

وجعل تعالى أمر المؤمن كله له خير، وأمر بجلب كل مصلحة ونهى عن كل مفسدة.

ومن يسر هذا الدين وسعته تعدد صيغ الأذان وصيغ التشهد، ونزول كتاب الله تعالى على سبعة أحرف كلها كافٍ شافٍ.

ومن يسر هذا الدين أن أهم عبادة للمؤمنين وهي الصلاة، جعل لوقت أدائها أولاً وآخراً، وجعله وقتين وقت اختيار ووقت اضطرار، وشرع النبي ﷺ الإبراد زمن الحرّ والهاجرة، وهو تأخير صلاة الظهر حتى يبرد الجو، وأجازت الشريعة الإسلامية الصلاة في الرحل عند نزول المطر.

ومن يسر الشريعة في الصلاة أن أدائها لا يستغرق وقتا طويلا، وقد قال أحد خامات اليهود: "الصلاة في الإسلام تؤدى في دقائق معدودة ولكنها عميقة جدا".

وهذا لا ينافي الخشوع المذكور في القرآن، ولا أن يصلي الإنسان صلاة مودّع كما ذكر النبي ﷺ، بل إن الخشوع في الصلاة وعند قراءة القرآن خير مما يسميه المجوس والحائرون في الغرب "اليوغا" أي التأمل.

والصلاة فيها راحة نفسية وتجديد للنشاط فوق كونها عبادة ميسرة، وقد كان الرسول ﷺ يقول لبلال (أرحنا بها يا بلال)، غير أن حال كثير من المصلين هداهم الله هو كما قال ابن القيم "أرحنا منها"، وقد اكتشف العلماء في أمريكا حديثا أن الخشوع ضروري للإنسان وأنه أحد أسباب راحة الجسم وإفراز المادة التي تسمى علميا "أندروفين" التي هي هرمون السعادة كما يقولون، وكذلك مادة "السيروفين" وهما مادتان يفرزهما الجسم أثناء الصلاة.

ومن يسر هذا الدين رفع الحرج عن المؤمنين، وقد فصل ذلك الشيخ د. صالح بن عبدالله بن حميد في كتابه "رفع الحرج في الشريعة الإسلامية".

- الميزة التاسعة والعشرون: أنها حضارة شاملة كاملة تجمع بين خيري الدنيا والآخرة:

ففيها أحكام لم تشرع في غيرها كالوقف الذي قال فيه النبي ﷺ: (إن شئت سبّلتها)، وقال: (أما خالد فقد احتبس أدراعه وسلاحه في سبيل الله)،

وقال: (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث) وذكر منها (صدقة جارية).

وقد تطور الوقف في الحضارة الإسلامية حتى أن الجارية إذا وقع منها إناء فانكسر ذهبت إلى الوقف المخصص للآنية لتأخذ غيره مكانه، واقتبست ذلك منها الكنيسة ثم توسع الغربيون فيه، والوقف جزء من العمل الخيري الذي هو عندهم القطاع الثالث، وكذلك الشفعة فالشريك والجار أولى بها ما لم توضع الحدود ويقسم العقار.

والمقصود أن هذه الشريعة الكاملة جاءت بأحكام مفصلة للإجارة والوكالة والرهن والبيع والمعاملة والمعاشرة، وللفرائض وكل حكم، قال ابن القيم: "كما أن محمدا ﷺ عامُّ الرسالة إلى كل مكلف، فرسالته عامّة في كل

شيء من الدين أصوله وفروعه دقيقه وجليله، فكما لا يخرج أحد عن رسالته، فكذلك لا يخرج حكم تحتاج إليه الأمة عنها".

وقال: "نصوص الكتاب والسنة عامة شاملة لا يخرج عنها حكم من الأحكام".

أي أن ما ينقص المسلمين اليوم هو التدبر والفهم، ورب مبلّغ أوعى من سامع، أما استيراد ما يسمى القوانين وإنشاء كليات لها يسمونها كليات الحقوق فلا يجوز، ولا يحل اقتناء الكتب القانونية إلا لمن ينتقدها.

وهكذا نجد أن ما هو مذكور في شريعة التوراة قليل جدا، إذا ما قورن بما جاء في هذه الشريعة الشاملة المفصَّلة.

ولهذا اضطر النصارى المتأخرون إلى شرح مجلة الأحكام العدلية، وأخذوا أحكام الميراث في الإسلام وجعلوها للنصارى، وذكر شيخ الاسلام ابن تيمية كيف أن أهل الكتاب كانوا يقتبسون الأحكام من الشريعة الإسلامية، ومثل ذلك فعل جنكيز خان ونابليون.

أما الأناجيل الأربعة الموجودة اليوم فلا أحكام فيها قط، والنصارى اليوم يفخرون بالوقف وبما أوقفه "كارنيجي" و"روتشيلد" و"فورد" و"نوبل" من الأموال والمنح والجوائز.

وكل العيادات الطبية على كثرتها واختلافها نابعة من قوله ﷺ (تداووا عباد الله)، ومن كمال هذه الشريعة وعدلها أنها أسندت كل علم إلى أهله المختصين به.

فما كان من تجربة بشرية محضة قال فيه النبي ﷺ: (أنتم أعلم بأمور دنياكم).

وما كان فنـــّاً يجيده بعض الناس فهم المرجع فيه، ومن ذلك أمره ﷺ لحسان أن يأتي أبا بكر ليخبره بالنسب.

وأسند صلوات الله عليه وسلامه قيادة الجيش إلى خالد بن الوليد، لأنه أعلم بفنون الحرب من غيره، بينما أسند الأذان إلى بلال الحبشي لأنه أندى صوتا.

ولما رأى ﷺ حرص أبي هريرة على الحديث علّمه مالم يعلِّم غيره، وأجابه عن أسئلته، ولما أعلمه ربه أن أمته سوف يظهر فيها السِّمن (البدانة) أخبر أمته بذلك.

ولما علم أنهم سوف يتقاتلون بعده قال: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم، كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا).

ولما علم أن بعض الناس قد يفرّط في الصلاة وفي حق المملوك وفي إجازة الوفد أوصى بذلك عند موته ﷺ.

ولما علم أنه سيكون في الأمة أئمة مضلون، أشد من الدجال على أمته، أخبر بهم ﷺ ونهى عن تصديقهم وإعانتهم على ظلمهم والدخول عليهم، ونهى عن طاعتهم في المعصية.

ولما علم أن مِن أهل بيته الشريف من يضيع أوصى أمته بهم، ولما علم ما سيصيب الأنصار بعده من الأثرة حثهم على الصبر.

ولما علمَ أن ملك قريش سوف يسلبه منها الظلمة بيّن ذلك.

فما من خير إلا ودل الأمة عليه، وما من شر إلا ونهاها عنه، ناهيك عما انفردت به هذه الشريعة من أخبار الغيب وصفات الله تعالى اللائقة بجلاله وعظمته، ومشاهد يوم القيامة وما في الجنة من النعيم، وما في النار من عذاب، وأمثال ذلك مما ليس لدى أهل الكتاب منه إلا النزر اليسير، ولا يصل إليه البشر بعقولهم وتجاربهم، بل الحضارة الغربية في غاية الجهل به.

وكل هذه المزايا العظيمة تنبع من عبادة الله وحده، والإيمان بكتابه الحكيم ورسوله الكريم، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام:١١٤].

وقال: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر:٧].

وكل من خالف هذه الشريعة لا بدأن يقع في الجهل والنقص والشرك، ولذلك ينبغي للناس أن يتسع لديهم مفهوم الدين، ومفهوم العقيدة، ومفهوم الإيمان، ومفهوم الربوبية، ومفهوم الطاغوت، ومفهوم الجاهلية، ومفهوم العبادة، ومفهوم الطاعة، ومفهوم الشرك، ومفهوم التوحيد، ومفهوم السنة، ومفهوم البدعة، ومفهوم المعروف، ومفهوم المنكر، ومفهوم النظافة، ومفهوم السلامة، وأمثال ذلك مما اعتراه الغبش أو العدم، وتغير معناه خلال القرون والأعصار، لا سيما الشرك.

قال الشيخ محب الدين الخطيب رحمه الله: "إن الشرك بالله لا يقتصر على اتخاذ اللات والعزى ومناة وهبل، بل إن هناك طريقا سنه الله للإنسانية في الرسالة المحمدية، يريد من المسلمين سلوكه، وطاعة الله في التزامه، فإذا انحرف المسلم عن طاعة الله في التزام طريق الإسلام وتأثر بالتوجيهات المخالفة له، مما سنّه شياطين الإنس والجن لصرف المسلمين عن طريق الإسلام، فذلك لون من ألوان الشرك يستجلبون به مدعي الإسلام".

وقال أحد الشعراء وأحسبه عراقيا:

عبدَ الأصنامَ قومٌ قبلنا   وعبدنا بشرا أمثالنا

وقد عقد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد بابا في اتخاذ الأمراء والعلماء أربابا من دون الله.

وبلغ الكبر والغلو أو الجهل ببعض البشر المخلوقين الضعفاء إلى ادعاء الألوهية، فادعاها النمرود، ولكن نبي الله إبراهيم عليه السلام أفحمه.

وادعاها فرعون، ولكن نبي الله موسى عليه السلام جادله وكذّبه.

وادعاها ملوك اليونان وأباطرة الرومان، عملا منهم بسنة فرعون.

وادعاها في هذه الأمة الحاكم العبيدي، الذي يعبدوه الدروز إلى اليوم.

وادعاها في الهند السلطان أكبر الكذاب، الذي دعاه الشيخ أحمد السرهندي إلى الله، وهكذا.

وربما ادعاها بعضهم بلسان الحال دون لسان المقال، كما يدعي البابوات في العصور الوسطى واليوم، أنهم يملكون حق التحليل والتحريم، ولو خالف ذلك شريعة التوراة، تبعا لما ادعاه بولس وما ينسبونه إلى بطرس، ومن ذلك المجمع المسكوني الذي عقدوه في الستينيات من القرن العشرين، وأعلنوا فيه براءة اليهود من دم المسيح فخالفوا بذلك أناجيلهم ودينهم.

قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١].

وقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤].

كما ادعاه كثير من الحكام قبلهم وبعدهم، وكل من قال لشعبه بمقاله أو حاله ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، فمن أطاعهم ففيه من الشرك بقدر ما أطاع.

وكثير من الصوفية جعلوا الأنبياء والصالحين وأئمة السلوك والمرشدين أربابا من دون الله، والرافضة يتخذون أئمتهم أربابا من دون الله.

والحضارة الغربية تتخذ الهوى البشري إلها تعبده باسم الحرية، أو الحقوق الإنسانية أو الحقوق الطبيعية، وأمثال ذلك.

قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ أَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡكُفۡرِ بَعۡدَ إِذۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩-٨٠].

وقال: ﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ٢٣].

وكما أن الشريعة الإسلامية كاملة فإن حضارتها متكاملة، ويمكنها الاكتفاء الذاتي والاستغناء عن غيرها، إذ فيها يتنوع المناخ وتختلف الأقاليم وفيها كل الثروات الزراعية والحيوانية والمعدنية.

ونظرا لأهمية بعض الألفاظ الشرعية فسوف نبين حقيقتها بعض البيان مع التنبيه إلى أن المعاني التي كان يعرفها العرب في الجاهلية وتزخر بها لغتهم، جاء الإسلام بتغييرها كليا أو جزئيا وأقر ما أقر منها:

ومما غيّره كليا "نصر الظالم".

ومما غيره جزئيا "الحج"، إذ هو في اللغة القصْد، ولكن الله تعالى جعله قصْد بيته الحرام.

ومما أقره على حاله المصطلحات العرفية كالسماء والأرض والليل والنهار وعامة ما تواضع عليه العرب.

- حقيقة العبادة والتوحيد والشرك والطاغوت والجاهلية وغيرها:

هذه الحقائق بدهية لمن يقرأ القرآن والسنة النبوية، وإنما سنلقي عليها شيئا يسيرا من الضوء تذكيرا للعالم، وتنبيها للغافل، ونصيحة لعموم المسلمين:

من الخطأ البيّن أن يظن بعض الناس من المسلمين وغيرهم أن العبادة محصورة في جانب واحد منها أو معنى واحد من معانيها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة".

فكل خضوع وطاعة وذل وتعظيم هو في الحقيقة عبادة، وإن أنكر ذلك المفكرون مثل الفيلسوف الأمريكي "رورتي" الذي قال: "إن الإنسان لا يعبد شيئا"، قال تعالى عن قوم فرعون: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]، وقال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء:٢٢].

فانظر كيف أن فرعون وقومه كانوا أعرف بمعنى العبادة من بعض المشايخ هداهم الله، وذلك مثل أن كثيرا من المشركين الأولين كانوا أعرف بمعنى لا إله إلا الله من المشركين المتأخرين، والنبي ﷺ لما عرض على المشركين كلمة يقولونها تخضع لهم بها العرب وتدين لهم بها العجم، قالوا له: قل وأبيك ولو كانت عشر كلمات، فلما قال لهم: (قولوا لا إله إلا الله تفلحوا)، أبوا واستكبروا عنها وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص:٥]، وقال الله تعالى في حقهم: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات:٣٥].

ولما ضاق مفهوم العبادة عند بعض الناس وقعوا في شرك الطاعة وعبادة الطاغوت، ومن عبادته طاعة السادة والكبراء لا طاعة الأنبياء، قال تعالى عن الكافرين: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧]، فلولي الأمر حدٌّ لا يتجاوزه الشعب، وعليه واجبات كما أن له حقوقا وإذا تجاوز به الشعب حده فقد عبده.

وإنما العبادة لمن يَرزق، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النحل:٧٣]، وهو تعالى رب الناس ملك الناس إله الناس، ومن أشرك معه في شيء من ذلك غيره فقد جعله طاغوتا يعبده.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب "العبودية": "من كان متعلقا برياسة أو صورة (أي مظهر أو منظر) ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضي وإن لم يحصل له سخط، فهو عبد لما يهواه من ذلك، رقيق له، إذ الرق في الحقيقة رق القلب وعبوديته فما استرق القلب وأستعبده فهو عبده" اهـ.

قال الشاعر:

أطعت مطامعي فاستعبدتني   ولو أني قنعت لكنت حرا

وتبعا لذلك استخدم المتأخرون مصطلح "قابلية الاستعباد" أو "الرق الطوعي"، ومما يدلك على سعة مفهوم العبادة أنه لا يشك أحد في أن السجود والقنوت عبادة، وقد قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج: ١٨] الآية، وقال: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[الرعد:١٥] الآية، وقال: ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن:٦]، وقال: ﴿بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ [البقرة: ١١٦]، ومعلوم أن سجود الكائنات وقنوتها غير سجودنا وقنوتنا.

قال ابن القيم رحمه الله لما عرّف الطاغوت الذي لا يكون الانسان عابدا لله وحده إلا إذا كفر به: "كل ما جاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع" أهـ ، وهذه المجاوزة دل عليها قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة:١١]، وقال جل شأنه: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

قال ابن كثير: "أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره، فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]" اهـ.

وقال له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

وقال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الأنعام:١٦١]، فلا يكون العبد مائلا عن الشرك وشاهدا ألا إله إلا الله حقا إلا بخلع كل الأنداد والطواغيت والمعبودات من دون الله قديمها وحديثها، وفي أي صورة أو مظهر، وإن لم يفعل ذلك فهو عابد للشيطان.

وحتى لا يظن جاهل أن الشيطان محصور في إبليس الرجيم ينبغي أن نذكِّره بقوله تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ [البقرة:١٤].

وقال: ﴿شَيَـٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:١١٢]، وقال في سورة الناس: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٦]، وقد سأل أبو ذر ﷺ رسول الله ﷺ: أمن الإنس شياطين؟ قال: (نعم)، وشيطان الجن يخنس إذا ذكر الله، أما شيطان الأنس فلا يخنس.

وقال مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت:١٣]: "يحملون ذنوبهم وذنوب من أطاعهم، ولا يخفف عمن أطاعهم من الذنوب شيئا".

وبعض الناس يطيعهم في كل شيء ويقول: أنا عبد مأمور والإثم عليهم"!!

ولما ضاق معنى العبادة ضاق تبعا له معنى الطاغوت، والطاغوت شرعا هو كل ما يُعبد من دون الله، ولكن الناس يختلفون في طاغوتهم الذي يعبدون، فمنهم من يعبد الأنبياء، ومنهم من يعبد الأحبار والرهبان، ومنهم من يعبد الملوك والفراعنة، ومنهم من يعبد الكواكب، ومنهم من يعبد المنحوتات الحجرية كاللات والعزى، ومنهم من يقول إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى، ومنهم من يقول هؤلاء شفعاؤنا عند الله، وكل ذلك في القرآن.

وقد يكون الطاغوت بشرا مثل كاهن جهينة، وفرعون أو أي رجل من اليهود أو المنافقين المتبوعين، ومن لا يرضى بعبادته من دون الله كالمسيح عيسى عليه السلام، لكن جاوز به النصارى حده، وقد يكون الطاغوت رجيما مثل كبيرهم الشيطان الرجيم الذي تنتهي إليه كل عبادة لغير الله.

وقد يكون تمثالا يصورونه أو ينحتونه بأيديهم ويسمونه الرب، كما في الصين اليوم.

وقد يكون معنويا كطاغوت التأويل والمجاز اللذين ذكرهما ابن القيم.

وقد يكون فلسفة مثل فلسفة اليونان قديما.

ويجمع ذلك كله ما قاله الطبري رحمه الله تفسيرا لمعناه، وأن ما ذكره بعض السلف إنما هو من باب ضرب الأمثلة، ويجمعه أيضا ما ذكره ابن القيم في تعريفه، فطاغوت كل قوم هو من يطيعونه أو يتحاكمون إليه، وأكثر شرك المشركين قديما وحديثا، هو باتخاذ الشفعاء من دون الله، ومعلوم أن الحجارة لا تشفع ولا تتكلم ولا تكاد اليوم تجد مدينة نصرانية في أمريكا أو أوروبا إلا ولها شفيع، وأكبر الشفعاء عندهم هي مريم عليها السلام، لأنها والدة الإله كما يزعمون، ويستغيثون بها طالبين منها الشفاعة، وإذا عظموا مدينة أو ولاية سموها "فرجينيا" أي العذراء.

وقد ذكر المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن الطواغيت كثيرون، وذكر أن رؤوسهم خمسة، وأولهم إبليس اللعين، ثم ذكر بقية الأبالسة، ومنهم الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، وذكر من حكم بغير ما أنزل الله، سواء كان حكمه بسلوم القبائل أو بالقوانين الوضعية، أو برأيه وهواه الشخصي، والطاغوت ما عظِّم بالباطل من دون الله، كما يعظمون اليوم بعض الأصنام، وقد يكون بشرا مثلما كان النمرود وفرعون، وكذا كان كاهن جهينة زمن النبوة، وقد يكون أحكاما كالياسق والقوانين العصرية.

وذكر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن أن بعض الناس قال: إن أهل الطائف لا يعرفون الله، وإنما يعرفون ابن عباس، فقال له أحد دعاة الضلال: إذا عرفوا ابن عباس فقد عرفوا الله.

وهذا ما يقوله المشركون قديمهم وحديثهم ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣].

والطاغوت يشمل كل معظَّم كما قال شيخ الاسلام ابن تيمية في "بيان تلبيس الجهمية" وإذا قلت للرافضة لماذا تبنون الحسينيات والمشاهد والمقامات وتزورون الموتى والعتبات، قالوا هذا مجرد توسل وبعض الناس يقول ما نعبدهم وإنما نطيعهم لأنهم ولاة أمرنا ولا يعلم أن كل من أطاع أحداً في معصية الله فقد عبده، مهما سمى ذلك، ولذا كل من دعا غير الله.

ومن أنواع الشرك الأخرى تسوية المتبوع وعدله بالله، وهذه التسوية وذلك العدل يكون في التعظيم، كما قال ابن القيم رحمه الله، وليس في الخلق والرَّزق والإحياء والإماتة، ولأجل ذلك يتحسر أهل النار إذا دخلوها، قال تعالى عن الغاوين وجنود إبليس أجمعين: ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٨]، وقال جل شأنه: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١]، وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠]، وقال ابن القيم ما معناه: "العدل والتسوية ليسا في الربوبية وإنما في التعظيم".

وكان عدي بن حاتم رضي الله عنه يظن أن العبادة محصورة في الركوع والسجود، ويعتقد أن النصارى لم يعبدوا علماءهم، وأنكر ذلك لما قرأ ﷺ ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، فبين له الرسول ﷺ أنهم لم يكونوا يسجدون لهم، ولكنهم كانوا يحرمون عليهم الحلال ويحلون لهم الحرام فيطيعونهم وهذه عبادتهم.

ومن ذلك ما يعلمه اليوم كل باحث، من أن النصارى يستحلون أكل الخنزير المحرم في التوراة، لأن بطرسا عندهم رأى أنه أنزل عليه مائدة فيها ذوات الأربع!!

ولأن النجس في زعمهم هو ما يخرج من الإنسان لا ما يدخل فيه.

وكان عدي بن حاتم ركوسيا يأخذ ربع الغنيمة، كما يستحل بعض الناس اليوم أكل مليارات بيت المال، قال الشاعر الجاهلي يمدح أحد السادة:

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

وقد نهى النبي ﷺ عن الطاعة في المعصية، وعن اتباع التقاليد أو العادات الاجتماعية التي عليها الناس، وأن يكون المؤمن إمعة إن أحسن الناس أحسن وإن أساءوا أساء، فليس من الإسلام الطاعة العامة التي يسميها الغربيون "العقل الجمعي"، بل المؤمن يتبع الحق ويخالف هذا العقل، وإنما المتبع هو الصواب في كل أمر حتى اللغة فلا نقول "خطأ مشهور خير من فصيح مهجور"!

ومن أطاع الشيطان وتولاه فقد عبده، فليست عبادته محصورة فيمن يسموهم اليوم عبدة الشيطان، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١]، وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم:٤٥].

ولو قلت لأحد الغربيين إنك تعبد الشيطان أو إنك تؤله هواك لأنكر ذلك.

والله تعالى سمى دعوى من لم يكفر بالطاغوت بل تحاكم إليه زعما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّـٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٦٠].

ودين كل أحد هو نظامه وشرعه قال تعالى في قصة يوسف عليه السلام: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦].

والله تعالى جعل من الدين أركان الإسلام، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:٥]، وجعل الدين شاملا للأصول والفروع، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦] الآية.

فالدين يشمل كل شريعة في الحياة وكل حكم لله وحده، والتشريع من دون الله هو افتراء على الله الذي يملك وحده التشريع، ولهذا ذم الله تعالى ما يفعله المشركون وسماه افتراء عليه كما في سورة الأنعام، وموسى عليه السلام قال لفرعون وقومه: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ﴾ [طه:٦١]، فليس من شرط الافتراء نسبة الفعل إلى الله، ومن الافتراء على الله في هذا الزمان إباحة بنوك الربا، ولا يغيّر من حقيقة ذلك أن يضيفوا إلى كونه أمريكيا أو بريطانيا أو فرنسيا أو هولنديا أو عربيا أو أيا كان اسمه، كلمة أخرى مثل كلمة "السعودي" أو "الوطني"، فليست إضافة هذه الكلمة هي التي تجعل الحرام حلالا، بل ذلك أشد في التلبيس على الناس وأمعن في الافتراء على الله.

ولا يقتصر الربا على البنوك، بل كل شركة أو مؤسسة تتعامل به فقد آذنها الله بالحرب حكومية كانت أو خاصة، وأكبر المرابين اليوم صناديق الأمم المتحدة وبنوكها، مثل "صندوق النقد الدولي"، و"البنك الدولي" وأشباه ذلك، وابحث من أين تأخذ هذه الصناديق المال وبكم تقرضه؟

وهكذا كل تشريع هو دين وإن لم يصرح أصحابه بذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ليس لأحد أن يلزم الناس أو يوجب عليهم إلا ما أوجبه الله ورسوله، ولا يحظر عليهم إلا ما حظره الله ورسوله، ومن فعل ذلك فقد شرع من الدين ما لم يأذن به الله"، وقال: "المنع العام حكم بغير ما أنزل الله".

ولكل قوم دينهم ومفهومهم عن الدين، ويقول المستشرق "برنارد لويس" في كتابه الغرب والشرق الأوسط الذي عربه نبيل صبحي: "للدين مفاهيم مختلفة في أذهان مختلف الناس، ففي الغرب يعني الدين بصورة رئيسيةنظام إيمان وعبادة، ويتميز عن الولاء الوطني والسياسي، ويعتبر في هذا العصر ثانويا بالنسبة للولائين السابقين المذكورين، أما بالنسبة للمسلمين

فالدين يعني أكثر من ذلك بكثير، فالإسلام يشمل ما تعنيه في الغرب كلمة الحضارة المسيحية والدين المسيحي مجتمعين".

وكان دين الكاثوليك -ولا يزال- إقامة التماثيل في الكنائس خلافا للوصية الأولى من وصايا التوراة، وكذلك تعظيم ساداتهم وكبرائهم لا سيما من يدّعون له الشهادة، أو التطويب مثل "أوغسطين" و"توما الأكويني"، و"جان دارك" و"ماريا تريزا".

فينبغي لكل موحد أن يحذر من الشرك قديمه وحديثه، وأن يحذر من صرف أي عبادة لنبي أو ولي أو زعيم أو امبراطور أو ملك، وأن يحذر من موالاة المشركين في شيء، وأن يعلم أن الشرك بالله أعم من حصره فيما يظن الناس، كما فعل عبّاد العجل الذهبي من اليهود، فقد أصبح المعبود اليوم هو الذهب ذاته، وإنما يغلفه الشطان باسم الوفرة أو الرفاهية أو التنمية الاقتصادية وما شاء من الأسماء، ليغوي بذلك بني آدم فيقعون في الشرك، وأن الشيطان كلما سد العبد عليه طريقا جاءه من آخر، ومن طرقه التعري الذي أخرج به أبوينا من الجنة، ولا يزال هدفا للشيطان تراه في المجلات والقنوات والمواقع، قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ ﴾ [الأعراف: ٢٧] الآية، ومن التعري يخرجهما إلى الشرك، أما من ظن أن التعري هو التقدم وأن الحجاب هو التأخر فهو مشرك!

وكان أئمة الإسلام وفقهاؤهم الأولون عالمين بالمعنى الواسع للعبادة والطاغوت والشرك والدين، ولذلك لم ينخدعوا بمن ادعى ذلك، بل عرضوا أعمالهم على الشرع الشريف و لم ينظروا إلى مجرد أقواله أو دعاواه.

فلما ادعى العبيديون أنهم من آل البيت وأنهم يحكِّمون شرع الله لم يصدقهم في ذلك كبار الأئمة من المذاهب الأربعة، بل درسوا واقعهم وحالهم، وأصدروا بحقهم المحضر المشهور الذي وقعه أئمة المذاهب الأربعة: أبو يعلى الفراء عن الحنابلة، والإسفرائيني عن الشافعية، والقدوري عن الحنفية، وابن أبي زيد عن المالكية، قال الشيخ محمد عبدالوهاب رحمنه الله في

مختصر السيرة: "ادعى عبيد الله أنه من آل علي من ذرية فاطمة، وتزيا بزي الطاعة والجهاد في سبيل الله، فتبعه أقوام من أهل المغرب"، إلى أن يقول: "ونصّبوا (يعني العبيديين) القضاة والمفتين، لكن أظهروا شيئا من الشرك ومخالفة الشرع، وظهر منهم ما يدل على نفاقهم فأجمع العلماء على كفرهم".

فانظر كيف أن العبيديين لم يلغوا الجهاد ولم يعلنوا التحالف مع الصليبيين، وكان لهم قضاة يحكِّمون بالشرع، ومع ذلك كفّرهم من يعرف حقيقة أن لا إله إلا الله ومعنى الدخول في الدين كله.

وعبّاد الشيطان اليوم يستحلون الربا باسم الفائدة البنكية، ويجعلون البنوك الربوية في كل شارع، وإذا قلت لهم هذا حرام وحرب لله ورسوله قالوا: (الدولة رخصت به والإثم على مؤسسة النقد، وعلى العلماء الذين يرون البنوك الربوية ويسكتون، ولو كانت حراما لما سكتوا عنها وعمن أقرها، والقروض الربوية أصبحت ضرورة اقتصادية)، أو قالوا كما قال الأولون: ﴿إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة:٢٧٥]، أو كلا الطرفين راضٍ، وكأنه لا زنا إلا في الغصب.

ولما قبض الناس أيديهم عن الإحسان والصدقة أوقعوا المستهلك المسكين بين نارين، فإما أن يقترض بالربا، وإما أن يشتري بالتقسيط، فيدفع أضعاف الربا، والحكومات ساكتة أو راضية أو مؤيدة.

وصندوق النقد الدولي لا يرى في ذلك حرجا، بل يراه تحضرا وتطورا ودليلا على التقدم الاقتصادي!!

وهكذا انغمس الناس في الربا، ولكن الله يمحقه كما قال، فيعيش الناس كما نرى اليوم في أزمات وانهيارات وانخفاضات في قيمة العملة، وتقلبات في الأسعار، ويتلاعب كبار المحتكرين والشركات التطفيفية بالأسهم والبورصات والفائدة وأسعار النفط، ويدور الخبراء الاقتصاديون في حلقة

مفرغة لا نهاية لها، وكما عبد الناس الدرهم والدينار قديما عبدوا الدولار حديثا، وقد قال ﷺ: (تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار...) الحديث.

أما من ينهى عن الربا فهو عندهم متطرف أو إرهابي، يريد إرجاع المتقدمين إلى الوراء كما يزعمون.

فهم يقولون كما قالت عاد عن دعوة هود عليه السلام: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٣٧]، أو كما قال مشركو قريش: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان:٥].

وقد كذب كلاهما، فمن يدعوهم إلى الله لا يدعوهم إلى العودة إلى القرون الوسطى وما كان عليه الناس قبل العصر الحديث، وإنما يحذرهم من أفعال اليهود، ومنها ما قاله الله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [النساء:١٦١]، وقوله: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣]، وأشد ممن يأكل الربا من يفتي الناس بإباحة بعض أنواعه، فيتبعهم الجهلة، ويفرق أولئك المفتون بين ما كان قرضا استهلاكيا، وما كان قرضا إنتاجيا، وغير ذلك من فروق لم يسبقهم إليها أحد من السلف، وقد بين النبي ﷺ أن (الربا اثنان وسبعون بابا، أدناه كالذي يأتي أمه في الإسلام)، وفي رواية (ثلاثة وسبعون بابا).

والربا مظهر من مظاهر الرأسمالية وخصلة من شرعها، وكل دولة تنشئ بنوكه هي دولة رأسمالية علمانية، وليس أمامه إلا أن يتوب.

وعقد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد بابا خاصا عمن أطاع العلماء أو الأمراء في تحليل ما حرم الله أو العكس كما تقدم، وبابا عمن أراد بعمله الدنيا، أي كانت الدنيا همه ومبلغ علمه، وأراد بعمله الدنيا وحدها، وأورد الشيخ فيه قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هود:١٥-١٦].

وذكر رحمه الله ما كان في عصره من الشركيات وبعضها ينافي أصل التوحيد، وبعضها يتنافى مع كماله فقط، وبعضها ظاهر وبعضها خفي، والشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة على الصخرة السوداء وهو خطيرا جدا، وحسبك من خطره أن الله لا يغفره، ولخفائه علَّم النبي ﷺ الصديق الأكبر أن يقول (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم).

وإنما تكثر الجاهلية حيث تقل آثار النبوة كما قال ذلك مرارا شيخ الإسلام ابن تيمية.

والحاصل أن لدى المسلمين مفهومات كثيرة ينبغي تصحيحها وتعديلها، وأسماء كثيرة ينبغي أن تسمى كما سماها الله ورسوله.

ومن هذه المفهومات مفهوم الطاغوت، ومفهوم الجاهلية، ومفهوم التوكل، ومفهوم السياسة، ومفهوم الجهاد، ومفهوم الولاء والبراء، ومفهوم التوحيد، ومفهوم الشرك، ومفهوم العبادة، أما الأسماء الخداعة فكثيرة جدا، مثل الحضارة، والحب، والمشروبات الروحية، والفائدة، والائتمان، والإرهاب، والحرية الشخصية، والتربية الحديثة، والتقدم الاجتماعي.. وهكذا.

وقد فطن المشركون قديما إلى أهمية المصطلحات والأسماء، فجعلوا لأصنامهم أسماء مألوفة، وأنكر الأنبياء هذه الأرباب، وقالوا إنها مجرد أسماء تواضع الناس على عبادتها، ولو أن الناس انفضوا عن هذه الأسماء أو أحرقوها لما ملكت لنفسها ضرا ولا نفعا، قال الله تعالى عن هود عليه السلام: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسۡمَآءٖ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٖ﴾ [الأعراف:٧١]، وقال تعالى عن معبودات مشركي العرب (اللات والعزى ومناة وهبل) وغيرها ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ [النجم:٢٣].

وفي الغرب ظهرت الفلسفة الاسمية مخالفة بذلك فلسفات عصرها، ولم تقل أن لكل شيء مثالا كما قال "أفلاطون" ولا أن الأفراد داخلة تحت الأنواع، كما قال "أرسطو"، أو أن الأشياء لا حقائق لها كما قال "بروتاجوراس" والسفسطائيون، بل قالت إن الأشياء ومنها الكُليّات مجرد أسماء تواضع عليها الناس، ومن هذه الثغرة ولجت الفلسفة العقلية ونشأ المنطق الحديث.

واليوم وضعوا أسماء جديدة لأصنام جديدة مثل الرخاء المعيشي، والتقدم الاقتصادي، والإجماع الدولي، والعلم الحديث، والتكنولوجيا، والقيم الكونية، والفلسفة العصرية، والروحية الحديثة، والعولمة، والحرية، وحقوق الإنسان، والديمقراطية، والعدالة الانتقالية.. إلخ الأسماء، والمشكلة دائماً في العابدين وإلا فما يفعل فرعون لو أن قومه كانوا على الحق مثل السحرة، وماذا يفعل الطواغيت لو أن الجماهير المخدوعة انفضت عنهم، وماذا فعلت اللات والعزى لما ترك المشركون عبادتها، وماذا ملك أبو عبدالله الحسين ﷺ لنفسه حتى يدعي له الخميني أنه تخضع له جميع ذرات الوجود، لكن الناس سماعون للمنافقين وساكتين عن الطواغيت، فمشركو المصريين أطاعوا فرعون، ومنافقو هذه الأمة اتبعوا عبدالله بن أبي، والمشركون المعاصرون يصدقون مكر الليل والنهار (الإعلام) بل يسمّون أهل الدين وأتباعهم مجانين مهابيل إرهابيون تكفيريون ضد الوحدة الوطنية والتلاحم الاجتماعي.

– **الميزة الثلاثون: ومن مزايا الحضارة الإسلامية:** أن العبادات فيها تقوم مقام المحسوسات، وقد تكون أفضل منها، وهذا ما لا يعرفه من لا يؤمن إلا بالمحسوس، فلما طلبت فاطمة رضي الله عنها من النبي ﷺ خادماً من السبي هي وزوجها علي ﷺ علّمَهما ذِكراً لهما وقال: (هذا خير لكما من خادم)، وهذا الذِّكر الذي هو خير من الخادم أو السكرتير هو قول سبحان الله ثلاثا وثلاثين، والحمد لله ثلاثا وثلاثين، والله أكبر أربعا وثلاثين.

والله حث المسلمين على الاستعانة بالصبر والصلاة وقيام الليل على مشقات الدعوة ومصائب الدنيا وعدوان الظالمين، فقال تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [المزمل:١-٢].

وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ [طه:١٣٠].

ومن ذلك الاستعانة بما تجلبه الصلاة من قرة عين وسكينة وطمأنينة، قال ﷺ: (جعلت قرة عيني في الصلاة)، وقال: (أرحنا بها يا بلال)، وكان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة.

وجعل الله الدعاء من أهم أسباب النصر عند ملاقاة العدو.

فقد كان النبي ﷺ يدعو ربه ويناجيه ويتضرع إليه في المعارك والغزوات المعروفة.

وكان الصحابة يدعون الله دائما وكذلك من جاءوا بعدهم، حتى أن قتيبة بن مسلم الباهلي قال: أصبع محمد بن واسع -لما قيل له إنه يدعو بها- أحب إلي من ثلاثين ألف فارس، وفي رواية "أحب إلي من مئة ألف شباب طرير وسيف شهير".

ولما قيل لنور الدين محمود زنكي "لو حولت الأرزاق والأوقاف عن الأربطة وأعطيتها الجند، قال: لا أقطع شيئا عن السهام التي لا تخطئ وأعطيها لمن سهامه تخطئ وتصيب".

وقال تعالى عن جيش المسلمين الذي كان مع طالوت: ﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٥٠]، والاستغفار وحده سبب للرزق والبركة والنصر.

قال تعالى على لسان عبده نوح ورسوله عليه السلام: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ۝١٠ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ۝١١﴾[نوح:١٠-١١].

ولما استسقى عمر ﷺ لم يزد على الاستغفار، وقال للناس: استسقيت لكم بمجاديح السماء.

وكثير من ذلك نراه في الطب النبوي حيث نرى الرقى والأذكار أنجع من الطب المادي، بل ربما كان ذلك هو الوحيد الذي يحقق الشفاء، والإنسان إذا نزل مترلا فقال "أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق" لم يضره شيء بإذن الله.

وأعظم الرقى هو فاتحة الكتاب وسورة البقرة وسورة الإخلاص والمعوذتان "وأفضل الذكر قول لا إله إلا الله، والكلمات الأربع: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

فإذا تحصّن الكفار بأبراج أو حصون أو دبابات وغير ذلك، تحصن المسلمون بذكر الله تعالى، والذكر أعظم شيء في الدنيا، ولأجله شرع الله العبادات ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه:١٤]، ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت:٤٥]، فهو عبادة إيجابية دافعة وليست كما يظن بعض المتصوفة عبادة سلبية تدعو إلى القعود عن الجهاد، كما فعل جلال الدين الرومي لما قدم التتار إلى بغداد، وكما فعل الغزالي لما قدم الصليبيون.

والمسلمون يتضرعون إلى الله ويدعونه بدعاء الكرب وغيره، ولذلك أثر عجيب لا يعرفه إلا هم.

فإذا دعتك عيناك إلى رؤية أغنياء الكفرة في أمريكا مثلا، فاعلم أن الله قد أعطاك ما هو خير من ذلك، وهو ذِكره، قال تعالى: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف:٤٦]، وقد فسر النبي ﷺ "الباقيات الصالحات" بأنه قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر.

والمرابطون في المسجد الأقصى من الرجال والنساء علموا أهمية التكبير لما رأوا اليهود يفرون من سماعه، ووصل الأمر باليهود إلى حد منع الأذان في المكبّرات.

وأخبر صلوات الله وسلامه عليه عن المدينة التي إذا كبر المسلمون سقط أحد جانبيها، ثم إذا كبروا ثانية سقط الجانب الآخر.

وأخبر أن الناس إذا خرج الدجال، ولم ينزل من السماء قطرة، ولم يجد الناس ما يتقوتون يعمدون إلى التسبيح والتهليل فيغنيهم ذلك عن الطعام والشراب.

– **الميزة الواحدة والثلاثون: ومن مزايا الحضارة الإسلامية أنها حضارة ضمير ورقابة داخلية ووازع إيماني**، والغرب يعلم الأثر العظيم للروادع النفسية ولكنه يضع عوضا عنها القوانين الخارجية، والشفافية المزعومة والرقابة والصحافة وإنكار الشعب والفضائيات، ومحاسبة الزعماء ضمن القانون وبذلك يحاسبون حكامهم وكبراءهم كما يحاسب اليهود "أولمر" ووزير التعليم و"زوجة نتنياهو" وقائد "الشاباك" ورئيس الأركان وأمثال ذلك.

وهذه الفضيلة الإسلامية معلومة لكل مسلم، فلا أطيل فيها، ولا يعني فقدها عند الغربيين بالضرورة أن الظلم والرشوة عندهم الآن أكثر، فمن يحاسِب خير ممن لا يحاسِب، وأهل الكتاب ليسوا في ذلك سواء، وأما أن تتحدث التقارير الأمريكية عن الفساد في نيجيريا ومصر والباكستان وغيرها، دون أن يتكلموا عن رؤساء الغرب بل يزعمون أن الحرية والديمقراطية والعدالة الأمريكية تكفل الأمانة فهذا عين مجافاة العدل.

– **الميزة الثانية والثلاثون: الشمول وهو أنها ذات مفاهيم واسعة:**

ومن ميزات هذه الشريعة الغراء وحضارتها السامية أن لها مفهومها عن الشرك والتوحيد، وهو مفهوم خاص بها لكنه شامل وعام، وليس الشرك أو الكفر هو إنكار وجود الله، وليس التوحيد هو الإقرار بأنه وحده الخالق الرازق المدبر، بل لا بد من خضوع النفس الإنسانية بكل مشاعرها له وحده، ونفي ما عداه من المعبودات، فإنه تعالى لما خلق السماوات والأرض

قال لهما ﴿ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ﴾ [فُصِّلَت:١١]، ولما خلق بني آدم أخذ عليهم العهد وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢]، وكان ﷺ يرسل الصحابة الكرام، ويأمرهم أن يدعو الناس أولاً إلى توحيد الله قبل الصلاة، كما أرسل معاذا إلى اليمن، والتوحيد هو الفطرة، أما الكفر فهو مضاد للفطرة، وبيّنَ تسوية معبوداتهم برب العالمين وسوف يندم أهل التسوية والعدل على عدلهم به غيره من مخلوقاته، ومن حكمته تعالى وابتلائه جعل الرفاهية الدنيوية مع الكفر مقدمة لعذاب الآخرة ذلك العذاب الذي يصلاه كل من جعل مع الله ندا بأي شكل قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ﴾ [إبراهيم: ٣٠].

فالنار -أعاذنا الله منها وجميع المسلمين- هي مصير كل من جعل لله ندا، سواء كان هذا الند صنما أو شجرة أو تمثالا أو حضارة أو امبراطورا، أو ملكا أو نبيا، أو وليا أو اقتصادا أو عجلا مسبوكا أو ذهبا خالصا، أو هوى مطاعا، أو فكرة بشرية، أو دعوة أرضية، قال ﷺ: (من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار).

وهذه المسألة خطيرة جدا لأنها مسألة "شرك وتوحيد"، ولا يصح انحسار مفهوم ذين كما سبق.

ومن الشرك الخفي الرياء ، وشرك الإرادة، وقد عقد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بابا في كتاب التوحيد جعل عنوانه "باب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا"، وقال ابن القيم: "أما الشرك في الإرادات والنيات فذلك البحر الذي لا ساحل له، وقل من ينجو منه، فمن أراد بعمله غير وجه الله أو نوى شيئا غير التقرب إلى الله، وطلب الجزاء من غيره فقد أشرك في نيته وإرادته، والإخلاص أن يخلص لله في أفعاله وأقواله وإرادته، وهذه هي الحنيفية ملة إبراهيم التي أمر الله بها عباده".

وميزة الإسلام العظمى هي التوحيد ونبذ الشرك، وذلك بالدخول في الدين كله، وأن يكون الدين كله لله، وأن يكون الإنسان سلَما لله ليس فيه

شركاء متشاكسون، والتوحيد بلغة العصر هو توحّد الذات في كل ناحية، لتعبد الله وحده لا شريك له، والشرك بالمفهوم العصري أيضا هو تمزق النفس بأن تطيع الله في مكان، وتعصيه في آخر.

كأن تطيعه في المسجد وتعصيه في البنك.

أو تطيعه في قناة القرآن أو قناة السنة، وتعصيه في الإخبارية أو العربية.

أو تطيعه في تحريم نوادي القمار وتعصيه ببناء بيوت للربا.

أو تطيعه في السياسة الداخلية وتعصيه في السياسة الخارجية.

أو تطيعه في تعظيم الكعبة المشرفة وتعصيه بتعظيم الآثار المنهي عنها.

أو تطيعه في القضايا الشخصية، وبعض الحدود، وتعصيه في القضايا التجارية.

أو تطيعه بإقامة الحدود على الضعفاء، وتعصيه بترك إقامتها على الكبراء ومن له واسطة.

أو تطيعه في بيت الله وتعصيه في البرلمان أو مجلس الشورى، أو مجلس الشعب، أو مجلس الأمة، وما أشبه ذلك.

أو تطيعه ببيان حقيقة الشيعة، وتعصيه بإغفال الحديث عن الإسماعيلية والنصيرية.

أو تطيعه حال الغنى وتعصيه حال الفقر.

أو تطيعه في الشدة وتعصيه في الرخاء.

أو تطيعه بقتال الخوارج وتعصيه بترك جهاد اليهود.

أو تطيعه باحترام العلماء وتعصيه بمخالفة فتواهم.

أو تطيعه في بعض الأحكام وتعصيه في بعض.

أو تطيعه في إقامة الكتاب وتعصيه في إقامة الميزان.

أو تطيعه اذا اقتضت السياسة ذلك وتعصيه إذا اقتضت غير ذلك.

أو تطيعه باتباع الإمام في الصلاة وتعصيه باتباع أوامر الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي.

أو تطيعه في أن الإسلام دين الرحمة وتعصيه في أنه دين القوة والجهاد.

أو تطيعه في الإحسان للمسلمين وتعصيه بقتالهم.

أو تطيعه في معاملة المسلمين وتعصيه في معاملة الكافرين.

أو تطيعه قولا وتعصيه عملا.

أو تطيعه بمنع تولية بعض الأقارب وتعصيه بتوليته بعضهم.

أو تطيعه في توحيد الربوبية وتعصيه في توحيد الالوهية.

أو تطيعه في منع إقامة الأضرحة وتعصه بإباحة إقامة الموالد.

أو تطيعه في موالاة المؤمنين وتعصيه في معاداة الكافرين.

أما إذا عصت الله في كل شيء وحكمت الهوى وحده أو أظهرت طاعة أمره وأبطنت اتباع ما تراه مصلحة فحكم ذلك معروف، والله تعالى أغنى الأغنياء عن الشرك.

ومن صور الشرك في هذا العصر ظن المرجئة أنه لا بد أن يعصى الله في كل شيء، وهل كان اليهود والنصارى كذلك؟

وهل أبى إبليس كل طاعة لله في كل شيء؟

وهل قال المنافقون للكفار سنطيعكم في كل أمر؟

وعن هذا الشرك عبر الرياضي الانجليزي "ألفرد هوايتهد"، ولكن بأسلوب آخر فقد سماه "تجزئة الطبيعة".

وظهر للشرك أسماء عصرية كالعلمانية والليبرالية والمدنية.

وكلما نفر المسلمون من تسمية جاؤوا بأرق منها، وهي كلها شرك، وإن رقّق بعضها بعضا، كما عدَلوا عن تسمية الدولة التي تفصل الدين عن السياسة أنها علمانية، إلى قول إنها مدنية، وعدلوا عن تسمية الميسر إلى التأمين، وعدلوا عن عبارة البرلمان أو مجلس الأمة إلى مجلس الشورى وهكذا.

وإذا كنا ننكر على من قال أنا مسلم ليبرالي أو مسلم ديمقراطي، أو مسلم اشتراكي، وأمثال ذلك مما قد يقولون، وإذا كنا ننكر على من يعلن بأنه متبع لمذهب فلان، مع أن النص صريح في مخالفة المذهب، فالإنكار على من يتبع آراء الكفرة ونظرياتهم أولى، واتباع شريعة التوراة أشد من اتباع أي مذهب إسلامي، وأشد من اتباع شريعتها اتباع القوانين الوضعية.

وإذا كان من يعمل بما قاله أرسطو والفلاسفة القدماء مما هو مخالف للشريعة، قد يكون كافرا أو مشركا، فإن من يعمل بكلام الفلاسفة العصريين مثله ولو سموا ذلك (قرارات دولية)، ونظريات حديثه.

وإذا كان اتباع إحدى دول الكفر حراما فكذلك اتباعها إذا اجتمعت أو شكلت هيئة أممية أو تحالف دولي.

وإذا كان الله قد ذم قوم لوط وشنع على فعلهم، فكذلك ما قررته مؤتمرات الأمم المتحدة السكانية عن "الجندر"، وما حكمت به المحكمة العليا الأمريكية.

وإذا كان مشركو الجاهلية ساووا بين البيع والربا وساووا بين ما قتل الله وبين ما قتل الناس -الذبيحة أو الصيد- فإن المعاصرين ساووا بين الذكر والأنثى.

وكما جاء الشرك في صور جديدة جاء الولاء في صور أخرى، منها: الصداقة، التعاون، التحالف، العلاقات الإستراتيجية.

وجاء الاقتباس الديني ومشابهة الكفار باسم "الثقافة المشتركة"، وترك المنافقون الجهاد تحت شعارات ماسونية مثل "الإنسانية" و"المساواة" و"الإخاء".

وتغلغلت الصليبية في بلاد المسلمين باسم العولمة، الوحدة الإنسانية، اقتصاد السوق، الاستثمار، اتفاقية الجات، استيراد المنسوجات.. إلخ.

فلا يغرنا تغيير الأسماء عن الحقيقة، كما أن من أعظم ميزات الحضارة الإسلامية حرية الفكر وهذا أشهر من أن يستدل عليه.

ومن ميزاتها كذلك حرية التنقل التي لم يعرفها الغرب إلا بعد انقراض عصر الإقطاع.

- أخيراً نقول:

ميزات الحضارة الإسلامية كثيرة يصعب حصرها، وأعظمها أنها تقوم على الوحي (كتاباً وسنة)، فهي حضارة ربانية وليست حضارة بشرية وضعية كسائر الحضارات -ومنها الحضارة الغربية-، والناس إذا قيل لهم هذا شرع الله قبلوا وانقادوا كما ذكر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، وذلك بخلاف إذا قيل لهم هذا رأي فلان أو إعمال لحكم فلان، فكيف يكون ما يفعله البشر أفضل مما أنزل الله، والله تعالى يقول لأفضل البشر: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وحتى لا ينقص قدر الحضارة الإسلامية إذا قيست بالحضارة الغربية كما قيل:

ألم تر أن السيف ينقص قدره   إذا قيل إن السيف أمضى من العصا

وكما قال "غوستان لوبون": "إن الحضارة الإسلامية ينقص قدرها إذا قيست بحروب اليهود"، ولكي لا يقع ذلك نقارن بين الجاهلية الأولى والجاهلية المعاصرة أي بين ما كان عليه العرب في الجاهلية وما عليه الغرب اليوم:

فانظر مثلا إلى السلام العالمي الغربي الذي دعا إليه "عمانوئيل كانت" وتنادي به هيئة الأمم المتحدة اليوم نظريا، وقارن ذلك بفعل هرم بن سنان وصاحبه الذين سبقا إليه، وبذلك مدحهما زهير بن أبي سلمى في ميميته الشهيرة في مدحهما، ومنها:

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم   وما هو عنها بالحديث المرجّم

متى تبعثوها تبعثوها ذميمة   وتضر إذا أضريتموها فتضرم

وقبل أن يعرف الغرب عشق روميو وجولييت وعلى فرض أن شكسبير كان أوروبيا ولم يضف إلى أصل القصة من خياله المعروف، كان الفارس العاشق عنترة بن شداد قد قال في معشوقته عبلة:

فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق ثغرك المتبسم

وقبل أن تعرف الوجودياتُ الغربية -ومنها وجودية سارتر- الدعوةَ الأبيقورية لاقتناص فرصة الحياة لملذات الجسد، كان طرفة بن العبد قد قال في معلقته:

إذا كنت لا تسطيع دفع منيتي فدعني أبادرها بما ملكت يدي

وأمثال ذلك.

على أن للجاهليين العرب فضائل لا تجدها لدى الجاهليين المعاصرين اليوم، منها إكرام الضيف ولو لم يكن معروفا للمضيف، وهو أمر مشهور جدا لا يحتاج لبيان أو استدلال، فقارن ذلك بالغربيين الذين يحاسبون أبناءهم وبناقم إذا زاروهم فرضا في عطلة نهاية الأسبوع.

وقارن بين قول الشاعر الجاهلي:

وأغض طرفي إن بدت لي جارتي حتى يواري جارتي مأواها

وبين إطلاق النظر الذي لا يتورع عنه أي غربي بل يراه تقدما وتحضرا ورقيا.

وانظر هل عرف الغرب مثل حاتم الطائي في جوده وكرمه؟

وهل عرف مثل عمرو بن معدي كرب في شجاعته وحمايته لعرضه؟

وهل عرف مثل قس بن ساعدة أو زيد بن عمرو بن نفيل وأمثالهم ممن عرف التوحيد قبل البعثة النبوية.. في سلامة فطرهم وصحة استنتاجهم في مسألة ضلت فيها عقول كثيرة.

وهل عرف الغرب سكيرا لديه نخوة امرئ القيس، لما قتل قومه أباه فقال: "اليوم خمر وغدا أمر".

فإذا كانت جاهليتنا خيرا من حضارهم فكيف بإسلامنا؟

فإسلامنا كرجل سلَم لرجل، وحضارتهم كرجل فيه شركاء متشاكسون، وهذه المشاكسة تظهر لمن يتأمل في أحزابهم ونظرياتهم وآرائهم، وما بينها من التباين والتناقضات في المسائل البدهية!

حتى الجانب الذي يتحدث عنه الغربيون وأتباعهم كثيرا وهو مظلومية المرأة المسلمة، وأن الغرب هو الذي رفع شأن المرأة تجد عكسه عند الجاهلية العربية.

فقد اصطحب الأنصار معهم النساء لبيعة العقبة وبايعهن الرسول ﷺ كما بايع الرجال، وكان للمرأة عند الجاهليين منزلة ليست عند الأمريكان اليوم، ثم نقلها الإسلام إلى ما هو أعلى، وكانت المرأة في الجاهلية العربية لها قدر لا تبلغه في الجاهلية الأمريكية، وكانت الحرة في الجاهلية لا تزني عادة وإنما كان البغاء مختصا بإماء الجاهليين، ولما جاءت هند بنت عتبة لمبايعة النبي ﷺ بيعة النساء المذكورة آخر سورة الممتحنة قالت: أو تزني الحرة يا رسول الله؟

ومن ميزات الشريعة أنها تعطي كل ذي حق حقه، فحق الله أعظم من حق الوالدين، وحق الوالدين أعظم من حق غيرهما وهكذا، وليس حق الحاكم بأعظم من حق الوالدين ومع ذلك يجب طاعته إذا كان خيره أكثر من شره، ولا تجب طاعته ولا تصح إمامته إذا كان رافضيا أو باطنيا أو ديمقراطيا أو ليبراليا أو منافقا.

ومن عدل هذه الشريعة المنزلة من لدن حكيم خبير أن لها ميزانا واحدا ومعيارا واحدا وليس لديها ازدواجية في المعايير والمكاييل ولا مكيافيلية أو براجماتية.

هكذا كانت حضارتنا وعلى هذا سار خلفاؤها في الجملة ولا تعني هذه الميزات الفريدة العصمة في التطبيق، وإنما ينبغي ذكر المبادئ الكبرى التي سارت أو ينبغي أن تسير عليها الأمة، كما أن واجب العلماء وغيرهم هو

إنكار ما فيه مخالفة، وفرقٌ بين من يخطئ فيرده الناس إلى الأصل وبين من يتيه فلا أصل له.

وقد جعل الله لكل شيء قدرا، فأهل الكتاب في شريعتنا خير من المجوس، ولكن هذا لا يعني أن أمريكا دائما خير من الصين أو اليابان.

وللحضارة الإسلامية مميزات كثيرة بعضها تنفرد به وبعضها هي السابقة إليه، وبعضها لا يزال الغرب لا يعرفه، وبعضها نقله الغرب وفرعوا عليه.

ولا أعلم للحضارة الغربية ولا لأية حضارة فضيلة تختص بها دون الإسلام.

ولهذه المميزات يحسدها أهل الكتاب ويودون أن يكفر المسلمون كما كفروا، والمسلمون أمة اختار الله لها أفضل الرسل وأنزل لها أفضل الكتب، ومنّ عليها بأفضل اللغات، وأفضل المواقع الجغرافية، وأفضل الكنوز والثروات، ومنحها أفضل الألوان وجعل لها أفضل المقاييس والمعايير، وأفضل الصفات وجعها شهيدة على الناس وجعلها وارثة كل الحضارات، واصطفاها عليهم بالأمر والمعرف والنهي عن المنكر، وجعل منها الأولياء والصالحين والزهاد والمقربين، وفضلها بمكارم الأخلاق ومعالي الأمور واختار لها أفضل الأغذية وأفضل المقدسات، وأفضل الممرات البحرية والبرية، وحباها أفضل الثروات وجعلها تمشي رويدا وتجيء في الأول، وجعلها الآخرة وجودا ولكنها الأولى فضلا وخيرية، ودخولا للجنة، وجعلها الأمة المختارة المجاهدة المطيعة، وهي الأمة الوحيدة في الأرض التي تؤمن بكل رسل الله وكل كتبه، هذا غير ما أعد الله لها من النعيم في دار البقاء، وما وعدها به من الأجر جل شأنه، فالمستقبل لها بإذن الله كما سيأتي تفصيله.

فالعجب كل العجب ممن يريد لها الإعراض عن هذه الفضائل وتقليد أمم الكفر، والدخول في جحر الضب، ومتابعة الحضارة الغربية التي هي حضارة مفلسة منهارة منتحرة عوراء عرجاء ديوثة، قال كبير فلاسفتها في

القرن العشرين "برتراند رسل": "إن نظامي روما وموسكو يعني الرأسمالية والشيوعية لم يجلبا للبشرية إلا الدمار"، وقد انهار نظام موسكو وسوف يلحقه نظام روما قريبا بإذن الله.

نعم، الأمة الإسلامية مستضعفة اليوم ومتأخرة تقنيا ولكن ذلك لا يدوم فإذا عادت إلى دينها عاد لها مجدها وصدارتها وقوتها، وضمنت أن المستقبل لها إن شاء الله.

ومما يدل على أسبقية الإسلام لكل صلاح، أن الحضارة الإسلامية وضعت أحكاما تفصيلية في معاملة غير المسلمين، وسبقت كل الحضارات إلى ذلك، وربما انفردت به، وأن أول دستور بشري مكتوب هو الصحيفة التي كتبها النبي ﷺ مع قبائل اليهود لما قدم المدينة، وقد رواها الإمام أحمد في المسند مرارا كما رواها أهل السير، واقتبست من ذلك القوانين الدولية المعاصرة مع أنها لا تفي بوعودها، ولا تلتزم بأخلاق الحرب كما نرى اليوم في العراق والشام مثلا، واقتبست شيئا من ذلك هيئة الأمم المتحدة في ميثاقها، والولايات المتحدة الأمريكية في دستورها.

والقواعد التي وضعها الإسلام للحرب الأخلاقية العادلة اعتمد عليها القانون الدولي الحديث كما أثبت الباحث "حلمي زواتي" وأخذتها اتفاقيات جنيف ولاهاي.

وهذه الأمة اختصها الله بميزات وفضائل ليست لغيرها، وغاية ما يفعله غيرها أن يتشبث بشيء من خصائصها أو يلحقها على الطريق، فهذه الأمة مع أميتها تعلم ما لا يعلمه الذين أوتوا الكتابين من قبلنا، ومع ضعفها المادي تهزم أقوى الجيوش في العالم، ومع قلة خبرتها تأتي بأعجب ما يتوصل إليه الأطباء أو المهندسون أو الرياضيون أو الباحثون في أي مجال.

وتعرف من أسرار الخليقة وبداية الكون مالا يعرفه الفيزيائيون والميتافيزيقيون والكوزمولوجيون، وتحقق بالزهد ما لا يحلم به دعاة الترشيد والاقتصاد.

وتحكم بالعدل الذي لا يتخيله المنادون بالمساواة والحرية وفصل السلطات وأمثال ذلك من الشعارات المثالية، وتوجب من الأمانة ما لا يعرفه أي مصلح أخلاقي في الغرب.

وتتيح من الحياة الطيبة ما لا يعرفه الناس كلهم غير المسلمين.

وكتابها أصدق كتاب وأبعده عن التحريف، وهو نسخة واحدة في غرب الدنيا وشرقها، ورسولها عليه الصلاة والسلام أكثر الخلق رحمة وشفقة وقوة وجهادا.

وقبلتها أقدم قبلة، وقد أثبتت الدراسات الحديثة أنها مركز الكون، وكعبتها أكثر أثر في الدنيا زوارا وخلودا، وحرمها أقدم وأقدس بقعة يريد لها الأحزاب الخضر أن تكون طبيعية.

والتراحم بين المسلمين هو السمة في كل مجتمعاتهم بل إنهم ليرحمون غير المسلم أيضا،

والنفس البشرية فيها معصومة لا يحل قتلها إلا بحكم شرعي، والفضيلة فيها مصانة فلا انحطاط ولا دياثة ولا حزام عفّة!!

وسياساتها ليست فن الممكن فقط بل فن المعجز، وعيدها الأسبوعي "الجمعة"، وهو في كل التقاويم قبل السبت والأحد فنحن الآخرون السابقون يوم القيامة، وتوقيت مكة أقدس وأولى من توقيت غرينتش والشهر القمري أدق وأوضح من سائر الشهور.

وعلماؤها أعظم استنباطا من كل علماء الدنيا وشريعتها ربانية منزلة وليست قوانين أرضية بشرية خاضعة لأهواء الناس وبيئاتهم، وصحراؤها خير من غابات الغرب الكثيفة، وهي أكبر مصدر للطاقة الشمسية والرياح، ودينها خير الأديان قاطبة، وحضارتها خير الحضارات، وتاريخها أنصع تاريخ وتشهد لها المركبات الفضائية، والمجاهر المتطورة، والمراصد الكبيرة، وفيها من الأحكام ما يحير الألباب وتعجز عنه عقول كبار الفلاسفة.

فالإسلام كله حق إذ الله تعالى هو الحق، وإنما خلق السموات والأرض بالحق، وأقوى قوة في الوجود هي الحق، والعاقبة دائما للحق.

وكلما تطورت العلوم زادت الأدلة على صدقها، والرسل كلهم حق لا سيما موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم جميعا، والبعث بعد الموت حق.

قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[فصلت:٣٥].

والعبودية الخالصة لله حرية كاملة من الأغلال البشرية، والتوحيد تخلص من أدران الشرك وأوهامه، والسنة نجاة من الوقوع في البدعة والاختلاف.

وعقيدة أهل السنة والجماعة عصمةٌ من السقوط في حمأة الضلال والأهواء وسيرة النبي ﷺ أسوة لكل مؤتس وقدوة لكل مقتد.

وقيم الإسلام هي القيم العالمية الكونية ولا شيء غيرها.

وبذلك يحق لكل مسلم أن يقول:

يا عجبا لسيرك المدلل   تمشي رويدا وتجيء في الأول

فكيف نترك النور ونمشي في الظلمات ونتنكب الصراط المستقيم لنسير خلف المغضوب عليهم والضالين؟

ونتخلى عن منهج الأنبياء لنتبع منهج الفلاسفة؟ ونترك المن والسلوى لنطالب بالبقل والقثاء؟

وندع طريق الجنة لنسلك طريق النار؟ ونلقي بالسيف ليحل محله المحراث والمنجل؟

ونفر من الأمن والرخاء لنقع في الخوف والشقاء؟

ونطيع أمر المفسدين ولا نطيع أمر المصلحين؟

ونتجنب الكرامة والعزة لنرضى بالمهانة والذلة؟

ونفقأ أعيننا لنتبع العميان؟ ونترك اليقين لنرضى بما يظنون؟

ونتخلى عن غيرتنا لنقع في الدياثة؟ وندع الطيبات ونتناول الخبائث؟

ونترك لحم الضأن والجمل لنأكل الجيفة والخترير؟

وندع ماء زمزم لكي نشرب الخمر؟

ونترك ما أحل الله لنا من الأزواج لنعمل عمل قوم لوط؟

ونترك الصلوات اتباعا للشهوات؟ ونتخلى عن لغة القرآن لنرطن برطانة الغربيين؟

وكيف لا نشكر معطي هذه النعم السابغة والآلاء الجليلة بل نعامله بالمعاصي؟

فأين الحياء من الله على الأقل:

هب البعث لم تأتنا رسله وجاحمة النار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق شكران ذي المنة المنعم

ومن أعظم خصائص هذه الأمة أن دينها دين الفطرة، وعليه تقوم حضارتها وعلمها، ومن فطرية هذا الدين وبداهته أنك يمكن أن تشرحه في دقائق معدودات، وإنما يطول الكلام في الرد على الفرق المخالفة التي تنتسب للدين، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

ومن فطرية هذا الدين وسهولته أنه تؤمن به عامة الشعوب كما تؤمن به النخبة المثقفة، فعقيدته شعبية متجذرة في أعماق الشعوب، وليست عقيدة فوقية تحتقر العامة، وتجعل السباق محموما بين الطبقات المتحكمة في السياسة أو المال أو الثقافة لكسب ود الشعوب، وكل الثورات في التاريخ إنما قامت بها الشعوب، كما هي الثورة الفرنسية والثورة الإيرانية وثورات الربيع العربي، ومن الشعوب تتكون الجيوش ومنهم تكون "الكاريزما" التي يكتسبها العظماء، حتى أن أكذب الناس يعمل بهواه ويقول "هذا ما يريده الشعب"، أو الحكَم هو الشعب وتنص الدساتير الوضعية على أن السيادة للشعب وهكذا.

وهذه الأمة ليس لها إلا مكيال واحد للعدو والصديق لنفسها ولأعدائها، وليست كالغرب الذي يكيل بأكثر من مكيال وتزدوج لديه المعايير ويجعل المصالح فوق المبادئ فشريعتها عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها، وما يفعله الغرب شعاراً ليس تحته حقيقة كحقوق الإنسان تفعله هي بأفضل من ذلك لوجه الله تعالى.

وكذا ديمقراطيتهم التي يقاتلونها أو يحاربونها إذا خالفت مصالحهم، فالعالم كله يعرف كيف وصل سلفادور ألندي إلى الحكم ومن الذي اغتاله، وكيف وصل محمد مرسي ومن الذي أعان الانقلابيين عليه، والناس يعلمون أيهما أفضل خالد الجبير أم عادل الجبير؟ ويعلمون أن الخوارج أقل شرا من الروافض، وأن المبتدع الساكت، أقل ضررا من المبتدع الداعية وأن الخطأ خطأ أيا كان فاعله وأن للإمام راتبا من بيت المال ولا يحل غيره وكذا لكل موظف وأن ما زاد عن ذلك فهو غلول أو سرقة.

وشريعتنا الغراء توجب إعطاء رجال الحسبة المال والصلاحيات والأجهزة وكل ما تحتاج إليه، والدولة عندنا دولة وظيفية ولكن وظيفتها أشرف وظيفة وهي إقامة الدين ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١]، ومن الحسبة كل جهة رقابية أو وقائية، وتحرِّم الإنفاق على إحياء الجاهليات كالأسواق والنقوش وآثار الهالكين، فالمال هو مال الله بنص كتاب الله ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣]، ولو قيل للعامي الأمي من الناس إن بعض الناس ينفق على ابنه إذا حفظ كتاب الله ريالا واحدا وإذا لعب بالكرة مئة ريال لقال هذا أب سفيه يجب الحجر عليه!!

ومن فضائل هذه الأمة أن الله اختار أن يكون منطلق الدعوة من جزيرة العرب ذات الخصائص الفريدة، ومنها أنها أكبر جزيرة في العالم، ومنها أنها إسلامية صرفة لا يجتمع فيها دينان ولا قبلتان، فلا يجوز بناء الكنائس فيها ولا بيوتا للنار، كما تفعل دولة الإمارات حين تبني كنائس ومعابد فيها،

وكما تفعل الكويت حين تبني كنائس، ويجب على كل دول الجزيرة منع التنصير منهما، ومنع الدعاية لأي دين غير دين الإسلام، ونشر الإسلام في العالم كله.

ومنها أن فيها مركز الدنيا الذي هو مكة المكرمة، والكعبة المشرفة هي منطلق الحدود، فما كان شمالها فهو شام، وما كان جنوبها فهو يمن.

ومنها أن المسلمين يستقبلونها في مشارق الأرض ومغاربها متجهين نحو الكعبة الشريفة.

ومنها أن فيها الحرمان اللذان لا يجوز تنفير الطير منها، ولا يعضد شوكهما، ولا يختلى خلاهما، وبذلك تكون أسبق بيئة في العالم لحماية الحياة الفطرية.

ومنها أن سكانها هم أفصح الناس لسانا ومنطقا.

ومنها أن القرآن الكريم نزل فيها وبلغة ساكنيها.

ومنها أن الرسول ﷺ بعث فيها وهاجر فيها وغزا فيها ومات فيها.

ومنها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه -وهو الخليفة الذي تشهد الدنيا كلها بعدله والذي أمر النبي ﷺ بالاقتداء به- حدد مدة بقاء المشركين فيها بثلاثة أيام فقط، لكي يشتري منهم المسلمون ما يحتاجون إليه، وعلى ذلك أجمع الصحابة في عهده، فلم ينقل عن أحد منهم في ذلك خلافا، كما خالف بعضهم عمر في متعة الحج، وبيع أمهات الأولاد، وعليه فمن سمح للكفار بالإقامة فيها سنين فهو عاص منتهك لقدسيتها مخالف للإجماع.

ومنها أن أشجارها طبية حتى العُشُر، يقولون أن حليبه مضاد للسرطان.

ومنها أنها موطن الأمم القوية مثل عاد وثمود وسبأ، ومنها هاجرت الأمم القديمة التي شادت حضارات عالمية فيما بين النهرين وفي مصر.

ومنها أنها موطن قريش أشرف قبائل الدنيا.

ومنها أنها مهد اللغة العربية القديمة (السامية) والحديثة

ومنها أن بحرها "بحر القلزم" أكثر بحار الدنيا في الثروات والمعادن وكذا الخليج.

ومنها تقارب ليلها ونهارها في الطول، فكانت بذلك أنسب بلاد الله للصلاة والصيام.

ومنها تنوع تضاريسها ففيها جبال شاهقة وصحاري واطئة.

ومنها أنها أكبر مستودع للطاقة كالنفط والغاز والطاقة الشمسية والرمال.

ومنها أنها سوف تعود مروجا وأنهارا في حين تصبح أوروبا وأمريكا أقاليم متجمدة، إذا عاد العصر الجليدي المنتظر.

ولها خصائص كثيرة منها ما هو معلوم ومنها ما سوف يظهره الله.

من فضائل هذه الأمة التي لا يشاركها فيها غيرها مطلقا أنها تمشي على مهل ولكنها تكون أول الواصلين، وتجمع بين كمال الرحمة وكمال القوة، وبين شدة الوضوح وسعة الحيلة، وبين الأمية والتفوق على العلماء

وهذا يذكرني بمثال واقعي معروف لدى أهل لندن، فقد ذهب الغرور بأحد الخياطين فيها إلى كتابة لوحة دعائية فوق محله تقول "أفضل خياط في العالم"، ولكن جاء خياط مجاور فكتب في شيء من التواضع "أفضل خياط في لندن"، فجاء خياط ثالث أكثر منهما تواضعا فكتب في لوحة "أفضل خياط في هذا الشارع"، والحضارة الغربية تتبجح دائما بأنها أرقى حضارة في العالم، أي أنها مثل الخياط الأول، غير أن في إمكاننا وقد فضلنا الله بهذا الدين العظيم أن نكون كالخياط الثالث؟

- **ومن ميزات الحضارة الإسلامية أنها حضارة جادة في الأصل** وهي تبيح اللهو بحدود وضوابط ولكنها إلى الجدّ أميل، فالكرة مثلا يجوز اللعب بها إذا كان ذلك تدريبا على الجهاد، وأما ما يسمى التشجيع الطائش كما يفعل المشاغبون (الهولي جانز) فلا وجود له في الحضارة الإسلامية، وهي تحقق واقعيا ما يراه غيره مستحيلا.

فالعلاء بن الحضرمي عبر بجيشه البحر.

وخالد بن الوليد بلع السم.

وسعد بن أبي وقاص عبرت خيله دجلة.

وعقبة بن نافع لما أراد بناء القيروان نادى الهوام في بطن الأرض.

ومحمد الفاتح أجرى السفن على اليابسة لكي يفتح القسطنطينية.

ونور الدين محمود زنكي هزم الدول الأوربية لما اجتمعت عليه.

والأفغان على ضعفهم وقدم بنادقهم هزموا التقنية السوفيتية والأمريكية المتطورة، وقطاع غزة الصغير المحاصر هزم إسرائيل مع أمدها به أمريكا من أسلحتها الفتاكة.

وأمثال ذلك يصعب حصره.

ومن واقعيتها أنها تراعي الواقع النفسي والطبيعي للإنسان بقدر الإمكان، فلا تتعالى عليه في نوع من التزمت المقيت أو الزهد البدعي النصراني، كما أنها ترفض الهبوط بالإنسان إلى الحضيض المادي، فلما كان من طبيعة الأنصار حب اللهو قال ﷺ: (ألم يكن معكم لهو؟ إن الأنصار يعجبهم اللهو).

ولما كان من طبيعة الحبشة اللعب بالرماح والحراب في أعيادهم أذن لهم النبي ﷺ بذلك في مسجده الشريف.

ولما كان الغالب على العرب الفقر قال ﷺ لما سئل عن الصلاة في الثوب الواحد (أو لكلكم ثوبان؟).

ولما كان من شأن الصغار اللعب بالعرائس والمجسمات أذن صلوات الله وسلامه عليه لهم بالخيل المجنحة.

ولما كان من شأنهم أيضا محبة الطيور قال لأحدهم: (يا أبا عمير ما فعل النغير).

وقالت عائشة رضي الله عنها لما رقت على كتفه الشريف وشاهدت الحبشة وهم يلعبون في المسجد حتى شبعت: (فاقدروا قدر الجارية الحدثة السن).

ولما كان للجاهليين يومان يلعبون فيها عند تغيّر فصول السنة شرع الله لنا خيرا منهما وهما يوما الفطر والأضحى، وزادنا بكرمه أيام التشريق فجعلها أيام عيد لنا أهل الإسلام.

وأقر صلوات الله عليه وسلامه عليه مجتمع المدينة على ما كان عليه أهله من زراعة أو تجاره، فحين يؤلف الأستاذ محمد فتحي عثمان كتابه "الدين الواقع" فكلامه صحيح من جهة، ولكن الدين للواقع المباح لا لأي واقع، وهو لا يبيح المحرمات ولا يعمل بالفتاوى الشاذة وليست آراء تقدمية في الفكر الإسلامي كما يسميها الأستاذ في كتابه الآخر.

وأقر النبي ﷺ الطبيعة القبلية للمجتمع العربي، وأقر ما كان العرب عليه من حب الشعر والبيان، وأقر آثار الحرب التي لا تخالف الفطرة كالسبي والسلب والتنفيل والغنيمة، وإنما حرم الإسلام ما كان يستأثر به كبير القوم في الجاهلية من أمور عبَّر عنها الشاعر الجاهلي بقوله:

لك المرباع منها والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

وإنما للإمام ما لآحاد الجيش.

وأقر منادمة الأطلال كما هو عادة في الشعر العربي.

ومن مراعاة الواقع التدرج في التشريع فبعض ما كان حلالا أول الإسلام حرم في آخره والعكس، وبعض ما كان جائزا أو مستحبا أصبح فرضا.

وسار الفقه الإسلامي على ذلك، وقرر شيخ الإسلام أن المسلمين إذا كانوا في حالة حرب يختارون القائد الأقوى وإن كان فيه فجور، لأن اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل.

ويختار المسلمون لإمامة الصلاة أفضل الموجود وإن كان بالنسبة لغيره أضعف قراءة وأقل فقها... إلخ، ويقول أهل نجد (مطوع الحنشل منهم).

وأقر بل حث على ما كان لدى العرب من الفضائل الأخلاقية كالكرم والجوار ونصرة المظلوم والشجاعة، والعفاف، واستحياء الموءودة، والإنفاق على القريب الفقير، وحماية العرض، وصيانة الشرف وأقر صلوات الله عليه وسلامه طبيعتهم في إرسال الوفود، وأقر ما كانوا عليه من ضرب العنق بالسيف ورجم الزاني المحصن أو قطع يد السارق وكل ما أوحاه إليه ربه مما كان عليه قومه من خصال الفطرة وسنن الهدى، واتخذ خاتما لما قيل له إن فارس والروم لا يقبلون الكتاب إلا مختوما.

ومن مراعاة الإسلام للواقع تدرج تحريم الخمر، ولم يبن النبي ﷺ الكعبة على قواعد إبراهيم، ولم يمنعه التميز من اقتباس ما لدى الفرس والروم من خير، فلما كان الفرس والروم يغيلون ولا يضير ذلك أولادهم أباح اللمسلمين الغيلة، ولما أشار عليه سلمان الفارسي بحفر الخندق حفره، وحاصر أهل الطائف بالمنجنيق، بل أقر ﷺ الأساليب الأدبية لعصره، حيث كان الشاعر يبدأ بالغزل وشرب الخمر حتى وإن كان لم يعشق ولم يشربها.

وليس من مراعاة الواقع مسايرة الواقع كما هو، إذ نرى القادة الأصوليين في أمريكا يعتدون جنسيا حتى على الأطفال من الإناث والذكور، لأن ذلك عادي في مجتمعهم، بل ذهبت بعض الكنائس في أمريكا وأوربا في مجاراة الواقع إلى حد أن يعقدوا للرجل على الرجل وأن يجذبوا الناس إلى الكنيسة ولو من طريق محرم، كالشذوذ والرقص على أنغام المعازف والتعري واستصحاب الكلاب، وعموما أجاز رجال دينهم للكنائس ما يجوز في الملاهي.

- ومن مميزات هذه الحضارة أنها تجعل بناء الإنسان هو المهم:

فحتى المساجد وهي أشرف من الأبراج والأبنية الأخرى ليس فيها مبالغة، ولا ريب أن المسجد الحرام خير من أبراج نيويورك، وأن بيوت مكة

أشرف من مساكن لندن، والنبي ﷺ بنى مسجده ببساطة، بينما جعل همه الأكبر تزكية نفوس الصحابة بالإيمان الحق والعمل الصالح، فبناء الإنسان هو الأهم، وذلك بحفظ نفسه ودينه وعرضه، وتنمية عقله وتربيته على الفضيلة والإحسان وتعليمه ما يجب أن يفعله، وحثه دائما على الخير والصلة، وكل من يقرأ السيرة النبوية الشريفة، وسير السلف الصالح، يجد الفضائل حاضرة في كل أمر، فالزم هذا ودع عنك ترهات المستشرقين وأكاذيبهم، إذ يجعلون همهم الأكبر الوقوع على الشاذ والخطأ، كالذباب الذي لا يقع إلا على العقر، ولهذا يمجد المستشرقون الشخصيات الضالة، ويضخمون الأخطاء.

فتجدهم يمجدون، الحلاج، ورابعة، والتوحيدي، والجاحظ، وابن عربي والخيام، في حين أنهم يتهمون نبي الإسلام ﷺ وخلفاءه الراشدين وصحابته الكرام، ويشككون في الفتوحات الإسلامية العظيمة، ويتهمون الدولة الأموية بالجبرية، ويتهمون العباسيين بأنهم أمروا بكتابة السنة لأغراض سياسية، ويتهمون الدولة العثمانية بالتعصب، وهكذا.

وإذا أراد الغرب اليوم أن يتحدث عن أي تطور أو تقدم تحدث عن الجسور الكبيرة والأبراج العالية والطرق الواسعة، دون الحديث عن مستوى الأخلاق والفضيلة عند الأمة، وانظر مثلا إلى الدعايات الكثيرة وإلى شعار كل مدينة أو دولة، فتجد ذلك متجسدا في بناء أو تمثال، ويجعل متبوعوهم تلك الأنصاب رمزا للمدينة أو الدولة المتحدَّث عنها، وتأمل كيف أن المسلمين مع اهتمامهم بالأمور المادية جعلوها أمورا ثانوية، وجعلوا القارئ أو المفسر والمفتي أعلى درجة من المهندس والطبيب والفلكي والمعماري، وأمثال هؤلاء من أصحاب المهن، وجعلوا هذه المهن خادمة لما هو أهم منها.

ولما جاء إلى بلاد المسلمين بعض الرهبان قالوا إن هذه الأمة عظيمة حقا، وإنهم يغبطونها على عظمائها مثل عمر بن الخطاب والحسن البصري، وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه جلساءه أن يذكر كل منهم أمنيته، فتمنى بعضهم الأموال لينفقها في سبيل الله وتمنى بعضهم العقار للهدف نفسه،

وأكثروا، فقال عمر: أما أنا فأتمنى أن يكون لي ملء هذا البيت رجالا كأبي عبيدة أقاتل بهم في سبيل الله.

ولا ريب أن أي أمة يتنافس أهلها في البنيان وتضع عباقرتها في السجون، لا تستحق الحياة وهي على درجة عظيمة من التخلف.

ومن الفضائل التي تتميز بها الحضارة الإسلامية في تاريخها حتى في عصور ضعفها وانحطاطها، فضيلة الغيرة والمحافظة على الشرف، وبذل الروح رخيصة من أجل ذلك، وهذا عكْس الغربيين الذي يتميزون بالدياثة إذا قدموا وفي بلادهم، ويرى ذلك كل أحد عيانا، ولا يبالون أن تخرج نساؤهم أو يسرن أمام الرجال وهن كاشفات الشعر والنحر والعضدين والساقين وربما ما هو وراء ذلك.

ولا يبالون أن يسبح نساؤهم وهن يرتدين ما يسمى "المايوه" مختلطات بالرجال ويسمون زنا المرأة حبا، ويزينون لها ذلك وقل أن تخلو منه مسرحية أو فيلم.

والناس في الغيرة أصناف:

١- منهم الغالي فيها بحيث إذا عصت موليته الله ودنست شرفه قتلها ولو أمام الشرطة أو عند باب المحكمة، وكثر ما يسمى "جرائم الشرف" لا سيما عند القبائل في جزيرة العرب، وفي الهلال الخصيب ومعه سائر بلاد أفريقيه، وهذا الصنف يستريب من كل فعل ولو كان عاديا.

٢- المتوسطون: وهم المتبعون للشرع في ذلك فيمنعون أسباب الفاحشة ابتداء، وينهون مولياتهم عن الاختلاط، وإذا شكوا فيما يستوجب الشك عرضوا التوبة كما فعل النبي ﷺ لما افترى المنافقون الإفك، ولما طلبت منه المرأة أن يطهرها، ولما أرسل أنيس إلى المرأة التي زنت مع العسيف، وأمثال ذلك مما يصعب استقصاؤه، وحسبك فيه أن التوبة تجبُّ ما قبلها، وأنها مقبولة حتى من الذنب الأكبر وهو الشرك، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣]، وقال

أيضا: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨] ثم قال لاحقا: ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان:٧٠]، وهكذا.

٣- المفرِّطون وهم أصحاب الدياثة والرذيلة كما تقدم في الغربيين، وهذا مع الأسف ما يشاع في بلاد المسلمين عامة وفي بلاد الحرمين خاصة، وانظرا مثلا قناة العربية ومذيعاتها ومراسلاتها.

- ومن ميزات الحضارة الإسلامية: أنها حضارة لها مقياسها الخاص المتفرد.

فهي ليست كالحضارة الغربية، تقيس الإنسان بمقدار ثروته أو مكانته الاجتماعية أو السياسية، بل لها ميزان خاص، قد يرفع الفقير ويهبط بالغني، وقد يعلي قدر العبد ويذكر مساوئ السيد بعدل، وقد يثني على من يراه الناس محدود الأفق، ويذم من يرونه واسع الفكر وهكذا.

ولعله مما تقدم يتبين لك أن الحضارة الإسلامية هي حضارة عدل وصدق وتوسط واعتدال، ليس فيها إفراط ولا تفريط، ولا اتهام لغيرها بما هو فيها، أو فيها أعظم منه، ولننظر ماذا يقول التاريخ، ولنأخذ مثالا واحدا وهو التطرف كما يقولون:

فمن الذي قتل مئة مليون إنسان في حربين متقاربتين، وأين قامت الدول والأحزاب التي تنكر حتى مجرد وجود الله؟

وأين يوجد أكثر من ٤٠٠ مليشيا إرهابية، تنسف الجسور وتفجر المدارس والملاهي، وتسطو على البنوك، وتقتل الطلاب في الجامعات، وتعتدي على الشعوب الأصلية، وتطالب بالانفصال علنا عن الحكومات الفدرالية، وأين جمعوا التوقيعات للانفصال؟

وأين وصل بعض المتطرفين إلى الحكم وبعضهم ينافس للوصول إليه؟

وبعضهم الآن في المرتبة الثانية، فمن يضمن أنه لن يكون في المرتبة الأولى مستقبلا؟

وأين قُتل المرء داخل قاعة المحكمة على مرأى ومسمع من القضاة والإعلاميين؟

وأين يوجد أكثر من الف تنظيم إرهابي وليس تنظيمين اثنين (القاعدة وداعش)؟

ومن الذي أيّد الدولة العميقة لتنقلب على ثورات الربيع العربي؟

ومن الذي يفرض الحكومات الاستبدادية على الشعوب والمهم عنده هو المصلحة المادية؟

ومن الذي يأبى العدل ويرفض الحق؟

ومن الذي يهدد الأمم المتحدة بمنع التمويل عنها إذا نطقت بشيء لا ترضاه إسرائيل؟

دع الحكومات الغربية وخذ مثالا للحكومات المنافقة التي تراعي ما يقوله الغرب، لا بما يأمر به الله ورسوله، جاءني مرة وزير الأوقاف الجزائري ومعه دبلوماسي آخر وقالا: إن الرئيس بوتفليقة يدعوك لزيارة الجزائر، وتكفل بالتذكرة والإقامة، فقلت: لا مانع لدي بشرط أن أقدم النصيحة للجميع وأقول ما أعتقد ولا يملي عليَّ أحد ما أقول. فخرجا و لم يعودا مرة ثانية.

وهكذا يكره الغرب ومقلدوه قول الحق.

وكما أنه يستحيل وجود إنسان متوحش أي في الغابات الاستوائية، يمتلك حاسوبا "كمبيوتر" متطوراً، يستحيل وجود إنسان غربي متقدم لديه هداية أو نور بغير الصراط المستقيم (الإسلام)، فالإنسان المسلم مع العدل والصدق والأمانة دائما، وهو إنسان طاهر الثياب والفكر يؤمن بالغيب وبكل الرسل ويعطي كل ذي حق حقه، ويحب الخير لكل إنسان.

- ومن ميزات الحضارة الإسلامية وهو من أجلى مظاهر التوحيد فيها: أنها تحتكم إلى شرع الله، وليس إلى الأهواء والنظريات البشرية والقوانين الوضعية.

ومن الضلالات المتفشية في عصرنا أن بعض الناس يظن أن ترك التحاكم إلى القرآن مجرد معصية أو ذنب كسائر الذنوب، أو كفر أصغر، ويتناسى أن ذلك هو مقتضى الشهادتين.

ولكي تكون الدولة مسلمة ولكي تكون حضارتنا إسلامية لا بد أن نتحاكم إلى ما أنزل الله وحده، إذ ذلك كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله حقيقة شهادة أن محمدا رسول الله أي أن ارتباط ذلك بالتوحيد وثيق جدا، وذلك ما يستحق إفراده والإطالة فيه، ونقدم لذلك **بتنبيهات مهمة:**

أ- أن التحاكم إلى شرع الله، أو الحكم بما أنزل الله لا يؤخذ من مادة (حكم) فقط، بل أيضا من المواد المرادفة مثل "اتبع، أطاع، شرع، أمر، آمن، صدّق، اتقى، قضى، كتب، أفتى"، ونحو ذلك، وكذلك بما فيه وصف للقرآن الكريم بأنه "عظيم، وبين، وهدى، ورحمة، وموعظة، ونور، وذكر، وأحسن الحديث"، وكذلك ما فيه دلالة على حال المخالف مثل: "أشرك، تولى، أعرض، كذب، اتبع هواه، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله".

ب- أن أي دولة ينص دستورها على أن دينها الإسلام، فإنه يحق للقاضي المسلم أن يحكم فيها بشرع الله، إذ أن الدستور فوق كل قانون فرعي، ويبطله، لا سيما إذا خالفه، وبذلك حكم قضاة في مصر وغيرها، ولم يخالفوا حكم الله في شيء، والإسلام ليس كالنصرانية المحرفة يفصل الدين عن الحياة أو عن السياسة كما يقال، وليس فيه إسلام سياسي وإسلام غير سياسي، بل هذا التقسيم مبتدع لا أصل له، وهو دليل على جهل قائله بالدين، وقد كان النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون هم الحكام في كل مسألة،

وعلى ذلك سارت كل الدول الإسلامية، وكل علماء الإسلام وفقهائه، وإن نظرةً عجلى إلى أي كتاب فقهي لتدل على ذلك بوضوح، بل انظر إلى فهرست كتاب صحيح البخاري مثلا.

وممن قال ذلك القول المنكر "علي عبدالرازق" و"كرومر" و"هتلر" و"تركي الحمد" وأضرابهم!! فأما علي عبدالرازق فقد كتب "الإسلام وأصول الحكم"، ولكن رد عليه كثيرون منهم الشيخ "محمد الخضر حسين" و"ضياء الدين الريس"، وسحب الأزهر منه الشهادة التي أعطاه.

وأما "كرومر" فقال: "إن الإسلام ناجح كدين وفاشل كنظام اجتماعي" وهو على أي حال نصراني، لا يعرف حقيقة الإسلام، وأما "هتلر" فقد ابتدع فكرة الإسلام السياسي!! وهو كسابقه.

وأما تركي الحمد فهو الذي يردد عندنا مقولة "إسلاموي"!! في الصحف وفي موقعه، وتبعه في ذلك بعض الليبراليين وهم يشعرون أو لا يشعرون، وبعضهم يقول أنا لا أعني التدين في الجملة، وإنما أقصد الإسلام الراديكالي "المتطرف"، وبعضهم يقول أعني الإسلام الجهادي أو الإرهابي! وعلى ذلك قناة العربية وكثير من القنوات.

ج- أن شرع الله هو الأعلى والأرقى والأقوم وهو شرع ثابت أنزله الحكيم العليم، ولا تدخله الأهواء البشرية، وله ميزات ليست في أي شريعة إنسانية أرضية، وما حضرني منها مذكور فيما تقدم، ولا ريب أن الباحث المتخصص سيجد غيرها، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، وقال: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

د- أننا لسنا مخيرين في الأمر، بل شرع الله دين يجب اتباعه، ولا يجوز اتخاذ أي دين آخر غيره، واتباعه هو غاية الحرية الشخصية: قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦]، وقال: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا

مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١]، وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]، ونحن نقول له سبحانه في كل ركعة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، وقد قال بعض السلف: إن قول "كفر دون كفر" مدرج وليس من كلام ابن عباس.

هـ- أنه على فرض صحة تفسير ابن عباس لقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، بأن ذلك كفر دون كفر وأنه ليس مدرجا لنا أجوبة منها:

١- أن ابن عباس ﷺ واحد من الصحابة الكرام، فلو فرضنا أن ذلك مذهبه لم يكن ذلك ملزما لنا، وقد خالفه غيره، بل إن ابن عباس نفسه قد قال: "من كفر بالرجم فقد كفر بالقرآن"، كما روى الحاكم وغيره، وإني لأعجب لمن يكفِّر من كَفر بآية ولا يكفر من كفر بالقرآن كله! وقد دل القرآن كما قال ابن عباس نفسه أن ذلك مما كانوا يخفون من الكتاب.

٢- أن النبي ﷺ أقام حدودا ليست في القرآن، وكذلك خلفاؤه الراشدون، ومنها حد الرجم، الذي أجمع عليه الصحابة، ومنهم ابن عباس كما تقدم، والمسلمون كافة والفقهاء كلهم، و لم يخالف فيه أي أحد، وهو سبب نزول الآيات في سورة المائدة.

٣- أن هذا القول المنسوب لابن عباس قد فسره بعض التابعين كأبي مجلز بأنه رد على الخوارج، الذين يعتقدون أن كل معصية كفرٌ وحكمٌ بغير ما أنزل الله، ولهذا قال أبو مجلز: "ليس الكفر الذي يذهبون إليه"، بل صح ذلك القول عن ابن عباس نفسه، وقد عاصر ﷺ الخوارج بل ناظرهم وأقام الحجة عليهم، وقد فرق العلماء، ومنهم ابن القيم، بين من يعصي الله فيأخذ رشوة، أو يتبع هواه في مسألة بعينها وبين من يعرض عن حكم الله بأكمله.

٤- أن الآية ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤]، في سورة المائدة، وهي من أواخر ما نزل و لم ينسخها شيء كما في تفسير السورة.

٥- أن الكفر إذ عرف بالألف واللام كما في هذه الآية دل على الكفر الأكبر، نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم.

٦- أن من المعروف في علم البلاغة وغيره أن اتحاد المسند إليه دليل على أن المسند مهما تعددت صفاته فهو أوصاف مختلفة لمسند إليه واحد، أي أن الحكم بما أنزل الله كفر وظلم وفسق، كما نص عليه الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبدالعزيز بن باز رحمهما الله، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة:٢٥٤]، وقوله: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف:٥٠].

٧- أن القول بخلاف ذلك إنما يكون في حق المجبور كالمكره المذكور في سورة النحل، أو جاهل الحكم المذكور في سورة التوبة، أو الناسي المذكور في سورة البقرة أو المخطئ كما في سورة الأحزاب والبقرة، والواجب على المسلمين هو إنقاذ المكره، وتعليم الجاهل، وتنبيه المخطئ.

٨- أن الآيات في سورة المائدة إنما نزلت في الكفار كلها، كما ثبت صحيح مسلم عن البراء بن عازب ﷺ، ومن المحال أن يكون من لم يحكم بالتوراة كافرا، ومن لم يحكم بالقرآن عاصيا فقط، والله تعالى جعل القرآن هو المهيمن على الكتب كلها، وهو أفضلها جميعا، وهو الناسخ لما قبله من الكتب، وهو الذي تكفل الله بحفظه وجعله شريعة خالدة إلى يوم القيامة.

٩- أنه لا بد من التفصيل الذي ذكره الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالة "تحكيم القوانين"، وبذلك تجتمع الأدلة كلها ويبطل الجفاء والغلو معًا وحاشا لشرع الله أن يتناقض أو يكذب بعضه بعضا.

١٠- أن من تنكب الطريق الواضح سوف يجد ما يؤيد به كلامه، من تأويل أو قول مرجوح أو شاذ أو ضعيف أو متشابه من القول، وإذا علمنا

أن الأصنام إنما عبدت بالتأويلات الفاسدة، وأن إبليس الرجيم عصى الله بالقياس الفاسد، علمنا أن كل قائل لا بد أن يسند قوله إلى ذلك، لاسيما وأن القرآن نفسه منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات.

١١- أن الظن بأن اتباع شريعة غير شريعة الله لا ينافي أصل الإيمان والتوحيد، إنما هو أثر من آثار الإرجاء، وإن لم يشعر قائله، والدين عند أهل السنة والجماعة قول وعمل أي اعتقاد وامتثال أو إيمان وإذعان وليس مجرد عقيدة قلبية، ومن ضلال المرجئة لهم يخرجون العمل عن الإيمان، وليس هذا موضع البسط في الرد عليهم.

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله ضمن فوائد قصة شعيب عليه السلام مع قومه: "ومنها أن ذلك من لوازم الإيمان وآثاره، فإنه رتب العمل على وجود الإيمان، فدل على أنه إذا لم يوجد العمل فالإيمان ناقص أو معدوم" اهـ، وحسبك من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة:١٤٣]، أي صلاتكم إلى بيت المقدس.

١٢- أن محل النزاع هو هؤلاء الطواغيت من الحكام أو أتباعهم، وهم لا يذكرون الله أصلا، ويعترفون علنًا بالتحاكم إلى القوانين الوضعية، سواء القانون الدولي كما يسمى، أو دساتيرهم أو القوانين الغربية التي لفرنسا وسويسرا مثلا، فمن الحمق سؤالهم: أتفضِّلون هذه القوانين على شرع الله؟ وهم يصفون شرع الله بالتأخر والظلامية! كما أن من غير المعقول في الحياة العامة أن تقول لمن ترك العمل أو الدراسة في مكان وانتقل إلى غيره: هل تفضل هذا الأخير؟ وإنما يقول الناس لمن فعل ذلك لم فضّلته؟

١٣- أن هؤلاء الطواغيت أنفسهم، إذا أرادوا أن يؤيدوا قوانينهم، استندوا إلى الشريعة الغراء تبعا فهم ليسوا جاهلين بها ولكنهم جاحدون، كما كان فرعون وقومه وأهل الكتاب والمشركون الذين خاطبهم النبي ﷺ. قال تعالى: ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ﴾ [النور:٤٩] وقال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، أي لا يعتقدون

كذبك، وقال عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وقال عن أهل الكتاب: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦]، وقال عن المنافقين: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون:١].

١٤- أن التحاكم لغير شرع الله، هو منازعة لله في ألوهيته التي من خصائصها التشريع والتحليل والتحريم، ونفي لكونه تعالى: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:٢-٣].

١٥- أن التحاكم إلى غير شرع الله هو افتراء على الله، وإن لم ينسبه صاحبه إلى الله. قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [النحل:١١٦] وقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٤٠]، وقال حكاية عن قول موسى عليه السلام لفرعون وقومه: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه:٦١]، فمن شرّع فقد ادعى أنه إله مع الله أو من دونه! بل إن القرآن ليدل على أن ذلك دأب كل ضال مفتر، قال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا﴾ [الأعراف:٨٩] وهكذا يمكنك اليوم الحكم على الغرب ومن أتبعه بأنهم مفترون على الله، وقرر العميد القانوني "دوجي" إنه لا يشرع للناس إلا من خلقهم"، وقد صدق هذا القانوني، فكيف يخضع البشر للبشر، وكيف يشرع للناس من لا يعلم الغيب ويموت، وليس بيده مقاليد السموات والأرض..إلخ ما ينبغي أن يكون صفة للمشرع وهي لله وحده، وانظر إلى الصفات الإلهية المذكورة في سورة الزخرف، وليست صفة الخلق إلا إحداها.

١٦- أن من الشرك طاعة هؤلاء المشرعين وترك شرع الله القويم: قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]، وقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزُّمَر:٢٩]، وقال: ﴿ثُمَّ

جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨] فالقسمة ثنائية إما شرع الله المحكم المطهر وإما اتباع أهواء الجاهلية وإن ادعى أهلها أنهم متحضرون متقدمون!

ومما يدلك على أن القسمة ثنائية قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، فإما حكم الله وإما حكم الجاهلية ولا ثالث لهما، غير أن مما يجب التنبه له أن الجاهليين لا يسمون أحكامهم جاهلية، فكيف بالجاهليين المعاصرين الذين يدلسون على الناس بمصطلحات أخرى، كالقوانين المتقدمة، وقرارات هيئة الأمم المتحدة، وأحكام القانون الدولي والمجتمع الدولي والأسرة الدولية أو إجماع العالم!! ومن هذا الشرك قول بعض الناس أنا مسلم ليبرالي أو أنا مسلم اشتراكي أو أنا مسلم تقدمي وما أشبه ذلك من العبارات الشركية. وإنما الدين عند الله الإسلام ولا يحتاج الإسلام إلى إضافة أخرى، ولا إلى قسمة تجعل بعضه متقدما وبعضه متأخرا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣].

١٧- أن تلك الرواية عن ابن عباس ضعّفها بعض العلماء قديما وحديثا، ولو تنزلنا جدلا وقلنا إن الحكم بغير ما أنزل الله مجرد كفر أصغر، أليس الكفر أعظم الكبائر وهل هو الكفر الوحيد من الناس؟ ألا يستوجب ذلك نصح فاعله بصدق، والتحذير منه؟ وهل كان الشيوخ الأجلاء كالشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ الأمين الشنقيطي يكررون الكلام عنه عبثًا.

وإليك شيئا مما يوضح وجوب التحاكم إلى شرع الله:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠]، تدبر هذه الآية وانظر كيف سمَّى الله إيمانهم زعمًا -أي أنه لا حقيقة له- وكيف علَّق الحكم على مجرد الإرادة وليس على الفعل نفسه، وكيف أنهم مأمورون أن يكفروا بالطاغوت، فالإيمان به دليل على أن فاعل ذلك ليس بمؤمن، وأنه

إن كان مسلما قد ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام، قال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة:٢٦٥]، والعروة الوثقى هي شهادة ألا إله إلا الله، والتحاكم إلى شرع الله مرتبط بأصل الدين وبكلمة الشهادة نفسها قال شيخ الاسلام ابن تيمية: والشهادة بأن محمد رسول الله تتضمن تصديقه في كل ما أخبر وطاعته في كل ما أمر"..الخ وبهذا عرَّف الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالته تحكيم القوانين وقال: (فأي كفر فوق هذا الكفر؟ وأي مناقضة لشهادة أن محمدا رسول الله فوق هذه المناقضة؟").

والتحليل والتحريم حق لله وحده، حتى الرسول ﷺ لا يملك ذلك بل صرح بنفيه عنه قائلا: "إني لا أحل حراما ولا أحرم حلالا"، ولما حرم صلوات الله وسلامه عليه على نفسه بعض الطعام لا على سبيل التشريع، عاتبه ربه قائلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم:١].

وقال شيخ الإسلام أيضا: "لا بد في الإسلام من الاستسلام لله وحده وترك الاستسلام لما سواه وهذا حقيقة قولنا لا إله إلا الله"، وإلى الله وحده يرد التراع ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، والرد إلى ذلك غير ما أنزل الله شرك بالذي لا يشرك في حكمه أحدا.

ويربطه الإمام ابن القيم بالرضا الذي هو شرط من شروط لا إله إلا الله فيقول:

"وأما الرضا بنبيه رسولا، فيتضمن كمال الانقياد له والتسليم المطلق إليه، بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتة". وقال في شرح الرضا بالدين: "وأما الرضا بدينه فإذا قال أو حكم أو أمر أو نهى رضي كل الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلم له تسليما، ولو كان مخالفا لمراد نفسه أو هواه أو قول مقلّده أو شيخه أو طائفته".

كما نص على أن قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥] يشمل مراتب الدين كلها، (فالتحكيم في مقام الإسلام وانتفاء الحرج في مقام الإيمان، والتسليم في مقام الإحسان).

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في شرحه لكتاب التوحيد الذي سماه "تيسير العزيز الحميد": (لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة ألا إله إلا الله مشتملا على الإيمان بالرسول ﷺ وذلك هو الشهادتان.... نبّه في هذا الباب على تضمنه التوحيد واستلزامه تحكيم الرسول الله ﷺ في موارد النزاع، إذ هذا هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ولازمها الذي لابد منه لكل مؤمن، فإن من عرف شهادة ألا إله إلا الله فلا بد له من الانقياد لحكم الله، والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد ﷺ، فمن شهد ألا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول ﷺ في موارد النزاع فقد كذب في شهادته).

وكلامه هذا دال بوضوح على خطأ من يظن من أتباع الدعوة السلفية أنها محصورة في شرك القبور ودعاء الصالحين، كما يدل على أن الذين يفتتحون كليات أو أقساما للقانون إما أنهم لا يعرفون معنى "لا إله إلا الله وإما أنهم يخالفونها عن علم!.

ولمعرفة ما قرره علماء الدعوة ومن سار على طريقهم، وما قاله العلماء والدعاة المعاصرون في ذلك ينبغي قراءة ما كتبه الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالة "تحكيم القوانين".

وكذا ما سطره الشيخ عبدالعزيز بن باز في كتيبه "وجوب تحكيم شرع الله" وفي مجموع فتاواه ومقالاته، حيث المنهج الوسط الذي لا جفاء فيه ولا غلو.

وكذلك ما قاله العلماء والدعاة في هذا العصر كالشيخ أحمد شاكر وأخيه محمود، والشيخ عمر الأشقر، والشيخ عبدالرحمن عبدالخالق، والشيخ

صلاح الصاوي، والشيخ عبدالحميد بن باديس وعلماء الجزائر، والمستشار علي جريشة، والأستاذ أبو الأعلى المودودي، والشيخ أبو الحسن الندوي، والشيخ حامد فقي، والشيخ عبدالرزاق عفيفي، والشيخ عزت إبراهيم، والشيخ جعفر شيخ إدريس، والشيخ تقي الدين الهلالي، والأستاذ سيد قطب وأخيه، والشيخ علال الفاسي، والشيخ عبدالسلام ياسين، والشيخ حسن البنا، والشيخ عصام العطار، والشيخ سعيد حوى، والأستاذ مالك بن نبي، وكل من دعا إلى نبذ العلمانية والمذاهب المستوردة كالأستاذ أنور الجندي والأستاذ محمد ناصر الاندونيسي، والشيخ الميلي الجزائري والشيخ يوسف القرضاوي، وعلى هذا بعض المعاصرين له المشتغلين بالحديث كالشيخ عبد الله السعد، والشيخ سليمان العلوان.

والله تعالى قال في أول نهي في القرآن: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢].

وذكر شيخ المفسرين الطبري أن الندّ هو العدل، وقد جاء نفي العدل عن الله وإثبات أن ذلك شرك يفعله المشركون في سورتي الأنعام والشعراء، وكل ذلك من التقديم بين يدي الله ورسوله المنهي عنه في سورة الحجرات.

وذكر الطبري أن بعض العلماء ذهب إلى أن الطاغوت هم السادة والكبراء الذين كانوا يعظموهم كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧].

ثم قال في ذلك كلاما فاصلا جامعا: "والصواب عندي في الطاغوت أنه كل ذي طغيان على الله، عُبد من دونه، إما بقهر لمن عبده، وإما بطاعة من عبده له، إنسانا كان ذلك المعبود أو شيطانا أو وثنا أو صنما أو كائنا ما كان من شيء"اهـ.

أقول: وهذا يشمل النظريات والفلسفات التي يبتدعها أصحابها بعيدا عن الوحي، وكذا كل أمر معنوي اتبعه بعض الناس من دون الله ورسوله، وقد جعل ابن القيم رحمه الله من ذلك (طاغوت المجاز وطاغوت التأويل).

وأكبر الطواغيت هو من ادعى الألوهية قديما كالنمرود وفرعون، ومن دعا الناس إلى اتباع كلامه حديثا، كزعماء الشيوعية والرأسمالية وسائر من اتبعهم من الحكام شرقا وغربا.

ومن التقديم بين يدي الله ورسوله، وطاعة شرع غير شرع الله، الاعتراض على حكم الله في قضية المرأة، أو في قسمة المواريث، أو في أي حكم يدل على أن المعترض غير راض بما قسم الله.

وقد بين الطبري أن من لم يرض حكم الله يصير مرتدا كافرا، وقال: "إن المعترض يصير من أهل الخلود في النار، وهو باستنكاره حكم الله في تلك (أي القسمة) يصير بالله كافرا ومن ملة الإسلام خارجا".

فالأمر إذن في منتهى الخطورة وقد أيد كلامه الحافظ ابن كثير في تفسيره فقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:١٤] "لكونه غيّر ما حكم الله له، وضاد الله في حكمه وهذا إنما يصدر عن عدم الرضا بما قسم الله وحكم به".

ومثله من حكم ببعض القرآن دون بعض، أو رضي بحكم الله في أمر، لكن لم يرض به في آخر كما فعل المشركون واليهود، قال الله عن المشركين: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١]، وقال عن اليهود: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٥-٨٦].

فانظر كيف سمى الله تركهم العمل ببعض كتابه كفرا وتوعدهم على ذلك بأشد العذاب الذي لا يخفف وجعل ذلك شراء للحياة الدنيا بالآخرة.

وإنما أنزل الله الكتب لكي يحكم الناس بها، وأوحى إلى عبده ورسوله محمد ﷺ بذلك قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣] وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥].

والتحاكم إلى أي شرع غير شرع الله إيمان بالجبت والطاغوت، حتى وإن كانت أحكام هيئة الأمم المتحدة، أو قوانين الدول التي تسمى متقدمة.

قال الإمام الطبري رحمه الله: "والصواب من القول في تأويل ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء:٥١] أن يقال يصدقون بمعبودَين من دون الله يعبدونهما من دون الله، ويتخذونهما الهين، وذلك أن الجبت والطاغوت اسمان لكل معظم بعبادة من دون الله أو طاعة أو خضوع له، كائنا من كان ذلك المعظَّم من حجر أو إنسان أو شيطان".

ومن زعم أن الجبت والطاغوت هما أبو بكر وعمر كما قرأناه في دعاء الرافضة المسمى دعاء صنمي قريش فقد افترى وقال الباطل.

والأصنام دعا أبونا إبراهيم عليه السلام ربه أن يجنبه وبنيه عبادتها، هكذا مطلقة، فتشمل كل صنم حجرًا أو بشرًا أو حيوانًا أو فكرةً، كما ذكر الطبري وشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في معنى الطاغوت وشموله.

وبعض المتحذلقين يستنكر تسمية الحضارة الغربية حضارة جاهلية ظنا منه أن الجاهلية مرحلة زمنية انتهت، والواقع أن الجاهلية مرض يعتري القلوب في أي زمان ومكان ويجعلها تعرض عن شرع الله وهداه، ويجعل حياتها ظلاما وطريقها عمى، وحكمها طاغوتيا، وفيها تقل آثار النبوة أو تضمحل، وقد تكلّم شيخ الإسلام ابن تيمية عن جاهلية مشركي الترك والديلم في زمنه، أما في زماننا هذا فقد غلبت الجاهلية الغربية لا سيما الجاهلية الأمريكية.

وهذا المرض يعتري النفس الإنسانية، بل ربما أصاب المسلمين، وكانت عاقبته النفاق الأكبر، وقد قال اليهود قديما "لن نسبق أحبارنا بشيء" واليوم يقول بعض المسلمين "لسنا أفقه من علمائنا" ويعنون بذلك علماء السلاطين، فأهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، فاتخذ اليهود شماي وهليّل، واتخذ النصارى قرارات المجامع وأوامر البابوات، وهؤلاء اتخذوا بعض ما يعلمون عن شيوخهم قدوة لهم، والجميع يقرأون كلام الله ورسوله صريحا لا لبس فيه ولا غموض ولا يحتاج إلى شارح له، ولكنهم يعرضون عن الكتاب والسنة ويتبعون أقوال الرجال.

وإنما الكلمة السواء، التي أمر الله أن ندعو إليها أهل الكتاب، هي ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[آل عمران:٦٤] أي لا يطيع بعضنا بعضا في مخالفة أمر الله، واتباع شرعه، ولا يتبع بعضنا بعضا في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله، نص على ذلك ابن أبي حاتم والطبري وابن حزم والقرطبي وابن كثير والعسقلاني والألوسي.

وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]: (ومن هدي القرآن للتي هو أقوم، بيانه أن كل من اتبع تشريعا غير التشريع الذي جاء به سيد ولد آدم، محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه، فاتباعه لذلك التشريع كفر بواح مخرج عن الملة الإسلامية).اهـــ.

وللشيخ أيضا كلام عظيم عند قوله تعالى: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:١٠] وغيرها.

وأما اتباع الهوى والانتقاء من شرع الله ما يوافق السياسة، أو ترضى به البطانة، أو تصدق به الشعوب المخدوعة، فهو شأن اليهود الذين قالوا كما ذكر الله عنهم: ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة:٤١]،

ومثله ما يصدره مجلس الأمن الدولي -كما يسمى- من قرارات، أو يجمع عليه الغرب.

والمؤمن لا خيار له ولا انتقاء لديه وإنما عليه السمع والطاعة لأمر الله ورسوله فيما أحبت النفس أو كرهت ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥]، و﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١].

فانظر أخي المسلم إلى مترلة التحاكم إلى الشرع من التوحيد، وقارنه بالغزو التشريعي الذي نعاني منه اليوم.

والذين يعارضون رسالة النبي ﷺ بأهوائهم، هم في الحقيقة يرفضون حكم الله ويقدمون بين يدي الله ورسوله، أو يرفعون أصواهم فوق صوت النبي ﷺ، وقد نهى الله عن التقديم بين يدي الله ورسوله ورفع الصوت فوق صوته، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥].

والحكم بغير ما أنزل الله كفر وظلم وفسق، إذ المسند إليه واحد كما تقدم.

وهذا هو التفسير الصحيح الذي قال به العلماء المعتبرون، كالشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله- في "أضواء البيان" والشيخ عبد العزيز بن باز في كتابه الذي طبع مرات بعنوان: "وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه" حيث قال فيه: "والتحاكم إلى الطواغيت والرؤساء والعرافين ونحوهم ينافي الإيمان بالله عز وجل وهو كفرٌ وظلمٌ وفسق".

وقال عليه رحمة الله: "ومما تقدم يتبين لك ايها المسلم أن تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه مقتضى العبودية له والشهادة بالرسالة لنبيه محمد ﷺ".

إلى أن يقول: "سواء كان ذلك بين دولة وأخرى أو بين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فالله سبحانه له الخلق والأمر وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله، أو تماثلها أو تشابهها، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدا أن أحكام الله خير وأكمل وأعدل".

أي أن الشيخ ابن باز رحمه الله لا يخرج عن كلام شيخه محمد بن إبراهيم رحمه الله، في أن تحكيم القوانين من الكفر الأكبر المستبين، وأنه مناقض لشهادة أن محمدا رسول الله.

وإذا كان التحاكم لغير الشرع ناقضا للشهادة فمن الطبيعي أن لا تجد ذكره في عقائد الأئمة رضي الله عنهم، التي تذكر أهل الإيمان لا أهل الكفر، وبذاك يكون من لم يذكره من علماء المسلمين المتأخرين قد أخلّ بهذا الأصل العظيم، أما حكومات السوء فمن الطبيعي أن تحاربه وتتهم أهله.

وحكم من حرم الحلال وأحل الحرام هو كما قال الإمام أبو محمد بن حزم "كافر مشرك بالإجماع".

ومن كفر بالشرع فقد كفر بأهل الدين مع أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة على الصحيح وكما هو ظاهر القرآن، ولا يجوز تحريف أصل الدين ولا شيء من شريعته كما فعل اليهود، ومن الأدلة على أن الشريعة لا يجوز تبديلها وإن حرف الكفار دينهم وبدّلوا فيه، أن دين اليهود باطل إجماعًا، ومع ذلك لا يُقرون على دينهم المبدّل كالاستعاضة عن الرجم بالجلد والتحميم، أو بالإحراق كما تقول بعض طوائفهم، وتنص توراتهم، وإنما حكم الله في التوراة والقرآن والسنة هو الرجم، قال تعالى: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ﴾ [المائدة:٤٣] فالمسألة اتباع لما شرع الله وحكم بما أنزل وليست تبعًا للهوى، وما تراه العقول البشرية مصلحة على الطريقة

اليهودية ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُوا﴾ [المائدة:٤١] أي إن حكم محمد بالجلد والتحميم فاجعلوه حجة لكم عند الله، وإن حكم بغير ذلك فلا تأخذوا به.

وإحدى فرق اليهود المعروفة اليوم ضمن طائفة (الحسيديم أو السيديم) تحرق الزانية ولا تفرق بين أن تكون بكرًا أو محصنة، ثم جاءت الإباحية الغربية بغير ما يعتقد كلا طائفتي اليهود وورثتهم النصارى فجعلت الزنا حبًا لا يجوز تحريمه، ومن عاقب عليه فهو متأخر وظلامي.

وأصبح الغربيون ديايث يرضى أحدهم الفاحشة في موليته وبذلك لم تعد تلك الحضارة دينية وإن كانت تتعصب لدينها، وحكم الله على من يغير حكمه بالكفرة واقرأ الآيات من الآية الواحدة والأربعين من سورة المائدة حتى الآية الخمسين بتدبر في ذلك واحذر كلام المرجئة وأشباههم ممن يقول إن ذلك كفر أصغر فقط.

وليس حد الرجم اليوم مطبقًا في السعودية وحدها كما يزعمون بل يقام في باكستان والسودان والصومال والشيشان والولايات الشمالية في نيجيريا وبعض ولايات ماليزيا، وكثير من الدول تقتل الزانية كما في الأردن ومصر ... فالمحاكم القانونية في واد والمؤمنون في واد آخر، ونظرية الحق يجب أن يكون مصدرها غير بشري كما قال العميد "دوجي".

فلا أحد من الولاة أو العلماء يحلل أو يحرِّم، حتى الرسول ﷺ قال: (إني لا أحل حراما ولا أحرم حلالا).

فهذا حق لله وحده والرسول ﷺ مجرد مبلغ عن الله، والفقهاء إنما عملهم الاستنباط مما جاء به الرسول ﷺ وعمله خلفاؤه الراشدون.

وبمقتضى ذلك يكون الشرك -الناقض الأول من نواقض الإسلام- أوسع مما يظن البعض، وهناك نواقض أخرى جعلها الشيخ محمد بن عبدالوهاب عشرة، وشرح كلامه عدد من العلماء منهم الشيخ عبدالعزيز بن

باز والشيخ محمد العثيمين والشيخ محمد البراك والشيخ الراجحي والشيخ صالح الفوزان وغيرهم.

ولا حجر على من جعلها أكثر من ذلك أو أقل، وإنما المطلوب من المسلم هو اجتناب أي ناقض لإسلامه وأي خادش لتوحيده.

ثالثا

موجز للتاريخ العقدي الإسلامي

لكي تكون مقارنتنا بين الحضارتين عادلة، ولكي نعرف أسباب ما يقال عن تأخر المسلمين وتقدم غيرهم، لا بد من استعراض التاريخ العقدي في الإسلام موجزا، وبيان درجة الانحراف عن الكتاب والسنة، والفرق التي أثرت في الحياة الإسلامية وجعلتها لقمة سائغة للغرب.

ويحسن بنا قبل الحديث عن موجز التاريخ العقدي الإسلامي، ونشأة الفرق، أن نتحدث بإيجاز عن الماسونية، التي هي حركة هدامة سرية، فكثير من الناس يضخّمون كيد الشيطان أو العامل الخارجي، مع أن هؤلاء لو قرأوا القرآن لوجدوا أن هذه ما هي إلا بعض العقوبات، وأن المشكلة هي ذنوبنا نحن ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]، أما الشيطان فقد قال تعالى عن كيده: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

الماسونية:

تنكر المخابرات الأمريكية -فيما قرأت- وجودها، ومن ذلك أن "جيرالد بوست" رئيس قسم البحث النفسي فيها أنكرها، وتقول إنها خرافة، وإنه لا يؤمن بها كما تزعم إلا من يؤمن بنظريه المؤامرة، وأظن أن أفكارها من تأثير اليهود إذ لم يعهد أن الأمريكان تركوا الانحياز لليهود.

والواقع أن الماسونية ليست وليدة العصر، بل هي من عصور سابقة، ولها محافلها القديمة ويدّعون أنهم "بناؤون أحرار"، وأن الأحداث الكبرى في العالم من صنعهم، وقد انضم لها بعض المخدوعين من العلماء والدعاة والحكام، وأفكارها قديمة منها القول بحرية التدين وأن كلا يعمل في دينه ما يشتهي.

ومن السذاجة الظن بأن كل غربي -عاملا أو موظفا- يعلم ما يكنه حكام الغرب ورؤساء شركاته من عداوة للإسلام وما يضمرونه للمسلمين من الكيد، وقد يعمل المرء في الماسونية دون أن يطلع على ذلك، فيصدق ما تقوله المخابرات الأمريكية، والأنصار رضي الله عنهم لما كانوا على درجة

عالية من الذكاء والعبقرية سكت الذين بايعوا منهم ليلة العقبة وتركوا من لا يعلم يحلفون.

ولا أحصي مَن كتب عن الماسونية أو تحدث عنها ومن حذرني منها، ومنهم من يعيش في بلاد الغرب من المسلمين وهم يعرفوها جيدا، وبعضهم أخبرني أنه انضم إليها قبل أن يهتدي، ومحافلها مشهورة معروفة، ويدّعون شفاء المرضى وعلاجهم، وممن انضم إليها من المسلمين "محمد بكتال" الذي ترجم معاني القرآن، ثم هداه الله وأسلم فتركها.

ومن فروعها "الماسونية الملوكية"، ويقولون إن بعض الملوك كانوا أعضاء فيها وأن الملك فلانا قد بلغ الدرجة الثالثة والثلاثين، كما أن من فروعها نوادي "الليونز والروتاري" وقد يحضرها بعض الزعماء، وهذه الفروع علنية معروفة في كثير من العواصم وقد قرأت عنها الكثير، ويعتقد الماسونيون أن هدفهم بناء الهيكل المزعوم، وأن سليمان عليه السلام أول الماسونيين –وحاشاه من ذلك–، وهنا يظهر الأثر اليهودي فيهم.

وبعض الماسونيين يصرحون بأسمائهم وقد قرأت كتبهم وهم معروفون أيضا، منهم اللبناني "حنّا أبو راشد"، فكيف ينكر وجودها عاقل؟

ونحن نسمي الأشياء كما سماها الله (كيدا أو مكرا أو إفكا أو افتراءا أو حسدا واستكبارا وجحودا)، وكل ذلك عند أهل الكتاب مهما خدعونا بالديمقراطية وحرية الرأي والعقيدة، وحسبك أن ذلك صريح عند طائفة منهم، وعند قادهم وكبرائهم، وكلما أرادوا الحق أزّهم الأفعى اليهوية أزّا، ولا نقول بنظرية المؤامرة التي يعتقدون، ولكننا أيضا لا ننكر وجود مؤامرة على الإسلام والمسلمين، كما أن اليهود أنفسهم يختلفون فيما بينهم وربما كان المنكر لها صهيونيا والمثبت لها غير صهيوني.

والشيخ عبدالرحمن الدوسري –رحمه الله– كان كثير الحديث عن الماسونية ويذكر بعض من يتبعهم سراً، وأذكر من الدعاة الذين كانوا يتحدثون عنهم الشيخ محمد محمود الصواف الداعية العراقي المعروف عليه

رحمة الله.

وممن كتب عنها محمد علي الزعبي، وأبو إسلام أحمد عبدالله، وعبدالله التل، والداعية المغربي عبدالسلام ياسين، وكثيرون غيرهم، ومما ينبغي أن يعلم أن في الماسونية من لا يعرف حقيقتها، وهكذا كل عصابة إجرامية بل وغير إجرامية، والماسونيون ينشئون منظمات للأطباء وللنساء والشباب ويتسترون دائما بدعوى الإنسانية والعمل الخيري المجاني.

ونحن إذْ لا نؤمن بخرافات أمريكا وما يقوله بعض كتابها، لا نضخم نظرية المؤامرة ولا ننكرها، فهي من الكيد الذي يكيده الأعداء، وإذا صبرنا واتقينا لم يضرنا كيدهم شيئاً، مع أن مكرهم ﴿لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]، ولسنا اليوم في عصر المؤامرات بل في عصر تطبيق المؤامرات، وكل المؤامرات هي من كيد الشيطان الضعيف، الذي قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

وهذا الغرب تكثر فيه المنظمات والحركات السرية، وبعضها وجه ماسوني آخر، ومن هذه الحركات الهدامة "الصليب الوردي" و"اليسوعية" و"أصحاب الأيكة" المعاصرين الذين كان يؤيدهم "بوش الأب" وقائده الهالك "شوارسكوف"، وقد رأيتهما في إحدى الصحف الأمريكية عاريين ويغلب على ظني أن ذلك من شعائر "أصحاب الأيكة" في ولاية "كاليفورنيا" ضمن تأييدهما لهم، وكذلك منظمة "البناي برث" ونوادي "اليوغا"، كما يعملون على نشر الحلول والاتحاد في ثوب جديد، وبعضهم يستخدم "البرمجة اللغوية العصبية" تستّراً.

وقد حرم المجمع الفقهي بمكة المكرمة الانتساب للماسونية، وممن وقّع على ذلك الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله كما حرم الفاتيكان ذلك.

والماسونية تؤمن بتعدد الأديان وأن أصلها واحد كما كانت البوذية والهندوسية قديماً، وكذا الحلاج وابن عربي في تاريخنا.

أما التاريخ العقدي للإسلام فهاك بعض ملامحه:

بعث الله محمدا ﷺ والناس في جاهلية جهلاء وظلام مطبق، يعبدون الأصنام والأوثان والجن والملوك والملائكة والكهان، ويتبعون ما عليه الآباء والأجداد والقبيلة ولو كان باطلا، وقد كان فيهم الفلاسفة والحكماء والشعراء، وفي العرب أهل الكرم والحلم والشجاعة والباحث عن الدين الحق، وتارك شرب الخمر، ومنهم من يجير المستجير، ومنهم من يغيث الملهوف ويكفل الموؤودة ويمنع أن توأد، ومنهم من يجتنب الزنا والفواحش، ولكن الكثرة المسيطرة منهم غافلة عن البعث والقيامة وتوحيد الله وإرادة وجه الله والدار الآخرة، واستغفار الله تعالى من الذنوب، والاشتغال بعيوب النفس عن عيوب الآخرين، وفيهم من الصفات ما أقرهم الإسلام عليه مثل الشجاعة وإكرام الضيف والفطرة السليمة، وفيهم كثير من المحامد والمساوئ، ومن مزاياهم أن شركهم كان ساذجًا يعلم كل عاقلٍ بطلانه، ولما أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير لتعليم أهل المدينة قبل أن يهاجر كان أهلها يسلمون بسهولة، وأسلم الطفيل بن عمرو بمجرد سماع النبي ﷺ، ونزع القطن من أذنيه، وأسلم ضماد الأزدي بمجرد سماعه خطبة الاستفتاح.

وكان العرب يترفعون عما يفعله المجوس، من نكاح المحارم، وعما يعتقده النصارى من أن المسيح هو الذي خلق السماوات والأرض، ولم تعقِّدهم الفلسفات الكفرية، كما عند اليونان والرومان، ولم يكن لديهم نظام للطبقات كما كان في الهند.

وجاءهم ﷺ بالنور من عند الله فأخرجهم من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، وأوذي في الله واتهمه الكافرون والمنافقون، فصبر على ذلك كله، وأقرَّ ما لدى العرب من الفضائل وأنكر الرذائل، وتمم مكارم الأخلاق، ولما أظهره الله ونصره عفا عمن كذبه، وصفح عمن آذاه، وقد جاهد في الله

حق جهاده، وكان ﷺ شديد الإنكار على البدعة وأهلها، ويحذر المسلمين منها، ولما أراد بعض الصحابة أن يتركوا اللحم أو يتركوا الزواج أو يصوموا الدهر، كما فعل الثلاثة الرهط، أنكر ذلك النبي ﷺ، وقال: (ولكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني).

وكانت حياته وسيرته ﷺ من أجلى الأمثلة على ذلك، فكان نعم القائد ونعم الزوج ونعم المربي، وكان قدوة في كل أمر، وقال له ربه تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وكان المشركون في الجاهلية يسمونه الصادق الأمين، وفي الإسلام كتبوا له "ما عهدناك إلا وصولا للرحم"، وقد وسع حلمه صلوات الله عليه وشفقته أعداءه، حتى رأس النفاق عبد الله بن ابي بن سلول فترفق به و لم يعاقبه.

وعلى منهجه سار الشيخان الكريمان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد أمر ﷺ بالاقتداء بهما، وكان حالهما مع الدنيا كما قال أحد السلف الصالح: أما أبو بكر فلم يرد الدنيا و لم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا و لم يردها، وكانا مع زهدهما عابدين تاليين للقرآن يريدان وجه الله، و لم يؤثرا أحدا من قرابتهما بشيء، بل إن أبا بكر لم يول أحدا من بني تيم، وعمر لم يول أحدا من بني عدي، وعلى المنهج النبوي وسيرة الشيخين سار الصحابة الكرام، فكانوا جيلا فريدا ليس بعد الأنبياء أكرم ولا أفضل منه، وكانوا أشداء على الكفار رحماء بينهم، وكان الصحابة الكرام بشرا كسائر البشر يخطئون، ويحبون المال وفيهم السرعان وفيهم من هو للأعرابية أقرب ولكنهم كانوا مجاهدين للكفار، وعاملين في كل ميادين الحياة التي مكنهم الله تعالى منها، فمنهم الفلاح ومنهم التاجر ومنهم صاحب المهنة، ومنهم من قال: "دلوني على السوق"، ومنهم أهل الصفة، وكان منهم الغني والفقير و لم ينكر أحدهم على صاحبه، وتلك قسمة الله في خلقه، والجميع متبعون للسنة، موافقون لما في كتاب الله تعالى، فلم يكن فيهم مبتدع ولا ضال عن الحق، وكانوا رضي الله عنهم أجمعين أئمة مجتهدين، يقولون ما يعتقدون أنه الحق

ويصدعون به، ولا يخافون في الله لومة لائم، ولا يمنعون أحدا عن إبداء رأيه، ويتفقون على متابعة الكتاب والسنة قلّت رواية أحدهم أو كثرت، ولم يكن فيهم من يكذب على الله ورسوله مطلقا، بل لا يعرفون الكذب على أحد من البشر مسلما أو كافرا، والحكمة ضالتهم جميعا، وكانوا هداة مهتدين قليلي التكلف، وفي كلامهم القليل علوم نافعة كثيرة، وكان أحدهم جامعة متحركة، يرجع الناس إلى من وجدوه منهم فيجدون الخير والبركة والإحسان واليسر، وحسبك بقوم رباهم رسول الله ﷺ، وهو أعظم المربين وسيد المعلمين، وكل من جاء بعدهم عالة عليهم، ومن وصف ابن مسعود لهم ".. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه ﷺ"، ومن وصف الشافعي لهم ".. واختيارهم لنا خير من اختيارنا لأنفسنا"، ولما سئل بعض السلف أيهما أفضل معاوية أم عمر بن عبد العزيز؟ قال: "تراب في منخر معاوية لصحبته رسول الله ﷺ خير من عمر بن عبد العزيز".

وفي عهد الخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه ظهرت فرقتان.

الأولى: الزنادقة وهم غلاة الروافض وأتباع عبدالله بن سبأ اليهودي، الذي أراد أن يغير دين الله كما بدل "بولس" اليهودي دين المسيح عليه السلام، وكان الزنادقة يقولون له: أنت هو، قال علي: من هو؟ قالوا أنت الله -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-، فحرّقهم بالنار، أما ابن سبأ فقد نفاه علي إلى المدائن، ونشأ من ذلك الرافضة فيما بعد.

والأخرى: الخوارج وهم الذين قالوا له: حكّمت الرجال في دين الله. فأرسل علي ابن عباس رضي الله عنهما لمناظرتهم، ثم قاتلهم، ومن ثم تعلم الفقهاء منه كيفية قتال أهل القبلة، وتعصبت طائفة لعلي فسموا "الشيعة"، وكانوا على عقيدة أهل السنة يومذاك.

ثم في عهد من كان أيام النبي ﷺ صغيراً مثل ابن عمر وابن الزبير خرجت القدرية، وكان منهم معبد الجهني وغيلان الدمشقي، وأصل مذهبهم هو أفكار "يوحنا" الدمشقي النصراني، فتبرأ منهم الصحابة الذين عاصروهم

وأنكروا بدعتهم، وناظرهم بعد ذلك عمر بن عبدالعزيز، وقال فيهم بعض السلف: "ناظروا القدرية بالعلم -أي علم الله-، فإن جحدوه كفروا وإن أقروا به خُصموا".

وقال القاضي إياس المشهور بذكائه: "ما ناظرت أحدا بعقلي كله إلا القدرية".

ثم اعتزل مجلسَ التابعي الحسن البصري واصلُ بن عطاء الغزّال، وقال الحسن: اعتزلنا واصل، فسموا المعتزلة.

وفي آخر الدولة الأموية ظهر الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبدالله القسري، وقال: "ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجعد بن درهم؛ فإنه أنكر أن الله اتخذ إبراهيم خليلا..." إلخ، وإليه ينسب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، الذي يقال له مروان الجعدي، وتتابعت البدع فظهر الجهم بن صفوان مؤسس الجهمية، والحارث بن سريج المرجئ الذي حاربه نصر بن سيار بالمشرق، وتغيرت الأمور جدًا كما قال الحافظ ابن حجر.

ومن الاعتزال ابتدأ علم الكلام، ذلك العلم الذي ذمه كثير من السلف، واشتمل هذا العلم على ضلالات كثيرة، منها قياس عالم الغيب على عالم الشهادة، مع التفريق الجلي بينهما في الكتاب والسنة، وأعرض أهله عن الوحي، واشتغلوا به وأفنوا أعمارهم فيما لا جدوى من ورائه، وليتهم اشتغلوا بالتقدم المادي، وشغلوا عقولهم الكبيرة بالتجربة؛ كما رأينا لدى الأوربيين فيما بعد، أما الغيب وصفات الله تعالى، فقد كفانا الوحي ذلك، وحسبنا الإيمان به كما ورد.

وقد ضرب العلامة أبو الحسن الندوي مثالا جميلا لذلك موجزه: أن رجلا قال له العلماء أهل الخبرة إن مساحة البحر الفلاني كذا ووزنه كذا، ولكن أبى إلا أن يعرف ذلك بنفسه فجاء بدلوه ووقف على شاطئ البحر ليعرف كم من الأطنان فيه!.

ثم كانت الخلافة العباسية بعد الأموية.

ورفع الزنادقة رؤوسهم، غير أن الخليفة المهدي الذي أثنى عليه شيخ الإسلام، تتبعهم وقتلهم واحدا واحدا، ثم ظهرت الفلسفة، وأول الفلاسفة الذي ألفوا فيها هو "الكندي" الذي كتب رسالة في الفلسفة الأولى للمعتصم، وقبل المعتصم -في عهد المأمون- تُرجمت الكتب والفلسفات اليونانية في دار الترجمة المسماة "بيت الحكمة"، وكان كثير من المترجمين من النصارى، ولم تترجم الخرافات والأساطير اليونانية وما أكثرها، ولم يترجموا القوانين الرومانية ومنها لوائح "جستنيان"، كما لم يترجموا المسرح الذي حار في ترجمة معناه فيما بعد القاضي ابن رشد، ثم ترجمه بالشعر!.

وسمح كفرة أهل الكتاب بالفلسفات اليونانية لعلمهم أنها ما دخلت دينا إلا أفسدته كما بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله، والمهم أن مصدر التلقي ناله الخلط والغبش، وفي زمن هؤلاء الخلفاء كانت "المحنة الكبرى"، وهي القول بخلق القرآن، وينقل المؤرخون أن المأمون قال: "لو قد مات يزيد بن هارون لأعلنت القول بخلق القرآن"، وقد كان يزيد بن هارون أحد شيوخ الإمام أحمد رحمه الله، وهكذا كان العلماء حجر عثرة في سبيل نشر الضلالات كما يريد الطواغيت، فأجاب للمحنة -أو ورّى- أكثر العلماء، وثبّت الله الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وقال: "ائتوني بشيء من السنة"، وجلدوا وعذبوا الإمام أحمد فصبر على ذلك ولم يجبهم، وأبى إلا قول الحق، وتولى كبر تعذيبه القاضي ابن أبي دؤاد.

وكتب الحكام المعتزلة إلى الآفاق بأن من لم يقل إن القرآن مخلوق من موظفي الدولة، يمنع من الوظيفة ويقطع عطاؤه، وهكذا تعلم الزعماء المستبدون مبدأ الفصل من الوظيفة لمن يخالف رأيهم، ومارس المعتزلة أول إرهاب فكري في التاريخ الإسلامي.

ولما جاء الخليفة المتوكل رفع المحنة وعاد للسنة، ومع ذلك امتنع الإمام أحمد عن هداياه وطعامه، وفي عهده جئ بالترك ليحلوا محل الفرس، وقد تحدث الجاحظ عن شجاعة الترك وفروسيتهم، غير أن المتوكل قُتل، وسُملت

عيونُ بعض الخلفاء من بعده، والشاعر البحتري ذكر مقتل المتوكل وشاهده بنفسه ووضع في ذلك قصيدة.

ثم ظهرت القرامطة في سواد الكوفة ومنه إلى بلاد أخرى، وكان منهم صاحب هجَر الذي قتل الحُجاج وأخذ الحجر الأسود إلى هجَر، وادعى بعض الشيوعيين أن القرامطة أرادوا قيام "جمهورية اشتراكية".

ثم انتشرت البدع والفلسفات انتشارا عظيما وعم الرفض الدنيا، كما قال الإمام الذهبي رحمه الله، ومن الرافضة "بنو بويه" و"بنو عبيد".

ومن الفلاسفة الذين ظهروا "أبو نصر الفارابي" صاحب "آراء أهل المدينة الفاضلة" الذي يسمونه "المعلم الثاني"، والمعلم الأول عند الفلاسفة هو "أرسطو".

وعاد بعض المعتزلة إلى السنة وإلى ما دعا إليه الإمام أحمد خاصة، ومنهم أبو الحسن الأشعري.

ومن البدع التي انتشرت في تلك الآونة بدعة الرفض وبدعة الباطنية وبدعة المتكلمين الذين مال متأخروهم إلى التنجيم والفلسفة، وجاء ابن سينا الملقب (بالرئيس أبي علي) وكان فيلسوفا، وابن سينا نشأ عبيديًا إسماعيليًّا كما اعترف هو بذلك، وأخذ الفلسفة عن الفارابي، وصنف الكتب في المنطق والفلسفة وغيرها، ومِن كُتب ابن سينا: (الشفاء، والنجاة، والرسالة الأضحوية).

وكل من ألف في الفلسفة لا بد أن يؤلف في نصرة الشريعة لكي يسكت عنه عامة الناس، أو يدعي الجمع بينهما، أو يدعي أن تلك كفريات منسوبة إليه ولم يقلها، وهكذا أهل البدع والعلمنة مخذولون مرذولون قليلو الأتباع، وصدق الإمام أحمد حين قال: "بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز".

وامتزج الرفض بالاعتزال، والباطنية بالفلسفة والتصوف، وكثرت الفتن، وضعف أهل الحديث، واشتغل كثير منهم بغرائب الإسناد وعواليه عن الدعوة إلى حقيقة الوحي.

وظهر العبيديون وسموا أنفسهم "الفاطميين" وصدَّقهم بعض المسلمين، كما ظهر الترف والسِّمنة، ومال كثير من الناس إلى الجواري والغناء واللهو وتركوا الجهاد، فتكالبت عليهم الأمم وجاءهم الصليبيون، ثم قدم التتار وكان منجِّم التتار "نصير الدين الطوسي" الذي أسماه أهل السنة "نصير الكفر" وهو الذي أنشأ مرصد "فرغانه".

وكان وزير الخليفة العباسي "ابن العلقمي" الرافضي، وهذا الخليفة (المستعصم) يقال إنه كتب إلى صاحب الموصل يطلب منه إرسال بعض المغنين إليه، وأنه إنما عرف خطر التتار حين أصابوا جارية كانت ترقص بين يديه، وسرَّح ابن العلقمي كثيرا من الجند، وخاف "هولاكو" التتري من قتل الخليفة، فزيَّن الرافضة له قتله -مع أن الخليفة من آل البيت- ولكيلا يراق دمه -كما كان يخشى هولاكو- لفوه في خيشٍ (جوالق) وقتلوه فيه، واستولى التتار على بغداد وأكثر البلاد الإسلامية حتى قال قائل من المسلمين: "من حدثك أن التتار يُهزمون فلا تصدقه"، ولما أراد الله هزيمتهم خرج المماليك من مصر إليهم في "عين جالوت" وهناك هُزموا شر هزيمة، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية إذ ذاك صغيرا، وهربت أسرته من حران إلى دمشق، ولما كبر كان كثير من التتار قد أظهروا إسلامهم، غير أنهم كانوا يتحاكمون إلى كتاب "الياسق" الذي وضعه لهم "جنكيزخان"، وكانوا يقولون: "رجلان عظيمان محمد وجنكيز خان"، أي أنهما سواء عندهم قبحهم الله، وهذا ما يقوله اليوم بعض الغربيين.

وأفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأن التتار الذين نطقوا بالشهادة وأظهروا الإسلام مع تحاكمهم إلى الياسق، طائفة ممتنعة وليسوا بغاة، وقابل رحمه الله ملكهم "قازان" ونصحه ووعظه بكل جرأة، ثم إن المسلمين قاتلوهم، ونفعهم الله بفتوى شيخ الإسلام كما ذكر ابن كثير.

ورد شيخ الإسلام رحمه الله على اليهود والنصارى والفلاسفة والمنطقيين والباطنية والرافضة وعلى من أخطأ من الفقهاء، وكان كثير

الاستشهاد بالقرآن وكثير المعرفة بالحديث، وكان واسع الاطلاع جدا، وإذا تكلم في مسألة كان أعرف بها من أهلها وظن الظان أنه لا يحسن غيرها، وهكذا ينبغي أن يكون المجددون في كل عصر، وصدق من قال (ابن مري) حين أحرق الحساد كتب شيخ الإسلام: "والله ليخرجن الله لهذا العلم أقواماً هم الآن في أصلاب آبائهم".

ومما ينبغي لطالب العلم معرفته أن الفرق الإسلامية ليست جماعات منقرضة، بل هي ظواهر عامة، والظاهرة تعود متى توفرت شروطها الموضوعية.

ومع انتشار التصوف والرفض والإرجاء والفلسفة والكلام، ظلت في هذه الأمة طائفة منصورة، تجاهد على أمر الله لا يضرها من خذلها أو خالفها، وهكذا أحيت الأمة فريضة الجهاد، وظهر فيها السلاطين المجاهدون مثل نور الدين وصلاح الدين، رحمهما الله، وهذه الأمة المباركة تمرض ولكنها لا تموت، وقد تشغلها الشهوات ولكنها لا تنسى الجهاد.

وانتقل مركز الثقل في العالم الإسلامي من بغداد إلى دمشق، وكان ذلك قد بدأ من قبل، وأثنى شيخ الإسلام على سلاطين المسلمين المجاهدين أمثال "نور الدين" الملقب بالشهيد، ولم يقتل في معركة وإنما مات بمرض "الخوانق"، وربما كان نوعا مما نسميه اليوم "السرطان"، وكان نور الدين محكِّما للشريعة زاهداً في الدنيا، يرتزق من وقف له في حلب، وصنع منبره للقدس ثقة منه أنها سوف تفتح ومات قبل فتحها.

وهذه نبذة عن بعض سيرة نور الدين وأعماله:

١- كان مستمسكا بالكتاب والسنة عادلا زاهدا مجاهدا، ولم يأخذ من بيت مال المسلمين شيئا، وكان يعيش مثل الفقير من رعيته، ويرتزق من وقفٍ له ويعيش على رغيفين في اليوم، ولما قابل راعيا ذكر أنه يعيش على رغيف واحد حقر نفسه وحكم أنه غير زاهد.

٢- قال عنه بعض العلماء أو المؤرخين ومنهم أبو شامة: لم يأت بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز مثله.

٣- حرر حلب من سيطرة الرافضي "رضوان تتش".

٤- كانت زوجته "عصمت خاتون" عابدة زاهدة، ولما طلبت منه بعض المتاع أحالها إلى الوقف.

٥- ربى صلاح الدين الأيوبي على الزهد وحب الجهاد، ومع أن نور الدين سلجوقي تركي، وأسد الدين وصلاح الدين ليسا من أقربائه بل هما كرديان فقد ولاّهما لتقواهما وجهادهما.

٦- صنع في حلب المنبر المسمى "منبر نور الدين" وأوقفه للقدس التي مات رحمه الله قبل فتحها، ولكن قائده صلاح الدين وضعه في المسجد الأقصى المبارك لما حررها، وفي زمننا هذا أحرقه اليهود.

٧- رأى نور الدين أن القضاء عل المنافقين لا بد منه، وأنه لحصار الصليبين لا بد من فتح مصر، فأرسل أسد الدين "شيركوه" عم صلاح الدين، ومعه صلاح الدين وقضوا على العبيديين، ونشروا السنة ومنعوا الرفض حتى لم يبق في مصر بعد صلاح الدين بيت رافضي واحد.

٨- لما قيل إن السنة أن يضع المسلمون سيوفهم هكذا، وليس كما يفعله الترك أمر جيشه باتباع السنة.

٩- فتح نور الدين حصونا كثيرة، وحصَّن مدينة "الرها" التي تسمى اليوم "أورفا" وهي أهم مدينة في زمنها بعد القدس، كما هزم الصليبين في معارك كثيرة، وجاهد في "شقيف" و"حارم" وكثير من بلاد الشام، وتتابعت عليه الحملات الصليبية وأحاط به الأعداء حتى أنهم مرة أرادوا قتله واقتحموا عليه خيمته، فامتطى فرسه وضرب أحد جنده من الكرد الخشبة التي كانت تقيّد رجلي الفرس بالسيف.

١٠- عاش نور الدين أكثر حياته في خيمة الجهاد، فلا قصور ولا ترف.

١١- طلب منه بعض الناس صرف ما في الأوقاف والأرزاق المسبّلة على عسكره، فأبى وقال: "لا أقطع الأرزاق عن السهام التي لا تخطئ (يعني الدعاء) وأصرفها على السهام التي تخطئ وتصيب".

١٢- سمعه بعض الجند أو الموالي في إحدى المعارك يقول في سجوده: "اللهم انصر المسلمين على الصليبين ولا تهزمهم بسبب هذا الكلب محمود" -يعني نفسه-.

١٣- كتب إليه أحد الزهاد من الموصل يشير عليه بالعمل بالسياسة، فرد عليه نور الدين: "كل سياسة ليست في الكتاب والسنة فهي باطلة". فكان ذلك الكاتب يعجِّب الناس ويقول "انظروا كتاب الزاهد للملك وكتاب الملك للزاهد!".

١٤- أمر جيشه إذا لم يكونوا في معركة أن يلعبوا بالكرة لكي يتمرنوا على الجهاد.

١٥- امتدت دولته من بحر العرب إلى بلاد المغرب، وكان المسلمون يدعون له في كل مكان لاسيما في بغداد وحلب واليمن، واستنفر الأمة كلها للجهاد حتى أن إحدى نساء المسلمين لم تجد ما تبعث به إليه إلا ضفائر شعرها، وقالت: هذا ما أملك ولعله أن يكون قيدا لفرس تقاتل في سبيل الله!

١٦- رأى النبي ﷺ في المنام، وأخبره صلوات الله وسلامه عليه، أن البابا أرسل اثنين من أتباعه، في زي حاجين مغربيين، لكي ينقلا جسده الشريف إلى الفاتيكان وأراه إياهما، فجاء نور الدين إلى المدينة، واحتال للقبض على الرجلين بأن أمر كل أهل المدينة أن يأخذوا الجائزة من يده مباشرة.

إضافة إلى محاربة نور الدين للصليبين، وثناء شيخ الإسلام ابن تيمية عليه، فإن المسلمين ليشكرون له قضاءه على العبيديين الإسماعيلية.

١٧- لم يبتسم نور الدين في حياته ولا مرة واحدة، ولما قال له بعض أركان حربه لم لا تبتسم؟ قال حلفت ألاّ أبتسم ما دام لدى الكفار مسلمة

أسيرة!.

١٨- حرص نور الدين على نشر العلم وبناء المدارس، ولما توفي كانت الكليات التي تسمى آنذاك "دار الحديث" قرابة ثمانين دارا، ولما تولى لم يكن في دمشق إلا دار واحدة.

وكان قائد نور الدين المجاهد "صلاح الدين الأيوبي" محبا للعلم والعلماء، وذكر المؤرخون أنه كان على ميمنة جيشه "ابن قدامة المقدسي" صاحب "المغني"، وكان صلاح الدين عابدا زاهدا في الدنيا مثل نور الدين، ولم يخلف سوى بضعة عشر دينارا صوريا على قول بعض المؤرخين، وبعض المؤرخين يقولون إنه لم يخلِّف شيئا وإن كفنه كان قرضا، وإنه أمر أن تدفن معه لبنة جمعها من التراب الذي يصيبه في الجهاد.

وكان هذا القائد العظيم "صلاح الدين" رحمه الله حسن العقيدة، محبا للحديث يتردد إلى الحافظ السِّلفي المعروف، وما نقله المقريزي عن عقيدته وأنه أشعري غير صحيح، إلا إذا كان المقريزي يحسب أن السنة هم الأشاعرة، وإليك نبذة عن هذا المجاهد:

- سيرة صلاح الدين:

١- اسمه الكامل "الناصر لدين الله يوسف صلاح الدين الأيوبي"، ويسميه الغربيون صالا دين.

٢- كان يحب الحديث وأهله، وقد أخذ العلم عن العلماء منهم الحافظ المحدث أبو طاهر السِّلفي رحمه الله.

٣- كان كثير العبادة والدعاء والتضرع إلى الله.

٤- كان ابن قدامة المقدسي على ميمنة جيشه، ولم يقل صلاح الدين أو أحد من الجند إن ابن قدامة "مطوع" أو "واعظ" أو "شبه داعية" أو "متطرف".

وشكر الناس ذلك لصلاح الدين ولم يقل أحد قط "هذه فتنة مذهبية أو

طائفية منه".

٥- منع كتب الفلسفة والتنجيم والسحر وأمثال ذلك من الخزعبلات والخرافة، وظل هذا المنع سارياً ومجدّداً أيام من جاء بعده كالكامل والمعظَّم.

٦- أحيا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل أنحاء الدولة.

٧- قتل الصليبي "أرناط" الذي يعرفه الغرب باسم "أرنولد" بيده وفاء بنذره لما بلغه كلام ذلك الصليبي في رسول الله ﷺ.

واليوم مع الأسف أصبح مجرد الصلاة على الرسول ﷺ في بعض البلاد دلالة على انتماء فاعلها للإرهاب، ومن منع ذلك يعطى المليارات من بيت مال المسلمين!.

٨- قضى على الباطنية العبيدية الإسماعيلية حتى لم يبق في مصر بيت واحد غير سني!، وكانت هذه هي الخطوة الأولى في سبيل القضاء على الصليبيين، وتحرير القدس، أي: توحيد الأمة الإسلامية والقضاء على الدول الرافضية.

٩- كان صلاح الدين صحيح العقيدة، محبًا للحديث وأهله، كارها للبدع.

١٠- كان القاضي "ابن شداد" كاتب سيرة صلاح الدين معه، وهو أعلم بأحوال صلاح الدين وعقيدته من المقريزي، الذي زعم أنه كان أشعريا، والمقريزي -غفر الله لنا وله- هو الذي صحح نسب العبيديين، وصدق زعمهم أنهم فاطميون، فينبغي طرح كلام المقريزي في صلاح الدين، ولو فرضنا صحة كلام المقريزي، فالجهاد يكفر كل ذنب، كما ثبت في الحديث، والأشعرية متفاوتون مضطربون ويزعمون أنهم هم أهل السنة، وربما لذلك الزعم صدقهم المقريزي.

١١- جاهد صلاح الدين الصليبيين وقاد المسلمين في معركة "حطين" المشهورة، ودخل القدس فاتحا، وحسبك بالجهاد لو لم يكن إلا هو تكفيرا للذنوب كما جاء في السنة.

١٢- تكالب الغرب على صلاح الدين، وأرسل البابا حملات صليبية متتابعة، ووعد المقاتلين بالجنة والمغفرة وأصدر بذلك صكوك الغفران المشهورة، وفي الوقت نفسه تطوع المسلمون من كل مكان لاسيما قبائل اليمن كالأزد وهمدان وعسير وقحطان وتجمعوا عند جبل "حضن" القريب من الطائف، كما ذكر عبدالحميد الدوسري في كتابه "متعة الناظر"، كما تطوع هؤلاء فيما بعد لقتال الصليبين الإيطاليين مع المجاهد عمر المختار وبعضهم بقي هناك في ليبيا، وهذا التكالب مع قلة جيش صلاح الدين، دفع صلاح الدين لاستخدام الحيلة وبث المخابرات بين الصليبيين، ومن أعظم الحيل أن المهندسين في أيامه سخَّروا الكيمياء للجهاد.

١٣- بعد أن هزم الصليبيين في موقعة "حطين" المشهورة وفتح القدس سمح للنصارى أن يحجوا إلى فلسطين إن شاءوا لكن بشروط وضعها هو، وهكذا الإسلام تسامح وحذر.

١٤- كان صلاح الدين مع جهاده زاهدا في الدنيا، حتى ذكر بعض المؤرخين أنه استقرض كفنه، وأقصى ما قيل إنه كان يملكه من الدنيا بضعة عشر دينارا صوريا، وذكر بعضهم أنه لم يخلف عند موته شيئا وأنه أوصى بأن يدفن معه لبنة جمعها من غبار الجهاد.

١٥- أثنى شيخ الإسلام ابن تيمية على صلاح الدين في أكثر من موضع، وحث على أخذ العبرة من حياة نور الدين وصلاح الدين، وكيف نصرهما الله مع قلة العدد والعدة لما جاهدا في سبيله.

١٦- بهرت أخلاقه أعداءه الغربيين حتى أنهم لا يذكرونه إلا ويذكرون أخلاقه وحسن تعامله، ولما أصابت "ريتشارد" قلب الأسد ملك بريطانيا جراح، واحتاج للطبيب أرسل إليه صلاح الدين طبيبه الخاص.

١٧- حاول الحشاشون الإسماعيلية اغتيالَه لكن الله خيَّبهم.

وبانتقال الحضارة الإسلامية من بغداد إلى دمشق، وبتشجيع شيخ الإسلام ابن تيمية ودعوته، انتشرت كتب المزِّي وغيره، وظهر أئمة عظماء

كابن القيم، وابن كثير، وابن رجب، والذهبي، وابن عبد الهادي، وابن أبي العز، وغيرهم من العلماء الأفذاذ، وعلم المسلمون أن نشر العلم الشرعي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم الأسباب الواجب اتخاذها في كل مجتمع، وأن جهاد الكفار والمنافقين لا بد منه، وهذا هو أساس كل نهضة.

وهنا قد يتساءل بعض الإخوان عن العبيديين فأقول:

- (**العبيديون**):

العبيديون رافضة مجوس من ذرية عبيد الله بن ميمون القداح، وكانت لهم دولة بالمغرب ثم إنهم دخلوا مصر وبنوا الجامع الأزهر أيام قائدهم جوهر الصقلي، ولهم مساوئ كثيرة، منها أنهم كانوا يستوزرون اليهود والنصارى، كما هو شأن الباطنية والإسماعيلية، وأعدى عدو لهم أهل السنة، حتى أن الشاعر قال:

يهود هذا الزمان قد ملكوا ومنهم المستشار والملك
يا أهل مصر نصيحتي لكم تهودوا قد تهود الفلك

وكتبت امرأة مصرية إلى أحد حكامهم تقول: "بالذي أعزّ بك اليهود والنصارى، وأذل بك المسلمين لما قضيت حاجتي"!

وغلا بعض العبيديين حتى أنه ادعى علم الغيب، وكتب له أحد المصريين بطاقة ووضعها على منبره الذي يخطب عليه، وفيها أبيات من الشعر:

إن كنت للغيب ذا ادعاء بيّن لنا كاتب البطاقة

وأشهر ملوكهم هو "الحاكم" الذي كان مضطربًا كثير الغلو، حتى أنه ادعى الألوهية، وعبده الدروز، وسمى المسلمون عُباده "الحاكمية".

ومما ينبغي أن يعلمه كل مسلم أن هؤلاء العبيديين المدعين أنهم فاطميون، وقفت الأمة الإسلامية ضدهم، وليس فقط من يسميهم الأعداء الحنابلة، فالإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى قال عنهم كلمته المشهورة "ظاهرهم الرفض، وباطنهم الكفر المحض".

والإمام السيوطي في تاريخ الخلفاء لم يعدهم من الخلفاء، وذكَر سبب ذلك.

وأئمة المذاهب الأربعة في أيام العبيديين، وقعوا على المحضر الذي ينفي نسبهم، فبالإضافة إلى أبي يعلى الحنبلي وقعه شيخ الحنفية القدوري، وشيخ المالكية ابن أبي زيد، وشيخ الشافعية الإسفرائيني.

والعبيديون هم أول من احتفل بوفاة الرسول ﷺ، في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول، وزعموا أنهم يحتفلون بمولده، مع أن مولده الشريف مختلف فيه جدًا.

ولم يكتف العبيديون بحرب علماء المالكية في مصر والقيروان وبلاد المغرب، بل حاربوا كل من خالفهم من أي مذهب.

وكانوا من أشد الناس وحشية ودموية، حتى أن أحد العلماء الذي يلقبه المسلمون "بالشهيد"، قال له العبيديون تبريرا لقتله، أنت الذي قلت: لوكان لي عشرة أسهم لرميت العبيديين بتسعة والروم بواحدة؟.

فقال: أنا قلت هذا قبل أن أعرفكم أما الآن فأقول: لو كان لي عشرة أسهم لرميتكم بها كلها، فأمر العبيديون بسلخ جلده.

ونظرًا لما رآه علماء الإسلام من كفر هؤلاء وردتهم، وأنهم يعوقون الأمة عن جهاد الصليبيين، رأوا البدء بهم، وقص أجنحة الصليبيين بالقضاء على دولتهم الباطنية، وكانت اغتيالات الحشاشين، وهم طائفة من العبيديين مما يؤيد موقف العلماء، ثم كتب الله شرف القضاء عليهم لنور الدين محمود، وقائده صلاح الدين الأيوبي رحمهما الله، وبعد أن قضى صلاح الدين عليهم، لم يبق في مصر بيت رافضي واحد!.

وبعد الفشل الذريع للحملات الصليبية المتتابعة رأى الغربيون أن الحرب النفسية هي الحل، وأن إخراج المسلمين من الإسلام هو الطريق لغزوهم وهزيمتهم، فابتدأ الاستشراق بتعلم اللغة العربية والافتراء على الإسلام، ثم تبع ذلك الاستشراق الحديث، ثم أنشأ الغربيون مراكز البحوث في أمريكا

وأوروبا، ولما قدم "لويس التاسع" بحملته الصليبية إلى مصر هزمه المصريون وسموا المدينة التي هزمته "المنصورة"، وبنى المسلمون "دار ابن لقمان" وسجنوا "لويس" فيها حتى افتدى نفسه بمال جزيل.

ولما عاد إلى أوروبا، هدد أهل مصر بالعودة إليها، فهدده المسلمون وقال بعض شعرائهم:

دار ابن لقمانٍ على حالها والقيد باق والطواشي صبيح

وعرف الغربيون أن مصر التي هزمت المغول والصليبين هي أكبر قاعدة للإسلام، ولا بد من الكيد لها وإخراجها من الإسلام.

وفي العصر الحديث أوى إلى مصر كل مجاهد من بلاد الشام أو بلاد المغرب، وأنشأوا في مصر مكاتب لهم، وأصدروا مجلات ولم يقل أحد إنهم أجانب، فالمسلمون أمة واحدة.

وكانت مشيخة الأزهر مستقلة، وكان يتولاها الأكفأ من أي بلد كان، وممن تولاها من غير مصر الشيخ "محمد الخضر حسين" التونسي رحمه الله.

وفي مصر ظهرت المؤلفات الموصوفة "بالموسوعية" مثل صبح الأعشى للقلقشندي، والمبسوط للسرخسي، وفتح الباري لابن حجر، واستمر تدريس العلوم دينية ودنيوية حتى قدم "نابليون" بحملته على مصر، ولما دخل جيشه الأزهر وجد الجبر والفلَك وغيرهما يدرسان إلى جانب الفقه والحديث بلا خصام أو منازعة كما حدث في أوروبا النصرانية!

وأما الاحتفال بذكرى حملته أو اعتبار ذلك بداية التحرر واليقظة فهو أمر انهزامي لا يجوز شرعا، و"نابليون" محتل خبيث ادعى الإسلام كذبا، وشارك في بدعة المولد وهزمه أهل فلسطين، وقتل سليمان الحلبي قائده وخليفته "كليبر"، وقال أحد الشيوخ عن جيشه إنهم "طبائعية إباحية"، والحاصل أنهم كفار محتلون، فمن يحتفل بهم غير المنافقين؟!

وكان من أعظم مآثر صلاح الدين قضاءه على العبيديين كما سبق غير أن الغزو الفكري استمر وأيد الغزاة كلّ عدو للإسلام من المصريين أو فرخ

من أفراخهم، وعظم الصليبيون "محمد علي باشا" والمبتعثين إلى الغرب مثل: رفاعه الطهطاوي، ثم قاسم أمين ولطفي السيد وطه حسين وأشباههم.

وقرر طه حسين أن مصر قطعة من أوروبا وقال: إن السبيل لنهضتها هو أخذ حلو الحضارة الغربية ومرها، وذلك في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر"، وطعن -أخزاه الله- في القرآن الكريم، وقال: "للقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ولكن ذلك لا يكفي لإثبات وجودهما التاريخي" وعينوه وزيرا للمعارف في مصر، ونشر الغربيون الرذيلة والدياثة، وصدّروا تلك الأدواء من مصر إلى البلاد الإسلامية الأخرى.

ومن مكر الاستعمار الجديد تغيير الأسماء لتكون أكثر قبولا عند المسلمين، كما غيروا الكلية الإنجيلية السورية فأصبحت الجامعة الأمريكية، وسلكوا أسلوب التعليم غير الإسلامي في بلاد المسلمين ليتخرج منه بعض المسؤولين، مثل جامعة بيروت التي تخرج فيها السعوديان رفيق الحريري وفؤاد فارسي الذي عينوه وزيرا للحج!

وهكذا ضعفت الحضارة الإسلامية، وذبلت لكنها لم تمت ولن تموت بإذن الله.

ثم جاء العثمانيون وفتحوا الكثير من أوروبا، ويذكر المؤرخون أن العثمانيين قبيلة تركية كالسلاجقة، الذين ابتدأوا الجهاد من الموصل، ويذكر الذهبي أنه أسلم منهم مرة واحدة مئتا خيمة، ولما توسعوا في أوروبا لم يبق بيد البيزنطيين الأرثوذكس إلا مدينة القسطنطينية وحدها، ثم فتحها السلطان العثماني محمد "الفاتح"، وذلك باستخدامه "المدفع السلطاني" وهو مدفع عملاق صنعه له "أورباان" المجري، وسمي "الفاتح" لأنه فتح تلك المدينة بعد أن عجز عنها كثير من المسلمين قبله، وغيّر اسمها فأصبح "إسلام بول" وهي المعروفة اليوم باسطنبول.

واستطاع قائد العثمانيين "علي شاه" أن يغزو أوروبا الشمالية، ولم يبق بيد الكاثوليك في روما إلا بعض أوروبا، وذلك ما اضطرهم مع هزائمهم

المتتالية إلى الالتفاف على الدولة العثمانية أو الذهاب إلى بلاد الهند الغربية (أمريكا اليوم).

ومن الالتفاف عرفوا لأول مرة بالنسبة لهم "رأس الرجاء الصالح" الذي اكتشفه لهم "فاسكودي جاما"، وهو إنما عرفه بمعونة الملاح المسلم "ابن ماجد" وقد كان معروفا من قبلهم للمسلمين.

وطُعن العثمانيون من الخلف حيث طعنهم المجرم "تيمورلنك" أي تيمور الأعرج، وكان شيعيا وأسَر السلطان "بايزيد"، إذ كان سلاطين آل عثمان لعشقهم الجهاد يقودون الجيوش بأنفسهم، وتحدث عن بعض جرائم تيمور "ابن عرب شاه"، وقيل إنه قابل ابن خلدون والله أعلم.

ثم طعنهم الرافضة الصفويون، وكانت إيران صوفية حتى حولها إسماعيل الصفوي إلى شيعية، ولم يعرف التاريخ عن الصفويين أنهم فتحو بلداً من بلاد الكفر، وإنما كانوا دائما يحاربون أهل السنة ويغزون أقاليمهم.

وأبحر "ماجلاّن" إلى الفلبين وهناك كوّن الدولة الكاثوليكية الوحيدة في آسيا، وكانت الفلبين قبله سلطنة إسلامية عاصمتها "أمان الله" المعروفة حاليا باسم "مانيلا"، وهناك قتله المسلمون وكان سلطانهم "لابو لابو" رحمه الله.

وأشاعت الكنيسة أن "ماجلان" قتله الوثنيون. وهكذا تسمي المسلمين دائما، وهكذا قرأنا في مناهج التعليم في السعودية.

وكلما تقدم العثمانيون في أوروبا تقدم الصفويون في العراق، فعاد إليهم العثمانيون ثم وضع العثمانيون "حزام بغداد" وهي مجموعة بلدات سنية تحيط ببغداد.

ومن الذهاب إلى بلاد الهند الغربية أن البابوية أرسلت خرستوف "كريستوفر كولمبس"، وفي جزر الكاريبي شاهد "كولمبس" المساجد فصاح "يا إلهي حتى اليابان فيها مساجد!"، كما في مذكراته، ومات وهو يظن أن أمريكا هي الهند، وأن جزر الكاريبي هي اليابان، ويكاد الباحثون الأمريكيون اليوم يتفقون على أن "كولمبس" ليس أول من عرف أمريكا، فقد عرفها

الفينيقيون والنورمانديون المجوس، وكان المسلمون قد عرفوها قديما، وبعضهم يقول إن المشركين من الهنود الحمر دفعوا الجزية أيام عثمان بن عفان، وبعضهم يقول إنما كان ذلك في زمن الأندلسيين، والله تعالى أعلم بالصواب.

أما الأمير "شكيب أرسلان" في (الحلل السندسية) فذكر أن بعض الشبان المغامرين من الأندلس قرروا اجتياز بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) اليوم، وذكر أن ملك التكرور -وهم الذين يسميهم أهل مكة "التكارنة" وكان ملكا سخيا عادلا- اجتاز البحر مع جملة من سفنه غير أنه لم يرجع، والله أعلم بمصيره.

والغربيون اليوم يصنعون قوارب شبيهة بالقديمة ويجتازون بها المحيط.

والمقطوع به أن لدى الهنود الحمر -كما يسمّون- حضارة وعلما قبل "كولومبس"، ومن ذلك حضارة "ألانكا" بأمريكا الوسطى، وحضارة "الياما" التي يفتخر بها أهل المكسيك.

وذكر مؤلف كتاب "المسيحية والسيف" وهو مطران أسباني رسمي، أن الأسبان ارتكبوا بحق الهنود جرائم ومذابح وفظائع تقشعر لها الأبدان.

أما المستعمرون الأوربيون فيما بعد فإنما تدفقوا إلى أمريكا طمعا في الذهب، وساحوا فيها حتى وصلوا إلى كاليفورنيا، واستخدموا الحرب الجرثومية بإلقاء بطانيات الجدري على الهنود، وكل ذلك مسطور في التاريخ، والذي يهمنا هنا هو أن العثمانيين كادوا يسيطرون على قارة أوروبا، ومن حسناتهم: صد الحملة الصليبية التي أرادها البرتغاليون للسيطرة على العالم الإسلامي لاسيما بلاد الحجاز، وأمدوا المجاهد الصومالي "غوري" للقضاء على نصارى الحبشة. ولهم حسنات غيرها كثيرة، وقد تمنى الرئيس الأمريكي في ذلك الحين "فرانكلين روزفلت" أن يكون أحبار الكنيسة مثل علماء الدولة العثمانية الذين أجازوا التطعيم. وقد بنى العثمانيون المحاجر الصحية المعروفة اليوم باسم "الكارنتينة" في "الحديدة" وفي "السويس" وفي "بيروت" وفي "جدة" وغيرها وهذا ما تمنى "روزفلت" أن يأذن به رؤساء الكنائس في أمريكا.

ومما يؤخذ على العثمانيين أن من يتولى منهم يقتل إخوته كيلا ينافسوا أبناءه من بعده، كما يؤخذ عليهم انتشار التصوف وكثرة الطرق الصوفية بالرغم من أن بعض علماء الدولة العثمانية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كانوا على عقيدة صحيحة، كالشيخ بركوي والشيخ قاضي زاده، كما أن من علمائهم من تأثر بهذه الدعوة المباركة فكان ضد الطرق البدعية وضد العلمنة، وكان بعض سلاطين آل عثمان يحب أهل الاعتقاد الصحيح، ويكره كل البدع والطرق المخالفة للسنة.

وقد بلغت الطرق الصوفية في أيام العثمانيين أكثر من (٣٠٠) طريقة منتشرة شرقا وغربا.

وكان الناس في جزيرة العرب يسمونهم (الروم)، وهكذا سماهم الشوكاني في (البدر الطالع)، وسماهم بذلك شيخ قبيلة قحطان الذي قال شعرا بالعامية:

لي لابة زوعتّها من تهامة ** وسلاحهم صنع الفرنجي والأروام

لا بد من يوم يثوّر قتامه ** إما على المطران وإما على يام

وكان من سلاحهم البنادق العثمانية المسماه "عثمان لي".

ويؤخذ على العثمانيين المتأخرين منهم أنهم أهملوا التقدم العلمي الذي كان يجتاح أوربا في ذلك الحين، واعتمدوا على القوة العسكرية وحدها.

ولا تزال بعض آثارهم تشهد لهم بالمقدرة والعبقرية، وقد شاهدت بعضها في المدينة النبوية وفي مكة وفي فيفا فضلا عن مساجدهم وآثارهم التي رأيتها في تركيا نفسها، كما يؤخذ على متأخريهم استيرادهم بعض القوانين الغربية باسم "التنظيمات" ومنحهم الامتيازات للدول الكافرة واستقدامهم المدربين الكفرة من أوروبا وإنشاء "معهد الإدارة" في اسطنبول لتدريس القوانين، وتجلت أخطاؤهم في الإيعاز إلى محمد علي باشا كما قيل بالقضاء على الدعوة السلفية التي قامت في نجد.

و لم يذهب محمد علي بنفسه، بل أرسل أبناءه طوسون وإبراهيم وكلهم

يحمل لقب باشا، ثم فقد العثمانيون أملاكهم في أوروبا شيئا فشيئا، وقاوم القوانين الشيخ أحمد جودت باشا الذي كيلا يحتاج المسلمون للقانون المدني "أحكام المعاملات"، أمر بوضع "مجلة الأحكام العدلية".

كما أن محمد علي أرسل القائد "أحمد باشا" لاحتلال عسير وأبها، لتكون تابعة لأشراف مكة التابعين يومئذ للدولة العثمانية.

ومما يدل على أن محمد باشا كان يكيد شخصيًا لمن يخالفه، أنه دمّر الدرعية وهاجم الدولة العثمانية حتى كاد أن يحتل اسطنبول.

والعثمانيون لهم فضل كبير حتى في الجانب العقدي قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، ولذلك مكانه في مبحثه الخاص.

ومن كبار مشاهير العثمانيين المتأخرين: "أحمد جودت باشا" المؤرخ الذي كان وزيرًا للعدل "الحقانية" وفي أيام وزارته صدرت "مجلة الأحكام العدلية"، وقد عاش في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، وعاصر السلطان عبد الحميد الثاني.

وقد حارب جودت التغريب، ورفض الأخذ بقوانين "نابليون"، وشكل لجنة لوضع مجلة الأحكام العدلية؛ لتستغني بها الدولة عن القوانين الفرنسية المدنية الأجنبية، وكان من أعضاء اللجنة، سليم رستم الباز الذي شرح المجلة، وأمر أحمد باشا أن تأخذ من أي مذهب شاءت، ولا تقتصر على المذهب الحنفي والمهم هو القول الراجح.

ثم اعتزل الوزارة، وأعلن إعجابه بابن تيمية وقال: "لقد تغير رأيي في ابن تيمية" وهكذا من طلب الحق وجده، ومن اتبع من القول أحسنَه حفظه الله، وكان الأتراك من السلطان فما دونه إلى العوام يعظمونه جدًا، ويأخذون بآرائه وسياساته وحكمته.

وقبله بكثير بل كان قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المفسر والقاضي العثماني أبو السعود الذي كان يحذر من البدع، ولا تخضع فتاواه لسياسات السلاطين، وقد طلب منه السلطان سليمان القانوني -وهو أعظم

حكام الدنيا في عصره، إذ كانت دولته تمتد في ثلاث قارات، وقد كان أباطرة الغرب يراجعونه ويسعون لإرضائه- بعضَ الفتاوى، ولكن أبا السعود أبى أن يخالف القرآن في شيء.

وهكذا بالإسلام يتجدد شباب تركيا، وهي اليوم في صعود مع أن الغرب كله في هبوط، وهي لا تستورد السلاح بل تصدره، وهي التي تشترط على إسرائيل رفع الحصار عن غزة، وتدافع عن المسجد الأقصى، وعن قضايا المسلمين في بورما وبنغلاديش، فضلا عن الجمهوريات المستقلة في وسط آسيا، وكان انخفاض أسعار النفط الأخير بردًا وسلامًا عليها، إذ وفَّرت مليارات كانت قد رصدتها في الميزانية لشرائه.

وهكذا دخلت مصر، في بوتقة الغرب فجاء الله بتركيا.

وإذا أردت تاريخ العثمانيين فخذه من المصادر الصحيحة كالأرشيف العثماني- وكذا المصادر العربية الموثوقة مثل كتابات الشوكاني والجبرتي، وابن إياس، ومرعي الحنبلي، وتاريخ الدولة العلية العثمانية، وما كتبه علي حرب وغازي التوبة والرحالة أولياء، وضم إلى ذلك ما كتبه ابن بشر وابن غنام ودحلان والشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب والشيخ حمد بن عتيق رحم الله الجميع.

ولا تأخذ تاريخهم عن أعدائهم، كالنصارى والصفويين، والقوميين العرب، فأعداؤهم يذكرون ما عليهم فقط، وقد يفترون ما لا أصل له، ولا يفرقون بين السلاطين ولا ينظرون لتغير مدلولات الألفاظ بحسب الزمن، فهم كما كان قوم شعيب عليه السلام (يبخسون الناس أشياءهم)، ومن أبطل الباطل ما قرأته لكثير من القوميين عن تسمية خلافتهم "الاستعمار التركي أو الاحتلال التركي" وأمثال ذلك.

ويرتبط انحدار العثمانيين وانحسار دولتهم، بخفوت روح الجهاد لديهم، وانتشار التغريب، واستيراد القوانين الوضعية الغربية والتخلي التدريجي عن الشريعة الإسلامية، وبلغ الانحدار غايته بظهور "أتاتورك" الذي ألغى الخلافة

ومنع اللغة العربية.

على أن العثمانيين مهما انحدروا، تظل لديهم ميزة توحيد الامة، وكان أكثر المسلمين دولة واحدة، وكان العثمانيون حريصين على تكاثر المسلمين عكس الغرب الذي يفرض علينا اليوم ما يسمى "تحديد النسل"، وصدرت أنظمة من الدولة العثمانية تجبر الرجل إما أن يتزوج أكثر من امرأة، وإما أن ينفق على فقراء المسلمين، وقد وضع الغرب خططًا كثيرة، للقضاء على دولة الخلافة، وافتعل ما يسمونه "المسألة الشرقية" و"تركة الرجل المريض" وجعل تلك الدولة دولا كثيرة، حتى أنه جعل جزيرة العرب وحدها سبع دول، وجعل الشام أربع دول، وبعد أن كان العرب شعبًا من الشعوب العثمانية أصبحوا أكثر من عشرين دولة.

وبعد أن كان التركي يأتي إلى بلاد العرب "باشا" أصبحت أمنيته منذ العهد العلماني الأتاتوركي أن يأتي إليها عاملا في ورشة، أو في مطعم أو صالون حلاقة، وهذا حال أي أمة تقتدي بالكفار وتترك الجهاد، وقتل أتاتورك إيمان الأمة ومنع الأذان بالعربية، وجعل مسجد أياصوفيا متحفا، وانطبق على الأتراك قول "ج. بوكانين": "اقتل إيمان الأمة فيتوقف شعبها عن التوالد"، أي أن الخطة مبيتة كي تصبح تركيا دولة هزيلة تابعة للغرب، ومن وسائل ذلك تقليل أهلها ونشر الرذيلة بينهم.

وأكبر الحواضر التركية هي اسطنبول التي بشر النبي ﷺ بفتحها، كما رواه الإمام أحمد والحاكم، وحرص المسلمون منذ عهد الصحابة على نيل هذا الشرف لكن الله ادخره لمحمد الفاتح رحمه الله.

واشتهر عن نابليون أنه قال: لو فتحت العالم كلَّه لجعلت اسطنبول عاصمةً له، واليوم أصبح مطار اسطنبول أكثر رقيًا من كثير من المطارات الأوروبية والأمريكية، وفتح الأتراك نفقاً كبيرا تحت البحر يربط أوروبا بآسيا لا نظير له في العالم.

وعاد إليها رونقها وبهاؤها مع عودتها التدريجية للإسلام، وهكذا

الإسلام والجهاد يصلح الله بالرجوع إليهما الدين والدنيا معا، لكن هذه العودة أثارت حسد الغربيين وعادوا الأتراك ورموهم عن قوس واحدة.

ولا يزال اليهود والنصارى يضعون العراقيل؛ لإعاقة النهضة التركية، ومنها حزب العمال الكردستاني، الذي لا يزال يحلم بالشيوعية القديمة، ومع ذلك يمده الغرب عدو الشيوعية التقليدي، لكن الإسلام عند الغربيين أشد من الشيوعية، وهم يصرحون علنا أن أوروبا مسيحية وتركيا إسلامية، كما يمده السيسي بما يُعطى من الرز الخليجي.

وكان سكان اسطنبول يعدُّون بالملايين حين كان كثير من عواصم الغرب لا يتجاوز سكانها بضعة آلاف، وكان كل سفير غربي يتمنى أن تكون سفارته لدى الدولة العثمانية لكي يسكن في اسطنبول، وإذا كتب عن مشاهداته فيها تهافت الغربيون على ما كتب.

ومدت الحكومة العثمانية سكة حديد الحجاز من إسلامبول إلى المدينة، ووضعت خطة لمده إلى مكة وصنعاء، غير أن العرب المغفلين تحت قيادة "لورانس" خربوا السكة، واجتمع وزراء النقل في الدويلات التي صنعتها بريطانيا، لإعادة جزء منه، لكن أخفقت كل الاجتماعات، مع أن مكان الخط لا يزال موجودا والإمكانيات اليوم أوفر.

- **(القومية)**:

كان من عوامل انهيار الدولة العثمانية ظهور القوميات التي غذاها الغرب وعمل على إيقادها تبعا لسياسته "فرق تسد، ففي أوائل القرن التاسع عشر الجريجوري ظهرت الفكرة القومية في أوربا، وهي فكرة سماها النبي ﷺ "الجاهلية" ووصفها بأنها "منتنة"، وسماها الأستاذ محمد مصطفى رمضان "الشعوبية الجديدة" وسماها وزير التعليم البريطاني السابق وزميله "الفكرة الخبيثة"، فتعصب الترك للقومية الطورانية، وتعصب العرب للقومية العربية.

وقد جربها الإنجليز والألمان والفرنسيون والإيطاليون، إذ كانت كل أمة

تدعي أنها فوق الجميع، حتى في أحلك الأوقات، كما ادعى الإنجليز عند غرقهم وغرق سفينتهم المدعوة "تيتانيك".

ولما تبينوا ضررها دعوا إلى ما يسمونه الإتحاد الأوروبي، وصدروها لنا كما صدروا ما هو أضيق منها وهو الدولة التي سماها "أرنولد توينبي" "الدولة الإقليمية" أي الوطنية ودعت الناصرية إلى القومية ودعى البعثيون إليها، وفشلت كل محاولات الاتحاد العربية، ثم ازداد العرب فرقة، فأصبح الجميع يدْعون إلى الدولة القطرية الضيقة، وأصبح همُّ الزعماء في مصر هو النهضة المصرية، أما العراق والشام فحالها لا يخفى على أحد، وأصبح كثير من هذه الدول يكيد لجيرانه العرب.

ثم كفرت الشعوب بهذه الجاهلية، وتمثل ذلك في ثورات الربيع العربي وتجلى في الجهاد الذي قام في بلاد العراق والشام، حيث تدفق المجاهدون من بلاد الأفغان وجاوه وباكستان والشيشان وإفريقيا غير العربية، لتحرير المسجد الأقصى، ونصرة المجاهدين ضد نظام بشار، كما تدفق الشيعة من تلك البلاد للقتال مع الروس ونظام بشار.

وهكذا أفلست القومية في الدول العربية، كما أفلست في الغرب، وكان من نتائج القومية الدعوة إلى ما هو أضيق من الوطنية، وهو نبش القبليات الجاهلية.

ومن أراد معرفة حكم القومية في الإسلام، فليأخذه من كتاب الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، وليس من إصدارات مؤسسة الفكر العربي في بيروت! كما نقدها الشيخ صالح العبود في رسالة علمية وأثبت أن الذين أسسوها هم نصارى العرب، وهذا ما تدل عليه كتابات كل من بحث فيما سمي النهضة العربية مثل جورج أنطونيوس، وزين نور الدين زين، وبعض الغربيين مثل برنارد لويس في كتابه الغرب والشرق الأوسط.

وأسقط القوميون الترك والعرب الخلافة الإسلامية، وشتتوا المسلمين دويلات متناحرة، على أن انحراف الأمة لم يبدأ منذ سقوط الخلافة، بل الأمر

أقدم من ذلك وأعمق، يبتدئ منذ قتل المجرمون الخليفة الراشد عثمان بن عفان ، ثم قتل الخوارج أخاه علي بن أبي طالب، ثم توالت الانحرافات.

والمسلمون لا يؤمنون بالمسخ المسمى "جامعة الدول العربية" ولا بما هو أضيق كمجلس التعاون الخليجي، أو مجلس التعاون العربي، أو مجلس التعاون المغاربي، ولا بما هو أضيق كالحظائر التي رسمها "سايكس- بيكو" اعتباطيًا وسموها أوطانا، بل المسلمون أمة واحدة، تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يدٌ على من سواهم بلا فرق عندنا بين عربي وعجمي وقريب أو بعيد إلا بالتقوى، ومن كان مسلما فهو أخونا ولو كان في أقصى الأرض، ومن كان فاجرًا فليس منا ولو كان أقرب قريب، قال الله لعبده نوح عليه السلام: ﴿يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

وإيمانا بالقومية العربية نادى العرب بأخوة كل عربي ولو كان نصرانيا أو نصيريا، وحمى الجيش السعودي من سمي "الأخ الشقيق" حافظ الأسد والد بشار، ورابط في جنوب سورية و لم يذهب لفتح القدس.

وإنما صدّر الغرب إلينا القومية والوطنية لما رأوها أخفقت عندهم وأدت إلى نتائج كارثية وانتقلوا هم منها إلى ما يسمى "الوحدة الأوروبية" أو "الأحلاف الكونية" حيث تكون شعوب كثيرة لحمة واحدة، "وانزعجوا لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي، وهل كانت الدولة العثمانية مثلا إلا مجموعة من الشعوب ومجموعة من اللغات، هذا مع أن أهواء الغربيين شتى، ومذاهبهم شتى، ومطامعهم شتى، ولغاتهم شتى، وهكذا، أما المسلمون فإن عوامل الوحدة متوفرة لديهم، وقرآنهم واحد، ورسولهم واحد، وقبلتهم واحدة وتاريخهم واحد، فأي الفريقين أحق بالوحدة؟ وهل يكفي ما يسمونه "التعاون أو التضامن الإسلامي" الذي جعله الأمريكان بديلا عن الخلافة الجامعة، واستخدموه لحرب الشيوعية آنذاك، وجعلوا أنور السادات وأضرابه هم الأمناء!!

وأكثر ما يفرق بين المسلمين اليوم هو اختلاف اللغات، وهذا صحيح

ولكن الأتراك أكثر اهتمامًا بالخط العربي من كثير من العرب.

وانطلقت الرصاصة القومية الأولى من مكة المشرفة، وكان وراء انطلاقها المستعمرون الانجليز ومن رجال الانجليز المشهورين في التاريخ العربي "جلبرت كلايتون" و"كتشز" "ومكماهون" و"برسي كوكس" و"لورانس" والجاسوسة "جروتردبل" وأنشأ "أنطوني أيدن" ما يسمى "جامعة الدول العربية" ليفصل بين الأتراك والعرب، ثم نصبوا عبد الله بن الحسين ملكا على ما أسموه "شرق الأردن" وحاربوا فيصل بن الحسين في ميسلون، لما أراد أن تستقل بلاد الشام عن الاستعمار الفرنسي، وأخلفوا كل وعودهم للشريف حسين.

والآن عاقبهم الله وتحولت الامبراطورية البريطانية الكبيرة، إلى دويلات شتى، وابتلاها الله بما خططته لغيرها، وأصبح الجيش التركي، القوة الثانية في "حلف الناتو"، وأصبحت بريطانيا نفسها مهددة بالتفتت والانقسام، وغزها مستعمراها السابقة غزوا آخر، وأصبح كونها دولة نووية مشكوكا فيه، ولم تعد المعضلة اليوم هي ما سمي "المسألة الشرقية" بل هي ما يطلق عليه الغربيون أنفسهم "الانتحار الغربي".

فليس أمام الإنسان الغربي إلا أحد طريقين: إما أن يسلم وجهه لله فيعيش الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، وإما أن ينتحر ويشقى في الدارين.

وفي عهد السلطان عبد الحميد وهو من آخر العثمانيين، زار "وليم" المسمى عند الألمان "فيلهلم" إمبراطور ألمانيا مدينة القدس، وظهرت جمعية "الاتحاد والترقي" الماسونية، وتحكّم يهود الدونمة في مفاصل الدولة، وظهر في تركيا دعاة التغريب والعلمنة واستصدر الجميع ما سموه "الدستور" وأكرهوا عبد الحميد على إنفاذه.

وظهرت القومية التركية وقابلهم القوميون العرب، وكل القوميات منتنة شرعا، أيًّا كانت، وأول من أنشأ القومية العربية هم النصارى وأتباع الفرق الضالة، وأشاعوا أن عبد الحميد مستبد، وسموا تلك المرحلة (الاستعمار التركي)، وقاومهم الوالي العثماني "جمال باشا"، الذي يسميه

القوميون العرب "جمال السفاح"، وقتَل بعضهم، ولكن الخرق اتسع على الراقع، وفي كتابه "إطلاعات" شرح "جمال" كيف عملوا وكيف قضى عليهم وأمْر الجميع إلى الله وهو الحكَم العدل.

ثم ظهر المجرم الكبير المدعو مصطفى كمال فانهزم أمامه الحلفاء الذين نزلوا في غاليبولي، وظن أتباعه أنه بطل الاستقلال، وألغى فيما ألغى الخلافة الإسلامية والحروف العربية وأحل محلها اللاتينية، ومنع الأذان بالعربية، وفرض العلمانية على الشعب التركي المسلم، ومن ذلك أنه فرض القبعة مكان الطربوش، وتنكر لكل مآثر العثمانيين، وأمر المسلمات بخلع الحجاب، وأمر المسلمين يوم الجمعة بالجلوس على الكراسي كالنصارى يوم الأحد.

وأمره "كيرزون" بقطع كل صلة لتركيا بالإسلام ففعل، وأعرض عن الكتاب والسنة، وفرض على المسلمين ما يفعله النصارى يوم الأحد، واستورد القوانين من الغرب وفرض على الأتراك الزي الغربي، وابتلاه الله بأمراض عديدة منها تليِّف الكبد، وكان يهرش جلده ليلا ونهارا، وعند موته أراد أن يوصي للسفير البريطاني أن يحكم تركيا، وكانت سيرته أقبح سيرة، وخُدع به كثير من المسلمين آنذاك، وكان أكثر الأمة مغفلا، وامتدحه المستشرقون الغربيون كثيرا، غير أن الكاتب والمؤرخ "واطسن" قال إن جمعية الاتحاد والترقي ليس فيها شخص واحد من أصل تركي، ولعله صادق في ذلك، فقد كان أتاتورك نفسه من أصل بلغاري.

أما مؤلف كتاب "الرجل الصنم"فتحدث عن سيرة المدعو مصطفى كمال أتاتورك وأصله وبعض أعماله، والعجيب حقا أن كل الطواغيت الماضين ومنهم "لينين" و"ستالين" حطمت شعوبهم تماثيلهم إلا هذا المجرم، فإن الدستور التركي يحميه، والأحزاب التركية العلمانية معه، ولكن الله تعالى لهم بالمرصاد، فرفضهم الشعب التركي، وقام الشيخ "سعيد النورسي" و"عدنان مندريس" و"نجم الدين أربكان" وأخيرا "رجب طيب أردوغان" يلبون مطالب الشعب المسلم ما استطاعوا، والله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا

ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن:١٦]، ولهم في النجاشي أسوة.

وأسس وزير خارجية بريطانيا آنذاك "أنطوني أيدن" ما سمي الجامعة العربية، ليقضي بها على فكرة الجامعة الإسلامية، التي نادى بها السلطان عبد الحميد، ومنذ ذلك الحين جعلوا العرب والعجم أمتين، وجعلوا الأجنبيَّ هو المسلم الذي من دولة أخرى، مع أن الكل أمة واحدة بالإسلام، ولكن الاتفاقية السرية الخبيثة (سايكس – بيكو) وهما وزيرا خارجيتي بريطانيا "مارك سايكس" من حزب المحافظين، ووزير خارجية فرنسا "فرنسوا بيكو"، هي التي أوجدت هذه الفرقة لأول مرة، وظهر ما يسمى: الوطن العربي والدولة العربية، والجمهورية العربية، والمملكة العربية، والثورة العربية، والجيش العربي، والحزب العربي، والإسعاف العربي، والتاريخ العربي، وكذا العربي ..إلخ، وجعل المجرمون العربَ وحدهم أكثر من عشرين دولة، وجعلوا لكل دولة عاصمة وعلما ونشيدا وطنيا، وبذلك شتتوا المسلمين وجاءوا بحدود مصطنعة بينهم، حتى أن "ولاية الشام العثمانية" أصبحت أربع دول!!

وهذه القومية التي تزعمها ساطع الحصري، وميشيل عفلق، وقسطنطين زريق، وأشباههم هي دعوة جاهلية مقيتة، تقضي على ما هو بدهي لكل مسلم من أنه لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى، كما تقضي على الأخوة الإسلامية الحقة، وللقوميين غرض لا يعلمه بعضهم، هو كما عبر عنه الشيخ عصام العطار:

إن العروبة ثوب يخدعون به   وهم يريدون طعن الدين والعرب

أما مشيخات الخليج فجعلوها دولا أو ممالك مستقلة كما يقال، وباعدوا بينها وبين دين الإسلام وصدق من قال:

مما يزهِّدني في أرض أندلس   ألقاب معتضد فيها ومعتمد

ألقاب مملكة في غير موضعها   كالقط يحكي انتفاخا صولة الأسد

وقد أيدت استقلالها الإمبراطورية البريطانية الماكرة، وهي المستعمرة لها آنذاك وكتبت إلى حكام الخليج الآخرين تحثهم على ما أسمته "حسن الجوار"

مع هذه المشيخات، وصد الإنجليز هجوم فيصل الدويش الشهراني الأصل المطيري القبيلة على الكويت، وقالوا إنما كان هذا عملا باتفاقيتهم مع مبارك الصباح.

وقد قرأت كتابا مولته مؤسسة "فورد" قال (إن الأردن كيان غريب مصطنع) اهـ. وإنما وضعوه ليحولوا بين الإخوان في جزيرة العرب الذين كانوا يتطلعون للشهادة، وبين العصابات الصهيونية في فلسطين!!

أما العماد "مصطفى طلاس" السوري فيقول: إنهم وضعوا الأردن ليحولوا بين أرض الرسالة -أي جزيرة العرب- وبين بلاد الشام. وقد اعترف "كلوب باشا" بعجزه عن إدخال جاسوس واحد بين (الإخوان) في الأرطاوية والغطغط.

ومما يدل على أن تقسيم الدول مفتعل أن القبيلة الواحدة ذات النسب الواحد مثل "شمّر" موزعة على ست دول أو أكثر، ووضع الرئيس الأمريكي "ولسن" في نهاية الحرب العالمية الأولى مبادئه الأربع عشرة، التي قال الشيخ مصطفى صبري "إنها جعلت الأرض سماء والسماء أرضا"، ووُضعت الولايات العثمانية التي سميت دولا تحت الاحتلال الذي سموه "انتدابا"، وبذلك أكمل الغرب الصليبي سيطرته على العالم الإسلامي، وقال الجنرال "اللنبي" البريطاني حين دخل القدس: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، وقال الجنرال الفرنسي "غورو" عند قبر صلاح الدين: "قم يا صلاح الدين ها نحن قد عدنا".

وأراد الغرب المستعمر إتمام المسرحية بتولية بعض من يسميهم شيوخ العرب، وبحث كثيرا، ثم وجد ضالته في أبناء الشريف حسين، الذي صدق وعود "هنري مكماهون" بقيام خلافة عربية يكون الشريف حسين رئيسها، فولوا ابنه عبدالله بن الحسين شرق الأردن، وولوا فيصلا على سورية -كما أسماها الرومان من قبل- ثم على العراق.

وقامت اتحادات عربية كثيرة ولكنها أخفقت جميعها، وبقيت دول الطوائف المعروفة اليوم، وأخيرا أصبحت تلك الحدود واقعا وأنشأ الوطنيون

الخنادق أو بنوا الأسوار ليفصلوا تلك الزرائب المسماه "دولا" بعضها عن بعض.

هذا إيجاز سريع للتاريخ العقدي لهذه الأمة المباركة المنصورة في الشرق.

ونعود الآن إلى غرب العالم الإسلامي وإلى الأندلس بالذات فنقول: إن الأندلس انفصلت عن العباسيين في عهد صقر قريش (عبدالرحمن الداخل) وذلك في أيام الدولة العباسية الأولى.

وانفصال الأندلس عن الشرق أدى إلى اتجاهها غرباً، كما أدى قربها من أوروبا إلى تأثيرها الكبير في النهضة المادية الأندلسية، ولا زال العالم اليوم ومنه المؤرخون الأمريكان يتحدثون عن الأثر الأندلسي في أمريكا ومحاولة اكتشافها، ومن المؤكد أن "كولمبس" رأى مساجد على الطريقة الأندلسية.

ومن جانب آخر كانت العلاقات بين الأندلس والقارة الأوروبية تمر بمراحل بحسب النهضة الأوربية كما تسمى فيها:

أ- مرحلة تقدم الأندلس الحضارية سواء في أوائل فتحها أو في عهد المرابطين الذين جددوا شبابها وقوتها، وكان كثير من ملوك الغرب يفخر أنه تلقى العلم في جامعات الأندلس وأنه يجيد العربية.

ب- مرحلة إخراج الأندلسيين منها: وهي المرحلة الأخيرة التي قامت بسببها مشكلة الأندلسيين المسلمين، الذين يعرفهم الغرب باسم "الموريسك"، وقامت فيها محاكم التفتيش النصرانية، والكاثوليك حينها يعدّون كل تقدم حقيقي إسلامياً، فالاغتسال علامة على الإسلام، وقالوا إن الملكة إيزابيلا لم تغتسل في حياتها إلا مرة وحدة يوم ولادتها، كما أن نجاسة كذا علامة على الإسلام، والامتناع عن أكل لحم الخنزير عندهم علامة على الإسلام، أما ترك الذهاب إلى الكنيسة فلا يحتاج إلى فهم خاص.

وكانت محاكم التفتيش تحرق كل من اعتنق الإسلام، وأبى أن يكون كاثوليكيا.

وبالجملة نقول إن ما عاشت فيه الأندلس من ترف وبذخ وغناء وتمتع بملذات الدنيا وترك للجهاد، والوقوع في موالاة الكفار -تسبب في سقوطها

نهائيا بيد الملكين الكاثوليكيين "فرديناند وإيزابيلا"، وتلك سنة الله التي لا تتخلف، وشتان شتان بين طارق بن زياد وأبي عبدالله الصغير، الذي عقد مع النصارى عهدا من ٦٢ بندا نقضها النصارى وغدروا بالمسلمين.

وظهر في الأندلس شعراء كثيرون منهم (ابن زيدون، والمعتمد بن عباد، ولسان الدين بن الخطيب)، وقد قال بعض الغربيين إن أهل الأندلس شعب يقول شعرا. أما المغنون والجواري فلا يحصون، وكذا أصحاب الموشحات كالأعمى التطيلي، وكان من عادة الأندلسيين إجازة شطر البيت من الشعر بشطر آخر.

ومما درج هناك بين الشعراء وغيرهم تلك العادة الذميمة المتمثلة في شرب الخمر حتى كثر عندهم من يقول: أدر الكأس أو اشرب الراح وأمثال ذلك، وهذا هو الداء الذي دب في الأمة في هذه الأيام، حتى أن بعضهم قال "الدنيا سيجارة وكأس"، والبعض قال: ما قيمة الليل لولا العود والوتر" وهذا غاية الذل والضياع!

وقد كان أحد عوامل تخلي الغرب عن النصرانية تدريجيا وأخذه بأسباب التقدم الحديث، وتدرجه في مدارج الحضارة أن الغرب أخذ كثيرا من الأندلس، كالعلوم والمعارف الشريفة، كما أخذ الأفكار الضالة "كالصوفية" الفلسفية التي نشرها أهل البدع هناك، وأخذ "وحدة الوجود" التي كانت عند ابن عربي وأتباعه، واعتنقها كثير من المفكرين الغربيين آنذاك.

وأخذ فكرة النقد التاريخي للكتاب المقدس، التي أفاض فيها الإمام ابن حزم، لكن الغرب نسبها لليهودي "سبينوزا" في هولندا، وأخذ الغرب فلسفة ابن رشد الذي يسمونه "ايفروش" أو إفروش وآمن بفلسفته ألبرت الكبير وتلميذه توما الإكويني، وعلى ما يسمونه "الرشدية" قامت الفلسفات الغربية الحديثة، ولا تزال "الرشدية الجديدة" مصدر إلهام لكثير من الفلسفات المعاصرة.

بل إن اعجابه -أي الغرب- وانبهاره بما عليه أهل الأندلس جعله

يستورد بولهم ويستشفي به، وكان أوفر الملوك الغربيين حظا، هو من يرضى خلفاء الأندلس أن يبعث إليهم ابنه.

كما أخذ الغربيون من الأندلس الفروسية، والشعر، وحب الموسيقى والمعازف، وحب الغناء واللهو، وأخذوا منهم كذلك الصناعة والطب والفلك والحساب والعلوم المختلفة، وبناء الكاتدرائيات والمدن وأخذوا عنهم الأزياء والعادات، كما أخذوا عنهم اللغة، ولا يزال في اللغات الغربية ألفاظا عربية حتى اليوم، وإذا أرادوا أن يروج كتاب جعلوا لمؤلفه اسما عربيا.

وأكثر أجزاء أوروبا تأثرا بالإسلام بعد إسبانيا هي المقاطعات السويسرية التي لا تزال تفخر حتى اليوم بأجدادها العرب.

ومن أشهر من يسمون المصلحين الدينيين السويسريين "كالفن" الذي أسس مدينة الله في "جنيف"، وعلى مذهبه قامت حركة البوريتان، وأكثر الأمريكان والانجليز والكنديين اليوم على مذهبه مع تعديلات وإضافات أدخلها النصارى كعادتهم في الابتداع والضلال.

وكانت الكنيسة النصرانية تعد اللغة العربية والإسلام والقرآن.. إلخ أعداء حقيقيين، وتحرق حيا من تأثر بذلك من الغربيين، فالتثليث مثلا -وهو دينها وعقيدتها- لا يمكن أن يشكك فيه أحد، ومن كان سبب شكه هو الاسلام أو معرفة القرآن فهو عندها زنديق سواء عند الكاثوليكية أم عند البروتستانتية، وعندما كتب "سرفت" كتابه "خطأ التثليث" فسرته الكنيسة بأن "سرفت" تأثر بالحياة الأندلسية وبمعرفته باللغة العربية، وربما كان ذلك صحيحا، غير أن كل ذي عقل وفطرة يعلم أن التثليث باطل. وأحرقت الكنيسة النصرانية "سرفت" حيا وحرّمت كتابه، وكان حرقه على يد "كالفن" الذي كان من زعماء الإصلاح الديني عندهم، ولا تزال الكالفينية من أكثر المذاهب رواجا في الغرب، ومن أهم الكنائس التابعة لها الكنائس المشيخية، ولكالفن تأثير واضح في الكنيسة الانجليكانية التي يتزعمها اليوم رئيس أساقفة كانتربري، وكذلك في الكنيسة الأسقفية التي ينتمي إليها ترامب.

والغاية أنه بتأثير مراكز الحضارة الإسلامية في الأندلس وصقلية وجنوب إيطاليا والحروب الصليبية دخل الغرب في عصر النهضة كما يسمونه، ثم عصر التنوير، لكن استعرت في أوروبا الحروب الدينية وسفكت دماء الملايين وبعضها ظل أكثر من قرن، وأما تأثر ما يسمونه "الإصلاح الديني" بالإسلام فأمر معروف ومشهور عندهم وعند كل مؤرخ، لا سيما تحطيم الأصنام (التماثيل) التي يسميها أهلها الآثار المقدسة.

وبتأثير الصوفية نشأت الميثودية والكنائس المشيخية في الغرب، كما أن التأثر بالإسلام وصل إلى حد إسلام بعض البابوات سرا، كالبابا يوحنا بولس الثاني الذي اعتذر للمسلمين عن الحرب الصليبية، وزار لأول مرة في تاريخ البابوية مسجدا للمسلمين واستنكر الحرب الأمريكية على العراق، وأصدر لأول مرة قرارا بابويا بأن الخلاص يشمل المسلمين، وقد عمل عنده كخادم أحد الإخوة من غامبيا، وأخبرني أنه دخل عليه بالشاي فوجده يصلي كصلاة المسلمين.

ثم إن هذا الأخ أسلم وعاد لبلاده وجاء إلى مكة حاجا وأخبرني بالقصة، وقد حاول أحد الأتراك "محمد أغا" اغتيال البابا ثم إن البابا عفا عنه وأوصى بإخراجه من السجن.

وأخباره طويلة وإن صح أنه أسلم فهو كمؤمن آل فرعون الذي كان يكتم إيمانه.

ومن المعلوم أن الذي خلفه في البابوية هو البابا "بندكت السادس عشر" الذي استقال وقال سكرتيره: إن من أسباب الاستقالة تسرب وثائق سرية من مكتبة الفاتيكان (لعلها الأناجيل الآرامية).

وكان الغربيون يتبعون حكامهم في كل شيء ويعهدون بالحكم لمن هو لا يزال في المهد، وإذا تزوج البروتستانتي كاثوليكية أو العكس، خضع كل الشعب للمذهب الجديد وترك ما كان عليه، وهكذا كان الغرب، ويظنون أن المسلمين اليوم ما هم إلا على ما كانوا هم عليه.

واعتنق الغرب القومية والوطنية، وآمن مفكروه وفلاسفته بالعقلانية والمادية، ونادى الأدباء هناك بالتعري والاختلاط، ودافعوا عن الساقطات والبغايا، ثم نادى "بسمارك" بما نادى به "لايبنتز" من قبل من ضرورة توحد أوربا النصرانية لمحاربة الخطر التركي -أي الإسلامي-.

ووضع الغربيون مئة مشروع لتقسيم تركيا ومنها التقسيم الذي نعيشه الآن، حيث جعلوا الدولة العثمانية عشرات الدول، ومن ذلك حربهم للمسلمين في "القرم" وعدهم الشعوب الأوربية المسلمة مثل الألبان والبوسنيين ومن هداه الله من البلغار والصرب والفرنسيين والإيطاليين أتراكا أجانب.

أي أن أوربا ليس لها دين إلا النصرانية وكل من تدين بغير دينها فهو أجنبي!! ثم كانت الثورة الصناعية، ثم ثورة المعلومات في عصرنا الحاضر.

والغرب مع علمانيته، يتعصب لدينه ويحارب الإسلام أشد المحاربة ويسميه إرهابا، وكل المسلمين في نظر الغربيين إرهابيون متطرفون، حتى إنهم في عصرنا الحاضر يحظرون تداول نسخ من القرآن الكريم في كثير من الدول الأوروبية، ويقولون إنه يحرض على الإرهاب.

ويتحالف الغرب مع كل عدو للإسلام خصوصا المرتدين والمنافقين الذين يسميهم الغربيون "معتدلين"، ولا تكاد تدرس حياة أي مفكر أو أديب أو فيلسوف غربي، إلا وجدته درس في مدرسة لاهوتية أو تخرج من معهد لاهوتي أو عينوه شماسا أو كاهنا في كنيسة! أو أراد والداه أن يكون "رجل دين"!

واهتم الغرب بمن ترك دينه من أبناء الإسلام، وذكر الشيخ مصطفى صبري أنهم ألفوا عن عدو الله "أتاتورك" ٦٠٠ كتاب! وهو الذي ألغى الخلافة وأحيا سيرة جنكز خان.

ولدى المسلمين بلغت القومية العربية ذروتها في مصر وسوريا والعراق وغيرها، ونقل المسلمون هذه الشعوبية والجاهلية المنتنة من الغرب المظلم.

وكان الانقلاب المصري الذي سمي "ثورة"، وحارب "جمال عبدالناصر" الإسلام بكل عنف، وأقام مؤتمرات وتحالفات مع الكفرة مثل "نهرو" و"تيتو"

و"نيريري"، وسجن أو قتل الدعاة وسمى الاسلام رجعية، وتأثر به كثيرون خارج مصر، وألغى المحاكم الشرعية والأوقاف وكل شيء إسلامي، وأفسد الأزهر وجعله تابعا للدولة، ووالى الاتحاد السوفيتي، وقال في خطاباته إن الروس أنشأوا "السد العالي" ذلك السد الذي يقول الخبراء إنه لو انفجر بسببٍ ما، سوف تبلغ المياه الدور الرابع في القاهرة، والذي حجز فيما حجز الطميَ الذي تستفيد منه الأرض، ثم بنت أثيوبيا سد النهضة وأصبحت مصر بفضل تنازلات عبدالفتاح السيسي مهددة بالتصحر.

ورفع جمال شعار "رمي إسرائيل في البحر" وذكر عنه "كوبلاند" ما يفهم منه أنه كان عميلا أمريكيا وكتب البوطي عكس ذلك، وقيل إنه يهودي، والله أعلم.

وهلل له القوميون في فلسطين وفي كل البلاد العربية، ووضعوا صورة جمال عبدالناصر على المصاحف، فضلا عن المجلات والجرائد والمحلات، وقال لي من لا أتهمه من نيجيريا أنا وضعت على الظرف "الجمهورية العربية المتحدة -المدينة المنورة"، وكنت أظن أن المدينة من ضمن الجمهورية كما أرى وأسمع.

وقال لي أحد المطلعين إن الغرب كان يسمي العرب كلهم "بدو ناصر"!! وأنكى من الفتنة بالقومية أن الشعوب وقتها كانت مغفَّلة، ليست كاليوم، وأن القومية كانت هي العقيدة الرائجة وقد قال الشاعر القروي اللبناني:

هبوني عيدا يجعل العرب أمة ** وطوفوا بجثماني على دين برهم

وقال أحد الشعراء البعثيين:

آمنت بالبعث ربا لا شريك له * وبالعروبة ديناً ماله ثاني

وطالب جمال عبدالناصر -لكي تصدقه الشعوب- بأن يكون النفط في خدمة القضية العربية، واحتل اليمن، وجرائمه لا تحصى.

كما أسس النصراني "ميشيل عفلق" حزب البعث العربيٍ الاشتراكي، وجعل الإسلام مرحلة من مراحل العروبة، وعدَّ النبي ﷺ بطلاً، كما فعل

"توماس كارلايل"، وعد الفتوحات الإسلامية "فتحا عربيا"، وشوه التاريخ الإسلامي كله، ورفع أهل الكتاب، وجعل نصارى العرب محسوبين مع أئمة الإسلام، ويقال إن البابا شكر له ذلك الصنيع وعظّمه، لأنه -أي عفلق- نجح في ما أخفق فيه الباباوات السابقون. ووصل الأمر إلى أن صوَّت بعض المسلمين للنصارى بحجة أننا كلنا عرب، واختار بعض أهل الشام فارس الخوري رئيسا للحكومة، واختارت السعودية جميل البارودي مندوبا دائما لها في هيئة الأمم المتحدة، وظل حتى مات بعد أكثر من ربع قرن في هذا المنصب.

كما أنشأ الغرب دولة لبنان التي شرط دستورها أن يكون رئيسها نصرانيا وهي اليوم أكثر الدول اضطرابا.

ولما زار رئيسها السابق سليمان فرنجية السعودية، عرضوا له في ميدان البيعة بجدة مع علمهم أنه نصراني، ولكنه عربي كما يقول الإعلام المضلِّل، ثم إن النصراني الآخر "ميشال عون" زار السعودية أخيرا، وإنما لبنان بلد إسلامي عريق من بلاد الشام، أوى كثير من العباد إلى جباله، وأشهر أعلام بيروت هو الأوزاعي.

وقامت الدولة النصيرية البعثية في بلاد الشام، وبعد أن سماهم العثمانيون العلي إلهية أي المؤلهين لعلي سماهم الفرنسيون "العلوية"، ومع أنهم أقلية موطنهم الساحل فقط، فقد حكموا الشام كله ودخلوا في الجيش. أما الدروز الساكنون في السويداء وغيرها من المحافظات فقد كان منهم "سلطان الأطرش" الذي ينسبون إليه الثورة على الفرنسيين، ومن الدروز الذين ظهروا بعد ذلك كمال جنبلاط وابنه وليد، وكما اشتهر الدروز بولائهم لبريطانيا، اشتهر النصيرية بالولاء للفرنسيين!

كما أن الإسماعيلية في "سلمية" وغيرها أخذوا في نشر مذهبهم وألف "عارف تامر" كتبا جعل فيها كثيراً من أئمة المسلمين إسماعيلية.

ووصلت الأمة إلى حالة مزرية جدا، ومرت بها سنون خداعات، ولما أراد الله تعالى أن يتداركها هزم اليهودُ جيشَ عبدالناصر في الحرب المسماة

حرب الأيام الستة أي في سنة ١٣٨٧هــ.

وبعد تلك الهزيمة النكراء عاد كثير من القومين إلى الإسلام، وأيقنوا أن غيره باطل، ثم أنشأ القوميون معهد أو "مؤسسة الفكر العربي" وجعلوا الأمة المسلمة الواحدة أمتين عربية وإسلامية، وأعقب موت عبدالناصر مجيء أنور السادات حاكما لمصر، واضطر أنور السادات إلى طرد الروس وإباحة الكتب الدينية ليحارب الشيوعيين، وأعلن السادات أن ٩٩% من أوراق القضية الفلسطينية في يد أمريكا أي حامية اليهود، وقال: "لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة" وزار الدولة الصهيونية، ووقع مع "بيجن" و"كارتر" اتفاقية الذل والعار المعروفة باسم اتفاقية "كامب ديفيد" ثم قتله شعبه وتلك هي عاقبة من يبيع نفسه ودينه للكفار.

وجاء بعد ذلك الطاغوت "حسني مبارك" فسار على نهج أسلافه وعذب المسلمين حتى قالت بعض التقارير إنه استخدم فيروسات الإيدز، واستعمل سياسة تجفيف المنابع والاختفاء القسري والسجون السرية، وكل وسائل القمع والكبت، وما زاد ذلك الشعب المصري إلا تمسكا بدينه فعاد إلى الحجاب وانتشرت الكتب الدينية والشعائر الإسلامية، ليس فقط بين المعارضين لحسني مبارك بل بين الجيش ورجال الأمن وفي شوارع الفسق والفجور وأماكنها، وأمده حكام الخليج بالمساعدات الكثيرة، ولم يعتبر بما جرى لسلفه الطاغية، فثار عليه المصريون، وجيء بما يسمونه "الديمقراطية" فانتخب المصريون "محمد مرسي" وهو أول رئيس غير عسكري يتولى مصر وجاء مرسي إلى مكة المشرفة وبكى عند سماع القرآن وجاهر بالترضي عن الشيخين في طهران، وقرأ بعض الآيات فوق منبر الأمم المتحدة ورفع الأجور ووضع خططا لجعل مصر دولة متقدمة حضاريا، الأمر الذي أغاظ اليهود فلم يحصل على قرش واحد من دول الخليج، مع أنه تحدث عن ذلك هو ورئيس مجلس الشعب "سعد الكتاتني".

واجتهدت أمريكا أن تغيّر مرسي فانقلب عليه قائد الجيش السيسي،

وغيَّر الدستور وجعله لا دينيا، وفتح السجون ونادى بالمساواة بين المتدين – من أي دين– وبين الملاحدة، فجاءته المساعدات من كل مكان، وافتعل انتخابات أخرى ولم يصوت له إلا قلة من المصريين ومع ذلك حارب الأكثرية وعد كل من رفض طغيانه إرهابيا، وانقلب على من يساعده من دول الخليج الذين الفلوس عندهم مثل الرز، ثم عاد إليهم لكنهم لم يعتبروا بفعلته الأولى.

كما عد السيسي الجهاد في فلسطين إرهابا ووالى اليهود ودمر سيناء خصوصا مدينة رفح المصرية، وفتح معبر طابا لليهود دائما، بينما أغلق معبر رفح في وجه الفلسطينيين وأغرق قطاع غزة، ونشر الفساد والإباحية في مصر لكي يشغل المصريين عن الغلاء وسوء الإدارة والمظالم التي في عهده.

وبرأ حسني مبارك من كل جرائمه، وأعاد فلول الحزب الوطني الحاكم، وضرب بطائراته المدنيين في ليبيا، وحكم على مرسي بالإعدام، وجاهر باحترامه للدولة الصهيونية وأمريكا، مع أن الإدارة الأمريكية لم تعطه من عندها شيئا لا سيما في مؤتمر شرم الشيخ، وأمريكا نفسها من سنوات تعاني من أزمة مالية خانقة، وأُقفلت فيها مئات البنوك والمحال التجارية وأحاطت بها المشكلات من كل جانب، وهذا من عقوبة الله لمن يوالي اليهود أيا كان، ولا يظلم ربك أحدا، وهكذا تخلى السيسي عن الإسلام ليقع في خرافات أمريكا وشعوذتها، وأمريكا أكثر خرافة من الريف المصري بكثير.

ومن أعظم خرافاتها أنها تؤمن بالتثليث والتنصير، وتكفر برسالة نبينا محمد ﷺ وفيها عبدة الشيطان، وتحتل كثيرا من بلاد المسلمين وتعادي الإسلام وتسميه إرهابا ورفضا للآخر وتكفيرا وتطرفا وأصولية، وتتعاون مع الرافضة حقيقة وإن أعلنت خلاف ذلك.

والمقصود أن الشعوبية عادت من جديد ولكن في ثوب عربي هذه المرة، وهذا كله لمحات موجزة جدا عن التاريخ العقدي عند أمة الإسلام.

وإليك طرفاً من الحديث عن أهم الفرق في الإسلام.

١- الصوفية

ابتلي المسلمون بانتشار التصوف الذي فتك بالعوام كما فتك علم الكلام بالمثقفين، والصوفية ليسوا نوعا واحدا بل هم أصناف كثيرة، ومنهم صنف نسبهم بعض المترجمين إلى الصوفية وليسوا منهم، وأمريكا اليوم تقول إن الصوفية معتدلة، وتحث بقية المسلمين على الاعتدال، وأنا من خلال تتبعي العلمي والواقعي وجدت أن الصوفية عدة أصناف:

الصنف الأول: الزنادقة، وهم المتفلسفون منهم والحلولية والاتحادية، والقائلون بوحدة الأديان، وأصحاب وحدة الوجود، وعلى رأسهم "الروحانيون" الذين ذكرهم الإمام خشيش بن أصرم الذي يسميه بعض المستشرقين وأتباعهم "كشيش"، وهو شيخ فاضل محدِّث، وكتب عنهم الملطي وغيره، ومن هؤلاء "عبدك" الصوفي، وهؤلاء الروحانيون بقي منهم بقية، ويقولون "فلان تروحن" إذا تعلم السحر عياذاً بالله، وترك أكل لحم الحيوان في شروط لهم. كما ذكره لي بعض التائبين ممن كان يتعلم السحر، وهم فرقة غنصوية برهمية في الأصل، وهؤلاء الروحانيون ذكرهم البيروني وقال إنهم سوفية، وذكر أنهم طائفة من الهنود، وبعضهم يتبعون "بوذا" وبوذا عندهم يعني "العارف" ويسميهم بعض المؤرخين "أصحاب البدود"، والبد هو بيت العبادة البوذي، وفيه جملة من الأصنام، وربما كان أصله "بوذا" المعبود عندهم.

ومنهم من يدعي الإسلام ويظن الجهلة أنهم من أهل الولاية، كابن عربي وهو محي الدين بن عربي الحاتمي الطائي صاحب "الفتوحات المكية" و"فصوص الحكم"، و"عنقاء مغرب"، و"خاتم الأولياء" وغير ذلك من المؤلفات، وله ملاحم في أحداث آخر الزمان يحفظها بعض العامة، وقد عشق امرأة مكية، وتغزل فيها، ومن أخطر معتقداته إيمانه بوحدة الوجود "الاتحاد المطلق" التي دان بها كثير من الفلاسفة الغربيين والمفكرين الأوروبيين لاسيما في عصر التنوير كما يسمى، ولا عجب في أن يؤمن فلاسفة عصر التنوير – كما يسمونه– بهذه العقيدة الفاسدة، فقد عاشوا في بيئة نصرانية تؤمن بأن

الرب يحلّ في المسيح، وتقول إن الله هو المسيح ابن مريم، تعالى الله عما يصفون، فلما هرب هؤلاء من عقائد رجال الدين النصارى، وجدوا ما يناسبهم في عقيدة وحدة الوجود المعروفة لدى الفلاسفة وهي من أفكار الفيلسوف "أفلاطون"، و لم يؤمنوا بعقيدة التوحيد، التي يؤمن بها المسلمون، ومن أسباب ذلك شدة تعصبهم وبغضهم للإسلام مع جهلهم بحقيقته، وهذه العقيدة الضالة "الحلول" أو ما يسمونه "التجسد"، -لا يزال عليها النصارى إلى اليوم- إلا من أسلم أو ظل حائرا مترددا لا يؤمن بأي دين، وممن ظل عليها من النصارى وسمعته بنفسي الأفاك الأثيم "أنيس شورش" الذي أوحى إليه الشيطان كتاب "الفرقان"، وكثير من الغربيين اليوم لاسيما في أمريكا، وشورش عربي من أصل فلسطيني.

وهناك -في أمريكا- يتعصب للنصرانية المحرفة الأصوليون تعصباً شديداً، ومن كفَر بالأصولية انتقل إلى وحدة الوجود، وليتهم يفرون إلى الله وإلى دين الإسلام وينكرون البهتان سواء جاء من الكنيسة "الكهنوتية" أومن الشرق المجوسي، وليس لهذه العقيدة الفاسدة ذكر في شيء من الأناجيل التي يؤمنون بها، ومن النصارى الذين كفروا بهذه النصرانية وأظنه يكتم التوحيد "إدوارد سعيد" -وهو فلسطيني أيضاً- الذي كتب كثيراً عن فساد الغربيين وتعصبهم، وأعلن براءته من الأصوليين، لاسيما بعد أن أصدر الغربيون فيلم "موت أميرة"، كما كتب كثيراً عن السلطة الفلسطينية واتهمها بالسذاجة السياسية.

وقد نقل ابن عربي صفات المهدي المزعوم عند الرافضة إلى خاتم الأولياء عند الصوفية، وللصلة بين الطائفتين سهل على إسماعيل الصفوي نقل إيران من الصوفية إلى الرفض.

وابن عربي كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية "أوتي ذكاء و لم يؤت زكاء"، وقال: "إنه قدم لحم الخنزير على طبق من ذهب"، أي أنه جعل البيان العربي وجمال الأسلوب العربي، وسيلة لتحريف معاني القرآن ونشر زندقته،

ومن ذلك قوله عن العذاب إنه من العذوبة، ومن عقائد ابن عربي: أن كل من عبد شيئاً فإنما عبدالله، حتى من عبد النار أو الأصنام أو الجن!

وحرف ابن عربي قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٢٣]، فجعل "قضى" بمعنى "قدر" لا بمعنى "أمر". وكان يؤمن بما يسمى اليوم "وحدة الأديان"، وأنكر على من اعترض على أي دين كان، وهذا غير ما له في المنطق من عثرات وأخطاء.

ومن شعره أنه قال:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي   إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
فقد صار قلبي قابلا كل صورةٍ   فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائفٍ   وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت   ركائبه فالحب ديني وإيماني

أي أن ابن عربي لو كان حيّاً اليوم لكان ممثلاً للأمين العام للأمم المتحدة أو عضواً في معهد (جارودي) للأديان، أو موظفاً في وزارة الخارجية الأمريكية، وهو على كل حال يصلح ماسونياً عريقاً.

والمقصود أن عقيدته الخبيثة هذه انتشرت بين كثير من الصوفية، وربما اعتقد جهالهم أن ذلك ولاية وكرامة. وقال لي أحد الشيوخ من غرب إفريقيا: إن رجلاً فجر بامرأة فلما قيل له هذا حرام قال: "الله جامع الله" تعالى الله عما يشركون.

وقابلت في "لوس انجلوس" بولاية كاليفورنيا الأمريكية شاباً قال لي بكل وقاحة "أنا الله" تعالى الله عما يصفون، وقال عبد الكريم الجيلي:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا   وما الله إلا راهب في كنيسة

وعلى هذه العقيدة الخبيثة سار "ابن سبعين" الذي قال: "لقد حجّر ابن آمنة واسعاً"، أي أن النبي ﷺ ضيّق بالتوحيد، أو بختم النبوة ما هو واسع عنده!

وابن سبعين فيلسوف أندلسي غامض العبارة غريب الألفاظ نقض الفلسفة المشرقية وأعجب به كثيراً المستشرق "ماسنيون" وألف "بدّ العارف" الذي حققه جورج كتوره، وكان يؤمن بوحدة الوجود التي نادى بها ابن عربي، والأرجح أنه كان يتعامل مع الجن، وأنه مات منتحرا، وقد نقض كلامه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

وعلى هذه العقيدة كان العفيف التلمساني وغيره، وعليها أيضاً كان ابن الفارض المسمى عند بعض الصوفية "سلطان العاشقين"، وهو صاحب القصيدة التائية المعروفة التي منها:

لها صلواتي بالمقام أقيمها وأشهد فيها أنها لي صلّت

وقال:

وما زلت إياها وإياي لم يزل و لا فرقَ، بل ذاتي لِذاتي أحبَّتِ

وكان من المعظمين له المستشرق "أربري".

وكان أبو الحسين الحلاج قبل هؤلاء، وهو الذي يسميه بعض المستشرقين "شهيد الإسلام"، وكان المستشرق "لويس ماسنيون" يعظمه جداً.

وكان الحلاج يعتقد وحدة الأديان أيضاً، ومن شعره:

تفكرت في الأديان جداً محققاً فألفيتها أصلاً له شعب شتى

وقوله:

على دين الصليب يكون موتي فلا البطحا أريد ولا المدينة

ويعني بالبطحاء "مكة شرفها الله" فهل هؤلاء أولياء؟!

والحلاج هو صاحب "الطواسين" التي طبعت، وحاكمه العلماء والقضاة طويلاً ثم قتلوه. وقد اغتر بكلام المستشرقين أول الأمر الدكتور عبدالرحمن بدوي، ثم عرف دسّهم فيما بعد وعاد إلى الإسلام في آخر عمره.

وقد ذهب الحلاج إلى الهند واتبع سحرهم، وجاء بمخاريق كثيرة، لا مجال هنا لتعدادها، وممن أطال في ترجمته الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد.

هذا وفلاسفة الغرب في عهد التنوير المزعوم، تأثروا بالرهبانية من جهة، وبما كان عليه بعض مَن تصوف من المسلمين من جهة أخرى، ثم ارتد الغربيون إلى الجشع والربا والاحتكار وحب الدنيا فصاروا رأسماليين ماديين، وأكثر هؤلاء نباتيون يحرمون أي شيء حيواني.

وفي هذا العصر كان "برناردشو" يُظهر ويعلن أنه نباتي والله أعلم بحاله!

وهذه النباتية منتشرة اليوم ليس عند الهندوس فحسب، بل عند البوذية الشمالي منها والجنوبي، ومن تعاليم البوذيين قولهم "لا تقتل" أي لا تقتل أي شيء لا حيواناً ولا طيراً، وليتهم لا يقتلون المسلمين في بورما مثلاً فهم أولى من البهائم والطير.

وكان الشاعر المعريّ على هذا المذهب الباطل، ولما قربوا له دجاجة قال: استضعفوك فأكلوك هلا أكلوا شبل الأسد"!!. نعوذ بالله من الضلال.

ومن الزنادقة في هذا العصر المدعو محمود محمد طه السوداني، وقد قتلوه بعد محاكمة له وإثبات لزندقته، وهو كبير من يسمون "الجمهوريين" في السودان، ولهم أتباع في الحجاز.

ومن هؤلاء الزنادقة من يهجر القرآن بالكلية، بل ذكر أبو حامد الغزالي عنهم أنهم يشترطون في الخلوة ألا يفرق فكره بقراءة "لا من قرآن ولا غيره". ولذلك نجزم أن كل ما يرونه أو يسمعونه من أفعال الشياطين ومردة الجن، كما كان هؤلاء الشياطين يغوون اليونان الذين كانوا يظنون أن الجن آلهة، ويسمون جبل "الأوليمب" جبل الآلهة، وخلّفوا ذلك للصوفية الذين يعتقدون أنهم "أي الجن" رجال الغيب، وأنهم يتصرفون في الكون، ويدبرون الأمر، –كما يقولون– تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ومنهم من يزعم أن "الواصل" يترك الفرائض وتسقط عنه كل الواجبات، فلا يصلي ولا يصوم ولا يقرأ القرآن ولا يحج البيت..الخ، ومن الزنادقة اليوم في الغرب من يؤمن بما يسمونه "الثيوصوفية" وكان منهم "مكنمارا" وزير الدفاع الأمريكي أيام حرب فيتنام، الذي صار رئيساً للبنك الدولي إلى أن تقاعد.

ومكنمارا هذا هو القائل: "إن سياستنا (أي سياسة الغرب) غير أخلاقية وغير قانونية وغير ضرورية"، وهو مؤلف كتاب "اقتربت الساعة".

وممن كان يؤمن بهذه الروحانية أو الثيوصوفية وفقرها فلاسفة اليونان وقبلهم كان الهندوس والبوذيون، ولا يزال كثير منهم يقدّس الفقر إلى هذا اليوم، ويحرمون المال وزينة الله التي أخرج لعباده.

وهذا كله ليس من الإسلام، فقد تعوذ النبي ﷺ من الفقر والعيلة وتعوذ من الجوع، وسأل الله العفاف والغنى والتقى، أما تحريم اللحم، والحياة على النبات فقط فهو مخالف لصريح القرآن، فالله تعالى إنما حرم من الذبائح واللحم أنواعاً معينة فقط.

والبنك الدولي للإنشاء والتعمير وكذلك صندوق النقد الدولي يجب أن يخضعا لكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، كما يجب الكف عن أوامرهما الساذجة، التي تقضي بإلغاء الدعم للمحروقات أو الحبوب الغذائية وتحميل الغلاء للشعوب المنهكة.

ومن الشر الذي جلبه البنك الدولي للإنشاء والتعمير على بلاد الحرمين، أنه أشرف على تأسيس معهد الإدارة العامة بالرياض، ذلك الذي درّس القوانين وسماها "أنظمة" وأخيرا صرحوا بتسميتها قوانين، والمتخرج من المعهد يعيّن في الديوان الملكي، وقد زرت المعهد وقابلت بعض مسؤوليه واطلعت على قسم الوثائق فيه.

وهذا القسم من الصوفية يتبرأ منه شيوخ التصوف، وعليه ركز الشيخ حامد فقي في تعليقاته على مدارج السالكين مخالفا لما في كلام ابن القيم من العدل وعدم التعميم، وقبل ابن القيم كان شيخه ابن تيمية أيضا.

والقسم الثاني: هم الضالون المبتدعون، ولا يكاد يخلو صوفي من بدعة وربما تزندق بعض هؤلاء المبتدعة، وهم أكثر الطرق المنتشرة اليوم، ويؤمنون بالحقيقة مقابل الشريعة، وبعلم الخرق مقابل علم الورق كما يقولون، بالتعليم اللدنّي مقابل التعليم المكتسب، وقديما قيل لبعضهم "ألا ترحل إلى

عبد الرزاق فتأخذ عنه الحديث؟ فقال: من كان يروي عن الرزاق لماذا يذهب إلى عبدالرزاق"!.

وعلى رأي هؤلاء يكون الإمام أحمد بن حنبل قد أخطأ حين رحل إلى عبدالرزاق الصنعاني ليروي عنه!

قال ابن القيم رحمه الله: "هو علم لدنّي ولكن من لدن من؟" أي أنه من لدن الشيطان نعوذ بالله منه.

وقد قال شاعرهم قديما:

إذا بارزونا بعلم الورق　　　برزنا عليهم بعلم الخرق

وقال آخر: "أنتم تأخذون علمكم ميتا عن ميت، فتقولون حدثنا فلان عن فلان، ونحن نأخذ عن الحي الذي لا يموت"، ولا تكاد تقرأ ترجمة أي صوفي إلا وجدت له خصاماً مع الفقهاء!

وبالإضافة إلى ضلالهم في مصدر التلقي ضلوا في أمور كثيرة مثل الحقيقة المحمدية، والنور المحمدي، والإنسان الكامل، وكون الإنسان خليفة الله في الأرض وغير ذلك.

أما الجهاد فلا يعيرونه أي اهتمام، ولم يعهد عنهم ذلك، بل إن بعضهم ليقود خيل التتار والمستعمرين الأوروبيين، ويقول إن هذا من ذنوب المسلمين، وإنه يوافق القدر وإن خالف الشرع ويسمي ذلك "الحقيقة الكونية" كما فعل جلال الدين الرومي مع هولاكو.

ولذلك نجد أمريكا اليوم تعدهم من المعتدلين كما ورد في تقرير "مؤسسة راند".

ومنهم من حوكم على الزندقة ولكن لم يقروا بذلك: كالنوري وذي النون المصري وأبي يزيد البسطامي، ويقولون إن ما صدر منهم كان في حال الاصطلام، وإنه نوع من الشطح الصادر مع غيبة العقل، وإذا ثبت أنهم تكلموا بذلك حال غيبة العقل فغايته أن يكونوا معذورين ولا يُقتدى بهم.

وهم يتعبدون بالرقص والتمايل والغناء وبكثير مما لم يثبت عن النبي ﷺ أو أحد من السلف الصالح، وليس هذا خاصا بالمولوية أو بالمعاصرين، بل ذكر ذلك ابن الجوزي وقبله ذكره الشافعي، وقد أنكر الإمام الشافعي رحمه الله ما يسمى التغبير وقال: "أحدثته الزنادقة"، وكانوا قديماً يضربون بالقضيب على شيء موضوع، ثم ضربوا بالدف، ثم تطوروا في هذا العصر إلى الآلات الحديثة.

وقد قال الشاعر قديما:

أرى جيل التصوف شر جيل فقل لهمُ وأهون بالحلول
أقال الله حين عشقتموه كلوا أكل البهائم وارقصوا لي

ومنهم من يصنع الحروز والحصون والأذكار البدعية ويعطيها العامة والجهال فيزدادون جهلاً وفقراً وتخلّفاً، وكان أحد شيوخهم يصنع ذلك ويسكن في فندق "مرديان السلام" بجدة ويتكفل بنفقاته أحد المسؤولين هنا.

وبعضهم يقول إن حِكَم ابن عطاء الله السكندري كادت أن تكون قرآناً، ويدعون "المريدين" لقراءتها.

وابن عطاء هذا هو مؤلف "إسقاط التدبير"، وكفى بإسقاط التدبير داعياً للتخلف الحضاري ومنافاة للكسب والربح والتجارة والسعي في الأرض وعمارتها بالحق، وقد كتب في فضل التجارة والكسب والرد على الصوفية في ذلك: الخلاّل وابن الجوزي، كما ألف الوصابي.

وقد كان بعض الصوفية المعاصرين في مكة يكتب شهادات بأداء الحج مقابل المال الذي يدفعونه له.

ومن هؤلاء من يظن أن ما يناله بعض الأدعياء هو كرامات ولو خالفت الشرع، وربما جمعها كما فعل الشعراني، وبعضهم يستغيث بالنبي ﷺ كما فعل النبهاني، وهذا من الشرك الأكبر، وأكثر المتأخرين لا يرى حرجاً في الموالد والمدائح المُطرية والاستغاثات الشركية، بل لا ينكر ذلك عنده إلا من كان كارهاً للرسول ﷺ!.

ومن الرائج في مصر ما يسمونه "الدوسة"، وقد زعم "نابليون" لما دخل مصر أنه مسلم وأقام هذه الموالد!

أما في بلاد الشام والعراق وتركيا فيكثر النقشبندية، كما يوجد في تركيا "المولوية"، وبعضهم يعتقد أن قبر جلال الدين الرومي الموجود في مدينة "قونية" هو مركز الكون كما قاله لي بعض الأتراك.

وقد قابلت شيخا نقشبندياً في المسجد الحرام، وكان مما قلته له: أين مصدركم في الأذكار (البدعية) ومنها كثرة التسبيح، والنبي ﷺ كان يسبح ٣٣ مرة فكيف تسبحون أنتم ثلاثة آلاف مرة؟ فقال: إن هذه الثلاثة آلاف مذكورة في "المسند" وأصرّ على أنها فيه، فعلمت أنه لا فائدة من نقاشه، علماً بأن النقشبندية من أخف الطرق كما قرأت.

وقد حضرت لبعض التيجانية في مكة فكان من صلواتهم "صلاة الفاتح" التي منها: "صاحب الصراط الأسقم"، وينسبون ذلك إلى كتاب "جواهر المعاني" الذي وضعه التيجاني.

كما رأيت شيخهم في رابطة العالم الإسلامي.

ورأيت الشيخ عبدالكريم الرفاعي وهو يطوف بالبيت، مما دفعني إلى أن أسأل بعض من أثق في عقيدته من أهل الشام عن الصوفية عامة والرفاعية خاصة -في بلاد الشام- فأخبروني عنهم، ومن جملة ذلك أن الرفاعية يمخرقون ويشعوذون، وبعضهم يتعاطى السحر، وأكْل الحيات والمشي على النار وأمثال ذلك، أي أنهم مثل أسلافهم (البطائحية)، الذين ناظرهم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ويقول الرفاعية إن هذه كرامات للشيخ أحمد الرفاعي، كما ذكر الشيخ سعيد حوى في "تربيتنا الروحية"، وذكر أهل السنة الذين سألتهم أن الشيخ عبدالكريم الرفاعي مع تصوفه كثير الذكر، ونرجو أن يغفر الله له بذلك، وذكر لي كيف أن الناس كانوا يحذرونه من الصوفية لأنهم يستحلون اللواطة.

كما شاهدت في المسجد الحرام صوفياً قالو إنه من المغرب، وكان في منتهى القذارة، وأظنه من القسم الأول والله وأعلم بحاله.

ومن الصوفية من كان ينافق، خصوصاً من يعيش هنا، فيأخذ في مادة التوحيد مثلا ١٠٠% وفي الوقت نفسه ينشر ضلالاته ويزور المحتجبين، ومرة زرت الشيخ عبدالله خياط رحمه الله في إدارة التعليم بمكة فقال: "(فلان) الوثني ابن الوثني"، وصدق والله؛ فقد تتبعت كتب ذاك المنافق كلها فوجدتها كذلك، والعجيب أنه لما مات هذا الوثني جاء أحد المسؤولين إلى بيته في مكة وعزى فيه أهله، وأذاعوا ذلك في وسائل الاعلام، فإذا كان الوثني يعظَّم ويزارُ أهلُه فعلى أي عقيدةٍ القومُ، وأي توحيد هذا الذي يقوله بعض علمائهم؟ وقد قال ذلك الزائر: "إذا توليت الحكم قتلت فلانا"، فكيف يعزى في موته ويزور بيته وهو يرى أن دمه حلال؟ أم أن ذلك القول منه مجرد ضحك على الذقون؟

ومن الصوفية من يقول: إن الثواب حظ النفس، وإن العقاب هو الذي يسأله الأولياء ويقولون:

أحبك لا أحبك للثواب ولكني أحبك للعقاب

وهؤلاء يظنون أن عذاب الله كعذاب الدنيا، ويمكن احتماله نعوذ بالله من عقاب الله. ولذلك لا يسألون الله الجنة ولا يستعيذون به من النار، كما فعل الأنبياء جميعاً ومنهم محمد ﷺ الذي كان من دعائه الشريف: (ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار) .

وبعض الصوفية يمنع الدعاء مطلقاً ويقولون إنه لا فائدة من الدعاء!! وربما قال بعضهم: "علمه بحالي يغني عن سؤالي"، وأشدُّ مِن منعِ الناس عنه أن يُعدّ اتهاماً لله كما قال ابن عطاء الله السكندري في الحِكَم: "طلبك منه اتهام له".

وهذا لا شك في بطلانه، فإن النبي ﷺ لم يترك الدعاء يوم بدر مع أن الله تعالى قد وعده إحدى الطائفتين، وأخبر أن الدعاء والقضاء يعتلجان إلى

يوم القيامة، والدعاء سبب عظيم وعبادة مهمة، ولا يجوز تركه، ومن دعا الله دون أن يتخذ الأسباب فهو كمن يدعو أن يرزقه الله الولد دون أن يتزوج، ومن الصوفية من يترك الأسباب بالكلية وليس الدعاء وحده، وذلك خلاف الشرع بل هو قدح في العقل.

ولما بلغ الإمام أحمد رحمه الله أن بعضهم يحج من غير زاد قال: "هذا يتوكل على أزواد الناس"!!. والله تعالى يقول: ﴿وَتَـزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧].

وفي هذا العصر أنكر الوضعيون الأسباب وكبيرهم "أوغست كونت" الفرنسي، ومن تلاميذه في الغرب "دوركايم"، وممن تأثر بفكره من الشرقيين الشيخ محمد عبده غفر الله له.

والقسم الثالث من الصوفية: من كان يجهل الحق والصواب وربما كان معذوراً عند الله، وإنما تكلم في الوساوس والخطرات والزهد المبتدع والتفسير الإشاري وأمثال ذلك، ظانّين أن هذا هو الدين ومنهم المحاسبي، وأبو عبدالرحمن السلمي، وقد كره ذلك أئمة السلف مثل السفيانين والإمام أحمد رحمهم الله أجمعين.

ولو أن هؤلاء دعوا الخلق إلى الله واتبعوا السنة في ذلك لكان خيراً لهم.

وما يلقى في النفس من لمة الشيطان ليس له نهاية، وقد قال ابن القيم: "إن هؤلاء مثل من يهدم مصراً ليقيم قصراً".

وقد سأل بعض السلف تلاميذهم كيف تصنعون إذا هجم عليكم الكلب؟ قالوا نرميه بالحجارة. قال: هذا أمر يطول، ولو طلبتم من صاحب الكلب أن يرده لكان ذلك أسرع. وهو يريد رحمه الله أن يقول: إن اللجوء إلى الله تعالى هو الذي يدفع الشيطان، وهذا ما يريده السفيانان وأحمد وعامة أئمة السلف، أما الوساوس والخطرات فلا نهاية لها إلا أن ينتهي المرء عنها كما جاء في الحديث.

والقسم الرابع: من غلبت عليه السنة وإن أخطأ، مثل الهروي صاحب "منازل السائرين"، وابن طاهر، وأبي سليمان الداراني المنسوب إلى مدينة "داريا" في بلاد الشام، وقد عاش في العراق زمناً، وهو شيخ المحدث الحافظ أحمد بن أبي الحواري، وجل من لا يخطئ ولا يضل، ومن هؤلاء: الجنيد الذي كان يدعو إلى التقيد بالكتاب والسنة، ومنهم الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذي سئل "هل يكون لله ولي على غير عقيدة الإمام أحمد؟ فقال: ما كان ولا يكون"، ثم غلا فيه تلاميذه جداً حتى اعتقدوا أنه يتصرف في الكون نسأل الله العافية، وقال قائلهم بالعامية:

عبدالقادر ياجيلاني   يا متصرف في الأكواني

أنا جيتك لا تنساني

وبعض القادرية الجهلة يزورون قبره في العراق ويرون ذلك من تمام الحج!.

ومن أقواله المشهورة: "إن كثيرا من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا فإني انفتحت لي فيه روزنة، فنازعت أقدار الحق بالحق للحق، والرجل من يكون منازعا للقدر لا من يكون موافقا للقدر"، أي أن الشيخ عبدالقادر قال قريبا من قول عمر لما قيل له: أنفرٌّ يا أمير المؤمنين من قدر الله؟ قال: "نفرٌّ من قدر الله إلى قدر الله".

وقد كتب الأخ الداعية سعيد بن مسفر وفقه الله رسالة وافية عنه، كما أثنى عليه شيخ الإسلام ابن تيمية مراراً.

ومن هذا الصنف فيما يبدو رويم القاضي الذي عاب عليه بعض الصوفية تولي القضاء، وليس تولي القضاء مع التقوى والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعيب، وقالوا: "من أراد ان يكتم حب الدنيا فليفعل كما فعل رويم، كتم حب الدنيا في قلبه أربعين سنة"، أي ثم تولى القضاء، وحب الدنيا فطرة بشرية، وإنما جاء النهي عن الغلو فيها، والدعاة إلى الله يدعون الناس إلى ترك المعاصي لا إلى ترك الدنيا.

والقسم الخامس: من نُسب إلى الصوفية وهو ليس منهم في الحقيقة، مثل أبي بكر وعمر وبقية الزهاد من الصحابة رضي الله عنهم مثل أبي الدرداء وأبي ذر وأبي عبيدة وأكثر الصحابة ثم التابعين، وكذا أهل الصفة.

وخطأ من نسبهم إلى الصوفية في معنى الزهد، يظهر به خطؤهم في الحديث أيضا، فأكثر هؤلاء المخطئين ضعاف أو وضاعون يقولون وضعنا له ولم نضع عليه، والنبي ﷺ لا يجوز الكذب عليه بحال من الأحوال.

وقد قال الحافظ العلائي فيما نقله عنه ابن الصلاح: "إن أشد الوضاعين ضرراً هم أهل الزهد".

وقال بعض الوضاعين: "لما رأيت الناس انصرفوا عن القرآن وضعت أحاديث في فضل كل سورة".

وبعضهم يضع الحديث للوعظ كما يفعله بعض القُصّاص.

وبعضهم يضعه إرضاءً للسلاطين كما فعل غياث بن إبراهيم مع الخليفة المهدي.

وبعضهم يضعه يستجدي به كما يفعل بعض من يسأل الناس في الطرقات.

ومن أراد معرفة الزهد فعليه معرفة ما كتب السلف مثل "زهد الثمانية من التابعين"، ومن الزهاد: الأئمة الأربعة رضي الله عنهم أجمعين وكثير من السلف، وكذلك ما صنّف عبدالله بن المبارك ووكيع والإمام أحمد وهناد بن السَّرِي والبيهقي، على أن تمحيص الحديث واجب حتى في كتب هؤلاء الأئمة والعلماء، وكذلك فهم الكلام على وجهه الصحيح.

وكثير ممن نسبهم صاحب "الحلية" وغيرُه إلى التصوف هم في الحقيقة زهاد غير صوفية، قال أبو الدرداء: "إن أمامنا عقبة كؤوداً نقلنا كل متاعنا إلى ما بعدها"، ويعني بالعقبة الموت والله أعلم، وهكذا كان زهد الخلفاء، والصحابة رضي الله عنهم فليسوا صوفية ولا يحرمون ما أحله الله، فلم يكن النبي ﷺ وخلفاؤه وصحبه، يحرمون من المكاسب إلا ما حرمه الله مع أنهم كانوا أزهد الناس.

ولا ريب أن الزهد خير من الترف أو التوسع في الدنيا، وبه عَهِد النبي ﷺ إلى أصحابه، كما قال جمع من الصحابة، والزهد فيما أرى هو أحد الوسائل للخروج من كيد الغرب، وسيأتي له مبحث خاص بإذن الله.

وأهل السنة لا يحرمون زينة الله ولا ابتغاء فضل الله، بل كان من الصحابة رضي الله عنهم من له مال كثير مثل عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والزبير بن العوام، وكان أبو بكر تاجرا ولم ينسوا -أي الصحابة- حق الله فيه، ومن ذلك حق الضيف والأقرباء واليتامى والأرامل... بل كانوا يجهزون الجيوش كما جهز عثمان جيش العسرة، ويتصدقون ويعطون خفية، وأقرهم رسول الله ﷺ عليه، وقد قدم الله تعالى الجهاد بالمال على النفس في أكثر المواضع.

وأعلى وسائل الكسب كلها هو التوكل على الله، والثقة في حسن كفايته ووعده بأن يزرق كل أحد، ثم ما جاء للإنسان من مال وهو غير مستشرف له، بل يكون عنده بمنزلة الخلاء الذي لابد منه لقضاء حاجته، لكن دون تقديس له أو تعظيم، وفرق كبير بين من يحتقر المال ويتركه لله وبين من يتركه ولكن نفسه تتوق إليه، وللصحابة الكرام في الزهد أحوال عجيبة قد يأتي ذكر بعضها إن شاء الله.

ومن الناس من يتوسع في الدنيا احتقاراً لشأنها ولهوانها على الله تعالى، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة، ولا جدياً أسكّ ميتا كما بيّن ﷺ.

وقد سئل الإمام أحمد: (أيكون الرجل زاهداً وعنده ألف دينار؟ قال: نعم إذا كانت في يده وليست في قلبه).

وقد قال بعضهم لما ربح دنانير كثيرة: اللهم اجعلها خادماً لي ولا تجعلني خادما لها.

ومن السلف الصالح من كان غنياً ويعطي إخوانه كما كان الليث بن سعد يعطي مالكاً، وكذلك عبدالله بن المبارك، وكان ابن سيرين ويونس بن عبيد تجاراً، وذِكْرُ أولئك يطول، ومن أقوال عبدالله بن المبارك: "لولا هذا

المال لتمندل بنا هؤلاء" -يعني السلاطين-، وقد أراد رحمه الله أن يحج فعلاً، فخرج من المشرق بمال فصادف في الطريق أسرة محتاجة من المسلمين فأمر وكيله أن يعطيها كل المال وعاد و لم يحج تلك السنة.

ومن قرأ سير السلف الصالح في مثل كتاب "الطبقات الكبرى" لابن سعد و"حلية الأولياء" و"سير أعلام النبلاء" وكتب الرجال عامة وجد أنهم كانوا يفضِّلون التجارة والعمل على الوظيفة الرسمية، ولو كانت قضاء أو حسبة، فكان منهم البزاز والنجاد والزيات والبزار والفاكهاني والخلال والباقلاني والسكري والصابوني واللبان وأمثال ذلك مما لا يُعد.

وحسبك في خطأ فهم الصوفية أن الله تعالى قال في الحج الذي هو ركن الإسلام: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨]، وقال: ﴿لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٧]، ولهذا كان السلف الصالح مع خدمتهم للحجيج يتاجرون في موسم الحج.

وإنما انتشر التصوف لشهرة الشيخ أبي حامد الغزالي رحمه الله.

وكان أبو حامد الغزالي قد ذكر الأصناف الأربعة التي كان يعرفها ذلك الحين وهي:

١- الفلاسفة ٢- المتكلمون ٣- الباطنية ٤- الصوفية، واختار منهم الصوفية ورد على الفلاسفة بكتاب "تهافت الفلاسفة"، ورد على المتكلمين بكتاب "إلجام العوام عن علم الكلام"، ورد على الباطنية بكتاب "فضائح الباطنية"، وآخر أمره قبل وفاته عاد إلى الصنف الذي لم يذكره وهم أهل السنة، ومات رحمه الله وصحيح البخاري على صدره، وقال أو تمثل بقول من قال:

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل وعدت إلى تصحيح أول منزل

والكتاب والسنة هي أول منزل وآخره، وينبغي لكل عالم أو داعية أن يرجع إليهما.

وآثار التصوف في "الإحياء" واضحة، وقد قال أبو بكر بن العربي تلميذ أبي حامد: "شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة و لم يخرج منها"، ومن بقايا التصوف قول الغزالي: "إنه لا يُعلَم ما يُؤَل وما لا يُؤَل إلا بطريق الكشف"، الذي هو العلم اللدني عند الصوفية، و لم يذكر أبو حامد في "الإحياء" شيئا عن الجهاد.

وأهل السنة والجماعة لا يؤولون شيئاً بالمعنى الكلامي الذي هو التحريف، بل كل نص يقول المؤولة إنه لا بد من تأويله: إما إنه غير صحيح وإما أنه يدل في نفسه على الحق الذي يجب اعتقاده، وتأويلات ابن فورك وأمثاله خطأ، كما أن كتاب أبي يعلى "إبطال التأويل" فيه أخطاء أيضاً، وبعض السلف الصالح فسّر بعض آيات الصفات بمقتضى اللغة، ولكن أحداً منهم لم ينفِ الصفة بتأويلها، وفرق كبير بين هذا وهذا، وغاية قولهم أن تكون الآية أو ذلك الحديث لا تدل على الصفة، أي ليست من نصوص الصفات دون أن ينكر دلالة النصوص الأخرى، وإنما تأويل السلف يعني التفسير كما تجد في تفسير ابن جرير مثلا.

ولا يجوز لأحد أن يفسر القرآن برأيه وهواه كما فعل الباطنية قديماً وكما قال "رولان بارت" وأشياعه حديثاً، وكذلك لا يصح استخدام القرآن وسيلة لترويج البضائع والدعاية، كأن تكتب بعض محلات بيع الكتب ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البيِّنة:٣]، أو تستعمل بعض مؤسسات التعليم عبارة ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:٩]، أو يكتب الخياطون على محلاقم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢]، أو يكتب الحدادون ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ﴾ [الأنبياء:٨٠]، وأشباه ذلك، إذ القرآن أجل من ذلك، والآيات لا تدل على ما يريدون، كما لا يصح استخدام منطق اليونان كي نفهم القرآن الكريم، فالصحابة والتابعون وعامة السلف فهموه و لم يكونوا يعرفون ذلك المنطق.

والغزالي غفر الله لنا وله في مقدمة كتابه "المستصفى" قال: "إن من لم يقم علمه على المنطق فلا ثقة في علومه"، أي أن الغزالي يجعل المنطق معياراً، مع أن ابن سينا يجعله آلة فقط، وبعض الرسائل التي نشرت مؤخراً للغزالي يوافق فيها الفلاسفة الإغريق في مثل "العقول العشرة" و"النفس الكلية" و"الفيض" ونحو ذلك، وهذا الضلال نقله "إخوان الصفا" عن الفلاسفة، وآمنت به الفرق الباطنية، مع أن الغزالي رد على الباطنية بما هو معلوم، واحترز شيخ الإسلام ابن تيمية وقال: "المنسوبة إليه"، ومما يؤسف له اليوم أنها طبعت باسم "القصور العوالي" منسوبة إليه بلا تحرز.

وأما "إحياء علوم الدين" فليس به باب عن الجهاد مطلقاً، ولم يجاهد الغزالي لا الصليبيين ولا غيرهم، بل جاور غفر الله لنا وله في المسجد الأقصى أثناء الحملات الصليبية.

والمنتسبون إلى التصوف قد يجاهدون وينصرهم الله لا لتصوفهم ولكن لحسن مقصدهم، كرجال الطريقة النقشبندية في العراق، وفرقٌ بين من يقاتل لنشر بدعته ومن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، مع أن الجهاد يكفر كل ذنب بإذن الله.

وفي "الإحياء" أحاديث كثيرة لا تثبت، وقد بذل الحافظ العراقي جهداً كبيراً في تخريجها، وممن انتقد "الإحياء" الإمام المازري رحمه الله.

وفي "الإحياء" كثير من أباطيل الصوفية وحكاياتهم دون بيان، كقول أحدهم: "لأن ترى فلانا مرة خير لك من أن ترى الله سبعين مرة"!!

وأصل "الإحياء" كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هو "قوت القلوب" لأبي طالب المكي.

والإحياء كتاب مفيد في الجملة ويفيد منه طالب العلم، مع الحذر مما فيه من البدع والأباطيل، وحبذا لو قرأه طالب العالم مصطحباً تخريج العراقي ونقد المازري، ولم يثبت أن المرابطين "الملثَّمين" أحرقوا الإحياء بل كانوا حتى الملوك منهم زهاداً مجاهدين، ومنهم يوسف بن تاشفين وعلي بن يوسف،

وقد كان فقهاء المالكية يزجرون عن البدع، وربما بالغ بعضهم في ذلك، لكن الناس افتروا عليهم كما افتروا على الحنابلة ومن يسمون "الوهابية"!

وقد أخذ الغربيون عن الغزالي مذهب الشك، الذي ذكره في كتابه "المنقذ من الضلال" و لم يأخذوا منه ما هو أعظم وأهم وهو توحيد الله!!

وينسب الغربيون مذهب الشك إلى "ديفيد هيوم" وأمثاله من الحيارى.

والصوفية يظنون أن الكرامة تقتصر على الخارق للعادة من الأمور الحسية فقط، وأهل السنة يرونها أعم من ذلك، فالإمام البخاري مثلا أعظم كراماته تأليف الصحيح الذي هو أصح كتاب في الحديث، وشيخه الإمام أحمد له كرامات كثيرة أعظمها ثباته في المحنة، وسيأتي للكرامة حديث عما قريب بإذن الله.

وعلى كل حال يجب دعوة الصوفية والغربيين وكل أحد إلى الله، ويجب التحذير من البدع صغيرها وكبيرها، ويجب أن يكون كتاب الله وسنة نبيه ﷺ وما عمله الخلفاء الراشدون والسلف الصالح أجمعون هو المرجع والقدوة.

وقد حرص العلماء لاسيما في غرب العالم الإسلامي وأكثرهم مالكية على التحذير من البدع، وقد حذر منها الطرطوشي وابن الحاجب والشاطبي، ومما ينبغي أن يعلم أن ابن رشد أنكر ما في كتبه مما يخالف الكتاب والسنة، ومن عدْل شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يشكك في نسبة رسائل الغزالي إليه ويقول: "إن صحت"، كما لا يجزم بنسبة بعض كتبه مثل "المضنون به على غير أهله".

ومن أسباب انتشار التصوف ظن بعض الناس أن الصوفية كانوا أعبد من السلف، وأنهم يتبعون الصوفية في الذكر، بينما يتبعون الأئمة الأربعة في الفقه، فتشتت ولاء المسلم، حتى أن بعضهم جعله لثلاثة فقال:

في عقد الأشعري وفقه مالك   وفي طريقة الجنيد السالك

مع أن الأئمة الأربعة كلهم ومنهم الإمام مالك كانوا على عقيدة السلف، ولا يجوز لأحد العدول عنها، كما أن مالكاً رحمه الله أعبد من الجنيد، فيجب على كل المالكية أن يقتدوا بالإمام مالك في العقيدة والفقه والسلوك، وقد شرح الإمام ابن عبد البر "الموطأ" بكتابيه "التمهيد" و"الاستذكار"، فليت المالكية يتبعون شروحه ويتركون كلام غيره مثل "مختصر خليل" أو "حاشية عليش" وأمثالهما.

وما ذكره العلامة ابن أبي زيد المالكي في مقدمة رسالته يجب ترك تحريفه، فلما قال مثلا: "وأنه فوق عرشه المجيد بذاته"، فهو يثبت علو الله تعالى ولا يصح أن يقال (المجيد بذاته) فهذا تحريف لا يقوله عربي قط، وهذا التحريف سلم منه بعض من نظم الرسالة أو أثنى عليها، فهو إذن أي ابن أبي زيدٍ على عقيدة الإمام مالك في إثبات العلو، وكل المالكية الأولين كانوا حريصين على لقاء الإمام مالك واتباعه إلا إذا منعهم عذر شرعي، ورحم الله من قال: "قاتل الله الفقر؛ أدركنا مالكاً وروينا عن ابن القاسم"، وقال كثير من المحدثين: أصح الأسانيد (مالك عن نافع عن ابن عمر).

وقد ذكر المقري في "نفح الطيب" بعض المالكية من أهل الأندلس، فما ظنك بالمصادر الأخرى المعروفة؟

فينبغي لكل مالكي أن يكون سلفيا في عقيدته.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة خاصة في تفضيل مذهب أهل المدينة، كما له رسالة "العقيدة المراكشية".

والإمام مالك رحمه الله كان يقول بعمل أهل المدينة وبالمصالح المرسلة، وما ذاك إلا اجتهاد منه في متابعة النبي ﷺ وفقهاء المدينة، ولما زاره تلميذ الإمام أبي حنيفة رحمه الله (أبو يوسف) أراه صاع أهل المدينة، الذي قالوا إنه صاع رسول الله ﷺ فقال: "لو رأى صاحبي -يعني أبا حنيفة- ما رأيت لرجع".

وهذا هو الظن بالأئمة الأربعة وكل أئمة الإسلام، وقد قال كثير من العلماء: "المذهب لمالك والظهور لأحمد"، يعنون بذلك عقيدة السلف الصالح، وقال مالك رحمه الله لما ترك الجمعة والجماعة وأسبل يديه وسألوه عن عذره: "ما كل عذر يقال"، فالنبي ﷺ ثبت عنه أنه وضع يديه على صدره، وأنه أقام الجمعة والجماعة، وهذا ما يدعو إليه الإمام مالك ولو دعا إلى غيره أخطأ، والإمام مالك هو القائل: "كلٌّ يُؤخذ من قوله ويُرد إلا رسول الله ﷺ"، وأقرب ما يعتذر به عن الإمام مالك في الإسبال أنهم جلدوه وضربوه، حتى لم يعد يستطيع أن يقبض يديه إلى صدره، ومهما كان عذره فالواجب هو اتباع النبي ﷺ.

ومن كلام الإمام مالك الثمين قوله: "أوكلما جاء رجل هو أجدل من الذي قبله تبعناه وتركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ!".

وقوله: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها".

وتبعا لعقيدة أهل السنة أصدر بعض ملوك المغرب في العصر الحديث ظهيرا (أي مرسوما) بحظر الطرق الصوفية في المغرب.

ومثل ذلك التشتيت قول بعض الحنفية:

الفقه فقه أبي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام

والإمام أبو حنيفة أفضل من محمد بن كرّام ومن أبي منصور الماتريدي، وأصح منهما اعتقاداً وديناً، وقيل إنه لقي بعض الصحابة المتأخرين، فإن ثبت ذلك فهو من التابعين. وهو على أية حال من القرون المفضَّلة، ومن فضله واتباعه رحمه الله أنه إذا بلغه الحديث عمل به، ومن ذلك أنه لما بلغه حديث القهقهة أخذ به وترك القياس، على أن بعض العلماء يضعف الحديث مرفوعاً.

وكان فقهه شورى بين أصحابه حتى إذا انتهوا قال ما عنده، ومن هنا سمي الإمام الأعظم رحمه الله، فهو أعظم من زفر وأبي يوسف ومحمد بن الحسن.

وكان يرجح "الفقه الأكبر" أي العقيدة، على الفقه الأصغر أي علم الفقه المعروف، وألف كتاب "الفقه الأكبر" الذي رواه أبو مطيع البلخي وشرحه "ملا علي القاري".

وكان أبو حنيفة يتبع فقه ابن مسعود وأهل العراق، ويتجنب الكذب والأحاديث الضعيفة والموضوعة، ولذلك كان من أصوله تقديم ظاهر القرآن، وذلك لكثرة الكذب يومذاك في الكوفة وغيرها.

وقد كان رحمه الله على عقيدة السلف الصالح لا يحيد عنها، وقد سمعت من قال: "أنا سلفي غير حنفي"، وهذا خطأ؛ إذ لا تعارض بينهما.

وإنما الواجب هو فقه الحديث ومعرفة الناسخ من المنسوخ منه، ومعرفة ما قاله العلماء عند شرح أي حديث، وكيف أنهم رجحوا بعض الصحيح على بعض، ومن قرأ أقوالهم وفقهها لم تنطل عليه شبهات عدنان إبراهيم وأمثاله عن صحيح البخاري مثلا، وإنما تروج شبهات المذكور على قليل البضاعة أو عديمها.

وفي رأيي أنه ينبغي لكل طالب علم أن يقرأ كتاب "رفع الملام عن الأئمة الأعلام" رضي الله عنهم أجمعين، وأن على أتباع الإمام أبي حنيفة رحمه الله ومحبيه أن يأخذوا عنه أول ما يأخذون عقيدة السلف الصالح ويتركون عقيدة ابن كرام والماتريدي.

وقد دُونت السنة والحمد لله بعد الإمام أبي حنيفة، وقام جهابذة السلف قديماً بجهد مشكور في نقد السنة النبوية "رواية ودراية"، ثم قام بذلك بعض الخلف وجزى الله الجميع خيراً، فلم يبق لأحد عذر في ترك الحديث الصحيح واتباع شيخه أو إمامه، ولا في التعصب لما كتبه المتأخرون، ولكتب الفروع عامة سواء كانت حنفية أو مالكية أو شافعية أو حنبلية، أما الأئمة الأربعة أنفسهم فهم على عقيدة السلف إلا الخلاف اللفظي المنقول عن ابي حنيفة في مسألة الإيمان.

ومن فضْل الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال للإمام أحمد: "أنتم أعلم بالحديث مني فإذا صح فأخبروني به سواء كان شامياً أو عراقياً أو حجازياً".

ومن عدْل شيخ الإسلام ابن تيمية كعادته -وهذا مما يوجب قراءته لا تقليده في كل شيء- أنه جعل بعض الصوفية معذورين، وطبق عليهم قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [فاطر:٣٢]، وذكر أن بعضهم تاب وبعضهم لم يتب، وبعضهم يتبرأ منه الشيوخ المقتدى بهم كما سنذكر بإذن الله.

وتلميذه ابن القيم يفرّق في "مدارج السالكين" بين وحدة الوجود ووحدة الشهود، وهذا أيضا من علمه وعدله.

ومن الأدلة على وحدة الشهود قوله ﷺ: (أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل)، ولا ريب أن كل شيء خلا الله تعالى فانٍ كما قال جل شأنه ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧].

ومن مساوئ التصوف: نشره التخلف الحضاري باسم "إسقاط التدبير".

ونحن لا نؤمن بإسقاط التدبير بل ندفع القدر بالقدر، وندفع السنة الكونية بالسنة الكونية، ولا نلغي الأسباب إذ لا يمكن حصول الولد بغير زواج، ولا يمكن أن تهبط علينا الثروة من السماء.

وننكر أشد الإنكار على من يقود خيل هولاكو، أو يرشد جيوش الباشا إلى ثغرات الدرعية، أو ينوب عن الأمريكان باسم "الصحوات"، ونشكر كل الشكر من جاهد في أي مكان لا سيما في الأرض المباركة من أي حركة أو فصيل.

وليس من منهج الأنبياء دعوة الناس إلى ترك الدنيا، فهذا معاندة للفطرة البشرية، ومخالف للسنة المحمدية، وإنما ندعوهم إلى ترك الذنوب وعلى رأسها الشرك بالله.

وقد استمعت إلى نائب "فتح الله جولن" سابقاً، وهو يحكي عن تصوفه وشطحاته، وكيف أن هذا "المعتدل"! قام بانقلاب فاشل ضد الحكومة التركية، ومع ذلك ليس هو إسلامويا ولا حزبيا ولا حركيا كما يقال، ولم ينسبه الليبراليون إلى الإسلام السياسي -كما يزعمون- وإنما الإسلام السياسي هو ما كان ضد أمريكا وإسرائيل، ولذلك زاره عثمان العمير.

وقد مهدت الصلةُ بين الصوفية والشيعة لما قام به إسماعيل الصفوي من تحويل إيران من التصوف إلى التشيع -كما تقدم-، كما كتب ابن بشر رحمه الله، وممن كتب في الصلة بين التصوف والتشيع الكاتب الشيعي العراقي "كامل الشيبي" كما كتب بعض أهل السنة منهم الدكتور زياد الحمام.

- الكرامة:

الكرامة حق، ومن عقيدة أهل السنة والجماعة إثباتها، وليس منها الكرامات التي يخترعها أو يتوهمها بعض الناس لمن يسمون "الشيخ أو الملا أو المرابط" وأمثال ذلك.

ومنها ما ذكر الله في كتابه عن الصديقة مريم عليها السلام، حيث ذكر أن زكريا عليه السلام كلما دخل عليها المحراب وجد عندها رزقا، كما ذكر تعالى خبر الذي عنده علم من الكتاب واستطاع بلمحة البصر أن يأتي بعرش بلقيس من اليمن إلى سليمان عليه السلام، الأمر الذي تعجز عنه التكنولوجيا الأمريكية أو الغربية اليوم وأنى لها ذلك.

أما الأحاديث والأخبار الثابتة فكثيرة جدا يصعب إحصاؤها، ومن ذلك أن جيش المسلمين عبر نهر دجلة ليفتح البيت الأبيض كما عبر بحر فارس ليحارب الفرس.

وأعظم الكرامة هو الإيمان الذي كان الصحابة أعلى الناس فيه، ثم كثرت الكرامات الحسية في التابعين لحاجتهم إلى ذلك، إذ لم يروا أنوار النبوة .. وهكذا.

وأعظم كرامات الإمام أحمد هي ثباته في المحنة وصبره على الجلد، وأعظم كرامات الإمام البخاري هي تأليفه "الجامع الصحيح"، وأعظم كرامات صلاح الدين الأيوبي هي جهاده الذي تُوج بالانتصار في حطين.

ومن أعظم الكرامات: انتشار العلم كعلم الأئمة الأربعة، وعلماء السنة وشيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبد الوهاب، وابن حجر، وابن حزم والشوكاني وابن باز وابن عثيمين وغيرهم.

ومن الكرامات المشهورة عن كثير من السلف قوة الحفظ ومعرفة العلل الخفية القادحة.

وقد كان الشيخ عبدالله بن حميد في عصرنا هذا آية في الحفظ والذكاء، حتى أنه سمع صوت رجل فقال: أنت الذي شهدت عندنا فلم تقبل شهادتك، وكان ذلك قبل عشر سنوات من مجيئه الثاني!.

وبعض المتأخرين يتمحل الكرامة وربما ادعى ما ليس بكرامة أصلا، كما قرأنا وسمعنا عن كرامات الإخوة المجاهدين في أفغانستان أن الرجل يأتي إلى قبر قريبه فيقول له: إن كنت شهيدا فقم فصافحني، فيقوم ويصافحه، وهذا عكس ما ثبت في السنة أن الشهداء يتمنون على الله أن يرجعوا إلى الدنيا فيستشهدوا لما يرون ما للشهداء من المترلة عند الله، ولكن الله تعالى يقول لهم: إني كتبت أهم إليها لا يرجعون.

وإنما تكون الكرامة لأهل ولاية الله، وكلما كان المرء أكثر استقامة كان أكثر ولاية، ومن ثم أكثر كرامة، وأولياء الله هم المؤمنون المتقون في أي زمان ومكان، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤].

وقد سمعت كثيرا من كرامات الشيخ عبدالكريم الدرويش رحمه الله، ولا يزال كبار أهل نجد مثلا يذكروها ويتناقلوها، وكان كما تقول الوثائق البريطانية –مثلا– الأب الروحي لإخوان من طاع الله والمطوعين، ومن أعظم

كراماتهم قوة اليقين وعشق الجهاد، فلما قيل لهم: إن بريطانيا عندها طائرات قالوا: الطيارة فوق الله وإلا الله فوقها!

- حكم الصوفية:

كثيرا ما يسأل طلبة العلم عن حكم الصوفية، وقد فصل في ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بالعدل كعادته فقال بعد كلام: "والصواب أنهم مجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففيهم السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أو لا يتوب".

وكلامه هذا ليس عن الزنادقة الذين نص الشيخ نفسه على أن عقيدتهم كفرية، كما فصل القول فيهم تلميذه ابن القيم في "مدارج السالكين"، وكثير من الصوفية يكفر أهل الشطحات والفلسفة ويوافق في ذلك شيخ الإسلام، ويتبرأ مما يصدر من أقوال أو أفعال مخالفة للسنة.

ويقول: إن الأدعياء كثيرون، ولا شك عندي أن بعض أهل التصوف يظن أن التصوف حقيقة الإسلام، ولم تبلغه شطحات الزنادقة وكفرياتهم، فهم كمن ينتسب إلى السلف على جهل وخطأ، وعقيدة أهل السنة والجماعة أنه قد يجتمع في الإنسان الواحد ما هو كفر وما هو إيمان، والكلام في الأشخاص صعب ويحتاج لمعرفة حال ذلك الشخص وآخر ما انتهى إليه، إذ أن بعض الناس يتوب من التصوف كما أن بعض السلفيين قد يرجع عن سلفيته نسأل الله لنا ولكل المسلمين الثبات وحسن الخاتمة.

٢- الإرجاء

ومن أخطر البدع التي بلي بها المسلمون **بدعة الإرجاء**، وهي بدعة قديمة حديثة تؤدي كما ذكر شيخ الإسلام إلى انتشار الفسق بين المسلمين، والإرجاء عزوف عن عقيدة أهل السنة ولا بد من بيان ضلال أهله والكلام عن منهج مرجئة العصر دون أعيانهم، فكثير منهم رجعوا وربما تاب بعضهم ونحن لا نعلم، ومما ينبغي أن يُعلم أنه ليس كل من وافق المرجئة مرجئا، وأن لهم صفات معروفة أوضحها قول مرجئة العصر بالطاعة المطلقة للحكام، كما هو قول المروانية منهم، والسكوت عما يفعله الولاة وإن كان منكرا، لأن ذلك في نظرهم فتنة، وهم يخلطون بين تبديل الدين وبين أخطاء الخلفاء، ويقيسون إعراض المعاصرين عن الدين بجور أولئك الخلفاء الذين كانوا يحتكمون إلى الشرع ويجاهدون في سبيل الله ولهم حسنات كما لهم سيئات.

وهم عكس ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من الصدع بالحق، بل إن النبي ﷺ كان يبايع أصحابه على ذلك كما حدث ليلة العقبة مثلا.

وقد يخطئ العالم أو الفقيه من أهل السنة فيوافق القدرية أو المتكلمين أو الصوفية أو المرجئة أو الاشتراكيين أو القوميين، دون أن يكون هو قدرياً أو متكلماً أو صوفياً أو مرجئا أو اشتراكياً أو قومياً.

على أن الأتباع ليسوا كالمؤسسين، فلا الأشعرية كالأشعري، ولا الإخوان كحسن البنا، ولا المنتسبون للشيخ محمد بن عبد الوهاب من المتأخرين كالشيخ ومن كان معه، ولا أبناء فيصل بن تركي كمحمد بن سعود، وقد كتبنا عن الإرجاء كتابة مستقلة بعنوان "ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي"، فلا نطيل فيه.

هذا والمرجئة المعاصرون والمتأثرون بهم أصناف:

١- منهم من يُخرج العمل من الإيمان ويرون أن إدخال العمل في الإيمان يلزم منه التكفير أو القول بقول الخوارج والمعتزلة.

٢- ومنهم من يقول إن كل من حكم هو ولي أمر -ما لم يكن إسلامياً مجتهداً- لأن كل إسلامي هو عندهم حركي أو حزبي، ففي العراق

مثلا قال بعضهم إن "بول بريمر" ولي أمر، وأنه يجب على من قتل أمريكياً أن يدفع ديته، ويحرِّمون جهاد الأمريكان أو غيرهم، كما حرم أحمد القادياني جهاد الانجليز في الهند، ولا يعرفون أو لا يأخذون من الشريعة إلا ما وافق مذهبهم الباطل، وقد قال لي "كات ستيفن" المغني البريطاني المعروف بعد إسلامه: "كيف أقول إن فلانا ولي أمر وهو أصلا ليس بمسلم"، وهم يقيسون على حكام السعودية غيرهم، وهذا ما ينفيه حكام السعودية نفسها، ويأخذون مقتطفات من كلام بعض مشايخ السعودية ويتهمون أصحاب الرأي المخالف بما يشاؤون.

٣- ومنهم -وربما كان هؤلاء أصلحهم- من يقيس الطواغيت المعاصرين على الظلمة الأولين كالحجاج مثلا، ولا ينظر للفارق الكبير بين من يظلم، ومع ذلك يجاهد ويفتح البلاد ويحكم بالقرآن، وبين من يدعي الفلسفة الديمقراطية مثلا ويصف الإسلام بأنه رجعية وظلامية وإرهاب وتطرف... إلى آخر التهم.

وهنا نضطر للتركيز الشديد على الحجاج بالذات لكثرة من تنطلي عليهم الشبهة بسبب طغيانه وظلمه فنقول:

١- الحجاج لم يكن خليفة بل هو والٍ فقط، وهو سيئة من سيئات الخليفة الذي ولاه، وهذا الخليفة له حسناتٍ وله سيئات والله تعالى وحده يعلم هذه وتلك، وإنما ينصب الميزان يوم القيامة.

٢- لم يكن الحجاج علمانياً، أو محتكماً إلى القوانين الوضعية، مجففاً لمنابع الدعوة، ولا مانعاً منها إلا بترخيص منه، ولم يراقب المساجد ويتجسس عليها.

٣- كان الحجاج مجاهداً وفتح قواده كثيراً من البلاد، ولم يوالِ الروم قط أو يعطهم من بيت المال أو يتحالف معهم.

٤- لم تكن الدولة قد تغولت أيام الحجاج، وأصبحت التنين "اللواثيان"

الذي ذكر "هوبز" والفلاسفة الآخرون.

٥- كان الحجاج كريماً يقول للناس: "رسولي إليكم الشمس، فإذا طلعت فاحضروا للغداء وإذا غربت فاحضروا للعشاء"، وكان مجاهدا يرسل الجيوش لفتح البلاد وكان من قواده محمد بن القاسم وقتيبة بن مسلم الباهلي.

٦- أمر الحجاج بإعجام القرآن، وكان مطيعاً لعبد الله بن عمر لما كان بمكة، وذلك بأمر من عبدالملك بن مروان.

٧- مع ظلم الحجاج لم ينسبه أحد من السلف إلى أية فرقة ضالة، بل كان متابعاً أول الأمر لعبدالله بن عمر، وأدرك الحجاج طائفة من الصحابة، ولم يكن قدرياً ولا شيعياً ولا مرجئاً ولا خارجياً.

٨- ليس مع من يشبِّهون الحجاج بالديمقراطيين المعاصرين آية ولا حديث ولا دليل من الواقع، فكيف أصبح من يخالفهم مبتدعا؟

٩- لم يتخوض الحجاج في مال الله ويعطي أعداء الله.

١٠- خرج على الحجاج أكثر العلماء والفقهاء، تأسياً منهم بالحسين بن علي رضي عنهما، وبعبد الله بن الزبير وغيرهما ممن كان اجتهاده جواز الخروج على الظالمين، وهؤلاء كما نعلم غلبهم الحجاج وهزمهم، دون أن يدل ذلك على أن الحق كان مع الحجاج وليس معهم.

١١- أنكر ظلم الحجاج كثير من معاصريه، لاسيما من أدركه من الصحابه كعبدالله بن عمر وأنس بن مالك، كما أنكره من لم يخرج مع ابن الأشعث من التابعين، ومنهم سعيد بن المسيب والحسن البصري، كما أنكر عليه سعيد بن جبير، غير من قتلهم الحجاج من العلماء، بل إن بعض السلف كفّر الحجاج، فعلى من يدعي السلفية أن يكون على الأقل كأحد من ذكرنا.

١٢- كثير من علماء السلف اعتزلوا فلم يقاتلوا مع الحجاج، ولا مع من خرج عليه واكتفوا بالإنكار على الحجاج وبيان ظلمه.

١٣- ذكر العلماء أن الحجاج قال عند موته: "اللهم اغفر لي فإن الناس يقولون إنك لا تفعل"، ولما بلغت هذه المقولة الحسن البصري خشي أن تكون توبة والتوبة تهدم ما قبلها كما جاء في الحديث، وعلى كل حال التوبة أمر خفي بين العبد وربه، أما حقوق العباد فلابد فيها من القصاص إلا أن يعفو المجني عليه أو يعفو الله من عنده ويرضي المجني عليه.

١٤- كان الأمر قريبا من الصدر الأول وعهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين، وكان في الأمة بعض الصحابة وكثير جدا من التابعين ولم تكن الأمة ساذجة مغفلة حينئذ.

١٥- نحن نطالب القوم بأن يفعلوا ما فعله الذين أنكروا على الحجاج من الصحابة والتابعين!

والمقصود أن العدل واجب حتى مع الحَجّاج، وأن من يساويه بالمعاصرين مخطئ.

ومن هنا ننبه إلى أن الحكم على الطواغيت المعاصرين يؤخذ من موقفهم من كتاب الله فهم معرضون عنه مستهزئون به ساخرون من أحكامه، طاعنون فيه هاجرون له غير متبعين لأحكامه، متولين عن أوامره ونواهيه، ولا يذكرونه أصلا ولا يستمدون منه تعاملاتهم، ويوالون أعداء الله من اليهود والنصارى وغيرهم، ويظنون بالله ظن السوء، وبعض هؤلاء الطواغيت تجتمع فيه هذه الخصال كلها، وبعضهم ليس فيه إلا بعضها.

والطواغيت المعاصرون يظنون أن أمريكا على كل شيء قدير، ويعتقدون أن تقلب الذين كفروا في البلاد أمر حتمي دائم لا حيلة فيه، وأن الفكر والحضارة والتقدم هي فيما جاء به الغرب وحده، وما عداه ماض يجب تركه والتخلي عنه.

وهم في هذا الظن المخالف لكتاب الله، يعتمدون على جهل كثير من المسلمين، وظنهم أن الإسلام ما هو إلا تاريخ مضى، وليس شريعة دائمة إلى أن تقوم الساعة، ويجب تصحيح هذه النظرة.

فليس اليهود هم بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة ويهود خيبر فقط، بل حتى من يعيش منهم اليوم في الدولة الصهيونية أو في أي مكان.

وليس النصارى هم فقط وفد نجران أو النساطرة أو اليعاقبة والملكية، بل يشمل ذلك فرقهم المعاصرة اليوم كالأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت وكل الطوائف والفرق.

وليس من كانت قرابته أو تجارته أو مساكنه أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله هم القدماء فقط، بل يشمل ذلك كل الشركات والمؤسسات والعمارات الحديثة أيضاً.

وليس كل هُمزة لمزة الذي جمع مالا وعدده خاصاً بالقديم أو بأبي لهب وحده أو بقارون، بل كل من شغله ماله أو رصيده البنكي عن الجهاد واغتاب المؤمنين، وكانت الدنيا أكبر همه وكان حاله كذلك شملته الآيات الكريمات.

وليس من والى أعداء الله وحالفهم هو عبدالله بن أبي وسائر المنافقين الأولين فقط، بل كل من والى اليهود والنصارى إلى يوم القيامة هو كذلك أيضا، وقد قال بدر شاكر السياب عن زعماء عصره: "قد صافحت كفهم كفي أبي لهب"، وهم طبعا لم يدركوا أبا لهب نفسه ولكنهم سائرون على طريقته وعمله.

وليس التطفيف المذموم في القرآن خاصاً بالحبوب مثلاً، بل يدخل فيه شركات النفط الكبرى المسماة "الأخوات السبع" وسماسرة النفط وكل مطفف معاصر في أي سلعة.

وليس الربا الذي حرمه الله هو ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى وكفى، بل كل بنك أو شركة تأمين أو تاجر تعامل بالربا في كل مكان وزمان.

وليست الدياثة أو التبرج ما كان يفعله أهل الجاهلية الأولى فقط، بل دياثة من يدّعون التقدم والتحضر في هذه الجاهلية المعاصرة أشد، ومن ذلك

كشف الشعر الذي يظهر في القنوات والمجلات والجرائد الهابطة.

وليس الغش ما كان يفعله التجار فقط، بل أكبر الغشِّ الغشُّ في الدين، ومنه أن يترك المبتدع على بدعته، والضال على ضلاله، وأن يَمدح العلماء السلاطينَ ولا ينصحوهم.

وليس فرعون والنمرود وأشياعهم من ادعى الألوهية فقط، بل الفرعونية في كل نفس، والحرص في كل نفس، والحسد في كل نفس إلا من وفقه الله لطاعته وجاهد نفسه في ذات الله.

ومن المرجئة من يقول "رئيسنا كذا" كما قرأت ويفخر بذلك، وقد يكون القائل جاهلاً أو موافقاً يبرر للطواغيت كل ما يفعلون.

ومنهم من يريد منصباً أو وزارة أو عضوية برلمان، ويدعو للتصويت لحكومته لكي يحصل منها على ذلك، ولا ريب أن كل من طلب شيئاً من ذلك يطلب الدنيا ولا يريد الله واليوم الآخر، وتبعاً لذلك لا يقول الحق ولا يعدل ولا يجاهد.

ومنهم من لا يعادي إلا الجماعات الإسلامية التي تشاركه فيما لا تشاركه فيه الحكومات، ويغلو حتى يصبح عداؤه للجماعات أشد من عدائه للحكومات، ويصبح الخطأ عنده أغلظ من الكفر!

ومنهم من يتعدى الوقوف مع حكومته إلى المطالبة بالقتال معها، ويوجب ذلك على من يسأله، مع أن كل من حكم الناس بغير ما أنزل الله لا يجوز القتال معه، لا سيما إذا كان الخارجون عليه خيراً منه شرعاً.

ومنهم من يقر حكومته على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى دعوى الوطنية، أي إقرار كل إنسان على دينه: اليهودي يبقى يهودياً والنصراني يبقى نصرانياً، والإسماعيلي يبقى إسماعيلياً، والرافضي يبقى رافضياً وهكذا، وأن الوحدة الوطنية تقتضي ما يسمى "الحوار الوطني" بين أهل السنة وأهل البدعة!

وهؤلاء الحكام يجب الإنكار عليهم ولا تجوز طاعتهم وإن صلى أحدهم

وصام وحج وزعم أنه مسلم كما جاء في الحديث. وهذه هي الوطنية التي قال عنها الشيخ البشير الإبراهيمي: "إن الغرب هو الذي خدرنا بالوطنيات الضيقة".

والمرجئة ومن تأثر بهم يتبعون المتشابه ويتركون المحكم، فإذا حدثتهم مثلا عن تارك الصلاة جاءوا بحديث في الشفاعة، وإذا حدثتهم عن الحجاب جاءوا بحديث في الحج، وهم يعدون من لا يصلي من أهل القبلة!! وأي قبلة يعنون؟ لست أدري! وقد كتب الإمام الأشعري "اختلاف المصلين" إثباتاً منه لذلك، فهؤلاء ليسوا سلفيين ولا أشعريين.

ومن الإرجاء اشتراط الاستحلال أو جحد الوجوب، أو سؤال الجاني نفسه؟ وهل كان إبليس أو فرعون أو كفرة أهل الكتاب وأي طاغية جاحِدين للوجوب؟ وهل سألهم أحد أتستحلون هذا؟

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن كما ذكر ابن كثير (أن الرسول ﷺ بعث أحد أصحابه إلى رجل نكح امرأة أبيه وأمره أن يقتله ويأخذ ماله)، و لم يسأله النبي ﷺ ولا الصحابي أأنت مستحل أو جاحد للوجوب!

ونص شيخ الإسلام ابن تيمية على أن الحكم بغير ما أنزل الله يستوي فيه المستحل وغير المستحل.

وبالدعوة المتوازنة من الكتاب والسنة يتحقق للأمة سبقها الحضاري ونستطيع الجمع بين الزهد في المباحات وبين العلم والجهاد.

فمحور التربية الإسلامية الذي يجب أن تدور عليه هو كتاب الله تعالى، وهكذا فعل السلف الصالح، وهو معتقد أهل السنة والجماعة، ثم تأتي الأحاديث شارحة وموضحة وليس العكس، وقد نادى الدكتور محمد أمين المصري رحمه الله بهذا المعنى وكرره مراراً.

وتقديم أي شيء على الكتاب والسنة هو عرقلة للمسيرة، وداعٍ للمزيد من التأخر فوق كونه غير جائز، وإنما القدوة هو النبي ﷺ، وأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها اختصرت أخلاق النبي ﷺ في جملة واحدة (كان خلقه القرآن)،

وعلى هذا كان الخلفاء الراشدون وأئمة السلف رضي الله عنهم أجمعين.

والأمور كلها بالحقائق لا بالدعاوى مثل "أتباع السنة، أهل السنة، أهل الأثر أهل التوحيد، أصحاب العقيدة الصحيحة"، بل إن اليهود والنصارى لا يقولون عن أنفسهم إنهم كفار، وإنما يقولون كما قال الله عنهم: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨].

وقال الحسن البصري: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني"، ونحن اليوم نرى كل دولة تدعي أنها ديمقراطية، ومع ذلك نمحص الصادق من الكاذب فكيف بالإسلام؟

وأعدى أعداء الله قتلة الأنبياء اليهود، ومع ذلك يدّعون أنهم شعب الله المختار! ونحن لا ننكر على الشيعة فقط، بل ننكر الغلوّ وإن قال به من ينتسب إلى السنة، وسواء عندنا غلا أحد في إمامه، أو في وليّه أو دعا أحدا غير الله، وسواء قال يا حسين، أو يا جيلاني، وسواء سمى نفسه عبد الحسين أو عبد النبي.

ولو أننا صدقنا افتراءات المرجئة الجدد وعملنا بها لأقفلنا المكاتب الدعوية، وكل جمعيات تحفيظ القرآن والمراكز الصيفية، وألغينا تدريس كل المواد الدينية والمناهج التعليمية، وحظرنا كل نشاط دعوي أيا كان، ولمنعنا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي أحرقنا كل البيوت لوجود صراصير أو وزغ فيها!

ولو أطعناهم لأقفلنا كل الفضائيات الإسلامية، ومنعنا كل الصحف والمجلات الإسلامية لا سيما تلك التي تناقش الرافضة من الفضائيات والمجلات، وأنكرنا كل ما يمكن تفسيره بأنه تطرف أو إرهاب أو مخالفة لولي الأمر يثير الفتنة ويمنع الوحدة الوطنية والتلاحم الاجتماعي.

وبالجملة لا يقنعهم إلا منع الإسلام كله وقتل أو سجن أهله.

ويمكن اعتبار انتشار التصوف بين المسلمين سببا ونتيجة لانتشار الإرجاء، فالإرجاء حول الإسلام إلى مجرد أقوال وشعارات فضفاضة، أي أنه

مهما ارتكب الإنسان من نواقض الشهادتين فإنه يظل مسلما ما دام ينطق بالشهادتين، ونشأ عن ذلك القول بأن التحاكم إلى شرع الله مجرد معصية وأنه لا مكان للجهاد في زمن السلام العالمي وهيئة الأمم المتحدة!!

وأن الإسلام السياسي -كما يقال- هو تشدد وتطرف، أما الإسلام غير السياسي فهو المعتدل والمقبول أمريكيا!

فالغرب يقيس الإسلام على النصرانية وعلى واقعه العلماني، لكن المسلمين يعلمون أن الإسلام دين ودنيا، وأنه لا مكان للعلمانية الغربية، ومن الصعب جدا فرز الآيات المتعلقة بالحكم والجهاد عن الآيات الأخرى.

والمرجئة يصرحون بأنهم مع السيسي وحفتر، ويكتبون لزعيم النصارى لوحات فيها "قداسة البابا"، فأي عقيدة هذه؟

والمرجئة يذكرون الطاعة المطلقة للسلاطين، وهذا القول في طرف والقول الآخر في الطرف الآخر، وهو قول الخوارج والمعتزلة بالخروج على كل ظالم، وبينهما قول وسط وهو قول أهل السنة والجماعة، الذين يرون أنه لا يخرج المسلم إلا على من كفر أو ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام، وترك الصلاة وترك الدعوة إليها، مع كون الخروج له شروط لا بد من تحققها، أهما تحقق المصلحة أو غلبة الظن بتحققها، وهذه الأقوال الثلاثة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (ج٣٥ ص٢٥، ٩٥)، وهناك قرن أفراد المرجئة بالظلمة والإباحية.

وفي كتاب "منهاج السنة" نسب قولهم هذا لمن سماهم "المروانية"، وهم القائلون بأن الله إذا ولى أحدا الملك كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات، الأمر الذي يؤدي إلى "الاستبداد" أو نوع منه، وعلى ذلك كانت الكنيسة النصرانية وطواغيت العصور الوسطى في أوروبا وفق نظرية "الحق الإلهي للملوك"، وهذا عكس ما في القرآن والسنة وما فعل السلف.

وعلى هذا اعتمد أعداء الإسلام والمستشرقون في زعمهم أن الإسلام جبري وأن إيمان المسلم بالقدر جبرية!

والإرجاء قديما وحديثا لا ينشأ إلا عقب مصيبة أو كارثة تحل بالأمة، فيجد المرجئة أو الحكام في ذلك تبريرا لمواقفهم، فالإرجاء الذي ظهر في القرن الهجري الأول إنما حدث بعد هزيمة ابن الأشعث، والإرجاء الذي حدث في عصرنا إنما حدث بعد قدوم الجيوش الغربية إلى جزيرة العرب لا سيما الخليج، وبعد أن انقلبت جبهة التحرير الجزائرية على جبهة الإنقاذ، ثم انتشر في مجتمعات أخرى، وعادى السلاطين الجماعات الإسلامية لا سيما (الإخون)، والله تعالى أمر بالعدل مع كل أحد فردا أو جماعة، ومن العدل أن نعتقد أن الإخوان خير من (ضاحي خلفان) ومن تبعه، مهما كان خلافنا مع (الإخوان).

ولأول مرة في تاريخ الإسلام يجمع المرجئة بين بدع شتى، ويعكسون الحقائق ويوالون المخالف لهم في اصل الدين، ويعادون من يختلف معهم في امور غايتها أن تكون أخطاء.

وهؤلاء المرجئة الذين يوالون الطواغيت ويدافعون عنهم بذريعة أنهم ولاة أمر يجمعون من صنوف البدع -إلا أن يتوبوا-:

- بدعة المرجئة الغلاة الأوائل، حيث أن الطواغيت معرضون عن القرآن متولون عن الشرع، ومع ذلك هم عندهم مؤمنون، وترك العمل بالوحي "كتابا وسنة" وارتكاب ناقض من نواقض الإسلام هو مجرد معصية عند الطائفتين.
- بدعة المروانية الذين قالوا إذا ولى الله عبدا كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات كما تقدم، وهؤلاء وإن لم يقولوا ذلك صريحا فهو حقيقة مذهبهم.
- بدعة الخوارج الذين يقولون باستحلال دم المخالف وعرضه، وهؤلاء إذا عجزوا عن استحلال دم أحد استعدوا عليه الحكام، أما الغيبة فهي عندهم مثل شرب الماء، وإذا لم يجدوا في كلام أحد ما يؤيد قولهم

افتروا عليه، أو قالوا إنه خارجي دون ذكر شيء من أقواله.

- وهم يشبهون الخوارج من وجه آخر وهو ضيق الأفق عن مراعاة المصالح الشرعية، فقد قال أصل الخوارج "ذو الخويصرة": (اعدل يا محمد)، وهؤلاء اليوم يذمون الدعاة ويمدحون الولاة دون مراعاة لما يترتب عليه من المصالح أو المفاسد.
- ويشبهون الخوارج أيضا من جهة إقرار من يوافقهم في القول واعتبار داره دار إسلام، وتعيير المخالف والتشهير به والذم بمعصيته أو خطئه، واعتباره بدعة كما اعتبره الخوارج كفرا.
- وهم أيضا يشبهون الخوارج من وجه ثالث وهو التفرق والتمزق المستمر في قضايا فقهية خلافية قابلة للنقاش والترجيح.
- بدعة غلاة الصوفية: فالصوفية يقولون مشاهدة الحقيقة الكونية تقتضي التسليم لكل فعل قدري، وهؤلاء يقولون لابد من التسليم لمن يحكم، والصوفية الغلاة يقولون إنهم مؤمنون مهما صدر عنهم من شطحات أو أفعال وغيرهم محجوب، وهؤلاء يقولون نحن الوحيدون المتمسكون بحقيقة الإيمان والسنة وغيرنا مبتدع ضال.
- بدعة الرافضة: فقد عمد الرافضة إلى خير الأمة بعد نبيها ﷺ، وعمد هؤلاء إلى خير الأمة الآن وهم الدعوات الإسلامية الرامية لتجديد أمر الدين أما ولاة أمرهم مثل بشار وحفتر والسيسي والعبادي والمخلوع صالح فتجب طاعتهم عندهم!
- وهم فيهم خصلة من المنافقين ظاهرة معلومة وهي (إذا خاصم فجر).
- وهم يختلفون عن أهل السنة الذين يقولون إن الإيمان يزيد وينقص إذ هؤلاء ليس عندهم إلا مؤمن كامل الإيمان وهو الذي لم يخطئ قط عندهم!! أو هو فاقد الإيمان ضالّ إذا خالفهم.
- وفيهم شبهة من أهل الكلام من جهة تقديم ما يراه الحكام على نصوص الوحي الصريحة.

ولا أطيل في هذا ولكن أدعوهم إلى مراجعة إيمانهم، والكف عمن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين، وحسبهم أنه كلما افترق القران والسلطان داروا مع السلطان حيث دار، وليس مذهبهم التوقف حتى يظهر لهم الأمر وتتبين لهم الحقيقة، بل لا يبالون بالحكم على من ألقى السلام بأنه ليس مؤمنا، وقد توقف أفضل أهل زمانه "عبد الله بن عمر" عن البيعة عشر سنوات حتى اجتمعت كلمة الأمة.

ومما يتبين به ضلال المرجئة المعاصرين وكذب ادعائهم (السلفية)، وتبديع مخالفيهم أن الصحابي عبدالله بن الزبير لم يبايع يزيدا ثم حارب عبدالملك بن مروان، فالمسألة خلافية منذ القدم، ولا تقتضي التفسيق فضلا عن التبديع، وقد كان ابن الزبير صحابيا وفي جيشه جماعة من الصحابة أيضا وأقل الدرجات أن يكون جيشه كله من التابعين وهم من القرون المفضلة قطعا، قال أبو نعيم صاحب الحلية في ترجمته: "ومنهم (أي من الأولياء) الصائل بالحق القائل بالصدق المحنك بريق النبوة المبجل لشرف الأمومة والأبوة، المشاهد في القيام المواصل للصيام ذو السيف الصارم والرأي الحازم، مبارز الشجعان وحافظ القرآن، التزق بالنبي لزوقا والتصق بالصديق لصوقا سبط عمة النبي صفية وابن أخت زوجه الصديقة الوفية عبدالله بن الزبير.." إلخ أوصافه.

وقال عنه عبدالله بن عباس: "أبوه الزبير وأمه أسماء وجده أبو بكر وعمته خديجة، وجدته صفية وخالته عائشة".

وعلى مذهب ابن حزم وغيره يكون ولي الأمر هو ابن الزبير وبنو أمية هم الخارجون عليه.

ولما خرج بعض الناس على الحجاج حاول بعض التابعين أن يردهم عن ذلك، فأنكر عليه غيره وقالوا: إلى من تردهم؟ إلى الحجاج؟ وليس هذا موضع الترجيح، وحسبنا أن المسألة فقهية ترجيحية لا تبديع لأحد طرفيها، وليست من مسائل الاعتقاد أصلا.

٣- نبذة عن الرافضة

نشأتهم وعلاقتهم بأعداء الإسلام

يؤكد شيخ الإسلام ابن تيمية مرارا أن الذي أسس مذهب الرافضة هو عبدالله بن سبأ اليهودي، وقد أراد هذا اليهودي الزنديق إفساد دين المسلمين كما أفسد "شاؤول: بولس" دين النصرانية، وهو أول من ابتدع العقائد التي عليها أكثر الرافضة اليوم، كالرجعة والغلو في الأئمة.

وقال أتباعه لعلي: أنت هو، قال ومن هو؟ قالوا الله، فأمر بإحراقهم. وأمرهم مشهور فلا نطيل فيه.

ويشهد الواقع التاريخي على وقوفهم الدائم مع أعداء الله، فقد أشعلوا الفتنة التي قتل فيها عثمان، ثم وقفوا مع "هولاكو"، وقتلوا الخليفة المستعصم العباسي، مع أنه من آل البيت، بل إن بعض كتب الرافضة أنفسهم تقول إن الذين قتلوا أبا عبد الله الحسين هم الرافضة، ليس فقط بإخلافهم ما وعدوه به، بل يقولون إن شِمْر نفسه كان شيعيا، ولذلك يلطم الشيعة أنفسهم، وعلى كل حال هذه شهادة للحسين رفع الله بها درجته، وقد قتل مظلوما أيا كان مذهب قاتله، ثم وقفوا مع "تيمورلنك" وحاربوا الدولة العثمانية حربا طويلة مريرة، وذريعتهم أن العثمانيين أحناف نواصب.

ثم وقفوا مع الاستعمار الأوروبي الذي دمر بلاد الإسلام، ثم كانوا مع أمريكا في حلف بدأوه سرا حتى ألّف أحد الأمريكيين كتابا سماه "التحالف السري بين الولايات المتحدة وإيران"، وسموا أمريكا "الشيطان الأكبر"، ورفعوا شعار "الموت لأمريكا الموت لإسرائيل"، واحتلوا سفارة أمريكا في طهران (الري) سابقا، وبعد الاتفاق النووي أصبح هذا التحالف علنيا، وتحول "الشيطان الأكبر" إلى "الصديق الأكبر"، وأوَّلَ "علي خامنئي" شعار "الموت لأمريكا"، وحذفته صحيفة "كيهان" مثلا، فلا يغرنا التلاسن والحرب الإعلامية بين الطرفين عن حقيقة الأوضاع وأن لها جانبا آخر، وانظر مثلا إلى عقود الشركات الأمريكية مع إيران ومنها شركة "بوينج"، وانظر إلى أن مصدر عداوة إيران هو الكونغرس وليس البيت الأبيض، وهكذا.

وصرح بعض الملالي أنه لا يستهدف إسرائيل.

واستمالوا سلطنة عُمان إليهم مع أن العمانيين خوارج إباضية، وتاجروا مع دولة الإمارات العربية المتحدة واعتمدوا عليها في حصارهم الذي فرضه الغرب على إيران، مع أنهم يحتلون لها ثلاثة جزر أماراتية، وهذا واحد من التناقض بين ما نسمع والواقع.

وسعوا إلى ضم البحرين إلى إيران، أما أمرهم في لبنان والعراق واليمن وبلاد الشام فمشهور جلي، ولم يُعرف عنهم فتح أي إقليم طوال التاريخ، وإنما كانت حروبهم ضد أهل السنة، والرافضة المعاصرون يدهسون أطفال أهل السنة بالدبابات ويقولون عنهم: أحفاد قتلة الحسين!.

وابتدأ الرافضة أولاً بالتحزب لعلي، ثم أصبح تفضيلا له على عثمان، ثم أصبح تكفيرا لأبي بكر وعمر، ودعاء لغير الله وإقساما بالمخلوقين، وإقامة للحسينيات والمقامات والمشاهد، وتفضيلا لتربة كربلاء على الكعبة المشرفة، أي أنهم كانوا من أهل السنة ثم مفضِّلة، ثم اثني عشرية، وهكذا حتى أن بعض الباحثين في عقيدتهم اليوم يقول إنهم على دين آخر، والله أعلم بالنيات.

ولما أرادت أمريكا وإسرائيل تحويل ما سمي الفوضى الخلاقة إلى مشروع للتقسيم استخدموا الروافض كمخلب قط لهم.

وموالاتهم لليهود مشهورة تاريخيا، حتى أن شيخ الإسلام ابن تيمية نقل عن بعض العلماء أنهم جعلوهم لهم كالحمير، وأشبه الحكومات اليوم بإسرائيل هي حكومة العبادي في بغداد، والأمريكان يقدمون المساعدات الضخمة لهؤلاء وهؤلاء.

ولا غرابة أن تجد في ملاليهم الكبار من هو على غير دين الإسلام أصلا، فإنهم لما أرادوا تغسيل بعض آياتهم عند موته وجدوه غير مختون، وصرحوا أنه يهودي، وماذا يريد اليهود أكثر من الجنس "المتعة"، ومن المال "الخمس"، وكذلك لا غرابة أن يدخل كل عدو للإسلام من باب التشيع، ورحم الله أبا زرعة حين قال: إنما أرادوا إبطال الدين بإبطال الشهود".

وشهود الإسلام هم الصحابة رضي الله عنهم فإذا كانوا كفارا أو طلاب دنيا كما تزعم الرافضة، فمن يروي عنهم أو يقبل شهادتهم؟

وكما أن أمر أمريكا محير وكلام مسؤوليها متناقض، تجد حال الملالي كذلك!

ولما احتج بعض الكفار على الإمام أبي محمد ابن حزم بأن القرآن حرف كما تقول الرافضة رد عليهم الإمام بأن الرافضة ليسوا من فرق المسلمين!

وليس بدعا أن نرى الرافضة اليوم يتحالفون مع الغرب سرا وإن كانوا متلاسنين معه إعلاميا، فاستقراء تاريخهم يدل على أنهم لا يقومون وحدهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا تجد أهل مدينة ولا قرية غلب عليها الرفض إلا ولا بد لهم من الاستعانة بغيرهم، إما من أهل السنة وإما من الكفار وإلا فالرافضة وحدهم لا يقوم أمرهم قط، كما أن اليهود لا يقوم أمرهم قط".

ونحن نعتقد أن كل من قال إن القرآن محرف ليس مسلما ولو لم يكفر إلا بحرف واحد منه، وبعد هذه الموالاة الصريحة للكفار التي يشهد بها الواقع التاريخي قديما وحديثا لا نستغرب أن يصنفهم الأمريكان ضمن الإسلام المعتدل.

وتواطؤا مع البرتغاليين ونصارى الحبشة على غزو مكة عن طريق البحر الأحمر، ولكن الدولة العثمانية تصدت لهم، والمهم أن تاريخهم حافل بالتعاون مع أعداء الله، وقول عادل الجبير إنهم جيراننا منذ خمسة آلاف سنة وسيظلون جيرانا لنا في الخمسة الالاف سنة القادمة تبرير لمصافحته لجواد ظريف الذي قال: أنا أعرف عادل الجبير من قديم وهو صديقي، ولهذا صافحته.

وأنا أظن أن هذه المصافحة بداية عودة علاقات طيبة مع إيران، ولم يرد سابقا ولا لاحقا وصف إيران بأنها دولة شيعية كما ينص دستورها!

وعلى كلام الجبير هذا لم يفعل الرسول ﷺ شيئا، بل لا ذكر له مطلقا، وكأنه لم يوجد قط، وكأننا أمة لا رسول لها ولا قرآن.

فالقضية خلاف سياسي يمكن حله في وقت ما، وليست خلافا عقديا.

مجوسيتهم:

قال المدعو محمد علي أبطحي مساعد رئيس جمهورية إيران: "لا يمكن أن نتصور إيران من دون "زرادشت"، أو "زرادشت" من دون إيران".

فعبادة النار متأصلة لدى المجوس، والإيرانيون يجهلون حقيقة العبادة وحقيقة التوحيد، وعقيدتهم أن النار مشتقة من نور الله الأزلي! وأنها مقدسة، وأنها تطرد الأرواح الشريرة، أي أن شركهم ليس في الألوهية فقط، بل في الربوبية، حيث يستطيع أي باحث في الانتربولوجيا أن يرى التشابه الواضح بين طقوس النار عند الروافض وعند إخوانهم البدائيين في جزر "البوليانز" وأستراليا، والقبائل الوثنية في غرب إفريقيا، وبهذا استكبر إبليس حين قال: ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢].

وقال بشار بن برد:

إبليس أفضل من أبيكم آدم فتنبهوا يا معشر الأشرار

إلى أن قال: والطين لا يسمو سمو النار.

وكان المجوس قبل الإسلام يعتقدون أن لهم مخلِّصا سوف يملأ الأرض عدلا إذا خرج يسمونه "شوثن"، كما ذكره المسعودي في "مروج الذهب"، وتحدث عنه "هيجل" ضمن كلامه عن المجتمع الفارسي القديم، وربما سماه المجوس "أشرزيطا" ولقبوه بذلك، وعنهم أخذ الرافضة منتظرهم المعدوم، وقد تكلم عن أهدافهم الحقيقية الإمام ابن حزم كما في "الفِصَل"، ونقل كلامه مقرا له فضيلة الشيخ عبدالله الغنيمان في شرحه لكتاب التوحيد من الصحيح.

ويؤكد ذلك سعي إيران لإحياء الإمبراطورية الفارسية وتسمية دولتهم إيران، وهو اسم سابق للإسلام أقرهم عليه الخميني، وأول من استحدث اسم إيران هو الشاه، وذلك ما أقره الخميني فيما بعد، كما أحيوا عيد النيروز المعروف منذ القدم، وغلوا في سلمان الفارسي، وأحيوا عبادة النار، وإنما

هرب سلمان الفارسي من تلك العبادة الإبليسية التي كان سادنها الأكبر "الموبذان".

وإنما أحب المجوسُ الحسينَ أكثر من أي إنسان لأنه تزوج بنت كسرى، فكان منها علي بن الحسين المشهور بزين العابدين.

وصدق الباحث العراقي السنّي الذي قال: "التشيع بذرة نصرانية غرستها اليهودية في أرض مجوسية"!

ومن مجوسيتهم احتفاؤهم بالمجوسي المعروف أبو لؤلؤة، وإقامة ضريح له في إيران وتسميته "بابا شجاع الدين"، وقولهم إن قتْلَه لعمر بمثابة إسلام له.

ومما يثبت ذلك أن الخميني قال إن تاريخهم يعود إلى ثلاثة آلاف سنة، وألَّف بعضهم كتاباً زعم فيه أن محمدا ﷺ ليس بعربي، ولا زالت قنواتهم وصحفهم وأفلامهم تنضح بالعنصرية المجوسية الفارسية.

ولما تواطأ معهم المالكي والعبادي وسيدهما أمريكا واحتلوا العراق ادعوا أن بغداد عاصمة الدولة الفارسية.

وإجمالا هناك أوجه شبه كثيرة بين ما يعتقده الرافضة وبين ما يعتقده المجوس والنصارى، مثل الإيمان بالمخلِّص المنتظر، والحزن الشديد، كما يفعله الشيعة يوم عاشوراء، ويفعله النصارى في الشعانين، وربما أخذ ذلك شكلا تمثيليا عند الطائفتين، وكراهية بعض الأرقام لاتصالها بأصل عقدي عند الطرفين، فالنصارى يكرهون رقم ١٣ إلى اليوم، ويكره الشيعة رقم ١٠، وهكذا يتأثر الروافض بعقيدة المجوس واليهود والنصارى من اللطم والنواح وغير ذلك، ويعترف بذلك بعضهم اليوم.

ومن المجوس المشهورين في التاريخ عبيد الله القداح الذي أسس دولة العبيديين في مصر، وادعى أنه من أهل البيت وكان أبناؤه يقولون إنهم (فاطميون)!!

أما الحسن بن الصباح صاحب قلعة ألموت فإنما بنى قلعته في بلاد فارس.

- الاحتلال الصهيوغربي ووثيقة مكة:

غزا "بوش" الصغير العراق وهتف له الرافضة الفرس وطالبو بإلغاء كل عيد إلا عيد دخوله بغداد (٩ مارس)، وحمت مليشيات بدر الرافضية ساقة الجيش الأمريكي، واستخدموا الأسلحة المحرمة دوليا في معركة مطار بغداد، واعتمد "بول بريمر" على الإحصاء البريطاني القديم الذي يجعل أهل السنة أقلية، وجعل "بريمر" بقسمته الضيزى أهل العراق ثلاث طوائف: شيعة وسنة وكرد، فلا هي قسمة دينية ولا قسمة عرقية، وصرح المعتدي الكبير "رامسفيلد" أن المقاومة العراقية محصورة في المثلث السني، وبذلك صرح "بوش" وأعوانه من الوزراء والإعلاميين، مع أن الشيعة العرب مثل مقتدى الصدر والصرخي أعلنوا عداوتهم للأمريكان، وكذلك العشائر العربية الشيعية.

ثم رأى "البنتاجون" أن أفضل وسيلة لانتصار أمريكا المزعوم وإضعاف المقاومة العراقية الباسلة هو استخدام المنافقين من العشائر السنية، والتستر بمحاربة الإرهابيين والمتطرفين، فأنشأوا ما سموه "الصحوات"، وأسكنوا بعض المنافقين المنطقة الخضراء ببغداد، وجعلوا بعضهم أعضاء في البرلمان، أو أعطوهم وزارات شكلية، وبذلك خضع العراقيون للحكومة الرافضية التي تزعَّمها نوري المالكي، ثم حيدر العبادي، وكلاهما من حزب الدعوة الشيعي.

وبهذه الحيلة الخبيثة وقف بعض الناس إلى جانب الأمريكان إما عسكريا وإما إعلاميا، لا أعني بذلك الإعلام العراقي الذي يموله العبادي وزمرته الرافضية فقط، بل حتى الإعلام الذي يأخذ أموال أهل السنة كقناة "العبرية"، الأمر الذي اضطر أهل السنة في العراق إلى التهديد بإقامة دعوى على تلك القناة، وربما أقاموها وأنا لا أعلم، ولا يقتصر الأمر على هذه القناة وحدها، بل يشمل صحفا كثيرة في الرياض وجدة، وأصبح من الهموم التي تؤرق

وزارة الخارجية السعودية مصير الإمام -كما سموه- موسى الصدر الذي اختُطف في ليبيا، وليتها طالبت الأمريكان بالإفراج عن الشيخ عمر عبد الرحمن كما أفرجوا عن الجاسوس اليهودي "جوناثان بولارد"! ثم إن الشيخ عمر ما لبث أن توفي، وكفى الله الخارجية القتال!

وفي الجانب الاعتقادي -وهو المهم عندنا- عقد السنة والشيعة اجتماعا ووضعوا وثيقة مكة المشهورة، وهي تقول كما يقول القوميون من قبل إنه يجب على الشيعة والسنة أن يكونوا أمة واحدة ويدا واحدة، وهذا معناه السكوت عما ارتكبه الروافض في شرق العراق وغربه وجنوبه، وكل محافظاته، وقد ادعى الروافض أنهم غير طائفيين ولا مذهبيين، وأنه يجب على العالم كله أن يتحد لمحاربة الإرهاب والتكفير، المحصور عندهم في أهل السنة فقط بل فيما يسمونه "الوهابية" خاصة، وهكذا أنشأ الأمريكان ما سموه "التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب"، ونسي كثيرون إرهاب بشار الأسد وإسرائيل وحزب اللات، وإرهاب حزب الدعوة الذي ينتمي إليه المالكي والعبادي، وإرهاب قوات بدر وفيلق القدس وفيلق مكة وقوات سوات وعصائب أهل الحق والفضل والنجباء إلى غير ذلك من الميليشيات الشيعية.

كما تناسوا إرهاب "الباسيج" وإرهاب إبراهيم الجعفري الذي أوقعه في مكة والمشاعر المقدسة، وأخيرا ضم العبادي الحشد الشيعي إلى قواته، وجعل الجعفري وزيرا لخارجيته.

واقتصر الإرهاب على تنظيم القاعدة والدولة الإسلامية وما له علاقة بهما، مع أن أفعال هذه المنظمات لا يصل إلى ١% مما يفعله المتقدم ذكرهم.

وأصبح أكبر الإرهابيين، هو أسامة بن لادن وأبو مصعب الزرقاوي والجولاني والظواهري وأبو فلان وأشباههم فقط.

وغض الأمريكان النظر عما يفعله بشار والعبادي، وجعلوا أكبر همهم هو الانتقام من الفلوجة والرمادي وهيت والموصل.

ووجدت العشائر السنية في العراق نفسها بين أمرين أحلاهما مرّ: ١-

إما الانضمام للغلاة لكي يحاربوا الرافضة، ٢- وإما الانضمام للرافضة لكي يحاربوا الغلاة.

وبين فكي هذه الكماشة وقع كثير منهم، وهو في أية حال متهم من الفريقين إما بالردة وإما بالإرهاب!

واجتمع السنة والشيعة في مكة شرفها الله وأصدروا ما سمي وثيقة مكة!

والمهم أن وثيقة مكة لم تذكر أمورا مهمة أذكر ما يحضرني منها في هذه العجالة، تاركا تفصيلاتها لمن يبحث في ذلك غيري:

١- حكم من قال إن القرآن محرف سواء أكان سنيا أو رافضيا.

٢- حكم من اعتقد تكفير الصحابة أو طعن فيهم سنيا كان أو رافضيا.

٣- حكم من اعتقد أن إمامه يتصرف في الكون سواء أكان من الشيعة أو من أهل السنة.

٤- حكم من قال إن شيخه أو إمامه يعلم الغيب من الطائفتين.

٥- حكم من دعا غير الله سواء ادعى أنه سني أو شيعي.

٦- إذا كان الكل مواطنين عراقيين فما حكم جعل العراق تابعة لإيران، وتعليق صور الخميني في المكاتب الحكومية بالعراق، وتعليم اللغة الفارسية والتعامل بالتومن؟

صلتهم بالصوفية:

ألف الكاتب الشيعي العراقي كامل الشيبي كتابه "الصلة بين التصوف والتشيع"، ونقل ابن عربي كلامهم في مهديهم المنتظر الموهوم فجعله صفات لخاتم الأولياء عنده.

وذكر ابن بشر وغيره أن الشاه إسماعيل الصفوي نقل الفرس من التصوف إلى دين الرافضة.

وأثبت ذلك الكاتب الشيعي علي شريعتي الذي أمر الخميني باغتياله.

كما أثبته من يسمون دعاة التجديد أو الإصلاح من الشيعة، مثل الموسوي والحيدري.

وهكذا أصبحت كلمة الصفويين مرادفة لكلمة الرافضة الفرس.

والطرق الصوفية على كثرتها تنتسب إلى أهل البيت، حتى أن الشعراني ناقض نفسه حين كتب عن نسب الرفاعي فقال: إن رفاعة حي من العرب، وهي بطن معروف اليوم من جهينة، وفي مكان آخر جعل الرفاعي من آل البيت.

فلا عجب إذن مع قوة الصلة بين الطائفتين أن تنتهي الخرقة الصوفية عند أول أئمة الرافضة.

صلتهم بالنصيرية:

الأصل عند الفرقة الاثني عشرية التي ينص دستور الثورة الإيرانية على أن مذهبها هو مذهب الدولة أنهم يكفِّرون النصيرية، لأن مؤسسها محمد بن نصير يكفُر أصلا بمهديهم الموهوم المختفي في سرداب سامراء كما يزعمون.

والنصيرية فرقة من الباطنية، وأقرب الفرق إليهم هم فرقة الحشاشين، وكذا العبيديون الذين سموا أنفسهم الفاطميين والإسماعيلية الذين يسمون كتبهم اليوم "التراث الفاطمي".

والنصيرية في الأصل من غلاة الرافضة، ثم تحولوا إلى الباطنية لشدة القرب بينهما.

والنصيرية اليوم ليسوا جبهة الصمود كما يقولون، اللهم إلا إذا كان ذلك صمودا وتصديا للشعب، وليتهم احتفظوا بحق الرد في حلب كما احتفظوا به مقابل إسرائيل، وقد قال بشار إن إسرائيل طمأنته بأنها لا تريد الإطاحة بحكمه، ونشرت صحيفة الوطن الدمشقية عن التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا -ومن دولِه السعودية- أنه يؤيد بقاء الرئيس بشار الأسد في

الحكم، كما يؤيده علنا السيسي والعبادي، ويعلن ترامب على الأمة أنه لا يريد إسقاط بشار!!

دع الطيار السعودي الذي قال أنا مستعد أضرب قصور بشار أو أضرب قرداحة فمنعوه!

ودع وقوف روسيا وإيران وحزبها إلى جانب بشار.

ودع كون الصهاينة لم يطلق عليهم طلقة واحدة من الجولان المحتل.

وانظر إلى كون النصيرية -دائما- يحتفظون بحق الرد إذا هاجمت إسرائيل بعض قطاعات الجيش في دمشق أو غيرها.

وانظر كيف انزعجت إسرائيل من سيطرة المعارضة على القنيطرة.

ومع ذلك لما زار حافظ الأسد السعودية كتبت جريدة الرياض وغيرها أنه الأخ الشقيق لهم، وأمدوه بالمليارات لبناء محطات كهرباء في دمشق كما زعم، بل أرسلوا جيشا سعوديا لحماية الأخ الشقيق، وأنا تحدثت طويلا مع ضابط الاتصال بين الجيشين السوري والسعودي في بلاد الشام، كما تحدثت مع بعض المشاركين من العسكريين ممن ذهب إلى سورية.

ولما قام المجاهدون ضد النظام النصيري منعوا عنهم أي سلاح يسقطون به الطائرات، إذا لم تأذن به أمريكا.

والمهم عند التحالف وعند نظام بشار هو محاربة "داعش" التي لا يصل إرهابها إلى ١% مما يرتكبه بشار.

والعجيب أنه لا يوجد في مخيمات اللجوء -ومنها مخيم الزعتري مثلا- لاجئ نصيري واحد، ولم تحاصِر قوات بشار أي بلدة نصيرية قط، فعلام يدل ذلك؟

ولما اجتمعت المعارضة في الرياض، كان فيهم مجموعات من شبيحة بشار، بإشراف علي مملوك الذي زار السعودية سرا.

وأعلنت سلطنة عمان على لسان وزير خارجيتها "بن علوي" أنها تؤيد إجراء انتخابات في سوريا، أي وفقا للنتيجة المعروفة سلفا.

والكل متفق على مقررات "مؤتمر جنيف"، وما يقوله "كيري" و"ريكس تيلرسون" في واشنطن يردده عادل الجبير في الرياض، أو في أي مكان بدون فارق، وقد لاحظنا أنه بعد إدارة ترامب خففوا اللهجة، فبعد أن كانت "الأسد فقد شرعيته" أصبح اليوم الرأي ما يراه الشعب السوري!!.

ومعروف ماذا يرى إذ لا بد أن تكون النتيجة كالعادة ثلاث تسعات، ومن خالف ذلك فهو إرهابي لا يؤمن بالديمقراطية!

ودول الخليج بترك الحزام السني لبغداد يحتله الرافضة وبإقرارهم لحكومة العبادي والوقوف كما قالوا على مسافة واحدة بين كل أطراف النزاع في العراق إنما أضاعت خط الدفاع الأول عنها وجعلت نفسها هدفا للعدوان الرافضي.

وعقيدة النصيرية ليست "أشهد أن لا إله إلا الله" كما يقول المسلمون كلهم، بل هي:

أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين

أي علي بن أبي طالب ﵁، وربما سماه النصيرية "أمير النَّحل".

ولتأليههم لعلي سماهم العثمانيون "العلي إلهية"، وقد حرف الفرنسيون ذلك إلى "العلوية" وأفتى فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية بفتواه الشهيرة، وقرر رحمه الله أن الإسماعيلية أكفر منهم.

ومن مشهوريهم غير آل الوحش المتسمين آل الأسد! الشاعر "علي أحمد سعيد" الذي نشأ على خرافاتهم ثم تحول إلى العلمنة وسمى نفسه "أدونيس" الذي هو من آلهة الفينيقيين، ثم ارتد إلى المارونية مع أن لبنان دولة علمانية تقبل أن يكون المواطن فيها مسلما أو مارونيا أو ما شاء، وليته وقد كتب عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب انصرف إلى الكتاب والسنة ليرى ما يذهله من أنوار الحق وبراهينه الساطعة، وهلل الليبراليون في السعودية لترشيحه لجائزة نوبل.

ومن النصيرية يوسف ياسين الذي كان رئيسا للشعبة السياسية في

السعودية.

ومن النصيرية كذلك "قصي صالح درويش" الناقد الفني الذي كان كاتبا في جريدة الشرق الأوسط، وكثيرون ليس هذا مكان عدّهم وبعضهم قابلته شخصيا.

ومن العمل بالنقيضين الإيعاز لأئمة المساجد بالقنوت لحلب مع دفع المليارات للروس الذين دمرت طائراهم حلب.

والمقصود أن التاريخ يذكر تكفير الاثني عشرية للنصيرية، وهي ثغرة ينبغي لمن كان صادقا في إسقاط نظام بشار وفك تحالفه مع إيران أن يدخل منها.

– صلتهم بالإسماعيلية:

الإسماعيلية اسم للباطنية كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، والإسماعيلية اليوم يعترفون بما ذكره الشيخ حتى دون أن يعلموا به.

ومنهم طائفة في الهند وفي نجران وسائر اليمن اليوم، ومن فرقهم "السليمانية والداودية" ويجمعهم اسم "الفاطميين" سواء أكانوا نزارية أو مستعلية، وقد حدثني بعض كبار الإسماعيلية أنهما نشأتا عندما اختلف نزار والمستعلي أيهما يكون الحاكم، هذا ما سمعته منهم بلا واسطة.

والإسماعيلية يوجدون في بلاد الشام خصوصا "سلمية" بمحافظة حماة، وكذلك في الهند وخاصة بومباي، وفي باكستان، ويقال إن محمد علي جناح كان منهم ثم تَعَلْمَن، وفي أفغانستان، ويعيشون اليوم في تلك الدول كما أن بعض زعمائهم لا سيما من طائفة الآغاخانية يعيشون في الدول الغربية ويعطيهم الغربيون الجنسية، ومنهم "كريم علي" الذي يسكن باريس.

والمجمع عليه اليوم أن الإسماعيلية في نجران مثلا يصومون ويُعيِّدون مع إيران، وأنهم يناصرون الحوثيين وهم يعتقدون أن الجمعة والجماعة حسب مذهبهم إنما هي مستحبة، وليست واجبة، والمتدين منهم لا يصلي خلف أهل

السنة المسمين عندهم "جماعة أبو هريرة"، ويصرَّح بعداوة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حبيبة رسول الله ﷺ.

وهم في مكة وجدة وغيرها أيضا ويسمون أنفسهم فلان المكرمي نسبة إلى دعاتهم "المكارمة" ويؤمنون بالتقية فهم ليسوا موافقين لنا لا في الدين ولا في الوطنية كما يقال، ولقد قوي شأنهم لما كانوا مقربين من أمير منطقة مكة السابق "مشعل بن عبد الله" وسيطروا على الإمارة في أيامه.

وكان لهم في مكة رباط خاص يسمى "الرباط السيفي" نسبة إلى المدعو "طاهر سيف الدين" وقد رأيته مرارا وكان بجانب مستشفى "أجياد"، ثم نقلوه عند توسعة المسجد الحرام، وفيه يمارسون شعائرهم بكل حرية كما أن لهم مخيمات خاصة علنية في الحج.

وللحديث عنهم تكملة ستأتي إن شاء الله وكذا عن علاقتهم بقبيلة يام.

وإذا كانوا بهذه المثابة فيجب تقديم دعوتهم على دعوة الزيدية التي ابتدأت بقتال الحوثيين، ويجب ترتيب العداوة كما سيأتي تفصيله إن شاء الله، بل إن خير ما يفعله الزيدية هو قتالهم كما فعل الإمام الهادي المتوفى سنة ٢٩٨هـ، وقد قيل إن الهادي قاتلهم في سبعين معركة.

- فِرَقهم:

يختلف الرافضة كثيرا وتتعدد فرقهم كما ذكر النوبختي الشيعي، وقد عدد المؤلفون في الفِرَق فِرَقهم فقالوا إنها أكثر من ثلاث وسبعين فرقة، وبعضها انقرض اليوم أو اندمج في غيره ومن فرقهم السبئية والغرابية والخشبية والكيسانية والجارودية والبترية والمفوضة والمختارية والاثنا عشرية وهي الأكثر اليوم، والاثناعشرية نفسها فرق أهمها الإخبارية والأصولية.

وكل فرقة منهم لها إمامها وكل طائفة تلعن أختها، وكلهم يؤمنون بالتقية ويكذبون على أهل البيت، حتى أصبح حبهم لهم عارا على أهل البيت كما قال بعض أهل البيت أنفسهم.

ولما كنا في سجن "الحاير" كان معنا شيعة من حزب الله المحلّي -الذي فجر أبراج الخبر- وكانوا يلعنون الحزب علناً، لا سيما بعد أن قرأوا كتاب الموسوي "الشيعة والتصحيح" الذي كانت إدارة السجن توزعه على السجناء، ثم إنهم منعوه أخيرا في كل مناطق المملكة.

ومن فرق الرافضة المعاصرة اليوم "الأصولية" و"الإخبارية"، وكذلك "الأحمدية" نسبة إلى أحمد الأحسائي، وهم مع هذا التفرق والاختلاف يكفر بعضهم بعضا، فالإخباري يكفر الأصولي والعكس، ومع ذلك يتهمون أهل السنة بالتكفير خصوصا من يسمونهم الوهابية!

وأكثرهم اليوم أصوليون، ومن الأصوليين الخميني، وعلي شريعتي، ومحمد حسين فضل الله، ومقتدى الصدر، والسيستاني، وحزب الله، ومنظمة أمل، والحكيم، وهم يتقاتلون فيما بينهم حتى هنا في المنطقة الشرقية لشدة اختلافهم وكثرة فرقهم، وما ألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء، ولا يزال التيار الصدري اليوم مخالفا لبقية الشيعة لا سيما وأن الصدر من الشيعة العرب، ومن الصعب استمالتهم بتولية طائفة منهم دون طائفة، أو نجاح سياسة معهم دون السياسة الشرعية المتمثلة في بيان ضلال عقيدتهم وتفريقهم بين أهل السنة وتعليمهم العقيدة الصحيحة كما هي فتوى شيخ الإسلام، ودعوتهم إلى الله وليس إلى الوطنية.

فلما جعلوا علي المسلّم مثلا مستشارا في الديوان وأعطوه القصور والأراضي وسمحوا له بإنشاء شركات عدة لم يرض ذلك إلا من كانوا معه فقط.

وقد انتسب كثير من الشيعة إلى العلمانية والبعثية والشيوعية والاشتراكية، لما رأوا انحرافات المذهب، وأكثر شبابهم ألحدوا واتبعوا الشهوات، وشغلوا أنفسهم بتشجيع المنتخب الإيراني وتتبع المواقع الإباحية وتعاطي المخدرات.

والسياسيون اليوم ينقسمون في إيران فرقتين كبيرتين: المحافظون

والإصلاحيون، والرافضة مع شركهم ودعاء غير الله يختلفون في أمور مهمة ومنها مسألة لمن الحكم، فبعضهم يقول الحكم لله، وبعضهم يقول الحكم للشعب، كما يختلفون في العصمة وفي ولاية الفقيه.

ومنهم المعارضون الذين ينكرون التدخل الإيراني في سوريا وأصدروا بيانا وقعه المئات منهم يعتذرون للشعب السوري، كما أن منهم "منظمة خلق" التي لا تكتفي بالكلام وحده، بل هي تفجر في إيران ولهم معسكرات تدريبية، وتتزعمهم اليوم "مريم رجوي"، والملالي يسجنون من يخالفهم كما فعلوا بـــ"كرّوبي"!

وهم بكل فرقهم أوغل الناس في التكفير، لا يكفِّرون الحكام المعاصرين فقط، بل يكفرون أبا بكر وعمر وسائر الصحابة، ويكفِّر بعضهم بعضا، فيكفر الإخباريون الأصوليين وبالعكس، ومن أئمة الرافضة الذين يكفرهم سائر الروافض أحمد الأحسائي ومرزا محمد الإخباري، وكثير ممن ذكرهم وفصل القول فيهم محسن الأمين في "أعيان الشيعة"، وذكرهم الكشي والنوبختي.

ومع ذلك يقولون إن أهل السنة تكفيريون، ولا يرد عليهم أحد من المشايخ في بلاد التوحيد.

وقد استتاب الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله الرافضي الخنيزي، لما كتب "أبو طالب مؤمن قريش"، فمن يستتيب اليوم المسمى سماحة الشيخ حسن الصفار! بل إنهم في التشكيل الأخير لمجلس الشورى جعلوا الخنيزي عضوا فيه، وهكذا خطأوا الشيخ محمد بن إبراهيم، ولا أدري أهو الخنيزي نفسه أم من الأسرة!

أما الرافضي الآخر حمزة الحسن فقد سمى "عاصفة الحزم" عاصفة الوهم.

ومن المضحك أن جريدة الاقتصادية نشرت صورا لأشخاص زعمت أنهم من حزب اللات ومنها صورة لأحدهم وهو غير ملتحٍ كتبت تحتها

أوصاف ذلك الرجل ومنها أنه له لحية!

– عداوتهم لأهل السنة:

من المعروف تاريخيا أن الرفض بوابة لكل من يعادي أهل السنة ويريد هدم الإسلام، فمن طريقهم دخل الزنادقة ودخلت الفرقة الباطنية ودخلت الصوفية الفلسفية ودخل كل ملحد.

ومن البديهي أن من يكفِّر أبا بكر وعمر يكفر كل حكام السنة قديما وحديثا، ومن شعاراتهم التي لا أصل لها في الكتاب والسنة أنه "لا تصح عبادة عابد في ظل حكم فاسد"، وهم بهذا قريب من الخوارج البيهسية، الذين يصرحون بأنه إذا كفر الراعي كفرت الرعية، الشاهد منهم والغائب.

وكل حكم ليس الحاكم فيه رافضيا هو عندهم حكم فاسد لا شرعية له، وإن تستر بعضهم بالتقية ليتولى المناصب العليا فيه، لا سيما مع جهل من يدَّعون السّنة من الحكام.

وليس حكم الرافضة على أهل السنة محصورا في تكفير الحكام وحدهم، بل إن كل من لم يكن على مذهبهم الباطل ناصبي أينما كان وفي أي وقت عاش.

وبلغت بهم العداوة إلى حد أنك لا تجد شيعيا واحدا اسمه أبو بكر أو عمر، لا في إيران ولا في العراق ولا في اليمن، وكذا عثمان وعائشة فضلا عن معاوية ويزيد وعمرو، ولا تجد في طهران مسجدا واحدا لأهل السنة، مع أن فيها معابد لكل دين.

ووصل بهم التعصب إلى الإيمان بخرافات غير معقولة، مثل نفورهم من الرقم ١٠، مع أنه يدل على العشرة المبشرين بالجنة، وتحريمهم السمك الجرّي، وتحريم لحم الجمل، وبناء ضريح أبي لؤلؤة المجوسي في إيران، وقول بعض الرافضة كما قرأت كانت طعنته لعمر إسلامه، وهو ضريح مشهور نشرت قناة الجزيرة صورا له، وتحدث عنه السيد محمود الدغيم من أهالي

معرة النعمان ببلاد الشام.

ومن خرافاتهم المعروفة كلامهم عن صاحب السرداب الموهوم، وكيف نما وكبر وكيف سيخرج، وإذا ذكروه قالوا "عج" أي عجل الله فرجه، ويسمونه "صاحب الزمان"، وينسجون حوله الأساطير التي لا يستسيغها عقل، ويقولون إنه إذا خرج سوف يحكم بشريعة داود ويقتل قريشا والعرب، وقد بدأوا ذلك عمليا بقتل ضيف الله القرشي، أم أن ضيف الله من أحفاد قتلة الحسين؟

وحسب الإحصاءات الدقيقة تجد أن قتلى الرافضة من رجال الأمن ضعف من تقتلهم داعش، ومع ذلك فمن تقتله الرافضة يقولون إن القاتل مجهول، أو أن رجل الأمن قتل في محافظة القطيف أو في العوامية أو قتله المتطرفون دون ذكر لكون القاتل شيعيا.

وهؤلاء الرافضة يقتلون أهل السنة في كل مكان، ويطالبون علناً ببناء الأضرحة في مكة والمدينة، حتى أن مقتدى الصدر طالب الملك بنفسه وكتب المطالبة شيخهم حسن الصفار، في جريدة الحياة التي يصنفونها بأنها صهيونية، وينشرون ذلك في جرائد سعودية، وأنشأوا فيلق مكة، وكان الشيعي الخبيث إبراهيم الجعفري وزير خارجية العبادي الآن وراء تفجيرات مكة شرفها الله باعتراف المفجِّرين أنفسهم، ومع ذلك سمته جريدة عكاظ وزير الحج العراقي، وهو منصب لا وجود له في العراق أصلا.

أما حزب اللات المحلي فهو الذي فجر في الخبر، وقتل وأفسد في الأرض، ومع ذلك لم يقتل منهم أحد حتى الآن هنا.

والرافضة في المنطقة الشرقية يدفنون السلاح في المقابر ويقولون هؤلاء أموات، كما أخبرني بذلك مدير عام التحقيق السابق في إدارة المباحث بالمملكة.

ورافضة المنطقة الشرقية يتدربون في لبنان أو إيران أو العراق أو بلاد الشام لكي يستخدموا القوة ضد الوهابيين كما يقولون، لا سيما الدولة

السعودية، وأعدى أعدائهم أهل نجد كافة وأهل القصيم خاصة، ولما وقعت أحداث القديح قالوا لوزير الداخلية مواجهة: الدولة وراء التفجير.

ولن يرضوا عنا إلا إذا صرنا روافض عياذا بالله، وكفّرنا أبا بكر وعمر وسائر الصحابة.

وهكذا تدل الوقائع الكثيرة والأحداث المتتابعة على أن المستهدف هو أهل السنة، لا سيما في العراق وبلاد الشام والسعودية والبحرين والكويت.

وقد قارنت بين أقوالهم التي ينسبونها لجعفر الصادق، وبين أقوال من كتبوا التلمود فوجدت المطابقة بينهما ظاهرة، والفرق هو أن ما يسميه اليهود (الجويم) يسميه الرافضة النواصب، وما يسميه اليهود أعداء السامية يسميه الروافض أعداء أهل البيت.

وقد سمعت بعض أشرطة لهم في الجوف باليمن، وهم يتهمون الناس هناك بأنهم وهابية يحرمون بناء الأضرحة ويهدمون المقامات والمراقد.

هذا مع أن أهل السنة في الجوف لا بواكي لهم، وإنما اختص السفير الأمريكي في صنعاء رافضة الجوف بزيارته كما هو معلوم، وليس على أمريكا من لوم أو عتب، فهي العدو الدائم، وإنما العتب على من يجهل عمل الرافضة ويقدم السياسة على العقيدة من أهل السنة.

ومن اختلافهم المشهور اليوم تعدد مرجعياتهم وكثرة فرقهم، وأكبر المرجعيات في العراق هو السيستاني، وهو ليس عراقيا ولا يؤمن بولاية الفقيه، ويكره محمد حسين فضل الله، وقد سمعت أنه لا يحسن اللغة العربية.

وأشهر الشيعة العرب اليوم مقتدى الصدر الذي ترضّى عن أبي بكر وعمر في النجف وأنكر عليه أئمة الرفض وقالوا هذه بكرية، وقام مؤيدوه بمظاهرات كثيرة لا سيما في المنطقة الخضراء، وهو الذي أنشأ جيش المهدي، ومن الشيعة العلمانيين حسن علوي المستشار السابق في الديوان الملكي بعد أن كان بمثابة السكرتير الخاص لصدام حسين، ومثله إياد علاوي.

ومن الشيعة العرب أيضا: شيعة الأحواز، وقد كان منهم الشيخ خزعل

حاكم المحمَّرة، وهم الذين يؤيدون القوميين العرب لا سيما في برنامج "همسات"!.

والغريب أن الشيعة يحاولون أن يكون لهم وجود في الأرض المباركة "فلسطين"، حيث أنشأوا تنظيم "الصابرين" وجعلوا له مجلسا أعلى كما يزعمون، ثم إنهم ألغوا هذا المجلس دون بيان الأسباب!

– عقائدهم:

من الصعب حصر عقائدهم الباطلة في مثل هذه العجالة، وكتبهم نفسها تنضح بهذه العقائد الباطلة، ولذلك أحيل للإخوة المختصين في تتبع عقائدهم من المطبوعات والمخطوطات كالأخ ناصر القفاري، والشيخ المهتدي حسين المؤيد الذي كان منهم ووصل لرتبة "المجتهد المطلق" أو آية الله، وإنما سأذكر أهم عقائدهم إجمالا ومنها:

– تكفير الصحابة رضي الله عنهم.

– القول بعصمة الأئمة وأنهم يعلمون الغيب وأن لهم كما قال الخميني ولاية تكوينية تخضع لها جميع ذرات الوجود، وأنهم –كما قال أيضا– لهم مترلة لا يدانيها ملك مقرب ولا نبي مرسل.

– غلوهم في أئمتهم حتى قالوا إنهم أفضل من الأنبياء، وإن الله تعالى قال لعلي: لولاك ما خلقت الأفلاك، وينفون أن يكونوا يعبدون الأئمة، وإنما يعظموهم ويحبوهم، فأبانوا عن جهلهم بمعنى العبادة، وقد عرضوا دينهم على أحد الأمريكان الذي اعتنق الإسلام حديثا، فقال لهم: أنا لم أهرب من عبادة ثلاثة آلهة لكي أعبد اثني عشر إلها، وربما ذموا الأئمة وهم لا يعلمون، كقولهم إنهم أصل التصوف والإرجاء وعلم الكلام وربما استطرفوا قصة أو حادثة ونسبوها للأئمة، وأهل البيت أعلى من ذلك.

– البدع الكثيرة جدا في مذهبهم كاللطم وإنهار الدم من أنفسهم، وضرورة مخالفة أهل السنة في الوضوء والصلاة وكل شيء، وكثير من البدع

التي جمعها الشيخ المصري علي السالوس، والشيخ الباكستاني عبدالستار التونسوي.

وبدعهم الكثيرة في الصلاة يراها كل من يرى صلاتهم ولو في الفضائيات.

- إباحة زواج المتعة الذي هو الزنا.
- إيمانهم بالتقية التي هي النفاق.
- أخذ أئمتهم الخُمس أو الخُمسين من المال.

واليوم تستمر تقيتهم إلى حد التظاهر بضرورة وحدة المسلمين، وقوتهم في وجه أعدائهم من الصهاينة والغربيين، وكيف تتم هذه الوحدة وهم ينسبون إلى بعض أئمتهم أنه قال: إذا أشكل عليكم أمر فانظروا إلى ما عليه النواصب واعملوا بخلافه.

وتحت ستار وحدة المسلمين وعداوة إسرائيل يخدعون المغفلين من أهل السنة، ويمهدون به لنشر التشيع، ثم يصرحون بعقائدهم لمن يرون فيه القبول لها.

وكثيرا ما خدعوا أهل السنة بدعوى التقريب، وأنهم مجرد مذهب فقهي، وبذلك أقر المخدوعون من شيوخ الأزهر، كالشيخ شلتوت وغيره.

وممن خدعته دعوى التقريب في أول الأمر الشيخ يوسف القرضاوي، ثم عرف حقيقة الأمر فهاجمه الروافض وشنعوا عليه.

ومن خرافات الشيعة الكثيرة أنهم يفضلون المشاهد والحسينيات كما يسمونها على المساجد، وأنهم يفضلون تربة كربلاء على الكعبة، ولهم في ذلك شعر معروف، ولهم عقائد كثيرة باطلة ذكرها الشيخ عبد الستار التونسوي المتقدم ذكره.

ومن خرافاتهم الدالة على سخافة عقولهم: الصلاة على حجر من حجارة كربلاء.

ومن أجلى عقائدهم تكفيرهم للصحابة رضي الله عنهم، وقولهم إنهم كانوا منافقين أو ارتدوا إلا بضعة نفر، والمكثر من الرافضة يقول: لم يسلم

من الردة إلا بضعة عشر، بينما يعلم كل عاقل أن أهل بدر الذين أخبر النبي ﷺ أن الله قال لهم: (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) كانوا فوق الثلاثمائة، وأصحاب الشجرة كانوا فوق الألف قطعا، بل ورد أنهم ألف وستمائة، والله تعالى يقول فيهم: ﴿لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨] الآية، وصح أنه ﷺ قال: (لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة).

وكل الصحابة موعودون بالجنة فكيف يكونون مرتدين، قال تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء:٩٥]، أي من أنفق قبل الفتح وجاهد، ومن أسلم بعد وكان من الطلقاء، أما أن أناسا يذادون عن الحوض ويقال للنبي ﷺ: (إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك)، أو (إنهم ارتدوا على أعقابهم)، فنحن لا نجادل فيه مطلقا، بل المجمع عليه علميا وتاريخيا أن أكثر العرب ارتدوا بعد وفاته ﷺ، مع أن بعضهم وفد إليه، ثم لما قاتل الصديق والصحابة المرتدين، عاد بعضهم للإسلام ظاهرا فقط.

بل جاء في سورة التوبة أن الله زكى التابعين فقال: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠].

وفي سورة الحشر أثنى الله على كل من يستغفر للصحابة إلى يوم الدين، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر:١٠].

وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال:٧٥].

قال الفاروق عمر : "استوعبت هذه الآية -يعني آية الحشر- المسلمين كافة"، وقال: "لئن عشت ليأتين الراعي في سرو حمير نصيبه من هذا المال".

وقالت عائشة رضي الله عنها: "أمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبوهم". هذا السب فكيف التكفير؟

ولا يرضى أصحاب الخامنئي أو الخميني أن يقال لهم الخميني أو

الخامنئي طيبون، ولكن أصحابهم مرتدون فكيف يرضون لرسول الله ﷺ ما لا يرضونه لملاليهم!

ومن الكبائر لعن المسلم أو سبه، فكيف يلعن آخر هذه الأمة أولها، بل يكفرونهم!

فالواجب علينا هو اتباع منهج الصحابة والسير في طريقهم والترضي عنهم أجمعين، والاستغفار لذنوبنا ولهم، وإن كانت أعمالنا دون أعمالهم قطعا، ولما قيل للحسن البصري يرحمه الله سبقنا القوم على خيل دهم ونحن نسير على حمر معقرة قال الحسن: إن كنت على طريقهم فسوف تصل".

وأكبر قضية يثيرها المخالفون للصحابة رضي الله عنهم، ما وقع بين الصحابة من الاقتتال والفتنة دع ما يقوله الرافضة قبحهم الله، ولكن انظر ما كتبه بعض أهل السنة فقد كتب العقاد "عبقرية الإمام علي" وكتب "معاوية في الميزان"، ولم يسم أبا بكر أو عمر إماما، وكتب طه حسين "الفتنة الكبرى"، وكتب النجار كتابا عنوانه "الصراع الرهيب بين علي وعائشة"، واعتمد علي سامي النشار على مصادر رافضية، وسار على منهجه "الفينومولوجي"، فكانت نتيجته الحكم على أبي سفيان بأنه "غنوصي"، وتأثر به كثيرون منهم سهير محمد مختار، وفوقية حسين، ومن لا يحصون، كما يخطئ بعض مشايخ الأزهر -وقد قابلت نفرا من كبارهم كالشيخ محمد يوسف الشيخ- حين يظنون أن الفرق بيننا وبين الرافضة هو مجرد الحب لآل البيت، وكثير من أمثال هؤلاء ولا أحصيهم عددا، وفات هؤلاء جميعا أن هذه الأمة خير الأمم، وأن الصحابة الكرام هم أفضلها، بل أفضل جيل إنساني بعد الأنبياء، وأنهم كما وصفهم ربهم رحماء بينهم، وكانوا يتقاتلون بالنهار ويتزاورون أو يتهادون بالليل، وأن الذين أوقدوا نار الخلافة وقتلوا عثمان هم أهل الفتنة، وليس أحد منهم من الصحابة، وأن أمير المؤمنين عليا علَّمنا قتال أهل البدع، كما علَّمنا النبي ﷺ قتال أهل الكفر، وعلمنا الصديق قتال أهل الردة، وأن معاوية لم يكن يقاتل هو وأهل الشام أول الأمر طلبا

للخلافة كما يظن هؤلاء، بل طلبا لدم عثمان، وإنما طالب بها بعد موت علي، ولما بلغ معاوية أن ملك الروم يريد مهاجمة المسلمين كتب إليه: إن لم تكفّ عن ذلك، اصطلحت أنا وابن عمي وغزوناكم!

ومن الصحابة الكرام تعلّم الناس فضل الاعتزال وترك الفتن، وأنها إذا وقعت فأول ضحاياها هم أبعد الناس عنها، وقد قتل الزبير بن صفية بنت عبد المطلب، وهو شيخ كبير عائد من الفتنة، وقد قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥]، ولو قُدِّر أن ذلك ذنب لكان مغمورا في بحور حسناتهم، فالماء الكثير لا يحمل الخبث، وهم ليسوا بمعصومين من الذنوب، ولتكفيرها أسباب كثيرة ذكر ابن تيمية رحمه الله منها عشرة أسباب، ولكل أحد اجتهاده وهو بين الأجر والأجرين، ولكل حادثة ملابساتها التي قد لا نعلمها ولا يذكرها المؤرخون، ولا ينقلها الثقات بل لا يتحدث عنها أصحابها أصلا، وإنما الثابت العقلي الذي لا شك فيه هو أن لهم سابقتهم وفضلهم وأن المتأخر منهم ليس كالمتقدم فكيف بمن جاء بعدهم.

ولهذه الأسباب وأمثالها تقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة الكف عما شجر بينهم مع الترضي عنهم كلهم، فليسوا كالرافضة الذين طلبوا من زيد بن علي بن الحسين أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فقال: كيف أتبرأ منهما وهما وزيرا جدي؟

وتبعا لهذه البراءة المزعومة قال راجزهم: نبرأ من عمرو ومن معاوية.

فانظر كيف تبرأوا من عمرو بن العاص، وقد قال ﷺ: (أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص).

أما معاوية فقد كتب الوحي للنبي ﷺ، وكان من أعدل الناس وأعلمهم وأفقههم، وكثرت الفتوحات في عهده وانتشر العلم وأمن الناس.

وإذا ظهر الرفض وجب على العلماء إنكاره دون إذن من أحد كما كتب الإمام أحمد فضائل الصحابة و لم يستأذن أحدا، وإنما يجب على العلماء

العلم والعدل وتحري الصدق والأمانة في النقل، وأن لا ينسبوا عملهم إلى السلطة السياسية، وألا يجعلوا الإخباري أصوليا أو العكس.

وكتب شيخ الإسلام رحمه الله كتابه العظيم منهاج السنة، وتحرى فيه غاية العدل وملأه بالحجج وبالاستدلالات النقلية والعقلية والتاريخية.

وسمى الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله أبناءه الحسن والحسين، وألف رسالة منشورة معروفة في الرد على الرافضة ولو أن أحدا طعن في الصحابة رضي الله عنهم لكان هو المطعون وهو المرذول أيا كان أباه أو انتماءه، وكذا من صحح مذهب الرافضة زاعما أن الوحدة الوطنية تقتضي السكوت عنه.

ومما يكذب دعوى الرافضة في تكفير الصحابة ودعوى غلاتهم حصر الإسلام في ثلاثة نفر أو أربعة، أن النبي ﷺ قال في ابنه الحسن: (إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين)، وهكذا تنازل عن الخلافة سنة أربعين فسمى المسلمون ذلك العام عام الجماعة، وقد قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾ [الحُجُرات:٩].

والغاية أن الخلاف بين الشيعة والسنة ليس قضية تاريخية، ولا خلافات سياسية، ولا هو عرق أو قومية تعادي الأخرى، وإنما هو خلاف عقدي يزداد مع الزمن ويتسع انفراج زاويته، ويستكثر بالأسباب الأخرى لا سيما القومية.

هذا وعقيدة الرافضة عقيدة أنثوية سلبية تقوم على العويل والنواح، واللطم والحزن على ما فات.

وقد أظهروا هذا النواح في كل دولة رافضية، كالبويهية والعبيدية، وهذه العقيدة الأنثوية يأنف منها العرب، ويمكنك معرفة الفرق بين العشائر السنية في العراق وبين العشائر الشيعية، بما تتصف به العشائر السنية من شجاعة ورجولة، هذا غير ما تراه في وجوه الرافضة من المسخ والظلمة، وما ترى في أحيائهم من القذارة، وبذلك يمكن للمؤمن الصادق معرفة السني من

الشيعي بمجرد الرؤية، وإذا تسنن الرافضي ذهب عنه المسخ وذهبت الظلمة، أضف إلى ذلك أن الرافضة يستحلون الكذب على رسول الله ﷺ، كما ترى في كتب الموضوعات، بل يكذبون كثيرا على جعفر الصادق رحمه الله تعالى وكل أئمتهم.

وكما كان ينوح المشركون القدامى البابليون على ربهم "تموز" الذي يقال له أحيانا "أدونيس" وكان المصريون الفراعنة ينوحون على حورس ينوح الرافضة على الحسين، وهذا النواح والعويل، أصله "التوابون" الذين وعدوا الحسين أن ينصروه إذا قدم الكوفة، فلما جاء خذلوه وأخذوا يلطمون أنفسهم وينوحون عليه كل عاشوراء.

وهذا اللطم الذي ينكره بعض أئمة الرفض أنفسهم مثل محسن الأمين وحسين فضل الله ليس له أصل في الإسلام، وإنما هو مشابهة لطقوس المشركين الأولين، وقد ذكره "هيجل" و"دوركايم" وغيرهما من الباحثين.

ومن ضلالات الرافضة اتخاذهم ملاليهم أربابا من دون الله، وقد جاء أحد وزرائهم للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله، ليبشره بأن الخميني أمرهم بالصلاة خلف أهل السنة، فسألته أنا ماذا يفعلون لو أمرهم الخميني بترك الصلاة خلفهم؟

ومن عقائد الشيعة: أن الإمامة لا تكون إلا وراثية في آل علي، ولو كانت وراثية كما يزعمون لكان العباس بن عبد المطلب أحق بها، إذ ثبت في الحديث أن عم الرجل صنو أبيه، والله تعالى في سورة البقرة ذكر إسماعيل ضمن آباء يعقوب، والعم يسقط ابن العم في الميراث، وعمر إنما استسقى هو والصحابة بالعباس وليس بعلي، ولكن الإمامة بالشورى وليست بالوراثة، وهي ليست لأي قرشي وليست خاصة بأهل البيت الشريف.

موقف المتكلمين منهم:

كل من كان من أهل علم الكلام غير رافضي، لا بد أن يذكر تناقض

الرافضة، وأنهم لا عقل لهم ولا نقل، تجد هذا في كلام من نسب إلى الاعتزال أو إلى الأشعرية، أو إلى الفلسفة وأمثال ذلك، وقد كتب في الرد عليهم فخر الدين الرازي، وأبو بكر الباقلاني، وأبو المعالي الجويني، وكان من أوائل الرافضة هشام بن الحكم المشهور بالتشبيه وردَّ عليه المتكلمون.

ولما رأى المعتزلة أنهم مثقفون بلا شعبية أي نخبة بلا قاعدة -كما هو حال الليبراليين اليوم- تشيعوا لينضم إليهم الروافض ذوو الشعبية، وبعض المعارضين اليوم لما رأى أن الشيعة هم الفئة الوحيدة التي تجاهر بالعداوة للدولة وقف معهم، لا سيما من كان يجهل عقيدتهم أو كانت عقيدته ليبرالية تجيز أي دين.

وكذلك وجدت الرافضة أنفسهم بلا نخبة مثقفة لا سيما منذ أباحوا زواج "المتعة" فقرروا الدخول في الاعتزال لا سيما وأن الاعتزال ضد أهل السنة، وبعد أن غزت العقائد الاعتزالية الروافض، تجدهم اليوم ينكرون صفات الله ويؤمنون بعقائد المعتزلة في الصفات، وفي القدر وفي الإيمان وفي الحسن والقبح وفي اللطف وأمثال ذلك، أي أنهم جمعوا إلى عقيدتهم الفاسدة في الإمامة وتكفير أفضل الأئمة، الإيمان بعقائد المعطِّلة النفاة.

ولما اضطر بعض الهادوية في اليمن إلى الانتساب إلى أحد المذاهب الأربعة انتسبوا إلى المذهب الحنفي، فأصبحوا حنفية في المذهب معتزلة في العقيدة، وخالفوا من اتجه إلى السنة من أئمة الزيدية، كالمتوكل وابنه المنصور ومن علمائهم كالشوكاني والصنعاني.

- صلتهم بالمرجئة:

الإيمان عند الرافضة هو اعتقاد إمامة أئمتهم، ويعتقدون أن من اعتقد ذلك غفر الله له كل ذنب مهما كان، وصرحوا بأن الأئمة هم باب حطة، وأن من آمن بهم وعرفهم كان مصيرهم قطعا إلى الجنة.

ووقوفهم مع الأمريكان مشهور لا حاجة للإطالة فيه، وكذلك المرجئة في العراق الذين قالوا إن الدية واجبة على كل من قتل أمريكيا وإن "بول بريمر" ولي أمر!

وبذلك أشبه الرافضة مقالة النصارى الذين قالوا إن الإنسان يتبرر بإيمانه بيسوع لا بالعمل.

وبعضهم عقد مقارنة بين الحسين بن علي وبين يسوع "عيسى بن مريم"، وألف كتاب "الحسين في الفكر المسيحي" ولهم كلام كثير في الإيمان ليس هذا موضع تفصيله، وقد قلت للمحققين في سجن "الحاير" أنا أعرف فرقة تكفِّر الحكام فهرع إلي مدير التحقيق بنفسه، فلما قلت "هم الشيعة" انفضوا، ولو قلت غيرهم لسجنوه من يومه.

- حكمهم:

لا يصح إطلاق التكفير في حق كل الرافضة، فبعضهم مجبور أو ساكت أو جاهل، وكثير منهم كما رأيت وسمعت وقابلت وعرفت، يتعصب لما لا يعلم، وهو جاهل جدا بعقائدهم وكتبهم، بل قال لي بعضهم إنه مجبور مكره على ما يقوله الملالي، وبعضهم يلعن الملالي و"حزب الله" علنا، ويتبرأ من تحريف القرآن ودعوى العصمة والغلو في الأئمة في مقالات لهم منشورة لم يكتبوها لأهل السنة فقط، وبعضهم يدعو إلى تصحيح المذهب وتنقيته في كتب لهم مشهورة متداولة.

وهذا التباين رأيته بنفسي عندما كنت بالمنطقة الشرقية، كما قابلت عددا كبيرا من الرافضة في المدينة ومكة وجدة، وزرت أحياءهم وقرأت

كتبهم ورأيت مظاهراهم في السابع من ذي الحجة، وقابلت بعض وزرائهم ومثقفيهم وهم لا يعلمون من أنا.

وسألت بعض العلماء بالمنطقة الشرقية هل الرافضة متحدون؟ فقالوا لا، بل إن بعضهم يقاتل بعضا كما هو معلوم عند القضاة، دع من رجع منهم إلى السنة.

ومن العدل أن نفرق بينهم في الحكم، فمن دعا غير الله فقد أشرك ومن دعا الله عند قبر فهو مبتدع، والرافضة في عمومهم أهل بدعة يجب معاملتهم كمعاملة سائر أهل البدع، وفي أهل البدع من هو خير منهم كالخوارج وفيهم من هو شر من الرافضة كغلاة الصوفية، وفي الرافضة زنادقة بلا شك، بل فيهم يهود متسترون، وإنما يجب علينا معاملة كلٍّ بالعدل والعلم، والعمل بالظاهر وإيكال السرائر إلى الله عز وجل.

وقد فرق شيخ الإسلام في "الصارم المسلول" بين من يسب الرسول ﷺ فيكفر بذلك ويقتل وينتقض عهده إن كان ذميا، وبين من يسب الشيخين فحكمه التعزير.

ومن العدل أن نفرق بين الإصلاحي منهم والمتشدد، وبين الزنديق والمستغفل، وبين العالم والجاهل، وبين الراضي والمكره، مع الحذر من الجميع وتحريم توليتهم أي منصب أو توظيفهم في أي جهة سيادية.

وبين من يعتقد أن القرآن محفوظ لم يغير منه حرف، وبين من يعتقد ما قاله الطبرسي عن تحريف القرآن وبين أكثرهم الذين يتبرأون من ذلك.

وكل من يزور إيران اليوم يرى نفس مصحف المدينة المطبوع في المجمع، وهم في ذلك طائفتان:

١- من يعتقد أن هذا هو المصحف الحق والكامل وحده.

٢- من يعتقد أنه يقرؤه مؤقتا حتى يظهر مصحف فاطمة الكامل مع المهدي المنتظر.

وخلاف أكثرهم ليس في التتريل وإنما في التأويل.

وعلى هذا العدل كان الشيخ عبدالعزيز بن راشد النجدي رحمه الله، وحسبنا في حكمهم الحقيقي فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٥٩].

ويغلب عليهم التقية التي هي النفاق فينبغي معاملتهم معاملة المنافقين الذين فيهم من هو كامل النفاق، وفيهم من فيه خصلة منه، وفيهم من هو للكفر أقرب منه للإيمان، ولا ريب أن التقية أمر يمكن للمتبصر أن يعرفه، وهناك مواقف يستطيع أن يفرق فيها بين التقية وبين غيرها.

ومن صلى منهم في الأستاد الرياضي أو في ملعب الكرة أمام اليهود والنصارى شجعناه على ذلك، وكذلك من تحجب من نسائهم ورفضت المتعة ورفضت كشف شعرها، وكذا من هاجم إسرائيل، وطلبنا منهم استكمال ذلك بالعودة إلى الحق.

وإذا حكموا بكفر ياسر الحبيب وردة سلمان رشدي وضلال كل من آذى أهل السنة، شجعناهم على ذلك، وكذلك إذا حاربوا اليهود والأمريكان وكل من عمل منهم خيراً وجب علينا تشجيعه ودعوته إلى المزيد.

وليس شرطا إما أن يؤمن أحدهم بكل عقائد الرفض وإما أن يصبح سنيا، فإن الله تعالى بعث أنبياءه بتعطيل المفاسد أو تقليلها.

وإنما حكم شيخ الإسلام في رافضة "كسروان" بتفريقهم بين أهل السنة.

فالرافضة فرقة ضالة بلا شك لكن تكفير المعين لا بد فيه من ثبوت شروط وانتفاء موانع، والصحيح أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكفروا الفرق بالجملة، وإنما يطلق أهل السنة القول بالكفر على بعض الأعمال أو الأقوال ويحكمون بأن الخوارج مع صحة الحديث في قتالهم خير من الروافض وهكذا.

كما أن الشيعة العرب غير الشيعة الفرس، فالعرب محتقرون والفرس

معظَّمون، والعرب غالبا لا يوالون إيران بل يعترضون على حكومة العبادي في البرلمان، كما أن الأحوازيين يكرهون الملالي مع أنهم شيعة.

ومن كان من أهل اليمن شافعيا لكنه أُخرج في مظاهرة أو شارك في مظاهرة تقول "يا سعودي يا يهودي" وجب بيان الحق له وليس محاربة الجميع.

والرافضة من الفرق الثنتين والسبعين، ومن أهل الوعيد إن لم يتوبوا، غير أن الصحابة رضي الله عنهم لم يكفروا هذه الفرق، وإن قاتلوا بعضها، فالقتال شيء والتكفير شيء آخر.

وشيخ الإسلام ابن تيمية لما نقد كتاب "منهاج الكرامة" الذي كتبه "ابن المطهر الحلي" لم يتعرض فيه لتكفيرهم، بل صرح بأن من ظن أن كل واحد من الثنتين والسبعين فرقة كافر بعينه، مخالف لما أجمع عليه الصحابة رضي الله عنهم، وإنما يكفر بعضهم ببعض المقالات، كاعتقاد بعض الخوارج أن سورة يوسف ليست من القرآن، واعتقاد بعض الرافضة أن القرآن محرف، أو أن الإفك حق.

وهذا الحكم في الظاهر، أما في الباطن فهم كما ذكر شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى إما ملاحدة زنادقة أو أصحاب هوى وجهلة، (انظر: ص٣٠١ ج٢٨)، والله يحكم فيهم بحكمه ولا يظلم أحدا.

ولا نقاش أبداً في كونهم من أهل البدع، غير أن عقيدة أهل السنة هي أن البدعة أقل شرا من النفاق المحض، الذي قال الله في أهله: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]، وهي عبارة قرآنية لم ترد في حق اليهود ولا النصارى.

ومن الحكمة دعوتهم إلى صريح القرآن، دون من يَكرهونه من علماء أهل السنة، مثل ابن تيمية وابن عبد الوهاب، وابن باز وابن جبرين، فإن آمنوا بالقرآن وبكتب السنة فذلك ما كنا نبغي، ومن قال منهم إنه لا يؤمن بما عليه قومه وليس ملالي طهران مرجعا له، يجب أن ينشر ذلك ويؤلف فيه، وأن تصدر هيئة كبار العلماء السعودية بيانا بذلك، ومن قال إن ملالي إيران

ليسوا مرجعه فليعلن ذلك على الملأ كافة، وأمرهم كما قال ابن تيمية رحمه الله: "بين العقوبة والحذر"، أما أن يولوا مناصب في الدولة وأن يكون منهم وزراء ومستشارون في الديوان، ويكون منهم سفراء وموظفون في الوزارات السيادية فلا يصح، وهذا يتنافى مع الحذر منهم.

كما لا يصح استمالتهم بالمال والأراضي والقصور والفلل وهذا غش لهم.

كما يجب التفريق بين الحقوق المدنية التي تسمى المواطنة أو الحق الإنساني وبين الحقوق السيادية، فيعطون الحقوق الأولى كأي مواطن، وأمرهم إلى الله، أما الحقوق السيادية فلا يعطونها أبدا ولا يجوز تمكينهم منها.

وقد أثبتت تسريبات وزارة الخارجية السعودية صحة كلام شيخ الإسلام وأنهم بين العقوبة والحذر، وكل من وظّفهم في عمل سيادي ندم.

وأنصح بقراءة كتبهم التي كتبها بعضهم رداً على الآخرين، فهذه الكتب كما قال ابن تيمية عن كُتب كفار أهل الكتاب لم يكتبوها لمعيَّن من المسلمين حتى تدخل فيها الخيانة، وكذلك كتب من رد عليهم حتى يكون الرد بعلم وعدل.

ولا يصح القول بأن مذهبهم معروف، كما يقوله أهل البدع قديما، ودعاة الأخوة الإنسانية حديثا، فذلك هو ما قاله السبكي لما كتب ابن تيمية رحمه الله "منهاج السنة" ومن أبيات السبكي:

والناس في غنية عن رد إفكهم   لشهرة الرفض واستبشاع مذهبه

ولو أطعنا السبكي وغيره لحُرمنا من كتاب "منهاج السنة"، وما فيه من ردود مفحمة وفرائد قيمة في التفسير والحديث واللغة والتاريخ.

كما لا يصح محاربة الحوثيين وترك الإسماعيلية والباطنية والنصيرية، بل يجب دعوة الجميع مع البدء بالأبعد عن العقيدة الصحيحة.

وبعض الحوثيين يتبرأ من تكفير الصحابة ويقول إن تكفيرهم من عمل جهالهم، وكتبهم مشهورة معلومة يقرؤها الموافق والمخالف، فهم زيدية

مفضِّلة كما يقولون، وليسوا سبابة ولا مكفرة، فيجب أن نلزمهم بذلك ومن الإلزام أن ينشروه ويتبرأوا من الرافضة علنا.

وغاية الحوثي أن يكون رافضيا، وهو أهون من أن يكون إسماعيليا.

ولا يصح محاربة الخوارج في الموصل وترك محاربة الرافضة في العوامية والبصرة.

ولا يصح وضع قادة حزب اللات في قوائم الإرهاب وفي الوقت نفسه يعطى الجيش اللبناني الهبات بالمليارات، مع أن الحزب هو الذي يسيطر على الجيش.

ومن التناقض قطع العلاقات الدبلوماسية مع الخامنئي واستدامتها مع أوليائه في بغداد، وكذلك الإشادة بما فعلته "جيبوتي" مع ترك أكثر الدول الإفريقية الكبرى تقيم علاقات سياسية مع إيران، وتفتح لها المراكز والجامعات، ولا يجوز أن يكون سفراء الرافضة دعاة بينما يقيم سفراء التوحيد في أماكن الرذيلة في القاهرة، مع أن سفاراتهم في غرب إفريقية.

بل إن النصراني الحاقد "أسياس أفورقي" الذي يحكم أرتيريا القريبة جدا من جيبوتي، لا يتعرضون له بذكر، مع أنه يسمح لإيران بأن تشيِّع المسلمين هناك، ويقيم معها أقوى العلاقات التعليمية والثقافية.

ومن الخطأ البين قول "الصادق المهدي" و"حسن الترابي" إنهما ليسا شيعة ولا سنة.

كما أنه من الخطأ ظن بعض المسلمين أن الفرق بين السنة والشيعة هو أن الشيعة يحبون أهل البيت زيادة شوية!! ولا يقول هذا إلا من يجهل عقائدهم أو قبل رشوتهم.

أما المتاع الدنيوي -وكل حق غير سيادي- فيعطون منه مثل سائر الأمصار بلا زيادة ولا نقصان، إذ كله قليل مهما بلغ، فتقام في بلادهم المستشفيات والمدارس والبلديات والمساجد والمحاكم والهيئات والأجهزة الأمنية، كالشرطة والدفاع المدني، ويحرم إقامة شيء حرام في بلادهم كما

يحرم إقامته عند أهل السنة كأجهزة التجسس، كل هذا مع وجوب دعوتهم والاستمرار فيها.

بل الكافر يعطى المال إذا ترتب على ذلك مصلحة دينية، وأصل ذلك قوله تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوٓاْ﴾ [الممتحنة:١٠] والمؤلفة قلوبهم، وقد أفاض الفقهاء في الحديث عن ذلك في كتب السير والجهاد ومعاملة المخالفين، وذكروا لذلك أدلة ليس هذا موضعها، ولا يجوز ظلم رافضي ولا غيره، فقد حذرنا صلوات الله وسلامه عليه من دعوة المظلوم ولو كان كافرا أو فاجرا.

ومن المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة في التعامل معهم: التجسس عليهم أو تفتيشهم من جهة، مع القول باللحمة الوطنية أو التلاحم الوطني من جهة أخرى، بل يجب قول الحقيقة والتصريح بأننا على عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن من أظهر خلاف ذلك أحلناه للمحكمة الشرعية، ويجب على الجميع الالتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة، كما يجب بحث موضوع "الوطنية" وما يريده به الرافضة والمستعمرون الجدد، وأن تكون المناهج التعليمية وفق عقيدة أهل السنة، وأن تكون المحاكم أيضا وفقها وحدها، لأن المحاكم سيادية وليست مجرد إنسانية، والشريعة لا تظلم أحدا.

ومن قال إنه كان شيعيا ثم أصبح سنيا يجب إكرامه وتشجيعه وإسكانه حيث يريد، وأن تبنى لهم الأربطة وتنشأ لهم الأوقاف، ويجب عليه إعلان ذلك كما يجب أن يتحدث عنه الإعلام في القنوات والصحف والمواقع.

كما يجب على الحكومة الكف عن السياسة التي انتهجها متأخرو حكام بني أمية، وهي إقصاء الصديق وتقريب العدو، وأن تكون دائما مع الأكثرية السنية لا مع الأقلية الشيعية، فالمحك هو قربهم من السنة أو بعدهم عنها، وليس الولاء للسلطة السياسية.

وهذه السياسة لما رآها بعض أهل السنة من القصيم قال لوزير الداخلية: أنا ابني شيعي فأطلقوه.

ولما قالت المباحث عن أحد الدواسر "رافضي" قالت قبيلة الدواسر

"ليس في قبيلتنا رافضي"، وأهل المنطقة الشرقية لو قلت لأحدهم "يا بحراني" ربما قتلك، فهم يسمون الروافض بحارنة.

وإنما رفع البحارنة رؤوسهم بتشجيع الأمريكان وسكوت بعض أهل العلم عنهم، ومداهنة الدولة لهم باعتبارهم عندها "مواطنين"، وإذا أردت المزيد عن علماء دينهم فاقرأ ما كتبه علي بن حسن العبادي البحراني بعنوان "أنوار الدين في تراجم علماء القطيف والأحساء والبحرين".

كما لا يصح العمل بتقارير الخارجية الأمريكية عنهم، ولا المنظمات الحقوقية التي تتيح حرية الاعتقاد، فأمريكا نفسها بيتها من زجاج فكيف ترمي الناس بالحجارة، وإنما جرأ أمريكا علينا تبعيتنا لها.

– صلتهم بالحوثيين:

الحوثيون هم طائفة قليلة من الزيدية، والزيدية كثير منهم رافضة كما قال الشيخ المقبلي رحمه الله "ائتني بزيدي صغير أخرج لك منه رافضيا كبيرا"، والشعب اليمني يكره الرافضة، ولما أنشأ الزيدية حزب الحق كما يسمونه لم يحصل ذلك الحزب على مقعد واحد، ومع ذلك عين المخلوع زعيمه وزيرا للأوقاف، فالمخلوع نفسه أصله زيدي ثم تعلمن.

والشافعية في اليمن ٨٠ % أو أكثر، والذين تركوا الزيدية دخلوا في عقيد أهل السنة حتى في المدن الزيدية مثل صنعاء أو في القبائل الزيدية مثل "سنحان"، وقد تجولت في صنعاء وذمار وغيرها فلم أجد أحدا على مذهب الزيدية، و لم أسمع مسجدا واحدا على مذهبهم.

فالشرعية ليست للاشتراكي "عبد ربه منصور هادي" الذي كان نائبا لعلي عبد الله صالح في حزب المؤتمر الشعبي، وإنما الشرعية لمن حكم بالشرع.

والمقاومة الشعبية ليس فيها رافضي واحد، أما نائب عبد ربه السابق "خالد بحاح" فهو متهم بميله إلى الحوثيين في الباطن، مع أن أكثر إقامته بالرياض وبعد مدة جعلوه مستشارا لهادي، وقد كان موظفا عند بقشان في

جدة.

وشيوخ القبائل مع من يدفع أكثر، فتجد أحدهم في الصباح مع السعودية، وفي المساء مع الحوثيين، كما كانوا في الصباح ملكيين، وفي المساء جمهوريين.

والحرب في اليمن مأزق كبير، ومستنقع صعب يجب الحذر من التورط فيه مرة أخرى، ومعاملة الروافض بغير الشرع في أي مكان يزيدهم فسادا وضلالا.

فليس الفساد عندنا هو هدر الموارد وإعاقة التنمية فقط كما تقرأ في اللوحات الدعائية، بل أعظم الفساد هو الفساد الاعتقادي متمثلا في الشرك بالله بأي صفة كانت.

ثم الفساد الأخلاقي متمثلا في الزنا والدياثة والتبرج وأمثال ذلك، ومن الفساد قطع الطريق وظلم الناس وأمثال ذلك.

ولذلك قرنه الله تعالى بقتل النفس قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، وقال: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [المائدة:٣٣] الآية.

وقالت الملائكة الكرام: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة:٣٠]، وبهذا الفهم الصحيح للفساد نعلم لماذا هلك بنو إسرائيل من قبل، وسوف تهلك هذه الأمة إن لم تنكره، وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ   وأحبارُ سوءٍ ورهبانُها

وأعظم الفساد هو فساد العقيدة والإيمان الذي يمثله اليوم الإسماعيلية والرافضة وأشباهها.

وللرافضة في هذا الفساد أساليب ملتوية قد تخفى على كثير من الناس،

ويساعد عليه إيمانهم بالتقية.

فقد أخبرني مدير عام التحقيق في المباحث في المملكة سابقا أن الرافضة يدفنون السلاح في المقابر ويحملونه زاعمين أنه ميت، أما زياراتهم وتدريباتهم في الخارج فلا تحتاج لدليل.

وكذلك استحلالهم قتل من يدخل إلى مناطقهم من أهل السنة ولو بطريق الخطأ، كما فعلوا بضيف الله القرشي.

فهم الإرهابيون في الحقيقة، ومما يعودهم على إراقة الدماء رؤيتهم لها في اللطم منذ طفولتهم.

وقد أخبرني أحد المطوفين أنه جمع ما يشترونه في مكة من أبراج وما يشترونه من عقار وكوَّن منه ملفا كبيرا موثقا وقدمه لبعض المسؤولين هنا، ولكنه قوبل بما لم يكن يتوقعه من الإهمال والازدراء.

ولهم حيل وخطط كثيرة أتعمد ألا أذكرها كلها وبعضها لا أعلمه.

وصدق من قال:

كل العداوات قد ترجى إزالتها   إلا عداوة من عاداك في الدين

ولا يجوز لأحد أن يقول الحوثيون إخواننا وجيراننا، ويمكننا التفاهم معهم، بل كل من خالف العقيدة الصحيحة عدو أيا كان، ويجب منع التبرع للحوثيين بالمال، وفضح من يفعل ذلك، ومنعه من العمل مثل بعض تجار جدة والرياض وغيرهما، كما يجب منع الإسماعيلية من إرسال أي شيء لهم، ولا يصح أن تكون العلاقة معهم علاقة سياسية أو وطنية، بل الدين مقدم على السياسة الوطنية.

وكيف نقول إنهم يستهدفون الكعبة المشرفة ولا نقول إن عداوتهم دينية؟

- صلتهم بإيران:

تقف إيران مع الرافضة حتى مع الغلاة منهم كالإسماعيلية والنصيرية،

وسفراؤها دعاة وملاليها عقديون.

أما أهل السنة فهم أيتام لا بواكي لهم، وإن حارب الرافضة وأمثالهم أحد فإنما هو لسياسته لا للسنة، ويجب أن يكون عطاؤنا ومنعنا لله، وأن نتبع منهج أهل السنة الذي فيه أن المسلم المبتدع خير من الكافر، وهذا المعنى كرره شيخ الإسلام ابن تيمية مرارا، ولما تحدث عن مصادر ابن سينا ذكر أنه أخذ بعضها عن الملاحدة وعمن خير منهم كالرافضة.

كما ذكر أن بعض الجهمية أو الرافضة ذهبوا إلى بلاد الكفر فأسلم على أيديهم أناس كثير، فتحولوا من الشرك إلى البدعة، وهذا خير لهم من البقاء على شركهم.

وإذا طبقنا ذلك على واقعنا الحالي، نقول إن إيران على شرها أهون عداوة من إسرائيل وأمريكا.

فأما إسرائيل فعداوتها ظاهرة ومعروفة لكل طالب حق، وهي تحتل الجزر السعودية، وتلقي المخدرات على شواطئ جدة وجازان وضبا لكي يدمن عليها الشباب، وترفض المبادرة السعودية التي تحولت إلى المبادرة العربية، وحسبها أنها دولة يهودية صهيونية.

وأما أمريكا فهي إمبراطورية الشر الماكرة، وهي التي وضعت الخرائط لتقسيم جزيرة العرب إلى دول كثيرة، ومنها خارطة الدم التي نشرتها مجلة الجيش الأمريكي نفسه، كما نشرتها "الواشنطن بوست" الأمريكية، فالأمريكان لا يكفيهم التفتيت الحالي الذي قررته اتفاقية "سايكس -بيكو"، بل يريدون تفتيته أكثر، وتكون السيدة الوحيدة هي إسرائيل.

وقد قرر الأمريكان تدويل الحرمين الشريفين أو ضم الحجاز إلى الأردن الكبرى، وإنشاء ما سموه الجمهورية الإسلامية الشرقية في شرق جزيرة العرب.

وضم أجزاء من جنوب السعودية إلى اليمن، أما "وهابيستان" كما سموها فهي دولة وهابية في نجد، وقرروا ضم شمال السعودية للعراق والله من

ورائهم محيط.

وأمريكا هي التي أصدرت قانون "جاستا" المعلوم.

ولا غرابة في ذلك؛ فأمريكا ليس لها صداقة أو حلف مع أحد، وأهم هدف لها هو إسرائيل وسيادتها، وهي التي قسمت يوغسلافيا إلى الدويلات المعروفة، وفصلت جنوب السودان عن شماله، وفصلت تيمور الشرقية عن إندونيسيا.

ولها في السعودية أتباع وعملاء منهم العلمانيون "الليبراليون" الذين قرأت لأحدهم قوله: إن أمريكا غزت العراق لشبهة أنه فيه أسلحة دمار شامل، ونحن في السعودية لدينا ما هو أخطر من أسلحة الدمار الشامل، أي أن السعودية أولى بالغزو من العراق! ونشر كلامه في صحيفة سعودية سيارة.

وقال آخر: نحن نرحب بالديمقراطية ولو جاءت على ظهر دبابة أمريكية.

واتهم ثالث من يدعو إلى الجهاد بأنهم يحرضون على تكفير الآخر، وعلى الإرهاب والعنف معه، وأنهم يريدون إشعال الفتنة الطائفية وإخماد الروح الوطنية واللحمة الاجتماعية.

والأمثلة من كلامهم كثيرة، وهو كلام منشور قرأته في بعض الصحف المحلية، وليس سرا أو حديثا خاصا، ومن صدَّق كلامهم فعليه أن يكذِّب ما قاله "إياد علاوي" الشيعي العلماني من أن العراقيين اليوم يترحمون على أيام صدام حسين! ومثل العراقيين دويلات الخليج.

ربَّ يوم بكيت منه فلما   صرت في غيره بكيت عليه

ونحن لا ندافع عن إيران عياذا بالله، ولكن نقرر حقائق واقعية لا ينكرها أحد، ولا نعادي أمريكا لأنها صليبية فقط، بل ننظر إلى أفعالها ومخططاتها، فإيران لم تنشئ قوة التدخل السريع، لاحتلال منابع النفط، وإنما أمريكا هي التي أنشأتها ودربتها في صحراء "نيفادا" وعلّمت جيشها كيف يركبون الجمل، وكيف يتقون جو الصحراء اللافح وهكذا، قبل أن تغزو

الخليج، ثم إنها احتلت الخليج فعلا بينما لا يزال الإيرانيون يضعون البروتوكولات لاحتلاله.

وأمريكا هي التي ألفت كتاب "الفرقان الحق" الذي كتبه لها أحد الأمريكيين العرب "شورش"، وهي التي أحرقت المصحف الشريف، وممن فعل ذلك القس "جونز" في فلوريدا.

و"أفلام هيوليود" عن السعودية لا تحتاج لبيان!

والسعوديون الذين تقتلهم أمريكا معروفون، وقتلهم شر من إحراق السفارة السعودية في طهران، أو القنصلية السعودية في مدينة "مشهد"، فقد ثبت في الحديث أن المؤمن أعظم حرمة من الكعبة.

وهنا عند ذكر الحرق لا بد من التنبيه إلى أن ما أحرقت أمريكا هو أضعاف ما أحرق غيرها، فكل طائرة أمريكية إنما تقذف بالنار، ولذلك ترى النار عند غارات التحالف الدولي لمكافحة الإرهاب وغيرها، دع ما أحرقته في فيتنام أو هيروشيما أو كوريا أو أمريكا الجنوبية، وغير ذلك من أعمال أمريكا الإنسانيّة!

وقد ارتكب التحالف الدولي الذي تقوده أمريكا فظائع في العراق لا سيما في الموصل، فهل التحرير من داعش يعني إحراق أهل الموصل ودفنهم تحت الأنقاض؟

وطهران التي ليس فيها مسجد سني واحد كما أخبرني من أقام بها سبع سنوات، وحدثني بذلك بعض الإيرانيين أنفسهم، هي التي تقرأ القرآن بطبعته نفسها التي طبعها مصحف المدينة النبوية كما تقدم، ولو أحرقه أحدهم لحكم الملالي بكفره وأباحوا دمه.

ونحن نتفق مع بعض السياسية الإيرانية في مطالبها، فإن كانت صادقة فقد عملنا بمقتضى العدل الذي أمر الله به، وإن كانت إنما فعلت ذلك تقية، فسريرتها إلى الله ومن ذلك:

١. ضرورة مغادرة كل القوات الأمريكية الخليجَ.

٢. أن إسرائيل دولة معتدية ظالمة يجب أن تنسحب من كل الأراضي المباركة من النهر إلى البحر، ويجب عودة اليهود إلى بلادهم التي أتوا منها وعودة اللاجئين الفلسطينيين إلى ديارهم.

٣. فتوى الخميني بأن سلمان رشدي مرتد يحل دمه ما لم يعلن توبته.

٤. أنه لا يحق للمسلم أن يجلس على مائدة تدار فيها الخمر.

٥. أن المرأة المسلمة يجب أن تغطي شعرها .

٦. أن المنتخب إذا ذهب إلى مباريات كأس العالم يصلي في الملعب.

٧. أن السفير يجب أن يكون داعية، وليس مثل سفراء السعودية الذين يقيم بعضهم في أوكار الرذيلة في القاهرة مع أن السفارة في غرب أفريقيا وهم معروفون بأسمائهم ولكن لا أذكرهم أنا لعلهم يهتدون ويتوبون.

٨ . تسمي إيران مناوراتها باسم إسلامي مثل "الرسول الأعظم".

هذا من جانب ومن الجانب الآخر نختلف مع إيران في أمور كثيرة ليس هذا موضع التفصيل فيها وأهمها عقيدتها الرافضية، ومن ذلك بإيجاز:

١. إيمانها بولاية الفقيه.

٢. احتلالها لأربع عواصم عربية.

٣. اقامتها حكومة عميلة لها في العراق.

٤. وقوفها المستمر ضد أهل السنة في كل مكان لا سيما في العراق وفي بلاد الشام واليمن وكل جزيرة العرب ودول الخليج.

٥. عداؤها الشديد للدولة العثمانية قديما ولتركيا حديثا.

٦. أذى أهل السنة في طهران والتضييق عليهم في الاقاليم السنية.

٧. إقامة الاضرحة وما تسميه العتبات والمقامات المقدسة عند الرافضة، بل إقامتها حتى للكافر المعتدي كأبي لؤلؤة المجوسي.

٨. نشر عقيدة التشيع بين أهل السنة.

٩. اتخاذها ستار وحدة المسلمين والعداء للصهيونية، لكي تبث عقيدة الرفض وضلالاته.

١٠. أمور أخرى مذكورة في أماكنها اللائقة بها.

وفي الجملة نحن نختلف مع إيران في العقيدة، وليس لكونها دولة فاسدة أو ظالمة أو لا تؤمن بالقرارات الدولية ولا لأنها فارسية، فضلا عن القول بأن شعبها فقير وأن فقراءها مسحوقون لا مساكن لهم.

وقد قيل في الحكم المأثورة "من كان بيته من زجاج فلا يرمي الناس بالحجارة"، وقد قارنت بين حال الفقراء في إيران الذين سألت عنهم بعض من يقيم هنا من البلوش والأكراد وبين الفقراء الذين رأيتهم بعيني فوجدت أن الفقراء هنا أكثر.

وقول بعض المسؤولين "قطيف المحبة"، وقول الأخر لوفد الرافضة: "أنتم ما جانا منكم شر" غير صحيح، بل يجب معرفة حقيقتهم، والعدل معهم، والحكم فيهم وفق عقيدة السلف الصالح.

وحسنا فعلت السعودية حين قطعت علاقاتها مع إيران، ولكن الأمر أكبر من محاولة إحراق السفارة في طهران أو القنصلية في مشهد، إنه أمر عقيدة، وأشد عداوة من إيران إسرائيل وأمريكا وأهل الكتاب عامة، فكيف نبقي التبعية لأمريكا مع قطع العلاقات مع إيران؟

ومما يدللك أيضا على أن العلاقات ليست لله أصلا، أن العلاقات مع السيسي تحسنت مع أنه فعل ما فعل، وأن إعطاء "عون" الماروني استؤنف، ومعلوم أن المال يذهب في الواقع لحزب الله.

ويبقى سؤال يسأله كثير من طلبة العلم مرارا وهو: كيف تترك جماعات الغلو التفجير في إيران؟ أو يكون نادرا؟

ويبدو لي أن ذلك ليس اتفاقا بين الطرفين ولا يرجع ذلك إلى أن الغلاة لا يعرفون عداوة الرافضة، فالغلاة يقاتلونهم في العراق مثلا، وإنما ذلك على ما أعتقد مبني على أصلهم في تقديم عداوة الغرب الصليبي والأنظمة التابعة له على عداوة إيران، ومثل إيران سلطنة عمان فهم لم يفجروا حتى الآن في سلطنة عمان ولا دولة الإمارات.

ثم إن الواقع العملي للغلاة جعلهم يتخلون عن القطعيات التي يقولونها في التنظير، ويتعاملون بسياسة براجماتية تنظر في المآل والعاقبة، أي أن القضية قضية التقاء مصالح، فإيران توفر لهم الحماية واللجوء، والله أعلم.

- العداوة دينية وليست سياسية:

نحن إنما ندين الله بالعدل والحق، لا بالظلم واتباع الأهواء السياسية، فدم السني والرافضي حرام إلا بحقه، أما أن يكون الدم السني مباحا وقتله جائزا كما قتل الروافض ضيف الله القرشي، ويكون دم الرافضي حراما يضج لأجله الروافض في كل مكان، ويخرجون لأجله مظاهرات، فهو ليس عدلا إلا إذا كان مقتولا بحق، ولو أن قريشا تظاهرت لمقتل القرشي لم نرض بذلك بل ينبغي محاكمة القاتل شرعا، أما أن يقتله الروافض بدم بارد ثم يتظاهرون لمقتل "نمر النمر"، فهذا لا يصح، ولم يكتفوا بالتظاهر والتنديد بمقتله، بل صوروه على الصواريخ والدبابات التي تحاصر الفلوجة، وآليات الجيش الذي يسميه الإعلام السعودي (الجيش العراقي).

ونحن أيضا لا نقر خطف القاضي الشيعي الذي خطفته الشيعة، ولو كان الذي خطفه سنيا لأطالوا في خطفه وقالوا إن الخاطف إرهابي وعمموا ذلك عى القنوات الرسمية وذكرونا به مرارا، وأفاضوا في ذلك عقودا وأصدر علماؤهم بيانا بذلك، وشكر الليبراليون في الصحف والقنوات والمواقع لمن يقبض على الخاطف، ورصدوا ملايين الريالات لمن يدل عليه، واعتبروا عثور رجال الأمن عليه إنجازا عظيما وصفعة جديدة ضد الإرهاب.

ونحن نقول إن إيران شيعية وليست مجرد فارسية، بغض النظر عن الجدلية العقيمة والمماحكة البيزنطية عن إيران، أهي دولة دينية تتستر بالسياسية، أم دولة سياسية تتستر بالدين ونقول:

١- إن اسمها الجمهورية الإسلامية وثورتها سمتها الثورة الإسلامية.

٢- أليس الدستور الإيراني صريحا في أن الدولة تتبع المذهب الشيعي

الاثني عشري، فلماذا ترك المنصوص عليه كليا وحصر التركيز على ما ينكرونه؟

٣- انتهجوا منهج تصدير الثورة فهل هذا تصدير للشعوبية الفارسية؟

٤- من هم عملاء إيران وجواسيسها؟ لننظر إلى الدول والمناطق؟ ونحكم:

النصيرية في سوريا وحزب الدعوة، وقوات بدر وغيرها في العراق، والحوثيون في اليمن وحزب اللات في لبنان، عدا الذين في البحرين والكويت والسعودية "في المنطقة الشرقية وفي المدينة وفي نجران" فهل هؤلاء شيعة أم أنهم فرس؟ وهل شيعة نيجيريا وموريتانيا وكينيا فرس أيضا؟

٥- لماذا تتخير إيران بين الشيعة أنفسهم فتختار المتدين بدينها، كما اختارت نوري المالكي على إياد علاوي؟

٦- لماذا يقولون دائما "يا حسين يا عباس يا زهراء يا زينب"؟ ويعلقون ذلك على منائر المساجد؟

٧- لماذا يبنون الأضرحة أو يريدون بناءها في البقيع والمعلاة؟

٨- لما لا نقول هم شيعة وفي الوقت نفسه شعوبية؟ وهل يتعارضان؟ أليس هذا هو ما قرره ابن حزم مثلا؟

٩- لماذا إذا ترك الإنسان عقيدته وتسنن ترك معها الشعوبية؟

١٠- لماذا يبنون "مراكز أهل البيت وجامعة أهل البيت ومستشفى أهل البيت" وأمثال ذلك؟

١١- كيف نرد على من يقول: "أنتم تكفيريون وهابيون"؟ وينشر الكتاب المكذوب "مذكرات مستر همفر"؟

١٢- لماذا يستهدفون بالقتل والتهجير والحصار المدن السنية والعشائر السنية في سوريا والعراق مثل حلب والفلوجة والموصل؟

١٣- كيف نفضل أن نربح بعض العرب على أن نربح كل أهل السنة في العالم عربا وعجما، مع أن الشيعة والسنة يعلمون أن الكثرة الكاثرة هم

أهل السنة؟

١٤- لماذا نجد في طهران معابد لكل دين وليس فيها مسجد لأهل السنة؟

١٥- أليس قولنا أن القضية هي عرب وفرس هي نفسها شعوبية، وفي الوقت نفسه عودة لما كان عليه صدام حسين بقوله عن حراسة ما أسماه "البوابة الشرقية للأمة العربية في وجه الفرس".

١٦- أليس الحديث عما في "الكافي" من الزيغ والكفر والضلال أقرب من استدعاء تاريخ جاهلي ينكره الملالي؟

١٧- هل يجوز شرعا إثارة النعرة الجاهلية لدى عرب الأهواز، مع أننا لو قلنا إن الحرب دينية لخرجنا من المحذور، ولكسبنا الكرد والترك والبلوش والأذريين، بل والفرس أنفسهم؟ أو يهلك من هلك عن بينة؟ بل إن الملالي الذين في طهران من أصل تركي خراساني.

١٨- إذا قلنا إن العداوة سياسية، وليست دينية، يعني هذا أنه إذا انتفت الأسباب السياسية أمكن إعادة الصداقة والعلاقات وغير ذلك، وهذا شيء مرفوض شعبيا!

١٩- يقول زعماء إيران في كل مناسبة إنهم يعادون الوهابية ويعادون السعودية لأنها وهابية ويعادون الناس هنا لأنهم وهابية!!.

٢٠- أليس مرجعهم في العراق هو السيستاني المولود في "مشهد" والمنسوب لإقليم "سيستان" ولا يحسن اللغة العربية؟

٢١- يرتكب الروافض خصوصا في العراق مجازر ضد كل سني دون البحث عن هويته القومية، ومما يرتكبون: الإبادة الجماعية والقتل على الاسم، والتهجير والتغيير السكاني.. إلخ.

وقد قال الخميني قديما "بعد الانتهاء من حرب العراق سوف ندخل حربا جديدة لنسيطر على المنطقة كلها"، وأهم ما عنده هو السيطرة على مكة والمدينة.

- بعض الشيعة المعاصرين في السعودية:

للشيعة حقوق شرعية يجب أن تعطى لهم شرعا، وبالتعبير المعاصر يجب أن نعطيهم الحقوق الإنسانية والمدنية "الوطنية" دون الحقوق السيادية، ولكن مع الأسف يتولى بعضهم مناصب في الخارجية والداخلية وغيرها، ويتاح لهم من حرية النقد أو الكلام ما لا يتاح لأهل السنة، و هذه إشارة عجلى لبعضهم.

١- الشيعي محمد رضا نصر الله، عينوه مشرفا ثقافيا لجريد الرياض ومنها يبث سمومه على الناس.

٢- جميل بن عبد الله الجشي، كان وكيلا لوزارة الصحة، ثم عينوه سفيرا للسعودية في طهران.

٣- عبد الجليل السيف، عينوه مديرا للخدمات الصحية بوزارة الداخلية.

٤- إحسان أبو حليقة، وهو يتكلم كثيراً في الاقتصاد وعينوه عضوا في مجلس الشورى.

٥- حسن الصفار الذي يسمونه صاحب السماحة، وقد كتب في جريدة الحياة يطالب ببناء المقامات في البقيع، وهو خطيب جامع يقول فيه ما يشاء، وهو مسؤول في الحركة الانقلابية المسماة "منظمة الثورة الإسلامية لتحرير الجزيرة العربية"، وفيه ينشد الرافضة: (يا صفار عود عود خلّصنا من آل سعود!).

هذا غير من لا يحصون بالشرقية والمدينة وغيرها.

واللافت أن الذين سربوا نصف مليون وثيقة من وزارة الخارجية لم يسربوا ما يتعلق بإيران؟

وقد وعد بعض المسؤولين بمعاقبة الرافضة ثم إنه هلك فلم يعاقب أحدا، وهو مثل وعده بمعاقبة العلمانيين والليبراليين، فالقوم يخدعوننا ويكذبون علينا

ويجعلون للأعداء المناصب وللأصدقاء السجون!

والخلاصة: أن المعركة مع الرافضة عقدية، وبعض قادة الميليشيات الرافضية قال إن الهلال الشيعي أصبح بدرا!!

ومعلوم أن السياسات تتبدل، أما العقائد فهي ثابتة، فيجب على أهل التوحيد التعامل مع الثابت لا مع المتبدل.

رابعا
تجديد الحضارة الإسلامية
بالدعوة السلفية المباركة

الدعوة السلفية المباركة
التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله

نتيجةً للصحوة العظيمة التي نشأت عقب دعوة شيخ الإسلام رحمه الله، وعقب الكليات التي أنشأها نور الدين محمود، ظهر الأئمة العظام كالمزي وابن رجب وابن كثير وابن عبد الهادي، ومنهم تلميذ ابن كثير الشيخ ابن أبي العز الحنفي شارح "العقيدة الطحاوية" وامتد تأثيرها قروناً، وعلى ذلك كان بعض علماء الدولة العثمانية الذين قرأت لهم ودعوا إلى نبذ البدع في الدين قبل الشيخ محمد ودعوته.

ثم جاء الشيخ محمد رحمه الله ليجدد الدين نفسه وأنشأ دعوته التي يسميها الأعداء "الحركة الوهابية"، ولم تنتشر في نجد وحسب، بل وافق الشيخَ عليها كثيرٌ من أتباع المذاهب المختلفة ومنهم الإمام الشوكاني والأمير الصنعاني في اليمن، كما انتشرت في الهند وبلاد المغرب، وامتدت آثار الدعوة إلى كل بلاد المسلمين وصدق عليها ما قالته الاستخبارات البريطانية التي استعانت بالمؤرخ "أرنولد توينبي"، كما صدق عليها ما قاله بعض المستشرقين مثل "باول شمتز"، وقد قالوا "إنها ما دخلت بلداً إلا أوقدت فيه الجهاد"، وحديثاً قال الأمريكي "شوارتز": أينما تكون الوهابية يكون الإرهاب (أي الجهاد)، ومثل ذلك قاله الصحفي اليهودي "فريدمان" مؤخرا، ولكنه لم يقل الجهاد بل قال الإرهاب مثل "شوارتز".

وأعداء الدعوة اليوم يتسترون بالدعوى نفسها "الإرهاب"!

ومن آثار هذه الدعوة المباركة: ما نراه اليوم من قيام الدعوات الإسلامية في باكستان والهند وبنغلاديش وأفغانستان وغيرها، مثل: أهل الحديث، والجماعة الإسلامية، وجماعة الدعوة والتبليغ، وحركة الإخوان في مصر، وجمعية العلماء في الجزائر، وكل ينتسب إليها ولا ينكر فضلها على تفاوت منهم في ذلك.

وتعود جذور هذه الدعوة السلفية المباركة تاريخياً إلى أصل تركي، ويعود الغلوّ فيها إلى أصول تركية أيضا.

من آثار دعوة الشيخ "محمد بن عبد الوهاب" في العالم:

التاريخ يثبت أن كل دعوة تجديدية لا بد أن ينشأ عنها خير، وهذا الخير قد يكون في الدنيا والآخرة للمؤمنين، وقد يكون في الدنيا فقط للكافرين، وهكذا كانت دعوة "مارتن لوثر" و"هس" وكالفن" و"زونجلي" في الغرب خيراً له في الدنيا، وكانت دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في الشرق خيراً في الدنيا والآخرة.

أما في الغرب فالأمر واضح عندهم، وقد كتب الباحث الاجتماعي "ماكس فيبر" عن "سوسيولوجيا الدين" وعن الرأسمالية والأخلاق البروتستانتية، وأرجع الثورات الصناعية في أوروبا الشمالية وأمريكا الشمالية -وحتى في فرنسا ذات الأغلبية الكاثوليكية والأقلية البروتستانتية- إلى العقيدة البروتستانتية، وذلك بخلاف دول أوروبا الجنوبية، وأمريكا الجنوبية اللتين لم تكونا على هذه العقيدة، مع أن المناخ واحد في البيئتين!!

وأما في الشرق فإن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لم تقتصر على نجد كما قد يظن بعض الناس، فقد انتشرت بين كل المسلمين خصوصا من يجيء منهم للحج، وظهرت آثارها في مجتمعات كثيرة كما تقدم، والمهم أنها ما دخلت بلدا إلا أيقظته فبدأ بالجهاد أو مهّد له، ولا غرابة في انتشار هذه الدعوة في دول شبه القارة الهندية، فإن الشيخ محمد حياة السندي رحمه الله كان له الأثر البالغ في الدعوة، وقد جاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى المدينة لطلب العلم، فسمع الشيخ محمد حياة السندي يقول عمن يطوف بالقبر الشريف: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٩]، وهي الآية العظيمة المعروفة، فأثّر ذلك في الشيخ محمد بن عبد الوهاب تأثيرا عظيما.

وكان منها الإخوان أصحاب الهجر الذين كان منهم رئيسهم الشيخ عبد الكريم الدرويش الذي جاء من أفغانستان، وامتدت دعوتهم إلى سيناء ومصر كافة، وعنهم أخذ الشيخ حسن البنا اسم جماعته، كما قامت جمعية العلماء في الجزائر على الدعوة التي أسس الشيخ وعلى كتب الشيخ.

وكان مالك بن نبي رحمه الله يقول علانية "أنا وهابي"، وأراد أن يسكن الطائف، وكتب الشيخ الميلي "الشرك ومظاهره"، وفي هذا العصر ورث دعوة جمعية العلماء الشيخ علي بلحاج نصره الله.

ومن الأمور التي شاهدتها ولاحظتها بنفسي سهولة قبول إخواننا في إفريقية للدعوة السلفية وسرعة تعلمهم للغة العربية بدون أي لكنة أعجمية، وانحسار الطرق الصوفية كالقادرية والتيجانية.

وذكرت بعض المصادر التاريخية أن الشيخ محمداً رحمه الله رحل إلى "قم" ليكتب عن اطلاع، ويرى بنفسه ما عليه الرافضة غير ما رأى في العراق.

ومن آثار الدعوة في العالم أنه ظهر من يطالب بالعودة إلى الكتاب والسنة وإلغاء الطرق الصوفية على تفاوت بين أولئك الداعين، فقد ظهر في نيجيريا الشيخ عثمان بن فودي واستجاب له الفلانيون والفلاتة والحوصا (الهوسا)، كما ظهر في السودان محمد بن عبد الله المهدي، وقهر الانجليز وقتل قائدهم "غوردن"، وأصدر منشوراته التي أمر فيها بإلغاء الطرق الصوفية كلها، كما أصدر ملك المغرب "محمد الخامس" ظهيرا بإلغاء الطرق الصوفية في المغرب.

وأصبح الكتاب الديني كما يقال هو الرائج، حتى أن النصارى في بيروت والقاهرة ينشرونه طلباً للكسب.

وللدعوة غير تأثيرها المعرفي تأثير عملي قوي، فقد حفزت المسلمين للجهاد وتأثر بها كثيرون منهم الشيخ عمر المختار، وتطوعت قبائل من اليمن للجهاد معه، كما قوي الجهاد ضد الاستعمار البريطاني في الهند، وعلى

الدعوة كان القواسم في الخليج، وتأثرت بها جزر الهند الشرقية "إندونيسيا" وقامت جمعيات هناك تطالب بنبذ البدع، وأثرت في ماليزيا وفطاني والفلبين وكل المجتمعات الإسلامية هناك، وبعض أعداء الدعوة، وبعض المستغفلين من ابنائها ينكر ذلك، وهذا مكابرة، ثم إنه من حق كل مسلم أن يسأل أيهما أفضل للعقيدة السلفية: أهو القول بأن لها تأثيرا مشهودا في العالم الإسلامي كله، أم القول بأنها تطورات لإقليم محدود.

والشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هو إمام مجدد، وأحد السابقين الذين قال ﷺ: (في كل قرن من أمتي سابقون)، وإنما دعا إلى الكتاب والسنة ولم يقل أبدا إن كلامه هو النهاية، ولم يدّعِ أبدا أنه يعلم الغيب، كما نقض ما كان في عصره من البدع والشركيات، والخرافات، ويجب علينا اليوم أن ننقض ما في عصرنا من ذلك.

ودعوة الشيخ هي فاتحة النهضة في العصر الحديث، وموقظة الأمة للتخلص من أوضار الاستعمار العسكري ومظالمه.

والشيخ رحمه الله لم يأت بمذهب جديد، ولم يخالف الإجماع كما يزعم المفترون، بل دعا إلى الكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح، وظهر مثل دعوته في بلاد نائية ربما لم تسمع عن الشيخ ولم يسمع عنها في المرحلة التاريخية نفسها كالمغرب الأقصى، والمهم أن كثيرا من المسلمين فرحوا بدعوة الشيخ، وأيقنوا أن ما جاء به هو عين الحق الذي جاء به الكتاب والسنة من قبل، ولا زلت أذكر قصة بعض الجهلة الذين قرئ عليهم "صحيح البخاري" فإذا فيه نفس العقيدة التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقال هذا الجاهل: "حتى البخاري وهابي!".

وقصة الشيخ الآخر الذي كان يستفتح دروسه بلعن الشيخ محمد، ويختتمها بذلك، فأعطي كتاب التوحيد، الذي ألفه الشيخ محمد ولكن بلا غلاف، فقال ذلك الشيخ بعد قراءته: "هذا الكتاب ليس فيه إلا الآيات والأحاديث"، فقال له معطيه: هذا هو كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب!

فصار ذلك الشيخ يستفتح دروسه ويختتمها بالدعاء للشيخ محمد رحمهم الله جميعا.

وحتى التوعية الإسلامية في الحج كانت بأمر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله توزع بعض كتب الشيخ مكتوبا عليها: تأليف محمد بن سليمان التميمي!

وقد عرف الغربيون دعوة الشيخ وأثرها التجديدي العظيم، فاهتموا بها إما تجسساً عليها وإما مدحا لها، وكان الجواسيس يتسترون بالطب والتعليم والبحث عن المخطوطات ودراسة الخيل العربية والآثار القديمة وما أشبه ذلك.

فقدم إلى نجد كثير من المستشرقين مجموعون في كتاب "اكتشاف جزيرة العرب"، الذي قدم له حمد الجاسر، وكتاب "غربيون في بلادنا" تأليف محمود السمرة، وكتاب "المستشرقون" الذي كتبه عبدالرحمن بدوي وغيرها، وكان من أولئك الرحالة المزعومين "بيلي" و"بركهارت" و"بلنت" والضابط "شكسبير"، والمقيم السياسي في الكويت "ديكسون"، أما المثنون على الدعوة فمنهم الكاتب الفرنسي "سان ريو"، والكاتبة الأمريكية "ناتانا لونج"، والباحثة البريطانية "تانياسو".

وعلى تلك الدعوة المباركة قام الدعاة المتطوعون في كل مكان، وكانت الوحدة الفكرية لهذه البلاد مع التناقضات العقدية في غيرها.

ومما ينبغي قوله أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كان يعتقد شمول الإسلام وكماله، كما في القرآن الكريم مثل كل فقيه، مع اهتمامه بما في عصره من البدع والشركيات، وليس في دعوته قصور في مسألة الحاكمية أو الموالاة كما يظن بعض الدعاة ولا غير ذلك، فقد عقد بابا في كتاب التوحيد في من أطاع العلماء والأمراء..إلخ، كما أنه في تعريفه للتوحيد ذكر أن من التوحيد ترك موالاة أهل الشرك، بل نص على معاداتهم وفي تعريفه لأنواع الطاغوت ذكر أن من الطواغيت الخمسة "الحاكم الجائر المغيِّر

لأحكام الله"، كما ذكر أن من أنواعه "من حكم بغير ما أنزل الله"، أي أن المساحة الطاغوتية للحاكم بغير القرآن والسنة هي ٤٠% وإذا أضفنا الطاغوت الأول إبليس تصبح ٦٠%.

فالظن بأن دعوة الشيخ ناقصة وليس فيها هذا الجانب غير صحيح، وإذا كان الذين جاءوا بعد الشيخ قصروا في بعض الجوانب فالذنب ذنبهم وليس ذنب الشيخ، وليس في دعوته ما هو زمني وما هو روحي، ولا شيء لقيصر وشيء لله، ولا إسلام سياسي وإسلام غير سياسي، وليس تقديم التوحيد دليلا على نفي ما عداه، بل هو الأول ثم تأتي شعب الإيمان الأخرى، والشيخ يستنكر التحاكم لغير الشرع ويجعله إيمانا بالطاغوت.

وذكر الشيخ تعريف ابن القيم للطاغوت ومن ذلك قوله "من معبود أو متبوع أو مطاع"، وكان على هذا حفيده الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، فرسالة "تحكيم القوانين" معروفة، وفي كل فتاواه يحذر من التحاكم لغير شرع الله، وهذه القوانين الملعونة كما سماها العلماء غزت المسلمين اليوم كما غزت هذه البلاد المباركة باسم "الأنظمة" ثم باسمها الصريح، فتجد المحاكم التجارية والاقتصادية والمرورية والعمالية وأمثال ذلك، كما تجد المدونات القانونية التي يمكن أن يطبقها أي ضابط وتقضي على اجتهاد القاضي قضاء مبرما.

و"المجلة العدلية" التي أصدرها الأتراك خير من هذه المدونات، وكذلك ما كتبه الشيخ أحمد القاري من أهالي مكة، ومَن حصَر دعوة الشيخ رحمه الله في بعض الشركيات أو بعض البدع والانحرافات فهو المخطئ، وليس الشيخ الإمام، وعزوف بعض الناس عن الذبح لغير الله، أو السجود للأصنام الحجرية أو الإيمان بأن السحر شرك، وأن التنجيم باطل لا يعني أنهم غير واقعين في الشرك في صور أخرى من صوره، وأن الشيطان توقف عن العمل، أما الاتهام بالباطل والأذى، والابتلاء، فلا يخص الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، بل هو عام في كل من دعا إلى الكتاب والسنة وآثار السلف

الصالح في كل عصر، والأنبياء الكرام ومنهم محمد ﷺ اتهمهم أعداؤهم بأنهم مجانين ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢]، فكيف لا يتهمون من اتبع الحق بأنه "وهابي"! وعلى هذه الدعوة الشاملة كانت القرون المفضّلة ثم من سار على طريقهم، وكذا كل من أراد العودة إلى الكتاب والسنة وإن أخطأ من أخطأ.

وقد استنبط الشيخ محمد قاعدة اجتماعية عظيمة نص الله عليها في كتابه، ودل عليها الواقع التاريخي، وهي أن كل من نصر الدين منصور، وخاطَب الشيخ محمدُ الأميرَ محمدَ بن سعود بهذه القاعدة.

وينبغي الدعاء للشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولكل من تأثر بدعوته والعدل في ذلك كله، ومعاقبة من يقول "الإسلامويين" و"الإسلام السياسي"، وأمثال ذلك من المصطلحات البدعية، والشيخ محمد رحمه الله إنما دعا إلى الإسلام بكماله وشموله وحلِّه لمشكلات الإنسانية.

وهذا الشمول والكمال في الشريعة الإسلامية أدهش الناظرين من الباحثين الغربيين، حتى قال أحدهم: "لم يخطر ببالي شيء إلا وجدت الشريعة الإسلامية قد وضعت له حكما"، ومن عقيدتنا أن كل شيء لله، وليس شيء لله وشيء لقيصر كما تقول النصارى.

وقبل هؤلاء المقرِّين كان اليهود الذين قالوا للمسلمين: لقد علمكم نبيكم كل شيء!

وأذكر أنني مرة كنت منفردا بالأمير نايف كالعادة فقال ما معناه: "إن الإخوان هم الذين علَّموا المتدينين الخروج على حكامهم". قلت له: "لا، بل للإخوان فضل عظيم لا ينكره مسلم مع ما لهم من أخطاء"، وقلت مما قلت: "كان علماؤنا جزاهم الله خيرا يتحدثون عن شرب الدخان وحلق اللحية وإطالة الثياب ولبس البنطلون وأمثال ذلك، وربما حرم بعضهم أموراً لا دليل لهم عليها، فجاء الإخوان فحذرونا من القومية والشيوعية وأمثال ذلك مما يقر

علماؤنا بجهله، وأخذنا منهم هذه الفائدة، وهم أقرب إلى الكتاب والسنة من جمال عبد الناصر وميشيل عفلق وساطع الحصري وأمثالهم"، وفاتني أن أقول له: إن زينب الغزالي في كتابها "أيام من حياتي" ذكرت مراحل الدعوة وتطورها، وأنها تقتفي أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وأنهم أرسلوا الشيخ محمد يوسف هواش لمقابلة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله للاستفادة من نصائح الشيخ وتوجيهاته، وقد أخبرني أيضا من قابل الشيخ هواش مباشرة، كما فاتني أن أذكر أن الأستاذ سيد قطب رحمه الله جعل كتاب الإيمان لابن تيمية ضمن المنهج للتنظيم الذي سماه "الخاص".

وهكذا فإنكار أثر هذه الدعوة المباركة في الحركات الإسلامية خطأ كبير، لا يقل عن خطأ موالاة الكافرين، أو الظن بأن هذه الدعوة غير شاملة ولا كاملة، وأنها يمكن أن تكون بطريقة الوراثة وحدها.

وينبغي التنبيه هنا ونحن نذكر آثار دعوة الشيخ ذكر أمرين: ١- أن التأثير لا يعني الموافقة في كل شيء، ٢- أن التأثير في الأتباع لا يلزم منه التأثير في القائد والعكس صحيح.

وقال لي الأمير: إن الإخوان عملوا أحداث المنشية وأرادوا قتل جمال، فقلت له: حادث المنشية تمثيلية لا علاقة للإخوان بها.

وفاتني أن أقول إن أتاتورك لما أراد قتل مخالفيه اتهمهم باغتياله.

وليس متأخرو دعوة الإخوان حجة على الشيخ حسن البنا، كما أن متأخري دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ليسوا حجة عليه، بل من آل الشيخ ملاحدة معروفون يكتبون في بعض الجرائد كما كان من أهل البيت الشريف من ادعى النبوية في العصور المفضلة.

بل إن الإخوان المسلمين إنما وجدوا بغيتهم في البيئة السلفية الحاضنة، فقد اشتغل الشيخ عبدالرحمن البنا بمسند الإمام أحمد، وكان المرشد العام للإخوان هو الشيخ عمر التلمساني، الذي ذكر أن جده الشيخ عبد القادر كان على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأنه سمع منه لأول مرة في

حياته الكلام عن ابن تيمية وابن القيم، وكان أبوه الشيخ عبد الفتاح بن عبد القادر التلمساني واعظا وفق عقيدة السلف، يعظ في مسجد عكاش بجدة.

والأستاذ سيد قطب في آخر مراحله جعل كتب ابن تيمية وابن القيم منهجا دراسيا في الحلقات، كما أن كتاب "خصائص التصور الإسلامي" لا يختلف عما في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية بشأن الفلاسفة مثلا، وفي كتابه المشهور "معالم في الطريق" يعتمد على كلام ابن القيم وينقل عنه نقلا مباشرا، وله أخطاء ينبغي تصحيحها، لكن بغير تشنج واتهام وتمحل.

وإذا كنا ننصح الإخوان بأن يكونوا جماعة دعوية ذات اهتمام بالسياسة، وليست حزبا معارضا ذا اهتمام بالدعوة، فإننا ننصح المخالفين لهم بأن يعاملوا كل واحد من الإخوان بحسب حالته، ففي الإخوان صديق وزنديق، ولهم كتب نافعة وريادة في حالات كثيرة، وهم على أية حال ليسوا يهودا ولا مجوساً حتى تكون مخالفتهم لذاتها مشروعة، ولو خلوا كلهم من السابقين لكانوا على الأقل من المقتصدين، وإذا أخطأوا فليس كل مخطئ مرتدا تجب مخالفته وعداوته والتشهير به، وإنما الواجب النصح لكل مسلم، والدعوة تقوم على النصح والبناء، وليس على الاتهام والهدم، ولا يصح تسميتهم "الإخوان المفلسين"، كما أن اتهامهم بالإرهاب عكس الواقع، والإخوان اليوم فريقان: محافظ وتجديدي، وإذا اجتمعوا للتشاور كانت الأكثرية هي المعمول برأيها، وكثيرا ما كانت النسب متقاربة.

والمهم هو وجوب العدل مع الموافق والمخالف ولا نعمل في أحكامنا بقول الخصم، ولا نحكم بمجرد انطباعاتنا أو أحكامنا النمطية المسبقة، فالعقيدة التي دعا إليها الشيخ محمد هي حقيقة الإسلام، وإنما يتفاوت الناس في القرب أو البعد منها، وبالعدل أمرنا ربنا في مواضع كثيرة لا سيما آخر سورة الأنعام ضمن الوصايا العشر التي كأن خاتم النبي ﷺ عليها، والإيمان يزيد وينقص حسب عقيدة أهل السنة والجماعة، ومن الخطأ أن نقول عمن إيمانه ٩٠% أو ٨٠% مثلا إنه عديم الإيمان.

وعلى العدل بل على العفو كان رسول الله ﷺ الذي أمره ربه بالمجادلة بالتي هي أحسن وبالدفع بالتي هي أحسن، حتى مع من جاء طالبا منه السماح بالزنا، وقد نهى ﷺ عن لعن من جلدوه في الخمر، وأعطى الطعام من قال إنه وقع على امرأته في نهار رمضان، وعل كل حال كل الجماعات الإسلامية خير من ضاحي خلفان ومحمد بن زايد.

وممن كان على العقيدة الصافية وأوذي في الله فصبر الإمام مالك رحمه الله، ثم جاء الإمام أحمد رحمه الله، ثم جاء العلامة ابن أبي زيد القيرواني وأبو عمر بن عبد البر، ثم جاء شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فكتب وحاجّ وناظر وجادل وأنشأ تلك المدرسة العظيمة التي كان منها الإمام ابن القيم وابن كثير كما سبق.

وقد قام في الهند الشيخ أحمد عرفان، والشيخ إسماعيل الشهيد صاحب "رسالة التوحيد"، والشيخ ولي الله الدهلوي صاحب "التحفة الاثناعشرية"، والشيخ صديق حسن خان وكثير من العلماء، وبعض المسلمين كان جهاده سياسيا، وكانوا من مستشاري "المهاتما غاندي" و"نلسون منديلا" ولهم جهاد عظيم في محاربة الإنجليز، الأمر الذي اضطر بريطانيا إلى الإيحاء إلى أحمد القادياني الذي دعا فيما دعا إليه أن يطيع المسلمون الحكومة البريطانية، وألغى القادياني الجهاد الذي هو أخطر شيء على اليهود والنصارى، ولو عاش القادياني إلى اليوم لسمى الجهاد إرهابا ولكان عضوا في "التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب"، ولأيدته بعض القنوات في هذه البلاد المباركة وقالت إنه معتدل! وقال مثل ذلك الإعلام السيسي.

وأنا قرأت عن القاديانية وسمعت عنها الكثير، وزرت "قاديان" الواقعة اليوم في باكستان، وقد انقسمت القاديانية ولله الحمد، ولهم نشاط في إفريقيا وفي أوروبا وأمريكا ولهم قنوات فضائية، أما في باكستان فالعلماء هناك يكفّرونهم، ولا شك أن كل من لم يعتقد أن محمدا ﷺ هو خاتم الأنبياء فقد كفر وخرج من الملة الإسلامية.

أما حرص الشعوب المسلمة في آسيا على الدين وحبها له ولشعائره فهذا أمر لمسته بنفسي، ليس في بيئاهم الإسلامية فقط، بل حتى في بلاد الكفر، فهم يعتزون بدينهم ويؤذنون في المطارات الغربية، ويبنون المساجد ويكوّنون الجمعيات وينشؤون المراكز ويدعون إلى الله، ويفخرون بالإسلام أكثر من كثير من العرب!

وهم في بعض مظاهراهم يرفعون شعار "اليهود والنصارى خبائث"، وكلهم يعادون الحكومة الأمريكية ويكرهونها جدا، وكثير من الأمريكان يعترف بذلك، كما أنهم يكرهون اليهود كرها شديدا، وإذا جاء شهر رمضان أقفلوا الرائيات "التلفزيونات" وأقبلوا على القرآن يتلونه أو يستمعونه، فهم يعرفون قيمة هذا الشهر العظيم مثل السلف الصالح، حتى أن الإمام مالك رحمه الله كان يدع فيه الحديث ويجعله للقرآن فقط.

وبلغني أن المسلمين في الصين يعتزون أيضا بالإسلام ويتعلمونه ويعلِّمونه مع أن الحكومة الصينية تحاربه، وتجبر النساء على التبرج وتجبر الصائمين على الإفطار في رمضان.

وقابلني رجل مسلم صيني في بورتلاند وقال: إذا مت فلا تتركوني للكفار، وادفنوني في مقابر المسلمين، وقال لي الإخوة هناك: هذا شأنه مع كل من يلتقي به من المسلمين.

والشعوب المسلمة هناك على أية حال شعوب حرة تعتقد الحق وإن خالفته حكوماهم، وهذه الحرية تراها جلية في الباكستان وأفغانستان وبنغلاديش والهند، وفيمن يأتي منهم للحج أو العمل، ومن أسئلتهم التي سمعتها بنفسي أنهم يقولون كيف فرّط العرب في المسجد الأقصى؟ وكيف رضوا بسيطرة اليهود مع أن اليهود قلة قليلة؟ وكيف يصادق بعضهم اليهود؟ وكيف يسكتون عن إسرائيل الكبرى "الولايات المتحدة"؟! بل يؤيدونها ويعطونها المال؟

وقد احتذى حذو الشيخ محمد كثير من الدعوات والحركات بعده،

مثلما تأثر هو بمن قبله، ومن التعاطف مع ما جاء به من الحق أن بعض المتعاطفين مع الدعوة في مصر سهلوا هروب فيصل بن تركي من مصر إلى نجد، فاستطاع إنشاء الدولة السعودية الثانية.

وما كتبه بعض الناس في "الوطن" و"الرياض" وغيرها أن سبب الإرهاب هو التسمية والوهابية باطل صراح، وهو في الحقيقة صدى لما يقوله المسؤولون هداهم الله جميعا، والمؤسف أننا لم نسمع من أي مسؤول ولو مرة واحدة القول بأن بشار نصيري، ولا أن المخلوع والحوثيين زيود، بل سمعنا أنه لا يصح تصنيف الدول بحسب الدين، فهل عداوة بشار وإيران حقيقية؟!

وقد حاول تجديد دعوة الشيخ رحمه الله رجلان فاضلان، أما الأول فهو الشيخ الزاهد عبدالكريم الدرويش الذي سيأتي الحديث عن تجديده ضمن "النصيحة لآل سعود"، وأما الثاني فهو الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله الذي بدأ بتنقية السنة من الموضوعات، والتحذير من التقليد المذهبي، غير أن كلام الشيخ الألباني في الفروع أكثر، أما كلامه في الأصول فهو مجمل، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "أمر الفروع هيّن"، وربما نقل الشيخ الألباني غفر الله لنا وله كلام بعض المشايخ في الفروع مع أن له طوام كثيرة أو ضلالات خطيرة في الأصول كالشعراني صاحب الميزان الذي هو في الوقت نفسه صاحب كرامات الصوفية.

ولمكانة الشيخ الألباني وأهمية ما دعا إليه، ولتأثيره الكبير اليوم على المسلمين، لا بد من التعريج عليه بشيء من الإطالة مع ذكر بعض العبرة والاستنباط:

كان الشيخ الألباني متأثرا بدعوة الشيخ رشيد رضا رحمهما الله، وقد دعا الإخوان المسلمين إلى العمل بما في كتب سيد قطب من ضرورة اتباع القرآن ونبذ كلام الفلاسفة والمتكلمين، مثل ما في كتاب "معالم في الطريق"، وكتاب "خصائص التصور الإسلامي".

وحاربه رحمه الله البعثيون في بلاد الشام، كما أن السلطات السعودية منعت دخوله البلاد ووضعت اسمه في القائمة السوداء، وتوسط له الشيخ أبو شقرة فأقام في الأردن.

وغلا فيه بعض المعجبين بعلمه، حتى أنهم قلدوه في كل قول، وفتحوا دون أن يشعروا ثغرة على الشيخ نفذ منها عبدالقادر السقاف وأرشد السلفي وغيرهما، وسمعت بعضهم يقول: الألباني حوى علم الأولين والآخرين، وقال آخر: كل مسالة خالف فيها الألباني الفقهاء فالحق فيها مع الألباني! وهذا من الغلو والتقليد الذي قضى الشيخ حياته في الرد عليه.

وهو شيخ مجتهد، لا يصح الغلو فيه ولا الحط من قدره، ومن الغلو فيه اعتباره حكَما على المحدِّثين مع أنه واحد منهم يخالفه غيره، وبعض الكتب الحديثية مفقودة أو ناقصة في عصره بل في عصرنا هذا، وهو يعتمد كثيرا على ما يقوله الحافظ ابن حجر في التهذيب والتقريب، وهو رحمه الله يحيل في كتبه إلى ما قرره هو من قبل، ويدعو إلى الاعتماد على السنة وليس على ما تقوله المذاهب الفقهية، وهذا حق لكن الشيخ لا يذكر مثلاً كتاب المحدث الأثرم الذي يكاد المذهب الحنبلي يقوم عليه كما في كتاب المغني لابن قدامة المقدسي.

والشيخ مع فضله وعلمه واجتهاده في طلب الحق: ليس بأعلم من أحمد بن حنبل مثلا، ومع ذلك لا يؤخذ بأقوال الإمام أحمد وحده في الرجال، وقد نردّ ما رواه الإمام أحمد بسند صحيح متصل لأن فيه علة خفية لا يعرفها إلا المتخصصون في العلل، ونحن إذ ندعو إلى استمداد الفقه من الكتاب والسنة لا نقول إن المذاهب الفقهية مستمدة من التوراة والإنجيل، وإنما وقع التعصب من بعض أتباعها، وينبغي حصر الخطأ فيهم.

والشيخ اطلع على بعض المكتبات دون بعض، وعلى بعض النسخ دون بعض، وما صدر بعد وفاته يؤكد ذلك، ومن المكتبات التي لم يطلع عليها بعض مكتبات أوروبا وأمريكا.

- ومما أخطأ فيه الشيخ الألباني أنه سمى أحد الأذانين يوم الجمعة الأذان المحمدي، وسمى الآخر الأذان العثماني "أي الذي عمله عثمان ﷺ" في رسالته التي عنوانها "الأجوبة النافعة على أسئلة لجنة الجامعة"، ولنا على صنيعه ملاحظات أهمها:

١- أن ما سماه "الأذان العثماني" هو في الحقيقة إجماع من الصحابة، وإجماعهم حجة معتبرة.

٢- أن النبي ﷺ أوصى الأمة بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده، ولا ريب أن عثمان ﷺ أحدهم.

٣- أن هذه التسمية تحتاج لدليل صحيح وإلا كانت بدعة لم يقلها أحد من السلف.

٤- أن الأذان معقول المعنى فهو نداء للصلاة وإعلام بدخول وقتها لكي يتهيأ لها الناس، ويجدُّ لهم من الأقضية بقدر ما أحدثوا من القضايا كما قال عمر بن عبد العزيز.

ومما لا نوافق عليه الشيخ الألباني رحمه الله: قوله إن الغربيين أهل فترة، لأنه لم يبلغهم عن الإسلام إلا الصورة المشوهة، ولا يعرفون الإسلام على حقيقته، والصحيح أنهم لو أرادوا لعرفوا الحق، ومن آمن حجة على من لم يؤمن، أما تشويه الإسلام فلم يخلُ منه عصر ولم يسلم منه أحد، حتى رسول الله ﷺ قالوا إنه مجنون وإن القرآن مفترى، فيكفيهم أنهم سمعوا عن الإسلام، قال ﷺ: (والذي نفسي بيده، لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار).

ب- لم يشترط أحد من أهل السنة سماع الإسلام على حقيقته.

ج- هم كفار إما كفر إباء واستكبار، وإما كفر إعراض، فالكفر أنواع وليس نوعا واحدا كما سيأتي ذكر أسلافهم في فقرة "هـ".

د- ليس الغربيون من الأربعة الذين يعتذرون إلى الله يوم القيامة، ومن كان منهم كذلك فالله أرحم به منا.

هـ- أن المستشرقين يعرفون الحق، ولكن بعضهم يجحده، فكفرهم من جنس كفر إبليس وأهل الكتاب وفرعون، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣].

وقال عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وقال عن أهل الكتاب: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦].

و- أن من كان منهم معذورا بينه وبين الله فأمره إلى الله في الآخرة، أما في أحكام الدنيا فهو كافر.

ز- أين إقرارهم بجهلهم في الأمور الكونية، وكل العلوم الطبيعية التي وصلتهم ناقصة أو مشوهة، وهل يصح الاعتذار عنهم بذلك؟

ح- كيف يكفرون بالكنيسة النصرانية، وبكل ما قالت ولا يكفرون بمطاعنها وافتراءاتها على الإسلام؟

ط- الأمانة العلمية والمنهج العلمي في البحث يقتضيان الرجوع إلى المصادر الأصلية، وهي متوفرة بلُغتِهم، أليسوا هم من فهرس المخطوطات في مكتباتهم كالمتحف البريطاني، ومكتبة الكونغرس ومكتبة الأسكوريال، ومكتبة شستربيتي، ومكتبة لايبزك، ووضعوا المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، ومفتاح كنوز السنة، قبل أن يؤلف الشيخ كتبه.

وكيف يحكمون على المجوسية والجينية والكنفوشيوسية والهندوسية وغيرها من كتبها الأصلية، وإذا جاء ذكر الإسلام أهملوه عن عمد، أو رجعوا لمصادر متأخرة وغير أصلية.

ي- أين بيضات إبليس التي يزعمون أنها في القرآن، ومن الذي ذكر الحجر الأبيض من المسلمين؟

ك- كَتب "نيتشه" "هكذا تكلم زرادشت"، أليس محمد ﷺ أصح سيرةً وأحدث عهداً وأقرب داراً من زرادشت؟ وكتب "هيجل" عن العالم الشرقي دون أن يذكر الإسلام بكلمة! فهل القوم متعصبون أم جهلة؟

- ومن أخطاء الشيخ رحمه الله نقدُه الدائم لابن تيمية في مسائل لم يفهمها الألباني وليته قال لم أفهم!

- أخطأ الشيخ في ظنه أن منظومة الفرغاني موافقة لعقيدة السلف، وهي عقيدة ماتريدية، وفي استشهاده بقول الفرغاني:

ورب العرش فوق العرش لكن بلا وصف التمكن واتصال

وعقيدة السلف هي إثبات العلو لله تعالى دون الخوض في الكيفية، فلا يقولون: متصل ولا غير متصل، بل يكتفون بالنفي المجمل "ليس كمثله شيء".

وليس الظن بالشيخ أنه لا يعرف عقيدة السلف.

- ومن أخطائه: ظنُّه أن من خالفه غير سلفي.

- ومن الملاحظات عليه قوله عمن صحح أو ضعّف بخلاف قوله "ناشئ في علم الحديث"، مع أنه قد يكون الناشئ مصيباً، والعالِم هو المخطئ، وناشئ اليوم هو عالم الغد، فينبغي تشجيعه لا تحطيمه، والتعامل معه على الشرط نفسه الذي ذكره الشيخ في مقدمة صحيح أبي داود، ومن هؤلاء مثلا الشيخ "حسان عبدالمنان"، وإذا أخطأ أحد منهم ينبغي تنبيهه وإرشاده.

- ومن أخطائه أنه ليس له منهج محدد ولا شرط معروف، فقد يصحح الحديث إذا جاء من طريقين، أو قد يقول جاء من طرق كلها ضعيفة، وليته يذكر شرطه في مؤلفاته كما فعل الأئمة الفضلاء قديما.

- ومما لا نوافقه عليه شدته في العبارة، وقسوته في النقد، فأين القول اللّيّن والرفق الذي ما دخل شيئا إلا زانه؟ وأمر الله به كليمه موسى في مخاطبته لعدو الله فرعون.

- كما أن له رحمه لله فتاوى لا نقره عليها ومنها:

١- فتواه بوجوب الهجرة من أرض فلسطين، وإلى أين؟ومن الذي يجاهد لو هاجروا؟ أليس اليهود أرحم من كثير من العرب؟ ألم يحكموا على

شيخ الأقصى "رائد صلاح" بالسجن تسعة أشهر، والمنع من السفر ستة أشهر؟ مع أن الشيخ عدو علني لإسرائيل وله خطب نارية لا يستطيع أحد أن يقول بعضها عند الأعراب، والشيخ الألباني عاش رحمه الله مطرودا مشردا بين سورية والأردن، وإنما أقراه الشيخ أبو شقرة بعد موافقة الأمير حسن الذي كان وليا لعهد الأردن يومئذ، والعمل بهذه الفتوى كالعمل بفتوى الشيخ من القتال في جيش صدام ضد الأمريكان وحلفائهم.

٢- أفتى بأن من حكم بغير ما أنزل الله يشترط فيه أن يكون مستحلا! فمن الذي شرط الاستحلال أو ذكره من السلف؟ ومن الذي اشترط الاستحلال في كل كفر؟ وهل ترك إبليس السجود لآدم كان استحلالا للترك؟ والله تعالى إنما قال فيه: ﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٣٤]، ولم يذكر جل شأنه أنه استحل ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الحاكم بغير ما أنزل الله كافر مستحلا أو غير مستحل" انظر (ج ٧) من الفتاوى.

٣- أخطأ في مسائل في الحج خالفه فيها الشيخ عبدالعزيز بن باز، فقد اقتصر في الحج على حديث جابر وخالفه الشيخ ابن باز في حوالي عشرين مسألة، هذا في الحج وحده، فكيف لو أن الشيخ ابن باز استقصى كل الأبواب الفقهية، مع أن كلاً من الشيخين على عقيدة السلف، وأذكر هنا مثالا واحدا من كلام الشيخ الألباني، هو إفتاؤه بأن المُحرم إذا لم يطف يلبس ثياب الإحرام مستدلا بلفظة "عدتم حرما كهيئتكم قبل أن تطوفوا"، والحج شعيرة يؤديها المسلمون منذ القدم، ولا أعلم للشيخ رحمه الله سابقا في هذا، وحسبك أن بعض السلف قال: "لا تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام".

والفقهاء نصوا على أن من لم يطف يحرم عليه النساء كما يحرم كذلك على المحرم، فهذا هو الذي يحمل عليه قوله "عدتم حرما .." إلخ. أي التحلل الثاني.

٤- أخطأ في مسائل في الحجاب بيّنها الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

٥- أخطأ في مسألة المسح على الخفين كما أوضح الشيخ عبدالرحمن عبد الخالق.

٦- خطأه الشيخ بكر عبد الله أبو زيد في مسألة العجن في الصلاة.

٧- أفتى بالقتال مع العراق ضد أمريكا، وهذا خطأ، فصدام حسين هو الذي كانت مباحثه تترصد لكل كتاب وهابي كما يزعمون، والبعثيون كفار فكيف يقاتل المسلم في صفهم؟ ومن جيش صدام شيعة أيضا، وفتواه هذه عكس ما قاله الشيخ ابن باز ومشايخ مؤتمر الجهاد!

٨- رد عليه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في الفتاوى المنشورة له، كما رد عليه الشيخ عبدالعزيز بن باز في مجموع مقالاته وفتاويه، كما رد عليه الشيخ محمد بن صالح العثيمين.

٩- خالف حديث عروة بن مضرس مع أنه هو صححه.

١٠- يسير على منهج العمل بما يختاره أو يرضاه من الأحاديث ويهمل ما عدا ذلك، وليس على منهج الجمع كما في مسألة عدد التراويح، مع أن الجمع ممكن، وبعض العلماء جمع، وكذا مسألة "أول المخلوقات".

١١- رد عليه الشيخ ابن باز في مسألة وضع اليدين على الصدر بعد الركوع.

١٢- أفتى -غفر الله لنا وله- بأن تارك الصلاة تهاونا وكسلا غير كافر، مع أنه صحح أحاديث كثيرة في كفر تارك الصلاة، فما الذي صنعه المؤولون غير التأويل الذي أول به بعضهم حكم تارك الصلاة.

١٣- عاب على بعض الفقهاء ذكرهم المسائل بلا دليل، مع أنه هو اختصر كتابه "صفة صلاة النبي ﷺ" وجرد المختصر من الأدلة.

- ومما يؤخذ على الشيخ غفر الله لنا وله:

كلامه في بعض العلماء كقوله إن الشيخ محمد أمين الشنقيطي لا يحسن

الجدل، مع أنني أعلم لماذا لم يجادله شيخنا الأمين رحمه الله.

والشيخ الأمين ناظر بعض الروافض، كما ناظر كثيرا من المخالفين وكتَب "آداب البحث والمناظرة"، وكتابه هذا مطبوع معلوم، وقررته كلية الدعوة بالجامعة الإسلامية، كما أن كتابه الشهير "أضواء البيان" يدل على تمكنه وعلمه بالجدل، وكذلك مذكرته في أصول الفقه التي درسناها في كلية الشريعة، ومحاضراته الكثيرة في الرياض ومكة والمدينة وإفريقية.

كما أن الشيخ الألباني طعن في الشيخ عبدالفتاح أبو غدة، وقال إنه كتم ما يعتقد مداراة، وأبو غدة له أخطاء كثيرة لا شك في ذلك، ولكن له مع ذلك تحقيقات مفيدة وأقوال نافعة، وربما كان عمله توبةً منه وليس مجرد مداراة، والنيات يعلمها الله.

كما أن الشيخ ذكر بعض العيوب الشخصية في محمد فؤاد عبدالباقي، دون أن يلتمس له العذر فيما فعل.

كما أنه تكلم في الشيخ زهير الشاويش، مع أنه هو الذي طبع له أكثر كتبه.

- ومما يؤخذ على الشيخ الألباني رحمه الله أنه كان يسمح بتسجيل كل ما في مجلسه وقد يكون السائل لا يريد التسجيل، لا سيما إذا كان من دولة تعاقب من يكون على عقيدة كذا أو مذهب فلان، بل إن بعض المستبدين يحكم على من كان سلفياً بالإعدام وتعاقب من زار سلفيا.

وأهل السنة فيهم خصلتان لا تجتمعان في غيرهم هما كما قال الشيخ ابن تيمية: اتباع الحق، ورحمة الخلق، والمؤمن كيّس فطن، ويراعي المصالح والمفاسد، وليس خبا ولا يخدعه الخب.

وينبغي لطالب العلم أن يقول هذا رأيي وما أختاره وأرجحه، مع إفساح المجال لغيره ليقول رأيه، ولا يقل في مسألة فقهية هذا مذهب أهل السنة ومنهج السلف، ومن خالف فيه فهو مبتدع، وأي اطلاع على كتب الرجال يبين لك أن الحكم على عقيدة أحد فيه اختلاف، بل يرى الاختلاف

كثيرا بين من يقول فلان ثقة وبين من يقول هو ضعيف، وربما اطلع بعضهم على ما لم يطلع عليه الآخر من حال الراوي، وقد قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩]، وقال ﷺ لمن قال عن رجل إني لأراه مؤمنا: (أوْ مسلماً)، ولم يأذن لعمر في قتل حاطب بن أبي بلتعة، ولم يصنِّف عمر أو يبدعه أو يهجره بسبب ذلك.

والإمام أحمد رحمه الله قال: "الإخراج من السنة شديد".

- ومن الملاحظات المنهجية على الشيخ رحمه الله: أنه جعل مدار الاتباع هو الحديث وحده، ولا شك في فضل السنة وقيمتها، غير أن القرآن مقدم عليها، وهو مدار الاتباع، وإنما تأتي السنة تفسيراً له وبياناً لمجمله.

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم -وهم أفقه الناس وأعلمهم- يقدّمون القرآن دائما كما هو معلوم لكل طالب علم.

وقال الشيخ محمد أمين المصري مرارا: "القرآن هو محور التربية الإسلامية".

ولما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خلق النبي ﷺ قالت: (كان خلقه القرآن).

ولما اختلف أهل الشام وأهل العراق أيام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قالوا: بيننا وبينكم كتاب الله.

وقد ضل من اقتصر على القرآن وحده كما فعلت فرقة "القرآنيين"، كما ضل من طعن في السنة كأكثر المستشرقين وكذا من تابعهم ممن يدّعون الإسلام أو الدعوة.

والضلال ملازم لمن أنكر أحد المصْدَرين، أما طالب العلم لوجه الله مريدا الحق وحده فلا بد له من الفهم الصحيح والاجتهاد في معرفة الصواب وطلب الحق بقدر الإمكان، فليست السلفية هي الأخذ بظاهر النصوص حسب فهمنا لها ولغتنا نحن، وكثيرا ما تتعارض النصوص عندنا سواء الايات

أو الأحاديث، إذْ أن أكثرها ظني الدلالة، وبعض الايات حمّال أوجه، وفي الأحكام ناسخ ومنسوخ، ومنها ما هو مجمل، ومنها ما هو مطلق وغيره مقيّد له، ومنها ما ثبت بالنص ومنها ما ثبت بالقياس، وكثيرا ما تخفى علينا العلة من التشريع أو الحكمة فيه، وربما خلط بعض الناس بينهما مع أن العلة غير الحكمة.

ومن الأحكام ما ثبت بالإجماع، والإجماع نفسه منه ما هو قطعي ومنه ما هو ظني، وقد يدعي بعض الناس الإجماع ويكون الخلاف قائما.

ومن الأحكام ما هو أصول ومنه ما هو فروع، وأكثر الأحكام اجتهادات واستنباطات تختلف فيها الأفهام.

ومن الأحكام ما كان حكمه متدرجا كفرضية الجهاد، وتحريم الخمر.

ولغتنا كالعادة ضعيفة أو محدودة، وفهمنا قد يكون خطأ أو خاصا بنا أو ببقعة أو بيئة معينة، وكل علم له اصطلاحاته، فليست الاصطلاحات العقدية هي الاصطلاحات الفقهية، ولا هما كالمنطقية مثلا، وكل هذه الثلاثة تختلف عما يقوله البلاغيون، وهكذا.

وليس التأويل أو المجاز عند السلف مثلما عند أهل الكلام.

وقد يكون الأمر لمجرد الاستحباب وليس للوجوب، وقد يكون النهي للكراهة وليس للتحريم، كما أن المحرَّم قد يفعله المضطر، والمكروه قد يفعله المحتاج فيجوزان ونحن لا نعلم، وهكذا.

والاختلاف منه اختلاف تضاد واختلاف تنوع، وقد تأتي بعض النصوص للتمثيل وليس للحصر أو عكس ذلك، فالشريعة بحر لا ساحل له، والسنَّة لا يحيط بها أحد.

وقد صحح الشيخ نفسه أحاديث متعارضة لا يمكن الجمع بينهما، ولا بد من القول بأن أحدهما مضطرب أو معلول أو منسوخ أو في بعض الحالات وهكذا.

وبعض الأحاديث خاص بالبيئة النبوية فقط، كحديث (شرقوا أو

غربوا)، وقال بعض العلماء إن "العجوة" خاصة بأهل المدينة وليست أفضل التمر بإطلاق.

وبعض الأمور مقدم على بعض، فالخشوع في الصلاة مثلا مقدم على إلزاق الكعب بالكعب.

وبعض القضايا يجوز فيها الخلاف ويستوي الأمران، وبعض الأمور قد يعاب من وجه ويحمد من وجه آخر، أو يكون فاضلا في حال ومفضولا في حال، وبعض الناس يقول إن قول كذا هو الصحيح، فإذا عرف القول الآخر رجع إليه، وبعض العلماء يقول القول ونقيضه معا، وبعضهم يرجع عن قوله ونحن لا ندري، وبعضهم قد يكون له في المسألة الواحدة أكثر من قول، والشافعي مثلا له مذهب قديم وآخر جديد، وفقهاء العراق يخالفون فقهاء المدينة، بل إن بعض تلاميذ الإمام أبي حنيفة خالفه في ثلث المذهب، والصنعاني في "سبل السلام" يتردد كثيرا، وهكذا.

وليست الأمور إما سنة وإما بدعة محدثة.

ولذلك ينبغي لطالب العلم ألا يكتفي بمجرد فهمه ولغته واجتهاده، وألا يقتصر على قول عالم واحد مهما كان علمه، وألا يقلد أحدا من العلماء، بل يجمع الأدلة والأقوال ويأخذ منها ما كان موافقا للكتاب والسنة، أو أقرب إليهما وإلى مقاصد الشرع، مع احتمال أنه ربما رجح ما هو مرجوح، واختار ما هو رأي ضعيف أو خطأ، مع إعذار من اختار غير ذلك، ويضع نصب عينيه كلام السلف الصالح، وقد قال أحد العلماء ونسبه بعضهم للشافعي رحمه الله: "رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب".

والنَّحلة تقع على كل زهرة ولا تقتصر على واحدة، هكذا ينبغي لطالب العلم، فيأخذ الحق أنى وجده، ويمحص ويتحرى ويتضرع إلى الله ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها.

والسلفية هي اتباع الكتاب والسنة في الأصول والفروع، وليست

مرحلة زمنية كما ظن الشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، ولا تركا للتمذهب بأحد المذاهب الإسلامية كما ظن الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، وما في رأيهما من حق وجب علينا أن نقبله ولكن لا نحصر العقيدة فيه، بل هي أوسع من ذلك وأشمل، والشيخ الألباني أصح معتقدا من الشيخ البوطي، ومواقف البوطي من حافظ الأسد وبشار الأسد معلنة معروفة، وكذلك موقفه في كتابه "كبرى اليقينيات"، ونسأل الله أن يكون غيّر رأيه في بشار، ولهذا قتلته مخابرات بشار، جعل الله ذلك كفارة له وشهادة.

ويبدو لي أن الشيخ الألباني في واد ومقلدوه في واد آخر، وقد قال رحمه الله في تقديمه لسنن أبي داود الطبعة الثانية: "ولا بد قبل الختام من التنبيه على أمر مهم، وهو أنه قد يرى بعض القراء في كُتُب هذا المشروع وغيرها بعض الاختلاف في المراتب الموضوعة لبعض الأحاديث بين كتاب وآخر، فيُصحَّح الحديث أو الإسناد مثلا في أحدهما ويُضعَّف في آخر، فأرجو أن يتذكروا أن ذلك مما لا بد أن يصدر من الإنسان لما فُطر عليه من الخطأ والنسيان، وقد أشار إلى ذلك الإمام أبو حنيفة عليه الرضوان حين قال لتلميذه الإمام أبي يوسف: يا يعقوب لا تكتب كل ما تسمعه مني، فإني قد أرى الرأي اليوم وأتركه غدا، وأرى الرأي غدا وأتركه بعد غد"، أي أنه إذا كان السماع في شريط مثلا ينبغي التثبت منه، وعدم التعصب له، وقد يكون قائله رجع عنه أو قيده في موضع آخر.

إلى أن يقول الشيخ: "ذلك أنني حين لا أجد الحديث مخرّجا في شيء من مؤلفاتي، أعزوه إليه فإني أحكم عليه بما تقتضيه الصناعة، من تضعيف أو تصحيح إسناده الخاص بالكتاب الذي بين يديّ من السنن الأربعة، وقد يقع أحيانا أن يتيسر لي بعد ذلك أن أخرِّجه تخريجا علميا ناظراً إلى طرقه الأخرى في كتب أخرى، فآخذ الحكم عليه وأضعفه في كتاب آخر من السنن فيظهر الاختلاف المشار إليه آنفا، نتيجة طبيعية لاختلاف طريقة الحكم".

ثم ضرب الشيخ رحمه الله لذلك مثالا ثم قال: "وذلك لأنه كانت قد

تجمعت عندي له بعد انتهائي من الترمذي بعض الطرق".

إلى أن يقول: "ذكرت هذا التنبيه راجيا ألا يتسرع أحد من القراء إذا ما وجد شيئا من ذلك الاختلاف -وهو واجده حتما- إلى توجيه سهام النقد والاعتراض، بعد أن ذُكِّر بالأسباب".

ويختم الشيخ كلامه ذلك قائلا: "بل الحق أن يلتمس من وجد ذلك في نفسه لأخيه عذرا، ثم يوجه إليه التصحيح ببيان وجهه بالحجة والبرهان، وباللفظ الطيب من الكلام، فمن فعل ذلك تقبلناه بقبول حسن، واستفدنا منه ما شاء الله أن نستفيد".

وهذا كلام جميل نسأل الله أن يوفقنا وإخواننا طلاب العلم للعمل به، وعليه نفهم ما كتبه السقاف عن "تناقضات الألباني الواضحات" كما سماها.

كما أن الشيخ الألباني رحمه الله لما راجع بعض الأحاديث من "صحيح الكلم الطيب" رجع عنها، مع أن الكتيب نفسه صغير الحجم، ولو حسبنا تلك النسبة فقط في كتاب كبير مثل "صحيح الجامع الصغير وزيادته" لوجدنا مئات الأحاديث وربما الألوف، وهكذا أهل العلم دائما.

وقد يكون فيما يصححه الشيخ أو يضعفه تناقض وتعارض يتعسر معهما فهم الحديث، فقد ذكر في إحدى نسخ صحيح الجامع رواية تقول: (إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد)، وقوله في النسخة الأخرى: (إذا شرب أحدكم فلا يشرب في نفس واحد)، وهي الرواية الموافقة للأصول.

ثم جاءه الأجل المحتوم وهو ينقل من الصحيح إلى الضعيف أو العكس، وقال: "قد كنت أوردت حديث المعلى هذا (يعني عن وطء أهل الجنة) في (ضعيف الجامع الصغير) مقتصرا على قولي فيه: ضعيف، بناء على تضعيفي قديما لحديث دراج"، ثم قال: "فلما تبين لي حسن إسناده، وصحة الاستشهاد بالطريق الآخر الشاهد، قررت نقله إلى صحيح الجامع، والله الموفق".

- ينبغي لطالب العلم التدقيق والتحقيق وليس الاستعجال والتسرع، وجعْل الطبعة التي لديه هي المرجع الوحيد.

ورحم الله الشيخ وأجزل له المثوبة، وهدى مقلديه للحق، وغفر لمن تحامل عليه ووصفه بالتناقض والاضطراب، أو قال نأخذ من الألباني التضعيف دون التصحيح.

والشيخ رحمه الله محقق قدير، وهو مجتهد حاله بين الأجر والأجرين، وله علم غزير وفضل لا ينكر، وكفى المرء نبلا أن تعدّ معايبه.

وإنما يجب اليوم الإنكار على من يتعصب له ومن يقول في بعض كتبه إنه وجد أن الحق مع الألباني في كل مسألة، وهذا غاية التعصب والتقليد، والعجيب أن بعض طلابه جعلوا كلامه وحده هو السلفي، ويعظون في المساجد بأن الصلاة لا يكفر تاركها، وأن تغطية وجه المرأة غير واجبة، وأمثال ذلك مما قد يظنونه إصلاحا، وهو إفساد، فكثير من الناس لا يصلي وكثير منهم يتبع الغرب في دياثته، فالإنكار على هؤلاء أوجب، والتبرير لأعمالهم خطأ، ومن تتبع رخص العلماء أو شواذ الفتاوى تزندق وضل.

على أن هاهنا أمراً ينبغي التنبيه عليه، وهو أن بعض المصنفين في السنة كأبي داود والترمذي نظر إلى كون الحديث معمولا به عند الأئمة أو غير معمول به، ولم يشترط الصحة في سننه، بل كان يعقب بذكر الخلاف في المسألة بين العلماء، وجاء الترمذي بمصطلح جديد لم يذكره من قبله وهو قوله "حسن صحيح"، كما أكثر من قوله "غريب"، وتبعه في ذلك الحافظ ابن كثير رحم الله الجميع، وفي ذكر الأحاديث الضعيفة فائدة وهي احتمال أن يجد الباحث طريقا أخرى يتقوى بها الحديث، ولعله لذلك أورد الإمام أحمد في "المسند" وفي "الزهد" وفي "فضائل الصحابة" وغيرها أحاديث ضعيفة والله أعلم.

وبعض طلبة العلم وفقهم الله يعجبه كتاب "صحيح الجامع الصغير وزيادته" مثلاً وحُق لهم ذلك، وهو كتاب قيّم ثمين، ولكن لا ينبغي الاقتصار عليه أو الاعتماد عليه وحده.

وقد أوصى شيخ الإسلام بصحيح البخاري وبين أنه أصح كتب السنة،

ومع ذلك نبه طالب العلم ألا يعتمد عليه وحده فكيف بغيره.

وهذه بعض الملاحظات على كتاب "صحيح الجامع الصغير":

١- أن الكتاب فيه أحاديث الأقوال دون أحاديث الأعمال، التي هي جزء من السنة لا بد من معرفته لطالب العلم، وأحاديث الأعمال كثيرة جدا في الصحاح والمسانيد والمعاجم وغيرها.

٢- أن فيه ما يجب التنبّه له كبعض الأخطاء التي ذكرها مرتِّب "صحيح الجامع" على الأبواب الفقهية جزاه الله خيراً، وله نسخ عدة، قال المرتب: "وكذلك نفعني الله بنسخة صحيح الجامع الصغير وضعيفه التي أرسلها إلي الدكتور مروان القيسي.. ثم قال: وهي تحتوي على تعديلات تتعلق بتصحيح وتضعيف بعض الأحاديث نقلها من نسخة الأستاذ الألباني الخاصة، وبناء عليه فقد نقلت عدة أحاديث ضعيفة تم تصحيحها مؤخراً من ضعيف الجامع إلى صحيحه"، وذكر عدة أحاديث ثم قال: "وكذلك فإني حذفت من صحيح الجامع الصغير الأحاديث التي وضعت سهواً مع الصحيح، والتي أشار إليها الألباني في نسخته الخاصة". وذكر أحاديث أخرى، ثم قال: "كما قابلت كثيراً من أحاديث الكتاب على الكتب الأصول وساعدني في ذلك الأخ الفاضل علي حسن علي عبدالحميد". وذكر نماذج لذلك، ثم قال جزاه الله خيراً: "قمت بحذف أرقام الكتاب الأصلية لوجود أخطاء في الترقيم"، وذكر أمثلة لذلك من (أ) إلى (هـ)، ومما ذكر مثلا: "ج- بعد الحديث رقم ٣٦١٥ بدأ التسلل من ٣٥١٦"، أي أن هذا الموضع وحده فيه مئة خطأ، وهكذا كلنا خطاؤون وكلنا ننسى، والمعصوم من عصمه الله.

٣- أن الشيخ الألباني ليس الوحيد الذي عمل على كتاب "الجامع"، وقد قرأت للشيخ رشيد رضا في تفسير المنار (٨-٦٢) قوله: "قال الشيخ محمد الحوت الكبير في كتابه الذي خرج به أحاديث الجامع الصغير الضعيفة..." إلى آخر كلامه، فيُقرأ كلٌّ منهما، والشيخ الحوت محدث شامي

سكن بيروت، وربما قابله الشيخ الألباني، والذي أنا متأكد منه أن الألباني نقل عنه وأحال إليه، إضافة إلى ما ذكره صاحب كتاب "تشنيف الأسماع" من المخطوطات التي ربما طُبعت.

٤- لكل شيخ أو عالم طريقته وشرطه، فلا نقدم أحداً من العلماء على غيره في كل شيء، فبعض العلماء يقدم الدارمي على ابن ماجه، وشيخُ الإسلام ابنُ تيمية يقدم "المختارة" للضياء المقدسي على "مستدرَك الحاكم"، وابن قدامة في "المغني" يعتمد على رواية الأثرم أكثر من غيره، وأبو داود رحمه الله شرطُه في "سننه" أن يعمل بالحديث أحدُ الأئمة، فقال في رسالة لأهل مكة عن كتابه: "ذكرت فيه الصحيح وما يشبهه وما يقاربه ..، وما كان فيه وهن شديد بينته".

٥- خالف الشيخَ الألباني مشائخ آخرون لهم علمهم وفضلهم، منهم الشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ محمد أمين المصري، والشيخ محمود الطحان، والشيخ عبدالرحمن عبد الخالق، والشيخ أبو بكر الجزائري، والشيخ عبد المحسن العباد، كما خالفه الشيخ أبو شقرة وابنه، والشيخ زهير الشاويش، وممن خالفه في بعض التخريجات الشيخ أحمد شاكر، والشيخ شعيب الأرناؤوط، والشيخ بكر بن عبدالله أبو زيد، وأمثالهم مما لا يحضرني الآن، ولا يَنقص من علمه وفضله أن يخالفه غيرُه، فهكذا نحن البشر غيرُ معصومين.

ولا يعيب الشيخَ الألباني أن قال عنه بعضهم إنه محدِّث وليس بفقيه، فهكذا قيل عن الإمام أحمد، وابن رشد مثلاً في "بداية المجتهد" لا يعُدُّ الإمامَ أحمد فقيهاً وإنما محدِّثاً، وكذلك كان يقول ابن جرير.

ويعتمد الشيخ الألباني كثيراً على كتب الحافظ ابن حجر لاسيما "تقريب التهذيب" وأصله "تهذيب التهذيب"، وقد يختلف علماء الجرح والتعديل كثيراً كما في "التهذيب"، فلا حرج على من رجّح غير ترجيح

الشيخ ابن حجر أو الألباني.

كما أن بعض السلفيين قد يخالف الشيخ بالدليل.

وللشيخ الألباني رحمه الله عبارات جارحة لم أجدها لغيره، كقوله لمن يخالفه في التصحيح والتضعيف: "ومع ذلك يزعم أنه سلفي"، ووصفُه من يخالفه بأنه (ناشئ)، واتهام المخالف بأنه مقلد، وهكذا.

والشيخ الألباني رحمه الله يهتم كثيراً بمحاربة التقليد المذهبي، ولا شك أن التقليد مذموم ولكن أمر العقيدة أهم، ولا حرج على من كان صحيح العقيدة أن يقلِّد في الفروع، فأمر الأصول أهم، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أنه اهتم بالأصول لأن أمرها أهم، أما الفروع فالشأن فيها أهون كما تقدم، والانتساب لأحد المذاهب لا حرج فيه، وإنما المنهي عنه هو التعصب لأحد الأئمة.

وينبغي التنبيه لأمر مهم وهو أن أهل الحديث ليسوا من اشتغل به فقط، بل كل من كان منهجه الاتباع وترك الابتداع، وكل من بلغه عن رسول الله ﷺ شيء فلزمه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن بين صحة منهج أهل الحديث: "ونحن لا نعني بأهل الحديث المقتصرين على سماعه، أو كتابته وروايته، بل نعني بهم: كل من كان أحق بحفظه ومعرفته وفهمه ظاهرا وباطنا واتباعه باطنا وظاهرا" اهـ.

فكل من كان متبعا للعقيدة الصحيحة فهو على خير وسنة واتباع، ولو كان طبيبا أو نحويا أو شاعرا أو مؤرخا أو مقاولا.

وقد اشتغل بعلم الحديث من كان له عقيدة مخالفة كابن عقدة، وابن طاهر، والغماري، والكوثري.

وكذلك أهلِ القرآن، فهم ليسوا مجرد من يحفظ حروفه ويعرف قراءاته، بل من يتبعه ويحكِّمه على نفسه وهواه وفي كل شيء.

كما أن التوحيد ليس نفي الكمية المتصلة والكمية المنفصلة كما يقول أهل الكلام، ولا هو نبذ الأقانيم والتثليث، كما كان يظن الرئيس الأمريكي

"توماس جيفرسن"، أو الرئيس الآخر "وليم تافت"، وكما يظن النصارى المنكرون للتثليث في أمريكا وبريطانيا وكذا استراليا وأقطار أوروبا.

ولا يقتصر ترك عبادة الأصنام على التماثيل من الحجارة وأشباهها، أو ترك عبادة الموتى والصالحين والأولياء كما يظن بعض الناس.

بل للشرك وللعبادة صور كثيرة، ومنها في هذا العصر عبادة الدولار والنفط، وأصحاب النظريات والفلسفات، ولم يكتف بعض الناس باتباع الأديان الباطلة أو الفلسفات المنحرفة، وإنما ذهبوا إلى الإلحاد عياذا بالله.

والمطلوب اليوم من كل من يدعي حب الإسلام وحب الرسول ﷺ وحب الإمام أحمد وحب ابن تيمية وحب ابن باز أو الألباني أو أي شيخ، أن يدعو إلى الله ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أينما حل، بل حتى من يقول إنه يحب الدولة ويعذرها بأنها لا تعلم عن هذه المنكرات أو لا تستطيع تغييرها، يجب عليه الدعوة ومنها الإنكار، ألم يقل الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨]؟ فكيف ندعي اتباعه ونسكت عما يخالف أمره؟ وندعي أننا نعمل بالحديث ولا نعمل بحديث (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ..) الحديث.

هذا والإيمان يخلَق في جوف الأمة كما يخلَق في جوف الفرد، وأكثر الناس يجنحون إلى التبديل والتحريف إما بالإفراط وإما بالتفريط، فكان لا بد لإصلاح أحوال الناس من ردّهم إلى الجادة الوسطى، وقد تولى هذه المهمة أنبياء بني إسرائيل الذين يتعاقبون لذلك.

ولما كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى عليه السلام، وكان آخوه محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء، كان لا بد أن يقوم علماء هذه الأمة المباركة بما كان يقوم به أنبياء بني إسرائيل، وصفوة هؤلاء العلماء هم المجددون الذين يأتون في كل قرن ويعيدون الناس إلى الكتاب والسنة، كما أخبر ﷺ، مهما استجد من البدع وكثر من الأهواء، وقد اشتهر الخليفة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بأنه

أول مجدد في الإسلام، حيث أبطل المظالم والبدع السابقة له، ثم اشتهر بعده علماء كثيرون، كان أبرزهم ثلاثة:

١- الإمام أحمد بن حنبل.

٢- شيخ الإسلام ابن تيمية.

٣- الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، رحم الله الجميع.

ونحن اليوم بعد هذا الغزو الفكري، وهذا الحقد الكتابي وهذا الاستفزاز العلني من اليهود والنصارى، لا بد لنا من العودة الصادقة إلى الله ولا بد لنا من تجديد ديننا سواء كان المجدد فرداً أو جماعة.

ولا يصح أن نظل نقتات تراث الماضين، نعم لا بد لنا من معرفته وقراءته والإفادة منه والرجوع إليه، ولكن لا نقلد من قام به في كل شيء، نظرًا لاختلاف العصر وتغير الفلسفات المعادية، وظهور فرق جديدة وبدع جديدة، وليس أحد من المجددين يعلم الغيب، ولا ما سوف يحدث بعده من الأفكار، وحسبه أن يقاوم انحرافات عصره اعتمادًا على علم من سبقه من المجددين.

والواقع أن ما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب مثلا لا جديد فيه عن الكتاب والسنة، وإنما هو فهم صحيح لهما، كما أن دعوته ليست غريبة على الفكر الإنساني، فقد دعا إليها غيره ولو بأسماء أخرى بل بشعارات كافرة أحيانًا كما سنذكر إن شاء الله.

ومن ذلك أن ما دعا إليه الشيخ محمد من تحطيم التماثيل وترك الغلو في الصالحين وتسوية القبور ومنع إحداث المزارات، هو ما تقره اليوم الدراسات الانتربولوجية الحديثة وكل المشتغلين بثقافات الشعوب، أو الذين يدرؤون عنها الانتكاسات الفكرية، ولو كانوا كفارًا، وهذه الدعوة السلفية التي يسميها أعداؤها "الوهابية" هي عين ما يقوله علماء الإسلام من ترك البدع، وما سطره الفقهاء من كل المذاهب في أبواب الردة، وما يقوله المفكرون الإسلاميون في هذا العصر.

ومن الباحثين الانتربولوجيين الدكتور محمد الجوهري وعبد الحكيم قاسم وعلياء شكري وأحمد رشدي، ومن الدول الكافرة التي تنهى عن تقديس آثار الموتى: النمسا وإيطاليا، فقد حظرت النمسا زيارة مكان ولادة "هتلر"، كما حظرت إيطاليا زيارة قرية "موسوليني"، وقد حذر من البدع كثيرون مثل الطرطوشي وابن الحاج والشقيري.

والمهم هو الفهم الثاقب للنصوص، ومعرفة نعمة الله علينا بهذا الدين القيّم، فكثير مما أورده الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد ليس فيه النص على أنه شرك، وإنما فيه الوعيد لمن فعل ذلك أو لعْنه أو وصفه بأنه من شرار الخلق، أو أنه لا يصح جعله لغير الله وما أشبه ذلك، ثم إن الشيخ رحمه الله لم يدَّع الإحاطة والشمول، وذِكْرِ كل أنواع الشرك، وحسبه ذكر ما كان الناس عليه في عصره، وخصوصا بيئته المحيطة به.

وليست دعوة الشيخ إلى ترك تقديس الصالحين الموتى بغريبة على علم مقارنة الأديان العلماني في عصرنا، فأهل ذلك العلم لا سيما الباحثون في السسيولوجيا والباحثون في أحوال المجتمعات البدائية، يقولون إن عبادة الموتى هي منشأ الطوطمية والإحيائية، ومنها كما يزعمون نشأت الأديان الحديثة، كما يلحظون التشابه بين الأديان المحرفة كاليهودية والنصرانية وبين الأديان الوضعية كما يسمونها، كالبوذية والهندوسية، ومما لا يزال في التوراة حتى اليوم وبالذات "سفر التثنية" طمس الصور والتماثيل، أي أنه لو أن كل اليهود آمنوا بذلك واتبعوه لكانوا أول من يسمى "الوهابيين"!.

ومما كثر في عصرنا هذا ترك التمسك بالقرآن وإحلال القوانين محله، وهذا منكر عظيم يجب على المسلمين إنكاره، ويجب عليهم تقديم ما هو أنكر على ما هو منكر، فالذبح لغير الله مثلا لا يجوز ولكن ترك الحكم بالقرآن أكثر أدلة في القرآن والسنة فيجب إنكاره قبل ذلك، مع أن كلا منهما شرك مثل النذر لغير الله، وإرادة الإنسان بعمله الدنيا.

وينبغي فهم مقصود الشيخ في مؤلفاته وليس الجمود الحرفي على ما قال

دون تبصّر.

فالمشكلة ليست في هذه الدعوة المباركة، وإنما في سوء تمثيلها من بعض الذين ينتسبون إليها، ولو أنه قرر فرضًا ما يخالف الوحي، لكان الواجب هو اتباع الوحي ورد كل ما يخالفه.

ومن الأخطاء التي يرتكبها بعض المدافعين عن الدعوة ظنهم -وهم لا يشعرون- أن الوعي والفكر وافد دخيل جاء لهذه البلاد من بلدان أخرى، وهذا من تأثرهم بما يسمى الوطنية أو الإقليمية، فنحن أمة واحدة شرقًا وغربًا، والفكر الدخيل هو ما كان باطلا ولو جاء من أقرب قريب أو تبنته أي حكومة كانت.

والمؤسف اليوم أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية التجديدية زاحمتها دعوات أخرى تدعي السلفية، وكل يدعي وصلا بليلى، ومنها:

١- السلفية الجهادية التي تظن ان الجهاد إنما يكون باليد وحدها أي تجعله مرادفًا للقتال والمجالدة دون الدعوة والمجادلة.

٢- السلفية العلمية وهي التي تقتصر على العلم وحده وتعلن الحرب على النوع الأول.

٣- السلفية التي تنكر الانتساب لأحد المذاهب الأربعة مع أن عقيدتها أشعرية أو ماتريدية، وقد قال لي أحدهم: "أنا سلفي غير حنفي" وبعض الإخوة ذهب إلى الهند فرأى هذا النوع وحدثني عنه، ومما يزيد الأمر سوءا أن ينقسم هؤلاء فرقًا شتى!.

٤- السلفية المؤيدة للحكومات، كسلفية أتباع السيسي في مصر، وأتباع حفتر في ليبيا، وكذا في الجزائر والسعودية والشام والسودان وغيرها، ومنهم طائفة تجعل طاعة ولي الأمر هي المعيار للتفرقة بين المبتدع والسني، فلا هي تتبع الكتاب والسنة ولا الفكر السياسي الحديث.

وكل حاكم هو عندهم ولي أمر حتى لو كان "بول ريمر" أو

"قديروف".

وقد غلا بعض هؤلاء فحكم بابتداع كل من كان مخالفا لأمريكا، ورأيتهم بعيني يتشابكون بالأيدي، وبعضهم يحرق كتاب "فتح الباري" مثلا ويقول إنه كتاب أشعري.

وكان السلف الصالح لا يزكون أنفسهم بقول أحدهم إنه "سلفي".

وإنما كان أحدهم يقول إنه يرجو أن يكون من أهل السنة، بل قد صرح بعض من كتب في العقيدة من العلماء نقلا عن أئمة السلف أن أهل السنة هم الذين ليس لهم اسم إلا السنة، والسنة إما عامة يدخل فيها كل من ليس رافضيًا ولا خارجيًا، وإما سنة محضة لا يدخل فيها إلا من تمحض للاتباع وترك الابتداع، ولو كان شاعرًا أو مؤرخًا أو إعلاميًا، ثم اختلط الأمر في العصور المتأخرة، وأصبح التعامل بحسب الانتساب والتسمي، حتى أن بعض الناس يجعل كل من أخطأ أشعريًا، وهذا غير صحيح، فإن ابن الجوزي وشيخه ابن عقيل كانا ينفيان بعض الصفات ولم يكونا أشعريَّين قط.

والسلفية عند أكثر الغربين تشمل الدعوات الإسلامية عامة، أي كل الأطياف الدعوية والتيارات الإسلامية، وعلى هذا مراكز البحوث في أمريكا، فلا تستغرب أن تجد فيها الإخوان وحزب التحرير وحزب النور وجماعة التبليغ.

كما أن الحكومة البريطانية حاولت التقرب من الإخوان وقالت: لا بد من التعامل مع الإسلام السلفي.

الحركات التجديدية قبل دعوة الشيخ أو خارجها:

الذي يظهر أن الدعوة في الهند لم تنقطع، وإن كانت أخبارها التاريخية قليلة، غير أن أخفى الدعوات عند أهل جزيرة العرب هو ما كان في تركيا، حيث ظهرت دعوات تجديدية قبل دعوة الشيخ عند الأتراك الذين كانوا

يحكمون أكثر المسلمين آنذاك، وكانت الجزيرة العربية خاضعة لهم.

ومن أشهر الحركات التجديدية في الدولة العثمانية حركة الشيخ قاضي زاده، الذي كانت له حظوة عظيمة جدا في الدولة، حتى أنه تولى الخطابة في المسجدين الكبيرين في إسطنبول، وهما جامع أياصوفيا وجامع السلطان سليم.

وكانت له منزلة عظيمة عند السلطان العثماني "مراد الرابع"، واختاره السلطان لصحبة الجيش العثماني الذي جاهد في أوروبا وحاصر "فينّا" في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الجريجوري، وسار على طريق الشيخ بركوي محمد، الذي قد يكتب "بركلي"، صاحب كتاب "الطريقة المحمدية"، الذي اعتمد فيه على ما كتبه ابن تيمية وابن القيم في الحكم على الطرق الصوفية، وهو أيضا مؤلف "رسالة البركوي".

والشيخ البركوي عدّه رشيد رضا من المجددين، وأنكر على صوفية عصره كثيرا خصوصا ترك العلم والرقص والتمايل، وطبعت وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية كتابه عن زيارة القبور بتعليق الشيخ سعد الحصيّن، وكُتبت عنه رسالة في جامعة أم القرى بمكة شرفها الله، وإنما كتب كتابه "الطريقة المحمدية" ليبين للناس الطريقة الواجب اتباعها، وبيّن حكم البدعة وخطرها، كما بيّن بعض ما ينافي أصل التوحيد أو كماله كالسحر والحلف بغير لله، والتمائم والتِّوَلة، وحكم قول ما شاء الله وفلان، وبيّن حكم الفأل والطيرة والعدوى، وله بعض الأخطاء العقدية غير المتعمدة.

ومن كتب تلميذه الشيخ قاضي زاده كتاب "تاج الرسائل"، الذي هو ترجمة لكتاب شيخ الإسلام ابن تيمية "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية".

وكان من الدعاة أيضا الشيخ محيي الدين أفندي الذي انتقد جلال الدين الرومي وابن عربي.

ومنهم الشيخ "اسطواني محمد"، وهو أيضا واعظ مجود تولى مهمة

الوعظ في جامع السلطان أحمد، ثم في جامع السلطان محمد الفاتح، وكان له منزلة كبيرة عند سلطان عصره حتى سمي "شيخ السلطان"، وجهر بحرب الصوفية وأغلق تكاياهم وحارب عبادة الأولياء.

وكان كثيرون يسمون الأتراك "الروم"، كما فعل الشوكاني مثلا، وهذا له أصل تاريخي صحيح، إذ أن أكثرهم من نسل الروم الذين كانوا بيزنطيين أرثوذوكس، ثم اعتنقوا الإسلام، فمن لم تجد ترجمته في مادة الأتراك فابحث عنها في مادة الروم.

وسار على الطريقة السلفية في الدعوة الشيخ أحمد باشا، الذي كان يجمع بين العقيدة والعلم والخبرة السياسية، وكانت له أيضا منزلة عليا عُين لأجلها صدراً أعظم أي "رئيس وزراء للدولة"، ليس فوقه إلا السلطان، وكان السلطان نفسه يزوره ويعظمه.

وذلك له أثر في انتشار الدعوة السلفية في المجتمع العثماني، يذكر الشيخ عبدالرحمن الجبرتي في تاريخه "عجائب الآثار" في أحداث سنة ١١٢٣هـ أي قبل أن يقوم الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوته، أنه جاء إلى مصر أحد علماء الدولة العثمانية وأنكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء، وإيقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء، وتقبيل أعتابهم، وقال إن فعل ذلك كفر يجب على الناس تركه، وعلى ولاة الأمور السعي في إبطال ذلك، وانتقد أيضا قول الشعراني في طبقاته إن بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ، وقال إنه لا يجوز قول ذلك، ولا تطّلع الأنبياء فضلا عن الأولياء على اللوح المحفوظ..، فلما سمع مؤيدوه ذلك (خرجوا بعد صلاة التراويح ووقفوا بالنبابيت والأسلحة فهرب الذين يقفون بالباب، فقطع مؤيدوه الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون أين الأولياء).

ثم ذكر الجبرتي أنه اجتمع معه زيادة عن ألف نفس من العامة، وذكر قصة طويلة فيها طرافة من أهم ما فيها أن ذلك التركي سمى علماء مصر المخالفين له "الدجالين".

وأكثر الكتب مبيعا في هذه الأيام في تركيا هي كتب ابن تيمية وابن القيم، وأكثر الدعوات قبولا هي الدعوة السلفية، وإنها لكذلك بشرط واحد سهل، وهو كون أصحاب الدعوة السلفية حكماء لا يستعدون عليهم الأتراك، وإذا كان في أي كتاب تركي أو حنفي ما يؤيد كلام الشيخ محمد فليقولوه فقط، وعلى الأتراك (الإسلامي منهم والقومي) محبة شيخ الإسلام ابن تيمية فهو حراني، وحران اليوم في تركيا.

وفي تركيا اليوم صحوة إسلامية واضحة، وليست هذه الصحوة الكبرى على مذهب الإخوان كما يظن بعض الناس، بل هي أقدم من ذلك وأكثر وعيا.

ولا يختص الأمر بتركيا، بل إن الشيخ الزاهد عبد الكريم المسمى "المغربي" قدم من كابل إلى نجد وأعاد دعوة الشيخ محمد من جديد كما سيأتي بإذن الله.

ويبدو أن سبب حرب العثمانيين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هو أن المغرضين أوغروا عليها قلوب السلاطين العثمانيين المعاصرين لها، وقالوا إنها خرجت على الدولة، وأن السلاطين قاسوها على غلاة السلفية الأتراك في أيامهم، حيث بلغ من شدة أتباع الشيخ "قاضي زاده" أنهم استصدروا أوامر من السلطان بإعدام شاربي الدخان، وقالوا إن الأكل بالملعقة بدعة، كما أن الجيش العثماني انهزم على أسوار فينّا ثم أخذ في التراجع، وأخذت الدولة تفقد ممتلكاتها في أوروبا، وكان الشيخ قاضي زاده على رأس ذلك الجيش.

أضف إلى ذلك حقد محمد علي باشا وهو والد إبراهيم وطوسون على كلا الطرفين: الدولة العثمانية التي كانت تعده أحد ولاتها فقط، ودعوة الشيخ محمد التي سلبته ملكه في الحجاز وغيره، وقد ظهر ذلك حين هاجم محمد علي باشا الدرعية، كما أعلن الحرب على الدولة العثمانية وكاد أن يفعل بإسطنبول ما فعله بالدرعية.

ومما يشاع عن الدولة العثمانية وليس بصحيح أنها تُلزم الناس بالمذهب الحنفي، نعم كان هو المذهب الرسمي للدولة، ولكنها لم تلزم به الشعب، فقد كان الناس في مكة وفي اليمن وفي مصر، بل حتى في الأستانة "اسطنبول" لديهم كل المذاهب الأربعة، وكذلك كان الناس في قبائل اليمن شافعية، وهكذا كان آباؤنا، ثم إننا درسنا المذهب الحنبلي والمذهبان متقاربان، لكن المذهب الحنبلي أقربهما لأتباع الحديث، وكل واحد من الأئمة الأربعة الكرام إذا صح الحديث فهو مذهبه.

وكان في المسجد الحرام في أيامهم أربعة محاريب للمذاهب الأربعة، والواجب هو الحكم على العثمانيين بالعدل ما لهم وما عليهم، ولا يصح اختزال ذلك في سلطان واحد أو حادثة واحدة، مثل الحكم على السلطان محمد الفاتح بما فعله السلطان عبد المجيد، أو الحكم من خلال رسالة السلطان عبد الحميد الثاني لشيخ الطريقة الشاذلية عند القادحين، أو موقفه من "هرتزل" عند المادحين، وينبغي اطراح كل ما يقول أعداؤهم القوميون العرب.

والمهم أن سلاطين الدولة العثمانية لم يكونوا يصادمون دعوة الشيخ لأنها تدعو إلى التوحيد، وهم يحبون الشرك كما يظن بعض الناس.

وكُتُب الشيخ محمد ودعوته للكتاب والسنة على العين والرأس، أما السيرة العملية لأتباع الدعوة فهي تجربة بشرية نفيد منها، وليس بالضرورة أن نفعل نفس العمل.

وقد قال بعض الباحثين أن أصل ما يسمى الوهابية من تركيا قبل أن يظهر الشيخ محمد بن عبدالوهاب في نجد.

وكان كثير من الأتراك يزجرون عن البدع ومنهم من تشدد في المسألة حتى جعل كل ما لم يكن مستخدما زمن النبي ﷺ بدعة، فخلط بين ما يتغير من الوسائل وما جعله الله ورسوله ثابتا، وشرعوا عقوبات لم يأذن بها الله، مثل قتل شارب التنباك "الدخان"، وإلقاء المبتدع من فوق المنارة، وأمثال

ذلك مما دفع بعض السلاطين لمحاربتهم أو القضاء عليهم، فضلا عن كراهيتهم، وقد ردّ عليهم علماء آخرون رأى السلاطين أنهم أصدق منهم.

ولما حاصرت عساكر الباشا الدرعية دل المنافقون من أهلها على الثغرات غير الحصينة فيها، وتبرأ كثير من الناس من عقيدة الشيخ محمد أو نسوها.

قال الشيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز في محاضرة عن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: "ثم تغيرت الأحوال" أي أنه بعد أن كان الناس مجاهدين منصورين أيام الدولة السعودية الأولى، فشا فيهم الترف والفرقة أيام الدولة السعودية الثانية، وكانت البضائع تأتي إلى الدرعية من الهند وإفريقية، ومنها الأطياب والطرحات والزعفران والجوخ، وخالفوا عقيدة الشيخ حتى أن بعضهم استعان على أخيه بالإسماعيلية، الذين كانوا قد هاجموا الدرعية أيام ظهور الدعوة، وأرادت بريطانيا معرفة ما يجري هناك فأرسلت الكابتن "بيلي" إلى نجد، وصدق رسول الله ﷺ الذي قال: (بل أنتم اليوم خير منكم يومئذ) بعد أن سأل أصحابه: (كيف أنتم إذا غدي عليكم بجَفنة ورِيحَ عليكم بأُخرى؟ قالوا: نكون خيرا منا اليوم، نكفى المؤونة ونعبد الله).

والاشتغال بالدنيا وظهور الترف آفة خطيرة ذكرها ابن خلدون ضمن حديثه عن أسباب سقوط الدول، وهي في نظري سبب هزيمة عبد الله بن سعود وجيشه في معركة "بسل" قرب الطائف.

وقد اشتغل بمؤلفات الشيخ من جاء بعده من المسلمين في بلدان شتى، كالهند ومصر والعراق وبلاد الشام وإفريقية.

وقامت على الدعوة السلفية مدارس أو كليات كثيرة منها "دار الحديث" في "بواكي" بساحل العاج.

ومما يدل على أن الشيخ متبع وليس بمبتدع، وأن دعوته إنما هي الكتاب والسنة أنه عاصره دعاة وملوك في بلاد نائية ربما لم يسمعوا عن الشيخ أو يسمع عنهم، ودعوا إلى مثل ما دعا إليه، وممن عاصره على سبيل المثال

سلطان المغرب الأقصى "محمد بن عبد الله بن إسماعيل"، ولم تكن المغرب آنذاك في حدودها السياسية الحالية، ولم يكن هذا السلطان الجليل مع الإنجليز مثل مبارك الصباح، بل كان مع الدولة العثمانية، وكان محبا للحديث وأهله، وفادى كل مسلم أسير ولو لم يكن من أهل مملكته، وعقد معاهدات مع كثير من الدول الأوروبية مثل بريطانيا وفرنسا والدانمارك، وكان أول حاكم في العالم يعترف باستقلال الولايات المتحدة، وقد قال "جورج واشنطن" في رسالة له إلى السلطان إنه لا يعادي المسلمين.

ومثل ذلك كتبه الأمريكان لولاية طرابلس العثمانية (ليبيا حاليا)، بل صرحوا أنهم لا يدينون باليهودية ولا بالنصرانية، ولذلك لا يكرهون المحمديين!! ودفعوا الجزية لولاية الجزائر.

وكان السلطان المذكور يتأسى برسول الله ﷺ في مراسلاته، مثلما في كتابه إلى الرئيس الفرنسي في حينه، وهذه الرسالة محفوظة اليوم في أرشيف وزارة الخارجية الفرنسية وفيها:

"من عبد الله الأمير المجاهد في سبيل رب العالمين السلطان بن السلطان الشريف الحسني نصره الله، إلى (...) عظيم الفرنسيين، السلام على من اتبع الهدى ..."، وفي آخر الرسالة كتب تاريخها وهو عام ١١٨٧هجرية، ومن مآثره أنه هزم الفرنسيين في موقعة "العرائش" وخلّص "سبتة" و"مليلة" من الاحتلال الأسباني، كما أنه حرر العبيد قبل أن يولد "إبراهيم لنكولن".

- أعداء الدعوة السلفية:

تعرضت الدعوة السلفية المباركة للعداوة من أربع جهات:

١- الغرب الذي تجسس عليها وفرق منها، وخشي انبعاث الإسلام من جديد وأن تجدد الدعوة أيام الفتوحات الأولى، فأرسل جواسيسه لاستطلاع أخبارها، وقد جاء هؤلاء الجواسيس متسترين بأشكال شتى، فبعضهم يدعي أنه حاج، وبعضهم يدعي أنه آثاري، وبعضهم يدعي أنه طبيب جاء ليعرف

المزيد عن الطب العربي، وبعضهم قال إن مهمته محصورة في معرفة القبائل وأنسابها وأعداد خيولها، وبعضهم أعلن أنه صديق للعرب وللدولة العثمانية.

٢- أهل الشرك والبدعة والخرافة، لا سيما الرافضة، الذين وضعوا ما سموه "مذكرات مستر همفر"، لأن الشيخ محمد بن عبدالوهاب كتب رسالة الرد على الرافضة، وهي الرسالة التي حققها الشيخ ناصر الرشيد جزاه الله خيرا.

وعموم أهل البدعة والخرافة عداوتهم ظاهرة مكشوفة، حتى أن أحد هؤلاء -كما ذكر الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله- اراد أن ينفّر الناس من أحد اليهود فقال: إنه وهابي! وهو كقول بعضهم اليوم: إن "أوباما" "إخواني"، أو قول إعلام السيسي إن الذي قام بالمظاهرات ضد "ترامب" هم الإخوان، وليس ذلك بغريب على إعلام السيسي الذي يقول إن قائد معركة حطين هو "رمسيس الثاني" وأن صلاح الدين أحقر شخصية في التاريخ!

٣- الغلاة الذين فهموها على غير حقيقتها، وكان لهم مجادلات ذكرها أحفاد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وهؤلاء الغلاة يشتطون في فهمها ويقولون إنها خرجت على الدولة العثمانية بلا دليل عندهم على ذلك، واستحلوا دم المخالف وعدّوه كافرا مرتدا، وجعلوا المخطئ مبتدعا أو مرتدا والغلو خطره عظيم، فيجب على المسلمين الحذر من غلو أدعياء السلفية مثلما يحذرون من غلو الدواعش، ولا أرى قتل الشيخ نادر العمراني في ليبيا إلا مقدمة لما ما بعدها.

وكل من ابتدأ غلوه بالتبديع أو التكفير لا بد أن ينتهي إلى الثورة والتفجير، ومن يؤيدون اليوم "السيسي" و"حفتر" سيؤيدون غدا "نتنياهو" و"ترامب"، ومن يفتون بالقتال مع الحكومة الجزائرية فيطاعون، لا نأمن أن يفتوا غدا بالقتال مع فلان فيطاعون.

٤- المنافقون الذين اتخذوا الدعوة سلّما لمآربهم، ولكن الله يفضحهم وتدل عليهم أعمالهم وآراؤهم.

ومما اطلعت عليه شخصيا هو قولهم إنهم يحبون أن يروا فلانا وفلانا مصلوبين على عمود أي (أنا وأحد الإخوة)، كما أخبرني الشيخ جابر المدخلي رحمه الله.

والغلاة هم الذين كتبوا لوزير الداخلية السابق ٢٥ صفحة يحثونه فيها على قتل فلان وفلان وأنا عنده في سجن "الحاير".

ومن أفعال القوم التي اطلعت عليها بنفسي أنهم يقتطعون النص من سياقه ويخرجونه عن معناه، وإن أعياهم ذلك حذفوا ما لا يريدونه منه، فهم كمن يقول الصلاة حرام بدليل قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣]، وأذكر أمثلة من كلامي أنا:

١- مرة قلت: "يفعل الحكام إلا من رحم الله"، فحذفوا الجملة الأخيرة ليكون الكلام لا استثناء فيه.

٢- مرة كان السياق كله عن العلمانية الغربية، وأنها معجبة بديمقراطيتها، ولكن القوم جعلوا تعبيرا عن رأيي أنا.

٣- أثاروا مرة أنني أقسِّم السنة بقولي "إن بعض السنن مهجورة وبعضها معمول به"، وقلت لمن كان مترددا أو مغرَّرا به، وجاءني يستفسر: ماذا تقول أنت في القرآن أليس بعض الناس يتلونه وبعضهم يهجرونه، كما قال الله: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠]؟ قال: بلى، قلت فأنت قسّمت القرآن الذي هو أعلى من السنة.

٤- استنكر بعضهم أن أحث على الانتظار في إحدى الوقائع حتى يكون حكمنا بالعدل.

ثم إني قررت الإعراض عنهم مطلقا عملا بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامًا﴾ [الفرقان:٧٢]، إذ أن المجادلة معهم بالنقل أو العقل لا تجدي، ولو أجبتهم عن قضية لانتحلوا لك غيرها، وافتروا عليك سواها.

والمهم أن هؤلاء لا يجدي معهم نقل ولا عقل، فأفضل ما يعاملهم به

المؤمن هو السكوت، مع اعتقاد أن الدعوة السلفية المباركة بريئة من كل التهم التي يلصقها بها أهل الكفر أو البدعة أو الغلو، وأنه لا بد من الاتهام والافتراء، وأنت عندهم إما كذا وإما كذا مهما فعلت!!

وبعض الناس اليوم -هداهم الله- يحكمون على الإنسان أو على الجماعة أو على الجمعية بأنها غير سلفية لمجرد أنها لا توافقهم، أو لا توافق رأي ولي الأمر عندهم وحسب مذهبهم يكون على الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن يطيع بن عريعر! وعلى ابن تيمية أن يطيع "قازان"، وعلى أحمد بن حنبل أن يطيع المعتصم.

وقد نبغت لأول مرة في التاريخ الإسلامي نابغة تدعي أنها سلفية ويمكن تسميتها "سلفية ولي الأمر"، وأصل مذهبها مأخوذ من الجواسيس في السعودية، مع أن حال الحكام في السعودية يختلف عن غيرهم، ولكنهم عمموا ذلك فجعلوا السلفي هو من يطيع الحاكم في كل شيء أو يكتب له كتابة سرية خاصة.

ومن هذا التعميم قولهم: إن "بول بريمر" ولي أمر، وإن بشار ولي أمر، وقالوا مثل ذلك في "السيسي" و"هادي" و"القذافي"، بل في كل حاكم بلا استثناء، أما العدو اللدود عندهم، فهو من أخطأ من الدعاة أو انتسب إلى دعوة إسلامية، كالإخوان والتبليغ أو أي دعوة لا تعترف بحاكمها في نظرهم، وهم يفضِّلون السيسي على مرسي، وبعضهم يدعو أن ينصر الله اليهود على حماس!

والسلف الصالح لم يكن أحدهم يزكي نفسه، والمنقول عنهم هو عكس ذلك، فقد قال أحدهم: "نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار فإن شاء الله أخرجنا منها"، وقال آخر: "لولا مصائب الدنيا لوردنا على الله مفاليس"، وكانوا يخافون على أنفسهم من النفاق، حتى أن عمر الفاروق رضي الله عنه استحلف حذيفة رضي الله عنه: هل سماني رسول الله مع المنافقين؟

والسلف الصالح مع أنهم لم يدّع أحد منهم أنه سلفي، كانوا يجتنبون

السلاطين، وبعضهم لا يدخل عليهم مطلقا، وبعضهم إذا دخل عليهم أمرهم ونهاهم ولم يمدحهم، فأبو حازم بعيب على الزهري أنه كان صديقًا للسلاطين لما كلم هشام بن عبد الملك.

والإمام ميمون بن مهران يندم على أنه عمل لعمر بن عبد العزيز، مع أنه كما يعلم الجميع كان إمامًا عادلا.

والإمام سفيان الثوري يهرب منهم.

وإمام الجرح والتعديل يحيى بن معين يطعن في يونس بن بكير ويجرحه بالعمل للسلطان، ويثني على راو آخر قائلا: لا بأس به، جميل المذهب معتزلا للسلطان.

وقال المروزي: سألت أحمد بن حنبل عن حفص الفرخ فقال: لم أكتب عنه، كان يتبع السلطان.

والإمام عبد الله بن المبارك يقول:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها

ولما بلغه أن إسماعيل بن علية ولي صدقات البصرة قطع عنه المال الذي كان يعطيه.

والإمام أحمد لم يعمل للمتوكل، بل لم يذق له طعامًا مع أن المتوكل قمع البدعة وأحيا السنة وألزم أهل الكتاب بلبس الغيار.

وكان الإمام أحمد يمدح ابن أبي ذئب بأنه أجرأ وأقول للحق من مالك.

والإمام أبو عبدالله البخاري، كان بينه وبين والي بخارى جفوة شديدة بدأت بامتناع البخاري عن الذهاب إليه كما أمر.

وأبو يعلى الفراء شيخ الحنابلة في عصره اشترط حين ولاه السلطان القضاء ألا يحضر للسلطان موكبًا ولا احتفالا ولا مهرجانا ... إلخ.

ولم يمدح أحد من السلف سلطان عصره أو يهدي له كتابًا قط، أو يبرر له أفعاله، بل ولا تجد كتابًا واحدًا لابن تيمية وابن القيم وابن عبد الوهاب قدموه للسلطان قط، بل إن ابن تيمية ليذم من فعل ذلك كما في

"درء التعارض"، ولا أحدا من السلف مدح حاكم عصره في كتابه، والمؤرخ الجبرتي يذكر في أول تاريخه أنه لم يقدمه لأحد، ولذلك كتب بحُرية عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، واليوم تجد في أمريكا من يقول إنه جمهوري وأنه صوت ويصوت لدونالد ترامب، ولكن لا تجد من يمدحه ويثني على أفعاله ويقدم له كتابه.

والتابعي محمد بن واسع ينكر على مالك بن دينار أنه أخذ مالا من السلاطين ليوزعه على المحتاجين.

وشيخ البخاري الإمام محمد بن سلام البيكندي قصته في ذلك شهيرة، حتى أنه ضرب مثلا بالثعلب الذي قال: لديّ سبعون بابًا من الحيلة إذا رأيت الكلب، أفضلها كلها ألا أرى الكلب ولا يراني.

وأمثال ذلك كثير يصعب حصره واستقصاؤه.

واشتهر عن أئمة الجرح قولهم: "كان مرجئًا يتبع السلطان" وهذا هو الوصف الذي ينطبق على بعض الناس.

ولو استقرأت معايير أهل السنة والجماعة وتاريخ الفرق المخالفة للاعتقاد الصحيح وعلى ترك السلاطين لطال المقام جدا، وكان الأئمة المتأخرون ممن أدركتهم مثل الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي وأمثالهم، تاركين للعمل عند السلاطين مطلقا، على أن العمل ليس حرامًا، ولكن السلف كانوا يتورعون عنه، وكان السلف الصالح إن لم يستطيعوا الإنكار على السلاطين اعتزلوهم عملا بقوله ﷺ فيما رواه البخاري ومسلم: (لو أن الناس اعتزلوهم)، وقوله: (من اعتزلهم فقد نجا)، ولم يدعُ أحد من السلف لسلطان عصره بطول العمر قط، وإنما يدعون لهم بالاستقامة والصلاح وإلا دعوا عليهم، وممن كان يدعو للحكام بالصلاح وينصح لهم الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

والعلماء يختلفون قوة وضعفا، فالقدرات تختلف وكذا المواهب الربانية، وبعض العلماء يرى الاعتزال وبعضهم يرى الجهر بالحق ويصبر على البلاء،

لكن لا أحد قط يمدح السلاطين ويثني على سياستهم ويجعل نفسه تبعا لهم، قال أحد المؤلفين: كان الحسن يجيء إلى السلطان ويعيبهم وكان ابن سيرين لا يجيء السلطان ولا يعيبهم.

ولما حج عبدالملك بن مروان طلب مقابلة التابعي سعيد بن المسيب، فأبى سعيد وقال للرسول: "ما لأمير المؤمنين إلي حاجة وما لي إليه حاجة".

وقال بعض السلاطين لأحد السلف: اذكر حاجتك، فقال: "حاجتي أن يغفر الله لي".

وقال آخر للسلطان: "نفسي أهون عندي من الزر".

وقال عامر بن عبد القيس البصري، لما كتب إليه أمير البصرة أن يأتيه: "لدى ابوابكم طلاب الحاجات فادعوهم فاقضوا حوائجهم ودعوا من لا حاجة له إليكم".

وقال الذهبي عن البخاري: "كان محمد بن إسماعيل ورعا يتجنب السلاطين ولا يدخل عليهم".

وقال الإمام مالك: "أدركت بضعة عشر رجلا من التابعين يقولون: لا تأتوهم ولا تأمروهم" يعني السلاطين.

وجمع السيوطي في ذلك أقوالا كثيرة ضمن كتابه "ما رواه الأساطين في عدم المجيء للسلاطين"، وكذا جمعها المروزي في كتابه "أخبار الشيوخ وأخلاقهم".

وكان بعض العلماء يدخل على السلاطين مثل الإمام مالك لكي يأمر وينهى، وكذلك الأعمش الذي قال: "إنما جعلتهم مثل الكنيف".

على أننا ننبه على أن أحوال السلاطين تختلف أيضا، وبعضهم أقرب للعدل من بعض، فيزيد الملقب "الناقص" أعدل من غيره من ملوك بني أمية، والمهدي خير من المنصور، وهكذا، وهم على كل حال خير من حكام عصرنا بكثير.

ولم يظلم أحد من السلف غيره أو ينقص حقه أو يتهمه باطلا، وكان

السلف الصالح يتخوفون من الغيبة وذكر الناس، بل كانوا يحفظون ألسنتهم إلا للضرورة القصوى.

وإذا اضطروا لذكر أحد ذكروا محاسنه ومساوئه معًا ولم يبخسوا الناس أشياءهم كأهل مدين، ولم يكونوا كالذباب الذي لا يقع إلا على العقر كما قال شيخ الإسلام.

ومنهم من يخفف عبارته في الجرح كالبخاري، الذي قال إذا قلت "سكتوا عنه" فهو وضّاع، لا يسألني الله أنني اغتبت أحدًا من المسلمين، وقال ابن عساكر لحوم العلماء مسمومة.

والسلف الصالح لم يكونوا يمدحون السلاطين بل ينصحونهم عملا بقوله ﷺ "الدين النصيحة" المعروف.

ولم يكن أحد من السلف الصالح يقبض شيئًا من بيت المال مقابل الدعوة أو قول الحق، بل حالهم كما قال الأنبياء الكرام: ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ﴾ [هود:٥١]، و﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ [الفرقان:٥٥]، ولم يكن من السلف الصالح من يعيِّر عالمًا أو مفتيًا وإن أخطأ، والمؤمن لا يفرح إذا أذنب غيره، بل يشفق عليه ويدعو له بالهداية ولا أحد بعد الأنبياء معصوم فكلنا نذنب ونخطئ.

وكان السلف الصالح يعلمون أن من الذنوب والأخطاء ما هو كبير وأكبر، عملا بقول ربهم جل وعلا: ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فالقتال في الشهر الحرام كبير ولكن الكفر بالله أكبر وإخراج أهل المسجد الحرام منه أكبر عند الله، والفتنة أكبر من القتل وأشد بنص كتاب الله.

ولم يكن في السلف من يسير على منهج فرعون في اتهام النيات ﴿يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ﴾ [الشعراء:٣٥]، و﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ

﴿لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا﴾ [الأعراف:١٢٣]، وقال فرعون وأعوانه: ﴿أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٧٨]، أي أنكما طالبا حكم وغرضكما السياسة.

وقال قوم نوح عليه السلام: ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون:٢٤] أي يكون له الفضل بأن تكونوا أتباعا له كما ذكر الشيخ ابن سعدي رحمه الله، وقال المشركون عن دعوة النبي ﷺ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦]، فإذا قيل ذلك لأول الرسل وآخرهم وفي أواسطهم، فكيف لا يقال لمن يقتدي بهداهم من أتباعهم؟

ولم يكن السلف الصالح يتهمون من خالفهم بأنه خارجي بل ربما زكوه إذا اقتضى العدل ذلك، ولما قيل للإمام أحمد بن حنبل لما زكى رجلا ولكنه يقع فيك، قال: "رجل صالح ابتلي بي"!

ولم يكن أحد من السلف يقول إن على فلان أن يثبت إسلامه، بل كل من فعل شيئا من خصائص الإسلام فهو مسلم.

ولم يكن السلف الصالح يصدقون كل قول أو يتحدثون بكل ما سمعوا، وقد قال النبي ﷺ: (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع).

وكان السلف الصالح يفرّقون بين مقام الدعوة إلى الله الذي هو الأصل وبين مقام إقامة الحجة على المعاند الذي رفض قبول الحق.

والله تعالى أوضح سبيل الدعوة لنبيه الكريم ﷺ فقال: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥]، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٤].

وقال عن الكفار الذين أنذرهم وأقام عليهم الحجة ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤]، وقال: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ

عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٥] فجعل المسألة احتمالية وجعل هدي الرسول ﷺ إجرامًا!

وأوصاه وأوصى المؤمنين بالعدل في كل قول ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢]، وهكذا جعل عمر بن عبد العزيز قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠] الآية في كل خطبة، ولا يزال خطباء الجمعة يذكِّروننا بذلك في كل أسبوع.

ولم يكن أحد من السلف يفتري الكذب أو يفجر في الخصومة، وكيف يكذبون والنبي ﷺ يقول: إن المؤمن لا يكذب، وربهم تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [النحل:١٠٥].

وكان السلف يعلمون أن الأمن والاستقرار إنما هو في طاعة الله والجهاد في سبيل الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن الفتنة وشق العصا إنما هي في اتباع المفسدين وترك قول الحق.

وكان السلف الصالح يعتقدون أن الجماعة هي ما وافق الحق ولو كنت وحدك، فقد كان الرسول ﷺ وحيدًا ثم آمنت به قلة من السابقين وكان كثير منهم عبدًا مملوكًا.

وقال بعضهم: "محمد بن أسلم الطوسي هو الجماعة".

ومما يؤيد ذلك أن الإمام أحمد، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وعامة أهل الحديث والسنة، رجحوا موقف المعتزلين في الفتنة من الصحابة مع أنهم نفر قليل منهم سعد بن أبي وقاص وابن عمر، وقال التابعي المجاهد أبو وائل: "شَهِدْتُ صِفِّينَ وَبِئْسَت صِفّونَ".

ولم يكن أحد من السلف الصالح يقلد غيره ويقول: "نحن تبع لعلمائنا" كيف واليهود والنصارى هم الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وكتاب الله متاح لكل ناظر، واليهود لم يلغوا حكم الرجم الذي عندهم في التوراة، ولكنهم استنصحوا الرجال في دين الله واتبعوهم في ذلك وغيروه

إلى الجلد والتحميم.

وكان السلف الصالح إذا قالوا عن أحد ثقة، وقال غيرهم ضعيف، لم ينكروا ذلك، بل ربما وثق بعضهم من يقول فيه الآخر وضّاع، وكذا إذا قالوا عن أحد إنه مبتدع وقال غيرهم "كان صاحب سنة".

ولم يكن أحد من السلف الصالح يسكت عن منكر رآه، وأنا أحيل ما في شوارعنا وأسواقنا وإعلامنا إلى القارئ الكريم، وأطلب منه اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في ذلك.

ولم يكن أحد من السلف يسكت عما يعلم من الضلال ويشتغل بالمهم عن الأهم.

وكل السلف الصالح يحذرون من كتمان الحق، فكيف بقول الباطل، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:١٥٩]، والتعلل بأن السكوت إنما هو لكيلا يستغله المخالفون غير مقبول، كما سيوضح إن شاء الله لا سيما في النصيحة للعلماء.

وكثير من السلف حذر من الدخول على السلاطين ولو كان لسبب مشروع، حتى أن أحدهم قال: "لا تدخلن على ذي سلطان ولو أن تعظه، ولا تخلون بامرأة ولو أن تحفّظها القرآن"!

والرسول ﷺ يقول كما روى كعب بن عجرة: "من دخل عليهم فصدقهم بكذبهم، فليس مني، ولست منه، ولن يرد علي الحوض".

وكان بعض السلف يضع إصبعه في أذنه حتى لا يسمع من مبتدع شيئا خوفا على إيمانه، فكيف بمن حذر صلوات الله وسلامه عليه من تصديق قوله؟

والمقصود أن اتّباع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليس ادعاء باللسان وإنما هو حقيقة عملية تصدق الادعاء أو تكذبه.

ونحن نسأل هؤلاء:

ماذا تقولون في كتاب الشيخ بن عتيق النجاة والفكاك من موالاة أهل الإشراك، فإن قالوا نأخذ به، إذ هو يتحدث عن أهل الشرك في عصره ويحذِّر من أن يواليهم أهل نجد. قلنا: يا ترى أليس الأتراك وهم مسلمون موحدون خير من الأمريكان النصارى الذين يقولون اتخذ الله ولدا؟ وهل التحالف مع الأمريكان من الموالاة عندكم أم ليس منها؟

وإن قالوا لا نأخذ به بل هو إرهابي خارج عن ولاة الأمر، قلنا: فبيّنوا ذلك للناس واكتبوه لكي يعرفوا الحق.

وإن قالوا كان عليه أن ينصح ولاة الأمر ويحذِّرهم، قلنا فهذا الذي فعلناه.

وإن قلتم غير ذلك فبينوه لنا كي نجيبكم عليه إما بالموافقة وإما ببيان وجهة نظرنا.

وكيف أنكر الشيخ بن عتيق رحمه الله على من أخطأ في بعض آيات الصفات واتبع كلام الجهمية مثل صديق حسن خان؟

واعلموا أن من تستحلون عرضه وغيبته إنما تخففون من ذنوبه، وإن أول من يحتقركم ويستهزئ بكم هو من تكتبون له أو تكلموه بأن يفعل كذا وكذا، وقد قال الأمير نايف "يجيني الواحد لحيته متر ويقول كذا"، فماذا تريدون بعد ذلك؟

والدعوة بريئة من تكفير المسلمين، وأما كلام ابن غنام وابن بشر عن غزوات أهل الإسلام، وما فعله أهل الإسلام وأمثال ذلك فلا بد فيه من التفصيل:

١- إن أرادوا بالإسلام دائرته الواسعة وأن ما عداه كفر مخرج من الملة فهو كلام مردود، وهو كقول الجهلة "ديرة المسلمين"، وقولهم عن مكة شرفها الله "ديرة المشركين".

٢- وإن أرادوا بالإسلام كماله وحقيقته دون تكفير من سواه فهذا مقبول، ونحن نسمع اليوم أئمة الحرمين يقولون "إمام المسلمين" كما أن المؤلف عاكشاً يقول عن ابن عائض "أمير المسلمين".

والشيخ محمد بن عبد الوهاب نفسه ذكر في كتاب التوحيد أنواعًا منها ما ينافي أصل التوحيد، كدعاء غير الله، ومنها ما ينافي كمال التوحيد أو مجرد آداب لفظية مستحسنة، مثل من يقول: العزة لله ولفلان، والأفضل أن يقول الموحِّد ثم فلان، ويجوز الجمع بين الخالق والمخلوق، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨]، وقال: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [آل عمران:٣٢] أي أن من الأدب أن نقول ثم، ولو أن أحدًا قال ذلك بالواو كما جاء في القرآن فلا حرج عليه، ولكن نبين له الأفضل والجائز، وربما كان الجائز به المنسوخ والله أعلم.

وأنا أوصي بإعادة طبع وتوزيع الرسالة المتضمنة ما اتفق عليه علماء نجد وعلماء مكة من التوحيد، إذ هو موضع اتفاق ولله الحمد.

والتفصيل دليل على علم صاحبه وتمكنه.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب بابًا في كتاب التوحيد بيّن فيه أن من الشرك اتخاذ العلماء أربابًا من دون الله.

وهؤلاء فصَّل حكمهم شيخ الإسلام ابن تيمية وجعلهم على نوعين:

١- أن يتخذهم أربابًا من دون الله بأن يطيعهم وهو يعلم أنهم غيروا دين الله، فهذا يكفر فاعله.

٢- أن يطيعهم وهو لا يعلم ذلك، فهذا عاص له حكم أمثاله من عصاة المسلمين.

وأيهما أولى بالاتباع: الشيخ محمد نفسه الذي لم يكفّر شمسان، أم الغلاة الذين يزعمون أنهم أتباعه؟

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أكثر خطأ الحنابلة الغلو في التكفير والغلو في الإثبات.

وقد شاب صفو هذه الدعوة المباركة ما وُجد لدى بعض أتباعها من الغلو والتشدد كقولهم: "ظهر الإسلام عام كذا" أو "دانت قبيلة كذا بالإسلام"، ومن تلك الشدة تسمية كل من يخالف الدعوة كافراً أو "كويفراً" كما يقال، وربما استحلوا الدم والمال بالشبهة أو بالوشاية، مع الغفلة الشديدة عن أعداء الدعوة من النصارى والنصيرية والدروز وغيرهم ممن كانوا يعيشون قريبا منهم، ومصادرهم متوفرة، وكأن ابن تيمية إنما كتب عن نصارى عصره ونصيرية عصره ودروز عصره وإسماعيلية عصره.

ومن الشدة أيضًا ألا تكون للبيوت نوافذ وألا تخرج المرأة إلا في الليل، وألا تكلِّم أحدا مطلقًا، وأنه يحرم عليها أن تلبس ما كان يسمى "الكرتة" أو أن تجعل للثوب سحابا من الخلف، كما يحرم على الرجل أن يقرأ مجلة أو جريدة، وأن يلبس البنطلون أو العقال وأن يكون له ساعة أو كبك، وأمثال ذلك مما لا دليل عليه، إلا مخالفة عادات وتقاليد تقبل الخطأ والصواب، وكذا استخدام مصطلحات أو عناوين منفرة في قضايا ترجيحية، كعبارة "الرد على الحمار"، أو تسمية بعض العلماء "الكلب العاوي"، مع أن الله تعالى قال لرسوله الكريم: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ:٢٤] كما سبق.

وهذا الغلو فتح لأعداء الدعوة بابا للطعن فيها واتهامها بما ليس فيها.

ومن ذلك الغلو اعتقاد بعضهم تكفير من يقول: "خذوه" أو "انفروا به"، وبناء على كفرهم تحرم ذبائحهم كما قالوا.

وقد قال الشيخ العلامة محمد إبراهيم رحمه الله في فتاواه، إن قول "خذوه أو انفروا به فيها رائحة الشرك، وأما ذبائح قائلها فهي حلال"، وهكذا يكون العلم، وفرقٌ بين من يدعو الجن فيكون مشركًا عياذًا بالله كما

يفعله السحرة والمشعوذون، وبين من يدعو على أحد بالجن ظنًا منه أن الجن يستطيعون ذلك، أو يملكونه، بل نص العلماء على أن سؤال المسلمين عن عقيدة الذابح بدعة، وعلى كل حال يجب الزجر عن كل بدعة وتعليم الجهال الاعتقاد الصحيح، والدعوة إلى الله كما في كتابه بحسب المراتب الثلاث التي بيّن ابن القيم رحمه الله مع من تكون:

١- الحكمة وهذه مع الموافق.

٢- الموعظة الحسنة وهي مع الغافل من الناس.

٣- المجادلة بالتي هي أحسن وهذه مع المخالف.

والمخالف نجادله بالعلم والعدل ولا نسكت عنه، إذ نحن بين إحدى المصلحتين:

١- إما أن يهتدي إلى الحق.

٢- وإما أن نقيم عليه الحجة.

أي كما قال الله تعالى عن المنكرين على المعتدين في السبت: ﴿مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٤].

وينبغي التفريق بين نوعي الهداية:

أ- هداية التوفيق التي لا يملكها إلا الله وحده.

ب- هداية الدلالة التي أمر الله بها الأنبياء وقال: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾ [النور:٥٤]، أي النذارة والبيان لهم، قطعًا لشبهات المشركين وإقامة لحجة الله عليهم، حتى أفضل الخلق ﷺ، قال له ربه: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى:٤٨]، وقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٧٢] أما التحريم لما لم يألفه المجتمع أو لم تكن عليه التقاليد الموروثة، فلا يصح وإنما على كل أحد أن يقول ما قال الله ورسوله والسلف الصالح والأئمة المجتهدون، وإلا كان قائلا على الله بغير علم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾

[النحل:١١٦]، وقال: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣].

قال ابن القيم رحمه الله: "إن في هذه الآية تدرجًا من الأدنى للأعلى".

والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفر شمسان وأمثاله، وليس له قول مأثور بتكفير الدولة العثمانية أو تكفير أهل مصر أو غيرهم قط، وإنما بين رحمه الله حقيقة التوحيد، وحقيقة العبادة وحقيقة الشرك.

وبعض الناس حرم الشاي والقهوة وأمثال ذلك بلا دليل، وإنما قاسوا الشاي على الخمر، كما في مجموعة الحديث النجدية، وهو قياس فاسد أبطله علماء الدعوة أنفسهم.

كما تولى بعض علماء الدعوة الرد على الغلاة وبينوا حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.

قال العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب عن هؤلاء الغلاة الجهلة: "... ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين، ما يترتب على الردة الصريحة من الأحكام، حتى أنهم تركوا رد السلام، فرُفع إلي أمرهم فأحضرتهم وهددتهم وأغلظت لهم القول، فزعموا أولا أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن رسائله عندهم، فكشفت شبهتهم، وأدحضت حجتهم بما حضرني في ذلك المجلس وأخبرتهم ببراءة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من هذا المعتقد والمذهب فإنه لا يكفِّر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله من الشرك الأكبر والكفر بآيات الله ورسله أو شيء منها، بعد قيام الحجة وبلوغها المعتبر" إلى آخر كلامه رحمه الله، وهو في كل كلامه وتفصيله لا يخرج عما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية من التفصيل والقول بعلم وعدل.

فالأتراك والمصريون وغيرهم إنما يكفر الواحد منهم إذا ارتكب مكفرًا بعد ثبوت الشروط وانتفاء الموانع، وإنما يحكم بذلك أهل العلم وليس أيُّ

جاهلٍ أو مدَّعٍ، وليس كما يراه بعض اتباع الشيخ قاضي زاده والشيخ محمد بن عبد الوهاب!.

وآل الشيخ جزاهم الله كل خير درس بعضهم في مصر على يد بعض الأشاعرة وتخرجوا من الأزهر مع احتفاظهم بعقيدتهم الصحيحة.

وبعض آل الشيخ تلقى الحديث والقراءات والتجويد عن غيرهم، وبعضهم أخذ الإجازة عن غيرهم، وقد كتب الشيخ العلامة عبد الله البسام أنه اطلع على إجازة للشيخ الإمام سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب من الشيخ الإمام الحسن بن خالد الشريف الحسني، يجيزه فيها أن يروي عنه دواوين الإسلام الستة ومنها صحيح البخاري.

والشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أخذ التجويد عن الشيخ سعد وقاص البخاري، وما حذر منه الشيخ محمد قديم متوارث، فالتعاويذ والتمائم كانت معروفة عند مشركي الفراعنة كالسحر والطلاسم، وفي البرديات كثير من التعاويذ والتمائم.

وقبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان هناك علماء سلفيون في الدولة العثمانية كما تقدم، وكذا في بلاد أخرى كالشام والعراق ومصر، وفي أهل اليمن، كلهم يدعون إلى الله وإلى اتباع السنة وينكرون البدع والمحدثات ومنهم القاضي أبو السعود التركي، وفي المخلاف السليماني كان الشيخ أحمد بن عبد الله الضمدي، والشيخ حسين بن مهدي النعمي، كما كان آل الحفظي، وآل البكري، وآل البهكلي، وآل الحكمي، وغيرهم من علماء الدعوة السلفية، وكانوا في أبها وما حولها، ولم يكن كل الناس في اليمن أو في بلاد زهران أو بلاد غامد أو تهامة على عقائد فاسدة، لا سيما وهم يقرأون كتب الشافعية التي فيها نص صريح على أنواع الشرك وخصال النفاق وأنواع البدع، وكانوا يفتخرون بأنهم ليسوا زيدية ولا رافضة فضلا عن الباطنية كالإسماعيلية.

فالشيخ محمد بن عبد الوهاب في الحقيقة لم يأت بجديد، وإنما كان له

شرف نشر الدعوة والجهاد في سبيلها والتحذير البالغ من الطواغيت ومن موالاة الكفار، فأخرج الجمر من الرماد، وأحيا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، التي هي تفصيل لما في الكتاب والسنة واستنباط منهما وفهم صحيح لهما، وانطبقت عليه يمين "ابن مري" حين أحرقوا كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، فأقسم ليخرجن الله لهذا العلم رجالا هم الآن في أصلاب آبائهم.

وإنما افترى على الشيخ محمد أعداء الدعوة السلفية، وكل من خالف هواهم قالوا عنه وهابي.

والقصص في هذا كثيرة يعرفها المطلعون، وإنما المقصود أن الشيخ رحمه الله لم يأت بمذهب خامس كما يفتري المناوئون لدعوته، و لم يكفر أحدًا من المسلمين بمجرد الذنب و لم يكن خارجياً كما يزعمون، وأن الدعوة كانت معروفة قبله، ولكنها مستضعفة أو محدودة أو محاربة.

- **المنافقون**: ومن أشد أعداء الدعوة السلفية المنافقون الذين لا يخلو منهم زمان ومكان، وفيهم وحدهم قال تعالى: ﴿هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡ﴾ [المنافقون:٤]، وهم الذين دلّوا جيش الباشا على نقاط الضعف في الدرعية، ولهم اليوم أسماء أخرى وبعضها خفي ومن أسمائهم: الزنادقة، التغريبيون، الليبراليون، المفسدون، العملاء، أهل الاعتدال الأمريكي، أهل المرونة، أصحاب الثقافة العصرية، الليبروجامية، رواد السفارات، المتصهينون، ونحو ذلك.

وهم لا يلمزون الشيخ وحده، بل يلمزون كل من دعا إلى الله بألقاب منها: النصوصيون، الظلاميون، الإرهابيون، الأصوليون، المطاوعة، السنّيون .. إلخ.

وهم أعداء كل دعوة و لم يخل منهم عصر قط، بل ربما يكونون أكثر الناس، وقد حذر الله منهم رسوله الكريم، وكثروا أيام التابعين حتى أن الحسن البصري سمع رجلا يقول: اللهم أهلك المنافقين، فقال الحسن: يا هذا، لو أهلكهم لأقفرت الطرقات!

وقد يكون النفاق محضا وقد يكون في بعض الناس خصلة منه. وهو مرض وبيل كان الصحابة الكرام يخشونه على أنفسهم، حتى أن الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ خافه واستحلف حذيفة هل سماه النبي ﷺ معهم كما تقدم. وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين وفي رواية ثمانين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخشى على نفسه النفاق".

وهم يستخدمون الدعوة السلفية لنيل مآربهم وتحقيق مصالحهم الشخصية ومنافعهم المادية، وحسبك أنهم يندسون بين أهل الإسلام، ويفعلون ظاهرا ما يفعله المسلمون كالصلاة والحج والجهاد، ويجحدون ما ينسب إليهم من الكفريات، ويعتذرون للمسلمين بأن هذا خطأ أو عمله فلان أو لم نقصد به الشرك أو منسوب إلينا!

وقد كشف الله تعالى دعاواهم وبيَّن حقيقتهم وذكر أوصافهم، ومن ذلك ما ذكر في أول البقرة، وما في النساء والمائدة والتوبة والأحزاب والفتح والمنافقون، وغير ذلك من السور.

ومن أبرز هذه الصفات:

١- ادعاؤهم الإيمان، والله تعالى يقول: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

٢- اعتذارهم عن الجهاد بعدم الاستطاعة، قال تعالى: ﴿وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:٤٢]، وهم اليوم يقولون لا نستطيع أن نحارب أمريكا أو روسيا ولذلك نصادقها.

٣- تخذيل المؤمنين والإيقاع بينهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾ [التوبة:٤٧]، وهم اليوم يستخدمون لذلك القنوات والصحف والمواقع ووسائل الإسلام المختلفة.

والنفاق إنما يطل برأسه في أيام عز الدعوة وقوتها، ثم يفضحه الله حين ضعفها، فقد آمنوا بعد بدر، وقال عبدالله بن أبي: "إن هذا أمر قد توجه"،

ولكنهم كفروا يوم أحد، ورجع عبدالله بن أبي بنحو ثلث الجيش، وبعد المعركة أظهروا نفاقهم وشماتتهم، وميز الناس بين المؤمن والمنافق.

وهكذا فعلوا لما حاصرت جيوش الباشا الدرعية.

فالمنافقون يراعون الظروف السياسية، ولا مانع لديهم من مجاملة من تكون له الغلبة على قاعدة:

والنَّاسُ مَن يَلقَ خيراً قائلونَ له *** ما يَشتَهي ولأُمِّ المخطِئِ الهَبَلُ

ولو أن بن عريعر هو الذي غلب لكالوا له أصناف المديح، وقد توسلوا إلى أولاد الباشا أن يولوهم على بعض انواحي نجد مقابل خدماتهم لجيش الباشا.

ومن عادة المنافقين قلب الحقائق والتلاعب بالمصطلحات، قال تعالى: ﴿وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلْأُمُورَ﴾ [التوبة:٤٨]، فالهزيمة عندهم نصر، والدياثة تحرر والتغريب تقدم، والفسق ترفيه، والضلال هدى، والتدين تزمت، والاعتراف باليهود اعتدال، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إرهاب، والصدقة دعم للإرهابيين، والمجاهدون ضد إسرائيل إرهابيون!

وأمريكا على كل شيء قدير، والاستعمار استثمار ونسف التراث إبداع، وهدم الماضي تنمية وهكذا، ومن تأمل وجد أن أشراط الساعة ومنها فتنة الدجال هي قلب الأمور، ويجفو أحدهم أباه ويوسد الأمر إلى غير أهله، ويصدق الكذوب وتلد الأمة ربتها.. إلخ.

والمنافقون دائما سياستهم متناقضة ووعودهم كاذبة وإليك مثلين لذلك:

١- وعودهم السياسية الكاذبة قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [الحشر:١١] وما بعدها.

٢- وعودهم المالية وما أشبهها، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ

ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴾[التوبة:٧٥-٧٦].

ويحسبون أن التضييق المعيشي على أهل الإيمان وحصارهم سيؤدي إلى انفضاض الناس عنهم ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ﴾ [المنافقون:٧].

والمنافقون عند أنفسهم دهاة وأهل حنكة ودبلوماسية ناجحة، فلا يغامرون مغامرات غير محسوبة العاقبة كأهل الإيمان فيما يزعمون، فهم أهل تحوط واحتراز وحساب للعواقب يقولون: ﴿قَدۡ أَخَذۡنَآ أَمۡرَنَا مِن قَبۡلُ﴾ [التوبة:٥٠]، ويقول كبيرهم عبدالله بن أبي: "إني امرؤ أخشى الدوائر".

والمنافقون أهل ظن سيء بالله تعالى، فيما لا يجزمون بأن لله سوف ينصر دينه ويعلي كلمته، حيث لا تدل على ذلك الموازين البشرية والظواهر المادية.

فإذا جاء الله بالفتح قالوا للمؤمنين (ألم نكن معكم) ألم نشارككم في الخطة الحربية وفي منازلة الكفار؟ فأعطونا حقائب وزارية وأقسموا لنا من الغنائم، وإن كانت الدولة للكافرين على المؤمنين قالوا لهم: ﴿أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ﴾ [النساء:١٤١] وبلسان العصر يقولون نحن كنا ضد الإرهاب والاستبداد ومع الديمقراطية!

وكل أعمال المنافقين للدنيا فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون، ودأبهم السخرية من المؤمنين ولمزهم حتى من يتصدق منهم بما يملك، وليس في وسعه أكثر من ذلك يقولون إن الله عن درهم فلان وصاع فلان لغني وربما سبق ريال مئة ألف ريال كما أخبرنا ﷺ بأن الدرهم يسبق مائة ألف درهم، وهذا الاستهزاء في الحقيقة إنما هو استهزاء بالإسلام وهو المقصود بقولهم (أهل الدين المطاوعة)، فهم يطعنون في الدين ممثلا في أهله كما ذكر الله تعالى عن المستهزئين بالقراء، والرابطة عندهم هي الوطنية

فيقولون: "يا أهل يثرب" كما قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله عند الآية.

وهم يتركون الجهاد متعللين بأعذار كاذبة كقولهم نخشى على أنفسنا من الفتنة بشقراوات الروم، أو الزمان زمان حر ولو كنا الجو معتدلا لجاهدنا.

والمصيبة أن في الأمة اليوم من هو أكثر سماعا من الصحابة الذين قال الله عنهم "وفيكم سماعون لهم" وقد أصبح مكر الليل والنهار إعلاميا، ولا يتخلص منه إلا من خلصه الله، ولهم أهداف سياسية من وراء السماح ببعض القنوات الدينية أو بناء المساجد أو توزيع المصاحف وأمثال ذلك من أعمال الضرار وقد كان هرقل هو الذي يؤيدهم ويرعاهم ويمدهم من خزينة بيزنطة وأصبح حفيده "ترامب" يمد لهم من الخزائن النفطية لحلفائه.

ولهذه الأعمال وأمثالها شكى من قبلنا كالشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولازلنا نشكو اليوم فإلى الله المشتكى منهم ومن السماعين لهم والمرجفين، الذين يتخذهم المنافقون أداة توصيل ينشرون خلالهم الإشاعات.

وهم قديما وحديثا لا يدعون فرصة للإفك والطعن في الفضيلة إلا سلكوها، ويعتمدون على غفلة الشعوب في تسويق بضاعتهم الرديئة، ويقولون إنما نريد الإصلاح، والتوفيق بين الحضارة والأصالة، وبين قيمنا الوطنية وعاداتنا الاجتماعية، وبين اللحاق بركب التقدم العلمي وديننا الوسطي، وبين دعوة الشيخ محمد (الوهابية)، وبين الإجماع العالمي على حرب الإرهاب!!

وبهذه الأساليب المراوغة الملتوية وأمثالها تجرأ أهل الكفر والبدع على أهل الحق والإيمان، وأصبحوا يكفِّرون الصحابة أو يطعنون فيهم، وفي كل من يرونه مخالفا لهم من الحكام، وعلى رأسهم أبو بكر وعمر، ويقولون الدعوة الوهابية تكفيرية، ويقدمون المبررات الكثيرة المؤيدة لقانون "جاستا" الأمريكي، ويحرضون أُسَر القتلى الأمريكان على الأخذ بالثأر وإقامة

الدعاوى على المسؤولين والوهابيين في السعودية!

وفي مقابل بعض البرامج الهزيلة في السعودية مثل برنامج (همساية) حيث يتهمون الرافضة بإعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية دون التعرض لعقيدتهم، ويكون أغلب المتكلمين من القوميين في الأهواز، تجد أضعاف ذلك من القنوات التي تنشر عقيدة الرافضة وتحبذ الشرك، وعشرات الميليشيات التي تصرح ببناء الأضرحة وحمايتها، ويدهسون أطفال السنة بالدبابات لأنهم كما زعموا أحفاد قتلة الحسين!

وبهذا النفاق أطبق علينا الرافضة والليبراليون، ومِن وراء هؤلاء جميعا يقف الأمريكان والصهاينة.

وقد تضاعفت مصيبتنا في هذا الزمان، حين لم يعد أهل الدين هم من يأمر وينهى كما كان رسول الله ﷺ والمؤمنون معه، بل أصبح عبدالله بن أبي وحزبه هم المتسلطون، وأصبح هرقل يوجه مراكز الضرار، ويتحكم في العلاقات الدولية، ولم يعد عبدالله بن أبي في حاجة للخطبة يوم الجمعة مثنيا على النبي ﷺ، فاليوم لديه قنوات وصحف وإذاعات وجامعات.

ومن المؤلفات التي تبين حقيقة الغرب وواقع الدعوة هنا ما كتبه الأستاذ محمد أسد رحمه الله، فهو غربي وعاش هنا كثيرا وجالس الملوك وعرف حقيقة المجتمعات العالمية والمحلية، وسافر إلى باكستان وشارك في وضع دستورها وتوفي في المغرب، وكتبه مفيدة لاسيما لمن يقرؤها على ضوء العقيدة الصحيحة.

وهكذا انضم ركب النفاق إلى أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ومن العدل الذي أمرنا الله به، ولبيان الحكمة في إعراض النبي ﷺ عنهم، ورفقه بهم، أن بعض الناس قد ينتفع بتصديق المنافقين، فبعض الأوس والخزرج أسلم صادقا لما سمع ثناء عبدالله بن أبي على رسول الله ﷺ على المنبر يوم الجمعة، وكيف أن الله جمع به القلوب وألف به بين من كانوا

يتحاربون.

وقد يصدقهم النبي ﷺ، لأنه لا يعلم حالهم أو لم يطلعه الله على نفاق بعضهم بعد، فجادل مثلا عن ابن أبيرق، وظن أن اليهود هم الذين ارتكبوا الجريمة، وحذره ربه بقوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]، لكن لهم علامات وأوصاف كان النبي ﷺ والمؤمنون يعرفونهم بها، وقال السلف الصالح أجمعون إن كل عماله ﷺ ليس فيهم منافق.

والمنافقون أصناف يعرفهم المؤمنون في لحن القول وكثير من الناس لا يعرفهم ولا يعلمهم:

١- فمنهم الذين كفروا بعد إسلامهم.

٢- ومنهم الذين كفروا بعد إيمانهم.

٣- منهم من هو للكفر أقرب منه للإسلام.

٤- ومنهم لم يدخل الإسلام في قلبه أصلا.

٥- ومنهم من دأبه أذى الرسول ﷺ والهمز والسخرية بالمؤمنين.

٦- ومنهم من يدعي الخير والتوفيق والإصلاح وخدمة الإسلام ويبني مساجد للضرار.

٧- ومنهم الأعراب الذين هم أشد كفرا ونفاقا وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله.

٨- ومنهم من يحالف أهل الكتاب، ويبتغي عندهم العزة.

٩- ومنهم من إخوانه أهل الكتاب، ويقول إن أمنهم أمنه، وإن مصيره مرتبط بمصيرهم.

١٠- ومنهم من يعتذرون بما لا حقيقة له مثل إن بيوتهم عورة، وإن مخزونهم الغذائي قليل.

١١- ومنهم من عقيدته القومية والوطنية، فإن قاتل فعن أحساب

قومه، وإن نادى قال "يا أهل يثرب"، وهم يحبون نشر الإشاعات، ويحاربون الفضيلة ويحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا.

وللناس في سلوك النفاق طرائق شتى:

فمنهم من ينافق باسم حقوق الإنسان.

ومنهم من ينافق باسم العلمنة وحماية الأقليات.

ومنهم من ينافق باسم التقية.

ومنهم من ينافق باسم الالتزام والتدين الخادع.

ويجب على المسلم أن يتجنب النفاق بكل صوره، وأن يكون ذا وجه واحد، وكلمة واحدة، وقد سأل بعض الناس أحد الصحابة الكرام قائلا: إذا دخلنا على أمرائنا أثنينا فإذا خرجنا قلنا غير ذلك؟ فقال: كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله ﷺ.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

ويعلم المنافقون أن الناس قد ينخدعون بما يقال، ولكن الله تعالى لا يخدعه أحد، بل يجازي كل نفس بما عملت، وهو يعلم السر وأخفى، ولا يظلم ربك أحدا.

والمؤمن يقارن بين الأقوال والأفعال، بل يوازن بين الحسنات والسيئات، ولا يخدعه الكافر أو المنافق، فقد أخبر الله في كتابه أن أهل الضرار بنوا مسجدا، وأخبر رسوله الكريم في أحاديث صحيحة كثيرة أن الله لا يقبل ممن فعل كذا صرفا ولا عدلا، أي لا فرضا ولا نافلة وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم. فكيف بمن يخدعه الكفار والساسة اليوم، فيغرق في شبر من الماء، ويسكر من حبة زبيب!؟ وقد يظن لجهله أن الكفار لا يعملون شيئا حسنا قط.

ولا شك أن المؤمن يفعل ما هو عدل وصرف فيقبله الله منه، ولكن بالموازنة في الدين وبالميزان عند الله يظهر الصادق من الكاذب والراجح من

المرجوح.

ومهما اختلفت أصنافهم لابد أن يخرج الله أضغانهم ويفضحهم أعداؤهم ومن يعرف حقيقتهم، فانظر كيف أن من يزور إسرائيل يقول إنه ذهب لزيارة أسر الشهداء الفلسطينيين، أو الصلاة في المسجد الأقصى، لكن لا بد أن يخرج الله نفاقه وكذبه من اليهود أنفسهم، فالإعلام الإسرائيلي نفسه نشر صورة هؤلاء المنافقين مع المسؤولين الصهاينة والناس يعلمون أن هذه الزيارة مقدمة للتطبيع مع اليهود، حسب المبادرة العربية الانهزامية، والسياسة الرسمية هنا أعلنت أن فلانا لا يمثل إلا نفسه ولم تعاقبه بشيء، وقياسا عليه ينبغي لكل مسلم أن يزور إخواننا المجاهدين في الأرض المحتلة ويقول لا أمثل إلا نفسي!

قد يقول قائل: إن أمريكا تضغط علينا للتطبيع مع إسرائيل، وهذا مما لا شك عندنا فيه، ولكن ما الذي جرأ أمريكا علينا حتى تضغط لذلك؟ ألم نرض قبلها أن تصنفنا أمريكا مع جبهة الاعتدال، وسكتنا عن إسرائيل الكبرى فكيف لا نطبع مع الصغرى، ومن الذي قدم المبادرة العربية لقمة بيروت، ومن الذي وضع تلك المبادرة أصلا غير اليهودي الأمريكي "فريدمان"؟

بيئة الدعوة:

لا ريب أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حق، لأنها إنما تدعو إلى الكتاب والسنة، وفوق ذلك أراد الله لها أن تنشأ في تربة طيبة، فقبائل جزيرة العرب معروفة بقبول الحق والجهاد في سبيله، وتحويله من المشاعر إلى الواقع بسهولة، وهذه الميزة الفريدة يريد شياطين الجن والإنس القضاء عليها، بالزج بأهل بلاد الحرمين في متاهات الفلسفات العقيمة والنظريات الباطلة والاحتمالات العقلية، أي في تيه جديد كتيه بني إسرائيل وتعمية عن طريق الجهاد إلى طرق شتى، وهذا يبتدئ بإشاعة الفوضى الفكرية وإعادة النظر في

الموروث -زعموا- ومثله الآمرون بتحديد مراجع الفتوى في البلاد أو في البلدة الواحدة، حتى يكون الناس مثل الكاثوليك لا يقبلون الحق إلا من طريق البابوات والقساوسة الرسميين، ومن كان له قول آخر يقصونه ويحظرون كتبه ويضعونها في القائمة السوداء للبابوية.

ومن أبناء هذه البيئة الطيبة من يعادي الدعوة ويسلك طريق المنافقين، وربما كان أشد عليها منهم، ومنهم الليبراليون.

و"الليبرالية"، وهي أحد أعراض سكوتنا الذي يفسح لهم المجال.

والليبراليون لا يأتون بآية ولا حديث، بل يتجاهلون عمدا مصدر المعرفة الصافي وفاقد الشيء لا يعطيه، ومصدرهم هو (الفلسفة الوضعية)، ويسترون أهدافهم تحت عباءة "المحبة" أو "الوطنية" والتلبيس، فهم مثل أسيادهم الذين يرفعون شعار (الله محبة) وهم أكثر أهل الأرض إرهابا وفتكا واستعمارا، ويرفعون شعار السلام وهم يمارسون أبشع أنواع الوحشية والدمار. ولو كان الليبراليون صادقين في دعواهم لما كان بعضهم يرحب بالدبابات الغربية، ولما دعوا الأمريكان إلى غزو بلاد الحرمين زاعمين أن فيها ما هو أخطر من أسلحة الدمار الشامل.

وانظر لتعرف مدى وطنيتهم، هل يجرؤ أحد منهم على الدعوة للجهاد، وكيف أنهم يزعمون أن أهل الدين من أبناء وطنهم مراؤون، والمؤسسة الدينية والعلماء والدعاة وطلبة العلم كما يقولون، يفرضون أنفسهم على من يدعو لحرية الفكر، والتعليم الديني في نظرهم فاشل، وأمثال ذلك من العبارات التي تخرج منهم، فتكشف عن حقيقتهم، ونحن لا ندعي عصمة المتدينين من الخطأ، ولكن نقول لهم إذا كانت تلك الأمراض موجودة عند بعض الناس، فلماذا لا تقتصرون على أهلها؟ ولماذا تحملون أهل الدين كلهم تبعة أخطاء بعض المتمسكين به، وهل البقية لا وجود لها أم لا بد من اتهامها؟ أوليست مدارس تحفيظ القرآن هي المتفوقة حتى على مستوى الخليج.

والحرية عند الليبراليين تعني حرية المعتقد، والترفيه عندهم هو الفساد،

والحضارة هي الاختلاط، والسخافة والفسوق يسموها (الثقافة والفنون)، والتقدم هو التبرج، والعمل بالتقويم الغربي هو عمل بالتقويم العالمي، وهم الذين يرسمون حدود الوعظ والإرشاد إن كان لابد منها، وهم الذين يميزون بين الشيخ المتنور والشيخ الظلامي!! وهكذا، وصدق الله (ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض).

وهنا أقدم شكري لمن يرد على تلك الجهات المشبوهة بعلم وعدل.

الإسلاميون الجدد:

ومن أخطر أعداء الدعوة في زماننا من يسمون أنفسهم "الإسلاميون الجدد" أو المعاصرون، أو التنويريون، أو الإسلاميون المتوسطون، أو المقاصديون، وأمثالك ذلك، وتسمي أمريكا إسلامها الخاص (إسلاما معتدلا)، وتذكر الفرق التي تؤمن باعتدالها المزعوم وأصناف المعتدلين حسب مفهومها، أما عدوها فهو من تسميه الإسلام السياسي، وهو مصطلح مستهلك، نحته "هتلر" ووزير إعلامه "جوبلز"، واستخدمته الدعاية النازية، ثم رأى الأمريكيون اليوم استخدامه من جديد، والإسلام إنما هو ما جاء به محمد ﷺ، وهذه التسميات كلها وضعية مفتعلة، تقوم على الفصل في دينهم بين ما لقيصر وما لله، وقد سبق إليها المشركون، فجعلوا شيئا مما ذرأ الله من الحرث والأنعام لله وشيئا لشركائهم، وقالوا يا محمد اعبد آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة، وقالوا اطرد هؤلاء الأعبد عنا كي نجلس إليك، غير أن الحق لا يتبع أهواءهم ولا يجري وفق تقسيماتهم، وهؤلاء الذين تزدري أعينُ المشركين هم الذين سوف يرثون الأرض ويصبحون سادة الدنيا وأساتذتها، وهذا سلمان رفض أول الأمر عبادة النار، وباعوه عبدا ليهودي بخيبر، ثم أصبح واليا على المدائن التي كان بها البيت الأبيض للأكاسرة، وأصبح سلمان من أتباع خير الورى ﷺ وليس من أتباع "الموبذان".

ونحن نسأل القائلين بأن الرسول ﷺ كان مجرد حاكم ديني حسب

فهمهم للدين، و لم يكن إسلامويا كما يقولون، من كان الحاكم الدنيوي في زمانه أهو كسرى أم قيصر أم أبو جهل؟

وإنما لجأت أمريكا لهؤلاء مراعاة منها لخصائص المجتمعات، ولمعرفتها أن الدين هو أكبر ما يحرك الناس، وأن تشتيت الطريق هو أفضل وسيلة لحرب الإسلام، واستفادوا من تجربة اليهود الذين كانوا يؤمنون أول النهار ويكفرون آخره لكي يصدوا الناس عن الإسلام زمن النبي ﷺ.

لماذا أنشأوا إسلامهم وسلفيتهم!

أنشأ أعداء الله على مدار التاريخ حركات موالية لهم بأسماء سلفية، فلما أخفق الإنجليز في مقاومة الجهاد الإسلامي في الهند أنشأوا القاديانية، ولما غزا الأمريكان العراق نشروا فتوى السيستاني عن تحريم مقاومة الأمريكان، ولما قدمت جيوشهم إلى الخليج واحتلوا جزيرة العرب، وضعفت حجتهم في أن هذا مجرد استعانة أسسوا "الجامية"، ولما رأى الأمريكان النجاح المطرد للإسلام صنفوا أهل الدين إلى معتدل ومتطرف أو إسلامي وإسلاموي، (انظر إلى تقرير مؤسسة راند وما يقوله المسؤولون الأمريكان في مراكز بحوث أخرى).

والشيء المجمع عليه بين كل حركاتهم هو وجوب طاعة الحاكم ولو كان متغلبا بل غير مسلم، والسلاح لا بد من جمعه من أيدي الناس سلبا لحريتهم، والجهاد محظور، أو يضعون له شروطا تعجيزية ويقولون إن كل من جاهد إرهابي مع أن الأمم المتحدة لم تضع حتى الآن تعريفا "للإرهاب"!! ولا بد أن يكون الموالون للعدو من بني جلدتنا ويتكلمون بلغتنا الذين قال الله عنهم (هم العدو فاحذرهم)، فالطابور الخامس والخونة أو المغفّلون لا بد أن يكونوا منا وإن تعددت وسائلهم وواجباتهم، إذ لا يقطع الشجرة إلا أحد أغصانها كما قال لويس التاسع، وأوصى "زويمر" وقرر مؤتمر "كلورادو" وتوعّد حبيب العادلي، واستخدام الأذرعة العقدية هو ما عمله أعداء الله في

كل بلد، وعرفت سرَّه إيران، فالمؤيدون لقاسم سليماني وميليشياته حين احتلت العراق هم شيعة العراق، والمؤيدون لبشار في سورية هم الشيعة السوريون، وحزب اللات في نيجيريا هم شيعة نيجيريون، والمؤيدون لها في اليمن هم الشيعة اليمنيون، وقل مثل ذلك في البحرين والقطيف والعراق والكويت ولبنان، فالحرب عقدية سافرة ويستعين أهل الكتاب والرافضة لنجاحها بالمغفّلين السذج من أهل السنة.

والمنافقون هم الذين خططوا لاغتيال النبي ﷺ وهو قافل من غزوة تبوك، واستهزأوا بقراء الصحابة قائلين (إنما كنا نخوض ونلعب)! لكنهم يندسون بين المسلمين وكانوا ضمن الجيش، وهم في كل عصر ويضيعون الطاقات ويبعثرون المسيرة.

والإسلام الذي تريده أمريكا وتسميه بالإسلام المعتدل هو ما دعت إليه الصوفية قبل قرون وليس فيه جهاد باليد، فجلال الدين الرومي تلميذ التبريزي لما دخل هولاكوا بغداد لم يجاهد وقد كان متأثرا كثيرا بابن عربي بل إنه قاد خيول التتار، وضريحه حتى اليوم مشهور يزوره الجهال والخرافيون في مدينة قونية في تركيا، على أن سلاطين آل عثمان لم يسيروا على سيرته.

أما ترك الغزالي لقتال الصليبيين لما احتلوا بلاد الشام والقدس فلا يحتاج لبيان، بل لا تجد في "إحياء علوم الدين" فصلا عن الجهاد أصلا، أي أن الشرك ليس عملياً فقط فقد يكون علميا أيضا.

وهكذا أخذ ابن تيمية على الصوفية أنهم يجاهدون النفس كما يقولون، ولا يجاهدون الكفار.

بل إن بعضهم زعم أن النبي ﷺ لما رجع من تبوك قال: (رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)، ونقول لهم افرضوا أن الحديث صحيح، أليس بين القول بأن قتال الكفار جهاد أصغر وبين أن يترك الجهاد كلية، حتى في المؤلفات العلمية كإحياء علوم الدين فرقٌ؟ أو لم يبحث الغزالي في كثير من الصغائر؟

وهبوا أن هذا جهاد أصغر فلم لا يفعله بعضكم وليسمه الأصغر في نفسه.

مع أن الثابت الذي لا شك فيه أن قتال الكفار يكفِّر الذنوب ويشتمل على أنواع من الجهاد بالنفس، وغير ذلك، ولا أفضل منه إلا ما كان أعلى منه من مراتب الجهاد، كما قال ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر) فهو إذن أكبر.

ولا يسمِّى الجهاد إرهابا غير اليهود وأمريكا وبشار والسيسي ومنافقو الخليج وعموم الرافضة، ومما يؤكد كذب أمريكا في أقوالها إن بشار الأسد يجب أن يرحل ويثبت أن عدوها هو الإسلام أنها تقف مع أي محاولة لإسقاط أردوغان من الحكم، كما صرح أحد أعضاء الكونجرس قبل الانقلاب الفاشل في تركيا، وكذا وقوفها مع السيسي وكذا التأييد الأمريكي المطلق لحكومة العبادي الشيعية، ووقوفها ومحاربتها مع من تضعه في قائمة الإرهاب، وتعبر عن قلقها لانتهاكاته حقوق الإنسان من مثل حزب اللات وقاسم سليماني والمهندس وهادي العامري والحشد الشيعي عامة.

وعلى العاقل أن يقرن الأقوال بالأفعال ثم يختار أيهما أصدق؟

وأن ينظر أين تقف أمريكا من تقارير منظمات حقوق الانسان، مثل منظمة العفو الدولية ومنظمة حقوق الإنسان، وهل أمريكا فعلا على ما تسميه علنا حقوق الإنسان؟ أم أنها تريد صرفنا عن الجهاد بأي سبيل؟

ومن أكبر مصائب هذا العصر نسيان الجهاد وإشغال الأمة عنه والمتاجرة بشعارات دينية ليس لها حقيقة، قال وزير الدفاع السعودي سابقا مخاطبا المنتخب الوطني "أنتم حققتم ما عجزنا عن تحقيقه بالجيوش"، فما على المسلم إلا أن يختار بين النصر في الملعب أو النصر في ميدان الجهاد، وقد أعلن نتنياهو موافقة الدول الإفريقية على انضمام إسرائيل إلى الاتحاد الأفريقي عدا الجزائر والسودان.

حتى المسمى أمير المؤمنين محمد السادس، الذي جعلوه رئيسا للجنة

القدس موافق، فماذا ينتظر القاعدون عن جهاد اليهود؟ وإلى متى الثقة في الحكومات؟

وحتى متى لا نفرق بين من يجاهد ومن يتاجر بالجهاد؟

ومن العجائب -والعجائب جمة- أنه لما تراجع اليهود عن إقامة بوابات للمسجد الأقصى وفتحوه للصلاة، ادعى جملة من الحكام العرب أنهم وراء ذلك، ولم ندر من نصدق؟ مع إن الفضل في ذلك لله ثم لأهالي القدس نصرهم الله.

وشبهات أعداء السلفية كثيرة، ونحن سنرد على أكبرها تاركين لمن هم أولى التعمق والاستقصاء، وتاركين لمن لا يستطيع القياس.

ومن أكبر الشبهات التي يثيرها أعداء الدعوة السلفية أنها تجعل رسول الله ﷺ مثل ساعي البريد فقط، ولا نقدره حق قدره ﷺ ولا ندعو الله بجاهه مع أن جاهه عند الله عظيم.

والجواب: أن الدعوة السلفية فوق كونها الموافقة للشرع القويم هي الوحيدة الموافقة للعقل السليم، وعندها أن حق الله تعالى أعظم من كل حق، وإنما دعا الناس غير الله واتخذوا غيره شفيعا لأنهم لم يقدروه حق قدره ولم يعرفوا صفاته، وهو تعالى يذكر أنه قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه، فلم لا ندعوه أن يعطينا من فضله؟ بدل أن ندعو غيره، أو ندعوه لكي يعطي فلانا حتى يعطينا كما قال بعض العامة (اللهم ارزق الراجحي حتى يديني!) ولا يلزم من دعاء الله مباشرة أن جاه الرسول ﷺ عنده غير عظيم كما لا يلزم من نفى ألوهية المسيح عليه السلام أن يكون كذابًا كما يعتقد النصارى، بل نهى الشرع عن الغلو في المخلوقين أيا كانوا، فنحن نحب لكن بلا غلو في البشر كما غلت النصارى في عيسى، والجعفرية في جعفر، والقادرية في عبدالقادر الجيلاني، وأمثال ذلك، وأهل السنة إذا كرهوا يكرهون بلا غلو ولا ظلم، ومن الغلو قول البويصيري:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم   واحكم بما شئت فيه بعد واحتكم

وقد ألقيت مرة موعظة في مستشفى النور بمكة ففوجئت بأحد الحاضرين يقول لي: أنت لهجتك وشكلك ما هو شرقي فكيف لم تقل سيدنا محمد؟ فقلت له القضية لا علاقة لها بكون الإنسان شرقيا أو غربيا وهو ﷺ سيدنا بكل فخر، ولكن القضية قضية ثبوت، وأنا لم أجد لفظة سيدنا في أي حديث، مع أن السيادة ليست أعظم صفاته ﷺ وإنما أعظمها العبودية، وإلا فإن زعيم كل قوم سيدهم، ففرعون لا شك فيه وهو سيد الفراعنة، وهتلر هو سيد ألمانيا .. وهكذا.

نعم هو ليس بإله ﷺ، ولكنه نهى عن أيضًا إطرائه، وماذا ترك البويصيري لله حين قال في رسوله ﷺ:

فإن من جودك الدنيا وضرتها   ومن علومك علم اللوح والقلم

وقوله:

وهل يضيق رسول الله جاهك بي   وإذا الكريم تجلى باسم منتقم

وإنما نتعبد الله بما شرع لا بما تشتهي أنفسنا، وقد سألت كثيرا من إخواننا المصريين في مدن مختلفة دون أن يعرفوا السائل، من الذي يدعو البدوي، فقالوا الجهال، فهل نطيع الله ورسوله أم نطيع الجهال.

ولو أن دعاء الموتى مشروع والاستغاثة بهم جائزة وسؤال الله بجاه نبيه وارد، لفعلنا ذلك ولا نبالي!

ومن أعظم شبهات أعداء الدعوة في عصرنا ظنهم أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يكفّر آحاد المسلمين، وهي شبهة داحضة، وإنما كان الشيخ يكفّر بالمقال أو بالفعل، أي من قال كذا أو من فعل كذا فقد كفر، وهذا حق ولا يلزم منه إخراج المعيَّن من الملة.

ومن الشبهات أيضا أن الشيخ قاتل المسلمين، وهذه كسابقتها، فإن الله في كتابه نص على قتال الطائفة الباغية من المؤمنين، ولا يلزم من القتال التكفير.

ومن الشبهات: قولهم أن الشيخ نص على أن أهل إقليم كذا لا يعرفون معنى لا إله إلا الله، وهذا غايته أن يكون بعض الناس يقولها دون فهم معناها، وهذا حق مشاهد والإيمان حسب عقيدة أهل السنة والجماعة متفاوت، فليس إيمان الصديق مثلا كإيمان من لم يهاجر من الأعراب، والشيخ محمد قال إنه هو نفسه وشيوخه لم يكونوا يعرفون معناها، فهل هو يكفر نفسه.

ولو كان الشيخ يكفر لكان أولى الناس بالكفر المشعوذ المفتري شمسان.

أما أن الشيخ وأتباعه هدموا القباب والأضرحة التي على القبور، فلا يشك طالب علم أن ذلك من البدع التي لم تكن في زمن النبي ﷺ.

وبعض الناس إنما أخذ حكمه على الدعوة من خلال السيرة العملية لها أو من خلال أقوال بعض أتباعها، وبعضهم جمّع الشبهات من "الدرر السنية" أو غيرها والعتب إنما هو على المستطيع الذي يصدق ما قرره المؤتمرون في جروزني ورضي بمشابهة المستشرقين، حين حكموا على الإسلام بواقع ما رأوا من حال المسلمين!

هل خرج الشيخ محمد على الدولة العثمانية؟

الشيخ محمد لم أجد له كلاما لا سلبا ولا إيجابا عن الخروج على الدولة العثمانية وإنما قال: (نرى السمع والطاعة للبر والفاجر من أئمة المسلمين ما لم يأمروا بمعصية) وتلك هي القاعدة العامة لعقيدة السلف، على أن حكم العثمانيين لنجد كان ضعيفا ولم يهتموا بها إذ كان أكبر همهم الحرمان الشريفان والشواطئ البحرية.

وقد نص سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في محاضرته في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب وغيرها على أن الشيخ لم يخرج على الدولة العثمانية.

وقوله هذا هو المعتمد، وهو مبني على معلومات مكتوبة وشفهية، ومن قال إن الشيخ محمدا خارجي لأنه خرج على الدولة العثمانية فقد اتبع كلام بعض الفقهاء في أن الخارجي هو من خرج على الحكام.

وهذا خطأٌ بين خطأه شيخ الإسلام ابن تيمية في فتواه المشهورة عن التتار.

وإنما بين الشيخ محمد أنواع المخالفين للتوحيد وكلامه ينطبق على من كان كذلك من الأتراك أو غيرهم.

ومعلوم أن الشيخ يكفر دولة العبيديين فلو كان يرى تكفير العثمانيين لقاله، وإنما تعصب القوميون العرب ضد الأتراك حتى أن عضو جمعية العربية الفتاة (الزركلي) في الأعلام لم يترجم لأحد من سلاطين آل عثمان.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بيان المخالفين في التوحيد: "والمخالفون في ذلك أنواع، فأشدهم مخالفة: من خالف في الجميع.

ومن الناس من عبد الله وحده ولم ينكر الشرك ولم يعاد أهله، ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم، ومنهم من لم يحب التوحيد ولم يبغضه، ومنهم من كفرهم وزعم أنه مسبة للصالحين، ومنهم من لم يبغض الشرك ولم يحبه ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره، ومنهم من لم يعرف التوحيد ولم ينكره.

ومنهم -وهو أشد الأنواع خطرا- من عمل بالتوحيد لكن لم يعرف قدره ولم يبغض من تركه ولم يكفِّرهم، ومنهم من ترك الشرك وكرهه ولم يعرف قدره ولم يعاد أهله ولم يكفرهم، وهؤلاء قد خالفوا ما جاءت به الأنبياء من دين الله سبحانه وتعالى، والله أعلم". اهـ كلامه.

وقد قال الله تعالى عمن لا يعادون الكفار ولا يكفرونهم وإن كانوا في أنفسهم موحدين ﴿ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة:٨١].

والمتواتر عن الخلفاء العثمانيين أنهم كانوا كلهم يكرهون الكفار إلى حد أنهم يجاهدونهم ميدانيا، وإنما وقعت موالاة الكفار فيمن بعدهم، والسلاطين يختلف بعضهم عن بعض وفي أيامهم لم يتجرأ أحد على ثوابت الدين قط

ومن أسوأ أنواع الكفر في هذا العصر جحد الخالق سبحانه وإنكار وجوده وزعم أن هذا الكون العجيب مخلوق بلا خالق، وهذا الإلحاد بناه الملحد البريطاني المشهور "داوكيتز" على نظرية نيوتن التي انتقدها اينشتاين وغيره، وكتب داوكيتز كتابه (صانع الساعة الأعمى) ردا على الذين كانوا يؤمنون بما يسمونه (صانع الساعة) الذي صنعها ثم تركها تدور بنفسها وفق قوانين ثابتة فسبحان الله عما يصفون إلا عباد الله المخلصين.

ومما يؤسف له اليوم أن يصادق بعض من يدعون التوحيد أولئك المنكرين ومن لا يصرح بالإنكار ولكن يقول إن المسألة لا تهمه.

ولو كان الليبراليون يعرفون قيمة لا إله إلا الله وأنوارها وظلمات الكفر والإلحاد لما كانوا يقولون إن أمريكا هي الحليف والصديق وفي الوقت نفسه يعادون تركيا، ولما كانوا يؤيدون أو يسكتون إذا بنت أمريكا قاعدة عسكرية في أي مكان من العالم الإسلامي بينما يرتفع زعيقهم وصراخهم إذا كانت القاعدة تركية.

وعموما لا أحد ينكر ما كان لدى الأتراك من البدع والضلالات والأخطاء ولكن الشيخ لم يكفرهم وفرق بين التكفير والابتداع، ولا شك أن فيهم من بلغت بدعته حد الكفر ولكن من هو؟

أما الاختلاف بين الأتراك والأمريكان فلا يجهله مسلم، والعجيب أن الأمريكان أنفسهم يحترمون من يتمسك بعقيدته بينما لا يثقون فيمن يخون دينه، ويعلمون أن من خان دينه هو لهم أخون.

خامسا

الفكر الديني

أصل الدين:

تختلف النظرة إلى الدين عند المسلمين عنها عند الغربيين، وليس الخلاف فقط بين الدينين (التوحيد والشرك).

وقد جازف كثير من الغربيين بالبحث عن أصل الدين عند الإنسان، وتحدث عن ذلك (فريزر) و(تايلور) و(مورجان) وغيرهم، وقد أثبتت الدراسات الحديثة في الانتربولوجيا الثقافية (مقارنة الأديان) الاشتراك والتشابه في المعتقدات لا سيما بين النصرانية والهندوسية.

وقد أرجع بعضهم ذلك إلى العرق الآري وكون الأوروبيين فرعا منه وأن أصله هندي، والمسلمون يرون الأمر أقدم مما يظن الباحثون، ونظرتهم للدين أعمق، تبدأ من آدم عليه السلام الذي كان هو وأجيال بعده على التوحيد، ولكن الشيطان وسوس واحتال على القرون التالية بالشرك، فالشيطان واحد مهما اختلفت صور الشرك وتنوعت، وعلى ذلك يمكن معرفة السر في الروابط المشتركة بين من يعبدون غير الله في العالم كله. ومن الأمثله على ذلك أن "فارونا" عند الهنود هو "أورانوس" عند اليونانيين وهو "أهورا مازدا" عند الفرس، كما أن "ميثرا" عند الميثرائية، هو إله النور عند المانوية، أما التشابه بين الميثرائية والنصرانية فلا ينكره أحد من الغربيين، إذ هو معلوم في طقوس كلا الديانتين كالتضحية والأسرار والتعميد والعشاء الرباني، وهو ما قرره "ويلز" و"رينان" و"شالي"، والأصل في البشرية هو التوحيد، والشرك طارئ كما في مبحث التاريخ.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أصل الشرك نوعان: ١- الشرك الذي وقع من قوم نوح أي عبادة الأصنام، ٢- والشرك الذي وقع فيه الصابئة وهو عبادة الكواكب.

ولا منافاة بين ذينك النوعين، فالذين عبدوا الكواكب بنوا لها الهياكل الأرضية وجعلوا فيها الأصنام، وقد جمع قوم إبراهيم عليه السلام بين كلا

النوعين، فناظرهم عليه السلام في الكواكب وحطم أصنامهم وقال لأبيه: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً﴾ [الأنعام:٧٤]، ودعا الله أن يجنبه وبنيه عبادة الأصنام.

وأكبر الكواكب المعبودة هو الشمس، وقد كان قوم سبأ يعبدونها ويسجدون لها من دون الله، وهي أكبر كما قال خليل الله ﴿هَٰذَآ أَكۡبَرُ﴾ [الأنعام:٧٨]، وكان المشركون في حضرموت يسمونها الرب "سين"، والغربيون يسمونها "سن"، ولما هاجر المشركون من اليمن إلى ما بين النهرين عبدوها، واستند "حمورابي" في شريعته المشهورة إلى أنها موحاة من الرب "شمش" كما قال، والله تعالى أعلم.

كما أن مشركي مصر كانوا يعبدون الشِّعرى.

وإلى توحيد عبادة الأرباب الكثيرة في رب واحد هو الشمس دعا "أخناتون" الناس، ولهذا يسميه الجهال داعية التوحيد، أو (أول الموحدين)!!

وقد كان الروم على تلك العقيدة الوثنية الشركية إلا أنهم سموا الشمس "سورية"!

ثم إن الشيطان الرجيم زيادة منه في الإضلال، أمر جنوده أن يخاطبوا عباد الأصنام من الأصنام نفسها، فكان المشركون العرب يخاطَبون من معبودهم "العزَّى" التي عبدها غيرهم باسم "عشتروت"، واستغل إبليس فطرة التدين لدى البشر ليبتدع لهم هذه الأرباب، إذ الأمر كما قال المؤرخ اليوناني "بلوتارك" أو "بلوتارخ" كما يكتبه العرب أنه "يوجد مدن بلا أسواق، ومدن بلا قصور، ومدن بلا فن ومدن بلا مسارح، ولكن لا يوجد مدن بلا معابد".

هذه النزعة الفطرية للتدين هي الإسلام والتوحيد الذي اتفق عليه كل الرسل، ولما فقدها الغرب بفعل النظريات أو الفلسفات التي أوحى بها شياطين الإنس، وقع فيما نسميه "الخواء الروحي"، والافتقار إلى الله مركوز في الطبيعة البشرية، وبه يتهذب الإنسان مهما كانت درجته متدنية في السلم الحضاري، وقد قال لي شاعر أمريكي أسلم في اليمن إن سبب إسلامه أنه

رأى اليمنيين لا ينضبطون في شيء إلا الصلاة، فعلم أن السر في هذا الدين العظيم.

وللإسلام فضله وميزاته الكبيرة، فهو دين الفطرة ودين التوحيد، وآثاره على التاريخ البشري مشهودة لا ينكرها مؤرخ، ومنها خلوه من الخرافة والوثنيات، بينما تجد الغرب يؤمن بكثير من الخرافات والأساطير والأوهام.

وأعظم خرافات الغربيين قول من يؤمن منهم -دع من يلحد-: إن الله ثلاثة، وإن له ولداً، تعالى الله عما يشركون، وهذا ما عليه كثير من الأمريكيين، وهذه النصرانية تقول إن الثلاثة واحد! ولهذا يقول "جرين برنتن" ساخرًا "إن تثليثها يسمو على الرياضيات".

مع أن الباحثين الغربيين أنفسهم يقرون أن التثليث عقيدة وثنية قديمة، عرفها السبئيون والهنود والمصريون القدامى والمجوس، وكثير من المنحرفين عن التوحيد، ولا ذكر له في التوراة والأناجيل قط، ومن التثليث عند المصريين القدامى أنهم يؤمنون بــ"حوريس" و"سيرابيس" و"إيزيس"، وكانت الدولة الرومانية مثلّثة أيضا، والتثليث لديهم (جوبيتر، مارس، كورينوس)، وظلوا كذلك حتى عهد "قسطنطين بن هيلانة" الذي يقال إنه لم يُعمَّد إلا وهو على فراش الموت، وعقد "مجمَع نيقية" في القرن الرابع الميلادي سنة ٣٢٥م، وحوّل الدين الرومي إلى دين التثليث رسميا.

وقام عندهم ما يسمى الإصلاح الديني لما أغرقوا في الخرافات والضلال والطغيان، ومن ذلك مهزلة صكوك الغفران، وهو إصلاح ناقص لم يمس التثليث.

وتأثير الإسلام في الإصلاح الديني كما يسميه الغربيون لا ينكره مؤرخ، وهو امتداد لحركة "تحطيم الصور والتماثيل" التي قام بها البيزنطيون تأثراً بالإسلام.

والتوحيد قديم كان عليه "أريوس" ومن معه، وذكره المهتدي الحسن بن أيوب الذي ذكر كتابه ابن النديم في "الفهرست"، ونقله شيخ الإسلام ابن

تيمية في "الجواب الصحيح"، وكانت أوروبا على عقيدة "آريوس" غالباً، أي القول بأن المسيح مخلوق وأن الله واحد، وهذا ما يقرره الموحدون من النصارى اليوم، ثم تشتت البروتستانت وذهبوا كل مذهب،

وكثير من الموحدين النصارى يظنون أن اليعقوبية موحدون، وليس الأمر كذلك، بل هم يعتقدون أن الله تعالى هو المسيح وأن المسيح هو الله، فهذا توحيدهم.

وعلى المذهب اليعقوبي اليوم كنيسة الأقباط في مصر وكنيسة الحبشة، وقد غزاهم الأنجيليون والبروتستانت.

وبعض المؤرخين الغربيين النصارى يقول إن التوحيد هو دين أوروبا، وإنما أكرههم على التثليث البابوات الكاثوليك، ويستدلون بما في الأناجيل السلتية والآرامية من كون المسيح مخلوقا، والعجيب أن الكاثوليك اتهموا الإسلام بذلك فقالوا إنما انتشر بالسيف، مع تصريح الكتاب الحكيم بأنه ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ﴾ [البقرة:٢٦٥]، بل يعتقد كل المسلمين أن من دخل في الإسلام وهو كاره له غير راض به لا يقبل منه، بخلاف النصارى الذين يشبهون المخلوق بالخالق، ويقولون إن المسيح عليه السلام هو الذي خلق السموات والأرض، وهكذا كان علْمهم، وقال "هربرت سبنسر" (إن التصورات البشرية هي التي نزلت بالرب إلى مستوى البشر).

ويقول المؤرخون الغربيون اليوم إن دخول الأسبان أتباع "لذريق" في الإسلام سريعاً مردُّه إلى أنهم موحدون، وربما كان ذلك صحيحاً.

وقد قامت للموحدين دولة في ق ١٦م كان ملكها "سيجموند" وحكمت وسط أوروبا.

ويقرر "توماس أرنولد" أن الناس لم يسلموا بالقوة، وأكبر الدول الإسلامية اليوم لم تفتح بالجهاد بل بالتجارة.

وبذلك يظهر كذب الكنيسة في دعواها أن الإسلام انتشر بالسيف، وكان ذلك الافتراء تبريرا لسرعة الفتوحات الإسلامية، وإقبال الناس على الدخول في دين الله.

فالإسلام دين الفطرة، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [الروم:٣٠]، ولا غرابة أن يؤمن به الناس، وإنما الغرابة في التثليث الذي ينكره العقل وتأباه الرياضيات.

وقد لقيت أحد الغربيين فكان مما قلت له: أبناؤك مسلمون فقال: لا، أبنائي نصارى. فقلت له: هل كانوا يؤمنون بالتثليث قبل أن تلقنهم إياه؟ قال: لا، لم يكونوا يعرفونه. فقلت: صدق رسول الله ﷺ: (ما من مولود إلا يُولد على هذه الملة، حتى يُبين عنه لسانُه، فأبَوَاه يهوِّدانه، أو ينصرانه، أو يُشَرِّكانه) الحديث.

والفطرة والميثاق والعقل تكفي في معرفة الله، ومع ذلك فقد اقتضت رحمة الله تعالى بخلقه أن يرسل إليهم الرسل ويجعل إرسالهم هو الحجة التي يترتب عليها العقاب والثواب، وهؤلاء الرسل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية "بعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها لا بتحويل الفطرة وتغييرها".

والتوحيد هو الأصل في البشر أجمعين، وقد شهد عصر الهروب من الكنيسة عودة إلى التوحيد وظهرت بانتشار الكنائس البروتستانتية في أمريكا وبريطانيا وفرنسا، وكان فلاسفة عصر التنوير -كما يسمونه- يرون وجوب الحرية الدينية كما كتب جون لوك وينكرون أن يكونوا على عقيدة بابوات الكاثوليك، ووصل الأمر بالمؤسسين الأمريكيين إلى الاعتماد على القرآن الكريم وسيرة الخلفاء الراشدين دون ذكر لهما، ليس لإيمانهم بأن الإسلام هو الدين الحق، ولكن لأن الأخلاق الإسلامية والأساليب الإسلامية في الحكم والمعاملة هي الأفضل والأرقى، وقد كتب توماس جفرسن (ماذا لو كنا مسلمين؟).

ووجد بعض رؤساء أمريكا أن التوحيد هو الذي يتفق مع الفطرة السليمة، فأعلنوا أنهم موحدون، وربما كان بعضهم يكتم إسلامه، وكان ستة رؤساء موحدون ومنهم:

١- الرئيس الثاني للولايات المتحدة "جون آدمز".

٢- الرئيس الثالث للولايات المتحدة "توماس جفرسن"، وهو الذي عدَّل كتابهم المقدس، وحذف منه ما ينافي العقل، وكان لديه نسخة من المصحف الشريف محفوظ حتى اليوم، وعليها أقسم أول عضو مسلم في الكونجرس الأمريكي -في هذا العصر- بعد رفضه أن يقسم على الإنجيل، ولهذا الرئيس آثار عظيمة يعرفها الأمريكيون حتى اليوم، ويقال أنه كان يكتم إسلامه، وكذلك يقال عن الرئيس "أبراهام لينكولن" والله أعلم!!.

٣- الرئيس السادس للولايات المتحدة "جون كوينسي آدمز"، وهو ابن الرئيس الثاني "جون آدمز" المتقدم ذكره.

٤- الرئيس الثالث عشر "ميلارد فيلمون"، وكان أيضاً على العقيدة نفسها.

٥- الرئيس السابع والعشرون "وليم تافت" الذي حكم أمريكا مطلع القرن الميلادي الماضي، أي من ١٩٠٩-١٩١٣م، وفي سنة ١٩١٧م ترأّس "تافت" الكنيسة الموحدية.

٦- الرئيس الحادي والثلاثون "هربرت كلارك هوفر" الذي تولى الرئاسة سنة ١٩٢٩م حتى ١٩٣٣م أيام ما سماه الأمريكيون "الكساد الكبير"، وهو من الموحدين من طائفة "الكويكرز" التي تنبذ العنف مطلقاً، ولا تشارك في القتال.

ومن طائفة الموحدين أيضا وزير الخارجية الأمريكي الأسبق "دالاس".

والموحدون اليوم أكثر انتشارا، لا سيما وأن أكثر الأمريكيين لا يعتقدون ألوهية المسيح، وهم إلى الاتجاه الليبرالي أقرب منه إلى الاتجاه الأصولي.

ويقع المركز الرئيس للكنيسة الموحِّدة في ولاية "أوهايو"، وفي كندا قامت الكنيسة الموحدية وهي اليوم كما تقول أقوى الكنائس البروتستانتية هناك، كما انتشر هذا المذهب في أوروبا وأستراليا، ونبغ منه كثير من مفكري الغرب وفلاسفته منهم "برتراند رسل".

والتوحيد فطرة ولكن لا يوجد دين موحد حقا إلا الإسلام، والمسلمون هم الأمة الوحيدة في الأرض التي تقول كل صباح "أصبحنا على فطرة الإسلام ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين"، ولا يجمع بين العقل والعاطفة والظاهر والباطن، ويوحّد النفس الإنسانية إلا هذا الدين وحده، وقد كان مستشارو "غاندي" مسلمين، وقاتله هو هندوسي! كما قرأت ثناء "منديلا" في كتابه "الطريق الطويل للحرية" على المسلمين، ثم تُرجم فيما بعد إلى العربية و لم أطلع عليه فيها، وكان لا يخفي إعجابه بالمسلمين وأخلاقهم وعاداقم وآدابهم، فالعبادة كما ذكر الرئيس "علي عزت بيغوفيتش" رحمه الله في الإسلام لها أيضاً فوائد دنيوية جانبية، وقد تأملت كلامه فوجدته صحيحاً، فالوضوء وكذلك الغسل من جهةٍ نظافة ومن جهةٍ فرض ديني لا بد منه، والصلاة من جهةٍ راحة ورياضة ومن جهةٍ ركن عظيم من أركان الإسلام، والزكاة من جهةٍ ضريبة ومن جهةٍ نماء للمال وحق للفقراء، والصيام من جهةٍ صحة ومن جهةٍ واجب إسلامي، والحجاب من جهةٍ ستر ومن جهةٍ فريضة شرعية، فليس مجرد شعار كما يزعم الفرنسيون الذين يحاربون المسلمة إذا غطت شعرها، ويتركون اليهودية ولو تحجبت بالكامل، والحج من جهةٍ تجارة وسياحة ومن جهةٍ عبادة، وقل مثل ذلك في بقية شعائر الإسلام.

والصلاة -مثلا- تجلب الراحة النفسية للمصلي، وكان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة ويقول: (أرحنا بها يا بلال)، وقد كشفت الدراسات الطبية الحديثة أن الجسم يفرز مادة خاصة يسمونها الأورفين عند الصلاة، وخاصة السجود ويسمونه "هرمون السعادة"!

ومن آثار الإسلام العظيم انتشار الحركة التطهيرية "بيوريتان"، ومن أشهر المتطهرين الروائي "شارل ديكتز"، والسياسي "ديكسون"، وكذلك الميثودية والتقوية وغيرها.

والمسلم دائما كيّس فطن يراعي المصالح والمفاسد والمواقف، ولا يذكر الدين إلا عندما يكون ذكره مفيدا، فنحن نعلم أن الذي منع يوسفَ عليه السلام من الفاحشة هو تقوى الله تعالى ولكنه لم يقل ذلك لامرأة العزيز، بل قال لها: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَ﴾ [يوسف:٢٣]، فجعل السبب هو زوجها، لأنها تعلم يقينا أنه لا يرضى بذلك، أما الله تعالى فهو ربها كما هو ربه، ونبه إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولهذا قالت لزوجها لما اكتشفها: ﴿مَا جَزَآءُ مَنۡ أَرَادَ بِأَهۡلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسۡجَنَ أَوۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يوسف:٢٥]، لكن زوجها تساهل في ذلك.

وقد ضرب يوسف عليه السلام المثل في الصبر، الذي ليس أكمل منه إلا صبر النبي ﷺ، فاختار عليه السلام السجن على فعل الفاحشة، وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ﴾ [يوسف:٣٣]، وهكذا ينبغي لكل مسلم.

وتقوى الله والإيمان به هي أساس كل خير في الدنيا والآخرة، ولذلك فنحن لا نقيس نجاح ما يسمى "الربيع العربي" بتحقيق الديمقراطية -كما يزعمون-، بل بمقدار عودة الشعوب إلى الله وتوبتها إليه، ولاشك عندنا أن هذه الثورات نجحت شعبياً وهذا هو المهم، فنحن مهما يئسنا من الحكومات نثق دائماً في الله ثم في الشعوب، وبلغ تأثير ذلك النجاح الشعوب غير الإسلامية، فمظاهرات (احتلوا وول ستريت) مثلاً في أمريكا، رفعت نفس الشعارات التي رفعها المصريون في ميدان التحرير بالقاهرة مثل: "الشعب يريد كذا".

ومن قارن بين ما كان "زين العابدين بن علي" يفعله في تونس، وما يفعله التوانسة اليوم، يرى الفرق واضحاً، لاسيما في المساجد والحجاب وحرية الدعوة، فقد كان "بن علي" يحارب الدين ويمنع دخول المساجد (إلا

بالبصمة)، ومن ثبت عنده أنه يصلي الفجر عاقبه، وحتى السائحة السعودية يمنعها من تغطية شعرها، وينزع جنوده الحجاب عنها بالقوة. وكان شعاره قول فرعون: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الأعراف:١٢٣]، وهذا الشعار عفا عليه الزمن وحل مكانه الآن: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه:٧٢]. ومهما يكن من أمر فقد فشلت الثورة المضادة كما تسمى في مصر وتونس وغيرهما، ولله الحمد.

وبهذه الفطرية وهذا الدين السهل العظيم، وما يحدثه للإنسان من نقلة حضارية سريعة، أُعجب الكفار فلم يدخل الإسلام بلداً، أو سمع عنه عاقل إلا تأثر به وأعجبه، عكس ما كان عليه من الضلال.

والغربيون في قرونهم الوسطى كانوا معجبين بالمسلمين مغرمين بحضارتهم، وقد بلغ إعجاب الغربيين بالمسلمين وافتتانهم بهم أنهم كانوا يؤلفون الكتب وينسبونها للمسلمين لكي تروج، وأنهم كانوا يقلدون المسلمين في لغتهم وأزيائهم وتصميماتهم، وفي كل علومهم، بينما تحذرهم الكنيسة البابوية من ذلك بل تحرمهم، وتبيح معصية الملوك منهم كما فعلوا بالإمبراطور "فريدريك الثاني"، وقد نبه الأسقف "ألفارو" إلى هذا الخطر الداهم المتمثل عنده في أن المثقفين يتعلمون العربية ويتباهون بها.

ولشدة افتتان الغرب بأهل الأندلس مع جهل الغربيين بالطب كانوا يتداوون بأبوال المسلمين التي يشترونها من الأندلسيين.

أما الآن فانعكس الحال وأصبح المسلمون هم الذين يتأثرون بالغرب، وأنا أرى أن العلمانية في العالم الإسلامي متفاوتة بين بلاد هي فيها صريحة، وبلاد لا تزال في الطريق لذلك، وعندي أن لانحسار الدين وكثرة المنكرات في السعودية مثلا أسبابا عدة، تجعلها تجنح في النهاية نحو العلمانية لكن بتدرج لا سيما في بعض الأمور، وهذه الأسباب تجعل التلبيس على الناس ممكنا وتجعل الصراع مع الإسلام صعبا، ومنها:

أ- الشعارات الإسلامية المرفوعة فيها وكلها شعارات إسلامية إذ لا يستطيع أحد أن يرفع غير ذلك، إذ الشعب هنا كله مسلم والدين منتشر في كل الأوساط.

ب- ومنها كون السعودية في جزيرة العرب وفيها الحرمان الشريفان، وفيها تنتشر كتب ابن تيمية وابن عبد الوهاب لدى كثير من الشعب.

ج- ومنها قلة الوعي السياسي عند بعض أهل الدين، بل الغفلة عن الواقع العالمي والأحداث المستجدة، كالشيخ الذي لا يدري عن المسجد الأقصى أهو تحت السيطرة الفلسطينية أم تحت سيطرة اليهود، وكالشيخ الذي قال لي لما حدثته عن مأساة المسجد الأقصى وأن اليهود يدنسونه: اكيد الحكومة ما تدري!! وقول الثالث لما قيل له لماذا لا تتبرع للمجاهدين الأفغان، أو تأمر الناس بذلك: أخشى أن يكونوا بغاة خارجين على إمامهم! وظن مرافق الريحاني "نوار" أن الريحاني مسلم، لا سيما وأن إمام المسلمين كتب للريحاني رسائل يزيد مجموعها على ألفي صفحة، وأنه كان مقربا لديه، وهو الذي بعث معه نوار.

د- ومنها أن بعض المتلبسين بالدين يفسرون كل منكر بأنه مجرد أخطاء بشرية عادية تقع في كل زمان ومكان!! وينتحلون له الأعذار غير عالمين بالتحولات العميقة عالميا، وأن لفح الحضارة الغربية وصل كل مكان.

هـ- بعض الناس يخلط بين العيوب الشخصية وبين حقوق الله، ويقيس حكام عصره على سلاطين الجور المتقدمين.

و- ومنها أن بعض أعضاء هيئة كبار العلماء أو اللجنة الدائمة للإفتاء يظنون أن الدين محصور في بعض شعائره، وكلامه عن قضايا أخرى أساسية يأتي مجملا، ويحسن الظن ببعض العلمانيين، وبعضهم لكثرة قراءته الأسماء والصفات دون غيرها من أساسيات الدين يعترض على تسمية "المشرع السعودي" دون أن يعترض على التشريع نفسه.

ز- ومنها أن بعض أهل العلم والإيمان يظن أن الإنكار سرا يكفيه.

ح- ومنها أن بعضهم يتأول لسكوته ويتعلل بضعفه وقلة حيلته وخشية بطش السلطة، أو أن يستغل أعداء الحكومة كلامه.

ط- وبعضهم يرى المنكر فلا يتمعر وجهه نسأل الله العافية، وبعضهم يظن أن جبن أهل البدع عن بناء الأضرحة وتشييد القبور كاف في العقيدة، مع أن الدين عند أهل السنة قول وعمل لا ينفك أحدهما عن ألآخر، وهو في كتاب الله أوسع من ذلك وأشمل، وهكذا.

وإذا جمعت كل ذلك عرفت لماذا تنتشر المنكرات وكيف تصعب مهمة يوسف العتيبة والأمريكان، ونحن لا ننكر كما أنكر الغربيون أن الغرب عدَّل وأضاف في كثير من جوانب المعرفة، غير أن الحضارة المادية ليست مِن صنعه وحده، فكل الشعوب أسهمت بقدر ما فيها، والمسلمون لديهم ما هو أعظم من ذلك كله وهو: إخلاص العبادة لله وحده، وهم يؤمنون بكل رسل الله، ولا يدعون الناس إلا للخير والعدل وسعة الدنيا والآخرة، والحكمة ضالة المؤمن، وكل ما كان مفيدا من الحضارة الغربية فنحن أولى به، وقد أخذ النبي ﷺ جواز الغيلة من فارس والروم، وأخذ صلوات الله عليه من اليهود ترك قول "ما شاء الله وشاء محمد"، وأخذت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عذاب القبر من يهودية، وأخذ عمر ﷺ من غير المسلمين تدوين الدواوين، ولا مانع اليوم أن نأخذ من اليهود والنصارى أي مفيد.

ولم تعرف الحضارة الإسلامية أبداً ما عاشه الغرب من فصام نكد وحرب شرسة بين العلم والدين، ولم يشهد العالم الإسلامي قط ما شهده الغرب من ظلم وبطش وتبديل لدين الله وإباحية ودياثة وتفكك وانهيار، وربا واحتكار، وغلو في ترك الدنيا أو في طلبها، وحروب طاحنة تأكل الأخضر واليابس وتستمر طويلا، وأنظمة متسلطة تقتل الملايين من البشر أو تشردهم، وفلسفات متناقضة لا ضابط لها ولا رادع، ونظريات باطلة تُفرض على الشعوب بالقوة، وغير ذلك من الكوارث والمساوئ التي يطول شرحها ويتخبط فيها الغرب اليوم.

وكل ما لدى الغرب من فضيلة أو من أسباب البقاء وفق سنة الله في الأمم، فهي إما سبق إليها الإسلام، وإما أن أصلها إسلامي، والغرب بنى على ذلك وشقّق وفرَّع، وإما أن الغرب لا يزال متخلفاً عنها أو لم يصل إليها كما سنلاحظ، وفي كل حال نحن لا نحتاج مع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلى هدي آخر.

ومن أعظم فضائل الإسلام على أوروبا الهمجية قيام ما يسمونه "الإصلاح الديني" فيها، وليت "مارتن لوثر" أصلح العقيدة والتوحيد، ولكنه أصلح السلوك والأخلاق فقط، وعندما زار "لوثر" الفاتيكان أذهله ما رأى من الترف الدنيوي ومن الفواحش، ومن أمور لم تكن على عهد المسيح عليه السلام، فدعا "لوثر" بعد عودته إلى الإصلاح، مع أن شخصية "لوثر" كانت مضطربة مترددة تحدث عنها الباحثون في حياته، ومن أهم ما دعا إليه هو والمصلحون الآخرون أنه:

١- لا واسطة بين الله وبين الخلق، بل الواجب هو الرجوع مباشرة إلى الوحي، ولذلك ترجم "لوثر" الإنجيل إلى اللغة الألمانية الدارجة، وأثر الإسلام في نفي التوسط بين الله والخلق واضح جداً، فكل مسلم يقرأ القرآن ولا يحتكر تفسيره أحد.

٢- تحريم التماثيل ونبذها من الكنائس، وقد حطمها البيزنطيون من قبل تأثرا بالإسلام.

٣- ترك التبرك بآثار القديسين أو الاستشفاع بهم، وهذا الذي دعوا إليه عكس ما يقوله الكاثوليك الذين كانوا أيام الحروب الصليبية ينبشون كل مدينة أو قرية بحثاً عن "صليب الصلبوت" كما يسمونه، ولو كان "لوثر" حيا لكان "وهابيا" كما يقولون.

٤- قال "لوثر" وأتباعه بعقيدة في القَدَر تخالف ما كان عليه الكاثوليك، فأكثر اللوثريين جبرية في حين أن الكاثوليك قدَرية منكِرة، وأكثر الأمريكيين اليوم بروتستانت كالفينيون، وليس غريباً أن يكون كثير

من المصلحين الغربيين من سويسرا في ذلك الحين مثل "كالفن" و"زونجلي"، فهذا البلد دخله المسلمون الذين قدموا إليه من البحر، واعتصموا بجباله الشاهقة، وبعض ولاياته تفاخر بذلك حتى اليوم، وهو اليوم البلد الوحيد الذي يسمونه محايداً، وقد قرأت لبعض أهله كتاب "أجدادنا العرب"، وهو مترجم في إمكان كل أحد أن يطّلع عليه بالعربية.

على أنه ينبغي التنبيه إلى اختلاف سويسرا الآن عنها قديما من حيث السعة، فكالفن مثلا يذكره البعض ضمن عباقرة فرنسا مكان ولادته غير أنه جعل مدينة الله حسب عقيدته "جنيف".

وقد كان الشرك في كل الحضارات القديمة، وأكثر أربابهم كانت من الإناث، والمشركون مع عبادة الشيطان يعبدون الإناث كما قال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:١١٧].

وهكذا أغلب أرباب المشركين، فقد كان الجاهليون يعبدون اللات والعزى ومناة، وفي حضارة ما بين النهرين حرفوا العزى إلى "عشتروت"، وعبد المصريون والمجوس ربات كثيرات، وعبد اليونان ربتهم "افروديت"، وعبد الروم الربة "فينوس"، وعبدت القبائل الجرمانية وكثير من الأوروبيين القدامى الربة "ديانا".

وحديثا عبد الناس الديمقراطية والحرية والاشتراكية والرأسمالية والإنسانية وغيرها.

وصدق الله ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ [النساء:١١٧]، قال أبي بن كعب رضي الله عنه: "مع كل صنم جنّية"!! وهكذا كان، أما اليوم فقد كثر الشياطين من الجن والإنس، وأصبح لكل صنم أولياؤه وسدنته وكهنته من شياطين الإنس والجن.

وباستعراض تاريخنا وتاريخ أهل الكتاب يتبين من هو الإرهابي منا ومن هو المتسامح مع الآخر.

فهم يؤمنون مثلا بمعركة "هرمجدون" الخرافية كما آمن بها رؤساء أمريكا والأصوليون منهم، ويقولون إنه بها يمكن القضاء على المسلمين الأشرار وبقية النصارى سوف يرفعهم المسيح فوق السحاب، أما نحن فنؤمن بالعدل بين كل البشر، ومعركتنا الكبرى سوف تكون مع يأجوج ومأجوج حيث يكون المسيح عليه السلام هو قائد المسلمين حينها.

ومن تعصب كثير من الغربيين الذين نستقدمهم إلى هنا برواتب ضخمة ونحرس سكنهم: أنهم لا يصورون أي برجٍ عال أو مطار فخم، ولو قيل لهم إن في الشارع الفلاني جملا أو حماراً لتراكضوا لتصويره، ولسارعت صحافتهم أو قنواتهم بنشر الصور، أما نحن فالصحفيون لا يصورون إلا أبراج أمريكا وجسورها، دون عنصريتها أو إقبال شعبها على الإسلام، فضلا عن الأحياء الفقيرة فيها، ومع ذلك يتهموننا نحن بالتخلف والبداوة وكثرة المشردين عندنا.

فلندع الشرك والتوحيد قليلاً، ولننظر نظرة عقلية عادلة، لنتبين بها أي الفريقين أهل الإسلام أم أهل الكفر أكثر إنسانية وتسامحا وتعددية من الآخر:

- من الذي تُوجب شريعتُه الإيمان بكل الأنبياء دون تفريق بين أحد منهم، وأنهم اخوة وأن كل ما أنزل الله حق؟

- وهل ظهر بين زنادقة المسلمين -دع الصالحين منهم- من يشتم المسيح بن مريم وأمه أو يفتري عليها ويرميها بالبهتان؟

- ومن الذي تبيح شريعتُه تزوج نساء الآخر؟

- من الذي يعاهد الآخرَ ويحميه؟

- من الذي تبيح شريعتُه ذبيحة الآخر؟

- ومن الذي تجعل شريعتُه الآخرَ فوق الوثني أو الملحد؟

- ومن الذي تُسقط شريعتُه الزكاة عن الآخر؟

- ومن الذي يفرض للآخر إذا كان شيخا هرما من بيت المال؟

- ومن الذين آوى اليهود لما طردهم النصارى من الأندلس؟

- ومن الذي بقي في بلاده الآخرون حتى اليوم؟

- هل يمكن مقارنة اليهود في بلاد الإسلام باليهودي الشرقي في إسرائيل؟

- أي الطائفتين أقرب للنصارى: من حرض الحاكم الروماني على قتله وكانت نتيجة ذلك صلبه كما تقول الأناجيل؟ أم من يقول هو أخو النبي محمد ﷺ ولم يقتل ولم يصلب؟

- أيهما أشرف للمسيح: أن يكون قتل مصلوبا كما يعتقد النصارى أم أن يكون الله حماه من أعدائه ورفعه إليه كما يعتقد المسلمون؟

- إذا عرضت "هوليود" أو غيرها فلما يسيء للمسيح، من أكثر الناس غضبا وألما اليهود أم المسلمون؟

- إذا فعل بعض غلاة المسلمين ١٪ مما يفعله بهم النصارى قالوا إرهاب إسلامي، فمتى قال المسلمون الإرهاب النصراني؟ وتنتشر في الغرب فوبيا الإسلام فهل عند المسلمين فوبيا النصرانية؟

- كيف تكون بعض الشعوب مسلمة بنسبة ٩٨٪ ومع ذلك يحكمها غير مسلم؟ أهذا ديمقراطية؟

- من أكثر من ينصِّره المنصرون أو يعملون في بلاده؟

- من الذي يدع أهل الكتاب يتحاكمون حسب شريعتهم إذا كانوا يعيشون بين المسلمين؟ وإذا تحاكموا إلى الإسلام يحكم بينهم بالقسط؟

- من الذي يعدل في حكمه ولو كان أحد الخصمين يهوديا والآخر شيخا من شيوخ المسلمين، أو الإمام الأعظم عندهم؟

- من الذي يضع العقبات أمام نهوض الآخر ورُقِّيه؟

- من الذي يريد في جزيرة العرب وحدها عشرين دولة وربما أكثر؟

- ومن الذي سمى الدولة العثمانية الرجل المريض؟ وهل يعالج المريض بإطلاق النار عليه؟

- أخيرا أين فتحنا لأي بلد من غزو الغربيين له وإبادتهم لسكانه،

وكيف دخل الصليبيون القدس وكيف دخلها صلاح الدين؟

ملكنا فكان العفو منا سجية ولما ملكتم سال بالدم أبطح
وأحللتم قتل الأسارى وطالما غدونا على الأسرى نمن ونصفح
وحسبكمو هذا التفاوت بيننا وكل إناء بالذي فيه ينضح

وكيف يكون الإخوان إرهابيين، ألأنهم احتكموا إلى صناديق الاقتراع في مصر مخدوعين بدعوى الديمقراطية؟.

ألا يعلم كل العالم الفرق بين الإخوان وداعش، وأقوال البغدادي بشأنهم؟ فكيف يكون المجاهدون في فلسطين إرهابيين لأنهم يتبعون الإخوان كما يقول الإعلام؟ ومن الذي يحرق الأطفال الرضّع والمساجد ويكتب عبارات عنصرية ويبني المستوطنات مخالفة للقانون الدولي؟.

وبأي دين تأثر "جون لوك" في رسالته عن التسامح؟

تعامل الغرب مع المسلمين:

أمريكا قبل ترامب كان لها مواقف واضحة العداوة للإسلام فقد تدفق الغزاة الأوربيون الجشعون إلى كل شبرٍ منها، وحشر رعاة البقر مسلمي أفريقية في سفنهم كالبهائم واستعبدوهم، ثم استعبدت الامبراطورية الأمريكية الحديثة أكثر العالم وهكذا، وصدق نعوم شومسكي لما كتب "خمسمئة سنة ويستمر الغزو" أي أن هذا هو حال أمريكا منذ أن اكتشفها للغربين كولمبس فقد قضوا على السكان الأصليين الهنود الحمر الذين كان منهم مسلمون ولكنهم ليسوا من العرق الآري الأبيض، ثم غلفوا محاربة الإسلام اليوم بمحاربة الإرهاب، مع أن الولايات المتحدة هي الدولة الوحيدة في العالم التي حكمت عليها محكمة العدل الدوليةبأنها دولة إرهابية كما ذكر تشومسكي.

وللعلم فإن "تشومسكي" ليس مسلما ولا عربيًا، بل هو يهودي عاش في إسرائيل وأمريكا وتكلم عنهما كلام المطلع الخبير.

وهو ليس كاتبًا مغمورا بل هو أكبر كاتب أمريكي، وتأتي كتبه عندهم

في المرتبة الثانية بعد كتابهم المقدس مباشرة، كما أنه وفق المعايير الليبرالية ليس إرهابيا ولا عدوانيا، بل متقدم متحضر وهو يؤمن بالإسلام الأمريكي المعتدل كما يقول العم سام، أي الذي لا جهاد فيه.

والإعلام الغربي مُشاهدًا أو مسموعًا أو مقروءًا يتحدث طويلا عن طالب إيطالي واحد قُتل في مصر ويسكت عن مئة ألف مصري منهم رئيس منتخب في سجون السيسي ويحكم عليهم السيسي بالإعدام والتعذيب، فهذه حقوق الإنسان عندهم وهذه هي ديمقراطيتهم التي تؤمن بالمساواة، بل هذه هي عنصريتهم التي تعرفها الشعوب الغربية جيدًا، فالمسلم وإن كانت أصوله أوربية لا بد أن يتهموه ويؤذوه وتخرج ضده المظاهرات في كل مدينة أوربية، إلا إذا كان منافقًا يرضى بالاندماج وفق العنصرية الغربية، ويطيع نصائح علماء السوء بالخضوع لقوانين الدول التي يعيش فيها.

وعلى هذا العداء السافر يقوم اليمين الأوربي، وتعلنه "ماري لوبان" وتزداد جبهتها شعبية، وعليه أيضًا أقوال ترامب التي يعرفها العالم كله، أما أرخص الدماء فهو الدم المسلم في بورما أو في إفريقيا الوسطى أو في أي مكان، ولا مانع لدى الديمقراطية الغربية أن يمنعوا المسلمين حتى من المشاركة في الانتخابات وأن يكون الكافر النصراني يحكم ما لا يقل عن ٩٥% من المسلمين حتى أنهم لا يستطيعون أن يصلوا الجمعة.

وتستنكر هيئة الأمم ما يقع لصحفي غربي في دمشق، ويصيبها الخرس إذا قتل بشار آلاف المدنيين، أو تكتفي بالتعبير عن القلق!

والعالم في نظر الغرب هو الغرب فقط، وما عداه حواش همجية متأخرة، فإذا قال الغرب الحربان العالميتان، فالمقصود هو الحربان الغربيتان، وإذا قال العالم لا يرضى بكذا، فالمقصود أن الغرب لا يقبل ذلك.

أما دول الخليج فهي عند الحكومات الغربية مجرد مجموعات من البدو المتأخرين لديهم ثروات لا يستحقونها وهم غير إنسانيين وغير ديمقراطيين وغير جديرين بالثقة، وواجب الغرب تحضيرهم ما أمكن وأدلة غبائهم

وتأخرهم كثيرة منها أهم يبيعون النفط بأقل مما يشترون الماء المستورد من الغرب وأن الشركات التي تستخرج النفط والغاز غربية!

ومنها أهم يبالغون في الاحتفاء بمن يزورهم، ومنها أهم يعقدون الصفقات الضخمة مع من يعاديهم، ومنها أهم لا يعتبرون، بل يصادقون اليوم من كان عدوا لهم بالأمس، والمهم أنه يمدحهم إعلاميا ويقول إهم سائرون في طريق التقدم!

ومنها أن يعامل الغربي غير ما يعامل به المواطن، فللغربي ميزات كثيرة مهما كان جهله أو عداوته.

ومثل دول الخليج سائر الدول التي تقول إها إسلامية:

فهي تبيع الأطنان من القطن أو الكاكاو أو الصمغ بثمن بخس للغرب الذي يبيع الجرامات من ذلك بثمن غال.

ومن ذلك أن الغربي إذا تقاعد يًذهب إليهم فيعطونه الراتب الضخم والبدلات الكثيرة ويسكنونه في الشقق الفخمة ويحرسونه بالجنود ويحيطون سكنه بالمكعبات الخرسانية وإذا ارتكب جناية أطلقته الشرطة بلا محاكمة، وإن حاكموه وفّرووا له كل ما يتوفر من ضمانات ومن ذلك إطعام كلابه وقططه، وإذا سجنوه ففي أماكن جماعية معه غيره من المتحضرين وربما عفا عنه رئيس الدولة.

ومن غبائهم وهمجيتهم كما يقول الغربيون أن دينهم يحكم برجم من يمارس الحب! ويجلدون من يشرب المشروبات الروحية!!

ومن تأخرهم أهم لا يزالون يركبون الجمال في تنقلاهم لاسيما بين الرياض وجدة، هكذا ينظر الغربيون للمسلمين ودينهم.

والإسلام هو دين الفطرة، وإليه يهرب أهل الكتاب، ولو كانوا قساوسة أو منصرين، لا سيما في أفريقيا، وقد ذعر الغربيون من إسلام القساوسة في "جوبا" وهجرهم إلى الخرطوم، كما هال البابوات إقبال الأفارقة على الإسلام وإسلام بعض المنصرين.

ومثل ذلك انتشاره في أمريكا الجنوبية والوسطى، حيث يكره الناس أمريكا وإسرائيل، وأغرب من ذلك ما يقع في إفريقيا!!

وكل من يدرس جغرافية القارة الإفريقية المسلمة يدهشه فيها تنوعها المناخي، مناطق تكسوها الثلوج، مناطق معتدلة، مناطق استوائية، مناطق مدارية، مناطق صحراوية تنتج الطاقة الشمسية، دع ما يكتنزه باطن هذه القارة من النفط واليورانيوم، ودع الثروة الغذائية الهائلة، وما يتوفر من البن والكاكاو والغابات الكثيفة، والأنهار الكبيرة والثروة الحيوانية.

وبعض ذلك يسيل له لعاب الماديين والشركات الاحتكارية التي تكثر اغتيالاتها الاقتصادية في إفريقيا وأمريكا الجنوبية والوسطى، ولذلك يكثر المستعمرون ويأتي إليها المنصرون.

ولما خاف الغرب على نفسه وخشي أن تسلم أوروبا لله رب العالمين، عمد إلى إغراق من يهاجر إليه من المسلمين في البحر الأبيض المتوسط، وطالب بمنعهم في مظاهرات صاخبة يقودها المتطرفون الذين يسميهم الغرب "الشعبويون"، وقد كان أسهل من إغراقهم إيقاف الحروب التي تسببت في هجرتهم، ومنع عملائه من قتلهم ورميهم بالكيماوي والبراميل المتفجرة وفرض الاستبداد عليهم، وكذا الإنفاق على الفقراء مما يطعمه الغرب الدواب أو يرميه في البحر!

فإن لم يفعلوا ذلك فلماذا لا يقيمون لهم مناطق آمنة في بلادهم، ويفرضون حظرا على الطيران فوقها كما فعلوا في شمال العراق لحماية الأكراد؟

وإذا كانوا صادقين في خوفهم على المدنيين فلماذا لا يكِلون الأمر للأتراك، ويمدونهم بالمعونات اللازمة، والأتراك يجمعون بين الأمرين: العدواة لداعش، وحماية المدنيين.

وقد حقق الأتراك في شمال سوريا في يوم واحد ما عجز عنه الغربيون في سنوات، أم أن الأتراك مسلمون سنة وهذه هي الكارثة عندهم، أما شيعة

إيران فهم يوزعون الحلوى والزهور على المدنيين في العراق وسوريا!! وصدق أردوغان حين قال: إن أوروبا حين تُغرق المهاجرين فإنما تُغرق القيمَ والمبادئ التي نادت بها!!

ونحن ندعو الغربيين إلى الإسلام لأنه الحق لا لأننا كما يزعمون متعصبون!

وهل نحن حين ندعو الناس للإسلام نتعصب له أم ندعوهم للحق الذي ما عداه باطل.

فإن الإسلام ينهى عن التعصب ولو كنا نتعصب لما هو حق، ومن ذلك أنه ﷺ نهى عن المفاضلة بين الأنبياء على سبيل التعصب، وأن يتعصب المسلمون له ﷺ، مع أن الله تعالى اصطفاه وفضّله على الأنبياء جميعا، وجعل أمته خير أمة أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة:٢٥٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥]، وقال ﷺ: (فضلت على الأنبياء بست..) الحديث.

ومن التفضيل أن الله تعالى أنزل عليه القرآن وجعله مهيمنا على الكتب المنزلة كلها.

ومع ذلك يجب على المسلمين الإيمان بأن الرسل كلهم إخوان، وأن أفضلهم أولو العزم الخمسة المذكورون في القرآن، وأنه ﷺ أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام، لأنه ليس بينه وبينه نبي.

ولا نفضله ﷺ على موسى عليه السلام، إذا توهم اليهود أن ذلك على سبيل التعصب، ولا نفضله على يونس بن متّى عليه السلام، مع أن ربه تعالى قال له: ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم:٤٨] الآية.

والمقصود أنه إذا أدى تفضيله صلوات الله وسلامه عليه إلى سوء فهم من أهل الكتاب، لم نفعله مع أنه حق.

فالغرب هو المتعصب وليس المسلمون.

مكانة الدين والمتدين عند أهل الكتاب:

قد يعجب المرء حين يرى الفرق الهائل بين الدين والمتدين في الغرب، وبين الدين والمتدين في البلاد التي تدعي أنها إسلامية، لا أعني الشعوب ولكن الحكومات، وقارن بين الأصوليين في أمريكا والأدمورات في إسرائيل، وبين علماء الإسلام أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هنا، وكيف أن الإنسان الغربي وإن كان في نفسه غير متدين يتعصب لدينه، ويرى أنه وحده الحق، ويكره الإسلام كرها شديدا إن ذكره، لاسيما الجهاد، واقرأ لأي مفكر غربي شئت لترى أنه كان متدينا عندهم، وأن أبويه أرادا أن يكون كاهنا، أو أنه درس أولا في معهد لاهوتي، وممن درس في معهد لاهوتي الرئيس "بيل كلينتون"، واقرأ استطلاعات هيئة "كارنيجي" ومعهد "جالوب" مثلاً عن الدين في أمريكا.

والمؤسف أن المناهج التعليمية في كثير من بلاد العالم الإسلامي لا تزال تدرِّس الحضارة اليونانية ثم الرومانية، ثم تقفز إلى عصر النهضة الأوربي، ثم الفكر الأوربي الحديث، ولا تتعرض للإسلام وحضارته وقيمه، وهذا على خطره أهون مما لو تعرضت له بالتشويه والازدراء والتحقير كما هو الحاصل عند الليبراليين، وينسى الغربيون وأتباعهم أو يتناسون أن الإسلام دين التوحيد الخالص، وأنه دين الأنبياء جميعا، وأنه ملة إبراهيم عليه السلام، وأنه دين العدل والإحسان والرحمة، وأن مصدره هو القرآن الكريم والسنة النبوية، وليس مصدره حال العامة من المسلمين، ولا هو كما يعتقد أكثر المستشرقين، وأنه المنقذ الوحيد لهذه الإنسانية المتخبطة، وأنه دين الفطرة، ولهذا تجده أكثر الأديان انتشارا اليوم، فنحن نحب الخير لكل الناس، ونتمنى أن يكون اليهود على ما كان عليه موسى عليه السلام، وأن يكون النصارى على ما كان عليه المسيح عليه السلام، وهل كانا إلا مسلمين حنيفين، ولو كانوا -أي اليهود والنصارى- كذلك لما كانوا إلا مسلمين، وقد قال الله في

القرآن عن أول الرسل نوح عليه السلام: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٧٢]، وكذا ذكر الله تعالى عن إبراهيم ويوسف وموسى وسليمان والحواريين، وإنما يدعو المسلمون أهل الكتاب إلى ملة إبراهيم عليه السلام التي عليها ابنه محمد ﷺ.

ويعتقد المسلمون ولا يشاركهم في هذا الاعتقاد أحد أن من كفر بنبي واحد فقد كفر بكل الأنبياء الكرام عليهم السلام، وفي القرآن الكريم ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٠٥]، وفيه ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٢٣]، و﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الشعراء:١٤١]، وهكذا كل أمة كافرة هي تكذِّب المرسلين عامة، وإن لم تكذب إلا رسولها وحده.

ونحن الذين نشهد للأنبياء الكرام يوم القيامة أنهم بلَّغوا أممهم، ودعوهم إلى توحيد الله ونبذ الشرك والخرافات والدجل والسحر والتسلط، وكل ما يتعارض مع التوحيد الخالص.

والمسلمون يقرأون عن التوراة والإنجيل كثيرا، ولا يتكلمون إلا بعلم وعدل لا بجهل وظلم، أما أهل الكتاب فغاية ما يعرفه أساتذة اللاهوت هو قراءة بعض الترجمات عن معاني القرآن الكريم، وأشهر الترجمات عندهم هو ترجمة محمد بكتال أو يوسف علي، أما أن يكون الغربي ملما باللغة العربية فهو قليل، وهو عند الأمريكان غريب جداً.

وينقُص قدرُ المسلمين إذا قارنتهم بما عليه أهل الكتاب من الكفر، لا سيما كفرهم برسول الله ﷺ، وتشويه صورته والإساءة إليه بما لم يفعله المسلمون، ولا يجوز لهم أن يفعلوه بحق موسى وعيسى عليهما السلام، ولذلك تجد أن المسلمين في أمريكا يتظاهرون في البيت الأبيض ضد قرار المحكمة الأمريكية العليا بإباحة عمل قوم لوط، كما يتظاهرون أو يعترضون عندما تعرض "هوليود" فلما إباحيا عن المسيح عليه السلام، وكان ينبغي أن

يتظاهر عند البيت الأبيض كل الأمريكان لا سيما الأصوليون، إذا شتم أحدٌ الرسولَ محمدا ﷺ.

وهؤلاء الأصوليون عند الإدارة الامريكية غير إرهابيين، وهم متسامحون حتى عند كثير من الليبراليين، وتسمح لهم السلطات الأمريكية بإنشاء القنوات الفضائية وما يستطيعون من الوسائل، ولم أسمع واحدًا منهم أثنى على فخامة الرئيس أو قال إنه محنك ورشيد!!

بل الإدارة الأمريكية عندهم مخطئة إن لم تقتل المسلمين جميعا وتبيدهم بالقنابل النووية!!

وفي الكتاب الذي وزعته السفارات الأمريكية بعنوان "هذه هي أمريكا" يذكر الأمريكيون أنهم شعب متدين، وأن للدين عندهم قدرا عظيما، مع كون الدولة علمانية، ويصرح ذلك الكتاب بأن التوراة والإنجيل "الكتاب المقدس" عندهم أكثر الكتب قراءة في أمريكا، كما أن أي رئيس أمريكي لا بد أن يقسم على الإنجيل وأن القس "فرانكلين جراهام" الذي خلف أباه "بيلي جراهام" وهو قسيس البيت الأبيض، لا بد أن يبارك ذلك ويتكلم في ذلك الاحتفال بما يشاء.

وقد وصل تدين الأمريكان واعتقادهم بكل ما في التوراة إلى وكالة "ناسا" الفضائية، فهذه الوكالة سمت المركبة الفضائية العملاقة التي أرسلتها لتلتقط صورا للشمس "ايليا"، وهو إلياس عليه السلام، ولم تسمها باسم الرئيس الأمريكي، بل لا تجد تغريدة في مدح الرئيس الأمريكي أو الإشادة بعهده، وغاية ما يفعلونه في الإعلام أن يقدموا برنامجا قصيرا وينبهون في أوله أنه يمثل وجهة نظر الحكومة الأمريكية، فالأمر عندهم مجرد وجهة نظر، ومن حق كل مواطن أن يبدي وجهة نظره وإن خالفت الحكومة.

وإذا اختارت أمريكا رئيسا قسيسا مثل "جيمي كارتر" فهي راقية متقدمة عصرية ... الخ ولو اختارت أي هيئة أو لجنة -ولا أقول دولة- شيخا لكانت عند الأمريكان وأتباعهم متأخرة منحطة إرهابية!!

والأمريكان في موسوعاتهم مثل موسوعة كولومبيا والموسوعة الأمريكية -فضلا عن مؤلفاتهم الكثيرة- يؤمنون بما تقوله التوراة عن الحية التي أغوت حواء حسب اعتقادهم، والرئيس عندهم لا بد أن يتلقى قدرا من معرفة دينهم، حتى أن رئيسا مثل "كلينتون" تخرج من معهد توراتي مشهور، فكيف لو تخرج زعيم عربي من كلية الشريعة!

وهم يتبعون ما قاله بطرس في رؤياه من جواز أكل لحم الخنزير، وليذهب كلام الأطباء وتعاليم وزارة الزراعة الأمريكية إلى الجحيم كما يقولون.

هب أن الغلو ليس صناعة غربية كما تقول "هيلاري كلينتون" والسناتور "ماكين"، فما الذي يدفع شباب المسلمين إليه أكثر من هذه الازدواجية والكيل بمكيالين، والتطفيف المتعمد والانحياز المطلق؟ وما الذي يجعل الثورة الثقافية أو الدين الجديد، وما أشبه ذلك من المسميات ينجح في الغرب ولا ينجح لو كان في العالم الإسلامي؟

ولماذا لا تسأل الإدارة الأمريكية نفسها كيف أنه لو دعى "ماركيوز" و"غرامشي" وكل رواد الشيوعية الجديدة، وكذلك المحكمة الأمريكية العليا، وكل أعداء التقدم الحقيقي المجتمعات الإسلامية، وقالوا لهم إن الانتحار أو اللواط تقدُّم لما قبلوا منهم، ولرفضوا تلك الثورة وتلك القرارات، وهل كانت كل حروب أمريكا القذرة إلا لتأيد هذا الكفر والإباحية والدياثة، أي أن الشعارات التي يطلقها أوباما كما سمعنا هي نفسها التي قالها "ويلسن" قبل مئة عام، وماذا تختلف فيه استراتيجيات "نيكسون" عن "ترومان" مهما كان الفاصل الزمني بينهما؟، واليوم يفخر ترامب بأن يقتدي بجاكسون.

وإذا كان الرئيس العربي مُقعدا فإن العرب يتركونه يحكم حتى يموت لأنهم غير ديمقراطيين، أما اذا كان الرئيس الأمريكي مُقعداً فهو لأن الأمريكيين يقدرون عبقريته وثقافته، وماذا كانت ثقافة الرئيس "روزفلت" الذي جاء إلى البحيرات المرة على متن طراد أمريكي، أليست هي ما غنّاه

فخامته هو و"تشرشل" أي "إلى الأمام أيها الجنود المسيحيون"، وكذلك أغنية "أنا جندي للصليب"! ألم يكن هذان المجرمان مثل خصمهما "هتلر" على الأقل، ألا يدعوان إلى الديمقراطية ويقولان إنها من حق كل الشعوب؟ وهل جاء "هتلر" إلى الحكم بطريق غير ديمقراطي؟! ألا يجب أن يحاكما كما حوكم النازيون وتنشأ لهما "نورمبرج" أخرى؟ أم أن الصليب حرام إذا كان معقوفا فقط، وإذا كان صليبا كنسيا جاز لأي دولة أن تضعه في علمها!! والفوهرر دكتاتور إذا حاربهما وهما ديمقراطيان إذا انتصرا عليه؟!

وقديما قرأت مذكرات "تشرشل" وما ذكر عن الدين، ثم قرأت حديثا ما كتبه "كولن ويلسن" في رحلته، عن قصة حياته من أنه لما انضم في شبابه إلى القوات الجوية الملكية البريطانية، أرغموه على الذهاب إلى الكنيسة، وتذكرت كيف أن بعض الإنجليز العاملين في الرياض قال لي بعد كلام طويل: "أشكر الله على أني مسيحي"، فإذا كانت الشؤون الدينية البريطانية ترغم "كولن ويلسن" وإذا كان ذلك المفتري يشكر الله على التثليث، فماذا نتوقع من الإنجليز، ولماذا يعطونهم "زرقاء اليمامة" بتلك المليارات من الجنيهات الاسترلينية، ولماذا تحضر "تريزا ماي" قمة المنامة الخليجية مع أنها من نفس الحزب الذي ينتمي إليه بلفور (المحافظين)، وكيف يكون ترامب يمينيا وتريزاماي بل كل حزب المحافظين البريطاني يميني؟ وماري لوبان يمينية ونتنياهو يميني، أما الجهاد فهو إرهاب؟

واليهود الذين يسيطرون اليوم على أمريكا وبريطانيا أليسوا أساتذة "أدولف هتلر"، ومنهم تعلّم العنصرية؟ وما الفرق بين دعوى اليهود أنهم شعب الله المختار، وبين دعوى "هتلر" أن ألمانيا فوق الجميع، وما الفرق بين أن يحصل اليهود في الدويلة الصهيونية على المليارات على أنها تعويض من ألمانيا أو على أنها تبرعات من أمريكا؟

وإذا كانت ألمانيا ليست فوق الجميع كما قال النازي "هتلر" أو إيطاليا ليست فوق الجميع كما قال الفاشي "موسوليني" فماذا قال البريطانيون

لاسيما وهم يودعون الحياة عندما غرقت السفينة "تيتانك"؟

ولماذا ينشد البريطانيون في بلاد الحرمين نشيد يحفظ الله الملكة؟

وماذا قال الأمريكيون وهم يقذفون هيروشيما و"نجازاكي" بالقنابل الذرية؟ ومن أين جاء "دونالد ترامب"؟

ليس هذا دفاعا عن النازيين أو الفاشيين ونعوذ بالله أن ندافع عن أي كافر، وإنما نسأل ما الفرق بين هؤلاء وبين محاربيهم؟ ولماذا يجب أن نعادي قصيدة "البغضاء" لأن شاعرًا ألمانيا هو الذي نظمها ضد الإنجليز، ولا نستنكر أن يتطوع الشاعر البريطاني "براون" لقتال المسلمين الأتراك.

ولماذا يحق للسيدة "انجيلا ميركل" أن تترأس الحزب المسيحي الديمقراطي، أو يحق لليهود أن ينشؤا (حزب راية التوراة)، ولا يتهمهم أحد بالإرهاب، بينما يتهم به المسلمون في كل مكان لا سيما في الغرب حيث يجد المسلم نفسه إرهابيا أو على الأقل جاسوسا، وتتولى المباحث الأمريكية "اف بي آي" التحقيق معه واتهام دينه، وتغض النظر عن القاتل أو المفجر إذا كان يهوديا؟ وإن حققت مع اليهودي لا تذكر دينه أبدا.

والأمريكان بأوامر تنفيذية عليا من الرئيس الأمريكي، ينشؤون السجون السرية والسجون السوداء، ويحشرون فيها المسلمين بذريعة أن كل مسلم هو إرهابي محتمل كما يقول (فخامة) الرئيس، إلا أن يكون معتدلا أي مؤمنا بالقيم الأمريكية فقد ينجو!

والأمريكان لأنهم متسامحون! لم ينشؤوا للمسلمين مراكز اعتقال يحشرونهم فيها كالبهائم، بل اكتفوا بمنع هجرتهم إلى أمريكا، ومن حقهم وحدهم ما يسمونه الحرب الاسبتاقية!

ومن الذي أعطى الأمريكان حق تصنيف الدول إلى دول شر مارقة (تحالف المنبوذين) وأخرى صديقة معتدلة؟ وحق تصنيف البشر إلى متشدد ومتطرف، وحق الحكم على كل أحد بأنه دكتاتوري أو ديمقراطي؟

ومن أعطى أمريكا الحق في أن يقاتل معها أي أوكراني أو استرالي أو بولندي، أما إذا تطوع المسلمون للجهاد في أفغانستان، أو في بلاد الشام فهذا بؤرة إرهابية يجب التجسس عليها، وإذا عادوا إلى البلاد وجب أن يقتلوا أو يحكم عليهم بالسجن سنوات طويلة.

وكيف يكون من حق الإدارة الأمريكية أن تنقل من تشاء من معتقل "غوانتانمو" إلى أي دولة تجيز قوانينها التعذيب؟ وكيف يحق لجورج بوش أن يغزو العراق اعتمادا على خيالاته الشيطانية وخرافاته التوراتية؟ وزعمه أن الله أمره في منامه أن يحتل العراق؟ إنفاذا لما في التوراة من ذكر يأجوج ومأجوج وشعب الشمال، الذين هم عنده العراقيون؟ وأن صدام حسين هو الآشوري، وأمثال ذلك من الخرافات التي رفضها العراقيون، حتى أن الزيدي رماه بالحذاء، أي أن العراقيين لما لم يستطيعوا إصابته بأزمة قلبية أصابوه بجزمة قلبية.

ولِم لم يفترض (فخامته) أن الشيطان هو الذي جاءه في المنام إن كان جاءه شيء؟

والكلام عما فعلته الإدارة الأمريكية التي تدعي الديمقراطية وحقوق الإنسان طويل، فماذا فعل شركاؤها الغربيون؟

لقد رفض الاتحاد الأوروبي انضمام تركيا إليه، وعللت ذلك المستشارة الألمانية "انجيلا ميركيل" -حيث تتبوأ ألمانيا مركز أقوى دول الاتحاد اقتصاديا- فقالت إن دعوة تركيا إلى الانضمام كانت خطأ، نحن الألمان لدينا خلفية مسيحية بينما الأتراك مسلمون.

وتضيف "ميركل" مخاطبة مراسل "التايمز" هل تستطيع أن تبني كنيسة في اسطنبول؟ ونسيت أن الذين يعملون في المصانع الألمانية بأجر أقل ليسوا عمالاً يهوداً، بل هم العمال الأتراك، ونسيت -أو تناست- أن العثمانيين تحالفوا مع الألمان في الحرب الأولى، وهذا هو سبب كثرة العمال الأتراك في ألمانيا، ونسيت أن الامبراطور الألماني وليم الثاني لما زار الدولة العثمانية لم يكن مخطأ أو ضد مصالح بلاده! ونسيت أو تناست أن تركيا أقرب لها من

إسرائيل التي تعطيها "انجيلا ميركل" التعويضات الكثيرة هذه المدة الطويلة، ونحن نشكر الله على أنهم لم يقبلوا تركيا في ذلك الاتحاد، ولو قبلوها لأرغموها على الدفع لليونان التي تطالب السيدة "ميركل" بإخراجها من الاتحاد الأوروبي ما لم تسدد دونها -مع الربا طبعا-!!

وأظن أن موقف "ميركل" لو هاجر إليها الفقراء اليونانيون سوف يختلف كثيرًا عن موقفها الآن من المهاجرين المسلمين، الذين يَغرقون بل يغرقهم الاتحاد الأوروبي في البحر الأبيض المتوسط.

تلك ألمانيا، أما بريطانيا التي كانت عظمى فلا مانع لدى "ديفيد كامرون" أن يستقبل السيسي دون أن يدفع له شيئا، كما تدفع دول الخليج، فـــ"كامرون" لا يستطيع أن يدفع شيئا من الرز إلا بموافقة البرلمان الانجليزي، لكن -فخامته أو سعادته أو نيافته لا أدري كيف يخاطبونه- رفض استقبال اللاجئين السوريين!

فلماذا لا يفخر إذاً بالتقاليد البريطانية العريقة، من عهد "الماجناكرتا" وثورة "كرومويل" حتى عهد "كامرون" الزاهر الميمون!!

وإلى من تنتسب الملكة "آن" التي يسمونها "الدموية"، وإلى أي جنس تنتمي "فكتوريا" التي يقولون إنها متزمتة، وكيف تحكم بريطانيا ٦٠ سنة وهي بهذه الصفة؟

أما الصديقة فرنسا فحسبها أن رئيسها "أولاند" حضر قمة خليجية و لم يمنع من ذلك أنها نشرت صورا مسيئة للنبي ﷺ في مجلة "شارلي ايبدو"، ولا أنها تحمي الكنس اليهودية وتعرِّض المساجد للخطر، ولا أنها تمنع النقاب وتبيح السفاح!! وأشنع من ذلك محاولتها تغيير بعض آيات القرآن.

ولما كتبوا في أمريكا أن شركة "ستاندر أويل" يملكها "آل روكفلر" وهم عائلة يهودية ثرية مشهورة، تذكرت أيامي الماضية في بقيق والظهران والدمام ورأس تنورة، وقراءتي عن النعيرية والسفانية والغوار والخفجي، وأمثالها، وتذكرت ما كان العمال العرب يروونه عن المدير الأمريكي الذي

يرقِّي بعض موظفيه لأسباب يذكرونها ولا أكاد أصدقها، بينما يترك ذلك المدير ترقية من لم يقم بتلك الأعمال الشائنة!

ولا غرابة؛ فمن يرقّيه المدير هو المتحضر المتطور المتقدم الذي تتماشى أفعاله مع مقررات المحكمة العليا الأخيرة، ويمارس الحقوق المدنية التي تتيحها له الحرية والديمقراطية.

وللعلم فإن شركة "أرامكو" هي شركة قابضة يملكها عدة شركات أمريكية:

- ٣٠% منها تملكه شركة ستاندر أويل أوف كاليفورنيا.

- ٣٠% منها تملكه شركة ستاندر أويل أوف نيوجرسي، وعنها نشأت شركة موبيل التي يرأسها وزير الخارجية الأمريكي السابق "تيلرسون"، الذي تمتلك شركته اليوم كما يقال ٥٠% من أرامكو.

- ٣٠% منها تملكه شركة تكساس.

- ١٠% تملكه شركة سكونيناكون.

ولأسباب ليس هذا موضعها باعوا أسهمها للحكومة السعودية بمليارات، مع بقاء الأمريكان يديرونها، وبقائها قانونيا شركة أمريكية! ثم ابتلعت أرامكو الشركة الوطنية "سمارك" وشركات أخرى في ينبع ورابغ وغيرها، وهكذا قضوا على الشركات الوطنية مع إضافة كلمة السعودية إلى أرامكو، وفرضت شركة أرامكو حتى بعد سعودتها اللغة الانجليزية على كل فروعها، حتى ما كان يتكلم العربية كشركة سمارك، وعلى العاملين حتى مستخدمي الشاي، وأكثر مؤتمراتها واجتماعاتها تقيمها اليوم في تكساس أو ديترويت أو شيكاغو!!

كما فرضت السكرتيرات الشقراوات على كل مدير ولو كان آتيا من "سمارك".

ويظهر لك هذا الذكاء الأمريكي إذا قارنته بغباء أتاتورك الذي ألغى اللغة العربية دفعة واحدة.

وقد قال أحد الموظفين المؤقتين الأمريكان وهو يعمل عندهم في العطلة الدراسية وبعد سعودة الشركة "أنا لا ذنب لي فكل العاملين المؤقتين في الشركة أمريكيون"!

هذا في حين أن السعوديين يعانون أزمة بطالة حادة.

وعلى أنه يملكها اليهود يكون الشاعر النجدي مخطئاً حين قال (بالعامية):

سلّط على النصراني اللي لقى الزيت ** وجْعل نبوع النفط تعمي عيونه

وكذلك الشيخ سليمان بن سحمان الخثعمي الذي اعترض على إعطاء النصارى امتياز التنقيب.

اللهم إلا إذا كان "آل روكفلر" أعلنوا أنهم بروتستانت، وهذا عادي جدا في أمة تعبد المال وتتلون في دينها، فإذا غيرت دينها -وأنا لا أعلم- فالشاعر هو المصيب وأنا مخطئ!

والبروتستانت من "مارتن لوثر" إلى المعمدانيين يؤيدون اليهود دائما.

وهذا هو حال الإدارة الأمريكية المتقدمة العادلة الديمقراطية مع إسرائيل، وهذه الإدارة تصمت عندما يدمر اليهود السفينة الأمريكية "ليبيرتي" أو يقتلون الناشطة الأمريكية في حقوق الإنسان "راشيل"، بينما تصرخ لأن العثمانيين قتلوا الأرمن منذ أكثر من قرن!!

والصهاينة في أمريكا كثير جدا، ويصعب عليك التفريق بين اليهودي منهم والنصراني.

العمل الخيري:

العمل الخيري يسميه الغربيون القطاع الثالث، وأهله في أمريكا لا يحاسبهم أحد، بل الكل يحترمهم ويجلّهم، والحكومة الأمريكية تعفي مؤسساته من الضرائب لتشجعه بأي وسيلة، وأي موظف حكومي يثبت أنه يعمل فيه أو ذاهب إليه تجرى له كل استحقاقاته كما لو كان على رأس

العمل، وإنما يوصي الأمريكان أولياءهم فقط بمنعه وحظره وغلق مؤسساته ومراقبة الحسابات المالية لكل فرد لأنه يدعم الإرهاب عندهم، بل يكفي تشابه الأسماء، أو احتمال دعم الإرهاب.

مع أن أي مؤسسة خيرية إسلامية أو منظمة أو جمعية أو فكرة إنما تقوم على القرآن، بينما يقوم الفكر اليهودي وكل الفكر الصهيوني على التوراة، وكذا الدولة اليهودية، وعلى دغدغة المشاعر الدينية اعتمد الصهاينة، غير أن الله ألقى بينهم العداوة والبغضاء وجعل دأبهم التلاوم وتحميل الآخرين كامل المسؤولية، فليس اليهود شيئا واحدا لا سيما في إسرائيل، وإن كان الناظر قد يحسبهم جميعا إذا نظر من الخارج، فقد ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء كما أخبر الله سبحانه في سورة المائدة، وفرّقوا قديما بين دية اليهودي القرظي واليهودي النضري، ويكثر بينهم الصراع والاختلاف والتشقق المستمر، وكل حكومات إسرائيل ائتلافية، وقل أن يفوز حزب بربع أصوات اليهود، والحزب الذي يكون في المرتبة الثالثة أو الرابعة عند الغربيين من حيث عدد المصوتين له، يكون في المرتبة الأولى في إسرائيل، وهذا غير من يعزف عن المشاركة من أصلها، فهم كما قال الله تعالى عنهم: ﴿تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤]، وهم يتلونون بلون البيئة التي يعيشون فيها، وقد كانوا قديما صدوقيين أو فريسيين أو قرائيين، هذا في الشرق، أما في الغرب فهم أكثر من ذلك، إذ هم يدينون بدين الدول التي يعيشون فيها لاسيما في العصر الحديث، فمنهم روس، ومنهم ليتوانيون، ومنهم بولنديون، ومنهم انجليز، ومنهم ألمان، ومنهم فرنسيون، ومنهم نمساويون، ومنهم هنغاريون، ومنهم يهود شرقيون كثيرون، وكل أمة تلعن أختها!

فاليهودي الغربي "أشكنازيم" غير اليهود الشرقي "سفارديم"، واليهودي الأمريكي غير اليهودي اليمني، ويبدو أن أصلهم جميعا هو فرقة الصدوقيين، ومن عقائد الصدوقيين أن عزيرا ابن الله، ثم تشققوا ولا يزالون.

أما في اسرائيل اليوم:

فأستطيع القول إن الأحزاب العلمانية في إسرائيل -ومنها "الليكود" و"العمل"- يهمها التصويت لها أكثر مما يهمها الدين الذي تتلبس به، وعليه فإن "نتنياهو" في نظري هو منافق كبير، وبعض اليهود يكفِّرونه وهو يميل مع الريح حيث مالت، فهو علماني مع العلمانيين ومتدين مع المتدينين، ولكنه يؤمن بفكرتين تظهران في كل كلامه وتجعلانه أكثر تدينا من الحكام العرب، وهما:

١- فكرة شعب الله المختار.

٢- فكرة أرض الميعاد.

ولا مانع لديه أن يخطب على منبر الأمم المتحدة تأييدا لهاتين الفكرتين، ويستشهد بعبارات وردت في سفر التكوين مثلا، وتقف معه إسرائيل الكبرى الولايات المتحدة، في كل قرار أممي، محتجة دائما بأن العرب يعادون السامية وأنهم غير ديمقراطيين.

والصهاينة اليهود -وكل من يدعم إسرائيل ولو كان من صهاينة العرب- فإنه يدعم في الحقيقة الحاخامات.

وعندي أنه لا فرق بين أن يكون الاغتصاب الذي يسمونه "الاستيطان" دينيا أو علمانيا، ولا فرق بين أن تكون المزرعة الجماعية "كيبوتز" يسارية اشتراكية تدعم حزب العمل، أو تكون يمينية تدعم الليكود، فالكل اغتصاب، وكلهم صهاينة ظلمة، والدين هو المصدر للجميع، والتوراة هي الدافع وراء ذلك كله، ولأسباب دينية يتمسك الصهاينة حتى ملاحدة الصهيونية بالتوراة، فأكثر الصهاينة ملاحدة، فـ"هرتسل" ومثله "ديفيد بن جوريون" ليسا متدينين أصلا، وهذا ما قرأته في سيرتهما ولكنهما عدوان لدودان للمسلمين وكفى!

وحربهم الحالية للعرب ما هي إلا امتداد للحرب على العمالقة كما في

التوراة، وأكثر الأماكن قداسة عندهم هو حائط البراق الذي يسمونه حائط المبكى الذي يزعمون أنه بقية هيكلهم الموهوم، ويتقربون إلى الله بزيارته ويزوره كل صهيوني ولو لم يكن يهوديا، ومن آخر من زاره الرئيس الأمريكي دونالد ترامب!

ومع خرافاتهم الإيمان بالبقرة الحمراء كما يزعمون، ومع هذه الخرافات والتشتت تجد للدين عندهم مكانة عظيمة، فالمتدينون اليهود غير ملزمين بالخدمة العسكرية، وإذا درست الحكومة ذلك أو وضعته موضع نقاش تظاهروا ضدها، والمتدينون منهم لا ينكرون ما تحرمه التوراة والتلمود فقط، بل يحرقون أماكنها حرقا، ولو كانت حكومية، وهم مع هذا الحرق يحظرون أن تلبس المرأة القصير، ويمنعون الصور في كل مكان، ويمنعون سماع الإذاعات أو مشاهدة التلفزيونات، ولهم صحف دينية، ولا تنشر صحفهم أي خبر عن الفن أو الرياضة، ويكفِّرون كل من عدا اليهود ولا يختلطون بالعلماني ولو كان يهوديا، وبالجملة هم يلتزمون بالآصار والأغلال التي كتب الله عليهم في التوراة، وشرائعها التي تبلغ ٦٣٠ شريعة، وأعلى المتدينين قدرا عندهم هو "الحاخامية" الرئيسية التي كان يتزعمها الهالك يوسف عوفديا وحاليا أرييه درعي، وقد قال عوفديا عن العرب "إنهم صراصير يجب إبادتهم"، أما درعي فقد ذكر أن حسني مبارك ركع لعوفديا وطلب منه البركة!

ورجل الدين له مكانة عالية ويخطب رئيس الحكومة ودَّه، والمشهور عن نتنياهو هو محاولته الدائبة لاسترضاء الحاخامات ومن أشهر رجال الدين عند اليهود "الأدمور"، والأدمور مَلِك مقدَّس يتقرب إليه رئيس الحكومة، ولا يستطيع أي علماني النيل منه وكذلك "السدِّيك" أي الصديق عندهم، ويتميز المتدين اليهودي بميزات كثيرة منها:

١- الشعبية الواسعة.

٢- تقرب الدولة منهم وهذا يعبر عنه الباحثون بقولهم إن الدولة تجنح

إلى اليمين.

٣- التأثر الواضح بالعودة العالمية إلى الدين.

والعجيب أنهم كلهم يستندون إلى نصوص التوراة المحرفة أو التلمود الذي وضعه لهم الحاخامات، وهذا يدل على أن المغضوب عليهم يعملون بطريقة انتقائية، كما يدل على أن تحريفهم للتوراة جعلها متناقضة!!

وقد بلغت قوة الحاخامات في إسرائيل حدا لا يعلمه كثيرون، ومن ذلك ما وافق عليه نتنياهو من حظر المباريات الكروية يوم السبت نزولا على رغبة المتدينين.

ومن العجيب أن رجال الدين اليهود يتوقعون نهاية "إسرائيل" حتى من كان يعيش داخلها، وذلك مبني على استقراء التاريخ مع قراءة التوراة نفسها.

أما الاغتصاب الذي يسمونه الاستيطان فهو حق مشروع لكل يهودي! فله أن يستولي على أي أرض تعجبه، وأن يقلع منها شجر الزيتون الذي غرسه الفلسطينيون إن شاء، وأن يهدم بيوتهم كما يشاء أو يحرقها، والحكومة الصهيونية تؤيده إما صدقا وإما نفاقا.

ولا يستطيع العلمانيون القضاء على المتدينين، ولا يستطيع المتدينون القضاء على العلمانيين، وإنما يقضي عليهما معا الجهاد في سبيل الله، فكلهم ظلمة معتدون يجب جهادهم.

واليهودي هو اليهودي سواء أكان في الشتات أم في القدس المحتلة، والعجيب أن بعض اليهود لم يستح من الدعوة إلى فرض الجزية على الفلسطينيين، مع أن العلمانيين العرب يستحيون من ذكر الجزية ولا يتحدثون عنها أبدا، وهذا ما أدى إلى أن بعض الدول تزيد الضريبة فيها عن ٤٠% من غير التزام بالشروط الشرعية للجزية، بل قال شيخ الأزهر أحمد الطيب عن الجزية "إنها أصبحت من الماضي".

اختلافات اليهود:

يعتقد اليهود أن عزيرا ابن الله، ومن أهم فرق اليهود الفريسيون الذين عانى منهم عبدالله ورسوله المسيح عليه السلام، فالفريسيون مع إيمانهم أن عزيرا ابن الله زادوا على الصدوقيين ابتكار الحيل على الله جل شأنه، كصيد الحيتان في يوم السبت، وبيع الأرض سنة التبوير صوريا ثم شراؤها، والاستفادة من الشحوم المحرمة عليهم، وقَتَل اليهود الأنبياء، كما أدخلوا التأويلات المختلفة للتوراة، ووضعوا التلمود الذي قال فيه النبي ﷺ: (إن بني إسرائيل وضعوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة).

ثم ظهر القراءون متأثرين بالجهمية، وولاهم بعض الملوك كالعبيديين الذين قال فيهم الشاعر:

يهود هذا الزمان قد ملكوا فمنهم المستشار والملك
يا أهل مصر نصيحتي لكمو تهودوا قد تهود الفلك

وقد تحدث شيخ الإسلام رحمه الله عن "شماي" و"هليل" وهما من قدماء فقهاء اليهود، واليوم تكتب عنهما منظمة التحرير الفلسطينية، ويعتقد اليهود قبحهم الله أن الله تعالى كالبشر سبحانه، وأن أحبارهم يصححون أخطاءه، وقد تأثر بهم بعض الفرق الإسلامية لاسيما الرافضة الذين تأثروا بعبد الله بن سبأ اليهودي، ثم بهشام بن الحكم الرافضي، وبشريعة داود كما يقول الرافضة، ولهذا قال بعض التابعين إن محنة الرافضة محنة اليهود، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية إن مشابهة الرافضة لليهود معلومة حتى أن بعضهم شبههم بالحمير لليهود.

ولما انتشرت الصوفية بين المسلمين تأثر بها اليهود على ما كان عندهم منها قبل الإسلام، وأكثر اليهود اليوم يؤمنون بعقيدة الحلول، ويسمون تصوفهم الظهور أو "الزهور" بالعبرية، كما يؤمنون بالسحر "القبالة" ويصنعون الأحراز والتمائم الشركية، ومن سحرتهم المشهورين في الإسلام

لبيد بن الأعصم الذي سحر النبي ﷺ في مشط ومشاطة، كما أنهم اطلعوا على ما كان في البيئة الإسلامية من الفلسفة والكلام فمالوا إليهما. وبعضهم أسلم مثل بشر المريسي والسموأل (صمويل المغربي) والفيلسوف ابن ملكا.

وبعضهم بقي على دينه، مثل موسى بن ميمون مؤلف "المقدمات الخمس والعشرون" التي كتبها بالعربية لكن بحروف عبرية!! حتى لا يفهمها إلا القليل من الطرفين، وهي المقدمات التي ابتهج بها فخر الدين الرازي قديما، والكوثري حديثا، وفي ظل الدولة الإسلامية أمن اليهود واطمأنوا على أنفسهم واشتغلوا بالمجوهرات والتجارة، ولهم أحياء خاصة بحسب الإقليم الإسلامي الذي يسكنون فيه وتسمى في أوروبا "الجيتو"، وفي المغرب "الملاح".

ولما قامت الثورة الفرنسية خرج اليهود من "الجيتو" واعتنقوا أفكارها ومنها الحرية والمساواة بين المواطنين أيا كان دينهم.

فنشأت فرق يهودية جديدة منها اليهودية الأرثوذكسية التي ظلت متمسكة ولو شكلا بالتوراة والتلمود" وكذلك اليهودية الإصلاحية، وهي متأثرة كثيرًا بالفكر الغربي العقلاني مع تأثرها أصلا بالفكر الاعتزالي.

ثم ظهرت اليهودية المحافظة لتكون وسطا بين الأرثوذكس والإصلاحيين، ولما اكتشف الغربيون امريكا هاجر إليها كثير من اليهود عكس رغبة كثير من المؤسسين الأوائل، وادعى المهاجرون الأوائل أن تلك الأرض هي أرض اسرائيل، وسموا أمريكا "أرض الميعاد"، وادعى الأمريكيون أنهم أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وهناك قامت لهم تجمعات وفرق جديدة، ولا يزال اليهود الأمريكيون أكبر تجمع يهودي خارج الدولة الصهيونية لا سيما يهود نيويورك، وأسس اليهود هناك مجلس الكنائس الأمريكية ومنظمة (إيباك).

ونشأت الحركة الصهيونية بقيادة الصهيوني المشهور (هرتزل)، وهذا الصهيوني المنافق أي غير المتدين على الحقيقة قابل السلطان عبدالحميد الذي

رفض التنازل عن فلسطين، وقال "إنها ليست ملكا لي ولا لأحد إنما هي وقف لجميع المسلمين إلى قيام الساعة"، كما أراد "هرتزل" مقابلة البابا النصراني الذي اشترط عليه الإيمان بألوهية المسيح تعالى الله عما يشركون.

ويظن كثير من اليهود أن اجتماعهم في أرض الميعاد نعمة كبرى، بينما ينكر ذلك آخرون من اليهود، إذ يعلم اليهود كلهم أن كلام الله حق وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ جِئۡنَا بِكُمۡ لَفِيفٗا﴾ [الإسراء:١٠٤]، وقال: ﴿وَإِنۡ عُدتُّمۡ عُدۡنَاۚ﴾ [الإسراء:٨]، ولهذا رفض كثير من اليهود الهجرة إلى إسرائيل، وأحد المسؤولين الصهاينة قال: "نحن نعلم أن المسلمين سوف يغلبوننا ولكن ليس في هذا الجيل بل عندما يكون المصلون في صلاة الفجر مثل من يصلي الجمعة".

وقد بدأت بوادر ما يسميه اليهود "اليوم الأسود" تلوح، حيث يغادر كثير من اليهود فلسطين المحتلة فيما تسميه حكومات إسرائيل (ردة)، مع أن المصيبة التي يقع فيها الليكوديون ليست محصورة في كون المغادرين كثيرًا، بل إن المغادرين يطالبون بتعويضهم، ويقولون إن الصهاينة خدعوهم وكذبوا عليهم، وادعوا أن الأرض تفيض لبنا وعسلا، بينما هي تفيض قتلا ورعبا.

وشيئا فشيئا خضع الغرب للسياسة اليهودية، وتولى رئاسة بريطانيا التي كانت عظمى آنذاك دزرائيلي، وأصدر "بلفور" وعده المشؤوم وأنشأ الغرب عصبة الأمم ثم هيئة الأمم المتحدة، وانتدب الانجليز على فلسطين مندوبا انجليزيا يهوديا هو "صمويل"، ودارت معارك طاحنة بين الفلسطينيين واليهود، وقامت عصابات "مناحم بيجن" بمجازر كثيرة ضد أهل فلسطين، ورأى الأمميون حل المشكلة بقرار التقسيم الذي ضغط الحكام العرب على الفلسطينيين ليقبلوه، وأنشأ اليهود دولتهم وسموها "إسرائيل" سنة ١٣٦٨هـ وجعلوا "بن جوريون" رئيسها بعد أن كان مديراً لما سمي الوكالة اليهودية.

وفي حرب صفر سنة ١٣٧٨هـ احتلت الدولة الصهيونية الضفة الغربية وسيناء والجولان وغزة، فوجد بعض اليهود ذلك فرصة تاريخية عظيمة

لقيام دولة إسرائيل الكبرى، وجعلوه تصديقا لنبوءات التوراة كما يزعمون، وقالوا هذه كلها أرض اسرائيل ولا تنازل عنها، في حين رأى بعض اليهود أن ذلك شؤم على الدولة اليهودية، وأن اللقمة أكبر من أن يبتلعها الصهاينة، ثم كانت حرب رمضان للتحريك كما قال أنور السادات وليست للتحرير، وعقد الثلاثي "جيمي كارتر" و"بيجن" و"السادات" اتفاقية العار والذل والهزيمة التي سميت اتفاقية "كامب ديفيد"، لأنها وقعت في معسكر داود في أمريكا، وألف "كارتر" كتابه "دم إبراهيم"، كما ألف بعض دعاة التطبيع العرب "عندما تسكت المدافع"، وطمع الصهاينة في احتلال مصر كلها ثقافيا وتربويا مقابل بقاء سيناء منزوعة السلاح.

ثم وضع القوميون العرب ما سمي "المبادرة العربية للسلام" ضد لاءات الخرطوم، غير أن اليهود رفضوا المبادرة بحجة أنها مخالفة للتوراة.

ثم إن اليهود اضطروا للانسحاب من قطاع غزة لكثرة قتلاهم فيه، وإخفاقهم في السيطرة عليه.

وقام المتصهينون العرب ومخابراتهم بأكثر مما كان يحلم به اليهود، لا سيما حينما حاصر السيسي وعباس قطاع غزة أكثر من محاصرة اليهود له.

ولكن الشعوب الإسلامية شرقا وغربا تكره اليهود، وسوف تحرر بيت المقدس بإذن الله، وسوف ينتهي ما يرتكبه اليهود اليوم من اغتصاب للمزارع والأراضي، وقرصنة واعتقالات تعسفية، وطرق التفافية، وهدم للمنازل، وإقامة للجدران، وحصار مستمر، وتعذيب للأسرى، وأحكام جائرة وغير ذلك، وليس لعرق ظالم حق ولا بقاء.

واليهود حين يستعملون معنا سياسة الإفراط في القوة، يقولون بلسان حالهم إن هذه هي اللغة التي تفهمها إسرائيل ومن ورائها أمريكا، وليس المفاوضات العبثية التي ينادي بها بعض المنهزمين ويؤيدها بعض من يريدون التطبيع!!

وعلى كل حال يشهد المشروع الصهيوني تراجعًا واضحًا، وكثير من

الشعوب الغربية فضلا عن غيرها زاد وعيه بمكائد اليهود وخبثهم.

أما الدويلة اليهودية "إسرائيل" فقد كثرت فيها الأحزاب والانشقاقات، حتى أصبح الناظر إليها في حيرة من أمره، وهو يشاهد تلك الدوامة المحيرة والمعقدة، فالأحزاب اليسارية ذات برامج يمينية، والأحزاب اليمينية برامجها يسارية، والمتدينون والأحزاب الدينية برامجها علمانية، والأحزاب العلمانية برامجها دينية، كما أن أحزاب المعارضة برامجها حكومية وأحزاب الحكومة خاضعة للمتدينين.

وبعضهم صهاينة وبعضهم يلعن الصهاينة، وبعضهم يشارك في الانتخابات وبعضهم لا يشارك، وجيل الصابرا (المولودون في إسرائيل) غير جيل الشتات، ومنذ قيام الدولة لم يحكمها حزب واحد قط، بل هي في حاجة دائمة إلى الائتلافات المتكررة، والفوز الساحق عندهم هو أن يحظى حزب واحد بأصوات ربع اليهود، وصدق الله العظيم (تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى)، ومن نتائج هذه الفرقة والتشتت أن دولة "إسرائيل" هي الدولة الوحيدة في العالم التي لا حدود لها ولا دستور، ولا يزال الجدل محتدما بينهم منذ عدة عقود حول "من هو اليهودي"!

وفي إسرائيل يتحكم الملوك غير المتوجين أي "الأدمورات"، وهم رؤساء الطوائف.

وأقدس الأماكن عند اليهود هو "الهيكل" المزعوم الذي لم يبق منه حسب اعتقادهم إلا حائط المبكى، وهذا الحائط المسمى عند الفلسطينيين حائط البراق لا تأتيه امرأة يهودية قط، بل ولا صهيونية حتى أن ترامب لما زاره لم يصطحب معه إيفانكا ابنته.

وللدين مكانته في إسرائيل حتى أنه عندما أراد الصهاينة أن يكذِّبوا وجود أسرى يهود عند الفلسطينيين استعانوا بالحاخام الذي أعلن أن الأسرى لدى حماس قتلى ولما أرادت حماس تكذيبهم جميعا تكلم الأسرى بأصواتهم ووجهوا رسائل إلى عائلاتهم وإلى الحكومة الإسرائيلية.

ومما سبق يتضح لنا مكانة المتدينين اليهود، والعاقل يقارن بينه وبين المتدين عند الحكومات التي تدعي أنها إسلامية!

ومن العجب أن يسمح اليهود للمتدينين اليهود داخل إسرائيل بقفل دور السينما وقفل المحلات عصر الجمعة استعدادا لقدوم السبت، في الوقت الذي يندفع فيه -أهل التوحيد- في بلاد الحرمين لفتح دور للسينما وتقويه هيئة الترفيه!! وتقليص صلاحيات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

فانظر إلى أين يتجه اليهود وإلى أين يتجه هؤلاء.

حكم اليهود في شريعتنا:

ديننا يحرم ظلم اليهود والنصارى أو أي أحد مهما ظلمونا، ونحن نعقد معهم الذمة، وقد أخبرنا صلوات الله وسلامه عليه أنه من قتل معاهدا لم يجد رائحة الجنة.

وأما إخراجهم من جزيرة العرب فقد نص عليه ﷺ، وجزيرة العرب تشمل ما هو أوسع مما قد يظن بعضنا، فعلى قول الخليل تكون منطقة جنوب الفرات من جزيرة العرب، وعلى قول الحافظ ابن عساكر في "تاريخ دمشق" يكون بعض بلاد الشام منها أيضا، ولا يخالف في ذلك أحد. ومن المعروف تاريخيا أن الغساسنة والمناذرة قبل الإسلام كانوا هم الحكام هناك، وهاتان قبيلتان أو عشيرتان أو أسرتان يمنيتان، وأكثر الملوك كانوا من الأزد، ونشروا هناك العادات العربية، واللغة العربية، وكانوا يرون تلك البلاد جزءا من بلاد العرب.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية إن أهل الشام كان كثير منهم يتكلم العربية أو يفهمها في الجاهلية، وتدل النقوش الحديثة على معرفتهم بالعربية، وكثير من الآثاريين يجزم أن ذلك حصل في القرن السادس الميلادي، قبل الإسلام.

والمقصود أن قوله ﷺ: (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب)،

يدل على أن الحكم لا يختص بالحرمين، وإن كانت الحرمة فيهما أشد، وهكذا فهم الصحابة رضي الله عنهم، فإنما أذن لهم الفاروق عمر ﷺ أيام خلافته بثلاثة أيام يقيمون فيها في ظاهر المدينة، حتى يشتري منهم المسلمون ما يحتاجون إليه.

وعلى تلك الوصية الشريفة استمر الحال زمن الأمويين والعباسيين والأتراك.

حتى أن جواسيس الكفار يدعون أنهم سياح أو حجاج ويتسمون بأسماء إسلامية كما فعل "خرونيه"، أو مكتشفون، أو آثاريون يأتون جزيرة العرب فرادى متخفين كما فعل (نيبور)، والمؤسف أنهم هذه الأيام سكنوا الرياض وجدة وينبع والجبيل وأنها بل كل المناطق مباحة لهم، وقد ألف أحد المتأخرين كتاب (الفرج بعد الشدة في أن النصارى لا يدخلون جدة).

والمنطقة الخاصة بالأمريكان في شركة أرامكو لا يستطيع أي مسلم أن يدخلها، وهي منطقة ساحلية كي يستطيع الأمريكان السفر أو القدوم من أمريكا أو التعري أو بناء الكنائس كما يشاؤون، وتهريب ما شاءوا من النفط دون أن يطلع على ذلك أحد.

وفقهاء الإسلام كلهم لا يختلفون في منعهم من الدخول في جزيرة العرب، حتى أن الإمام الشافعي رحمه الله نصَّ على أن جزر جزيرة العرب منها، ومن أهم هذه الجزر جزيرة البحرين وجزيرة حنيش وجزيرة سقطرة، وجزيرة أبي موسى، وإنما وقع الخلاف بين العلماء في الحد الشمالي الذي يفصل جزيرة العرب عن الشام والعراق، حيث جعله بعضهم الفرات وتبوك، وجعله آخرون وادي القرى، مع اتفاقهم على أن معان من الشام، وابن عساكر جعل من الشام تيماء ودومة الجندل.

والمهم أنه لا يجتمع في جزيرة العرب دينان ولا قبلتان، حتى في دبي والكويت وكما لا يجوز إقرار اليهود والنصارى على السكن بجزيرة العرب،

لا يجوز كذلك إحياء عادات الجاهلية العربية وشعائرها فيها مثل الصنم "نسر" وسوق عكاظ، ونحو ذلك.

أما أن يسكن أهل الذمة المنطقة الشرقية أو الرياض أو جدة، فذلك لا يجوز، وكل الكفار والمبتدعة ينبغي إذلالهم ولكن لا يجوز ظلمهم.

وأشنع من ذلك ما نراه اليوم من مئات الآلاف من الأوروبيين الأمريكان، مع مالهم من ميزات لا يحلم بها مواطن فضلا عن المقيم.

كما يحرم بناء الكنائس أو معابد الهندوس في جزيرة العرب، والسماح بذلك مخالف للكتاب والسنة وإجماع الصحابة والفقهاء، ولكل ما درجت عليه الدول الإسلامية المتعاقبة.

فالمسألة إجماعية و لم ينسخ منها شيء.

اليهود غير الصهاينة وحيل اليهود:

أشهر الفرق اليهودية غير الصهيونية فرقة أو جماعة "ناطوري كارتا"، وهي جماعة يهودية تعتقد أن الشتات خير لليهود من الدولة الصهيونية إسرائيل، وهم شديدو العداء للصهيونية، والصهانية يقتلونهم إذا استطاعوا، ويعتقدون أن قيام دولة إسرائيل ضد الله وضد أحكام التوراة.

وهم ليسوا في إسرائيل فحسب؛ بل في بريطانيا وأمريكا وغيرهما، ومنهم الحاخام "ديفيد وايز"، ويقولون إن أحسن المعاملة لليهود هي معاملة المسلمين، والحاخام المذكور يزور غزة.

واليهود المتدينون في إسرائيل -وما أكثرهم- لا يخضعون للحكومة، بل الحكومة هي التي تخضع لهم ويحاول "شامير" و"بيريز" و"باراك" و"نتنياهو" أن يتقربوا إليهم بأي وسيلة كسبا لأصواتهم، والمغتصبون - المستوطنون- أصوليون متدينون، يتبعون شريعة التوراة ويغيرون المنكر - كما يرون- بلا إذن من الحكومة أو أحد غير التوراة والتلمود وفتاوى الحاخامات ويفرضون الحجاب على النساء، ويمنعونهن من زيارة الأماكن المقدسة عندهم التي من

أعظمها الآن حائط المبكى كما تقدم، ويفرضون القبعة السوداء على الرجال "الكاب"، ويحرقون المتاجر التي تبيع ما لا يرضون أو تحرمه التوراة أو التلمود، كالأغاني والأفلام الخلاعية أو الملابس القصيرة للنساء، أو بيع الطعام غير اليهودي، كما أهم يمنعون الناس -رجالا ونساء- من قيادة السيارات أيام العطل ويفرضون الطعام اليهودي "الكاشير" على كل مطعم، ويحرمون العمل بكل أنواعه يوم السبت، وأمثال ذلك من الشرائع اليهودية البالغة ٦٣٠ شريعة، وذلك من إصرهم والأغلال التي عليهم، ولو آمنوا برسول الله ﷺ لوضعها عنهم.

وهم يؤمنون بترك الزراعة في السنة السابعة التي يسموها "سنة التبوير".

ومن شرائع اليهود إباحة الزواج ببنت الأخ، كما أهم يلزمون الأخ بأن يتزوج أرملة أخيه المتوفى كما تقول توراهم.

ومن طبائعهم أهم جعلوا لكل شريعة حيلة تخلِّصهم منها إذا شاءوا.

ومن حيلهم تغيير التوقيت يوم السبت لكي يكون بقية الجمعة مثلا، أو الابتعاد مسافة معينة تخلصا من بعض الشرائع، أو بيع الأرض صوريا للتخلص من سنة التبوير.

والمهم أهم يفعلون ما شاءوا دون أن يتهمهم أحد بالإرهاب والتكفير والتشدد، وكل شرائعهم هي شرائع التوراة وأحكامها، وتفسيرات الحاخامات لها، والحكومة الإسرائيلية تخضع لتلك الشرائع إما صدقا وإما نفاقا، ولا بد أن يكون لجيشها الذي يسمونه جيش الدفاع الإسرائيلي موجهون دينيون، دون أن يشارك طلاب المعاهد التوراتية في التجنيد، إذ تعفيهم الحكومة من ذلك، وهذه المعاهد في كل مكان، أو يلجأ إليها كل من يريد التخلص من الخدمة في الجيش.

ويمكن تلخيص مكانة الدين عند اليهود وأن جنرالاهم في قبضة الحاخامات فيما يلي:

١- أن الحكومة هي التي تحابيهم وتداهنهم وليس العكس ومن حقهم

دستوريا إنشاء حزب ديني أو منظمة دينية ومن أحزابهم حزب راية التوراة وكتلة الإيمان (عموش أمينيم)، ومن حقهم أن يرفضوا قرارات الحكومة وأن يقاطعوها ويأمروا الناس بمقاطعتها.

٢- يجب على الحكومة الالتزام المطلق بفتواهم وتنفيذها حرفيا، ولا يجوز لأي قناة او صحيفة أن تنشر عنهم ما يكرهون، ومن حقهم الاعتراض على أي قناة أو صحيفة لو فعلت ذلك، وأن يتظاهروا ضدها، وهذه المظاهرات تنشرها قنواتهم الفضائية كما تنشرها قناة الجزيرة القطرية.

٣- لا يجوز عندهم أن تتنازل الحكومة عن أرض إسرائيل كما يسمونها، ولو فعل ذلك أحد لكان قتله حلالا كما فعلوا بإسحاق رابين، وكل ما يحتله اليهود هو أرض إسرائيلية محررة!!

٤- يرفضون حل الدولتين علنا، كما يرفضون التطبيع مع العرب كافة، ويرفضون المبادرة العربية، ولا يخفون أطماعهم في كل أرض سكنها اليهود كالمدينة وخيبر واليمن.

٥- يجاهرون بفرض الجزية على الفلسطينيين.

٦- لليهودي عندهم تعريفهم الذي يخالفون فيه الحكومة، وكثيرا ما عانت منهم الحكومة الإسرائيلية بسبب مشكلة "من هو اليهودي؟"، ولا يزال ذلك مشكلة عويصة لم يحلها اليهود منذ أيام "بن جوريون" إلى أيام "نتنياهو".

٧- يؤمنون بخروج مسيحهم المنتظر الذي هو المسيح الدجال، كما ذكر ابن القيم في "هداية الحيارى"، بل ثبت في الحديث أن الدجال يترل بباب لد، وأنه يتبعه من يهود أصفهان سبعون ألفا.

٨- يرون أن كل الزعماء الصهاينة كذابون ويصرحون بذلك.

٩- يستحلون قتل كل مخالف وليس ذلك فقط، بل يقتلون دوابه كما في "سفر يشوع" من التوراة.

١٠- يُدخلون في التشكيلة الوزارية الإسرائيلية من يشاؤون من الوزراء

لا سيما وزير التربية والتعليم، ووزير الأديان ووزير الداخلية ووزير المالية.

١١- يحق لهم تفتيش المناهج وقفل المدارس أو الأسواق المخالفة للتوراة.

١٢- يحق لهم جمع التبرعات والصدقات من أي أحد ويوزعونها في أي مكان من العالم يريدون.

١٣- يحق لهم طبع أي كتاب يريدون نشره وتوزيعه.

١٤- يلزمون كل المطاعم الإسرائيلية والوزارة المختصة بتقديم الطعام اليهودي "كاشير" وحده، ويحرمون المخنوق والخنزير ويمنعون استيراده مطلقا.

١٥- يرسلون لحاهم ويمنعون التماثيل عملا بالوصايا العشر التي يقولون إن الله أوحاها إلى موسى.

١٦- يجب عندهم إفساد "الجويم" وهم غير اليهود، ولو بإلقاء القوارب المطاطية المليئة بالمخدرات إليهم، وذلك عين ما فعلوه في البحر الأحمر خصوصا شواطئ جدة، ويكتبون بذلك لكل الدول التي ربما أتلفت ما يُصادر من المخدرات.

١٧- يحرمون الربا مع اليهودي ويجيزونه مع غيره.

١٨- إذا زنت عندهم البنت فعقوبتها الحرق كما في التوراة.

١٩- من جملة العمل الذي يحرمونه يوم السبت ركوب السيارة أو الطائرة.

٢٠- من شريعتهم أنه إذا حاضت المرأة فهي نجسة لا يجوز مؤاكلتها ولا مجالستها ولا مساكنتها.

٢١- لا يجوز حسب كلام فقهائهم زراعة الأرض في السنة السابعة "سنة التبوير".

٢٢- لا حرج عندهم في تعذيب أي فلسطيني أو عربي أو أي إنسان غير يهودي.

٢٣- هم الذين ينتخبون الحاخام الأكبر وليس للحكومة تدخل في الأمر.

٢٤- يجب عندهم على كل يهودي أن يتعلم اللغة العبرية لأها لغة التوراة.

٢٥- يمنع النساء من زيارة حائط المبكى حسب دينهم.

٢٦- يجب عندهم هدم المسجد الاقصى وإقامة هيكل سليمان مكانه!

٢٧- لا يشترون أي سلعة من غير المتدينين، ومن القربات في دينهم مقاطعة غير اليهود.

٢٨- الميت عندهم نجس وكل من يقربه يتنجس.

٢٩- يلتزمون بشرائع التوراة البالغة ٦٣٠ شريعة مر ذكرها بعضها فيما سبق.

والمتدينون غير الصهاينة يقولون إنهم سيصبحون الأكثرية في إسرائيل ونساؤهم يتنقبن ولا أحد يتهمهم بالإرهاب، والمؤسف أن الإعلام السعودي لا يذكرهم ويذكر تأثيرهم على نتنياهو.

(الصهيونية النصرانية وأصل الدين الكتابي)

الصهيونية النصرانية أقدم وأخطر من الصهيونية اليهودية، وهي تنطلق من أفكار "مارتن لوثر" و"كالفن"، وتؤمن بحرفية التوراة التي يؤمن بها البروتستانت، لكن مجامع الكاثوليك والأرثوذكس ورجال دين الطائفتين يفسِّرون التوراة دون الجزم بحرفيتها. وكثير من النصارى لا يلتزمون بالتلمود، ويعتبرونه آراء خاصة لفقهاء اليهود.

وصهيونية البروتستانت لا تحتاج لتفسير، أما الكاثوليك فمنشأ ذلك عندهم هو الهوى والإيمان بما يسمونه الألفية السعيدة حسب بدعهم، والبابويون يؤمنون ببدعة الألفية ويعتقدون انها تبدأ بنزول المسيح عليه السلام

في فلسطين حيث كما يعتقدون سوف يؤمن به اليهود، ويقاتل الأشرار "المسلمين"!!.

ومن تناقضاتهم وضلالهم أنهم يكرهون اليهود مع إيمانهم بالتوراة، ولما عقد النصارى المجمع المسكوني سنة ١٩٦٢م قرروا براءة اليهود من دم السميح عليه السلام، وهذا مكذِّبٌ لما في أناجيلهم من أن اليهود وشوا به إلى الحاكم الروماني وصلَبه!!

أي أن الصهيونية تغلغلت في الكاثوليكية، وقد حذرني أستاذ لاهوت بروتستانتي هولندي مما يسمى الحوار الإسلامي النصراني، وقال "مجلس الكنائس العالمي صهيوني"، والصهيونية دخلت بمكرٍ في الكاثوليكية وأصبح بعض البابوات في الفاتيكان يهودا في الباطن، وأنا أخالف الحوار مع النصارى لسبب أعمق، وهو أنه مخالف لكتاب الله ولا يدعو النصارى إلى التوحيد، وذلك يشمل كل الطوائف النصرانية.

والحاصل أن الله تعالى كما ذكر في القرآن ألقى بين اليهود العداوة والبغضاء، كما أنه ألقاها بين اليهود والنصارى فقال كل منهما للآخر لست على شيء، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة:١١٣]، وقد شهد التاريخ النصراني كراهية شديدة لليهود، ومحاولات كثيرة لإجلائهم، وما عمله النازية في المحرقة "الهولوكست" إنما هو بعض ذلك العداء، واليهود في داخل إسرائيل بينهم اختلافات عميقة وانشقاقات كثيرة ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤]، حتى أن جيل الصابرا منهم غير جيل الشتات، واليساريون منهم عكس اليمينيين، كما أن اليهود المتدينين يكرهون الإصلاحيين، وإنما يتفق الجميع على أمر نظري واحد وهو مصلحة اليهود، ويكفِّر كل طائفة الأخرى حتى أن اليهود الأرثوذوكس يرون أن العلماني أقرب لهم من الإصلاحي، ومن أسباب الخلاف بين الصهاينة والأمريكان أن قيادة الأمريكان لما يسمى العالم الحر تفرض عليهم التزامات كثيرة، وأنهم يراعون النصوص الدستورية

الأمريكية وإن كانوا يهودا، وأن مخالفي الحكومات الإسرائيلية الإسرائيليين ينقلون وجهة نظرهم لليهود الأمريكان، فالحكومة الأمريكية قد تخالف الحكومة الإسرائيلية لكن من منطق أن ما يراه الأمريكان هو أفضل لإسرائيل، وقد كان رأي بوش وأوباما حل الدولتين عكس رأي نتنياهو الذي يؤمن بدولة يهودية واحدة، ويؤيده في ذلك دونالد ترامب.

وفي العصر الحديث ظهرت الفكرة الصهيونية التي كان كثير من زعمائها غير متدينين، ولا يذهبون للكنائس، ولما ماتوا لم يصل عليهم كثير من اليهود، بل ارتد بعضهم عن الصهيونية، ومنهم شريك هرتزل في تأسيس الصهيونية "ناثان برنباوم"، وبعض اليهود يرتد عن الدين اليهودي من أصله مثل الكاتب البريطاني "آرثر كوستلر"، ومنهم اليهودي الكبير "آحادها عالم" أي "أوحد العالم" والأديب اليهودي "ت.س.إليوت"، وممن كفر بإسرائيل الفيلسوف اللغوي الشهير "نعوم تشومسكي"، الأمريكي وقد خدعته الأساطير الصهيونية، وعاش في إسرائيل وزار كثيرا من الأماكن، ثم رأى الفرق الهائل بين الأساطير والحقائق فارتد عدوا لإسرائيل وأمريكا.

وبعض اليهود أمر بإحراق كل ما كتب مثل "فرانز كافكا"، وكثير منهم يكفرون بالتلمود جملة، وبعض فرقهم يخالف الفرق الأخرى في قضايا أساسية كالبعث، وهكذا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء كما ذكر سبحانه ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤]، حتى في عهده ﷺ جعلوا دية النضري ضعف دية القرظي.

على أن أخطر أنواع الصهاينة هم العرب الذين يخدمون إسرائيل كما قال الشيخ أحمد القطان في محاضرته عن "يهود العرب"، وأخطر أنواع الصهاينة هم الصهاينة المدعين العروبة، كما قال خلف بن هذال وعبدالواحد الزهراني، وخير مما قالوا قوله ﷺ: (قوم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بلغتنا)، وكذلك الأمريكان العرب الذي يعطون إسرائيل كل مساعدة مادية أو معنوية، سرا أو جهرا، وكذا كل من يعترف بالكيان الصهيوني وكل من

يخدم الصهيونية وإن توشح بوشاح آخر، كالتنسيق الأمني، والواقعية السياسية، وعد مقاومتها إرهابا!

وقد قال الأستاذ عبدالله الناصر عن "قناة العربية" إنها قناة صهيونية، ولما تقوم به هذه القناة من تضليل تبنتها وحدة التضليل في البنتاجون مع "الحرة" وأخواتها.

وهؤلاء العرب هم الغرقد الذي يختبئ خلفه نتنياهو وزمرته، والواجب تجاه الصهيونية هو جهادها ومقاطعتها وليس الاعتراف بها بأي شكل ولا زيارتها، كما يفعل بعض الصهاينة الفلسطينيين أو العرب.، وكذا أن يكون العرب جواسيس لها باسم التنسيق الأمني!

ولما رأت أمريكا رأي العين أن المسلمين يكرهونها أينما حلت أسندت المهمة إلى دولة الإمارات العربية المتحدة، التي قامت خارج إسرائيل بما يقوم به المستعربون داخلها، وينبغي مع مقاطعة إسرائيل أن نقاطع أي دولة تساعدها غربية كانت أم عربية، وأن نعلم أن اليهود قبحهم الله قد فطنوا لهذا الأمر قديما، وهم أخبث من أن يكتبوا على منتجاتهم "صنع في إسرائيل"، بل كثيرا ما يكتبون صنع في الولايات المتحدة الأمريكية، أو في قبرص أو في إيطاليا، أو أي دولة غربية أو عربية.

وعلى خطباء الجمعة في كل مكان أن يدعوا على اليهود ويبينوا خطرهم للناس، ويحثوهم على مقاطعة منتوجاتهم خاصة الإعلامية منها، وأن يدعوا للمجاهدين في أرض الشام المباركة، فالله تعالى عظَّم المسجد الأقصى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، وجعل له فضائل ليست لغيره من المساجد، وكذا بلاد الشام عامة، فمقاطعة اليهود وأوليائهم أدنى الواجب وأضعف الإيمان.

وعلى المخلصين في الجمارك أن يمنعوا أي بضاعة يشتبه في أنها يهودية، وعلى الحكومات الاهتمام بذلك، وهذا على الأقل من باب المعاملة بالمثل، فانظر مثلا كيف أن الدنمارك تمنع بعض مواطني بلاد الحرمين بالاسم من

الدخول إليها، ومع ذلك تعمل شركاتها في السعودية وبضائعها في كل المتاجر هنا.

واليهود كتب الله عليهم الذلة إلا بحبل من الله أو حبل من الناس، فأما الحبل من الله فليس إكراما لهم، ولكنه تسليط إذْ اقتضت الحكمة الجليلة أنه إذا عصاه من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه.

وأما الحبل من الناس فإن أكبر حليف لهم اليوم هو أمريكا، وأكبر داعم لهم بعد أمريكا هو الغرب.

وكلاهما سينقطع حبله يوما، وتعود الذلة والمسكنة على اليهود، ونشير هنا إلى بعض أسباب انقطاع حبل الناس عنهم:

١- الأزمة الاقتصادية التي تمر بها أوروبا وأمريكا اليوم، وسوف تنتهي بهم بإذن الله إلى الكساد والانهيار.

٢- إعلان "ساندرز" أنه لن يقف مع إسرائيل والتأييد الشعبي الذي حظي به، وهذا أول تصريح في التاريخ لمرشح أمريكي للرئاسة، وهو يؤيد قول من يرى أن "ساندرز" يهودي ولكن من الطرف الآخر، ونرجو أن يتبع "ساندرز" غيره وأن تفيق أمريكا من سباتها وتعود إلى رشدها.

وهكذا ينقطع الحبل الأول بكفرهم بالقرآن ورسالة رسول الله ﷺ ثم بهذه التوبة العامة والرجوع إلى الله، وبأن كل الشعوب الإسلامية تتمنى اليوم الذي يتاح لها فيه أن تحارب اليهود، وينقطع الحبل البشري -مهما طال الزمن- بالانهيار الاقتصادي والاجتماعي للغرب، مع تنامي صحوة شعوبه ومعرفتهم بالحق الفلسطيني والأساطير الإسرائيلية، وإذا ذهب الغرب ذهب الصهاينة من اليهود وذهب معهم المتصهينون من العرب، ومن يطبل لهم من الليبراليين، وهكذا تعود عليهم الذلة والمسكنة ويذهبون كما ذهب التتار والصليبيون.

واليهود عرفوا كيف يخدعون المسلمين في هذا الزمان، ومن ذلك أن مندوب "معاريف" زعم أنه رحالة استطلاعي، وهو إنما يريد مترل الشيخ

محمد بن عبدالوهاب مع أغراض سياسية أخرى يريدها من أرسله.

ولا تستغرب أخي المسلم أن يأتي مندوب معاريف إلى الرياض ويزور بيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالدرعية، فالداء قديم عمره عقود، وكذلك الاستغفال وقد التقى فؤاد حمزه بحاييم وايزمان وتباحث معه وصمت أهل العلم عن ذلك، وكان الانجليز يريدون إعطاء اليهود بعض جزيرة العرب ليقيموا فيها دولتهم، وتحدث الدكتور منير العجلاني عن كون الأحساء هي إحدى الخيارات التي طرحتها بريطانيا من أجل إقامة وطن قومي لليهود، ولكن اليهود رفضوا الأحساء ورفضوا اقتراحات "فيلبي" ورفضوا أوغندا ورفضوا الأرجنتين، وإنما اقترح ذلك جهلة الحكومة البريطانية بنوايا الصهاينة، لكن "بلفور" بحكم يهوديته التي قالها السناتور "ديوك" وبحكم أن سالسبوري خاله يعلم أن الصهاينة يريدون فلسطين، واختاروا فلسطين لأنها أرض الميعاد، ولها أوصاف في التوراة، وهي أرض الأنبياء، والعقبة الوحيدة التي تحول بينهم وبينها هي السلطان عبدالحميد الثاني، واختلقوا لذلك أسطورة "أرض بلا شعب لشعب بلا أرض"!!

كما أن الإعلام السعودي غيَّر مصطلحاته فما كان احتلالا يهوديا للأرض المقدسة أصبح نزاعًا عربيا إسرائيليا، أو مناوشات بين الفلسطينين واليهود، وسلّمت السعودية القضية الفلسطينية لمصر.

وكان المندوب البريطاني في فلسطين هو اليهودي الآخر "صمويل"، أما العرب فكانوا خونة أو جهله، لا سيما في الوقت الذي كان فيه الملك عبدالله الأول ونوري السعيد يظنان في بريطانيا ما يظنه الليبراليون في أمريكا اليوم.

واليهود شعب صغير قطّعه الله في الأرض أمما وألقى بين أفراده العداوة والبغضاء، وليس له حضارة مطلقا، وإنما يحاولون بمعونة الدول الغربية لا سيما أمريكا افتعال ذلك وتزوير التاريخ كما أثبت الباحث "كنيث وايتلام".

وأعظم أمجادهم المدعاة هي أيام نبي الله سليمان عليه السلام الذين يعدونه ملكهم ويزعمون أنه بنى الهيكل، بينما الثابت في الحديث أنه بنى

المسجد، أما الزعم بأنه حكم الدنيا فهو من الخرافات الإسرائيلية التي ينكرها التاريخ اليوم، وقد ذكر الله في كتابه أنه لم يكن يعلم شيئا عن ملكة سبأ وليس ملكه الدنيا بثابت في ديننا، وإنما غاية ما في المصادر الإسلامية الموثوقة أنه عليه السلام حكم الأرض المباركة (الشام)، وكانت دمشق قاعدة له كما في تاريخ ابن عساكر، والله أعلم.

والعملة الإسرائيلية اليوم هي "الشيكل"، وفي ذلك إحياء للعملة القديمة "الشاقل"، والشيكل اليهودي اليوم يعادل ٣.٦٠ من الدولار، أي أنه قريب من الريال السعودي.

كما أن منظمة اليونيسكو قالت إن كل مدينة القدس إسلامية، وأنكرت أن يكون لليهود أي أثر فيها، ورد نتنياهو على ذلك بأنه سوف يشارك بنفسه في عمليات الحفر تحت المسجد الأقصى.

إرهاب اليهود:

دأب اليهود على الأعمال الإرهابية قديما، وذلك ما تأمر به توراهم كما في سفر يشوع مثلا.

وفي هذا العصر كون "بيجن" عصاباته الارهابية المتعددة ومنها "شتيرن وأرغون"، ثم أصبح نتنياهو رمزا من رموز الإرهاب الظاهرة، وأعماله في الأرض المقدسة لا تخطئها العين، وإذا هلك نتنياهو أو عزلوه فسوف يأتون بإرهابي ياهو آخر، وحسبك من إرهاب اليهود أنهم أحرقوا الرضيع "الدوابشة" وغيره من الأطفال، وأن الإعلام السعودي مر على ذلك كأي خبر عادي، ولو كان الذي فعل ذلك مسلما لأطنبوا في التشنيع عليه كما فعلوا في قضية معاذ الكساسبة، ولليهود أساليب خطيرة في الإرهاب تتمثل في احتوائهم لبعض المهن التي يمكن بواسطتها إماتة أفراد الجوييم دون علم، لا سيما مهنة الطب، ومن الحقائق التاريخية أن طبيبا يهوديا واحدا قتل ٢٥٠ شخصا غربيا، وذلك بحقنهم بجرعات قاتلة من المورفين، ومما يؤسف له أن

بعض الأطباء اليهود يحمل جنسية أمريكية ويعمل في المستشفيات السعودية ومنها المستشفى التخصصي.

وكما يتفوق اليهود في الاغتيال بالوسائل الطبية يتفوقون كذلك في الحرب البكتولوجية، وكلما أنتجوا سلاحا جديدا باعوا أو أجروا السلاح التقليدي على الدول النفطية في الشرق الأوسط، فتاريخهم كله دسائس ومؤامرات كما أثبت الباحث التاريخي "غوستاف لوبون"!!

(أصل ديانة أهل الكتاب):

من الثابت تاريخيا أن أصل دين أهل الكتاب المحرف هو الوثنيات التي كان يعج بها حوض البحر الأبيض المتوسط، فقد سكن كثير من الشعوب في حوض البحر الأبيض المتوسط الذي كان المسلمون يسمونه "بحر الروم"، ومن هذه الشعوب الفينيقيون والكنعانيون والحثيون والعموريون والفراعنة، وكان أكثرهم مشركين كما ذكر الله تعالى في القرآن، وكانوا يعبدون بعلا ويضحون بأكبر أبنائهم ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَـٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧]، ويقدمون بواكير زراعاتهم قربانا لأربابهم، ومن المدن التي اشتهرت بهذا الشرك صور في لبنان، التي يسميها الأمريكان اليوم "تور"، ومنغ في مصر وقرطاج في تونس، ولما انتصر الأسكندر الكبير على الفرس وسيطر اليونان على مصر وكثير من بلاد الشرق، جعلوا عاصمتهم "هليوبوليس"، وزعموا أن طيبة اليونانية هي أفضل مدن الدنيا، وبنى الاسكندر ست مدن سميت باسمه أهمها اليوم مدينة الاسكندرية في مصر.

وكان مربي الاسكندر هو الفيلسوف اليوناني المشهور أرسطو الذي كان مشركا مثل تلميذه، ومات أرسطو منتحرا عياذا بالله قبل بعثة المسيح عليه السلام بنحو ثلاثة قرون.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أرسطو لم يأت للشام

وصدق، وإنما سمع أرسطو من زنادقة أهل الكتاب بعد سليمان عليه السلام، الذي يقولون إنه عاش قبل المسيح بحوالي عشرة قرون، وعن مشركي المصريين.

وأول شرك وقع فيه أولئك الوثنيون هو عبادة الموتى الذي يسميه الانتربولوجيون "عبادة الأسلاف"، واقتبس ذلك منهم أهل الكتاب، وتلاقح البدع وانتشار الرهبنات في الغرب حقيقة يعلمها كل باحث انتربولوجي أو مقارن بين الأديان، فلما عبد قوم نوح الرجال الصالحين منهم بعد أن صوروهم عبد المشركون معظَّميهم في مرحلة قديمة يقول بعض الغربيين إنها تعود إلى ما قبل التاريخ والله تعالى أعلم.

والمهم أن أولئك المشركين عبدوا المقبورين، وهكذا تطورت البدع حتى أنه يوجد في مصر ضريح يسمونه ضريح الخواجه، وهو هولندي نصراني قدسه القبوريون في هذا العصر، وعبده الجهلة وإذا نفق حمار أحد المسافرين أو أراد جمع المال، بنى على مدفن الحمار ضريحا، وطلب من الجهله النذر له، وسماه مقام الشيخ (صابر)!

وذكر الأمير شكيب أرسلان في الحلل السندسية أن في شمال أسبانيا قبراً يزعم الأسبان أنه قبر (يعقوب) أخو المسيح عليه السلام، ولما ذهب الأسبان إلى الأمريكتين نقلوا إليها خرافة قديسيهم المزعومين، وسموا مدينة "سانت ياغو" في غرب أمريكا على اسم القديس يعقوب عندهم، وكثر ذلك جدا حتى أن كثيرا من المدن تكون على اسم قديسها "سان" أو "سانت"، وجعلوه حارسا أو شفيعا للمدينة وجعلوا له عيدا، في أحد أيام السنة، وجمع الأمريكيون القديسيين كلّهم في عيد واحد سموه "هالوين"، مع بقاء عيد كل قديس منفردا، وانتقلت الصوفية إلى بلاد الغرب عن طريق الهند أو الحروب الصليبية، أو نحو ذلك، وظهر في الغرب رهبنات كثيرة مثل "الرهبنة الدومنيكانية" والرهبنة "الفرنسيسكانية"، كما ظهر فرق جديدة مثل التقوية

والميثيوديّة والهجنوت والجزويت وشهود يهوه والإنجيليين والكنائس المشيخية والكنائس المصلحة.

كما ظهر في الكاثوليكية حركات إصلاحية أيضا، وانتشرت الديانات الشرقية في أمريكا مع ما أضيف إليها من البدع، فالأمريكي يفر من الخرافات النصرانية ليقع في قبضة الخرافات البوذية أو الهندوسية أو الطاوية، أو الجينية وهكذا.

مع أن أكثر ديانتين لدى الغربيين هما اليهودية النصرانية، وسوف نخصص لدراسة كل منهما مبحثا مستقلا بإذن الله، ومن أشهر من وافق الملكية من النصارى ابن عربي، كما أن التلسماني وافق اليعقوبية، نص على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية.

وانطلاقا من تعظيم المتصوفة للأولياء أسبغ ابن عربي صفات مهدي الرافضة وبابا النصارى على ما أسماه "خاتم الأولياء"، ثم إن إسماعيل الصفوي حول الفرس من الصوفية إلى الرفض كما ذكر ابن بشر وغيره.

وكثير مما أحدثه أهله من البدع له أصل قديم إذ الشيطان واحد، كما سيأتي تفصيل ذلك، والجوهر واحد وإن تغيرت الأسماء والمصطلحات، ويجمع كل تلك العبادات أنها عبادة للطاغوت، وأكبر الطواغيت هو الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦].

فاللا أدرية المعاصرة امتداد للمذهب القديم القائل بتكافؤ الأدلة.

والشك المعاصر نوع جديد من السفسطة، ومن الحيرة التي تكلم عنها شيخ الإسلام.

وفلسفة الهرمونيطيقا ما هي إلا التأويل القديم مضافا إليه بعض الآراء الحديثة.

وما كان الفلاسفة والباطنية والمتصوفة قديما يسمونه "الفيض" يسميه الفلاسفة الغربيون اليوم " الانبثاق".

ومن اجتماع الخرافة والصناعة أنك ترى اليابان اليوم تجمع بينهما.

على أن اليابان قدمت للعالم فائدة لم تحسب لها حسابا، وهو أن التقدم الصناعي ليس خاصا بالغرب النصراني، بل قد يكون شرقيا مجوسياً، فلم لا يكون إسلاميا؟

وكيف يستطيع المجوس تقليد الغرب في صناعته بل إنتاج ما هو خير منها مع احتفاظهم بدينهم وتقاليدهم ولا يستطيع ذلك المسلمون؟

والغربيون اليوم يفضلون السيارات اليابانية، بل إن أمريكا لتشتري من اليابان شرائح الصواريخ، واليابانيون يقولون إن (لكزس) أفضل من "مرسيدس" أفنعجز نحن عن صناعة ما هو أفضل منهما؟

وليس المجوس اليابانيون وحدهم في ذلك، بل هناك دول مجوسية أخرى أنتجت ما لم ينتجه العرب، فانظر مثلا "تايلند" التي ليس فيها بترول مطلقا كيف صنعت سيارات لم يصنعها العرب، وقل مثل ذلك عن كوريا وتايوان.

وكل هذه الدول المجوسية ليست حضارات عريقة، بل هي دول قومية معزولة احتلها الغربيون كما احتلوا بلاد المسلمين، ولكن المرء حيث يضع نفسه، وقد وضعنا أنفسنا موضع التبعية والاستجداء وسوف نظل كذلك حتى نرفع رؤوسنا للسماء، قال الشاعر:

تقول سل المعروف يحى بن أكثم فقلت سليه رب يحيى بن أكثما

وتقول التوراة إن نوحا عليه السلام قال عن كنعان: "عبد العبيد يكون لإخوته"، وقد أصبحت بعض الدول اليوم تابعة للإمارات التابعة بدورها لأمريكا، فهي عبد العبيد.

الدين والثقافة في أمريكا:

ثقافة أمريكا مثلا ثقافة كتابية، والقيم فيها قيم يهودية ونصرانية كما قرر "ستيف بانون" أستاذ "ترامب"، والإيمان الغربي هو إيمان توراتي يؤمن به النصارى كما يؤمن به اليهود، إذ التوراة شريعة للجميع.

واليهود يؤمنون بالبداء وبأنه تعالى يحزن ويندم على ما يفعل تعالى الله عما يشركون، والحاصل أنهم لا يعرفون الله حق معرفته ولا يقدرونه حق قدره ولا يصفونه بما وصف به نفسه، قال الله تعالى في قصة نبيه نوح: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]، وقال عن اليهود: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزُّمَر:٦٧].

وفي هذا العصر قال أحد مستشاري الرئيس الأمريكي إن الأمريكان جاؤوا إلى الخليج لتصحيح أحد الأخطاء الإلهية!!

وهكذا انتكس الفكر التقدمي المزعوم إلى الفكر اليهودي بل البدائي، فالأمريكان لا يرجون لله وقارا ولا يقدرونه حق قدره، ومعالي المستشار واقع تحت تأثير ثقافته اليهودية سواء أكان هو ذاته يهوديا أو نصرانيا، فالنصرانية تقوم على التوراة كما هو معلوم، وعند اليهود أن أحبارهم يصححون خطأ الله -تعالى الله عما يصفون- وفي التوراة اليوم يذكرون أن الأحبار قالوا لله: "ارجع عن حمو غضبك وعن الشر الذي تريده لشعبك".

ونحن نختصر ونقتضب ديانة الغرب عامة وأمريكا خاصة ومن أراد التوسع في الأديان فليقرأ ما كتبه الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه "الديانات والعقائد"، وهو (٤) مجلدات، وعن عقائد الفلاسفة المتأخرين "عقائد المفكرين" للعقاد، وكذلك ما تنشره سلسلة عالم المعرفة الكويتية عن الأديان.

وإذا أردت معرفة ما عليه النصارى من كلامهم فانظر ما سموه "دائرة المعارف الكتابية"، وما غمض عليك يمكنك الاستعانة لفهمه بدوائر المعارف المشهورة مثل دائرة المعارف البريطانية أو دائرة المعارف الأمريكية.

وهنا يرد سؤال وهو هل عاد الغرب لدينه فنقول: سيطرت اللادينية على الفكر الغربي ردحا من الزمن، ولا يزال لها متعصبوها، ولكن العودة العالمية للدين شملت الغرب أيضا، إلا أنه لم يعد كثير من الغربيين لنصرانيتهم لكثرة الخرافات فيها وشدة عداوة الكنيسة للعلم، وإنما عادوا للروح الصليبية

أي التعصب للنصرانية التي هي عندهم أفضل الأديان دون العدو اللدود للحضارة الغربية وللدين الغربي "الإسلام"، لا سيما بعد أن سقطت الماركسية، وأفلست كثير من الفلسفات الوضعية.

وفي السنوات الأخيرة قويت الأحزاب اليمينية المتطرفة لا سيما بعد أن حكم أمريكا اليميني الأصولي "دونالد ترامب" تلميذ "ستيف بانون" الذي دعا علانية إلى إحياء القيم اليهودية والنصرانية في أمريكا، وقال إن الواجب هو محاربة من لا يؤمن بهذه القيم الكتابية لا سيما المسلمون واللاتينيون، وألقى الشيطان في روع الأصوليين في أمريكا التطابق بين القيم الأمريكية الرأسمالية الجديدة والقيم الكتابية، كما ألقى في روع الأحزاب اليمينية في أوروبا أن الحل هو الحيلولة دون أسلمة أوروبا، لا سيما وقد أثبتت الإحصاءات الرسمية أن الإسلام أكثر الأديان انتشارا، وأن كثيرا من الغربيين دخلوا فيه.

وهكذا أصبح الخطر الماحق هو الإسلام، والدولة المتعصبة له "تركيا" التي تريد غزو أوروبا من جديد، والغرب يملأ المطارات والفنادق والميادين العامة بصورة أردغان وعلى رأسه مسدس، وعليه عبارة "اقتلوا أردغان"، وليس المقصود أردغان لشخصه أو حزبه، ولا تركيا، بل المقصود هو الإسلام حيث وجدوا أن الإرهاب قد يستنفد أغراضه ويصبح مستهلكا ولو بعد حين، فلا بد من استخدام عدوٍّ يمثل الإسلام من جانب آخر إذ التاريخ العام للأوربيين حافل بالعداوة للأتراك.

وأخرج اليهود والنصارى أضغانهم بعد فشل انقلابهم في تركيا، وفوز حزب العدالة والتنمية في الاستفتاء الأخير، لكن الغرب أنكر ذلك، مع أن الاستفتاء كانت تتوفر فيه كل المعايير الديمقراطية التي وضعها الغرب، والنظام الرئاسي الذي صوت له الأتراك معمول به في كثير من الدول الغربية لا سيما فرنسا وأمريكا، فالأتراك لم يخرجوا عن نطاق الديمقراطية في شيء، ولكن الغرب يريد أن يفرض على المسلمين التبعية له إلى الأبد، وهو يخاف على

نفسه وليس على الديمقراطية كما يزعم، ويقول إن المسلمين يريدون استخدام الديمقراطية للانقضاض على الديمقراطية، ويريدون إعادة الخلافة ونشر الإسلام السياسي -كما يسمونه- في العالم، وليس الإسلام المعتدل الذي يتمثل عندهم في الصوفية أو الليبرالية، ونموذجه الواضح هو حكومتا مصر وتونس، أما نجاح أردغان فهو نصر للربيع العربي، حيث أثبتت الشعوب العربية مقدرتها على إسقاط المستبدين، وكلها يكره إسرائيل وأمريكا ويطمح للتحرر من السيطرة الغربية، وتلك عندهم وهابية جديدة!، كما أن الثورة الجهادية التي قامت في سوريا أظهرت الفوارق العظيمة بين السنة والشيعة، ولم تَصرف سياسةُ الإلهاء والتجهيل المسلمينَ عن إحياء الجهاد، وأصبح تعليق كل شيء على شماعة "داعش" غير ذي جدوى، فالإسلام حضارة متكاملة إذ أنه قيم ومبادئ للدنيا والآخرة، وقد أدى استبعاد المسلمين عن الانتخابات في بورما إلى نتائج عكسية، إذ لم يجد المسلم مخرجا إلا الجهاد، وكذا في أفريقيا الوسطى، ومعروف ما هي نتيجة ذلك من التجربة التاريخية، وما وقع في الصومال والعراق ويقع الآن في أفغانستان شواهد حية له.

وقد صوت للنظام الرئاسي في تركيا أكثر ممن صوت في بريطانيا للخروج من الاتحاد الأوروبي، ومع ذلك فالحكومة البريطانية ديمقراطية بينما الحكومة التركية ديكتاتورية! والغرب يخاف جدا من الإسلام إذ الإسلام يولد عملاقا ويسري سريان النار في الهشيم، فلا بد من انتهاز الفرصة الآن.

أقول:

هذا ما يقوله كلا العقلين الظاهر والباطن للغرب، ولا تبتدئ العداوة للأتراك منذ فتح القسطنطينية أو الجهاد العثماني داخل أوروبا بل منذ "ملاذكرد" وتحرير الرها، وليس خطر الانبعاث التركي محدقا بأوروبا فقط، بل هو يحدق أيضا بالصين التي تحتل "تركستان"، ولذلك ينبغي عند الغربيين مهادنة الصينيين ما أمكن ذلك وإن كانوا شيوعيين!!

وليست النتيجة التي وصل إليها الغرب مجرد تحليلات أو احتمالات، بل هي حقائق واقعية ينطق بها التاريخ وتؤيدها مراكز البحوث الكثيرة، في أمريكا وأوروبا، تلك التي تُجري ما يسمى عصف أفكار لكثير ممن يعرفون عن الشرق أكثر مما يعرف الكونجرس أو الدول الأوروبية، وهي أيضا مستوحاة من دراسات استشراف المستقبل، التي تجريها شركات ومراكز بحوث غير حكومية، لكن البنتاغون يبني عليها خططه وكذلك وكالة سي آي إيه.

﴿ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦].

الشرك واحد:

الشيطان واحد ولكن يأتي كل أمة في صورة تخلفت مظهريا عن الأخرى، وقد وجد أن من أقصر الطرق لغواية الأمم أن تتلاقح أديانها، ويأخذ كل منها ما في الدين الآخر من البدع، والباحثون الاجتماعيون وعلماء ما يسمى مقارنة الأديان يختلفون كثيرا في نشأة أي دين وعباداته وشعائره، ولكنهم يتفقون على شيء واحد وهو أن الأديان يأخذ بعضها من بعض، وذلك مشاهد لدارسي الفلكلور، ومن يقارنون بين الديانات والنحل المختلفة، وهذا ما استنتجوه بعد طول بحث، وكتاب الله تعالى يريحهم من كل هذا العناء، إذ يخبر أن العبادة إما عبادة لله وحده وإما عبادة للشيطان قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس:٦٠]، وقال إبراهيم الخليل لأبيه: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [مريم:٤٤] الآية، وقال: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

ولكنه تعالى أخبر أن كيده ضعيف، ولا سلطان له إلا على أوليائه، وذُكِر الشيطان عند التابعي الجليل أبي حازم فقال: "وما الشيطان؟ أطيع فلم ينفع، وعصي فلم يضر"، وجعل الله للمؤمن مخرجا من نزغاته وتزيينه بأن

يذكر العبد ربه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١].

وقال بعض السلف لتلاميذه: "ماذا تفعلون إذا هجم عليكم الكلب؟ قالوا: نرميه بالحجارة، قال: هذا أمر يطول، ولكن قولوا لمالك الكلب يرده"، أي أن اللجوء إلى الله ينجي من الشيطان.

والله تعالى هو الذي زين لكل أمة عملهم، وسخَّر الشيطان ابتلاء منه وقال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف:٢٧].

ومن ضعف كيد الشيطان أنه لا يستطيع إجبار أحد على طاعته، وإنما يوسوس ويزيِّن للنفوس اتباعه.

والتاريخ شاهد على أن البدع في كل أمة أمر واقع، وأن المتأخر يضاهي المتقدم، قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ [التوبة:٣٠]، ومن أخطر العبادات الخضوع لرجال الدين سواء كانوا من البراهمة عند الهندوس، أو من الكهنة عند المصريين، أو من الأحبار والربين عند اليهود، أو من سدان المعابد عند اليونان والروم، أو من الدرويد عند الجرمان، أو البابوات والكهنوت عند النصارى، أو شيوخ الطرق عند كثير من الصوفية، أو علماء السلاطين عند أهل الإرجاء، أو مؤسسي الفرق عند أهل الكلام.

مع أن في الإنجيل عند النصارى (رؤساء الأمم يسودونهم فلا يكن هذا فيكم)، غير أن هذا هو ما وقع عند النصارى، وقد صور ذلك "شارل ديكنز" في (قصة مدينتين).

والبغاء الذي يمارسه كاهنات "باخوس" هو البغاء نفسه عند الهندوس، حيث يصوّرون عورة الرجل في معابدهم ويجعلونها رمزا للخصوبة، ولا تزال الهندوسيات يتقربن إلى الله بهذه الفاحشة في المعابد، كما أن ذلك التصوير

معروف عند مشركي مصر القديمة، ويقال إن الهندوس إنما عرفوا ذلك عن طريقهم، والله أعلم.

كما أن عيد الفصح وعيد المظالّ إنما يقعان في نفس وقت القطاف عند متقدمي المشركين، وبانتقال الشرك انتقلت الأعياد القومية لدى المشركين، فأما عيد الميلاد عند النصارى فهو العيد الوثني الذي يبدأ منه الانقلاب الفصلي، حيث يبدأ الليل في القصر والنهار في الطول، وفي أول الميزان بالتقويم الشمسي ينقلب الفصل من الصيف إلى الخريف.

ويحتفل الفرس والكرد بعيد النيروز اليوم كما كان المجوس يحتفلون به قديما، والإجازة الأسبوعية التي يسميها الأمريكان اليوم "ويك إند" هي يوم السبت عند اليهود والأحد عند النصارى، ويحزن الرافضة على موت الحسين كما يحزن الفراعنة لموت "حورس"، وقد ذكر أشعياء أنه رأى نساء أورشليم ينحن ويلطمن حزنا على تموز.

ونحن -المسلمين- نؤمن بأن الناس كانوا أمة واحدة فاختلفوا، وأن أول الرسل هو نوح عليه السلام، وأن قومه هم الذين أحدثوا الشرك بتصويرهم للصالحين، وهكذا زين الشيطان لهم أعمالهم كما زين لكل قوم شركهم، وبعث الله في كل أمة نذيرا، وختم ذلك بأن رحم العالمين ببعثة محمد ﷺ التي نهت عن كل بدعة وشرك.

وعن العرب الأقدمين الذين يسميهم الغربيون "الساميين" انتقل الشرك في صور شتى إلى كل البلاد، وكان أكثرهم مشركين، فانتقلت مثلا عبادة الشمس من سبأ إلى بابل، ووحّد أخناتون عبادات المصريين القدماء لكي يعبدوا إلها واحدا هو "الشمس"، وكان أخناتون هذا متحضرا بالمقاييس الغربية فقد نقلوا أنه كان يقبِّل زوجته على الطريق.

وانصهرت تلك الوثنيات في دين أهل الكتاب لا سيما اليهود، فتخيلوا الله تعالى في صفات بشرية.

وإله اليهود إله محلي قومي متعصب لهم، ومع ذلك يستكبرون عليه، ويخالفون أمره، فهم كما يقول عنهم "أشعياء" مثل من يزرع كرما ولكنه يجني حصرما، وفيه أيضا منسوبا إلى ربهم "يهوه": "عرف الثور سيده، وعرف الحمار معلفه، ولكن شعبي لم يعرفني".

ومثل ذلك في توراتهم كثير.

ولهذه العنصرية والجحود والاستكبار لا يزالون مختلفين "من اليهودي؟"

وليس من شريعتهم دعوة أحد غير يهودي للدخول في دينهم، إذ كيف يرتفع عن الجوييم ليصبح يهوديا، هذا أمر غير مقبول حسب النفسية اليهودية المريضة، وعلى هذا قامت سياستهم قديما وحديثا، وعليه فإن ما يسمونه الحرية الدينية لا بد أن تخضع لمعاييرهم، ولما تزوج اليهودي الصهيوني "جاريد كوشنر" إيفانكا بنت ترامب تهودت، فدل ذلك على أنها هي وزوجها غير ملتزمين بتعاليم اليهود.

وقد كتب اليهودي المعروف "هنري كيسنجر" عن اليهودي الآخر "سالسبوري" الذي كان وزيرا للخارجية البريطانية، وهو خال "بلفور" صاحب الوعد المشؤوم، وكانت رسالة الماجستير لكيسنجر عن السياسة العالمية في القرن التاسع عشر كما أرادها "سالسبوري" و"مترنيخ"، وتُرجم كتابه إلى العربية باسم "درب السلام الصعب".

وبهذه الأساليب الخفية يقدس اليهود ويمجدون بني جنسهم.

ولا يزال في اليهود والنصارى منظمات سرية تسعى للسيطرة على العالم وحكمه كما يظنون، ونحن مع الجزم بأن هذا حلم لا يمكن تحقيقه لا ننفي وجود هذه المنظمات الضالة، ومحاولة ركوب السياسة الدولية والأمم المتحدة لبلوغ هدفهم.

ومنهم من يعتقد كل ما قررته التوراة المحرفة أو التلمود، ومنه محاربة الطرف الآخر، واستمرت الحروب الطاحنة بينهم طوال تاريخهم، وكان البابوات يجردون حملات صليبية على الأرثوذوكس في بيزنطة، ثم استعرت

الحرب بين الكاثوليك والبروتستانت، وهرب بعضهم إلى بلاد المسلمين أو إلى أمريكا.

وابتدعوا الديمقراطية التي تعني إقرار كل أحد على دينه.

ولما هدأت الحروب الدينية واتفقوا أن كل إنسان يتدين بما يشاء، حلت محلها الحروب القومية لا سيما في الحربين العالميتين اللتين هما غربيتان، حتى ما كان مكانه مصر كمعركة العلمين بين "رومل" الألماني و"مونتغمري" الانجليزي.

ثم نشأت الأحلاف المعروفة لا سيما حلف الناتو وحلف وارسو.

وكل فرق النصارى تعتقد التثليث، حتى من كان قوله (إله واحد) لا بد أن يقدم ذلك قوله "الأب والابن وروح القدس"، ومنهم من يقول إن مريم إله لأنها والدة الإله تعالى الله عما يشركون، على أنهم يتخذونها شفيعة ويتوسلون إليها وكفى بذلك شركا.

وإنما يشذ عن ذلك من كانت عقيدته أن المسيح مخلوق كالآريوسية قديما، وفرقة الموحدين حديثا على قلتهم اليوم.

ولا يزال النصارى يتبعون المتشابهات ويتصيدون ضمائر الجمع من التوراة، ليقولوا إن الشريعة دلت على التثليث.

وقطعا لهذه الشبهة لم يورد الله تعالى في سورة آل عمران التي نزلت بشأن النصارى، ضمير الجمع إلا في آية واحدة (١١) فقط وربما كانت من الآيات التي لم تنزل بشأنهم.

ديننا ودينهم:

ينسبون إلى المسيح عليه السلام أنه قال: (من ثمارهم تعرفونهم).

وعلينا أن ننظر أفعال أهل الدين في بلادنا مقارنة بأفعال أتباع الغرب من العلمانيين والليبراليين والملاحدة والمتنصرين والمطبلين ومن اتبع الغرب كائنا من كان، والأثر الاجتماعي لهؤلاء وهؤلاء، ومن الذي يجعله دينه يهتم

بخدمة الناس ويعرف الواجبات الوطنية -كما يسمونها-، ومن الذي يقدم لوطنه الخدمات ومستعد لحمايته من الأعداء ويهابه أعداء الله ويخشون بأسه، وهو مع ذلك لا يريد من أحد جزاء ولا شكورا، فكل أعماله لله وابتغاء الأجر منه وحده، ومن الذي يقابل الإساءة بالإحسان والشر بالخير والظلم بالعفو.

وانظر مثلا إلى جبهات القتال ومعاركه في اليمن وأفغانستان، من أكثر الناس شجاعة وإقداما، ومن الذي قام بالجهاد في بلاد الشام وقاتل المحتلين في العراق، ومن أكثر الناس مقاومة للشيعة في البحرين، ومن الذين وحَّدوا السعودية؟

ثم انظر من الذين يملأون السجون والمعتقلات ويحارَبون أشدَّ الحرب ويتهَمون بما لم يفعلوا و لم يخطر لهم ببال.

وهل تستوي الظلمات والنور، والأعمى والبصير، والحي والميت، والفاجر والعفيف، والزاهد والمادي، والمجتهد والمقلِّد؟ كل ذلك ينبغي لك أن تتأمله بعقلك الذي منحك الله إياه، وانظر إلى عامة الشعب الذين بحكم فطرهم يعرفون من يقدمونه في اجتماعاتهم وحفلاتهم، ويمدحونه ويختارونه في الانتخابات البلدية ومن ينبذونه ويحتقرونه، حتى أنه لا يستطيع الحديث إلا في القنوات أو الصحف أو المواقع، ولا يستطيع الظهور أمام الشعب خصوصا في هذه الجزيرة المباركة.

وإذا أراد أحد معرفة مترلة الدين في قلوب المسلمين فلينظر إذا أقامت السعودية معرضا في أي دولة كيف يقبلون على كسوة الكعبة أو قطعة منها.

وقارن بين حال أهل الدين وبين أعدائهم:

فالأوائل على مستوى دول الخليج وليس السعودية وحدها، هم طلبة مدارس تحفيظ القرآن، والمتطوعون لعلاج المرضى هم الأطباء المتدينون، وهم الذين ينشئون لذلك جمعيات تطوعية مثل جمعيتي زمزم وشفاء والعيادات الخيرية.

وهم القائمون على مشروعات حفظ النعمة ويجمعون البقايا من الحفلات ويوزعونها على المحتاجين.

والدعاة أيضا هم الذين يتطوعون لإقامة المراكز الصيفية بدون أجر من وزارة التربية والتعليم.

وهم الذين ينشئون مراكز الأحياء ويستجيب لهم الشعب.

وهم الذين يحتسبون في إنكار المنكر لكي لا يخرق أحد سفينة المجتمع.

وهم الذين يرشحهم الناس في الانتخابات البلدية.

وهم حجر العثرة وشجى الحلق لكل منحرف أو ضال.

وهم الذين يصلحون بين الناس كإصلاحهم بين الزوجين وبين القبيلتين ويسعون لدى أولياء الدم للعفو عن القاتل؟.

وهم الذين ينشئون المراكز الاستشارية للناس.

وهم الذين يوقفون كتبهم أو أي كتاب يحققونه سواء كانوا مؤلفين أو دور نشر.

وهم الذين يثق فيهم الناس ويقبلون شهادتهم، بل تنتدبهم الحكومات للأمر الذي تخشى فيه من الرشوة.

وهم الذين ينشئون الجمعيات الخيرية لمساعدة الشباب من الجنسين على الزواج.

وهم الذين ينشئون الأوقاف ويسخرونها لخدمة المسلمين.

وهم الذين يسأل الناس من رشحوا ليرشحوهم.

وهم الذين يؤسسون المدارس في شرق آسيا وفي إفريقيا ويقيمون المراكز الإسلامية في أمريكا وأوروبا ويكفلون الدعاة ويبنون المساجد، والناس هناك يشكرون الحكومة السعودية ويعدون ذلك من أعمالها!

وهم أيضا السفراء الحقيقيون في الخارج، إذ كل مسلم يحب الدين وأهله.

فما أحسن أثرهم على الناس وما أقبح أثر الناس عليهم، كما قال الإمام أحمد رحمه الله، وما أعظم ذنب من يعاقبهم أو يتهمهم بالتطرف والإرهاب أو يمنعهم من الدعوة؟ وهل سمع الناس عن ليبرالي يتطوع لخدمة مجتمعه، أو يبني مدرسة في دولة نائية ويرضى أن ينسب أحد بناءها للحكومة؟

والفتاة المسلمة تتحجب حتى ولو كانت في الغرب فمن أين تستمد هذا التحدي والإصرار؟؟

وكيف يكون حالنا لو أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله دعا الناس إلى أفكار التنوير التي كانت في أيامه؟

وإذا افتخر علينا الغرب بصناعاته افتخرنا عليه بديننا وقيمنا وعاداتنا الطيبة، فهم أصحاب جسد ومادة، ونحن أصحاب الروح والقيم، ويمكن لنا أن يكون لدينا صناعات مع تمسكنا بالإسلام، أما هم فلا يستطيعون أن يعتنقوا الحق إلا بأن يسلموا؟ وصناعاتهم يمكن لأي شخص أن يشتريها بماله قل ثمنها أو كثر، إذ هي مجرد سلع معروضة، ولكن القيم والمبادئ لا يعدلها ثمن، ثم إن صناعاتهم لا يمكن بذلها بلا مقابل مهما كان الطرف الآخر محتاجا بل العكس يرتفع ثمنها كلما كان المرء محتاجا لها، أما الدين والقيم والعادات الطيبة فهي تبذل بذلا ولايؤخذ عليها أي ثمن!) فهل نطيع الليبرالين وندخل جحر الضب.

ومن نظر بعين البصيرة وتأمل أحوال الخلق وجد أنه لا جديد على الحقيقة عند المشركين، وإنما يتبع بعضهم بعضا حسب الخطة الإبليسية، وتتلاقح البدع والأديان ويأخذ بعضها من بعض، فالتثليث عند النصارى معروف عند المشركين قبلهم، وعبادة العجل عند اليهود معروفة عند المصريين، فقد عبد المشركون العجول، وعبد الكنعانيون "بعل"، ولما رآهم بنو إسرائيل قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، وذكرت التوراة كيف أنهم عبدوا البعول من دون الله.

وعرفت الأمم القديمة ما يسمى "الديمقراطية" قبل أن يعرفها اليونان بقرون.

وعرف "مزدك" الشيوعية قبل أن يولد "ماركس" و"انجلز" بأجيال كثيرة جدا، وأخذ "فرويد" مذهبه في التحليل النفسي عن أسطورة "أوديب" التي تخيلها "سوفوكيل" قديما، ووحدة الوجود يسميها الغربيون "كمون الآلهة في الطبيعة" هي عقيدة هندوسية قديمة، وهكذا.

على أن الله تعالى أتى القوم من حيث لا يحتسبون وأوقعهم في التناقض، فهم يجمعون بين عداوة ما يسمونه الوهابية وبين إيمانهم بأن أصل تعدد الآلهة هو عبادة الأسلاف، أي بالتعبير الإسلامي "أصل الشرك هو تعظيم الموتى"، وهو ما رواه البخاري عن ابن عباس في كيفية وقوع الشرك في قوم نوح، وهكذا يصبح الباحثون الاجتماعيون في الغرب وهابية وهم لا يشعرون، ومن أشنع ما فعلته البابوية وجعل "مارتن لوثر" ينجح في ثورته عليها مهزلة "صكوك الغفران" التي كان يبيعها "ديزل" مندوب البابا، ولو أنك تعمقت في حقيقتها وأصلها لوجدتها نوعا من إقطاع الجنة الذي كان بعض شيوخ الصوفية يوزعونه لمريديهم، اقرأ مثلا ما كُتب عن قطبهم أحمد الرفاعي، والسيد البدوي، وهكذا ينقل الشيطان بدعته من مكان لآخر.

بل ربما حدث ذلك التلاقي بين فكرتين ظاهرهما التناقض كما قال برتراند رسل: "لو تخلى الفيلسوف عن برجه العاجي، ونظر في حقيقة الشيوعية لو جد أنها والرأسمالية تنطلقان من نزوة واحدة، وهي النزوة المادية".

ويعيد كلامه للذاكرة ما ذكره "تروتسكي" المعارض لـــ"ستالين" حين وصف الحزب الشيوعي بأنه أوجد رأسمالية الدولة، وما قاله أحد الاشتراكيين الكبار "نائب تيتو" حين سمى الشيوعيين "الطبقة الجديدة"، فالمليارديرات هم نفس المليارديرات، ولكنهم في الدول الرأسمالية التجار الكبار وفي الدول الشيوعية أعضاء الحزب الشيوعي.

وإذا تأمل الإنسان وجد أن الحضارة الغربية في الحقيقة لم تأت بجديد، وإنما توسعت فيما كان موجودا من قبل كالحلول والاتحاد والتعطيل والإيمان بالحس والدهرية، و لم تكتف بالتمرد على الله حتى تمردت على الإنسان ذاته، وجعلته مجرد حيوان أو مادة، واختلفت فلسفاتها فيه أهو معدة وأمعاء، أم فرج ووطء، أم مستجيب للمثير، أم عابث لا هدف له ولا غاية؟

وهكذا اختلف "داروين" و"ماركس"، و"آدم سميث" و"فرويد"، و"بافلوف" و"جان بول سارتر"، و"فوكو" و"ماركيوز"، و"جاكوبسون" و"شتراوس"، و"دريدا" و"شلامايخر"، و"مكيافيللي" و"نيتشه"، و"هيوم".. إلخ.

وذهبوا طرائق قدداً، ثم اختلف الليبراليون المقلدون لهم، فهم في قول مختلف على قلّتهم ولا يجمعهم شيء إلا عداوة أهل الدين، وانتقل الاضطهاد والإرهاب من كهنوت يفرض رأيه باسم الدين، إلى كهنوت جديد يفرض رأيه باسم العلم، وإليك أمثلة على ذلك:

المثال الأول: الشرك:

الشرك المعاصر أغلبه من جنس شرك الصائبة والمتفلسفين الأولين، وإن كان يختلف عنه في أن أهله اليوم أكثر إلحادا وطغيانا، فالصابئة كانوا يشركون به أما هؤلاء فينفون وجوده.

وما بقي هو من جنس شرك قوم نوح ونجده عندهم أيضًا، على أن أمريكا تتميز بتنوع شركها وكثرة النِّحل فيها لا سيما في الاتجاه الليبرالي أما الاتجاه الأصولي الذي منه "دونالد ترامب" فهو يميني كتابي مع كثرة الفرق النصرانية أيضا.

المثال الثاني حرية الاعتقاد:

تنادى اليوم بحرية الاعتقاد منظمات ودول كثيرة منها:

هيئة الأمم وأمريكا وأوروبا والغرب كافة، وهي فكرة قديمة نادى بها الحلاج وابن عربي، وأنكرها شيخ الاسلام ابن تيمية أكثر من مرة عند حديثه

عن التتار وقولهم "كلٌّ يعمل في دينه ما يشتهي"، وهذا يتنافى مع كوننا عبيدا لله، نتبع كتاب الله وليس أهواءنا، ولا نكون أبدا ممن إلهه هواه في أي صورة.

وقد قال التتار هما رجلان عظيمان محمد وجنكيز خان فساووا بين رسول الله ﷺ وذلك المشرك صاحب الياسق، وهذا مثلما يساوي المستشرقون اليوم بين رسول الله ﷺ ونابليون أو ماركس، وأي بطل أو مصلح اجتماعي -في نظرهم- انظر مثلا كتاب الأبطال لكارلايل، أو كتاب "هارت" عن أعظم مئة من عظماء التاريخ، أو قول بعض الباحثين الأمريكيين إنه ﷺ رجل عظيم مثل إبراهام لنكولن، وضم إلى ذلك ما يقول عنه ميشيل عفلق وأتباعه من البعثيين.

وكذا من يقول إن الاسلام واليهودية والنصرانية "ديانات توحيدية"، كأصحاب الحوار، ومعرض "المملكة بين الأمس واليوم"، أو "ديانات إبراهيمية" كمعهد قرطبة الذي تموله السعودية ويرأسه "جارودي".

فالبدع لم تتغير جوهريًا وإن كان قد اعتراها تغيرات في المصطلحات والمظاهر.

والواقع أننا في عصر ناقته النفط، ومعبوده الذهب نفسه، وليس العجل الذهبي كما كان اليهود، وغرقده ليس الشجر فقط بل الجيوش العربية!! ودجاله الإعلام وليس الأعور الدجال، وسحره حب الدنيا، ومنافقوه الليبراليون والعلمانيون، وطواغيته الخمسة هم أعضاء مجلس الأمن الخمسة، وكفرُه اتباع النظريات والفلسفات، وفرعونه الطواغيت، وعادُه أمريكا وهي أيضا سدوم، وأصنامه الأهواء والشهوات وأصحاب النظريات، ومطففوه هم الشركات الاحتكارية، ومراجعُه خزانات الفكر ومراكز البحوث.

أما أعداء كل ذلك فهمَ أهل الإسلام، ولكن لله خزرج وأوس في كل عصر، ولكل زمان مهاجروه وأنصاره، ولا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق منصورة.

المثال الثالث: الفلسفة:

كان فلاسفة اليونان يتحدثون عن الهيولى والصورة، ثم أصبح الفلاسفة اليوم يتحدثون عن المادة والذرة.

وخير ما عند القوم، النهي عن قتل المدنيين على أن الإسلام أسبق إليه، والغربيون لم يلتزموا به لا في دوسلدروف ولا في هيروشيما.

وقد أمر صلوات الله وسلامه عليه يوم الفتح أن يُنادى (من أغلق عليه داره فهو آمن)، قبل معاهدات جنيف واتفاقية باريس.

وكان في الفلاسفة القدامى سفسطائيون "أصحاب الجدل المموه"، فأصبح لدينا أنواع جديدة من السفسطة كفلسفة الشك واللا أدرية.

وكان الفلاسفة الأولون يقولون إن الأدلة قد تتكافأ، وأصبح الفلاسفة اليوم يقولون إن الوصول للحقيقة صعب أو مستحيل.

المثال الرابع: التضحية بالأبناء:

كان المنحرفون عن الإسلام -الذي هو دين الأنبياء جميعا- ينتهجون أسلوب القرابين البشرية، وأكثرهم حبا لله فيما يزعمون هو من يقتل ابنه تقربا إلى الله، وهذه العبادة الذميمة، أبطلها الله وفدى إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام- بذبح عظيم.

قال جل شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧]، وقال: ﴿قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

وكانت هذه العبادة منتشرة في الحضارات القديمة، وعنها أخذ مشركو اليهود وتركوا ملة إبراهيم عليه السلام فعبدوا البعول وقربوا لها أولادهم كما في التوراة.

ثم تبعهم مخرفو النصارى فادعوا ان الله تعالى فدى البشرية بابنه الوحيد "يسوع المخلِّص"، تعالى الله عما يشركون.

ولما رحم الله العالمين ببعثة رسوله ﷺ وأوحى إليه أن يتبع ملة إبراهيم عليه السلام، شرع له ذبح القربان "الأضحية" التي يحرم الهندوس ذبحها إذا كانت من البقر رب الهندوس، ويعد الغربيون ذبحها انتهاكا لحقوق الحيوان، وهم المحافظون على حقوق الحيوان يأكلون الجيف بلا ذبح، وقد رمى أحد الناس في العقيق بقرة اختنقت، ففوجئ بأن الخواجات يقتطعون منها كما يشاؤون، وفي أمريكا وبريطانيا ترى الحيوان معلقا برأسه كاملا غير منقوص.

والمسلمون الذين يعيشون في بلاد الغرب وخصوصا أمريكا يحرصون على التخفي عند ذبح الأضحية أو يعطونها المسالخ الحكومية على أنها لحم عادي! وتقول وزارة الزراعة الأمريكية إن الذبح خير من الخنق، وإن من الحرية الدينية أن تذبح لمن يريد الذبح.

وهكذا انقلب الغرب من الضد إلى الضد، فبعد أن كانوا يضحون بأبنائهم أصبحوا يحرمون التضحية بالحيوان، ولم تعد النباتية مذهبا لبعض الهندوس مثل (غاندي)، بل أصبحت مذهبا لبعض الغربيين مثل (برناردشو)! وعليها عندنا "الوليد بن طلال".

والجبرية مثلا هي داء قديم بلغ ذروته الفكرية لدى أدعياء الإسلام، ويسميها الغربيون الحتمية إذا كانوا شيوعين أو اشتراكيين، ويسمونها فيما يسمي العالم الحر بأسماء أخرى كالتشيؤ أي أن يكون الإنسان شيئا ماديا يتلاعب به الساسة والتجار والمفكرون.

وبعضهم يسمي جبريته "فعل التاريخ".

وبعضهم يسميها "الخضوع للسيرورة".

وبعض الباحثين في علم الأحياء يقولون إن الإنسان لا يستطيع الفكاك مما تفرضه عليه جيناته الموروثة، واللغويون يفرضون على الإنسان جبرية لغوية، والطبيعيون يقولون "إن الطبيعة تجبر الإنسان على فعل كذا".

والوضعيون كما صرح "دور كايم" تلميذ "كونت" يقولون إن "العقل الجمعي" هو الذي يفرض التصرفات الفردية، ومن أكثر النظريات الغربية

المعاصرة جبريةً "نظرية المصادفة" تلك التي تخضع الإنسان لاحتمالات عديدة لا يد له فيها ولا يدري أين يذهب فهو مسلوب الإرادة تتقاذفه الصُّدف.

والميكانيكيون يقولون "لا بد لكل فعل من رد فعل، ولكل تحد من استجابة" وذلك كله حتمي ولا بد منه، وهكذا عاد الجهم بن صفوان ولكن في ثياب أخرى، وسنذكر إن شاء الله أنواعا من الجبريات الحديثة.

وفي تاريخنا يذكرون أن جهما قابل جماعة من السمنية الذين ينكرون ما عدا الحواس، ولم يستطع أن يجيبهم، فالمشكلة إذن عميقة تعود جذورها إلى أن الحواس أو المادة هي مصدر المعرفة، وماعدا ذلك ينبغي إنكاره، أي أن المادية الغربية إنما هي الانتكاسة إلى عصر السمنية، ولو أننا أخذنا بها لكان الكلب والحمار خيرا منا، فهما يشمان ويريان ما لا نشم ولا نرى!

ويذكر العقاد أن الماديين الأولين كان أحدهم يضرب على الطاولة بيده ويقول هذه هي المادة، ولكن الاكتشافات في عالم الذرة أثبتت أنه واهم، وهكذا اتفق الماديون والعقلانيون على أن الإنسان جاهل، وأن العلم يتطور ولا نهاية له، والغرب يعتقد نسبية القيم والأخلاق تبعا للنسبية الفيزيائية التي قال عنها آينشتاين، لكننا -نحن المسلمين- نعتقد أن الوحي حق وثابت ونهائي، وأن القيم مطلقة غير نسبية، ولا نؤمن بفكرة اللامعقول سواء ظهرت في شكل نفسي أو فني (شعر، مسرح، فلم)، وأن الانسان أسمى من أن يكون عبدا لما يصنع بيده أو عبدا لأي نظرية بنيوية أو تشريحية، إذ أن الله تعالى نفخ فيه من روحه، وذلك ما لا يخضع لأي تجربة بشرية، أو قانون بشري قال تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ [السجدة:٧-٩] الآية.

وذلك في سورة السجدة التي شرع الله قراءتها كل جمعة ليعرف الإنسان أصله، وكيف أن الله كرمه على سائر خلقه، وينذر الذين في غيهم يعمهون وفي ريبهم يترددون وفي خوض يلعبون، كحال علماء الغرب اليوم الذين لا يعلمون إلا بعض الجانب الطيني فقط، ويقولون إنهم لا يعلمون ذلك

كله!! فإذا كان الجانب الطيني كذلك فكيف بالروح، وقس على ذلك كل أبواب الإيمان لكي تعلم أنه لا جديد جدة كلية، وإنما المسألة تغيير أو تحوير أو اختلاف في المصطلحات ولا جديد تحت الشمس حتى في عالم السياسة.

فالمرتد أوباما لم يغير سياسة سلفه بوش، إنما غير اللاعبين دون تغيير في الأهداف، وأضفى على بعض قوانين بوش مسحة من الشرعية، وزاد الأمر سوءا، فأصبح ما كان انتهاكا للحريات المدنية في عهد بوش مبرَّرا قانونيا أيام أوباما، والشيء الذي جعل أوباما يغير في الخطة هو أنه اصطدم بالواقع الصلب الذي أحدثته المقاومة العراقية والأفغانية للأمريكان، والعداء المتبادل بين المسلمين وأمريكا، وغيّر "ترامب" بعض تكتيكات "أوباما" لكن لم يغير أهدافه، وقد قال السفير الأمريكي في دمشق "فورد" أن ترامب يسير وفق ٩٠% من سياسة أوباما!

وعداء أمريكا والغرب للإسلام لا جديد فيه، وكذا قولهم إن المسلمين لا يجدي معهم إلا القوة الصلبة وأنهم لا يرضون إلا بالحكم الاستبدادي وليسوا أهلا للديمقراطية!!

وإن الوهابية هي الوباء الذي يحرض على الإرهاب ومعاداة السامية!!

وهكذا يختلف أهل الكتاب تكتيكيا ومرحليا، ولكنهم يتفقون على عداوة الاسلام والمسلمين.

ثم أثبت ما سمي بـــ"الربيع العربي" أن هذه الأمة لم تمت ولن تموت، وأن إرادة الشعوب أقوى من بطش الحكومات، وأن أمريكا نفسها عرضة لربيع قادم، وقد ظهرت بوادر التأثر بالربيع العربي في مظاهراتهم وشعاراتهم لا سيما "الشعب يريد كذا"، الذي أخذوه عن مظاهرات تونس وميدان التحرير في القاهرة، بل أصبح الحديث عن ربيع أمريكي أمراً مألوفاً.

ورأى الغرب أنه يتعين عليه استخدام الحكومات والمثقفين بثقافته في العالم الإسلامي لمحاربة أعداء الغرب "القاعدة، داعش، طالبان، بوكو حرام، حماس" على أن أصعب ما يواجه الغربيين هو الانتفاضة الفلسطينية.

وأكبر مصيبة تنزل بهم وتهز كيانهم هي القول بأن فلانا قد أسلم، وهذا ما فطن له وفد منظمة حماس حين جاءه وفد أوروبي بخصوص قضية "شاليط" فقالوا له إن "شاليط" قد أسلم، فنكس الغربيون رؤوسهم ولاذوا بالصمت، ولم يتحمل أولئك المتقدمون المتحضرون مصيبة أن يترك "شاليط" يهوديته ويسلم!!

فأين الحرية الدينية التي يتشدقون بها؟

واعجب لقوم يأتون من أجل أسير يهودي واحد، ولا يتحدثون عن آلاف الأسرى الفلسطينيين، ومع ذلك يتشدقون بالمساواة والإخاء وحقوق الإنسان، فالدم المسلم رخيص عندهم جدا.

وأهل الشأن في الغرب يبتهجون لأي مصيبة تقع في العالم الإسلامي، فقد ابتهجت الكنيسة قديما بموت السلطان محمد الفاتح، وابتهج الأمريكيون باغتيال الشيخ حسن البنا، وهم اليوم يبتهجون بمقتل أي مجاهد فلسطيني، ويتخلون عن إنسانيتهم حين يحرقون عائلة الدوابشة أو أبو خضير، فلا تسمع لإحراق أي مسلم صدى لدى الحكومات الغربية التي تقيم الدنيا ولا تقعدها إذا أحرقوا كما يقولون معاذ الكساسبة، أو عذب غربي واحد مثل الباحث الإيطالي "ريجيني"!!

كما ابتهج الغرب كثيرا باغتيال أسامة بن لادن، وعبدالله عزام، وأحمد ياسين، وكلما ظنوا أن رأس الأفعى قد قطع أبقى الله لهم ما يسؤوهم.

والعجب أن يظل المسلمون فيهم "فئتين"، وجعلوا منظمة ترعى حقوق الطفل "اليونيسيف" أي طفل. حتى غير المسلم وإن كان المتبرع مسلماً.

أما المسلم فإنسانيته مهدرة، ولا بأس أن يحرقه اليهود ولو كان رضيعًا، وانظر كيف يتناقلون الأخبار ويضجون لمقتل أمريكي واحد تقتله الفيضانات وإذا قتلت الفيضانات مثلا ألف مسلم فلا يذكرونه إلا عرضًا.

المستشرقون كهان الفكر:

الغرب درَس ديننا وحضارتنا من منظور استشراقي، والمستشرقون حين كانوا فرادى وحين أصبحوا أعضاء في مراكز البحوث، يتميزون بالافتراء والانتقائية والإهمال المتعمد للمصادر الأصلية للإسلام، ومن نعم الله تعالى أن معرفتهم باللغة العربية تظل سطحية حتى أعلم المستشرقين بها، وهم المستشرقون الروس، أما الأمريكان فهم بسبب عنصريتهم العرقية وتعصبهم للغتهم من أجهل الناس بالعربية.

على أن أهل الكتاب عرفوا قيمة المنافقين في محاربة الإسلام، وقالوا إن أفضل وسيلة لقطع الشجرة هي بأحد أغصانها، ولذلك يعتمد البيت الأبيض على آراء فريد زكريا، وفؤاد عجمي كثيرا، كما اعتمد في علاقاته السياسية بالعالم الإسلامي على آراء المستشرقين من حكامه وأذنابهم في بلاد الإسلام.

ويعتمد في حكمه على وضع المرأة المسلمة على ما كتبته "هرسي علي" وأخواتها، وجعل ما تفعله "داعش" قاعدة عامة لجميع المسلمين، بل إنه كثيرا ما افترى على داعش وكذب عليها وألصق ذلك بالإسلام.

وباسم الحرية الشخصية أصبحت أمريكا هي أخصب بيئة للخرافات والضلالات وما لا يقبله العقل، إذ فيها عبادة الشيطان وفيها السحر والتنجيم وقراءة الطالع، وتحضير أرواح الموتى والعلاج الروحي وعبادة الجن واعتقاد شفاعة القديسين، وفيها الكهانة والعرافة وعبادة الأهرام وغزو الكواكب للأرض، والعجيب أن الغزاة يلبسون الزي المحلي ويتحدثون الإنجليزية بلهجة الولاية!

أما الدياثة والتعري واللواطة واقتناء الكلاب وأكل المخنوق، وملابسة النجاسات وشرب الخمور، فأمور عادية في المجتمع الأمريكي المظلم.

وهكذا تشعبت بهم المتاهات لما اعتمدوا الرأي مصدرا للتلقي، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، والشيطان لا يبالي في أي واد هلكوا سواء عبد

العبد هواه أو الملائكة أو النبيين أو الملوك أو الأحبار والرهبان، فكل ذلك شرك، وأغلظه منافاة للتوحيد أن يتخذ الأتباع من يدعوهم لعبادة الله وحده إلها كالأنبياء، إذ أن ذلك يجمع بين الشرك والبهتان، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:٧٩-٨٠].

وإذا سأل سبحانه المرسلين يوم القيامة كما وعد ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]، فإنه يسأل عيسى عليه السلام ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيجيب عليه السلام: ﴿سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦] الاية، ثم يقول: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة:١١٧]، وليس في الأناجيل اليوم كلمة واحدة قال فيها المسيح اعبدوني أو اتخذوني إلها! بل فيها قوله لله تعالى: (حتى يعلموا أنك وحدك الإله).

وقد عاب الله تعالى على أولئك المشركين فعلهم الشنيع فقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣١].

والله تعالى نهى عن عبادة غيره ولو كان المعبود ملَكا مقربا أو نبيا مرسلا، فضلا عمن دون ذلك، وقد ضرب سبحانه المسيح عليه السلام مثلا لما يعبده المشركون من دون الله كالأصوليين اليوم في أمريكا والغرب، غير أن المشركين بعنادهم وخصومتهم جعلوا "اللات" و"العزى" كالمسيح، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[الزخرف:٥٧-٥٩].

والأصوليون اليوم في الغرب وكذا في الماضي لا يسجدون للمسيح عليه السلام والأحبار والرهبان، ولكنهم يطيعون أحبارهم ورهبانهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال، أو ينسبون ذلك إليهم، مع أنه تعالى قال لعباده: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة:١٦٨]، وفي الحديث القدسي (كل مال نحلته عبدا حلال..) إلى أن يقول: (فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم).

ومن ذلك أن الشياطين جاءت الإنس فأوحت إليهم تغيير الفطرة التي خلق الله جمعاء، فجدعوا بعض ما خلق وجعلوا منه البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وجعلوا بعض ما رزقهم الله له سبحانه وبعضه لشركائهم، أو شيئا لله وشيئا لغيره، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦]، وهذه هي علمانية الجاهليين العرب، وقال: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ [المائدة:١٠٣].

والله تعالى إنما أمر أن يكون الدين كله لله فقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال:٣٩].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨]، أي في شرائع الاسلام كلها كما قال الإمام الطبري وغيره، وقد أوضح النبي ﷺ ذلك بقوله: (كل مولود يولد على الفطرة كما تنتج البهيمة البهيمة جمعاء هل ترون فيها من جدعاء) فالإسلام هو فطرة الله التي فطر الناس عليها ولكن الشيطان المريد يأمرهم أن يبتكوا الآذان ويغيِّروا خلق الله، قال عنه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا﴾ [آل عمران:٤٨-٥٠].

فمن الشرك الذي ينافي أصل التوحيد أو كماله أن يخلق الله المرأة المسلمة في أحسن تقويم، ثم تطيع شياطين الأنس والجن وتغيّر خلق الله، فتجعل شعرها الذي خلقه الله أسود اللون أشقرا مثل شعر الكافرات الغربيات، وتجعل الحواجب التي جعلها الله شعرا، خطا أسودا بالقلم، وتجعل عينيها التي خلقها الله في أحسن تقويم زرقاء كعيونهن، وتصل شعرها ليبدو أكثر طولا أو تضع مكانه ما يسمى "الباروكه" حسب اللون الذي يمليه الهوى والتشبه، أو تتنمص وتتفلّج وفي الجملة "تغير خلق الله"، وذلك ما يريده الشيطان وأولياؤه ولكن اتباعهم وطاعتهم في ذلك شرك بحسب نية فاعله قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

واليوم يقول أولياء الشياطين من الليبراليين والعلمانيين والتنويريين وأضرابهم من الأسماء: لا بأس أن يعتقد أحد أن الله هو الرب، وأن يكون له الخلق، أما أن يكون هو وحده المطاع فلا، أي أن يكون الإنسان ربوبيا "دايزم".

والله تعالى كذبهم في ذلك فقال: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، فكيف يفرق هؤلاء بين خلق الله وأمره، ويقرون من يقول رب الناس على أي دين ولكن لا يقرون أنه (ملك الناس، إله الناس) ويقدِّمون بين يدي الله ورسوله، ويختارون من أمر الله ما يشاؤون وما كان لهم الخيرة، ولا يسلِّمون لحكم الله ورسوله بل التسليم عندهم إنما هو لما يقوله الفلاسفة شرقا وغربا، وما يحكم به القانونيون من زبالة الأذهان كما قال الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، وهم في ذلك محادون لله ورسوله لا سيما قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، كما فسرها الشيخ محمد الأمين

الشنقيطي رحمه الله، وانظر يا أخي الموحد كيف أن الله تعالى افتتح كتابه بذكر أنواع التوحيد في سورة الفاتحة وختمه بذكرها في سورة الناس، ولكن هؤلاء يريدون أن نسلك عياذا بالله طريق الإلحاد، ونطيع الكافرين ونصبح مثلهم همنا الترفيه والسياحة وتنويع مصادر الدخل، ونستعد للمستقبل الدنيوي وحده، وننسى ما قال الله عن المشركين ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤]، فهذه هي الحياة وهذا هو المستقبل.

ومن ذلك قضية تبرج المرأة وخروجها من بيتها إذ يريد المفسدون ألا تكون مجرد معصية بل يريدون إزدراء شرع الله وسوء الظن به حين يظنون ان الحياة وفق الأسلوب الغربي أهدى وأرحم مما أنزل الله، وذلك ما عبرت عنه احداهن المدعوة "منال الشريف" بقولها: "هدفنا نزع ولاية الرجل على المرأة" أي أن ما تدعوا إليه حركة المساواة الغربية أولى بالاتباع عند هؤلاء النسوة من قوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤] وقوله جل شأنه: ﴿ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩] وهذا عين ما نهى الله عنه ﴿وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا ٱكۡتَسَبۡنَ﴾ [النساء:٣٢]، ولو فرضنا أن إحدى هؤلاء النسوة بلغت أعلى ما عليه المرأة الغربية فإنهن يظللن خليلات خدينات شاذات عن مجتمعهن، وأن رجالهن كانوا ضعافًا، والله تعالى إنما أنزل شرعه لكل زمان ومكان من أول الدهر إلى آخره ولم يترل للحالات الشاذة في وقت معين أو لصفة معينة، ولو أنه جل شأنه لم يرحمنا بهذا الرسول المصطفى وهذا القران العظيم وأنزله على الغربيين فقط لقلنا ﴿لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡ﴾ [الأنعام:١٥٧]، فالحمد لله الذي هدانا ورحمنا وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥].

علمًا بأن اليهود والنصارى لن يرضوا عنا، وغاية ما يقولونه إن ذلك الانحراف خطوة في الاتجاه الصحيح.

وليس الدعاء المذكور في قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾ [النساء:١١٧] خاصا بدعاء المسألة دون دعاء العبادة، وكذا قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سبأ:٢٢]، و﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ [الإسراء:٥٧]، وأمثال ذلك من الآيات التي لا تحصى إلا بكلفة، ومن العبادة الطاعة كما سبق، وقد تكون العبادة في شكل منهج أو رؤية أو فلسفة أو مذهب فكري، وقد يسكن المشرك قصرا فخما أو كوخا حقيرا، وقد يسكن برجا شاهقا في نيويورك أو شجراً في غابات الأمازون!!

ومن الخطأ البين حصر الشرك في بعض أنواعه كدعاء الأموات، أو الظن بأن العالَم المتقدم ماديا ليس مشركا، والقول بأن أبا جهل مشرك، وأما "ترامب" فهو أعلى من ذلك، والقول أن التحالف مع أبي جهل حرام، أما التحالف مع "ترامب" فهو حلال، والعمل تحت قيادة أبي جهل موالاة والعمل تحت قيادة "ترامب" تحضُّر، وإنما الفرق أن الشيطان فتل لإغواء أبي جهل حبلا غير ما فتله لـــ"ترامب"، فهو يفتل لكل إنسان الحبل الذي يوافق هواه ويتماشى مع عصره، وهو طويل العمر عميق التجربة.

ومع أن الناس في أمريكا يعبدون الشيطان نفسه مباشرة سواء في نيويورك أو في لوس أنجلس، وينشرون تلك العبادة في العالم، تجدهم يتعرون، كما وسوس الشيطان إلى أبوينا في الجنة ودلاهما بغرور لكي يبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما، وما يفعله أولئك المتقدمون -كما يسميهم البعض- يفعله أتباعهم الملاحدة، فهذا عبدالله القصيمي مثلا يهدي كتابه "إلى سيد الأحرار إبليس"، وهذا بعض الناس في عصرنا الحاضر يقول في رواية له "الله والشيطان وجهان لعملة واحدة"!!

والناس حين يعبدون المسيح عليه السلام أو يعبدون الطوطم أو يكون الرئيس الديني هو الشامان أو البابا، إنما يعبدون الشيطان الذي هو من الجن، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١]، وهكذا يعبد الأرواحية والأحيائية في عصرنا، ولا يبالي الشيطان أن يكون عابدوه يسكنون غابات إفريقيا أو الأمازون أو يسكنون واشنطن ووادي السيلكون.

وحينما يطيع بعض الناس الجن ويستعين بهم لا ينفعه يوم القيامة أن يقول: ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام:١٢٨]، أي أن المصلحة كانت مشتركة، فالجن يَخرجون من المريض مثلا، والإنس يذبحون لهم الديك أو التيس الأسود، والسؤال أصلا إنما هو موجه للجن، ولكن أولياءهم هم الذين يجيبون قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ١٢٨] الآية.

فالإنس في أي مكان وزمان هم الذين يبدأون، ثم إن الجن إذا رأوا ذلك زادوهم رعبا.

قال الله تعالى حكاية عن الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦]، والجن إذا عشقت أحد الإنس تخرج منه ربما على الطريقة الأمريكية "الصعق الكهربائي"، أو الطريقة القديمة الخنق والضرب، كما يفعل (المتأخرون)!، إذا لا جديد جدة كلية، وإنما تختلف الأساليب وتتغير الشعارات، وتتنوع المعبودات، كما سنرى إن شاء الله.

لا جديد في الشرك:

الفلسفة المادية هي جبرية عصرية حيث تقول إن الانسان خاضع لقوانين المادة وحركة الطبيعة والحتمية، فإنسان "داروين" و"نيتشه" "مجرد

مادة مكونة من عمليات كيميائية"، وصار الإنسان كما قال الفيلسوف الأمريكي "رورتي" يعيش في عالم مادي.

وفي مقابل ذلك كانت الفلسفة العقلية لا سيما المثالية التي وضعها "هيجل" وقال إن الحرية الإنسانية هي الروح السارية في الكون، ثم جاء "برجسون" وأمثاله ليقولوا عكس ما قاله الماديون، وهو إثبات الروحية على رأيهم، وكلا الفلسفتين هي بطبيعة الحال خلاف ما تقوله الكنيسة، وردةَ فعلٍ للفلسفتين طالب أحزاب الخضر بالعودة إلى البيئة النظيفة كما طالب "أنيستون" من قبل!

كما أن القول بالمصادفة جهمية معاصرة، فحين قال الجهم بن صفوان إن الانسان كالريشة في مهب الريح، طور ذلك الملاحدة الحديثون والداروينية الجديدة إلى القول بأنه مسلوب الإرادة تتقاذفه الاحتمالات يمنة ويسرة، وتوجهه المصادفة إما هكذا وإما هكذا.

وقد قال الداروييني الجبري "جوليان هكسلي" إن المصادفة لو أصابت الفأر أو الدودة لكان أحدهما هو الكائن الأسمى لا الإنسان، وآمن بالمصادفة الجاحدون للخالق من الملاحدة أمثال "ريتشارد داوكيتر"، وزميله "فلو" الذي عاد عن ذلك في آخر عمره، لكن "داوكيتر" لم يعز ذلك إلى استيقاظ فطرة "فلو" وعودته إلى شيء من الحق، بل قال إنه أصابه الخرف!

ومن أشهر كتب داوكيتر كتابه الذي سماه "وهم الرب" أو "وهم الإله"، وعلى كل حال حينما يجحدون وجود الله تعالى أو ينطلقون من عبارة "نيتشه" إن الرب قد مات، فإنما يعنون به رب الكنيسة "يسوع"، الذي لا يعرفون غيره، وهو الذي كانت السموات والأرض قبله بملايين السنين!

وهو الذي ينقل "كولن ولسن" عن أمه قولها "إذا لم يكن يسوع هو الذي خلق السموات والأرض فمن خلقها إذن؟".

وكان من المناوئين لهذا القول الفيلسوف الشهير "برتراند رسل" الذي نشأ نشأة نصرانية على مذهب الموحدين من النصارى فسلم من هذه الآفة،

مع أنه ملحد هو الآخر.

على أن هذه النظرية الافتراضية "المصادفة" ينكرها علماء الرياضيات مثل السويسري "أوجين"، الذين قالوا إنها خرافة محضة، وأن القول بها يفترض كونا يبلغ حجمه (عشرة قوة اثنين وثمانين)، (أي عشرة وأمامها ٨٢ صفرا)، وهو رقم لا يمكن قراءته كما قالوا، وهو كون أكبر مما افترض آينشتاين، كما كذب هذه النظرية العالم الرياضي الإنجليزي "ألفرد هوايت هد" الذي سمى نقيضها "المضاد للمصادفة".

وممن أعلن أنها خرافة العالم الفيزيائي الأمريكي من أصل ألماني "ألبرت آينشتاين" الذي أنكرها وقال "إن الله لا يلعب بالنرد"، إذ أنه من خلال بحوثه المتعمقة في الفيزياء، وجد أن وراء كل مخلوق حكمة وله غاية، وأن لا وجود لكون حجمه كما سبق.

كما أن علماء الأحياء بل كل من يؤمن بالغاية والهدف والتصميم الذكي ينكر هذه المقولة المنافية للعقل والفطرة، وليس في أي علم ما يدل عليها لا في الكيمياء ولا الفيزياء ولا الأحياء ولا الطب ولا الهندسة ولا الرياضيات ولا الديناميكا ولا الميكانيكا، بل حتى العلوم الأدبية والتاريخ والشعر ليس فيها مجال لمصادفة قط.

فلا يوجد حضارة في التاريخ الحضاري جاءت صدفة، ولا يوجد قصيدة أو مسرحية أنشأتها الصدفة، ولو أعطيت طفلا قلما ويظل يخربش سنين لما استطاع نظم قصيدة شعرية أو كتابة مسرحية فضلا أن تعطي القلم قردا مثلا.

كما أن مبدأ السببية أو العلَّة الذي يقوم عليه العلم التجريبي كله ينكر هذه النظرية، أي إن كل معمل أو مختبر يكذبها.

وأصبح القول بالمصادفة نوعا من العبث غير العلمي، بعد أن اكتشف العلماء الشفرة الوراثية، وعرفوا أكثر عن خصائص الخليقة وحمض الـ"دي إن إي"، وظهرت فيزياء الكم، وعرفوا غلاف الذرة وأمثال ذلك من

التطورات العلمية التي تدحض هذه النظرية، وهكذا أسكت العلم المادي نفسه بنفسه.

والجبرية الحديثة أنواع منها:

الجبرية الاقتصادية التي قررها ماركس وتبعه فيها الشيوعيون حيث قررت الشيوعية أن الانتقال من مرحلة إلى مرحلة حتمي ولا خيار للإنسان فيه.

ومنها الجبرية التطورية التي قررها داروين والداروينيون الجدد.

ومنها الجبرية النفسية التي أرسى دعائمها "سيجموند فرويد" وأتباعه.

ومنها الجبرية الاجتماعية التي قررها "دوركايم" حيث أخضع الانسان لما سماه "العقل الجمعي".

ومنها الجبرية السياسية حيث لابد أن ينتقل الناس من عصر الاستبداد إلى عصر الديمقراطية.

ومنها الجبرية النسائية حيث أصبح من المهم عندهم أن تعمل المرأة لا أن تعيش بعقلية الإقطاعية!!

وهكذا جعلوا الإرادة الإنسانية حبيسة جبريات كثيرة وأصبحت خاضعة للمراقبة الدائمة، وأصبح الانسان عبدا مسيرا لا حرية له في ظل هذه الحضارة، ولهذا يفضل كثير من الأمريكان السفر إلى بلاد بريئة لا وجود فيها لحضارتهم، أو أن وجودها قليل مثل الجزر النائية، وبعض ولايات الهند ونيبال، واليمن وبلاد البنغال.

والله تعالى أثبت للإنسان اختيارًا وإرادة وعلى ذلك المسلمون لا سيما أهل السنة.

عقيدة وحدة الوجود:

من أخطر العقائد في الغرب والعالم كله عقيدة وحدة الوجود، وهي عقيدة قديمة أصلها هندي وآمن بها أكثر المفكرين الغربيين في عصر النهضة

الأوروبية وما تلاه، ومن أشهر الغربيين المتأخرين المؤمنين بها الفيلسوف الأمريكي "رالف أمرسون"، وقد دان بها قبله ابن عربي وابن الفارض وغيرهما نقلاً عن الهندوسية، أو اقتباسا من بعض عقائد الملكية النصارى، ويقال لها "الاتحاد المطلق"، ولأهلها "الاتحادية"، وقد كان الهندوس يعتقدون أن "براهما" هو عين الخالق المخلوق، وهو المصلِّي والمصلَّى له، وبعض الباحثين المعاصرين يعتقدون أن الله يكمن في الطبيعة تعالى الله عما يشركون.

والمهم أن هذا الاعتقاد الشيطاني ليس بجديد بل كان منتشرا بين فلاسفة المجوس، ثم انتقل الى زنادقة المتصوفة، ثم انتشر حين آمن به أكثر المفكرين الغربيين فيما سمي عصر النهضة الأوروبية وما بعده، وسماه علماء الاجتماع الغربيون "الكُمون"، وعرّفوه بأنه كمون الإله في الطبيعة، تعالى الله عما يشركون، أي أن هؤلاء انتكسوا إلى حمأة الوثنية هربا من النصرانية، ولم ينكروا صفات الله فحسب، بل أنكروا "الميتافيزيقا" التي قال بها فلاسفة اليونان وعلى رأسهم "أرسطو".

وجعلوا قوانينهم التي يسمونها "قوانين الطبيعة" تسري على عالَمي الغيب والشهادة، وهذا باطل واضح البطلان؛ فإن الجنة التي هي جزء من خلق الله فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فكيف بخالقها سبحانه، والتفكير الإنساني السليم يدل على أن لكل عالَم قوانينه الخاصة به، ألا ترى أنه حتى في العالم المشهود تجد للإنسان قوانين غير قوانين الحيوان والنبات والجماد، فالحيوان مثلا وهو أقرب المخلوقات إلى البشر ليس له عقل ولا لغة ولا ذكاء، ولا غير ذلك من خصائص الإنسان، فكيف بالعالم الآخر الذي هو غيب كلّه.

والحضارة الحديثة جاءت بوحدة الوجود في صورة أخرى، حيث قالت أن الوجود هو هذه الطبيعة لا غير، وأنه يجب على الإنسان التوحد مع الطبيعة، وهو ما كان قدماء الهنود يسمونه الاتحاد بالرب "الزفانا" فشرعوا القوانين باسم "القانون الطبيعي"، وأباحوا الشهوات باسم "الانسجام مع

الطبيعة"، وكثر الرومانسيون، وحولوا النرفانا الهندية والاتحاد بالمعبود إلى الاتحاد بالطبيعة، انظر مثلا "راهب سافوي" الذي كتبه "روسو"، وكذا شعر "رودز روث".

أما الحلول فهو اليوم عقيدة نصرانية صرفة، وقد يسموها أو يترجموها "التجسد"، وقد ورثها النصارى عن المجوس، وقد ظل لهذه العقيدة أثرها في علم الاجتماع الحديث، وهو ما نلحظه جليا في فكر "ماكس فيبر" الألماني و"برجر" الأمريكي، وفي أول إنجيل يوحنا "في البدء كان الكلمة وكان الكلمة هو الله.." إلخ.

وقد سقط فيه مشركو اليهود من قبل، وكذلك أمم كثيرة قبلهم، كالصابئة والمجوس وقدماء مشركي المصريين.

وإذا كان "لوثر" قد أخذ الحلول من الزنادقة المتصوفة فإن "سبينوزا" نقل التعطيل إلى الفكر الغربي التائه، فآمن بعض الغربيين بأن ربهم مجرد صانع ساعة صنعها ثم تركها تدور بنفسها، وقد ساعدهم نظرية الجاذبية على ذلك، فاعتمدوا على ما قرره "نيوتين" فيما سمي العالم الميكانيكي، أي المستقل بقوانينه الخاصة، وظهر فكر الديزام "الربوبيين" كمرحلة بين النصرانية والإلحاد المعاصر، فإذا وجدت غربيا يؤمن بأن الله رب الناس فاسأله من ملك الناس وإله الناس؟

فوحدة الوجود قديمة والاتحاد قديم والتعطيل أيضا قديم والشرك قديم، وإنما يوحي بعض الشياطين إلى بعض كما ذكر الله.

ولا تكاد ترى فرقا حقيقيا بين تعظيم الرومان للقوة وافتراض "داروين" أن البقاء للأقوى، ولا بين إيمان الأقدمين باللذة في شكلها الأبيقوري كما فهموه، وبين الإباحية الغربية العصرية، ولا بين تعظيم قدماء اليونان والرومان لفينوس وأفروديت، وبين تعظيم المعاصرين لمارلين مونرو وديانا، وقد حاول الباحث المصري أحمد عثمان إرجاع كل شيء إلى مصر في كتابه "خرج من مصر"، وهو صادق في بعض القضايا ومنها الشرك المصري، وقد تبين لي من

غيره بعد دراسة مستفيضة أن الحضارة اليونانية اقتبست من الحضارة الفرعونية، وربما شوَّه اليونانيون ما اقتبسوه ونسبوه إلى أنفسهم كعادة الغربيين.

وإن اطرد شيء من أقوال الفلاسفة الأولين فهو قولهم "إنه لا جديد تحت الشمس"، وهكذا تتغير المظاهر والصور ويبقى الجوهر كما هو، فالشيطان واحد يخدع كل إنسان بما يهوى، ويفتل لكل إنسان حبلا وإنما يفر الغرب وأذنابه من حبل ليقعوا في آخر.

ويقول الباحثون في التاريخ والاجتماع إن "العزى" التي كان يعبدها مشركو العرب هي نفسها "عشتروت" المعبودة لأهل حضارة ما بين النهرين، وأن فكرة نزول المسيح عند النصارى هي نفسها فكرة "الماشيح" عند اليهود التي هي نفسها فكرة "شوثن" أو الأشرزيط عند المجوس، أما العقيدة الإسلامية فهي تفرق بين مسيحين: مسيح الكفر الدجال الذي ينتظره اليهود، ومسيح الهدى (عيسى عليه السلام).

وصدق كلام ابن عباس إن الأصنام التي كانت لقوم نوح، أصبحت لقبائل العرب من بعدهم، أما "ود" فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما "سواع" فكانت لهذيل، وأما "يغوث" فكانت لمراد، ثم بني غطيف بالجرف عند سبأ، وأما "يعوق" فكانت لهمدان، وأما "نسر" فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، ثم إنهم أخيرا يحفظون "نسر" في المتحف الوطني بالرياض أي أن هيئة السياحة والآثار تسير على نفس خط قوم نوح.

وتدرج الشيطان بقوم نوح كعادته، من عبادة الله إذ رأوا صورهم، إلى عبادتهم من دون الله، وهكذا أضل كثيرًا من الناس، وأوقعهم في الشرك تدريجيًا، وما هكذا ملة إبراهيم عليه السلام، ولا دين نبينا محمد ﷺ.

وادعى فرعون قبحه الله الألوهية تبعا للعرف السائد يومئذ، فقد ناظر خليل الرحمن قبله الملك الذي ادعى ذلك، وعلى هذا كان اليونانيون، واليوم يعتقد اليابانيون أن الامبراطور إله.

وهكذا كان الهلنستيون الذين أخذوا ذلك عن الهلينيين الإغريق.

والأمريكان في هذا العصر أحلوا عبادة الدولار محل عبادة الدينار، وكان أعظم الكنوز قديما هو الذهب الأصفر، فأصبح في زماننا هذا الذهب الأسود.

وكما ظهرت الدهرية قديما ظهر اليوم الالحاد.

وكما أصبحت الفلسفات اليونانية كلاسيكية، كذلك سوف تصبح الفلسفات العصرية، ولا يعدم إبليس فلسفة أخرى، فالشيطان واحد وإن تنوعت المظاهر، ولكن المستقبل سيكون للإسلام بإذن الله.

وكان الصابئون والفلاسفة يقولون كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية إن الروح لا تفنى، ويقول الماديون اليوم إن المادة لا تفنى ولا تستحدث، وهذا كلام كله باطل إذ أنه تعالى يقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦]، ويقول تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨]، وهذا القول الباطل يقول به أهله بناء على عقيدتهم في أن الكون أزلي أبدي، وقد ذكر شيخ الإسلام أن أول من قال بأن العالم قديم هو "أرسطو".

والغرب -ومقلدوه- يعزون علم الحركة إلى إسحاق نيوتن، ويسمون ذلك "الميكانيكا"، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية نص على أن الحركة أنواع.

وكان المعتزلة يقولون "الجوهر الفرد" وهو الجزء الذي لا يتجزأ، ثم قال "لايبنتز" "بالمونادات الروحية"، والعلم الحديث يقول إن أصغر ما في الكون هو "الذرة"، وأنها لا تنقسم.

وكان الفلاسفة والمتكلمون قديما يقولون "الأقيسة العقلية"، ولا غبار على هذه التسمية في ذاتها، ولكن الأولى استعمال المصطلحات القرآنية، فالله سماها (الأمثال) وتعمق في ذلك أهل أصول الفقه، والقياس إما قياس التمثيل وإما قياس الشمول، وإما قياس الأولى.

وبعض ملاحدة الهند كالسمنية ينكرون ما عدا الحواس، وعلى ذلك يقوم ما يسمى "العلم التجريبي" اليوم كما هو مفصل في مبحث (مصدر المعرفة)، ومن السمنية تلقّى الجاهل الضال جهم بن صفوان مذهبه.

ويقول "هوبز" إن الإنسان شرير بفطرته، وهو كلام باطل فصل القول في إبطاله شيخ الإسلام بن تيمية، وأثبت أن القلب يحب الحق ما لم تعرض له إرادة الشر.

كما أن قول المعتزلة قديما وبعض الفلاسفة حديثا أن الانسان يولد كالصفحة البيضاء قابلا للخير والشر باطل أيضا؛ إذ فيه انكار للفطرة التي فطر الله الناس عليها.

وكان بعض المعتزلة كأبي بكر الأصم يقول إن الناس ليسوا بحاجة إلى إمام، وعلى ذلك في عصرنا النظرية الفوضوية التي وضعها "باكونين" عكس ما سماه "جان جاك رورسو" "العقد الاجتماعي"، وتخلصا مما سماه "هوبز" "اللواثيان" أي الدولة التنين المتغولة.

وعلماء الفيزياء اليوم يزجرون عن الخوض فيما فوق الطبيعة "الميتافيزيقيا"، ويقولون إن ما وراء "جدار بلانك" مجهول، فكيف يخوض الناس في عالم الغيب مثل كيفية صفات الله، والقدر، والملائكة، وأمثال ذلك مما مصدره الوحيد هو السمع، وما لم يرد فيه نص عن المعصوم وجب الكف عنه، فهذه انتكاسة للمعتزلة وعلم الكلام.

والتقمص الذي يؤمن به الدروز اليوم هو نفسه التناسخ الذي يؤمن به البوذيون والهندوس، وسواء قرأت ما يقوله جنبلاط أو ما يكتبه الهندوس لا فرق.

و"الدالايلاما" البوذي التبتي الذي يستقبله الرئيس الأمريكي هو إله عند أتباعه، ويعتقد الرهبان في التبت أنه تقمصٌ لبوذا. وهكذا.

ديانات حوض البحر الأبيض المتوسط الغربية:

أديان الغربيين قبل النصرانية أديان شركية لعب الشيطان بعقول أصحابها وغيَّر فطرهم، وهكذا كان الفرنجة والجرمن ثم النورمانديون، وأشهر امبراطوريات البحر الأبيض الامبراطورية الرومانية، التي انقسمت قسمين: الامبراطورية الشرقية التي كانت عاصمتها بيزنطة أي القسطنطينية قبل أن يفتحها محمد الفاتح، والامبراطورية الغربية التي كانت عاصمتها روما، ولا غرابة في أن يدين الغرب بالديانات الهندية، إذ أن أصل الأوروبيين هو العرق الهندي الآري، ثم كانت الهند أكبر درة في التاج البريطاني، وبعد جلاء البريطانيين عنها أصبحت مستعمرة أمريكية على الطريقة الاستعمارية الحديثة، وأصبح قدوة الهنديات المرأة الأمريكية.

وبعد أن كان الانجليز يتذرعون لاحتلال الهند بشركة الهند الشرقية، أصبحت الهند نفسها ترحب بشركة ببسي كولا وشركة ماكدونالد وأخواتها، وأصبحت القواعد الأمريكية تملأ المحيط الهندي ومنها قاعدة "ديغوغارسيا" وانتقلت الطبقية الهندية إلى الغرب لكن مع تعديل، فالطبقات الهندية أربع: كما هو معلوم، ولكن الغربيين جعلوها ثلاثا "الاستقراطية، والبورجوازية، والبروليتاريا".

وأراد البابا الالتفاف على الدولة العثمانية فأعطى "خرتسوف" أموالا ليصل بها إلى الهند لكن "خرتسوف" أي "كريستوفر كولمبس" ضلّ فوصل إلى أمريكا ومات وهو يظن أنه وصل إلى الهند.

وامتزج الشرك الهندوسي بشرك الصابئة، وعبد الأوروبيون الكواكب كالصابئة، ورأوا أن عبادتها أرقى من عبادة البقرة، ثم إن التنجيم انتشر في أوروبا باسم علم الفلك.

ولما جاء اليونان إلى الشرق قبل ميلاد المسيح عليه السلام نقلوا عن زنادقة اليهود وأخذوا عن الفراعنة، وأوحى الشيطان إلى اليونانيين أن يجعلوا

لكل شيء إلها، لا سيما الجن الذين كانوا يظهرون لهم بجبل الأولمب مع احتفاظهم بمجوسيتهم "عبادة النار"، التي جعلوها حديثا "الشعلة" الأولمبية، وكان النورمانديون أو المسمين الفايكنج مجوسا أيضا، وخضع لهم أكثر حوض البحر الأبيض، لكن النصرانية قاومتهم وجعلت شركهم أقل أربابا، أما الفلسفة اليونانية فقد أخذت عن الفلسفة المصرية، وهكذا نبغ "طاليس وأرسطو وأفلاطون وأرخميدس" وغيرهم، وكان أرسطو مربيا للإسكندر اليوناني، وهو الإسكندر المشهور بالكبير، وقد أعجب اليونانيون بالنيل والأهرامات، وانتقلوا من الظلام الغربي إلى الظلام الفرعوني، ووجدوا المصريين يعبدون الكواكب فعبدوا هم أيضا "جوبيتير" و"أبولو" وغيرهما، وقد نهاهم سقراط عن هذه الأرباب المتفرقة لكنهم قتلوه.

وهكذا تتلاقى البدع ويأخذ بعضها من بعض، والشيطان نفسه واحد.

اليابان:

أكبر الأديان اليوم في العالم غير أهل الكتاب هو المجوسية لا سيما في اليابان الدولة الصناعية الموصوفة بالتقدم، وقد أرادت اليابان مع تمسكها بتقاليدها أن تستورد التقدم التقني من الغرب، فاستخدمت تقويمه ونشرت ثقافته ونظرياته وشرعت الربا وأنشأت البنوك، وانضمت لمنظمة "الجات" وحكمت بالديمقراطية، وأسست الشركات على النمط الغربي مثل شركة سوني وتوشيبا وتويوتا ونيسان ومازدا، وشركات السيارات والأدوات المترلية الكهربائية ومكيفات الهواء، ونوعت مصادر دخلها حتى أصبحت تنافس أمريكا بل تتقدم عليها في بعض المجالات كشرائح الصواريخ.

وقد عمدت أمريكا إلى خفض ميزان المدفوعات مع اليابان، ثم إن كلا الدولتين أغرقها الله بالربا ومحقه محقا كما ذكر في كتابه، وحلت بهما الأزمات وأصبحتا تدوران في حلقة مفرغة، وتغوصان في أوحال مشاكل لا حصر لها، وتبعا لذلك جاءهما النذر بالعقوبة الربانية، فأصبحت اليابان تخشى قدوم مدة جديدة من التسونامي، كما تخشى أمريكا وقوع زلزال أو إعصار عنيف، ولا يظلم ربك أحدا، وهذا غير التهديدات المتوالية من كوريا الشمالية.

واليابانيون يدينون بدين "الشنتو"، وهو شرك مركب من شرك الصين والهند وكوريا، مع عادات وخرافات راجت ولا تزال تروج بين الشعب الياباني، وقد يُسمى دين اليابان أحيانا "البوذية الشمالية".

وقدس هذا الشعب "الثعلب" وخاف منه واعتقد أن الأرواح الشريرة –كما يزعم– تأتي من طريقه.

ومن خرافات اليابانيين اعتقادهم أن الميكادو أو الامبراطور من نسل الشمس، أي كما ذكر شيخ الإسلام عن اعتقاد التتار في جنكزخان.

وقد قابلت من قال إنه مدير وكالة الأنباء اليابانية وأراد أن يتقرب مني

بقوله إنه كتب عني مقالات في الصحف اليابانية، لكني سألته عن عقيدة قومه فاعترف بأن الإمبراطور من نسل الشمس، وأنه إله.

ولما مات إمبراطورهم "هيروهيتو" وضعوا معه أدواته مثل النظارات والكاميرا وغيرهما، كما كان يفعل المشركون الفراعنة القدامى، والحمد لله الذي منَّ علينا بالإسلام، كما قابلت مسلما من الأسرة الإمبراطورية وذكر أنهم آذوه حتى اضطروه لأخذ جنسية أخرى غير اليابانية.

والرب الأكبر عند المجوس هو "مازدا" الذي ذكره "شبنجلر" الألماني و"دوموزيل" و"شالي"، وأضرابهما في فرنسا، كما ذكره الباحثون الإنجليز والأمريكان، ولا ينكر عبادته أي ياباني أو مجوسي أينما كان.

أما معبودهم "أندرا" فهو معروف عند المجوس كافة في الهند والصين وإيران.

ويعتقد المجوس أن لهم مخلصا يخرج في آخر الزمان تحدث عنه المسعودي في "مروج الذهب"، والانثربولوجيون المعاصرون والباحثون في تاريخ الأديان قديما وحديثا، ومنهم هيجل البروسي الألماني، ويختلفون إذ يقول بعضهم إن المخلص هو سوثن، وهو قول الأكثرية، وبعضهم يقول إن زرادشت نفسه يتجسد في بوذا!

ومن أعمال هذا المنتظر أنه يعذب الكافرين بالمجوسية -كما يعتقدون-، بينما يسقي المؤمنين به "كأس الخلود" من رحيق الآلهة "نكتار".

ويعتقد المجوس أن المازدي ينعم في النور بينما يقبع الكفار في الظلام، فالمازدي يعبد إله النور وحده، والكافر يعبد إله الظلام والشر، وهذا يذكرنا بالمانوية ويدل على تأثير المجوسية بماني أو تأثر ماني بالمجوسية.

ومن شدة إعجاب الغربيين بالمجوسية والزرادشتية كتب نيتشه كتابه "هكذا تكلم زرادشت"، كما أفاض "هيجل" و"شبنجلر" في الحديث عنه.

ومن خرافات اليابانيين اعتقادهم أن الجزر اليابانية ولدت من التزاوج بين الآلهة.

ومن عقائدهم المعاصرة اعتقادهم أن الموتى يصبحون آلهة، فكذا كتب الكاتب الياباني "هيراتا" كما يقول "لافكاديو".

وعند اليابانيين خرافات كثيرة جعلت أحد الباحثين الغربيين يقول إن شعار اليابانيين هو "إنا نؤمن به لأنه سخيف"!

ومن خرافاتهم أو سخافاتهم اشتغالهم بالدنيا، وقولهم إن فيها شغلا عن الدين فقال أحدهم في جدة: الإسلام حق ولكن أنا مدير شركة ولا أستطيع أن أجمع بين الإدارة والدين!!

والخلاصة أننا لا نستطيع إحصاء خرافات هؤلاء المجوس وعقائدهم، فالحمد لله الذي هدانا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

واليابانيون يستخرجون الفيتامينات من النفايات بل من البراز الآدمي، ويأكلون الحيات والحشرات، وإذا تقدم اليابانيون أو تطوروا فإنهم يدينون بالتثليث النصراني أو بالإلحاد الغربي، فينتقلون من الشنتية إلى النصرانية.

أما المجوسي الهندي فهو يعبد البقرة أو النملة أو التراب أو أي شيء، ويكون نباتيا يحرم اللحم، وإنما الحرق والتدمير للقرى الإسلامية والولايات الإسلامية في الهند لا سيما إذا ذبح المسلمون بقرة في عيد الأضحى.

فالبقرة عند الهندوس هي "التابو" المحرم وفق البدع الهندوسية، بل هي الرب المعبود فكيف يذبحه المسلمون؟

يقول كبيرهم "غاندي" سوف أظل أعبد البقرة وأدافع عن عبادتها أمام العالم.

والمجوس عامة في الصين أو الهند وكوريا وفيتنام وبورما يعبدون تماثيل بوذا ويصنعون الأصنام بأيديهم، فأين إعلام بلاد التوحيد من كل هذا الشرك مع حديثه الطويل عن حب اليابانيين للعمل وخروجهم في موسم الإزهار، وعن الفيلة في الهند والمنتجات في الصين واليابان، وعن المنتخبات الرياضية لهذه الدول المجوسية، وعن التطور الصناعي الذي تشهده هذه الدولة، وقد حققوا معي في "الحائر" لأنني استنكرت عرض فلم جنسي في إحدى

الحافلات قام به شخص فلبيني، وقالوا إن هذا مما يسيء للعلاقات بين البلدين الصديقين!!

ونسوا ما يفعله بعض الفلبينيين هنا من اختطاف أبناء الأثرياء، والسرقة والتلاعب بالعدادات وأمثال ذلك.

ولا يهم أن يكون أحدهم مجوسيا أو نصرانيا بل المهم ألا يكون من الإخوان!

أما مأساة مسلمي الروهينجا فهي قديمة لكن لا يتحدث عنها الإعلام هنا وهي من شأن الأتراك كما أن محمدًا ﷺ نبي الأتراك عندهم.

طائفتا
اليهود والنصارى

أهل الكتاب:

من يتدين من الغربيين يكون دينه غالبا إما اليهودية، وإما النصرانية، أي أنه إما مغضوب عليه أو ضال.

ومن المحال أن يسميهم الله مغضوبا عليهم وضالين ونردد ذلك في كل ركعة من ويسميهم بعض الناس دولا متقدمة أو متحضرة .. إلخ، ويجمعها اسم واحد "أهل الكتاب".

فمن المعلوم أن النصارى يؤمنون بالتوراة كما يؤمن بها اليهود، ويضمون إليها الأناجيل التي يكفر بها اليهود كلها.

والنبي ﷺ قال: (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون)، وتبعه باللفظ الكثير من السلف مثل ابن عباس وسفيان بن عيينة.

وأكثر ما يرد مصطلح أهل الكتاب في القرآن في حق اليهود، إذ أن النصارى يؤمنون بالتوراة وهم في الواقع فرقة من فرق اليهود، والله تعالى أرسل عيسى رسولا إلى بني إسرائيل، ولذلك قال الله تعالى عن النصارى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١١٣]، ولما ذهبت أم المؤمنين خديجة بالنبي ﷺ إلى ورقة بن نوفل، قال: هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى، ولما استمع الجن إلى القرآن قالوا لقومهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف:٣٠]، وقد قرن الله بين القرآن والتوراة كثيرا.

ومما يجب التنبيه عليه قبل أن نذكر ما يدين به أهل الكتاب أن مناظرتهم لا تكون إلا بعلم، وإن لم يكن المسلم عالما بدينهم فليسكت، لئلا يكون في ضعف حجته فتنة لهم، وقد أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال هو ومن معه: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:٨٥].

١- اليهود:

اليهود في كل أمة هم شر وبلاء، يبذرون الفتن، ويوقدون الحروب، ويشيعون الفواحش والانحطاط، ويسعون في الأرض فسادا، ويأكلون الربا والسحت وهم أحرص الناس على حياة، وأكثرهم بخلا وشحا وعبادة للدرهم والدينار، ومن أخلاقهم السيئة معاداة كل الأمم وأنهم يتكبرون على غيرهم ويدّعون أنهم وحدهم شعب الله المختار وأبناؤه وأحباؤه.

وليست عداوتهم الشرسة خاصة بالمسلمين فقط، بل هم يتجرأون - قبحهم الله- على الله تعالى ويقولون هو فقير وهم أغنياء، ويقولون يد الله مغلولة ويؤمنون بالبداء على الله، وبأنه يخطئ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، وقد حذر المؤسسون الأولون للولايات المتحدة الأمريكية، من دخول اليهود إلى بلادهم، ولا تزال تحذيراتهم محفوظة حتى اليوم، ومع ذلك دخل اليهود لما أحسوا بنهاية الدولة البريطانية، وسيطروا في أمريكا على كل شيء لا سيما الإعلام والشركات التجارية والبنوك وأسواق البورصة وتجارة السلاح والدعارة والمخدرات، وهم متكاتفون فيما بينهم، ويتصل بعضهم ببعض لتوحيد مواقفهم خصوصا في التلاعب بالأسعار والأسهم وقلب الحقائق، وهم يفعلون في أمريكا ما فعلوه في أوروبا لا سيما في نتيجة معركة "واترلو" المعروفة، وهم مع سفالتهم وانحطاطهم وبخلهم يدّعون أنهم شعب الله المختار، وليس عليهم في "الجويم" أي الأمم سبيل، وقد أوقدوا الحرب قديما بين الأوس والخزرج، وصدق الله العظيم ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة:٦٤]، وأوقدوها ويوقدونها حديثاً في العالم كله ما استطاعوا، ولا يهمهم الأمن والاستقرار وإنما يهمهم بيع السلاح وكثرة الحروب، ولما فيهم من الطبائع القبيحة تكرههم الأمم والشعوب، فالروس مثلا والألمان لا يحبونهم، والانجليز كانوا يحرِّمون دخولهم بلادهم قروناً، وأغلب النصارى الأرثوذكس يكرهونهم، وقد قال بروفيسور يهودي روسي: "إن اليهود سيئو الحظ؛ فقد

هربوا من الاضطهاد الأوروبي ليقعوا في أقوى وأشد الشعوب" يعني الفلسطينيين، وما ذلك إلا لمؤامراهم وغشهم.

وقد قدر "ول ديورانت" عدد الجاليات اليهودية التي طردت من ألمانيا بأكثر من (٥٠٠) جالية وذكر مصادره في ذلك، كما أن المؤرخ "غوستاف لوبون" ذكر أن تاريخ اليهود هو تاريخ المؤامرات والمكر والجشع، وأن مقارنتهم بالمسلمين أو العرب كما يسميهم، فيها (أي المقارنة) تنقُّص للمسلمين، وذلك في كتابه "اليهود في تاريخ الحضارات".

وكثير من الشعوب تكرههم، فهم كما قال أحد الكتاب الروس "شعب غريب"، بل هم مكروهون حتى في أمريكا نفسها، وقد كتب عن ذلك الثري الأمريكي "هنري فورد" في كتابه "اليهودي العالمي"، وهم يكرهون أنفسهم كما عبَّر كثير منهم مثل "سيجمون فرويد" و"كارل ماركس"، وقد حقد "فرويد" على الأديان في استمداد نظريته الموهومة من أسطورة "أوديب" الخيالية، التي كتبها أحد القدامى قبل المسيح عليه السلام "سوفوكيل"، وهي تصور غيرة الابن من أبيه لأنه تزوج أم "أوديب"، وعلى منهج "فرويد" اليوم اليهودي الآخر "برنارد لويس" الذي زعم أن دافع الربيع العربي هو الكبت الجنسي لدى الشباب العرب!!

ومن هذا الانحطاط كتب "فرويد" عن "الأنا" والأنا العليا، وعن العقدة التي هي عقدة "أوديب" في نظره، نشأت الأديان عند الإنسان، وتبعه المستعبَدون للغرب فكريا وكان تلاميذه من اليهود عدا واحدا، وصدقت في اليهود كلمة الروائي الأمريكي "مارك توين" حين قال: "الأمم يكره بعضها بعضا ولكن كل الأمم تكره اليهود"، وكذلك قال عنهم "شبنجلر"! وقال "ميشيل" الفرنسي: "اليهودي هو المصيبة عينها"، وقد قال "ديفيد ديوك" عضو الكونغرس الأمريكي سابقا في صحوته إن "بلفور" صاحب الوعد المشهور يهودي!، أما المندوب البريطاني في فلسطين "صمويل" فلا شك أنه يهودي، وكذلك "دزرائيلي" رئيس وزراء بريطانيا المعروف.

ولما أراد "شكسبير" أن يضرب مثلا على حب المال والطمع فيه والربا الفاحش ولا إنسانية التعامل جعل من يقوم بذلك يهوديا "شيلوك" كما في مسرحيته "تاجر البندقية"، ولما أراد "شارل ديكنز" أن يضرب مثلا لتعليم الأطفال الأيتام السرقة والخيانة جاء بيهودي "فاغين"، في روايته "أوليفر تويست" وكذلك كتب "وايلر"، وكذلك كان الشاعر "ووزرد روث" وقبلهم كان معاصر "شكسبير" "كريستوفر مالرو" صاحب "يهودي مالطا"، ثم كان الشاعر الانجليزي "الكسندر بوب"، وما هؤلاء إلا أمثلة قليلة، فكل أديب غربي يريد أن يضع مثالا عن الجشع والحقد والربا يجد كل هذه الصفات في اليهود.

وممن كان يكرههم من المشهورين الفيلسوف الفرنسي "فولتير"، والأدباء الغربيون إذا كتبوا في المسرحية أو القصة أو الشعر يذكرون "اليهودي التائه"، وأصل ذلك ما كتبه الله عليهم من التيه لما رفضوا أن يدخلوا الأرض المقدسة كما عندهم في التوراة، وأصدق من ذلك وأوثق ما ذكره الله تعالى عنهم في سورة المائدة.

وتحزَّب اليهود في فرنسا مع اليهودي "درايفوس" الذي كان ضابطا فرنسيا خائنا، واستصدروا براءته بعد موته بكثير، وبنوا له تمثالاً.

وممن ناصر (درايفوس) الكاتب الروائي اليهودي "إميل زولا"، من مشاهير المدرسة الطبيعية في الأدب.

ولما شكك "روجيه جارودي" في المحرقة المزعومة "الهولوكست" قضى اليهود بمحاكمته.

ولما احتج اليهود في فرنسا على بطل تحريرها ورئيسها "شارل ديجول" قال: كنت أظن أنني أنا الذي أحكم فرنسا فإذا بهم اليهود!

ولا يزال كثير من الغربيين يعتقدون أن "هتلر" خير من "روزفلت" و"ستالين" ولكن التاريخ يكتبه المنتصرون، وفي الغربيين من يشكك في أفران الغاز أو الصابون البشري الذي يقال إن هتلر صنعه من شحوم اليهود،

وكثير من الغربيين يشكك في محاكمات "نورمبرج" ويقول إنها غير عادلة، وبعضهم يقول إن أعظم أعمال "هتلر" هي قضاؤه على اليهود! وأمر الجميع إلى الله وهو الذي يحكم بينهم بالعدل.

ومن أدباء اليهود الذين تمدحهم بعض الصحف العربية حتى التي تصدر هنا (ت. س. إليوت، وإميل زولا، وفرانز كافكا)، وممن تثني عليهم هذه الصحف المخدوعة بعض الشيوعيين وربما كان بعضهم يهودا مثل "ألتوسير"، و"ميشيل فوكو"، و"لو كاش" وكان "نيتشه" القائل بأن الله مات، تعالى الله عما يشركون، يهوديًا وكذا "لوكاش"، ومن المجرمين أيضا "عزرا باوند"، و"دي سوسير"، و"جان بياجيه" و"جاكبسون".

ومن اليهود المعاصرين "برنارد لويس" صاحب فكرة احتلال العراق.

واليهود هم عقوبة الله على كل أمة تعصيه وتعبد الدرهم والدينار، وتكفر بالآخرة، وتنتشر فيها الفواحش، وقد عاقب الله بهم الغرب الكافر في هذه الدنيا، وعقوبة الآخرة أشد وأبقى، فالساسة الغربيون إما يهود، وإما يخضعون لليهود، وكثير من فلاسفة الغرب يهود، وكثير من تجارهم يهود وكثير من أدبائهم يهود، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩] وهذه العقوبة تكون تذكيرا للمسلمين وتكفيرا لذنوب المجاهدين.

واليهود معروفون بنقض العهود والاتفاقيات والكذب والغدر والخيانة والتعنت، ويعلم كل مسلم غدر بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، كما يعلم إخواننا الفلسطينيون مصير اتفاقية "أوسلو" المشؤومة، وقد تعنت المجرم اليهودي "نتنياهو" مع صديقته أمريكا كما هو معلوم.

ولا غرابة اليوم في كراهية الأتراك لهم، فالدولة العثمانية هي التي آوت اليهود لما طردتهم الدول الأوروبية، ولكنهم خانوا وغدروا بالعثمانيين منذ "شبتاي زيفي" حتى "يهود الدونمة" وبلغت بهم الغطرسة الكاذبة أن اعتدوا على السفينة "مرمرة" كما يعلم الكل.

غير أن الشعب التركي المسلم ليس مثل الشعب الأمريكي حين دمروا سفينته "ليبرتي"، وقال الصهاينة إن ذلك بطريق الخطأ، فصدقهم الأمريكيون وأمرهم حكومتهم بالسكوت فسكتوا، فالأتراك غضبوا جميعا وتكلموا جميعا الإسلامي منهم والقومي.

وقد ظن اليهود أن المسلمين مثل الكاثوليك أي كما أصبح بعض اليهود بابوات يمكن لهم أيضا أن يصبحوا شيوخا، ولكن الله خيب آمالهم فيمكن لليهودي أن يصبح صفويا، ولكن لا يمكن أن يكون مفتيا في أمة تحفظ أنسابها وفي عشائر وقبائل تعرف أصولها، ويعرف علماؤها دينهم تفصيلا، بحيث يصعب على اليهود اختراقه، ثم إنه دين الفطرة إذا تعلمه أحد أسلم ولو كان يهوديا.

ويستطيع اليهود تقرير خلاف الأناجيل مثل تبرئة اليهود من دم المسيح (كما فعل النصارى استجابة لهم)، ولكنهم لا يستطيعون أن يقرروا خلاف ما في القرآن الكريم ولله الحمد، وقد يصدقهم بعض الناس ولكن الله برحمته لا يجمع هذه الأمة على ضلالة.

واليهود يقتلون الأنبياء كما ذكر الله عنهم، بل عالج نبيهم نبي الله موسى عليه السلام وهو أعظم أنبيائهم عالج منهم الكثير من الفتن والافتراءات والعناد والالتواء، وقد أخبر موسى بذلك النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، وقد أخبر الله عنهم لما خرج بهم من أرض مصر، حيث كان يستعبدهم الفراعنة، وأهلك عدوهم فرعون وهم ينظرون، وأنهم قالوا: ﴿يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨] عندما رأوا الكنعانيين يعكفون على أصنام لهم، فهم متعودون للشرك.

ولما أمرهم بأمر الله أن يذبحوا بقرة قالوا لموسى: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ [البقرة:٦٧]، وتعنتوا في صفات البقرة ولو ذبحوا أي بقرة لأجزأتهم، كما أبوا أن يدخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لهم وقالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤].

ولما ذهب عليه السلام لميقات ربه واستخلف عليهم أخاه النبي هارون عبدوا العجل الذي صنعه لهم السامري.

ولما أمرهم الله تعالى أن يسكنوا القرية ويقولوا حطة بدلوا كلاما غير الذي قيل لهم.

واحتالوا على الله تعالى في السبت فنصبوا الشباك للصيد، ورفضوا كلام من ينهاهم عن هذا العمل السيئ، وقد قال بعض السلف إنهم نصبوها يوم الجمعة وأخذوا الحيتان يوم الأحد.

كما احتالوا على الله فجملوا شحوم الميتة فباعوها و لم يسلم منهم نبي الله موسى بل آذوه، ومن ذلك قولهم إنه آدر، ولذلك قال ﷺ لما قال له أصل الخوارج "اعدل يا محمد": (رحم الله موسى لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر)، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟﴾ [الأحزاب:٦٩] الآية.

وهم مع ذلك قذرون حسودون، وما كان "الجيتو" في أوروبا أو "حارة اليهود" في الشام أو "قاع اليهود" في اليمن أو "الملاح" في المغرب إلا مثالا للقذارة، وكان اليهودي "هنري كسينجر" مضرب المثل في القذارة والشح والمكر، وكان من يعملون معه يذكرون قذارته وشحه الشديد، وكيف أنه كان يلبس ما هو أكبر منه -وربما ورثه- وكيف كان يحمل ملابسه من بيته ليغسلها في الوزارة، حتى يكون الماء والكهرباء مما تدفعه الحكومة لا مما يدفعه هو، وبعد أن ترك وزارة الخارجية، أصبح مستشارا للحكومة في أحد مراكز البحوث الكثيرة، وله مؤلفات كثيرة قرأت بعضها، وهكذا أصبحت حروب أمريكا كلها قذرة ويهودية، كما أشار وكتب ذلك اليهودي القذر وأمثاله من اليهود، وهذا اليهودي أعني "كيسنجر" تنبأ بزوال دولة إسرائيل سنة ٢٠٢٢ والله أعلم، وبعد أحداث ١١ سبتمبر عينوا كيسنجر أمينا لمجلس الأمن القومي الأمريكي.

وقد أمرنا النبي ﷺ أن ننظف أفنيتنا ولا نتشبه باليهود.

ومن حسدهم أنهم حسدونا على قول "آمين" وعلى السلام، كما أخبر بذلك النبي ﷺ، فما بالك بنبوة رسولنا ﷺ، الذي ليس من بني إسرائيل، وهم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، كما ذكر تعالى، ونحن مأمورون بمخالفتهم حتى في أن نصلي بنعالنا، وهذه المخالفة أطال فيها شيخ الإسلام ابن تيمية وفصلها في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم"، وهي مقصودة لذاتها كما بيّن الشيخ رحمه الله.

وهم يعتقدون أن أحبارهم -ومنهم "شماي وهلِّيل" الذين ذكرهما شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح"، وكانا قبل الإسلام يصححون أخطاء الله تعالى الله عما يشركون.

ومن شنائعهم الكثيرة أنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، ولذلك لعنهم الله على لسان داود وعيسى بن مريم، وقال بعض السلف: "ما في كتاب الله أشد توبيخا للعلماء من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة:٦٣]، فكل من سكت عن إنكار المنكر فهو متشبه باليهود.

وأسوأ مثلين ذكرهما الله تعالى في كتابه هما مثلا الكلب والحمار، وهما في اليهود ومن شابههم وسار سيرتهم ممن عرف الحق ولم يتبعه.

وقد قال حذيفة رضي الله عنه: "نعم أبناء عم لكم اليهود إذا كان ما ذكر الله من حلوة فهي لكم، وما ذكر من مرة فهي لهم"، أي أن الله تعالى لا يحابي أحدا يهوديا أو مسلما، وإنما قص علينا ما فعلوه لنعتبر ولا نكون مثلهم عياذا بالله.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "إن بني إسرائيل قد مضوا وإنما المقصود أنتم".

وقال جل شأنه: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ [النساء:١٢٣]، بل إن من ادعى الإسلام وعمل أعمال اليهود يكون أشد منهم، فكيف إذا عمل ما هو أشنع من أعمالهم؟ وذكر الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري في الرد على ابن النغريلة اليهودي، الذي استوزره بعض ملوك الطوائف يومئذ،

أن كل من والى اليهود يناله نصيبه من الغضب والذلة والمسكنة مثلما كتب الله تعالى ذلك على اليهود، وصدق والله، وكم رأينا من ذلك في دول الطوائف المعاصرة، ولكن القوم لا يعتبرون فيتقربون إلى إسرائيل الكبرى (أمريكا) بإرضاء إسرائيل الصغرى، مع تقربهم من إسرائيل نفسها.

ومن صفات اليهود المذكورة في القرآن الكريم أن الله تعالى ألقى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وكل من قرأ عن اليهود أو قرأ لهم أو عاشرهم يرى ذلك بجلاء، ومن أصدق من الله قيلا؟ وهم في كل زمان فرق شتى مختلفو القلوب، ثم ذكر سبحانه عنهم في الآية نفسها أنهم كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله، وهذا كما حاولوا الإيقاع بين الأوس والخزرج قديما، وهم اليوم يبيعون السلاح لطرفي كل حرب ويشعلون الحروب، ويسلطهم الله على من عصاه أيا كان، ولا يظلم ربك أحدا، ويطفئ الله نار الحروب عمن اتقاه وأصلح ما بينه وبينه، ثم قال سبحانه: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة:٦٤]، وهذا دأب اليهود وكل من يستجيب لهم، فاليهود يتاجرون في الدعارة والمخدرات والخمور وكل آفة، فضلا عن تجارة السلاح كما سبق.

واليهود اليوم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، وحاخاماتهم هم الذين كفروا "سبينوزا" اليهودي الذي انتهج المنهج التاريخي الذي سلكه ابن حزم في نقد التوراة، ذلك المنهج الذي يسميه الغربيون "النقد التاريخي للكتاب المقدس"، وهم في دويلتهم إسرائيل متفرقون مختلفون كما هو مبيّن في موضعه، وهو جلي لا ينكره أحد حتى اليهود، ولا يزالون في إسرائيل أحزابا شتى من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وكل حزب بما لديهم فرحون، وتشتم الطائفة منهم الأخرى وتترصد لها.

ومن عقائد اليهود التي لا دليل عليها زعمهم أن النار لن تمسهم إلا أياما معدودة، وأنه ينبغي للمسلمين أن يكونوا هودا مثلهم، فهم واضعو بذرة الإرجاء الخبيث.

ومن تزييفهم للحقائق ادعاؤهم أن عباد الأصنام على حق وهدى، وأن المؤمنين على باطل كما ذكر الله في كتابه الكريم، فهم والأمريكان اليوم يقدمون المجوس على المسلمين، فانظر كيف تدافع أمريكا اليوم عن كوريا الجنوبية واليابان بينما تحارب المسلمين في أفغانستان.

وأعظم من ذلك كفرهم بالرسول ﷺ مع أنهم كانوا يستفتحون به على الذين كفروا، بل يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وهل يخطئ أحد في معرفة ابنه؟ وادعوا أن خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا.

كما أن ألفاظهم غير مهذبة وقد كانوا يقولون "السام عليك يا محمد"، ويقولون "راعناً" أي أحمق، وعاقبهم الله تعالى على هذا الكفر والكذب والعناد فنتق فوقهم الجبل ليتوبوا ووضع عليهم الإصر والأغلال التي لو آمنوا برسول الله ﷺ لحطها الله عنهم.

ولكنهم آثروا الكفر به والبقاء على الآصار البالغة "٦٣٠"، بينما يستثقل بعض المسلمين فرائض معدودات، ومن هذه الآصار "تركهم العمل يوم السبت" وتركهم الزراعة في السنة السابعة التي يسمونها سنة "التبوير"، وتحريم كل ذي ظفر الذي يسميه اليهود مشقوق الظلف، وقصُّ المكان الذي تلحقه نجاسة من الثياب، وتركهم معاشرة الحائض ونحو ذلك.

ومن إعراضهم عما أنزل الله وكفرهم بآيات الله أنهم كما قال ﷺ وضعوا كتابا فاتبعوه وتركوا التوراة وهذا الكتاب -فيما يظهر- هو التلمود الذي كتبوه في بابل فسمي "تلمود بابل" أو في فلسطين فسمي "تلمود أورشليم"، وهذا التلمود يحوي كتابين كبيرين هما "المشنا والجمارا"، وفيه ما يسميه اليهود "الزهور"، أي الظهور، وهو تصوف وسحر "قبالا" وفيه كثير من الخرافات.

وتحدث عن التلمود كثير من الباحثين الغربيين، كما تحدث عنه كثير من الشرقيين منهم مركز الدراسات الفلسطينية، والباحث "حسن ظاظا" والباحث عبدالوهاب المسيري، والباحث الفلسطيني صلاح الزرو وغيرهم.

ومن افتراءات اليهود اتهامهم للعذراء البتول مريم عليها السلام، وقولهم عليها البهتان العظيم.

واعتقادهم ومعهم النصارى أن المسيح عليه السلام قُتل وصلب، ولكن ينفرد اليهود بقول إنهم قتلوه.

والمسيح عليه السلام في الأناجيل الموجودة اليوم يصفهم بأنهم أولاد الأفاعي وأنهم مراؤون كذابون طماعون، وبيده الشريفة منع اليهود من البيع داخل المسجد، وقلب أوعيتهم وذكر أنهم يغصون بالإبرة ويسطرطون الجمل، وهذه سياستهم اليوم كما قال الشاعر:

قتل امرئ في غابة   جريمة لا تغتفر
وقتل شعب كامل   مسألة فيها نظر

وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال لهم: "تقرأون في الشريعة -أي في التوراة- أن العين بالعين والسن بالسن ...إلخ. أما أنا فأقول لكم: "من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضا ...".

أي أن شريعته عليه السلام علاج لليهود ولأخلاقهم الذميمة، وليست شريعة عامة لكل البشر فهل يعي ذلك النصارى؟!

ومن جرائم اليهود -وما أكثر جرائمهم- أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هو من عند الله.

ومن جرائمهم أنه وصل بهم الكفر إلى أن يقولوا ما أنزل الله على بشر من شيء، ولو صح ذلك لما كانوا يهوداً ولما كان لهم أحبار وحكماء "حاخامات".

ومن جرائمهم التحريف المتعمد مثل تحريف اسم محمد ﷺ إلى "ماد ماد" حتى لا يعرفه الكثيرون من قراء التوراة، ويقول اليهودي المهتدي السموأل المغربي إن بعض اليهود الصادقين تعمدوا كتابة مادماد حتى لا يغيرها اليهود لو كتبوا محمد، وصدق الله ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾

[النساء:٤٦] ومن ذلك زعمهم أن جبال فاران هي (برية) "بئر سبع" في فلسطين.

والتوراة الموجودة لديهم اليوم تصفهم بأشنع الأوصاف منها أنهم "شعب عصي الرقبة"، وأنهم (أنجاس) وأن الله تعالى (غضب عليهم) ولا يتقبل منهم (محروقاتهم وقرابينهم وصلواتهم)، وأنهم لا يرثون الأرض لأنهم لا يرحمون الأرملة والمسكين.

واليهود هم شياطين الإنس الذين يأتي إليهم المنافقون ليقولوا لهم: "إنما نحن مستهزئون"، أي في قولنا للمؤمنين "آمنا"، وإذا سماهم الله تعالى شياطين فماذا نتوقع من الشيطان؟

واليهود ملعونون عابدون للطاغوت جعل الله منهم القردة والخنازير، ومن صفاتهم المذمومة "الخديعة والمكر"، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:١٣] ألآية.

ومن كَذِب اليهود في الدولة الصهيونية المحتلة ادعاؤهم أنهم بنو إسرائيل مع أن أكثرهم اليوم من يهود "الخزر" كما في تاريخهم ويعرف ذلك علماء الأجناس البشرية.

واليهود يؤمنون بالجبت والطاغوت وفي النصيب الذي أوتوه من الكتاب أمرٌ لهم باتباع النبي الأمي صلوات الله عليه وسلامه الذي لا يزال مكتوبا عندهم في التوراة حتى اليوم.

وبعضهم حتى الآن يوقن ويعلم أن ما قاله ﷺ حق ولا مرية فيه، بل بلغني أن بعض اليهود المتنفذين، يطلب من سجينه المسلم أن يكتب له براءة يعتمد عليها إذا ظهر عليهم المسلمون، وبعضهم يقر بأن المسلمين سوف يزيلون دولتهم "إسرائيل" كما أخبر بذلك النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى.

ولما كان اليهودي "صمويل هاتنغتون" يعلم ذلك استفاد من إخباره ﷺ عن الصراع آخر الزمان، فكتب كتابه "صراع الحضارات" كما قال "مأمون فندي".

واليهود قوم "بهت" كما قال عبد الله بن سلام ﵁، فبعد أن قالوا عنه هو "عالمنا وابن عالمنا" بهتوه لما خرج إليهم وأعلن إسلامه، فقالوا عنه "شرنا وابن شرنا".

وهم الذين صاحوا في الأوس والخزرج لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة "يا بني قيلة هذا جدكم الذي تنتظرون"، ومع ذلك أبوا هم أن يدخلوا في الإسلام.

وذكرت أم المؤمنين صفية رضي الله عنها أن أباها حيي بن أخطب لما سئل عن النبي ﷺ قائلا: (أهو هو: قال حيي: نعم)!

وجاء الحبران اليهوديان إلى النبي ﷺ وقالا له: (نشهد أنك نبي، فقال ﷺ: ما يمنعكما أن تتبعاني؟ قالا: إن الله أخذ العهد أنه لا يزال من ذرية داود نبي!)، فهي إذن العنصرية المقيتة التي تمنعهم من اتباع النبي ﷺ مع ظهور البراهين وقيام الحجة.

وهذه العنصرية لا اعتبار لها في الإسلام، بل تقوى الله تعالى واتباع الكتاب والسنة معيارنا لكل أحد، ولذلك فقول بعضهم اليوم: هذا خضيري وهذا صلبي وهذا أسود وهذا هتيمي وهذا طرش بحر وهذا حضري وهذا بدوي وهذا صانع، وهذا بلحطي .. إلخ، كله كلام جاهلي، وقد قال ﷺ: (أربع من أمر الجاهلية لا تتركها أمتي) وذكر منها (الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب)، وقال: (كلكم لآدم وآدم من تراب).

ولما أهبط الله آدم من الجنة لم يكن معه عبد ولا صلبي ولا طرش بحر، فهذه التسميات محدثة.

وليس عند اليهود في التوراة أن النبي من نسل داود عليه السلام، بل عندهم إلى اليوم أنه من إخوتهم أي من بني إسماعيل الذين هم أفضل العرب ومنهم أفضل الخلق كلهم محمد بن عبدالله الهاشمي المنافي القرشي ﷺ.

وهل آمن اليهود بنبي الله عيسى بن مريم عليه السلام وهو من بني إسرائيل، وأمه مريم عليها السلام من ذرية داود.

وكان الوالي على مكة وعلى قريش مولى هو "ابن أبي أبزى" الذي قال فيه عمر: (إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع آخرين).

ومع ترحيب عمر ﷺ والمسلمين معه بالطلقاء -ومنهم أبو سفيان- لم يكونوا عنده أعلى من السابقين الأولين، بل ظل بلال وصهيب أفضل وأكرم عنده من أبي سفيان المنافي القرشي سيد قومه في الجاهلية، فلم تجعله سيادته ولا قرابته من رسول الله ﷺ فوقهم، ولذا كان غيرهم من السابقين الأولين الذين عُذبوا في الله أفضل وأكرم، حتى من كان منهم عبدا.

ومع أن النبي ﷺ كتب الصحيفة بعد هجرته، وجعل لليهود ما للمسلمين، فقد قابلوا كرمه ﷺ بالخيانة والغدر والمكر والجريمة، بل حاولوا بطباعهم الخبيثة أن يغتالوه صلوات الله وسلامه عليه، وسحره بعضهم، وآخر أمرهم وضعوا له السم.

وكان منهم فنحاص، وشاس بن قيس وأبو عامر الفاسق، وكعب بن الأشرف، وأبو رافع التاجر، وحيي بن أخطب الذي قال لهم: "أفي كل مرة لا تعقلون".

ولم يؤمن بدعوته صلوات الله وسلامه عليه من اليهود إلا أقلهم، ولو آمن به عشرة لأسلم كل اليهود.

وقد دخل اليهود في كل منظمة غربية، كما تغلغلوا في كل حركة أو فلسفة إن صدقا وإن خداعا، فأصبح منهم الشيوعيون، ومنهم الربوبيون "دايزم" الذين ينكرون الوحي والرسالات، ومنهم الملحدون، ومنهم العلمانيون، ومنهم "كارل ماركس" و"فرويد" وأكثر مدرسة فرنكفورت،

كما دخلوا في كل مهنة فمنهم الطبيب، ومنهم الصحفي، ومنهم الأديب، ومنهم التاجر، وصاحب المصنع، أو الشركة، وكلما كانت المهنة إلى المال أقرب، كان اليهود إليها أميل، مثل الصرافة وأعمال البنوك والأسهم والبورصات وصياغة المجوهرات وما أشبه ذلك.

ومن أقبح ما يفعله اليهود التجسس، ومنهم من يكون جاسوسا مزدوجا، وكل العرب يعرفون قصة "إيلي كوهين" الذي سمى نفسه "كمال أمين ثابت"، وكان يتجسس على البعثيين حين كان بعض اليهود يصدق أنهم جبهة صمود وتحدٍ، ولما أعلن البعثيون أن القنيطرة سقطت بأيدي اليهود قبل سقوطها، ولما ظلت الدويلة الصهيونية تهاجم دمشق، ويعلن البعثيون الباطنيون احتفاظهم بحق الرد دون أن يردوا ولو مرة واحدة، ثم قامت الثورة عليهم، وهاجمها أولئك البعثيون، لما فعلوا ذلك أيقن كل اليهود والأمريكان أنه لا خطر منهم قط، وأن البراميل المتفجرة إنما هي للشعب لا لليهود، وكذلك الأسلحة الكيماوية.

ومع كل الطبائع التي يتميز بها اليهود أمرنا الله تعالى أن نعاملهم أحسن المعاملة ولا نظلمهم ولا نتهمهم بباطل، وما كان عندهم في التوراة وعندنا في الكتاب والسنة ما يصدقه آمنا به وما ليس في ديننا ما يثبته أو ينفيه لا نصدق به ولا نكذب.

ونحن أمة العدل نعدل مع اليهود ومع النصارى ومع عبدة الأصنام وكل أحد، ولا نخون من خاننا، ولا نظلم من ظلمنا، ولا نفتري على من افترى علينا ولا نجازي السيئة إلا بسيئة مثلها، وخير من ذلك العفو والصفح عملا بقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].

ونبي الرحمة ﷺ توعد المشركين أن يمثل بسبعين منهم لما مثلوا بعمه حمزة، ثم قال: (لا نعاقب بل نصبر) تبعا لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

واليهود قبحهم الله لا يربح غيرهم منهم شيئا حتى الدول التي تسالمهم وتقيم العلاقات معهم، فاليهود اليوم يجلبون معهم كل شيء حتى الماء من الدولة الصهيونية، لكي لا يشتروه في سياحتهم من مصر أو الأردن.

وقد أرادوا قبحهم الله أن يرشوا عبد الله بن رواحة ﷺ لما جاءهم إلى خيبر ليقبض ما اتفقوا عليه مع النبي ﷺ قال لهم: "لقد جئتكم من عند أحب الناس إلي -يعني رسول الله- وأنتم والله أبغض إلي من عدتكم من القردة والخنازير وما كنت لأحابيه وأظلمكم، فقال اليهود: بهذا قامت السموات والأرض" أي بالعدل والقسط.

وترْكُ الفحش -حتى مع اليهود- هو الخلق الإسلامي الرفيع، وقد دخل بعض اليهود على النبي ﷺ فقالوا: "السام عليك يا محمد" والسام هو الموت ففطنت لذلك أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت بل عليكم السام واللعنة، غير أن النبي ﷺ قال لها يا عائشة إن الله يكره الفاحش البذيء ألم تري أني قلت لهم: وعليكم، فما كان أحلمه وأصبره وأعدله وأعفه ﷺ.

ونحن لا نجادل اليهود إلا بالتي هي أحسن، ولا ندعوهم إلا إلى الكلمة السواء، التي قال الله في كتابه، ومن أسلم منهم فهو أخونا له ما لنا وعليه ما علينا، كما أسلم "ليوبولد فايس" النمساوي اليهودي، الذي سمى نفسه بعد إسلامه محمد أسد، ومحمد أسد رحمه الله جادل"حاييم وايزمان" الذي كان حين ذاك زعيم الصهاينة وبين له بطلان ادعاءات اليهود.

ومما ينبغي أن نذكره هاهنا وإن كان سبق ذكره أن الصهاينة -لا سيما القدماء- ليسوا متدينين لا "هرتزل" ولا "بن غوريون" ولا "مناحيم بيجين" بل كانوا متأثرين بالأفكار الغربية، وأن البريطانيين أرادوا إعطاء "هرتزل" أول الأمر وطنا في أوغندا أو في الأحساء أو في الأرجنتين، ولكن الصهاينة اختاروا فلسطين، ليجلبوا إليهم اليهود من كل مكان زاعمين أن ذلك ما دل عليه سفر التكوين من التوراة وأن فلسطين هي أرض إسرائيل وطن اليهود.

بل إن الصهاينة الأوائل كانوا شيوعيين غالبا وأنشأوا في الأرض المحتلة القبوصات "الكيبوتزات" أي المزارع الجماعية.

ونحن نؤمن برسالة موسى عليه السلام وأنه كليم الرحمن وأنه من أولي العزم وأن الله تعالى فضل المؤمنين به على عالمي زمانهم، وظل أتباعه المؤمنون برسالته أفضل بني إسرائيل حتى بعث الله فيهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، ومن آمن منهم بمحمد ﷺ وبمن قبله، يؤتيهم الله أجرهم مرتين كما في الحديث، بل جاء في القرآن الكريم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [القصص:٥٤]، وإلى ذلك ندعو كافة اليهود الذين لن يخسروا إيمانهم بموسى إذا آمنوا بمحمد ﷺ، لا سيما وأن أقوى الطوائف اليوم في إسرائيل تأثيرا هم المتدينون، وكون المتدينين هم من يتحكم في سياستهم هو ما ينطق به الواقع، كما في سياسة "نتنياهو"، وكتب عنهم بعض الإخوة المتخصصين من الفلسطينيين منهم د. صالح النعامي مؤلف كتاب "في قبضة الحاخامات"، بل تراه في خُطَب محمود عباس الذي يقمع الفلسطينيين باسم "التنسيق الأمني" وتؤيده الدول العربية لا سيما ما يسمى "جبهة الاعتدال" وأتباع ضاحي خلفان.

ومما اشتهر به اليهود في كل زمان ومكان، مع نقض العهود ومع القذارة والرائحة الكريهة، البخل بل الشح الشديد، وقصصهم في ذلك كثيرة جدا، ومن ذلك أن رجلا من اليهود ماتت امرأته فتزوج ثانية ولم يشتر للثانية أي ثوب، بل أرغمها على ارتداء ثياب الميتة، وكذلك "هنري كيسينجر" الوزير اليهودي المعروف، وقد تقدم الكلام عنه.

ومع أن اليهود معروفون بثرائهم الفاحش تجدهم يعيشون عيشة التقشف الشديد ويجمعون الملايين أو المليارات في الحساب البنكي.

ومع هذه الصفات المذمومة في القرآن والسنة بل عند كل عاقل لا يجوز أبدا موالاة اليهود، ولا إقامة علاقات معهم كما بشَّرت به سابقا بعض الصحف الرسمية هنا مثل "عكاظ"، بل يجب إعلان عداوتهم والحديث عنها

يوميا في كل وسيلة، ويجب على السياسيين قول ذلك في كل خطبة أو مناسبة صدقا لا نفاقا.

واليهود اليوم أقل أهل الأديان عددا، وهذا أحد الشواهد الواقعية على أن ما كتبوه في توراتهم من أن الله سيجعلهم كعدد نجوم السماء وحبات الرمل باطل محرف، ولا يستطيع اليهودي أن يكون يهودياً إلا باعتراف إحدى الطوائف اليهودية به، ولا تزال مشكلة (من هو اليهودي) قائمة في الدولة الصهيونية التي لا حدود لها ولا دستور ولا هوية.

واليهود يؤمنون بالتفرقة العنصرية فاليهود الشرقيون "السفارديم" منبوذون حتى في الدويلة الصهيونية الصغيرة التي أسموها إسرائيل، ولولا أمريكا لم تبق هذه الدولة الصهيونية، أما اليهود الغربيون "الأشكناز" فيتبوأون أعلى المراتب ويسكنون في الأحياء الراقية وبيدهم الأعمال التجارية، فالدويلة الصهيونية عنصرية وهذه العنصرية مخالفة لأحكام التوراة نفسها وللوصايا العشر بالذات.

وحتى اليوم لم يتول يهودي شرقي رئاسة إسرائيل، بل وصلت بهم العنصرية إلى جعل مقابر للسفارديم غير مقابر الأشكيناز.

وقد قال "نتنياهو" إن بعض الأسرى في غزة من الحبشة، أي أنهم سود لا اعتبار لهم، مع أن قوات النخبة الإسرائيلية، وكذلك قوات الشرطة والعاملون في "الموساد" أو "الشاباك" هم من "السفارديم" غالبا، ورداً على كلامه العنصري قام اليهود المشرقيون بمظاهرات في تل أبيب وغيرها.

واليهود على ما فيهم من الطباع والمساوئ والقذارة والافتراء والظلم ليست صفتهم حالة محدودة في شعب بذاته، بل هي صفة عامة لكل من عرف الحق وأباه، أي أن المسألة كما قال "مترنيخ": "لكل بلد يهوده"، أو كما قال الشاعر النبطي خلف بن هذال: "من دون صهيون بذتنا صهاينا".

فكل من اتصف بتلك الصفات الذميمة فهو صهيوني، وربما كان أكثر منهم إيمانا بالصهيونية.

وإليك عن اليهود هذه القصة الواقعية الطريفة:

عندما أراد بعض يهود اليمن أن يفارق اليمن إلى الجنة الموعودة! (إسرائيل) بعد حرب الست ساعات توقفوا لما رأوا هذا الجسم الغريب المسمى طائرة، فاضطرت سلطات المطار لإحضار أحد الحاخامات ليقول لهم إن الطائرة مذكورة في التوراة، فهي النسر الذي في الأسفار المقدسة! وأنه حلال لليهود أن يركبوها كي يذهبوا إلى أرض إسرائيل التي تفيض لبنا وعسلا كما تقول التوراة.

وبذلك انحلت المشكلة، ولكن بقيت مشكلة أخرى عويصة لا حل لها، وهي أن اليوم يوم سبت لا يجوز لليهود أن يعملوا فيه، فوافقت سلطات المطار على أن ينام اليهود تلك الليلة في المطار ثم في يوم الأحد يسافرون إلى إسرائيل.

وفي يوم الأحد أقلعت بهم الطائرة ولكن اليهود في طبقات الجو العليا أحسوا بالبرودة وأوقدوا النار للتدفئة، الأمر الذي أزعج قائد الطائرة الأمريكي الذي حذر من مغبة ذلك العمل، فأسكته اليهود وسكت على مضض، واستمروا في التدفئة حتى وصلوا إسرائيل، وهناك استقبلهم السفارديم ليخبروهم أنه لا عمل لهم في إسرائيل إلا أن يكونوا خدما للاشكنازيم، هذا إن وجدوا، أما اللبن والعسل فلا وجود لهما، إذ الأرض تفيض أعمالا فدائية!!

– فرق اليهود:

اليهود فرق كثيرة يحسبهم الناظر جميعا وقلوبهم شتى، وأحزابهم دائمة التشقق والتغير، وهم يتلونون بلون البيئة التي يعيشون فيها، ويتأثرون بالأفكار الأممية، ومن أشهر فرقهم تاريخيا:

١- الفريسيون الذين كذبوا المسيح عليه السلام، ووشوا به وكانوا في أيامه أكبر فرق اليهود، ومنهم شاؤول الذي يسميه النصارى "بولس"، وهم

يمتازون بالالتزام الشكلي ببعض شرائع التوراة، مع احتيالهم على الله للتملص منها، كشريعة السبت، وشريعة التبوير، وتحريم الشحوم وشريعة الرجم.

ويبدو أن أكثر اليهود زمن النبي ﷺ (بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة) كانوا منهم.

٢- الصدوقيون: وكانوا أيام العباسيين، وهم ينتسبون إلى الكاهن "صدوقيا"، وأهم عقائدهم إنكار البعث والقيامة، كما أنهم كفروا بالمسيح عليه السلام، وبينهم وبين الفريسيين عداوة.

٣- القرائيون: وكان زعيمهم "عنان بن داود" متأثرا بعلم الكلام، وهم متأثرون كثيرا بعقيدة المعتزلة ورفعوا رؤوسهم في أيامهم.

٤- السامريون: وهم أتباع السامري الذي صنع العجل الذهبي، لما ذهب موسى عليه السلام للقاء ربه، وهم طائفة قليلة العدد يسكنون قريبا من نابلس بأرض فلسطين، ولهم توراتهم الخاصة التي لا تشمل إلا على الأسفار الخمسة الأولى فقط.

واليهود يسمون السامري "شمروني".

٥- ناطوري كرتا: وهم فرقة غير صهيونية من اليهود وتوقعوا لدولة إسرائيل النهاية والزوال مع أن بعضهم يعيش في إسرائيل.

وسنفصل إن شاء الله بعض الشيء عن تأثرهم بالبيئة التي عاشوا فيها.

ومن أشهر اليهود في التاريخ الإسلامي عبد الله بن سبأ، وموسى بن ميمون.

وبعض اليهود يعلن إسلامه إما لأنه تكشفت له الحقيقة عن معتقدات اليهود مثل موسى أبو العافية، وإما لينجو من القتل كما فعل شبتاي زيفي، والله أعلم بالسرائر.

وكان المسلمون يسمون بيت دراستهم "بيت المدراس" ويسمون كبيرهم "رأس الجالوت".

وإني لأتساءل دائما ما دامت القنوات السعودية تمتلك هذا الجيش من

المراسلين فلماذا لا تحدثنا عن الحريديم في إسرائيل اليوم، حيث تتحجب نساؤهم حجابا كاملا ويلزمون الأسواق عصر الجمعة بالإقفال استعدادا للسبت، ويحرمون التلفاز ولا ينشرون في صحفهم أي خبر فني أو رياضي، وأمثال ذلك مما يفتيهم به الحاخامات، ولو أن امرأة يهودية لم تلتزم بالتبرقع في حي من أحياء الحريديم مثل حي شعاريم في القدس، فإن الحريديم يرجموها بالحجارة!

اليهود والبيئة:

من يتتبع تاريخ أهل الكتاب منذ أن حرفوا التوراة يجد أهم لا يقتصرون على التشبه بالذين كفروا من قبل، بل يتلونون بلون البيئة المحيطة بهم ويماثلونها في شركها، خذ مثلا اليهود الذين ذكر الله في كتابه لما رأوا الكنعانيين يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة، ولما كان مشركو مصر يعبدون العجول ومنها مفيس مثلاً وجد اليهود ذهاب موسى للقاء ربه فرصة، لكي يصنع لهم السامري العجل، ولما علموا أن هاورت وماروت يعلمان الناس السحر نبذوا كتاب الله واتبعوهما.

ولما نشأ علم الكلام عند المعتزلة تأثر بهم اليهود أيضا، وعندما تفشت الفلسفة تأثر اليهود أيضا، فنشأ الفيلسوف اليهودي "ابن ملكا" الذي أعلن إسلامه والله أعلم.

وعندما راجت موضة ما سموه "عدم التشبيه" طلع علينا موسى بن ميمون بمقدماته الخمس والعشرين.

ولما وجد الصهاينة العقلية العربية أذكى من الغربية اختاروا من المغرب وزيرا يتكلم الفرنسية، وإذا ذهب إلى أمريكا فلابد له من مترجم، إذ هو لا يجيد الإنجليزية واختاروا من العرب أيضا رئيس أركانهم، أما جيشهم فأكثره من الفلاشا "يهود الحبشة"، وكان قاتلُ "إسحق رابين" يهوديا يمنيا يدعى

"عمير"، وكثير من أساتذة الجامعات الصهيونية هم من اليهود المصريين.. وهكذا.

وعندما انتشرت الماسونية في العالم الإسلامي أطل علينا يهود الدونمة في تركيا برؤوسهم.

والغرب لما ظهرت فلسفات عصر التنوير كما يسمى انضم إليها من استطاع من اليهود، وعندما قامت الثورة الفرنسية انضم إليها اليهود، وحولوها من ثورة على رجال الدين إلى ثورة على الدين نفسه وولدت أول دولة لا دينية في التاريخ.

ولما قام من سمو "النورانيين" في ألمانيا، وكان منهم "آدم وايزهاوبث"، كان اليهود ضمن دعاهما أيضا.

ولما قام الفكر الشيوعي أيده اليهود، فهو من تأسيس اليهودي "كارل ماركس"، وصار اليهود هم المتحكمون في البلاشفة وأكثر الصهاينة الغربيين "اشكيناز" شيوعيين من دول أوروبا الشرقية مثل روسيا وبولدنا وليتوانيا.

ولما عبد الغرب المال جاء اليهودي الملقب "روت شيلد" وأمر أبناءه الخمسة أن يكون كل منهم في دولة غربية ويؤسس بها بنكًا، ومن نسله آل روكفلر الذين منهم "ريكس تليرسون" وزير خارجية أمريكا السابق، وصاحب شركة "إكسن موبيل" التي تملك ٥٠% من شركة أرامكو، وهم كذلك في كل فلسفة عقلية أو مادية.

ولما انتشر التقليد وقدّم كثير من الناس في الشرق والغرب كلام الرجال على كلام الله، قدم كثير من اليهود كلام فقهائهم وشريعتهم الشفوية "التلمود" على التوراة، وهذا ما عابه عليهم المسيح عليه السلام حين قال: "تركتم الشريعة واتبعتم التقاليد"، كما عابه عليهم رسول الله الخاتم محمد ﷺ لما تركوا الرجم الذي في التوراة ولا يزال فيها إلى اليوم "سفر التثنية" وجعلوا مكانه الجلد والتحميم.

والشيء الثابت عند اليهود مهما تغيرت البيئة هو أن اليهود هم شعب

الله المختار، وأن غيرهم من الأقوام حلال الدم والمال والعرض، وأن المال هو أفضل وسيلة للسيطرة، فكان منهم قارون وأبو رافع ومالكو الشركات القابضة "هولدنغ".

ولهذا التفاوت البيئي أثره في الدويلة الصهيونية اليوم، فالحريديم قادمون من بيئات متشددة والعلمانيون قادمون من بيئات علمانية.

اليهود والتنظيم:

من القواعد المعروفة علميًا أنه بتنظيم العمل وتقسيمه قسمة ذكية صحيحة يحقق الفرد الواحد ما لا تحققه الأمة المبعثرة، فانظر كيف استطاع اليهود تنظيم أنفسهم، فآل "روتشليد" مثلا سيطروا على أكثر اقتصاديات الغرب، وعلى كثير من الشركات الأمريكية، لا سيما شركات السلاح، وعلى هوليود وأخواتها وعلى شركات وادي السيلكون في كاليفورنيا.

ومن دوافع اليهود للتنظيم أننا أصبحنا اليوم في عصر المؤسسات وليس في عصر الأفراد، والفرد مهما يكن عملاقا لا يستطيع مواجهة جيش منظم.

وبهذا الأسلوب والمكر حلب اليهود بريطانيا حتى خرج الدم في أناملهم، ثم انتقلوا إلى أمريكا ليحلبوها أيضا، وهي تحلب لهم الدول النفطية.

مرجع اليهود والنصارى هو (التوراة):

شريعة اليهود والنصارى واحدة وهي التوراة التي تختلف طوائفهم في عدد أسفارها وهي "الناموس" الذي أنزله الله على موسى ويعترف اليهود بأن التوراة ضاعت لما غنم أعداؤهم "تابوت العهد"، وأن الذي أعاد التوراة وكتبها من حفظه هو "عزير" الذي عظمه اليهود لذلك جدا، حتى قالوا إنه ابن الله كما ذكر الله في كتابه، وعلى ذلك قرر مجمع "ترنت" الكاثوليكي أن الكتاب المقدس بعهديه هو كلمة الله الموحى بها منه، كما قرر ذلك الأقباط كالبابا شنودة والقس منيس عبد النور، وقالوا إن من قال إن أحد العهدين دخله التحريف فهو كافر، والقبطي إبراهيم لوقا أعاد الشبهات التي أثارها

"بولس" أسقف صيدا قبله بقرون، وكل نسخ التوراة "التناخ" حديثة، وإذا وجدوا نسخة من التوراة عمرها سبعة قرون ابتهجوا بذلك وتناقلوه في الفضائيات والصحف والمواقع، مع قولهم إن الله أنزلها على موسى قبل (٢٤) قرناً.

وتبعا لذلك ترى التوراة اليوم تتكون من نصين متداخلين يتناقضان ويختلفان، هما النص اليهوي والنص الألوهي، وقد دمج النصان ضمن مخطوط واحد فيما سمي "النص الماسوري"، ثم ترجمها مترجمون مجهولون، ثم عثر على بعض المخطوطات بعد ذلك بقرون.

وقد واجه طفل مغربيٌ مسلمٌ بابا الفاتيكان حاليا "فرنسيس" الأرجنتيني فقال له: أنا عمري سبع سنوات وأحفظ القرآن، فهل تحفظ الإنجيل وأنت الحبر الأكبر؟ فقال البابا: لا، علما بأن البابا يعرف اللغة العربية ودرس في جامعة القرويين بالمغرب.

وأهل الكتاب لا يحفظون الإنجيل على صغره، فضلا عن التوراة التي تحتوي على تفصيلات وحروب وقضايا كثيرة تجلب الملل والسآمة لقارئها.

ولم يرد في توراتهم مطلقا قط "مادماد"، بل ذكر المهتدي السموأل بن يحيى المغربي الذي كان يهوديا في كتابه "بذل المجهود في إفحام اليهود" أن الأحبار خافوا من تغيير اليهود الاسم الشريف (محمد)، فوضعوا مكانه "مادماد" التي هي على وزن محمد في حساب الجمَّل، ثم حرف النصارى كلمة "الفارقليط " أي كثير الحمد وجعلوها المعزي كما في إنجيل يوحنا.

ولكن الأخ فيصل الكاملي استطاع بمعرفته باللسان العبري وترجماته أن يثبت أنه ﷺ مكتوب عندهم في التوراة باسمه الشريف، وذلك في كتابه (يجدونه مكتوبا عندهم في اتوراة والإنجيل).

هل يختلف الصهاينة والأمريكان؟

الجواب نعم، يختلف اليهود فيما بينهم! من كان منهم في إسرائيل ومن كان في الكونجرس، ولكنهم يتفقون كلهم على العمل لمصلحة اليهود، فالخلاف بينهم في الوسيلة فقط أو كما يقولون تكتيكي، بل حتى الجماعات اليهودية المعادية للصهيونية ترى أن مصلحة اليهود هي بقاؤهم مشتتين وخاضعين لحكم مجتمعاتهم حتى يترل المسيح، وأن الصهيونية ضد إرادة الله وضد التوراة والمصلحة تقتضي بقاءهم خاضعين لحكم المجتمعات القاطنين فيها، ويدينوا لها بالولاء، وأن الله هو الذي يقيم الدولة على يد الماشيح المنتظر.

٢- النصارى:

النصارى هم الضالون الذين نسأل الله في كل ركعة أن يجنبنا صراطهم، ومثلهم كل من تعبّد الله بالبدع والضلال والجهل وإن انتسب إلى الإسلام، وفي الحديث: (اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون)، وقال ابن عباس وتبعه سفيان ابن عيينة وكثير من السلف: (من ضل من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن ضل من عبادنا ففيه شبه من النصارى)، ولذلك يشبّه كثير من السلف أهل الكلام باليهود وأهل التصوف بالنصارى.

والنصارى اليوم صليبيون، يستوي في ذلك الأصولي منهم والملحد الجاحد.

وجاء في حديث عدي بن حاتم أن الصليب وثن وأنه ﷺ قال له: (أمط عنك هذا الوثن)، وهذا الوثن لا يجوز لمسلم تعليقه ولو لحظة واحدة، والكفار يريدون منا الكفر شيئا فشيئا، وقد قالوا لأحد المؤمنين بالله "قرب ولو ذبابا".

وكان الأجدر بالنصارى عقلا أن يكون الصليب رمزا للشر والظلم.

وقال صلوات الله وسلامه عليه لمن أراد أن يترهب: (ضارعت

النصرانية)، وقال: (رهبانية أمتي الجهاد)، ونص الله في كتابه الكريم على أن النصارى ابتدعوا الرهبانية فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد:٢٧]، ولا يزالون في كل زمان يبتدعون، فقد ابتدعوا الرهبنة الدومينيكانية والفرنسسكانية وأمثالهما، ونص شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله على أن من قال من أهل التصوف عن الولي: "ما نكح ولا ذبح" فقد شبه وليه المزعوم برهبان النصارى.

والنصارى يدَّعون أن لله ولدا وهم بذلك يسبون الله تعالى مسبة لم يسبه بها أحد من العالمين، إلا من كان مثلهم من الأمم القديمة، قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الصمد:١-٤].

ونفى جل شأنه أن يكون اتخذ صاحبة أو ولدا في آي كثيرة، وفي الحديث القدسي (يشتمني ابن آدم وما كان له أن يشتمني يزعم أن لي ولدا وأنا الواحد الأحد الذي لم يلد ولم يولد)، وقد تسربت إلى النصرانية كثير من العقائد الوثنية وربما كان أعظمها "التثليث"، وهذا التثليث المناقض للعقل والفطرة كان يؤمن به قبل النصرانية الفراعنة والسبئيون والرومان كما تقدم، كما آمنت به الفلسفة الأفلاطونية الحديثة التي تزعمها "فرفريوس"! والكلمة التي يسميها الفلاسفة (اللوغوس) انتقلت للنصرانية، ورحم الله الإمام أحمد إذ قال: "ليس عيسى هو (كن) ولكن بـــ(كن) كان"، وكان بعض العلماء إذا قابل نصرانيا غطى وجهه وقال: "لا أريد أن أرى من يسب الله تعالى".

ومن تأثر منهم بالفلسفة واشتغل بالعقليات وعلم ما في قولهم من الشناعة، يقول إن له تعالى ولدا من غير مباضعة!!

ومن هذه العقائد الوثنية احتفال النصارى بعيد الميلاد، وهو عيد وثني قديم يأتي إذا أخذ النهار في الطول وأخذ الليل في القصر، وقد نفى البابا الحالي "فرنسيس" وهو من طائفة "الجزويت" أي اليسوعيين، أن يكون عيد

الميلاد في الإنجيل، وصدق في ذلك فليس فيه، وليته يقول أيضا إن التثليث ليس في الإنجيل.

والعجب أن يقول البابا ما يشاء أو يزور من يشاء، ويسكت علماء المسلمين أو يكتفون بمدح الزعماء والإشادة بهم وشرعية كل ما يفعلون! وهم يشبهون في هذا رجال الدين في العصور الوسطى الأوروبية، وبذلك يكونون فتنة للذين كفروا، ولما جاءت عدوة المسلمين "ماري لوبان" إلى لبنان وأمرها دار الفتوى في لبنان بتغطية شعرها، قالت قد قابلت شيخ الأزهر دون أن أغطي شعري!

وقد أثبت الباحثون في المصريات أن التثليث خرافة مصرية، وأن تثليث المسيحيين النصارى هو تثليث المصريين ومنه "تمو، وشو، وتفنوت"، أي أنهم كما ذكر الله تعالى: ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة:٣٠]، ويعتقد النصارى أن الابن مكافئ لأبيه كما كان يعتقد المصريون القدامى أن "أوزيريس" وهو ابن الإله المعبود عندهم "رع"، مكافئ لأبيه "رع"، انظر مثلا "الديانة الفرعونية" تأليف "ولس بدج"، مع ما في ديانة المصريين من الاختلاف والتباين.

والنصارى اليوم يموهون على الجهال بقولهم إن المسيح إما أن يكون إلها -كما يزعمون أو دجالا كذابا-، ونحن نقول إنه رسول من رسل الله الكرام ونؤمن أنه وأمه كانا يأكلان الطعام، فليس عليه السلام إلها ولا دجالا.

ومع دعوى ألوهيته -تعالى الله عما يصفون- يقولون أيضا إنه لم يتزوج وأنه حث على العزوبة في الإنجيل، وإيمانا بذلك لم يتزوج رجال الدين النصارى، ويذكر المؤرخون أن أحد علماء المسلمين -وهو أبو بكر الباقلاني رحمه الله- كان عالما بدينهم، لكنه تظاهر أمامهم بجهله، فلما ذهب إلى ملك الروم سأل رجال الدين كيف حال زوجاتكم وأبنائكم؟ فقالوا: إنهم لا يتزوجون وليس لهم أولاد، وهم يتنزهون عن الزوجة والولد، فقال الباقلاني: "عجبا لكم تتنزهون عن الصاحبة والولد وتنسبونهما لله عز وجل!".

وفي الذكر الحكيم: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلًا مِّن قَبۡلِكَ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ أَزۡوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ﴾ [الرعد:٣٨]، فالزواج من سنن الأنبياء، وإذا ثبت أن عيسى عليه السلام تزوج مريم المجدلية أو غيرها فلا منكر في ذلك وإن غضب البابا.

وهم اليوم يدّعون أنهم مسيحيون نسبة إلى المسيح عليه السلام، ونحن لا نقول إنهم مسيحيون، بل نقول إنهم نصارى كما في الكتاب والسنة.

وعندهم أنه عليه السلام ممسوح بالزيت، وليس لذلك في ديننا أثر فيما أعلم. كما أن ذلك ليس في أناجيلهم.

وأكثر الأمريكان لا يقولون إن المسيح إله، فقد أجرى معهد "جالوب" استبانة بذلك فقال أكثرهم: هو بشر فوق البشر وليس إلها!!

وقد أغرى الله بينهم العداوة والبغضاء كما ذكر في كتابه المجيد، فهم فرق كثيرة متناحرة قديما وحديثا، وهم اليوم أكثر تفرقا، ومن فرقهم قديما اليعقوبية والنسطورية والملكية، وكل فرقة تحكم على الأخرى بالبدع والهرطقة ولا تصلي خلفها، وانقسم النصارى بحسب طبيعة المسيح إلى من يقول إن المسيح له طبيعة واحدة وهم "المنوفوزية" ومن يقول إن له طبيعتين، وقد دخل أهل مصر في الإسلام، ومن أسباب ذلك أنهم على مذهب يخالف مذهب الروم، فهم يقولون بالطبيعة الواحدة أي على المذهب اليعقوبي وليسوا ملكيين كأكثر الروم، وأوصى النبي ﷺ بأهل مصر وقال: (إن لهم نسبا وصهرا)، ولما قرأ المقوقس كتاب رسول الله ﷺ وبلغته تلك الوصية منه ﷺ والصهر والنسب قال: "قرابة بعيدة لا يصلها إلا الأنبياء"، ثم أهدى إلى النبي ﷺ مارية القبطية وبغلة يقال لها الدلدل، وهذا يدل على أنه صدق أنه نبي صلوات الله وسلامه عليه، والمراد بالقرابة البعيدة أن إسماعيل هو ابن هاجر عليهما السلام، وهذا مذكور في التوراة حتى اليوم، وقد عانى نصارى مصر أشد المعاناة من ظلم الروم، وفرحوا بالفتح الإسلامي العادل لبلادهم.

وقد ذكر الله جل شأنه في كتابه الحكيم أن النصارى يقولون إن الله هو المسيح ابن مريم، وأنه هو وأمه إلهان من دون الله، وأن الله ثالث ثلاثة،

وكفّروا من يقول بالتوحيد ولعنوه، أما نحن -المسلمين- فنقول إنه عليه السلام رسول من الله خلقه الله، وسوف يترل مسلماً يصلي خلف هذه الأمة المباركة، وقد قال جل شأنه في ذكر يحيى عليه السلام ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٤٠]، وفي ذكر المسيح عليه السلام ﴿كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٤٧].

وما جاء في الأناجيل أن الله هو الذي أرسله حق أما غير الرسالة فلا.

ودين النصارى قديما وحديثا يعتمد على المخاطبات والرؤى والمنامات والأسرار، واتخاذ "الأكليروس" أي "الكهنوت" (وهم رجال الدين) أربابا من دون الله، ودينهم مناف للعقل السليم وعندهم قاعدة "آمن ثم فكر!!"، وينقلون عن قديسهم القديم "أوغسطين" قوله "أنا أؤمن به لأنه غير منطقي"!

والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٥١].

فكل من خاطبه الله يقظة أو مناما فهو نبي، وقول عبد الجبار النفري في كتابه "المخاطبات" "أوقفني الحق وقال لي" باطل وهو من كلام زنادقة المتصوفة.

ومن أعظم دعاواى النصارى أن "بطرسا" جيء له في منامه بمائدة من السماء -كما يقولون- فيها من كل ذوات أربع، وعلى ذلك اعتمدوا في تحليل الخترير الذي هو محرم في التوراة.

واليوم يعتقد المورمن في أمريكا أن نبيهم المزعوم "جوزيف سمث" خوطب في المنام، وتقليدا له ادعت النبية المزعومة "ألن هوايت" النبوة، ويعتقدون أن المسيح عليه السلام ظهر في القرن التاسع عشر دون أن يشعر به أحد، فما فائدة ظهوره إذن؟ أولا تستطيع كل أمة أن تدعي ذلك؟

ومن أعظم ذلك اعتقادهم أن "شاؤل" اليهودي "بولس" خاطبه المسيح، وقال له المسيح لماذا تضطهدني؟ وتبعا لذلك آمن بولس بالمسيح وصار رسولا

كما يقولون، وهم إلى اليوم يسمونه "بولس الرسول"، وبهذا النداء الذي ربما كان شيطانيا أو اختلاقا أو وهما حرَّف دين المسيح عليه السلام، وفسر كل شيء على هواه، ومن أعظم تحريفات "بولس" أنه أرسل رسائل إلى عدة مدن وأقاليم، وأرسل الرسل كما يقولون إلى أطراف الأرض، مع أن رسالته هو غير ثابتة، الأمر الذي أسس التنصير، وحول النصرانية من دين لبني إسرائيل خاصة، كما كان المسيح عليه السلام إلى دين عالمي للناس كافة.

وقد انتقد "بولس" كثيرون لا سيما من النصارى أنفسهم كما فعل "بنتام ورينان وولز"، وقد كتب "بنتام" "يسوع لا بولس"، ولا شك أن الله أمر بني إسرائيل باتباع المسيح وليس باتباع "بولس"، ولكن المشكلة الكبرى هي أين ما جاء به المسيح عليه السلام وأين الإنجيل الأصلي الصحيح؟

وصدق رسول الله ﷺ: (إن الله نظر إلى أهل الأرض عربهم وعجمهم فمقتهم إلا بقايا من أهل الكتاب)، وبعد بعثة محمد ﷺ بدين الله الحق الوحيد لا يعذر اليهود ولا النصارى في اتباع أديانهم المنسوخة المحرفة، بل لو كان موسى نفسه حيا لما وسعه إلا اتباع محمد ﷺ، مع أن موسى الكليم هو أعظم أنبياء بني إسرائيل، ولا يزال النصارى حتى اليوم يدعون اتباع التوراة.

وعندهم في إنجيلهم أن المسيح عليه السلام قال لحوارييه: "إلى طريق أمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا" (متى، فصل ١٠، ٥: ٦).

ومن المدن المنهي عنها أنطاكية، مع ذلك تدعي كل فرقة نصرانية، أن بطريكها أنطاكي لا سيما في بيروت.

ويقال إن إحدى المدن السبع التي أرسل إليها بولس هي (إزمير) والله أعلم

وعليه، فكل ما يدفعه الغرب عامة وأمريكا خاصة والشركات النصرانية المختلفة للتنصير زيادة في الباطل، وما يدفعونه لليهود كان الأولى به وفقا للإنجيل أن يكون دعوة لهم للتوحيد، لا تأييدا ودعما وحفظا لأمنهم وتفوقهم، فكيف يدفعون لمن قتل ربهم؟

والله في كتابه المجيد يقول عن عيسى عليه السلام: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [آل عمران:٤٩]، وقال جل شأنه: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا عَبۡدٌ أَنۡعَمۡنَا عَلَيۡهِ وَجَعَلۡنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [الزُّخرُف:٥٩]، وقال ﷺ: (وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة)، وتصديق ذلك في كتاب الله إذ يقول تبارك اسمه: ﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ [إبراهيم:٥]، وقال في أول السورة نفسها ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [إبراهيم:١]، وقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقال: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ:٢٨] فالنصارى مأمورون باتباعه ﷺ، والتنصير باطل من أصله، فإن بني إسرائيل أنفسهم مدعوون إلى الإيمان بالتوراة فكيف بالقرآن؟

وليس المسيح إلا أحد أنبياء بني إسرائيل، ولهذا عاب الله تعالى على النصارى قولهم إن اليهود ليسوا على شيء! ﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٍ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [البقرة:١١٣]، وكثيرا ما يقرن الله بين القرآن والتوراة ففيهما أحكامه وشرائعه وأعظمها التوحيد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلۡ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمَآ أَتَّبِعۡهُ﴾ [القصص:٤٩]، وقال عن الجن: ﴿قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ﴾ [الأحقاف:٣٠]، وقال ورقة بن نوفل – وكان قد تنصر في الجاهلية– لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ "هذا هو الناموس الذي أنزل على موسى"، وليس في القرآن ما يدل على أن عيسى عليه السلام جاء بشرع جديد، إلا أنه يحل لبني إسرائيل بعض ما حُرِّم عليهم.

والنصارى يقرأون في إنجيلهم قول المسيح عليه السلام: للمرأة غير الإسرائيلية "إنما بعثت إلى خراف بيت بني إسرائيل الضالة"، ويعترفون أن عدد أتباعه نحو مائة وعشرين شخصا، كما يقرأون في التوراة "سفر التثنية" أن الله يقيم فيهم نبيا من إخوتهم، وإخوتهم هم العرب، وفي إنجيل يوحنا أن

المسيح بشرهم بقدوم "الفارقليط" أي كثير الحمد، الذي يحرفونه إلى "المعزّي"، وسواء كان "معزيا" أو "فارقليطا" فإنما جاء بعد المسيح محمد ﷺ، والله تعالى قال في كتابه قال عن المسيح: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦] فمن بشَّر بغير رسول الله ﷺ فقد ضل عما بشّر به المسيح، والتصريح باسمه ﷺ مذكور في نسخ العهدين القديمة، ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح" عن ابن قتيبة وابن ظفر، وإنما حذفه متأخرو أهل الكتاب، لكن الله تعالى يفضحهم بالنسخ التي يعثرون عليها في تركيا ومصر والحبشة وغيرها، لا سيما الأناجيل الآرامية، وقد ألف الأخ فيصل بن علي الكاملي كتابا عنوانه (يجدونه مكتوبا عندهم) (تنبيه أولي الألباب إلى صفة محمد ﷺ في أسفار أهل الكتاب).

ومما حرفه "بولس" بل ألغاه من شريعة التوراة فريضة الختان التي قال عنها هرقل: "رأيت ملك أمة الختان قد ظهر"، والختان سنة أبينا إبراهيم عليه السلام، وهو من خصال الفطرة التي أمرنا رسول الله ﷺ بها، والنصارى حتى اليوم لا يختتنون، وقد قال لهم "بولس": "الختان لا يفعل شيئا ولا الغرلة"، انظر مثلا رسالة "بولس" إلى أهل غلاطية، مع أنه هو نفسه كان يهوديا، ولذلك هو مختون كما قال عن نفسه، وقال النصارى لهرقل لما نظر في النجوم وقال: "إن ملك أمة الختان قد ظهر": "لا يختتن إلا اليهود فمر بقتل كل يهودي في مملكتك"، ولكن هرقل أمرهم بالبحث، لعلمه أن اليهود أمة حقيرة لا يقوم لها ملك! ثم وجدوا العرب يختتنون فهم أمة الختان إذن.

وبعد مناظرته الشهيرة لأبي سفيان كاد يسلم، وكفر النصارى البطارقة المحيطون به، إلا رئيسهم وكبيرهم الذي يسميه المسلمون "ضغاطر" كما في "الإصابة" و"الجواب الصحيح"، ولعله "تيادر" فإنه أسلم، وصبر على أذاهم حتى نزعوا كليته بالكلبتين، انتقاما لدينهم الباطل واستكبارا عن الحق.

ومن قال اليوم أنا أسلم لكن أخاف من الختان، فإن على المسلمين قبول إسلامه، بل حتى من قال أُسلم لكن أشرب الخمر، فكونه مسلما غير مختون

أو مسلما عاصيا خير من بقائه على الكفر.

ومن عقائد النصارى المهمة عندهم "عقيدة الخطئية" الموروثة، والخطيئة عندهم هي أن آدم عليه السلام أكل من الشجرة التي هي في التوراة المحرفة شجرة معرفة الخير والشر، ويؤمنون أن هذه الخطيئة ظلت تتوارثها البشرية بزعمهم، حتى أراد الله أن يكفرها بقتل ابنه الوحيد تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقد كذبهم الله تعالى بأن ذكر توبته على آدم عليه السلام فقال: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِ﴾ [البقرة:٣٧]، وقال: ﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه:١٢٢].

ومن أحكام الله تعالى القاطعة ألا تزر وازرة وزر أخرى، فما ذنب الإنسانية ومنهم الأنبياء الأولون حتى يؤخذوا بخطيئة أبيهم؟ فالله تعالى لا يقتل ابن الشيطان -الذي هو في توراتهم الحية- بذنب الشيطان نفسه.

ومما هو محرم عليهم في التوراة "التماثيل" التي يؤمن بها الكاثوليك حتى اليوم، وأنكر ذلك البروتستانت الذين زعيمهم "مارتن لوثر" والنصارى بعد "لوثر" انقسموا كما هم اليوم (كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت)، وكل مذهب من هؤلاء الثلاثة فرق ورهبانيات كثيرة، وقد ذكرت الكاتبة البريطانية "كاترين أرمسترونغ" في كتابها "الحرب المقدسة" أن النصارى في الأرض المحتلة (فلسطين) اختلفوا ثم اتفقوا أخيرا على إعطاء مفتاح الكنيسة لأحد المسلمين!

وتفرُّقهم مشهور معروف في كل بلد لا ينكره أحد منهم ولا من غيرهم، فالله تعالى أغرى بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، حتى المذهب الواحد ينقسم أهله إلى فرق لا حصر لها إما بحسب اللغة أو الوطن أو المؤسس أو التقويم.

وبعض فرقهم تبيح الطلاق وبعضها يحرمه مطلقا، والكاثوليك يقولون إن مريم عليها السلام ظلت عذراء طوال حياتها، وغيرهم يبني أضرحة

لإخوان المسيح ومنهم "يعقوب" ويجزمون أن مريم أنجبت بعد المسيح، وفي شمال أسبانيا ضريح يسمونه (ضريح سانت يعقوب)، وفي غرب أمريكا مدينة سموها باسمه وهي "سانتياجو"!

وقد أصاب "لوثر" في نقده حياة البذخ التي كان عليها البابوات في روما، وأن المسيح عليه السلام لم يكن هكذا، كما أصاب في إنكاره الفسق والفجور الذي رآه عند الرهبان ولكنه أخطأ خطأين عظيمين:

أولهما: أنه أنكر السلوك و لم ينكر العقيدة التي كانوا يدينون بها وهي التثليث، وهذا التثليث الوثني هو كما قال "سرفت": "إن النصارى في الحقيقة إنما يعبدون سربيروس وهو معبود خرافي تقول الأسطورة اليونانية إنه كان ذا ثلاثة رؤس يحرس بوابة العالم السفلي"، وله عند المشركين الفراعنة صفات أخرى ووظائف أخرى.

والثاني: أنه جعل النصارى كالكلاب على مائدة اليهود -كما قال-، ولو أنه اكتفى بأن يكون المسيح من بني إسرائيل لأصاب، وبقوله هذا جعل كثيرا من البروتستانت، ومنهم رؤساء أمريكا اليوم، يؤيدون اليهود ويؤمنون بحرفية التوراة والإنجيل المحرفين.

وترجم "لوثر" الإنجيل إلى اللهجة الألمانية الدارجة التي أصبحت اليوم لغة، وبذلك أسس "لوثر" "الصهيونية النصرانية" التي سبقت صهيونية "هرتسل".

وكان من الصهاينة الأولين "نابليون" وأنشأ هؤلاء النصارى (صندوق اكتشاف فلسطين)، ويقال اليوم إن الدولة الإسرائيلية ثلاثة أحزاب: حزب الليكود وحزب العمل والحزب الثالث هو الإدارة الأمريكية، ويزور نتنياهو الكونجرس الأمريكي ويلقي فيه خطابا رغم أنف أوباما نفسه! مع أن أوباما يقول دائما إنه مع الصهاينة وإنه ملتزم بأمن إسرائيل وتفوقها، ونائبه "جون بايدن" يقول عن نفسه إنه صهيوني، كما في مقابلته مع محطة "سي إن إن" غير أن نتنياهو جفا "بايدن" جفوة قاسية.

وكل الأناجيل الأربعة الموجودة اليوم هي بلغة غير لغة المسيح عليه السلام، وهي مترجمة عن اليونانية والمترجم مجهول، والنصارى يختلفون كثيرا في لغة المسيح، ولا يختلف المسلمون أنها العبرية لغة بني إسرائيل، وقد أسلم العالم اللغوي "أحمد فارس الشدياق" بعد أن اشترك في ترجمة العهد القديم، وهو التوراة والجديد وهو الإنجيل، لما رأى النصارى يعدلون عن الترجمة الصحيحة إلى غيرها، فعلم أن القوم حقا ضالون!

ولغة المسيح عليه السلام هي العبرية أي اللهجة العربية لأهل الشام، وكان يتكلم بها بنو إسرائيل، وفي الأناجيل الموجودة اليوم أن المصلوب قال "إيلي إيلي لم شبقتني"، فأما "إيل" فهي "إلّ" الكلمة العربية المعروفة، وقد قال أبو بكر الصديق ﷺ لما سمع بعض قرآن مسيلمة الكذاب: "والله ما خرج هذا من إل"، أي من إله، والعرب يسمون جبل عرفات "جبل إلال" كما هو معلوم، وأما "لم" فهي عربية معروفة وأما "شبقتني" فمعناها "شبكتني" أي ألقيتني في الشبكة، والعبرية اليوم فيها كثير من الكلمات العربية وإن كان غلب عليها ألفاظ يديشية (لغة اليهود الألمان)، واللغة العبرية اليوم هي اللغة الرسمية في إسرائيل التي خُمس سكانها على الأقل من العرب، وقد استعان الإسرائيليون على بعث لغتهم العبرية بالمعاجم العربية لما بين اللغتين من الصلة، وتعلمها لذلك العالم اليهودي اللغوي "نعوم تشومسكي".

والإنجيل الرابع الذي عند النصارى هو إنجيل يوحنا وهم يزعمون أنه يوحنا الحواري، والباحثون يكذِّبونهم في ذلك ومنهم الباحثون في دائرة المعارف البريطانية، وهذا الإنجيل مبدوء بالتناقض الذي لا يقبله عقل، فأوله "في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله"، وهذا الهذيان وهذه الفلسفة لا يمكن أن تكون من كلام الحواريين فضلا عن أن تكون وحيا من الله، وفيه كثير مما يدل على أن الله هو الذي أرسل المسيح، وفيه ما يدل على أنه شبِّه لهم! إذ كان أخْذ المسيح عليه السلام ليلا ومن قوم

لا يعرفونه، وفيه بشارة المسيح بقدوم نبي من بعده يخبر عن كل شيء ولا يتكلم من عند نفسه.

ففي أكثر من موضع يقول المسيح كما ينقلون عنه: "الحجر الذي رفضه البناؤن أصبح هو رأس الزاوية" وهذا مطابق لحديث (مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كرجل بنى بيتا وترك موضع البناء حجرا فجاء الناس يقولون لو أن هذا الرجل وضع حجرا هناك فكنت أنا ذلك الحجر) ﷺ.

وفي الأناجيل الموجودة اليوم ما يدل على أنها مكتوبة بعد المسيح عليه السلام بزمن يعلمه الله، وهي تنص بصراحة على أن اليهود يقولون (كذا) إلى هذا اليوم، كما في إنجيل (متى فصل ٢٧ عدد ٨، وفصل ٢٨، عدد ١٥).

أما الإنجيل المسمى عندهم إنجيل لوقا -وهم بالانجليزية يكتبون الإنجيل وفق لوقا- فأوله: "إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا، كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداما للكلمة، رأيت أنا أيضا إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق، أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس".

فمن حق كل عاقل أن يسأل أهذا وحي من الله أم هو قصة ورأي للكاتب؟ ويعترف كاتبه أنه ليس حواريا فأين إسناده المتصل؟ وإذا كان كل من كتب لصديقه شيئا سماه النصارى إنجيلا وقالوا إنه كلمة الله فما هذا الدين؟

وهذا حال الأناجيل التي اختارها مجمع نيقية وألغى ما عداها، وإنما اختارها قسطنطين امبراطور الروم مع أن القائلين بها أقلية لموافقتها هواه الوثني، ولعن ذلك المجلس "آريوس" لأنه يقول إن المسيح مخلوق.

والأناجيل عندهم تعد بالعشرات ويكذِّب بعضها بعضا حتى في نسب المسيح وصلبه كما يزعمون.

وفيها -على اختلافها وتناقضها- ما يكذب دعواهم إنه إله.

وفي أناجيلهم ما لا يقبله عقل أصلا كما في إنجيل (متى فصل ٢١، عدد ٧)، أن المسيح جيء له بأتان وجحش فوضع ثيابه عليهما وركب عليهما، فهل يعقل أن يركب إنسان واحد على مركبين اثنين.

وكل إنجيل يخالف ما عليه النصارى يكفرون به، ومن ذلك إنجيل "برنابا" وإنجيل الطفولة، ويكفرون بكل مخطوط ليس فيه ألوهية المسيح حتى إن وجدوه في كهف أو في متحف غربي أو مؤسسة نصرانية خالصة أو بلد آخر مثل تركيا أو الحبشة، وباللغة الآرامية نفسها.

ثم إن الكنيسة الكاثوليكية لم تكتف باختيار ما يوافق هواها واعتبار غيره منحولا مكذوبا "أبو كريفا" كما يقولون، بل إنها آمنت بأن دينها دين علماني، وفي الوقت نفسه أخضعت لطغيانها الأباطرة والملوك والإقطاعيين والنبلاء، وطغت سياسيا وماليا كما هو معروف في التاريخ الأوروبي، وكان لها الأوقاف التي لا تحصى، وكان يخضع لها الغربيون كما ذكر "شارل ديكنز" في رواية "قصة مدينتين"، والمدينتان هما لندن وباريس، وعليه كل كاتب غربي أو مؤرخ!!

وجعلت الكنيسة المرجع هو المجامع المقدسة كما تقول، وليس الأناجيل القديمة، ومن المجامع مجمع (ترنت) الذي كان من قراراته عصمة الكتاب من التحريف وأن من قال إنه محرف كافر، أي أن النصارى اتخذوا الأحبار والرهبان أربابا، ولما أراد "لوثر" أن يقبِّح البابوات في أعين الأوروبيين قال إنهم أسوأ من الأتراك! ويعني بالأتراك عموم المسلمين.

وبعض الأقباط اليوم يعتقد أن ما بين أيدهم غير محرف، ومنهم "منيس عبد النور" صاحب كتاب "شبهات وهمية"، و"إبراهيم لوقا" صاحب كتاب "المسيحية في الإسلام"، وزعمهم هذا قديم كتب عنه "بولس" أسقف صيدا، ورد عليه ابن تيمية بكتابه العظيم "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، ونسب البابوات إلى المسيح عبارة "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، وبنت الكنيسة على ذلك القول المكذوب نسْخَ كثير من أحكام التوراة، وقالت إن

دينها علماني لا شريعة فيه، وآمنت بأن على الشعوب أن تطيع الملوك والأباطرة، وتبعها في هذا الضلال بعض من يدَّعون الإسلام، وزعمت أن الإسلام لا حكم فيه ولا سياسة، كما اتبعتهم المرجئة في مبدأ الطاعة المطلقة للحاكم، وأن ولي الأمر يطاع في كل شيء.

ومن ضلال هؤلاء البابوات أنهم لما عثر بعض الناس على مخطوطات البحر الميت سارع البابا إلى إخفائها، وكذلك نقحت إسرائيل وغيرت فيها الكنيسة، وأخرجت للعالم نسخا منقحة منها، وكذلك فعلت إسرائيل وحذفت الكنيسة كل ما يخالف الأناجيل الرسمية، وزعمت أن المخطوطات لا تمثل إلا الرهبان الأسينيين، وهم جماعة يهودية تؤمن بالمخلِّص المنتظر (الذي هو عندنا محمد ﷺ)، وعلى ذلك تدل حقائق التاريخ والترجمات الصحيحة للأسفار والتعبير الصحيح للرؤى.

ومما جاء في هذه المخطوطات أنهم لم يقتلوا عيسى عليه السلام بل رفعه الله إليه، وفي "إنجيل برنابا" عنه عليه السلام (إن الناس يقولون: إني الله أو ابن الله وإنهم قتلوني أو صلبوني، فرد الله ذلك بموت يهوذا الذي اعتقدوا أنه أنا وقتلوه وصلبوه)، وهذا يطابق ما في القرآن الكريم: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧] وهو مع ذلك يكذب دعواهم ودعوى من اتبعهم كقناة العبرية أنه صُلب، والله تعالى يقول: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨]، ولم تأت الشهادة بصدق الله ورسوله في إنجيل "برنابا" وحده، بل هي كذلك في كتب الهندوس والزرادشتية والصابئيين، وقد سبق ذكر ما في سفر التثنية من التوراة.

وهذه التأليه للمسيح عليه السلام ناظرهم فيه الشيخ أحمد ديدات رحمه الله، كما أن أحد النصارى من فنزويلا أسلم وسمى كتابه "حبي العظيم للمسيح عليه السلام قادني إلى الإسلام"، وكتب بعضهم بعد إسلامه كتابا جعل عنوانه "ربحت محمدا ولم أخسر المسيح".

والنصارى يدَّعون الحكم "الثيوقراطي" الديني أو الحق الإلهي الذي كان البابوات يؤمنون به، ويقرونه، وليس في الإسلام كهنوت، ولا رجال دين، ولا ثيوقراطية، ولا حق إلهي، بل يحق لكل مسلم أن ينكر على من خالف حكم الله ولو كان إماما وهذا على أهل العلم واجب.

ومن العقائد النصرانية المشهورة عقيدة التجسد التي هي الحلول نفسه، وهي عقيدة وثنية قديمة أيضا نقلها النصارى عمن قبلهم من المشركين، ويقول الباحثون الغربيون اليوم إن أصل التجسد هو "المانا" عند المؤمنين به قديما، وهذا التشابه الملحوظ بين النصرانية وديانات البدائيين هو أحد أسباب انتشار الإلحاد في الغرب، وأحد الأسباب التي جعلت الغربيين يكفرون بدينهم كما يقول العقاد.

فالنصرانية الغربية صورة من صور الطوطمية أو الأحيائية، حيث وجد الغربيون أن الأزياء هي الأزياء وأن الكهنة هم الكهنة، وأن التثليث هو التثليث، وأن التجسد هو التجسد، والبابا هو الشامان أو الكاهن الأكبر... وهكذا.

ولما كانت حرب تدمير العراق التي يسميها الأمريكيون تحرير الكويت، جاءت أمريكا برجال الدين النصارى وسمتهم في بلاد الحرمين "المستشارون الروحيون"، وفي حربها على العراق ملأت المحافظات العراقية بالمنصِّرين، ولما أرادت أن تنتقم لهزيمتها في الفلوجة استعانت بدول التحالف الدولي، والعجيب أن هذا التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب لم يضرب أي مدينة شيعية قط، وكيف يضربها وقيادة التحالف أمريكية، والشيعة هم حلفاء أمريكا، لا أعني كل شيعي، ولكن أكثرهم.

واستشارت أمريكا ربيبتها المدللة "إسرائيل" كما قال "دول" في ذلك، وأنكى من ذلك أنها سلَّحت النصارى وعبدة الشياطين وكل عدو للإسلام، ووصفت هؤلاء الأعداء للإسلام بأنهم معتدلون، كل ذلك باسم محاربة الإرهاب ونحن لا نقر الغلو بأي شكل، وفي نفس الوقت لا نقر تسليح

النصارى واليزيديين وغيرهم، وأمريكا هي كما قال إدوارد سعيد أكثر دول العالم انشغالا بالدين، وفي خطابهم الستيني أوضح ستون من المفكرين الأمريكيين أن علمانية أمريكا هي لرفع الدين، وأنت لا تكاد تجد أي ميدان في أمريكا ليس عليه صورة المسيح وصلبه كما يزعمون، بل إن الأمريكيين يسمون الجنوب الأمريكي "حزام البايبل"، والرئيس الأمريكي "وليم كلينتون" نفسه لما كان في الجنوب واجه معارضة شديدة ودعوات صحفية كثيرة لتصديق قصة الخلق كما وردت في سفر التكوين من التوراة، وليس نظرية "داروين" التطورية، وعلى هذا أكثر الحزب الجمهوري لا سيما من كان محافظا مثل مرشح الرئاسة الأمريكي السابق "ج، بوكانين" مؤلف "موت الغرب"، وكذا من كان أصوليا مثل المرشح الأصولي للرئاسة "بات روبتسون"، فأمريكا النصرانية ليست مثل أوروبا التي تخلى القسم الأكبر منها عن الدين وأصبحت تبيع الكنائس، وقد قرأت في إحدى دوائر المعارف البريطانية أن ١٠% فقط من البريطانيين يذهبون للكنيسة يوم الأحد، وأظنهم ينقصون مع الزمن، وممن يذهب للكنيسة "توني بلير" المعروف، وهم مع تخليهم عن النصرانية صليبيون حاقدون، ويكفي أن تقول لأحدهم كلمة عن الدين لكي يظهر حقده وتعصبه.

ومعظم رؤساء أمريكا معمدانيون وهم طائفة من البروتستانت، والرئيس الكاثوليكي الوحيد هو "جون كينيدي" المقتول، ومن البروتستانت تكون الأصوليون.

أما الحديث عن "جيمي سواجارت" أو "فرانكلين جراهام" أو عن الاتجاه الأصولي في أمريكا وقنواتهم وكتبهم ومجلاتهم فطويل جدا ولا يكاد يجهله أحد، وقد حقق الاتجاه الأصولي نصرا كبيرا باختيار المجمّع الانتخابي لدونالد ترامب الأصولي ليكون رئيسا لأمريكا، ومن العجيب أنه مع خضوع بعض المتدينين في العالم الإسلامي للحكومات تجد الاتجاه الأصولي الأمريكي المؤيد للصهيونية لا يطيع الحكومة في واشنطن ولا يتبعها، بل هو حر في رأيه

ويبث دعوته كما يشاء وله إعلامه الخاص، ومنه الكنيسة المرئية، ونادي السبعمائة، والمنظمات الكنسية التي تفوق الحصر.

وما لدى النصارى من الأناجيل -على ما فيه من تحريف- ليس فيه كلمة واحدة عن المسيح أنه قال (اعبدوني) أو (أنا المخلِّص من الخطيئة) فضلا عن دعوى (أنه هو الله أو أنه رب العالمين)، ولا ذكر فيما لديهم اليوم للتثليث مطلقا، كيف والله تعالى يقول: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٧٩]، وقال عن المسيح عليه السلام: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦]، كما أنه لا ذكر في الأناجيل للخطيئة الأصلية وإنما هي مذكورة في رسائل بولس.

وليت الأمريكان على كفرهم يؤمنون بما قال المسيح عليه السلام عندهم في الإنجيل "إن كل من ينظر إلى امرأة يشتهيها فقد زنى بها في قلبه، فإن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها وألقها عنك لأنه خير لك أن يهلك عضو من أعضائك من أن يلقى جسدك كله في جهنم". (متى فصل ٢٨/٥-٣٠).

ولكن مع الأسف نجد الأمريكان اليوم ينشرون الدياثة والتعري والإباحية في أكثر الدول الغربية، وهم ينشرون ذلك في المدن الشرقية أيضا، وكل من أطاعهم أو تحالف معهم نشر ما يستطيع من ذلك الخسران، ولذلك ابتلى الله الجميع بالطواعين والأوجاع التي لم تكن فيمن قبلهم.

وكما يكثر في الأناجيل النهي عن الزنى والفواحش يكثر فيها الحديث عن العشارين وأنهم خطاة مذنبون، وقد قال ﷺ عن المرأة التي رُجمت: (لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لقبل منه)، فجعل المكوس أعظم من الفاحشة، والمكوس اليوم قد يسمونها "جمارك" أو ضرائب أو رسوم ... إلخ.

والعجيب أن الأمريكان يدفعون مكوسهم إلى الدولة الصهيونية لتتقوى بها على المسلمين، أي أنهم جمعوا "ضغثا على إبالة" أي شرا على شر.

أما إمارة "دبي" فقد هيأت لأمريكا والغربيين شاطئا ثلجيا يكلف حفظه ملايين الدراهم وبنت أكبر كنيسة في الشرق الأوسط.

والأناجيل تنص على أن الله وحده هو الإله الحق كما في (يوحنا الفصل السابع عشر ٣) (أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك، وليسوع الذي أرسلته)، فهو الذي لا إله إلا هو وعيسى إنما هو رسول أرسله الله.

وغاية ما في الأناجيل أن تقول عن المسيح "ابن الله"، غير أنها لا تخص المسيح بذلك ففيها "طوبى لصانعي السلام فإنهم أبناء الله يُدعون"، وهكذا قرأ الرئيس القس "جيمي كارتر" في "كامب ديفيد"، فإذا كان السادات وبيجين أبناء لله فكيف بغيرهما؟ ولا يزال طلاب المدارس في أمريكا يقولون في الصباح (يا أبانا الذي في السماء)، وهذا مثل قول "الخلق عيال الله"، ولكن لا نقول -نحن المسلمين- إن فلانا ابن الله حماية لجناب التوحيد فقد يظن السامع أننا نقول إن لله ولدا تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وإنما الأناجيل سيرٌ للمسيح عليه السلام كتبها أربعة من أتباعه، ولا يصح عندنا في الإسلام أن نقول إن سيرة ابن إسحاق أو موسى بن عقبة وحي من الله.

والأناجيل اليوم فيها وصف المسيح بأنه "معلِّم" و"سيد" و"رب" و"ابن الله" وليس في شيء من ذلك دلالة على التثليث الذي تعتقده النصارى، (فأما أنه معلِّم فهذا حق لا مرية فيه، وكل داعية فضلا عن الأنبياء معلِّم، وقد قال ﷺ: (إن الله وملائكته وحتى النملة في جحرها وحتى الحيتان في جوف البحر يصلون على معلم الناس الخير)، وقد سمى بعض الصحابة رضي الله عنهم الرسول ﷺ معلِّما كما في حديث معاوية بن الحكم السلمي، ولا إشكال في ذلك مطلقا، والمسيح نفسه يقول: "إنه معلم" كما في إنجيل لوقا فصل (٢٢)! وأما السيد فمثلها أيضا.

وأما الرب فكل صاحب شيء يقال له ربه، وقد قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرًا﴾ [يوسف:٤١]، ويكثر في الأناجيل ذكر وصف المسيح بأنه ابن الإنسان، فإن كان المسيح ابن الإنسان فليس هو ابن الله، وإن كان ابن الله كما يقولون فالأناجيل كاذبة؟

وقد جاء في الأناجيل بعض صفات الله تعالى وتوحيده، فمن ذلك "أن المسيح عليه السلام قال: "للرب إلهك تسجد وإياه تعبد"، وأن المسيح كان يصلي فلمن يصلي؟ وكان عليه السلام يؤمن أن الله على كل شيء قدير، ومما قال عندهم "كل شيء مستطاع عند الله" (مرقص، فصل ٢٧)، وقال أيضا: (حتى يعلم الناس أنك أنت وحدك الإله الحق).

ومنها أن بني إسرائيل يعتقدون أنه نبي كما ورد في إنجيل متى: "فقالت الجموع هذا يسوع النبي" (فصل ٢١: ١١)، وأن الله أرسله وقال عندهم: "من قبلني يقبل الذي أرسلني" (لوقا فصل ٩، ٤٨)، وقال: "أنا إنسان قد حكمت بالحق الذي سمعته من الله" (يوحنا ٨: ٤٠)).

وقد ذكر البابا الحالي "فرانسيس" أن عيد الميلاد ليس مذكورا في الإنجيل، وصدق وهو كذوب، وكفى بذلك زجرا لمن يحتفل، أو يهدي أو يرسل بطاقة بهذا العيد الوثني، ولكن أكبر من ذلك ليس في الأناجيل تثليث، فليت البابا يقول ذلك، وربما كان البابا يصلي سرا كما فعل بعض أسلافه، فإن شك في شيء مما قلنا، فليقرأ ما في مكتبة الفاتيكان من نسخ قديمة ليجد صفة النبي ﷺ فيها!

والنصارى اليوم يكفرون بما في التوراة والإنجيل من بقايا صفات النبي ﷺ، أو صفات مكة أو المشاعر ونحو ذلك، فيزعمون مثلا أن الطريق التي لا يمر بها نجس هي الطريق بين القدس ونابلس -التي يسمونها "شكيم"-، وهذا يكذبه أمران: ١- أن اليهود يقتحمون المسجد الأقصى المبارك يوميا وهم أنجس خلق الله، ونجاستهم مذكورة في التوراة نفسها، ٢- أن كل مسافر اليوم من جدة يرى في المكان الذي يسمى "الشميسي" طريقا مكتوبا عليه

"لغير المسلمين" ولا يدخل مكة شرفها الله إلا المسلمون، وفي "سفر التثنية" "جاء الله من ساعير وأقبل من طور سيناء وتلألأ من فاران"، قال شيخ الإسلام في "الجواب الصحيح" (إن هذه التسمية معروفة في زمانه، و"فاران" هي جبال مكة، وإن هذا مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ٱلۡأَمِينِ﴾ [التين:١-٣]) انتهى كلامه ملخصًا، كما ذكر صاحب "القاموس" أن "فاران" مذكورة في التوراة أي في عصره أيضا، أما "ساعير" فالظاهر أنه جبل سعير القريب من الناصرة.

ويكاد "سفر أشعياء" أن يكون كله عن النبي ﷺ وعن مكة، وعليه ذكر عبد الله بن عمر ﵄ أنه في التوراة صفة النبي ﷺ، كما أن في أسفار التوراة صفته ﷺ، فهو "سيد العالم" وهو "أركون السلام" وخاتم النبوة على كتفه، غير أن اليهود حرفوها وغيروا البشارات وأقحموا كلمة "أورشليم" فيه، وبعضهم يقول إن "فاران" هي "أورشليم" العليا أو الجديدة أو السماوية حتى لا يقولوا مكة، وحرفوا "وادي بكة" كما في بعض الأناجيل إلى "وادي البكاء"، وبعضهم يزعم أن "ماء الحياة" "زمزم" يقع في فلسطين، كما ينكرون القبلة، وعندهم في إنجيل يوحنا يقولون: إن المسيح عليه السلام حين قالت له المرأة: يا سيد أرى أنك نبي (وصدقت في ذلك فهو عليه السلام نبي)، ثم ابتدأت تسأله فقالت: آباؤنا سجدوا في هذا الجبل، وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه، فقال لها يسوع: يا امرأة صدقيني أنه يأتي ساعة لا في هذه الجبال ولا في أورشليم تسجدون للآب" (فصل ٤/، ١٩-٢١).

وحقا قال فالقبلة حولها الله إلى الكعبة المشرفة، فهي ليست في جزريم أو في أورشليم.

وأما "عين الحياة" و"ماء زمزم" فتقول التوراة التي يؤمن بها النصارى حتى اليوم: "فبكَّر إبراهيم وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا إياها على كتفها والولد، وصرفها فمضت وتاهت في برية بئر سبع ولما فرغ الماء

من القربة تركت الولد تحت إحدى الأشجار ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس، لأنها قالت: لا أنظر إلى موت الولد، فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت، فسمع الله صوت الغلام، ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها ما لك يا هاجر؟ لا تخافي لأن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو، قومي احملي الغلام وشدي يدك به لأني سأجعله أمة عظيمة، ففتح الله عينها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة وسقت الغلام، وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في البرية وكان ينمو رامي قوس فسكن في برية فاران" اهـ. (سفر التكوين، فصل ٢١، ١٤-١٢).

وكثير منهم ينكرون أن يكون إبراهيم عليه السلام قدم إلى الحجاز، وقد رد العقاد على هؤلاء الذين يسميهم (الإسرائيليين) أي اليهود، ونحن نرد عليهم بما ثبت في القرآن والسنة من أن إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع القواعد من البيت وأذّن في الناس بالحج بعد أن بوأه الله مكانه، وهذا أمر لم يكن ينكره أحد من العرب في الجاهلية، بل بقيت "قرنا الكبش" حتى رآها المشركون والمسلمون أيضا.

وأكاذيب اليهود والنصارى كثيرة جدا، وولكفرهم ولهذه الافتراءات وهذا الباطل نهانا الله تعالى عن موالاتهم فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٤٤]، وقال بعده مباشرة: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء:١٤٥]، وهؤلاء المنافقون هم الذين يتخذون اليهود والنصارى أولياء ويقولون ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة:٥٢]، ويقولون إنهم أقوى أمة في العالم ويبتغون عندهم العزة، ولا يكفِّرونهم بل تقضي سياستهم المزعومة التعاون معهم واتخاذهم أصدقاء وشركاء وحلفاء، وقد قال جل شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١] إلى أن يقول: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن

تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌۚ﴾ [المائدة:٥٢] الآية، فانظر إلى قوله جل شأنه: ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ﴾ [المائدة:٥١]، وتأمل حال أمريكا اليوم مع الدولة الصهيونية!

ويذكر التاريخ كيف قام النصارى بحروبهم الصليبية وسفكوا الدماء البريئة وبحثوا ونقبوا عن "صليب الصلبوت" بزعمهم، وافتروا على المسلمين ما شاؤوا، الأمر الذي اضطر الفاتيكان إلى الاعتذار عنه، والله أعلم بحقيقة هذا الاعتذار، ونحن لا ندعو البابا إلى الاعتذار فقط، بل ندعوه إلى الكلمة السواء التي ذكر الله في كتابه، وإلى اتباع ملة إبراهيم عليه السلام.

ثم ظهر المستشرقون وأكثرهم يهود وبعضهم نصارى، وهم كما قال محمد أسد "رهبان فكر"، وأنكروا كثيرا من حقائق الإسلام وشوهوا عقائده وتاريخه، واتهموا النبي ﷺ بالجنون والصرع والشهوانية، وبعضهم يقول: إنه هو الذي وضع القرآن، وأنه قسيس أو "كاردينال" نصراني ابتدع دين الإسلام ليكون هو البابا، وألصقوا به صلوات الله عليه كثيرا من التهم، التي لا تخرج عما قاله الكفار الأولون ﴿أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٣]، وسمى النصارى الغربيون الإسلام "هرطقة الإسماعيليين" وسموا المسلمين "المحمديين الكفار"!

والجديد أن هؤلاء المستشرقين ربوا لهم فروخا وكان لهم فروخ من أبناء المسلمين أي من المنافقين الجدد الذين نشروا أفكارهم أكثر منهم، ومن هؤلاء الفروخ طه حسين الذي سموه عميد الأدب العربي، وهو الذي صرح بأن ورود إبراهيم وإسماعيل في القرآن غير كاف لإثبات وجودهما تاريخيا، ورد عليه الرافعي رحمه الله في كتابه "تحت راية القرآن" كما رد غيره، فطه حسين هو تلميذ المستشرق "مرجليوث"، وهو الذي قلد "أناتول فرانس" كاتب "حديث الاثنين" فكتب طه حسين "حديث الأربعاء"، وتلميذ طه حسين هو المدعو "شمس" الذي أسس جامعة الملك سعود في الملز بالرياض، وكان سكرتير طه حسين فريد شحاتة القبطي، أما زوجته فهي فرنسية "سوزان" وتلميذه الأثير هو "إسرائيل ولفنسون" اليهودي، ويقول الأستاذ

الباحث محمد عمارة: إن طه حسين قد تاب لما سافر إلى الديار الحجازية ورأى الكعبة، والله أعلم.

ولما مات طه حسين رثاه بعضهم، وممن نعاه أو رثاه حمد الجاسر الذي يسمونه علامة الجزيرة، في حين أن علامة الجزيرة في ذلك الوقت هو الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله.

واعتمد حمد الجاسر في بحثه عن الآثار على الشعر الجاهلي الذي ينكره طه حسين وجعله تمهيدا لإنكار القرآن، ونشر حمد الجاسر كتاب "اكتشاف جزيرة العرب" الذي كتبته "جاكلين" وهي مستشرقة فرنسية، وذكر الجاسر بعض الرحالة الغربيين ومن هؤلاء الرحالة "أركهارت ونيبور" و"بلنْت" و"بلي"، وكتب عنهم محمود السمرة كتابا عنوانه "غربيون في بلادنا".

والواقع أن كثيرا من الرحالة الغربيين أرادوا اكتشاف هذه الجزيرة، وإنما فعلوا ذلك خدمة للمستعمرين والمنصِّرين، وبعض الرحالة جاسوس صريح، وكثير منهم لم يتعد مدينة بيروت وإنما سأل فيها بعض الناس، وكثير منهم بل كلهم يسمون العرب "البدو الوهابيين"، فالعرب عندهم بدو جهلة، وهذا ما سمعته بنفسي من بعض الغربيين حيث سموني بدويا في مصر، وقد ذكرت "جاكلين" أن بعض الغربيين رأى البحيرة الواقعة قريبا من الرياض التي طولها مائة ميل كما زعم، وبعض المستشرقين كان يأتي إلى هذه البلاد متنكرا ويقولون إن غرضه عدد الخيول لدى القبائل، ويرى أن الغرب أولى بها، فكيف يكون شرههم فإذا كانت الخيل كذلك فكيف بالنفط؟

ومن فروخهم الذين يعرفهم أهل مكة حافظ وهبة، وفؤاد حمزة، وعبدالله الدملوجي وزميلهم خير الدين الزركلي، الذي ترجم لهم في "الأعلام"، وفيه ذكر أن فؤاد حمزة رجع عند موته عن عقيدته الدرزية إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وذكر الزركلي عن نفسه أنه كان عضوا في جمعية "العربية الفتاة" وهي رد على جمعية "تركية الفتاة"، ولم يذكر الزركلي

الخلفاء العثمانيين وكأنهم ليسوا أعلاماً، وقد أفضوا جميعا إلى ما قدموا، ولا يظلم الله مثقال ذرة.

كما أن العربية الفتاة أصل ما سمي فيما بعد "نجد الفتاة" التي تحدث عنها مؤلف كتاب "يماني" أي أحمد زكي يماني، وهذا اليماني أحد أثرياء العالم، فقد كان وزيرا للبترول في السعودية.

وممن ذكر عقيدة فؤاد حمزة ويوسف ياسين غير الزركلي الشريف عبدالله بن الحسين ملك الأردن سابقا، فقد ذكر أن فؤاد حمزة درزي وأن يوسف ياسين -الذي يعرف باسم "يوسف جريدة"- نصيري، وإنما سمي يوسف جريدة لأنه كان مديرا لتحرير جريدة أم القرى، وعمل رئيسًا للشعبة السياسية أو فيما يشبه منصب رئيس الوزراء حتى مات، وقد كره الشيخ عبدالرحمن بن قاسم تقديم يوسف ياسين لمجموع الفتاوى، ولكن هكذا طلبت الحكومة وبقيت عائلة يوسف ياسين في الدمام والله أعلم بنهايته.

ومما ينبغي أن نذكره هنا أن فؤاد حمزة اقترح توحيد المملكة باسم واحد، وأن يكون لها عيدان العيد الوطني وعيد الجلوس، وجعلهما في نفس تاريخ اليومين الذين كانا للعرب في الجاهلية، ولكن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أنكر ذلك ومعه علماء عصره كلهم، وأفتوا بتحريم الاحتفال بالعيد الوطني الذي اقترحه فؤاد حمزة وجعله أول الميزان (الاعتدال الخريفي)، حيث كان العرب يلعبون فيه في الجاهلية، وقال العلماء إن عيدي الفطر والأضحى هما العيدان الشرعيان الوحيدان، وقد أبدلنا الله تعالى بهما عن اليومين الذين كان أهل الجاهلية يلعبون فيهما كما ثبت في الحديث.

ثم جاء الجيل الثاني الذي كان منه رشاد فرعون الذي قال عنه شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي لما ذكروه له: "أعوذ بالله إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَمۡرُ فِرۡعَوۡنَ بِرَشِيدٖ﴾ [هود:٩٧]"، ومنهم أيضا معروف الدواليبي رئيس حزب الشعب السوري، ومنهم بعض النصارى الذين ظلوا سفراء ما يقارب ثلاثين سنة مثل جميل البارودي، أما النصراني "بولس سلامة" فقال إن الجهاد

غزو وسلب كما في الكتاب الذي نظمه شعرا بعنوان "ملحمة عيد الرياض"، ثم تبعهم الجيل الذي جاء بعدهم مثل أحمد عسه، ونهاد الغادري وزهدي الفاتح وصلاح الدين مختار وشكيب الجابري.

كما أن أعداء الدين لم يكتفوا بالتغيير الفكري، بل ضموا إليه التغيير الاجتماعي، واقترح بعضهم مشروع توطين البادية وجلب الحكيمات إليه ونقلوا تجربتهم في ريف مصر "سرس الليان"، إلى الخرج ووادي فاطمة، وتحت ستار مكافحة الجراد قضت الحكومة البريطانية على الإخوان "الغطغط" الذين كان فيهم تشدد وغلو يجب تهذيبه، والعجيب أن هذا الجراد لا يوجد إلا حيث يوجد الإخوان، أما المناطق الأخرى من جزيرة العرب أو من البلاد الأخرى فلم يقض عليه فيها البريطانيون!

ومن عجيب أمر الإخوان أنهم أسقطوا الطائرة الحربية ببنادقهم وقالوا لمن اعترض على الجهاد: "الله تعالى فوق الطيارة وإلا الطيارة فوق الله؟".

وقد قابلت أحدهم في حي الملاوي بمكة، فقال "مشكلتنا الحقيقية هي الجهاد"، وذكر كلاما طويلا عن ذلك.

وكانت وزارة المستعمرات في لندن تعتمد على التقارير التي يرفعها لها "برسي كوكس" المندوب السامي في العراق ذلك الحين، غير أن العراقيين كانوا ضد الانجليز وثاروا عليهم، وقتل الشيخ ضاري الشمري المندوبَ البريطاني في ذلك الوقت المدعو "ليشمان"، والشيخ ضاري هذا هو جد الشيخ حارث الضاري رحمه الله الذي كان يرأس "هيئة علماء المسلمين" في العراق، ولم يرتدع بوش الصغير بمصير "ليشمان" فغزا العراق وكانت له الهزيمة المنكرة هناك، الأمر الذي دعى خلفه "باراك حسين أوباما" إلى سحب الجيش الأمريكي المهزوم، وهؤلاء الإخوان -على ما فيهم- اعترف "كلوب باشا" أنه عجز عن إدخال جاسوس بريطاني بينهم، أما "ديكسون" الذي كان وكيلا سياسيا في الكويت، فقد أدهشه حين زارهم ما رأى فيهم من التعبد وكان من طائفة المتطهرين، وقال: هؤلاء هم الذين يعبدون الله حقا،

وألف كتابه "الكويت وجاراتها"، وقال الجاسوس البريطاني "لورانس": إن القضاء على الإخوان يكلف الامبراطورية البريطانية خمسين ألف جندي بريطاني سوف تذوب رؤوسهم بمجرد أن تلامسها شمس الصحراء المحرقة، أي أنهم لن يستطيعوا القضاء عليهم مطلقا وذلك هدف بريطاني يسعون إليه.

وأنا أدعو القارئ إلى قراءة الوثائق البريطانية إن استطاع، وفيها يقولون إن الأب الروحي للإخوان هو الشيخ عبدالكريم الدرويش، والعجيب أن هذا الجيش الذي ترتعد له فرائص أقوى دولة في العالم آنذاك لم يكن يكلف ميزانية الدولة قرشا واحدا، بل كان الواحد منهم يأتي ببندقيته ودابته ويجاهد في سبيل الله وتهابه كل الدول، وسيأتي لهم تفصيل ضمن (تجربتنا المعجزة) من النصيحة الثالثة.

وقد ذكر جهاد الخازن في جريدة الحياة أن الهنود يظنون أن كل عربي مسلم، وجهاد هذا نصراني من "الجليل"، وأخوه سمير الخازن هو الذي سرق خزينة جريدة الشرق الأوسط، وبالطبع لا يتهمه الإعلاميون عندنا بالنصرانية فضلا عن الإرهاب أو التكفير، وكيف يكونون إرهابيين وهم غير مسلمين؟

وأغرب من ذلك كله أن بعض المنافقين يحاورون النصارى اليوم ولا يحاورونهم على أساس الكلمة السواء التي ذكر الله في كتابه، أو الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، بل على الشروط الوضعية التي وضعها أولئك النصارى وأهمها ألا تثار القضايا المختلف فيها كالتثليث والجزية والتحريف والتنصير، وإنما يكون الحوار في الأمور المتفق عليها!، فما فائدة الحوار في المتفق عليه، وهل هذا إلا أشنع مما لو شرطت علينا إيران الحوار في علي بن أبي طالب بشرط أن لا نثير موضوع أبي بكر وعمر وعائشة لأن الخلاف في ذلك واقع، كما اشترط النصارى أن يكون الحوار دينيا لا سياسيا، وأن يكون مقر الحوار الدائم في الفاتيكان ولا مانع من الحوار في أي مكان آخر برضى الطرفين.

وقد اطلعت على بعض وثائق الحوار، كما قرأت تحذيرات بعض من

كتب عنه محذرا منه المسلمين، كما بلغني تحذيرات بعض أساتذة اللاهوت الغربيين وهم غير مسلمين، وهؤلاء المحذرون عربا وغربيين ذكروا أن مجلس الكنائس العالمي ما هو إلا واجهة صهيونية، وأن الذين أسسوا الحوار أو شاركوا فيه هم من الصهيونيين النصارى، وهؤلاء الصهيونيون ابتدأوا بتبرئة اليهود من دم المسيح وكذّبوا الأناجيل المصرحة بذلك، ويعتقدون أن قيام الدولة الصهيونية ما هو إلا تمهيد لنزول المسيح الذي سوف يختطفهم بزعمهم إلى السحاب، ويدمر الأشرار الوثنيين أي المسلمين ويهدم الكعبة المشرفة -كما يزعمون- ويهزم قوى الشر في معركة "هرمجدون" التي يشارك فيها ٤٠٠ مليون جندي، ويبلغ فيها الدم أكثر من مائة غلوة.

وبهذه المعركة المزعومة يؤمن رؤساء أمريكا كما ذكرت "غريس هالسل"، وهي إحدى العاملات في البيت الأبيض وترجم لها محمد السماك.

والممنوع قطعا هو الحوار مع الدعاة ومع من يدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بدون شروط.

صحيح أن الأصل في شريعة النصارى هو تحريم الربا، وأنهم يحرمون عمل قوم لوط، ولكن ليس في شيء من وثائق الحوار ذكر لهذين، ولا هو أيضا مما ينشره المحاورون في الصحف اليومية، مثل الجزيرة، والوطن، والرياض، وعكاظ، وإنما سمعته فقط من بعض المشايخ غير المطلعين على بواطن الأمور، ولو فرضنا جدلا أن ذلك عندهم فإن الالتزام به يفرض عليهم الانكار على المحكمة الأمريكية العليا.

وهذه الامبراطورية الشريرة "أمريكا" تعتقد أن يوم "هرمجدون" آت لا شك فيه، وتؤمن بما جاء في "سفر حزقيال" أو في رؤيا "يوحنا اللاهوتي" عنه.

وليس العجب أن تسمي "غريس هالس" ذلك تدبيرا وليّاً -أي ثنيا- ليد الله تعالى الله عن ذلك، فهي كافرة، ولكن العجب من يقف مع هذه الامبراطورية أو يصدقها في شيء! ومع ذلك يدعي التوحيد!

وبعد أن نقضت أمريكا اتفاقيات دولية كثيرة وانسحبت من أخرى، ولم توقع على بعض الاتفاقيات الحقوقية، من الذي يصدقها أو يثق في كلام رؤسائها؟

وبعض علماء المسلمين -غفر الله لهم- يتأول لكفر بعض الأمريكان والغرب ويقول إنهم أهل فترة، وهذا عندي غير صحيح، بل هو باطل، وكيف يكونون أهل فترة أو كأهل الفترة وقد سمعوا بالنبي ﷺ؟

ومما يدل على أن الغربيين ليسوا أهل فترة أنه بقي لديهم بشارات صريحة بالنبي ﷺ ومكة والمشاعر، كما أن كتبهم وتاريخهم وتعاملهم كل ذلك يثبت معرفتهم بحقيقة الإسلام، وهذا غير البشارات التي حرّفوها وشوهوها عن قصد، كما أن الأناجيل القديمة فيها إخبار صريح بنبوة محمد ﷺ وتسميته، وهذه الأناجيل كانت معروفة لدى نصارى الشام والعراق وفارس، ويعرفها اليهود الذين هاجروا إلى جزيرة العرب وأقاموا بخيبر والمدينة ويستفتحون على قبائل العرب المشركة بالنبي ﷺ كما ذكر الله تعالى في سورة البقرة، وظلت هكذا متداولة معروفة، وهي إلى اليوم معروفة في مكتبة الفاتيكان السرية، وفي الحبشة وفي تركيا وفي كثير من الدول الأخرى، وممن نقل محتوياتها الإمام ابن ظفر الصقلي في كتابه "البِشَر بسيد البشر"، وعنه نقل شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح"، وشيخ الإسلام رحمه الله لم ينقل ذلك عن ابن ظفر وحده، بل عن غيره أيضا كابن قتيبة، ولذلك يعبر عنهم بصيغة الجمع فيقول: "قالوا"، ولذلك كان البابا "يوحنا" يصلي كالمسلمين ولكنه يكتم إسلامه، وقد ذكر سكرتير البابا أن سبب استقالة البابا "بندكت السادس عشر" المفاجئة، هي تسرب بعض الوثائق المهمة من مكتبة الفاتيكان السرية! وإذا ضممنا إلى ذلك كله ما ذكره الله تعالى وهو أصدق القائلين في سورة الصف أن عيسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦]، تبين أنهم ليسوا "أهل فترة"، وأظن أن القائل لو اطلع على هذه الأدلة لرجع عن هذا القول، وليس هذا خاصا

بمن عاصره ﷺ، بل يشمل كل الغربيين اليوم، وتاريخهم حافل بأخبار أولئك، كما أن فيه الكثير من دلائل النبوة التي يعلمون.

وفي أمريكا المئات من مراكز البحوث فضلا عن الباحثين المستقلين وما أكثرهم.

وكيف يقول هذا القائل إنه لم يبلغهم عن الإسلام إلا صورته المشوهة، مع أن من أهم زعمائهم ومؤسسي أمريكا الرئيس "نوماس جفرسن" الذي لا تزال نسخته من القرآن محفوظة في بنسلفانيا.

ولكن أكاذي أمريكا كثيرة ومشتهرة.

ومن الأكاذيب التي يروجها "البنتاغون" وهو كما سماه أكبر روائي في أمريكا "غور فيدال" "وكر الشياطين" أن الهجوم على السفارات أو القنصليات الأمريكية لم يسفر عن حوادث، بينما يؤكد بعض شهود العيان أن القتلى لا يقلون عن ٣٠ شخصاً، غير المصابين.

وهؤلاء النصارى لو أرادوا لعرفوا الإسلام كما أنزله الله، كيف وهم لم يخطئوا في تصنيف العلمانيين والصوفية معتدلين! وتصنيف الوهابية كما يسمونها إرهابية، كما عرفوا دول الاعتدال التي تقر لإسرائيل بحق الوجود، وعرفوا "الجهاد" الذي يسمونه إرهابا، وقد اكتشفوا المناطق القطبية وما فيها من الأحياء والنباتات وعرفوا البوذية وأصناف المجوس والديانات البدائية، وديانة ما يسمى ما قبل التاريخ، وكل ذلك قبل ثورة المعلومات الحديثة، فكيف لا يعرفون الإسلام لو أرادوا.

ومن كان من الغربيين يهتم بالدين ويريده فمن السهل عليه أن يعرف دين الله الوحيد الحق الذي هو دين الفطرة "الإسلام"، وإنما كثر الكفر والإلحاد في الغرب لأن أكثرهم مثل البهائم لا هم لهم إلا عبودية الدرهم والدينار، وليس للآخرة عندهم من نصيب، وقد سألت بعض الغربيين الذي جاء لمقابلتي هل رأيت الكعبة المشرفة في أي قناة؟ فقال لا، ودهش لما حدثته عن أسفار التوراة ووجدته جاهلا بها جهلا مطبقا.

فليس الغرب أهل فترة، بل هم معاندون جاحدون لا يجهلون الإسلام لو أرادوا معرفته على حقيقته، ولا يعذرون بالجهل أو بما اعترى الإسلام من تشويه.

وكيف يجهل الغربيون الإسلام وتاريخهم كله متأثر بالإسلام، فحظروا التماثيل أيام الروم البيزنطيين، ثم أنشأوا حركة الإصلاح المعروفة بتأثير الإسلام، وقد تزعمها البروتستانت الذين يشكلون اليوم أكثر الانجليز والأمريكان ودول شمال أوروبا، وقد كان هؤلاء المصلحون كما يسميهم الغربيون متأثرين بالإسلام عالمين به دارسين له، حتى أن "جون ويكلف" قال: "إننا محمديون غربيون"، وساوى بين البابوية والإسلام وكان معاديا للأتراك كما يسميهم، وقال "مارتن لوثر" المشهور: "إن القرآن كتاب فاسد ومشين"، وألف "لوثر" كتابا سماه "الحرب على الأتراك"، ولما أراد أن يطعن في البابا قال إنه شر من -أو مثل- الأتراك، وصرح بأن الأتراك هم "أداة الشيطان"، وأن الجهاد ما هو إلا نهب وقتل ونشر للإسلام بالسيف، وربما استشهد على هذا القول بما يراه من قوة العثمانيين واستيلائهم على كثير من أجزاء أوروبا في أيامه، حتى كادوا يفتحون أوروبا كلها ومنها ألمانيا التي ولد هذا الخبيث في بعض مقاطعاتها، وقال في كتابه "الحرب على الأتراك": "إن الأتراك يقتربون منا" تحذيرا منهم.

وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞ﴾ [المائدة:١٩].

ومن عجائب التوفيق ونصرة الله لنبيه محمد ﷺ أن أولئك الكافرين به من الكاثوليك والأرثوذوكس والبروتستانت يسمونه بغير اسمه، وبذلك يصرف الله عنه شتمهم كما صرف شتم المشركين الذين كانوا يسمونه "مذمما"، وثبت في الحديث أنه ﷺ عدَّ ذلك صرفا من الله تعالى، فالانجليز يسمونه "ماهمت"، والفرنسيون يسمونه "ماهوت"، والألمان يقولون "ماتشميت"، وهكذا فالحمد لله.

ومن العجب أن أصحاب العقيدة لم يقاطعوا على الأقل الدول التي نشرت الرسوم المسيئة للرسول ﷺ، وكأنه رسول الأتراك وليس رسولَهم، ومن ذلك الدنمارك والنرويج وفرنسا وغيرها، وقد قاطع بعضهم السويد ليس تجاريا فقط بل دبلوماسيا أيضا لما طعنوا في سياسته وطالبهم بالاعتذار فاعتذروا، ثم أعاد السفير.

وهكذا أصبح الجبن الفرنسي أغلى عند بعض الناس من رسول الله ﷺ.

وقد أسلم حبر أهل الكتاب وابن حبرهم، وعالمهم وابن عالمهم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وجعله الله ومن أسلم معه، حجةً على من كفر من المشركين وأهل الكتاب، قال جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَـٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٩٧]، وقال: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف:١٠]، وليس هذا خاصا بعبد الله بن سلام رضي الله عنه، بل كل من أراد الحق رآه جليا حتى في عصرنا الحاضر.

وآمن كذلك بعض من وفقه الله من وفد نصارى نجران وأعلن ذلك شعرا فقال:

إليك تغدو قلقا وضينها * معترضا في بطنها جنينها

مخالفا دين النصارى دينها

وفي ذلك الوفد نزلت سورة آل عمران، وأخبار أهل الكتاب في السيرة كثيرة، وكلها تدل على معرفتهم بصدقه ﷺ، وحسبك ملوكهم الثلاثة، فأما هرقل فقد عرف أنه نبي ودعا قومه إلى ذلك فلم يؤمن بالنبي ﷺ إلا بعضهم، ومنهم "ضغاطر" كبير بطاركة الروم، وضن هرقل بملكه فأخزاه الله وهزمه، وأما النجاشي فقد أسلم وصلى عليه رسول الله ﷺ، وأما المقوقس فقد علم أنه نبي فأهدى إليه مارية القبطية ومعها بغلة "الدلدل"، وقال عنه ابن القيم "كاد ولّما"، فهل يمكن أن يخفى عليهم هذا أو يقال إنهم أهل فترة؟ وكيف لا يكون إسلام من أسلم منهم وهم كثير حجة على الباقين؟

ولو أراد الباحثون الغربيون معرفة الإسلام على حقيقته لعرفوا ذلك من مصادر الإسلام الموثوقة، فمقتضى البحث العلمي أن يعرفوا أي شيء من مصادره الأصلية، وقد رأينا وقرأنا كيف يرجعون إلى أسفار "الفيدا" الهندية، واللغة السنسكريتية، وكيف يدرسون البوذية والزرادشتية والطاوية والجينية من المصادر الأصلية لهذه الأديان ويتعلمون لغاتها، أما حين يبحث المستشرقون وأضرابهم في الإسلام فإنهم ينقلون عن "ألف ليلة وليلة" وعن "حياة الحيوان" للدميري، وعن الخرافات القديمة التي ذكرها يوحنا الدمشقي وأمثاله، ويطعنون في القرآن الكريم وفي الصحيحين وفي النبي ﷺ ذاته، ويرددون ما قاله المشركون من قبل من التهم والأكاذيب، مع أن القرآن متاح ومتوفر والعربية لغة حية يتكلم بها أمة عظيمة تمتمد من عمان حتى موريتانيا، غير من يجيدها من أهالي تشاد واريتريا ونيجيريا وفطاني وماليزيا وأندونيسيا والترك ودول شبه القارة الهندية، ولكن الأمر كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾ [النمل:١٤]، وكما قال جل شأنه: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، وقد بين جل شأنه أن أهل الكتاب يجدون النبي ﷺ مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، وإنما كفروا به كما قالوا لأنه ليس من ذرية داود، أو حسدا للعرب الإسماعيليين، فالسبب إذن عنصري! قال جل شأنه: ﴿بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٩٠]، وهل آمن اليهود بعيسى عليه السلام وهو من ذرية داود كما تصرح به الأناجيل، على اختلاف بينها كم بينه وبين داود عليه السلام من الأجيال، وقد ورد صريحا فيها قول الأعمى له "يا ابن داود" كما في إنجيل (مرقص عدد ٤٨)، وقال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩]، وقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة:٨٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ

﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧١]، وقال جل شأنه في آيات القبلة: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة:١٤٤]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ﴾ [الأنعام:٢٠] وهل يخطئ أحد في معرفة ابنه؟

والله تعالى ألقى بينهم العداوة والبغضاء، حتى في الأمور التي هي لمصلحة دينهم، كالحوار القائم الآن بين المسلمين والنصارى، على غير الكلمة السواء التي أمر الله بها.

والطائفة البروتستانتية تقول إن الحوار في حقيقته إسلامي يهودي كاثوليكي! وإنما صار ثلاثيا بعد مؤتمر مدريد (المشؤوم) واتفقوا فيه على نبذ العنف ونبذ الطائفية أو الكراهية بين الأديان، واتفقوا على ما يسمونه "دين إبراهيم" الذي يعني عندهم الإيمان بالتوراة والإنجيل والقرآن، واتفقوا على أن الأديان الثلاثة كلها توحيدية! مكذبين للقرآن جاعلين التوحيد والتثليث سواء، وجاعلين الحق والمحرف سواء، وكلها أديان إبراهيمية كما قالوا، بل دعا المدعو أحمد الطيب شيخ الأزهر إلى ما سماه تنقية الأديان، فما الذي سوف ينقيه من الإسلام القائم على كتاب الله، ولماذا لم يدع إلى تنقية النصرانية من الوثنيات كزعم النصارى أن الله ثالث ثلاثة، وأنه اتخذ ولدا سبحانه، ويدعو إلى تنقية العقيدة الإسلامية مما شاب عقائد المسلمين من بدع الصوفية وغيرها، أم أن صوفيته تمنعه من ذلك؟

وقد كتب القس "كارتر" وهو رئيس أمريكا سابقا "دم إبراهيم" بعد (كامب ديفيد) أي أن العرب واليهود يشتركان في هذا الدم، وليست القضية قضية نسب بل دين، فماذا كان دين إبراهيم عليه السلام؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [آل عمران:٦٥]، وقال جل شأنه: ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:٦٧-٦٨]، وقال للمسلمين: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨] فإبراهيم حنيف مسلم ونحن -المسلمين- أولى الناس به اليوم، وكل من كان على ملته فهو أولى به، وهو الذي جدد بناء الكعبة المشرفة ودعا ببعثة النبي ﷺ، وليست اليهود والنصارى على ملته أبدا، والمسلمون فقط هم الذين يقولون كل يوم (أصبحنا على ملة أبينا إبراهيم)، أما اليهود والنصارى فهم كما قال تعالى بعد الآيات السابقة مباشرة: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٩] الآية.

وهل الحوار مع المسلمين بشروطهم هم إلا غاية الإضلال، كما أن إنشاء معهد للأديان الثلاثة يرأسه "روجيه جارودي" باطل ولا يجوز الإنفاق عليه من بيت مال المسلمين.

وأكثر ما تتحدث الأناجيل عنه أن المسيح عليه السلام كان يخرج الشياطين وليس ذلك خاصا به، فكثير من المسلمين دونه عليه السلام يخرجونهم، وأعظم أعماله أو معجزاته هي ما في القرآن الكريم كإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونفخ الروح في التماثيل، وكثير من مفكري الغرب -لا سيما في عصر التنوير كما يسمونه- إنما كفروا بالنصرانية لما فيها من المعجزات، والشيخ مصطفى صبري الذي كان شيخ الإسلام في الدولة العثمانية هرب من أفكار جمعية "الاتحاد والترقي" ليجد مثلها في مصر، وقد عبر عن ذلك في كتابه "موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين"، ومن ذلك إنكار المعجزات كما فعل "أرنست رينان" المشهور، وتبعا لذلك -أي إلحاد عصر التنوير- عدل الرئيس الأمريكي "توماس جفرسن" الإنجيل بيده وحذف منه كل المعجزات، هذا إن لم يكن جفرسن مسلما يكتم إسلامه.

وليس من ديننا إنكار المعجزات، بل نؤمن أن للنبيين آيات وللصالحين كرامات، ونحن نؤمن بأن للمسيح عليه السلام آيات تدل على صدقه ولكن آيات صدق نبينا محمد ﷺ أكثر منها وأعظم، وأجلها كلها القرآن كلام الله الخالد.

ومن الكرامات التي يؤمن بها أهل الكتاب والمسلمون ما وقع لأصحاب الكهف.

كما أنه ليس من ديننا الفصل بين ما هو سياسي وما هو ديني كما يدعي الكاثوليك، وهذه البدعة الغريبة على الإسلام هي من الأسباب التي دفعت كثيرا من الغربيين إلى اعتبار الإسلام صلة بين العبد وربه فقط، كدينهم المحرف، واعتبار السياسة ميدانا آخر لا دين فيه ولا أخلاق، ويسمون الإسلام الحق "الإسلام السياسي" أو "الإسلام الحركي"، ونحو ذلك مما يسمونه أو سيسمونه، وقديما قال السادات: لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين.

وعلى هذا الضلال قناة العربية وأخواتها، والصحف السعودية لا سيما الشرق الأوسط والرياض وعكاظ والوطن.

ومن نتائج الحوار المشؤوم والسياسة غير الشرعية ما قرأته في بعض الصحف في جدة من التبشير بسفارة إسرائيلية! هكذا نشرت عكاظ، وما كتبه تركي السديري في جريدة الرياض من أن العداوة هي غريزة القطيع، أي أن كراهية اليهود والنصارى من بقية العصر الحيواني المزعوم، وكتب السديري "من سهير زكي إلى اليزابث تايلور"، وسهير زكي ممثلة يهودية مصرية، أما الأخرى فهي ممثلة يهودية أمريكية، وكتب بعض العلمانيين آنذاك "أنا عربي أنا إسلامي" أي أنه لا يوافق على ما قُرِّر في مجلس الوزراء الذي كان عضوا فيه، وكان أذكى من كاتبي عكاظ والرياض.

والحمد لله أن ديننا دين الأمن والطمأنينة والتعاون لا دين الصراع والعداء، والغرب تقوم حضارته على الصراع المرير بين الدين والعلم وبين الرجل والمرأة وبين الفرد والجماعة وبين الإنسان والطبيعة، وبين العامل ورب العمل وبين الحاكم والمحكوم، وبين الحكومة والمعارضة، وبين المنتج والمستهلك، وأمثال ذلك، وهذا الصراع كان قديما أيام اليونان والروم، ثم قامت عليه الحضارة الغربية المعاصرة، ومن مساوئ ذلك الشرك تلك التجزئة

التي يقوم عليها الفكر الوثني "الجسد والروح" "وما لله وما لقيصر"، تلك المشكلة التي سماها "هوايتهد": "تجزئة الطبيعة"، ولا وجود في الإسلام ولله الحمد لهذه التجزئة، فالخالق تبارك وتعالى واحد، والغاية واحدة، والعبودية واحدة، على كل البشر حتى الجمادات تسبح الله، وكلٌّ له قانتون، والطبيعة مسخَّرة للإنسان بإذن الله، والأرزاق يقسمها الله، وكلٌّ له حقوق وعليه واجبات شرعية، سواء أكان عالما أو جاهلا، غنيا أو فقيرا، رجلا أو امرأة، حاكما أو محكوما، وعاملا أو صاحب عمل ... إلخ.

ومن الباطل والعنصرية اللذين تشبع بهما الفكر النصراني، زعم "بولس" أن أبناء الحرة "سارة" أفضل من أبناء الجارية "هاجر"، وعليه فاليهود عنده أفضل من العرب، لأن اليهود من ذرية إسحاق بن سارة والعرب من ذرية إسماعيل بن هاجر، فالعرب أمة حقيرة عنده، ولا يزال الغربيون حتى اليوم يقولون إن العرب عبيد سارة بل كل المسلمين كما تقدم.

والقرآن الكريم يدل على أن الغلام الحليم "إسماعيل" هو أفضل من الغلام العليم "إسحاق"، وكلاهما نبي له فضله، ولكن الله تعالى يفضل بعضهم على بعض، وزعم "بولس" باطل إذ ليس في الكتاب والسنة ما يدل على شرعية استعباد الفراعنة للأحرار، فإذا فعله الفراعنة فهو جزء من ظلمهم، هذا على افتراض أن إبراهيم عليه السلام لم يعتق هاجر إن كانت حقا أمة، كما أعتق ابنه محمد ﷺ جويرية بنت الحارث المصطلقية، وإسماعيل عليه السلام هو الذي أعان أباه في رفع القواعد من البيت، وهو الذي أنبع الله له ماء زمزم، وهو الذي اصطفاه الله وجعل من ذريته محمدا ﷺ، فجنس العرب أفضل من جنس العجم وليس آحادهم، أي ليس كل عربي أفضل من كل عجمي، إنما التفاضل بالتقوى وحدها.

وقد فضل صلوات الله وسلامه عليه بني عبد القيس وأهل اليمن على الفدادين في الجملة وفضّل أصحاب الغنم على أصحاب الإبل، ونهى الله عن

تزكية النفس ونهى رسوله ﷺ عن الفخر بالأحساب وأن يفخر أحد على أحد.

هذا وأكبر مجموعة شرقية نصرانية هم نصارى الحبشة، ونصارى الحبشة لا يزالون اليوم يعقوبية كما ذكر عنهم ابن حزم رحمه الله قديما، وهم لا يعترفون بالبابا الكاثوليكي ولا بأتباعه، ولهم تقويم خاص لا يتبعون فيه التقويم الغربي، وهم يتبعون كنيسة الاسكندرية وأقباط مصر، والناس في الحبشة شعوب كثيرة أكثرهم مسلمون، وفيهم بعض الوثنيين، ومن الشعوب التي يكثر فيها المسلمون شعب "أرومو"، وهو من أكبر الشعوب الإفريقية، إذ يبلغ تعدادهم اليوم ٤٠ مليونا، وبعض قادته عبروا البحر إلى اليمن ثم ساروا على أقدامهم من اليمن إلى مكة شرفها الله، وجاؤوني وتحدثت معهم كثيرا، ومع كثرة المسلمين هناك تجد الحكومات نصرانية كحال أكثر بلدان القارة السمراء، والمسلمون ولله الحمد يزيدون في الحبشة وفي إفريقيا وفي كل مكان، لأن الإسلام دين الفطرة، ولأجل ما اكتشفوا هناك من الأناجيل القديمة، وهي تصرح بنبوة محمد ﷺ واسمه، وبعض القبائل هناك تحولوا من الوثنية إلى الإسلام بعد أن كانوا قابلوا أحد المنصرين الغربيين وسأله شيخ القبيلة "من يدبِّر الكون؟" قال المنصر: الابن يسوع! قال له الشيخ: يدبّره الابن والأب موجود؟ قال نعم، قال الشيخ هذا لا يكون أبدا، ولما جاءه أحد دعاة الإسلام سأله الشيخ نفس السؤال فقال الداعية: الله تعالى خلَقه وهو الذي يدبره، قال الشيخ أما هكذا فنعم، فأسلم وأسلمت معه قبيلته.

أما شعب "التجراي" فهم أقل عددا ومع ذلك يحكمون ما يسمى اليوم أثيوبيا وإريتريا.

غير أنهم في الحقيقة أخذوا من الغربيين عبادة المادة، وأظن أنهم لو أعطوا الأموال لأسلموا ولو قيل لهم تعلموا العربية لتعلموها، فالناس هناك يحبونها كثيرا، ولو قيل لهم اطردوا جماعة الأحباش لطردوهم من المجلس الإسلامي وغيره، ولكن لا يجدون ذلك، بل المنحرفون يقبلون على ما منه أهله يفرّون!

وقد ذكر الأستاذ محمود شاكر في كتابه "أباطيل وأسمار" أن نصارى الحبشة حذفوا اسم النجاشي المسلم من قائمة ملوكهم، أي أنهم فعلوا كما فعل بعض الإنجليز بملكهم المسلم "أوفاريكس" الذي تعلم أبناؤه في الأندلس وله عملة محفوظة حتى اليوم في المتحف البريطاني مكتوب عليها "لا إله إلا الله محمد رسول الله".

وأيا ما كان الأمر يجب إعطاء هؤلاء القوم ودعوتهم إلى الإسلام، لا سيما وأن هذه المناطق "أثيوبيا وإريتريا وجنوب السودان" هاجر إليها المسلمون ودخلها دين الله قبل أن يهاجر المسلمون إلى المدينة، وكانت إمبراطورية -أو مملكة- أكسوم تشملها كلها.

وبعد سقوط الأندلس ومجيء البرتغاليين، تعاون ملوك الحبشة النصارى معهم، وكان البرتغاليون يطمعون في الاحتلال العسكري، ولم يعرفوا بعد القوة الأمريكية الناعمة، فأرادوا أن يحتلوا جدة ومنها إلى مكة والمدينة، ولكن الدولة العثمانية كانت لهم بالمرصاد، ووضعت الحاميات في اليمن وساعدت المسلمين في الصومال في جهادهم بقيادة المجاهد البطل "غوري" رحمه الله، وجعلت البحر الأحمر بحيرة إسلامية كالبحر الأبيض، فاضطرت الكنيسة الكاثوليكية في روما إلى تطويق المسلمين من الشرق، واحتل البرتغاليون شواطئ الهند والفلبين حتى طردهم البريطانيون، واحتلوا هم الهند وألغوا الشريعة الإسلامية فيها وأنشأوا حكومة الهند البريطانية التي خضعت لها البصرة والكويت وسلطنة عمان والبحرين ومشيخات الخليج آنذاك، كما خضعت للبريطانيين محميات عدن والجنوب، وأكثر جزيرة العرب، وخضع لهم كل من فضَّل حكمهم على حكم الدولة العثمانية، وظلوا في الخليج حتى حل محلهم الأمريكان الذين جاؤا بأسطولهم الضخم وحاملة طائراتهم، وجعلوا المنامة مقرا لذلك، ولم يخرج عن نفوذ الانجليز إلا آل عايض في أبها في الجنوب، وآل الرشيد في حائل، وكل ما عمله الانجليز وما كوتبوا به نشرته الوثائق البريطانية ونقله المؤرخ الانجليزي "لوريمر"، وهو كذلك محفوظ

في المتاحف التركية والمصرية، ومنشور أيضا في صحف تركيا ومصر، وبعض ما فعله خونة العرب نشره كتاب "إطلاعات" الذي كتبه جمال باشا التركي.

والحاصل أن أولئك النصارى في الحبشة تعاونوا مع نصارى الغرب، وممن تعاون معهم الملك الحبشي "منلك" ثم "هيلاسيلاسي" أي الحَيْل الثلاثي أو القوة الثلاثية، ويعني بالقوة الثلاثية الأب والابن وروح القدس! أما "منلك" المسلم فقد أهملوا ذكره كما أهملوا ذكر النجاشي من قبل، ومن التجراي حكام أريتريا اليوم.

وليست مشكلة "أسياس أفورقي" هو تأييده المطلق لدولة إسرائيل وإعطاؤها بعض الجزر أو سجن المسلمين وتجنيد المسلمات أو فتح بلاده للتشيع، ليست هذه فقط على ما فيها من شر، بل هو نصراني حاقد متعصب -وكل نصارى التجراي- يجب دعوتهم وبيان الحق لهم، ويجب الضغط عليه لكي يتيح نشر السنة والعقيدة الصحيحة وتعليم اللغة العربية وإخراج كل المسلمين من سجونه، كما يجب طرد جماعة الأحباش من إثيوبيا وأريتريا، ومنعهم من العمل هنا، ومنع شيخهم من الدخول والعلاج في جدة، ومحاربة فكرهم بالحجة والبيان، ويجب تأييد المجاهدين في "أوغادين" وفي إريتريا وطرد كل الأساطيل النصرانية من البحر الأحمر والخليج، وأن يلتزم الأمريكان حدودهم التي نص عليها القانون الدولي، وليس منها قطعاً احتلال البحر الأحمر والخليج بالذريعة الباطلة، وهي أنها مياه دولية، وبهذه الذريعة نزل اليهود في جزيرة "دهلك" وجزيرة "حنيش" وغيرها من الجزر التابعة لجزيرة العرب، وقد رأيت بعيني الأساطيل الأمريكية في البحر الأحمر فأين أمريكا من هذا البحر ومن الخليج، وهل للقرصنة معنى أعظم من ذلك؟

كما نقول لهؤلاء المستعمرين الجدد إن أمن الخليج هو مسؤولية أبنائه وليس مسؤولية الأمريكان ولا غيرهم، ويجب على أبنائه أن يعلنوا الجهاد، ويتعين ذلك عليهم إذا دهمهم عدو.

كما ينبغي للمسلمين أن ينكروا الإساءة إلى أي نبي، وأن يفرقوا بين

مرحلتين في الأديان المنزلة: ١- مرحلة ما قبل النسخ والتحريف، ٢- مرحلة ما بعد ذلك، ومن الإساءة إلى المسيح عليه السلام أن يصوره هؤلاء كما صور المشركون إبراهيم وإسماعيل وهما يستقسمان بالأزلام، وهؤلاء الذين يدعون حب المسيح عليه السلام يصورونه على صورة اليهود أو العرب الذين يرونهم في هولندا أو في إيطاليا أو أسبانيا، وربما صوروه أشقر روميا، وكل ذلك من الظن والإفك، بل إن "دافنشي" الذي لم ير المسيح قط صوّره في إحدى لوحاته وسماها "مخلص العالم"، وبيعت ب٤٥٠ مليون دولار في هذه الأيام، أي أكثر من مليار ونصف مليار ريال! وصوروا حياته الجنسية كما يزعمون، أما التماثيل له ولأمه الصدِّيقة، فأنت تراها في ميادينهم خصوصا في أمريكا، وهناك سموا إحدى الولايات باسم العذراء "فرجينيا"، ولم تقتصر صور المسيح عليه السلام على أفلام "هوليود" بل تراها في القنوات التلفزيونية وتعرضها كثيرا القنوات الأصولية، وهذا بعض إفك النصارى وابتداعهم.

- المسيح في الأناجيل:

وفي آخر الكلام الموجز عن النصرانية أقدم للقارئ الكريم ما في الأناجيل نفسها وبعضه تقدمت الإشارة إليه، وأهم ذلك حقيقة المسيح كما في الأناجيل وأنه ليس إلها كما يعتقدون.

وفي الأناجيل الأربعة بما فيها من تناقض وما دخلها من التحريف، ومع اختلاف النصارى في حقيقة كاتبيها، وجهالة مترجمها صورة للمسيح عليه السلام مغايرة لما يعتقده فيه النصارى، بل يبنون عليه دينهم، فليس فيها مثلا التثليث و"الخطيئة الأصلية"، ولا الألفية السعيدة، ولا إلى ما يدعو إلى الوهية المسيح، ولا فداء الإنسانية، ولا الحلول، ولا عيد الميلاد، وليس فيها أن المسيح عليه السلام ادعى أنه هو النبي الذي يخبرهم عن كل شيء، بل صرح بأنه غيره، وصرح بأن القبلة سوف تتغير.

وليس فيها أن النصرانية دين عالمي بشّر به غير اليهود، ولا أن بعض شرائع التوراة منسوخة كالختان، أو بعض أحكامها كأكل الخنزير.

وليس فيها ذكر أن إبراهيم عليه السلام كان يهوديا.

وليس فيها ذكر للرهباينة قط، وإنما فيها:

١- إنه إنسان، ففي يوحنا (فصل ٨ عدد ٩): أنه قال عليه السلام: "أنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله".

وفي الفصل التاسع منه (عدد ١١) أنهم سألوا الأعمى من الذي عالجك فقال: "إنسان يقال له يسوع".

٢- أنه نبي، ففي يوحنا الفصل الرابع منه (عدد ٢٠) تقول له المرأة: "يا سيدي أرى أنك نبي" ويقرها على ذلك.

٣- أنه يسبّح الله: ففي لوقا: الفصل التاسع منه (عدد ٢٠) يقول له بطرس (كبير الحواريين): "تسبح الله" ويصمت عليه السلام مقرا بذلك.

٤- أنه معلّم، ففي إنجيل متى الفصل التاسع عشر قال له بعض جلسائه: "أيها المعلّم"، ومثله في الفصل الثالث عشر من لوقا، كما في الفصل العاشر من إنجيل مرقص، وفي الفصل الأول من يوحنا عدد ٨ "ربي الذي تفسيره يا معلّم".

وكذا في لوقا الفصل الثاني والعشرين (عدد ١٢).

وفي يوحنا الفصل الثالث عشر عدد ١٤: أنه أرسل عليه السلام رجلا إلى آخر وقال له: "يقول لك المعلِّم" أي نفسه.

وفي يوحنا الفصل الثالث عشر (عدد ١٣) يقول المسيح عليه السلام: "أنتم تدعونني معلما وسيدا وحسنا تقولون، لأني أنا كذلك".

٥- وهو أيضا لا يعبد إلا الله الواحد، ففي تجارب إبليس له يقول: "مكتوب (أي في التوراة) لا تجرب الرب إلهك".

وفي (لوقا فصل ٤ عدد ٩) يقول: مكتوب "للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد".

وفي (مرقص فصل ١٢ عدد ٢٩): "الرب إلهنا رب واحد".

٦- في الأناجيل أن المسيح عليه السلام كان يصلي فلمن يصلي؟

انظر مثلا:

(متى فصل ٢٦ عدد ٢٩).

وفي (مرقص فصل ٥ عدد ٤٦).

وفي (لوقا فصل ٦ عدد ١١): "وقضى الليل كله في الصلاة لله".

وفي (مرقص فصل ١ عدد ٣٥).

ومنها أنه لا يعلم الغيب:

ففي متّى (فصل ٢٤ عدد ١-٣): قال المسيح عليه السلام "وأما ذلك اليوم (يعني يوم القيامة) وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا ملائكة السماوات إلا أبي وحده".

ومثله في (مرقص فصل ١٣ عدد ٣٤).

٧- ومن أقواله فيها إجلال لله تعالى: ففي إنجيل (متى فصل ١٩ عدد ١٧) يقول المسيح عليه السلام لمن دعاه "أيها المعلم الصالح" "لماذا تدعوني صالحا ليس أحد صالحا إلا الله وحده"، ومثله في (لوقا فصل ١٨ عدد ١٩)، وفي (مرقص فصل ١٠ عدد ١٨).

٨- وفي الأناجيل ما يدل على أنه ليس هو الله كما يزعم النصارى: ففي (لوقا فصل ٢ عدد ٥٢): "أما يسوع فكان يتقدم في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس".

٩- وفي الأناجيل كلها أن الناس كلهم وكذا الملائكة كلهم أبناء الله، أي عياله كما تقدم.

فمثلا في (يوحنا فصل ٨ عدد ٩) يقول المسيح لبني إسرائيل: "أنتم من أب هو إبليس"، وفيه (فصل ٢٠ عدد ١٧): "إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم".

وفي (لوقا فصل ٢٠ عدد ٢٦) يقول المسيح: "هم أبناء الله إذ هم أبناء القيامة".

١٠- وفي إنجيل مرقص ينكر المسيح على بني إسرائيل ترك كتاب الله واتباع فقهائهم (فصل ١١ عدد ٩) "تركتم وصية الله وتمسكتم بتقليد الناس".

والمسيح عليه السلام إنما يدعو إلى وصية الله، ومن ذلك العمل بكتاب الله واتباع سنة نبيه الخاتم ﷺ.

ومن ضلال النصارى أنهم ينتسبون إلى شخص المسيح عليه السلام، فأي نصراني تقابله اليوم يقول إنه مسيحي أو كريستياني كما يزعمون، بينما ينتسب المسلمون إلى الإسلام لله فلا يقولون محمديين كما يقول هؤلاء النصارى وكنائسهم، وكما يقول باحثوهم مثل "بوش الجد"، وكانت الكنيسة منذ القديم تقول "هرطقة المحمديين" تحقيرا منها للإسلام، والله تعالى يقول في كتابه إن اسمنا (المسلمين)، فنحن لا نعبد إلا الله ولا ننتسب إلى شخص ولو كان رسول الله ﷺ.

بل إن بعض الباحثين الغربيين بتاريخ الأديان ومقارنتها يقولون إن أصل تسمية "كريستيان" هو "كريشنا" الهندوسي!

- هل يختلط الله بالبشر؟

يزعم الأصولي الأمريكي (شورش) ضمن كلامه عن تجسد المسيح عليه السلام أنه لا بد أن يختلط الله بخلقه.

وهذا باطل والرد عليه من وجوه كثيرة منها:

١- أن الله تعالى عليم بكل شيء وهو مستوٍ على عرشه العظيم، وهو قادر على خلاص الخلق وهو على عرشه، فلا حاجةً للنزول إلى الأرض.

٢-أن الأرض مهما كبرت أو اتسعت لا تستطيع الصمود للعلي الكبير سبحانه، ولما تجلى الله تعالى للجبل جعله دكا.

٣- أن القرآن وهو كلامه بين أيدينا ونعجز عن استيعابه، وإذا عجزنا عن الصفة فنحن عن الموصوف أعجز.

٤- أن التجسد في حق الله تعالى دخول في الكيفية التي لا يستطيعها عقل بشري، ونهى السلف الصالح كلهم عنها. ونحن تقاصر إدراكنا عن عالم الشهادة فكيف نحاول فهم عالم الغيب؟ وهو تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وكل من العالمين له قوانينه وطبيعته فكيف ندعي العلم بما وراء (جدار بلانك).

٥- أن الكفار كذبوا الرسل وهم بشر مثلهم، فكيف لا يكذبون الذي أرسلهم ويقولون إذا رأوه: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَـٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحِجر:١٥].

٦- أن الدجال يدعي ذلك، ولكن أهل البصيرة والتقوى يعلمون أنه ليس الله، فبماذا يفرق النصارى بينهما؟

٧- أن العبارة الوحيدة في الأناجيل الدالة على التجسّد، هي قول يوحنا أول الإنجيل المنسوب إليه "والكلمة حلَّ بيننا"، وهي عبارة تناقض ما قبلها (في البدء كان الكلمة وكان الكلمة الله وكانت الكلمة عند الله)، فكيف هو الله وعند الله ويحل بيننا؟ هذا غاية التناقض. وهذا على أية حال فلسفة أفلاطونية ليس من كلام المسيح أو أحد الحواريين.

٨- أننا منهيون عن ضرب الأمثال لله تعالى ﴿فَلَا تَضْرِبُواْ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾ [النحل:٧٤].

وهذا القول الذي يقوله "أنيس شورش" ليس في شيء من الأناجيل الأربعة، وإنما هو من ابتداعات رجال الدين الذين أضافوا ما تشتهي أنفسهم إلى الأناجيل، وجعلوه هو العقيدة، والأناجيل تصرح بأن المسيح عليه السلام كان يصلي، ولم يدع مرة واحدة أنه هو الله أو أن الله حل فيه ونزل إلى الأرض!

نصيحتي إلى أنيس شورش:

من محبتي الخير لأنيس شورش أنصحه أن يسلم وأن يعيد قراءته عن الإسلام، وهو عربي فلسطيني مثلما كان إدوارد سعيد أستاذ الأدب الانجليزي في جامعة كولومبيا قبل وفاته.

وعلى السيد أنيس أن يتذكر كلمات أمين نخلة حين يقول: "كلما قرأت عن الإسلام لمت نفسي على أنني لم أسلم"، والله تعالى هدى "منير شفيق" ورفعه بالإسلام وكذلك أحمد فارس الشدياق وغيرهما.

وما أظن السيد أنيس إلا قارئا مطلعا على أصل التثليث النصراني ومنشئه، وما أظن عقله يستسيغ مثل هذه الخرافة الوثنية معرضا عن التوحيد الذي فطره الله عليه.

وأنا لست كالشيخ أحمد ديدات أناظره لأغلبه، ولكني أحيل السيد أنيس إلى عقله ونفسه ومستعد للإجابة عن أي شبهة قد تعرض له.

وليعلم أنه لن يخسر موسى وعيسى عليهما السلام إذا أسلم، وأنه بذلك يتجنب عذاب الله في قبره يوم يدفنونه وحيدا لا كنيسة ولا إعلام، وأننا إنما ندعوه لملة إبراهيم عليه السلام التي أوحى الله إلى نبيه محمد ﷺ باتباعها.

وقد قال تعالى عن مسلمي أهل الكتاب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾ [القصص:٥٤].

ولما كتب النبي ﷺ إلى هرقل قال له: (أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين).

وليقرأ إن شاء قوله تعالى: ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

وليس من العقل ولا من المنطق ولا من الديمقراطية التفريق بين رسل الله، فالمسيح ومحمد صلى الله عليهما رسولان كريمان يجب على أهل الأرض كلهم احترامهما وحبهما.

كما أن السيد أنيس أعلى مترلة عندي من الرئيس جورج بوش، وأنا واثق كل الثقة في عقله وفهمه، وأذكره بقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ:٤٦].

وليعلم السيد أنيس أن نبي الاسلام محمدا ﷺ أكثر منه براءة حين الهمته شرطة ولاية ألاباما الأمريكية، بل حينما الهمه مخالفوه من النصارى وبعض المسلمين بما ليس فيه، وأنه لا يعيبه أن يقال إنه تحول عن أفكاره ومعتقداته القديمة.

فهذا شأن كل مفكر مستقل العقل، وليعلم أن ما رآه في الناصرة أو القدس من طباع بعض المسلمين لا يمثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، كما أن ما عليه الفاتيكان اليوم لا يمثل أخلاق المسيح عليه السلام.

الأناجيل القديمة:

حدثني عن هذه الأناجيل القديمة أخ مسلم من الكونغو كان مندوبا للفاتيكان في منظمة الوحدة الأفريقية، وأخ ثان من غامبيا كان نصرانيا يخدم البابا في الفاتيكان، كما تحدث عنها بعد طول دراسة وتنقيب الأخ الفترويلي "الفريدو كرابيلو" في كتابه المنشور (حبي العظيم للمسيح قادني إلى الإسلام)، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح" عن ابن قتيبة وابن ظفر ما يؤكد ذلك.

وربما كان هذا هو الدافع لابن ظفر أن يؤلف كتابه "البِشَر بسيد البشر" ﷺ جامعا ما ورد من البشارات عن رسول الله ﷺ.

وصدق الله ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣]، والكشوفات الكونية إحدى الآيات، والمسلمون هم الأمة الوحيدة في العالم التي تعبد الله عن ثقة ويقين.

ومن الأناجيل التي لا يعترف بها النصارى لأنها توافق القرآن وتخالف الأناجيل الأربعة "إنجيل توما وإنجيل برنابا وإنجيل الطفولة والأناجيل العبرانية

والأناجيل السلتية أو الكلتية"، ولم يناظرهم الشيخ أحمد ديدات فقط، بل ناظرهم البروفيسور "بات إبرمان" من جامعة كارولينا الشمالية.

بل إن الباحثين الغربيين أنفسهم يقولون إن الكتاب المقدس "البايبل" شتات مركب ابتدأه مؤلفوه الكثيرون بعد موسى عليه السلام ب ٩٠ سنة، واستمر ذلك على مدى قرون، وما يكتشف من المخطوطات القديمة يناقض عقائد التوراة والأسفار والأناجيل الرسمية، ومن ذلك مخطوطات كهوف قمران ومخطوطات نجع حمادي، هذا عدا ما يوجد في الحبشة واليمن وآسية الوسطى وبلاد الشام، بل في مكتبة الفاتيكان السرية نفسها من المخطوطات القديمة، وبعضها أقدم من الأناجيل الأربعة، وبلغة المسيح عليه السلام نفسها وليس باللغة اليونانية.

وكيف تكون قصة موت موسى عليه السلام وقول الكاتب ولم يعرف أحد قبره إلى اليوم، وحيا من الله لموسى عليه السلام، وهكذا يظهر لك ما في قرارات مجمع "ترنت" وكتابات منيس عبد النور، وما قرره البابا شنوده، وكتابات إبراهيم لوقا من مخالفة الحقيقة.

وبالنظرة الموضوعية البحتة نجزم أنه لا يمكن أن يتباين كلام الله هذا التباين العميق بين الأناجيل في المسألة الواحدة، كمسألة نسب المسيح عليه السلام التي ذكر بعض الأناجيل أن بينه وبين داود ٢٣ جيلا، بينما يجعلها بعضها ٤٢ جيلا!!

ومع هذا التفاوت والاختلاف يقول بعض مسؤولينا للبابا: يا صاحب القداسة، فهل نحن حقا دولة توحيد وعقيدة؟ وقد قال لي أحد المسؤولين الكبار الذي جعلوه قبل وفاته وليا للعهد: إنه زار البابا النصراني وخاطبه بقوله: يا صاحب القداسة؟ فأي قداسة لمن يزعم أن لله ولدا؟ وقال نائبه في فندق أجياد بمكة بعد حرب الخليج المعروفة: "إذا لم نعتبر ونقوي جيشنا بدل الاعتماد على أمريكا فنحن حمير". ولا شك أن من يعتقد أن النصر يأتي بمتابعة الغرب أضل من حمار أهله.

وأن البابا لا قداسة له أبدا، قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]، وقال: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا﴾ [مريم:٨٨-٩١] الآيات، ودعوى هذا المسؤول أن عقيدته التوحيد، مثل دعوى إحدى الجماعات المدعية للسلفية التي كتبت "الدعوة السلفية ترحب بقداسة البابا"!!

فأية سلفية؟ وأية قداسة؟ وأي توحيد؟

ماذا يعرف الغرب عن نصرانيته:

أكثر الغربيين اليوم مثل نصارى بني تغلب في صدر الإسلام، فقد كان نصارى بني تغلب ليس فيهم من النصرانية إلا شرب الخمر وأكل الخنزير، والغرب اليوم ليس فيه من النصرانية إلا بقايا بعض اعتقاداتها، والغربي يتعصب لنصرانيته حتى ولو كان ملحدا، مثلما ظهرت في أمريكا الأصولية اليسارية، وهو صليبي غالبا، ويحق للمسلمين أن يعاملوا نصارى الغرب معاملة أهل الكتاب، إلا من عرفنا بعينه أنه ملحد فيعامل معاملة المشرك.

الأميشون:

بعض الفرق النصرانية الغالية تحرم أي وسيلة حضارية، وهم إلى اليوم يركبون الدواب ويحرثون عليها، ويحرمون الساعات والسيارات وأمثال ذلك، وينتشرون في أمريكا لا سيما في بنسلفانيا القريبة من نيويورك، ويسمون أنفسهم الأميشيون، ولو كانوا مسلمين لأطنبت في وصف غلوهم "العبرية" و"الإخبارية" والـــ"ام بي سي" و"روتانا" والليبراليون.

ولأكثر الكتابة عنهم تركي الحمد وقينان وعثمان العمير وأضرابهم.

ولتردد الحديث عنهم في "الوطن" و"عكاظ" و"الرياض" وكل الصحف، ولأفتى علماء السلطان بأنهم فئة ضالة مارقة دخيلة! يحق لولي الأمر

سجنهم كما يشاء. أما هناك في الغرب فهم يمارسون حريتهم وحقهم في التدين الذي يكفله لهم القانون. فاكتبوا أيها الليبراليون عن هؤلاء، إن كنتم وطنيين!.

أين الفاتيكان اليوم؟

كثر الفساد وكثرت الفضائح في الفاتيكان، وكثر التراجع عن النصرانية حتى أن بعض البابوات لم يبق في البابوية إلا بضع عشرة ليلة، وبعضهم استقال من المنصب، وبعضهم بقي ولكن يصلي كصلاة المسلمين، والبابا الحالي "فرنسيس" درس في جامعة القرويين بالمغرب وهو من طائفة الجزويت أي اليسوعيين، وهي طائفة نصرانية كانت حينا من الدهر غير معترف بها من البابوية.

وليس أضل من هؤلاء إلا من يحاورهم على غير الكلمة السواء التي ذكر الله، ويعترف بصحة دينهم وأنه توحيدي كما يقال!

وبعض البابوات كان يخفي يهوديته كما يحكون عن البابا "هلدبراند" السابع، وبعضهم يكتم إسلامه كما يحكى عن البابا يوحنا بولس السادس، وبعضهم له آراء صادمة مثل البابا الحالي فرنسيس..

التوحيد والسيمونية:

هب أن النصارى لا يقولون إن الله ثلاثة فرضا، أليسوا على الأقل مخالفين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من جهة تعظيم الأموات وبناء الكنائس عليهم واتخاذ مريم عليها السلام شفيعة ووسيطة لهم، فهم كما قال الله تعالى عن المشركين الجاهليين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣]، فكيف يحاورونهم بشرط عدم ذكر هذه العقيدة أو الحوار فيها!

والكاثوليك البابويون الذين يحاورهم بعض الناس، هم فوق أنهم على عقيدة التثليث المعروفة، يدعون إلى الشرك الذي كان عليه قوم نوح عليه

السلام، وقد أنكر على النصارى قبل "لوثر" "أكهام" الانجليزي و"مرسيلوس" الإيطالي.

والكنيسة حاربت ما سمته "السيمونية"، والسيمونية هي أن يكون اختيار البابا بيد الامبراطور أو الملك، وقالت إن البابا ينتخبه الكرادلة من بينهم، ولا دخل للملك في ذلك، وعليه يكون اختيار الحكومة المصرية لشيوخ الأزهر واختيار الحكومة السعودية لأعضاء هيئة كبار العلماء نوعا من السيمونية غير مقبول.

هل صلب المسيح:

تقول بعض الأناجيل المنتشرة اليوم إن المسيح عليه السلام لم يصلب، وأشهرها إنجيل برنابا الذي يدعي النصارى أن المسلمين هم الذين كتبوه، ونحن إنما نخاطب النصارى بالحق، ومما ينقض كلامهم:

١- أن الأناجيل السلتية أو الكلتية تشهد له.

٢- أن بيئة نصرانية ومترجمه إلى العربية نصراني.

٣- أن الكنيسة الملكية إنما اختارت الأناجيل الأربعة بواقع ٣١٨ صوتا من ٢٠٠٠ قسيس، فأين بقية الألفين؟ ولم لا يكون للألفين أو بعضهم أناجيل ومنها انجيل برنابا؟

٤- أن شبهة النصارى هي وجود كلمات عربية ساذجة عليه، وهل كانت لغة العالم حينها إلا العربية وهل يقول العرب كامل بيان، وكيف نقدم هذه التعليقات والحواشي على المتن.

٥- ما المانع أن يكون الحق واحدا وأن يشبه هذا الانجيل ما ورد في القرآن لاسيما قوله إن المسيح لم يصلب، ولكن الله ألقى شبهه على الجاسوس الخائن "يهوذا". وهل كان بيلاطس أو أحد جنوده يعرف المسيح أصلا؟

٦- أيهما اللائق بالمسيح عليه السلام وبآياته التي في الأناجيل الأربعة، أهو الصلب أم الرفع، وأيهما أدل على قدرة الله تعالى؟

٧- يقول النصارى إن المسيح عليه السلام جزع وتضرع لله تعالى ليلة القبض عليه، فهل استجاب الله له؟

٨- تصرح التوراة بأن المصلوب ملعون، فأيهما أكثر موافقة للتوراة ما في إنجيل برنابا ويعتقده المسلمون، أم ما في الأناجيل المختارة عند النصارى؟

٩- برأ المجمع المسكوني النصراني المنعقد سنة ١٩٦٢ اليهود من دم المسيح، أليس هذا قريبا من قول إنه لم يُصلب.

١٠- تقول بعض فرق النصارى اليوم إن المسيح لم يصلب ولم يقتل، فالحق تقوله طائفة منهم وإن قلّت أو ليس لها ظهور إعلامي كظهور أهل الصلب وهل تدل الأناجيل السرية على غير ذلك؟ وهل تدل المخطوطات القديمة من الأناجيل وغيرها على أنه صلب؟

١١- بأي منهج علمي يكون كلام بولس حقا وكلام برنابا باطلا؟ ولم لا تقولون على الأقل تعارضا فتساقطا، ويجب البحث عن مصدر ثالث، والنصارى يقرون أن بولس لم يكن حواريا وأنه كان يضطهد النصارى قبل المخاطبة التي زعم، كما قال في أعمال الرسل، وهذه المخاطبة هو وحده مصدرها وشاهدها!

وهو يقر بنفسه أنه يهودي وبماذا وصفت التوراة اليهود؟ وبماذا وصفهم المسيح كما في الأناجيل الأربعة؟ (أعيدوا قراءة العهد الجديد ومنه أعمال الرسل).

ابتداع النصارى في العبادات:

ليس ابتداع النصارى في الألوهية فقط، بل إن ذلك في العبادات أيضا، خذ مثلا الصوم، فالله تعالى كتب على النصارى أن يصوموا شهر رمضان الذي كان يصومه إبراهيم عليه السلام، وقال بذلك كثير من السلف، وكان

شهر رمضان -كما هو اليوم- يدور طول فصول السنة كلها تبعا للتقويم القمري الذي عليه كل الأنبياء، ولكن النصارى جعلوه في الربيع وقالوا نزيد عليه تكفيرا عن نقله فجعلوه ٥٠ يوما، وأقرهم الإمبراطور الوثني الروماني قسطنطين بن هيلانه" على ذلك أو هم أقروه.

وبعض النصارى اليوم لا يصوم إلا عن بعض الأطعمة كاللحم والبيض أي أنهم استحدثوا بدعة جديدة غير بدعة النقل إلى الربيع.

والحاصل أن هذا الدين التركيبي بدع في عقائده وعباداته، فلا غرو أن يفر منه المنكرون الأحرار في الغرب.

ولو أن بابا الفاتيكان زار إحدى الدول وذلك قليل عادة، وأقام فيها ما يسمونه "قداسا" وحضر ما يحضر في المسجد الحرام في فريضة يومية واحدة من الفرائض الخمس، لملأ النصارى الدنيا فخرا وأطنب الإعلام في الحديث عن هذا الحشد الكبير!

فانظر كيف شرفنا الله بهذا البيت العتيق واستجاب دعوة خليله إبراهيم، ولو أنهم يفتحون المجال لكل حاج أو معتمر ويجعلون ذلك مجانيا والسكن في مكة مجاني والأوقاف هي الأصل لضاقت مكة بالقادمين إليها.

وكان ينبغي لبابا الإلحاد (اليهودي المجنون نيتشه) الذي قال "إن الله قد مات" أن يقول "إن الشيطان قد مات"، لأن إيمان النصارى بالخطيئة الأصلية التي كان عليها المجتمع النيتشوي تقتضي وجود شيطان أو كما تقول التوراة "حية"، تغري بالأكل من الشجرة، غير أن نيتشه فر من خرافة إلى خرافة أكبر منها!!

ماذا لو أسلم النصارى؟

ينبغي أن يعلم كل نصراني أنه لن يخسر المسيح عليه السلام إذا آمن بمحمد ﷺ، وليعلم كل شيعي أنه لن يخسر محبة علي وأهل البيت الشريف إذا ترضى عن أبي بكر وعمر وأصبح من أهل السنة، وهل خسر النصارى اليوم

في أنحاء الأرض إيمانهم بعيسى عليه السلام لما آمنوا بموسى عليه السلام، وقد قال كثير من الغربيين لما أسلم "ربحت محمدا و لم أخسر المسيح"، أو "حبي للمسيح قادني إلى الإسلام"، وقال كثير من الشيعة "حبي لأهل البيت جعلني أتسنن"، فالإسلام دعوة الله للإنسانية والرقي الفكري وهو يحارب التعصب والعنصرية، وهو دين الله الذي أنزله للبشرية جميعا، وكله عدل وحكمة وحرية.

ومما يدلك على حيرة النصارى وكثرة تنقلهم ما فعله شخص مشهور هو "توني بلير"، فإنه بعد تركه رئاسة الحكومة وزعامة حزب المحافظين البريطاني، تحول من الإنجليكانية التي كان عليها إلى الكاثوليكية التي يدين بها قلة من البريطانيين، ربما كان أشهرهم الروائي "جراهام جرين"، وهكذا انتقل المسكين من تثليث إلى تثليث، وكان الأولى به أن يتحول إلى الإسلام ويقرأ ترجمة القرآن والصحيحين.

والحمد لله على أنه يقرأ ويتنقل من دين إلى دين، وإذن إمكانية الانتقال واردة، ومن يدل هذا المسكين على الإسلام فله من الله عظيم الأجر، وأرى أن من واجب الإخوة في بريطانيا أن يتابعوه أو يبينوا له حقيقة الإسلام ومحاسنه، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها.

هيئة الأمم المتحدة والدين الإنساني

تحاول الأمم المتحدة وضع دين إنساني للعالم كله يقوم على التجربة البشرية والعلم البشري، وترى أنها الحكومة العالمية وأن من واجبها انتقال الناس من عصر الذكر والأنثى إلى عصر الجندر، ومن الاقتصاد المحلي إلى عصر الاقتصاد المعولم، وهذه الأهداف بالتأمل هي من الأذرعة التي تستخدمها القوة الناعمة الأمريكية، وتدعو إليها الماسونية، ومعلوم أن أمريكا اليوم تتزعم العالم الغربي الرأسمالي، والحضارة الغربية البائسة، وهي التي ترسم سياسة هيئة الأمم المتحدة، والأمم المتحدة تتابع خطاها، وتستغل هيئة الأمم لنشر الثقافة الغربية والعولمة (الأمركة)، ولذلك تجد كل عيب في أمريكا موجود في هيئة الأمم، ومن ذلك أن ما تفعله أمريكا أو تبيحه قانونيا من الفواحش تجده في هيئة الأمم المتحدة سابقا أو لاحقاً، وقارن مثلا مقررات المؤتمرات السكانية في بكين أو القاهرة أو صنعاء بقرارات المحكمة الأمريكية العليا.

فلنلق نظرة خاطفة على أمريكا ننطلق منها إلى بيان حكم الانضمام لهيئة الأمم المتحدة:

أمريكا لا تقف إلا مع العلمانيين أو الصوفية أو المبتدعة عموما أو مع من يقول الأمريكان إنهم معتدلون!

أما عدوها اللدود فهم الوهابية، أصحاب الفكر الذي يسمونه متطرفا، ولا تخفي أمريكا عداوتها للوهابية كما تسميها، بل أرسلت لجنة خاصة إلى وزير العدل السعودي السابق (العيسى)، وكتب "فريدمان" رسالة إلى صالح آل الشيخ.

وأوجبوا على السعودية تغيير مناهجها الوهابية، وأصدروا قانون "جاستا" رابطين بين تلك العقيدة والإرهاب، وعقد الكونجرس جلسة استماع خاصة عن الوهابية، ولما زار "ترامب" الرياض كان موضوع الوهابية أحد الموضوعات التي ناقشها مع المسؤولين السعوديين، وصرح بذلك علنا وزير خارجيته "ريكس تليرسون".

وأمريكا تدعو علنا إلى ما تسميه القيم الكتابية (اليهودية والنصرانية) باسم القيم الحديثة.

وأهل الكتاب يحسدون المسلمين ولا يتمنون لهم إلا الكفر والشر، قال أصدق القائلين جل شأنه ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥].

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٠٠].

ومن عقيدة أهل الكتاب الفاسدة -لاسيما أمريكا وإسرائيل- أن اليهود والنصارى وحدهم يدخلون الجنة، وأننا -نحن المسلمين- وثنيون سوف ندخل النار!

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١-١١٢].

أما من دعا إلى الله أو صلى أو حج فهو أصولي إرهابي متطرف تكفيري داعشي وثني طائفي ينفي الآخر، يدعي احتكار الحق ولا يؤمن بالديمقراطية وحقوق الإنسان... الخ تلك التهم، وأشنع من ذلك عندهم من يجاهد اليهود لاسترداد مقدساته وأرضه.

ومن العبث أن يحاول بعض الناس استرضاءهم بمئات المليارات من الدولارات، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة:١٤٥].

وأمريكا هي كما قال إدوارد سعيد: أكثر دول العالم انشغالا بالدين، ودينها هو البروتستانتية غالبا، وقليل من اليهود والكاثوليك ورؤساؤها ومسؤولوها يفاخرون بدينهم، فمثلا الرئيس "جيمي كارتر" قس معمداني، و"بوش" معمداني، و"مادلين أولبرايت" يهودية، و"هيلاري كليتنون" مثيودية، و"رامسفلد" خريج الجامعة البروتستانتية، و"أوباما" مرتد وهو الآن معمداني، و"دالاس" من الموحدين النصارى، وأكثر الأمريكان على مذهب "كالفن" الذي يقال إنه يهودي، وممن يقول ذلك منظمة "البناي برث"، اما ترامب فهو أسقفي إنجيلي، وأستاذه بانون يقول إنه من الروم الكاثوليك، وقد كان جون كندي كاثوليكيا.

وأمريكا وإن كان دستورها علمانيا تتعصب لدينها، وكنائسها أصلا علمانية تعمل بموجب القول المنسوب إلى المسيح عليه السلام: "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، وتؤوله البابوية ليصبح مثل قول المشركين ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦]، وعلمانية أمريكا لا تعني أبدا أنها تعادي النصرانية، وليس هذا قول رجل واحد منهم فقط، بل وقع عليه منهم ستون مثقفا لتأييد بوش الصغير، وقالوا إنما كانت أمريكا علمانية ليرتفع بها الدين، أي أن أمريكا تؤمن بأن الحياة الإنسانية قابلة للتجزؤ.

وقد جاهر "بايدن" نائب أوباما في محطة "سي إن إن" بأنه صهيوني، كما أنه ارتدى القبعة السوداء على رأسه لما زار حائط المبكى، ومنعت تلك الحكومة الصهيونية دخول المسلمين إلى أمريكا ولو كانوا قادمين من بريطانيا، ولما تولى الرئاسة وزار الرياض زار إسرائيل واستلم حائط المبكى منفردا عن إيفانكا، لأن الطقوس اليهودية تمنع زيارة النساء له.

وصهر "ترامب" "جاريد كوشنر" زوج "إيفانكا" بنت ترامب يهودي معروف، ومن أراد الاطلاع على ما يكتبه عن الإسلام بعض هؤلاء ويعرف

ضحالة معلوماتهم عن الإسلام فليقرأ مثلا كتاب: (محمد مؤسس إمبراطورية المسلمين لبوش الجد) وهو مترجم إلى العربية.

وتقف أمريكا مع اليهود والنصارى وتعادي الإسلام في كل مكان، من قبل كيسنجر وبعده، وحق النقض في مجلس الأمن "الفيتو" دائما لصالح إسرائيل، والرئيس الأمريكي سواء أكان جمهوريا أو ديمقراطيا يقف مع الصهاينة ويعادي الفلسطينيين، ويقول إن الفلسطينيين عدوانيون إرهابيون، ويستقبل "الدالاي لاما" زعيم التبت البوذي الذي يدعي أنه تجسيد لبوذا وأنه إله من دون الله، ولا يتحدث الرئيس عن مسلمي تركستان وهم أضعاف أهل التبت.

وأمريكا هي التي قصفت مصنع الدواء في الخرطوم وسعت إلى فصل جنوب السودان ليكون حكامه نصارى أي أن حكام جنوب السودان غير إرهابيين عندها مع ما بين أهل الجنوب من خلاف واقتتال.

أما السودان نفسها فإذا وقفت ضد إسرائيل فإن أمريكا تثير عليها القلاقل الداخلية وتطلب محاكمة عمر البشير وتحاصرها.

وأمريكا هي التي منعت العمل الخيري في السعودية ورعاية الأيتام، وراقبت الحسابات البنكية! وجعلت عملة العالم هي الدولار.

وتحيز أمريكا مكشوف، وسياستها ظالمة، ومعاييرها مزدوجة، وسيطرتها على هيئة الأمم معروفة.

ويزعم الأمريكان أنهم من بقايا الحجاج والمتطهرين "بيوريتان"، أو هم أسباط بني إسرائيل وأرضهم أرض الميعاد، وذلك ما صرحوا به لما تدفقوا إلى العالم الجديد، ويقول رؤساؤها علنا إنهم يؤمنون بملحمة "هرمجدون"، وإن بركة أمريكا إنما سببها أنها تبارك إسرائيل وتقف معها.

وينسى كثير منهم ما جلبوه على الهنود الحمر وعلى السود من المآسي الكثيرة، وأن كثيراً من الأمريكان هم من سلالة اللصوص الذين كانت بريطانيا تقذف بهم إلى هناك، ولا يجوز تصديق أمريكا في أي تصريح أو قول

إلا بعد دراسته وتمحيصه، على أن العدل الذي أمرنا الله به يوجب أن نذكر ما نعلم عنها من الميزات التي لم يأخذ بها السيسي وإخوانه، فمما عليه الأمريكان وقد ينفعهم في دنياهم:

١. أنهم يسمحون للموحدين من النصارى بأن ينشؤوا جمعيات كما في ولاية أوهايو. وقد يترأس أمريكا كافر بالتثليث مثل وليم تافت الذي حكمهم سنة ١٩٠٩م ثم أصبح عضوا في الكنسية اليونيفرسالية و"هربرت هوفر" الذي حكم أمريكا ابتداء من سنة ١٩٢٩م -١٩٣٣م.

٢. يسمحون بإنشاء كليات غير مختلطة كما في الجنوب الأمريكي.

٣. لا يولون شيخا هرما ولا سمينا ذا كرش ولا تجد بين مسؤوليهم من هو محدودب الظهر.

٤. أمرهم شورى لا ينفرد به حاكم ولا مجلس واحد، وحتى الهيئة التشريعية "الكونجرس" له مجلسان: مجلس الشيوخ ومجلس النواب.

٥. يسمحون بحرية التعبير ونقد الحكومة، وللدين مكانة لديهم لا تجدها في كثير من بلاد المسلمين، وأكثر الكتب قراءة ورواجا في أمريكا هو (الكتاب المقدس) كما يسمونه.

٦- أن بعض المنظمات الفرعية لهيئة الأمم تقدم خدمات للإنسانية عامة بتأثير بعض الأمريكيين الذين هم مثلنا يجهلون الأهداف الخفية للبيت الأبيض.

ويؤمن النصارى بأن الله يوحي إليهم عن طريق الرؤيا المنامية وغيرها، وقد قرأت ما كتبه جوزف سميث نبي المورمن المزعوم عن رؤياه، وكذلك ما زعمه بولس وقسطنطين بن هيلانة، ودعوى بعضهم أنه المسيح الثاني، ولا يخفي على أي أحد قول بوش الصغير، الذي جاءت جيوشه من وراء البحار لتعتدي على أفغانستان والعراق: إن الله فوضه بذلك -أي أنه لا يحتاج لتفويض أحد من الخلق- لا الأمم المتحدة ولا غيرها، وقوله إن تلك الحرب حرب صليبية، وتكرار ذلك منه حتى بعد أن قالوا إنها زلة لسان، وقوله إنه

سوف يعمل بما في سفر حزقيال من التوراة المحرفة، وقال ذلك صريحا للرئيس الفرنسي، وفي أمريكا يعلن الأصوليون مذهبهم حتى أن زعيمهم "بات روبتسون" ترشح للرئاسة، وفيها الاتجاه المحافظ الذي منه بوش وبوكانين وزعيم حملة ترامب "ستيف بانون"، وقد تديَّن بوش الصغير بالمحافظة الجديدة بعد أن كان سكيراً عربيداً، واستعار بوش عبارة بولس (من ليس معنا فهو ضدنا) وهي عبارة مذكورة في إنجيل "متىّ" مما اضطر كثيرا من دول العالم أن تكون معه ولو نفاقا، حتى أن بعض الدول شاركت معه بأعداد محدودة وأخذ من السينما عبارة (حيا أو ميتا) وهكذا، ثم جاء الآن عدو الله "دونالد ترامب" فجاهر بعداوته للمسلمين ومنعهم من دخول أمريكا.

فمتى كانت رؤى هؤلاء المهووسين التي هي نوع من نزغات الشياطين خيرا وأصدق من كتاب الله المبين! ومتى كان اتباع أمريكا في الانضمام لهيئة الأمم هذه هو ما ينبغي؟

والأصل الفلسفي لفكرة "الأمم المتحدة" هو إيمان الغرب الموهوم بالتقدم المطلق، كما كان يظن بعض فلاسفتهم مثل "كانت"، وبالسلام العالمي -كما يسمونه- وانتصار الديمقراطية، وقد أنشأوا الهيئة بعد أن هزم الحلفاء هتلر في الحرب الثانية، مع أن كثيرا من الباحثين الغربيين اليوم يقولون إن (هتلر) خير من روزفلت وستالين، وإن جرائمه أقل، وإن محاكمات "نورمبرج" غير عادلة، وبعضهم لا ينكر المحرقة اليهودية فحسب بل ينكر وجود الأفران أصلا، وسوف ينكشف ذلك، غير أن التاريخ يكتبه المنتصرون.

وأيا كان الأمر فلا ريب أن إيمان الغرب بفكرة السلام العالمي هو عكس سنة الله تعالى في إهلاك الكافرين وفي التدافع والمراغمة، والحرب وإن كانت مكروهة يفتح الله بها من الفرص مالا يفتحه السلم، وكثير من المخترعات إنما اخترعها الألمان -كالغواصة- ليهزموا بها الحلفاء ثم خطف الروس والأمريكان كثيرا من المهندسين الألمان.

وليس انتصار الحلفاء انتصارا للديمقراطية كما يزعمون فقبل ذلك ذهب الرئيس الأمريكي في الحرب الأولى (وهو "ويلسن" صاحب المبادئ أو ما يسميه النقاط الأربع عشرة) إلى أن دولته لم تدخل الحرب إلا بدوافع إنسانية، وهو الذي جاء بفكرة الانتداب لستر الاحتلال المباشر، وقوله إن الدوافع كانت إنسانية، من الكذب الصريح الذي تتعمده السياسة الغربية دائما.

أي كما أن المنافقين في الإسلام يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام، يأتي هؤلاء فيبطنون الأهداف السياسية ويظهرون الإنسانية والديمقراطية، وحقوق الإنسان، والسلام العالمي وتحرير المرأة وأمثال ذلك من الشعارات.

وهم مع احتفاظ الكفرة الأقوياء بحق النقض "فيتو" في مجلس الأمن - كما يسمى- يدعون العالم كله إلى "الأسرة الدولية" و "المجتمع الدولي" و"الشرعية الدولية" وأمثال ذلك ولا يدعون أبدا إلى كتاب الله تعالى الذي يجب أن يتحاكم إليه كل البشر وهو خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم.

ومن سنن الحياة سنة التدافع قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١].

وإلا فإن الله قادر على إهلاك الكافرين بما يشاء من جنده، قال جل شأنه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ [الحج:٤٠].

وقال جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

وواقع الحضارة الغربية اليوم وما تعانيه من الأزمات والمشكلات يشهدان بأن فكرة التقدم المطلق باطلة وما كان يحلم به "كانت" باطل، وأنه لا مفر من تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر ولابد من الحرب بين الطرفين، وقد وقع أسوأ مما تنبأ به "اسوالد شبنجلر" في كتابه انهيار الغرب وما قاله جورج

أورويل في روايته ١٩٨٤م التي كتبها قبل ذلك بعقود، وروايته الأخرى "مزرعة الحيوان" وأصبح الحديث اليوم ليس عن ضعف الغرب أو تدهوره بل عن موته، ولذلك كتب "بوكانين" المرشح للرئاسة الأمريكية كتابه (موت الغرب)، وقال إن موت الغرب ليس نبوءة بالمستقبل بل هو الأمر الواقع المشاهد في الحاضر، ولا ينكر أي غربي ما يمر به الغرب من أزمة اقتصادية ودعوات للانفصال.

ومن المحال حسب سنة الله الكونية أن يتوقف الصراع وأن ينتهي الخلاف وتنتهي الحروب، ويصبح الناس أمة واحدة متعايشة، قال جل شأنه: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود:١١٨-١١٩].

وقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٣٣-٣٥].

فلن يكون الناس كلهم مسلمين ولا كفارا، ولن يتحقق السلام العالمي المنشود، وإنما ذلك حلم وخيال، قام في أذهان بعض الفلاسفة من أيام اليونان إلى أيام "كانت"، ثم تجلى ذلك في ميثاق ما يسمى هيئة الأمم المتحدة.

وبالرغم مما تصدره المنظمة الدولية من مواعظ ومن بيانات، عن ارتفاع عدد الجوعى في العالم فضلا عن أمراض سوء التغذية، نجد الإنفاق على السلاح في العالم لا سيما الدول التي تسمى متقدمة أكثر من الإنفاق على محاربة الجوع، استنادا إلى إصائيات المنظمات الفرعية المتخصصة التابعة لهيئة الأمم المتحدة نفسها.

كما أن مليارديرات ما يسمى الشمال الغني وهم لا يصلون إلى ١% من سكان العالم يملكون ما يعادل مجموع ميزانيات دول ما يسمى الجنوب الفقير حسب إحصاءات الأمم المتحدة نفسها.

وغاية "هيئة الأمم المتحدة" أن تكون حلفا من الأحلاف، ولا يجوز الدخول فيه، قال ﷺ: (لا حلف في الإسلام) -ونحن المسلمين- أمة العدل والحق من غير حلف.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في معنى حديث (لا حلف في الإسلام): "إن الإسلام لا يُحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه".

والانضمام إليها إقرار للطواغيت الكبار -وكلهم كفار- فيما يسمونه مجلس الأمن، أن ينقضوا ما شاءوا ولو كان بخلاف كتاب الله تعالى، فليس عند هؤلاء الطواغيت -كثروا أو قلوا- جهاد و لا جزية ولا موالاة أو معاداة في الله، وأمثال ذلك، بل هم يعمدون إلى أهل البدع أو أهل الغلو فيجعلون أفعالهم حجة على المسلمين كافة، و لم يجعلوا مجرمي اليهود والنصارى والمشركين حجة على أي دين كتابي.

والأمم المتحدة كما قال "هيكل" وكما تدل عليه سياستها الدائمة تخضع لتوجهات الأمريكان، وهذا كما قرره -بل اعترف به- أحد المرشحين للرئاسة في أمريكا.

والأمم المتحدة استنكرت بالإجماع الانقلاب في "هاييتي" على الرئيس المنتخب و لم يصدر منها ما يدين الانقلاب الذي حدث في الجزائر على جبهة الإنقاذ، مع أن الانقلابين متقاربان زمنيا.

ولما أرادت الأمم المتحدة أن تعين أمينا عاما لها من دولة عربية أو إفريقية اختارت "بطرس غالي" لأسباب منها:

١- أنه نصراني وليس مسلما، أي أنه ليس إرهابيا!

٢- أنه يعلن أنه لا الإسلام هو العروبة، ولا العروبة هي الإسلام فهو عكس ابن بطوطة مثلا أو الشيخ عبدالحميد بن باديس وهما بربريان!

٣- أن زوجته يهودية.

٤- أنه صديق حميم لحزبي العمل والليكود الإسرائيليين.

٥- أنه يؤمن بما يسمى الوحدة الإنسانية التي دعا إليها الماسونيون وربما كان هو ماسونياً.

٧- أنه موافق للسياسة الأمريكية، فقد شارك في وضع اتفاقية "كامب ديفيد" المشؤومة.

٨- أن أيا من الدول العربية لم يعترض عليه، وكيف يعترضون وهم بين علماني صريح ومعتدل والكل موافق للغرب.

٩- أن أسرته معروفة بولائها للإنجليز والغربيين ومنهم بطرس باشا غالي الذي قتله الورداني في مصر.

والأمم المتحدة تقف دائما مع الكيان الصهيوني، وهذه الدويلة المجرمة "إسرائيل" حرة في أن ترفض ما ترفض أو تقبل ما تقبل -من قرارات الأمم المتحدة- وهي مطمئنة أن الإدارة الأمريكية والحكومات الغربية عامة معها، وكذا من يتبعهما من يهود العرب.

وغاية ما يطلب الصهاينة هو المفاوضات والحلول الدبلوماسية، التي ثبت إخفاقها و لم تحرر شبرا واحدا من الأرض.

وقد تغلغل الصهاينة في هذه المنظمة وسيطروا على أكثر فروعها.

والأمم المتحدة تتحدث اليوم عن "اللاسامية" وعن "الإنسانية"، وأمثال ذلك من الشعارات الصهيونية أو الماسونية.

واليوم تطالب أكثر الدول -ولا حرج على من قال كلها- بتعديل ميثاق الأمم المتحدة.

لكن ليس الميثاق وحده الذي يحتاج إلى تعديل! بل لا بد من الإصلاح الجذري وهو ما لم يقع.

والعجيب أن الغربيين الذين يسمون العرب (الساميين)، ويقولون إن جزيرة العرب هي مهد السامية، يعترفون أن أقل الشعوب السامية عددا هم اليهود، بينما بنو عمهم الأكثر منهم عددا ودولا (العرب) ساميون أيضا، وهذا مما لا ينكره أحد بل هو في التوراة الحالية، ومع ذلك تطلق هذه الهيئة الظالمة على من يخالف اليهود "عدو السامية"!

ولما أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة -وليس مجلس الأمن- قرارا بأن الصهيونية حركة عنصرية، تراجعت عنه الجمعية -بعد مدة- مع أن بعض اليهود يخالفهم في ذلك التراجع، وما يسمى الإعلان العالمي لحقوق الإنسان فيه باطل كثير وفيه تقصير شديد كما هو مبيّن في "الحقوق"، وسيأتي الحديث عنها في مبحث (الفكر الاجتماعي) بإذن الله.

ولم تصدر الأمم المتحدة قرارا واحدا، بضرورة اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأنى لها ذلك.

وهيئة الأمم تتحكم وتفرض ما تريد، فقد نقضت مثلا اتفاق "تونس" الذي أجمعت عليه الأطراف الليبية، وأصرت الأمم المتحدة على اتفاق "الصخيرات" الذي لم يقره الطرفان!

والمحكمة الدولية التابعة للأمم المتحدة أمرت بمحاكمة عمر البشير واعتقاله، ولم تحكم بمحاكمة "نتنياهو"!!

ومصيرها في نظري سيكون مصير عصبة الأمم التي سبقتها.

وهذه المنظمة لم تستنكر العدوان الأمريكي على الإمارة الإسلامية في أفغانستان، التي لم تعتد قط على أي دولة غربية أو شرقية بل كانت تدافع عن نفسها وشعبها، وهو حق مشروع حتى في قانونهم الدولي، وأمريكا هي التي رفضت التحكيم الذي طالبت به الإمارة الإسلامية.

ولما دمَّرت الإمارةُ الإسلامية أصنام بوذا في "باميان" استنكرت الأمم المتحدة ومنظمتها "اليونسكو" ذلك، وقالت إن هذا "تراث إنساني"، ونسيت ما دمرت أمريكا في كل مكان دخلته، لاسيما في العراق حيث دمر

الأمريكان المتحف العراقي، والمكتبة العامة ببغداد وأحرقوا الكتب، وكذا متحف الموصل الذي دمره طيران التحالف بقيادة أمريكا.

وفي نظري أن "تيسير علوني" صادق حين قال في قناة الجزيرة: "سوف تبكي أفغانستان طويلا على طالبان"، والعجيب أن كل من تأسره طالبان من الأمريكان يُسلِم، ولما تبادلوا الأسرى وأطلقوا أربعة من غوانتنامو أطلقت الأمارة الإسلامية جنديا أمريكيا كان لديها وأسلم وقالوا: حررنا خمسة من المسلمين، وكذا كل صحفي غربي أو منصِّر، ومن زار أفغانستان و لم يُسلم لابد أن يشيد بالأمارة الإسلامية مثل روبرت فيسك، ومن زارها من علماء المسلمين قال إن الإعلام كان يخدعه مثل الشيخ يوسف القرضاوي.

و لم تُصدر الأمم المتحدة قرارا بإصلاح هذا العالم المضطرب بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ اللذين لا صلاح للعالم إلا بهما، بل لسان الحال يقول: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤].

و لم تُصدر الأمم المتحدة قرارا باحترام النبي ﷺ أو بأن يعطى أهل البيت الشريف حقهم.

والمؤتمرات السكانية للأمم المتحدة لا تدين عمل قوم لوط أو اختلاط المرأة بالرجال، و لم تكتف بذلك فقط، بل تجيز أن تتكون الأسرة من رجلين أو امرأتين، وقد قابلتُ بعض من شارك في مؤتمراها من المسلمين هو وزوجته، فحدثني بكلام يطابق ما كنت قد قرأته عنها من قبل ثم ما كتبوه بعد.

و لم تصدر الأمم المتحدة قرارا يقضي بأن الميْتة حرام وأن لحم الخترير حرام وأن الخمر كذلك، وغير ذلك مما ثبت طبيا أنه ضار بالصحة وثبت تحريمه في كتاب الله تعالى.. وهكذا الزنا واللواط وغير ذلك من الفواحش.

وتسعى الأمم المتحدة إلى ما يسمى "ثقافة الحوار وثقافة السلام"، وإذا قام المسلمون المظلومون بصد العدو قالت هذه الهيئة إن هذا عنف وإرهاب، مع أن المادة (٥١) من ميثاقها تجيز ذلك.

وليس لدى الأمم المتحدة كفر وإيمان، بل تصرح بأنها تنبذ العنف والإرهاب وتعني بذلك الجهاد في سبيل الله، كما أن من لوازم حريتها ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

وتقول إنها تعادي اللاسامية، أي لا يحق لأحد أن يذكر اليهود بسوء.

والإسلام عندها هو الإرهاب، وأعظم الإرهابيين هم المجاهدون في فلسطين.

والأمم المتحدة تجعل المتاع الدنيوي هو المعيار لتقسيم المجتمعات إلى متقدم أو متخلف، ولها منظمات كثيرة وفروع أهمها: ١- مجلس الأمن، وقراراته إلزامية، ٢- الجمعية العمومية، وقراراتها غير ملزمة. وصدق الشاعر "حسين عرب" حين قال:

مجلس الأمن كفانا هذرا   أنت لا تحسن إلا الهذرا

ومما يدل على أن هذه الهيئة تتبع الصهيونية أنها تجعل من ينتقد اليهود أو الصهيونية -ولو كان محقا- لا ساميا، أو أنها لا تذكر ما يفعله غير الصهاينة من اليهود المناوئين لدولة إسرائيل من مظاهرات مليونية حول مبناها، وقد قال ذلك الحاخام: "ديفيد وايز" في مقابلة مع قناة الجزيرة، وكذا في مقابلته مع قناة "الحوار" اللندنية.

وهذه الهيئة تتحدث عن أسير يهودي في غزة، ولا تتحدث عن آلاف الأسرى الفلسطينيين وغاية ما تفعل إن فعلت شيئا هو التعبير عن "القلق"، ومساواة الضحية بالجزار والمظلوم بالظالم، وتطلب رفع الحصار عن غزة ومصادرة سلاح المجاهدين مقابل المفاوضات!

كما أن بعض الدول لم تنضم لهيئة الأمم المتحدة حتى اليوم وكالفاتيكان، وبعضها ترك تلك الهيئة زمانا طويلا كإسبانيا وإندونيسيا، ولم يضره ذلك في شيء، ونحن -المسلمين- أولى بأن نتركها في عالم لا يؤمن إلا بالقوة ولا يحترم إلا القوي!! ونحن أقوى الناس إيمانا وجهادا.

وقبلها كانت "عصبة الأمم" تستبعد روسيا وألمانيا من الانضمام إليها.

وظلت سويسرا مدة لم تنضم لهيئة الأمم المتحدة،وقالت إن الحياد يجيز لها ذلك.

وإذا كان الحياد مبررا لترك الانضمام إليها، فلماذا لا يدعي أهل التوحيد أنهم محايدون لا سيما وأنهم لم يستعمرهم أحد؟ وأن مكة خير من جنيف، وأن ما في سويسرا من خير أصله إسلامي، ولا يزال بعض مقاطعاتها إلى اليوم تفخر بأن أجدادها مسلمون.

ومع ذلك لم تنضم سويسرا إلى كل فروعها.

ومساوئ المنظمة الدولية كثيرة ليس هذا مجال تعدادها، وإجمالا نقول: إن كل ما في الغرب عامة وأمريكا خاصة من المساوئ هو في هذه المنظمة، وليس الانضمام لهذه الهيئة مفخرة، بل هو منقصة ومذمة،إلا أن تؤمن بالله واليوم الآخر، وتجعل معيارها في الأحكام هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

هذا بعض ما أعلم، ولدى المفكرين المسلمين الكثير مما لا أعلم.

وعلى هذا يجب الانسحاب الفوري من هذه المنظمة الكافرة، وليس ذلك بمستحيل على من آمن بالله واليوم الآخر وعرفها على حقيقتها، والانسحاب أمر ممكن سياسيا، وقد طالب العرب ومنهم المملكة العربية السعودية بانسحاب إسرائيل منها، وإذا لم ينسحب اليهود بل زادوا نفوذا وتغلغلا فنحن ننسحب، لا سيما وبعض ما تقرره الهيئة مخالف مخالفة صريحة لكتاب ربنا وسنة نبينا، وكل ما كان عليه سلفنا الصالح.

وقد انسحبت عدة دول إفريقية من المحكمة الجنائية الدولية، وبعض الدول الغربية لم تدخلها أصلا، مثل أمريكا، وبعضها دخل فيها ثم أعلن انسحابه منها مثل روسيا، فكيف لا ينسحب المسلمون من هذه الهيئة المشلولة التي يتخذها الأقوياء ستارا لمؤامراتهم ومصالحهم؟

كما أن بعض الدول لم توقع على اتفاقية تحريم الرق، وكذا غيرها من الاتفاقيات مثل اتفاقية سيداو لما يسمى حقوق المرأة، واتفاقية كيوتو للجمارك، واتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية عنتني.

وهل عضوية هيئة الأمم إلزامية؟ فضلا عن أن إلزام الكفار غير معتبر، وهل حكمت هذه الهيئة بالعدل في مشكلات المسلمين مثل مشكلة البوسنة، وبلاد الشام، وبورما، وإفريقيا الوسطى؟ وحسبك أن تنظر إلى خارطة البوسنة والهرسك كيف حرموها من مينائها.

وهل يحق الفيتو لأي مسلم؟

وهل المسلمون نازيون حتى يقصوهم هذا الإقصاء، وكيف يقول حلف الناتو إن تركيا ثاني دولة في الحلف ولا يكون لها مقعد دائم في مجلس الأمن كما يسمى؟

وتفخر هيئة الأمم بأنها تراعي حقوق الإنسان لا سيما منع الاسترقاق، بينما هناك دول كثيرة في العالم رفضت القرار المتعلق بالرق، وأهل التوحيد أجدر أن يرفضوه لو كانوا موحدين حقا والتوقيع على إلغائه ليس إلزاميا، والرق ثابت نصا في الكتاب كما هو ثابت في السنة، وعليه إجماع أهل الإسلام، وكل كتب التاريخ والفقه، ويمكن جدا للقضاء الشرعي التمييز بين ما هو حق وما هو باطل منه، أما إبطاله مطلقا فغير شرعي وإنما يجب المعاملة الشرعية للرقيق، وقد جاءني بعض الأرقاء السعوديين وقالوا إن أسيادهم كانوا يعاملونهم بالحسنى وإنهم لو بقوا في الرق لكان أفضل، فتذكرت كيف أن أبا زيد وعمه كلما النبي ﷺ بشأن زيد قبيل الهجرة، فجعل النبي ﷺ الأمر بيد زيد نفسه، فاختار صحبة النبي ﷺ على أن يكون حرا مع أبيه وعمه.

والرق أمر مشهور في التاريخ العالمي كله درجت عليه كل الأمم، وقد كان مشهورا عند اليونان والرومان وأقره أرسطو وأفلاطون وأتباعهما، والتجارة في البشر رائجة اليوم باعتراف الأمم المتحدة نفسها، لا سيما ما يسميه الغربيون (الرقيق الأبيض)، لأن الأوروبيين اعتادوا على استعباد من كانت بشرته سوداء، وهذا باطل فقد يكون عبدا وهو أبيض البشرة ويكون حرا وهو أسود البشرة، ومن الرق العصري بيع اللاعبين.

وإنما نادى الأمريكان والإنجليز وغيرهم بإلغاء الرق كنوع من التكفير عما ارتكبوه بحق الأفارقة والمستعمرات، غير أن الخطأ لا يصحح بالخطأ، وإنما بالحق والعدل، أما إلغاء الرق كما في القرار الوزاري الذي عملت به السعودية إنفاذا لأوامر (جون كندي) فهو مخالف لكتاب الله، وإنما حثت الشريعة على العتق وعقد له الفقهاء بابا لمعرفة أحكامه، وأوصى النبي ﷺ أمته بالمماليك عند موته، وحث على الرفق بهم ومعاملتهم بالحسنى، وأن يطعمهم المالك مما يطعم ويلبسهم مما يلبس، وندب الله ورسوله إلى المكاتبة وجعل النبي ﷺ العتق مهرا، وشفع لكي تعود بريرة إلى مغيث.

وأنا أعرف من يشتري عبدا أو أمة لكن يتحايل بإدخال العبد على أنه خادم أو سائق، وإذا كانت أمة كتبها زوجة أو خادمة!!

والأمم المتحدة لا تؤمن بقوله تعالى: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد:١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة:٢٢١]، وقوله: ﴿وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ﴾ [البقرة:١٧٨]، أو قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [محمد:٤]، أو قوله: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النور:٥٨].

وهذا عند الأمم المتحدة من الماضي المظلم.

والشريعة الغراء جعلت لمن يعبد ربه ويطيع مواليه أجرين، ونهت عن التفريق بين الوالدة وولدها، ومن مات مولاها وقد استولدها عتقت، وبعض الخلفاء من أبناء أمهات الأولاد، ويحق للعبد أن يشكو سيده للقضاء والقاضي يحكم في القضية بالعدل، فانظر كيف يؤمنون بالقرارات الدولية ويكفرون بكتاب الله، والإسلام جفف منابع الرق وحث على العتق، ولكن لم يلغ الرق نهائيا كما فعلت الثورة الفرنسية و"نابليون بونابرت" و"إبراهام لنكولن" في القرن التاسع عشر، وألزم به الرئيس "جون كندي" بعض الدول، ولا يزال بصورته الأولى معروفاً اليوم في كثير من بلاد الإسلام مثل بلاد شنقيط (موريتانيا) واليمن، وليس من الإسلام الاسترقاق مطلقا لمن كان

حرا كما فعل الغرب قديما، أو إلغاء الرق مطلقا كما فعلوا اليوم، فعادة الفكر الغربي الدائمة هي الانتقال من النقيض إلى النقيض.

وقد يبرر بعض الناس الانضمام لهيئة الأمم بأن في ذلك إيجابيات معينة، ولا شك أن كل عمل يراد ترويجه له إيجابيات، ويمكن للدولة التي تريد الإفادة من إيجابيات الأمم المتحدة أن تأخذها دون أن تكون عضوا فيها، فإن دولة الإمارة الإسلامية في أفغانستان مثلا، والحركات الجهادية في فلسطين خاصة وبلاد الشام عامة وكذا الفاتيكان تأخذ هذه الإيجابيات دون الانضمام لهيئة الأمم، وهذا يتأكد بعد ذهاب "بان كي مون" والضغوطات الصهيونية والأمريكية على خلفه "أنطونيو غوتيرس" الذي عذره الدائم هو أن أمريكا تمول ٢٢% من ميزانية الأمم المتحدة، ومن مال مَن تمولها أمريكا؟ وقد ظهر ذلك جليا بعد استقالة ريم خلف من "الأسكوا"، وباسم حق تقرير المصير وحق الدول في الاستقلال تنفذ الأمم المتحدة سياسة التفتيت الغربية، ولم يأت هذا التفتيت من فراغ، بل هو ما تضمنته اتفاقية (سايكس بيكو) ووعد (بلفور) المبنيين على وثيقة (كامبل) التي وضعوها مطلع القرن العشرين.

وفي الجانب النظري يمكن اعتبار هيئة الأمم المتحدة نموذجا للمساواة التي ينص عليها ميثاقها في ديباجة تأسيسها، فهي تعترف بأن لكل مجتمع خصائصه ولكل دولة ثقافتها، وتبعا لذلك يحق لأي دولة فيها أن تتحفظ على أي قرار أممي يخالف ذلك، وعليه فإن الاعتراض على ما تصدره حق قانوني من الحقوق تبيحه المساواة نفسها فيجب على المسلمين رفضه إذا خالف دينهم.

لكن واقعها العملي يناقض ذلك، وإنما يتحكم فيها الأقوياء المنتصرون في الحرب العالمية الثانية، ولا اعتبار للدول المهزومة مثل اليابان وألمانيا مهما تقدمت ماديا، كما أنه لا اعتبار لتركيا التي كانت مهمشة حينها ثم تفوقت

اليوم كثيرا وهي تمثل العالم الإسلامي، حيث أن هيئة الأمم نفسها تعترف بأن منظمة التعاون الإسلامي هي ثاني منظمة عالمية بعد هيئة الأمم المتحدة.

وتركيا باعتراف الغرب هي ثاني دول حلف "الناتو" في القوة، وأهم وأقوى دول العالم الإسلامي.

ولم تفرض هيئة الأمم على أحد أن ينضم إليها أو تمنعه من الخروج، غير أن الليبراليين في العالم الإسلامي لا يحسنون التقليد فضلا عن التمييز، الذي هو بعيد عن خيالهم. فهم يقلدون المجتمع الأمريكي مع أن الدول الاسكندنافية أرقى من وجهة نظر الباحثين وبشهادة لغة الأرقام، وفي اليوم الذي تسميه الأمم المتحدة يوم السعادة وهو يوم ٢٢ مارس، يقول تقرير الأمم المتحدة إن النرويج أكثر الدول سعادة، بل إن بعض دول الداخل الأوروبي مثل "سويسرا" أعلى اجتماعيا من أمريكا، والضرائب في لكسمبورج أقل منها في أمريكا، والأمريكان أنفسهم يقولون إنها "جنة ضريبية".

كما أن الأمم المتحدة مجحفة تساوي بين الجزار والضحية وبين الظالم والمظلوم وربما لا تساوي بينهما بل هي مع الظالم إذا كانت أمريكا معه، فإسرائيل دولة كاملة العضوية فيها، أما فلسطين فهي مجرد مراقب ليس له صوت أبدا.

والمساواة التي تصر عليها هيئة الأمم هي أخذ الفائض من الدول الغنية لكي تعطيه الدول الفقيرة، مثل أخذ فوائض النفط من دول الخليج، لكي تصرفها في المستعمرات الأمريكية في أمريكا الجنوبية.

وإسرائيل ترفض ما لا ترغب من قراراتها بلا حسيب ولا رقيب مثلما رفضت قرار "اليونسكو" وقس على ذلك، وإسرائيل بمقتضى قرار "الأسكوا" دولة عنصرية، والجدار العازل لا شرعية له بمقتضى حكم محكمة العدل الدولية والقدس مدينة إسلامية بمقتضى القرارات الدولية نفسها!

وهي وريثة عصبة الأمم التي استبعدت روسيا وألمانيا من عضويتها، كما أن هيئة الأمم المتحدة إنما قامت على المبادئ (النقاط) التي وضعها الرئيس الأمريكي "ويلسن" من قبل وبقيامها جرى إسباغ الشرعية على اتفاقية "سايكس بيكو" التعسفية.

ومما يدلك على السيطرة الأمريكية على هيئة الأمم، أن منظمة الصحة العالمية إنما اهتمت بمرض (إيبولا) بعد قدوم طبيبين أمريكيين أصيبا به في غرب أفريقيا إلى الولايات المتحدة، وأن الجامعات الأمريكية مثل "هارفارد" و"جون هوبكتر"، و"برنستون" تتصدر قائمة أرقى الجامعات في العالم مع أن حالها غير ذلك.

دع الجامعات الإسلامية، ولكن الجامعات في بريطانيا وألمانيا وفرنسا خير منها، وهذا يدلك على أن الأرقام الأممية مخادعة أو على الأقل موضع شك، لا سيما إذا تعلقت بالنفط والصحة والتعليم والهجرة والمجاعات.

وتعتذر المنظمة الدولية بأن التمويل الأمريكي أكبر مصادرها المالية غير أن الأمر أعمق من ذلك.

وإذا كانت الأمم المتحدة نفسها تقر مبدأ المساواة نظريا وتغض النظر عن الدول التي لم تنضم إليها أو إلى بعض مؤسساتها فإنه يحق للمسلمين الانسحاب من هذه المنظمة كلية، إذ أن ديننا يحرم الردة ولا يساوي بين الرجل والمرأة ولا بين المسلم والكافر ويجيز ختان الإناث ويجيز ضرب الزوجة الناشز، وأمثال ذلك مما ينافي المواثيق الدولية لا سيما الإعلان العالمي لحقوق الإنسان.

وهذه المنظمة تعجز عن نشر السلام في العالم، وعن إلغاء التفاوت الطبقي، كما هو حال الطبقة المنبوذة في الهند، والسود في أمريكا وبين الشمال الغني والجنوب الفقير، كما أن الجهاد حسب قرارات المنظمة من مخلفات الماضي، وهو من علامات التأخر عندهم وإنما التحضر في أحكام المجتمع الدولي والمفاوضات والحوارات بين الشعوب.

وإزاء هذه الأسباب الشرعية والواقعية يحق لنا القول بأنه لا يجوز الانضمام لهذه الهيئة ويجب الانسحاب منها فورا، ولا يعقل أن تكون دولة الفاتيكان الكاثوليكية غير عضو فيها، وتكون بلاد الحرمين عضوا فيها، وإذا كان لا بد من الموازنة بين المصالح والمفاسد وأخذ رغبة الشعب، فيجب إجراء استفتاء شعبي محايد ونزيه حول الخروج من هذه الهيئة أو البقاء فيها والعمل بالنتيجة، مثلما أجرت الحكومة البريطانية استفتاءا حول البقاء في الاتحاد الأوربي أو الخروج منه علما بأن الاتحاد الأوروبي أهم لبريطانيا من هذه الهيئة لنا، وأن الشعب هنا ليسوا أقل من البريطانيين.

وليس الانسحاب من هيئة الأمم بغريب، بل الغريب هو أن ينضم لها المسلمون ويؤمنون بأحكامها، وأمريكا نفسها لم تنضم للمحكمة الجنائية الدولية أصلا، و لم تنضم للمنظمة الدولية المسماة "سيداو"، التي هي القضاء على كل أشكال التمييز ضد المرأة لما أسسوها، وهي الآن تريد الانسحاب من لجنة حقوق الإنسان بالمنظمة الدولية.

وهذه المنظمة التي لا تعطي المسلمين مقعدا في مجلس الأمن تعطي الصين مقعدا دائما فيه.

ومما يبرر الخروج من هيئة الأمم أنها هيئة ظالمة تأخذ فائض النفط مجانا أو بربا قليل ثم تقرضه للدول نفسها بربا أكثر، ويحق لكل عاقل أن يسأل من أين يأخذ صندوق النقد الدولي هذه المليارات وبكم يقرضها للدول الفقيرة، وقل مثل ذلك في شركات التصنيف وشركات الجودة (إيزو) وشركات قياس الشفافية وما شابهها واعلم أن الجميع ليس جمعيات خيرية.

وهي أيضا لا مساواة فيها بين قارات الدنيا، فأكثر الأعضاء الدائمين من قارة أوروبا الصغيرة، ومن أمريكا الشمالية دولة واحدة هي الولايات المتحدة الأمريكية، ومن قارة آسيا دولة واحدة هي الصين، بينما هناك ثلاث قارات محرومة من ذلك (إفريقيا وأمريكا الجنوبية واستراليا؟!).

ومن المجمع عليه اليوم أن هيئة الأمم ومجتمعها الدولي تعجز عن حل المشكلات الدولية وعن إدخال المساعدات الإنسانية للمدنين العزل، وعجزت أخيرا كما يعلم كل الناس عن معاقبة ميانمار التي لم تعط مسلمي الروهينجيا حق الجنسية!

فما مبرر البقاء مع العاجز الذي يكتفي بالاستنكار أو التعبير عن القلق ومما هو ممكن لكل أحد بلا هيئة!

وهيئة الأمم المتحدة تسير على المنهج الكتابي في التعامل مع المسلمين تبعا للسياسة الأمريكية، فمع أن الحرب التجارية بين الصين وأمريكا قائمة والتنافس بينهما شديد، تجد الحكومة الأمريكية ترى الإسلام أشد عداوة من الصين وتستنكر ألا تكون التبت مستقلة وتنكر أن تمنع الصين من المظاهرات الشعبية ضدها دون ذكر لحرب الصين على مسلمي الأيغور، مع أن المسلمين يعظمون موسى وعيسى ويؤمنون بهما ولا يسبونهما قط، ويؤمنون بكل ما أنزل الله، وأن الصين رصدت جوائز مغرية لمن يبلّغ عن أي رجل ملتحٍ، أو امرأة تغطي شعرها، وهي تحظر الصيام كما تحظر دخول الشباب المساجد، بل إنها لتصادر المصاحف من الناس لتتلفها! وهكذا تظهر عدوانية الصين ومعها ديمقراطية أمريكا الحرية الدينية التي يدعيان، وقد برأت المحكمة الدولية أحد قادة الصرب من تهمة الإبادة الجماعية واعترضت على ذلك حكومة البوسنة مرارا؟ وذكرت بالأدلة انتهاكاته، وهل ما فعل الصرب يحتاج لدليل وتوثيق؟

والخلاصة أن ما يسمى الدين الإنساني فكرة كاذبة وأن الأمم المتحدة ترى أن عصر الدين قد ولى، وأنها خاضعة للسياسة الغربية والفكر الغربي الوثني، وأن الانسحاب منها واجب على المسلمين.

ويكفي العاقل إجماع العالم على ضرورة إصلاحها، وأن الانضمام إليها والتوقيع على ميثاقها إنما هو من وحي الشيطان الذي لا يؤمن بوجوده الأمريكان، بل يقولون إنه كائن فضائي ويصورونه وله قرنان!

التشبه

من الانحرافات العقدية الخطيرة التي وقع المسلمون فيها في عصرنا الحاضر، ومن دلائل الهزيمة النفسية عندهم (التشبه بالغربيين) في كل شيء تقريبًا حتى في رطانتهم ولباسهم واحتفالاتهم.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -وتصدقه اليوم البحوث النفسية والاجتماعية- أن المشابهة في الظاهر تورث المشابهة في الباطن، وقد قال ﷺ: (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو أن أحدهم أتى امرأته على قارعة الطريق لفعلتموه) الحديث، والتشبه بهم يورث محبتهم، وهي منهي عنها، وللظاهر تأثير في الباطن، ومن ذلك أن الرسول ﷺ أمر بتسوية الصفوف حتى لا تختلف القلوب.

وتفصيل الحديث عن التشبه، وذكر أدلته، في كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم".

وإنما سوف نقتصر هنا على بعض مظاهر التشبه العصرية، لا سيما "تاريخهم ومواقيتهم"ورطانتهم لا سيما الإنجليزية التي لم أتعلم من لغاتهم غيرها، وكذلك أعيادهم لا سيما عيد الميلاد كما يقولون.

وأعظم التشبه مشابهتهم في عباداتهم، فنحن لا نعبد غير الله لا إنسانًا كعبادتهم للمسيح ولا كوكبًا ولا أي مخلوق، لا سيما الشمس والقمر، اللذين كان يعبدهما الأولون، مثل قوم سبأ وأخناتون ومن نقل عنهم كاليونان، ولا الجن كما يفعل المشركون، وأمم الكفر كاليونانيين قديمًا والأمريكان حديثًا.

وقد نهانا الله عن عبادة الكواكب وبناء الهياكل لها، كما كانت الصابئة تفعل، فأرسل الله إليهم أبانا إبراهيم عليه السلام، بل هو سبحانه رب الشعرى، ورب الكواكب والنجوم والمخلوقات كلها، وكما لا نعبد أي مخلوق، لا نتشبه بأي كافر.

كما نهانا الله عما عمل قوم لوط من الخبائث، وعما عملت مدين من التطفيف وبخس الناس أشياءهم، وعن الاعتداد بالقوة، كما فعلت عاد، وعن

الفساد في الأرض كما فعلت ثمود، وعن الظلم والطغيان الذي فعله قوم نوح، وكل هذه الذنوب قانونية حلال اليوم في المجتمعات المسماة "ديمقراطية" لا سيما في أمريكا.

والمقصود أنه تعالى حذرنا عن أفعال الكافرين، وقص علينا مصارع الأمم الغابرة، وكيف أنه تعالى أخذها بذنوبها وظلمها، وأخبرنا أننا إن فعلنا فعلهم عياذًا بالله، أصابنا ما أصابهم، وما ذلك من الظالمين ببعيد.

وإنما نتشبه بالنبي ﷺ وأصحابه الكرام ما أمكن، ذلك مقتضى الفطرة والعقل والبحث العلمي والحقائق التاريخية، وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذل والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم)، رواه الإمام أحمد في المسند، وجوَّد إسناده شيخ الإسلام ابن تيمية، في اقتضاء الصراط المستقيم.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: "بحسب متابعة الرسول تكون العزة والكفاية والنصرة، كما أنه بحسب متابعته تكون الهداية والفلاح والنجاة".

وقال: "وأقسم الله سبحانه بأنه لا يؤمن من لا يحكِّمه في كل ما فيه، ويرضى بحكمه ولا يجد في نفسه حرجا مما حكم به، ثم يسلم له تسليما، وينقاد له انقيادًا"

وقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١].

وقد قال بعض الشعراء وهو من الحِكَم:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

هذا ومرض التشبه بالكافرين أو تقليدهم انتكاسة بالإنسان، ويغني عنه ما آتاه الله من العقل وإمكان النظر والتفكر، وهو متابعة من أمة التوحيد لأمم الضلال والشرك، حذرنا منه ﷺ، وهو دليل على ضعف الإيمان أو فقده، ومع الأسف نجد اليوم من يتشبه بالغربيين أو بالشامانيين، قال ﷺ:

"لتتبعن -وفي رواية لتركبن- سنن من كان قبلكم حتى لو أن أحدهم أتى أمه لفعلتموه، وحتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه".

فالمسلمون يتتبعونهم حتى في الفواحش الكبرى التي لا يفعلها البشر، أو حتى فيما لا خير فيه إطلاقًا.

ومخالفة الكفار واجب عقدي مقصود لذاته، ولذلك قالت اليهود (ما يدع هذا النبي شيئًا إلا خالفنا فيه)، وكان ﷺ إذا زجر أمته قال: (لا تشبهوا باليهود) ومن ذلك الصلاة في النعال، وتنظيف الأفنية، بل ما هو أعظم من ذلك، وهو القبلة، قد ميز الله تعالى نبينا وميزنا بها فقال: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة:١٤٥]، وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ [البقرة:١٤٥] كيف لا يتبعون غيرهم مع أنهم كلهم مخالفون للحق، ويتميزون عن الكفار أمثالهم، فكيف لا يتميز أهل الإسلام عنهم؟.

قال شيخ الإسلام ابن تيمة: "إن من أصل دروس الدين وشرائعه وظهور الكفر والمعاصي التشبه بالكافرين".

كما نصّ رحمه الله على الإجماع على وجوب التميز عن الكفار.

ونص على أن ذلك التميز مقصود لذاته، وبيَّن أن "نفس مخالفة الكفار أمر مقصود للشرع في الجملة"، ونحن نقول: (كل من لم يؤمن برسالة محمد ﷺ فهو كافر لا سيما من قال إن الله اتخذ ولدا).

وقال: "إن كانت الشريعة قد جاءت بالنهي عن مشاركة الكفار في المكان الذي حلَّ بهم فيه العذاب فكيف بمشاركتهم في الأعمال التي يعملونها".

وليس من شروط التشبه أن يفعل المتشبه عين ما فعله الكافرون، فإن الصحابة رضي الله عنهم، لم يقولوا اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة، وإنما قالوا اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، ومع ذلك قال رسول ﷺ: (قلتم

والله كما قال قوم موسى لموسى)، فلينظر العاقل إلى مطلق المشابهة ولتنفذ بصيرته إلى أعماق الأمور.

والمؤسف أننا قلدنا الغرب في كل شيء تقريبًا، حتى أننا قلدنا أمريكا في اللوحات المرورية على الطرق والشوارع، وفي ألوان السيارات وفي الأزياء، حتى ما كان منها للأطفال.

كما قلدناها في الأجهزة الإدارية، فكما أنه يوجد في أمريكا مباحث داخلية "إف، بي، آي" واستخبارات خارجية "سي، آي، إيه" يوجد لدينا كذلك.

ونحن لا ننكر التأثر بما يقع حولنا والإفادة من تجربة غيرنا وخبرته، ولكن هناك فرقًا بين التأثر وبين أن نكون جزءًا من الكفر العالمي، فمن غير المعقول أن نظل في مأمن من التقلبات الاقتصادية العالمية الكبرى، لكن من غير المعقول أيضا أن نكون ملتزمين بقرارات الأمم المتحدة، وما يسمى المجتمع الدولي أو تعاليم منظمة الأوبك، فلا بد من التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ومصلحة المسلمين والتعامل بوضوح وصراحة وموضوعية، وأن نترك الاحلام الوردية والأماني المعسولة والتطمينات الكاذبة، التي يقولها الشيطان وجنده، ويرددها الرويبضات، ونتائجها مشاهدة ومحسوسة ومن النتائج الضارة لعكس الحقائق وقلب الواقع أن أصبح الكبراء يتخوضون في مال الله، وينشئون الشركات، ويشترون اليخوت والجزر، وصار الشباب يتنافسون في أنواع السيارات، وصار الحفاة العالة يتطاولون في البنيان، وأقبل الناس على التبذير في الكرة وفي السياحة، بل في المحرمات القطعية، كنثر الأوراق النقدية على رؤوس الراقصات أو البغايا، وينسون وراءهم يومًا ثقيلا، وما هكذا شكر النعمة واستدامتها، وربما أنشأ أولئك المبذرون قناة داعرة، أو فندقًا أو قصرًا، بينما الناس في مناطق كثيرة محرومون لا يجدون مسكنا ولا زوجة ولا دواء ولا تعليما، بل فيهم من هم عراة لا يجدون لباسًا، ومن استطاع أن يبني

بيتًا من الصفيح لا سيما صفائح (السمن النباتي) حسده الآخرون على هذه النعمة.

والمؤلم أن يصحب الانهيار الاقتصادي انهيارًا أمنيًا مروعًا، فقد كثرت جرائم القتل والسطو والسرقة والغش، كما كثر التعري والدياثة، وكثر الانتحار، وانتشر الإدمان على المخدرات، وضعف الوازع الديني وتفككت الأسرة والقبيلة، وظهر في المجتمع شباب لا يؤمنون بشيء من القيم والتقاليد فضلا عن الدين، وكان القتل يقع مرة في السنة، كما قال لي أحد مشايخ قحطان، ثم أصبح كل يوم بل ربما كل ساعة في هذا العهد "الزاهر الميمون"!، فماذا جنينا من التشبه بالكافرين والسير خلفهم؟

والعدو الوحيد عند العبيد والسادة: هو ما يسمى الإرهاب فقط، وهو محصور فيما يفعله القليل من أهل الدين المخالفين للحق ولما تفعله الأكثرية المتدينة.

وقد قال عادل الجبير: "إن الحوثيين جيراننا ويمكن التفاهم معهم، أما العدو فهو داعش والقاعدة"، ثم إن جيرانه رموا قاعدة الحوية ثم جدة ثم الرياض، وعقوبة لذلك حلت بنا المشكلات ومنها الضائقة الاقتصادية، ولو أن الناس آمنوا واتقوا وأقاموا كتاب الله، لفتح عليهم البركات، وآمنهم من الخوف، فهو الغني سبحانه وهو الكريم وهو الرحيم وهو اللطيف بعباده.

أوليس من تقول إنهم إرهابيون -أعني الإخوان وحماس- أقرب إليك يا عادل من الحوثيين؟

أوليس الأجدر بك الدعوة إلى إقامة كتاب الله وتحكيمه في كل أمر؟

قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦].

وإنما ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس، ليذيقهم بعض الذي عملوا.

وكل الوزارات والإدارات لا تعمل بالأرقام المعلنة في الميزانية، وإنما تعمل بالأوامر السرية، ولا تأبه بالتطمينات الإعلامية عن متانة الاقتصاد وقوته.

فلا نتبع الكافرين ولا نطيعهم ولا نستشيرهم في شيء.

وماذا يشيرون بها علينا إلا بالسينما والتبرج والمسكرات والزنا والربا والانحلال والفساد، وحب الدنيا الذي يسمونه التنمية وزيادة الدخل! أما النظام والعدل والتقدم الصناعي والمساواة الحقيقية فلا يشيرون بها علينا.

والله تعالى نهانا عن الإعجاب بكثرة الخبيث، وحثنا على الحلال الطيب وإن قل، وقد قال ﷺ: (بق درهم مئة ألف درهم) والعبد المؤمن خير من المشرك ولو أعجبنا، فليست القضية زيادة الدخل وإنما هي طيبه وحصول البركة فيه.

وقد حرم علينا الربا والمكوس لمصلحتنا نحن، والربا مصيره إلى المحق، وإن زادت نسبته، وإلى القلة وإن كثر، والفواحش الظاهرة والباطنة مصير أهلها إلى كثرة الأمراض، وانتشار الفقر وقلة الأمن، مع ما في المعاصي من الذل والهوان، إذ أبى الله إلا أن يذل من عصاه، فكيف نحارب الدعوة، ونطلب من الناس أن يكفوا عن الإرهاب والإرعاب، وكيف ننادي باللحمة الوطنية ونريد أن يسكت عنا الباطنية والرافضة؟، وكيف نجيز الافتراء على من يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر، ونريد الطمأنينة والاستقرار؟ وكيف نعصي الله ونطمع في نعمته؟ وكيف نحتقب الذنوب، ونأمل الغنى والراحة، وكيف نخالف أمر الله ونرجو منه الرضوان؟ وكيف نسكت عن السفهاء ونبتغي حياة الكرماء، وكيف نعيش عيشة الأعراب ونرجو جزاء المقربين من الأصحاب؟ وكيف نوالي اليهود ونستنكر أن يكتب الله علينا ما كتب عليهم من الغضب والذلة والمسكنة؟ وكيف نصحح دين النصارى والله تعالى يقول:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:١٧]؟ ولو كان معتقد ذلك إنجليزيًا أو أمريكيًا، شرقيًا أو غربيًا.

وكيف نسأل الله تعالى أن يهدينا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم، من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأن يجنبنا طريق المغضوب عليهم والضالين، ثم نتبعهم حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلناه؟

وكيف نحب العاجلة ونذر وراءنا يوما ثقيلا؟.

صحيح أن الروس والأمريكان والغربيين في غفلة عن الآخرة، ولكن كيف يغفل من عنده كتاب الله؟.

وقد يكون في الغرب من لديه كرم ابن جدعان، أو مروءة ابن الدغنّة، أو إقرار أمية بن الصلت الثقفي، أو تعظيم حرمات الله كما كان أشراف بني كنانة، أو من يؤمن بالحياة الآخرة كقس بن ساعدة الإيادي، أو يؤمن بالحساب كزهير بن أبي سلمى، ولكن أحدًا من هؤلاء لم يقل يوما "رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين"!

ولو فرضنا أن لدى الكفار قوة وأننا نبتغي منهم العزة لكان التشبه حراما، فكيف وهم في انحدار وذل؟

وإنما العزة في الطاعة والاتباع، والمسلمون بقوة إيمانهم وبيقينهم بكل ما ذكر الله، وبطاعتهم لله، يغلبون أعتى الكفار، وليس بالتشبه بهم أو تقليدهم، ورحم الله عمر بن الخطاب، حين قال في كتابه لسعد: "إنما يغلب المسلمون عدوهم بطاعتهم لله، ومعصية عدوهم له، فإذا استوينا نحن وهم في المعصية، كان لهم الفضل علينا في القوة"، وهذه الحقيقة القرآنية أدركها الصحابة رضي الله عنهم، فكانوا يعظون ويذكرون في المعارك مع الروم والفرس، لرفع معنوية المسلمين وتقوية نفسياتهم، وحثهم على الذكر والاستغفار، وقد وعظ أبو هريرة وأبو سفيان رضي الله عنهما -كما وعظ غيرهما- يوم اليرموك، ولم يكن أحد منهم يحمل ترخيصًا للوعظ، وإنما تأتي الرخصة من كتاب الله

الذي أمر بالتذكير فقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥]، وقال: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥].

وجعل للموعظة منزلة عظيمة، فقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ:٤٦] وإنما قالت (عاد) قوم هود له عليه السلام: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ﴾ [الشعراء:١٣٦].

فلا نأخذ حدود الوعظ والإرشاد من أي جهة، وإنما نأخذه من كتاب الله تعالى، ولا نتشبه بالكفار حتى في تقويمهم وتوقيتهم، وأمثال ذلك مما غيره أهم منه.

لماذا نتمسك بتقويمنا؟

كثير من علماء الفلك وغيرهم يدهش لهذه الدقة في النظام الستيني القديم عند السومريين والبابليين، كما يدهش لكون العرب الأميين جعلوا التقويم القمري مرتبطا بعباداتهم وكيف أن فيه من الدقة والوضوح ما ليس في غيره، ونحن لا نقول بالدهشة ولا نعجب لمن يؤمنون بالوحي، فهذا جانب يسير من نعم الله، وقد علّم الله تعالى الإنسان ما هو أعظم من معرفة السنين والحساب، وهو اللغة والبيان والكتابة، ونحن أمة أمية لا تحسب ولا تكتب، بل الشهر عندنا إما ٣٠ يومًا وإما ٢٩ يومًا كما صح في الحديث، وإن حال دون الهلال غيم، أكملنا عدة شعبان ثلاثين يومًا، وقد يحول الغيم دون رؤية الهلال في بلد دون بلد، كما أن الصحابة رضي الله عنهم صاموا في الشام وكان الهلال غير ذلك في المدينة.

ولم يكلفنا الله إصابة عين الواقع، فقد نكمل عدة شعبان ثلاثين يومًا بينما يكون هو في الواقع ٢٩ يومًا!.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا يقوم شيء مقام الهلال البتة، لظهوره وظهور العدد المبني عليه، وتيسّر ذلك وعمومه، وغير ذلك من المصالح، الخالية من المفاسد".

فما أسهل شريعتنا وأبعدها عن تكلفات المتكلفين!.

﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦].

وبهذا نجعل السنة عددية ونجعل الأشهر طبيعية ولا نحتاج للنسيء والكبس، ونتكلف أن يكونا على منوال واحد.

وقد زار وزير المعارف المصري سابقًا "محمود حمدي باشا الفلكي" مراصد أوروبا بنفسه، وكتب عن علم وخبرة، أن التقويم القمري أدق، وقد حازت بحوثه الفلكية إعجاب الفلكيين في كل مكان.

وفضل التقويم القمري هو ما تقرره الأرصاد الحديثة، والفلكيون المعاصرون.

والناس يختلفون متى تبدأ السنة، فكيف لا يختلفون في التقاويم.

١- فالسنة عند المسلمين تبدأ في غرة المحرم بعد انتهاء موسم الحج.

٢- والسنة عند النصارى الكاثوليك تبدأ في أول يناير.

٣- والسنة عند اليهود تبدأ أول تشرين.

٤- والسنة عند الصينيين تبدأ ما بين ١٠ يناير و١٩ فبراير.

٥- ورأس السنة عند القبط هو "١١ سبتمبر".

٦- ورأس السنة عند الروم ومن اتبعهم كأهل العراق والشام هو أول تشرين الثاني، فاعجب كيف تبدأ السنة في الشهر الثاني!.

وإنما ضلت تلك الأمم وتخبطت لأنهم يجعلون التقويم مبنيا على نوع واحد من أنواع الحساب إما عددي وإما طبيعي والتقويم الهجري يجمع بينهما.

والتقويم الغربي الحالي الذي يسمى الميلادي خطأٌ علميا، وغير صادق تاريخيا، فوق ما في استخدامه من المشابهة والتقليد، أما خطؤه فهو مما لا شك فيه عند الفلكيين إذا وضعه راهب نصراني وأخطأ فيه بمقدار ثلاث سنوات وقيل سبع، أما كونه متأخرا فإنما عدَّله البابا "جريجوري" الثالث عشر في

القرن السادس عشر أي القرن العاشر الهجري، وعليه فنحن حين نتبع الكتاب والسنة والإجماع، نعمل بما هو أقوم وأقدم وأحكم، ولا نتبعهم في الخطأ، ومستعدون لإثبات ذلك من كلامهم نفسه، والكفار أنفسهم يضعون علامة (ج) له.

ونحن ضد استخدام ما يسمى التقويم الميلادي، في بلاد الحرمين الطاهرة، وهو ما أصبح أمرًا واقعًا تستخدمه القنوات والصحف، والمواقع وأمثال ذلك مع الأسف، بل إن بعضها لا يذكر غيره مطلقا.

وقد نشرت الصحف المحلية، مثل صحيفة "سبْق" أنهم جعلوا الرواتب بحسبه، ثم صدر أمر ملكي بأن الرواتب في ٢٧ من كل شهر ميلادي!! علمًا بأن شركات الانترنت تعبد المادة، ولو قيل لها اجعليه هجريًّا لجعلته.

أما العمل بما يسمى رؤية ٢٠٣٠ فلا يشك أحد أنه بحسب التقويم الغربي الجريجوري المسمّى الميلادي، والعمل بحسب هذا التقويم مخالف للنظام الأساسي للمملكة الذي ينص في المادة الثانية (أحكام عامة) على أن تقويمها هو التقويم الهجري، وهو كذلك مخالف لما درج عليه المسلمون (المؤرخون وغيرهم)، فكيف ننتهك النظام الأساسي، ونطالب المواطنين اتباع الأنظمة؟! أكل هذا الضلال من أجل أن نكسب أياما معدودات؟

أليس في ذلك كشفا للنية المضمرة عن جعل البلاد ذيلا للغرب؟

والتقويم الهجري ليس مجرد شكل، بل هو أصالة وتميز، وقد حرص الكفار على إلغائه فاشترطوا ذلك على الخديوي في مصر واشترطوه على الدولة العثمانية ولا يزال دأبهم ليجعلوا هذه الأمة تابعة للغرب في كل شيء، ويفقد المسلمون تميزهم، فينبغي للمسلمين العمل بالتقويم الهجري والحرص عليه، ولينظروا إلى الموافق لا إلى المخالف.

وقد ضلت قبلنا الأمم كلها، فجعلوا اليوم والأسبوع والشهر والسنة إما عددية وإما طبيعية، فتاهوا وتخبطوا واضطروا لفكرة (الكبيس) أو (النسيء).

وتقويمهم يقوم غالبا على اعتقاداتهم الباطلة، فـ"مارس" أحد أركان الثالوث الروماني وهو "جوبيتر مارس كورينوس"، دع أسماء اباطرتهم وملوكهم -كما سنذكر إن شاء الله- ومنهم يوليو وأغسطس! وقد كانوا يعتقدون تأليه الملوك كما بين الله في قصة خليله إبراهيم وكليمه موسى.

ولا يزال الصينيون مثلاً يتبعون التقويم القمري، وعلى ضوء حسابهم للقمر يجعلون لملوكهم أيامًا خاصة للإنجاب، وهم يذكرون السنة التي انشق فيها القمر.

والمسلمون لا يحتفلون لا بأول يناير ولا بأول الربيع ولا بأول الميزان فقد أعطانا الله خيرًا من ذلك كله، وهما يوما الفطر والأضحى، وأول الربيع هو النيروز الذي يحتفل فيه المجوس وحذرنا الصحابة رضي الله عنهم من الاحتفال به، وإنما يحتفل به من المسلمين أو ادعياء الإسلام الروافض في إيران والكرد، وعبدة النار والأصنام في اليابان والصين وكوريا والهند.

وكان المشركون قديما -وفي أمم كثيرة- يحتفلون بأول الانقلابات الفصلية، واليومان اللذان كانا يحتفل بهما المشركون في الجاهلية، هما يوما الاعتدال: الاعتدال الربيعي، "النيروز"، والاعتدال الخريفي "أول الميزان".

والتقويم الهجري هو الذي أمر به عمر بن الخطاب ﷺ وأجمع عليه الصحابة الكرام واتبعه أهل السنة بلا نزاع، وسارت عليه الأجيال قديمًا وحديثًا، ولا زالت الشعوب عليه لا سيما في جزيرة العرب، إلا من شذ ممن يسميهم بعض الناس "مثقفين" وهم في الحقيقة مقلدون للغرب، منكرون لما ميّز الله به هذه الأمة المباركة.

ويجب على هيئة كبار العلماء إصدار فتوى بهذا.

وإذا سمعت من يقول العطلة الأسبوعية في قناة محلية أو عربية فاعلم أنه يقصد السبت والأحد كاليهود والنصارى، وكان الجاهليون يسمون الأيام بأسماء أخرى مثل: أول، أهون، دبار، مؤنس، العروبة، شبار؟

فكيف تنتكس عقولنا فنتبع الغرب في تقويمه، أو نقلل عدد زائري بيته المحرّم، وننشئ مشروعات سياحية تكلف المليارات في أماكن صحراوية مقفرة، هذا عدا ما في السياحة من تعرٍ وفساد واستنكار الناس هنا لذلك؟ وقد كلفت المنطقة السياحية في الرياض ٣٠ مليارا، دع مشروع نيوم الذي يخدم إسرائيل فكيف نستجلب الخسارة والمشكلات الاجتماعية ونحن لم نعالج مشكلاتنا الموجودة؟ وما دام الأسبوع واحدًا في كل أمم الأرض كما أنزل الله، فلم لا يكونون أيضًا على ما شرع الله في الشهور والسنين والأعياد؟.

وكما أن لكل دين قبلة خاصة ولكل قوم عيدا يختصون به، ومنسكًا هم ناسكوه، ولكل قوم تسميات، ولكل أمة تقويم، فلا يصح أن نتبع الكفار وقد أعطانا الله ما ذكرنا صفته.

والله تعالى هو العليم الحكيم، وكتابه هو الذي يهدي للتي هي أقوم في كل شيء، ولا يترك هداه إلا ضال زائغ، والمسلمون غير ممنوعين من اكتشاف الحكمة إن استطاعوا وعلموا!

وقديمًا عرف المسلمون اختلاف التوقيت، ولما تحدثوا عن النزول الإلهي يوم عرفة، ذكروا فروق التوقيت قال ابن تيمية: "وقربه عشية عرفة ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحجاج، وإن كانت تلك العشية قد تكون وسط النهار، في بعض البلاد، وتكون ليلا في بعض البلاد" اهـ.

ويكفي أي متبع لدين إبراهيم عليه السلام، إما حقيقة كالمسلمين وإما ادعاء كاليهود والنصارى، أن يقارن بين توقيت مكة وتوقيت جرينتش، ويرى أيهما أقدس وأيهما أصح موقعًا، وأعدل مناخًا، يقول الدكتور "كسرلنج" وهو نصراني نمسوي كثير البحث في التاريخ: "إن خط الطول الأساسي ليس في بلد جرينتش الانجليزي، ولكن في مكة التي تقع على خط طول ٤٠ درجة والتي تحتوي على الكعبة المشرفة، ويمثل المركز المقدس لمكة

فقط الاتجاه الصحيح"، وكلامه هذا يطابق ما قاله الدكتور حسين كمال الدين المصري، وكذا أحد علماء باكستان.

وذلك ما أثبتته الأقمار الصناعية، وطالبت به هيئة الإعجاز العلمي العالمية، وكذلك نحن نطالب به، وهذا مقتضى الدين والعلم، فهل الأقمار الصناعية أثبتت أن جرينتش هي مركز العالم أو أن جرينتش هي التي تضيء، وهل بريطانيا هي مهد الحضارات، وهل يستقبل الموحدون جرينتش، نعوذ بالله من هذا الضلال.

ومن لم يؤمن بالعلم فعليه أن ينظر في التاريخ العالمي العام، وفي العلامات الواردة عند أهل الكتاب فهل جرينتش هي بلدة خليل الرحمن الذي تؤمن به الأديان الثلاثة الكتابية اليوم؟

وهل حج الأنبياء إليها؟

وهل يذبح الناس هناك الهدي والفدية وإليها تساق غنم مصر ومدين؟

وهل هي أورشليم الجديدة، أو السماوية كما يزعم بعضهم؟

وهل أنبع الله فيها ماء الحياة؟

وهل الطريق التي لا يمر بها نجس فيها؟

وهل رفع إبراهيم وإسماعيل القواعد من البيت فيها؟

وهل عندها جعل الله وادي البكاء وتحيط بها جبال فاران ويخدمها رجال سبأ؟.

وهل هي التي يلحس الملوك ترابها ويتشرفون بغسلها وخدمتها؟

وكثير مما ليس هذا موضع التفصيل فيه، وإنما نورد بعضه لمن لا يؤمنون إلا بما في كتب أهل الكتاب.

وإذا كان ذلك في التوقيت اليومي فماذا نقول في التقويم السنوي؟

وكان الناس قبل التقاويم يؤرخون بالأحداث الكبار، فالعرب كانوا يؤرخون بعام الفيل، ثم أرّخوا بحرب الفِجار، ثم أرّخوا ببنيان الكعبة، وكل ذلك ذكره الأزرقي في تاريخ مكة.

ولما كان زمن عمر ﷺ، أرَّخ بهجرة النبي ﷺ، إذ بها كوَّن المسلمون أول مجتمع إسلامي، وهو حدث ثابت في تاريخ هذه الأمة، أما مولده ﷺ فمجهول وكذا بعثته.

واليونان يؤرخون بفتوحات الإسكندر الكبير، والنصارى يؤرخون بميلاد المسيح عليه السلام -كما يزعمون- وعليه الغربيون إلى اليوم.

و"أوجست كونت" والوضعيون من بعده، يؤرخون بالثورة الفرنسية التي تسير فرنسا على مبادئها اليوم، واليهود يؤرخون بالسنة اليهودية، والشيوعيون تابعوا الفرنسيين ووضعوا تقويمًا للثورة البلشفية.

واليابانيون والصينيون يؤرخون بما فعله ملوكهم الأقدمون.

والأقباط يؤرخون بقيام المملكة المصرية القديمة، أو بما يعرفون من الأسر المصرية القديمة ونحو ذلك.

والروم يؤرخون بأيام الأباطرة وعهودهم، لا سيما الامبراطور "دقلديانوس".

والروس يؤرخون بأمجاد القياصرة.

والحبشة يبدأ تاريخها منذ دخولها النصرانية، وتقويمهم يتأخر عن التقويم الغربي.

ولكل قوم أعيادهم واحتفالهم.

وهكذا كل أمة لها تاريخها الخاص، فلا يجوز للمسلمين ترك تاريخهم الهجري واتباع غيرهم في تاريخه، ولا يفعل ذلك إلا ممسوخ منسلخ من دينه، وصدق رسول الله ﷺ، لما قال: "إن لكل قوم عيدًا".

والمحايد من ذلك هو الاستدلال على الأحداث باقترانات الكواكب أو ببزوغ نجم ما على حدث يقع، إذ من الكواكب ما يطلع كل كذا سنة بانتظام، وبذلك عمل هرقل، كما كان هرقل الذي نظر في النجوم فقال: "إن مُلك أمة الختان قد ظهر"، وقصته معروفة رواها البخاري في كتاب بدء الوحي من الصحيح، وهذا صحيح في ذاته يدل عليه علم الفلك، لكن

المشكلة أن بعض الكواكب تستغرق دورته زمنًا طويلا كالشعرى التي تستغرق قرابة ١٥ قرنًا، ثم إن المنجِّمين بنوا عليه خرافات باطلة.

واستخدام التقويم النصراني في صرف الرواتب إنما هو بداية لاستخدامه في كل شيء، كما هو حال المجتمعات في غير هذه الجزيرة المباركة.

وإلا أليس هناك وسيلة إلا الضحك على الموظفين بتحويل صرف الرواتب من التقويم الهجري إلى التقويم الميلادي، فنكسب ماديًا أياما معدودات، ونخسر معنويًا ما درجت عليه الأمة الإسلامية طوال تاريخها وما يتميز به المسلمون عن الأمم الكافرة أم أن الأمر فرصة سانحة ويجب اغتنامها؟.

ولو قدرنا أن الحكومة ربحت تلك الأيام أليس في ذلك خسارة لأكثر العاملين الذين يرغبون صرف رواتبهم وفق الأقل؟ وهل كل الناس موظفون؟

افرض أن هذا حل اقتصادي، أليس كل حلولنا ساذجة مستهلكة، و لم لا يبدأ أصحاب المناصب بأنفسهم؟ ومن الذي ربى الناس على مبدأ "خذ واسكت" والآن يقال "ادفع واسكت"، وهل رضي عامة الناس أن يُنسى التقويم الهجري، أو يبيد كما نسي غيره وباد؟

ومن التقاويم المنسية "التقويم الجلالي" الذي وضعه بعض المتزلفين للسلطان جلال الدين، وكذا التقويم الذي وضعه "أوغست كونت" للثورة الفرنسية، ومثلها تقاويم كثيرة بادت ولا أثر لها اليوم.

ومن التقاويم الحية اليوم التقويم الهجري الشمسي، الذي عليه الملايين في شرق العالم الإسلامي، في أفغانستان وباكستان وخراسان والجمهوريات الإسلامية التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي.

أما التقويم الذي جعله الله للأنبياء، وجعل عليه الأهلة للصوم والحج، وجعل عليه العدة للمطلَّقة أو المتوفى عنها، فهو التقويم الهجري القمري الذي هو أدق التقاويم وأوضحها وأيسرها، ودرج عليه المسلمون منذ أن وضعه الصحابة رضي الله عنهم، أيام الفاروق ﷺ، واستخدمه ابن كثير وابن الأثير

وكل المؤرخين، ولا يعرف أكثر الناس غيره أصلا، كما أنه ما كانت عليه شرائع الأنبياء

وبه يتميز المسلمون إذ لكل أمة تقويم، ولكل دين تقويمه ولكل أمة تقويمها، فهناك تقويم بوذي، وتقويم يهودي، وتقويم كوري، وتقويم بنغالي، وتقويم تايلندي، وتقويم إثيوبي، وتقاويم هندية، وتقويم أمازيغي، وهكذا.

وإنما التقويم الشمسي للزروع والثمار، وهو ما يعرفه الفلاحون بالنجوم، والأبراج، ولا حاجة إليه في أمور أخرى، وغاية ما يصل إليه الأمر لمن يتبعه أن تكون السنة أكثر بحوالي ربع يوم، وذلك لا يؤثر في الزراعة، أما أهل الكتاب فيختلف تقويمهم الشرقي عن الغربي بأسابيع!! وأما غيرهم فهم أعظم اختلافا منهم ويضعون هامشا للخطأ قد يصل إلى الثلاث سنوات، فاحكم بعقلك أي التقويمين أضبط وأحكم وأقدم؟

والكفار يوافقون الوحي في الأيام فقط فالجمعة هي الجمعة سواء كانت في مكة أو نيويورك فلماذا لا يوافقونه في السنين؟.

ومن احتفل بالنيروز ففيه شبه من المجوسية شاء أم أبى، ومن قلد الغربيين في احتفالهم بعيد الأم أو عيد العمال أو عيد الحب أو عيد الاستقلال أو العيد الوطني، أو عيد الميلاد الشخصي، وما أشبه ذلك ففيه شعبة من الغرب على الأقل.

والمسلم يتميز عن التشبه بالكفار، وحسبه يوما الفطر والأضحى والله تعالى من كرمه زاد لنا أيام التشريق.

ومن احتفل بأيام الانقلاب الفصلي كالانقلاب الخريفي أو الصيفي، ففيه شعبة من الوثنية، وكذا اليومان اللذان كان العرب في الجاهلية يلعبون فيهما، وجعلهما القوميون العرب يومين وطنيين للأمة العربية، وهما يوما الانقلاب الفصلي.

وكل ما عاد وتكرر فهو عيد سواء سماه الناس عيد أو يوماً أو ما أشبه ذلك، فالربا ربا وإن سموه فائدة، والخمر خمر وإن سموه شرابًا روحيًا،

والمعازف معازف وإن سموها موسيقا أو مزّيكا، والزنا زنا وإن سموه حبًا، والقانون قانون وإن سموه نظامًا، وهكذا فالحقائق لا يغيرها اختلاف الأسماء أو الألفاظ.

والله تعالى نهانا أن نقول: راعنا، بل نقول: انظرنا، ونهانا عن استقبال قبلة اليهود والنصارى بل نستقبل بيته العتيق، ونهانا أن نكون كرهبان النصارى، فكيف نحتفل بأعيادهم؟

فالعيد من الشعائر المختصة كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]، وقال: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨]، وقال: ﴿لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ [الحج:٦٧].

ولما طلب بعض الصحابة الكرام أن يجعل لهم النبي ﷺ ذات أنواط قال: "الله أكبر إنها السنن، قلتم كما قال بنو إسرائيل لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف:١٣٨].

وقال صلوات الله وسلامه عليه: (أيام التشريق أيام عيد لنا أهل الإسلام).

وكان العرب يلعبون في يومين لهم في الجاهلية كما يفعل الأولون، ولكنه عليه السلام قال للمسلمين: "إن الله أبدلكما بهما يومين خيرًا منهما، هما يوما الفطر والأضحى".

وكانت الأمم الشركية كلها ترتبط أعيادها بأول أيام الخصب أو الاعتدال عندهم، فكان المصريون القدامى يربطونه بارتفاع النيل، وكان الفينيقيون وغيرهم يحتفلون بقدوم الصيف ويحزنون لذهابه وهكذا، وكان عباد الشمس يجعلون تغير الفصول هو المعلم الذي يحتفلون فيه، فاتخذ المجوس عيد النيروز الذي هو أول أيام الربيع كما سبق، وكان الروم ثم النصارى يحتفلون تبعا للذين كفروا من قبلهم عند الانتقال إلى الشتاء حيث يبدأ النهار بالطول، وسمو هذا العيد الوثني عيد ميلاد المسيح أو "الكريسمس".

ومعلوم أنه في أول الميزان يتوازن الليل والنهار ويكون الانقلاب الخريفي أو الاعتدال الخريفي، وفي أول الربيع يحدث الانقلاب الربيعي الذي يحتفل المجوس بأوله ويسمونه النيروز كما سبق.

ويحتفل النصارى بعيد ميلادهم المزعوم في الشتاء دائمًا، حيث يكون الجو باردًا ويفرح بذلك المسلمون، لأن النصرانيات هناك يضطررن إلى التستر من شدة البرد، ولم يكتف الغرب بإحياء الشعائر الوثنية بل جعل وقتها دائما، وجعل النصارى الصوم في الربيع دائما وزادوه أياما كفارة لنقله في زعمهم.

على أن أسوأ فصول السنة في الغرب هو فصل الربيع حيث تكثر المستنقعات وتذوب الثلوج، أي عكس ما عندنا في الشرق، إذ يفرح الناس بقدوم الربيع، حيث تتفتح الأزهار وتورق العيدان ويزرعون بعض النباتات الموسمية.

وأظن أن الدرزي "فؤاد حمزة" اختار أول الميزان ليكون عيدًا وطنياً؛ لأنه اليوم الذي كان فيه العرب يلعبون في الجاهلية، لا سيما وأن ذلك الاختيار كان في أيام المد القومي العربي، والانسلاخ مما يسميه القوميون "الاستعمار التركي"، فقد اتبعت هذه الأمة سنن الأمم الكافرة، وضاهت الذين كفروا من قبل، واستمرأت ذلك لاسيما مع سكوت أهل العلم اليوم عن إنكاره والأمر بمنعه.

والقاعدة الثابتة للمحتفلين وللمنسلخين أن كل نظرية في الغرب ترى لها صدى هنا في بلاد المسلمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا أفظع أنواع التشبه ومتابعة الكفار.

فلما ظهرت نظرية التطور عندهم وكتب عنها "تشارلز داروين"، ظهر هنا من يدعو إليها ويؤمن بها على أنها حقيقة علمية، كما فعل شبلي شميل، وإسماعيل مظهر، وقل مثل ذلك عن نظرياتهم الكثيرة في اللغة والنفس والأدب والتاريخ والقدر والاجتماع والتصوف ووحدة الوجود وهكذا.

فكأنما فررنا من الفلسفة القديمة والتجهم والاعتزال ووحدة الوجود بأسمائها الصريحة، لنقع في فخ هذا الإلحاد والتيه الجديد متمثلا في "ماركس" و"فرويد" و"سارتر" و"ألبير كامو" و"نيتشه" و"ديكارت" و"كانت" وغيرهم.

ودعا القوميون هنا إلى القومية العربية من الخليج إلى المحيط لما ظهرت في أوروبا، وتمثلت هذه الجاهلية المقيتة في الأفكار التي دعا إليها الناصريون والبعثيون وغيرهم، وظهر لأول مرة في التاريخ ما يسمى "الوطن العربي"، واشتغل المستشرقون بإحياء الادب العربي على الطريقة الأوربية "وبإحياء اللهجات العربية والأمثال العامية، في مصر وبغداد وفلسطين ونجد واليمن وأمثالها، وبعد أن رد "جمال باشا" على هذه القومية جاء المجرم "مصطفى كمال" المتلقب "أتاتورك" فقضى على اللغة العربية في تركيا، بل على اللهجة العثمانية، وأعاد لغة جنكيز خان وهولاكو وألغى الخلافة الإسلامية، وفرض على الاتراك اللباس الغربي والأحرف اللاتينية وأمثال ذلك من المنكرات التي ليس هذا موضع التفصيل فيها، ولا يزال الأتاتوركيون في بلاد الحرمين يذكرون ما يسمونه مرارات الخلافة.

ولما ظهر الفكر الاشتراكي في الغرب وقامت الماركسية الشيوعية، ظهر بين المسلمين أحزاب اشتراكية، وأحزاب شيوعية أيضًا، فكان الاتحاد الاشتراكي في مصر، وكانت الاشتراكية أحد مبادئ البعثيين، كما كان "جورج حبش" أحد دعاهما، واختلطت القومية بالاشتراكية حتى صعب التمييز بينهما.

ولما نشأت في أوروبا التكتلات والأحلاف، وحلت محل القومية نشأ عند المسلمين أحلاف أو اتحادات مثل: حلف بغداد أو الاتحاد بين السعودية ومصر وبين السعودية واليمن، وغيرها من الملكيات ذلك الحين ولم يقم إلا اتحاد بين سورية ومصر، ولكنه سرعان ما فشل، ولما انهارت الشيوعية وعاد الغرب إلى الخصخصة واقتصاد السوق اتبعهم الناعقون هنا أيضًا وأصبح

التخصيص هو الحل، وأصبحت التجارة الحرة هي الأصل، وكلما دخل الغرب جحر ضب دخله المتشبهون به.

وهكذا اتبعهم المسلمون إلا من شاء الله، وقال لي أحد المسلمين في المدينة وكان طالبًا في الجامعة الإسلامية، "أنا هندي أولاً ومسلم ثانياً"، ولما اغتالوا انديرا غاندي، تأسف أحد المسلمين في مكة وقال "هي هندوسية ولكنها رئيستنا يا أستاذ"، ورحم الله الشيخ أبا الأعلى المودودي الذي كتب عن الرابطة الإسلامية والرابطة القومية.

والمقصود أنه بظهور هذا الاقتصاد الجديد كما يسمونه عمموا البنوك الأمريكية والبريطانية والفرنسية وغيرها في البلاد الإسلامية، ونشأت في بلاد المسلمين الخصخصة كما هي عند الغربيين، وبعد أن كان الأوربيون يأتون بالجيوش ليحتلوا بلادنا ويحموا مصالحهم وينتزعوا ثرواتنا، أصبحنا نحن نتسابق في التسهيل لأهل المال منهم للاستثمار في بلادنا بحمايتنا نحن، مقابل بعض الوظائف لمن يخدم المستثمرين ويرطن بلغتهم.

وما هذا إلا صورة جديدة من صور الاستعمار لكن أهلها لا يسمونها الاستعمار بل الاستثمار، وهو استعمار الحياة كما سماه الفيلسوف الاجتماعي الألماني "هايبر ماس" وبعد أن كان البنك الأمريكي بالبطحاء أكبر عمارة في الرياض وكذا بنك مانهاتن في جدة أصبحت البنوك اليوم في كل حي من مكة شرفها الله بل قريبًا من المسجد الحرام.

وبعد أن كان آل روكفلر يملكون شركة الزيت العربية الأمريكية "أرامكو" أصبحت اليوم (أرامكو السعودية)، أي أن الربا والاحتكار لم يعودا أمريكيين بل صارا وطنيين.

كما قال حافظ إبراهيم:

لقد كان فينا الظلم فوضى فهذبت   حواشيه حتى بات ظلمًا منظما

وهكذا قلدنا الكفار حتى أنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلناه، كما اخبر ﷺن وماذا في جحر الضب؟

أما بناء القواعد فلا يكاد يذكر مع أنه صورة من صور الاستعمار.

ولم نمتثل -إلا من رحم الله- أوامره ﷺ ومنها: "خالفوا اليهود" و"لا تقوموا لي كما تقوم الأعاجم لكبرائها"، "خالفوا المجوس"، وقال ﷺ فيمن ينحت التماثيل ويصور القديسين، كما يفعل الكاثوليك اليوم: "أولئك شرار الخلق عند الله".

وقال: "لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد".

وكان السلف الصالح لا يتشبهون بالكفار في شيء ولم يحتفلوا بيوم من أيامهم، ثم ظهر الاحتفال عند الضالين، كاحتفال الباطنية بيوم المهرجان الذي قال فيه ابن هانئ الأزدي:

لا تقل بشرى ولكن بشريان   طلعة الداعي ويوم المهرجان!

ثم احتفلوا بأيام كثيرة، كيوم الاستقلال، ويوم الجلاء، ويوم العمال، واليوم الوطني، وعيد الأم، وعيد بابا نويل وغيرها.

وقد حذر ﷺ من مشابهة المشركين وكل ما قد يؤدي إلى الشرك، كالبناء على القبور أو تعظيم صور الصالحين، أو استحلال ما حرم الله بأدنى الحيل، أو اتباع طرائقهم والتشبه بهم في أي شيء من خصائصهم، ونهى عن إطرائه كما فعل النصارى، وذلك سدًا للذرائع إلى الشرك وحماية لجناب التوحيد.

وللأسف فقد أطراه صاحب البردة قديمًا، وكذلك فعل صاحب الذخائر المحمدية حديثًا، وكذلك فعلت الرافضة والصوفية، فجددوا ملة عمرو بن لحي، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، وفعلوا عند قبره الشريف ما يفعلونه عند قبر البدوي، أو بن علوان، أو ابن عربي، أو جلال الدين الرومي، وعبد القادر الجيلاني، كما اشتهر في بلاد المغرب الإسلامي ضريح سيدي فلان، ومنهم خلف بن محرز في تونس وخالد بن سنان في الجزائر وكذلك المشابهة في التقويم والأعياد.

وقال كثير من المفسرين: إن الزور المذكور في صفة عباد الرحمن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان:٧٢] هو أعياد المشركين.

وقد قال ﷺ: "من تشبه بقوم فهو منهم"، ولذلك يجب علينا التشبه بالصالحين من الصحابة والتابعين والسلف الصالح، ولا نتشبه بالكفار لا في أعيادهم ولا غيرها، كما لا نتشبه بالروافض والخرافيين.

وانظر إلى اليهود -عليهم لعائن الله- هل جعلوا أعيادهم تابعة للتقويم الغربي؟ أم أن الملاحدة فقط هم الذين يحسبون حسب التقويم الغربي، أما المتدينون اليهود فهم يسيرون على تقاويم التوراة والتلمود، ويحتفل نتنياهو برأس السنة حسب التقويم اليهودي، ويجعلون الاحتفال بالأعياد اليهودية فرصة لإقامة الصلوات لاتلمودية في المسجد الأقصى.

ونحن مع الأسف نحتفل بأعياد الغربيين كعيد الكريسمس ٢٥ ديسمبر الذي يزعمون أن المسيح عليه السلام ولد فيه وهو عيد وثني قديم، أراد به النصارى جلب الروم إلى دينهم، وقال البابا الحالي "فرنسيس" الجزويتي إنه لم يجد له ذكرًا في الإنجيل، وفعلاً ليس له ذكر لا في العهد القديم "التوراة" ولا في العهد الجديد، وإنما ابتدعه النصارى كما ابتدعوا الرهبانية، وتقربوا به إلى الروم، كما أنه ليس في الإنجيل أيضًا ذكر للتثليث، وهو أفحش من الاحتفال بالكريسمس.

ثم إن النصارى أحدثوا أعيادًا أخرى كعيد الحب وعيد الأم، وعيد العمال، وعيد جميع القديسين "هيلووين" مع أنهم جعلوا لكل قديس عندهم عيدًا يخصه، والأمم المتحدة اعتمدت ذلك ثم زادت فجعلت لأي مرض أو هوى يومًا خاصًا.

وبعض المتشبهين بالكفار اليوم يجعل رأس السنة الغربية، أو يوم المولد، أو يوم عاشوراء، عطلة رسمية، وهنا في بلاد الحرمين لم يستطيعوا حتى الآن إلغاء فكرة التعطيل يوم الجمعة، فالمسلمون يصلون في هذا اليوم ويغتسلون، ولذلك جعلوا العطلة إما الخميس والجمعة وإما الجمعة والسبت، وإذا ظل

أهل العلم على حالهم فسوف يجعلونها يوم الأحد كما في كثير من البلاد الإسلامية.

وبعضهم يحدد أيامًا لم يشرعها الله مثل القول بأن ليلة القدر هي ليلة السابع والعشرين من رمضان، مع أن الثابت أنها في ليالي الوتر ولكن الله أخفى ليلتها علينا لنجتهد في ليالي العشر كلها، ويزعمون أن ليلة الإسراء هي ليلة السابع والعشرين من رجب!!.

وأعياد النصارى كثيرة، وأهمها عيد الميلاد كما سبق وهو ٢٥ ديسمبر، وهو عند الأقباط ٢٩ كيهك.

ومن أعياد النصارى الأخرى:

- عيد القيامة وهم يحتفلون فيه أيضاً ويجعلونه في أمريكا أول يوم أحد بعد الفصح.

- ومن أعياد النصارى أيضًا عيد المظال، وعيد الغطاس (وهو عندهم ذكرى تعميد المسيح في نهر الأردن)، ويزعمون أنه في ١٩ من يناير.

- ومن أعيادهم: عيد الآلام أو "الجمعة الحزينة" كما قد يسمى.

- وعيد العنصره: الذي يقع بعد موسم الحصاد عند اليهود، وهو عندهم بعد عيد الفصح بخمسين يومًا، ويقع عند النصارى في اليوم السابع بعد الفصح.

واليهود والنصارى يستعملون الحساب، الذي يسميه علماؤنا الجداول، ويختلفون جدًا حسب حسابهم أو فِرَقهم، والفروق بين التقويم الغربي والتقويم الشرقي تصل إلى (١٥) يوما أو تزيد، والله تعالى شرع لنا أسهل السبل، فنحن نعتمد على الثبوت بالرؤية.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ﴾ [البقرة:١٨٩].

وقال ﷺ: (صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته، فإن غم عليكم فأكملوا عدة شعبان ثلاثين يومًا).

ومن مخالفة أمر الله ورسوله وركوب سنن اليهود والنصارى أن بعض الدول في العالم الإسلامي تحدد دخول رمضان مثلا بيوم كذا من التقويم الغربي قبل أسبوع من دخول الشهر الكريم!!

فلا يجوز لنا التشبه بالنصارى لا في عقائدهم ولا في أعيادهم، ولا في كل ما يختص بهم، كإطراء المسيح عليه السلام، وادعاء ألوهيته، وتعظيم الموتى وأمثال ذلك.

ومن الإطراء المأخوذ عنهم: القول بأن أول ما خلق الله نور نبيه محمد ﷺ استدلالاً بحديث جابر وهو حديث موضوع.

والتشبه دليل على ضياع الشخصية وذوبانها، والإعجاب بالمتشبه به، وربما كان ذلك مرضا نفسيا أو عادة، إذ أن المحاكاة من العادات الشائعة بين البشر حتى أن بعض الناس يتثاءب إذا رأى غيره يتثاءب، وبعض الناس إذا أعجب بشخصية غيره قلده في كل شيء، وقال ابن خلدون: إن المغلوب مولع بتقليد الغالب، وقال أحد علماء الهند: لو جاءت الحضارة من إفريقيا لصبغ الناس وجوههم بالسواد وضخموا شفاههم.

والإمّعة هو من يتبع ما عليه الناس بلا تفكر، أما العاقل فينتقي ويختار، وبعض الناس يكون مغرمًا بأمر فلا يدع منه شيئا، كما تجد بعض المغرمين بالقراءة، يقرأون كل ما وقعت عليه أيديهم، وبعض المتبعين للشهوات، يتبعون كل شهوة في الشرق أو الغرب، وبعض محبي الكرة والمصارعة يحفظون أسماء اللاعبين أو المصارعين، وبعض المفتونين بالسياحة والرحلات تذهب أعمارهم في ذلك وهكذا.

وديننا ولله الحمد دين اليسر، ففي إمكان أي إنسان أن ينظر إلى القمر ولو كان أميا، أما الجداول فلا يقرأها إلا بعض الناس مع اختلافها وتناقضها

ومن التشبه بالنصارى التشبه بهم في تثليثهم، فتجد بعض الأحزاب العلمانية في بلاد المسلمين، تتخذ شعارًا ثلاثيًا مثل كون شعار البعثيين هو "حرية، وحدة، اشتراكية" والدول الملكية تقلّد النصارى ولكن يكون

شعارها "الله، الملك، الوطن" وأمثال ذلك، على أن المؤمنين يعملون كل شيء لله وحده لا شريك له، وله وحده الحركات والسكنات.

وأعظم التشبه بالكفار اتباع نظرياتهم وآرائهم في أي مجال، فهذا معناه: اتباع أولياء من دون الله، والله تعالى يقول: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

ومعناه أن يكون لله شريك، أو أن يكون هؤلاء الأنداد أصحاب النظريات البشرية أعلم من الله، تعالى عما يشركون.

ومعناه أن هدي هؤلاء أقوم من القرآن، مع أنه تعالى قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، واتباع هؤلاء يقدح في الإيمان بالكتب الذي هو ركن من أركان الإيمان.

ومن جدب الحضارة الغربية وفقرها، أنك تجد في أمريكا اسمًا واحدًا لعشرة أماكن، مع أن الأمريكان لم يتركوا اسما يونانيًّا أو رومانيا إلا سمّوا به، حتى أنهم سموا بأسماء إسلامية مثل "فلسطين" و"بغداد" و"مكة".

بل وصل بهم الأمر إلى اختراع أسماء لا وجود لأعلامها، كما فعلت أمانة مدينة جدة في تسمية الشوارع بأعلام لا وجود لهم، وكأننا أمة فقيرة في الرجال.

وكثير من الولايات الأمريكية أو المدن تبدأ بكلمة "سان" أي القديس في دينهم وهي في الأصل كلمة أسبانية.

ومما راج بين المسلمين التشبه بالكفار في أسمائهم فتجد اسم الجدة "خديجة أو حفصة أو صفية أو حصّة"، واسم الحفيدة ديانا أو راما أوليندا أو داليد وما أشبه ذلك مما ليس عربيا أصلا.

ومن ذلك ما يريده بعضهم من ترك أسماء الصحابة، فلما سمّى أحد الصالحين ابنه مصعب على اسم مصعب بن عمير، قيل له: "ما لقيت إلا اسم

هؤلاء البدو"، كلا والله ليس الصحابة بدوًا أغرارا، ولا أعرابا أجلافا، وإنما هم أكرم جيل وأفضل الناس بعد الأنبياء، ومن محبتهم التسمي بأسمائهم.

والتقدم عند أهل العلمنة واللبرلة هو أن تسمي جون العتيبي أو فرنك المطيري أو هنري القحطاني أو صموئيل الزهراني أو ميكال اليامي!

ولما وقع السادات الاتفاقية المشؤومة "كامب ديفيد" سمى بعض المصريين ولده "بيجن"، وبعض السعوديين سمى ابنه "ترامب" لما زار الرياض، وبعض القوميين العرب سمى نفسه (الانجليزي).

مع أن النبي ﷺ غيّر ما هو دون ذلك، كما غير من اسمه حزن إلى سهل، ومن اسمها عاصية إلى جميلة، وغيّر من اسمه "الحباب" إلى "عبد الله".

وأمر بتغيير كل ما عبِّد لغير الله مثل: "عبد العزى، وعبد شمس، وعبد المسيح"، ومثله في هذه الأيام "عبدالنبي، وعبد الحسين، وعبد الأمير، وعبد الرضا، وعبد الزهراء" الخ.

وأرشد صلوات الله وسلامه عليه إلى أن أفضل الأسماء هو "عبد الله وعبد الرحمن" وأصدقها "حارث وهمام"، وإلى ألا يسمي المسلم فتاه "أفلح ويسار"، وألا يتسمى أحدنا باسم فيه تزكية للنفس مثل "برَّة"، وأخبرنا أن الحُباب اسم شيطان.

ولما جاءه أحد العرب وكان اسمه "أبا الحكم" قال ﷺ: (إن الله هو الحكم ولكن ما اسم أكبر أبنائك؟ قال: شريح، قال: فأنت أبو شريح)!

وينبغي التسمي بأسماء الأنبياء ثم الصحابة والقادة والعلماء مثل: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم أجمعين، أو عبد الله، وعمر، وعثمان، وعلي، وعبد الرحمن وخالد وسعد وعمرو وحذيفة.

وخير أسماء النساء أسماء أمهات المؤمنين، مثل خديجة وعائشة وميمونة وحفصة وجويرية وصفية.

وبنات النبي ﷺ مثل: "فاطمة وزينب وأم كلثوم ورقية" والصالحات من النساء والأمهات الشريفات، مثل آمنة وحليمة وسعدية، وآسية، وسارة، ونسيبة.

ويجوز التسمي بالأسماء الأصيلة مثل: (ليلى وسلمى وميّ، وسعدى وعزة، وحصة، وصالحة، وحمدة)، فللاسم أثر في المسمى ودلالة على عقيدة المسمي.

ولا يجوز التشبه بأسماء الكافرات مثل (ديانا أو مادلين أو إليزابيث أو مادونا) وأمثال ذلك.

ولا أعلم لوجوب تغيير الأسماء بسبب تغيير الدين أصلا، إلا إذا كان الاسم معبدًا لغير الله، كمن يكون اسمه في النصرانية عبد المسيح فيسلم فنسميه "عبد الله" مثلا، أو اسمه لما كان رافضيا "عبد الحسين"، وما لم يكن الاسم مشتملا على محرم فليبق كما هو، فلا مانع أن يكون من المسلمين من اسمه جون مثلا.

ومن التشبه بالكفار اتباع عوائدهم ورسومهم وعاداهم الاجتماعية عامة، ونص على العادات والرسوم الضالة ابن عقيل وتبعه ابن الجوزي، ثم ذكر ابن القيم فيها كلامًا عظيمًا قال فيه: "وهذه الأوضاع والرسوم قد استولت على طوائف بني آدم من الملوك والولاة والفقهاء والصوفية والفقراء والمطوعين والعامة وربي فيها الصغير ونشأ عليها الكبير، واتخذت سُننا" اهـ.

وقد حمى ﷺ جناب التوحيد حتى من مجرد المشابهة الظاهرية وإن كان المقصد مختلفا، فلما سأله أحد الصحابة عن ذبح إبل ببوانة إنفاذاً لنذره، قال له ﷺ: (هل كان فيها وثن يعبد، فأجاب الصحابي بالنفي، فقال له المصطفى ﷺ، هل كان فيها عيد من أعيادهم، فقال له لا، فقال: أوفِ بنذرك)، فالنبي ﷺ، ينهى عن أي فعل فيه مشابهة لعباد الأصنام، فماذا يقول من يعظم الصنم نفسه؟

ومن التشبه بالغرب أن يقلدهم المسلمون حتى في المسابقات البائسة مثل أقبح امرأة، وأجمل كلب، وملكة جمال البدينات، وأسرع دجاجة، وأمهر قرد، وما أشبه ذلك.

د ع الرطانة بلغة غربية مع الضعف الشديد في اللغة العربية، حتى أن أحدهم يكتب تغريدته بالعامية وفيها مع ذلك أخطاء إملائية كثيرة، مع أن بعض الدول تحيي لغات ميتة أو لهجات محلية عقيمة، أو تختلق لغة مندثرة وتقول: "تنوع ثقافي".

أما إذا أعاد الأتراك اللغة العثمانية، أو حثوا على تعليم اللغة العربية، فهو لأن حزب العدالة والتنمية التركي يريد العودة إلى العصور الوسطى في نظر الغربيين وكثير من الإعلاميين العرب!

ولما خرجت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي قرر الأوربيون منع اللغة الإنجليزية مبتدئين بجلسات الاتحاد مع أن تلك اللغة عندنا إجبارية حتى في كليات الشريعة، بل إن بعض الكليات تجعلها لغة التعليم فيها.

وإنما التقدم والتطور والحداثة، فيما فعله المجرم أتاتورك، الذي -حسب ما قرأنا في مناهجنا الدراسية- أسس الجمهورية التركية الحديثة!

ومن مظاهر التشبه بالكفار أن بعض المسلمين يقلدهم في الرطانة بكلامهم، وفي قصَّات الشعر، وفي الأسماء، وفي تربية الكلاب، وفي اللباس، وما أشبه ذلك، فأين الاستعلاء بالإيمان؟ وأين معرفة حقيقة التوحيد؟ وهل هذا إلا من ركوب سنن الكفار الذي حذرنا منه النبي ﷺ؟

ومن التشبه بالكفار وضع صور الكبراء على العملة أو الطريق أو المبنى أو الإدارات الحكومية، وقد حاكاهم في ذلك المسلمون، وإذا ظللنا على هذه الحال في بلاد الحرمين، فسوف يقلدونهم في نصب التماثيل.

ولما ترك بعض المسلمين الزواج قيل له "ضارعت أو ضاهيت النصرانية".

وقد كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب "مسائل الجاهلية" تحذيرًا من الوقوع فيها، وقبله كتب شيخ الإسلام "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم".

وقد نهى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب عن رطانة الأعاجم، وقال الإمام أحمد بن حنبل: الكلام بغير العربية لغير حاجة نفاق، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "المشابهة في الظاهر تورث المشابهة في الباطن"، وعليه لا يجوز التشبه بالكفار في لغاتهم وأسمائهم وأزيائهم -حتى للأطفال-، بل الكفار يكتبون عبارات قبيحة على صدور أزيائهم، كعبارة "أنا سهلة" التي تعني عندهم سهلة الانقياد للفاحشة، والواجب على وزارة التجارة في بلاد الحرمين وفي كل بلاد منع استيراد ذلك، والكتابة للشركات المنتجة بترك الكتابة مطلقًا وسوف يستجيبون؛ لأنهم عبدة مال.

ويجوز أن نتعلم الإنجليزية مثلا لمعرفة ما يبيتون لنا، لكن لا نتخاطب بها بيننا أو نكلم بها من يفهم لغة القرآن، ولا يجوز تعلمها إعجابا بها وبأهلها.

ولْنعلِّم الناس أن يتكلموا بالعربية لا سيما الخدم والسائقين، ومن التشبه بالكفار أن يكتب بعض الناس اسم محله بلغة غربية، حتى ولو كان في حي لا يسكنه إلا الهنود، أو الجاوه أو الأتراك، بل حتى كلمة "حج" المعروفة لكل مسلم يترجمها المتشبهون.

وأحكام ديننا الحنيف تقتضي مخالفة المشركين حتى في الألفاظ.

فلا نستخدم ألفاظهم الموهمة واصطلاحاتهم المجملة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:١٠٤]، وقد كان اليهود يقولون: "راعنا يا محمد" والراعن هو الأحمق الأهوج، فنهى الله عن مشابهتهم في ذلك، وإن كان المسلمون لا ينوونه ولا يقصدونه.

ومن اتباع سبيلهم التعامل بعملتهم فنضع الدولار محل الريال أو الدينار أو الليرة، ونضع الورق مقابل الذهب والفضة.

ولو أن حاكمًا اليوم فك ارتباط عملته بالدولار لذهب إلى اليورو، أو

هرب من التبعية لأمريكا إلى التبعية لروسيا، فما فائدة الانتقال من صنم إلى صنم ومن العبودية إلى عبودية؟

والثابت -حتى تاريخيًا- أن الأنبياء كلهم كانوا يستعملون التقويم القمري وعليه الشرائع السابقة، وذكر الحافظ ابن رجب في (لطائف المعارف) أن سفينة نوح عليه السلام استقرت على الجودي في العاشر من محرم والله أعلم، وعلى كل حال لا شك أنه اليوم الذي أنجى الله فيه موسى ومن معه من المؤمنين، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الشرائع قبلنا علقت الأحكام بالأهلة، ولكن بدَّل من بدل من أتباعهم" اهـ.

ومن مشابهة أصحاب الجحيم استخدام التقويم الميلادي الذي يرمز له الغربيون بحرف "ج"، إذ هو تاريخيا منسوب للبابا جريجوري أو "غريغروس" كما سبق، وقد وضعه راهب نصراني وأخطأ فيه في ثلاث سنوات، وقيل خمس، وقيل سبع، ونحن لو أخذنا بالأقل لقلنا إن المسيح عليه السلام ولد سنة ٣ قبل الميلاد!

والنصارى يجهلون مكان ولادة المسيح فكيف يعرفون تاريخ ميلاده، فبعضهم يقول: إنه ولد في بيت لحم، وبعضهم يقول ولد بالجليل وبعضهم يقولون ولد في الناصرة.

وهم أمة الضلال والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة:١٤] الآية، ومن هذه العداوة والتباغض ما رأيناه حين احتفل النصارى الغربيون بيوم ٢٥ ديسمبر ٢٠١٧ بما يسمونه عيد الميلاد، بينما احتفل به النصارى في الشرق يوم ٦ من يناير ٢٠١٨! والشيوعيون يسمون شيوعيتهم ثور سبتمبر بينما يسميها الغربيون ثورة أكتوبر!

والله تعالى لم يجعل الشهور ألعوبة في أيدي العابثين بل شرع لنا ما نتبعه، وهو الحق والصواب، فقال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي

كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] الآية، وتأمل قوله جل شأنه ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة:٣٦] وكيف أن اتخاذ التقويم الغربي الآن غير قيم.

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧]، فكيف نشابه الكفار في الزيادة في الكفر.

وقال النبي ﷺ في حجة الوداع: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات الأرض السنة اثنا عشر شهرا" الحديث.

وقيل إن أبا بكر الصديق ﵁ لما حج قبل ذلك في السنة التاسعة كان حجه في ذي القعدة بسبب النسيء الذي كان المشركون في الجاهلية يفعلونه، وتبعتهم الكنيسة النصرانية فجعلت بعض الأشهر ٢٨ يومًا وبعضها ٣١ يومًا، وجعلت بعض السنوات كبيسة وبعضها غير كبيسة، كما أنها جعلت الشهر العاشر هو الشهر الثاني عشر "ديسمبر"، وجعل أولئك الكفار أسماء شهورهم وأيامهم بأسماء ملوكهم وأوثانهم، فعندهم مثلا شهر أوغست أو أغسطس وهو اسم لأحد أباطرة الروم، كما أن يوليو هو القيصر المعروف "يوليوس قيصر"، وصنعوا الهياكل للكواكب، وجعلوا لكل كوكب يومًا، فقد جعلوا يوم السبت لزحل، إذ كان الأولون يعبدون كوكب زحل، كما كان الصابئة وعبدة الروم، واعتقدوا أنه إله الزرع وسموه "سارتون"، واشتق الكفار من اسمه، وفي الانجليزية المعاصرة "ستر دي"، وجعلوا يوم الأحد للشمس، ولا يزال اسمه في الانجليزية المعاصرة "سن دي"، بينما جعلوا يوم الاثنين للقمر وسموه "مون دي" وجعلوا يوم الثلاثاء للمريخ، والمريخ عندهم هو مارس، وجعلوا يوم الأربعاء لعطارد، ويوم الخميس للمشتري "جوبيتر" وجعلوا يوم الجمعة للزهرة، ومن خرافات الوثنيين، أن من يولد في أي يوم من أيام الأسبوع المذكورة، يأخذ صفة الكوكب نفسه فهناك أناس

"قمريون" وأناس "شمسيون" كما ذكر "فاسبان شالي" وهو فرنسي، كما ذكر أن الألمان والانجليز يعتقدون ذلك، ومشركو الروم يخصصون يوم الجمعة لربتهم "فينوس" وكذا كثير من الغربيين اليوم، كما كان اليونان والروم يجعلون لكل شيء ربا، مثل ربة الشعر، وربة الخصب، وربة القمر، ورب السماء "أبولو" ورب الخمر "ماخوس"، وكان قوم سبأ يسجدون للشمس والقمر قال تعالى عن الحضارات بل القرون الماضية "كان أكثرهم مشركين".

وربة القمر يسميها المشركون "ديانا"، وقد كان أهل سبأ يسمون القمر "موقاه".

ثم ركب سنتهم بابوات النصرانية ورهبانها، وجعل هؤلاء النصارى الكاثوليك تقويمهم تقويمًا عالميًا لا يكاد الغرب يعرف غيره اليوم، ثم تبعهم المقلدون في الشرق حتى هنا في السعودية، حيث لا يعرف الناس إلا التقويم الهجري وكذلك اليمن وبقية أهالي جزيرة العرب وغيرها.

ومثل هذا التقويم الغربي أخوه الرومي أو السرياني حيث تبدأ السنة في كانون الثاني، ويجعلون أحد المعبودات "تموز" شهرًا من الشهور.

وهكذا الأمة المصطفاة أمة التوحيد تقع في الشرك الذي قد لا تشعر به، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦]، قال ابن عباس: "يقولون لولا البط في الدار.. إلخ.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أمم الشرك لا تعرف الأسبوع، وإنما يعرفه الكتابيون كاليهود والنصارى والمسلمين.

وقد جمع عمر رضي الله عنه أهل شوراه لاختيار ما يؤرخون به مع اتفاقهم أن أعظم حدث في التاريخ هو يوم بعثته ﷺ، ولكن متى بعث ومتى ولد هذان مجهولان، وفيهما أقوال كثيرة ثم إن المسلمين اختاروا هجرته ﷺ إذ هي الثابتة، وهي التي أقام بها النبي ﷺ الدولة الإسلامية الأولى.

وعلى ذلك ترجم الإمام البخاري، وقال: "باب التاريخ من أين أرخوا التاريخ".

وذكر حديثًا واحدًا عن سهل بن سعد ﵁ "ما عدوا من مبعث النبي ﷺ ولا من وفاته وعدوا من مقدمه المدينة".

أما في الهند فقد عجب فاتحها المسلم "محمود الغزنوي" إذ رأى الهنود يؤرخون بآلاف السنين، كما ذهل لذلك المستعمرون الغربيون فيما بعد، وأيقنوا أن ما حدده الاسقف آشر وهو ٤٠٠٤ ق م، باطل، ولكن بعض المتعصبين الكاثوليك زعموا أنه صحيح، وقالوا إن الأسر الفرعونية كانت متجاورة وليست متعاقبة، وأن الهنود لا يعتد بتاريخهم، غير أن العلم الحديث اكتشف ذلك الخطأ التاريخي، وحسبك أنه أثبت خطأ تقاويم التوراة المختلفة وأثبت وجود عاد وثمود كما ذكرهما الله، وقال إن عمر الكون ليس كما حدده آشر بل هو مليارات السنين.

والمقصود أن لكل أمة تاريخها المستقل وأنه حتى أمم الكفر لا يقلد بعضها بعضًا فكيف يقلد المسلمون غيرهم؟ والكفار لا يوحّدهم الحساب ولا غيره.

فاليعقوبية في الحبشة لهم تقويم خاص يختلف عن بقية النصارى ويعتمدونه في مكاتبهم وإداراتهم، ولا يقلدون فيه الملكية والنساطرة.

والأقباط في مصر لهم تقويم خاص.

ولليهود تقويم يختلف عن التقويم الجريجوري بآلاف السنين ولا يوافقون فيه لا الأرثوذوكس ولا الكاثوليك ولا أي طائفة نصرانية.

والمتدينون منهم يؤرخون بالتقويم القمري، كالصينيين، والبربر لهم تقويم يسمى "التقويم الأمازيغي" يستخدمه القوميون منهم ومن لم يسلم.

والروس لديهم التقويم الذي يسمونه "القيصري".

ومن أندر التقاويم اليوم تقويم الطائفة البهائية الذين يقدسون الرقم (١٩) وتبعًا لذلك جعلوا السنة ١٩ شهراً والشهر ١٩ يومًا.

وهذا غير ما اندثر فلا يعمل به أحد فيما أعلم.

ومن عبادة الصابئين الإيمان بالكواكب ووضع ما سموه علم التنجيم، وبهذه الخرافة كان يؤمن بعض مشهوري الغرب مثل اسحاق نيوتن وبعض الساسة الأمريكان في البيت الأبيض وزوجاتهم مثل نانسي ريجان وهيلاري كلينتون.

وللتحويل من التقويم الميلادي إلى الهجري أو العكس قانون مطرد وهو أن كل قرن ميلادي يعادل ١٠٣ سنوات هجرية وذلك مذكور في سورة الكهف، قال تعالى: ﴿وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا﴾، سواء أكان ذلك منه تعالى أو حكاية عما يقوله أهل الكتاب، ونضيف إلى السنوات الهجرية ٦٢٢ سنة أو ننقص ذلك من السنوات الميلادية مع استخدام $\frac{32}{33}$ أو $\frac{33}{32}$.

وما يسمى اليوم التقويم العالمي ما هو إلا التقويم الكاثوليكي الغربي الذي له جذور وثنية قديمة تعود إلى أيام الفراعنة -وربما قبلهم- ثم اقتبسه منهم اليونان الذين كان معبدهم الأكبر "دلفي" ثم إن أحد أباطرة الروم عدَّل فيه وفرضه على الروم، ثم انتقل إلى الكنيسة الكاثوليكية، مع تعديلات أدخلها عليه البابا جريجوري الثالث عشر في القرن السادس عشر بتقويمهم -العاشر الهجري- كما سبق.

ومثلما فعل الفراعنة، فعلت حضارة ما بين النهرين البابلية، واتبعها ضُلال الصابئين.

وليس غريبًا أن يخطئ بعض النصارى، فهم أمة الضلال ولا يدرون أصلا أين ولد المسيح عليه السلام كما تقدم، ويعترفون بما في تقويمهم من خطأ.

وهذا التقويم يعتمد على قراءة ما يسمه علماؤنا الجداول، فكيف يعرف ذلك من لا يقرأ.

والكفار يجبرون المسلمين على اتباع تقويمهم ولو بطريقة غير مباشرة، مثل كتابة تاريخ الإنتاج وتاريخ الانتهاء حسبه، ولو أمرهم الوزارات المختصة عند المسلمين بأي شيء لفعلوه، فهم يعبدون المال ويحرصون على بيع منتوجاتهم، فلو أن الحكومات في بلاد الإسلام أمرتهم بمراعاة التقويم الهجري لفعلوا، كما يكتبون على البضائع باللغة المحلية للمستهلكين ولو كانت الشركة غربية.

وعلى المسلمين أن يشجعوا التجارة البينية بينهم، ويمنعوا استيراد أي بضاعة من الدول الغربية إلا حيث لا بديل لها عند المسلمين، ويجب منع الشركات المسلمة من الاحتكار، فكيف إذا كانت الشركات غير مسلمة، كالشركات النفطية السبع وغيرها.

ويجب القضاء على ما تسميه بعض الصحف "عقدة الخواجة" في كل شيء حتى في كونهم خدما أو حلاقين أو سواقين أو دارسين للجدوى.

ومن التشبه أن نتشبه بالكفار في التمتع بالدنيا والتطاول في البيان مع نسيان الآخرة، وقد أرشد النبي ﷺ إلى الزهد في البنيان، وبيَّن أن التطاول فيه من علامات الساعة، وقال: "عريش كعريش موسى، ثمام وخشيبات، والأمر أعجل من ذَلِكَ"، وكذلك كان أصحابه من بعده، كأبي عبيدة ومعاذ وعمر وأبي الدرداء وعبد الله بن عمر.

وذكر المؤرخون أن أحد الزهاد جاء إلى المدينة النبوية فسأل عن بيت رسول الله ﷺ، فقالوا: قد هدم.

فسأل: هل له من هذه القصور شيء؟ قالوا: لا، وهو يعلم ذلك كله، وإنما أراد أن يعظهم.

وانظر إلى أبنية الوزارات والشركات والمحافظات وإدارات الشرط، كيف تكون فخمة، وانظر مع ذلك إلى أبنية هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف تكون متواضعة مستأجرة، لكن قارن بين الأثر الاجتماعي لهذه وتلك، واحكم بنفسك.

والأحداث نفسها تجبر من يتشبه بغيره على العودة للأصالة، فبعد هبوط سعر الدولار الورقي أو اليورو الأوربي أو اليوان الصيني أو الين الياباني، عاد الأمريكيون للذهب، فأخذوا يشترونه ويخزنونه، وهكذا سقطت قيمة العملة الورقية وعادوا للأثمان الحقيقية التي جاء بها الشرع، وتحدث عنها الفقهاء ونشأ عليها آباؤنا وأجدادنا.

وأما نحن فلا زلنا رسميًا مرتبطين بالدولار الذي جعله الأمريكان سعرًا عالميًا للنفط، ونتاجر فيه مع أن بعض الدول سنت قانونا بمنع المتاجرة في العملات، كما أنه من السهل على التكنولوجيا الأمريكية وضع ذهب حقيقي في العملة الورقية.

وقد عادت إسرائيل للشاقل "الشيكل" المذكور في التوراة، أفلا يعود أهل التوحيد إلى الدينار المذكور في القرآن؟.

وحاكم اليهود "سارة" زوجة نتنياهو فمتى يحاكمون السيدات الأوائل عند حكام العرب؟

ومن التشبه بهم ما نراه اليوم من موضات في الأزياء، وذلك يثير أسئلة كثيرة منها:

١. لماذا يندر من يبيع الملابس الساترة في بلاد التوحيد يا أهل التوحيد؟.

٢. أليس من الغش والضحك على الذقون كما يقال، أن يؤخذ الزي الصيني الذي لا يكلف ريالاً واحدا ويوضع عليه قطعة صغيرة من القماش مكتوب عليها "صنع في أمريكا" ثم يباع هنا بمئات الريالات!.

٣. هل العباءة عادة اجتماعية، يختفي تحتها الشعر المشقّر والملابس الغربية ويمكن نزعها إذا تقدم الشعب كما يقال!.

٤. لماذا تتستر الأم هنا بينما تمشي بنتها كاشفة الشعر والنحر، ويقولون صغيرة، وهل الإنسان إلا على ما تعود؟.

وكذا التشبه بالغربيين في حلق اللحية والشارب وفي قصات الشعر وصبغاته.

ومن أشد أنواع التشبه التي وقع فيها أهل الإسلام، أنهم يقلدون الغربيين في الأمراض الاجتماعية، كالانتحار والقطيعة والاشتغال بالتفاهات وإضاعة الأوقات فيما لا ينفع، وفي التمثيل وفي الرياضة الخطرة، واللهاث وراء الآثار القديمة، والسياحة المحرمة..إلخ.

وبعض النساء المسلمات -أصلحهن الله- تزيل شعر الحاجب وتضع مكانه خطًا أسود لا يغني ولا يسمن من جوع، وكأنها تعترض على خلق الله الذي جعل الشعر لحكمة قد لا تعلمها.

وقد أخبرنا الله أن الشيطان قال: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩]، وصح في الحديث النهي عن تغيير خلق الله، ولعْن النامصة والمتنمصة، ومن تغيير خلق الله صبغ شعر الرأس بغير ما خلقه الله عليه، ومما نهى عنه النبي ﷺ، أن يوصل بالشعر ما يجعله أكبر وأطول مما هو عليه، وأمثال ذلك مما يجتمع فيه الأمران: ارتكاب المحظور، والتشبه بالكافرات، والمسلمة تتمسك بالحق ولا يضرها كثرة من ضلّ.

وقد جاء في السنن (لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله)، وكذا لعن المتشبهات من النساء بالرجال والعكس، فكيف يتشبه المؤمن والمؤمنة بمن هو ملعون؟.

وإنما قدوة المسلمات هن أمهات المؤمنين والصحابيات، وليس المارونيات اللاتي في العبرية السائرات على مبادئ ميشيل عفلق وحزبه والزعم أنهن عربيات، نعم هن عربيات لكن العربيات من نصارى تغلب أخف شرًا منهن، ونحن -المسلمين- لسنا قوميين والمرأة التي تتمسك بأوامر الله في منداناو أو غينيا خير من العربية المارونية.

ومما يوجب اتباع التأريخ القمري أن الله تعالى ربط بعض الوقائع الأرضية بحركة القمر دون غيره، فالمد والجزر يرتبطان بالقمر، وكذا

الانفعالات النفسية التي تحدث في الأيام البيض التي شرع الله صيامها كي يحدث التوازن النفسي، كما أن هناك ارتباطا بين دورة القمر والدورة الشهرية للمرأة، ولما كان القمر أقرب الكواكب إلى الأرض، كان أقواها جاذبية وأكثرها تأثيرا وتأثرًا، دون أن يقتضي ذلك وجود علاقة بالإنجاب، وكون المولود ذكرا أو أنثى كما يعتقد الصينيون!

وهكذا تشهد دلائل العلم والعقل والتاريخ والطبيعة للشرع، فما أضل من يتبع المشركين الأولين، ويدع شرع الله الحكيم وملة الأنبياء عليهم السلام، والواجب على حكام هذه البلاد المقدسة، وعلى مسؤولي الاتصالات خاصة، التعميم على شركات الانترنت باعتماد التقويم القمري في كل المواقع، ولا يصح أن يكون تاريخ الميلاد في دفتر العائلة بحسب التقويم الهجري بينما تجده في المواقع بحسب التقويم الميلادي، أي أن وزارة الداخلية على تقويم والاتصالات على تقويم آخر، ولا تكفي الازدواجية في التعليم والتشريع وغيرها؟

أما توحيد التقويم وثباته فيمكن بأن يكون التقويم الرسمي "أم القرى" هو المعمول به وبذلك تبقى الأمة على تميزها واستعلائها، ونقضي على شبهات المبطلين كما يبقى التقويم الشمسي للزروع والثمار ومعرفة الفصول لمن أراد.

والمسلمون لا يحتاجون للأهلّة لتحديد العيدين فقط، بل يحتاجون ذلك كل السنة لمعرفة الأشهر الحرم ودخول رمضان، وانقضاء العِدة، ومدة النذر، وزمن الاعتكاف، ومعرفة وقت الوقوف بعرفة، وانقضاء مدة الكفارات مثل كفارة القتل خطأً أو الظهار وأمثال ذلك.

وكما يحرم التشبه بأهل الكتاب يحرم التشبه بالنساء، وفي ذلك قصة طريفة وقعت لعالم شهير، لما قدم اللواء الركن "محمود شيت خطاب" رحمه الله إلى السعودية، أرسلوا له صحفيًا لكي يجري معه مقابلة، وكان ذلك

الصحفي يحلق لحيته وشاربه، ويتشبه بالنساء، فطرده اللواء وقال: أنا لا أجري مقابلة مع البنات!

والتشبه بالمجوس أعظم ذنبًا من التشبه بأهل الكتاب، ومن آثار التشبه بالمجوس، عبادة الشمس، وقد ذكر المقارنون بين الأديان، أن القدماء إنما عبدوا الشمس لأنها شعلة من النار، ومن تعظيم الشمس عندهم، أن حمورابي نسب شريعته إليها، وأن التتار زعموا أن جنكيز خان من نسل الشمس وعلى هذا اليابان اليوم، إذ يعتقدون أن الامبراطور من نسل الشمس وأنه إله، وقد عبد الصابئة الكواكب ومنها الشمس، وأخبر الله عن خليله إبراهيم عليه السلام، لما حاج قومه أنه قال لما رأى الشمس بازغة: (هذا ربي هذا أكبر)، كما ذكر أن قوم سبأ كانوا يسجدون لها.

ومن بقايا عبادة النار ما يسمونه اليوم "الشعلة الأولمبية"، وقد اقتبسها اليونان من المجوس، وكانوا يوقدونها عند جبل الأولمب، ثم أخذتها منظمة "الفيفا" في عصرنا، وجعلتها شعيرة لا بد أن تقام عند كل دورة أولمبية، وأصبحت الدول التي تدعي الإسلام تتنافس في استضافة الدورة الأولمبية وحمل الشعلة، ومن ذلك السباق الطويل المسمى "الماراثون"، وأصله يوناني أيضا، حيث سار بعض اليونانيين مسرعا ليبشر أهل "سبرطة" بالنصر على طروادة.

فيجب أن يكون للمسلم بصيرة يعرف بها أصل البدع والمكر الخفي، وأن ذلك مقدمات لما بعده، ومما يقال تاريخيا أن البرامكة أشاروا على الخليفة هارون الرشيد بوضع مجمرة في الكعبة الشريفة كي يخلد اسمه وذكره في العالمين، ولكن هارون الرشيد استشار بعض من يعرف أن المقصود بالمجمرة هو ما فيها من النار، فكان ذلك سببا لنكبة البرامكة أو أحد الأسباب، وما أكثر أشباههم اليوم.

وإنما ينبغي لنا دائما التشبه بالصالحين، والتشبه بالصالحين صلاح، قد فعله السلف رضي الله عنهم، وقال بعضهم: (بلغني أن ابن مسعود لما مر على

حداد سقط بعض أصحابه مغشيًا عليه "الربيع بن خثيم"، فرابط عنده ابن مسعود إلى الظهر فلم يفق، قال: فذهبت أصنع كما صنع فلم أفلح).

كما يجب علينا تغيير أي تشبه بالكفار، فنحن أمة الحمد نستفتح صلاتنا بالحمد لله، ونقول بعد الطعام الحمد لله، ونحمد الله تعالى حتى عند حلول المصائب، ولسنا كالنصارى نقول المجد لله في الأعالي وأشباهها، فيجب تغيير النشيد الوطني المدرسي من مجدي لخالق السماء، إلى شعر مقفى موزون يحمد الله على نِعَمه التي أعظمها الإسلام.

ومن التشبه وذرائِعه أن يقول بعض الناس نحن جزء من العالم، كما قرأت هنا لبعض الوزراء وهذا باطل، ومن دلالاته النفسية التي قد يخفى بعضها:

١. نحن نؤمن بما يؤمن به العالم من كفر وإلحاد.
٢. نحن كالعالم لا نحتكم إلى شرع الله.
٣. نحن ليس لدينا الحرمان الشريفان.
٤. نحن لسنا على عقيدة السلف وديننا روحي فقط كما يقال.
٥. نحن لا نأمر بالمعروف ولاننهى عن المنكر، ولسنا خير أمة أخرجت للناس.
٦. نحن عالم ثالث.
٧. نحن غايتنا أن نكون في مصاف الدول المتقدمة أو نلحق بها.
٨. نحن نؤمن بما يسمى الجندر وليس لنا غيرة ولا شرف!.
٩. نحن نقر عمل قوم لوط!.
١٠. نحن نأكل الجيف والخنازير والحشرات كسائر دول العالم.
١١. نحن لا نفرق بين المسلم والكافر وعبارة "لغير المسلمين" المكتوبة على الطريق إنما هي للتمويه والنفاق.
١٢. نحن لا نقول إن التمسك بالدين تطرف.
١٣. نحن جزء من الإسلاموفوبيا العالمية.

١٤.نحن لا نجاهد في سبيل الله.

وفي إمكانك -أخي القارئ- أن تمد القائمة لتصل إلى المئات، ومجمل ذلك أنه ليس للمسلمين أي ميزة عن هذا العالم الكافر.

وفي آخر بحث التشبه قد يثور سؤال وهو كيف نتعامل مع الكفار؟ ولا بد من الإجابة عليه فنقول:

مع كون المسلم داعية أينما كان، ومع استعلائه بإيمانه على كل الكافرين ينبغي له أن يلتقط الحكمة أنى وجدها، وأن يقبل الحق ممن جاء به ولو كان كافرا، وأن يأخذ من الكفار ما أبدعوا فيه لا على سبيل الإعجاب بهم، وأن ندعوهم إلى الله حتى رؤساء دولهم أو زعماء أحزابهم أو رجال دينهم، ونستفيد منهم في التنظيم والإدارة وأساليبهم الحربية، فقد عمل النبي ﷺ بما كان عليه الفرس من حفر الخنادق وتعامل بالدينار والدرهم كما يتعامل الروم.

وأخذ الخليفة الراشد عمر الفاروق من الكفار تدوين الدواوين، واقتبس المسلمون منهم استخدام القوس الفارسية والنار التي كان الروم يسمونها "النار الإغريقية" .. وهكذا.

أي عكس ما يفعله بعض المبتعثين اليوم، إذ يأخذون أسوأ ما عند الغرب ويرطنون بلغته، ويتعلمون دياثته.

وإنما يُجتنب من عادات الكفار ما هو من خصائص دينهم، مثل تعليق الصليب، وأكل المخنوق، وما يختص بهم من الملابس، كلبس الحرير للرجال، أو الأواني مثل استخدامهم آنية الذهب والفضة والرطانة بلغتهم لغير حاجة، والمظاهر العامة كالتبرج، وما فصلنا فيه الكلام فيما سبق.

وأما ما اشترك فيه الكافر والمسلم، ولم يختصوا به فإنه جائز، وهذا من رحمة الله وسعة شرعه، وليعلموا أن في ديننا فسحة.

ونحن نوضح على سبيل الإجمال ما يجوز للمسلم من أنواع التعامل مع الكفار مأخوذ من كتب أئمة أهل السنة المعتبرين كشيخ الإسلام ابن تيمية، وله تفصيل مفيد في اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، وله جمل عظيمة في مجموع الفتاوى وفي تفضيل علم السلف على علم الخلف الذي طبع باسم "الانتصار لأهل الأثر" كما اجتهد الشيخ الفاضل سليمان بن سحمان رحمه الله، وقد طبع الشيخ الدكتور عبد العزيز آل عبد اللطيف الكتاب باسم "التعليق على كتاب نقض المنطق" وفي كلامه تعليقات مفيدة.

وقد طبع باسم "نقض المنطق" وهي التسمية التي اشتهرت بين طلبة العلم ووضعها الشيخ الفقي رحمه الله، مع أن نقض المنطق إنما هو جزء منه.

وكل ما ذكر شيخ الإسلام في التعامل معهم يندرج في أمور الدنيا التي لا علاقة لها بدينهم الباطل، وفي المعارف البحتة المجردة عن فلسفاتهم وآرائهم، وفيما يجب أو يمكن الانتفاع به من آثارهم.

وملخص ذلك حسب اجتهادي هو:

١. تعلم العلوم البحتة التي يسميها الشيخ "المحضة" إذا تجردت عن فلسفاتهم، ومنها الطب والرياضيات والكيمياء والفيزياء والأحياء والجيولوجيا والفلك وأشباهها، والصناعات المفيدة كصناعة الطائرات والسيارات والأسلحة والمواد الغذائية والأدوية، وكذلك النظم النافعة مثل نظم الحاسوب وطرائق التعليم وكيفية التجارة.

أو النظم السياسة والإدارية، كالعدل والمساواة ومحاسبة المسؤولين وإبداء الرأي، وكل ما كان المسلمون أولى به منهم أو كان من الحكمة التي هي ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها.

وكذا يمكن الافادة من الكفار باستيراد كتبهم أو استقدام بعض خبرائهم في غير جزيرة العرب، وكذا ابتعاث بعض المتمكنين من دينهم إلى بلاد الكفر عند الضرورة.

٢. المعاملة مع الأمناء الثقات منهم فهم كما ذكر الله ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءً﴾ [آل عمران:١١٣]، ومنهم كما قال الله: ﴿مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمًا﴾ [آل عمران:٧٥]، وإذا جهل المؤمن حقيقتهم وجب التوقف، فالأصل فيهم هو أنهم لا يألون المؤمنين خبالا.

٣. لبس ملابسهم وأزيائهم لا على سبيل التشبه بهم، كما إذا كانت عادة البلاد هي كذلك، والصحابة الكرام كانوا يلبسون السراويل والبُرُد والكتان وغير ذلك، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ شيئا من ذلك، أو يلزمهم بلباس معين، وإنما حظر بعض أنواع اللباس وأرشد إلى بعض، مثل نهيه عن اشتمال الصماء، وإرشاده إلى البياض، ولما سألوه ماذا يلبس المحرم أجاب: لا يلبس المحرم كذا، فالأصل في الأشياء هو الحل والمحصور إنما هو ما يحرم.

٤. استئجار الثقات منهم كما استأجر ﷺ ابن أريقط لمهارته وخبرته وأمن جانبه، وذلك حين هجرته من مكة إلى المدينة.

٥. معاملتهم على الأرض المفتوحة، كما عامل الرسول ﷺ يهود خيبر وذلك بشرط مراعاة مصلحة المسلمين، فإن الإمام مخير تخيير مصلحة لا تخيير شهوة، قال تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد:٤]، وقال: ﴿حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] والجزية نوع من المعاملة.

٦. قبول المشورة والنصح منهم وإخبارهم عما يفعله المشركون، كما كان مشركو خزاعة عيبة نصح للنبي ﷺ.

٧. الحماية والنصرة إذا كان لذلك سبب كوجاهة الحامي عندهم، وذلك كما كان أبو طالب يحمي النبي ﷺ من أذى قريش؛ لأنه ابن أخيه وفي الوقت نفسه كان له مترلة عند المشركين منها أنه على دينهم.

٨. الاستفادة منهم في الأمور التنظيمية، مثل تدوين الدواوين الذي فعله عمر بن الخطاب ﷺ، وأجمع عليه الصحابة الكرام.

٩. الافادة من أحوالهم الاجتماعية وخبرتهم وتجاربهم في ذلك، كما أراد النبي ﷺ أن ينهى عن الغيلة، ثم رأى فارس والروم تفعله ولا يضرهم فأقره.

١٠.اقتباس ما طوروا من الأسلحة والوسائل الدفاعية مثل استخدام القوس الفارسية، وحفر الخنادق، وأي شيء هو أنكى في العدو وأقرب للنصر.

وأصل ذلك حفره ﷺ وأصحابه للخندق بمشورة سلمان الفارسي ﵁، وهو أمر لم تعهده العرب، وفوجئت به الاحزاب، ومثله في عصرنا تطوير الصواريخ والسفن الحربية، وما العسكريون أعرف به.

١١.الترجمة: فكل ما كان مفيدًا عندهم جاز لنا ترجمته -وقد تجب- وأصل ذلك أن النبي ﷺ امر زيدًا أن يتعلم لسان اليهود، واستصحب معه عبد الله بن سلام إلى بيت المدراش، فأمر ابن باعوراء أن يرفع يده عن آية الرجم، ومن ذلك تبليغ الدين لهم بلغتهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ [إبراهيم:٤]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعلوم أن الأمة مأمورة بتبليغ القرآن بلفظه ومعناه ... وأن تبليغه للعجم قد يحتاج إلى ترجمة لهم فيترجم بحسب الإمكان" اهـ.

وقد أتاح الله لنا في هذا العصر وسائل عظيمة للبلاغ، فأصبح في إمكاننا مخاطبة العالم كله وتبليغه عن طريق المواقع على الشبكة العنكبوتية، أو القنوات الفضائية أو الهواتف الجوالة "الخليوي" لا سيما الدول التي تكره الغرب مثل دول أمريكا الجنوبية.

١٢. ليس من التشبه بهم مجاراة بعض عاداتهم التي لا ضرر فيها ولا تعلق لها بدينهم كما قيل للنبي ﷺ إنهم لا يقبلون الكتاب "الرسالة" إلا مختومًا، فاتخذ ﷺ خاتمًا.

١٣.الإفادة مما طوروه من العلوم الدنيوية أو مهروا فيه مثل استطبابهم، قال الإمام الشافعي عن الطب: "هذا علم غلبنا عليه أهل الكتاب" وكثير من

أطبائهم كان يعمل عند الخلفاء أو الملوك الصالحين كابن بختيشوع أو شاكر وألاده.

وأصل ذلك إقراره ﷺ ما كان العرب ورثوه من طب الحارث بن كلدة وأمثاله، على أن المسلمين كانوا يحذرون من استطباب كل كافر، ولذلك تجد الأطباء فئة من أهل الكتاب كالنسطورية من النصارى! فإذا أمكننا اليوم استطباب الموحدين من النصارى، فهو خير من أهل التثليث، والنصارى غالبًا أقرب من اليهود، والبروتستانت عامة أقرب من الكاثوليك والأرثوذكس، وأهل الكتاب خير من المجوس، ومن المجوس المعاصرين، الهنود واليابانيون والصينيون والكوريون وغيرهم.

كما أن المتردد الحائر أو معتقد الشك واللاأدرية أقرب ممن يتعصب لدينه، وأن عبد الدنيا الشاه الذي عقيدته "ميبي" أخف شرا من الحاقد المتعصب.

والكفار درجات عند الله وعند أهل الإسلام، ومن يعرف عيوب الحضارة الغربية خير من المعجب بها، وفي كل حال ينبغي للمسلم تبليغهم، ودعوتهم، وبيان محاسن الإسلام لهم.

وجهادهم ثابت باتفاق المسلمين، إما وجوبًا وإما تطوعًا ومن ذلك - وليس من البدع- الأنواع التي لم يفعلها النبي ﷺ كالغزو في البحر، الذي أول من عمله معاوية ﷺ في أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ.

وقد اشتهر بالجهاد الخلفاء العثمانيون الذين حجروا النصارى في أجزاء من أوربا، وقبلهم فرض المسلمون الجزية على روما في القرن الثالث، وكان البحر الأبيض المتوسط أيام العثمانيين بحيرة إسلامية.

١٤.ليس من التشبه بهم استعمال لغتهم حتى يتعلم الناس العربية، أو استخدام عملتهم حتى يسك المسلمون عملة خاصة بهم، فقد استعمل النبي ﷺ الدينار الرومي، واستمر ذلك حتى سك المسلمون الدينار الإسلامي أيام الأمويين.

١٥.الهجرة إلى بلادهم إذا كانت أكثر عدلا من غيرها، وكان المهاجر يخشى على دينه ونفسه، وكذا الإفادة من قوانينهم كقوانين الإقامة، وقوانين الهجرة واللجوء، وقوانين التحاكم .. إلخ.

وأصل ذلك إذنه ﷺ للمسلمين بالهجرة إلى الحبشة، وتعليله ذلك بأن ملكها لا يُظلم عنده أحد.

١٦.التعامل التجاري معهم لا سيما إذا أنتجوا ما لا ينتجه المسلمون ولكن المسلمين يحتاجون إليه، وأصل ذلك أن عمر ﷺ كان يأذن لتجار أهل الكتاب أن يقيموا ثلاثة أيام بظاهر المدينة حتى يشتري المسلمون منهم ما يحتاجون إليه، وعلى المسلمين السعي للاستغناء عنهم في كل شيء.

ومن الخطأ الاستدلال على التشبه بهم بما يسمى العولمة لأسباب كثيرة منها:

١- أن الغربيين أنفسهم يتظاهرون ضد العولمة كما حدث في نيويورك وسياتل ولندن، وبعضهم يؤلف ضدها ويذكر عيوبها.

٢- أن في العالم عولمات كثيرة، إذ تسعى كل أمة إلى تعميم ثقافتها وفكرها على العالمين، وعلى ذلك ألف بعض الأمريكيين كتاب "عولمات كثيرة".

٣- أن العولمة قد تستغل لأهداف مستترة، فالخميني أراد استغلال العولمة لتصدير الثورة الشيعية للعالم، وتشييع العالم كله حتى في الغرب، وأمريكا تريد أمركة العالم باسم العولمة وتستخدم هيئة الأمم المتحدة لذلك.

٤- أن العولمة تقتضي أن يكون المسلمون جزءا من العالم وخاضعين للبنك الدولي، ولقرارات مجلس الأمن الدولي وما يسمى الشرعية الدولية، والانضمام لهيئة الأمم المتحدة، أي ليس لأهل التوحيد ما يميزهم عن أمم الشرك.

٥- أن الدين العالمي الوحيد هو الإسلام، والنبي العالمي الوحيد هو محمد ﷺ الذي بعثه الله للناس كافة، وجعله للعالمين نذيرا.

أثر الذنوب

مُقَدِّمَة

اتباعا للقاعدة الإلهية المطردة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١]، ولكي نتقي لفح الحضارة الغربية وننقذ أنفسنا من غضب الله وانتقامه علينا أولاً تجنب الذنوب، فالذنوب هي سبب الهزيمة وسبب كل مصيبة من هزيمة "أُحد" إلى حصار "الدرعية"، بل إلى اليوم، حيث نعاني منها ومن مقدماتها مثلا الغلاء والزلازل وكثرة الجرائم والهرج في المجتمع وتسليط العدو، والذنوب هي سبب لهلاك الأفراد والمجتمعات، والتوبة منها هو طوق النجاة وأساس الأمن والاستقرار.

والإنسان متقلب بين نعمة لله يجب عليه شكرها، ومعصية له يجب عليه الاستغفار منها.

وأقبح من ارتكاب الذنوب وصف مجتمعاتها بأنها متقدمة وعالمية، وانبهار المسلمين بها والسعي ليكونوا في مصافّها، مع أن كل من عصى الله جاهل متأخر، وإنما عصاه من عصاه لهواهم عليه ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

الكوارث سببها الذنوب وعلاجها التوبة:

والإنسان لظلمه وجهله في غفلة وإعراض، ينسب الخير والشر لعوامل خارجية، وينسى كتاب ربه تعالى الذي جلّى المسألة جلاء الشمس، وردّ ما يصيب الإنسان إلى فعله هو ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]، وقد كان عليه الصلاة والسلام يخشى أن تكون الريح عذاباً ولا يطمئن حتى يترل المطر، ومرة تغير حال المدينة فقال ﷺ: (يا رب وأنا فيهم)! ومثل ذلك الغبار وهيجان البحر والثلوج والتغيرات المناخية عموماً، وكذلك ثوران البراكين وغرق السفن وسقوط الطائرات ونفوق الدواب، وانقراض بعض الأحياء.

وفي عهد عمر بن الخطاب ﷺ رجفت المدينة فقال: "لئن رجفت مرة أخرى لا أساكنكم فيها".

وذلك مركوز في الفطرة الإنسانية ويعلمه المسلمون، ولكن الله يعفو عن كثير والناس يعرفون ذلك، لا سيما حال الشدة، فلما خرجت النار في المدينة في القرن السابع الهجري عزا الناس ذلك إلى ذنوبهم.

ولما دمرت جيوش الباشا الدرعية تحدث الصالحون عن أسباب ذلك وأنه الذنوب.

بل إن النبي ﷺ صلى بالناس صلاة الكسوف وحثهم على الاستغفار، وأخبرهم أنه رأى الجنة والنار، ومن جملة ما رأى في النار امرأة من حمير حبست هرة، فكيف بمن يحبس الدعاة؟ ويحاصر المجاهدين؟

ووصل الأمر إلى أن يعلم الكفار أنفسهم أن الذنوب هي السبب، وأن التوبة هي المنجية، فلما وقع في أوروبا ما سموه "الوباء الأسود" هرعوا إلى الصدقة، ولما هاجم الألمان روسيا فتح "ستالين" الكنائس للدعاء مع أنه شيوعي.

والمسلمون اليوم بعضهم ملحد وبعضهم منافق، وبعضهم عاصي متلبس الله بالربا وبالتشبه بالكفار، فالشباب يرطن برطانتهم، ويربي الكلاب مثلهم، ويقلدهم في كل شيء، والنساء يصبغن وجوههن وشعورهن وأظافرهن كالكافرات، والقنوات تأتي بمتبرجات كاشفات الرؤوس وبعض البدن أو أكثره، ونسافر إلى بلاد الكفر لكي نقتبس منهم بعض عاداتهم السيئة فماذا ننتظر؟

فيجب أن نتدارك الأمر ونتوب، أما الملامسة السطحية فلا تجدي شيئا، كعبارة "لا للمخدرات" التي كتبوها على صدور لاعبي الكرة وعلى المناديل الورقية، فما نقصت المخدرات بل زادت، وكتبوا أن السلوك الفلاني غير حضاري، فلم يغيّر ذلك من الأمر شيئا، و لم يترك الناس التدخين لمجرد عبارة

"التدخين ضار بالصحة"، و لم يتركوا التشبه بالكفار لمجرد أن الزي الوطني هو كذا.

كما أننا عملنا دعايات ضد الهدر المالي وحصرنا الفساد فيه كما تفعل المجتمعات الكافرة، فلم يقل الهدر أو ينتهي الفساد، وأصبح الحال بعد إنشاء "نزاهة" أشد منه قبلها وفق الإحصاءات المحلية والعالمية.

وقد جاءتنا النذر من كل مكان، وتتابعت علينا الأزمات، وأمهلنا الله وصبر علينا وحلم عنا، وآن لنا أن نتوب ونستغفر ونتصدق، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونبدل أحوالنا، ولا نكون كالذين لا تجدي فيهم النذر ولا تغني الآيات.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في "الجواب الكافي" بعض أضرار الذنوب ومنها (حرمان العلم والرزق ووقوع الوحشة بين الله والعاصي، وظلمة القلب والوجه والقبر، ووهن القلب وضعفه أحوج ما يكون العبد إلى قوّته، وحرمان الطاعة ومحق العمر، وزوال استقباح الذنوب، وأن المعاصي تورث الذل وتفسد العقل وتحدث فسادا في الأرض والماء والهواء، وتُذهب الحياء والغيرة وتجلب الهلاك)، ويختم ذلك بقوله:

"وبالجملة جميع شرور الدنيا والآخرة، التي على القلوب والتي على الأبدان العامة والخاصة أسبابها الذنوب والمعاصي"، وصدق والله.

هذا أثر الذنوب، فكيف بأثر أكبرها وهو الكفر عياذا بالله، وقد قرأنا ورأينا وسمعنا من يجاهر الله بالإلحاد ونظريات أهل الضلال، ومن ينكر السنة، أو يشكك في صحيح البخاري، ومن يقدم بين يدي الله ورسوله مطالباً بالزنا أو الربا أو التبرج، فماذا ننتظر؟

ومما ينبغي النصح به والتذكير الدائم به، ترك الذنوب بقدر الإمكان، لا سيما خطباء الحرمين وخطباء الجمعة وكذا بقية المساجد والوعاظ، فالله تعالى إنما يسلط علينا الأعداء لا سيما الدول الصليبية، أو اليهود، والسنين، وجور السلطان، بذنوبنا نحن، وقد قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ

أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت:٤٠]، وقال: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥].

وقال ﷺ: (ما فعل قوم الفاحشة حتى يعلنوا بها إلا أصابهم الله بالطاعون والأوجاع التي لم تكن فيمن قبلهم، وما لم يؤدوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء) الحديث.

ولم نراع النعمة أو نشكر الله عليها، بل غاية بعض الناس أن ينسبها للمخلوقين.

واليوم انتشر فينا أكل الربا وهو حرب مع الله، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة:٢٧٨-٢٧٩] الآية.

فمن يستطيع أن يحارب الله؟

وكثيرا ما يشتكي الناس من انكماش الاقتصاد والانخفاض الحاد في أسعار النفط، ويظنون أن الحل هو في تنويع مصادر الدخل، وإنما الحل في الطاعة ومها: الحيلولة دون الحرب مع الله، وإقفال صروح الربا "البنوك"، وكل الشركات المرابية وحظره بأي اسم كان.

ولما بلغ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن بعض كبار الصحابة تعامل بمعاملة ربوية قالت: أبلغوا فلانا أنه أحبط جهاده مع النبي ﷺ.

فانظر كيف يحبط الربا العملَ الذي لم يجد له النبي ﷺ ما يعدله وهو الجهاد، ومع من؟ مع رسول الله ﷺ، فكيف بمن لا جهاد له أصلا؟

وكان عبادة بن الصامت رضي الله عنه إذا تعامل الناس بالربا نهى الناس، وأبلغ معاوية رضي الله عنه ليزيله.

وأكل الربا من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله تعالى.

وقد حذر منه النبي ﷺ كثيرا، وجعل أكله نقضا للعهد، كما اشترط ﷺ على نصارى نجران، وقال في خطبة الوداع المشهورة: "ألا وإن ربا الجاهلية موضوع".

ومن آثاره المحق، قال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦].

وقال ﷺ: (إن الربا وإن كثر أمرُه إلى قُلٍّ).

ومن آثاره النفسية الخطيرة استمراء المنكر وإقراره، فإن الأجيال اليوم يراه أكثرها منكرا، ولكن كيف بالجيل الذي يفتح عينه على الحياة ويرى صروحه في كل شارع.

والربا نذير هلاك ودمار للمجتمع كافة، قال ﷺ: (إذا ظهر الربا والزنا في قوم فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله)، وسيأتي لذلك بقية في هذا المبحث إن شاء الله.

ومن هذه الذنوب التعري والدياثة، كما في المبحث الخاص بالمرأة هنا (ضمن الفكر الاجتماعي)، وهذا ما نراه في القنوات والصحف والشوارع والأسواق وفي كل مكان تقريبا.

وقد كانت المرأة هنا لا يظهر منها شيء في التلفزيون، ثم ظهر كفاها، وقيل هذه امرأة أجنبية غير سعودية، ثم جعلوها تقرأ الأخبار على استحياء ووجل كما فعلت "شعاع الراشد"، ثم أخذت تجري المقابلات مع الرجال وتخلو بهم، كما هو حال المذيعات اليوم في "الإخبارية"، فضلا عن المتبرجات في "العربية" و"إم بي سي" وغيرها، أما المراسلات فهن كاشفات الشعر حتى ولو كنّ في بلاد تحث على تغطيته مثل تركيا.

وهكذا يتدرج بنا المفسدون شيئا فشيئا على قاعدة "بطيء ولكن مؤكد"، وهو أسلوب شيطاني جرَّبه الشيطان مع قوم نوح، فأحدث به أول شرك في العالم، وفعل مثل ذلك ببني إسرائيل.

ومن هذا التدرج في عصرنا أنهم أول الأمر ولّوا الشيخ محمد بن إبراهيم رئاسة تعليم البنات، ثم من هو دونه، وهكذا، حتى ألغوا الرئاسة نهائيا.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١]، وصدق الله ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

وقال ﷺ عن أثر الذنوب ووجوب تغييرها: (ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعمله، ثم لم يغيروه إلا عمهم الله تعالى منه بعقاب).

ونص ابن القيم على أن الكبائر الباطنة كالحسد والكبر أعظم من الكبائر الظاهرة!

والحسد ذنب قل يفطن له ويحذره، وهو مركب في النفوس، وقد صحح ابن تيمية المثل القائل: "كل جسد فيه حسد"، وعلاجه يكون بسورة الفلق وغير ذلك مما ليس هذا موضعه.

ومن هذه الذنوب: الغيبة التي استسهلها أكثر الناس، بل ربما ارتكبوا ما هو أعظم منها وهو الافتراء والبهتان.

وقد كان السلف الصالح يتحرزون من آفات اللسان غاية الاحتراز، ولهم في ذلك قصص عجيبة، وأحوال غريبة يعلمها كل من قرأ سيرهم واطلع على حياهم، وسنأتي على شيء من ذلك هنا بإذن الله.

والذين تحدثوا عن الكبائر كالمنذري والذهبي وابن القيم ذكروا الغيبة من ضمنها، فاعجب لمن يقع في أعراض الناس في المجالس أو في الشبكة العنكبوتية "الانترنت"، وحسبنا في ذلك قوله ﷺ: (كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه)، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وبعضهم يظن أن الله خلق أمكنة لا سؤال فيها مثل "هايد بارك"، أو أزمنة يجوز فيها الكذب والغيبة مثل أول إبريل!!

ولا يحل الكلام في الغائب إلا ما كان لضرورة أو فيه نصيحة أو مشورة، كالمرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ تسأله أتنكح أبا جهم أم معاوية،

فقال لها: (أما أبو جهم فضراب للنساء، وأما معاوية فصعلوك لا مال له، ولكن انكحي أسامة).

والمؤمن يعمل الطاعة ويخشى ألا تقبل منه، فكيف بمن يعمل المعصية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠].

وبعض الناس يظن أن المذكورين في الآية هم الذين يرتكبون المحرمات، قالت عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ: (أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: لا يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون، وهم يخافون ألا يقبل منهم)، رواه الإمام أحمد والترمذي، وعلى هذا نص المفسرون من السلف اتباعا للتفسير النبوي، وعليه يدل السياق، فإنه قال بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون:٦١].

والمؤمن يستغفر الله عقب الطاعة لأنه مقصر فيها مهما ظن أنه أطاع الله.

فإذا سلّم من الصلاة مثلا استغفر الله ثلاثا، كما فعل النبي ﷺ، وإذا حج استغفر، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٩٩].

قال بعض السلف:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ** على شبا الجمر والمحمَى من الإبر

لم نبلغ العُشر من معشار نعمته ** ولا عُشيرا ولا عُشرا من العشر

وأصدق القائلين سبحانه ضرب لنا مثلا في كتابه بقرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون، ولاحظ أيها المسلم أن هذه القرية لم تكفر بالله وإنما كفرت بأنعمه.

هذا في النعم الظاهرة كالسمع والبصر، فكيف بالنعم الباطنة، وأعظمها كلها أن هدانا للإسلام، ولم يجعلنا كالأنعام كما هو الحال في أمريكا واليابان بل هم أضل.

وقد نص شيخ الإسلام ابن تيمية وكثير من العلماء الربانيين أن الطاعة المعمولة لشكر النعمة هي نفسها نعمة من الله، فكيف يقوم أحد بشكر الله ومكافأة نعمه، وأعظمها الهداية للصراط المستقيم، وأن كل أمر المؤمن له خير؟

والحمد لله الذي جعلنا مسلمين، ولو أننا ولدنا عياذا بالله في أمريكا لكنا على دينها، ولو أننا ولدنا في اليابان أو الصين أو الهند لكنا كذلك.

وبالتوبة والاستغفار تدوم النعمة والرزق والرفاهية والقوة لمن لا يجدها، وتلك سنة قديمة قدم الوجود الإنساني، قال تعالى عن عبده نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح:١٠-١٢].

وبعد نوح جاء هود عليه السلام وأخبر الله أنه قال لقومه عاد: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود:٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ﴾ [هود:٣].

أما الاستغفار بلا توبة فهو ذكر أو دعاء قد يقبل وقد لا يقبل.

ومن الذنوب الأمن من مكر الله، وأكبر الخوف أن يأتي الله أحدا من حيث لا يحتسب، ولما عوتب بعض السلف على كثرة بكائه قال: "وما يؤمنني أن يأتيني الله من حيث لا أحتسب، وقد قال: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُواْ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر:٤٧].

كما يخاف المؤمن أن يختم له بخاتمة سوء عياذا بالله، وإنما الأعمال بخواتيمها، ولذلك يسأل الله دائما الثبات على الحق وتصريف قلبه على طاعة الله.

وشر الناس من لم تمت معه ذنوبه كأصحاب الغناء والتمثيل والتبرج والتشبه بالكفار، وقد سمعنا عن "شهيد المسرح" لأول مرة في التاريخ، وهذا من الجزاء الوفاق على ترك الإنكار على من قال "شهيد الواجب"، وشهيد الوطن، وشهيد كذا.

فانظر كيف بلغت بهم الجرأة على الله، وكيف كانت عاقبة السكوت على المنكر، ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الأعراف:٩٩].

ولم يقدر الله حق قدره ولا عظمه حق تعظيمه من أمن عذابه وانتقامه، وهو تعالى يقول: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ [المعارج:٢٨].

والمؤمن يخاف ذنوبه ويرجو رحمة الله، فهو بين الخوف والرجاء، وخير الناس من ترك الذنوب حياء من الله وإعظاما لنعمه عليه، ومعرفة لقدر ربه جل شأنه، ولهذا كان من أصول التربية الإيمانية التي أوصى بها السلف، ومنهم بلال بن سعد ألا ينظر الإنسان إلى صغر المعصية، وإنما ينظر إلى عظمة من عصى.

وقد أطال العلامة ابن الوزير في الحديث عن الحياء وأنه زاجر قوي.

ومن أعظم الذنوب إنساء الرابطة الإيمانية وإقامة ما يسمى (الأخوة الوطنية) مكانها، وعلى أساس هذه الأخوة جعلوا الإسماعيلية إخوة لنا في الوطن، وكذا النخاولة والبحارنة، وجعلوا "رضا محمد لاري" مديرا عاما لمؤسسة عكاظ الصحفية، ورئيسا لتحرير جريدتي عكاظ وسعودي جازيت بالانجليزية، ومديرا لوكالة الأنباء السعودية، مع أنه ليس صحفيا أصلا، وجعلوا "المحبوبي" مديرا للمصفاة وغالب أبو الفرج سكرتيرا خاصا للملك في

الديوان الملكي ومديرا عاما لمؤسسة الصحافة والنشر، ومحمد رضا نصر الله مشرفا ثقافيا على جريدة الرياض.

وقد أصدرت اللجنة الدائمة للإفتاء فتوى بأن جعل الوطن وحده فوق المعيار كفر وكان رئيسها يومئذ الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

وبعض الناس يقول "الله غفور رحيم"، وهذا حق، ولكنه أيضا "شديد العقاب"، ولما قال أحد الخلفاء لأبي حازم: "أين رحمة الله؟" قال أبو حازم: "قريب من المحسنين"، فلا بد من بذل أسباب الرحمة، والله تعالى قال عن نفسه في أول سورة غافر: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ﴾ [غافر:٣] الآية.

ومن العجب أن أصحاب المعاصي اليوم يكرهون المتقين، فيجمعون إلى ذنوبهم بغض من يتتره عنها، وأصل ذلك قول قوم لوط عليه السلام: ﴿أَخۡرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٖ مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦]، وكان الأجدر بهم أن يحبوهم فبهم يدفع الله الهلاك، ويمكن لهم أن يسرفوا على أنفسهم في المعاصي.

ومعرفة الذنوب وكيف يكون المرء خائفا راجيا، مما اختص الله به المسلمين، أما الكفار -لا سيما الغربيون منهم- فهم في ظلمات لا يبصرون، وقلوبهم غافلة عن ذلك كله، وهذا غاية الجهل ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾ [الحشر:١٩]، ومن هذا الإنساء أنك تسمع الواحد منهم يتكلم في مشكلة كذا وأزمة كذا وظاهرة كذا، وفي كل شيء إلا نفسه ومصيره هو.

فكيف يطيعهم المسلم والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا﴾ [الكهف:٢٨]؟

وهؤلاء الذين قد يسميهم المغفلون خبراء، لو صدقوا معنا ونصحوا لنا وأخلصوا النية لنصحونا بشرب الخمر، ونصحوا نساءنا بالتعري وكانوا كالغراب.

ومن جعل الغراب له دليلا يمر به على جيف الكلاب

فكيف إذا أضمروا لنا الشر واحتقرونا وحكموا علينا بالتخلف والتأخر والانحطاط والغباء؟.

والواجب إسناد الأمور إلى أهل التقوى والأمانة من المسلمين، فإن في السعوديين والمصريين والترك والماليزيين من هو فاجر فكيف بالكفار.

والسلف رضي الله عنهم كانوا لشدة محاسبتهم لأنفسهم، ولما يريده الله لهم من الكرامة في الآخرة، يرون عاقبة معصيتهم في هذه الدنيا حتى قال بعضهم: "إني لأعصي الله فأرى أثر معصيته في خُلق زوجتي ودابتي"، والإمام التابعي الثقة محمد بن سيرين سجنوه في دَين عليه فقال: "إني لأعلم الذنب الذي به سلطهم الله علي، قلت يوما لرجل: يا مفلس"!

فلما بلغت كلمتُه أحدَ العلماء قال: "إن القوم قلّت ذنوبهم فعرفوا من أين أُوتوا، ونحن كثرت ذنوبنا فلا ندري من أين أوتينا"!!

فإذا كان هذا كلامهم فماذا نقول نحن؟

ولما شتم رجل أحد السلف قال: "اللهم اغفر لي الذنب الذي به سلطته عليّ".

وبعض السلف عد أيام عمره، وعد لكل يوم ذنبا واحدا فقط، فاجتمع له ألوف كثيرة.

والواقع المشاهد يدل على أنه لا يصح احتقار الشيء مهما صغر، فمعظم النار من مستصغر الشرر، ومن قطرات الماء يتكون السيل الجارف، وقد حذّرنا من الصغائر رسولنا الكريم الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، وضرب لنا مثلا بقوم جاء أحدهم بعود وجاء آخر بعود وهكذا، حتى اجتمع لهم حطب فأنضجوا خبزهم.

ومن آثار الذنوب الفساد الحاصل اليوم في البر والبحر، انظر مثلا إلى التغيرات المناخية والتقلبات الجوية وما يسمى "الاحتباس الحراري"، وكثرة الفيضانات والزلازل والانهيارات والأعاصير والجليد، وقد قررت بعض البحوث الغربية -ومنها ما قامت به الجمعية العلمية الألمانية- أن منطقة

الشرق الأوسط سوف تكون غير صالحة للحياة البشرية بعد عشرين عاما فقط، وذكرت الجمعية مدينة الرياض بالذات، وقالت: "التغيرات المناخية ستؤدي إلى إطالة فصل الصيف، وارتفاع درجة الحرارة مما يؤدي إلى هجر المدينة".

هذه توقعات، والعلم عند الله، والباحثون اليوم يتوقعون تغيرات كثيرة في العالم، بعضها جذري وعميق، كاختفاء بعض المدن الساحلية، وتحول بعض الصحاري إلى جليد، وبعض مناطق المطر اليومي إلى مناطق مجدبة، وأن الولايات المتحدة مثلا سوف يضربها جفاف شديد، أو ثلوج متراكمة، والله أعلم.

وكل ذلك بما كسبت أيدي الناس، وببعض ذنوبنا، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، وهو تعالى لا يؤاخذنا بما كسبنا بل يعفو عن كثير.

ومعلوم أن مدينة الرياض صحراوية لا تقع على بحر أو نهر، لكننا بالإيمان والتوبة والدعاء نستطيع تغيير الظواهر الكونية، فقد ثبت في الحديث أن القضاء والدعاء يعتلجان إلى يوم القيامة، وهذا ما لا يملكه غيرنا من العالم اليوم، ونحن الأمة الوحيدة في الأرض التي تصلي الكسوف وتقنت في النوازل، بل إننا لنصلي صلاة الاستسقاء وما في السماء قزعة، فيغيثنا الله، وبذلك نستطيع إلغاء التوقعات ولو كانت صحيحة.

ومن أعظم الذنوب المعاصرة مع دعاء غير الله: تحكيم القوانين الوضعية، وهجر كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فلا يحكم القضاة بهما، ولا يتحاكم الناس إليهما، ومن قرأ كتاب الله وقارنه بحال الناس رأى ذلك جليا، وقد استمرأ أكثرهم ذلك، حتى أنه ليقول للآخر بيننا القانون، فيما ورد حكمه في القرآن والسنة، وأصبحوا ينشئون كليات للحقوق في مهد الإسلام، وأصبح كثيرون لا يذكرون الله والدين مطلقا، وبعضهم الدين عندهم محصور وحكم غير الشرع جائز!

فالأمر جد خطير، ومرتبط بكلمة الشهادة وأصل الدين كما هو موضح في مبحث (التحاكم) المتقدم.

وقد قسم شيخ الإسلام ابن تيمية الأحكام قسمين: ١- أحكام كلية وهي ما يتعلق بالإنسان من حيث هو إنسان، في كل وزمان ومكان، فهذه لا يحكم فيها إلا الله وحده.

٢- أحكام عينية جزئية لا تتناهى، فهذه يحكم فيها المجتهدون بحسب اجتهادهم، ويتحرون فيها ما أمر الله به، من العدل والتثبت والأمانة واختيار الأقرب للمصلحة والمقاصد الشرعية، وذلك كالحكم بأن هذا الرجل صالح، أو أن هذا الشاهد عدل، أو أن هذه اليمين منعقدة، وأمثال ذلك، وكذا ما يسمى في عصرنا الأنظمة الإدارية والمالية.

ومن الإرجاء المعاصر قول القائل: نسأل الحكام أهم يفضّلون القانون على شرع الله؟ وهذا يدل على أهم لو قالوا: شرع الله أفضل لكانوا عنده مؤمنين، مع أن للكفر صوراً أخرى غير التفضيل، ومع أن المعلوم بالبديهة أن العاقل لا ينتقل من عمل إلى عمل آخر، ومن الدراسة في كلّية إلى كلية أخرى، إلا وهو مفضّل لما انتقل إليه، ولذلك لا يقول له الناس هل تفضّل كذا، وإنما يقولون له لم فضّلت كذا؟

ولا ريب أن من فضّل القانون على الشريعة كافر ناقض للإسلام، وبهذا أفتى العلماء المعاصرون، كالشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ محمد بن إبراهيم، والشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبد الله بن حميد رحمهم الله وكثيرون، فالأمر في منتهى الخطورة، وعلى كل أحد استدراكه بإلغاء كل ما يخالف الشرع، ولا يصح الحكم على من حكم بغير الشريعة بأنه ولي أمر، أو بأنه "شرعي"! وإنما ولي الأمر من استوفى الصفات الشرعية التي ليس هذا موضع التفصيل فيها.

ومن آثار الذنوب والمعاصي الذلُّ والاستبداد وجور السلاطين، والله تعالى ذكر استبداد فرعون وتسلطه واستخفافه قومه، وأن سبب ذلك هو فسقُهم، فقال: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥٤].

وقال لمن اتبع موسى عليه السلام: ﴿سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾ [الأعراف:١٤٥].

والذنوب هي سبب كل بلاء، وبها تسلط "بختنصر" على بني إسرائيل، وتسلَّط الصليبيون والتتار والمستعمرون والدجالون والخرافيون واليهود على هذه الأمة، والله تعالى إذا عصاه من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه، وهو إن ترك المسلمون الجهاد عاقبهم وسلط على اليهود مجوسيا آخر، زعيم كوريا الشمالية أو غيره.

قال ابن القيم عن الذنوب في عصره: "اقشعرت الأرض وأظلمت السماء، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، وذهبت البركات وقلت الخيرات، وهزلت الوحوش وتكدرت الحياة من فسق الظلمة، وبكى ضوء النهار وظلمة الليل، من الأعمال الخبيثة والأفعال القبيحة، وشكا الكرام الكاتبون والمعقبات إلى ربهم من كثرة الفواحش وظلمة المنكرات والقبائح، وهذا والله منذر بسيل عذاب قد انعقد غمامه، ومؤذن بليل بلاء قد ادلهم ظلامه، فاعزلوا عن طريق هذا السبيل بتوبة نصوح، ما دامت التوبة ممكنة وبابها مفتوح".

هذا كلامه في عصره، فماذا نقول اليوم؟

وقال رحمه الله: "الذنوب جراحات ورب جرح وقع في مقتل".

ومن الذنوب النظر إلى ما حرم الله، وإشغال القلب بما هو فتنة له كالنظر إلى الأجنبيات، أو الأبنية الكبيرة، أو الأثاث النفيس، أو القصور العامرة، أو المكاتب الفخمة.

وصدق من قال من الشعراء:

وأنت إذا أرسلت طرفك رائدا   لقلبك يوما أتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادرٌ   عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وكان السلف الصالح يحذِّرون من ثلاثة: فضول النظر، وفضول الكلام، وفضول السؤال، فكيف يلقى الله من يشاهد الأجنبيات ويتابع الدراما الخليعة، ويذهب إلى دور السينما وإلى الأسواق للتسكع والمعاكسة؟

ومن آثار الذنوب أن الله ينذر المذنبين بالعذاب الأدنى كالحجارة من السماء التي عذب الله بها قوم لوط كما ذكر في سورة هود، وسمى ذلك في سورة القمر الحاصب، ولكن الغافلين اليوم يقفون عند حدود العلل الصورية ويقولون إن هذا مجرد ظاهرة طبيعية، وأن الرياح تحمل الحجارة من ولاية لأخرى، أو أنها نيازك عادية تسقط بصفة دورية، ومثل هذا القول يقولونه في فرنسا وإسبانيا وروسيا وغيرها، وقد كان مشركو العرب يعلمون أن ذلك إنما هو عذاب من الله ويقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

وقد كتبت عن ذلك مجلة "ريدر دايجست" مقالا منفصلا وتحدثت عنه وسائل إعلام غربية أخرى.

فهل يأمن من يعصى الله أن يرسل عليه حاصبا في أي وقت من ليل أو نهار؟ وقد استسقى الناس أيام التابعين في البصرة واستبطؤا نزول المطر فقال مالك بن دينار رحمه الله يا أهل البصرة تستبطؤن المطر أما والله إني لأستبطئ الحجارة من السماء"!!

فانظر الفرق بين نظرة مالك ونظرة علماء الغرب وردِّد "رحماك اللهم بنا ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا".

اللهم إنهم قد كثروا وتحكموا ولكن نحن نفر إليك ونلوذ برحمتك.

ومن آثار الذنوب أنها سبب الانتقام والبلاء، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١١-١٤].

فهذه سنة كونية ثابتة وليس المقصود بها من ذكر الله أسماءهم في سورة "الفجر" فقط (عاد وثمود وفرعون)، بل هو تعالى بالمرصاد لكل مفسد في الأرض، وقد قال تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر:٤٣].

وقال بعد أن ذكر إهلاك قوم لوط: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٣].

وقال أيضا عن قوم لوط: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ [الذاريات:٣٧].

وهكذا لما عمل قوم لوط الخبائث وأتوا في ناديهم المنكر عذبهم الله بما ذكر، وهو قادر على أن يعذب كل من فعل فعلهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

فما أهلك به قرى قوم لوط الذين تقول التوراة إنها "سدوم وعمورة"، وما سلط عليها من قلب عاليها سافلها، وما رماها من الحجارة المنضودة أو الحاصب، سوف يصيب الغربيين اليوم إن لم يقلعوا، أو يصيب كل من فعل ذلك، وترك ما أحل الله من الزوجة إلى موضع النجاسة والقذارة.

وقد استنبط بعض فقهاء المسلمين مما فعل الله بقوم لوط، أن عقوبة من فعل هذه الفاحشة الخبيثة، هو أن يلقى من أعلى بناء في البلد، ثم يُتبع بالحجارة كالحاصب.

ومن يطالب بذلك ويقول إنها حرية شخصية له اسم معروف في اللغة الانجليزية، يصرح به الغربيون في إعلامهم، وهذه الفاحشة منتشرة جدا في الغرب، فليت وسائل الإعلام في بلاد المسلمين تتحدث عن أهلها وانحطاطهم بدلا من الحديث عن تقدم المجتمعات الغربية المزعوم.

وشر عاقبة الذنوب هو المعاقبة على الذنب بالذنب، ومن ذلك أن الله تعالى عاقب بعض المؤمنين على ذنوبهم بالتولي يوم أُحد، قال تعالى: ﴿إِنَّ

﴿ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران:١٥٥].

وقبلهم عاقب بني إسرائيل بالزيغ، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥]، وعاقبهم مع اللعنة بقسوة القلب وتحريف الكلم ونسيان بعض ما أنزل قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ لَعَنَّٰهُمۡ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةٗۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣]، وهذا أمر خطير يغفل عنه أكثر الناس.

وبهذا تكون للسيئة أخوات وقرائن ربما غير معلومة.

وقد قال بعض السلف: "إذا رأيت الرجل يعمل الحسنة فاعلم أن لها أخوات، وإذا رأيته يعمل السيئة فاعلم أن لها أخوات".

وكثير من الناس يبدأ إلحاده بالشك، ثم يعاقبه الله بالإلحاد.

قال تعالى عن المنافقين: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ [البقرة:١٠].

قال عن خليل الرحمن: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا﴾ [مريم:٤٤-٤٥].

وقال عن الذين يعاهدون الله لئن آتاهم من فضله ليتصدقوا ويكونوا من الصالحين، لكنهم أخلفوا: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ﴾ [التوبة:٧٧].

وصدق والله سعيد بن المسيب حين قال: "الحمدلله الذي جعلهم يفرون إلينا ولا نفر إليهم" لما بلغه أن أحد حكام بني أمية لما حضره الموت تمنى أن يكون صباغاً، وهذا له مثال مشهور في عصرنا، وهو أن ابا يارة (غازي القصيبي) لما جاءه اليقين وانطرح على فراش الموت ويئس من الدنيا كتب إلى من كان ينابذهم في صحته ويرد عليهم، نسأل الله أن يغفر له وأن تعتبر البقية من أصحابه.

هذا بينما لا يوجد متدين قط يفر عند الموت إلى من كان غير متدين.

حتى من أمضى حياته في الفسق والفجور كأبي نواس رجع آخر عمره وقال مخاطبا مولاه:

إن كان لا يرجوك إلا محسن   فبمن يلوذ ويستجير المجرم

وتأثر لما زار مقبرة ورأى فيها المعظم والمحتقر، والمدل بسلطانه والمفتخر في الدنيا بمكانته، وقال:

لهونا عن الأيام حتى تتابعت   ذنوب على آثارهن ذنوب

ففعل الذنب يؤدي إلى ما هو أعظم ذنبا منه، كما أن مدمن التدخين يستسهل شرب المسكر أو تعاطي المخدِّر، ومن يستسهل النظر يهون عليه الزنا وهكذا.

وقد أدى استمراء المسلمين للانحرافات الصوفية، والضلالات الكلامية، وانتشار الخرافات بينهم، إلى التحاكم إلى الطاغوت، وإنشاء المحاكم له، وكليات للحقوق، وبذلك استحكم التخلف الحضاري عليهم.

وأكبر المذنبين اليوم في الغرب هو الامبراطورية الأمريكية، وقد جاءها النذر من كل مكان، ولكن لا تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون.

فابتلاهم الله بالفيضانات والأعاصير والزلازل والفيروسات والبراكين والثلوج وكثرة الإجرام وانهيار الاقتصاد، وحرائق الغابات والعواصف، وكثرة حوادث إطلاق النار والانتحار والأمراض النفسية وغير ذلك، غير أنهم في غيهم سادرون، فهم يجمعون أنواعا من الكفر، بل كل أسباب هلاك الأمم القديمة، ولما غشيتهم سحابة سوداء ظنوا أن ذلك مجرد ظاهرة طبيعية يمكن للعلماء تفسيرها، ولم يقولوا إن هذا نذير بالعذاب على ذنوبنا، بل ظنوا مثل الظن الذي ظنته عاد من قبل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف:٢٤]، فما أحلم الله عليهم.

وفي المتنزه الوطني الأمريكي الواقع في "بلوستون"، ترى السياح والمتفرجين يسرحون ويمرحون، وما دروا أن تحت ذلك المنتزه بركاناً عظيما

قد ينفجر في أي لحظة، كما قرر ذلك العلماء الأمريكيون أنفسهم، ويقولون إنه لو انفجر ربما غير المناخ في جو العالم كله، وليس في أمريكا وحدها.

ولكن القوم في غفلة معرضون!

وكذلك يبتلي الله أمريكا بالزلازل فيقول الأمريكان هذه هزة أرضية درجتها حسب مقياس "ريختر" كذا، ويعودون لما كانوا عليه من اللهو واللعب!

ويبتليهم بالأعاصير المدمرة، فيقولون هذه مجرد عواصف فصلية طبيعية، ويبتليهم بالخسف فيقولون: انهيار أرضي من فعل الطبيعة، وهكذا.

وإذا كسفت الشمس قالوا ظاهرة كونية، ونبههم الأطباء على ضرورة استخدام العدسات الواقية إذا نظروا إليها، لكنهم يغفلون هم وأطباؤهم، عن قوله ﷺ عن كسوف الشمس والقمر: (آيتان يخوِّف الله بهما عباده)، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩].

وأباحوا المحرمات التي تُجمع كل الأديان والأعراف والعقول والفطر والأذواق على تحريمها، مثل إباحة المحكمة الأمريكية العليا لعمل قوم لوط، مع أن الأطباء النفسيين يقولون إنه مرض، وكل هذه الغفلة والسفول ترتكبه أمريكا اليوم باسم الحرية الشخصية، والديمقراطية المزعومة، ولما أباحت أمريكا قانونيا عمل قوم لوط، أعلن "روبرت موجابي" رئيس زمبابوي حينها عن رغبته في الزواج من أوباما!! ولم أسمع أن زعيما عربيا استنكره، وهذه الفاحشة الشاذة التي يخففونها باسم "المثلية الجنسية" يطالب بها بعض من يسكن في بلادٍ أهلها مسلمون مثل مصر والمغرب، وإذا استمر السكوت طالب بها من يستنكرها اليوم.

ويجب أن نعلم أنه كما ينافق المنافقون قديما وحديثا باسم الإسلام والإيمان، ينافق الأمريكان اليوم باسم حقوق الإنسان والديمقراطية وأمثال ذلك من الشعارات، وإلا فالحسد الذي أكل قلب عبدالله بن أبي بن سلول

هو نفسه الذي أكل قلوب رؤساء أمريكا، وحلفاء عبدالله بن أبي اليوم هم المتحكِّمون في "الكونجرس" والبيت الأبيض والإدارات التابعة له.

وكما حال إقبال الناس على أنوار النبوة المحمدية عن تتويج بن أبي ملكا على يثرب، سوف يحول إقبال الناس على دين محمد ﷺ عن الأمركة التي يظن بعض الأمريكان أنها نهاية التاريخ!

ومن آثار الذنوب أن يأتي الله المذنب من حيث لا يحتسب ويسلط على الظالم أظلم منه، وعلى المتهور أكثر منه تهورا، فانظر كيف سلط الله على "ترامب" زعيم كوريا الشمالية "كيم يونغ"، فكل منهما يقول إن الآخر مختل عقليا، والواقع أن كلا منهما يصدق عليه ذلك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [البقرة:١١٣]، وكلاهما صادق، والله تعالى أراد بتسليط ذلك المجوسي المتهور، على الكتابي الأحمق، أن يري المسلمين عجز أمريكا، وصدق الله ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام:١٢٩]، واضطر ترامب للجوء إلى مجلس الأمن واللياذ بالأمم المتحدة لتفرض عقوبات اقتصادية ودبلوماسية على كوريا الشمالية التي تهدد الأمريكان ليس في أمريكا فقط، بل الآلاف من الأمريكان في جارتها كوريا الجنوبية، وفي جزر بحر الصين، وفي اليابان، وفي إسرائيل.

والحقيقة القرآنية الخالدة هي أن كل من عصى الله جاهل، وأن كل من لم يخشه جاهل ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

والشيطان يزين للمؤمن الوقوع في المعصية أو استحلالها، خذ مثلا "الغيبة".

فالشيطان يزين للمسلم استحلالها بأنك على الحق، وأنت صاحب الاعتقاد الصحيح فيحل لك غيبة أهل الباطل والبدعة، أو بأي أسلوب شيطاني آخر.

وقد قال ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت)، فالصمت وأن يكون الإنسان لا له ولا عليه خير من كلامه فيما لا يعلم فضلا عن الكلام المحرّم.

وقد قال العرب قديما: لعل له عذرا وأنت تلوم.

فكل أمر لا تعلم حقيقته فإنه يسعك فيه السكوت، وقولك في أي شيء لا أعلم حقيقته خير ألف مرة من الكلام بلا علم، والعدل من أصعب الأمور على النفس، غير أن في السكوت مندوحة عن الظلم، وفيه على الأقل ضمان السلامة، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: "لا أعدل بالسلامة شيئا".

وحسبك في التحذير من الغيبة قوله ﷺ: (يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتّبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته).

وقد قال الشافعي رحمه الله:

لسانك لا تذكر به عورة امرئ فكلك عورات وللناس ألسن

وجعل النبي ﷺ من خصال النفاق الفجور في الخصومة.

وما أكثر من يفجر فيها اليوم!

ولا ريب عندنا أن الغرب سيسقط بذنوبه ولا يبقى إلا ما كان حقا أو مباحا كالمساواة والنظام.

فقد كتب "إدوارد جيبون" عن سقوط الامبراطورية الرومانية، ثم كتب "أسوالد شبنجلر" بين الحربين عن انهيار الحضارة الغربية، ثم وقعت الحرب الثانية.

وكتب "جورج أورويل" رواية (١٩٨٥م) عن المستقبل البشري المؤلم.

وكتب "بيرنهايم" سنة (١٩٦٥) كتابه "انتحار الغرب"، كما كتب بعده "بول كندي" الأمريكي عن "قيام الامبراطوريات وسقوطها".

وكتب المرشح السابق للرئاسة الأمريكية "بوكانين" كتابه "موت الغرب".

وكتب "كولن ولسن" البريطاني "سقوط الحضارة".

وعن سقوط القوى العظمى في التاريخ وسقوط أمريكا بالذات كتب "بول كندي" الأمريكي.

أما سقوط الامبراطورية البريطانية فقد كتب عنه "بيير برودون".

وهم مع اتفاقهم على سقوط الحضارة الغربية يختلفون في سبب ذلك، فيرى بعضهم أنه الفساد الأخلاقي، تبعا لدراسة "توينبي" للتاريخ، ويرى "رايلي" أن داء الحضارة الغربية هو العنصرية، ومعلوم أن الله أهلك الروم لما انتشر الزنا والربا واللواط ومعاشرة البهائم، وقد أصبح التراجع الأمريكي في كل المجالات مشهورا، حتى أن بعض المؤتمرات لم تحضرها أمريكا ولو بصفة "مراقب"! وقال جل شأنه: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج:٤٥]، فتلك سنة الله الدائمة يقرؤها كل قارئ للقرآن ويعرفها في الغرب كل من يدرس فلسفة التاريخ، أو دوراته كما يقولون.

ونحن اليوم نرى ما تركه غيرنا، وسوف يرى من يأتي بعدنا ما تركناه.

وقال سبحانه: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨].

وقد أهلك سبحانه الإمبراطورية البريطانية وجعلها أحاديث، ولم يبق منها اليوم إلا ما كان فيها من عدل وبحث علمي، وأمثال ذلك مما هو حق أو مباح.

وعلى الطريق نفسه تسير الإمبراطورية الأمريكية، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

والذنوب هي الداء الأكبر، وعلاجها إنما يكون بالتوبة منها، والإقلاع عنها والندم عليها واستغفار الله من فعلها، وتكفيرها بفعل الحسنات بعدها، والثقة في رحمة الله، والإخلاص له والتوكل عليه وحده.

وأفضل الحسنات بعد الإيمان بالله هو الصلاة والجهاد بأنواعه ومراتبه، وبر الوالدين وحسن المعاشرة مع الناس كافة، ودوام ذكر الله وتلاوة القرآن، وإقامة حروفه وحدوده، والصدقة، وعموماً اتباع السيئةِ الحسنةَ.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:١١٤]، وقال: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام:١٥].

ومن الذنوب التجسس في أي صورة، كما هو مذكور في مبحث الإمامة، لكن الطواغيت يستحلونه أي (ابتغاء الريبة في الناس)، وحسب صاحبه حديث حذيفة ﷺ لما قال له بعض جلسائه: إن هذا الرجل يرفع الحديث للأمراء، فقال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا يدخل الجنة قتات)، رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر قصة وقعت لأحد السلف، وهي أن رجلا كان في المسجد فاقترب من الشيخ ملتحفا بالكساء حتى سمع كلامهم، فبلّغه للوالي، فقال الشيخ: ألم أحذركم من صاحب الكساء!

وقد قال ﷺ لمعاوية ﷺ: (إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم)، قال أبو الدرداء ﷺ: (كلمة سمعها معاوية من النبي ﷺ نفعه الله بها).

والذنوب سبب لغضب الله وانتقامه، وليس كما يزعم الغربيون وأتباعهم غضب الطبيعة، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥٥]، أي فرعون وهامان وجنودهما.

وقال: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥٦]، أي لمن جاء بعدهم من الأمم والحضارات.

قال أبو مجلز: "سلفا لمن عمل مثل عملهم"، وقال هو ومجاهد: "أي عبرة لمن بعدهم".

وليست المسألة أن فجر الضمير ظهر من معبد كما يزعم "برستد"، أو أن الحضارة الفرعونية هي أصل كل الحضارات كما يقولون.

فالفراعنة عصوا الله وأغضبوه، وقبلهم كانت عاد وقوم نوح وإنما المخرج في قبول دعوة موسى عليه السلام لو فعلوا.

والذنوب هي سبب للأزمات الاقتصادية وضيق المعيشة، بل حرم الله بها على من قبلنا طيبات أحلت لهم، فكيف نأمن أن يحجب عنا بذنوبنا بعض الخيرات أو الصفقات، قال تعالى عن اليهود: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠] الآية.

وقال: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ﴾ [الأنعام:١٤٦] إلى أن قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ﴾ [الأنعام:١٤٦].

ومن تدبر كتاب الله وجد فيه الكثير من هذا.

وإنما هبط سعر النفط على هذه البلاد لما عصت الله وسلكت سبيل الغرب، وما هبوطه إلا نذير بانتقامه إذا بقينا على هذه المعاصي.

وإني لأعجب كيف نعصي الله ونأمن انتقامه، وقد روى الإمام أحمد والبخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ إذا رأى ريحا تغير وجهه وأخذه القلق، حتى إذا أمطرت سرّي عنه. فسألته أم المؤمنين رضي الله عنها كيف يتألم والناس عادة يفرحون بالغيم فقال ما معناه (يا عائشة إن قوما رأوه فقالوا هذا عارض ممطرنا، وإنما كان عذابا، فما يؤمنني أن يكون كذلك).

هذا والأمر غيث، والخائف هو رسول الله ﷺ.

وكل ما عُصي الله به سواء سميناه ذنوبا أو سيئات أو فواحش أو أي اسم، لا بد أن تكون له أسوأ العواقب، ولكن أكثر الناس لا يعلمون. وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النحل:٤٥]، وتظن أمريكا أنها حين ترصد العاصفة بالطائرات وهي لا تزال في المحيط أو بالأقمار الصناعية أن الله غير قادر على أن يصب عليهم العذاب من حيث لا يشعرون؟، وإنما ذنوبها عندها كذباب وقع على الأنف ثم طار، وتنسى أن تلك الذنوب في الحقيقة مثل الجبل الذي متى أراد الله أن يقع عليهم أهلكهم.

وليتأمل الأمريكان كيف أن التماسيح البحرية الهائلة تسير في شوارع ميامي، وكذا ثعابين البحر السامة بعد الإعصار! وكيف أن مخترع مضادات الصواعق عندهم "فرانكلين" مات بصاعقة؟

دع الذنب الأكبر والخرافة العظمى "التثليث"، وانظر إلى ما يستحلونه من المحرمات كالربا والتطفيف والخمر والميسر واللواط والزنا، وأمثال ذلك مما هو شُعَب الكفر وبريده وزيادة فيه، فما أحلم الله عليهم وما أصبره على كفرهم واستكبارهم، بل ما أحلمه على من يتبعهم ويتشبه بهم من المسلمين! نسأل الله أن يجنبنا سبيلهم.

ومن أعظم آثار الذنوب تسليط الحكام على الشعوب، فالجزاء من جنس العمل، والله تعالى يعامل المذنب بنقيض قصده.

وبعض الناس قد يخفى عليه ذلك لقلة فطنته أو عدم تدبره، فانظر كيف يعاقب الله تاركي الزكاة بحبس القطر، وكيف يعاقب آكلي الربا بالمحق، وكيف يعاقب المتسلطين على شعوبهم بأن يسلط عليهم الأعداء، وكيف يعاقب من يستضعف الناس ظلما لهم بأن يسلط عليه من يظلمه، وكيف يولي الله على أهل الفسق الفراعنة والمتسلطين وفقا لسنته الثابتة ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا﴾ [الأنعام:١٢٩].

قال ابن القيم: "تأمل حكمته تعالى في تسليط العدو على العباد إذا جار قويهم على ضعيفهم، و لم يؤخذ للمظلوم حقه من ظالمه، كيف يسلط عليهم من يفعل بهم كفعلهم برعاياهم وضعفائهم، وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم، بل كأن أعمالهم ظهرت في صورة ولاتهم وملوكهم، فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله وبخلوا بها منعت ملوكهم وولاتهم مالهم عند الله من الحق، وإن أخذوا ممن يستضعفونه ما لا يستحقونه أخذت الملوك منهم ما لا يستحقونه، وضربت عليهم المكوس (الضرائب)، وكل ما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه منهم الملوك بالقوة... وليس في الحكمة الإلهية أن يولّى على الأشرار الفجار إلا من يكون من جنسهم، ولما كان الصدر الأول خيار القرون وأبرها، كانت ولاتهم كذلك، فلما شابوا شابت لهم الولاة، فحكمة الله تأبى أن يولي علينا في مثل هذه الأزمان مثل معاوية وعمر بن عبدالعزيز، فضلا عن مثل أبي بكر وعمر، بل ولاتنا على قدرنا وولاتهم على قدرهم.." إلخ كلامه النفيس.

أقول: هذا في زمانه رحمه الله فكيف بزماننا هذا؟

ومن أعظم ذنوب الحكام التي لا ننكرها فيعاقبنا الله بأنواع العقوبات: أنهم يعطون أعداء الله من بيت مال المسلمين كما أعطي "ترامب"، والأحداث الواقعية تثبت أنه ما أخذ أحد مال المسلمين إلا كان عليه وبالاً.

ومن ذلك أيضا أن الحاكم بغير ما أنزل الله، عبد الفتاح السيسي أطلق أخاه المستبد حسني مبارك، وحكم على مرسي بالإعدام وأغرق قطاع غزة، وخدم إسرائيل خدمة لم يسبق لها مثيل، وهو مستعد للتخلي عن سيناء كي يقيم الفلسطينيون دولتهم فيها، ولعل نتنياهو يرضى بذلك.

ومع ذلك استمر تدفق الرز عليه وكونوا مجلس التنسيق السعودي المصري، وحثوا رجال الأعمال هنا على الاستثمار في مصر، ومن ذلك السياحة بطبيعة الحال! ولم نعتبر بما فعل أول مرة.

كل هذا بينما يعصف الفقر والجهل والمرض بالملايين من الناس هنا، وأصبح السيسي هو القدوة لغيره من حكام العرب، مع ما فيه من الصفات ومع قول سيده حسني مبارك عنه "عُقر"! أي ماكر خبيث.

ومن الذنوب أن نسكت عما نسمع من المنكر كقول الجبير إن الحوثيين إخوانه وجيرانه ويمكن التفاهم معهم، وكيف يكون جاره من هو على مذهب المعتزلة وعقيدته سب الصحابة هكذا ولماذا لم يتفاهموا مع الدعاة من أهل السنة؟

وكيف يقاتل الجندي قوما يعلم أنهم يمكن التفاهم معهم، وربما حدث ذلك يوما ما؟

ولماذا يقوى موقف بشار بعد كل مليارات تعطى للسيسي؟

كما يتقوى موقف حزب العمال الكردستاني؟

وأين تذهب مليارات الرز، إذا كان البنك المركزي المصري يقول إنه لم يصل إليه إلا ثلاثة مليارات فقط؟

ولماذا لا يعلن السيسي أنه ضد بشار وإيران وروسيا والحوثيين، كما يعلن أنه ضد تركيا؟

ولماذا حرمنا محمد مرسي من الرز وهو حافظ لكتاب الله وترضّى عن الشيخين في طهران، وبكى لما سمع الآيات خلف إمام الحرم، وتلا لأول مرة في التاريخ آيات على منبر الأمم المتحدة؟ وننصحه عما وقع فيه من أخطاء.

وإذا كان عادل الجبير صادقا في قوله إن مباحثاته مع سامح شكري ناجحة، وأن وجهات نظر الفريقين متطابقة؟ فعلى أي شيء هي متطابقة أعلى بقاء بشار أم على إغراق غزة أم على تأييد وجهة نظر إسرائيل، أم على متابعة ترامب وكوشنر؟

وكيف يصرح السفير السعودي لدى مصر والجامعة العربية (القطان) بأن السعودية لن تتخلى عن دعم مصر حتى لو عجزت ميزانيتها؟

وكيف يقول الإعلام المصري إن فايدة كامل مجاهدة، وإن صلاح الدين أحقر شخصية في التاريخ؟

وهل العدو المشترك هو الإخوان وحزب الإصلاح؟ أما آن أن نعتبر ونتعظ وتلين قلوبنا لله؟ ألم نر بأعيننا مصارع الآخرين؟

ومن الاعتبار أن نفكر فيمن مات على المسرح مثل طلال مداح هنا، أو بعض المطربات في تركيا وأندونيسيا، بل أين أم كلثوم ومحمد عبد الوهاب، وعبد الحليم حافظ، وشادية، وسراج عمر، والمئت من أمثالهم؟

ومن عقابنا بذنوبنا أننا نشكو من تكميم الأفواه وترك الشورى والتضييق على الحريات ونهب الثروات وبطانة السوء والفساد الإداري العام، وننسب ذلك إلى الحكام! وأنا لا أبرئ الحكام والحكومات من المسؤولية، وليسوا بأفضل من رسول الله ﷺ وقد قال ربه: ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور:٥٤]، وإنما أقول هم لهم ذنوب سوف يسألهم الله عنها، ونحن لنا ذنوب سوف يسألنا عنها، ولا نستحق مع ذنوبنا وغفلتنا إلا هؤلاء الحكام. ولو فعلوا بنا ما هو أكثر لرضي كثيرون، وطبّل له كثيرون، وأسبغوا على أفعالهم مصالح لم يقصدها الحاكم ولم تخطر بباله.

فكيف لا يسلط الله علينا الكفار والمرتدين والمنافقين والظالمين واللصوص، وما الذي يجعل هؤلاء الحكام يولون قراباتهم وأصدقاءهم، أليس فسق الشعوب وذنوبها وأنها لو كانت مكانهم لفعلت فعلهم؟ ألم يقل الله تعالى عن فرعون: ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾ [الزُّخرُف:٥٤]، ولو أنهم أنكروا عليه أكان يدعي الألوهية؟

والعامة يقولون إنه قيل لفرعون لم تفرعنت؟ قال: ما وجدت أحدا يردني. وانظر كيف تكون الحال لو أن الناس انفضوا عن الطواغيت ولم يحرسوهم أو يطيعوهم!

وكيف لا يكتب الله علينا الذل ويتسلط علينا الفراعنة، ونحن نحب الدنيا إلى حد أن من ذهب إلى أفغانستان للشهادة يقول: "إنما ذهبت لأجلب عمالا من باكستان"، أي أنني أردت الدنيا و لم أرد الآخرة.

وكيف نسأل الله أن يولي علينا خيارنا ونحن نفعل ما نفعل؟

وقد قال عبدالملك بن مروان على المنبر: "تكلفوننا أعمال المهاجرين والأنصار ولستم مثلهم".

وقبله سأل أحدهم أمير المؤمنين عليا، لم استقام الأمر لأبي بكر وعمر و لم يستقم لك؟ فقال: لأن رعية أبي بكر وعمر مثلي ورعيتي مثلك!

وكيف استمرأ قوم التشبه بالكفار حتى في دياثتهم وأزيائهم وتربيتهم للكلاب وقصات شعرهم والإعجاب بلاعبيهم ومصارعيهم وممثليهم من الذكور والإناث؟

حتى أن المسلمين تخلوا عن التقويم الهجري واستخدموا ما يسمى الميلادي.

فعلينا أن نشد الحزام ونستعد للمستقبل بالتوبة والاستغفار، فالنفق الذي أدخلتنا فيه ذنوبنا ليس من السهل الخروج منه إذا لم نتب، والخطط والرؤى الفاشلة القائمة على توصيات صندوق النقد الدولي ومن ورائه الشركات الاحتكارية معقدة، ولكن نهايتها الحتمية هي الإفلاس، وآخر الداء عند أمريكا هو الكي، فإذا لم تستطع شراء ذمم الشركات المحلية والحكام، لا بد أن تغتالهم على طريقتها الحضارية، مثلما اغتالوا "سلفادور ألليندي" وأصابوا الرئيس الفنزولي "تشافيز" بجرهم البيولوجية، ولكن الله من ورائهم محيط، ونحن بالتوبة إلى الله والفرار إليه وحده سوف نحطم آمالهم ونجعلهم هم يفلسون كما أفلست شركة "إيزن" العالمية، وكذا بنوكهم الربوية.

فالمصيبة هي ذنوبنا وليس فشل الخطط والتوجيهات والرؤى وإن كان لها من ذلك نصيب، ومع الأسف أن الذي يخطط للمسلمين هو صندوق النقد الدولي بمبالغ باهظة، والذي يخطط للسعودية بالذات هو شركة

"ماكيتري" ضمن رؤية الصندوق الرأسمالي، وتقوم توجيهات صندوق النقد الدولي على مبادئ اقتصادية بدهية يستطيع أي أحد أن يقدمها بدون إعطاء الصندوق تلك المبالغ الكبيرة، وهي: إلغاء الوظائف، إلغاء المشروعات الحكومية، إلغاء الدعم الحكومي للمحروقات، رفع أسعار السلع الاستهلاكية لاسيما الوقود والماء والكهرباء، فرض الضرائب تدريجيا، ومن أهم هذه التوصيات شراء أسهم الجامعات والمطارات تحت اسم وكيل محلي، ومن ثم التحكم في المناهج والمعايير الثقافية والرحلات، وتحويل الشركات الكبرى إلى شركات مساهمة تمهيدا لفرض الضرائب عليها.

ولو كنتُ غشاشاً -عياذا بالله- لقدمت توصيات ونصائح الصندوق مجانا -وبالطبع لن تقبلها الحكومات فأنا لست خواجة ولا أصلح عندهم لا في الساقة ولا في الحراسة!!- ولا تقلّ شروط صندوق النقد الدولي عن ١٠٠ شرط على الدول المستقرضة، وهذا طبعا غير الربا الذي يأكله الصندوق، وبهذا المكر الكبار يستطيع بارونات الربا وأصحاب العمولات تحقيق رغباتهم، ولكن الله لهم بالمرصاد، فيسلط عليهم من يفضحهم في الدنيا، أما مصيرهم في الآخرة فمعروف، وممن يفضحهم في الدنيا بعض موظفيهم، والشركات المنافسة والايدلوجيات المغايرة والصحفيون المستقلون، وغير ذلك، مثلما سلط على أمريكا "تشافيز" و"كيم جونغ" و"مايكل وولف"، ولكي تتخلص الدول من كيد أعدائها، تطرد كل من يحمل جنسية دولة معادية لها، وتمنعه من دخول البلاد، ونحن لدينا وسيلة ربانية أجدى من ذلك كله، وهي ألا يثق المسلمون في أي كافر، ولا يستقدموا أي غربي، ولا يتخذوا بطانة من دونهم، لكن السذاجة مشتركة، وكما يوجد في أمريكا "رجال بيض أغبياء"، يوجد أغبى منهم أو مثلهم بين المسلمين.

ومعلوم أن كل صناديق الأمم المتحدة إنما تأخذ الأموال من الدول الأعضاء وعلى رأسها الدول النفطية، أما الربا الذي تقرض به الدول فتأخذه

الصناديق نفسها، فهي ليست جمعية خيرية أو مؤسسات غير ربحية، وهكذا يأخذون أموال المسلمين ويقرضونها المسلمين بربا.

وحينما أصدر "مونرو" مبدأه المشهور بأن أمريكا الجنوبية هي حديقته الخلفية ولن يسمح لأحد بالتدخل بها، سلط الله عليه الأحزاب اليسارية وعداوة الشعوب في أمريكا الجنوبية للمستعمِر الأمريكي الجديد، ومن أعظم الدول التي سلطها عليه فنزويلا ذات الثروة الهائلة من النفط والبن والفواكه، وجاهر رئيسها الهالك "تشافيز" بمعارضته للسياسة الأمريكية المبنية على شركات القرصنة الاحتكارية والاغتيالات الاقتصادية، فانبرى "تشافيز" للهجوم على أمريكا في كل خطاب، ورفض حربها على العراق، كما رفض هجومها على ليبيا، وعادى إسرائيل وأنكر العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ووثق علاقاته بالدول العربية، وقابلت أمريكا ذلك بنشر الدعاية السوداء ضده، وأطلقت يد "السي آي إيه" لاغتياله وإذاعة الأكاذيب عنه مخلوطة ببعض الحقائق، وعملت الشركات الأمريكية كل جهدها وجعلت كثيرا من الفنزويليين تحت خط الفقر، وحاربته أمريكا بيولوجياً وسببت لـــ"تشافيز" مرض السرطان، وأخذت عليه صداقته "لفيدل كاسترو"، ويقول المحللون إنه لولا انشغال أمريكا بحرب العراق لأرسلت جيشها إلى فيتزويلا، وأعظم من ذلك أن الفنزويليين رفضوا كما رفض "محاضر محمد" وصاية صندوق النقد الدولي، وأبوا تعويض امتيازات الشركات الأمريكية في أمريكا الجنوبية، خاصة شركة "موبيل" التي تستخرج نفط فنزويلا، فالتفتت الشركات الأمريكية لمنطقة آسيا خصوصا دول الخليج النفطية، وزيّنت لدول الخليج مضاعفة شراء السلاح، وأدخلت المنطقة في دوامة حروب طاحنة تبيع السلاح لكلا طرفيها، فكانت تبيع لإيران والعراق ثم تبيع لإيران ودول الخليج معا وتبيع اليوم للحوثيين والتحالف.

كما حصلت الشركة الأمريكية (أرامكو) على منطقة امتياز أوسع، واستولت على الشركة الوطنية "سمارك"، وبعد الانحياز للعراق ضد الخميني أيد الخليجيون هجوم أمريكا على العراق.

ومن ذنوبنا أن نبيع النفط خاما ونستورد البترين والاسفلت كما اعترفت أرامكو أنه في عام ٢٠١٨ سوف ينتهي هذا الأمر، فلننتظر ونر.

وبالاحتكار وتطفيف تلك الشركات، وإلقاء اللوم دائما على الاتجاهات المضادة، وبالسيطرة الكاملة على السياسة دخل الغرب في عصر ظلمات جديدة، ليس أعجب منها إلا حرص من أعطاهم الله النور على اتباعه فيها!!

والله تعالى يقول للمؤمنين: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ﴾ [آل عمران:١٠١]، وما عليك لكي تكون مواطنا صالحا إلا تصديق الأوهام لاسيما عبارة (مستعدون للمستقبل)، وأي استعداد له بغير التوبة؟

وعليك أيضا الثقة في نجاح كل المشروعات كمشروع البحر الأحمر و"نيوم" وما ستجلبه من المليارات! مع الحفلات الراقصة المختلطة وفتح دور السينما والإدمان على المواقع الإباحية.

وقد كنا نعيش في نعمة ورخاء وثراء ابتلاء من الله واختبارا لإيماننا، فلما عصينا الله حل بنا ما حل وأخذت تلك النعمة في الضمور، والقاعدة الإيمانية هي أنه تعالى: ﴿لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣]، وأصبحنا نخلل أسناننا لعل فيها شيئا من بقايا أيام الطفرة.

وعكس المجرمون منا كتاب الله الذي قال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤]، فأصبحت النساء قوامات على الرجال، وقال: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء:٣٤]، فأصبح

النساء اليوم يضربون الرجال، وبعد أن قال ﷺ (رفقا بالقوارير) أصبحنا نقول "رفقا يا قوارير"! وكأن الذي ينقصنا هو التبرج والسفور.

وقد كان آباؤنا يجهلون كثيرا مما نعلم، ولكنهم كانوا أقوى منا إيمانا، ولذلك كان الله يغيثهم ويجري لهم السيول والعيون، ويستجيب دعاءهم أكثر منا، ونحن بذنوبنا أصبحنا في هذه الحال حيث شحت المياه وغلت الأسعار وقلت البركة، وانخفضت قيمة العملة، وكانوا يؤدون الزكاة التي قدرها ٢.٥% ثم إن الله سلط علينا بذنوبنا من المكوس أضعاف ذلك وأقله ٥%.

وكان الأولون راضين بما كتب الله لهم، أما اليوم فقد علمنا الغربيون آفة الانتحار، وكثر ذلك، كما كثر العقوق والقطيعة، حتى أن بعض الناس قد يقتل أحد والديه عياذا بالله، مع أن الله تعالى قال: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ [لقمان:١٥] الآية.

كما كثرت الفواحش وانتشرت الدياثة وعمت المنكرات فماذا نتوقع من الله؟ والله تعالى سلب قوم سبأ وقوم فرعون النعم التي أنعمهما عليهم، لما أذنبوا وأكثروا الفساد في الأرض، وما ربك بظلام للعبيد، قال تعالى عن قوم سبأ: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ ﴿١٥﴾ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ وَأَثۡلٖ وَشَيۡءٖ مِّن سِدۡرٖ قَلِيلٖ﴾ [سبأ:١٥-١٦].

وقال عن قوم فرعون: ﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان:٢٥-٢٧]، وهكذا ابتلانا الله بكارثة انخفاض سعر النفط إلى نحو الربع والركود الاقتصادي، والبقية ستأتي إن لم نتب.

وليت الأمر يقتصر على مجرد انخفاض أسعار النفط أو تذبذبها، فقد قال بعض الخبراء العالميين إن السعودية سوف تكون دولة مستوردة للنفط بحلول عام ٢٠٢٥م، ولذلك يقال إعلاميا "نحن نستعد لعصر ما بعد النفط"، ونحن

لا نجزم بصدق هذه التوقعات أو كذبها!! غير أن الذي نجزم به هو أن النفط سلعة ناضبة يوما ما، والمشكلة أنه سوف ينضب عندما يزداد عدد السكان! وقد عدنا إلى نصائح عبد الله الطريقي بالتدرج فلم لا نأخذها كلها ونبدأ من حيث انتهى، لا سيما تحذيره من الترف.

وقد نصح عمر ﷺ المسلمين حين قال: "إياكم والتنعم"، وقال: "اخشوشنوا وتمعددوا فإن النعم لا تدوم"، غير أن الناس يريدون أن تدوم غصبا عنها، ويأبون إلا الترف ولو استدانوا بالتقسيط.

وقد ابتلى الله كبار أثريائنا بالفقر نتيجة أكل الربا وارتياد الملاهي، وغير ذلك، والواجب حمد لله الذي عجل العقوبة في هذه الدنيا لعلنا نتوب قبل الموت، خذ مثلا الثري المشهور عدنان خاشقجي، الذي كان من أصدقاء "شمعون بيريز" والأمير سلطان وغيرهما، وكان واسطة بين شركات السلاح الأمريكية ووزارة الدفاع السعودية، وكذا الدول التي سماها بوش الصغير "محور الشر"، وله فضائح كثيرة منها "إيران كونترا"، وإفلاس بنك الاعتماد الدولي، ويملك مزرعة كبيرة في كينيا، حيث كان منجم "أوريك" للذهب الذي موله خاشقجي للرئيس جورج بوش الأب، وكان من أقربائه محمد الفايد (دودي)، الذي مات مع ديانا، وسميرة خاشقجي صاحبة "مجلة الشرقية"، وكان ينفق في اليوم الواحد ما يكفي أسرة سعودية مدة عام كامل أو أكثر، ويملك أسطولا من الطائرات واليخوت، وله أخبار أسطورية في الثراء وسمَّته بعض الصحف السعودية قارون العصر، ثم كان عاقبته الفقر والمسكنة وأخذ الصدقات، وساءت حالته الصحية وتراكمت عليه الديون ومنها خمسة ملايين جنيه استرليني لأحد ملاهي لندن، كما كثرت ضده الدعاوى في الغرب، وألف عنه بعض الأمريكان كتابا عنوانه "فئران الأنابيب"، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وحماية للذوات وللاحتكاريين والمرابين وهوامير البورصات، يدفع المستهلك وليس المستثمر تكلفة أي مشروع، فالضرائب إنما تؤخذ من

جيوب المواطنين، والرسوم إنما يدفعها الضعفاء، والسيول إنما تجتاح بيوت الفقراء دون أن تمس قصور الأغنياء، فهل وصلت العدوى إلى كل شيء وأصبح حالنا كما قيل:

حتى الكلاب إذا رأت ذا ثروة هشت إليه وبصبصت أذنابها

وإذا رأت يوما فقيرا معدما نبحت عليه وكشرت أنيابها؟!

ولجان التعديات إنما شطارتها على أراضي الضعفاء وبيوتهم، وكذا الجزاءات المرورية والتجارية، والبلديات تمنع الباعة المتجولين فقط، وأكثرهم بالطبع من الوافدين، وبضاعتهم أرخص للشعب ولكن البلدية تقول إنهم أجانب يشوهون البلد، وطبيعي أنهم لو كانوا يعملون في المراكز التجارية الكبيرة لحصلوا على الجنسية فوراً ولما منعهم أحد، بل ربما لم تدخل عليهم البلدية مطلقا.

ومن عقوبات الذنوب: الغفلة عما يراد بنا، فانظر مثلا كيف أن الشعب الأمريكي في واد والثورة الثقافية ضده في واد آخر، ولا يزال في غفلة يشاهد المسلسلات والأفلام ويرتاد أماكن السياحة والملاهي مثل "ديزني لاند"، ويتابع نتائج مسابقات ملكات الجمال، ونتائج الملاكمات والمصارعات، والفرق الفائزة في كرة السلة، والحاصل على المركز الأول في الشطرنج، أو في لعبة الجولف، بل أفضل دجاجة وأجمل خنزير، وأوفى كلب وأغنى قط في وأقبح امرأة في العالم، وأكثر الناس بدانة، بينما الشركات الاحتكارية العملاقة تهرِّب الأموال الضخمة من أمريكا إلى الدول التي تجد فيها العمالة الرخيصة، ولتسقط أمريكا كما سقطت من قبل بريطانيا، والمهم هو بقاء الربح والثروة لهذه الشركات، والشعب لجهله وشدة غفلته لا يعرف اسم من يحكمه وما حزبه؟

والشركات الإعلامية الضخمة تبث وتنشر ما تريد، وشركات السلاح تبيع ما تريد لمن تريد، وتنحدر الأمة الأمريكية إلى قرار سحيق في كل مجال، وهو سادر في غفلته.

وقد أنذر الله هذه الأمة الغافلة بالكساد الكبير الذي وقع سنة ١٩٣٠، وأدى إلى انتحار كثير من أثريائهم، والمسلمون إن بقوا على هذه الحال فسوف يقعون في الكساد الأكبر ويعودون إلى ما قبل عصر الثروات، وليس بين الله وأحد من خلقه نسب، ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر:٤٣]، وأي كساد أكبر من أن يخسروا الدين والدنيا معا.

وكل من يزور أمريكا أو يدرس فيها يعلم كيف يزداد أثرياؤها ثراء ويزداد فقراؤها فقرا، بينما تتقلص الطبقة المتوسطة أو تقل.

وعلى الخط الأمريكي تسير السعودية ويشتغل أجيالها، ومن ذلك أن أحد التجار في جدة أعلن عن جائزة مالية كبيرة لمن يعثر على كلبه الذي صفته كذا وكذا، وبعض الأثرياء تبرع لنادي "مانشستر" بمئات الملايين.

ويقول الغربيون إن الحكومة السعودية استدانت من بنوك عالمية، ويقول المحللون هنا إن الاستدانة إنما هي من البنوك المحلية، ولم يعد أحد يشك في أن الدولة لا بد لها من الاستدانة والاقتراض من البنوك لكي تسدد الرواتب، مع ما في ذلك من تقوية للربا باسم "الفائدة" ودعم للبنوك المحلية، وهذا غير المشروعات الملغاة والمشروعات المتعثرة، وغير ما في البنية التحتية من خلل، وتحاول الحكومة بحساب المواطن وبدفع بدل غلاء التخفيف من ذلك، ولكن الخرق استع على الراقع، ومهما كان الإنسان جاهلا بالأمور الاقتصادية، لا يمكنه إلا التسليم بأن الكارثة عميقة، وأن التطمينات الإعلامية كاذبة، وأن بيع الدجاجة أو الأوزة التي تبيض لنا الذهب إجراء غير صحيح، وإنما الحل الصحيح في التوبة والندم، والله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

والخروج من الأزمات الاقتصادية إنما هو بالتوبة والاستغفار والإقلاع عن الذنوب، وليس بالحيل الاقتصادية، التي يقدمها بعضهم لخداع الناس.

ومن هذه الحيل اللجوء إلى تخفيض العملة، وهو إجراء تتخذه بعض الدول لاسيما المستبدة ذات الشعوب المخدوعة.

فالراتب كما هو ولكن قيمته الشرائية تنخفض بمقدار خفض العملة، فلو فرضنا أن راتبك عشرة آلاف ريال، فسوف تستمر تقبضها كما هي رقميا، ولكنها لا تعادل ذلك في السوق، وكثيرا ما انخفضت قيمة العملة المحلية بالنسبة للعملات الأجنبية لاسيما الدولار واليورو، فانظر مثلا إلى قيمة الدينار العراقي والجنيه المصري.

وقد عانت أوروبا أكثر من ذلك لا سيما في أوقات الحروب، حتى كان الفرد الأوروبي يشتري القليل من الطعام بعربة محملة بالورق النقدي.

وعندنا هنا كان راتب الموظف في المرتبة الخامسة (١٢٠٠) ريال، ولا ترضى به الخادمة اليوم! واسأل أي موظف أيهما أفضل يوم كان راتبك (١٢٠٠) أم يوم أصبح (١٠.٠٠٠)؟

الشرك الجديد:

ومن أعظم الذنوب المنافية للتوحيد اتخاذ أنداد مع الله أو من دونه، والشرك به مع نصب أصنام جديدة لا يعلمها كثير من الناس، ومن الإيمان ببعض الدين مع الكفر ببعض، أن نرى في الشارع الواحد مسجدا للصلاة وبنكا للربا، وهذا شرك جديد لا يعلم عنه كثير من أهل الدين حتى بعض المصلين.

والربا حرام في كتاب الله، وهو كله أضعاف مضاعفة، أما على ما يسمونه الربح المركب فالأمر جلي، وأما على ما يسمى الربح البسيط فهو ربا يتضاعف، وهكذا كان ربا الجاهلية، فالقضية ليست مجرد معصية بأكل الربا، بل تجاوزت ذلك إلى شرك تصدر به القرارات والتنظيمات، وعلمانية مكشوفة وتبعية للغرب، فمن البديهي أنه لا يفتح أحد بنكا إلا بعد سلسلة طويلة من الإجراءات ودراسة مستفيضة للأمر، لا سيما حاجة البلد والجدوى الاقتصادية، ثم يصدر ترخيص بذلك، وما هذا إلا تشريع، ولم يكتفوا أن يجعلوا المسجد خاضعا لشرع الله والبنك خاضعا للقوانين المرعية،

بل إنهم أصدروا أمراً بمنع القضاة الشرعيين من النظر في قضايا البنوك، وجعلوا البنك المركزي المسمى في بلاد الحرمين "مؤسسة النقد" يأمر البنوك وينهاها، ويدعمها ويحافظ عليها، ويتحكم في سياستها المالية ويراقب حساباتها، وتركوا الآيات والأحاديث وأقوال العلماء، وساروا وفق القاعدة الرأسمالية المعروفة التي صرح بها عندهم المدعو إبراهيم الناصر "لا اقتصاد بلا بنوك ولا بنوك بلا فوائد" يريد بها إباحة الربا كمبدأ رأسمالي لا بد منه، وعرّفت جريدة الحياة إبراهيم هذا بأنه "الأستاذ في الجامعات السعودية" تعظيما لشأنه وتفخيما له، على أنه مهما فخموا المسكين لا يصل إلى الاقتصادي العالمي الأول "شاخت" الذي وضع سنة ١٩٥٠م نظرية يقول فيها: إن الربا هو أكبر ضرر على الاقتصاد حيث يزداد الأغنياء غنى والفقراء فقرا.

وقد كتب الشيخ صالح الحصين رحمه الله، بحثا بعنوان (موقف الشريعة الإسلامية من المصارف)، رداً عليه أثبت فيه أن ما كتبه إبراهيم الناصر لا جديد فيه إذ هو نقلٌ عن السنهوري ومعروف الدواليبي وغيرهما، وقال الشيخ صالح الحصين أحقا أن الدكتور إبراهيم الناصر يعيش على الأرض؟

على أن الحكومة سارت على كلام الناصر وضربت صفحا عن كلام الحصين، مع أن الشيخ ثقة عندها وبحثه موثق، وبحث الناصر فيه خيانة علمية وعدم توثيق.

وبعض البنوك يستجلب الزبائن بقوله إن نسبة الفائدة (الربا) فيه ½% فقط، ويغري بذلك الزبائن، وهب أن الأمر كذلك، فليست العبرة بقلة النسبة أو كثرتها، وإنما هي في أن الله تعالى حرم الربا قليله وكثيره، وجعل عاقبته هي محق المال كله، وهذا واقع الأزمات الاقتصادية التي يعاني منها العالم اليوم، والصريح من فعل القوم هو أنهم منعوا إنشاء المصارف الإسلامية ولو كان المسؤول ذا منصب ومكانة، كالأمير محمد الفيصل صاحب مصرف "دار المال الإسلامي"، الذي أسس الدار في دولة الإمارات، ثم فتح لها فروعا

في السعودية، وقال في محاضرة حضرها "حطوا أيديكم مع أيدينا" فقال له أبو داود: "أنت طال عمرك حط يدك مع أيدينا فأنت أمير وأبوك ملك"! حتى ما سمحوا به فيما بعد تحت ضغط الشعب جعلوه خاضعا لوزارة المالية ومؤسسة النقد، واستغلالا لهذا الضغط الشعبي والتفافا عليه، فتحت بعض البنوك قسما سموه "قسم المعاملات الشرعية"، وهذا اعتراف منهم بأن القسم الآخر غير شرعي، وهو شبيه بقول مشركي العرب: ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦]، ومن الإيمان ببعض والكفر ببعض، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [١٥٠-١٥١].

ولسان الحال يقول إن كنت من المطاوعة فاذهب إلى قسم المعاملات الشرعية، وإن كنت مواطنا عاديا فتعال.

ويقول تعالى عن اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥].

ومن المعلوم أن البنك يضم المال بعضه إلى بعض في النهاية.

وأخبر تعالى أن المنافقين يقولون: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢]، أي بلغة العصر لم نقصد العلمنة والشرك، وإنما تحقيق رغبة الشعب، والجمع بين الأصالة والمعاصرة، وإذا أنكر أحد الربا، وهو الواجب على كل مسلم، قالوا كيف تنكر وعندنا قسم للمعاملات الإسلامية، وكأن المسألة تخييرية، فمن اختار المعصية فدعه، ومن اختار التوحيد فليذهب إلى أهله، ومن أراد الرجم فليذهب إلى قاضٍ شرعي إن وجد، ومن أراد الجلد والتحميم الذي اصطلح عليه اليهود، فليأتِ إلى القانون العام في البلاد، وهذا مثل أن يقال لمن ينكر البناء على القبور: إذا أردت قبرا لا بناء عليه فاذهب إلى مكان كذا وكذا، ولكن لا تحجر على من أراد قبراً عليه بناء، ومن أراد

أن يدفع رشوة فليذهب إلى كاهن جهينة، ومن لم يردها أو ليس له ما يدفع فليأت إلى الرسول ﷺ.

علما بأن الربا ليس في البنوك وحدها، بل هو في شركات التأمين، وفي الجمارك، وغيرها، بل جعلوه في كل شيء تقريبا، فمن لم يأكله أصابه غباره، وأعداء الله وشياطين الأنس والجن حريصون على ايقاع المسلمين في هذا المحرَّم الذي هو سبعون بابا، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه، ودرهم منه أشد من ست وثلاثين زنية، وقد ظهرت آثار ذلك عيانا، حيث تعثرت المشروعات، بل إن بعضها ألغي تماما، وقلَّت الوظائف وانتشرت البطالة، وكثر الفقر ومحقت البركة من العملة، وغير ذلك، وحسْب آكلِه أنه في حرب مع الله، ولا بد لكل محارب لله أن ينهزم ويبوء بالخسران ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثر:٣١].

ومن العجيب أن بعض البنوك إذا أفلس تحول للنظام الإسلامي كما يسمى، مثل بنك الجزيرة إن صدق.

ومن الآثار العالمية للربا الأزمات المتتابعة، والتلاعب بالأسهم، فالعالم يدور في حلقة مفرغة، ويتحكم اليهود في سعر الفائدة، وقد قال الله عنهم: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَوٰا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ﴾ [النساء:١٦١]، فكيف يسكت علماء المسلمين كما سكت الربانيون والأحبار؟

ومثل الربا أخوه التأمين، فأغلب أنواع التأمين من الميسر المحرم، والتأمين يقوم على حساب الاحتمالات، وقد ينتهي استخدام السيارة أو الطائرة دونما وقوع ما يستوجب دفع التأمين، وكذلك عمر الإنسان، ففيم تأكل شركات التأمين حقوق التأمين شهريا أو سنويا؟

وهلا قبلت شركات التأمين أن تؤمن على المفاعلات النووية إن كانوا صادقين؟

وإذا أخذنا مثلا التأمين على السيارات فسوف نجد أن التأمين يؤدي إلى كثرة الحوادث المرورية، إذ كثير من المتهورين يفعل ما يفعل، ويقول (مؤمَّن عليها أو شركة التأمين هي التي تدفع)!

هذا غير ما في كثير من أنواع التأمين من الربا والغرر.

وقد رأت الدول الغربية الأثر الاقتصادي العظيم لمنع الربا ومنع الاحتكار، ففتحت الباب للبنوك الإسلامية، وأقبل العملاء على البنوك الإسلامية، حتى أن بعض البنوك الإسلامية في بريطانيا أعلن أن ٨٠% من زبائنه من غير المسلمين، أضف إلى ذلك أن في العالم دولاً تحرم الربا تحريما مطلقا، كالدول الاشتراكية، فهل هي خير ممن يدعي الإسلام تجارة ونفاقا، واتباع الشرع الذي عرف الكفار ميزاته، وعرفها الفلاسفة كما ذكر ابن تيمية عن الفلاسفة وقولهم إنه ما طرق العالم ناموس (أي شرع) مثل ناموس محمد ﷺ؟ ومتى يلغي البنك المركزي هنا "مؤسسة النقد" كل معاملة غير إسلامية وكل بنك غير إسلامي؟

وقد تحدثت شخصيا مع أحد المستشارين في وزارة المالية عن ذلك، وهذه الحرب من الله تشمل كل متعامِل به فرداً أو مؤسسة أو شركة، فلا يجوز لأي إنسان أن يتعامل بالربا ولا أن يتوظف في بنك أو أي محل ربوي، فالنبي ﷺ لعن آكله وموكله وكاتبه وشاهديه، وقد أفتى الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أنه لا تجوز حراسة البنك الربوي، ويجب على من ابتلاه الله بالعمل لدى من يتعامل بالربا أو يتوظف في بنك أن ينتقل منه إلى غيره، وأن يصبر على نقص الراتب لو حصل، إذ أن عمله هذا لا يجوز، والعبرة بالبركة وليس مجرد الكثرة أو القلة، وقد قال ﷺ: (الربا وإن كثر فإن أمره إلى قُل).

ومن الربا اليوم ما يقال له (سندات الخزانة) أو أذونات الخزانة، التي تصدرها بعض الحكومات.

فإذا أكل أحد الربا فلا يأمن أن يقع في الشرك كمن يستحل أكله وما أشبه ذلك.

ومن الذنوب أيضا تزكية النفس، وقد ينشأ عن ذلك ما هو أكبر كالعُجْب والرياء والتكبر والتعالم، ولهذا كان السلف يغمطون أنفسهم، ويعترفون بالتقصير، ويعرفون جموح النفس وغرورها ويردعون حماقتها.

قال الصديق الأكبر لما سمع بكاء الأشعريين عند قراءة القرآن: "هكذا كنا ثم قست القلوب".

وقيل لبعضهم -وينسب لزهير البابي-: "يقولون إنك زنديق، قال: زنديق لا، ولكني رجل سوء".

وقال محمد بن واسع: "لو كان للذنوب رائحة لم يجالسني منكم أحد".

وسمع ابن مسعود رجلا يقول: "ما أريد أن أكون من أصحاب اليمين أريد أن أكون من المقربين، فقال عبدالله: ولكن هاهنا رجلا -يعني نفسه- يود أنه إذا مات لم يبعث".

وقال عمر رضي الله عنه: "وددت لو أني خرجت من هذه (أي الخلافة) كفافا لا علي ولا لي".

وقال ابن مسعود: "وددت أني كبش أهله ذبحوه فأكلوه".

وقال الحسن البصري -وقيل إنه غيره-: "لقد أدركت أقواما ما كنا بجانبهم إلا لصوصا".

وقال بعض الصالحين: "ليتني كنت شعرة في صدر رجل صالح".

ولما قال أحدهم للإمام أحمد ادع الله لأمي، قال: "إذا نحن دعونا لها فمن يدعو لنا؟".

وقال آخر: "لو أن الناس ذموني لما كانوا أشد انتقاصا لنفسي مني".

وقال إبراهيم النخعي: "إن زمانا أكون فيه فقيه الكوفة لزمان سوء".

وقال إبراهيم التيمي: "ما عرضت عملي على قولي إلا خشيت أن أكون مكذَّبا".

وزار رجل داود الطائي فقال له: ما أقدمَك؟ قال الرجل: جئت أزورك. فقال داود: "أما أنت فقد أصبت خيرا إذ زرت في الله، وأما أنا فمن أكون حتى أُزار؟".

وقال أبو حازم الأعرج يخاطب نفسه: "إذا قيل يوم القيامة ليقم أهل خطيئة كذا، قمت فكنت أولهم، وإذا قيل ليقم أهل خطيئة كذا قمت، فتريد يا أعرج أن تقوم مع أصحاب كل خطيئة؟".

وقال غيره: "لولا مصائب الدنيا لوردنا على الله مفاليس".

وقال بكر بن عبدالله المزني: "إذا رأيت من هو أصغر منك، فقل هذا لم يكتب عليه ما كتب علي، وإذا رأيت من هو أكبر منك، فقل هذا سبقني إلى الجنة".

وقال بعض السلف: "نحن قوم وضعنا أنفسنا في النار، فإن شاء الله أخرجنا منها".

وكان لبعضهم سوط يضرب به نفسه، إذا لم تستجب للطاعة أو آنس منها فتورا، ويقول: "أنا أولى بالضرب من الدابة"!

وآخر كان يسأل الله أن يجيره من النار، فقيل له: "ألا تسأل الله الجنة؟ فقال: ومن أنا حتى أسأل الله الجنة؟".

وكان بعض السلف كثير اللوم لنفسه ويقول مخاطبا إياها: "يا مأوى كل سوء والله ما رضيتك لربي طرفة عين".

ولهم حكايات كثيرة بعضها فيه غلو، وبعضها قالوه في مقام التعليم، والمهم أن أحدا من السلف لم يزك نفسه أو يسمي نفسه "السلفي" أو "المجاهد" وأمثال ذلك خوفا من التزكية، ومع أنهم كانوا يتحرون اتباع السنة في كل أمر ولم يكتب أحد منهم عن نفسه أنه الداعي إلى الله على منهاج النبوة، قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢]، وقال عن اليهود: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٩]، وإنما زكى

نفسه الأعراب، الذين قالوا: آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم، أما السلف فكانوا يقولون نرجو ونأمل أن نكون من أهل السنة.

والسلف الصالح إن اضطروا أن يتميزوا عن أهل البدع يقولون "أهل السنة" أو "الجماعة" أو "أصحاب الأثر".

وإنما قالوا السنة لورودها وكثرتها وليتميزوا عن أهل البدعة، وإمام أهل السنة الإمام أحمد قال للذين يريدون منه أن يقول (القرآن مخلوق): "ايتوني بشيء من السنة"، وإذا سألت طالب علم عن أصح كتب السنة قال صحيح البخاري، فالسنة هي الحديث، وهي الطريقة، وقد جعل كثير من السلف اسم كتابه في ذلك (السنة)، كابن أبي عاصم وعبد الله بن أحمد، وجعلوا الجماعة هي السنة ولو كان الإنسان وحده.

ونعم الله على عباده بل واحدة منها أكبر من عملهم.

وقال ﷺ: (اعلموا أنه لن يدخل أحد الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته).

وكان السلف الصالح يعلمون أن "الباء" في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزُّخرُف:٧٢] للسببية وليست للعوض، وأنهم إن وفقهم الله لشيء من الطاعة فذلك محض فضله، ومستوجب لمزيد من الطاعة والشكر، قال ﷺ: (ما من أحد آتاه الله نعمة فأعطى حقها إلا كان الذي أوتيه خيرا مما أعطى)، وقال شيخ الاسلام ابن تيمية: "نعمة الله على العبد في هدايته إلى الصراط المستقيم أفضل من الاستقامة عليه".

وكان السلف لذلك لا يتلقبون بألقاب قد تشعر بالتزكية، وكان محمد بن واسع ينكر تلك الألقاب، وأنكر أن يلقبوا أحدهم "البكّاء"، وعلى كثرة من جاهد من السلف لم يسم أحدهم نفسه "المجاهد"، ومع حرصهم على آثار من قبلهم لم يسم أحد منهم نفسه (الأثري) مثل مالك وأحمد وشعبة والحمادين والبخاري والسفيانين ومن لا يحصون.

ومن أعظم الذنوب التي يقع فيها من يزكي نفسه استسهال الافتراء والبهتان، حيث يتكلمون بالظن ويتهمون النيات، وَيْقفون ما ليس لهم به علم، مقابل شيء من الحطام، أو استرضاء منهم لعلية القوم، الذين هم أول من يمقت المتقربين، وهم يتمندلون بمن يفتري عندهم على فلان، ويسكتون عنه ما داموا في حاجته، فإذا استغنوا عنه ألقوا به، وحسب المفترين أن الله يعاقبهم في الدارين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٌ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢].

قال أبو قلابة: "هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة". فإذا كان جزاؤه في الدنيا هو الغضب والذلة فما ظنك بالجزاء في الآخرة؟

وجاء رجلان إلى علي ﷺ يسألانه عما نُسب إليه، فلما كذَّب المفترين عليه قالا: "ما نرى القوم إلا سينالهم غضب من ربهم وذلة".

وأنا –على ضعفي– افترى علي بعضهم لكني لم أرد كالعادة، ومما افتراه –غفر الله له– أنه كتب عني باسمه مقالة في جريدة "العرب الدولية" كما سماها أهلها، زعم فيها أني تركت الدعوة واشتغلت بالحلاقة، وجعلني نموذجاً للتخلي عن الدعوة.

ويكفيك من شر سماعه، أسأل الله أن يجعل ذلك تخفيفا من ذنوبي، كما قيل لأم المؤمنين عائشة "إن قوما يقعون في أبي بكر وعمر؟ فقالت: الله يريد أن تذهب حسناتهم إليهما". ومثل ذلك ورد عن الشافعي أيضا.

وهذا الكاتب أعرفه ويعرفني، وكان يراسلني مالئا الرسائل بالمديح والإعجاب؟

وقد نهى النبي ﷺ عن الغيبة فكيف بالبهتان، وقال: (يا معشر من آمن بلسانه و لم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المؤمنين ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من يتتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو كان في جوف بيته)، ومثل ذلك كثير يعلمه كل أحد فلا نطيل فيه، وهو في الغيبة فكيف فيما هو أشد منها.

وقد افتروا علي كثيرا لدى الأمير نايف، واقترحوا عليه ما لم يعجبه، ومما اقترحوا أن الضابط (ع.ي) اقترح أن يضعوا نقودا في حسابي في البنك ويقولون إن إيران حولتها لي. ولكن المشكلة أنني ليس لي حساب أصلا، فحالتي كحال الجندي الذي اتهموه أنه رمى دار كذا بمدفعه، فرد قائلا: عندي عشرون دفعا لهذه التهمة، الأول: أنه ليس عندي مدفع، فقال القاضي: هذا يكفي ولا تذكر التسعة عشر.

ولما قال ضباط المباحث للأمير نايف "يا طويل العمر، كل الكلام الذي قيل عن فلان لم نجد له أصلا مع مراقبتنا الكثيفة له وتحقيقنا معه!" فقال لهم الوزير: "أنا ما قلت هذا من عندي، أنا يجيني الواحد لحيته متر، ويقول لي كذا وكذا"، وصدق الله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة:١٦٦]، وقد كتبوا مرة ٢٥ صفحة تبريرا لقتل فلان وفلان تعزيرا. وأمرت الداخلية بإسماعنا بعض ما قيل عنا فلم نسمعه بل كان مصيره الزبالة، وإنما رمته المباحث لعلمها أنه افتراء.

وأنا أقول لهؤلاء المفترين ألا تتقون الله فيما تقولون؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه:٦١]، ألم يقل الرسول ﷺ: (كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع)، ولنفترض أنكم سمعتم كذا، أليس الواجب الشرعي أن تتأكدوا من صحته؟ ليس مني بل من الثقات خاصة من قرابتكم الذين يعلمون عني كل شيء، دعوا الأشخاص الذين تقولون إن لي علاقة بهم وأنا لم أرهم ولا رأوني، ولكن انظروا إلى الشيء الذي يشاهده كل أحد لو كان موجودا وهو صالون الحلاقة: في أي شارع وفي أي مدينة هو، أليس من الواجب شرعا أن تتأكدوا من ذلك، وتفرقوا بين النصيحة والتعيير كما قال ابن رجب رحمه الله، أم إن ابن رجب أيضا خارجي؟

ألم يوجب الله العدل حتى مع من نكرهه أو نعاديه، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

وكيف تصوبون سهامكم إلى قوم تكسرت فيهم النصال على النصال، وقد سئل الإمام الشافعي رحمه الله كيف نعرف أهل الحق؟ قال: "تدلكم عليهم سهام أهل الباطل".

ولنفترض أنني اضطررت لأكون حلاقا كما -تفترون- فهل تتعارض الحلاقة مع الدعوة؟ ألم يكن لكل واحد من الأنبياء بل السلف عمل يتكسب منه فما العيب في ذلك؟ أليس منهم من كان قطانا أو فاكهيا أو نجارا أو خياطا أو بقالا أو تمارا أو بزازا أو زياتا أو قدوريا؟ وأين مساعدتكم لأخيكم؟ أما كان الأجدر بكم أن تطالبوا المسؤولين بإعادتي إلى عملي، أو صرف تقاعدي، بدلا من الافتراء والشماتة! أو تعينوني من أموالكم -لا أحوجني الله لها-.

علما بأني الوحيد في المملكة الذي منعوه من التقاعد، ويعلم ذلك وزير الداخلية نفسه وبيني وبينهم يوم القيامة.

وأنا أسأل المفترين هل أنا شرٌّ محض؟ أليس لي حسنة واحدة تستحق الذكر! أم لا بد أن يكون أحدكم كقوم شعيب يبخس الناس أشياءهم حتى بالافتراء عليهم، وكيف تزعمون أنني تركت الدعوة والناس يأتونني يوميا؟ ألا تخشون من تكذيبهم أم أنكم واثقون أنه لن ينشر لهم شيء كالعادة؟ إذ أن الصحف والقنوات حكر على فئة معروفة، أما أهل الحق فلهم السجون والأغلال؟ وأهون أحوالهم الفصل من العمل لأنهم أصدقاء للمتَّهم المفترى عليه؟

وإذا رأيتم خطأ فلم لا تصوبونه وتقدموا النصح لصاحبه؟ ولم لا ترشدون الضال أولستم دعاة؟ وهل رددت نصيحة أي ناصح، وهل علمتم أن أحدا من الجاهليين العرب -دع السلف- كانت أخلاقه مثل أخلاقكم؟

وهل عقوبة المخطئ هي القتل؟

وقد قيل أشد من هذه التهمة لسيد البشر ﷺ فقال المشركون: مجنون وساحر، وقالوا: افترى على الله كذبا، وقالوا: تركه شيطانه.

والواجب علينا جميعا هو التوبة قبل حلول العقوبة، وهل يأتي العذاب عافانا الله منه إلا بغتة؟ كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٤]، وقال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهۡلُ ٱلۡقُرَىٰٓ أَن يَأۡتِيَهُم بَأۡسُنَا بَيَٰتٗا وَهُمۡ نَآئِمُونَ﴾ [الأعراف:٩٧] الآيات، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس:٢٥].

اللهم اجعلنا من المتفكرين ولا تجعلنا من الغافلين، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ﴾ [يونس:٢٤]، وقارنه بقول الغربيين الذين يفرحون بما آتاهم الله من العلم الظاهر، ويقولون: نحن نقدر على كذا.

ومن آثار الذنوب ما نراه في الغرب من الظلام والمعيشة الضنك، وكثرة الجرائم وفشو القطيعة حتى مع الوالدين، والالتهاء بالتكاثر وإشغال الشعوب بما لا ينفع.

ومن آثارها العقوبات الإلهية التي قال تعالى عنها في حق مرتكبي عمل قوم لوط: ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود:٨٣]، فكيف يظن بعض الناس أنها لا تصيب الظالمين في الغرب؟ لا سيما في أمريكا التي زكمت الأنوف من فواحشها، وامتلأت الأرض من ظلمها.

ومن آثار الذنوب: الخوف وقلة الأمن كما تدل عليه الاحصاءات الرسمية في كل دولة، وإنما الأمن التام والاهتداء التام لمن آمن بالله ولم يلبس إيمانه بظلم، وأما من نقص توحيده فلا بد أن ينقص أمنه بقدر ذلك، وهل كان هنا في الماضي قوات أمن للطرق؟ ولماذا يخاف الناس من قوات الأمن؟

ونحن من كثرة ذنوبنا أصبح موسم الحج عندنا موسم خوف نفرح بانقضائه، مع أن الله تعالى امتن على المشركين بأن مكّن لهم حرما آمنا، وعلى قريش بأن أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف.

وأصبح البريء منا يخاف من المذنب، بل أصبح الشرطي يخاف من المجرم؟

وقد انتهك القرامطة حرمة الحرم، قال أحد العلماء: رايت قرمطيا عند الكعبة يقتل الناس ويقول: أين من دخله كان آمنا؟ فقلت له: المراد فأمِّنوه، فحار وخرج و لم يدر الجواب.

ومن رحمة الله وعظيم عفوه ومن حلمه على العصاة أنه ينذرهم قبل أن يعمهم بالعذاب، فانظر كيف أنذر الله سبحانه أعتى أمم الأرض اليوم أمريكا، فزلزل سان فرنسيسكو، وأحرق بعض شيكاغو، وسلط الحشرات على فلوريدا، والنيران على غابات كاليفورنيا، وضرب على أمريكا ما يسمى عندها "الكساد الكبير"، وسرب مخزونها النفطي إلى خليج المكسيك، وابتلاها بما يسميه علماء النفس "مرض العجز المكتسب"، وتناقضت سياستها في الشام والعراق وأوكرانيا، حتى قال بعض المرابين من الأمريكان أنفسهم: ليس لأمريكا استراتيجية في التعامل مع القضايا، وتخبطت في التعامل مع كثير من القضايا، منها قضية جنوب السودان الذي سعت هي إلى إيجاده، وأفشل الله محاولتها الانقلابية في تركيا، وتلك النذر إنما جاءتها جزاء وفاقا، ولا يظلم ربك أحدا، وهي مقدمة للأخذ الأليم الشديد إن بقيت على هذا الكفر والاستكبار.

وبما كسبت أيدي الناس دخل كثير من الدول في النظام الذي سموه "النظام العالمي الجديد"، وآمنوا بالعولمة التي قال عنها "جوزيف ستيجلر" –وهو أكبر خبراء البنك الدولي الذي أقيل من منصبه–: "لقد حكمت العولمة على الناس بالموت"، وهو اقتصادي معروف ينتقد الرأسمالية الحالية.

وقد عمل "ستيجلر" هذا في حكومة بِل كلينتون رئيسا للجنة المستشارين الاقتصاديين، وهو يهودي الديانة، وانساق المقلدون وراء الخصخصة التي يسميها "جريجوري بالاست" (الارتشاء)، والرشوة هي أحد ملامحها، واحتاطت بعض الشركات (مثل شركة أرامكو) لمرحلة الضعف أو

الإفلاس، بأن يوقع الموظف على استمارة مكتوب في أعلاها (مؤقت)، ولم يفطن كثير من الناس لكلمة (مؤقت) هذه التي تعني أنه يمكن تسريح الموظف في أي لحظة تريد الشركة أو يريد من يشتري أسهمهما، مع أنها تفخر بأن لديها كذا وكذا من الموظفين.

وكيف يفطن لذلك الموظف السعيد الذي يحمل شهادة أعلى بكثير من الشهادة المطلوبة لشغل الوظيفة؟ والذي فاز من بين عدة آلاف تقدموا للوظيفة، والفضل في ترشيحه وفوزه يعود للواسطة (فلان).

ومن الذنوب استشارة أو استنصاح من أمر الله بمعاداتهم، وقد أدى العمل وفق توجيهات صندوق النقد الدولي إلى مآسٍ محزنة ومشكلات اجتماعية عويصة، وعندما تشتد الأزمات وتتفاقم المشكلات يلجأ الناس إلى ما يسميه صندوق النقد الدولي الاضطرابات الاجتماعية، كما في اندونيسيا ومصر وفترويلا والبرازيل وتترانيا والأردن، ولكن البوليس يقمعهم ويمنع تظاهراتهم ويصفها بأن دوافعها إرهابية، وأن وراءها قوى خارجية أو تجارة المخدرات، وأن الذي حرض عليها هم اليساريون أو أعداء الوطن أو الجماعة الفلانية، وإجمالا الذين لا يريدون للوطن الغالي داوم الرفاهية والاستقرار في ظل التوجيهات الرشيدة!

والمهم أن البنك أو الشركات الاستشارية لا يجعلون أي طريق للخروج من النفق المظلم مسدودا إلا طريقا واحدا، وهو المزيد من الاقتراض مع المزيد من الفوائد الربوية، والشيء الذي لا يفطن له الرأسماليون الكبار وحكوماتهم هو أنهم حين يثقبون السفينة من أسفلها للحصول على الماء سريعا، إنما يتسببون في غرق كل من فيها، فهكذا غرقت السفينة البريطانية والسفينة الفرنسية، وسوف تتبعها يوما ما السفينة الأمريكية.

ومن أعظم الذنوب استسهال الذنوب واستصغارها.

ويجادل بعض الناس عن أهل المعاصي بأن الذنوب قديمة في كل زمان ومكان، وأن إنكارها إشغال لولاة الأمر، ويرد عليه من وجوه:

١- أن هذا خارج عن موضوع التراع، فليس النقاش أصلا في أن المعاصي موجودة من قبل أو غير موجودة، وإنما الكلام في أخطارها وأضرارها قديما وحديثا، ووجوب إنكارها وضرورة التوبة منها.

٢- أن أصحاب المعاصي اليوم أصبحوا يجاهرون بها ويعلنوها بل يفتخرون بها، ويعملون لها الدعايات، فهم كمن يؤمر بستر عجوزه الشوهاء لكنه يزعم أنها ملكة جمال.

٣- أن كثيرا من المعاصي اليوم أصحبت مشرّعة، فحين ينكر أهل الإيمان ما يرون أو يطالبون الولاة بذلك أو ينشرون استنكارهم في الصحف أو القنوات أو المواقع، فإنما يفعلون ما هو واجب، فالأصل ألا يصدر بذلك قانون مطلقا، ومعلوم من الذي يصدر القوانين ومن له حق إلغائها.

٤- أن صدور قوانين بذلك استحلال له، والاستحلال كفر بذاته ولو لم يفعل المستحل شيئا وهو عقيدة أهل السنة ولا يخالف في ذلك إلا المرجئة، ألا ترى أن الزنا يقع، ولكن حين يعقد أحد على ذات محرم فإنه قد ارتكب ما هو أعظم من الزنا، كالذي عقد زمن النبي ﷺ على امرأة أبيه.

٥- أنه لو أن أهل الإيمان تركوا المنكر لانتشر وعم واستمرأه كثير من الناس، حتى يصبح هو المعروف وتموت القلوب، ويصبح خرق السفينة عاديا جدا.

٦- أن السكوت عن تعظيم اللعب مثلا أفضى إلى أن يكون اللاعب أعظم درجة من الوزير أو العالم، فإلى متى السكوت؟ ولما سكت الناس عن إنشاء الأندية والصرف عليها من بيت مال المسلمين، أصبحت الجوانب الثقافية والاجتماعية منها مهملة، وأنتجت لنا المشاغبين "الهوليجانز"، ولو قدرنا أن الوالي يعلم لأن العلماء قالوا ذلك بينهم وبينه، فكثير من الناس لا يعلم لا من اللاعبين ولا من المشجعين.

٧- أن المنكر إذا أنكره المجتمع أوقفه السلاطين، عندما يريد به أهل الفساد جس نبض المجتمع، مثل تعليم الموسيقى في المدارس، ولذلك يجب

على الدولة إلغاء القانون نفسه وليس تأجيله، وقد رأينا الاستجابة للضجة الاجتماعية، و لم نر استجابة للإنكار السري.

٨- أن أهل الشر إذا أُلغي شيء من الخير وضعوا مكانه ما يريدون مما يضاده، فلما قيَّدوا عمل هيئة الأمر بالمعروف في بلاد الحرمين سمحوا بهيئة الترفيه ووضعوا لها قانونا، ولما تركوا التعامل بالتقويم الهجري أصبح تقويمهم ميلاديا.. وهكذا.

٩- أن الذنوب اليوم أصبحت ذات أهداف سياسية لا يعلم بها كثير من أهلها، منها إشغال الناس عن تغيير واقعهم السيئ، ولذلك اقترن التمادي في الاختلاط والفسق مع تردي الاحوال المعيشية وقلة الوظائف وكثرة النهب، وهذا من موجبات إنكارها علنا.

وانظر مثلا كم جر علينا السكوت عن إلغاء المخلوع للمعاهد العلمية وعن تحصينه بالمبادرة الخليجية، والوقوف ضد ثورة الشعب المسماة "الربيع العربي" التي قامت عليه من المآسي والخسائر في الأنفس والأموال، وعلاج المخلوع وغير ذلك؟

١٠- ليس في ذلك إشغال لولاة الأمر، فإنكار المنكر وإلغاء القوانين من واجباتهم الأساسية وإلا لماذا كانوا ولاة أمر؟

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾ [الحج:٤١]، وفي الحديث (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه). الحديث.

١١- أن بعض الناس ملكي أكثر من الملك، أو جمهوري أكثر من رئيس الجمهورية، فهو يبرِّر السكوت عما يقول رئيس الدولة: أنا لا أعلم عنه، ولذلك يجب إعلامه عن كل منكر وتذكيره بوجوب إلغائه، ولما كان الوصول إليه صعبا أو مستحيلا، كان لا بد من إعلانه على المنبر لكي يوصله المخبرون.

١٢- لا يلزم من إنكار المنكر منع ما هو مباح شرعا، فالإنكار إنما ينصب على ما هو محرم فقط أو يؤدي إلى محرم، فالأكل في ذاته حلال، ولكنه في نهار رمضان محرم، والذنب في كل مكان ذنب ولكنه في الحرمين أشد، وترك الجهاد منكر، ولكن الاشتغال عنه بالعرضات مثلا لا يجوز، وهكذا.

وقد مر بعض السلف بقوم يعبثون يوم عيد الفطر فقال: "إن كان الله تقبل منكم فما هذا فعل الشاكر، وإن لم يتقبل فما هذا فعل الخاسر".

١٣- أن الذين يقولون هذا القول السقيم بين أمرين: إما أن يقولوا بمطلق السكوت وترك الإنكار فهذا مخالف للكتاب والسنة، وإما أن يقولوا يكون الإنكار سرا فكيف يكون الإنكار سراً على ما يفعله صاحبه علنا، وأكثر الناس يفعلونه؟

١٤- أن ترك المنكرات فيه إرضاء للكفار، فقبل عقود جاء فريق "هارلم" وذهبوا به إلى دار الحنان في جدة! وزعموا أن كل مدارس المملكة هكذا.

والمسلمون يجب عليهم إرضاء الله وليس إرضاء الكفار الذين لن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم.

١٥- أن الولاة أنفسهم يسمحون بالكلام العلني ويحبون من يهدي إليهم عيوبهم.

ومن الذنوب المنتشرة اليوم: الولوغ في أعراض المسلمين، وهذا إن كان في مرتكبه ما هو كذلك فهو غيبة، وإن كان اختلاقا فهو بهتان، والغيبة تكون مكتوبة أو منطوقة، وهي غيبة في أي حال أو صورة كانت، وهي إهداء للحسنات ممن يغتاب إلى من اغتابه، حتى قال بعض السلف: لو كنت مغتابا أحدا لاغتبت أمي قيل لماذا؟ قال: لأنها أولى بحسناتي!

وقد استسهل كثير من الناس الغيبة وكأنها الماء الزلال.

وللغيبة أساليب ملتوية، وليس أسلوبا واحدا، وهي متضمنة لغمط الحق والحسد والتطفيف وذنوبا كثيرة، جعلت بعض أطباء القلوب يكتب على باب داره "رحم الله امرءا زار هذا الميت -يعني نفسه- فلم يذكر أحدا من الموتى -يعني الناس- بسوء"، وهي متضمنة لتزكية النفس الذي نهى الله عنه ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [النجم:٣٢]، وحسب المؤمن قول ربه عز وجل عنها: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا﴾ [الحُجُرات:١٢].. وكان السلف يتعمدون غمط أنفسهم ودحضها واتهامها كما سبق، ويشتغلون بعيوبها عن عيوب الناس، وتواتر ذلك عنهم، حتى أن الفضيل بن عياض أخذ بيد سفيان بن عيينة في الحج، وقال له: "إن كنت تظن أنه بقي على الأرض شر مني ومنك فبئس ما تظن"، وهذه عادتهم أن يصف أحدهم نفسه بالعبد المذنب أو العبد الفقير أو العبد الحقير، وربما بالغ بعضهم فقال: "أحقر الناس" أو شبه ذلك، وقال أحدهم: "لا أرى لي فضلا حتى على المخنثين"!

وكانوا يخشون على أنفسهم من النفاق أو الرياء، حتى أن عمر بن الخطاب المبشَّر بالجنة رضي الله عنه استحلف حذيفة صاحب سر رسول الله ﷺ (هل سماني لك مع المنافقين؟ قال حذيفة: لا، ولا أزكي أحداً بعدك)، وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين -وفي رواية ثمانين- من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخشى على نفسه النفاق"، وشتم رجل أحد السلف فقال له: "يا مرائي. فقال له: هذا هو اسمي فمن أدراك عن اسمي"، وآخر قال يعاتب نفسه: "يا فلان كنت في شبابك فاسقا ثم أصبحت في شيبتك مرائيا".

ومن أقل ما في الغيبة اشتغال المرء بما لا يعنيه، وقد قال ﷺ: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه).

والمغتاب يستسهل أن يبهت غيره بما ليس فيه.

ومن أعظم البهتان اتهام البريء بالإرهاب واتهام أهل الدين بالتطرف والتشدد!.

ولكثرة ما في الغيبة من الشر، وما ورد من التحذير عنها كان بعض الناس يحفظ لسانه حتى فيما كان مباحا، ومنهم الربيع ابن خثيم تلميذ عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، فقد قال أحد أصحابه: "لم يسألني إلا مرة واحدة قال: كم لكم من مسجد".

وكانوا يحتقرون أنفسهم كما سبق، ومن فوائد ذلك أن يجعلوا حاجزا عن اغتياب الناس فضلا عن بهتهم.

قال محمد بن واسع لابنه: "أمك اشتريتها بأربع مائة درهم، وأما أبوك فلا كثر الله في المسلمين من أمثاله".

وقال الشافعي رحمه الله شعرا:

أحب الصالحين ولستُ منهم لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من بضاعته المعاصي وإن كنا سواء في البضاعة

وقال عبدالله بن مسعود ﷺ: "لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله، ثم يعود لنفسه فيكون أشد لها مقتا".

وقال: "والله ما على وجه الأرض أحوج لطول حبس من لسان".

وأخبارهم في ذلك كثيرة.

وأشد من الغيبة الافتراء المحض، وهو ما لم يسلم منه نبي من قبل، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]، ومنهم سيدهم وخاتمهم رسولنا محمد ﷺ، فقد قال له المشركون كما قال الله عنهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر:٦]، غير أن ربه سبحانه سلاه عن افتراءهم بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢].

بل إن المفترين والأفاكين لم يسلَم منهم الله جل في علاه، وقد جاء رجل لأحد الأنبياء (يحيى بن زكريا) يشكو إليه أنه دعا الله ستين سنة أن

يكفيه شر الناس فلم يستجب الله له، فأوحى الله إلى النبي أن يقول له: هذا أمر لم أجعله لنفسي فكيف أجعله لأحد من خلقي؟! هكذا ذكر مجاهد.

ويقال أهل السنة للتمييز عن أهل البدعة لا سيما الروافض، وليس للتزكية، فلما تحول الشيعة من مجرد حزب سياسي يقف مع علي ﵁ إلى عبادته، واعتقاد عقائد مجوسية لا تؤمن بها الزيدية فضلا عن غيرهم، ميز الناس أنفسهم عنهم بأنهم (أهل السنة).

وقيل للإمام مالك: مَن أهل السنة؟ فقال: "هم الذين ليس لهم اسم إلا السنة"، وورد ذلك عن غير مالك أيضا.

ومما اشتهر عن السلف اجتناب أبواب السلاطين حتى لا يقعوا فيما فخاخهم أو يولوهم، وأقوال السلف وسيرهم وزهدهم وامتناعهم عن أبواب السلاطين وحفظ ألسنتهم من الطعن، أو الاعتماد على الظنون والتزامهم العدل واليقين، كل ذلك من منهج أهل السنة، والخروج عنه خروج عن السنة مهما سمى الخارجون أنفسهم، ولا يدعي المسلمون أنهم أهل السنة إلا وقت احاجة تمييزا، وإلا فإن الاسم الجامع للأمة، هو ما سمانا الله به ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨].

ومن أعرض عن الكتاب والسنة فليس بمسلم، وإن زعم أنه مسلم، وهل كان عبدالله بن أبي يقول عن نفسه إلا أنه مسلم، والله تعالى يقول: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠]، فبمجرد إرادتهم جعل الله إيمانهم زعما لا حقيقة له، والاحترازات اللفظية غير مجدية، وإنما يكذب ذلك ويصدقه العمل، وأنا سمعت بعض الناس يقولون لا تقولوا السلف بل قولوا "السلف الصالح"، كي تخرجوا أهل البدع، وهذا اصطلاح يستطيع كل مبتدع أن يقوله، ومن قال إن ولي أمره بشار أو السيسي أو حفتر أو العبادي فهو ليس من السنة في شيء مهما ادعى.

ومن جعل الحكم على الناس تبعا لأهواء الساسة أكثر التقلب، فالسياسة غير الشرعية نفسها يقول أهلها إنها لا دين فيها ولا أخلاق، وعدو اليوم هو صديق الغد وبالعكس، وإنما هي سياسة مصالح وأطماع ليس فيها التزام شيء من الدين والأخلاق، وحسب عقيدة أهل السنة يجتمع في الإنسان ما هو إيمان وما هو كفر أو شرك أو جاهلية، كما قال النبي ﷺ للصحابة: (أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم)، وقال لأبي ذر: (إنك امرؤ فيك جاهلية)، وقال في الحديث الآخر: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)، ومن أعظم ما يكفّر الذنوب هو الجهاد في سبيل الله، ذلك أن الشهيد يغفر الله له عند أول قطرة من دمه كما في الحديث، والجهاد هو العمل الذي لم يجد له النبي ﷺ ما يعادله، وسيأتي تفصيل ذلك بإذن الله عند الحديث عن المخرج من كيد الغرب.

ومن آثار الذنوب اصطلاؤنا بنار عداوة الكفار وعدالتهم الانتقائية، فأمريكا أعطت الأحزاب الأفغانية مثلا صواريخ "ستنجر"، والآن تعاقب المجاهدين الأفغان بالسجن في غوانتنامو، وتمنع مضادات الطائرات عن المعارضين لنظام بشار، مع قولها إن بشار فاقد للشرعية.

وتدعي أنها ضد "ميلوسوفيتش" وإبادته الجماعية، وتترك الروس يحتلون بلاد الشام، ويبيدون أهلها جماعيًا.

وتظن أمريكا أن الاستدراج نعمة وأن الإمهال إهمال، وأن المسلمين سذج لا يفهمون وليس فيهم من يجرؤ على فضح أكاذيبها.

والذنوب هي سبب انهيار المجتمعات، فأين من يقرأ القرآن بتدبر، وليس قارئه الحقيقي هو من يبصر الكوارث إذا وقعت، والفتن إذا أدبرت، وإنما هو من يتدبر سنة الله في الأمم، ويعلم أن ما مضى على الأمم قبلنا سوف يمضي علينا، وأن الذي دمر قوم نوح وعاد وثمود حي لا يموت.

والذنوب تورث الذل والخزي باعتراف الكافرين أنفسهم، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَـٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَـٰتِكَ مِن

قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ﴾ [طه:١٣٤]، وحسبك من الذل ما كتبه الله على زعماء أكثر من ٥٠ دولة اجتمعوا لترامب في الرياض مع أن بعضهم يستطيع أن يكون مثل زعيم كوريا الشمالية، و لم يضر أردوغان في شيء أنه لم يحضر.

وإنما العز في طاعة الله والذل في معصيته، ولما دخل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القدس كان عليه ثوب مرقع، واجتاز مخاضة زادته وسخًا، وكان مولاه يرفأ على البعير وهو على الأرض، فهذه نوبته، فقال له قائد الجيش أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين، لو لبست ثوبًا وركبت برذونا، فقال عمر: "نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله".

وقال الحسن البصري: "إنهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال، فإن ذل المعصية لا يفارقهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه".

فالعز كل العز في طاعة الله، والذل كل الذل في معصيته، وصدق من قال من السلف: "ما أكرمت الناس نفوسها بمثل طاعة الله، ولا أهانتها بمثل معصية الله"، والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكۡرِمٍ﴾ [الحج:١٨].

وانظر إلى كل من عصى الله حولك كيف أذله الله أيا كان، حتى إنه ليخاف من ظله، ويخشى أن يكون طعامه مسموما، ويغير الطريق التي يريد أن يسلك، ولا يدخن إلا في الحمام، ويرتجف عند كل هزة، ولا يرتشي أمام الفرّاش!

وبدوام ذكره وشكره يكون لنا ما وعد الله به من المتاع الحسن كما في أول سورة هود، والحياة الطيبة كما في سورة النحل.

ومن الاعتزاز بالإسلام والاعتزاز بعلمائه وعظمائه وإحياء ذكراهم، أن تسمى المؤسسات أو الشركات أو الجامعات أو المطارات أو الشوارع الكبرى باسم أحمد بن حنبل وابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب والأئمة الأربعة، وابن حزم وابن عبد البر والعز بن عبد السلام وأمثالهم ممن لا نحصيه، ونحن أمة ليست مفلسة من العظماء حتى نسمي كل شيء بأسماء المعاصرين، وربما كان ذلك نفاقًا لم يطلبوه.

ومن الذنوب التي تهاون بها بعض المسلمين: أنهم لا يؤتون الزكاة في أموالهم، وهي ٢,٥% فقط، وأقسم النبي ﷺ أنه (ما نقص مال من صدقة)، مع أن حاخامات اليهود يفرضون على اليهود ٦٣٠ شريعة، والضرائب تصل في بعض الدول إلى ٤٠% أو أكثر لا سيما في اسكندنافيا، وإذا قلَّت قالوا (البلاد جنة ضريبية) مثلما يقولون عن لوكسمبورج.

ومن الذنوب الموجبة للهلاك: الترف، انظر كيف فعلت الذنوب في أهل الأندلس لما اشتغلوا بالغناء والترف وحب الدنيا، وفي الوقت نفسه، انظر كيف أن أحفادهم في أمريكا الجنوبية يريدون الرجوع إلى الإسلام، ولذلك أسباب معلومة ليس هذا موضعها.

والترف حفرة حفرها لنا الغرب لنشتري منتجاته.

فليترك المسلم الذنوب مهما بدا له أنها حقيرة، وقد قال الأمير تركي الفيصل: إن السعودية هي التي تشتري سندات الخزانة الأمريكية بفائدة منخفضة لتدعم الميزانية الأمريكية.

فأقول للقارئ: هب أن تلك النسبة المنخفضة لا تتجاوز ١%، ألم يقل النبي ﷺ: (درهم ربا أشد من ست وثلاثين زنية)! فكم تكون النسبة إذا كان المبلغ المقترض بالربا يصل إلى ملايين أو مليارات؟ فكيف لو كانت النسبة ٢%؟ ومن نحارب بهذا الربا؟ وكيف نعجب لكارثة انخفاض أسعار النفط؟ ونقول كيف يقع هذا؟ وكيف يتحول الترف إلى فقر؟

أليس في المسلمين من هو أولى بذلك من أمريكا وبدون ربا؟

والذنوب هي موجب المصائب للكافرين والمنافقين والمؤمنين، قال تعالى عن الكفار: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ [العنكبوت:٤٠]، وقال: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف:١٠٠]، وقال عن المنافقين: ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ [النساء:٦٢]، وقال عن الصحابة الكرام يوم أحد: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ

هَٰذَاۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْۗ﴾ [آل عمران:١٦٥]، وقال عن رسوله الكريم ﷺ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩]، ويجمع ذلك كله قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، وبها تسلط الصليبيون والتتار والمستعمرون الأوائل على المسلمين، وبها الآن تسلط علينا الاستعمار الجديد بألوانه المختلفة، وإنما المخرج منها هو التوبة والضراعة إلى الله، يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُواْ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦].

ومن أعظم الذنوب: الاغترار بتقلب الذين كفروا في البلاد ونسيان أن ذلك استدراج.

خذ مثلا أمريكا، فقد عجبتُ في رحلتي من دنفر إلى بورتلاند حين رأيت الخضرة والأنهار والمزارع، كما عجبت حين سافرت من أوريجون لكون الطريق البري ذهابًا وإيابًا يمر من جذع شجرة واحدة.

وكذلك عند رؤيتي مزارع الذرة في ميشيجان، ورؤية قطعان الغزلان وهي تعبر الطريق.

فسبحان الله ما أحلمه، يشتمونه ويقولون إن له ولدا وهو يغدق عليهم من النعم.

وقد نقل ابن القيم في إغاثة اللهفان، عن أحد ملوك الهند ما معناه: ينبغي أن يكون العقلاء كلهم ضد من يقول إن لله ولدا فإنهم يسبونه مسبة لم يسبه إياها أحد من العالمين.

وفي الحديث (ما أحدٌ أصبر على أذى سمعه من الله؛ يدَّعون له الولد، ثم يعافيهم ويرزقهم).

وهو تعالى يستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويملي لهم ويمهلهم حتى إذا جاء أمره أخذهم بغتة وسلط عليهم ما يشاء من جنده، وانتقم منهم بما

يشاء، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ﴾ [هود:١٠٢]، وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴾ [آل عمران:١٩٦].

وقد أصبحت أمريكا تخشى صواريخ كوريا الشمالية.

كما أخذ نفوذها في التراجع الملحوظ وسوف تفشل كل مخططاها ومشروعاها، وسوف يأتي اليوم الذي يعلم الناس فيه أن تعاملهم بالدولار كان خطأ، وكذلك اتباعهم للتقويم الميلادي، ورطانتهم بالإنجليزية، وكذلك تقليد الأمريكان في لباسهم وفي صبغ اللون بالشعر الأشقر، ويندمون على أهم سمحوا لقوها الناعمة أن تعبث في بلاد الإسلام.

ولكنها غلبة الغفلة والران على القلوب، وأعظم الغفلة بعد الغفلة عن الإيمان بالله وتدبر كتابه هي الغفلة عن معرفة سننه في خلقه، ومن هذه الغفلة أُتي الشريف حسين حين صدق وعود "مكماهون"، وأتي ابنه عبد الله بن الحسين حين صدق جلوب باشا وأتي الابن الآخر فيصل بن الحسين حين صدق مقررات مؤتمر "لوزان"، وكذلك نوري السعيد الذي كان يظن أن بريطانيا خالدة أبد الدهر.

وأتي كل من ينضم لهيئة الأمم ويصدق شعارات "المجتمع الدولي"، ويظن بالله ظن السوء.

وهذا الظن كان يفعله بعض بني إسرائيل الذين قالوا لموسى عليه السلام ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء:٦١] وهو ما كان يعتقده عدو الله فرعون لما حذره الملأ من قومه فقال: ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٢٧].

وقد عزا "مايكل كوك" كثرة الجرائم وحوادث الاغتصاب في أمريكا إلى أها تفتقر إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وصدق الله ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [هود:١١٦]، واليوم لا تستغني الأجهزة المختصة عمّن يسمون المتطوعين ليس في القتال وحده، بل حتى عند حدوث الكوارث.

والمجتمعات الديمقراطية لا يستطيع فيها أحد الإنكار على غيره، والله تعالى فتح على أمريكا أبواب كل شيء، حتى الجرائم والأمراض العصبية، فماذا تنتظر بعد.

وقد قال سلفنا الصالح: "إذا أدبرت الفتنة عرفها كل أحد، ولكن العاقل هو من يعرفها حين ورودها".

فليكن كل المسلمين عقلاء وليعلموا أن أمريكا أضعف مما يظنون.

وليس الضعف خاصا بأمريكا بل ضعفت معها ربيبتها المدللة "إسرائيل" وتراجع المشروع الصهيوني وكثرت الضغوط على إسرائيل حتى من داخل الغرب نفسه، وفضح الله عملاءها، ولكن المسلمين ابتلوا بالتشبه بالكفار واعتبارهم متقدمين، ومن كان ذا بصيرة وزار القاهرة ونيويورك فإنه يرى بأم عينيه التشابه بين المدينتين في أمور كثيرة، ولتراجع أمريكان مكان غير هذا.

ومن أعظم الذنوب: الأمن من مكر الله، قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النحل:٤٥].

وقد جاءت السنة مفصِّلة لعقوبات الله لمن عصاه ومنع الزكاة أو ارتكب الزنا وما هو أشد كالربا، وكذلك فعل فاحشة قوم لوط، وانتشار الظلم، وقتل النفوس المعصومة ولو كانت ذمية أو معاهدة، والغدر واتباع الشهوات، وشرب الخمور والتشبه والتبرج والدياثة، وأمثال ذلك مما هو مؤذن بمحو الرزق وذهاب البركة والأزمات الاقتصادية، وكثرة الأمراض وتسليط الأعداء وظلم الحكومات، وغلاء المعيشة وزوال النعمة، ووقوع الزلازل والخسوفات، واختلال المظاهر الكونية، وكثرة الجرائم، وفقد الأمن، وهذه بعض نتائج الذنوب ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ﴾ [الروم:٤١]، والذنوب كلها قبائح قال الشاعر:

يا غاديا في غفلة ورائحا   إلى متى تستحسن القبائحا

ومن آثارها: الفرار من مصيبة بالوقوع فيما هو أكبر منها.

مثال ذلك:

أن كثيرًا من أحياء جدة ليس فيها مجاري للصرف الصحي من أيام سيئة الذكر "ردك"، فاضطر كثير من السكان إلى أن يحفروا آبارا توصلهم إلى الطبقة الصخرية، ومنها تتسرب المياه في تلك الطبقات، ويقولون إن المياه تذهب إلى البحر، لكن يبدو لي أنها تذهب إلى أحياء أخرى في جدة، مما يتسبب في انهيار البنايات كما هو واقع، وهكذا تتضاعف الخسارة على الناس، وإن جاء مندوب البلدية أقنعوه أو أعطوه رشوة فيسكت، ومع ذلك لا يزال الإعلام عندنا مشغولا بالتطور الشامل، والمستقبل الاقتصادي المشرق، والتنمية، وبالحديث عن أحداث التفجيرات التي وقعت في العليا لشركة "بونيفيل" الأمريكية قبل عقود، وبتفجيرات مجمع "المحيا" السكني.

أو الحديث عن أخبار الملاعب وأبطال الدورات والآثار القديمة.

وبعد أن وضعت شركة (ردك) أغطية تفتيش بلا مجاري وسافر مسؤولها إلى أمريكا، وأقام بها وهو من أبناء رشاد فرعون، لجأ الناس إلى حيلة كهذه، ثم قامت الأحياء الكثيرة التي تسمى (عشوائية) -مع أن أحياء جدة كلها عشوائية بهذا الاعتبار- وهذه الأحياء قامت في كل مكان تقريبا لا سيما في الحرازات شرق جدة.

وهكذا نتخلص من الأزمة لتقع فيما هو أعظم منها، ونهرب من مشكلة لنسقط فيما هو أكبر منها، فتردت البنية التحية وكثرت مطالبات الأهالي، حتى غص بها الديوان الملكي، وكثر شهود الزور في المحاكم من أجل استخراج حجج الاستحكام، أضف ذلك إلى منكرات الأسواق والإعلام، ومنكرات أخرى، وهذا كله نتيجة الذنوب والمعاصي.

وسنذكر إشارات مجملة لما نعلم من الذنوب، وهي تصلح موضوعات بحث لطلبة الدراسات العليا يتوسعون فيها، ومن ذلك:

أ- الشرك بالله الذي هو أعظم الذنوب ولا يغفره الله إلا بالتوبة، ومنه شرك الإرادات وشرك الطاعة وشرك الرياء، والشرك كما صح في الحديث سبعون بابا، ومنه أنواع جديدة لا يفطن لها إلا من وفقه الله، فالشيطان لم يعد يكتفي بإرسال شياطين تكلم الناس من اللات والعزى، بل له شياطين آخرون يوسوسون بالنظريات الإلحادية، والواهم هو من يظن أنه ليس عند إبليس شرك إلا ما كان قبل نحو ثلاثة قرون.

ومن الشرك بعض ما سنذكره الآن، وهو يختلف ويتغير ويزيد بحسب العصور، فلم يكن في زمن الصحابة الكرام من يعتقد بوحدة الوجود مثلا، ثم ظهر ذلك في الإسلام، ثم جاء به المعاصرون باسم جديد هو (كمون الرب في الطبيعة)، أو (الواحدية الطبيعية)، كما لم يكن في أيامهم من يعبد الشيطان نفسه، ثم ظهر هذا في أمريكا والغرب، وبعض الدول الشرقية، وأنا رأيت بطاقة أحدهم في جدة وأمام خانة الدين مكتوب: عبادة الشيطان، ومن أنواع الشرك التي ينبغي بحثها والإفاضة فيها شرك الطاعة، وقد كثر وروده في القرآن لا سيما المجادلة بين المطاعين والأتباع، ومن أنواع شرك الأمم السابقة شرك الاستكبار.

ومن أنواع الشرك الواردة في القرآن، وهو من الذنوب الواقعة اليوم:

أ- شرك التعظيم، قال عكرمة مولى ابن عباس: وهي رواية عن ابن عباس نفسه في قوله تعالى: ﴿وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ﴾ [الأعراف:١٢٧] على هذه القراءة: "ليس يعنون به الأصنام إنما يعنون تعظيمه".

ب- شرك التشريع من دون الله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

ج- مساواة الله بخلقه، ﴿قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٦-٩٨].

د- الشفاعة الشركية، ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس:١٨].

هـ- شرك المحبة، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥].

و- شرك الموالاة، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٨١].

فالأمر خطير جدا، وعلى كل منا مراجعة توحيده، فآكل الربا والمتبرجة مثلا قد يكونان مشركين وليسا مجرد عاصيين، وقد قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يخافون من الشرك، بل إن الله حذر أنبياءه منه فقال عن خليله إبراهيم: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج:٢٦].

وقال لرسوله الكريم ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر:٦٥].

وقال عن جملة الأنبياء: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨].

ز- التحاكم لغير الشرع، وقصر الأمر على إنكار شرك القبور دون شرك القصور، والتحاكم لغير شرع الله ينافي الشهادة بأن محمدا رسول الله كما سبق تقريره.

ح- الشعور بالدونية، كقول بعضهم نلتحق بركب الحضارة، أو نكون في مصاف الدول المتقدمة.

ط- التشبه بالكفار في أزيائهم وفي لغتهم... إلخ.

ي- الكبائر الباطنة كالحسد والجشع والخوف من غير الله، والله تعالى يقول: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥]، ومن ذلك ترك

الصبر وترك الرضى عن الله وترك حمد الله على كل حال وترك التوكل، وكثير من أعمال القلوب.

ك- النظر إلى الأمر من جانب واحد مثل ما يفعل بعض القضاة هداهم الله حين ينظرون إلى أن من حق ولي الأمر التعزير، ولا ينظرون إلى أن من حق النفوس أن تكون معصومة، وقد قتلوا كثيرا من أهل السنة لأن عسكريا قتل بالخالدية بمكة، مع أنه في بعض المحافظات كالقطيف، يقتل كثير من العساكر بلا قصاص، أليست النفس واحدة في مكة والشرقية ونجران وغيرها عسكرية أو مدنية؟.

ل- ومن كبائر الذنوب الإعراض عن ذكر الله وعن الدار الآخرة وربما تمكن ذلك قلبيا فيصبح صاحبه مرتدا أو منافقا وهو لا يشعر، قال تعالى عن قوم سبأ: ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ﴾ [سبأ:١٦]، وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ [الكهف:٥٧]، والآيات في ذلك كثيرة. وكل ما أدى إلى الغفلة وجب إنكاره ويجب تذكير الناس بلا حاجة لما يسمى الترخيص.

وقد رأيت كيف تحول أمانة جدة الأراضي الخالية إلى مستنقعات كبيرة للمياه يتوالد فيها البعوض، وسألت نفسي أين ذهبت المليارات التي أكلتها شركات التصريف أو البلديات؟ وبعض الضباط والجنود يمنعون التصوير حتى لا تنشر فضائحهم الجرائد أو مواقع التواصل الاجتماعي، ويحبون أن يصفهم الناس بالبواسل!

وقد كانت السيول مصدر خير نفرح بها ويهنئ بها بعض الناس بعضا، وإذا بالغوا في الترحيب بأحد قالوا مرحبا تراحيب السيل، ثم أصبحت بذنوبنا مصدر شر وأصبحنا نفرح إذا قال لنا أحد إنه بعيد عن الأمطار، وإذا رأينا سحابة في الأفق قلنا: اللهم حوالينا ولا علينا!

ومن عقوبات الذنوب ما تراه الآن في الولايات المتحدة من التشظي والثنائية لغوية، بل الثنائية العرقية، حتى أن بعض الأمريكيين يعلنون أن ميامي هي عاصمة أمريكا اللاتينية، وكاد الأسبان أن يفوزوا بأكثر المقاعد في كاليفورنيا، وأصبحت بعض المدن تتكلم بالأسبانية، وأصبح ترامب يريد بناء جدار عازل يفصل بين أمريكا والمكسيك، كما فعل نتنياهو، وقد اعترف ترامب بأن عجز الولايات المتحدة مقابل المكسيك يبلغ مئتي مليار دولار وأن ذلك من نتائج منظمة "نافتا" عنده، وأصبح أهالي كاليفورنيا يجمعون التوقيعات ويجرون استفتاءا للانفصال عن الولايات المتحدة، ويوجد حاليا ١٥ ولاية تريد الانفصال، وسمّت مجلة التايم أمريكا (الولايات المنقسمة الأمريكية)، ويظهر أن المستقبل في أمريكا للإسلام بإذن الله وبدأت بوادر ذلك ترى للناظر.

وقد كثر في الغرب وأمريكا المسلمون لا سيما الإخوة من مصر، فهناك المشتغلون في الطب والمحاماة وإنشاء المطاعم والذبح الحلال، حتى أنهم أنشأوا أماكن مخصصة للجنائز والدفن، وأصبح في إمكانك مشاهد الطعمية والفلافل أينما سرت، وأصبحت الشركات تضع في إعلاناتها جملة "نحن نتكلم العربية"، وإذا استمر العرق الأبيض في شيخوخته وظلت نسبة التوالد بين المسلمين في مستواها العالي، واستمر إقبال الأمريكيين على الإسلام فسوف يصبح المسلمون هم الأكثرية في أمريكا!!

وقد نبه الرئيس السابق "بيل كلينتون" إلى أن العرق الأبيض سوف يصبح أقلية في أمريكا، وذلك في خطابه لما زار ولاية أوريجون!

ومن آثار الذنوب اليوم ما يخشاه الناس من الإرهاب دون النظر إلى أسبابه ودوافعه، وإذا اتفق الجميع على أن الإرهاب فتنة فلا بد أن نؤمن بأن الفتنة مشتركة، وأن الله تعالى إنما يسلط على كل أحد بذنبه، وهذا التسليط إما تكفيراً للمسلَّط عليه، وإما رفعة لدرجته عند الله، وفي الحالين العقاب عام غير خاص، قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً ﴾

[الأنفال:٢٥]، و لم يكن الصحابة رضي الله عنهم لا طلحة ولا الزبير رضي الله عنهم أجمعين يريدون القتال يوم الجمل، وإنما كان يريده بعض قتلة عثمان ﷺ، ومع ذلك قتل المجرمون طلحة، مع أنه ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقضى نحبه، وقُتل الزبير وهو شيخ كبير منصرف إلى الحجاز، وقال علي بن أبي طالب ﷺ: سمعت رسول الله ﷺيقول: (بشروا قاتل ابن صفية بالنار) (يعني الزبير)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الظالم يظلم فيفتن الناس بفتنة تصيب من لم يظلم".

ومن آثار الذنوب: العذاب المباغت إلا أن يتوب المذنب، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [الزُّمَر:٥٤]، وقال لخير خلقه ﷺ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا﴾ [النساء:٧٩].

ومن الذنوب بناء المادة دون بناء الإنسان، ولست أدري كيف تتقدم أمة تودع خيرة عقولها السجون أو تصمت كرها.

والأساس هو بناء الإنسان بالعلم النافع والتوبة ودوام الذكر، وليس ما يسمونه "التنمية" التي يحصرونها في الطرق والجسور والبنايات العالية، وعموما في الحضارة الإسمنتية، وأعظم التنمية هي تنمية الفكر الإنساني، ولا يمكن بناء الإنسان إلا بالإسلام والعقيدة الصحيحة الشاملة، أما مجرد البناء الخارجي فلا بد أن ينتقض على أهله، فإن الصينيين القدامى بنوا سور الصين العظيم، ولكن أعداءهم لم يتسلقوا السور بل استمالوا بعض حراسه برشوة أو غيرها، ففتحوا الباب ليدخلوا منه ويهاجموا الصين.

وإسرائيل بنت جدارا خرسانيا عازلا، واستطاعت أن تحيط مدنها بما سمته "القبة الحديدية"، ولكنها عجزت عن إقناع بعض اليهود ألا يبيعوا التنمية المتطورة للفلسطينيين.

وبعض الزعماء قتله حراسه مثل بوضياف وأنديراغاندي، وبعضهم كان حراسه يستأذنونه ليقتلوه مثل جمال عبد الناصر.

ولدى دول الخليج ما هو أغلى من النفط، وهو العقليات المبدعة التي في إمكانها مقارعة كبار الفلاسفة والمفكرين في الغرب، لكن هذه الدول تحاصرهم وتمنع فكرهم، وانظر مثلا كيف أن بعض العباقرة في الكويت لهم آراء وأفكار أكثر تقدما وأعمق تحليلا من الفلاسفة الغربيين، لما أتيح لهم قدر معين من حرية التعبير، ولكننا أمة تضييع كنوزها وتفرط في أدمغتها، وانظر كم أخرجت لبنان الصغيرة من المبدعين للسبب نفسه، واعلم أن في غزة أكثر منهم، وأن في سورية أكثر لكن براميل بشار لهم بالمرصاد، وأن في جزيرة العرب أكثر من بلاد الهلال الخصيب.

ومن الذنوب: إشغال الناس وإلهاؤهم عن مصيرهم بالكرة والألعاب والفن والتفاهات، وقد احتجت كثير من الدول على الأولمبياد الأخير الذي أقيم في ريودي جانيرو، والمسلمون أولى بالاحتجاج عليه وإنكار مخالفاته بمقتضى الإسلام، أما المشاركة فيه والسكوت عن منكراته فلا يجوز شرعا، بل من العجيب أن يفتخر الإعلام في بلاد الحرمين بأن بعض السعوديات شاركن فيه.

ومن أعظم الذنوب اليوم هذه الانهزامية، والشعور بالدونية لدى المؤمنين، والاعتماد على العقول الغربية واستشارتهم، والغربيون في الحقيقة لا يبدعون ما لا نستطيع إبداعه، وإنما تأتي توصياتهم وفق ما تقرره لجاننا، أي من باب هذه بضاعتنا ردت إلينا، أما تجاربهم الإدارية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وغيرها، فلا يصعب علينا معرفتها ولو بابتعاث أهل المواهب إلى بلادهم.

ومن الانهزامية أن نبتعث إليهم كل أحد بعد الثانوية أو الجامعة، وأن نشعر بأننا نحن المحتاجون إلى ما عندهم، وأن نجعل غايتنا هي الوصول إلى مصافهم!! وأمثال ذلك مما يدل على الرق وقابلية الاستعباد لدى كثير من الناس، وأن العدو نجح في الغزو الفكري واستعماره لحياتنا.

وهذا يدل على أن جامعاتهم أرقى من جامعاتنا، ومستشفياتهم أنجع من مستشفياتنا وغير ذلك.

ومن آثار الذنوب: الران، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطفِّفين:١٤].

وكذا موت القلب، قال عبد الله بن المبارك:

رأيت الذنوب تميت القلوب   وقد يورث الذلَّ إدمانُها

وهل أفسد الدينَ إلا الملوك   وأحبارُ سوء ورهبانُها

والقلب إذا أذنب صاحبه نكتت فيه نكتة سوداء، ثم أخرى ثم تتابعت عليه الذنوب، حتى يصبح كالكوز مجخيا لا يعرف معروفا ولا ينكر منكرا، وقد قال ابن القيم رحمه الله: "تفقد قلبك في ثلاثة مواطن"، فإن لم تجده فإنه لا قلب لك، وسيأتي كلامه بتمامه إن شاء الله.

والمقصود هنا هو أنها تموت بالران يحله الله عليها عقوبة لها ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطفِّفين:١٤]، وإن لم يمت أصابته القسوة ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٢٢].

ومن آثارها: الختم والطبع على القلوب، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:١٠٠].

ومن عقوبات الذنوب ما نراه صغيراً وهو عند الله وعند أهل الإيمان كبير، كالنظر في وجوه المومسات، روى البخاري وغيره أن أم جريج لما نادته فلم يجبها دعت عليه ألا يموت حتى يريه الله وجوه المومسات وهن الزانيات. فكيف من يشاهد الزانيات وهن يفعلن الفاحشة، أو يرى عوراتهن أو يراهن وهن يقبّلن الرجال في الأفلام والمسلسلات؟ أليس مجرد الرؤية من زنا العين، فكيف ونحن نعلم ما يفعلنه باسم الفن، وقد قالت إحداهن: الجنس مسموح في الفن فقط، لأن ابنتها قالت لها: عيب يا ماما.

ومن نزعات الشيطان، أن يوسوس لبعض الناس هداهم الله بأهم أحسن من غيرهم، أو أقل ذنوبا، وقد قال لي أحد ضباط المباحث، وكان حينها برتبة عقيد: نحن منكراتنا بسيطة، فقد زرت الهند ورأيت بعض الناس هناك يعبدون الأصنام ويعبدون البقر، وكلامه بالنسبة للكفار صحيح، لكن الله يسلط على العاصي من شاء من الكفار، قال عمر الفاروق ﷺ في كتابه لسعد بن أبي وقاص: "ولا تقولوا إن عدونا شر منا فلن يسلَّط علينا، فرب قوم سُلِّط عليهم من هو شر منهم، كما سلط الله على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله كفار المجوس".

أقول: وهذا يؤيد الأثر القائل: "إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني". ويدل لذلك ما وقع لبني إسرائيل، وما وقع لما عصى بعض الصحابة أمره ﷺ يوم أحد، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:١٥٢] الآية.

وهذا التسليط من سنته تعالى فيمن عصاه، فلما عصاه النصارى سلط عليهم من دمر روما قبل الإسلام، ولما عصاه المسلمون سلط عليهم التتار المشركين، فدمروا بغداد، وقبل ذلك سلط عليهم الصليبيين، ولما عصاه أهل الأندلس سلط عليهم النصارى، وفي العصور الأخيرة سلط على المسلمين الأوروبيين، ثم سلط عليهم أحط الخلق اليهود، ولما عصته الجماعة المسماة "الاتحاد والترقي" سلط الله عليهم اليهود والغربيين، ولا يظلم ربك أحدا.

ولما عادت تركيا إلى الإسلام بعض الشيء عاد لها عزها بقدر عودها، ونحن الآن نعصيه فماذا تنتظر إن لم تتب؟

وقد عصينا الله ونحن نعرفه، فكيف لا يسلط علينا أحطَّ خلقه اليهود، فطائفة منهم (إسرائيل) استخدمت القوة الخشنة واحتلت القدس الشريف، وطائفة أخرى (الشركات اليهودية) غزتنا باسم أهما شركات أمريكية أو أوروبية، وهذه الشركات تتحكم في البيت الأبيض كما ذكرت رئيسة نادي

الصحافة الأمريكية في البيت الأبيض "هيلين توماس"، وكما ذكر "جريجوري بلاست" وكتبت "غريس هالسل" (النبوءة والسياسة)، وكما عبر السيناتور "ديوك" وجلاّه "تشومسكي و"مايكل وولف"، والواقع يصدق ما قالوا.

كما أن الصهيونية تتحكم في الساسة الأوروبيين وتدفعهم للصليبية، فانظر كيف امتنعت بريطانيا عن الاعتذار عن وعد "بلفور"، وكيف لم يعتذر الغرب لتركيا عما قال حين الانقلاب الفاشل والاستفتاء.

ومن الذنوب تيسير الحرام وتصعييب الحلال:

فمن كان يريد الفاحشة -عياذا بالله- فأمرها مسهَّل ميسور، ومن ذلك أن تُستقدم الزانية بصفة خادمة أو تعطيها السفارات والقنصليات تأشيرة عمرة، أو أن يأتوا بها للترفيه عن الجيش، أما من يريد زوجة بالحلال فالأمر صعب، ولا بد من الاحتيال عليه عن طريق ما يسمى الزواج العرفي، أو واسطة، أو أي طريقة أخرى، ومع ذلك يقولون من أين يأتي الغلاء والإرهاب والكوارث، وكأن الله يظلمهم تعالى الله عما يصفون، وكأنه لم يقل للصحابة الكرام: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥] ويقول للأمة عامة: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] [طه:٧٠]، ويقل لبني إسرائيل ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨]، ويقل ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر:١٤].

وصدق حكيم الأمة أبو الدرداء: "ما أهون الخلق على الله إذا عصوه"، وهو تعالى إنما يعاملنا بالفضل، ولو عاملنا بالعدل لأهلكنا جميعا، بل هو جل شأنه يعفو عن كثير، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [فاطر:٤٥].

ويجب أن نتوب ونقلع عن الذنوب، ولا يغرنا غفران الله وإمهاله، فقد كان المسلمون الأوائل يخشون ذنوبهم، وكانوا إذا زين لهم الشيطان معصية يرغمون أنفسهم على تركها بإدخال أصابعهم في النار، ويقولون هذه نار الدنيا التي خففت وغمست في البحر، فكيف بنار جهنم التي تفوقها بسبعين

ضعفا، وشواهد ذلك كثيرة عن الصحابة والتابعين فمن بعدهم، كما يذكرون مثلا عن الأحنف بن قيس التميمي، وطاووس اليماني، وبلال بن سعد الشامي والحسن البصري.

وقيل لربيع بن خثيم تلميذ عبد الله بن مسعود: "كيف أصبحت فقال: أصبحنا مذنبين ضعفاء نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا".

وأشفقت أم أحد العباد عليه وقالت: "إن كنت يا بني قتلت نفسا فأخبرنا كي نجمع الدية لأولياء الدم فقال: يا أماه قتلت نفسي بالذنوب"!.

ولما نزل قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] قال الصديق الأكبر: "وأينا لم يظلم نفسه؟".

وقال مالك بن دينار رحمه الله لما خرج أهل البصرة يستسقون: "تستبطئون المطر أما والله إني لأستبطئ الحجارة من السماء".

والمؤمن في هذه الدنيا مشفق حزين، يعلم أنه مهما اجتهد في طاعة الله لن يقوم بشكر نعمة من نعمه المتتابعة، فإذا رحمه الله وأدخله جنته قال: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٦-٢٧]، أو قال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ ٣٤ ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [الطور:٣٤-٣٥].

ولما أنزل الله قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣]، شق ذلك على المسلمين وقال الصديق الأكبر: "هذه قاصمة الظهر". وذهبوا ببول سفيان الثوري في قارورة إلى طبيب، فقال: هذا بول رجل قد فتت الحزن كبده! وهكذا لا يجد المؤمن راحة دون لقاء ربه كما قال الإمام أحمد رحمه الله.

على أن إشفاقهم وحزنهم لم يكن حالة نفسية سلبية تستولي على الشعور فحسب، بل كان ذلك دافعاً إيجابيا للعمل والطاعة، فلما بلغ بعض السلف حديث (يا عبادي..) المعروف وفي آخره (فمن وجد خيرا فليحمد

الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه) قال: "والله لنجتهدن ولنعملن فإن كانت الجنة فذلك ما كنا نبغي، وإن كانت الأخرى لم نلم أنفسنا، بل نقول عملنا فلم ينفعنا".

ونتيجة لهذا العمل والإحسان يبدل الله شفقتهم وحزنهم فوزا، ويقال لهم ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف:٤٩] ويقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر:٣٤].

ونحن يجب علينا الإنكار والحث على الطاعة والزجر عن المعصية، وإذا لم يقبل العصاة ممن يقول لهم اتقوا الله، أو أصروا على المعصية، فإننا ندعو عليهم، والدعاء على الفجرة مذكور في كتاب الله، وقد قال عبده موسى عليه السلام وهو من أولي العزم من الرسل: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيۡتَ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمۡوَٰلًا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَۖ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدۡ أُجِيبَت دَّعۡوَتُكُمَا فَٱسۡتَقِيمَا﴾ [يونس:٨٨-٨٩] الآية.

ودعا نوح عليه السلام على قومه، وهكذا دعا ﷺ على المشركين، ودعا صحابته على كفرة أهل الكتاب والمجوس، ودعا سيد التابعين سعيد بن المسيب على بني أمية، وهلم جرا.

فكل منكر لا نستطيع إلغاء قانونه يجب علينا الدعاء على مشرِّعه ومن فعله، وهذا من أدنى درجات الإيمان وأضعف حالات إنكار المنكر.

السياسة غير الشرعية:

كيف نصدق ما يقوله الساسة الغربيون أنهم يتعاملون معنا بأخلاق إنسانية، مع تصريحهم بأن السياسة لا دين فيها ولا أخلاق، أي أنهم مكيافيليون، الغاية عندهم تبرر الوسيلة، وتتهمهم شعوبهم وصحافتهم وإعلامهم كله، بخداع الشعوب والكذب عليها، وتضطرهم الفضائح إلى

الاعتذار أو تقديم الاستقالة أو قبول المحاكمة، وهذا الداء العضال انتقل إلى بعض من يدَّعون الإسلام في الشرق.

فهل ذنب محمد مرسي أنه قطع العلاقات مع نظام بشار، وفضْل السيسي أنه يجاهر أنه مع النظام النصيري وأنه أمنه من أمن مصر؟ وأنه يخدم إسرائيل؟

وهل نتبع من ينادي بالعلمانية ونترك من ينادي بالإسلام؟

وهل نطيع من يريد إنشاء مشروع "البحر الأحمر" دون من يريد إنشاء حلقات للتحفيظ؟

ومن الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ولا يستطيع أحد أن يزعم أنه خير من أصحاب النبي ﷺ مهما كان دهاؤه وحنكته، ومع ذلك يقول لهم ربهم تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]، ويبيِّن الداء الأعظم ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ [آل عمران:١٥٢]، وكل ذلك يجري حسب سنة الله في خلقه، وليس في الكون ما هو خارج عن هذه السنن ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:١٣٧].

ولما رأت السياسة غير الشرعية غفلتنا سلكت سبيل التدرج والنقلة غير المفاجئة لا سيما في هذه البلاد، ومع أن الناس مأمورون بالتوبة والتدرج في الخير نجدهم يتدرجون في الذنوب كما في إفساد المرأة، فيخرجون المرأة في التلفاز ويقولون إنها متعاقدة غير وطنية، وربما كانت نصرانية، ثم يخرجون المرأة السعودية في بعض المجالات، ويلزمونها أول الأمر بأن تغطي شعرها، ثم يخرجونها في كل مكان، وتفتخر بذلك القنوات والصحف، ويمنعون المنكر عليهم من التدخل فيما لا يعنيه! وهكذا يألف الناس المنكر ولو بعد حين أو جيل، وعن هذا قال ﷺ: (أول ما دب الوهن في بني إسرائيل أن أحدهم كان يرى أخاه على المنكر فينكر عليه، ثم لا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وقعيده...) الحديث.

وأهل المنكر اليوم يريدون منا أن نسكت عنه، ولكنهم لن يقفوا عند ذلك، بل لا بد أن يهاجمونا ويتهمونا بما ليس فينا، والحل النبوي معهم، هو أن ندعوهم إلى الله وإذا فعلوا المنكر نستمر في الإنكار عليهم، حتى يهديهم الله أو تقوم حجته عليهم، معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون.

وإلف المنكر يؤدي إلى منكر أكبر، فإخراج المرأة لتعمل يؤدي إلى القول بأنه يجب مساواتها بالرجل في الميراث وأنه يجوز للمسلمة أن تتزوج كافرا، وهكذا.

وقارن أي امرأة في الشارع بأي امرأة في قناة "العبرية"، واحكم مَن الشاذ بعد ذلك عن وطنه ومجتمعه، ومن الذي يقود البلد إلى الهاوية ويتسبب في التفجيرات ويثير الفتنة.

وإنما أمر الله الناس أن يتذكروا مصيرهم الذي لا بد منه، ولكنهم في غفلة معرضون، فكل إنسان موقن بأنه سوف يموت فلماذا هذا التواني والتسويف؟

وصدق من قال من السلف: "ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه مما نحن فيه"، أي موتنا بعد حياتنا مع تسويف التوبة.

وإذا كنا نحب الحياة حقا، فما معنى الحياة في كتاب الله؟

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤].

ولا ريب أن من لا يتأثر ولا يعتبر ولا يراجع نفسه ويخشى ذنبه ويتفقد إيمانه هو ميت، وإن كان في الدنيا كهيئة الأحياء، قال ابن القيم: "اطلب قلبك في ثلاثة مواطن: عند سماع القرآن، وفي مجالس الذكر، وفي أوقات الخلوة، فإن لم تجده في هذه المواطن فسل الله أن يمن عليك بقلب فإنه لا قلب لك".

ويروى ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه.

وأين عقول أولي الألباب من العقول المعيشية البهيمية كالعقل الغربي الكافر، الذي يعيش ليأكل، وألهاه التكاثر والجشع وأشغله الحطام الفاني، واستدام الغفلة، حتى نسي الله والدار الآخرة، ولماذا يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤].

ومن الذنوب العصرية: الدعاية الكاذبة وسلوك أساليب التغرير بالزبون:

ومن ذلك الاستدراج الزائف الذي تمارسه شركات السيارات "بدون دفعة أولى بدون كفيل"، وإنما يريدون بيع سياراتهم بالثمن الذي يحددونه هم، ويستنزفون دخل المواطن المخدوع وراتبه، وإذا لم يدفع سحبوا منه السيارة وأكلوا الدفعات السابقة كلها.

ولمحلات الأزياء والعطور أيضا طريقتها في ذلك.

وكذلك شركات الاتصالات، وبعضهم يختل الدنيا بالدين، ويلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب، وقد قال أحد الغربيين: "لو كان لدي عشرة دولارات لأنفقت منها تسعة في الدعاية وواحدا في البضاعة"، والخلاصة أن الكذب عن طريق الدعاية أصبح فنا أكاديميا قائما بذاته، ولا يصدق الدعايات حرفيا إلا المهابيل، وليت هؤلاء يكتفون بتصديقها بل يبررونها ويدافعون عنها.

ومن آثار الذنوب: الاختلال في الأرض ممثلا في الزلازل والبراكين والفيضانات وغير ذلك:

والزلازل تقع أيام الأعياد والاحتفالات وهي عادة مباءات للفسق والفجور، ومن أشهر الزلازل في التاريخ زلزال لشبونة، وزلزال سان فرانسيسكو، وزلزال الصين.

ومن أسباب الزلازل ما يصنعه الإنسان كالسدود.

وكما يبتلي الله المفسدين بالزلازل يبتليهم أيضا بالبراكين، وإذا ثار بركان ونثر غباره توقفت حركة الطيران حتى في الدول المجاورة، وتكثر البراكين في أوروبا والولايات المتحدة وأمريكا الجنوبية وشرق آسيا.

وسوف تخرج نار من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر، والله أعلم متى تكون وكيف ستكون، وهذا من علامات الساعة، وربما كانت حسب التفسير الجيولوجي بركانا! والله أعلم.

ومن البراكين المشهورة في التاريخ بركان تيزوف، الذي دمر الله به مدينة بومباي، وبركان آيسلنده، وربما كانت النار التي خرجت بالمدينة النبوية في القرن السابع الهجري بركانا، وقد أخبر عنها النبي ﷺ وأضاءت لها أعناق الإبل ببصرى، كما في الحديث، وتحدث عنها ابن كثير والذهبي.

ومن عذاب الله كذلك موجات المد العالي "تسونامي"، التي يقال إنها أغرقت قاعدة "دييغوغارسيا" الأمريكية في المحيط الهندي، وهي اليوم تهدد اليابان والفلبين والصين ودولا كثيرة، ويقول الجيولوجيون إن سببها الزلازل البحرية.

ومن جنود الله الحسبانات من السماء أو الأعاصير المدمرة وهيجان الريح، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

ويوجد قريبا من الطائف حفرة عميقة، كما أنه يوجد في جبال السروات حفر يتصاعد منها البخار، وربما تصاعدت منها الحمم البركانية نسأل الله أن يجنبنا أسباب غضبه، وأنا لما سمعت عنها ذهبت إليها وأدخلت رجلي في إحداها.

ومن جنود الله الفيضانات التي تغرق الكثير وتتسبب فيما يسمونه الانهيارات الأرضية.

ومن أعظم الذنوب أننا اقتفينا أثر اليهود في أفعالهم، وإن كنا نرفض أن يسمينا أحد اليهود، وقد بيّن الله لنا كثيرا صفات أهل الكتاب لاسيما أخلاق اليهود كي نحذرها ونتجنبها، ولا تخدعنا الأماني كما خدعتهم، ولا نقول نحن أصحاب العقيدة ونحن أهل السنة وغيرنا ضال مبتدع كما قالوا نحن شعب الله المختار.

ولليهود صفات عملية وأخلاقية غير كفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء وتكذيبهم بالرسل ومنهم محمد ﷺ ذكرها الله في كتابه منها:

١. أكل الربا.
٢. أكل أموال الناس بالباطل كالرشوة والغرر والخداع.
٣. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٤. ترك الإحسان إلى الوالدين وذوي القربى وإلى الناس عامة.
٥. التحايل على أوامر الله واستحلال حرماته.
٦. قتل النفس بغير حق وسفك الدماء المعصومة.
٧. إيقاد الفتن والحروب.
٨. الحسد والحرص.
٩. التعلق بالأماني الباطلة والأوهام الزائفة.
١٠. الإرجاء.
١١. الجبن.
١٢. استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير.

وغير ذلك مما وافقناهم في ويوجب أن الإيمان عمل مع الاعتقاد، وأنه إذا فسدت الأعمال دل ذلك على فساد العقيدة ولا انفصال بينهما.

أما صفات المؤمنين فهي كثيرة جدا في القرآن، وحسبك منها آية واحدة هي قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

هذا هو التدين الصادق، فأعرض نفسك يا أخي المسلم على كتاب الله وخذ منه العقيدة الصحيحة، ودع عنك ما يقوله الناس لكي تكون صادقا متقيا بإذن الله، واحذر أن تغرك المظاهر والشكليات.

ومن أعظم الذنوب بل هو من أكبرها وهو شرك لم يكن عليه أحد من السلف قط: العلمنة وفصل الدين عن الدنيا.

ولا ينكرها أهل الدين فقط، بل حتى أهل الدنيا، إذ أن ذلك الفصل خلاف القرآن، وهو تجزئة اعتباطية لما جعله الله واحدا لا يمكن أن يتجزأ، مع أن العلمانية الذاتية لم تكن معروفة عند المسلمين، ولكن العلمانية الموضوعية تمجها الفطرة والعقول السليمة مع الإقرار بتنوع الاختصاص وليس بتنوع المبدأ نفسه، فلما مدح أحد الشعراء المأمون بقوله:

أضحى إمام الهدى المأمون مشتغلا   بالدين والناس بالدنيا مشاغيل

أنكر عليه الحاضرون وقالوا: "ما زدت على أن جعلت الخليفة عجوزا في محرابها".

ومن أعظم الذنوب حجب الحق عن الناس، ومنع أهل الدين من بيانه، وبأي منطق يمنع بعض الناس ما لا يرضيهم من الأشرطة الإسلامية، ويحظرون تداولها ويستغربون أن يبتليهم الله بالمتفجرات؟

ثم إن الله ابتلاهم بالمواقع التي لا يستطيعون متابعتها، وهل يستطيع أحد أن يحجب ضوء الشمس بالغربال، ولو منعوها ابتلاهم الله بما هو أشد، وهكذا يأبون إلا أن يطفئوا نور الله ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

ومن أكبر الذنوب ظن الكافرين قديما وحديثا أن القضية ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا، ونسيان الآخرة، وصدق الشاعر حين قال:

ولو أنا إذا متنا تركنا   لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا   ونسأل بعدها عن كل شي

وأصدق منه ما ذكره تعالى في مواضع كثيرة منها: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

وقد قال بعض السلف: "الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب"، وقال ﷺ: (إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من قال بالمال هكذا وهكذا) أي تصدق منه وأنفق يمنة ويسرة.

ومن أعظم الذنوب انتهاك قدسية الحرم بما يفعله جنود وضباط الجوازات من تفتيش واحتيال، فهم يقتحمون البيوت لكي يستولوا على الذهب الذي تتحلى به النساء، وبعضهم يغتصب المرأة ويقولون لمن أنكر عليهم النهب أو الاغتصاب نحن في مهمة رسمية!!

وبعضهم يحتال للقبض على من يريد، فتأخذ المجموعة الأولى من العسكر رخصة الإقامة ولو بالقوة، ثم تأتي المجموعة الثانية فتطلب الإقامة، فيقول الناس لها قد أعطيناها غيركم، فتقول هذا مجرد عذر وأنتم لا إقامة لديكم وتأخذهم إلى قسم الترحيل.

ومرة زارني طالب علم ثم كلمني وقال: أنا في الترحيل لأن إقامتي في الفندق، فذهبت إلى قسم الترحيل لإطلاق سراحه وأخذت معي إقامته، وفوجئت هناك أن كثيرا من المرحلين لديهم إقامة، وأخرجوها لي!

وقد استغربت ذلك جدا، وقال بعض الناس إن ذلك يرجع إلى أن يقبض على عدد الرؤوس، وقال آخر إن من يقبض عليهم يريد رشوة من الكفيل الذي يخصم الرشوة من راتب المكفولين، والله أعلم بالحقيقة!

وآخرون ذهبوا بهم إلى قسم الترحيل وخلفهم صبية صغار يتضاغون من الجوع ليس لهم من يعولهم أو يطعمهم، فلا هم اصطحبوا الصغار مع آبائهم أو أمهاتهم، ولا هم أطعموهم.

أما "ديبورا" فلأنها بريطانية انتدبوا عقيدا لإطعام قطتها وليس ابنها، بل تكون المسلمة السوداء أقل بكثير من الكافرة الشقراء، ومن قال لهم اتقوا الله قالوا: إرهابي أو متطرف ليس لديه وطنية، يريد الفتنة وشق الصف، ومن أقرهم على ظلمهم أو أعانهم عليه بأي شكل قالوا عنه سلفي موحد، وصدق رسول الله ﷺ الذي قال لكعب بن عجرة: (أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولن يرد علي الحوض...) الحديث.

والعجيب أنه مع هذا الظلم نقول كيف تنخفض أسعار النفط، وكيف ترتفع أسعار البضائع، ونقع في هذه الأزمات المتتابعة؟ ونسي أن دعوة أحد هؤلاء قد تطيح بأهل الشأن كلهم.

ومن ذنوبنا محاورة أهل الأديان بعيدا عن هدى الله ووحيه:

وكيف يحاور اليهود والنصارى ويقال في تأويل ذلك إنهم يوافقوننا في بعض المبادئ الأخلاقية! ولا يحاور الدعاة إلى الله الذين يشتركون مع محاورهم في الدين واللغة والوطن والأخلاق والمرجعية الواحدة؟

فبأي معيار يكون أهل الكتاب أصدقاء وهؤلاء أعداء؟

ومن الذي نسخ ما في كتاب الله من أسس الحوار، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءِۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [آل عمران:٦٤] وكآية المباهلة؟

ونحن مستعدون لمحاورتهم فقط بالمنطق العقلي وبنصوص كتبهم المقدسة وغيرها، ولا نورد لهم آية ولا حديثا ولا كتابا لأي مسلم؟

ثم أليس من يعترضون على الحوار من البروتستانت والأرثوذكس، وبعض الكاثوليك وبعض اليهود يتفقون معنا في المبادئ الأخلاقية نفسها، وربما كانوا فيها أكثر ممن يحاورهم المحاورون من الكاثوليك أتباع البابا؟

وكيف نرضى أن يكون مقر الحوار هو روما التي لا يرضى هؤلاء المخالفون أن يأتوها بل يسمونها "بابل الجديدة"، ويسمون البابا المسيح الدجال!

أليس من المستثنين من الحوار مثلا "المعمدانيون" الذين يحرمون الزنا والتدخين وشرب الخمر؟

ولماذا لا تحاورهم هيئة كبار علماء السعودية إذا كان لا بد من الحوار؟

ولماذا يسمحون لهم بدخول مكة المشرفة ويوعزون إلى نقطة تفتيش الشميسي بذلك؟

وكيف نقرأ قل هو الله أحد.. إلخ وهم يعتقدون أنه تعالى ثالث ثلاثة، وأن المسيح عليه السلام ابنه تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

افرضوا أننا لا نستحق أن نسمى محاورين، ألا نستحق على الأقل أن نكون مثقفين كالممثلين الذين لا ثقافة لهم على الإطلاق، ونستحق أن تكون لنا رؤية أو رأي كسائر المواطنين، وإن كان ذلك خطأ عندكم؟

ومن آثار الذنوب الفساد الكوني الذي يأخذ أشكالا متنوعة منها:

١. تآكل طبقة الأوزون الذي يؤدي إلى الإصابة بسرطان الجلد.

٢. النفايات النووية الخطرة التي تحملها السفن الغربية إلى بعض الدول الإفريقية أو تحملها الجيوش الأمريكية لتدفنها في الصحاري العربية.

٣. عودة بعض العصور الجيولوجية كعصر الجليد.

٤. كثرة الفيضانات والزلازل والبراكين كما سبق.

٥. ما يسمى الاحتباس الحراري.

٦. التقلب البيئي وتفصيله مذكور في مبحث البيئة.

٧. التلوث فبحسب تقديرات الأمم المتحدة يتنفس ٩٢% من سكان العالم هواء ملوثا ويموت بسبب التلوث ثلاثة ملايين إنسان سنويا!! وصدق الله ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، ومعلوم من أين يأتي التلوث؟

ومن ذنوبنا الاعتماد على رحمة الله وترك العمل:

فرحمته تعالى واسعة ولكن أمرنا بطاعته واتباع أوامره، ومن خُدع الشيطان لابن آدم إغراؤه بالمعصية بذريعة أن رحمة الله قريبة وواسعة وأنه ينبغي إحسان الظن بالله.

ولما وعظ أبو حازم الأعرج هشام بن عبد الملك وقال له هشام: فأين رحمة الله، قال أبو حازم: "قريب من المحسنين".

ولما قيل للحسن البصري: إن قوما يحتقبون الذنوب ويقولون: نحسن الظن بالله، قال الحسن: "كذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل".

وما قاله الحسن أمر مشاهد، فإن الإنسان أحسن ما يحسن العمل حينما يظن أن من يراه يعمله يثني عليه به.

شؤم الذنوب عام:

لا يقتصر شؤم الذنب على ابن آدم، بل يتعدى ذلك إلى ما حوله من البيئة، فتصاب الأرض بالجفاف وتصاب الأحياء بالجوع والهلاك، وعن أثرها على الحيوان تحدث أبو الأحوص وابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضي الله عنهم أجمعين، ونقل بعض ذلك العلامة ابن القيم والعلامة ابن كثير، ولا أنسى كيف أن الدواب تحفر مكان الماء بأظلافها بحثا عنه، وحينها علمت يقيناً قول بعض المتقدمين ومنهم العلامة ابن القيم رحمه الله إن الحبارى في وكرها لتشكو من ظلم الظالم.

ومن الذنوب المعمول بها الآن أنهم يرحِّلون الإنسان إلى حيث لا يأمن، والله تعالى قال: ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة:٦] في حق المشرك المستجير، فكيف يرحل المسلم إلى دولته وربما قتلوه أو سجنوه؟

وكيف يشترطون في الطالب أن يأتي من بلده مع أنها بلاد تحارب الدعوة والدعاة، ولا تريد لأحد من أبنائها أن يأتي إلى السعودية فيتعلم ما يسمونه "العقيدة الوهابية".

ومن آثار الذنوب أن يحول الله بين المذنب وقلبه، أي أن يفقد الإنسان بصيرته وتفكيره، فيعمل أعمالا لا يعملها العاقل، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله رواية عن مجاهد في قوله: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤]: "أي حتى يتركه لا يعقل".

وإذا تركه لا يعقل كان اجتهاده فيما يضره.

أما من ترك الذنوب فإن الله تعالى يحفظ جوارحه، فتعمل ما لا يستطيعه من يراه الناس أقوى أو أشب منه، وذلك في حق الأمة كما هو في حق الفرد، وحسبك في هذا أن الإمام محمد بن جرير الطبري وثب وثبة شديدة من السفينة إلى الشاطئ مع كبر سنه، فلما سئل قال: "هذه جوارح

حفظناها في الصغر فحفظها الله في الكبر"، أي أنه حفظها من الذنوب شابا فحفظها الله له شيخا.

أما آثار ترك الذنوب والتزام طاعة الله فهي كثيرة في الدنيا وفي الآخرة، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة، والائتمار بما أمرهم الله ورسوله وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم، فإنهم ببركة الرسول وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقا وغربا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله وظهر دينه على سائر الأديان وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة"، انتهى كلامه.

وعكس ذلك ما هو معلوم من تسليط الصليبيين والمغول والاستعمار قديمه وحديثه.

ومن الذنوب: كثرة الأخطاء السياسية والاجتماعية:

فقد تكون الذنوب أخطاء سياسية فادحة لم يستشِر فيها فاعلها أهل الدين والعلم، وربما كان أكبر الأخطاء التي ارتكبتها السياسة في الدول النفطية، أنها استرضت الحكام وأهملت الشعوب، وأغدقت المليارات على أنظمة زائفة، وقد كان في إمكانها أن تنفقها على الشعوب التي تبقى سواء بقي حكامها أم ذهبوا.

فانظر مثلا كيف لو أن المليارات التي قبضها المخلوع، أنفقوها على الشعب اليمني مباشرة، وكيف لو أن المليارات التي أعطوها السيسي وبن علي وبن جديد وحفتر وأضرابهم أنفقوها مباشرة على الشعوب، ودعوها إلى الله لا إلى القومية، ولا إلى التعري والدياثة والسياحة، وكل الشعوب إنما تريد الدين، فالشعب المغربي مثلا لم يسكت لولا أن الملك ينتسب إلى أهل البيت

ويسمي نفسه أمير المؤمنين، وهل قام المجاهدون في الفلبين إلا نصرة لدينهم ومطالبين بحق مسلوب، وقل مثل ذلك بل أعظم في فلسطين، وهل يريد الأتراك إلا العز والمجد المفقود الذي كان أيام الإسلام، وكذلك كل بلاد جنوب شرق آسيا والشعوب المسلمة في الهند وفي أفريقية؟

وهل يصح أن ننسى التاريخ الجهادي للمرابطين ولا نتحدث إلا عن أن الطوارق اليوم تتلثم رجالهم دون نسائهم، أوليس في الشريعة ما يقضي على كل خطأ أو عادة سيئة إن وجدت، وهل هناك ما يحرك القلوب ويوقظ المشاعر ويغير المجتمعات أكثر من الإيمان، وكيف يحبونا الله بالأنهار من الصومال إلى النيجر، ومع ذلك يفضل الجهال الحبوب التي تعطيهم إياها الأمم المتحدة أو الغرب على الصيد الذي أحل الله ويسره، وما أكثر ما كانت تلك الحبوب فاسدة أو منتهية التاريخ أو مسرطنة، وربما كانت من الذرة التي يطعمونها البهائم في أمريكا، وأعطانا الله من الثروات والكنوز والمواقع الجغرافية والممرات المائية، وأمثال ذلك ما يغنينا عن تسول أمم الكفر والضلال؟

فلماذا لا نقيم ديننا كله ونجعل ولاءنا وبراءنا لله وحده؟

فهل كوريا الشمالية أغنى من المسلمين وأكثر ناصرا؟

وكيف لا يجد ملايين المسلمين في الدول الإفريقية، إلا أن يكتبوا القرآن الكريم على الألواح كما كان القدماء، وإذا جاءهم مصحف واحد قسموه بين ثلاثين تلميذا، في حين أن الغرب يبيع جوالاته وحاسوباته وأجهزته الذكية على دول النفط بأغلى الأسعار؟

وكيف نتعاون مع القشرة المسماة الطبقة المثقفة، وننسى اللب المتمثل في أهل العلم والدين، ومراكز الدعوة وحلقات التحفيظ والخلاوي والمحاضر، وما أشبه ذلك، أم كان يجب على أهلها أن يسموها أكاديميات، ويستوردون لها الخواجات ويفرضون عليها المناهج الغربية، وأن تحارب الدعاة وتثني على من يحاربهم حتى تعطى.

وكيف يعمل بعض الناس تحت القيادة الأمريكية التي تقتل أهل السنة في العراق والشام، وفي الوقت نفسه تقيم أمريكا الدعاوى على أولئك المنضوين تحت قيادتها وتشتمهم، وتذكر أنواعا من فسادهم بعضها حق وبعضها باطل وتنسب كل فعل لدينهم.

خذ مثلا بلوشستان فعلى أي عقيدة البلوش؟ وهل لقضيتهم نصيبها من الحملة على إيران؟ أليسوا أولى بالنصرة والعطاء من الرافضة العرب في الأحواز؟ أم يجب أن نهرب من هذا المصطلح الوافد المسمى طائفية، وأن نوالي ونعادي وفق الحظائر الاعتباطية التي وضعها سايكس وبيكو؟

وماذا جنينا من المارونيات المتبرجات بل من نصارى لبنان ورافضته؟

وهل البديل عنهم هو سعد الحريري ونائبه أنطوان؟

وهل مشكلة حسن نصر الله أنه إرهابي في نظر الأمريكيين والإسرائيليين؟

ألم يبين لنا رسول الله ﷺ من نوالي ومن نعادي وتركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك؟

وهل ينفق الملايين من البشر أموالهم لزيارة المسجد الحرام، ومسجد رسول الله ﷺ إيمانا منهم بالقومية العربية والشعارات الوطنية؟

وكيف نترك الطريق السهلة الواضحة، ونغامر بركوب دروب الوعورة وأودية الهلاك والضياع؟

انظر فقط إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر:١-٣]، واحكم أنحن من الخاسرين أم من الرابحين؟ ولا تخدعك الرؤى والتطمينات المخالفة لعقلك، والوعود المعسولة، والزيف المعطر.

وكيف هربنا مما سماه الغرب الرجل المريض لنقع فريسة لما أسماه "رامسفيلد" القارة العجوز؟ وهل انتفت عنا وصمة (الإرهاب والوهابية) بأننا نسير على طرائق الغرب؟ وكيف نسير في ركاب الغرب؟ ونحارب

المجاهد ولو كان مسلما من أهل السنة ونتهمه بالإرهاب؟ ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم:٣٥]، وكيف تكون شبه جزيرة العرب أكبر شبه جزيرة في العالم وتتسع لمئات الملايين من البشر، ومع ذلك تكون الأرض السكنية فيها من أغلى الأراضي في الدنيا ويكون أهلها من أقل السكان في العالم!

وكيف يسمي الغربيون أنفسهم (العربية السعيدة) مع أنها اليوم من أشقى البلاد على وجه الأرض ويقولون إنها تعاني من أكبر ماساة إنسانية في العالم؟

ولماذا الإصرار على التخبط في الظلام والخروج من نفق إلى نفق، وبين أيدينا النور والهدى؟

أنفعل كل ذلك حبا فيما لا يبقى، وحرصا على متاع لا يدوم؟

﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة:٣٨]، ولماذا خلقنا الله؟ أذلك للتنمية والازدهار الاقتصادي أم للجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله وهو يرزقنا مما يشاء وكيف شاء، ولم يحرِّم علينا من فضله الطيبات والتنمية المادية؟ وكيف نفخر الآن بأن لدينا ما لم يكن قبل عقود من المدارس والطرق والمستشفيات وهل العالم كله إلا كذلك؟

ومن الذي فرض علينا أن تكون الأمريكية استشارية والإندونيسية خادمة، مع أن الشهادة واحدة؟

وكيف يقبض الغربي الكافر أكثر مما يقبضه المواطن المسلم، حتى لو كان المواطن أعلم منه وأعلى في الدرجة والجامعة واحدة؟

وكيف يدوم لنا الرخاء والأمن ونحن نستقدم الكافر ليكون خبيرا أو مستشارا، ونجعل المسلم سائقا أو خادما؟

وهل يرضى النصارى بهذه الميزات أم يريدون بناء الكنائس أيضاً.

وهل نحتاج لكي ننفق على أولادنا إلى حكم تنفيذي؟

وكيف نستشير الغراب، ونستنكر أن يدلنا على جيف الكلاب؟

أليس من الغش والخداع أن تتلطخ المرأة المسلمة بهذه الأصباغ والمساحيق، التي تجعل القبيحة تبدو جميلة والعجوز الهرمة تبدو شابة؟

عجوز ترجى أن تكون فتية   وقد غارت العينان واحدودب الظهر
تروح إلى العطار في كل غدوة   وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

ألم يقل رسولنا الكريم ﷺ: (المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور)؟

وكيف تصبح سويسرا هي المكان الآمن الذي يضع الناس فيها أموالهم، ولا تكون مكة كذلك؟

وهل من الإسلام أن تصادق من يقول بنفسه "إن ليس له صداقة دائمة".

أنعجز أن نقول لأمريكا وإسرائيل وأعوانهما:

زمان الظلم يا فرعون ولى   ودالت دولة المتجبرينا

وهل يصح لكل ذي عقل، إنشاء الطرق بمسارات كثيرة في تايوان، وترك أبناء المسلمين في هذه البلاد يموتون على طرق غير مزدوجة المسارات؟

وكيف يكون اهتمام المسلمين بحصول الفريق الكروي الفلاني على الكأس أهم عندهم من حصول المسجد الأقصى على الحرية؟

وكيف يهدم الألمان جدار برلين، ولا نهدم نحن هذه الحدود المصطنعة؟

ولماذا يكون "الحائر" و"ذهبان" وإخوانهما سجونا للمتدينين، ولا تكون سجونا لليبراليين؟

أكان هذا عملا بكتاب الله وسنة رسوله، وتمسكا بعقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أم عملا بتوصيات أعداء الله وأوامرهم؟

وكيف نقول للمرأة في الشارع تغطي، ولا نقول ذلك في الفضائيات؟

وكيف ندعو الله أن يولي علينا من يعدل، ونحن نظلم أنفسنا؟

ألم نجعل الليل حركة وسعيا والنهار سباتا وكسلا؟

وكيف نربي جيلا عابثا غير مبال بشيء، ونقول له يجب عليك أن تسمع وتطيع؟ وأن تحترم الحاكم والعالم والمعلِّم؟

أليس من الضعف والذل، أن نطالب بعودة الهيئات إلى ما كانت عليه من قيود وهوان، مع أن رسولنا ﷺ يقول: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه) فالإنكار واجب على كل مسلم وهو على من يرى أننا دولة العقيدة أوجب.

وكيف نريد حجا لا مشاكل فيه، مع أن سيارات الذوات تسير كما تشاء في طريق المشاة، ضاربة عرض الحائط بأنظمة المرور ودعاء آلاف الحجاج؟

وكيف نقول إن الخلاف مع إيران خلاف بين الفُرس والعرب، ونرضى أن نخسر أهل السنة في الهند وباكستان وتركيا وإندونيسيا وبنجلاديش وماليزيا والفلبين ومالي والسنغال وغينيا وغامبيا وغانا، وكل الدول الإفريقية؟

وهل اللبنانيون والحوثيون والنصيرية وشيعة الأهواز، والرافضة في تونس واليمن وشيعة البحرين وشيعة الأحساء ونجران والمدينة فُرس أيضا؟

وهل قتلوا ضيف الله القرشي لأنهم فُرس وهو عربي؟

وهل حزب الله النيجيري فُرس أيضا؟

وكيف نتعامى عن حقائق جلية يراها كل أحد ويعلمها كل عاقل؟ أم أنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور؟

أليس من العمى أن نتحالف مع الكفار لضرب الفلوجة ونسقط عليها القنابل، في الوقت الذي يرجمها فيه الرافضة بصواريخ عليها صورة نمر النمر، وكثيرا ما تختلط القنابل مع تلك الصواريخ؟ وكيف يعتدي الأمريكان على بيت ليس فيه إلا نساء وأطفال، ويحاصرهم الرافضة أو يقتلونهم وكأن أولئك الضعفاء هم الذين خططوا لاغتيال ثامر السبهان، ومع ذلك يحالفهم من يدّعون السنة؟

ألم يؤد تبرير السكوت عن الاحتلال الأمريكي للخليج بأنه استعانة، إلى التحالف مع العدو والعمل تحت قيادته بلا فتوى؟

وإذا كان غرض إيران القضاء على حزب البعث فلماذا تجتثه في العراق وتنصره في سوريا؟

أما إذا كان غرضها إعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية فهل إعادة هذه الأمجاد يكون بتدمير أهل السنة في حلب ودمشق ودرعا والفلوجة والموصل؟

ولماذا لا يقال إنها حرب عقائدية مفضوحة؟ أنتناسى كل ذلك كي لا يقول أحد إن أهل السنة طائفيون؟

والروس والأمريكان أيريدان السيطرة على العراق والشام واليمن فقط، أم يريدان السيطرة على مكة والمدينة كما أراد الصليبي أرناط وصاحبه البرتغالي البوكري، وإنما تغيرت الوسائل وتغير نوع الاستعمار والسيطرة؟

وأيهما أكثر حنكة وأصح سياسة، الدولة العثمانية التي منعت النصارى دخول البحر الأحمر، وأقامت الحاميات وأنجدت المجاهد الصومالي السلطان (أحمد) على نصارى الحبشة أم نحن؟

ولماذا استهدف الحوثيون الكعبة كما تقول وسائل إعلامنا؟

هل ذلك لأنها عربية وهم فرس؟ ولماذا لا نذكر الدين ولا نذكر رموزه إلا إذا وافق هوانا على الطريقة اليهودية ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة:٤١]؟ ونحسب أننا مخيرون في الانتقاء، وربنا تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب:٣٦].

ومن أعظم الذنوب التي وقع فيها المسلمون اليوم اشتغالهم عن الجهاد وعن الاعتزاز بالإسلام، وانصرافهم إلى الرفاهية الدنيوية، وإيثار ما يفنى على ما يبقى، وقد قال بعض السلف: "أزهد الناس أهل الدنيا زهدوا في الآخرة وهي خير وأبقى".

ومن آثار الذنوب الذل، وهو أمر يترتب على ترك الجهاد، ويجده العاصي مهما بالغ في العز الظاهري أو أراده وقد قال الحسن "إنهم وإن هملجت بهم البراذين وطقطقت بهم البغال، فإن ذل المعصية لا يفارقهم أبى

الله إلا أن يذل من عصاه"، وروي أن صاحبة يوسف عليه السلام لما أقبل في ملكه ورأت ما هي فيه من الذلة، قالت:" سبحان من جعل العبيد ملوكا بطاعته وجعل الملوك عبيدا بمعصيته"، وهذا أمر مشاهد لكل أحد، فالوزير أو الرئيس أو المدير يخاف أن يرتشي أمام الفراش، والملك أو الرئيس أو الأمير لا يدخن إلا في دورات المياه، وأوباما وترامب لا يتعاطون المخدرات أمام الناس، وذلك عكس الصلاة، إذ يأمر المسؤول بتركيز الصورة عليه ونقلها إلى العامة، ولا يجاهر أي زعيم بأنه زان أو سارق، حتى أن "كلينتون" جحد أنه وضع يده على صدر "مونيكا" وفتح سحاب "جونز"!

وأنكر ترامب ما تدعيه الممثلة الإباحية "ستورمي دانييلز".

والذل عقوبة معجلة في الدنيا، وقد رأيناه في كثير من الخلق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأعراف:١٥٢]، وكتب الله الذل والصغار على من خالف أمر رسوله ﷺ.

وهذا الذل مكتوب على كل من يختار الرفاهية الدنيئة، والمتاع الرخيص على الصبر والجهاد، وقد قال بنو إسرائيل: ﴿لَن نَّصۡبِرَ عَلَىٰ طَعَامٖ وَٰحِدٖ﴾ [البقرة:٦١]، فقال لهم موسى عليه السلام: ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡ﴾ [البقرة:٦١]، فاليهود اختاروا الذل على ما حباهم الله به من العزة والعيشة الرغيدة، فاستحقوا بذلك أن يبوءوا بغضب من الله وذلة ومسكنة، ومثلهم من يرضى أن يكون تابعا لحضارة أخرى لكي يحصل على الحطام الفاني

وقال أبو سليمان الداراني: "ما أكرمت الناس نفوسها بمثل طاعة الله ولا أهانتها بمثل معصيته" وقال: "إنما عصاه من عصاه لهوانهم عليه ولو أكرمهم لحجزهم"، وقال بعض السلف: "من أراد الدنيا فليتهيأ للذل".

ومن العز ذكر الله وتسبيحه دائما، فموسى عليه السلام لما سأل ربه أن يجعل أخاه هارون وزيرا، قال: ﴿كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ٣٣ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا﴾ [طه:٣٣].

فالتسبيح ذاته عز من الله وشرف لصاحبه، وقد قال الله لعبده زكريا: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [آل عمران:٤١]، وقال لعبده محمد ﷺ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٨-٤٩]، وأمره ربه أن يستعين بالتسبيح على عناد المشركين في آيات كثيرة معروفة، منها قوله تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾ [طه:١٣٠]، فكان ﷺ أكثر الناس تسبيحا لله، ثم كانت أمته من بعده أكثر الأمم تسبيحا وعبادة لله، وهي كذلك إلى اليوم، وقد قال لي أحد المسلمين الأمريكيين إن والده -وهو غير مسلم- قال لما عرف الإسلام: هذا هو الدين الصحيح، فأنتم تعبدون الله في اليوم خمس مرات أما النصارى فإنما هي مرة واحدة في الاسبوع.

ولما أمرت وزارة المستعمرات البريطانية عن طريق حكومة الهند، المقيم السياسي في الكويت "ديكسون" أن يذهب إلى نجد ليخبرها عن الإخوان عجب لما رأى منهم، وقال: "هؤلاء هم الذين يعبدون الله حقا".

فقلب المؤمن دائم الصلة بالله، يسبحه ويحمده ويصلي له، ويتناول كل نعمة باسمه، ويذكر الله على كل حالاته اقتداء بالرسول ﷺ، حتى إذا تعار من الليل.

فأولوا الألباب هم الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم.

ولا يدع ذكر الله إلا الشياطين من الجن والأغبياء من بني آدم، وهؤلاء الأغبياء كثيرون في الغرب ترى أحدهم جيفة بالليل حمار بالنهار.

وقد ضرب النبي ﷺ مثلا عظيما لمن يذكر الله ومن لا يذكره، فقال: (مثل الذي يذكر الله والذي لا يذكره كمثل الحي والميت).

وكل من لا يذكر الله هو إما غبي وإما ميت، فليختر الغربيون والمغفلون ما شاؤوا منهما.

- نصيحتي للمسلمين في الخارج:

أقدم نصيحتي إلى كل داعية مقيم في بلاد الغرب، فأقول نصيحتي لكل مقيم في بلاد الغرب من الدعاة أن يظل هناك ويستمر في دعوته، ولا يزين له الشيطان أنك لو جئت للسعودية، وتعلمت العقيدة لكان ذلك خيرا لك.

فهنا يقولون إنك أجنبي، ويطالبونك بالترخيص للدعوة، ويعلمونك العقيدة كما توصي بها التقارير السرية.

وأنصح من كتب له الله القدوم إلى هذه البلاد من خارجها أن يعجِّل بالعودة إلى بلاده والدعوة إلى الله فيها، فقومه خير له في دينه ودنياه، وهم أعرف الناس بمترلته، وليعش على ما عاشوا عليه من رعي أو زراعة، وقبيلته في إفريقية وآسيا تعيش في دول عدة وفق التقسيم السياسي الاعتباطي.

وليس هناك حواجز أو تفتيش أو ترحيل، ولا يطالبك أحد ببطاقة ولا ترخيص، ومن كان من أهل فلسطين أو سائر الشام أو في العراق ومصر وغيرها فلا يهاجر ولا يخرج، بل يدعو إلى الله ويجاهد ما استطاع، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، وعنده كتاب الله أينما كان وهو أعظم كتاب في العقيدة.

وربما تذرع بعضهم بتعلّم اللغة العربية، ولكن يمكنه تعلمها وهو في بلاده، وقد قابلت في ولاية كلورادو، وكذلك في لاهور وتركيا بعض الإخوة الذين تعلموا اللغة العربية وأتقنوها وهم في بلادهم، ووجدت أن الذين تخرجوا من المحضرة أو الخلوة أو المدرسة وأشباه ذلك، لا يقلون عمن تخرج من الأزهر أو الجامعة الإسلامية في المدينة.

وأنصح كل مسلم أن لا يسافر إلى بلاد الغرب ظانا أنها الجنة الموعودة، وليصبر على ما يلقاه في ديار المسلمين من ضيق الرزق أو العنت، وليحتسب ذلك عند الله ويتوكل عليه ويحسن الظن به.

فهناك في ديار الغرب يجد العنصرية والاتهامات والأعمال المنحطة، وفيها القوانين المخالفة للشريعة والعادات السيئة، ومن ذلك أنهم يتولون رعاية أبنائك إذا شكوا إليهم! ويمنعونك من ذبح أضحيتك أو العقيقة رفقا

منهم بالحيوان كما يزعمون، ويصعب عندهم الأكل الحلال، أما الجيف والخنازير فهي متوفرة نعوذ بالله، ويُدخلون دهن الخنزير في كل شيء حتى في الخبز.

هذا إن لم يغرقوك في البحر.

ولديهم منظمات تنصيرية كثيرة، وربما نصّروا أبناءك، ويدرسوهم مبادئ علمانية في المدارس العامة، ويمنعون الكلام بغير لغتهم، ويضايقون المرأة إذا غطت شعرها وأمثال ذلك.

وإذا رانت الذنوب على القلوب فسروا الكوارث تفسيرا عكسيا، فلما وقعت الزلازل في القاهرة وأرجع أهل الإيمان سببها إلى الذنوب، رد عليهم الرئيس المصري آنذاك حسني مبارك: "بيقولوا السبب الذنوب ما هي الزلازل تصيب حتى الدول المتقدمة ومنها اليابان وإيطاليا"، أي حتى الدول التي لا ذنب لها عند فخامته.

ولما اجتاحت السيول جدة قال أحد حكامها: الفيضانات تقع حتى في الدول المتقدمة مثل بريطانيا وأمريكا! تشابهت قلوبهم.

والتفسير غير الإسلامي للأحداث يزيد العامة تخديرا وغفلة، ويقول لهم: ابقوا هكذا فلا تتوبوا ولا تتضرعوا.

ومن الكبائر التي نهى الله عنها في الكتاب والسنة قذف المحصنات، وبعض الرافضة قديما وحديثا يقذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وهو بقذفه أمنا مكذب للقرآن الكريم قادح في عرض رسول الله ﷺ، وهذا القول كفر حتى عند الملالي، وهو أشد وأنكى من كون إيران فارسية، وكل المسلمين ضده، فينبغي بيان ما في كتبهم وكلامهم من ذلك دون الاقتصار على عداوة الفرس للعرب.

كما ينبغي لفك علاقة الرافضة كالحرس الثوري الإيراني، وفيلق القدس وحزب اللات وسائر الميليشيات ببشار والنصيرية، ذِكرُ حُكم النصيرية في

كتب الرافضة نفسها التي تكفِّرهم، وأن هذا هو مذهب الإمامية، وبذلك يمكن صيد عدة عصافير بحجر واحد:

أ. تحكيم الوحي في كل شيء وبيان الحق للناس.

ب. بيان حكم النصيرية، وضرورة عدم القتال مع نظام بشار.

ج. بيان ما في دستور إيران –الذي ينص على أن عقيدتها الإمامية– من خلل واضطراب.

د. بيان أن الرافضة هم الذين يكفِّرون، وليس أهل السنة حيث يدعي الرافضة أن أهل السنة تكفيريون.

ه. العدل الذي أمر الله به حين نقرأ حكم النصيرية من كتبهم نفسها، وغير ذلك من الفوائد.

وهكذا لا يصح القول بأن الحرب قومية بين الفرس والعرب ولا إن إيران تخالف القوانين الدولية وكذا لا يصح القول بأن حكومتها مستبدة وشعبها فقير، بل الحرب دينية والشيعة غير السنة أينما كانوا، والمسلمون السنة هم الأكثرية في العالم، والفقر الذي في تهامة أكثر من فقر الإيرانيين.

ولنعلم أن الذنوب تجر الذنوب، فلنقلع عنها من أساسها، وهذا ما عرفه أعداء الله، فمن شطارة نصارى لبنان أنهم يقترضون من أحد البنوك مبلغا ينشئون به قناة أو صحيفة، ويهددون بنشر سكر فلان وزنا فلان، وأنهم يملكون الأدلة على ذلك، ويستطيعون نشره، ويدفع لهم أولئك الزناة أو الشاربون ملايين طائلة يسددون منها القروض، ويستمرون في النشر، وهكذا تجر المعصية إلى معصية أخرى، ويعاقب الله بالذنب على الذنب، وتصبح الذنوب وسيلة للابتزاز، وما ينهبه المذنبون من بيت مال المسلمين يعطونه النصارى، فتكون الخسارة على المسلمين مضاعفة.

وربما أدت الذنوب إلى الشرك فيكون الأمر أشد، قال الله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ﴾ [النور:٦٣]، وقد نقل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد عن الإمام أحمد ﷺ قوله:

"عجبت لقوم يعرفون الإسناد وصحته يذهبون لقول سفيان، والله تعالى يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك".

ومن عقوبات الذنوب الهزائم العسكرية، وأثر الذنوب في الهزائم مشهود منذ معركة أحد إلى عصرنا، وهذه حقيقة يعرفها المؤمنون في كل زمان ومكان، فلما احتلت عساكر الباشا الدرعية قال المصلحون نثرا وشعرا: هذا بسبب ذنوبنا، ولما وضع الغرب (١٠٠ مشروع لتقسيم تركيا) ووضعوا اتفاقية "سايكس- بيكو" ثم "لوزان" لتفتيت الدولة العثمانية، علم أهل الدين من ترك وعرب، أن ذلك إنما هو بسبب ما وقع فيه العثمانيون، وجمعية الاتحاد والترقي من المعاصي والتغريب، ولما وقع الفساد في أولاد محمد علي باشا سلط الله عليهم العسكر، منذ محمد نجيب وجمال عبد الناصر.

ولما ظهر الفكر القومي، سلط الله على الأمة أحط خلقه، وهم اليهود، فهزموها في الحرب التي سميت حرب الأيام الستة وهكذا.

ومن أعظم الذنوب التشبه بالكفار:

فشباب المسلمين قد تركوا الصلوات واتبعوا الشهوات وقلدوا الكفار في رطانتهم وأزيائهم وقصاهم واقتنوا مثلهم الكلاب؟ أما النساء المسلمات فقد صبغن وجوههن وشعورهن وأظافرهن كالغربيات، وتسابقت القنوات للإتيان بهن متبرجات كاشفات الرؤوس وأجزاء كثيرة من البدن؟ ولكي يثني الغرب علينا ويقول إننا متحضرون سمحنا للنساء بدخول الملاعب، وخصصنا أماكن للمدخنات، بينما المطاوعة مشغولون بمكافحة التدخين!

وأنا هنا أنصح كل مسلم من مسؤول، أو مرب أو ولي أمر نصيحة الخائف المشفق، بضرورة الكف والإقلاع عن المعاصي، وأن نعلم أن الملامسة السطحية للمشكلة غير مجدية، وقد آن لنا أن نتوب إلى الله توبة نصوحا، لاسيما وقد تتابعت النذر والأزمات من كل مكان، وأصبحنا نفتن في كل

يوم مرة أو مرتين، فتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون وأنكروا كل منكر تقع عليه أعينكم، فأكثر الناس في غفلة، وتنافس على الدنيا، وتكالب على حطامها الفاني، وينشئون لذلك المؤسسات والمحلات والشركات، وقليل منهم من همه آخرته، واعلموا أيها المؤمنون أن الله تعالى يمهل ولا يهمل، وأنه إذا أخذ الظالم لم يفلته، وأن النعم ربما كانت استدراجا، وأن عاقبة الترف والبطر هي الخوف والشقاء والهلاك، واحذروا قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ [سبأ:٥٤]، وقوله: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧]، ولا يغركم ما أنتم فيه من الملذات فإنه تعالى يقول: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام:٤٤-٤٥].

ولا تحسبوا أن الله غافل عما يعمل الظالمون.

ويجب أن يعلم أهل الشام والعراق ومصر واليمن، أنه لا ناصر لهم إلا الله، وأن يعتمدوا عليه وحده ثم على أنفسهم، ويصبروا ما استطاعوا، ويعلموا أن تكالب النصارى والروافض والملاحدة عليهم إنما هو من عند أنفسهم، وأنه حين يقتلهم أعداء الله بالبراميل المتفجرة أو غيرها أو يقذفونهم بالأسلحة المحرمة، فإنما ذلك تطهير لهم من جهة، ومن جهة نهاية للقومية والوطنية والديمقراطية والتعددية، وأن الانضمام إلى الرافضة وأشباههم نفاق، سواء فيما يسمى البرلمان أو الجيش، وأنه لا شرعية لمن لم يحكم بشرع الله، وأن الغرب له سياستان معلنة ومخفية، وأنه يستنكر علناً ويتواطأ سرا مع من يخدم مصالحه، وأن ما يسمى المجتمع الدولي أو حقوق الإنسان أو هيئة الأمم أو الوحدة الوطنية يضعها لهم الأعداء، فكما أن بعض المسلمين يتاجر بالإسلام فكيف لا تتاجر الحكومات الغربية بهذه الشعارات؟

والحرية المزعومة هي نفس ما عبر عنها الزنادقة الأولون "كل يعمل في دينه ما يشتهي"، وهذا عكس دين الإسلام، وهو كلام قديم، رد عليه ابن تيمية رحمه الله، ومثله قولهم: كل الأديان توصل إلى الله كما يزعم الحلاج الضال وهذا مفهوم غير إسلامي لمعنى الحرية والتعددية.

وهو عكس قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:٨٥].

واليوم يقولون "الدين لله والوطن للجميع" وأخواهما!

وينبغي تصحيح مفهوم النصر عند أكثر المسلمين وقد قال بعض السلف: "كفى بالمرء نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله".

فالنصر إنما هو بالصبر والطاعة وإن أبان الله بالجهاد سبيل المجرمين فهو نصر على نصر، خذ مثلا الجهاد في الشام، إذ أبان الله به حقيقة اليهود والنصارى والباطنية والرافضة والقوميين في سنوات قلائل، ولو أن المسلمين دفعوا مئات المليارات ما حصلت لهم هذه المكاسب.

وإذا كان أعداء الله على عقيدة ضالة وشرك عصري، وكبيرة من الكبائر فذلك نصر للمؤمنين.

والذنوب تسبب التفرق والتنازع مما ينشأ عنه الهزيمة وتسلط الأعداء.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦]، وقال: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥]، قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمه الله: "إذا أنت استقرأت الدول الإسلامية وجدت السبب الأعظم في زوال ملكها، ترك الدين والتفرق الذي أطمع فيها الأعداء وجعل بأسهم بينهم".

والله تعالى لما عصاه اليهود ألقى بينهم العداوة والبغضاء، ولما عصاه النصارى أغرى بينهم العداوة البغضاء، وهكذا تفرق الذين أوتوا الكتاب

وتفرق قبلهم المجوس، فكان منهم الهندوسية والبوذية الشمالية البوذية الجنوبية والزرادشتية وتحت كل هذه فرق لا تحصى.

من علاج الذنوب:

ينبغي مع إحسان العمل حسن الظن بالله، وأن يعلم العبد أن ربه عند ظن عبيده به، وإلا فذنوبنا كثيرة ومصيبتنا كبيرة، وعلينا دوام الاستغفار، وألاّ نظن به ظن الجاهلية، ومن سوء الظن أن نظن أنه تعالى يخذل أولياءه، ويجعل العاقبة لمن يكفر برسالة محمد ﷺ، وينبغي للمؤمن أن يجعل خوفه ورجاءه كجناحي الطائر، وحسبه من الخوف ما حجزه عن معصية الله، وحسبه من الرجاء ما يجعله يحسن الظن بالله ويثق في سعة رحمته، وليس في أعماله هو مهما كانت حسنة.

ولكي يكفِّر عن ذنوبه، ويرفع درجته عند الله ينبغي له دوام الاستغفار والتوبة والضراعة إلى الله، فالتوبة ضرورية والاستغفار هو صابون الذنوب، والحسنات يذهبن السيئات، ومن أعظم الحسنات إخلاص النية لله ودوام شكره وذكره، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والصوم والحج والجهاد في سبيل الله بكل أنواع الجهاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحسن الخلق والنصح لكل مسلم، والزهد في الدنيا والاستعداد للآخرة، وكل حسنة تقرب إلى الله، والمؤمن يعبد الله وحده لا كما قال أهل التوحيد المزعوم الذين حكمونا "بدل ما تجيب أمريكا عسكري ليكون عبدا لها أنا مستعد أن أكون عبدا لها"، وفعلا ظل عبدا لها حتى أهلكه الله، وقال آخرون: "إذا كانت أمريكا تريد منا كذا وكذا فنحن مستعدون لإقامة علاقات مع روسيا"!.

والمؤمن لا يستبدل عبودية للبشر بعبودية لآخرين، بل يهدد بقوته تعالى كل عدو، ونفتخر إن افتخرنا بالعبودية لله وحده، فهي أعلى مقامات

المخلوقين قاطبة، وكلنا نعلم أن أكرم الناس على الله هو عبده محمد ﷺ، فانظر ماذا قال ربه في أعلى مقامات التكريم:

١. في مقام الإسراء الذي لم يقع مثله لأحد من البشر قط يقول: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١] الآية.

٢. في مقام الوحي الذي لا مقام أعلى منه يقول: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:١٠].

٣. في مقام الدعوة يقول عن الجن: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن:١٩].

وأول كلمة قالها المسيح عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَـٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم:٣٠]، وقال تعالى في مقام الإنذار والمنة على كل العالمين: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١]، وأمثال ذلك كثير في القرآن.

ولما خير الله نبيه محمدا ﷺ بين أن يكون ملكا رسولا أو عبدا رسولا، اختار أن يكون عبدا رسولا، وصوب ذلك جبريل عليه السلام، فهذا أفضل من أن يكون ملكا رسولا مثل سليمان عليه السلام، ومقتضى هذه العبودية أن يجوع يوما، ويشبع يوما عليه الصلاة والسلام.

فالعبودية هي أعلى الدرجات وأعظمها.

وكان الصحابة الكرام يخافون جدا من الذنوب ويحزنون لاحتمال ارتكابها، فهذا قيس بن ثابت بن شماس كان من طبيعته الخلقية الجهر بالصوت، ولم يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ، ولكن لما أنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحُجُرات:٢] الآية، ظن أنها أنزلت فيه وأن عمله قد حبط، فحزن لذلك وانقطع عن مجلس النبي ﷺ حتى لا يرتفع صوته، فانظر إلى حاله هذا وانظر إلى الذين يظنون أن الصواب

والحق في نظرية فلان أو في فلسفة علان، ويطالبون بكذا وكذا مما يخالف سنته ﷺ، أليس هذا رفعا فوق صوته وأعظم من مجرد الجهر له بالقول؟

وربما صرحوا أن الحياة في ظل الدين حياة غير إنسانية، وأن التمسك بالدين رجعية وظلامية وتأخر، وسموا المتمسكين بحقيقة الإسلام "إسلامويين"، وبعض المسلمين يظن أن محبة النبي ﷺ مجرد مشاعر هائمة ولا يتبعون سنته الشريفة، والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١].

وقد وصف الله من ينادي رسوله من وراء الحجرات بأن أكثرهم لا يعقلون، فكيف من يردون سنته اليوم ويحاربون دينه، ويرون أن ذلك عقل وعلم؟ ويريدون الوسطية الأمريكية والاعتدال الأمريكي، ويهددون بتدمير من دعا لغير ذلك!

والقاعدة العامة في الذنوب هي قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠]، ولولا أنه يعفو عن كثير ولا يؤاخذنا بما كسبت أيدينا، لما ترك على ظهرها من دابة والحساب عنها فردي، وكل يسأله ربه على قدر إسهامه في الذنوب أو مسؤوليته عنها، وكلنا راع ومسؤول عن رعيته، فعلى الحاكم مسؤوليته، وعلى العالم مسؤوليته، وعلى المجتمع مثل ذلك، وكذا على الوالد والمدرس وإمام المسجد والجار وكل من يعلم ولا ينكر، وأضعف الإيمان هو ما كان إنكارا بالقلب فقط، وليس الإنكار بالقلب صفة سلبية، بل هو عمل إيجابي يستلزم إظهار الغضب وتمعر الوجه، والاستنكار بنظرات العين، ثم يتبع ذلك مقاطعة صاحب المنكر، ونهي النفس والقرابة عن ارتياد أماكنه، وبعض الناس هداهم الله يجاملون فيما هو صريح من المنكرات، ويحيلون القضية إلى من أجازها من الحكومات، أو سكت عنها من العلماء، مع أن أحدا لم يرغم غيره فعل المنكر، أرأيت لو أنك عشت في بلاد تبيح الخمر أو الدياثة أكنت فاعلا

ذلك؟ فكيف يوضع الحساب في البنك الربوي يكون التشجيع الكروي، وتتبع المواقع الإباحية والخلاعية، وحفلات ما يسمى الفنون الشعبية، الذين يضربون الدفوف بلا سبب.

ونضم إلى كونه تعالى يعفو عن كثير إيماننا بأنه ما نزل بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة، ولكي يتوب الله علينا ويعفو عن ذنوبنا ويصلح أعمالنا لا نقول إلا القول السديد، ونعلم أن ذنوبنا لا تقتصر علينا بل يتعدى ضررها إلى البيئة التي حولنا كلها، فنصلح قلوبنا ونوقن أن أساس كل عمل هو عمل القلب، الذي إذا صلحَ صلح الجسد كله، وإذا فسدَ فسد الجسد كله، والقلب له حالات من الموت والقسوة أو المرض أو السلامة وكل ذلك جاء في القرآن وفصله ابن القيم في كتابه (إغاثة اللهفان)، والذنب كالنكتة السوداء، فإن تاب صاحبها صقل وإلا أصبح مسودا كله.

والقلب هو موضع التزيين ومحل البغض أو الحب، وفيه يكون اليقين أو الشك والصبر أو الهلع، ومن أعماله الصدق والإخلاص والإنابة والرقة واللين لذكر الله والخشوع لما نزل من الحق... الخ، وهو مناط المؤاخذة والعقوبة، أو العفو والتجاوز، كما ذكر النبي ﷺ من حال الغني المتصدق، أو الغني الطالح، والفقير الذي يتمنى أن يكون مثل هذا أو ذاك، وحال المقتول إذا كان عازما بقلبه على قتل صاحبه، وبين كيف يزني القلب، وبما في القلب يكون التفاوت بين مصلٍ وآخر، مع وقوفهما في صف واحد، وتجاورهما فيه.

وبما في القلوب سبقَ الصحابة من قبلهم، ولم يلحق بهم من بعدهم، وبه سبق الصديق كل الصحابة.

ومن سعة رحمة الله التي وسعت كل شيء، أنه تعالى لا يفاجئ الناس بالعذاب الأكبر، بل ينذرهم، ويذيقهم من العذاب الأدنى لعلهم يرجعون، ومن العذاب الأدنى الغلاء والمكوس والأمراض والبطالة والهزات الأرضية والبراكين التي لا تعم، والتقلبات الجوية العنيفة، وحبس القطر وأمثال ذلك.

فإن تابوا ورجعوا إلى الله رفع البلاء عنهم، وإن أصروا واتبعوا الشهوات وأطاعوا المفسدين وبطروا معيشتهم، سلط عليهم العذاب الأكبر، وما يعلم جنود ربك إلا هو، فاللهم لك الحمد والشكر على ما تعفو عنه من سيئاتنا، ونسألك ألا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا.

ومن آثار الذنوب أن المال الذي هو في الأصل نعمة أصبح نقمة علينا، إذ هو في الواقع مدد للكافرين، لكن الله جعله شؤما على آخذه، ومن أعطاه يبتليه الله بالندم والتحسر، ويحبط سعيه حين يرتد حربا عليه، ومخالفة لسياسته، هذا غير تكالب اللصوص علينا من الدول إلى الخدم.

ومن آثار الذنوب تدمير البيئة، ليس البيئة المائية فقط، بل حتى البيئة الحيوانية، فالحبارى في وكرها كما قال أبو هريرة تشكو من ظلم الظالم، والبهائم -كما قال مجاهد- تلعن عصاة بني آدم إذا اشتد القحط، وكل دواب الأرض حتى الخنافس والعقارب كما قال عكرمة- تقول إنما منعنا القطر بذنوب بني آدم.

وانظر كيف أهلك الله ثمود لما قتلوا الناقة التي كانت تعطيهم حليب الخلفات مجانا مهما ملؤوا من الآنية، ونحن الآن نشاهد دولا لا نفط فيها، ولكنها أغنى من دول النفط بما تنتجه من الحليب البقري، وانظر كيف مزق الله قوم سبأ كل ممزق، بعد أن كانوا ينعمون في جنتين عن يمين وشمال، وكل ذلك إنما هو بالذنوب.

وتأمل ماذا جنت السعودية الآن من إعطاء المخلوع الذي ألغى المعاهد العلمية، وحارب حزب الإصلاح، فخسرت أولا المليارات والأراضي، ثم حاربها وقتل جنودها، وقد وقفت معه ضد ثورة الربيع اليمني عليه سنة ٢٠١١، وعالجت حروقه لما أراد الشعب اليمني التخلص منه، وغضت النظر عما يفعله الحوثيون في شمال اليمن، وعما قتلوا في دماج، نعم لحزب الإصلاح وأهل دماج أخطاء، ولكنها هينة يمكن إصلاحها علميا إذا قيست بالكلفة المادية والمعنوية التي ترتبت على حرب المخلوع والحوثيين، وأصبحت

الزيدية والجارودية مع الأسف هي التي ترفع شعار "الموت لأمريكا الموت لإسرائيل"، بينما أهل التوحيد يوادونهما!

وقس على ذلك الموقف من حافظ أسد، الذي ذهب الجيش السعودي لحمايته، والموقف من إيران التي كان صدام حسين أكبر عدو لها، ولكن السعودية أعانته على صدام حسين وسمت الجيش العراقي (المعتدي).

ومن آثار الذنوب أن الغرب استعمرنا استعمارا جديدا سماه الباحث الاجتماعي الألماني "هابرماس" استعمار الحياة، وسماه الشاعر اليمني عبدالله البردوني الاستعمار السري، وقال عن أهله:

غزاة لست أبصرهم   وسيف الغدر في صدري

ونحن لا نزال نحلم بصورة الاستعمار القديمة أيام شركة الهند الشرقية.

وبهذا الاستعمار أحل الغرب شعارات ماكدونالدز محل الصلبان، وجعل شركاته تقوم مقام الجيوش، وجعل الصناعات الغربية كالبيبسي والأدوات الكهربائية والهمبرجر والأزياء تقوم مقام القواعد العسكرية، وحلت الأسلحة المباعة للمغفلين بخبرائها وصيانتها محل الحملات الصليبية، وحل دونالد ترامب محل البابا أوربان، وأصبحنا نحن الذين ندفع للكفار الجزية!

وأصبح المثقف هو الذي يرطن بالانجليزية، ولم ينهب الاستعمار الجديد ثرواتنا فقط، بل نهب المؤلفات والآثار، فلم يعد غريبا أن تجد كتابا للغزالي في مكتبة لايبزك، ولا أثرا عراقيا أو مصريا في متحف نيويورك، وجرَّدنا من كل معنى إنساني أو حضاري لكي نعيش أمة من البهائم همها الطرب واللهو واللعب!

وما يترك لنا من الفتات أو نستحقه من ثرواتنا فإننا ننفقه في شراء منتجاته، ومن يقاوم غزوه تهاجمه وسائل الإعلام المنافقة، وتتهمه بالإرهاب والتطرف والشر، وتلبِّس بذلك على الشعوب وهكذا.

والممنوع منعا باتا هو أن نستقل عنه في رأينا وسياساتنا وأمورنا، وأي تقصير يراه في حماية أوكاره الاستعمارية الجديدة لا يقع على عاتق جيوشه، بل على عاتق الأجهزة الأمنية عندنا وعلى مواطنينا نحن.

فأي استعمار في الدنيا أعظم من هذا، وأي مصيبة أكبر من مصيبتنا؟

حتى جزيرة العرب التي لم تطأها قدم مستعمر على الطريقة التقليدية، أصبحت أهم المستعمرات الحديثة، ولم تعد الإمبراطورية الأمريكية أعدى عدو، بل أوثق حليف وأصدق صديق! وكذا إسرائيل كانت العدو اللدود فأصبحت تربطنا بها مصالح مشتركة وأهداف مشتركة.

وهذا بعض ما أوصلتنا إليه ذنوبنا وكسبته أيدينا وجنته علينا المعاصي والآثام، ومنها السكوت عن قول الحق، وتحذير من يهمه الأمر، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة:٨١]، ومن الفسق إيثار الدنيا على الآخرة والآجل على العاجل واتباع الشهوات، واشتغالنا عما خلقنا الله له.

فقل لي يا أخي المسلم:

ألا يستحق من كانوا غثاء كثغاء السيل أن تتداعى عليهم الأمم ويغزوهم من لم يحترف الغزو وليس بينهم وبينه ثأر؟

وانظر كيف نصب الغرب لنا فخاخا جديدة لم تكن معروفة من قبل، كالقانون الدولي والشرعية الدولية، والقرارات الأممية، وأصبح المفكرون هم نيتشه وهيجل وداروين، وأصبح العظماء هم غاندي وجاكسون ونابليون وروزفلت.

فكيف نضع في أيدينا وأرجلنا قيود أمة غافلة عن الله والدار الآخرة، وملء أسماعنا وأبصارنا كتاب الله الذي يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

ومن آثار الذنوب الزلازل التي يقولون إن حي الجامعة في جدة سيكون مركزا لها، دع ما ينكرون، وانظر إلى ما يعترفون بوقوعه مثل الزلزال الذي اعترفت به هيئة المساحة الجيولوجية في ١٤٣٩/١/٢٧هـ، وذكروا قوته

على مقياس رختر، وأن مركزه كان على بعد حوالي ٣٠ كيلو مترا في البحر الأحمر، وأعلنته وكالة الأنباء السعودية، وقس على ذلك الزلازل من جيزان حتى تبوك، لاسيما في العيص والنماص فمتى نستغفر ونتوب؟

ومن آثار الذنوب الفقر الذي أصبح عاما ليس في الدول الزراعية والرعوية فقط، بل حتى في الدول الصناعية الكبرى التي يسمونها متقدمة، فتقول آخر الإحصائيات في أمريكا إن ٤٠% من الأمريكيين تحت خط الفقر، وهذا أمر مشاهد، فما يكاد الظلام يجن في أغنى الولايات الأمريكية "كاليفورنيا" حتى ترى الفقراء ينبشون القمائم بحثا عن الطعام، كما ينبشها الحاجيات عندنا بحثا عن المعلبات الغازية.

وللبغي الذي ترتكبه أمريكا بحق العالم غزتها البضائع الصينية الرخيصة، وبعد أن غزا بوش الصغير العراق ظلما وعدوانا اضطرت أمريكا لقفل ٥٠ ألف مصنع، فلم يذهب دعاء العراقيين سدى.

ولما سكت أهل الحرمين عن حصار غزة ابتلاهم الله بالغلاء والضرائب وغيرها، وكذلك سكتوا عن الغزو العلماني الذي يجتاح الأمة ويأكل الأخضر واليابس لكي يرضى ضاحي خلفان، ويوسف العتيبة ومحمد بن زايد، وصار الدين ينتقص يوما بعد يوم، وأصبح السجناء هم الدعاة، وأحلوا هيئة الترفيه محل هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأقفلوا مندوبيات الأحياء، وفتحوا دور السينما، ورصدوا الجوائز للاعبي البلوت، وحولوا آل الشيخ من شريك إلى تابع، وجعلوا الحديث عن ضلال الباطنية والرافضة طائفية، ولم تعد كثير من الجهات تستفتي هيئة كبار العلماء في كل شيء، بل كل إدارة تفتي نفسها بنفسها والكلأ المباح لكل راتع هو الدين، حتى أوقات الصلوات والأذان جعلوها من شؤون مجلس الشورى، ولم يطالبوا بإعادة صلاحيات الهيئات بل طالبوا بإنشاء شرطة للآداب.

وأصبح في إمكان كل ناعق أن يقول (هذا لم يكن زمن النبي ﷺ) مهما كان جاهلا بالدين، ويقولون إنما أدخل في الدين ما ليس منه الصحويون،

حتى لعبة البلوت أصبح كلام محترفيها مقدما على كلام ابن باز! فأي هاوية يريد هؤلاء إقحام المجتمع فيها، وأين مرادهم من مراد الله تعالى القائل: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

وإزاء هذا الانحدار الأخلاقي والفوضى العارمة في الفتيا، لاذت هيئة كبار العلماء بالصمت حتى ما كان على سبيل النصح والتحذير، وأصبح المنكرون هم عامة الناس.

فمتى يفيق علماؤنا الأكارم ويوقفون أهل الفساد عند حدهم، ويحذِّرون الحكام من مغبة طاعة المفسدين، ويأمرون بإخراج الدعاة من السجون، وينصحون الأمة بالتوبة والإنابة إلى الغفور الودود الرحمن الرحيم الذي هو أرحم بنا من الأم بولدها!

ومتى نفر إلى الله ونستغفره ونطرق بابه؟

وأين يفر العاصي من الله إلا إليه وأين يهرب من عقوبته إلا بزيادة الهرب إليه وكيف يستعيذ من سخطه إلا برضاه، فهو كالطفل الذي مهما تمرد على أمه -ولله المثل الأعلى- وتشرد في الطرقات لا مفر له من أن يعود إليها، ويطرق باب دارها لتفتح له إذ هي أرحم به من كل أحد وهو تعالى يفتح باب التوبة حتى لمن أحرقوا أولياءه في النار وهم أحياء.

قال تعالى عن أصحاب الأخدود: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج:١٠]، قال الحسن رحمه الله: انظروا إلى هذا الكرم والجود يحرقون أولياءه ويعرض عليهم التوبة، وفوق ذلك هو يبدل السيئات حسنات فأين نذهب؟

والمؤمن يكون صمته فكرا ونطقه ذكرا ونظره عبرة.

وهكذا كان النبي ﷺ ثم أصحابه الكرام كسلمان وأبي الدرداء وابن عمر وأمثالهم، وقد نهانا الله عن الرهبانية، ولكن أمرنا أن نكون ربانيين،

وحذرنا من الغفلة عن الآخرة ونسيان اليوم الثقيل القادم، فكيف نتقي ذلك اليوم الذي يجعل الولدان شيبا؟

وما عذرنا إذا عرض الله علينا أعمالنا السيئة وذنوبنا المتتابعة؟ وختم على أفواهنا وتكلمت جوارحنا بما كنا نفعل؟

أيغني عنا حينها ترامب وحضارته؟ أم المنتخب والأندية والدوري؟ أم السينما وألعاب ديزني لاند؟

وأنت إذا رأيت رجلين يتقاتلان على بعوضة تحكم أنهما فاقدا العقل فكيف إذا تقاتلا على ما لا يساوي جناح بعوضة؟ فكيف إذا تقاتلا على جزء قليل من جناح البعوضة يسميانه (دولة)، فكيف إذا تقاتلا على جزء يسير من ذلك القليل كقطعة من الأرض.

وقد صدق من قال من السلف: "إن أهل القبور يتحسرون على ما فيه أهل الدنيا يتنافسون".

والمشاهد المحسوس أن أي منكر يضج له الناس يغيّره أهله، وأي منكر يسكتون عن إنكاره يتمادى فيه أهله ويفعلون ما هو أنكر منه، والواجب على المسلمين إذا رأوا نذر العذاب أن يستكينوا ويتضرعوا إلى الله أن يرفعه ويكثرون من القربات والصدقة قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون:٧٦]، والضراعة هي الإلحاح في الدعاء، كما يفعل صغير الحيوان حين يستدرّ الحليب من ضرع أمه، وهي نافعة في دفع العذاب بإذن الله كما أخبر الله عن قوم يونس عليه السلام.

وإنكار المنكر هو الأصل، حتى لو كان للفاعل عذر شرعي كما أنكر موسى على الخضر ولما أنبأه بتأويل ما لم يستطع عليه صبرا سكت، ولم ينكر الخضر عليه أنه استنكرها إذ أنكر موسى حسب ظاهر الحال!

فلا يكون حالنا كحال بني إسرائيل الذين لعنهم الله على لسان داود وعيسى ابن مريم، وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، لبئس ما كانوا يفعلون.

وقال عنه ربهم: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٨١] أي الكفار.

فموالاة الكفار تجلب المنكرات، والمنكرات تجلب العقوبات، والتوبة تمحو ذلك كله.

خذ مثلا شروع وزارة التعليم في محاربة الفكر الديني كيف ابتلاها الله بأمراض لم تكن موجودة من قبل، إذ كل من حارب الله مغلوب خاسر.

سادسا

الفكر السياسي

الاستعراض السريع لمجمل التاريخ البشري يثبت أن كل دين أنزله الله شامل للدنيا والآخرة، وأنه ليس في الدين إسلام سياسي وآخر غير سياسي.

فقد خلق الله الإنسان الأول آدم من طين، وسواه في أحسن تقويم، ونفخ فيه من روحه وكرمه على مخلوقاته، وحاشا لحكمته البالغة ورحمته الواسعة أن يخلقه عبثاً وأن يتركه سدى، وبقي بنو آدم على التوحيد عشرة قرون الله يعلم كم استغرقت من الزمن، ثم تدرج بهم عدو الله إبليس إلى الشرك، وكل ذلك إنما وقع بحكمته، فهو الذي جعل للإنسان حرية الإرادة، وليختار الإنسان بنفسه إما طريق التوحيد والجنة، وإما طريق الشرك والنار، واقتضت حكمته تعالى إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، وأول رسول أرسله الله إلى الناس هو نوح عليه السلام الذي هو الأب الثاني للبشرية، وهكذا كل دين أنزله الله هو منهج شامل كامل للحياة الإنسانية ولا مجال للشرك في أي صورة كان.

ومن آخر ما أنزل الله تعالى التوراة وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وأنزل بعدها الإنجيل على عبده ورسوله المسيح بن مريم عليهما السلام، وقال: ﴿وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة:٤٧].

ثم ختم ذلك كله بإنزال القرآن الكريم وجعله ناسخًا لما قبله مهيمنًا عليه وفصّل فيه كل ما يحتاجه بنو آدم في دينهم ودنياهم، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[المائدة:٤٨].

واستخلف الله قبلنا أمة عظيمة هم قوم موسى عليه السلام أبناء إسحاق بن إبراهيم وجعل منهم عبده ورسوله المسيح ابن مريم، وأورثها الكتاب "التوراة" ومشارق الأرض ومغاربها التي بارك فيها وأتم عليها كلمته، ولكنهم عصوا الله وتمردوا وحرفوا كلامه وانسلخوا من آياته وكذبوا رسله بل قتلوا بعضهم وأكلوا الربا وبهتوا الطاهرة البتول مريم عليها السلام بالفاحشة وغير ذلك، وكفرهم ومكرهم الذي ذكرته سور كثيرة مثل البقرة والأعراف والجمعة وغيرها كل ذلك والله تعالى يعفو عن كثير ويصبر عليهم ويدعوهم للتوبة لكنهم مستمرون في بغيهم وعنادهم، فنقل الله الميراث إلى إخوانهم الأميين أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية:١٦] إلى أن يقول تعال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وقال: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

والمسلمون لعدلهم ومساواتهم لا يدعون أهل الكتاب إلا إلى ما يدعون إليه أنفسهم، ونحن لا نكذب عليهم وإن كذبوا علينا ولا نخونهم وإن خانونا ولا نعتدي عليهم ظلمًا وإن ظلمونا واعتدوا علينا، ولا نؤمن ببراجماتية الغرب وتسامحه المزعوم، وليس هذا مجرد أسلوب سياسي حكيم منا، بل هذا هو ديننا وأمر ربنا كما في القاعدة الذهبية التي أجملها الله لنا في عشر جمل حوتها آية واحدة من سورة الشورى، قال تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الشورى:١٥].

وأنا أدعو كل عاقل من مسلم وغيره، أن يتدبر هذه السورة العظيمة حق التدبر، ويستنبط منها إيمانه والاعتقاد والعمل سواء أكان في نفسه أو

على مستوى الأمة والدولة وهذه السورة العظيمة تضمنت الآية القيمة التي يلجم بها أهل السنة أهل الكلام الذين يجنحون إلى التفويض أو التأويل أعني قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]، وهذا جزء مهم من العقيدة ونوع عظيم من أنواع التوحيد لكنه ليس العقيدة كلها أو التوحيد كله، وليس وحده هو المعيار لمعرفة المصيب من المخطئ والمهتدي من الضال، وبعض الناس ضخم جانبا من التوحيد وأجمل في جانب، وبعضهم لا يذكره.

والخلاصة أن لله تعالى هدى الجماعة البشرية وأنزل عليها الكتب، وأرسل إليها الرسل وجعل الإسلام هو دينه الوحيد، وجعل كل الرسل مسلمين، وجعل دينه منهجا شاملا كاملا.

واليوم نجد بعض الناس يعلن الحرب على ما يسمى (الفكر الإخواني) أو (الفكر الصحوي)، وضرورة تنقية المناهج التعليمية منه، وإنما المقصود هو الفكر الديني وإلا فالإخوان ليسوا يهودا أو مجوسا تعبدنا الله بمخالفتهم، ويمكن حصر أخطائهم وتوجيه النصح لهم.

وكما اصطفى الله هذه الأمة وأورثها الكتاب وجعل من المصطفين منها الظالم لنفسه اصطفى منها طائفة منصورة تجاهد على أمر الله إلى قيام الساعة وعصمها من الاجتماع على ضلالة.

فالمسألة إذاً إما اتباع لما أنزل الله من الهدى والنور، وإما تخبط في أهواء الذين لا يعلمون، إما حكم الله وإما حكم الجاهلية، والجاهلون بالله هم الذين يجعلونه سبحانه كعجل السامري لا يكلم الإنسانية ولا يهديها سبيلا.

فكيف ندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا، ونقول إننا جزء من هذا العالم المشرك والأمم الحائرة ونتبع من استهوته الشياطين حيران له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:٧١].

وجعل الله تعالى قيام الدولة الإسلامية في دار الهجرة معلمًا فاصلا بين مرحلتي الاضطهاد والتمكين، وجعل الهجرة فارقًا بين السابقين وأعراب المسلمين.

وفي عهد عمر الفاروق ﷺ أجمع الصحابة على أن تكون الهجرة مبدأ للتاريخ.

وعلى ذلك قامت الحضارة الإسلامية، وقام خلفاء العدل وسلاطينه، وشكروا للناصحين واتخذوا بطانة ناصحة.

فللبطانة أثرها البالغ في استقامة الإمام أو ضلاله مع ما أودعه الله تعالى في الإمام من خصائص نفسية وعقلية.

وقد قال ﷺ: (ما من أمير أو خليفة إلا له بطانتان، بطانة تحثه على الخير وتأمره به، وبطانة تحثه على الشر وتأمره به والمعصوم من عصم الله).

وأكبر الغش للإمام هو أن تكون له بطانة مداحة مطبِّلة غير ناصحة له ولا مشفقة عليه من عذاب الله وسؤاله، وبهذين النوعين من البطانة انقسم الأئمة إلى ضربين كما في كتاب الله، وأتبع أئمة الصبر واليقين هدى الله فأورثهم مشارق الأرض ومغاربها التي بارك فيها، أما فرعون وأشياعه فصدقوا كلام بطانة السوء الذين حثوه على موسى وأخيه زاعمين أنه لو تركهما لأفسد الرعية، وأنكروا ألوهيته، وصدقهم فرعون بطغيانه وكبره حتى أغرقه الله وغرقوا معه!.

ولما كان الصحابة رضي الله عنهم متيقظين لدور البطانة صرّح عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمن قال له منهم، ولِّ عبد الله بن عمر: والله ما أردت بقولك هذا وجه الله.

وحثا المقداد رضي الله عنه التراب في وجه من جاء يمدح عثمان رضي الله عنه.

وهؤلاء الذين يقولون بالتفريق بين ما هو إسلام سياسي وإسلام طقوسي أو روحي، يقولن بلسان حالهم: إن ألوهية الله في السماء فقط، أما

الأرض فتحكمها الفلسفات البشرية! لكن الله تعالى يقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزُّخرُف:٨٤]، أي هو المعبود الحق في كليهما.

ولكي نجتنب هذا الشرك نؤمن به وليا وحكما وربا كما في سورة الأنعام، ونؤمن أنه رب الناس وملك الناس وإله الناس كما في سورة الناس.

والفكر السياسي إسلاميا أو غيره يتمحور حول الدولة ومهامها وواجباتها تجاه الشعب.

وتطلق الدولة بمعنى الأمة وليس هذا موضوعنا، وتطلق بمعنى السلطة الحاكمة كما استعملها ابن خلدون رحمه الله، وهذا هو المقصود، وهو داخل شرعا تحت بحث الإمامة أو السلطنة أو المملكة وما أشبه ذلك من الأسماء.

والسياسة التي هي عمل الدولة قسمان: إما سياسة شرعية، وإما سياسة غير شرعية، والحكومة غير الإسلامية أقسام كثيرة كلها علمانية، منها ما هو ديمقراطي ومنها ما هو حكم مطلق قد يكون فرديا وقد يكون غير ذلك كأن يحكم الناس عائلة أو طبقة أو حزب.

وقد أهتم الغربيون بهذا العلم كثيرا لاسيما بعد أن ظلوا قرونا طويلة يرزحون تحت الحكم الفردي المستبد للأباطرة، ثم حكمهم الإقطاعيون والبابوات ثم قامت عندهم الثورات ونشأت الحكومات الرافضة للنصرانية والتي تدعي الحرية والديمقراطية... الخ.

ومبحث الدولة في الحقيقة جزء من مباحث علم الاجتماع لا ينفك عنه إذ هي تمثل قمة الهرم الاجتماعي، كما أنه لا يمكن لأي باحث سياسي أو اقتصادي إلا أن يبحث موضوع الدولة والسلطة، والغربيون يختلفون في ذلك اختلافا شديدا وذهبوا فيه طرائق قددا ليس هذا موضع الإفاضة فيها.

فمنهم من يقول إن الدولة نشأت من خلال عقد اجتماعي بين الشعوب والحكام كما هو مشهور عن (روسو).

ومنهم من يقول إن الدولة أساس كل الشرور في العالم، ولا بد من إلغائها حتى يعيش الناس سعداء! ومن هؤلاء (ميخائيل باكونين) وعموم

الفوضويين كما يسمون في الفكر السياسي.

وبعض المفكرين الغربيين مثل (هوبز) لم يذهب إلى إلغاء الدولة وإنما قال هي شرٌّ لا بد منه، وهي كما قال (اللواثيان) أي التنين.

ومنهم من جعل السلطة غاية بذاتها تبرر للحاكم أي وسيلة إليها كما زعم مكيافيللي.

ومنهم من يرى أن الحكم ينبغي أن يكون لعامة الناس كما يقول دعاة الديمقراطية.

ومنهم من يقول إنما يكون الحكم لفئة اجتماعية معيّنة، إما رجال الدين كما تقول الكنيسة وإما الطبقة التي تملك المال (رجال المال) كما يقول الرأسماليون، وإما الطبقة التي تملك الأراضي (رجال الإقطاع) وهكذا.

واقترح بعضهم لصلاح الحكومة أن تكون السلطات الثلاث فيها منفصلة بعضها عن بعض (التشريعية، القضائية، التنفيذية) كما قال الفيلسوف الفرنسي (مونتسكيو).

ومع اتفاقهم جميعا على ضرورة العدل، فإنهم يختلفون اختلافاً كبيراً كيف يتحقق، ولما يئس كثيرون من تحقيقه في الواقع لجأوا إلى الخيال فافترضوا جمهوريات أو مدنا فاضلة كما فعل الفارابي وتوماس مور.

ولما رأى بعض الناس تناقض الفلسفات وتعارضها وتخبطها في هذا المجال الحيوي المهم قرروا أن الحكم النهائي إنما هو بحسب الفائدة العملية السياسية وليس بحسب النظرية التي قامت عليها الدولة.

ومن هنا نشأت النظرية الفلسفية المسماة البراجماتية وعليها اليوم السياسة المعاصرة، على أن البراجماتية لم تحل الإشكال الفلسفي، لأنه لا يجادل أحد في ضرورة تحقيق المصلحة، ولكن كيف تتحقق؟

وقد ألف كثير من الغربيين عما يسمى (نظرية الدولة) ومنهم نيكولاس بويانتراس.

وهكذا يذهب الشركاء المتشاكسون بهم كل مذهب في مسألة هي

محسومة في الإسلام حيث يكون الوازع داخليا، وفيه أحكام كلية منظّمة للحياة، أساسها أن الحكم إنما هو لله تعالى، و لم يتركها اللطيف الخبير الرحيم الودود سبحانه عرضة للأهواء البشرية؛ بل شرع للإنسان منهجا وأنزل عليه كتابا وأرسل رسلا يحكمون بين الناس فيما اختلفوا فيه، وكان القدامى تسوسهم الأنبياء ثم جعل الله تعالى علماء هذه الأمة يقومون مقام الأنبياء وحمّلهم هذا الواجب العظيم، وجعل جزاءهم إن هم قاموا به الدرجات العلى من جنات النعيم، وإذا خضع العلماء للحاكم فقد أخلوا بواجبهم، وجعلوا السلطة التشريعية والقضائية خاضعة للسلطة التنفيذية، ويكون الحق تابعاً للأهواء قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وقال: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٤٩-٥٠].

وحين يكون العلماء مجرد تابعين للسلطة التنفيذية بذريعة أن ولي الأمر قال كذا أو حكم بكذا فإنهم يقضون على السلطة التشريعية ويعطلون السلطة العلمية التي جعلها الله لهم وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرقابة على الحاكم، وتكون فتاواهم ضمن ما ترسمه لهم الحكومة على قاعدة (الشيوخ أبخص) أو (ولي الأمر أدرى بالمصلحة)، ويقفون عند أنظمتها لا يتجاوزونها ويخالفون الدساتير أو الأنظمة الأساسية في سبيل الالتزام بالأنظمة الفرعية، ويكونون مستبدلين الذي هو أدنى بالذي هو أعلى. وبذلك تدخل الأمة كلها في متاهة لا مخرج منها إلا بأن يعرفوا واجبهم ويمارسوا سلطتهم، أما السياسيون فيؤول بهم الأمر إلى أن تكون السلطة في يد النساء والسفهاء والمراهقين السياسيين، ويكون مستقبل الأمة رهنا برغبات هؤلاء، ويكون الحاكم أشد فتنة من المسيح الدجال كما قال ﷺ.

وقد حذر النبي ﷺ من فتنة الدجال الذي هو شر غائب ينتظر، وحذر

من فتنته كل نبي منذ نوح عليه السلام، لكن لما رأى ﷺ خوف الصحابة من فتنته، قال وهو الشفيق النصوح الرؤوف الرحيم بأمته: (غير الدجال أخاف عليكم الأئمة المضلون)، وقال: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلّون)، وقال: (أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلّون)، ومثل ذلك قاله أبو بكر وعمر.

وصدق ﷺ، فقد وقعت هذه الأمة بين مطرقة أمراء السوء الذين يقوم حكمهم على القهر والقمع، وسندان علماء السوء الساكتين أو المبررين لأفعالهم.

فيجب على أهل العلم أن يكسروا حاجز الخوف وألا يخشوا إلا الله وأن يصدعوا بالحق في وجه كل من خالفه فيرى أهل المعاصي هوانهم على الله.

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "إنما عصاه من عصاه لهوانهم عليه ولو أكرمهم لحجزهم".

وإنما فتنة الدجال هي قلب الحقائق وعكس الأمور، وهكذا أكثر أشراط الساعة، وذلك ما يفعله الأئمة المضلون وإعلامهم، فأصل الفتنة واحد، ولكن فتنة الطواغيت أخوف وأدوم.

وإن لم يقم العلماء بواجبهم الشرعي، تسلط الطغاة وكانت الدولة التنين، التي قال عنها (هوبز) وقد تحققت مخاوفه في هذا العصر فتم للدولة السيطرة التامة على الإعلام والاقتصاد والتعليم والفن وغير ذلك، إضافة إلى السياسة، وبدلا من الدولة الحارس التي قال بها الفيزيوقراطيون، نشأت الدولة البوليسية التي تقمع من تريد وتسجن المعارض أو تقتله، بل تمادى الأمر من معاقبة من يخالف سياسة ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩] إلى معاقبة من سكت ولم يؤيد، أو وقف على الحياد، فما أصدق الناصح الشفيق ﷺ الذي هو عزيز عليه ما عنتت أمته، حريص عليها بالمؤمنين رؤوف رحيم.

وضلالات الأئمة أنواع:

فمنهم من يبلغ به الضلال إلى نقض الإسلام والردة عنه.

ومنهم من يكون ضلاله نفاقاً فيظل مظهراً للإسلام ويصلي ويحج ولكنه في الواقع يريد الدنيا والسلطة لكن يتاجر بالدين ليستمد شرعية حكمه.

ومنهم من يضل في كثير من الأمور.

ومنهم من يضل في بعض الأمور دون بعض.

والسرائر عند الله وإنما المؤمن من أقام الدين كله أو أقام ما استطاع منه، وكلما كان المرء كذلك كلما كان على ملة إبراهيم ودين محمد صلى الله عليهما وسلم.

ولا ينفع الشعوب الاعتذار بأن الطواغيت كانوا يقهرونهم ويأتونهم عن اليمين، بل يجب أن يكرهوا الباطل ولو بقلوبهم، فإن الله قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل:١٠٦].

وقال ﷺ: (ومن كره فقد سلم).

والله تعالى أجاز التقية بالقول وأجاز التعريض، وجعل للقلوب سرائر لا يعلمها إلا هو.

وإنما المصيبة في الرضا والتبعية قال ﷺ: (ولكن من رضي وتابع) كما هو حال أكثر الشعوب اليوم.

فلا ينقاد المؤمن لمن عصى الله ولا يرضى فعله ولا يتابعه، لاسيما إذا وقع في المعصية الكبرى وهي ترك كتاب الله والتحاكم للقوانين الوضعية.

ومن شفقته ﷺ أنه أخبر أمته عن أحوالها السياسية واختصر الخط السياسي لها في مراحل أخبر بها:

وهي النبوة ثم الخلافة على منهاج النبوة ثم الملك العاض ثم الملك الجبري ثم الخلافة على منهاج النبوة.

وفي حديث آخر رواه الطبراني وغيره: (خلفاء ثم أمراء ثم ملوك ثم جبابرة ثم المهدي)، وفي رواية ابن أبي شيبة مكان الجبابرة (طواغيت)، وفي رواية الطبراني (شر من المجوس)، وهي روايات يشد بعضها بعضا ويشهد لها

الواقع، فتكون من المتواتر المعنوي.

وأشهر من خرج في التاريخ الإسلامي هو عبدالرحمن بن الأشعث، وهو قائد من قادة الحجاج أرسله الحجاج لكي يفتح بلاد الروم ففعل، ثم إنه تلكأ فعزله الحجاج واتهمه بالجبن فثار ابن الأشعث عليه.

فكيف يقيس المرجئة عليه من كان عبداً لعبيد الروم؟

وقد خرج مع ابن الأشعث كبار علماء عصره نظرا لبطش الحجاج وعسفه، ومنهم مسلم بن يسار ثاني رجل بعد الحسن البصري وكبير قراء زمانه.

ثم تردّت الأمور وتغيّرت الأحوال، وهبت على الأمة عواصف شتى أوصلتها إلى الواقع السياسي الحديث والمعاصر، وافترق السلطان والقرآن.

والسياسة المعاصرة بحر متلاطم يتغير يوميا، ولا تنتهي أحداثها، ومن الصعب على الصحفي متابعتها فكيف بمن لم يكن صحفيا، ولذلك وغيره أنا لا آخذ أخباري عنها من الإعلام، فإن الذين يزورونني من أنحاء العالم يأتون بأخبار واقعية حقيقة، إما أن الإعلام لا ينشرها أو أنه ينشرها مبتورة ومشوهة.

وأفضل الإعلام غير الملتزم هو قناة الجزيرة التي تعرض الرأي والرأي الآخر، وكذلك بعض القنوات الغربية.

خذ مثلا موقف الإعلام السعودي من رؤساء أمريكا فقد كان يثني على أوباما ثم انقلب يثني على ترامب ويذمه فأي الحالين نصدق؟

ومن الكتابات السياسية العميقة ما يكتبه الأستاذ صدقة يحيى فاضل عضو مجلس الشورى السابق في جريدة عكاظ.

ومما يدلك على أن السياسة المعاصرة لا أخلاقية، وأن التلاسن الظاهري قد يخفي تحته الولاء، أن أمريكا التي تعادي إيران ظاهريا هي نفسها تؤيد موقف إيران في اليمن، وتحارب معها أهل السنة في العراق، وكلاهما يقول إن الخطر هو "الوهابية"، وكلاهما يعتقد أن الوهابيين ليسوا من أهل السنة.

كما أن أمريكا مع إيران في أكثر القضايا، وإن كانت تختلف معها في بعضها، والشركات الأمريكية تعمل في إيران ، وصاحبة أمريكا في المنطقة (الإمارات) تتعامل مع إيران تجاريا بالمليارات.

والثابت في السياسة الأمريكية هو تأييد إسرائيل، مهما اختلف يهود الكونجرس عن يهود إسرائيل تكتيكياً.

وكذلك اليهود من حكام العرب الذين يقفون دائما مع حزب المحافظين البريطاني لأن منه بلفور اليهودي، ويعادون حزب العمال الذين يعلن رئيسه جيرمي كوربين عداوته لإسرائيل!!

والسياسة المعاصرة تؤمن بالقوة وتخضع لها، وقد حرص "كيم يونغ" على امتلاك سلاح نووي يهدد به أمريكا إذ علم أن (بوش) إنما غزا العراق بعد اغتيال المفاعل النووي العراقي، وتأكده من خلو العراق من الأسلحة النووية.

والمسلمون قوتهم في قلوبهم مهما قل عددهم أو قلت وسائلهم، فإذا جمعوا إلى ذلك القوة المادية لم يفكر أي عدو أن يغزو بلادهم، وانظر إلى بضع عشرات أو مئات في العراق والشام كيف تحشد لهم أمريكا مئات الآلآف وترميهم من البر والجو أو بعيدا عنهم وتستعين لحربهم بدول كثيرة.

والسياسة الحديثة تفعل المتناقضات وظاهرها غير باطنها أو كما يقول المراقبون "ما تحت الطاولة غير ما فوقها".

ومن هذه المتناقضات أنها تقتل القتيل وتمشي في جنازته، وتعزي في وفاته وتترحم عليه، وصدق سليم حاطوم حين قال: سوف يقتلني حافظ أسد ويقيم لي تمثالا. ومن هذه التناقضات أن البعثي إذا كان في العراق فهو كافر، وإذا كان في سوريا فهو أخ يجب نجدته، والحقيقة أن (صدام حسين) محسوب على السنة (وبشار) محسوب على النصيرية.

والشرعية التي يزعمون الوقوف معها في اليمن، هي نفسها التي يسقطونها في مصر وحاولوا إسقاطها في تركيا.

والشعب اليمني مثلا أعرف مني بمن تواطأ مع الحوثيين وأدخلهم صنعاء، وجاء بخالد بحّاح من السعودية ليكون نائبا للاشتراكي عبد ربه منصور هادي، ولن يتفاجأ مثلي عندما فوجئت بأن إذاعة (براغ) تبث إرسالها من جدة! ومن ملامح الحرب في اليمن على ضوء الأهداف الغربية:

١. تأييد الدولة العميقة ضد ثورات (الربيع العربي) كما فعلوا في تونس ومصر، وقد حاصروا تعز سنوات لأنها كانت منطلق الثورة في اليمن، وقالوا إن الشعوب الخليجية مستقرة سياسياً لأنها لم تثر!
٢. الحيلولة دون قيام أي حكم إسلامي في اليمن انطلاقا من (فوبيا الإسلام) المتجذرة في الغرب.
٣. ارتكاب أخف الضررين بأن يكون الحكم للروافض، بدلا من أن يكون للشافعية.
٤. لشركات بيع السلاح منافع مادية من استمرار الحرب في اليمن، ولن يطفئوها إلا إذا أشعلوا غيرها.
٥. محاولة إنهاء دور القبيلة حيث أصبحت تؤوي أعداء أمريكا التزاما بحق الجوار، وفشلت محاولة جمع السلاح، ومحاولة القضاء على العادات الأصيلة كالغيرة وحماية العرض.
٦. العمل على تفتيت اليمن وتقسيمه تمهيدا لتقسيم المنطقة كلها إلى كيانات تكون إسرائيل هي المتحكمة فيها.

ومما يدل على أن المستهدف هو الإسلام وأنه العدو المشترك هو أن علي عبدالله صالح لم يجد حرجا في التعامل مع من كان يحاربهم (الحوثيين)، وأنهم بعد تدمير السلفيين في دماج يعملان لتدمير حزب الإصلاح والسلفيين في بقية اليمن، ويحتسبون ذلك على الغرب باسم تدمير الإرهاب، ومعهم بأسلوب آخر دولة الإمارات التي كفيلها أمريكا، وهي مستعدة لتحقيق مطالب اليهود.

أما المعارضة السورية المعتدلة فهي امتداد لاعتدال (محمود عباس)

و(جبهة الاعتدال العربية) ومعلوم ماذا يعني الاعتدال!

هكذا يريدون، ولكننا نتوكل على الله وحده ونتضرع إليه، وهو سبحانه أسرع مكرا، وهو من ورائهم محيط، ويأتيهم من حيث لم يحتسبوا، ويجعل تدبيرهم في تدميرهم، وإنما يحاربون دينه الذي كلما حاربوه اشتد، وكلما تركوه امتد ويريدون إطفاء نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون.

وتداعيهم هذا إنما هو من أشراط الساعة وبشائر النصر للمؤمنين، فأشراط الساعة إنما تدل على انعكاس الأمور، فتنقلب الأحوال وتلد الأمة ربتها، ويوسد الأمر إلى غير أهله، وينطق الرويبضة، ويخوَّن الأمين ويؤتمن الخائن ويعلو الأشرار على الأخيار، ويسود المنافقون إلى أن يصبح حزب النفاق هو المسيطر والمقرب لدى السلاطين، وحزب الإيمان هو المضطهَد المتهم (بالتطرف والإرهاب)، وهكذا يكون الأئمة المضلون والحكم الجبري، ويكون القابض على دينه كالقابض على الجمر حين اشتداد غربة الدين.

والحكم الجبري كله دخن أي لا يقال فيه (خير فيه دخن)، وأئمته أئمة مضلون كما ثبت في الحديث وسدنته من أبناء جلدتنا ويتكلمون بلغتنا لكنهم يتحكمون في الإعلام، ويتحدثون في كل قضية، ويدعون علاج الأزمات وغير ذلك مما هو مشاهد في واقعنا المعاصر.

والشعوب المسكينة يلعب بها الكبار المتنفذون يمنة ويسرة وقد كتب الأستاذ هاشم عبده هاشم عن ذلك بعنوان "لعبة الكبار"، إلا أنه لم يصرح من الكبار، وإن كانوا معروفين.

ومن هذه اللعبة أن بعض الزعماء يتفقون ويختلفون ولا تدري الشعوب لم اتفقوا وعلى أي شيء اختلفوا؟

و لم قامت الحرب بينهم و لم تهادنوا؟

ورأى الطغاة أن الحل يكمن في إشغال الشعوب عن المشكلات بالشهوات، مثلما أشغلوا قديماً أهل الحجاز والعراق بالنقائض بين الشعراء

وبالغزل وبالجواري والغناء والترف.

والمقصود أنه لا تملك أمة من الأمم صورة مجملة معمَّقة، عن مراحل تاريخها السياسي مستقبلا إلا هذه الأمة المباركة وحدها، فقد بين الرسول ﷺ المرحلة التي لا دخن فيها ثم المرحلة التي أكثرها خير وفيه دخن، ثم مرحلة فقدان السُّنة، وبيَّن خير القرون بعده، وبيَّن الممالك التي ستفتح، وبيَّن الطائفة المنصورة، وبين الغرباء، وبين أشراط الساعة الصغرى والكبرى وأخبار المهدي ونزول عيسى عليه السلام، وأن الروم سوف يغزوننا، وأخبرنا من نحارب ومن نصالح آخر الزمان، وكيف أن الأمم تتداعى علينا، وكيف يدرس الدين، ويرفع القرآن من الأرض، وأمثال ذلك.

فقارن هذا العلم اليقيني الذي وقع بعضه كما أخبر ﷺ بأماني أهل الكتاب وتخرصاتهم عن هرمجدون مثلا.

وأخبرنا ﷺ أن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل قرن من يجدد لها دينها ويكون من السابقين، كما أخبر أن أمته كالغيث لا يدري الناظر هل أوله خيرٌ أم آخره، وأن الله حماها من الاجتماع على ضلالة.

وأن هذه الأمة جعل الله عذابها في الدنيا بالفرقة والتقاتل، وجعل فتنتها المال، وهي أكثر أهل الجنة ومنها سبعون ألفا مع كل واحد سبعون ألفا يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب.

وأمر أن نأخذ من أقوال قريش دون أفعالهم، فكيف بغير قريش؟ وإن ادعوا أنهم ولاة أمر؟ فكيف بالكفار؟

وحذرنا من موالاة الكفار، كما فعل بنو إسرائيل ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [المائدة:٨١].

وأخبرنا سبحانه أنهم لا يزالون يقاتلوننا حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا، وأن من تولاهم فإنه منهم. ولا يعني كونه منهم أن يصبح من سادتهم بل هو محتقر عندهم مهما وافقهم.

فمهما قدّم السيسي مثلا لليهود من خدمات فإنه من المنظور التلمودي

يظل من الجويم (الأقوام) والشعوب السبعة الملعونة، التي يعتقد اليهود أن الله خلقهم كاليهود في الشكل لكي يخدموا اليهود! وحتى لو تهود، فهو من اليهود السفارديم (الشرقيين)، بل يتبرأ منه اليهود يوم القيامة، ويكفرون بشركه، واليهودي الهندي غير معترف به، أما يهود الفلاشا ويهود اليمن فإنما هم للجيش والاغتيالات، ومن المآزق الكبرى في الدولة الصهيونية المسخ، أنها حتى الآن عجزت عن وضع تعريف لمن هو اليهودي!

وتخطط إسرائيل الكبرى (أمريكا) لتقسيم مصر خمس دول منها دولة قبطية في الصعيد، تزامنا مع خريطة الدم، التي سوف يقسمون بموجبها السعودية، إذ أن التقسيمات التي وضعها (سايكس وبيكو) عفا عليها الزمن، ويريدون الآن تقسيم المقسّم وتفتيت المفتّت وسيبدأون بتقسيم أشرس الدول العربية (العراق) بإنشاء كيان رافضي أو كردي فيه! ويقسمون الشام واليمن ثم يتبعون ذلك بإنشاء كيانات أخرى منها (وهابي ستان) التي هي وسط جزيرة العرب!

أثر الإسلام في الفكر السياسي الحديث بإيجاز:

مثلما تأثر كثيرون بالعقيدة الإسلامية وتجلى ذلك في النظرة الازدرائية للأصنام، وفي حركة تحطيم الصور التي عرفها البيزنطيون، وفي ظهور الموحِّدين من النصارى وانتصار الآريوسية، تأثر الغرب أيضا بالفكر السياسي الإسلامي، وبالقضاء الإسلامي المستقل، وبالتشريع الإسلامي العادل، فالكنيسة النصرانية اقتبست منه الأحكام، بل حتى العالَم الوثني، فجنكيز خان والتتار عامة أخذوا بعض أحكام الشريعة وضمنوها "الياسق" وغيره، كما أن النصارى العرب شرحوا "مجلة الأحكام العدلية" بعد تدوينها، و"نابليون" اقتبس كثيرا من الفقه المالكي في الأندلس، ومن قوانين نابليون اشتق الغربيون قوانينهم الوضعية، والدستور الأمريكي أخذ بعض مواده من القرآن والسيرة، ومن عمل الخلفاء الراشدين لا سيما عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ومن الحضارة الإسلامية المثلى.

ومن الإسلام عرف الغرب لأول مرة فكرة التسامح، والتعددية، وحرية الرأي، وأهمية الشورى، والعدل، وغير ذلك مما كان له أثر واضح في الفكر السياسي الغربي.

ومما اقتبسه الغرب من الإسلام فكرة المساواة، لكنه لم يميز بين نوعيها، فالمساواة المطلقة مستحيلة فطرة وواقعا، فليس العالم كالجاهل، ولا الغني كالفقير، ولا المشرك كالموحد، لكن الغرب وجد أن الديمقراطية أقرب للمساواة، وإن كانت نظرية مثالية، ورأت الشيوعية أنه لا بد من المساواة بين الناس، وقد ساوت بينهم في الفقر، عدا اللجنة التنفيذية للحزب الشيوعي.

وهذه الاستحالة تؤدي إلى إشكال فلسفي، كما أدى إليه مفهوما الحرية والعدل، وقد أخبر الله تعالى عن هذه الاستحالة بقوله: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ

فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [النحل:٧١]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:٩]، وغير ذلك.

أما المساواة فيما تجب فيه المساواة بين الناس أو تجوز، فذلك من أوامر الدين والأخلاق التي حثت عليها الشريعة.

والغرب اليوم يعد ديمقراطيته أعلى أنواع درجات الفكر السياسي، وأكثره تطورا، على أنهم يعترفون أنها ليست هي النظام المنشود، فقد قال "ونستون تشرشل" وهو حاكم أعرق الديمقراطيات في العالم "بريطانيا" ما معناه: "ليست الديمقراطية أفضل نظام بشري للحكم لكنها أقل الأنظمة سوءا".

وهي فكرة خيالية لم تطبق بحذافيرها في أي مكان أو زمان، كما أنها فكرة غامضة يدعيها كل أحد حتى الأنظمة المستبدة، وهي تقسم الأمة إلى أحزاب متناحرة تسودها البغضاء وتجعل الناس يجتمعون حول الأشخاص، وليس حول المبادئ، ومن يغلب خصمه في المناظرة هو الذي يرشحه الناس، وإذا اجتمع مع مهارته في الكلام كونه من (السوبر أغنياء)، وأكثرَ من الوعود الكاذبة كان مختاروه أكثر، وإذا كانت الديمقراطية الغربية لا تزيّف الانتخابات نفسها -كما هو الحال في الدول العربية مثلا- فإنها تزيّف إرادة الناخب ووعيه، فالقضية ليست من يغلب خصمه وإنما الحق مع من؟

وقد جاء أحد المبتدعة إلى الإمام مالك فقال له: ناظرني يا مالك، فقال مالك: أرأيت إن ناظرتك وغلبتك؟ قال المبتدع: أرجع لقولك، فقال له مالك: أرأيت إن غلبتني؟ قال: ترجع لقولي، فقال الإمام مالك رحمه الله: "أوكلما جاءنا رجل هو أجدل من الآخر اتبعنا قوله، وتركنا ما نزل به جبريل على محمد ﷺ".

فالقضية اتباع وليست غلبة وإفحاما.

والديمقراطية تتيح حرية الكفر والإلحاد أو قول الباطل لكل أحد، وهي تفضي إلى أضرار سياسية واجتماعية لا تُحمد عقباها، منها تشريع الظلم

ومنع النهي عن المنكر، وبمقتضى الديمقراطية وضعوا قانون (جاستا)، وبمقتضاها خرج البريطانيون من الاتحاد الأوروبي، وبمقتضاها قضى المجمع الانتخابي الأمريكي بأن "دونالد ترامب" هو رئيس أمريكا الخامس والأربعون.

والديمقراطية يتذرع بها دعاة الانفصال والدولة المركزية معاً فما الحل؟

وذلك الصراع بين المركزية والدعوة الإقليمية حفرة حفرها الغرب للدولة العثمانية كي يفرّق بين المسلمين باسم حق تقرير المصير وما أشبه ذلك، وتذرع بها لإسقاط الاتحاد السوفيتي ثم وقع هو فيها، وأصبح إقرار الغرب بانقسام تشيكو سلوفكيا حجة لمريدي الانفصال في قطالونية أو في كورسيكا أو اسكتلندا وشمال ايطاليا، وهكذا انقلب السحر على الساحر، وأصبح الاتحاد الأوروبي مهدداً بالتفتت وأن يصبح هو دويلات طوائف.

ولكثرة مساوئها قيّدها الديمقراطيون أنفسهم، فجعلوا المعيار هو الدستور أو قرارات المحكمة العليا، فالقضية إذن هي الرجوع للدستور والقضاء، فلا بد أن يرجع المسلمون إلى دينهم وقضائهم.

كما أن الفلاسفة يعيبونها وينتقدونها فلسفيا، يقول "برتراند رسل" الفيلسوف المعروف "فقدت الديمقراطية جزءا كبيرا من معناها في دولة كالولايات المتحدة، نتيجة لتشابك مصالح الناخبين، واعتمادهم المتزايد على الجهات التي تموّل المرشحين من ناحية، ونتيجة لتعاظم دور المؤسسات الانتخابية وضخامة عدد الناخبين من ناحية أخرى".

فكيف لو رأى (رسل) الانتخابات الأمريكية المعاصرة؟!

وقبل "رسل" انتقدها الكاتب المسرحي الإيرلندي "جورج برنارد شو"، والدكتور "اليكسيس كارل".

ويقول "أرنولد توينبي": "أصبح استخدام مصطلح الديمقراطية، مجرد شعار من الدخان لإخفاء الصراع الحقيقي بين مبدأي الحرية والمساواة".

ويقول "جان جاك روسو": "إذا أخذنا المصطلح بحرفيته، فإن الديمقراطية لم ولن تطبق".

وهكذا هرب الغربيون من الحكومات (الثيوقراطية والأوليخاركية) أي حكم رجال الدين والملوك المستبدين، إلى حكم أصحاب رؤوس الأموال، فالمعمول به الآن هو نظام إقطاعي جديد. والغرب كما قال أحد فلاسفته سيدخل في عصر ظلام حديث.

وتقول صحيفة "الواشنطن بوست" في ٢٥ يناير ٢٠١٧م "إن الديمقراطية تموت في الظلام".

ومن العيوب الفلسفية للديمقراطية: أنها تتيح الكذب والظلم، وغض النظر عن إيجابيات المخالفين.

ويقول بعض المحللين السياسيين ضمن ثنائهم على الديمقراطية، إنه لا يمكن أن تقوم حرب بين دولتين ديمقراطيتين لا سيما إذا كانتا أوروبيتين.

وهذا القول يكذّبه التاريخ القريب، فإن "هتلر" وصل إلى الحكم بطريقة ديمقراطية، وكان رجلا أوروبيا وليس مسلما، وكل ما يقال إن النازية اخترعته من المصطلحات لم تخترعه بل هي مسبوقة إليه، وقد قال أحد النازيين في محاكمات "نورمبرغ" غير العادلة، إنه سمع بعض المصطلحات الأولى من الانجليز، ثم نقل الألمان بعض ما قاله الانجليز عن "كتشنر" إلى زعيمهم "هتلر".

والحزب الحاكم اليوم في روسيا إنما جاء عن طريق الانتخابات أيضا!

بل إن "برتراند رسل" أكدّ أن النازية أكثر علمية من الرأسمالية والشيوعية، وهو إنجليزي وليس ألمانيا، ومع أن أكبر عدو للألمان هم الإنجليز، وقال إن الشيوعية والرأسمالية ينطلقان من نزوة واحدة هي (المادية).

وقد صدق "رسل" في أن الشيوعية والرأسمالية متقاربتان في الحقيقة، فما الفرق مثلا بين ما قاله "ماركس" و"انجلز" عن التفسير المادي للتاريخ، وبين التطور التاريخي الذي أفضى إلى نهاية التاريخ كما تخيل "هيجل"

و"فوكوياما"، أليس الذي انتخب "بوش" الجمهوري و"أوباما" الديمقراطي، يحمل المعدة نفسها مثل من انتخب "يلتسن" و"بوتين"، وما الفرق بين أمعاء الرأسمالي وأمعاء الشيوعي، إذا كانت الأهداف مادية مشتركة لدى كليهما؟

ولماذا تحالفت الديمقراطية الأمريكية (روزفلت) مع الديمقراطية الشعبية (ستالين) ضد الفوهرر؟

وإذا كانوا يحاسبون هتلر على أنه قتل الغجر والجرحى الألمان واليهود، فلماذا لم يتم محاسبة الأمريكان على إبادة الهنود وقتل الأفارقة، وهم أضعافُ أضعاف من قتلهم "هتلر".

ولماذا لم يحاسبوا "ستالين" على إبادة مسلمي باب الأبواب وآسية الوسطى، وهم أيضا أضعافَ أضعاف من أبادهم النازية.

وما هذه الديمقراطية التي لها أكثر من مكيال، أم أن المكيال واحد وهو المركزية الغربية والعنصرية السياسية، والتبعية للفكر الصهيوني سواء في ذلك الصهيونية اليهودية أو النصرانية؟

وهكذا يرى كل ذي عينين أن القول بأن الديمقراطية تحقق السلام كذب.

وقد أفضت الديمقراطية الأمريكية إلى تقييد حرية المواطنين، فالناس في أمريكا يختارون إما (الفيل) وإما (الحمار)، أي أحد الحزبين التقليديين وحدهما، أما إذا ظهر ثالث فلا بد أن يكون من الأثرياء الكبار، ومصيره الدائم هو الإخفاق.

وهكذا لا خيار للإنسان الأمريكي إلا اختيار أحد الرأسين من الحيوان الواحد ذي الرأسين.

والأمريكان مشغولون بالكدح من أجل الحصول على الدولار، ولا يهمهم ما وراء ذلك، وقد أشاد الرئيس "بوش" الصغير بامرأة أمريكية لأنها تعمل في ثلاث وظائف يوميا.

و"بوش" الابن هذا لما جاء إلى الرياض استقبلوه وعظّموه، وفي الرياض تعلّم العرضة النجدية، وحمل السيف لأول مرة، وبالطبع لم ير فخامته القذارة العربية التي حدثه عنها اليهود في أمريكا، ورآها في أفلام هوليود، وتحدثت عنها المناهج الإسرائيلية، اللهم إلا إن كان يتجنب الاقتراب من أي عربي حتى لا يشم الرائحة الكريهة التي تنبعث منه كما يزعم اليهود، أو أن هذا العربي أزال العفونة بريقه حين بصق في يده، ثم دلك بها جسمه كما تقول المناهج الإسرائيلية عن العرب إذا أرادوا الاغتسال، أو أن هؤلاء البدو الأعراب أخفوا الرائحة بالعطر الغربي الذي يشترونه؟

ولأجل ذلك يزعم رؤساء أمريكا أن إسرائيل واحة الديمقراطية الوحيدة في صحراء الديكتاتورية العربية، وأنه لا بد من مساعدة هذه الدولة من جيوب دافعي الضرائب الأمريكيين، وأن حروبها حتى الهجومي منها دفاع عن النفس.

هذا وقد كتب المفكرون في الدول الديمقراطية عن مشكلات الديمقراطية في بلادهم:

منها ما كتبه (روبرت اتمان) من أن الديمقراطية الأمريكية هي ديمقراطية بلا مواطنين، وذكر أن نسبة مقاطعة الأمريكيين لها في ازدياد، وألف كتابا مستقلا عنوانه (لماذا يكره الأمريكيون السياسة)، يقول فيه: (إن الديمقراطية الأمريكية استهلاك للأوهام)، ويقول "نعوم شومسكي": "إن الديمقراطية الأمريكية هي ديمقراطية أن تفعل ما تريد، ما دمت تفعل ما نريدك أن تفعله".

والملاحظ اليوم أن أكثر الأمريكيين من العمال والموظفين لا يمثلهم أحد في الكونجرس.

وقد كتب الكاتب الأمريكي "وليم جرايدر" كتابا عنوانه (من يبلِّغ الشعب خيانة الديمقراطية الأمريكية؟).

ومما يدلك على أن الديمقراطية الأمريكية ليست حسب اختيار الشعب كما يظن بعضهم، أنه حتى وإن صوّت الشعب لصالح أي رئيس أمريكي، فإن الكلمة الفصل هي للمجمع الانتخابي وليس للشعب، وقد حدث أن اختار الأمريكيون (بوش) الأب، ولكن المجمع الانتخابي اختار (كلينتون)، ثم اختار الأمريكيون (آل غور)، ولكن المجمّع الانتخابي اختار خصمه (بوش) الصغير سنة ٢٠٠٠م، ثم إن الشعب الأمريكي اختار سنة ٢٠١٦م المرشحة الديمقراطية "هيلاري كلينتون"، لكن المجمع الانتخابي اختار المرشح الجمهوري "دونالد ترامب"، وعلى هذا ينص دستورهم، فالمسألة إذا ليست باختيار الأكثرية، وخاب من قال في بلاد الحرمين من الليبراليين "مرحبا بالديمقراطية ولو جاءت على ظهر دبابة أمريكية"، والعجيب أنه نشره في صحيفة محلية! و لم يحققوا معه فضلا عن أن يحكموا عليه.

والمساوئ المترتبة على ديمقراطيتهم كثيرة جدا، منها أن أكثر الناخبين في بريطانيا صوتوا لخروجها من الاتحاد الأوروبي دون مراعاة للمشاكل السياسية والاقتصادية المترتبة عليه، وإنما علم بعضهم بها بعد التصويت حتى أن كثيرا منهم ندم على ذلك! واليوم يطالب بريطانيون كبار بإلغاء النتيجة وإعادة الاقتراع، ومنهم "توني بلير" مثلا.

تُرى لماذا لا يكون الاختيار من حق أهل الحل والعقد؟ أليس أهل الحل والعقد من العلماء والقادة ورؤساء الناس أعرف بمصلحة البلاد من الهمج الرعاع أتباع كل ناعق الذين يتأثرون بالدعايات الانتخابية المخالفة للحقيقة؟

كما أنهم أولى من المجمع الانتخابي؟

ولماذا من حق الأمريكان تحكيم دستورهم؟ وليس من حق المسلمين تحكيم القرآن؟

وكيف يكون العمل بنصوص الدستور عملا بالآراء الحديثة في الفكر السياسي، ويكون العمل بالقرآن ماضوية وإرهابا؟

ومن الذي وضع كلا منهما؟

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

على أن المجمع الانتخابي ليس هو نهاية المطاف، بل فوقه المحكمة العليا التي حكمت في أمريكا بأن الرئيس هو (بوش)، وألغت نتيجة الانتخابات في النمسا، وفي بريطانيا قررت المحكمة البريطانية أن خروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي لا بد أن يعرض على البرلمان، مع أن المصوِّتين للخروج كانوا أكثر، ثم إن الديمقراطية نفسها ليس لها صورة محددة، فقد تكون رئاسية وقد تكون تمثيلية وقد تكون بالقائمة وقد تكون بالأفراد.

كما أن السلطة التنفيذية هي التي تحدد طريقة الانتخابات، إما بطريقة القائمة وإما بطريقة الأفراد، وهي التي تحدد الدوائر الانتخابية، ومَن المنتخِب وجنسه ودينه وعمره..الخ.

وإذا كانت لا تريد فئة معينة جعلت لها دائرة واحدة، لكي تتصارع عليها ولكي يضعف تأثيرها في البرلمان، وربما استبعدت السلطة بعض مكونات المجتمع نهائيا عن المشاركة في التصويت، مثلما استبعدت سلطات بورما المسلمين، وكما تستبعد بعض الدول الطوائف المخالفة لها.

وكثير من الغربيين يقولون إن الديمقراطية ليست صناديق الاقتراع، وإنما هي تربية وأسلوب حياة.

غير أن لسان حال الديمقراطية اليوم هو ما قاله المشركون من قبل ﴿ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴾ [ص:٦]، ويزعمون أن مجرد الزمن كفيل بانتشار الديمقراطية، وأن وعي الشعوب إذا ارتفع فسوف يؤمنون بها، وإنما مشكلة العرب اليوم أنهم ليسوا مؤهلين للديمقراطية!!

واعتمادا على هذه الديمقراطية المزعومة يملك الروس والصينيون حق الفيتو، ويقوم الأقوياء بأعمال أحادية ضد الضعفاء، ويقول المندوب السعودي في الأمم المتحدة إن موقف ماليزيا والسنغال خير من موقف مصر، وصدق إذ بوقوف السيسي إلى جانب روسيا في مجلس الأمن، يكون شريكا

لها في تدمير حلب وفي كل جرائمها، ويكون الغرض هو حرب الإسلام وليس الإرهاب كما يزعمون، ومثل روسيا أختها الصين، التي وضعت جائزة مالية لمن يدل على شخص ملتح أو امرأة محجبة، أي أن كل صيني مجوسي لابد أن يكون جاسوسا على المسلمين.

وتعاقب الصين كل من يحفظ الفاتحة، وتلزم المسلمين بالإفطار في رمضان وأمثال ذلك، ومع هذه الفضائح يصادقها بعض الناس، فهل هؤلاء أصدقاء؟ وهل يحاربون الإرهاب حقا؟ وما معنى الإرهاب عندهم؟ ألا يبحثون الآن عن شماعة أو فزاعة أخرى؟ وكيف شاهد (جمال الغيطاني) بأم عينيه اتفاق الأمريكان والروس على حرب الإسلام؟ وكيف لو أن دولة عربية منعت طائرة وزير خارجية غربي من الهبوط ومخاطبة أبناء قومه؟ وهل من الديمقراطية تسليط الكلاب البوليسية على الأتراك في هولندا؟

وهل ما يفعله الصهاينة اليهود في فلسطين يتفق مع الديمقراطية؟

وإذا كان لا بد للمسلمين من الاقتباس من الغرب، فلِم لا نأخذ منهم ما حسن كالعدل والشفافية والنظام، ومداولة السلطة وحرية الرأي، ولا يجوز أن نأخذ منه الخبائث والسيئات مثل الدياثة وشرب المسكرات وتعاطي المخدرات ونثر الأموال فوق رؤوس العاهرات وتربية الكلاب، والسياحة في أماكن المعذبين، وإهمال التاريخ الإسلامي ومعاركه المجيدة!

موجز عن الفكر الغربي عامة
وابتدائه بالاستنارة وانتهائه بالمرحلة المعاصرة:

الاستنارة من أكثر المصطلحات شيوعا هذه الأيام، والإعلام في العالم الإسلامي يهتم كثيرا بما يسميه الغرب "الاستنارة المضيئة"، ولا يكاد يذكر -بل ربما يهمل عن عمد- ما يسميه الغربيون الاستنارة المظلمة، وذلك باستخدام المنهج التفكيكي لدعاوى الاستنارة المضيئة!

وقد خُدع الغربيون في القرن السابع عشر الجريجوري وما تلاه بالمنجزات العلمية -كما رأوها-، بعد تخلصهم من طغيان الإقطاع والكنيسة الكاثوليكية، وكانت النواة لما سمي الاستنارة المضيئة في فكر "هوبز" الذي قرر أن الإنسان شرير بالفطرة، وأنه لم يكن سوى ذئب على أخيه الإنسان، الأمر الذي جعل الانسان يفضل الحياة القطيعية على الحياة الفردية، دون أن يظن أن عداوة القطيع أكثر فتكا من العدوان الفردي، واضطره إلى إنشاء الدولة فيما بعد، وهي التي أصبحت تنيناً يقضي على حرية الفرد ويكبله، كما قال "هوبز"، وعلى هذا أفكار ميكافيلي عن الفصل بين السياسة والأخلاق، ثم قرر جون لوك ما قاله بعض المعتزلة من قبل، وهو أن الإنسان يولد صفحة بيضاء تكتب فيها البيئة والثقافة ما تشاء، أي أنه لا فطرة له يولد عليها، وقال عالم النفس (يانج) المستمد من الداروينية: إن ما يقال عن "الذات الفردية" خرافة ووهم. ثم بلغ الأمر ذروته في أفكار "دوركهايم" الذي قال إن الموجِّه هو "العقل الجمعي" وليس الاختيار الفردي!

أما الملحد الكبير نيتشه فقد أعلن -بكل وقاحة- أن الرب قد مات، أي أن على الإنسان أن يتلقى كل شيء من داخله هو، وانتشر مذهب المنفعة كما قال "بنتام" ثم طوره (جون ستيوارت مل) والبراجماتيون، وله أصوله في الوثنية القديمة لاسيما عند (أبيقور) ثم إن الرازي كتب ما هو أعمق من ذلك

في كتابه (أقسام اللذات) غير أن الفيلسوف الانجليزي المادي "جيرمي بنتام" هو الأكثر اشتهاراً.

ومن أفكار نيتشه خرجت الأفكار التي وصلت فيما بعد إلى مرحلة اللامعقول، والمعتمدة على آراء دي سوسير عن اللغة، كما خرج ليفي شتراوس ببنيويته الخاصة، وطوّرت الفلسفة التأويلية (الهرمونيطيقا) نفسها اعتمادا على البحث الإنساني المجرد من كل شيء ديني، وأصبح الإنسان ذا بعد واحد كما يقول "ماركيوز"، همه الأكبر إشباع شهواته وإرضاء غرائزه، وطالبت مدرسة "فرنكفورت" وغيرها بثورة ثقافية ماركسية، على غير النمط الذي وجد في الاتحاد السوفيتي أي ثورة سلمية على أن هذه المدرسة يهودية تلمودية، وأصبح كلام ماركس وإنجلز عن ضرورة اتحاد العمال قديما "يا ريبورتات العالم اتحدوا" بعد أن أصبح العمل منوطا بالآلات والريبورتات اليوم!!

غير أن كثيرا من المفكرين هاجموا هذه الاستنارة المزعومة، وكانت كل المؤشرات تدل على سقوط الاستنارة المضيئة، وتقدم الاستنارة المظلمة، وأصبح المنادون بالاستنارة المضيئة رجعيين ومتأخرين، غير أن هؤلاء الرجعيين وجدوا لهم ميدانا خصبا في الشرق الحائر، فصدروا إليه فكرهم، وقالوا إن الاعتماد على حرفية نصوص الوحي خطأ، وإنه ينبغي الاعتماد على المقاصد الكلية والأخلاق الإنسانية المشتركة.

وهكذا ظهرت في الشرق فكرة الحداثة، كما ظهر في الغرب فكرة الوجودية.

وقال أصحاب التنوير المزعوم إن العالم كله بدأ يتنوّر.

وبعد سقوط الماركسية في الاتحاد السوفيتي والتلوث الأخلاقي والبيئي الذي عم العالم، نادى فوكوياما بنهاية التاريخ، التي هي صدى لما قرره بوش الأب، والأمم المتحدة "النظام العالمي الجديد"، وبطبيعة الحال دافع الفرديون عن نظريتهم، وتولّدت عنهم الانعتاقية "الليبرالية".

ويتفق أصحاب الاستنارة المسماة المضئية مع أصحاب الاستنارة المسماة المظلمة، في أمر أساسي واحد، وهو أن الإنسان مادي استهلاكي، وأن وجوده لا معنى له، ومن ثم انتشرت العبثية والعدمية ومدارس اللامعقول، ولما يئس "ماكس فيبر" واتباعه من تقديم أي حل اكتفوا بتحليل الواقع وبيان سبب ما سموه (التقدم) في بعض المجتمعات، وعبرت مدرسة فرنكفورت عن مأساة الإنسان وعن الاستنارة المظلمة بما سمته "ليل الاستنارة البارد"، ووجدت في أمريكا أكبر متقبل لأفكارها، وواجهت بكل قوة الاتجاه الأصولي المحافظ فيها، الذي يتزعمه عادة الحزب الجمهوري، وقالت بإمكان إيجاد ما سمته "الفردوس الأرضي"، وهو وجه آخر لنهاية التاريخ أو الشيوعية الأخيرة، أو الألفية السعيدة كما تخيلها البابوات.

وتتفق كلا النظريتين في أن الإنسان ما هو إلا كمية من النسب، أو مجموعة من الأرقام، وأعلنتا أن الإنسان قد مات بعد أن كان "نيتشه" قد أعلن أن الرب قد مات!

ومن أكبر دعاة الاستنارة المضيئة "جاك دريدا" الذي أراد إحياء الرومانسية باعتبارها نوعا من الاحتجاج على الاستنارة المظلمة.

وهكذا انتهى عصر الهروب من الدين بالإنسان الغربي، إلى أن يعيش حالة كئيبة من اليأس والفوضى والاستلاب والغربة والشتاؤم والضياع، الأمر الذي أدى إلى انتشار الانتحار وإيجاد عيادات وكتب ومواقع لتعليمه.

و لم يجد السياسيون ما يتعلقون به عند الفرار من نار الدين المحرف، إلا الاحتكام إلى أهواء الناس باسم الديمقراطية.

وفي القرن العشرين بل قبله جعل الغرب نفسه مركز الكون، حتى أنه سمى الحربين الغربيتين (الحربان العالميتان) وإذا قال اليوم (هذا لا يرضى به العالم) أو (يرفضه العالم) فإنما يعني نفسه فقط.

وأكثر الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن إما غربية (٤ من ٥)، أو سائرة في ركاب الغرب (الصين)، واتضح للناس كذب الأسطورة القائلة بأن

الغرب إنما يريد تحديث العالم وتحضيره! ذلك التحضير الذي يعرف اليوم حقيقته كل الأفارقة والآسيويين، والسكان الأصليون في الولايات المتحدة وأستراليا، فالغرب في الحقيقة إنما قام على إفناء الناس واستعبادهم، ولما رأى المستعمرون الجدد (الأمريكان) أن الطاقة سوف تنفذ يوما ما، استجابوا لرغبة الحليف المدلَّل (إسرائيل)، وعمدوا إلى احتلال الخليج والعراق، لكي يرضوا إسرائيل، ولكي يشرفوا بأنفسهم على مصادر الطاقة ويتحكموا فيها ويقيموا حكومات موالية لهم.

وهكذا تحفر الحضارة الغربية قبراً للعالم كما قال "روجيه جارودي"، وتحكم بأن الإنسان قد مات كما قال "ميشيل فوكو"، ويكون الإنسان فيها ذا بعد واحد كما عبّر "ماركيوز".

ونشأت المعضلة البشرية وكثرت حلولها المتناقضة، على أن الغرب يضع الحل الاستهلاكي في المقدمة، والمشكلة عنده اقتصادية فقط، أي أنه غلّب الفلسفة المادية على الفلسفة العقلية.

وترى هيئة الأمم المتحدة وفروعها مثل البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي أو المؤسسة الأممية للإنماء، أن اعتماد السوق الحر هو الحل لهذه المعضلة الإنسانية، وأنه لا بد من عولمة كل شيء وتخصيصه، لكي يصبح مالكوه جزءا من العالَم الاقتصادي.

ومع أن الاقتصاد ما هو إلا وسيلة، ومع أنه لا يصح أن يكون منفلتا من كل قيد، كتحريم الربا والغش والغرر والميسر، نرى هذه الهيئة تجعل الوسيلة غاية، وتجعل الانفلات هو الوسيلة المثلى لتحقيق الربح، وهذه انتكاسة فكرية لا يقبلها أكثر البشر، إما لأسباب دينية، وإما لأسباب أخلاقية.

وانكشفت الدوافع الحقيقية لدعوة تقرير المصير، كما نادى بها الرئيس الأمريكي (ويلسن)، ومعنى انتداب العالم المتحضر على العالم المتأخر، وأن الهدف من ذلك هو التمزيق والتفريق وليس إعطاء الشعوب ما سمي

"الاستقلال"، فألغوا الخلافة الإسلامية ومزقوا الدولة العثمانية إلى دويلات كثيرة، وهيمن الغرب على الدويلات الناشئة التي تستهلك منتجاته وتشتري منه كل شيء لاسيما السلاح.

أما الفئة القليلة التي لا تزال تعيش على الاحلام الوردية المثالية، فقد خدعوها بفكرة (الإنسانية)، وأنه لا فرق بين أن يكون الإنسان أبيض اللون أو أسود أو أصفر، وأن يكون شعره سبطا أو مفلفلا، والمهم هو أن يكون إنسانا استهلاكيا مهما كان لون بشرته وأخفوا بقية القضية.

وهكذا نشأت الحضارة الداروينية العلمانية، وأخفت أهدافها الحقيقية، ووضعت الإنسان أمام حلولها الخاصة، ونبذت ما أنزل الله، وحولت البشر من عبيد لله وحده إلى عبيد لأصحاب الأموال، الذين يسميهم الأمريكان "سوبر أغنياء"، وانتقل الغربيون من الثبات المطلق إلى التطور المطلق، وهو تطور منفلت لا ضابط له ولا رادع، ولا يؤمن بالله، بل يثق كل الثقة في العلم الإنساني والتقدم الإنساني المطرد، وهو تقدمٌ يلغي الذاكرة البشرية (التاريخ)، وفي النهاية يُلغي الإنسانَ ذاتَه كما حصل بالفعل، أو استشفه كثير من الباحثين من أمثال الفيلسوف الأمريكي "ريتشارد رورتي" ومواطنه "رايلي" وأنذر به الفيلسوف الإنجليزي العالمي "برتراند رسل".

وبهذا العرض الموجز يتضح أمور منها:

١- أن الحضارة الغربية ما هي إلا صياغة جديدة سكها قديما المعتزلة والفلاسفة الأولون، حتى أن أحد المفكرين الغربيين عبّر عن ذلك قائلا: "إن كل ما كتبناه ما هو إلا هوامش على الأفلاطونية"، وإن أخذوا عن المتأخرين فعن ابن رشد لا سيما الفلسفة المسماة "الرشدية الجديدة".

وقد نقض هذه الفلسفات شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وأبطلها بكلام عقلي طويل، ولكن أين من يفهم كلامه ويرد الفروع إلى الأصول.

وابن تيمية رحمه الله إنما اعتمد على القرآن الكريم، الذي أبطل النظريات الفلسفية الوثنية إبطالا يجمع بين وضوح الفكرة، وإيجاز العبارة،

وبين قوة الحجة وصدق الدليل، وأيقظ العقل البشري من سباته ليتفكر في مصيره لو أنه استجاب لأهواء الذين لا يعلمون، وترك شريعة الله التي تجلب له الخير والسعادة في الدارين.

٢- أن هروب الإنسان الغربي من دينه النصراني إلى أحضان المادية جعله أداة طيعة لكل فكرة بشرية جديدة.

٣- أن الاعتماد على التجريب وحده أدى إلى اكتشاف كثير مما بثه الله من الحقائق عن طريق المصادفة البحتة.

٤- أن الحضارة الغربية هي حضارة كمية، تغلب الكم على الكيف، وتجعل الوسيلة غاية، وتؤمن بالنسبية المطلقة حتى في الأخلاق والقيم.

ونحن لا نجادل في أن لهذه الحضارة جوانب مشرقة ينبغي بمقتضى العدل الرباني الاعتراف بها، ونحن -المسلمين- أولى الناس بأخذها والإفادة منها، كالتنظيمات السياسية والإدارية، وحرية الرأي، وتطوير مناهج البحث العلمي، والوحدة الإنسانية المشتركة، والنظام، وعموما كل مفيد ونافع من العلوم الطبيعية والتجريبية.

ونرفض في الوقت نفسه الفلسفات الغربية والنظريات الاجتماعية والإنسانية المصاحبة للاكتشافات.

وهذا دأبنا وتلك شريعتنا، فقد أخذ النبي ﷺ من فارس والروم أن الارتضاع من الحامل لا يضر الرضيع، وعمل بما أشار عليه به سلمان الفارسي من حفر خندق حول المدينة لم تكن العرب تعرفه.

ونهى أصحابه عن قول "ما شاء الله وشاء محمد" لما قال اليهودي "نعم القوم أنتم لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد".

وقَبِل عمر الفاروق رضي الله عنه قول الحبر اليهودي: "لو علينا معاشر اليهود نزلت ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة:٣] لجعلنا يوم نزولها عيدا".

وتحول المجاهدون السابقون من استعمال القوس العربية إلى القوس الفارسية، لأنها أنكى في العدو، كما تحول المسلمون من فكرة المواجهة المباشرة بالسيف والرمح إلى بناء القلاع الحصينة.

وأمثال ذلك مما هو مبثوث في ثنايا هذا الكتاب وغيره، وفي الوقت نفسه نرفض الأساطير اليونانية والرومانية والتثليث النصراني والإلحاد الغربي، وكل صور الوثنية، سواء جاءت من الشرق أو الغرب، ونعتز بخصوصيتنا، ونستعلي بإيماننا على كفرهم وشركهم، ونوقن أنه ما من خير إلا دلنا عليه رسولنا الكريم ﷺ، وما من شر إلا نهانا عنه، وأن ربنا تعالى أعلم وأرحم وأحكم من كل فلسفة أرضية، حين أمرنا بالاجتماع وبالعدل وبالفضيلة.

ونحذِّر من الفكرة التنويرية الحديثة كما يقولون، فهي ظلامية جديدة مهما سموها، وكما نحذِّر من كفرهم نحذر من إسلامهم المفصَّل على مقاسهم.

تطور الفكر السياسي الغربي:

يتطور الفكر السياسي الغربي بحسب عصوره، وقامت في كل عصر نظريات عدة وهذه أهم مراحل تطوره:

١- الطغيان الكنسي، وعليه أقاموا ما يسمى الحكومة الدينية "الثيوقراطية".

٢- الحق الإلهي للملوك.

وهي النظرية السائدة في عصر الاقطاع، وآمن بها رجال الدين والنبلاء.

٣- الميكافيلية كما قال بها "ميكافيلي" صاحب "الأمير"، وصاحب قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة).

٤- فكرة الدولة التنين "اللواثيان" كما قال بها "هوبز"، والتي لأجلها نادى "ميخائيل باكونين" وصحبه بفكرة اللادولة.

٥- فكرة العقد الاجتماعي التي نادى بها "جان جاك روسو"، وهي فكرة خيالية وهمية، فمتى كان هذا العقد؟ ومن الذي يستطيع إثبات وجوده تاريخيا؟ وأي حكومة أو شعب هما اللذان اتفقا عليه؟

٦- فكرة الفصل بين السلطات كما قال "مونتسكيو"، وهل يستطيع البشر الفصل بينها؟ ولماذا تكون السلطة الفلانية هي العليا والسلطة الفلانية هامشية خاضعة؟ وهذا الفصل ادعاه وعمل به واضعو النظام الأساسي في بلاد الحرمين، ثم رأينا النتيجة بأعيننا.

٧- فكرة اللادولة مطلقا، أي ما يسمى (الفوضوية) التي نادى بها (باكونين) كما تقدم، وسبقه إليها أبو بكر الأصم من المعتزلة، وإنما لجأ هؤلاء إليها لأن الشرور عندهم وعند كثير من الطوائف مصدرها الدولة، ولأن أكثر الصراع بين البشر إنما هو على السلطة. وعلى ذلك يقوم الفكر السياسي الماركسي، إذ يقولون إن الطور الأخير للشيوعية سيكون طور اللادولة، حيث ينتهي الصراع بين الطبقات ويأخذ كل بحسب حاجته!! وهذه الفكرة مأخوذة أصلا عن الفلاسفة الخياليين كأفلاطون، والفارابي وأوغسطين، وابن طفيل.

٨- في عصر التنوير الغربي (ق ١٨ تقريبا) برزت فكرة الحق الطبيعي والرأسمالية الكلاسيكية ضمن ما وضعه اليهودي "ريكاردو" اعتمادا على المبدأ المشهور (دعه يمر)، ثم إن ما يسمى اتفاقية "الجات" في هذه الأيام طورت ذلك إلى الشركات العابرة للحدود، ونادت بما يسمى (حرية السوق) و(عولمة الاقتصاد)، وانتقلت الدولة من مجرد حارس، إلى متحكم يأمر وينهى ويحاصر خدمة للسوبر أغنياء.

تطور الفكر الديمقراطي:

صدر العهد الذي سمي العهد العظيم (ماجنا كرتا) في بريطانيا وهو يعد أول خطوة يتنازل بها الملك عن بعض صلاحياته، وظل التناقص مستمراً حتى

أدى إلى أن تكون صلاحية الملك أو الملكة محصورة في بعض الشكليات، دون أي تدخل في البرلمان أو الحكومة. أي مثل حال الخليفة المسلم في العصور المتأخرة، الذي أكده التاريخ وذكر ابن القيم أن له الخطبة والسكة، بينما يكون التصرف للسلاطين، وعلى ذلك تأسست الديمقراطية كحالة شاذة يملك فيها الملك ولا يحكم.

وسموا بريطانيا "المملكة المتحدة" لذلك.

وبالديمقراطية ظهرت عيوب الثقافة الغربية لاسيما كون السيادة للأقوى (حق النقض والدول الخمس الدائمة العضوية)، وهذا يناقض ميثاق الأمم المتحدة، الذي ينص على المساواة، وقانونها الدولي القائم على التساوي بين الأعضاء!

ويزعم الديمقراطيون أن الديمقراطية هي أن يحكم الشعب نفسه بنفسه، فماذا يعني حكم الشعب عند الرأسماليين والشيوعيين، إلا حكم الطبقة الثرية "سوبر أغنياء" في الرأسمالية، أو حكم "اللجنة التنفيذية" في الأحزاب الشيوعية كما هو حاصل اليوم في أمريكا وفي الصين.

وبعد أن أصبح رأس المال هو الذي يحكم، وأصبح السياسيون خاضعين للأثرياء، وأصبح الأثرياء هم المتنفذون، لم يعد أحد من أصحاب الفكر السياسي الحديث يؤمن بما كان يقوله أهل الفكر السياسي الكلاسيكي، من أن مهمة الدولة هي حماية المصالح البشرية من التضاد، أو أن مهمتها هي ما يسميه بعض فلاسفة الفكر السياسي المعاصر (الدولة الحارس) بل أصبحت الدولة تشرّع، وترفع نسبة الفائدة مثلا أو تخفضها، وتقيد الملكية الفردية أو تطلقها، و لم تعد حاميا ولا حارسا بل مشرعا ومنفذا.

وبعد أن كان الناس ثلاث طبقات أصبحوا اليوم غالبا طبقتين: طبقة ثرية مسيطرة. وطبقة مسحوقة مستهلكة، وهم أكثر الشعب وانعدمت الطبقة الوسطى أو قلت جدا.

ومن تنفذ السوبر أغنياء بأنفسهم أن يرأس الملياردير العقاري "دونالد ترامب" الولايات المتحدة الأمريكية، وأن يجعل وزير خارجيته "ريكس تيلرسون" رئيس شركة "اكسن موبيل"، وهي شركة تابعة لآل روكفلر، وتملك كثيراً من شركة أرامكو، وقد عاش "تليرسون" كثيرا في الخليج، وكل من "ترامب" و"تليرسون" لشركاته فروع في مصر والخليج يديرها هندوس أو وكلاء محليون.

والمهم أن قيمة الإنسان أصبحت تقاس بما يملك إما من المال وهو الأغلب، وإما من (البرستج) الاجتماعي، وهكذا هرب الغرب من الاقطاعيين ورجال الدين، ليقع في قبضة الرأسماليين والمفكرين، وفرّ من عبودية إلى عبودية، ومن رق إلى رق، ولم يعد الطغيان دينيا بل أصبح علميا، وكان يؤمن بالدين فأصبح إلهه هو العلم.

وبعد أن كان المالك الاقطاعي يمارس عليه الإرهاب الاقتصادي، وكانت الكنيسة تمارس الإرهاب الفكري وتمنع أو تنشر ما يحلو لها من مؤلفات، أصبح الإرهاب أعم وأشمل، وحرية الإنسان مقيدة، فالكاميرات تراقبه أينما ذهب، حتى إذا دخل السوق. والأقمار الصناعية تتجسس عليه وتحدد موقعه... إلخ.

وأصبح نشر الحل الصحيح للمعضلة الإنسانية نشراً لخطاب الكراهية!

وظن بعض أهل الإسلام أن التمسك بالقرآن تخلف، وأننا لكي نكون متحررين وفي مصاف الدول المتقدمة، لا بد أن نتابع الغربيين، ونجعل همنا هو هذه الدنيا، فكانت النتيجة أن تخطفتهم الشياطين، وصدق الله ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزُّخرُف:٣٦].

وجعل هؤلاء المنافقون أهل الإسلام يهملون أمجاد الإسلام ومآثره الحضارية والعلمية والعسكرية، ويجرون وراء الآثار الجاهلية الشركية، مثل أصنام قوم نوح ومدائن صالح وخرائب الجاهليين، ونقوش رمسيس وحروب

الإسكندر والساسانيين، وسوق عكاظ والأهرامات، ومعابد الروم والمواقع الأثرية قبل الإسلام في العراق وبلاد الشام وتونس وغيرها.

وقلَّ ما يذكر المفكِّرون الأهداف السياسية وراء الانخفاض أو الارتفاع في سعر النفط مثلا، بل المسألة كلها عرض وطلب وفائض ونقص، والمقصود أن الإنسان في هذه الغابة البشرية المتشابكة إن لم يكن ذئبا أكلته الذئاب بل الكلاب.

وفي ظل هذه التناقضات الصارخة لا يجد المرء عدلا ولا حرية ولا أي حق، وإنما أنت حر أن تفعل ما يريد الكبراء أن تفعل، وصدق الله ﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٦٧-٦٨].

وهنا يتميز الفكر السياسي في الإسلام بميزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فليست المسألة أن تكون إما في الحكم وإما في المعارضة، بل الواجب أن تكون الثالث المفقود، وهو الناصح لهؤلاء جميعا (ولكل مسلم)، وأن تجتنب المناصب كلها وتزهد في الدنيا جميعها، وهذا ما يحض عليه الإسلام. وكانت نتيجة مخالفة هذا المنهج الحق مؤلمة جدا، فانظر مثلا لحال الإخوان في مصر وحال الجبهة الإسلامية القومية في السودان، وحال حزب الإصلاح في اليمن، وغيرها لما حوّلوا الدعوة إلى معارضة تسعى للحكم، وأجازوا الدخول في البرلمانات أو ما يسمى اللقاء المشترك، أو تحالف المعارضة لإسقاط النظام!

وفي هذه الأيام يشتد الصراع بين الإسلام والديمقراطية في العالم الإسلامي، فلجأ الديمقراطيون إلى تغيير اسم الحكومة في العالم الإسلامي، فآمنوا بما سموه الدولة أو الحكومة "المدنية" أو "الليبرالية الحديثة"، أو "المجتمع الحر"، أو دولة الرفاهية"، وجعلوا الديمقراطية مجرد آلية لذلك، وفصَّلوا الإسلام كما يريدون، وجعلوا منه إسلاما طقوسيا وإسلاما سياسيا، أو إسلاما ربانيا وإسلاما أمريكيا، وجعلوا المقاومة نوعين: فصائل معتدلة ترضى

أن تكون معارضة فقط، وتنتهج سبيل المفاوضات، وفصائل متطرفة ترفض المفاوضات وتنتهج سبيل الجهاد، وهي بالطبع "الوهابية" عندهم.

وأخضعوا رأي الشعب للمجمّع الانتخابي أو المحكمة العليا أو البرلمان، وعدنا حيث بدأنا.

وحرص أرباب الشركات المستعمِرون أن يكون المستعمِرون الجدد ليسوا الانجليز أو الأمريكان الشقر فقط، بل معهم الانجليز والأمريكان السُّمر، وغلَّفوا التعصب الصليبي باسم الأحزاب اليمينية أو "الأحزاب الشعبوية".

مع أن هؤلاء المتعصبين في الغرب يخرجون مظاهرات مناهضة للإسلام علنا. ويقولون إن الخطر القادم على الغرب هو الأسلمة، ويكتبون العبارات العنصرية على المساجد، ويحظرون الكلام بالعربية، ويغرقون المهاجرين، ويحظرون دخولهم البلاد، ولكن الإعلام في بلاد المسلمين قلما يتعرض لهم أو يذكرهم.

والهم الأكبر للسيسي ومن وراءه: إغراق غزة، وإقفال معبر رفح، بل إن الإسلاموفوبيا هي نفسها "الصليبية الجديدة"، ولكن باسم آخر، وتقديم أو تأخير في الأهداف.

وبعض الناس يظن أن مجرد وجود معارضة كاف في حل المشكلة مع أن من لوازم الديمقراطية وجود معارضة للحكومة مع الالتزام بالدستور ومراعاة مصلحة المتنفذين من خلاله، والدولة التي ليس فيها معارضة دولة ديكتاتورية ليست من الديمقراطية في شيء، وقد رضيت بعض الجماعات الإسلامية مع الأسف أن تكون فئة من المعارضة.

وبعض الحكومات تصنع المعارضة بنفسها لامتصاص غضب الناس، والدولة التي ليس فيها حرية رأي (أي حرية فكر حتى لمن شاء أن يرتد عن دينه) ليست ديمقراطية، والغرب إنما لجأ إلى الديمقراطية والإيمان بالحرية الدينية، لأن الكاثوليك كانوا يُكرهون البروتستانت على الكثلكة والعكس.

مع أن الجميع يؤمنون بعقيدهم القائلة "دع ما لقيصرَ لقيصر وما لله لله"، ولما اشتدت الحروب الدينية في أوربا هاجر الناس إلى أمريكا حيث تأسست هناك دولة لا إكراه فيها على أي عقيدة، وإن كان كلٌّ الشعب الكاثوليكي منه والبروتستانتي يدين بالتثليث.

وكلما نزل الناس في ولاية أسسوا كنيسة وجعلوا لها نظاما خاضعا لمذهبهم، ولذلك تجد أنه حتى اليوم توجد ولايات كاثوليكية وولايات بروتستانتية وكل مذهب له أقسام وفروع.

وإذا خاف الغرب وصول المسلمين إلى الحكم حرض عليهم أولياءه، فألغوا الديمقراطية! وإذا عجز عن ذلك اتهم إعلامه المسلمين بالديكتاتورية والاستبداد، ونفى أن يكونوا ديمقراطيين، فشرط الديمقراطية عند الغرب هو أن تكون فلسفة تجيز أفكاره فقط.

وشرطه في الحرية هو حرية تبديل الدين والردة عنه.

أما الإسلام فهو عندهم إرهاب على كل حال، ليس في هذا العصر فقط بل منذ أن وُجد وقد صرح "مايكل فلين" الأمريكي المشهور أن الإسلام سرطان.

ولكي تعرف ما يريده الغربيون بالديمقراطية أكثر مما تسمع، انظر إلى موقفهم من الديمقراطية التركية مثلا: يقول "شومسكي": "لقد أثبتت الأيام أن التجربة التركية غير مرحب بها أساسا في عموم الغرب، رغم كون تركيا عضواً فاعلاً ورئيساً في حلف الناتو الآخذ في التوسع شرقا"، ويعلل "شومسكي" ذلك بأن الولايات المتحدة تريد الانتخابات التي تفوز فيها جماعات المستعمرين للسيطرة على الدولة.

ويقول "ديفيد هيرست" وهو صحفي بريطاني معروف: "لقد كان رد الفعل التركي على الانقلاب ديمقراطية ناجحة، بينما كان رد الفعل الغربي تعبيرا عن ديمقراطية فاسدة".

بعض ما جربه الغرب من عيوب الديمقراطية:

١- تقسيم الأمة إلى فئات متناحرة كل فئة تؤيد حزبها، وكل حزب بما لديهم فرحون.

٢- عدم الاستقرار السياسي فالانتخابات دوامة لا تنتهي من الانتخابات البلدية إلى الانتخابات التشريعية إلى الانتخابات الرئاسية، وبعض الدول معدل بقاء حكوماتها ستة أشهر فقط، ولا بد من انتخابات لتعيين غيرها، وإذا أخفقت الحكومة أو تعرضت لأزمة عنيفة نادوا بانتخابات مبكّرة.

٣- أنه وفق الديمقراطية تعطي الحكومة القائمة نفسها حقوقا، أقل ما يقال فيها إنها مصادرة لرأي الشعب، فالحكومة هي التي تحدد سن الناخب ودينه وجنسه ودائرته، وهي التي تعلن النتيجة، وهي التي تسخِّر الإعلام لصالح من تريد التصويت له، وإذا خافت من نتيجة الانتخابات عن طريق القائمة، جعلتها عن طريق الأفراد، كما أنها تحدد النسبة التي لا بد أن يتجاوزها أي حزب للمشاركة في الانتخابات.

٤- القضاء على الميزات الشخصية فللعالم صوت وللجاهل صوت!

٥- الإيقاع في مشكلات وأزمات كثيرة، خذ مثلا الأزمة التي وقعت فيها بريطانيا، حين صوت أكثر الناس للخروج من الاتحاد الأوربي، والتي وقعت فيها النمسا لما انتخب الناس الحزب اليميني، والتي وقعت فيها أمريكا لما فاز فيها الجمهوريون بزعامة "ترامب" حسب نص الدستور.

٦- تحكّم غير الشعب، إما القضاء وإما المجمع الانتخابي وإما البرلمان، كما حدث في أمريكا لما فرزت الأصوات في فلوريدا بأمر المحكمة وأعلنوا أن (بوش) هو الفائز، وكما حدث حين أحال البريطانيون نتيجة الاستفتاء إلى القضاء وأحالته المحكمة إلى البرلمان، وكما حدث حين أبطلت المحكمة العليا في النمسا الانتخابات.

٧- حصر الإنسان بين خيارات كلها مرة، فإما أن تكون مع الحزب الحاكم، وإما أن تكون مع المعارضة، وإما أن تكون جمهوريا، وإما أن تكون ديمقراطيا، وإذا اخترت الاستقلال فلا مستقبل لك.

٨- جعل الحق تابعا لرأي الأكثر، وهذا غير صحيح فإن أكثر الناس مبطلون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:٧١]، وقال: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣]، وقال عن أول الرسل نوح عليه السلام ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، وأكثر الناس إمعات يتبعون كل ناعق ويتأثرون بالإعلام الذي يزيف إرادة الناخب إن لم يستطع تزييف الانتخابات.

والله تعالى لم يجعل أعظم قضية -وهي توحيده والإيمان به تابعة- لآراء الناس وأهوائهم، ولو جعلوه جل شأنه ضمن الانتخابات لما اختاروه، فأكثرهم مشركون.

٩- عزوف كثير من المواطنين عن المشاركة في العملية، حتى أصبحت الحكومات تحث المواطنين على التصويت، وتفاخر بأن نسبة المشاركين فيها عالية.

وفي أمريكا تقوم مراكز البحوث النفسية والاجتماعية والسياسية، لدراسة أسباب عزوف الناس عن التصويت.

مع أن الناس حتى من شارك منهم يعلمون سبب العزوف!

١٠- تظل الديمقراطية في النهاية عمل بشري يعتريه ما يعتري عمل البشر من العيوب والنقائص التي يكتب عنها الفلاسفة والنقاد، وكما تفرد الله بالكمال، ضمن العصمة لنبيه ﷺ، وما عدا ذلك لابد أن تظهر عيوبه.

وهكذا تعلَم المجتمعات الغربية نفسها ما في الديمقراطية من نقاط ضعف كثيرة، وكذلك المجتمعات التي وقعت في أزمة تقليدها.

ولذلك يلجأون إلى وسائل بديلة:

ومنها المحكمة الدستورية العليا كما فعلوا في النمسا، وفي بريطانيا

يحاولون إعادة التصويت على خروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي، ويجمعون لذلك ملايين التوقيعات ويخرجون المظاهرات الكبيرة.

وفي أمريكا يشتم مرشحو الحزبين كل منهما الآخر، ويبحث له عن مأزق ولو كذبا، مثل عدم المشاركة في حرب فيتنام، والتهرب من الضريبة، والفرار من الخدمة العسكرية، وربما قررت المحكمة العليا من الفائز، كما حدث في انتخابات بوش الصغير، فيكون الفوز قضائيا وليس كما يزعمون.

وفي أسبانيا ولبنان تطول الأزمة السياسية ويخرجون من نفق إلى نفق.

د ع تهمة التزوير فهي كليشة مستعملة في أكثر دول العالم، وتدل عليها بوضوح نسبة ٩٩.٩% التي كان يدعيها الزعماء العرب، وكم أدت إليه التزويرات من مشاكل في سورية والمغرب والجابون وغمبيا وساحل العاج وأمريكا الجنوبية بل في أمريكا نفسها.

وقد عمدوا في محاولة للالتفاف على الانتخابات إلى وضع نسبة ما لم يتجاوزها الحزب لا يصح ترشحه.

أما في أمريكا وأوروبا الغربية فقد عمدوا إلى ما هو أذكى وأكثر تطورا، وهو تزييف إرادة الناخب وغسل مخّه.

والحكَم في تلك الأزمات هو الرقابة الدولية أي أنه لا بد أن يلجأ المريض إلى المريض.

ونظرا لهذه العيوب اضطر الغرب إلى تأسيس منظمات رقابية، وقالت بعض دول العالم إن انتخاباتها مراقبة دوليا أو أمميا، وبذلك تفتخر طويلاً.

كما ظهر في الغرب منظمات حقوقية غير ربحية، وغير سياسية في نظامها، مثل منظمة العفو الدولية (أمنستي) ومنظمة حقوق الإنسان (هيومن رايتس ووتش)، وقرارات المنظمات الحقوقية غير إلزامية، وكثيرا ما نفتها الحكومات وقالت إنها مسيسة، واستخدمتها في امتصاص غضب الناس من بعض تصرفات الحكومة، وهكذا لما فقدوا الرقابة الربانية استحدثوا رقابة بشرية.

وبتحكيم الشعب كما يزعمون وتنحية الشرع، جعلوا الشعب شريكا لله ومعبودا من دون الله فكل ما تفعله الحكومات تقول هكذا يريد الشعب، والشرك هو أعظم ذنب عصي الله به، وهو أكبر الكبائر وهو الذي لا ينفع صاحبه معه أي عمل ولا يقبل منه أي حسنة. وصاحبه هو كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج:٣١]، وهذا حال الحضارة الغربية اليوم.

ولما كان الأمر بهذه الخطورة، ووقع فيه كثير من الناس، وظن بعض المسلمين أنه يمكن أن يكون المرء مسلما مع احتكامه للقوانين الوضعية، أو رضاه بما يسمى الفكر السياسي الحديث، كان لا بد من تجلية ذلك ولو بإيجاز.

فالله تعالى له وحده الحكم شرعيا أو قدريا ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف:٤٠]، وله جل شأنه الخلق والأمر معا، ولا يصح اتخاذ غيره ربا ولا حكما ولا وليا، وله تعالى حق المشروعية العليا والسيادة المطلقة، وإنما الحاكم أو البرلمان أو الشعب منفذ لأمر الله مطيع له، وليس من الإسلام التفريق بين الله وشرعه، أو التفريق بين بعض أحكامه وبعض، أو الادعاء بأن الشرع ناقص يكمله الفكر البشري أو القوانين الوضعية، والأهواء المختلفة، والتفريق بين ما لله وما لقيصر شرك أكبر، وقع فيه أهل الكتاب قبلنا، ثم وقع فيه أكثر المسلمين، مع منافاته لما دلت عليه النصوص الكثيرة كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾[الأنعام:١٦٢-١٦٣]، وآيات الحكم وأحاديثه الكثيرة في الكتاب والسنة، هي نصوص معلومة بالبديهة لكل من يقرأ القرآن والسنة، انظر مثلا الآيات من ٦٠-٧٠ في سورة النساء، ومن ٤٠-٥٠ في سورة المائدة، وأمثال ذلك مما هو قطعا أكثر من نصوص تحريم الذبح لغير الله مثلا.

ومن أعظم الكفر بالله الزعم بأن الإسلام من مخلفات الماضي، وأن الفكر الحديث أرقى منه! وهذا تفضيل صريح لآراء البشر على حكم العليم الحكيم، فانظر إلى عظم الشرك الذي يقع فيه هؤلاء المشرِّعون بلا إذن من الله، والله تعالى يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾[الشورى:٢١]، ويقول: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَـٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]، وبالطبع لم يأذن لهم به الله ولم يشرعه، فهو إذن افتراء ومنازعة له في ألوهيته، وقد نهى الله تعالى أكرم الخلق عليه، وهم الأنبياء قاطبة عن الشرك فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾[الزمر:٦٥-٦٦]، وقال عنهم: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال لخليله عليه السلام: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا﴾ [الحج:٢٦]، وعلى ملته سار ابنه خاتم المرسلين محمد ﷺ، وضرب الله في كتابه الكريم مثل من تتنازعه الآراء والأهواء بالعبد الذي يملكه شركاء متشاكسون، وهذا هو المشاهد اليوم، فلا يدري العبد أيصوت للحكومة أم للمعارضة، وهل يتبع اليمين أو اليسار، وهل يصدق الإعلام كله أم يكذبه، وإذا كان خاضعا للنظام السياسي الأمريكي أيكون جمهوريا أم ديمقراطيا، أم مستقلا، أم لا يكون مع أحد ويمتنع عن التصويت مطلقا، وهل يؤمن بالفردية أم بالجماعية.

وبالشرك تتشتت النفس الإنسانية وتتجزأ الطبيعة كما عبر "هوايت هد".

والله تعالى ذكر في كتابه نوعي الحكم القدري والشرعي: فقال في القدري على لسان خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام: ﴿وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ فَٱصْبِرُوا۟ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [الأعراف:٨٧]، وقال عن الحكم الشرعي: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ [الممتحنة:١٠]، فلا يوحّد الله ويسلم من الشرك إلا من أثبت الحكم كله

لله، وعزف عن عبادة الأصنام، المنحوت منها والشيطاني والبشري. وقد ذكر الله الأصنام غير المنحوتة في آيات من كتابه الحكيم خذ مثلا قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص:٦٢-٦٣]، ومعلوم أن اللات والعزى والحجارة لم تغو أحداً في الدنيا، وعرّف الحافظ ابن كثير هؤلاء الشركاء بأنهم "الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر" فانظر كيف سمى الله الدعاة إلى الكفر شركاء، وسمى اتّباعهم عبادة!!

والمرجع النهائي للديمقراطيين هو الدستور، ذلك الصنم الذي لا يعلم كثير من الناس واضعه ومتى كان ذلك؟ ومن أين استمده؟ أو لم يأت بعد وضعه أحوال واستجدت أمور وتغيرت الفلسفات التي بني عليها؟ أوليست أفكار القرن الحادي والعشرين غير أفكار القرن الثامن عشر الذي وضعوا فيه الدستور الأمريكي؟ وهل ظهرت العولمة مثلا في القرن الثامن عشر؟ وهل يتظاهر الناس مع العولمة أم ضدها بحسب الدستور؟ وهل لما يسمى (الحق الطبيعي) تحديد؟

خذ مثلا الدستور الأمريكي الذي يقولون إنه أرقى الدساتير الديمقراطية وأقدمها، ويتمنى الليبراليون في بلاد الحرمين أن نصل إلى مستواه، مع أن قصوره وضعفه يتجليان في التعديلات الكثيرة التي أدخلوها عليه لكي يبلغ الكمال ويلائم العصر.

وصدق الله ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء:٨٢]، وهكذا كل عمل بشري لا بد أن يظهر فيه الاختلاف، وأن يُعدّل باستمرار ولا يبقى بلا تعديل، ولا ما كان حقا كأن يكون مصدره إسلاميًا، أو هو مما اتفق عليه كل الفطر والعقول الآدمية.

وفي هذا الزمن يجب تغيير الدستور الأمريكي وليس تعديله فقط، فقد عدلوه ما يقارب الثلاثين مرة، و لم يُجد ذلك، بل طلعت فيه مواد يريدون اليوم تعديلها.

وهناك مشكلات قانونية كبرى وأطرافها مسؤولون كبار منهم الرئيس نفسه، كقضية إعلان الحرب الذي أعلنها بوش على العراق وسلبها من الكونجرس، ثم إن أوباما أراد أن يحتكرها فأخفق في ذلك.

وقد قال لي أحد المثقفين الأمريكان: إنه إذا أعلن الرئيس الأمريكي الحرب فإنه يجب عليه قانونيًا إخطار الكونجرس في مدة (٦٠) يومًا، وهي مدة طويلة اليوم، وإنما قالوا ذلك يوم كانت السفن و لم تكن الطائرات قد عرفت، فضلا عن الأقمار الصناعية والانترنت.

كما أنني وجدت في الدستور الأمريكي تعديلاته عبارات يمكن لأي من الطرفين أن يستند إليها أو يفسرها كما يشاء، كعبارات: (الحالة القصوى، الضرورة، بنية خالصة، مدة معقولة).

ومن القضايا المشكلة اليوم قضية حمل السلاح التي تجيزها وثيقة الحقوق (وهي التعديل الأول والأكبر للدستور)، فقد أفرط الأمريكان في ذلك إلى حد استدعى بعضهم لتقييده، ولا تزال تلك المشكلة قائمة، مع أنه في الإسلام ضوابط لذلك ليست هذا موضعها.

والنتيجة أن كثرة التعديلات والمطالبة بها تدل على عدم صلاحية الدستور لكل زمان ومكان، وأنه بني على فلسفة قديمة يقتضي العصر تغييرها.

ومما يوجب تغيير السياسة الأمريكية برمتها، فشل أكثر التدخلات الأمريكية البالغة نحو ١٨٠ (مئة وثمانين تدخلا)، وكراهية أمريكا في أكثر دول العالم، وتراجعها الملحوظ، وقد ألف في ذلك كثيرون منها غير ما هو مذكور في مكان آخر:

١- كتاب (الطريقة الصحيحة لخسارة الحرب) الذي ألفه أستاذ في إحدى الجامعات الأمريكية، وأثبت أن هذا هو النهج الذي تسلكه أمريكا.

٢- ومنها كتاب (الصنم) صعود وسقوط الإمبراطورية الأمريكية الذي ألفه (نيل برجسون)، ومن العجيب أن مصطلح الإمبراطورية لم يعد مكبلا

كما كان، بل أصبح شائعاً في المجتمع الأمريكي، ومن كتاب المقالات المكثرين من في الصحف "ج ، باتريك، باكونين" المرشح الرئاسي السابق.

ولا تزال المعركة القانونية قائمة بين المحقق المستقل "مولر" وبين "ترامب" وطاقمه القانوني.

وأقوى ذراع أمريكي مسلح هو بحريتها التي تفتخر إلى اليوم حتى ضمن نشيدها الوطني بما حققته في ليبيا، يوم أن كان الأمريكان يمارسون القرصنة في البحر الأبيض البعيد جدًا عن الشواطئ الأمريكية.

وقد كشف أحد قاداتها أوجه ضعفها، وقال قائد البحرية الأمريكية نفسه في شعبان سنة ١٤٣٩هـ أمام الكونجرس إنها تعاني من نقاط ضعف فيما لو نشبت حرب حقيقته أو هاجمها الإرهابيون.

واستشهد بحادثة المدمرة الأمريكية "كول" الذي قتل فيها (١٧) بحارًا أمريكيًا، ومع أن أمريكا اتهمت تنظيم القاعدة بتنفيذ ذلك الهجوم إلا أن السؤال: هل ذهبت القاعدة إلى أمريكا أم أن أمريكا هي التي ذهبت للقاعدة؟ وبالإجابة الصحيحة يتضح من هو الإرهابي والقرصان، ولماذا اختلف المحققون اليمنيون مع المحققين الأمريكان؟

ومن الأمور التي لم ينص عليها الدستور الأمريكي ولا شيء من تعديلاته ولكن الأمريكان يرونها اليوم حلاً، مسألة الرجوع للقضاء عند الاختلاف حول نتيجة التصويت.

وقد ظهر الضعف في بحر الصين وآمن أكثر العالم بأن أمريكا لم تعد "القبضاي" الذي يستطيع فرض هيمنته كما يريد.

وهل ما يسمى (الدولة العميقة) خاص مثلا بالشرق الأوسط، والثورات المضادة لثورات الربيع العربي؟ وما حكم المظاهرات التي قامت في ميدان التحرير بالقاهرة، وكانت حافزا للقيام بمظاهرات لها نفس السبب ولكن كانت في نيويورك بمطلب "احتلوا وول ستريت"، وإذا كانت مظاهرات ميدان التحرير وغيره تقول الشعب يريد كذا، فما الإشكال في أن

تقول مظاهرات نيويورك الشعب يريد كذا؟ وإذا كان "دونالد ترامب" يقول إن الإعلام عدو للشعب الأمريكي، فما حكم تصديق أقوال العدو أو النقل عنها؟

وإذا كان "ترامب" لم يفرق بين الإعلام المحافظ وبين الإعلام الليبرالي، فأيها يصدق عليه قوله ذلك أم أنه يصدق عليهما معا؟

وما معيار التمييز بين الصادق والكاذب؟ وإذا كان المتحكم في وسائل الإعلام المختلفة هو الشركات كما يقول "ترامب" فأين نضع شركته العقارية ذات المليارات؟

وأسئلة أخرى كثيرة محيّرة لا يملك من يشرك لها جوابا قاطعا، والأمر كله ينبثق من نفس الفلسفة الزاعمة بأن الإنسان خلق عبثا، وأن خالقه لم يشرع له ما يهديه!!

أي أن الخالق خلق الإنسان بلا غاية، وتركه سدى و لم يرسل له رسلا، و لم يترل إليه كتبا، وهذا قول منافٍ للفطرة التي فطر الله عليها الناس، فهو إذن قول غير ديمقراطي، فضلا أن يكون شرعيا، ومن غير المعهود في التاريخ التقني أن تنتج شركة ما آلة معينة ولا ترفقها بكتيب (كتالوج) يوضح كيفية تشغليها، ومحاذير الخطأ في ذلك، فكيف بالخالق الرحيم الذي نرى آثار رحمته في كل شيء، ألا يعلم من خلق؟ ومن رحمته أرسل الرسل وأنزل معهم الكتب ليقوم الناس بالقسط ولا يطغوا في الميزان.

ومع هذه الدلائل البينات والبراهين القاطعات، يريد الناس آية كي يؤمنوا بأن الله حق، وأن دينه هو الحق، أو ليست آيات الله بين أيدي كل إنسان لا سيما الكتابان العظيمان: كتابه المقروء "القرآن"، وكتابه المنظور "الكون"، وكلما أمعنا التفكير ظهر لنا من آيات الله العجب العجاب ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصِّلت:٥٣]، ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الجاثية:٦]؟

ثم أليس عماد الدستور الأمريكي الذي هو أرقى الدساتير في الدنيا كما يقال هو فلسفات عصر التنوير مثلا أصبحت اليوم قديمة؟ أوليس البدوي الأمي الموحِّد صاحب البعير عندنا، أرقى من أبي الدستور الأمريكي "ماديسون" فكرا، أو لم تأت بعد "ماديسون" فلسفات وثورات اجتماعية أو فكرية، تجعل ما كتبه متأخراً، منها الثورة الفرنسية وما سمي الثورة الصناعية والثورة السوفيتية (الماركسية)، وأخيرا ثورة المعلومات الحديثة فإلى متى يظل هذا الدستور؟ ومتى يحكم البشر بأنه باطل وقديم؟

وهل الاحتكام إليه إلا شرك عصري جديد؟ وهل تجدى محاولة إحيائه ونفخ الروح فيه وقد مات، ولم يبق منه إلا مبادئ عامة لم تبق لأنها دستورية، بل لأنها مما أودعه الله في الفطرة وأرسل به الرسل وأنزل به الكتب كالعدل والحرية.

وهل أنتج ذلك الدستور لمن يؤمن به إلا الأمراض النفسية والاجتماعية وزيادة المعارضة، ومن ذلك أن نساء أمريكا غالبا ضد "ترامب"، وأنهن رغم إباحة التعري يعدن إلى الاحتشام، ليس تدينا ولكن حسب الموضة واقتداء بجاكلين كندي، ويفضلن الغيرة على الدياثة والنكاح على السفاح، وأن المساواة المزعومة لم تجلب لهن إلا الشقاء والنكد والتعاسة؟ تلك التعاسة التي رآها "دوتكفيل" وحذرت منها "مارلين مونرو" من قبل، وهي لا تخفى على ناظر، بل تراها اليوم بأم عينيك لا سيما حين تصعد المراسلات الجبال أثناء الحروب؟ أو تقاتل المجندات مع المارينز؟ أو تقف "انجيلا ميركل" مع الساسة الأوروبيين، أما الأمراض النفسية في الغرب فحدث ولا حرج.

وهل يكون أول أمر في القرآن هو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ [البقرة:٢١] الآية وأول نهي هو النهي عن أن نجعل لله أندادا، لا حكمة له أم أن المسألة مهمة وخطيرة جدا؟ ومخالفة شرع الله تفضي إلى أشد العقوبات في الدنيا والآخرة؟

فلا إله إلا الله حقا، وله الشكر على صراطه المستقيم وشرعه الحكيم، ونعوذ بالله أن نعرض عن شريعته ونبتع أهواء الذين لا يعلمون.

كيف نقلدهم؟

لكل مجتمع بيئته وثقافته وتاريخه وتربيته، كما أن لكل مرض دواؤه، فليس دواء مريض القلب مثلا كدواء من أصابه جرح في كفه أو قدمه، وليس دواء الفقير الأوروبي مثلا يصلح دواء للفقير الشرقي، والغربيون أنفسهم عرفوا ما في الديمقراطية من عيوب كما سبق.

وقد قامت الثورات والحركات الديمقراطية في أوروبا، لجلب الرفاهية للشعوب والقضاء على المظالم الاجتماعية، فكانت ثورة الفلاحين في ألمانيا وثورة الجياع في فرنسا التي سميت الثورة الفرنسية.

وكانت مآسي الثورة الصناعية في بريطانيا وما جلبته من زيادة الفقر كبيرة جدا، تحدث عنها الروائي الشهير "شارل ديكتز"، وظن الفقراء أن الديمقراطية سوف تجلب لهم الغنى، ولكن الأمر آل إلى تحكّم طبقة الرأسماليين، وتبين لهم أنهم إنما استبدلوا شراً بشر، أو هربوا من الرمضاء ليستجيروا بالنار، ويئس كثيرون مما سمي "الديمقراطية"، حتى أن أحدهم كتب كتابا عنوانه: (ضد الانتخابات)، وكتب جورج بالاست الأمريكي كتاب "أفضل ديمقراطية يمكن شراؤها بالمال" أسهب فيه في بيان كيف أن عائلة آل بوش مستعينين بأموال عدنان خاشقجي، حالوا دون فوز الديمقراطيين في فلوريدا.

وتعلل بوش الصغير بأنه إنما غزا العراق لكي يجعل الحكم فيها ديمقراطيا، فكانت النتيجة كما قالت وزيرة خارجيته "كونداليزا رايس" أنه "لم تحقق أمريكا الديمقراطية ولا الأمن"، ولما رأت أمريكا عمق المستنقع الذي سقطت فيه في العراق، رأت أن أقل الحلول شرا هو تسليم الحكم للشيعة، كي ينتقموا لها من أهل السنة في الفلوجة والأنبار ونينوى وسامراء

وغيرها، واستعانت على ذلك بحلفائها في المنطقة، فاستعانت بتحالفهم وكلفتهم بالتمويل وبأكثر الطلعات الجوية، وهذا التحالف لم يدمر أي مدينة شيعية قط!

والمقصود أن الديمقراطية لم تقض على الفقر ولا على الاستبداد، ولا على مأساة الانسان في الدنيا فكيف في الآخرة؟

ولما ظهرت نقائصها وعيوبها عمدوا إلى حيل سياسية ومخارج فلسفية، منها القول بأن الديمقراطية ليست منهجا فلسفيا، وإنما هي مجرد آلية لتحقيق الحكم العادل.

ومن الحيل التي يسلكها دعاة الديمقراطية وضع قوانين انتخابية تحقق الفوز لمن يريدون، مع أن الانتخاب له صور كثيرة كما تقدم.

فعقيدة الغرب هي مصالحه، وأخلاقه نفعية.

ومن هذه الحيل اللجوء -بعد أن عرف الناس اللعبة- إلى مصادر أخرى كالقضاء، أو تعديل البرنامج الانتخابي وتحديد نسبة معينة لا يحق لمن لم يبلغها أن يشارك في العملية الديمقراطية.

أو تحديد سن الناخب وجنسه.

أو تحديد الدائرة الانتخابية.

وتحديد طريقة الانتخابات إما بالفرد أو بالقائمة بحسب ما يرى الأثرياء.

ومنها أن المجمع الانتخابي قد يكون ضد الأكثرية الشعبية كما سبق.

وهكذا لا مقارنة بين الفكر السياسي الوضعي وبين الفكر السياسي الإسلامي، غير أنه نظرا لتسلط المنافقين على الفكر والسياسة في بلاد الاسلام أصبح من الضروري بيان الفرق الكبير بينهما.

ففي الإسلام نجد الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وكذلك خلفاؤه الراشدون يسوسون الناس بكتاب الله، ولم يجد مؤمن في نفسه حرجا من ذلك، أو يقل هذا إسلام سياسي كما نسمع اليوم.

والنصرانية هي التي تفصل اعتباطيا السياسي عن غير السياسي، وتجعل لكل منهما دائرة تخصه، وتدع ما لقيصر لقيصر وما لله لله وتسمي أحبارها ورهبانها "رجال الدين"، بينما تسمي "ملوكها" رجال السياسة!

وتبعا لذلك نشأت العلمانية في أوروبا، وفق ما قرر "ميكافيللي" في كتابه "الأمير"، أي أن للحاكم سلوك أي سبيل يراه ولا يلتزم بالدين والأخلاق.

أما في الإسلام فالسياسة جزء من الدين يخضع للأحكام الشرعية والأخلاق الإسلامية والولايات كلها دينية، ولا مكان للشرك الذي تقول به النصرانية في قلب المؤمن مطلقا، ولا صحة أبدا لما زعمه المستشرقون وعلي عبدالرازق، والحاكم المسلم لا بد أن يكون موحدا لله وأن يكون ملتزما بأحكام الدين، عاملا بسنة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، ويستشير أهل العلم فيما يستجد أو يخفى عليه، حتى ما خيره الشرع فيه فإنه مخير فيه تخيير مصلحة لا تخيير شهوة، وليس في الإسلام (رجال دين) إذ كل المسلمين مهما تنوعت أعمالهم يخدمون الدين وينشرونه، والإمام واحد منهم.

وينبغي للإمام أن يكون زاهدا في الدنيا ولا يولي أحدا من أقربائه، ومن التزامه بأحكام الدين يستمد شرعيته ويبايعه الناس على ذلك.

والحكم في الإسلام أساسه الشورى، وليس محصورا في أسرة واحدة تتوارثه، كحال كسرى وقيصر، وملوك أوروبا في العصور الوسطى.

والعقد الاجتماعي الغربي عقد وهمي لا حقيقة له، والسلطة التنفيذية هي التي تدعيه وتنشئه.

وفرق بين الديمقراطية الغربية وبين الإمامة الإسلامية التي يكون الامام فيها منتخبا من أهل الشورى، وليس من عامة الناس الذين هم في الإسلام سواء بينما في أم الديمقراطيات الغربية (بريطانيا) لا يؤمنون بهذه المساواة الإسلامية بل فيها مجلسان أحدهما للملأ "مجلس اللوردات" والآخر للعامة "مجلس العموم".

وإذا كان الغرب بانتقاله إلى الديمقراطية قد أبطل نظرية الحق الإلهي للملوك، فإنها في الإسلام أكثر بطلانا، كما أن الحكم الوراثي الذي هو بقية تلك النظرية البالية لا وجود له في الفكر السياسي الإسلامي وإنما يؤمن به الشيعة والباطنية ومن شاكلهم، فلم يكن أبو بكر الصديق من رهط النبي ﷺ (بني هاشم)، ولم يكن عمر من رهط أبي بكر (بني تيم)، وإنما الخلافة في بطون قريش عامة بحسب اختيار أهل الشورى.

بل إن الفاروق عمر أوصى أهل الشورى ألا يختاروا ابنه عبدالله بن عمر وقال: (يحضر معكم وليس له من الأمر شيء) أي أنها يستشار ولا يولّى.

وهكذا جاء الإسلام وسطا بين نظريتين:

الأولى: أن الحكم لعامة الناس وعليه مذهب الخوارج قديما والنظريات الديمقراطية حديثا.

الثانية: أن الحكم إنما هو لآل الحسين وحدهم، وعليه مذهب الشيعة والباطنية وملوك أوروبا في القرون الوسطى عندهم.

وهذا أحد ميزات الحكم في الإسلام.

وبأصول الحكم في الإسلام والتطبيق العملي لأحكام الإمامة فيه، يظهر لكل منصف سمو هذا الدين وعلوه وأنه تنزيل من حكيم حميد، أنزله العليم بأحوال الخلق ومصالحهم، الغني عنهم الرحيم بهم وهو الذي يعلم السر في السموات والأرض، وأن الإسلام دين كامل شامل، وتوحيد خالص لا شرك فيه، وأنه وحده دين التقدم والحضارة الحقيقية وما عداه سواء أكان محرفا أو وضعيا تأخر وانحطاط، وإن ادعى أصحابه أنه فكر حديث، أو راق أو متقدم أو متطور إلخ تلك الألقاب العريضة.

ولو أننا أقررنا الليبراليين واتبعنا آراء تركي الحمد وعثمان العمير وأمثالهم لأصبحت تلك الآراء الشركية من الماضي بعد حين.

ولتحقيق التوحيد قواعد في الحكم طبقها المسلمون وعملوا بها وأفاد من

بعضها الغربيون وحاولوا أن يحذوا حذوها ومنها:

-١ أن الحكم لله وحده وله المشروعية العليا والأمة لها سلطة التنفيذ والامتثال.

٢- الأمة هي التي تختار من يحكمها (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)، وتبايعه من طريق الشورى كما حدث في سقيفة بني ساعدة ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى:٣٨].

٣- أن الحاكم إنما هو وكيل أو أجير عند الأمة، وقد ضرب عمر رضي الله عنه مثالا لنفسه ورعيته برفقة كانوا في سفر فوضعوا متاعهم عند أحدهم.

٤- أن الحاكم لا يولي أقرباءه أو أصدقاءه وليس في الإسلام كسروية ولا قيصرية، بل إن النبي ﷺ لم يول أحدا من هاشم ولم يول الصديق أحدا من بني تيم، ولم يول الفاروق أحدا من بني عدي كما سبق.

٥- أن الحاكم لا يرشح نفسه (إنا لا نولي هذا الأمر رجلا سأله).

٦- أن الحاكم لا يتولى الحكم إلا بعقد البيعة، ويُبين في العقد ماله وما عليه كما جاءت به الشريعة.

٧- أن الحكم وظيفة دينية على الحاكم القيام بها ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١].

٨- أن من حكم بما أنزل الله وراعى أمر الله، وجبت طاعته في المنشط والمكره على المستطيع ووجب نصحه على الأمة وطاعته في المعروف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩].

٩- أن الحكْم إنما هو في قريش ما بقي من الناس اثنان، ومن لم يكن قرشيا لا تصح إمامته، وفي ذلك أحاديث كثيرة صحيحة سيأتي ذكرها بإذن الله.

١٠- أن الحاكم لا يتدخل في القضاء مطلقا، ومن حق القاضي أن يعزل نفسه (يستقيل).

١١- أن الشورى هي الوسيلة للتوصل إلى أفضل الحلول لكل مشاكل

الأمة.

١٢- أن المسلمين أمة واحدة والأصل أن يحكمهم إمام واحد.

١٣- أن الواجب على المسلمين جميعا، الحاكم والعالم والصغير والكبير، هو اتباع شرع الله في كل أمر، والأمر بالمعروف -ورأس المعروف التوحيد-، والنهي عن المنكر، وأعظم المنكرات الشرك.

ومن الشرك أن يجعل الناس شيئا لله وشيئا لقيصر، كما قال الجاهليون (هذا لله وهذا لشركائنا)، وكما قال النصارى "دع ما لقيصرَ لقيصر وما لله لله"، وكما قال السادات (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين)!! وكما حصر الفكر السياسي الغربي الآن الدين في دائرة "التوجيه الروحي"!! قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ﴾ [النحل:٥١].

١٤- أن نصيحة الحاكم واجب على الأمة وهي على أهل العلم أوجب.

١٥- أن الحاكم إذا استغل سلطته واتبع هواه، وجب على أهل الحل والعقد من العلماء ورؤساء الجند وشيوخ القبائل التدرج في الإنكار عليه بدءا باعتزاله ثم عزله.

١٦- أن الحاكم لا يتجر ومن اتجر فقد ظلم.

١٧- أن الإسلام هو الدين الذي ارتضاه الله لخلقه، وليس منه نوع معتدل ونوع متطرف "راديكالي"، ويجب على الحاكم إقامة دين الله، وليس مراعاة الخلق والعمل بتقسيماتهم.

١٨- أن الحاكم إذا لم يقم بواجبه نحو الأمة لعجز عقلي أو عاهة جسدية، فقد الأهلية ووجب على الأمة عزله بأقل قدر من المفاسد.

١٩- لا يجوز الخروج على الإمام الشرعي، ومن نقض البيعة فميتته جاهلية ويجوز قتل الخارج الذي يشق الصف ويفرق الأمة.

٢٠- أن الحاكم لا يجوز له التخوض في مال الله ويجب على الأمة أن تفرض له ما يكفيه من بيت مال المسلمين، وهو لا يملك التصرف في بيت

المال، نص على ذلك شيخ الإسلام كما سنذكر إن شاء الله.

٢١- أن الحاكم المسلم يأطر الناس على الحق أطرا، ويقيهم كل أسباب الضياع، ولا يتبع العلمانية الموضوعية ويجعل الناس مخيرين في اتباع الحق، كأن يجعل قناة للقرآن الكريم وقناة للسموم الفكرية، والشعب بالخيار إن شاء فتح هذه أو تلك، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، ولو أنه فعل ذلك لكان عكس ما أمر الله به الدولة المسلمة ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١].

وقد أثبتت التجربة التاريخية -كما في عهد رسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين ومن اهتدى بهديهم-، أن الإسلام دين عملي وواقعي، وليس نظرية خيالية لا وجود لها في الواقع، كنظرية العقد الاجتماعي، أو الفصل بين السلطات، أو ما هو أكثر شركا كالديمقراطية، وكل هذا سيأتي تفصيله -إن شاء الله-، ويتميز الإسلام بسلطة رابعة لا وجود لها في أي نظام آخر، وهي في الحقيقة السلطة الأولى، أعني السلطة العلمية، فالعلماء حكام على الحكام وملوك على الملوك، ولهم حياة خاصة مستقلة بيَّنتها السير وحياة السلف، وهم يكشفون عن حكم الله وعلى الأمة الالتزام به والدعوة إليه.

وهم ليسوا محل الشك إذ ليسوا من السلطة، ولا من المعارضة، ولا يريدون أي مقابل مادي.

ونظرا لهذه المعاني الإنسانية الرفيعة استفاد "ماديسون" أبو الدستور الأمريكي منها، وكذلك الوثائق الدستورية كوثيقة الحقوق، كما أفاد منه جورج واشنطن وجاكسون وجفرسن، والفكر التنويري عامة، وحاولت ذلك الثورة الفرنسية، واجتهدت في الوصول إليها هيئة الأمم المتحدة، ولكن هيهات لمن فقد أصل الإسلام أن يبلغ ذلك.

والإسلام هو دين العدل في كل شيء، مع المسلم والكافر والقريب

والبعيد والصديق والعدو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [النحل: ٩٠].

والعدل قيمة مطلقة به قامت السموات والأرض، وله أرسل الله الرسل ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وإلى العدل تنجذب الفطرة البشرية وبه تبقى الدولة ولو كانت كافرة، ولا يستطيع البشر معرفة تفصيلاته إلا بالشرع.

وأساس العدل هو التوحيد والعدل أساس الملك، ومن توحيد الله تقواه سرا وجهرا ومراعاة وجهه في كل أمر، وضمانا لإحقاق الحق، وإقامة الدين بالعدل بين الناس، والقسمة بينهم بالسوية، واستقلال السلطة العلمية عن سائر السلطات، جاء الإسلام بما لم يعهده الناس من قبل ولا من بعد من أصول الحكم، وكيفية معاملة الحكام وواجب العلماء، وأمثال ذلك مما فصلته الشريعة تفصيلا لا نظير له، وجعلت لذلك حالات، وبينت ما يجب على الأمة في كل حالة، وإنما تركت الشريعة السمحة بعض التفصيلات رحمة غير نسيان، ووكلت الأمر فيها للعلماء وفق الأصول الكلية التي شرع الله.

وليس من الإسلام الحرية المطلقة للصحافة التي يسمونها صاحبة الجلالة، بل ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد.

ومن الحالات التي جاء الشرع الحنيف بأحكام لها:

١- الحالة الدائمة مع الحاكم الصالح والطالح، وهي وجوب مناصحته وتذكيره بالله، وعلى تلك الحالة كان النبي ﷺ يبايع أصحابه، وهي تشمل السمع والطاعة في المعروف لا سيما ما كان في طاعة الله، وقول الحق دون خشية لوم اللائمين، ولو أدى ذلك إلى القتل أما الأذى فلا بد منه، وقد نهى صلوات الله وسلامه عليه عن مدح أحد في وجهه ومن ذلك التطبيل الإعلامي اليوم، حيث جعلوا مهنة الإعلام هي التدليس وإخفاء الحقائق والضحك على الشعوب.

والواجب على الدعاة هو الصبر على الأذى والمناصحة، وإقامة الحجة والتنويع حتى يستنفد أهل العلم كل الوسائل المشروعة.

قال ﷺ: (إن الله يرضي لكم ثلاثا)، وذكر منها (أن تناصحوا من ولاه الله أمركم)، فلا بد من النصح للحكام والعلماء، وهذان الصنفان هما ولاة الأمر.

وعلى قول الحق كان النبي ﷺ يبايع أصحابه كما حدث ليلة العقبة، ونهى الله تعالى أهل العلم عن كتم الحق قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة: ١٥٩-١٦٠] الآية. وكتم الحق هو غش للحاكم والمحكوم واستمراء للمعاصي.

والإمامة وظيفة دينية، والإسلام لا علمانية فيه مطلقا- وعلى كونها دينية أجمع العلماء ومنهم الماوردي وأبو يعلى ونظام الملك والعز بن عبدالسلام وابن تيمية وابن خلدون والشيخ الشنقيطي وغيرهم، استنادا إلى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١].

٢- حالة مخالفة الامام لعقد البيعة ولذلك صور كثيرة أعظمها:

أ- وقوع الإمام في الكفر البواح كأن يتحاكم إلى غير الشرع من القوانين الوضعية والآراء البشرية، ويدين بدين غير الإسلام كالديمقراطية، أو فلسفة بشرية كالحرية الغربية وحينئذ يجب الخروج عليه ومنازعته للمستطيع، ويجوز لأهل الحل والعقد عزله بأقل المفاسد، ومن الكفر ترك الصلاة وترك الدعوة إليها كما بيَّن الحديث.

ب- وقوع الإمام في المعصية أو البدعة أي حالة (تعرف منهم وتنكر)، وهذا يجب نهيه عن المعصية أو البدعة ويجوز عزله، والمسألة اجتهادية تقديرية تختلف بحسب الأوضاع العامة والعصور المختلفة، وعلى العلماء مراعاة المصلحة الشرعية فيها مع المناصحة والتذكير.

ب- حالة استيلاء بطانة السوء عليه، قال ﷺ: (ما من أمير أو خليفة إلا وله بطانتان، بطانة تأمره بالخير وتحثه عليه وبطانة تأمره بالشر) الحديث، وفي آخره (وهو لمن يغلب منهما) وهذه حكمها كسابقتها.

ج- حالة اختلال أحد الشروط الشرعية كأن يكون غير قرشي أو غير عدل، وهنا يجب على أهل العلم عزله بقدر الاستطاعة، ولا يجوز تعيينه ابتداء.

د- حالة التغلّب والقهر وهو أن يستولي أحد على السلطة بالقوة، مع توفر بقية الشروط الشرعية فيه وهذا سلطان اضطرار لا سلطان اختيار.

ويجب مناصحته أيضا وتخفيف ضرره بقدر الإمكان، فإن أبى الحق وجب عزله وجازت القومة عليه.

هـ- الحالات الطارئة الشاذة، مثل ألا يكون للإمام إلا الخطبة والسكة بينما الحكم الحقيقي لغيره، وهي الحالة التي يعبر عنها السياسيون بقولهم (يملك ولا يحكم) وإنما يحكم غيره، كالسلطان أو رئيس الوزراء وهي أيضا حالة اجتهادية يدرسها العلماء ويختارون الأصلح فيها.

وقد كتب بعض المؤلفين قديما عن الفكر السياسي الإسلامي، مع أن كلا منهم ينظر للأمر من خلال واقعه هو، وأشهر تلك الكتب هو ما كتبه الماوردي وأبو يعلى ونظام الملك.

وكتاب سير الملوك أو بالفارسية "سياست نامة" الذي كتبه نظام الملك خير من كتاب الماوردي (الأحكام السلطانيه) من جهتين:

١- أن الماوردي كان أيام البويهيين وهم شيعة متعصبون شبههم ابن تيمية بالعبيديين، والبويهيون جعلوا الماوردي سفيرا لهم بينما كان نظام الملك وزيرا للسلاجقة السنة.

٢- أن نظام الملك كان يمارس عمليا ما يكتب، فقد كان المتصرف الأكبر في الدولة السلجوقية، وليس للملك إلا التوقيع، وقد شدد نظام الملك على حسن الإدارة وعلى العدل والشورى وقد أيد ابن تيمية ما ذكر خاصة

في قوله: "إن الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة".

وقد قال الوزير نظام الملك "الدول تبقى مع العدل والكفر وتزول مع الظلم والإسلام"، كما أنه ذكر الشورى في مواضع كثيرة واستدل عليها من الكتاب والسنة وعمل الراشدين، وكان يفتخر بالمعارك الإسلامية الفاصلة مثل معركة نهاوند ومن كان فيها من الصحابة. وكان مهتما بنشر الدين في مملكته الواسعة.

معنى السلطان:

السلطان في الإسلام غير ما نظن، فليس من شرط السلطان أن يكون شخصاً أو يكون الحاكم العام فرداً بذاته فقد يكون أمرا معنويا أو أي منفذ لأمر الله.

وهذا ما قرره إمام أهل السنة والجماعة (الإمام أحمد) لما سألوه عن المرأة التي لا ولي لها فقال: وليها السلطان، فقالوا له: كيف تقول السلطان وأنت تعرف حال سلطان زماننا؟ فقال: إنما قلت السلطان و لم أقل فلان" أي أن مراده من كان له سلطة تنفيذية تخوِّله العقد، وهو أهل لذلك، لاسيما من كان قاضيا.

وعلى ذلك يحمل ما ورد في الحديث "سلطان الله" أي أمره ونهيه، قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ﴾ [الرحمن:٣٣]، أي إلا بأمر الله كما قال ابن كثير. وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي: إلا بقوة، والسلطان هو الحجة والبيان، والبرهان، والسلطة، وقد ورد في القرآن بمعان شتى ليس هذا مجال التفصيل فيها، وأصله من التسلط الذي هو الغلبة والاستيلاء، ثم استعير لمن بيده السلطة كما نقول: فاتح الهند هو السلطان محمود الغزنوي. وقاهر الصليبين هو السلطان الناصر صلاح الدين، وبهذا الاستعمال أطلقه الشوكاني في

(البدر الطالع) على خلفاء آل عثمان حيث سماهم سلاطين الروم، وأكثر ما وردت كلمة السلطان في القرآن بالمعنى المعنوي، و لم ترد بمعنى الملك أو القوة إلا مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ [الحاقة:٢٩].

حكم الدخول على السلاطين:

قال الإمام أبو بكر المروزي تلميذ الإمام أحمد: (فصل في انقباض العلماء المتقين من إتيان أبواب السلاطين).

وكتب السيوطي كتابا اسمه (ما رواه الأساطين في الدخول على السلاطين).

ومما يعين على هذا الحياد السياسي احتفاظ العالم برأيه في السلطة وعدم تزكيته لها.

وكان الإمام أحمد رحمه الله لا يأتي الخلفاء ولا الولاة والأمراء، ويمتنع عن الكتابة إليهم، وينهى أصحابه عن ذلك مطلقا، نقله عنه جماعة وكلامه فيه مشهور، ومنها قول تلميذه المروزي: سألت أحمد عن إبراهيم بن الهروي فقال: رجل وسخ. فقلت ما قولك إنه وسخ؟ قال: من يتبع الولاة والقضاة فهو وسخ".

ثم قال المروزي: "وكان هذا رأي جماعة من السلف وكلامهم في ذلك مشهور منهم سويد بن غفلة وطاوس والنخعي وأبو حازم الأعرج وسفيان الثوري والفضيل بن عياض وابن المبارك وداود الطائي وعبدالله بن إدريس وبشر بن الحارث وغيرهم".

ثم ذكر أن العقيلي في كتاب "الضعفاء" لم ينقل في ابن أبي ليل إلا قول إبراهيم النخعي فيه "كان صاحب أمراء".

وهذا ما فعله كثير من السلف مثلما فضلوا موقف من الممسكين عن الفتنة من الصحابة.

قال ابن الجوزي: ومن صفات علماء الآخرة أن يكونوا منقبضين عن

السلاطين محترزين عن مخالطتهم، قال حذيفة ﷺ "إياكم ومواقف الفتن. قيل وما هي؟ قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب أو يقول فيه ما ليس فيه".

وقال سعيد بن المسيب: "إذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فاحذروا منه فإنه لص".

وقال بعض السلف: "إنك لن تصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينك أفضل منه" ا.هـــ، ومثل ذلك منقول عن ابن رجب رحمه الله كما هو عن المروزي.

وقال الفضيل بن عياض: ربما دخل العالم على الملك ومعه شيء من دينه ويخرج وليس معه شيء!". فلما قيل كيف ذلك يا أبا علي، قال: يصدقه في كذبه ويمدحه في وجهه".

وأصل ذلك هو حديث كعب بن عجرة الذي سنورده كاملا بإذن الله.

وقد ذكر الخطيب البغدادي أن الإمام البخاري لم يذهب إلى والي بخارى لما طلبه، وكان ذلك أول الجفوة بينهما، وقال ابن تيمية: "من المعلوم أن علماء السنة كمالك وأحمد من أبعد الناس عن مداهنة الملوك أو مقاربتهم".

وقال تلميذه ابن مفلح في "الآداب الشرعية": "فصل في انقباض العلماء المتقين من إتيان أبواب السلاطين".

والسلاطين يتدرجون كما قال سفيان الثوري، فيبدأون بالحفاوة بالعالم، واستمالته إليهم ليزكوا أنفسهم عند الشعب، فيعطونه من بيت مال المسلمين إذا آنسوا منه ميلا للدنيا، ثم يرسلون له ضابطا بدرجة فريق، ولا يزالون ينقصون قدره حتى يرسلوا إليه جندي، ثم إن الشيخ نفسه يذهب إليهم ويصدقهم بكذبهم ويستخدمونه أداة لدعايتهم وقربانا لهم. وربما جعلوه من البطانة، لكن ليسوا مجبرين على العمل برأيه ومشورته مهما كانت مستندة إليه من الآيات والأحاديث.

وهذا التدرج حذر منه عبدالله بن مسعود من قبل إذ قال -وله حكم الرفع- (ستكون عليكم أمراء يدعون من السنة مثل هذه (وأشار إلى أمر يسير) فإن تركتموها جعلوها مثل هذه (أي أمرا كبيرا) فإن تركتموها جاءوا بالطامة الكبرى).

قال ﷺ: (إياكم وأبواب السلطان فإنه قد أصبح صعبا هبوطا).

وقال بعض التابعين: "لا تدخلن على ذي سلطان ولو أن تعظه"، وربما قال الشيطان لبعض الناس تدخل عليه فتشفع في محبوس أو تنصر مظلوما أو تنهى عن منكر، وأمثال ذلك كما ذكر ابن رجب في شرح حديث "ما ذئبان جائعان" المعروف.

ومن دخل عليهم مكرها أو راضيا فليذكِّرهم بما يجب عليهم وليجتهد في نصحهم، ولا يأخذ على كلامه أجرا، فهكذا كان الأنبياء والسلف، ومن وفقه الله للخير اتبع السلف فنهى عن المنكر وأعلن ذلك للناس حتى لا يقع فيه أحد، ودفع عن نفسه عقاب الله، قال ﷺ: (إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب)، وفي رواية (إن الناس إذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشك أن يعمهم الله بعقابه).

وتأمل قوله (إذا رأوا المنكر) فالعلماء لا يتجسسون وحسبهم الرؤية الظاهرة.

ومن الواجب على العلماء القيام بميثاق الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

ولا يجوز لهم كتم العلم قال ﷺ: (من كتم علما ألجمه الله بلجام من نار). فانظر كيف نهى الله عن الكتم وجعل البيان شرطا لمن تاب.

وفي أيامنا هذه يجب على العلماء وعلى من علم شيئا من الدين أن يقوله في أي مكان، وليعلم أنه يصل إلى ذي السلطان فيكون قد جمع بين الأمرين ترك الدخول على السلاطين وإنكار المنكر، ومن نزغ الشيطان

وتزيينه قوله (إن من الحكمة ترك الأمر وتجنب الأذى)، فليحذر منه المسلم وليعلم أنه من خداع النفس والتلبيس وربما جنح إلى ذلك بعض الناس لعذر ليس لغيره.

وليعلم المتَّبع أنه ما من أحد عصى الله إلا بتأويل، ولو أن قوم فرعون قالوا له إن ما دعا إليه موسى حق وإن إيمان السحرة حق، وإن دعواك الألوهية باطل، لما تفرعن عليهم واستخف بهم هو وهامان وجنودهما كما ذكر الله عنهم. وانظر كيف لم يسلم من انتقام الله إلا امرأة فرعون ومؤمن آل فرعون. ومن لم يصحب فرعون لما غرق.

وحين ننصح بالعتزال أهل المناصب والدنيا لا سيما العلماء، فإنما نعمل بحديث رسول الله ﷺ.

والاعتزال وردت فيه أحاديث كثيرة وبه عمل كثير من السلف، وصدق رسول الله ﷺ لما قال في أمراء السوء: (لو أن الناس اعتزلوهم) وهو حديث صحيح رواه البخاري ومسلم وأحمد والنسائي وغيرهم! وقد جاء بلفظ (هلاك أمتي على يد حاكم جائر وعالم فاجر)، فسلم من اعتزل فرعون من الغرق، وسلم من اعتزل عمل قوم لوط وفر بدينه إلى مكان آخر، وسلم أبونا إبراهيم عليه السلام لما اعتزل أباه من عبادة الكواكب، وقد قال الصحابي الجليل وينسب إلى ابن عباس أو ابن مسعود "لا أعدل بالسلامة شيئا".

وقد قال ﷺ: (سيكون أمراء تعرفون منهم وتنكرون من نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم ومن خالطهم هلك).

واشتهر اجتنابهم عن الصحابة الذين أدركوا خلفاء السوء، مثل جابر بن عبدالله وعبدالله بن عمر وأبي سعيد الخدري. وفي زمن التابعين كان سعيد بن المسيب وعبدالله بن محيريز وسلمة بن نبيط وعلقمة وطاووس.

ثم اشتهر ذلك عمن تلاهم مثل عبدالله بن المبارك والفضيل بن عياض وسفيان الثوري والأوزاعي.

ثم عن الأئمة الكبار كأحمد والبخاري، وقد اشتهر عن الإمام أحمد رحمه الله قوله: "نحن متباعدون عنهم ما أرانا نسلم فكيف لو قربنا منهم".

وقال محمد بن واسع: "الدنو منهم هو الذبح". وقال: "لقْم القضب وسف التراب أهون من الدنو منهم".

ولما قيل للإمام أحمد: يرحمك الله لو أخذت منهم ثم تصدقت به، غضب وقال: أتريدني أن أكون لهم قهرماناً؟ أي بلغة عصرنا "مدير أعمال".

ونهى شعبة بن الحجاج عن الاستظلال بفيء أبوابهم.

والحاصل أن هذا هو الغالب على سير السلف، والآخرون الذين دخلوا عليهم كانوا يقولون الحق ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يمدحون بما ليس فيهم.

وكان بعض السلف ينصح الحاكم أن يأخذ رأي الناس فيه وفي سيرته في المسجد الجامع ويرى أن الشورى حتم، ولم يكن الناس في تلك الأيام يصلون الجمعة إلا في مسجد واحد مهما كبرت المدينة، مثل بغداد ودمشق، ثم إن الفقهاء أجازوا ذلك للضرورة والمشقة لما تباعد العمران وكثر الناس. ولذلك قال بعض السلف لسلطان عصره كما رواه أبو بكر المروذي في أخبار الشيوخ وأخلاقهم، وغيره:

"ضع يدك في يدي ونقوم على المنبر يوم الجمعة ونسأل الناس"، ولم يكن في تلك الأيام إعلام مضلل بل كان الناس أحراراً حقا، ولو أن السلطان يريد الحق وأطاع من قال له ذلك ربما اختار المسلمون غيره، ولم يختاروا من جعله وليا للعهد من أسرته، فالأصلح للحكم هو الأتقى، والذي يحدد التقي من الفاجر هم علماء الآخرة.

وكان أئمة الجرح والتعديل يجرحون الرجل إذا اتبع السلاطين وذلك من الجرح المفسَّر.

قال ابن معين عن يونس بن بكير: "ثقة إلا أنه مرجئ يتبع السلطان".

وإذا كان يونس بن بكير كذلك وقد عاش في القرن الأول فما رأيك

بمرجئة القرن الخامس عشر؟

البطانة والتطبيل الإعلامي:

لو أن الفنان الغربي صاحب البراز المذكورة قصته في غير هذا الموضع، أرسله إلى الليبراليين هنا لأطنبوا في وصفه وفي التطبيل لكل ما هو قذر، وقد أخرج أحد أمراء السوء ضرطة فقال المطبلون من بطانة السوء: (انظروا كيف أخرجها، والله ما أطنّها ولا أغنّها) واستمروا في الثناء عليها!!

وهذا ليس بغريب ممن يتمنى أن يحتل الأمريكان بلده، ولو كان المتمنون متدينين لكانوا إرهابيين ظلاميين، ولكانوا في السجن مع الهاشمي والقرني والطريفي والعلوان والرشودي والسكران والحازمي وزملائهم.

فالقضية هي رضا السلطان وليس الباذنجان، ولذلك قصة معروفة موجزها أن أحد السلاطين ذم الباذنجان فذمته البطانة وبينت عيوبه وأضراره، ثم إن السلطان مدحه فمدحته البطانة وبينت فوائده. فقال بعض الحاضرين لأحدهم لما خلا به: كيف تتناقض؟ فقال أنا يهمني رضا مولاي السلطان وما لي وما للباذنجان!!

وتحدث أحد الملوك هنا عن النفق الذي يربط بين بريطانيا وأوروبا فقال أحد البطانة: "هذا في عهدك طال عمرك".

وقيل لأحدهم لما قبّل ملك عصره في رأسه: كان يكفيك تقبيل الكتف، فقال: لو كان فوق رأسه خرا قبلته، والأمثلة كثيرة على تطبيل بطانة السوء وجهلها!

هذا وكان فقهاء الإسلام يراعون الحق والمصلحة في كل أمورهم:

فلما رأى بعض الفقهاء أنه ربما ألغى المنكر أو خففه، لو تولى منصبا كالقضاء أو العمل على الصدقات أو على بيت المال عمل لسلطان عصره على شروط اشترطها هو كما فعل شيخ الحنابلة أبو يعلى الفراء رحمه الله، فقد كان من شروطه ألا يحضر للسلطان مهرجانا.

ولما رأى بعضهم أن في ولاية المتغلب تسكينا للدهماء ومنعا للفتنة مال إلى ذلك. وهكذا، والمهم أنه لم ينقل عن أحد من السلف بل في التاريخ كله أنه قال: ما أنا عليه هو السنة، وهو مذهب السلف، إذ المسألة مسألة ترجيح واختيار فقط ليس فيها سنة وبدعة، بل البدعة هي اعتقاد ضلال من كان على غير ما رجحوه، على أن أحدا من السلف لم يترك إنكار المنكر قط بل إنما اشترط هؤلاء ما اشترطوا لكيلا يدخلوا في حديث كعب بن عجرة فيصدقهم بكذبهم!

وليست عقيدة أهل السنة والجماعة محصورة بين حدين:

إما أن يقال إن الامام كافر فتجب منازعته والخروج عليه بالسيف وتحريم توليته، وإما أنه مؤمن فتجب طاعته في كل أمر، بل كل والٍ أو أمير أو أي إنسان يطاع في الطاعة ويعصى في المعصية، وهناك في الشرع درجة ثالثة غير الكفر والإسلام وهي درجة النفاق نص على ذلك شيخ الإسلام، وعلى هذه القسمة الثلاثية جاء الكلام عن أنواع الناس في أول سورة البقرة.

والنفاق نفسه مراتب بعضها كفر، وبعضها طريق للكفر، وبعض خصاله تجعل المتصف بها فيه خصلة من النفاق لكن ليس منافقا خالصاً.

وقد قال الرسول ﷺ: (إلا أن تروا كفرا بواحا) إن صح رفعه، ولم يقل إلا أن يكفروا، وقال: (تعرف منهم وتنكر)، أو (تعرفون منهم وتنكرون).

أما تولية المفضول مع وجود الأفضل فهو مذهب الزيدية، وأما تولية غير القرشي فهو مذهب الخوارج، والمستشرقون هم الذين يقولون إن مذهب الخوارج ديمقراطي!!

وسنذكر بإذن الله تفصيلا للإمامة وأحكامها في مبحث مستقل.

مبادئ الفكر السياسي في الإسلام

مع ما سبق إيراده نزيد الأمر وضوحا، فنقول: الحكومة الإسلامية لا تهمها الشكليات أو الأسماء، وهي اسم عام لكل سلطة إدارية تسوس المجتمع الإسلامي بمقتضى الشريعة الإسلامية أيا كان شكلها أو اسمها، وكلما كانت أكثر التزاما بأحكام الشريعة وأكثر انتهاجا لمبدأ الشورى كانت أقرب إلى منهاج النبوة.

وهي تسوس الناس بالعدل والإصلاح اللذين بهما تنال السعادة في الدارين، وما من أمة إلا وهي تعتقد أو تظن أن ما انتهجت من السبل وشرعت من الشرائع هو أعدلها وأصلحها.

فالشأن إذن ليس في دعوى الإصلاح والعدل، ولا في محاولة الوصول إليهما والاجتهاد في تحقيقهما، وإنما هو في اتباع ما شرع الله، والمسلمون هم أمة الدين الخالص بتوحيد الله عز وجل، وتحقيق العبودية الخالصة وإرادة وجهه الكريم في إيمانها وعقيدتها وفي نظامها وشريعتها، وفي هديها وسلوكها، فهي أمة الصراط المستقيم المخالف لسبل أهل الضلال، ومن ثم فليست الحكومة الإسلامية واحدا من النماذج التي عرفها التاريخ الأوروبي أو غيره، كالثيوقراطية، والملكية المطلقة، والديمقراطية الوضعية الغربية، وهذا لا يعني ألا نستفيد من تجارب الأمم وأحوال العالم.

والحكومة الإسلامية تسير على عقيدة أهل السنة حيث الإيمان قول وعمل، وليس مجرد شعارات ومطية لكسب الشرعية.

وليس في الإسلام رجال دين بالمفهوم الغربي، ولا ولاية فقيه بالمفهوم الذي تعتقده بعض الفرق الإسلامية، ومن حق كل مسلم أن يجتهد ويتأهل للفتوى باستكمال أدوات الاجتهاد، ولو في مسائل معدودة من الدين، وإذا لم يكن رأس الدولة مجتهدا فعليه سؤال المجتهدين.

والحرية في الإسلام حرية مطلقة بالنسبة للناس فيما بينهم، وهم كلهم

عبيد لله تعالى، فلا حق لأحد في تقييدها إلا بمقتضى الشريعة المترلة، أي لا المؤولة ولا المبدلة، ويتميز المجتمع الإسلامي بكفالة كل منتم إليه مسلما كان أو ذميا.

والمقصود بالولايات كلها الأمر بالمعروف وأهمه التوحيد، والنهي عن المنكر وأهمه الشرك، وطاعة ولي الأمر حاكما أو عالما مقيدة بألا تكون في معصية الله.

والحكومة الشرعية هي التي تختارها الأمة ممثلة في أهل الحل والعقد منها، أو ترضى بها الأمة مراعاة للمصالح، وشرطها الدائم الالتزام بإقامة الدين، أما أن يقول الإعلام (الحكومة الشرعية) ويعني بها المنتخبة شعبياً فباطل.

والمُلك الجبري -بأي اسم تسمى- واقع، ويجب على الأمة الاجتهاد في الحد من جبروت أهله بالمناصحة والاحتساب، ورفض طاعتهم في المعصية، واعتزالهم، وبأي وسيلة ممكنة.

والحاكم الجائر ينبغي الصبر عليه ليس إقراراً لجوره، بل مراعاة للمصلحة العامة، مع التهيئة لإزالة الجور بالتقليل من المنكرات، وتقليص صلاحياته ما أمكن، ومن أهم أسباب ذلك التوبة وترك المعاصي، والتعاون على الحق بإنشاء المؤسسات الأهلية المستقلة.

والعدل في الإسلام قيمة مطلقة، فهو واجب على كل أحد لكل أحد في كل حال، ولما كانت الحكمة ضالة المؤمن ولما كانت التجارب البشرية من حولنا -في المجال التنظيمي والإداري- كثيرة ومتنوعة، فمن الواجب أن نختار منها الأقرب إلى تحقيق المصالح الشرعية.

خصائص الدولة الإسلامية:

١. أنها دولة شريعة لا دولة أهواء كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]، ولكون شريعتها ربانية فهي أسمى وأرقى مما يقوله فلاسفة السياسة الاجتماع عن "دولة القانون".

٢. أنها دولة الإيمان الحق الذي يحقق الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، فلا هي دولة رهبانية ولا هي دولة رفاهية بالمفهوم الغربي، وهي بالعبودية لله تحرر الإنسان من العبودية لكل ما سواه، وترفض الاستبداد وامتهان الكرامة.

٣. أنها دولة العدل المطلق، الذي لا يؤثر فيه اختلاف الدين أو المذهب أو العنصر أو اللغة أو الوضع الاجتماعي، بل لا يتأثر بالعداوة أو القرابة أو المنفعة أو المضرة، وإنما هو قيمة مطلقة واجبة على كل أحد لكل أحد في كل حال، ولا يمكن تحقيقه إلا بالالتزام بالشريعة المترلة التي هي عدل كلها ورحمة كلها وحكمة كلها.

٤. أنها دولة الشورى فلا يستبد بأمرها فرد أو أسرة أو حزب أو قبيلة أو طبقة، وتحقيق هذه الشورى متروك لاجتهاد الأمة في كل عصر وحال بما يناسبه، وفقا للأصول والأحكام العامة.

٥. أنها دولة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر احتسابا وتقربا إلى الله ونصحا لله ولرسوله وللمؤمنين، وهذا واجب أو مشروع لكل أحد على كل أحد إذا توفرت شروطه الشرعية، وليست دولة صراع بين حكومة ومعارضة يسعى كل منها للتخلص من الآخر، ويتمثل تحقيق ذلك شرعا في أجهزة رقابية وتأديبية -لا تحابي ولا تفرط- وأجهزة احتسابية منها جهاز السلطة العليا ذاته، كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١]، ورأس المعروف هو التوحيد وبعده الصلاة.

ومن شدة كراهية الصهاينة في إسرائيل والصهاينة الرويبضات في بلاد الإسلام للدين، أنهم يسعون لمنع الآذان في مكبّرات الصوت، وذريعتهم في ذلك واحدة، وفي ذلك محو لأهم خصائص الدولة الإسلامية، وتحويلها إلى مجتمع من البهائم لا همّ لها إلا العلف والدنيا.

والرد على هؤلاء سهل جدا، ومن أوجه كثيرة أذكر منها ما يحضرني:

أ- أن الآذان من شعائر الإسلام الظاهرة، وهو بنص الكتاب والسنة نداء للصلاة فيكف يكون خُفية.

ب- أن النبي ﷺ كان يختار المؤذن الأندى صوتا، فكلما كان الصوت أعلى كان ذلك هو الأولى شرعا إن لم يكن الواجب.

ج- أن الطالبين بذلك يلزمهم القول بصعود المؤذن على المنارة، وفي ذلك مفاسد جمة منها المشقة على المؤذن، والكشف على جيران المسجد، وغير ذلك مما يستدعي أن تغير وزارة الشؤون الإسلامية والقروية نظام المساكن، وتغيّر المكاتب الهندسية كيفية البناء...إلخ.

د- أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على صحة الأذان الأول ليوم الجمعة في سوق المدينة، ومن تسخير الله تعالى لنا أننا أصبح في إمكاننا مدّ سلك من المسجد إلى الأماكن العامة كالأسواق والحدائق وكل التجمعات، ويكون الأذان واحداً عاماً في الوقت نفسه.

هـ- أن هؤلاء الصهاينة والروبيضات في قلوبهم مرض، وإنما يهدفون لكراهية الصلاة بوسائل شيطانية مختلفة، فبعضهم يدعو لفتح المحلات وقت الصلاة، وبعضهم يدعو لمنع الأذان في المكبرات، وهكذا، وكفى بذلك شذوذاً عن الدين والأمة، وبذلك يفقدون الدولة أهم واجباتها وخصائصها، حيث قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج:٤١]الآية، ومما يدل على أن العداوة إنما هي للدين وأهله أنهم لما كثرت الجرائم بعد كف يد الهيئات، أصبحوا يطالبون في الصحف بجهات مدنية لحماية ما يسمونه (الذوق العام)، ولم يطالبوا بتفعيل عمل الهيئات لأنها تعمل باسم

الدين و لم يطالب هؤلاء بذلك ولا ببناء المساجد التي هي قليلة في بعض المدن مثل جدة، ولولا أن أهل الخير يبنوها لكانت أقل أوليس روادها مواطنين؟

و- أن الله تعالى وصف عُمار المساجد مهما كان سنهم بأهم (رجال)، وكذلك كل من يحافظ عليها وعلى عرضه، أما الدياييث فهم ذكور لكن ليسوا رجالا، وهؤلاء الرويبضات يريدون تعطيل المساجد من الرجال.

ز- أن الله قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ [النور:٣٦]، وهؤلاء لا يريدون رفعها لا حسيا ولا معنويا.

ح- كان الرسول ﷺ إذا سمع الآذان وإلا أغار فالبلد غير مسلم، فكيف نسمعه اليوم مع الضجيج والزحام.

ط- أن كثيرا من الناس دينه أغلى عنده من أوامر الأوقاف وغيرها، ولن يتمثل لذلك، فالدعوة إذا تعويد على التمرد على الأوامر وغش للدولة والأوقاف.

٦. أن الدولة الإسلامية هي دولة التكافل وحماية الحقوق، بتوازن فريد بين المتضادات، مثل حق الحاكم وحق المحكوم، وحق العالم وحق آحاد الناس، وحق رب العمل، وحق العامل، وحق المنتِج، وحق المستهلك، وحق المرأة وحق الرجل، وحق الفرد وحق المجتمع، وحق الطفل وابن السبيل واللاجئ والمستجير...إلخ، ويناط تحقيق ذلك بأهل العلم وبأجهزة القضاء الذي عمَلُه رد المظالم وأداء الحقوق والإصلاح بين الناس، وبيان ما هو حق لمن نسيه أو فرط فيه.

وهي -حمايةً لحق كل إنسان على أرضها- تبادر بكفالة كل محتاج وتشكر من بين لها حاجته: فلما زار عمر الشام قام بلال بن رباح فكلّمه وعمر يحيط به الأمراء والأجناد فكان مما قال: إن هؤلاء لا يأكلون إلا الطير، وقد وسع الله عليك، قال عمر: صدقت. وأمر بكفالة كل مسلم وقال والله لا أقوم من مجلسي هذا حتى تكفلوا لكل رجل من المسلمين طعامه وحظه من الزيت والخل".

٧. أنها دولة الحرية والمسؤولية، والمؤسسات المدنية والأهلية، وبهاتين تحدّ من تغوّل السلطة الحاكمة، وتمنع التسيّب الاجتماعي سواء. فلا تطغى قوة على أخرى ولا تحِّول المجتمع إلى فئات وقوى متصارعة، وتعطي الفرد أقصى درجات الحرية في قول الحق، ولكنها تحاسبه على الكلمة الواحدة إذا كانت قذفا أو افتراء،وهي تُعذر بالتأويل ولا تنسى للمجتهد أجر اجتهاده وإن أخطأ.

٨. أنها دولة الوفاء والالتزام بالعقود والعهود، مع الأفراد والدول (ما لم تخل بالشريعة وسيادة الأمة).

وهي تلتزم بمحكمات الشريعة وتراعي مقاصدها الكلية وترد المتشابه إلى المحكم والجزئي إلى الكلي.

٩. أنها دولة التعامل الواقعي والمصلحي الملتزم بمحكمات الشريعة، ومن هنا تكون سياستها الشرعية مراعية للمرحلة والواقع العالمي والمحلي.

١٠. أنها دولة السياسة الشرعية المتميزة، فهي تسعى للأفضل لكنها تراعي الواقع وتجتهد في الإصلاح من غير طفرة ولا جمود، وتراعي المرحلة التي تمر بها الأمة والدعوة من استضعاف أو استخلاف، ومن طلب أو مدافعة، أو قتال أو مهادنة.

١١. لا يقر الإسلام الفوضوية التي قال بها الأصم من المعتزلة قديما، وباكونين وزمرته حديثا، حيث قالوا إن الناس يصلحون بلا دولة!

وسيأتي في الأبحاث التالية بإذن الله ما يجلّي خصائص الدولة الإسلامية ويوضحها أكثر.

معالم في الفكر السياسي الإسلامي:

١. الولايات كلها دينية وعلى رأسها الإمامة العظمى.

٢. ملة أبينا إبراهيم هي إتيان الله بقلب سليم خال من شوائب الشرك والابتداع والمعاصي، وعلى الدولة تحقيق ذلك بكل وسيلة.

٣. يجب ترك الأعرابية التي تدعي أنها آمنت وإنما أسلمت فقط.

٤. ينبغي تولية المصلحين وإبعاد المفسدين، وذلك يشمل البطانة وكل منصب.

٥. الأمر شورى بين المسلمين، وليس الحكم محتكرا لفئة أو أسرة أو طبقة كما هو حال كسرى وقيصر والرأسمالية المعاصرة.

٦. إذا تعارض الاستقرار والفوضى، غلّب أهل السنة والجماعة جانب الاستقرار، مع الاستمرار في التسديد والنصح.

٧. على الأئمة ما حُمِّلوا وعلى العلماء وأهل الدين ما حملوا، وعلى كل إنسان في المجتمع الإسلامي ما حمّل، ولا يصح اعتذار أحد بأن الاثم على الذي أباح كذا، بل على المسلم أن يجتنب ما فيه شبهة فضلا عما هو محرم، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته.

٨. إذا لم يعمل أحد بالشرع وخرج عنه إلى البدعة إماما أو غيره وجب على العلماء أمرين:

أ- رده عن البدعة بالدليل، حتى لا يستمرئ الناس ذلك ويحسبون تغيير بدعته تغييراً للسنة.

ب- بيان ذلك لعامة الناس، إعذارا إلى الله وإبراء للذمة ودفعا للتهمة، وتحذيرا لكل من تسول له نفسه فعل تلك البدعة.

٩. الخروج بالقوة هو مذهب الخوارج والمعتزلة ومن شايعهم، ويحسبون أن ذلك هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١٠. لا تنعقد الإمامة لأحد إلا بأن يبايعه أهل الشورى، وليس بمجرد أن يعهد إليه الإمام السابق، فلو أن أهل الشورى اختاروا غير المعهود إليه، لم يكن لعهد الإمام السابق من أثر.

١١. لا تنعقد الولاية لفاسق، ومن الفسق الخيانة، ولا لعاجز أو سفيه، ولا بد من توفر الشروط الشرعية في الإمام وأهمها إقامة الدين والعدالة والقرشيَّة والعلم، ولا يولّى من سأل ذلك ورشح نفسه وحرص على الولاية،

ومن الفسق صرف الناس عن الجد إلى الهزل، والعمر أغلى من أن يضيع في المباح فكيف بإضاعته في اللهو واللعب؟

١٢. إذا انعقدت البيعة لإمام وجبت طاعته، ولا يجوز طاعته في المعصية بحال، ولا يجوز لمن أعطي المقدرة على الإنكار أن يسكت مستدلا بفعل غيره، فربما كان غيره معذورا وهو غير معذور، وربما اجتهد غيره في تحقيق مصلحة وكان مخطئا، وربما أنكر على الإمام سرا وهو لا يعلم، ويتعين ذلك إذا تغير السلطان وكثرت المنكرات.

١٣. تُراعى دائما مصلحة المسلمين، وأهل العلم هم الذين يرجحون بعض المصالح على بعض، وقد يقتضي الأمر إقرار ولاية المتغلّب، إذا أجمعت عليه الأمة وسمي "أمير المؤمنين" تسكينا للدهماء، على أنه يظل متغلبا وليس حاكما من طريق الشورى، أي أنه إمام اضطرار لا اختيار. ولا يجوز تسخير مقدرات الأمة لهواه أو ادعاء أنه وال شرعي، وقد يضطر الرجل للزواج من امرأة ينقصها الجمال لكن لا يقول أو تقول إنها ملكة جمال الكون!

١٤. الإمام لا يُفتعل فقد يخلو الزمن عن إمام.

١٥. الإسلام دين التوحيد المطلق لله، وليس فيه علمانية من أي نوع لا مضادة للدين ولا غير مضادة، لا جزئية ولا كلية، وليس فيه إسلام سياسي وإسلام غير سياسي كما نسمع، وليست العلمانية محصورة في الصورة الصارخة التي فعلها أتاتورك بل الأتاتوركيون أصناف، وبعضهم ربما لبس غير لباس أتاتورك، وربما هذب علمانيته، وبعضهم يرى أن منهج عبدالله بن أبي بن سلول أجدى من منهج فرعون، ومن صور العلمانية الواقعة حاليا الفصل بين القضايا السيادية والقضايا الأخرى، فأين التوحيد؟

وقد تكون مراعاة ظروف المجتمع غير شرعية، وقد يكون ذلك عملا سياسيا فقط، بل حتى أمريكا نفسها توصي بمراعاة ظروف المجتمع وثقافته، وعدم مصادمته فيما يؤمن به، كالحجاب وإقامة الصلاة مثلا ويكفي عندها أن تقام البنوك الربوية وتنتشر الفكرة الرأسمالية تدريجيا أو يبقى الإسلام

شعارات باهته، والمحظور عندها هو قيام دولة إسلامية!

١٦. لا يعزل الإمام من منصبه إلا إذا فقد الأهلية لذلك شرعا كأن يذهب عقله أو يطرأ عليه نوع من الكفر والبدعة، وغير ذلك من الأسباب التي يراها أهل الحل والعقد، وبلا مفسدة.

ولا غرابة في كونه يظل مدة طويلة، فإن الأمريكان حكمهم روزفلت حتى مات وانتخبه الشعب أربع مرات، والملكة فكتوريا حكمت بريطانيا ستين سنة، وبعض الرؤساء يرشح نفسه لعدة ولايات وبعضهم تنتهي ولايته لكنه يتشبث بالسلطة، وهكذا يريد بوتين وبوتفليقة والسيسي.

واستحضارا لهذه المعالم وغيرها يتجنب المؤمن كل أنواع الشرك، ومنها شرك الطاعة الذي هو عدل وتسوية برب العالمين.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (وهو تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية وشيخ ابن أبي العز شارح الطحاوية) عند قوله تعالى: ﴿إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٨]: "أي نجعل أمركم مطاعا كما يطاع أمر رب العالمين وعبدناكم مع رب العالمين".

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن هذه التسوية والعدل المذكور في أول سورة الأنعام وآخرها وفي سورة الشعراء هي أن يجعل لله ندا يطيعه ويتبعه.

وقد قال أصدق القائلين: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

ويقول الأتباع: ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧]، ويتبرأ منهم المتبوعون ويقولون ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:٢٩].

ومن مآسي عصرنا الكثيرة ألا يكتفي بعضهم بأن يحكم حتى يموت، بل يريد أن يحكم ابنه من بعده، ولو تحوّل الملك الجبري إلى جبرية وراثية، حتى في الدول الجمهورية، فالمخلوع يريد توريث ابنه أحمد، وكذا كان يهدف حسني مبارك، بل قد جاء بعد حافظ الأسد ابنه بشار، ويسعى قائد السبسي إلى أن يحكم تونس ابنه (حافظ)، كما أن عبد ربه منصور هادي ولى ابنه (جمال) على منفذ الوديعة الحدودي، ويهيئة لحكم اليمن.

وهكذا يتبدى الاستبداد في صورة انتكاسة إلى هذه (الجمهوريات الملكية)، ولم تعد المسألة أن يحكم العسكر أو الحزب الواحد، وهذا من اعتبار الولاية تشريفا ومن الحرص عليها، وهو عكس ما كان عليه سلف الأمة حتى أن عمر بن الخطاب جعل عبدالله بن عمر مع أهل الشورى بشرط أنه لا يُولّي كما تقدم، وقد قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه لحديث (إنكم تحرصون على الإمارة ..): "هذا أصل عظيم في اجتناب الولاية لا سيما لمن كان فيه ضعف". إلى أن يقول: "ولذلك امتنع الأكابر منها"، أما إذا طرأ العجز أو الضعف على الإمام فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية ونقله الشيخ عبدالرحمن السعدي إن كل من لم يقم بالواجب فلا ولاية له. بل إما أن ترفع يده عن الولاية ويقام من يفعل الواجب، وإما أن يضم إليه من يقوم معه بالواجب.

وعلى كل حال لا تتعطل مصلحة الأمة، ولا تقدم المصلحة الخاصة على المصلحة العامة ولا يحابى أحد وإن كان ذا سابقة وفضل.

ولا يقول بطاعة ولي الأمر مطلقا وبقائه في السلطة مطلقا إلا بعض المرجئة، وقد انتشر فكرهم في هذا الزمان هداهم الله.

ويتفق معك مرجئة العصر على أن المصلي أو المزكي أو الصائم أو الحاج قد يفعل هذه الطاعات ولا تكون مقبولة، وإنما يخالفون فقط في ولي الأمر إذا عجز عن الواجب أو كان مفتقرا لشيء من الشروط، وقد يكون المتولي يهوديا أو نصرانيا أو ليبراليا، أو ارتكب ناقضا أو أكثر من نواقض الإسلام، أو يحكم بالقوانين الوضعية لا بالشريعة، ومع ذلك يقولون إن منكر ولايته مبتدع، وبعضهم هنا في جزيرة العرب -بل في السعودية- قال إن الواجب على أهل الشام أن يطيعوا بشار، وعلى أهل مصر أن يطيعوا السيسي وعلى أهل فلسطين أن يطيعوا محمود عباس!!

فأي انتكاسة فكرية يقع فيها هؤلاء؟

وكيف يجعلون هذا عقيدة ولا يقولون إنه رأينا وما نرجح.

والمؤمن لا يغل قلبه على نصح الحاكم، ولا يستجيز غشه، وصدق الحسن البصري حين قال لابن هبيرة والي العراق: "إنك أن تجد من ينصح لك ويحملك على أمر آخرتك خير لك ممن يغرك ويمنيك".

والحاكم المسلم هو الذي يشكر من ينصحه ويقول أنه لا غنى عن نصحه، وقد كتب أبو عبيدة ومعاذ إلى عمر ﷺ نصيحة تضمنها رد عمر الآتي، فكتب إليهما: من عمر إلى أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل السلام عليكما أما بعد: أتاني كتابكما تذكران أنكما عهدتماني وأمر نفسي إليّ مهم، فأصبحت قد وليت أمر هذه الأمة، أحمرها وأسودها يجلس بين يدي الوضيع والشريف والعدو والصديق، ولكل حظه من العدل وكتبتما فانظر كيف تصنع يا عمر ...)، وقال عمر في آخر الكتاب (وإنكما قد كتبتماه نصيحة لي وقد صدقتما، فلا تدعا الكتابة لي فإني لا غنى لي عنكما والسلام عليكما).

ومن الغش أن يقال للمعرض عن كتاب الله: هذا مجرد معصية. وإنما الكفر بالاستحلال، بل يجب أن يقال له: اتق الله واحكم بكتاب الله، وإلا كان ذلك ناقضا من نواقض الإسلام.

والمؤمن لحرصه على التوحيد وحمد الله الذي نجاه من الشرك لا يؤمن بالطاغوت في أي صورة، والطواغيت كثيرون كما ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، ويهمنا منهم هنا من حكم بغير ما أنزل الله، وبعض الطواغيت يضم إلى ذلك كفريات أخرى زيادة في الكفر كما كان فرعون، وقد يكون الطاغوت صنما يعبده المشركون كاللات والعزى، وقد يكون إنسانا كما قال الطبري استدلالا بكاهن جهينة، والقانون الوضعي طاغوت إذ قد يكون الطاغوت أمرا معنوياً كما ذكر ابن القيم عن طاغوت المجاز وطاغوت التأويل، ومن الطواغيت في عصرنا هذا طاغوت الفلسفة الغربية، وطاغوت الحضارة، وطاغوت الديمقراطية، والطاغوت عموما كل ما يتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع كما ذكر ابن القيم، وأصل

الطغيان هو الزيادة ومجاوزة الحد، وقد قال تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[الذاريات:٥٢-٥٣]، وقال عن قوم نوح: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم:٥٢].

والإسلام بحكم الانقلاب السياسي الهائل الذي أحدث، نبَّه الناس إلى حقوقهم على الولاة فقد حوّل العرب من رعاة غنم إلى رعاة أمم، ومن عشائر متناحرة إلى أمة عظيمة لم يشهد التاريخ لها نظيرا، وأوجب عليهم أمورا تجاه الحاكم، وعرفهم حقوقهم السياسية بعد أن كان زعيم القبيلة يأخذ لنفسه ما يريد، ومن ذلك (المرباع، والصفايا، والنشيطة، والفضول).

ووصل الوعي السياسي إلى الأعراب والنساء وكل أحد.

فالنبي ﷺ كما روى البخاري وغيره جبذه أعرابي جبذة شديدة وقال: "أعطني يا محمد من مال الله فإنك لا تعطيني من مال أبيك وجدك".

وقالت المرأة لعمر بن الخطاب لما قال لها وهي لا تعرفه: "وما يدري عمر عنكم؟: "أيتولى أمرنا ولا يدري عنا؟"، ومن واجب الأمة الأخذ على يد السفهاء إذا حكموا وتخوضوا في مال الله كما يشاؤون.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن "انفاق المال لا يجوز إلا لمصلحة الدين والدنيا، وهذا متفق عليه بين العلماء ومن خرج عن ذلك كان سفيها مبذرا، والسفيه المبذر لا يجوز لأحد أن يوليه على ماله بنص كتاب الله، فكيف على مال الأمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُواْ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِي جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء:٥]" اهـ، وقد كتب بعض السلف -وقال أبو حامد في الإحياء إن الكاتب هو سفيان الثوري- لخليفة عصره "إنك هجمت على مال المسلمين بغير رضاهم"!

وعلى ذلك الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، (انظر ص٢١٤ مما ذكر عن شيخ الإسلام من القواعد والضوابط والأصول)، وقد اتفق الفقهاء على أن السفيه يحجر عليه، ومن أعظم السفه في عصرنا هذا

إنفاق المال على اللهو واللعب والمتع الرخيصة، فتجد السفهاء يتحمسون لما يجب عليهم تركه، ويفترون عما يجب عليهم فعله كالمدارس والمستشفيات، وتجد المبلغ الذي يتقاضاه لاعب الكرة أكثر مما يتقاضاه الوزير أو المدير، فضلا عن أنه يفوق مرتب الرئيس الأمريكي مثلا.

والمسلمون أعلى من أن تكون الدنيا وحدها غايتهم، والله تعالى لم يجعل خيريّتهم في حجم الثروة أو في التنمية المادية، بل جعله في كونها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله وحده، فهي دائما قائدة لا مقودة، وعلى أمم الأرض أن تستجيب لها وتكون في صفها، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

فانظر كيف قال (أخرجت للناس)، فهل في الظالمين من يفوقهم في ذلك؟

والمؤمن يقول الحق ولا يبالي بالخلق، ولا يخرج بالسيف أو ينازع الأمر أهله، وقد أعطاه الله قوة الحجة وهي أقوى قوة في الوجود، وهي خالدة كلما انحرف عنها أناس سخر الله من يقوم بها ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨].

الإمامة في الإسلام

الإسلام دين التوحيد الخالص، ولاياته كلها دينية، تهدف إلى عبودية الله وحده وإقامة دينه في الأرض.

والإمامة عند أهل السنة والجماعة من أعظم الولايات وأهمها، وقد كتبوا فيها وبينوا أحكامها بالتفصيل، وخالفوا الخوارج والمرجئة والرافضة فهي ولاية دينية مهمة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "المقصود بالولايات كلها أن يكون الدين كله لله وأن تكون كلمة الله هي العليا"، وكونها ولاية دينية يخرجها عن كونها حقا شخصيا كما يراها الغربيون.

وقال ابن خلدون رحمه الله: "الخلافة نيابة عن النبي ﷺ في إقامة الدين وسياسة الدنيا به".

وهكذا كان الخلفاء السابقون كلهم وخاصة الخلفاء الراشدين ثم مَن بعدهم، مع ما في المتأخرين من جور أحيانا أو ظلم أو معاصٍ، وهي أمور معروفة لا تنكر، غير أن كتاب الله رائد الجميع، والقضاء مستقلٌ والدين قائم والحدود تقام، والجهاد وحماية الثغور ومحاربة أعداء الله في الداخل والخارج كل ذلك قائم، وأهل البدعة يقيم عليهم العلماء الحجة بكل حرية، والسياسة داخليا وخارجيا تبع لكتاب الله، ولا يوالي الخلفاء أعداء الله ولا يتبعون الروم، ولا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ولا ينافقون ولا يأتون أحداً بوجه وأحداً بوجه آخر، ولا يغبطون الروم على شيء من متاع الدنيا الفاني.

ويشترط أهل السنة والجماعة أن يكون الإمام من قريش تبعا للأحاديث الواردة في ذلك، وأن يكون مجتهدا عالما، وأن يستشير في أموره، وأن تختاره الأمة وترضى به، وأن يكون ديّنا عادلا وأمينا وعاقلا، فلا تصح تولية الفاسق ولا الجاهل ولا غير القرشي ولا الصبي أو المجنون، وذلك يشمل كل من لا يعقل، فإن كان معتوها أو مختلطا أو مخرفا (أصابه الزهايمر) فلا يجوز توليته.

والزيدية هم الذين يرون جواز مبايعة المفضول مع وجود الفاضل، ومن أقر إمامة غير قرشي فهو على مذهب الخوارج الذين يرون الإمامة حقاً مشاعا لكل الناس، ويعتقد الزيدية أن عليا ﷺ وأرضاه أعلم الناس وأزهدهم، وممن قال إنه أعلم الناس ابن الوزير، ولم أقرأ في شيء من كتب الزيدية أن الإمام يمكن أن يكون غير قرشي بل الفاضل والمفضول كلاهما من قريش، ولكن أهل السنة والجماعة يعتقدون أن أعلم الناس بعد النبي ﷺ هو أبو بكر الصديق، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، وهم بذلك يتفقون مع السنة الثابتة، ومن قرأ صحيح البخاري مثلا علم ذلك يقينا، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن مناقب الصديق كلَّها خصائص لا يشاركه فيها أحد، وقد حرص الأئمة الأربعة وقبلهم الحسن البصري وكبار التابعين وقبلهم ابن عباس رضي الله عنهما على فقه عمر بن الخطاب، ومن تأمل سيرته علم أنه أفقه وأعلم من سائر الصحابة الكرام في عصره، وبعد اغتياله استشار عبدالرحمن بن عوف المهاجرين والأنصار وكلَّ أهل المدينة النبوية حتى العذارى في خدورهن، فلم يعدلوا بعثمان أحداً، ولم تختلف في ذلك كلمتُهم فكانت بيعةُ عثمانَ ﷺ أقوى إجماع في التاريخ، وأعلى نسبة اشتراك في العالم وأصدق اختيار في الدنيا، ولم يشذ عن ذلك أحد، حتى قال الإمام أحمد رحمه الله: "مَن فضّل عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار"، وسئل عبدالله بن مبارك أيهما أفضل عثمان أم علي؟ فقال: "ذلك أمر كفانا إياه عبدالرحمن بن عوف"، ويلي عثمان في الفضل أمير المؤمنين الخليفة الراشد الرابع علي ﷺ، أما تلاميذ علي ﷺ فهم في الحقيقة تلاميذ ابن مسعود مِن قبلُ، ولم يقل أحد منهم إن علياً أعلم أو أفضل من عمر، وهذا حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس ابن عم علي يسأل عمر عن كل شيء يُهمه، ويفضل الانضمام أخيراً إلى معاوية رضي الله عن الجميع.

ومن أهم شروط الإمام: أن يقود الناس بكتاب الله، وألا يطلب الإمارة لنفسه أو لذريته، وأن يعدل في أحكامه، وألا يستأثر بشيء من بيت المال

دون الأمة، وأن يتقي الله في المحكومين ويعلم أنه تعالى سائله عنهم، وكما أن له حقوقا على الرعية جعل الشرع الشريف عليه واجباتٍ نحوهم، قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[النساء:٥٩]، فإذا اختلف الحاكم والمحكوم فالمرجع هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤]، فالإمامة ليست وراثة، وإن كان الذي طلب ذلك خليل الله، وإنما هي باتباع الكتاب والسنة والحكم بهما في كل أمر، وذلك هو حقيقة الإيمان بهما.

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ١٢٣ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ﴾[طه:١٢٣-١٢٤].

وقال جل شأنه: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم:١].

وقال: ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا﴾ [الأنعام:١٤]، وقال: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا﴾ [الأنعام:١١٤]، وقال: ﴿أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا﴾ [الأنعام:١٦٤]، فالولي والحكم والرب هو الله تعالى، وكل هذه المواضع الثلاثة في سورة الأنعام وهو (رب الناس ملك الناس إله الناس) كما في سورة الناس.

وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:١].

وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص:٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠]، ومِن هجره كما ذكر ابن القيم رحمه الله تركُ العمل بأحكامه وفرائضه وحدوده.

وقال تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾[هود:١].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام:١٥٥].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ﴾[النور:٤٧-٤٨]، إلى قوله جل شأنه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ﴾ [النور:٥١].

والآيات في وجوب طاعة الله ورسوله واتباع الكتاب والسنة كثيرة لا تحصى، وبعضها في مبحث التحاكم إلى شرع الذي تقدم ومرد ذلك كله إلى اتباع كلام الله الذي أمر نبيه ﷺ به وقال: (أحلوا حلاله وحرموا حرامه).

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمة رحمه الله أن الله أمر بطاعة نبيه ﷺ في أربعين موضعا من كتابه، فطاعة رسوله ﷺ هي من طاعته جل شأنه، قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء:٨٠]، ولا يجوز الخروج عن طاعة الله ورسوله بحال، والخروج عن ذلك إما كفر وإما فسق لا سيما في هذه المسألة المهمة.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يصف شريعة "جنكز خان" بأنها شريعة كفرية فما القول في شريعة "نابليون" التي هي أنكر وأشنع من شريعة "جنكز خان"!!

وما بالك بالديمقراطية الغربية التي تخالف الدين في كثير من الأمور كما تقدم، وكما سيأتي إن شاء الله.

وبعض الدعاة هداهم الله يأخذ بقول ابن عباس رضي الله عنهما إن صح كقول (كفر دون كفر)، وينـــزلها على التاركين لكتاب الله مطلقا، ويقولون إن كل حاكم يدعي الإسلام هو ولي أمر.

وقال أحد أساتذة القانون الغربيين وهو العميد "دوجي" الفرنسي: "إنه لا يشَرِّع للناس إلا من خلقهم"، وقد شرع الله أن تكون الإمامة للأتقى من قريش.

وذكر عبدالرزاق السنهوري القانوني المعروف الذي وضع كثيراً من الدساتير العربية، أن الثروة الفقهية التي خلفها فقهاؤنا عظيمة ولا نظير لها.

وقد ذهل بعض المستشرقين في أحد المؤتمرات لما قرأوا مواضع من "كتاب السِّيَر" الذي ألفه محمد بن الحسن الشيباني، وقال المستشرقون إنه أول كتاب في القانون الدولي، والحقيقة أنه ليس أول كتاب؛ فقبله كتاب الله تعالى كما في سورة الممتحنة وسورة التوبة.

واعترافات القانونيين كثيرة وليس هذا موضع ذكرها، وإنما ذكرنا طرفا منها لأن من يسمَّون "المثقفين" في بلادنا لا يرون ثقافة إلا ما كان غربياً، فالليبرالية الغربية عند البعض هي المعتقد، كما قال الدكتور زكي نجيب محمود في مقدمة كتابه "تجديد الفكر العربي"لم تكن أتيحت لكاتب هذه الصفحات (يعني نفسه) في معظم أعوامه الماضية فرصة طويلة الأمد، تمكنه من مطالعة صحائف تراثنا العربي على مهل، فهو واحد من ألوف المثقفين العرب الذين فتحت عيونهم على فكر أوروبي قديم أو جديد، حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فكر سواه". ثم يقول: "ثم أخذته في أعوامه الأخيرة صحوة قلقة"، وهو يسمي الفكر الأوروبي (الفكر الوافد)، ويقول: "استيقظ صاحبنا كاتب هذه الصفحات بعد أن فات أوانه..." إلى آخر كلامه.

ونسأل الله أن يوقظ كل الغافلين أو المخدوعين، إنه سميع مجيب.

والدكتور زكي نجيب محفوظ ليس مجرد متفلسف أو مثقف بل هو عميق التجربة كثير الخبرة في الفلسفة والثقافة والمعرفة، حتى أن الموسوعة العربية الميسرة المستمدة من موسوعة كولومبيا الكاثوليكية الأمريكية، اختارته لتحرير المواد الفلسفية فيها وليرأس إحدى لجانها، وعودته للإسلام مجملة فلا تؤخذ عنه العقيدة والأحكام.

والشاهد أن من لم يتبع الكتاب والسنة في كل أمره بل حكّم النظريات والفلسفات والقوانين وأعرض عن كتاب الله، فهو ليس بولي أمر ولا بإمام، ولا تجب -بل لا تجوز- طاعته، ولا تصح بيعته ولا يوالى ولا يقاتل معه، ومن أطاعه في شيء فإنما ذلك لاكتفاء شره، مع بيان الحق له وأمره بتوحيد الله تعالى والعمل بكتابه، ودعوته إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وفرق بين إمام الاختيار وإمام الاضطرار.

وإنما لا تصح بيعته ولا ولايته لأنه غير مستوفٍ للشروط الشرعية، بل لأهمها على الإطلاق وهو تحكيم كتاب الله والرجوع إليه وحده ونبذ كل ما سواه، والذي يقع الآن من الطواغيت هو الإعراض المطلق عن كتاب الله، والإيمان المعلَن بالديمقراطية والإنسانية وأمثال ذلك من الضلالات، ولا يذكرون القرآن مطلقا.

وقد فرّق العلماء بين المعصية التي لا يخلو منها بشر، وبين ترك الحكم بالقرآن نهائيا، وعدّ بعضهم ومنهم ابن مسعود ﷺ أخذَ الرشوة على الحكم كفراً، كما حذروا قديما وحديثا من مذهب المرجئة، مع أن المرجئة فيما أعلم لم يقولوا إن ترك الجهاد جائز في مذهبهم، فتاركوه اليوم ليسوا حقيقة من أهل السنة ولا من المرجئة، وإن كانت أصول أقوالهم مستمدة من الإرجاء، فهم أعظم جرما وأكثر إثما، ويريدون إيقاع الأمة في هذا الشرك الجديد الخطير، أي (شرك الطاعة والاتباع) وفي طاعة النظام الدولي والشرعية الدولية.

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية في المجلد الأول من "مجموع الفتاوى" أن الشرك أنواع، وقال إنها ثلاثة (شرك في العبادة والتأله، وشرك في الطاعة والانقياد، وشرك في الإيمان والقبول)، هكذا مطبوع في مجموع الفتاوى ولعله في (الإذعان والقبول).

ثم يقول رحمه الله: "وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامة المتبعون لهؤلاء يشركون شرك الطاعة".

هذا في عصره فكيف في زماننا هذا؟ والله المستعان.

ولما أراد ابن القيم رحمه الله أن يضع تعريفا جامعا مانعا للطاغوت المأمورين بالكفر به قال: "هو ما تجاوز به العبد حدَّه من معبود أو متبوع أو مطاع".

وقد حذر الله في كتابه من هذا الشرك (شرك الطاعة والاتباع) سواء كان طاعة للآثمين في معصية الله، أو طاعة للكافرين به في الكفر به، أو كليهما، قال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورٗا﴾ [الإنسان:٢٤].

وجعل طاعة الكفار شركا فقال: ﴿وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]، وجعل التولي عن طاعة الله ورسوله كفرا فقال: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:٣٢]، والله تعالى افتتح سورة الأحزاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [الأحزاب:١]، وقال في آخرها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمۡ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿٦٥﴾ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ أَطَعۡنَا ٱللَّهَ وَأَطَعۡنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾[الأحزاب:٦٤-٦٧].

وجعل الشيخ صديق حسن خان وهو تلميذ الشوكاني العدول عن حكم الله إلى حكم غيره طاغوتا بحتا وجاهلية لعينة، وهذا منه إعمال لقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء:٦٠]، وقوله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾

[المائدة:٥٠]، والتحاكم إلى الطواغيت بلوى عظيمة احترفها كثير ممن يدّعون الإسلام ويجب على الدعاة بيانها. وقد سبق ما هو أكثر تفصيلا في ذلك.

ولذلك جعل الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله الطواغيت كثيرين، وجعل رؤوسهم خمسة، كما أن الشيخ ابن عتيق رحمه الله كتب إلى أهل الأحساء يحذرهم من التحاكم لغير الشرع.

وقد سمى الشيخ الأسعردي كما في "الرسائل المنيرية" هذه القوانين الوضعية (القانون الشيطاني)، وسماها شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله "القوانين الملعونة"، وعدها الشيخ محمد ابن إبراهيم رحمه الله من "الكفر الأكبر المستبين"، وذلك في رسالته "تحكيم القوانين"، وفتاواه في ذلك كثيرة، وقد جعل التحاكم إليها مناقضا لشهادة أن محمداً رسول الله، والشيخ المحدث أحمد شاكر سماها "الياسق العصري"، كما أن الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله في كتابه نقد القومية العربية أفتى بأن التحاكم إليها ردة سافرة، والمقصود أن علماء السنة قديماً وحديثاً ينكرون هذا الشرك قديمه وحديثه، وأن هذه الدساتير -أو القوانين الأساسية أو بأي اسم كانت- غاية أمرها أن تكون مثل الياسق الذي ذكره شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وأمثالهم، وذكروا أن فيه بعض الأحكام المأخوذة من الشريعة الإسلامية، لكن أهلها ليسوا على شيء، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[المائدة:٦٨]، فإذا كان هذا هو الشأن مع التوراة والإنجيل فكيف يكون مع المهيمن عليهما الناسخ لهما "القرآن الكريم"؟

والذي يهم الناس هو العدل واستتباب الأمن، وليس صلاح الإمام في نفسه كصلاته وصومه وحجه، وقد قال حسان بن ثابت ﷺ:

وما الدين إلا أن تقام شرائع وتأمن سبل بيننا وهضاب

والذين نهاهم النبي ﷺ عن الأمارة كأبي ذر وعبد الرحمن بن سمرة كانوا صالحين في أنفسهم، لكن ليسوا أهلا للولاية، وهكذا كل من فقد شرطا من شروطها.

والحاصل أن عقيدة أهل والسنة والجماعة في هذا الأمر قاطعة، وعندهم أن الإمامة في قريش تبعا للأحاديث المتواترة في ذلك ولإجماع الصحابة والقرون المفضلة عليه، ولا بد من إقامة الدين، والحكم عندهم لله وحده، كما نص القرآن الكريم، أما الخوارج فيجعلون الإمامة حقا لكل إنسان، والشيعة يقولون هي في علي بن أبي طالب وذريته فقط بل في ذرية الحسين، وهذا من القائلين تحكيم للعاطفة والهوى، لم يقم عليه دليل، وقد حصرهم الاثنا عشرية في اثني عشرا إماما، وظنوا أن الساعة سوف تقوم بعد ذلك، ثم فوجئوا بأن أحد عشر إماما انقضت أيامهم سريعا مثل كل البشر، فعمدوا إلى ما يعتقده المجوس في منتظرهم المسمى "سوشن"، وقالوا إن الإمام الثاني عشر غائب دخل سرداب سامراء ونادوه واستغاثوا به، أي عبدوه من دون الله، وسموه "إمام الزمان" ومع خرافاتهم عن سرعة نموه جعلوه أطول البشر عمراً فلم يظهر حتى الآن ولن يظهر إلا في خيالهم المريض، وقد قال أحد الاخوة الأمريكيين لما هداه الله لمذهب أهل السنة ودعاه بعض الشيعة لمذهبهم: "أنا لم أهرب من عبادة ثلاثة آلهة لكي أعبد اثني عشرا إلها"، وهذا المنتظر له الآن حوالي اثنا عشر قرنا، فهل يعقل أن يبقى إنسان حيا في سرداب هذه المدة؟

والشياطين تتصور لهم، ويقولون جالسنا المهدي أو مر صاحب الزمان من هنا! وتتلاعب بعقول الرافضة.

وحقيقة مذهب الإمامية قديما وحديثا هو عبادة الأئمة، أما مجرد حبهم فنحن أهل السنة نحبهم ونترضى عنهم.

والإمامية يعتقدون أن هذا الإمام الموهوم سوف يخرج إذا ملئت الأرض جورا وظلما، ويحكم بشريعة داود عليه السلام (و لم لا يحكم بشريعة

محمد ﷺ؟) ويقتل العرب وأولهم أبو بكر وعمر، وهكذا كل مَن حكم غيرَ علي وذريتِه، وهذا المنتظر عند بعضهم سيُخرج للناس القرآن الكامل الذي يعتقدون أن الصحابة الكرام أخفوه، وهذا بعض خرافاتهم وتفصيلها يطول، ولهم مبحث خاص سبق ذكره.

ومختصر القول: أنهم -كما قال أحد الباحثين العراقيين- "التشيع بذرة نصرانية زرعتها اليهودية في أرض مجوسية"، وإنما أرادوا كما قال أبو زرعه إبطال الإسلام بالطعن في الشهود أي في الصحابة، أو كما قال الإمام ابن حزم رحمه الله (أن يعيدوا الامبراطورية الكسروية)، وما دخل عدو للإسلام إلا من طريقهم، ولم يأت الباطنية والإسماعيلية والفلاسفة إلا من باب التشيع.

وهم اليوم يعلنون تعصبهم للفرس في أفلامهم وفي صحفهم وفي تصريحات بعض مسؤوليهم، ويقولون إن بغداد هي عاصمة الامبراطورية الفارسية، ونحن مما قرأناه نعلم أن الأكاسرة قبل الإسلام كانوا يسكنون البيت الأبيض في المدائن التي هي في العراق اليوم، ولكن المسلمين بقيادة سعد بن أبي وقاص يومئذ عبروا دجلة حتى قال الفرس "ديوان ديوان" أي: مجانين، ودخلوا المدائن بل البيت الأبيض الذي فر منه "يزدجرد" آخر الأكاسرة. وحينئذ تلا سعد قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان:٢٥] الآيات.

وهذا لا ينافي أن المعركة عقدية، بل إن العنصرية هي أحد الروافد لها.

وقد ذكر الشيخ الندوي رحمه الله في كتابه "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين": إنه كان مع "يزدجرد" ألفُ طاهٍ -أي طباخ- فكيف بغير الطهاة؟

كما ذكر ابن كثير في "البداية والنهاية" أن الفرس كانوا يضعون اليواقيت الثمينة على رؤس قادتهم ومن أشهرهم بالطبع "رستم" و"ماهان"، فالنياشين عندهم كانت غالية جدا، ولم تكن مجرد قطعة من الخرق والمعدن تدل على الرتبة العسكرية أو الاشتراك في معركة ما.

وكان محمد بن نصير مؤسس النصيرية رافضيا أول الأمر، ثم وضع عقيدته التي كان يكفّرها الرافضة الأولون، لكن الملالي يرون وجوب نصرته عليهم وعلى كل شيعي، وقد ألف بعض الغربيين كتابا سماه "البعث الشيعي في سوريا"، وليست مشكلة "بشار" أنه طاغوت يقتل شعبه مع أن ذلك واقع، وإنما مشكلته أنه نصيري باطني يحارب أهل السنة وهم الأكثرية في بلاد الشام، ولذلك لا ترى لاجئا واحدا من النصيرية العلوية، وناصَره الرافضة في إيران والعراق ولبنان، كما أيده الصليبيون الروس الذين يزورهم بعض المتهمين بالعقيدة ويعقدون معهم الصفقات، دون أن يكف "بوتين" العامل سابقا في المخابرات الروسية عن ذلك.

وأمر النصيرية معلوم فلا نطيل فيه، وحسبُنا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية عنهم، وقد تقدم الحديث عن الرافضة وصِلاتهم بغيرهم.

وعندما يشترط أهل السنة والجماعة أن يكون الإمام قرشياً فإنما ذلك اتباع لسنة النبي ﷺ الثابتة وليس من عند أنفسهم، والقرشي هو من كان أبوه أو جده لأبيه أو لأمه من قريش.

وقد قرأت أن الشيخ "أدبالي" من قريش فأبناء بنته العثمانيون قرشيون تبعا لما ثبت في كثير من الأحاديث الصحيحة من تسمية الحسن والحسين أبناءه ﷺ، ومعلوم أن العثمانيين وحدوا المسلمين وجاهدوا وفتحوا كثيرا من الدول الأوروبية اليوم، على أن حكمهم وراثي والتصوف في أيامهم كثير فلهم وعليهم معاً.

والله تعالى كما نص في كتابه الكريم يفضل بعض الرسل على بعض، فما العجب في تفضيل قريش على سائر العرب وأن يصطفيها الله على كنانة كما ثبت في الحديث؟

قال رسول الله ﷺ: (الملك في قريش والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة والأمانة في الأزد).

وقال: (لا يزال هذا الدين عزيزا ما ولي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش)، والصحيح فيما أرى أن هؤلاء الأئمة غير متتابعين.

وقال ﷺ: (إن هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان)، فكيف والمسلمون اليوم مليارات وقريش في كل مكان؟

وفي قوله (اثنان) دليل على أن ذلك حكم ثابت مهما صغرت البقعة الجغرافية أو قل الناس.

وقال ﷺ: (قدِّموا قريشا ولا تَقدَّموها)، والواقع اليوم هو التقدم عليها.

وقال ﷺ: (إن الله اصطفى كنانة من بني إسماعيل، ثم اصطفى قريشا من بني كنانة...) الحديث.

وهو تعالى يصطفي من شاء من خلقه ولا معقب لحكمه، والله تعالى فضّل أهل الغنم على أصحاب الإبل، وفضل أهل اليمن على ربيعة ومضر.

واختار الرسول الكريم من مضر ولذلك سخطت ربيعة حتى قال السلمي أو المأمون: "أما ربيعة فلم تزل ساخطة على الله منذ أن بعث رسوله من مضر".

وقال ﷺ: (لولا أن تبطر قريش لأخبرتها بما لها عند الله).

وقال ﷺ: (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه).

وهذا ما أثبته التاريخ بالفعل، فكل من عادى قريشا كبه الله على وجهه وإن أمهله وأعطاه.

وقال رسول الله ﷺ: (الأئمة من قريش).

وقال: (الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم).

وقال: (الأئمة من قريش أبرارها أمراء أبرارها، وفجارها أمراء فجارها، وإن أمّرت عليكم قريش عبداً حبشيا مجدّعا فاسمعوا له وأطيعوا).

وقال ﷺ: (قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة).

فانظر كيف جعل ذلك إلى يوم القيامة، وفي حديث آخر جعل من علامات الساعة أن يكون الملك في غير قريش..

وقال ﷺ: (قريش ولاة هذا الأمر، فَبَرُّ الناس تبعٌ لبَرهم، وفاجرُهم تَبع لفاجرهم).

وكل الأحاديث المتقدمة صحيحة وبعضها متفق عليه، والأحاديث في فضل قريش وإمامتها كثيرة جدا، وقد جمعها بعض الباحثين جزاه الله خيرا وسمى كتابه "لذة العيش في فضل قريش"، وعلى ذلك عقيدة أهل السنة ومذهب الإمام أحمد رحمه الله.

ومن فضائل قريش قوله ﷺ: (إن الله فضل قريشا بسبع خصال) وذكر منها (وجعل الخلافة فيهم)، وعلى ذلك أجمع فقهاء الإسلام منذ أيام الصحابة رضي الله عنهم، وقال إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد: "لا نقرّ لغيرهم بها إلى يوم القيامة"، وقال القاضي عياض: "اشتراط كون الإمام قرشيا مذهب العلماء كافة، قد عدوها من مسائل الإجماع، ولم ينقل عن أحد من السلف فيها خلاف، وكذا من بعدهم في جميع الأمصار، ولا اعتداد بقول الخوارج ومن وافقهم من المعتزلة، لما فيه من مخالفة المسلمين".

وقال الباقلاني: "المسلمون لم يعرجوا على قول الخوارج والمعتزلة في ذلك".

وبالإجماع على وجوب تنصيب الإمام وعلى كونه من قريش يظهر ضلال من جعل الإمام غير قرشي، كما يظهر بطلان قول "باكونين" و"كارل ماركس" في المرحلة الأخيرة للشيوعية، وقول أبي بكر الأصم المعتزلي إن الناس لا يحتاجون لإمام.

وأما قول ابن غنام وغيره إمام المسلمين فهو مثل قول عاكش عن بن عائض (أمير المسلمين) وكلاهما يُستدل لقوله ولا يُستدل به، ولكلام ابن غنام احتمالان ليس هذا موضع البسط فيهما.

وبعد هذه النصوص والإجماع عليها وأنه لم يرد قط ما يخالفها من النصوص لا يجوز لأحد -كائنا من كان- أن تكون له الخيرة في تركها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وإن قال أحد إن قريشا اليوم مغمورون فالجواب: أن الإعلام لو أظهر قرشيا ٢٤ ساعة فقط لعرفه كل الناس، ومن عرفه حجة على من لم يعرفه، وقريش اليوم موجودون معروفون في كل بلاد الإسلام لا سيما مكة والطائف والخرمة وتهامة واليمن ونجد وكل جزيرة العرب، فضلا عن غيرها من البلاد كبلاد الشام ومصر وجاوه والهند وباكستان وإفريقية، وغيرها، والناس مؤتمنون على أنسابهم، ومن كانت لديه شجرة نسب أو شهد له بذلك النسّابون فلا مجال لإنكار قرشيته، وإنما على المسلمين أن يختاروا الأصلح من قريش أي الأتقى، ولا يشك أحد اليوم أن ملوك ألأردن والمغرب من آل البيت، أما بماذا يحكمون فالأمر ظاهر.

ونحن لو وجدنا في كتاب الله أو في سنة رسول الله ﷺ ما يدل على الولاية -التي يعتقد الرافضة أنها أهم أصول الإسلام- هي لأهل البيت فقط لقلنا بذلك، ولا نبالي ولا نخشى في الله لومة لائم، وكذلك لو كان الحق فيما تقوله الإسماعيلية أو الدروز أو النصيرية لاتبعنا الحق، ولا عبرة لدينا بمن خالفه؛ فالحق هو غايتنا والكتاب والسنة هما الدليل، وعقيدة السلف الصالح هي عقيدتنا ولله الحمد، ولو أن المولد مذكور في الكتاب والسنة وعقيدة السلف لعملناه ولا نبالي بمن ينكره علينا.

ولو أن الوحدة الوطنية أو التلاحم الاجتماعي كما يقولون هما الحق لاتبعناهما، ودعونا الناس إليهما، ولا نبالي بأحد كائنا من كان، ولو أن الأفكار الغربية هي الحق لاتبعناها، ولم نطالب المسلمين بتركها، وترك الانضمام إلى ما يسمى "هيئة الأمم المتحدة"، ولو قرأنا في الكتاب والسنة أن مَن حكم بالقوانين الوضعية ليس كافراً، لقلنا بذلك وأقررناه ودعونا إليه ولا

يضرنا من خالفه، ولو كانت المسألة اختيارية ويجوز اختيار إمام غير قرشي لقلنا به أيضا، ولكننا إنما نتبع الكتاب والسنة، ونحرص على الجماعة كما فهمها السلف، وليس كما يظنها بعض الناس اليوم، وللجماعة عندنا مفهومها الشرعي الذي بينه أهل السنة ودلت عليه مؤلفاتهم.

وقد أوصى ﷺ بالجماعة، وقيل: الجماعة هي السنة أي أنها الحق ولو كان المتبع واحدا، ولهذا قال بعض السلف "محمد بن أسلم الطوسي هو الجماعة"، وقيل: الجماعة هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام (توفرت فيه الشروط الشرعية) ولا تعارض في الحقيقة بين القولين لمن تأمل! وقال البخاري: الجماعة هم أهل العلم.

كما أمر ﷺ بقتل الخليفة الثاني (ولو كان قرشيا) فقال: (إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخِر منهما).

ولا يجوز لأحد ترك مبايعة من توفرت فيه الشروط الشرعية كما في النصوص، قال ﷺ: (من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)، أي أنه مثل الجاهليين الذين كانوا فوضى لا إمام لهم، وهذا وعيد شديد وإن كان لا يقتضي الخروج من الملّة أو التكفير، فقد تخلف سعد بن عبادة عن بيعة الصديق ولا أعلم أحدا كفّره.

وسيرة الخلفاء الراشدين المهديين تشهد بتقديم قريش، فإن أبا بكر الصديق قال ذلك في السقيفة، ثم اختار عمرَ بن الخطاب عند وفاته وهو قرشي كما هو معلوم.

ثم جعل عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه الخلافة شورى في ستة نفر -كلهم من قريش- وأوصى الستة أن يستشيروا عبدالله بن عمر لكن ليس له من الأمر شيء لأنه ابنه، وقال رضي الله عنه: "إن كانت النار فيكفي من آل عمر واحد"!

واستبعد عمرُ سعيد بن زيد لأنه من رهطه "بني عدي"، مع أنه من العشرة كما هو معلوم، وأبوه زيد بن نفيل كان من الحنفاء في الجاهلية

وشهد له رسول الله ﷺ بالجنة ونهى عن سبه، كما أن سعيدا هو ابن عم عمر رضي الله عنهما.

وعزل عمرُ خالدَ بن الوليد مع أنه قريبُه وشبيهُه عن قيادة الجيش، وخالد كما هو معلوم قرشي، وهو "سيف الله" كما ثبت في الحديث، ولكن لم يكن من السابقين الأولين، وولى عمر قيادة الجيوش أبا عبيدة بن الجراح "أمين هذه الأمة" الذي توفي بطاعون عمواس في حياة عمر رضي الله عنهما، وهو ليس من بني عدي أصلا، وقال عمر: لو كان سالم مولى أبي حذيفة أو أبو عبيدة حيين لوليتهما ولا أبالي. وبعد الراشدين تولى بنو أمية، ثم بنو العباس. وبنو أمية والعباس من قريش كما هو معلوم بل من القرابة النبوية، أما توريث الحكم فليس من الشريعة الإسلامية وإن سكت عنه من سكت.

وليست طاعة قريش مطلقة بل هي مقيدة باتباع الكتاب والسنة، والعدل والبعد عن الشر والمعاصي والفجور، فليس في الإسلام حكومة دينية بالمفهوم النصراني، كما كان في أوروبا، أو سلطة "كهنوتية" كما فعل رجال الدين النصارى في الغرب، وليس في الإسلام حق إلهي يورث، كما كان في القارة الأوروبية في العصور الوسطى، أو "دم أزرق" خاص كما كانوا يعتقدون، وليس في الإسلام كسروية ولا هرقلية، وإنما يختار المسلمون الأتقى من قريش.

ولا بد للقرشي وغيره من طاعة الله ورسوله ﷺ، ولا ينفع أهل البيت أو قريشا مجرد القرابة، قال ﷺ: (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئا).

وقال ﷺ: (يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم من الله ضرا ولا نفعا).

وقال علي بن الحسين -زين العابدين- رحمه الله: "إن الله كتب النار لمن عصاه ولو كان شريفا قرشيا، وكتب الجنة لمن أطاعه ولو كان عبدا حبشيا"، فالطاعة هي معيار دخول الجنة أو دخول النار، وقال ﷺ: (يا معشر

قريش إنكم أهل هذا الأمر ما لم تعصوا الله، فإذا عصيتم الله بعث عليكم من يلحاكم كما يُلحى هذا القضيب)، فإذا كان الله يبعث على قريش من يلحاهم إذا عصوا الله فكيف يسلَم من ليس بقرشي؟

وقال ﷺ: (الأمراء من قريش ما عملوا فيكم بثلاث: ما رحموا إذا استرحموا، وأقسطوا إذا قسموا، وعدلوا إذا حكموا).

فلا بد من الرحمة، والقسط في القسمة، والعدل في الحكم، ومن لم يكن كذلك لا تصح إمامته.

وقال ﷺ: (الأئمة من قريش ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك ما إن استرحموا رحموا، وإن استحكموا عدلوا، وإن عاهدوا وفوا، فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل)، أي لا فرض ولا نافلة.

وتأمل قوله ﷺ: (ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك)، هل يمكن إيضاح هذه الحقوق بغير عقد البيعة؟ وهل طاعتهم مطلقة؟

فالحقوق في الإسلام متبادلة بين الطرفين، ويوضح عقد البيعة حقوق كل منهما وواجباته، أما العقد الاجتماعي الذي يقول "روسو" إنه كان بين الشعب والحكومة فهو محض خيال.

والواجب مشترك على الجميع "الراعي والرعية" فقد قال ﷺ: (كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته....) الحديث، وعلى الرعية السمع والطاعة ما أقام الإمام فيهم كتاب الله.

وقال عليه الصلاة والسلام: (أيها الناس اسمعوا وأطيعوا وإن أُمّر عليكم عبد حبشي مجدَّع الأطراف فاسمعوا وأطيعوا ما أقام لكم كتاب الله)، وقد أوضح ذلك النبي ﷺ بقوله: (وإن ولت قريش عليكم عبدا حبشيا ..) إلخ.

وهذا مع ما تقدم يدل على أن إقامة كتاب الله شرط في كل قرشي، أو فيمن ولَّته قريش، إذ الأوامر الشرعية لا تتعارض قط، ومن ولته قريش على الجيش ونحوه وجبت طاعته ما أقام كتاب الله.

ومن اعتقد صحة إمامة غير قرشي فقد خالف الله ورسوله ووقع في شرك الطاعة، وقد عقد الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كتاب التوحيد بابا خاصا لمن "اتخذ العلماء أو الأمراء أربابا من دون الله"، فيجب مع كونه قرشيا ألا يطاع إلا في المعروف.

والله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يبايع المؤمنات على أن لا يعصينه في معروف ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة:١٢]، هذا وهو رسول الله فكيف بغيره.

وقال ﷺ: (إنما الطاعة في المعروف).

وقال: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق).

وقال ﷺ: (طاعة الإمام حق على المرء المسلم ما لم يأمر بمعصية الله، فإن أمر بمعصية الله فلا طاعة له).

وشرك الطاعة هذا خطير يقع فيه أغلب الناس وقلَّ من ينجو منه، وقد حذر الله منه أكرم خلقه وأبعدهم عن الشرك وهو نبيه محمد ﷺ فافتتح سورة الأحزاب مثلا بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [الأحزاب:١]، ثم قال تعالى عمن فعل ذلك في آخرها ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب:٦٤-٦٧]، وهكذا لا عذر لأحد في معصية الله ورسوله، وأن يقول أمرنا بذلك حكامنا، أو أفتى به علماؤنا وهم ولاة أمرنا.

والله تعالى جعل طاعة الكفار في أي شيء شركا ونفاقا، فلا يواليهم في كل زمان ومكان إلا المنافقون، وإنما تكون الطاعة المطلقة لله وللرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى بل بأمر الله ووحيه، وذلك ما دلت عليه الآيات في سورة المائدة، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾[النساء:٥٩]، وأولو الأمر هم كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية مرارا (الأمراء والعلماء)،

فانظر كيف جعل الله في كتابه الكريم طاعة ولاة الأمر تبعا وليس استقلالا مثل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ثم أمر بالرجوع إلى الله ورسوله، والرد إليهما في كل نزاع، وجعل ذلك مقتضى الإيمان بالله واليوم والآخر.

قال ابن حجر رحمه الله: "ومن بديع الجواب: قول بعض التابعين لبعض الأمراء من بني أمية لما قال له: أليس الله أمركم أن تطيعونا في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩]؟ فقال له: أليس قد نزعت منكم -يعني الطاعة- إذا خالفتم الحق بقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩]؟". انتهى ملخصا.

والرد إلى الله هو الرد لكتابه، والرد للرسول ﷺ يكون في حياته، ثم إلى أهل العلم بعده، وقد ذكر السيوطي رحمه الله في الدر المنثور ذلك بأسانيد عن عطاء ومجاهد وابن عباس وجابر وأبي العالية، فالسلطة العلمية هي السلطة الأولى، وصاحبة الجلالة الأولى في الإسلام هي فتواهم.

وليس للمؤمن خيار غير ما اختاره الله ورسوله، قال ﷺ: (وإن أمرت عليكم قريش عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا له وأطيعوا ما لم يخيّر أحدكم بين إسلامه وضرب عنقه، فإن خيِّر بين إسلامه وضرب عنقه فليقدم عنقه).

فإذا كان القتل خيرا من الطاعة في الكفر فكيف بالسَّجن الذي هو أهون.

وخالف في ذلك المرجئة، فجعل المرجئة قديما -واتبعهم العلمانيون والليبراليون في ظاهر كلامهم حديثا وليَّ الأمر يطاع مطلقا، حتى قال بعضهم إن الله إذا ولّى خليفة كتب له الحسنات ولم يكتب عليه السيئات، وهذا مخالف للكتاب والسنة وما كان عليه السلف الصالح.

ودخلت شبهة المرجئة هذه على بعض الفقهاء المتأخرين وهو لا يشعر، فقالوا إن ولي الأمر تجب طاعته ويحرم الخروج عليه، أي مثلما دخلت عليهم شبهتهم في معنى الإيمان، وتبعا لذلك قالت المرجئة الخروج على الإمام فتنة، وخالفوا بذلك الخوارج والمعتزلة في نظرهم، وذكروا ما يترتب على ذلك من

سفك الدماء وانتهاك الحرمات وذلك حق ولكن يمكن تجنبه إذا فعل ذلك في حينه المشروع وأعد المسلمون له العدة اللازمة. والأمر في هذا مصلحي اجتهادي وليس أمر سنة وبدعة.

وعقيدة أهل السنة والجماعة هي الاتباع وليس الابتداع كما سبق، وقد نقل عقيدة المرجئة هذه شيخُ الإسلام ابن تيمية في "منهاج السنة"، وقال إن بعضهم يقول: (طاعة شامية)، وسماهم الشيخ "المروانية".

وربما خَدع المرجئة بذلك بعض الخلفاء الذين لا يعلمون الحق، وكان بعض خلفاء بني أمية مثل الوليد بن عبدالملك يظن ذلك.

وقال له الإمام المحدث الزهري عالم قريش في رد ذلك الظن: "يا أمير المؤمنين خليفة نبي خير أم خليفة غير نبي؟ قال: بل خليفة نبي. قال: فإن الله تعالى يقول لعبده داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾[ص:٢٦].

وقد جاء مثل ذلك عن غير الزهري، وليس غرضنا هنا أن نطيل في الرد على المرجئة، فحسبهم مخالفتهم للكتاب والسنة، ولكن المشكلة هي في بعض آثارهم الباقية في الناس حتى اليوم.

فالإرجاء ظاهرة متكررة وليس فرقة تاريخية انقضى عصرها، نعم لا يعرِّف أحد اليوم نفسه بقول إنه مرجئ ولكن للإرجاء علامات وآثار.

ومما يظنه المرجئة في عصرنا الحاضر قول بعضهم: إن الحاكم لا بد أن يأذن لصلاة الاستسقاء مثلا، أو يأذن بالدعوة إلى الله وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونحو ذلك مما لا دليل عليه، بل قد يكون كذبا يعلمه كل عاقل، فكل ما شرع الله لا يحتاج إلى إذن من الخلق.

وقد استسقى النبي ﷺ ولم يكن بالسماء "قزعة"، أي أنه لا اعتبار لما يسمى اليوم (المنخفض الجوي) أو ما تقوله الأرصاد في ذلك، وإنما الاعتبار بالتوبة والاستغفار اللذين أساسهما طاعة الله ورسوله ﷺ، وكيف نقدم آراء

البشر على الإيمان به وبأسمائه وصفاته، ومن الإيمان بصفات الله حقا أن نؤمن بأنه تعالى كريم لا تنفد خزائنه وأنه على كل شيء قدير، وأنه هو الغني الحميد، وأن المخلوقات كلها -ومنها السحاب- مسخرة بأمره، وأنه يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، فإن أعطانا فمن فضله وكمال رحمته، وإن منعنا فبعدله وكمال حكمته، وما علينا إلا أن نتقيه ونكون من أنصار دينه، ونحذر النفاق والمنافقين.

وقد قال أحد الخطباء مرة في المسجد الحرام: "اللهم إن بالبلاد والعباد من الجهد والبلاء واللأواء والضنك.." الخ، ولم يكن بمكة وما حولها يومئذ جهدٌ ولا بلاء ولا لأواء ولا ضنك، بل كانت مخصبة، وإنما تعمد فضيلة الخطيب أن يطيع البشر، وأن يتبع المذهب في الدعاء.

وفرعون هو الذي قال: ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه:٧١]، فسنته هي الإذن والترخيص وربما كان الجدب في بلد -أو قرية- والخصب في آخر!!.

ومن آثار المرجئة: حديثهم عن حقوق الراعي على الرعية، دون الحديث عن واجباته نحوهم الذي هو مقتضى عقد البيعة، كما نص الحديث السابق.

فالبيعة عند أهل السنة والجماعة عقد تبادلي، وليست عقد تملك واستبداد واستعباد، ولا بد من ذكر حقوق الرعية على الراعي.

والسنة المطهرة -كما سبق وكما هو مقتضى عقد البيعة-: أن الإمام له حقوقا وعليه واجبات، لكن الانحراف كثر، وقد قال المأمون: "الإرجاء دين الملوك"، وهذا مذهب الجهمية ومن اتبعهم قديما وحديثا، فلا يهمهم دين الرعية وإنما يهمهم طاعتها لهم.

وكان أئمة الجرح والتعديل يقولون في الجرح: "كان مرجئا يتبع السلطان" كما تقدم.

وفي عصرنا هذا كان بعض المرجئة في العراق يقول إذا قتل العراقي أمريكيا وجبت عليه الدية لـــ"بول بريمر" ولي الأمر!! عياذا بالله، فانظر كيف وصل الإرجاء إلى هذا الحد.

ومما يتعلق بذلك مسألة "لو خلا الزمان من إمام" وهي مسألة قدّرها بعض العلماء "كالجويني"، ووردت بها السنة قبله، فقال حذيفة ﷺ للنبي ﷺ: (فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ فقال ﷺ: فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعض على أصل شجرة).

وهذا الاعتزال صحت به الأحاديث الأخرى كقوله ﷺ: (إنه سيكون بعدي أمراء تعرفون منهم وتنكرون، فمن جاهدهم نجا)، وفي رواية (فمن نابذهم نجا، ومن اعتزلهم سلم، ولكن من رضي وتابع)، أي هو الهالك.

وفي الحديث الآخر المتفق عليه (لو أن الناس اعتزلوهم).

ومن الاعتزال قوله ﷺ: (خالطوهم بأجسادكم وخالفوهم بأعمالكم).

وهذه هي العزلة التي يسميها بعض المعاصرين "العزلة الشعورية".

ومنها نهيه ﷺ أن يكون المؤمن عريفا لهم أو شرطيا أو جابيا أو خازنا، وكيف يكون المؤمن أمينا للخونة وحارسا للصوص، وقد نص الفقهاء على أن المعدوم شرطا كالمعدوم حسا، فمن لم تتحقق فيه الشروط فهو كمن لا وجود له.

ومن أكرهوه على شيء من ذلك فعليه أن يتقي الله ويخلص العمل له ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق:٢]، والناس حتى لو وردوا موردا واحدا، يبعثون على نياتهم ويصدرون مصادر شتى كما صح في الحديث، وعلى كل مؤمن ألا يكون ممن رضي وتابع.

فينبغي اعتزال من لم تتوفر فيه الشروط ولم يقبل المناصحة، ومن الاعتزال تجنّب مجالسهم والاختلاط بهم وترك التوظف لديهم ما أمكن، كما كان السلف مع ولاة الجور، فكيف بولاة الكفر، مع الاستمرار في المناصحة دون الدخول عليهم أو إقرارهم.

ففي حديث تميم الداري رضي الله عنه قال ﷺ: (الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم).

وقال ﷺ: (إن الله يرضى لكم ثلاثا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم..) الحديث، والولاة هم أحد ولاة الأمر الذين هم صنفان: الأمراء والعلماء.

والنصيحة هي أن يؤمر الإمام بالمعروف بالحكمة والموعظة الحسنة، ويبيّن له الحق من الكتاب والسنة وعمل الخلفاء الراشدين وأئمة السلف الصالح وعقيدة أهل السنة والجماعة، ولا تعني مدحهم وأنهم أدرى بالمصلحة، وأن ما يأمرون به رشيد وحكيم وموفق كما يقال، ولا تعني موافقتهم في كل شيء كما يفعل علماء السلاطين عياذا بالله، والحكمة لا تعني المداهنة، وقد قال موسى عليه السلام: ﴿وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا﴾ [الإسراء:١٠٢]، مع أن الله أمره أن يقول قولا ليناً، فالقول اللين لا ينافي الصدع بالحق وقول ذلك في وجهه إذا اقتضى الأمر، والنصح من حق الإمام كما في مبحث الحقوق الآتي بإذن الله.

وبعض الناس يستدل على الطاعة المطلقة للحاكم بحديث (وإن أخذ مالك وجلد ظهرك)، وهذا الحديث منقطع، ورواية (وإن أخذ مالك وجلد ظهرك) ضعيفة، على أنه لو صح إنما هو في الحقوق الشخصية وليس في حقوق الله تعالى، إذ أخْذ المال وجلد الظهر إنما هي حقوق شخصية، ويدل على ذلك نفس اللفظة (ظهرك، مالك).

وهذا الحديث حكم عليه الدارقطني وغيره بالانقطاع، وحكم زميلنا الشيخ مقبل رحمه الله على هذه الزيادة بالضعف في تعليقه على (الإلزامات والتتبع)، والشيخ الألباني رحمه الله صحح الحديث بدون هذه الزيادة، ولذلك تفصيل ليس هذا مكانه.

وينبغي أن يكون الإمام عاما لجميع المسلمين، ولا نرضى بهذا التفتيت الذي وضعه النصارى المستعمرون، هذا هو الأصل وما عداه استثناء أو شذوذ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "السنة أن يكون للمسلمين إمام واحد والباقون نوابه، فإذا فرض أن خرجت الأمة عن ذلك لمعصية من بعضها وعجز من الباقين أو غير ذلك، فكان لها عدة أئمة لكان يجب على كل إمام أن يقيم الحدود ويستوفي الحقوق".

والبيعة لإمامين أو أكثر وقعت فعلا حين استولى عبدالرحمن الداخل الملقب "صقر قريش" على الأندلس، وعبد الرحمن الداخل أموي قرشي وفعل ذلك أول خلافة بني العباس، فكان للناس إمامان وإن كان هو لم يدع الخلافة وإنما ادعاها بعض أحفاده.

ويقال إن الذي لقبه "صقر قريش" هو الخليفة العباسي المنصور.

ولما فسد الحكم الأموي في الأندلس قامت على أنقاضه دول الطوائف التي يعلمها المؤرخون وليس هذا موضع الحديث عنها.

كما أنه ينبغي الصبر على الحقوق الشخصية والظلم والأذى، لكن الصبر الوارد في السنة ليس مطلقا كما يظن المرجئة، بل لا بد من جمع الأدلة والنظر فيها جميعا من خلال عقيدة أهل السنة والجماعة وحدها، فقد ورد الصبر في مواضع عدة نذكر منها:

١- أمر النبي ﷺ الأنصار بالصبر حتى يلقوه على الحوض، وأخبر -وهو الصادق المصدوق- أنهم سوف يلقون بعده أثرة. وبهذا استدل من لم ير القتال مع عبدالله بن حنظلة من الصحابة الأحياء في حينه أي "يوم الحرّة"، وقال أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ كما في البخاري وهو أنصاري: "أُمروا بالصبر فلم يصبروا"، أي الأنصار رضي الله عنهم، كما روي عن أسيد بن حضير أن رجلا من الأنصار قال للرسول ﷺ: (ألا تستعملني كما استعملت فلانا؟ فقال: إنكم ستلقون بعدي أثرة..) الحديث.

٢- أمر النبي ﷺ بالصبر على أمرائه وقال: (هل أنتم تاركو لي أمرائي)، الحديث.

٣- أمر ﷺ بالصبر على ولاة قريش فقال: (وإن ولت عليكم قريش عبدا مجدعا فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله).

والصبر لا يلزم منه السكوت كما أن قول الحق لا يلزم منه الخروج.

ولا ريب أن أهل السنة والجماعة حين أمروا بالصبر على ولاة الجور، والجهاد معهم كانوا على حكمة وبصيرة نذكر هنا طرفا من ذلك:

١- أن هؤلاء الأئمة يجاهدون أعداء الله تعالى، وعقيدة أهل السنة والجماعة هي أن الجهاد ماض إلى قيام الساعة، وهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الجمعة والجماعة، ودينهم الذي يدينون به هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ كما قال أبو مجلز رحمه الله.

٢- أن كل إنسان يرى أنه محق وخصمه مبطل سواء كان خصمه إماما أو أي فرد.

٣- أن أهل السنة يعتقدون أن تسليط الظلمة، إنما هو بسبب ذنوب الرعية، كما قال ﷺ: (يا معشر الأنصار خمس أعوذ بالله أن تدركوهن...)، الحديث كما هو معلوم، وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: يا "أهل العراق إن الحجاج عذاب الله سلطه عليكم بذنوبكم"، وهذه الذنوب قد تنسي العلم كما قال ابن مسعود رضي الله عنه مستدلا بقوله تعالى: ﴿وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:١٣].

وقال الشاعر وينسب للشافعي:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يعطى لعاصي

وربما أذهبت البصيرة كما قال أحد السلف: "أوتيت فهما في القرآن فلما قبلت الصرة ذهبت البصيرة".

٤- أن أهل السنة لا يرون ذلك فيمن ليس قرشيا مثلا، ولذلك لم يروا خلافة من سمّوا أنفسهم "فاطميين" وهم في الحقيقة "عبيديون"، ومن قبل أنكر السلف ادعاء يزيد بن المهلب الأزدي للخلافة، كما أنكر فقهاء المالكية أن يدعيها المنصور بن أبي عامر في الأندلس.

٥- أن أهل السنة إنما يسلكون مسلك الأنبياء في تعطيل الشر أو تقليله، ولا ريب أن في الصبر تقليل للشر، وهو خير من الخروج الذي تترتب عليه مفسدة أكبر، فأهل السنة يقدمون المصلحة العامة على المصلحة الشخصية.

ولما اشترط العلماء المسلمون -وأهل السنة خاصة- أن يكون الإمام قرشيا ثم تولّى الإمامة أو ادعاها غير قرشي، بيّن العلماء حقيقة نسبه وأنه غير قرشي، ومن كونه غير قريش تبطل إمامته.

ومن ذلك مثلا أن العلماء -كالغزالي وابن الجوزي وابن تيمية والسيوطي- أبطلوا نسب العبيديين، وكتب جمع من العلماء محضرا بذلك، ووقع على ذلك المحضر أئمة المذاهب الأربعة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، ومنهم القدوري شيخ الحنفية، وأبو حامد الاسفرائيني شيخ الشافعية، وابن أبي زيد شيخ المالكية، وأبو يعلى شيخ الحنابلة.

وينبغي لقريش أن تنفي عنها من ادعى أنه منها وليس كذلك.

والصبر لا ينافي قول الحق والدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أن الصبر ليس مطلقا كما يرى المرجئة، ولا ينافي الأحاديث الأخرى التي تشترط العمل بكتاب الله على المستطيع.

والعمل بكتاب الله هو دأب السلف كلهم بدءا من الصحابة رضي الله عنهم وعليه أجمعت الأمة، ولا يجوز لأحد أن يوقف الحدود فضلا عن ترك العمل بكتاب الله.

وعمر رضي الله عنه لم يوقف حد القطع لا في عام الرمادة ولا في غيره، وإنما رأى أن شروط الحد غير متوفرة لشدة المجاعة والجدب ذلك العام، وكل

الأئمة متفقون على أن من لم تتحقق فيه الشروط لا يقطع، وليس ذلك خاصا بعمر.

ودينا جعل لكل عمل شرطا لا بد من تحققه حتى الصلاة لها شروط والخلاف في الشروط قديم وسائغ.

وقد ذكر الله تعالى أن في الصحابة الكرام من يسمع للمنافقين ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]، فكيف بالمرجئة ومن تأثر بهم لاسيما في هذا الإعلام الكاذب، بل إن الجهال ليستمعون اليوم إلى شبهات الرافضة وأذنابهم وربما صدقوها.

ومما يدل على الفارق الكبير بين مذهب المرجئة ومذهب أهل السنة والجماعة، أن أهل السنة ينهون عن الخروج على الإمام العادل، ويسكتون إذا كان الخروج على الظالم، وقد أنكر بعض التابعين على بعض العلماء حين ردوا الناس إلى الحجاج، وقال: أتردهم إلى الحجاج؟ وقال بذلك بعض أئمة السلف الصالح، ومعلوم أن الحجاج والٍ لبني أمية، وقال الإمام مالك رحمه الله لمن سأله عن حكم ذلك: "إن خرجوا على مثل عمر بن عبدالعزيز وإلا فدعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما".

وقول مالك منقول عن الحسن البصري والإمام أبي حنيفة والشافعي، وحالة الحياد هذه هي ما فعله الصحابة الممسكون عن الفتنة.

وقول المرجئة إن كل من قام على أي دولة فشلت محاولته غير صحيح، والتاريخ يكذّب ذلك، ولا شك أن كل دولة أقامت الدين هي خير ممن كان قبلها، ممن غلبت عليه المعاصي أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو المتهاون فيه،كما كانت دولة صلاح الدين في مصر بعد العبيديين، وكما كانت دعوة الشيخ عبدالله آل ياسين رحمه الله وأقامت دولة المرابطين، وكما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله وأقامت الدولة السعودية الأولى وامتدت آثارها شرقا وغربا كما هو مبين في موضعه، على أن هناك فرقا بين حكم القومة وبين نجاحها أو فشلها.

وأهل السنة والجماعة قد يسكتون عن الخارج كما أمر الإمام مالك رحمه الله، وقد يأمرون بغير ذلك والأمر كله راجع إلى مصلحة المسلمين، وهي تختلف من زمن إلى آخر، كما أن الاجتهاد في ذلك وغيره قد يختلف من إنسان لآخر، والمواهب تختلف والقدرات تختلف.

وقد اختلط مذهب أهل السنة بمذهب المرجئة لا سيما حين ادعى المرجئة أنهم أهل السنة، لكن طالب العلم يتأكد وينظر في الأدلة كافة.

وليس كل إمام هو إمام هدى وحق، بل ربما كان إماما في الشر والضلال.

فقد ذكر الله تعالى في كتابه المجيد أن الأئمة على ضربين:

١- أئمة الهدى وهم الذين قال فيهم: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، وهؤلاء هم أهل الصبر واليقين، ومن الملوك الصالحين من ذكره الله في القرآن كذي القرنين وطالوت.

٢- أئمة الضلال مثل فرعون وآله قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص:٤١].

وكذا العلماء، منهم علماء دنيا وعلماء دين، ومثل ذلك في الولاة والملوك والسلاطين.

وقال ﷺ: (غير الدجال أخاف عليكم الأئمة المضلين)، وقال: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلون)، وذلك أن الدجال -أعاذنا الله من فتنته- له أمد محدود، أما الأئمة المضلون فتطول مدتهم، وكلما هلك منهم واحد خلفه آخر، فحكام الضلالة أخوف على المسلمين من الدجال، وإنما فتنة الدجال هي قلب الحقائق وجعل المخلوق خالقا، وجعل الجنة نارا والنار جنة، وهذا ما يمارسه إعلام الأئمة المضلين دائما، فيجعلون الدياثة تحررا، والظلم عدلا، والخطأ رشدا، وهكذا.

فمن كان إمامه على ضلال لا يعمل بكتاب الله لا يجوز اتباعه، بل هو أخطر من الدجال ولو توفرت فيه بقية الشروط.

وبعض الناس يركع له المخلوقون كما يركعون لله، وشبيحة بشار يأمرون الأسير أن يقول إن ربه بشار!

وكما خاف ﷺ على أمته الأئمة المضلين، خاف كذلك على أمته إمارة السفهاء، وأمر بعض الصحابة الكرام بالاستعاذة من إمرة السفهاء وقال ﷺ: (أخاف عليكم ستا: إمارة السفهاء)، ثم ذكر خمسة أخرى. والسفيه هو ناقص العقل مهما كان عمره.

وقال عمر رضي الله عنه لزياد بن حدير: "أيّ شيء يهدم الإسلام؟ ثم ذكر عمر ثلاثا منها: حكم الأئمة المضلين".

وهؤلاء الزعماء المضلّون يجنّدون الناس التجنيد الإجباري، ويدفعونهم للقتال عن كراسيهم وأحزابهم.

ولا يجوز في ديننا قتالٌ من أجل مُلك فلان ولو كان إماما مستوفيا للشروط من صحة الاعتقاد والقرشية والعدل والشورى والعلم الخ، وقد بين النبي ﷺ أن المقتول يأتي يوم القيامة متعلقا بقاتله فيقول الله تعالى: "فيم قتلت هذا؟ فيقول القاتل في ملك فلان"، فيجب الإخلاص لله وحده، ومما ينقل عن بعض الصالحين أنه قال:

ولست بقاتل رجلا يصلي   على سلطان آخَرَ من قريش

ويقول النبي ﷺ: (إني نهيت عن قتل المصلين).

فلا بد من إخلاص الدين لله، وإلا فقد كان "قزمان" يقاتل عن أحساب قومه مع رسول الله ﷺ، حتى أن بعض الصحابة ظن أنه شهيد.

أما أهل الإسلام فلا يقاتلون عن ملك أحد، وقد نهى النبي ﷺ عن قتل المصلين وقتل النفوس المعصومة بلا مستند شرعي، ونهى عن ذلك حبّه أسامة بن زيد وكذا نهى المقداد.

ولذلك اعتزل أكابر الصحابة رضي الله عنهم القتال بين أهل الشام وأهل العراق وفرح المسلمون بالصلح الذي قال فيه النبي ﷺ: (إن ابني هذا سيد -يعني الحسن- ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)،

وقد اعتزل سعد بن أبي وقاص وهو أفضل من بقي حيا وقال: "ائتوني بسيف له لسان يقول لي هذا كافر فاقتله، وهذا مسلم فلا تقتله"، وقال أبو وائل وهو من أكابر التابعين: "شهدت صفين وبئست صفون".

وعلى هذا الاعتزال ولأجل ما قد يقع من الدماء والفتنة رأى بعض الفقهاء طاعة المتغلِّب الذي توفرت فيه الشروط، مع أن المعتزلين هم أفضل الطوائف تبعا للأحاديث الثابتة، وعلى هذا عقيدة أهل السنة والجماعة كما قرر شيخ الإسلام رحمه الله، وكما قرر ذلك الإمام أحمد رحمه الله من قبل.

ومما يؤسف له أن بعض مدعي الإمامة هم في الحقيقة أتباع للسياسة الأمريكية لكنهم غير مدركين لضعف أمريكا وتراجعها، أو أهم راضون بالعبودية خاضعون للاسترقاق الفكري الأمريكي، ولا أظن أحدا من المراقبين السياسيين أو من أهل النظرة الثاقبة يشك في أن السيسي والإمارات ومحمود عباس خاضعون بشكل ما لأمريكا، وكذا أكثر الحكام.

وإنما مصيبتنا أننا لا نعرف الواقع ولا نعتبر بأحداث التاريخ.

وهنا أنبه إلى أنني لم استعمل اصطلاح (فقه الواقع) مع أنه حق، وإنما قلت معرفة الواقع، في المحاضرة التي شرحت فيها أسباب حرب الخليج، وبينت ما للعلماء من فضل فيما قاموا به، وأنه لا يسد أحد مكانهم، وإن كان عندهم تقصير في معرفة الواقع، وهي شرط ضروري للفتوى والحكم.

ومن أصول الإمام أحمد إمام أهل السنة والجماعة أن الفقيه لا بد له من معرفة أحوال الناس، وكيف تكون العادة محكَّمة والعرف معتبرا، دون معرفة ما عليه الناس من الأعراف والعادات، وهل كان في عرف السلف ما ذكره المتأخرون من التأويل والنسخ مثلا، أم كان لهما عند السلف مفهوم آخر؟

ويجب إعلان البراءة من المشركين والعداوة لهم حتى يؤمنوا بالله وحده.

وملة إبراهيم عليه السلام التي ذكر الله في سورة الممتحنة وسورة الزخرف وغيرها هي البراءة من المشركين وإعلان العداوة لهم، وعلى ذلك سار النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون والقرون المفضلة، وجدده شيخ الإسلام ابن

تيمية في العصور الوسطى الإسلامية، ثم الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العصر الحديث، و لم تكن أبدا تحالفا استراتيجيا أو صداقة!

وأي تحالف كان بين هارون الرشيد وشارلمان مثلا؟

وهل فتح المعتصم عمورية بناء على التحالف والصداقة؟

والإمامة في الإسلام إنما تصح بالشورى، وللشورى أهلها لاسيما كبار المتبوعين، فأين شيوخ القبائل العربية الأصيلة، التي يتكون منها مجتمع جزيرة العرب، مثل قحطان والأزد وعتيبة ومطير وعترة وشمر وتميم وغيرهم، أليسوا هم أهل الحل والعقد؟ أليسوا أولى من المجمع الانتخابي الأمريكي مثلا؟

أرضوا أن يكونوا مجرد أتباع ولا رأي لهم في شيء، وكيف يسكتون وينطق الرويبضات؟

وأسوأ من ذلك أن يصبح من الأتباع أو من المطبلين الناس الذين عليهم مسؤولية النصح والتوجيه والإصلاح، لا سيما الأسر التي لها عند الناس قيمة ومترلة كأهل البيت وآل الشيخ.

وما دام غرضنا الأساس هنا هو بيان المستوى الإيماني الرفيع الذي لا تصل إليه أبدا الديمقراطية المزعومة في الغرب -أي حكم الشعب نفسه كما يدعون-، نقول: ربما كان أول ما يفجؤنا هنا هو أن الإمام في الإسلام لا يرشح نفسه ولا يدعو إليها في حملة انتخابية، كما يفعل المؤمنون بالديمقراطية، ثم يتراجع المرشح بعد انتخابه، عن كثير من وعوده الانتخابية أو بعضها.

قال ﷺ: (اتقوا الله فإن أخونَكم عندنا من طلب العمل)، وقال ﷺ: (إنا لا نستعمل على عملنا هذا من أراده)، وقال ﷺ: (إنا لا نولي على هذا العمل أحدا سأله ولا أحدا حرص عليه)، قال ذلك لما دخل عليه أبو موسى الأشعري ومعه رجلان من أصحابه سألا النبي ﷺ أن يوليهما!

وحذر صلوات الله عليه وسلامه بعض الصحابة مثل أبي ذر وعبدالرحمن بن سمرة من الإمارة، فقال: (يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة).

وقال: (يا عبدالرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أوتيتها عن مسألة وكلت إليها، وإن أوتيتها من غير مسألة أعنت عليها).

وحسبها -أي الإمارة- أن يحاسب عليها المرء يوم القيامة ويسأل عنها، فالإمام الحق لا يسأل الإمارة ولا يولي أبناءه ولا أقرباءه، وإنما الأمر شورى بين المسلمين كافة، قال ﷺ: (إن الله تعالى سائل كل راع عما استرعاه أحَفِظ ذلك أم ضيعه)، وقال: (إنكم ستحرصون على الإمارة وإنها ستكون ندامة وحسرة يوم القيامة، فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة).

وقال ﷺ: (ليتمنين قوم ولوا هذا الأمر أنهم خروا من الثريا وأنهم لم يلوا شيئا).

بل إن بعض السلف ندم على تولي العمل للصالحين، كما تمنى ميمون بن مهران رضي الله عنه الذي كان واليا لعمر بن عبد العزيز أنه لم يتول لأحد حتى لعمر بن عبدالعزيز، وهو المشهور بعدله وزهده وعفته.

والسلف الصالح نفروا من تولي الإمارة ومن أي عمل للسلاطين، واشتغل كثير من السلف بالتجارة ونفروا من تولي القضاء أو أي وظيفة، وممن اشتغل بالتجارة سعيد بن المسيب وابن سيرين، ويونس بن عبيد، وأكثر الأئمة والسلف، وهذا على الأقل فيه السلامة، وقد قال ابن عباس رضي الله عنه: "لا أعدل بالسلامة شيئا"! وقد فضل الإمام أبو حنيفة الجلد على أن يتولى القضاء.

وقد قابلت الشيخ عبدالله بن سعدى الغامدي رحمه الله وهو محطم الطواغيت، في صنعاء ونجران وأبها ومكة والطائف والسراة كافة وقال: "لم أقبل أي وظيفة في حياتي".

وكان يقول لأعدائه على سبيل الاستهزاء: "افصلوني من الوظيفة"،

وكان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله يعرف قدره ويبعث إليه بالمال والهدايا كي يسد حاجته، ثم إن الشيخ عبد الله أصبح من ملاك الأراضي.

والشيخ محمد ناصر الدين الألباني لم يتول وظيفة حكومية لأحد، بل كان يتكسب من إصلاح الساعات.

ومعلوم اليوم أن الموظف قد يعزل فجأة، وقد يحاكم ويحمَّل كامل المسؤولية، وقد يتقاعد الموظف فلا يأبه له أحد، أما العالِم فلا يعزله أحد لأن علمه في صدره، وكلما زاد عمره زاد علمه بإذن الله.

ولا تحرم الوظائف مطلقا ولكن التقوى هي الأساس.

فالإمامة أو الولاية مسؤولية عظيمة، ولما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه للمرأة التي لا تعرفه: "وما يدري عمر عنكم؟ قالت: أيتولى أمرنا ولا يدري عنا؟"، فانظر كيف بلغ الوعي السياسي عند هذه المرأة، فما ظنك بكبار الصحابة رضي الله عنهم؟!

فمذهب أهل السنة والجماعة -وليس مذهب المرجئة- أن العقد تبادلي، وأن الإمام عليه واجبات منها تفقُّدُ الرعية، والاطلاع على أحوالها، وقد قال عمر رضي الله عنه كما روى البخاري "لئن سلمني الله لأدعن أرامل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي أبدا".

وقد كان من عادة القياصرة والأكاسرة والعرب في الجاهلية توريث الحكم، ثم جاء محمد ﷺ فجعل الأمر شورى بين المسلمين وليس وراثيا، فلم يكن لأحد من بني هاشم، ولا لأولاد أبي بكر وعمر وعثمان.

وقد كان النبي ﷺ يلقن من يبايعه على السمع والطاعة قوله (فيما استطعت)، ولهذا قال بعض من بايعه (ورسول الله ﷺ أرحم بنا من أنفسنا).

وقد نبغت في هذا الزمان فرقة من المرجئة لم يعرف التاريخ لها نظيرا من قبل، ترى ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتزعم أن قول الحق خروج تسميه "الخروج بالكلمة"، وهذه أول مرة في التاريخ يظهر فيها مثل هذه الفرقة فيما نعلم، ومع ذلك ننبه إلى هذه الحقائق:

١- صح عنه ﷺ أنه قال: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)، فكيف يجتمع أن هذا أفضل الجهاد مع القول بأنه خروج بالكلمة؟

٢- قال ﷺ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه..) الحديث، فكيف يكون الانكار باللسان؟

٣- قال ﷺ: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه...) الحديث.

وقال: (إن الناس إذا رأوا المنكر...) الحديث، فكيف يكون ذلك؟

٤- قال أبو بكر ﷺ في أول خطبة له: "إذا استقمت فأطيعوني وإذا اعوججت فقوموني"، فيكف يكون تقويمه؟

٥- قال بعض الصحابة لعمر ﷺ وهو على المنبر وبحضور الصحابة رضي الله عنهم: "لا سمع لك ولا طاعة"، فهل هذا خروج؟

٦- قال الله تعالى: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَ﴾ [المائدة:٦٣]، وقال بعض السلف: "ما في القرآن أشد توبيخا للعلماء من هذه الآية"، فكيف ينهى العلماء الحكام عن ذلك؟

٧- إذا قال أحد أنا لا أخرج بالمعنى الذي تقولونه، وإنما أدعو إلى الله وأقول الحق وأنكر، وأدعو إلى تحكيم الشرع فبماذا نُلزمه؟

٨- قال ﷺ في الخلوف الذين يأتون بعده: (فمن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن)، فكيف يكون الجهاد باللسان؟

ومع هذا نقول إنه لا يصح أخذ بعض ما رواه ابن أبي عاصم أو غيره من الإنكار سرا، وترك ما في الصحيحين، بل نقول إن الجمع بينهما أولى ونشكر من جمع؟ وإذا فهمه الله ما لم نفهم نحن، فهل هذا يعاب عليه؟

وهل ينقص من قدر داود عليه السلام أن الله تعالى فهَّم سليمان ما لم يفهمه؟ وقد آتاهما الله حكما وعلما كما في الآية. ومن الجمع أن يقال فرقٌ بين العيوب الشخصية وبين المنكرات العامة. والله تعالى خلق الناس متفاوتين في الفهم ، فالحديث الواحد قد يستنبط منه العلماء فائدتين أو ثلاث فوائد،

وقد يستنبط منه بعضهم عشرات الفوائد، والأمر كما قال الشاعر:

ولكن تأخذ الأفهام منه على قدر القرائح والعقول

ومن الضلال تضخيم الأخطاء واعتبار كل مخطئ مرتدا أو مبتدعا.

٩- قال ﷺ: (أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلون)، فما أمثلة هذا الإضلال وكيف يكون الموقف منه؟

١٠- قال ﷺ: (كم من متخوض في مال الله بغير حق..) الحديث. فهل التخوض في مال الله جائز؟ وكيف يكون إنكاره؟

١١- قال ﷺ: (إياكم ودعوة المظلوم..) الحديث، فلو دعا المظلوم أيكون أيضا خروجا؟

١٢- إذا قال أحد أنا لا أرى الخروج ولا المنازعة ولا الثورة، وليس هذا من عقيدتي وإنما عقيدتي النصيحة وقول الحق واتباع الكتاب والسنة، فكيف يكون إرهابيا طائفيا أصوليا متطرفا متشددا، الخ التهم؟

١٣- ما حكم من صحح الأحاديث في ترك أبواب السلطان واتباعه، وجرح الرواة بذلك أهو خارجي أيضا؟

١٤- بعض الحكومات مثل حكومة ماليزيا تمنع الشيعة وتسمح -إن لم تأمر- الخطباء والدعاة والمحاضرين أن يتكلموا عنها فهل هذا خطأ وخروج منها!!

١٥- قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]، وقال رسول الله ﷺ: (لا يمنعن رجلا هيبةُ الناس أن يقول بحق إذا علمه أو شهده أو سمعه)، فمن يخالف هذا الحديث أهم أهل السنة أم المرجئة؟

١٦- من الشيطان الأخرس، إذا كان قائل الحق يجب عليه السكوت وإلا فهو خارجي حركي؟

وهذا كله غيض من فيض لم نتعمد الاستقصاء فيه.

وهنا قد يسأل بعض الناس: إذا كان الإمام لا يطلب الإمامة فمن الذي

يختاره إذاً؟ والجواب كالعادة في الوحي المعصوم! فنقول: إن الأمة هي التي تختاره، ويختاره نيابة عنها العلماء ورؤساء الجند وأهل الشوكة عامة، وشيوخ القبائل بطريق الشورى ثم يتعاقدون معه أي يبايعونه، وقد يتعاقد معه لجنة أو هيئة أو مجلس وهكذا في كل عصر بحسبه، وتُرك ذلك إلى الأمة دون تحديد مفصّل، وهذا من رحمة الله تعالى فالعصور تختلِف والأحوال تتباين، والنظر إلى الأمور يتغير بحسب المصالح والمفاسد.

والنبي ﷺ في مرض موته همّ أن يعهد إلى أبي بكر ثم تركه، وقال ﷺ: (ائتوني بكتاب فأعهد فيه حتى لا يقول قائل أو يتمنى متمن)، فلما اختلفوا عنده وظن بعضهم أنه هجر، ترك ذلك وقال: (يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر)، وهذه هي الرواية التي صححها الشيخ ابن باز رحمه الله ولا أدري أقالها من حفظه أم أنها وردت في كتاب لا أعلمه، وأما ما قرأت فهو (والمؤمنون).

وثبت عنه ﷺ تقديم أبي بكر رضي الله عنه للصلاة.

وثبت عنه أن ذلك للأمة: وقال ﷺ: (يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر)، وفي رواية: (يدفع الله ويأبى المؤمنون إلا أبا بكر)، وفي رواية: (يأبى الله ويدفع المؤمنون إلا أبا بكر)، قال ابن تيمية رحمه الله: (إن كل مناقب الصديق خصائص لا يشركه فيها غير)، كما جاء في منهاج السنة ومجموع الفتاوى، ولو كان النبي ﷺ متخذا خليلا غير ربه لاتخذ أبا بكر، وهو الصديق الأكبر، وهو صاحب الغار الذي ورد ذكره في القرآن، ولذلك قال عمر رضي الله عنه: "لليلةٌ من أبي بكر ويوم، خير من عمر وآل عمر"، وعلي رضي الله عنه قال: "لا أوتين بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري"، أي ثمانين جلدة، هذا وكان الصديق مع علمه بالسنة أعلمَ الناس بتأويل الرؤى، وكان نسّابة وكان تاجرا منفقا رضي الله عنه، وهذه كلها صفات خيّرة يعلم بها النبي ﷺ.

وقد اختار المسلمون أبا بكر في اجتماع السقيفة، ولو نص عليه النبي ﷺ لاحتج هو والمهاجرون بذلك، ولم يخالفهم أحد، ولو نص على غيره

لأجمعوا عليه.

و لم يخالف في بيعة الصديق إلا سعد بن عبادة ﷺ وهو سيد قومه كما هو معلوم، ولكنّ خلافَه غيرَ معتبر، ومات سعد و لم يبايع أحدا.

ولما كان العرفُ عند العرب أن الحكم وراثي قال والد الصديق لما بلغه أن الأمة اختارت ابنه: "وهل رضي بذلك بنو عبد مناف؟ قالوا نعم، قال: الملك لله يؤتيه من يشاء"، وبنو عبد مناف هم بنو هاشم وبنو أمية.

ومما يدل على أن الاختيار حق للأمة قول عمر ﷺ: "... يغصبونهم حقهم"، ثم قال: "فمن بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة أن يقتلا".

كما أن الأحاديث الكثيرة تدل على ذلك، قال ابن حجر في الإصابة (٥٦٩/٤): "وفي مسند أحمد بسند جيد عن علي قال: (قيل يا رسول الله من تؤمر بعدك؟ قال: إن تأمروا أبا بكر تجدوه أمينا زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة، وإن تؤمروا عمرا تجدوه قويا أمينا لا يخاف في الله لومة لائم، وإن تأمرؤوا عليا -وما اراكم فاعلين- تجدوه هاديا مهديا، يأخذ بكم الطريق المستقيم)".

فهو ﷺ لما قيل له: من تؤمر بعدك، أجابهم (إن تأمّروا)، فالأمر راجع لهم، وهم الذين يختارون ويؤمرون.

والحديث أيضا في غير المسند.

وجعل عمر الأمر بعده شورى و لم يعهد لأحد بل قال (لا أتحملها حيا وميتا) إذ أن الأمة -لو أوصى- سوف تختار من يوصي به عمر. وقال علي ﷺ: "والله لو منعناها النبي ﷺ لما أعطانا إياها الناس"، فالناس هم الذين يملكونها، على قوله ﷺ.

وعلى هذا درج الخلفاء الراشدون، وانعقد إجماع الصحابة، فعهد أبو بكر لعمر رضي الله عنهما وهو ليس من أقربائه، بل ليس من بني عبد مناف قرابة النبي ﷺ وذلك لفضله وإيمانه وتقواه، وما صح في مناقبه ولأمر النبي ﷺ

بالاقتداء به أي بعمر بن الخطاب ﷺ، فقال ﷺ: (اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر).

وقال ابن مسعود ﷺ: "أفرس الناس ثلاثة" وذكر منهم: "أبو بكر في عمر رضي الله عنهم".

وعهد عمر ﷺ إلى الستة واستبعد أقرباءه كما سبق.

وعَهْد الخليفة لمن يتولى الأمر بعده ليس قرارا لا رجعة فيه، وإنما ذلك توصية كما نقول اليوم وهذه مشورة ورأي له، ولو اختارت الأمة غير من عُهد إليه بالخلافة لكان الرأي رأيَها هي وليس للتوصية أثر، قرر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في رده على الرافضي.

وقد ذكر -رحمه الله- أن بيعة أبي بكر وعمر إنما تمت وصحت باختيار المهاجرين والأنصار لهما، وليس لمجرد أن فلانا سبق إلى البيعة أو أن فلانا أوصى بها، ولو أن الإمامة تكون بالوصية لأوصى بها رسول الله ﷺ ولو أنها بالوراثة لكان أحق الناس بها قرابته ﷺ.

وأقرب الناس له ﷺ عمه العباس بن عبد المطلب، وصح عنه (عم الرجل صنو أبيه)، وهو أكبر بني هاشم سنا، والله تعالى ذكر إسماعيل ضمن آباء يعقوب، وعمر ﷺ لما استسقى استسقى بالعباس، فالعم أقرب من ابن العم وهو يسقطه في الميراث.

بل الإمام نفسه يستشير الأمة ويشير عليهم، وأعظم إمام وأعظم ولي أمر هو رسول الله ﷺ، ومع ذلك لما رأى قلادة خديجة عرفها، وقال لأصحابه: (إن رأيتم أن تخلوا لها أسيرها)، وكانت ابنته زينب بعثت بقلادة أمها خديجة تفتدي بها زوجها المشرك أبا العاص بن الربيع بعد وقعة بدر، و لم تكن أحكام النكاح يومئذ قد اكتملت، فهو ﷺ مشيرٌ وشافع لدى الأمة، وليس آمرا لها ولا هو واسطة لابنته، كيف وقد قال: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)، وزينب هي أخت فاطمة؟ وقد شفع أيضا في بريرة كي ترجع إلى مغيث و لم يأمرها.

ومما يدل على أن الأمة هي التي تختار من يتولى أمرها، أنه كان للناس في زمنه ﷺ عرفاء يرجعون إليهم، ولما اختارت هوازن السبي على المال، خطب النبي ﷺ في الأنصار وذكر فضلهم ثم ذكر لهم ما اختارت هوازن وترك لهم الحرية في رد ذلك، وقال: (إِنِّي لا أَدري مَن أَذِنَ مِنكم مِمَّن لَم يَأذَن، فَارجَعُوا حَتَّى يرفَعَ إِلَينَا عُرَفَاؤُكُم، فَرَجَعَ النَّاسُ فَكَلَّمَهُم عُرَفَاؤُهُم، فَرَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخبَرُوهُ أَنَّ النَّاسَ قَد طَيَّبُوا وأَذِنُوا).

وسواء سمي عريفا أو مختارا أو نائبا أو شيخا أو أي اسم لا يؤثر ذلك في المقصود، وهو إتاحة الحرية لكل مؤمن، وأن الاختيار للرعية وليس لرئيس الدولة، وقد كان النبي ﷺ يسأل العشائر مَن سيدكم يا بني فلان؟ فهو لا يعيّنه بل لا يعرفه، ولا ريب أن الإمام أعظم من مجرد العريف.

ومما يدل على أن الأمة هي التي تختار: أن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه شاور الناس بشأن علي وعثمان حتى استشار المخدَّرات في خدورهن، فأجمعت الأمة على عثمان رضي الله عنه إجماعا لم يشهد التاريخ مثله ولم ينكر ذلك أحد من الصحابة قط. ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله: "من قدم عليا على عثمان فقد أزرى بالمهاجرين والأنصار" كما تقدم.

ثم اختارت الأمة عليا رضي الله عنه وقال له بعض الصحابة: "لو كنتَ في جحر لاستخرجك منه الناس".

ولما أنشأ بعض المثقفين في جدة (نادي البقر) كما أسموه، ظننت أول الأمر أن المسألة محض تقليد لنادي الحمير الذي أسسه بعضهم في مصر، ولكن الذي أعطاني بعض أوراق النادي، قال لي: إنهم سموه نادي البقر لأنهم قالوا: نحن مثل البقر لا أحد يستشيرنا ولا ندري عن شيء!

والشورى حق للمؤهل لها، والأمة ليست بقرا ولا بهائم حتى لا تستشار ويعمل باختيارها!

وحسبك في أن الأمر بالشورى وليس بالتعيين والوراثة أن رسول الله ﷺ لم يعيّن أحدا من أقربائه أو يورثه، بل قال: (يأبى الله والمسلمون أو

والمؤمنون إلا أبا بكر)، كما أفتى بذلك الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، فهي حق للأمة كافة بطريق الشورى.

وكان ﷺ يشاور أصحابه عملا بقوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ"، هذا وهو الموحى إليه وهو أكثر الناس حكمة وحنكة، وأسدُّ الناس رأيا وأكبرهم عقلا فكيف بمن دونه، وقصته يوم الحديبية عندما استشار إحدى أمهات المؤمنين معلومة مشهورة.

وقال صلوات الله عليه لأبي بكر وعمر: (لو اتفقتما في أمر لم أخالفكما في مشورة)، فهما وزيراه الصادقان الحكيمان.

واستشار ﷺ أصحابه في بدر وأحد والأحزاب وفي حادثة الإفك والحديبية وغير ذلك.

وثبت أنه قال: (أشيروا علي أيها الناس).

روى ابن جرير الطبري في تفسيره عن الضحاك بن مزاحم أنه قال: "ما أمر الله نبيه ﷺ بالمشاورة إلا لما علم فيها من الفضل"، يعني قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩].

وروى عن الحسن البصري أنه قال: "ما شاور قوم قط إلا هُدُوا لأرشد أمورهم".

ثم قال الطبري: "وقال آخرون: إنما أمره الله بمشاورة أصحابه، مع إغنائه بتقويمه إياه وتدبيره أسبابه عن آرائهم، ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزب من أمر دينهم، ويستنوا بسنته في ذلك، ويحتذوا المثال الذي رأوه يفعله في حياته، من مشاورته في أموره -مع المترلة التي هو بها من الله- وليقتدي به أصحابه وأتباعه في الأمر يترل بهم من أمر دينهم ودنياهم، فيتشاورا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملؤهم، لأن المؤمنين إذا تشاوروا في أمر دينهم متبعين الحق في ذلك، لم يُخلهم الله عز وجل من لطفه وتوفقيه للصواب من الرأي".

ثم ذكر بسنده أن هذا هو قول سفيان بن عيينة وقال: "وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال إن الله عز وجل أمر نبيه ﷺ بمشاورة أصحابه فيتشاورا فيما بينهم، كما كانوا يرونه ﷺ ليقتدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم، فيتشاورا فيما بينهم كما كانوا يرونه في حياته ﷺ يفعله..".

ثم قال: "فأما أمته فإنهم إذا تشاوروا مستنين بفعله في ذلك، على تصادق وتآخٍ للحق وإرادة جميعهم الصواب، فالله مسددهم وموفقهم" اهـ.

وليس من شرط الشورى الإجماع بل يكفي في ذلك الأكثرية.

والأكثرية فما لا نص فيه معتبرة شرعا، ولها دليلان من فعل الخلفاء الراشدين وعمل المسلمين.

أما عمل الراشدين فقد روى البخاري ومسلم أن عمر ﷺ اختار مشورة مشيخة قريش على مخالفيهم من المهاجرين والأنصار، فرجع عن الذهاب للشام لما وقع بها الطاعون، ثم جاء عبد الرحمن بن عوف بالنص موافقا للأكثرية.

وأما عمل المسلمين فقد اتفقت كلمتهم على صحة تنازل الحسن بن علي لمعاوية رضي الله عنهما، وسموا ذلك العام "عام الجماعة"، وكان فيهم كثير من الصحابة، و لم يلتفتوا إلى من خالف ذلك من أهل العراق.

وأما فقهاء الأمة فهذا أيضا قولهم الراجح، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في "منهاج السنة": "من ظن أن تخلف الواحد أو الاثنين أو العشرة -أي عن البيعة- يضر فقد غلط" اهـ.

كما أن الكثرة معتبرة عند علماء الحديث، فالآحاد بالكثرة تجعل الحديث متواترا، وإذا كثرت طرق الحديث جعلته صحيحا أو حسنا.

وعلى ذلك علماء الأصول وغيرهم.

قال الحافظ ابن حجر ضمن ذكر فوائد قصة عمر المتقدمة "وفيه الترجيح بالأكثر عدداً".

ومن الوصايا العلمية القيمة لعمر ﷺ "وليرجع الأقل إلى قول الأكثر".

وقال الماوردي في "الأحكام السلطانية": "إذا اختلف أهل المسجد في اختيار الإمام... اختار السلطان لهم من هو أدين وأسن قطعاً لتشاجرهم".

والاستشارة سنة نبوية ولا يلزم منها الطعن في الإمام، أو التقليل من قيمته، أو الخروج عليه كما يظن بعض المتزلفين، فالديمقراطية على شرها أخف شرا من الاستبداد.

وعملا بهذه السنة كان أبو بكر يستشير عمر وكان عمر يستشير الصحابة الكرام لاسيما علي بن أبي طالب وعبدالرحمن بن عوف، وإن لم يكن عندهما علم جمع أهل بدر.

وهذه هي الشفافية الحقيقية، فقد كان القوم يعلمون لماذا عادى ولماذا والى، ولماذا أعطى ولماذا منع، ولماذا أحب ولماذا أبغض.

وعلى الشورى أجمع الصحابة رضي الله عنهم وليس بعد إجماعهم كلام، وعلى نهجهم سار أتباعهم من الأجيال اللاحقة من التابعين والسلف:

سأل هشام بن عبدالملك -وقيل إن السائل أخوه سليمان- أبا حازم الأعرج وهو التابعي المعروف عن الخلافة، فقال له أبو حازم: "إنكم أخذتم هذا الأمر من غير مشورة من المسلمين".

وعلى ذلك درج المفسرون والعلماء والفقهاء حتى أن ابن عطية قال: "من لم يستشر فعزله واجب"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا بد لولي الأمر من الشورى"، وذكر بعض استشاراته ﷺ ثم قال: "وإذا كان مَن أمر الله بطاعته مأمورا بذلك، وهذا في حقه، فغيره أولى".

وهو يعني بقوله "مأمورا" قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، وقول شيخ الإسلام "فغيره أولى" لا يحتاج لبيان، وهل أحد أرشد وأعلم بالمصلحة وأحنك منه ﷺ؟

وإنما ذهب بعض الفقهاء إلى صحة إمامة من أخذ الإمامة بالقوة بلا اختيار ولا مشورة للمسلمين، تسكينا للدهماء ومنعا للعامة من إثارة الفتن بين المسلمين، فالمتغلب إذا توفرت فيه الشروط الشرعية يطاع على قول بعض

الفقهاء، وليست المسألة عقدية بل هي فقهية اجتهادية وتختلف من عصر إلى عصر، لكن يجب حتى عند من يرى صحة إمامته أن تتوفر فيه الشروط التي صحت بها الأحاديث المتقدمة، وهو إمام اضطرار لا إمام اختيار.

والشورى ملزمة وليست مجرد معلمة كي لا نفتح الباب للاستبداد، ولأن الأصل في الأمر أنه للوجوب، ولما سبق من فعله ﷺ، وإجماع الصحابة وفعل عمر ﵁، وفتاوى الفقهاء، ولم يثبت عنه ﷺ أو عن أحد من الخلفاء الراشدين مخالفة الشورى قط.

وعلى هذا الحكومات الديمقراطية المعاصرة فلا تخالف السلطة التنفيذية ما يسمونه (السلطة التشريعية).

وكان العرب في جاهليتهم يعرفون الشورى ويعملون بها، وفي القرآن الكريم أن ملكة سبأ قالت للملأ من قومها: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:٣٢]، وإن كان ذلك القول غير مكتوب، فربما كان العرف الاجتماعي أقوى من القوانين المكتوبة.

ولم تكن بلقيس مستبدة فرعونية، ولهذا اضطرت إلى استصدار تفويض من الكونغرس اليمني، وقالت: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:٣٢]، ولو كان لديها من الحنكة والحكمة والدهاء ما لدى حكام العرب! لقالت: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩] ولم تستصدر منهم التفويض، إذ ذلك عندهم علامة الضعف، وأنها ليست ولية أمر على مذهب بعض الناس! وأنها ليست أدرى بالمصلحة!

أما الزباء فهي مثل السيدة "هيلاري كلينتون" تسعى للحكم، فهي حقا وليّة أمر ولها الخيار عند المرجئة أن تستشير أو تستبد! وإذا استبدت فإن الحل للمشكلة في نظر أصحاب الإسرار لولي الأمر هو الكتابة لها سرا فقط!

لكن الإسلام وضع قاعدة الشورى، وهي قاعدة أساسية لكل حاكم، وليس في الإسلام استبداد، ولا وجود لمن يسمى "المستبد العادل" فهما نقيضان (الاستبداد والعدل)، ولو كان عادلا لما استبد.

والشورى على ما لها من فوائد جمة هي أيضا فرصة قانونية للتفكير، وإعادة النظر في الأمر، فلا تكون موافقة "ترامب" على أمر نافذة إلا بعد تصديق الكونجرس، وكذا لا بد للقرار الإيراني من مصادقة البرلمان، والأعراب وحدهم هم الذين يضربون بأيديهم على صدورهم، ويقولون "لن يعترض علينا أحد ولا يُشترط لما نقرر موافقة أحد!".

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالشورى وجعلها بين الصلاة والزكاة تنبيها بذلك على أهميتها، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الشورى:٣٨]، وهذا من رحمته تعالى كما أنه من مرونة هذا الدين العظيم.

وجعل ذلك جل شأنه في الأمر الأقل تنبيها على أنها لا بد منها فيما هو أعظم فقال: ﴿عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ [البقرة:٢٣٣]، وذلك في حق الطفل الرضيع فكيف بما هو من شأن الأمة عامة؟ وهذا مثلما نبهت السنة على التأمير في السفر، والسفر من أقل الاجتماعات فكيف بما هو أعظم منه كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه، والفوضوية التي نادى بها "باكونين" في هذا العصر وبعض المعتزلة كالأصم (عبدالرحمن بن كيسان) وبعض الخوارج فكرة باطلة، فلا بد للناس من إمام، ولا بد للإمام من استشارة أهل العلم في كل نازلة.

والإسلام لا يقر العلمنة ولا يقول إن هذا أمر لا يخص العلماء وإنما يخص السياسيين فقط، فكل أمور الأمة تعني العلماء ولا يستثنى من ذلك شيء، ومن استثنى شيئا فقد ضل، وليس في ديننا علمانية كتلك التي فصلت بها الكنيسة الدنيا عن الدين زاعمة أن المسيح أمر بذلك، وقال: "دع ما لقيصر لقيصر، ما لله لله"، فالدين كله لله تعالى، وهو تعالى ملك الناس وأحكم الحاكمين، وكل أحكامه الشرعية والقدرية يجب على المؤمن الإيمان والعمل بها، والمؤلم حقا أن المسلمين وقعوا في هذا الضلال المبين.

نعم في الإسلام تخصص ولكن أهل السياسة يسيرون وفق القواعد

الكلية التي يرسمها العلماء، وبحكم التخصص فقط يكون في الأمة أهل علم وأهل خبرة في السياسة أو الاقتصاد أو غيرها.

وقد قال لواء متقاعد يعمل في أحد الأجهزة الأمنية وكان مديرا لذلك الجهاز: إن الوزير قال لهم في أحد الاجتماعات المغلقة المهمة، أعطوا المطاوعة والمشائخ ١٠% وبالكثير ٢٠% أما الباقي فليس من شؤونهم!!

وذلك أن الوزير سئل عما يرد من العلماء للإدارة كيف يصنع المدير؟

واللوم الأكبر إنما يقع على أهل العلم إذا أفتوا في حدود معينة فقط و لم يتكلموا فيما يقال له "السياسة" بعلم وعدل، ومنها العدل في توزيع الثروة وترك التخوض في مال الله والنهب من بيت المال.

وقد ثبت أنه ﷺ لا نبي بعده كما كان بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ولكن العلماء ورثة الأنبياء، فعلماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل.

وتركُ الفتوى في شيء هو خلاف إجماع الصحابة رضي الله عنهم الذين كان للعالم عندهم مترلة عالية، وقد أجمعوا على مبايعة الخلفاء الراشدين وجعلوا الأمر شورى لكل المسلمين كما نعلم جميعا في حادثة التحكيم مثلا.

وإذا كانت ملكة سبأ الوارد ذكرها في القرآن تقول: ﴿مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل:٣٢] كما سبق -وهذا في الجاهلية قبل إسلامها- فهل يقر الإسلام الاستئثار والاستبداد؟

كما أن أخذ التعهدات على أي سجين بأن لا يتدخل فيما لا يعنيه قاصدين بذلك أمر الأمة باطل لا أصل له، ولا يجب العمل به، فكل أمور الأمة تعني المسلمين، والحق رائد الجميع، وليس قوله خروجا عن حدود الوعظ والإرشاد كما يزعمون، إلا إذا خرج عن الكتاب والسنة.

ولهذا -والله أعلم- تجنب كثير من السلف الولاةَ والخلفاء الذين تولوا بغير مشورة من المسلمين.

واشتهر ذلك -بل تواتر- عنهم، وفي سيرهم طرف من ذلك كما في

"حلية الأولياء" أو "الطبقات الكبرى" أو "صفة الصفوة" أو "سير أعلام النبلاء"، أو "تهذيب التهذيب"، وكتاب: أخبار الشيوخ وأخلاقهم لأبي بكر المروذي وغير ذلك من الكتب.

مع أن الأئمة في عهدهم قرشيون مجاهدون يعملون بكتاب الله وإن عصوا وأذنبوا.

ولما كتب عمر بن عبدالعزيز إلى الحسن البصري يستشيره فيمن يولي كتب إليه الحسن: "أما أهل الدنيا فلا تريدهم وأما أهل الدين فلا يريدونك..." إلخ.

والبيكندي لما قيل له: "إنك امرؤ ذكي فطن فلو دخلت على هذا الأمير فوعظته، قال: قيل للثعلب كم بابا لديك من الحيلة إذا رأيت الكلب؟ قال: لدي سبعون بابا، أفضلها كلها ألا أرى الكلب ولا يراني".

ولما عوتب الأعمش في دخوله على بعض السلاطين قال: "إنما جعلته مثل الكنيف إذا احتجت إليه وإلا فلا".

هذا مع أن الخلفاء والأمراء والولاة سابقا كانوا يتحاكمون إلى شرع الله كما سبق ويحصنون الثغور، وكانوا يجاهدون الكفار ولا يوالونهم في شيء، ولا يحاربون الدعوة في شيء، بل كان الولاة المتقون يعدون الولاية مصيبة، كما كان عمر بن الخطاب ﷺ، وقد تمنى الفاروق ﷺ كما في صحيح البخاري أن يخرج منها لا عليه ولا له، هذا مع عدله وحسن سيرته.

وقد توسل حفيده عمر بن عبدالعزيز أن لا يقرأ رجاء بن حيوة اسمه، إن كان سليمان ولاه الخلافة، فقال له رجاء: لقد ذهب ظنك بعيدا!

وعمر بن عبدالعزيز رحمه الله خلع نفسه حين أعلن رجاء بن حيوة أنه هو الخليفة، وجعَل الأمر شورى بين المسلمين، ولكن الرعية كلها اختارته وأشارت عليه بالقبول، وضج المسجد بكل من فيه: أنت الخليفة وقد رضيناك، و لم يكن الناس يصلون الجمعة إلا في مسجد واحد، فقبل على مضض وكراهية، حتى أن قدميه اصطكتا لهول المصيبة و لم يستطع الوقوف

حتى أعانوه وأقاموه، ورفض مراكب الخلافة وأبهتها، وركب دابته وسار كما يسير أحد المسلمين.

وأراد عمر بن عبدالعزيز أن ينقل الخلافة من الوراثة إلى الاختيار، وأن يعهد إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر، وقيل إن بني أمية سمّوه حتى لا يخرج الأمر عنهم، والله تعالى أعلم وسوف يحاسب كلا بما عمل.

والمنافقون من بني أمية ومن لفّ لفّهم هم الذين قالوا: "كيف تعمدون إلى رجل من ذرية عمر بن الخطاب فتولونه"!

وقد بلغني أن الدكتور محمد مرسي حاول الاقتداء بعمر بن عبد العزيز، وتخلى عن الحرس وعن النفقة المخصصة لمن يحرسه لما قيل له إن تكلفة ذلك خمسة ملايين جنيه، وقال: شعب مصر أولى بهذه الجنيهات.

وكان السلف الصالح ينكرون المنكر بالوسيلة التي يستطيعون ويتجنبون أبواب السلاطين، وقد صحح الألباني ما رواه أبو داود برقم (٤٣٠٧) ومنه قوله ﷺ: (فإياك وسباخها وكلأها وسوقها وباب أمرائها)، وقد أصر بعض الناس على مخالفة الحديث والذهاب إلى أبواب السلاطين فلم يسقوهم الماء ولم يستقبلوهم، وهذا أحد النتائج الدنيوية لمخالفة السنة وما كان عليه السلف.

وإذا كان المنكر من فعل السلاطين بيَّن العلماء ذلك للأمة، وحذروا الناس من الذنوب التي هي سبب البلاء واعتزلوا السلاطين أو دعوا عليهم، وسعيد بن المسيب سيد التابعين ﷺ، لم يكتف بأن يعتزل بني أمية أو يتجنب العمل لهم، بل كان يدعو عليهم، ولما قيل له إن الناس يقولون إنك سوف تذهب إلى مكة، لتدعو على بني أمية قال: ولِم أذهبُ إلى مكة وأنا ما سجدت لله سجدة هنا في المدينة إلا دعوت عليهم؟

هذا مع أن بني أمية كانوا في خير القرون وكانوا على عقيدة أهل السنة والجماعة، وكانوا من بني عبد مناف -بل إن عبد شمس والد أمية ولد هو وهاشم ملتصقين فهم إذن من قرابة النبي ﷺ، ولبني أمية مناقب أخرى،

ويجمع بني أمية ببني هاشم النسب المشترك إلى عبد مناف.

وبنو أمية كانوا يحكمون بكتاب الله وحده وسنة رسوله ﷺ، وفتحوا كثيراً من البلاد ولم يوالوا الروم أو أي كافر قط، ولهم أخطاء وذنوب كسائر البشر، ومن أكبرها أنهم جعلوا الخلافة وراثية وليست شورى، وعلينا أن نأخذ تاريخهم من مصادره الصحيحة لا ما يقوله أعداؤهم عنهم، لاسيما الرافضة الذين يأخذون من كتاب "الأغاني" مثلا، وقد كان مؤلفه أبو الفرج رافضيا، وقد كان بنو أمية أهل شهامة وذكر حسن وهم خيرُ قريشٍ بعد بني هاشم، وقد أثنى النبي ﷺ على بعض بني عبد شمس وهو والد أمية، وتفصيل ذلك في رد شيخ الإسلام على الرافضي (منهاج السنة).

ولا ريب أن بني أمية ارتكبوا ذنوبا كثيرة، وهذه الذنوب إما أنها مغمورة في تلك الحسنات -والماء الكثير لا يحمل الخبث-، وإما أنهم استغفروا الله منها، وإما أنها مكفَّرة بأحد أسباب تكفير الذنب، وإما أن الله سوف يحاسبهم عليها، انظر مثلا قصة معاوية رضي الله عنه مع الصحابي المسور بن مخرمة رضي الله عنه. وقصة معاوية مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

والمقصود أن بني أمية ليسوا كما يصورهم أعداؤهم، والعدل واجب في كل شيء ومع كل أحد، ويجب أخذ تاريخهم وتاريخ كل أحد من المصادر الموثوقة.

وإذا كان الصحابي رأى أن فلانا مؤمن وقال: (إني لأراه مؤمنا) فردّ عليه النبي ﷺ وقال: (أوْ مسلما)، فكيف الحكم على الناس بمجرد الهوى، وأشد من ذلك أن يكون مصدر الاتهام جهة غير موثوقة في دينها، والله تعالى يقول: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحُجُرات:٦].

- **البيعة**:

أساس الحكم في الإسلام هو الشورى، والشورى تعقبها البيعة، وليس الأمر من حق كل الناس كما يزعم أتباع الديمقراطية، والشورى إنما هي لأهل الحل والعقد من العلماء ورؤساء الجند وأصحاب الشوكة وشيوخ القبائل، وببيعتهم تكون الأمة كلها قد بايعت، ولا يشترط شرعا أن يضع كل فرد يده في يد الإمام.

والبيعة في الإسلام من أعظم العقود والمواثيق، ومن أهم أسباب وحدة الكلمة واجتماع القلوب.

ولها صور كثيرة أهمها البيعة مع الله والوفاء بميثاقه قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦ﴾ [التوبة:١١١]، والبيعة لأي مخلوق حكمها حكم اليمين، ولا تقع من المكره كما أفتى الإمام مالك رحمه الله وغيره، بل لقد نصوا على أن طلاق المكره لا يقع ويمينه لا تنعقد أصلا، ولا تجوز البيعة لأجل الدنيا، ومن بايع وأراد أن يتحلل منها فعليه كفارة يمين، ولأجل التلاحم الاجتماعي شرع الله البيعة لولي الأمر، عقدا بينه وبين الناس يتضمن حقوقا له وواجبات عليه، وقد قال ﷺ في حق الولاة: (ولهم عليكم حق ولكم مثل ذلك)، وقالت المرأة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: "أيتولى أمرنا ولا يدري عنا"، ومعرفة ما له وما عليه ينبغي أن تكون موضحة في البيعة.

والبيعة تنعقد بالشورى وليس بولاية العهد، أو بنفر قليل من الناس، قال عمر رضي الله عنه كما في البخاري: (فَمَن بَايَعَ رَجُلا عَلَى غَيرِ مَشُورَةٍ مِن المُسلِمِينَ فَلَا يُتَابعُ هُوَ وَلَا الّذِي بَايَعَهُ تَغِرّةً أَن يُقتَلا)، وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على زعم الرافضة أن ولاية عمر إنما كانت بولاية العهد له من أبي بكر، وبيّن أنه لو أن أهل الشورى رأوا خلاف ذلك لما كان لولاية العهد من أثر.

وأولو الأمر الذي يبايعون هم أهل العلم والرأي الذين يستنبطون

الحديث، ويعرفون ما وراء الخبر، قال تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [النساء:٨٣].

وقد ذكر الله البيعة في مواضع من كتابه غير بيعة الإمام، منها قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [الفتح:١٠] الآية.

وقوله: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح:١٨]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾ [الممتحنة:١٢] الآية.

وكان ﷺ يبايع أصحابه على أن لا يشركوا بالله شيئا، وعلى النصح لكل مسلم، ومن بايع أحدا وجب عليه الوفاء ولا يحل له نقض بيعته إلا بسبب شرعي.

والبيعة بشروطها وأركانها من خصائص الإسلام التي لا يعرفها غير المسلمين.

والأمة حين تختار يجب عليها الالتزام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ باختيار الأتقى لله، وليس مراعاة إرادة الشعب أو رغبة الناس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وليس من حسن النية بالرعية والإحسان إليهم أن يفعل الوالي ما يريدون"، وذكر الآيات في ذلك ثم قال: "إنما الإحسان إليهم فعل ما ينفعهم في الدين والدنيا ولو كرهه من كرهه".

وما يريد الناس هو الشهوات غالبا، ولكن الحرام لا يصبح حلالا بكثرة من يفعله، فكثير من الناس يستحل اللعب بالبلوت مثلا، مع أن الشيخ ابن باز أفتى بحرمته.

والشيخ ابن جاسر رحمه الله أنكر في هذا العصر على بعض المتنفذين ما في التلفزيون والإعلام من المحرمات ومنها المعازف، ولم يكن يظهر من المرأة في ذلك الوقت إلا بعض يديها أحيانا (الكفان فقط)، فقال له المسؤول: هذه رغبة الشعب، فقال الشيخ: لو أخذنا برغبة الشعب لما اختار الشعب فلاناً، يعني ذلك المسؤول، فأمر بفصله من هيئة كبار العلماء.

وكثير من الناس كان ضد تعليم البنات، ولما وقع رضوا به، فرغبتهم ليست المعيار الثابت، ولدينا ولله الحمد الشرع المستقيم، الذي تخضع له العادات والتقاليد والدول والمجتمعات وكل شيء، وبالاستقامة على الشرع تشكر الأمة حكامها إذا أحسنوا وتحاسبهم إذا أهملوا.

ومما تفخر به الديمقراطية في هذا العصر أنها تحاسب الرؤساء على كل صغيرة وكبيرة، وأنها لا تعطي قرابة الحاكم شيئا من المال العام، بل تعمل قرابته كما يعمل سائر الناس، حتى المغضوب عليهم "اليهود" حاكموا "أولمرت" و"نتنياهو" وذويهما وسجنوا "أولمرت"، ومن ملفات قضية فساد نتنياهو أنه أخذ سجائر كوبية فاخرة، فكيف لو أنه سرق المليارات من بيت المال؟ والفرنسيون رفضوا أن يختاروا للرئاسة من وظف زوجته؟ وضجوا لأن مرتب الرئيس تسعة آلاف يورو!

والكونجرس الأمريكي له سلطة مالية واسعة ضمن مهمته التشريعية، والرئيس الأمريكي الذي هو أكبر حكام العالم صلاحية ليس حرا أن ينفق أو لا ينفق، وإنما يعتمد على الميزانية الضخمة للمخابرات الفيدرالية، ولا ينفق دولارا واحدا إلا لما فيه مصلحة أمريكا عامة، وبعد موافقة الكونغرس.

بل إن اليهود يحاسبون حكامهم أو أقرباء حكامهم على مبالغ زهيدة بالنسبة لحكام العرب، فقد حاسبوا وزيرة التعليم عندهم على ربع مليون دولار، وحاكموا مدير الشرطة ورئيس الشاباك وزوجة نتنياهو على أقل من ذلك، وقد يحكمون على مسؤوليهم بالرشوة مثلا، والمجرم القاتل "نتنياهو" يسمح بالحوالة الشخصية وهي التي حددها القانون اليهودي بـــ ٨ آلاف دولار، أي ٣٠ ألف ريال.

ولا يستطيع "نتنياهو" أن ينفق كما يشاء كما لا يستطيع أبدا أن يعطي أو يولي أحدا من أقربائه، واليهود يحاسبونه على ما تفعل زوجته، وقالوا إنها أنفقت ٨٠ ألف دولار، وهذه المحاسبة أو المراقبة ليست عصرية بل سبق إليها الإسلام، وكان النبي ﷺ يحاسب ولاته وكان عمر رضي الله عنه يحاسبهم كذلك، وقد

اشتهر تاريخيا أن عمر حاسب خالد بن الوليد الذي هو سيف الله وقريب عمر.

واليهود لعنهم الله يحاسبون سارة نتنياهو على قضية عامل وخادمة وظفتهما لدى نتنياهو وأخضعوها لجهاز كشف الكذب!!

وبعض من يدّعون الإسلام اليوم يمنعون أقل من المبلغ الذي يسمح به "نتنياهو"، بل يمنعون التبرع مطلقا، ويعدونه دعما للإرهاب ويراقبون الحسابات البنكية، ويعطون أقرباءهم أموالا عظيمة ويولونهم المناصب، وكلما تولى أحد ولى أبناءه وعزل أبناء سلفه.

وقد عرضت إحدى الصحف البريطانية رئيس وزراء بريطانيا سابقا "ديفيد كاميرون" وهو في مطبخ منزله أثناء ولايته، فإذا ثبت ذلك فمن يفعله من الرؤساء في العالم الإسلامي لاسيما العرب!. فمتى أصبح اليهود والنصارى أقرب للحق منا؟ وهل وضع جهة رقابية على الولاة يعد خروجا أيضاً أم أنه لهم مطلق التصرف؟

والأمريكان حاكموا ريجان وامرأته نانسي بسبب صحن من البطاطا لم يحاسبا عليه صاحب المطعم.

ونحن لا ننكر ما عند اليهود أو النصارى من حق وعدل، سواء أكان الكتابي حاكما أو محكوما، وسواء في إسرائيل أو في أمريكا أو في بريطانيا، وكثير من الغربيين -كما رأيت وقرأت- يحب العدل والصدق، ويكره اليهودَ والتعصبَ الذي عليه الأصوليون والحكومة الأمريكية، بل يجاهرون بمخالفة حكومتهم ولا يبالون، ومن ذلك أن وفدا من جامعة "هارفارد" أعلن مخالفته لبوش، وجاء إلى بغداد، وتحدثوا عن المآسي هناك، وكل ذلك مخالف لأوامر "بوش"، وقال لي بعض الأمريكيين "إنه غير راض عن سياسة حكومته تجاه إسرائيل" ومثله كثير، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿لَيۡسُواْ سَوَآءٗ﴾ [آل عمران:١١٣]، ونحن أغنانا الله بكتابه وسنة نبيه ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين وعمل السلف الصالح عما عدا ذلك، لاسيما والإسلام هو السبّاق في الحرية

والمحاسبة والمراقبة وكلِّ خير، بل فيه أعظم وأفضل مما لدى الأمريكان، وقد صرح النبي ﷺ أنه ليس لمحمد ولا لآل محمد من مال الله شيء، وأخبر أنه لا يورث بل ما تركه فهو صدقة، وكان يقدم يتامى بدر وأهل الصفة على نفسه وأهل بيته.

وهؤلاء الديمقراطيون يحاربون الديمقراطية إذا كانت في غير مصلحتهم كما في الجزائر ومصر وغزة وتركيا.

ويظنون أن الإنسان حر فيما يملك، فما معنى هذه الحرية؟

– معنى الحرية؟

يحار الفلاسفة الغربيون في و ضع تعريف جامع مانع للحرية الإنسانية، فكل منهم يتأثر بثقافته وبيئته، وسوف نذكر ذلك في مبحث الفلسفة إن شاء الله، ولذلك تجد الحرية عندهم قيمة نسبية، أما في الإسلام فهي قيمة مطلقة تتجلى أكثر ما تتجلى في توحيد الله، والخضوع له وحده دون الخضوع لأي مخلوق فردا أو جماعة، أقلية أو أكثرية، وهذا ما منّ الله به على البشر أجمعين، ودعا إليه رسل الله كلهم، وتشتهر في الشرق والغرب كلمة عن الفاروق رضي الله عنه "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"، وعليها قام الدستور الأمريكي الذي ينص على أن الناس يولدون أحرارا متساوين.

وعلى ذلك قامت الثورة الفرنسية، وقبلها ثورة الفلاحين في ألمانيا على أن الفضل دائما للمسلمين من جهتين:

١– من جهة السَّبق، فهم أسبق من كل رأي غربي.

٢– من جهة التطبيق، فلا يوجد مجتمع طبق الحرية بمفهومها الصحيح إلا المجتمع الإسلامي، أما الغرب فالحرية عنده شعارات يرددها دون تطبيق، وإنما الإنسان عندهم حرٌّ في العب من الشهوات، وهذا تحريف لمفهوم الحرية الحقيقي أما عند العرب فالحرية كما قال الشاعر:

نُقاد للسِّجن إن سُب الزعيم وإن   سُب الإله فإن الناس أحرار

والمرأة المسلمة ليست حرة في وضع منديل على شعرها في فرنسا التي ترفع شعارات فضفاضة كاذبة، بل الحجاب فريضة شرعية.

والبنوك في العالم الإسلامي تخضع لما يقرره الأمريكان من ضرورة تجفيف مصادر تمويل (الإرهاب) كما يسمى، ومراقبة الحسابات وحظر كثير من الأنشطة المالية، فأين الحرية المدّعاة؟ وأين الاستقلال المزعوم؟ ولماذا يجعلون الأصل في الناس هو السوء؟

فالمال في الإسلام مال الله، ليس مال أي أحد ولا أي سلطة أو أي حاكم، فالنبي ﷺ جبذه أعرابي جبذة شديدة أثرت في عاتقه الشريف وقال: (يَا مُحَمَّدُ، مُر لِي مِن مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِندَكَ، فَالتَفَتَ إِلَيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ). وممن روى هذا الحديث الإمام البخاري في صحيحه.

والله تعالى قال عن المكاتبين: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣]، وقال ﷺ: (إنما أنا قاسم والله معطٍ)، وفي رواية: (إنما أنا خازن)، وصلّى النبي عليه الصلاة والسلام صلاة العصر مرة ثم انصرف سريعا على غير عادته، ولما سأله بعض الصحابة قال: (إني تذكرت شيئا من تبر لم أقسمه أمس)، والتبر هو الذهب الذي لم يصغ.

وقال ﷺ: (ما بال رجال يتخوضون في مال الله بغير حق)، وما أكثر المتخوضين في هذا الزمن، وقد حدد رسول الله ﷺ ما يحل للخليفة من المال فقال: (لا يحل للخليفة إلا قصعتان: قصعة يأكل منها هو وأهله، وقصعة يطعمها).

والحلال له في الحقيقة إنما هو قصعة واحدة، أما الأخرى التي يطعمها الفقراء والمساكين فهي في الواقع للأمة مع ما له من الأجر عند الله، وقد قال ﷺ: (إنما يأكل آل محمد من هذا المال)، أي ما دام ﷺ حيا فقط، وذلك في مقابل أنه وليّ الأمر وقائد الجيش وقاضي المسلمين وغير ذلك مما هو معلوم.

وقال ﷺ: (إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلا اتخذوا عباد الله خولا،

ومال الله دولا، وكتاب الله دغلا)، أي أنهم يستعبدون الرعية، ويتخوضون في مال لله كما يشاؤون ويلبسون عليه بأن هذا هو مقتضى الكتاب والسنة:

وقال ﷺ في الزكاة: (ليس لمحمد ولا لآل محمد منها شيء).

وقال ﷺ: (ليس لرسول الله إلا الخمس والخمس مردود عليكم).

وقال: (كم من متخوض في مال الله ومال رسوله له النار يوم القيامة).

وجعل الله في كتابه الغنيمة والفيء لله ولرسوله ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وهذان من أهم موارد بيت المال.

ولما اختصم العباس وعلي إلى عمر رضي الله عنهم أجمعين، بشأن ما ترك رسول الله ﷺ قال عمر كما في صحيح البخاري: "كان رسول الله ﷺ يدخر لأهل بيته نفقة عام، وما زاد رده إلى مال الله"!!

ولما استقر عند بعض السلاطين أن المال مالهم وليس مال الله (أي لجميع المسلمين) جعلوا المال مقابل الولاء، فمن والاهم أعطوه، ومن نصح لهم حرموه، فالشعب عندهم قسمان لا ثالث لهما إما عبد وإما عدو، ومن خالفهم في مسألة واحدة مهما وافقهم بل مدحهم وأثنى عليهم لم يقبلوا منه، وأنفقوا بيت المال على أقربائهم، وعلى المداحين المتملقين في القنوات والصحف والشعراء وأضرابهم، وبذّروا وأسرفوا كما يحلو لهم، وأشنع من ذلك إنفاق المال فيما حرم الله، مثل الذي طلب من زوج إحداهن أن ينام معها ليلة واحدة بعشرة ملايين دولار، ثم جاء علماء السلاطين فكانوا أشد على الأمة من الشعراء، لأن الشعراء يتزلفون وهؤلاء يلوون أعناق النصوص، أو يسكتون عن بعضها مع المدح والتزلف وتخدير الشعب، والشعب يصدق علماء السوء ويطيعهم، ويحكون أن امرأة ضاع بعض مالها فقالت: "اللهم في يد ظالم ولا في يد عالم"!

ولأن الإنسان عبدٌ لله ولأن المال مال الله، لم يجعله الله حقا للمراهقين السياسيين، بل تولى بنفسه قسمته بين الناس، فقال جل شأنه: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الزُّخرُف:٣٢]، وذكر بنفسه الكريمة مستحقي

الزكاة، ونهى عن الربا وعن الميسر والغش وأكل أموال الناس بالباطل.

ونهى ﷺ عن السرقة والغلول والنهب والتخوض في مال الله وعن الرشوة .. إلخ.

والغربيون اليوم أقرب إلى تحقيق المقاصد الشرعية من أدعياء الإسلام، كما سبق إيراد بعض الوقائع، وكذا اليهود عليهم لعائن الله الذين اجتمعوا معترضين على أن تقدم أكياس القمامة لسارة نتنياهو بسعر أقل، أما أدعياء الإسلام فينهبون المليارات بلا حساب، وفوق ذلك يأخذون من الأراضي ما يشاؤون ولا يدفعون فواتير الماء والكهرباء كالشعب.. إلخ.

وليس العجب من فعلهم فقط، بل العجب ممن يبارك هذا النهب أو يسكت عنه، ومن المطبلين الذين يقولون إن فلانا تبرع بكذا أو بنى مسجدا بكذا، أو عالج على حسابه الخاص فلانا وفلانة، ويفتون أن فلاناً أنفق من حسابه الخاص كذا مليوناً فكم راتبه إذن؟

والشعوب لا تعلم كم يقبض رئيس الدولة، وكم مخصصات الأسر الحاكمة، ولماذا لا يعلن عن ذلك في الميزانية؟ ووزارات الخزانة أو المالية تأمر بالترشيد من لا يملك ما يرشّد، وعليهم تكون شطارة لجان التعديات، والبلدية تمنع الباعة الجوالين ولا تمنع المراكز الكبيرة.

ولما كان المال مال الله كما ذكر في كتابه الكريم، كان الواجب على من ولي أمر المسلمين أن يعطيهم وينفق المال في مصالحهم، وقد رأى عمر رضي الله عنه أن للراعي بسرو حمير حقاً وأنه لو عثرت بغلة بالعراق لخشي أن يسأله الله عنها، ولما أشار عليه بعض الناس أن يبدأ بنفسه قال: "إنما أنا واحد من المسلمين"، وضرب مثلا له وللأمة بقوم كانوا مسافرين فأودعوا مالهم عند أحدهم، بل إنه أنقص ابنه عبد الله بن عمر عما يعطي المهاجرين، وقال: إنما هاجر به أبواه، فرضي الله عنه وأرضاه.

وعلى قاعدة أن المال مال الله وأن البشر مستخلفون فيه، تقوم التصرفات المالية في الإسلام، قال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾

[الحديد:٧]، وقال: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [النور:٣٣]، فليس لدى المسلمين فكرة رأسمالية تجعل الإنسان حرا في المال، ولا فكرة شيوعية تجعل المال ملكا للدولة.

وقد اعترض الكفار على خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام قائلين: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْ﴾ [هود:٨٧]، فحرية التجارة التي تنادي بها الأمم المتحدة ومنظمة "الجات" قديمة إذن.

وكذلك التطفيف في الأخوات السبع كما تُسمى -وهي شركات غربية معظمها أمريكية تحتكر تجارة النفط- تطفف المكيال والميزان وتبخس الناس أشياءهم، فويل للمطففين وويل لعبيدهم!

دع الربا داخل أمريكا فهو أمر مقطوع به، وانظر كيف يتعامل به "اليهود" مع أن التوراة تحرمه، وكيف أن بعض اليهود العرب أشد من "نتنياهو" أكلاً للربا ومنعاً للصدقة.

ومما ينبغي أن يُعلم أن عبيد الدنيا ليس لهم ولاء ثابت لأحد، فهم مع من أعطى أيا كان، ولولا أن النوم يغلبهم لتركوه، فلا يهمهم إلا الحصول على المال بأي اسم كان مهما كانت نية الوالي، روى ابن عساكر في تاريخ دمشق أن رجلا جاء إلى أحد الخلفاء فقال له: "إن كان المال مال الله فأعطونا من مال الله، وإن كان المال مالنا فأعطونا مالنا، وإن كان المال مالكم فتصدقوا علينا".

وقال ﷺ: (يأتي على الناس زمان لا يبالون فيه من أين أخذوا المال من حرام أم من حلال)، وهذا حال أكثر الناس اليوم، فإذا قلت لهم هذا الكسب حرام، قالوا عندنا سجل تجاري، أو تصريح أو ترخيص، وهذه تجارة كما قال المشركون (إنما البيع مثل الربا)!

وكان ﷺ أول الأمر لا يصلي على من مات وعليه دين، فلما وسع الله عليه قال: (أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من مات وترك مالا فلورثته، ومن

ترك دينا فعلي قضاؤه)، فهذه سنته ﷺ التي لا يجوز لأحد تركها، وهكذا ينبغي أن يكون بيت المال إذا وسع الله وأعطى، أما انحرافات من انحرف من الخلفاء وموافقة بعض الفقهاء له خشية الفتنة زعموا -تأثرا بمذهب المرجئة- فهو باطل ليس من عقيدة أهل السنة والجماعة، وإنما الفتنة السكوت على هذا الظلم أو إقراره، وأشد من ذلك تشريعه، وإصدار الأمر بإباحته.

والله تبارك تعالى جعل المال قياما للناس فقال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء:٥]، وأسفه السفه التبذير فيما لا يصلح كالإنفاق على اللهو واللعب والكرة، وأعظم من ذلك وأشد حرمة أن يعطى أعداء الله ويحرم المجاهدون وأهل الدين.

كما نهى النبي ﷺ عن إضاعة المال، ومن إضاعته أن ينفق في غير حقه، فلا يجوز إعطاء "الأمم المتحدة" مثلا ولا منظمة "اليونيسيف" أو منظمة "اليونسكو" أو منظمة "الفاو" أو أي ملحد أو أي كافر، كما لا يجوز إعطاء أهل البدع كالروافض ومن هو أشد منهم مثل "العبادي" و"حفتر" و"بشار" و"علي عبدالله صالح" وأتباعهم، وكذا كل من حارب الدين وأقر الإلحاد والدياثة، ومنع قيام أي حزب على أساس ديني كالسيسي.

بل الخليفة يعمل في عمله السابق لتوليه وينفق من ذلك على أهله، إلا إذا فرضت له الأمة مقابل تفرغه لشؤونها، ولما تولى أبو بكر الخلافة أخذ متاعه ليذهب، فقال له الصحابة رضي الله عن الجميع: إلى أين يا خليفة رسول الله؟ قال: إلى السوق حتى لا أضيع عيالي، فقال له الصحابة: لا تذهب ونحن نفرض لك من بيت المال، ففرضوا له منه، ولم يأخذ شيئا بغير إذن الأمة، ولما حضرته الوفاة رد ما زاد عنده إلى بيت المال، فقالوا: لقد أتعبت الأمراء بعدك.

وبعض المعاصرين ادعى أنه لا يملك شيئا وأنه تبرع بكل ما يملك لمؤسسته الخيرية! وقال لبعض من أخبرني بذلك من التجار ما جئت إلا ببشتي؟ فلما مات اقتسم أبناؤه وزوجاته تركته فبلغ نصيب بعض أطفاله ٣٠

مليارا!!

فانظر إلى هذا الكذب الصريح ولا تكن من المخدوعين.

وأخبرني بعض الدعاة حفظهم الله جميعا أنه قال لأحد من يقبض المخصصات: إذا فرضنا أنكم بلغتم أربعين ألفا وأن الواحد فيكم لا يقبض إلا مليون ريال فقط فمن أين لنا أربعين ألف مليون ريال؟!

وقد نهى رسول الله ﷺ عن مجرد ركوب الدابة من الفيء ثم ردها إلى بيت المال، وكذا عن مجرد لبس الثوب حتى يبليه اللابس ثم يرده إلى بيت المال!

ولما جيء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ببساط كسرى وضم بعضه إلى بعض فلم يسقط منه لؤلؤة ولا جوهرة، قال: "إن قوما أدوا هذا لأمناء، فقال له علي رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين عففت فعفوا ولو رتعت لرتعوا"، وصدق علي؛ فقد قال بعض السلف الصالح: "السلطان كالسوق يجلب إليه ما ينفق فيه"، وقال الشاعر:

إذا كان رب البيت بالطبل ضاربا   فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وسيرة عمر رضي الله عنه في الأرض والمال مشهورة عند الخاص والعام، بل عند أعداء الإسلام أنفسهم، فمن ذلك أنه صرح مرارا بأنه ليس له إلا ما لآحاد المسلمين، ومن ذلك أنه رأى في المال حقا للراعي بسرو حمير -كما تقدم-، ومن ذلك قصة رسول كسرى الذي رأى عمر نائما تحت شجرة بلا حراسة، فعجب من ذلك وقال للمسلمين: ينبغي أن يكون نبيا، فقالوا إنه ليس بنبي ولكنه يعمل عمل الأنبياء.

وخلّد ذلك شاعر النيل حافظ إبراهيم فقال:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا   بين الرعية عُطلا وهو راعيها
وعهده بملوك الفرس أن لها   سورا من الجند والحراس يحميها

ولما لبس حلتين وقال على المنبر: "يا أيها الناس اسمعوا وأطيعوا"، قال له سلمان الفارسي: لا سمع لك ولا طاعة، فقال عمر لم؟ قال إنك أعطيت كل

واحد من المسلمين حلة ولبست حلتين. فقال عمر: قم يا عبدالله بن عمر، فقام عبدالله وأخبر المسلمين أنه أعطى حلته لعمر لأنه رجل طوال. فقال سلمان: الآن قل نسمع وأمر نطع.

فهذا سلمان من بلاد فارس يعترض على عمر ﵁ في أنه لبس حلتين، فكيف لو أن عمر -حاشاه من ذلك- والى الفرس أو الروم أو أعطى أهل بيته وترك قرابة رسول الله ﷺ؟

ولم يقل عمر إنك أجنبي يا سلمان، فالأجنبي هو الكافر، وأما المسلم فله حق الاعتراض والمحاسبة حتى لو كان الإمام على المنبر.

كما خالفه بلال ﵁ في قسمة أرض السواد ولم يقل له عمر كيف تخالفني وأنت أجنبي أسود؟

هذا مع أن النبي ﷺ قال: (اقتدوا باللذين من بعدي)، وحتى الخوارج الذين لم يرضهم أي حاكم رضوا بحكم الشيخين.

وقد بلغ عدل عمر ﵁ الآفاق وسيرته مما تتعطر به المجالس، وهي من أكبر الحجج على فضل الإسلام وسبقه لديمقراطيتهم التي هي مثالية أما الإسلام فليس مثاليا كما يزعمون بل هو دين الواقعية فعلا، ومن سيرته ﵁:

١- لما أسلم أخرج المسلمين صفين قاد أحدَهما وقاد الآخر حمزة بن عبدالمطلب، ومرّا على منتديات المشركين إغاظة لهم فيما يسمى اليوم "مسيرة"، وكان ذلك عِزّا للإسلام وانتقالا من مرحلة السرية التي كانت في دار الأرقم إلى مرحلة العلنية، وقال ابن مسعود: "ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر"، رواه البخاري وغيره، وفي رواية "كان إسلام عمر عزا"، وشرح الحافظ ابن حجر ذلك في فتح الباري وذكر أنه رواه أبو جعفر بن أبي شيبة والبزار، ولم يحكم على سندها، فالظاهر أنه حسن، والله أعلم.

٢- سأل عمر المفتش الإداري للدولة محمد بن مسلمة عن سيرته فأثنى عليه وقال: لو رأينا فيك ميلا عدلناك كما يعدل السهم في الثقاب، فقال عمر: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت عدلوني.

٣- كان ثوبه مرقّعا وطعامه خشنا، حتى أن وفدا من العراق لم يأكل من طعامه واستقذره، وكان يمسح بيديه في نعليه ويقول: "إن مناديل آل عمر نعالهم".

٤- لما وقع الجدب عام الرمادة قال للمسلمين: أيها الناس اتقوا الله، وقد ابتليت بكم وابتليتم بي فما أدري السخطة علي دونكم أو عليكم دوني أو عمتني وعمتكم!

٥- رأى مرة فتاة تكاد تموت هزالا فقال: لمن هذه الجارية؟ فقال ابنه عبدالله: هذه إحدى بناتك. فقال عمر: أيهن؟ فقال عبدالله: هذه ابنتي. فقال عمر: مالي أراها بهذا الهزال؟ فقال: عبدالله إن ما تعطينا لا يكفينا.

٦- أرسل إليه عتبة بن فرقد سلة من خبيص أذربيجان، فقال عمر لرسوله: أكُلَّ المسلمين أعطيتهم مثل هذه السلة؟ قال الرسول: لا. فقال عمر: ضعها في بيت المال.

٧- سمع عمر صراخ طفل فأكثر اللوم على أمه فقالت: ما نصنع؟ لقد فطمتُه لأن عمر لا يفرض إلا لمن يُفطَم. فبكى عمر وقال لنفسه: ويحك يا عمر كم قتلت من أبناء المسلمين، وأمر أن يفرض لكل مولود في الإسلام، وكتب إلى ولاته بذلك.

٨- كنس أبو موسى الأشعري بيت المال فوجد درهما في شق وأعطاه ابنا صغيرا لعمر، فلما بلغ عمر ذلك قال لأبي موسى: أما كان في المدينة أهون عليك من آل عمر؟ ثم رد الدرهم إلى بيت المال.

٩- قال عبد الله بن عمر: "اشتريت إبلا وبعثتها إلى الحمى (وكان الحمى عاما لكل المسلمين)، فلما سمنت قدمت بها، قال: فدخل عمر بن الخطاب ﷺ السوق فرأى إبلا سمانا، فقال: لمن هذه الإبل؟ قيل: لعبد الله بن عمر، قال: فجعل يقول: يا عبد الله بن عمر، قال: فجئته أسعى، فقلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما هذه الإبل؟ قال: قلت: إبل أنضاء، اشتريتها، وبعثت بها إلى الحمى، أبتغي ما يبتغي المسلمون، قال: فقال: أردت أن يقال:

ارعوا إبل ابن أمير المؤمنين، اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين، يا عبد الله بن عمر، اغد على رأس مالك، واجعل باقيه في بيت مال المسلمين".

١٠- قال: "إذا ظلم أحد عمالي رجلاً ولم أقده منه فأنا الظالم".

ومن عدل عمر ﷺ أن المسلمين سواسية، مثلما أنكر النبي ﷺ على أسامة بن زيد أن يشفع في حد من حدود الله وقال: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)، وليس من الفكر السياسي الإسلامي محاباة أحد لأنه ابن فلان، فكيف يقول أحد اليوم "حنا شرعها وفرعها والسيف ما يأكل لحم آل فلان"!

وعمر ﷺ أراد أن يقتص لأعرابي من ملك من ملوك بني جفنة أيام الجاهلية، لكن ذلك الملك هرب وقال: كيف يقتص مني وأنا ملك وهو سوقة!

١١- عاتب نفسه فقال: يا ابن الخطاب ألم تكن وضيعا فرفعك الله؟ وضالا فهداك الله؟ وذليلا فأعزك الله؟".

١٢- قال الأحنف بن قيس: ما كذبت في حياتي كلها إلا مرة واحدة، سألني عمر كم ثمن قميصك؟ فوضعت نصف ثمنه فلمسه عمر، فقال: إنه ليّن لولا أن ثمنه غال.

١٣- ولما طلب منه ابنه عبدالله بن عمر أن يساويه بأسامة بن زيد في العطاء، قال عمر: "لا، إنه أحب إلى رسول الله ﷺ منك، وكان أبوه أحب إلى رسول الله ﷺ من أبيك" يعني نفسه.

١٤- لما قرقرت بطنه قال: "قرقري أو لا تقرقري فليس لك إلا ما لآحاد المسلمين"، ولما أعطى المسلمين أنقص عطاء قرابته ولم يساوهم ببقية المسلمين، حتى شكى قرابته ذلك وبدأ بقرابة رسول الله ﷺ؟!

وقد روى البخاري في الصحيح أن عمر أعطى المهاجرين على أربعة آلاف وأعطى ابنه عبد الله ثلاثة آلاف وخمسمائة فقط، فقال له بعض الصحابة أنقصته وقد هاجر، قال: إنما هاجر به أبواه.

وقد نهى عمر ﷺ ولاته عن الاحتجاب عن الرعية وهو لم يحتجب كما هو معلوم، وإنما كان ينظّم الناس للدخول عليه حسب فضلهم ومترلتهم من الدين، وكان الذي يتولى ذلك مولاه "يرفأ".

ونحن لا نقول كما يقول الخوارج: ائتونا بمثل عمر، ولكن نقول:

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكرام فلاح

و لم يقتصر عدل عمر ومساواته على شخصه، بل ألزم به ولاته حتى من كان منهم من أولي السابقة والفضل.

فأحرق بابَ سعد بن أبي وقاص أحد العشرة، لما بلغه أنه وضعه ليحول بينه وبين الناس، فأمر محمد بن مسلمة أن يذهب من المدينة إلى الكوفة ليحرقه.

وليس سعد ممن يجهل أحد قدره، وهو خال رسول الله ﷺ، وأول من رمى بسهم في سبيل الله، وهو بطل القادسية، وهو أفضل من بقي حيا بعد الخلفاء الأربعة، وكان مريضا به قروح ودمامل ﷺ، وله فضائل ومناقب كثيرة، ومع ذلك أحرق عمر بابه كما في كل التواريخ، وذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أيضا، أي أن العدل أعظم عند عمر منه.

وقد فعل ذلك عمر لنهيه ﷺ عن الاحتجاب، فقد جاء في الحديث: (من ولي من أمر المسلمين شيئا فاحتجب عنهم احتجب الله عنه يوم القيامة)، وإنما جاء احتجاب الله في القرآن في حق الكافرين قال جل شأنه: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطفّفين:١٥]، فهذا وعيد شديد نسأل الله العافية.

وحين يفعل عمر ذلك ويتحلى بهذه المزايا العظيمة فإنما هو متبع للشرع، ومبيّن لما يجب أن يكون عليه الحاكم المسلم، وليس هذا لمجرد أنه عبقري، كما يظن ذلك بعض أتباع الفلسفة المثالية الألمانية، التي ترى أن التاريخ البشري من صنع أفراد عباقرة ممتازين، أو لأن مفتاح شخصيته أنه جندي كما ذكر العقاد، وفي هذه المسألة أخطأ العقاد وأصاب حسن العلوي، وهذا العلوي شيعي علماني عمل في الديوان الملكي سابقا وشارك

مع الملك في مهرجان الجنادرية، وقد عمل كما قال عند "صدام حسين" ١٥ عاما قبلها، ومع ذلك بهرته سيرة عمر وألف فيها كتابه المشهور.

هذه جوانب من السيرة العمرية الفذة، وهي تصديق لما قاله عنه النبي ﷺ، وشهادته له بالجنة وأنه رأى قصره فيها، وهي تدل على أن العدل يمكن أن يقام، وأن صاحبه لا ينساه التاريخ.

وله مناقب جمة يعلمها الدارسون ومع ذلك يتمنى أن ينجو من الولاية كفافا لا له ولا عليه، وكان يخشى على نفسه من النفاق حتى أنه استحلف (حذيفة) صاحب سر النبي ﷺ "هل سماني رسول الله ﷺ من المنافقين؟".

وكان ﵁ لتحديثه وشدة حرصه على الرعية، يكاتب قادة الجيوش أين يترلون وكيف يقاتلون، وألهمه الله أن ينادي سارية وهو في بلاد فارس، وقد أمر بمسح أرض السواد، ومصّر الأمصار وكان يخطط لها وهو في المدينة النبوية، ويأمر بأن يجعلوا عرض المنهج الفلاني (الشارع) كذا ذراعا، وأمر ولاته بتسهيل الطرق حتى أنه خشي أن يسأله الله لو عثرت بغلة بالعراق، وكان يرى أن بيت المال حق لكل مسلم، وكان يفرض لكل مولود في الإسلام كما سبق، وقال: "لئن عشت إلى قابل لأدعن ارامل العراق لا يحتجن إلى أحد".

والواجب على الخطباء لاسيما خطباء الجمعة والدعاة والمحاضرين اليوم، أن يحيوا سيرة عمر ﵁ ويتحدثوا عنها، ولا يكونوا كالحجاج الذي نهى عنها لما كان في مصر، فلم يأمرنا ﷺ بالاقتداء بالحجاج "الظالم المبير" كما ثبت في الحديث، وإنما أمر بالاقتداء بعمر ﵁ كما سبق.

وقد أنكر سفيان الثوري رحمه الله وهو الذي سماه بعض العلماء "أمير المؤمنين في الحديث"، على بعض خلفاء بني العباس إسرافهم، وقابل بعضهم في منى أثناء مطاردته، وقال له: "إن عمر بن الخطاب لما حج قال لمولاه: "كم أنفقنا في هذه الحجة؟ قال: سبعة عشر ديناراً. قال عمر: أسرفنا يا يرفأ"!!

فإذا كان هذا إسرافا في الحج فكيف بمن ينفق في كل زيارة ملايين لا

تحصى؟ ويحجز كامل الفندق أو المطعم أو الشاطئ لينفرد هو وأحد أهله؟ دع من ثمن زنيته عشرة ملايين دولار!.

وينبغي أن يُعلم أنه إذا كان الحجاج ظالما مبيراً، فإن الجنرال "السيسي" قتل المسلمين المعصومين في ميدان "رابعة" و"النهضة" وغيرهما بل أحرقهم، كما أن قضاته حكموا على الناس وهم أسرى في سجون الصهاينة، بل ربما حكموا على الأموات والرضَّع، وحكموا بالقتل على آلاف ممن خالف نظامه لا سيما الرئيس المنتخت "مرسي" والتهمة أنه تخابر مع دولة كذا أو حركة كذا! ومع ذلك يعطيه بعضهم مالا يحصى من المال، على أن السيسي ليس ظالما فحسب بل أعلن ما هو أشد من ذلك، أما تأييده لإسرائيل وإغراقه لغزة وإغلاق معبر رفح، فلا يخفى على أحد، فلا يعطيه إلا من كان يوافق على ما فعل، والسيسي يصرح بلسانه بأنه مع بشار، وكذلك له علاقات حسنة بإيران، وينفي أن يكون جيشه شارك في حرب الحوثيين، بل ثبت أخيرا أنه أمدّ الحوثيين بالسلاح، وبالفعل لم يشترك في التحالف العربي، والصواريخ التي سقطت على الطائف وغيرها إنما هي صواريخ مصرية، فكيف أنقذ مصر؟ وممن أنقذها؟ لا أعلم إلا أنه أنقذها –حسب رأيه– من الإسلام، أو كما صرح الأمير تركي الفيصل في مقال "لا يا سيد أوباما" أنه أنقذها من حكم الإخوان! أما كيف أنقذها فمعروف.

والغرب إنما كان ديمقراطيا –كما يقول– لأنه ليس لديه وحي يتمسك به ولا أئمة يقتدي بهم، فلا يبعد أن يكون عقل الفلاح أو الصحفي في الغرب أكبر من عقل رئيس الحكومة، وقد كان الأجدر بالسيسي أن يجعل قدوته الرسول ﷺ الذي كان عربيا مثله ولديه علماء دينه لا أن يكون قدوته الغرب المخالفين له في الدين والقومية.

والسيسي انقلب على من جعله قائدا للجيش، ثم انقلب على من أعطوه، وترك الصلاة على من مات منهم، وحسبه قول سيده حسني مبارك فيه "عقر" أو "عكر" أي ماكر خبيث، ولا ندري كيف ستنتهي تقلباته؟

ولجنته التي شكلها برئاسة عمرو موسى لوضع دستور عكس دستور مرسي استبعدت كما جاء في القنوات السعودية تأسيس أي حزب على أساس ديني! (المادة ٥٤٠).

فماذا يقول حزب النور والأزهر وهيئة كبار العلماء في السعودية؟

وإنما قدوة السيسي في السرقة استاذه حسني مبارك، وقد ظن حسني مبارك أنه يتهرب من المسؤولية حين قال عن المليارات التي قبضها ابناه جمال وعلاء: هذا توفير من المصروف! فإذا كانت المليارات مجرد توفير فكم يكون المصروف كله؟ وإذا كان ذلك نصيب جمال وعلاء فكم قبض الوالد نفسه؟ ومن أين حصل فخامته على هذه الأموال؟ ومن أين لأحد تجار عصره حسين سالم ٢٤ مليار جنيه التي أراد المصالحة بها، ولكن المحكمة طلبت ٣٠ مليارا.

وكما أن الأموال تعطى لملاحدة مصر، فإنها تعطي كذلك لرافضة العراق، وقد تولى الحكومة في العراق من لم تكن له الأغلبية في البرلمان، وكان قبل ذلك بائعا في دمشق، يقعد على الرصيف ويبيع الملابس الداخلية للنساء، واتهم دول الخليج بأنهم إرهابيون وذكر الدول واحدةً واحدة باسمها ثم أعطوه الأموال بل إنه اتهم بلسانه الصحابة رضي الله عنهم؟!

وحسبك أنه غيَّر اسمه.

أما لبنان فإن الكرم العربي يشمل رافضته ونصاراه فيأخذون مثلما يأخذ تيار المستقبل!

- التجسس:

ومن حقوق الرعية المسلوبة حرية الكلمة وحرية التعبير عن الرأي وإن خالف رأي الحاكم، وقد نهى عليه الصلاة والسلام الإمام عن التجسس على الرعية وقال: (إن الإمام إذا ابتغى الريبة في الرعية أفسدهم)!

وقال لمعاوية ﵁: (إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم)، قال أبو الدرداء ﵁: "كلمة سمعها معاوية من النبي ﷺ نفعه الله

بها".

وعلى هذا سار أبو بكر وعمر، بل كل الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، فلم يعهد عن أحد منهم أنه تجسس على الرعية، كيف وهم يتيحون لكل أحد أن يقول لهم: لا سمع ولا طاعة، أو يخطئهم وأحدهم على المنبر، و لم يرد عن أحدٍ منهم أبداً أنه نهاهم عن نصيحته أو تقويمه أو قول الحق كما يعتقده، بل هم يطلبون ذلك من الرعية، ويحمدون الله على أن في رعيتهم من ينصحهم ويقومهم.

ومما حرمه الإسلام أن يأكل الجاسوس بعرض أخيه المسلم، قال ﷺ: (من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها في نار جهنم، ومن اكتسى برجل مسلم ثوبا فإن الله يكسوه مثله من جهنم) الحديث.

واليوم يترفعون بكتابة التقارير ضد فلان.

والجواسيس ليسوا من أعوان الظلمة، بل من الظلمة أنفسهم.

وقد سأل بعض من يعمل عند الظلمة –و لم يكن حينذاك إلا الظلم– الإمام أحمد وغيره هل أنا من أعوان الظلمة؟ فقال له الشيخ: "أنت من الظلمة، أعوان الظلمة البقال والخباز والخياط"، وقد ورد أن المسؤول هو سفيان الثوري، وقال المروزي إن الإمام أحمد صحح الحديث المرفوع في أعوان الظلمة، وقال هذه العبارة أو نحوا منها لمن سأله.

وسُجن بعض السلف فأهدى إليه إخوانه طعاما فجاء به الشرطي إليه، وقيل له: هذا من طعام إخوانك فقال: "الطعام من إخواني ولكن جاءني على يد ظالم".

فإذا كان العمل للظالمين ظلما، فكيف لا يبادر المؤمن بالبحث عن مهنة أو عمل بعيد عن الظلمة لا سيما العمل الذي يعطون صاحبه "بدل سمعة".

ومن الفكر السياسي تقدير الحاكم العادل وهيبته، وكان عمر رضي الله عنه مهابا يفر منه الشيطان، بل إن حاشيته رضي الله عنهم إذا التفت إليهم خروا على ركبهم هيبة له، وكان يقول: "الحمد لله الذي ملأ قلبي شفقة عليهم (أي على

الرعية) وملأ قلوبهم هيبة مني"! وهو محدَّث وملهم، وما قال لشيء أظنه كذا إلا كان كما قال، ومع ذلك يرجع إلى الحق ولو قالته امرأة لا يعرفها هو ولا كثير من الصحابة رضي الله عنهم.

ولا يتقدم لديه ﷺ إلا التقي أيا كان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣]، وقال ﷺ: (الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)، وقال: (لا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى)، وقال: (كلكم لآدم وآدم من تراب).

وقد طبق عمر ﷺ النظرية النادرة التطبيق وهي نظرية (القيادة المتوازنة)، فلما كان هو مهابا عند الرعية قويا شديدا عزل خالد بن الوليد المخزومي، وجعل مكانه أبا عبيدة عامر بن الجراح المشهور بالرقة، وذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، مع أن خالدا قريبه وهو سيف الله.

ووظيفة الحاكم في الإسلام هو أنه أجير عند الأمة، والتابعي أبو مسلم الخولاني دخل على معاوية ﷺ فقال: "السلام عليك أيها الأجير. فقال له بعض الحاضرين: قل أيها الأمير. فقال: إنما هو أجير استأجره المسلمون"، والقصص في ذلك كثيرة.

وبيّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن المتولِّي ما هو إلا أجير أو وكيل أو نائب عن الأمة، وليس مالكا لبيت المال.

والمقصود أنه لا الإسلام هو الديمقراطية ولا الديمقراطية هي الإسلام، والمعمول به الآن هو ديمقراطية رأس المال كما أوضح "ألان تورين" أو "ديمقراطية السوق"، كما أوضح "تشومسكي"، ورجال السياسة يخدمون الرأسماليين في ذلك، وخصوصا "تجار السلاح" الذين حذر منهم الرئيس الأمريكي "ايزنهاور" آخر أمره.

ونحن اليوم لسوء الحال نرضى بالحد الأدنى من الديمقراطية المزعومة، بل نرضى بأن يكون الحكام المستبدون، مثل الملأ من قوم فرعون الذين قالوا له:

﴿أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾[١١١]! وقارعوا الحجة بالحجة والبرهان بالبرهان فإذا ترك المسؤولون الحرية للدعاة، وسمحوا لهم بإبداء براهينهم وحججهم فذلك ما كنا نبغي، أما منعهم من الإعلام الرسمي، بل قتلهم وسَجنهم والافتراء عليهم فهو مخالف للسياسة الفرعونية وليس فقط للكتاب والسنة.

ومن بلايا هذا الزمن أننا أصبحنا نطلب من الحكام العرب أن يعاملوا الدعاة إلى الله كما يعامل الزناة، ومروجو المخدرات وشاربو الخمور واللصوص الذين يتسلقون على البيوت وسارقو السيارات والمفحطون بها، وألا يمنعوا جلسات أهل الدين على الأرصفة، وألا يقفلوا المراكز والمخيمات وحلقات التحفيظ، وإن أرادوا مراقبة شيء من ذلك فليراقبوه، وكفى بالكلام أمام الناس رقابة، وأن يكتفوا بالترخيص لشيء بأن الله أمر به أو رخص فيه، ومع ذلك فإن ديمقراطيتهم تشمل الزناة ولا تشمل الدعاة، والعفو يصدر لهؤلاء ولا يصدر لهؤلاء، وانظر مثلا من يخرج من السجن إذا جاء عيد أو مناسبة قومية!

وتجار السلاح الذين حذر منهم الرئيس الأمريكي المذكور قتلوا بعد ذلك الرئيس "جون كينيدي" لأنه حاول أن يعقد صفقة سلام مع "خرتشوف" في قضية "خليج الخنازير" المشهورة، وهؤلاء التجار يريدون إشعال الحروب لبيع السلاح فقتلوا "كينيدي" في وضح النهار، وأخفوا كل أسرار موته حتى أنهم قتلوا "أسوالد" في السجن، ولم تنته قضيته حتى اليوم، والراجح أنها لن تنتهي إلا على الطريقة الهوليودية.

وهؤلاء المجرمون عبيد الدنيا لا يعملون في السلاح فقط، بل كذلك في السينما والدعارة والأدوية والفن والرياضة والمخدرات وأمثالها، وكثير منهم يهود صهاينة، واليهود الصهاينة وكذا صهاينة النصارى كلهم يؤيدون إسرائيل، ويظهر ذلك بوضوح في الموقف الأمريكي الدائم من الدولة الصهيونية، ومن أراد الحقائق الدامغة عنهم فليقرأ ما كتبه من يجرؤون على

الكلام من مسؤولي أمريكا نفسها أو شيوخ الكونجرس الأمريكي أمثال "رمزي كلارك" المدعي العام ووزير العدل السابق، و"بول فندلي" و"ديفيد ديوك" في كتابه "صحوتي" الذي ترجمه باحث فلسطيني جزاه الله خيرا باسم "الصحوة" وغير ذلك كثير، وما كتبه كبار المفكرين الأمريكان مثل "تشومسكي".

ومن الحيل الخبيثة التي يلجأ إليها هؤلاء التجار الضغط على "منظمة الصحة العالمية" لترويج دواء معين يصنعونه، أو افتعال أمراض غير موجودة، وربما هولوا منها وأعطوها أكبر من الحقيقة، مثل "كورونا" و"انفلونزا الطيور" وأمثال ذلك من الأمراض التي تختفي أو تعود لحجمها الطبيعي إذا نفد اللقاح المصنوع وبيع كله، وبعض الأطباء يعترض عليهم ولا يبالون به، وإذا كانوا صادقين فلماذا لا يصنعون اللقاح للأمراض التي تفتك بالملايين سنويا كالملاريا مثلا أم أن الخطر فيما يصنعون له دواء أو لقاحا فقط؟

ولذلك أظن أنهم بعد أن يشكو العالم كله من فيروس "زيكا" وتكثر الوفيات بسببه، سوف يكتشفون له لقاحاً ويضخمون خطره.

وإنما يعمل المستبدون وتجار الأكاذيب في خفارة غباء أكثر الناس.

ومن غباء بعض الناس أنهم لا ينظرون إلى الأصول التي ينتمي إليها فلان، فمثلا وزير خارجية أمريكا "ريكس تليرسون" هو من أحفاد "روتشيلد" المليونير اليهودي المعروف، وهو رئيس شركة "أكسن موبيل" التي أنشئت باسم "ستاندر أويل أوف نيوجرسي"، وتمتلك آنذاك ٣٠% من أرامكو، وهي أعني "أكسن موبيل" أكبر شركة نفطية في العالم، وكلنا يعرف زيت موبيل الذي تنتج، واليوم يقال إنها تمتلك ٥٠% من أرامكو، والله أعلم.

ومما يكثر لدى الغربيين الذين يدعون الديمقراطية وحقوق الإنسان أنهم قوم غشاشون وترى غشهم في الأدوية والملابس والأغذية وفي كل ما يستطيعون بطريقتهم الخفية، وبعض الشركات الغربية تعهد إلى شركة في الصين أو هونج كونج أو سنغافورة وغيرها بأن تصنع لها شيئا ثم تأخذه

فتكتب عليه "صنع في كذا" من الدول الغربية وتبيعه بأضعاف مضاعفة، وهنا سرق بعضهم الذهب المعد للأسنان من المستشفى العسكري بالرياض، كما أنهم يسرقون البطاقات الشخصية، وقد يقتلون صاحبها لكي يأخذوا حسابه، كما فعلت الممرضات الانجليزيات بزميلتهن الاسترالية، وأحد العقاريين ضرب أحد الغربيين في مطار جدة، وقال: إنما استقدمته لكي أضربه، فقد سرقني وسافر من قبل، والشرطة لم تعطني حقي منه!

كما نقلوا إلينا بعض عاداتهم السيئة كالانتحار حتى كثر ذلك وانتشر بين المسلمين.

وبعض الناس ولى أعمالَه رجلا نصرانيا فسرق النصراني كل الأموال وسافر، وكتب إلى صاحبه إن كنت تريد أن نتحاسب فتعال إلى بلد كذا، فقال صاحب المال لأخيه اقطع لي تذكرة لأسافر فقال أخوه: إذا صممت على الذهاب إليه، فأنا أقطع لك تذكرة ذهاب فقط، أما العودة فلن تعود لأن خصمك سوف يستأجر من مالك من يقتلك! ولما فكّر صاحب المال ملياً قرر عدم السفر.

والقصص في ذلك كثيرة، ولذا يجب التحري واستخدام المسلم التقي وليس أي مسلم، أما الكافر فلا يجوز استقدامه أصلا لا سيما مع وجود المحتاجين من المسلمين في بلده، وهم في الوقت نفسه أكفأ في العمل.

وقد كانت طبيبة هندوسية في جدة تتبرع براتبها لمنظمة هندوسية متعصبة، فالذي استقدمها شريك لها في الجرم، وكذلك كان يفعل العمال الهندوس في الميناء!

– الرقابة الداخلية:

للفكر الإسلامي نظرة خاصة للنفس الإنسانية يتميز بها عن غيره مهما تطور الفكر السياسي في العالم، فهذا الدين العظيم يجعل الرقابة داخلية عكس النظريات الوضعية التي أقلها سوءا الديمقراطية، فتقوى الله وخوف الآخرة

والحساب فيها، هو السبب في الصدق والعدل والأمانة لاسيما في المال العام، والله تعالى هو المحاسب لكل أحد وهو الرقيب على كل شيء.

وكانت المرأة المسلمة عفيفة طاهرة تخاف الله وتراقبه وحده، وهذا هو الأصل في كل مسلمة، وحفْظ نفسها هو من الأمانة التي استودعها الله إياها.

ولذلك لم يعرف المسلمون ما يسمى في الغرب "حزام العفة" وهو حزام كان الزوج في أوروبا يضعه على فخذ وفرج امرأته ويحتفظ بمفتاحه إذا سافر حتى لا تزني في غيابه.

ولو أن الرقابة غير الإيمانية تنفع والاقتناع العقلي يكفي، لكان الأطباء أول من يترك التدخين، فهم أعرف الناس بأضراره، وقد رأيت أنا طبيبا متخصصا في الأمراض الصدرية، ومع ذلك يدخِّن حتى في ندوة للأطباء عن مضار التدخين وكان عضواً في الندوة.

وهؤلاء الماديون حين يفصلون بين السلطات، أو يجعلون الحاكم مثل آحاد الرعية، أو يسمحون للإنسان أن يعتقد ما يشاء...الخ إنما يفعلون ذلك بدافع الخوف من الرقابة الخارجية والقانون أو الفضيحة الصحفية والإعلامية، أو منظمات حقوق الإنسان فقط، وكثيرا ما تحايلوا على القانون ونفوا التهمة، وقالوا إن تقرير منظمة حقوق الإنسان منحاز أو مسيس واستعانوا بأوليائهم من الشركات المالكة للإعلام.

وهم لا يأخذون من الإسلام أو لا يعرفون عنه علنا إلا الصورة المشوهة التي قالها المستشرقون أو المنصرون، اقرأ مثلا كتاب "الحرب المقدسة"، وأكبر حجة لهم هو واقع المسلمين اليوم لا سيما من تولى منهم شيئا، وهذا ليس عذرا لهم عن اتباع الحق، لاسيما من يعلمون هم أنه يدّعي الإسلام نفاقا، أو يقيم بعضه دون بعض، والمعيار عنده هو هواه ومصلحته وقرابته، أو مراعاة الشعب إن أحسن لا مراعاة الله تعالى.

والإمام في الإسلام لا يُفتعل بل قد لا يوجد كما في حديث حذيفة، ومن خاف مما ورد في التحذير من ترك الطاعة أو البيعة مع عدم من تتوفر

فيه الشروط، فهو كمن يخاف مما ورد في ترك الزكاة وهو فقير، أو مما ورد في ترك الصيام مع أنه لا يجب عليه لسفر أو مرض، ومن يخاف من ترك الحج وهو لا يملك الزاد والراحلة وهكذا.. فلابد من توفر الشروط الشرعية في أي شيء له شروط.

ومن المهم أن نذكّر هنا بأن الولايات كلها دينية شرعية، وأن المقصود منها هو أن يكون الدين كله لله، وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة وكلام علماء الإسلام. ويجب في نظري أن تكون إدارات مكافحة المخدرات، وإدارات محاربة الغش والفساد المالي تابعة جميعا لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن ذلك عمل احتسابي ويحرم جعل الفساق مكافحين للجريمة أو مستشارين، وشيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله عندما قيل (هذا مستشارنا رشاد فرعون) قال: "أعوذ بالله إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود:٩٧]، وانتقل من تفسير سورة الفرقان، إلى سورة الحج ليذكر مهمة الحاكم، وفسَّر قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١]"، وأطال في إيضاح ذلك وأنه من واجبات الحاكم، ولما قابل ملكَ المغرب في حينه بيّن له كمال الإسلام وشموله ووجوب العمل بأحكامه، وكان رحمه الله يكثر من الاستدلال بقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، ويرد بها على دعاة القومية والوطنية، وما يسمى تحرير المرأة وعلى محكمي القوانين أو النظريات الغربية.

والمقصود أن الإسلام شدد كثيرا على الرقابة الداخلية، وتلك مهمة العلماء والوعاظ وأمثالهم.

ومن أهم شروط الإمام في الإسلام أن يكون مجتهدا، ويستشير المجتهدين في كل صغيرة وكبيرة، ولا يتبع هواه ولا يولي أقرباءه ولا يحابي أحدا كائنا من كان.

وإذا لم يقم كتاب الله كما أمر الله فهو في الحقيقة مثل "مقدم الحرامية"

أو "القواد" كما عبر ابن تيمية رحمه الله، أو كالذئب المؤتمن على الغنم، وقد قال الشاعر الشامي عمر أبو ريشة:

لا يلام الذئب في عدوانه إن يك الراعي عدو الغنم

وقد كان السلف الصالح يتجنبون السلاطين عملا بقوله ﷺ: (إياكم وأبواب السلطان)، وكما في حديث كعب بن عجرة ﷺ (فمن دخل عليهم وصدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ولن يرد علي الحوض).

فلهذه الأحاديث ولما يرونه من المنكر ولخوفهم من التقصير تركوا العمل لكل أحد، حتى أنهم عابوا أخذ المال ولو نوى الآخذ إنفاقه والتصدق به!

وأرسل بعض الأمراء إلى مالك بن دينار مالا فقسمه على الفقراء كله، ولما بلغ ذلك محمد بن واسع أنكر عليه أخذه. فقال مالك: "إنما مالك حمار! وإنما يعبد الله مثل محمد بن واسع"!

وقيل للإمام أحمد رحمه الله: "لو أنك أخذت المال وتصدقت به، فقال: أتريدني أن أكون لهم قهرمانا؟".

وقال بعض السلف: "الناس إنما يقتدون بي في أخذ المال، وليس في التصدق به إن علموا".

وسير السلف في ذلك كثيرة جدا، وتقدمت الإشارة إلى أهم المصادر فيها.

ولما ظهرت الباطنية وأشباههم وكان الخلفاء أصلح الناس في أيامهم و لم يتلبسوا ببدعة، بل كانوا يحرصون على السنة ويحاربون أصحاب البدع، وربما جاهدوا الروم وحصنوا الثغور، اجتهد بعض العلماء أن يتولوا القضاء الذي كان مستقلا ذلك الحين، على شروط وضعوها كما وضعها أبو يعلى مثلا.

وهذا الاجتهاد منهم أعني عملهم للسلطان ليس ملزما لكل أحد، وقد

اجتهد شيخ الإسلام في عصره، وأشار على بعض الناس بتولي القضاء وتخفيف المنكر، مع أن الإمام أحمد وغيره ينهون -بل يجرحون- بالعمل للسلطان.

ثم تغير الزمان وانعكس الحال، وأصبح بعض من يدعي الإسلام يترك الجهاد ويسلم أمره إلى اليهود والنصارى، ويتحاكم إلى القوانين الوضعية، ويطالب بالديمقراطية وينضم إلى الأمم المتحدة، وصار ذلك منهجا متبعا، ومن تركه كأنه ترك السنة، ومع ذلك قيل إنه ولي أمر وإن طاعته واجبة، وإن ذلك مجرد معصية!!

وهذا كما تقدم من آثار الإرجاء.

وربما عاب بعض الباحثين على كتب الفقه أنها لا تذكر الإمامة، وهذا ليس بعيب، فأمر الإمامة أوضح وأجلى من أن تذكره كتب الناس، وحسبنا في ذلك الوحي كما تقدم، على أن كتب العقيدة تذكره وهي أعلى من كتب الفقه.

ولم يكن الحكم بغير ما أنزل الله تركا للقرآن والسنة كما نرى اليوم، وإنما كان وقوعا في مخالفات لأحكامهما ومجانبة للحق الوارد فيهما، أي أنه من المعاصي فعلا.

ومن اتباع منهج الأنبياء -فضلا عن اتباع السلف الصالح- ما ذكره الله تعالى في القرآن من مخاطبة إبراهيم عليه السلام للملك الظالم، ومخاطبة موسى عليه السلام لفرعون، ولم يقل هؤلاء الأنبياء إن الملوك أولياء أمر أو لا شأن لنا بسياستهم، أو هم متغلبون تجب طاعتهم في كل شيء، واتهم إبراهيم وموسى بأنهم يريدون الحكم وينتمون إلى جماعة كذا أو شخص فلان كما تقول المرجئة.

والديمقراطية هي إحدى الصرعات الغربية، ولذلك فكل من ينتقد الحضارة الغربية لابد أن ينتقد الديمقراطية، وربما كان المسرحي الانجليزي "برنارد شو" أشهرَهم، وكلامه من أشهر ما قيل عنها لا سيما مع شهرة

"شو" الواسعة في إنجلترا وأمريكا وغيرهما، فماذا قال؟

قال "شو" عن الديمقراطية: "لن يرجى أي إصلاح للحالة التي نحن عليها عن طريق ما يسمونه الديمقراطية، فمن الاقوال المأثورة أن كل شعب يحصل على الحكومة التي يستحقها، ولكن الأقرب إلى الصحة أن كل حكومة تحصل على الناخبين الذين تستحقهم، فإن خطباء البرلمان يستطيعون حسب مشيئتهم أن يثقفوا الناخب الجاهل أو يفسدوه، وهكذا تسير ديمقراطيتنا في دائرة مفرغة من الاستحقاق وعدم الاستحقاق المتبادلين" اهـ كلامه.

ولا يحسبن أحد أن "شو" حين يهاجم الديمقراطية يؤيد الاستبداد، فهو لا يؤمن بالحضارة الغربية بكل فلسفاتها، وهو يعيب أوروبا ويهاجم "نابليون"، وهكذا فالغربيون الذين لا يزيِّفون الانتخابات يزيفون مشاعر الناخب.

ولو كانت هذه الديمقراطية المزعومة تنفع أمة لنفعت الذين سبقوا اليونانيين في ذلك، مثل الهنود والصينيين والأفارقة، فالديمقراطية ليست فكرة غربية استحدثها اليونان كما يدّعون، بل سبق اليونانيين إلى ذلك أمم ذكرنا بعضها. (انظر كتاب "التاريخ السري للديمقراطية" الذي كتبه باحثان استراليان)، ولو نظر الباحث بعين العدل وتجرد عن الهوى لعلم أن الديمقراطية في السودان مثلا أرقى منها في أمريكا.

ولا ريب أن الديمقراطية أقل شرا من الاستبداد الذي كان الملوك الإقطاعيون يمارسونه برضا الإقطاعي الآخر (الكنيسة)، ولكن الديمقراطية مثلما أن لها ضماناتها لها أيضا عيوبها التي لا ينكرها أحد، وهنا يصدق قول "تشرشل" "ليست الديمقراطية أفضل نظام بشري ولكنها أقل الأنظمة سوءا".

قال "جان جاك روسو" في "العقد الاجتماعي": "إذا أخذنا المصطلح بمعناه الدقيق فإنه لم توجد ديمقراطية حقيقة ولن توجد مثل هذه الديمقراطية أبدا".

وهذا هو الواقع في التاريخ، لا سيما في الغرب حيث لم يطبقوا الديمقراطية

المزعومة، أي أن يحكم الشعب نفسه، بل عابوها وقالوا إنها فكرة مثالية أي غير واقعية، وإنما يحكم التجار أو أصحاب المال والملوك وأمثالهم باسم الأكثرية، ولو كان المشاركون في التصويت لا يتجاوزون نصف الشعب.

والمسلمون لا يرفضون الديمقراطية فحسب، بل يرفضون كذلك ما هو أسوأ منها كالثيوقراطية "حكم الكهنوت"، والأوليغارشية "حكم الأقلية"، والأتوقراطية "التسلط"، وأسوأ من ذلك حكم الفرد "الموناركية"، وإنما يدعون إلى العمل بالإسلام الذي سبق له أن أقيم، وطبقت شريعته كاملة في أيام النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، ثم جاء بعدهم من وقع منه تقصير أو جور من الخلفاء، مع أن دينهم هو الإسلام كما سبق، ولا شعار لهم إلا هو، وكانوا يجاهدون ويفتحون البلاد، ويحكمون بكتاب الله، ولا يوالون الكفار ولا يضيِّقون على الدعوة إلى الله، ولا يسجنون أو يقتلون الدعاة، وكان القضاء في أيامهم مستقلا على الحقيقة.

وكان بعض الخلفاء على منهج الخلفاء الراشدين، وكان يعدل بين الرعية، وكان زاهدا لا يستأثر لنفسه أو قرابته بمنصب ولا مال، فلا بد من العودة إلى كتاب الله، وليس استبدال طاغوت بطاغوت آخر، أو الفرار من الديمقراطيين إلى الجمهوريين، أو الانتقال إلى النظام الرئاسي مثلا، بل يجب أن يتحول المجتمع كله من الشرك والمعصية إلى التوحيد والطاعة، ومن البدعة إلى السنة وإن طال الطريق.

يقول مؤلف "موت الغرب" وهو مرشح جمهوري سابق لرئاسة أمريكا: "إن كانت أمريكا قد توقفت أن تكون بلدا مسيحيا فهذا بسبب أنها توقفت أن تكون بلدا ديمقراطيا".

وألف كتابا آخر عنوانه "جمهورية لا إمبراطورية" يعني به أمريكا، وكلام الغربيين في ذلك كثير، فعلينا أن نتمسك بديننا ولا نصدِّق الترَّهات والأكاذيب والشعارات.

وحسب العاقل أن ينظر إلى حال ديمقراطيتهم في الواقع.

فلما كان الاجتماع في مكان واحد غير ممكن لكل فرد، قرروا أن تكون ديمقراطيتهم "نيابية" أو "تمثيلية"، ولما كان الإجماع على كل مسألة غير ممكن عمليا، قرروا أن يكون الحكم للأكثرية، أما الميزات الفردية التي اقتضتها حكمة الله في الناس، فالديمقراطية تقضي عليها، فهي تجعل الذكي والغبي والعالم والجاهل سواء، في أن لكل منهم صوتا واحدا، ولهذا تعجب الدكتور "أليكسيس كارل" كيف صبرت البشرية على الديمقراطية!!

والغالب أن المقعد الواحد يتنافس عليه كثير من الناس، فإذا حسبت من يعزف عن المشاركة وحسبت ما يذهب لكل واحد لاسيما المعارض، وجدت أن الخاسر -كما في سورة العصر- الذي يسمونه "فائزا" إنما كان ذلك له بأقلية ضئيلة غالبا، وقد حكمت المحكمة الأمريكية العليا بأن (بوش الابن) هو الفائز بالرئاسة وذلك بعد العد اليدوي في فلوريدا، وبعد الجهود المضنية والرشاوى التي قدمها آل بوش وأتباعهم لكي تكون الغلبة لبوش بآلاف الأصوات وبتلك النسبة فقط، وبعد أن سخرت بعض الدول التي تسميها أمريكا متأخرة بالعد اليدوي كالهند، نصبوا "بوش"!!.

والديمقراطية تترك اليهودي على يهوديته، والنصراني على نصرانيته، والديوث على دياثته، والملحد على إلحاده، وشارب الخمر يشربها، واللوطي أو الزاني من حقه ذلك فلا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر.

ولو افترضنا أن الأكثرية اختارت واحدا فقط! فقد يكون ذلك الاختيار خطأ، بل أكثر الناس كما قال خالقهم جل شأنه يضلون ويخطئون، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:٧١]، وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣].

وقال: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

والآيات والأحاديث والشواهد الواقعية تدل على أن العبرة بالصواب، ولو كان قائله واحدا، وليس بقول الأكثرين، وهذا نوح عليه السلام لبث

في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ودعاهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا، ومع ذلك لم يؤمن له إلا قليل منهم، قال تعالى: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]، والنبي ﷺ رأى الأنبياء فرأى النبي ومعه الرهط أو الرهيط، والنبي ومعه الرجل أو الرجلان، والنبي وليس معه أحد، مع أن كل الأنبياء دعوا إلى الله بأفضل الوسائل، ولا يمكن أن يتهمهم أحد بالخطأ أو التقصير في الدعوة.

حتى الطبيعة المشاهدة تدل على ذلك، فالحجارة دائما أكثر من الذهب، والهالكون أكثر من الناجين، وإنما يتعجب الربانيون ممن نجا وليس ممن هلك، قال الشاعر:

لا تعجبن من هالك كيف هوى بل فاعجبن من سالم كيف نجا

والكفار أكثر من المسلمين، والمبتدعة أكثر من أهل السنة وهكذا.

والعلماء المجتهدون هم في الإسلام بين الأجر والأجرين، بخلاف الجهال فهم مخطئون وإن أصابوا، ويجب تصحيح مفهوم الانتصار عندنا وأن أعظم النصر هو الثبات على الحق، وكذلك مفهوم الفوز.

والديمقراطية أيا كان مدعيها هي حكم بغير ما أنزل الله، ولو قرر البرلمان أن الخمر مثلا حرام فهي حرام، لا لأن الله حرمها، بل لأن هذا رأي الشعب أو قرار البرلمان.

ونحن لا نرضى أن يحكم أحد بالتوراة والإنجيل مع ما فيهما من حق، فكيف بالقوانين البشرية وبتشريع ما لم يأذن به الله.

والحرام هو ما حرم الله، والحكم بغير كتاب الله أي بغير ما أنزل الله كفر، ولو نظرنا إلى الكتاب والسنة لوجدنا الأدلة فيهما على ذلك أكثر من الأدلة على تحريم الذبح لغير الله أو اتخاذ القبور مساجد، فهذا إذاً أخطر، وهو مع خطورته يزيد مع الزمن، بخلاف القبورية التي تنقص الآن ولله الحمد، وإنما يفعل ذلك الجهال، أما من يدعون أنهم مثقفون فيطالبون بالديمقراطية، وكذلك تُجمع عليها محاكم السوء وحكام السوء المتجردون حتى من الوطنية! وقرأت لبعض المثقفين هنا أنه يرحب بالديمقراطية ولو جاءت على

ظهر دبابة أمريكية، و لم يبلغني أنه تعرض للأذى أو التهمة وكيف يتهم أو يؤذى وهو غير متدين؟!

وكلامه هذا يدل على أن هؤلاء العلمانيين يتمسحون بالوطن والوطنية، وهم ليسوا وطنيين كما يدعون! وكيف يكونون وطنيين وهم يرحبون بالاحتلال الأمريكي، وبعضهم يكتب في جريدة سيارة إن أمريكا احتلت العراق بحثا عن أسلحة الدمار الشامل، وعندنا (أي في بلاد الحرمين) ما هو أخطر من الدمار الشامل!!

بل هم كما قال الدكتور زكي نجيب محمود "لا يرون أي شيء إلا غربيا".

فالأمر عندهم مرده إلى أهواء البشر، ولو قال النواب أو ممثلو الشعب إن الربا أو الزنا حلال لصدر بذلك قانون!!

فالقوم جعلوا الشعب هو المعبود، وجعلوا اتباع أهواء الناس هو المعتبر.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وخلاصة القول: إن الدعوة إلى الديمقراطية أو أية فلسفة غربية أو شرقية هي اتباع دين غير الإسلام، وهي شرك بالله تعالى حذر منه كل الأنبياء، وآخرهم وأفضلهم نبينا محمد ﷺ، وهو صلوات الله عليه لم يحذر من الشرك فقط، بل سد الذرائع الموصلة إليه، وحمى التوحيد وحاطه من كل جوانبه.

فالمسألة في منتهى الخطورة، والتوحيد هو أعظم ما دعا إليه المصلحون في كل زمن، وكل بيئة شركها بحسبها وكل عصر له شركه، وكل إنسان شركه بحسبه، والواجب على الجميع هو الدعوة، وهذا من أفضل الجهاد عند الله تعالى، ولا يصح حصر التوحيد في أمور معينة وترك الباقي، كما لا يصح حصر الجهاد في قتال الكفار فقط وترك كلمة الحق التي هي أفضل الجهاد كما في الحديث.

ويجب على كل قاض أن يحكم بما أنزل الله، وليس القاضي هو من تسميه السلطات قاضيا فقط، بل يشمل ذلك كل من حكم بين اثنين حتى بين الصبيان في الخطوط كما قال شيخ الإسلام.

وكما أنه ليس في الإسلام كسروية ولا هرقلية ولا كهنوتية، ليس فيه أيضا إلهاء للشعب وإشغال له عن مصيره وواقعه بالألعاب مثلا.

ومما يلاحظ في أمريكا أنها لا تهتم مثلنا بكرة القدم، وهم هناك يهتمون بكرة السلة أو لعبة "البيسبول" أو "الجولف" أكثر منها، والألعاب الفردية هي كما يقول المختصون أجدى من التشجيع المجرد.

والعجيب أنه يشترك في الملهيات كل الشعوب من التي تدعي أنها ديمقراطية إلى الحكومات الفردية أو حكومات الأقلية.

وهذه الكرة هي أحد أسباب إلهاء الشعوب وإشغالها، فما تنفك من دورة إلا في دورة وبهذه الدورات تنسى الشعوب واقعها السياسي والاقتصادي ولا تطالب الحاكمين بشيء.

وجعلوا لكأس فلانا دورياً، وللأندية الممتازة دوريا، وللتجمعات السياسية أو الجغرافية دورياً.. وهكذا.

ومما يذكره الإخباريون قديما أن أحد الملوك طلب كذا فأرا في صندوق، فجاءه رجل بعد حين وقال له: يا مولاي إن الفئران التي طلبت في هذا الصندوق، فقال له الملك: كيف جمعتها؟ قال: إذا وضعت فأرا أدرت الصندوق حتى يفقد توازنه! فقال الملك: هكذا إذن يجب أن تدار الشعوب! أي دورات متتابعة تلهيها وتفقدها التوازن.

وحدثني أحد كبار السن أنه لم يؤخر الصلاة في عمره إلا مرة واحدة، أخذه ابنه إلى مباراة كروية في الرياض.

ومن رأى جنون مشجعي كرة القدم في الغرب "هوليجانز" حمد الله على هذا الدين الذي يشغلنا بالواجبات وليس بالتفاهات، وهذا الإشغال هو أحد نتائج الحرية الديمقراطية الموهومة، وقل مثل ذلك في فضائح "الفيفا"

المتابعة، فمن يقدم أموال المسلمين للكرة؟

والمؤلفون الغربيون أنفسهم يتحدثون عن مساوئ ديمقراطيتهم ويصرحون بذمها.

وقد قال أحد الكتاب أو الفلاسفة الغربيين: "لم أستطع حقا أن أرى فارقا بين غباء الشيوعية وبين غباء الديمقراطية الأمريكية".

وقال آخر: "بعض الناس يلعن الشيوعية وبعضهم يلعن الرأسمالية أما أنا فأقول لعن الله كليهما".

ومن أفعال الديمقراطية في أم الديمقراطيات "بريطانيا" أنها أصدرت قانونا بسحب الجنسية البريطانية بذريعة الإرهاب، ولذلك تفسيران لا ثالث لهما:

إما أن الديمقراطية المزعومة لا عقيدة لها، بل هي حسب أهواء السياسيين، وقد يتزلق المجتمع باسم الديمقراطية إلى ما هو أسوأ.

وإما أن بريطانيا تحارب الإسلام بأسماء أخرى.

وكيف تكون بريطانيا بلدا ديمقراطيا، وهي تقتل نائبة في البرلمان في دائرتها الانتخابية لمجرد أن رأيها مخالف لرأي القاتل! وكيف لو كان قاتلها مسلما؟

أما سجون بريطانيا فيكفينا فيها المجاهد الشيخ رائد صلاح.

ولست أدري كيف تستفتي الحكومة البريطانية شعبها في البقاء ضمن الاتحاد الأوروبي أو الانسحاب منه، وهي تعلم أن أكثر الشعب البريطاني لا يعلم شيئا عن الاتحاد، وإنما يظن أن معاهداته أسماء نساء، مثل معاهدة "ماستر خت"، والإعلام البريطاني يضخ عليه ليل نهار أن المشكلة الكبرى هي مشكلة الإرهاب الإسلامي أو مشكلة هؤلاء المهاجرين، الذين يأتوننا من بلاد كانت مستعمرة لنا، ويريدون أن يزاحمونا على لقمة العيش لأننا بلد ديمقراطي!

وهكذا يجب على الإسلاميين أن يتركوا الدعوة إلى الديمقراطية، ويصرحوا بالدعوة إلى الإسلام، كما يجب على الليبراليين الكف عن تسمية

المجاهدين في الفلبين أو الشيشان "متمردين"، فالمؤمن يتمنى لهم النصر، وإذا أخطأوا صوَّبهم.

- الاستقرار:

الأحكام الإسلامية تؤدي إلى استقرار الأمة، وإلى كل ما يجلب لها الخير في الدنيا والآخرة، فإذا اختار المسلمون إماما وبايعوه فإنه لا يجوز عزله إلا إذا اعتراه ما يوجب عزله شرعا وإن تقدم في العمر.

وفي ذلك حكم عظيمة منها:

١- الاستقرار السياسي، فليس الأمر إشغالا مستمرا للأمة بالانتخابات كما هو الحال في الولايات المتحدة بل الغرب كله اليوم.

٢- أن الوجه الذي تعرفه خير من الوجه الذي لا تعرفه، والإنسان كلما تقدمت به السن يزداد نضجه وفهمه، وتتعمق حكمته وتجربته، والشيوخ ليس فيهم عجلة الشباب ومغامرتهم، وربما كان الكبير أقدر على سياسة الأمور من الشاب، وقد أنجد الطوارقُ أهلَ الأندلس، وهزم زعيمهم "ابن تاشفين" خصمه "الفونسو" وعمر ابن تاشفين ثمانون سنة، وقل مثل ذلك في القائد المحنك أو الوزير الحكيم وكل من لم ينتابه الخرَف.

٣- أن للإسلام معايير أخرى غير مجرد السن كما هو معلوم.

٤- أنه حتى أصحاب القوانين الوضعية يلجأون إلى ذلك، فالأمريكان مثلا انتخبوا "روزفلت" حتى مات، والبريطانيون حكمتهم الملكة فيكتوريا ستين سنة.

٥- أن كثيرا من الدول يحكمها رئيسها مدى الحياة، ويعللون ذلك بما يتمتع به من كاريزما، وبعضها يرشحونه للمرة الخامسة، وانظر مثلا إلى محمود عباس وياسر عرفات، هل بقيا في السلطة أربع سنوات فقط، وكذلك "ستالين" و"كاسترو"، و"انجيلا ميركل" رشحت نفسها مرات وكذلك "بوتين".

٦- أن ما قرره المسلمون وسط بين قصر المدة وبين أن يظل الحاكم

المستبد يحكم حتى وهو على جنب، أو لا ينتهي حكمه حتى يموت.

ولأن الشريعة السمحة تغلّب جانب الاستقرار وتحرّم الفتن وسفك الدماء قال النبي ﷺ: (إذا بويع لاثنين فاضربوا عنق الآخر منهما).

وقال (من جاءكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه) فانظر كيف جعل ذلك للأمة جمعاء، وحثها على الاجتماع، وأمرها بقتل من يفرق الجماعة، أضف إلى ذلك ما ورد من آيات وأحاديث في فضل الجماعة، ولا جدال في أن قتل الآخر مفسدة، ولكن الشرع جعل مفسدة تفرق الأمة أكبر منه، ومصلحة اجتماعها أولى.

كما أن الشريعة الغراء حرّمت بيع السلاح في الفتنة.

وبعض الناس هداهم الله يغفل عن الحكمة العظمى في ذلك، ويجعل الحديث حجة لكل من بويع مطلقا، ويجيز للمتغلّب أن يسجن أو يقتل من شاء بذريعة أنه خرج على ولي الأمر.

مع أن إبداء الرأي حق وتغيير المنكر واجب، وليس شيء من ذلك بخروج، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في المنهاج (وقد امتنع سعد بن عبادة عن بيعة الصديق فلم يضربوه أو يسجنوه فضلا عن أن يقتلوه).

وعلى ذلك أجمع الصحابة فلم يُنقل عن واحد منهم أنه أمر الصدّيق بأذاه، فقد كانوا يعلمون الفرق بين من خرج عن الجماعة ومن خرج عليها، هذا إذا فسرنا الجماعة بأنها اجتماع الأمة على إمام واحد. وتأمل قوله ﷺ (وأمركم جميع)، وقوله (يشق عصاكم)، فإذا كان أمر الأمة غير جميع وكانت العصا مشقوقة، فلا دلالة في الحديث لأي من الطائفتين. ومن الفهم الخطأ قول بعض الناس إن ولي الأمر أدرى بالمصلحة، فإذا كان فيما يرى المصلحة في قول أو فعل، فليبعث بذلك إلى أهل العلم فربما كان ما يرون من المصلحة أرجح منه.

الحرية الشخصية في المال

ومن الحرية السياسية قضية الحرية في التبرع (الحرية الشخصية في المال):

الله تعالى جعل المال فتنة، وجعل الرزق وفق مشيئته وحكمته وليس بحسب الذكاء والغباء أو القوة والضعف، وجعل حبه فطريا في النفس البشرية ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر:٢٠]، والصحابة رضوان الله عليهم اجتمعوا إلى النبي ﷺ لما علموا أن أبا عبيدة قدم بالمال من البحرين (وهي الأحساء اليوم) في أدلة كثيرة ليس هذا مجال حصرها، وقد سبق شيء من ذلك فيما مضى وسيأتي له تكملة فيما بقي.

واليوم ترى المغضوب عليهم "اليهود" يسمحون بما يسمونه (الحوالة الشخصية) في حدود ٨ آلاف دولار أي ٣٠ ألف ريال كما تقدم، ولا يتدخلون في المال الشخصي! وأكثر دول العالم لا تتدخل فيما يملكه الأفراد، أما بعض العرب فلا يسمحون بالتبرع مطلقا ويراقبون حسابات الأفراد في البنوك ويطلبون التقارير من البنوك، وإن تبرعت حكوماتهم فعن طريق الأمم المتحدة أو الصليب الأحمر، أي أن ٨٠% من تلك التبرعات تذهب في المصروفات الإدارية لموظفي الأمم المتحدة، كأجرة الفنادق والسيارات ونحوها. وربما تبرعوا لأطفال الكفار كما تفعل منظمة "اليونيسيف" وربما بذّروا المال وجعلوا الأصنام "تراثا ثقافيا" كما قرر مجلس الوزراء السعودي، بل يبعثون الجاهليات القديمة كما تفعل منظمة "اليونسكو" وبعضهم يسرق بيت مال المسلمين إذا ولوه وزارة المالية مثلا، ويكوّن بعض الأثرياء المعروفين ثروة كبيرة ثم يتبرع للكفار خصوصا الأمريكان!

وقد قال القائد السابق الهالك "شوارسكوف" إنه لم يجد من يسرق نفسه إلا في حرب تحرير الكويت، التي هي حرب تدمير العراق واحتلال الكويت، وسمعت أحد كبار الحزب الجمهوري يقول عن الأزمة الأمريكية حاليا: "إن دول الخليج سوف تعطينا"، أما الرئيس المرتد "باراك حسين

أوباما" فيقول: إن الحرب على الإرهاب قد تمتد عقودا. وماذا عليه أن تطول ما دام غيره هو الذي يدفع، ثم جاء "ترامب" بما هو أدهى وأمر إذ قال بلسانه إنه يجب على دول الخليج تمويل المناطق الآمنة في سوريا!! ويجب على الدول الثرية -كما قال- تمويل الجيش الأمريكي في سوريا.

ويخطط نتنياهو لحفر قناة من البحر الأبيض إلى خليج العقبة تضرب قناة السويس ويكون تمويلها على دول النفط.

وبعض أثرياء الخليج تبرع للكفار بمليار دولار وأين؟ في مقر مركز التجارة العالمي!! وسوف يسألهم الله من أين أخذوا هذا المال وفيم أنفقوه، وليست المسألة عبثاً يسمونه حرية كما يعتقدون، بل أمانة ومسؤولية، وليبشر كل من يتبرع للكفار بالفقر وإن أمهله الله، ومن ذلك التبرع للنوادي الرياضية الغربية كما يتبرع لها بعض المبذرين هنا.

ولماذا لا يدفعون الأموال للفقراء الذين في مكة وحولها خصوصا في تهامة والساحل ومناطق كثيرة من الجنوب الذي يستهزئون به كثيرا؟ لا سيما في جازان وصبيا وبيش وأبي عريش، بل إن الفقر في المدن الأخرى الكبرى، وقد زار بعض المتطوعين أضم فرأوا الفقر الشديد هناك، مع أن في الفقراء بعض آل البيت الشريف، وأنا زرت بعض آل البيت في بيوتهم بمكة ورأيت فقرهم وعوزهم.

ونحن نعتقد ونجزم أن المسلمين أحق من الكفار، وأن أحق المسلمين بالعطاء هم أهل البيت الشريف.

والواجب ألا يُعطى بنو هاشم والمطلب من الصدقة أو من الضمان، بل يجب أن نفرض لهم "المخصَّصات" من بيت مال المسلمين، فهم أولى من كل قرابة، وقد قال أبو بكر الصديق: "والله لقرابة النبي ﷺ أحب إلي أن أصل من قرابتي"، وعمر ؓ لما استشار الصحابة بمن يبدأ قالوا: ابدأ بنفسك وبأهل بيتك. قال: لا، وبدأ بأمهات المؤمنين ثم بقية قرابة النبي ﷺ ثم أحبهم إليه عليه الصلاة والسلام، ثم بقية المسلمين وهو وأبناؤه منهم.

وقد قال أحد الأغنياء هنا (وهو صالح الراجحي) إن من كان راتبه أقل من خمسة آلاف ريال يستحق الزكاة، فكيف بالمتقاعد المسكين؟ فكيف الذي لا يجد ٥ آلاف؟ فكيف بمن لم يتوظف أصلا؟ أو كان عاطلا لا عمل له؟

وليس من الإسلام منع الدفع لهؤلاء الفقراء، ولا منه تشريد الأيتام ومعاقبة من يعمل لإطعامهم من المؤسسات أو الجمعيات الخيرية الإسلامية التي يسميها الغربيون "القطاع الثالث" ويشجعون على ذلك بكل وسيلة، عكس الحال عند المسلمين -هداهم الله.

وأنا استدعيت وقيل لي كيف تتبرع للصومال بغير إذن من الحكومة؟ فكتبت لوزير الداخلية في حينه سورة "الماعون"، وذلك حين كان لي وظيفة.

والآن أصبح التبرع نوعا من "الإرهاب" لا بد أن يسجن أصحابه كما فعلوا بمؤسسة الحرمين الخيرية، ومن العجيب أن بعض الإدارات في جدة ظن أن كل شيء عليه اسم "الحرمين" تابع لهذه المؤسسة، فجاءوا بورشة الحرمين ومغسلة الحرمين وكل ما فيه ذكر الحرمين!! ولا أدري أسَلِم منهم طريق الحرمين أم لا؟!

وقد رأيت الناس في الغرب يصفون طوابير عند أبواب الكنائس، ولا أحد يسأل الكنائس أين تذهب المليارات، فهل ذنب الفقراء من المسلمين هو دينهم أو أن شعرهم أسود مثلا وليس أشقر وعيونهم ليست زرقاء أو خضراء؟!

ومن الغش للحاكم أو وزارة المالية -في نظري- ترك تنبيههم إلى الاهتمام بمشكلة الفقر وضرورة إعطاء الفقراء.

ولو أنك حوكمت بسبب تبرعك لغزة ولكنك قلت: أنا لم أتبرع لغزة وإنما تبرعت لنادي "مانشستر" لأطلقوك، مع أن المسلمين في غزة هم الذين يعانون الظلام والحصار، أما التبرع لأندية الكفر فحرام شرعا.

ولماذا يسجن أهل العمل الخيري سنوات طويلة ولم يسجن من يقولون إن سبب الإرهاب هو الدين بأي اسم سماه؟ وبعضهم يصرح ويكتب في الجرائد إن سبب الإرهاب هو التيمية والوهابية، وكذبوا والله، فهذه كتب

الشيخين متاحة منشورة وقد قرأت أنا ما استطعت منها فلم أجد فيها ذلك، وقد بحثت الكاتبة الأمريكية "نتنايا دي لانج" ذلك في أطروحاتها للدكتورة فلم تجد شيئا من ذلك، وهي أوثق وأكثر اطلاعاً في هذا الميدان من "ستيف بانون"، و"ما يكل فلين"، و"شوارتز".

وحين تختار بعض الجهات غير الإسلامية -مثل "مؤسسة الفكر العربي" و"منظمة اليونيسيف" أو وزراء كذا العرب- من يتولى رئاستها من دول الخليج فليس ذلك للمواهب الشخصية التي يتحلى بها ذلك الرئيس، ولكن من أجل المال والإنفاق! إذ له أن ينفق أو يطلب كما يشاء، وعلى علماء دينه السكوت، أو أنه من باب التأليف على الإسلام! وعلى الشعوب أن ترضى وتوافق.

والغرب يظن أن وفرة المال سببها التخطيط أو العلم أو الدهاء، حسب قول "قارون": ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص:٧٨]، ولا يعلم أن ذلك ربما كان استدراجا وأنه تعالى يعطي الدنيا من أحبّ ومن لا يحب.

وما شاهدته وعلمته يقينا، هو أن الغرب يسمي "التنصير" عملا خيريا إنسانيا، وأن المنظمات التنصيرية هي التي تستقبل المهاجرين، وتعطيهم وتتطوع لهم، وأن الأمريكان يعفون الشركات التي تتبرع لليهود والتنصير من الضرائب، لا سيما شركة "ماكدونالدز" وشركة "بيبسي" أو أي شركة أمريكية، وأن الموظف الأمريكي إذا عمل في التنصير يعدونه على رأس العمل، ويعطونه كل الميزات الوظيفية، وأن الرئيس القسيس "جيمي كارتر" يأتي لدول الخليج ويقول إنه يدفع الملايين لمكافحة العمى، وهو عمل تنصيري يقوم به مركزه في (أطلانطا)، ويقبض الملايين من دول النفط، لينفقها في نشر النصرانية خصوصا مذهبه المعمداني.

وإذ لا يستطيع -فخامته- أن يأخذ من الحكومة الأمريكية ما يريد، فليأت إلى هؤلاء الأعراب الذين لا يسألهم أحد عما أعطوا، ولا كم أنفقوا ولا يحاسبهم أحدٌ على شيء.

والأمم المتحدة والغرب عموما ليست الدول النفطية عندهم إلا مجرد "كيس فلوس" يدفع لهم حكامها ما يشاؤون بلا حسيب ولا رقيب، وهم يسمون حكام الخليج "البدو المبذرون"! وقد صرح بعض المسؤولين الأمريكان بأن هؤلاء ليس عندهم "كونجرس" ولا أحد يحاسبهم على المال، وبعضهم يقول: (لنا عِلم وللجهال مالٌ).

وبعضهم يقول "إن الفلوس عندهم مثل الرز"، وبعضهم يرى أن وضع الثروة في بلادهم خطأ رباني تعالى الله عما يشركون، وهذا نص ما قاله أحد مستشاري الرئيس الأمريكي.

وقد وافق رجل الأعمال المصري "حسين سالم" على الصلح بأن يدفع ٢٤ مليار جنيه، ولكن المحكمة طالبته بدفع ٣٠ مليار جنيه، هذا وهو واحد من أصدقاء حسني مبارك، فكم أعطي البقية وكم أعطي سيدهم وأبناؤه، وكم كدّس في بنوك سويسرا من أموال الشعب المصري المحروم؟ ومن أموال الشعوب المخدوعة؟ وكم أعطي السيسي من بعد.

والعجيب أنه مع ما أعطي السيسي من المليارات الكثيرة لم يعترف البنك المركزي المصري إلا بأنه وصلته ثلاثة مليارات فقط، فأين ذهب بقية الرز ألإسرائيل، أم لبشار أم للحساب الشخصي لسيادة الرئيس؟

وكيف تكون الفلوس عندنا مثل الرز، وفي بلدنا الملايين من المساكين الذين لا يجد أحدهم مسكنا ولا ملبسا ولا علاجا؟ وما هي العقيدة التي تبيح أن يكون لدينا قلة قليلة تملك المليارات وتبلغ بها التخمة إلى حد التبرع للأندية الكروية، أو التبرع لإعادة بناء مركز التجارة العالمي، وفي الوقت نفسه يكون في مجتمعنا تلك الملايين المسحوقة؟ وكيف يعرض الإعلام خلفيات للعمارات الشاهقة وتكون بيوت الصفيح مما يجب على البلديات إزالته حتى لا تشوه البلد! على أنهم في القاهرة أكثر تقدما من مجرد الإزالة، إذ يحرقون الأحياء القديمة حرقا ويعطون القطط السمان أراضيها!

وإحدى الدول الخليجية دفعت من الدولارات ما يعادل ٣٥ مليار ريال

للحكم ببراءة حسني مبارك وإخراجه من السجن فكم أعطته هو إذن؟ ولماذا لم يدفعوا شيئا لدرء القتل عن محمد مرسي، أما عدو الله "ترامب" فقد قبض أكثر مما أخذه المسلمون من أهل الكتاب من جزية أو فداء طوال التاريخ!

على أن الذي يعزي المؤمن أن ذلك كله متاع دنيا زائل، وأن الله سوف يسألهم كلهم، من أعطى ومن أخذ ويحاسبهم على الصغيرة والكبيرة، ولم يرد في شيء فيما أعلم سؤالان إلا في المال وهما (من أين اكتسبه، وفيم أنفقه)؟

وترى الدول النفطية أن دفع المال مسألة سياسية لا علاقة لها بالدين وبالعلماء، ومن تدخل منهم فيها عوقب، وليت الأمر يقف عند هذا، بل لا بد للعالم أن يبارك ما يفعله الحاكم ويمدحه ويثني عليه بما ليس فيه، ويقول بأنه ينفق في سبيل الله، أو يلوي أعناق النصوص لتوافق رأيه، فيقول إن الحاكم إنما يعطي الكفار تأليفا لقلوبهم، وهو أمر لم يخطر للحاكم على بال، ولو دخل هؤلاء على حاكم وهو يسجد للصنم لخرجوا وقالوا إنه يخدم الدين، ويعمل لنصرة قضايا المسلمين، وأمثال ذلك مما يسبب سقوط الحاكم والعالم من أعين الشعب.

ولو أن للعالم مكانته ونصيحته مقبولة وإنكاره سائغ لكان الحاكم هو المستفيد من ذلك، ولكانت خزينة الدولة ملأى الآن.

فانظر مثلا كيف لو أن الحكومة لم تتورط في اليمن؟

وكيف لو أنها لم تشتر السلاح من أمريكا؟

ألم يتضح لكل ذي عينين أن وعود أمريكا كاذبة وأن سلاحها غير ما تصفه به مصانعها؟

ومن ذلك وعد أمريكا دول الخليج بإنشاء مظلة أمنية تحميهم من النووي الإيراني، وذلك لكيلا يحصلوا بأنفسهم على هذا السلاح، أو يحتجوا على إيران بشأنه، والسؤال هو: كم تكلف هذه المظلة من المليارات سنويا؟ وكم تستغرق من السنين؟ وهل نفع اليهود ما أعطوا بصدق من المظلات أو القباب الصاروخية؟ أم أن القبة كما قال قائد سلاح الجو الإسرائيلي خدعة

وأكذوبة كبرى، ولو أن أحدا هنا من قادة الجيش وجد المظلة أكذوبة فهل يستطيع أن يقول ما قاله القائد اليهودي؟ ثم مَن التجار أو الأثرياء المستفيدون من هذه المظلة في داخل أمريكا؟ ومن يملك تجارة السلاح هناك ومن الشركات الصانعة له؟ ولماذا لا تكون دول الخليج طرفا في المفاوضات النووية وهي المتضرر الأكبر من إيران؟ والأقرب إليها؟ أم أن أمريكا تكفي؟، ويكفي مع أمريكا الدويلة الصهيونية التي تصرخ وتستجدي، مع أن لديها مفاعل "ديمونة" النووي الذي لا يفتشه أحد ولا يراقبه، بينما هي تجأر كي تحصل على المال والتبرعات، كما قال أحمد شوقي من قبل:

إن للظالم بطناً يشتكي من غير علة

وهكذا بطن إسرائيل.

وما الذي يأتي بأمريكا من وراء البحار لتدافع عن منطقة الخليج وباب المندب وقناة السويس؟ وهل وصل أبناء الخليج ومصر واليمن إلى هذه الدرجة من العجز؟

وكيف يستأجرون الطائرة بالملايين سنويا مع أن بعض الدول تبيعها بعشرة آلاف دولار؟

أم أنه إذا قل الثمن قلّت العمولة والنسبة؟

وكيف أصبحت تركيا بإنتاجها الأسلحة دولة حرة في قراراتها؟ وكيف استطاعت رغم أنف ترامب أن تفرض منطقة آمنة لها في شمالي سورية، بينما تفرض أمريكا على أصدقائها بل حلفائها في جزيرة العرب ألا يضعوا الصواريخ الصينية قريبا من إسرائيل؟

ولماذا لا نعادي أمريكا وإسرائيل أكثر مما نعادي إيران؟ إذ الضالون والمبتدعة يوافقوننا في بعض الأصول، أما النصارى فهم لا يوافقوننا في الأصل الكلي وهو رسالة محمد ﷺ، ولماذا لا يكون لنا عدوان أو أكثر؟

نعم إيران لم تذكر أنها تريد بناء أضرحة في "تل أبيب" أو في "نيويورك"

بل كل الشيعة حتى بعض الذين في المنطقة الشرقية مثل من يسمونه صاحب السماحة (حسن الصفار) يكتبون ويعلنون ويصرحون ببناء الأضرحة والمقامات في "المعلاة" بمكة أو في البقيع في المدينة، وقد قرأت ذلك في جريدة "الحياة" التي يرأس تحريرها جهاد الخازن النصراني، وهو يأخذ راتبه كما يقول في الجريدة من الأمير خالد بن سلطان، ويقول الرافضة في الشرقية إن الحقوق تنتزع ولا توهب، فماذا يعني ذلك؟ وماذا فعل بهم أصحاب التوحيد؟ ولماذا يتركون مكتبة المولد في مكة، ومسجد البيعة في منى، ومسجد الكوع في الطائف، فيأتي الروافض والمخرفون إلى هذه الآثار المفتعلة ويقدسونها ويدعون غير الله، وماذا طلب مقتدى الصدر من الملك عبد الله أن يبني؟

وهكذا تتجلى عداوة الرافضة وشركهم ومثلهم أهل الخرافة عامة، ولكن أهل الكتاب أشد منهم عداوة، وهم كفار صرحاء وليسوا مجرد أهل بدع.

ولماذا حارب العثمانيون الصليبيين عامة والبرتغاليين خاصة، حتى لا يصلوا إلى البحر الأحمر أقرب البحار إلى مكة والمدينة حماية للحرمين؟ أم أنهم كانوا مخطئين في حربهم تلك، ونحن فقط أهل الحكمة والرشد والحزم والتوفيق؟

وكيف لا يكون البحر الأحمر بحيرة إسلامية كما كان ايام العثمانيين والمسلمون يحيطون به من كل جهاته؟ أم أن العثمانيين أتراك ونحن عرب!!

وقد أراد هارون الرشيد حفر قناة تصل بين البحرين الأحمر والأبيض، ثم تذكر أن الصليبين الروم قد يستخدمونها لغزو الحرمين الشريفين فعدل عن ذلك، ثم جاء المجرم اللص "فرديناند ليسبس" وذرية "محمد علي باشا"، فحفروا "قناة السويس"، وأخيراً جاءت أمريكا الصليبية فاحتلت البحر الأحمر وأنا بنفسي رأيت السفن الأمريكية فيه!

ومن البحر الأحمر أطلق الأمريكيون صواريخ "كروز" على بغداد، كما أن "المارينز" (مشاة البحرية الأمريكية) احتلوا البحر الأحمر، وحذروا مما سموه (الشرطة الدينية) أي الهيئة! وأعطوا هواتفهم لمن تضايقهم الهيئة كما يزعمون، ويدعي الصليبيون وأشياعهم الليبراليون أن أولئك "المارينز" أو

القطع البحرية هي في المياه الدولية، فمتى كان البحر الأحمر مياهاً دولية؟

ومتى سمحنا لهم بدخول بحارنا؟ ومتى تحاكمنا إلى قانونهم الدولي؟ ثم هل يمكن لهم أن يعطوا هواتفهم وينجدوا من استنجد بهم وهم في المياه الدولية كما يقال؟

أما علاقة أمريكا بإيران فقد انكشفت ولله الحمد وتغيرت النظرة إلى "الشيطان الأكبر"، ولا يغرنك التلاسن الظاهري عما تحت الطاولة، وانظر من تحمي الطائرات الأمريكية في العراق ومع من تقاتل؟ وقد أوّل خامنئي عبارة "الموت لأمريكا" وحذفت بعض الصحف الإيرانية العبارة نهائية، وقال مسؤول إيراني كبير: "إيران لا تستهدف إسرائيل"، وهل يخفى على السي آي إيه ما يراه كل أحد بعينه من كون دبي أكبر ميناء لإيران، ووقائع التاريخ كما قرأنا ورأينا وما سوف يأتي تؤكد وقوف الرافضة مع الصليبيين.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية طرفا من ذلك، وألف بعض الأمريكيين قبل سنوات كتابا عنوانه "التحالف السري بين أمريكا وإيران"، وربما افتعلت أمريكا عداوة إيران لزيادة تحكّمها في الخليج وتحكّمها بمضيق هرمز، وما تحت الطاولة غير ما فوقها، فلا يغرنك الظاهر في الإعلام فقط، وأن يتظاهر بعض الإيرانيين ضد أمريكا فهم مثلنا مغفلون ولا يقرأون ولا يحللون، وهذا التحالف لا يعني اتفاق الأهداف في كل شيء، ولا أن أمريكا أذكى من إيران، فلا يغرنك التهديد الإيراني لإسرائيل فهو لصالح إسرائيل، من جهة أنه أحد أسباب أن تمدها أمريكا وعملاؤها بالمليارات، ويبنون قاعدة أمريكية في النقب! وذلك ما سيتحقق فعلا لو أن إيران رمت إسرائيل بشيء.

والذي يهم إيران من فلسطين هو تنظيم الصابرين، كما يهمها أن يكون حزب الله مكافئا لإسرائيل ويستطيع الرد عليها.

وقد قال بعض السلف عن الرافضة: "لو كانوا من الدواب لكانوا حمرا ولو كانوا من الطير لكانوا رخما"، وقال طلحة بن مصرف رحمه الله: "لو شئت ملأت الشيعة بيتي ذهبا وفضة"، وليس بغريب على من يدفع خُمس

ماله للملالي، أن يملأ بيت من يكذب على رسول الله ﷺ ذهبا وفضة.

والمهم أن نجعل المعركة عقدية ونستدل على ذلك من كتب الروافض قديما وحديثا، ومن أفعالهم طوال التاريخ، ومن جمع بين البدعة والعدوان وجب ردعه.

ومن الثابت تاريخيا أن العثمانيين كلما تقدموا في أوروبا طعنهم الرافضة من الخلف، فالعثمانيون سنة نواصب عندهم، والنصارى يؤزهم الرافضة أزاً، و لم يحدث في التاريخ قط أن فتح الرافضة إقليما أو قاتلوا وثنياً!

والرافضة يستحلون إخلاف الوعد مع من لم يكن منهم، وقد ذكر اللواء أنور عشقي أن الحوثيين وعدوه ألا يهاجموا السعودية، وهذا يصدّق عندي ما يقال من أن السعودية أعطت الحوثيين مبلغ ٧٠٠ مليون دولار، أي حوالي مليار ونصف المليار بالريال، على أن تظل المعركة محصورة في اليمن، ثم إنهم أخلفوا الوعد وقامت الحرب الأخيرة.

وحسب نظر الرافضة يحق لإيران أن تتدخل في العراق كما تشاء، وأن ترسل إليه "قاسم سليماني"، ولا يحق لتركيا أن ترسل المدربين إلى العراق ولو كان ذلك مقتضى اتفاقية بين العراق وتركيا، ويجوز لإيران أن يكون سفيرها هو الإرهابي الصريح "مسجدي"، ولا يحق للسعودية أن يكون سفيرها "ثامر السبهان" لأنه عند الرافضة طائفي تكفيري وهابي!

وكيف يستقبلون العبادي والإرهابي الجعفري، ومقتدى الصدر ولا يستقبلون الشيخ حارث الضاري؟ ولماذا لا نعادي أمريكا وإسرائيل وإيران معا، لكن نجعل عداوة الكافر أكثر من عداوة المبتدع كما هي عقيدة أهل السنة؟ وإذا حارب المبتدع أهل الكفر الصراح كان ذلك مقبولا، وربما كفر عنه بدعته.

ومما يتعلق بذلك أيضا أنه لا يجوز إيواء أي زعيم تقوم سياسته على تجفيف المنابع ومراقبة المصليين ومنع غطاء الرأس حتى من غير حملة جنسيته، بل من الدول، التي أعطته وشاركته في السياحة والفنادق، وقد قال ﷺ: (لعن الله

من آوى محدثا)، وقال كثير من السلف -وبعضهم يرفعه- (من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)، وهذا الهدم هو الواقع قديما وحديثا.

وهذا الزعيم ليس صاحب بدعة فقط، بل هو أشد من ذلك.

وإذا كان هذا الزعيم بريئا فلماذا لا يسلَّم إلى شعبه ويحاكَم هناك؟.

وليس فقط لا يجوز إيواؤه، بل لا يجوز علاجه من بيت مال المسلمين، ولماذا لم يستقبله الغرب الديمقراطي؟

ونحن نسأل العلماء الأجلاء ما حكم مشاركته في السياحة التي لا يمكن أن تخلو من الفساد والعري والإباحية وشرب الخمور وتعاطي المخدرات؟ وما حكم من يشاركه بالمليارات من بيت مال المسلمين هذا إن لم يعط المليارات مجانا.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله: "ومن آوى محاربا أو سارقا أو قاتلا ونحوهم ممن يجب عليه حد، أو حق لله تعالى فهو شريكه في الجرم وقد لعنه الله ورسوله".

وبعض السعوديين يذكر أن زبانية ذلك الزعيم نزعوا الغطاء عن رأس زوجته بالقوة وحدثني بذلك.

والفتيات السعوديات اللاتي يدرسن هناك يترع المدرسون الأغطية عن رؤوسهن، الأمر الذي دفعهن للشكوى للسفير السعودي آنذاك "بكر عبدالله بكر"، ولكن فخامة الرئيس! لم يستجب له.

ونحن نعتقد أن كل ما فعله هذا المجرم أو فعله الرئيس السابق له "بورقيبة" الذي منحته الرابطة لقب صاحب فضيلة، أو فعله من جاء بعده باطل يجب إنكاره، ويتنافى مع أبسط حقوق الإنسان المزعومة.

وإنما المال مال الله، وأحق الناس به هم الفقراء، لا سيما القرابة الشريفة، ولا يجوز أبدا أن يكون خيرنا لغيرنا، وربما كان في الأزمة الاقتصادية التي أصابتنا مؤخراً خيراً كثيراً، أقلّه أن يعطى أعداء الإسلام مالاً أقل.

والمقصود أن لدينا فكراً سياسياً مستقلاً، وثروة هائلة تغنينا عن الكفار، مع إفادتنا مما لديهم من تنظيم وحسن إدارة، وإذا أقمنا كتاب الله وسنة رسوله

ﷺ وخلفائه الراشدين صدقا لم نحتج إلى ما يسميه الغربيون "العقد الاجتماعي"، أو "فصل السلطات" وأمثال ذلك، بل نرد ما قاله "ميكيافللي" من أن الغاية تبرر الوسيلة، وما قاله "هوبز" من أن الفطرة الإنسانية شريرة بطبعها، كما نرد ما كتبه "مونتسكيو" في "روح القوانين"، ونرد أفكار "عصر التنوير والثورة الفرنسية" عندهم، وكذلك العهد العظيم "ماجنا كرتا" عند الانجليز، وثورة "كرومويل"، وكذلك الثورة الأمريكية؛ إذ كل ما في هذه من حق فنحن في غنى عنه، وقد سبقناهم إليه، وعندنا ما هو أفضل منه، وقد أصبح الباحثون في الفقه الدستوري اليوم يتعجبون من المشابهات الكثيرة بين الدستور الأمريكي وبين القرآن الكريم، لكن لا شك في أنه كان للقرآن نسخ لديهم، ومنها نسخة الرئيس الأمريكي "توماس جفرسن"، وهو من أعظم رؤساء أمريكا، والآباء المؤسسين لها، ومتهم بأنه مسلم، وقد حذف ما في البايبل من خرافات، ولا ريب أن أبا الدستور الأمريكي "ماديسون" اطلع عليه أيضا.

ويقرر الباحثون -شرقيين وغربيين- أن أول وأعظم دستور مكتوب في التاريخ، هو ما قرره رسول الله ﷺ حين كتب الصحيفة لما قدم المدينة، وقد أثر هذا الدستور في وثيقة الحقوق الأمريكية وغيرها من الوثائق الدستورية، ولا سيما المساواة التي لم يعملوا بها قط وقد حددوا مدة حكم رئيسهم بأربع سنوات، وقبلهم حدد عمر مدة حكم ولاته بأربع سنوات، هذا إن لم يكونوا نقلوا عن الإسلام نصا، كما أن العهدة العمرية هي أكثر الوثائق التاريخية حفظا لحق الأقليات غير المسلمة، و لم يأت بعدها ما يماثلها.

وهذه الصحيفة رواها الإمام أحمد وابن إسحاق وغيرهم، وبعضها في الصحيحين بل في القرآن ما يدل عليه.

ومن الفصل بين الخليفة والسلطان أخذ الغربيون الفصل بين الملك -أو الملكة- أو بين الملك ورئيس الوزراء أو البرلمان!!

ولأهمية القضاء سنفرده إن شاء الله بكتابة مستقلة.

- المساواة:

من أعظم ما يفتخر به الغربيون مبدأ المساواة، الذي حققته الديمقراطية وطالبت به الثورة الفرنسية، والمساواة مبدأ قرره القرآن الكريم، وعمل به المسلمون قبل تلك الثورة بقرون وبصورة أفضل وأشمل، ويراد به وجه الله وحده، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣]، فالتقوى هي المعيار سواء كان الإنسان عربيا أو أعجميا قبليا أو خضيريا، صلبيا أو هتيميا أو بلحطيا أو صانعا أو طرش بحر كما يقول الجاهليون، والمقطوع به أنه لم يهبط مع آدم عليه السلام من الجنة عبد ولا صلبي.. إلخ، وخطب النبي ﷺ في حجة الوداع يوم النحر، وهو أكبر تجمع بشري في التاريخ القديم، فقال: (لا فضل لعربي على أعجمي، ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى).

وأردف ﷺ مولاه أسامة بن زيد وراءه وكساه حلته وهو أسود كما هو معلوم، وقال عمر بن الخطاب مقولته الشهيرة: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

ولما قال أبو ذر لرجل يا ابن السوداء قال ﷺ: (إنك امرؤ فيك جاهلية)!

وعلى هذا المبدأ الإسلامي أسس الآباء الأولون أمريكا، ثم قامت الثورة الفرنسية، ثم حرفوا أهدافها، وكانت الثمار المرة التي يجنيها العالم اليوم.

بل إن المؤرخ الإنجليزي الشهير "أرنولد توينبي" يقول: إن الديمقراطية ما هي إلا دخان يخفي تحته الصراع بين هذين المبدأين المتناقضين "الحرية والمساواة"، ونحن نسأل من الذي من حقه أن يضع الحد بين الحرية والمساواة من البشر؟

ولما زار الملك سعود أمريكا، كان من جملة الأخوياء رجل أسود البشرة، فرده الحراس ومنعوه من دخول البيت الأبيض، ولكن الملك سعود

أصر على دخوله فأي الفكرين أرقى؟

وتؤكد تقارير الأمم المتحدة نفسها، بأن المساواة مفقودة في عالم يزداد أغنياؤه غنى، وفقراؤه فقرا، لا سيما في المجتمعات التي يكون فيها تمييز شديد ضد السود أو المسلمين أو النساء أو الناطقين بغير لغة المجتمع أو الساكنين في مناطق معينة أو لطبقة اجتماعية معينة.

وقد وضع الأمريكيون المساواة في وثيقة حقوقهم، ولكنهم عمليا لم يطبقوا ذلك، بل ما زال الأسود عندهم يقتله الأبيض ولو كان الأبيض شرطيا، وقام تاريخهم الاستعماري على اصطياد ملايين العبيد -كما يسمونهم- من أفريقيا وهم ليسوا عبيدا أصلا. ولا يزالون حتى اليوم على عنصريتهم البغيضة، فمن المحال عندهم وجود قسيس أو واعظ أسود في أي كنيسة بيضاء ولو كان هذا الأسود على مذهب الكنيسة البيضاء نفسه.

وهذا أحد أسباب الحكم عليهم بأنهم متأخرون، وقد قامت عندهم (حركة الحقوق المدنية)، وأصدر الرئيس "جونسون" قانون "مساواة الأجور" بين الرجل والمرأة وأقره الكونجرس، ولكن المرأة الأمريكية العاملة توقع على راتب كالرجل وتقبض فعليا أقل من ذلك في كثير من الشركات والمؤسسات، كما أعلن الأمريكان تحرير العبيد، ورضي به بعضهم لأسباب اقتصادية وليس لأسباب إنسانية، وقامت لأجل ذلك الحرب بين الولايات الشمالية والولايات الجنوبية، ومحررهم عندهم "إبراهام لينكولن" من أصول إسلامية من "الموريسك" لكنهم اغتالوه!

والأمريكان يغضون النظر عن أحياء البيض في المدن الكبرى، بينما تجوب دورياتهم أحياء السود بحثا عن المخدرات والجريمة، ولهذه العنصرية المنتنة يقول السود حتى النصارى منهم: إن السود كلهم مسلمون! وقد كانوا كذلك قبل الغزو الغربي، وفي شيكاغو وحدها قتلت العصابات البيضاء كثيراً من السود سنة ٢٠١٦م.

وفي رواندا اشتد الصراع بين القبائل النصرانية المختلفة، لاسيما بين

"الهوتو" و"التوتسي"، وكانت الجوامع الإسلامية هي الملاذات الآمنة، وقد أشاد بذلك رئيس الدولة في حينه وأخبرني بذلك مفتيها.

وليست هذه العنصرية خاصة بالسود بل هي لكل ملوّن ولو كانت بشرته بيضاء، لكن شعره غير أشقر، أي ليس "آريا"، إلا إذا كان يهوديا، ولا تختص العنصرية بأمريكا بل هي أيضاً في أوروبا ومنها بريطانيا أم الديمقراطيات -كما يقولون-، إذ يعاملون أي ملوّن وليس فقط الأسود، أو إن كان من غير العرق الآري معاملة مختلفة، وربما قتلوه أو صرخوا عليه أو أنزلوه من الحافلة أو القطار، أو أخّروه في الوظيفة أو مزقوا حجاب المرأة المسلمة! وإذا كان المهاجر إليهم يهودياً أو نصرانياً قبلوه، أما إذا كان مسلما فهو إرهابي ينبغي طرده.

ومن شك في ذلك فليسأل المسلمين، وليسأل البريطانيين أنفسهم مثل رئيس تحرير صحيفة "الديلي ميرور"، وليقرأ الحملة التي شنها المحافظون على "صديق خان" لكيلا يتولى منصب عمدة لندن.

وتشكو الصحافة البريطانية ممن تسميهم "عرب النفط" ولا تشكو من اليهود، وهم الأكثر تحكما في المناصب والمال والبنوك، في حين ينفق عرب النفط أموالهم في بريطانيا! مع أن العرب واليهود إخوة وكلهم من ذرية إبراهيم الخليل، دع ما يقوله علماء الأنساب والمؤرخون والتوراة، ولكن جيمي كارتر لما وقع "بيجن" والسادات اتفاقية "كامب ديفيد" المشؤومة ألف كتاب "دم إبراهيم".

والباحثون اليوم في الأعراق البشرية، يكذبون النظريات الغربية عن تفوق البيض، ويقولون إن الاختلاف في اللون ما هو إلا بسبب اختلاف ضئيل في عدد الذرات، ويقول الأنتربولوجيون إن المسألة مسألة بيئة وفرص وظروف وليست مسألة عرقية.

ومن المساواة الإسلامية أن النبي ﷺ قال: (المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم)، أي أن دية الصغير والكبير سواء، والمسلم مهما

كان لونه كفء لأخيه المسلم.

وشرط رسول الله ﷺ في الخليفة القرشي أن يساوي بين الناس فقال: (الأمراء من قريش) وفي آخره (وأقسطوا إذا قسموا).

ومن هذه المساواة ما نص عليه شيخ الإسلام في جزء الجهاد من الفتاوى (٢٨) أن "ولي الأمر يقسم بين الرعية بالسوية".

ومن هذه المساواة ما شرعه الله من القصاص في النفس والأعضاء والجراح، وقد حكم الفاروق عمر بن الخطاب بالقصاص لما لطم أحد ملوك بني جفنة في الجاهلية أعرابيا، غير أن ذلك المجرم هرب إلى إمبراطور الروم، وقال: كيف يقتص مني وانأ ملك وهو سوقة؟ وقد تقدمت قصته في ذلك.

ولما شكى أهل الكوفة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قالوا من جملة ما قالوا: "إنه لا يقسم بالسوية"، لعلمهم أن عمر رضي الله عنه لا يقر ذلك، وقد تبين لعمر أنهم كاذبون ومع ذلك عزله، وقال في وصيته: إن أصابت الخلافة سعدا فولّوه، فإني لم أعزله لعجز أو خيانة. وفي هذا تبرئة صريحة له رضي الله عنه ورضي عن عمر.

وهذه المساواة هي من جملة العدل الذي أمر الله به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠].

وهذه من الميزات العظمى للحضارة الإسلامية أعظم حضارات التاريخ، حتى أن أحد العامة ادعى على محمد الفاتح فحكم القاضي على السلطان بقطع يده، ولولا أن المدعي تراجع عن دعواه لقطعوا يد الفاتح.

ومن هذه المساواة أن العمل الصالح وجزاءه يستوي فيه الذكر والأنثى، قال تعالى: ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾ [آل عمران:١٩٥]، وقال في سورة النحل: ﴿مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾ [النحل:٩٧] الاية، وقال في سورة غافر: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ﴾[النساء:١٢٤].

أما في سورة الأحزاب فقد ذكر تعالى الصفات التي ينبغي لكل إنسان أن يتحلى بها، وقد ابتدأها بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ﴾[الأحزاب:٣٥] وختمها بقوله:﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾[الأحزاب:٣٥]، وللمساواة مبحث خاص أكثر تفصيلا ضمن ميزات الحضارة الإسلامية المتقدم.

ومن الشنائع التي نراها هذه الأيام أن يكون المعيار هو القومية كما تقول الناصرية والبعثية أو الوطنية كما يظن أصحاب السعودة أو ما أشبهها، وقد قرأت للجنة الدائمة برئاسة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله أن من لم يفرق بين اليهود والنصارى وسائر الكفرة إلا بالوطن وجعل أحكامهم واحدة فهو كافر.

وليست العبرة بالتجنس، وقد قطع ابن بطوطة رحمه الله ما بين المحيط الأطلسي والمحيط الهادي دون أن يسأله أحد عن جنسيته.

ولما أقام المسلمون عمليا المساواة دخلت الشعوب في دين الله أفواجا، وحمل لواء العلم والسنة والجهاد كثير ممن ليسوا عربا، كالإمام أبي حنيفة، والإمام البخاري، ومكحول، وعطاء، وأبي حازم، وحبيب الفارسي، وعبدالله بن المبارك الخ رضي الله عنهم أجمعين، وفي هذا العصر باءت محاولات المستشرقين مثل "فان كريمر" و"فان فلوتين" بالإخفاق، حين أرادوا الفصل بين العرب وغيرهم، أو النفاذ من المنكر الذي فعله بعض الخلفاء في استمرار فرض الجزية على من أسلم من أهل الذمة، ولم يقرهم على ذلك أحد من العلماء، وفسر المستشرقون التاريخ الإسلامي كله وفق ذلك المنكر والخطأ.

وقد كتب عمر بن عبدالعزيز إلى أحد ولاته لما اشتكى نقص بيت المال بسبب رفع الجزية عمن أسلم: "ويحك! إن الله تعالى بعث محمدا ﷺ هاديا ولم يبعثه جابيا". أي أن كل مصلحة ومنفعة تهدر مقابل الإيمان، ولذلك أغنى الله عمر بن عبدالعزيز ورعيته وفاض المال جدا في عصره القصير، وذلك ببركة الاتباع والعدل.

وبعض الناس يظن أن الرجوع إلى الكتاب والسنة -ومن ذلك الرجوع

العدل- لا يختصر الزمان فكم ولي عمر بن عبدالعزيز أليس فقط من عام ٩٩ إلى ١٠١ هجرية، ومع ذلك أنجز رحمه الله ما عجزت عنه الدول النفطية في بقعة محدودة من ولاياته في مدة ثمانين عاما!!

بل كلما تقدم الزمن زادت المشكلات والأزمات على من خالف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإن بقينا على هذه الحال فسوف تظل قرونا حتى نعود إلى ديننا، وفي هذه المدة الوجيزة أغنى عمر كل المسلمين وناظر الخوارج والقدرية وكل أصحاب البدع وأكرم العلماء، واستقدم عمر المحدثين من المدينة النبوية على البريد وأقصى المدّاحين من الشعراء وأمثالهم. وباختصار أعاد سنة الخلفاء الراشدين!

حتى أن الخوارج لم يثوروا في عصره ورضي عنه الشيعة، قال الكميت الأسدي (وهو متشيع):

وَلِيتَ فلم تشتم عليا ولم تُخِفْ بريئا ولم تَتْبع مقالة مجرم

وقلتَ فصدّقت الذي قلتَ بالذي فعلتَ فأضحى راضياَ كلّ مسلم

وكون الإنسان يدفع الجزية طول حياته، ومع ذلك يُسلم دليل على أن الإسلام دين الفطرة والعقل.

وقيل لعمر بن عبد العزيز ﷺ في مرض موته: "إنك لم تترك شيئا من المال لأولادك، فقال: إن كانوا أتقياء فسيجعل الله لهم مخرجا، وإن كانوا عصاة فلن أكون بالذي أعينهم على معصية الله"، قال بعض العلماء: "فلقد رأيت أبناء عمر بن عبد العزيز أغنياء، وأبناء غيره من الخلفاء يتكففون الناس على أبواب المساجد".

أما المساواة بين العمال المتساوين في العمل، وبيان ما لهم وما عليهم وإيضاح جهة التحاكم، فإن "مكتب العمل الدولي" بجنيف كان يهمه ألا يكون العمال شيوعيين في تلك الأيام، وليتدينوا بأي دين ولا تهمه العدالة بين البشر، وعقب وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله طبقوا قانونه -قانون

مكتب العمل الدولي بجنيف- وعملوا به هنا، لكن سموه "نظام العمل والعمال"، وجعلوا مبادئ الشريعة الإسلامية -وليس أحكامها- مصدرا احتياطيا، وهذا القانون هو ما تحكم به "اللجان العمالية" أو "الدوائر العمالية" اليوم، وأعرضوا عما كتبه الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله والشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله، وكان الخلاف بين عبدالرحمن القاسم الذي دعا إلى "القانون" وأحمد عبدالغفور عطار، الذي دعا إلى "التأمينات"، وأفتى الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله بأن التفرقة بين العامل والمهندس في الدية باطل، فعوقب من طبَع أو نشَر فتوى الشيخ هذه بل فصلوه من عمله، وبعض هؤلاء المفصولين قابلته مراراً وتحدثت معه وأعرف اسمه وعائلته.

والسؤال المتبادر الآن: كيف لو قتل أحدٌ وزير العمل؟ كم تكون ديته عند هؤلاء القانونيين.

علماً بأنهم يسمون الدية "تعويضا" ظنا منهم أن تغيير الاسم يغير الحقيقة.

والحل الصحيح ليس في القانون كما قال القاسم، ولا في التأمينات التي طالب بها العطار، وإنما هو في فتوى الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله وهو إحالة القضايا كلها للشرع، وما يحكم به القضاة فعلى العين والرأس، واليوم تأخذ التأمينات نسبة من العامل ونسبة من صاحب العمل ويسمون ذلك "تأمينات اجتماعية"، وكثير من العمال ليس له تأمين، وكثير منهم لا يقبض شيئا، وربما سافر قبل ذلك، والعمال عادة لا يحسبون مبالغ التأمين من مرتباهم، بل يعدونها ضريبة لا بد منها، وأصحاب العمل يظلمونهم إلا من رحم الله، وربما لجأ بعض العمال إلى الغش في العمل أو إحراق الشركة أو المؤسسة التي يعمل فيها، ومنهم من ينتحر عياذا بالله، وكل ذلك من نتائج هذا القانون الوضعي، هذا مع أن الشيوعية اليوم لم تعد تخاف منها أي دولة.

والمعمول به هو تصنيف الموظفين بحسب الجنسية وإن كان العمل واحدا.

ويجب إعطاء العلماء الناصحين وليس المادحين صورة من كل قرار، والعمل بما يقولون أو يوجهون به من أحكام الشرع، ولا يجوز أن يعطى

"معهد الإدارة" صورة من ذلك بينما يُبعد العلماء ولا يُعمل بفتاواهم، ومرة كتبوا كتابا وزعته وزارة الإعلام وجاءوا بالشيخين الفاضلين ابن باز وابن حميد وصوروهما في الكتاب على أنهما رجلان فقيران أعميان يستقبلهم بعض المسؤولين تواضعا منه!!

وأذكر من كلمات الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله لما كان عندنا بمكة قوله: ابن باز مدير مدرسة (يعني الجامعة الإسلامية)، وأنا على عجائز الهند (يعني الإشراف الديني بالمسجد الحرام!!).

وكلامه واضح لا يحتاج إلى تفسير أو تعليق.

ومن الشائع بين الناس أن الشيخ لما رأى كثرة المنكرات استقال من مجلس القضاء!

والجنرال السيسي الغرقدي الذي أعطي من الرز مليارات لا يعلمها إلا الله، أمر بسحب أو إحراق كتب السلف، ولا سيما فتاوى ابن باز وابن عثيمين، وحجته أنها تحرض على الإرهاب!

وحاشا شيوخنا الأفاضل أن يحرضوا على محرَّم، وإنما فعل السيسي ذلك لكي يجفف منابع التدين الملحوظ في المجتمع المصري.

فهل أصبح السيسي وحسني مبارك أغلى عندنا من علمائنا؟ وأين الوطنية إن لم يكن الإسلام؟

وهل جاء ابن باز وابن عثيمين بعقيدة أو دين من عندهما؟

وإذا كان السيسي فعل ذلك بفتاوى الشيخين فهو بكل الفتاوى والكتب أنكى وأشد، لاسيما علماء الدعوة النجدية عامة، والشيخ محمد بن عبدالوهاب خاصة، إذ لا يعقل أن يحرق كتب الشيخين ويترك كتاب التوحيد! بل إن فعله هذا هو عين ما فعلته بعض الملحقيات السعودية نفسها، وهو أحد القضايا التي ناقشها "ترامب" في الرياض، ويقول (تيلرسون) إن القادة السعوديين وافقوا على ذلك، وأن تلغى العقيدة الوهابية كما قال من المناهج التعليمية! ويبدأ ذلك بإلغاء الجهاد وتحويل الأحكام الإسلامية إلى

مبادئ أخلاقية عامة.

والسيسي حين يقاتل قبائل سيناء إنما يقاتل في الحقيقة من يسمونه (الوهابية) الذين هم أقرب الناس لهذه البلاد عقيدة ولباسا، وإنما يفعل ذلك إنفاذا لقرارات "كامب ديفيد" التي تنص على أن سيناء منطقة عازلة بين مصر وإسرائيل، وخالية من السلاح الثقيل، غير أن حجر العثرة هم أهلها الذين يريدون إغلاق معبر طابة وفتح معبر رفح.

وهو يريد أن تنجح صفقة القرن ولو على حساب أهل سيناء وأهل فلسطين.

وليست الدعوة إلى الله إرهابا ولا فتنة، بل هذه أول مرة في التاريخ العقدي نسمع فيها عبارة "الخروج بالكلمة"، وهي عبارة إرجائية مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، والله تعالى أوجب علينا قول الحق وإنكار المنكر، وصريح كتاب الله أن موالاة الكفار ينكر، وهي من الفتنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣]، فمن الفتن الكبرى اتخاذ الكفار أولياء كأمريكا أو بريطانيا أو روسيا أو فرنسا، بل يجب جهادهم وإعلان العداوة لهم، وقد أفتى أهل العلم أنه لا يصح قول "صديقي" للكافر إلا مقيدا.

ومقتضى مذهب المرجئة أن مجرد النصيحة أو الإنكار خروج، والواجب عندهم الطاعة المطلقة، التي لا تكون إلا لله تعالى، ونحن اليوم نشاهد الموالاة للكفار ليس عند الحكام فقط بل عند المثقفين وبعض العامة، ولدى كثيرين إلا من حفظ الله منها، ولو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها لهؤلاء الحيارى المقلّدين.

وقول الفضيل بن عياض وتبعه الإمام أحمد حق، فقد قال: "لو كانت لي دعوةٌ مستجابة لجعلتها في السلطان". وليس الشأن في الدعوة المجابة فهذا مما لا يختلف فيه اثنان، ولكنه في معنى ذلك، وكان الفضيل بن عياض أيام هارون الرشيد، وحاشاه أن يدعو لأحد بغير الصلاح والاستقامة على الدين

والثبات على الحق، وقد كان يعلم ماذا يريد المأمون فعله إذا تولى، أما دعاء المرجئة بطول العمر، فلا يصح، وهؤلاء الذين يدعون بطول العمر أو يلقبون به من شاؤوا، يتناقضون ويضحكون الناس على عقولهم، إذ يدفنون الميت ويقولون: افعلوا بطويل العمر كذا أو كذا.

ولو أن الإمام أحمد أوتي ذلك، فما الظن أن يدعو به للمتوكل مثلا؟ فضلا عن المعتصم مع أن كلا الإمامين قال: (لو). فالدعوة بالصلاح خير من الدعوة بطول العمر والحفظ، وهذا ما يجب علينا وعلى كل مسلم.

ولما دعت أم حبيبة رضي الله عنها أن يمتعها الله بأبيها وأخيها، قال لها النبي ﷺ: (دَعَوتِ اللَّهَ لآجَال مَضرُوبَةٍ، وَلآمَادٍ مَبلُوغَةٍ، وَلأَرزَاق مقسومَةٍ لا يَتَقَدَّمُ مِنهَا شَيءُ قَبلَ أَجَلِهِ، وَلا يَتَأَخَّرُ منها شَيءٌ بَعدَ حِلِّهِ، وَلَو كُنتِ سَأَلتِ اللَّهِ أَن يُنجيَكِ مِن عَذَاب فِي النَّار، وعَذَاب فِي القَبر كَان خَيرًا أَو أَفضَل)، هذا مع أن الرشيد والمتوكل كانا قرشيين وكانا مجاهدين، وأثنى عليهما شيخ الإسلام ابن تيمية لأنهما كانا على السنة وألزما اليهود والنصارى بالغيار.

أما الفتنة فمن معانيها الشرك كما قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة:١٩٣]، وقال الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ﴾ [النور:٦٣] أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك.

ومن معانيها: الأذى الدنيوي، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت:١٠]، وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ [الحج:١١].

ومن معانيها: الابتلاء بالشر والخير، قال تعالى: ﴿وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗ﴾ [الأنبياء:٣٥].

ومن معاني الفتنة ترك الجهاد كما هي الحال الآن، ولما قال المنافقون: ﴿ٱئۡذَن لِّي وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ [التوبة:٤٩]، قال تعالى: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْ﴾ [التوبة:٤٩]،

فكيف نهرب مما يقال إنه فتنة لنقع في الفتنة نفسها؟

وليس المقصود حصر معاني الفتنة وإنما المقصود أن موالاة الكفار من أعظم الفتن، وأن منكرها ليس بخارجي، بل ذلك واجب عليه، ولا نعني بالكفار الكافر الأصلي كاليهود والنصارى فقط، بل كل من حكم بغير كتاب الله وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم، وكل من ارتكب ناقضا من نواقض الإسلام، وكذا من كان ليبراليا أو علمانيا، فهذه الأمور وأمثالها ردة، والردة أغلظ حكما من الكفر الأصلي.

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله: "فأما معاداة الكفار والمشركين، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى أوجب ذلك، وأكد إيجابه وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده" اهـــ.

ومعاداتهم وبغضهم هي في الحقيقة من وجوب التوحيد وتحريم ضده، كما بيّن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في تعريفه للتوحيد، فقال ضمن تعريف التوحيد: ".. والبراءة من الشرك ومعاداة أهله".

وليس الأمر عند السلف الصالح دائرا بين الخروج على الإمام بالسيف كما تقول الخوارج والمعتزلة، وبين الطاعة المطلقة له كما تقول المرجئة، فليست الأمور إما ١٠٠ وإما صفرا، إما أبيض وإما أسود، بل بين ذينك درجات وقد جعل الله لكل شيئا قدرا، وأكثر الخلق من أهل المنطقة الرمادية.

ومن أهم تلك الدرجات تقليل المنكر ما أمكن، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إن الله تعالى بعث الرسل لجلب المصالح أو تكميلها ودرء المفاسد أو تقليلها".

فإذا حُصِر المنكر في أناس معدودين فهو تقليل له، وبهذا نصحت بعض من كان يعمل في الهيئة يوم كانت تقبض على أهل المنكرات، وكان هؤلاء يتعمدون القناصل وعلية القوم.

وعلى ذلك دلت السنة القولية في كل شيء حتى في الأمور التي نراها

قليلة الأهمية مثل ترك أكل الثوم والبصل، فقد أمر ﷺ ألا نأكلهما وإن كان لا بد من أكلهما فلنمتهما طبخا كما روى الإمام أحمد والنسائي وأبو داود.

وإن لم نستطع إلغاء المنكر أو تقليله فلننكره بقلوبنا ونعتزل أهله.

ومن التوسط في الأمور السياسية: الوقوف على الحياد واعتزال الخارج والمخروج عليه كليهما، وقد ورد الاعتزال في السنة كما تقدم وعمل به السلف الصالح، وقال الإمام مالك رحمه الله: "إن خرجوا على مثل عمر بن عبدالعزيز فقاتل معه، وإلا فدعهما ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما".

ولذلك نوصي الإخوة الذين لا يستطيعون إنكار ما يفعله السيسي أو حفتر أن يعتزلوا الطرفين.

وكل السلف الصالح تجنبوا سلاطين عصرهم إلا ما قلّ، وحتى من عمل منهم للسلاطين أو دخل عليهم لم يعنهم على ظلمهم أو يصدقهم بكذبهم أو يمدحهم في وجوههم، ولم يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولم يدعهم يتخوضون في مال الله كما يشاءون ويولون من يشاءون، وبعض السلف دخلوا على السلاطين فوعظوهم وذكّروهم دون أن يأخذوا شيئا منهم، وأتسوا برسل الله الكرام الذين قالوا لأقوامهم ﴿يَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [هود:٥١]، ومن قَبِل الأجر على الوعظ والنصيحة كان المعطي له أول من يعيبه ويسقط من عينه.

ومراعاة المصالح والمفاسد ومآلات الأمور معتبر شرعا، وبه قال علماؤنا المعاصرون فوق ما قاله الأئمة المتقدمون حتى لو أدى ذلك إلى محظور.

وقد أجاز الشيخ محمد بن صالح العثيمين الإضراب عن الطعام للأسير ما لم يؤد ذلك إلى الموت، إذا كان ذلك هو السبيل لإطلاق سراحه.

وأجاز الشيخ محمد بن إبراهيم للمجاهد الجزائري أن يقتل نفسه إذا خشي أن يفضي تحت التعذيب ببعض أسرار المجاهدين.

القضاء والقضاة

مما له علاقة قوية بالفكر السياسي الإسلامي موضوع القضاء، والقضاء في الإسلام مستقل لا يجوز لرئيس الدولة أو غيره أن يتدخل فيه لا بالعفو ولا بالزيادة، وقد رأى الغرب أن أفضل وسيلة لاستقلال القضاء هي الفصل بين السلطات، وهي فكرة جيدة نظرياً، ولكنها غير ممكنة عمليا، ومن التقديم بين يدي الله ورسوله أن يقدّم القاضي الأوامر من وزارة العدل وغيرها على ما أمر الله به ورسوله بذريعة أن ولي الأمر أمر بكذا، ومن الواجب عليه إذا رأى ذلك أن يكتب إلى الوزارة أو الديوان أو أي جهة.

وقد مر القضاء السعودي بمراحل من الاضطراب والتذبذب والفوضى وتعدد المحاكم، ولو أن القائمين عليه أرجعوا كل شيء للشريعة الغراء، وجعلوا القاضي مستقلا حقا لسلم من ذلك، والقضاء من أهم ما يجب إصلاحه، وسيأتي لمبحث القضاء والتشريع إفاضة في النصيحة الثالثة بإذن الله.

والقاضي يجتهد في معرفة القول الراجح من أي مذهب أو كتاب، وهو غير ملزَم بكتاب لا "المغني" ولا "منتهى الإرادات" ولا "المحلّى" ولا "رد المحتار" ولا "المنهاج" ولا "المدونة"، ولا بمذهب أيا كان المذهب، وقد كان في المدينة وحدها سبعة فقهاء ولو كان واحدٌ منهم مقلِّدا، لنقصوا وكانوا ستة فقط.

وقد قال الطحاوي: "وهل المقلد إلا غبي!".

ولا يتقيد القاضي بفتوى أحد أو قوله إلا بالدليل الشرعي وحده، ومن العلمنة ألا يحكم القضاة في القضايا الخارجية بذريعة أنها مسائل سياسية أو سيادية ليست من اختصاص أهل العلم، وكذا لا يحكم القضاة بما يسمى "تقنين الشريعة"، أو "بالأنظمة"، أو "المدوّنات" المخالفة للشرع، أو نحو ذلك، وإن لم يستقل القضاء كان القضاء الإسرائيلي خيراً منه، إذ هو قضاء مستقل حكم على رئيس الدولة وعلى رئيس الوزراء "يهودا أولمرت"،

ويستطيع الحكم على "نتنياهو"، وإذا جاء القاضي أمرٌ من أي جهة بخلاف ما يعتقد وجب عليه الكتابة للجهة الآمرة وإعلامها بالصواب.

وليس القضاء تابعا للسلطة التنفيذية ولا للديوان ولا لأحد.

وقد ظل شريح قاضيا في زمن تغير فيه كثير من الخلفاء، وفي هذا وحده دليل على استقلال القضاء وعدم خضوعه للسلطة الحاكمة.

وبعض القضاة اليوم يجعلون أكبر همهم ألا تُنقض أحكامهم، لأن القانونيين جعلوا التقاضي درجات إدارية، ومن حق محكمة الاستئناف أو محكمة النقض أو المحكمة الأعلى أو "التمييز" أن تنقض أحكام المحاكم الابتدائية، كما أن من حق المحكمة العليا أن تنقض أي حكم تصدره أي محكمة دونها، وهذا مخالف للقاعدة الأصولية "الاجتهاد لا ينقض باجتهاد مثله"، أما إذا كان الحكم مبنيا على الدليل النصي فلا يحل لأحد نقضه لمجرد كون بعض المحاكم أعلى إداريا، فالقاضي الذي سمع من الطرفين واجتهد ثم حكم أعلم من غيره، والحكم إنما يكتسب قطعيته بكونه موافقا للدليل، وليس بكون المحكمة أعلى إداريا، بل إذا قال عالم خارج السلك القضائي ما هو أرجح وجب العمل بقوله.

وإنما حدث ما يسمونه "قضاء المظالم" في العصر العباسي، لما ضعف بعض القضاة أو عجزوا، فقام هذا القضاء بتنفيذ أحكام القضاة أو إحضار الخصوم إليهم.

وهذا بعيد عما يسمى اليوم ديوان المظالم الذي حار الباحثون فيه أهو محكمة إدارية أم مثل مجلس الدولة أم ماذا؟

وديوان المظالم اليوم يحكم بمقتضى الأوامر والتعليمات.

أما أن تكون الأحكام القضائية تابعة لآراء الصحفيين وأهواء الناس، فهذا فوق مخالفته لاستقلال القضاء مخالف للشرع، ومن ذلك أنك قد تفاجأ وأنت في الشارع أو السوق بمن يستوقفك ويسألك ما رأيك في ولاية الرجل على المرأة؟

ومما يجب أن يكون تابعا للقضاء التحقيق والسَّجن والشرطة والحقوق وما أشبه ذلك، ولا يصح فصل الدوائر التجارية في ديوان المظالم وضمها للمحاكم أو الدوائر التجارية، بل يجب خضوع كل المحاكم والدوائر للشريعة، ثم إن هؤلاء المقلدين جعلوا وزير العدل الذي يخضع بطبيعة الحال لمجلس الوزراء رئيسا لمجلس القضاء الأعلى، وقالوا إن القضاء مستقل! وسموا العقوبات والحدود الشرعية "جزاءات".

ولا مشاحة في الاصطلاح، ولكن أيضا لا يصح إغفال المصطلحات الفقهية لا سيما والله تعالى ذكر الحدود مرارا، كما أن لكل مصطلح آثاره النفسية والفكرية.

والشريعة التي شرع الله هي السابقة في تحقيق العدل، والأوفى لكل ما يحتاجه الناس وما يستجد في حياتهم، ولكن بعض الناس يجهلون ذلك.

وحكم أي جهة شرعية هي كحكم غيرها، ومن اعترف أمام رجال الحسبة أو أمام كتاب العدل أو أمام الشرطة أو المحققين فهو كمن يعترف في المحاكم، إذ هؤلاء مسلمون والأصل فيهم أن يكونوا صادقين أمناء، والفصل بين هذه الأجهزة والقضاء قانوني مبتدع، ويجب أن تكون كل الأجهزة الأمنية تابعة للقضاة لا سيما النيابة العامة وهيئة التحقيق والادعاء العام بأي اسم سميت، وإنما يجب التشديد على منع انتزاع الاعترافات تحت التعذيب بل منع التعذيب مطلقاً.

وأنا أعرف بعض من عُذبوا ومنهم جعفر الحايك الذي مات تحت التعذيب، وممن عذبوه الشليل والحكمي والقحطاني، وغيرهم ممن أخاف عليه ولا أسميه، كما رأيت بعض أدوات التعذيب ومنها الدينامو، كما رأيت آثار التعذيب في سجن "الحائر"، وبعض الناس اعترف تحت التعذيب وأقيم عليه حد القصاص، وبعد موته جاء القاتل الحقيقي وسلم نفسه واعترف بتفاصيل القتل!

ومن العجب أن يحكم القضاة ببراءة شخص بينما يكون قد أمضى الشهور بل السنين وهو يُحقق معه أو يعذَّب!

كما إني أعجب لمن يحكم الأمريكان بإطلاقه من "غوانتانامو" ثم يسجن هنا، وبعض الدول القريبة تطلقه فورا، ولا يعترض الأمريكان على ذلك، وإن اعترضوا فلا قبول لاعتراضهم.

ولأهمية القضاء ولرجوع المسلمين إلى دينهم، نجد كثيرا من الدول اليوم توفد طلابا لدراسة القضاء هنا، أو ترسل موفدين إلى المحاكم الشرعية، ويجب أن يقال لهم ويُعلَّموا أن الإسلام لا يختص بالأحوال الشخصية وحدها بل هو تشريع كامل شامل.

وبلغ من استقلال القضاء عند بعض الدول الغربية أنها لا تعطي القاضي راتبا محددا، بل تجيز له أن يأخذ من المال العام ما يشاء، وذلك في نظرهم خشية الرشوة، وهذا ليس الأصل في قضاة المسلمين.

وفي الغرب يحكم القاضي على رئيس الدولة نفسه فضلا عن الوزراء، فليس لديهم هيئة خاصة لمحاكمة الوزراء ولا إعفاء من المحاكمة لرئيس الدولة.

ومن استقلال القضاء عندهم أن محكمة أمريكية في "سياتل" حكمت ضد أوامر ولي أمرها ترامب.

ومن الأحكام الجائرة التي نراها اليوم أنهم يوقفون لاعب الكرة إذا ارتكب مخالفة مباريات أو موسما أو شهورا أو أسابيع، وقد يوقفون الجريدة إذا خرجت على كل دين بضعة أيام فقط، مثل الجريدة التي نشرت لأحدهم قصيدة عن الحجاب قال فيها: (مزقيه مزقيه ذلك البرقع، واسألي يا بنت رب العالمين واسألي من أنزل الآيات والسور)، فأغضب قوله أهل الدين كافة والمجتمع عامة فأوقفوها ثلاثة أيام، أما المراكز الصيفية والمخيمات الدعوية والواعظ الذي لا يأخذ أجرا من أحد وكل الدعاة، فهم يوقفون مدى الحياة فهل هذا عدل وحكم بما أنزل الله؟ وقد نص شيخ الإسلام على أن المنع العام حكم بغير ما أنزل الله! كما أن القضاء الإداري اليهودي يحكم على الفلسطيني بالسجن أشهرا، أما هنا فإن بعض الضباط يحكمون بالتمديد عشر

سنوات، ويقولون هذا حكم ولي الأمر، ومن حق السجين أو ذويه أن يلتمس منهم العفو! ويجعلون القاضي بين حدين: حد أعلى وحد أدنى للعقوبة.

وقد أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بأن وضْعَ حدٍّ أعلى للعقوبة وحدٍّ أدنى لها غير شرعي، وصدق في ذلك، وهذا من القوانين الوضعية، وكل القضاة يعلمون أن بعض الجرائم يكتفى فيها بالتوبيخ، وبعضها قد يطول سجن فاعله، كما أن وضع مبلغ مالي يدفعه الجاني غير منضبط، فالعملة تختلف من عصر إلى عصر، وسعرها يرتفع وينخفض، وكثير من المجرمين يود أن يدفع مبلغا ويسرق أضعافه، وهذا ما تتيحه لهم القوانين الوضعية اليوم! فكيف يوضع حد أعلى وحد أدنى؟

ولما رأوا فساد ذلك لم يرجعوا إلى الحق بل حذفوا الحد الأدنى للعقوبة في بعض القضايا، مع أن تقدير القاضي هو المعتبر.

ويعلم القضاة جميعا أن شريعة بني إسرائيل هي قطع الضعيف وترك الشريف، فلا يجوز الحكم على الجاني إن كان عاملا، وتركه إن كان تاجرا أو من أبناء الذوات، ورسول الله ﷺ يقول: (لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)!!

ولا يجوز إسناد الأمر إلى الخصم نفسه، ولو كان الخصم رئيسا أو وزارة أو إدارة، ومن الخطأ البين قول بعض القضاة: "ولوزارة كذا أو لديوان كذا أن تزيد في الحكم"، وإن كان لدى الوزارة أو الديوان معلومات تقتضي الزيادة في الحكم فيجب إحالتها للقاضي وربما كانت كاذبة لا تثبت لديه.

والقضاة يعلمون -وفقهم الله وأعانهم- أن الحكم يجب أن يكون بالعدل وبعد سماع الطرفين كليهما، لا ما يقوله الإعلام وحده، فكم كذب الإعلام وافترى، وما أكثر ما رأيت وسمعت من أكاذيبه، وكم خبر نُشر وأعلنت الجهات المختصة أنه لا أساس له من الصحة؟ وأن ما تناقلته وسائل الإعلام عار عن الحقيقة.

وليس كل من يبكي مظلوما، والشعبي رحمه الله لما بكت عنده امرأة،

وقال بعض جلسائه إنها مظلومة قال: "إن إخوة يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون"!!

ويجب خضوع كل المسلمين لحكم الله وخضوع كل المحاكم لما يحكم به القضاة الشرعيون، ولا يجوز جعل أي محكمة مجموعة من الضباط يحكمون بالنظام، بل يجب إحالة النظام نفسه إلى المحكمة الشرعية، ومن الأنظمة التي يجب أخذ رأي جملة من القضاة فيها نظام (الإرهاب).

ولا يجوز استثناء شيء من نظر القضاة، ولا ما يسمونه تنازع القوانين مهما كانت المسألة: إعلامية أو بنكية أو سياسية، ومن القضايا التي لا ينظر فيها القضاة الشرعيون غير ما يسمى قضايا السيادة القضايا العمالية وقضايا البنوك، وعموم القضايا التجارية، وبعض الأنظمة ينص واضعوها على جهة التقاضي، وتعمم الداخلية بذلك على الأمارات منبهة أنه لا تجوز الإحالة إلى جهة أخرى!

والقضاة الشرعيون إذا حكموا بين فردين أو بين زوجين لا يعجزون عن الحكم بين بنكين أو شركتين أو دولتين أو تاجرين أو عامل وصاحب العمل، وهم غير عاجزين عن الحكم في كل قضية، فلا يصح حصر القضاء الشرعي في الأحوال الشخصية، لا سيما وأن الدائرة التجارية تحكم في أي قضية تجارية بمقتضى الأنظمة أو الأوامر.

وإذا حكم القضاة في الحوالة والسفتجة فلا يعجزون عن الحكم في الكمبيالة والسند، فيجب إحالة كل قضية إليهم.

والقضاء البريطاني يجيز محاكمة أي إنسان وإن كان في بلد بعيد، فما حكم ذلك في القضاء الشرعي؟

وأنا لا أصدق أبدا أن من يهمه الأمر يعجز عن معاقبة الليبراليين ومنعهم، ومن قديم سمعنا أننا سوف نعاقبهم ولكن لم نر شيئا من ذلك، كما لا أصدق أنه لو قيل للعلمانيين والليبراليين في الإعلام عامة كفوا عن قول كذا، سوف يخالفون ذلك ويستمرون فيه، كيف والمسؤولون بجرة قلم

حرروا العبيد حتى من كان رقه شرعيا.

كما لا أصدق أن القضاة يعجزون عن الحكم في كل قضية.

ولا أصدق أن في هذه البلاد قنوات مستقلة عن الحكومة، فهذا لا يصدقه أي عاقل أصلا، فالإعلاميون يختلفون في الوسائل، لكن الغايات واحدة والخطوط الحمراء واحدة للجميع، وهناك قوانين غير مكتوبة ولكنها معروفة للجميع.

وإذا اشتكى القضاة كثرة القضايا -وهذا هو الواقع- عُيّن معهم قضاة جدد كي يعينوهم.

ومِن تقدم القضاء الشرعي وتأخر القضاء القانوني أن المدة في الأخير تطول دون حكم، وهذا ليس في أمريكا وحدها حيث تزيد القضية عن ثلاثين أو أربعين سنة دون حل مثل قضية مقتل الرئيس "جون "كيندي"، بل في كل الدول القانونية كمصر مثلا وكذا في لبنان حيث حكموا على قاتل الجميّل بالقتل بعد ٤٠ عاماً.

والقضية التي يحكم فيه القضاة ويكتبونها في بضع صفحات قد تستغرق الآلاف من الصفحات لو كانت قانونية.

والقضاء متنوع، فكل دولة بل كل ولاية أحيانا تحكم حسب أعرافها وتقاليد مجتمعها:

فالإنجليز يحكمون بما يسمونه قضاء السوابق، أما الفرنسيون فيحكمون بالقانون المكتوب، والولايات الأمريكية تختلف في ذلك وربما أخذ بعضها بعقوبة كالإعدام وتركها غيرها، فليس للولايات المتحدة قانون أمريكي موحد، وإنما تختص الحكومة الاتحادية بالخارجية والدفاع ونحو ذلك.

ولدى الغربيين ما يسمى نظام المحلَّفين، وشهود النفي وشهود الإثبات، وهم في ذلك كله يحاولون العدل، بزعمهم وإنما العدل في شريعتنا المطهرة لا غير.

كما أن قدماءهم كانوا يحكمون بأن المتهم بريء أو مجرم بمقتضى نجاته أو هلاكه، إما في مبارزة وإما بإلقائه في الماء، وبقي من آثار ذلك التحاكم

إلى الاحتراق المسمى في بعض المناطق البَشْعة.

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية أن كل أمة تدعي العدل وتراه، كما صحح العبارة القائلة "إن الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة".

وقال الشيخ رحمه الله: "جماع كل خير العدل، وجماع كل شر الظلم".

وترك العدل منذر بالوقوع في الشرك وليس مجرد الظلم.

والشرك بالله هو أعظم الظلم، وظلم العباد من الديوان الذي لا يغفره الله، بل لا بد أن ترد إليهم مظالمهم، ومن الواجب تعويض كل من تزيد مدة بقائه على الحكم الشرعي.

ومن الغزو التشريعي أن نقلدهم حتى في تسمية المحاكم أو ننقل عنهم القوانين، ومن التقليد كما رأيت: أن كل ما عملته اللجنة المختصة بقانون المرافعات أنها وضعت اسم "المملكة" بدلاً من "الجمهورية" و"الريال" بدلا من "الجنيه"!! ولست أدري كم ظلوا ساكنين في الفندق بالقاهرة وكم كان انتداب اللجنة!

أما منع القضاة من النظر في دعاوى قرابتهم فليس له أصل من الدين، وهو دليل على فقد الثقة فيهم، وإذا ثبت أنهم غير جديرين بالثقة فلا يولون القضاء أصلا، وإن كانوا جديرين بها فيحكمون في كل قضية، ولو كانت لقريب أو لكائن من كان، هكذا كان المسلمون وعليه درجوا، وفرقٌ بين أن يجيز النظام له الامتناع عن النظر في القضية وبين أن يوجب عليه عدم النظر فيها!

ومن المؤلم أن يكون بعض الناس أعلى من رسول الله ﷺ عند بعض القضاة -أصلحهم الله- وهم لا يشعرون.

وقد حكم أحد القضاة -أصلحه الله- على شيخ فاضل اتهموه بقذف زوجة أحد المسؤولين بأن يُجلد الشيخ أربعة آلاف جلدة، وعندما قال الشيخ للقاضي ولماذا الزيادة على ثمانين جلدة؟ قال فضيلته دون أن يُحضر تلك المرأة فربما اعترفت: عِرْض ولي الأمر ليس كغيره. فقال الشيخ: النبي ﷺ هو أعظم

من كل ولي أمر وفي عرضه المطهَّر نزلت الآيات.. الخ ما لا أحفظه. ولكن القاضي أصر على حكمه مع أن ذلك الزوج لم يكن إلا وزيرا فقط.

ويريد الغربيون منا أن نخضع لغزوهم التشريعي مع أنهم هم المحتاجون إلينا، وقد ذهل الدكتور "جراي" الأمريكي لسرعة قضائنا وبساطته كما قال.

ولما كُلفت شركة غربية بقضية "الترايستار" المعروفة حكمت بعد مدة طويلة وآلاف الصفحات، ولا أدري كم قبضت مقابل ذلك على الطيار عبدالعزيز الخويطر رحمه الله، وهو الذي أنزل الطائرة إلى المطار بعيدا عن الأبنية والطائرات! وماذا يفعل الطيار بعد ذلك؟ ولم تحكم على الشركة الصانعة "لوكهيد" التي جعلت أبواب الطائرة عسيرة الفتح، أو على الخطوط التي وظفت النساء الخادمات ولم توظف رجالا أشداء كما هو نص القانون الدولي للطيران؛ بل غلّبت الخطوط جانب الفتنة على جانب القوة!

ولو أن القضية أحيلت لمحكمة شرعية لحكم فيها القضاة بالعدل مجاناً، ولكن القضايا تحال لقضاة الشرع إذا كانت تتعلق بما هو قديم، ولا تحال إذا كانت تتعلق بطائرة أو أي شيء حديث! أي أن القضاء الشرعي هو لما هو قديم أما ما كان حديثا فقضاياه للكفار المتحضرين! ومع ذلك يقال: القضاء مستقل!

ولما حكمت المحكمة هنا بجلد مواطن بريطاني ثبت عليه صنع الخمر في بيته، قطعت بريطانيا العلاقات، وقالت إن هذا الحكم يدل على التأخر، وينافي الحرية الفردية، فهل اعترض أحد عندنا على القضاء البريطاني؟ أما العفو عن "كريستوفر" والممرضة "ديبورا" فلا يجوز شرعاً، وليس من صلاحية غير القاضي أصلا، وكثيرا ما يعفو أحد عن متهم، فيدع الخزي في وجه القاضي ويذهب العافي بالجميل.

وظنُّ بعض الناس هنا أن الحكومة لا تتدخل في القضاء خطأ، كما أن قول بعض المشائخ للقضاة: نحن أحسن من غيرنا ليس على إطلاقه لأسباب:

١- أن غيرنا أحسن منا ولكننا نجهل ذلك -أو يجهله بعضنا- فهناك دول أو ولايات تقيم الشريعة الإسلامية طواعية، كما أن بعض الدول مثل تركيا تقول لأمريكا "لا" وتخالفها في سياستها وأهدافها، وهناك دول لا يولي حكامها أقرباءهم أو من شاؤوا، ولا يتخوضون في مال الله كما يشاؤون، والعلماء يقولون كلمة الحق في كل شيء!! فهم خير منا.

٢- أن الله تعالى قال في كتابه عن قوم نوح: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ﴾ [النجم:٥٢]، ففي إمكان أي أمة جاءت بعدهم أن تقول نحن أقل ظلما وطغيانا من قوم نوح فكيف نعاقَب؟ وهذا القول لا يقبل من عاد وثمود وأصحاب مدين والمؤتفكات.

وقد قال لي عقيد في المباحث: لو رأيت المشركين في الهند كما رأيتُهم، لعلمت أنهم هم أهل النار وليس نحن!!

نعوذ بالله من الخذلان والاستهانة بالمعصية.

٣- أننا ندعو أنفسنا وكل الناس وخاصة العلماء والقضاة إلى الدرجات العلى من الجنة، وإلى محاسن الأخلاق، ولا يكفي مجرد دخول الجنة إن دخلها داخل، أو أن بعض أخلاقنا خير من غيرنا، مع أن الفضل في ذلك لله أولا ثم لعاداتنا الطيبة، وللوحدة الفكرية التي نشأت عن عقيدة واحدة جددها علماؤنا، ويريد بعضهم اليوم الانسلاخ منها.

٤- أن العالم يتغير من حولنا ولا يبقى على حالة واحدة، والواجب هو رد كل قضية إلى الشريعة الغراء وحدها، ومن رد كل شيء للشرع وتغيَّر إلى الأفضل فهو خير منا، وهذا هو الواجب علينا فعله وليس التدهور الحالي، حيث كلما انتقض من الإسلام عروة تشبثنا بما بقي.

ومما أعرفه أن بعض القضايا حكم فيها قضاة لا يطعن أحد في عدالتهم ونزاهتهم وصحة أحكامهم، فلم يُعجب حكمُهم أهلَ الشأن، بل أتوا بقضاة موالين من مناطق بعيدة، وحكموا في نفس القضايا بمدد طويلة ترضي أهل الشأن، وأنا أعرف هذه القضايا وأعرف بعض القضاة ولكني لا أسمي.

ومن المنكرات العظيمة الدالة على العلمنة والغزو التشريعي إشراك القانونيين في أي قضية، وقد أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بأن ذلك لا يجوز مطلقا، فكيف إذا تمحض القضاء للقانونيين؟ وصار القضاة كلهم من أهل الكفر، وقد لاحظ الدكتور الداعية العراقي "عبد الكريم زيدان" رحمه الله، أن نظام الغرف التجارية يجيز للكافر أن يكون قاضيا وملاحظته صحيحة، غير أن الواقع أشد من ذلك، فنظام "التعدين" يجعل الحكم في قضايا التعدين لثلاثة من الخبراء العالميين كما يسميهم، ويعلم إخواننا القضاة أن قضايا التعدين -مثل قضايا الطيران- لا تُعرض عليهم، فهي في نظر المنافقين قضايا حديثة، والقضاة إنما ينظرون عندهم في القضايا القديمة أو في بعض القضايا دون بعض، ولذلك الوهم أنشأوا كليات للحقوق وأقساما للقوانين، وكأن الله إنما أنزل الشريعة للأولين ولغير المتحضرين كما يقال؟ وكأن القرآن ينسخه الفكر البشري.

وبذلك خالفنا أمر الله والقضاء العالمي معاً.

ومن العجائب أنني سمعت وزيرا سابقا للعدل، يسمي وزير الداخلية في حينه "ولي أمرنا"، والعادة المتبعة في العالَم أن وزارة العدل هي الأعلى من كل الوزارات، ويزداد المرء عجبا حينما يعلم أن القائل من أسرة كريمة ينبغي أن تحكم على الرؤساء والقادة!

ومما يدل على أن القضاء تابع للسياسة، أن القانونيين برأوا حسني مبارك، بينما حكموا حسب هوى السيسي على الرئيس "مرسي" بالإعدام، لتخابره مع قطر وحماس وأمثال ذلك، فماذا يريدون من رئيس الدولة أن يفعل إن لم يتخابر مع الموافق والمخالف؟ وأي رئيس أصلح بين فتح وحماس وهل كان ذلك بدون تخابر!

وسمعت كما سمع غيري تأويل من اقتحموا المسجد الحرام وروعوا أهله، وهذا أذاعته الإذاعة الرسمية هنا، غير أن من لا أعرفه يقينا حكموا عليهم بأنهم محاربون أي (حنشل) واستباح دماءهم بذلك لأن الدولة تريد

قتلهم. وأنا أطلب ممن حكم بذلك إن كان حيا، أن يتوب ويستغفر ويتحلل من أقرباء المقتولين، فالنبي ﷺ وهو الذي لم يظلم أحدا قط، طلب من الصحابة الكرام تحليله والقصاص منه كما هو معلوم.

ولا يصح استثناء أي شيء من نظر القضاة الشرعيين، وما في نظام القضاء السابق من أن القضاة ينظرون في كل قضية إلا ما استثني بنظام باطل فالمستثنى أكبر من المستثنى منه، فالمحاكم والهيئات واللجان أو الدوائر أو أي اسم كان، التي تنظر في القضايا هي أكثر من المحاكم الشرعية، بل يقارب عددها أربعين أو يزيد كما سنذكر إن شاء الله، ومجالاتها واسعة، والواجب هو إلغاؤها كلها وأن تنظر المحاكم في كل قضية، وأن تحال كلها للشرع المطهر، وأن تكون المحاكم أو الدوائر شرعية، كما أنها أوسع اختصاصا من المحاكم الشرعية، ولا يصح ما يسمونه "تنازع القوانين" وهذا التنازع الذي نص عليه نظام القضاء المتقدم ذكره، هو اعتراف بأن القانون ينازع الشرع، وكان النظام القديم ينص على ذلك صراحة ثم ألمحوا إلى ذلك في المادة (٢٨، ٢٩) من النظام الجديد، ولا تجد قانونا أصدروه إلا وهو ينص على جهة التحاكم عند الاختلاف، كما يجب على القضاة التفريق بين ما فرق الله ورسوله بينهما، والتمييز مثلا بين دية المسلم ودية الكتابي أو المجوسي بمقتضى الشرع الحنيف، وليس بمقتضى السياسة المعمول بها، أو القول بأن هذه قضية سيادية لا شأن للقضاة بها!!

وكل من اتخذ قانونا غير شرع الله فقد جعل ذلك القانون قرآنا له عياذا بالله، ولذلك وصف الشيخ سليمان بن سحمان الخثعمي رحمه الله دستور جمعية الاتحاد والترقي الذي أرغموا السلطان عبدالحميد على إصداره بأنه قرآن الجمعية.

ولما سيطرت هذه الجمعية "الدونمة" على الدولة العثمانية أسقطتها ودمرتها، وهذه سنّة الله في كل أمة تنحرف عن شرعه وهداه، وتتبع أهواء الذين لا يعلمون، وتطيع أمر المفسدين.

وقد بدأت الدولة العثمانية بالانهيار لما أخذت "التنظيمات" كما سميت، وذلك في أيام السلطان عبد العزيز، ولما درب جيشها أو أشرف عليه بعض الكفار من السويد وغيرها ولما أنشأت معهد الإدارة العامة في اسطنبول، ولما أعطت الامتيازات للنصارى وجعلت الأجانب يتحاكمون إلى قناصلهم، فاعتبروا يا أولي الأبصار! وفعلوا ذلك الكفر إضافة إلى البدع التي كانت في مجتمعهم.

ومن هذا الغزو الخبيث تدريس القانون أو إنشاء إدارات قانونية لا ترجع للشرع، أو كليات للحقوق، ومنه ما يسمى "علم الأنظمة"، ذلك العلم الذي لا وجود له في تاريخنا كله، وربما أنشأوا "كلية الشريعة والقانون" فركِبوا سنن الدول المستعمرة، أفلا تكفي الشريعة عما عداها؟

وتحكيم القانون الوضعي مع الشريعة أو بدونها هو افتراء على الله ومنازعة في ألوهيته، يفسره قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]، وقوله: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [يوسف:٧٦]، وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

وهم عمليا يقدّمون القاعدة القانونية على القاعدة الشرعية، ويأخذون رأي القانونيين في كل قضية!

والقضاة أو العلماء وحدهم يجتهدون في وضع الأنظمة الإدارية، وما تحتاجه الإدارات أو الوزارات من أنظمة، ولا يكفي مجرد تصديقهم على الأنظمة، بل يحق لهم الاعتراض على ما يرونه من خطأ ومراجعة كل قرار ليوافق الشرع.

ومن البدهيات المعلومة لكل مسلم فضلا عن إخواننا القضاة -وفقهم الله- أن طاعة أي أحد مشروطة باتباع الشرع الذي هو الحق والعدل، ويعلمون أن الله تعالى لما قال: ﴿مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٦]،

إنما يريد شرع الملك، فالدين هو الشرع والشرع هو الدين!!

وأنه لما قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، معناه أحلوا لهم وحرموا عليهم كما في حديث عياض بن حمار وغيره، وقال النبي ﷺ لعدي بن حاتم: (أَلَيسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونُهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَستَحِلُّونَهُ؟ قُلتُ: بَلَى، قَالَ: فَتِلكَ عِبَادَتُهُم)، فسمى الله ورسوله طاعتهم شركا وسمى ذلك اتخاذهم أربابا، وقد نهى الله عن طاعة الأحبار والرهبان فيما أحل هو أو حرم، فكيف بطاعة أي كان بذريعة أنهم ولاة أمر؟

والرسول ﷺ نفسه يقول (إني لا أحل حراما ولا أحرم حلالا) وقد قال سبحانه عن أهل الكتاب: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]، فاحذروا أيها القضاة وفقكم الله من شرك الطاعة وإن قلّ، فالمنافقون قالوا للكفار كما ذكر الله تعالى عنهم: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [محمد:٢٦] ولم يقل المنافقون قديما أو حديثا سنطيعكم في كل شيء، والعرب في الجاهلية لم يخالفوا الشريعة في كل شيء لكنهم حرموا بعض الأنعام، وشرعوا النسيء الذي هو زيادة في الكفر، وقد كان عدي بن حاتم يظن أن العبادة محصورة في السجود، وبعض الناس اليوم يظنها كذلك، وربما أضاف إليها الدعاء، ولهذا قال عدي للنبي ﷺ: (ما عبدناهم)، وجاء في بعض روايات الحديث (أما إنهم لم يكونوا يسجدون لهم)، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١] أي الشياطين وأولياءهم الذين يجادلون المؤمنين.

وحديث عدي هذا حديث طويل حسّنه شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره من أئمة الحديث.

واعلموا أن هذه الدنيا زائلة فانية هي وأهلها كلهم، وقد قال الإمام

أحمد رحمه الله: "إنما هو طعام دون طعام، ومركب دون مركب، وصبر أيام قلائل"، ولما قال بعض العلماء الذين أجابوا في الفتنة مكرَهين: ذكِّروا أحمد بحديث بلال، قال لهم الإمام أحمد: "بلال ضُرب وأنتم قيل سنضربكم"، فانظر إلى هذا الفقه الدقيق منه رحمه الله.

ورفض رحمه الله أن يتولى قضاء اليمن، ورضي أن يؤجر نفسه لكي يسمع من عبدالرزاق الصنعاني! مع أنه كان في غاية الفقر، وكان يؤجر نفسه ليحصل على قوته لما سرقه اللصوص بمكة.

وهل نظن أن الإمام أحمد لو عاش في زماننا هذا، يرضى عن اليهود والأمريكان وسائر الكفرة؟

وتعلمون وفقكم الله أن السحرة الذين قالوا لفرعون: ﴿أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الشعراء:٤١]، هم الذين قالوا له بعد وقت قصير ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ﴾ [طه:٧٢]، فكل النفوس ذوات الفطر السليمة تعرف الحق وتحب العدل، وإنما يجحده المكابرون كما كان فرعون وملؤه.

وأوصي نفسي وإخواني القضاة بالتواضع والعيش عيشة الزاهدين ما استطعنا، فهذا سيد ولد آدم رسول الله ﷺ يمضي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار، وقال عن نفسه ﷺ: (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد..) الحديث، ولما فَرِق منه رجل قال له: (هَوِّن عَلَيكَ، فَإِنِّي لَستُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابنُ امرَأَةٍ مِن قُرَيشٍ، كَانَت تَأكُلُ القَدِيدَ).

ويدخل عليه الداخل الجديد فلا يعرفه بل يقول أيكم محمد؟

ويقضي حاجة المرأة أو الجارية في أي سكة شاءت.

ومات صلوات الله عليه ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام، ولم يأخذ من بيت المال شيئا، أو يطلب المال من أصحابه الكرام، الذين يفتدونه بأرواحهم، بل يفرحون لو طلبهم شيئا.

وكان ﷺ يربط على بطنه الحجر من الجوع، وكانت تمر عليه الليالي المتتابعات طاويا، ولما بكى عمر وتذكر ما فيه كسرى وقيصر من النعيم

والترف، قال له ﷺ: (أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا)، وأنتم تعلمون أكثر من هذا عن حياته فلا أطيل عليكم به.

وكذلك كان أصحابه كما تعلمون، فكان أكثرهم فقراء وكان "أهل الصفة" في مسجده المبارك، وهو مكان سكناهم لفقرهم.

ولا شك أن الله تعالى إنما يختار لنبيه الكريم ما هو خير، وإلا لأعطاه كنوز الذهب والفضة، فلما زوى عنه الدنيا وعن أصحابه وهم أفضل هذه الأمة كان ذلك دليلا على أن الزهد خير من الترف، وبحسب الترف أن يكون سبب الهلاك، ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء:١٦]، وفي قراءة {أمّرنا مترفيها}، أي جعلنا مترفيها هم الأمراء فيها ﴿فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦].

ونحن اليوم تحت المكيفات ولدينا ثلاجات وهواتف، وفينا ما فينا من الترف المصحوب بالذل والهوان كما تعلمون.

وبعض الصالحين -من الراشدين فما بعدهم- قال عن سبب عدم توليته أحدا من أهل العبادة والصلاح مع أهليته للولاية: "أصونه عن الدنيا"!

وقد علم أرباب السلطة حب الناس للمال، فرفعوا رواتب القضاة دون تحقيق مطالبهم الأخرى والأهم، كالتحاكم إلى شرع الله وحده في كل شيء.

والتحاكم إلى غير الشرع داء قديم، وأنتم الطبيب بإذن الله.

فلما كان مجلس الشورى هنا بمكة كان يحكم بالقوانين والرغبات الاجتماعية، وتشترى له كتب القوانين، التي كان يسميها قوانين الملل، أو قوانين الأمم المتقدمة! فيحكم بمقتضاها، بينما لا يجوز الحكم بقانون أي ملة ولا يصح وصف تلك المجتمعات الكافرة بالتقدم.

وقد أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بأنه لا يجوز لوزارة المالية أن تشتري لمعهد الإدارة العامة كتبا قانونية، وقد حرم العلماء من قبل كتب الفلسفة والمنطق وأجازوا حرقها أو الاستنجاء بها فكيف كتب القوانين.

وقد بلغني أخيرا أن بعض أهل البدع من رافضة وإسماعيلية أُدخلوا في مجلس الشورى، وتعلمون -وفقكم الله- حكم الشريعة في شورى المبتدع أو الفاسق، وبم يشير لو صدق ونصح!

ومن اقتنى تلك الكتب لغرض الرد عليها فلا بأس إن شاء الله، أما من اقتناها ليرجع إلى أحكامها فيحكم بها فذلك لا يجوز.

والزهد في الدنيا هو السمة العامة لأهل العلم، وصدق أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه حين قال: "إن السيوف التي فتحت البلاد لم تكن محلاة بالذهب والفضة".

وقال ملك النوبة كما ذكر الأسعردي كما في "الرسائل المنيرية" ما معناه: إنا كنا نعطي الجزية لشعث غبر، أما هؤلاء الذين يلبسون الحرير فلن نعطيهم شيئا. هذا مختصر كلامه.

والمقصود أن النبي ﷺ والفاتحين الأولين كانوا زهادا متقشفين وأنتم بهذا أعلم. وسيأتي بسطة لذلك في مبحث الزهد بإذن الله.

واقبلوا -وفقكم الله وأعانكم- الدعوى الاحتسابية ممن جاء بها دون أن تنتظروا إذنا من أحد، بل من حقكم -وربما كان من واجبكم- أن تعيّنوا من شئتم محتسبا، وتفرضوا له من بيت مال المسلمين ما تشاؤون، لاسيما إذا احتسب أحد على ما يقال من أن سبب الإرهاب والطائفية والأصولية.. الخ هو الدين أيا سماه، أو هو عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أو ابن تيمية أو أحد من أهل السنة والجماعة، وأن سبب ذلك هو مناهجنا التعليمية أو الهيئات، وأن الصحوة اختطف المجتمع!

ونحن نتبع ما في كتاب ربنا وسيرة نبينا وما حكم به الخلفاء الراشدون والسلف الصالح رحمهم الله، وليس قرارات مؤتمر جروزني الذي هو تعبيرٌ صارخ عن الانتكاسة الفكرية، وقد تبلغ الانتكاسة الإيمانية والفكرية أحياناً حداً غير معقول، وتصل إلى أن يقول بعضهم ما هو مخرج من الملة وما لم يقله عبد الله بن أبي بن سلول كما قرأت وسمعت.

وقد سمعت من يدعو لليهود قبحهم الله بالنصر، ويطعن فيمن يجاهدهم من المسلمين، وأعظم من ذلك كله أن يسب أحد الله ورسوله، أو يسيء بشكل ما إلى القرآن أو إلى النبي ﷺ أفلا يعد هذا انتكاسة؟

ولا تحكموا على أحد لمجرد أن رأيه تغيير الحكومة أو وضع دستور لها، وإليكم بعض الأسباب:

١- أنه لا يزيد على أن يكون معارضا وبعض الدول تسمح بوجود معارضة، فكيف يكون سجين رأي.

٢- أن هذا رأيه ولا يصح إرغام أحد على غير رأيه، ما لم يستخدم العنف وسيلة لذلك.

٣- أنه قد يكون محقا، وإن كان ذا شبهة وجب كشف شبهته ويحرم اعتقاله.

٤- أن الحكومات نفسها تتغيَّر وتغيِّر رأيها، ولا تنكر ذلك، بل إن من يرى طاعة ولي الأمر في كل شيء يغيّر رأيه تبعا لتغيير ولي الأمر!

وقد قال بعض الملاحدة في رواية له منشورة (إن الله والشيطان وجهان لعملة واحدة) ولم يحكم عليه بشيء، كما صرح أن النبي محمد (ﷺ) صحح عقيدة إبراهيم، ونحن ينبغي أن نصحح عقيدة محمد (ﷺ)، فهذا الكفر يستحق قائله السجن في الحائر وذهبان إن لم يتب، وهم قد سجنوه سنين وقالوا إنه بعثي! وهو أولى بالسجن من الذين طالت مدة سجنهم بذريعة أن لهم رأيا يخالف رأي الحكومة، وكذا من يطالب بالربا أو الدياثة وما أكثرهم في الإعلام اليوم، وليس لهؤلاء قضية أصلا في المحاكم! وليسوا إرهابيين عند السلطات، مع أنهم من أكبر دوافع الإرهاب، وقد بلغني أن أحد السابقين من المسؤولين هنا أعطى صاحب الرواية المشار إليها قلمه وقال: اكتب ما شئت.

وقد كثرت شهادة الزور لاسيما لأصحاب الصكوك من الكبراء والسادة، وبعضهم لم تخرج له المحكمة صكا من مكة على جزيرة في الشعيبة، فاستخرج عليها صكا من الطائف! وقال إنها منحة من ولي الأمر، وقد

أعطي أحد الأمراء كل الشواطئ البحرية للمملكة منحة أيضا، كما نجد شاهد الزور يدعي أن فلانا أحيا الأرض قبل عام كذا، مع أن ذلك المشهود له أو شاهد الزور كانا طفلين حينها وربما لم يولدا بعد.

واعلموا -وفقكم الله وأنتم أعلم- أن رجال الحسبة ليسوا خصوما لأحد، وليس عليهم أن يأتوا بشهود على ما يقولون، واقرأوا فتوى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في هذا وأن سجنهم لا يجوز شرعا وأنتم الذين ترشدونهم للصواب إذا أخطأوا.

واستفيدوا -وفقكم الله- من الحصانة القضائية التي تعطى لكم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأنتم تعلمون أن النبي ﷺ قال: (من رأى منكم منكرا فليغيره)، وذكر المراتب الثلاث المعروفة. و(مَن) -كما تعلمون- من ألفاظ العموم، أما النظام الذي وضعه حافظ وهبه كما قال، وحصر به الإنكار في فئة معينة فلا يجوز اتباعه ولا الالتزام به، ولا تكترثوا بالقيود الثقيلة التي توضع على من ينكر المنكر والافتراءات المستمرة عليه، ولولا حفظ الأمن كما يقولون لمنعوه مطلقا عياذا بالله.

فكيف يقدّم مسلم اقتراح حافظ وهبة على كلام الله ورسوله؟ وحافظ وهبه هذا كان محررا في جريدة الهلال التي تصدرها جمعية الاتحاد والترقي، ثم عينوه واليا على مكة، وهو الذي شبّه دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بدعوة "مارتن لوثر" كما ذكر هو، اعتمادا منه على كتاب "كارلايل" (الأبطال) لما كان سفيرا في لندن وظن أنه بذلك يرضي الإنجليز.

وقد كان خالد بن لؤي أو من يرشحه خالد، أولى بأن يكون أميرا لمكة من حافظ وهبه السابق ذكره؛ فخالد هو شريف من آل البيت، وهو الذي خرج على قريبه الشريف حسين وهزم عبدالله بن الحسين في معركة "تربة" المشهورة، وله أخبار عجيبة يعرفها أهل مكة في إيمانه بالدعوة السلفية، وإليه الفضل في كثير من الحروب لا سيما في دخول مكة، وقرأت أنه قتل غيلة من الخلف في عقبة "شعار" في طريقه إلى تهامة جعل الله ذلك له شهادة.

والمنكر الذي وضع (حافظ وهبه) قانونه لأجله، هو "المحمل" المصري، أي أن كل من أنكره محق ويجب إنكاره على كل مسلم، لأنه بدعة لم يكن على عهد رسول الله ﷺ الذي قال: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد)، وإذا أخطأ المنكِر أو تجاوز فأهل العلم يبيّنون له خطأه أو تجاوزه بالدليل ولا يمنعونه من الإنكار مطلقاً.

واعلموا أن المحققين إذا أثبت لهم المتهم أنه لا يصلي برؤوه من الإرهاب، ولم يحيلوه للمحكمة! عملاً بلائحة الاستيقاف التي جعلت ترك الصلاة من القضايا الصغيرة، أو عملا بغير ذلك من الأوامر السرية.

واعلموا أن الأمة تثق بكم، وتقف معكم حتى من يُرى ظاهره غير ذلك، فالخير لا يزال في هذه الأمة حتى في بعض من يفعل المنكرات أو يرتكب بعض الموبقات.

وقد شبه بعض العلماء عمل الدعاة بتحريك السكّر، وقال إن السكّر في كل نفسٍ مسلمة، لكن ينبغي تحريكه.

واعلموا أنه قد بلغ السيل الزبى وانتشرت المنكرات، وأصبح الربا في كل شارع، أي أن الحرب مع الله معلنة، والناس ينتظرون منكم قول الحق والصدع به، وإعلان ما هو منكر ومحرم على رؤوس الأشهاد، ولا يكفي أبدا الانكار سرا لمنكر يفعله الناس علنا.

كما أن الغزو الفكري والدياثة أدخلوها في كل بيت، وشجعوا عليها القنوات، وصاروا يظهرون المرأة الشاذة المتبرجة ولا يظهرون المحجبات مع كثرتهن، ويحرصون على كثرة رواد دور السينما ولا يأبهون لقلة رواد المساجد.

واعلموا -رعاكم الله- أن المرء حيث يضع نفسه فإن وضعها عبداً ظل عبدا حتى يموت، وإن وضعها سيداً فكذلك، وقد وضعت كوريا الشمالية نفسها نداً لأمريكا واليابان وغيرهما، فأصبحت كذلك، فلا يكن المجوس أجرأ منكم.

والمعلن المجاهر لا غيبة له، ويجب الإنكار عليه علنا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا أظهر الرجل المنكرات وجب الإنكار عليه علانية ولم يبق له غيبة ووجب أن يعاقب علانية"، وذكر رحمه الله أن العلماء لم يتنازعوا في ذلك.

وقال الحسن البصري: "أترغبون عن ذكر الفاجر اذكروه يحذره الناس"، ومما قاله الصديق على المنبر: "إن المعصية إذا عملت سرا لم تضر إلا صاحبها، وإذا عملت جهرا ضرت العامة". وقد تواتر ذلك عن الصديق من كلامه وصحح الدارقطني رفعه.

واعلموا -وفقكم الله- أن من محضكم النصح ودلكم على الخير والحق والجهاد والدعوة خير ممن يغشكم وينسيكم لقاء الله وسؤاله، وقد قال الحسن البصري رحمه الله لابن هبيرة والي العراق: "إنك أن تجد من ينصح لك في دينك ويحملك على أمر آخرتك، خير من أن تلقى رجلا يغرك ويمنيك".

وليست العبرة -وفقكم الله- بما يقال لكم أحيانا ليستمد القائل منكم شرعيته، بل بمقارنته بما يقال لمن يخالفكم، وانظروا في الإعلام فهو يعبر عن الحقيقة المطبَّقة فعلا، والله تعالى يقول عن المنافقين: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ [النساء:٨١]، فالمنافقون يأتون كل أحد بما يريد، فما يقال للعلماء أو القضاة هو عكس ما يقال لليبراليين والعلمانيين وأشباههم، ولا يخلو عصر من المنافقين ولم يرد قوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤] إلا في المنافقين، والإعلام هو المعيار الواضح، وإذا قال "المثقفين" فانظروا من هم؟

ولا أقول لكم لا تشاهدوا الإعلام المحلي، ولكن أقول شاهدوه ولا تصدقوا كل ما فيه، وتعلمون أن شيخ الإسلام ابن تيمية أوصى تلميذه الإمام ابن القيم فقال: "كن كالزجاجة ولا تكن مثل السفنجة"، وتعلمون أن الزجاجة تشف وأما السفنجة فتمتص، فمشاهدة الإعلام أو قراءته تجوز لمعرفة الشر، وما يحاك ضد أهل الخير، والإعلام سواء كان قناة أو إذاعة أو

صحيفة لا يذكر الكتاب والسنة إلا ما كان منه إعلاما إسلاميا، ومع ذلك فالإعلام الإسلامي له خطوط حمراء وربما أنكر منكرا وغيره أنكر منه.

وبعض الجهات المختصة هداهم الله إذا قيل لهم امنعوا القناة الفلانية قالوا نحن لا نملك الفضاء، وإذا خالفت إحدى القنوات السياسة الرسمية أو سبّت أحد الزعماء "الأصدقاء" و لم تعتذر، عرفوا كيف يمنعونها ويقفلونها، وكذلك المجلات أو الجرائد الخبيثة، ومن أمثل القنوات الإعلامية العلمانية "قناة الجزيرة" القطرية، ومع ذلك يهددها الأمريكيون، وإذا ذكرت شيئا عن الجهاد ضد الغرب عقبت بأنه "لم يتسن للجزيرة التأكد من ذلك من مصدر مستقل"، ولا تقول ذلك إذا نقلت عن "البنتاغون"، وكأن ما يقوله الأمريكان وأولياؤهم لا يحتاج إلى تأكيد، وما يقوله غيرهم يحتاج للتأكيد من مصدر مستقل، والمجاهدون في العراق مثلا يثبتون كلامهم بالصور فماذا تريد الجزيرة غير ذلك؟ والأمريكان هم الذين هددوها وهم الذين يقتلون مراسليها وهم الذين يأمرون بقفل مكاتبها ومواقعها، وهم الذين يسألون سامي الحاج مثلا كيف تستقي أخبارها ومن يمدها بذلك؟ وقد قتلوا مراسلها طارق أيوب وأمروا بقفل مكاتبها في بغداد، وأمثال ذلك مما تعلمه الجزيرة أكثر مني، وإذا أوصى بعض الأمريكان بعدم إغلاقها فليس ذلك على أحسن الفروض إلا من قبيل حرية الرأي!

وأنتم أعلم بأن في أحكام الرهن والإجارة والحوالة والجعالة والشركة والوكالة وغير ذلك ما يدل على أن شريعتنا -ولله الحمد- كاملة شاملة، وأن الواجب هو الدخول في الدين كله، وأن يكون كله لله، فلا يجوز مشابهة اليهود والعمل ببعض الدين دون بعض كما يريد العلمانيون، ومن ذلك أنكم لا تنظرون في قضايا البنوك وبعض القضايا الإعلامية غير الشخصية، بل لا تنظرون أي قضية سيادية، ولا تصلكم القضايا المتعلقة ببعض الناس.

وافتحوا -جزاكم الله خيرا- الحلقات العلمية في المساجد وغيرها، وعلموا الناس الجانب المهمل غالباً من توحيد الأسماء والصفات وهو آثارها

ومعانيها ومقتضياتها وليس مجرد إثبات ألفاظ بلا تأويل أو تعطيل، فآية الكرسي مثلا -وهي أعظم آية في كتاب الله- اشتملت على صفات كثيرة، منها الحياة والقيومية والعلم والعلو والعظمة.. إلخ، ومقتضى ذلك ألا نخضع لغير الحي القيوم وأن نوقن أنه لا شرع أعلى من شرعه ولا هدى أعظم من هداه، وأن أمره تعالى فوق كل أمر.

وإذا كانت قوانين الكفر تحرم الكلام ضد ما يسمونه السامية أو وجود المحرقة، مع أنهم يسمحون هناك لكل أحد أن يشكك في وجود الله تعالى أو موسى أو عيسى عليهم السلام، ويقولون هذه حرية رأي، أقول: إذا كانت قوانينهم كذلك فشريعتنا الكاملة الشاملة تأمر بالعدل في كل شيء، ومع كل أحد، فأي الفريقين أرقى وأيهما المتقدم وأيهما المتأخر؟ وما حكم من استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟.

وهل تعلّم "هتلر" قوله "ألمانيا فوق الجميع" أو تعلم "موسوليني" قوله "إيطاليا فوق الجميع" إلا من قول اليهود "إنهم شعب الله المختار"؟ وإذا كانت السامية نسبة إلى سام بن نوح فالعرب أولى بها، وإذا كانت النسبة إلى إبراهيم عله السلام فإلى من تنتسب العرب الإسماعيلية، لا سيما وإسماعيل وقيدار مذكوران عندهم في التوراة!

وشر الناس عند الأمريكان هو "هتلر" مع أنه انتخبه أكثر الألمان وحكومة المنتخَب عندهم حكومة شرعية.

و لم يكتف أولئك الديمقراطيون بما فعلوه بالسياسيين النازيين، بل فعلوا ذلك بكل ألماني ولو كان أديبا أو فيلسوفا أو عالما وهذا هو عدلهم، وقد اقتسم الأمريكان والروس العلماء الألمان المخترعين، للإفادة من اختراعاتهم فقط، ووظفوهم لذلك وحده، وألزموا ألمانيا بدفع تعويضات للصهاينة لا تزال تعطى لإسرائيل! دون أن يعوِّض المستعمرون الشعوب المسلمة المستعمَرة!

واصبروا -وفقكم الله- إن نالكم أذى من المخالفين، وقد قرأت وسمعت وجالست بعض من يطعن فيكم وذببت عن أعراضكم ما استطعت، وأنا أدعو لكم في كل صلاة، وأعلم ما تعانونه وتلقونه ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٢٠]، وكل من قال الحق فتهمته جاهزة، فيقال له: إخواني، سروري، قطبي، إرهابي، أصولي، نصوصي، إقصائي، متزمت، شبه داعية، خارجي، مثير للفتنة، ضد الوحدة الوطنية، ضد ولاة الأمر، عميل لدولة خارجية.. إلخ التهم.

وتعلمون -وفقكم الله- أنه ما من نبي ولا داع إلى الحق إلا أوذي، واذكروا -ولابد أنكم تذكرون- أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله قال: "ما يصنع بي أعدائي، أنا بستاني في صدري فقتلي شهاده وسجني خلوة ونفيي سياحة"، وقبله قال الحبيب المصطفى ﷺ: (كل أمر المؤمن له خير)، وأكثر الناس لا يحبون العدل، ونصفهم أعداء لمن عدل، وقديما قيل: إن قول الحق لم يدع لي صديقاً!

وقد ذكر لي الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله أنهم أخروه في المرتبة، ومات رحمه الله ولم يترفع كما ترفع غيره، إلى مرتبة أعلى من أجل كلمة حق واحدة، قالها الشيخ لما أنشئت "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" وهي (فيه ظلم)، ولهذه الكلمة الصغيرة التي لا ينكر حقيقتها أحد أخروه وربما عنفوه وأنا لا أعلم ولم يخبرني، ونرجو أن يكون الله رفعه في الدار الآخرة التي هي خير وأبقى، وقد اعترفوا هم أنفسهم بأن الظلم موجود، ومن اعترافهم فيما بعد أنهم أسسوا ما يسمى (حقوق الإنسان).

وإنما تقاس منزلة الدين عند مدعيه بمعاملة أهله، لا بمجرد الشعارات والدعاوى، فالمتخرج من كلية فكتوريا أو من كلية القانون، يعينونه وزيرا أو مستشارا في الديوان الملكي بدرجة عالية، وخريج كلية الشريعة يعينونه مدرسا في متوسطة وقد يكون في منطقة نائية.

كما تعلمون أن الحدود التي تذكرها بعض كتب الفقه، ليست هي الحدود التي ذكر الله في كتابه، فإن الله تعالى في القرآن العظيم ذكر الحدود في الميراث والاعتكاف والطلاق والمعاشرة، فهي أعم مما يذكره الفقهاء، وأهم ما في الشريعة بعد توحيد الله هو أداء الصلاة، فإقامتها إذاً أعظم الحدود، وكتب عمر بن الخطاب ﷺ لولاته: "إن أهم أموركم عندي الصلاة"، وجعل الله إقامتها واجبا على الدولة المسلمة ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١]، ومن إقامتها: الدعوة إليها، وكل ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ومن الاعانة للمتهاون بها على نفسه وجوب إغلاق المحال التجارية بعد الأذان، وذلك من تعظيم شعائر الله المذكور في القرآن، وهو أيضا من إيثار العمل الصالح على أعراض الدنيا، وما أكثر ما جاء ذلك في كتاب الله.

كما تعلمون أن الحكم على الأمور لا يكون بأن ننظر إليها إما أنها صفر % وإما كاملة ١٠٠%، كما يظن الغلاة والمبتدعة، حيث قال الخوارج إذا ذهب بعض الإيمان ذهب كله، وقال المرجئة بعكس قولهم، ففي عقيدة أهل السنة والجماعة يجتمع في الشخص الواحد الطاعة والبدعة، والإيمان يزيد وينقص، بل يجتمع ما هو إيمان وما هو كفر، وكذا التقوى والفجور، والتدرج سنة ربانية وحكمة نبوية كما تعلمون، وقد أخر النبي ﷺ تحطيم الأصنام حتى عام الفتح، ولم يبن الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام، وترك كذلك اليهود والنصارى ولم يخرجهم من جزيرة العرب، بل أوصى بذلك المؤمنين بعده وهكذا فعلوا، وأهل السنة والجماعة يرتبون العداوات كما رتبها الله، فليس السارق كالقاتل مثلا، والله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها كما في القرآن، وقال كما في الصحيح: (قد فعلت)، وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وذكر جل شأنه أن مؤمن آل فرعون كان يكتم إيمانه ثم أظهره لما استطاع، كما ذكر الملك الذي استوزر يوسف عليه السلام لكن قال مجاهد: إنه -أي الملك- أسلم، والله أعلم.

وذكر صلوات الله وسلامه عليه أن النجاشي آمن ومع ذلك لم يحكم الحبشة بشرع الله إذ هو عاجز عن ذلك، ونحن اليوم نرى من نحسبه صادقا والله حسيبه كالحكومة التركية وندعو لها وندعوها إلى إقامة الدين كله ما استطاعت، أي أن المهم هو الصدق وخلوص النية، ونسأل الله أن يجعلها تجدد أعمال المجاهد التركي الظاهر بيبرس وتزيد عليها.

والإمام أحمد رحمه الله لما ذكر عنده بعض صفات السلف وفيها الصدق والإخلاص قال: "بهذا ارتفع القوم".

وأهل السنة لا يُطلقون القول بأن الجاهل معذور أو غير معذور، فكل جاهل بحسبه والقضاة هم الذين يقررون الحكم عليه، وقد يقررون أن مثله لا يجهل.

وتعلمون -حفظكم الله- ما للمتدين من منزلة عند كثير من الناس، وعكسه يريد الليبراليون، فإذا أثبت المتهم أنه غير متدين، بل هو يدخن أو يشجع الكرة ويتابع القنوات والمواقع الخلاعية أو الإباحية، فإنهم يعدونه مواطنا صالحا ولا يحيلونه لكم!

وإذا أثبت أنه لا يقرأ القرآن ولا يصلي فهو برئ من الإرهاب مطلقا، وفي لائحة الاستيقاف التي تعلمون جعلوا (ترك الصلاة جريمة صغيرة) كما تقدم، أما لو قال إنه مسلم متدين فهو عندهم إرهابي طائفي تكفيري رجعي ظلامي أو على الأقل متطرف إلخ، وهو ضد الرخاء وعدو للاستقرار والوحدة الوطنية وضد التلاحم الوطني ومثير للفتنة والطائفية، ويرغمونه على القول إنه يكفِّر الدولة والمجتمع وأقرباءه.

أما إذا كان يحمل الجنسية الأمريكية مثلا فهو تقدمي متحضر متطور، وتعوضه المباحث عن كل يوم من سجنه عشرة آلاف ريال، وهذا لا أقوله افتراء والعياذ بالله، بل شهدته بنفسي وربما زاد تعويضه اليوم.

وأوصيكم -حفظكم الله- ألا تحكموا في أي قضية، حتى تعرفوا حال المتخاصمين وواقعهم بأنفسكم، ومن معرفة الواقع أنه عرف صلوات الله

وسلامه عليه حال كسرى وقيصر، وأخبر أن النجاشي ﷺ لا يظلم عنده أحد، وعرف المجاهدون الفاتحون من الصحابة والتابعين حال أعدائهم، وعرف شيخ الإسلام ابن تيمية حال التتار والنصيرية والعبيديين واليهود والنصارى والفلاسفة والمتكلمين والخوارج والرافضة والمناطقة والصوفية وأمثالهم.

وعرف العز بن عبد السلام أن المماليك -حكام عصره- ليسوا أحرارا، وأن السلطان الفلاني حالف الصليبيين.

وعرف أبو حامد الغزالي حال الصوفية والعوام والباطنية والفلاسفة وما سماه الأصناف الأربعة وغيرهم. وعرف كل فقهاء الإسلام واقع عصرهم وحاله.

وقد جعل الإمام أحمد معرفة ما عليه الناس شرطا في الفتيا.

وأنتم قد تحكمون بأن العادة محكّمة والعرف معتبر، فكيف يعرف القاضي ذلك دون معرفة واقع الناس؟

واعلموا -وفقكم الله- أن العقيدة الصحيحة ليس لها مكان معين كما أن البدعة ليس لها مكان محدد.

وينبغي لكل مسلم أن يزور الحُجاج، ويتنكر إن شاء ويعلمهم السنة والاتباع، ويتفقد أحوالهم وأحوال الفقراء والمحتاجين، ويكتب ما لا يستطيع فعله إلى من يهمه الأمر.

واعلموا -ولا ريب أنكم تعلمون- أن الله تعالى غني عنا، وأنه إن تولينا عن دينه استبدل بنا قوما غيرنا، من أي بلد أو أي لون ولا يبالي.

وممن أعرف اسمه من أهل مكة ممن كان على عقيدة السلف الصالح (الشريف غالب بن مساعد والشريف خالد بن لؤي والشريف جابر بن جبارة، والشيخ بكر خوقير)، وهؤلاء وغيرهم اتبعوا العقيدة الصحيحة من أنفسهم، دون إرغام أو إملاء من أحد، بل منهم من أوذي وسجن بسبب ذلك، ولا تزال الدعوة إلى الله ممثلة في الهيئات وفي تحفيظ القرآن الكريم وفي

بعض المؤسسات الدعوية وفي المناهج وبعض المدرسين تبذل جهدها، والنتيجة على الله تعالى.

ومن الخطأ -كما تعلمون- عد الجماعات الدعوية المعاصرة فِرقا، فأفضل الخلق بعد الأنبياء هم الصحابة رضي الله عنهم، وقعت بينهم الفتنة ووقع بنيهم القتال، وهم كلهم على عقيدة واحدة.

وليس هناك شخص أو جماعة فوق النقد، بل يجب شرعا لمن أراد ذلك أن يقول بحق وعدل، ويذكر ذلك كله بتوازن، ويبين ما على كل أحد وماله، بدون تشنج أو رد فعل.

ولا يجوز اتهام أحد بالإرهاب أو التطرف أو الأصولية، أو الطائفية أو التكفير، أو بالإسلام السياسي أو الحركي كما يقولون، ولا التكلم في حقه إلا بعلم وعدل. وعلى من يقال له ذلك، أو يقوله لغيره، أن يتقبل الرد عليه بصدر رحب ويقبل الحق ممن كان.

واعلموا -حفظكم الله- أن أمريكا إذا أسرَّت إلى أحد ألا يقتل أحداً ولو كان المقتول أمريكيا كما في قضية الخُبر، فليس ذلك لوجه الله أو من عفوهم وإحسانهم، وإنما هو لكيلا ينتقم منهم أحد، ولكي تستمر مصالحهم وشركاتهم ودنياهم، والله تعالى أمرنا بالحق والعدل، ولم يأمرنا بمراعاة مصالح أحد كائنا من كان.

وإذا صح ما قيل مؤخرا عن القبض على الرأس المدبر لتفجير الخبر، فهو يدل على أن السبب في تأخير ذلك هو عجز الإدارات المختلفة عن العثور على مدبره، وليس أنهم يريدون تفاصيل التفاصيل كما قال وزير الداخلية في حينه.

واعلموا أن غيركم -سواء سمي محكمة أو دائرة أو هيئة أو لجنة- لا يصح حكمه لا في القضايا التجارية ولا الجنائية ولا العمالية ولا المرورية ولا الاقتصادية، وأنتم وحدكم المرجع في ذلك ما دام رائدكم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولكم الحق في إيقاف أي مجلة أو نشرة أو مقالة تخالف

حكمكم، ولكم كامل الحق في الاستزادة من القضاة لمعاونتكم، ولا يتحاكم إلى غيركم إلا من كان علمانيا أو ليبراليا، ومثله من يقره ويسكت عنه.

وإذا أعلنت السلطات أن فلانا مختل عقليا فلا تحاكموه، ومن التناقض أن يعلنوا أنه مختل عقليا ثم يحيلونه إليكم كما فعلوا بفيصل بن مساعد.

وليس كون فلان لم يبلِّغ الجهات الرسمية جريمة، فما دام ناصحا ومحذرا فيكفيه ذلك، وهل يريدون من كل مواطن أن يكون جاسوسا مجانيا، ثم إن بعض الجهات -كما علمت- تقول للمبلغ إن الدولة في غنى عن مثلك، وعندها أجهزة كافية لكشف المجرمين، وهكذا، فأي الأمرين يتبع المبلِّغ؟

ولا يصح إطلاق المصطلحات القانونية خصوصا ما كان مخالفا للكتاب والسنة اللذين بهما تحكمون بين الناس، مثل القانون السعودي والمشرِّع السعودي، كما لا يجوز إنشاء محاكم غير شرعية كالمحكمة التجارية أو المحكمة الاقتصادية أو بأي اسم.

وتعلمون أن الحكم حكمان لا ثالث لهما: إما حكم الله وإما حكم الجاهلية، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ﴾ [النساء:٦٠]، فالتحاكم إلى غير الله كتاب الله هو حكم جاهلي، وهو من حكم الطاغوت، والقوانين الوضعية هي أحكام طاغوتية، سمى الله إيمان فاعلها زعما، أي لا حقيقة له لمجرد إرادة التحاكم وليس أنهم تحاكموا فعلا، والتحاكم إلى القوانين هو الكفر البواح كما ذكر الشيخ الشنقيطي، وهو الكفر الأكبر كما ذكر الشيخ محمد بن إبراهيم، وهو الردة السافرة كما ذكر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمهم الله جميعا.

وهذه القوانين الوضعية تشمل كل ما وضعه غير المسلمين مثل "نابليون بونابرت" أو "جستنيان" أو المدرسة الحديثة التي وضعت مؤلفات فيما يسمونه "علم الإجرام". كما أن ما يسمونه القانون الدولي كذلك.

ومن التناقض البيِّن أن يكون القاضي متخرجا من كلية الشريعة ومع ذلك يحكم بمقتضى القوانين الوضعية أو الأوامر البشرية.

وينبغي أن تعلموا وفقكم الله أن اجتهادكم واجب، ولا يجوز تقليد أحد كائنا من كان، والذين يقولون نحن تبع لعلمائنا مقلدون مخطؤون، ومما يوجب الحكم بتخطئتهم ما لمسته ورأيته وهو أن العلماء لهم كلامان مختلفان، فكلامهم في السر غير كلامهم في العلن، وكلامهم حين يسحبون فيش الهاتف غير كلامهم قبله، وكلامهم مع الخاصة غير كلامهم مع العامة، وبعضهم قال سراً: لا تكونوا مثلنا فنحن موظفون، وبعضهم قال: صرنا مثل شيوخ الأزهر، وربما كتبوا لكم ما لا يعتقدون، وإذا كان لابد من الاقتداء فاقتدوا بمن مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة كما قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، واعرفوا الحق واعملوا به، أما العلماء فإن بعضهم يخالف بعضا، وقد رد الشيخ محمد بن إبراهيم على الشيخ الألباني في الذهب المحلَّق، واختلف الشيخ ابن باز والألباني وكلاهما فاضل، في نحو عشرين موضعا في المناسك وحدها.

وقد أيدت هيئة كبار العلماء فتاوى كانت هي تقول عكسها.

ومما تعلمون -ولكن لا بأس بتذكيركم به- أن الحكم الشرعي لا يؤخذ من دليل واحد كما يفعله بعض من يهملون أدلة صحيحة، والواجب هو جمع الأدلة كلها وتقديم الإعمال على الإهمال، وكل من خالف الحق وجب عليكم أن تردوا عليه شفويا أو كتابيا، ومنهم مثلا الوضاع "شَورش" الذي ألف كتاب "الفرقان" وهو مثل قرآن مسيلمة، و"شَورش" أمريكي نصراني من أصل فلسطيني، ونفت الخارجية الأمريكية أي صلة لها بالكتاب، وليست هذه أول كذبة لها، ومن الأمريكان القس "جونز" الذي أحرق القرآن في فلوريدا، وربما رددتم وأنا لا أعلم.

وتعلمون أنه ليس كل ما صح مرفوعا وجب العمل به، فقد يكون معارَضا بغيره، وليس كل ما قال عنه بعض ا لعلماء إنه لم يصح مرفوعا وجب تركه، فقد يكون صحيحا من طريق أخرى، وقد يكون قولا لصحابي

أو لأحد السلف وهذا خير من التقليد أو الرأي المجردين.

ومن عَدْل هذه الأمة المباركة أنها حرمت الدماء والقتل بغير حق، وأنها لا تقاتل كل من خالفها، أو تتهمه باطلا كما يفعل الغرب الذي أجلى اليهود منه واتهمهم بالوباء الذي سموه الطاعون الأسود، وقالوا إن سببه أن اليهود سمموا الآبار والمياه، ولم يقبل اليهود ويؤوهم إلا أهل الإسلام، ثم إن اليهود غدروا بهم كما تعلمون، أما الغرب فيمنع الهجرة إلا لمن شاء من المعتدلين في نظره، وهذه الأمة هي الوحيدة التي لا تزر فيها وازرة وزر أخرى، ولا تُكره على اعتناق الدين، وتقسِّم أهل الكتاب ثلاثة أقسام: معاهد وذمي ومحارِب، وكل له حكمه، وليس لديها مشكلة تسمى "مشكلة الأقليات"، بل لا يزال اليهود والنصارى يعيشون في البلاد الإسلامية، ولكنك لا تجد بقية للمسلمين في أسبانيا أو الأمريكتين!!

ونحن الأمة الوحيدة التي تجعل القصاص أو الدية أو العفو من حق ولي الدم، والقانونيون يجعلونها من حق رئيس الدولة.

ولنا مزايا كثيرة نحن عنها غافلون، والليبراليون اليوم يطالبوننا بإلغاء مزايانا العظيمة والدخول في جحر الضب، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فردوا عليهم وبيِّنوا الحق، وانشروا ذلك وأعلنوه في القنوات والصحف والمواقع، وألزموا بنشره كل تلك الوسائل كالقنوات وغيرها من وسائل الإعلام، وفي صفحات مهمة وبخطٍّ كما تريدون.

ولا تحكموا على من جاهد في أفغانستان بشيء، فإنه إنما ذهب وجاهد بناء على فتوى العلماء أن الجهاد هناك فرض عين وأعطته الحكومة تذكرة مخفضة، وشجعته على الذهاب وجمع المال، وقد خُدع بعض العلماء بالدعاية الأمريكية التي كانت تهدف إلى هزيمة الاتحاد السوفييتي، وقد اعترف بهذا الهدف كثير من الأمريكيين منهم مثلا "نعوم تشومسكي" المفكر الألسني المشهور، فلما قوَّضت أمريكا الاتحاد السوفييتي انقلب فرض العين إلى حرام يجب عقوبة فاعله! وأصبح الجهاد المدعوم سابقا إرهابا وعنفا وتطرفا

وطائفية، وانقلبت المساعدات التي كانت تعطى لمن يذهب إلى هناك تعذيبا وسجنا واتهاما، بما لم يخطر للذاهب على بال، حتى من ذهب للعمل الخيري اتهموه وسجنوه، ومن كان ينبه إلى ما هناك من البدع أو الغلو في تكفير المسلمين اتهمه الذاهبون بأنه عدو للجهاد، ولا أحصي كم حذَّرت من الذهاب إلى هناك، وقلت -ولا زلت أقول- إن أول من ينبغي على الشباب جهادهم هم اليهود، ثم من والاهم، وأفضل الجهاد وأعظمه وأشقه الدعوة إلى الله كما أمر، وعلى ذلك كان الأنبياء كما في القرآن.

والمقصود أن الذين ذهبوا إلى أفغانستان حسب تلك الفتوى، وإن كانت خطأ هم مجتهدون ومعذورون، وليسوا أعداء يجب التخلص منهم وسجنهم، كما أن "حركة طالبان" لا تزال صديقة كما كانت، و"حكمتيار" لا يزال مجاهدا، والذي تبدل هو النظر لهؤلاء.

ومما يتعلق بالقضاء أن نقول: إن النصارى ليس لديهم أحكام وتشريعات إلا ما في العهد القديم "التوراة"، وأنهم كما ذكر شيخ الإسلام في "الجواب الصحيح" يتحاكمون إلى الأحكام الشرعية الإسلامية، ثم إن بعضهم شرح مجلة الاحكام العدلية، ومما أخذه النصارى من الشريعة الإسلامية أحكام الميراث في الفرائض التي لا وجود لها عندهم حتى في التوراة، والمسلمون مخيَّرون بين الحكم بينهم أو تركه، قال تعالى: ﴿فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ﴾ [المائدة:٤٢].

وأول قوانينهم الحديثة هو قوانين نابليون المنقول عن مختصر خليل المالكي المتوفى في القرن الثامن.

كما أن ما يسمونه اليوم القانون الدولي ينكره بعض فلاسفة الغرب، ومنهم "هيجل" المشهور، لافتقاره إلى القوة الملزمة، ويقولون إن الحكم إن لم تكن له قوة تلزم به فهو مجرد فتوى، وبعض ذلك القانون قد ينفع كما في اتفاقيات جنيف بشأن المدنيين.

واقرأوا إن شئتم كتاب "القانون بين الأمم" وأمثاله.

وحاربوا -وفقكم الله- البدع في الدين ولا تؤمنوا بما يسمى وحدة وطنية، بل الوحدة المطلوبة إسلامية، وتعلمون أن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله توَّب الخنيزي لما كتب "أبو طالب مؤمن قريش"، وما أكثر أهل البدع اليوم!!

وليست المصيبة في كثرتهم فقط بل في توليتهم واستشارتهم عياذا بالله، ومما أوصي به إخواننا القضاة أن يكونوا دعاة إلى الله ومن فوائد ذلك أنه يدفع عنهم كل تهمة.

وتعلمون أنه إنما يولى على الناس من كان من جنسهم، وأن جور الحاكم إنما هو ببعض ذنوبهم، وما يعفو الله أكثر، وتأبى سنة الله أن يولي على الأخيار شريرا أو على الفجار تقيا أو على الخونة أمينا.

وقد قال أحد المقربين من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: "لماذا استقام الأمر لأبي بكر وعمر ولم يستقم لك، قال: لأن رعيتهم مثلي، وأنا رعيتي مثلك".

وقال عبد الملك بن مروان للناس في عصره: "تكلفوننا أعمال المهاجرين والأنصار ولستم مثلهم"، ونص على ذلك ابن القيم في "مفتاح دار السعادة".

وفي ايامنا كتب الأستاذ صالح العزاز عن صدام حسين "أنت ذنوبنا أيها المهيب"، فسجنوه في الحائر مدة.

ثم انطلقت ثورات الربيع العربي على الطواغيت وجرى ما يعلمه كل أحد، ولا زلنا ننتظر ما تؤول إليه الأمور، فما من ثورة في التاريخ إلا أعقبها فوضى واضطراب، ولكن الناس يعودون للحق في النهاية، وهذا ما نرجوه الآن، وليس في التاريخ ثورة لم يطل أمد نجاحها، وقد يتعارض الثائرون كما يتعارض القائمون من النوم لكن ذلك ليس إلى الأبد.

وتعلمون أن فرعون يتحمل متبعوه مسؤولية كفره دون أن ينقص من مسؤوليته شيء، فإنه لم يتفرعن على قومه إلا لأنهم كانوا فساقا يطيعونه ويصدقونه، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾

[الزُّخرُف:٥٤]، وعلى رأس القوم وزيره هامان، وسوط فرعون على الناس "جنوده"، ولو أن أهل مصر أوقفوه عند حده لوقف، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ [القصص:٨].

ولما جاء وعد الله نبذه هو ومن أطاعه في اليم، وأتبعهم لعنة في الدنيا، ويوم القيامة هم من المقبوحين.

وقد جعل الجهال لله شريكا هو الوطن كما يسمونه حيث يقال لمن يُقتل في اليمن (قُتل من أجل الدين والوطن!) أو (شهيد الوطن)، وإنما الشهيد من مات في سبيل الله وحده.

ومما ينبغي لإخواني القضاة أن يعلموه وهم بلا شك يعلمونه لكن من واجبي التذكير به: ما يسمى اليوم التعسف في استعمال الحق، كما فعل عبد الله بن حذافة حين قال للجيش ألم يأمركم رسول الله ﷺ بطاعتي فادخلوا النار، الأمر الذي استنكره الرسول ﷺ، ومن ذلك ما هو مذكور في القرآن كالعضل، وما يفعله بعض المطلّقين من تطويل العدة على المعتدة.

ومما ينبغي أن يعلمه كل المسلمين وليس القضاة وحدهم، أن التمسك بما أنزل الله يجنب المسلمين المصير البائس للديمقراطية الغربية، وأن على ولاة الأمر تحكيم الشرع وأن يكونوا مسلمين حقا، وقد قال الله تعالى في كتابه الحكيم عنهم: (منكم)، وقال النبي ﷺ: (أهله)، فحُكم من لم يكن منا و لم يكن من أهل الأمر مختلف، ومن لم تتوفر فيه الشروط الشرعية فليس منا وليس من أهل الأمر.

وولي الأمر لا يخون الأمة فيولي أقرباءه وأصدقاءه محاباة لهم، وإن توهم أنهم عباقرة، ففي الأمة من هو أكثر عبقرية منهم، قال ﷺ: (من ولّى رجلا على عصابة وهو يجد في تلك العصابة من هو أرضى لله منه، فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين).

والشرع يفرق بين من ترك البيعة ترجيحا واجتهادا، ومن خرج على الإمام فعلا، ولما جعل معاوية رضي الله عنه ابنه يزيدا وليا للعهد، رفض ابن الزبير

ذلك، وقال لمعاوية رضي الله عنهما: "ليس بي شقاق ولكن أكره أن أبايع رجلين".

و لم يعاقبه معاوية بشيء، بل تركه كما ترك الصديق سعد بن عباده.

وكذا رفض ابن عمر مبايعة عبد الملك بن مروان حتى اجتمع الناس عليه، كما هو مفصل أكثر في مبحث الإمامة.

فالفرق قائم بن الخروج عن الجماعة والخروج عليها.

قال ابن تيمية في المنهاج: "وقد تخلف سعد بن عبادة عن بيعة أبي بكر ﷺ و لم يحبسوه أو يضربوه فضلا عن القتل".

فليس الغربيون هم أول من لم يسجن المرء بسبب رأيه، بل إن الصديق ومعه الصحابة ليفوقوهم في حرية إبداء الرأي، إذ هم يطلبون من الأمة تقويمهم، ويصرحون بأنه لا غنى لهم عن الناس، قال أفضلهم الصديق ﷺ في أول خطبة له: "إذا استقمت فأعينوني وإذا زغت فقوموني"، وقال عمر: "أرأيتم لو ملت ماذا كنتم تفعلون؟ فقال الصحابة نقومك؟ فقال: الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا ملت قوموني"، وعد معاوية ﷺ الذي رد عليه قوله: المال مالنا من شئنا أعطيناه ومن شئنا منعناه منقذاً له، وقال له: "أنقذتني أنقذك الله"! وإنما قال ذلك اختباراً للرعية.

والإمام العادل له فضله وباستقامته تستقيم الأمور، وقد جعله الله تعالى من السبعة الذين يظلهم تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله بل هو أولهم ذكرا.

وقد سئل الصديق ﷺ ما بقاؤنا على هذا الأمر؟ فقال: "ما استقامت عليه أئمتكم".

فلا ديمقراطية لدينا ولكن الأمر شورى لأهل الحل والعقد وشيوخ القبائل وأهل الشأن ومن يهمهم أمر المسلمين ومصلحتهم، مع أن الديمقراطية خير من الاستبداد، والأمر ليس بالتغلب ولو كان المتغلب قرشيا، ومن أراد معرفة العادل من غيره، فلينظر إلى القضاء والإعلام والاقتصاد!

فالإمام العادل هو الذي لا يولي أقرباءه ولا يتدخل في شؤون القضاء، وإعلامه منبر للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومناهجه إسلامية ليست وطنية أو قومية، وكل مهمِل يحاسب، ولا يسمح بإنشاء كليات قانونية .. إلخ.

بل إن المؤمن لا يصدّق كل ما يسمع أو يقوله الإعلام، فالله أعطاه عقلاً يميز به وليسمع من الضد ثم يوازن.

ومن واجب القضاة العمل بحديث كعب بن عجرة ﷺ، وهو حديث صحيح رواه الإمام أحمد وابن حبان ورواية الترمذي له، قال ﷺ: (أعيذك بالله يا كعب بن عجرة من أمراء يكونون من بعدي، فمن غشي أبوابهم فصدقهم في كذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه ولا يرد علي الحوض، ومن غشي أبوابهم أو لم يغشَ فلم يصدقهم في كذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض..) الحديث، وقد رواه غير الترمذي الطبراني وأبو نعيم.

وقد رواه الإمام احمد وابن حبان وأورده الحافظ المنذري في "الترغيب والترهيب".

وقال الترمذي: "وفي الباب عن حذيفة وعن عمر"، وقد صحح الحافظ ابن حجر رواية المسند وحسن روايته عن أبي سعيد الخدري، كما رواه الحاكم وأبو داود الطيالسي.

وصحح الشيخ الألباني وغيره الحديث الذي فيه (ومن أتى أبواب السلطان افتتن)، وهو الحديث رقم (٢٥٤٧) عند أبي داوود، ورقم (٢٢٥٦) عند الترمذي.

كما صحح الألباني في السلسلة الصحيحة حديثا رواه وكيع بن الجراح في الزهد في آخره (وما ازداد أحد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا).

وقد أفضى انتهاج الديمقراطية الغربية إلى أن تصل الأحزاب اليمينية المسماة عندهم "الشعبوية" إلى الحكم، وأجلى مثال على ذلك أن يكون

"دونالد ترامب" تلميذ "ستيف بانون" حاكما على أمريكا، وبذلك احترقت الديمقراطية كما تقول صحيفة "التايمز" البريطانية، وانقسم المجتمع الأمريكي كما يقول الإعلام الأمريكي، وقد جعلت مجلة "التايم" الأمريكية "ترامب" (رجل العام)، وسمت أمريكا (الولايات المنقسمة الأمريكية)، وبمجيء "ترامب" انتعشت تلك الأحزاب في كل مكان من الغرب، وأظهر الغرب تعصبه وكشف الحقيقة عن وجهه، وجهر القوم أكثر بعداوتهم للإسلام والمسلمين، وتجلى ذلك في بريطانيا وألمانيا وفرنسا وهولندا والنمسا وغيرها، وسقطت الأقنعة التي كانوا يتسترون بها، بينما لا يزال الأعراب يحاربون الإسلام في بلادهم ويثنون على ترامب!! ولا يثني على ترامب ويؤيد قراراته إلا إسرائيل ودول الخليج، وسيأتي الكلام عن ترامب لاحقا بإذن الله.

وهكذا آلت ديمقراطيتهم إلى الانتكاس إلى الصليبية والنازية والفاشية، وأمثال ذلك، وأصبحوا يعتدون على كل من يخالفهم في الدين أو اللون، وإذا رأوا امرأة تضع على رأسها غطاء اعتدوا عليها وأنزلوها من الطائرة أو القطار أو الحافلة، إلا أن تثبت لهم أنها يهودية وليست مسلمة! إذ أن اليهود الحريديم يحجبون نساءهم وإليهم يميل نتنياهو والليكود.

مع أن في تعصبهم خيرا عظيما، وهو أن يعود المسلمون لبلادهم وأن يرفضوا تنصير أولادهم، وقد جازاهم الغرب جزاء سنمّار، فبعد أن بنوا حضارته، قال إنما جاؤوا إليه ليشاركوه لقمة عيشه ويشاطروه الحرية والديمقراطية.

وصدق الله ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

والعجيب أن الغربيين مع هذا يعتقدون أن فكرهم هو الأرقى، وأنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلا! وأن تثليثهم خير من توحيدنا.

وأعجب عندي من ذلك أن تكون نظرة الساسة العرب كذلك مع من هم ضدهم وضد الأمة، ومن ذلك مثلا أنهم يوادون حزب المحافظين البريطاني

الذي منه بلفور، ويعادون حزب العمال الذي يصرح زعيمه "جيرمي كوربين" بعداوة إسرائيل.

ومن الشرك بنص كتاب الله طاعة من خالف أمر الله، وقد يكون شركا أكبر، وهو الغالب، والذين يشرعون للناس ويبررون ذلك للحكام إن لم يكونوا هم الحكام بين أمرين:

إما أن يقولوا هذا شرعه الله وأذِن به، فهذا افتراء على الله، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾ [يونس:٥٩]، وفي الآيات الأخرى ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٤٠] أو ﴿ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ﴾ [الأنعام:١٣٨].

وإما أن يقولوا هذا من عندنا وأخذناه من عقولنا أو من تجارب الأمم المتقدمة، أو من الفكر السياسي الحديث فهذا تفضيل لآراء الناس على ما شرع الله، وهو كفر ومنازعة لله في ألوهيته، وقد كفر الله من قال: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:٩٣]، فكيف بمن يزعم أن ما وضعه البشر يحقق من المصلحة أكبر مما أنزل الله.

قال الحافظ ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]: "أي حيث عدلتم عن أمر الله لكم وشرعه إلى قول غيره، فقدمتم عليه غيره فهذا هو الشرك، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١].. الآية.

وقد روى الترمذي في تفسيرها عن عدي بن حاتم أنه قال: (يا رسول الله، ما عبدوهم، فقال: بلى، إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم)، وحديث عدي قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية "حديث حسن طويل"، ومراده بطويل روايته الكاملة المشتملة على بعض دلائل النبوة والمغيبات التي لم تقع بعد.

وعرّف الشيخ محمد بن عبدالوهاب الإسلام بأنه الاستسلام لله

بالطاعة.. الخ ونص شارحو كلامه على أن الدين هو الطاعة منهم الشيخ عبدالرحمن بن قاسم ، والله تعالى جعل المتولّي عن الطاعة كافراً.

ومن شروط الإمام القدرة، فإذا كان عاجزا لم تصح إمامته، ولهذا قال بعض الصحابة كما ذكر شيخ الإسلام في كتابه منهاج السنة: "لا يمكننا أن نبايع إلا من يعدل علينا" وذلك في مقام توجيه كلام من لم يبايع، وقالوا أيضا كما ذكر الشيخ: " ليس علينا أن نبايع عاجزا عن العدل ولا تاركا له".

ولهذا توقف كبار الصحابة عن البيعة حتى كان عام الجماعة، وعلموا الناس أنهم مسؤولون عن أهليهم وما ولوا، صغرت الولاية أو كبرت.

وصح أن الإمام جُنّة يقاتَل من ورائِه ويتقى به، فمن كان اعتماده على قوة خارجية تحميه فهو في الحقيقة عاجز، وأما من يبايعه قادة الجيش وشيوخ القبائل وعلماء الأمة طواعية فهو الإمام الشرعي.

وبعض الناس يفعل ما يشاء ويلقي المسؤولية على غيره وينحي باللائمة على العلماء والحكام والإعلام، وينسى أن على كل مسؤوليته، وأنه سوف يوضع في قبره فردا، ويحشره الله إليه فردا، ويسأله عن عمله هو، وعن رعيته هو ولو كانوا أهل بيته فقط، فالمسؤولية مشتركة بين الحاكم والمحكوم قال تعالى عن خير الخلق محمد ﷺ: ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور:٥٤].

فالامبراطور أو الملك أو الرئيس مسؤول، وكذلك وزراؤه وبطانته وجنوده وأعوانه، وكذلك العلماء ثم بقية الناس ﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:٩٥]، ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأعراف:٦]، ولا ينفع الأتباع أن يقولوا ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠﴾ [الأحزاب:٦٧]، أو يقولوا للمتَّبعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٤٧].

ولا ينفعهم الاعتذار بأن الإعلام كان يبث عليهم ليل نهار الإنجازات الضخمة، والمستقبل المشرق، والتقدم المستمر، والتنمية المطردة، وأمثال ذلك،

ويقولون كما ذكر الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [سبأ:٣٣].

كما لا يجدي عنهم شيئا أن يقولوا كان السادة والكبراء ولاة أمرنا، وأنت يا رب أمرتنا بطاعتهم لما قلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء:٥٩] لأنه قال تعالى عقب ذلك في الآية نفسها: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء:٥٩].

كما لا يجدي عنهم شيئا أن يقولوا إن السادة والكبراء كانوا يقهروننا ويتسلطون علينا ويتوعدوننا بسجن المخالف وأذيته ﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات:٢٨]، وتفسيرها هو القهر كما جاء عن ابن عباس، فيجيبهم السادة والكبراء فيقولون ﴿بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات:٢٩].

والله تعالى يقول: ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٣]، ولا ينفعهم الاعتذار بأنهم كانوا تبعا لعلمائهم، فإن الله تعالى قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، وأنذر أولئك العلماء قائلا: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة:٦٣]، فلا يجوز أن يكون لأي مسلم حساب في بنك ربوي مثلا، ويقول إن العلماء يرون ذلك ويسكتون، والإثم عليهم أو على مدير البنك أو على وزارة المالية، أو على الحكومة، فكل واحد عليه مسؤولية، وهذا عليه مسؤولية لا يتحملها غيره.

ولا ينفعهم الاعتذار بأنهم كانوا يأتمرون بأوامر المجتمع الدولي وهيئة الأمم المتحدة لأن الكبراء كلّفوهم بذلك، فقد قال لهم الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، وقال: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٨١]، وقال: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١].

ولا ينفع القول بأن تلك عادة اجتماعية نشأ عليها آباؤنا وأجدادنا من

قبل:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة:١٠٤].

وهل أهلك أبا طالب إلا قول المشركين له: أترغب عن ملة عبد المطلب؟!

ولا يغني عن الأتباع ظنُّهم أن المتبوعين نقلوهم إلى ما هو أفضل، من رغد في العيش وسعة في الرزق، فكل ذلك ابتلاء من الله ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ﴾ [الأنبياء:٣٥]، وربما كان الفقر خيراً من الغنى والجهل خيراً من العلم، والتخلف المادي خيراً من التنمية المزعومة.

ولا أن المتبوعين يتبرأون من الأتباع إذا عاينوا العاقبة ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البقرة:١٦٦]، بل يقول إبليس الرجيم نفسه: ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم:٢٢]، فكيف تُعذر الشعوب بأنها كانت تتبع التطبيل الإعلامي وتصدق شياطين الأنس فيما يقولون أو يكتبون؟

وقد بان لكل ذي عينين أن المطبِّلين جهلة كذابون، والمؤمن ليس مطبلا ولا مداحا، وهؤلاء المداحون يقتلون الممدوح بغير سكين، وينبغي أن يُحثى في وجوههم التراب كما في حديث المقداد.

وماذا يستطيع شياطين الجن والإنس أن يفعلوا لو أن الاتباع كرهوا واعتزلوا: ألم يقل الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ: (من كره فقد برئ ومن أنكر فقد سلم ولكن من رضي وتابع)، وفي حديث آخر (فمن نابذهم فقد نجا، ومن اعتزلهم سلم ومن خالطهم هلك)، وليس ذلك في حق من تمحض للشر واتبع غير هدى الله بل هو في حق من يعرف المرء منهم وينكر، وقد جعل الله تعالى القلوب محصَّنة لا يعلم ما فيها إلا هو، وأعذر من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان، وأقام الحجة على المخالِطين بأهل الأعمال الحرة، وبالزهاد وبالأتقياء، فلم يبق لأحد عذر في طاعة السادة والكبراء من العلماء والحكام

بذريعة أنهم ولاة أمر، أو بأن فلانا مدح وهو أعلم منا، أو أن فلانا سكت وهو أقوم عقلا منا، أو أن فلانا صدقهم في أقوالهم!!

وفلان هذا المحتج بمدحه أو إقراره وسكوته، لو أن البلدية أخذت من أرضه وسكت لم يحتج به عبيد الدنيا، حتى لو أن المأخوذ كان شيئا يسيرا من أرضهم أو بيوتهم، بل يطالبون بالشرع والعدل، ويبرقون ويحتجون وربما أعطوا رشوة دون نظر لفتوى العلماء وأوامر الحكام.

نعم، الحكومات مسؤولة عن الربا مثلا في البنوك أو في شركات التأمين أو في أي شيء، والعلماء مسؤولون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن أحدا لم يأمر المواطن الذي يتعامل بالربا بأن يتعامل به، وهناك مخارج أخرى في إمكان الناس أن يفعلوها، وقد يطيعونها ظاهرا إذا أكرهوا على المنكر وقلوبهم له منكرة. وإنما تجب الطاعة ظاهرا وباطنا لما أنزل الله.

والذي قال: (من مات وليس في عنقه بيعة مات بيعة جاهلية)، هو الذي قال: (من مات ولم يغز أو لم يحدث نفسه بالغزو مات على شعبة من شعب النفاق).

والذي قال: (اسمعوا وأطيعوا) هو الذي قال: (لا طاعة لمن عصى الله عز وجل).

بل قال ﷺ عن أمراء السوء، وبطانة السوء الذين يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون: (فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل).

فكيف يتبع الناس من أمرهم الله بجهاده؟ ولا يعني الجهاد باليد قتالهم في كل حال، وإنما يعني أنه لا بد من العمل والإنكار ولو باليد كما بينته النصوص الأخرى وفعل السلف الصالح وهذه هي المرتبة الأولى وهي تغيير المنكر باليد.

والإيمان ببعض الكتاب دون بعض واتباع الرغبة النفسية إنما هما من

طبائع اليهود!! قال تعالى: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ [البقرة:٨٥]، وحكى عنهم قولهم: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة:٤١]، فليس دافعهم هو الإيمان بل اتباع الهوى.

وصفوة القول أنه لا عذر ولا حجة لموظف أو عسكري أو أي أحد، وكتاب الله بين يديه، وسنة الرسول ﷺ عنده، وسير السلف الصالح مطبوعة يمكنه شراؤها، ولو أدى الأمر به إلى ترك العمل، والرزاق هو الله وليس أحد من خلقه، كما لا حجة لأحد في تتبع رخص العلماء وأخذ ما يوافقه من أقوالهم، وترك أقوال العلماء الآخرين وأدلتهم لأنها لا توافقه، ومن مرض القلب أن يسأل المرء جملة من العلماء لكي ينتقي أخف الأقوال فيعمل به!

وليس من عقيدة أهل السنة والجماعة الدعاء للسلاطين كل جمعة في الخطبة حتى ولو كان دعاء لهم بالاستقامة على الدين، فالمداومة عليه تشعر الناس بأنه سنة، أما الترضي عن الخلفاء الراشدين فإنما هو مع مطابقته لكتاب الله للدلالة على أن المسجد ليس شيعيا ولا خارجيا، فيكفي لذلك مرة أو مرات بلا مداومة، لاسيما في البلاد التي ليس فيها شيعة أو لا يكون الشيعي فيها خطيبا.

ومن البدع التي شاعت في زمننا هذا الدعاء للحكام بطول العمر، وقد يكون طول العمر شراً لا سيما مع الفتنة والضلال، ولهذا دعا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على من كذب عليه بطول العمر والفتنة، وخير من الدعاء لأحد بطول العمر الدعاء له بالثبات على الإيمان وحسن الخاتمة، ولما سمع النبي ﷺ أم المؤمنين حبيبة بنت أبي سفيان تقول: "اللهم متعني بأبي وأخي معاوية"... إلخ. قال: (قد دعوت الله لآجال مضروبة) الحديث كما تقدم.

وأطول الخلق عمرا هو إبليس الذي أنظره الله إلى يوم يبعثون، كما لا يشترط في الدعاء أن يكون علانية، فربما كانت الإجابة أحرى إذا كان خفيا بين العبد وربه، وقد قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥].

وفي استقامة الأئمة وصلاحهم صلاح البلاد والعباد، وقد سبق ذكر أن أبا بكر الصديق ﷺ سئل ما بقاؤنا على هذا الأمر؟ فقال: ما استقامت عليه أئمتكم؟ أما إذا فسدوا والعياذ بالله ففي ذلك فساد البلاد والعباد، قال عبدالله بن المبارك:

وهل أفسد الدين إلا الملوك   وأحبار سوء ورهبانها

لا سيما إذا استبدوا وحكموا بأهوائهم، وهذه سنة يعرفها كل ذي عقل وقال ذو عمرو وذو كلاع كما في الصحيح لما بلغهم أن المسلمين اختاروا أبا بكر عن طريق الشورى: "إنكم معشر العرب لا تزالون بخير ما كنتم إذا هلك منكم أمير وليتم آخر، فإذا أصبحت بالسيف صاروا ملوكا يغضبون كغضب الملوك".

وليس من الشريعة إعلان أحكام الطوارئ كما فعلت فرنسا بعد حوادث باريس ونيس، وتعليق العمل بالشريعة، بل إن المسلم دائما خاضع لحكم الله في السراء والضراء في الرخاء والشدة، ولو كانت المصائب والكوارث تبيح ذلك لأعلنه المسلمون عند أكبر مصيبة حلت بالأمة وهي وفاته ﷺ، وما أعقب ذلك من ردة أكثر العرب، وإنما يعلن بعض الحكام حالة الطوارئ ليضعف معارضته، وبعضهم كل حكمه حالة طوارئ وإن لم يقل ذلك.

ولما كان بعض المرجئة يستدل بأن بعض السلف لم يخرج على الحجاج كان لابد من إيضاح أمره بما أُثبِت تاريخياً:

ومنه أن للحجاج صفحة ناصعة من حياته، وذلك أنه لما كان واليا على مكة أمره عبدالملك بن مروان بأن يتبع أمر عبدالله بن عمر في كل شيء، ففعل الحجاج ذلك، ثم انتقل إلى العراق فكان منه ما هو معلوم، ثم إن بني أمية عزلوه، فقياس ما يصدر من حكام العصر من التخلي عن شرع الله رأساً، وجهلِهم الشديد بالدين، وعدمِ التفريق بين الظلم والجور وبين الإعراض عن الدين، لا يصح بحال من الأحوال، على أن من السلف من

كفَّر الحجاج، وليس هذا موضع الحديث عن ذلك، ولندع الحكم على الحجاج فقد أفضى إلى ما قدم، وهو بين يدي الحكَم العدل الذي لا يظلم الناسَ شيئا، ولننظر كيف عامله السلف الذين هم القدوة في العلم والعمل، فأكثرهم قاومه وحاربه مع ابن الأشعث لما ثار عليه، ومنهم مسلم بن يسار رضي الله عنه، والقلة منهم كانت منكرة لأفعاله كالحسن البصري رضي الله عنه، ومنهم من أنكر عليه وواجهه ورد عليه كل أقواله، كسعيد بن جبير وفضَّل أن يموت على أن يقرّه على بعض ما صنع.

والمهم أنه لم يقره أحد من السلف لا في عصره، ولا بعد عصره، لا من خرج عليه، ولا من لم يخرج، فلا يحتج به إلا المرجئة.

ومن التناقض الذي يقع في بلاد الحرمين أننا نفتخر ونقول إننا الدولة الوحيدة التي تحكم بما أنزل الله، وفي الوقت نفسه لا نلزم بذلك الدول الأخرى التي نعطيها المليارات، مثل مصر والمغرب والأردن؟ وكيف نكون شهداء على الناس ونحن نستحي من ديننا ولا ندعو إليه من هو محتاج إلينا، فضلا عن الدول التي نسميها متقدمة، ونجتهد لكي نكون متقدمين مثلها؟!

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣].

وقال: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج:٧٨].

وإنما نكون على ملة إبراهيم عليه السلام وشهداء على الناس بتحقيق التوحيد والاستعلاء بالإيمان.

وعندما نعطي هذه الدول المليارات، ونسكت عن تحكيم الشرع فيها نكون قد قلنا بلسان الحال: التشريع مسألة اجتماعية داخلية والقوانين يجوز تحكيمها، وهذا كفر كما قرره العلماء: محمد بن إبراهيم ومحمد الأمين

الشنقيطي والشيخ ابن باز والشيخ ابن حميد والشيخ ابن عثيمين رحمهم الله وغيرهم.

والواقع أنه لا يوجد في السعودية ما يسمى الفصل بين السلطات إلا نظريا، فالسلطات كلها خاضعة لما تقرره القيادة، ولذلك من السهل دعوة القيادة لتطبيق الإسلام كاملا فتصلح الأمور وتستقيم، وقد أغنانا الله بكتابه العظيم وسنة نبيه الكريم ﷺ، وما قرره العلماء في العقيدة والأحكام السلطانية عن نظريات الفكر السياسي الغربي كالديمقراطية والفصل بين السلطات اللتين هما خير من الاستبداد وتغوّل الدولة.

كما أغنانا عن فوضوية أبي بكر الأصم و"باكونين" وعن عقد "روسو" الخيالي، وعن الثورة الفرنسية وكل فلسفات عصر التنوير ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

والدولة التي تمدد الأحكام باسم "الأحكام الإدارية" هي إسرائيل، وليت اللجنة الأمنية عندنا تجعل تمديداها شهورا، كالأحكام الإدارية اليهودية، ولكنها تجعلها سنين قد تكثر، والتهمة عند هذه اللجنة غالباً هي حيازة السلاح، الشيء الذي لا يخلو منه بيت من بيوت القبائل اليمنية، أو همة السكوت عن الإرهابيين، والتستر على المطلوبين، وكأنه يجب على كل مواطن أن يكون مخبرًا مجانيًا.

والقضاء اليهودي يحكم بإبعاد -من يتواطأ مع مخالفي الدولة- ١٥ يومًا، فليت القضاء السعودي يحكم عليه بالسجن ١٥ يومًا، ولكنه يحكم عليه بالسجن ١٥ سنة إن سلم من القتل!.

دع خطب الشيخ رائد صلاح ونائبه كمال الخطيب، فلا يستطيع أي سعودي أن يخطب بمثلها.

ولا تصح دعوى استقلال القضاء مع بقاء المجلس الأعلى للقضاء خاضعًا لوزير العدل الخاضع بدوره لقرارات مجلس الوزراء؟

كما لا تصح دعوى استقلال القضاء مع التدخل في عمل المحاكم،

والاعتذار بأنه لم يُحَل لها كل شيء، ولماذا لا يحيلون لها كل الأوراق ويلتزمون بأحكامها ولا يزيدون عليه؟

ولا يصح استقلال القضاء ما دام في وزارة الداخلية أو وزارة الأمن لجنة تمدّد الأحكام كما تشاء، وأفرادها ضباط يساوون بين المتهمين بحسب النظام، بينما القاضي قد يحكم على أحد بمجرد التوبيخ وقد يحكم على غيره بسنوات من السجن.

وهذه أمثلة مما يجب فعله أورده للقضاء لكي نكون فعلا نحتكم إلى شرع الله:

١. يجب أن يكون القضاء بما أنزل الله وتكون الشريعة هي الحاكمة وحدها.
٢. يجب الفصل التام بين السلطتين التنفيذية والقضائية، وإخضاع الأولى للثانية.
٣. لا يسمح للشرطة أو المباحث بحضور جلسات المحاكمة.
٤. يحق للمتهم أن يدافع عن نفسه كما يشاء، وللقاضي وحده إقرار ما يراه من ذلك.
٥. يحق للقاضي أن يحكم ببراءة من لم تثبت إدانته، وتعويضه بما يراه فضيلة القاضي أيضًا وإرجاعه إلى عمله ورد اعتباره.
٦. أن يكون التحقيق والسجن تابعًا للمحاكم الشرعية وحدها.
٧. أن يكون الحاكم الشرعي أعلى من الحاكم الإداري.
٨. لا يجوز التنصت على أحد أو حبسه أو فصله من عمله إلا بحكم قضائي.
٩. لا يجوز منع أحد من السفر أو منع كتبه إلا بحكم قضائي.

وأمثال ذلك مما يعلمه إخواني القضاة أكثر مني.

وعلى القضاة أن يحكموا بما أنزل الله في كل مسألة، ومن رأوا قتله تعزيرًا لبدعته أو إجرامه، وجب إنفاذ حكمهم، وعليهم متابعة ذلك، ولا

يحيلوا إلى الجهلة، أو يقولوا هذا من اختصاص السلطة التنفيذية، أو هذه قضية سيادية أو هذا مما استثناه ولي الأمر وشكل له لجنة، وإذا أشكل عليهم أمر فليسألوا أهل العلم، ولا يحيلوا الأمر لشعبة الخبراء ولا لأي جاهل بالشرع.

والقانونيون فقط هم الذين يجعلون من حق رئيس الدولة إنفاذ أحكامهم بل تغيير قوانينهم.

وكم من مجرم عفا عنه الحكام لمجرد أن شعره أشقر وبشرته حمراء، وكم قتلوا لمجرد أن القتيل غير مواطن، فأين استقلال القضاء؟.

ولا أريد أن أعدد قضايا كثيرة أعرفها شخصيًا حصل فيها المجرمون على العفو، وبذلك كسب الزعماء الجميل وذهب القضاة بالعار.

وإذا أراد القضاة في هذه البلاد المقدسة أن تصلح الأمور، فليقفوا مع هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويطالبوا لها بالصلاحيات الشرعية ومنها أن تسجن من فعل المنكر، ومنها أن تفتش في المطارات والمنافذ كما كانت، ومنها أن تُضم للهيئة كل إدارة تعمل على تغيير المنكر مثل مكافحة المخدرات، ولجان ذلك في الجمارك والدفاع المدني والبلدية والشرطة، فالإسلام ليس مجرد شعارات ترفع، بل هو حقائق واقعية لابد من العمل بها، وبذلك تقل القضايا لدى المحاكم، على أن للقضاة أن يطالبوا بزيادة العاملين في المحاكم بدلا من افتتاح وزارات أو إدارات أو هيئات جديدة.

وقد حاكم القضاء اليهودي نتنياهو على تذاكر قبضها، وسجائر قيل إنها أهديت له، فهل يستطيع قضاة المسلمين محاكمة من سرق المليارات من بيت مال المسلمين؟.

ولا يجوز الإلزام أو الالتزام بغير حكم الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك".

ومن حق القضاة تعيين رئيس الدولة عند الاختلاف أو عزله أو الحكم عليه وفق الشرع، فقد تكون الإجراءات الانتخابية نفسها غير دستورية، وقد

يكون انتخاب الرئيس أو عزله وفق حكم قضائي وليست وفق الانتخابات أو الرغبات الشعبية، حتى في الدول التي تدعي الديمقراطية والتقدم.

فقد عينت المحكمة الفدرالية "جورج ووكر بوش" رئيسًا للولايات المتحدة، كما أن المحكمة في كوريا الجنوبية عزلت رئيسة البلاد من الحكم، وقضاة سياتل خالفوا ترامب.

وهذه هي المترلة الحقيقية للقضاء التي يفتقرها قضاتنا في المملكة.

ومرجع القضاة هو الدستور، فكيف يقال إن دستور المملكة هو القرآن؟ بينما يرجعون للأوامر والأنظمة؟

والقاضي إنما يتبع حكم الله، فمن أبان عن حكم الله ولو كان خارج السلطة القضائية وجب الرجوع لقوله، أما القانونيون فلا بد أن يكون ذلك من العاملين في درجة أعلى من درجات التقاضي الادارية.

فالإلزام في الشريعة يأتي من كون ذلك هو حكم الله أيا كان قائله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦].

وقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [النور:٥١].

ومن أبى ذلك فقد قال الله عنه: ﴿وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧].

وأما القانون فعكس ذلك كما سبق.

والقضاء الأمريكي يبطل أمر الرئيس، انظروا مثلا كيف حكم قاضي سياتل بإبطال أمر "ترامب"، أما هنا فيقول وزير العدل، إن وزير الداخلية ولي أمره!

ومن العجيب هنا أن من يدعي أنه يحكم بما أنزل الله يضاعف دية الغربي، وقد يعفو عنه مهما ارتكب، ودية الكتابي حددها العلماء قديمًا استناداً إلى أدلة ليس هذا موضعها، فكيف أصبحت اليوم أضعاف دية المسلم

في بلاد التوحيد؟! وربما لا يعرضها المسؤولون على الشرع أصلا، لأنهم يعلمون أنها ليست كدية المسلم بل يحكمون على الكافر بما يرون، ومن امتهان الإنسان المصري، أن يقتل السيسي خمسة من المصريين لكي يخفوا آثار جريمة قتل غربي واحد!

والغرب يعمل بالمصلحة وليس بالعدالة، والعنصرية هي رائدته وليس المساواة بين خلق الله، وقد ضج الغرب كله من أجل مقتل طالب إيطالي واحد، بينما صمت أكثرهم أو استنكر بعضهم على استحياء، لمقتل الملايين في بلاد الشام، وقل مثل ذلك في العراق، لاسيما عند غزو أمريكا له، فأين المساواة وأين العدالة؟

وهكذا يتبين للمسلم أن الديمقراطية الغربية هي أن تقول أو تفعل ما يريد الملأ أن تقوله أو تفعله.

ومن ذلك أن ما تتشدق به الحكومات الغربية من مساعدات خارجية إنما يدفع للشركات التي تقدمه في شكل بضائع أو تنفيذ مشروعات، وأنهم يدعمون شركات (السوبر أغنياء) من جيوب دافعي الضرائب مثل شركة (جنرال موتورز).

كما أن بريطانيا التي كانت عظمى عقدت مؤتمرا سريا سنة ١٩٠٧ أكثر حاضريه من اليهود ودعي له أصحاب الرأي والفكر وكان منهم سياسيون متنفذون، والكل مجمع على ما سموه "تفوق الحضارة المسيحية" ومقاومة ما تتعرض له من خطر، وقد أوصى المؤتمر بضرورة إقامة دولة تفصل بين الشطر الآسيوي والإفريقي، وذلك أحد المشروعات التي وضعها الصليبيون منذ القرن الرابع عشر الميلادي وجمعها السفير الروماني في اسطنبول في كتاب بعنوان "مئة مشروع لتقسيم تركيا" ثم وضعوا الوثيقة المسماة وثيقة كامبل وهو (كامبل فيرمان) رئيس وزراء بريطانيا، ثم وضعوا اتفاقية سايكس بيكو السرية التي كان من واضعيها أيضا وزير خارجية روسيا القيصرية لكن الله أراد أن تكشفها الثورة البلشفية سنة ١٩١٧، ثم إن

الأمريكان وضعوا ما سموه (خارطة الدم) التي نشرتها مجلة الجيش الأمريكي ورد عليها بعض الفضلاء بدافع إسلامي كالدكتور وليد الهويريني كما رد آخرون بدافع قومي كالتجمع القومي العراقي.

أما وزارة الإعلام والثقافة في السعودية فاكتفت بحجب الموقع. وأظن أن للرافضة مساهمة في تلك الخارطة وأنها امتداد لما سمي الإقرار بحق كل طائفة في الحوار كما دعا إليه الرافضي محمد رضا نصر الله المشرف الثقافي على جريدة الرياض. (انظر عددها رقم ١٢٧٧٧).

- مسألة الخروج على الحاكم:

من المسائل التي كثر فيها الجدل والخوض هذه الأيام مسألة الخروج على الحاكم وهي إحدى المسائل المهمة في الفكر السياسي الإسلامي وينبغي للباحث فيها أن يبني على قواعد قرآنية معلومة لا يجوز الخلاف فيها:

١- أن الحاكم لا يكون مسلما إلا إذا حكم بالشريعة لا بالقانون وأن تكفير من حكم بغير الشرعٍ صريح في كتاب الله، وأن الله سمى إيمان من أراد ذلك - مجرد إرادة- زعماً وبين أنه من عمل المنافقين الذين لا يقبل الله منهم صرفا ولا عدلا وإن صلوا وصاموا وحجوا وفعلوا ما فعلوا من الطاعات.

٢- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس خروجا أبدا؛ بل هو واجب على كل مسلم بقدر استطاعته وكذا الجهاد.

٣- أن من اتخذ الكفار أولياء فإنه منهم بنص القرآن ومن موالاتهم في عصرنا -بل هو من أشدها- الدخول تحت قيادتهم وكذا تمويل مشروعاتهم، وذلك ناقض من نواقض الإسلام يجب على العلماء بيان خطره والتحذير منه، وبيان أحكام الأتباع مثل الطيارين.

٤- أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

أما الحاكم المتغلب فإن كان جامعا للشروط الشرعية وسماه الناس أمير المؤمنين جاز إقراره، وفي كل الأحوال يصبر المؤمن على حقه الشخصي ولا

يصبر على حدود الله إذا انتهكت.

٥- أن ولاة الأمر صنفان (الأمراء والعلماء)، كما ذكر شيخ الإسلام، بل إن كتاب الله ليدل على أن العلماء هم الحكام على الأمراء، فإليهم يرد ما تنازع فيه الأمراء ومعارضوهم كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء:٥٩] الآية، ومعلوم أن الرد إلى الله إنما هو إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول إنما هو الرد إلى سنته، والعلماء هم أعرف الناس بالكتاب والسنة.

وقد قال عطاء ومجاهد وابن عباس وأبو العالية في معنى ولاة الأمر: هم أولو الفقه والعلم، ومن العجب أن يتفق في العقيدة الإرجائية -أعني اعتبار الإعراض عن القرآن مجرد معصية- الجامية والخوارج، ثم إنهما يفترقان، فالجامية يرون وجوب الطاعة، والآخرون يرون جواز الخروج!!

أما أهل السنة فهم يقولون إن المعرض عن القرآن المتحاكم إلى غيره كافر كفرا يخرج به صاحبه من الملة، وعلى هذا مشايخنا كالشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله، فهما يقولان إن من لم يحكم بما أنزل الله كافر ظالم فاسق، على ما دلت عليه آيات المائدة، ومهما اختلفت الأوصاف فالمسند والمسند إليه واحد، لكن إذا أمكن عزله بلا مفسدة أكبر فهو المتعين.

وبعض تصريحات الملالي تستخدمها إسرائيل لتبرير حلب أمريكا وضغطها على دول الخليج للتطبيع معها. واليهود والنصارى بعضهم أولياء بعض كما ذكر الله ذلك، فقد نقلت صحيفة الرياض عن "ديفيد كاميرون" رئيس حزب المحافظين البريطاني قبل "تريزا مي" قوله: "إن مناصرة إسرائيل هي في جينات الوراثة لأعضاء هذا الحزب"، ويقول "أنا صهيوني"!!

ومن الحزب المذكور انطوني أيدن صاحب فكرة إنشاء جامعة الدول العربية، وبلفور صاحب الوعد المشؤوم، وكثير ممن لا نعلم أهو يهودي أم نصراني.

وفي عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين كانت كل الأحداث مكشوفة يعلمها الخاص والعام، أي أن الحرية الفكرية كانت لكل إنسان أما الغرب فيشترط للإفراج عن المعلومات مدة معيّنة تمضي عليها فلماذا؟ وهل هذا عمل ديمقراطي؟

وبعض القضايا يمر عليها أكثر من المدة القانونية ولا ترى النور، فالسياسة الأمريكية مثلا تخفي ما تريد وربما إلى الأبد فقد مرت حوالي ثمانية عقود على إلقاء القنبلة على هيروشيما وحتى الآن لم يفرج عن الوثائق، ولو أن أمريكا سمحت بنشر هذه الوثائق لأغنى ذلك عن التحليلات والتخمينات التي كانت ولا تزال.

وحتى إن أبصر النور فهو معدّل بما يتناسب مع ما يسمونه "الأمن القومي" و"المصلحة الوطنية"!!

ومن المعلوم أن دونالد ترامب ينتمي للكنيسة الإنجيلية (الفرع المشيخي)، ولكن الكنيسة تبرأت منه، فمتى يتبرأ منه المسلمون.

الوطنية والقبلية:

الوطنية هي الشعار الذي يؤمن بن المنافقون كما قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله عند قوله تعالى عنهم: ﴿يَـٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ﴾ [الأحزاب:١٣]: "والوطنية شعبة من القومية وأضيق منها القبليّة وهي الشعار الذي فرق المجتمعات وسيمزقنا لو أننا آمنا به وكفرنا بالوحدة الإسلامية، وجعلناه للولاء بدلا من التعارف، وقد قال قزمان لما هنأه البعض بالشهادة "إنما قاتلت دون أحساب قومي"، فصدق عليه قول النبي ص: (هو في النار)، وقال الشيخ الجزائري الإبراهيمي رحمه الله: "إن الغرب صدّر لنا هذه الوطنيات الضيّقة".

والإسلام يشترط أن يكون الإمام تقيا لا أن يكون ثريا وعلى القاعدة اليهودية التي رفضت من قبل أن يكون طالوت ملكا لأنه لم يؤت سعة من

المال تسير اليوم الرأسمالية الأمريكية التي تشترط ولو لم تعلن أن كل رئيس لأمريكا، لا بد أن يكون مليارديرا يملك شركة كذا متعددة الجنسيات، وعلى ذلك أيضا يسير المنحرفون من الفرق الإسلامية الذين يعترضون أن يكون الأمر لقريش.

وقد فسر الإمام الزهري حديث (أن للقرشي قوة رجلين من غير قريش) بنبل الرأي، أي أنه المقدرة العقلية لهم، وقد شهدنا ذلك يوم كان اللواء فيصل الحارثي مديرا لشرطة مكة المكرمة، وكان يستخرج بفراسته اللصوص أثناء الطواف، وكان مثله ممن أعرف في العبقرية الفريق هاشم عبدالرحمن والأستاذ خضر القرشي.

فإذا كان قرشيا وكان تقيا وكان عبقريا فكيف يستبدل بغيره؟

وكيف يترك مؤمن منهج النبي ﷺ ويتبع منهج أتاتورك؟

و"أتاتورك" ليس واحدا فقط في العرف الغربي، بل إنه يتلون بلون البيئة ويختلف باختلاف التقاليد الشعبية، فلم يكن أمان الله في أفغانستان، ولا زياد بري في الصومال إلا نسخة معدّلة من مصطفى كمال في تركيا، وقس على ذلك جمال عبدالناصر وسائر حكام العرب.

وكذلك بشار والشبيحة، فلكل بلد بشاره وشبيحته.

حكم زيادة (إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان).

ورد في إحدى روايات حديث عبادة زيادة (إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)، والظاهر أنها ليست مرفوعة إلى النبي ﷺ وإنما هي مدرجة من كلام عبادة بن الصامت ﷺ أو من كلام سميّه وحفيده عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت وأنها عبارة خرجت من أهل الشام بعد ظهور المروانية فيهم، والشيخان في الصحيحين إنما وردت عندهما في لفظ وغيره من الألفاظ لم ترد فيه، وقال بعض المحدثين إنها زيادة منكَرة، ومن الأدلة على ذلك أن أحدا من الفئتين المتقاتلتين لم يذكرها.

وقال سفيان كما في المسند: "زاد بعض الناس، ما لم تروا كفرا بواحا"، والكلام فيها يطول، ولكن حسبنا الإجمال فنقول: هذه اللفظة معلولة إما منكرة وإما شاذة وإما مدرجة، وليست مرفوعة والله أعلم.

وهذه الزيادة لم يذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله مع إيراده كامل حديث عبادة بن الصامت، ولا أحسبه إلا متعمدا نظرا لكثرة المعترضين عليها (انظر: ص٨ من ج٣٥ من مجموع الفتاوى)، وكذلك لم يوردها الامام أحمد الذي هو أجل شيوخ البخاري في مسنده، وإنما ذكر أحمد كلام سفيان أن بعض الناس قالها، كما أوردها الإمام أحمد في المسند موقوفة على عبادة، على أن هذه الزيادة نفسها فيها ما يدل على شروط الإمامة الشرعية المذكورة في الأحاديث الأخرى كلفظة "أهله"، فإن من لم تتحقق فيه الشروط ليس من أهله.

كما أن بعض العلماء يقول إن الرواية الصحيحة هي (إلا أن تؤمروا بمعصية الله براحا)، وعلى هذا تكون البيعة التي في الحديث كبيعة النساء المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة:١٢]، ويدل على هذا حديث بايعنا النبي ﷺ كبيعة النساء، وفي حديث عبادة بن الصامت نفسه (أخذ النبي ﷺ علينا البيعة كما أخذ على النساء).

وهذه البيعة كانت ليلة العقبة وبعد ذلك كانت الهجرة ثم وقعة بدر كما هو معلوم وقد روى الإمام مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ لما استشار أصحابه بشأن قتال قريش يوم بدر، أعرض عن المهاجرين وأنه إنما أراد الأنصار فقالوا رضي الله عنهم: "لو استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك"، وقال بعض العلماء إن هذه الزيادة من كلام عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، ولو كانت من كلام النبي ﷺ لكانت أولى أنه يستدل بها إحدى الطائفتين يوم صفين ومن المحال أن تتواطأ الأمة على كتمانها، وهذه الزيادة صحيحة ورواها البخاري ولا شك أن كل ما في الصحيح صحيح، ولكن أهو صحيح مرفوعا أم صحيح موقوفا هذه مسأل أخرى وقد انتقد الدارقطني مثلا أحاديث جاءت في الصحيحين مرفوعة بأنها موقوفه.

كما أن صحة الحديث لا تقتضي لذاتها وجوب العمل به إذا عارضها ما هو أصح أو أقوى في النظر منه، وقد رجحت هيئة كبار العلماء في السعودية ومعهم الشيخ عبدالعزيز بن باز بعض الأحاديث على أحاديث في الصحيحين، كما أن البخاري نفسه قد رجح بعض الصحيح على بعض على أن هذه الزيادة لو صحت من كلام النبي ﷺ لقلنا بها ولا نبالي، وهذا هو المنهج الذي نراه في هذه المرحلة.

ثم على أنها مرفوعة وليست مدرجة لا تدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحال.

والسياسة أعقد من أن تكون مصالح الأعداء واحدة في كل شيء أو يختلفان في كل شيء خذ مثلا الروس والأمريكان في زماننا، فلكل مصالحه وأساليبه ولكنهما وجهان لعملة واحدة في كثير من المواقف، و منها الموقف من إسرائيل، والموقف من الجهاد، والظالمون كما ذكر الله بعضهم أولياء بعض، يتفقون في قضايا كثيرة، كما أن الأحزاب يوم الخندق كان لكل مصلحته وهدفه، فقريش لها مصلحتها وهدفها وغطفان كذلك، ويهود بني قريظة كذلك، وكان يهم المسلمين فك هذا التحالف بالحيلة والذكاء

السياسي.

والأمريكان والروس كل منهما مهزوم، لكن هزيمة أحدهما تختلف عن الآخر، فقد انهزم السوفيت في أفغانستان، وانهزمت أمريكا في العراق وكلاهما مهزوم في الأرض المقدسة "بلاد الشام"، وكذلك يختلف تعاملهما، ولما كانت أمريكا أذكى وأخبر واستعمارها بالمكر أخفى، استطاعت أن تجمع بين ما ظاهره التناقض وعاملت كلا بحسبه، فلما كان الدين هو أصل تعاملها مع إسرائيل أعطتها السلاح والمساعدات المجانية، وقالت إن ما يربطها بإسرائيل أكبر من أن يكون مصلحيا، ولما كان ما يربطها بجزيرة العرب هو الربح المادي فقط، جعلتهم يشترون منها بل يستأجرونه بأضعاف سعره وهكذا..

ومن علامات الإفلاس السياسي، أن يتهم كل من الحزبين الكبيرين في أمريكا الحزب الآخر بأنه في أزمة وأن عليه إذا ما أراد الاستمرار أن يغير منهجه الحالي، والواقع أن كلا منهما صادق كما صدقت اليهود والنصارى في قول كل طائفة منهما ليست الأخرى على شيء، فالأزمة تشملهما معا وهي أكبر من كليهما، وهي أزمة الديمقراطية نفسها، حيث يفكر كل منتخب فيما يرضي قاعدة الانتخابية، وما الذي يجمعها، وكيف يزداد الناخبون، وفي الدرجة الثانية تأتي المصلحة الوطنية، كما أن لقوى الضغط "اللوبي" دورها الكبير في ذلك، أي أن الواسطة عند المتأخرين فردية أما عند المتحضرين فهي كتل جماعية!!

وكل من الفريقين يستند إلى الدستور، مما يدل على أن في الدستور مواد متناقضة، خذ مثلا كون الرئيس لا بد أن يظل أربع سنوات في الحكم كما تنص الفقرة الأولى من المادة الثانية، فالجمهوريون يحتجون بذلك على أن ترامب لابد أن يكمل المدة! بينما يستند الديمقراطيون إلى التعديل الخامس والعشرين للدستور لكي يعزلوا ترامب.

ونظرا للفشل الذريع الذي حدث للحكومات الأيدولوجية في الغرب،

لجأ الغربيون إلى ما يسمونه "حكومة التكنوقراط" أي الخبراء الفنيون الذين لا أيدولوجية لهم أولا تهمهم الأيدولوجية!!

كما ظهر للعالم إخفاق حكومة المحاصّة، وإخفاق الحكومات الإئتلافية، وظهرت جليّة عيوب الحكومة الوظيفية، أو ما يسمونه "الحكومة الأدواتية"، وقد جربوا كل شيء إلا الإسلام، مع أن الحكومة الإسلامية هي التي تحقق العدل بين الناس بغض النظر عن التسميات.

والمواقف السياسية في الإسلام مبنية على القطعي أو الراجح من النصوص، فإذا ترجحت لدى المسلم النصوص الواردة في أمر على النصوص الواردة في آخر، فعليه العمل بما ترجح لديه، فمثلا ترجح لدى عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وغيرهم من الممسكين في الفتنة، النصوص الواردة في ترك القتال على النصوص الموجبة لطاعة الإمام الذي هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁، وعلى وجوب البيعة له، وعلى ذلك أهل السنة وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل الذي صرّح به مرات وفي عدة روايات، فعقيدة أهل السنة كما نص شيخ الإسلام ابن تيمية هي تفضيل موقف الممسكين عن القتال على الطائفتين المقتتلين، وإن كان أهل العراق في حياة أمير المؤمنين علي ﵁ أقرب للحق من أهل الشام.

وترك القتال هو الذي تمناه أمير المؤمنين علي ﵁، وثبت أنه ندم لما رأى ما جرى بين المسلمين من الدماء وقال لابنه الحسن "ما كان أبوك يظن أن الأمور ستؤول إلى ما آلت إليه"، وقال: "لله در مقام قامه عبدالله بن عمر وسعد بن أبي وقاص، إن كان خطأ إن إثمه ليسير، وإن كان صوابا إن أجره لكبير".

وسئل أبو وائل هل شهدت صفين؟ قال (نعم وبئست صفون)، وكتب أمير المؤمنين علي ﵁ إلى صديقه الوفي أسامة بن زيد طالبا منه المشاركةن فرد عليه أسامة "والله لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك، ولكن هذا أمر لم أره" رواه البخاري.

والأخبار الثابتة في ذلك كثيرة، فكيف يقول المرجئة بالطاعة لولي الأمر في كل أمر؟ ومن ظن ذلك فقد خالف عقيدة أهل السنة والجماعة.

وليس في التاريخ الإسلامي قط من جعل المعيار بين أهل السنة والجماعة، وأهل البدع والأهواء هو طاعة السلاطين وتسميتهم ولاة الأمر.

دونالد ترامب:

– هو الرئيس الخامس والأربعون لأمريكا.

– وهو طاعن في السن فعمره الحقيقي فوق السبعين.

– في ٢٠ من يناير ٢٠١٧م وبعد أن أعلن المجمع الانتخابي فوزه دخل البيت الأبيض.

– ليس لديه أية خبرة سياسية، و لم يتول أي عمل سياسي قبل ذلك، وإنما هو تاجر عقار له أبراج كثيرة.

– ينتمي للطائفة الإنجيلية (الفرع المشيخي)، وهي إحدى طوائف البروتستانتية وكثيراً ما حذر منها الأقباط في مصر وخافوا من تبشيرها لاسيما في بعض المحافظات كالمنيا، وقد تبرأت الكنيسة الإنجيلية منه بعد حادثة كنيسة المهد!

– زوجته عارضة أزياء من أصل عربي "نصراني".

– أعلنت ابنته "إيفانكا" أنها تهودت لما خطبها اليهودي "جاريد كوشنر"، ثم إنها ولدت من "كوشنر" فأصبح ترامب جدا لليهود.

– متأثر جدًا بأفكار بانون وفيلين وأمثالهما من الأصوليين، وترامب ممن يسمون الانجيليين الجدد، فليس كل الانجيليين يوافقونه ولا كل اليهود، وهو صهيوني منحاز لإسرائيل علنًا، ولما زار حائط المبكى لم يزر الصخرة القريبة منه، وأحاط به (١١) من اليهود.

– هو شخص متقلب المزاج ولا يستطيع أحد التنبؤ بما سيفعل! ويقيل أعضاء حكومته باستمرار.

– قامت ضده مظاهرات في كل أنحاء أمريكا "٦٠٠ مظاهرة".

– هو شخص غريب الأطوار يصعب التنبؤ بما سيفعل، ويتناقض في الخطاب الواحد.

- يتهم كل من يخالف سياسته بعداوة الشعب الأمريكي، وكذا اتهم الإعلام الأمريكي نفسه وقاطعه واتهم الأمم المتحدة وقال إنها: "بيت الأكاذيب".

- يتهمه أعداؤه بوقوفه إلى جانب بوتين، ويخشى هو أن ينشر بوتين فضائحه الجنسية لما زار موسكو.

- يقول عنه كثير من الأمريكيين إنه مختل عقلياً ويستدلون على ذلك بأنه مثلا يكتب كلمات لا معنى لها، هذا فوق تصرفاته الغريبة وآرائه المتقلبة، وأنا أرى أنه لا يصلح لأمريكا إلا مثله وأنه من علامات أفول أمريكا.

- أعلن بنفسه في حملته الانتخابية ثم بعد تنصيبه، العداوة للمسلمين وأطلق كلمة "المسلمين" صريحة على كل معتد أمريكي له أصول إسلامية، وصرح بما يسميه "الفاشية الإسلامية" وأصدر أمره التنفيذي بمنع مواطني سبع دول من العالم الإسلامي من دخول أمريكا، كما فعلت الكثير من الولايات الأمريكية من قبل.

- في عهده أحرقوا مراكز إسلامية تشتمل على مساجد ومكتبات.

- بدأ أعماله الخارجية بضرب مطار الشعيرات بالصواريخ، وتهديد كوريا الشمالية وإيفاد وزير خارجيته إلى موسكو.

- إن أنس لا أنسى صورة ذلك الرجل الذي أظنه مصريًا، كان يقف خلف ترامب وهو يلقي خطابه مشيرًا إلى الناس ألا يصدقوا ترامب.

- لترامب علاقات معلومة بممثلات "هوليود" نشرتها بعض المجلات الإباحية الأمريكية.

- من علامات ضعف أمريكا أن يكون رئيسا لها، ثم إن الله سلط عليه من هو مثله أو شر منه هو "كيم جونغ" رئيس كوريا الشمالية، ولا يدري أحد ماذا سيفعل الأحمقان.

ويكفي المسلمين فخرًا إجماع مفكري العالم ومراقبي السياسة الدولية على أن رجب طيب أردوغان أخبر بها من ترامب.

-وصف ترامب المجاهدين في فلسطين بأنهم إرهابيون ومتطرفون، بينما سكت عن قطعان المستوطنين.

وستكشف الأيام المزيد عن شخصيته، حيث لا يزال في أول حكمه.

كيف استقبل العالم تعيين ترامب؟.

-حليفته أوربا أعلنت ذهولها وصدمتها، وقال بعضهم: "إن العالم كله يتطرف وإن الديمقراطية تحتضر وإن العالم يجنح نحو اليمين"، وقال بعض زعمائها وفلاسفتها: "إن يوم انتخاب ترامب يوم أسود" وقال بعضهم: "تصبب العرق من ظهري لما سمعت نبأ انتخاب ترامب" ولم يبتهج بانتخابه إلا الأحزاب اليمينية، ومن يزعم أنه صديق حقيقي للإسلام!

-في الشرق تشاءمت إيران من انتخابه، بينما هلل له الإعلام السعودي قائلا أن ترامب سوف يغيّر آراءه عند دخوله البيت الأبيض، وقال: إن السياسة الأمريكية سياسة مؤسسات لا أفراد، كما عبر نتنياهو عن تخوفه وكذا بوتين، بل صرح بعضهم بأن الفايز الحقيقي هو القيصر المريض بوتين، وترامب أول رئيس أمريكي يخرج ضده مظاهرات داخل أمريكا وخارجها، وقالت صحف عالمية كثيرة ومفكرون كثيرون عن انتخابه: هذه مفاجأة تحصل لأول مرة في التاريخ!

-في عهده بدأت (كاليفورنيا) الولاية الذهبية الغنية، جمع التوقيعات للانفصال عن الولايات المتحدة كما سيأتي، ووضعت مجلة التايم الأمريكية ترامب أكثر إنسان تأثيرا في العالم، وكتبت بجانب صورته "الولايات المنقسمة الأمريكية"!!

-حدثت انشقاقات جديدة في الحزب الجمهوري نفسه ضد ترامب وضد مسؤول حملته حاكم نيوجرسي.

- كان رؤساء أمريكا قبله متهمين بالتدخل في الانتخابات الروسية، أما هو فمتهم أن الروس تدخلوا في انتخابه!

–لأول مرة تجتمع بيده كل السلطات فقد أصبح حزبه هو الأغلبية في الكونجرس بمجلسيه وفي المحكمة العليا.

–عقب انتخابه انخفضت قيمة الدولار والعملات المرتبطة به، وكذا قيمة الأسهم والبورصات العالمية، وخشي العالم من مفاجآته، إذ هو بنص الدستور القائد العام للقوات المسلحة أيضًا، ومن حقه تغيير عشرين ألف موظف فيدرالي.

أما أنا فقد سرني انتخابه لأسباب آخرى منها: أننا أمة لا تصحو إلا بوقع ضربات العدو الصريح، وقد أخرج الله أضغان الكتابيين وحقدهم، وبدت البغضاء من كل أقوال وأفعال ترامب وما يخفي صدره أكبر، على أننا قد تعودنا التخدير، وألفنا حب الدنيا وكراهية الموت، ولم أسمع أي تصريح لهيئة كبار العلماء عن هذه الكارثة، التي لو وقع انفجار في أحد المباني الأمريكية لاستنكرته، وأي انفجار أكبر من انتخاب ترامب؟ وكيف يسكت علماء الإسلام عما استنكره فوكوياما وتشومسكي.

ومنها: أن العدو كلما كان واضحا كانت المقاومة لها أكثر، انظر مثلا إلى العشائر العراقية كيف قاومت الأمريكان، كيف لم تفعل ذلك مع العدو المستتر الرافضة.

منهج ترامب:

–جاء ترامب بمكارثية جديدة فقد كان السناتور (مكارثي) يوجه عداوته للشيوعيين لكن ترامب حولها ضد المسلمين.

–قال بعض المفكرين في الغرب: "إننا نعيش في عالم مجنون كشف عن حقيقته"، والواقع أن جنون الغرب قديم، وأنه لم يكشف عن حقيقته بل أظهر الله بترامب ما كان مستترا، وهذا الذي يسمونه تطرفًا هو ما كان عليه الغرب في حملاته الصليبية بل منذ ظهور الإسلام، وهذه هي حقيقة الغرب في كل زمان، وهو لا يحارب الإرهاب كما يزعم وإنما يحارب الإسلام كله مبتدئا بالثور الأبيض.

- شرعت الولاية الأمريكية الذهبية "كاليفورنيا" في جمع التوقيعات للخروج من الاتحاد الأمريكي كما تقدم، وهي مؤهلة لذلك بحكم كونها سادس اقتصاد في العالم، وسكانها حوالي ٤٠ مليونًا، وهي يسارية وليست يمينية مثل ترامب، والمكسيكيون فيها كثير، وسخطهم من بقية أمريكا وسياسة البيت الأبيض كبير، حتى قال أحدهم إني لأخجل من كوني أمريكيًا.

-مارس ترامب بلطجة لم يسبقه إليها أي رئيس، حين هدد أي دولة تصوت ضد أمريكا بأن يقطع عنها المساعدات!! ولما أعلنت الأمم المتحدة بعض قراراتها التي لم تعجبه خفض تمويلها، وقال: "إذا كانت الرياض تريد بقاء الجيش الأمريكي في سوريا فلتدفع".

-لجهل ترامب بالسياسة يعتمد على مستشاريه الذين كان كبيرهم مايكل فلين الأصولي المتعصب مؤلف كتاب "ميدان المعركة كيف تواجه أمريكا الإسلام المتطرف"؟

أما أستاذ ترامب وشيخه الفكري فهو المتعصب الآخر "ستيفن بانون" الذي قال علانية يجب على رؤساء أمريكا التمسك بالقيم اليهودية والنصرانية، وإنه يجب عليهم اتخاذ مواقف عدائية جدا جدا جدا، -هكذا ثلاث مرات- من الإسلام الراديكالي "أي غير المعتدل حسب التصنيف الأمريكي" ومنع كل مسلم غير معتدل، من دخول أمريكا والتضييق عليه لكي يخرج منها.

-أما اللاتين فهم -عند بانون- كاثوليك لا يقبلون تلك القيم الكتابية.

وقد ظهر هذا الجهل من ترامب حين أعلن نقل السفارة من تل أبيب إلى القدس الأمر الذي جعل المتطرف نتنياهو يسافر إليه ويقنعه بتأخير ذلك.

وهكذا أصبح الإرهابي المحترف أكثر تقديرا للعواقب من الإرهابي المتهور، وإنما أخرها ترامب إلى ذكرى قيام دولة إسرائيل.

- أعلن ترامب التخلي عن حل الدولتين، الذي كان يدعو إليه بوش وأوباما، فإسرائيل عنده دولة يهودية واحدة ومن ضمنها دويلة فلسطينية تقدم خدمات بلدية أو يستقر الفلسطينيون في وطنهم البديل، وكل ذلك ضمن ما سمي "صفقة القرن" التي لم تعلنها أمريكا كلها حتى تاريخه.

- الواقع أن ترامب -رغم سيره على نفس المنهج- خلع قفازتي أوباما الحريريتين وضرب سوريا بالصواريخ بناء على قول أوباما إن الأسد فقد شرعيته، ولم يضطر لأن يقول كما قال أوباما في القاهرة "السلام عليكم" تلك الزبيبة التي سكر منها بعض المسلمين.

- ترامب تاجر متمرس أرسل ولده إلى الإمارات ليفتح فروعا لشركاته، وعين وكلاء له في السعودية، وهو ينظر لكل أمر بمنظار الربح والخسارة المادية فقط.

- السعودية عند ترامب كيس فلوس ضائع، ووجّه لها رسالة شديدة اللهجة أثناء حملته الانتخابية، وصدّق ذلك حين طلب من السعودية تمويل المناطق الآمنة التي اقترح في سوريا، وطلب دفع مليارات الدولارات من السعودية، وهذا عدا تكلفة بنكه "سوفت بنك"، وقد صرح البنتاغون بأن ٨٠% من الطلعات الجوية على الدولة الإسلامية يقوم بها طيارون سعوديون وإماراتيون، واقسم الباقي -أخي القارئ- على بقية دول التحالف التي تزيد على الستين، لتعلم كم نصيب الواحدة منها.

- اتخذ وزيرا لخارجيته "ريكس تليرسون" صاحب شركة "اكسن موبيل" التي تمتلك أكبر حصة من شركة أرامكو، و"تليرسون" هذا عاش كثيرا في منطقة الخليج.

والمؤلم أكثر أن من يصرح أنه صديق حقيقي للإسلام وللمسلمين كما نشرت صحيفة "سبق" الإلكترونية السعودية، هو مستشار سعودي بدرجة وزير، وكذبه في ذلك جلي.

- قال نيكسون في كتابه "انتهزوا الفرصة": "إن تقسيم القدس على

أساس خطوط ٦٧ أي حسب عودتها لحالها يوم الرابع من يونيو ١٩٦٧ وفقا للمبادرة العربية (غير قابل للتفاوض)، وهذا ما يؤمن به ترامب.

واستجابة لرأي نيكسون وافق ياسر عرفات ومحمود عباس على تأخير مسألة القدس في المفاوضات، ذلك التأخير الذي جعل ترامب يقول إنها عاصمة الدولة اليهودية وجعل نقل سفارته إليها في نفس ذكرى قيام إسرائيل.

– سياسة ترامب تقوم على كلا القوتين الصلبة والناعمة، وأن تكون المنتوجات الأمريكية مع الجيوش التي كانت وحدها تقوم في الحملات الصليبية الأولى.

ولا أحسب ترامب إلا سوف يرفع تعويض الأمريكي الذي يقبض عليه في السعودية بعد ثبوت إجرامه، من عشرة آلاف ريال عن اليوم الواحد إلى أكثر من ذلك!.

أما الغش الأمريكي فلم ولن يحاسَب عليه، وإذا طورت أمريكا أسلحتها وانتجت سلاحًا اليكترونيا، فإن على دول الخليج استئجار أو شراء السلاح التقليدي.

– من أصدقاء ترامب سفير الإمارات يوسف العتيبة، والرئيس المصري عبد الفتاح السيسي الذي حظر كتب مشايخ الدعوة في مصر بذريعة أنها تحرض على الإرهاب!! وما فعله السيسي هو ما فعلته بعض الملحقيات السعودية نفسها، وهو أحد القضايا التي ناقشها "ترامب" في الرياض، ويقول (تليرسون) إن القادة السعوديين وافقوا على شروط ترامب، ومنها أن تلغى العقيدة الوهابية كما قال من المناهج التعليمية! وألا يوزع السعوديون الكتب الوهابية!!

ومن الحسد والكفر والطغيان في الميزان أن "ترامب" لما زار الدولة الصهيونية لبس القبعة السوداء وزار حائط المبكى، ولما زار السعودية لم يخطر بباله قط أن يرى الكعبة ولو في الصورة تلك التي بناها إبراهيم أبو الأنبياء

عليهم السلام جميعًا.

وما فعله ترامب ليس بجديد، فهو منهج رؤساء أمريكا، وإن كان أكثرهم صلفا وغطرسة، بحكم شخصيته القلقة وانتمائه للانجيليين الجدد.

- أي رئيس أمريكي له صلاحيات واسعة حتى أن الوزراء مهما علا قدرهم مجرد سكرتاريين له، لكن ترامب يقضي أكثر وقته في شرب الخمر واقتناص شهواته، والقضايا السياسية مهمته هي التوقيع عليها وليس دراستها تفصيلا، أما الذي يرسم السياسة الأمريكية فعليا فهي جهات أخرى أذكر أهمها:

١- الرأسماليون الكبار وكثير منهم يهود، وهم منغلقون فكريا إلى درجة أنهم يجهلون العالم الخارجي، ومنهم (اللجنة الثلاثية الكونية" التي تتستر بالاقتصاد.

٢- المعاهد ومراكز البحوث وخزانات الفكر.

٣- السي آي إيه.

٤- اللجان الاستشارية.

٥- السلطة التشريعية (الكونجرس) بمجلسيه، وأعضاء الكونجرس، وإنما يهم الأمريكيين الوضع الاقتصادي في الداخل، وإشباع رغبتهم بمشاهدة أفلام هوليود التي تغلب عليها الصهيونية، والوظائف التي يحصلون عليها من المال الخليجي!

- كان على المؤتمرين في الرياض من دول العالم الإسلامي أن يعترضوا على تصنيف "ترامب" لحركة "حماس" بأنها إرهابية، لا من منطلق الإسلام فموقفهم منه معروف، ولكن من منطلق القانون الدولي الذي يجعل مقاومة المحتل حقا مشروعا، بموجب المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، ووفقا لأحكامه اضطرت أمريكا للاعتراف بأنها قوة احتلال لما احتلت العراق.

كما أن اختيار المجمع الانتخابي لترامب أثار قضايا كثيرة منها:

- علاقة الدين بالسياسة.

- وصول اليمين الأصولي المتطرف إلى الحكم.
- مصير الأحزاب اليمينية في العالم.
- القضية الفلسطينية.
- العلاقة بين أمريكا والمسلمين.
- العلاقة بين أمريكا والحكومات العربية.
- عزلة أمريكا التي طالب بها ترامب في حملته الانتخابية تحت شعار "أمريكا أولا".
- مصير الامبراطورية الأمريكية.
- حاجة العالم إلى شرطي (قبضاي).
- استمرار العولمة.
- مستقبل الديمقراطية.
- انهيار الغرب.
- انقسام أمريكا.
- العنصرية.

وكان أهم شيء عند ترامب لما زار الرياض بعد الاعتراف بإسرائيل، المليارات التي يفرح بها الأمريكان، وسيحصلون على آلاف الوظائف بل ملايين، ليبقى حاملو الشهادات العليا في السعودية والذين يقدرون بالآلاف بلا وظائف، ولتتعطلْ كل المشروعات التنموية هنا ما دامت مشروعات أمريكا غير معطلة، ولا يهم أن تفلس شركاتنا ما دامت شركات أمريكا غير مفلسة.

أقول: نستحق ذلك! لأننا سكتنا ولم ننكر المنكر ورضينا بالحياة الدنيا من الآخرة، وما بقي إلا تكلفة بناء الهيكل فهل تبنيه الإمارات مثلا؟ تلك الإمارات التي تشتري البيوت من المقدسيين وتعطيها لليهود، أم نبنيه نحن ونحفر القناة بين البحر الأبيض وخليج العقبة؟ قد يقال إن هذا خيال، ولكن أقوال ترامب نفسه لا تدع للريب مجالا، وقد صرح أنه على العرب تمويل

دفاع أمريكا عنهم، وعليهم تمويل المناطق الآمنة التي تقترحها أمريكا في سوريا، وتمويل الجيش الأمريكي إن أرادوا بقاءه فيها.

نسأل الله أن نعود لرشدنا، وأن نتمسك بديننا، ونعرف عدونا من صديقنا، وأن نجاهد في سبيله، وأن تكون الآخرة أحب إلينا من الدنيا، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، وعزاؤنا في هذه المصيبة الجلل أن بغض اليهود يجري في عرق كل مسلم مع الدم، وأن قلوب كل المسلمين تعاديهم، لأن ربنا تعالى قال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢].

ولن نصبح أبداً شركاء لليهود كما يقول "نتنياهو" ووزيره "ليبرمان"، بل نحن أعداء وسنظل كذلك إلى الأبد وإن غضب ترامب والصهيونية النصرانية واليهود.

ولسنا أمتين كما يقال عربية وإسلامية، بل نحن أمة إسلامية واحدة، والقضية عندنا ليست بين العرب واليهود، بل هي قضية كل مسلم في الأرض.

فنحن لا نؤمن بما سماه ريتشارد كوك وزميله (القومية الخبيثة) وسماه أرنولد توينبي الدولة الإقليمية، بل نؤمن بما قاله ربنا تبارك وتعالى ورسوله ﷺ من أن المسلمين أمة واحدة من عهد آدم إلى اليوم عربنا وعجمنا، ولا نؤمن باللات والعزى ولا بالذئب الأغبر، ولا غير ذلك من الأوثان، بل نعبد الله وحده كما أمرنا، ونكفر بكل الطواغيت ما كان منها عربيا، وما كان طورانيا، وما كان فرعونيا وما كان وطنيا.

- لم يلغ ترامب قانون "جاستا" ولا يملك ذلك.

- وقّعت السعودية مع ترامب أكبر صفقة في التاريخ وبلغ عدد الشركات الأمريكية سبعين شركة دفعة واحدة، منها الشركة الشيطانية كما يعبر العاملون فيها (مونساتو) وعلق بعضهم على مئات المليارات التي أخذها

بأنها أكثر من كل ما أخذه المسلمون من النصارى جزية طوال التاريخ، وكتب بعض السعوديين: ليتهم وزعوها علينا، وفي تلك الشركات شركات صهيونية تدعم إسرائيل..

– من أجل إرضاء ترامب خسرت السعودية الشعوب الإسلامية حتى المسلمين داخل أمريكا، وكثيرا من الأمريكيين أنفسهم، وبالطبع خسرت الفلسطينيين.

على أن قرار ترامب أثبت حقائق كثيرة منها:

١. أن اللصوص يختلفون كما حدث بين ترامب ونتنياهو، إذ لكل نظرنه وهدفه السياسي داخليا وخارجيا.

٢. أن أمريكا وسيط غير نزيه لا يصح أن تشترك في أي تسوية مزعومة ولو كانت مؤقتة.

٣. أن أمريكا عدوٌ لدود للإسلام والمسلمين.

٤. زيادة التأكيد على الانحياز الأمريكي (بعضهم أولياء بعض).

٥. صحة ثورات الشعوب المسماة "الربيع العربي".

٦. بطلان التعلق بما يسمى (السلام) وصفقة القرن.

٧. أن الأمة لا تموت أبداً، فالشعوب المسلمة أعادت قضية الأقصى كأهم قضية لديها.

٨. إظهار حقيقة الديمقراطية وحقوق الإنسان عند أمريكا.

٩. خيانة الحكام العرب والسلطة الفلسطينية.

١٠. أن وصف القرار بأنه خطأ أو مؤسف أو يقوض عملية السلام أو يخالف القوانين الدولية والاكتفاء بشجبه أو استنكاره غير كافٍ إطلاقًا وإنما الواجب على المسلمين كلهم هو إعلان الجهاد، وهذا ما يقتضيه نفس اسم منظمة التحرير الفلسطينية فهي منظمة تحرير وليست منظمة تفاوض، ولا يكون التحرير إلا بالجهاد.

١١. لم يفرح بالقرار غير الإرهابي قاتل الأطفال نتنياهو، واليمين

الإسرائيلي وقلة من اليهود الأمريكيين والخونة العرب الذين يتواطئون سراً ويستنكرون علنًا.

١٢. بيان حقيقة كلا الوعدين، وعد بلفور ووعد ترامب، وبيان كيف كان الأول بداية لقيام (دولة إسرائيل) وأن الثاني سيكون بإذن الله بداية لنهايتها.

١٣. أن الرقم الصعب في المعادلة لإنهاء القضة الفلسطينية أمران:

أ. القنبلة الديمغرافية الفلسطينية إذ يصعب جدًا تجاهل سبعة ملايين فلسطيني في الضفة وغزة وعرب ما قبل النكبة فضلا عن فلسطينيي الشتات.

ب. الرفض الإسلامي الذي ليس الرفض الفلسطيني إلا جزء منه وهو بحر لا ساحل له، ولا تستطيع أمريكا وعملاؤها التصدي له، وقد بدأ ذلك عمليا بمسيرات حق العودة.

وقد خدعنا الإنجليز كثيرًا بما سموه "الوضع الراهن" ويظن ترامب أننا سوف ننخدع له إذا قال: "الوضع الحالي".

سابعا
الفكر الاجتماعي

علم الاجتماع:

الأصل في علم الاجتماع أن يكون علماً وصفياً لا علماً تشريعياً، أي يتحدث عما هو كائن وليس من حقه الحديث عما يجب أن يكون، ولا تعارض في الإسلام بين معرفة سنن الله في المجتمعات وبين التقاط الحكمة من كل أحد، والإفادة من التجربة أو الأنظمة التي يدع فيهما الكفار وبين العقيدة الإيمانية، ولدينا مثال محسوس يعلمه المؤمن والكافر، وهو حال اليابان التي اقتبست ما عند الغرب مع احتفاظها بالعقائد المجوسية، والتقاليد البالية. ولا زال اليابانيون يفتخرون بالبوذية والشنتو، ويلبسون الأزياء التقليدية اليابانية، ولما مات إمبراطورهم "هيرو هيتو" دفنوا معه نظارته وأدواته الأخرى، زاعمين حسب عقيدتهم أنه سوف يلبس ذلك إذا رجع للحياة وهذا ما كان يفعله الفراعنة من قبل.

ومن الأخطاء التي يقع فيها علم الاجتماع الحديث تقسيمه المجتمعات إلى بدائية ومتحضرة، وهذا باطل حسب الدراسات التي أجراها بعض الباحثين العلمانيين أنفسهم، ومنها:

١- البحوث (الانتربولوجية) التي قام بها بعض الباحثين في السكان الأصليين.

٢- البنيوية التي تزعمها (كلود ليفي شتراوس) ومدرسته الاجتماعية، وعلى ذلك تدل بعض الرحلات العلمية وبعض المقابلات الإعلامية والأبحاث الفلكلورية، فقد تبين أن للشعوب التي يسميها بعضهم بدائية، تفكيرا منطقيا وأسرارا تماثل وربما تفوق ما عليه الشعوب الغربية، فليست البدائية أو التقدم بحسب اللون أو الوضع الاجتماعي، بل القضية قضية فرص وتربية وثقافة، فكثير من السود أو الهنود أو اللاتينيين يتفوقون على زملائهم البيض في الجامعات الأمريكية مثلاً.

وإذا قارنت ذلك بحال المجتمعات الإسلامية ظهر لك الفرق جلياً، فهي

مجتمعات ذات خصائص كثيرة يفتقر إليها الغربيون، مثل التكافل وحماية العرض، وصيانة المرأة، وتحريم الخيانة واتقاء العنصرية، واحترام الكبير من شيخ أو عالم أو إمام، ونصرة المظلوم أيا كان، وإكرام الضيف والغريب، والاهتمام بالإنسان وليس بالمادة الصماء، والحث على التوفير والزهد، والنهي عن كل العادات الاجتماعية السيئة.

والإسلام يوازن بين الفرد والجماعة فلا هو يهدر حق الفرد كالشيوعية، ولا يبيح له كل شيء كالرأسمالية، وفي الإسلام وحده تكون المساواة تطوعية كما كان يفعل الأشعريون إذا أرملوا.

والعلاقات الدولية وغيرها تقوم في الإسلام على أساس المبادئ وليس المصالح المادية، فالأساس هو الحق والعدل والالتزام الأخلاقي، ومن الإسلام تعلم الغرب كيف يتقدم اجتماعيا، وكيف يهتم بالشباب والمرأة، والكشافة ليست مثلا من اختراع (بادن باول)، بل هي تطوير لنظام الفتوة الإسلامي الذي تحدث عنه شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال بعض العلماء أول الفتيان يوسف عليه السلام حين قال: (أخرجني من السجن) ولم يقل من الجب حتى لا يبكّت إخوته، وعلى الكشافة فرعوا الجوالة.

ومثل ذلك كثير.

وقد سبق الإسلام الباحثين من البشر إلى دراسة المسألة الاجتماعية ووضع لها الأسس القديمة بل إننا نجزم بلا تعصب أو مبالغة أن أعظم وأول كتاب في علم الاجتماع هو كتاب الله، وأن أعظم من تكلم عن الاجتماع من البشر هو رسول الله ﷺ، وما عدا ذلك فهو إما تصورات مأخوذة من الواقع التاريخي أي من سنن الله وقدره، كما فعل ابن خلدون، وإما نظريات وافتراضات فيها الخطأ والصواب، كما في نظرية "دوركايم"، ونظرية "ماكس فيبر"، ومقررات الجمعيات الاجتماعية المعاصرة.

كما نجزم أن أفضل مجتمع في التاريخ هو المجتمع الإسلامي الأول في المدينة، وأن العهد الزاهر هو عهد النبي ﷺ، وأن الحكومة الرشيدة هي

حكومة الخلفاء الراشدين، وأن كل حكم غير حكم الله طاغوت يجب اجتنابه مهما زوقوه بالصور والمظاهر والدعايات، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠].

وقد بحث المسلمون المسألة الاجتماعية قبل الغرب بقرون وقرروا أن الإنسان لا يعيش وحده، وأنه مدني بطبعه، وأن الناس لابد لهم من الاجتماع، وتكلم العلماء الأقدمون في العزلة والخلطة، ومتى تكون العزلة أفضل، ومتى تكون الخلطة أفضل، وذلك مما لا يعرفه الغربيون، وقد جاءت السنة ببيان ذلك كله.

ولكي نقيم المجتمع الفاضل ونعبد الله وحده لا شريك له يجب أن نعرف سنن الله في المجتمعات وكيف تذبل بعد النهوض وتضعف بعد القوة، كما ينبغي معرفة سنن الله في أمره مثلما نعرف سنن الله في خلقه، قال تعالى عن سننه في خلقه: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠]، وقال عن سننه في أمره: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل:٦٩]، فله تعالى سننه في المجتمعات كما له سننه في العلوم الطبيعية.

١- ومن سنن الله الثابتة التي لن تجد لها تبديلا ولا تحويلا أنه جعل لكل بنيان أساسا، ولكل نتيجة مقدمات، ولكل حادث سببا، فلا ولد بلا زواج، ولا ثروة بلا عمل، والسماء لا تمطر ذهبا ولا فضة.

وقد أُعجب الغربيون بما كتبه عبدالرحمن ابن خلدون الحضرمي رحمه الله في "مقدمته" وبنوا عليه واستمدوا منه، لكنهم أهملوا ما بيّنه مرات كثيرة من أهمية الدين للناس، وإنما أعجب المستشرقين وأمثالهم ما ذكره ابن خلدون من أن الدولة لا تتعدى غالبا ثلاثة أجيال، أي أن لها عمرا محددا، فالمسألة عندهم ليس فيها عنصر ميتافيزيقي، ولا تدخّل فيها كما يعتقدون لمؤثر خارجي، مع أن ابن خلدون لم يقصد ما يريدون.

٢- ومن سنن الله في المجتمعات أنه يدمّر المجتمعات الظالمة ولو كانت مسلمة ويبقي المجتمعات العادلة ولو كانت كافرة، وهذا ما قرره نظامُ الملك

وأقره عليه شيخ الإسلام.

٣- ومن سنة الله التي لاحظها ابن خلدون: أن الدول في آخر عمرها تميل للترف وتفرض الرسوم على الناس وتهتم بالمظاهر، وأنها إذا بلغت مرحلة الهرم فإن الهرم لا يزول بل تسقط الدولة وتفنى.

٤- ومن سنن الله أيضا أن العلو يعقبه هبوط، والشباب يعقبه شيخوخة، والأمثلة على ذلك من الواقع والتاريخ لا تحصى، مثلما يقول الناس:

ما طار طير وارتفع ** إلا كما طار وقع

وخير من ذلك قوله ﷺ: (حق على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه)، وهو من المداولة المذكورة في القرآن الكريم.

٥- ومن سنن الله في المجتمعات: أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فالتغيير النفسي أساس التغير الاجتماعي، وقد ذكر الله ذلك في كتابه ومن الآيات في ذلك:

أ- قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

ب- قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣].

ج- قال تعالى للمؤمنين بعد نصر بدر وهزيمة أحد: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥].

٥- ومن سنن الله: زوال النعم بالمعاصي وهجر كتاب الله كما أزالها عن عاد وثمود وفرعون وسبأ، وقال الشاعر:

إذا كنت في نعمة فارعها   فإن المعاصي تزيل النعم

والآيات في ذلك كثيرة منها:

أ- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧].

ب- قوله جل شأنه: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:١٦].

ج- قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٩].

٦- ومن سنن الله تعالى أنه إذا عصاه من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه ولا يرحمه، كما سلط المجوس على بني إسرائيل، وسلط النصارى على أهل الأندلس، وسلط الدول الاستعمارية على أكثر المسلمين ... الخ.

٧- جعل الله الحياة صراعا بين الأضداد، وجعل لكل نبي عدوا، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]، وقال: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

وكذا سورة العصر، وسيأتي لذلك شيء من التفصيل إن شاء الله تعالى في النصيحة الثانية من الملحق.

ومن سنن الله أن ينتصر المسلمون على الكافرين، قال تعالى: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الفتح: ٢٢-٢٣]، ومن سوء الظن والجهل بصفاته أن نظن به عكس ذلك.

ومن سنن الله (سنة المداولة) ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١٤٠]، ومن المداولة أن تكون الحضارة تاريخيا تارة شرقية وتارة غربية، وقد آن لها أن تعود شرقية إسلامية الآن.

ومن الخطأ قول شاعر غربي مشهور:

الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان

بل يلتقيان إذا جمع بينهما الإيمان، ويمكنهما إقامة مجتمع نموذجي واحد

على هدى الله.

وأقوى العالم الشرقي اليوم هم المسلمون، وربما قادت الصين العالم، ولكن قيادة المجوس مؤقتة، وقد قال الرئيس الصيني ضمن تعريضه بأمريكا في مؤتمر "دافوس": إذا كان بعض الناس يريد الانكفاء على نفسه فنحن مستعدون لقيادة العالم!!.

والقاعدة الاجتماعية والسنة الثابتة هي المداولة كما سبق، فلا تدوم نقمة ولا نعمة، بل كل ذلك فتنة، فقد كان آباؤنا يبتهجون إذا تصدق عليهم الحاج المصري ولو بجنيه، وكان السعيد من يهاجر إلى أسمرة أو مصوع ويعمل هناك ولو ماسح أحذية، وكانوا يغبطون مَن تأتيه الزكوات من الصومال، وكانت الثيران السودانية والذرة السودانية من العملات النادرة، ولا يزال لي أنا بعض الأقرباء في السودان، أما طلب العلم فهو درجة عالية في مجتمع جزيرة العرب الأمي الفقير، إذ يسافر مريدو الفقه إلى دلهي وكراتشي وزبيد وبيت الفقيه وإلى بغداد والبصرة والقاهرة واسطنبول ولا يستطيع إلا القلة النادرة أن يذهبوا إلى الزيتونة أو القرويين.

ومن سنن الله تعالى أن القوة وحدها لا تكفي: لا قوة عاد ولا قوة الاسكندر الكبير ولا قوة فرعون، وكان المغول أقوى أمة في عهدهم، وبالقوة استطاع "هولاكو" اجتياح شرق العالم الاسلامي وتدمير بغداد، وكذلك كان تيمور لنك، ولكن كانت النهاية الحتمية للجميع.

ثم كان البريطانيون الذين حكموا حوالي ربع المعمورة، وكانت الشمس لا تغيب عن مملكاتهم، أما اليوم فإن اسكتلنده تريد الانفصال عن لندن.

ونهاية البريطانيين هي ما نتوقعه للإمبراطورية الأمريكية اليوم التي هي عاد هذا الزمن، إذ كانت أقوى قوة قديمة هي قوة عاد الأولى، حتى أنهم قالوا: من أشد منا قوة، وبنوا بكل ريع آية يعبثون، وإذا بطشوا بطشوا جبارين، وإنما دعاهم نبي الله هود عليه السلام ليتوبوا ويستغفروا كي يزيدهم الله قوة إلى قوهم، ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم

مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود:٥٢].

فلما عتوا واستكبروا في الأرض بغير الحق سلط الله عليهم جندًا من أضعف جنده، وهي الريح الصرصر فجعلتهم صرعى كأن أحدهم جذع نخلة من طوله وعظم خلقته.

فلا القوة تنفع، ولا الرفاهية الاقتصادية التي كانت لقوم سبأ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ:١٥]، ولكنهم أعرضوا عن طاعة الله فكفروا بنعمة الله عليهم، وصدَّق عليهم إبليسُ ظنَّه.

والمؤمن يخاف إذا تتابعت عليه النعم ولا يبطر، ويخشى أن يكون ذلك استدراجًا، قال ﷺ: (إذا رأيت نعم الله تتابع على العبد وهو مقيم على المعصية، فاعلم أن ذلك استدراج).

وهكذا لا يكون همنا الرفاهية، وزيادة النِّعم وفيضان المال، وتنويع مصادر الدخل، بل الخوف والعمل للآخرة.

ومن السنن الاجتماعية: التدرج وترك الاستعجال في التغيير، فالله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، وأول الغيث قطرة، ومسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة.

وإذا أصلحنا أمورنا كما أمر الله، اضطر المخالفون إلى أن يوافقوا أو ينافقوا أو يفارقوا.

وقد ابتدأ الجهاد بأرض الشام بأن قال بعض البعثيين أنفسهم لحافظ الأسد "بدنا نصلي"، ثم انتقل إلى المظاهرات السلمية والتذمر من الأوضاع السيئة، ثم انتقل إلى الجهاد الذي نراه اليوم، وإن النصر لآتٍ بإذن الله، والعاقبة للمتقين.

بل إن بعض أسرة "حافظ" عرف العقيدة الصحيحة مثل جميل الأسد، وحاولوا هدم ضريح حافظ.

والمهم ألا نستعجل قيام الخلافة الراشدة، أو نظن أن ما ينقص الأمة

اليوم هو قائد مثل فلان، بل نسير وفق سنة الله ونستغفر الله ونتوب إليه.

ولا يجوز ترك سنن الله في المجتمعات لما قرره البشر أمثال "جيبون" و"شبنجلر" و"توينبي"، وإنما نستفيد منهم ونقرأ ما كتبوا.

كما لا يجوز اتباع ما عليه الأمريكيون من الدياثة والتعري، وإنما يجب الرجوع إلى كتاب الله وسنته في الأولين، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا﴾ [محمد:١٠].

وقال عن قوم لوط: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ (٨٢) مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٢-٨٣].

وقال عنهم أيضا: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [الذاريات:٣٧].

وقال: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨].

وقال عن فرعون ومن معه: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥٦].

وقال: ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ [طه:١٢٨].

وقد تكفل الله سبحانه بأن ينصر الرسل والمؤمنين في هذه الحياة الدنيا، وليس فقط في الآخرة، ولكن من يفهم حقيقة النصر؟

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، فماذا ينتظر الظالمون في كل زمان ومكان؟

﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يونس:١٠٢].

وقد كان كفار قريش أعلم منا بهذا التهديد، فلما قرأ رسول الله ﷺ ﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [فُصِّلت:١٣] ناشدوه الله والرحم.

ومن سنة الله أن الناس إذ أذنبوا ولم يتوبوا يحلم عليهم ما شاء ثم

يأخذهم بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر.

فالذنوب هي السبب في وقوع الكوارث الاجتماعية، ومنها ما تعج به الحضارة الغربية، ويشتكي منه عمالقتها، وهو القلق والضياع وفقدان الهدف.

وتعمَّد بعض الغربيين الاستناد إلى النظرية الخلدونية في أعمار الدول، وحرفوها إلى ما لم يقصده ابن خلدون، وقال أولئك -كذبا وزورا- إن المسلمين إنما فتحوا مملكتي "كسرى وقيصر" لأنهما كانتا في أواخر عمرهما!

وهو ما يخالفهم فيه المؤرخون الغربيون أنفسهم؛ وإنما فتح المسلمون تلك الممالك المتعددة بقوة إيمانهم وإخلاصهم، لا لهرم تلك الدولتين أو غيرهما.

ولا يذكر علماء الاجتماع الغربيون أثر الذنوب في انهيار الدول، وأثر التوبة في رجوعها إلى القوة والمنعة، وهذا السبب العظيم ذكره الله تعالى مراراً في كتابه الحكيم، وإن ذكروا أسباب الانهيار قالوا الفساد الأخلاقي أو "الانحطاط الخلقي"، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ٦-١٧]، ويقول: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود:١١٦].

وإذا أردت معرفة سبب تسليط الله على روما سنة ٤١٠م فاقرأ عنها وانظر كم ارتكبت من الفواحش والفساد.

والذنوب كلها فساد ومنها الفواحش والمنكرات عامة، أما تخصيص الأمم المتحدة أو العرف الفساد بالرشوة والعمولات وما أشبه ذلك، فهو تقصير شديد، لأن الفساد المالي نوع من الفساد وليس الفساد كله، وليس الفساد فقط معوقا للتنمية وهدرا للمال، كما نرى في اللوحات الدعائية بل هو فوق ذلك مجلبة للدمار والهلاك.

قال تعالى: ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا﴾ [العنكبوت:٤٠].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ١٦-١٧].

والآيات في ذلك كثيرة، وكل قصص الأنبياء تتحدث عن هذا المعنى.

بل إن الفساد في القرآن الكريم ليشمل الاختلالات الكونية التي سببها المعاصي، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١].

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى بعض قادته: "إنما يغلب المسلمون عدوهم بطاعتهم لله، ومعصية عدوهم له، فإذا استوينا نحن وهم في المعصية كان لهم الفضل علينا في القوة".

وقال أحد شيوخ الفرس لبعض قادة الفرس -وقيل إن القائد كان "رستم"-: "أنتم تزْنون وتفسدون وهؤلاء العرب لا يفعلون ذلك"، أي أن المسلمين ينتصرون بترك الفواحش.

ولما فتح المسلمون قبرص بكى أبو الدرداء ﵁ فقال له بعض الناس: "لِمَ تبكي يا أبا الدرداء في يوم أعز الله فيه الإسلام؟ فقال: ما أهون الخلق على الله إذا عصوه..."، وحقاً قال.

ومن كلمات الحسن البصري رحمه الله: "يا أهل العراق إن الحجاج عذاب الله سلطه عليكم بذنوبكم، فلا تدفعوا عذاب الله بأيديكم وأرجلكم، ولكن توبوا واستغفروا يرفعه عنكم فإنه تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [المؤمنون:٧٦]".

وهذا العذاب سنَّة ربانية قد يؤخرها الله تعالى لأسباب تقتضيها حكمته، ولكن لا بد من وقوعها.

قال جل شأنه: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر:٤٣]، وليس الأمريكان اليوم -وقد أباحوا الفواحش وامتهنوا الربا والتطفيف والغش والغرر- خيرا من عاد وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وفرعون، بل هم أسوأ، وليس للحضارة الغربية عهد من الله ولا براءة في كتب الله ألا يعذبها وأن لا يعذب من يواليها ويتبعها، فهي سنة جارية في الأمم قديمها وحديثها، فحذار حذار من التحالف مع أمريكا أو إطاعتها في أي أمر يخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ.

وبمعرفة المسلمين لهذه السنن الثابتة وجهْل الغربيين بها يظل المسلمون دائما أكثر تقدما في علم الاجتماع، وأعلى درجة مهما قلّت تشقيقاتهم لهذا العلم وغيره.

والغربيون اليوم ازدادوا كفرا وعتوا وانتشر بينهم الإلحاد والجهل والشك والحيرة، والتلهي بالشهوات وإضاعة الأوقات، فكيف يرجو منهم المفكّر إصلاح الفرد والمجتمع؟

وقد كتب اليهودي المجنون "نيتشه" "هكذا تكلم زرادشت"، ولم يقل هكذا قال محمد، مع أن الإسلام أقرب إليه من الزرادشتية!! وقال "نيتشه" في كتابه (العلم والفرح) "إن الإله قد مات"، وهذا يصح في معبوده الكنسي، أما الله تعالى فهو الحي الذي لا يموت.

وقد تبع "نيتشه" في ذلك "ميشيل فوكو" في كتابه "الكلمات والأشياء"، ولكن "فوكو" قال: "إن الإنسان قد مات"! فزاد الطين بلّة، ولكن محمد أركون حاول الاعتذار لهما بأنهم يقصدون إله العصور الوسطى وإنسانها!

وتحدث اليهودي الآخر "دوركايم" تلميذ "أوغست كونت" عما أسماه "العقل الجمعي"، أي سطوة التقاليد الاجتماعية، ولكنه أهمل المؤمنين بالله واليوم الآخر، وكيف يتحدون هذه السطوة، وكيف يصبح بلال الحبشي

خيراً من أبي سفيان المنافي القرشي، بل إن بلالا ليخالف حكم عمر في أرض السواد، ولا يعاقبه بشيء ويكتفي بالدعاء عليه ولا يقول إنه أجنبي أو أسود.

وممن اتجه اتجاها معاكسا لــ"دوركايم"، من الغربيين الفيلسوف "جبرائيل تارد"، لا سيما في كتابه "التقاليد الاجتماعية".

وبعد "دوركايم" ظهر الباحث الاجتماعي المشهور "ماكس فيبر" وكتب كتابه عن "سوسيولوجيا الأديان"، ولم يكتب عن الدين الإسلامي الحق الوحيد.

وليس الجهل بالإسلام خاصا بــ"فيبر"، بل جهله بعض المسلمين أنفسهم.

ونحن نعتقد أن الجهل بالإسلام هو الذي يجعل بعض أهل العراق يظنون أن السنة والشيعة سواء، ويجعل بعض الغربيين يعتقدون أن الإسلام دين الإرهاب، ويجعل أولياء الغربيين يمنعون المخيّمات الدعوية والمراكز والاجتماعات كلها، ولو أن هؤلاء عرفوا حقيقة الإسلام لعرفوا أنه دين العدل والرحمة والإحسان، كما أنه دين القوة والجهاد والنصر.

ومن افتقار الغربيين إلى الدين ومن جهلهم به: أن مجتمعاهم تتقبل كل دعوة ولو كانت ضد الفطرة وعكس ما هم عليه، فمثلاً حين صرخ "جورج لوكاش" "من ينقذنا من الحضارة الغربية" كان رد بعض المفكرين الغربيين أن "جورج لوكاش" شيوعي الاتجاه، وأنه من مدرسة "فرانكفورت"، التي تدعو إلى الثورة الثقافية والتغلغل الثقافي واجتثاث المسيحية كما يقولون، ونحن نقول: ليكن كذلك، فما الذي يجعل كثيراً من الغربيين يصدقون "لوكاش" ويتبعونه؟ ولو أن كل مدرسة "فرانكفورت" ومعهم الطلاب الثائرون في باريس دعوا إلى الشيوعية في العالم الإسلامي سواء في شكلها الماركسي "أي ثورة البروليتاريا"، أو في شكلها الجديد "الثورة الثقافية" لما وجدوا إلا رفض المجتمع.

ولَّما وضع "باتريك بوكانين" لهذه الأزمة أحد حلّين: ١- إما الثورة

الاجتماعية، ٢- وإما الصحوة الدينية، اختار المسلمون الحل الثاني.

وتحدث "ماكس فيبر" عما أسماه "الكاريزما"، ولم يذكر الأنبياء والصديقين وعمر بن الخطاب وخالد بن الوليد وأمثالهم من أصحاب الكاريزمات الحقيقية إن صح التعبير، ولا يزال الغرب يدرس أحكامهم وآراءهم وأفعالهم حتى اليوم، ولم ولن ينتهي من ذلك.

وقد أرجع "ماكس فيبر" تقدم شمال أوروبا "ماديا" وبعض دول وسطها "مثل فرنسا" ذات الأكثرية الكاثوليكية وشمال أمريكا، إلى ما أسماه العقيدة البروتستانتية، وذلك في كتابه "البروتستانتية والأخلاق الرأسمالية"، وليت "فيبر" المتوفى في القرن الميلادي الماضي رأى النظام الرأسمالي وكيف ينهار هذا القرن في أكثر الدول تمسكا بالبروتستانتية.

وتلك العقيدة التي ذكر قد سبق الإسلام إلى ما هو خير منها، فعقيدة السلف الصالح في القدر هي خير عقيدة، وهي وسط بين الجبر ونفي القدر.

والبروتستانتية التي تحث في نظر "فيبر" على العمل وعلى الوقت مسبوقة بالإسلام الذي حث على العمل والسعي في الأرض، وحافظ على الوقت جدا، وحسبك بأوقات الصلاة حفظا للوقت، وإن غفل عن ذلك بعض المسلمين، ولم يعرفوا قيمة الوقت وقيمة الصلاة.

ومن المستقر لدى فقهاء الإسلام ووعاظه أن الواجبات أكثر من الأوقات، وأنه ما مات أحد وقد قام بواجباته كلها.

وقد قال أحد الزعماء الشيوعيين: "لو كان الناس يجتمعون لدي خمس مرات في اليوم لجعلت العالم كله شيوعيا"، وكتب المسلمون في مراعاة الوقت وأنه هو العمر قبل "مارتن لوثر"، وأشباهه، وقد قال أحد السلف الصالح لمن أراد أن يسمع منه: "أمسك الشمس".

وذكر ابن الجوزي أنه كان يعطي زائريه الأقلام ليُبروها له حفظاً لوقته.

كما تحدث ابن القيم في "مدارج السالكين" عن الوقت وأهميته والمحافظة عليه.

وبعض السلف "سليمان بن مهران الأعمش" من حرصه على الوقت كتب ورقة لكل من يزوره وفيها أحواله وأخباره، وكل من يدخل عليه يعطيه الورقة حتى لا يشغله بالسؤال عن أحواله وأخباره.

ومن الشعر العربي المحفوظ:

والوقت أعظم ما عنيت بحفظه ** وأراه أهون ما عليك يضيع

ومر أحد الصالحين بمقهى فقال: "ليت الأوقات تشترى".

وقال بعض الصالحين: "ليت النهار ٢٥ ساعة".

وقال بعض العلماء: "ليس الوقت من ذهب كما قيل، بل هو أغلى من ذلك، حيث هو الحياة نفسها".

ولا يصدِّق عاقل أن يكون الرأسماليون، الذين يقضون أوقاتهم في شرب الخمر، وفي الاختلاط، وفي الرقص، وفي الرياضة -على فهمهم-، وفي اللهو واللعب، أحفظَ للوقت من المسلمين الذين لا يضيعونه حتى في ساعة الاحتضار، فمما يؤثر عن الإمام أحمد رحمه الله قوله: "من المحبرة إلى المقبرة"، ولا غرابة إذن أن نجد العلماء المسلمين في المراكز العلمية والبحثية والطبية، سواء في أمريكا أو أوروبا، فهذه هي مكانة من يحفظ عقله ووقته.

وفي الحديث: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)، وهل هناك حث على العمل والزراعة وعلى حفظ الوقت أعظم من هذا؟!

وحسب المسلمين أنهم لا يحتاجون إلى ثورة ثقافية، بل إلى الرجوع الصادق للكتاب والسنة.

وربما أجهد علماء الاجتماع في الغرب أنفسهم، أو سنّت حكوماتهم القوانين، في أمور بدهية لدى المسلمين يفعلها عوامهم دون أن يشعروا بأهميتها.

ومما يتفوق فيه المسلمون على الرأسماليين وكل أحد في هذا الباب، أنهم يقيمون الأسرة ويزورون المريض ويكرمون الضيف حتى ولو كان مجهولا.

وقد ذهل بعض المرضى الغربيين لما رأى كثرة زوار جاره المسلم، وقال:

هل يعرفك أو تعرف كل هؤلاء؟ قال المريض المسلم: لا أعرفهم ولا يعرفونني من قبل، لكنهم زملاء ابني في الجامعة، فقال الغربي: هذا عجيب جدا! فأنا لي ابن يسكن قريبا من هنا، وإذا أرسل لي في عيد الميلاد بطاقة أعد ذلك منه برا!

وقد كان المسلمون يعطون ويمنعون لوجه الله تعالى، وإن أعطى أحد لغير ذلك فإنما هو لأنه يعرف نفسه وينظر إليها، وليس إلى المعطَى.

ومما يحكى في التاريخ أن يزيد بن المهلّب المشهور بكرمه، أعطى أحد الأعراب مالا كثيرا، فقال له أصحابه: إن الأعراب يرضون باليسير وهذا لا يعرفك، فقال لهم يزيد: (أنا أعرف نفسي) والغربيون اليوم يقولون إن هذا تبذير وإسراف وإن البخل هو التقدم والاقتصاد، ولا بد مما يسمونه "الترشيد"!.

وهكذا يصِلُ المسلمون -والعرب خاصة- حتى من لا يعرفهم، ومما يقوله العرب: الكرم يغطي كل عيب. فمهما يكن في المرء من العيوب تذهب كلها إذا قيل: ولكنه كريم!

فنحن تبع لأبينا إبراهيم عليه السلام الذي قدم عجلا سمينا حنيذا، لأناس لا يعرفهم ولا يدري لم جاءوا، ثم إنهم امتنعوا عن الأكل، فهم لا يأكلون أصلا لأنهم ملائكة، وقرَّب إليهم إبراهيم عليه السلام ذلك، لأن هذه عادته مع كل ضيف، سواء عرف الضيف أو لم يعرفه، قال النبي ﷺ: (أول من أقرى الضيفان إبراهيم)! وانظر إلى أنه قربه إليهم ولم يقربهم إليه، كما نفعل نحن اليوم.

وأكثر من معاملة الضيف معاملة الوالدين.

وقد أسلمت دبلوماسية ألمانية في جدة لما زارت أسرة مسلمة ورأت كيف يعامل الأحفاد جداتهم وقالت: "عندنا يزجون بالكبير في دار الرعاية الاجتماعية حتى يموت"! وهذا التقدير والاحترام للكبير تراه في اليمن وفي بلاد الإسلام كلها، وهو مفقود لدى الغرب الجاحد.

وهم هنا في مكة وجدة يحتفون بالجدات والأمهات كثيرا ويقولون إنهن بركة البيت.

وبسبب تفكك الأسرة ضاع الغربيون وحاروا، وانتشرت عندهم الفواحش والأمراض والجريمة والمخدرات، وهذه الحيرة والشك والضياع والاضطراب يعبر عنها الشعراء والأدباء وكل ذوي الإحساس المرهف، وإن غفل عن ذلك كثير من عبيد الدنيا في الشرق والغرب.

وبسبب اعتمادهم على العقل البشري دون الوحي، جهلوا الحقائق، ولم يهتدوا للصواب، وعبر عن ذلك من وفقه الله للصراحة منهم، فقديما قال أحد فلاسفة اليونان: "إني لا أعرف إلا أني لا أعرف شيئا".

وحديثاً قال أحد الفائزين بجائزة "نوبل" في الآداب: "إنني لا أدري من أكون أنا، ولا أعرف ما هي الروح التي أمتلكها".

وقد أخذ بهم ذلك الشك إلى ضرب من الجنون.

يقول ذلك الفائز بنوبل: "إن الفارق الكبير بين الشعراء والمجانين هو مصير الجنون الذي يمتلكهم جميعا" وأمثال ذلك كثير يطول استقصاؤه، ولا غرابة في أن تعطى جائزة "نوبل" لأمثال هؤلاء الحيارى، فالمعايير في الغرب كلها منكوسة، وقد أعطوا جائزة نوبل للسلام للإرهابي عدو السلام صاحب العصابات اليهودية المعروفة "مناحيم بيجن" ولأنور السادات الخائن، وأعطوها حاكمة بورما "ميانمار" حيث يحرم المسلمون كل حقوق المواطنة حتى الجنسية والصحة والتعليم، فانظر إلى كل من يعطونه جائزة نوبل، فلذلك أهداف قريبة أو بعيدة.

ومن تهكمات "برنارد شو" اللاذعة قوله: "أغفر لنوبل اختراع الديناميت ولا أغفر له الجائزة!".

وهؤلاء الغربيون الحيارى -الذين لا يؤمنون بالآخرة ولا يظنون أنهم مبعوثون ليوم عظيم- شاذون عن الأمم مهما كثر أتباعهم في هذا الزمان، فقد كان يؤمن بالآخرة كل الشعوب القديمة، كالمصريين والآشوريين

والبابليين والكنعانيين، وإذا تأملتَ وجدتَ أن الطقوس التي فعلها اليابانيون بجثة الامبراطور "هيروهيتو" هي نفسها الطقوس الفرعونية كما في كتاب "الموتى وعالمهم" مثلا، ومن هنا نشأ فن التحنيط عند مشركي المصريين القدماء، فالكفر بالآخرة مطلقا هو الشاذ في المجتمع البشري والمعبد هو محور كل حضارة في التاريخ.

والله جل جلاله برحمته وفضله يبعث في كل أمة نذيرا ليصلح المجتمعات وليبين لهم الفرق بين الإيمان الحقيقي وبين الأوهام والخرافات والطقوس الوثنية، ويخبر الناس بالوصف الحقيقي للآخرة وللجنة والنار.

وبغير الوحي والفطرة وبعث الرسل لا يمكن معرفة "سر الوجود" الذي أرّق الخيّام من قبل، وأرّق الفلاسفة الغربيين بعده، قال الخيام في رباعياته:

يا حسرتا إن مر عمري و لم ** يتح لفكري حل لغز الوجود

وليس الأمر لغزا، وما يظنه المسكين لغزا هو محلول، وحلّه سهل جدا، ولو أن هذا الحائر قرأ كتاب الله واستنطق فطرته لذهبت حيرته، والغربيون اليوم يحرصون على ترجمة رباعياته والاستشهاد بها، لأن المصيبة واحدة والضلال مشترك، وقد قال أحد شعراء المهجر النصارى: "جئت لا أدري من أين ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت، أأنا أمشي أم الدرب يسير، لست أدري ولماذا لست أدري، لست أدري".

فهو لا يدري ولا يدري لماذا لا يدري ﴿ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ﴾ [النور:٤٠]، وهكذا أسياده فلاسفة الغرب.

وهؤلاء الحيارى زادهم الإلحاد الحديث حيرة وضلالاً لا سيما فرضية "داروين"، وهي فرضية أبطلها العلم الحديث نفسه، ومن ذلك: اكتشاف الشفرة الوراثية مؤخرا، والبحوث البيولوجية الحديثة، وممن يسهب في الرد عليها علماء الأجناس البشرية، وقد تحدث عن بعض ذلك رئيس الجمعية العلمية في نيويورك "كريسي موريسون" في كتابه "الإنسان لا يقوم وحده"،

كما أبطلها لغويا الباحث الألسني المشهور "نعوم شومسكي" في كتابه "لماذا نحن فقط" الصادر سنة ٢٠١٥.

وبعض الغربيين يتساءل كما ذكر "كولن ويلسون" عن أمه "إذا لم يكن يسوع هو الذي خلق السموات والأرض فمن خلقها إذن؟"، تعالى الله عما يشركون.

وإنما وقع هؤلاء في هذه الحيرة والضلال لأنهم كفروا بالله وبكتابه، بل كفروا بالفطرة الدالة على أن الله تعالى حق وكتابه حق ورسوله حق والآخرة حق.

والمجتمعات القديمة كانت على الأقل على الفطرة، ومما يدل على فطرية التدين، وأنه لا يجتمع وهذه الحيرة والعمى، أنه لم يجد الباحثون في تاريخ الحضارات القديمة، أو الآثاريون أو علماء الاجتماع أمة بلا دين قط، فهذه الحضارة الغربية هي أول حضارة ملحدة في التاريخ كما قال الرئيس التشيكي.

وقبل الشرك الغربي الحديث أشركت الأمم الغابرة وعبد كل قوم رباً لهم يختارونه، ذلك أن الفطرة تضل ما لم تتنور بنور الرسالة، فقدماء المصريين عبدوا الكواكب وبنوا لها الأهرامات، والسومريون عبدوا مظاهر الطبيعة، واليونانيون عبدوا الشياطين والجن والأموات، وكانوا يسمون المردة "رجال الغيب"، وكثيرا ما تراءوا لهم لا سيما عند جبل "الأوليمب"، وكان من معبوداتهم "أبولّو"، والفرس عبدوا النار، والروم كانوا وثنيين ثم تنصروا وتعددت آلهتهم، وأكثر الناس عبدوا الجن، وصدق الله ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: ٤٠-٤١].

فالدين هو أكثر العوامل الاجتماعية تأثيرا، وقد اختلف الغربيون في أصل الدين، فافترض "تايلور" أن عبادة الأسلاف هي أصل الدين، أما "فريزر" فافترض أن أصله "التابو" أي المحرم، وأما "فرويد" فافترض أن أصل

الدين هو الدافع الجنسي، وذلك لغيرة الابن عنده من امتلاك الأب للأم، كما في "عقدة أوديب" الأسطورية، وذكر في كتابه "موسى والتوحيد" أن موسى عليه السلام كان فرعونياً، يدعو الناس إلى ترك التعدد والإيمان بإله واحد، كما فعل "أخناتون"، وصدق الله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٠].

ويشترك نظاما (موسكو وروما) على حد تعبير "رسل" أي الشيوعية والرأسمالية في تحديد الحاجات الأساسية للإنسان، وهي عندهما الطعام والشراب والجنس والسكن، وينسى كلاهما الحاجة الأهم وهي العبادة، فالإنسان قد ينفك عن تلك الشهوات أو بعضها، ولكنه لا ينفك أبدا عن معبود يعبده أينما كان.

وهذا الشرك والشك والحيرة والضياع وأمثالها، معروفة قديمة يشعر بها كل من أعرض عن ذكر الله، فكما شعر بها "زوربا" قديما شعر بها أيضا حديثا كثير من الغربيين، ومنهم الكاتب المسرحي "لونيدأندريف" الذي قال في مسرحيته "حياة الإنسان": "هكذا يموت الإنسان، هو الآتي من الليل يعود إلى الليل"، وصدق الله ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وهذه الحيرة والقلق والشك والكفر بالموروثات مع الجهل بالإسلام والتوحيد، كل ذلك تجده في كتابات ومسرحيات الغربيين، فتجده في كتابات "إبسن" النرويجي، كما في كتابات "شو" الايرلندي، وفيما كتبه "كولن ويلسون" الانجليزي، وكذلك ما كتبه "سارتر" الفرنسي أو مواطنه "ألبير كامو"، أو ما سطره "أرنست همنغواي" الأمريكي، فالجميع كما قال جل شأنه: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴾ [النمل:٦٦].

وهذا كله بخلاف ديننا الحنيف الذي جاء بالحق والهدى وتعبدنا بالعدل والإحسان لكل مخلوق، وأمر بأداء حق الله تعالى الذي هو أعظم الحقوق، والإحسان إلى المماليك والخدم والحيوان، كما هو مفصل في مبحث الحقوق،

فلا حيرة لدى المسلم ولا ضياع ولا قلق ولا جشع، بل النور جلي والدرب واضح، وقد تركنا رسول الله ﷺ على المحجة البيضاء، لا يزيغ عنها إلا هالك، وقد جاء بعير إلى رسول الله يشكو إليه أن مالكه يجهده ويجيعه ويحمّله ما لا يطيق، فانظر كيف عرف الرسول ﷺ منطق البعير، وكيف عرف البعير أنه رسول الله، وأنه رحيم شفوق، وأنه لا يقر الظلم، وكيف جهل ذلك أهل الكتاب قديما وحديثا، كما جهله أولئك الضائعون في الغرب الملحد.

وحار المتكلمون من معتزلة وأشعرية وغيرهم، وعبر بعضهم عن ذلك شعرا فقال:

بربك أيها الفلَك المدار ** أقَصدٌ ذا المسيرُ أم اضطرار

وقال آخر:

وأين محل الروح بعد خروجها ** من الجسد المنحل والهيكل البالي

وقال غيرهما:

نهاية إقدام العقول عقال ** وغاية سعي العالمين ضلال

و لم نستفد من بحثنا طول عمرنا ** سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

وهؤلاء الماديون الجشعون في الغرب لا يصدِّقون وهم يشترون نصف الواحدة من الفاكهة، مَن يعطيهم طبقاً كاملاً من الفاكهة بالمجان من المسلمين، ويسألون المعطي: هذا كله مجاناً، ويعجبون لذلك كثيراً.

وكثير من الغربيين -إن لم يكونوا كلهم- يتأملون في كل دقيقة تقريبا وقود سياراتهم كم صرفوا منه وكم بقي، وهذا غاية العبودية للدولار، ومنهم من يأمر ابنته أو عشيقته بتحمل تكاليف أكلها ولا يدفعه هو.

وإنما يرتعدون فرقا إذا ذكر لهم "الجهاد" و"الدين الإسلامي"، ويحرصون على أن يكون إعلامهم بعيدًا جدا عن الدين، مع أن الدين هو أهم مؤثر اجتماعي كما قال "رينان"، ويقرّ باحثوهم بما يسمى "فوبيا الإسلام"، وهذه الفوبيا مرض اجتماعي ونفسي خطير يقول عنه "جون فيفر" "إنه رهاب غير

عقلاني"، وضخموه جدا حتى لا يدخل الغربيون في الإسلام، ولكي تكون مطالب اليهود بتدمير البقاع المقدسة في جزيرة العرب مبررة!

ولأنه ليس لدى المسلمين فوبيا الحق، أعطاهم الله الأمن والراحة عكس ما عليه الغربيون.

ومن يسافر إلى أمريكا يجد الجريمة منتشرة هناك، ويتعجب المرء لكثرة الأقفال في الفنادق، وكيف أن العاملين يوصون النزيل بقفلها كلها.

وهم هناك يكتبون لوحة يحملها العامل في المطعم أو الفندق (لا يحمل نقودًا)، لأن القتل عندهم بسبب الحصول على النقود كثير.

وقد سمعت بنفسي دوي صوت في نيويورك فسألت عنه فقيل لي هذه قنبلة!.

وسألتُ إحدى العاملات في مطار "إف جي كي" فقلت لها: لماذا تعملين هنا؟ فأجابت: "أنا لا أعمل هنا رغبة مني في العمل بالمطار، ولكن لأنه أكثر أمانا من شقتي".

وإذا انقطع التيار الكهربائي عندهم سرق اللصوص كل شيء، وهذا ما حدث ويحدث في البلاد المتقدمة جدًا كما يقال "أمريكا" وفي أكثر مدنها تقدما "نيويورك"!.

فما أحوج هؤلاء إلى الإيمان الذي به يكون الأمن الاجتماعي، والله تعالى إنما وعد بالحياة الطيبة والأمن مَن آمن به ووحّده، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]، فلا خوف لدى الموحِّدين ولا حيرة قاتلة، أما المجتمعات الغربية فلا تخلو من أحد هذين أو من كليهما.

ومن شوق الأمريكيين إلى الجنة أنك ترى اللوحات التي يضعونها في مكاتبهم وعياداتهم وفنادقهم ونحو ذلك، كلها فيها صور أو مناظر طبيعية أجمل من الطبيعة نفسها.

وهذا يدل على أن القوم يتطلعون إلى غير ما هم فيه، وأن ذكراه باقية

لديهم، وصدق ابن القيم رحمه الله إذ يقول:

فحي على جنات عدن فإنها ** منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا أسرى العدو فهل ترى ** نرد إلى أوطاننا ونسلّم

وهذا يذكرنا بقصيدة الشاعر الغربي "ملتون" التي سماها "الفردوس المفقود"، وهذا الفردوس المفقود يضعون اللوحات تخليدا لذكراه وإن لم يشعروا.

وبكل المقاييس ترى المجتمعات الغربية اليوم تعج بالفساد الأخلاقي والإباحية والدياثة والجريمة والمخدرات والعنف والتشرد والحيرة.

ولولا ما فيها من أسباب البقاء -حسب سنة الله تعالى- لحل بها الهلاك، ومن أسباب البقاء: العدل والنظام وحرية القول والاعتراف بالأخطاء ومعاملة الحاكم بمثل ما يعامل به آحاد المحكومين، ورعاية المحتاجين والمرضى، وأمثال ذلك مما المسلمون أولى به منهم، وحث عليه دينهم العظيم.

وممن شهد لهم بهذه الفضائل عمرو بن العاص في كلامه مع المستورد القرشي رضي الله عنهما كما رواه مسلم.

ولا غرابة أن يشهد المسلمون بما لدى الروم من الفضائل، فنحن أمة العدل مع كل أحد حتى ولو كان كافرا، وليس في ديننا ظلم ولا عنف، ومن العدل اليوم أن نعترف بأن الغربيين مع كفرهم خير منا في التربية والنظام وبعض الأخلاق، وصدق "نعوم شومسكي" حين قال: "إن العنف متأصل في حضارتنا الغربية"، فالمصارعة الغربية اليوم كما يعرضها الإعلام ما هي إلا محاكاة للمصارعة الرومانية القديمة، التي تقام في الكولوسيوم وقل مثل ذلك في الإفراط في العبِّ من الشهوات على مذهب "أبيقور" القديم، وكثيراً ما اغتر الغربيون بإملاء الله لهم ونسوا أنه قال جل شأنه: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران:١٧٨]، وقال: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْۚ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف:١٨٣]، وقال: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧].

وما أكثر المغرورين بتقلب الذين كفروا أو بقوهم ودنياهم، وما أكثر المخدوعين، فلا تكن -أخي المسلم- واحدا منهم.

والمجتمعات الغربية اليوم تلهث وراء الربح والقوة، ولا تكاد تؤمن بالعدل الذي أمر الله به وندب إلى ما هو خير منه، وهو العفو والصفح، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦] وقال: ﴿وَجَزَاؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].

والحضارة الغربية كثيرة الأمراض الاجتماعية:

ومن أمراض الحضارة الغربية أنه يتأصل فيها الجشع والأنانية والغش. والعلاقات الدولية فيها تحكمها القوة وليس ما يسمونه "القانون الدولي"، بل يخضع هذا القانون النظري، للقوة الغاشمة لا للعدل والمساواة بين الشعوب، وأعظم من ذلك ما نراه من الخواء الروحي وحاجتهم إلى الإيمان بالله تعالى، وعقلاؤهم يعترفون بهذه الأمراض والجحيم، وأن المصير هو نفسه مصير من سبقهم، وكتب في ذلك "أسوالد شبنجلر" كتابه الضخم "تدهور الحضارة الغربية"، كما كتب أوبنهايم كتابه "انتحار الغرب"، وبعضهم درس أكثر من عشرين حضارة مثل "توينبي" فخرج بالنتيجة نفسها.

يقول "آرنولد توينبي": "الحضارة الغربية ليست أقوى حصانة من الحضارات البائدة"، ويقول: "إن المشكلات التي أحاطت بالحضارات الأخرى وقهرتها في النهاية قد بلغت اليوم ذروتها في عالمنا"، ويقول: "رينولدتيير": "إن الحياة التي تعيشها الأمم والشعوب بغير إيمان ليست إلا فناء". ويقول: "إن العامل الحاسم في إيجاد التماسك الاجتماعي في المجتمع العالمي هو القوة الروحية"، ويقول "برتراند رسل": "إن العالم يواجه كارثة محدقة"، ويقول: "انتهت قيادة الرجل الأبيض".

ويقول "جاك ماريتان" وهو فيلسوف فرنسي مشهور: "إن كياننا أصبح

مهددا بالخطر من جراء التحلل من الحكمة والأخلاق". ويقول: "إن روح الوثنية التي تشربتها حضارتنا ساقت الإنسان إلى إحلال القوة محل العدل". أما "روبرت فيسك" و"يورك" فيجزمان أن الغرب هو الذي أصبح مجرمَ حرب وبربري!

وبعض الصليبيين أدهشته المعاملة التي يتلقاها الصليبيون من أعدائهم المسلمين، حتى أن أحد رجال دينهم كتب رسالة إلى "الكامل" يشكره على كرمه جاء فيها: "من هذا الذي يمكن أن يشك لحظة أن مثل هذا الجود والتسامح من عند الله".

ومما يراه كل باحث متجرد أن المجتمعات الغربية لا تعرف كثيرا مما هو عادي جدا في المجتمعات الإسلامية مثل: إفشاء السلام، التسمية، المحافظة على الشرف والعرض، التيمُّن (الأكل والشرب باليمين)، الشكر لله تعالى، عيادة المريض، الدعاء للمصاب، بر الأموات والاستغفار لهم، الحشمة، ترك المخدرات والتدخين تديّنا، آداب النوم، آداب دخول الخلاء، آداب الخروج من المترل أو الدخول فيه، آداب الألفاظ، آداب الأسماء، وآداب النكاح، وآداب الركوب، وبركة إعطاء المساكين، وآداب الاستنجاء، وأمثال ذلك.

ولا يعرف الغربيون فضل الصدقة وأنها تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وأنها تقي بإذن الله مصارع السوء، وهذه المجتمعات الغربية تتشبع بما لم تعط، أو تفاخر بما لديها من المحاسن وإن قلَّ ذلك، ولو اجتمع لدى البابا في سنة كاملة ما يجتمع في المسجد الحرام في فريضة يومية واحدة لملأ الدنيا فخراً، ولتكلم الإعلام عن ذلك طويلاً، ولكتبت الصحافة ذلك، ولأظهرته القنوات الفضائية المختلفة ووكالات الأنباء، وقالوا اجتمع في قداس قداسته كذا ألفا.

والأصل في العادات الاجتماعية الحلّ وإنما حرم الشرع بعض الألبسة مثلا لما فيها من التشبه بأهل الكفر أو البدعة أو الفسق، وليس للمسلمين لباس خاص يلبسه العلماء أو غيرهم، ولما قال الصحابة للرسول ﷺ "ما يلبس

المحرم؟" أجابهم: لا يلبس كذا وكذا، فما لا يلبس هو المحدود، وهم إنما سألوه عما يلبس، فأجابهم بما لا يلبس!.

وليست مشكلة المجتمعات الغربية في شرب الخمر أو المخدرات أو التدخين كما يرى المؤرخ الانجليزي "أرنولد توينبي"، فهذه كلها أعراض للمرض وليست هي المرض نفسه.

وإنما مشكلتها أعمق من ذلك، وهي أنها لا تؤمن بالله ولا بالدار الآخرة، ولهذا يكثر عندهم كل شر وفاحشة، ويظهر في وجوههم الشقاء الذي كتب عنه "ليوبولد فايس" ذلك اليهودي النمساوي الذي سمى نفسه بعد إسلامه محمد أسد، رحمه الله رحمة واسعة، ولا ينفع أصحاب الفواحش القول بأنها عادة اجتماعية وجدوا عليها آباءهم، فهذه هي ذريعة المشركين الأولين ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف:٢٨]، أي أن كل ذلك وفق تقاليدنا وشريعتنا، ورد الله عليهم ذلك وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف:٢٨]، فلم يأمر بفعل الفاحشة وإشاعتها بين الناس، واليوم مع الأسف ترى الإعلام الفاسد ينشرها ويشيعها.

ومن مخالفة سنن الله في المجتمعات أن يظن بعض الناس أنه يمكن تحقيق السلام العالمي بدون جهاد، أو تحقيق العدالة الاجتماعية بدون إحسان، أو تحقيق الأمن بدون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو أن يكون للظالمين استمرار، كما يظن ضعاف الإيمان حين يعلّقون آمالهم على ما يسمى "هيئة الأمم المتحدة" والشرعية الدولية، ويعترفون لليهود بشيء من الأرض.

وقد راجت في المجتمعات الإسلامية بعض العادات الغربية السيئة مثل الانتحار والإدمان والوجبات السريعة، وفعل بعض المسلمين فوق ذلك ما لا يفعله الغربيون كالسحر والإسراف والتبذير، خذ مثالاً على المشكلة المركبة، فالمياه المحلاة تأتي إلى الرياض في أنابيب، وتكلف الدولة الكثير، لكن بعض كبار القوم يصنعون منها الشلالات والبرك دون دفع الفواتير، بل إنهم ليتركون صنابير المياه مفتوحة حتى إذا سافروا للخارج شهورًا، وأما الضعفاء

فيشترون الماء، ويبلغ متوسط سعر الصهريج (الوايت) أحيانًا ألف ريال هذا من جهة، ومن جهة أخرى تجد الخطباء والوعاظ يعظون الضعفاء ويحثونهم على التوفير وينهونهم عن الإسراف في الولائم، وهذا مطلوب وهم مشكورون عليه لكن لماذا لا يتحدثون عمن يهدر المليارات؟

ولماذا لا يعظون من يكون تبذيره من بيت مال المسلمين؟ وقد قال الصادق الأمين ﷺ: (من ولي لنا عملا فرزقناه رزقًا فما زاد فهو غالّ أو سارق).

ولما غلّ مولى رسول الله ﷺ يقال له كركرة شملة وقُتل في الجهاد، حتى قال الصحابة هنيئا له الشهادة نفى ذلك النبي ﷺ وقال: (كلا والله، إن الشملة التي غلّ لتشتعل عليه نارًا)، هذا وهو مولى للرسول الأعظم ﷺ، وإنما غلّ شملة وكان مجاهدًا فكيف بمن يسرف ويسرق المليارات ولا جهاد له!؟ بل ربما ليس له أي خدمة للمسلمين؟

ومن العادات الاجتماعية السيئة التي فشت لدينا سهر الليل ونوم النهار، وذلك بسبب إدمان الانترنت أو غيره، والله تعالى جعل الليل سباتا والنهار معاشا، مع ما في فعلهم من ترك للصلاة أو أدائها في غير وقتها.

ومن المشكلات الاجتماعية التي نعاني منها مشكلة الازدحام، وقد تخلصت بعض الدول من ذلك بمنع استيراد السيارات كل سنة، أما هنا فلا يمكن إغضاب شركات السيارات من أجل المصلحة العامة!! وإنما الحل عند بعض دارسي المشكلة هو النقل الجماعي والقطارات وتوسيع الطرق وكثرة الجسور.

ومن أعظم الجهل بسنن الله الاجتماعية وإدمان ما حرم الله، وقوع الظلم وتفشيه جدًا بين المسلمين، حتى أصبح العدل هو القليل، وأصبح يقال فلان عادل، كما جاء في الحديث (إن في بني فلان رجلا أمينًا)، والله تعالى ينصر المظلوم على الظالم ولو بعد حين، وقد قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج:٣٩].

ولا ينافي نصر المظلوم محاسبته على ذنوب أخرى، ومن الأمثلة لذلك في عصرنا أن تظلم الدولة الصهيونية حزب اللات وتعتدي عليه فينصره الله لذلك ويحاسبه على رافضيته.

- الملهيات والمشغلات:

لا يصح الإغفال عن سنن الله في المجتمعات وقضايا الأمة بإشغال الناس بالتفاهات، وإضاعة أوقاتهم فيما لا يجدي، ومن ذلك الإشغال بالسياحة عن العمرة، والإشغال بما يسمى الترفيه عن الجهاد، والإشغال بالعبث عن الجد، فخذ مثلا الرياضة التي حولوها من تدريب جسدي حسب قاعدة "العقل السليم في الجسم السليم"، إلى تعصب مجنون يفعله "الهولي جانز"، وغرضه هو الحصول على الكأس بأي طريق حتى لو كانت الرشوة أو المنشطات أو شراء اللاعبين والمدربين أو السحر "الدنبوشي"!

وفي كرة القدم مثلا يكون اللاعبون عددا محدودا، بينما يكون المشجعون بالملايين في الأستاد الرياضي، وأمام الشاشات الناقلة للمباراة.

وربما تسبب ذلك في مشكلات سياسية، فضلا عن المشكلات الأمنية والشجارات، كما يؤدي إلى خلل في إنفاق المال، حيث يبقى الفقراء في فقرهم ويتبرع الأغنياء لنادي "مانشستر" أو "ريال مدريد".

وأسوأ من ذلك تحريف القرآن لأجل اللعب كما سمعته بنفسي من أحد الملوك السابقين حين أحضروا إليه المنتخب فقال لهم: "إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم".

وأصبح اللاعبون في الدول الأوروبية من السود والملونين، وأصبح ثمن استعارة اللاعب أو المدرب مبالغ كبيرة مع تحديد مدة الإعارة.

وأصبح اللاعب أهم من الحاكم ورأيه معتبرا وتوقيعه فخرا!

وأصبح النصر في المجال الكروي أهم منه في المجال العسكري!

وأصبح اعتزال اللاعب حدثا تاريخيا، ومن سننه ألا يعتزل إلا بعد مشاركته في اللعب!

وأصبح الإلهاء من أهم ما تحرص عليه الدول -اشتراكية أو رأسمالية-، وربما كانت الولايات المتحدة الأمريكية أقل من غيرها اهتماما بكرة القدم، ولا يرجع ذلك إلى عقلانيتها وزهدها، بل لكثرة الألعاب فيها ووجود ملهيات أخرى لا سيما كرة السلة التي يعشقها الأمريكيون ويتهجون إذا انتصرت بغال "كلورادو" على ثيران "ميتشيجان" أو العكس (هكذا يسمون الفِرق)، وكذلك لعبة "البيسبول" والهوكي والتنس.

كما أن الدول كلها تحرص على الفن والألعاب لا سيما الألعاب الإليكترونية أو الورقية (البلوت).

ويوجهون اهتمام الناس إلى الملهيات، ومن ذلك إقامة المسابقات حولها وبناء أفخم المباني لها.

وأصبح الأستاد الرياضي أهم من الجامع في بلاد المسلمين، وانظر مثلا إلى المساجد التي تبنيها وزارة الأوقاف أهي مثل الأستادات الرياضية؟

ولا مانع أن تكون الخدمات متردية إلا في الأستادات الرياضية، وقارن مثلا ملعب "الجوهرة" في جدة بالمجاري!

وفي الكرة يظهر جليا الانقسام الاجتماعي، فأثرياء القوم وعليتهم لهم فريق في الرياض وجدة وغيرهما، وللطبقة المسحوقة أو السوداء فريق آخر.

كما أن الشواذ جنسيا يجدون بغيتهم في الأندية، لا سيما فيما يسمى "الأشبال"، وكذلك يكثر الاختلاط والزنا وكل الفواحش.

أضف إلى ذلك ما يصحب الكرة عادة من السحر والقمار والسكر وتعاطي المخدرات.

والدولة التي تحرم من الدورة الأولمبية تحتج وتطالب وتخرج بها المظاهرات، أما الشخص الذي يحمل الشعلة الأولمبية فتتسابق القنوات والصحف لتصويره.

واللاعب الذي يزور بلدا تحتشد له الجماهير الكثيرة من الرجال والنساء، كما فعلوا لما جاء اللاعب الأرجنتيني "مارادونا" إلى المملكة.

أما الدولة التي تستضيف الدورة الأولمبية ولو برشوة لمنظمة "الفيفا" فهي دولة يهتم بها العالم، ويحسدها على ذلك الدول الأخرى.

وأشغل الإعلام الضال الأمة بهذه التفاهات حتى أصبح يذكرها ضمن نشرة الأخبار ويكتبها في الشريط مع الأخبار وأسعار الأسهم.

وأدى ذلك الجنون الكروي إلى كثير من المشكلات نشير سريعا إلى بعضها:

- المغالاة التي قالها بعض من أعرفهم شخصيا: لو ذبحتموني لخرج دمي لونين (كذا وكذا)، وهما لونا الفريق الذي يشجع.

- القطيعة، فيقاطع الإنسان أقرباءه ومنهم والديه بسبب اختلاف الأندية، وقد يطلِّق زوجته وقد يدمر أسرته ويضيّع أبناءه للسبب نفسه.

- الانتحار أو الموت: فبعض الناس ينتحر أو يموت إذا انهزم فريقه، بل قد يموت لمجرد دخول الكرة في شبكته.

- استحلال غيبة من لم يشجع معه، بل قد استحل كثير من الناس غيبةً الأستاذ حمد القاضي رئيس تحرير مجلة "العربية" وعضو مجلس الشورى سابقًا وذنبه عندهم أنه غير مقتنع بالتشجيع.

وقل مثل ذلك في كل ما يُشغل عن الصلاة ويصد عن ذكر الله وعن عمل الخير، وينسي الناس واقعهم المؤلم، مثل المسابقات التافهة أو المحرمة، كمسابقات ما يسمى ملكات الجمال، والفخر باختيار تلك المتبرجة من أصول كذا، مثلما افتخر العرب في أمريكا باختيار "ريم الفقيه" وهي شيعية لبنانية.

ومثلما يفاخر الأفارقة فيها بأن الملاكم الفلاني أو المغني الفلاني أو اللاعب الفلاني من أصول إفريقية، وقد قال لي أحد كبار السن: لم أؤخر الصلاة في حياتي إلا مرة واحدة أخذني فيها ابني إلى مباراة في الرياض.

ومن المسابقات الغربية مسابقة أجمل كلب، وأسرع دجاجة، وأقبح امرأة، وبطل العالم في القذارة، ومكلة جمال البدينات إلخ. وهكذا والجنون فنون.

ومن الملهيات إشغال الناس بصور المتبرجات المتلطخات بالأصباغ، وبالتمثيل والفن والمسلسلات الداعرة والنكات الجنسية.

وأكثر الأفلام رواجا اليوم لا سيما في أمريكا هي أفلام الجنس والرعب والإثارة.

ومن الإشغال أيضا أنه إذا اشتدت المعارك في بلدك أو في المحيط القريب لك، أو غيروا التركيبة السكانية، أو زادت موجة الإسلاموفوبيا، أو تدهور اقتصاد بلدك.. إلخ، أشغلوك بأخبار الغرب وتفاهاته وبالمقابلات مع فلان وفلانة.

ومن الإشغال قلب المصطلحات، فما كان مثلا عادة جاهلية منبوذة عندنا مثل "الشبكي" أصبح اليوم تقدما وتطورا، يدعون إليه ويشجعون عليه للجذب السياحي كما يقولون.

وقد ناقشت في ذلك أستاذا جامعيا دعا إلى الاختلاط، فقلت هكذا كان عندنا ثم تطورنا وألغينا كل عادة ذميمة ولن نرجع للوراء.

ومن الإشغال استطلاع الآراء في قضايا ليست من اختصاصك، بل هي محسومة شرعا، مثل ولاية المرأة وميراث المرأة، وحكم السفر بلا محرم، والمشكلة الفلانية، وإذا لم يعجبهم جوابك ضربوا عليه وشطبوه، والمهم أن يشغلوك بأي شيء ويصعب استقصاء التفاهات بل هي في الحقيقة لا تتناهى، ومحاولة حصرها مثل محاولة عدّ ذرات الرمال!.

وبهذه الملهيات وبالإعلام الفاسد انتكست المفاهيم الاجتماعية لدينا فأصبح التعري هو التقدم، وأصبح المنافق هو الدبلوماسي الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وأصبح الغناء فنًا، وأصبح الاستهزاء بالحجاب كثيرا، وأصبح حفظ أسماء اللاعبين هو الأصل، أما حفظ أسماء الصحابة أو الفاتحين

أو ذكر معارك الإسلام الكبرى فهو خاص بالمطاوعة.

وأصبحت مزرعة الدجاج أهم من رعي الإبل، وأصبح الانشغال بتحليل البول أو البراز أهم عند كثير من الناس من الانشغال بحفظ القرآن أو الحديث، وأصبحت دراسة الطب أهم من دراسة الشريعة، وأصبح إكرام الصديق أهم عند كثير من الشباب من إكرام الوالد، وأصبح لا عب الكرة أهم من الوزير، وهكذا.

كما تغير كثير من مظاهر الحياة فبعد أن كنا نحتفظ بعقيدتنا وعاداتنا، هبت علينا رياح التغيير باسم الانفتاح.

وبعد أن كان الشرع هو الحاسم أصبحنا نعمل حسب استطلاعات الرأي، وحسب عدد المعجبين في مواقع التواصل الاجتماعي.

وهكذا ابتلينا بأدواء اجتماعية لم نكن نعرفها من قبل كالانتحار مثلا، وقد كنا نتحدث عن انتحار بعض الناس، كما انتحر في الغرب الأديب الأمريكي "أرنست همنغواي" والكاتب البريطاني "آرثر كوستلر" والممثلة المشهورة "مارلين مونرو" ثم أصبح هذا الداء اللعين عندنا.

ومن الأدواء الاجتماعية الأخرى التدخين وشرب الخمر وتعاطي المخدرات واحتقار الضعفاء، والغباء السياسي، وإضاعة الأوقات، والسفر للفساد، وكثرت الملهيات والمنسيات ولم نعد ننظر إلى أنفسنا كأسرى عند العدو، بل أصبح أكثر الناس يبحثون عن اللذة والمتعة في أي شيء، وأخذوا في التنقيب في رخص العلماء وأوضاعهم ليخدروا بها من تستيقظ فطرته، ويؤنبه ضميره على ذلك.

- المغريات:

إضافة إلى الملهيات نشر جند الشيطان المغريات، وبها أسقطوا التقدم العلمي في التعري والفتنة، فأصبح العلم خادماً للموضة وليس العكس، وأصبحت التطورات متعددة جدا، وتتسابق لكسب قلوب المشترين، ودخلوا

في الإفساد من نقطة الضعف الرائجة عند الجنسين، وهي الافتتان بالمظهر، وتبعا لذلك كثرت بيوت الأزياء وتعددت الفساتين، حتى في اليوم الواحد بل في الحفلة الواحدة، وقلت الحشمة التي كانت الأمهات يتفاخرن بها، والعفة التي كانت هي السائدة في الأجيال الأولى، حتى أصبح وضع غطاء على الرأس أو لبس السراويل مما تختص به العجائز الكبيرات فقط، وتعلم الفتيات أنواع الرقص، ونشأن على حب الأغاني إلا من هدى الله، وأصبحت البطلة هي نجمة الإغراء!

- نوعا المجتمعات الغربية:

المجتمعات الغربية اليوم قسمان متناحران كبيران، أحدهما شيوعي أو اشتراكي، قد يقال له اليساريون، والآخر رأسمالي ربوي قد يقال له اليمينيون، ومع اليمينيين المتعصبون المتطرفون في عداوتهم للمسلمين، وقد يسمون "شعبويين" للتمويه، ومن المتعصبين هؤلاء الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب".

وكلاهما خائف مما يسمى (أسلمة الغرب) ويحارب الإسلام باسم الحرب على الإرهاب، ويخوفان الإنسان الغربي بهذا الخطر!!

وهذان القسمان يسميهما "برتراند رسل" نظامي موسكو وروما.

على أن "رسل" يقول إن كلا النظامين وإن اختلفا ظاهرًا هما في الحقيقة يتفقان في كثير من الأمور، وهما نتاج نزوة واحدة وحضارة واحدة.

ومن أوجه التشابه بينهما: أن كلا منهما يسعى لاحتكار المال في يد طبقة معيَّنة، فالطبقة الثرية في الغرب التي يسميها بعضهم "سوبر أغنياء"، يماثلها في الشيوعية: الحزب الشيوعي، إما لجنته التنفيذية وإما ما سماه "تروتسكي" رأسمالية الدولة، كما هو قائم اليوم في الصين وكوبا وغيرهما.

وللشيوعية الماركسية مصادر ومنها:

١- اليويتوبيا "الطوبيا"، وهي فكرة خيالية افترضها الفلاسفة لما رأوا

انعدام العدل في الواقع، فلجأوا إلى الخيال علّه يسعفهم بما يفتقدون، وكتبوا عن المدن الطوباوية أو الفاضلة كما فعل أفلاطون وأوغسطين والفارابي وكامبانيلا وتوماس مور وغيرهم.

٢- الاشتراكيات التي قال عنها ماركس إنها غير علمية، مثل اشتراكية (أوين، وسان سيمون، وفورييه) وأضرابهم.

ويزعم الشيوعيون أن اشتراكيتهم هي الاشتراكية العلمية الوحيدة، حيث اعتمدت على الداروينية بعد أن نقلت الصراع من عالم الأحياء إلى المجتمعات البشرية.

٣- الجدلية التي أحدثها "هيجل" في منطقه الديالكتيكي، بعد تحويله من الفكر إلى الواقع، حيث يقول "ماركس" و"إنجلز" إنهما أقاما "هيجل" على قدميه، بعد أن كان قائما على رأسه، ومن آراء "هيجل" قوله إن النقيضين يجتمعان عكس ما قرره "أرسطو"، ولذلك قالت الماركسية إن كل شيء يحمل نقيضه.

٤- النظريات عن أصل الدين لا سيما نظرية "مورجان" الذي أجرى أبحاثا كثيرة عن الانتربولوجيا الثقافية عند البدائيين.

٥- واقع المجتمعات الأوروبية آنذاك لا سيما الحالة المزرية التي كان عليها العمَّال أثناء الثورات الصناعية التي عمت أرجاء أوروبا بعد أن انطلقت من بريطانيا.

ثم إن الشيوعية السوفييتية انهارت كما هو معلوم، وجاء "يلتسن" ثم "بوتين" وباع القيصر الماكر "بوتين" خردته من الأسلحة على الدول النفطية، وحرص على تطوير علاقة روسيا بهذه الدول مع ما يعلمه الناس عن أفعاله في بلاد الشام واليمن وليبيا.

لكن ليس سقوط الاتحاد السوفيتي أو تفككه سقوطًا لكل الاشتراكيين في العالم ولا يستلزم بالضرورة أن يكون كل ماركسيي العالم يوافقون على التفسير اللينييني الستاليني للماركسية التي سماها "ماركس" الاشتراكية

العلمية، ولكن اللينيين يدّعون أنهم الأكثرية "البلشفيك" ومخالفوهم الأقلية "منشفيك".

ثم إن الاشتراكيات العالمية تعددت وتنوعت، وأصبحت لا تستلزم الماركسية الملحدة بالضرورة، ومن ذلك:

١. الشيوعية التروتسكية، وهي الفكرة التي عارض أصحابها الاتجاه الستاليني الذي دعا إليه ستالين ومسؤول مخابراته "بيريا" وأشهر هؤلاء المعارضون لستالين "تروتسكي" الذي اغتالته مخابرات "ستالين" في المكسيك، وكان يقول إن شيوعية ستالين هي "رأسمالية الدولة".

٢. الشيوعية الصينية وهي نوع آخر يخالف ما عليه الاتحاد السوفيتي لا سيما في اعتماد ما سماه (ماوتسي تونج) الثورة الثقافية.

٣. الاشتراكية الفابية: نسبة إلى القائد الروماني "فابيوس" الذي انتهج منهج المطاولة وعدل عن المواجهة المباشرة مع خصمه وعليها اليوم حزب العمال البريطاني.

٤. الأحزاب الشيوعية في الغرب التي لها توجه خاص دون أن تدور في فلك الاتحاد السوفيتي ومن أشهرها "الحزب الشيوعي الفرنسي ".

٥. الاشتراكية التي تعتمد التغيير الاجتماعي واجتثاث الدين في النهاية وتدعو إلى الليبرالية وتقر الملكية الفردية، وهي اتجاه يساري ترعرع في الولايات المتحدة ومن أكبر دعاته "غرامشي" ويبدو أن ما يسمى مدرسة "فرانكفورت" ليست بعيدة عنها، وهي ترفض التطبيق الحرفي السائد عن الشيوعية الرأسمالية وتحاول التوفيق بينهما وأخذ مزايا كل منهما وترى ضرورة العولمة لكن على نهج اشتراكي.

٦. نشأت عن الماركسية جمعيات أو مدارس فكرية كثيرة وفلسفات بعضها اجتماعي وبعضها لغوي وبعضها نفسي، وجاؤوا بتفسيرات مستقلة للكون والحياة يجمعها كلها أنها اتجاهات يسارية معارضة، ومنها في بلاد الحرمين ما سمي "الحداثة" وهي قائمة أساسًا على أفكار اليسار الفرنسي

وأتباعه، من أمثال "ميشيل فوكو" الفرنسي و "كمال أبو ديب" وهو نصراني سوري.

أما الرأسمالية فهي قديمة موضوعيا، فقد كان قوم خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام عليها، قال تعالى على لسان نبيه شعيب من ضمن ما قاله: ﴿فَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ﴾ [الأعراف:٨٥] لكنهم قالوا ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ [هود:٨٧]، أي أن منهج القوم حرية التجارة وعليها كل المطففين في التاريخ، قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطفِّفين:١]، وحرية التجارة هو أهم المبادئ الرأسمالية.

وكان على الرأسمالية أيضا كل آكلي الربا لا سيما اليهود وعرب الجاهلية، قال تعالى عن اليهود: ﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ [النساء:١٦١].

وقال عن عرب الجاهلية: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ﴾ [البقرة:٢٧٥].

وقال عن اليهود والنصارى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾ [التوبة:٣٤]، والربا عنصر رأسمالي لا بد منه.

وفي العصر الحديث نادى بالرأسمالية "آدم سمث"، و"ريكاردو"، ثم إنها تطورت حتى المرحلة المعاصرة في أمريكا وأوروبا وغيرهما.

ويمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الرأسمالية إلى ثلاث:

١- مرحلة النشأة وابتدأها "آدم سمث" و"ريكاردو" -كما تقدم- وبعض دعاة الاستعمار والنهب.

٢- المرحلة الوسطى وهي المرحلة التي ساد فيها الاستعمار الغربي ودرَّسوا فيها ما سمي "الاقتصاد السياسي" ونبغ فيها "كيتري" البريطاني، و"شاخت" الألماني.

٣- المرحلة المعاصرة، وهي المرحلة التي تطورت فيها الشركات الاقتصادية وانتشر فيها التصنيع الخفيف والاقتصاد الشخصي وظهرت فيها العولمة.

وفيها تضخم دور الشركات الاحتكارية العملاقة المسماة "كارتل" مثل شركة "أرامكو" البترولية، وشركة "جنرال موتورز" للسيارات، وشركة "أبل" للحاسوبات، وكذلك الشركات النفطية السبع.

وتبلغ ميزانية شركة "جنرال موتورز" وحدها أكثر من دول "الأوبك" مجتمعة، وتقدم لها الإدارات الأمريكية المال من جيب دافعي الضرائب، وإذا نافستها شركة أخرى أمطرتها بالفضائح، كما فعلت بالشركات الألمانية "مرسيدس" و"فولكس واجن" و"بي إم دبليو".

والنظام الرأسمالي بطبيعته نظام طبقي فيه ملأ وضعفاء.

وقبل الرأسمالية الحديثة كان العالم قد عرف الطبقية الظالمة حيث جعل فرعون أهل مصر شيَعاً، وجعل أحط طبقات المجتمع المصري هم بنو إسرائيل.

واقتبس اليونان من فعله طبقة منحطة "العبيد"، وأقر ذلك "أفلاطون" في "الجمهورية" ثم تلميذه "أرسطو".

ثم جاء بعدهم الروم وجعلوا المجتمع الروماني طبقتين: طبقة الروم، وهي العليا، وطبقة البرابرة، وهم سكان المستعمرات، أما العبيد فقد انحطت درجتهم كثيراً، حتى اضطروا إلى الثورة على الامبراطورية الرومية بقيادة "سبارتاكوس" الذي شبهه بعضهم بثورة صاحب الزنج محمد بن علي ضد العباسيين أيام المعتمد على الله، وقد احتل صاحب الزنج البصرة كما هو معلوم تاريخيا.

ويبدو أن الكل يرجع إلى الطبقات الأربع عند الهندوس.

أما في أوروبا فقد قام الحكم الإقطاعي المستبد، الذي كان ملوكه عائلات مخصوصة تزعم أن دمها أزرق، ثم نشأت فيها الطبقات الثلاث

الارستقراطية، والبورجوازية والبروليتاريا، وكان المجتمع الأوروبي يحرم الزواج على أحد من غير طبقته، ولما عشق الملك البريطاني "إدوارد الثامن" امرأة غير ارستقراطية اضطر للتنازل عن العرش لكي يتزوجها، أي أن الأمر كان أشد من أن يتزوج رجل قبلي هنا امرأة يقال إنها خضيرية، وحتى اليوم لا يزال في إنجلترا مجلسان أحدهما للوردات، والآخر للعموم، وطبقة أرستقراطية وطبقة دونها.

ونادى البيان الشيوعي الطبقة الكادحة "البروليتاريا" إلى الثورة الحمراء الشاملة على الرأسمالية، وقال: "يا عمَّال العالم اتحدوا".

وغالوا في الجماعية إلى حد التنكر للفطرة الإنسانية بإلغاء الملكية الفردية، وجعل كل شيء ملكا للدولة.

وفي حين ذهب الشيوعيون إلى ذلك ذهب الرأسماليون إلى عكسه، أي المغالاة في الفردية إلى حد إباحة كل شيء للفرد من الربا والاحتكار والتطفيف.

والنزوة التي ينطلق منها كلا المذهبين: الجماعي والفردي هي السيطرة والربح، أي أنها حب الدنيا والعمل لها فقط.

واتخذ الارستقراطيون ميزات تميزهم عن باقي الطبقات، وظهر ذلك في ألقابهم، فلا بد أن يسبقها ألفاظ التفخيم، وما يدل على طبقتهم الاجتماعية مثل لفظة "فان"، وبقي اثر ذلك في الطائرات والقطارات حيث يجعلون درجة أولى فخمة للارستقراطيين!

وأخذت الرأسمالية في النمو تدريجيا والتكيف وفق البيئات والظروف، وتمثل ذلك الاستعمار في الشركات التي أنشأها المستعمرون مثل شركة الهند الشرقية التي أنشأتها بريطانيا، والشركة الشرقية التي أنشأتها هولندا في جزر الهند الشرقية المعروفة اليوم باسم "أندونيسيا".

ثم اعتمدت الرأسمالية في القرن العشرين على آراء "كينزي" وقامت الشركات الاقتصادية الكبرى ومنها الأخوات السبع التي تحتكر إنتاج النفط

وتكريره وتسويقه، وتكونت الأنواع الثلاثة المشهورة في عالم الاقتصاد (الترست، والكارتل، والهولدنغ)، ثم نشا الاقتصاد المشخّص الذي يعتمد على التصنيع الخفيف، ويتمثل ذلك في الحاسوبات "الكمبيوتر" التي كانت ضخمة تشغل مساحات واسعة، ثم أصبحت خفيفة سهلة جدا، تعتمد على اللمس الخفيف فقط، وظهرت معها الهواتف الذكية التي تعمل عمل الهاتف والكاميرا والحاسوب.

وطغى الرأسماليون وبغوا وابتزوا العالم بثرواتهم الهائلة، وخضعت لهم السلطة الحاكمة، وقد أنذرهم الله لكي ينتهوا عن أكل الربا، ولكنهم استمروا ونسوا أن الله يمحقه وأن أمره إلى قُلّ مهما كثر.

ووعظهم الله بالكساد الكبير الذي وقع في أمريكا سنة ١٩٣٠ج وبالأزمة الاقتصادية العالمية التي وقعت سنة ٢٠٠٨ج، وكانت أزمة الرهن العقاري، ثم تطورت المشكلة، كما عاقبهم الله بانخفاض أسعار النفط إلى الربع، والتقلبات الاقتصادية، لكنهم لم يتعظوا ويتوبوا والله أعلم ماذا سيعاقبهم الله به.

ومن مقدمات تدميرهم الإفلاس الذي فطن له بعض المفكرين، فكتبوا كتاب (١٩٩٥م الإفلاس)، وقد افلست بنوك كثيرة في العالم لا سيما في أمريكا، وإليك بعض البنوك التي أعلنت إفلاسها أو باعت أسهمها بمبالغ زهيدة:

١- بنك ليمان براذر.

٢- بنك بيرستفرز.

٣- بنك لاينش.

٤- بنك مورجانستانلي.

أما اليابان فقد أصبحت تدور في حلقة مفرغة، ووقعت في انكماش اقتصادي حادّ.

ومع هذا الانهيار الواضح لا يزال ما يسمى العالم الحر يفاخر بأنه أهلك

مالاً لبداً لنشر الديمقراطية وللمساعدات الإنسانية التي لا تهدف للربح!

كما عصفت الأزمة ببنوك أوروبية كثيرة لا سيما بنك دريتشه أكبر بنوك ألمانيا التي هي أكبر اقتصاد في أوروبا.

والربا ممنوع مطلقا في كل الدول الشيوعية، وتحظره كل الأحزاب الاشتراكية في العالم، وأكثر المتعاملين مع البنوك الإسلامية في الغرب -لا سيما في بريطانيا- هم من غير المسلمين بعد أن ظهرت الآثار المدمرة للربا التي حذر منها الاقتصادي العالمي الشهير "شاخت".

كما أن الكنائس النصرانية تحرّمه، وكذا اليهود المتدينون، ولا يتعامل به إلا العلمانيون في الغرب والدول التابعة لهم التي تدعي أنها إسلامية، ومن العجيب أن الدول التي تتاجر بالدين وبخدمة المسلمين تجبرهم على التعامل مع البنوك الربوية، وتفتح لها فروعا في كل شارع، مع أن النبي ﷺ قال: (درهم ربا أشد من ست وثلاثين زنية)، فهو أكثر إثما من فتح بيوت الدعارة.

ومع قيام الفكر الرأسمالي على الفلسفة التجريبية رأت أمريكا أن تقوم سياستها على الفلسفة البراجماتية، تلك الفلسفة التي وضعها "وليم جيمس" و"جون ديوي" و"جورج سانتيانا" وعبر عنها "هنري كيسينجر" بقوله: "ليس لنا صداقة دائمة ولكن لنا مصالح دائمة"، فهي نوع جديد من الفلسفة النفعية لا يلتزم بأي معيار من الدين والأخلاق.

واتخذت الرأسمالية مظاهر كثيرة ترى أكثرها في الدول التي تسمي نفسها إسلامية، ومن مظاهرها:

١- تعميم البنوك الربوية ودعمها إما مباشرة من خزينة الدولة، أو بنكها المركزي، وإما دعمها تشريعيا بمنع المساهم فيها من سحب أسهمه، ولكن يبيعها لمساهم آخر إن شاء، وبأن تكون الرواتب والمكافآت عن طريقها.

٢- الشركات الاحتكارية العابرة للحدود، والتي تبحث عن اليد العاملة الرخيصة في أي مكان.

٣- وضع التشريعات التي تخدم مصلحة الهوامير الكبار وتحميهم.

٤- جلب رؤوس الأموال الخارجية باسم تسهيل الاستثمار وإيجاد الوظائف للمواطنين.

٥- جعل الرواتب بحسب الجنسية لا بحسب الخبرة والعمل.

٦- الغلاء الفاحش في كل شيء لا سيما فيما يتعلق بالإسكان كالأراضي والعمائر.

٧- أن تصبح العملات سلعة من السلع، وجعل العملة الورقية بديلا عن الذهب والفضة.

٨- استئجار ما يمكن شراؤه، بمبالغ أقل من بلاد أخرى.

٩- المسخ الثقافي والرق الطوعي واستخدام الدعاية في كل شيء.

١٠- استعباد الشعوب بالقوة الناعمة ومنها إنشاء فروع للشركات أو وكالات لها.

١١- تحويل الناس إلى مستهلكين للكماليات المستوردة التي قد لا يحتاجون إليها قط.

١٢- عمل المرأة وتبرجها.

وللرأسمالية مصطلحات كثيرة منها:

الاستثمار، التضخم، الناتج المحلي، القيمة المضافة، البطالة، التنافس، القدرة الشرائية، سعر العملة، النمو، الرفاهية، التنمية المستدامة.

وبعض هذه المصطلحات جعلوها اقتصادية عامة لا يستغني عنها أي باحث اقتصادي، ولو لم يكن رأسماليا.

أما الخطوط السعودية فتقترض من بنك باركليز البريطاني، وتصدر تذاكرها وفقا لكمبيوتر لندن، وتكتب اسم الراكب ودرجة الركوب بالإنجليزية! والأصل فيها أن يرأسها من سبق له العمل في أرامكو، دع البنوك المحلية الأخرى، كالبنك الأمريكي، والبنك الفرنسي، والبنك البريطاني، والبنك الفرنسي، وغيرها.

ومن الاستخفاف بعقول المواطنين السعوديين واستغلال مشاعرهم الدينية أن البنوك الربوية نفسها تفتح أقساما لما تسميه المصرفية الإسلامية الحلال، مع أن رأسمال البنك واحد، وأمواله تذهب لمقره الرئيس مجتمعة.

كل هذا مع تشديد القبضة الحديدية على الشعوب، ومحاربة التدين وفرض الانحلال ولو تدريجيا.

ومن الخطأ الترقيع ببعض ما يطالب به الشيوعيون وإنشاء ما يسمى هنا مؤسسات عامة، وبلغ عددها في السعودية أكثر من ٣٠ مؤسسة.

ومع هذه الحرب مع الله وهذه الذنوب الصريحة نقول: كيف تنخفض العملة وكيف تهبط قيمة الريال، وكيف تكون المئة ريال من قبل خيرا من الألف ريال حالياً؟ وكيف ينتشر الإرهاب؟ وكيف تحل بنا الهزائم؟

ثم إن الرأسمالية توّجت فظائعها باستحداث فكرة "العولمة" والاقتصاد الحرّ، والمناطق التجارية الحرة، كتلك التي بين الأردن وإسرائيل.

وعقدت مؤتمرات عالمية مثل "دافوس"، أو اجتماعات للدول الصناعية الكبرى التي هي كلها غير إسلامية، كالدول الصناعية السبع، أو لقاءات للدول العشرين ذات الاقتصاديات الأقوى في العالم، وأكثرها دول غربية.

كما أنه تبعا للنظام الرأسمالي يحولون أي عمل ناجح إلى شركة مساهمة، فيضطر مالك العمل إلى شراء الأسهم أو إلى إدخال آخرين معه فيما تعب هو في تحصيله وجمْعه.

وانتشر بين المسلمين الجشع والتكالب على المادة، وألهاهم التكاثر وتركوا الجهاد والزهد والقناعة، حتى أنه إذا أرادت شركة وطنية أن تفوز بالعطاء لا بد أن تسمي نفسها العالمية، وأن لها كذا فرعا في مختلف أنحاء العالم، وأن الشركة الاستشارية هي شركة كذا الغربية، وأن ترمز لاسمها بأحرف لاتينية!

أما العولمة فقد نفذت منها كل أمة لفرض ثقافتها على العالم، إلا المخدوعين بها من المساكين لا سيما في العالم الإسلامي، فقد تأمركوا ولم

يدعوا العالم للإسلام.

فأمريكا مثلا تسعى لأمركة العالم كله ونشر ثقافة: "الهامبرجر" و"الجيتر" و"ماكدونالدز"، والمياه الغازية والرطانة بالانجليزية الأمريكية، وملاهي "دزني لاند"، ومحلات "كوفي"، والاختلاط وأفلام "هوليود".. إلخ.

واليابانيون جعلوا العولمة وسيلة لنشر الزي التقليدي الياباني، والمحافظة عليه داخليا وحمايته من الغزو الأمريكي، ومن الحركات التي قامت لذلك في اليابان حركة "سوغا كاي".

والهند قامت فيها حركات هندوسية تدعو للعودة للأصول الهندوسية ونشرها في العالم، مثل حركة "سايدبابا" وحركة "جهارا كريشنا"، وهي حركات لها فروع تعد بالآلاف في مئات الدول.

والصين تحاول قيادة العالم كله، فانتهجت سياسة "التهجين" بخلط الثقافة الكونفوشيوسية بالثقافة الغربية.

والألمان استغلوا العولمة لنشر الثقافة البروتستانتية في الدول الأخرى لا سيما الكاثوليكية، لكن الكاثوليك فعلوا العكس لا سيما وأن البابوية معهم.

وإيران وعملاؤها استغلوا العولمة لتصدير الثورة وتشييع المسلمين كافة، حتى أنه أصبح لهم لوبيات داخل أمريكا.

وأغرقت الصين الأسواق العالمية بمنتوجاتها الأرخص، حتى أن البضاعة الأمريكية أصبحت نادرة داخل أمريكا نفسها.

وفي الغرب نفسه من يقف ضد العولمة، مثلما قامت المظاهرات ضدها في نيويورك ولندن وسياتل.

وقد كتبوا في أمريكا كتابا بعنوان "عولمات كثيرة"، نهديه لليبراليين في بلاد الحرمين.

ولم يتخلف عن ذلك إلا أهل السنة الذين عندهم الدين العالمي الوحيد "الإسلام"، وقد شقت تركيا طريقها لذلك ولا تزال سائرة إليه، ولينصرن الله من ينصره.

ومن أعمال الرأسمالية الأخرى، أنها تصطاد الفكرة وتحجز الطلبة مقدما ليعملوا لدى الشركات في المجالات الوظيفية التي تريد، دون مراعاة لحاجات البلاد.

ومن مساوئها التفكك الأسري بتوظيف المرأة وإحلالها محل الرجل، والازدحام المروري، وهجرة الناس من الأرياف إلى المدن، وامتلاء دور العجزة، وقلة الرحمة بين أفراد المجتمع، وعقوق الوالدين، وكثرة الانتحار، وانتقال الناس من الحياة الطيبة إلى المعيشة الضنك اللاهثة وراء الربح، وأن يكون الإنسان حمارا بالنهار جيفة بالليل، وقد أشاد الرئيس الأمريكي "جورج ووكر بوش" في إحدى لقاءاته بامرأة أمريكية تعمل يوميا في ثلاث وظائف، وجعلها نموذجا للمواطن الأمريكي الصالح!.

ومن مساوئها أيضا انتشار الأخلاق التجارية التي تقوم على الابتسامات المتكلفة، ومعاملة الزبون بالحسنى، وأمثال ذلك مما المسلمون به أولى خالصا لوجه الله.

ومن مساوئها أن الإنسان إذا نضجت خبرته أحالوه للتقاعد، مع أن "ابن تاشفين" هزم "الفونسو" وعمره ثمانون سنة، ولا يُعْفى من التقاعد إلا المتنفذون حتى إن اختلطت عقولهم أو عجزوا عن عمل أي شيء.

ومن مساوئها القضاء على المنشئات الصغيرة، إما بأن تقفل أبوابها، وإما بأن تندمج في الشركات العملاقة.

ومن مساوئها القضاء على التنافس باحتكار السلعة ووضع السعر الذي يرضى به كبار الملاك.

وأعظم المساوئ هو محاربة الله ومخالفة سننه، واستجلاب عقوبته، وقد قال شعيب عليه السلام لقومه: ﴿إِنِّيٓ أَرَىٰكُم بِخَيۡرٖ وَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ مُّحِيطٖ﴾ [هود:٨٤]، ولكن قومه كذبوه وزعموا أن لهم الحرية في أموالهم ﴿قَالُواْ يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ﴾ [هود:٨٧]، ولكن كانت عاقبتهم هي الرجفة كما ذكر الله.

ومن مساوئها إقبال الناس على الإعلام المنحط الذي يروج للخيانة والدياثة والزنا والفساد، ويمرض القلوب ويبلبل الأفكار ويهز الثوابت العقدية.

ومن شرورها الاجتماعية الكثيرة شرب المسكرات وتعاطي المخدرات والتدخين والسهر.

– المجتمع والإعلام:

يسمي الغربيون الإعلام السلطة الرابعة، أي بعد السلطات الثلاث التنفيذية والقضائية والتشريعية، ولو أن أحدا اليوم قال إن الإعلام هو السلطة الأولى لما أبعد، إذ يمكنه فضح السلطات الثلاث أو وضع من شاء من أهلها، كما يمكن له رفع الروييضة ليصبح من إحدى تلك السلطات أو مقربا لديها.

ومن المعلوم أن أي حاكم مستبد يسعى لإسكات الإعلام أو تسخيره لخدمته.

وقد كنا بالوحي نؤمن بأن الرجل يكذب الكذبة تبلغ الآفاق، ولما جاء البث المباشر والقنوات الفضائية والصحافة الورقية أو الاليكترونية، أصبح الغيب شهادة، و لم يعد أحد يستغرب أن يظهر الدجال بالمشرق فيعلم به من في المغرب في يومه، ولما انتشرت الحاسوبات وأصبحت تجيب كل سائل وتعطي الفواتير محددة بالدقيقة، سَهُل جداً الإيمان بأن الله تعالى يحاسب الخلائق جميعا في وقت واحد، وأصبح الحاسوب الذي يملكه الأطفال ينجز ما كان يقوم به جهاز أرشيفي كامل، وهذا من غلبة الآلة على البشر.

ولما للأثر الإعلامي من أهمية كان العرب قديما مهتمين بذلك، وكانت القبيلة تفرح إذا نبغ فيها شاعر أو خطيب.

ولما جاء وفد بني تميم في سنة الوفود إلى النبي ﷺ، فاخروه بشاعرهم وخطيبهم، ثم أقروا أن شاعره أشعر من شاعرهم، وخطيبه أفصح من خطيبهم.

وينبغي للإعلامي أن يراعي وجه الله وحده، ولا يخضع للسلطة

السياسية فيما يعلم أنه حق جاء به الوحي، والمعتبر هو الكتاب والسنة وليس رغبة الحاكم أيا كان.

فقد أنكر عمر الفاروق على حسان بن ثابت رضي الله عنهما أن ينشد الشعر فوق منبر رسول الله ﷺ، ولكن حسانا استمر في ذلك وقال لعمر: قد كنت أفعله أيام من هو خير منك -يعني رسول الله ﷺ-.

فليت الإعلاميين في "عكاظ" و"الوطن" و"الرياض" وفي "العربية" و"الإخبارية" يفعلون ذلك.

وقد كان في بلاد الحرمين قناتان إحداهما القناة الأولى، والأخرى القناة الثانية، وهما القناتان اللتان سمتهما الصحافة "غصب١" و"غصب٢"، أما الآن فقد كثرت الغصوب وأرغموا الإدارات الحكومية على مشاهدة قناة "العربية"، ومنع "الجزيرة" التي قالت عنها إحدى الصحف: إنها "جزيرة الحقد".

وهذا الغصب قديم، أول من أحدثه فيما أعلم هم المشركون، الذين كانوا يأمرون بوضع القطن في الأذن حتى لا يتأثر السامع بسحر محمد كما يزعمون، وقصة الطفيل بن عمرو الدوسي في ذلك مشهورة، أما سماع كفر عبّاد اللات والعزى ومناة وذي الكفين فلا بأس به، وفي رمضان سنة ١٤٣٧هـ بثت قناة العبرية وقت الإفطار برنامجا عن الحزب الشيوعي العراقي، بينما بثت قناة "إم بي سي" برنامجا لعدنان إبراهيم طيلة الشهر المبارك!.

وهذا ما دفعني إلى مشاهدة قناة الجزيرة، وهي قناة غير إسلامية بالطبع، ولكنها خير من القنوات المذكورة، ولا سيما حين تعرض الجزيرة برامج تبين حقيقة أمريكا، مثل "أطفال غوانتنامو"، و"حروب أمريكا القذرة"، و"هل كتب عليهم ألا يكونوا"، وعن التعذيب الذي تمارسه الاستخبارات الأمريكية والمباحث الأمريكية.

وكذا ما توثقه الجزيرة عن علي عبدالله صالح وأبنائه من الفضائح

والفساد، في حين لو فتحت الشاشة على "العبرية" مثلا لوجدتها مشغولة بإفساد المجتمع ومحاربة الفضيلة.

ومن المحال أن تجد الرأي والرأي الآخر في قناة محلية، لا سيما إذا كان الآخر متهما بالتطرف ويقول الحق دون الثناء على أحد.

أما رابع المستحيلات فهو أن يكون في قناة محلية برنامج مثل "الاتجاه المعاكس"، وكل قرار يتخذه مجلس الوزراء أو السلطة التنفيذية هو حكيم وصائب، ويهدف لراحة المواطن وزيادة الدخل وفق الرؤية الإعلامية المحلية، وليت شعري ماذا أبقوا لأئمة الشيعة المعصومين؟!.

وصدق من كتب مقالا قال فيه: "كل شعب راضٍ عن إعلامه إلا الشعب السعودي".

وإذا حدثك إعلامهم عن الحرية الإعلامية فاعلم أنها حرية التشكيك في الثوابت، وإشاعة الفاحشة والحث على التبرج.

وإذا قالوا الجيش العراقي فاعلم أنه الرافضة في العراق.

وإذا قالوا: فلان لا يمثل إلا نفسه، فاعلم أنه زار إسرائيل وقامت ضده ضجة في المجتمع، كما قالوا عن أنور عشقي.

مع أن الإعلام الأمريكي نفسه يقول عن الرئيس الأمريكي باسمه الصريح أضعاف ما يقوله الناقدون على مواقع التواصل الاجتماعي.

وقائمة الأمثلة طويلة جدا، والمهم أن الدنيا في واد والإعلام السعودي في واد، وقد كانت الصحف المحلية هنا تسمي وزارة الإعلام وزارة النفي، أما الآن فقد تطورت الوزارة وأصبحت وزارة التبرير، والإعلام اليمني يسمي الرئيس "الأخ الرئيس" أما هنا فيقول المتحدث "سيدي أو مولاي فلان".

ولئن كانت التنظيمات المسماة إرهابية تقتل أناسا معدودين، فإن الإعلام يقتل في الشعب كله الغيرة والحق، فالإعلام المضلِّل أشد خطرا وأعظم فتكا، إذ هو يقضي على عقيدة الأمة وأخلاقها، والفتنة أشد من القتل.

فيجب استنفار الناس عامة لمحاربة الفساد، إذا أردنا ألا يهلكنا الله، كما يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم، ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [هود:١١٦].

ومساوئ الشيوعية والرأسمالية كثيرة جدا، وقد قرر "برتراندرسل" بعد أن زار ألمانيا والصين والاتحاد السوفييتي فضلا عن بلده إنجلترا، واطلع على ما يقوله هؤلاء وهؤلاء أن النازية خير من الشيوعية والرأسمالية.

و"رسل" ملحد كافر بالحضارة الغربية كلها، وليس شيوعيا ولا رأسماليا ولا نازيا، أي أن "ستالين" و"روزفلت" عنده أكثر ضررا للإنسانية من "هتلر"، ويقول إنه من دعاة السلام.

والمسلم أحق أن يقول "لعن الله كلا النظامين" من "آرثركوستلر".

- هل الغرب شيء واحد؟

ليس الغرب شيئا واحدا، كما أن المسلمين ليسوا شيئًا واحدًا، بل الغرب أصناف ودرجات حتى في عداوتهم لنا وفي تأثيرهم الفكري والسياسي.

فأقل الكفار عدوانا وأكثرهم تأثيرًا في مسيرة الفكر البشري هم الألمان ثم بنو عمهم الإنجليز مع عداوة كليهما لنا وحقدهما علينا.

ومن الألمان المشهورين هيجل وجوته وكانت، وآينشتاين وشاخت، ومن الإنجليز المشهورين إسحاق نيوتن وبرناردشو، وكيتري وبرتراند رسل، وكلاه الأمتين من فرقة البروتستانت النصرانية، وهي طائفة معروفة تحرم التماثيل وما يسمونه الآثار المقدسة في كنائسها، والنصارى كلهم كفار غير أن الله أمرنا بالعدل حتى مع الكفار المعادين لنا ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ﴾ [المائدة:٨]، وهتلر مع ظلمه لم يحتل بلادًا إسلامية وإنما حارب داخل أوروبا نفسها، والعجيب أن من يشارك فيما يسمى حوار الأديان اليوم يحاور أعداء الله الكاثوليك ولا يحاور البروتستانت، بل إن بعض علماء

البروتستانت يحذر المسلمين من الحوار، ويقول إن ما يسمى مجلس الكنائس العالمي ما هو إلا واجهة صهيونية!.

ومن الخطأ أن نقيس كل الناس على حكوماتهم أو ننظر للمسألة من جانب واحد، فالحكومة الألمانية مثلا تعادي الأتراك وتدفع التعويضات لإسرائيل، لكنها في الوقت نفسه تستقبل المهاجرين وتنصح الغرب بذلك، للمصلحة طبعًا وليس لوجه الله، كما أن البروتستانت بتحريمهم ما يسمى الآثار المقدسة في كنائسهم أقرب للحق ممن يعظمها ويجعلها في الكنائس.

وبهذه الشعبة من الإسلام أظهرهم الله على غيرهم من الكفار.

وبتحريم الربا تقوّى الشيوعيون مع أنهم ملحدون لا يؤمنون بالله، وأصبحت كوريا الشمالية الدولة الضعيفة اقتصاديًا، المحدودة شعبيًا تهدد أمريكا في عقر دارها.

- أثر المحرمات في صلاح المجتمع:

الله تعالى أحل ما أحل وحرم ما حرم لمصلحتنا نحن البشر ولصلاح مجتمعاتنا، وكل ما حرم الله ثبت ضرره حتى عند من لم يسلم، وكشف الله لهم بعض أضراره مثل أكل الخنزير والجيف أو شرب الخمر بل حتى نكاح المحارم الذي تنسبه التوراة لابنتي لوط، ويقول بعض العلمانيين من دارسي الفلوكلور والمجتمعات البدائية إنه من بقايا التابو، بل كان الإمبراطور أو الملك أو القائد العسكري النابغة يُعَّرف بأنه عاشق أخته أو ناكح أخته ونحو ذلك من أوصاف التبجيل والتقديس عند المشركين! وكانوا يفعلون هذه السيئات حفظًا لنقاوة الدم الملكي الأزرق كما يزعمون.

وكل ذلك لا يقره الأطباء اليوم، ولا وزارات الصحة فإنهم يفرضون على كلا الزوجين شهادات تثبت خلوهما من الأمراض المانعة، وكثير من الأمراض يكون سببه القرابة بين الزوجين.

والليبراليون في بلاد الإسلام يهتمون بحرب الدين، ولا يكادون

يذكرون تلك الأمراض الخطيرة، ولا من ارتكب هذا المقت من الملوك.

وإذا أردت مثالا آخر يدل على تقدم المسلمين اجتماعيا وتأخر أمريكا مثلاً، فانظر كيف أنه لما حرم الله الخمر أراقها المسلمون حتى جرت بها السكك في المدينة، بينما لما حرمها القانون الأمريكي ازداد شربها وثمنها عند الأمريكان واضطرت الحكومة إلى إباحتها دستوريا، والآن ترى في أمريكا لوحات مرورية يكتبون عليها (يمكن أن تشرب في بيتك ولكن لا تشرب أثناء قيادة السيارة!) وإذا وقع حادث مروري في أمريكا ابتدأ البوليس بالتفتيش عن زجاجات الخمر! بل أي جريمة أو فعل شاذ يمكن القول إن الجاني كان مخمورًا مثلاً، مثل رقص "جورج ووكر بوش" في العزاء.

وهكذا يصح قول بعض العرب للنبي ﷺ "لو لم يكن ما تدعو إليه وحيا من الله لكان ذلك من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم".

والإسلام يحرم إخافة المسلم أو ترويعه ولو على سبيل المزاح، وينهى عن تعاطي السيف مسلولاً، أما الدستور الأمريكي فيجيز حمل السلاح مطلقًا لكل فرد وإذا وقع عندهم حادث إطلاق نار قالوا: لابد من إعادة النظر في الدستور، فانظر كيف يصون الإسلام المجتمعات من الأذى والشرور.

- على أي شيء تقوم السياسة المعاصرة والاجتماع:

هناك ارتباط وثيق بين القضايا الاجتماعية والخطة السياسية لأي دولة، وتقوم السياسة المعاصرة على المصالح لا على المبادئ، وتتحكم فيها قوى الضغط "اللوابي" والشركات الكبرى، لاسيما مع جهل الشعوب، واشتغالها بالشهوات البهيمية، وتصديقها بالخرافات، مثل نتيجة البحث الذي أجرته مجلة النيوزويك الأمريكية وقال فيه ٨٠% من الأمريكان إن الغزاة من الكواكب الأخرى يغزون أمريكا ويختطفون من شاؤوا من المواطنين، ويتكلمون بلهجة الولاية! ومثل اعتقاد كثير من الأمريكان أن الأمم المتحدة تتجسس عليهم بإشارات المرور.

وكيف لا يصدق بذلك من لا يعرف اسم الرئيس ولا حزبه ويقول إن للمثلث خمس زوايا؟

وقد تتقاطع المصالح أو تتلاقى الأهداف دون التوافق في كل شيء كما فرح المسلمون قديما بانتصار الروم على الفرس، وكما تتفق أمريكا والصين في بعض القضايا أو تتفق "داعش" وإيران.

وقد تفعل بعض الدول الصليبية أو التابعة لها ما هو مصلحة لها ويكون فيه فائدة للمسلمين أيضا، والقرارات السياسية هي الأساس في التغييرات الاقتصادية، ويقول بعض المحللين إن أمريكا تتعمد رفع سعر النفط لكي تربِّح شركاتها ولتضر بالشركات أو الدول المستوردة له مثل اليابان وألمانيا والصين، وقد تخفضه لتضر باقتصادات الدول المنافسة ومنها الاقتصاد الروسي، وفي الحالين تحمل كامل المسؤولية على الدول المنتجة للنفط وترد كل سبب في ارتفاع أسعار الغذاء إلى أن الدول المنتجة رفعت سعر النفط!.

ومثل ما يكون الأمريكي إما ديمقراطيا وإما جمهوريا تكون تلك الثنائية هي المعمول بها في دول العالم الثالث فالإنسان إما أن يكون مع الموالاة أو مع المعارضة، أما أن يستقل عنهما ويكون ناصحا مشفقا فلا يوجد إلا في الإسلام.

ومنذ أن وصل ترامب إلى الرئاسة قويت شوكت اليمينيين في كل مكان لا سيما في أوربا واشتدت موجة العداء للإسلام، وإذا بحث المسلم عن ملاذ آمن اتهموه بالتطرف والإرهاب، وأثقلت ظهره الفتاوى الصادرة من أعوان السلطة الحاكمة في بلاد الإسلام بأن يطيع أمر ولاة الأمر وقوانين الدول التي يقيم فيها، وأصبح مصدر الإرهاب عند الغرب هو المسجد والقرآن.

– نفاد النفط:

يجتهد العالم اليوم لإيجاد بدائل الطاقة، ليستغني بها عن النفط كالطاقة الكهربائية والطاقة الشمسية والغاز والرياح، والمستقبل أمام الدول النفطية مظلم ومصير النفط إلى نفاذ مهما طال الزمن، والمصيبة أنه سينفذ حين تكون البلاد أكثر سكانا وأكثر طلبا للوظائف وبذلك تتضاعف الأزمة.

وقد قرر أحد الخبراء العالميين في الطاقة، أن السعودية سوف تصبح دولة مستوردة للنفط بحلول عام ٢٠٢٥م على حد قوله، والآن تتفوق كل من قطر وإيران على السعودية في إنتاج الغاز، وتتفوق عليها العراق في الاحتياطي النفطي، وهناك حقول نفطية كثيرة لا يتحدث عنها الغرب الرسمية اليوم لكي يستترف أولا نفط الخليج، ومنها نفط الأمازون، ونفط بحر قزوين، ونفط إفريقية، ونفط ألاسكا.

و لم تعد بدائل الطاقة أحلاما بل حقائق مشاهدة لكل أحد وأنا ركبت سيارة كهربائية ورأيت بيوتا تستخدم الطاقة الكهربائية وشاهدت مصانع لاستخراج الطاقة من الرياح.

وهنا يبرز سؤال: هل الرزق مرتبط بالنفط وهل ارتفاع سعره دليل على غنى الأمة؟

والجواب: أن الرزق لا يرتبط بكثرة أو قلة، ولا بذكاء أو غباء، وإنما هو أساسا تابع للقدر، وأهم أسبابه الإيمان القلبي الذي يقدر الله الأمور بحسبه، والإسلام لا يتنكر للطبيعة البشرية التي من شأنها حب الثروة، ولكن لله تعالى حكمة بالغة في إغناء بعض الناس وإفقار آخرين، وإنما يجب علينا مع السعي التوكل على الله والثقة في وعده أنه ما من دابة في الأرض إلا عليه رزقها فلنبتغ عنده الرزق ولنعلم أنه مكتوب ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وأنه مرتبط بالتقوى ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق:٢-٣] وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها ألا

ترى أن المحتضر يأخذ بعض الطعام ويدع البعض من الملعقة الواحدة ثم يدركه الموت.

وربما كان الفقر خيرًا من الثروة لا سيما إذا نشأ عنها الطغيان والبغي، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧]، وقال: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى:٢٧].

وقد قال: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزُّخرُف:٣٢] فإذا أراد الآخرة أو أي شيء فليطلبه ممن يملكه سبحانه لا من البشر الفقراء مثله.

وقد أخرج لنا النفط دون علم منا وإذا اتقيناه أخرج لنا مصدرًا آخر هو يعلمه، فما علينا إلا إحسان المعاملة معه وأن نسخر كل شيء لطاعته.

وأما إذا عصيناه فلنتوقع الخوف والجوع.

- الخصوصية المجتمعية:

التاريخ الإنساني فيه سمات مشتركة وفيه أيضا خصوصيات يجب مراعاتها، وقد نص ميثاق الأمم المتحدة على أن لكل مجتمع خصوصيته وثقافته، فالثورة الصناعية مثلا إنما قامت في بريطانيا لأنها دولة استعمارية تأخذ المواد الخام من مستعمراتها كالهند، ومن الخطأ استنساخ التجربة في دولة لا مستعمرات لها وهذا الخطأ وقع فيه الأستاذ هشام ناظر رحمه الله حين استأجر معهد (إم، تي، آي) لوضع الخطة الخمسية للسعودية، مع الاختلاف بين المجتمع الأمريكي والمجتمع السعودي، وظهر خطؤه حين قال عن المؤسسات الدينية (هذه وجدت لتموت) وكيف تموت في بلاد الحرمين، وفيها المجتمع المسلم المحافظ؟ وكيف يخصص معاليه طابقًا في وزارة التخطيط للموظفات، مع أنه لا وجود له في الخطة، ويحكم على ما يوجبه العرف العام بالموت ويستحدث هو الشاذ ويحكم عليه بالحياة.

والخطأ نفسه كرره الأستاذ منصور التركي وغيره فيما سمي (اللجنة الأمريكية السعودية المشتركة)!

ولقد استطاع "شاخت" أن يرتقي بالاقتصاد الألماني من الحضيض إلى القمة!

ونظرًا لهذا النجاح المدوي استعارته بعض الدول مثل "إندونيسيا" فوضع لها خطة لكنها لما طبقتها أخفقت!!

ومن الفوارق المادية أن الكهرباء في أمريكا في كل مكان، أما في السعودية، فحتى اليوم لا تزال بعض المناطق أو الأحياء لا كهرباء فيها فضلا عن أيام هشام ناظر!!

وخصوصية كل أمة بل كل فرد حق ثابت تقره الأعراف والشرائع المنزلة من الله، والوضعية، والمجتمع الحربائي الذي يتلون بلون الثقافة المفروضة عليه غير معترف به عند الأمة التي جعلها الله شاهدة على الناس وأخرجها للناس، مهما حاول الغرب فرض ذلك باسم العولمة أو أي اسم، ومن كان قدوته رسول الله ﷺ لا يجتمع مع من قدوته "بيل غيتس" مثلا.

وفي هذه الجزيرة المباركة لنا خصوصية لا يشاركنا فيها بقية المجتمعات الإسلامية، فضلا عن المجتمعات الغربية، ولنا سيادة لا نسمح لأحد كائنا من كان أن ينتهكها.

ولا يعني ذلك (التعصب المقيت لعاداتنا) وأن ننغلق على أنفسنا أو نختبئ وراء الخصوصية لكيلا نقاوم تيارات التغريب والعولمة، بل نكون إيجابيين مستغلين إيماننا، فنأخذ ما نأخذ من الثقافة العالمية، وندع ما ندع عن بصيرة وعلم.

فنحن خير أمة أخرجت للناس وديننا رحمة للعالمين أجمعين، والتنوع سنة ربانية ولذلك خلق الله البشر.

ولا ريب أن الجمع بين الانفتاح والخصوصية ليس سهلا، ولكن هذا هو التحدي، وهذا قدرنا الذي لا مناص منه، وهذا هو جهادنا الثقافي.

ومن خصوصيات مجتمعنا أنه مجتمع عريق يضرب بجذوره في أعماق الزمان وله تجربة تاريخية طويلة، فكيف نقارنه بالمجتمع الأمريكي الذي لا

يصل عمره إلى ثلاثة قرون؟ وهو خليط من أعراق شتى.

والواقع المحسوس يدل على الفارق الكبير بين المجتمعين، وعندما كان صدام حسين يستهدف القواعد الأمريكية في السعودية بصواريخه كان المسلمون يخرجون إلى سطوح البيوت ليروا مصارعة الصواريخ وبلا كمامات، في حين كان الأمريكيون يرتدون الكمامات ويختبئون تحت الأرض، فالفريقان مختلفان حتى في الطباع.

ولا تسوية بين من يوحد الله وبين من هو شر الدواب عند الله قال تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [الأنفال:٥٥]، والناظر اليوم إلى الغرب عامة يجد هذه الصفة القبيحة وليأخذ مثالا على ذلك من صديقة العرب (فرنسا) ويقيس عليها أمريكا.

- المجتمع الفرنسي:

فرنسا هي منشأ القوَّتين الصلبة والناعمة لحرب الإسلام، فأما القوة الصلبة المتمثلة في شن الحملات الصليبية مثلا فمصدرها فرنسا حيث كانت منطلق الحملات الصليبية وكان بطرس المسمى (بطرس الناسك) فرنسيًا وكذلك كثير من البابوات كالبابا أوربان الرابع الذي كان بطريكا لمدينة القدس قبل أن ينصبوه بابا، وكثير من ملوك النصارى مثل آل لويس وآل فيليب وآل شارل، ولذلك سمى المسلمون الحملات الصليبية كلها باسم (الفرنجة) ومعلوم أن حملة نابليون كانت حملة فرنسية، وأن أوائل المبتعثين للغرب مثل رفاعة الطهطاوي وبعده قاسم أمين كانت إلى فرنسا.

وأما القوة الناعمة المتمثلة في الغزو الفكري الذي حمل أسماء أخرى، كالحرب النفسية وغسيل المخ، فقد بدأ كما يرى كثير من المؤرخين للفكر بوصايا لويس التاسع ملك فرنسا، بعد تأمله العميق في سجن المنصورة وفي سنة ١٤٣٦هـ تحديدا حضر الرئيس الفرنسي "أولاند" قمة خليجية في الرياض وهو أول صليبي يحضر قمة عربية حسب علمي.

وقد نشرت مجلة (شارلي ايبدو) الفرنسية رسوما تسيء للنبي ﷺ وظنت أن حرية التعبير المزعومة تجعل ذلك مباحا لها.

وكثير من الغربيين لا يعرف إلا نوعا من الحرب، وقد أراد الرئيس الأمريكي (بوش الصغير) أن يعيد جاك شيراك إلى النوع الأول، وقال إن غزوه للعراق إنما جاء حسب سفر حزقيال ورؤيا يوحنا وأن العراقيين هم شعب الشمال وأن صدام حسين هو الآشوري، غير أن شيراك كان جاهلا بالسفر وبالتوراة كلها وبرؤيا يوحنا اللاهوتي وكل كتاب ديني فأرسل من يخبره عنها.

وبالقوة الفرنسية الصلبة احتل الفرنسيون كثيرا من الدول الإفريقية وسميت (السودان الفرنسي)، وبالقوة الناعمة جعلوا كل تحويل مالي إلى مستعمراتها لا بد أن يمر أولا بباريس ويفرض عليه الضريبة المعتادة، وعمموا تدريس اللغة الفرنسية في تلك الدول وأقصوا لغة القرآن عن عمد، ولم يعوضوا المستعمرات بشيء، بينما أمر الغرب أن يعوض الألمان إسرائيل وأن تعوض العراق الكويت.

فكيف لا يقف المتفرنسون بعد ذلك مع فرنسا وكيف لا يثني مؤتمر القمة العربية في نواكشوط على فرنسا.

ولما رأى نابليون إخفاق لويس حملته غير طريقته، وعدل إلى ما نصح به لويس في سجنه، ثم غيرها اليوم الإمبراطورية الأمريكية فاستخدمت نوعا آخر من الاستعمار سمته القوة الناعمة، مع أنها في الحقيقة تجمع بين القوتين الخشنة والناعمة فأصبحت تنشئ الأساطيل والقواعد الأمريكية ومعها الشركات والبنوك الأمريكية.

﴿وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦].

ولن تجد وصفا لحال أولئك أبلغ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلِۭ

بَعِيدٍ﴾ [إبراهيم:٣].

على أن الفيلسوف الاجتماعي الألماني (هابر ماس) سمى الاستعمار الجديد (استعمار الحياة) وصدق.

وقل من المسلمين من يتفطن لهذا الاستعمار بل ربما سهلوا شروط ما يسمونه الاستثمار ورحبوا بقدوم الشركات وكأنه لم تكن شركة الهند الشرقية مقدمة للاحتلال الإنجليزي المباشر؟ فكيف لا تكون الشركات الأمريكية نوعًا من الاستعمار الأمريكي؟ ونحن لو استخدمنا عقولنا لكان في إمكاننا أن نقلب السحر على الساحر، ففي إمكاننا مثلا أن تكون أرامكو سعودية فعلا وذلك بتولية المهندسين النفطيين في سمارك، وأنا أعرف كثيرا منهم فضلا عن غيرهم، وأعلم أن بعض مؤلفاتهم يدرِّسونها في الجامعات الأمريكية مثل كتاب الدكتور غازي حبيب عن التسويق وقد وصل هو ومحمد العبدان وغيرهما إلى درجة نائب وزير فكيف يعتبر الأمريكان مؤلفاتهم عالمية ونحن نقلل من قيمة كاتبيها ونخضعهم للإدارة الأمريكية؟ وأين خريجو جامعة البترول والمعادن؟ ولماذا لا نوليهم هم الإدارة ونجعل العربية هي اللغة السائدة، ونحظر الكلام بغيرها، مثل ما يفعل الفرنسيون بالفرنسية والألمان بالألمانية وأين الشركات التركية والماليزية ذات الخبرة النفطية كما في السودان مثلا، وإذا اضطررنا فرضا لاستخدام شخص أمريكي فلماذا لا نتعاقد معه فرديا وبراتب المواطن أو أقل وندعوه لتعلم لغتنا ونخبره رسميا بأنه مؤقت وفي حال الاستغناء عنه سوف ينتهي عقده.

وقس على هذا المثال ما شئت، وأعلم أنه لا ينقصنا العقول ولا المال وأن المرء حيث يضع نفسه، وأن القضية ليست أننا لا نستطيع بل أننا لا نريد.

- **وحدة الأمة:**

نحن حقا أمة واحدة مهما جعلونا حظائر يسموها دولاً، ففوق الوحدة الدينية المعلومة نحن أيضا أمة واحدة اجتماعيا، وجغرافيا والعالم الإسلامي عالم ضخم أكبر من العالم الغربي الصليبي، والعالم الشرقي المجوسي، ويمتد شرقا وغربا بين خطوط عرض معلومة وقد زوى الله الأرض لنبيه ﷺ وأراه كم يبلغ ملك أمته منها.

ومن عوامل الوحدة الطبيعية التي حباها الله:

أ. الصحراء الكبرى التي تشمل الصحراء المصرية والليبية والجزائرية وكذلك تشمل تشاد ومالي والنيجر والسنغال وغمبيا وتستطيع أن تعد الربع الخالي امتدادا لها.

ب.الغابات الاستوائية الكثيفة في ماليزيا وفي إندونيسيا وسلطنة بروناي وفي إفريقيا.

ج.جمال الطبيعة تجده في بلاد الشام عامة وفي شمال العراق وتركيا وفيما يسميه الجيولوجيون الدرع العربي من الطائف إلى قريب من بحر العرب.

د.العالم الإسلامي أكثر مناطق العالم في إنتاج النفط والتمور والقطن والكاكو وسائر الفواكه، وفيه أكبر مصادر الطاقة الشمسية، وهذا كله غير الوحدة الدينية، فالقرآن واحد والرسول واحد والقبلة واحدة والحج واحد والصوم واحد.

ولهذه الميزة الكبرى يريد الغرب وطابوره الخامس (العلمانيون والليبراليون وعامة المنافقين) زيادة تقسيم المسلمين والهجوم على ثواب الإسلام ودفعنا إلى الحياة الغربية التي يسموها (الحياة الإنسانية)!.

كما أن لدينا ما هو أغلى من كل ثروة، وهو العقول الكبيرة والعلماء الأفذاذ والعبقريات في كل مجال، فلو توحدنا لما احتجنا إلى غيرنا.

- الدين والمجتمع:

الدين هو أكبر المؤثرات الاجتماعية وأقوى العواطف البشرية كما قال (رينان)، وكل الحضارات القديمة تجد المعبد ركنا أساسيا فيه، بل إنه صلوات الله وسلامه عليه بدأ بعد هجرته ببناء مسجده الشريف، وفيه كان يفصل بين الخصومات ويعقد ألوية الجهاد.

وفي عصرنا هذا صلى خلف القذافي رؤساء عشر دول من دول القارة المسلمة (إفريقيا)، وبالإسلام ادعى أنه ملك إفريقيا، ولو صلى غير القذافي لكان العدد أكبر خاصة من بلاد الحرمين، ولا زلنا نرى اليوم كيف يجتمع الناس ألوفا مؤلفة إذا زار أحد أئمة المسجد الحرام بلدا.

ولا زلت أذكر كيف كان يجذبون شماغي من خلفي ويقبلوها لما زرت بعض الدول الإسلامية غير العربية، وكيف يعتقد هؤلاء أن أبناء جزيرة العرب هم أحفاد الصحابة، فكيف نفضل على هذه القلوب المفعمة بالحب الصادق نفاقًا في صحيفة غربية، ربما لم تنشره إلا مقابل مال أعطيته أو ستعطاه.

وكيف يكون حالنا كحال الشاعرة العامية التي قالت:

"اللي يبينا عيت النفس تبغيه!"، ويقول عبد الله بن خميس إنها مطيرية!!.

أو الشاعرة الزهرانية التي قالت:

"يا الشيخ جار الله وش حدك على نجد الأقصى" ... إلخ.

- التوحيد:

أخطر شيء على دنيا المجتمعات وآخرها هو الشرك، ومن أخطر الصور العصرية للشرك التحاكم إلى القوانين الوضعية، ونبذ كتاب الله، مع أنه لا يكون الإنسان مسلمًا إلا بنبذ الشرك وشهادة أن لا إله إلا الله، وأن يكون الدين كله خالصاً لله، والتحاكم إلى غير الشرع مع كونه كفرا وشركا، هو

في الوقت نفسه ظلم وفسق، كما بين الشيخان الجليلان ابن باز والشنقيطي، وينتج عن ذلك أزمات اجتماعية واقتصادية ومعيشة ضنك واضطرابات اجتماعية ونفسية كعادة الشرك دائما، ومن الخطأ والضلال البين ما يقوله المرجئة من أن الكفر محصور في التكذيب أو الاستحلال، وترك الأنواع الأخرى مثل كفر الإباء الذي فعله إبليس، وكفر التولي الذي ذكره الله وكفر الجحود الذي كان عليه فرعون وقومه وأهل الكتاب بعض مشركي قريش، وكفر اليهود ببعض الكتاب، وارتكابهم أعمال كفرية أخرى كتحكيم الهوى ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة:٤١]، وتركهم دخول الأرض المقدسة واعتدائهم في السبت وأكل الربا واتخاذ الكافرين أولياء، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمثال ذلك من الأفعال التي لا ينفع معها مجرد المعرفة القلبية أو الإقرار القلبي، وقد أجمع الصحابة على قتال المرتدين الذين تركوا الزكاة ولم يكن الصحابة حمقى كالمرجئة يسألونهم أتستحلون ذلك أم لا؟ وحاشاهم من ذلك، وإذا أردت معرفة الموقف الحقيقي من الشرك فلا تنظر إلى بناء القباب على القبور فقط، الأمر الذي ينفر منه المجتمع هنا، ولكن انظر إلى ما يسمى مكتبة المولد التي يستدبرون الكعبة ويستقبلونها، وكيف أنهم يهدمون ما حولها من العمارات ويدعونها هي!!.

ومن الجهل بكتاب الله وحقيقة التوحيد والشرك، ظن بعض الناس أن الله إنما نهى عن الشرك أهل الكتاب، وفضل هذه الأمة بأنها لا تقع فيه، وهذا داء قديم أنكره الفاروق رضي الله عنهم حين قال للمسلمين "اليهود والنصارى مضوا وإنما المقصود أنتم" وأنكره صاحب سر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حين قال: (نعم أبناء عم لكم اليهود إذا كانوا ما كان من حلوة فهي لكم وما كان من مرة فهي لهم) وبعض العلماء والفقهاء ليسوا مرجئة ولكن دخلت عليهم شبهة الإرجاء، كما ذكر شيخ الإسلام

ابن تيمية، والله تعالى إنما بعث كل رسله بالتوحيد وبه أنزل كتبه التي من آخرها التوراة.

وبعض الملاحدة والباحثين في التاريخ العالمي اليوم، يقولون عن شريعة التوراة إنما أخذها موسى عن شريعة حمورابي كما أخذ أخبار الطوفان عن ملحمة جلجا مش ولنا لذلك جوابان:

١. من قال تاريخيًا إن تلك الملاحم والشرائع أسبق من التوراة؟

٢. ما المانع عقلا أن يكون مصدر تلك الشرائع واحدا، أوحاه الله إلى أنبيائه قبل موسى عليه السلام ثم أوحاها إليه لكن الأتباع حرفوا وأشركوا؟ انظر مثلا إلى حمورابي الذي يقول في مطلع قوانينه: إنه تلقاها من ربه شمش.

ودين الأنبياء واحد من آدم إلى محمد ﷺ والمسلمون أمة واحدة سودا وبيضا وعربا وعجما وقد أخفقت كل مشروعات الوحدة العربية التي وعد بها "هنري مكماهون" وجعل "أنطوني إيدن" الجامعة العربية رمزا لها، وذهب الزمان بعصبة الأمم وسوف يذهب بهيئة الأمم ولا يعرف المسلمون ما يسمى مشكلة المخالفين في الدين، في المجتمعات الإسلامية ولا مشكلة الأقليات، بل جعلت الشريعة لكل إنسان حقا وعليه مقابل ذلك واجبا.

والناس اليوم وإن غلبت عليهم القطرية والوطنية والإقليمية يشهدون عودة كبرى للماضي الذي يجمعهم ولا يفرقهم، والجاهليون هم الذين ينظرون لغيرهم نظرة دونية، ويجعلون الناس طبقات اجتماعية متباينة، ويجعلون بعض الشعوب فوق بعض ولكل شعب صفة عامة لا يستطيع الانفكاك منها.

فالغربيون يقولون إن العرب أناس عاطفيون مثاليون يعيشون على الأوهام والخيالات، وإن المسلم ليس لديه إنسانية ولا يستحق إلا الازدراء، وعلى ذلك أمثلة واقعية كثيرة، خذ مثلا كيف تعامل الغرب مع "دودي الفايد" قريب الملياردير السعودي عدنان خاشقجي، وابن محمد الفايد، وكيف تعامل مع "ديانا" مع أنهما هلكا في آن واحد وفي حادث واحد،

وليس دودي إرهابيًا كما يقولون بل ليس متدينًا وأبوه من أكبر الأثرياء في بريطانيا ولكن المشكلة عندهم أنه مسلم!

ومن الشرك اتباع العلماء والأمراء في تحليل الحرام أو تحريم الحلال كما نص عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد، والحافظ ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، وكانت عليه أوربا في عصورها الوسطى.

وشرك الطاعة هذا قد لا يفطن له كثير من الناس مع أن أهل العلم حذروا منه وبينه شيخ الإسلام ابن تيمية، بل هو قبل ذلك في كتاب الله ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:١٢١]، وحذر منه نبي الله صالح قائلا لقومه ثمود: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء:١٥٠-١٥٢]، وكل من أطاع المفسدين باسم الترفيه أو السياحة أو الكرة وغير ذلك، لا بد أن يبتليه الله بالضيق والشقاء في هذه الحياة الدنيا، ثم يذهب إلى مصيره المحتوم في الآخرة، وهذه التعاسة الدنيوية شاهدها "دو توكفيل" ومحمد أسد في أوربا وتحدثت عنها "مارلين مونرو" وأثبتتها هيئة الأمم المتحدة وعجبت لكون أكثر المجتمعات شقاء هي أكثرها غنى، وقبل ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴾ [النمل: ٤-٥]، وقد قال عن إخوانهم المنافقين: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:٥٥]، ومن العمى ما هو مشاهد الآن من ظن بعض المسلمين -مع الأسف- أن الحل يكمن في التخصيص، أو تنويع مصادر الدخل وأمثال ذلك من الاستمتاع بالخلاق.

أوَليس لدينا شركات خاصة من قبل و لم تغن عنا شيئا؟ فلماذا تخصيص أرامكو والمطارات وغيرها؟ أم أن ذلك مقدمة لفرض الضرائب ولو بعد حين، مع نتائجه الأخرى، وكيف نبيع الوزة التي تبيض الذهب وننشئ

مشروعات سياحية؟ أوليس مستقبل الأمة مما يهم كل فرد فيها؟ فكيف يستأثر به واحد له رأي واحد؟

ومن المفاهيم الضالة أن نحسب أن التنمية إنما هي في الصناعة والبناء، مع أننا لو أصبحنا مثل هونج كونج أو سنغافورة، لما زادنا ذلك إلا شقاءً، دع أمريكا واليابان فلن نلحق بهما أبدا ما دمنا على هذه الحال.

أولسنا نشكو من أن الغرب لا يستقبل الكيماويات منا، ويقفل موانئه في وجوهنا الأمر الذي اضطرنا للبيع على بنغلاديش بالتقسيط.

فواقعنا المؤلم يقول إننا ننمِّي التخلف ونزيد المشكلات تعقيدا، فقد كانت الأبقار مثلا في كل بيت، وكنا نشرب اللبن طازجا، ثم أصبح لدينا كما قالت إحدى الخطط الخمسية "في المملكة ٣٦ عجلا" نعم ستة وثلاثون عجلا.

وكنا نستسقي فيغيثنا الله وكانت السيول والغيوم تجري في كل مكان وأصبحنا اليوم نخاف من المطر ونفرق السحاب بالطائرات، كما يفرقونه في الغرب طلبا للشمس، ولم نأخذ من الغرب إلا القشور والشكليات والمظاهر الجوفاء كالجنز والشرت والقصات وتربية الكلاب والدياثة وإضاعة الأوقات وأصبحنا مجتمعا استهلاكيا مسرفا.

وأصبحت مياهنا لأول مرة في التاريخ حلالاً للكفار من كل جنس، بذريعة أنها مياه دولية.

وأصبح أهل الدِّين الذين على أيديهم توحدت هذه البلاد متطرفين!.

وأصبحنا حسب الإحصاءات الأممية من أكثر مجتمعات الدنيا إجراما وتبذيرا، حتى أن المجرمين ليعتدون على الشرطي في الشارع ولم يعد المجرم هو الخائف بل الشرطي.

وانتشرت الرشاوى وكثرت أساليب الاحتيال على المال وأنشئت هيئة "نزاهة" فكان الحال قبلها أفضل منه بعدها كما قالت هيئة الأمم ويعرفه المواطنون هنا.

وأصبحت الوزارات المختصة تحذرنا من الغش والنصب والاحتيال دون جدوى وأصبحت الفتيات يهربن إلى الخارج، أو إلى مناطق أخرى، وأصبحت مكافحة التزوير عاجزة عن مقاومة كل المزورين.

ولم يقتصر الأمر على تزوير الشهادات بل تزوير الجنسية والإقامة والرخصة وتقليد الأختام والعملة والبضاعة.

وصنفت هيئة الأمم المتحدة السعودية من الدول العشر الأكثر بؤسا في العالم!

وأصبحت محطات الوقود الأكثر ذكاء تكدس كميات من الحجارة كي تقذف بها من لم يحاسب.

وصار أكبر همنا منصبا على الوافدين، وأنهم يحولون المليارات إلى الخارج ويسلبون اقتصادنا، مع أن راتب السائق والخادمة لا تدفعه الحكومة ونحن الذين استقدمناهم، ومع أن راتب الغربي الواحد يكفي عشرات المسلمين غير تكاليف المكعبات الإسمنتية والجنود والحراسة، وإسكانه في مساكن فاخرة وكتابة كل شيء بلغته، ومع سحب السلاح من المواطنين يسمحون به للغربي!.

وكان ينبغي لنا طردهم حيث أمر النبي ﷺ بإخراجهم من جزيرة العرب ولا نستقدمهم ولو خدما في البيوت.

وتعلمنا من الغرب الميكافيللية، والبراجماتية، وكل فلسفاته الخائبة وسياسته الضالة، وخدعتنا شعارات الغرب عن حقوق الإنسان والمساواة والحرية والديمقراطية وعدم التمييز ضد المرأة وأمثال ذلك، كما خدعنا المنافقون بمساجد الضرار، وسلطوا علينا إعلامهم وفينا سماعون لهم، وإذا اكتمل عقل المرء ونضجت خبرته أحلناه للتقاعد!

وبالجملة نقلنا الأدواء الاجتماعية الغربية وزدنا عليها، ولما شرعت المجتمعات الإسلامية في التوبة سرنا نحن عكسها.

– أهداف الغرب:

الأهداف البنتاجونية مدروسة ومركَّبة تحقق أغراضا عدة، كما يحاول الأمريكيون، خذ مثلا الضربة الصاروخية لسوريا (الشعيرات) ذات الأهداف المتعددة وبعضها سيتحقق لاحقا ومنها:

١. إثبات مخالفة ترامب لأوباما داخليا وخارجيا.

٢. إذلال الروس وزيادة عزلتهم الدولية.

٣. إرضاء الدويلات الخليجية الرافضة لنظام بشار وإثبات وقوف أمريكا مع المعارضة المسماة معتدلة.

٤. إخافة كوريا الشمالية.

٥. إثبات قوة أمريكا ونظامها الدولي الجديد المبتدئ بولاية ترامب.

٦. صرف النظر عن جرائم التحالف ضد المدنيين في الموصل وعين العرب "كوباني" والرقة.

٧. فرض الحل السياسي الذي تريده أمريكا.

٨. إثبات الاستغناء عن حلف الناتو الذي صرح ترامب بأن زمانه قد ولّى.

٩. إرسال رسالة لتركيا التي تطالب بتسليم غولن.

وبعض المراقبين السياسيين حتى في أمريكا، يقول: إن الحرب الإعلامية بين "ترامب" و"بوتن" مسرحية، وإن التفاهم عنصر جديد في النظام العالمي الحالي، ويستدلون لذلك بتصريح البنتاجون بأن ترامب أطلع بوتين على ضرب مطار الشعيرات، وكذلك يقولون إن "بوتين" أطلع "ترامب" على أن الروس سوف يجتاحون حلب، ويقصفون المعارضة السورية في كل مكان، كما يستدلون على التفاهم بالتنسيق الجوي بين الطرفين، وأن بعض ا لأمريكان يقيمون في قاعدة "حميميم" الروسية، وسوف تكشف الأيام الحقيقة والله أعلم

كما أن أصحاب الرأي الآخر يستدلون بالإجماع الحاصل بين المحللين أن الروس صوروا بكاميرات خفية، بعض الأفعال المشينة لدونالد ترامب لما زار موسكو قبل توليه الرئاسة، ونحن لا ننكر ذلك ولكن نقول أوليس لبوتن أفعال مثلها، وعليهما ينطبق قول السيد المسيح لما جاءه الفريسيون بامرأة وقالوا له ارجمها (من كان منكم بلا خطيئة فليرجمها) فلم يتقدم أحد.

على أن المسلمين لا يخوضون كثيرًا في التفصيلات ويعلمون أن الطرفين يد واحدة عليهم، مهما كان الخلاف بينهما، في الوسائل والتكتيكات، وهكذا كان المشركون واليهود وسيظلون.

– تطور الضلال:

الموسيقى الصاخبة في أمريكا والرقص العنيف على إيقاعها وخروج الراقص عن طوره، هو نوع معاصر من (الزار) حيث تعشش الشياطين في القلوب الخالية من ذكر الله كما أنه تعبير عن الخواء الروحي لدى هؤلاء المساكين.

وبعد أن كان ذلك عادة شعبية في البيئات التي تسمى متأخرة، أصبح ظاهرة اجتماعية في أمريكا، والفرق في نظر الأمريكان هو أن الزار التهامي تراث متأخر، أما الزار الأمريكي فهو متقدم!.

وقس على أمريكا المجتمعات الأوربية لا سيما "بريطانيا".

فالمجتمع البريطاني والأمريكي يتماثلان ويتشابهان في أمور كثيرة مثل وحدة اللغة ووحدة المواقف السياسية، وكلاهما بروتستانتي فيه أقلية كاثوليكية وكلاهما يعادي الإسلام وكلاهما فيه دعاوى انفصالية.

وكلاهما جاهل وتنتشر فيه الأدواء الاجتماعية والخرافات مثل الدياثة، على أن في بريطانيا، بعض ما يشبه الأخلاق الإسلامية وهي أقرب لاعتناق الإسلام، إذ الإنسان فيها أكثر خبرة، ولها مع المسلمين ماضٍ أطول.

أما بقية أوروبا فحالها مشهور لا سيما فرنسا التي يعرف حالها إخواننا

من دول المغرب الإسلامي.

والإعلام المسلم الوحيد الذي يتصدى لهؤلاء، ويفند مفترياتهم، وينكر عليهم إحراق المساجد والمصاحف، هو الإعلام التركي فقط! ولذلك يثور عليه الغرب في كل مكان! ويضعون مسدسا فوق صورة أردوغان ويكتبون عليه "اقتلوا أردوغان"، ومع ذلك فالمسلمون فقط هم الإرهابيون!

- نعم الله علينا:

أعظم نعم الله علينا هي نعمة الإسلام وإذا أردت معرفتها حقًا فانظر إلى النعم الأخرى الأقل شأنًا منها، فالله تعالى تكفل بهضم ما نأكل وتسيير الدواء إلى موضع الألم، وعافانا كثيرا من الأمراض التي ابتلى بها غيرنا، فهلك أو بقي في المستشفيات سنين طويلة، وبعض الناس أعطاه الله الثروة والمال لكن الأطباء ينهونه عن السكر والملح، والنبي ﷺ لما شبع هو وقومه وارتووا قال: "لتسألن عن نعيم هذا اليوم" تبعًا لقوله تعالى:"لتسألن يومئذ عن النعيم"، والإمام سفيان الثوري رحمه الله لما شبع ليلة قام الليل كله وقال: أشبع العبد وكدّه!!

وبعض السلف قال شعرا:

سبحان من لو سجدنا بالعيون له ... على شبا الجمر والمحمى من الإبر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته ... ولا عُشيرا ولا عشرا من العشر

وصدق الله ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ﴾ [إبراهيم:٣٤]، وهذا يشهد لما جاء في بعض الآثار عن الله تعالى: (خيري إليهم نازل وشرهم إلي صاعد، أتقرب إليهم بالنعم، ويتبغضون إلي بالمعاصي).

فالواجب علينا هو توحيده وشكره وعبادته حق عبادته والحياء منه، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣]، وقال: ﴿وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان:٢٠]، وأعظم تلك النعم -كما سبق- أنه هدانا للصراط المستقيم، وبعث لنا أكرم رسول وعلّمنا القرآن، والناس حولنا يعبدون غير

الله: إما أن يعبدوا النيران والأصنام والأبقار، وغير ذلك كما يفعل المجوس في المشرق، وإما أن يعبدوا الأنبياء والعظماء كما يفعل النصارى في الغرب. وغاية ما يقوله الغربي أن يقول إنه ملحد، أي كافر بالخرافات التي في مجتمعه ولكن ما البديل؟ ولماذا لا يطيعون الله ويستحيون منه، وقد كان الإمام أحمد بن حنبل يتمثل قول الشاعر:

إذا ما قال لي ربي ** أما استحييت تعصيني

وتخفي الذنب عن خلقي **وبالعصيان تأتيني

وكان الصحابة والسلف لشدة حيائهم من الله يحجمون عن أدنى المعاصي ويقدرونه حق قدره، ولا ينظرون إلى صغر المعصية ولكن إلى عظمة من يعصون.

والحياء هو خلق الإسلام وفرع عن المحبة البالغة وقد قال ابن القيم: "وهل الحياء إلا حياء المحبين".

والحياء خير كله لا يأتي إلا بخير كما صح في الحديث، وهو خلق يزجر صاحبه عن الإخلال بالمروءة حتى فيما كان جائزًا فعله، وقد كان الرسول ﷺ أشد الناس حياء وأكثرهم معرفة بربه.

والحاصل أن المؤمن يستحي من الله، ولو لم يكن وراءنا بعث ولا حساب ولا نار على حد قول الشاعر:

هب البعث لم تأتنا رسله ** وجاحمة النار لم تضرم

أليس من الواجب المستحق ** شكران ذي المنة المنعم

ولا يخلو إنسان من بذرة خير وسبب له، وإنما التقصير منا نحن الدعاة في الدعوة وإقامة الحجة.

وليس صحيحا ما قاله "هوبز" من أن الفطرة الإنسانية شريرة، وأن الإنسان لم يكن إلا ذئبا على أخيه الإنسان.

فالناس في باطنهم خير وإن كانوا غير ذلك.

وكثير من الناس فيه خير في قرارة نفسه، قد لا يظهر في طلعته أو شكله

الخارجي، ولا تدل عليه وظيفته، والدعوة هي التي تحرك السكر كما يقول إخواننا في جماعة الدعوة والتبليغ.

وإنما ينبغي معاملة الناس كلهم بالحسنى وبما يليق بالداعية.

وقد رأيت من ذلك كثيرا، خصوصا عند بعض الجهات الأمنية التي ربما اعتقد الناس أنها تعادي الدين وأهله.

وفي مقابل إساءتنا الظن بكل العاملين في الجهات الأمنية، تجدنا نحسنه في بعض أعداء مجتمعنا القادمين إلى هذه البلاد متسترين بمهن أخرى، مع أنه جاسوس أو باحث اجتماعي مبدع أو يهودي متعصب يكتب أنه نصراني أو ملحد.

فمؤلف كتاب "تحت الحجاب" هو الدكتور جراي الذي كان طبيبا في المستشفى التخصصي بالرياض، ومؤلفة "القرى البدوية" هي اليابانية "كاتاكورا" التي عملت في وادي فاطمة، وبعضهم تستر بالبحث عن مصادر الماء مثل "تويتشل" الذي كتب كتابًا عن التنمية في السعودية، وإنما كان يبحث عن النفط! وأحد الأمريكان كانت مهنته الظاهرة هي السباكة كي يدخل البيوت ويرى ما فيها، ولما عاد إلى أمريكا عينوه وزيرًا، ومما يحسب لبن عائض أنه أقفل كل ما حفره الغربيون من آبار النفط بالخرسانة المسلحة ثم إن الاتفاقية التي وقعتها بعد ذلك شركة (اكسيراب) لم تر النور.

وممن رأيته وأنا صغير رجل يدعي أنه شامي وأن مهنته الوحيدة هي إصلاح الدوافير، وكان يصلحها فعلاً، ثم يشتري المخطوطات النفيسة بأبخس الأثمان، ويقوم بتجميعها وترتيبها ثم يرسلها إلى مكتبة أرامكو في الظهران ومن ثم إلى مكتبة الكونجرس.

وهكذا يأتي إلينا الجواسيس الغربيون متسترين بمهن مقبولة لدينا، ونحن لسذاجتنا نظن أنهم طالبو مال، ونعاملهم وكأنهم لا يفهمون.

ومن السياسة الأمريكية، أنهم يعمدون إلى أشخاص يقوم كل منهم بتمثيل حاكم عربي، وكيف يكون رد فعله فيما لو كان القرار الأمريكي

كذا، ويجمعون إلى ذلك الخلاصات التي تقدمها لهم مراكز البحوث، مثل "معهد واشنطن" ومؤسسة "راند" و"انتربرايز" و "القرن الأمريكي" وغيرها.

وقد تُلقى عندنا هنا كلمة أو محاضرة لا نلقي لها نحن كبير اهتمام، لكن الكونجرس يخصص لها جلسة استماع، ويقارنها بما يعلم أو بما لديه غيرها، وهكذا يمكرون ويمكر الله والله من ورائهم محيط.

وهذا الكونجرس يسيطر عليه الصهاينة، ويكن حقدا شديدا وعداوة مريرة للمجاهدين، لا سيما إذا كانوا من حماس أو الجهاد، ويفضل الصهاينة والعدو التقليدي "روسيا" على المجاهدين أو أي دعوة إسلامية، بل يسمحون لروسيا أن تنشئ القواعد العسكرية، وأن تنشر أساطيلها البحرية باسم الحرب على الإرهاب!

وهناك حوادث كثيرة متواترة، تدل على أننا السذج الوحيدون في هذا العالم المتمرس على المكر.

حتى لما كنا في سجن الحائر كان ممتلئا بالوافدين من الطبيب الذي يداوي جراح المعذبين إلى عمال النظافة، والطبيب كوري مجوسي، وربما كان أحدهم ذا رتبة عسكرية كبيرة في بلاده، وأنا فوجئت لما كنت في الحائر بدخول فلبيني غير مسلم زنزانتي وقوله بالعربية: أنت مسجون بسبب اعتراضك على القوات الأمريكية، وأنا هذا عملي في بلادي، وأرفض هذه القوات في أي مكان! علما بأنني لم أسأل عن شأن القوات بكلمة.

دع المشرفين على السجون فهم بريطانيون يرأسهم "مستر لاير"، "مستر ريد".

كما أن بعض من تزدريه أعيننا ممن نسميهم (الأجانب أو الوافدين) قد يكون أرقى منا دينا وعلما، ونحن إنما نعده خادما أو عامل نظافة لا يؤبه له، وبعض المخدومات تكون أمية لكن خادمتها تحمل شهادة جامعية أو عليا، وبعضهن داعية في بلدها ولها مدارس أو جمعيات وبعضهن تطبخ لبضعة آلاف.

وبعض المستقدَمين قد يكون عالما أو شيخ قبيلة أو طبيبا أو خبيرا، ونحن نظن أنهم مثل البهائم وإنما قدموا لأجل المادة فقط، وإليك هذه الأمثلة من الواقع المشاهد:

١. كنت أنا أتحدث عن بعض الفلاسفة الغربيين فذكرت بعضهم لكني نسيت الآخرين وإذا بالحارس يكمل ويقول وفلان وفلان فسألته وما يدريك عنهم؟ قال: درست ذلك في بلادي.

٢. نشب حريق وجاء ضباط وجنود الدفاع المدني لإخماده، لكنهم عجزوا عن فتح الآلة المخصصة لذلك، فجاء عامل نظافة ففتحها لهم، فاستغربوا ذلك وسألوه كيف عرفت هذا؟ قال: أنا ضابط دفاع مدني في بلادي.

٣. زارني وفد من الاتحاد السوفيتي سابقا ومعهم مترجم وقالوا لي: إذا كلمتنا بالفصحى لم نحتج إلى مترجم وذلك ما كان، ثم سألتهم كيف تعلمتم العربية؟ قالوا: في الحجرات تحت الأرض!

والمقصود أن ديننا يأمر بالحذر ويعلمنا التواضع، وبحسب أحدنا من الشر أن يحقر أخاه المسلم، ونهانا أن نتخذ بطانة من دوننا.

- المسؤولية الاجتماعية:

لا يصح إلقاء اللوم كله على الدولة في انتشار المنكرات فكلٌّ مسؤول عن رعيته، نعم الدولة مسؤولة عن ذلك بمقتضى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١]، وقوله ﷺ: (إن الله سائل كل راع عما استرعاه)، ولكن الآباء أيضا مسؤولون عن أبنائهم وبناتهم وزوجاتهم بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ﴾ [التحريم:٦]، وبمقتضى قوله ﷺ: (والأب راع في أهل بيته ومسؤول عن رعيته).

كما لا يصح إلقاء اللوم كله على العلماء وحدهم، فكل مسلم يعلم بالبديهة أن الزنا والربا وقتل النفس المعصومة والرشوة والظلم والغش والتبرج من المنكرات المحرمة.

ولو أن كل الآباء حجزوا ذويهم عن التبرج، وعن تعاطي المسكرات والمخدرات، لانتهت هذه المنكرات، التي انتشرت في أسواقنا وشوارعنا وطرقاتنا ومطاراتنا ومستشفياتنا، وشملت المدن والقرى.

ولو أن كل أب لم يشتر لأبنائه الألعاب المخلة بالعقيدة والأمن والأخلاق، لما وجدت لها سوقا هنا، مع أن على الباعة ما عليهم من الإثم.

ولو أن كل أب أو أم لم يشتر لبناته إلا الملابس الساترة لجلبها التجار بدلا من الأزياء الغربية التي يكتبون عليها عبارات فاضحة أحيانا، أو يضعون عليها صورة ممثلة أو لاعب كرة، وفي أقل الأحوال دعاية لشركة أو منتج أو نادٍ.

وكثير من الأمراض الاجتماعية إنما سببها التهاون بالمسؤولية، وهكذا تبدأ المنكرات ثم تصبح هي المعروف، ويقتدي المقلِّد بالمقلَّد والتائه بالتائه، والعاصي بالعاصي، واليوم بعد أن قلّصوا صلاحيات الهيئة أصبحت المسؤولية أكبر على كل فرد منا.

- المجتمع والعدل:

من القواعد الاجتماعية المعلومة باستقراء أحوال الأمم، أنه لكي يبقى المجتمع وتصلح أموره لا بد من إقامة العدل بين أفراده، فالظلم شؤم على الظالم وإن كان المظلوم كافرا أو فاجرا، وهو مما تنفر منه النفوس في أي زمان ومكان، وأثنى النبي ﷺ على الحلف الذي عقده الجاهليون لنصرة المظلوم، وحذر صلوات الله وسلامه عليه أعلمَ الأمة بالحلال والحرام (معاذ) لما أرسله لليمن من دعوة المظلوم.

وسأل أصحابه الكرام عن أعجب ما رأوه في الحبشة، فذكروا له قصة

امرأة مظلومة توعدت ظالمها بمحاسبته بين يدي الله تعالى، وروى عن ربه حديثا إلهيًا قال الله تعالى فيه: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)، وأخبر أن الظلم ظلمات يوم القيامة.

ولما حلت النكبة بالبرامكة سألوا حكيمهم، كيف جرى لهم ما جرى، وبُدلوا بعد العز ذلا فقال: لعلها دعوة مظلوم سرت ونحن عنها غافلون.

واستقرأ الناس النتيجة الحتمية للظلم، فقالوا: (إن الله يقيم الدولة العادلة ولو كانت كافرة، ولا يقيم الدولة الظالمة ولو كانت مسلمة)، وهي عبارة عظيمة ذكرها نظام الملك أقرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وشواهدها حية معلومة.

فانظر كيف عرفت الدول الكافرة في الغرب قيمة العدل وحرصت عليه، فأعطاها الله من الرفاهية والعزة ما لم يعطه للظالمين الذين هم خير منها دينا، وإنما يهلكها الله حين يكثر الخبث.

وقد حبب الله العدل إلى بني آدم أجمعين، وجعلهم ينبهرون به، حتى أن أحدهم إذا رآه نسي ما في المجتمع من أسباب الدمار أو ربما غيَّر قناعاته، كما أن أهالي سمرقند لما رأوا عدل عمر بن عبد العزيز وحكمه على القائد المسلم قتيبة بن مسلم الباهلي، دخلوا طوعا في الإسلام.

ولما رأى رسول كسرى عمر نائما تحت شجرة بلا حراسة، قال: "عدلت فأمنت فنمت يا عمر".

ودخل أهل مصر في الإسلام لما رأوا عدل المسلمين وقارنوه بظلم الروم، وسمع أحد الأكاسرة بوما ينعق في خربة فقال لوزيره: ما يقول هذا الطائر؟ فقال: -ليزجر الملك عن ظلم الرعية- يقول: "إن أطال الله عمر الملك أصبحت كل المدن مثل خربتي هذه".

وأصاب أوروبا حالة من الدهشة لما حكم قاضي القسطنطينية على فاتحها "محمد الفاتح" بالقصاص لأنه ظلم رجلا روميا.

وأعظم من ذلك أن الله تعالى أنزل آيات متواصلة، تتلى إلى يوم القيامة،

لما ظن رسوله الكريم أن الذي سرق هو أحد اليهود، وليس من المنافقين "ابن الأبيرق" قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء:١١٢]، فانظر كيف عاتب الله أكمل خلقه على ذلك، ومع أنه ﷺ أعدل الناس وأبعدهم عن الظلم أمره تعالى بالعدل، حتى مع المشركين الذي صدوا أهل الإسلام عن بيته، فقال: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ﴾ [المائدة:٢].

وكثير من المسلمين إنما يختار بريطانيا على غيرها لأنها أكثر عدلا من البلاد التي هاجر منها، ومن بقية الدول الغربية، وقد أمر النبي ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة قائلا: (إن فيها ملكا لا يظلم عنده أحد).

وكما أن الإسلام يحسب الحساب لدعاء المظلومين، فإنه يرجو أن يتقبل الله دعاء الصالحين وإن كان مظهرهم لا يدل على كبير قيمة، قال ﷺ: (ربّ أشعث ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره)، وقال ﷺ: (إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم)، فانظر كيف يتحقق للأمة أعظم مطلبين وهما النصر والرفاهية بهؤلاء الضعفاء، فالمجتمع المسلم لا يهدر أي طاقة، ولا يزدري أي فرد، ولا يحتقر أي جهد، ولا يستهين بدعاء أي أحد، وليست الطاقات محصورة في الجانب المادي المحسوس -كما يظن الجاهلون فرب نصر عظيم في معركة فاصلة- تحقق بدعاء عجوز في خدرها، ورب غيثٍ أنبت الله به الأرض وأكثر به الثمرات وأجرى به الأنهار باستسقاء طفل في التحفيظ، أو مستغفر سأل الله في جوف الليل، ورب حقل ضخم للنفط اكتشفه الخبراء بدعوة امرأة صالحة أو رجل صالح من المستضعفين.

فالدعاء هو سلاح المؤمن مهما كان ضعيفا، والمؤمنون يعلمون قيمته وقيمة الصدقة والذكر والإحسان.

ولما أرسل القائد المشهور قتيبة بن مسلم الباهلي، رجلاً يستطلع حال محمد بن واسع، عاد إليه وقال: "وجدته رافعًا أصبعه يدعو بها" قال قتيبة:

إصبعه تلك خير عندي من ثلاثين ألف شاب طرير وسيف شهير، وفي رواية أخرى: (خير من مئة ألف...) إلخ.

وقيل للمجاهد نور الدين محمود زنكي: "لو أنك أنفقت ما تعطي للأربطة على الجيش، فقال: "لا أقطع المال عن السهام التي لا تخطئ، وأنفقها على السهام التي تخطئ وتصيب!"

ومن عجائب الدعاء أنه بين العبد ومولاه الكريم ولا يعلم به الظلمة، ولا يكتب المخبرون عنه التقارير.

ووفقًا لذلك جعل الشرع حقوقًا للمستضعفين كبارًا وصغارًا، وحرَّم احتقار أي مسلم، وقال ﷺ: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا ويرحم صغيرنا...) الحديث. وكان من خلقه ﷺ مداعبة الأطفال كما قال لأحدهم: (يا أبا عمير ما فعل النغير)، وكان يسمع من العجوز شكواها أو سؤالها مهما أطالت، وهذا مما عجب له عدي بن حاتم وعلم به أنه نبي وليس بملك!.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسأل الصغار عن أمور سياسية أو عسكرية يبتغي حدة أذهانهم، وشاور عبد الرحمن بن عوف العذارى في خدورهن من يكون الخليفة بعد عمر.

والأخبار في ذلك عن السلف كثيرة جدًا.

وهذا عكس ما يفعله الغربيون، الذين يحتقرون الضعيف والمسكين والمعاق، وربما قتلوهم وحرموا الإحسان إليهم، وهذا الداء ورثوه عن أسلافهم الكفرة، وهو داء قديم قاله قوم نوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾ [هود:٢٧]، وقاله فرعون: ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَـٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزُّخرُف:٥٢].

وقال زعماء الشرك لرسول الله ﷺ: (اطرد عنا هؤلاء الأعبد كي نجلس معك)، وسمى عبد الله بن أبي المهاجرين "جلابيب قريش"، ونبز المنافقون أهل الإيمان بأنهم "سفهاء"، واليوم ينبزونهم بما هو معلوم.

وأعقل منهم الكافر الآخر "هرقل" الذي قال: "هكذا الأنبياء يتبعهم

ضعفاء الناس ثم تكون لهم العاقبة".

وعلى طريق أولئك المشركين سار مالتوس ثم المالتوسية الحديثة، والنازية، وكفار الغرب وعتاة الإجرام فيه.

فقديما حرم الفيلسوف اليوناني "هيراقليط" الصدقة وأحيا ذلك مالتوس بنظرية أضفى عليها مسحة من العلم، وقال إن السكان يزيدون وفق متوالية هندسية: ٢، ٤، ٨، ١٦ إلخ، أما الغذاء فإنما يزيد -كما زعم- وفق متوالية عدديه: ١، ٢، ٣، ٤... إلخ. ولذلك يجب التخلص من الفقراء بالوسيلة المناسبة. ثم إن المالتوسية الجديدة طوّرت ذلك، ومنه استلهم داروين نظريته في الانتخاب الطبيعي وأن البقاء للأقوى.

كما قررت النازية قتل الجريح ولو كان ألمانيا نازيًا، لأنه غير منتج وعلاجه قد يكلّف الدولة بلا فائدة مادية.

أما في هذه الأيام فقد استخدموا ما هو أعجب وأذكى، إذْ أجازوا ما يسمى "القتل الرحيم" لكل ميئوس من شفائه كالمصاب بالسرطان ونحوه، مع أن دعاء المريض له أثر وقد يشفيه الله من عنده، فالمتبع هو المعيار الجاهلي القديم الصحة والثروة، وقد قال المستكبرون من ثمود للمستضعفين منهم ﴿إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف:٧٦]، ويقول المترفون ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥]، وقال صاحب الجنة الظالم لنفسه ﴿مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾ [الكهف:٣٥]، وإذا قيل لمدعي التقدم والحضارة أسلم لله، قال: ﴿أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:٧٣] أهي أمريكا أم اليمن؟ وهل أصحاب القصور كأصحاب العشش؟ وهل من يركب أحدث موديلات السيارات كمن يركب الحمار أو البعير؟

وهل أمريكا ودول الغرب مثل بنغلاديش أو دول الصحراء الكبرى؟

بل أن الله تعالى عندهم قد خالف الحق، حين أنزل القرآن على عبده الفقير محمد ﷺ، ولم يترله على رجل من القريتين عظيم، وهذا هو المعيار

الجاهلي الموروث.

فسبحان الله كيف تتبدل العصور، وتتطور الحضارات والمعايير الجاهلية هي هي، فلازلنا نسمع من يقول هذا خضيري وهذا طرش بحر، وهذا تكروني، وهذا من صفر سبعة، وهذا قطعة هندي، ... إلخ.

وانظر إلى قيمة المعاقين "ذوي الاحتياجات الخاصة" كيف لم تمنعهم إعاقتهم الجسدية عن الإبداع والعلم والتحدي، فقد كان عبدالرحمن بن عوف ﷺ أعرج أهتم، وكان قتادة كفيفا وكان عطاء أسود نوبيًا أكمه بل فيه ثمان صفات كلها كانت مما تزدريه الأعين ويحقره أهل الدنيا، وكان الرافعي أطرش، وكان المازني أعرج، وحسبك أن أعظم علمائنا كانوا مكفوفي البصر: الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ عبد الله بن حميد رحمهم الله جميعا.

وهذا لا يختص بالمسلمين بل هو أيضا لغيرهم، كما يقول العامة: "كل ذي عاهة جبار"

فانظر مثلا إلى "هيلين كيلر" الأمريكية التي يسمونها معجزة القرن العشرين، وقد كانت عمياء صماء، كما أن بيتهوفن صاحب السيمفونيات كان أصم، والرئيس روزفلت كان مقعدًا، مع أنه الوحيد الذي انتخبه الأمريكيون أربع مرات.

والله تعالى حسم الأمر حين قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣].

والإسلام ليس فيه عرق متفوق ولا دماء زرقاء، ولا ذوات مصونة فوق النقد، ولا أبقار مقدسة، ولا تصنيف بحسب النسب أو المهنة.

والمساواة بين البشر في الحقوق والواجبات، هي المحك الحقيقي لما يسميه الغربيون "حقوق الإنسان، والديمقراطية، والعدل"، أما أن تستثني العدالة البريطانية أمهات العراقيين الذين مات منهم مئات الألوف، بينما يعتذر "توني بلير" لمئة وسبعين (١٧٠) أمًا بريطانية فقط، فهذا غاية الاحتقار.

وإنما قدّم "بلير" اعتذاره، بعد تقرير "شلينكوت" الذي قرر أن الحرب على العراق كانت خطأ وبعد أن خشي أن يحاكَم.

وإذا كانت خطأ فلم ضرب "بلير" عرض الحائط بالمظاهرات ضد الحرب، ورضي أن يكون بمثابة وزير خارجية لبوش؟

على أن تحول "بلير" من الإنجيلية إلى الكاثوليكية يجعلنا نطمع في تحوله إلى الإسلام كأخت زوجته، ودعوته واجب كبير لا سيما على المسلمين في بريطانيا.

أما الرئيس الأمريكي "جورج ووكر بوش" فلم يعتذر لأحد بعد أن قال إن المخابرات الأمريكية ضلّلته وعلّق على هذه الشماعة كل جرائمه، ونحن لا ننتظر اعتذار أحد.

ومن تقدمية "بلير" أن يذهب هو وزوجته كل أحد إلى الكنيسة! ومن تقدمية بوش الصغير أن يكون أصوليا متعصبا! أما العراقيون الذين يذهبون للمسجد فهم متأخرون وإرهابيون! ولما قيل لبوش إن ابنتك قد أسلمت قال: "هذه لعنة العراق"، وتلك (نعمة) إذا صحّت.

هب أن العراقيين ليسوا بشرا وإنما هم قطيع من الأغنام ألا يستحقون كلمة اعتذار من الرئيسين ولو مجاملة أم أن دماءهم رخيصة إلى هذه الدرجة؟

وأين الضمير الأخلاقي الذي تدعون؟ وأين حقوق الإنسان المزعومة؟ وأين ديمقراطيتكم التي تساوي بين البشر؟

وقد دلّ استقراء التاريخ أنه لا يعيش أي مجتمع دون أن يكون له أعداء، ومن أعدى أعداء المسلمين اليوم أهل الكتاب يهودًا أو نصارى، وقد حذرنا الله من اتباعهم وأخبرنا أنهم يودون لو نكفر كما كفروا، وقد اغتصبوا أرضنا ويعملون جاهدين لتنصيرنا، وكذلك أهل النفاق الذين قال الله عنهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]، ومن المنافقين أصحاب التقية "الرافضة" الذين أنشأوا (فيلق مكة) والحشد الشيعي، ومنهم المالكي والعبادي، والنصيرية والإسماعيلية وغيرهم.

ومن الغباء أن نظن أن كل رافضي يعلم بروتوكولات الملالي، أو أن كل جندي في الحروب الصليبية الأولى يعلم بأهداف البابا، أو أن كل مقاتل في الجيش الأمريكي يعلم مخططات البيت الأبيض، أو أن كل ماسوني يعلم بأغراض المحافل... وهكذا.

ونحن لا ندين الله بالعنف، ولا ندعو المجتمعات إلى القومة على حكامها، وإنما نرى أن كل مؤمن يجب أن يدعو إلى الله وينكر المنكرات وينصح كل أحد.

بل من خلال الدراسة التاريخية رأينا الأثر العكسي للثورات، فقد كانت الثورة الفرنسية ثورة على لويس السادس عشر وماري إنطوانيت، ثم إن مقصلتها قصلت رؤوس القائمين بالثورة، وجاء بعد الثورة المستبدّ الأكبر نابليون.

وثار البلاشفة على قياصرة روسيا ثم ارتد الروس إلى السوق الحر أيام يلتسن وبوتين، وثار محمد نجيب على الملك فاروق ثم جاء جمال عبد الناصر بما هو أفظع، وأمثال ذلك كثير فالتغيير لابد أن يكون أعمق من ذلك.

وإنما ندعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى كما أمر، وإقامة الحجة وتصحيح العقيدة، ثم بها نجاهد من فرض الله علينا جهاده، ونحطم الأصنام وكل المعبودات بشرية أو منحوتة.

فالتغيير الاجتماعي في الإسلام يبدأ من تغيير العقائد التي عليها الناس، كما فعل محمد ﷺ وآخره الجهاد إذ أن آخر الدواء الكي؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١]، فيجب أن نثور على ما بأنفسنا من حب الدنيا والأنانية والشح والحسد والغيبة والغفلة والظلم.

ويجب أن نراعي المصالح والمفاسد، ولا نلزم أحدًا بموقف غيره أو بما يعلم غيره، فقد كان النبي ﷺ يقول للصحابة: (صلوا على صاحبكم) وكان صاحب سره حذيفة رضي الله عنه لا يصلي على المنافقين لكن لا ينهى الناس عن الصلاة عليهم.

وكان بعض الصحابة يصلون خلف الحجاج.

وقد كان الإمام أحمد يصلي خلف الجهمية، وهكذا، والقاعدة أن كل من صحت صلاته صحت الصلاة خلفه، ولو كان في نفسه ظالما أو مبتدعا، لكن لا يتعمد أهل الحق الصلاة خلفه وليست صحة صلاته دليلا على صحة باقي تصرفاته.

ومن مراعاة أحوال الناس أنه ﷺ كان يدخل في الصلاة يريد إطالتها فإذا سمع بكاء طفل قصّرها رحمةً بأمه.

وإذا اجتمع يوم عيد وجمعة رخّص لمن صلى العيد ألاّ يصلي الجمعة، ولما سأله الصحابة عن الصلاة في الثوب الواحد قال: (أو لكلكم ثوبان).

ولما شكى إليه صاحب الحرث أن معاذا يطيل الصلاة قال لمعاذ: (أفتان أنت يا معاذ)، وهكذا شأنه ﷺ حتى في غير الصلاة كالمال، فإنه قدم يتامى بدر وأهل الصفة على طلب ابنته فاطمة رضي الله عنها أن يعطيها خادما ..إلخ.

- الإعلام في خدمة المجتمع:

يجب أن يكون الإعلام الإسلامي خادمًا للعقيدة الإسلامية منافحًا عنها ملتزما بها في كل شيء لا سيما إن كان في الواقع مادة خصبة لذلك، واقع الأمة أو واقع أعدائها، ويفقد الإعلام رسالته حين يتنكر لثوابت الأمة وأخلاقها ويكون وسيلة هدم لا وسيلة بناء، كما هو الحال في الإعلام السعودي مع الأسف مثل قناة "العربية و"إم بي سي" وغيرها.

وأسوأ من فقد رسالته وأهدافه العليا أن يصبح معول هدم وأداة سقوط، يتمرغ ويمرِّغ معه الشباب في أوحال الشهوات والرذيلة مع أن الناس يعلمون مصادر تمويله، وبذلك يفقد مهنته إضافة إلى فقده الوجهة الصحيحة -قارن الإعلام السعودي بفضائيات مجاورة لترى الفرق-.

فمثلا ليست قناة الجزيرة قناة إسلامية ولكنها قناة جادة، ولا تشغل

المشاهد بأخبار قطر العادية وإذا اضطرت لذلك لا تبدأ به.

وهي القناة الأولى بالعربية، وكذلك القناة الأولى بالإنجليزية عند الأمم المتحدة، ولا يستعديها إلا من حكم على نفسه بالخسران، وفيها برامج تحليلية مفيدة مثل برنامج "من واشنطن" وفيها عرض للمواقف المتضادة والآراء المتناقضة كما في برنامج "الاتجاه المعاكس" وبعض ما في المقابلات التي تجريها حقائق جمة، وهي دائمًا مع الشعوب، تستفيد مما ينشره الإعلام الأمريكي نفسه عن واقع أمريكا.

ولا يعجبني تفريق الأستاذ: علي الظفيري -هداه الله- وغيره من المذيعين بين الإسلام وما يسميه الإسلام السياسي، فمن أي الإسلامَين هو؟ وأين نضع آيات الحكم والشورى وآيات التعامل مع الكفار!؟ ومن كان الحاكم السياسي في أيام النبي ﷺ أهو كسرى أم قيصر؟ وهل يصح قياس الإسلام على النصرانية؟ وهل موضوعات القرآن هي نفس موضوعات الأناجيل الرسمية؟

والجزيرة على أية حال خير من قناة "العبرية" السعودية، ولي على قناة "الجزيرة" ملاحظات أخرى ليس هذا موضعها.

وأظن أن سبب تميزها هو اعتمادها على الإخوة في بلاد المغرب الإسلامي وبلاد الشام، وهي مع حرصها على التكلم بالفصحى لها أخطاء لغوية انتشرت مع الأسف في غيرها منها استخدام "هكذا" بمعنى مثل أو مثل هذا. وقد استعارت منها قناة الإخبارية السعودية الخطأ نفسه.

وأرجو من الجزيرة أن تنظر للأمور من علٍ، فهي أعلى من الغربيين الذين تقابلهم أو تستطلع آراءهم، وهم غالبًا حيارى يبحثون عما أسماه "جان جاك روسو" دين الفطرة الذي تملكه الجزيرة.

وإنما اعتمد التحالف العربي على ما لدى الجزيرة من وثائق تفضح المخلوع وأبناءه، وكان كثير من الناس هنا يتابعونها ولا يتابعون قناة "العربية" المشغولة بإفساد المجتمع وذم الصحوة.

وإني لأعجب من أصحاب العقول كافة حين يستمعون لأقوالها ولا يقارنون حالنا أيام الصحوة والدروس في المساجد والمخيمات وأمثال ذلك من الخير والنعمة والأمن، ثم كيف حالنا بعد أن اختطفنا المفسدون من الأزمات وضيق العيش وغلاء الأسعار، وكيف أن الذين فروا من الهيئة وكان جهدهم محصورا في حربها أخرج الله لهم من ينكر المنكر وهو ذو عقال وبلا لحية، بل ربما ليس في وجهه شعرة أصلا، وكيف أن بعض المشجعين إذا حان وقت الصلاة يتجمعون ويؤمهم أحدهم في الملعب، ولما سمحوا للنساء بدخول الملاعب اعترض على ذلك النساء أنفسهن، بينما لم نسمع صوتا لما يسمونه المؤسسة الدينية.

فيا من تولون المفسدين القنوات والصحف، ألا تتقون الله أم تستعجلون نقمته، وتجبرون المجتمع على الفساد!

ونحن كل منا تهون لديه نفسه مقابل الاعتداء على عرضه، ولسنا ديايث كالأمريكان والموارنة، والفتنة التي تنشرها العبرية أشد من القتل الذي تعمله داعش.

ومن منكرات "العبرية" التي لا يقرها أي رجل أمن سعودي، تسمية الحجاج لاجئين وتسمية شعائر الحج طقوسًا!.

ولذلك اعتمدها البنتاجون قناة تنشر الأمركة بين العرب مثل قناة "الحرة".

وعمومًا يجب على من يستطيع الأمر لهذه القنوات -غير الإسلامية لا سيما التي تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وتلهي الشعب - أن تتوب، وإلا جاز له غلقها قياسًا على دنان الخمر وآلات الطرب، وقد أتلف الصحابة رضي الله عنهم ظروف الخمر لما أنزل الله تحريمها، وتبع ذلك عمر بن الخطاب ﵁ الذي أحرق باب سعد بن أبي وقاص وحانوت رويشد الثقفي وسماه عمر "فويسق".

وهذه القناة وأخواتها يستحي الرافضة أن تكون قناة رافضية!

- القبائل اليمنية:

اليمن يشمل جنوب الجزيرة العربية من جنوب مكة المشرفة حتى بحر العرب، وقال الأصمعي إن اليمن يشمل كل ما كان جنوب طود عرفة.

ومن أشهر القبائل اليمنية "الأزد"، وللأزد فروع في اليمن المعروف اليوم، كما تجد في باجل والزرانيق، كما أنهم ينتشرون في أبها وما حولها، ثم تفرعت منهم قبيلة البقوم التي انتشرت شرقا وغربا لا سيما في نجد، وكان من الأزد الغساسنة بالشام، ولهم أيضا وجود في العراق، كما أن ملوك العرب قبل الإسلام من دوس على أن أشهر دوس هو أبو هريرة الصحابي الجليل المعروف.

ومن أشهر قبائل الأزد -على الأرجح- قبيلة الدواسر وكذلك خزاعة وبنو لهب، ومن الأزد كذلك أزد عمان الذين يرجعون إلى دوس غالبا، وقد انتشروا أيضا شرق الخليج وإليهم ينتسب البلوش، وذكر ابن حزم في الجمهرة أن مساكن دوس في الأندلس على نهر المْلك.

ومن القبائل اليمنية خثعم، وخثعم قبيلة كريمة مشهورة حتى اليوم، ومنها أكلب وشهران أكبر قبائل بيشة، ولها فروع في تهامة، ومن أشهر رجالها مالك بن عبدالله الخثعمي، الذي رابط بالشام.

وكان منهم في القديم أسماء بنت عميس والسهيلي، وفي الحديث الشيخ سليمان بن سحمان و"النويصر" الذي كان رئيسا للديوان الملكي. والشيخ سليمان بن سحمان رحمه الله، شيخ فاضل أعرف قريته، وكانت له ردود على جهمية العراق والخليج، ومن شهران المجاهد (فيصل الدويش) المعروف تاريخياً.

وفي جنوب الجزيرة العربية أيضا قبائل كثيرة مشهورة مثل عسير وقحطان وهمدان، ومن همدان تتفرع قبائل كبيرة منها يام وحاشد وبكيل، ومن أشهر القبائل اليمنية حمير وكنده وكهلان وخولان، ووادعة ووائلة،

وكثير من القبائل التي تتداخل أنسابها كثيرا وينتمي بعضها إلى بعض، وربما اشتهر بعض الفروع أكثر من الأصل، كما اشتهرت دوس على كل زهران.

واليمن مهد العرب البائدة الذين منهم عاد وثمود وطسم وجديس، ثم إن الله أعزهم بالإسلام، وكان أهل اليمن هم مدد الإسلام، وكفاهم شرفاً أن منهم الأنصار (الأوس والخزرج)، وهما أشهر فروع الأزد، والله تعالى جعلهم أنصاراً لنبيه عليه الصلاة والسلام، وجعل الشام غنيمة، فكان ملكه بالشام كما أخبر أهل الكتاب من قبل.

ولما انفجر سد مأرب تفرق الأزد في البلدان، فخرج بعضهم إلى العراق، وبعضهم إلى الشام، وبعضهم إلى يثرب "المدينة"، وبعضهم إلى جبال السروات، وبعضهم إلى تهامه، فأما أكثر أزد شنوءة فسكنوا جبال السروات، وسكن كثير منهم تهامة، وكان منهم حوالة، الذين سكنوا أولا في بارق ثم في تهامة ثم صعد بعضهم إلى السراة، وهكذا مزقهم الله كل ممزق لما أعرض قوم سبأ وصدّق عليهم إبليس ظنه، وجحدوا نعمة الله عليهم ومنها الطرق التجارية الآمنة.

وإلى حوالة ينتسب البقوم، وإلى البقوم ينتسب (الترابين)، أوالترباوية الساكنين في سيناء، وفي فلسطين، وقد شارك كثير من قبيلة حوالة في الفتوحات، وسكن بعضهم بلاد ما وراء النهر وبعضهم يسكن الكوفة أو في الموصل وبعضهم في عمان؛ وقد عرف عن البقوم نشرهم للعقيدة السلفية التي جاء بها الشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، فكان منهم " سلطان بن بجاد" "وغالية البقمية".

ومما يشكر لقبائل اليمن أنها حين دمّر الباشا الدرعية واختلف آل سعود في الدولة السعودية الثانية قاموا بنشر الدعوة وحمايتها، ولما قام الشيخ "عمر المختار" بجهاده ضد الإيطاليين تطوع كثير منها للجهاد وذهبوا لنصرته وأقام كثير منهم هناك، ولا تزال عاداتهم وأسماؤهم في ليبيا، ومنها أن المرأة الليبية تتستر والشاذة من تكشف وجهها.

وكانوا قبل ذلك يتطوعون للجهاد مع صلاح الدين الأيوبي لقتال الفرنجة، واجتمعوا عند جبل "حضن" قريبا من الطائف ليتطوعوا معه.

ومن أشهر حكام اليمن المتأخرين آل عائض وهم أمويون قرشيون منافيون، التجأوا إلى جبال السراة ليأمنوا بطش العباسيين، الذين كانوا يقتلون كل من انتسب إلى بني أمية، واشتهر منهم الأمير علي بن مجثّل رحمه الله، ومن أعمالهم المشكورة -فوق اعتقادهم الصحيح- أنهم أسسوا مدرسة سلفية لتعليم البنات في رغدان، وسمعت أنهم أنشأوا مثلها في الظفير ولم أطلع على ذلك تاريخيا.

وكانت دولتهم سلفية شورية، ومن رجالها سعيد بن مسلط، واتخذوا من أبها قاعدة لهم بعد أن كانت قاعدة المنطقة "طبب"، وكان مترجمهم "جماح الغامدي"، واشتهر عنهم معاداة الفرنج والتحذير من الدول الاستعمارية التي كانت تحرص على ابتلاع المنطقة آنذاك، مثل البرتغال وإيطاليا وبريطانيا ثم أمريكا.

ومن الطبيعي أن تكون المنطقة في أيامهم قليلة العمران والاقتصاد، فقد حكموها قبل اكتشاف النفط.

وأكثر أهل أبها وما حولها من ذرية أسلم بن أفصى الأزدي.

أما الزراعة وتربية المواشي فقد كانت كثيرة في أيام آل عائض، وكانت أبها تتبع الدولة العثمانية، كما كان يتبع لها أشراف مكة الذين جعلوا بلدة "قرن ظبي" قاعدة لحكم المخلاف الأزدي في السراة وتهامة.

وقد امتدت دولة آل عائض ما بين الطائف والمخا، كما أن الشاطئ الشرقي لأفريقيا كان من ممتلكاتهم، وأهم من ذلك أنهم نشروا الدعوة السلفية في صنعاء وصعدة التي كانت آنذاك تتبع أبها، كما نشروا المذهب الشافعي في تلك القبائل وحاربوا الباطنية الإسماعيلية هناك، وكان الناس يرحلون إلى "زبيد" و"بيت الفقيه" لطلب العلم، واشتهر أهل العلم يومئذ باسم "الفقهاء"، مع أن العلم كان محدودا وكانت الأمية هي الغالبة.

والناس يذكرون التباين بين آل عائض والأدارسة، فالأدارسة كانوا صوفية لا يزال لتصوفهم آثار في تهامة لا سيما مع ضعف الدعوة.

وآل عائض هم حكام الحي اليماني الذي ذكر ابن مشرف في شعره، وقد نشروا الدعوة بعد تدمير الباشا للدرعية، وممن كتب عن آل عائض عبدالحميد الدوسري صاحب متعة الناظر، وعاكش اليماني، كما هم مذكورون في الحجج القديمة والمخطوطات والصكوك.

ومن قبائل الأزد الأخرى (غامد وبلقرن وبنو شهر وبنو عمرو وبلّسمر وبلّحمر)، ومن أشهر قبائل اليمن وأكبرها قبيلة بني مالك (بجيلة) الذين كان منهم الصحابي الجليل "جرير بن عبدالله البجلي" الذي أرسله النبي ﷺ لحرق ذي الخلصة، وهم إخوة خثعم في النسب، والكل يرجع إلى سبأ كالأزد، ومن بني مالك خالد بن عبدالله القسري الذي قتل الجعد بن درهم، وهم غير بني مالك عسير وبني مالك الذين في فيفا وما حولها.

ومن أشهر ملوك اليمن "ذو القرنين" الذي جاب شرق الأرض وغربها، والتُّبع (معدي كرب) الذي كسا الكعبة وابنه التبع حسان الذي ذكر الله قومه في القرآن، وسيف بن ذي يزن والله أعلم، ومن أشهر ملكاتهم بلقيس التي كانت ملكة سبأ وأسلمت مع سليمان عليه السلام.

ومن أشهر العلماء المنتسبين إلى أزد الحجر العلامة الطحاوي المصري المشهور، ويذكر بعض المؤرخين أن الأزد وتميم كانوا متحالفين في الصدر ألأول وكان كبير الأزد مسعود بن عمرو الزهراني، وبنو تميم هم أشد أمة الإسلام على الدجال، وبنو تميم يكثرون في نجد وفي العراق وفي فلسطين وشرق العالم الاسلامي وغربه، وأبو هريرة ﷺ ذكر فضائلهم وحبه لهم.

كما أن أكثر علماء نجد اليوم من قحطان، ومنهم الشيخ عبدالرحمن بن قاسم جامع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية وابنه محمد، وابن جبرين، والراجحي، وأمثالهم ممن يصعب حصرهم.

ومن "يام" قبيلة العجمان الذين انتشروا في نجد وغيرها، وناصروا

الدعوة السلفية المباركة.

وقد دخل في الدعوة السلفية التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب كثير من القبائل اليمنية كالأزد وقحطان الذين كان شيخهم "هادي بن قرملة" الشاعر والفارس المشهور، والدواسر وسبيع وكثير من القبائل الذين أحبوا الدعوة بعد أن دمر الباشا الدرعية.

وذكر ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان:٣٧] أن أحد التبابعة بلغ ملكه سمرقند، وأنه كسى الكعبة المشرفة، وذكر الأزرقي في "تاريخ مكة" أن تبعا كسى الكعبة في الجاهلية، كما ذكر ابن حزم وابن كثير والبيهقي والأزرقي والفاكهاني حادثة سيف بن ذي يزن لما أخرج الحبشة من اليمن، وأكرم وفد قريش وأجلّ عبدالمطلب بن هاشم جد النبي ﷺ، وأخبر أنه سوف يخرج من ذريته نبي آخر الزمان.

وأهل اليمن يقولون إنهم ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام، ويستدلون لذلك بأحاديث ليس هذا مجال ذكرها، كما يستدلون بالتقارب الشديد بين سلسلتي النسب ما بين عدنان وقحطان والله تعالى أعلم، وإنما الثابت هو أن حليف القوم منهم، وأن ابن أخت القوم منهم، وأن بعض القبائل العدنانية اتجهت إلى اليمن، كما أن الخزان البشري المتمثل في اليمن، وصل إلى بلاد بعيدة كالتبت وغرب إفريقيا الذي يقول بعض الباحثين المعاصرين من الغربيين أنهم وجدوا هناك آثارا لقوم سبأ والعلم عند الله.

وهذه الآثار تدل على قدم تبعية غرب إفريقيا لليمن، بل إن الأستاذ آدم عبد الله اليوربي وهو من نيجيريا حدد تاريخ ذلك وهو عد موسى عليه السلام.

ولا يزال بعض قريش جزءا من زهران اليوم، وبعض بني هاشم جزءا من بلحارث (ميسان)، وفي تهامة واليمن كثير من الأشراف وقريش.

وتقول بعض المصادر إن اليونان من قحطان وأن يقطان المذكور في التوراة هو قحطان والله أعلم.

والقبائل اليمنية هي أكبر تجمع بشري في جزيرة العرب وليس فيها صحاري واسعه بل قرى متصلة ظاهرة وجبال شاهقة ويسميها الغربيون "الدرع العربي" لكثرة ما فيها من الجبال والصخور.

ولما انقسم العرب إلى حلفين كبيرين هما "شبابة وخندف" انقسم الأزد أيضا ودخلوا فيهما.

أما قول أهل اليمن أن عدنان هو عبدالله بن الأزد بن يغوث فالله أعلم بحقيقته، وحسبنا أن الله تعالى فضّلنا بالإسلام وقال: (ملة أبيكم إبراهيم)، والمختصون في الأنساب هم الذين يثبتون ذلك أو ينفونه، وأبونا هو إبراهيم عليه السلام إما بالنسب كما يقول بعضهم وإما بالمصاهرة والحلف، على أن من كان على عقيدته "الإسلام" فهو الابن الحقيقي له، وقد قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج:٧٨].

ولا ريب أن أفضل الخلق قاطبة رسول الله ﷺ من بني هاشم، وهم من بني عبد مناف من قريش، وينتسبون إلى عدنان، فهو ﷺ منافي عدناني تهامي، ومن اتبعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، ولما ادعى يزيد بن المهلب الأزدي الخلافة قال عنه الحسن البصري "الفاسق"، ولم يصحح المسلمون خلافته قط لأنه ليس من قريش، وتولية غير القرشي خلاف النص، وعلى وجوب أن يكون الخليفة قرشيا أجمع الصحابة يوم السقيفة!!

أما مواضع الأزد فربما كان أكثر من عدّدها "مجزأة الأزدي" صاحب الأرجوزة، وأعرف الناس بالمواضع الحجاج اليمنيون لا سيما مواضع طريق الحج.

ومن أشهر قبائل جنوب الجزيرة العربية قحطان، وهي كبيرة كثيرة الفروع والأفخاذ ونبغ منهم علماء كثيرون قديما وحديثا، والأظهر أن قحطان هو الجد الجامع لهذه القبائل قديما، وهو يوازي عدنان عند النسابين، وهم قبائل كثيرة ومن قبائلهم ما هو محفوظ في التاريخ مثل مذحج والجعف، وذكر الهمداني وغيره قبائلهم الأصلية ومن بلادهم تثليث.

وأدعو نفسي وكل قبائل اليمن وغيرها إلى التمسك بهذا الدين الذي من تمسك به رفعه الله وزاده مترلة وقوة ونصره على من عاداه.

ومن قبائل اليمن المشهورة قبيلة طيء التي منها في الجاهلية حاتم الطائي، وعدي بن حاتم، وابنة حاتم هي أخت عدي، وقد رغَّبته أخته في الإسلام وأثنت على أخلاق النبي ﷺ الذي أكرمها وعرف مترلتها، وأنه لو كان أبوها مسلما لترحم عليه، وهم إخوة مذحج.

ومن طيء "ابن عربي" الصوفي المعروف المؤمن بوحدة الوجود، ولذلك يقال له أحيانا "الحاتمي"، واليوم تسمى طيء "شمر"، وقد كثروا في حائل وفي بلاد الشام والعراق، وكان من شمر الشيخ ضاري العراقي قاتل المندوب البريطاني "ليشمان"، وابنه حارث الضاري رحمه الله، واليوم يرأس المثنى بن حارث هيئة علماء العراق، وموطن الشيخ حارث هو أبو غريب الذي فضح الله فيه الأمريكان، ورأيت بعض من عذبوهم.

ومن قبائل الجزيرة العربية المجاورة للأزد ولقبائل اليمن قبيلة مطير المشهورة التي يقال إنها غطفان والله أعلم، وهم أهل بأس وغيرة وشكيمة، ويرجح أنهم إسماعيليون وإن كان بعضهم ينسبهم إلى كهلان والله أعلم، ومن القبائل كذلك قبيلة عنــزة التي يبدو لي أنهم من مضر، وكذلك السهول أو"السَّهَلة" الذين يكتبون "السهلي"، وكذلك عتيبة التي أصلها هوازن.

أما بنو تغلب فقد تنصّر طائفة منهم في الجاهلية، لكن بعض الصحابة قال إنما يعرفون من النصرانية شرب الخمر وأكل الخترير، أي أنهم مثل كثير من الأمريكان اليوم.

والنعرة الجاهلية قديمة لا سيما بين قيس واليمن، وقد ذكر المؤرخون المسلمون أنها كانت أحد أسباب هزيمة المسلمين في معركة بلاط الشهداء "بور بواتيه" حيث كان القائد عبدالرحمن الغافقي اليماني!!

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كيف كان الشيطان يثير النعرة القبلية الجاهلية لا سيما بين أسد وهلال.

وقد جاء الإسلام بنبذ الجاهليات كلها سواء ما كان منها لشعب على آخر، أو لقبيلة على أخرى، أو للون على آخر، فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، وهذه الجاهلية أخذت اليوم شكلا إقليميا كدول الخليج بل ربما أضيق منه، يسمونه الوطنية كما قسمها "سايكس وبيكو"، وعلى هذا التقسيم الصليبي يفرقون بين الوطني ومن يسمونه الأجنبي، وما جعله الله للتعارف جعله هؤلاء الجاهليون للتفاخر، وإنما الأجنبي الكافر، ولا يجوز استيطان الكفار جزيرة العرب حتى ما كان تابعا لها من الجزر مثل البحرين ودهلك وحنيش وسقطرة.

وقد شهد النبي ﷺ لأهل اليمن بالحكمة والإيمان، وفضَّلهم على ربيعة ومضر، وكان يعرف مترل الأشعريين ببكائهم وأصواقم إذا قرأوا القرآن، والصدّيق لما سمع بكاءهم قال: "هكذا كنا ثم قست القلوب".

ومن حكمتهم المعاصرة أنهم لما تظاهروا ضد المخلوع المشوي علي عبدالله صالح، لم يحملوا "الآليات" -أسلحتهم الرشاشة- لأن المظاهرة سلميّة، وإلا فالسلاح في كل بيت.

أما تأثرهم بالقرآن فلا يزال، وكذلك تأثيرهم فيمن يسمعه إذا قرأوه، وإن أنس فلا أنسى أني أردت مرة دخول المسجد النبوي، فإذا بالباب رجل يمني يقرأ قوله تعالى: "قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون"، وتذكرت قول النبي ﷺ (إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن).

وقد ورد في الحديث (إني لأجد نفَس الرحمن من جهة اليمن)، والنفَس هو الفرَج، فبهم نفّس الله عن المسلمين، وعليهم فعلا كانت أهم المعارك الإسلامية.

وقد أمد عمر بن الخطاب رضي الله عنه بهم جيوشه كما ثبت في الحديث أنهم مدد الإسلام، وكتب لجرير بن عبدالله البجلي بربع غنائم القادسية.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن جيش اليمن يغلب أهل مكة لو حاربه.

ولأهل اليمن ميزة عظيمة وهي قبول الحق والعمل به، واحترام الآخر وإن خالفهم رأيه، وهم شديدو المحبة للنبي ﷺ ولقبيلة قريش، وكثيرو التعظيم لكتاب الله، ولهذه المميزات تجدهم مادة خصبة للدعوة والجهاد.

ومن أعظم فضائلهم أنهم أسلموا طواعية دون أن يبعث إليهم النبي ﷺ جيشا، وإنما بعث إليهم كتابا فقط، ولما ارتد الأسود العنسي قتلوه هم، فلم يحتاجوا أن يقاتل الصديق من ارتد منهم.

وهم اليوم أشد الناس على الصهاينة وأمريكا، ولذلك تقول أمريكا إنهم "إرهابيون"، وتمشط طائراتها وداي مهور قريبا من الشَّعراء، وتقول إن أكثر الارهابيين من رغدان ومن بني عمر ومن المخواه ومن غامد ومن زهران.

وقد عرف الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله شجاعتهم وبأسهم وطاعتهم بل كان واحدا منهم، ومن أشهر من كان معه: أبو علي الحارثي، والحجوري، والآنسي، والفقعسي، والعولقي، والشهري، والزهراني.

ومما يستلفت نظر الباحث في قبائل اليمن أنها لم تغيِّر مواطنها منذ الجاهلية إلى اليوم، وأن لكل قبيلة حدودا معروفة، وبعدها تأتي بلاد غيرها، وإذا تداخلت بعض قبائلهم مثلما تتداخل بنو عمرو وبنو شهر كان ذلك عجبا، وتحدث الأستاذ حمد الجاسر رحمه الله عن ذلك، وهم مع كثرة عددهم أهل حصون منيعة كما جاء ذلك في الحديث الشريف، ويفضلون سكنى أعالي الجبال حتى في مكة زادها الله شرفا، ولذلك أراد أهل دوس أن يهاجر النبي ﷺ إليهم غير أن الله جعل هذا الشرف لإخوتهم الأنصار.

وكانت أم الشافعي أزدية، ومن أهل اليمن الإمام مالك بن أنس الأصبحي، كما صاهر الأزد أبو ذر الهروي لما قدم إلى هذه الجزيرة المباركة، وكان أكثر جند معاوية رضي الله عنه من أهل اليمن، ولهذا قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لجيشه: "وددت أني صرفتكم بأهل الشام صرف الدرهم

بالدينار" أي الواحد بعشرة، وقال: "هذا أخو غامد قد بلغت خيله الأنبار"، يعني سفيان بن عوف.

ومما يفخر به بعض الأزد إلى اليوم أن قبيلتي غامد وزهران هزمتا أحمد باشا، وهو على ما يبدو أحمد يكن باشا وغنمت مدافعه، والله أعلم بحقيقة ذلك، وربما كان عدم مرور "موريس لامازيه" بتلك المنطقة مؤيدا لذلك، أما الثرية المدعوّة "غالية البقمية" فالتاريخ يذكر أنها هزمت جيوش الباشا، التي كانت قد انتصرت في الدرعية.

وأنا إذ أوصي الإخوة الدعاة بحفظ أنسابهم أوصي الجميع جميعا بنبذ النعرة الجاهلية، فلا يصح أن يحتقر أهل الجنوب أهل الشمال أو العكس، كما هو الحال في شمال أوروبا حيث يحتقر الإنجليز الإيطاليين، أو كما هو حال بعض الليبراليين هنا، حيث يحتقرون من كان من غير منطقتهم، كما قرأنا لإحدى العلمانيات قولها "نستقدم الخادمات من الجنوب" وردت عليها إحدى نساء الجنوب بأنهن يحتجن إلى سائقات ليبراليات! فالخير والشر في كل بيئة وكل مجتمع بل في كل قرية وأسرة، وإنما يرجع التفاضل بين القبائل والأمم إلى الوحي، وإذا كان أهل اليمن لهم من الفضائل ما صح فإن عرب الشمال هم رهط النبي ﷺ سيد الأولين والآخرين، وهو ﷺ الذي فضل أهل الغنم على أهل الإبل، وفضل أهل اليمن على ربيعة ومضر.

و"حوالة" قبيلة يمنية من قبائل الأزد كانوا يسكنون أصلا قريبا من سدّ مأرب، ثم سلط الله عليهم سيل العرم وتفرق الأزد في البلاد كما سبق، ورحل بعضهم إلى العراق، وبعضهم إلى الشام وبعضهم إلى يثرب، وهم أفضل وأشرف الأزد، حيث كان منهم الأوس والخزرج، أما حوالة فانتقلوا إلى بارق ثم إلى تهامة ومن تهامة إلى السراة وبقيت منهم بقية في تهامة لاسيما في (الخبيّرة) وفي وادي الخيطان الذي هو أحد أودية حوالة، وأقرب القبائل إليهم غير الأوس والخزرج هم بلقرن وبنو شهر وغامد وزهران، ومن حوالة البقوم، الذين يسكنون في تربة ونجد ومشيخات الخليج وبلاد الشام ومناطق

أخرى، وكثير من حوالة هاجروا إلى بخارى والتركستان منذ أيام الفتوحات والله أعلم.

وغالبا ما يقول النسابون أو المؤرخون الأزدي، فلا ندري من أي قبيلة هو، وقد يوضح فيقال من أزد كذا، كما يذكر المؤرخون أن الطحاوي من أزد الحجر مثلا، والظاهر أن أكبر قبائل الأزد زهران الذين قال عنهم ابن حزم "قبيل عظيم"، ومن فروعهم دوس وبنو حسن، وينتشرون الآن ما بين الطائف والرهوة والبحر الأحمر، وهم في تهامة كثير، وبعضهم انضم إلى الأحلاف، أو حالف قريشاً، وأشهر قبائل زهران دوس، وإليهم ينتسب أزد عمان، وتخطئ كتب وزارة التراث القومي بمسقط حين تقرأ اسم جدهم في المخطوطات البدوي وإنما هو الدوسي، ومن أزد عمان هؤلاء المهلب بن أبي صفرة الذي تنسب إليه البصرة فيقال بصرة المهلب، لأنه حماها من الخوارج، ومنهم ابنه يزيد بن المهلب المشهور بكرمه.

وبعض الأزد سكنوا الكوفة وبغداد والموصل، ومن أعلامهم حماد بن زيد، ومحمد بن واسع، وكثير منهم هاجر إلى بخارى وبلاد ما وراء النهر، ومنهم من سكن مصر وبلاد المغرب والأندلس، وأفضل الأزد غير الأنصار "أبو هريرة الدوسي" رضي الله عنه، وهو أكثر الصحابة الكرام رواية عن النبي ﷺ هاجر إليه من قدوم ضان المذكور في صحيح البخاري والمعروف حتى اليوم، بعد فتح خيبر، ودعا له النبي ﷺ، فكان قوي الحفظ، ثم أنه ولي إمارة المدينة النبوية ولم يشغله الصفق في الأسواق عن رواية الحديث، وقبله كان حممة الدوسي، الذي كان يقضي بين العرب في الجاهلية، فلما كبر وخرف، قرعوا له العصا لينبهوه فقال:

لذي اللب قبل اليوم ما تقرع العصا وما عُلِّم الإنسان إلا ليعلما

وخير من حَمَمةَ الصحابي الطفيلُ بن عمرو الدوسي وقبيلته معروفة في السراة، وقد صح أن النبي ﷺ قال: (لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقفي أو أنصاري أو دوسي)، لأنهم لا يمنّون الهدية ولا يستقلون ما

يعطون مقابلها إن أخذوا، ولا تزال هذه القبائل معروفة بالسماحة والكرم إلى اليوم.

ومن الأزد ابن دريد صاحب المقصورة المشهورة، ومن الأزد قبيلة غامد المشهورة بالعلم والذكاء.

ومن الأزد ثمالة الذين منهم المبرد صاحب "الكامل".

وبنو عم الأزد همدان، ومنهم حاشد وبكيل ويام، ومن لا أعرف.

ومن أراد الاستزادة من أخبار الأزد بعد الإسلام فليقرأ ما كتبه الهمداني، وما قاله مجزأة الأزدي في أرجوزته، وكذلك كتاب التيجان وكتاب حور العين، وكتاب ملوك حمير وأقيال اليمن، وما كتبه الفيروزآبادي.

وكذلك كتب الرجال ومنها حديثاً كتاب "رواة الأحاديث الأماجد من رجال زهران وغامد"، الذي جمعه الشيخ عبدالعزيز الزهراني، وكتاب في سراة غامد وزهران الذي كتبه الأستاذ حمد الجاسر، واعتمد فيه على كتاب السلّوك الزهراني، وأخطأ في بعض المواضع، وأكثر ما يعتمد حمد الجاسر في كتبه ومجلة العرب، على ما يقوله الناس ويكتبونه، وفيه الخطأ والصواب، وكل قبيلة تبالغ في الثناء على ماضيها، ولكن الكريم في الحقيقة هو التقي أيا كان والفائز هو من غفر الله له وأدخله جنته.

ومن الأزد من دخل في حلف عتيبه التي منها برقا وروقا، وبعض أفراد قبيلة عتيبة يعمم فيكتب العتيبي فلا تدري أهو من برقا أو من روقا، والحليف تصح نسبته إلى من حالف، فقد قال ﷺ: (حليف القوم منهم).

وممن دخل في حلف عتيبة بعض قبيلة البقوم، واختار حكماء عتيبة "آل حميد" ليكونوا شيوخاً، وأعظم رجالهم "ابن حميد" المجاهد المشهور والأرجح أنه من البقوم والله أعلم، ومن الأزد على الأرجح قبيلة الدواسر، ومنهم المؤرخ عبدالحميد الدوسري صاحب "متعة الناظر"، ثم ابنه شعيب بن

عبدالحميد الذي أكمل المتعة بكتابه "إمتاع السامر"، وذكر فيه أخبار آل عائض.

كما كان من الأزد بعض الشعراء في الجاهلية كالشنفرى، ومنهم شعراء نبطيون معاصرون كالأستاذ ممدوح المرزوقي المسمّى شاعر الثقلين!!

ومنهم كتاب بارزون كالأستاذ حمد المرزوقي زاده الله إيمانا وهدى، وله كتب منها "أوراق وطنية" قديما و"أفي الله شك" حديثا.

ومن قبائل اليمن المشهورة أيضا قبيلة حرب الذين لا يزال قسم منهم في اليمن، وقسم يسكن بين مكة والمدينة، ولها فروع كثيرة، وبعضها في العراق والشام وغيرها.

ومن القبائل اليمنية المعروفة قديمة وحديثا قبيلة "يام" التي كان منها قديما الروائي الثقة زبيد اليامي، أحد تلاميذ الزهري، ومنها في هذا العصر قبيلة العجمان المعروفة.

ومنها قبيلة النهد التي من رجالها قديما أبو عثمان النهدي، وحديثا ترى صيدليات النهدي في كل شارع تقريبا.

ومن القبائل اليمنية الكبيرة قبيلة قحطان الكبيرة التي انتشرت في أرجاء جزيرة العرب مثل نجد واليمن وفي غير جزيرة العرب، وهم تاريخيا (مذحج والجعف والنخع)، لكن دبت الفتنة بين قبائلهم وبطونهم، فقضى عمر بن عبد العزيز رحمه الله بأن ينتسبوا إلى الجد الجامع وهو "قحطان"، قرين عدنان، على أن أسماء الرواة لا تزال تكتب ما كانوا معروفين به قديما، مثل المذحجي أو الجعفي، ومنهم كثير من العلماء.

وأما شمَّر فهي على الأرجح طيء، وهم قبيلة يمنية أيضا نبغ منها شجعان وشعراء كثير أشهرهم في الجاهلية حاتم الطائي، وأشهرهم في هذا العصر "آل الرشيد".

ومن القبائل اليمنية أيضا قبيلة سبيع التي ينتسب إليها بعض الصحابة ولا يزال بعضهم في الجنوب، وأكثرهم هاجر إلى نجد وغيرها وشارك في الفتوحات واستقر هناك.

وكانت إحدى جدات النبي ﷺ من قبيلة كنده اليمنية، وفرح بذلك الأشعث بن قيس الكندي وقال: أنت منا يا رسول الله! فقال ﷺ: (نحن بنو النضر بن كنانة لا نقفو أمنا ولا ننتفي من أبينا).

فالنسب يجوز أن ينفى، مع إقراره ﷺ للقبائل، وإقرار الخلفاء الراشدين لها، إذ كانت كل قبيلة تجاهد تحت رايتها، ولما اختار عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا عبيد الثقفي لمقاتلة الفرس كان أكثر قتلى موقعة الجسر من ثقيف.

وقديما عرف الناس قيمة القبيلة أو العشيرة، فنبي الله شعيب عليه السلام قال له قومه: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود:٩١].

ونبي الله لوط عليه السلام قال لقومه: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً﴾ [هود:٨٠].

والنبي ﷺ حماه عمه أبو طالب على شركه من أذى مشركي قريش، وبعض مشركي بني هاشم دخلوا الشِّعب لما حوصر.

وبهذه الرابطة مزق المشركون الصحيفة الظالمة، وخرج المؤمنون من الحصار في الشعب.

وقبائل همدان قبائل عربية أصيلة لا ترضى أن يخدعها الدعاة الذين يأتون إليها من بومباي وغيرها، وهي تحتقر القلة الانتهازية التي ترضى بالأراضي والدور مقابل عقيدتها، ومن يعطي هذ المتاع هو خاسر لا محالة وينتهج سياسة فاشلة.

فلا يجوز غش هذه القبائل وتركها فريسة للمكارمة والاثني عشرية، بل يجب بذل الدعوة لها بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ومنع المكارمة من القدوم إليها، ونصح المبتلى منها، وإكرام من عاد إلى السنة، وجهاد من رفض العقيدة وأباها وقاتل دون معتقده الباطل قبل قتال الحوثيين.

أما لغة الأزد فهي لغة فصيحة، وقد قال أحد اللغويين: إن أفصح لغات العرب لغة أزد شنوءة، أي أنهم بعد قريش في هذا الجانب.

وأذكر مرة أن الشيخ الفلسطيني "محمد يوسف عباس" كان يعظ وأراد أن يفسر بعض ما ذكر من غريب الحديث فضج أهل المسجد وقالوا له "افلح افلح معروفة"، أي امض واستمر فالكلمة معروفة.

والمؤسف حقا أن لغة الأزد الآن تكاد تنقرض، وقد انقرضت الأزياء التي كانت شبيهة بأزياء الصحابة رضي الله عنهم وبالأسماء نفسها، وقد رأيتها في تهامة وفي خثعم ولا أثر لها اليوم كما تقدم.

وأشهر من ينتسب إلى حوالة على الإطلاق هو الصحابي عبد الله الحوالي، الوارد ذكره في الحديث، وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وهو راوي أحد الأحاديث في فضل الشام.

وقد ذكر صاحب "الحماسة" شعرا لأبي عبدالله الحوالي.

وأنا جدتي رحمها الله غامدية من بالشهم، ولها قرابة في الأزاهرة، وكانت أمها أو أم زوجها -لا أذكر الآن- من بني عبد الله من غامد وبالذات من قرية بني فروة.

وأخيرا هذا بعض أخبار القوم، ومنه ما يدعو للاعتزاز به ومنه ما يدعو لنبذه والبراءة منه، ولا فخر لأحد إلا بالتقوى، ولولا أن النسب علم شريف كان أبو بكر الصديق ﵁ من أعلم الناس به، وأقره عليه النبي ﷺ ما كتبت فيه.

كما أن ابن حزم رحمه الله في كتابه "جمهرة أنساب العرب" ذكر بعض الأحاديث في ذلك، وذكر ابن حجر أن معاوية بن أبي سفيان ﵁ استقدم عبيد بن شريّة وهو معمّر يمني ليسأله عن ذلك.

وحسبنا قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون:١٠١].

وقوله ﷺ: (كل نسب وصهر يوم القيامة منقطع إلا نسبي وصهري).

ويختلف النسّابون كثيرا، ومن المؤكد أنك لا تكاد تجد قبيلة لم تحالف أخرى أو تدخل فيها، وفوق كل ذي علم عليم.

وأخيرا أنصح الأخوة بالرجوع إلى المصادر الأصلية ومن لم يستطع ذلك فليقرأ كتاب شكري العناني (المملكة العربية السعودية دراسة بيلوجرافية)، ولا سيما حديثه عن قبيلة سليم وقبيلة العوازم وحديثه عن قبيلة زهران المنقول عن قينان بن جمعان بن سعيد الزهراني، وفيه أيضا حديث عن البحارنه في الأحساء والقطيف.

والمقصود أن قبائل اليمن يشكلون جزءا مهما من مجتمع جزيرة العرب، ربما كان أهم أجزائه وأكثفها سكانا، وهذا المجتمع يحتفظ بكثير من الخصائص المجتمعية المتوارثة منذ عهد الصحابة الكرام، وذلك ما يؤهله لاهتمام أكبر من قبل العلماء والدعاة.

بعض المجتمعات الإسلامية

– **سلطنة عمان:**

عمان لا تخفى عداوتها لما تسميه (الفتنة الوهابية) والمدرسون السعوديون إذا عملوا في عمان فإنهم سرعان ما يعود منهم الكثير، إذ لا يستطيعون البقاء في مجتمع يتهمهم أنهم أصحاب فتنة وأنهم يكرهون الرسول ﷺ ويستحلون دماء المسلمين!

وفيها وزارة للتراث القومي تنشر الكتب الأباضية، وهي دولة يغلب عليها الفقر، وفيها مناخ متنوع وأهلها شبيهون بأهل اليمن وفيه شيوعيون وملاحدة، وهي تساعد الحوثيين وهي عضو في مجلس التعاون الخليجي، وكانت تحكم أجزاء من شرق افريقيا، وسلطنة عمان تاريخيا لا تؤمن بما يسمى القومية العربية، ولها تاريخ حافل بالولاء لفرنسا، وقد أذنت للفرنسيين قديما بإنشاء مخازن للفحم فيها، وهم اليوم مع إيران والحوثيين وبشار.

وفي عمان نسبة كبيرة من أهل السنة، وبعض السعوديون يذهبون للسياحة في عمان ولاسيما في صلالة، وبعد انخفاض أسعار النفط تريد السلطنة أن تكون منطقة جذب سياحي، ومن ضلالات علمائها الاعتقادية أنهم ينكرون صفات الله، ويكثر منهم التجهم والاعتزال، ومنهم الخليلي مؤلف كتاب الحق الدامغ.

والخوارج أولى من الحوثيين بالعدواة وفقا للمعاير الشرعية، فالخوارج أشد غلوّا من الزيدية، نعم ليست عمان مثل الأزارقه أو النجدات، لكنها أباضية تعقتد أن من لم يكن أباضيا فهو كافر كفر نعمة، وليس كفر النعمة بالأمر الهين بل هو كبيرة صاحبها متوعد بالنار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٢٩].

وكفر النعمة قديم فعلته ثمود التي قتلت الناقة وكفرت بنعمة حليب الخلفات المجاني، وعمان تنفي صفات الله كالجهمية والمعتزلة وقد كتب في نقض عقائدهم الشيخ سليمان بن سحمان الخثعمي، كما كان الشيخ

عبدالعزيز بن باز معاديا لهم منكرا لما كتبه مفتيهم "الخليلي"، وإذا كانت عداوة داعش مشروعة، فعداوة سلطنة عمان كذلك، إذ كلاهما على مذهب واحد، فيكف يصح محاربة أحدهما دون الآخر وكيف نحارب من ينفي أنه خارجي ونوالي من يقول بلسانه إنه إباضي؟!

وإذا حكمنا على دولة وطائفة بأنها من الخوارج، فالصحيح هو الإفادة مما فعله المهلب بن أبي صفرة منهم من المطاولة والمصابرة أملا في انشقاقهم إذ هذا هو النهاية الحتمية لكل الغلاة، وهكذا التعامل مع من كان دينه التبديع والتضليل والإخراج من السنة.

فالنار تأكلها بعضها إن لم تجد ما تأكله

ولا بد أن يأتي يوم يردّ فيه بعضهم على بعض ويوجّه له التهمة التي كان يوجهها لأهل السنة.

وقد بدأ ذلك فعلا، فعاد كثير من الأباضية للسنة، وربما جاء يوم يجد مفتي عمان الأباضي نفسه جنرالا بلا جنود، وحسبك شذوذ الأباضية عن القاعدة الإسلامية العريضة أهل السنة.

وأهل عمان في الأصل من دوس من زهران ثم اختلطت بهم قبائل أخرى من تميم وغيرها.

والتاريخ الانجليزي يحتفظ بهزيمة منكرة للجيش الانجليزي على يد قريبة بني بوعلي العمانية.

وتتميز سلطنة عمان بالشذوذ العقائدي والسياسي:

فأما شذوذها العقائدي فهي الدولة الخارجية الوحيدة، وهي أيضا الدولة الوحيدة التي تنشر المذهب الأباضي الخارجي بين المسلمين، وهي ليست على مذهب الخوارج الغلاة كالأزارقة والنجدات ولكن عبدالله بن أباض التميمي مؤسس الأباضية، يؤيد الخوارج الغلاة، وفي الكتاب الذي بعث به إلى عبدالملك بن مروان يقول: "نشهد الله والملائكة أنا لمن عاداهم أعداء (أي من تقدم ذكرهم) وأنّا لمن والاهم أولياء، بأيدينا وألسنتنا وقلوبنا"

والرسالة في كتاب السّير الذي كتبه مسلم بن سعيد الشماخي ونشرته وزارة التراث القومي بسلطنة عمان.

كما أن الإباضية يسمون أنفسهم (جماعة المسلمين) أما دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله فيسموها "الفتنة الوهابية" كما سبق، وقد عادوا من اتبع الدعوة كالشيخ (صقر القاسمي) ولا يزالون حتى اليوم يعادون المدرسين السعوديين الذين يذهبون إلى عمان وينبزوهم بالوهابية، وقد ذكر ابن بشر في (عنوان المجد) طرفاً من أخبارهم ومواقفهم، وهو يسمي مسقط "مسكة" وقد درس معي بعض الإباضية كما أنني درست بعض الطلاب منهم، وقابلت بعضهم في الحج، ولهم مواقع معروفة وكتب معروفة أيضا.

وكان بين مفتيهم "الخليلي" والشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله مواقف ليس هذا موضع تفصيلها، وقد أصر الخليلي على نفي صفات الله وعلى ما كتبه في كتابه "الحق الدامغ" وظنت (موسوعة الفرق والأديان) التي أصدرها الندوة العالمية للشباب الإسلامي أن ذلك تتريه!

والإباضية يعتقدون أن أبا الشعثاء جابر بن زيد -رحمه الله- صحابي ، وقد قال لي أحدهم: إن ابن حجر لم يذكره في الإصابه لأن ابن حجر من أهل السنة، ولأن ابن حجر إنما ذكر من الصحابة حوالي ثمانية آلاف مع أن الذين شهدوا حجة الوداع كانوا أكثر من مئة ألف.

وفي عمان قبائل كثيرة من أهل السنة منهم بنو تميم وبنو كعب وهم ليسوا قلة.

كما أن لعمان شذوذات سياسية قديما وحديثا، فهي الدولةالعربية الوحيدة التي لم توقع على ميثاق جامعة الدول العربية، و لم تدخل عضوا فيها إلا بعد سنين من تأسيسها، كما أنها الدولة العربية الوحيدة التي أيدت العدوان الثلاثي على مصر، وهي الدولة العربية الوحيدة أيضا التي اعترفت بزيارة السادات للقدس وتوقيعه لمعاهدة (كامب ديفيد) ذلك الحين، وهي الدولة الخليجية الوحيدة التي لم تدخل في التحالف العربي لحرب الحوثيين بل

لها علاقات تاريخية وطيدة بإيران، ولا تزال الشاحنات العمانية تنقل السلاح برا إلى الحوثيين، ومن العجب أن يجتمع من يكفِّر علياً مع من يعبده في موقف سياسي واحد! ويتفقان في حرب ما يسميانه "الوهابية".

واتساقا مع هذا الشذوذ تقدمت بمشروعات استعمارية منها المشروع الذي قدمته لكن صدام حسين رفضه، وقد أراد لها الاستعمارأن تكون مخلب قط له في المنطقة، ولا تزال تقوم له بالوساطة بين إيران وأمريكا، ومن شذوذها أيضا أن وزير خارجتها بن علوي زار بشار علانية وأيد ماسماه الديموقراطية السورية ، وبذلك وقف ضد السعودية.

وتبعا لمواقفها من دول مجلس التعاون الخليجي تراها دولة الإمارات دولة محتلة وتطالب بملكية (واحة البريمي) منها ومن غيرها، ولا تزال حدودها مع الإمارات متداخلة.

وعمان فوق هذا كله وكذا سائر دول الخليج لا تحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومع ذلك جعلوها عضوا في مجلس التعاون الخليجي، وسعوا إلى إيجاد اتحاد خليجي وعملة واحدة وقوانين موحَّدة، ومن حق أي عماني أن يمتلك عقارا في مكة والمدينة!

وعلى كل حال فإن اعتبار تنظيم الدولة خارجياً واعتبار سلطنة عمان دولة صديقة تناقض واضح، إذ هما يشتركان في العقيدة المتهم بها، بل إن سلطنة عمان أخطر من جهة أن لها وزارة خاصة تنشر الفكر الخارجي في كل دولة تشاء، والواجب هو ترتيب العداوة الترتيب الشرعي بحسب العقيدة فالموقف من عمان لا يصح لا عقيدة ولا سياسة.

- الكويت:

الاسم التاريخي للكويت هو كاظمة وأحيانا "القرين"، ومن الخطأ أن تكون كاظمة جزءا من العراق أو نجد، بل هي جزء من الأمة الإسلامية العظيمة التي لا تعترف بحدود سايكس بيكو.

ولما احتل صدام الكويت بخدعة من السفيرة الأمريكية "جلاسبي" كان لا بد للسعودية من قضاء دين مبارك الصباح، الذي سعى للقضاء على آل الرشيد في حائل، وتبرع بالنوق لحربهم، وكان مبارك بريطاني الهوى مواليا للإنجليز كما والى أحفاده الأمريكان بينما كان بن رشيد يوالي الأتراك! وهذا ما استغله الأمريكان أسوأ استغلال بقدوم قواهم إلى الخليج وتكليف دول الخليج بتمويل قواهم، أو بذل جزء كبير من النفقات.

وتفخر مشيخة الكويت بأنها ديمقراطية، والغرب لم يعترف بأنها ديمقراطية؟ وكيف تكون ديمقراطية وذات الأمير لا ينتقدها أحد والحكم وراثي، ومن حقه أن يحل البرلمان "مجلس الأمة"، ولا بد أن يكون رئيس الوزراء من الأسرة الحاكمة؟

- أزمة الخليج:

لم يكن استخلاص الكويت من صدام استعانة من قريب ولا بعيد، مع أن الاستعانة بالكفار قول مرجوح، وبالقول الراجح أفتى الشيخ عبدالعزيز بن باز في كتابه (نقد القومية العربية)،

وحتى الفقهاء الذين أجازوا الاستعانة بالمشركين لم يجيزوا ذلك بإطلاق، بل قيدوه بشروط ليس هذا مكان التفصيل فيها، ومنها الضرورة، وأنهم لو انضموا إلى الكفار لاستطاع المسلمون أن يغلبوا كلا الطائفتين وأمثال ذلك، والضرورة إنما تبيح الأكل من الميتة مثلا لدفع الموت عن النفس، وليس أن يتفنن المسلم في الميتة ويطبخ منها أنواعا من الطعام ويملأ بطنه من أحد الأنواع ويبيع الباقي!

هذا لو فرض أن في الأمر ضرورة وأنه استعانة، فكيف إذا لم يكن في الواقع شيء من ذلك كما برهنت الأحداث؟

فالجيش الأمريكي الذي حارب العراقيين لا ينطبق عليه قول راجح ولا مرجوح، ولا يصح القول بأن قدوم الأمريكان استعانة، ولم يقل بالاستعانة أحد من الحكام لا في أمريكا ولا هنا، وإنما أعلنوا أن الملك فهد وافق على قدوم القوات الأمريكية إلى الخليج.

وقد تم التحقيق معي حول أشرطة وكتب دون أن يذكوا مجيء القوات الأجنبية بكلمة واحدة، ومما حققوا معي فيه كتيب (القدس بين الوعد الحق والوعد المفترى)، غير أنني طالبت ولا زلت أطالب بتنبيهي إلى أي خطأ وقعت فيه كي أرجع عنه، ولم أدّع يوما من الأيام أني معصوم، ولا أن كل ما قلته أو أقوله عين الصواب، وأي شيء خالف فيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع السلف وعقيدهم، فأنا مستعد أن أرجع عنه، وأعوذ بالله أن أضل وأضل غيري.

أما ما كتبه المفترون عني وهو كثير وبلغ ٢٥ صفحة أحيانا، فحسبهم أن المباحث نفسها تكذّبه.

وكان سفير بريطانيا في الكويت الذي يسمونه آنذاك، المقيم السياسي هو "ديكسون" الذي يبدو أن جواسيسه عجزوا عن اختراق الاخوان، فجاء بنفسه إلى الأرطاوية وألف كتابا جعل عنوانه "الكويت وجاراهما"، ورفع إلى الحكومة البريطانية تقريرا عما شاهده، وعلم من خطر الشيخ عبدالكريم الدرويش ما لم يكن أكثر أهل نجد يعلمونه آنذاك، ومن تقاريره ومن أخبار أخرى، قال البريطانيون عن الشيخ إنه الأب الروحي لحركة الإخوان في جزيرة العرب، وكان ديكسون من فرقة (البيوريتان) أي المتطهرين النصرانية وهي فرقة مشهورة بكثرة التعبد، وذهل لما رأى ما عليه الإخوان من العبادة، وقال عبارته المشهورة "هؤلاء هم الذين يعبدون الله حقا"، وكان

البيوريتانيون يعاقبون من يتخلف عن الصلاة في الكنيسة بالجلْد، وكان منهم الروائي المشهور "شارل ديكنز"، وعلى دينهم قام الأصوليون في أمريكا.

وفي عصرنا هذا استدرجت "جلاسبي" سفيرة أمريكا في بغداد "صدام حسين" لاحتلال الكويت كما تقدم، وفرّ كثير من الكويتيين إلى السعودية، ومن الكويتيين العلمانيين آنذاك الجار الله الذي طبع جريدته (السياسية) في مطابع عكاظ، وجاهر بالعداوة للدين، ثم إن الصحافة الكويتية انقلبت على السعودية التي خسرت مليارات الدولارات من أجل رد جميل مبارك الصباح حتى انها قطعت علاقاتها مع حليفها السابق صدام حسين وسخرت السعودية من الديمقراطية الكويتية وسمى أحد المسؤولين في السعودية (مجلس الأمة) الكويتي "حراج بن قاسم" وهو حراج معروف في الرياض.

وجعل الإنجليز المشيخة "دولة" وأوصت بريطانيا بحسن الجوار، وبعد أن سلم تشرشل زمام الأمر لروزفلت، وتدرب الأمريكان في صحراء نيفادا أتيحت لأمريكا فرصة تدمير عدو إسرائيل اللدود (العراق) وجاءت جيوشها لتدمر العراق وتحتل منابعِ النفط باسم تحرير الكويت، ونزلت جيوشها في قاعدة خميس مشيط مثلاً البعيدة جدا عن الكويت، وكان السماح لها مثل من يأذن للأسد أن يدخل داره خوفاً من مهاجمة الثعلب، وخدعت أمريكا الملك فهد حين قالت إنها سوف تحرر الكويت بفرقة أمريكية، فجاءت بمليون جندي مقابل ثمانية عشر ألف جندي سعودي جعلتهم شرطة يحرسون الخفجي بعد استردادها، ولما أراد الأمير خالد بن سلطان أن يتحدث عن سير المعارك انتهره "شوارسكوف" وأسكته.

واحتلت الأساطيل الأمريكية الخليج والبحر الأحمر، وبقيت فيه حسب القرار الذي أعلنه البنتاجون "القوات الأمريكية وجدت لتبقى"، وممن ساند الأمريكان الجيشُ الصليبي الأوربي الذي جاء من ينبع إلى القصيم سالكا الطريق التي أرادها أرناط من قبل، ولما أخفق عملاء الغرب في الثورة على صدام حسين تدخلت أمريكا بنفسها، واحتل بوش الصغير العراق، وشكل

تحالفا من ٣٣ دولة للسيطرة على العراق، ولما رأى خلَفُه أوباما كيف حلت الكارثة بالأمريكان، حشد تحالفاً يضم ضعف ذلك العدد لكي يستخلص مدينة عراقية واحدة "الموصل" ويسلمها للروافض.

وانخدع بعض المسلمين وأيدوا الأمريكان وأقاموا مؤتمرا للجهاد، وتناسوا قضية فلسطين والاحتلال اليهودي لها وتدنيسه المسجد الأقصى، وقال أحد المقدسيين للملك فهد في وجهه "كلنا كذابون إلا فلانا وفلانا"!

وبعد أن هجا غازي القصيبي "الفريقين وزين العابدين" تحول الفريقان إلى صديقين وأصبح زين العابدين بن علي مقربا يؤويه شركاؤه بعد أن رفض أسياده استقباله، أما الفريق علي عبدالله صالح فقد أعطوه مساحة من الأرض والمليارات من المال كما يعلم الجميع، وإنما العدو هو حزب الإصلاح الذي يصفونه بالإرهاب.

وأشد من الحرب عداوة من دعا إلى الله في اليمن، لا سيما المساكين السذج في دماج وأهل السنة "الوهابية" في الجوف، وبدأوا بدماج التي لم تجد ناصرا إلا من كانت تذمه!!

وباسم الوحدة الوطنية بنى الرافضة حسينيات كثيرة في الكويت، وتغلغلوا في مجلس الأمة وسبّوا السعودية، واختار علي عبدالله صالح زعيم حزب الحق الزيدي ليكون وزيرا للأوقاف، رغم الخسارة الفادحة التي مني بها الحزب في الانتخابات.

وقبض الحوثيون من السعودية مبلغ ٧٠٠ مليون دولار، أي أقل من ثلاثة مليارات ريال بعد معركة جبل دخان الخاسرة، ثم إن الحوثيين تحولوا من طائفة زيدية قليلة في صعدة إلى قوة عسكرية تحتل صنعاء وقرى حدودية سعودية كما هو معلوم، وتهدد المدينة والرياض بالصواريخ.

والمقصود أن حكومة الكويت استمرت في صداقة أمريكا، وأتاحت الحرية لإعلامها في أن ينتقد السعودية كما يشاء.

أما السّذج فقد استمروا في الاتكاء على عكازة الاستعانة، و لم يقرأوا أن الأمريكان تدربوا في صحراء نيفادا قبل ذلك بزمن طويل، بل دربوا بعض العسكريين السعوديين المبتعثين على ركوب الجمل وتعلموا بعض الكلمات الصحراوية باللكنة الإنجليزية، ولما جاؤوا إلى الخليج كان كل واحد منهم يعرف أين يترل وأين يسكن، و لم يعلم أصحاب الاستعانة المزعومة كيف أن الملك فهد عدَّ ذلك أكبر مصيبة عليه، وكان يطلب من الأمريكان سرعة الرحيل عن بلاده، وأشير عليه بأن أفضل وسيلة لذلك هي خروج مقاومات شعبية تستنكر الوجود الأمريكي، وأراد أن يكلفني بذلك أنا والدكتور عبدالله عمر نصيف، ولكنه عدل عن ذلك لأن فيه فتحا لسياسة المظاهرات، وإقرارا بشعبية المطاوعة، علما بأني لن أفعل ذلك، وامتلأت السجون بالرافضين للوجود الأمريكي الغازي، وبعضهم طيارون وعسكريون اعتقلوا معنا في الحائر، وقد أخبرني أحد العلماء رحمه الله أنه إنما وقّع مكرها، وفي الأخير، وقال لي "هل صرنا عند الناس مثل شيوخ الأزهر؟"

ولما رأى الأمريكيون كرههم عند الخاص والعام قرروا تحويل جيشهم إلى البحر والاعتماد على قوهم الناعمة ممثّلة في الشركات والبنوك، على أن يبقى خبراؤهم العسكريون في القواعد العسكرية في السعودية، وفتحوا مراكز للتجسس غير السفارات والقنصليات، واستغل الليبراليون وجود الأمريكان لتحريض النساء على المطالبة بقيادة السيارات، وكأنها مشكلة الأمة، واستغلوا فتوى الشيخ عبدالعزيز بن باز بجواز تمريض المرأة بشروط، ليجعلوها في العيادات وفي الأسواق التجارية، وقد استنكر ذلك سكرتير الشيخ وسائر الدعاة، وطلبوا من الشيخ إصدار فتوى توضيحية لفتواه.

والمهم أن الأمريكان انتصروا كما عبر "جورج فريدمان" في كتابه "المائة عام القادمة"، وأصبح مما يستوجب الشكر مساءلة أحد الرافضة في مجلس الأمة الكويتي عن تصريحاته المشينة ضد السعودية، لا لأنها تسيء إلى

العقيدة وتطعن في الوهابية، بل لأنها تسيء إلى العلاقات الأخوية العميقة بين الجارتين الخليجيتين!

و لم تُقم الكويت أحكام الشريعة، بل إن المادة "٩٨" من القانون المدني الكويتي تبيح الزنا إذا كان على غير فراش الزوجية.

وكانت الكويت مصدر ما سمي مجلس التعاون الخليجي، وقد تباينت مواقف دول المجلس وتباعدت، فسلطنة عمان الإباضية تعاونت مع إيران الشيعية، وأقامت معها مناورات ورضيت أن تكون وسيطا علنيا للمباحثات بين أمريكا وإيران ولإمدادات إيران للحوثيين، بل إن الشاحنات العمانية نفسها لتحمل السلاح من عمان إلى الحوثيين، لاسيما عبر طريق الغظية، وأما دولة الإمارات (الشقيقة) فقد كان ميناء دبي يمد إيران بكل شيء لما فرض الغرب حصاره على إيران، وبقيت الجزر الإماراتية محتلة في بيانات الأمانة العامة لمجلس التعاون الخليجي فقط، أما مملكة البحرين فقد حمتها قوات درع الجزيرة من الاحتلال الإيراني، ونسي أهلها من الذي جاء بالروافض إليها ولماذا؟ واتخذها الأسطول البحري الأمريكي قاعدة له وقد رفضت دول مجلس التعاون انضمام اليمن إليه وفتحت الباب لانضمام المغرب والأردن!!

- بلاد الشام:

كتب كثير من العلماء عن فضل الشام وأهله، وبعض المؤرخين اقتصر على مدينة دمشق، وظهر في الشام علماء كثيرون على رأسهم شيخ الإسلام ابن تيمه ومدرسته.

والله يخلق ما يشاء ويختار من الأزمنة والأمكنة، وقد اختار أرض الشام وجعلها مباركة، ولذلك أدلة كثيرة من القرآن والسنة منها ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء:١]، و﴿ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٢١]، وهي مهاجر إبراهيم عليه السلام الذي قال عنه ربه تبارك وتعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ

إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾ [العنكبوت:٢٦]، وفيها بعث الله كثيراً من أنبيائه حتى سميت أرض الأنبياء، والنبي ﷺ ربط البراق حيث تربط الأنبياء وصلى ليلة الإسراء بالأنبياء في الأقصى.

وقال تعالى عن عبده الكريم أبينا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:٧١]، وقال أيضا: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء:٨١]، وقال عن قوم سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً﴾ [سبأ:١٨].

وأدلة السنة كثيرة، ومن أقواها ما يصدقه الواقع التاريخي وهو انتقال عمود الكتاب إلى الشام وكونها أرض الخلافة بعد الخلافة الراشدة، وعلى بركتها أجمع الصحابة الكرام وزارها الفاروق عمر ﷺ، وفي هذا الزمن وفقّ الله أن يجاهد أهل الشام اليهود والنصارى والرافضة والنصيرية والبعثية والغربيين عامةً وسائر الكفرة في سنوات معدودات، نسأل الله لهم النصر.

ومجتمع بلاد الشام مجتمع إسلامي، وهو يحمي العرض وتتستر فيه النساء، والقلة التي تتكشف هي الزمرة البعثية التي لا يعرض التلفزيون السعودي غيرها إلا عند حديثه عن المهجّرات.

- العراق:

العراق من أعظم أقاليم الإسلام ونبغ منه كثير من القراء والمحدثين والنحاة والفقهاء، وكانت بغداد أكبر مدينة في العالم وأكثرها جامعات ومصانع وحضارة، وكانت رأساً في كل فن، والمؤسف اليوم هو انتشار البدع والضلالات في العراق، حيث ظهرت فيه المرجئة والرافضة والشيوعيون والبعثيون، ولكن عشائره الكريمة سوف تستعيد مكانتها ويعودون للسنة والإسلام بإذن الله، وعشائره تقتني السلاح وتلبس الزي العربي، وكلها من جزيرة العرب، وهم يحمون العرض ولا يتساهلون أبداً في قضاياه حتى قيل إن سبب احتلال صدام للكويت أن بعض الفساق الكويتيين

أراد انتهاك عرض بعض العراقيات، ويقول المؤرخون أن دوافع مقتل "ليشمان" هي قضية عرض أيضاً، والكلام عن التفوق العلمي والحضاري للعراق كثير جداً، ولعلك تجد بعض ذلك مبثوثاً في ثنايا هذا الكتاب، والعراقيون يتنافسون في النخوة والكرم والشهامة، ويحتفظون بأنسابهم إلى القبائل العربية في الجزيرة العربية لاسيما أهل البيت والأنصار، ويخاف منهم اليهود جداً، ولذلك أوعزوا لأمريكا باحتلال العراق، كما يعترف بذلك الأمريكان واليهود وذكره مراراً (ناجي صبري) وزير الخارجية العراقي أيام الاحتلال الأمريكي.

- السودان:

السودان على ما فيها خير من بعض دول مجلس التعاون الخليجي، ومواقفها من الصهاينة مغايرة، ولذلك حاربها الأمريكان واليهود بنفس التهمة "دعم الإرهاب"، وسفراء السودان من أفضل سفراء العرب، وهي تعمل على نشر الإسلام في القارة الأفريقية وإنشاء جامعات إسلامية لأبناء هذه القارة المستباحة.

ومهما يكن من أمر فلا مقارنة بين البشير والسيسي، وكان الواجب تحرير المسجد الأقصى وإعطاء الأموال لمن يود الفلسطينيين لا من يحاصرهم ويتهمهم بالإرهاب متفوقاً بذلك على نتنياهو؟؟

والسودان تحارب التشيع وانضمت إلى التحالف العربي لحرب الحوثيين، وفي السودان من الحرية ما لا نظير له في أمريكا، إذ لو كان المعارضون للحكومة السودانية في أمريكا لأوجدت لهم مكارثية جديدة، أو على الأقل فعلت بهم ما فعلت بنعوم شومسكي.

ومن أشنع البدع في السودان بدعة المهدية التي ادعاها محمد بن عبدالله، ولكن المتمهدي أيضاً أصدر مرسوماً يحظر كل الطرق الصوفية في السودان، وأكبر الملاحدة فيها الشيوعيون والجمهوريون وأصحاب وحدة الوجود.

- تركيا:

الترك أمة عظيمة خلقها الله للجهاد وليس للترف، وأصلهم القبائل الوثنية في أواسط آسيا، وقد جاء الترك في السنة بمعنى التتار، وأخبر النبي ﷺ أن المسلمين سوف يقاتلون الترك، ونهى عن استثارتهم وقال: (اتركوا الترك ما تركوكم)، ومعلوم أنه لما مال العرب للترف جعل العباسيون محلهم الفرس، ولما مال الفرس للترف اتخذ المتوكل الترك، وقد تحدث الجاحظ عن فروسيتهم وشجاعتهم.

ولهم اليوم امتداد لغوي وبشري هائل في تركستان وتركمانستان وخراسان وغيرها، وليسوا محصورين فيما نسميه اليوم الدولة التركية فقط.

وكان منهم السلاجقة الذين هزموا الروم في معركة (ملاذكيرد).

ومن السلاجقة كان السلاطين العظام مثل السلطان نور الجين محمود الذي أرسل صلاح الدين وعمه للقضاء على العبيديين، وكان منهم الظاهر بيبرس وقطز.

والأتراك سنة أحنف.

وفي تركيا اليوم صحوة إسلامية عظيمة ومحبة للقرآن والنبي ﷺ، وتلقى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ومدرسته رواجا كبيرا وأنصارا هذه الأيام، لا سيما وهو من مواليد حران التركية، ولا يخلو مجتمع الأتراك من بدع وجهل ويحتاجون مزيدا من الجهود في الدعوة إلى الله، وهم الآن يكرهون الصليبيين الأوربيين، ونرجو أن يعودوا إلى دينهم وجهادهم.

وأعظم أمجاد الأتراك أن (السلطان محمد) فتح القسطنطينية بعد أن عجز عن ذلك كثيرون قبله، فتم عليه الحديث الذي رواه الإمام أحمد والحاكم وغيرهما "لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش"، وأن السلاطين كانوا يقودون الجيوش بأنفسهم، وأنهم حولوا المعركة من حلب إلى فينا، والناس عند الأتراك قسمان (مؤمن وكافر) كما في القرآن، وليس كما عندنا هنا "مواطن وأجنبي" بل "الأجنبي" عندهم هو الكافر،

وفيها مشروعات تنموية هائلة واقتصادها تضاعف مرات، والأسلحة تركية الصنع، وقد جاءني بعض الإخوة الأمريكان وقالوا: الآن فرص العمل في أمريكا قليلة ولكننا سوف نسافر إلى تركيا.

والأتراك هم الشعب الإسلامي الوحيد الذي استطاع أن يقف من أمريكا موقف الند، وينتقد أوباما علانية، وينتقدون إسرائيل، وهم يملأون المسجد الأقصى ويغيثون أهل فلسطين، وخوفا من مواجهتهم أعلن ترامب انسحابه من سوريا.

ولهم فضل في نشر العقيدة السلفية وكان من ينكر التصوف والشركيات والبدع قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومن هؤلاء الشيخ (بركلي) صاحب كتاب (الطريقة المحمدية) وهو أستاذ الشيخ (قاضي زاده) الذي كان أحد قادة الجيش العثماني المحاصر لفينا.

وقد طبعت وزارة الشؤون الإسلامية في السعودية كتاب الشيخ البركلي عن زيارة القبور.

وليس للأتراك قبل الإسلام حضارة جاهلية كالبابليين والفراعنة، وإنما فخرهم الوحيد بالحضارة الإسلامية، وبالإسلام وحده تحولوا من قبائل بدوية مغمورة في أواسط آسيا إلى أقوى قوة في الأرض، يرتجف أباطرة الغرب عند ذكرها، ولما طعن الصفويون العثمانيين من الخلف واضطروهم لإنقاذ العراق، فعلوا ذلك وأحاطوا بغداد ببلدات سنيه تسمى حزام بغداد، ومن الأتراك أئمة كثيرون في الجهاد والعلم منهم الإمام الشهير عبدالله بن المبارك والذهبي وفيها في (حرّان) ولد شيخ الإسلام ابن تيمية، وحران اليوم تقع في محافظة أورفة، وكان أمير الشعراء أحمد شوقي يفخر بأن فيه عرقاً تركياً، وكاد الأتراك أن يسطروا على كل أوروبا، وشرفهم الله أن الله فتح على أيديهم مدينة هرقل كما سبق (القسطنطينية) التي حولوا اسمها إلى إسلام بول.

ولا يزال الغرب يحقد عليهم ويبث فيهم روح الفرقة يقول نعوم شومسكي: "النموذج التركي لم يعد مرحباً به في الغرب وسارت أمريكا في

حيرة من هذا التجربة"، والغرب يقرض اليونان ويساعدها جهرا وسرا لحرب تركيا مع أنه لما كان الأتراك متمسكين بالإسلام لم تكن اليونان إلا ولاية عثمانية.

كما أن شيخ دونالد ترامب المدعو "ستيف بتنون" قال: أخطر شيء على أمريكا هو تركيا، وقد أفتت هيئة كبار العلماء في السعودية أن الأتراك إخوة لنا في الدين، وهم رسميا يتجنبون الإساءة للسعودية مهما فعلت، وقد عبر "جون فيفر" عن خوف أمريكا من تركيا.

وأنا لا أعتقد أن تركيا هي القوه الثانية في (حلف الناتو) كما يقولون، ولا أنها الجيش الرابع في العالم ولا أنها زعيمة العالم الإسلامي في مواجهة الهيمنة الأمريكية فقط، بل أن الجيش التركي إذا قوي إيمانه يغلب كلّ الجيوش الأخرى وقد قال الله تعالى: ﴿فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُواْ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓاْ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال:٦٦].

فإذا أضفت إلى ذلك هلع اليهود وضعف الجيش الأمريكي حاليا علمت أن المستقبل الذي ينتظر الاتراك أعظم مما يتوقعون

ومما يؤهل الأتراك إلى قيادة العالم أنهم ليس لهم حضارة جاهلية، والذي أظهر الله به الأتراك إنما هو الإسلام، وإنما يعرف قدر الأتراك وشجاعتهم أهل جزيرة العرب الذين يسمون أبناءهم وبناهم تركي وتركية تيمناً.

والأتراك هم الأمة الوحيدة التي استطاعت دخول صنعاء، وهم يحبون العرب كثيرا ومن أمثلة ذلك القريبة أنه لما كان مؤتمر الدول العشرين في انطاليا أراد أوباما أن يتقدم فدفعه أردوغان بيده، وقدم عليه الملك سلمان.

وربما كان أقوى والٍ حكم جزيرة العرب منذ القرون الإسلامية الأولى هو حيد باشا العثماني.

وما لدى الأتراك من بدع وأخطاء إنما يصححها أهل الدين وليس العلمانيون، على أن عهد الحريم العثماني مهما افتروا عليه وأطنبوا في مساوئه

خير من الدياثة الغربية، ولو أن الأتراك جعلوا العربية هي لغة الشعب لضيقوا الخناق على العلمانيين والقوميين العرب، وكانوا أكثر تقدماً.

ولله الحكمة البالغة وينصر دينه بمن شاء، فلما تولى عنه السيسي جاء الله بالأتراك.

ولا ريب أن محمد الفاتح بل السلطان عبد الحميد الثاني خير من كمال أتاتورك وأن أردوغان أذكى من ترامب، وأن الغرب أرتكب أخطاء فادحة حين عامل الأتراك من منطلق العناد والتحدي وإذا استمر الأتراك في الصعود واستمر الغرب في الهبوط فسوف تتحول تركيا من قوة إقليمية إلى قوة عالمية، بل إذا رجعت للإسلام كاملا ستكون كما كان أقوى قوة في الأرض وإن نجح العلمانيون لا قدر الله، فإن الله غني عنها وسوف يستبدل بها قوما غيرها ممن يشاء.

وقد بلغ التأثير الإسلامي العظيم، الشعوب الوثنية المحيطة بتركيا، مثل شعوب القوقاز (قفقاسيا) فكان منها عظماء أمريكا وروسيا مثل (روزفلت) و(ستالين).

وتاريخ الدول الغربية حافل بالصراع مع الاتراك بل بالخضوع والعبودية لهم.

ولا يزال الغرب يحقد على الترك ويبث فيهم روح الفرقة باسم القومية الطورانية أو القومية الكردية أو القومية العربية.

ونذكر بإيجاب الإيجابيات والمؤهلات التي لتركيا:

١. التطور الكبير والوثبة الاقتصادية، إذ ارتفع دخل المواطن التركي حوالي ثلاثة أضعاف غير الفائض الكبير في الميزانية.

٢. الموقع الاستراتيجي بين ثلاث قارات.

٣. العمق التاريخي الممتد إلى القرن الثالث الهجري وكونها موطن الخلافة الأخير.

٤. العمق البشري اللغوي في آسيا وأوربا.

٥. التراجع الأمريكي الملحوظ، ليس اجتماعيا فقط بل عسكريا، وليس عند العرب فقط، بل هزمهم الأفغان مع أن حلف الناتو يحارب مع أمريكا، بل بعض العرب أيضا، ولكن البنادق القديمة عند الأفغان هزمت أم القنابل الأمريكية، وقد مضى حتى الآن بضعة عشر عاما والقوات الأمريكية في هزائم متتالية.

٦. الهزيمة الروسية القريبة على يد أبطال الشام مع الهرم السكاني الأرثوذكسي في روسيا، وانتشار الإسلام فيها.

٧. الإفلاس الأوروبي الوشيك أخلاقيا واقتصاديا وعسكريا.

٨. حرية السياسة والرأي، فهي لا تتبع أي دولة في الشرق والغرب، ومع أنها عضو في حلف الناتو تتجه إلى الشرق بحرّية واستقلال.

٩. وقوفها مع القضايا الإسلامية في كل مكان، ومساندة الكتلة الهائلة من أهل السنة لها لا سيما الشعوب بل إن المسلمين في فرنسا وبريطانيا وأمريكا وفي كل الغرب معها.

١٠. التغيير الذي لا بد منه في الوضع الدولي وفي هيئة الأمم ومجلس الأمن.

١١. القوة والشجاعة والأنفة التي يتميز بها الأتراك وقد ظهر جانب من ذلك في الاجماع التركي على قضيتي السفينة (مرمرة) والانقلاب الفاشل.

١٢. تكذيبهم الأساطير الإسرائيلية ويرون الحق مع المجاهدين الفلسطينيين.

١٣. انتشار الصحوة الإسلامية في كل مكان، وتعليق الآمال على تركيا.

١٤. ظهور زيف الشعارات الغربية عن حقوق الإنسان والعدل والوفاء وما يسمى القانون الدولي.

١٥. تركيا تهدد من شاءت وتحاربه منفردة مثل داعش وحزب العمال بل تحذر أمريكا.

١٦. الناس عند الأتراك مؤمن وكافر وهكذا نص القرآن وعمل المسلمون طوال التاريخ وليسوا مواطن وأجنبي كما هو الحال عندنا.

وعلى أية حال لا تجد من يخالف من الباحثين بأن العدوان السوفيتي على أفغانستان كان سببا في تفكك الاتحاد السوفيتي وانهياره، وأظن أن العدوان الأمريكي على العراق والتراجع الأمريكي الحالي، والتفكك الاجتماعي فيها والعنصرية والمظاهرات وإطلاق النار في كل ولاية أمريكية تقريبا،وسيؤدي -والله أعلم- إلى تفكك أمريكا على أنه ليس شرطا أن تتفكك كتفكك الاتحاد السوفيتي، ولكن لابد أن تتفكك ولو بصورة أخرى، الأمر الذي يمهد في صعود الإسلام وعودة تركيا قوة عالمية وما ذلك على الله بعزيز.

وقد أسهم الغرب دون قصد منه في عودة الأتراك للإسلام حين جاءهم من باب العناد والتحدي، وجعل البابا يستقبل قادته، وأيد الأحزاب اليمينية فيه، وناصر حزب العمال وسمّى الحوادث التفجيرية "الارهاب الإسلامي".

وأخيرا أنصح الإخوة في تركيا بالتمسك بالكتاب والسنة، وأن يكون معيارهم الإسلام وليس القومية فإن المجرم "مصطفى كمال" الذي يتلقب "أتاتورك" ليس من أصل تركي وإنما هو بلغاري وقد قال المؤرخ الغربي "واطسن": "إنه ليس بين الأعضاء المؤسسين لجمعية الاتحاد والترقي واحد من أصل تركي صافٍ".

كما أنصحهم ألا يكون التقدم الاقتصادي والتنموي هو همهم الوحيد، فأهم منه التقدم العقدي الذي لا يكون إلا بالتوحيد. وإن كان الناس لا يقبلون الحق إلا ممزوجا بشيء من الدنيا الأمر الذي عبر عنه المجدد الأول عمر بن عبدالعزيز.

وبعض الناس هداهم الله يكلّفون الحكومة التركية بما ليس في وسعها ويلزمونها بإقامة الدين دفعة واحدة، ناسين المخالفين لها من الأتراك أنفسهم، وناسين سنة التدرج وسنة تخفيف الشر والعمل على تخفيف منابع الفساد، قال ابن تيمية رحمه الله في ج ٢٠ من مجموع الفتاوى: "ومعلوم أن الرسول لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، ولم تأت الشريعة جملة... فكذلك

المجدد لدينه والمحيي لسنته لا يبلّغ إلا ما أمكن علمه والعمل به، كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقن جميع شرائعه ويؤمر بها كلها، وكذلك التائب من الذنوب؛ والمتعلم والمسترشد لا يمكن في أول الأمر أن يؤمر بجميع الدين ويذكر له جميع العلم فإنه لا يطيق ذلك، وإذا لم يطقه لم يكن واجبا عليه في هذه الحال، وإذا لم يكن واجبا لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان، كما عفا الرسول عما عفا عنه إلى وقت بيانه، ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط. فتدبر هذا الأصل فإنه نافع" أ.هـ.

ولا شك عند أي عاقل أن تركيا الآن انتقلت من الكفر ألإجباري الذي فرضه أتاتورك إلى الحرية الدينية، وهذه خطوة على الطريق، وستكون تركيا أكثر حرية بعد انتهاء معاهدة لوزان سنة ٢٠٢٣.

وإنما العبرة بالنية وعمل القلب فليت القوم يدعون الأتراك لذلك، ولصلاح النية وقوة الإيمان وقد عدّ النبي ﷺ النجاشي مؤمنا مع أنه لم يستطع أن يقيم الدين كله وصلى عليه النبي ﷺ لما مات، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، وقد التحق النبي الكريم ﷺ بالرفيق الأعلى دون أن يعيد بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام أو يخرج الكفار من جزيرة العرب، فالمصالح والإمكان لهما اعتبارهما في الإسلام.

وحسب الأتراك في هذه المرحلة أن ينقلوا الشعب من عصر الانقلابات العسكرية إلى عصر الاستقرار.

وللأتراك مشروعات تدل على عبقريتهم في المدينتين المقدستين مكة والمدينة، كما أن في تركيا تقدما كبيرا في البحث العلمي والتجارب العلمية، وفي جيشها قوة حيث يقول الغرب نفسه إن تركيا ثاني دولة في حلف الناتو من حيث القوة العسكرية، ولديها رابع جيش في العالم.

وكل من القوتين الكبيرتين في العالم "روسيا وأمريكا" يخطب ودها، ويرتعد منها الروافض في إيران، وإن اتفقوا في بعض القضايا، وخير من الرافضة في إيران من كان من أصل تركي مثل ملالي خراسان، والسياسة الحكيمة تقتضي التقرب من الأتراك كي يخاطبوا هؤلاء.

والغرب مهما جامل الأتراك ظاهرا فإنه يعيش دائما عقدة "فينا"، والويل ثم الويل لمن يعاند الأتراك ويريد أن يفرض عليهم رأيه بالقوة كما يفعل الاتحاد الأوروبي وأمريكا، وانظر كيف عجز الغرب ومعه بعض الدول العربية عن إنزال الهزيمة بالإمارة الإسلامية في أفغانستان "طالبان"، مع فقرها وتأخرها صناعيا، فما ظنك بدولة مثل تركيا، وما ظنك لو وقف المسلمون كلهم مع الترك؟ لا سيما بعد انتشار موجة الإسلاموفوبيا في الغرب بعد أن كشرت الحركات الكتابية عن وجهها القبيح، واجتمع الاتحاد الأوربي في الذكرى الستين لتأسيسه في الفاتيكان، واحتفل بتلك الذكرى بحضور البابا وهو يقول لتركيا بلسان الحال ما قالته "انجيلا ميركل" من قبل بلسان المقال: "الأتراك مسلمون ونحن مسيحيون".

وهكذا جعلوا البابا "فرنسيس" مكان البابا "أوربان"، وجعلوا أولاند مكان أرناط!!

ومما يدل على صليبيتهم وشدة تعصبهم أنهم لا يرضون أحدا أن يمس رمز ديمقراطيتهم "البرلمان" ويرميه كما فعل انقلابيو تركيا الفاشل، فأين الديمقراطية الغربية، إن كانوا صادقين، ويقولون إنما فاز حزب العدالة التركي في الاستفتاء بأغلبية ضئيلة!! على أن من صوت لجانب حزب العدالة في الاستفتاء أكثر ممن صوَّت لخروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي!

والأوربيون يغضبون جدا حين يصفهم أردوغان بالنازية، مع أنه لم يكن مبالغا حين وصف هولندا مثلا بذلك.

فلهولندا تاريخ طويل في محاربة المخالفين والعمل كأعمال هتلر وأذكر لذلك مثالين من حال اليهود فيها:

١- لما هرب إليها الفيلسوف اليهودي "سبينوزا" من الأندلس حكم خاخامات اليهود الهولنديين عليه بالحرمان والردة.

٢- لما قتل "هتلر" اليهود في ألمانيا قتل الهولنديون اليهود في هولندا وهكذا، فماذا نتوقع أن يفعلوا بالمسلمين؟

والأتراك ذوو همة عاليه فلا يرضيهم أي مطار أو أي نفق أو أي اقتصاد، بل يريدون أن يتبوأوا المركز الأول عالميا في ذلك كله.

والعجيب أن الصحف السعودية تهاجم أردوغان كالحياة والشرق الأوسط، وتقول إنه ضد الصحفيين أو ضد جماعة فلان؟ فهذه في الحقيقة ليست صحافة وطنية فضلا من أن تكون إسلامية، وهذا الكلام إنما هو صدى للإعلام الغربي الذي يصف أردوغان بأنه ديكتاتور!

وإنما يزول العجب حين تعلم أن عكاظ والشرق الأوسط تسمي الروهينجيا (المتمردين) وتصفهم بأنهم أقلية بنغالية.

والحمدالله الذي أرغم أنوف الكافرين وأذنابهم ففشل الانقلاب وزار ولي العهد تركيا وفرح بذلك الشعب وبعض القبائل ذكر ذلك في العرضة.

والمسجد الأقصى عند الأتراك خط أحمر ولم نسمع مثل ذلك عن أهل التوحيد!!

والأتراك لا يزالون في أول الطريق بعد، غير أن المؤمن منهم أصدق وأبر من هؤلاء الغربيين الذين نستقدمهم ونعطيهم الرواتب الضخمة ونحيط مساكنهم بالموانع الصلبة ونحرسهم ونتبع توصياتهم، وقد بدت البغضاء من أفواههم ويحتقروننا هنا أو في بلادهم.

فمن الذي يقرب العدو ويبعد الصديق؟ ومن الذي يطعم الكلاب ويترك الذئاب؟

وهؤلاء الغربيون احترفوا الكذب، وقد زعموا أن المياه الجوفية في الرياض تكفي المدينة لمدة ١٢٠ مليون سنة!

وأهل بلدهم أعرف بغشهم وكذبهم فانظر مثلا إلى الشركات الغربية التي تعمل في ينبع وقارنها بمثيلاتها العاملات في جدة، ثم انظر إلى ما ينفذه هؤلاء وهؤلاء لترى الفرق بينهم.

وانظر مثلا إلى ما فعلته السيول بمدينة جدة دون أن تفعل ذلك بالهيئة الملكية في ينبع.

- البربر:

وهم ينتسبون إلى مازع بن حمير، وهم عرب يمانيون، ولا تزال سحنتهم وطباعهم عربية ولا يشبهون الروم في شيء، وكان منهم صالحون وقادة وعلماء في التاريخ الإسلامي مثل العالم عكرمة مولى ابن عباس والفاتح طارق بن زياد والشاعر الواعظ سابق والرحالة المشهور ابن بطوطة والعالم الشيخ عبدالحميد بن باديس صاحب قول (شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب)، ومنهم كان أكثر المسلمين في الأندلس وأكثر عناصر الجيش الإسلامي، وهم شعب متدين أصيل وليس له لغة خاصة به بل لكل قبيلة لهجة تخصها، وتجمع اللغة العربية بينهم، ولما حاول بعض المتعصبين أن يضع لهم لغة لم يجد سوى ٣ آلاف كلمة أكثرها فرنسي، وكل علمائهم وقرائهم يقرؤون القرآن أو يحفظونه.

وقد قال الأستاذ المصمودي وهو وزير تونسي سابق: الإسلام العظيم يوحدنا.

- القصيم:

من أكثر مجتمعات العرب تديناً منطقة القصيم، وقد عرفت ذلك الحكومة، وأنا لما ركبت الطائرة من الرياض إلى بريدة لم يكن فيها خادمات جويات في ذلك الحين. ومشكلتهم أنه يغلب على بعضهم الغفلة والسذاجة وترك الإنكار على فاعل المنكر الأكبر، وكثرة تشقيق المسائل الذي يؤدي بهم إلى الإغراق في الفروع مع إهمال الأصول وتركيزهم على البدع الموروثة

دون أخواتها المعاصرة، ولكن منهم من أعذر إلى الله وجاهد بقدر استطاعته، منهم الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله: الذي رد على مجلة القصيم وعلى نظام العمل والعمال، وكان رحمه الله متبحراً في الفقه لا سيما الحنبلي، وقدم إلى مكة وأخبرتنا عن أحواله عجوز جارة لنا في العوالي كانت خادمة في منزله مع مجالستي له كثيرا في مكة والطائف، وهو حاد الذكاء والحافظة لا يخدعه أحد، وقد طلبت منه الحكومة استقدام قضاة من مصر لما كان رئيسا لمجلس القضاء فرفض، وكانت وفاته ثلمه عظيمة لا تسد.

وفي هذا العصر طلع علينا الأستاذ تركي الحمد البريداوي العقيلي برواياته ومقالاته التي منها (العدامه وشرق الوادي والكراديب) وغيرها، وقد سجنوه بتهمة أنه بعثي سنتين على أن قوله المشهور أنه حان الوقت لتصحيح عقيدة محمد بن عبدالله أخطر من كونه بعثيا، ولو أنه قال ذلك عن عقيدة ميشيل عفلق لكان صحيحا و لم ينكر عليه أحد.

كما طلع علينا بعض الحداثيين اللبراليين هداهم الله، غير أن كل من خالف الإسلام مقموع مرذول في تلك البيئة المتدينة، ولولا أن بعض الناس يوليهم ويقف وراءهم لكانوا أقل تأثير وأكثر خذلاناً، وأنصح الأخوة في القصيم بالرفق والدعوة إلى الله كما أمر الله، ويعلموا أن الناس مع أن فيهم الضال والمفتري والملحد، فيهم أيضاً الغافل والناسي والجاهل والمكره ومن يكتم إيمانه بسبب ما، وليكن طريق الدعاة عامة هو الصبر، كما قال رسل الله لأقوامهم: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا﴾ [إبراهيم:١٢]، وكذلك التدرج في الخير، وتقديم الأهم على المهم والاشتغال بالأصول قبل الفروع وبالكليات قبل الجزئيات.

وإنما كره بعض الناس التدين كلّه لما صادروا شماغه، أولما جلدته الهيئة، وهؤلاء بعد إلحادهم أصبحوا تجاراً كباراً ووزراء ومستشارين.

ومن القصيم صدرت مجلة القصيم التي رد عليها الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله وظهرت الأفكار المنحرفة كالقومية والناصرية والشيوعية واللادينية،

وكان للشيخ صالح اللحيدان جهد مشكور في مقارعتها من خلال كتبه ومجلته (راية الإسلام) وفيها كثير من دعاة القومية أيام المد القومي المعروف.

- مصر:

يُكن الغرب على مصر حقداً شديدا، فهي التي هزمتهم في موقعة المنصورة وأسرت لويس التاسع، وهي التي دحرت الإنجليز ونابليون أيضاً، وفيها كثافة سكانية كبيرة، وهي التي آوت المقاومين للاستعمار من أمثال مالك بن نبي وعبدالكريم المغربي، حتى النصارى فيها أكثرهم يخالفون الغربيين في المذهب إذ أن أهلها يعقوبية وليسو على مذهب بابا روما، ونبغ منها علماء وشعراء كثيرون وإليها جاء صلاح الدين الأيوبي فقضى على العبيديين المتسمين فاطميين، ولم يبق فيها بيت شيعي، وهي بلد الأزهر ولأهلها مقدرة عقلية فائقة تعتمد عليهم الجامعات الأمريكية ووكالة ناسا الفضائية، ولا تكاد تجد لغة إلا وفي مصر من يجيدها، ولم تظهر دعوه حق أو باطل بين المسلمين إلا وفي مصر من يستجيب لها، ويتميز المصريون بعاطفة دينية قوية يصاحبها تهذيب للنفس وخلق، كما أنهم شعب صابر، ولكنه شديد المراس إذا انفجر، وكم خدعت مرونته من فراعنه وظنوا أنها إقرار.

ولا يخلو بلد خليجي من المصرين أطباء ومهندسين وعمالاً، وفي مصر نهر النيل وهو أكبر من التايمز في بريطانيا، السيمن في فرنسا، وفيها من القطن مالا نظير له في الغرب ولا يطمئن اليهود إليها مهما كانت حكومتها صهيونية، وفي مصر استوطن كثير من العلماء كابن الهيثم وابن حجر والزبيدي، ومن أهل مصر الصعايدة المشهورون بحماية العرض والذب عن الشرف.

حتى أن جمال عبد الناصر المصري الصعيدي على كثرة ضلاله وجرائمه لم تظهر صورة زوجته الإيرانية الأصل ولم يصطحبها معه في أي زيارة،

واستشارته إحدى الفتيات وكانت بمثابة ابنة له هل تعمل في الفن فقال لها: لا، الفن وسخ.

ومن الصعيد ظهر كثير من العباقرة كالعقاد والمنفلوطي وأنور الجندي، وفي مصر نبغ كثير من الأطباء العالميين كالدكتور الظواهري أكبر طبيب في الأمراض الجلدية، وقد نبغ المصريون في كل مجال علمي أو فكري حتى أن بعض الآراء والمذاهب والاتجاهات يؤلف فيها المصريون فيظهر أثرها في الغرب وفي العالم، ومن مصر ظهر كثير من يعترف الغرب بتفوقهم كالأستاذ علي مشرفة الذي يسميه الغربيون (أينشتاين الشرق)، وأحمد زويل، وكانت مصر أسبق من اليابان في استخدام الوسائل الحضارية والاستفادة منها مثل سكك الحديد والبريد، وفي مصر عظماء في اللغة والحديث والتاريخ والفلك والبلاغة، أعرف بعضهم شخصياً، وفيها عملاء للغرب ناعِقون بأفكاره والإعلام السيسي لا يعبّر عن حقيقة مصر وما فيها من الكنوز، وقد أقفل السيسي حوالي عشرين قناة إسلامية وادعى أنها إرهابية، وأنا كنت مغرماً بالبراهين العقلية التي كانت تقدمها قناة الأمة، ورأيت بنفسي كيف تحرص المصريات على الحجاب، حتى أن بعض الكليات في مصر لا يوجد فيها متبرجات.

وقد عمل أهل الكتاب والسيسي ومن معه في نشر العلْمنة والتبرج وتحديد النسل ومعاهد الفنون فيها، ولكن الله من ورائهم محيط.

وبالرغم من محاولات القضاء على الأزهر منذ عهد محمد على باشا تجد فيه علماء يتحدون السيسي ومنهم جبهة علماء الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية وغيرهم، وأمريكا تريد تقسيم مصر إلى خمس دول منها دولة للأقباط، ولكن السيسي وكثير من الأقباط يرفضون ذلك، وأمريكا تستقبل كثيرا من المعارضين الاقباط، وتدفع أمريكا مصر للاقتراض، وبعد انقلاب السيسي هاجر كثير من النخب من مصر إلى أمريكا، وهناك أقاموا المطاعم والمكاتب والعيادات والمقابر، حتى أنهم يكتبون (نحن نتكلم العربية) وهم

يدّرسون الأدب الانجليزي الذي تفوقوا فيه على الأمريكيين وكذلك الادب الفرنسي وغيره، وقد فشلت خطة كرومر وتوقعات نيكسون، وضاعت آمال نتنياهو وعادت مصر إلى الإسلام.

والشعب المصري لديه عاطفة دينية قوية تجعله أهلا لمعرفة الإسلام على حقيقته، وتجعل واجب الدعاة تجاهه كبيرا، ولهذه العاطفة اختاروا محمد مرسي، وبها ظن بعضهم في السيسي خيرا، وبها اعتزل كثير من أهل ما يسمى "الفن" عملهم، وتراها جلية في الحج والعمرة، وفي التعامل مع العدو الصهيوني حيث ظل السفير الصهيوني محبوسا في الدور الثالث عشر، وقامت ضده المظاهرات وتسلق المتظاهرون المبنى، وأحرقوا على إسرائيل، وألقوا بالوثائق التي في السفارة، واضطروا موظفي السفارة لمغادرتها، وظل السفير في تل أبيب شهورا، ولكن الأنظمة العربية كما قال جهاد الخازن ترغم شعوبها على ما يسمى (السلام)!

– إندونيسيا:

اندونيسيا هي أمريكا الإسلام كما يقال، وقد ادعى المنافقون في اندونيسيا وخارجها أن مجتمعها غير إسلامي، وأنها تؤمن بالمبادئ الخمسة التي تشمل كل الديانات والمذاهب، ونحن نقول إن في الشعب كثيراً ممن يجهل الإسلام، ولكنه هو الدين السائد، وقد قاد (أبو الحارث ناسيتون) المجتمعٍ لما ثار على الشيوعية، وحدثني أحد الأخوة أنه ذبح بيده ثلاثين شيوعياً ذبح النعاج، كما أن التنصير فشل فيها، ولما تنصر بعض الجهلاء عرض عليهم المنصر الجائزة التي يريدون، فقالو أعظم جائزة أن نؤدي العمرة، كما أخفقت فيها محاولات التفتيت مع سعي الغرب لذلك، لاسيما بعد أن فصل تيمور الشرقية عنها ومما يؤكد تدينهم في الجملة، أنهم يكرهون اليهود ويحبون القرآن والعربية، وأنهم تكثر فيهم الأحزاب والجمعيات

الإسلامية كحزب ماشومي، وجمعية العلماء، والجمعية المحمدية، وأهم على المذهب الشافعي ويكرهون الإمامية في إيران والزيدية في اليمن.

وإندونيسيا منطقة استوائية غزيرة الأمطار كثيفة الغابات دائمة الخضرة وهي تتقدم صناعيا وتهتم بقضايا المسلمين، ومثلها في ذلك ماليزيا.

وتمتاز إندونيسيا بأن التدين فيها لم يعد عاطفة فقط، بل أصبح عاملا مؤثرا جدا، فانتشرت الكتب والجامعات والمعاهد، وفشل الغرب في زرع الإرهاب فيها، بينما هي باسم الحرب على الإرهاب تتقاضى الأموال الطائلة، وأخوف ما أخاف عليها اليوم هو الخطر الصيني.

- مجتمع رجال الأمن:

ليس صحيحا أن كل من يعمل في الجهات المسماة أمنية يعادي الدين وإنما يجب أن ندعوهم ونبين لهم الحق ونعلمهم ما يجهلون، بل إن بينهم كثير من الخيرين ومن ذلك:

١. أن أحدهم كان يراقبني مستخدما الناظور ومع ذلك يكتب عني أنني من البيت للمسجد وهو كذلك والعجيب أنه كتب ذلك بعد أن سافرت إلى منطقة أخرى.

٢. أعطاني أحدهم ملفه وفيه شهادته وأعماله لكي أتوسط لنقله أو توظيفه في أي قطاع آخر.

٣. عرض بعضهم التعامل معنا مع أنه ضابط.

٤. رأيت مدير الشؤون الأمنية في إحدى المناطق واقفا في حالة رثة بجوار بيتي وكان في ضيافتي الشيخ عبدالعزيز بن باز فأمرت الحارس أن يدخل ذلك المدير وهو من أسرة كريمة معروفة في عسير ، ولست أدري أكان يراقبني أم يراقب الشيخ؟ والمهم أن تقريره كان جيدا إذ ليس لدينا ما نخفيه أصلا.

٥. أحدهم كان مديرا لمكتب بعض الوزراء وبعد أن تكلم الوزير طويلاً انفرد بي وقال في كلامه عكس كلام الوزير وحذرني من تصديقه.

٦. أنكرت على أحد أهل البيت الشريف أن يكون مديراً لتلك الجهة فأمر الضباط كلهم بالخروج، ثم قال لي أنا كنت في الشرطة ثم نقلوني. فقلت له عملك هذا قد يليق بي عياذاً بالله، أما عملك الحقيقي فهو أن تكون مكاني تدعو إلى سنة جدك وهديه في كل شيء.

٧. بعضهم وضعوه لمراقبتي فأصر علي أن أضربه بالحذاء على رأسه فرفضت.

٨. خرج بعض الوافدين وكان مظهره لا يدل على مخبره من البقالة ليلوم من سار خلفي ولاحقني أينما سرت، فقال له المراقب أنا أعرف الشرع، ولكني مجبور، وحلف أنه غير مقتنع بما يفعل.

٩. جاءني مدير سابق للاستخبارات وتبرع بواسطتي لبناء مسجد.

١٠. رأى بعض الناس أن المراقبة اللصيقة لا تجدي وأن الحل في نظره هو السجن. وهذا ما كرهته أول الأمر ثم فتح الله من رحماته وعرفت أناساً لم أكن لأراهم لولا أني سجنت عندهم، وعرفت ما في كثير من موظفي السجن ومن المحققين من الخير، وكانوا يجتمعون لسؤالي عما أشكل عليهم حكمه الشرعي، وذكروا أن بعض الأمور يفعلونها لأن نظام السجن يقتضيها وإلا فهم ضدها.

- إفريقيا القارة المستباحة:

هي قارة بكر فيها كنوز هائلة ومن كنوزها:

١. النفط.
٢. الذهب.
٣. الفضة.
٤. اليورانيوم.
٥. الطاقة الشمسية.
٦. الموارد المائية.

٧.الكاكاو والموز والبن والفاكهة والصمغ العربي والنيم و العنب.

فمن كان يريد الإعطاء لوجه الله فهذا ميدانه، ومن كان يريد الاستثمار فهذا ميدانه أيضا، وهي أقرب إلى جزيرة العرب من أوربا فضلا عن أمريكا، وهم الذين يستأجرون الفنادق والشقق والبيوت إذا جاءوا للحج أو العمرة، وقيمة تأشيراتهم رافد هام للميزانية السعودية، وقيمة تذاكرهم رافد للخطوط السعودية.

وليس فيهم مما يحقره الليبراليون إلا عيب واحد فقط! وهو أن بشرة أغلبهم سوداء، ولكن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحُجُرات:١٣]، ولئن كانت بشرتهم سوداء فإن دولاراتهم بيضاء!

كما أن فيهم من نصَّره الغربيون فجعلوه كاثوليكيا مثلا، فلماذا يكون الكاثوليكي الأشقر مقربا والكاثوليكي الأسود منسيا.

ونقول لمن يعشقون الرياضة واللعب: أليس أبطال القدم والسلة والملاكمة والمصارعة سوداً أو ملونين في الغالب؟ حتى في أمريكا.

ونقول لمن يعشقون الغناء أليس أكثر المغنين في أمريكا سودا؟

والمجتمعات الإفريقية أقرب إلى الفطرة من غيرها، فعماد تلك المجتمعات هو الانتساب القبلي لا التقسيم الاستعماري الذي قطّعهم دولا شتى، وكثير منهم يفخر بانتسابه إلى العرب أو المغرب، بل إن بعضهم ينتسب إلى أهل البيت الشريف وإلى الأنصار، ومنهم أيضا أحفاد المرابطين، وكلهم مالكية يفخرون بالموطأ والتمهيد، وكتب ابن أبي زيد القيرواني ولديهم حب عميق للقرآن واللغة العربية ومكة والمشاعر، ولصعوبة الحديث عن كل دولة إفريقية على انفراد نختار واحدة لتكون نموذجا لغيرها، وليظهر تقصيرنا نحو إخواننا المسلمين ومدى استهانتنا بأقوام ربما كانوا عند الله خيرا منا، وهم قطعا خير من العرب غير المسلمين.

مثال "نيجيريا":

من ميزات المجتمع النيجري:

١. كراهية الشيعة وفضح حزب اللات.
٢. الكثافة السكانية فهي أكثر دول القارة الإفريقية كثافة سكانية.
٣. النفط.
٤. محبة القرآن والسنة واللغة العربية.
٥. محاربة الغلو والتصوف.
٦. الجهاد.
٧. تطبيق الشريعة الإسلامية، لاسيما في الولايات الشمالية.

وهي على أية حال أولى بالإعطاء من تيار الحريري والجيش اللبناني الذي تذهب المليارات المقدمة له إلى حزب اللات، ويهيمن عليه ذلك الحزب الرافضي، كما أن القائد الحالي للجيش اللبناني ليس مسلما (العماد جوزف عون).

ولو استطاعت أمريكا لجعلت نيجيريا عدة دول مثلما اقترحت أن تكون السعودية عدة دول، ولكن الله مخيب سعيها ومحبط كيدها، وسوف يكون مصير أي دويلة فيها كمصير "بيافرا" بإذن الله.

وفي نيجيريا قام الشيخ عثمان بن فودي رحمه الله وحركة أنصار الله، وتحرر كثير من النيجيريين من اغلال التصوف، ولم يبق عليه إلا بعض كبار السن. وأكبر شعوب نيجيريا المسلمة هو شعب الحوصا (الهوسا) ومنه في مكة كثير.

- جماعة الإخوان المسلمين:

كبرى الحركات الإسلامية المعاصرة اليوم هي جماعة الاخوان المسلمون وأثرها في أوربا وأمريكا مشهود، وقد كان ينبغي للأجيال اللاحقة من الإخوان أن تطوّر ما قاله الشيخ حسن البنا رحمه الله، ولكنها مع الأسف حولته إلى عقيدة إرجائية كما في كتاب "دعاة لا قضاة" المنسوب لمأمون

الهضيبي، أو لقحته بمفاهيم أخرى كالديمقراطية مثل ما حدث في الانتخابات المصرية، أو بأفكار قبلية مثل تولية الأكبر سناً، أو قومية كما فعل حسن الترابي في السودان، وحولوا حركة الشيخ حسن البنا من دعوة للتحرر من الأفكار الغربية والعودة إلى القرآن والسنة كما كان رحمه الله إلى حزب معارض له خلفية إسلامية يهدف للسلطة والحكم وكان طبيعيا ألاَّ يقر ذلك كثير من الناس، ومنهم بعض الإخوان وأن ينضم الناس لجماعتي الجهاد والجماعة الإسلامية وغيرهما، وسمعت أن الشيخ عمر التلمساني عاتب الدكتور حسن الترابي رحمهما الله فقال له الترابي: أنا استطعت أن أصل إلى الحكم، وأنت اضطررت للدخول ضمن حزب الوفد لكي تحصل على ١٠% من الأصوات!

والأنكى من ذلك هو الانتكاس إلى الإقرار بالواقع العلماني نفسه كما فعلت حركة النهضة في تونس، أو ضرورة الولاء له كما حدث للإخوان في الأردن.

وسبب ذلك في نظري هو الهروب من تهمة تكفير الحكام والمجتمعات، ووصمة الإرهاب ومحاولة استرضاء الغرب الذي لن يرضى عنا مهما فعلنا.

ووقع الإخوان في نفس الخطأ الذي وقعت فيه بعض دول الخليج، فالإخوان ينسبون كل شيء للمرشد وتلك الدول تنسبه للمؤسس.

وكان الأجدر بالإخوان المسلمين أن يربوا الأتباع على عقيدة أهل السنة والجماعة، وأن يعلموا أن كل من فوق التراب تراب وأن يطوروا الوصايا التي نص عليها الشيخ والتجربة الفذة التي مارسها، لكي تكون عقيدة أهل السنة والجماعة هي العقيدة العامة وإن قل الأتباع، وبهذه العقيدة نرضي الله تعالى أولاً ونتخلص من تهمتي التكفير والإرهاب ثانياً ونكون مهاجمين للغرب لا مدافعين عن الإسلام.

وهنا أشيد بمواقف بعض الإخوان شرقا وغربا الذين عملوا لذلك – جزاهم الله خيرا– ومن الأدلة الواقعية على أن العمل ينبغي أن يكون لله ثم

لعامة الأمة، وليس للتنظيم أن الاستشهاديين في الانتفاضة الثالثة "انتفاضة القدس" يكتب أحدهم في وصيته "أنا لا أنتمي لأي فصيل ولا يحق لأي فصيل أن ينسب عملي إليه".

ومن يقرأ سيرة الشيخ حسن البنا ووصاياه يعلم أنه يريد أن يصنع أساسا يبني عليه من بعده، وهو ما لم يحصل مع الأسف بل جاء بعده من جعل بعض أخطاء الشيخ البنا أو ما لم يقدر عليه منهجا أو قلب حركته رأساً على عقب.

ومن المهم هنا التنبيه على أن الجماعات الإسلامية التي جعلت منهجها هو المقاومة المسلحة، لم تخرج من تحت عباءة الإخوان كما يشاع، فالديمقراطية عندها كفر بيّن، وفي كتبها تصريح بعداوة الإخوان، بل إن بعضها ليغلو فيكفر الإخوان، وبذلك تنطق تحريات المباحث المصرية كما تنطق بحوث المتخصصين في الجماعات ألإسلامية، هكذا قرأت أنا.

– سنة التدرج:

من السنن الاجتماعية سنة التدرج، فالتغير الاجتماعي لا يكون طفرة وإلا كان مصيره الفشل. وأكثر السياسات الاستعمارية نجاحا سياسة الانجليز "سلويت شور" أي "بطيء لكن أكيد"، ولا يشك عاقل أن بلاد الحرمين تتدرج نحو الشر إن لم تكن تسرع فيه، وحالنا دليل على ذلك.

فقد كنا نقول إن الديمقراطية مخالفة للإسلام ثم إننا بدأناها بالانتخابات البلدية التي سوف يعقبها انتخابات على مستوى المنطقة ثم يعقبها انتخابات أعلى منها، ورئاسة تعليم البنات جعلوها أولا تحت إشراف المفتي العام ثم تحت إشراف العلماء ثم تحت إشراف الإداريين وفي النهاية ألغوها إلغاء مطلقا.

وقلصوا صلاحيات الرئاسة العامة للإفتاء شيئا فشيئا ونزعوا منها مراقبة المطبوعات وأخيرا أدمجوها في وزارة الشؤون الإسلامية وجعلوا الوزير

خاضعا لقرارات مجلس الوزراء ونصبوا مفتيا عاما ليس كالشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

وكانت الأنظمة تراعي تدين الأمة وأن الدين هو الذي لا يرده أحد لاسيما فيما يتعلق بالشرف والعرض، ثم صار الحال إلى ما نرى.

وكان نظام كليات الطب هو إنشاء كليتين (كلية طب البنين) و(كلية طب البنات) وابتدأ الأمر بدمجهما في كلية واحدة وإذا سكتنا سوف يضعون مقاعد خاصة للبنات في نفس الفصل ثم يكون الاختلاط التام.

وينبغي أن نعلم أن ما حلّ بغيرنا سوف يحل بنا على يدي هؤلاء المفسدين، فلنعتبر بما جرى في مصر مثلا.

ولنعلم أنهم اليوم يطالبون بأن تعمل المرأة وسوف يطالبون بإلغاء قوامة الرجل عليها أو يجعلون من حقها أن تسافر بلا محرم وأن ترث كالرجل.

وجعْل الجهة الإدارية واحدة لتعليم البنين والبنات خطوة نحو جعل الفصل واحدا.

أما الشورى وأخذ رأي المرأة فلا أظن أحدا اليوم يجادل في أنه يمكن للمرأة أن تبدي رأيها وهي في بيتها.

ولما أنكر الشيخ سعد الشثري الاختلاط في احدى الجامعات فصلوه من هيئة كبار العلماء وبعد سنوات أعادوه لما شعروا أنهم استعجلوا على أن العبرة من فصله بقيت لاسيما لبقية أعضاء الهيئة.

ومن اتباع سياسية (بطيء ولكنه أكيد) أنهم يضعون شروطا أو قيودا تظل كلها حبرا على ورق والله أعلم كيف سيفعلون. وعلى ذلك أمثلة واقعية كثيرة، منها:

١. لم تكن المرأة تظهر مطلقا ثم ظهر كفاها ثم ظهر وجهها ثم ظهر شعرها لاسيما إذا كانت مراسلة وأول ما ظهر شيء منها كانت أجنبية كما يقال ثم أصبح التبرج سعوديا.

٢. كان بعض النساء العلمانيات يحلمن بقيادة السيارة كما يفعلن في أمريكا، ولكن الحنكة والرشد كانا أعلى منهن فأصبحن أولا عضوات في مجلس الشورى، قبل أن يتدرج بهن الأمر إلى قيادة السيارات.

٣. كانت "المصور" و"آخر ساعة" و"الشبكة" وما لا يحصى تدخل دون حسيب ولا رقيب وإنما الحسيب والرقيب هذه الأيام على "المجتمع" و"البيان" وأي مجلة إسلامية أخرى بأي لغة، وأصبح المنع من دخول البلاد أو من الطباعة خاصا بما يكتب فلان وفلان من الدعاة إلى الله، حتى أنني عندما ألفت كتيب "المعجم الوجيز" الذي ليس فيه تعرض لما يجري الآن، قالت إدارة المطبوعات ليس في الكتاب مشكلة، وإنما المشكلة في اسم المؤلف فهو ضمن الأسماء الممنوعة مطلقا، فمتى أصبح التعامل بحسب الأسماء لا بحسب المضامين؟

٤. تطور الأمر من القول بأن ما فعله اليهود هو اعتداء على المسجد الأقصى والمقدسات الإسلامية، إلى أن يقال منفذ الاعتداء (مهند العقبي) من النقب، أي أن الانتفاضة هي الاعتداء، وأن إسرائيل لها الحق في أن تفعل بالمسجد الأقصى ما تشاء، وهذا ما يستنكره كل الفلسطينيين، حتى السلطة تستنكر ذلك ظاهرا على الأقل، ولا نذكر اقتحامات اليهود المسجد الأقصى وكأن أمره لا يعنينا بشيء، وسياستنا التي تقول إنها ثابتة هي الحل الشامل العادل لقضية ما نسميه "الشرق الأوسط"، وأن ترجع إسرائيل إلى حدود ٦٧.

٥. كان في المملكة فروع قليلة للبنوك الأجنبية ثم كثرت البنوك الأجنبية وكثر الربا وأصبحت البنوك في كل مكان تقريبا، وفي النهاية سيطر على المال كله طبقة واحدة محتكرة.

٦. كان المستغربون يضعون التقويم الميلادي على استحياء مع الهجري وكانت الميزانية في رجب ثم آل الأمر إلى أن يكون التقويم الغربي

الجريجوري هو التقويم المستعمل في كل مكان وأن تكون الميزانية والرواتب بحسبه.

٧. كانت التقاويم تضع التوقيت الغروبي مع التوقيت الزوالي وترمز لهما بحرفي (ز) و(غ)، أما الآن فلم يعودوا يذكرون الغروبي مطلقا، وإذا استمر السكوت فسوف يلغون التقويم الهجري نهائيا. مع أن الانجليز والأمريكان لم يفرطوا في الميل والقدم، والإسرائيليون لم يفرطوا في الشاقل.

وبالفعل صدرت هنا صحف لا ذكر فيها للتقويم الهجري مطلقا كصحيفة "المواطن" الاليكترونية.

٨. لم يكن في شيء من الطرق أو الأراضي أملاك فلان، أما اليوم فأصبح من حق فلان أن يبني سورا أو شبكا يبلغ طوله ما يشاء وأن يكتب على أي قصر (قصر فلان) وأن يشارك من يشاء، وأنا رأيت أرضا طلوها ٢١ كيلومترا مكتوب عليها (أملاك فلان) ابتداء من مكة.

٩. كان للقضاء مجلس قضاء مستقل عن وزارة العدل التي كانت أول أمرها رمزية، ثم أصبح القضاء كله تابعا لوزارة العدل وأصبح وزير العدل خاضعا لقرارات مجلس الوزراء، وما حدث للقضاة حدث للعلماء أعظم منه، فبعد أن كانوا يشاركون في اختيار الملوك أصبحوا مجرد موظفين، والواحد منهم يُفصل من هيئة كبار العلماء مهما مدح، ومهما كانت مترلته بمجرد اعتراضه على أمر واحد مما تفعله السلطة التنفيذية، وبعد أن كان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله ينصح الملوك والإدارات ويكاتب الوزراء والسفراء أصبح الحال كما هو معروف.

١٠. كانت السياسة الرسمية تدعو إلى التضامن الإسلامي فاختفى ذلك وأصبحت اليوم دعوة للتعاون الخليجي.

١١. كان يتولى بعض المناطق أمراء من عائلات شعبية مثل الماضي والسديري وبن زعير، فأصبح أمراء المناطق اليوم من عائلة واحدة فقط.
١٢. كانت البلاد تهتز لجريمة قتل واحدة في السنة فأصبح القتل الآن يقع كل يوم تقريبا، ولا تستطيع أن تتابع عمل الشرطة والدوريات ليلة واحدة فقط وفي مدينة واحدة فقط، ولو ذكرنا كل ما نعلم من ذلك أو سألنا عما لا نعلم لطال بنا المقام جدا.
١٣. كان في المملكة كلها ناد رياضي واحد ثم أصبحت الأندية في كل قرية تقريبا، وتحصل الأندية على معونات مجانية من الدولة وتشجيع دائم منها سياسيا وماديا واجتماعيا وإعلاميا بل أصبح لدينا إعلام رياضي متخصص، وليس المنكر هو التريض وإنما المنكر هو الإلهاء والمبالغة.
١٤. كانت هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تفتش المسافرين في المطارات ثم أصبحت اليوم تابعة للسلطة التنفيذية.
١٥. كانت مكافحة المخدرات إدارة صغيرة في وزارة الداخلية أو مكتبا ثم انتشرت المخدرات في كل مكان.
١٦. لم يكن في المملكة شركة واحدة للتأمين بينما نرى اليوم للتأمين شركات كثيرة وبدون أي ضوابط شرعية.
١٧. لم يكن في المملكة من يتجرأ على الحكم بغير الكتاب والسنة ولا قضاة غير مسلمين أما اليوم فأصبح لدينا كليات للقانون ومحامون ومستشارون قانونيون، بل محاميات ومستشارات وإذا استمر السكوت فمن الطبيعي تعيين قاضيات، كما أصبح بعض القضاة غير مسلم لكنه يحكم ويقضي إذ هو "خبير دولي".
١٨. كان الشيخ بن باز يرأس الجامعة الإسلامية ثم تولاها من لا صلة له بالعلم الشرعي مطلقا.

١٩. كان رؤساء الأقسام في الجامعات ينتخبون وكذا العمداء ثم أصبحنا عل الحال المعلوم، ولم يعد هناك شيء مما يسمى (ديمقراطية) إلا الانتخابات التي أحدثوا لأمر ما.

٢٠. كان أي مواطن يحمل السلاح أينما شاء ثم أصدرت وزارة الداخلية أمرا بتجميعه وحظر حمله.

٢١. كان من حق أي إنسان أن يعظ ، ومن حق أي قرية أو هجرة أن تصلي صلاة الاستسقاء، أما اليوم فلا بد للواعظ من ترخيص، والمملكة كلها تصلي صلاة واحدة للاستسقاء تبعا لما تقرره الأرصاد.

وقد أدرك المجرمون بدراساتهم النفسية والاجتماعية سنة التدرج، فسمحوا أولا أن تكون الأحوال الشخصية تابعة لأحكام الشريعة، ثم هم اليوم يتجرأون على كل شيء ويريدون إلغاء هذه الأحكام وأن تكون الأحوال الشخصية تابعة للقوانين الوضعية، وإذا استمر السكوت -معاذ الله- فسوف يبيحون عمل قوم لوط في بلاد الإسلام كما أباحوه في أمريكا، وسوف يهلك كل من في سفينة المجتمع، وليس الرُّبّان وحده، أو من يغرق السفينة وحده.

- بقايا الدين في المجتمعات العربية:

أخبر النبي ﷺ أن الدين سوف تنقض عراة عروة عروة، وأن الناس كلما نقضت عروة تشبثوا بما بقي، والمجتمعات العربية متدينة بفطرها، وعندما هجمت الحضارة الغربية بإلحادها وعلمانيتها لم يكن المسلمون غير متدينين ولكن كان لديهم انحرافات خطيرة وبدع كثيرة وخرافات موروثة، يظهر ذلك في انحسار مفهوم الإسلام إلى حد أن كلمة الشهادة نفسها أصبحت عند كثير من المسلمين ضيقة المدلول.

وكان للتراكمات الصوفية والإرجائية والكلامية والمذهبية طوال القرون أثرها البالغ في ذلك، وأصبحت قراءة القرآن الكريم لمجرد البركة في كثير من

البلاد، فضلا عن قراءة صحيح البخاري، وغيره من السنن، وكان الجهل هو الغالب على أكثر البيئات، ومع هذه العوامل الانحرافية كان للعاطفة الدينية سطوتها ولشعائر الإسلام قيمتها ولم يكن باستطاعة أحد أن يجاهر بالإفطار في رمضان مثلا أو بأنه لن يحج، وإنما كان كل إنسان ينظر للدين من زاوية ثقافته وميوله الشخصية وبهذه البقايا اندفع الناس لجهاد المستعمرين، وعلى هذه العاطفة الدينية القوية اعتمدت الزعامات والأحزاب والأفكار التي جنحت أخيرا إلى العلمانية الصريحة أو ما يسميه بعضهم (اللائكية)، خذ مثلا الزعامات العربية واحدة واحدة:

١- فمثلا مصر: كان الضباط الأحرار يرتكزون دائما على أن لهم ماض من التعاون والتفاهم مع الاخوان المسلمين بل كان فيهم من هو ملتزم بالفرائض، وكل المصريين يحبون مكة والكعبة وللحج عندهم منزلة عظيمة، وإنما مرر أنور الساداتي شعار "لا دين في السياسية ولا سياسة في الدين" تحت الشعار الآخر "الرئيس المؤمن" وكان كل رئيس يحرص أن يضع أول اسمه محمد.

٢- الجزائر: كان الزعيم الاشتراكي (هواري بومدين) دارسا للشريعة.

٣- المغرب: حكم باسم الدين السلالة المعروفة، وكان الملك ولا يزال يسمى (أمير المؤمنين).

٤- بلاد الشام: حكمها البعثيون مستغلين جهل الناس بحقيقة الدين، وكان ميشيل عفلق النصراني يعتبر الرسول ﷺ زعيما خالدا ويعد الإسلام وثبة عربية.

٥- العراق: كانت كالشام وهي التي آوت ميشيل عفلق أخيرا، وكانت أسرة آل عارف مثلا أقرب إلى التدين.

٦- الأردن: حكمها الأشراف باسم أنهم من أهل البيت، وأكثر الشعب فيها قبلي لديه بقايا عادات إسلامية أصيلة مثل حفظ الشرف وحماية العرض.

٧- اليمن الشمالي: كان يحكمها الأئمة ثم القضاة وللشافعية فيها تأثير كبير، حتى الذين ثاروا على حكم الامام كان زعماؤهم أهل دين كالشيخ الزبيري مثلا.

٨- اليمن الجنوبي: كان للتصوف فيها الكلمة الأولى. وكان كثير من رؤسائها صوفية في الأصل، فمثلا الرئيس سالم ربيع علي المشهور بسالمين من أسرة متدينة وخريجي (المعلامة) وهي الكتاتيب التي كان عمادها حفظ القرآن، وكذلك الشيوعي عبد الفتاح إسماعيل.

٩- تونس: كان بورقبية يدعي رتبة الاجتهاد، وناقشني بعض أتباعه وقالوا إنه بحكم اجتهاده أمر ألا يصوم العمال رمضان وحظر تعدد الزوجات، ولما تولى بن علي استمال كثيرا من شيوخ الزيتونة وعلماء تونس.

١٠- المملكة العربية السعودية: لا يخفى ما للدين من مكانة عالية بفضل الله ثم بفضل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وأحفاده وعلماء التوحيد فيها، وقبل هذا التحول الاجتماعي الكبير فيها لم يكن باستطاعة أحد أن يجاهر بالإلحاد مثلا، وحتى اليوم من يجاهر بذلك إما أن يؤول كلامه وإما أن ينفي حقيقته. وفيها نشأت الاتجاهات الثلاثة:

الاتجاه المحافظ: وهو اتجاه منغلق على البيئة مكتف بما لديه من العقيدة، ويتميز باهتمامه الكبير بالشكليات والمظاهر والإغراق في الجزئيات، ويعتمد على الأسلوب الفردي والعمالقة الأفذاذ، كالشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله، والأمور عنده إما أبيض أو أسود. والناس إما عدو وإما صديق، وبقاء الناس على الدين الذي يعرف هو همه الأكبر، ولذلك كان التركيز على (الكاريزما) التي يمتع ها في المجتمع بعض عمالقته، وبعض أفراده أوعى من بعض، ولديهم قابلية سريعة للوعي وذكاء حاد يتميز به أغلب أهل جزيرة العرب عامة.

ومن أوعى من عرفته (الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله) ومعرفتهم بخطر العلمانيين عندهم إجمالي، ويظنون أن العلمانيين لا وزن لهم بالنسبة

للشيوخ، والعلمانية عندهم ما هي إلا موجة من موجات الفسق والضلال التي يحفل بها التاريخ لكن سرعان ما تضمحل، وساعد على ذلك مجاملة الحكام لهم إما عن حقيقة أو لأنهم مصدر الشرعية.

كما ساعد عليه نبوغ قلة منه ومعرفتهم بالخطر العلماني المداهم، وكتاباتهم لاسيما الأستاذ أحمد محمد باشميل الذي كان سكرتيرا للشيخ عبدالملك بن إبراهيم الذي توفي ساجداً عند الكعبة، ومن الكتب القيمة لباشميل (كيف نفهم التوحيد) و(لهيب الصراحة) و(صراع مع الباطل)، وسلسلة الغزوات ونظرية داروين وغير ذلك من الكتب التي قرأتها مبكرا وكان لها أثر في تكويني الفكري إذ كانت كتبه ترد على ضلالات نعيشها ونراها، وبعد وفاته رحمه الله أثنى عليه استاذنا عبدالعزيز قارئ والأستاذ محمد صلاح الدين والأستاذ محمد خضر عريف وغيرهم.

غير أن الاعلام لغاية في نفس يعقوب تجاهل الشيخ كثيراً.

وكان من أوعى الناس في هذا الاتجاه الشيخ صالح اللحيدان وقد كتب (نقد أصول الشيوعية)، وكانت مجلته (راية الإسلام) تكاد تكون النور الوحيد في ذلك الظلام الدامس.

الاتجاه المنفتح على الغرب كما يسمى ويصح تسميته الاتجاه المفتون بالحضارة الغربية أو المنبهر بها، وهو اتجاه مضاد للاتجاه الأول لكنه أكثر وعيا بسير التاريخ وسنن الحياة وهو يعتمد التدرّج وفق السياسة الدنلوبية المذكورة، وقد كان التخلف الحضاري آنذاك أقوى مساعد له، وهو يعمد إلى إنشاء المؤسسات التي يموت الأفراد أو يغيرون مواقفهم ولكنها تبقى. وأكبر اتجاهاته الاتجاه القومي الذي يتخذ من العداوة للدولة العثمانية منطلقا له . وبلغ ذروته في المدّ الناصري وكاد أن يهيمن على جزيرة العرب لولا أن جيل الصحوة قاومه بشدة.

والدين على محدوديته عند أهل هذا الاتجاه مسألة شخصية تابعة للبيئة الاجتماعية، وهذا الاتجاه يكثر في الطبقة المثقفة قبل العودة إلى الله في هذا

العصر.

ومن أشهر المنتمين لهذا الاتجاه في السعودية كمال أدهم المولود في إسطنبول والمستشار لدى الملك فيصل وصهره، إذ أن الملكة عفت هي أخت غير شقيقة للمذكور. وهو خال سعود الفيصل وتركي الفيصل وله حصة في شركة الأبحاث -الآتي ذكرها- وقد عيّنه الملك فيصل رئيسا للاستخبارات. وكان من أكبر دعاة هذا الاتجاه تلاميذ (طه حسين)، لا سيما شمس الدين الذي أسس فكريا جامعة الملك سعود بالرياض (حي الملز آنذاك).

الاتجاه الوسطي: رأى بعض المفكرين أنه لا تعارض بين الأصالة والمعاصرة وأنه لابد من مراعاة العاطفة الدينية والجمع بين التراث الديني الضخم ومتطلبات الحضارة الغربية، وأكبر رواد هذه الاتجاه في مصر عباس محمود العقاد وهو صعيدي عاش في القاهرة وخاض معركة الصراع بين القديم والجديد فدعا إلى الجمع بينهما، وعلى هذا الاتجاه كان سيد قطب في مرحلته الأدبية ولم ينضم للإخوان إلا بعد أن رأى فرح الأمريكيين بموت حسن البنا، وكذا الأستاذ أحمد عبدالغفور عطار وهو بنغالي الأصل ذو فكر وقاد وعلم باللغة والأديان، وقد أسس صحيفة عكاظ قبل أن يصدر نظام المؤسسات الصحفية.

وقد كان لمشكلة اليمن نصيبها الأوفر وتأثيرها البالغ في الأحداث فكان اليمنيون ثلاثة أقسام:

ملكية وجمهورية، والقوة الثالثة، واحتدم الصراع حينها بين الملكيين بزعامة البدر والجمهوريين بزعامة السلال. أما القوة الثالثة فقد ترأسها آنذاك آل الوزير ومنهم إبراهيم بن علي الوزير.

واحتل الجيش المصري اليمن ورمى أبها بالقنابل الأمر الذي وسّع الشقاق والعداوة بين الملك سعود وجمال عبدالناصر، ولكن ولي عهد السعودية آنذاك فيصل سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك حسم الرئيس (جون فيلتزجرالد كنيدي) الأمر، وقرر أنه لا بد من إلغاء نظام

الامامة في اليمن والاعتراف بالنظام الجمهوري، وكذا إلغاء الرق في السعودية وإدخال الترفيه وتطوير البلاد لتلتحق بركب الحضارة العالمية مع مراعاة التدرج في بيئة يسيطر عليها الوهابية كما سماهم.

وتم ذلك فعلا والمثال الذي سنذكر يوضح هذا:

مثال الشركة السعودية للأبحاث:

يمكن التعبير عن العصر بأنه عصر الإعلام ومن أشهر الأسر الإعلامية في السعودية أسرة (آل حافظ) وهي أسرة عريقة من أهل المدينة النبوية أعرف بعض الإسلاميين من أهلها.

وآل حافظ هم الأصل في إصدار جريدة (المدينة) وصحف ومجلات كثيرة يأتي الحديث عنها في ثنايا هذا الإيجاز وأكبر شخصياتها تأثيرا في مسيرة البلاد هو هشام حافظ، وهو كاتب جرئ ذو أراء صادمة وبعضها خيالي مثل اقتراحه ربط الخليج العربي بالبحر الأحمر بقناة!! وكان ذا عقلية نادرة بالنسبة لعصره. وبكل جرأة انتقد تعيين مشعل بن عبدالعزيز أميرا على منطقة مكة وصرح بوجوب استشارة الشعب في ذلك وأيده بعض الأساتذة المرموقين من أهل مكة كالأستاذ أحمد محمد جمال رحمه الله وذلك ما عرضه للأذى من الملك فيصل، وكان هشام يكتب في جريدة المدينة وينتقد من سماهم (بعض أولاد عبدالعزيز)، ولما برزت مواهبه وتبين لكمال أدهم وغيره قوة علاقته (بمحمد الفايد وأصهاره آل خاشقجي) ونجاح تجربة سميرة خاشقجي في مجلتها (الشرقية) التي كانت تصدرها من باريس أوعزوا إلى هشام بتأسيس شركة إعلامية في لندن ووعدوه بأن تحظى بكل ميزات الإعلام السعودي في الداخل بل تنافسه، لكنها هناك تبتعد عن المشايخ، وفعلا أسس هشام الشركة السعودية للأبحاث وعنها صدرت جريدة الشرق الأوسط ومجلة "المجلة" والاقتصادية وغيرها من المطبوعات التي بلغت بضعة عشر مطبوعة، واشتهر من محرري جريدة الشرق الأوسط أو رؤساء تحريرها

عثمان العمير وعبدالرحمن الراشد كما عمل مع هشام (النصراني جهاد الخازن) الذي أقتبس الفكرة ثم استقل وأسس جريدة الحياة و"لها" وأمثال ذلك، لكنه أسسها لولي نعمته الأمير خالد بن سلطان بخلاف الشركة السعودية التي كان يديرها الأمير أحمد بن سلمان ثم فيصل بن سلمان.

وأسس هشام في جدة (نادي البقر) كما أن جريدة الشرق الأوسط استقطبت كثيرا من الكتاب من أمثال خالص جلبي، وجودت سعيد، وعبدالله باجبير، وسمير عطا الله، وعرفان نظام الدين، وغازي القصيبي.

والواقع أن (الشرق الأوسط) كانت تعبيرا عن الموقف الحقيقي لسياسة الدولة الذي كان يظهر عكسه رسميا.

لا سيما الموقف من معاهدة كامب ديفيد التي أيدتها خلافا للصحف الداخلية، ومن عجائب الشرق الأوسط أنها كانت تطبع نسخا محدودة جدا خاصة بالزعماء العرب الذين انتقدوا الجريدة ومنهم معمر القذافي، وكان كل منهم يقرأ النسخة الخاصة به ويظن أنها النسخة العامة من الجريدة! ومن مواقفها المشهورة أنها كانت جريدة وطنية مناهضة للقومية العربية التي كانت عليها جريدة الرياض مثلا! أي أنها كانت تعمل بما يدور في الرأس وليس بحسب ما يصدر من البيانات، على حد تعبير معالي الشيخ محمد عبده يماني لمحمد الوعيل في جريدة "الجزيرة" وكان لشيخوخة الملك فيصل وندمه على ما فرّط أثره في أن يكون فهد أكبر المتنفذين تلك الأيام.

وكتب هشام كتابا ثوريا عنوانه "تحالف الشيطان مافيا الطغيان ومافيا الأديان"، وكان من أصدقائه الأستاذ المعروف (محمد سعيد طيب)، وكان هشام شديد الإعجاب بعبدالرحمن الراشد ويصفه بأنه "أكبر كاتب سعودي".

كما تولى زعامة تحرير الشرق الأوسط الأستاذ عادل الطريفي الذي انتقل منها ليكون مديراً لقناة العربية ثم وزيراً للإعلام قبل عزله، وقيل إن سبب عزله هو أنه سرق قصيدة لأحمد شوقي ومدح بها أحد الأمراء والله

أعلم. والمهم أن الطريفي بعزله ارتاح من تسلط سعود القحطاني وإملاءاته.

وأخيرا مات هشام حافظ بعد أن تحولت الشركة السعودية للأبحاث إلى شركة مساهمة ويقال إن كمال أدهم سحب أسهمه منها لما قامت على ساقيها، وقد أفرزت الشركة بعض الوزراء منهم العطاس والطريفي.

وبقي للعقيدة أثرها القوي وشعبيتها الواسعة، حتى أن كل من يخالفها على قلتهم لا بد أن يحتمي بالسلطة أو يفر إلى الخارج.

وليس من شرط العقيدة الصحيحة التصريح باتباع ما كتب فلان من الناس، بل يكفي اعتمادها ولو بوسائل أخرى.

فيكفي مثلا أن يستنكر المنفلوطي البدع والمحدثات في مقال (دمعة على الإسلام)، ويكفي أن يستنكر حافظ إبراهيم النذور للموتى ويقول:

أحياؤنا لا يرزقون بدرهم   وبألف ألف يرزق الأمواتُ

وأن يتألم محمود غنيم لحال المسلمين قائلا:

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد   تجده كالطير مقصوصا جناحاه

ومثل ذلك تراه في أشعار أحمد محرم ومحمود سامي البارودي وأحمد شوقي.

والمؤرخ المشهور الجبرتي كان متعاطفا مع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، منكرا لكثير من البدع كبدع الشعراني وبدعة العنز الخرافية.

وكتب العقاد عن حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، كما كتب أحمد شاكر وأخوه محمود ما يشكران عليه، والرافعي كتب (تحت راية القرآن)، وكذا الزيات ومحب الدين الخطيب، ومما لا يحصون في مصر وغيرها.

والشاعر أحمد محرم نظم جوانب من السيرة وأشاد ببعض الأمجاد الإسلامية، وهو صاحب القصيدة المشهورة عن نكبة فلسطين بعد صدور وعد بلفور، وقبل إنشاء الدولة الصهيونية في فلسطين، ومنها:

في حمى الحق ومن حول الحرم   أمة تؤذى وشعب يهتضم

كما قامت الدعوات الإسلامية بكثير من الجهود المشكورة والدعوة للقرآن والسنة، ولما قام عرابي بثورته، أيده كثير من العلماء وعامة المصريين، كما قام الشيخ عبد الكريم الخطابي بإنشاء دولة إسلامية في ريف المغرب الأقصى، وكان مالك بن نبي يعلن أنه وهابي.

وهؤلاء إنما اعتنقوا العقيدة الإيمانية بدافع قرآني بحت، ولا يبدو أنهم قرأوا كتابا في عقيدة السلف.

وفي ذلك دليل على أن العقيدة السلفية هي عقيدة العقل والفطرة، وأنها الأصل في المجتمعات، حتى السوداني المتمهدي نشر أمرا بمنع كل الطرق الصوفية من السودان فوق أنه قتل "غوردن"، وقل مثل ذلك في المغرب والهند وجاوه وتركستان وغيرها.

والمهم أن كثيرا من المجتمعات الإسلامية ظلت محتفظة ببعض عرى الإسلام، فلا يصح النظر إليها فقط من زاوية الأحزاب الشيوعية أو الدعوات التغريبية فقط.

وأكثر المسلمين الذين لا يعرفون الإسلام ١٠٠% هم بين العشرة والتسعين وليسوا صفرا.

ومن أهم ما تتطلبه المجتمعات (المال)، وقد أمرنا الله بحفظه ونهانا عن إيتاء السفهاء أموالنا، ونهى عن التبذير والإسراف فيه، وشر من ذلك أن يتحكم السفهاء في بيت مال المسلمين وينفقون منه كما يشاؤون بالمليارات.

وهذه السفاهة ناشئة عن الرغبة عن ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فقد سفه نفسه، وعن الاعتراض على أحكام الله تعالى كما قال تعالى عن المعترضين على تحويل القبلة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة:١٤٢]، وعن احتقار أهل الإيمان ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة:١٣].

ولو أن أحدا صدقهم لقال إنهم بذلك الإفساد مصلحون، ولكن الله تعالى قال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١]،

فإفسادهم في نظرهم إصلاحات، وسفاهتهم -التي توجب الحجر عليهم- رشد.

وإسلامهم الأمريكي (الموردن) هو الذي لا تطرف فيه!!

ولسان حالهم يقول: نحن أعلم من الله!!

والمال في الإسلام محترم وليس الإنسان حرا أن يعبث به كما يشاء، وقد أوصى أهل العلم والإيمان الثري القديم (قارون) بوصايا ذكرها الله في القرآن وهي:

١- ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص:٧٦]، أي فرح البطر فذلك ابتلاء من الله.

٢- ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ [القصص:٧٧] فهي الحياة الحقيقية.

٣- ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]، وقيل إن نصيبه هو هذا العمر المحدود فينفق الإنسان على نفسه وأهل غير مسرف، وقيل المراد أن يظهر عليك أثر النعمة في الدنيا كما جاء في الحديث.

٤- ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص:٧٧]، أي ابذل المال في وجوه الخير المعروفة.

٥- ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص:٧٧]، ومن الإفساد في عصرنا هذا نثر المال على الراقصات والتبرع لأهل الكفر، والزنا بملايين الريالات، وشراء منديل فلانة بكذا، وشراء لوحة (مخلص العالم) المزعوم بالملايين.

وعقب سبحانه على ذلك بقوله: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

بعض المجتمعات الغربية

الغرب في أمر مريج، لا يثبت على قول ولا مذهب، وتختلف نظرياته في كل شيء، ولا أدري كيف يختار الليبراليون من تلك النظريات وبأي معيار يقيسون، ثم إن لكل نظرية أتباعها ولكل ساقطة لا قطة، وهكذا اختلف الكفار قديما: هذا النبي شاعر أم ساحر أم كاهن أم مفتري أم مجنون، أم أن هذا القرآن أساطير الأولين اكتتبها، وقد سلاه ربه تبارك وتعالى بقوله: ﴿ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ﴾ [فُصِّلَت:٤٣]، وإذا دعاهم إلى ما أنزل الله وإلى الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، نفروه منه ونأوا عنه ونهوا.

ثم جاء بعدُ الضالون فدعا بعضهم إلى تحكيم العقل، وبعضهم إلى تحكيم الكشف والوجد والذوق، وذهب بعضهم إلى الفلسفة المشرقية فلسفة أفلاطون الغنوصية الحدسية، وذهب آخرون إلى فلسفة أرسطو العقلية المنطقية، ثم تخلوا عن كل المذاهب القديمة في العصر الذي يسمونه عصر النهضة الأوروبية وما تلاه، وعدوا الفلسفات كلها كلاسيكية، وآمنوا بما يسمونه الفكر الحديث، ومنه الإلحاد والشيوعية والرأسمالية، ثم تشعب كل من هذه المذاهب شعبا شتى، وطوائف قددا، وتاه المقلدون كما تاه أسيادهم من قبل، أما من دعا إلى الله وإلى المصدر الثابت الذي لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا، وإلى صراط الله المستقيم، فهو إرهابي أو حركي أو إخواني أو حزبي أو رجعي أو متطرف أو إسلاموي أو نصوصي أو طالب ملك ... إلخ تلك الافتراءات والتهم، وصدق الله ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [الأنعام:٣٣].

وأوجب أولئك التائهون وأتباعهم على الشعوب، إن أرادت التقدم والتحضر والعيش الرغيد والأمن والاستقرار: أن تفقأ عيونها وتسير خلف العميان، وأن تتخبط في الظلام وتترك النور، وأن تكفر بالحق والهدى، لكي تتبع الباطل والضلال، وأن تترك السبيل القويم، وتتبع السبيل المختلفة وتدع

اليقين لتؤمن بالشك الحيرة من قوم في كل واد يهيمون، وهم في قول مختلف ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾ [المؤمنون:٧١].

ودعوة هؤلاء نوع من الجهاد لمن صدقت نيته، وأتباعهم ممن يدعون الإسلام أولى بذلك.

والدعوة جهاد وطلب العلم جهاد، والجهاد هو بذل الجهد في أي شيء، والله تعالى خلق الإنسان في كبد، حتى العبادات التي لا قتال فيها لا بد من الكبد والمعاناة قال بعض السلف "كابدت الصلاة ثم تنعمت بها"، وقال الآخر عن الاستقامة على الطاعة: "كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت". فكيف بالعلم النافع الذي لا بد فيه من الصبر والمعاناة، فكيف بالدعوة وما فيه من أذى وأعباء قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

والإسلام ليس مجرد تاريخ مضى، بل كل من اتصف بصفة أخذ حكم أهلها قديما وحديثا، وهكذا كان النبي ﷺ يعلم الصحابة رضي الله عنهم، وقد قال عبدالله بن مسعود عن معاذ بن جبل: "إن معاذا كان أمة قانتا لله"، ومن المعلوم أن الآية نزلت في إبراهيم عليه السلام، لكن معاذ يشبهه.

ومعايير الغرب منكوسة معكوسة يجب علينا تقويمها، ومما يدلك على أن معايير الغربيين مقلوبة وأن فطرهم منكوسة اعتقادهم أن لحم الخنزير خير من لحم الجمل.

وأن الرجل عندهم يتستر أما المرأة فتتعرى.

وأن ثمن الكلب عندهم أعلى بكثير من ثمن الشاة.

وأن تعدد الزوجات ممنوع أما تعدد العشيقات فجائز إذ هو تقدم وتحديث. هذا غير ما تبيحه القوانين من اللواط والسحاق وأمثال ذلك.

وأن فاحشة قوم لوط جائزة والخمر حلال.

وأن أكل المخنوق جائز أما ما ذبح الاضحية فانتهاك لحق الحيوان!

وأن تحريم اللحم مسألة شخصية، أما ما أهل به لغير الله فلا يناقش فيه إلا المتأخرون!

وأن العودة لما كان عليه الرومان واليونان تحضر وأما العودة إلى الإسلام فهي ظلامية!

وأمثال ذلك.

والخلاصة أن الغرب ينظر إلى المسلمين نظرة استعلائية غير علمية، وهو يتعامل معنا بنمطية غريبة، من خلال ثقافته ودينه وتاريخه، لا سيما وأنه لا يقرأ عادة إلا ما يكتبه المستشرقون والمنافقون.

وإليك النموذج الاجتماعي الأمريكي وقس عليه باقي المجتمعات غير المؤمنة.

– أمريكا:

اسم أمريكا الكامل "الولايات المتحدة الأمريكية"، وبالانجليزية "يونايتد ستيت"، وهي أكثر الدول الغربية تحضرا، وهي وريثة الامبراطورية البريطانية وشبيهة الإمبراطورية الرومية، ولا بد عند إجراء مقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية من الحديث عنها.

وأمريكا يغلب عليها أنها نصرانية مثلِّثة غير موحِّدة، سواء البروتستانتي والكاثوليكي، وينتشر فيها الإلحاد الذي يهرب إليه من لم يؤمن بخرافات الكنائس ولم يتدين بدين شرقي، وفيها يهود، وهي رسميا دولة علمانية، والقيم لديها قيم ديمقراطية كما تدعي، وهي تعلن التزامها بالمواثيق الدولية وحقوق الإنسان ونشر الديمقراطية في العالم، وحرية الفرد، أما مواقفها السياسية فهي مصلحية براجماتية، وهي تتعصب على الإسلام وتنحاز للصهيونية بشكل سافر، وإذا اقتضت مصلحتها السياسية نبذ الديمقراطية وتأييد الديكتاتوريات فلا تتردد.

والأمريكان شعب ملفق وطبيعته معقدة ، وأمريكا على أية حال أكثر محافظة وتديّنا من أوروبا، وهي أكثر دولة في العالم علما بالتراث اليهودي والنصراني.

وأمريكا تعلم أن بشار والسيسي وحكام الخليج مستبدون، ولكنها تتقبلهم وتتعامل معهم، ومع أنها دولة فيها أغلبية بروتستانتية على المذهب الكالفيني، وأكثر رؤسائها معمدانيون، فإن فيها نسبة كبيرة من الكاثوليك، وولايات تغلب عليها الكاثوليكية، مثل ولاية ماساتشوستس التي فيها جامعة هارفارد ومعهد التكنولوجيا التطبيقية (إم تي آي) وفيها حزبان كبيران رئيسيان هما: الحزب الجمهوري وهو حزب البيض، والحزب الديمقراطي: وهو حزب الأقليات الأخرى، ويؤيده بعض البيض، والجمهوريون تغلب عليهم الأصولية والديمقراطيون تغلب عليهم الليبرالية.

واليهود رغم سيطرتهم على أكثر الشركات يتوزعون على كلا الحزبين فلا يضعون بيضهم في سلة واحدة. هذا مع ألقى الله بينهم من العداوة والبغضاء.

والأمريكان في الحقيقة يبغضونهم، واليهودي الأرثوذكسي يقول إن اليهودي العلماني خير من اليهودي الإصلاحي! وليست القضية -كما نسمع- في تكوين لوبي عربي في أمريكا، بل القضية أكبر من ذلك فأمريكا مجتمع كافر خاسر بحاجة ماسة للإيمان، وبعض الأمور من البدهيات لدينا لكن هي ضرورية للأمريكان.

وسوف أعرض بعض ما رأيته وقرأته من خرافات أمريكا وضلالها:

١- تعتمد الإدارة الأمريكية على الكهانة والتنجيم واستطلاع المستقبل من خلال التوراة أو الكهانة أو التنجيم، وهذا في البيت الأبيض، كما تعتمد الفرق الرياضية الأمريكية على السحر، و"الدنبوشي" وقد اشتهر باعتماده على الكهانة من سيدات البيت الأبيض "نانسي ريجان"، و"هيلاري كلينتون"، كما أن الإدارة تعتمد على ما يسمونه خزانات الفكر، وعلى الدراسات المقدمة من مراكز الأبحاث، وأكثر من فيها يهود أو منافقون يدّعون الإسلام.

والغيب الذي يؤمن به الأمريكان هو الخرافات والسحر والأسطورة والخيال الكاذب، وقد رأيت بناء عظيما مجاورا لمبنى الأمم المتحدة، قيل لي إن فيه سحرة ومتلبِّس بهم، ومتخاطرين "تليباثي".

٢- أمريكا تجيز المخدرات من نوع معيّن ما لم تتجاوز عددا معينا، وتقول إنها استعمال شخصي فقط.

٣- أمريكا تبيح عمل قوم لوط رسميا، وتسمح لفاعليه بالتجنيد في الجيش، وهكذا عدل الأمريكان ما أحل الله لهم من أزواجهم وعما استحلوه فاحشة الزنا إلى الوطء في الحشوش حيث القذارات والنجاسات.

٤- في أمريكا تكثر الملل والنحل وتعد بالآلاف وليس فقط بالمئات، وإنما اهتموا بذلك وتحدثوا كثيرا عنه بعد انتحار جماعة جونز في أمريكا الجنوبية، ثم انتحار جماعة ديفيد في أمريكا نفسها. وكل ملة ونحلة في أمريكا لها عبادتها الخاصة بها.

ومن هذه العبادات الضالة:

أ- عبادة الشيطان التي تمثل أسوأ ما ينحدر إليه البشر، ولهم مقر مجاور لمبنى الأمم المتحدة في نيويورك، وقد وقفت بنفسي على مقرهم هذا، وهم أيضا هناك في أقصى الغرب أي في ولاية كاليفورنيا، وهم إذ يعبدون الشيطان فمن الطبيعي أن يكونوا سحرة وأن يتعاملوا بالسحر بلا حرج.

ب- عبادة الأهرام: ويعبدها في أمريكا الملايين وهم بذلك يتقربون إلى الجن قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ:٤٠-٤١].

وهذه الأهرام كان الصحابة رضوان الله عليهم أجلَّ من أن يعيروها اهتماما، وحرصوا على انتزاعها من القلوب، كما فعل النبي ﷺ بالأصنام، التي كانت حول الكعبة المشرفة، فقد كان ﷺ يعبد ربه عند الكعبة تاركا إياها، فلما أظهر الله دينه وفتح مكة حطمها و لم يعترض على ذلك من كان يعبدها. وقد قرأت في "الحياة" أن الذين يعبدون الأهرام في أمريكا ١٠ ملايين وهذا قبل سنين، ولا ريب أنهم اليوم أكثر.

والتفصيل عن الأهرام أكثر في موضوع التاريخ والآثار الآتي بإذن الله.

ج- اعتناق الأديان الشرقية كالزرادشتية، والطاوية، والبوذية، والهندوسية، والمانوية والجينية، فالأمريكان يسجدون وفق هذه الأديان قبل أن يدخلوا فيسمعوا المحاضرات عنها مما يدل على خواء شديد، مع الافتقار الفطري للتدين، وبعض الأمريكيين يرتد إلى الكاثوليكية كما فعل "إليوت" مؤلف "الأرض القفر" بعد أن كان يهوديا، ثم حائرا متشككا، وبعد هجرته

إلى لندن غيّر دينه، وكتب كثيرا من الشعر والمسرحيات والنقد الاكليروسي، وأعلن تأثره بالمواعظ الدينية، ومثله بعض الأصوليين الأمريكان، والأصوليون غالبا بروتستانت، ولكن وجدوا فرصتهم في ضياع الشعب الأمريكي وبحثه عن أي دين!! فدعوا الأمريكان لأصوليتهم مع أنهم هم غير ملتزمين بما في التوراة والإنجيل.

٣- ومن خرافات الأمريكان الكثيرة ما شاهدته بنفسي من رميهم العملة المعدنية في الماء، رجاء البركة والحظ السعيد كما يزعمون.

٤- ومن خرافاتهم اعتقادهم أن للشياطين والجن قدرات خارقة وأنهم "أرواح شريرة" أو أشباح غامضة" وأنهم كائنات فضائية، وأن الخلاص منهم ممكن بطريق السحرة المنتشرين في الولايات المدّعين تشبعهم بروح القدس وما يسمونه "العلاج الروحي"، أما الملحدون فيعتقدون أنه ينبغي التماس الشفاء عند علماء النفس الذين لا يؤمنون بوجود الجن أصلا، وكثير منهم يعتمد مذهب التحليل النفسي الذي ذهب إليه "فرويد" اليهودي، وأنا أظن أن الصدمات الكهربائية التي يتخذونها تؤدي مفعول الضرب الذي يعتمده من يخرجون الجن هنا، وبعضهم يسمي التلبس ازدواج الشخصية، وقد بين لنا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حقيقة الجن وأنهم ليسوا مجرد أرواح، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ﴾ [ص:٣٤].

والنبي ﷺ أمسك عفريتا وذعته حتى دلق لسانه، وأبو هريرة ﷺ أمسك بيد الجني، وقال له النبي ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة؟)، وأخبر أنه جاءه إبليس بشهاب من نار، ولا مجال لتفصيل كونهم أجسادا وليسوا مجرد أرواح، فنكتفي بهذا.

٥- ومما يروج لدى الأمريكيين أن يذهب كثير منهم إلى بلاد لا حضارة فيها مثل بعض مقاطعات الهند أو نيبال، ومن الأمريكيين فرقة تدعى "الأميشيون" في ولاية بنسلفانيا القريبة من نيويورك ولهم فروع في ولايات أخرى، وهم يستخدمون الدواب في الحرث والتنقل ويركبون الخيل أو

الحمير، وينفرون بشدة من الحضارة أو ما يمت إليها ولا يستخدمون أي وسيلة حضارية مطلقا. ولو كانوا عندنا لرأيت كل الغربيين يذهبون إليهم ويذكرونهم نموذجا لجميع المسلمين ويتهمونهم بالإرهاب والتطرف والتكفير.. إلخ ويوافقهم على ذلك المستغربون والعلمانيون عندنا.

وبعض الأمريكيين يلتمسون العلاج عند سحرة الفلبين وأندونيسيا والهنود، وبعض الأمريكيين تدين بالفلسفات الشرقية زاعما أنها تمنحه التوازن النفسي والانسجام مع الطبيعة والقوى الخارقة.

٦- من اعتقادات الأمريكان -عدا علماء الأحياء والتغذية- أن الجمل حيوان قذر، وأن لحم الختزير والجيف التي يأكلون أفضل منه، وأن رائحته كريهة!

٧- ومما يكثر في المجتمع الأمريكي تلك العنصرية المنتنة التي يعترف بها كل الأمريكيين حتى الإدارة الأمريكية ومديري المباحث التي يسمونها (مكتب التحقيقات الفدرالي: إف بي آي)، وعليه فلن تجد في أمريكا قسيسا أو واعظا أسود في كنيسة بيضاء أبداً، وكذلك العكس مهما اتفق المذهب والنحلة بين الأسود والأبيض، وإذا اعتدى الأسود عندهم على كنيسة بيضاء قالوا إرهابي أو من أصول إسلامية، أما إذا اعتدى أبيض على كنيسة سوداء فيقولون إنه مختل عقليا أو إن المجتمع هو المسؤول أو ما أشبه ذلك من الأعذار، وإذا اضطروا إلى القول إنه إرهابي لا يذكرون دينه أو مذهبه أو أصله. لأن الإرهاب عندهم خاص بالمسلمين، ولا زلت أذكر -كما يذكر غيري- أنهم حين اعتدى "ماكفي" على مدرسة أوكلاهوما في أيام "كلينتون" وقتل منها من قتل، نشرت جريدة الحياة أنهم استدعوا خبراء ومترجمين من الشرق الأوسط، وأن ملامح الجاني شرق أوسطية مع أنهم منذ اللحظة الأولى عرفوا أنه أبيض أمريكي أشقر، ثم أقر "كلينتون" بجنسيته ولونه باختصار وإيجاز.

وقد وجدت هذه العنصرية صدى وتجاوبا من الأمريكيين الذين انتخبوا الأحمق المضطرب "ترامب".

كما أن العنصرية منتشرة في أوربا فالانجليز ينظرون للإيطاليين كما ينظر أبناء الحمايل إلى الصلَب، أما الذي اعتدى على مدرسة في فلوريدا فهو مختل عقليا! ومما ينتشر في أمريكا الأمراض التي يسموها "جنسية" وهي في الحقيقة أمراض الفواحش نسأل الله العافية- وقد كان لدى بعض المسلمين الأوائل أربع زوجات وما لا يحصى من الجواري، ومع ذلك لم تنتشر عندهم هذه الأمراض الخبيثة، مما يدل على أنها أمراض فواحش وليست مجرد أمراض جنسية كما يقول الأمريكيون، وذلك ما تمليه عليهم اعتقاداتهم الباطلة.

ولما أنتجت مختبرات الجيش الأمريكي "الأيدز" و"الايبولا" وأمثالها قال الأمريكيون إن القرود هي مصدر هذه الأمراض، وما دام ليس لدى القرود إعلام، فليلصق بهم الأمريكان ما شاءوا، غير أن الدكتور "هور ويترز" الأمريكي خريج جامعة "هارفارد" أثبت أن الإيدز والايبولا من إنتاج مختبرات الجيش الأمريكي، ويمكن أن يضاف إليهما "الجمرة الخبيثة" فضلا عن فيروسات "الجدري" التي ألقيت من قبل على الهنود الحمر ولا ينكرها الأمريكان ثم إنهم طوروها!! فهم أقوى الناس في الحرب البيكترولوجية! فهذا دين أمريكا دون أن ننسى ما فيها مما جعله الله استدراجا لهم، ففي أمريكا الكثير من المظاهر الدنيوية كالشلالات والبحيرات والأنهار والغابات، وقطعان الغزلان ومزارع الذرة والأرز، وفيها البروج العالية وناطحات السحاب، ومن أعجب ما رأيت فيها أن السيارات تمر ذهابا وإيابا من جذع شجرة واحدة.

وفيها كذلك المطارات الضخمة مثل مطار "لوس أنجلس" والمزارع المتطورة في كلورادو، والفواكه في فلوريدا وولاية واشنطن وكاليفورنيا، ولكن ما أغنى عنهم ذلك في شيء وهم يعبدون غير الله.

وهذه الدولة -أي أمريكا- تنافق بقية العالم بالديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان، وتدعي أنها جمهورية ديمقراطية، وهي في الحقيقة إمبراطورية عسكرية، فيها كل ذنْب عملته القرون الخالية والأمم الماضية، فالقوة التي تفتخر بها عاد وثمود يفتخر بها الأمريكيون اليوم، والتطفيف الذي اشتهر به قوم شعيب وكذا بخس الناس أشياءهم مشاهد فيها، والفرْق أن قوم شعيب كان يطففون في الحبوب وأشباهها، واليوم تطفف أمريكا في النفط وغيره وتبخس حق الدول في الحضارة والتقدم لاسيما إذا كانت إسلامية، أما عمل قوم لوط فهو نفسه منتشر اليوم، وما كنت أسمع عنه في الظهران أصبح قانونياً عندهم.

وقد حذر بعض رؤسائهم من هذا الانحدار الأخلاقي والتفكك الأسري، وممن حذر منه الرئيس جون كنيدي الذي قال: "إنه من كل عشرة أمريكيين لا يصلح ثمانية منهم للتجنيد"!

ومن أراد أن ينظر إلى سعة رحمة الله تعالى وحلمه واستدراجه للكافرين، فلينظر كيف يطعمهم ويسقيهم ويعطيهم من زينة الحياة الدنيا ويقلِّبهم في البلاد، مع ما فيهم من الكفر والفساد وادعاء الولد لله، وصدق سبحانه إذ يقول: ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، وقال جل شأنه: ﴿يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧]، وقال تبارك وتعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

٨- من الخرافات الرائجة عندهم أنهم يعتقدون أن القديسين كما يزعمون يباركون أعمالهم ويشفعون لهم، ويحرسون مدنهم، والأمريكان يسمون ولاياتهم أو مدنهم بأسماء أولئك القديسين، ومن ذلك أنهم يسمون باسم القديس يعقوب الذي هو عندهم أخو المسيح عليه السلام، وهكذا سموا "سانت ياجو"، وهي مدينة في غرب أمريكا قدر الله لي أن أزورها، ويعقوب هذا يزعم النصارى أنه مدفون في شمال أسبانيا، كما في "الحلل

السندسية"، فما الذي أوصله إلى حيث قبره إن كان أخا للمسيح؟ وكذلك ولاية "أوريجون" الذي هو أحد علماء النصرانية، وقد زرتها أيضا، وكذلك "سان فرانسسكو" الذي هو عندهم قديس! وأمثال ذلك كثير، كما يكثر في أمريكا المشعوذون وأهل ما يسمى "الطب الروحاني" مع غلاء الطبابة هناك، وهي بحق أخصب بيئة للخرافة في العالم.

٩- يؤمن الأمريكيون حتى كثير من مثقفيهم بخرافات التوراة والعهد الجديد، ومن ذلك أن شعب الشمال هم العراقيون، وأن الجراد المذكور في سفر الرؤيا هو طائرات الأباتشي، وأن بحيرة النار هي الحرب النووية وأن يأجوج ومأجوج هم المسلمون، وأن المسيح سيختطفهم إلى السحاب، ،أن ما تعتقده الكنيسة عن الألفية السعيدة وهرمجدون حق.

وهذا في الخرافات التي يدين بها الأمريكيون، وما أكثرها.

أما السياسة الأمريكية والعادات الاجتماعية، فيكمن إيجازها فيما يلي:

١- تقوم السياسة الأمريكية على الكذب والمراوغة، وتتبع في ذلك تقارير المخابرات الأمريكية، ومراكز البحوث الكثيرة المنتشرة في أمريكا، وتنتقي أمريكا ما تشاء من القرارات الدولية وتترك ما تشاء، وهي تستخدم العلم في السياسة مثل استخدام غزو الفضاء وحرب النجوم، وفي الحرب الباردة وفي الصواريخ العابرة للقارات، وفي إخضاع العالم كله لها كما أثبتت ذلك "ناسا" نفسها، واعترف وزير الدفاع الأمريكي السابق "روبرت مكنمارا".

وقد قال وزير الخارجية الفرنسي السابق، وهو مع خبرته السياسية مطلع على التاريخ الحضاري: "إن أي امبراطورية تدخل مرحلة الأفول تتخبط"، وهذا التخبط هو ما نراه اليوم في السياسة الأمريكية التي أصبحت

تستحق أن تسمى "الرجل المريض"، وهي تفتقد الرؤية الاستراتيجية الواضحة في التعامل مع الشرق الأوسط وأوربا وروسيا.

والشيء الوحيد الذي لا يتغير لديهم بل له صفة استراتيجية كما يزعمون، هو الولاء المطلق للدولة الصهيونية والتبرع لها حتى وإن كان ذلك في وقت الضائقة المالية، والوقوف الدائم معها في كل معاهدة أو اتفاقية أو تصويت أو محضر، ولو كان العالم كله في جانب وهم وإسرائيل في الجانب الآخر، وسواء كان الرئيس ديموقراطيا أو جمهوريا لابد أن يؤيد الصهاينة في كل شيء، وأن يخضع للسيطرة اليهودية على رأس المال والبورصات، ووسائل الإعلام المختلفة ويدين بالولاء للرأسماليين اليهود الذين دفعوا تكاليف حملته الانتخابية، أو ضمنوا لشركاته الأرباح، ولذلك يسمي الشعب الأمريكي الكونجرس مجلسي الشيوخ والنواب "الكنيست".

وليس موقف دونالد ترامب من إسرائيل بجديد، فقد ذكر (كوك) في كتابه (إسرائيل التاريخ الحضاري) أن "ديك تشيني" نائب "بوش" الابن ووزير دفاع أبيه لما احتلت جيوشه الخليج، أن سبب الحرب على العراق هو المحافظة على أمن إسرائيل، ومثل ذلك قاله بوش الصغير لما قابل شارون بعد غزو العراق "لقد قضينا على الخطر الذي يهدد إسرائيل"، وعلى ذلك ترامب ومستشاروه والمؤثرون فيه من أمثال "ستيف بانون" و"مايكل فلين و"شسنر".

وإذا امتنعت أمريكا عن التصويت لصالح إسرائيل لأسباب كثيرة ليس هذا مكانها طبّلت لذلك السلطة واعتبرته نصرا كبيرا وخارقة تاريخية، وهذا لم يحدث إلا مرة واحدة في تاريخ أمريكا.

أما التصويت ضد إسرائيل فهو من المستحيلات، ومن تراه إسرائيل إرهابيا تراه أمريكا كذلك، وإنما تختلف أمريكا وإسرائيل أحيانا حول مصلحة اليهود، كما تختلف نظرة اليهودي "جاريد كوشنر" صهر ترامب عن نظرة نتنياهو في ذلك.

وبعض الكتاب الأمريكيين يقول إن الحزبين الجمهوري والديمقراطي هما حيوان واحد له رأسان!

والإنسان الأمريكي ذو بعد واحد فقط، ولا حرية له إلا في اختيار أحد الحزبين، أما المستقلون فهم قليل وكلهم أثرياء، ولا يستطيع الفرد العادي أن يناقشهم، ولا أن يصل للبيت الأبيض.

ومن أعظم ما فعلته السياسة الأمريكية أنهم اعتدوا على الصومال والعراق وأفغانستان، وفتحوا سجن "غوانتنامو" لمن يخالفهم، وجعلوه في "كوبا" حتى لا يخضع لقضائهم، ونشروا السجون السوداء والسجون السرية داخل أمريكا وخارجها، والمسلمون عند الإدارة الأمريكية أحد اثنين إما ارهابي وإما جاسوس، والسعيد من يقولون إنه إرهابي محتمل! ومارس الأمريكيون كل أنواع التعذيب، وسلَّموا بعض الأبرياء إلى دول تجيز قوانينها التعذيب. وأذكر أنني قرأت مرة لأحد الآباء الأميين هنا رسالة كتبها ابنه من سجن غوانتنامو، يقول فيها الابن السجين "نحن في خير وعافية وصافولا"، والكل -خاصة هنا- يعرف زيت عافية وزيت صافولا!!

والسؤال الذي يسأله كثير من المسلمين اليوم: متى دخلت أمريكا بلداً ولم تدمره وتنهزم فيه وتحوله إلى دولة فاشلة؟ وأين الديموقراطية والحرية من هذا الخراب؟ وهذه أمريكا تأتي من وراء البحار لكي تحتل دولا بعيدة جدا لم تعتد عليها قط، ولم تهدد ما يسميه الأمريكان "الأمن القومي" لأمريكا، فهل هذا يرضي العلمانيين المدافعين عنها؟ ولو أن المسلمين هم الذين احتلوا أمريكا ألم يكونوا —عندها- إرهابيين مجرمين؟

ألم يقل "بوش" الصغير إن أمريكا تتفهم دفاع إسرائيل عن النفس في مواجهة الإرهاب الفلسطيني!!

ولما اعتدت أمريكا على العراق اعترفت بسقوط "أم قصر" إحدى عشرة مرة! وفي المرة الأخيرة وجدوا فيها ٢٤ جنديا عراقيا فقط، أما استخدام الأسلحة المحرمة في معركة مطار بغداد وفي الفلوجة وقتل الأبرياء

الذين لم يحاربوا ولا يستطيعون القتال، فهل لذلك عند الأمريكان مبرر حقيقي؟ قطعا لا، ولكن كل شيء تستخدمه أمريكا أو إسرائيل مبرر وكل شيء يستخدمه من يقاتلهم محرم، وكل من يخالف أمريكا وإسرائيل إرهابي!!

وأمريكا هي التي حاصرت العراق وقتلت الملايين من أهله حصاراً، ثم اعتدت عليه عسكريا وارتكبت فيه مجازر ذهب ضحيتها الملايين، وأنشأت ما سمته المنطقة الخضراء وعذبت من شاءت في "أبو غريب"، واعتمدت على الإحصاء البريطاني القديم المنحاز الذي يزعم أن أهل السنة أقلية في العراق، وحاربت إلى جانب من هو إرهابي عندها مثل "قاسم سليماني"! أما أعدى أعدائها فهو تركيا.

وأمريكا جاءت بالملاحدة على ظهر دباباتها وأنشأت التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب وانتقمت به من الفلوجة خاصة وأهل السنة عامة، ولم يحدث أبدا أن هاجم التحالف منطقة شيعية!

وأقفل الأمريكيون مكتب قناة الجزيرة في بغداد -حينذاك- حتى لا تنقل الحقيقة، وقتلوا مراسلها طارق أيوب، وسألوا سامي الحاج في السجن من أين تستقي قناة الجزيرة معلوماتها؟ وغير ذلك من الأسئلة!

ومنعت الإعلام الأمريكي، كما حدثني بعض القنوات الأمريكية المخالفة لبوش من نشر أي معلومة، وجعلت لقناة (سي إن إن) بثّين مختلفين، أحدهما داخلي والآخر خارجي، وكنا نرى في الإعلام صورة المقاتلات الأمريكية، ولكن لا نرى من ضربتهم بل أحرقتهم من العراقيين، ولا نرى الدمار الذي خلفته تلك الضربات.

وكان "بوش" الصغير يختلي ببعض السفراء العرب، ليأخذ منهم أخبار المقاومة العراقية، ويأخذ منهم المال لحرب أهل السنة في العراق، ويستعين الأمريكان بالرافضة وبالمرجئة للقول بأن "بول بريمر" ولي أمر، وكل حاكم عند المرجئة ولي أمر، ولا يجوز عندهم جهاد الأمريكيين! وكيف يجوز،

والمدعو (بحر العلوم) الرافضي يطالب بجعل يوم دخول الأمريكيين بغداد عيداً وإلغاء ما عداه من الأعياد؟

وافتعلت أمريكا مسرحية سقوط التمثال لكي تضعف معنويات العراقيين وتعلن أن بغداد سقطت!

وبعض المعارضين يذكرون كيف أن كلبا عراقيا قاوم الأمريكان! فما الظن بالعراقيين أنفسهم؟!

وبعض الأطفال في العراق وضعوا صفيحة فارغة على قارعة الطريق ومدوا حبلا كانوا يلعبون به إليها، فجاء سائق عسكري أمريكي، فظن أن ذلك لغم، وعصف سيارته فانقلبت ومات هو وكل من فيها من الجنود!!

ونشروا في العراق الإباحية والانحلال، ودمروا متحف بغداد بكل ما فيه، ودمروا المكتبات بكل ما فيها، ولم يقل أحد من أوليائهم إن هذا تراث ثقافي لا يصح تدميره.

والوزارة الوحيدة التي طوقوها هي وزارة النفط وقالوا إن برميل النفط العراقي لا يكلف إلا ٩٧ سنتا، أي أقل من دولار واحد، هذا إن لم يكن على ظاهر الأرض بينما يكلف البرميل من النفط الأمريكي ١٠ دولارات، وتحالفوا مع إيران حينذاك سرا كما أثبت ذلك كُتّاب أمريكيون وصدقته الأحداث اللاحقة.

وقالوا إن المدفع العملاق صنعته دولة كذا، أو كذا فلماذا إذن يقتلون العلماء العراقيين؟

والحديث عما ارتكبوه في العراق يطول جدا ومجمله أن الأمريكان لم يدعوا جريمة إلا ارتكبوها ولا حرمة إلا انتهكوها، ولا وسيلة إلا فعلوها وهذا ما فعلوه في افغانستان أيضا.

٢- صنع الأمريكيون أو ضخموا أحداث ما يسمى ١١ سبتمبر أي ١٤٢٠/٦/٢٣هـ، وقد تحدثنا عن ذلك في رسالة (رسالة من مكة) فلا نعيده هنا، وإنما نذكِّر بأن هذه التمثيلية أدت إلى الهجوم على الإمارة

الإسلامية "طالبان" واقام القاعدة بدون محاكمة قضائية، مع أن مقتل الرئيس "جون كنيدي" لم يحكموا فيه حتى الآن، وقاتله المدعو (أسوالد) قتلوه في السجن حتى تموت معه كل الأسرار!!

والذين شاركوا في هذه المسرحية من العرب -لو ثبت ذلك-، لم يكونوا يعلمون أهداف أمريكا من وراء ذلك داخليا وخارجيا، وجاءت هذه المسرحية والأمر مبيت للعدوان على أفغانستان والعراق، ولم تشر الإدارة الأمريكية مطلقا، إلى أيّ دور أو احتمال أي دور للموساد في الحادث، مع كثرة القرائن الدالة عليه مثلما نشرت "الواشنطن بوست" قبل يوم واحد من الحادث، بينما اقموا صدام حسين كذباً بالتعاون مع القاعدة!!

وشرَّد الأمريكان الأيتام ومنعوا العمل الخيري بكل صوره، وممن منعوه مؤسسة الحرمين الخيرية واقموا الأبرياء!! واستغلوا ذلك الحادث أبشع استغلال.

٣- تتدخل الدولة العدوانية أمريكا في الشؤون الداخلية لدول كثيرة، وتنتهك سيادها، وأذكر من ذلك أمثلة لا تخفى على عاقل معرفته في بلاد الحرمين:

أ- تدخُّل المدعو "ليبرمان" في مناهجنا التعليمية وأمرُه بحذف كل شيء يثير العداوة أو الكراهية للكفار يهوداً أو نصارى! حتى تعريف التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي آخره "والبراءة من الشرك ومعاداة أهله"!!

والواجب عند الليبراليين هو طاعة "ليبرمان"، لا طاعة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي تقول المؤسسة الدينية الرسمية إننا على عقيدته، وبعض المخدوعين يرى أنه من الخطأ أن نعد الحليف التاريخي الاستراتيجي (أمريكا) دولة كافرة بل دولة صديقة، وقد اطلع ليبرمان على وزارة التعليم وزار مدارس المملكة ليتأكد من صحة ما رأى.

ب- تدخّل مشاة البحرية الأمريكية في البحر الأحمر) في الشؤون الداخلية لنا، حيث أعطوا أرقام هواتفهم لكل من أراد أن يشكو الهيئة (الشرطة الدينية عندهم) ووصفوا رجال هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكيف يلبسون وكيف يعملون... الخ.

ج- جاء الأمريكيون بالقساوسة تحت اسم "المستشارون الروحيون"، ووزعوا الأناجيل هنا، وقد أعطاني بعض الفضلاء العاملين في جهاز الاستخبارات بعض ما وزعوا، وقد وافق الأصوليون في أمريكا على تغيير اسم القساوسة للتستر.

د- كتب الصهيوني "فريدمان" رسالة لمعالي الشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ (على لسان جورج بوش) يطلب فيها مطالب ذكرها، أهمها ما يتعلق بالعقيدة التي سماها فريدمان (الوهابية)!

هـ- قابل وفد أمريكي وزير العدل السعودي السابق "العيسى" وطلبوا منه سن تشريعات محاربة للإرهاب!!

و- كل سعودي متهم عندهم بالإرهاب، حتى الأمير سلطان الذي كنت معه في قضية واحدة ومحكمة واحدة.

وأهم مطلب عند الأمريكان هو أن نتخلى عن عقيدة ابن تيمية وابن عبدالوهاب، وهو مطلب يعرف عنه معالي الأستاذ عادل الطريفي أكثر مني.

٤- يتجسس الأمريكيون على حلفائهم الأوربيين، مثل ألمانيا التي أمرت رئيستها "انجيلا ميركل" بالتحقيق في ذلك، ومثل فرنسا فكيف بالمسلمين؟

وقد اتبع اليهود وغيرهم نفس السياسة، فانتهكت إسرائيل السيادة الوطنية حيث تحتل إسرائيل بعض الجزر السعودية في البحر الأحمر، كما طالب المخلوع الذي كان صديقاً للسعودية تلك الأيام بمساحات كبيرة من الأراضي السعودية مقابل قيامه بما يرضي السعودية ومنه محاربة حزب التجمع

اليمني للإصلاح وكل متدين في اليمن، وأصبحت السيادة الوطنية كلأ مباحا لكل مريد.

٥- تقف أمريكا مع الطغاة المستبدين ضد الشعوب المظلومة في كل مكان، وحسبها الوقوف مع الصهاينة المعتدين ضد الفلسطينيين، ومن عجائب السيسي أنه يفتح معبر طابه أمام اليهود ويقفل معبر رفح أمام الفلسطينيين، ولا يهم أمريكا أن تكون أي دولة إرهابية ما دامت تحقق المصالح للشركات الأمريكية سواء أكانت الشركة صهيونية نصرانية أو صهيونية يهودية!.

٦- يشمت بمصائب أمريكا أصدقاؤها في الدول الأوربية (القارة العجوز كما قال رامسفيلد)، كما تعلن الدول والشعوب في أمريكا الجنوبية والوسطى كراهيتها لها، وحبها لمن عاداها، وكذلك الدول الآسيوية عامة حتى وإن نافقها بعض الحكام!!

ولا تنفرد شعوب أوروبا بكراهية أمريكا بل يشاركها في ذلك أكثر العالم فالسياسة الأمريكية ظالمة ولا اعتبار فيها لأي تعامل أخلاقي.

ولما سأل "بوش" الصغير لماذا يكرهوننا؟ قال له بعض الأمريكيين من داخل أمريكا نفسها بل من أعضاء الكونجرس وهو (ديفيد ديوك): إن السؤال الصحيح هو لماذا يحبوننا؟ ومع أن ديوك عنصري أبيض فقد كتب عن النفوذ اليهودي في أمريكا، ولما انتخب الأمريكيون ترامب قالت بعض الصحف البريطانية "كل العالم يكره أمريكا".

ومعلوم أن أمريكا حاصرت اقتصاديا أكثر من نصف دول العالم وقتلت عشرين مليوناً من البشر في ٤٧ دولة لاسيما دول أمريكا اللاتينية وجنوب شرق آسيا.

وهل في سياسة أمريكا ما يحبه أي عاقل في العالم؟ ويكفي أي جماعة وإن كانت كاذبة أن ترفع شعار "الموت لأمريكا "، لتلتف حولها الجماهير

المخدوعة، وعلى كراهية أمريكا اعتمد النظام الإيراني والنظام الكوري الشمالي والنظام الفترولي وغيرها.

٧- الفلسفة التي تقوم عليها السياسة الأمريكية هي فلسفة "البراجماتية" التي ترجمها العقاد -بالذرائعية- والتي وضع أسسها "وليم جميس" مؤلف "تجارب دينية"، و"جون ديوي"، و"جورج سانتيانا"، وهي فلسفة مادية نفعية لا علاقة لها بالمبادئ والأخلاق، وقد عبّر عنها "هنري كيسينجر" بقوله: "ليس لنا صداقة دائمة ولكن لنا مصالح دائمة"، وصدق فقد اغتالوا بعض أصدقائهم، ورفضوا مجرد استقبال بعضهم، ولا يخفى على أحد أنهم رفضوا استقبال الشاه، وبن علي وغيرهم، فهل يعتبر بقية الأصدقاء؟

٨- من يموت من الأمريكيين في أي مكان فهو إما ضحية الإرهاب، أو قتل بنيران صديقة أو بطريق الخطأ أو في حادث غير قتالي، أو أنه صحفي أو في عمل خيري..!! الخ وليس محتلا أو معتديا أو جاسوسا عندهم وقليلا ما يعترفون بأنه قتله الأعداء وإذا اعترفوا بواحد فقد يكون المقتولون عشرة.

٩- من يموت من أعداء أمريكا، كما يفعل قصفها غير الإنساني فهو قيادي في المنظمات الإرهابية عندها، مثل القاعدة وتنظيم الدولة وبوكو حرام... إلخ، وما أكثر هؤلاء (القياديين) الذين يقتلون بدون محاكمة، وهم قياديون ولو كانوا أطفالا أو بدواً أميين في الخيام كما في اليمن وليبيا، ولا يبالون أن يكون مدنيا أو طاعنا في السن، وطفلا أو امرأة.

١٠- من يشارك في العمل الخيري عندهم (التنصير) يدفعون له راتبه كما لو كان على رأس العمل، بل يجمعون التبرعات لهذا العمل (الخيري!) من دول الخليج مثلما يجمعون لمركز (كارتر) في أطلانطا، وكثير من الأموال تُعطى للعمل الخيري هذا، بل إن الشركات التي تُثبت أنها تدفع للعمل الخيري، أو لإسرائيل تعفى من الضرائب، ولا يكون العمل الخيري الحقيقي دعما للإرهاب إلا إذا كان إسلاميا! والذي يهم أمريكا هو استمرار ضرع البقرة الحلوب في الدفع، تلك البقرة الثرية جدا كما قال ترامب.

١١- تكثر في أمريكا الاتحادات الاحتكارية التي يسموها "كارتل" أو"هولدنغ"، ومنها: بورصة نيويورك وشركات النفط الكبرى، وشركات التأمين، وشركات غزو الفضاء، وشركات الطيران الكبرى مثل "لوكهيد"، و"بوينج"، وشركات السينما، وشركات العقار والمساكن، وشركات الصحف، والشبكات الإعلامية المختلفة وشركات السلاح، وشركات التبغ والسجائر، وشركات المكتبات، وشركات المواد الغذائية واللحوم، وشركات الحاسوب (الكومبيوتر) مثل "أبل" و"مايكروسوفت"، وأخواتها، وشركات الدواء، وشركات الأزياء، وشركات السيارات، وأمثال ذلك كثير، واحذر أن تصف هذه الشركات بأنها يهودية أو صهيونية فيتهمونك بعداء السامية!

١٢- إذا كان القاتل يهوديا، انتحل المحققون له المعاذير مثل: ضحية المجتمع، أو مختل عقليا أو إثر مشاجرة بينهما ولا يذكرون دينه! أما إذا كان مسلما -فرضا- فهو إرهابي، عدواني، أصولي، عدو الحرية والديمقراطية..الخ ارتكب الجريمة للجريمة نفسها.

١٣- إذا فضحهم الإعلام وأثبت جرائمهم بالأدلة القطعية الدامغة، مثل التعذيب في سجن "أبو غريب"، قالوا إن الجريمة من فعل "إدارة التضليل" أو فعلها "جنود صغار" دون علم الرئيس، أما "فخامة الرئيس" فلا يقر بذلك ولم يأمر به، فالمشكلة دائما من "هامان وجنوده" أما فرعون نفسه، فذاته مقدسة مصونة ولا يأمر إلا بالخير، وقد أمر (فخامته!) بالتحقيق في الأمر، وكأنه ليس هو الذي أنشأ "إدارة التضليل"، وأمر بالتعذيب، وأنشأ السجون السرية!!

وكأنه ليس الذي أمر المخابرات بكذا والبنتاجون بكذا والإعلام الكاذب بكذا... الخ. ولا مانع لدى الأمريكان من التضحية -ولو ظاهرا- ببعض الجنود أو الموظفين الصغار أو التحقيق مع من قرروا فصله أو انتهت خدمته أو يريدون التخلص منه ونادرا ما حققوا مع غير أولئك.

١٤- تمنع أمريكا أي دولة من الحصول على السلاح النووي مع أنها الدولة الوحيدة في العالم التي استخدمت هذا النوع من السلاح المدمر، ولا تزال تصنّعه، وعند نهاية الحرب الثانية رمت اليابان و لم تكتف بقنبلة واحدة، بل ألقت عليهم قنبلتين على هيروشيما ونجازاكي، وكان من الطيارين آنذاك بوش الأب، الذي جعلوه رئيسا للاستخبارات ثم رئيسا لأمريكا، وفي أيام رئاسته أرسل قواته إلى الخليج، وقد سمّى هنري كيسنجر القنبلة الذرية في باكستان (القنبلة الإسلامية) مع أن باكستان لم تستخدمها، و لم يسم (معاليه) القنبلة الذرية الهندية: القنبلة المجوسية مثلا، دع قنابل إسرائيل فهي إنسانية -عندهم- وللدفاع عن النفس!

كما أن أمريكا أكثر دول العالم انتاجا لهذا السلاح الفتاك فلم لا تبدأ بنفسها، أم هي تريد أن تنفرد به؟

ومثل السلاح النووي السلاح الكيماوي، وقد عرفتُ أن أمريكا سوف تستخدمه منذ أن قالت إن داعش تستخدم السلاح الكيماوي ضد المدنيين، وليس ذلك اكتشافا عبقريا منيِّ بل هكذا عودتنا أمريكا وعلّمتنا!

١٥- تفرض أمريكا على الدول خاصة الضعيفة منها- ألا تتعدى مسافة بضعة أميال بحرية أما هي فيعطيها "القانون الدولي" ٢٠٠ ميل بحري وهي في الواقع تسيطر على أكثر كما يعلم الجميع أما ممراتها فلا يمر منها أحد إلا بإذنها، وإنما تسعى شركة ارامكو لفصل جنوب اليمن عن شماله لكي تحصل على ممر بحري إلى بحر العرب يقيها مشكلة مضيق هرمز.

١٦- يدعي الأمريكيون أن الرئيس أب للجميع، وأنه مختار منهم مباشرة وأن صلاحياته -التي لا يماثله فيها إلا ملوك العصور الوسطى الأوربية- مستمدة من الشعب! وإذا نظرنا إلى من لا يشارك في الانتخابات ومن يشارك مع الاتجاه الآخر تبين أن كثيرا من رؤساء أمريكا يدخلون (البيت الأبيض) بما لا يزيد على ٣٠% من الأمريكيين فقط!! علما بأن القرار الأول والأخير ليس للشعب وإنما هو للمجمع الانتخابي!

وهذه هي الديمقراطية التي يهلل لها العلمانيون هنا.

وفي إمكان المحكمة العليا أن تبطل الانتخابات، وفي إمكان أي قاضٍ في ولاية أن يوقف قرارات الرئيس.

ورئيسهم "بوش الصغير" إنما دخل البيت الأبيض بقرار قضائي بعد العد اليدوي في ولاية فلوريدا، هكذا يرجعون لقضائهم أو دستورهم فلماذا لا نرجع نحن للقرآن؟

وفاز بوش للمرة الثانية وذلك بدعم الأصوليين الذين رأوا فيه عبقرياً لأنه حارب في الشرق الأوسط، فحقق بذلك بعض ما يسعون إليه، ولما جاء ترامب انفتح لهم المجال أكثر.

١٧- يظن بعض الحكام أن أمريكا خالدة مخلدة، وأن قوتها لا تقهر، وأنها قادرة على كل شيء!! أي مثلما كان يظن بعض الحكام العرب أيام قوة بريطانيا!! واليوم يشاهد العالم كله بعض الأقاليم البريطانية الداخلية تريد الاستقلال مثل "اسكتلندا"، وبعضها يحارب البريطانيين مثل "ايرلندا"، وهذا مصير أمريكا بإذن الله، والمغرور هو من غره تقلب الذين كفروا في البلاد، وإنما البقاء للأتقى وليس للأقوى، ويعلم الجميع اليوم أن ولاية كاليفورنيا أغنى وأكبر ولايات أمريكا تريد الانفصال وكذا ١٤ ولاية أخرى.

١٨- الرئيس الأمريكي خادم للشعب ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم ويحمل أمتعة المنكوبين ويساعد الضعفاء بنفسه وتلك ميزة عظيمة لا نراها فيما يسمى العالم العربي قط، ولكن هل يراد بها وجه الله أم كسب الشعب؟

١٩- تعتمد أمريكا على الإمكانيات التقنية وليس على القوة البشرية، إذ ثبت لديها أن جنودها جهلة، وقد يخونون ويكذبون إضافة إلى سقوطهم الأخلاقي، ولذلك فإن الآلة أكثر إنتاجا وأدق متابعة وأكثر أمانة منهم، والآلات بطبيعة الحال تنتجها الشركات التي تتقاضى المليارات من الحكومة الفيدرالية، ولذلك فإن أي انهيار اقتصادي أو هجرة للشركات سوف يسبب

انهياراً حتمياً لأمريكا، ومهما كان انهيارها الاقتصادي محدودا فهو يؤثر مباشرة على قوتها العسكرية.

- أوجه الشبه بين أمريكا وعاد:

خذ مثالا قرآنيا واحدا ومختصرا وهو ما ذكره الله عن عاد في سورة الأحقاف؛ وقارن بين عاد وأمريكا لتجد المشتركات بينهما:

١. التعلل بالأوهام الباطلة: قالت عاد: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف:٢٤]، وتقول أمريكا: (هذا ظاهرة طبيعية أو تغير مناخي مفاجئ) يعقبه الصحو والازدهار.

٢. المصير المحتوم حسب سنة الله ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥]، وهذا هو مصير أمريكا إن ظلت على ما هي عليه من عصيان ولم تُسلم، وهذا الذي في سورة الأحقاف يفسر ما في سورة الأعراف ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف: ٩٧-١٠٠]، ولا شك أن الله طبع على قلوب كفرة الأمريكيين.قال تعالى بعد قصة عاد: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يونس:١٣]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ﴾ [الأحقاف:٢٧].

٣. التمكين في الأرض، قال تعالى عن عاد: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف:٢٦]، والأمريكان اليوم يبنون القواعد العسكرية حيث ما أرادوا، ويعتدّون بما هم في من التقدم التقني.

٤. إعطاؤهم العلم، قال تعالى عن عاد: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً﴾ [الأحقاف:٢٦]، واليوم أعطي الأمريكان العلم التجريبي والمختبرات والمراصد والأقمار الصناعية وغير ذلك.

٥. من حلم الله تعالى وإنذاره، يجعل للعذاب مقدمات تنذر بوقوعه فقد أنذر عاداً بالقحط، وأنذر أمريكا بالأزمة الاقتصادية.

٦. أصبحت أرض عاد بحاراً من الرمال لا يسكنها أحد، وسوف تصبح أرض أمريكا بحارا من الرمال أو بحارا من الجليد، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

وصدق أبو الدراء حين قال: "فمن يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين"، وإن بقيت أمريكا على هذا الكفر فسوف يأتي من يقول ذلك من حقها!

بينما المسلمون كانوا عكس ذلك، ولما قيل للربيع بن خثيم ألا نأتي لك بطبيب، قال: لا، فإن عادا وثمود كانت فيهم الأوجاع والأسقام، وكان فيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى!

فتدبر يا أخي كتاب الله، ولا تستغرب أن يكون لبعض السلف ختمتان، ختمة للقراءة مع التفكر السريع، وأخرى للتأمل والتفكر المتأني قد تستغرق أعواما عديدة.

أخيرا نقول الراجح أن الأحقاف هي أرض اليمن وأنها كانت قصبة عاد أو كما قال قتادة بيت المملكة أي بلغة عصرنا (العاصمة)، ولا يمنع ذلك امتدادهم خارجها، فقد ذكر المقريزي أن شداد بن عاد كان يحمل الحجارة من مقطع الأقصر إلى الجيزة، والتشابه بين الصحراء الكبرى وصحراء الربع الخالي لا ينكره الآثاريون، بل إن بعضهم يقول إنه عثر على آثار لعاد في غرب افريقيا.

ومما يؤيد كلام المقريزي أن أحد السلف عثر على كتاب مكتوب فيه "أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد..." الخ.

وبعض السلف قال إن عادا كانوا بدمشق كما يُروى عن سعيد بن المسيب، وعن محمد بن كعب القرظي وأن مدينتهم هي الإسكندرية.

وقد روى ابن أبي حاتم مرفوعا (أن الرجل منهم كان يأتي إلى الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم).

وقد ذكر ابن كثير أن من الخرافات الإسرائيلية التي وضعها زنادقة أهل الكتاب حديثهم عن مدينة عاد، وأنها كانت لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وهي فعلا من الإسرائيليات، فإن أصل خبرها في كتب التفاسير هو كعب الأحبار ووهب بن منبّه، ولم أجده مرفوعا ولا أعلم أحداً من السلف قال به، ولا أستبعد أن يصدق الأمريكيون بتلك الخرافة ما دامت إسرائيلية، بل ربما جزموا أنها وحي من الله، ويرون مساكن عاد بالأقمار الصناعية، فإذا هبطوا إلى الأرض لم يروا شيئا.

وقد جاء رجل يدعى عبدالله بن قلابة إلى معاوية ﷺ وأخبره أنه رأى تلك المدينة، والله أعلم بحاله.

- ومن الأمور التي يراها كل متأمل في واقع أمريكا:

١- تتعصب أمريكا على المسلمين وتستنكر مثلا ما وقع على الأرمن قديما من الأتراك، ولا تتحدث عما فعله اليهود حديثا بسفينة "مرمرة" التركية، بل سفينة "ليبرتي" الأمريكية، وتعبِّر كل مرة عن قلقها لانتهاكات القانون الدولي" فأين إنكار أمريكا على الجدار العازل وبناء المغتصبات؟! وهل يكفي هذا القلق الكاذب؟! أو خيبة الأمل الكاذبة؟

٢- قرر الكاتب الأمريكي "بول كنيدي" في كتابه (قيام القوى العظمى وسقوطها) أن الإمبراطورية الأمريكية سوف تسقط، كما سقط ما قبلها من الإمبراطوريات في التاريخ، وكذلك قال البروفسور الاجتماعي النرويجي "يوهان جالتونغ" الذي تنبأ بانهيار الاتحاد السوفيتي، وكذا المفكر "عمانوئيل تود"، ويستدل القائلون بذلك بالانهيار الاقتصادي الحالي وتوقف ٥٠ ألف مصنع عن الإنتاج، ونحن نقول أن هذه سنة الله وإن أملى للظالمين واستدرج الكافرين، وهذا السقوط هو ما يتوقعه الاتجاه الأصولي فيها وعبّر عنه المرشح الرئاسي "بوكانين" و"جراهام"، بل إن الأخير قال عند وقوع أحداث ٩/١١ "هذه البداية فقط"، و"بوكانين" ألف كتاب "موت الغرب".

وهنا أنبه إلى أن أمريكا سوف تتزحزح عن مكانتها كقوة وحيدة وتصبح قوة عالمية ثم قوة إقليمية فقط ثم دولة عادية والله أعلم.

وتراجع أمريكا ملحوظ لا ينكره أي متابع وقد بدأت علامات الانهيار تلوح على أمريكا ومنها الانهيار الأخلاقي كالشذوذ والدياثة والإجرام والعنصرية، أضف إلى ذلك كثرة الميليشيات المطالبة بالانفصال، كما أن نذر الهلاك متحققة فيها قال جل شأنه: ﴿وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الإسراء:٥٨]، والمقصود طبعا القرى التي لا تتقيه.

وليس إهلاك أمريكا بعجيب في سنة الله، وقبلها أهلك الله عاداً وثمود وقوم شعيب وقوم لوط وهكذا كل قرية تطغى وتفسد، فما الفرق بين أن يكون الطغيان بالرمح والسيف أو يكون بالصواريخ والقنابل النووية، وقد تنبأت إحدى الدراسات في موسكو بأن أمريكا سوق تنقسم إلى خمس دول كما قرأت، على أنني أتوقع لها مصيراً أسوأ من مجرد الانقسام.

وأكبر ما تخيف به أمريكا هو قوتها العسكرية ومع ذلك تتحداها دولة لا تكاد تُرى مثل كوريا الشمالية وقد ظن بنو النضير أنهم ما نعتهم حصونهم من الله، وهي تظن أنها مانعتها قواعدها.

٣- تتخلى أمريكا عن حلفائها، أو عن أصدقائها عدا اليهود، ولابد أن يندم كل من والاها، فقد تخلت عن شاه إيران ثم عن السادات، وتخلت عن حسني مبارك، وعن بن علي، وهي توالي بقدر ما تقبض من المليارات فقط وهي لها مصالح دائمة وليس صداقات دائمة. وكل من استغنت عنه نبذته ولا تبالي، ومن تنفد ثروته احتلته أو قطَّعته ولا تبالي، وإذا جاعت أكلت شعاراتها كما كان عباد الصنم في الجاهلية.

٤- لم تفكر أمريكا في احتلال أي بلد اسلامي عسكرياً، بعد هزيمتها المنكرة في العراق، ومن قبل جرَّبت هؤلاء المسلمين في الصومال وفي أفغانستان، وقد قال الرئيس الفرنسي "جاك شيراك" إن أمريكا فتحت على

نفسها أبواب الجحيم باحتلالها العراق، ولذلك استنجدت أمريكا بدول الخليج لإنقاذها من أزمتها، فأنشأت الصحوات وأنشأت التحالف الدولي لحرب الإرهاب -كما يسمى- لكي يثأر لها من أهل السنة في العراق، وليحَّيد بالمال العشائر السنية فيه، وهذا التحالف لا يستطيع غزو كل العراق بل اكتفى ببعض مدنه لاسيما المدن السنيِّة، وقد حشد بوش كثيراً من الدول لاحتلال العراق، ثم إن أوباما حشد ضعف ذلك لاحتلال بعض العراق فقط، كما أن الموصل هي بلد الضباط العراقيين الذين هزموا إيران، فلا بد من تدميره على يد أمريكا وإيران والشماعة الدائمة هي "داعش".

٥- ومن خرافات الأمريكيين ذات الأثر السياسي أن رؤساء أمريكا أنفسهم يؤمنون بمعركة "هرمجدون" وبحيرة الدم، وهذه الملاحم التي عندهم في سفر حزقيال أو في سفر الرؤيا- ستكون بين قوى الخير "النصارى طبعا"، وبين قوى الشر "المسلمون"، وسوف يدمرون الكعبة المشرفة كما يعتقدون، ويحطمون الحجر الأسود رمز الوثنية كما يعتقدون.

ومن أراد الاستزادة من هذا فليقرأ كتب "غريس هالسل" الموظفة بالبيت الأبيض، والتي ترجمها "محمد السماك" إلى العربية، وكذلك زميلتها "بربارا"، أو كتاب الدين والسياسة في أمريكا الذي أصدره مركز الزيتونة في بيروت ، وكتاب ملاك يدير العاصفة.

والملاحم التي أخبر عنها النبي ﷺ وهي صراع بين الإيمان والكفر وليست صراعا بين الحضارات كما قال "هنتنجتون"، وقد أثبت "مأمون فندي" أن المذكور أخذ فكرته في الصراع عن أحد الدعاة في السعودية، مع أن ذلك الداعية إنما ذكر الأحاديث في ذلك! وهذا اليهودي يعلم صدقه ﷺ وأن أخباره كلها حق، ومنها ما أخبر أن بلاد الشام ستبقى بلاد رباط وملاحم إلى قيام الساعة، وهذا شأن أهل الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم.

وقد كتب الرئيس الأمريكي الهالك "نيكسون" كتابه "١٩٩٩ نصر بلا حرب" تنبأ فيه بسقوط "الشيوعية" الروسية وذكر أن على أمريكا أن تستعد لمحاربة ما أسماه "الأصولية الإسلامية"، كما كتب كتابه الآخر (انتهزوا الفرصة) أي فرصة قوة أهل الكتاب وضعف المسلمين! فهو يتوقع أن تضعف هذه القوة كما ضعف ما قبلها. كما يتوقع وعي المسلمين وذهاب الحكومات المستبدة في العالم الإسلامي.

وكان "كلاوس" الأمين العام السابق لحلف شمال الأطلسي "ناتو" على ذلك حين قال بعد سقوط الشيوعية "على الغرب أن يضع العدو الأخضر (أي الإسلام) مكان العدو الأحمر" أي الشيوعية.

٦- ومن عادات الأمريكيين وخرافاتهم تشاؤمهم من الرقم (١٣) مثلما يتشاءم الرافضة من الرقم (١٠).

فتجد المقاعد في الطائرات، وغرف الفنادق، وأرقام المساكن والشوارع.. وغير ذلك في أمريكا تخلو منه وتضع مكانه (١٢ب)، وأصل هذا التشاؤم هو الاعتقاد النصراني بأن التلميذ الثالث عشر للمسيح -عليه السلام- أي "يهوذا الاسخربوطي" هو الذي دل الرومان على المسيح!!

ومن خرافات الأمريكان تصديقهم بأقوال الكاهن الأوربي (أنوسترادامس) الذي يقولون إنه ذكر أنه في سنة ٢٠١٧ سوف تسقط دول عظمى ويتوقعون ذلك لأمريكا، وكذلك الكاهنة البلغارية (فانغا) التي قالت إن أوباما هو آخر رئيس لأمريكا.

وهذا هو التشاؤم التقدمي العصري، بعد أن كان العرب قبل الإسلام يتشاءمون بشهر صفر وبنعيق الغراب!

٧- ومما تراه في المجتمع الأمريكي ذلك الجهل الفظيع الذي لا يقتصر على الفلاحين والرعاة بل يشمل كثيرا من المثقَّفين، ومن ذلك ظن بعضهم -وهو جامعي- أن السعودية بجوار ولاية "تكساس"، وسؤال السائح أو الطالب الذي يقول أنا سعودي كم تملك من آبار النفط؟ وكم في بيتك من

الإبل؟ وكم قافلة للجمال بين الرياض وجدة؟ ويقول الأمريكي: أنا أقرأ ولديَّ كتب كثيرة ومما قرأته أن السعودية هي الولاية الحادية والخمسون وأنها ولاية جنوبية، وفيها بترول كثير فأضف إلى معلوماتي كم لديك من آبار البترول وهل أنت متزوج أربعاً...؟ وكم بعيرا تملك؟

ومن ذلك اعتماد ساستهم على المعلومات التي تقدمها لهم مراكز البحوث، أو بعض المتأمركين من مثل فريد زكريا الهندي، وفؤاد عجمي اللبناني، ومن ذلك أنه يسهل على أي محتال انتحال شخصية الرئيس الفلاني ويصدقه كثير من الأمريكيين!

وقد استغل أحد الأخوة الإعلاميين من مصر ذلك الجهل، فعرض على الأمريكيين أن يشتري زوجة أحدهم بعشرين ألف دولار فوافق كثير.

ومع ذلك الجهل ترى الغباء عند كثير من الأمريكيين وهذا شاهدته بنفسي، وقد أخبرني ثقة من إحدى دول المغرب الإسلامي أن أحد العرب – غير المتدينين– كان مصروفه في أمريكا من شجرة مخدرات ذكر نوعها، زرعها ذلك الطالب في شرفة شقته!

وأخبرني ثقة من أهل مكة أصله من الشام، أنه كان يبيع للطلبة الأمريكيين في الجامعة شطيرة "ساندوتش" بالفول ويجعل ثمن الشطيرة الواحدة ثلاثة دولارات في ذلك الحين، أي قيمة كيس من الفول، ومن جهل الأمريكيين أنهم لما دخلوا بغداد كانوا يسألون فيها عن القاهرة!

ومن سذاجة الأمريكيين أنهم يشترون الهواء من اليهود، الذين يقولون لهم "هذا من هواء أورشليم"، دع تبرعاتهم لإسرائيل، والأخبار والقصص عن جهل الأمريكيين مستفيضة يعرفها كل مبتعث أو سائح.

أما الرؤساء فإن جهل "بوش" الصغير مضرب المثل وكتب فيه بعض الأمريكان مجلدات. فقد كان (فخامته!) يعتقد أن "طالبان" فرقة موسيقية، ولم يزر من دول العالم قبل توليه السلطة غير الحبيبة (إسرائيل)، ولهذا أخضعوه لبرنامج تدريبي طويل وعلَّموه، ومما علموه أين تقع الدول وكيف

يتعامل معها، وقد كان "بوش" سكيراً عربيداً ثم تحول فجأة إلى أصولي ، وذكرت مجلة "نيوزويك" كيف تغيَّر.

وكثير من الأمريكيين لا يفرق بين العراق وإيران، خصوصا وأن الاسمين في الانجليزية لا يفرق بينهما إلا حرف واحد، أما الأخطاء الكارثية التي تقع فيها الإدارة الأمريكية، فهي كثيرة جدا ومنها ما وقع فيه "بوش" أو "أوباما" أو "كيري" وغيرهم، ثم جاء ترامب وفاقهم جهلا وحماقة وتناقضا، وقد جعلوه رئيسا مع أنه لم يتول أي منصب سياسي من قبل.

٨- ومن عادات كثير من الأمريكيين الذميمة، أن الفتاة التي تريد الزواج لابد أن تكون "مجرَّبة" أي ليست عذراء، وأن الفتى "الزوج" لابد أن يكون كذلك، وأن العذراء إنما كانت كذلك لأنها باردة جنسيا!

ولو حدث أن فتاة أمريكية بقيت عذراء، فإن عليها أن تتزوج أحد المهاجرين المتأخرين مثلها، وهذا هو مذبح الإباحية الذي تحدث عنه "ول ديورانت" في كتابه "مباهج الفلسفة" وتحدث عنه غيره. أما الزوج فعليه لكي يكون مجرّبا أن يأتوا له بعاهرة يزني بها قبل الزواج.

٩- وفي المجتمع الأمريكي تكثر الجرائم والسرقات، وتكثر المخدرات، أما الخمور فقد أحلها لهم القانون بعد أن حظرها فانتشرت أكثر من ذي قبل بين هؤلاء "المتقدمين"، ولم تجرِ بها الشوارع كما حدث للصحابة رضي الله عنهم لما حرمها الله!!

ولما انطفأت عندهم الكهرباء ساعات معدودة نهبوا المحلات التجارية والمستودعات وكل شيء، حتى أنهم سرقوا غرف النوم من البنايات، وظهر هؤلاء المتقدمون على حقيقتهم!

١٠- ومن جهل الأمريكيين أن اللغة العربية عندهم نادرة ومن يعرفها -ولا أقول يتقنها- يقدَّم في الوظائف والمراكز، ولهذا تحرص الجيوش في العالم الإسلامي على أن تتكلم باللغة الانجليزية بل قد لا يتكلمون إلا بها، لكي يفهم الخبراء الأمريكيون ماذا يقال!!

وحينما اعتدى الأمريكيون على العراق إرضاء لدولة إسرائيل، قال لهم أحد أوليائهم من العراقيين مفتخرا (أنا جاؤني الأمريكان من قبل وذبحت الطليان)، وكان المترجم من دول شمال أفريقية فترجم لهم (الطليان) بـــ(الإيطاليين)، فما كان من الجنود الأمريكيين إلا أن مزقوا جسد مضيفهم العميل بالرشاشات وقالوا هذا إرهابي!!

ولا أنسى كيف كان العراقيون يصحِّحون لغة وكالات الإعلام الأمريكية باللغة الانجليزية نفسها.

١١- تكثر عندهم الأمراض العقلية والعصبية والانتحار وينتشر بينهم التدخين، كما تكثر المخدرات والتطفيف والاحتكار والإجهاض وكل تقليعة مشينة، وفي أمريكا نوادٍ للعراة، ومحطات وقنوات ومجلات إباحية، ويجلبونها معهم أينما ذهبوا و لم أر بعضها إلا لما جاءوا إلى هنا، كما يكثر عندهم الفقر والتشرد والعنف الأسري.

١٢- يتاجرون في الرقيق الأبيض نساء وأطفالا ويشترون الأطفال من المكسيك ومن كلٍ مكان ويقولون إنهم خالون من الأمراض الجنسية ويفعلون بهم الفاحشة أولاداً وبناتا.

١٣- اللوطية والسحاقيات يجاهرون بتلك الفواحش، ويتظاهرون مطالبين بما يسمونه حقوقهم،ومنها التجنيد في الجيش. ومن السحاقيات المشهورات بنات بعض المسؤولين الذين يزرون دول الخليج مثل ابنة "ديك تشيني" بل ربما جاءت السحاقية نفسها وفرضت رأيها، واستجاب القانون الأمريكي للوطيين والسحاقيات بعد أن أصدرت المحكمة العليا قرارا بإباحته، فلا أقول ماذا يقول المسلمون، بل ماذا يقول الأصوليون والذين يكتبون عن موت الغرب!

وممن شارك في المظاهرات المطالبة بإباحة اللواط والسحاق "هيلاري كلينتون" وأمثالها من الكبراء، ولم يستنكر إباحتها أحد من الحكام العرب، أما الرئيس الزامبي "روبرت موجابي" فقد طلب أن يتزوج أوباما، وكثير من

حكام العرب يعلمون ذلك وأكثر منه، لكن فروض الولاء لأمريكا، ومحافظتهم على الكراسي يجعلانهم يتجاهلونها ويهمهم أن يتصالحوا مع أمريكا وليس مع شعوبهم، كما أن من الفواحش المنتشرة في أمريكا إتيان البهائم كما يفعل الروم من قبل.

ولا ينخدع بالدعاية الأمريكية إلا من أعمى الله بصيرته، أو كان منافقا خالص النفاق يقول كما قال عبدالله بن أبي: "إني امرؤ أخشى الدوائر"، قال جل شأنه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢]، وأمريكا هي حامية عروش الظلمة، وهي التي تنصّبهم إذا أعطوها المليارات من مال الله، ولكن ذلك لا يمنع سقوطها كما تنبأ مؤتمر موينخ ويتوقعه كثير من الأمريكان منهم الأمريكي (فريد زكريا) الذي كتبا كتاب (عالم ما بعد أمريكا)، وكذلك كتاب (تناقض الامبراطورية) الذي كتبه "جوزف ناي"، ومن الدلائل على أفول أمريكا ازدياد الفقراء فيها والاضمحلال التدريجي للطبقة المتوسطة وغير ذلك من الأسباب الاقتصادية التي يتحدث عنها كثيرون على أن الأسباب العقدية أخطر، وأمريكا العدو الأول للمسلمين، لا سيما وهي تمد الصهاينة بكل شيء، ورحم الله الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي، الذي رأى هذه العداوة الواضحة وتحدث عنها، ومن أسباب سقوط أمريكا كما يراه الماديون الضعف الاستخباراتي الذي اعترفت به الاستخبارات الأمريكية أمام القوة الروسية التي وصل بها الأمر إلى حد التأثير على الانتخابات الأمريكية الأخيرة، أما اليابان فلا تحتاج لقرصنة أمريكية ويعترف الأمريكيون في البيت الأبيض بتفوقها التقني إلى حد اعتماد (ناسا) عليها كثيرا وحسبها ما هي فيه من الأزمات.

ويحاول الإعلاميون هنا تحويل العداوة من أمريكا إلى غيرها كإيران مثلا، ولا شك في عداوة الرافضة وكل المبتدعة لأهل السنة، ولكن يجب

ترتيب العداوات كما دل على ذلك القرآن الكريم ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢]، ولا أعلم أن حكومة الملالي كفّرت "الطبرسي" مؤلف كتاب (فصل الخطاب في تحريف كلام رب الأرباب) أو تمنع كتابه، غير أنها لم تصدر كتاب "الفرقان الحق" الذي عارض به الأمريكي "أنيس شورش" القرآن، وطهران التي لا يوجد بها مسجد واحد لأهل السنة تقرأ القرآن المطبوع في مصحف المدينة النبوية نفسه، ومهما كانت بدعتها تقول إن الله واحد، فأيهما أشد بدعة؟

وأنا أتوقع أن تعود العلاقات السعودية الإيرانية إلى مجراها الطبيعي ولو بعد حين، كما يقولون اليوم عن بشار، وحينئذ سوف يغيّر المطبلون خطابهم، ويقولون إن وراء ذلك حكمة!!

وقد نفت الخارجية الأمريكية أن لها علاقة بنشر كتاب الفرقان، ولكن جريدة الرياض أثبتت هذه الصلة ومن ذلك ما ذكره الكاتب أن الأمريكان نشروا كتاب "شورش" أثناء حملة العالم على حوادث التعذيب الأمريكية في سجن "أبو غريب"، ليصرفوا أنظار الناس عن التعذيب، وبعض دول الخليج وزعت هذا الكتاب!!

وما قاله الكاتب في الرياض هو واحد من أدلة كثيرة تثبت أن الخارجية الأمريكية تكذب دائما وليست هذه أول كذبة لها.

ووضعه هو ما حدث في المسيسبي، أما في فلوريدا فقد أحرق القس الأمريكي (جونز) القرآن الكريم، ولا أعلم أن مثل ذلك حدث في إيران ولا أظنه يحدث، كما أن في إيران كثيراً من أهل السنة ويقول الإيرانيون أنفسهم إن ٧٠% من الشعوب الإيرانية غير فارسية، مع أن الفرس فيهم من هو من أهل السنة، وفي الشيعة أنفسهم من يكره حكم الملالي ولا يعلم شيئا عن كتاب "الكافي"، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد ذهب كثير من مبتدعة المسلمين من الرافضة والجهمية وغيرهم إلى الكفار فأسلم على يديه خلق كثير وانتفعوا بذلك فصاروا مسلمين مبتدعين وهو خير من أن يكونوا

كفارا"، وعليه تكون إيران أقل شراً من أمريكا، ولما زار ترامب الرياض حث زعماء أكثر من ٥٠ دولة على حرب الإرهاب، ومثل للإرهاب بحركة حماس!

ويقول "بوتين" إن أمريكا غير جادة في محاربة الإرهاب الداعشي بل لها مآرب أخرى!!

ولشدة عداوة الأمريكان للإسلام أو على الأقل جهلهم به آثروا أن يختاروا بوش مرة ثانية على الرغم مما حدث في عهده من زيادة الفقر وازدياد عجز الميزانية، ثم إنهم اختاروا ترامب لأنه على الخط نفسه.

١٤- من تلاعب السياسة الأمريكية أنها تسمي الأشياء بغير اسمها، وتسك لكل دولة ما تريد من مصطلحات جديدة تضعها هي، فهي مثلا تسمي هذه المنطقة الإسلامية "الشرق الأوسط"، وتسمي العدوان على العراق (دفاعا عن الأمن القومي الأمريكي ضد تنظيم القاعدة) وتنتقم لنفسها من الفلوجة أو الموصل باسم "التحالف الدولي لحرب الإرهاب"، وتسمي الحرب على الإسلام "الحرب على الإرهاب". ومع الأسف علق بعض الناس أمله على أمريكا وعمل تحت قيادتها في هذه الحرب ولم يعد في حاجه لاستصدار فتوى لتبرير فعله، وذهب ما كان يقال عن الاستعانة بالكفار أدراج الرياح، وأصبحوا هم من يستعين بالمسلمين!

١٥- تقرر أمريكا أن من حقها أن تقوم بما تسميه "الحرب الاستباقية" أو "الحرب الوقائية" ولها وحدها تحديد من تحارب وإن لم يفوضها بذلك أحد، لا الأمم المتحدة ولا غيرها، فأمريكا هي شرطي العالم الجائر الذي يتهم من يشاء ويبرئ من يشاء، فكل من يخالفها مارق شرير بدائي إرهابي كاره للديمقراطية غير مؤمن بحقوق الإنسان!

ولذلك لا غرابة أن تُسمى أمريكا "إبليس الأزرق"!! وخارجيتها تُصدر كل سنة تقريرا عن حقوق الإنسان في العالم؟! وليت أمريكا تعلِّم نفسها قبل

أن تعلِّم العالم، وليت الخارجية الأمريكية تكتفي بما في أمريكا نفسها من انتهاكات وعنصرية وإجرام واضطهاد وفساد.

١٦- الهيمنة الأمريكية لها صور شتى، وقد غير الرئيس الأمريكي "ويلسون" النظام العالمي من الاستعمار القديم إلى استعمار سماه "الانتداب"!

ثم طالب الرئيس الأمريكي السابق "جون كندي" بإلغاء الإمامة في اليمن وعمان وبالاعتراف بالنظام الجمهوري في اليمن، وأمر بإلغاء الرق مطلقا وبالترفيه البريء كما سماه وبوضع أنظمة أساسية للحكم ومطالب أخرى.

١٧- تسعى أمريكا لاسترقاق كل الدول الموالية لها، وكان لهذا الاسترقاق نتائج خطيرة منها:

أ- لا يعين أي وزير إلا إذا كان خريج أمريكا أو على الأقل يجيد الانجليزية، ومن الجامعات الأمريكية التي تخرّج منها بعض المسؤولين والوزراء هنا "الجامعة العالمية" التي هي غرفة واحدة فيها عجوز أمريكية لديها حاسوبات وبعض اللوازم الأخرى لكي تطبع شهادات الخريجين، ولكي يلتحق المبتعث بهذه الجامعة يمضي بعضهم عدة سنوات في أماكن اللهو والفجور، وله راتب كبير من أموال المسلمين، ثم يأتي إلى هذه الجامعة ويملي على العجوز الشهادة التي يريد، وهي طبعا دكتوراه، ولا يهم التخصص، فقد حصل المطلوب من الابتعاث وهو أن يرطن باللغة الانجليزية، وقد قال أحد المسؤولين للمبتعثين: اللغة ما هي محصورة في الجامعات، ولكن تجدونها في دور السينما والمسارح ... إلخ!.

ب- يجب الابتعاث إلى أمريكا لمعرفة طريقة الحياة الأمريكية ثم نقلها إلى المجتمعات الإسلامية.

ج- يجب أن يُعطى الأمريكان، وليس الروس مثلا أو الفرنسيين حق التنقيب عن النفط والمعادن فشركة "توتال" الفرنسية مثلا، يجب قفل آبارها مقابل شركة "أرامكو" الأمريكية التي تملك أكثرها شركة "اكسن موبيل"،

وهي الشركة الصهيونية التي اتخذ ترامب رئيسها "ريكس تيلرسون" وزيرا لخارجيته.

د- السفير لدى واشنطن هو أهم الدبلوماسيين جميعا، وينبغي تعيينه وزيراً للخارجية حينما تسنح الفرصة.

هـــ- يجب على هذه الدول الاعتراف بإسرائيل والتطبيع معها وإلغاء مقاطعتها، وعلى جيشها أن يتكلم بالانجليزية. وعلى هذه الدول التقدم بمبادرات لتحقيق الأمن والسلام على الطريقة الأمريكية، وربما تكفلّت هذه الدول بتمويل حفر القناة التي اقترحتها إسرائيل للتوصيل بين البحر الأبيض وخليج العقبة، كما تتكفل هذه الدول بالمناطق الآمنة التي يريد ترامب إقامتها في سورية.

١٦- أمريكا ومن يتبعها من الدول الغربية هي العالم الحر، أو العالم الأول وأما المسلمون فهم عالم ثالث متأخر، وكل من خالف الديمقراطية الأمريكية مثل (هتلر) وجب عداوته في المناهج والإعلام، وقد قرأت لبعض المسؤولين هنا قوله "المرحوم روزفلت"، والله تعالى حرم الجنة والرحمة على الكافرين، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢]، والآيات في ذلك كثيرة، وقال ﷺ: (إنه لن يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة)، وأفضل أحوال "روزفلت" أن يكون نصرانيا يعتقد أن لله ولدا سبحانه، قال جل شأنه: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم:٨٨-٩٠].

١٧- تحارب أمريكا كل حاكم ديمقراطي لا يوافق سياستها وتصادر اختيار الشعوب علناً فقد اغتالت "سلفادور أليندي" رئيس شيلي، ووقفت مع جبهة التحرير الجزائرية ضد الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وحاربت "محمد مرسي" وحاربت ولا تزال "غزة" وهي تعادي أي رئيس منتخب في جواتيمالا أو فنزويلا أو البرازيل أو كل دولة في أمريكا الجنوبية والوسطى. وإذا حقق الحكم الديكتاتوري -أو العسكري المستبد- أهدافها فهي معه،

وهذه هي الديمقراطية الأمريكية، ويحق لأمريكا وفق هذه الديمقراطية أن تحكم على أي انتخابات في العالم بالنزاهة أو التزوير فمن يحكم على انتخاباتها هي؟ التي يعترف ترامب نفسه بأن الروس قد تدخلوا فيها؟

١٨- استمد المؤسسون الأولون لها آراءهم من أفكار الثورة الفرنسية وما سبقها، دون أن يشير أولئك المؤسسون إليها، كما استمدوا من الحضارة الإسلامية العظيمة كثيراً دون إشارة أيضا، وبعض الرؤساء كان موحدا على مذهب "آريوس"، وبعضهم عدَّل في كتابهم المقدس وحذف ما لا يقبله عقله مثل "توماس جيفرسن"، واستمدادا من ذلك الفكر اللاديني ومن الخيانة العلمية وضع لهم "ماديسون" الدستور.

١٩- يطالب الأمريكيون بأن يكون العالم كله متسامحا متعددا إنسانيا ينبذ الكراهية والاقصاء، ويريدون هم وأذنابهم بذلك إلغاء الجهاد، ونفي كراهية اليهود والنصارى وأهل البدع، وأن يُقرَّ كل أحد على مذهبه وملّته باسم القومية أو الوطنية أو اللحمة الاجتماعية.

وهذا ما يستند إليه الرافضة والنخاولة والإسماعيلية في هذه البلاد، وليت الأمريكان يعلمون أنفسهم فلا يعادي ترامب المسلمين ولا يكرهون السود.

٢٠- قام "نعوم شومسكي" اللغوي الأمريكي الشهير، الذي يقول الأمريكيون أن كتبه تأتي في المرتبة الثانية بعد الكتاب المقدس عندهم، كما قام أشهر روائي أمريكي "غور فيدال"، قام هذان وغيرهما بالمطالبة بمحاكمة بعض المسؤولين الأمريكيين بتهمة إبادة الجنس البشري، وممن طالب "غور فيدال" مثلا بمحاكمتهم (بوش الصغير، وليم كلنتون، هنري كيسنجر)، ونشرت ذلك باللغة العربية جريدة الحياة، وقد رفضت أمريكا التوقيع على معاهدة تحريم إبادة الجنس لأن حبيبتها إسرائيل تريد إبادة الفلسطينيين كما أبادت أمريكا الهنود الحمر!

٢١- تدعو أمريكا إلى الدياثة والإباحية باسم (تحرير المرأة، والمساواة بين الجنسين)!

٢٢- يكره أمريكا كثير ممن يوالونها ظاهرا؛ وممن يكرهها الأفغان الموالون للحكومة فهم يقتلون الجنود الأمريكيين في كل ولاية ويرون ظلمهم وانتهاكاتهم، ومع أن حامد كرزاي يحمل الجنسية الأمريكية فلم يملك أمام الشعب الأفغاني إلا أن يستنكر ما سمته أمريكا "أم القنابل".

٢٣- ابتلى الله أمريكا بما صنعته يدها الآثمة، فمنظمة "الجات" أفشلت أهدافها، حتى لا تكاد تجد اليوم بضاعة أمريكية داخل أمريكا، والعولمة الأمريكية انقلبت عليها، وتظاهر الأمريكيون أنفسهم ضد العولمة في نيويورك وسياتل وغيرها، كما أن مشروع الشرق الأوسط الكبير أخفق، وهذا ما نتوقعه للمشروع الأمريكي الحالي لحرب الإسلام المسمى "التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب" وللشرق الأوسط الجديد ولمشروع ترامب المسمى "صفقة القرن"، والله متم نوره ولو كره الكافرون، وحرب الإرهاب كما يسمى يقول الأمريكيون أنها سوف تستمر طويلا ولماذا لا تستمر وهم يقبضون الثمن كل عام! ويقولون إن تنظيم الدولة سوف يغير تكتيكاته تمهيدا ذلك.

٢٤- يفرق الساسة الأمريكيون عن علم وبصيرة بين الصوفية وأهل السنة، فالصوفية -وكذلك العلمانيون- معتدلون عندهم وأخطر الفرق عليهم هو من تسميهم "الوهابية"! اقرأ مثلا تقرير مؤسسة "راند".

٢٥- تقف أمريكا في وجه العالم كله إذا خالف ربيبتها (إسرائيل) كما في اتفاقيتي "ريو دي جانيرو" و"كيوتو" للبيئة. حيث وقفت هاتان الدولتان ضد العالم كله، وأمريكا تعطي إسرائيل السلاح والمال ولا تفتش مفاعلاتها النووية، وإذا أعطت دول الخليج سلاحا بالمليارات فهو سلاح ناقص وبشروط أهمها ألا يستخدم ضد إسرائيل أو يوضع في قواعد قريبة منها، ومن تلك الشروط أن يكون التشغيل والصيانة بيد الشركات الأمريكية أو برضى أمريكا.

٢٦- تتجسس المباحث الأمريكية التي يسمونها "اف بي آي" على المسلمين خفية، وقد قال بعض المسلمين أنه لعن أمريكا قبل ١٥ عاما ووجد

ذلك في المحكمة، وأطلعني أخ سوداني في ولاية كلورادو، كيف تجسس الأمريكان عليه بجهاز صغير (أو مايكرفون على حد تعبير بيتر رايت) وضعوه في المغسلة، ومن التجسس المذموم أنهم صنعوا جهازا لكشف العورات يمر به كل قادم إلى أمريكا من المسلمين دون أن يشعر، وتوعز (إف بي آي) إلى كل مواطن أن يراقب أي مسلم في حيه أو بنايته أو مدينته أي أنها حوّلت الأمريكان إلى جواسيس مجّانيين لها.

وقد استخدمت أمريكا التطور العلمي في التجسس، فلم تعد تكتفي بالصورة لإثبات شخصية القادم، بل بالوسائل الحديثة كالبصمة والعين وغير ذلك.

٢٧- نحن لا نطالب أمريكا بالمحال، وإنما نطالبها أن تكفينا شرها، وأن تسحب جيوشها وشركاتها من بلاد المسلمين، وأن تسحب أساطيلها وحاملات طائراتها من البحر الأحمر ومن الخليج ومن السواحل الأفريقية ومن كل بحر إسلامي، وأن تعيدها إلى بلادها في حدودها التي نص عليها القانون الدولي.

٢٨- نحن لا نتوقع لأمريكا إلا عقوبة ربانية، وما يعلم جنود ربك إلا هو، والله الذي أهلك عاداً وثمود وقوم نوح وفرعون وجنوده قادر على إهلاكها بما يشاء.

وقد بدأت نذر الهلاك بالهزات الأرضية والفيضانات وبالمطالبة بالانفصال عن الاتحاد، والولايات التي تريد الانفصال تزيد على ١٥ ولاية وميليشياتها تحضِّر لذلك اليوم وتعلنه ولا تخفيه، وربما كان أول ما يستقل منها القسم الجنوبي والجنوب الغربي حيث الولايات الأكثر مساحة وسكانا وأصواتا في الانتخابات، مثل ولاية كاليفورنيا التي كاد المكسيكيون يحكمونها بطريق الانتخابات، وفيها مدينة "لوس انجلس" المعروفة التي يقول بعض الأمريكيين أنها ثاني مدينة في أمريكا، والناس هناك يتكلمون الإسبانية لغة المكسيك، أما الانجليزية فيتعلمونها كما نتعلمها نحن، وقد أعلنت إحدى

المدن هناك أن لغتها الرسمية هي الإسبانية، وكذلك في الشرق الأمريكي حيث أعلنت بعض دول أمريكا الوسطى أن مدينة "ميامي" هي عاصمة أمريكا اللاتينية، وتقع الاضطرابات العرقية في فرجينيا وغيرها.

وفي كاليفورنيا ووادي السيلكون الذي هو مصدر عظمة أمريكا ومقر كبار الشركات.

هذا حالهم في أمريكا، أما هنا فإن أولياء أمريكا من اللبراليين والعلمانيين والقوميين والوطنيين كما يدّعون والتنويريين إلخ تلك الأسماء، يريدون أن ندخل في جحر الضب، وإن أبينا أن ندخل فنحن إرهابيون متشددون، طائفيون أصوليون الخ تلك التهم.

والصديق الحقيقي للإسلام كما يزعم الليبراليون في بلاد الحرمين هو الصهيوني ترامب، الذي أعلنت ابنته "إيفانكا" تحولها للدين اليهودي لكي تتزوج اليهودي المتعصب "جاريد كوشنر" مستشار ترامب لشؤون الشرق الأوسط!!

وإذا أرادت الإدارة الأمريكية التخلص من أحد اقمته بالفساد المحصور عندها في الجانب المالي فقط.

- من تناقضات أمريكا الكثيرة:

١- تدعي الإدارة الأمريكية الحرية في إبداء الرأي، ومن حق أي إنسان عندهم أن ينكر وجود الله ووجود الأنبياء صلوات الله عليهم، ولكن ليس من حقه إنكار المحرقة "الهولوكست" والأفران النازية أو ذكر اليهود بسوء، ولا يسمحون بأن يذكر ما تقوم به الدولة الصهيونية من الجرائم وإلا كان معاديا للسامية، ولو كان أبيضا مثل "ديفيد ديوك" أو يهوديا مثل "نعوم شومسكي"، وليس من حقه الحديث إلى الشعب الأمريكي كما فعلوا بالملا عمر رحمه الله، وليس من حق الإعلام نشر ما لا يرضاه البنتاجون من أخبار الحرب، بل يجب إخضاع كل القنوات الرسمية الأمريكية له، وقد حدثني

بذلك بعض القنوات الأمريكية نفسها، وإذا نشرت قناة كقناة الجزيرة القطرية مالا يرضون منعوها وهددوها بقصفها بالصواريخ إن استمرت في ذلك.

٢- يحظر الأمريكيون الأسلحة النووية ويحرمون دخول ما يسمى "النادي النووي" مع أن أمريكا هي الدولة الوحيدة في العالم التي استخدمت هذا السلاح الرهيب، كما سبق، وهي لا تفتش أو تحظر مفاعل "ديمونه" الإسرائيلي، ولا تسمح لوكالة الطاقة النووية أن تفتشه كما أنها لا تتوقف عن تطوير القنابل النووية.

وهذا السلاح المدمر لا يعرف الحدود الجغرافية، فلما ألقوا النووي التكتيكي على العراق تضرر منه أهل الكويت والرياض وغيرها وانتشرت السرطانات. ومن أكبر الموانع لديهم من رمي كوريا الشمالية به أن حلفيتهم كوريا الجنوبية سوف تضرر منه أيضاً، وفيها آلاف من الجنود الأمريكيين.

٣- يدعي الأمريكيون المساواة بين الرجل والمرأة ويذرفون دموع التماسيح على المرأة المسلمة المظلومة كما يقولون، ومع ذلك لم يختاروا هم من يوم إنشاء أمريكا إلى اليوم رئيسة لحكمهم، مع أن النساء حكمهن في الجاهلية العربية كبلقيس والزباء، ولا زلن يحكمن اليوم بعض بلاد المسلمين مثل الشيخة حسينة في بنغلادش وكانت بنازير بوتو تحكم باكستان وشيلر تحكم تركيا.

٤- يدعي الأمريكيون حرب العنصرية وهم أكثر دول العالم عنصرية، ومن مظاهر ذلك تعصبهم للعرق الأبيض الآري والمقت للسود والخلاسيين، ولكل من لم يكن شعره أشقر ولو كانت بشرته بيضاء، إلا إذا كان يهوديا، ولا يمكن أن يكون الأسود أو الملون واعظا في كنيسة ولو كان يدين بنفس مذهب الكنيسة، وقد بدأ السود في الصعود وبدأ العرق الأبيض في الانقراض، وقد ذكر الأستاذ عامر الأحمدي في جريدة الرياض أن البيض سوف ينقرضون في ٢٠٥٠، وهذا ما يقوله الأمريكيون أنفسهم والله أعلم.

٥- يصدر الأمريكيون تقارير كثيرة عن حقوق الإنسان في العالم، فمن الذي جعلهم حكاما عليه لا سيما وهم ينتهكون هذه الحقوق وهل من حقوق الإنسان قصف مصنع الدواء في الخرطوم وقصف المكتبات في العراق؟ وقصف النساء والأطفال في سورية، وقصف خيام البدو في اليمن؟

٦- يقول الأمريكيون ينبغي لكلٍ دول العالم أن تولي الشباب والقادرين على الحكم وأن لا يولوا شيخاً هرما أو معاقا، أما هم فلا بأس بالكرسي المتحرك لـــ"روزفلت" أو عكازات "كيري" وأن يكون ترامب كبير السن يقول بعضهم إن عمره الحقيقي سبعون سنة.

٧- يحث الأمريكيون أولياءهم على إشغال الشعوب بكرة القدم بينما لا تجد هذا الاهتمام داخل أمريكا، بل هي من أقل شعوب العالم اهتماما بها.

٨- يتهم الأمريكيون "فيدل كاسترو" ثم يتفقون معه ويرفعون علم كوبا ويفتتحون لها سفارة ويزورها أوباما، وقل مثل ذلك عن إيران ونظام الأسد، أما ترامب فقد أعاد العلاقات مع كوبا إلى نقطة الصفر نكالا بأوباما، وفي الوقت نفسه يرتجف من كوريا الشمالية.

كما يدعي الأمريكيون أنهم يحاربون الإرهاب وينشئون التحالفات لذلك ولا يتحدثون عن الميليشيات الأمريكية، التي تدمر المدارس والبنوك والجسور عندهم، ويزيد عددها على ٤٠٠ مليشيا، ولا تكاد تسلم منها ولاية، ويكاد اطلاق النار عندهم أن يكون يوميا وأغلب الضحايا مسلمون. وهذا أمر عادي حتى في الجامعات.

٩- يحارب الأمريكيون الجهاد ولو كان دفاعا عن النفس ويقره القانون الدولي، ويسمونه إرهابا وتطرفا، أما هم فيقولون إن حملتهم حملة صليبية!!

١٠- إذا عاد المسلمون إلى دينهم فهم خلايا نائمة أو "مخبرون"، أما الأمريكان فمن حقهم بذل المليارات لنشر دينهم ومن حق "بات روبرتسون" أو "جيمي سواجارت" أو أي أصولي أن يرشح نفسه لرئاسة أمريكا أو أن ينشؤوا قنوات ومجلات وأندية وجامعات وما شاءوا لنشر خرافاتهم وباطلهم،

وهذا كله عند الأمريكان عمل خيري، ولا بأس أن يكون كتاب "رحيل الكرة الأرضية العظيمة" تأليف "لندسي" من أكثر الكتب مبيعا في أمريكا!.

ولا بأس أن يختاروا الأصولي دونالد ترامب رئيسا لأمريكا، أما الشيخ نزار ريان مثلا فلو اختاره أهل غزة لكان ذلك عند الأمريكان دليلا إضافيا على أن (حماس) إرهابية. أما رجب طيب أردوغان فهو ديكتاتور!!

١١- يقول الأمريكيون إنهم يعملون لنشر الديمقراطية في العالم وإذا اختار الشعب بمحض إرادته في غزة أو الجزائر أو مصر من يحكمه عمل الأمريكان للإطاحة به والإتيان بديكتاتوريات مستبدة تتفق مع سياسة أمريكا وإسرائيل.

١٢- إذا دافع السود أو الفلسطينيون عن حقهم فهم عند الأمريكان إرهابيون أعداء للحرية والمساواة أما إذا اعتدى الأمريكيون واليهود على أحد فهم دعاة سلام ومحبة أو على الأقل يدافعون عن أنفسهم!

١٣- الدول الغربية نفسها، والإعلاميون الأمريكان، يقولون إن أمريكا تكيل بمكيالين وإن معاييرها مزدوجة فويل للمطففين في أي عصر وفي أي شيء.

١٤- تحث أمريكا على اعتقال عمر البشير، ولا تتحدث مرة واحدة عن اعتقال المجرم قاتل الاطفال نتنياهو، بل تساعده وتقف معه وتعطيه وتقوم بتدليله، ولم تفصح بعض دول الخليج عن تقديرها لعُمَر البشير إلا بعد أن شرعت أمريكا في إلغاء العقوبات على السودان.

١٥- تمد أمريكا الأوكرانيين بالسلاح نكاية في روسيا، وتحث الروس على حرية دول البلطيق، وترفض إنشاء قواعد روسية في شرق أوروبا، أما إذا سكت الروس عنها فتمدهم أمريكا بالقمح وتحملهم وكالة ناسا إلى الكواكب، وتتفاوض معهم بشأن مستقبل سوريا، وتسمح للروس بإنشاء قواعد عسكرية في بلاد الشام.

١٦- إذا سرب صاحب "ويكيليكس" شيئا من خطط أمريكا فهو عميل مجرم، أما إذا أنشأ البنتاجون أو وكالة "سي آي ايه" إدارات أو أقساما للتضليل والكذب فذلك حق مشروع.

١٧- إذا اغتالت المخابرات الأمريكية رئيسا منتخبا أو أمرت بإعدامه، فهي حرة عادلة ديمقراطية، وإذا اختار الشعب -أيّ شعب- ولو كان في شيلي أو أفريقيا رئيسا لا يوافق سياسة أمريكا فهو ديكتاتور مستبد غير ديمقراطي، وإذا حررت أمريكا فردا واحدا أعقبت ذلك بالمن والأذى، وربما قتلت شعبا كاملا أو أمة، فهذه حريتها وعدالتها.

١٨- اعتدى بوش الصغير على العراق بدون تفويض من الأمم المتحدة، وقال إن الله فوضه لمنع أسلحة الدمار الشامل، ثم اعترف بأنه لم يجد أسلحة دمار شامل وأن المخابرات ضللته لكيلا يطالبه أحد بالاعتذار للعراقيين!

وإذا كان الله فوضه في حلم كما يزعم، فقد فوّض المسلمين في كلامه بقتال الكفار كافة.

١٩- حين تفتخر أمريكا بالشعارات الرومانية والأسماء الرومانية فهي متقدمة متحضرة متطورة، أما لو افتخر أحد بالأمجاد الإسلامية، فهو إرهابي رجعي متطرف متشدد طائفي أصولي الخ، بل إن حزب العدالة والتنمية التركي يريد إعادة أمجاد العثمانيين، كما يقولون، والباحث التقدمي المتحضر هو الذي يقفز من عصر سيادة أثينا وروما إلى عصر النهضة الأوروبية، ولا يذكر شيئا عن الإسلام.

٢٠- حكمت المحكمة الدولية -كما قال "شومسكي"- على أمريكا، وهي الدولة الوحيدة في العالم التي حكمت عليها بالإفراط في القوة أي "الارهاب" كما ذكر، وأمريكا ترفض الانضمام لمحكمة الجنايات الدولية، كما ترفض الانضمام لاتفاقية كيوتو لمنع التلوث، وانسحبت من مؤتمر باريس للتغيرات المناخية مع أنها أكبر ملوث في العالم، كما ترفض الانضمام

لأي منظمة لا ترضيها والتوقيع على أي اتفاقية لا ترضيها وتتهمها بالانحياز ضد إسرائيل!! فأمريكا كما عبر "شومسكي" دولة وحشية إرهابية مارقة.

٢١- في حوالي ٣٠ ولاية أمريكية كما في كندا وأوروبا حركة دينية غربية تدعى "الأميشيون"، يعيش أكثرهم في ولاية بنسلفانيا قريباً من نيويورك، يرفضون أي شكل من أشكال الحضارة، ويركبون العربات ويحرثون على الدواب كما تقدم، ولو كانوا مسلمين لرأيت الحديث المستفيض والمتكرر عنهم في الإعلام الأمريكي والإعلام التابع له، ولاتُّهموا بالإرهاب والتخلف وأن سبب ذلك هو الإسلام والقرآن.

والاميشيون قريبون من الطائفة المعمدانية التي منها رؤساء أمريكا، ولهم سلوكيات خاصة ويقول عنهم بعض الكتاب إنهم لغز أو معجزة.

هذا غيض من فيض وبعض ما تقدم ذكره منشور معلوم من تناقضاتها ومع ذلك تُعلِّم المسلمين الديمقراطية والعدل!

هذا كله في المجتمع الأمريكي فالعاقل يقارن ذلك بأي مجتمع إسلامي شرقي ولو كان متأخرا كما يقولون مثل اليمن، فليس في اليمن هذه الضلالات والتناقضات، وليس فيها تبرج ولا مجاهرة بالفواحش -ولاسيما اللواط والسحاق-.

والقبائل في اليمن حرة على الحقيقة، وهي التي تحكم كما تشاء، وسلطة شيخ القبيلة أعظم من سلطة رئيس الدولة، والإنسان اليمني حرّ يقوم في أي مكان أو مسجد فينتقد رئيس الدولة أو الوزير أو أي مسؤول، ونظرا لما في اليمن من حرية قال بعض الإخوة من المخلاف السليماني، وكانت وظيفته عالية لأحد المسؤولين هنا: نريد أن تضمونا لليمن، فقال له المسؤول: كيف تتركون النعمة التي هنا وتنضمون لليمن؟ فأجابه الرجل: اليمن فقر وعز، ونحن في فقر وذل!.

والمرأة في اليمن لا تترك حجابها، وهي في ذلك طائعة مختارة لا يفرضه عليها أحد ولا تخلعه إذا خرجت خارج اليمن، وهي تتحجب ولو كانت

عاملة.

وأهل اليمن لا يأكلون الجيف أبداً، والجدة أو الجد في اليمن يحترمهم الأحفاد ويعاملونهم بالبر، والأسرة متماسكة، ويمكن لليمني مهما كان لون بشرته أن يكون إماماً أو خطيباً.

واليهود في اليمن لا تأثير لهم في السياسة مطلقاً، وكل اليمنيين يكرهون الظلم والرشوة والاحتكار، وفي إمكان أي يمني أن يؤسس حزباً أو يتحول من جمعية إلى حزب.

ولا يعانون من تغوّل الدولة وسيطرتها على كل شيء، أو التنين الذي يسميه الغربيون "لواثيان" ويرمزون به إلى الدولة.

ونحن الدعاة نكره القبليَّة لما فيها من جهل وتعصب وتقاليد لا نرضاها، ولكن قد يكون ذلك خيراً، فالقبيلة لا تقتل ولا تملك سجناً ولا أجهزة أمنية ولا تمنع الدعاة مما يريدون، ولحكمةٍ قد لا نعلمها كاملة بعث الله نبيه محمداً ﷺ في بيئة قبليَّة وكفر به كسرى وقيصر.

والقبيلة -أينما كانت- على الفطرة، وهي بعيدة عن الفلسفات الملحدة والثقافات المستوردة.، ولذلك فهي مكان دعوة قابل، ولا يجوز للدعاة إهماله.

وقد قابلت بعض شيوخ القبائل اليمنية فأخبروني أن لديهم أشخاصاً مطلوبين لأمريكا ولكنهم أجاروهم وحموهم.

ولدى كثير من الناس في اليمن جهل يستوجب الدعوة والتعليم، وخرافات تستوجب العقيدة الصحيحة.

وربما كان جهلهم حصناً لهم من تلك الشرور.

وليس في اليمن أو في أي عشيرة أو قبيلة أمراض فواحش، بل إن الشيخ عبد المجيد الزنداني حفظه الله اكتشف دواء للإيدز، ويريد أن يطرحه في الأسواق، ولو كان الشيخ الزنداني أمريكيا لمنحوه جائزة "نوبل" وجائزة كذا وأقاموا له التماثيل، وحمّلوه من التحف، وتشرفت بلقائه الملوك والرؤساء،

وتحدث عنه الإعلام طويلا، وخلدوا ذكراه كل عام، وأسبغوا عليه الألقاب العريضة.

ولا يعرف اليمنيون الانتحار، وكيف ينتحرون والصبر على القضاء دينهم، والآخرة أمامهم، وهم يتداوون بالقرآن، وإذا أجدبت قرية أو قبيلة صلّت الاستسقاء فيغيثهم الله.

والشيء الوحيد الذي تفُوق فيه أمريكا اليمن هو الصناعة، أي أنه متاع الدنيا الزائل الذي في إمكان اليمن الحصول عليه، فأمريكا تصلح أن تكون ورشة للعالم ولكن لا تصلح قائداً له، ويتساءل مؤلف كتاب (موت الغرب) وهو أمريكي: هل بلادنا مجرد اقتصاد! إذ أكثر من يأتون لأمريكا من أوربا وغيرها إنما يريدون المال.

وقد قال "شبنجلر" و"توينبي": "ليست مشكلة الغرب اليوم أنه متأخر في التقنية والصناعة". فأنت ترى فيها كل ما يدعو إلى الرفاهية ولكنهم ضائعون أشقياء.

ولسان حال الأمريكان وأتباعهم إذا ذكرت لهم اليمن هو ما قاله الكفار من قبل: ﴿أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا﴾ [مريم:٧٣].

أو كما قال فرعون: ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ [الزخرف:٥١-٥٢]، أو كما قال صاحب الجنتين: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف:٣٤].

واليمن أقوى من أمريكا لاسيما بعد أن ذاق الأمريكان هزيمة نكراء في العراق على يد العشائر العراقية، ونتحدى أمريكا أن تحتل اليمن إن كانت أقوى! أما السلاح النووي فقد كلّفهم الملايين لإنتاجه ثم الملايين لتدميره بل تدمير بعضه، وهو على كل حال سلاح ردع فقط، وإذا أراد الأمريكان الانتقام من تنظيم القاعدة في اليمن ضربوه بالطائرات دون أن يترل جندي واحد إلى الأرض، والسلاح النووي يدمر الأصدقاء والأعداء وربما دمّر ملقيه نفسه، فتأمل مثلا لو أن أمريكيا ألقته على كوريا الشمالية ألا تتدمر أيضا

كوريا الجنوبية، وإذا صدقنا مقولة أمريكا أن قنابلها النووية تجعل الأرض أكواما من الرماد أليست أمريكا جزءا من هذه الأكوام؟

وقد سمعنا جميعاً الحروب التي شنها اليهود على قطاع غزة، فهل أغنى عنهم مفاعل "ديمونه" شيئا؟ أم اضطروا لحراسته من صواريخ حماس، ولست وحدي الذي يقرر أن المفاعلات لا تغني عن أهلها شيئاً أمام الهجمات الاستشهادية، فقد قرأت ذلك أيضاً لأحد المرشحين للرئاسة الأمريكية، وقد قال بعض اليهود أنفسهم وهو أستاذ في الجامعة العبرية: (هل تستطيع أية قوة التقاط مجاهد من حافلة!)، وهل تسلم إسرائيل نفسها لو أنها هاجمت الدول العربية المحيطة بها بهذا السلاح؟

والزنا في اليمن فاحشه والدياثة كذلك أما في أمريكا فالزنا والدياثة حرية.

ومن نظر بعين البصيرة وجعل كتاب الله إمامه وسنةَ رسوله ﷺ مرجعَه علِم أن المتأخر حقّاً هو المجتمع الأمريكي، وأن المتقدم حقّاً هو المجتمع اليمني، وقد كتب الله لي أن أزور كلا المجتمعين، ورأيت تأخر هذا وتقدم هذا، وقوة هذا وضعف هذا، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وإنما القضية ما معيار التقدم والتأخر؟

وليست اليمن وحدها هي المتقدمة على أمريكا، بل كذلك بنغلاديش والدول الإفريقية وكل مجتمع إسلامي!

وقد رأيت الراهبات في أمريكا لهن لباس متميز، كما يفتخر الأمريكان بأن لديهم كليات غير مختلطة (للبنات فقط) تعد بالعشرات، فمن حق نسائنا أن يلبسن العباءات ومن حق مدارسنا أن تكون غير مختلطة.

واللص في أمريكا هو الذي لا يستطيع أن يسرق مبلغاً كبيراً يعطي منه المحامين ويرشي به المسؤولين، فالدعاوى هناك باهظة التكاليف، أما العلاج عندهم فهو مكلف جداً.

وشركات السلاح أو لوبي السلاح يعربد كما يشاء، والوسطاء

يأخذون ما يسمونه "عمولة"، ومن أشهر المرتشين رؤساء أمريكا، ومن أشهر الراشين "عدنان خاشقجي".

أما شركات السلاح الأمريكية فأكبرها شركة "لوكهيد مارتن" التي لها فرع في الرياض.

وعموما اليمنيون أكثر حرية وديمقراطية من أمريكا، كما أن اليمن أسهل تسجيلا للأحزاب، في حين أنه لا يوجد في أمريكا سوى حزبين فقط.

ونحن لا نتحدى الأمريكان أن يفتحوا طرقا كالطرق التي يفتحها اليمنيون في جبالهم الشاهقة، فالأمريكان أعجز من ذلك، وإنما نتحداهم أن يسيروا فيها بسيارات ذات دفع رباعي!

أما التخلف الدنيوي فيمكن لأهل اليمن الأخذ بأسبابه في أي وقت، وهذا يجب على كل المسلمين، كما أنه من الواجب علينا الإيمان بقضاء الله وقدره، والتوكل عليه وحده، والعمل لما ينفعنا، مع الإيمان بأنه تعالى لا يختار إلا الخير، والشر ليس إليه، فقد يكون الفقر هو الخير.

وبعد الاتفاقية المشؤومة "سايكس- بيكو" لم يعد لدينا ما نخسره، وقد قطّعوا الأمة الواحدة إلى دول كثيرة متشاحنة متنافرة، وقد جعلوا المسلمين أُمّتين عربية وإسلامية، وأسس "أنطوني إيدن" ما يسمى "جامعة الدول العربية" تلك الجامعة التي لم تُجْدِ شيئاً، بل أسسوا مجالس تعاونية أو إقليمية شرقاً وغرباً، فالقبيلة إذن خير من قوميتهم.

ومن استغرب قولنا إن اليمن أرقى من أمريكا فليقرأ ما كتبه الباحثون الأمريكيون أنفسهم عن الحضارات القديمة، وكيف أنها تُجْمع على استنكار الفاحشة الشاذة "اللواط"، ففي كتاب "الموتى" الذي كتبه المصريون القدامى، يقول المصري القديم أثناء محاكمته في الآخرة "لم أرتكب فعل اللواط"، ومع ذلك تجد المحكمة العليا في أمريكا تبيحه، فهم إذن أكثر انحطاطا من المصريين القدامى الذين كانوا وثنيين! بل إن القرود التي رجمت القردة الزانية في الجاهلية أرقى من أولئك المنحطّين وإن كانوا بشرا.

على أن أهل اليمن يعتمدون على أنفسهم بعد الله تعالى، وليس على استقدام العقول أو سلب الدول المبدعة عقولها واختراعاتها، فمصدر التقدم التكنولوجي في أمريكا هو غالباً المسلمون والألمان، والألمان شعب مبدع لقربه من الإسلام وإنما الشاذ هو حكومته واليمين المتطرف فيه.

وأعظم فلاسفة أوروبا هو "هيجل" الألماني، وأعظم أدباء أوروبا هو "جوته" الألماني، والعلاقة بين المسلمين والألمان قديمة قبل زيارة وليم الثاني لبلاد الإسلام واجتماعه بالسلطان عبد الحميد، وشر الألمان كما يقول الغربيون هو "هتلر"، لكنه ليس أكثر شراً من "ستالين" و"روزفلت"، وإذا كان الأمريكيون انتخبوا "روزفلت" فكذلك الألمان انتخبوا "هتلر"، والأمريكيون من أصل ألماني يقولون إنهم أكثر الأمريكيين، وإنهم أكثر ممن أصولهم انجليزية، أما قوة الاقتصاد الألماني اليوم فالعالم يعترف بها، وسبب ثورة "مارتن لوثر" الألماني على البابوية إسلامي، يبتدئ منذ أمر الإمبراطور البيزنطي "ليو الثالث" بتحطيم الصور والتماثيل، فالنصارى كما ذكر شيخ الإسلام كلما كانوا أقرب للمسلمين كانوا أفضل أخلاقا.

- أزمة أمريكا:

الأزمة الأمريكية الحالية هي في الحقيقة أزمة الديمقراطية والرأسمالية، وأزمة الحرية على الطريقة الأمريكية، فإما أن تختار الإدارة الأمريكية الحرية لشعبها، وتسمح له بالسلاح؛ وتسير بموجب وثيقة الحقوق المدنية (وما قرره الآباء الأوائل)، وإما أن تقف ضد رغبته وتتسبب في إغضابه بمنع كل وسائل ما تسميه "الإرهاب"، فالشعب الأمريكي يستخدم السلاح استخداما سيئا، ويقتل به الأبرياء في الجامعات والشوارع، كما أن مفهوم الحرية لديه ضال، وتتعمق الأزمة أكثر إذا علمت أن الألعاب النارية مثلا تقتضي الحرية إتاحتها وبناء المصانع لها، ولكن الإرهابيين قد يستخدمونها فما الحل؟

وقل مثل ذلك في أجهزة التحكم "ريموت كنترول"، وفي الساعات وفي

بعض المواد الغذائية والأسمدة التي لا يمكن حظرها بحال، ولكن الإرهابيين يمكن أن يصنعوا منها مواد متفجرة، وفي الوقت نفسه لا تستطيع الإدارة الوقوف أمام رغبة الشركات المصنّعة، ولو فعلت ذلك -فرضا- لدافعت عن الإرهابيين وبررت أعمالهم في نظر الشركات وقسم كبير من الشعب وبعض أعضاء الكونجرس، أضف إلى ذلك صعوبة التمييز بين المعتدل والجهادي، وبين المتدين والصوفي، وبين المسلمين الأخيار القابلين للاندماج وبين المسلمين (الأشرار!) الذين يرفضونه، وإن بدا ذلك سهلا نظريا، وصعوبة التمييز بين من يحب إسرائيل أو يقف على الحياد، وبين من يكرهها ويعاديها، ومما يزيد المشكلة أن يتحول المعتدل فجأة إلى إرهابي، والضائع إلى متدين، والمتبرج إلى إسلاموي! والرقاصة إلى محجبة، فماذا في إمكان الإدارة الأمريكية أن تفعل؟ وقد عبر عن هذا التحول المفاجئ أحد العاملين في "السي آي إيه" في جدة، وقال لو كان هؤلاء حزبا لأمكن التأثير على قيادته!

ومن العقبات التي تقف في وجه أمريكا الاختيار بين الحكومات التي ترغم شعوبها على قبول أي حل أمريكي، وبين الشعوب التي ترفض كل الحلول الغربية، وأي حل غربي هو مرفوض مقدماً، وقد اختارت الحكومة الأمريكية أن تكون في صف السيسي وبن علي مثلا، مع أن تقارير الاستخبارات عن أحوال مصر وتونس قبل الربيع العربي، وكذا زيارة بعض السناتورات للقاهرة مثلا وطريقة وصول السيسي غير الديمقراطية لسدة الحكم بعكس ذلك، وكذا ما يجري في سجون السيسي من التعذيب والانتهاكات لحقوق الإنسان، حتى أن الغربيين أنفسهم لم يسلموا من ذلك، فوقعت الإدارة الأمريكية في مأزق كبير وورطة شديدة.

أي إن مأزق الامبراطورية الأمريكية هو مأزق الامبراطورية البريطانية نفسه، بل أشد، وذلك حين اختار البريطانيون القضاء على الجراد (الإخوان) في الأرطاوية بطائراتهم، ومنْعه من احتلال الكويت، ثم فوجئوا بأن الجراد

يغزوهم في عقر دارهم في شكل مهاجرين جاءوا من دول شبه القارة الهندية مثلا، فكيف توفق أمريكا بين سعيها لنشر قواعدها في كل مكان، وبين نفيها أن تكون دولة استعمارية تريد الهيمنة على العالم وشرطيا له وحاكما عليه، وواعظا له يقضي بأن هذا مارق وهذا معتدل، وهذا خيّر وهذا شرير، وهذا يراعي حقوق الإنسان وهذا ينتهكها، وهذا تقوم سياسته على التمييز ضد المرأة والطفل، وهذا لا تمييز لديه؟ وهذا إصلاحي وهذا إفسادي وهذا صقر وهذا حمامة؟

ومثل ذلك أزمة الاختيار بين السنة والشيعة في العالم الإسلامي، علما بأن المثلث السني كما سماه البنتاجون هو مصدر الدمار. ويقول الأمريكيون إن السعودية تدعم الإرهاب سرّا، وتنضوي تحت قيادة أمريكا ظاهرا، ومعلوم أن الشعوب كلها -لاسيما في جزيرة العرب- تكره إسرائيل، فخير لأمريكا إذن (براجماتياً) أن تختار الحكومات على الشعوب، وأن تختار الشيعة على السنة، وأن تحارب الطائفية ضمن حربها على الإسلام، وأن تحمل الشعوب على طاعة حكامها، وهذا أهون الشرين، فالمنطقة كلها معقدة وتكثر فيها الخلافات الدينية والعرقية والمذهبية، وفيها ثارات وحزازات متأصلة، ولا يمكن التوفيق بين مبدأ "مونرو" ومن بعده، وبين ما قرره "ويلسن" من حق تقرير المصير للشعوب.

وكثيرا ما يعيب الإعلام الأمريكي نفسه على أمريكا أنها لا تمتلك استراتيجية واضحة في التعامل مع الأزمات، بل لكل بلد مكياله أو مكاييله.

كما أنه لا بد من الاختيار بين الكرد والعرب، ولأن الأتراك مسلمون فلا بد من تأييد حزب العمال الكردستاني مع أنه شيوعي وإرهابي عند الأمريكان، ومحاولة إسقاط حزب العدالة والتنمية بأي وسيلة.

واتفاقية "سايكس -بيكو" وما تلاها أصبحت مكروهة ممقوتة، ومحاولة أمريكا لتفتيت المنطقة طائفيا تعارضها الحكومات والشعوب معا، وكل رئيس أمريكي يعد في حملته الانتخابية ومناظراته التلفازية، بإيجاد حل لمشكلة

الصراع الإسرائيلي الفلسطيني، ثم تنتهي مدة رئاسته دون حل، فالأزمات معقدة وكثيرة، وحتى الانسحاب الكلي من المنطقة ليس حلا، إذ هو يعني الانقلاب على مبدأ "مونرو" بعد تطويره وإفساح المجال للسيطرة الروسية، والتخلي عن القواعد الأمريكية وإظهار أمريكا بمظهر الضعف أمام القوى الدولية الصاعدة، فضلا عن أن انسحاب أمريكا معناه زيادة هيمنة إيران؟

والعجيب عند الأمريكان هو أن العثمانيين ضمنوا لهذه المنطقة الاستقرار، على ما فيها من مشكلات وتناقضات.

على أن الأزمة الكبرى تكمن في نظر الإدارة في هذا التحول الطاغي للإسلام، وانتشاره السريع بين الأمريكان والغربيين أنفسهم، والتعنت الذي تبديه إسرائيل، إذ لا يكتفي "نتنياهو" بتحدي العرب فقط، بل يتحدى الإدارة الأمريكية نفسها، ويرفض أي مبادرة يطلقها الاتحاد الأوروبي.

ومما يسبب الصداع الدائم لأمريكا هو هذا الصعود المستمر للأتراك والتفاف المسلمين حولهم، وجعلهم بديلا للسيسي، حتى لو أسقط الغرب أردوغان فرضا سيصعب عليه إسقاط التدين من قلوب الأتراك، وهم يملأون المسجد الأقصى ويحبونه، وباسم الحرية الشخصية يزورونه وينشئون له الأوقاف، ويعالجون المصابين من الفلسطينيين، ومشكلة السفينة "مرمرة" لم ينسها الأتراك أبدا، ليس المتدينين منهم فحسب، بل حتى القوميين الأتراك.

كما أن الشعب الفلسطيني عقبة كأداء أمام أي حل أمريكي!

ودافعو الضرائب الأمريكيين يتساءلون كيف تتدفق هذه المليارات على إسرائيل، مع أن الأمريكيين في الداخل يعانون من الغلاء وانعدام الكفاءة الصحية والرعاية الاجتماعية، وإفلاس كثير من المدن؟

أقول: إذا كانت أمريكا صادقة في محاربة الإرهاب وليس الإسلام، فلماذا تقوم طائراتها وطائرات التحالف بمهاجمة الفلوجة مع "قاسم سليماني" الموضوع عند أمريكا على قائمة الإرهاب؟!!

وكيف نجمع بين تقرير وزارة الخارجية الأمريكية، بأن إيران هي أكبر

دولة داعمة للإرهاب في العالم، وبين أن طائرات التحالف الذي تقوده أمريكا تنصر إيران لكي تقضي على الفلوجة والموصل؟ أليس هذا تناقضا صارخا يراه المسلمون كلهم؟

ألا يدل هذا على عمق الأزمة الامريكية وأنها تكذب في دخولها الحرب على الإرهاب، وأن المستهدف الحقيقي هو الإسلام، كما عبّر ترامب نفسه حسبما ذكرت عنه وكالة "بلومبيرغ".

فأزمات أمريكا كثيرة متشعبة، وما هذه المعضلات إلا مظاهر لها.

أقول إن هذه الأزمات والمعضلات ما هي إلا جزء من المعيشة الضنك والحياة النكدة التي يبتلي الله بها كل من أعرض عن ذكره وحاد عن الإيمان به والعمل بشرعه، فكيف إذا ضممت إليها غيرها؟ فكيف بعذاب جهنم وخزي يوم القيامة؟ وإنما يملي الله لأمريكا وإسرائيل ومن والاهما ولكل ظالم ليزدادوا إثما، ثم يأخذهم على حين غرة أخذ عزيز مقتدر، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَـٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [إبراهيم:٤٢] ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق:١٧]، ولو بغى جبل على جبل لدك الله الباغي منهما.

والقاعدة أن كل رئيس أمريكي يمهد الطريق لمن بعده وإن بدا اختلاف في الشكل والمظهر أو في اللون أو في الانتماء الحزبي، فسياسة "بوش" في العراق مهدت لأن يغير أوباما البزة العسكرية الأمريكية ببزة إيرانية، وبقواعد أمريكية فقط في العراق وسياسة أوباما مهدت لترامب، فالحصانة التي أضفاها "أوباما" على حرس الحدود مع المكسيك هي التي بنى عليها "ترامب" وعده ببناء جدار عازل بين المكسيك وبين الولايات المتحدة، والذي أرجحه أن الوعد ببناء هذا الجدار سيكون مصيره مصير وعد أوباما بإغلاق سجن "جوانتنامو"، والأزمة بين "أوباما" و"نتنياهو" سببها هو حل الدولتين الذي قدمه "بوش" واستمر عليه "أوباما"، بينما أسقطه ترامب اليوم ونادى بأن الحل هو في إنشاء دولة يهودية واحدة، وأن على "المعتدلين العرب" إقامة علاقات مع إسرائيل وتعويض اللاجئين!

ولما رأى الأمريكان أن أي حل أمريكي مرفوض عند العرب كان لا بد من إحالة الأوراق إلى صديق العرب "أولاند"، ليتقدم بالمبادرة الفرنسية، وأمام رفض نتنياهو لها كان لا بد أن ينقذه السيسي والمعتدلون العرب، وهكذا يتلقف الديمقراطيون بلحاهم ما سقط من شوارب الجمهوريين، وتكون المسيرة واحدة لكل من الحمار والفيل!!

أما العرب فيصدق عليهم المثل القائل "أُكلت يوم أكل الثور الأبيض"، ولولا سياسة أوباما المخادعة ونشره للعنصرية ضد المسلمين، لما قال ترامب ما قال، بل إن الرئيس "جيمي كارتر" نفسه صرح بأن "ترامب" اعتمد على العنصرية المتأصلة في المجتمع الأمريكي.

ولو كان أوباما صادقا في خطاباته التي وجهها للمسلمين، خاصةً خطابه في القاهرة لأطلق السجناء المسلمين مثلما أطلق الجاسوس اليهودي جوناثان بولارد، أما أن يظل علي التميمي والدكتور رافل وعمر عبدالرحمن في السجن، فهذا دليل جلي على أن أوباما مراوغ انتهازي لا يضمر الخير لهذه الأمة.

على أننا نستفيد من ذلك ضرورة تربية الأمة على الوعي السياسي والحذر والاحتياط والدراسة المتأنية.

وكلام "دونالد ترامب" ترجع أصوله إلى كتاب (١٩٩٩ حرب بلا نصر)، الذي كتبه الرئيس الأمريكي الهالك "ريتشارد نيكسون"، وبعد أن كان الآباء المؤسسون يحذِّرون الشعب الأمريكي من دخول اليهود إلى أمريكا، ويبيِّنون لهم العواقب الوخيمة لذلك، أصبح ترامب يحذرهم من المسلمين!! ويمنع دخولهم أمريكا وكثير من الولايات الأمريكية اليوم تحظر دخول المسلمين حتى من يأتي من داخل أمريكا وبعضها سبق ترامب في ذلك.

وليست أزمة أمريكا اليوم سياسية أو مالية أو أخلاقية فقط، بل هي أزمة في كل مجال حتى في المجال الفلسفي البحت، فالفلسفة الأمريكية

البراجماتية تشعبت طرائق قددا، والفلسفات الشرقية وجدت في أمريكا أرضا خصبة.

- أهم الفلاسفة الأمريكيين:

- (توفلر):

يرى "توفلر" أن البشرية تطورت حسب الانتقاء الطبيعي من المجتمع البدائي إلى المجتمع الحديث، كما قرر "ماركس" أخذاً من "داروين" ومر الإنسان في تطوره بثلاث موجات:

١- الموجة الأولى: الانتقال من مرحلة الرعي والصيد إلى مرحلة الزراعة.

٢- الموجة الثانية: الانتقال من العصر الزراعي الإقطاعي إلى ما يسمى "الثورة الصناعية".

٣- الموجه الثالثة: وهي عنده المرحلة الحالية، حيث ينتقل الناس من عصر التصنيع الثقيل الرأسمالي؛ إلى عصر العولمة والشركات العابرة للحدود وعصر ما بعد الصناعة.

وحسب رأي "توفلر" تكون صدمة المستقبل بانتقال الانسان إلى حضارة لم يألفها، ومعلومات متدفقة مسيطرة تصيبه بالصدمة، التي لها أعراض نفسية وبدنية، على أن الصدمة الثقافية أهون عنده من الصدمة التقنية.

وينذر "توفلر" العالم (وهو الغرب عنده) بالمصير المحتوم إن لم يغير وسائله وطرائقه مع الواقع الجديد، لا سيما تغيير السلطة والتربية والتعليم والسلوكيات والقيم!

وينتقد "توفلر" نظرية هانتغتون التي تقول بأن الصراع سيكون بين الغرب والإسلام، كما ينتقد رأي الرئيس "جون فتزجرالد كندي" الذي يتوقع أن يصيب الانهيار المجتمع الأمريكي، إذ لاحظ كندي أنه من كل ثمانية أمريكيين يتقدمون للتجنيد يصلح واحد منهم له، وكذلك يخطئ عند "توفلر"

المفكر الأمريكي "بول كندي" صاحب كتاب "قيام القوى العظمى وسقوطها"، وكذلك ينتقد "توفلر" نظرية "نهاية التاريخ" التي عرضها "فوكوياما".

- نعوم شومسكي:

هو مفكر يهودي أمريكي غير صهيوني يدين الآن بالإلحاد وقد اشتهر بعدائه لأمريكا وإسرائيل، وقد عاش في كلا الدولتين، وتوقع لكل منهما الزوال بسبب ما تمارسانه من السياسات القائمة على الإرهاب والإفراط في القوة، وهو واضع فكرة النحو التوليدي التي يؤمن فيها بأن اللغة خصيصة إنسانية محضة، بل هي عنده أهم الخصائص، وقد تعلم اللغة العبرية ولكي يعرفها أكثر تعلم اللغة العربية، ويقرر "شومسكي" أن الطبيعة البشرية واحدة مهما اختلفت الألوان واللغات، واللغة الكونية عنده هي التراكيب العقلية الفطرية التي تعبر عنها الألسنة.

وكان لآرائه الفكرية أثر واضح في أن تعاديه الحكومة الأمريكية وتعده يساريا، وإن كانت أوروبا تحتفي به ويتسابق إعلامها لإجراء اللقاءات معه، وكيف لا تحاربه أمريكا وهو ينتقد إسرائيل ويقول إنها دولة إرهابية، وإن أمريكا تتخلى عن مبادئها لكي تنحاز لها، وهو يتوقع الإخفاق للنهج "المكارثي" الذي تعتمده السياسة الأمريكية، والنجاح للطريقة الاشتراكية التي يسير عليها المرشح الرئاسي "ساندرز"، وهذا الاتجاه الساندرزي يشق طريقه بقوة داخل المجتمع الأمريكي بغض النظر عن إخفاق ساندرز نفسه في الوصول إلى الرئاسة، وهو أقرب إلى أفكار "شومسكي" من السياسة الأمريكية الرسمية.

ويمكننا معرفة تأثر "شومسكي" بفلسفة "ديكارت" وآراء عصر التنوير ونظرية "بافلوف" السلوكية، حيث وضع السلوكيون محل نظرية "ارنولدتونبي" في التحدي والاستجابة نظريتهم عن المثير والاستجابة.

كما أن "شومسكي" عدل قول "أرسطو" من أن الإنسان مدني بطبعه إلى القول بأن الإنسان حر بطبعه.

ولا يعرف "شومسكي" من الدين إلا اليهودية والنصرانية، وكان يجب عليه كمفكر عالمي، أن يعرف حقيقة الإسلام، الذي يجمع على نحو فريد بين (الانفتاح والحرية المنضبطة) وذلك ما لا يستطيع أي مخلوق وضعه.

ويذكر "شومسكي" أن السياسة الأمريكية وكذلك ربيبتها السياسة الإسرائيلية تعتمد على التلاعب بالمصطلحات والتناقض، وهذا القول حق فوزارة الحربية في أمريكا تصبح وزارة الدفاع، وأي دفاع عن أمريكا في عدوانها على فيتنام وشبه الجزيرة الكورية، وبعض دول أمريكا الجنوبية؟ وكذلك إسرائيل تعتدي على غزة وتسمي عدوانها بأسماء إنسانية مثل "النسر النبيل" و"الجرف الصامد"!!

وتؤيد أمريكا وحلفاؤها الشيعةَ في العراق وتؤيد عميلها "العبادي" وتتكفل عمليا بالغطاء الجوي للميليشيات الشيعية التي تهاجم أهل السنة في العراق خصوصا في الفلوجة والرمادي وهيت والموصل، وهي حرب صريحة ضد أهل السنة يبصرها أكثر الناس غشاوة، إذ يقودها قاسم سليماني ويضعون صورة نمر النمر على الصواريخ التي يطلقونها على أهل السنة، فهل نصدق بهذا الواقع المحسوس أم نصدق الإعلام؟

وفي نفس الوقت الذي تقرر فيه أمريكا أن إيران أكبر داعم للإرهاب في العالم، تقول إن التحالف العربي ضد الحوثيين والمخلوع هو أكبر منتهك لحقوق الأطفال، وهكذا تكيل أمريكا بمكيالين وتتناقض سياساتها وتتخبط أحكامها!!

وشومسكي يسمى التدخل الأمريكي في كثير من بلدان العالم غزوا، وقد فصل ذلك في كتابه الشهير (٥٠٠ سنة ويستمر الغزو).

على أن أكبر خطأ وقع فيه "شومسكي" هو موقفه من أحداث ١١ سبتمبر في أمريكا، وقد حاول التخفيف من خطئه بالإحالة إلى ما كتبه

"روبرت فيسك"، حيث ذكر "فيسك" أن الحرب ليست بين الديمقراطية وبين الإرهاب كما يقال، وإنما حرب بين القوى الشريرة وبين الشعب الفلسطيني المسحوق، وأن إسرائيل تستخدم الصواريخ الأمريكية لضرب المدنيين الفلسطينيين وتدك المنازل الفلسطينية.

على أن "شومسكي" قد نبّه إلى قضية أصبحت معروفة للعالم وهي أن أي رئيس أمريكي لا بد أن يفتعل عدوا ويحاربه، وإذا كان رؤساء أمريكا أيام الحرب الباردة يحاربون العدو الأحمر "الاتحاد السوفيتي"، فإنهم الآن يحاربون العدو الأخضر "الإسلام" تحت ستار الحرب على الإرهاب.

ويذكر "شومسكي" أنه لو وقعت أحداث ١١ سبتمبر في بلد من بلدان العالم الثالث لنسيها الزمن وغطت عليها الأحداث ولما أطنب فيها الإعلام، ويقول إن الموضوعية في الإعلام خرافة، وإنما يخدم الإعلام في كل دولة السياسة التي تقوم عليها الدولة.

ويشير إلى أنه لا جديد في الدعاية السياسية، وأن أمريكا اليوم تقوم على ما تنبأ بوقوعه "جورج أورويل" في روايته التخيلية "مزرعة الحيوان"، وكلامه يعني أن العرب إذا أرادوا حل ألغاز السياسة الدولية وفك رموزها، فعليهم أن يعودوا لما ترجمه عبدالله بن المقفع في "كليلة ودمنة"، وإلى أشعار أحمد شوقي عن النمل والأسد والثعلب والطيور.. إلخ.

وحين قرر "شومسكي" أن الإنسان بفطرته يحب الفضيلة ويكره الرذيلة، فإنما يعود -دون قصد منه- لما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية كثيرا من أن الله تعالى جبل كل النفوس على حب العدل وكراهية الظلم، وعلى حب الصدق وكراهية الكذب، وعلى حب الأمانة وكراهية الخيانة.

والملفت للنظر هو أن تحذيرات "شومسكي" وتنبيهاته من أن الحضارة الغربية سوف تنهار، وأن أمريكا سوف تسقط كانت قبل عقود من وقوع أحداث ٩/١١، ومن نجاح الثورة الثقافية، ومن التراجع الأمريكي عن منطقة الشرق الأوسط، ومن ظهور الحركات المضادة لنظامها الدولي الجديد

"العولمة"، مثل حركة "احتلوا وول ستريت"، وحركة "ربيع الديمقراطية"، وهي حركات واضحة التأثر بالربيع العربي.

- (رورتي):

"ريتشارد رورتي" هو فيلسوف البراجماتية الجديدة، وهو شديد النقد للفلسفات الأخرى كالتجريبية أو الوضعية، كما أنه لا يأخذ من البراجماتية التقليدية إلا جانبا واحدا فقط، وهو الجانب القارّي الذي يمثله الألمان والفرنسيون، معرضا عن الجانب التحليلي الذي يمثله الفلاسفة الإنجليز.

وانتكس "رورتي" إلى التأويلية التي نادت بها فلسفة "الهرمونيطيقا".

ومن أشهر كتبه (البراجماتية الجديدة) وله أثره الكبير في الفلسفة المعاصرة في الغرب وقد توفي سنة ٢٠٠٧ وموضع الحديث عن البراجماتية هو مبحث الفلسفة فانظرها هناك إن شئت.

والواقع أن "رورتي" من دعاة الرشدية الجديدة، لكن له رشديته الخاصة.

- (فوكوياما):

"فوكوياما" هو أحد العاملين في مؤسسة "راند"، كما أنه مستشار لوزارة الخارجية الأمريكية، والمنظِّر الأكبر للفكر المحافظ في أمريكا، وعلى هذا يكون قريبا جدا من مركز صنع القرار الأمريكي، ولأفكاره قيمة خاصة، وبعد كتابه المشهور "نهاية التاريخ" كتب "الثقة" و"التصدع العظيم" وغيرها، وبعد أن كان مؤيدا لسياسة القوة الصلبة التي انتهجها "بوش" الصغير ومنظرا للمحافظين الجدد، انقلب إلى عدو لبوش وتحول من أن يكون من المحافظين الجدد إلى أن يكون محافظا فقط، وأيد سياسة أوباما في جمعه بين القوة الصلبة والقوة الناعمة، وهو الذي طالب بوش بإقالة "رامسفيلد"، وتحدث في كتبه عن فشل السياسة الأمريكية في العراق، وكان من مؤسسي مركز القرن الأمريكي، واشتغل أخيرا بالمستقبليات، ثم آثر التواري عن

الأنظار دون أن يبدي أسباب ذلك، وربما كان تواريه فرصة للتأمل كي يخرج علينا بكتاب جديد.

وأنا أهيب بالإخوة المقيمين في أمريكا أن يناقشوه أو يبعثوا إليه بكتب توضح له الإسلام.

ونحن نتنزل مع الفلسفات الغربية ونبحث الأمر وفقاً لها ونقول: إن المادية الجدلية التي قررها "هيجل" في قوله بأن التاريخ سوف ينتهي حين يحكم العالم الحاكم البروسي، أي سيادة العنصر الجرماني الذي ينتمي إليه "هيجل" و"بروسيا"، تلك الفلسفة التي بنى عليها "كارل ماركس" شيوعيته وبنى عليها "فوكوياما" نظريته، إلا إنه جعل الأمريكان مكان الجرمان.

أقول هذه الفلسفة الجدلية نفسها تقول إن كل فكرة تحمل في داخلها نقيضها، وإن كل وضع اجتماعي ينطوي على فنائه، ووفقا لذلك لا تكون الرأسمالية الأمريكية هي المسيطرة الأبدية، بحيث ينتهي عندها التاريخ، بل هي تحمل في نفسها فناءها المحتوم المتمثل اليوم في الانهيار الاجتماعي الذي تعاني منه أمريكا، وانتشار الإباحية المنفلتة، وتدمير الأسرة، وإباحة المثلية الجنسية (عمل قوم لوط، والسحاق) قانونيا، وغلبة العنصرية النتنة على المجتمع الأمريكي، وغلبة اليأس والقنوط والكآبة على الناس هناك، والهروب من ذلك الواقع السيئ الى الإدمان على شرب الخمور وتعاطي المخدرات أو إلى الانتحار والتخلص من الحياة ذاتها.

ونقول إن الإسلام أقرب إلى أمريكا من "الزاردشتية التي فرَّ إليها "نيتشه"، ومن الهندوسية التي هرب إليها "رالف أمرسون"، ومن البوذية التي يظن رؤساء أمريكا أن فيها الحل، ومن الثيوصوفية التي فر إليها "روبرت مكنمارا".

وإن من التعلق بالوهم زعْم كثير من الغربيين أن التجارة تنمي الفضيلة في الإنسان وتعلّمه الأمانة والصدق والوفاء والإيثار! كما يظن فوكوياما.

وإنما آمن "فوكوياما" بما يسميه "التصدع العظيم" أو "الانهيار الكبير"، كما قد يترجم بعد أن رأى بعينه مأساة القيم الاجتماعية في أمريكا، وأيقن أن التاريخ لا ينتهي بهذه الصورة المرعبة.

ويقرر فوكوياما بجلاء أنه لا مناص من اليقظة الدينية والعودة إلى التدين، ويتحدث فوكوياما عن مرونة الطبيعة البشرية، وكيف أن تلك المرونة قد تغر السلطة فتفرض على البشر ما تريد، ونحن نقول ذلك مر بمراحل متعدد في الغرب منها:

١- الدين النصراني وسلطة الكنيسة التي يجمع الباحثون على انهيارها.

٢- الثورة الفرنسية المتناقضة، التي نشأ عنها الإرهاب، وكومونة باريس، واستبداد "نابليون".

٣- الاشتراكيات الكثيرة التي ثبت إخفاقها منذ الاشتراكيات الخيالية مثل اشتراكية (أوين) ثم الاشتراكية التي زعم "ماركس" أنها العلمية.

٤- الليبرالية الديمقراطية التي تمثلها اليوم أمريكا.

وفي كل مرحلة تخدع المرونة البشرية وتتكيف، وينظر الظالمون إلى الموافقة الظاهرية، وينسون أن الجمر تحت الرماد، وأن الأكثرية الصامتة سوف تثور عليهم وتنفجر مرونتها في وجوههم، وأن التحدي المعاصر ليس تحديا اقتصاديا كما يظنون، بل هو تحد سياسي بالدرجة الأولى.

ويقترح فوكوياما لحل هذه المعضلة الإنسانية الكبرى أن يجتمع المشرّعون من كل العالم ليضعوا لها الحل السليم، أي مثل اقتراح الدكتور "اليكسس كارل" أن يبذل العلماء مزيدا من الجهد لاكتشاف حقيقة الإنسان، فالقوم غاية ما عندهم هي أن يقفزوا داخل القفص نفسه.

ويحكم فوكوياما في كتابه "مستقبلنا ما بعد البشري" بأنه سيكون في استطاعة الإنسانية وضع الخطوط الحمراء الفاصلة بين ما يجوز من الأنشطة وما لا يجوز، ونحن نجزم أن هذه الخطوط لا يستطيع البشر أن يرسموها، وأن

الله تعالى رحيم بنا إذ شرعها وأوصى بها ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص:٨٦].

وقد قال "دوجي" وهو قانوني بارز مارس التشريع طويلا "إنه لا يشرع للناس إلا الذي خلقهم".

وحين يكتب "فوكوياما" عن مشكلة الحكم والإدارة في القرن الواحد والعشرين، ينسى أو يتناسى أن هذه المشكلة تفتقر أصلا إلى حسن النية والإخلاص لله، فقد اعترف "بوش" بأنه لم يجد في العراق أسلحة دمار شامل، وأن المخابرات الأمريكية قد ضللته حين زعمت ذلك، لكنه لم يرجع إلى الجادة، بل لجأ هو والغرب إلى افتعال مشكلة أخرى هي مشكلة "الإرهاب"، وأن في مقدور هذا البعبع الجديد أن يضرب الغرب في العمق، وأن يدمر الحضارة، وأن يعوق الأهداف الغربية النبيلة التي تسعى لنشر الديمقراطية في البلدان المتخلفة، وتخليصها من الاستبداد! وتعمل على القضاء على الدول الشمولية والإكثار من مؤسسات المجتمع المدني!

ويشدد فوكوياما على فكرة استنبات المنافقين في دعوته إلى التهجين الذي طالب به "جيمس سكوت"، ويقول إنه لا بد من المعونة المحلية لتحقيق تلك الاهداف.

ويشبّه فوكوياما فكرة الاعتماد على القوة، التي نادى بها المحافظون الجدد بالثورة الحمراء التي جعلها "لينين" هي الحل الوحيد.

ويقول في كتبه الأخيرة أن الحل هو في كسب عقول المسلمين وقلوبهم، دون نفي لاستخدام القوة.

ونحن نصحح لفوكوياما نظريته عن نهاية التاريخ فنقول: إن انهيار الاتحاد السوفييتي ليس نهاية للتاريخ، وإنما هو انتهاء مرحلة من مراحله كانت تسود فيها العقيدة الشيوعية التي تتنكر للدين وللملكية الفردية، ولا تؤمن بالبعث ولا بعالم الغيب كله، على أن الخطر لا يزال قائما، إذ أن انهيار نظرية الثورة الحمراء لا يعني انهيار نظرية الثورة الثقافية الطويلة الأمد، وتستمر

الماركسية في شكل ثورة ثقافية تتغلغل في أمريكا نفسها، ومن التغلغل الثقافي الشيوعي شن الحرب على المتدينين ونشر الحداثة الأدبية، واستخدام فزاعة الإرهاب، والقضاء على العادات الاجتماعية الحسنة كالكرم والغيرة والشجاعة لاسيما عند المسلمين، وبذلك ينتقل العالم من شيوعية يمثلها المجتمع الصناعي في الغرب، إلى شيوعية معولمة تمثلها اتفاقية الجات وأخواتها، وليس الإخفاق مقتصرا على سياسة بوش ونظرة المحافظين الجدد والحزب الجمهوري كما يظن فوكوياما؛ بل إنه من طبيعة النظام الرأسمالي نفسه، إذ يقوم هذا النظام على الربا والاحتكار وتحقيق الربح بأي وسيلة، ولا أبلغ في وصفه من قوله تعالى: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١-٢].

وليست القضية إخفاق الفكرة الجماعية لكي تحل محلها الفكرة الفردية، فكلاهما مخفق لا يستقيم إلا بما أنزل الله، ولا بد للبشرية من "العود الأبدي" كما أسماه "نيتشه"، لكن ليس إلى "زرادشت"، بل إلى محمد ﷺ.

وبهذا العود الأبدي تنقضي الثنائية المتضادة من العالم، وقد كانت عند ظهور الإسلام ثنائية الفرس والروم، ثم كانت عند ضعفه ثنائية الروس والأمريكان، أما حضارة الإسلام فهي الوحيدة التي انفردت بالسيطرة على العالم، وستعود لذلك بل أعظم بإذن الله، وإنما نقول أعظم لأن عيسى عليه السلام إذا نزل لا يقبل إلا الإسلام، فلا صليب ولا جزية، وحينها يعم الإسلام الدنيا كلها أو على الأقل تخضع كلها لحكمه.

وأحسب أن تقدم العلوم الذي يفضي بطبعه إلى كفر الغرب بالنصرانية مع ازدياد معتنقي الإسلام منهم ما هو إلا مقدمة لذلك و الله أعلم.

- متى ينتهي التاريخ:

قبل أن يقرر فرنسيس فوكوياما أن الولايات المتحدة لن تبيد أبدا، كان صاحب الجنتين اللتين ذكرهما الله في سورة الكهف يظن أن جنتيه لن تبيد أبدا!!

وهكذا أهل كل زمان يظنون أنهم النهاية والغاية، وقد كان الخليفة السفاح يظن أن الخلافة سوف تبقى في بني العباس إلى أن يسلمها آخرهم لعيسى بن مريم، هكذا قال، ثم حدث ما يعلمه الجميع!!

وإنما ذهاب تلك الظنون والأوهام بمعرفة أن الله تعالى جعل الناس خلائف، وداول بينهم الأيام، وهو وحده يعلم متى ينتهي التاريخ.

وليست نهاية التاريخ هي ألفية النصارى ولا تطبيل "هيجل" لدولة "بروسيا" ولا تطبيل "فوكوياما" لأمريكا، وإنما هي فيما صح عن النبي ﷺ من أشراط الساعة وأحداث آخر الزمان.

والفلسفة الأمريكية المعاصرة "فلسفة ما بعد التحديث" هي الفلسفة البراجماتية المتناقضة التي لا تحسب كل رأي بمقدار ما فيه من الحق أو الباطل، فالأخلاق كلها نسبية عندهم، وإنما تنظر إلى كل تصرف بمقدار ما يجلبه من النفع أو الضرر، وإلى كل مشكلة على حدة.

فليس عند القوم شر محض أو خير محض، ولا حق ولا باطل، ولا حرام ولا حلال، بل لا شيء مقدس مطلقا، والعبرة بالمنفعة والنتيجة والمآل.

والمساءلة عندهم قانونية بحتة، فالقانون الأمريكي ينظر إلى اللواط على أنه حرية شخصية يبيحها القانون، أما تجاوز إشارة المرور وهي حمراء مثلا فهو كارثة كبرى قد تودي بحياة أشخاص، وهكذا تتجلى إحدى الأزمات الأمريكية -بل الديمقراطية-، فالمرجع في ذلك كله هو القانون الذي يرجع أصلا إلى قضية عد الأيادي في البرلمان أو النقابة.

وصدق الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وهكذا نجد أنه مع أن الغالب على أمريكا هو الفلسفة البراجماتية إلا أن لكل فيلسوف آراءه الخاصة، فأمرسون مثلا كان يرى وحدة الوجود على الطريقة الهندية، و"توفلر" يرى أن الموجات الثلاث هي التي تفسر التاريخ، و"فوكويا" يرى أن الرأسمالية الأمريكية هي نهاية التاريخ، وهكذا كلٌّ كاسرٌ

مكسور، وكذا "رورتي" و"هانتغتون" و"رايلي"، وكثير ممن سيأتي اسمه وممن لا نحصيه.

- أمريكا وأهدافها الخفية:

لأننا في عصر يؤمن فيه الناس بسحر العلم ويجعلون العلم بقرة مقدسة يعبدونها بلا عقل، نجد السياسة الأمريكية تتستر بالعلم لتحقيق الأهداف السياسية، ففي منتصف القرن الماضي تقريبا أمر الرئيس "جون كندي" ببرنامج غزو الفضاء ليس لمحض العلم، بل لأهداف سياسية وعسكرية أبعد.

وقارن الكلام الأمريكي الرسمي في الإعلام الأمريكي بكلام "كارل ساغان" وهو أحد العاملين في وكالة ناسا، وبكلام وزير الدفاع الأمريكي للقناة البريطانية الرابعة، لتعرف السبب الذي لأجله وضع "نيل آرمسترونج" قدمه على القمر! ثم انجلت أهداف أمريكا وتكشفت، بعد حرب النجوم أيام "ريجان"، وعلى هذا أطلقت إسرائيل أقمارها التجسسية، ولا تصدق كل من يقول: الناس صعدوا على القمر، ونحن لا نزال متمسكين بالدين واعلم أنه لو كفر كل المسلمين والعياذ بالله لم يصعدوا في الفضاء، وقارن بين هذا الكلام وبين فعل رجل الفضاء الماليزي الذي صلى في المركبة الفضائية لما صعد.

على أن مشي "نيل أرمسترونج" على القمر خبر لك أن تصدقه أو تكذبه، وجهله أو عدم الإيمان به ليس بأشد من جهل كثير من الأمريكيين بالسعودية، وقول بعض مثقفيهم إنها بجوار تكساس، أو قول "فخامة الرئيس بوش" إن طالبان فرقة موسيقية، وقول جمهور غفير من الأمريكان إن للمثلث خمس زوايا!!

وكيف يعجز المتقدم إلى جامعة "هارفاد" عن كتابة اسمه كتابة سليمة، وكيف يصحح العراقيون للمثقف الأمريكي الإعلامي لغته "الإنجليزية"،

ويعيبون علينا أن بعض مشايخنا غير مصدق بصعودهم للقمر؟ فلم يكون جهلهم تقدما وجهلنا تأخرا؟

فلتفاخر أمريكا بعلمها وقوتها وتستكبر على الله ما شاءت، فنحن واثقون أنه مهما بلغ الإنسان أو الدولة من القوة والتمكين والعلم لا ينفع ذلك مع الكفر، قال تعالى عن عاد: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف:٢٦]، وكذلك الثروة ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ﴾ [الأعراف:٤٨].

ولذلك نحن ندعو أمريكا إلى الإسلام كما ندعو أتباعها وكل إنسان في الشرق أو الغرب إليه نصيحة منا؛ قبل أن يأتي بأس الله فيقولوا آمنا بالله وحده، ولكن ذلك غير نافع لهم لو فعلوه، قال تعالى: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر:٨٥]، فحتى المتاع الدنيوي القليل الذي متع الله به قوم يونس عليه السلام لن يظفروا به.

والذي يظهر والحقيقة عند الله تعالى أن لأمريكا وجهين مختلفين:

١- وجها تمثله التصريحات العلنية ووزارتا الخارجية والدفاع ويحرص عليه الرئيس.

٢- ووجها آخر تمثله المخابرات المركزية الأمريكية وفروعها، وهو عكس الوجه الأول، وللمخابرات ميزانية ضخمة وحرية مطلقة في التصرف إلى حد أنها توقظ الرئيس من النوم ليمضي على ما تفعل، وإذا فشل الرئيس في التعامل بالوجهين كما حدث مع ترامب، فضح الله أمريكا.

ونحن إذ نقول إن في أمريكا اتجاهين كبيرين متناقضين: اتجاه المحافظة، واتجاه اللبرلة نقول: ليست الديمقراطية والليبرالية متفقتين دائما، فالديمقراطية تجعل الحكم للأغلبية، والليبرالية تقول إن الإنسان حر ولو خالف الأغلبية، وعلى أمريكا أن تختار إحداهما، وهكذا الفلسفات البشرية دائما متناقضة ومتعارضة.

والمسلمون يكرهون السياسة الأمريكية لسبب يجمع كل الأسباب، وهو أن المسلمين يشهدون ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، في حين أن كثيرا من المثقفين الأمريكيين يعتقدون أن لله ولدا تعالى الله عما يشركون، وأن المسيح عليه السلام إله، ويكفرون برسالة نبينا محمد ﷺ، وبقية الأمريكيين جهال يتبعون إعلامهم المضلل، أي أنهم بين من أعمالهم كسراب بقيعة، وهم المنظِّرون، وبين أتباعهم الذين يسيرون وراءهم في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، وتبعا لذلك تتخبط السياسة الأمريكية في العالم وتتلون وتتناقض، ويؤمن الأمريكيون حكومة وشعبا بالعلمانية التي لا نؤمن بها نحن، ولا بما يسمونه "الإسلام السياسي"، إذ أن ديننا ليس فيه فصل بين الدين والسياسة كدينهم.

وفي بلاد الحرية المزعومة لا تسمح الإسلاموفوبيا للمسلمين أن يدعو الكثير من جهلة الأمريكيين إلى الإسلام وبيان حقائقه لهم، دون الاستماع لما يردده عنه "برناردلويس" و"فريد زكريا" و"توماس فريدمان" وأتباعهم، ونحن نريد من الإدارة الأمريكية ألا تقف عائقا عن الدعوة إلى الله، وألا تسارع إلى اتهام كل المسلمين بالإرهاب، فنحن نعلن أنه ليس في ديننا إكراه وأن النفس المعصومة لا يجوز قتلها ولو كانت غير مسلمة، ولسنا عنصريين فمن أسلم فهو أخونا، وربما كان عند الله خيرا منا، ومن هادننا هادناه، ومن كان ليس من أهل الحرب كالرهبان وكبار السن والنساء والأطفال لا نقاتله، ومن أصر على قتالنا قاتلناه، مع التزامنا بأخلاقنا الإسلامية في الحرب.

نحن باختصار كما قال فريد زكريا: إن الإسلام هو مقلوب الحضارة الغربية، ولكن بمفهوم آخر غير ما يعني.

– أخيرا نقول للأمريكان:

قد سبق أن طلب أحد الأفاضل من الرياض مناظرة مع السفير الأمريكي في القاهرة باللغة الإنجليزية فلم تستجيبوا، كما سبق أن طلب

منكم الاستعداد للحوار بلا شرط مسبق، وهانحن أولاء نجدد لكم الطلب مع زيادة في التساهل، فاختاروا التوقيت الذي تريدون واللغة التي تشاؤون والشخص الذي ترغبون والوسيلة الإعلامية التي تريدون، ولا تدفنوا رؤوسكم في الرمال، وتحولوا بين الشعب الأمريكي المخدوع وبين الحقيقة، وكيف تخافون من الحوار وأنتم تقولون إنكم على الحق، وأما الشتم والاتهام وقولكم إننا إرهابيون نحن وحماس أو أننا من زنوج الصحراء.... إلخ فقد القيناه في سلة المهملات إذ ديننا يأمرنا بالإعراض عن اللغو، ولن ندخل أبدا في مهاترات وشتائم وإنما نحاور بالدليل وبالتي هي أحسن كما أمرنا ربنا، ولن نستخدم معكم بنادق القرن التاسع عشر التي هزمكم بها الأفغان والعراقيون.

وإنما نحاوركم بالحجة والبرهان فقط، وقوتنا إنما هي في الحق، وإذا رأيتم منا ميلا عن العدل فمن حقكم أن تردونا إليه، ومن واجبنا أن نرجع ولا مبرر لأن تنكلوا عن محاورة البدو الوهابيين كما تقولون.

فلا تكتبوا على الدولار في الله نثق فنحن نكتب ذلك في قلوبنا.

وإن كان إنما يمنعكم عن الحق الاستكبار واحتقار قائله فاعلموا أن هذا داء قديم قاله فرعون بحق موسى ومن معه، وقاله ابن عبد ياليل بحق الرسول ﷺ.

أولستم تفخرون بقوتكم المادية والفكرية؟ فكيف ترضون أن تكونوا ذراعا بلا عقل وقوة بلا فكر وورشة بلا كتاب؟

- الروس:

يحقد الغربيون كثيرا على الروس، لا لأن القياصرة كانوا مستبدين، ولا لأجل ثورة ١٧ أكتوبر الشيوعية، ولا لأن رئيسهم الحاكم القيصر الماكر "بوتين" فقط، بل لأن المسلمين مكون أساسي من مكونات الشعب الروسي، وليسوا مجرد مهاجرين، وللمسلمين تاريخ طويل من الأمجاد في روسيا.

فقد ابتدأ بفتح بلادهم الخليفة الراشد عمر، ثم أكمل ذلك عثمان رضي الله عنهما، حيث فتحت جيوشه "تفليس" عاصمة جورجيا، ومن جورجيا في هذا العصر ستالين وشيفار نازده وأندريه جروميكو.

وأتم المسلمون فتح القوقاز، وكان منهم المجاهد سلمان بن ربيعة الباهلي، وبقيت الأبجدية العربية هناك إلى اليوم، ومن الدول المشهورة هناك الشيشان وداغستان.

وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله، طلب منه الأوروبيون أن يرسل إليهم من يعلمهم الإسلام، فأرسل المقتدر بعثة وكان منهم المؤرخ (ابن فضلان)، الذي كتب عن رحلته تلك أن التتار المسلمين أدخلوا الروس في الإسلام، ودفعت موسكو لهم الجزية، ولما جاء العثمانيون ضموا تلك الأصقاع إلى دار الإسلام.

ولا يزال الإسلام منتشرا فيها كالشيشان وداغستان، أما موسكو فقد دفعت الجزية للمسلمين قروناً كما تقدم، وأسلم أهل القرن وتتارستان، كما دخل الإسلام في كثير من الجمهوريات السوفيتية السابقة، ولما أرسل الروس خبراء إلى مصر والشام، كان فيهم مسلمون، وترأس المسلمون البرلمان الروسي "الدوما"، حيث ترأّسه حسب الله توف، ونظرا لما يتصف به المسلمون من شجاعة أسند الاتحاد السوفيتي كثيرا من القيادات، فكان منهم الرئيس جوهر دوداييف رحمه الله، الذي كان قائدا للطيران الاعتراضي السوفيتي، كما كان منهم المخرج خالد خوج، ولما زارهم عبدالفتاح إسماعيل وهو من اليمن الجنوبي سابقا، قدم له طعاما وسمعوه يقول اليغمش، فتعجب السوفيت لذلك فقالوا له كيف عرفت اليغمش.

ويفخر الروس بكثير ممن هم مسلمون أو أصلهم إسلامي، كما يتحدثون عن تأثير الإسلام في عاداقم الاجتماعية وتراثهم الأدبي.

فأكبر شعراء الروس هو بوشكين، وهو من أصل أرتيري، ومن أشهر أدبائهم تولستوي الذي كتب رواية (الحاج مراد)، وكان تولستوي كافرا

بالنصرانية قانطا يائسا، والله أعلم على أي دين لقي الله، وكان سفيرهم في جدة قبل طرده حكيموف، والقوقازيون من جنس من الترك دخلوا في دين الله، وهم مشهورون بالشجاعة والإقدام، ومنهم في زمننا هذا من يسكن الحجاز، ومن أشهرهم وزير الحج السعودي سابقا الذي كان وزيرا للمعادن عبدالوهاب أحمد عبد الواسع الداغستاني.

ولما جاء إلى مصر والشام بعض المهندسين الروس لبناء السد العالي وغيره كان بينهم مسلمون يعرفهم أهل مصر والشام واكبر مؤلف روسي تولستوي كتب مما كتب رواية عنوانها الحاج مراد.

ومن الذكاء السياسي للحكومة التركية أنها بعد التراجع الأمريكي المشهود والعداوة الغربية للأتراك أخذت تتجه شرقا إلى روسيا والصين.

وفي اسطنبول أنشأ المسلمون الروس قنوات فضائية يشاهدها الروس ولغتها هي الروسية.

وتوقعت أكبر صحف روسيا (البرافدا) أن يصبح الإسلام هو الدين السائد في روسيا سنة ٢٠٥٠.

وبعد أن كانت الساحة الحمراء أكبر موقع للإلحاد في العالم صارت بعد انهيار الشيوعية الذي هو نذير بانهيار المنظومة الغربية كلها أكبر تجمع لصلاة العيد عند المسلمين الروس.

وروسيا حتى في أيام الاتحاد السوفيتي لم تستطع إلا أن يكون لها مفتي رسمي كبقية الدول التي تدعي الإيمان.

وأعيد وأكرر إن لدى المسلمين في تركيا وروسيا بدع كثيرة وهذا مما يزيد أعباء الدعاة وواجباتهم كما أني أهيب بإخوتي التركستانيين في السعودية وتركيا وغيرها أن يحرصوا على الاحتفاظ بلغة بني قومهم ويعلموها أبناءهم ويعلموا أبناء أولئك الأمم العظيمة العقيدة الصحيحة ويستغلوا بذلك ما فتح الله به للمسلمين من الفضاء الرحب

وفي العصر الحديث ثار المسلمون في القوقاز بقيادة الشيخ شامل، ولا تزال الثورات مشتعلة إلى اليوم، لكن الغرب لحقده على الإسلام لا يكاد يذكر ذلك، لا سيما أيام الحرب الباردة، وقد زارني وفد من الجمهوريات الإسلامية، وكانوا يتكلمون بالعربية الفصحى، وقالوا لي إذا تكلمت معنا بالعربية الفصحى لم نحتج إلى المترجم، وهكذا كان، وسألتهم أين تعلمتم العربية؟ فقالوا: في الحجرات تحت الأرض!

وقد هجّر البلاشفة الشيوعيون كثيرا من المسلمين إلى سيبيريا، إذ لم يستطيعوا القضاء عليهم، وتعجب قادتهم من أمثال "لينين" و"ستالين" كيف لم يعتنق المسلمون الشيوعية، وقال لهم بعض مثقفيهم هؤلاء يجتمعون خمسة مرات في اليوم، فقال: لو كان الناس يجتمعون إلي خمس مرات في اليوم لجعلت العالم كله شيوعيا! واضطر الزعماء في روسيا والصين إلى الإقرار بأن الصلوات الإسلامية أقوى من ثورتهم الثقافية.

واليوم يرأسهم القيصر الجديد "بوتين" الذي احتل بلاد الشام، وهو متعصب لأرثوذكسيته وحريص على استرضاء بطريرك موسكو، الذي قال للضباط الروس أنتم في حرب مقدسة، ومن طقوس الكنيسة النصرانية رش الماء الذي يسمونه "مقدسا" على جند الصليب، وذلك رشه أحد القساوسة على المقاتلين الروس لما أرادوا الذهاب لبلاد الشام، وقالوا نحن ذاهبون للشرق كي نحمي المسيحية! ولكن المجاهدين في بلاد الشام سوف يذيقون "بوتين" هزيمة أشد من الهزيمة التي ذاقها الاتحاد السوفيتي على يد الأفغان.

- **الصين:**

التركستان دولة ضخمة تبلغ مساحتها ملايين الكيلومترات المربعة، وقد اقتسمتها الشيوعية فجعلوا بعضها تابعا لروسيا وبعضها تابعا للصين، والصينيون سموا قسمهم سيكيانج، وفرضوا عليه اللغة الصينية، ومنعوا الأهالي من صيام رمضان، والإنجاب أكثر مما تحدده الدولة، ومعنى تركستان بلاد الترك، والمسلمون في الصين متميزون عن غيرهم، فهم لا يأكلون الجيف ولا يعبدون الأصنام، ويشتغلون بالتجارة، وبعضهم من الأثرياء الكبار، وبقية الصينيين المجوس يظنون أن المسلمين قومية مستقلة، وينسبونهم للإرهاب، وإذا وقع أي حادث نسبوه إلى الإيغور، وقالوا إرهاب إسلامي، تمشيا مع السياسة العالمية.

وفي القرن الأول الهجري أقسم قتيبة بن مسلم الباهلي أن يطأ أرض الصين برجله، فاضطر الملك الصيني حينها أن يرسل وفدا صينيا معه تراب من أرض الصين كي يطأه قتيبة، ثم يعقد هدنة مع الصين.

وقد ذكروا في التاريخ أن أحد المصارعين الكبار في الصين، اشترط لدخول الإسلام أن يغلبه مصارع مسلم، فانبرى له أحد الشيوخ ممن لا يجيدون المصارعة، ولكنه غلب المصارع، وقصة هذا الشيخ تذكرنا بقصة خالد بن الوليد لما بلع السم، وللمسلمين في ذلك قصص كثيرة، كلها تؤكد أن الدين عند الله الإسلام.

وللمسلمين في كلا قسمي التركستان تاريخ حافل، ولهم ثورات مجيدة في القرن العشرين، ومهما نسيهم المسلمون لا بد أن ينتصروا بإذن الله.

ولأهالي تركستان فضل كبير على أهل الحجاز وبلاد الحرمين، ومنهم الشيخ سعد وقاص، شيخ الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله الخليفي.

وليس المقصود الإفاضة في تاريخ المسلمين في روسيا والصين، وإنما تسليط الضوء على جانب وسبب من عداوة أهل الكتاب لهما، وتعصبهم

عليها.

وقد امتد تعصب الغرب إلى استبقاء الأسماء النصرانية لبعض الأقطار الإسلامية، فمصر ما هي إلا القبط "ايجبت"، وبلاد الشام جعلوها "سورية"، لأن سوريا هي الإله الشمسي عند الروم، وهو الاسم الذي كان الروم يسمونها به قبل الإسلام، ومنهم هرقل، واسطنبول يسمونها بيزنطة، وهكذا، وليتهم يسمون المدن بأسماء مؤسسيها، فيسمون اسطنبول القسطنطينية، كما نسمي نحن الإسكندرية، أما المسلمون فلا يتحرجون من الاسم إلا من الأسماء الشركية، مثل عبدالنبي وعبدالحسين وعبدشمس.

والغرب يفتخر بالمحرف ويتنكر للموثوق، فاليهود عليهم لعائن الله يرون العودة لأرض التوراة بزعمهم، بل إن المجرم قاتل الأطفال نتنياهو لا يتحرج أن يقرأ نصوصا من التوراة على منبر هيئة الأمم المتحدة، أما أن يستشهد أحد بالقرآن فذلك عند أهل الكتاب والملاحدة رجعية وإرهاب وتطرف، وأول من فعل ذلك محمد مرسي، الذي أعرض عنه من يدعون الإسلام مع الكفار من الأمريكان واليهود، وأقل أحواله أن يكون حاكما متغلباً، وإذا بحث الغربيون في الآثار مثلا بحثوا في التوراة أو أحد النقوش، دون أن يذكروا القرآن ويجعلوه هو الأصل أو الحجة، بل وصل بهم التعصب والإسلاموفوبيا إلى حد أنهم يمنعون التحدث بالعربية، حتى من كان يكلم أمه.

وبعض الدول الغربية تحارب من يقول الله أكبر، وينشر المتعصبون كتاب (الله ليس أكبر)! والمباحث عندهم تستدل بأي كلمة عربية أو ملامح غير آرية للقول بأن صاحبها إرهابي، مع أن اليهود كالعرب في الملامح.

وإذا وقع عندهم حادث قالوا فاعله من أصول إسلامية، ولو كان الأمر مقتصرا على سفهائهم وعامتهم لربما عذرهم العاذرون، لكن الداء أصاب كبراءهم وفلاسفتهم، خذ مثلا كبير فلاسفتهم "هيجل"، إنه يسمي الإسلام المحمدية، وعند كتابته عن العالم الشرقي لم يذكر الإسلام إلا نادرا، وفي

معرض الذم، وهو يعيب اللغة العربية أيضا، بل هو متعصب على الصينيين والهنود كثيرا، ويرى أن أفضل وسيلة لتحضيرهم هو أن يستعمرهم الغربيون. ويستدلون على أن الإرهابي متشبع بالوهابية بأنه اعتمر قبل سنوات، أو أقام بين الوهابيين في السعودية، أو صلى في مسجد بنته السعودية.

وهكذا يتهمون المسلم ويلصقون به كل عيب، وينسون ما يحل بهم من الأزمات والمشكلات في كل مجال.

قضية المرأة

من أخطر المؤامرات على الإسلام في هذا العصر المؤامرة على المرأة المسلمة، وهي مؤامرة لا يدرك كثير من الناس أبعادها، ومن ذلك محاولة المفسدين إقحامها في كل مجال، حتى إنهم ليأتون بالطبيبة فيجعلونها مسؤولة عن العمال، أو بالمدرِّسة فيجعلونها تشارك في الحوار الوطني!!

وقد ظلَّ المسلمون قرونا طويلة ليس لديهم مشكلة أو قضية تسمى "قضية المرأة"، فكل ما أعطاها الكتاب والسنة من الحقوق تأخذها طاعة لله ولرسوله ﷺ، ووقع منهم ويقع أخطاء وبدع وتصورات مخالفة لما شرع الله، لكن العلماء والقضاة والدعاة والأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر يردون الناس إلى كتاب الله، وظلت المرأة مصانة مكرمة محجبة، إلى أن ظهر استعلاء الكفار وسيطرتهم وانبهار أو إعجاب بعض المسلمين بعاداتهم وتقاليدهم، ومنها الدياثة وفقد الغيرة والاختلاط والتبرج والتهاون في العرض.

وعرف الغرب أن إفساد المرأة وسيلة لإفساد المجتمع كله، ودس لهم شياطين ألإنس والجن بذلك، واستخدموا الإعلام والروايات والفن لأغراضهم الخبيثة.

وانتقل الغرب من الرهبانية التي حرمها الله ورسوله إلى الفاحشة والإباحية هربا من الكنيسة النصرانية ودينها، ورافق هذه الانهزامية لدى المسلمين ظهور فكر أعوج وفتاوى ضالة وآراء باطلة ومعايير كافرة، بأن هذا فيه خلاف وهذا ينمي الإرهاب وهذا ظلم للمرأة، وهذا فيه عدم ثقة، ...الخ، وأسهمت في ذلك القنوات الهابطة، والمجلات النسائية كما تسمى، والصحف والمواقع إلا ما رحم ربك، وكل ذلك أدى إلى الإعراض عن الكتاب والسنة والتلقي من الفكر الغربي الهارب، ودفعت المرأة المسلمة تكاليف كثيرة نتيجة ذلك، واشتد عليها الضغط من كل جانب، وعانت أشد المعاناة فانحرف بعضهن لا سيما في المدن، وأراد المفسدون أن تتحرر المرأة من العبودية لله تعالى التي يفخر بها المجتمع، ويريدون لها أن تشقى بما شقيت به المرأة الغربية لما صدقت أوهامهم وسارت خلف شعاراتهم.

وشقاء المرأة الغربية يشاهده، كل من يزور تلك المجتمعات المظلمة، أو يعيش فيها، أو يقرأ عنها، ومع ذلك تجد الغربيين ينعون دائما على المرأة المسلمة تخلفها وهوانها وحرمانها، ويطالبون لها بحقوق جاء ديننا الحنيف بخير منها وأعدل وأكرم، ومن كلمات الهالك القذافي -وقد رأيته وقرأت له وسمعت له مرارا- قوله: "إننا إذا كلمنا الغربيين في السياسة والاقتصاد أرجعونا بلا مناسبة لقضية المرأة عندنا"، وصدق وهو كذوب، فهم يعادوننا ويتعصبون علينا ويتهموننا بما ليس فينا، ومما يزيد ذلك سيطرة اليهود قبحهم الله على أكثر سياستهم، ونظرتهم إلى العرب أو المسلمين نظرة دونية غالبا، وبعض الغربيين أنفسهم يقر بذلك، وقد ناقشت أحدهم فقال: أنا خجل من موقف حكومتي من القضية الفلسطينية ولكن لا أملك التغيير!.

وهذا الكلام صحيح في ذاته، لكن كان ينبغي لقائله أن يكون أكثر خجلاً من موقف حكومته من المرأة حيث جعلوا التبرج تحريرًا والدياثة تقدمًا.

وقد اتخذ أعداء الله المرأة وسيلة للهدم وتقويض بناء المجتمعات، والزج بالرجل في متاهة الشهوات.

فيجب أن نحمد الله الذي وفقنا ومنّ علينا بهذه الشريعة المطهرة، وهذا الرسول الكريم ﷺ، ونفتخر بديننا ونعتز به في كل قضية لا سيما قضية المرأة، حيث جاءت شريعته موافقة للفطرة الإنسانية.

ومن الفخر والاعتزاز بديننا أن نعلن حد الرجم ونجاهر به ولا نبالي بالغربيين ودياثتهم، فهذا الحد مذكور عندهم في التوراة إلى اليوم، وعمل به النبي ﷺ في حق ماعز وفي حق الغامدية، كما عمل به بشروطه المعروفة السلف الصالح والمسلمون قديما وحديثا، إلا من يبالي بالغرب ودياثتهم وإعلامهم، وبمن وافقهم من المنافقين، وقد قالت امرأة أمريكية اغتصبها اللصوص أمام زوجها: لو كانوا هنا يقطعون رأس الجاني ما حدث هذا، وما

أكثر ما يردد ذلك هؤلاء المتأخرون، ومع ذلك يقولون عندنا يجب أن نتخلى عن ديننا، وتكون حياتنا على الطريقة الأمريكية!

ومما يعرفه أهالي جدة ويتناقلونه بينهم أنه لما جاء الرئيس الأمريكي السابق المعروف في أمريكا نفسها باسم "ويلي الماكر" أعني "وليم كلينتون" لما جاء إلى مؤتمر جدة الاقتصادي أفتى بأن خديجة رضي الله عنها قادت الجمل، وفعلت وفعلتْ، إلى آخر هذيانه، وتعليمه لنا ديننا، ولم يبلغني أن أحداً رد عليه، وهذا من ضعف الإيمان والشعور بالدونية أمام الكفار، كما لم يبلغني ولم أقرأ أو أسمع أن (فخامته) قال مثل ذلك في الهند، حيث يحرق الهندوس امرأة الزوج المتوفى وهي حية، كما لم أسمع أن (فخامته) قاله لليونانيين حيث يمنع رهبان "أثوس" المرأة من دخولها، بل يمنعون كل أنثى ولو كانت حيوانا من دخول جزيرتهم، كما لم أقرأ قط أن "كلينتون" قال لليهود اسمحوا للمرأة أن تزور "حائط المبكى" معكم، فإن المسلمين (المتأخرين) يسمحون لها أن تطوف بالكعبة كالرجال، علما بأن إخواننا الفلسطينيين يسمونه حائط البراق، وإنما يبكي عنده اليهود لأنه بقية هيكلهم المزعوم.

على أن النصيحة والدعوة واجبة منا له، ونرجو أن ينصح الأمريكان بما يخصهم من كلامنا.

- نصيحة لفخامة الرئيس (ويليام كلينتون):

- أنصح فخامتكم أن يبدأ بأمريكا، وينصح الأمريكيين أن لا يطردوا البنت من البيت إذا بلغت السن القانونية، وألا يرغموا المرأة على العمل لكي تنفق على نفسها، وأن لا يرموها في دار العجزة إذا تقدمت بها السن، وأن لا يعطوها أجرًا أقل من أجر الرجل مع أنها تعمل نفس العمل.

- نحن نعلم أنك لا تؤمن بالقرآن، فتنصح الأمريكان بالعدل كما أمر الله في القرآن، ولكن ألا تؤمن بوثيقة الحقوق المدنية؟

ونعلم أن فخامتك درس في معهد لاهوتي، فهل هذه التفرقة الأمريكية في الكتاب المقدس الذي تسمونه "البايبل"، وليتك تعظ حكام المسلمين بأن يكونوا مثلك، أي دارسين لدين الله وشرعه.

- إذا كان الإنسان عندكم حيواناً تطَّور من القردة إذ أنك دارويني، فإنه عندنا مخلوق مكرَّم نعتقد أن الله كرَّمه وفضّله على المخلوقات كلها، وجعل للرجل قوامة على المرأة.

- لماذا لم يعظ فخامتكم الصهاينة الذين يمنعون المرأة اليهودية من زيارة حائط المبكى كما يسمح المسلمون المتأخرون عندك وعندهم للمرأة بالطواف؟

- اليهود المكارون يعلمون أن فخامتك ليبرالي، ولذلك أحاطوا بك أيام رئاستك فجعلت منهم سبعة سكرتاريين (وزراء) لأول مرة في تاريخ أمريكا، وهم معروفون بأسمائهم لا سيما وزيرة خارجيتك اليهودية "مادلين أولبرايت".

- فخامتكم أسقط نظرية "الرئيس الأب" التي كان الأمريكيون يظنونها، وأحل محلها "الرئيس الفاسق"، وجعَلت سمعة أمريكا في الوحل، حتى أن بعض الصحف الأمريكية تعجبت كيف يستقبلك "مانديلا"؟

- نحت الأمريكيون في أحد الجبال -كما تعلم- صور أربعة من رؤساء أمريكا الذين كان لهم إنجاز حضاري في التاريخ الأمريكي، أما أنت فلم تجد لك بعض الصحف، التي صورت هؤلاء الأربعة ووضعتك بجانبهم، إنجازا إلا جذب السحَّابات النسائية! وبذلك صوروا مقابل وجهك صورة سحّاب نسائي مفتوح لست أدري أهو سحاب بنطلون "جونز" أو غيرها! لأنهن كثير كما تعلم.

وهذا هو إنجازك العظيم!.

- لما تدربت في بيتك الأبيض اليهودية "مونيكا"، كان من فخامتك ما كان وأنت تعلم، ولما حاكموا فخامتك، كانت زوجتك المحامية "هيلاري" تختار من المحامين من هو أقدر على الاحتيال والكذب!.

- جئت لمنتدى جدة وأنت تعلم أن أمريكا نفسها تغرق في الأوحال فهل تريد أن تغرق معها المجتمعات الإسلامية؟

- لأن فخامتكم داروييني، هاجمتكم الصحف ووسائل الإعلام والجامعات ومراكز البحوث التي تؤمن بحرفية التوراة، ونظرية الخلق المستقل كما وردت فيها، ونحن هنا لم يهاجمك أحد، وهذا -إن لم يكن من العمالة والتبعية- فهو من فرط الكرم العربي، فليت فخامتك تأدب مع من أكرمه واحترم خصوصيته!

- فخامتكم في خطابك الشهير في ولاية (أوريجن) (وتحديداً مدينة بورت لاند) قلت إن العرق الأبيض سوف يصبح أقلية في أمريكا، فمن أي عرق فخامتكم؟ ولماذا هذه العنصرية؟

- طالَب أكبر روائي في أمريكا "غور فيدال" بمحاكمة فخامتكم بتهمة إبادة الجنس البشري، فهل يذكر فخامتكم بعض هذه الأجناس المبادة في عهدكم الزاهر؟

- صحيح أن كثيراً من الناس هنا لا يسمحون للمرأة أن تقود السيارة، ولكن ذلك ليس احتقارا لها كما تظنون، بل هو تكريم وإجلال، ومن وسّع الله عليه هنا يستقدمون لها سائقا خاصا من الخارج ويجعلونه خادما لها.

أما العمل التجاري فحسبك لو أردت، أن تسأل عن السجلات التجارية النسائية التي تعرفها الغرفة التجارية في جدة ووزارة التجارة، لتجد أن كثير منها بأسماء نسائية.

- نحن نعلم أن توحيدنا ليس كتثليثكم، وأن مساجدنا ليست مثل كنائسكم، وأن قرآننا ليس كتوراتكم، ونعلم أن لكل بيئة خصوصيتها، فمن الذي خالف القوانين الدولية أنحن أم أنتم؟

- من خصوصيات مجتمعنا -وكل المجتمعات الإسلامية- المحافظة على الشرف وحماية العِرض، ونعتقد أن من الدياثة أن يرضى أحد لأمه أو أخته أو بنته أو زوجته فعل الفاحشة أو مقدماها، ونعلم أن الدياثة من خصوصيات المجتمعات الكافرة في الغرب.

- أبانت موعظتكم أو فتواكم لنا عن جهل فخامتكم بديننا، وعن استخفاف الغربيين لعقولنا، إذ جئت تعظ وتذكّر بما يعرفه كل أحد من المسلمين حتى الأطفال.

- يبدو أن فخامتكم يجهل أن قناة "العربية" عندنا حاكت نهجكم في التبرج والتعري ولكنها قناة مرفوضة عند الناس، ويسموها العبرية.

- لسنا يا صاحب الفخامة بدواً مغفلين أو ثلة من زنوج الصحراء!! بل نحن أهل دين وغيرة، أمرنا ربنا ألا نطيع أمر المفسدين سواء أكانوا مستغربين من أبناء جلدتنا أو أمريكيين، ونحن لسنا كاليهود نتجنب المرأة إذا حاضت أو نفست كيلا تنجّسنا، ولا نقول كما قال بعض القساوسة الغربيين، إن المرأة لا روح لها، وليس عندنا مثل "استير" و"اليزابث تايلور" ولا أي ممثلة هوليودية! وإذا كنتم وحبيبتكم إسرائيل تعتقدون أننا متأخرون، فالحمد لله على هذا التأخر وأنعم به من تأخر.

- نحن لسنا يا فخامة الرئيس مجتمعا بدائيا جاء بعد الحلقة المفقودة، فضلا عن أن نكون قبلها، بل نحن مجتمع مؤمن متقدم راق نحتكم إلى شرع الله ونتبع دينه، ولا نحتاج لأن يفتينا أو يعظنا أحد لاً يؤمن بالله ربًا وبالإسلام دينا، وبمحمد ﷺ رسولا، ونحن نؤمن بأن التوراة التي يؤمن بها اليهود والنصارى في صيغتها الإلهية منسوخة، فكيف وقد حرفها الأحبار وتلاعب بها البابوات، وجعلوا منها توراة صحيحة وتوراة منحولة وما ليس هذا موضعه؟

- إذا استقبلكم أحد أو سمح لكم بالفتوى فهو لا يمثل إلا نفسه أو شلته، أما الشعب هنا فلا يمثله إلا أهل العلم والإيمان، الذين لو سمعوا كلامك لردوا عليه وبينوا لك ما لا تعلم.

- يعلم فخامتكم أن في بلاده حركات نسائية تطالب بالعودة إلى البيت، فما المانع أن تكون مجتمعاتنا على ذلك؟

- أنت لا تستطيع أن تنفي أنك قبضت رشوة أيام رئاستك، وممن رشاك من السعوديين (عدنان خاشقجي) الذي قدم لك مئة ألف دولار فقط، دع الشركات التي ترشيك وتتحكم في قرارك، وقد كتب كاتب سويدي عن الرشاوى التي قبضتموها بالملايين!

- أنصح فخامتكم أن يذهب إلى الدويلة الصهيونية وأن يحث حاخاماتها على إلغاء الحرق المذكور في التوراة "سفر اللاويين عدد ٢١" الذي يقول: "وإذا تدنست امرأة بالزنا فقد دنست أباها، بالنار تحرق"، فهذا هو الإرهاب الذي لا يتحدث عنه فخامتكم"! ولا يذكره الإعلام الغربي وتوابعه، وهم لا يذكرون الإحراق الذي حدث في "ميدان رابعة"، أو في "ميدان النهضة"، أو في سيناء، أو في أماكن كثيرة في العراق وسوريا، بلغ في بعضها ما يقارب ٤٠ قرية دفعة واحدة، ولم يسأل فخامتكم نفسه هل يكون القصف الجوي -كما يفعل التحالف الأمريكي -المسمى التحالف الدولي لحرب الإرهاب- بدون إحراق؟ ولماذا إذن نرى النيران ونرى الدخان المتصاعد؟

نعم ينبغي لهيئة كبار العلماء السعودية أن تصدر بيانا عن الحرق والراجح فيه وأنواعه وأحكامه، ويقدمون النتيجة لكم، والعجيب أن الأمريكان الذين أحرقوا الناس في اليابان وفي أمريكا اللاتينية وفي الفلبين وفي فيتنام وفي العراق وفي كمبوديا وما لا يحصى يرون ذلك تحضيرا لهؤلاء البرابرة الوحوش كما يقولون ونشرا للديمقراطية، وتعليما لحقوق الإنسان، فهل فخامتكم يريد تحضيرنا أيضا؟

- أي شركة ضغطت على فخامتكم كي يصمت أياما عن جنسية "تيموثي مكفي" لما قتل ١٦٠ طالبا في أوكلاهوما؟ أليست ملامح الجاني معروفة منذ اللحظة الأولى وفي المدرسة حراس وكاميرات؟

- أخيرا أقول لفخامتكم لو جاز لنا أن نشكر كافرا لشكرناك، لأنك شجعتنا على أن نستفيد ما لم نكن نعلم عن سيرتك، ولا ريب أن ما لم يبلغنا أعظم.

ونعود لموضوعنا فنقول:

الفطرة في الغرب تأبى إلا أن تظهر فيهم، مع أنهم يرتكبون كل الفواحش ويبيحون الزنا والجيف ولحم الخنزير، فتجد أحدهم إذا شتم أحدا قال: يا يهودي أو يا ابن الزانية، أو يا خنزير، ونحو ذلك، والغربيون يتمنون أن يكونوا شرقيين ويغبطون المسلمين على أخلاقهم وغيرتهم، ويصرحون بأن الغيرة إحدى محاسن المسلمين، ومن محاسنهم العظيمة عند الغربيين أنهم يعرفون أبناءهم، فهي نعمة كبرى لا نعرف نحن قدرها لأننا نولد ونعيش فيها ولله الحمد، أما الغرب الديوث آكل الخنزير فلا يبالي بذلك، وكيف يعرفون أبناءهم وهم يجوز عندهم اشتراك أكثر من رجل في امرأة واحدة، ومع ذلك نجد جريدة "الشرق الأوسط" تحثنا على الدياثة وتنهانا عن الغيرة، فقد كتب فيها "عبدالله با جبير" مقالا بعنوان "لا تكن غيورا"، ذكر فيه - أصلحه الله- أن القرد إذا غار على القردة، ارتفع ضغطه وتسارعت نبضات قلبه ... إلخ.

ونحن والله لن نترك الغيرة ولن يتركها مجتمعنا المحافظ حتى لو غضبت الشركة السعودية للأبحاث، فالغيرة صفة اتصف بها الصحابة الكرام، والرسول ﷺ أغير منهم، والله أغير منه، وهل الدياثة إلا ما يريده النتن يا عبدالله! ومن العدل أن أخبرك أنني قرأت لك كلامك الجيد عن النتن، أنك هكذا سميته.

ومما ينفِّر الشعوب من تلك الإباحية الغربية ما يقرأونه أو يسمعونه من مثل علاقة "جون كيندي" بالممثلة "مارلين مونرو" أو علاقة "ويليم كلينتون" بالمتدربة "مونيكا"، وعلاقة "ترامب" بكثير من النساء، وما خفي أعظم، هذا وأمريكا في نظر الغربيين متدينة، والناس في إيطاليا مثلا يقولون إن بريطانيا محافظة، والحرية الجنسية فيها مقيدة، ولو قارنت "بوش الصغير" مثلا، برئيس فرنسا لرأيت الفرق الكبير، فلا مانع لدى (فخامة) الرئيس الفرنسي! أن تحمل ابنته سفاحًا، ولا يعيبه الأوربيون بسبب ذلك، أما جهل الغربيين بالأسفار التوراتية فأمر معروف، وقد لاحظت ذلك بنفسي في مقابلة لي مع أحدهم كما أنني سألته هل رأيت الكعبة في التلفزيون؟ قال لم أرها أبداً، وعجب جدًا، بل رأيت الذهول على وجهه حين حدثته عن بعض الأسفار في التوراة! وقال: تعرفون هذه الأسفار؟

وأخبرني أحد الإخوة الأفاضل نقلا عن مشرفه أن الرئيس "بوش الابن" لما قال لـــ"جاك شيراك" هاتفيا، لا بد من اشتراك فرنسا في الحرب على العراق، فإن العراقيين هم يأجوج ومأجوج المذكوران في "التوراة"، لم يعرف شيراك شيئا عن التوراة وأسفارها، وسأل مستشاريه عنها، فكلهم نفى أي علم! فاضطر شيراك إلى إرسال أحد مستشاريه إلى أستاذ لاهوت في هولندا، ليخبره عن السِّفر الذي فيه ذلك الكلام المذكور!. وهكذا لم يبق لكثير من الغربيين من الدين إلا التعصب له، وكراهية المسلمين.

كما رأيت بنفسي غربيًا آخر عمل في الكلية الجوية بالرياض وحدثني فكان مما قال: إن طلاب الكلية صغار العقول جدا! ولذلك لم أستفد منهم كلمة عربية واحدة!

وأخبرني أحد الإخوة من غرب أوروبا، أن بعض المسلمين اتخذ طريقة لم يُسبق إليها للدعوة إلى الله بين الغربيين، وذلك بأن يضع غلاف القرآن الكريم على كتابهم المقدس ويقرأ لهم بعض ما فيه حتى إذا قالوا هذا هو

الإرهاب، الذي يحرض عليه القرآن، وهذا هو احتقار المرأة الذي يدعو إليه، نزع الغلاف وقال: هذا كتابكم وليس القرآن.

ويفخر الأمريكيون بأنهم من نسل الحُجاج المتطهرين، وبأنهم متدينون ليسوا ملاحدة مثل الأوربيين، فأمريكا هي ثاني بلد في التدين بعد إيرلندا، وأكثر الروايات الإباحية الأوروبية ظلت ممنوعة في أمريكا إلى وقت قريب، كما أن الإعلام الأمريكي كان يمنع ذكر الأعضاء التناسلية أو تصويرها.

فالفرق كبير بين الناس في كلا المجتمَعين الغربيين، بل حتى أمريكا فيها ولايات ملتزمة وولايات منفلتة

ومن يقرأ في التاريخ الأوروبي يجد أن كثيراً من أبطالهم ومخترعيهم أبناء سفاح، والتاريخ الفكري الغربي ينطق بذلك، والغربيون يمجدون الساقطات في مسرحياتهم وقصصهم أو على الأقل يلتمسون لهن الأعذار المتكلَّفة، مثل "غادة الكاميليا" و"مانون ليسكو" والبؤساء، وقصص توماس هاردي" ولا تخلو عندهم مسرحية أو قصة أو سيرة من نوع من الزنا الذي يسمونه حبا أو علاقة عاطفية، وكثيرا ما سموه الحب البريء! وهكذا كان الرومان واليونان من قبل و "قديسات الدعارة" وانتقلت العدوى إلى أمريكا لا سيما في القرن العشرين.

وكثير من الغربيين يفضل العزوبة ويقول إن الزواج "سجن!"، ومن ذلك أن "أزوالد شبنجلر" مؤلف كتاب "انهيار الغرب" عاش أعزبا وحيدا طوال عمره، وكذلك "هربرت سبنسر"، وبعض مفكريهم أو فلاسفتهم يعاشر المرأة قبل الزواج ثم يتزوجها ثم يطلقها، وهذا شيء عادي جدًا عندهم.

ومن أشنع ما عند الغربيين بل هو في كتبهم الدينية: نكاح المحارم، وهو قديم جدا، ويقولون إن السلالات الحاكمة كانت تفعله كي تحفظ نقاوة العرق الملكي، ويضربون لذلك مثلا بالفراعنة أو أباطرة الروم أو ملوك الصين

والهند، وكل هؤلاء يفتخرون بذلك، وإذا نبغ منهم ملك وأرادوا الثناء عليه أو التعريف به قالوا: ناكح أخته أو عاشق أخته عياذا بالله.

وممن انتقل ذلك الفعل اللئيم لديه من مفكري الغرب، الفيلسوف "فولتير" الفرنسي الذي كان يتعشق بنت أخته، وله روايات كثيرة منها (محمد) ﷺ، وعندهم في توراتهم المحرفة أن ابنتي لوط عليه السلام اضطجعتا مع أبيهما بعد أن سقتاه خمرًا! وأنجبتا منه -وحاشاه وكل نبي من ذلك-، ويبرر ذلك فيلسوفهم الكبير "برتراند رسل" وقرأت له قوله: "لو أن البشرية تدمرت بفعل قنبلة نووية، ولم يبق إلا رجل وأخته فهل يدعان الجنس البشري ينقرض؟"، هذا، وهو يرفض الحضارة الغربية ويعرف أزماتها ومشكلاتها.

وإذا ناقشت الغربيين في ذلك كما ناظرهم الشيخ أحمد ديدات رحمه الله، قالوا هذا مثل البغاء المقدس، وهذا البغاء تكلم عنه علماء الاجتماع والآثاريون وعلماء الإنتربولوجيا والانطولوجيا، ولا نصدقهم ولا نكذبهم بالنسبة للمشركين الأولين، وإنما نقول إن العرب في الجاهلية لم يكونوا يعرفونه، وإن ما يقوله بعض المقلدين للغرب من العرب باطل، وكان العرب -كما ذكر الجلَندى ملك عمان- يترفعون عن الدنايا التي يفعلها المجوس، وبعض هؤلاء المقلدين يستشهد بقول امرئ القيس الشاعر:

"عذارى دوارٍ في الملاء المذيل"، وأن "دوار" صنم وأن عذاراه بغايا! وهو استدلال باطلٌ فإنه لا ذكر فيه للبغاء، ولو صح ذلك فرضا لقلنا إن الإسلام أبطل كل عادات الجاهلية ومنها الأنكحة الجاهلية التي ذكرتها عائشة رضي الله عنها.

أما وجود هذا البغاء أو بقاؤه عند الهندوس مثلا فليس بغريب؛ فمن يعبد البقر أو النملة أو التراب ويتعرى في نهر "الجانج" لا يستغرب منه ذلك.

ومما أبطل الإسلام من عادات الجاهلية الأولى تفضيل الذكر على الأنثى الذي يفضي ببعضهم إلى وأد البنات، قال تعالى: ﴿ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ

﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء:١١]، فربما كانت البنت خيرًا من الابن وأقرب نفعا، وإذا زوجها أبوها من ذي خلق ودين فقد ضمن له ابنا إلى جانب البنت!

أما الجاهليون فقد قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾ [النحل:٥٨-٥٩]، وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير:٨-٩].

وفي الجاهلية المعاصرة نجد الهند مثلا تكسر ظهر المولودة إذا كانت أنثى، وهذه طريقة حديثة في الوأد يحرقون بعدها الموؤدة، وبعض المجتمعات الأخرى تفعل ذلك عياذا بالله، والغريب أن ما يسمى (العالَم)، بل الإعلام في بلاد المسلمين، لا يكاد يذكر ذلك، أو يتهم فاعليه بالتطرف والأصولية والذكورية وأمثال ذلك، وكأن هذه التهم إنما خُلِقت وصُنِعت للمسلمين فقط.

بل إن بعض المفكرين يستنكف أن يسمي هذا جاهلية، مع أن الجاهلية جاءت في كتاب الله وفي صحيح البخاري وفي كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، وهي لا تقتضي بذاتها أن يكون المرء كافراً، بل قد يفعل المسلم بعض أفعال الجاهلية، ولهذا قال النبي ﷺ لأبي ذر لما عيّر رجلا بأمه وقال: "يا ابن السوداء": (إنك امرؤ فيك جاهلية)، وكتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله "مسائل الجاهلية" لكي نجتنبها.

وداء الانبهار بالكفر باسم الإنسانية والتقدم، ابتلي به أكثر شباب المسلمين، و لم يسلم منه إلا من رحم الله.

وبعض الشباب هداهم الله كما رأيته أنا يحمل المرأة الكافرة في سيارته ويرطن معها بما يعرف من لغتها ويوصلها إلى حيث تريد، أما المرأة المسلمة فيتركها تمشي في الشارع المسافات الطويلة ولا يهمه شأنها، ويحتقرها إذا كانت حاجة سوداء.

وقد كان الكهنوت أو رجال "الإكليروس" في أوروبا يعدون المرأة حيوانا بل شيطانا، وكان الفلاسفة المدرسيون يتجادلون: هل للمرأة روح؟

وكان الغربيون يجبرون زوجاهم على حزام العفة، ولا يزالون حتى اليوم ينسبون المرأة لزوجها ويقولون مثلا "هيلاري كلينتون" ويقلدهم الشرقيون، ويقولون "صفية زغلول" أو "سوزان مبارك" وهكذا، وهم بذلك يسلبون المرأة استقلالها ويجعلوها مجرد تابع للزوج، وقد قالت وزارة العدل السعودية إنها أمرت المأذون بإعطاء الزوجة نسخة من العقد تقديرا لها، وهذا جزء لا يكاد يذكر من الحقوق التي أعطاها إياها الإسلام.

ومن امتهان المرأة أن الغربيين قد يبيعوها بيعا، وقد قرأت أن أحد الانجليز باع زوجته، أما الأمريكيون فيبيعك أحدهم زوجته ويخبرك كيف تتجنب البوليس.

ويرون أن بيع الزوجة خير من الطلاق أو الحياة الزوجية غير المستقرة، وكان ذلك شائعًا في بريطانيا تحدث عنه "توماس هاردي" في رواياته مثل رواية "عمدة كاستربردج"، وكانت طريقة البيع نفسها مهينة للمرأة حيث يربطها الزوج بحبل ثم ينادي عليها في مزاد علني.

وفي القرن العشرين تقدمت إحدى الزوجات بشكوى إلى محكمة "ليدز" تقول فيها إن زوجها ضربها وباعها بيورو واحد.

وقد استخدم الأزواج الوسائل الحديثة، كالمواقع الإلكترونية للإعلان عن تخفيض بيع الزوجات، وأراد أحد الصحفيين أن يطلع على ذلك بنفسه فسافر إلى أمريكا وعرض شراء زوجة بعشرين دولارًا، فوافق كثيرون بشرط واحد يشترطه الأزواج وهو ألاَّ يخبر البوليس!.

وبقي من شريعة التوراة عند الغربيين ما يسمى حق "البكورية" وهو ميراث الابن الأكبر إذ يحوز المال دون بقية إخوته الذين يهاجرون بحثًا عن عمل ودخل.

فقارن ذلك بأهل الصعيد في مصر مثلا، حيث يغارون على النساء ولذلك يتخذهم الإعلام المصري المسيس مادة للسخرية، وينسب لهم ما ليس

فيهم، ويقال إن جمال عبد الناصر منهم، وأنه لذلك لم يظهر زوجته لأحد، والله أعلم.

ومن المؤكد أن الكاتب الشهير عباس محمود العقاد صعيدي، وأنه كان كريما وغيورًا وكذلك الأستاذ أنور الجندي، ومصطفى لطفي المنفلوطي وغيرهم، ولا يزال كثير من أهل ينبع -كما رأيت- ينتسبون للصعيد.

فليس كل النساء في مصر على إعلام السيسي، وليس كل النساء في بلاد الشام على إعلام بشار وأبيه.

ومن المفاهيم النصرانية الكنسية التي تروِّج لها المسلسلات العربية وغيرها قضية تعدد الزوجات، والغربيون يقرأون في التوراة أن ذلك سنة نبوية متبعة، وأن نبي الله سليمان كان له زوجات كثيرات، وقد حكى عنه الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ أنه قال: (لأطوفن الليلة بمائة امرأة ...) الحديث. والطائفة النصرانية "المورمن" في أمريكا تجيز التعدد، مع أن القانون في أمريكا يمنعه، أي أنه حسب هذا القانون المتأخر، يجب على الرجل أن يطلق امرأته، إذا كانت عقيمة أو مريضة أو بلغت سن اليأس، ويتزوج أخرى، ولو كان الزوج يحب الأولى ولا يريد طلاقها، وهذا القانون ليس ضد الفطرة فقط بل هو ضد الحرية الشخصية، ومثل المورمن بعض الطوائف اليهودية.

فأخبروني أيها الليبراليون ماذا يفعل من كانت زوجته كما تقدم؟ أم أنه لا بد من الدخول في جحر الضب مهما كنت التضحية؟

ولماذا تحكم بعض المحاكم في أمريكا مثل إحدى محاكم ولاية "يوتاه" بإجازة التعدد قانونيًا، وهذا ما يطالب به كثير من الشعب ليس في يوتاه وحدها بل في "أطلانطا" مثلا ويحتجون على أعدائه بأن المحكمة الأمريكية أجازت زواج الرجل بالرجل فضلا عن جوازه في التوراة، وقد انتشر ذلك في دول أخرى كاليابان واستراليا وكثير من الدول الأوروبية، بل لا يكون الزواج إلا من واحدة فقط عند بعض الضالين في بلاد المسلمين مثل تونس،

حيث منع بورقيبة ذلك، وإذا وشى أحد المخبرين بأن رجلا خالف القانون وتزوج امرأتين أجبرته القوانين على الادعاء بأن الثانية عشيقة!.

فماذا يقول الغربيون -ومن تبعهم- في تعدد الخليلات أو العشيقات الرائج عندهم في الغرب؟ وماذا يقول رؤساء أمريكا وهم يدعون أنهم معمدانيون في هذه الفواحش، وهل هذا من المعمدانية في شيء؟، والمعمدانية لمن لا يعرفها فرقة من البروتستانت، وقد أغرى الله بينهم العداوة والبغضاء كحال كل الفرق النصرانية، وأهم عقائد بعضها هو إنكار التثليث، وهم نشطون في التنصير لا سيما الرئيس الأمريكي السابق "جيمي كارتر"، والمعمدانيون يكثرون الدفاع عن المرأة، وهم قريبون سلوكيًا من المسلمين.

وأنا قابلت معمدانيا يعمل طيارا في شركة "أرامكو" وقال لي: إنهم يحرِّمون كثيرا مما يحرمه المسلمون، وذكر من ذلك الزنا، وكتب لي الدعوة إلى الاحتشام بالانجليزية، وما أعرفه أن المعمدانيين من أكبر الطوائف البروتستانتية وأشهر طوائفها "واسب" وأن المعمدان هو "يوحنا" أي يحيى عليه السلام، الذي يقول إنجيلهم إنه كان صوتا صارخا في البرية يبشر الناس بمجيء المسيح.

والمقصود أن النصارى يقرأون عندهم في التوراة أن الأنبياء الكرام عددوا الزوجات فليتهم يغيرون دستورهم!

وإذا اعترض الكونغرس على التغيير فأكثره يهود، لو قرئت عليهم التوراة لما أنكروها، وحاخامات إسرائيل اليوم ينصحون اليهود بالتعدد خوفا مما يسمونه القنبلة الديمغرافية للفلسطينيين.

على أن حال المرأة المتبعة لشرع الله هو أفضل حال من قديم، فالأنبياء يستغفرون للمؤمنات كما يستغفرون للمؤمنين، فأول الرسل نوح عليه السلام قال: ﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [نوح:٢٨]، وقال جل شأنه عن آخرهم محمد ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد:١٩].

وإنما انحط شأنها وتحكمت الوثنيات والعادات الجاهلية في أمرها، لما فقدت الأحكام النبوية تفوقها عند بعض الناس.

وفي مقابل الحياة التعيسة النكدة التي تعيشها المرأة الغربية أو "الجحيم" كما يعبر "كولن ولسون" تجد الحياة الطيبة التي قال الله عنها: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧]، وهذه هي الحياة الطيبة التي قال عنها بعض السلف: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف"، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إنه يمر علي أوقات أقول فيها: إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب".

ومن هذه الحياة التعيسة ومن ذلك الجحيم ما جاء في وصية الممثلة الأمريكية المشهورة "مارلين مونرو"، التي يقول الأمريكيون أنها كانت خدينة للرئيس "جون كينيدي" فقد قالت: "احذري المجد احذري الأضواء"، ثم قالت عن نفسها: "إني أتعس امرأة على وجه الأرض"، ولم تجد هذه المرأة التعيسة إلا أن تنتحر، وقد أعجب بها كثير من الأمريكيين في تلك البلاد المظلمة وعلقوا صورها في بيوتهم، واشتروا بعض مقتنياتها بملايين الدولارات، وأقاموا لها تمثالاً، وهم اليوم يحاولون إعادتها للتمثيل بطريق الكمبيوتر، كما يشرّحون جثتها ويقطّعونها ليعرفوا آخر ما أكلت، وكيف ماتت بالضبط، وهكذا؟!

وتبعهم في ذلك بعض المخدوعين من المسلمين، فعلقوا صورها وعظموها بنوع من أنواع التعظيم، وقد رأيت ذلك، وقرأت أن بعض المترفين في جدة اشترى منديل المغنية أم كلثوم بملايين الريالات، وأبدى أسفه وتحسره على هبوط الأغنية العربية وانحدارها، وذكر أنها كانت (كذا وكذا) ثم أصبحت (كذا وكذا)، فكيف بـــ"مارلين مونرو" التي هي ممثلة أسياده الأمريكيين والحمد لله الذي عافانا من ذلك.

كما حاولت الممثلة الفرنسية "بريجيت باردو" مرارا أن تنتحر، وانضمت لشقائها ويأسها إلى منظمة "الرفق بالحيوان"، وحصرت جهدها في محاربة الهمجية الإسلامية كما تسميها حين يأتي عيد الأضحى!

وبعض المسلمات تخدعهن المظاهر عن حقيقة هذه الحياة النكدة، وربما خدعتهن الابتسامات الكاذبة، والسعادة المفتعلة التي تظهر عليها المرأة الغربية في الدعايات، وينسين أن السيد المعلِن كثيرا ما لا ترضيه الصورة الدعائية، فيعيدها إلى شركات الدعاية، وهناك يصورون المرأة مراراً، وفي كل مرة يحددون لها شكل الابتسامة ثم يخيّرون المعلن بين الصور فيختار منها ما يشاء!

وقد قرأت ما كتبته إحداهن وذكرت أن الشركة الإعلانية كانت تنخسها في باطن قدمها لكي تكون الصورة أفضل، وأكثر إثارة جنسية.

ومن استخدام المرأة سلعة أن الأمريكان استقدموا للشرق مغنيتهم المشهورة "بروك شيدر" بذريعة الترفيه عن الجنود كما قالوا، وترفيههم هذا يدخل فيه الرقص والزنا، وهو قديم، إذ أن الحلفاء أكثروا منه في الحرب الثانية، كما عرف المنحرفون من المصريين الرقصة التي يسمونها "هز البطن"، وكان من روادها الملك فاروق، وقال قبل ذلك رفاعة الطهطاوي إن الرقص في مصر إثارة للشهوات.

وأصبح الرقص والسكر أمرا عاديا فيما يسمونه الملاهي الليلية والحفلات، حيث تكون السمة الأساسية هي الضياع.

ومع هذا التكريم للمرأة المسلمة يظن الغربيون أن المرأة المسلمة في ضيق وهم وألم، فإذا هدى الله إحدى الغربيات وأسلمت أو علمت شيئا عن الإسلام الصحيح، غبطتنا عليه ونحن لا نشعر، كما أسلمت إحدى الدبلوماسيات الغربيات في جدة. أي أن المرأة عندنا مع كل ما هي فيه خيرٌ من المرأة عندهم.

وقد زارت إحدى العاملات في القنصلية الألمانية في جدة أسرة سعودية فعجبت جدا من احترام الأحفاد للجدات، فأسلمت وأصبحت داعية، ومما

لا يعرفه الغربيون وربما غبطونا عليه شكر الله تعالى على المصائب والفرح بها، فهذا أعلى من الصبر بل من الرضى، وقد يصبر بعض الغربيين عن تجربة أما الرضى بالقدر وأعلى من ذلك الشكر عليه، فلا يعرفونه كما كان السلف الصالح رضي الله عنهم.

ومن أعظم المصائب فقد الزوج أو الزوجة، وإحدى نساء الصحابة رضي الله عنهم لما قيل لها مات أبوك ترحمت عليه، ولما قيل لها مات أخوك ترحمت عليه، ولما قيل لها مات زوجك ولولت وجزعت لموته.

والمرأة في الإسلام مكرمة مصونة مكفولة محفوظة الحقوق.

وكل نص من آية أو حديث -لا تختص أحكامه بالرجال- تدخل فيه المرأة، وقد قال ﷺ: (إنما النساء شقائق الرجال)، ومن هي المرأة التي يتحدثون عنها أليست الأم أو البنت أو الأخت أو الزوجة؟ وقد قال النبي: (إن الله تعالى يوصيكم بالنساء خيراً، فإنهن أمهاتكم وبناتكم وخالاتكم..) الحديث.

وقال جل شأنه: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ﴾ [البقرة:٢٢٨].

وقال ﷺ: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهله)، وقال في خطبته الشهيرة في حجة الوداع (...واستوصوا بالنساء خيرا فإنما هن عوان عندكم)، أي أسيرات، وقال ﷺ: (إني أحرِّج عليكم حق الضعيفين اليتيم والمرأة).

فمن كان متبعا لهذا الرسول العظيم مؤمنا بما جاء به، لا يحتاج إلى قرار من منظمة كذا أو جمعية كذا، أو نقابة كذا ليعرف حق أمه وأخته وزوجه وبنته، وبئس الرجل الذي لا يعرف حق أمه أو زوجته أو أخته إلا عن طريق المنظمات الحقوقية، وبئس الوالد الذي لا يعرف حق ولده إلا عن طريق البوليس!

ومن كانت تؤمن بالله واليوم الاخر فلتعلم أن ربها جل وعلا، ورسوله ﷺ أعدل وأرحم وأرفق بها من هؤلاء الذين يدعونها إلى الاختلاط، وإذا كبرت أو تغير لونها تركوها وتخلوا عنها، ولما أمر الله نبيه ﷺ ببيعة النساء كان يلقنهن فيما استطعن، فقلن (الله ورسوله أرحم بنا من أنفسنا).

وأعظم رحمة لها أن ربها وفقها للإسلام، وقد كانت جارية الحسن بن صالح بن حي زميل الإمام أحمد تقول في دعائها: (اللهم إني أسألك بحبك لي)، فقيل لها قولي بحبي لك قالت: (هو الذي يحبني ولذلك هداني للإسلام)!.

وقد بين صلوات الله وسلامه عليه معنى نقصان دين المرأة وعقلها بما لا يدع مجالا لأحد أن يقول برأيه أو يؤوِّل من عنده، سواء أخذ تأويله من العادات والتقاليد، أو من التقدم المزعوم، فقال ﷺ: (أما نقصان دينها فإنها تمكث أياما لا تصوم ولا تصلي -أي إذا جاءها الحيض-، وأما نقصان عقلها فلأنه تعالى جعل شهادة امرأتين بشهادة رجل واحد)، وإنما جعل ذلك في الدَّين، وقلّما يحتاج الرجال لشهادتها أصلا.

وهذا لا يعني أن كل امرأة أنقص عقلا من كل رجل، بل في النساء من هي أكبر عقلا من الرجال ولا ينكر ذلك أحد من الفقهاء أو العلماء قديما وحديثا.

ومع ذلك فإنها إذا تذكّرت هي بلا مذكر فإن شهادتها صحيحة، ولا تحتاج أن تذكِّرها امرأة أخرى، فإن الله تعالى قيد التذكير بالإضلال، قال ابن القيم: "ما كان من الشهادة لا يُخاف منه الضلال في العادة لم تكن فيه على نصف رجل"، وقال: "عدل النساء بمنزلة عدل الرجال"، أي العدل من النساء كالعدل من الرجال سواء.

وهي تشهد شرعا بلا رجل أصلا كشهادتها فيما هو من شأن النساء، مثل البكارة والولادة والاستهلال والحيض والنفاس والارتضاع ... إلخ أو مثل شهادتها في العيوب التي تحت الثياب ولا يجوز للرجل أن يراها، فلكلٍّ

مجاله واختصاصه بالعدل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ﴾ [النساء:٣٢] فهي مفضلة على الرجال في جوانب وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وإنما جعل الله كلاً من الرجل والمرأة مكملا للآخر، وقد أصدرت إحدى الجامعات في بريطانيا دراسة على عدد من الرجال والنساء وكانت نتيجة دراستها أن المرأة أميل للجماعية في حين أن الرجل أميل للفردية.

وعلماء التشريح اليوم هذا يثبتون الفوارق العضوية بين الرجل والمرأة لا سيما في منطقة الحوض حيث تكون في المرأة أقوى وأوسع لأنها تحمل، وكذلك جعل الله ثدييها بارزين لأنها تُرضِع، وكل خلية فيها تختلف عن مثيلتها في الرجل، واختلاف الخلْق دليل على اختلاف الوظيفة.

ومن ذلك أن المرأة أطول عمرا من الرجال، ومتوسط عمرها في كل دول العالم أعلى والأعمار بيد الله وحده، وهكذا يفضِّل من شاء كما يشاء.

نعم جنس الرجال –وليس آحادهم– أكمل من جنس النساء، كما أن جنس العرب أفضل من جنس العجم، وفي آحاد العجم كثيرون أفضل من آحاد العرب، وفي العرب أنفسهم تجد قريشًا مفضلة على غيرها، وأهل الغنم خير من أهل الإبل.

ولا رجل بلا عاطفة كما أنه لا امرأة بلا عقل، والأسرة تحتاج للعقل والعاطفة معاً، وبذلك يتربى الأطفال تربية متوازنة، ولا صراع بين الجنسين ولا مساواة، بل كل يكمل الآخر وبهذا التكامل تتم الحياة، وليس بالتماثل الذي يزعمه الغربيون وأذنابهم ثم لا يطبقونه في كل شيء.

ومن ضعف المرأة المعلوم أنها تتأثر إذا مات أو مرض لها قريب أكثر من تأثر الرجل، ولذلك كره النبي ﷺ لهن اتباع الجنائز، وحرم عليهن النياحة.

ومن ضعفها ما حكاه الله تعالى عن المرأتين اللتين تذودان من أهل مدين، وقالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير، ولو كانتا رجلين لرفعتا الحجر ولسقتا مع الرعاة، ولا يزال الأمريكان والغربيون حتى اليوم لا

يسندون إلى المرأة الأعمال الشاقة، فليست قائدة لحاملة الطائرات مثلا، ولا عاملة حفريات، ولا بنَّاءة في برج ضخم، ولا رافعة أثقال، ولا لاعبة كرة قدم أو سلة مثلا، ولها مارثون خاص وسباحة خاصة.

والرجال عادة يعرضون عن الزواج بالمرأة المسترجلة مثل لاعبات التنس، والمشاركات في سباق الدراجات، وفي كثير من الأحيان أولُ معرضٍ عن الزواج بالفتاة صديقها.

ومراعاة لضعفها ورفقا بها أسقط عنها الشرع الحنيف، الأذان والإقامة والجمعة والجماعة، وأسقط عنها الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، وجعل جهادها الحج وهو جهاد لا قتال فيه، قال ﷺ لأمهات المؤمنين: (هذه -أي هذه الحجة- ثم لزوم الحُصُر).

ومراعاة لضعفها ورحمةً بها جعل الله القوامة عليها للرجل، فقال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء:٣٤]، وهذه القوامة مع أنها ربانية وشرعت لحكمة عظيمة، تنكرها المنظمات الحقوقية المتأخرة، وتعدها هيئة الأمم المتحدة تمييزًا ضد المرأة لا يفعله إلا الذكور في المجتمعات المتأخرة، ويتبعهم في ذلك الكتاب النسائيون في بلاد الحرمين.

وصانها الله بالحجاب والعفّة وجعل الحياء طبعًا فطريًّا فيها، وليس الحجاب خاصا بأمهات المؤمنين، كما يظن بعضهم، فإن الله تعالى قال لنبيه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب:٥٩]، وكان ابن عباس رضي الله عنهما على فضله وتقواه يأمر بعض محارم عائشة رضي الله عنها على فضلها وتقواها أن يسألها ويخبره، وكذلك ليس عليها إفتاء ولا قضاء.

ومن صون المرأة وإكرامها أن تبقى في مملكتها الصغيرة "البيت"، بل إن الصلاة وهي أعظم اركان ألإسلام بعد الشهادتين إنما تؤديها المرأة في بيتها وذلك أفضل من أدائها في المسجد.

ومن الحرص على الفضيلة أنه ﷺ جعل للنساء صفوفا خاصة في الصلاة إذا جئن، وجعل خير صفوف النساء آخرها وشرها أولها، أي عكس الرجال، وإذا انصرف من الصلاة صلوات الله وسلامه عليه، يأمر الرجال ألاَّ ينصرفوا حتى تنصرف النساء.

ومن صونها أيضا جعل صلاتها في قعر دارها خيرًا لها من صلاتها في مسجد بيتها، وهذا هو قسمها فلا تنخدع المرأة المسلمة بما يتذرع به دعاة خروجها من بيتها مثل كتابة "قسم العوائل" أو "قسم السيدات"!

وجعل صلوات الله عليه للنساء يوماً لوعظهن، والرد على أسئلتهن، كما أنه يعظ الرجال كل خميس، كما ذكر ابن مسعود ﵁ أي أنه جعل لهؤلاء يوما ولهؤلاء يوما، وكان ﷺ يعظهن في الأعياد مثلا كما ثبت ذلك، وفيهن الحيَّض وذوات الخدور، وبقي هذا الحق واجبا على الإمام بعده، وقد قال به بعض السلف كما في صحيح البخاري أن ابن جريج قال للتابعي عطاء: أترى حقا على الإمام أن يأتي النساء فيذكِّرهن حين يفرغ؟ قال: إنه لحق عليهم، وما لهم لا يفعلونه؟".

ومما يدل على أن الفضيلة فطرية وأن الحشمة من الفضائل، أن الباحثين الاجتماعيين في الأنتربولوجيا لم يجدوا أبدا رسما واحدا في عصر ما قبل التاريخ، فضلا عن العصور التاريخية، تظهر فيه عورة رجل أو حيوان، فهذا الذي تفعله أمريكا وغيرها من أفلام الجنس ليس فطريا، بل هو غاية الانحطاط والامتهان والسفول.

ومن صون المرأة: أن ربها جل شأنه في كتابه، نهاها أن تخضع بالقول فقال: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب:٣٢]، فانظر أخي المسلم كيف جعل الخالق سبحانه الشهوة مرضا، ولم ينه عن الاختلاط فحسب، بل عن الخضوع بالقول من وراء الباب أو في الهاتف، وقارن ذلك بواقعنا المرير تر العجب، وهكذا تحيلنا الشريعة الغراء إلى قواعد منضبطة بخلاف قواعد بعضهم فهي غير منضبطة مثل الحشمة أو ما يسمى "حدود

العقل"، وهذه القواعد الوضعية يفسرها كل كما يشاء وتؤثر فيها التقلبات الاجتماعية.

وقد حمى ديننا الحنيف المرأة، وحفظ لها حقوقها حتى وإن تزوج الرجل عليها، ولا يضر أن يتزوج الرجل أربعا إذا عدل، وقيل لامرأة غربية أترضين ان تكوني المرأة الرابعة؟ قالت أرضى أن أكون الرابعة والثلاثين إذا وجدت رجلا يحميني وينفق علي.

وأنا سألت إحدى العاملات في مطار "جي إف كي" في نيويورك لماذا تعمل؟ فقالت لأن المطار أأمن من الشقة.

فهذه المرأة الأمريكية مطرودة من البيت ويسطو عليها اللصوص ولا أحد يحميها.. إلخ، وترى أن المطار -على ما فيه من شر- أهون من الشقة فأي حياة هذه؟!

والملايين من النساء في أمريكا بلا أزواج، وبعضهن تشكو ذلك للسائح أو الزائر الغريب، ويكتبن بأسمائهن الصريحة في المجلات والصحف، وتنشر لهن القنوات والصحف، وتقول الواحدة منهن انظر أيها السائح: ألست جميلة؟ أليست شهادتي عليا؟. إلخ.

ومن إكرام الإسلام للمرأة وصيانته لها أنها تُسجن إذا استحقت ذلك شرعًا في سجن نسائي بحت لا رجال فيه، وإذا رأت جهة شرعية إطلاقها فتطلق، وقد حدثني أحد رؤساء الهيئات في إحدى المناطق، أن إطلاق المرأة خير من أن تصبح الهيئة بمنزلة من يقود للفاحشة، وذلك إذا أحالها المركز إلى جهة أخرى!.

وقد رأينا كيف يتحول نزيلات دور التربية الاجتماعية -كما تسمى- إلى بغايا؟ ومن ذلك أن بعض نزيلات الدور في جدة، يقضين عطلة نهاية الأسبوع في الهدى.

وحال المرأة في مجتمعنا المحافظ خير بكثير من حال المرأة الأمريكية، ولما بلغ بعض القبائل هنا، أن بعض مديري التعليم قد يدخلون مدارس البنات، خرجوا بالرشاشات لحماية بناقم من ذلك.

ونحن نشكر القبائل التي خرجت بالبنادق الرشاشة لحماية البنات على هذه الغيرة، ونسأل دعاة المساواة المزعومة: لو أن كل عشيرة وقبيلة حملت السلاح فكيف يكون الحال؟

أم أن هؤلاء يريدون إعادتنا إلى زمن الفوضى والحروب؟ وأن يخرقوا السفينة من أجل شهواقم!

وبعض الآباء لما غلبته ابنته تبرأ منها، كما فعل والد مريم الغامدي، وهو من قرية الأجاعدة المعروفة، وبعضهم إذا كلمته الهيئة وقالت له إنها قبضت على بنته قال: "تخسا ماهي بنتي" فافعلوا ما شئتم ... وهكذا.

وعليه فنحن نطالب بفصل تعليم البنات عن تعليم البنين، سواء أكان التعليم أوليا -أي ابتدائيا كما قد يسمى-، أو جامعيا، ويفصل فصلا كليا إداريا ومنهجيا ولا تدرَّس المرأةُ إلا ما يليق بها، ومن كلمات الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله قوله: "إن الذي يعلم البنات (كذا وكذا) مجرم". وذكر مواد منهجية رجالية لا علاقة لها بشؤون المرأة، وهل يعلِّمون البنيين "التدبير المترلي والخياطة والطبخ وأمثال ذلك؟"

وهذا الذي قاله الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله هو نفس ما يقوله العلم الحديث، يقول الدكتور "أليكسس كاريل": "إن الاختلافات بين الرجل والمرأة لا تأتي من الشكل الخاص بالأعضاء التناسلية .." ثم يقول: "لقد أدى الجهل بهذه الحقائق الجوهرية بالمدافعين عن الأنوثة، إلى الاعتقاد بأنه يجب أن يتلقى الجنسان تعليما واحدا، وأن يمنحا قوى واحدة ومسؤوليات متشابهة، والحقيقة أن المرأة تختلف اختلافا كبيرا عن الرجل، فكل خلية من خلايا جسمها تحمل طابع جنسها" إلى أن يقول: "فيجب عليهن أن لا يتخلين عن وظائفهن المحدودة".

وقد جاء وفد تعليمي أوروبي، إلى رئاسة تعليم البنات قبل إلغائها، فأبدى إعجابه بهذه التجربة الفريدة، وكان مما قال: "إن الاختلاط يضعف التحصيل العلمي" وهذا حق ومجرَّب عالميا، ولو لم يكن في الاختلاط إلا اشتداد الشهوة أو إضعافها لكفاه، فلا يجوز اشتدادها ولا إضعافها، ولكن المفسدين استطاعوا إلغاء هذه التجربة الفريدة، وجعلوا لتعليم البنين والبنات جهة إدارية واحدة مع الفوارق العضوية والنفسية بين الطرفين، ومع أن المجتمع مجتمع محافظ غير ديوث، ومع أن الرئاسة الملغاة لها ميزات مادية غير الميزات الأخلاقية.

ولا تزال وزارة المعارف أو التربية والتعليم حاليا تستأجر كثيرا من المباني، بينما تملك الرئاسة المدمجة مباني وأراضي كثيرة، لا تملك مثلها أكثر الوزارات بما فيها التربية والتعليم.

ولا غرابة في مفاجأة أو ذهول الوفد الأوروبي بما شاهد، فكثير من الغربيين لا يعرفون عن الإسلام إلا الصورة المشوهة التي رسمها أعداؤه، لا سيما الرهبان المتسترون "المستشرقون" فإذا جاء أحدهم إلى المجتمعات الإسلامية يذهله ما يرى، لأنه مناقض لما قرأ.

وهذه الصورة المشوهة كتبت عنها "كاترين أرمسترونج" في كتابها المسمى "الحرب المقدسة"، وتحدث عن ذلك محمد أسد في كتابه "الطريق إلى مكة"، وكذلك "شارل سان ريو" ومن قبله كان الشاعر الألماني "جوته" ومن المعاصرين نجد النائب البريطاني "جورج جالاوي" كما كتب "روبرت فيسك" الصحفي المعروف الذي زار كثيرا من البلاد الإسلامية حتى أنه لما أدماه بعض الأفغان قال: معذورون، فأنا مظهري غربي، وما الذي جاء بلادهم من الغرب إلا الشر!". وروبرت فيسك هذا هو أحد كتاب جريدة "الاندبندنت" في بريطانيا وقد كتب أنه أراد زيارتي، ولكن بعض الإخوة في أبها هداهم الله حذروه مني ووصفوني له بالتشدد فلم يزرني، والحمد لله.

وكذلك كتب عنها اللورد "هدلي" الذي هداه الله للإسلام وكذا أخت زوجة "توني بلير".

لكن أصبح دعاة الفضيلة مع الأسف غرباء وأصبحوا في نظر الإعلام إرهابيين أو متطرفين، وأصبح توليتهم أي منصب حراماً، فهنيئًا للمفسدين المناصب، ولمن انتكس من أهل التدين والمتردية والنطيحة والرويبضة ومن اشترى الدنيا بالآخرة وآثر العاجلة، ومن مظاهر الغربة أن ومن كتب باسم مستعار أو أخفى شخصيته تحت كنيةٍ ما لكنه ذكر أنه كان صحويًا، أخذوا أقواله ونشروها، مع أن فيها الاعتراف بأنها مخطئ في الفهم، أما الأسود فمسكنهم الحائر وذهبان وسجون الدمام وبريدة وأبها وغيرها، ولسنا كاليهود نسجن إداريا بأشهر، بل نحن أكثر منهم إذ إن القضاء قد يحكم بسجن خمس سنوات ولكن التمديد الإداري قد يكون فوقه بعشر سنوات!.

وإنما هبطت مكانة المرأة الأفغانية بعد العدوان الأمريكي على أفغانستان، فحينئذ انتشر التبرج والانحطاط والجريمة وشرب الخمور والغناء، وصدَق (تيسير علوني) حين قال: سوف يبكي الأفغان على طالبان كثيرا.

وهذا الاختلاط الذي قد يعجب بعضهم في بلاد المسلمين، لا يؤمن به بعض الغربيين ففي أمريكا التي هي قدوتهم عشرات الكليات غير مختلطة! وهذا ليس في الجنوب الذي يسمونه حزام الكتاب المقدس فقط، بل حتى في المناطق الأخرى مثل فرجينيا، وجورجيا، وكارولينا، أما عند الراهبات في أمريكا فهو المعمول به في كل مدينة.

والأمريكان حين يعرّفون أي كلية أو جامعة يضمِّنون التعريف قولهم: إنها مختلطة أو غير مختلطة.

وقولُ بعض الملحدين أو دعاة الاختلاط إن المجتمع المسلم مجتمع ذكوري أو تسلُّطي، هي عبارة شيوعية اخترعها كارل ماركس" و"انجلز" وقبلهما كانت المزدكية في بلاد فارس، ثم جاءت الحركة النسائية ومن يؤيدها من اليساريين مثل "ماركيوز" و"غرامشي" بعبارة "التمييز ضد المرأة"،

وانساقت وراء ذلك المجتمعات الغربية ثم المجتمعات الشرقية، والمساواة المزعومة إنما هي التخلف والشقاء، وهيئة الأمم المتحدة اليوم تقول إنها تعمل جاهدة لمنع التمييز ضد المرأة! مع أن هذه الهيئة نفسها تميز، ومنذ تأسيسها لم يكن أمينها امرأة، بل حتى الهيئات الرياضية العالمية مثل "الفيفا" تجعل للنساء ألعاب أولمبية خاصة كالسباحة مثلا، أما ماراثون الصين فهو للرجال غير ماراثون النساء، وقد جعلت الصين مثلا مسافة الماراثون النسائي خمسة كيلو مترات مع أن مسافة الماراثون الرجالي أكثر من واحد وأربعين كيلو متراً، وكذلك رفع الأثقال، وهناك أنواع من الرياضة تحرص النساء على تجنبها مثل سباق الدراجات ورفع الأثقال، ويقلن إنها تسبب تشنج في العضلات، والناس بالفطرة والتجربة يعرفون ذلك، فلا يستأجرون لبناء بيوتهم من تكون عمالته نسائية!

وأكثر ما يعتمد عليه المغرورون هو نظرية التطور الاجتماعي، وهي نظرية أثبت البحث الاجتماعي نفسه بطلانها، يقول أحد الباحثين في قضية الأسرة: إن المعلومات الحقلية التي تجمعت عن الدراسة المنهجية لمجتمعات إنسانية في أنحاء مختلفة من العالم أثبتت فساد نظرية التطور في تفسير نشأة الأسرة" ثم يقول: "وقد دلت الدراسات الانتربولوجية على خطأ الفرض القائل بأن النظام الأسري قد مر بمرحلة شيوعية جنسية، فمرحلة النظام الأموي، ثم مرحلة النظام الأبوي، وقد أثبت العالم الأمريكي "لوي" أن العلاقات الجنسية الحرة التي يشير إليها أصحاب نظرية التطور هي صورة وهمية"، أقول: وهذا الوهم الذي هو أدنى من الظن يكذبه قول العليم الخبير جل شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ [النساء:١] وبعد أن أثبتت الدراسات خطأ هذه الفرضية لجأوا إلى بحوث وكتابات انتقائية تدعي العلمية وهي عنها بعيدة، فخذ كلام الله وكلام أهل الاختصاص، ودع عنك هراء نوال السعداوي ونظيراتها.

وبالمقياس الإسلامي والفطرة الإنسانية السليمة نستطيع الجزم بأن المرأة في اليمن مثلا متقدمة، وأنها في أمريكا متأخرة، ومن تقدم المرأة اليمنية الذي ربما لا تشعر به أنها تتحجب حتى وإن كانت في مظاهرة، كما حدث في صنعاء وتعز وعدن، وحتى إذا اضطرت أن تعمل ممرضة مثلا تنتقب، وهي تتحجب مختارة طائعة لا يجبرها عليه أحد، والمتعلْمنات هناك قلة نادرة لا توجد إلا في المدن، وقد رأيت اليمنيات محجبات، مع أنهن يعملن في مصنع القطن بصنعاء، وتجهد القنوات الفضائية كثيرًا لكي تجد لها مراسلة يمنية ترضى أن تكشف وجهها.

أما بعض المتأخرات المقلدات للغرب من المسلمات فقد تمزق الحجاب أو تحرقه، كما أوصتها بعض الصحف هنا، التي نشرت لشاعر يقال إنه شيعي (مزقيه مزقيه ذلك البرقع...) الخ، ونشرت صحيفة أخرى لشاعر حداثي قوله: "منذ تبَّت وحتى نزول القناع"، وأنا أبشّر كل من تقدم على هذا العمل الشنيع بعقوبة وانتقام من الله، -وإن طال الزمن- وبلغني أن امرأة من بنغلاديش أرادت أن تحرق الحجاب فاحترقت هي.

وبعضهن تتحجب تقليدا وعادة، فإذا غادرت مجتمعها خلعت حجابها بمجرد أن تركب الطائرة، كما رأيت بنفسي! وكما وصف ذلك الدكتور "جراي" الأمريكي الذي كان يعمل في المستشفى التخصصي بالرياض في كتابه "تحت الحجاب"، وذكر كيف تجسس على إحدى الحفلات، ورأى النساء في أحد القاعات وذكر "جراي" الساقطات في التخصصي وبلادهن، كما ذكر بعض أصدقائه العاملين وبعض أعمالهم، وإني لأعجب وأتساءل: ما علاقة الطب بهذا التلصص؟

ولا يزال التاريخ يذكر الشؤم الذي جلبته هدى شعراوي وقريناتها بخلع الحجاب، ويذكر أن الغربيين في إحدى المؤتمرات لما رأوا الوفد المصري، قالوا: إن التي تغطي وجهها هي مصرية فعلا، وأما التي تكشفه فهي مستعارة من دولة أخرى!

وكان كشف الوجه عند العرب دليلا على الريبة والنفور قال الشاعر:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ** فقد رابني منها الغداة سفورُها

وقد وصف الأستاذ جعفر شيخ إدريس ما رآه من التغيرات في لبس الحجاب في مصر، أفلا يعتبر غيرها أم لا بد أن يصطدم ثم يرجع؟

وفي الحج فقط تكشف المرأة وجهها قال ﷺ: (لا تنتقب المحرمة)، وقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "كنا نكشف وجوهنا فإذا مر بنا ركب غطيناها!"، وهذا في حق من يخشى منها أو عليها الفتنة بالإجماع، وهو في حق الشابة متأكد كما هو أفضل للعجوز الكبيرة قال تعالى: ﴿وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور:٦٠]، وقد كان بعض الصحابة الكرام يظن أن الحجاب معناه ألا يعرف أحد المرأة أصلا، كحال عمر بن الخطاب كما في الصحيح فإنه قال: "قد عرفناك يا سودة فانظري كيف تخرجين"، ولما لم يكن في ذلك الزمن في البيوت كنف، كان النساء يخرجن لقضاء الحاجة ليلا.

وصدق الشاعر إذ يقول:

إذا كان التقدم في التعري ** فما فضلُ الحَصان على البغي؟

وكيف يكون التعري تقدما وهو مقصد شيطاني قديم، خدع الشيطان أبوينا آدم وحواء ليقعا فيه وحذرنا منه تعالى فقال: ﴿يَبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ﴾ [الأعراف:٢٧] الآية، والواجب علينا هو كشف الشبهة وتعليم الجاهل وتنبيه الغافل والعدل في القول والرفق في الإنكار.

والله تعالى أمر بالعدل مع كل إنسان، وعملاً بذلك زرت بعض الجرائد لكي أرى هل لديها عذر أو حجة، وتعرفت على كُتّابها، وممن زرت جريدة عكاظ بجدة، كما لقيت بعض كتاب جريدة المدينة، ولقيت بعض محرريها في مترل وسيط، وقلت لعل للقوم شبهة يجب عليَّ كشفها، وقابلت أيضا بعض محرري صحيفة الوطن، وأعرف بعض مسؤولي "مكافحة الجريمة"

بوزارة الداخلية ممن يؤيدون الاختلاط، وأي جريمة اكبر من الاختلاط يريد هؤلاء؟!

كما أخبرني بعض أولئك المسؤولين أن الأمن قد تدهور كثيرا، والسؤال أنصدق هؤلاء أم نصدق التطمينات الإعلامية؟ ثم أليس التبرج أحد الأسباب في ذلك؟ وكيف تختطف الذئاب البشرية الفتيات من بيشة مثلا وتذهب بهن إلى جدة؟

وقد قال لي هذا المسؤول إن المملكة بعد أن كانت من الدول العشر الأوائل في الأمن أصبحت ألآن بعد المائة.

والتبرج عندنا لم يعد مقتصرا على المرأة، بل أصبحت العمارات متبرجة ولا حول ولا قوة إلا بالله وهكذا تبدأ الدياثة شيئا فشيئا.

وكل بلد يعتذر بعذر غير الآخر وقليل من يعترف بالحق، وقد قال لي بعض الأمريكيين الذين ناقشتهم في موضوع الأمن: إن قلة الأمن في أمريكا مرجعه إلى كثرة السكان فيها، وقال: "إن الذين يسكنون بنيويورك وحدها مثل سكان المملكة كلها"، بينما أصررت أنا على أن العادات الطيبة عندنا ومنها الحجاب الذي لدينا وقلة الاسترجال هي السر في كوننا آمن من أمريكا.

وهذا الاسترجال الذي قال عنه الباحث "أدلر" إنه للتعويض ليس سبب الأمن، بل هو سبب فقد الأمن، وأكثر دول العالم ارتفاعا في معدلات الجريمة والاغتصاب والتحرش هي أكثرها اختلاطا وتعريا، وكيف يكون التعري تطورا وقد رآه ذو القرنين قديما عند مطلع الشمس؟، وقد قرأت لبعض المعاصرين تأويل ذلك بأن ذي القرنين ذهب للمناطق الاستوائية، وهذا مخالف للفظ الآية، والله لم يقل إن الشمس تغرب في عين حمئة وإنما ذكر أن ذا القرنين وجدها كذلك، وهكذا تبدو للناظرين، أما المشرق فهو بلاد المجوس ولا يزال التعري عندهم إلى اليوم.

وقد قال لي أحد كبار السن: "ذهبت إلى لندن للعلاج في أحد المستشفيات فوجدت النساء هناك متبرجات شبه عاريات، فدعوت الله إن كان تعريهن عن فقر أن يسد الله خلتهن، وإن كان عن فساد أن ينتقم الله منهن"، فقلت تقبل الله منك، وكان مما ذكرت قوله ﷺ: (استر عورتك إلا عن زوجك أو ما ملكت يمينك)، ونهيه ﷺ أن يتجرد المتباضعان تجرد العير، والباحثون الاجتماعيون اليوم إذا رأوا الناس عراة أو شبه عراة حكموا بأن هذا المجتمع بدائي متأخر، ولكن الليبراليين يجعلون المتأخر هو فقط من كان في الأمازون، أما إذا كان في نيويورك فهو متطور!.

وبحسب المعايير الإسلامية والأخلاق الدينية لا يجوز الافتراء على المحجبات ولا على دعاة الفضيلة الذين يريدون لمجتمعنا التقدم، ولا يحل التشهير بهم في القنوات والصحف كما رأيت، ولو أن كل من يفتري على ذوات الحجاب أو على الهيئة يقدَّم للمحاكمة ويحكم عليه القضاء -إن لم يُثبت ما يقول- لاختفى كثير من الافتراءات الباطلة التي تقال.

ورحم الله الشيخ ناصر بن حمد الراشد، رئيس تعليم البنات السابق، الذي كان يحيل الصحفيين وجرائدهم إلى المحكمة، ويطالبهم بإثبات ما يقولون شرعا، فهذا هو مقتضى التحاكم إلى شرع الله والخضوع الكامل لما أمر الله، وحقيقة استقلال القضاء وأننا جميعا تحت الشرع، وإلا لأطلق المفترون لألسنتهم العنان كما رأينا.

والعجب أنهم يفترون ما ليس له ذكر في المعاملة الرسمية، ولا يعاقبهم عليه أحد، فهل الافتراء حلال؟ وهل يحق لأي أحد أن يفتري بذريعة حرية التعبير وأن ذلك من شأن صاحبة الجلالة الرابعة؟ وأمثاله من الذرائع المنافية لقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨] وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ﴾ [الانفطار:١٠-١١] الآيات.

وأحد الدعاة الأفاضل أنكر بأسلوب هين لين، على إحدى المتبرجات، فاتهمته الصحف وقوّلوه ما لم يقل، وأحد الفساق سكر وسار عكس الطريق

وسقط في حفرة فمات، لكن الصحافة نشرت أن سبب موته هو أن الهيئة -رحمها الله- لاحقته.

أما إلغاء الرئاسة كلها ودمجها في وزارة المعارف، بمجرد كلام فيه كثير من الباطل والافتراء فهذا أمر لا يجوز، وكم من وزارات وإدارات خالفت فعلا، ولم يدمجوها في غيرها، وهل أدمجوا البلديات مثلا بعد حوادث السيول؟ وهل طالب الذين طالبت صحفهم بإلغاء الرئاسة بدمج الإدارات المقصِّرة أو إلغائها؟ ولماذا صمت المطالبون باستقالة الشيخ "علي المرشد" لما وقعت تلك الفظائع في المشاعر وغيرها؟ ولكنه التقليد الأعمى والهوى والجهل والشهوة! وأين التعهدات السابقة بأن لا يتولى الرئاسة إلا العلماء؟

ولماذا رأت بعض القبائل أن حماية بناتها تقع عليها هي، أي على القبيلة وليست على جهة أخرى وخرجت بالرشاشات؟ ومتى كان علاج الخطأ بالخطأ ناجحا؟

وهل وضْعُ نائبة لوزير التعليم أفضل من أن تكون الرئاسة مستقلة بالفعل؟ وصدق الله الذي قال بعد بيان أحكامٍ تتعلق بالمرأة: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧].

وافتتح سبحانه سورة الفضيلة (سورة النور) بقوله: ﴿سُورَةٌ أَنزَلۡنَٰهَا وَفَرَضۡنَٰهَا﴾ [النور:١] الآية.

فانظر ماذا يريد رب العالمين وما ذا يريد دعاة الاختلاط؟ ولما كان دعاة الاختلاط لا يصدرون عن عقل وتفكير بل عن تقليد وشهوة، لم تُجْد معهم المناظرة بالعقل والمنطق والحجة والبرهان، ويجب أن نناظرهم في أصل الدين، فإما أن يقولوا إنهم مؤمنون فنبين لهم أحكام الدين، وإما أن يقولوا إنهم ملحدون أو كفرة فنناظرهم فيما هو أولى.

والمؤلم حقاً هو أن يظل علماؤنا محبوسين في دائرة قيادة المرأة للسيارة، مع أنها قبل ذلك قادت المجتمع من خلال عضويتها في مجلس الشورى، ومن خلال مشاركتها في الانتخابات البلدية وغير ذلك، ويشبهون -مع الأسف-

ذلك الطارق الغبي الذي طرق الباب ليفتح له صاحب الدار واستمر يطرق حتى بعد أن أقام صاحب الدار بابه في السوق واشتغل هو بالتجارة!

وأحد الأساتذة المتعاقدين خلط الطلاب بالطالبات في كلية العلوم بجدة فأراد الشيخ ابن باز رحمه الله أن يكتب بذلك للمسؤولين، فتردد واستشار الحاضرين فقلت له -وقال غيري- استدع مدير الجامعة وانصحه أما ذلك المدرس فإن كتبت عنه زكيته، فكانت النتيجة أنهم أعطوه الجنسية مما يدل على أن الشيخ كتب فعلا.

ولست أشك أن دمج رئاسة تعليم البنات في وزارة المعارف ما هو إلا مقدمة للاختلاط الذي بدأ ينتشر اليوم في الجامعات، حيث يشرف الرجل على المرأة والعكس؟، وقد مهدوا للاختلاط الكامل بإنشاء جامعة ثول، وإذا سكتنا فسوف يجعلونه في كل جامعة بالمملكة، وهذا ما حذر منه الأنبياء من قبل، فقالوا كما ذكر الله عن نبيه صالح: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء: ١٥١-١٥٢].

ومن لا يتبع الكتاب والسنة فليستمع إلى ما كتبه الغربيون، من أمثال الباحثة البريطانية التي كتبت "خطاب مفتوح للسعوديين"، وقالت فيه: "إن لديكم أشياء كثيرة تجعلكم تشعرون بالفخر"، وفيه "أنتم سمحتم للغرب أن يطأكم بقدميه"، وفيه "إن ديمقراطية الولايات المتحدة تسمح بتصدير أكبر صناعة للصور العارية في العالم"، وتقول: "عليكم أن تبينوا للأمريكيين أنهم يميزون بين الرجل والمرأة في الدخْل"، وتذكر ما في أمريكا من الجرائم والاغتصاب والعنف الأسري وأمثال ذلك.

ومما ينبغي التنبيه له أن التعري لا يحدث فجأة وإنما يفعلون ذلك تدريجيا على حد قول الشاعر:

نظرة فابتسامة فسلام ** فكلام فموعد فلقاء

ويقولون أولا إن تغطية الوجه فيها خلاف ثم يقولون إن النقاب حرام!.

ويقولون أول الأمر إن المرأة لا بد أن تتوظف، فإذا توظفت طالبوا بأن ترث كالرجل وبأن تتزوج المسلمة كافرًا وأن تكون لها الحرية في الزواج بلا وليّ.

والاختلاط في الغرب وعمل المرأة أديا إلى ظهور ما يسمى الحركات النسائية المضادة وهذه الحركات تطالب بالعودة إلى البيت، ومنها حركة "كل نساء العالم" التي أسستها الأمريكية "مورابيل مورجان" بعد أن عملت وجربت، ومن العائدات اللآئي جربن العمل من كانت مديرة للفيسبوك.

وألفت امرأة فرنسية "كريستيان كولانج" كتاب "إلى بيتي أعود"، -والغربيات عموما والأمريكيات خصوصا- معجبات بتغطية الوجه كثيرا، فهل ننتظر حتى يعود كل الأمريكيات إلى بيوتهن ويغطين وجوههن؟

كما أن الحركات المذكورة تحرم "الإجهاض" ومثلها الاتجاه المحافظ في أمريكا، والإجهاض مشكلة مزمنة طالما عانى منها المجتمع الأمريكي، وانقسم الناس هناك بين مؤيد ومعارض، وكل من يُنتخب رئيسا للولايات المتحدة لا بد أن يبدي رأيه في الإجهاض، إما في المناظرة التلفزيونية مع خصمه، وإما في حملته الانتخابية وإما فيهما معا، وفي استفتاء أجرته إحدى المجلات الغربية بعنوان "هل نقول ودعًا عصر الحرية، وأهلا عصر الحريم؟" قال: إن ٩٠% من النساء العاملات إنهن يرغبن العودة إلى البيت، وكان مما قلن:"مللنا الاستيقاظ مبكرًا لركوب المترو" وقلن: "الأمومة هي أشرف شيء للمرأة، وسعادتها أن تكون أمًّا".

وتجد كثيرًا من الأمريكان يقولون إن حكومة طالبان سابقاً أرقى من حكومتهم، وأن المرأة الأفغانية تمتنع عن الإجهاض طوعًا، وإن زراعة المخدرات إنما ازدهرت أيام الاحتلال الأمريكي، وإن المرأة الأفغانية أفضل حالا من المرأة الأمريكية، فهل يعي ذلك الداخلون في جحر الضب من اللبراليين في جزيرة العرب؟

وإذا كان الشعب الأفغاني -وأكثره أمي- أرقى من أمريكا فكيف شعب الجزيرة؟

ونحن نطالب الجهات المعنية بأن تحارب الاختلاط وتحارب المخدرات، ولا يكفي أن تكتب "لا للمخدرات" على صدور اللاعبين والمناديل الورقية، بل نربط ذلك بالدين ونقيم الحد على الشريف والضعيف، ولو أن الجهات المختصة حاربت المخدرات، كما تحارب السلاح لقضت على هذه الآفة الشنيعة، ولو جعلت إدارات مكافحاتها تابعة لرجال الحسبة لرأيت الفرق الواضح أما مجرد القوة العسكرية فحتى أمريكا تحارب المخدرات بها، وأشد من المخدرات الزنا، وأشد من الزنا أكل الربا.

ومن أجل صيانة المرأة وتكريمها وحمايتها حرمت الشريعة الغراء اختلاطها بالرجال وحرمت التشبه بهم وحرمت أن تسافر المرأة بلا محرم، والمحرم أوضحه كتاب الله وبينته سنة النبي ﷺ، فلا يجوز للمرأة ترك الحجاب لدى الطبيب أو الخياط أو البقال أو في مقابلة مع آخر كما تفعل بعض المذيعات أو أي أحد غير محرم، وبعضهن تدخل ما يسمى قسم السيدات في المطعم، أو فرع السيدات في شركة كذا ويكون ذلك مقدمة للاختلاط.

وإحدى الأمريكيات قتلت ابنتها ووضعت جثتها في "البانيو"، ولولا أن العشيق تضايق من الرائحة الكريهة للجثة لما أخبرته، ولأمثال هذه الأفعال جعلوا على من يضرب زوجته غرامة مالية وجعلوا من حق الطفل أن يستنجد بالشرطة إذا عامله والداه أو أحدهما بذلك.

وعلى منهج أولئك الضلال سار بعض الحكام في العالم الإسلامي.

وكثير من الأمريكيات والغربيات عامة يفضلن الحجاب الإسلامي ويتمنين أن كل النساء يتحجبن ويغطين وجوههن، وذلك إما موافقة للفطرة السليمة، وإما غيرة منهن على أزواجهن أن يروا غيرهن.

والمرأة الغربية ومقلدوها لا يمكن أن تأتيك تمشي على استحياء أو تتكلم بلا خضوع في القول، بل حالهم كما ذكر الله ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ [الفرقان:٤٤].

ومن الكبائر عندهم أن تغطي المرأة جسدها عن الأجانب، كما أن من المحال أن تجد رجلا غربيا يظن الناس أنه أعمى لغضه بصره كما كان بعض السلف.

وبعض الغربيات تفرح إذا خطبها شرقي، وتقترح عليه أن يسافر بها إلى الشرق، وأنا أعرف بعض أولئك الأزواج، وقد حدثوني بأنفسهم، وربما كانت المرأة هناك في وظيفة عالية ولكنها تفصل منها.

وبعض الغربيين البيض يتزوج امرأة مسلمة سوداء ويقول إنها لا تزني كاللاتي يعرفهن جيدًا قبل إسلامه.

ومِن جحد النعمة والكفر بها أن ننسى فضل الله علينا بالخلقة الحسنة والبلاد الحسنة، وأن نستحل ما حرم الله ونقلد أولئك التائهين.

والشريعة المطهرة حرمت الوصل والوشم والنمص وتغيير خلق الله، والحمد لله الذي خلقنا في أحسن تقويم، واختار لنا أفضل اللغات وأفضل الألوان وأفضل البقاع.

ومن تغيير خلق الله والتقليد الأعمى استبدال الأدنى بالأعلى، كأن يخلق الله عين المرأة سوداء فتضع مكانها عدسة زرقاء تقليدا للغربيات.

والغربيون أنفسهم يجهدون لاكتساب لوننا، إما بالتقلب في الشمس كما رأيت بعيني، وإما بإجراء عمليات جراحية لذلك كما شاهدت في التلفاز قرأت في الصحف، أو بتناول أدوية لذلك.

ومن فضل الله على هذه الأمة أنه اختار لها مكة التي فيها يتوفر الأكسجين ومن حرارتها تموت الجراثيم، واختار لها جزيرة العرب التي حماها الله من المعتدين حتى قبل الإسلام، وفيها الصحراء التي هي أكبر مصدر للطاقة الشمسية، وهذه الشمس التي ربما كرهناها أو تضايقنا منها هي حلم

كثير من الغربيين، حيث يعيشون هناك في الضباب ولا يكادون يرونها، ويستخدمون الطائرات لتفريق السحب كي يروها، ومحرومون من فيتامين (د) المجاني، وقد قرأت في إحدى صحفنا الحداثية أن فلانا وهو أحد المواطنين هنا يحلم بوطن له طعم الشمس وهكذا فلتكن التبعية والعبودية!

فالذي اختار لنا أفضل بقعة، وأسكننا أفضل أرض، كيف لا يختار لنا أفضل شرع؟

والمسلمون انتشروا شرقا وغربا، وأغلب شعرهم أسود على بشرة بيضاء وهذا أجمل ما يكون، أما الروم فكما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم سبوطة، وقد وصف أبو تمام بأنهم صهب العثانين، وتصفهم كتب المتأخرين بأن شعرهم أشقر وعيونهم مثل عيون القطط.

ومن التشبه بالكافرات أو بالممثلات أو الفاسقات، أن يصبغ بعض النساء شعورهن باللون الأشقر أو نحوه مما يغير خلق الله، وربما ولد المولود الغربي وشعره أبيض، فينبغي أن نشكر الله على الخلق والخلقة التي أعطاها المسلمين، ولا نغير خلقه فهو من أمر الشيطان كما قال تعالى: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٩] وفي الحديث الشريف (.. المغيرات خلق الله)، ومن رأيته من الغربيين أسود الشعر، فاعلم أنه يهودي أو من أمريكا الجنوبية.

والنبي ﷺ لما بين لنا حل الغنيمة قال: (لم تحل الغنائم لأحد سود الرؤوس من قبلكم).

والمسلمون عكس المالتوسية القديمة والجديدة، يتكاثرون ويتناسلون، فقد حث النبي ﷺ على النكاح وأمر هذه الأمة المباركة بالتكاثر والتناسل، ومما جاء في ذلك قوله: (تكاثروا تناسلوا، فإني مفاخر بكم الأمم يوم القيامة)، وهو صلوات الله عليه أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة، وقال عليه الصلاة والسلام: (يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج)، وأعلن صلوات الله عليه أنه لا رهبانية في الإسلام، وأن رهبانية هذه الأمة هي

الجهاد في سبيل الله، وأنكر على الثلاثة الذي أرادوا التبتل فكان مما قال: (... وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)، ولم يأذن لأمته في الخصاء، بل تزوج صلوات الله عليه فأكثر من النساء، وتزوج خلفاؤه من بعده، حتى إن بعض العلماء قال: "كثرة النساء ليست من الدنيا"، والزواج سنة الأنبياء الكرام جميعا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ [الرعد:٣٨]، أي أن الله تعالى شرع لهذه الأمة عكس ما نادى به "مالتس" وما عليه كثير من الغربيين من داعة المالتوسية الجديدة مثل "فرنسيس بيلاس" في فرنسا أو "تشارلز نورتن" في أمريكا، وكذلك حكومات أوربا وأمريكا، بل تجد هذا الفكر الضالّ في اليابان والهند وأمريكا الجنوبية، وحيث الغرب عليه المجتمعات الإسلامية.

وقد زعم "مالتس" في نظريته أن الغذاء يزيد بمتوالية حسابية أي ١، ٢، ٣، ٤، في حين أن السكان يزيدون بمتوالية هندسية أي ٢، ٤، ٨، ١٦، ولذلك حَرّم الإحسانَ إلى الفقراء وأوجب التخلص منهم بأي وسيلة، وممن رد على "مالتس" فأكثر "بوكانين" المرشح للرئاسة الأمريكية عن الحزب الجمهوري، وكذلك إحصاءات الأمم المتحدة الآن التي تعتمد على الإحصاءات المحلية للدول، وشكوى الغرب اليوم من هرمه ونقص سكانه باستمرار.

ومما يرد عليه الاكتشافات الحديثة للنفط والغاز، وكذلك إمكان زراعة البحر وزراعة الصحراء، وأمثال ذلك مما لم يعرف "مالتس" عنه شيئا، فمالتس قال ذلك أواخر القرن الثامن عشر، وروسيا اليوم تستثمر وحدها في القطب الجنوبي ٣٠٠ مليار دولار.

ومشكلة العالم الحقيقية ليست زيادة السكان ولكنها في النهب والسلب الذي يمارسه المتسلطون على المال، سواء نهبوا ذلك باسم سيطرة الدولة على كل شيء، مع تسميته مؤسسة عامة، أو باسم "الخصخصة" وهي لون آخر من سيطرة رأس المال.

ولا تزال البشرية تخرج من دوامة، وتدخل في دوامة أخرى، حتى يعود الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومن إيمان الغرب بهذه النظرية المقيتة نجده لم يندم على قتل الشعوب التي سماها "غير متحضرة"، فارتكب المجازر الشنيعة في الأمريكيتين وفي آسيا وفي أفريقيا، فضلا عن اليتامى والفقراء في بلده، فأين هذا من شرع الله الذي أنزل ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨]، وهؤلاء الثلاثة هم مظنة الفقر والحاجة في كل مجتمع، وكان صلوات الله وسلامه عليه أرحم الناس بهؤلاء الثلاثة وبكل حي، ونهى الله جل شأنه في كتابه عن قتل الأولاد من الفقر أو خشية الفقر عليهم منه، ومما يُمدح به الحنفاء في الجاهلية قول الناس عنهم: إن فلانا كان يحيي الموؤودة، ومنهم زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، ولذلك لما قيل لبعض السلف إن السِّعر ببغداد قد غلا، قال: "والله لو كانت الحبة بدينار لما باليت؛ إن علينا أن نعبده كما أمر، وعليه أن يرزقنا كما وعد"، وقد كذَّب الله تعالى نظرية "مالتوس" عند المؤمنين بها فنحن اليوم نرى الغرب يهرم، وربما لهذا الهرم يستقبلون اللاجئين والمهاجرين، وربما تستقبل الحكومة الألمانية المهاجرين من فلسطين وبلاد الشام الأخرى، محافظة منها على أمن الدويلة الصهيونية.

والمرأة ذات الأطفال في الغرب يعدونها بطلة قومية، ويعطونها شهادة بذلك لتركب الطائرة أو القطار وغير ذلك بتخفيض، هذا في حين أنه يصدّر لنا ما يسمى "تحديد النسل"، وهذا الغرب الذي يعطي الأسرة ذات الأطفال رواتب إضافية، يأمر أو يوصي حكام المسلمين بتحديد النسل، ولذلك قال أحد الحكام العرب: إذا كان عندي كذا مليونا فمن أين أطعمهم؟! فأين هذا القائل من شريعة الإسلام؟ ورحم الله الشيخ عبدالحميد كشك الذي عقّب على هذه المقالة بقوله: أنت ترزقهم؟ والله تعالى جعل ترك الإحسان إلى الفقراء والمساكين علامة على الكفر عياذا بالله، فقال جل شأنه: ﴿أَرَءَيْتَ

ﭐلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون: ١-٣] وذكر أن أهل الجنة يسألون أهل النار أجارنا الله وإخواننا المسلمين منها ويقولون لهم ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ﴾ [المدَّثر:٤٢] فيجيبون: ﴿لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ۝٤٣ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ [المدثر:٤٣-٤٤] الآيات.

وكان بعض السلف الصالح يتصدق على كل سائل ولا يتكلم بعد ذلك أبدا، فقال له بعض أصحابه: لم لا تطلب منه أن يدعو لك؟ قال: إن الدعاء من الجزاء. يعني قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان:٩]، وآخر يقول إذا سمع الباب يدق وعلم أنه سائل: أهلا بمن يحمل زادي إلى الجنة، ويعطيه أحب ما لديه، وقال جل شأنه: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٢٦٧] الآية، ونهى جل شأنه عن إتباع الصدقة بالمن والأذى فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة:٢٦٤]، وقال: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى﴾ [البقرة:٢٦٢].

وقد أخبرني بعض الإخوة من إفريقيا، أن الأمم المتحدة إن أعطت، تعطي الحبوب الفاسدة غالبا، بل بعضها مسرطن، مع أنها تُعطي من أموال المسلمين، وقال: أنا تأملتها فوجدتها ذرة فاسدة، أو أغذية انتهى تاريخها أو لا يأكلها الغربيون، ومع ذلك تمن الأمم المتحدة أنها أعطت الدولة الفلانية كذا طنا من الحبوب والغذاء. انتهى كلامه. أي: لا يكفي أن تكون من الخبيث بل يُتبعونها بالمن والأذى، وقد قرأت أنا أن عضو برلمان في إحدى الدول الغربية، سأل رئيس الحكومة ماذا تصنع باللحوم الفاسدة. قال: نصدرها إلى دول الشرق الأوسط! وليتهم إذ يصدِّرونها يبيعونها بسعر معقول، ولكن يبيعونها للشعوب المغفَّلة بأسعار غالية، ويمنعون كثيرا من دول

العالم الثالث -كما يسمونه- من إنشاء نقابات أو اتحادات أو جمعيات ترغم الشركات الصانعة على كتابة ما تريد على بضائعها، ومن ذلك كتابة تاريخ الإنتاج وتاريخ الانتهاء، والأضرار المتوقعة، كما أنهم يرغمون في الغرب بعض الشركات أن تكتب ما في البضاعة من الضرر، أو ما يوجب التحذير، أو يرغمونها على دفع التعويض ونحو ذلك، فانظر كيف يكيلون بمكيالين في كل شيء.

وقد أمر صلوات الله عليه وسلامه بالرحمة فقال: (ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)، وقال: (أنا وكافل اليتيم كهاتين، وأشار بأصبعيه الشريفتين السبابة والوسطى)، وقال لأحد أصحابه: (أتحب أن يلين قلبك وتدرك حاجتك؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك) الحديث.

وأمثال ذلك مما يدل على تفوق المسلمين وتقدمهم، وأن في كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليهم ما يغنيهم عن التقليد والاستجداء.

فأين هذا الإحسان للمحتاجين ممن يسجن القائمين على العمل الخيري، أو يعاقبهم ويأمر بقفل جمعياتهم ومؤسساتهم، أو يأخذ التعهد على من يوصل المبالغ المؤتمن عليها من الناس إلى من يريدون، ويدعي مع ذلك أنه يحكم بالشرع؟!.

علماً بأن هذا الإرهاب المالي لا يمنع من يريد الخير منه بل يجعل أهل الخير ينفقون سرا، ويحتال لذلك مع بغضه للأمر.

وقد قلت لأحد إخواننا الفلسطينيين مازحا: إني لأعرفكم في أي مطار غربي، قال بماذا؟ قلت كل من أرى له أطفالا كثيرين أعرف أنه فلسطيني.

حتى الأسير الفلسطيني يهرب نطفته!!

وقالت العجوز اليهودية "جولدا مائير": (إن الفلسطينيين يتكاثرون كتكاثر الأرانب).

ومما يخافه الصهاينة اليوم ما يسمونه القنبلة الديمغرافية أي الزيادة السكانية لدى أعدائهم أهل فلسطين، والحمد لله على ذلك، وإذا سمعت أن

أحد الفلسطينيين ارتقى ونال الشهادة فانظر كم عدد الذين يولدون في غزة والضفة؟ وصدق من قال: بقية السيف ممرعة.

وننصح من أراد النسل بكثرة الذكر والاستغفار، فإلى ذلك أرشد الله نبيه زكريا عليه السلام، وبه أوصى نوح قومه، كما ذكر الله عنه ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّـٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَـٰرًا ﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وفي عمل المرأة ترك للزواج، أو تأخير له، أو وقوع الفواحش المنكرة، كما رأينا في المنطقة الشرقية، حيث يقال إن مدير الغرفة التجارية فيها تزوج رجلا مثله، وقد كان هذا المدير رئيسًا لتحرير جريدة الشرق الأوسط ومديرا لقناة العربية، وعينوه عضوا بمجلس الشورى، وهو يستحق وفق معاييرهم أن يكون وزيرا، وهذا يؤدي إلى قلة السكان وقلة النسل المأمورين بتكثيره، يقول "بوكانين" في كتابه "موت الغرب": "مفارقة المفارقات اليوم، أن يضغط غرب مسيحي يموت، على العالم الإسلامي ليقبل منع الحمل والإجهاض والتعقيم مثل ما فعل الغرب، ولكن لماذا عليهم أن يدخلوا حلف الانتحار معنا، في الوقت الذي يقفون فيه لوراثة الأرض عندما نكون قد ذهبنا" وفي حلف الانتحار هذا يريد العلمانيون والليبراليون أن ندخل، ويقول وزير التعليم البريطاني نقلا عن أوبنهايم: "إن الليبرالية هي أيدلوجية الانتحار الغربي" فهل ننتحر نحن أيضًا لكي يرضى هؤلاء؟

وهنا ننبه إلى أن المشكلة اليوم ليست في قلة النسل أو كثرة السكان فقط، بل هي في سوء التوزيع وتشتكي كثير من البلاد -كحال الغرب مثلا- من هرم السكان وقلة النسل بينما يقل السكان في دول أخرى مثل استراليا وكندا، وهكذا يقع الظلم والتناقض دائمًا في كل أمة غير مسلمة.

ولو أن هذا العالم الأحمق أنفق على الغذاء مثلما ينفق على السلاح لما بقي فيه جائع.

وقد تمتنع المرأة الأجنبية عن الإنجاب لما تشعر به من التعاسة واليأس وتفاهة الحياة، ففي بحث أجراه الاتحاد الأوروبي، عن هذه المشكلة قالت طبيبة بلجيكية عن سبب تركها الإنجاب: (إنها لا تثق في الحياة)، وقد سبقها إلى ذلك أبو العلاء المعري حين أمر أن يكتبوا على قبره "هذا جناه أبي عليّ وما جنيت على أحد"، وهكذا يقنط من الحياة كل كافر أو ملحد.

وهذه الدعوة المريبة "دعوى تحديد النسل"، يصدرها لنا الغرب بينما يشجع هو على النسل كما تقدم، ومؤلف "موت الغرب" السابق ذكره يتحدث عن هذه المشكلة لدى الغرب، ولا يستثني إلا ألبانيا ويقول: (إنها الدولة الأوروبية الوحيدة، التي لا ينخفض فيها السكان، لأن شعبها مسلم!) اهـ.

ويذكر أن (سكان أوروبا الذين بلغوا عام ٢٠٠٠م ٧٢٨ مليونا سوف يصبحون عام ٣٠٠٠م ١٠٧ ملايين فقط) أي أقل من الثلث بينما يصبح عدد المسلمين مليارات! وحينها ستكون بنغلادش وحدها أكثر من قارة أوروبا سكاناً.

وليست هذه الأزمة خاصة بالغرب، بل هي كذلك في اليابان، وفي كل دولة تتبع الحضارة الغربية.

وكثير من النساء العاملات في الشرق، تضطر إلى ترك أطفالها إما عند الجدة وإما عند الخادمة أو أي عنصر نسائي آخر، وبذلك تجمع المرأة العاملة بين سوأتين: ١- إحلال أنثى مكانها، ٢- البعد عن اطفالها.

وربما وضعت أطفالها فيما يسمى "الروضة" لكي تتفرغ للعمل.

ومما يؤدي إليه توظف المرأة، أن تكثر البطالة بين الشباب، كما هو الحاصل حاليا، وليس في الوجود مخالفة لشرع الله وفطرته إلا ولها عقوبة ربانية.

ومما حرم الإسلام مع ترك الحجاب أن تتعطر المرأة ولا تخرج تَفِلة، فترى المرأة أمام زوجها متبذلة، وإذا أرادت الخروج وقفت أمام المرآة طويلا وتعطرت، وتزينت، وإذا عادت إلى البيت نزعت ذلك.

ومن خصائص الإسلام أنه أباح التحلي بالذهب للنساء وحرمه على الرجال، فليس في الإسلام ذهب رجالي وآخر نسائي، بل كله حرام على الرجال خاتما أو ساعة أو أيا كان.

والمرأة التي تنفق من مال زوجها وتتزين لغيره، ترتكب محظورين: ١- الزينة لغير الزوج، كما تفعل بعضهن فهي تظهر أمام الزوج كالقرْدة فإذا ما أرادت الخروج تزينت، ٢- الأخذ من مال الزوج بغير حق.

والتزين نفسه إقرار من المرأة بأنها أنقص ولذلك تتزين لتكتمل.

ومما يُجتنب ترفع المرأة بأي شيء، وأحسب أن من الترفع المنهي عنه الكعب العالي الذي ثبت ضرره لفقرات الظهر، وكانت نساء بني إسرائيل يترفعن بحذاء من الخشب كما في الحديث.

وليت المرأة المسلمة تترك ما يسمى المكياج أو أحمر الشفاه، الذي بلغني أنه يستخرج من النجاسات ومن الصراصير والأوزاغ ودهن الخنزير ثم يباع لنا، مع ما فيه من أضرار صحية يعرفها الأطباء، وإخواننا المجاهدون في غزة أولى بهذا المال المهدور.

والعجوز هنا تصبغ وجهها لكي تبدو شابة مع أن الشيب وقار، وهو خير لها من التشبه بالكافرات.

والله تعالى فطر المرأة على حب الزينة و لم يحرِّمها الله، وإنما قيّدها وحدد من تجوز له.

ولكل عصر طريقته في التبرج أو الزينة، غير أن التجمل هو التجمل في كل عصر ولا تتغير حقيقته وجوهره، وقد أجرى "ول ديورانت" في "قصة الحضارة" مشابهة بين المرأة السومرية وبين المرأة الأمريكية، و"الشامبو" المعاصر اليوم ما هو إلا تحديث أو تطوير وإن شئت قلت هو نقل مع الغش

لما كان مستخدما قديما، ومن المعروف تاريخيا أن الملكة "كليوبترا" استخدمته، وربما كانت "كليوبترا" مجرد ناقلة له عمن سبقها!.

كما أن "الشامبو" مصنوع من مواد أولية متوفرة لدينا، وإن شئت فاقرأ المصدر الطبيعي لها، بل رأيت رجلا غربيا يستخدم البيض ويقول إن "الشامبو" مصنوع منه.

أما ما يسمى المناكير فحسبه أنه يمنع وصول الماء إلى البشرة، فلا يصح الوضوء، وإذا لم يصح الوضوء لم تصح الصلاة.

أما التلطخ بالأصباغ (المكياج) ففيه عدة مفاسد:

١- استسهال ترك الحجاب.

٢- تغيير خلق الله.

٣- الغش والتدليس على الخاطب أو أي ناظر.

٤- إخفاء أعراض الشيخوخة، التي بها ينبغي التوقير والاحترام للكبير.

٥- استعمال النجاسات فالمكياج يصنع غالبا منها كما تقدم.

٦- ترك الوضوء وبالتالي ترك الصلاة.

ومن التشبه بالكافرات ونحوهن التسمي بأسمائهن أو التزيي بزيهن، وذلك التشبه حرام، وحرمت الشريعة ما يصف أو يشفّ من اللباس ويجعل المرأة كاسية عارية نعوذ بالله من ذلك، وربما كان الاسم المتشبه به اسما لصنم مثل "ديانا"، أو لأحد معبوداتهم مثل "راما"، وربما كان اللباس لزانية عياذا بالله، وقد طلب أحد المتخوضين في مال الله هنا أن ينام مع إحدى الفاسقات ليلة واحدة، مقابل نحو أربعين مليون ريال! وبعض البنات تلبس ملابس مكتوب عليها بالانجليزية "أنا سهلة"، وتعني عندهم سهولة الانقياد للفاحشة!

ومن صيانة المرأة في الإسلام، أنها مكفولة إما من الأقارب وإما من الزكاة وإما من بيت المال، وحقها من الميراث منصوص عليه في كتاب الله فما الذي يجعلها تكدح وتنصب وتختلط بالرجال؟! ويجوز لها أن تتاجر بمالها أو يكون لها سجل تجاري.

والمرأة مع هذه الكفالة المضمونة لا تنفق على أحد كالرجل الذي يجب عليه أن ينفق من ماله كثيرا، وإنما إنفاقها تطوع منها.

والميراث في الإسلام عدل ولصاحب المال أن يوصي بثلث ماله إن شاء، أما أن يوصي بماله للكلاب كما في أمريكا أو لأجنبي فلا يصح، والاعتراض على قسمة الله كفر.

وكيف يتبرع أولئك المتأخرون بمالهم كله للكلب ويتركون أبناءهم وأقرباءهم، وقد أمرنا النبي ﷺ أن نغسل الإناء الذي ولغ فيه الكلب سبع مرات إحداهن بالتراب، فالكلب في ديننا نَجس لا يدنيه المسلم ولا يصطحبه معه، أما هؤلاء فيوصون بأموالهم للكلاب، أو للقطط.

والميراث في انجلترا هو للابن الأكبر فقط كما ذكر "مالتس" و"واطسن" وغيرهما، ويشهد به الواقع الانجليزي المعاصر، وليس لدى اليهود والنصارى ما في القرآن الكريم من شريعة تفصيلية للمواريث.

والبنت في الهند لا ترث إلا الربع كما ذكر البيروني وغيره، والعجيب أنها هناك تتكفل بالمهر وتدفعه للزوج، وإذا ورث الابن الانجليزي الأكبر المال، هاجر إخوته طلبا للرزق وربما عملوا في أحط المهن.

وكما تستحيي المؤمنة ولا تختلط بالرجال نجد ذلك فطرة عند الكافرات والمبتدعات -كما حدثني مسلم كوري كان رئيسا لاتحاد الطلبة الكوريين- أن المرأة لا سيما في الريف تدير ظهرها للرجال وتضع وجهها في جهة الحائط، إذا قابلت الرجال، ونحن أولى بهذا من المجوس!

والرافضيات يتحجبن غالبا عدا المتعلمات، ونحن أولى بهذا منهن، بل إن المرأة الغربية ولو كانت وزيرة لا تأتي إلى إيران إلا متسترة.

والحجاب علامة على التمسك بالدين في أي مجتمع.

فالمسلمة المتدينة في الفلبين وماليزيا وإندونيسيا تغطي وجهها ولا تخرج إلا بمحرم.

وبعض الغربيين ويتبعهم الليبراليون والمنافقون عندنا يظنون أن المرأة تأخذ نصف الميراث فقط، وأن سبب ذلك هو أنها أنثى!

وهؤلاء لو تدبروا القرآن الكريم وتدبروا آيات الميراث لوجدوا:

١- أن الأنثى لا تعطى نصف الذكر في كل الحالات، بل هناك حالات نص عليها القرآن الكريم نفسه تعطى المرأة فيها مثل ميراث الرجل كقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١١] في نفس الآية التي أولها ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]، وكذلك الكلالة إذا كان له أخ أو أخت قال تعالى: ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١١] وغير ذلك.

بل إن المرأة إذا كانت من أصحاب الفروض المقدَّرة ولم يكن لها عاصب تسقط الرجل إذا كان لا يرث إلا عصبة، قال ﷺ: (ألحقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فلأولى رجل ذكر) أي أنه إن لم يبق شيء فلا يرث.

وليت شريعة أهل الكتاب تعطيها النصف، ولكنها تحرمها إذا كان للمتوفى ابن، ففي سفر العدد من التوراة يقولون إن موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل: "أيما رجل مات وليس له ابن تنقلون ملكه إلى ابنته".

٢- أن المرأة لا تجب عليها النفقة بخلاف الرجل فإنه يجب عليه أن ينفق على من أوجب الشرع عليه نفقته.

٣- أن الميراث أو المال ليس كل شيء بالنسبة للمسلم، كما في النظرة الغربية المتأثرة كثيرا بأخلاق اليهود وطباعهم، لذا أمر الله ببر الوالدين وأوصى بالأم خاصة، وأمر رسوله ﷺ بتوقير الكبير، فالحب والتقدير والمشاعر الحانية، أعظم من المال عند الرجل والمرأة، ونصيب المرأة من ذلك أكثر، فالله تعالى جعل للأم ثلاثة حقوق وللأب حق واحد، ولو كانت الأمور بالمساواة كما يقول الذين لا يعلمون، لكان للأم حقان وللأب حقان، قال الله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا

يَعۡلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]، فقارن بين معاملة الوالدين والأجداد في ديننا، وبين الجفاء الذي يعاملون به في الغرب، وصدقت العجوز الدوسرية التي استقدمها ابنها إلى أمريكا، ولما رأت الأمريكيات فضَّلت وادي حنيفة والمساجد على المجتمعات التي تربي الكلاب وتكدح فيها العجائز، وأنا لما سكنت في أحد فنادق ولاية ميشيجان شمال أمريكا وخدمتني عجوز، دفعني الفضول لسؤالها: أليس لديك أبناء؟ فقالت: بل عندي ابنان، أما أحدهما فلا أعلم عنه شيئاً، وأما الآخر فهو في كاليفورنيا.

هذا فضلا عن أن المرأة في الجاهلية لم تكن ترث وكذلك عند الآشوريين والفينقيين، وكذلك عند الرومان الذين ورثت عنهم الكنيسة أن المرأة شيطان.

ومع ما من الله علينا به من هذه الفضائل والكرامات، يبتعثون البنت إلى الغرب، وربمابدون محرم، أما المراسلات والصحفيات فمن الطبيعي عندهم أن يكنَّ بلا محرم! علما بأن ما تفعله بعض الدول، من ابتعاث الفتاة إلى بلاد الكفر غير جائز في الشريعة.

وبمناسبة الابتعاث نقول: إن ابتعاث الذكور إلى المجتمعات الإسلامية مثل تركيا وماليزيا وباكستان أولى، والغرب نفسه تعتمد جامعاته على المهاجرين، ويعترفون بذكاء الطالب المسلم وتفوقه ولو قارنا "كوالالمبور" بجدة مثلا فماذا نجد؟.

هناك أي في ماليزيا كلها وليس "كوالالمبور" وحدها نرى: ١- قلة الحوادث فيها وهم يصطلحون غالبا إن وقعت، ٢- وهناك حقيقة المساواة، فرئيس الوزراء كأحد العامة، ٣- تصريف الأمطار، مع أنها عندهم يوميا، ولكن لا ترى في الشوارع قطرة، ٤- النظام والانضباط ورخص المساكن وترك استخدام البوق، ٥- ليس لديهم تصوير للسيارات ولا "ساهر"، ٦- النساء هناك يغطين ما يغطين طواعية، وهو لباس واحد في البلاد أو في غيرها، ٧- حرية الدعوة ففي كل مسجد دروس وفيه تحفيظ، وترى العناية

البالغة بالمساجد ومن يعمل فيها، ففي جوار كل مسجد أربع فلل، بعضها للإمام وبعضها للحارس، ٨- ليس عندهم تفتيش بين المدن ولا أمن طرق، فالطرق كلها آمنة وكلٌّ يعرف مساره، ٩- يستطيع كل أحد أن يقول عن الشيعة ما يشاء، ولا أحد يقول هذه طائفية ومنافية للوحدة الوطنية، فكيف نترك هذا ونبتعث أبناءنا إلى البلاد المظلمة الكافرة؟ ونختص بالكلام سياسة إيران دون عقيدتها؟

وماذا يتعلم المبتعث إلى الغرب؟ أليسوا يعلّمون الخبير العسكري، أن يركب الجمل في صحراء نيفادا تشبيها لها بالنفود والدهناء، وصحاري المناطق النفطية في جزيرة العرب؟ هل هذا هو ما ينقصنا؟ ولم لا يسمحون للمبتعث أن يتعلم صناعة القنابل النووية مثلا؟

ولا يحرم في شريعتنا تعليم المرأة أو التعلُّم منها بشروطه الشرعية، وإنما يحرم الاختلاط وتشتد الحرمة إذا كان مع هذا الاختلاط خلوة، قال بعض السلف: (ميمون بن مهران): (لا تخلون بامرأة ولو أن تحفظها القرآن)، ولا يجوز ذلك في الإسلام، كما تفعل بعض النساء اليوم لا سيما إذا أجرت مقابلة.

كما أن الاختلاط يحرم لتعلم الطب مثلا، وعندي أنه أن يكشف طبيب موضع الألم من امرأة بحضور محرمها أفضل من أن تتعلم الطب.

ومن القضايا التي تكثر إثارتها في الصحف المحلية في بلاد الحرمين قضية أن يتزوج ستيني عشرينية، وهي قضية عرّض بها قبلهم "ول ديورانت" اليهودي العلماني حين قال: "إن محمدًا ﷺ تزوج فتاة يهودية -يعني أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب- وعمره ٥٧ سنة بينما عمرها ١٧ سنة! وذكر ادوارد سعيد مع أنه نصراني أن ذلك من أهداف المستشرقين!!

ونحن نذكّر كل المعترضين على الشريعة في الشرق والغرب أن الغرب كان يجيز الزواج بين أي زوجين يتعدى عمرهما أربع سنوات ثم صدر قانون

يمنع زواج القصّر لكنهم يخالفونه، ثم اضطروا إلى تحديد سن الزواج الذي يقع تحت السلطة.

وقد حددت بعض الولايات الأمريكية والدول الغربية سن الزواج للبنت بالثانية عشرة وبعضها بالثالثة عشرة، ولو أن ذلك حصل هنا لقال الليبراليون هذا تأخر ووحشية، ومن الغرائب عند الليبراليين أن يتزوج ستيني فتاة في هذا السن، مع أن بعض التابعين تزوج وهو فوق المائة سنة، ويختلف زمن الحيض ما بين الدول الحارة والدول الباردة، والمرأة تبلغ سن اليأس غالبا وعمرها خمسون سنة، والرجال فيهم من لا تنقص فحولته ولو عاش قرنًا، فكما تختلف البلاد والمجتمعات تختلف العصور، وكذلك يختلف الأفراد كما تختلف الأحوال في البلد الواحد أو المجتمع الواحد، فقد كان سن الزواج عندنا قريبا من العاشرة ثم أصبح قريبا من العشرين وهكذا، وقيل لسيد بني تميم الأحنف بن قيس المشهور بحلمه، والذي كان حيا زمن النبوة: إنك تحب الأناة فقال: أنا أحب الاناة إلا في ثلاث، الضيف إذا نزل بادرت بإكرامه، والميت إذا مات بادرت بدفنه، والأنثى إذا بلغت بادرت بزواجها.

وللزواج المبكر فوائد للجنسين منها حمايتهما من العنت أو الوقوع في الفاحشة، وإمكان تربية الأطفال والعيش في برهم.

وإنما يعيب رجال الدين والمستشرقون، ويتبعهم الليبراليون عليه ﷺ أنه تزوج عائشة ﵂ وعمرها تسع سنوات، وغفل أولئك المفترون عن حقائق كثيرة، منها أن هذه الصديقة الذكية العالمة، بلّغت الأمّة حياته ﷺ وعلمه بعد وفاته حوالي نصف قرن، ولو كان تزوجها شهوة كما يزعمون لما تزوج صلوات الله وسلامه عليه قبلها خديجة رضي الله عنها، وقد كانت ثيبا أكبر منه بكثير، ولم يتزوج غيرها حتى ماتت، وتزوجها في فورة الشباب وقوة الشهوة.

ومثل ذلك ما ذكره "ول ديورانت" عن زواج النبي ﷺ بصفية بنت حيي بن أخطب، حيث ذكر أنه ﷺ كان في السابعة والخمسين وهي في السابعة عشرة كما تقدم!

كما لا يجوز إجبار المخطوبة على الزواج ممن لا ترغب، فقد أبطل النبي ﷺ هذا النكاح وحث على استئذان المرأة، وبين كيف تُستأذن الثيب وكيف تستأذن البكر، كما نهى الله عن العضْل وهو الذي يفعله بعض الجهال اليوم.

ومن شفقته صلوات الله وسلامه عليه بالمرأة، أنه نهى عن ضربها في الوجه، أو أن يقبحها الزوج، أو يظلمها أو يفرط في حق من حقوقها ولا يعدل معها.

وإنما جاء ضرب الزوجة الناشز في مرحلة متأخرة وحلاً للنشوز الذي قد يقع منها، والنشوز حرام على الرجل والمرأة سواء، وبعض المقلدين من أصحاب النشوز يكتب على المرأة أنها ناشز سبع سنين، وعلى ذلك اعترض أصحاب الفطرة من الرجال، حتى قال أحدهم: يا فضيلة القاضي اكتبني أنا ناشز وخلها عند عيالها.

وهذا الغرب الذي يمنع الضرب مطلقا ويقول إنه امتهان لكرامة المرأة أو إنه عنف وإرهاب، ويضع على فاعله غرامة مالية، تجد فيه التحرش والاغتصاب والعنف الجنسي، وما زادهم التعري والاختلاط إلا سعارا.

ومن مراعاة المرأة والرحمة بها والمعاشرة الحسنة لها، أن النبي ﷺ كان يحدِّث أهله بأخبار النسوة في الجاهلية، كما في حديث أم زرع الذي شرحه بعض العلماء، وأنه ﷺ رفع عائشة رضي الله عنها كي ترى الحبشة وهم يلعبون في مسجده الشريف، وسابقها فمرة سبقته ومرة سبقها.

والاختلاط في ديننا حرام على العلماء، كما يحرم على العامة، ولما كتب "موليير" رواية "طرطوف" جعلها تصور نفاق رجل الدين الغربي، والعجيب أن بعض الناس ترجمها إلى العربية باسم "الشيخ متلوف" مع اختلاف الدينين، وكذلك ليس لدينا ولله الحمد "راهبة" ليكتب العلمانيون

عنها قصة كما فعل "ديدرو" في الغرب، وما الذي أنكر مارتن لوثر من طباع الرهبان والراهبات؟

وليس إتيان الشهوة في الإسلام إثمًا ونجاسة بل هو مباح، وإذا حسنت النية كان فيه أجر، كما قال ﷺ: (وفي بضع أحدكم صدقة)! الحديث.

وقال عمر رضي الله عنه: "إني لأكره نفسي على إتيان امرأتي لعل الله أن يخرج مني نسمة صالحة تجاهد في سبيل الله".

والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، كما أخبر ﷺ، ولذلك قال ﷺ (.. إنها صفية).

ونهى ﷺ عن الاختلاط والخلوة وقال: (ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما)، وهكذا سدَّ صلوات الله عليه كل طريق للشيطان أو للدياثة، والعجب أنك ترى أو تسمع أو تقرأ أن السكرتيرة الفلانية أو الموظفة الفلانية في اجتماع مع المدير أو غيره.

وفي ذلك قصص كثيرة يشيب لهولها الولدان، وكم طالبة شكت تصرف مدرسها وكم من عاملة شكت من سلوك مديرها وكم من مريضة أو ممرضة شكت معاملة طبيبها!.

وأنا تلقيت مكالمات هاتفية بذلك، وبعضهم أعرفه شخصيا! بل إن بعض خونة الأطباء يسرقون الأعضاء ويبيعونها وبعضهم نصراني يتعصب لدينه، وبعضهم لا تتعدى درجته أن يكون ممرضًا، فإذا جاء إلى بلاد المسلمين ادعى أنه استشاري وجعلوه كذلك وأجزلوا له العطاء.

ومن عادات الغربيين السيئة أن الفتاة لا بد أن تكون مجرّبة فاقدة العذرية وأن الخاطب لا بد أن يكون كذلك وإلا جاؤا له بعاهرة من الشارع قبل الدخول فمن إذن يقتدي بهم؟

والزوجة عندهم إذا وجدوها عذراء قالوا إنها باردة جنسيا!

ومن عاداتهم السيئة أن الشرطة قد تنتزع الفتاة من أبويها لا سيما إذا كانا مسلمين وتتيح لها أن تغير دينها وأن تفعل الفاحشة ويعدون ذلك حرية

وتحضُّرا، وذلك ما يفعلون في أمريكا وبريطانيا والسويد وهولندا وفرنسا وكل دولة غربية.

وإذا اشتكى أحد من واقعهم المظلم قالوا إن هذه ضريبة التحضر، مع أن الحضارة منهم براء، بل هذا هو الانتحار والفاحشة.

قال مؤلف كتاب "موت الغرب" "ج بوكانين" السابق ذكره "لا يمكن منع موت الغرب إلا بالعودة الضخمة من النساء الغربيات إلى فكرة يبدو أهن قد تخلين عنها، وهي أن الحياة الجيدة تكمن في حمل الأطفال وتربيتهم وإرسالهم للعالم، ليتابعوا استمرارية الأسرة" وينقل عن أحد الباحثين الغربيين قوله : "إن رعاية الأطفال هي علامة على المجتمع المتحضر".

فالمجتمعات الإسلامية إذن متحضرة ولو كره الليبراليون.

وينقل المؤلف المذكور عن إحدى الكاتبات البريطانيات، التي ألفت كتابا بعنوان "قلوب فارغة وبيوت فارغة"، مقولتها "إن حركة المساواة النسوية حليف دارويني أعمى"، وقالت: "إن الأمم التي تتبع سياسات الحركة النسوية للمساواة تعرض نفسها للخطر".

ويعلق "بوكانين" على ذلك قائلا: (وباختصار فإن صعود الحركة النسوية للتسوية ينذر بموت الأمة وبالنهاية للغرب!).

ويقول: (لا يمكن أن توجد الفضيلة في غياب الإيمان!).

ويقول: (الحضارة تنشأ من الدين، وعندما تتآكل المعتقدات التقليدية لأمة من الأمم فإنها تموت) هذا ما يقوله المرشح للرئاسة الأمريكية، فماذا يقول دعاة المساواة والاختلاط عند المسلمين.

ويقول الباحث الاجتماعي "رينولد بينير": "إن حياة الأمم والشعوب بغير إيمان ما هي إلا فناء"، ويقول الأمير "تشارلز" ولي عهد بريطانيا: "إن هؤلاء النسوة اللاتي يطالبن بالمساواة مع الرجل يردن أن يصبحن رجالا، ناسيات أن تربية النشء أعظم عمل يقمن به".

والشهادات من الغربيين والغربيات في هذا كثيرة ونكتفي منها بما سبق.

ومن عنصرية الغربيين وتخلفهم، أنهم يُقرون الحجاب اليهودي أما المرأة المسلمة فلا حق لها في الحجاب، وأن فرنسا تضع على المرأة المسلمة غرامة إذا لم تكشف شعرها، وتحظر عليها دخول الجامعة، فأين الحرية إذن؟ وأين التنوير المزعوم؟ وأين المساواة؟ وأين الوطنية؟ وأين العلمانية التي نادت بها الثورة الفرنسية؟

ومع ذلك يحضر رئيس فرنسا "أولاند" قمة مجلس التعاون الخليجي!.

والعجب أن كثيرا من الأمريكيات يكتبن بأنفسهن أنهن بلا أزواج، وأن كثيرا من المصانع أو الشركات لا تفتح أبوابها لهن، وأن قانون التماثل أو المساواة الذي قرره الرئيس "جونسون" وسموه "قانون الحقوق المدنية" غير مطبق على الوجه الصحيح، وأكثر أجر المرأة يذهب في الزينة المحرمة لغير الزوج وليتها بقيت في بيتها و لم تتزين و لم تتوظف.

وأكثر ما تعمل المرأة خادمة وبشروط لا بد منها، وهؤلاء الخادمات سواء سمِّين مضيفات -ع أن المنظمات العالمية تسميهن خادمات جوِّيات- أو سمِّين ممرضات أو موظفات إلخ لا يحصلن إلا على أجر أقل من الرجال غالبا، ولو قيل لأحد الناس الذين يوظفون مولياتهم أريد بنتك أو موليتك لخدمة أبي الكبير وأنا لا أراها لرفض وقال: "بنتي ماهي خدامة" ومع ذلك لا يرفض أن تعمل خادمة للمئات أو للآلاف في الطائرات أو المستشفيات أو في أي مكان، وهذا من الدياثة والانتكاسة، التي علَّمنا إياها الغربيون، ومن اتبعهم من العلمانيين أو الليبراليين أو الإعلام الفاسد، وكيف يكون لآكل الخنزير أو الجيفة غيرة؟ وكيف يكون لمن يتبعهم غيرة؟

وإذا عملت المرأة في غير ما خلقت له، طبَّل لذلك الإعلام طويلا وامتدح من أقر ذلك أو أمر به ووصفه بالتحضر وبإنصاف المرأة، وافتخر بأن المرأة في عصر فلان تولت منصب كذا وكذا.

وقد قارنوا هنا بين عضوات مجلس الشورى وبعض برلمانيات العالم حيث يكون عدد النساء أقل.

وليست المساواة المزعومة من الإسلام بل هي دياثة يأنف منها الحيوان الأعجم، وقد أثبت علماء الأحياء، أن الحيوان يغار على أنثاه، ومن ذلك بعض الطيور مثلا كالديكة، وبعض الحيوان إذا وقع على ذات محرم له يتردى ويهلك نفسه، والحيوان المشهور بدياثته هو الخنزير الذي يأكله الغربيون فيتصفون بصفاته!.

وقد أراد بعض الأمراء أن يقول إن والده كان تقدميا ويمدحه بذلك فقال: "كان النساء في قصر والدي كاشفات الوجوه، ولم يكن يعرفن الغطاء الموجود اليوم".

ومن حكمة الله تعالى أنه خلق من كل شيء زوجين، وهذه الزوجية وليس المثلية فيها كثير من الحكم التي قد لا نعلمها نحن البشر فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٣٦] وقال: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩] وقال: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾ [النجم:٤٥].

والله تعالى شرع الحدود، وحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وهو أغير من كل خلقه ونهانا على رحمته ووصيته لنا بالرحمة أن تأخذنا بالزانيين رأفة في دين الله.

والرجم مذكور في التوراة حتى اليوم وهو ثابت قطعا ولا يقام لأنه عقوبة جزائية يريدها المجتمع، أو للانتقام من الزاني أو الزانية، بل هو حق لله وتكفير لخطايا المرجوم في الدنيا كما ثبت في الحديث، وغيرة محمودة حث عليها ديننا الحنيف، وقد كانت العرب في الجاهلية تعرفه، كما ثبت في الصحيح أن القرود رجمت القردة الزانية في الجاهلية.

أي أن القرود أكثر غيرة من هؤلاء الداعين إلى التبرج والاختلاط، وأكثر تقدما من الأمريكان، وسائر الغربيين وكل من تابعهم من الليبراليين أو العلمانيين وكتاب الإعلام المضلِّل.

وأكثر ما يقام الرجم بالاعتراف، ونادر جدًا طوال التاريخ أن يقام بالشهود.

وقد فضل الله الرجال في جوانب وفضل النساء في جوانب وجعل بينهما تكاملا تتم به الحياة الإنسانية.

وليست المرأة كالرجل لا نفسيا ولا جسديا، وفي قصة أم مريم يقول الله تعالى كما في سورة آل عمران: ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ [آل عمران:٣٦] سواء أكانت هذه الجملة من كلام الله تعالى نصا أو هي حكاية عن أم مريم، وهي حق قطعا وواقع مشاهد، فليس الديك كالدجاجة، ولا الأسد كاللبوة ولا الرجل كالمرأة وانظر مثلا: الشَّعر، والصوت، والقوة، والفحولة، وقارن بين الرجل الكامل وبين الخصي أو الخنثى، بل إن أسماء الرجال غير أسماء النساء، وضمائر التذكير غير ضمائر التأنيث في كل لغة، والأسماء الموهمة قليلة ويمكن التوعية بشأنها، وممن شكى أن اسمه موهم، وأن بعض الناس يظنونه امرأة الفيلسوف اللغوي "نعوم تشومسكي".

وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل:١-٣]، فلكل وظيفته وعمله وحاله الخاص، أما المساواة بين الليل والنهار فهي عين المنافاة لحكمة الله، والله تعالى اقتضت حكمته أن تكون الثنائية في الكون والتكامل بين طرفيها هي القاعدة، أما جعلها متماثلين وليسا متكاملين فهو تعسف ومنافاة للفطرة فوق منافاته لهذه القاعدة الحكيمة وإن ادعى المفسدون أن ذلك مساواة، وهو سبحانه لم يجعل خلقه قائمًا على مبدأ المساواة بل على مبدأ التكامل، كما تقدم، وإذا نظرت إلى صورة المستشارة الألمانية "ميركل" بين القادة الأوروبيين، أو إلى بعض العاملات في الإتحاد الأوروبي، رأيت ذلك عيانا فمن حقنا أن نفخر بهذا الاصطفاء الرباني، وأن نسخر من هذه الحضارة المنحطة، وأن نهاجمها لا أن ندافع عن ديننا، فشريعتنا هي الشريعة الوحيدة التي تتفق مع الفطرة والعقل السليم والعلم الحديث.

والمرأة المسلمة ليست عاطلة -كما يقول المفسدون- وهل يستطيع أي رجل أن يقوم مقامها في الصبر والتربية؟ وهل المرأة التي تحمل ويصيبها الوحم وتلد وتربي الأطفال عاطلة؟

وهل هناك مهنة أعظم وأشق من تربية الأطفال؟ والإنسان يظل طفلا سنوات كثيرة وهذا غير الغسل والكنس والطبخ، فهل هي عاطلة؟ وهل هذه الأعمال غير شريفة؟ ولماذا تستعين المرأة عليها بخادمة؟

بل أجزم أن التي لديها طفل واحد ليست عاطلة فكيف إذا كانوا كثر؟

ويظن بعض الناس أن المرأة السعودية تريد الاختلاط والتبرج والغناء ودخول الملاعب وأمثال ذلك، ويتناسى حقوقها الحقيقة التي تطالب بها وما من مجيب، ومنها:

١. حثها دائمًا على طاعة الله وامتثال أمره، وذلك أهم حقوقها على ولاتها، فنحن الأمة الوحيدة في الأرض التي توحّد الله وتعبده كما أمر.
٢. إذا كان لا بد أن تعمل فليكن ذلك في المكان المناسب وليكن تعيينها حيث تريد أو أقرب مكان إليه.
٣. حفظ كرامتها بالإنفاق عليها من قبل ولي أمرها أو الدولة.
٤. إعطاؤها مسكنًا ملائمًا بالمجان أو بتقسيط مريح إذا طلبت السكن.
٥. إعطاء المرأة العاملة إجازة حمل وأمومة مدفوعة الراتب.
٦. الفرض لكل مولود من بيت مال المسلمين كما فعل عمر بن الخطاب وكما تفعل الدول الغربية حاليا.
٧. إعطاء الأم إذا أنجبت عددًا معينًا شهادة بذلك، لتركب بها في الطائرة أو القطار أو الحافلة مجانًا أو بتخفيض.
٨. إذا استقدمت المرأة خدامة، وكانت هي التي تدفع لها، فلا يجوز للحكومة أن تحتسب ذلك عليها.

٩. إنشاء مستشفيات نسائية خاصة وحافلات خاصة ومقاعد خاصة في الطائرات.

١٠. منع ما يخدش كرامتها كصور الممثلات والمذيعات اللاتي يجعلن زوجها يرى أجمل منها.

١١. تلبية حاجتها الفطرية كما سنوضح إن شاء الله.

وغير ذلك من حقوقها الشرعية، وينبغي إعطاؤها ذلك دون منّة من أحد ولا مطالبة منها.

ولا يجوز بحال مراعاة الأقلية من الساقطات اللاتي لا يخلو منهن مجتمع، وهضم الأكثرية من الشريفات الأصيلات، كما لا يجوز أن يظن بعض الناس أن المرأة المسلمة تريد الاختلاط والتبرج والغناء ودخول الملاعب، والتشجيع الكروي، وأمثال ذلك مما يقال عنه على الأقل إن غيره أولى منه.

كما أن للمرأة المسلمة حقوقا ومطالب فطرية، ومن ذلك حاجتها الجسدية في الاستمتاع، مثل:

١- لها أن تشتكي صغر عضو زوجها، كما شكت ذلك امرأة للنبي ﷺ، ولم ينكر عليها.

٢- يجوز لها أن تشتكي دمامة زوجها، كما شكت ذلك إحداهن للنبي ﷺ أيضًا.

٣- يجوز لها أن تشكو أن زوجها لا يحقق لها رغبتها الجنسية، قال عبد الله بن عمرو بن العاص: زوجني أبي امرأة من قريش ... الحديث، وفيه أن المرأة قالت: (لم يطأ لنا فراشًا ...إلخ)، فبلّغ أبوه عمرو النبي ﷺ، فأمره أن يصوم ويفطر ويقوم وينام، وفي هذه الحالات إن عجز الزوج فمن حقها أن تخالعه.

٤- تجعل الحكومة الإسلامية حدًا لغياب الزوج عن زوجته فقد عسّ عمر رضي الله عنه فسمع امرأة تنشد:

فو الله لولا الله لا رب غيره ** لزلزل من هذا السرير جوانبه

في أبيات ليس هذا موضع إيرادها فذهب عمر إلى أم المؤمنين ابنته حفصة، وسألها كم تصبر المرأة عن زوجها، فأجابته على استحياء: تصبر كذا.

فأمر عمر قادة الجند أن يأذنوا للمجاهدين أن يقفلوا هذه المدة ليقضوا ذلك مع زوجاتهم.

وكل هذه الحقوق تأخذها الزوجة مع الصيانة والحشمة، فليس في الإسلام تنكّر للفطرة بالترهب، ولا فيه خلاعة ومجون كما في نشيد الإنشاد من التوراة، ولا للدعارة كما جعلوا "لأستير" سفرًا خاصًا من التوراة.

والعجيب أن المجتمعات الغربية لما كثر فيها اللقطاء ومن لا أسرة له أو له أم عاملة، لم يعيدوا المرأة إلى وظيفة الأمومة، بل أكثروا من المحاضن للأطفال، وهم في السعودية يسمون اللقيط يتيما وما هو بيتيم ولكنه لقيط.

وبعض الدول الغربية تعدُّ المرأة ذات الأطفال بطلة قومية، وتعطيها شهادة بذلك لكي تركب وتتطبب بها مجانا أو بحسم من التكلفة كما سبق.

فلدى المسلمين إذن بطلات قوميات كثيرات، بل إن هذه الدول المظلمة لتعطي كل طفل مرتبا، وبعض الناس لا يبالي ألا يعمل اكتفاء بما يحصل عليه أطفاله من لعاعة الدنيا.

ومن حق اليهودية أن تكون محجبةً، أما المسلمة فيجب أن تكون متكشفة لكي يرضى اليهود والنصارى، أما إذا تحجبت فهي إرهابية أو محرِّضة على الإرهاب، ومن حق الأرثوذوكس أن تكون لهم حافلات خاصة يركب فيها الإناث فقط، أما إذا فعل ذلك المسلمون، فهو تمييز ضد المرأة وتقليد فارسي، نقله العرب إلى بيئتهم الصحراوية!!

والغرب كما رأيتُه ويراه كل زائر، لا ينجب إلا أطفالا معدودين وهم غالبا لا يتجاوزون طفلين، وهناك يتاجرون بالأطفال وخاصة من دول العالم الثالث، ويقولون إنهم ليس فيهم إيدز، ويرتكبون الفاحشة بالمهاجرين، لا سيما إذا كانوا صغارا من الذكور والإناث، كما يفعل سكان كاليفورنيا

بأطفال المكسيك، وكذلك كثير من الأمريكيين والغربيين يفعلونه بالأطفال الشرقيين، حتى أصبح الاتجار بالبشر تجارة عادية معروفة لدى هذا العالم المتأخر.

وأصبحت الأمم المتحدة في كل بيان لها عن حقوق الإنسان تقول: إن التجارة بالبشر تنتشر في العالم.

وتناقض هيئة الأمم نفسها فتحرم الرق الشرعي بينما تصمت عن شراء اللاعبين والمدربين وكذلك ما يسمى "الدجاج الأبيض" ويتاجرون بالأجنة ويقولون إن بشرة الجنين أنعم من بشرة الكبير، ويستخدمونها في التجميل لا سيما للممثلات وصاحبات الثراء ولا يبالون بمن يعترض، والمهم عندهم هو ما ذكر الدكتور "أليكسس كاريل" أي أن يمضي النساء في مباذلهن، بل في شهواتهن الدنيئة، ومع ذلك يشكون من المشكلة الديمغرافية كما يسمونها.

وفي أمريكا تنقل المرأة بويضتها الملقحة من حلال أو حرام، وتعطيها لامرأة فقيرة، تحمل عنها وتلد لها، ويسمونها الأم المستأجرة، وفي بريطانيا يأتون بامرأة من الشارع يسمونها "الجدة المستعارة"، لكي ترعى الطفل وتناغيه، وإذا كانت المرأة في أمريكا ذات مال أمرتها المحكمة بالإنفاق على الرجل بعد طلاقها منه!

وهكذا يوجب علينا الشرع، كما يوجب العقل والعلم والفطرة أن نقول للمرأة المسلمة لا تكوني مثل هؤلاء ولا تستمعي لدعاة الفساد.

والمرأة في الغرب تطلِّق الرجل، فما أسهل أن تتفكك الأسرة، وقد قال رجل هنا لامرأته قد حيروني هؤلاء العلماء، قالت في ماذا؟ قال: يقولون إن المرأة يجوز لها أن تطلِّق الرجل (وكان كاذبا) فطلقته امرأته في ذلك اليوم مرات.

والكاثوليك أينما كانوا يحرمون الطلاق مطلقًا، وفي الوقت نفسه يحرمون تعدد الزوجات، والدولة الآسيوية الكاثوليكية الوحيدة هي الفلبين، وهناك من الفلبين يبعثون بوثائق الزواج إلى بابا روما، كي يحكم البابا بأن

العقد كان باطلا من أصله، وأن الزواج لم ينعقد أصلا؛ وذلك كي يجمعوا بين قداسة الأحكام الكاثوليكية وبين ضرورة الطلاق التي يراها الزوج، وهكذا أوقعهم الله في الحرج والإصر، ونظرًا لبعد الشقة ولكثرة طالبي الطلاق من الدول الكاثوليكية، يستغرق الرد وقتًا طويلا، قد يكون سنوات كثيرة، فيرتكبون الفاحشة أو يقعون في العنت!! ويحكم البابا في كون الطلاق لم ينعقد، ولا يحكم في الفواحش!

وأكثر النساء يتناقضن في الساعة الواحدة أو في اليوم الواحد، والغالب عليهن العاطفة وليس التفكير العقلي.

وما سماه "ول ديورانت" "مذبح الإباحية" لا وجود له في المجتمعات الإسلامية التي يكون فيها من يرتكب الفاحشة ولكن سرا.

ومما امتازت به الشريعة الإسلامية ولا يعرفه الغرب، صلة من كان يصل الزوجة، فقد جاءت عجوز إلى النبي ﷺ، فهش لها وأحسن استقبالها، فقالت له أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (يا رسول الله أتقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ قال: إنها كانت تأتينا أيام خديجة وإن حسن العهد من الإيمان)، بل إنه ﷺ ليصل أصدقاء خديجة فقد كان يذبح الشاة ويقول: (أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة).

ومن شريعتنا الغراء التأثر لبقايا الزوجة وآثارها وليس ذلك عند الغربيين، فالرسول ﷺ لما أرادت ابنته "زينب" أن تفتدي زوجها المشرك يوم بدر، وأعطت المسلمين فداء له قلادة أمها خديجة، تأثر ودمعت عينه الشريفة، وقال للمسلمين: إن شئتم تركتم لها زوجها.

وشريعتنا المعصومة تعطي المرأة حقوقا كثيرة لا يعرفها الغرب بل إن المرأة المعادية الكافرة لا تُقتل إذا لم تحارب المسلمين، وقد مر النبي ﷺ بامرأة مقتولة، فقال (ما كانت هذه لتقاتل)، أما الصبر والعفو والإحسان، وما علّمه كل الأنبياء وأتباعهم، وكما هو صريح في كتاب الله، فلا يعرفه الغربيون الذين تقوم حياتهم على الانتقام والنهب والتوسع والسيادة في أماكن

بعيدة عن مواطنهم، وإذا هاجر إليهم أحد غيرهم برا أو جوا أو بحرا أغرقوه أو سدوا عليه الطريق وأعادوه إلى بلاده، وإن استقبلوه فلأنه نصراني أو قابل للتنصير والاندماج.

كما أن السفارات الغربية لا تؤوي وتحمي إلا الغربيين، وهذه هي حقوق الإنسان عندهم، وكأن من لم يكن غربيًا ليس بإنسان، فانظر إلى عنصريتهم، وأعلم أنهم على المرأة أشد.

ومما لا وجود له عند الغربيين، أن الطلاق بيد الزوج فقط، وأن المرأة المطلَّقة لها حقوق، يجب أن تأخذها من زوجها، أو من المجتمع إن عجز الزوج، قال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢٤١].

والولاية على المرأة واستشارتها أصون لها وأحفظ لكرامتها، وليس امتهانا لها وحطا من قدرها كما كانت الكنائس في أمريكا تمنعها حتى من الحضور يوم الأحد وتحكم الكنيسة أن من أرادت سماع موعظة يوم الأحد أن تنيب عنها أحد محارمها!

وهنا نشأ عند المرأة الأمريكية أن رجال الدين هم العقبة الكأداء في سبيل نيل حقوقها ولا يزال ببغاوات الليبراليين في ديار الإسلام يتهمون العلماء أو ما يسمونه المؤسسة الدينية بذلك مع اختلاف الحالين!

والولاية على المرأة شرط شرعي على ما فيه من صون لها وحفظ ولا ريب أن الرجل غالبا أكثر اتزانا وأبعد عن الانسياق وراء العاطفة الآنية، ولترك الولاية مفاسد كثيرة منها ما ذكرته لي إحدى المثقفات ضمن سؤالها أنها قالت للسائق زوجتك نفسي وأخفت ذلك عن أهلها وكانت هي التي تذهب إليه في غرفته.

والمساواة المزعومة لم تتحقق في الغرب نفسه فهناك دول غربية لم يحكمها إمرأة قط مثل أمريكا وفرنسا وكل الدول الغربية لا يزال النساء في برلماناتها أقل أما الدول العربية التي سبقت السعودية في إخراج المرأة ونقضت

أحكام الشرع بشأها ليرضى عنها الغرب فلم يتول حكمها امرأة حتى الآن بل ليس بين وزراء الخارجية العرب امرأة.

وبعض دعاة الفساد يدعون إلى إسقاط الولاية عن المرأة ويزعمون أها قد تثقفت وعملت ونافست الرجل في كل ميدان، فما معنى أن تكون له الولاية عليها؟ وهذا مناف لقوله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤]، والله تعالى إنما جعل الولاية للرجل لحكمة عظيمة لا تستوعبها عقولنا القاصرة.

وفي أمريكا بلد الإباحية يحرِّم مجرد التحرش، وقد استمات المحقق "كنث ستار" لإثبات أن "كلينتون" لمس ثدي "مونيكا" وذلك مما يوجب عزل الرئيس حسب القانون الأمريكي، بينما لا تعاقب عليه الهيئة في السعودية! فالحمد الله الذي حرَّم الخلوة والاختلاط.

ومثلما فعل يفعل الآن "مولر" ضد "ترامب".

لكن النساء الأمريكيات يقول الثلثان منهن إهن تعرض للتحرش أثناء العمل.

وإذا علمت أن المساواة وهم لا حقيقية له حتى في الغرب، علمت حكمة الله في أن جعل للرجال على النساء درجة، وجعلهم قوامين على النساء، وجعل لهم الولاية عليهن في النكاح.

والتماثل هو مثل جعل الليل أو النهار سرمدا إلى يوم القيامة والغربيون وأذنابهم جعلوا ولاية الرجل على المرأة تتنافى والمساواة.

وبعض النساء يقلن نحن لا نريد العمل ولا نريد الخروج من البيت وإنما نريد التوفير، ونقول لمثل هؤلاء التوفير مطلب شرعي وابدأوا بالاستغناء عن الخادمة أنتن وبناتكن كما كانت أمهاتنا تعمل وبذلك يكون الاقتصاد والتوفير، كما أنه يكون لكن ولبناتكن التخسيس المجاني، ومن حق كل مؤمن أن يشك في الدعوة المسماة تحرير المرأة في بلاد الحرمين إذ لهذا التحرير المزعوم أساليب كثيرة وتبدأ بتحجيم الولاية عليها ثم تنتهي بتقويض المجتمع

كله والإيقاع في فخ الدياثة التي وقعت فيه المجتمعات الأخرى وقد بدأوا في العودة إلى الدين بعد أن رأوا نتائج التفسخ والتحلل، وما سمي الفن والترفيه واستغلال المرأة وحريتها ... الخ.

لكن المفسدين في بلاد الحرمين يريدون أن يدخلوا الناس في تلك المأساة والدياثة، وأن ينقلوا أفكار اليمين المتطرف في أمريكا وأوربا إلينا ولو بعد جيل أو أجيال، وبدلا من "ماري لوبن" تكون حصة لوبن أو صالحة لوبن، والله من ورائهم محيط، فهم يحاربون التطرف بالتطرف الآخر، والعادات الشرقية بالعادات الغربية.

وبعض النساء أصلحهن الله يفضلن الوظيفة على الزواج وبعض المتزوجات تظل تعمل حتى بعد الزواج والانجاب، فاعجب لامرأة من أجل حفنة من المال تعمل وتترك أطفالها في عهدة الخائنات مع أنك لو خيرتها بين كنوز الدنيا وبين طفل واحد لاختارت الطفل.

وبعضهن إذا اطلعت على أن الخادمة تبيع عرضها أو تسرق المال سفّرتها وجاءت بخادمة من بلد آخر، فكانت كمن يغير اللعبة بتغير اللاعبين، وإنما سبب ذلك الخلوة التي هي أساس الكوارث المنزلية، فبعض النساء هداهن الله يذهبن للعمل ويتركن الخادمات في البيت، وربما خلا بها الزوج أو غيره، وهذه الخادمة ربما كانت لا تبالي بالعرض إذ أنها جاءت للمال من حرام أو حلال وأهلها لا يهمهم إلا المال، وبعض الخادمات الجويات (المضيفات كما يسمّين محليا) انتحرت وذكرت في رسائلها أن سبب انتحارها أنها لم تكسب من المال مثل زميلاتها اللاتي ذهبن إلى قصور الأثرياء وربحن الثروات الطائلة.

وإذا تزوجها كفيلها بالحلال طلبت منه زوجته الطلاق، فانظر كم من المصائب تجرها مخالفة نهيه ﷺ عن خلوة الرجل بالمرأة، وقس عليه غيره من الشريعة المحمدية، ولكن أولياء الغرب والمخدوعون يلهثون وراءهم.

وبعض الآباء خاصة من دول جزيرة العرب يلهيهم الصفق في الأسواق عن أسرته فيعبث السائق المجوسي ببنته وإذا اطلع على ذلك سافر بها وبالسائق إلى بلد السائق وزوجها إياه ثم عاد وأشاع أن ابنته توفيت!

والناس في الغرب لما عدلوا عن الصراط المستقيم وظنوا أن الله إنما خلق المرأة لقضاء الوطر واتبعوا شهواتهم ابتلاهم الله بالأمراض والأزمات الاقتصادية وبالفقر، فأصبحت الوفيات أكثر من الولادات وأصبح الإنسان الغربي يتنقل بين العاهرات ويسمي ذلك حبا، ويتحدث عن مقاسات المرأة المطلوبة وفق معاييره البهيمية ويجعل الممثلات هن المقياس المعتمد وهذا الضلال يؤدي حتما إلى انهيار الحضارات ودمار المجتمعات.

وهنا يقودنا لإعطاء فكرة وجيزة عن الإعلام:

الإعلام -قنوات وصحفا ومواقع- هو أقوى وسائل القوة الناعمة التي يحارب بها الغرب العالم عامة، والمسلمين خاصة، وأثره على المعتقدات والأفكار والعادات لا ينكره أحد، وبه يفسدون المرأة ويستخدمونها مطية لأهدافهم، ويحاربون أي وسيلة إعلامية تخالفهم.

ومن أهم القنوات الإعلامية (قناة الجزيرة)، وهي قناة غير إسلامية، ومع ذلك ليس فيها مسلسلات ولا أغاني ولا تمثيليات، وكلها سياسة وفكر، وقد منعتها السلطات السعودية وحرمت مشاهدتها على الموظفين، وفرضت على الناس قناة العربية، أو (إم بي سي)، أو قناة الإخبارية، وما أشبه ذلك، وقد هددت أمريكا قناة الجزيرة وقتلت مراسلها طارق أيوب، وحققت طويلا مع المراسل الآخر سامي الحاج، وأوعزت بإغلاق مكتبها في بغداد، ولكن قناة الجزيرة في نظري أذكى من الإدارة الأمريكية، ولها برامج ضدها، منها "حروب أمريكا القذرة"، و"هل كتب عليهم ألا يكونوا"، أي سجناء غوانتانامو، وأجرت مقابلات مع المعارضين للسياسة الأمريكية ومنهم "نعوم شومسكي"، وهي موالية للفلسطينيين ضد إسرائيل، وسربت بعض المقاطع

الخطيرة مثل تسريباتها عن اللوبي الصهيوني في بريطانيا، كما أنها فضحت علي عبدالله صالح وأبناءه، والجنرال السيسي وسجونه، والجزيرة تنقل الرأي والرأي الآخر المعاكس له.

أما قناة "العربية" التي يسميها الناس "العبرية" فهي كما وصفها الأستاذ عبدالله الناصر، والأستاذ أحمد السعيد، صهيونية، وشغلها الأكبر هو إفساد الشعب، وهي أخطر على مجتمعنا من الإرهاب، لأن الإرهاب يقتل أفرادا معدودين، أما هي فتفتك بالشعب كله، وبدلا من مراعاة المهنة على الأقل تحترف التطبيل والمديح، وتوظف المارونيات، وتقف مع الشيعة ضد السنة في العراق ولا تقول ما يقوله البنتاجون أو أهل السنة، بل لا تقول ما قالته إيران نفسها "القوات الشيعية"، وإنما تقول "الفرس"! وهي تقدم بعض البرامج التي تثبت أن إيران تنطلق من منطلق القومية الفارسية، فالحرب عندها لبلاد الشام قومية، وكذلك في اليمن، والحرب في الموصل هي عندها بين التحالف الدولي والإرهابيين، ولا تذكر مآسي أهل السنة في العراق عامة والموصل خاصة.

ومن المحال أن تكون "العبرية" تفعل ذلك من تلقاء نفسها -أي بدون توجيه سياسي وخطة من أحد- وإذا أردت التأكد من ذلك فانظر إلى اتحاد الأهداف بينها وبين "الشرق الأوسط" و"عكاظ" و"الوطن" و"الرياض"، مهما اختلفت الوسائل، واسأل من تثق فيه من إدارييها، واعلم أن المفسدين يريدون أن تلتحق بها الوسائل الإعلامية الأخرى، ثم المجتمع كله.

واعلم أن من يصدقها هو كما قال الله فيهم: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧]، وكمن قال فيهم ﷺ (وصدقهم بكذبهم).

واعلم أن البرنامج الذي قدمته أختها ام بي سي بعنوان "كوني حرة" ليس خطأ كما قالت، وإنما أوقف بسبب الضجة الشعبية التي أثارها بخروجه عن كل مألوف، فمجتمعنا ولله الحمد إسلامي، رضي من رضي وغضب من غضب، وهو مجتمع محافظ، وللمرأة فيه مكانة عظيمة، ونستمد حريتنا وكل

قيمنا من الشرع المطهر وعمل السلف الصالح، وليس من الغرب وأبواقه، وليقل الدعايات عنا إرهابيون أو متطرفون أو ما شاؤوا من الألقاب، فقد قال أسلافهم لخير الخلق ﷺ (شاعر ومجنون وساحر وصابئ وكاهن ومفتري..) إلخ، وما يقال له إلا ما قد قيل للرسل من قبله، وما يقال لنا إلا ما هو أقل من ذلك.

ولا يهمنا من يملك العربية وإن كنا نعرفه، وإنما المهم هو خطها الفكري ومحتواها السياسي، وهي موجهة للمجتمع السعودي، وهي تسمي الانتفاضة الفلسطينية اعتداء، وما بقي إلا أن تسمي اليهود شهداء.

وهي تحارب الإسلام باسم محاربة "الإسلاموية" أو "الإسلام السياسي" كما تزعم.

وليس في الإسلام مسلم ليبرالي ولا مسلم ماركسي، ولا مسلم قومي، ولا مسلم علماني، وعلى المرء أن يختار إما الإسلام وإما غيره من المبادئ.

والليبراليون والعلمانيون الذين يحاربون الفضيلة ويسمون المتمسك بدينه إسلاموياً هم في ظلمات لا يخرجهم منها إلا الإيمان:

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [البقرة:٢٥٧]، ولا فرق بين أن تكون هذه الظلمات قديمة أو تكون عصرية حديثة، فالواجب على الدعاة هو دعوة الجميع إلى الله وإخراج هؤلاء الحيارى المساكين من الظلمات إلى النور.

وكل الفلسفات الغربية مظلمة، ولا أقول ذلك تعصبا أو تشددا، بل بعد قراءة طويلة أولا في كتاب الله تعالى، وثانيا في كتب القوم والنظر في واقع حالهم.

من أصول عقيدة أهل السنة والجماعة إثبات صفات الله تعالى، بلا تعطيل أو تمثيل أو تحريف أو تكييف، وإن تغيرت المصطلحات كنفي الصفات الذي يسمونه اليوم التجريد، ويسمونه تعالى (المطلق)، أي الذي لا

صفة له، وربما كان بعضهم يظن أن نفي الصفات تتريه، وعلى المسلم أن يؤمن بالغيب ويقف عند ما ورد، وحسبنا أن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، ولو كان نفي الجسمية كما يقولون كافيا لنفاها النبي ﷺ في حديث الدجال، وإنما أخبر النبي صلوات الله وسلامه عليه أن الدجال أعور، وهي صفة نقص، والله تعالى متره عن النقائص، وهذا أظهر وأقرب، والعقل البشري المحدود هو الذي يتصور الموجودات إما مادية وإما مجردة، لكن عالم الغيب وراء ذلك كله.

وعلى الإعلام الإسلامي التركيز على مثل هذه القضايا التي تهم الناس عامة، وإلا فإنه يمارس الإرهاب الفكري، وفساد الأخلاق أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب على بلاد الإسلام كما ذكر ابن تيمية.

وليس هو مجرد قتل الأنفس وإن كان عظيما، فانظر كم قتلى المسلسلات العفنة والبرامج السيئة، وقارنه بقتلى المتفجرات، فأهل التفجير مثلا يفجرون في مكان معين، أما أهل القنوات فضررها يعم الشعب كله.

والإعلام الضال يريد إشغالنا عن واقعنا وقضايانا، فلماذا نهتم بجانب من جوانب الشر وندع الآخر؟

وإن ذكرت هذه القنوات القوة التي للأعداء فإنها لا تذكر القوة الأمريكية الناعمة، مع أن أمريكا تستخدم كليهما.

بل إن الهزيمة النفسية أبعد أثرا وأعمق خطراً من الهزيمة العسكرية، وهل سعى "زويمر" والمنصرون إلا إلى إخراجنا من ديننا؟

وشريعتنا الغراء تبيح الطلاق لأسباب شرعية معروفة، أما البابوات والكاثوليك عامة فيحرمونه، والغرب ومن اتبعه من الشرقيين يمنعونه قانونيا، أو يجيزه إذا قضت به المحكمة فقط.

كما لا يعرف الغربيون العدَّة التي شرعها الله استبراء لرحم المرأة، بل قد تزني المرأة عندهم وهي في العدة ولا تبالي.

وما أكثر المساوئ في هذا الغرب المظلم، الذي يحاول أن يكون العالم كله تبعا لثقافته، وحسبك في ذلك أنه يبيح نوادي العراة -رجالا ونساء- فأي انحطاط أكثر من هذا؟

وبعض الناس لا يمنعهم من إباحة نوادي العراة إلا أن المجتمع عندنا يرفضها الآن كما أنه يرفض العلاقات المحرمة تبعا لرفضه التطور المزعوم، وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: "الدنيا كلها مظلمة إلا ما أشرق عليها شمس الرسالة"، والله تعالى أعظم من المجتمع، وأحكامه أولى، وقد قال لي المغني البريطاني المشهور، "كات ستيفن" لما أسلم: "أنا مثل الذي خرج من الظلمات إل النور" وصدق الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢]، ومن هذه الظلمات نوادي العراة والعلاقات المحرمة كلها.

وهل نوادي العراة خاصة بسكان المناطق الاستوائية؟ الذين يسميهم الغربيون الهمج، والوحوش، وآكلي لحوم البشر؟

أم هم في نيويورك أيضاً! أليس هذا غاية في التأخر والإسفاف أينما كان؟

وقد بين الكاتبان "أندري لورا" وزميله "غوران" في كتابهما "أديان ما قبل التاريخ" أن الباحثين في التاريخ القديم، لم يعثروا على أي رسم للأعضاء التناسلية، لا للإنسان ولا للحيوان فمخالفة الفطرة السليمة إنما هي من صنع الغربيين وحدهم.

ومن أكبر الشبهات التي يدعيها الناعقون أن المرأة المسلمة إذا قرت في بيتها عاطلة، وأن تعطيل نصف المجتمع كارثة عليه، وأن بقاء المرأة في البيت تمييز ضدها، وحيلولة دون مساواتها بالرجل!! ويقولون: "إن المرأة اليوم استقلت اقتصاديا وأصبحت عاملة، وبقاؤها في البيت تعطيل لنصف المجتمع، وأمثال ذلك، ولكلامهم أجوبة كثيرة نذكر منها:

١- أن المرأة في كثير من المجتمعات لا تعمل وفق الشكل الذي يريدون، ولا نعني بذلك المجتمعات الرعوية أو الزراعية وحدها، بل إن المرأة في المجتمعات الصناعية بدأت تعود للبيت وتقوم بمهمات كثيرة، كما أن المرأة في الريف غيرها في المدن.

٢- أنه لا أحد يضمن بقاء الوضع الحالي حتى في الغرب ذاته، فعمل المرأة الذي يزعمون، إنما هو حالة عابرة في التاريخ، وقد تتغير الأمور ويعود العالم إلى ما كان عليه.

٣- أن الفرق بين الذكر والأنثى أمر ثابت في كل عصر، وهو فرق بيولوجي كما يقولون، أي أنه في نفس تركيب الخلايا والأعضاء، كما ذكر الطبيب المشهور "أليكسس كاريل" وغيره، وهذه حقيقة يعرفها كل من بحث في الحامض النووي "دي إن إي"، أو في تمييز الرجال من النساء في حوادث الطائرات مثلا، فكيف تعمل العمل نفسه؟

٤- كل عاقل يشاهد ويسمع في الفضائيات أن الإرهابيين -سواء كانوا دولا أو أحزابا أو تنظيمات- قد قتلوا كذا وبين القتلى نساء وأطفال!! أو أن الحكومة العنصرية في دولة كذا تعتمد سياسة التهجير العرقي لطائفة كذا وبين المهجَّرين نساء وأطفال، فعلام يدل ذلك؟

٥- أن الوسائل الحديثة تسهل للمرأة أن تتقدم برأيها، أو تشارك في العمل وهي مصونة محجبة في بيتها.

٦- أن ما حصلت عليه المرأة في الدول التي تقول بالمساواة والتماثل كما في الغرب ضئيل إذا قورن بخسارتها وشقائها.

فنادرا ما تولت المرأة رئاسة الحكومة، ومشاركتها في البرلمان لا تبلغ الثلث، و لم تل امرأة حكم أمريكا قط لم يجعلوها أمينة لهيئة الأمم.

٧- أنه باستقراء المطالبين بخروج المرأة من بيتها ومشاركة الرجل في عمله، نجد أنهم أصحاب شهوات، وليسوا أصحاب مبادئ، والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا

عَظِيمًا﴾ [النساء:٢٧]، والواحد منهم يريد أن تزني بنات الناس وليس بنته هو، ولا يهمه أن تكون المرأة عاطلة، وإنما المهم هو ألاّ تكون شهواته عاطلة!.

وربما كان أشهر شاعر يدعو للفجور هو نزار قباني الهالك، وقد كان معجبا به وبشهرته غازي القصيبي "أبو يارا"، نسأل الله أن يكون رجوع غازي في آخر أيامه كفارة لخطاياه، فمتى يرجع هؤلاء؟

٨- أن بعض الأعمال شاقة لا تناسب المرأة مطلقا، فالغرب نفسه لا يجعلها ربانا للبواخر العملاقة، وكذلك حاملة الطائرات، ومن الأعمال الشاقة حمل الأثقال والأمتعة، ولو قال أحد إن عمالي من النساء لرفض ذلك الراغبون في البناء أو الحفر! وكذلك ما يتطلب جهدا فكريا كالسياسة، بل إن الولايات المتحدة الأمريكية منذ تأسيسها لم تحكمها امرأة، فحكومة اليمن أيام سليمان عليه السلام التي كانت ملكتها بلقيس أكثر تقدما من أمريكا، كما أن الزباء وكليوبتره أكثر تقدمًا من المرأة الأمريكية.

٩- أن أهل العلم والإيمان وإن كانوا أقل عددا من الغوغاء يرون أن هذه المساواة المزعومة غير علمية أصلا، وأن قرار المرأة في بيتها خير لها وللرجل وللأسرة وللمجتمع ولو كان دعاة التماثل يحكّمون عقولهم لكان الأجدر بهم الاستسلام.

١٠- أن العالم اليوم يشهد رجوعا إلى البيت في مجتمعات كانت تطالب بالمساواة الكاملة، وما وجود الحركات النسائية المضادة في المجتمعات الصناعية إلا أحد الشواهد على ذلك.

١١- أن الأزمات الاقتصادية المتتابعة تستلزم أن تعمل المرأة بنفسها وتستغني عن الخدامة، وذلك ما تقتضيه عندنا السعودة، فكيف نسعود ونستقدم في الوقت نفسه؟

١٢- أن خبراء التعليم الحقيقيين في العالم يقرّون بأن الاختلاط في التعليم يضعفه، وأن الفصل بين الجنسين أفضل، قارن مثلا بين أي مدرسة غير مختلطة في القاهرة وبين الجامعة، والاختلاط نوع من مساواتهم المزعومة،

واختلاط التعليم يوجب المساواة في المناهج الدراسية، وتوحد المناهج الذي قال الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله إن فاعله مجرم! وللشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فتوى في تحريمه.

١٣- أن الله تعالى شرع العدل ودل على أن الذكر والأنثى متكاملان، والتكامل غير التماثل، وفضل كلا منهما على الآخر في جوانب، وقال جل شأنه: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ [النساء:٣٢]، وجعل عمل المرأة في بيتها وعمل الرجل خارجه.

١٤- أن كثيرا من الفلاسفة والمفكرين كانوا ضد المساواة، بعضهم أوروبيون وبعضهم عرب، خذ مثلا "شوبنهور" و"نيتشه" وكذلك العقاد وتوفيق الحكيم.

١٥- فوق هذا كله نجد الله تعالى الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى، قد أعطى كل ذي حق حقه، ولم يوجب المساواة بل أمر بالعدل والإحسان، وشرع للناس أحكاما وجعل لكل أحد حقوقا كما أن عليه واجبات، فكتابه هو الذي يهدي للتي هي أقوم، وهو تعالى غني عن الناس كلهم ذكرهم وأنثاهم، وهو العليم بأحوالهم، وهو الحكيم في شرعه فكيف نخالف كلامه ونتبع الناعقين بما لا يعلمون؟ قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]، ونحن إذ نجعلهما متساويين نطلب المحال، كمن يريد أن يجعل الله النهار أو الليل سرمدا إلى يوم القيامة.

١٦- أن الغرب في الحقيقة لم يعط المرأة حقوقها وإنما عراها وجعلها سلعة، واستخدمها في الدعاية، وقد ذكرت إحداهن كيف كانت تبتسم غصبا، ويصورونها ثم يأمرونها أن تبتسم مرة ثانية ويعيدون التصوير وهكذا حتى يحصلوا على الصورة التي يريدون. وقالت إحداهن إن المصور كان يضع في باطن رجلها دبوسا لكي تتحرك رجلها في صورة ترضي مزاج المعلِن! فمن يسعى لهذا العمل؟

١٧- أن هذه المجتمعات تطرد البنات من البيت إذا بلغن السن القانونية عندهم، وهو دون العشرين، ويعرضون البنت للذئاب البشرية وللمجرمين واللصوص، وقد يجندونها مع الجيش، وهذا جزء من خدمة وطنها كما يزعمون، والتي ترضى اليوم أن تكون موظفة لا يمكنها غدًا أن ترفض التجنيد.

١٨- إذا كانت المساواة هي الحق كما يقولون، فلماذا لا يسمحون للمرأة أن تتزوج من غير طبقتها الاجتماعية، كأن تتزوج المرأة الاستقراطية من الطبقة الكادحة "البروليتاريا"، ولماذا خيروا أحد ملوكهم -إدوارد الثامن- بين ملك بريطانيا أو الزواج من امرأة غير ارستقراطية.

١٩- أن الخطاب اللغوي حتى في اللغة الانجليزية لا يخاطب الذكر والأنثى سواء، ولا يؤمن بما يسمونه "الجندر"، أي النوع إلا قلة ضئيلة جدا من البشر لا تكاد تذكر، وإنما آمنت به هذه القلة استجابة للتضليل المستمر، وهو نادر جدا في المعاجم اللغوية.

٢٠- أن كثيرا من الدول الغربية اليوم تحظر على المرأة أن تكون قسيسا أو واعظا، وأن مذهبها الديني يقتضي ذلك.

٢٢- أنه لا مساواة بين الرجل والمرأة على الحقيقة في تلك المجتمعات، فالمرأة تتعرى والرجل يتستر، والرجل لا يكشف ساقيه كالمرأة ولو أن دبلوماسيًا صوروه مكشوف الساق لسخر منه الناس.

٢٣- أن مقتضى المساواة أن يكون للأم مثلما للأب من الحقوق، وهذا غير ما في شرع الله، الذي جعل للأم ثلاثة حقوق وللأب حقا واحدا فقط.

٢٤- أن المرأة إذا كبرت في الغرب يرمونها في دار العجزة، بينما للجدة المسلمة احترام وتقدير عظيمان.

٢٥- أن الذين يذكرون قوله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١] ينسون قوله تعالى في الآية نفسها ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ [النساء:١١]، وفي الآية الأخرى: ﴿لِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١١]، وفي الآية الثالثة: ﴿فَلِكُلِّ

وَاحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ﴾ [النساء:١٢]، وإذا كانت المرأة وارثة بالفرض والرجل وارث بالتعصيب حجبته عن الميراث، فالله تعالى قد يفاضل بينهم وقد يساويهم، وقد يزيد أحدهما أو يحجبه الآخر، وكل ذلك بحكمته التي لا تُحد، وتمت كلمة ربك صدقا في الأخبار وعدلا في الأحكام.

هذا إن لم يكونوا يتعمدون إخفاء ذلك وتكون أحكامهم انطباعية وليست علمية.

٢٦- أن المرأة التي تقيم في مملكتها الصغيرة "البيت" ليست عاطلة، فهي تربي الأطفال وتغسل وتطبخ وتكنس، وكل ذلك عمل شاق يعجز الرجال عن بعضه فكيف يكلون إليها غيره.

٢٧- أن المجتمعات التي تعمل بهذه المساواة المزعومة، يكثر فيها التحرش والاغتصاب، حتى أن المرأة المسكينة مضطرة للانضمام إلى ما يسمونه الجمعيات أو النقابات النسائية، أي أنها تبكي في مأتم، ولا تبكي وحدها، وهي غريقة تستنجد بالغريق.

٢٨- أن قوانين الدول التي تدعي التقدم تجعل الميراث حقا لصاحب المال وحده، يوصي به للكلاب والقطط أو لمن شاء، وربما ورَّثوا الابن الأكبر وحده، وليس في القرآن الكريم ما يسمى حق البكورية كما في توراتهم.

٢٩- أن أكثر من يقف في وجه المطالب النسائية هم النساء وأكبر ما يقع من ظلم للمرأة إنما هو من المرأة، فقد تطلب الزوجة الثانية طلاق الأولى أو العكس، وقد تظلم أم الزوج امرأته أو العكس، وهكذا، فليست المشكلة هي أن المجتمعات الشرقية ذكورية كما يقول الناعقون والببغاوات.

٣٠- أن كثيرا من المطالبين بخروج المرأة إنما هم رجال يكتبون بأسماء نسائية وهمية، فأنا أعرف مثلا من الذي كتب "بنت ١٦ في مجلة اليمامة"، كما أعرف أسماء نسائية اختفت من الساحة فجأة، بعد أن كانت تصول وتجول، وكل من فهّمه الله في الأساليب والمقارنة بينها يعلم ذلك، والعجيب إن الذين ينشرون ذلك يعرضونه على صاحب القرار، ويقولون هذا هو رأي

المجتمع، الأمر الذي يذكّرني بقصة القاضي الذي عزله أحد الخلفاء فوقف في أمكنة مختلفة يجتازها الخليفة مثنيا على قاضيهم فلان، فقال الخليفة لرئيس القضاة: أليس عجيبا أن هذا القاضي لا يزكيه إلا رجل واحد، فرد الرئيس قائلا: أعجب منه يا أمير المؤمنين أن المزكي هو القاضي نفسه!!

فهؤلاء الذين يكتبون بأسماء نسائية يجمعون بين الكذب والغش، وربما تاب بعضهم عن هذا العمل.

٣١- أننا لو تنازلنا وقلنا جدلا إن ذلك يصلح في المجتمعات الغربية نقول إنه لا يصلح في كل المجتمعات، لا سيما عند القبائل والعشائر، فإرغام المجتمعات على قبول ذلك، يتنافى مع الديمقراطية المزعومة والحرية الشخصية للأفراد، وقد بلغ قبيلة "بلحارث" هنا بأن مدير التعليم في الطائف قد يدخل عل بناهم، فجاء أفراد القبيلة بالرشاشات لحمايتهن، فهل هذا هو ما يريده أدعياء التحرير؟!

وفي ميثاق الأمم المتحدة أن كل مجتمع له خصوصيته!

ويتحدث الليبراليون والمخدوعون اليوم عن حق المرأة في الولاية على نفسها، أي إنكار ما في القرآن من قوامة الرجل عليها أبا أو أخا أو زوجا، ولا يذكرون أن المرأة الغربية مسلوبة الحق حتى في الاحتفاظ باسمها، مع أنه ﷺ سيد الأولين والآخرين وأشرف الخلق أجمعين لم تنتسب إليه عائشة رضي الله عنها، ولم ينسبها إليه، بل ظلت على نسبتها الأصلية قبل أن يتزوجها، وعلى ذلك ظلت أسماء بنت عميس وقد تزوجها أبو بكر الصديق وعلي بن ابي طالب رضي الله عنهما، وقد استغل الغرب هذا الانتساب الباطل وحذف كلمة ابن أو بنت من الأسماء.

والولاية -أو القوامة- إنما هي جبر لضعف المرأة وصون لها من الاختلاط بالرجال ودرء لتغير رأيها.

والذين يدعون اليوم إلى أن تكون المرأة عاملة، وأن تكون لها الولاية على نفسها، إنما يطمعون في أكثر من ذلك، ويجعلونه خطوة إلى الأهداف

البعيدة تبعًا للتدرج وفق قاعدة "بطيء ولكنه أكيد"،وهذا التدرج ليس اختراعا بريطانيا بدأه "دنلوب"، بل هو أسلوب شيطاني قديم، مارسه إبليس مع قوم نوح، فتحول بنو آدم من التوحيد إلى الشرك تدريجيا، وهكذا يريد الليبراليون اليوم في بلاد الحرمين، ومعهم المؤيدون لهم في الحكومة ومجلس الشورى، ويرون أن النساء الليبراليات اللاتي قدن السيارات عند قدوم الأمريكان، قد استعجلن ما هو آت.

والمخدِّر الدائم هو موافقة العلماء وأن المرجع عندهم هو كتاب الله وسنة رسوله، وأن كل شيء يتمشى مع شريعتنا وتقاليدنا وطبيعة مجتمعنا!.

وإذا نظرت إلى المؤلفات ودوائر المعارف الغربية قبل عقود تجد المرأة متسترة أكثر من الآن، فالغرب في انحطاط وتأخر، أما إذا رأيت المرأة في الإعلام متسترة في مصر والشام مثلا فإن ذلك ليس في مسلسل، وإنما تراه كذلك حين يعرضون الدمار والكوارث والتهجير، ولو كان الإعلام إسلاميا، لنقل لنا الصورة المضيئة لمن تدخل في الجامعة وهي متسترة، حتى في الدول والمجتمعات الإباحية، ولكن الشهوات واحدة، والمصيبة مشتركة، والنفاق كثير.

والمرأة المسلمة التي تتحجب في بلاد الغرب تتحدى طغيان الجاهلية وكثرة المتبرجات، وحسبها ذلك انتصار وإصرارا.

والمسلمة لا تخلو من خير وقد قال ﷺ: (لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلقاً رضي منها آخر)، فيجب الصبر والدعوة ولا يجوز الاستعجال بالطلاق.

والشريعة تأمرنا بأن ننظر إلى الخير وإلى النصف المملوء من الكأس، أما الكمال فلله وحده، ونحن الأزواج لسنا كاملين فكيف ننتظر الكمال من الزوجات؟ وليس كل البيوت بُنيت على الحب.

ونحن نتبع كتاب الله وشرعه لا نتبع قرارات هيئة الأمم ولا مؤتمراتها السكانية، ولا حركات المساواة ولا دعاة ما يسمى "تحرير المرأة".

وفي الوقت نفسه لا نتبع العادات والتقاليد والأوضاع الاجتماعية المخالفة للشرع، ولا الفلاسفة الذين يسمون في الغرب "أعداء المرأة"، أو "المتشائمين"، مثل "شوبنهور" و"نيتشه" و"شبنجلر"، ولا من اتبعهم من العرب مثل العقاد وتوفيق الحكيم، بل يجب علينا وعلى كل البشر شرقا وغربا طاعة الله ورسوله ومتابعة شرعه ودينه، ونوقن -ذكورا وإناثا- أن الله تعالى أرحم بنا وأعلم وأحكم من كل أحد، وأنه غني عنا كلنا، وأنه تعالى خلق الذكر لمهام وخلق الأنثى لمهام أخرى، كما خلق النخلة لمهام وخلق الوردة لمهام أخرى غيرها، ونهى أن يتمنى أحد الجنسين ما فضل الله به الآخر، وأن ما تسميه هيئة الأمم ومؤتمراتها السكانية "الجندر" أو النوع، ضلال وانحراف، على أن هذا الجندر المزعوم لا حقيقة له، ولا تدل عليه اللغة، وهم بأنفسهم يجعلون للنساء ملابس خاصة لا يلبسها الرجال، ولا تزال نسبة النساء في البرلمانات متدنية كما تقدم، بل إن بعضهم ليمنعها من التصويت حتى اليوم، ولم يسمحوا للمرأة في أمريكا بحق التصويت إلا سنة ١٩٢٠م، مع أن عبدالرحمن بن عوف استشار المخدَّرات في بيعة عثمان، فالقوم أصحاب هوى وشهوة وأغراض في أنفسهم وليسوا دعاة مساواة كما يزعمون.

والغربيون إذا رأوا المرأة مظلومة (وهي مظلومة عندهم)، أشاروا عليها بأن تنضم إلى إحدى حركات المساواة أو نقاباتها أو منظماتها وجمعياتها، وهذا غاية ما عندهم.

ومما يدل على أن مساواتهم لها أغراض أبعد أنهم يجعلون المرأة وسيلة للدعاية، حتى فيما لا علاقة له بشؤونها، كبيع المعدات الثقيلة، وأنهم يكتبون في دعايتهم عبارات محرمة، مثل "كيف تفتنين الرجل"، أو "كيف تجذبين الرجال" وما أشبه ذلك.

ويجعلون للسهرة فستانا، وللخروج لباسا، وللبيت زيًّا، وهكذا لكي يبيعوا الملابس والعطور، وإذا أرادوا بيع بيت أو شقة قالوا أحضر الأهل، ولو أحضرها لاقتادوها إلى المطبخ.

ومما ينبغي معرفته أن المرأة الذمية قد تكون كالرجل، فلا يصح استسهال نظرها إلى المسلمة أو تطبيبها إياها، وحتى من يجوز له النظر للمرأة من محارمها لا يحل لها أن تظهر أمامه كاشفة إذا كان فاسقا.

والله تعالى لم يحرم النظر للأجنبية فقط، بل نهى رسولُه الكريم عن الوصف، فقال ﷺ: (لا تنعت المرأةُ المرأةَ لزوجها وكأنه يراها)، وبعض النساء هداهن الله قد تنعت غيرها أو تذكر محاسنها أمام الزوج أو الرجال.

ولما وصف فاقد الرجولة المسمى "هيت" بعض نساء الطائف نهى النبي ﷺ أزواجه أن يدخل عليهن!

وليس من شرط الزنا أن يكون بالفرج فقط، فقد أخبر صلوات الله وسلامه الله أن على كل عضو حظه من الزنا!

ومما يدل على عظم الفاحشة، وأن الدياثة ليست من أخلاق الأنبياء قط، أن في زوجات الأنبياء من هي كافرة ولكن ليس فيهن من هي زانية.

وبعض الممثلات الغربيات اليوم تقول إنها نادمة على أنها لا تزال عذراء وأنها تخشى السرطان، وتتمنى لو أنها مارست الجنس وهي صغيرة!

والمرأة في الإسلام جوهرة مكنونة، وإنما أجاز القرآن ضرب الزوجة الناشز في المرحلة الثالثة ونهى عن ضربها إذا أطاعت، وذكر النبي ﷺ ضوابط وشروطا للضرب منها: ألا يكون في الوجه ولا في مقتل، ولا يعني جواز الضرب إسقاط الحب، فالرجل يضرب أيضا ابنه وأخاه الصغيرين لتأديبهما ولمصلحتهما، أما الغرامة التي وضعها بعضهم فلا تجدي وفيها مفاسد كثيرة منها:

١- أن المرأة قد تدعي كيديا أن زوجها ضربها، وهكذا كثير من القضايا لدى الجهات المختصة.

٢- إشغال القضاء المشغول أصلاً.

٣- إتاحة الفرصة لتمرد الزوجات على أزواجهن، وبعد أن قال لنبي ﷺ: (رفقا بالقوارير) أصبح الناس اليوم يطلبون الرفق من القوارير!

وهي غرامة ثقيلة لا يتحملها الأزواج.

٣- التشبه بالكفار بل تقليدهم في أحكامهم، فإن واضع الغرامة إنما وضعها تقليدا لأمريكا التي وضعتها حدا لانتشار العنف فيها، وأكثره عنف جنسي، مع اختلاف مجتمعها الإباحي عن مجتمعنا المسلم.

وهكذا كل ما كان مخالفا لشرع الله لا بد أن يشتمل على مفسدة أو جملة مفاسد، ومما يسببه عمل المرأة أنها إما أن تطبخ مع عملها، أو تأكل هي وزوجها من طبخ الخادمة، أو يشتريان الطعام من السوق.

والله تعالى لم يجعل قضاء الوطر غاية لذاته، بل وسيلة لكيلا يتنافر الزوجان، أو يمتنعان عن الإنجاب.

والتعري والكشف لا يمنعان من الاغتصاب والفواحش، بل يزيد الشهوة سعارا، ويزيد الجريمة انتشارا، فدعاة ما يسمى "تحرير المرأة" هم أعداء للشعب والوطن على الحقيقة.

والفضائح الجنسية طالت كل مجرم في أمريكا، ولا تقتصر على الليبرالي "بيل كلينتون" أو الأصولي "سواجارت" أو الرئيس الحالي "دونالد ترامب".

والضالون هنا في بلاد الحرمين يميزون بين الجنسين، لكن على العكس، فالتمييز في هذه البلاد ضد الرجل، فالمرأة المستقدَمة تعمل خادمة وممرضة ومربية وخياطة .. إلخ، وقلّ أن ترى رجلا يقوم بهذه الأعمال، أي أننا عكسنا الحال وأخذنا أسوأ ما عند الغرب، فلا مساواة كما يزعمون بل تمييز وإجحاف، وبعض الجرائد المحلية كالرياض مثلا أخذت رأي النساء في قضية اقتصادية و لم تأخذ رأي رجل واحد!

ودعاة ما يسمى "تحرير المرأة" ضد فطرة المرأة، فالمرأة من فطرتها ألا تختلط بالرجال، قال الله تعالى في ذهاب عبده موسى عليه السلام إلى مدين: ﴿وَلَمَّا

وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ [القصص:٢٣-٢٥] الآيات.

والطفلة تنجذب إلى ألعاب البنات وليس إلى ألعاب الذكور، كما أنها تنجذب للزينة وتحب أدوات الطبخ.

ولكن الذين يتبعون الشهوات، وفي قلوبهم مرض، يجعلون المرأة كالزهرة التي يشمونها ما دامت متفتحة، فإذا ذبلت رموها في القمامة.

وإذا كان التطور والتقدم هو التعري -على الطريقة الغربية- فالمرأة العربية في الجاهلية أسبق إليه من المرأة الأمريكية المعاصرة، وقد كانت المرأة في الجاهلية الأولى تكشف نحرها وبعض جسمها، بيد أن المرأة الأمريكية اليوم أكثر تقدما من جهة أنها تكشف شعرها وأكثر جسمها إلا في الشتاء خوفاً من البرد، ولا ريب أن المرأة في الجاهلية الثانية أكثر ممارسة للزنا منها في الجاهلية الأولى، حيث كانت هند بنت عتبة رضي الله عنها تقول: (أوتزني الحرة يا رسول الله؟)، إذْ لم يكن يشتهر الزنا آنذاك إلا بين الإماء، ولكن الليبراليين أكثر تطورا من عبدالله بن أبي وحزبه، الذين كانوا يرغمون فتياتهم على البغاء ليحصلوا على المزيد من المال والاستثمار.

وهؤلاء الإماء والبغايا المجبورات في الغرب، يفعلن ذلك بدافع الشهوة أو الحاجة وكلاهما شر!

وكلما كان المجتمع أكثر تعريا كان أكثر اغتصابا، وكلما كان مجتمعا محافظا يقل فيه الاغتصاب، فماذا يريد دعاة التحرير المزعوم؟

ومن النساء اللاتي تزكيهن السفارات الأجنبية؟ ومن النساء السعوديات اللاتي تجري القنوات الأجنبية معهن مقابلات؟ ويتحدثن عن الحرية والتطور برغم العادات الاجتماعية؟ خذ مثلا هذا المثال:

في عهد الملك عبد الله زكى السفير البريطاني ٣٠ امرأة، فأصبحن عضوات في مجلس الشورى، وحاليا تطور الأمر فعينوا وكيلة للرياضة، وحضرت الوكيلة دورة كأس العالم في ريودي جانيرو سنة ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م، كما حضر هناك على حد قولها أربع لاعبات سعوديات، ثم شُكل مجلس الشورى الجديد فأصبح النساء فيه أكثر، بل أكثر من ذي قبل، مع إمكان أن تكتب المرأة رأيها وهي في بيتها وترسله الكترونياً إلى المجلس دون أن تحضر الجلسات! غير أن الهدف أكبر من الاستشارة!.

وقلصوا صلاحية الهيئات الآمرة بالمعروف وهي مقلصة أصلا، وأنشأوا هيئة للترفيه كما سمَّوه، ويقوم الترفيه على الاختلاط، وفتح دور للسينما، وهذا إقرار منهم بأن التحضر والتقدم هو التبرج والسفور، وأنّا تعلمنا الحياة الإنسانية من الغرب بعد أن كنا في حياة لا إنسانية! على حد تعبيرهم، ولم ينفذ ما في جعبة شياطين الإنس والجن فالقادم أعظم.

وأنت يا أخي المسلم لا تكن إمعة يقودونك كما تقاد السائمة، وضَعِ المرأة المحجبة في كفة وكل الغربيات في كفة أخرى، ولا تذر منهن رئيسة ولا قاضية ولا ممثلة ولا فنانة ولا عارضة أزياء ولا متبرجة في الشارع إلا وضعتها، وضع معهن: أمينة السعيد، ونوال السعداوي، وهرسي علي، ووفاء سلطان، وبريجيت جبريل، ولا تنس "مونيكا"!

واعلم أن الله قد أعطاك عقلا تفكر به، وإياك أن تؤجره لغيرك، وتصبح إمعة تساير المجتمع الذي تعيش فيه، فاحكم حكما عادلا أي الكفتين أرجح؟ وأيهما تختار أن تضع معه زوجتك أو إحدى قريباتك؟

واعلم أن مخالفة ما فيه نص أعظم من مخالفة ما لا نص فيه، ومهما وضع الناس نظريا من ضوابط وشروط لن يعملوا بها، وحسبهم أن المجال مفتوح لمن في قلوبهم مرض وسيطالبون بما هو غير متخيل اليوم.

والشيطان دائماً يريد المزيد من الفساد، ومن يمدح الملوك في هذه البلاد دون نصحهم فهو مخالف للشرع ولعقيدة الإمام أحمد رحمه الله الذي لم

يكتب أو يقل مديحا لخلفاء بني العباس –حاشاه من ذلك– يذكّرهم فيه بأنهم أبناء عبدالله بن عباس وأبيه العباس بن عبد المطلب ويشفعه بسطر واحد أو أسطر يرجو منهم الثبات على الكتاب والسنة!

بل إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكتب لابن عريعر ولا غيره، إنما أوضح الحق للناس كافة، وبيَّن الانحرافات التي كانت في عصره ليس في أهل نجد فقط، بل حتى ما كان يفعله آل عثمان وأولاد الباشا، مع أن آل عثمان ولاة أمر عنده.

والله تعالى له الصفات العلى التي يجب أن نؤمن بها وبآثارها في الخلق، ونثبت العمل بمقتضاها، ومنها أنه تعالى رحيم، فإذا قال المؤمن بسم الله قال بعدها "الرحمن الرحيم"، وإذا قرأ الفاتحة كذلك.

والمؤمن يؤمن بأن رحمة الله سبقت غضبه، وأن الرحمة صفته، أما الألم فهو صفة عذابه، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر:٤٩-٥٠]، وله جل شأنه مئة رحمة أنزل رحمة واحدة في الأرض نرى آثارها وتجلياتها في الخلْق (الإنسان والحيوان)، وادخر عنده تسعا وتسعين رحمة يرحم بها عباده عند الحساب.

وعرف السلف الصالح قدره تعالى، ولذلك قال قائلهم: "ما أحب أن يلي حسابي والدي يوم القيامة، لأن الله أرحم بي منهما"، فالله أرحم وأكرم منهما، وهو يجزي على السيئة بمثلها، وعلى الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

وهو جل شأنه من سعة رحمته وغناه وعلمه وحكمته، شرع الدين وجعل الميزان هو العدل وليس المساواة التي يظنها العقل البشري المحدود، وتتجلى رحمته تعالى في الأحكام التي شرعها للمرأة، فجعل للأم ثلاثة حقوق، وللأب حقا واحدا، ولو كانت الأمور بالمساواة كما يقول الناعقون لكان للأم حقان وللأب حقان، ولكان خطباء الجمعة جزاهم الله خيرا يقولون لنا إن الله يأمر بالمساواة والإحسان، ولا يقولون إن الله يأمر بالعدل

والإحسان، ولو كان الأمر كذلك لما قال: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً ﴾ [النساء:٣] بل يقول: وإن خفتم أن لا تساووا فواحدة، تعالى الله عما يقولون.

وقد امتن الله على عباده بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا ليسكنوا إليها، وجعل بينهم مودة ورحمة، فالسكن يكون فيه الراحة والطمأنينة والأمن والحياة الطيبة، والمودة، وليس مجرد الحب وتكون للزوجة المحبة والشفقة والعطف، ويتبع ذلك الصبر إن لزم الأمر وليس الفراق، كما يفعله بعضهم -هداهم الله- بلا صبر، والفراق أو الطلاق هو أبغض الحلال في الشريعة ولا يكون اللجوء إليه إلا بعد سلسلة من محاولات الإصلاح.

والملاحظ أن المجتمعات المترفة يكثر فيها الطلاق وأنه يقل في المجتمعات الفقيرة، فلماذا؟

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [الروم:٢١]: "لو أنه تعالى جعل بني آدم كلهم ذكورا، وجعل إناثهم من جنس آخر، لما حصل هذا الائتلاف بينهم".

والبناء الكوني قائم على التكامل وليس التماثل، فالليل والنهار يتكاملان، والشمس والقمر متكاملان، والنباتات تتكامل، والأسماك تتكامل .. وهكذا.

وعلماء الطبيعة اليوم يقولون إن الأكسجين والكربون مثلا يتكاملان وليسا متماثلين.

وقد وقعت المرأة المسلمة اليوم بين فكي كماشة كلا طرفيها سيئ، وهما: اتباع العادات السيئة أو التغريب، وكلاهما شر، وإنما الخير والحق فيما شرعه لها خالقها.

ومن مزايا الإسلام الكثيرة أنه لا يجوز إسقاط الحقوق الشرعية للمرأة حتى ولو كان السبب في إسقاطها خوف الله تعالى وعبادته، ومما يدل على ذلك أن امرأةً أتت عمر بن الخطاب ﷺ، وذكرت أن زوجها يصوم النهار ويقوم الليل، فشكرها عمر على ذلك ودعا لهما بخير، غير أن كعب بن سور

الأزدي، رضي الله عنه قال لعمر: إنها تشكو إليك أن زوجها لا يعطيها حقها غير أنها تستحي، فقال له عمر: كما عرفت حالهما فاحكم بينهما، فأمر كعب بإحضار الزوج، فقال الزوج معتذرًا:

إني امرؤ أذهلني ما قد نزل ** في سورة النحل وفي السبع الطول
وفي كتاب الله تخويف جلل

فرد عليه كعب:

إن لها حقًا عليك يا رجل ** تصيبها في أربع لمن عقل
فأعطها ذاك ودع عنك العلل

وينبغي أن ننبه إلى أن الله تعالى قال: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء:٣٤] ولم يقل الأزواج قوامون على الزوجات، وبين القولين فرق معروف.

وهذه الدياثة والأغراض الخفية نبه إليها بعض الفضلاء، ومنهم العلامة أحمد محمد جمال، الذي كتب كتابيه القيمين "مكانك تحمدي" والآخر "لا يا فتاة الحجاز" وقد علمت بعد ذلك أن آل جمال من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلا غرابة إذن.

وممن نبه لذلك العلامة أحمد محمد با شميل الذي كان سكرتيرًا لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحجاز، فجزاه الله كل خير وأسكنه فسيح جناته.

وكذلك الشيخ المعروف علي الطنطاوي رحمه الله.

فالمشكلة هي أين الذين يقرأون ويعتبرون؟

وأذكِّر نفسي وإخواني بأن القرآن يهدي للتي هي أقوم وأن الاختلافات بين الرجال والنساء عميقة، تصل إلى حد الاختلاف في الأسماء، فأنت تستطيع أن تفرق بين الرجل والمرأة من خلال الاسم، وبعض الأسماء الموهمة أو المشتركة يمكن نشر الأخبار بها.

وإذا أرادوا أن يرمزوا للمرأة، وضعوا زهرة، ويسموها الجنس اللطيف أو الناعم.

وكيف سيكون موقف الكتّاب الليبراليين والقنوات الليبرالية عندنا، لو أن أحد الدعاة هو الذي قال ما قاله "ترامب" بحق النساء، أم أن الليبراليين أُسود على الدعاة ونعامات على الغرب؟

وقارن بين المكانة التي جعلها الله للمرأة وبين الانحطاط الذي تدعو إليه "لورا بوش" زوجة "جورج بوش" الصغير النساءَ الأفغانيات، وإنما تتأخر أي امرأة أفغانية حين تصدق كلام "لورا" ولا تصدق كلام رسول الله ﷺ.

وليست الحرية والحضارة كما زعمت "لورا" هي التعري، وترك البيت، والاستماع إلى الأغاني، والتحدث بالانجليزية.

ومن الأحابيل الشيطانية أن تظن المرأة المسلمة أن الأمريكيين يريدون تحريرها، ومن المجرمات في أمريكا:

١. وفاء سلطان وهي سورية، وألفت كتابها "الإله الذي يكره".

٢. بريجيت جبريل وهي لبنانية، وسيأتي الحديث عنها.

٣. دوتي درويش وهي مصرية، ومؤلفة "يسمونني كافرة"، وقد ارتدت عن الإسلام كما سيأتي.

٤. هرسي علي وهي صومالية، والفت كتاب "الكافرة" وسيأتي الحديث عنها.

٥. إرشاد مانجي، المجرمة التي كتبت أن الإسلام دين صحراوي وهي باكستانية.

وتتبُّع دين وحياة كل منهن كافٍ لإثبات عداوتهن وليبراليتهن وحقدهن على أهل الدين.

فمثلا "بريجيت جبريل" مارونية كانت مذيعة في محطة "نجمة الأمل"، التي أنشأها "بات روبرتسُن" في لبنان، وفي محطة الشرق الأوسط، التي أنشأتها إسرائيل في القدس، و"دوتي درويش" ارتدت عن الإسلام وصارت نصرانية،

أما "هرسي علي" فهي وقحة جدا لم تكتف بالردة، بل طعنت في رسول الإسلام ﷺ، وفي القران الكريم، وجاءت بما لم يأت به أوقح المستشرقين حين قلبت كثيرا من الحقائق، وزوّت التاريخ، واستغلت جهل الأمريكيين بالإسلام، فمثلا قالت: إن النبي (ﷺ) إنما حرم الوأد لأنه يحب اغتصاب الفتيات الصغيرات!! وكثيرا مما ذكرته في كتابها "الكافرة" يعف اللسان عن ذكره كما تعف الأذن عن سماعه.

وإذا خالفت المرأة سياساتهم نسوا المساواة، ولم ينظروا إلى جنسيتها وعملها وعمرها، فقد سجنوا "لين ستورات" عشر سنوات، وهي عجوز أمريكية يبلغ عمرها سبعين عاما تعمل في المحاماة، لأنها كانت محامية للشيخ عمر عبدالرحمن رحمه الله، وكفى بذاك عند العدل الأمريكي جرما.

والشيء الذي لا يستسيغه العقل أبدا هو أن تقضي المحاكم الأمريكية – في بعض الولايات المتقدمة!– بأن تنفق المرأة ذات الدخل على زوجها بعد الطلاق!

فماذا بعد انفصام عرى الزوجية؟

ولست أزعم أن المرأة في بلادنا تعيش كما أراد الله، وأن عادتنا الاجتماعية موافقة لشرع الله، ولكنني أجزم أن المرأة هنا أحسن حالا من المرأة الأمريكية المعذّبة.

وأعجب كثيرا حين اقرأ أن ٣٥% من النساء الفرنسيات يأخذن أجرة أقل من الرجال مع أدائهن نفس العمل، أوَليس الفرنسيون أحق منا بفتاوى كلينتون ومواعظه؟

كما قرأت وشاهدت بعيني، وحدثني الثقات: كيف أن المرأة الكبيرة في الغرب تعيش وحيدة في مرضها وهرمها لا يسأل عنها أحد! أهذا هو جزاء الأم أو الجدة؟

وهل ينفعها في شيء أن تكون قضت أيام الشباب في معاشرة من تشاء؟ أو أن أمريكا من شدة تقدمها تسمح لها بصبغ وجهها وشعرها؟

ولبس ما تريد وكشف أكثر جسدها؟ أهذه هي الحرية والحياة الإنسانية التي تنوح أمريكا على من يفتقر إليها؟

وأنا أتحدى أي باحث أمريكي موضوعي، أن يقارن بين حال المرأة الأمريكية وحال المرأة المسلمة في دول جنوب الصحراء الأفريقية، ثم لا تكون المرأة المسلمة أفضل حالا؟

وأكرر: الشرط الوحيد هو الموضوعية والعدل، ودراسة الأمر من جميع جوانبه، وليس النظرة السطحية العابرة.

نعم. للمرأة الغربية ماض مشين من الاحتقار والإهانة، ولكن إسقاط ما فيها على كل ماض ليس تاريخيا ولا موضوعيا، وحينما نقول إنه لا بد من العودة للكتاب والسنة وما كان عليه السلف، فإننا نعني ماضينا لا ماضيهم.

ففي حين كان القساوسة يناقشون مسألة هل للمرأة روح، ويقولون إن صوتها هو فحيح الثعبان وأمثال ذلك، نجد الأنثى في القرآن الكريم مقرونة بالذَّكَر كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ [آل عمران:١٩٥].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل:٩٧].

ويقرن المسلمات بالمسلمين في سورة الأحزاب والمؤمنات بالمؤمنين في سورة القتال.

والنساء يبايعن النبي ﷺ ليلة العقبة، ثم بعد ذلك فيما يعرف ببيعة النساء.

نعم يمر بالإسلام حالات تنزل فيها الأحوال الواقعية عن تلك القمة السامقة، لكنها مهما نزلت لا تصل إلى حد إلزام المرأة بحزام العفة، أو إلى جواز أن يبيع الزوج زوجته كما في الغرب.

ومهما قال الغربيون عما يسمونه "عصر الحريم" العثماني، فهو أفضل قطعا من عصر الإباحية الذي يعيشونه اليوم! وبينما تتميز المجتمعات الغربية

بالدياثة يجد الباحث أن المجتمعات الإسلامية تحافظ على العرض والشرف! والمسلم الشريف يفتدي عرضه بنفسه، ويقاتل من يريد أن يرى وجه امرأته!

ولذلك نحن نطالب بأن يسمح الإعلام الأمريكي للمسلمين بالحديث عن المرأة الغربية بالوثائق والأرقام والإحصائيات، مثلما سمح المنتدى الاقتصادي في جدة لكلينتون أن يلقي الكلام على عواهنه في بلادنا.

والعنف ضد المرأة أكثر ما يكون في أمريكا، حيث أثبتت الإحصاءات الأخيرة أن ٩٩% من النساء اللاتي تستقبلهن المستشفيات الأمريكية في أقسام الطوارئ إنما جئن بسبب ما تعرضن له من العنف، ومنه العنف الجنسي.

وحداً لذلك وضع المشرعون الأمريكيون غرامات باهظة على كل من يستخدم العنف ضد المرأة، فهل نتبعهم؟

وكما تجد في الغرب هذا العنف، نجد فيها أيضا التفاوت في الأجر على نفس العمل، فالاتحاد الأوربي مثلا الذي يفاخر بأنه أكثر أجزاء العالم في المساواة بين الجنسين، تتدنى فيه نسبة أجر المرأة العاملة بمقدار ١٧% عن الرجل، وتنحدر النسبة في فرنسا إلى ٢٥%.

والمرأة الإسرائيلية التابعة لأختها الغربية، لا يزيد أجرها عن ٦٨% من أجر الرجل حسب إحصائية عام ٢٠١٣م الإسرائيلية.

ومن البؤس والشقاء في أمريكا مثلا أن المرأة المدعوة "نفيسنو دبالو"، رضيت أن تعمل خادمة في أحد فنادق نيويورك هربا من عنف جنسي يمارسه عليها مدير صندوق النقد الدولي!

وتعبيراً عن ذلك تقول بعض النساء الغربيات مثل السيدة "بول فالكين" التي تعمل في جامعة باريس: "إن التفاوتات بين الجنسين صارخة وصاعقة".

أما مجالات التفاوت الأخرى فهي كثيرة، كالمناصب العليا، والوعظ، والجيش، والعمل في الشركات، وأمثال ذلك، والسياسة مثال حي لذلك، فـــ"هيلاري كلينتون" أول أمريكية تترشح لمنصب الرئاسة، ما يعني أن المرأة

في أمريكا متخلفة ليس عن المرأة في العالم الإسلامي مثل بنازير بوتو، وتانسون شيلر، وحسينة، بل عن المرأة الجاهلية مثل بلقيس والزباء وكليوبترة، وقل مثل ذلك في الصين، حيث لا يوجد امرأة واحدة في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي حتى سنة ٢٠١٦م، ولا أظن ذلك سيوجد مستقبلا.

وقد أصدرت الأمم المتحدة القانون رقم ١٠٠ من ميثاق العمل الدولي، في المساواة بين الجنسين، وتبعتها في ذلك الولايات المتحدة، كما أصدرت الجمعية العامة سنة ١٩٧٩م المادة الثالثة التي تحظر كل ما تسميه أشكال التمييز ضد المرأة، وعقدت الأمم المتحدة مؤتمرات "الجندر" ولا سيما في القاهرة وبكين.

أما المفوضية العامة للاجئين التابعة لها فقد حظرت العنف الجنسي على المرأة في الحروب، الأمر الذي يخالفه جنود الأمم المتحدة نفسها، حتى أنها اضطرت للتحقيق في انتهاكات جنودها بحق المسلمات في أفريقيا الوسطى مثلا.

ومن مظاهر الفساد أن هيئة الأمم المتحدة لا تعتبر العمل المترلي من العمل، ومما يدل على أن الرجال أكثر عملا وأقدر على العمل: أنهم الأكثرية حتى في التخصصات النسائية البحتة، مثل أمراض النساء والولادة، والطبخ، حتى في الدول التي تدعي المساواة، وقد جنت هذه الدول أسوأ الثمار من هذه المساواة المزعومة، فلم لا يجربون المبدأ الآخر أي التخصص والتكامل بين الجنسين كما شرعه الله؟

وعمل المرأة خارج الأسرة والبيت فكرة رأسمالية، تحسب فقط الربح المادي البحت دون أن تحسب التكلفة الاجتماعية والأخلاقية لأي عمل.

وهذا مثل من ينظر إلى أجرة الشقة في بناء شاهق، دون أن ينظر في تكلفة الأرض والبناء وأجر المثل في ذلك الموقع.

فالقضية عند الرأسماليين ليس هي جمال الطائر، وإنما كيف تشويه وتأكله، ومثل ذلك في الحصان والأرنب والفراشة.

وبعض من يسمون أنفسهم دعاة تحرير المرأة في هذه البلاد، يقولون إننا البد الوحيد الذي فيه كذا وليس فيه كذا! وينسون أننا البلد الوحيد الذي فيه الكعبة المشرفة والحرمان الشريفان، وأننا البلد الوحيد الذي يعلن التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وخلفائه الراشدين، وأننا البلد الوحيد الذي يسير على عقيدة السلف التي يسميها أعداؤها "الوهابية"، وأننا البلد الوحيد الذي فيه هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأننا البلد الوحيد الذي يبني المساجد الكثيرة المزدحمة، وما أكثر خصائصنا عدا ما تقدم.

ولو كان التقدم والتطور هو تعرية البدن وتقصير اللباس أو تضييقه، فما أسهله على المتهتكات، وعلى من لا تريد وجه الله والدار الآخرة، وإنما الصعب هو التستر عن المتلصصين ونظرات الفضوليين لا سيما في الغرب، والاختفاء عن أنظار الأجانب، الذي لا يطيقه ولا يصبر عليه إلا خاصة المؤمنات، اللاتي لو أعطيت إحداهن ملك الدنيا، مقابل أن تتبرج لما فعلت أبدا.

وأخبرني أحد حملة الشهادات العليا من بيحان، أن المرأة في اليمن كانت إذا ظهر رجل في التلفاز تحجبت.

وإنما يجوز للمسلمة أن تبدي عينا واحدة لتبصر بها الطريق، وإذا كانت عجوزا من القواعد من النساء فالحجاب خير لها، وإن كانت شابة فهو واجب.

قال تعالى: ﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

ويجب هنا أن يعلم الناعقون بدعوى التبرج في الإعلام، أن كل أهل هذه البلاد الطاهرة شرفاء لا يؤمنون بالإباحية الغربية ولا بالتبرج الغربي، بل إن الواحد منهم مستعد أن يقدم روحه محافظة على عرضه، ولهذه الخصلة

الكريمة فيهم يحرص بعض الغربيين على الزواج منهم، حتى أن الغربي الأبيض يرضى أن يتزوج المسلمة السوداء. بل إن المسلمين ليحرصون على شرف كل امرأة مسلمة في شرق الأرض وغربها، يقول عبدالله بن المبارك ﷺ:

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم والمسلمات مع العدو المعتدي
القائلات إذا خشين فضيحة جهـــد المقالة ليتنا لم نولـــد

والحجاب فرض على كل مسلمة، وليس خاصا بأمهات المؤمنين الطاهرات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٩] الآية.

والله تعالى وهو الذي كتب على نفسه الرحمة، وهو الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، أمرنا ألاّ تأخذنا بالزانيين رأفة في دين الله، وجعل النظر للمحارم من الثقب مهدرا لدية العين، مبيحا لفقئها.

فالنبي ﷺ كان له مدرى يحك بها رأسه، ولما رأى أحد الناس في الخارج قال له: (لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينك)، ولا زلنا اليوم مستعدين أن يموت أحدنا حماية لعرضه.

والله تعالى خاطب أشرف نساء العالمين بقوله: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الأحزاب:٣٣]، واليوم نرى التبرج في الأسواق والمنتديات والمستشفيات والمطارات، وفي كل مكان، وما ذلك إلا لذهاب الغيرة أو نقصها تشبها بدياثة الغرب وهتكه، ربما وكثير من النساء المسلمات لا يعلمن.

وفقهاؤنا رحمهم الله نصوا على أن من الدياثة أن يرضى أحد لزوجته بالخروج أمام الناس، وأن الديوث لا تقبل شهادته، بل نص الشافعي رحمه الله على ذلك في حق من يجمع الناس لسماع غناء جاريته، فأي غيرة تبقى لمن رضي أن تغني امرأته أمام الرجال؟ بل إن الدياثة بلغت ببعضهم أن يذهب هو بامرأته أو بنته إلى دور ما يسمى "الفن"، ويرضى أن تكون موليته راقصة!!

وأنا أشكر أهل الغيرة على الأعراض الذين يستنكرون ذلك، ويغضبون أشد الغضب إذا قيل لأحدهم "يا ابن الرقاصة".

كما أشكر الأخوات المصريات اللاتي غرر بهن الفساق فاحترفن التمثيل، ولما وفقهن الله للحج مثلا، تُبن وعُدن إلى الحجاب، وبعضهن تجتهد في إتلاف أفلامها السابقة، ومع الأسف لا يتحدث أحد عن توبتهن في القنوات الرسمية في مصر أو في السعودية.

كما أن بعض المتخلفين يقول إن المرأة انطلقت في عهد فلان وتحررت من الأغلال، وتركت عصر الحريم وزاحمت الرجال في كل ميدان، وكأن المقصود هو المنافسه والمزاحمة، وكأن تربية الأجيال قيود وأغلال وحبس يستحق المنقذ منها الشكر والمديح.

وإنما أشكر المرأة المسلمة المحافظة في كل بلد، لا سيما في الغرب فهي تتحمل كل هذه الضغوط النفسية والتسلطية، وتتمسك بحجابها مفتخرة، وقدوتها أمهات المؤمنين الطاهرات، وليس عرايا الغرب والمتبرجات، ويقول المثل الذي نسيت بلاده: إن الله خلق المرأة من ضلع الرجل لتكون قريبة من قلبه فيحبها، وقريبة من ذراعه فيحميها! وهذه المكانة لا تكون إلا للمرأة المسلمة المحجبة، فانظر إلى المارونيات في قناة "العربية" مثلا، وقارنهن ليس بالمرأة المسلمة المتدينة، بل بالمذيعات في قناة "الإخبارية" على ما فيها لترى الفرق جليا.

واعلم أن وجود هاتين القناتين معاً مقصود، وأن التفاوت بينهما مؤقت، ولا بد أن يأتي اليوم الذي تستويان فيه في التعري، ولكن متبعي الشهوات يسيرون على مبدأ "بطيء لكن مؤكد" كما سار "دنلوب" من قبل!

وقد كان دعاة السفور ومنهم قاسم أمين معاصرين لـــ"دنلوب"، وكانت المرأة المصرية تغطي وجهها، فبادروا أولا إلى القول بأن تغطية الوجه مختلف فيها وأن الشيخ فلان أجازها، وأصبح علماء السوء اليوم يقولون إن

النقاب حرام، ولكن المرأة المسلمة عادت إلى حجابها، وألّف الشيخ محمد إسماعيل كتاب "عودة الحجاب"، وأصبحت نسبة المتحجبات أكثر من ٩٠% في مصر، وترى العجوز المصرية متبرجة وابنتها متحجبة، فلماذا يكررون التجربة المرة في دول الخليج؟

ولماذا يعملون على إخراج المرأة من مملكتها، وقد قال أحمد شوقي من قبل مخاطبا إياها:

إن طرتِ عن كتفي وقعت على النسور الجهَّل

ومع الفارق الزمني بين عصر شوقي وعصرنا وعلى اضطراب شوقي وتردده، لم يعد النسور الجهّل فقط هم الذين ينتظرونها، بل معهم كل غراب وحدأة وصقر جارح، ولماذا نلقي بناتنا في الجحيم نفسه إرضاء للغرب؟

ومكانة المرأة في الإسلام تبرز التفوق الاجتماعي، الذي تتبين به محاسن الإسلام ولا ينكره أي عاقل، وعليه ركز جعفر الطيار في كلامه عند النجاشي، كما ركز ربعي بن عامر في كلامه عند رستم، وقل مثل ذلك عن هرقل ملك الروم، والجلندى ملك عمان.

واعترف بذلك المشركون قديما وحديثا حيث قالوا لرسول الله ﷺ: (ما عهدناك إلا وصولا)، وبه استدلت أعقل نساء العالمين، خديجة رضي الله عنها على أن الله لن يخزي نبيه الكريم أبدا، وبه قال ابن الدغنة للصديق "مثلك لا ينبغي أن يهاجر".

واعترفت به إحدى المشفقات على مصير المرأة في ظل سيطرة الحضارة الغربية بقولها: "ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين"، وذلك في معرض تحذيرها من اتباع دعاية ما يسمى "الحركة النسائية".

فبالغيرة تتميز بلاد المسلمين، وبها يعتزون ولو كانوا مشركين أو منافقين، وبالعفة كان يفتخر الجاهليون ولا تجد من يفتخر بالدياثة أبدا، وإلى عهد قريب كانت عزوة الشجاع أو نخوته "أخو فلانة"!

وفي إشارة إلى أن العلاقة بين الذكر والأنثى هي التكامل وليست التماثل، سمى الله المرأة والرجل "الزوجين" و لم يسمهما "الجنسين" كما يقال، وهذا يشبه التعبير بما جعل بين الزوجين من (مودة ورحمة)، فعبَّر بذلك، و لم يقل "الحب" كما يقول الغربيون.

وقد بحث الفقهاء مسألة التساوي والتفاوت في النسب، أما ما يسمى اختلاف الطبقة الاجتماعية فلا وجود له في الإسلام، أما المجتمع الغربي فهو عدة طبقات، ولا يحق لأحد أن يتزوج من طبقة غير طبقته، وهذا التأخر في الغرب امتداد لنظام الطبقات الهندي مع تغيير في الأسماء، ومن طبقات المجتمع الغربي المشهورة لا سيما في بريطانيا الطبقة الارستقراطية، والطبقة البرجوازية، وطبقة البروليتاريا، أو الطبقة العليا والطبقة المتوسطة والطبقة الفقيرة، ولا يزال هذا التفاوت مظهرا من مظاهر الحياة الغربية ولا يزال في بريطانيا مجلسين أحدهما لكبار الأثرياء "مجلس اللوردات"، والآخر للشعب "مجلس العموم".

أما المرأة المسلمة فيؤخذ من الوصايا النبوية الكثيرة بالمرأة أن الله تعالى لا يعاملها بالعدل فقط بل بالرحمة، وهو تعالى الرحمن الرحيم، وهو الذي رحمته سبقت غضبه، وهو القائل: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

والأحاديث والآيات في ذلك كثيرة تقدم بعضها، فكيف يقول المفترون إن تشريعاته ظلمت المرأة؟ أهم أرحم من الله؟

وأنا أسأل كل أم -وأرجو منها أن تسأل نفسها- هل البوليس أو ما يسمى حقوق الإنسان أرحم منها بطفلها؟ فكيف يستدعون البوليس لتجنيب الأطفال العنف، ويأخذونه من أسرته ليدفعوه للبوليس؟

ودعاة الإفساد يخدعوننا بالعبارات الفضفاضة مثل الحشمة أو كل شيء حسب شريعتنا وتقاليدنا، وأن حال مجتمعنا هو المعتبر أو أن العلماء وافقوا على كذا أو كذا، أو أن الشيخ فلان قال كذا، مع أن نهاية طريقهم معروفة

ولا يستشيرون أحدًا أو يحتجون بكلامه إلا في البدايات فقط ولا يعملون بضوابطه وشروطه قط.

ومع مزاعم المساواة في أمريكا، لا يوجد في "هوليود" مخرجات إلا بنسبة ٤% فقط، بينما يحرص المفسدون هنا على التركيز على ما يسمى المخرجة السعودية فلانة، وأعجب من ذلك أن يحاول المفسدون هنا وجود معلقة رياضية سعودية، بينما لا يوجد ذلك في أي بلد في العالم.

وهكذا أخرج المفسدون المرأة وجعلوها تلون صناديق القمامة في محافظة القطيف مثلا، بعد أن كانت عزيزة كريمة يستقدم الزوج لها من يخدمها ويشتري هو لها الطعام ويحمله إليها، وذلك ما لا تحلم به أي امرأة غربية قط.

وباسم المساواة المزعومة بين الجنسين تصطحب البعاث العلمية النساء إلى الصحاري والغابات والمناطق القطبية، ويعقدون المؤتمرات ويتخذون القرارات وينذرون بمخاطر الصيد وانحسار الغابات، والتغيرات المناخية والتصحر والتلوث، وأن تلك المخاطر ستؤدي إلى انقراض بعض الحيوانات البرية والبحرية، وينسون ما تؤول إليه الفواحش من انقراض البشر وانهيار الفضيلة!

أما تعدد الزوجات فإن كثيرا من المسلمات مع دوافع الغيرة والطبيعة الأنثوية، صدقن ما رأينه في المسلسلات المتبعة لآراء النصارى بعلم أو بدون علم، وأَبَين ذلك واشترطن على من يريده أن يطلقهن.

والله تعالى أباح التعدد، ولكن نهى عن الميل كل الميل، إذ العدل المطلق متعذر، وقال ﷺ: (اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تؤاخذني فيما لا أملك)، وبعض طرقه صحيحة وإن كان بعضها ضعيفاً، وقد ثبت في البخاري وغيره أنه ﷺ كانت عائشة أحب نسائه إليه مع مساواتهن في النفقة والمبيت، ولكن النصارى ضيقوا على أنفسهم وحرموا ما عند الزوجة

الواحدة على غير رجال الدين، وحرموا ما عدا الزوجة الواحدة على غير رجال الدين.

– العلاقة الزوجية:

لاتباع أكثر الغربيين للهوى ولجهلهم بالعوامل النفسية الكثيرة، تجدهم يوحدون سبب الطلاق ويحصرونه في كون الزوج لا يحب زوجته أو العكس، ويطلبون من المحكمة الطلاق ويفسخون العلاقة الزوجية بسبب ذلك، ويقتدي بهم في ذلك بعض المسلمين.

وقد جاء رجل إلى عمر الفاروق ﵁ يشكو إليه أنه لا يحب امرأته وأنه يريد طلاقها، فقال له عمر: "وهل كل البيوت بنيت على الحب؟".

وهذه كلمة عظيمة من الفاروق دالة على عبقريته الفذة ومعرفته العميقة بأحوال الناس ونفسياتهم، فبعض الناس يستبقي العلاقة الزوجية لأن المرأة ذات خلق ودين، واهتمام بالزوج والبيت، وبعضهم يبقيها صبرا لعل الله أن يأتي بالفرج من عنده، وبعضهم يبقيها حتى تبقى الصلة مع قرابته ولا يقطعها، وبعضهم يبقيها على أمل أن تتغير أخلاقها، وبعضهم يبقيها لأن أصهاره ذوو شرف ومترلة، وبعضهم يبقيها حرصا على تماسك الأسرة حتى لا يضيع الأبناء، وبعضهم يبقيها حتى لا يشمت به الحاسدون، وبعضهم يبقيها لأسباب خاصة لا يعلم بها الناس، وليس منها أنه يحب زوجته، وقول عمر رضي الله عنه مقتبس من أنوار النبوة، فقد ذكر النبي ﷺ أن المرأة تنكح لأربعة جعل الجمال إحداها.

ولهذه الأسباب وغيرها من الحكم التي يعلمها الحكم الخبير، جعل المطلقة الرجعية تسكن في بيت الزوجية، وجعل مدة الإيلاء أربعة أشهر.

وقد جعل الله انفصام عرى الزوجية حلا ومخرجا بعد استنفاد وسائل بقائها، ومنها الحكمان من أهل الزوجين، وإن كان بقاء العلاقة الزوجية أمرا مستحيلا فللزوج أن يطلق وللمرأة أن تخالع.

كما أن الطلاق حسب السنة لا يكون دفعة واحدة، بل يكون على دفعات، فقد يندم الزوج بعد الطلقة الأولى.

- جرائم الشرف:

القبائل التي لا ترجم الزانية تقتلها، وذلك أمر متواتر في العراق والشام ومصر ودول المغرب.

ومجتمعات كثيرة في التركستان والباكستان، وبلاد الأفغان وجاوه وغيرها.

وكل ذي غيرة يفضل الموت على الشرف المدنس، بل إنهم في بعض المجتمعات لا بد أن يقدم العريس للناس ما يدل على أن العروس عذراء.

وفي بلاد المسلمين عادات غير شرعية ولكنها خير من الدياثة الغربية.

والتصرف الصحيح شرعا وعقلا هو إنكار المنكر ومنع الخلوة ومنع ما لا حاجة له من المكالمات الهاتفية، والحث على الفضيلة والعفاف لا سيما التي تكون فيها رقية الزنا (الغناء)!

ولا يطيع الناس جريدة الشرق الأوسط التي كتبت مقالا بعنوان "لا تكن غيورا"، ومثل ذلك الروايات والأفلام والمجلات المسماة فنية.

وهؤلاء الذين يعيبون على شريعة الله أنها تبيح الزواج بأربع نساء، مع قلة ذلك واقعيًا لا يعيبون حديث وسائل الإعلام الغربية عن اللاعب الذي اعتدى جنسيًا على ١٤٦ طفلة وقاصرة ومعاقة، وهذا بالطبع لا يشمل من لم يشتكين ويبلغن، كما لا يشمل بائعات الهوى اللاتي يتفرغن للفواحش، فالحمد لله الذي شرع لنا الإسلام وأغنانا بحلاله عن هذا السعار والبهيمية.

وأغرب من ذلك أن إحدى المحاكم الأمريكية في ولاية "ميشيغان" حكمت على طبيب المنتخب الأمريكي للجنباز بالسجن لمدة (١٧٥) عاما لأنه اعتدى على (١٦٠) امرأة، وشهد عليه منهن (١١٧) امرأة في جلسة

واحدة، وبعض المعتدى عليهن لا يتجاوز عمرها ست سنوات وبعضهن مريضات!

وكما أن الهيئة عندنا كانت تخفف الزنا وتقول "خلوة"، فهم في أمريكا يخففونه ويقولون "تحرش" .

هذا في أمريكا، أما هيئة الأمم المتحدة فإن إحدى فروعها المختصة في رعاية الأمومة والطفولة ارتكبت (٦٠) ألف حالة اغتصاب في العقد الأخير، فيما تقول التقارير إن تسعة من عشرة من حالات الاغتصاب لا يبلّغ عنها وأن من بين المغتصبين أطفال.

وهكذا يجني دعاة الاختلاط الثمار المرة، والإعلام في بلاد المسلمين لا يكاد يذكر ذلك، بينما يدعو الناس باستمرار إلى العقيدة الكنسية القائلة بأضرار تعدد الزوجات!!

الحقوق

مما يفتخر به الغربيون ويتبجحون به ما يسمونه "حقوق الإنسان" وأن الأمم المتحدة وضعت "الميثاق العالمي لحقوق الإنسان" أو الإعلان العالمي لحقوق الإنسان كما قد يسمى، وفيه أحكام باطلة مثل "حرية العقيدة" التي تعني حرية الردة مثل حرية الرأي، كما يسمونه، أي أن يعتقد الإنسان ما شاء، وفيه أحكام نافعة، لكن الإسلام سبق إلى ما هو خير منها فلم يجعلها حقوقا تجوز المطالبة بها فقط بل جعلها واجبات لا يجوز تركها، بل ينكر كل مسلم على من تركها بما استطاع، ويذكر من غفل عنها من أهلنا بحقوقهم، وزاد الإسلام على ذلك حقوقا وآدابا ليست في الميثاق ولا يعرفها الغرب، فمن يدع الإسلام ويأخذ بذلك الميثاق فهو كبني إسرائيل الذين يستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، أو منافق يظهر الإسلام للمسلمين، مع أنه في الحقيقة يأخذ أحكام الكافرين، ويظن أن ما يقرره البشر بعقولهم أعظم وأشمل مما أنزل العليم الخبير!

ومن العجيب أو المستغرب أن الولايات المتحدة لم توافق على هذا الميثاق لما أصدرته الهيئة الدولية، ولم تصوت عليه بل ضده!!

وهذا ما نصت عليه الموسوعات الأمريكية نفسها مثل موسوعة "كولمبيا"، ولست أدري أبقيت أمريكا على هذا الموقف أم وافقت فيما بعد؟

ومن آمن بالله ورسوله ﷺ، علم يقينا أن الإسلام خير من تلك المواثيق والبيانات، وما تقرره المنظمات الحقوقية شرقية كانت أو غربية، سواء أكانت مما أوصت به الأمم المتحدة والمجتمع الدولي كما يسمونه أو أية منظمة محلية.

ولا حاجة بالمسلمين إلى ما يسمى "منظمات المجتمع المدني" فكل المسلمين منظمة كبيرة تأمر بالحق والعدل كلَّ أحد، والغربيون وغيرهم لم يتفقوا على ما يسمى المجتمع المدني أما الإسلام ففصل كل شيء وأوضحه كما سترى.

وقبل أن نستعرض الحقوق الإسلامية، ونقارنها بما عند الغرب ننبه إلى

أمر مهم قد يفوت كثيرا من الناس، وهو أن الحضارة الإسلامية العظيمة تقدم الإنسان على كل مادة، وتهتم به أينما وجد، والقرآن الكريم نفسه موضوعه الأساس هو الإنسان، كيف يعبد الله تعالى وكيف يوحده جل شأنه؟ وكيف يزكي الإنسان نفسه؟ وكيف يكون الصلاح والفساد في الأرض؟ وكيف تكون الحياة السعيدة؟ وكيف تكون الحرية؟ وكيف تكون الكرامة الإنسانية؟

ومن هذا التكريم للإنسان أنك تجد تاريخ المدن الإسلامية مثل "تاريخ بغداد" الذي ألفه الخطيب البغدادي، و"تاريخ دمشق" الذي كتبه ابن عساكر، وقل مثل ذلك في "تاريخ الموصل"، و"تاريخ حلب"، و"تاريخ واسط"، و"تاريخ مكة"، و"تاريخ المدينة"، و"تاريخ القدس"، و"تاريخ الأندلس"، و"تاريخ جرجان"، و"تاريخ القيروان"، وأمثال ذلك مما يصعب حصره يهتم بمن دخل تلك المدن من بني الإنسان أو حكمها أو عاش فيها من الخلفاء والعلماء والفقهاء والمحدثين والشعراء والمغنين وأمثالهم.

هذا بينما تجد اليوم الغربيين حينما يتحدثون عن أي مدينة يتحدثون كيف بنيت وكيف توسعت أو اندثرت، ومن الذي بنى القلعة الفلانية أو الحصن الفلاني، أو الأثر الفلاني وغير ذلك، فالكلام كله عن المادة الصماء ولا يتعرضون لسير الأنبياء الذين هم أكرم الخلق وأفضلهم، ولا يعرفون أو ينبشون إلا الحضارات القديمة، ولو كان أهلها مشركين يعبدون الأصنام أو الكواكب، دون التعرض لتلك المعبودات.

والغرب دائما يجنح إلى الخيال كي يرقّع به النقص المعرفي التاريخي لديه، فتجدهم إذا تحدثوا عن عظيم من عظمائهم افتعلوا له قصة غرامية كي يطول المشهد أو الكتاب، وصوروه كما يتخيله أحد رساميهم، ولو كان قديما قبل حرفة التصوير الفوتغرافي، وهذا من بقايا الوثنية لديهم، إذ لا يؤمنون بالغيب وإنما يؤمنون بما هو مادي محسوس، أو يرقعون ذلك بالاحتمالات والظنون.

وتبعهم في الخيال بعض الكتاب الشرقيين لا سيما "جرجي زيدان" وقد بلغ ولعهم بتصوير العظماء أن صوروا الأنبياء الكرام لا سيما المسيح عليه

السلام.

والمؤرخون المسلمون كالطبري وابن كثير وابن الأثير لا يلجأون إلى الخيال، وإذا علموا أن ما يقال عن فلان خيالي فهو عندهم موضوع، وكذا الاحتمالات والظنون التي لا تصلح فيما يحتاج لليقين.

ولذلك لا يعدون بالقصص الخيالية أو الشعبية حقائق مثل قصة عنترة أو الأمير حمزة البهلوان، أو سيرة الظاهر بيبرس، وسيف بن ذي يزن، مع أن أكثر الروايات الغربية خيال مثل رواية زوربا اليوناني، أو مسرحيات شكسبير.

وأول الحقوق في الإسلام وأعظمها حق الله تعالى، وهو توحيده وإفراده بالعبادة ونبذ الكفر والشرك بأي اسم كان، ومن ذلك الحق له تعالى: أن نؤمن بأنه سوف يبعثنا ويجازينا بما عملنا، وهذا ما لا يعرفه الغرب الملحد، ولا هيئة الأمم المتحدة تحث عليه.

والإيمان بالله من النصيحة لله تعالى التي جاء بها الحديث (الدين النصيحة، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)، والنصح يستلزم أمرين: الصدق، والإخلاص.

ولا يعرف الغرب النصح لله قط، ولا تعرفه الأمم المتحدة، ولا كل كافر بالله، وإنما يريد الغرب أن يفرض علينا ثقافته الوافدة باسم الأمم المتحدة، أو الأسرة الدولية أو الشرعية الدولية أو القانون الدولي، ونحو ذلك من المصطلحات، ولا يعرف الغرب الصليبي دين التوحيد، وغاية ما يعرفه هو دين الكنيسة المحرف، وقد هرب منه منذ قرون لا سيما في عصر النهضة الغربية وعصر التنوير، وأيام الثورة الفرنسية، وهم لذلك لا يقدرون الله حق قدره ولا يعرفون حقه عليهم، ويفضلون دينهم على الإسلام.

فالله تعالى هو الخالق الرازق المحيي المميت الضار النافع له الأسماء الحسنى، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه كافرا أو مسلما، وهو الذي يبتلي عباده المؤمنين ليرفع درجاتهم عنده، فخيره ونعمه جل شأنه لا تعد ولا

تحصى، ولا يقدّر على عباده إلا ما هو خير لهم لو كانوا يعلمون.

ومن حقه علينا تعظيم بيته المحرم وإكرام من وفد إليه، وقد كان الجاهليون على كفرهم يتفاخرون بالسقاية والرفادة وأمثالها ولا يجوز الإلحاد فيه ولا التفتيش فيه، فهو لكل مسلم وليس لمن حمل جنسية معينة، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥] وخليل الله إبراهيم عليه السلام أذَّن في الناس بالحج بأمر من الله تعالى، ولا يعني المسجد الحرام مجرد المسجد المعروف بل كل منطقة الحرم.

كما يجب أن تكون توسعة المسجد الحرام متاحة لكل مسلم وبعض الدول مستعدة لدفع المليارات لذلك تبرعا، وبعض المهندسين وضع خرائط لا يريد مقابل ذلك شيئا ومن هؤلاء المهندسين من قابلته وتحدثت معه.

وبإمكاننا بهذا البيت أن نجعل العالم كله مؤمنا، ولذا قال "جواهر لال نهرو": "لو كانت الكعبة عندي لجعلت العالم كله هندوسيا"!.

والله تعالى جعل أولياء بيته هم المتقون من أي جنس أو لون.

ومن تعظيم الله تعالى أن نعظم ما عظَّم الله مثل مكة والمدينة والقدس وأرض الشام عامة، والأشهر الحرم والمساجد والمشاعر والشعائر، وأهل العلم والصلاح والذكر، وتعظيم العرب كافة، وقريش خاصة، وآل البيت الشريف، كما سيأتي في القرابة إن شاء الله.

هذا وقد جعل الله لهذا البلد الحرام –بلد خليله عليه السلام– خصائص كثيرة ذكر بعضها الأولون، وبعضها لم يُعرف إلا حديثا، ومما ذكره أو أيده العلم الحديث أن مكة شرفها الله هي مركز الكون وأن ماء زمزم أفضل ماء وأن حرارتها تقتل الجراثيم، وأن الأكسجين فيها متوفر كثير، وأن من يصعد إلى الفضاء الخارجي يراها مضيئة، وأن نباتاتها طيبة ومنها السنا المكي المشهور، والعُشُر الذي قد نعدّه من أردأ النباتات، لكن الأطباء وأهل الخبرة يقولون إن حليبه مضاد للسرطان بإذن الله، وأن أمطارها نافعة جدا وإن قلَّت، وأنه يعيش في مكة كثير من الفواكه، منها النخل والليمون

والحمضيات عامة، وبالجملة هي أرض مباركة قد يكشف المستقبل عن بركات لها لا نعلمها اليوم.

ونحن نعظم بيته الحرام، ومع ذلك نعتقد أن وجود الحرمين وحده لا ينفع، وإلا فقد كانا موجودين أيام العثمانيين والأشراف، بل كانت الكعبة أيام الجاهلية وكانوا يعظمون البيت أكثر من بعض أهل الإسلام!!

ثم بعد حق الله يأتي حق كتابه الحكيم (القرآن)، ومن حقه أن تقام حروفه وحدوده، والوقوف عند أوامره ونواهيه، والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه، ومعرفة ناسخه ومنسوخه، وتدبره، ومن ذلك: "أن حمدون القصار رحمه الله كان له قراءتان إحداهما ظلت قرابة عشرين عاما لتدبره، وممن كانت له قراءتان أيضا أبو العباس بن عطاء، وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يتجاوزون بضع آيات حتى يعلموا ما فيها من العلم والعمل، ومن ذلك ترك هجره بأي نوع من أنواع الهجر التي ذكرها ابن القيم رحمه الله، وهو أعظم مراجع الحضارة الإسلامية كما تقدم.

ومن حقه وتعظيمه تقدير حفظته من أي بيئة كانوا دون نظر لوطن أو "جنسية" كما يقال، وتعظيم دور حفظه، وتحريم إغلاقها لأي سبب، وهو مصدر كل علم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما من شبهة إلى قيام الساعة إلا وفي كتاب الله جوابها".

ومن فوائد قراءة القرآن -وما أكثرها- أنه قل من يحفظ القرآن ثم يصيبه الخرف، كما قال الذهبي رحمه الله، وهذا هو المرض الخطير الذي يخاف منه المسنُّون والذي أصيب به الرئيس الأمريكي "رونالد ريجان".

ومن حق كتاب الله أن يكون هو محور التربية، لا يتقدم عليه الحديث النبوي فضلا عن غيره.

ومن الحقوق علينا أن نؤمن بملائكة الله، فهم يسبِّحون الليل والنهار لا يفترون، وهم يصلّون لله، ويصلون على النبي ﷺ، ولهم أعمال عظيمة، وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم وأنهم يسبحون بحمد الله ويقدسونه، وأنهم يستمعون

إلينا إذا قرأنا القرآن أو صلينا أو ذكرنا الله تعالى، وأنهم يحصون علينا أعمالنا من خير وشر، ويتعاقبون فينا، ويطوفون بالبيت المعمور ويسيّرون ما أمر الله بتسييره كالسحاب، وأن المؤمن التقي يرسل لله إليه من يسدده منهم، وكل ما جاء عنهم في الكتاب والسنة فهو حق نؤمن به، ونجزم أنه لا يعرفه من كفر بالغيب، ولم يؤمن إلا بالشهادة وحدها كحال الكافرين المشركين في الشرق والغرب.

ومن الملائكة: الكرام الكاتبون، فينبغي لنا أن نستحي منهم، ولا نقول أو نعمل المعاصي التي يتأذون منها.

- حق الرسول:

ومن حق رسول الله ﷺ أن نصلي ونسلم عليه، وأن نحبه، وأن نتبعه في كل أمر ونصدقه في كل قول، ونأخذ عنه صلاتنا ومناسكنا وعباداتنا كلها، ونقتدي به في كل شيء، ومحبته ﷺ ضرورية كما أن طاعته ضرورية، وكل منهما لا بد منه، وقد نبه إلى أنهما شيئان شيخ الإسلام ابن تيمية، فهو صلوات الله عليه لا ينطق عن الهوى ولا يقول إلا الحق، ونجتنب ما نهى عنه من البدع وسيء الأخلاق، ونعلم علم اليقين أن شانئه هو الأبتر، وأن من أساء إليه مهزوم مغلوب ولا بد، وأنه جاء بالنور والهدى وشفاء القلوب والأبدان، وأن دعوته ﷺ شاملة كاملة، وليست مجرد صلة روحية كما يقول العلمانيون والليبراليون، الذين يفرقون بين من يتبعونه بحسب ما جاء به ﷺ، فيجعلون بعضهم إسلاميين وبعضهم إسلامويين ويسمون الدعوة إلى دينه كله "الإسلام السياسي"!!

وأن غيره مهما ادعى من التطور أو التحضر أو التقدم هو في الحقيقة متأخر منحط، لا يبلغ منزلته العالية ﷺ، وأنه صلوات الله عليه أفضل من كل الأنبياء فكيف بالمفكرين والفلاسفة؟!

ومن حقه صلوات الله وسلامه عليه أن نحكّمه في كل أمر فرديا أو تجاريا أو عماليا أو مروريا أو أيا كان، قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥]، وذكر ابن القيم رحمه الله أن هذه الآية تشمل مراتب الدين الثلاث، فالتحكيم في مقام الإسلام وانتفاء الحرج في مقام الإيمان والتسليم في مقام الإحسان.

وذكر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أن الحكم بالقوانين ينافي شهادة أن محمدا رسول الله.

وهذا من أعظم المصائب التي وقع فيها كثير من المسلمين اليوم.

والعجب كل العجب ممن يترك تحكيمه ﷺ ويحتفل بمولده الذي لا دليل عليه من الكتاب والسنة، ولم يفعله الصحابة الكرام ولا أحد من السلف الصالح.

ومن حقه صلوات الله عليه أن لا يرفع أحد صوته فوق صوته، وأن لا يقدم بين يديه، ومِن التقديم أخذُ أي مذهب من أي أحد غيره كائنا من كان.

ومن حقه ﷺ أن نجاهد ونقاطع كل من أساء إليه بأي شكل، ومن هذه المقاطعة ترك إقامة العلاقات معهم سياسية أو تجارية أو أيا كانت، فالغيرة عليه ﷺ أعظم من كل هذا، وهي أعظم من أن نقاطع من أساء إلى مجتمعنا أو سياستنا كما فعلت الحكومة مع السويد مثلا.

ومن حق الرسول ﷺ أن نجعله إمامنا وسيدنا، ونفديه بأرواحنا وأهلينا وقرابتنا.

ولا نغلو فيه أو نطريه أو نجعله إلها عياذا بالله، بل هو بشر اصطفاه الله على سائر خلقه، وأعلى درجته في العبودية والرسالة فهو عبد الله ورسوله.

وكان كل الصحابة يحبون النبي ﷺ ويعرفون له حقه، دع كبارهم كأبي بكر وعمر ومن قاربهما، ولكن انظر إلى بعض من لا يكاد يذكرهم أحد

ولنأخذ منهم مثالا واحدا "ذو البجادين"، ونقرأ سيرته كما كتبها ابن القيم بأسلوبه الشيق.

قال ابن القيم رحمه الله: "كان ذو البجادين يتيما في الصغر، فكفله عمه فنازعته نفسه إلى اتباع النبي ﷺ فهم بالنهوض، فإذا بقية المرض مانعة، فقعد ينتظر العم فلما تكاملت صحته نفذ الصبر، فناداه ضمير الوجد:

إلى كمْ حبسها تشكو المضيقا ** أَثِرْها ربما وجدتْ طريقا

فقال: يا عم، طال انتظاري لإسلامك، وما أرى منك نشاطا، فقال: والله لئن أسلمت لأنتزعن كل ما أعطيتك! فصاح لسان الشوق: نظرة من محمد أحب إلي من الدنيا وما فيها.

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها   تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال تراب من غبار نعالها   ألذ إلى نفسي وأشفى لبلواها

فلما تجرد للسَّير إلى الرسول جرده عمه من الثياب، فناولته الأم بجاداً فقطعه لسفر الوصل نصفين، اتزر بأحدهما وارتدى الآخر، فلما نادى صائح الجهاد قنع أن يكون في ساقة الأحباب، والمحب لا يرى طول الطريق لأن المقصود يعينه.

ألا بلَّغ الله الحمى من يريده   وبلغ أكناف الحمى من يريدها

فلما قضى نحبه نزل الرسول يمهد له لحده وجعل يقول: (اللهم إني أمسيت عنه راضيا فارض عنه)، فصاح ابن مسعود: يا ليتني كنت صاحب القبر. اهـ.

وقال عروة بن مسعود لقد رأيت كسرى في ملكه والنجاشي مع أصحابه فلم ار أحدا يحب أحدا كحب أصحاب محمدٍ محمداً ﷺ.

واليوم نرى بعض البيئات أكثر محبة وتعلقا بالرسول ﷺ، وإن كان لديها تقصير في فهم حقيقة الاعتقاد.

ونرى غيرها أصح عقيدة ولكنها أقل محبة.

وبالجملة فكل ما نراه من خير في هذه الدنيا فإنه من الله، وجاءنا من

طريقه ﷺ، فلا أحد أحق بتعظيمه وتعظيم جنسه أو قبيلته أو قرابته منه ﷺ.

- حق ذوي القربى:

ومن حقه ﷺ اتباع أمره في إقرار حق ذوي قرباه.

وعقيدة أهل السنة والجماعة محبة آل البيت الشريف، ومعرفة قدر بني هاشم ثم سائر قريش، وقد أوصى صلوات الله وسلامه عليه بكتاب الله وعترته الشريفة.

وعلى هذا درج أهل السنة، حتى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- سمّا أبناءه الحسن والحسين.

وكيف يكون حافظ وهبة واليًا على مكة ولا يكون خالد بن لؤي المقطوع بنسبه إلى الرسول ﷺ.

وكيف يقال لأحد العترة الطاهرة: تكلم عن نفسك فقط، وليس عن أهل البيت!.

ومن حق قرابته ﷺ أن يعطوا الخُمس من الغنيمة والفيء ويجري عليهم من بيت مال المسلمين ما يغنيهم، قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الأنفال:٤١] الآية.

والصحيح أنهم ذوو قربى الرسول ﷺ، بدليل عمل الشيخين وما درجت عليه الأمة، وقال عن الفيء في سورة الحشر: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الحشر:٧].

وإذا حُرِم ذوو القربى من بيت المال فإن فقراءهم يعطون من الزكاة، وإنما حرمت عليهم الصدقة لأنها أوساخ الناس وهم أشرف من ذلك، ويعطون على سبيل الهدية لتبقى لهم كرامتهم، وقوله في الآيتين (لله) تشريف وتبرك فالمال كله مال الله ويوضع مال الله في بيت مال المسلمين، كما أن مال رسول الله ﷺ يعطى لليتامى والفقراء والمساكين، وقد قال ﷺ "ليس لمحمد ولا لآل محمد منها شيء"، وقال: "مالي مما أفاء الله عليكم إلا الخُمس،

والخمس مردود عليكم"، ولما طلبت منه ابنته فاطمة أن يعطيها خادما لأن يديها مجلتا من الرحى، أبى وقال: "لا أدع أهل الصفة ويتامى بدر وأعطيكِ"، وكان ﷺ ينفق على أ هل الصفة الذين هم فقراء المسلمين وأضياف الإسلام.

وسيأتي لحق القرابة الشريفة بقية في هذا المبحث بإذن الله.

كما أن أهل البيت الشريف كانوا أكرم الناس ويعودون بخمسهم على الفقراء والمساكين، ولذلك قال بعضهم "ليس لنا أن نبني من خُمسنا القصور ولا أن نركب البراذين".

وكان علي بن الحسين رضي الله عنه وهو الملقب "زين العابدين" لا يدري الناس أين يذهب ماله، ولما أرادوا غسله بعد موته رأوا على ظهره كالحبال مما كان يحمل من الحب والدقيق لأهل الحاجة وأحس بموته الفقراء إذ انقطع عنهم ما كانوا يحصلون عليه، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

والقرابة النبوية الشريفة هم أولى الناس أن يولوا من كان مؤمنا بصدق رسالة الرسول الكريم محمد ﷺ، وألا يتعاقدوا بل يطردوا من كان مكذبا برسالته أو شاكا في ذلك مهما كانت جنسيته.

وقد ولى أحدهم وزيرا نصرانيا لكن دخل عليه أحد الشعراء المسلمين فقال له:

إن الذي فضِّلت من أحله   يزعم هذا أنه كاذب

وأشار إلى الوزير.

فقال السلطان: أحقا قال؟ قال الوزير: هكذا ديننا!

فأمر السلطان بعزله وتولية مؤمن مكانه.

وبعد حق الله ورسوله وحق الوالدين يأتي حق الإمام.

وحق الخليفة أو الإمام أن يطاع في المعروف ولا يعصى إلا في المعصية، فإذا أمر بطاعة الله أطيع في المنشط والمكره، وليس من حقه أن ينهى أحدا عن الدعوة إلى الله أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ذكر شيخ

الإسلام ابن تيمية أن المنع العام حكم بغير ما أنزل الله، وله تقييد المباح بالدليل، ومن حق ولي الأمر علينا أن ننصح له والنصح يشمل الصدق والإخلاص كما تقدم، ولا نغشه بترك مناصحته، قال النبي ﷺ: (إن الله يرضى لكم ثلاثا) وذكر منها (وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم)، و"ولي الأمر" في القرآن الكريم هو من كان منهجه الاستنباط من حاكم أو عالم، وقد كان الخلفاء الأربعة أعلم الأمة في أيامهم، وكذا كان كثير ممن جاء بعدهم، ومع ذلك يستشيرون أهل العلم الربانيين الصادقين!

فأولو الأمر صنفان منهما: العلماء، نص على ذلك شيخ الإسلام.

ومن حصر ولي الأمر في صنف واحد فقد خالف كتاب الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ﴾ [النساء:٨٣]، وعلماء الأمة أحق من الأحبار والرهبان بالطاعة في أمر الله، ومع ذلك لا يملكون المغفرة، كما كان رجال الدين النصارى في العصور الوسطى وبعض المتصوفة يفعلونه، كما لا يملكون ما يسمه البابوات "حق التحلة" وهو إحلال العساكر والأتباع من طاعة الملك، وبالجملة لا بد أن نعرف لعلمائنا حقهم دون غلو أو جفاء، وعليهم واجبات، منها بيان الحق وترك كتمانه، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠].

فجعل سبحانه ثلاثة شروط: ١- التوبة، ٢- الإصلاح، ٣- البيان، وهذا البيان لا يكون سرا، بل هو للناس كما في أول الآية.

وعلينا أن ننصح الإمام لوجه الله تعالى ونقول الحق أينما كنا، كما كان النبي ﷺ يبايع أصحابه، ولا نخشى في الله لومة لائم، ومن حقه أن نجاهد معه، ونعينه على كل خير ونأمره بالمعروف وننهاه عن المنكر، ومن حقه ترك غشه وترك مدحه في الوجه، وترك منازعته وقتاله والدعاء له بالصلاح

والاستقامة، قال شيخ الإسلام: "وأما الحقوق العامة فالناس فرعان: رعاة ورعية، فحقوق الرعاة مناصحتهم" اهـــ.

ومن حق الإمام زجره عن الظلم وعن موالاة الظالمين قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود:١١٣] قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "إذا كانت هذه عقوبة من ركن إلى الظالمين فكيف بعقوبة الظالم نفسه" انتهى.

وحق المسلم علينا أن نكف عن دمه وماله وعرضه، فكل المسلم على المسلم حرام وأن نؤدي إليه ما قال ﷺ (حق المسلم على المسلم ست، إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه).

وكل من فعل شيئا من خصائص الإسلام وجبت له هذه الحقوق، ولا تسقط إلا ببينة أو حكم قضائي، وما أشبه ذلك، وإذا جاهر بغير الدين وجب نصحه بأفضل أسلوب مع الدعاء له بالهداية والتوبة، ثم نذكره بما قد يغفل عنه، وإذا أصر جادلناه بالتي هي أحسن.

ومن الكبائر تكفير المسلم، والتكفير له شروط وموانع يعرفها القضاة، وللعقوبة موانع عشرة ذكرها شيخ الإسلام ابن تيمية، ونحن واجبنا الدعوة إلى الله وليس تكفير المخالف.

ومن حق عامة المسلمين نصحهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والحرص على اجتماعهم وترك إثارة الخلاف بينهم، وإضمار الحب لهم، والأخوة لهم، كما قال ﷺ: (وكونوا عباد الله إخوانا)، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحُجُرات:١٠]، ومن حق المسلمين ترك الاستعداء عليهم أو الفرح بمصيبتهم، ومن حقهم أن نلتمس لهم العذر إذا بدا لنا من آرائهم ما هو خطأ ونجعل شعارنا "قولنا صواب يحتمل الخطأ، وقول غيرنا خطأ يحتمل الصواب"، وإذا كان لا بد من الاتهام فلنتهم أنفسنا ولا نزكيها مع إعذار

غيرنا إن جهل حكما أو جهل حال شخص أو جماعة أو حزب، وبيان الحق الذي نراه له دون طعن أو تجريح.

ونترك الإنكار على من خالفنا من المسلمين ومعه دليل، بل إن ترك الإنكار عليه قد يكون هو الموقف الصحيح، وكثيرا ما رجع الإنسان إلى قول كان يخالفه.

ومن حق كل أحد أن نعدل معه ولا نبخسه حقه، فكيف إذا كان مسلما؟

ومن المشروع في حق المسلم، أن علم أنه في كل يومٍ صدقة على كل سلامى منا (أي مفصل وهي ٣٦٠ مفصلا) ولذلك أنواعٌ كثيرة مذكورة في الحديث، وفي شرحه لابن رجب في جامع العلوم والحكم، كما ذكر في حديث آخر أربعين خصلة أعلاها منيحة الشاة، وهذا ما لا يوجد قطعًا عند الغربيين.

كما لا ننكر على أي مجتهد ونخرجه من السنة، وإن أخطأ في نظرنا وحسب فهمنا، وربما كان الموقف الشرعي هو إقرار الاجتهاد، وقد قال الإمام أحمد رحمه الله "الإخراج من السنة شديد".

والنبي ﷺ أقر من صلى العصر ببني قريظة، ومن صلاها ثم ذهب إليه، وأقر من صام أو أفطر في السفر، وأقر من قرأ القرآن بأي قراءة من القراءات، وأتم ابن مسعود الصلاة خلف عثمان رضي الله عنه وقال: الخلاف شر.

وقال بعض تلاميذ الخليفة الراشد علي بن أبي طالب له: "قولك في الجماعة أحب إلينا من قولك في الفرقة".

وكثير من السلف كان يصلي خلف الآخر وإن خالفه في المذهب أو الاجتهاد، ونص الفقهاء على أن من اجتهد في القبلة صلى حسب اجتهاده، وإذا كانوا جماعة واختلفوا في معرفة القبلة صلى كل واحد حسب ما يغلب على ظنه هو ولا يقلّد غيره.

وكل من اجتهد في معرفة الحق فهو معذور وقد يكون مأجورا.

ولا يعني ذلك السكوت عن الخطأ، لكنه لا يعني أيضًا اهام من نراه أخطأ.

والمسلم ولو كان مبتدعا خير من الكافر، نص على ذلك شيخ الإسلام، وكل عاقل يجعل من آمن برسالة النبي ﷺ وإن ضل أو ابتدع، خيراً ممن يزعم أنه كاذب مفتر على الله، وعلى ذلك درج السلف الصالح وأجمعت الأمة، فليس الخوارج مثلا كاليهود والنصارى!

كما أن من حق عامة المسلمين أن يكون المسلمون كلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر.

ولا نعترف بسياسات التفتيت ومشروعات التقسيم التي وضعها الصليبيون قديما وحاليا، فلا يكون التفتيت بحسب القومية كما فعل "سايكس" وزميله "بيكو"، ولا بحسب المذهب كما يريد الأمريكان اليوم.

وقد حرم الله تعالى غيبة المسلم، كما حرم النميمة وحرم البهتان، والقول بلا علم ولا دليل جليّ، وحرم القطيعة وذكر الرسول ﷺ، أن أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم، وأمر الله تعالى بالصلح بين المؤمنين وبالجماعة وترك التنازع والاختلاف.

ومن حق المسلم أن ننصحه ونعدل معه، ولا نمدحه في وجهه، ولا نكفره ولا نلعنه ولا نبيع على بيعه، ولا نخطب على خطبته.

ومن حق المسلم أن نعلمه إذا جهل، وليس في عقيدة أهل السنة والجماعة إطلاق القول أن الجاهل غير معذور، كما يقول بعض المتكلمين، نعم: الحجة تقوم بالعقل والفطرة، ولكن رحمة الله تعالى أوسع من ذلك فأرسل المرسلين مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ولهذا كثر في القرآن الكريم قول الله تعالى بنفسه أو على لسان ملائكته ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الأنعام:١٣٠] ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [الملك:٨]، وعلى هذه العقيدة كان شيخ الإسلام ابن تيمية في العديد من كتبه كما في "الجواب الصحيح" و"منهاج السنة" وغيرها.

ونهانا ﷺ أن نحتقر المسلم أو أن نغمطه حقه أو أن نحقّره أو نتكبر عليه، وجعل صلوات الله عليه حرمة المؤمن أعظم من حرمة الكعبة الشريفة على ما لها من حرمة وتعظيم.

وإن كان المسلم والدا فله حق الوالدين، وإن كان ولدا فله حق الأولاد ذكورا أو إناثا، وإن كان جارا فله حق الجوار، وإن كان قريبا فله حق القرابة، وإن كان زوجا أو زوجة أو مملوكا أو خادما أو أجيرا فله حق ذلك كله كما سيأتي بإذن الله تعالى.

ولكل مسلم حقه من بيت المال، وإن خالف رأي الحكام، والخليفة الراشد الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال للخوارج: "إن لكم علينا ثلاثا" وذكر منها "أن لا نمنعكم حقكم من بيت المال"، والآن يفصلون المخالف لهم في الرأي من عمله، مع أنه ليس من الخوارج، بل ربما سجنوا من يخالف رأيهم، وفصلوا من له علاقة بالمفصول.

والمسلم ليس معصوما من الشرك أو البدعة فضلا عن المعصية والخطأ والنسيان، بل يخاف الأنبياء من الشرك، كما قال إبراهيم عليه السلام مع أنه نبي معصوم: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، ويحذِّر الله منه أحب خلقه إليه، قال الله تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [الزُّمَر:٦٥]، هذا مع أن الشرك هو المنكر الأكبر الذي توعد الله أنه لا يغفره.

والمسلم قد يدخل تحت الوعيد، لكن يمنع من تحقق الوعيد به أسباب كثيرة ذكر شيخ الإسلام منها عشرة، وذكر أن بعضها من الله، وبعضها من مستحق الوعيد نفسه، وبعضها من الناس، وغاية الوعيد أن يكون جزاء لفاعله وقد لا يجازى، فقد يرجح ميزانه، وقد يشفع له النبي ﷺ وغيره، وقد يختم له بخير، وقد يكون في قلبه ما لا نعلم، وقد يعفو الله عنه.

والمهم أنه ليس عمل العلماء الربانيين والدعاة إلى الله تكفير هذا أو تبديع ذاك، وإصدار البيانات أو إفتاء السائلين فقط، بل يجب على كل أحد

أن ينكر المنكر، حسب المراتب الثلاث الواردة في الحديث، وأن يدعو إلى الله حسب الأساليب الثلاثة التي ذكرها الله، إما الحكمة مع الموافق، وإما الموعظة الحسنة مع الناسي، وإما المجادلة بالتي هي أحسن مع المخالف، كما ذكر ابن القيم في هذه الآية الشريفة، ويجب أن ننكر أي منكر وانحراف من أي إنسان كان ذلك، ولا نخشى إلا الله وحده، ونعلم أن الأذى حق، والابتلاء سنة لا بد منها، وقد ابتلي قبلنا الأنبياء، ولكن مع التقوى والصبر لا يضر شيء من ذلك، بل يضع الله الهيبة لمن يدعو إليه وينهى عن السوء، ويقذف الرعب في قلوب أعدائه.

ولا يجوز قتال المسلم ولا يجوز ما هو أقل من ذلك كسبابه، قال النبي ﷺ: (قتال المسلم كفر وسبابه فسق)، وقال ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض).

ولا يجوز بحال إعانة الكفار أو التحالف معهم أو الدخول تحت قيادتهم لقتال المسلمين وإن كان المسلمون أهل بدعة ومعصية.

وللعالم حق: وهو تقديره واحترامه وإجلاله كما كان ابن عباس وهو ابن عم رسول الله ﷺ يجل زيدا، ويقول "هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا"، ومن حق العالم أن ننصره ونقف معه إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وفي الحديث (ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه).

وهنا عند الحديث عن العلماء أرى من الواجب علي أن أذكر من علموني وأدعو لهم وكل من أفدت من علمهم، فجزاهم الله عني خيرا، وأحمد الله أنني أدعو لهم في كل فريضة:

وأولهم شيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، وكان يلقي دروسه في المسجد النبوي، وكان مهيبا جليلا يشبه الإمام مالك رحمهما الله، وكان عالما بارعا متبحرا في الفقه والأصول والتفسير والقراءات والشعر والمنطق والمناظرة، وله مؤلفات قيمة معروفة، وكان صريحا جريئا لا يخشى أحدا إلا الله، وينصح للملوك وللمسؤولين والعامة وكل أحد، وكان الشيخ الأمين

صديقا للأمير عبدالله بن عبدالرحمن عالم آل سعود، الذي تبرع بمكتبته لجامعة الإمام.

كما كان من مشايخي الشيخ محمد المختار الشنقيطي، الذي كان عالما في التفسير والعربية والفقه وكثير من العلوم، وهو ابن عم الشيخ الأمين، وكان صريحا جريئا متبحرا أيضا.

ومن مشايخي أيضا الشيخ أبو بكر الجزائري الذي كانت حلقته في آخر المسجد النبوي، وهو غزير العلم كثير الفوائد.

ومن مشايخي الشيخ حماد الأنصاري رحمه الله، وكان يدرسنا العقيدة وكان عالما بالمخطوطات والحديث.

ومن مشايخي أيضا الشيخ اللغوي عبد العظيم الشناوي، وكان يدرسنا النحو والصرف وقد اختاروه في لجنة طباعة مصحف المدينة النبوية.

وممن درسني أيضا الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد من الزلفي وقد درسنا الفقه.

وممن سمعت له الشيخ عبدالرحمن الفريان رحمه الله الذي كان رئيس جماعة تحفيظ القرآن بالرياض.

وكذلك سمعت من الشيخ أبي الحسن الندوي رحمه الله، والشيخ السلفي عبدالغفار حسن المحدث، وهو من باكستان وكان يدرسنا الأسانيد والحديث.

كما زرت الشيخ حمود التويجري رحمه الله وهناك قابلت أخاه عبد العزيز التويجري والد خالد، الذي قال لي إنه قومي عربي وحدوي، وكذا قال محمد سعيد طيب والله أعلم بحقيقة ذلك، ولكن المؤكد أن الأمة الإسلامية أعم من العرب بل إن العجم أكثر، وكلنا مسلمون ولله الحمد وأمة واحدة لا تفرقنا الشعوبية المصطنعة.

وممن زرتهم أيضا وأفدت منهم الشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي رحمه الله، وحدثني كيف حطم الطواغيت في اليمن ونجران وأبها والطائف وكيف

أنه لم يتول أي وظيفة، وكيف كذب عليه بعض الناس، وقد بلغني أنه كان مجاب الدعوة وأن الشيخ محمد بن إبراهيم كان يحبه وأنه أفتى رحمه الله بأن ذبائح من يدعون الجن لا تجوز، ومن المعلوم أن قول "خذوه، انفروا به" منتشرة، ولكن الشيخ محمد بن إبراهيم أفتى وهذه الفتوى مطبوعة مع فتاويه بأن قول بعض الناس "خذوه أو انفروا به" فيها رائحة الشرك، أما ذبائحهم فهي حلال أي أنه خالف الشيخ عبدالله رحمهما الله.

والفقه -والله أعلم- هو التفريق بين دعاء الجن وبين الدعاء على أحد بالجن، وترك ذلك كله هو الصحيح والسليم، وقد قل هذا الدعاء الآن ولله الحمد.

كما أفدت من الداعية الشيخ غلام أعظم وهو من بنغلاديش رحمه الله.

وممن قابلت أيضا وأفدت من علمه الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، بل ناظرته بتشجيع من شيوخي في ذلك الحين.

وكذا الشيخ عبدالله البسام، والشيخ عبدالله بن منيع، والشيخ عبدالله بن جبرين، والشيخ صالح بن غصون رحم الله الحي والميت منهم جميعا.

أما الشيخان الجليلان عبد العزيز بن عبدالله بن باز ومحمد بن صالح بن عثيمين فقد جالستهما كثيرا وأطلعاني على بعض أمورهما الخاصة.

كما قابلت الشيخ صالح الفوزان، وحضرت كثيراً للشيخ عبدالله بن محمد بن حميد رحمه الله، ويعجبني فيه فطنته وذكاؤه الحاد، وكان من عادته إعادة السؤال ثم الجواب عليه وفائدة ذلك لا تخفى.

كما كان من مشايخي الشيخ تقي الدين الهلالي من المغرب، والدكتور محسن من الهند الذي ترجم معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية.

ومن أساتذتي أيضا الدكتور محسن العواجي من الرس، وعلى يده تقويت في اللغة الانجليزية من وراء جدار، حينما كنت في الرياض.

وممن درسني الشيخ الشاعر محمد المجذوب من بلاد الشام رحمه الله، وكان يبكي إذا درسنا شيئا من السيرة النبوية، وقد ذكر الإمام مالك رحمه

الله أن هذا حال بعض المحدثين الأوائل رحمهم الله.

وفي مكة شرفها الله أشرف على رسالتي للماجستير "العلمانية" الشيخ محمد قطب، وناقشها الشيخ محمد الغزالي والدكتور محمّد محمد حسين رحم الله الجميع.

ثم حضّرت الدكتوراه وناقشني فيها الدكتور عبد العزيز قارئ والدكتور بركات عبد الفتاح دويدار.

وهنا أذكر أنني أفدت أيضاً من كتب الشيخ صالح الحصين رحمه الله، وقد كان أول أمره يضع القوانين للحكومة السعودية، ثم اتهمته أمريكا بضلوعه في الإرهاب لا سيما أحداث ١١ سبتمبر، وتبين للشيخ عيانا -وقد كان يجيد اللغة الإنجليزية- انهيار الحضارة الغربية وفقدها القيم والإيمان، وأنه لا يصلح للإنسانية إلا القيم الإسلامية العظيمة.

وأعتذر لمن لم أذكره لأني نسيت بعضهم، كما أني لم اقصد الاستقصاء، وعلى كل حال أنا أدعو لجميع المسلمين عامة ولكل من درسني خاصة والحمد لله.

وقد تبع الإمام أبا بكر المروزي تلميذ الإمام أحمد خلق كثير فقال له بعضهم: هذا علَمٌ رفع لك، فقال: بل هو علم رفع للإمام أحمد رضي الله عن الجميع، فالفضل للشيخ على التلميذ.

وللزائر أو الضيف حق، لا يعرفه من لا يؤمن بالآخرة، وحق الضيافة ثلاثة أيام، فما زاد فهو صدقة، وقد كان على هذه السنة المطاعم التي أنشأها العثمانيون والمحسنون، من اسطنبول إلى مكة.

وإن لم يعط الضيف حقه جاز له أن يأخذ ولو بالقوة، وعلى ذلك دلت السنة الشريفة، قال ﷺ: (أيما ضيف نزل بقوم فأصبح الضيف محروما فله أن يأخذ بقدر قراه ولا حرج عليه)، والأحاديث في ذلك كثيرة، وممن أجاز قتال الممتنع عن الضيافة الإمام محمد بن حزم الظاهري رحمه الله، وكل الأئمة الأربعة وأئمة السلف جميعاً إذا صح الحديث فهو مذهبهم.

وللمريض حق وهو عيادته والدعاء له والالتزام بالآداب الشرعية في زيارته، وله ما للمسلم من الحقوق، وقد تقدمت الإشارة إلى بعضها.

وتمريض المريض بمنزلة القتال في سبيل الله.

وقد أسهم النبي ﷺ لعثمان ﷺ مع أهل بدر مع أنه لم يحضر المعركة لانشغاله بتمريض زوجه بنت النبي ﷺ، وهذه درجة عالية لا وجود لها في أي مذهب أرضي قط.

وللذمي حق ومن ذلك: ترك أذاه فضلا عن قتله عياذا بالله، فقتله إخفار لذمة نبينا ﷺ، ومن حقه أن يبقى على دينه دون أن يدعو المسلمين إليه، وله كل ما أثبتته العهدة العمرية من الحقوق، وليس في ديننا ولله الحمد محاكم تفتيش ولا إكراه، وإن كان الذمي جارا فله مع ذلك حق الجار، وإن كان والدا أطيع إلا في المجاهدة على الشرك أو دعوته إلى معصية الله، وإن كان فقيرا جاز إعفاؤه من بيت المال، وإن كان كبيرا فله حق الكبير.

وقد اشترط شيخ الإسلام ابن تيمية إطلاق أهل ذمة المسلمين مع الأسرى المسلمين في كتابه لملك قبرص.

ولا يجوز قتل المعصوم لمجرد كفره، بل إن موسى عليه السلام قال لما قتل القبطي: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥]، ثم استغفر الله من هذا الذنب، ولو كان كل كافر يجوز قتله لما جاز لنا ترك الرهبان في صوامعهم، ولا عقد الذمة مع كافر، ولا ترك المرأة الكافرة إذا لم تقاتل.

ومن حق الكافر أو المشرك أن ندعوه ونبين له محاسن الإسلام، ونقرأ عليه القرآن ثم نبلغه مأمنه، ولا يجوز ترحيل المشرك المستجير إلى بلده إن لم يكن مأمنه، فكيف بالمسلم وإن كان جانيا، وبعض الدول الغربية اليوم لا ترحِّل أحدا إلى بلده، إذا كان بلده قد يقتله، وهذا بعض الحق، أما ما أمر الله به وهو الحق الكامل فهو أن يبلَّغ الإنسان مأمنه في أي بلد كان.

وللكبير حق، قال ﷺ: (ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه).

وللصغير حق كما تقدم في الحديث آنفا، ومن حق الصغير إذا كان ولدا ذكرا أو أنثى أن يحسن الأب اختيار أمه، وأن يحسن والد الصغير تربيته وتعليمه، وأن يعوِّده على الصلاة والصيام والحجاب، وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ومن حق الصغير أن يحسن والده اسمه، وهنا ننبه إلى أنه لا يجب تغيير الاسم بعد الإسلام، إلا إذا كان معبّدا لغير الله كعبد المسيح وعبد الحسين، ومن حق الصغير أن يُعق عنه: عن الذكر شاتان وعن الأنثى شاة، ومن حق الرضيع أن يستأجر له أبوه من يرضعه إما أمه وإما غيرها، وإن كان الأب فقيرا وجب كفالة الرضيع من بيت المال، وقد قال عمر ﷺ: "لا تعجلوا أبناءكم على الفطام فنحن نعطي كل مولود في الإسلام إن شاء الله"، ولا يجوز أن يترك المسلمون طفلا في فلسطين أو غيرها بلا حليب.

وللزوج حق عظيم على زوجته كما هو مبين في الكتاب والسنة، ومن ذلك قوله ﷺ: (لو كنت آمرا أحدا من الناس أن يسجد لأحد، لأمرت الزوجة أن تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها).

وللزوجة حق على زوجها وهو الإنفاق عليها والإحسان إليها، قال النبي ﷺ: (خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهله)، ومن حقها العدل إذا تزوج عليها، أو الصلح معها، وسيأتي لذلك مزيد إيضاح بإذن الله.

وللمجاهد حق، ومن حقه الدعاء له وإخلافه في أهله بخير، وإذا بلَّغه الله الشهادة أن يحسن الباقون إلى أهله، قال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء:٩] الآية، وقال النبي ﷺ: (من خلف غازيا في أهله بخير فقد غزا).

وللنفس حق ومن حقها -بل هو أعظمه- الخوف عليها من عذاب الله، والخوف من النفاق، ومن حقها الزواج، ومن ذلك الفطر أحيانا، وترك الرهبانية والحياة بلا زواج.

وكان السلف الصالح أشد الناس معرفة لحق الله تعالى وتقصير النفس وازدرائها، حتى أن بعضهم وصف نفسه بأنها مأوى كل سوء، وقال بعض

السلف -إما الحسن البصري وإما غيره-: "لقد أدركنا قوما ما كنا بجانبهم إلا لصوصا"، وقال محمد بن واسع الأزدي رحمه الله لابنه: "وأبوك فلا كثر الله في المسلمين من أمثاله"، وهكذا كان السلف الصالح، أما نحن الخلف فنحرص على الألقاب والشهادات ونزكي أنفسنا بما ليس فيها.

وقيل لبعض السلف وهو زهير البابي: "يقولون إنك زنديق قال: زنديق لا، ولكني رجل سوء". وسيأتي لتزكية النفس بقية بإذن الله، وكان عمر ﵁ -وهو الذي أمرنا النبي ﷺ بالاقتداء به، وله المناقب والفضائل المشهورة، بل إن النبي رأى قصره في الجنة- كان يخاف على نفسه من النفاق، وسأل صاحب سر النبي ﷺ حذيفة "هل سماني رسول الله من المنافقين؟ قال حذيفة: لا ولا أزكي أحدا بعدك".

وقال ابن أبي مليكة: "أدركت ثلاثين -وفي رواية ثمانين- من أصحاب النبي كلهم يخشى على نفسه النفاق".

وكلام السلف في ذلك كثير ليس هذا موضعه، والمقصود أن السلف الصالح كانوا أبعد شيء عن تزكية النفس بقول أو عمل أو لقب، وعلينا نحن الخلف أن نستغفر لهم ونحبهم ونقرأ سيرهم لنقتدي بها، لا سيما ما جمعه الذهبي في "سير أعلام النبلاء".

ومن الحقوق الإسلامية: حق الفقير والمسكين، وهذا من الحقوق التي حث عليها الشرع الحنيف وأهملها أو ضادها الغرب، ولذلك كثر عندهم المشردون والفقراء.

ومما لا يعرفه الغرب بركة إعطاء المسكين ودعائه لمن أعطاه، وأنه ما نقص مال من صدقة، فيجب شرعا أن يعطى الفقير والمسكين من الزكاة ومن صدقة الفطر ومن الكفارات ومن الفدية ومن غير ذلك.

وقال جل شأنه: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان:٨]، وهي آية أنزلها الله تعالى قبل فرض الجهاد، وكان الأنبياء كلهم يشفقون على المسكين ويرحمونه، ولنبينا محمد في ذلك ما لا يحده وصف، وحسبك أنه

سأل الله أن يحييه مسكينا ويميته مسكينا ويحشره في زمرة المساكين، ودعا ربه أن يجعل رزق آل محمد قوتا، وكانت حياته ﷺ ومعيشته، في غاية التواضع والمسكنة.

وقال ﷺ: (إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم)، فجعل الرزق بسببهم، عكس ما يظنه الغرب، حيث رأى بعضهم ومنهم دعاة "المالتوسية" ضرورة التخلص من الفقراء ولو بقتلهم، واتخذت الداروينية ذلك حجة في أن البقاء إنما هو للأقوى وهم الأغنياء، وفي تاريخ النازية أن هتلر كان يقتل الجريح النازي!

وأذكر أن أحد المشردين في "نيويورك" كان يمد يده للمارة فلما أعطاه بعض المسلمين دولارا فرح به جدا وقال: شكرا يا رب.

والمشردون في أمريكا والغرب كثيرون ولا مأوى لهم ولا يعطيهم أكثر أولئك الكفار، وإن أعطاهم أحد فمن سقط العملات وأقلها غالبا، والفقر هناك كثير، والإحصاءات الغربية نفسها تدل على أن نسبة ذلك كبيرة، وهذا غير نسبة البطالة، وفي آخر الإحصائيات الأمريكية قالوا إن ٤٠% من الأمريكان تحت خط الفقر.

وحق اليتيم من الحقوق الشرعية التي لا يراعيها كثير من الناس، والله تعالى حث على ذلك كما تقدم، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٧-١٨]، وقال جل شأنه: ﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد:١١-١٦]، وذكر جل شأنه أن أصحاب الجنة يسألون أصحاب النار ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدّثر:٤٢] فيجيبون ﴿لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر:٤٣-٤٤] الآيات، والصحيح كما في هذه الآية أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة.

وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الماعون:١-٣] واليتيم وكذلك الفقير والمسكين مكفولون في الإسلام، إما من الزكاة وإما من بيت المال، ولهم حق كل مسلم وزيادة، وأهل الخير والإحسان يعطونهم ولا يجوز قتلهم وديننا الحنيف ينهى عن أذاهم بأي شكل كان، واليتامى إخواننا بنص كتاب الله ﴿وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ﴾ [البقرة:٢٢٠] والأخ لا يقتل أخاه ولا يؤذيه.

والمسكين لا يسقط حقه حتى لو افترى أو كذب يعطيه أهل الخير، ولمعطيه الأجر والمغفرة من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[النور:٢٢]، وهذه الآية الكريمة من سورة النور نزلت لما آلى أبو بكر الصديق ألا ينفق على مسطح، الذي خاض في حديث الإفك، فلما نزلت الآية قال الصديق: "بلى والله إني أحب أن يغفر الله لي" وأعاد النفقة إلى مسطح.

ومن حق المسكين إكرامه وإعطاؤه، وقد عانى التابعي المشهور الربيع بن خثيم من شدة الجوع، ثم قال لأهله أشتهي دجاجة مشوية فاشتروا له دجاجة وشووها، فلما أراد الأكل جاء مسكين بالباب، فقال الربيع ادفعوا إليه الدجاجة والخبز، فقالت امرأته عندنا ما هو خير له من ذلك وأنت تأكل ما تشتهي، قال وما عندك؟ قالت دراهم، قال أحسنتِ فهاتيها، فلما أعطته الدراهم وضعها على الدجاجة والخبز وأعطى السائل كل ذلك.

والأسير له حق وإن خالفنا في الدين، وقد تقدمت الآية في ذلك، وعلى هذا فلا نحتاج إلى اتفاقيات جنيف بشأن الأسرى أو المدنيين، وهل معاملة اليهود قاتلهم الله لإخواننا الفلسطينيين تتفق مع ذلك سواء معاملة الأسرى أو معاملة المدنيين؟

بل إن الكافر المحارب لنا له حق، ومن حقه الوفاء بعهده كما أمر الله، وترك قتل الرسل، ومن الرسل السفراء اليوم، ومما يجب مراعاته في الجهاد ألا

يقتل المسلمون المرأة التي لا تقاتل ولا الأطفال ولا المماليك ولا الرهبان الذين لا يقاتلون، وقد قال "غوستاف لوبون": "ما عرف التاريخ فاتحا أرحم من العرب" أي المسلمين، ولم يقل "لوبون" ذلك إلا بعد دراسة وتمحيص، فقد كتب عن الحضارات القديمة وعن اليهود وعن الفتوحات الإسلامية ثم خرج بهذا الاستنتاج.

والنبي ﷺ في معاركه مع المشركين لم يقتل هو وجيشه إلا نفرا قليلا، وأكثر من قتل ﷺ هم اليهود، ويهود بني قريظة خاصة، لأنهم نقضوا العهد ولم يكونوا جيشًا مقاتلاً بل كانوا مواطنين يتمتعون بكل ما يتمتع به رعايا الدولة الإسلامية لكنهم نقضوا العهد وانضموا إلى المشركين -الأحزاب- في أشد الأوقات محنة وزلزلة كما في سورة الأحزاب، ثم نزلوا على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم فيهم بالقتل.

وللقتل أساليبه المشروعة التي ما عداها خطأ، وقد خالف ابن عباس رضي الله عنهما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه في إحراقه للزنادقة وجاهر بذلك.

وما دمنا بصدد الحرق فإنه يجب أن ننكر ما فعلته أمريكا في "هيروشيما" و"ناجازاكي" حيث أحرقت مئات الألوف، وألقت القنابل على المستشفيات وأحرقت الملايين في أمريكا الجنوبية والفلبين وفيتنام وكوريا الجنوبية، وكذلك ما فعلت في "دوسلدروف" الألمانية.

كما أحرقت المسلمين في قلعة "جانجي" في أفغانستان وفي مطار بغداد، وأينما حلت أمريكا واعتدت، وتبعها جنرالها السيسي فأحرق المصريين في "رابعة" و"النهضة" وسيناء وكثير من المحافظات المصرية.

كما أحرق بشار بالبراميل المتفجرة والصواريخ والقنابل في كل محافظات بلده، وأحرق الرافضة عشرات القرى أو المدن، ومن ذلك ما فعلوه في ديالى والفلوجة وتكريت والحويجة وجرف الصخر.

وبالجملة لا يكون قصف جوي إلا بحرق، ونحن نرى النار أو الدخان عيانا فلماذا الكيل بمكيالين؟

وعلى هيئة كبار العلماء أو اللجنة الدائمة أن تصدر فتوى محررة في ذلك وإنا لمنتظرون.

وللأرملة حق وهي مكفولة من بيت المال، وإن كانت فقيرة فتأخذ من الزكاة، وإن كان زوجها شهيدا وجب الإحسان إليها كما تقدم، وإن كانت أيِّما دخلت في قوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ﴾ [النور:٣٢] وإن لم يكن لها ولي، فوليها القاضي المسلم، ولذلك تفصيل في مبحث قضية المرأة.

ومن الحقوق التي حث عليها الدين وأوصى بها النبي ﷺ حق المملوك، ومن ذلك أن يطعمه مولاه مما يطعم نفسه، ويلبسه مما يلبس، ولا يشق عليه، ويعينه إذا كلفه بما لا يطيق.

وكان من آخر ما أوصى به النبي ﷺ أصحابه (الصلاةَ الصلاة وما ملكت أيمانكم)، ومن حق المماليك أن يباعوا إذا لم يرض بهم المالك ولا يُعذبوا، كما قال ﷺ، وحرم صلوات الله وسلامه عليه أن يسترق حر، كما كان الأمريكيون يصطادون الناس، ويسمونهم عبيدا، ويحشرونهم في السفن، ويشغِّلونهم في المزارع، ويقطعون أقدامهم، ويطعمونهم الجيف والخنازير، ويسقونهم الخمر، ويرون ذلك فضلا وإحسانا ويتبعونه بالمن والأذى، وكما فعل المستعمرون كافة، حين استرقوا شعوبا بأكملها وآذوها ونهبوا خيراتها، وقاتلوها حتى أفنوا بعضها، ويبحرون في بحر العرب أو الخليج، فإذا قاومهم أهل عمان أو اليمن أو القواسم قالوا عنهم: قراصنة، برابرة، همج، ولم يسألوا أنفسهم ما الذي جاء بهم من بلادهم!

ومن الحقوق التي كفلها الإسلام ولا يعرفها الغربيون حق الجوار، ففي كتاب الله: ﴿وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ [النساء:٣٦]، وقد نفى رسول الله الإيمان عمن بات شبعان وجاره جائع وهو يعلم، وإن كان الجار مسلما فله حقان حق الجوار وحق الإسلام، وإن كان قريبا فله ثلاثة حقوق حق

الإسلام وحق القرابة وحق الجوار، وإن كان ذميا فله حق الجوار، وقال ﷺ: (ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه)، وفي سيرة الإمام أبي حنيفة رحمه الله، أن جارا له كان يشرب الخمر ويغني:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ** ليوم كريهة وسداد ثغر

ولما قبض عليه الجنود أطلقه الإمام أبو حنيفة وقال له أرأيت أنا لم نضيعك؟

ومن الحقوق أيضا حق القرابة وأعظم القرابة قرابته ﷺ، كما تقدم. وقد قال صلوات الله عليه: (كل نسب أو صهر منقطع يوم القيامة إلا نسبي وصهري)، والقرابة لها تأثير، وقد جاء في كتاب الله ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ [الكهف:٨٢] وفيه ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الطور:٢١] وفيه ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، وقال أبو بكر ﷺ: "لقرابة رسول الله أحب إلي أن أصل من قرابتي"، وعمر ﷺ لما خرج للاستسقاء قال: "اللهم إنا كنا نستسقي برسولك ﷺ، وإنا اليوم نستسقي بعم رسولك ﷺ" وأمر العباس أن يتقدم فيدعو، مع أن عمر ﷺ خير وأفضل من العباس، وكذلك كان في الصحابة من هو أفضل منه، وكان عمر ﷺ يبدأ في القسمة بأمهات المؤمنين، ثم قرابة النبي ﷺ وأحب الناس إليه، ثم سائر المسلمين، ومنهم هو وذريته، ولما أشار عليه بعض الصحابة أن يبدأ بنفسه وقرابته قال: لا، بل نبدأ بأمهات المؤمنين ... إلخ، فمن كان يحب الله فليحب رسوله ﷺ، ومن كان يحب رسوله ﷺ فليحب أهل بيته).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "واتباع القرآن واجب على الأمة" إلى أن قال: "وكذلك أهل بيت رسوله ﷺ تجب محبتهم وموالاتهم ورعاية حقهم، وهذان الثقلان اللذان أوصى بهما رسول الله" ثم ذكر حديث الثقلين المعروف، وفيه قال ﷺ بعد الوصية بكتاب الله: (وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي) وذكر الجملة الأخيرة ثلاثا، ثم قال شيخ الإسلام: "ولهذا اتفق أهل السنة والجماعة على رعاية حقوق الصحابة والقرابة".

وبعد شيخ الإسلام قال الحافظ ابن كثير: عند قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]: "ولا ننكر الوصاية بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم، واحترامهم وإكرامهم، فإنهم من ذرية طاهرة، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا ونسبا وحسبا، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية"، أقول: وهل جاءنا خير في الدنيا والآخرة إلا عن طريقه ﷺ؟ فكيف لا نحب أهل بيته ونقدمهم على أنفسنا؟

والمؤسف أن الرافضة اليوم يدعون أهل البيت الشريف إلى دينهم الباطل من خلال الإحسان إليهم وادعاء محبتهم.

وبعض من أغناه الله من المسلمين، يقدِّم قرابته على قرابة الرسول ﷺ، وبعض الحكومات تعطي ما يسمى المخصصات لقرابة فلان وليس للقرابة النبوية.

وعلى نهج أبي بكر وعمر سار الصحابة رضي لله عنهم، فينبغي حب كل ما يمت له ﷺ بأي صلة.

وقد قال سفينة مولى رسول الله ﷺ للأسد: يا أبا الحارث، أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، فبصبص الأسد بذيله وأشار إلى الطريق، هذا وهو حيوان فكيف بنا معشر البشر.

وأنس خادم النبي ﷺ كتب إلى بعض الخلفاء: "لو قيل لليهود أو النصارى هذا خادم موسى أو عيسى لأجلّوه" إلخ.

وأبو هريرة رضي الله عنه قال: (ما زلت أحب بني تميم لثلاث -وذكر منها- ولما جاءت صدقاتهم قال النبي ﷺ: هذه صدقات قومنا).

وعبدالله بن جعفر الطيار اعتنى ببغلة النبي ﷺ "الدلدل" بعدما كبرت وضعفت، والإمام أحمد رضي الله عنه عفى عمن جلده من الخلفاء لقرابته من النبي ﷺ، وحقه ﷺ على أمته عظيم جدا، ومن لم يدركه كحالنا اليوم وجب عليهم حق قرابته وأهل بيته الشريف.

وقرابة النبي ﷺ منهم الصالح والطالح مثل كل قرابة أو قبيلة أو قوم،

ولكن ينبغي الإحسان إلى قرابته جميعا فكل هذه الدنيا زائلة ومتاعها قليل ولا تعدل عند الله جناح بعوضة، ومن فقد منهم المتابعة، بقي فيه شرف القرابة، وقد قال الله تعالى عن الخضر ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف:٨٢] فكيف بأصلح البشر جميعا صلوات الله عليه.

وقد أخبر تعالى عن نوح عليه السلام بقوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧]، وقال عن خليله إبراهيم: ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ﴾ [العنكبوت:٢٧] فكيف نضيّع نحن ذرية نبيه الكريم ﷺ؟

وأوصى صلوات الله وسلامه عليه بقرابته الشريفة مع كتاب الله تعالى، فيجب العمل بوصيته خصوصا مع الصالحين من قرابته، وإذا جعلنا الصلاح سببا لزيادة العطاء صلحوا كلهم بإذن الله، وقد ساءني جداً أن يكون مدير مباحث بعض المناطق من القرابة، وقلت له أنت أولى مني أن تكون داعية، وأنا أولى منك أن أكون في المباحث عياذا بالله.

وأسوأ معاملة للقرابة النبوية هي تركهم والتخلي عنهم وإكرام غيرهم، كما قال دعبل الخزاعي:

بنات زياد في القصور منيعة ** وبنتُ رسولِ الله في الفلوات

ومن فضل القرابة عامة، ما ورد في الحديث (إن العبد ليرفع في الدرجة من الجنة فيقول ما هذا؟ فيقال له: هذا باستغفار ابنك لك)، ومع أن خير القرابة هم قرابة النبي ﷺ نوصي قرابته الشريفة بتقوى الله، والدعوة إليه واتباع النبي في كل شيء، وأن يكونوا من الزاهدين في هذه الدنيا الفانية، كما كان ﷺ، وقد قال زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين: "ليس لنا أن نبني من سهمنا قصورا ولا أن نركب البراذين"، والسهم الذي يقصده هو سهم ذوي القربى، وبعد أهل البيت تأتي قريش عامة وقد قال بعض الملاحدة في رواية له: "محمد ونعم ولكن قريش ما دخلها"، نسأل الله أن يهديه ويتوب عليه، وكيف نقول ما دخلها ومنها أبو بكر وعمر، ولسنا روافض.

وقوله هذا ليس بجديد، فمن قبل تمنى بعض الناس هلاك قريش ولذلك قال عبدالله بن قيس الرقيات:

أيها المبتغي هلاك قريش ** في يد الله هلْكها والبقاءُ

علما بأن مجرد القرابة لا ينفع عند الله، بل يجب معها التمسك بسنته الشريفة، وهديه وطاعة أمره، وقد قال الشاعر العربي:

إذا افتخرت بآباء لهم شرف ** قلنا صدقت ولكن بئس ما ولدوا

على أن العترة الطاهرة أولى بالمخصصات، وفاسقهم أولى من فاسق غيرهم.

وبعد قريش سائر العرب رغم أنف الشعوبية!

وبعد حق آل البيت يأتي حق الخلفاء الراشدين وذريتهم المباركة مثل آل الصديق أو البكري وآل عمر ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين، ثم بقية الصحابة الكرام، ثم ذرية الأعلام المجددين كآل الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، وهكذا، ثم الأتقى من المسلمين عربهم وعجمهم، أما الكفار فيستبعدون مطلقا سواء كانوا من أمريكا أو من بريطانيا أو من فرنسا أو من أي دولة في الشرق والغرب، إلا بذمة أو عهد في غير جزيرة العرب.

ومن الحقوق الواجبة صلة الرحم: فقد جاءت لعنة قاطعها في ثلاثة مواضع من كتاب الله، منها قوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾ [محمد:٢٢-٢٣]، وجاء في السنة أن الرَّحم اشتقت من اسم الله الرحمن، وأنها شجنة، منه وأن الله تعالى يصل من وصلها ويقطع من قطعها، والأحاديث في ذلك كثيرة معروفة.

ومن الحقوق الشرعية حق الخادم أو الخادمة، ومن حقهم على من يستقدمهم أو يستخدمهم أن يرفق بهم ويحسن إليهم وأن يعطيهم حقهم، وأن لا يكلفهم ما لا يطيقون، فهم إخواننا في الدين على الأقل، ومن ذلك أن يطعمهم المرء مما يأكل وأن يلبسهم مما يلبس، وقد رأى رجل أبا ذر ﷺ

ومعه مولى له يلبس كلباس أبي ذر فسأل أبا ذر رضي الله عن ذلك فقال أبو ذر: "إن رسول الله أمرنا أن نطعمهم مما نطعم وأن نلبسهم مما نلبس"، والمولى هو المملوك فينبغي احترام من يقوم مقامهم كالخدم اليوم.

وينبغي للمخدومة أن تعلّم خادمتها القرآن وأحكام الدين، وتحبب إليها اللغة العربية، وبعض الخادمات عادت لبلدها داعية، وبعضهن فتحت حلقات أو مدارس لتحفيظ القرآن، وبعضهن شهادتها أعلى من شهادة المخدومة، وبعضهن قد تكون معرفتها للدين إجمالية، وما قد نحتقره أو نستصغره من أعمالنا وأقوالنا حجة عندهم.

وقد أخبرني بعض العلماء أن الناس في إندونيسيا إذا خرجوا من المساجد يشربون الشيشة "النرجيلة" ويقولون: هكذا رأيناهم عند الحرم! فهل يصح لنا مع هذا أن نضع جوائز للعبة البلوت؟

ومن الحقوق أيضا حق الأجير: وبعض البلاد تسميه عاملا وبعضها يسميه شغالا، وأيا كان اسمه فمن حقه أن يعطى أجره قبل أن يجف عرقه كما في الحديث.

ومن حق العامل ألا يُحتقر وأن يعامل بما أمر الله، وبعض العمال عالم وبعضهم كبير القدر في قومه، وبعضهم يحفظ كتاب الله، وبعضهم صحفي، وبعضهم مراسل، وبعضهم كاتب وبعضهم برتبة عالية بالجيش، وبعضهم طبيب وبعضهم جاسوس، وبعضهم مزوِّر وبعضهم لص، وهكذا، وبعض الكوريين هنا كتب إلى صحيفته أن من عادات المسلمين وضع قطعة من الخشب في أفواههم يعني السواك، ومع ذلك فإن شركتهم "سامسونج" لها فروع هنا ومبيعات، وبعض الفلبينيين قال لي إنه معارض لحكومته وذكر بعض أعمالها وأعماله، والمهم أن نعلم أنه ليس العامل أو الخادم أو الخادمة أغبياء، أو مجرد طالبين للمادة. أما الكفار فلا يجوز استقدامهم، وفي استقدامهم أو استخدامهم مضار كبيرة على الأبناء هنا، وعلى المسلمين في بلادهم، وعلى من يتعامل معهم.

ومن الخير للمستأجر أن ينمى مال الأجير، كما في قصة الثلاثة الذين وقعت عليهم الصخرة فسدت باب الغار، وكل عمل ينقلب بالنية المخلصة إلى قربة، وقد كتب الله الإحسان على كل شيء وأوصى بالرحمة والرفق ونهى عن الظلم.

وإذا كان الأجير موظفا حرمت عليه الرشوة، ومن الأمراض الشائعة لدى كثير من الناس قولهم لا تعمل في الجهة الفلانية فليس لك إلا راتبك!

وللأعمى حق ومن ذلك دلالته على الطريق كما في السنة، وإن احتاج إلى قائد تكفل له به بيت المال.

وبعض خلفاء بني أمية أعطى كل أعمى قائدا، ويحرم إضلاله عن الطريق.

وللأصم أو الأبكم حق، ومن ذلك تفهيمه حتى يفقه، وله كل حقوق المسلم!

ومن ذلك أنه يكفله بيت مال المسلمين إن كان محتاجا، وقد سبق الإسلام الغرب الذين يسمون المعوقين ذوي الاحتياجات الخاصة، وليس ذلك تكرماً من أحد، بل هو حق يجب أن يؤدَّى.

وللطريق حق، وقد قال ﷺ: (أعطوا الطريق حقها، قيل وما حقها؟ قال: غض البصر ورد السلام وإرشاد الضال والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)، ومن ذلك إماطة الأذى عن الطريق، وقد يكون الأذى غصن شوك أو حجرا كما جاء في الحديث، وقد يكون غير ذلك.

وهذا الحق أعظم من أن يكون دلالة على التحضر، حيث تكتب بعض البلديات إنه سلوك حضاري، ولا تكتب الحديث النبوي.

وللشريك حق، ومن حقه على شريكه أن يبلغه بإرادته البيع ومقداره، ثم يختار شريكه إما أن يأخذ بحقه في الشفعة وإما أن لا يأخذ، ومن حقه كذلك الوفاء معه، وترك خيانته، والتعامل معه بالأمانة والمعروف.

ولصاحب الضالة حق، وهو أن يعرف واجدها الوكاء والعفاص أو أي

وصف للضالة، ويعرّفها الواجد لها مدة سنة، ولقطة مكة لا تلتقط، ويدع ضالة الإبل لا يأخذها.

أما حق الحياة فهو محفوظ في الإسلام، فلا يجوز قتل النفس المعصومة البريئة بحال من الأحوال، كما حرّم الإسلام قتل النفس وهو ما يسمى اليوم "الانتحار" وله في الغرب عيادات وكتب تعلمه، والمؤمن يرضى بقضاء الله وقدره، ويعلم أن في البلاء خيرًا له بل يحمد الله عليه.

وربما كتب الله الشفاء لمن قرر الأطباء عدم شفائه، وربما كان الموت خيرًا من الحياة لكن لا يستعجله هو.

وفي سير بعض السلف أن المرض عندهم خير من الشفاء، وأن الموت أحب إليهم من الحياة، وهذا لا نظير له في الغرب.

ولصاحب الميثاق والعهد حق وهو وجوب الوفاء له كما أمر الله ورسوله وتحريم الغدر به قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١]، وقال: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال:٥٨]، وقال: ﴿وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾ [الأنفال:٧٢]، وجعل صلوات الله عليه الغدر في العهد من خصال النفاق وعلاماته وكان يوصي قادته بترك الغدر، وكذلك فعل خلفاؤه من بعده، وبين عليه الصلاة والسلام أن أعظم الغدر غدر أمير عامة، ولذلك صاح عمرو بن عبسة على معاوية بن أبي سفيان ﷺ "اليوم يوم وفاء لا غدر".

وللميت حق: ومن ذلك تغسيله والمشي في جنازته، -والأفضل زيارة قبره- والاستغفار له والدعاء للموتى بما ورد في السنة، وإن كان الميت والدا فليبر الابن أصدقاءه، كما أن من حق الوالدين عليه بعد موقما، صلة الرحم التي لا توصل إلا بهما، ومن حق الميت ألا يذكر بسوء، وينبغي تعزية أهل الميت، وتسليتهم، وصنع الطعام لهم.

ومن الحقوق: حق الحيوان، وفي ذلك أحاديث كثيرة يصعب حصرها، ومن حقه الرفق به والإحسان إليه حتى في القتلة والذبح، وترك كيِّه في

الوجه، أو لعنه أو التمثيل به، ومن حقه رحمته فلا يجهده صاحبه ولا يتعبه، أو ينقص غذاءه، وأن يطعمه ويسقيه، وقد غفر الله لبغي من بغايا بني إسرائيل لما سقت كلبا كما في السنة، ودخلت امرأة من حمير النار لما حبست هرة، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض.

ومن حق الحيوان: ألا يتخذ غرضا، ومن حق الحيوان معاملته بالعدل، وقد أوحى الله إلى نبي من أنبيائه أحرق بيت النمل كله (أأن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح الله، فهلا نملة واحدة) كما جاء في السنة النبوية، أي التي لدغته فقط، وكره بعض السلف صيد الطير أيام فراخه، وقد جاءت حمّرة تشكو إلى النبي ﷺ فقال: (من فجع هذه بفراخها).

ولابن السبيل حق، ومن ذلك أن يأكل أو أن يحلب غير مفسد، ولا يحمل شيئا من الثمر أو الحليب، وله ذلك بغير إذن من أحد إن لم يوجد حارس أو راعٍ، ومن حق ابن السبيل أن يعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده إن كان مسافرا.

ومن حق من تحمل دينا لإصلاح ذات البين أن يعطى مالاً يسدد به دينه، وهذا مما لا وجود له في الغرب المادي المتأخر.

وللجن حق لا يعرفه من لا يؤمن بالله، ومن ذلك أن ما نرمي من العظام هو طعامهم، وما تخرجه دوابنا هو طعام دوابهم، كما وعدهم النبي ﷺ.

ومن ذلك تعليمهم ودعوتهم إلى الله كما فعل ﷺ، ولا يصح أن يعتقد المسلم فيهم ما ليس فيهم، كما يفعل أهل الخرافة والدجل، وفي مبحث العلم تفضيل أكثر لمن أراد.

ومن الحقوق حق السجين: وقد ذكر النبي في خطبة الكسوف أنه (رأى امرأة حميرية في النار لأنها ربطت هرة -أو هرا- فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض)، فيجب إطعام السجين ولا يجوز تعذيبه فقد يكون بريئا، وقد يكون أسيرا فله حق الأسير، ومن حق الأسير

ألا يفرق بينه وبين أهله لا سيما التفريق بين الوالد وولدها، قال ﷺ: (من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة)، رواه الترمذي والحاكم والدارمي وغيره، وإن لم يكن السجين مسلما فله حق الآدمية التي ذكرها الله في كتابه.

وللإمام في الصلاة حق، ومن حقه متابعته وليس مسابقته أو موافقته، وكل من صحت صلاته صحت الصلاة خلفه، ومن البدع المحدثة أن لا يصلي المسلم إلا خلف من يعلم عقيدته، فالصحابة رضي الله عنهم صلوا خلف أئمة الجور، وصلى الإمام أحمد رحمه الله خلف الجهمية، وإذا أخطأ الإمام أو قصر في شيء وجب نصحه.

كما أن للمأموم حق ومن حقه أن لا يطيل عليه الإمام في القراءة، وقد أنكر النبي ﷺ على معاذ لما أطال فقال له: (أفتان أنت يا معاذ)، ومن شفقته ورحمته ﷺ أنه يدخل الصلاة بنية أن يطيل فيها فإذا سمع بكاء الطفل خففها شفقة بأمه، وإذا صلى المرء لنفسه فليطوِّل ما شاء كما أخبر النبي ﷺ.

ولصاحب الدَّين حق: ومن حقه أن يقضي المستدين دينه، ويوفيه حقه، ويحسن قضاءه متى تمكن من ذلك، وليُّ الواجد ظلم، كما في الحديث، وليس هذا الليُّ من الوفاء بالعقود الذي أمر الله به، والله تعالى يعين من أخذ حقوق الناس يريد قضاءها، وهو جل شأنه يغفر للشهيد كل شيء إلا الدَّين.

وكان ﷺ لا يصلي أول الأمر على من مات وعليه دين، ولما وسّع الله عليه قال: (من ترك دينا فعليَّ قضاؤه)، وهذا مما لا تعرفه الدول المتأخرة لا سيما من كان في أمريكا وأوروبا.

ومما تنفرد به الشريعة الإسلامية أنها علَّمت المسلمين الأذكار والآداب، ومن ذلك أذكار الصباح والمساء، وقد قال الإمام الأوزاعي: "إن ما قبل الزوال صباح وما بعده مساء"، وأذكار دخول المترل أو الخروج منه، وأذكار دخول المسجد أو الخروج منه، وأذكار الطعام وأذكار دخول الخلاء أو الانتهاء من قضاء الحاجة، وأذكار الجماع، وأذكار لبس الجديد، ومن تزوج

امرأة أو اقتنى دابة، وأذكار النظر في المرآة، وأذكار الركوب والسفر، كما علَّمت كيف يكون الدعاء، ونهت عن الاعتداء والعجلة فيه، وبيّنت أوقات الإجابة ومن الذي لا ترد دعوته، وكل ذلك لا يعرفه الغرب المظلم، وأعظم ذلك أنه لا يدعو أحدا إلا الله تعالى، وعلمت الشريعة الغراء دعاء الكرب، ودعاء الشفاء بإذن الله، وكيفية الرقية وماذا يقول الراقي أو العائذ.

ومع أداء الحقوق لأهلها فإن للمسلم آدابًا ينبغي له التزامها والمحافظة عليها، ومن ذلك آداب النظر والاستئذان وآداب السلام، وآداب الزيارة، وآداب الدخول والخروج من المسجد أو المترل، وآداب الإمامة، وإذا كان زائرا فلا يؤم إلا بإذن صاحب الدار، وآداب العطية أو الهبة، وآداب الصدقة، وآداب الحديث، ومن ذلك النهي عن النجوى، والأمر بالتفسح في المجلس، وآداب النوم أو الاستيقاظ، وآداب الأكل والشرب، وآداب الاستغفار، وآداب عيادة المريض، وآداب الذبح وآداب التعزية.

وعلمنا النبي ﷺ كيف نبيع وكيف نشتري، وكيف نقضي وكيف نقتضي، وأحكام الدين والحوالة، وما أشبه ذلك.

ولا ريب أن في المجتمعات الإسلامية من الجهل والتقصير الشيء الكثير، ولكن هذه المجتمعات إذا قورنت بالمجتمعات الغربية أو الشرقية بدت متقدمة جدا، والمسلم فيه بذرة خير مهما كانت ذنوبه أو كان مظهره.

والغاية أن عبودية الله تعالى وطاعته لا تنفك عن المسلم في كل أمر، فإما أن يؤدي فريضة أو يعطي حقا أو يتأدب بما أدبه به الله، وحسبك أن الله تعالى أوجب العدل لكل أحد -على كل أحد- في كل حال، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، فهو قيمة مطلقة في الإسلام، وأنه كتب الإحسان على كل شيء، وقال في كتابه الحكيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِ﴾ [النحل:٩٠].

وأن الإسلام هو دين الرحمة ودين العفو، وأن النبي صلوات الله وسلامه عليه هو نبي الرحمة كما هو نبي الملحمة، قال جل شانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا

﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧]، ومع هذا الدين العظيم وأحكامه وأذكاره وآدابه لا نحتاج إلى ما يسمى "حقوق الإنسان" التي تنادي بها -نظريا فقط- الأمم المتحدة والمنظمات الدولية أو المحلية المختلفة، بل تقول أكثر العصابات والدول إجراما وانتهاكا للحقوق إنها تراعي حقوق الإنسان، ولو قمنا بأداء الحقوق الشرعية كما أمر الله لانتهى الإرهاب كما يسمى، وقضي على الغلو ولم تظهر النازية الجديدة والألوية الحمراء، وعصابات المافيا، وحليقو الرؤوس، وأمثال ذلك من الحركات الغربية المتطرفة، ولما رأينا في أمريكا أكثر من ٤٠٠ مليشيا تقتل وتخرب وتعتدي وتنهب وتطالب بالاستقلال، وهذه العصابات أو المليشيات تدمر الجسور وتسطو على البنوك وتفجر المدارس وتنتهك كل حرمة، فهي أولى بأن توصم بالإرهاب وبدوام الحديث عنها في الإعلام.

ومما لا يعرفه الغرب: الصوم والاعتكاف ونصرة الظالم كيف تكون، وصلاة الاستسقاء وصلاة الكسوف وصلاة الاستخارة، ومن العجب أن بعض المسلمين يقيِّدون صلاة الاستسقاء أو لا يعرفونها أصلا، وبعض الناس يتحرى أقوال الأرصاد، أو وجود منخفض جوي ليصلي، والنبي ﷺ صلى وما بالسماء من قزعة، ومن المخالفة للشرع أن لا يصلي أحد الاستسقاء إلا بإذن، ومن نتائج ذلك أن صلاة الاستسقاء عامة في الدولة التي يسمح حاكمها بها، مع أن المشاهد حسا أن الغيث قد يكون في قرية والجدب في أخرى مجاورة لها، بل قد ينزل المطر في حي، والأحياء الأخرى لا تعلم، فكيف يجعلون الاستسقاء بإذن الدولة، وكيف يجعلونه واحدا في كل مكان، وكيف يتركون هذه الصلاة العظيمة كما يفعل بعضهم!

ومما لا يعرفه الغرب إخفاء الصدقة؛ وذلك أبعد عن الرياء وكيف يخفونها وأمريكا حين تتبرع بالحبوب الفاسدة أو بالمنتهي تاريخه من الأغذية أو بالمسرطن تتبعه بالمن والأذى.

ومما لا يعرفه الغربيون الدعاء عند نزول المطر، والدعاء عند رؤية

الهلال، والذكر عند رؤية البرق أو الصواعق، وقد قال بعض السلف: "الصواعق تصيب المؤمن والكافر ولكنها لا تصيب الذاكر".

ومما لا يعرفه هؤلاء الغربيون الجشعون الإقالة لوجه الله، ومن ذلك أيضا العفو ابتغاء وجه الله، ومن ذلك أن لا يغشُّوا من كان ضعيف التفكير، وقد أمر النبي ﷺ أن يقول المسترسل (لا خلابة)، وهؤلاء الغربيون ماهرون في المظاهر والتطفيف والغلاء الفاحش والغش، لكنه غش ذكي يفعله المتحضرون كما يقولون، فالقليل من القسط مثلا يجعلونه ممزوجا ببعض السكريات ويبيعونه بباهض الأسعار في قارورة أو كرتون أو كبسولة ذات مظهر جذاب، وكذا المر والسنا وغيرها.

وما أكثر ما يجهله الكفار ويصعب حصره، والقارئ اللبيب وكذلك المختصون يعلمون أكثر من هذا.

كما أن معلومات الغربيين عن الشياطين والملائكة والجن محصورة فيما يقوله لهم الأحبار والرهبان، وبعضه خرافات لا أصل لها، وكذلك ليس صومهم كصوم المسلمين، بل من يصوم منهم فإنه يصوم على طريقة اليهود والنصارى، وهي الامتناع عن بعض الأغذية مع زيادة الصوم التي وضعها قسطنطين وأمه هيلانة، بدون هدى من الله، وبعض الغربيين إذا أسلم وصام يبكي لرؤية الأطباق أو الصحون الغذائية.

كما أن الغربيين لا يغتسلون من الجنابة ولا يتحرزون من النجاسة، وربما أحدثوا وهم في كنائسهم أو معابدهم، ولا يستنجون بالماء بل يستخدمون المناديل ويبقى أثر النجاسة في ثيابهم، ومن جهلهم أنهم لا يدرون لم ينهق الحمار، أو يؤذن الديك، وصدق الله ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤].

في التاريخ والآثار

فارقٌ بيننا وبين الغربيين بعد كوننا موحدين وهم مثلثون أو ملاحدة، هو نظرة كل منا للتاريخ، فالعلمانيون الغربيون ويتبعهم فيه بعض المسلمين يقولون أن الأصل في البشر هو الوثنية، هكذا قرأت في مصادر كثيرة منها جريدة الرياض، وقد تتبعت وقرأت لهم أو قرأت عنهم فلم أجدهم يتفقون على مسألة كهذه، وهم مع اتفاقهم على ذلك الأصل الباطل، يختلفون في التفصيلات اختلافًا شديدا، أو يردّ كل منهم على الآخر -وكلٌّ كاسرٌ مكسورٌ-، وكل ما لديهم إنما يقوم على الظن والخرص والتخمين، وليس لديهم دليل إلا بقايا البدائيين، وأنهم يؤمنون بتعدد الآلهة، وربما جعلوا لكل شيء إلها، وهذا الضلال المبين يقوله من كتب منهم في الأنتروبولوجيا أو في الميثولوجيا أو الانطولوجيا وفي كل علم، حتى أن اليهودي "فرويد" يزعم أن نبي الله موسى كان فرعونيا، فكيف نستغرب ما يقوله الآخرون أمثال: "فريزر" أو تايلور"، أو "مورجان" وأشباههم من الخراصين، فهؤلاء الباحثون لا يؤمنون بآدم عليه السلام، ولا يتعلمون من القرآن الكريم أي شيء، وإن نقلوا عن التوراة المحرفة فإنما ينقلون عنها باعتبار أنها مصدر تاريخي، وليس لأنها منزلة من الله! وكأنما هم متخصصون في الجانب المظلم من التاريخ البشري، فالتاريخ عندهم خط واحد مظلم وليس خطين متوازيين كما في التصور الإسلامي للتاريخ.

وهم يجتهدون كثيرا لكي يطمسوا أي أثر للتوحيد وللنبوات، ولا يذكرون عادا أو ثمود ولا أيا من الأنبياء مثل نوح وهود وصالح، وأمثالهم من أصحاب الخط المضيء.

وقد تابعهم في القول بأن الشرك هو الأصل بعض الناس كالعقاد في كتابه "الله"، ووضعوا العصور التاريخية تبعا لظنهم الفاسد، وقد حاولوا إثبات أن جزيرة العرب ليست مهد كل الحضارات، وإنكار أن الكنعانيين والسومريين والفينيقيين والمصريين القدامى، شعوب وقبائل عربية مهاجرة، وأن أصل الآكاديين هو العقديين، والله أعلم.

وزعم بعضهم أن مهد الحضارة هي الحبشة لكي لا يثبتوا للعرب أو لليمن أي ميزة، و﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨]، والكل عندهم سامي!

وهم في ذلك الخرص بل الخطأ العلمي المحض، عكس ما ورد في القرآن وفي السنة أو في كلام المفسرين المسلمين، فالله تعالى علم آدم الأسماء كلها، وهو نبي مكلَّم موحِّد، وذكر سبحانه قصة ابنيه، كما ذكر قصة نوح وهود وصالح عليهم جميعا السلام.

وللاحتفاء بالآثار أهداف سياسية لا يفطن لها المغفَّلون، ومن أجلى الأمثلة على ذلك المتاحف الطبيعة كما تسمى في أمريكا وكذا المؤسسات البحثية التي تديرها ومنها مؤسسة (سموشونيان) التي كان يرأسها الداروييني (شارلز ألكون) الذي تعمد إخفاء كثير من الآثار الأحيائية الدالة على عكس الدارونية، ولكن الله لابد أن يظهر الحق من بلاد لا سيطرة لأمريكا عليها، فمثلا عثروا في جنوب إفريقيا على قدم عملاق بشري، وقف أحد علماء الآثار بجانبه فكان طول القدم قريبا من طوله، هذا مع دلالة على أن الدارونية خرافة غير علمية مهما مارس أصحابها إرهابهم الفكري ويؤكده قوله تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧]، وقوله ﷺ عن آدم عليه السلام: (طوله ستون ذراعًا)، وما أظن الاحتفاء بالآثار اليهودية القديمة في السعودية وجزيرة العرب مثل حصن كعب بن الأشرف، وبقايا الحصون التي في خيبر، وكون صاحب الأخدود يهوديا، وأمثال ذلك، إلا ذريعة لكي يدعي اليهود أن تلك البلاد بلادهم، كما زعموا من قبل أن الأرض المباركة (فلسطين) أرضهم، فهل يتفطن لذلك صاحب القرار؟

وكيف يفخر هؤلاء بأن للبلد حضارة عريقة، ولا يفخرون بالقرآن الكريم وبالرسول ﷺ الذي هو سيد الأولين والآخرين، الذي يقر بفضله أكثر الناس، وأرسله ربه رحمة للعالمين، وفتحت أمته من الأرض ما لا ينكره مؤرخ قط، ﴿وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة:١٠٨]،

وهكذا تخدم هيئة السياحة والآثار الأهداف الصهيونية -شعرت أم لم تشعر-، وتصحح المزاعم التي ادعاها كمال الصليبي من أن التوراة إنما نزلت في جزيرة العرب!

ثم إننا نسأل هذه الهيئة المفروضة على الأمة:

من هو هذا الأحمق الذي يختار الذهاب إلى آثار اليهود أو المشركين أو المعذبين، تاركا الصلاة في المسجد الحرام الذي يهوي إليه فؤاده، كما دعا خليل الرحمن ربه؟ وكيف يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير؟ بل ما نهى الله عنه بما أمره به؟

وهل يختار عاقل أسباب الهلاك على أسباب الفوز والنجاة؟

وهل "الفاو" هي أول بيت وضع للناس، وعندها تُسكب العبرات ويستجيب الله الدعوات ويغفر الذنوب؟ وهل نقوش رمسيس خير من مسجد رسول الله ﷺ؟

وماذا جنينا من طاعة الكفار منذ أن صدقنا وعود (هنري مكماهون)؟ وعملنا بمناهج (دنلوب) وخرائط (سايكس- بيكو) ووصايا اللورد (كيرزون) ونقبنا عن الحضارات المنقرضة كما نقبت الجاسوسة (جروتردبل)؟

وكيف نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير كما فعل اليهود؟

أليست الدعوة إلى الله أحق بإنفاق هذه الأموال الطائلة؟

هب أن عاقلا من الناس أراد مشاهدة الآثار أليس الأولى به الذهاب إلى الأهرام؟

والنبي ﷺ لم يذهب إلى غار حراء وغار ثور مع أنهما ثابتان فكيف بالآثار المكذوبة كمكتبة المولد؟ وأنا أجزم أن البلدية لا تعجز عن إزالة تلك المكتبة ولكنه اتباع هوى أهل الخرافة والجهل.

ولماذا يتزاحم الحجاج على جبل "إلال" مع أن الرسول ﷺ قال: (وقفت هاهنا وعرفة كلها موقف).

ولا يزال العلم الحديث عاجزا عن فعل ما فعله الأولون، فالشاحنة الأمريكية مثلا تعجز عن حمل ما حمله شداد بن عاد، والتحنيط الذي كان عادة عند قدماء المصريين لا يستطيعه الطب الحديث اليوم.

واحكم أيهما أعظم تمثال الحرية أم تمثال "أبي الهول" الذي لا يُدرى متى نُحت ومن الذي بناه، وإن أردت مثلا أحدث من أبي الهول فانظر إلى الخرائط العثمانية خصوصا الخرائط التي رسمها الرئيس "بيري"، وكيف أن أمريكا لا تستطيع رسم خرائط مثلها، إلا بالاستعانة بنفر كثير أو بأقمارها الصناعية التي يسهم فيها كثير من المسلمين.

وهل تستطيع وكالة "ناسا" الفضائية الأمريكية أن تصنع آلة تضيء إذا ولد نجم وتنطفئ إذا انطفأ كما صنع المسلمون؟

وانظر أيها الموحِّد ماذا يصنع الجهلة اليوم بمكتبة المولد، وقد رأيهم بعيني يستقبلونها بالصلاة، مستدبرين الكعبة، فما نظن أن يفعل الناس بالحصون التي تركتها وزارة المواصلات مستقبلا؟

وكما تركوا مكتبة المولد تركوا في المسجد الحرام الاسطوانة المعروفة للتمسح بها، فلماذا هذا الإصرار على بدع لا أصل لها؟

واعلم أن القرآن ليس موروثا ثقافيا كما يزعم بعض الليبراليين، بل هو روح ونور وحياة وشفاء، وكل أخباره صدق، وهو رحمة لكل زمان ومكان، وهو أكبر نعمة أنعم بها الخالق الكريم على هذا العالم، وقد قدم الله تعليم القرآن على خلق الإنسان في سورة الرحمن، وسمى النبوة رحمة في آيات كثيرة من كتابه الحكيم، فقال عن الخضر: ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا﴾ [الكهف:٦٥]، وقال في الرد على اقتراح المشركين: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ [الزُّخرُف:٣٢]، وجعل الرحمة هي غاية الرسالة، وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

وقال: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل:٨٩].

وكل ما قاله الله أو أوحاه صدق ومن ذلك إخباره عن القرون الأولى، فصدِّق يا أخي المسلم ربك، واعرف رحمته ونعمته، ولا تكن من الذين يعرفون نعمة الله ثم ينكروها وأكثرهم الكافرون.

ولا تصدق ما يقول الخراصون عن عصر الكتابة وحسبك أن تؤمن بما جاء في الحديث من أن آدم أعطى داود من عمره ثم جحد لما جاءه ملك الموت. وفيه (فمن يومئذ أمر بالكتابة والشهود).

والتاريخ الإسلامي مصدر حق لا يصح علميا إهماله، وأهله أصدق نظرا وأدق حدسًا ممن جاء بعدهم.

والعرب في تاريخنا منها عرب بائدة كعاد وثمود وطسم وجديس، ومنها عاربة ومنها مستعربة، ولم نجد لما يسمونه "السامية" ذكرا في أي مصدر إسلامي قط.

والمسلمون يهتمون بغير ما يهتم به الكفار، فأكثر همِّ المسلمين هو الإنسان كيف نشأ وما دينه؟ وبم يصلح وكيف يتهذب؟ أما الغرب فهو أكثر اهتماما بالآثار المادية منه بالإنسان، فإن الامبراطورية الرومانية المعاصرة "الولايات المتحدة الأمريكية" أمرت جيوشها بإنقاذ الآثار الرومانية في "تدمر"، بينما اكتفت -إن لم تكن متواطئة مع الروس والرافضة ونظام بشار- بالتعبير عن القلق لفظيًا لما هجَّروا وقتلوا السنة في حلب، وسكتوا عن تدمير المساجد في بلاد الشام، بينما هبوا لإنقاذ المعبد الروماني في تدمر، فالخطوط الحمراء التي وضعها أوباما هي في الحقيقة ليست لاستخدام السلاح الكيماوي، أو قتل وتهجير أهل الشام، أو التغيير السكاني أو بناء القواعد الروسية، وإنما هي لحماية آثار الروم ومعابد الشرك.

والمشكلة هي أن الإرهابيين كما يقولون يدمرون معابد الروم كما دمروا تماثيل النمرود في العراق، وعدّ مجلس الوزراء السعودي ذلك سنة ١٤٣٧هـ تدميرًا للتراث الإنساني!

ومن أعمال هؤلاء المفسدين قلب الحقائق والتعامل مع الأحداث بجهل واعتراضات لا صحة لها، خذ مثلا الولادة والوفاة، فنحن لا نعلم أن أحدا من الأنبياء ولد في اليوم رقم كذا، أو احتَفَل بميلاده لا عيسى ولا محمد ﷺ، بل كل ما ورد أن محمدا ﷺ ولد يوم الاثنين من عام الفيل، ولكن أي اثنين، أهو الثاني عشر من ربيع الأول، أو في العشر الأواخر من رمضان، لم يرد شيء من ذلك، والمؤكد هو أنه ﷺ مات في الثاني عشر من ربيع الأول، ولهذا يحتفل الزنادقة بموته في هذا اليوم!!

وكيف لا يفرحون وقد فرحت الكنيسة بموت محمد الفاتح وجعلته عيدا لها.

والفرائض الدينية أعظم من كل سياحة، ومع ذلك يأبى المستغربون إلا إنشاء هيئة للسياحة، ويريدون لها التقدم وجلب السواح واللهو والطرب، وكأن الله خلقنا عبثا، ويردون تعظيم الصنم "نسر" وإحياء "سوق عكاظ"، ويفخرون بالأخدود ومدائن صالح ونقوش رمسيس!

والدولة السعودية المعاصرة تفخر بأن الرجلين العظيمين فيصل الدويش وسلطان بن بجاد دخلا مكة محرمين منكسي البنادق تعظيما للبيت الحرام، وذلك ما قرأناه في المناهج الدراسية السعودية نفسها، وهكذا تُعظم شعائر الله.

ويأتي بعد مكة "المدينة النبوية"، ثم مدينة "القدس"، ولكن من كتب الله عليهم الشقاوة ينفقون الأموال في سويسرا ولندن وأمريكا، ولا يعرفون مكة والمدينة، حتى أن بعض الوزراء في السعودية اقترح على الحكومة أن تطلب من العلماء الإفتاء بجواز الوقوف بعرفة ثلاثة أيام تجنبًا للزحام!

ولا أعلم أجهل من هذا الوزير وأكثر فسقًا، إلا الوزير الآخر الذي دخل إلى مجلس الوزراء وهو سكران، وقد سألت سائق أحد الوزراء هل يصلي معاليه. فقال: لم يستقبل القبلة قط ولا مرة.

وسألت سكرتير وزير آخر هل يصلي الوزير؟ فأجاب أنا خدمة في مكتبه (١٥) سنة لم أره فيها مرة واحدة صلى.

وبعض الوزراء تزوج نمساوية، وآخر تزوج ألمانية، دع الانجليزيات والأمريكيات!

على أن كل ذنب من جهل أو معصية أو انحراف هيِّن ما لم يكن صاحبه أصوليا! والأصولي عندهم إرهابي! مع أن قدَر هذه الأمة هو الإسلام شاء من شاء وأبى من أبى.

والغربيون لا يخطئون في ذلك فحسب، بل يفرضون علينا مصطلحاتهم ويريدون منا متابعتهم حتى في تسمية الشعوب أو اللغات وتقسيم الأجناس البشرية.

ونحن حينما نقول إن العرب منها عرب عاربة وعرب مستعربة، وإن الهجرات العربية هي الأصل، وإن اللهجات العربية هي المنتشرة في العراق والشام، ولا نقول "الساميين" فإنما نعتمد على ركائز أهمها:

١- العمل بالحديث النبوي الصحيح (أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل).

٢- العمل بما تواتر في المصادر العربية.

٣- أن ذلك يتفق مع ما في التوراة نفسها، ومع واقع اللهجة العبرية ومخطوطات قمران ونجع حمادي والأناجيل الآرامية، ولغة المسيح عليه السلام، ومع تاريخ الفن العربي نفسه، فقد كان الرسامون الغربيون يستلهمون صورة المسيح وأمه من الصحراء العربية والأزياء العربية، فإن لم يذهبوا -وهو الكثير- صوروا العرب واليهود، الذين فروا من الأندلس إلى

أوروبا، وإنما انفردت "هوليود" وأخواتها بتصوير المسيح عليه السلام في صورة رجل أشقر أزرق العينين غربي المظهر.

تأمل ذلك كله بعقلك، واحمد الله الذي حرر العقل البشري من الخرافة والأوهام، واعرف مقدار الجناية التي جلبتها "هيئة السياحة والآثار" على التوحيد، وأي باب للشرك فتحه نظام الآثار.

وقد من الله تعالى علينا بأعظم أثر في العالم، وهو في الحقيقة أعظم من أن يكون مجرد أثر، فمكة المشرفة هي أقدم مدن الدنيا، والمسجد الحرام هو أول مسجد بني في الأرض، والذي جدده هو نبي الله إبراهيم عليه السلام، ومن جاء بعده من الأنبياء.

ولا تزال قواعد إبراهيم موجودة وآثار قدمه في الصخرة مشاهدة، ولا يزال المقام إلى اليوم.

فأي أثر في الدنيا أقدم من هذه الاثار مع قطعية الثبوت نصا وتواترا، وكيف تنجذب لها القلوب من كل مكان في العالم؟

ولماذا استجدوا منظمة "اليونسكو"، لكي تدرج بعض الآثار هنا في قائمة التراث العالمي؟! وعندنا ما هو أعظم ولا يحتاج لدعاية ولا لاستجداء أحد!.

ومكة شرفها الله هي مركز الكون كما أثبت كثير من الباحثين المعاصرين، غير المسلمين ويمكن استنباطه من قوله تعالى: ﴿لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الشورى:٧]، ومن كونها قبلة المسلمين في كل مكان.

وجبال فاران المعروفة تاريخيا هي جبالها، وقد حج إليها كل أنبياء الله، وإليها أرسلت عاد "الجرادتين" لما أصابها الجدب، وهي التي حماها الله من كيد المستعمرين.

فأيُّ أمة على وجه الأرض أعرق منا في التاريخ؟ وأعظم منا في الآثار؟

وكل الأماكن السياحية في العالم تحتاج إلى الدعاية ليكثر السواح، إلا مكة شرفها الله.

فالمؤتمرات يعقدونها للتقليل خشية الزحام، ودعوة خليل الله إبراهيم أعظم من كل دعاية، ومشاعر الحجاج والمعتمرين تختلف عن كل المشاعر، ولذلك حديث أكثر ضمن النصيحة الثالثة من الملحق.

والله تعالى إنما قص علينا أخبار من سبق، وأبقى آثارهم لنعتبر فلا نكذِّب الرسل ولا نعصي الله كما فعلوا، قال تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً﴾ [الفرقان:٣٧]، وقال عن فرعون وقومه: ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا﴾ [الزُّخرُف:٥٦].

والآخرون هم أنا وأنت وكل دولة أو أمة تعصي الله وتفعل كفعلهم.

ومن شك فيما ذكره ابن عباس في صحيح البخاري، وما قاله الشيخ محمد بن عبدالوهاب! فلينظر إلى الواقع المشاهد اليوم.

وانظر ما يقوله علماء الأديان التي يسمونها بدائية، أو أديان ما قبل التاريخ وبعده عما يسمونه "عبادة الأسلاف"، لترى كيف ينتكس العقل البشري من عبادة الواحد القهار، إلى عبادة الموتى، ولتعلم الحكمة العظيمة التي جعلت رسول الله ﷺ يبعث عليا ألا يدع صورة إلا طمسها، ولا قبرًا مشرفا إلا سواه.

وانظر كيف يطلب عُباد الموتى المدد والشفاعة من الأموات، وكيف يعظمون المقبور ويسألونه حوائجهم ولو كان حماراً أو نصرانياً، ويقولون إنه ولي!

وانظر كيف يفعل الرافضة بما يسمونه الأئمة أو أصحاب العتبات المقدسة والمقامات والمشاهد والمراقد.. إلخ، إذ يزعمون أنهم يعلمون ما كان وما سيكون، وأنهم تخضع لهم كل ذرات الوجود، وأنهم لا يموتون إلا بعلمهم، وحسبك أن ترى فهرس "أصول الكافي" للكليني أو تقرأ "الحكومة الإسلامية" للخميني، أو "مناسك المشاهد" لشيخهم المفيد، واقرأ ما كتبه رافضة المنطقة الشرقية عن ضرورة إقامة ذلك في (المعلاة) و(البقيع) لكي

تكون مثل كربلاء والنجف، ومثلهم نخاولة المدينة، وهو عين ما طلبه مقتدى الصدر من الملك عبد الله.

وإن أردت أن تسمع ذلك بأذنك ،فاذهب إلى أماكنهم واستمع لخُطبهم حتى في المنطقة الشرقية، واستمع إلى قناة "المنار"، وإلى تصريحات "حسن نصر الله" عن سبب ذهاب "حزب الله" إلى سورية.

وإن أردت أن ترى ذلك بعينيك، فاذهب إلى كربلاء أو النجف، أو إلى مرقد إمامهم الموهوم في سامراء الذي عمره حتى الآن أكثر من ١٢٠٠ سنة!!

ولما لم يجد كفرة الفلاسفة تعليلاً لهذا الانجذاب القلبي للكعبة المشرَّفة قالوا إن سبب ذلك أن للكعبة طلسمات تنجذب إليها القلوب، أو أن في داخلها كنزًا.

أما الحجر الأبيض فلا وجود له إلا في خيال المستشرقين وأتباعهم، وافتعاله هو إحدى كذبات أعداء الله! وكذلك الكنز الذهبي الذي يزعمون.

وقل مثلما قلت في الآثار والتاريخ، والأحداث التاريخية يختلف الناس فيها كثيرا، وعلى المسلم أن يهمل ما فيه كذب ويرجح ما يراه أصح، أما المغفلون في الغرب ومقلدوهم في الشرق فيصدقون كل رواية لا سيما إذا كانت غربية.

وقد أثبت بعض المؤرخين الغربيين اليوم أن "هيرودوت" كان مخطئا في بعض كلامه، وأن "تيودور" الصقلي غير ثقة، وأن "يوسيفوس" اليهودي كان يتحيز، وأن المسلمين عرفوا أمريكا قبل "كولمبس"، وأن الأهرام أقدم من آثارهم، وأن المؤرخين المسلمين الذين كتبوا عن الحروب الصليبية أصدق من المؤرخين الغربيين، قارن مثلا بين ما كتبه ابن الأثير وما قاله "ستيفن رونسمان"! الذي هو أوثق مؤرخي الغرب.

فالغربيون متعصبون حتى لو أرادوا الحقيقة، ولا ريب أنه يصعب على الباحث الاجتماعي أو الإنساني أن يتجرد من آرائه الشخصية وتربيته وثقافته.

ونحن -ولله الحمد- حسبُنا كتابُ الله تعالى في ذلك كله، ونعتقد أن ما يحققه أيُّ علم في هذا المضمار إنما هو تصديق لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣]، ولنا شروطنا ومنهجنا التاريخي المستقل.

ونهاية التاريخ عندنا هي بقيام الساعة، لا بالليبرالية والرأسمالية الأمريكية كما زعم "فوكوياما"ولا بالألفية السعيدة التي يزعم النصارى.

ومن تعصب الغربيين وعماهم أنَّ كثيرا منهم كتب عن البرديات المصرية، أو عن المومياءات، ولم يكتب حرفا واحدا عما كان لدى كتبة الوحي من الألواح والأكتاف.

لما كان بعض الناس يظن أن التوحيد أو الشرك محصور في بعض الأحيان دون بعض، ولما كان عدو الله "إبليس" حريصا على إغوائنا من طرق قد لا نعلمها، أو بعض الأفعال دون بعض، كان من الواجب التحذير مما نعلمه من شركه وما ينصبه لنا من الفخاخ، وكيف يستخدم أولياءه الكافرين ويؤزهم ليضلونا عن سبيل الله.

ومن المداخل الشيطانية التي يريد بها اللعين إخراجنا عن الصراط المستقيم في هذا العصر ثلاث مداخل وقضايا خطرة لا يفطن لها كثير من الناس، ولا يعلم علاقتها بأصل الإيمان وهي: (التاريخ، الأدب، المرأة).

وكل منها جدير بالبحث والاستقصاء لا سيما من أهله المتفرغين له والمتخصصين فيه.

وليست الكتابة في ذلك ترفا فكريا، بل هي ضرورية، فهذه الثلاثة تشتمل علمانيا على أنواع من الباطل والشرك، لو آمن بها أحد لآمن بالباطل وكفر بالحق، وكفى بذلك عند إبليس كفرا وضلالا، وقد حذرنا الله

ورسوله من الوقوع في الشرك أو التصديق بالباطل، ولو أن المؤمن استعرض النصوص من القرآن والسنة لرأى العجب، وخاف أشد الخوف، وعلم قيمة قوله ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم).

وإليك بعض التحذيرات التي حذر منها الوحي (كتابا وسنة):

١- تحذيره من فعل اليهود والنصارى، ولو كان واقعا في أرض الحبشة، وليس في بلاد العرب.

٢- تحذير المسلمين أن يقلدوا أهل الكتاب في تعظيم المخلوقين أو تسويتهم برب العالمين، إذا جعلوا العباد آلهة.

٣- تعليم المسلمين حقيقة العبادة، كما بيّن النبي ﷺ لعدي بن حاتم وكما جاء في كتاب الله، وكيف أن قوم فرعون قالوا: ﴿وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]، وأن موسى عليه السلام قال: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:٢٢].

٤- التحذير القرآني الكريم من التعلق بالخرافة والظن والقول بلا علم.

٥- الزجر عن تأليه البشر ولو كانوا أنبياء كعيسى، أو ملوكا كفرعون، أو لهم فضل كآل البيت أو الملائكة.

٦- الزجر الشديد عن عبادة ما لا ينفع ولا يضر ولا يغني عن الإنسان شيئا وأن ذلك يصب في النهاية في عبادة الشيطان.

٧- أن العبودية لا تختص بالأصنام والأوثان، فللدراهم عبيدها، وللدنانير عبيدها، وللخميلة عبيدها، وللخميصة عبيدها كما ورد في الحديث، وعمم ذلك ابن تيمية في العبودية فجعل الإنسان عبدًا لكل ما استرق قلبه.

٨- أن الشرك أنواع منها الجلي والخفي، وقلّ من يسلم منه ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف:١٠٦].

٩- أن التحليل والتحريم حق لله وحده، ومن حرم أو حلل حسب هواه فقد نازع الله حقه ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾ [النحل:١١٦].

١٠- أن شرك الطاعة قد يقع حتى من خيار الناس، وقد حذر الله منه الصحابة الكرام كما في سورة الأنعام.

١١- أن الشرك لا يقع دفعة واحدة بل يتدرج الشيطان بأهله ويتلاعب بعقولهم حتى يتناسخ العلم أو يقلّ.

١٢- أن الله تعالى جلّى ذلك ونهى عن اتخاذ غيره وليا أو حكما أو ربا فهو وحده رب الناس ملك الناس إله الناس.

١٣- أن المشركين لم يكونوا يعبدون الأصنام المنحوتة فقط، بل كانوا يعبدون الكواكب كما فعلت الصابئة، أو يعبدون الأباطرة كما فعل اليونان، أو يعبدون الملوك كما فعل مشركو المصريين والبابليون، أو يعبدون الصالحين كما فعل قوم نوح.

١٤- أن الهوى نفسه قد يتخذه صاحبه إلها كما في القرآن، وإنما يسميه أهله العقل أو الحرية.

١٥- أن المجوسية قديمة، فقد تكون عبادة للنار نفسها، وقد تكون عبادة للشمس التي هي شعلة متقدة كما كان يؤلهها قوم سبأ، وقد تكون رمزاً للنار كالشعلة الأولمبية، وقد يأتي الشيطان بصورة أخرى من صور عبادة غير الله لا نعلمها الآن، وقد سوّل للبرامكة أن يضعوا للكعبة مجامر، فماذا نتوقع الآن؟

١٦- النهي عن تزكية النفس، فقد يكون المرء مشركا وهو يظن أنه موحد، وقد يكون مبتدعا، وهو يظن أنه على السنة، وقد يظن نفسه مؤمنا وهو مسلم فقط، وقد يظن نفسه سلفيًا وهو مرجئ أو ظاهري.

١٧- أن الربا وحده سبعون بابا وهو أعظم من الزنا، والشرك أعظم منهما وأبوابه كأبواب الربا.

١٨- أن من الشرك الذي لا يعلمه كثير من الناس إرادة الإنسان بعمله الدنيا، أو الإيمان ببعض الكتاب دون بعض، أو اتباع العلماء والأمراء في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل.

١٩- أن النفاق صورة من صور الكفر بالله تحتال بها بعض الضمائر المريضة، فتأتي كلا بما يشتهي وتقول للعلماء ما لا تقوله للمثقفين، والمغنين والممثلين، وقد قال تعالى للمنافقين: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦] وفي الآية الأخرى ﴿وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ﴾ [التوبة:٧٤]، وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] أي في دعوة الشهادة بصحة الرسالة.

٢٠- التحذير من ركوب سنن من كان قبلنا مثل فارس والروم واليهود والنصارى، ليس في بناء المعابد لغير الله فقط، بل في شيء من خصائصهم مثل تحكيم الشعب، وأكل الربا، وإضاعة الصلاة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأمثال ذلك.

وأعظم من ذلك نشر ثقافتهم أو تعظيمهم، والثناء على أفكارهم ومناهجهم ونظرياتهم، وأنها أهدى من الوحي.

٢١- تصديق كلام اليهود والنصارى والملاحدة، في تشويه تاريخنا وطمس فضائله وإنسائه بالكلية، والتفاخر بآثار الجاهليين ومخلفاتهم.

فلنعد النظر في أنفسنا وفي تاريخنا ولنأخذه من مصادره الصحيحة، وليس من أعداء الله، فهو علم شريف وثيق الصلة بالعقيدة، وعليه ركز عدو الله فرعون حين قال لرسول الله موسى: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه:٥١]، وتحدث عنه موسى عليه السلام وأطال نبينا صلوات الله وسلامه عليه الحديث عنه وأجاب عن أسئلة الصحابة الكرام فيه.

وقد قص الله علينا أخبار الأمم السالفة والقرون الخالية، وكثيراً مما لا يعلمه الخراصون ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾ [هود:٤٩].

ولم يعرف التاريخ قط أحداً من الصحابة ترك ما جاء به النبي ﷺ واتبع أهل الكتاب، ولا أحدا من علماء الحديث أثبت العمل بالإسرائيليات.

فكيف نصدّق اليوم تخرصات المستشرقين وخزانات الفكر الأمريكية؟ والذين قالوا قديما إنه صلوات الله وسلامه عليه افترى على الله كذبا، هم الذين يفترون على تاريخنا ما شاءوا!.

ويجعلون ما فيه من صفحات سوداء هي التاريخ الإسلامي كله، ونحن نعلم من القرآن والسنة حقائق تاريخية لا يعلمها كثير من الناس، مثل أن قوم نوح عليه السلام كانوا أقدم من قوم هود عليه السلام "عاد"، وأن عادا أقدم من ثمود، وأن موسى عليه السلام أقدم تاريخيا من عيسى، وأن إبراهيم عليه السلام كان قبلهما، وأن لوطا عليه السلام آمن بإبراهيم.. وهكذا. وهذا ما لا يعرفه الغربيون مطلقا أو على حقيقته، بل يلجأون فيه إلى التقديرات والظنون، أو إلى التوراة المحرفة، هذا إن لم يجهلوا ذلك تماما كجهلهم بعاد وثمود، لأنهما غير مذكورين في توراتهم، على أنهم يناقضون أنفسهم فيبحثون عن مساكن عاد، ويكتشفونها بطائراتهم أو أقمارهم الصناعية، أما آثار ثمود فيرسلون لها الجواسيس الذين يقبضون الأموال كموظفين في هيئة السياحة والآثار.

وعلى معرفة التاريخ قامت معرفة الناسخ والمنسوخ، والصحابي من التابعي، وقام علم الرجال كله، واستطاع شيخ الإسلام ابن تيمية معرفة كذب اليهود لما ادعوا إسقاط الجزية عنهم.

وقد ألف في التاريخ كثير، منهم الطبري، وابن الأثير، وابن كثير، وأبو الفداء، وابن الجوزي، والذهبي، وابن خلدون، ومن لا يحصون، وبعضهم تخصص في تاريخ مدينة أو إقليم أو دولة، وكثير من التواريخ نجدها في فتح الباري وغيره من كتب ابن حجر.

ثم دافع عن التاريخ السخاوي تلميذ ابن حجر، وفي العصر المتأخر كتب عبد الرحمن الجبرتي كتابيه العظيمين عن "دولة الفرنسيس" أي حملة "نابليون" على مصر، وكذلك "عجائب الآثار" المعروف.

ومن صور الشرك المعاصر أن بعض الناس يعبدون الجن باسم عبادة الأهرام، فالذين يعبدون الأهرام وهم ملايين في القارة الأوروبية وفي الولايات المتحدة الأمريكية إنما يعبدون حراسها من الجن، أو يعبدون الموتى فهم من جنس المشركين الأولين.

وأسوأ منهم من يتخذهم أولياء ويتقرب إليهم بالطاعة والاتباع ممن يدّعون الإسلام، وهم كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأعراف:٣٠].

وفي النهاية يعبد هؤلاء وهؤلاء الشيطان الأكبر "إبليس" كما يقول بعض الأمريكيين بوضوح إنهم يعبدونه، ويصدق عليهم كلهم قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ﴾ [يس:٦٠-٦٢].

وإنما أبقى الله تعالى مساكنهم للنظر والفكر والاعتبار كما خلق المناظر الجميلة والصور الجميلة لكي يؤمن البشر بما في الجنة مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

ولم يخلق ذلك لمجرد السياحة والنزهة كما يظن الغافلون، بل الواجب أن نقول: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران:١٩١].

فانظر مثلا إلى الحدائق ذات البهجة لتعلم أنه ما كان لنا أن ننشئ شجرها، وأنه لا إله إلا الله وحده وأن في الجنة ما هو أعظم منها.

وتأمل كيف خلق الله الصور الجميلة كالنساء مثلا، ومع ذلك فالحور العين أجمل منهن، وتأمل كيف خلق الله الخيل لتعلم أن مراكب الجنة أبدع منها، بل إن البراق الذي ركبه النبي ﷺ من مكة إلى القدس أسرع وأبدع.

والمؤرخون المعاصرون لا يتحدثون إلا عن الجانب المظلم من التاريخ، نعم كان أكثر الأولين مشركين ولكن أين الأنبياء والمؤمنون؟ ولماذا لا تأخذون سيرهم من كتاب الله؟

وكيف يزعمون أنه لا وجود لغير الشرك؟ وأن الشرك سابق للتوحيد؟

والمؤرخون العلمانيون يقسمون العصور بحسب ما يجدونه في التوراة، والعصر الحديدي عند القوم يبدأ بانقسام مملكة سليمان عليه السلام إلى دولتين "إسرائيل" و"يهوذا" حوالي القرن الثامن أو التاسع قبل الميلاد، فهم يأخذون من التوراة ما يوافق غيظهم وحسدهم وعنصريتهم، ويعترفون أن بعض البدائيين -خاصة السكان الأصليين لأستراليا وأمريكا الجنوبية وجزر "جاوه" وجزر "البوليانز" والمناطق الاستوائية في أفريقيا- لا يزالون في العصر الحجري، أو قبل عصر الكتابة التي يقدر بعضهم عمرها بخمسة آلاف سنة قبل الميلاد.

وقد ذكر المفسرون أن أحد ابنَي آدم كان صاحب زرع، وهذا يخالف قول هؤلاء بأن المرحلة الإنسانية الأولى هي مرحلة الصيد، وأن الزراعة إنما بدأت برية ثم اكتشفتها المرأة من سقوط بعض الثمار بزعمهم، كما ذكر بعض المفسرين أن التنور المذكور في القرآن لنوح عليه السلام، كان لحواء أو لآدم، فالصناعة أيضا قديمة، وحسبك قوله تعالى عن نوح عليه السلام ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ﴾ [هود:٣٨]، ووصف البقاعي صناعة الفلك بأنها في غاية الجودة، وذكر بعض المفسرين الآخرين أنه عليه السلام طلى السفينة بالقار، وأن "الدسُر" التي ذكرها الله في القرآن الكريم هي مسامير الحديد، وإذا كان الحديد معروفا والصناعة ثابتة فقد كذبوا بلا شك، وحسبك فيهم قوله تعالى: ﴿مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٠]، وقوله جل شأنه: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف:٥١]، وقوله: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا﴾ [النجم:٢٨]، وهم يزعمون أن أول الموحدين هو "أخناتون" الذي وحد الأديان كلها في معبود واحد وهو

الشمس، أي أن الهدهد الذي أنكر على قوم سبأ عبادة الشمس، أعقل منهم وأعرف!

وقد قال ﷺ في الحديث القدسي الذي رواه عياض بن حمار رضي الله عنه: (إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم)، وظل الناس على التوحيد بعد آدم عليه السلام عشرة قرون كما ذكر ابن عباس، كما يذكر رضي الله عنه أن الأصنام التي عبدها قوم نوح انتقلت إلى العرب، ولا يزال الصنم "نسر" المحفوظ اليوم في الرياض، وقد وصفه لي بعض من كان مع "فيلبي" لما استخرجه أول مرة.

كما قال تعالى تكذيبا للزاعمين بأن الحضارة نشأت وثنية ثم ارتقت إلى التوحيد: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]، وكل الرسل والأنبياء دعوا إلى توحيد الله وعبادته وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥]، فالأصل هو التوحيد قطعا، وما من دليل على أن الأصل الشرك والشيوعية الجنسية كما يدّعون، ولا دليل لديهم على أن الإنسان كان يأكل اللحم نيئا غير مطبوخ، وأنه اكتشف النار صدفة، وهؤلاء الخراصون إنما ينظرون -إن نظروا- إلى تاريخ أوروبا وحدها، وإلى الشرك المنتشر فيها وحده، وهذا ضلال شديد في منهج الاستقراء الذي يفرض عليهم النظر في كل مجتمع نظرة كلِّية.

وما زادهم إلا كفرا أنهم رأوا عبادات البوليانزيين وسائر البدائيين تشابه عبادات الكنائس الكاثوليكية عندهم، وقد قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة: ٣٠]، ومما يدل على سلامة الفطرة عند العرب، أنهم لم يرد في شعرهم تضرع لربة الشعر، كما فعل اليونانيون -وقلدهم في ذلك الرومانسيون وغيرهم-، كما أن النصارى

الذين ترجموا كتب اليونان في "بيت الحكمة" كما يسمى، لم يترجموا الأساطير والخرافات والشركيات اليونانية، وكذا الطلاسم وأشباهها، وعلى هذه الوثنية تسير وكالة "ناسا" الأمريكية الفضائية، وقد سمت إحدى مجموعاتها "أبولو"، وهو معبود يوناني بنوا له الهياكل قديما.

وكل ما يقوله "مورجان" وتبعه عليه "ماركس" و"انجلز" و"أوغست كونت" عن ذلك باطل مخالف للكتاب والسنة.

ومن الباطل الصراح الذي لا دليل عليه، ظنُّهم أن الإنسان مر بمرحلة حيوانية (قطيعية) كما قال تركي السديري عندنا.

ومما يُكذِّب دعاوى هؤلاء أن عِلم الوراثة اليومَ يُثبت الأصلَ الإنساني المشترَك، بل إن بعض الباحثين يقول إنه يعرف أصلَه وجنسَه إلى آدم عليه السلام.

والمسلمون لهم نظرة تاريخية خاصة لا يتبعون فيها الحضارة الغربية ولا غيرها.

وقبل الحديث عن العصور التاريخية المختلفة يحسن الحديث أولا عن عصور ما قبل التاريخ لا سيما الدين الذي كانوا قديما يدينون به، وعصور ما قبل التاريخ عصور سحيقة مجهولة أقربها إلينا العصر الحجري القديم، أما أولها فمجهول لدى الآثاريين حتى اليوم، إذ يقدره بعضهم بمليارات السنين، وبعضهم بمئات الملايين، وبعضهم بآلاف كثيرة، وبعضهم بعدة آلاف من السنين قبل الميلاد، بل العجيب أن بعضهم يقول إن العصر الحجري لا يزال حتى اليوم.

ويقسم الجيولوجيون المراحل الزمنية والأحقاب والعصور إلى مراحل عدة كلها تقديرية افتراضية، ومن أهمها عصر الكامبري قديما والعصر الجليدي الحديث الذي يقولون إنه كان قبل حوالي عشرة آلاف سنة، وبغض النظر عن صحة ذلك وصدق افتراضاتهم يهم المؤمن من ذلك كله العبرة والعظة، وحسبه ما في كتاب الله، حيث لم يذكر الله ما لا فائدة من ذكره،

أوكانت فائدته قليلة، فكون الله تعالى خلق الأمة الفلانية عام كذا، أو أهلكها عام كذا غير مهم، إذا نظر إليه المؤمن بعين الموعظة والاعتبار.

وإنما المهم هو معرفة لم أهلكهم وكيف أهلكهم وما واجبنا حيال ذلك.

وقد جعل لنا بحكمته في أخبار الأولين عبرة، وبين لنا كيف عاشوا وبم أهلكهم الله ولماذا:

فقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النساء:٢٦].

وقال: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف:١١١].

وبعضهم يقول إن العمالقة لا يزالون موجودين و لم ينقرضوا، وإن طول الواحد منهم قد يصل إلى ٢٠ مترا، ورأيت أنا في إحدى المجلات صورة لرجل غربي يبدو قزما بالنسبة للعملاق الذي بجواره الذي يبلغ طوله ١٨ مترا، والله أعلم.

وكل ما يذكره المؤرخون عن عصر ما قبل التاريخ خرص وتقدير وظن لا سبيل فيه للوصول إلى الحقيقة، وهم يجهلون مرحلة ما قبل الطوفان جهلا تاما، ولا يذكروها، بل يقولون إن الطوفان هو الخرافة المشتركة بين كل المجتمعات الحديث منها والبدائي!!

والمهم أن ديانة ما قبل التاريخ ضبابية غامضة مجهولة عندهم كما قال "أندريه لوران" وزميله "غوران" في كتابهما "أديان ما قبل التاريخ".

ويقولون "إنه لا يسع المؤرخ إلا أن يصمت أو يلجأ إلى مزاعم غير مفيدة". أي أن كلامهم يعتمد على الظن فقط، وصدق الله ﴿مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ﴾ [النساء:١٥٧]، أما من أراد الحقيقة فليسكت!

وعلى هذا تكون تقاويم التوراة المحرفة، على اختلافها وتناقضها أقرب للعقل من هذه التقديرات الاحتمالية والتخرصات التي لا دليل عليها قط، ويكون ما تقوم عليه الحضارة الغربية في هذا الشأن شركا أحطّ من شرك الكهان والعرافين الأولين، وبذلك تعرف مقدار الانحطاط الذي انتكس فيه من يستجدي كاهن الحي، مثل محمد بن جبر الحربي هداه الله.

فكيف نستجدي كاهن الحي وعندنا كتاب الله المحفوظ، وفيه نبأ ما قبلنا وخبر من بعدنا، وما دام المنطق نفسه خطأ فماذا نتوقع؟

والغربيون ينطلقون في كلامهم عن الدين القديم أو المجتمعات البدائية أو الطقوس المصرية القديمة، وحضارة بلاد ما بين النهرين، أو أواسط آسيا من هذا المنطلق الوثني الافتراضي، وهو أن الإنسانية بدأت مشركة، ثم تطورت من تعدد الآلهة إلى توحيدها في إله واحد هو الشمس بزعمهم، ثم ظهرت الأديان التوحيدية الحديثة كاليهودية والنصرانية والإسلام كما يقولون.

ولا ذكر في تاريخهم مطلقا لأي رسول، وغايتهم أن يقولوا كما قال "سبنسر" في كتابه "الموتى وعالمهم في مصر القديمة" إنه كان لدى بعض قدماء المصريين أفكار دينية تقدمية!!

أما العصور الأحدث فيقسمونها بحسب الأدوات أو المعادن المستخدمة فيها، فيبدأون بالعصر الحجري، ثم العصر الحديدي، ثم العصر النحاسي، ثم العصر البرونزي "والبرونز قصدير مع نحاس" وهكذا.

وبالنسبة للعلْم تجد أن العصور التاريخية هما عصران كبيران: ١- عصر ما قبل الكتابة، ٢- عصر الكتابة الحديث.

ويتفقون على أن عصر ما قبل الكتابة لا يزال حتى اليوم لدى السكان الأصليين بل كل الأميين.

أما عصر الكتابة فهم يختلفون كثيرا من أين كانت بدايته، ففي حين يقول بعضهم إن الكتابة بدأت من جيل في لبنان، أو في رأس شمرا في سورية "أوغاريت"، يذهب فريق منهم إلى أنها وجدت أولا في مخطوطات ما بين

النهرين، بينما يذهب فريق ثالث إلى أنها عرفت أولا في اليمن ومصر، ويذهب فريق رابع وربما كان أحدثهم وأكثرهم تعمقا إلى أن الكتابة "الهيروغليفية" أو "الهيراطيقية" أصلها منقول عن جزيرة العرب، إذْ أن المصريين القدامى هاجروا منها إلى مصر والله أعلم.

وإذا ضممنا إلى القول الرابع ما قاله المقريزي، وما يذهب إليه بعض المعاصرين أن بناة الأهرام هم قوم عاد، وأن آثارهم موجودة تمتد من سلطنة عمان شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا ترجَّح لدينا هذا القول والله أعلم.

أما "هيرودوت" ونظراؤه من اليونانيين وغيرهم فهم مجرد مستعمرين أو في أفضل الحالات —باحثين– أدهشتهم الحضارة المصرية، وكتبوا الأسماء بلغتهم اليونانية القديمة، وفق ما سمعوا من بعض المتأخرين من المصريين فالعاصمة عندهم هي "هليوبوليس" مثلا، والصنم "حُرّ" أي الصقر هو "حوريس"، أما المعبود الأكبر عزير فيكتبونه "أوزيريس" وهكذا!.

وقد ذكر "ديورانت" أن المسافة الزمنية بين "هيروديت" والسومريين أكثر مما بيننا وبينه.

وقبل المصريين كان قوم نوح الذي حدث الطوفان في أيامه، ثم انتقلت عبادة الأصنام منهم إلى العرب.

وقد لقيت بعض كبار السن الذين رافقوا "فيلبي" في رحلته ورأوا الصنم "نسر" ووصفوه، وكانوا يقولون استخرجه "ثيلبي"، وربما قال بعضهم "ثيربي".

ويجب على كل داعية بل على كل مسلم، أن ينكر الاحتفاء بالأصنام ومنها الصنم "نسر" المحفوظ اليوم بالرياض، وفي الاحتفاظ به صرف لبعض أنواع العبادة لغير الله.

ولإنكار ذلك أسباب هذه بعضها:

١– أن العبادة ليست محصورة في الركوع والسجود والدعاء، فالتعظيم نفسه نوع من العبادة، وهل وضْع الأصنام في المتاحف إلا تعظيم لها.

٢- لو سلّمنا أن ذلك تراث إنساني ثقافي كما قال مجلس الوزراء السعودي، فهل كل التراث يعظَّم ويحترم؟ وهل تعظيم هذا التراث إلا تقليد غربي منافٍ لعقيدتنا وثوابت مجتمعنا، وإنفاذ لوصية الكفار؟ وهل أوصى بالمحافظة على الآثار إلا مؤتمر المستشرقين؟ وهل كل تراث له اعتباره، حتى ولو كان غير صحيح تاريخيا وغير ثابت بالسند المتصل الصحيح؟ وهل عبد المشركون أصنامهم إلا لأنها تراث خلفها الآباء والأجداد؟ أليس تكليف ابن بليهد بجمع الآثار وكتابة كتابه "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار" تنفيذاً لما أوصى به أعداء الإسلام؟

والعجيب أن الأمور لم تقف عند هذا الحد، بل جعلوا إدارة للآثار في كل منطقة تعليمية ثم جمعوا ذلك في هيئة واحدة سموها "هيئة السياحة والآثار"، وليس المتحف الوطني بالرياض إلا أحد واجهاتاها! وهذه الهيئة لا تخفي أنها تنفذ ما تقرره المنظمات الدولية لا سيما منظمة "اليونسكو".

٣- أن القضية لا تنحصر في تعظيم الآثار بل أعم من ذلك كأماكن المعذَّبين مثلا، وما التعظيم إلا خطوة تشجيعية للسياحة في المساكن المعذَّبة كمدائن صالح التي هي مساكن ثمود "أصحاب الحجر"، ونهى النبي ﷺ أصحابه عن دخولها إلا باكين، ومثل نقوش الفراعنة الذين يعرف الناس دينهم، وقد أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله بتحريم إنشاء الفنادق في مدائن صالح، فهل كان سماحته مخطئا في فتواه؟

وقبله كان شيخ الإسلام ابن تيمية قد أنكر إحياء بعض الآثار التي لا أصل لها، كقبور الأنبياء المكذوبة، ورأس الحسين، ومسجد كذا ومغارة كذا، وجبل كذا.

ثم جاء الشيخ الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله فوسّع في ذلك وزاده إيضاحا في رده على صالح جمال وغيره، وقد ضمّن رده ذلك في مجموع الفتاوى والمقالات له.

وهل عظّم جهلة أهل نجد قبر زيد بن الخطاب قبل دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلا لذلك.

٤- لو افترضنا جدلا أنه لا أحد يعبد نسر اليوم، وأن العبادة هي ما يظنه الناس فمن يضمن الأجيال القادمة، وهل عبد قوم نوح الأصنام في الجيل الأول أم بعد أن تناسخ العلم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

٥- على هذا المنطق الأعوج وهو حماية كل تراث، يكون إرسال النبي ﷺ أصحابه كعلي بن أبي طالب وخالد بن الوليد وجرير بن عبد الله، والطفيل بن عمرو خطأ، يدل على عدم الاهتمام بالتراث والمحافظة عليه، ويصح كلام المستشرقين وأهل الكتاب من أنه صلوات الله عليه لا يعرف قيمة الآثار! ويكون هدم الأضرحة التي كانت في البقيع والمعلاة من الخطأ، ويكون تدمير تماثيل النمرود خطأ، وكذلك تدمير أصنام باميان، وقس على ذلك ما شئت، وإنما المصيب هو الروم والنصيرية حينما حافظوا على آثار تدمر وكذا كل خرافي في العالم!

٦- هل تعظيم الأصنام من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله؟ أم مصادم لها كل المصادمة، وهل يحق لمن يعظمها أن يقول إنه على عقيدة الشيخ؟

وهذا الكلام يقوله من يقول إنه على الكتاب والسنة، فأي كتاب وأي سنة يقصد؟ وهل كان تصوير الصالحين من قوم نوح إلا مقدمة لعبادة الأصنام.

ويقال إن التصوير كان مباحا في شرعهم، وهذه الصور كانت معلومة لدى بعض الصحابة رضي الله عنهم، انظر مثلا تفسير ابن كثير عند آية الأعراف ﴿مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، ولما فتح النبي ﷺ مكة رأى صورة إبراهيم وإسماعيل، حيث صورهما المشركون وهما يستقسمان بالأزلام، وأخبر أن هذا منهم افتراء.

والعجيب أن من الصور التي لا يعلق عليها المنافقون، بما يدل على سلامة الفطرة وصحة دين الإسلام، صورة إبراهيم عليه السلام والصور القديمة التي في المتاحف عن أناس يضعون أيديهم اليمنى على اليسرى كهيئة الصلاة!

وهذه الصلاة وهذا الدين هو دين الأنبياء جميعا، وهو ملة إبراهيم التي أوحى الله النبي ﷺ، وأمره ربه باتباعها، وضل عنها أكثر الأولين، ورغب عنها الذين سفهوا أنفسهم.

وإني لا ينتهي عجبي من سكوت بعض العلماء على الصنم "نسر"، مع أنه مذكور في كتاب الله أنه من أصنام قوم نوح.

والله تعالى أمرنا أن نكون على ملة إبراهيم الذي جعل الأصنام جذاذا، وقال لرسوله محمد ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل:١٢٣].

ونحن نقول كل يوم "أصبحنا على الإسلام، والفطرة ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا إبراهيم"، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الحج:٧٨].

وإبراهيم هو أبو نبينا محمد ﷺ، ونحن أولى الناس به، والآيات في ذلك كثيرة معلومة وهو محطم الأصنام، ومن يأمن أن لا يتناسخ العلم فيستغيث به العوام ويدعونه ويطوفون به؟

فأين علماؤنا وأين دعاتنا وأين من يأمر بالتوحيد ويحمي جنابه، وينهى عن الشرك وذرائعه.

ولا أقول إنه يجب على كل أحد أن يجعله جذاذا، بل يجب على كل أحد أن يحطمه في القلوب أولاً، ثم يحطمه في الواقع كما فعل ﷺ.

هذا فوق الكلفة المادية في استخراجه وحفظه والعناية به، مع أن الفقراء والمساكين وما أكثرهم أحوج لذلك.

وقد قرأت في إحدى الجرائد المحلية قديماً أن قرية الفاو وآثار الأخدود كلفت مئتي مليون ريال، ولو أسندوا الأمر إلى مراكز الهيئات لاستبقوا النافع وتركوا الضار بالمجان.

وإذا كان بعض الجهال يظن أن المحافظة على الآثار عمل حضاري وأنها تراث إنساني، وأن إزالتها تطرف و"وهابية!!"، ولا يقلدون إلا الغرب الكافر، أقمنا عليهم الحجة بما فعلته النمسا "الرايخ الشرقي" حين هدمت بيت هتلر في شوال ١٤٣٧هـ يوليو ٢٠١٦م، وعللت ذلك بأن اليمين المتطرف اتخذه مزارا، فهؤلاء إما أن يتبعوا النمسا أو يقولوا إن النمسا وهابية! كما أن الإيطاليين هدموا مترل "موسوليني" فماذا تقولون أيها الليبراليون؟ وماذا تقول هيئة السياحة والآثار.

وإنما الإسلام دين الحق والحقيقة، وهو اتباع وليس ابتداعا، وقد ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى "أن كل مسجد بمكة وما حولها محدث، وأن النبي ﷺ لم يذهب هو ولا أحد من أصحابه إلى المكان الذي بايعه فيه الأنصار"، أي إلى ما يقال له اليوم "مسجد البيعة".

ومن الأخبار التي تحتاج لمزيد من التحقيق ما ذكره المسعودي من أن أهل التبت من اليمن، وكون اليونان من قحطان، وكون البلوش من دوس.

والغربيون لم يكونوا يعرفون التاريخ باليوم كما فعل مؤرخو الإسلام، وإنما يؤرخون الأحداث بالسنة.

ومن العجيب أن نجد ابن تيمية رحمه الله يذكر في "درء تعارض العقل والنقل" أن فلاسفة اليونان إنما أخذوا فلسفتهم عن زنادقة أهل الكتاب بعد سليمان عليه السلام، وهذا يتفق مع المصادر الغربية الكثيرة التي عثروا عليها بعد وفاة الشيخ.

والمؤرخون اليوم يذكرون أن أول الماديين هو "طاليس" الذي عاش في القرن السابع قبل الميلاد، بينما عاش سليمان عليه السلام في القرن العاشر قبل الميلاد، أي قبل "طاليس" بثلاثة قرون، أما "أرسطو" مثلا فإنه عاش في

القرن الرابع قبل الميلاد، أي بعد "طاليس" بنحو ثلاثة قرون، وهكذا يقوي المؤرخون المعاصرون كلام شيخ الإسلام دون أن يشعروا.

ونحن المسلمين نختلف مع المؤرخين الغربيين المعاصرين وأتباعهم في أننا لا نعد الفراعنة من القدماء جدا كما يعدونهم اليوم، فقبلهم كانت عاد وثمود مثلا والقرون الأولى، وفي كتاب الله تعالى يقول جل شأنه على لسان فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه:٥١] وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [القصص:٤٣]، ومنذ أن أنزل الله التوراة لم يهلك أمة من الأمم بعذاب من عنده، وإنما شرع الجهاد الذي يقوم به المؤمنون، وجعل سنةَ التدافع.

وليس في القرآن ذكر الحضارة أو الحضارات، بل فيه (القرون، الأمم، القرى) ونحو ذلك، ويبدو أن فرعون الذي يقولون إنه "رمسيس الثاني" هو الذي أرسل الله إليه موسى عليه السلام فهو متأخر إذن، وقد يسمى القدماء كلهم بني إسرائيل وتأتي مرادفة لقوله (ممن كان قبلكم) في بعض الروايات كحديث (لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم)، أو أنه مروي بالمعنى.

والراجح عندي هو ما ذهب إليه بعض الباحثين في المصريات أنهم هاجروا من جزيرة العرب إلى مصر.

والذين يسميهم المؤرخون الغربيون "الهكسوس" يقول بعض الباحثين إنهم "الحق صوص" من أصل كنعاني، وقد جاء في القرآن الكريم في قصة يوسف عليه السلام أنهم ملوك أي ليسوا فراعنة، ووزيرهم يسمى "العزيز" والله تعالى أعلم، فليس كل من حكم مصر فرعونا، ومن الجاهلية والانتكاسة العقلية أن يسمي المصريون أنفسهم الفراعنة، في حين أن فرعون كان كافرا كما في التوراة والقرآن.

كما أن بعض الباحثين العسكريين اليوم يخوّفون العالم من قوة أمريكا ويقولون إن أمريكا أقوى من الدولة التي تليها في القوة بما يعادل ١٥ مرة، وينسون أن تلك القوة مادية فقط.

وهذه القوة الأمريكية آخذة في الضعف والانهيار كما هو مشاهد، وقد بين الكاتب الأمريكي المعاصر "بول كندي" أسباب سقوط القوى العظمى في كتابه "قيام القوى العظمى وسقوطها"، وأمريكا اليوم هي الامبراطورية الكبرى في العالم، وتُقلِّد الامبراطورية الرومانية في كل شيء، ومن الانهيار في هذه القوة أنها إذا نزل الثلج أوقفت الرحلات الجوية وتوقف الطيران الذي تفتخر به، وما يعلم جنود ربك إلا هو.

ومن انهيارها ما تحدث عنه وزير الدفاع الأمريكي المستقيل "تشاك هاجل" الذي قال عنه "ماكين" إنه محبط، وذكر الوزير بنفسه سبب إحباطه، وأنه الفشل الذريع الذي منيت به السياسة الدفاعية لأمريكا.

ومن أسباب انهيار أمريكا أن ديونها زادت جدا إلى حد اعتبارها أكبر مديونية في التاريخ، وأن البضائع الصينية غزتها حتى أصبحت البضاعة الأمريكية نادرة داخل أمريكا.

وبسبب الفائدة (الربا) ازداد الوضع سوءا بحيث لا يجدي معه أي حل يضعونه، وصدق الله ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة:٢٧٦].

وأفلست فيها مئات البنوك والشركات والمؤسسات وأقفلت فيها المصانع، بل أعلنت عشرات المدن إفلاسها.

وفي نفس الحال تورطت اليابان بعد أن كانت معجزة كما قرر "بول كنيدي" في كتابه "التطلع إلى القرن الواحد والعشرين"، وتأخرت مرتبتها وغاصت في أوحال الربا الغربي، ولم تنفعها الشركات الكبرى مثل "تويوتا" أو "سوني"، وقد حدثني مسؤول ياباني قال إنه مدير شركة "أنباء اليابان": إن الامبراطور عندهم إله من نسل الآلهة. فقلت له مما قلت: هو إذن مثل "جنكز خان". وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن "جنكز خان" غير معروف الأب، لذلك يقول التتار إنه من نسل الشمس، كما يقول اليابانيون اليوم في إمبراطورهم.

والمقصود أن الأمريكان وأتباعهم في عمى وغفلة لا يعتبرون ولا يتعظون وهم كالمشركين الأولين وربما أكثر شركًا، وليس أكثر منهم كفرًا إلا المنافقون الذين يقتدون بهم.

بل إن الأمريكان أنفسهم يكتشفون مساكن عاد بالأقمار الصناعية، والمساكن التي قال الله عنها: ﴿فَأَصْبَحُواْ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمۡ﴾ [الأحقاف:٢٥]، ومنها القمر "لاندسات" ثم يستخدمون الطائرات العمودية للهبوط في الربع الخالي ويستعينون بخرائط أرامكو في ذلك طمعا في تلك المساكن التي تقول فيها إسرائيلياتهم إنها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، والقوم إنما يعبدون هذين متأثرين بيهوديتهم أو بأخلاق اليهود، لكنهم لا يجدون شيئا من ذلك وإنما يرون بحارا من الرمال تكاد تلتهمهم فيهرعون لركوب الطائرات والعودة خائبين.

ورحم الله أبا الدرداء الذي قال ضمن موعظته لأهل دمشق: "من يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين"، وبالطبع أهل دمشق أعقل من هؤلاء الأمريكان!

وهؤلاء إنما ألهاهم التكاثر وجمع الحطام كما أثنى الرئيس "جورج ووكر بوش" على امرأة أمريكية قالت إنها تعمل في ثلاث وظائف وجعلها مثالا لكل الأمريكيين.

وهذا انسياق وراء الطمع البشري وحب للثروة، ولو قيل للأمريكي إن سفينة إسبانية محملة بالذهب غرقت في بحر كذا لسافر إليه واستأجر الغواصين!

ولما أنتج الأمريكان فيلما خياليا، ووضعوا في صورة رجل ضخم، وقالوا إنه من قوم عاد عثرت عليه شركة أرامكو، صدق ذلك كثير منهم، وجعلوا الخيال واقعا، فاضطرت إدارة العلاقات بالشركة إلى نفي ذلك.

أما القبور العملاقة كما يقول الباحثون فهي معروفة في جنوب جزيرة العرب، وقد رأيت بعضها، ومنها قبور الزينات في بلاد زهران وقبور آل

زارع في بلاد غامد والعامة يسمون كل قديم "عاديا"، وبعض المؤرخين يقول إن هذه القبور للأنبياء وفي ذلك نظر، إذ بعضها متجه نحو الشمس، أي أنه أقرب أن تعود القبور لعبدة الشمس كقوم سبأ ونحوهم، الذين قال الله فيهم على لسان الهدهد: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٢٤]، والعلم عند الله.

والمؤرخون اليوم لا يعتمدون إلا على النقوش المكتوبة وحدها، وذلك بسبب التحريف الذي ثبت لديهم في التوراة والإنجيل، وهذا تقصير شديد؛ فللتاريخ مصادر كثيرة أهمها جميعا كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم السنة النبوية، ثم التواريخ الموثقة، ثم تأتي المصادر الأخرى مثل أخبار أهل الكتاب، وما يقوله الإخباريون، والنقوش المكتوبة، وأمثال ذلك.

ومن المؤرخين الإسلاميين اليوم الأستاذ عماد الدين خليل والأستاذ الدكتور علي بن عودة الغامدي والدكتور محمد السلومي، أما المؤرخون العلمانيون فكثير، ومنهم أحمد فخري المصري، وطه باقر العراقي، وفراس السواح السوري.

أما الأهرام التي بالجيزة بمصر، فقد وجد الباحثون أمثالها، ولكن بحجم أصغر في اليابان والكونغو وأمريكا الجنوبية، ولاحظوا فيها كلها ميلا باتجاه الكواكب التي في السماء، أي أنها هياكل لتلك المعبودات عياذا بالله، لاسيما كوكب "الشِّعرى"، وهي نجم لماع أكبر من الشمس، يسميه الغربيون "سيروز"، وهو أحد نجوم "الكلب" وهو معروف منذ القدم، وبالأهرام نافذة تطل عليه، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في سورة النجم ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ﴾ [النجم:٤٩-٥٠]، وهذا رد على المشركين عُبّادِه، كما أن بناة الأهرام يتجهون بها نحو النجم القطبي، فالمشركون الأولون كانوا عبدة كواكب كالصابئة.

وفي سورة الأنعام قصة إبراهيم عليه السلام وأبيه "آزر" الذي يذكر العقاد أنه "آشور"، واحتج عليهم إبراهيم عليه السلام وأعطاه الله الحجة عليهم.

وليس "أخناتون" هو أول الموحدين كما يزعمون، بل إن كل عمله هو توحيد المعبودات في صنم واحد هو الشمس، كما يقولون وبعض المتقدمين يسمى كل الآثار ومنها الأهرامات والمسلات "برابي" وقد ذكر المقريزي أن الذي بنى "البرابى" هم قوم عاد وبالذات شداد بن عاد، وفي كيفية بنائها يختلف المؤرخون الحديثون اختلافا كبيرا، والأظهر والله أعلم أن الأهرام هي الأوتاد المذكورة في القرآن، وأن المدعو "رمسيس الثاني" هو فرعون الذي أرسل الله له موسى الكليم عليه السلام، ويقول المحدَثون إنه حكم سبعين سنة، وأنه ورثها ولم يبنها كما ورث الأنباط الذين كانت عاصمتهم "البتراء" مساكن ثمود وكتبوا فيها.

بل إن الفراعنة أنفسهم كلما هلك منهم فرعون وجاء آخر طمس آثار من قبله وغير ما هو مكتوب على الأهرام وغيرها، مثلما طمس الحكام اليوم آثار من قبلهم من على النقود وغيرها.

وحيرة المؤرخين المعاصرين في نهاية قوم ثمود وقول بعضهم إنا لا ندري كيف كانت -كما قرأت لهم في جريدة الجزيرة الصادرة في الرياض- ليست في محلها ولا داعي لها؛ بل إنها دليل على أنهم لا يقرأون القرآن ولا يستمدون منه التاريخ، فالطالب الصغير قبل المرحلة الابتدائية عند المسلمين يعرفها عن يقين خصوصا إذا كان من طلبة تحفيظ القرآن الكريم، بل إن بعض المفسرين يحدد قاتل الناقة ويقول إنه قدار بن سالف.

وأياً كان الأمر فقد أبقى الله آثارهم عبرة لمن بعدهم وأهلكهم لما كذبوا صالحا عليه السلام وقتلوا الناقة.

وهذه نهاية كل أمة تعصي الله وتطغى وتفسد، مهما أمهلها الله تعالى وحلم عنها، ولو لم أقرأ بنفسي لبعض من يدعي الإسلام حيرتَه وجهلَه مع أنه في بلاد الحرمين لما صدقت ذلك!!

والنبي ﷺ مر بديار ثمود في غزوة تبوك فأمر الصحابة ألا يدخلوها إلا باكين، ولا شك أنه ﷺ أعلم بهم من هؤلاء الحيارى، ولا يجوز بناء الفنادق أو اعتبارها منطقة أثرية سياحية كما تزعم هيئة السياحة والآثار.

والمقصود أن وراثة الأهرام لا تعني بالضرورة بناءها، وأقرب ما قيل في بنائها -والله تعالى أعلم- هو ما ذهب إليه باحث دنمركي معاصر من أن القدماء كانوا يدفنون ما يبنون منها ويرتقون عليه إلى ما فوقه، ثم أزالوا التراب عنها كلها فظهرت هذه الأهرام.

والأهرام على كل حال ليست مدعاة للفخر، بل ذهب ضحية بنائها الآلاف من المصريين، وقد جاء بعض الغربيين إلى مصر واستأجر عمالا وبنوا له أهراما صغيرة على مثالها.

ويقدر المؤرخون حجارتها بملايين الأطنان خصوصا الهرم الأكبر، والقدماء بنوها على معتقداتهم وحرسوها بالجن، وعن ذلك نشأ ما يسمونه "لعنة الفراعنة". ولما أهدوا بعض ما أمكنهم أن يستخرجوه إلى ملكة بريطانيا في ذلك الحين "فكتوريا" ومنها قلادة لبستها رأت الملكة أن القلادة تهتز وتتحرك وتذهب وتجيء، فخلعتها وأمرت بإعادتها فأعادوها.

وكل من استطاع أن يدخل إلى داخل الأهرام أصابته امراض قد يموت منها، وقد مات عند "توت عنخ آمون" وحده أربعون مستكشفا أثريا، ومنهم كثير من الباحثين مثل "كارفون"، ويقولون إنه لا يتولى أحد إدارة الآثار في مصر إلا هلك بعد سنين معدودات، أي أن لعنة الفراعنة تصيبه كما يقولون!

ويقولون أن السبب المباشر للموت هو لدغ ثعابين الكوبرا، وقد أخبر النبي ﷺ أن من الجن من يكون على صورة الحيات والعقارب، وهؤلاء الجن

يعبدهم الملايين في الغرب اليوم، وقد نشرت جريدة الحياة قديما إن عُبَّاد الأهرام في أمريكا يبلغون عشرة ملايين، ولا ريب أنهم اليوم أكثر.

وفي عهد النبي ﷺ مات فتى من الأنصار بعد قتله ثعبانا، وعلّم النبي ﷺ أمته أن تنذر عمار البيوت من الثعابين ثلاثة أيام، فإن لم يذهب قتلوه.

وروى البخاري أن ابن عمر كان يقتل الحيات كلها، وأكثر آثار الأقدمين ثبوتا في العالم هي آثار مصر، ومع ذلك عبث بها اللصوص منذ القدم وكذا المنقبون الذين يظنون في كل عصر أنهم أعلم الناس وأكثرهم عناية ودراية.

وكانوا يستخرجون الدفائن منها ويعدون ذلك نوعًا من الركاز، والله أعلم.

كما أن بعض آثار مصر بيعت وبعضها موجود اليوم في المتحف البريطاني، أو في متحف اللوفر بفرنسا، ولما دخل الصليبيون مصر أيام نابليون ومن بعده، حملوا آثارها إلى الاسكندرية، ثم نقلوها إلى السفن التي حملتها إلى القارة الأوروبية، وهكذا سقطت بعض اللفائف وبعض البرديات، وبعض العظام وبعض المومياءات.

وكل الآثار التي أبقاها الله تعالى إنما يراد منها الاعتبار والاتعاظ، قال جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ [السجدة:٢٦]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ [محمد:١٠]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [يس:٣١]، وقال: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ﴾ [المرسلات:١٦-١٧]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:٥١] والآيات في هذا كثيرة.

فهذا هو المقصود الشرعي، وليس المقصود بها ما يظنه هؤلاء الغافلون الغربيون وأذنابهم من الليبراليين من السياحة والتفرج، فهم مثل الذي يتأمل

مجرى سيل عظيم من داخله ثم يجرفه السيل وهو في غفلة، ولو كان الآثاريون يتعظون ويعتبرون بما أمر الله لكانوا أكثر الناس عبادة لله، فالحال كما قال "بلوتارخ" "توجد مدن بلا حصون، وتوجد مدن بلا قصور، وتوجد مدن بلا مدارس، ولكن لا توجد مدن بلا معابد"، فالعبادة فطرة بشرية لا بد من تحقيقها كما قال "كولن ولسن" في كتابه "رحلة إلى البداية".

أما المسلمون فيتعظون بكل ما يرون لا سيما الجنائز المعاصرة، قال أبو الدرداء ﷺ لما مروا عليه بجنازة: "موعظة بليغة وغفلة سريعة"، وتمثل بعض الصحابة كطلحة بن عبيد الله بقول الشاعر:

فقل للذي يبقى خلاف الذي مضى تهيأ لأخرى مثلِها فكأنْ قَدِ

ولو كان هؤلاء يعتبرون لاعتبروا بمصير "شلوم زلمان"، وهو مؤرخ يهودي ألماني نقّب في تركيا فوجد أن إحدى المدن بُنيت ثم طُمرت سبع مرات متراكبة، أو بمصير "جروتردبل" في العراق، أو مصير عبدالله فيلبي الذي اكتشف لهم الربع الخالي، وهذا هو مصير ملوكهم ورؤسائهم الميت منهم والحي كالملكة "أليزابت" والملكة "فكتوريا"، وكل من حكم بريطانيا وأمريكا، وكل منهم الآن أفضى إلى ما قدم أو سيفضي عما قريب، ولا ينفعه مِن بحثه ورحلته أو من ملكه مهما طال، إلا أن يكون مؤمنا بالله مخلصا له الدين، عاملا بأوامره ومجتنبا لنواهيه.

ومن أعظم الآثار العالمية اليوم ما يسمونه "ناطحات السحاب" في اليمن، وقد رأيتها هناك، وهي في وادي ظهر وفي كوكبان وشبام ومناطق كثيرة من حضرموت.

وليس العجب هو علوها فقط، بل إن ناطحات السحاب في نيويورك وشيكاغو وكل مكان في العالم اليوم، إنما تبنى من الاسمنت الذي يقرر خبراء العمارة أنه سوف يؤول إلى تراب بعد أجيال، وهذا عكس ناطحات السحاب الحجرية أو الطينية في اليمن، وقد مر عليها قرون وهي على حالها، ومنها ما رأيته في "ذي عين" بالمخواة.

وقد قال بعض الحكماء: "كل بناء أخشى عليه من الدهر إلا الأهرام فإني أخشى على الدهر منها".

وفي اليمن آثار كثيرة للمؤمنين بنبي الله هود عليه السلام، ومنها ما هو مذكور قديما مثل (حبَّى وسلمى تشهدان أن هودا نبي الله)، وقرأت في إحدى المجلات أنهم وجدوا نقشا مكتوبا عليه "أشهد أن لا إله إلا الله وأن هودا رسول الله"، ولا تزال اليمن منجما ضخما للآثار والكنوز.

ومما ينبغي ذكره أن أحد مؤتمرات المستشرقين أوصى بالاهتمام بالآثار القديمة، وأن تتجنب الدول هدمها، وإنفاذا لذلك كلف بعض السابقين الشيخ "ابن بليهد" ليبحث في الآثار، كما كلف المدعو حسن عبدالله المصري وضع نظام للآثار، فوضع لذلك قانوناً سمّوه "نظاما" حدد فيه عمر الأثر بمائتي سنة، وحرّم المصري طمس أي أثر أو إزالته أي بعكس ما صح في السنة، وعليه تجنبت وزارة الموصلات في حينه التي أصبحت الآن وزارة النقل هدم الآثار والحصون على الطرق، وتعمدت إبقاءها، وكلٌّ حسابُه على الله ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩].

ثم أوصى الآثاريون بأن تُضم أو تُدمج إدارات الآثار في إدارات التعليم لكي يتعلمها الناشئة ويعرفوا قدرها، والمراد بذلك أن يحيوا الجاهليات القديمة وأن يطمسوا أو يشوهوا تاريخ الإسلام، مثل إحياء السومرية في العراق، وإحياء الفينيقية في لبنان والشام، والفرعونية في مصر، والمعينية والسبئية في اليمن، والفاو والأخدود في جنوب جزيرة العرب، وسوق عكاظ وسوق كذا وندوة قريش وهكذا، وبذلك تفاخر دول الطوائف هذه بماضيها الجاهلي وما عمله المشركون، ولا تذكر الإسلام أبدا ولا تفتخر بالفتوحات الإسلامية العظيمة التي هي أعظم الفتوحات في التاريخ، وممن أعجب بها "نابليون بونابرت"الذي قال: "إن العرب فتحوا نصف الدنيا في نصف قرن"، والواقع أن المسلمين فتحوا كل العالم المتحضر في حوالي ٣٠ سنة.

واليوم يدرِّسون الناشئة مادة "التربية الوطنية"، وليتهم يدرّسون مكانها "التربية الإسلامية"، وبعض معرك الإسلام الكبرى وأخلاقه الحميدة.

ويريد الآثاريون هؤلاء أن تقف الناشئة على آثار الأقدمين فتمجدها كما وقف البحتري على إيوان كسرى فرثاه بقصيدته التي مطلعها:

صُنْت نفسي عما يدنِّس نفسي وترفّعتُ عن جَدا كلِّ جِبْسِ

ومجّد فيها الإيوان الذي دخله سعد بن أبي وقاص وهو يتلو قوله تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان:٢٥-٢٧].

وإنما ينبغي الاعتبار بمصيرهم كما قال المتنبي:

أين الأكاسرة الجبابرة الأُلى كنزوا الكنوز فما بَقِيْنَ ولا بَقُوا

وصدق الله العظيم لما قال: ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟﴾ [النمل:٥٢].

فهل يعتبر بذلك الغرب عامة وأمريكا وأتباعها خاصة.

وهكذا يريد الشيطان وأولياؤه أن يوقعوا الناس في الشرك ولكن من باب آخر.

ومما يعد من الآثار ويشترك في دراسته الباحثون الآثاريون وعلوم أخرى كالأحياء والجيولوجيا "الأحافير"، وكذا المخطوطات القديمة التي أهمها وأصحها مخطوطات القرآن الكريم.

وأهل الاعتقاد الصحيح وسط في الآثار بين الغلاة والجفاة، والآثار النبوية إذا ثبتت ينبغي الاحتفاظ بها ولا تزدرى كما قد يفعل بها بعض الناس ولا يغلى فيها كما يفعل كثير من أهل الخرافة والشعوذة، وينبغي نهيهم عن ذلك وحفظ ما يُشرع حفظه عنهم.

ومن المنهج الاسلامي في التعامل مع الآثار النبوية ما ذكره الله في القرآن من آثار موسى وهارون المحفوظة في التابوت فأرسلها لبني إسرائيل آية على أن طالوت يستحق الملك.

وكذا ما رواه البخاري في الصحيح عن عروة بن الزبير عن أبيه الذي سأله النبي ﷺ أن يعطيه العنَزة التي طعن بها أحد المشركين يوم بدر وتداولها ﷺ الخلفاء الراشدون حتى آلت إلى عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، الذي بقيت عنده حتى قتل.

وكان عند الإمام أحمد رحمه الله شعرة من شعر النبي ﷺ، وأوصى إذا مات أن توضع فوق عينه وتدفن معه.

ومن تفحص الآثار المكذوبة يسر الله له معرفة الكذب فيها، وأذكر مرة أن أحدهم أخبرني في جدة أن عنده ملابس للنبي ﷺ فطلبت منه رؤيتها، فلما أحضرها إذا بها من قماش إنجليزي حديث.

والخرافيون في المدينة يتداولون طاسة يزعمون أنها طاسة النبي ﷺ، وهي صناعة هندية حديثة.

ومن الآثار ما هو مكذوب قطعًا كمكان المولد الشريف الذي يعظمه الجهال اليوم بمكة، ويتوافدون للصلاة مستقبلين المكتبة ومستدبرين الكعبة كما شاهدتهم.

وينبغي التفريق بين أن يطلع بعض أهل العلم على الآثار لبيان حقيقتها والاعتبار بما ثبت منها وبين أن يتدفق إليها العامة والجهال أرسالا ويتبركون بها كما يفعلون اليوم حين يتركون الصلاة في المسجد الحرام، ويذهبون إلى غار ثور.

ولا يجوز أن يقاس على النبي ﷺ أحد مهما قيل عن صلاحه وتقواه.

والمقصود أن للآثار قيمة واعتبار بلا جفاء ولا غلو.

ويلحظ الآثاريون التشابه الشديد بين الهيروغلوفية والعربية القديمة، وهذا يصدق ما يقوله بعض الباحثين في "المصريات" من أن المصريين القدماء عبروا البحر الأحمر قادمين من شبه الجزيرة العربية، ومنهم الباحث الغربي "ولس بدج".

والمصادر العربية لا تذكر أن العرب فرع من الشعوب التي يسمونها "السامية"، وإنما تذكر أن سام بن نوح أحد أبناء نوح، والمؤرخون مثل "بريستد" وقبله "سارتون" وكذا "لوبون" و"جيبون" لاسيما المستشرقون منهم، وكذا "رينان" يقولون اللغات السامية" كي لا يقولوا العربية القديمة، وتبعهم كتاب الموسوعة العربية الميسرة، وبعضهم يقول إن السامية هي الشامية، وشيخ الإسلام في "الجواب الصحيح" يذكر أن أهل الشام كانوا يعرفون العربية في الجاهلية، وقد صحح الشيخ الألباني ما جاء في الحديث من أن العربية عربيتان: ١- عربية غير مبينة، وهي العربية القديمة التي كان يتكلمها أهل اليمن وأهل سومر وبابل والآشوريون والكنعانيون والعمالقة، ٢- العربية المبينة التي أول من تكلم بها إسماعيل عليه السلام، وبينهما تقارب كبير جعل امرأة إسماعيل تفهم ما قاله إبراهيم، وربما كانت تفهم اللهجتين.

وقد عرف المسلمون الآثارَ قبل الغربيين بقرون، وعلى طريقتهم سار الغربُ الذي لم يعرفٍ الآثارَ إلا في العصر الحديث.

وقد كانت الحضاراتُ القديمةُ يقوم أكثرُها على الشرك وعبادة الكواكب، ويستخدمون السحر في عمل الأرصاد والطلاسم، وقد أسهم في ذلك الشيطانُ وجندُه، وسخّر إبليسُ مردةَ الجن لزيادة الرَّهَق، وتحدَّث عن ذلك ابنُ عبدالحكم والمسعوديُّ والصفديُّ والقضاعيُّ، وبالغ فيه العامةُ كثيرا، ومن أشهر العلماء الذين تحدَّثوا عنها أبو محمد بنُ حزم في "الفِصل"، وأكثروا من الخرافاتِ التي يفنّدها العلمُ المادي الحديث، وكان المسلمون مثل فخرِ الدينِ الرازي يعدُّون الطلاسم نوعا من الحِيل التي تقوم على هندسة لا يعلمَ العامةُ أسرارَها، وأفاض شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في "الجواب الصحيح" في ذكرِ بعضِ حيل الرهبان وبيان الحقيقة في ذلك، وأنه ليس كما يظنُّه العوام.

وقد كان عبدةُ الكواكب يقولون إن ذلك من بعض أسرار النجوم ولا يعرفها إلا الفلكيون والكهنة، لكي يحتكروا تلكَ الأسرارَ، وقد أوحى

الشيطانُ إلى أوليائه من قديم بتعاويذَ يعرفها كهنةُ الفراعنة تفك الطلاسم، كما أوحى إلى أوليائه من اليهود بأن سليمان عليه السلامُ إنما كان يسخّر الجنَّ بالسحر وليس بتسخير الله. والحديث في هذا يطول جدا.

وحسبُ صاحبِ العقيدة الصحيحة أن يكون على ملةِ إبراهيمَ عليه السلام، منكِراً للتنجيمَ والسحر، وأن يؤمن بوجود الشياطين والجن، وكثرةِ الحيل الشيطانية لإغواء بني آدمَ، وأن الشياطينَ التي كانت تنطقُ من الأصنام عند عرب الجاهلية، لا يُعجزُها أن تنطق بلغات أخرى قديما وحديثا، وأن الاعتقادَ الصحيحَ هو الذي يحرر العقولَ من الأوهام والدجل، ويمنح صاحبَه الفرقانَ بين الحق والباطل.

وقد قال جل شأنه: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧]، أي ذرية نوح عليه السلام، وذكر ابن عباس كما في الصحيح أن الأصنام التي عبدها قوم نوح انتقلت إلى قبائل العرب ومنها الصنم "نسر" المحفوظ اليوم في الرياض، ومن الثابت تاريخيا أن قوم عاد الذين يسمي الغربيون عاصمتهم عابر "وبار" أقدم من إبراهيم عليه السلام، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أنه لا ذكر لعاد وثمود في التوراة، وصدق رحمه الله، فليس لهما ذكر فيها حتى اليوم، وبعض تقاويم التوراة المحرفة اليوم تضع نبوة إبراهيم في حياة نوح عليهما السلام، وهذا خطأ بشري محض لا يمكن أن يكون وحيا من الله، وغاية ما يعرفه اليهود من العرب القدامى هم "العمالقة"، ومنهم "عوج بن عنق" الذي يبالغ بعض المشتغلين بالأخبار أو الاسرائيليات في وصفه وطوله عكس ما يذكره مثلا مؤلفو "دائرة المعارف الكتابية".

وبعض الباحثين المعاصرين لا يزال يكتب عن العمالقة ويقول: إن طولهم عشرات الأمتار، وربما تصور بجانبهم ليظهر أنه قزم بالنسبة لهم ويقول إنه عثر عليهم في بعض الغابات الاستوائية والله أعلم.

والذي أنا متأكد منه هو القبور التي وقفت عليها وفيها من هم أكبر منا في الجثة ولكن ليسوا بعشرات الأمتار.

وقد كان الناس يؤرخون بالأحداث الكبار المعروفة كقولهم: عام لافيل، أو عام الفجار، فإذا قيل متى ولد النبي ﷺ مثلا، فالجواب: عام الفيل، وإذا قيل في عصرنا متى ولد فلان يقال: سنة الرحمة مثلا، وإذا قيل: متى سمحوا للنساء بقيادة السيارة ودخول الملاعب وفتحوا دورا للسينما في السعودية، فالجواب: سنة الجرب، وهكذا.

وقد أكد "كلودليفي شتراوس" أن البدائيين لهم فكر وثقافة وليسوا سذجا كما قد يظن الباحثون الانتربولوجيون المعاصرون، وأن أزياءهم لها أسرار يعتقدونها وليست مجرد لباس للستر، ويوافقه على ذلك كثير من الباحثين المعاصرين، بل إن بعض الباحثين يصرح بأنهم أرقى فكرا من بعض الغربيين، وبعض القبائل البدائية إذا حدثها أحد عن حال الإنسان الغربي ترثي له وتنعته باللاإنسانية، وهكذا تقود البنيوية إلى دين الله وهي لا تشعر، وإنما المقلد التابع من يظن أن العلم الغربي هو نهاية ما يطمح إليه البشر.

والمهم عند المؤمنين بالإسلام هو دين هؤلاء المشركين المساكين، وليس أزياءهم وأسرارهم، ولا يصح في الإسلام أن يبقوا عراة قذرين جهلة لا يعرفون الله.

ويذكر المسعودي في "مروج الذهب" أن اليمن في الجاهلية كان لهم شأن عظيم، وأن أهل "التبت" مثلا أصلهم من اليمن، وقد ورد ما يدل على ذلك في شعر دعبل الخزاعي، والعلم عند الله تعالى، كما يقال إن اليونان من قحطان، وأن كلمة "يقطان" التي في التوراة المحرفة تعني قحطان، كما يقال إن البلوش أصلهم من دوس، والله أعلم بذلك كله، ويحتاج الأمر لمزيد تحقيق كما سبق، أما "أزد عُمان" فهم فعلا من دوس، وينتهي نسبهم عند الدوسي وليس البدوي كما ذكرت وزارة التراث القومي في مسقط.

ويذكر بعض الباحثين المعاصرين الغربيين أن مملكة سبأ كانت تشمل غرب قارة إفريقيا، ويستدلون ببعض النقوش السبئية التي وجدوها في غرب

أفريقيا، وفي التوراة أنها شبأ، وأن مدين مديان، وما يزال علم الآثار يحبو مهما قيل إنه تقدم.

ومن المؤكد المجمع عليه بين المؤرخين أن تحديد الكنيسة الغربية والأسقف "آشر" خصوصا خلْق السموات والأرض سنة ٤٠٠٤ ق م خطأ لا يصح أبدا، وينكره العلم الحديث الذي يقدر عمر الأرض بالمليارات من السنين والله تعالى أعلم.

كما ينكره المؤرخون كافة، وكذا من زعم أن تاريخها قبل ذلك بأكثر قليلا كما زعم "افريكانوس" وكذلك اليهود الذين يزعمون أن عمر الدنيا كلها سبعة آلاف سنة، وتبعهم بعض من يعمل بالإسرائيليات من المفسرين والمؤرخين والإخباريين.

وإنما أرادت الكنيسة بذلك إثبات عقيدتها الألفية التي يؤمن بها بعض الأمريكيين والأوربيين بل بعض رؤساء أمريكا وتقول الكنيسة إنها سوف تكون عام ١٠٠٠ ثم عام ٢٠٠٠، وكلاهما ثبت بطلانه، على أن حركة شهود يهوه قالت إن المسيح ظهر في ق (١٩) ولكن الناس لم يروه، وليس في ظهور ما لم يُر أي فائدة! وهل هذا إلا مثل زعم الرافضة أن صاحب الزمان اختفى في السرداب.

وهذه العقيدة الألفية هي في الحقيقة من أصل يهودي، وإن كان اليهود يعتقدون أن منتظرهم "الماشيح" هو غير عيسى عليه السلام، وقد ذكر ابن القيم في هداية الحيارى أن اليهود إنما ينتظرون المسيح الدجال.

وقد ذهب بعض الغربيين إلى الصين والهند ووجدوا الناس هناك يؤرخون بآلاف السنين، ولا يجدي في ذلك قول بعض المدافعين عن الكنيسة أن الأسر الفرعونية متجاورة وليست متسلسلة كما يذكر التاريخ (انظر مثلا كتاب (أزمة الضمير الأوروبي) وهو مترجم.

وقد بلغ من جهل بعض مؤيدي السيسي بالإسلام "وتطرفهم الفرعوني" أن قالوا إن قائد معركة حطين هو رمسيس الثاني، ولست أدري أي فرعون

كان قائدا لمعركة عين جالوت أيضا، دع معركة المنصورة فالظاهر أنه لا يعلم عنها القوم شيئا.

والله تعالى خلق أمما لا يعلمها أحد من خلقه، قال جل شأنه: ﴿وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم:٩]، واستدل عبدالله بن مسعود ﷺ بهذه الآية على أن النسابين يكذبون، أي كل من رفع النسب وأوصله إلى نوح أو آدم عليه السلام.

والمعروف -ويمكن أن يكون هو وحده الثابت- أن نسب النبي ﷺ ينتهي إلى عدنان، أما "قيدار" ونبت فهما عربيان إسماعيليان والله أعلم متى عاشا.

وأكثر ما يدفع الناس اليوم للتنقيب في الصحاري والبحار إنما هو الطمع في الذهب والفضة

وقد قال لي أحد العلماء بالإنجليزية إنه ليس في هذه اللغة كلمة "قنع" من القناعة، فالقوم لا يعرفون القناعة حتى في لغتهم، ولم أجد ذلك في المعاجم التي بين يديّ والله تعالى أعلم!!

أما أن "الغنى غنى النفس" فلا يعرفه الماديون، وقليل منهم من غرضه العلم والمعرفة.

والعجيب أن هؤلاء الغافلين لا يعتبرون بمصير الأمم الهالكة، ولا يعتبرون كيف أهلك الله تعالى هذه الأمة العاتية "عاد" التي قالت: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت:١٥]، فأهلكهم الله تعالى بجند من أضعف خلقه وهو الريح التي عتت على الخُزان ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧]، ولم تنفعهم قوتهم وأن الله تعالى زادهم في الخلق بسطة، وهكذا كل قوة تتكبر على الله ولا تؤمن به كأمريكا اليوم.

ويحرم إشغال الناس بالغناء وبالكرة، وبالترفيه، وإشغال العمال الذين طالبوا بتأميم شركة ارامكو بالأمثال العامية، والتنقيب عن الآثار القديمة

ومعرفة الأماكن الواردة في الشعر، مثل أين يقع سوق عكاظ بالضبط، وهل جبل شكر الوارد في الحديث هو شكران، وهل مدينة جرش القديمة هي نفس بلجرشي اليوم؟ وهل كان الشعراء الجاهليون يقصدون كذا بكذا؟ وهل قصيدة جرير في كذا يقصد بها بكذا، وما الصحيح أن نقول جِدة بالكسر أن نقول جُدة بالضم؟

وكم تبعد الجنادرية عن الثمامة وعن الدرعية بالضبط، وهل حجر اليمامة هو نفس الرياض؟ والقبيلة الفلانية أهي خضيرية أم من بني هتيم؟ وكيف نحيي العرضة والحفلات الشعبية والأكلات الشعبية، وإثارة الثارات بين القبائل والأفراد، وبعث النعرات العصبية، وإحياء التراعات على المراعي، وأمثال ذلك مما هو مضيعة للوقت وللعمر القصير جدا وأقل ما في ذلك إشغال الناس عن الطاعة الواجبة بالأمور المستحبة أو الجائزة، وحسب الشيطان أن يظفر من ابن آدم بذلك.

أما العلماء فيشغلوهم بالفتاوى التي ليس تحتها عمل، ولا تتضمن المنكرات الواقعة في حياة الناس، وبالقضايا التي لا جواب لها بلا اعتراض من الطرف الآخر أو بأمور جزئية وإهمال الكليات.

وللشيطان وأعوانه أهداف بعيدة من إشغال الناس بقضايا أكل الدهر عليها وشرب، أو ببعض الفروع كما اشتغل مفكرو مصر بالمعركة بين الأسلوب القديم والأسلوب الجديد، واشتغل الناس هنا بمسألة الموقف من الشعر وأيهما أجدى أن يكون شعرا حرا أم تقليديا؟ لينصرفوا عن سموم الحداثة وأصل فكرها والمذهب الغربي الذي تنتمي إليه، وما ألف من الكتب عنها.

وكأن الحداثة مجرد شعر حر أو شعر تفعيلة كما فعل "إليوت" و"عزراباوند"، وليست ثورة شاملة على التراث كله، وتحطيم شامل للموروث الثقافي كما قال أبو ديب وأدونيس، وبعض العوام يظن أن مشكلة الخرافيين تنحصر في الموالد والغلو، وهكذا.

البيئة والنظافة

الإنسان ابن بيئته ولا بد أن يتأثر بها وذلك يقتضيه ما في النفس البشرية من طبع كالمرونة وقابلية التأثر، وهذا ما يعلمه كثير من الناس حتى من كان كافرًا فتجدهم يوصون أبناءهم أو أصدقاءهم بتجنب رفقاء السوء وصحبة الأشرار والابتعاد عن أوكار الجريمة.

وللبيئة أثرها الواضح في العلم نفسه، واختلاف البيئة في البلاد الإسلامية خير شاهد تاريخي على ما نقول:

فقد كانت الحجاز مثلا بيئة للعلم والاتباع غالبا وظهرت فيها مدرسة أهل الحديث وكثر فيها المفسرون والمحدِّثون والعمل بالمأثور، واشتهر مذهب الإمام مالك في المدينة حتى أنه لما زاره أبو يوسف، أراه الصاع الذي يقول أهل المدينة إنه كان زمن النبي ﷺ، فقال أبو يوسف: "لو رأى صاحبي (وهو أبو حنيفة) ما رأيت لرجع" .

وكان من أصول الإمام مالك رحمه الله اتباع ما عليه عمل أهل المدينة، وفي الوقت نفسه نشر شياطين الإنس والجن فيها الغناء والغزل والمجون لإفسادها.

ولما كانت العراق بلاد اختلاف وفِرَق وابتليت بالرفض، والقول بالقدر، ثم الترجمة، كانت مدرسة الرأي فيها أظهر، وامتد ذلك ليشمل كثيرا من أقطار الإسلام، وكان من أصول أبي حنيفة رحمه الله تقديم ظاهر القرآن والعمل بالقياس. ولما كان الإمام أحمد ابنا لتلك البيئة مع كونه محدّثا عالما بالرجال كتب (فضائل الصحابة) ضد الروافض وكتب (الإيمان) ضد المرجئة، وكتب كتاب (الأشربة) ضد من يستحل شرب النبيذ، وكتب كتاب (الزهد) لما رأى كثرة جنوح الناس للترف واقتناء الجواري والاشتغال بالدنيا، كما كتب (المسند) ردا على من يترك السنة ويستمد فكره من فلسفات الأوائل، ونظرا لما وهب الله الشافعي من الجمع بين العقل والنقل فرح به الإمام أحمد، وقال عبارته المشهورة: "كنا نحن وأهل الرأي مختصمين فأصلح بيننا الشافعي" .

ولما كانت بلاد الشام أرض جهاد ورباط، كان أكثر حديثهم عن الملاحم والفتن وأخبار السفياني والقحطاني والمهدي ونحو ذلك، وكان علماؤهم مرابطين كما رابط الأوزاعي في بيروت، ورابط عبد الله بن المبارك أبو إسحاق الفزاري وإبراهيم بن أدهم بالثغر.

والبيئة تؤثر على العالم، ويغير آراءه إذا تغيرت، فالإمام الشافعي مثلا له مذهبان، أحدهما في العراق والآخر في مصر.

وكان طبيعيا أن ينتشر في الأندلس المذهب الظاهري، نظرا لشدة متأخري المالكية على المخالفين، وغلوهم في التقليد، والقياس، مع انتشار اللهو والطرب والشعر في البيئة الأندلسية.

وكان قربهم من أوربا المظلمة عاملا في أن تصبح الأندلس منارة للعلم والثقافة في كل مجال وأن يرسل حكام أوروبا أبناءهم للتعلّم في جامعات الأندلس، وأن يرسل أهل الأندلس السفراء إلى أوربا.

وأن يقتبس الغرب كثيرا من العادات الأندلسية التي لا تزال فيه إلى اليوم.

وللبيئة أثرها حتى في كراهية بعض أنواع الطعام، فالنبي ﷺ لم يحرم الضب مثلا، ولكنه قال: (لم أجده بأرض قومي فأجدني أعافه).

التوازن في الكون:

الله تعالى جعل البيئة متوازنة، وجعل الكون قائما على هذا التوازن ولكن الإنسان يفسد البيئة ويجعلها غير صالحة للحياة، قال تعالى: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ﴾ [الحجر:١٩] إلى أن يقول: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الحجر:٢١]، وهو سبحانه أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، ورتب المخلوقات ترتيبا عجيباً.

ففي أعلى الهرم الغذائي مثلا تقع آكلات اللحوم ثم آكلات الأعشاب وفي أسفله تجد آكلات الديدان والحشرات.

فلو أن الإنسان بجهله وظلمه قضى على شيء من ذلك لاختلت أجزاء أخرى وتضخمت فلما قضى الصينيون على الطيور الآكلة للحبوب كي تسلم المحصولات في رأيهم، كثرت الديدان وقضت على المحصول.

ولما قضى الأمريكيون على الذئاب، كثرت الغزلان والتهمت كل ما استطاعت من الأوراق الخضراء في الغابات فاضطروا إلى استيراد الذئاب من كندا.

ولو أن دولة قضت على الأفاعي لكثرت السحالي والفئران فيضطر الناس إلى إعادتها.

وقل مثل ذلك في السمك الكبير الذي يأكل السمك الصغير ... أن البشر استطاعوا القضاء على الأسماك الكبيرة لامتلأت البحار من الصغيرة، وهكذا.

ومن التوازن في خلق الله أنه ليس في شيء من المخلوقات ما هو عبث أو بلا حكمة بل التعاون والتكامل قائم بين الكائنات حتى الطفيليات "كالهدال" الذي يمد الأشجار والنباتات بحاجتها من المواد التي قد نعلمها، وقد لا نعلمها، وقل مثل ذلك في التكافل القائم بين الفطريات والنبات، أو بين بعض النباتات البحرية والأسماك، وبين بعض الطيور وبعض الزواحف، وكل شيء له حكمة، وقد وقع ذباب على أحد الجبابرة فسأل من حضر من علماء السلف لماذا خلق الله الذباب؟ قال: ليذلّ به الجبابرة، هذا مع أن للذباب حِكَما أخرى يعرفها المختصون.

كما أن البكتيريا تتعاون مع الحبوب لإنتاج الخميرة.

وتبعا لهذا التوازن البيئي تجد النباتات تمد البهائم بالغذاء، والبهائم تمد الإنسان باللحوم، وهكذا، حتى ما تخرجه البهائم من الرجيع تجده أوفر وأرخص سماد للنبات وإذا ماتت الغزلان أو حمر الوحش مثلا تحولت الجثث إلى سماد للأرض.

والنحل يمتص الرحيق وفي الوقت نفسه يحمل اللقاح، والربية أو ما

يسمى "النمل الأبيض" تتغذى بالخشب الذي لا يستطيع غيرها التغذي به.

وأي محاولة بشرية لتغيير ذلك النظام البيئي مثل القضاء على إحدى طبقات الهرم الغذائي لابد أن يؤدي إلى خلل وفساد كما سبق.

وهذا التوازن والتعاون مما يبيّن بطلان ما يدعيه التطوريون إذ يزعمون أن الأحياء تتنقل من نوع إلى نوع آخر طفرة، ولو أنها تتحول حسب قانون الطفرات الوراثية المزعوم لانتفت الحكمة من وجودها، والتمساح مثلا والطائر الذي يخلل له أسنانه موجودان معاً.

فإذا كان هذا ميزانه وحكمته في خلقه فما ظنك بشرعه؟

التلوّث:

مشكلة التلوث من المشاكل البيئية المستعصية مع أن العالم كله يعرف أن مصدره ليس النيجر أو شيلي وإنما هو العالم الصناعي لاسيما الولايات المتحدة، وأكثر مدن العالم تلوثًا هي عواصم الدول الفقيرة مثل نيودلهي، ومكسيكو سيتي، والقاهرة.

وللتلوث تأثيرات صحية ضارة لاسيما على النساء اللاتي يعملن في الطبخ على الغلايات ذات الأبخرة.

ومن أخطر أنواع التلوث ما يسبب السرطان والأمراض القاتلة، وهو لا يعرف الحدود، فلما ألقت أمريكا اليورانيوم المنضَّب والنووي التكتيكي على العراق امتدت آثاره إلى شمال السعودية ووصل إلى الرياض بل إلى الخميس فضلا عن حائل وبريدة وآنذاك كانت جزيرة العرب كلها تحت رحمة الأمريكان، فما يؤمننا أن تكون أمريكا دفنت النفايات النووية في الصحراء أو ألقتها في بحارنا، مثلما دفن الغرب نفاياته في أبيدجان بساحل العاج أو في غانا!.

ويتعمد الغربيون اغتيال زعماء الحركات الرافضة لقواعدهم، والتي ترفض تلوثهم، وترفض أن تكون بلادها مجرد مكب للنفايات الغربية،

كنفايات الحاسوبات أو المصانع أو النفايات النووية.

بل يصف الغرب تلك الحركات الوطنية بأنها إرهابية:

ومنها مثلا حركة حماية الموارد الطبيعية (شيبكو) في الهند، وحركة (حماية دلتا نهر النيجر من شركة شل)، وحركة (المحافظة على الغابات) في حوض الأمازون.

وقد عقدت ١٥٠ دولة في باريس مؤتمرا عالميا للمناخ والبيئة سنة ٢٠١٥ج وأقر المؤتمرون أن أكبر ملوث للبيئة في العالم هو الدول الصناعية لاسيما الولايات المتحدة الأمريكية، وكان ذلك أيام أوباما، وعلى ذلك وقّعت أمريكا، فلما تولى ترامب أعلن انسحابه من ذلك!.

كما أن هناك منظمات غربية تسعى للهيمنة على العالم باسم حماية البيئة، لكنها تنشر الثقافة الغربية خصوصا الأمريكية باسم العولمة ومن أمثلة تلك المنظمات: اللجنة الثلاثية والمنتدى الاقتصادي، وقمة الدول الصناعية السبع أو قمة الدول العشرين الأقوى اقتصادا في العالم.

أما السعودية فيعوّل اللصوص المطفِّفون على ارتفاع القدرة الشرائية لشعبها، وكثرة استهلاكه وتبعا لذلك ينشرون فيه ثقافة الاستهلاك لمنتوجاتهم وإغراق أسواقه بها ويشغلونه بمشروعات خيالية مثل: سحب الثلوج من القطب الجنوبي إلى جدة، وشربه من مياه نهر الكونغو، فإن لم ينفع أسلوب الجزرة فلا بد من أسلوب آخر وهو التهديد بأن الاحتباس الحراري سوف ينتج عنه تغيرات مناخية كبيرة، منها غرق جدة، ومنها التصحر وشدة الحر، واستحالة سكنى الرياض!

والأمم المتحدة تصدر تقريرًا عن التلوث البيئي وعن ترتيب المدن الملوثة في العالم وحسب التصنيف العالمي تكون نيويورك وكثير من المدن الأمريكية ملوثة، وكذلك كثير من العواصم الغربية، أما المدن الأكثر نظافة وخضرة فهي مدن ماليزيا.

وقد ذكر الله تعالى أن الفساد الكوني سببه الذنوب وإنما تفسد البيئة بما

كسبت أيدي الناس، ومن الفساد الكوني:

١.اتساع الخرق الذي في طبقة الأوزون.

٢.التلوث الذي تنتجه المصانع لاسيما الغربية وتزخر به بعض المدن الأخرى مثل نيومكسيكو، والقاهرة، ونيو دلهي وبكين.

٣.ارتفاع منسوب المياه الذي متى اكتمل غرقت جدة.

٤.كثرة الزلازل، وهذا ليس في نطاق الزلازل الجغرافية المعروفة فقط، بل في كل بقعة، وأصبح معتادًا في مكة واليمن والساحل والسراة والعيص، ويقولون إن حي الجامعة في جدة سيكون مركز زلزال قادم والله أعلم، ومن المعلوم أن منطقة الأخدود العظيم (البحر ألأحمر) منطقة زلازل، فمتى نتوب ونستغفر الله ونتضرع إليه أن لا يؤاخذنا بذنوبنا؟

أما في أمريكا فالأمر محسوس لمسته بنفسي حيث كان السرير يهتز بي في غرب أمريكا، ويقول الخبراء اليوم أن الغرب الأمريكي سوف يبتلعه المحيط نتيجة زلزال قوي.

وقريب من الزلازل البراكين وبعضها لو ثار لتعطلت حركة الطيران في العالم، وزادت حرارته، وأنا لما أخبروني أن أحد الأماكن بالسراة يخرج منه بخار تأكدت من ذلك بنفسي، فرحماك ربي.

٥.كثرة الفيضانات كما ترى اليوم في أمريكا وبريطانيا واستراليا وغيرها.

٦.الجفاف الذي يقول عنه بعض الباحثين إنه سوف يهدد الولايات المتحدة.

٧.كثرة الأعاصير والعواصف الثلجية والرملية.

٨.انقراض كثير من الحيوان والنباتات حتى أن بعضها يكاد يصبح مجرد تاريخ كما أصبحت الديناصورات والبيسونات، والماموثات.

٩.كثرة حرائق الغابات لاسيما في الغرب، وكاليفورنيا من أوضح الأمثلة على ذلك.

وغير ذلك مما لا نعلم، وهذا كله بما كسبت أيدي الناس، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم:٤١]، فانظر كيف أن هذا الفساد إنما هو ببعض الذي عملوا لا كله ثم كيف أنه يعرض عليهم التوبة والرجوع.

فالحلّ لذلك هو الاستغفار والإقلاع عن الذنوب وأن يستسقي أهل كل بقعة كما يشاؤون، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

وقد حرص ديننا الحنيف على نظافة البيئة وحماية الحياة الفطرية، وأرشدنا إلى أصول تؤدي لذلك منها:

١- أن البيئة النظيفة إنما تكون حيث يماط الأذى عن الطريق وهو أدنى شُعب الإيمان، كما ثبت في السنة، والأذى أعم مما قد يُظن، فإن النبي ﷺ أخبر عن رجل دخل الجنة في غصنٍ شوك نحاه عن الطريق، كما أن إماطة الأذى أعظم من أن تكون سلوكًا حضاريًا كما نقرأ، ولو أن الدعايات كانت كلها إيمانية وربطت ذلك بالأجر في الآخرة لكان خيرًا ولتغيرت أحوالنا عما هي عليه.

٢- أن الخضرة مشروعة إما أصلا وإما تبعا فلا يجوز قطع الشجر في الحرم وهذا ما لا نظير له اليوم عند أي أمة كما أنه يجوز في الإسلام الحمى بدلا مما يسمى اليوم "حماية الحياة الفطرية"، وسيأتي لذلك مزيد إيضاح بإذن الله.

٣- يقولون اليوم إن البيئة النظيفة هي التي تستخدم الطاقة الشمسية، وبلاد المسلمين هي التي تطلع فيها الشمس كل يوم، وكثير منها صحاري لا تكاد تغيب عنها الشمس، أما في الغرب فهم يموتون لو بلغت الحرارة ٤٠ درجة مئوية ولا يكادون يرون الشمس، فسبحان الذي اختار لنا أفضل بيئة، والرئة الشرقية التي يتنفس منها العالم اليوم هي الغابات الكثيفة في ماليزيا وإندونيسيا وهما بلدان إسلاميان.

والإنسان مهما اتحد أصله تؤثر فيه البيئة والتربية والمحيط فمثلا قبيلة قحطان واحدة لكن يختلف قحاطين اليمن عن قحاطين نجد، ورعاة الغنم يختلفون عن رعاة الإبل ويختلف أهل الحجر عن أهل الوبر.

وقل مثل ذلك في شمَّر حيث يختلف من كان منهم في حائل عمن كان منهم في العراق، وهم في العراق أيضا يختلفون وكذا من كان منهم في الشام أو الكويت.

كما أن الإسلام يحث على البيئة النظيفة، فهو كذلك يحث على النظافة في البدن والمظهر فيأمر بالوضوء والاغتسال والسواك والختان وأمثال ذلك.

ومن النظافة قديما أنه كان لكل بيت مسلم مرحاضًا لقضاء الحاجة في الوقت الذي كان الغربيون يبولون كالبهائم ويتبرزون في الخلاء، وقد بنو قصر اللوفر مثلا وهو قصر ملكي في باريس جعلوه الآن متحفا و لم يجعلوا فيه مرحاضا واخترعوا المظلّة (الشمسية) كي تقيهم الأبوال النازلة عليهم، ثم جاءوا بنجاساتهم وأبوالهم ليدنسوا بها المطارات والعمارات في جزيرة العرب، ويأخذون على القواسم أنهم كانوا يطهرون السفن إذا استولوا عليها من الانجليز.

ومع هذه القذارة الغربية يقول الغربيون إن المسلمين أمة قذرة، ويصدقون المناهج التعليمية الاسرائيلية في قولها: إن العرب إذا أرادوا أن يغتسلوا بصقوا في أيديهم ودلكوا بها أجسادهم، ولا ترد عليهم مناهجنا، لأنها مناهج تيمية وهابية تحكمها عقلية القطيع كما يزعم الليبراليون.

ولا يرد عليهم إعلامنا المحلّي الذي يذكرنا بأحداث مضى عليها عقود حتى لا ننسى.

ومن عظمة هذا الدين أنه شرع لنا النظافة فلما رأى النبي ﷺ رجلا ثائر الرأس وسخ الثياب قال: (ألم يكن هذا يجد ما يسكّن به شعره؟...) الحديث، وشرع لنا السواك وله فوائد أو ميزات ليست في غيره:

١.أنه يجمع بين فوائد الفرشاة وفوائد المعجون، حيث يقوم بالعمل

الميكانيكي والكيميائي معا.

٢.أنه يمكن حمله في كل مكان بخلاف الفرشاة والمعجون.

٣.أن الإنسان يستعمل السواك خمس مرات على الأقل (قبل الصلوات الخمس) أما المنظفات الصناعية فلا يستخدمها إلا أقل من ذلك.

٤. أن التسوك ممكن للفلاح في الغيط وللبدوي في البادية ولساكن الغابات و لم لا يجد المعاجن والفرش.

وقد نهانا ديننا الحنيف عن النجاسات الحسي منها والمعنوي، فأخبرنا الله تعالى أن المشركين نجس قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة:٢٨]، وهم كذلك حسًا ومعنى، فالإنسان الكافر غالبًا كريه الرائحة، قذر قذارة حسّية مشاهدة، غير قذارته المعنوية.

فهو لا يستنجي ولا يتسوّك وهو يصطحب كلبه معه! وقد ذهب أحد السعوديين إلى أمريكا فلما رآهم قال: كلاب يربون كلاب.

والنساء الغربيات يلبسن الثوب نفسه طوال الأسبوع وربما الشهر أو طول العمر.

وحليّهن لا تقبل كثير من المسلمات أن تتحلّى بها وكذا العطور التي يتعطر بها الغربيات، ويستطيع من يمتهنون الغسيل في الغرب التفريق بين ثياب المسلم وبين ثياب الكافر بسهولة، وقد أسلم أحد الغربيين لما رأى الفرق بين بنطال المسلم وبنطال الكافر.

والمسلم النظيف تكون قدمه أنظف من وجه الكافر كما قال أحد المسلمين الهنود لرئيسه الكافر (قدمي أنظف من وجهك!) وأنف المسلم قطعا أنظف من أنف الكافر، وشتان بين من يستنثر في اليوم عدة مرات وبين من لا يعرف الاستنثار إلا في أوقات محددة.

ومع الحرص على النظافة أباح الإسلام التمتع بما أودعه الله في مخلوقاته من جمال وتناسق وامتن الله في كتابه الجمال وبين وأنه ليس في خلقه تفاوت، وهو تعالى كما وصفه نبيه ﷺ جميل يحب الجمال، ويختلف الفلاسفة قديمًا

وحديثًا في حقيقة الجمال، وكان ﷺ أجمل الناس وأطيبهم رائحة، وأعطي يوسف عليه السلام شطر الجمال

وقد ذكر شيخ الإسلام جواز النظر في الأزهار والأشجار والخيل والبهائم.

والله تعالى أنشأ لنا الحدائق ذات البهجة ومن مظاهر الجمال: جمال الطبيعة وجمال الأنهار والعيون والبحار والنجوم، وخلْق الإنسان في أحسن تقويم.

ومن الجمال ما يحرم النظر إليه كالنساء الأجنبيات، والمردان، على أن مظاهر الجمال في الدنيا إنما هي ليعتبر المؤمن ليعلم مقدار الجمال في الآخرة حيث يكون الجمال أكثر وأوضح.

ومن فوائد التربية الصحية التكيف مع البيئة، ولذلك لا يبالي المسلم أينما نقلوه، أو أينما وضعوه، فكل ذلك بتقدير من الله، وهو وسيلة لنشر الحق في تلك البيئة.

والتكيف مع البيئة هداية من الله للإنسان سماها "أرنولد توينبي" (التحدي والاستجابة)، وقد رأيت بعيني كيف أن أهل فيفا تكيفوا مع البيئة الجبلية وأجروا الخرسانة في أنابيب من الأماكن العالية إلى المنازل المراد بناؤها، فالإنسان آتاه الله عقلا وعلما، وهو أقدر المخلوقات على التكيف، وعلى الاستجابة للتحديات البيئية، وهو مع ذلك عبد مخلوق لله تعالى، وكذلك تكيفت الأحياء في القطب مع برودته، وتكيفت الأسماك في قاع البحر مع ظلامه، أما أمريكا فقد قررت وزارة البيئة العراقية حاجتها إلى العدالة البيئية، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وحرم الكفار من هذه الميزة.

وقد سبق المسلمون الغربيين في حماية البيئة ولا يزالون فقد جعل الله تعالى حرما آمنا لا يعضد شوكه ولا يختلى خلاه ولا ينفّر صيده وهذا أعظم حماية للبيئة والحياة الفطرية وللاخضرار، وشرع الله على لسان نبيه حماية

الحمى، وحمى بعده خلفاؤه المهديون فجعلوا لكل مدينة أو قبيلة حمى وإنما أجاز، ﷺ للناس أن يقتلوا ما يضر بالإنسان الذي هو أغلى المخلوقات وسيدها كالأفاعي والوحوش، وبعض الطيور.

فمن الانتكاس المحافظة على ما يسمى اليوم الكوبرا العربية أو النمر العربي وأشباهها وترك الإنسان في فقره وعوزه كما تركوا أهل تهامة والساحل وزعموا أن في جبل "شدا" نمرا عربيا!

كما لا يجوز كذلك الاستيلاء على الأراضي أو الغابات بذريعة حماية الحياة الفطرية أو السياحة ولا أن يترك وزراء الدفاع واجباتهم الكثيرة ويهتموا ببيض النعام! كما حصل فعلا، حيث ذهب الوزراء إلى مكان ما كما ذكرت جريدة الرياض فوجدوا ١٧ بيضة!

فبالتمسك بديننا واتباع آدابه لا نحتاج إلى "الأحزاب الخضر" كما في الغرب ولا توصياتها، ونزرع ولا نقطع عملا بقوله ﷺ: (إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها)، وماذا بعد قيام الساعة من منفعة مادية مرجوّة؟

وفي نهاية هذا المبحث ندعو أنفسنا وكل ذي عقل في بلاد الحرمين أن يتفكر ويقول بصدق من الذي اختطف المجتمع، أهو الليبراليون أم المتدينون؟

والله تعالى قد قال وقوله الحق: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ﴾ [محمد:٢٩]، فبعد صدور القرارات الأخيرة وبعد الموقف الإعلامي الواضح من ثوابت الدين من علمائه الأحياء منهم والأموات، ظهرت الحقيقة وأخرج الله الأضغان ونطق الرويبضات.

ومن هنا يجب علينا أن نسأل أنفسنا من الذي اختطف المجتمع وسار ضد قيمه وثوابته، وسبح عكس التيار المحلي والعالمي؟

ولننظر أولا إلى الصحوة ولنر من الذي قام بالاختطاف:

أهو ذلك المحفِّظ الذي حرم نفسه وأهله من (الكشتات)، ورضي أن يحبس نفسه الساعات لتحفيظ أبناء المجتمع، وحفظهم من الضياع والسير في درب الغواية والفساد؟

أم هو الواعظ الذي يقف أمام الناس، ولا يسألهم أجرا بل يبين لهم الأعمال التي تقربهم من رضا الله وجنته وسعادة الدارين، والأخرى التي تقود للنار وشقاء الدنيا والآخرة، ويخوفهم من الذنوب وارتكاب ما حرم الله في كتابه أو على لسان رسوله الكريم ﷺ؟

أم هو المدرس الذي يكتفي من وزارة التربية والتعليم بالسماح بإقامة مركز صيفي لا يقبض القائمون عليه أجراً ولا يكلفون الوزارة شيئا، ويحرم نفسه وأهله من السياحة صيفا في بريطانيا أو أمريكا أو تايلاند أو المغرب أو غيرها، والمهم عنده هو أن يصبر نفسه مع أبناء المجتمع حتى لا تختطفهم شياطين المخدرات ودعاة السوء مستغلين العطلة الصيفية؟

أم هو ذلك القابع وراء القضبان بلا محاكمة، وتهمته الحقيقة هي أنه يطيل لحيته ويقصر ثوبه ويريد السفر للشهادة وليس للزنا وشرب الخمر، ويظل سنوات طويلة هذه تهمته، ولا يدري كيف انقلب فرض العين إلى جريمة بين عشية وضحاها؟

أم هو الطبيب الذي نذر نفسه وعِلْمه للفقراء والمساكين فيؤسس الجمعيات الطبية التطوعية ما استطاع، ويعرض صحته للعدوى بالأمراض الخطيرة كي ينقذ حياة الناس؟

أم هو صاحب المال الذي ينفق ماله في بناء المدارس الإسلامية في الخارج، وينشر العقيدة الصحيحة وحرب الخرافة والوهم ويرضى حين يشكر الناس هناك الحكومة الرشيدة على هذا العمل الجليل؟

وقد كان في إمكانه أن ينفق ماله على ملذاته، وشراء الحلى لأهله، ويكون مواطنا صالحا كما يقولون.

أم هو ذلك المسكين المصاب بالسرطان وغيره، لكنه يرضى أن ينقضي عمره وهو يوعّي الناس ويذكرهم بخالقهم ورسولهم وما ينبغي لهم فعله؟

أم هو الشيخ الذي يجلس على الرصيف، لكي يحوّل المفحطين إلى رواد لبيوت الله ويتوبوا من هذه المخاطرة، ويكفي رجال المرور مؤونة مطاردتهم غير المجدية؟

أم هو المحسن المجهول الذي يشتري بماله الأرض ويبني عليها مسجدا، وربما تكفل ببناء السكن للإمام أيضا؟

أم هو الباحث المتعمق، الذي يحبس نفسه لتتبع ما يخطط له أعداء الإسلام وما يبيتونه لهذه الأمة المبتلاة، ويفضح هذه المخططات ويحذر المجتمع منها؟

أم هو الإنسان المحافظ الذي يحرص على صيانة الأعراض وحفظ كرامة المرأة المسلمة من الذئاب البشرية الضارية وإن لم يكن عضوا في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو يحتسب ذلك عند الله ويخاف رؤيته المفسدون وقطاع الطرق إلى الشرف؟

أم هو الشخص الذي يأمنه الناس أينما عمل، وأينما ذهب ويستبشرون لرؤيته ويفسح لهم الطريق كي يمروا،ويدافع معهم عن العرض والمال، ويأمنونه لو سافروا سواء أكان جارا أم شرطيا؟

أم هو ذلك المقاتل الصنديد، الذي يخشى منه الأعداء ،ويعلمون أنه أخطر شيء على قواعدهم ومعسكراتهم، لو أنهم احتلوا البلاد أو بنوا فيها القواعد؟

وأمثال ذلك من الأعمال التي يعصب حصرها؟ والعجيب أن المتدينين هؤلاء حلقاتهم ومحاضراتهم ومجالسهم، مفتوحة لكل أحد حتى الليبراليين والجواسيس، ولهذا كله لم يختر الناس بفطرتهم السليمة ديوثا ليكون شيخا لهم، أو ماجنا ليكون ممثلا للقبيلة أو البلدة.

هذا في كفة وفي الكفة الأخرى أصحاب الشهوات، ولصوص المجتمعات، ومنحرفو الفكر، ورواد السفارات، وخارقو السفينة، الممكَّنون من القنوات والصحف الذين يفترون على أهل الدين ما شاءوا، ويلحقون بهم كل نقيصة سواء أخطأ بعضهم فعملها أم هي من افتعال أولئك المحض وخيالهم المريض؟ وهم مع ذلك يقلبون المفاهيم والمصطلحات فيجعلون الشرك تحجرا، وإتباع ملة إبراهيم عليه السلام إرهابا، والابتداع في الدين حرية، ويفرحون بهجر المساجد وامتلاء دور السينما، ويبتهجون لانعدام المحاضرات، وكثرة العرضات، ويعدون عمل المرأة في بيتها تعطيلا لنصف المجتمع، ويغيظهم إقبال الناس على الطاعة والتوبة من المعصية، فمن الذي خطف المجتمع؟

ثامنا
الفكر العلمي

أولا
مصدر المعرفة

لمصدر المعرفة شأن عظيم منذ أقدم الأزمان، فهو الأساس للبناء الفكري كله، والفلاسفة يسمون نظرية المعرفة (أبستمولوجيا) والمصدر الأول للمعرفة هو الوحي، ثم تأتي المصادر الأخرى.

وقد أنزل الله كتابه الحكيم وجعله ناسخا لما قبله، ومهيمنا على الكتب السابقة كلها، وأودعه عبارات جامعة ومعانٍ لأسرار يصعب على العقل البشري الإحاطة بها.

ولكن تأخذ الأفهام منه   على قدر القرائح والعقول

وحرص النبي ﷺ على نقاء المصدر وغضب أن يرى في يد أحد أصحابه شيئا من التوراة، وأقسم أنه لو كان موسى بن عمران حيا ما وسعه إلا اتباعه صلوات الله وسلامه عليه.

وعلى هذا درج السلف الصالح ولم يكن أحد في أيامهم يقول: قال أرسطو أو قال المفكر الفلاني كذا أو تقول النظرية الفلانية كذا.

ثم إن إمام أهل السنة والجماعة (الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه) ثبت في المحنة وطالب من ناظره في مسألة خلق القرآن بدليل من الكتاب والسنة، وقد كان الخليفة المأمون قد أمر زبانيته بإرجاع الإمام أحمد إلى بغداد، وصدّق المأمون ما أملاه عليه (بيت الحكمة) من أن الفلسفة اليونانية لا تعارض الدين.

وفي عصرنا هذا أصبح مصدر التلقي هو نظريات الغربيين وآراءهم، وأصبح للفلاسفة والمفكرين شأن كبير، وأصبحوا قدوة ضعاف الإيمان من أهل الإسلام، فكان من الواجب التصدي لما عندهم من الباطل، وإرجاع الناس كلهم للمصدر النقي (الوحي: كتاباً وسنة).

أما مصادر المعرفة الأخرى فيختلف فيها أهلها اختلافا كثيرا لا سيما أهل الفكر من الغربيين، فالتجريبيون يقولون إن مصدر المعرفة هو التجربة والملاحظة الحسية.

والعجيب أن يعدل المشركون عن البراهين العقلية التي هي أقوى وأدوم إلى طلب الآيات الحسية، مع أنهم أنفسهم يقولون إن ما جاء به محمد إنما هو سحر أي خداع للحس، وهي دعوى يرددونها حتى لو فتح الله عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون.

والمسلمون لا يتنكرون لحقائق العلم وقوانين المادة، ولكنهم يعلمون أنه باليقين وصدق الضراعة والتوكل يحطمون قوانين العالم الحسي ما كان منها فيزيائيا أو كيميائياً أو غير ذلك ويهدمون كل المعادلات بأسهل ما يكون وأقل كلفة، دع ما ثبت من ذلك لرسول الله ﷺ كانشقاق القمر فهو أكثر من أن يحصر، وهو من دلائل نبوته المتواترة.

وانظر إلى ما فعله صحبه الكرام من ذلك، وسنذكر بعضه إذ يصعب حصره:

١. استطاع الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ بصحة عقيدته وقوة إيمانه أن يسخر أعظم أنهار الدنيا وأطولها "النيل" الذي يسوقه الله إلى الأرض الجرز في السودان، بأسطر قليلة كتبها له، وأبطل بذلك عادة شركية يوحيها الشيطان إلى الناس.

٢. بلع خالد بن الوليد ﷺ السم و لم يؤثر فيه شيئا.

٣. استسقى العلاء بن الحضرمي لجيشه لما غزا فارس فساروا في الوحل، وقيل إنه سار بالإبل في البحر.

٤. عبر سعد بن أبي وقاص دجلة وهي في أوج المد بخيله لكي يفتح البيت الأبيض الفارسي، فهرب يزدجر لما بلغه الخبر، و لم يفقد جيش سعد شيئا قط.

٥- لما أراد عقبة بن نافع بناء مدينة القيروان، نادى ما فيها من الهوام لتخرج، فخرجت كما رواه ابن حجر في الإصابة، وذكره المؤرخون واشتهر ذلك في إفريقيا عامة حتى عند شعب (اليوربا) على ساحل المحيط الأطلسي.

وهم كذلك لا يتنكرون للعقل الذي وهبنا الله إياه لنعرفه به ونتفكر في آياته وآلائه، وشريعتنا فيها ما تحار فيه العقول ولكن ليس فيها ما تحيله العقول.

والله تعالى في كتابه العزيز ضرب لنا الأمثال، التي هي كما سماها شيخ الإسلام -الأقيسة العقلية- ونحن لسنا نصوصيين بمعنى أننا نؤمن بالنص بلا عقل ومن قصر عقله عن فهم النص فليس بحجة على من فهم، وبعض الناس يتجاوز المعقول ليس احتقارا له ولكن لأنه دليل على النص فيؤثر المدلول على الدليل، ولو نظرت إلى أي مسألة خلافية مثلا لرأيت أسبقية الحضارة الإسلامية.

ومما سبقت إليه الحضارة الإسلامية وكان زمن الرسول الله ﷺ من المسلمات، القوات العالية التفوق والإمكانيات، التي تسميها بعض الدول في عصرنا الحاضر "القوات الخاصة" أو "قوات النخبة" أو "الكوماندوز" وسماهم شيخ الإسلام ابن تيمية "الفداوية" وكان منها زمن النبي ﷺ محمد بن مسلمة الأنصاري قاتل كعب بن الأشرف وسلمة بن الأكوع العداء المشهور الذي استنقذ سرح المسلمين من سارقيه على قدميه، ففاق بذلك الشنفري وتأبط شرا.

وفي ذلك جمع بين دلائل الحس ودلائل العقل مع الأسبقية زمنا.

والعقليون يقولون إن مصدر المعرفة هو العقل، وعلى ذلك كان المعتزلة وأرسطو وابن رشد.

والمثاليون يقولون إن مصدر المعرفة هو ما يقع في ذهن الباحث من المعارف المثالية، وأعظم المثاليين هو "هيجل".

واللامعقول ومدارسه الحديثة، يقولون إن مصدر المعرفة هو الحلم والخاطرة.

والصوفية يقولون إن مصدر المعرفة هو الذوق والكشف والوجد.

وأصحاب التعبّد غير المشروع يقولون إن مصدر المعرفة هو الرياضات والمجاهدات والمعاناة.

وهكذا يذهبون طرائق قددا، وكل حزب بما لديهم فرحون.

ولعل أكبر من كتب في مصدر المعرفة من غير المسلمين هو الفيلسوف الألماني "عمانوئيل كانت".

وأخْذ الدين من مصدر بشري هو الشرك، والتوحيد هو أخذه من المصدر الرباني المحفوظ (الوحي) قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦].

وباتباع الوحي يتبع الإنسان كلَّ مصدر صحيح للمعرفة، ولكي تتوحد الأمة ويتجه فكرها اتجاها واحدا لا تصادم فيه، مهما تعددت الاجتهادات وتنوعت وجهات النظر، يجب الرجوع إلى مصدر يقيني واحد للتلقي والمعرفة مع فتح المجال لتعدد الرؤى داخله، ولذلك يسأل المسلمون ربهم تعالى في كل ركعة أن يهديهم الصراط المستقيم، وجاء الأمر بلزوم هذا الصراط في الوصية العاشرة في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، ومن الطبيعي جدا أن تختلف شرائع الأنبياء، مع أن دينهم واحد، وأن يتعدد فقهاء هذه الأمة مع أن القرآن واحد، وأن يكون لكل بيئة طابعها الخاص كما كانت بيئة الشام بيئة رباط ومعارك، وبيئة المدينة بيئة أثر وحديث، بل حتى الدول التي تسمي نفسها متقدمة اليوم تجدها تختلف، ونجد في الأمة الواحدة اتجاهات شتى ولا يمنع ذلك الشتات إلا الرجوع للمبادئ الكلية التي تسمى (الدستور)، وقد حاول الفكر السياسي الحديث محاكاة ما أنزل الله فوضعوا الدساتير أو قوانين أساسية يرجع إليها الناس -أفرادا أو أحزابا- عند الاختلاف، ولكن يعتريها ما يعتري كل عمل بشري من النقص والخطأ مع اختلاف التفسيرات.

ومن المكابرة أن واضعي هذه الدساتير لا يقولون سنترل مثلما أنزل الله فحسب، بل يرون أن ما وضعوه أعلى مما أنزل الله وأكثر تقدما وتحقيقا للمصلحة.

والمؤمن يسلم لله ورسوله، وما أشكل عليه من الكتاب والسنة فليراجع ما قاله أهل العلم في ذلك، ولا يقل مستحيل أن يقول الله كذا أو مستحيل أن يقول الرسول كذا، كما يفعل المسكين عدنان إبراهيم الذي طردته حماس لكن بعض القنوات السعودية فتحت له ذراعها، ويردنا المسكين إلى مصدر آخر عنده وهو الاستحالة العقلية أو عدمها، فمصدر التلقي يقوم على التسليم، وعلماؤنا الأوائل لم يكونوا سذجا مغفلين بل بحثوا علل الأحاديث والأخطاء في المتن، كما تحدثوا عن الناسخ والمنسوخ والراجح والمرجوح، وما كان موقوفا لكنه روي مرفوعا.

ومن إيجابيات توحيد مصدر التلقي قديما وحديثا أنك تجد أهل السنة والجماعة أقل الفرق اختلافا، بل هم متفقون في الأصول، وإنما يختلفون في الفروع الاجتهادية العلمية مع كون كل منهم يقدر الآخر، ويعتقد أن للمصيب أجرين وللمخطئ أجر، وهم كذلك لا يكفر بعضهم بعضا أو يبدعه، وأول صفاتهم أنهم يؤمنون بالغيب كما ذكر الله، ومن الغيب اعتقاد أن الله تعالى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وهم لا يكفرون بالعقليات مطلقا، أما أهل البدع فهم طرائق قدد، وهم في كل واد يهيمون، فالخوارج مثلا يكفرون المخالف ولو كان خارجيا، والرافضة يكفر الإخبارية منهم الأصولية، والعكس، والمعتزلة يكفر الابن أباه وبالعكس، كما كان بين الجبائيين أبي علي وأبي هاشم، والفلاسفة منهم أصحاب الحدس المنتسبين إلى أفلاطون، ومنهم أصحاب المنطق أتباع أرسطو تلميذ أفلاطون، والأشاعرة منهم من يؤمن بالتفويض ومنهم من يؤمن بالتأويل، ومنهم من يعتقد أن الله لا داخل العالم ولا خارجه، ومنهم من يعتقد أنه في كل مكان، ولشدة الخلاف جعل صاحب الجوهرة المسألة تخييرية، فقال:

وكل نص أوهم التشبيها ... أوله أو فوض ورم تنزيها

وقريب منهم الماتريدية، وانظر مثلا إلى شدة الاختلاف بين الرسالة النظامية للجويني، وبين كتاب إلجام العوام عن علم الكلام للغزالي، مع أن الغزالي تلميذ الجويني.

وفي الغرب يشتد الاختلاف والتناقض بين العقليين والماديين، وبين الماركسية والرأسمالية، كما يشتد الخلاف بين أهل الفن الواحد كعلماء الأحياء مثلا بين الملحد وبين من يؤمن إيمانا ربوبيا.

وهكذا أهل الأهواء، إن سلموا من تكفير بعضهم بعضا لم يسلموا من التناقض، هذا مع كون أهل الضلال قلة حتى لو اجتمعوا، فلو أنك جمعت الليبراليين بقضهم وقضيضهم ودشيرهم مع المكارمة الإسماعيلية السليمانية منهم والداودية، مع النخاولة ومع الإخباري من الرافضة والأصولي.. لما وصلوا إلى ١٠% من الشعب! فمن الذي يختار الأقلية على الأكثرية ديمقراطيا فضلا عن اختيار ذلك إسلاميا، ومن الذي ينشئ لكل فرقة محاورين ضمن ما يسمى (الحوار الوطني)؟ وأكبر طوائف الضلال في المملكة هم الرافضة، ومع ذلك لا يتحرج بعض قراهم عن إطلاق النار على القرية الأخرى! فمن نسترضي؟

وبتوحيد مصدر التلقي تتوازى الطرق ولا تتصادم، فالمعبود واحد سبحانه مهما كثرت طرق الخير ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، والموحد هو سلَم لمعبوده (الله) وحده بخلاف من فيه شركاء متشاكسون كل منهم يجذبه إليه، والله تعالى أنزل كتابا واحدا، والبشرية في جوهرها واحدة مهما اختلفت التوجهات أو تغيرت البيئات والعصور، فالله تعالى فطر النفوس على معرفته وحبب إليها العدل والإحسان والصدق والأمانة، وكل البشر يكرهون أضداد ذلك من الظلم والعدوان والكذب والخيانة، ولا بأس بمقتضى الحكمة الإلهية واختلاف البيئة الإنسانية أن يكون في الناس من يرى أن الوسيلة هي كذا، بينما يخالفه آخرون، فمن رأى مثلا أن صلاح الأمة إنما يبتدئ بتأسيس حزب أو جماعة أو حركة كوسيلة يكون

بها التوحّد، وفي النهاية يقوم بإلغاء الحزبية حالما تتحقق الغاية وتجتمع الكلمة فلا بأس، ومن رأى أن الوسيلة هي نشر العلم فلا بأس، ومن رأى أن الوسيلة هي كذا فلا بأس، بشرط أن يكون الجميع يصدرون عن مصدر واحد، ويتلقون كلهم من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا يبتدعوا في الدين شيئا اتباعا للهوى أو محافظة على الكرسي، فالعلم في الإسلام ليس انفلاتا لا ضابط له كما في الغرب، بل هو يقبل الاجتهادات داخل المصدر العام الواحد، أو كما قيل "الحركة حول محور ثابت"، وهذا من رحمة الله بالإنسان، ومن رحمته تعالى أن شرع لنا خير الشرائع، وأنزل علينا أفضل الكتب، وبعث فينا خير الخلق، ووحد صلاتنا وقبلتنا وأذاننا وزكاتنا وصيامنا وحجنا، وأمرنا بالإحسان إلى كل مخلوق، وبالتقوى في السر والعلن، وحثنا على بر الوالدين والإحسان للجار والتحلي بمكارم الأخلاق وأمثال ذلك مما هو معلوم، وأمرنا أن ندعو العالم كله إلى هذه المكارم، وأجاز لنا بعد ذلك أن تتعدد اجتهاداتنا، ووجهات نظرنا، فمنا من هو من مدرسة الرأي ومنا من هو من مدرسة الأثر، وبعضنا من أهل الدراية وبعضنا من أهل الرواية، وبعضنا يرى الأمر الفلاني واجبا ضروريا وبعضنا يراه مستحبا تحسينيا فقط، والدين الجامع هو الحنيفية السمحة، وإلا فلا حرج عمّن صلى العصر في بني قريظة أو صلاها في الطريق، ولا حرج على من صام أو أفطر في السفر، ولا حرج على من أوتر بثلاث أو بإحدى عشرة، أو حج قارنا أو متمتعا أو مفردا وهكذا، بل إن المجتهد الواحد لتتغير فتواه بحسب البيئة فالإمام الشافعي مثلا له مذهبان قديم وجديد، ولا حرج في ذلك، مع جمعه بين العقل والنقل ومعرفته بلغة العرب، وتلمذته على الإمام مالك، وسؤاله الامام أحمد عن الحديث وأخذه عن محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة، فالطاقات تختلف والمواهب تتنوع والبيئات متعددة، وللسن أيضا اعتباره فما يراه الإنسان في شبابه، غير ما يراه في شيخوخته، ومن كان جهاده في منازلة العدو عسكريا فتقبل الله منه، ومن رأى أن جهاده هو في الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر مع حثه على قتال الكفار فلا حرج عليه، ومن أهَّله الله للجمع بين كثير من الفضائل فلا حرج عليه بل هو مثل من يدخل الجنة من أكثر من باب، كما كان أبو بكر الصديق ﵁ من المتقدمين وعبدالله بن المبارك وأمثاله ممن تأخر عهده، ومن كان جهاده إعلاميا فليجاهد وقد أخبر النبي ﷺ أن الشعر أشد على المشركين من وقع النبل كما كان شعر حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب من مالك رضي الله عنهم.

والله تعالى اتخذ من هذه الأمة المباركة سيوفا مصلتة، ترتعد لها فرائص الأعداء من المحاربين أو الزائغين، ويرهبها الطواغيت لقوة تأثيرها، وكثرة اجتماع الناس عليها، ويخرجهم متى يشاء، وقد كان المأمون يخشى اجتماع الأمة على يزيد بن هارون، لو قال إن القرآن مخلوق ثم جاء تلميذه الشاب الإمام أحمد فأنسى الطواغيت يزيد وغيره.

ولا يستطيع أن يضع للناس مصدرا واحدا يرجعون إليه مهما اختلفت عصورهم وبيئاتهم ومعارفهم إلا الذي خلقهم سبحانه، وهو العليم وحده بما يصلحهم وما في أنفسهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [المُلك:١٤]، والعليم بما ستؤول إليه أمورهم وبحركة التاريخ في الماضي والمستقبل.

وهو في الوقت نفسه الرحيم بهم المنعم عليهم، الغني عنهم، والقادر على كل شيء، والحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو الذي تعنو له كل الوجوه، وتخضع لعظمته كل الرقاب، ولا تنفذ خزائنه ولا تغيض يده كثرة النفقة، ويحاسب الخلائق يوم الدين، ولا يظلم أحدا مثقال ذرة. فكيف يتبع البشر غير هداه ويتلمسون العزة والنصر والتقدم من غيره؟

والناس يضلون إن اتخذوا إلها غيره وجعلوا له ندا، ولا يقدرونه حق قدره إن ظنوا أنه ما أنزل على بشر من شيء، أو أن شيئا غير ما أنزل يمكن له أن يوحد فكرهم، وبعض الناس يظن أن التفكير العقلي يجمع الناس، مع أن المشاهد هو اختلاف العقول في الأمر الواحد، ولا يوجد أبداً عقل

نموذجي تحتكم إليه سائر العقول، والعقل فوق ذلك محدود، "وعقل الإنسان كبصره له حد ينتهي إليه".

وبعض الناس يظن أن الذي يوحد الفكر هو التجربة، مع أن التجربة الواحدة تذهب العقول في تفسير أسبابها ونتائجها مذاهب شتى، وربما متناقضة، وبعض الناس يظن أن الذي يجمع البشر هو الحدس أو الحلم وهما أبعد عن العقل والتجربة وأحرى بالتصادم، ويعنيان أن يُترك الناس في كل وادٍ يهمون فلكل حدسه وفهمه.

وبعض الناس يظن أن الذي يجمع الناس هو الطاعة لحاكم واحد أو متبوع واحد، وهذا يكذبه الواقع المشاهد أيضا فالدولة التي ليس فيها شورى لا تستقيم أمورها قط، والدولة التي ليس فيها معارضة يعدونها دولة دكتاتورية، وأما الرأي الواحد فهو رأي فرعون ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩] ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [الشعراء:٤٩]!

ولكثرة هذه الكوارث المعرفية تجد من يحدثك عن الدقيق من صفات الله، ويغفل عن كون كتابه هو وحده مصدر المعرفة ومرجعية التلقي، أو يغرق في الجزئيات مهملا الكليات، أو يرد على فرق أو فلسفات منقرضة فقط، وينسى أن في كتاب الله علاجا لكل داء، ونقضا لكل شبهة، وأن الجمع بينهما ونقد كلا الفلسفتين ممكن.

ومن العبث الحوار على غير مرجعية متفق عليها، فالحوار بغير مصدر أشبه بحوار الطرشان، وفي ذلك قصة حديثة بطلها الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله فقد زار الجامعة الإسلامية بعض كبار علماء الرافضة، وطلبوا المناظرة، فقال الشيخ: أنا أناظركم بعد أن تجيبوني بصدق عن سؤال واحد: قالوا: ما هو؟ قال: هل تؤمنون بمرجعية الصحيحين؟ قالوا: لا. قال الشيخ: فإذن لا فائدة من الحوار معكم.

وينبغي أن يكون للحوار بين البشر مرجعية غير بشرية، وبها يبدأ الحوار، إذ أن الحوار مع أي إنسان والبحث معه بإطلاق معناه التسليم بأن

عنده شيئا ينقصك من الحق، ولهذا قال بعض السلف لمن طلب منه المناظرة (أنا على يقين فاذهب فناظر شاكاً مثلك)، وتبعا لذلك رفضتُ ما سمي (الحوار الوطني) حين كلمني عنه (فيصل بن معمر) من الديوان الملكي أيام الملك عبدالله، وقال: ولي الأمر يأمرك، قلت: لا طاعة في المعصية. وهذا لا يعني أبداً أن ندع مجادلة أهل الكفر والبدعة، وإنما نجادل من خلال الحق المطلق (الوحي)، وواجب الحكومة هو رد أهل البدعة إلى السنة وليس محاورتهم.

- الكشف:

ومن أعظم مصادر المعرفة بعد الوحي والرؤيا الصالحة (الكشف).

وهو مصطلح اشتهر عند المتأخرين ولا مشاحة في الاصطلاح، والكشف معروف عند المتقدمين، وأعظم الناس كشفاً هم الصحابة رضي الله عنهم، وأعظمهم في ذلك الصديق الأكبر (أبو بكر) ﷺ، فقد قال لابنته عائشة رضي الله عنها عند موته إنما هما أخواك يعني عبدالرحمن ومحمد وأختك وهي التي لا تزال امرأته حاملا بها، ولكنه عرف أنها أنثى.

وأخطأ الشيخ أبو حامد الغزالي غفر الله له حين قال إن معرفة ما يؤوَّل وما لا يؤول لا تكون إلا بطريق الكشف فأكثر الناس لا كشف له.

وقد كان بعض الصالحين يعلم نهاية حكم بني أمية، ولا ريب أن من كان شيخه الجعد بن درهم وقرَّب الأعداء وجفا الأصدقاء لا بد أن يفقد ملكه.

وكان الفضيل بن عياض رحمه الله، يعلم ما سيفعله المأمون من الشر بعد موت الرشيد، إما بطريق الكشف وإما بطريق الرؤيا، وإما بالفراسة والتوقع ولذلك قال: "لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها للسلطان"، أي ليزداد الرشيد هدى أو ليهدي الله المأمون. والله أعلم.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عرف أن نتيجة المعركة هي هزيمة التتار، وكان يقسم بالله على ذلك فيقول له الناس: قل إن شاء الله فيقول إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا.

والكشف في حقيقته نوع من الفراسة الإيمانية يمن الله به على من يشاء من عباده وهو شيء من الإلهام، كما كان التحديث الوارد في حق عمر الفاروق ﷺ، ولما قيل لعثمان ﷺ أوحي بعد رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكنه فراسة.

ومن أراد أن يكون أكثر كشفا، فليكن أكثر استقامة وضراعة وإخلاصا وذكراً لله تعالى.

وليس بغريب أن يكون العلم التجريبي اليوم لا يؤمن بالكشف الإيماني وإنما يستدل بالمقدمات على النتائج ويسمى ذلك (استشراف المستقبل)، وهو حق ولكن ليس الحق كله.

وقد بالغ الخرافيون قديما وحديثا في الكشف حتى أدى ذلك إلى أن ينكره بعض الناس كليا، والصحيح أنه حق وأن الوسيلة إليه هي الاستقامة وأنه من درجات التحديث، ولكن النص مقدم عليه قطعا، وأكثر ما يدعيه المتصوفة ليس حقائق وإنما هو شطحات شيطانية يلبسها عليهم إبليس باسم الكشف، والله تعالى إنما تكفل بنسخ ما يلقيه الشيطان على الأنبياء لا بما يلقي على من عداهم، وربما تصوّر الجني المارد في صورة النبي ﷺ أو الخضر أو الولي فلان ليلبّس على الصوفي.

ومثل ذلك ما رآه بعض الصوفية -إن كان الرائي صادقا- من صورة السيسي على الضريح بجانب صور الصالحين والأولياء.

والله تعالى هو الذي علم الإنسان ما لم يعلم، ووفقه لإعمال عقله والاستنباط حتى من الأمور العادية، فمن سقوط الثمار وغيرها على الأرض عرف الإنسان الجاذبية، ثم إن نيوتن استنبط لذلك قانونا حسب سنة الله في ذلك.

وقد كان مفكرو عصر التنوير يقولون إن الإله صانع الساعة وضع للكون قوانين ثابتة يسير وفقها، ولم يعلموا أن تلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، ثم أصبح الباحثون المعاصرون يجرون التجارب في المختبرات والمعامل ليعرفوا المزيد من القوانين (السنن الربانية) فالوحي هو مصدر المعرفة الحقيقي وهو أكبر نعمة منّ الله بها على عباده.

والوحي للفكر كالروح للبدن إذا خرجت بقي الجسم جثة هامدة.

وقد جاء التعبير القرآني عن الوحي بأنه روح، في مواضع كثيرة كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى:٥٢]، ولذلك قال بعض من يعلم قيمة الوحي: أعظم تهديد في كتاب الله هو قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾ [الإسراء:٨٦].

ولما التحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى ذهب الشيخان أبو بكر وعمر إلى حاضنته أم أيمن ليسلياها، فوجداها تبكي، فقالا: إن ما عند الله خير لرسوله ﷺ فقالت: "إني أعلم أن ما عند الله خير لرسوله، ولكني أبكي لأن الوحي انقطع من السماء" فبكيا!!

فقارن عقل هذه العجوز الحبشية السوداء الأمية بعقل من شئت من فلاسفة الغرب ومفكريه.

والوحي نور أنزله الله رحمة بخلقه، وجعله نوراً لهم في مسيرتهم العلمية، قال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا﴾ [التغابن:٨].

ولمعرفة قيمة الوحي وعلوه على كل فلسفة أو رأي كره الإمام أحمد - إمام أهل السنة والجماعة- التأليف في غير الوحي، وجمع هو أكبر وأوسع دواوين السنة (المسند) وجرده من الآراء البشرية التي هي بطبيعتها قابلة للخطأ والصواب.

وإذا اضطر إلى التأليف أو المناظرة جعل مصدره هو الوحي المعصوم.

وعلى ذلك سار أئمة الإسلام وعلماء الآخرة فأفنوا أعمارهم في خدمة هذا المصدر والدفاع عنه، كما فعل شيخ الإسلام ابن تيمية، وكذا فعل من

جاء بعده ابن تيمية حتى كتب الله الشرف في العصور الأخيرة للشيخ المجدد محمد بن عبدالوهاب فألف كتاب التوحيد، وكله آيات وأحاديث أو ما استنبطه الشيخ منهما. ولما حدث بعده ما حدث كما ذكر الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، حدد دعوته وربى الناس عليها الشيخ عبدالكريم الدرويش، الذي قدم من كابل مهاجراً لكنه وجد بيئة خصبة للدعوة، وقررت المخابرات البريطانية أنه الأب الروحي لحركة الإخوان (إخوان من طاع الله) وخشي الغرب أن يعيد الشيخ الانبعاث الإسلامي الأول (عصر الفتوحات)، وكان إذا جاء ذِكْر الشيخ ارتعدت فرائص أكابر المستعمرين، والشيخ نفسه وأهل نجد لا يعلمون!

وقد عرف الشيخ محمد بن عبدالوهاب قيمة هذا المصدر الرباني الفريد، وحث الناس عليه وحذر المسلمين من اتباع عوائد الجاهلية ومصادرها، وكتب أن التلقي من مصدر آخر هو عمل اليهود وبسببه حل بهم غضب الله والذل والمسكنة، فقال رحمه الله في مسائل الجاهلية: (المسألة السادسة عشرة: اعتياضهم عما أتاهم الله بكتب السحر كما ذكر الله ذلك في قوله: ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾[البقرة: ١٠١-١٠٢]) اهـ.

وهكذا ترى من يتبع الفلسفات الغربية الحديثة نابذا كتاب الله وراء ظهره مثل الذين اتبعوا هاروت وماروت وظنوا أن سليمان عليه السلام إنما استخدم الجن بقوة السحر لا بقوة الوحي.

وبعد ليل طويل من الحيرة والتخبط عادت العقول الإسلامية الكبيرة إلى ما كان ينبغي لها أن تبدأ منه، وهو مصدر المعرفة اليقيني الوحي، وقد عاد أبو حامد الغزالي إلى الحديث، وعاد ابن الخطيب (فخر الدين الرازي) إلى طريقة القرآن، وعاد الجويني إلى دين العجائز.

وحين يؤمن الناس أن الوحي هو مصدر كل خير، فإن عليهم أن يعلموا من أين جاءهم هذا النور المبين ليؤمنوا بنعمة الله وبعظمة ملكه ورحمته،

وعظمة هذا النبي الذي اختاره ربه ليتزل عليه الوحي، فهو أمّي وقد لبث سنين من عمره لا يدري ما الكتاب ولا الإيمان.

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:١١٣].

وقال تعالى عن سائر الناس: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [سورة العلق: ٤-٥].

وابتدأ ذلك بتعليم اللغة ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١].

وهو تعالى علم الناس الصناعة، فهو الذي علم نوحا كيف يصنع السفينة، وعلمه صناعة التنور وقيل إن تنور نوح عليه السلام كان لآدم من قبل، والله أعلم.

وهو سبحانه الذي علم البشر الزراعة والصيد، وكل ما يحتاجون إليه.

وعلم الإنسان كيف يدفن الميت: ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ [المائدة: ٣١].

وعلّم داود عليه السلام صناعة الدروع.

وعلم البشر الاختراعات أو الاكتشافات، مع أنه أخرجهم من بطون أمهاقم لا يعلمون شيئا، وبعضها اكتشفوه مصادفة.

فله الفضل وحده وهو المستحق للعبادة والشكر، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان:٢٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨].

ومن أبطل الباطل ظن الغربيين الكفار أنه ﷺ افترى القرآن من عنده. قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾[الشورى:٢٤]، ومثلها كثير، وفي هذا آية لكل ذي عقل فلا يعقل أن يدع الله أحدا يفتري عليه هذه المدة ولا يفضحه أو يختم على قلبه أو يهلكه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٤-٤٥] الآية.

وقد قال هرقل عظيم الروم كلمة عظيمة لما سأل أبا سفيان "هل جربتم عليه كذبا؟ فأجابه: لا. قال هرقل: ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله".

فقارن عقل قائل هذه الكلمة العظيمة بعقول ضُلاّل المستشرقين ومديري وأعضاء مراكز البحوث والدراسات في أمريكا.

إذا آمن الإنسان بالله فإنه يرتب مصادر علمه، فيجعل الوحي قبل الحس، والأخبار الصادقة قبل النقوش مثلاً، والقطعي قبل الظني، واليقين قبل الشك وهكذا.

أما الجاهليون القدامى فقد كان مصدرهم الحس وحده كم كانت السمنية وكثير من عرب الجاهلية، وعلى ذلك البوذيون اليوم.

وأما الجاهلية الغربية الحديثة فالتجربة عندها هي الأساس، إذ في كتابهم المقدس أساطير وخرافات أثبت العلم والتجربة بطلانها، فاستكثروا من المعامل والمختبرات ليصلوا إلى الحقيقة ويؤمنوا بالبراهين لا بالأساطير وبالعقل لا بالنقل، وبالمشاهدة لا بالنظر المجرد.

والله تعالى ضرب لنا مثلا من التفكير الجاهلي بالرجل الذي جاء إلى النبي ﷺ بعظم قديم فأنزل الله فيه قوله: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس:٧٨-٧٩] الآيات، فلو أن هذا القائل سأل نفسه من الذي أنشأ العظام؟ لما كذّب بإعادتها، وقد أجابه الله بالعقل وضرب له أمثلة محسوسة، قال: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ [يس:٨٠]، فإذا كان الله يخرج النقيض من نقيضه فكيف لا يعيده النشأة الأولى؟!

ثم قال: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ [يس:٨١]، والمؤمن والكافر يريا النار والسماوات والأرض بحواسهما ويعلمان

إمكان الإعادة بعقولهما، ثم بين سبحانه سهولة ذلك عليه وإمكانه بمجرد الأمر الإلهي فقال: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس:٨٢].

فمن له كمال القدرة وكمال العلم كيف لا يعيد العظام؟

فنتائج التجارب المعملية لابد لها من عقل يستخلصها ويرتبها وينظمها، والعقل لابد له من وحي يصححه ويسدده، وهكذا ينفرد المسلمون بمصادر المعرفة الحقيقية: الوحي والحس والعقل، وأعظمها الوحي قال تعالى: ﴿ قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ [سبأ:٥٠]، وقال: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:١٠٦]، وقال لأكمل الناس عقلا وأسدهم رأيا: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا ﴾ [النساء:١١٣]، وقال له: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَا﴾ [هود:٤٩].

وكل من اقتصر على ما جاء في الفلسفة الغربية والفكر الغربي لا بد أن يضل وتقصر معرفته، كما يعتمد المؤرخون على النقوش تاركين ما هو أعلى، وكم من نقش كذب فيه ناقشه أو زوّره حسب هواه أو هوى حاكمه، وقد كان القدامى يغيّرون الانتصارات وفاعليها وما على الأبنية، كما يغير المعاصرون العملة كلما جاء ملك، وربما كان الناقش مجهولا أو مبتدعا.

وقد جعل يعقوب عليه السلام رؤيا يوسف أصدق من الدم الذي جعله أخوة يوسف على قميصه مصحوبا بالبكاء، فقد كان عليه السلام واثقا من الرؤيا مهما قام عكسها من الأدلة -وهل عرف التاريخ كاذبا لم يأت بدليل على ما يقول؟- وكذلك ينبغي لنا اليوم ألا تخدعنا الشعارات الكاذبة والوعود المعسولة التي يزوّقها الأمريكان واليهود عن المستقبل المشرق لما يسمونه السلام والمفاوضات، وقد أخبرنا الله تعالى أنه لابد من الجهاد وأنه سوف يبعث على بني إسرائيل عبادا له أولي بأس شديد يدخلون المسجد

كما دخلوه أل مرة، وأخبرنا الذي لا ينطق عن الهوى أننا سوف نقاتل اليهود وأن المسيح عيسى عليه السلام سوف يقتل المسيح الدجال.

ولا مانع من محاورة الأوروبيين أو غيرهم، بشأن أي قضية، ولكن مع الاعتماد على النص والحيطة والحذر كما قال الفاروق ﷺ: "لست خبا ولا يخدعني الخب".

والمؤمن يقدم ما أمر الله به من وحي على حسه ومشاهدته، فقد رأى عبدالله ورسوله عيسى بن مريم عليهما السلام رجلا يسرق، فأنكر فعله فحلف السارق بالله أنه لم يسرق فقال عيسى عليه السلام: "آمنت بالله وكذبت عيني"!

والوحي أيضا مقدم على التجربة فقد قال النبي ﷺ لمن شكى إليه أن بطن أخيه استطلق وأمره أن يسقيه عسلا: "صدق الله وكذب بطن أخيك"، لما جاء في المرة الثالثة وقال إنه سقاه عسلا فشفي.

- خطأ الحس:

الحس قد يخطئ والمشاهدة قد تخدع، هذا في القرآن قبل أن يقرره الباحثون:

فالظمآن يظن السراب ماء، وملكة سبأ تحسب الصرح الممرد من قوارير لجة، ومن هنا قال بعض أصحاب الجدل المموّه (السفسطة) إن الحس لا ثقة في أحكامه بل لا صحة لأي حكم مطلقا.

ومن خداع الحواس أنك إذا وضعت القلم في كأس الماء تراه مكسوراً، وقد تحدث المسلمون عن ذلك وعللوا رؤيته كذلك قديما، كابن الهيثم صاحب كتاب (المناظر)، ولا يزال ذلك شغلا شاغلا للفيزياء الحديثة، ولا يزال ذلك شغلاً شاغلاً للفيزياء الحديثة والله تعالى أعلم. والفيزيائيون يغفلون عن العبرة من ذلك وهي أن الكافر يظن الباطل حقا، ويظن أن أعماله مقبولة عند الله كما يظن رهبان النصارى وعباد اليهود، الذين زُين لهم سوء عملهم

وضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فهم عاملون ناصبون، ولكنه تعالى لا يقبل إلا ما كان على ملة إبراهيم عليه السلام، ولا يرغب عن ملة إبراهيم عليه السلام إلا من سفه نفسه.

ومصدرا المعرفة هما النقل والعقل، والعقل كالبصر والنقل كالضياء، والإنسان لا يبصر في الظلماء فلا غنى للعقول عن الوحي الذي تبصر به وكون العقل يدل على النقل لا يجعله حاكما عليه، فإن الجاهل قد يدل على العالم ولكن ليس حاكما على أقواله، ووصف أصدق القائلين من لم يؤمن بالقرآن بأنه أعمى فقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩].

وليس شرط الأعمى عن الحق أن يكون بيته من أعجاز النخل ومركوبه الدواب، فربما كان الأعمى يسكن ناطحة سحاب ومركوبه الطائرة، وقد قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

فالإنسان يأخذ علمه عن خبر صادق أو تفكير صحيح.

وما العلم التجريبي الحديث إلا جزء من المنهج الاستقرائي الذي هو بعضٍ عمل العقل، كما أن الإنسان يعمل بمقتضى الثقة وإن لم ير الشيء حسياً، فنحن مثلا نركب الطائرة حتى ولو لم نر الطيار ونذهب للعيادة حتى ولو لم نر شهادة الطبيب، وهكذا.

وللمعرفة في الإسلام مصادر كثيرة ليست في غيره ومنها:

١. الوحي المعصوم.كما سبق.
٢. الفطرة.
٣. العقل.
٤. التجربة.
٥. الكشف.

٦. الرؤيا الصالحة.

٧. الفراسة.

ولا يصح الاعتماد على الحس وحده كما يفعل كثيرون، فإن الإنسان يبصر النائم بعينه، بينما تختلف حالات النائم، فقد يكون في حلم لذيذ أو في حلم نكد، وربما كان في حالة كابوس (جاثوم) المسمى بالانجليزية "نايت مار".

– الفطرة:

مصادر المعرفة في الإسلام واسعة ومتنوعة ومنها –وربما كان أولها– الفطرة التي فطر الله الناس عليها أي العلم البديهي، كما يقول المتكلمون، ويندرج ضمن هذا العلم كثير مما لا يحتاج لنظر واستدلال، مثل وجود الله وأن لكل مخلوق خالق، وأن للإنسان عمرا محدودا وعقلا محدودا وأن عالم الغيب لا يمكن للبشر إدراكه بالتجربة، وأن الكل أكبر من الجزء وهكذا.

فالفطرة البشرية في الإسلام سوية مستقيمة ليست شريرة –كما يقول "هوبز"– في استقرائه الناقص بل الفطرة هي عين الإسلام، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم:٣٠].

وفي الحديث (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه)، وليس في أي رواية للحديث (أو يسلمانه) بل في رواية (كل مولود يولد على هذه الملة)، وفي رواية أخرى (كل مولد يولد على الفطرة كما تنتج البهيمة البهيمة جمعاء، هل ترون فيها من جدعاء).

والأحكام الإسلامية لا تنكر أو تحارب ما هو فطري لدى الإنسان، الزواج فطرة والملكية الفردية فطرة، والحلية للمرأة فطرة، وكذلك الزينة (انظر مثلا كثرة محلات الأزياء النسائية وقلة الأزياء الرجالية)، والطيب والعطور فطرة، وتربية المرأة للصغار فطرة، ونوم الليل مع العمل في النهار فطرة، وحب العدل فطرة وكراهية الظلم فطرة، وقس على ذلك.

ويذكر الرئيس (علي عزت بيغوفيتش) رحمه الله أن الفطرة متأصلة حتى في الدولة الشيوعية مع أن دستورها ينص على أنه "لا إله والحياة مادة"، أو تقول إن الدين أفيون الشعوب، وتحارب التدين، ولا تقول إنه فطري في كل نفس، ويذكر رحمه الله أن أحد الشعراء لما مدح "لينين" قال: "كأنه المسيح وحوله الحواريون"، يعني أن اعضاء الحزب الشيوعي كانوا اثني عشر آنذاك.

واضطر الشيوعيون إلى فتح الكنائس أيام الحرب العالمية الثانية لكي يدعو الناس لهم بالنصر، فهم يدعون لله في الشدة وتستيقظ لديهم الفطرة ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥]، ولكن يكفرون في الرخاء.

وأرغموا أول رائد للفضاء "جوجارين" أن يقول صعدت إلى الفضاء فلم أجد الله مع أن كلمته الأصلية كانت (لما صعدت في الفضاء آمنت بالله).

وحاربوا الفطرة الإنسانية عقودا طويلة، ثم اضطروا في النهاية إلى الإقرار بها، وأصبحت موسكو الآن تصلي العيد، وكثرت فيها المساجد وبعض المؤرخين يقول إن اسمها نفسه يدل على ذلك إذ معناه (المسجد).

وأذّن بعض الدعاة في الساحة الحمراء كما تسمى، وكما خسروا الدنيا سوف يخسرون الآخرة التي هي خير وأبقى، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وبعد سقوط ثورة "البروليتاريا" كما عبر (ماركس وانجلز) علق الشيوعيون آمالهم على نجاح ما أسموه الثورة الثقافية أو التغلغل الثقافي سلمياً، وهذا ما نادت به مدرسة فرانكفورت وغرامشي وغيرهم في أمريكا، وكذلك الاشتراكية المعدّلة كما في بريطانيا، أو الأحزاب الشيوعية واليسارية كما في فرنسا، وهذا نوع جديد من الشيوعية يريدون به اجتثاث القيم الدينية والأخلاقية ثقافيا، وهو أخطر من الثورة الدموية المكشوفة، وقد جاء

قرار المحكمة العليا الأمريكية بإباحة زواج الرجل بالرجل ليؤيد هذه الثورة الثقافية، ويؤكد حاجة أمريكا إلى "مكارثية جديدة مناسبة"، ولا يهمنا نجاح هذا الاجتثاث في الغرب ولكن يهمنا ألا ينجح في عالمنا الإسلامي خاصة مع الغزو السلوكي والفساد الذي نراه.

والإنسان لا يولد صفحة بيضاء كما قالت المعتزلة ويقوله بعض مفكري الغرب حديثا مثل "فولتير"، بل يولد على الفطرة المقتضية للعلم بالبدهيات وبالأسباب وراء الأفعال، مثل مبدأ السببية، ومبدأ الغائية.

– أثر الحس:

على الحس الحيواني قامت السمنية وعلى السمنية قامت الجهمية وعلى الجهمية قام الفكر الاعتزالي، ولما رأت عقلية كعقلية الرازي ما في ذلك من فساد تحولت من الفكر الأرسطي إلى مقابله (الحدس الأفلاطوني)، ومن الاعتماد على التفكير المنطقي العقلي إلى الغنوصية الإشراقية، ولكن عقلية فذة كعقلية أبي حامد الغزالي بحثت عن المنقذ من الضلال في غير هذين واهتدى إلى تهافت الفلسفة الأرسطية، وأن مصدر اليقين حقا هو الوحي، فمات وصحيح البخاري على صدره، فلله در أبي حامد في مرحلته الأخيرة غير المتناقضة.

وهذا هو الطريق الذي حث عليه الرازي في وصيته بعد أبي حامد بقرن من الزمان وقال أبو حامد كلمته المشهورة "طلبنا العلم لغير الله فأبى العلم إلا أن يكون لله"، وليت الرازي بدأ من حيث انتهى الغزالي، ومن حيث أوصى به حين فات القطار.

أما الكنيسة الغربية فلا تعمل بما أوصى به الرازي وعاد إليه أبو حامد، بل أصرّ كبير فلاسفتها آنذاك (توما الأكويني) على منهج أرسطو الذي عرفه عن طريق الرشدية، وعلى ذلك قامت فلسفة عصر النهضة الأوربي كما

يسمونه، ثم طوره (ديكارت) وأخيرا جاء (هيجل) بالفلسفة الجدلية ومنطقه الخاص في أوائل القرن التاسع عشر الجريجوري.

وبعد رواج الهيجلية وانتشارها في الغرب، ظهر "ماركس" و"انجلز" وقالا إنهما أقاما "هيجل" على قدمه بعد أن كان قائماً على رأسه، أي أنهما صححا النظرية الهيجلية الديالكتيكية وبنياها على أسس علمية!

فبعد أن كانت الهيجلية أفكاراً ذهنية اعتمد هذان على أبحاث "مورجان" عن المجتمعات البدائية وفرضية "داروين" الإحيائية فحوّلا الهيجلية من الفكر إلى الواقع.

كما حوّلا خرافة الكنيسة من "الألفية السعيدة" وفكرة هيجل المقتبسة منها وهي أن الدولة البروسية نهاية التاريخ، إلى القول بأن الشيوعية الأخيرة هي اضمحلال الدولة والنهاية الحتمية للتاريخ! وهنا يظهر استمدادها من (باكونين) الذي أعاد ما قاله الأصم المعتزلي من قبل وأن الدولة مصدر كل شر.

والحسية لا تزال إلى اليوم، وقد زادها المنهج التجريبي قوة، فلا تزال السمنية منتشرة اليوم لاسيما في الدول المجوسية الشرقية، فالهندوس يعبدون البقرة لأنها تسير أمامهم، والبوذيون في الصين واليابان وكوريا وتايلند يعبدون الأصنام ولا يخلو قط أي معبد بوذي من تمثال لبوذا، ويعيبون على المسلمين أنهم يعبدون ما لا يرون وينسون أنهم بهذا الشرك ينحدرون بالفكر الإنساني إلى المحسوسات، ويلغون التفكير العقلي، الذي به يعرف المسلمون ربهم جل جلاله وعليه تقوم النظريات العلمية.

نعم، نحن لم نر الله تعالى ولا نستطيع رؤيته في هذه الدنيا ولكننا نؤمن بالغيب ولله جل جلاله آية في كل شيء وجعل خلقه هذا الكون وخلقنا دليلا عليه ونحن بلا شك أرقى فكرا وأرحب مصدراً من هؤلاء المجوس الذين لا يؤمنون إلا بالمحسوس، ونحن أعلى من الفلسفة الغربية المادية، كما نحن أعلى من الفلسفة العقلية البائسة.

ونحن نجمع بين دلائل الحس والعقل ونزيد عليها دلائل الوحي.

وإن عجبي لا ينقضي من هروب كثير من الغربيين إلى الفلسفات الشرقية والأديان الشرقية ولا يلجأون إلى الإسلام، والعجب أكثر ممن يزعمون أن الإسلام ديناً إبراهيمياً توحيدياً كاليهودية والنصرانية.

وإيماناً منا نحن أهل السنة بتفوق المصدر الرباني وتقدمه طالب إمامنا الإمام أحمد رضي الله عنه بدليل من الكتاب أو السنة على أن القرآن مخلوق!

وكثير من تصرفات البشر إنما هي بمقتضى الثقة العقلية لا بمقتضى الاطلاع ولارؤية البصرية، فنحن مثلا نركب الطائرة دون أن نرى الطيار، ونذهب العيادة أو المشفى دون أن نرى من الطبيب وهل شهادته مزورة، ونأكل الطعام أو نطلبه في المطعم دون أن نعلم من طبخه، ونأخذ الدواء دون أن نعلم مركباته، وهكذا فكيف لا يثق المؤمن في خبر الأنبياء وهم أوثق الخلق وأصدقهم وأرحمهم!!

والإحالة إلى الفكر الغربي كما يريد الليبراليون أو إلى الرأي الآخر، كما يقول بعضهم هي إحالة إلى المبهم المتناقض، حتى في القضية الواحدة، فمع اتفاق محمد أركون ومحمد الجابري في تعظيم الفكر الغربي، نجدهما متناقضين فالجابري يخالف أركون، فمن نتبع؟

أما اتباع كل عاقل للقرآن فهو الذي يجمع الفكر حول أصول كلية، وقواعد جامعة مستنبطة، إذا اجتمعت العقول عليها فلا حرج عليها بعد ذلك أن تختلف، وللمصيب أجران وللمخطئ أجر واحدٌ، ولا حرج في اختلاف الأصول الفقهية مادام المرجع واحداً فالأئمة الأربعة مصابيح الدجى، لكل منهم أصوله ولكن مرجعهم جميعا هو الكتاب والسنة وعقيدتهم كلهم هي عقيدة السلف.

- العقل:

الإسلام لا يلغي دور العقل، بل جاء في آيات يصعب حصرها استحثاث العقول وضرورة تفكيرها فيما تفعل وتعتقد والنهي عن التقليد، ولكن فرق بين التفكير العقلي وبين تحكيم العقول البشرية، كما فعل المتكلمون قديما ولا يزال عليه شراح الجوهرة وأم البراهين وأكثر معاهد العلم في العالم الإسلامي، وفعلته الفلسفة العقلية الحديثة ويطالب به التنويريون كما يسمون أنفسهم أي جعل العقل البشري حاكما على النص المترل من الله.

وهذا ازدراء للنّص وخروج بالعقل عن ميدانه، وجعل المقدم مؤخراً والمؤخر مقدماً، والسماء أرضا والأرض سماء، ولذلك يسميه الله تعالى الهوى، قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]، وقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣]، وقال: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ﴾ [المؤمنون:٧١] فهي في الحقيقة أهواء، وإن سماها أهلها عقولا، ولا يعني التمسك بالإسلام إلغاء العقل والتفكير، فقد قدَّر الإسلام العقل وأمر بالتفكر والنظر والتجربة، وكل الأمثال المضروبة في القرآن، وكذلك الأدلة التي ذكرها الله فيه أدلة عقلية، مثل خلق المسيح عليه السلام كخلق آدم، وكونه عليه السلام يأكل الطعام كسائر البشر، ومثل الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى وبالنبات وإحياء الأرض وهكذا، فهي ليست مجرد كلام خطابي كما يقوله الفلاسفة، أو على طريقة الكنائس "آمن ثم فكر"، أو على طريقة ملاحدة الغرب يؤمنون بالظنون والأساطير.

بل حث ديننا الحنيف على البحث، وأمرنا الله بالتفكر في آياته ومخلوقاته والسير في الأرض لمعرفة سننه، وكتب شيخ الإسلام ابن تيمية كتابه العظيم (درء تعارض العقل والنقل) وبيّن أنه لا يمكن أبدا أن يتعارض نقل صحيح، مع نظر عقلي صريح، بل لابد أن يكون النقل غير صحيح أو العقل غير صريح، وأن القطعي منهما يقدم على الظني عند التعارض، واستحالة التعارض بينهما هو ما قرره "ألبرت آينشتاين" حين قال: (العلم

يحدثك عما كان والدين يحدثك عما سيكون ولهذا فالتعارض بينهما مستحيل)!

والمتكلمون حين يفترضون التعارض بينهما كما في "القانون الكلي" الذي وضعه الرازي، يأتون بأمثلة افتراضية مثل أن يقول "الخبر" إنه يقع الآن غراب على جبل قاف" أو بأحاديث مكذوبة مثل: "لا يقال لمن أيَّن الأين أين؟" وهكذا كل ما خالف العقل الصريح، إما أنه افتراض وهمي لم يرد به نص شرعي، وإما أنه حديث مكذوب، أو فهم مغلوط، أو انطباع شخصي لدى قائله.

وفي كتاب "الرد على المنطقيين" ذكر الشيخ أن التجربة مصدر صحيح للمعرفة أي ليس الاعتماد على مجرد النظر العقلي وحده.

ومما هو معلوم اليوم أن كلام "أرسطو" في سقوط أثقل الجسمين قبل أخفهما كلام نظري، أبطل "جاليلو" صحته بتجربة عملية، حين أسقط جسمين مختلفين من أعلى أحد الأبراج، وهكذا كل نظرية مبنية على التخمين أو الظن أو مجرد التفكير المنطقي مع إمكان التجربة. وبعض علماء الأحياء الغربيين حسب أسنان الحصان فوجدها غير ما افترضه "ارسطو"، فالحقائق في الإسلام مبنية على المعرفة التجريبية الصحيحة، وليس على مجرد الظن أو النظر العقلي فقط؛ بل نهى الله تعالى عن الظن ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾ [النجم:٢٨]، وقال عن المشركين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يونس:٦٦].

والعقل عند أهل السنة والجماعة يحسّن ويقبّح قبل ورود الشرع، بخلاف ذلك عند متكلمي الأشعرية مثلا، وقد قال الله تعالى عن عبده ومصطفاه ﷺ ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧]، فلو لم يكن المعروف والمنكر معلومين بالعقل لقال يأمرهم بما يأمرهم به وينهاهم عما ينهاهم عنه.

وإنما مشكلة العقل أنه محدود كما تقدم من كلام الشافعي رحمه الله.

وقد قسم المسلمون العلم إلى ما هو قطعي وما هو ظني وما هو شك وما هو باطل قبل أن يعرف الغرب القطعي والظني بقرون، وبعض ما يمثل به الغربيون من القطعي مثلا هو ظن عند من يؤمن بالقرآن وهكذا.

وكل مصدر صحيح للمعرفة لا يتنكر له الإسلام أبدا، وأعظم المعرفة معرفة الله تعالى ثم ما كان غيبيا كالجنة والنار والملائكية والجن، وغير ذلك مما هو مفصل في القرآن والسنة وعقيدة السلف، وكثير من ذلك لا يعرفه الغربيون.

ووضعت الشريعة المطهرة ضوابط يجب مراعاتها، ونهى ديننا الحنيف عن المكابرة والجحود، قال تعالى عن قوم فرعون: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وهذا ما فعله إبليس الرجيم وأهل الكتاب وأمثالهم قديما، وهذا النهي لا يلتزم به الملحدون حديثا فهم يخلصون لله في الشدة لكنهم ينقلبون فراعنة في الرخاء، ويعترف كثير من الملاحدة بالإيمان إذا اهتزت بهم الطائرة أو أوشكت السفينة على الغرق، بل إن بعض الملاحدة هنا يستغفر الله أو يقسم بالله أنه ملحد!

فالفكر الغربي اليوم يقوم على المبدأين الباطلين اللذين ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنهما أساس الانحراف العقلي وهما القرمطة في السمعيات والسفسطة في العقليات.

وهما داءان قديمان عافى الله منهما الأمية الفطرية (العرب).

أما القرمطة في السمعيات فقد اعتمدت عليه المدرسة الفكرية الغربية القائمة على التأويل لا سيما المدرسة البنيوية وبالذات فلسفة الهرمونيطيقيا والألسنية كما زعم "دي سوسير" ثم "رولان بارت".

وهذا التأويل يبقي النص ألفاظاً ولكن كلٌ يفسّره كما يشاء كما قال غلاة الرافضة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً﴾ [البقرة:٦٧]، إن الله

أمر المسلمين بذبح أم المؤمنين عائشة! أو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة:١٨٣] إن المراد بالصيام هو حفظ أسرار الأئمة.

وأصل هذا المذهب هم اليهود قبحهم الله، ثم إن التأويل أصبح أحد طريقي المتكلمين، والآخر هو التفويض.

قال صاحب جوهرة التوحيد:

وكل نص أوهم التشبيها أوّله أو فوض ورم تنزيها

وأما السفسطة في العقليات فقد قامت على فلسفة (ديكارت) الذي يلقبونه (أبو الفلسفة الحديثة)، وهي مدرسة تجعل الشك منطلقا لليقين كما في كتاب (مقال في المنهج)، على أن ديكارت إنما نقله عن المعتزلة، فقال: (أنا أفكر إذن موجود)، والمعتزلة أخذوه عن فلاسفة اليونان وعن المعتزلة أخذ أبو حامد الغزالي رحمه الله الذي أمرضه "الشفاء" لابن سينا الذي كان إسماعيليا وخير أحواله الاعتزال، ولما هربت أوروبا من الدين وجدت في كلام ديكارت بعض السلوى، مع ما فيه كلامه من إنكار للبدهيات، ولكن الهارب لا يلوي على شيء.

وكل هذه الأقوال باطلة، وجحد للضرورات وإنكار للفطرة الإنسانية والعلم الضروري، ومخالف لما ثبت في النص، فالنبي ﷺ لما أرسل معاذاً إلى اليمن، قال له: (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله)، وفي رواية أخرى (توحيد الله) وفي رواية (عبادة الله)، ولم يرد مطلقا فليكن أول ما تدعوهم إليه الشك أو النظر أو القصد إلى النظر.

على أن ديكارت لم يكن هاربا من قطعيات الكنيسة الكاثوليكية فحسب، بل كان يخشى بأسها ويخاف أن تحرقه حيا كما هو شأنها، فعمد إلى ثنائيته وازدواجيته القائلة بأن لا تعارض بين الفلسفة والدين إذ لكل مجاله حتى في الأمر الواحد، وهو ما سبقه إليه ابن رشد في كتابه "فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال"، وكانت الديكارتية مرحلة متوسطة بين

الإقرار بكل ما تقوله الكنيسة وبين الفرار من الدين مطلقا كما فعلت أوربا فيما بعد.

وليس التفكير المنطقي هو وحده الذي يقود لليقين، بل في إعمال العقل وحده إهمال للمصدر الآخر الذي عبّر عنه بعض الصالحين بقوله "واردات ترد على القلوب لا تستطيع القلوب دفعها"، وهذه الواردات من العلم الضروري الذي رحم الله به خلقه.

وبحثاً عن هذا المصدر تجد عالم الذرة مثلا يذهب إلى البدوي، والطبيب إلى المشعوذ أو ما يسمى المعالج الروحي، وتجد الأستاذ الجامعي في الغرب يبحث عنه في نيبال أو الصحراء الكبرى!

ولا يصح الاعتماد على مصدر واحد للمعرفة أو نبذه كليا فقد كانت الكنيسة الكاثوليكية تعتمد على النقل عن الأولين وحده، وكل ما قرره أرسطو واليونانيون ودلَّهم عليه ابن رشد أخذه الغربيون مسلما.

ثم تحولوا إلى العلم التجريبي الحديث وحده وبالملاحظة صعد "جاليلو" إلى قمة أحد الأبراج وأسقط جسمين أحدهما أثقل من الآخر فوصلا إلى الأرض معا، فبطل بذلك كلام أرسطو عن سقوط الثقيل قبل الخفيف، ويقول المعاصرون إن هناك عوامل غير الثقل منها الكثافة وتخلخل الهواء، وهكذا.

والوحي عند اليهود والنصارى محرف باعتراف علمائهم أما القرآن والسنة فهما وحي محفوظ، والوحي هو الأساس العلمي لكل اعتقاد ولذلك طولب به المشركون فقال تعالى: ﴿ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ﴾ [الأحقاف:٤]، وقال: ﴿فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الصافات:١٥٧]، وبعد ذلك تأتي المصادر الأخرى.

فالعلم عند المسلمين منه ما هو فطري بدهي ومنه ما هو مكتسب يحتاج للتعلم ومنه ما لا يعلم بالعقل مطلقا، وانتقد ابن تيمية ما يسميه الغربيون (ومنهم جان بول سارتر) خداع الحواس، وقال إن الحواس قد

تخطئ ولكن العقل يصحح خطأها، وصوابها كثير لا يمكن جحده، أي أن إهمال الحواس مطلقا لسبب أنها قد تخطئ هو مثل إقفال كل المستشفيات لأن الأطباء قد يخطئون أو إقفال كل المدارس لأن بعض المدرسين يخطئ.

وكما نبذ اليونانيون الحس واعتمدوا على النظر العقلي وحده أخطأ العلم الغربي الحديث باعتماده على التجربة وحدها، وعجزت عقول أكثر الغربيين عن الجمع بينهما مثلما عجزت عقول المناطقة قديما، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المنطقيين.

واستبعد الغربيون وفق عنصريتهم الممقوتة، أي مصدر غير أوربي ونسبوا المنهج التجريبي إلى (فرنسيس بيكون) وحده، ولم يؤمنوا بشيء إلا بعد أن يُدخلوه المعمل أو المختبر، فإن لم يخضع للتجربة فهو ميتافيزيقي من أمور الاعتقاد (دوغما).

وفي حين سار أرسطو مشرقا سار أفلاطون مغربا، حيث قال إن العقل نفسه قد يضل وإن مصدر المعرفة الحقيقي هو الحدس، تبعا للمجوس وتبعه في ذلك الغنوصيون وأصحاب الحكمة الإشراقية، والصوفية الذين قالوا إن الذوق أو الوجد أو الكشف هي المصدر الصحيح للمعرفة.

والصحيح أن أي مصدر صحيح للمعرفة الصحيحة يجب الأخذ به، ومن ذلك الفطرة والوحي والعقل والحس وأن كلاً من الفلسفتين العقلية والمادية على خطأ.

وأعظم أنواع الاستدلال هو الاستدلال بالله على خلقه كما قال شيخ الإسلام، ولكن ذلك كما قال ابن القيم عزيز لا يناله إلا خاصة الخلق، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

وينبغي التدرج في الاستدلال بدءاً بما يؤمن به الخصم كما فعل خليل الله إبراهيم عليه السلام حين بدأ بالكواكب ثم انتهى إلى توحيد الله.

وقد عافى الله هذه الأمة الأمية من داء السفسطة، والفلسفات العبثية، فسلمت فطرها من الفساد، وجعل الله منطقها في نفس لغتها، قال الشافعي: "منطق العرب في لغتهم".

وأصبحت ترى العجوز الأمية المسلمة في البادية، تعرف من أسرار الوجود وحكمة الخلق ما لا يعرفه عباقرة المفكرين الغربيين وعقول أكابر المتكلمين، فهذه الأمة حقا تمشي رويدا وتجيء في الأول، وتُحقق أعظم النتائج بأبسط الوسائل، وجاء أعرابي إلى المدينة فدخل على الرسول ﷺ وحوله الصحابة فقال أيكم محمد؟ قالوا هذا الأبيض المتكئ. فقال: حدثني عن الله. فقال النبي ﷺ الله الذي إذا كنت في فلاة وأضللت دابتك ردها إليك" الحديث. فآمن الرجل من وقته. وجاءه صلوات الله وسلامه عليه وفد من أهل اليمن وقالوا (جئنا نسألك عن أول هذا الأمر كيف كان)، وليس العجب من جوابه ﷺ فهو مسدد بالوحي، وإنما العجب لقوم يرحلون ليسألوا هذا السؤال ولأخذ العلم من مصدره الصافي.

ولجهل الغربيين بذلك لا نستغرب أن يتداولوا رباعيات الخيام ويترجموها بلغاتهم، فالخيام كان حائرا مثلهم والمصيبة بينهما واحدة، قال الخيام:

يا حسرتا إن مر عمري و لم   يتح لفكري حل لغز الوجود!

والمسألة أوضح من أن تكون لغزا محيرا، وهي أسهل من أن تكون أحجية تحتاج لتفكير طويل، إذ هي بدهية فهذا الوجود مخلوق فلابد لكل مخلوق من خالق، وقد قالت الرسل لأممهم: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠]، وما علينا إلا أن نتدبر القرآن إن أردنا اليقين القاطع.

وليس في الإسلام ذلك الضياع وتلك الحيرة التي يعاني منها الفلاسفة ويعبر عنها بعض الشعراء كما قال إيليا أبو ماضي:

جئت لا أدري من أين ولكني أتيت، ولقد أبصرت قدامي طريقا فمشيت، أأنا أمشي أم الدرب يسير، لست أدري، ولماذا لست أدري لست أدري.

فهو لا يدري ولا يدري لماذا لا يدري، وقد قال ابن القيم عن أبي زكريا الرازي (وما علينا من جهله)، وكذلك نحن ما علينا من جهل أبي ماضي.

وأشقى الناس هو من لا يدري من أين جاء ولماذا جاء.

والنظر في ملكوت السماوات والأرض يذهب هذه الحيرة، كما أن المؤمن يقرأ القرآن فيجد السكون والطمأنينة واليقين.

فكما أن ملكوت السماوات والأرض هو كتاب الله المنظور، كذلك الذكر الحكيم هو كتاب الله المسطور، والقرآن هو الدليل والمدلول معا، وهو الآية الكبرى التي جعلها الله لخير خلقه محمد ﷺ، فهو لا تنتهي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد. ويمكن لكل إنسان أن يتدبره، وما من شبهة أو شهوة إلى يوم القيامة إلا وفيه الجواب عنها والشفاء منها، وعلى طالب العلم أن يبدأ به ويحفظه ويتدبره ويستعين على فهمه بما قاله الأولون، لكن لا يقف عند ما قالوه فقد يفتح الله عليه بما لم يقله أحد قبله، وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقرأ في تفسير الآية مئة وعشرين تفسيراً ولا تروي غليله، فيذهب إلى إحدى الخرائب ويمرِّغ خده في التراب، ويقول يا معلّم إبراهيم علّمني ويا مفهّم سليمان فهمني، حتى يفتح الله عليه بما يشاء، وكان لبعض السلف ختمتان إحداهما كما يختم سائر الناس، والأخرى يقيم فيها عشرين عاما، أو نحو ذلك يتدبر كل آية ويقف عندها، وقد قام النبي ﷺ ليلة كاملة، يقرأ فيها بآية واحدة، هي ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، وكان الصحابة الكرام لا يتجاوزون خمس آيات حتى يعرفوا ما فيهن من العلم والعمل، مع حدة ذكائهم وصفاء خواطرهم، ومعرفتهم باللغة، واستغنائهم عن الأسانيد.

وليس من عقيدتنا الاعتماد على الحس وحده أو إهماله مطلقا.

فالحس يفيد تصور الحقيقة تصورا مطلقاً، أما تفصيلها فهو من حكم العقل.

وما يسمى في أوروبا الفلسفة العقلية فيها ما هو حق ينبغي قبوله وفيها ما هو خطأ ينبغي رده.

وللإنسان حواس ظاهرة وباطنة قد لا يعلم حقيقتها ولا كيف تحس، وهو ما يقوله المعاصرون اليوم مستدلين بأن الإنسان قد يتذكر فلانا ثم يلتفت فيراه.

ومما يدل على أن منطق العرب في لغتها كما قال الشافعي، أن الله تعالى علم آدم الأسماء كلها فميّز الله بالتسمية العينية، بين ما يسميه المناطقة النوع وما يسمونه الفصل أو الحد والرسم، وما يسمونه هم أو غيرهم المشترك اللفظي، والكليات حار فيها الفلاسفة منذ الـــمُثُل الأفلاطونية إلى الفلسفة المدرسية، إلى "برتراند رسل" ومنطقه الرياضي، ومن ذلك اختلافهم في الكلي الطبيعي أهو موجود عقلا؟ والصحيح ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية من التفريق بين ما يوجد في الأذهان وما يوجد في الأعيان، فالذهن يفترض وجود إنسان كلي أو شجرة كلية، ولكن ذلك في الخارج لا يوجد إلا معيناً، فيختلف إنسان عن إنسان وشجرة عن شجرة وحصان عن حصان. كما يتخلف بياض الثلج مثلا عن بياض العاج، ولكل شيء وجود لفظي أو رسمي أو عيني.

وقد بين الشيخ أيضا أن كلمة العقل لفظة مجملة قد يسمى بها نوع من العلم، وقد تسمى بها الغريزة.

ومما يختلف الناس فيه قديما وحديثا مقر العقل، أهو الدماغ أم القلب؟ ويحسم الشيخ الخلاف ويفصل فيه: بأن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب، أي بلغة العصر: المشاعر والعواطف محلها القلب كالحب والبغض والحزن والألم والفرح والسرور، أما التفكير فمحله الدماغ كمسائل

الرياضيات والذاكرة والحافظة وأمثال ذلك، والله تعالى إنما ذكر في القرآن القلب لأن كل شيء تابع للإرادة، وذلك مناط التكليف، ولأن الدين هو أقوى العواطف البشرية كما قال "رينان".

فقال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ ﴾ [الحج:٤٦].

وقال عن الكفار: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩].

وهكذا لا تجد في القرآن الكريم تشريعا مجملا، وإنما فيه القول الفصل المبين.

وأصل كل علم هو الوحي، ومن لا كتاب له لا يقبل قوله إلا إذا وافق القرآن، ولا يقر على كفره. ولا تؤخذ منه الجزية على الصحيح.

قال تعالى: ﴿هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ﴾ [الأنعام:١٤٨]، وقال: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ﴾ [سبأ:٤٤] وقال: ﴿ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف:٤].

وقال عن التوراة والقرآن: ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ﴾ [القصص:٤٩].

وأمر عمر رضي الله عنه بإتلاف كتاب دانيال وإخفاء قبره. ووقف الإمام أحمد وقفته العظيمة في الفتنة. وحطم شيخ الإسلام ابن تيمية صنم المنطق والفلسفة وبين عوار كل مذهب وقول غير ما جاء به الرسول ﷺ، وهذه هي عقيدة السلف التي يفقّه الله فيها من يشاء، إذ في كتاب الله ما يغني عن كل قول، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣].

ودرجات الإيمان هي درجات المعرفة الصادقة، وأعلى درجات المعرفة هي ما جمع الله فيه الدرجات الثلاث نور الحس ونور العقل، ونور الوحي، ونور الوحي يكون بالنبوة، ثم بمتابعة النبي كما كان أبو بكر الصديق، ويليها درجة التحديث التي كان عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

والنبوة غير مكتسبة أصلا؛ بل ولا الجزء القليل منها وهو المبشرات (الرؤيا الصادقة) وكذلك الإلهام، وإنما أتاح الله لنا بفضله مرتبة المتابعة والاقتداء وهي لا شك عالية صعبة، ولكنها ممكنة إن لم يكن في كل الجوانب فعلى الأقل في جانب منها،كما في حسن الخلق أو الجهاد أو التأثر بالقرآن، ومن الخطأ الظن بأن التاريخ ما هو إلا دورات متعاقبة مع استبعاد أي عنصر غيبي فيعقب السراء ضراء ويعقب الجدب خصب، ويعقب انخفاض السعر ارتفاع، فهكذا كان يظن الجاهليون بالله ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف:٩٥]، وقال كفار العرب: إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع.

وبالوحي تهتدي العقول وتتنور، ولذلك قال النبي ﷺ، وهو أعظم البشر عقلا وأسدهم رأيا، كما أمره ربه: ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ﴾ [سبأ:٥٠]، ولما ترك الصحابة الكرام تأبير النخل بمقضتى رأيه و لم يطلع: قال (إنما ذلك رأي رأيته) أي ليس وحيا.

فهذا ديننا، أما قول الفلاسفة والمتكلمين منذ أن وضع الرازي قانون التعارض، إنه يجب تحكيم العقل في النقل لأن العقل يدل عليه وهو الذي دل على صحة النقل، فهذا صحيح من جهة الدلالة، وخطأ من جهة التحكيم، أرأيت لو أن جاهلا دلنا على عالم أكنا نحكّمه فيما يقول العالم؟!

فبالاتباع للوحي نجمع بين العقل والنقل، وبين أن له تعالى الخلق والأمر، وكما أنه ليس في السماء فطور، ليس في الشريعة قصور، وكما أنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، شرع للإنسان أحكم شرع وأقومه ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وكما أنه تكفل لنا بتسيير جانبنا اللاإرادي، فينبغي لنا أن يكون جانبنا الإرادي تابعا لشرعه وهداه، وكما أنه يسجد له ما في السماوات والأرض، ينبغي لنا أن نسجد له طائعين، ومن زعم أن أي فلسفة أو نظرية أو عقل أو حضارة تهدي وحدها للتي هو أقوم،

فقد كذّب الله؛ وإنما هو في الحقيقة يتبع لنوع ما لم يعلم، قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية:١٨].

والله يفتح للمستقيم على شرعه بركات من السماء والأرض، أما من نسي الذكر فيفتح له أبواب كل شيء ثم يأخذه بغتة.

وقد كان السلف يتهمون عقولهم مقابل الوحي، قيل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أرأيت الجنة؟ قال "نعم، رأيتها بعيني رسول الله ﷺ ولو أني رأيتها بعيني أنا لربما زاغ البصر وطغى".

وقال: "لو كان الدين بالرأي لكان باطن الخف أولى بالمسح من أعلاه".

وقال سهل بن حنيف ﷺ: (أيها الناس اتهموا الرأي في الدين، فلقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول الله ﷺ لفعلت).

وقال رافع بن خديج "كنا نكري الأرض ثم نهانا النبي ﷺ وقد كان لنا في كرائها مصلحة، ولكن ما أمر الله ورسوله به خير".

والنقل عن السلف في ذلك كثير جدا.

فالواجب علينا هو الإيمان واتباع الوحي، لا ما يقوله أصحاب ما يسمى "المدرسة العقلية أو الفلسفة العقلية".

قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾ [النساء:٦٥].

وقال أهل العلم ومنهم شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي: "لا تثبت قدم الإسلام إلا على متن التسليم".

ومن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ألا يقدم على النص (سياسة ولا عقل ولا ذوق)، وقد نهانا الله عن رفع الصوت فوق صوت النبي، فكيف نطيع الليبراليين ونقدّم الفلسفات على هديه؟

والله تعالى إنما أمر باتباع الأنبياء لا اتباع الفلاسفة، فما قاله الأنبياء أصدق وأوضح، وسيدهم هو محمد ﷺ، ومحاولة الفلاسفة والمتكلمين معرفة الحق بعقولهم المحدودة كالذي يريد أن يضع البحر المحيط في إناء صغير، وقد

كان موسى عليه السلام قبل أرسطو بألف وأربعمائة سنة تقريبا، وكان سليمان عليه السلام قبل أول الفلاسفة الماديين (طاليس) بقرون، وإنما أخذ أولئك المضلون عن زنادقة أهل الكتاب الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان، وساروا على طريق مشركي الفراعنة، الذين لولاهم ما كان فلاسفة اليونان شيئا مذكورا، وقد ألف الباحث أحمد عثمان في بيان ذلك تاريخيا كتاب "خرج من مصر".

والمقصود أن الوحي مصدر كل خير وأصل كل علم، وأنه يجب تحكيمه في العقول والحواس، ومن الحقائق القرآنية الجلية أن الكفار يكابرون الفطرة وهم في الحقيقة لا عقل لهم ولا سمع، قال تعالى عنهم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝١٠ فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ﴾ [الملك: ١٠-١١].

وقال أيضا عنهم: ﴿يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٩٧].

فكيف يقتدي من أتاه الله القرآن بمن كان لا سمع له ولا عقل بل هو غافل ظالم؟

وكيف نصفهم بأنهم متقدمون راقون وهم بهذه الحال؟

وواقعهم نفسه يشهد بحيرتهم وغفلتهم وضلالهم، وشدة حاجتهم إلينا كي نبلغهم هدى الله ووحيه، ونبصِّرهم بما هم عنه غافلون من أمر الآخرة، وننقذ مجتمعاتهم مما هي فيه من أسباب الدمار ولكن اكثر الناس لا يعلمون.

ونسألهم أيهما خير أن يكون للمعرفة أكثر من مصدر أم مصدر واحد؟ وهم إنما كانوا ديمقراطيين أو عقلانيين كما يقولون لأنه ليس لديهم وحي معصوم.

وبذلك فتح الفلاسفة على أنفسهم ثغرة السفسطة والشك.

والسفسطة القديمة والشكاك المعاصرون، يقولون إن المعرفة كلها ذاتية ظنية احتمالية، لا قطع فيها ومنهم بروتا جوراس اليوناني، ويقابلهم من يقول

إن المعرفة كلها قطعية يقينية، ويذكرون لها مصادر بعضها خيالي وبعضها حقيقي.

واليهود والنصارى يعتمدون على ما في كتبهم، وبعضها خرافات وضلالات وبدع، أو إعمال منهم للمتشابه من الألفاظ، ويحق لرجال الدين من الأحبار والرهبان والبابوات والكرادلة والمطارنة والقساوسة والكهان، أن يحكموا على أي مصدر بأنه خرافة أو منحول أو خيال ذاتي.

ولما رأى الصوفية والغنوصية صدق الفطرة وما أودع الله في النفس من المعارف البديهية، قالوا إن الحق واردات ترد على القلوب، ويمكن حصولها بالرياضة والمعاناة، أو ما يسميه المجوس "اليوغا".

والقس القبطي الكذاب "منيس عبدالنور" يزعم أن كل ما يقال عن أن التوراة والإنجيل محرفان؛ ما هو إلا "شبهات وهمية" وعلى هذه العقيدة الضالة "الأصوليون" أو "الأساسيون" في أمريكا وأوربا، فجعلوا مصدر المعرفة كتابهم الذي امتزج به أفكار بشرية ولا يمكن التمييز بينهما.

والمسلمون عرفوا مصادر المعرفة الحقيقية قبل الغرب بقرون، ولا يزال لديهم مصدر رباني محفوظ ليس عندهم غيره، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "العلوم ثلاثة أقسام: منها ما لا يعلم إلا بالعقل ومنها ما لا يعلم إلا بالسمع (أي بالخبر وأعظمه الوحي) ومنها ما يعلم بالسمع والعقل".

وقال: "طرق العلم ثلاثة: "الحس والعقل والمركب منهما".

وكان أرسطو يجعل للمعرفة مصدرا واحدا، هو العقل، ثم كفر أكثر الناس بالعقل واستندوا إلى التجربة، وهذا حال العلم الحديث منذ أن صنع جاليلو المرقب ليكون الحس هو المصدر للعلم، وليس مجرد التفكير.

وكذلك صنع الخطّار (البندول).

وكثير من الباحثين اليوم يقولون تبعا للنظرية النسبية: (إن العلوم كلّها نسبية، وليس في الوجود علوم مطلقه ولا قيم مطلقة ولا أخلاق مطلقة)، وهكذا.

والغربيون لما هربوا من الدين جعلوا العلم بقرة مقدسة، يرجعون إليه في كل مشكلة ويستمدون منه كل معرفة، وسار على ذلك أكثر الخلق فإذا أعجبتهم قصة أو قرأوا عن أسطورة نسبوها إلى العلم الحديث، وقالوا إن العلم الحديث يقرها، وذلك مثل مؤلفات أنيس منصور ومنها (الذين هبطوا من السماء) وكتابات (راجي عنايت) في مجلة (أهلا وسهلا)! وكتابات (عيسي داود) عن (مثلث برمودا) و(مقابلة صحفية مع جني مسلم).

وانتقل الطغيان كما قال "ليكونت دي نوي" إلى الطرف الآخر، أي من رجال الكنيسة إلى رجال العلم، وأصبح الناس بدلا من أن يقولوا: قالت التوراة أو قال الأقدمون أو قال أرسطو، يقولون قال العلم الحديث أو قال العلماء أو قال الأطباء، وما أشبه ذلك لا سيما إذا جهلوا أمراً أو غابت عنهم حقيقته كما غابت حقيقة الإنسان عن الدكتور (اليكسس كارل)، وقالوا إن على العلماء أن يضاعفوا جهودهم لمعرفته، أو بشروا بأن العلم البشري سوف يكتشفه مستقبلا فهم كالطائر المحبوس في القفص.

وقال "فوكوياما" الحل هو أن يجتمع كل مشرعي العالم ليضعوا للبشرية ما تسير عليه!

أما المسلمون فيجعلون أهم مصدر للمعرفة هو الوحي المعصوم من الكتاب والسنة، ثم كل مصدر آخر صحيح كالعقل والتجربة والحس، لا سيما وأن الوحي يخبرنا عما لا نعلم ولا نستطيع معرفته عقليا ولا يدخل تحت التجربة كقصة نوح وهود وصالح وشعيب ويونس وإبراهيم وموسى وعيسى ويونس، ويفصل المسلمون في أنواع الحقائق ما لا يعرفه غيرهم فيجعلونها أقساما:

١- منها ما هو فطري كمعرفة الله ومعرفة ان الكون مخلوق، وقد يسمون ذلك العلم الضروري أو البدهي، ومنه ما يتفق عليه كل العقلاء مثل كون الكل أكبر من الجزء والصدق خير من الكذب، وكون العدل خير من الظلم، والأمانة خير من الخيانة، وقد تقدم ذكره.

٢- منها ما هو كسبي أي يأتي بالتعلم والاكتساب ويتطور تراكميا وبه تنتقل الحضارات من طور إلى طور، ويؤمن الإنسان بنظرية بعد أن كان يؤمن بعكسها. وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بقوله (إنما العلم بالتعلم)، وقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [يونس:١٠١]، وقال: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الروم:٩]، وقال: ﴿أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [ق: ٦]، وكثير مما ورد في القرآن الحث على علمه ومعرفته، مثلما أرى الله خليله إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ليكون من الموقنين.

٣- ومنه ما يعلم بالحس كالحرارة والبرودة والطول والعرض والكِبَر والصغر والرائحة الطيبة أو الكريهة، وعلى كل حال العلم البشري محدود مهما كانت مصادره، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥].

ولما خاف الخضر على موسى أن يفتن بما رآه من العلم عنده قال له: "ليس ما عندي وعندك من العلم في جانب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر من البحر". لطائر غمس منقاره في البحر.

وإنما يفرح فرح البطر بما عنده من العلم من لم يؤمن بالوحي: ﴿ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غافر:٨٣].

ومن الفرح المذموم بالعلم ظن بعضهم أن الرزق أو الرفاهية الاقتصادية هي بسبب الخطط المحكمة أو التوجيهات السديدة، كما قال قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓۚ﴾ [القصص:٧٨].

فالله تعالى هو الذي علمنا ما لم نكن نعلم، وأوحى بأعظم العلم إلى أنبيائه، ومنحنا أدوات العلم، ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨].

وهو الذي علم يوسف تأويل الأحاديث، وفهَّم سليمان ما لم يفهمه أباه داود عليهم السلام جميعا، وهو الذي علم نبينا محمداً ﷺ ما لم يكن يعلم،

وأخبرنا صلوات الله وسلامه عليه عن كل شيء، كما جاء في سيرته وسنته، وكما ذكر عنه أخوه عيسى بن مريم في الإنجيل.

ومع أنه ﷺ أخبرنا بكل شيء، وأجاب عن كل سؤال وعلمنا ما نحتاج إليه، ذكر أصناف الناس في تلقي ما جاء به، وأن مثل ما بعثه الله به من الهدى والعمل كمثل الأرض التي منها النقية، ومنها أجادب، ومنها قيعان، أي أن بعض الناس ينتفع بعلمه وينفع غيره وبعضهم كالشمعة تحرق نفسها لتضيء لغيرها، وبعضهم لا خير فيه لا لنفسه ولا لغيره.

والعلم الكسبي مهما كان لا يغني عن تعليم الله ووحيه؛ بل ربما كان وبالا على صاحبه قال تعالى عن عاد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَـٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف:٢٦].

وقال ابن تيمية عن ابن عربي: "أوتي ذكاء و لم يؤت زكاء".

وقال أحمد شوقي:

وأف على العلم الذي تدعونه إذا كان في علوم النفوس رداها

وليس من العلم إنكار حقائق الأشياء بالسفسطة في العقليات والقرمطة في السمعيات.

والسفسطة أنواع:

١- منها ما ينكر الحقائق الثابتة لدى العقلاء، وهم الذين قال عنهم الإيجي والمتكلمون "العنادية" ووصفهم ابن تيمية بأنهم (الجاحدون النافون المنكرون للمعلوم، إما بقولهم إنه غير موجود أو إنه غير معلوم).

وقال: (هذا المذهب أوله سفسطة وآخره زندقة).

٢- من يشك في أي شيء ولا يدري أهو حق أم باطل، وهم الذين يسميهم المتكلمون "اللاأدرية" وكذلك المعاصرون، وسمّوهم أهل الشك والريب فيما لا يشك فيه ولا يرتاب، (وكذا سماهم ابن تيمية)، ومنهم من الغربيين "ديفيد هيوم" و"تشارلز داروين" وغيرهما.

٣- من يكابر حتى في المحسوسات إذا لم تكن ثابتة عنده، وإذا طار الغراب قالوا (عنز ولو طارت) وسماهم المتكلمون "عنادية"، ووصفهم ابن تيمية بأنهم الذين يجعلون الحقائق تبعا للعقائد، وهؤلاء المكابرون لا يلتزمون بالضوابط المعرفية ولا يؤمنون بأي آية، بل يؤمنون بما يشاؤون فقط ويقولون هذا عندنا صواب أو خطأ.

وللرد على أصحاب السفسطة وضع أرسطو منطقه وذهب أفلاطون إلى مُثُله، وظهر أثرهما في الفلسفتين: الإشراقية التي تحدث عنها الرازي وابن سينا، والعقلية التي سار عليها ابن رشد.

ثانيا
المنهج العلمي والتأليف

الحضارة البشرية كالنهر الذي له روافد كثيرة، وكل الشعوب لها إسهام ما فيها، على أن الإسهام الأعلى في الحضارة المعاصرة إنما هو للمسلمين الذي يتعمد أكثر الغربيين إهمالهم ويجعلون الحضارة الغربية نتاج علمي خالص للغرب وحده.

نحن -ولله الحمد- الأمة الوحيدة في الأرض التي لا يزيدها التقدم العلمي إلا إيمانا، والتي تؤمن بأن هذا الكون العجيب ليس فيه شيء عبثي قط. بل الأمر كله مقدر محكم وأنزل الله فيه من كل شيء موزون، حتى ما يراه البشر عشوائيا مثل قطرات المطر قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

والمسلمون هم أول من عرف مناهج البحث العلمي وحرر طرائقه، فتكلموا عن المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي، وعن القياس وأنواعه، وعن العلة والفرق بينها وبين الحكمة في التشريع.

كما تكلموا عن مقاصد الشريعة وعن ضرورة الجمع بين الأدلة، وأن المنهج الصحيح هو الإعمال وليس الإهمال.

كما كان لهم منطقهم الخاص، فلم يأخذوا من المنطق الصوري اليوناني إلا ما يرونه حقاً، وإنما أخذ به من يسمون الفلاسفة، فضلّوا وأضلوا، ورد عليهم المتكلمون، وممن رد عليهم أبو حامد الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة".

ونقد شيخ الإسلام ابن تيمية المنطق الصوري بأكثر وأعظم مما نقده "هيجل" بعده بقرون، وقرر في الرد على المنطقيين أن الحس والتجربة مصدران للعلم الصحيح.

كما قرر في كتابه العظيم "درء تعارض العقل والنقل" أن الدليل العقلي الصريح لا يتعارض مطلقا مع الدليل الشرعي الصحيح، وبين خطأ قانون

التعارض، الذي قال به الرازي من المتفلسفين الأشعريين، أو القاضي المعتزلي عبد الجبار الهمداني، وانتشر في كثير من كتب الكلام والاعتزال.

والمعاصرون اليوم يعتمدون على العلم التجريبي الذي ينسبه الغربيون إلى "فرانسسن بيكون"، ويدعون إلى منطق جديد، كالمنطق الرياضي الذي يقول به "برتراند رسل"، والليبراليون في العالم الإسلامي يقيسون الإسلام على النصرانية بذريعة أن كلا منهما دين، ويقولون إن الدين يعتمد على النقل، وإن المدرسة السلفية أو "الحنبلية" كما يزعمون، تعتمد على النص الديني وحده بلا تفكير، بل كل الدعاة نصوصيون متعصبون يريدون إرجاعنا إلى القرون الوسطى وعصر الجمال والحياة القديمة.. إلخ.

وهؤلاء مع دعاواهم العريضة لا يجدون ولن يجدوا لدى الغربيين مثل علم الرجال، ومعرفة أحوال الرواة أبداً، فضلا عن أن يجدوا معرفة المعلَّل والشاذ والمنكر والغريب، وأمثال ذلك مما هو نقد للمتن وليس للسند، بينما يقول المسلمون لا سيما أهل السنة والجماعة إن أي علم نافع أو تجربة صحيحة فنحن أولى به من الكفرة، وينبغي لنا أخذ الحق من أي مصدر كان، وكذا الحكمة ولو قالها جاهلي، إذ ليس كل كافر أو جاهلي مخطئ في كل قول.

فالنبي ﷺ كان يستشهد بأقوال العرب في الجاهلية، وكان الصحابة يتمثلون بأشعار الجاهليين.

وكان العلماء كابن حجر مثلا يذكر وربما يرجح، ما كتبه أبو الفرج الأصبهاني في كتابه "الأغاني"، مع أن الأصبهاني رافضي كما هو معلوم.

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فكثيرا ما يعيب الاعتماد على ما يقوله الإخباريون، أو المصنفون غير الثقات كابن الكلبي صاحب كتاب "الأصنام"، وعلى المصادر غير الموثوقة كـ"فتوح الشام" المنسوب للواقدي، وبعض ما ينسبون من الكتب للغزالي، وبعض ما يضعه الخيال الشعبي من قصص وحكايات، كقصة الأميرة دهمّة، (ولعلها ذات الهمة)، وقصة البطال وسيرة

عنترة، وقصة رأس الغول وأمثال ذلك، وهذه الخزعبلات خير من أساطير اليونان والرومان التي يعتمد عليها الغربيون، ويقولون إن الأسطورة الفلانية تدل على كذا، ويجعلونها مصدرا، ويقولون إن الخيال إنما لجأ إلى الأسطورة للتعبير عن أمر حقيقي!!

ومثلها ما ورد في التراث الشعبي "الفولكلور".

وهنا قصة طريفة يعرفها أهل الجنوب، وهي أن ثوراً هائجا خرج من مربطه، فقال أحد الخواجات الحاضرين: هذا من الفلكلور؟ قالوا: لا، هذا انفك الثور!

ولتفاهة الأسطورة عند العرب كان المشركون يتهمون القرآن الكريم بأنه أساطير، ويتهمون النبي ﷺ بأنه كتب تلك الأساطير، ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا﴾ [الفرقان:٥]، ولما ترجم المترجمون كتب الأعاجم لم يعرّبوا الأساطير والشركيات وكل الخرافات، مع أن أكثر المترجمين غير مسلمين.

بل إن ناقدي "فرويد" -ومنهم يونج- عند الغربيين، ومرقص عند الشرقيين، يعيبون عليه بناء نظريته على أسطورة "أوديب" وأسطورة "اليكترا" اللتين وضعهما "سوفوكيل" قديما.

والمسلمون لا يعتمدون أبدا على قصة موضوعة، بينما لا تجد الغربيين يكتبون في أي حدث إلا وينسجون الكثير من خيالاتهم، وتبعهم في ذلك بعض الشرقيين، مثل جرجي زيدان صاحب "١٧ رمضان" و"فتاة كربلاء" وأمثالها، وصار كثير من الكتاب على المنهج الخيالي الرومانسي.

ولما تطور الغربيون قليلا وعرفوا المنهج العلمي الصحيح، صاروا يعبرون عن أفكارهم بأساليب احتمالية، مثل "ربما" و"قد" و"يحتمل" و"من المرجح"، وأمثال ذلك مما تراه في كتبهم وفي كتب من نقل عنهم، كالدكتور طه حسين، أو الدكتور علي سامي النشار، وكذا من يؤلف بلغتهم مثل محمد أركون، مع أن بعض العلم يقيني ينبغي التعبير عنه بعبارات قطعية جازمة.

هذا والناس يتفاوتون في العلم ويتنوعون فيه بحسب ما أتاهم الله من الفهم أو الاطلاع، ومن أهم ما ينبغي معرفته معرفة عدوهم، لا سيما والمسلمون اليوم يواجهون عداوة هذه الجاهلية الغربية وكيدها، مع أن الناس في ذلك مراتب:

١- معرفة الجاهلية تفصيلا مع معرفة الإسلام تفصيلا، وهذا هو أعلى مراتب المعرفة، وكان على هذه المرتبة الإمام الشافعي وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وهي طريقة القرآن الكريم، حيث أبطل كل دعاوى المشركين وبين القول الفصل في كل مسألة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، والعقيدة في ذاتها سهلة فطرية لا تحتاج إلى تلقين، وإنما يأتي الكتاب والسنة ليبين للفطرة طريقها القويم حتى لا تضل وتخطئ.

٢- معرفة الجاهلية تفصيلا ومعرفة الإسلام إجمالا، كما كان الشيخ أبو الحسن الأشعري لا سيما في كتابه "مقالات الإسلاميين"، حيث فصّل كلام المعتزلة وأشباههم ثم أجمل القول في عقيدة أهل السنة وفي اعتقاده إياها، وهكذا كل من نشأ على عقيدة غير إسلامية ثم عاد للإسلام الحق، كما غيَّر الدكتور عبدالوهاب المسيري عقيدته اليسارية إلى الإسلام، وكما غيَّر الدكتور عبدالرحمن بدوي عقيدته من الوجودية إلى الإسلام والدفاع عن القرآن.

وكما تحول الدكتور زكي نجيب محمود من الفكر الغربي المفصّل، إلى الفكر الإسلامي المجمل، وكذلك نعيم بن حماد الذي كان جهميا ثم رجع إلى السنة.

٣- من يعرف الإسلام على التفصيل ويعرف الجاهلية إجمالا، مثل أكثر العلماء والفقهاء لا سيما من يعيب على ابن تيمية تفصيله.

٤- من لا يعرف الإسلام على التفصيل ولا الجاهلية، وذلك كأكثر العوام.

وقد أطال ابن تيمية رحمه الله في بيان أهمية المرتبة الأولى في كتابه العظيم "درء تعارض العقل والنقل"، كما رد على الفلسفة والفلاسفة، وعلى المنطق والمناطقة، ولما رد على الرافضة في "منهاج السنة"، قدّم لذلك بكلام طويل هدم فيه كلام الفلاسفة في "الميتافيزيقا" وآراءهم الفاسدة التي انتقلت منهم إلى المتكلمين لا سيما المعتزلة، ثم منهم إلى متكلمي الروافض، كما هو معلوم لكل مطلع، وهذه النظريات اليونانية الباطلة، هي التي انتقلت اليوم كما رأيت وقرأت إلى كتب الإسماعيلية، فتجد آراء مشركي اليونان -ومنهم أرسطو- وأشباههم انتقلت إلى إخوان الصفا الزنادقة المعروفين، وهي اليوم موجودة في كتب الإسماعيلية، وينشرونها ضمن ما يسمونه التراث الفاطمي! وهكذا فالشيطان واحد يوحي إلى هؤلاء، وإلى هؤلاء وتصيب لّمته مَن يهتدون بغير هدى من الله في أي زمان ومكان.

وكان عمر بن الخطاب بعقله الفذ وتفكيره السليم، قد تنبه لذلك قديما فقال: "إنما تنقض عرى الإسلام إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

قال ابن القيم: "وهذا من كمال علم عمر رضي الله عنه، فإنه إذا لم يعرف الجاهلية وحكمها، وهي كل ما خالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإنه من الجاهلية، فإنها منسوبة إلى الجهل، وكل ما خالف الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو عين الجهل"، (الفوائد ص١٠٠).

ثم قال ابن القيم: "وهكذا من عرف البدع والشرك والباطل، فأبغضها لله وحذِرها وحذّر منها ودفعها عن نفسه، ولم يدعها تخدش وجه إيمانه، ولا تورثه شبهة ولا شكا، بل يزداد بمعرفتها بصيرة في الحق ومحبة له وكراهة لها ونفورا منها، خير ممن لا تخطر بباله ولا تمر بقلبه".

وصدق ابن القيم، فإن اطلاع طالب العلم المتمكن من دينه وإيمانه على النظريات الغربية، والفلسفة الغربية يجعل المؤمن يعرف مقدار ما فيها من التفاهة والضآلة والانحطاط، ويؤمن بالإسلام عن يقين واستعلاء وبصيرة،

وإذا نقضها كان نقضه عن علم، ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون.

والعلم بحر لا ساحل له، ولا يشبع منه طالبه، وليس له نهاية، قال ﷺ: (منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال).

وهنا تعجبني كلمة قالها الشيخ عبدالله القادري جزاه الله خيرا لما سئل هل انتهى بحثك؟ فقال: أنا أنهيته".

وينبغي لطالب العلم أن أن يتبحر في العلم ما استطاع وأن يختار فيما يقرأ و لاغنى له مع ذلك من اللجوء إلى الله كي يفهّمه ويعلمه. ويقدم المهم على الأقل منه أهمية.

وشيخ الإسلام ابن تيمية لما رأى إعجاب أبي حيان النحوي بكتاب سيبويه قال له: أخطأ سيبويه في كتابه في نحو ثمانين موضعا.

ولما قال له أحد مريديه لم لا تؤلف كتابا في اللغة؟ قال متمثلا:

تألق البرق نجديا فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول

إذ حماية حوزة الدين بالرد على الفلاسفة والمناطقة والمتكلمين والمعتزلة والمرجئة والرافضة والخوارج واليهود والنصارى أهم، وحاجة الناس للفقه أشد من حاجتهم إلى النحو وبذلك اشتغل شيخ الإسلام.

وضد العلم الجهل، وأعظم الجهل؛ الجهل بالله تعالى مثل حال أكثر الغربيين، ومن جهلهم به أنهم ما قدروه حق قدره، ولو أن اليهود قدروه حق قدره لعرفوا حكمته في إنزال الكتب وإرسال الرسل، ولكنهم أنكروا ذلك كما ذكر الله عنهم في سورة الأنعام، ولو أن المشركين قدروا الله حق قدره لعلموا، أنه تعالى عظيم كبير قادر لا يعجزه أن تكون الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه كما ذكر في سورة الزمر.

ولو أن الملاحدة قدروا الله حق قدره لما قالو إنه غير موجود، وإن هذا الكون جاء صدفة وتطوّر تلقائيا، فكذبوا ما ذكر الله في سورة الطور وغيرها.

وهكذا كل من كفر أو ضل أو عصى ما قدر الله حق قدره، ولذلك قال نوح لقومه ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح:١٣]!

ومن عرفه تعالى لم يعصه، قال بلال بن سعد: "لا تنظر إلى صغر المعصية وانظر إلى عظمة من عصيت"! وقال أحد السلف: "وددت أن جسمي قرض بالمقاريض وأن الخلق لم يعصوا الله عز وجل".

والإنسان إنما يريد العلم ليصل إلى اليقين، ولهذا ذهب بعض المتكلمين الحيارى إلى شيخ صوفي ليتعلم منه اليقين، وفي درب الشك المظلم انقضى عمر كثير من المتكلمين والباحثين حتى قال فيهم الشهرستاني:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيّرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعًا كف حائر على ذقن أو قارعًا سن نادم

ومن هؤلاء الحيارى ابن أبي الحديد وفخر الدين الرازي والحموي وغيرهم.

وقارن مثلا بين "أساس التقديس" الذي صنفه الرازي أو "أبكار الأفكار" الذي صنفه الآمدي، وبين ما كتبه أبو نعيم في "الحلية"، والذهبي في سير أعلام النبلاء، وابن الجوزي في صفة الصفوة.

والكلام في التأليف كالكلام في العلم، بل ربما كان أوضح، لا سيما عند المقارنة بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية:

ففي حين أنه مضت قرون عدة لم يكتب الغربيون فيها شيئا قط، نجد أن ابن تيمية وحده كتب حوالي ألف كتاب بعضها عدة مجلدات في فنون علمية مختلفة، وأن ابن عقيل قبله كتب كتاب "الفنون" في ٨٠٠ مجلد، وأن ابن عساكر كتب كتابه الضخم "تاريخ دمشق"، وأن بعض العلماء قسم مؤلفات النووي الذي توفي قبل الأربعين على أيام حياته فوجدها كراسة كل يوم!

وكان ابن الجوزي أيضا من المكثرين المتبحرين فألف في التفسير "زاد المسير"، وفي التاريخ "المنتظم"، وفي الوعظ "المدهش" و"صفة الصفوة"، وفي

الحكم والتجارب "صيد الخاطر"، وله كتب أخرى كثيرة نتجاوزها عن عمد.

ومن المكثرين "الجاحظ" الذي كتب في فنون لا يزال الغربيون يحومون حولها، وأصلح كثيرا مما قاله فلاسفة اليونان، بل خطَّأه كما ترى في كتابه "الحيوان" مثلا.

والمكثرون في التأليف كثيرون جدا لا يحصيهم عدّنا، وفي كل يوم تقذف المطابع بكتب محققة لعلمائنا لم نكن نعلم عنها شيئا، وبعضها مجلدات عدة، مع أن القدماء يحتاجون كثيرا إلى غمس الأقلام في المحابر.

ومما ينبغي للمسلمين علمه أنه ليس ما يقال دائما على ظاهره، فبعض الأهداف يخفيها أصحابها خصوصا ما كان منها سياسيا، ونحن نعلم أن لأمريكا أهدافا غير الثروات التي في الدول النفطية! نعم الأمريكان مدمنو نفط، والنفط العراقي لا يكلف برميله إلا ٩٧ سنتا إن لم يكن على ظهر الأرض، غير أن الدافع لغزو العراق ليس السيطرة على النفط فحسب، كما يروج له الأمريكان أنفسهم تغطية على الدافع الأساس الذي طالبت به مراكز بحوثهم وقوى الضغط لديهم، وهو الحفاظ على أمن إسرائيل ومنْع صدام حسين من إحراقها بالكيماوي المزدوج، وقد نشروا في أمريكا المقال المشهور (إنه النفط يا غبي) والصحيح هو قول: إنها إسرائيل يا غبي، والمعروف أن اليهود يخافون جدا من شدة بأس العراقيين ويتلافون المواجهة معهم بأي ثمن!!

وقبل أن يحتل الأمريكان العراق، كانت إسرائيل –ربما بمعونة أمريكية– قد دمرت المفاعل النووي العراقي. وقد قال بوش لشارون لما دخل بغداد: الآن أمنت إسرائيل، ومثل ذلك قاله أوباما لما وقّعت إيران الاتفاق النووي، ثم إن ترامب زاد على ذلك بأن أمر عملاءه بأن يجهروا بأن مقاومة إسرائيل إرهاب! وتبعه في ذلك الصهاينة.

وكل من يبرر لأمريكا أفعالها هو شريك لها، والليبراليون في الخليج يزيدون على التبرير لها بدعوتها لاحتلال السعودية، كقول أحدهم مرحبا بالديمقراطية ولو جاءتنا على ظهر دبابة أمريكية.

وقال آخر: أمريكا غزت العراق من أجل أنه يمتلك أسلحة دمار شامل، والمجتمع هنا -ويقصد السعودي- فيه ما هو أخطر من أسلحة الدمار الشامل، ونشرت ذلك جريدة (المدينة).

وأقوالهم كثيرة ولكن لا أحد يتهمهم بالإرهاب والتطرف والطائفية!

والمنهج العلمي يتغير وفق العوامل الزمنية والسياسية.

وبانتقال قيادة الغرب إلى أمريكا انتقل الاستشراق من المرحلة الفردية إلى مرحلة خزانات الفكر ومراكز البحوث الأمريكية! وبذلك تغيرت وسيلة العلم الغربي.

وما كتبه "برنارد لويس" ما هو إلا تطوير أو تكرار، لما قرره اليهودي الآخر "جولد زيهر" من قبل، حيث زعم "جولد زيهر" أن البخاري رحمه الله هو أول من علّم المؤلفين حذف الأسانيد، ناسيا بل متجاهلا الحكمة في أن البخاري علّق بعض الأحاديث، وأن الحافظ ابن حجر رحمه الله وصلها كلها في تغليق التعليق، وعلى نهج جولد زيهر سار تلميذه "جرينباوم" ثم "برناردلويس".

وقام "برنارد لويس" بعد هجرته من انجلترا بالتنظير للحزب الصهيوني النصراني "المحافظون الجدد"، إلى جانب عمله أستاذا في جامعة "برنستون"، كما أنه اطلع على الأرشيف العثماني ويعرف اللغة التركية حيث زار تركيا قبل حوالي نصف قرن، وهذا بالنسبة لجهل الأمريكان علم غزير!

وكما كان فريد زكريا منظِّرا للقوة الصلبة أيام "بوش" الصغير، أصبح "ناي" منظِّرا للقوة الناعمة أيام "أوباما"، ولا ندري من سيختاره ترامب لها أم أنه يكتفي بآرائه المتناقضة!!

وبعد أن كانت القوى المخالفة لسياسة بوش قوى شريرة مارقة، والحرب عليها ضرورة، جاء "أوباما" ليقول إنها قوى متسترة، وإن الحرب عليها عادلة وأخلاقية، وذلك ما أملته عليه مراكز البحوث.

ثم إن ترامب نقل ذلك نقلة أبعد فقال إنها واجبة!

أما العدو الدائم عند اليهود والنصارى فهو المسلم، ولكن الله تعالى قال: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

وبهذه العدالة الانتقائية هاجم "أوباما" سبع دول، غير قوته الناعمة التي تعمل في كل دولة تقبل الاستثمارات الأمريكية والشركات الأمريكية، وتسمي الاستعمار الجديد "الاستثمار الأجنبي".

ولما جاء ترامب وقع مع السعودية وحدها (٧٠) عقداً دفعة واحدة، ومنها عقد الشركة التي يسميها أهلها وليس أعداؤها (الشركة الشيطانية) وهي شركة (مونسانتو) للمبيدات الحشرية.

ومعلوم قضائيا وقانونيا أن ترامب يمكنه تأجيل تفعيل قانون "جستا"، ولكنه لا يملك إلغاءها.

ومن أكبر الشركات الأمريكية ذات الاستثمار في دول الخليج شركات التبغ وهي تجارة مربحة للغرب، ومدمرة للمسلمين صحيا وماديا، وقد نشرت اليمامة السعودية أن بريطانيا تبيع من السجائر للسعودية بكذا مليار فكيف الأمريكية؟ وبالتدخين انتقم الهنود الحمر من أعدائهم البيض حيث علموهم هذا الداء المهلك كما يقول "ديورانت"، والتدخين هو كما عبّر "شومسكي" بطل العالم في القتل!

على أن العدل يقتضي منا القول بأننا وإن تابعنا أمريكا في حظر التدخين في بعض الأماكن لا نتابعها في إجبار شركات التبغ على دفع تكاليف علاج المدخنين.

ومن المشاهد اليوم عزوف الأمريكيين عن السجائر الإلكترونية فتكلفتها المادية أكثر وخطرها أكبر، وإنما الحل عندنا هو ترك التدخين كله

الإليكتروني والعادي، وجزى الله خيرا من كانوا يحذروننا منه مجانا، ومن أخته "الشيشة"، غير أن أكثر الناس يهزأون به ويقولون "مطوع".

- العلم مطية للسياسة:

استخدم أعداء الله العلم مطية للسياسة منذ قديم الزمان، وربما كان فرعون أشدهم، حين سأل موسى عن التاريخ القديم. ولفرعون سياسة خاصة يتبعه فيها كلها أو في بعضها من جاء بعده، وهذه بعض ملامحها:

١- تقسيم المجتمع إلى طبقات ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ [القصص:٤].

٢- المشروعات الوهمية ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا﴾ [غافر:٣٦].

٣- اتهام مخالفيه بتغيير العقيدة والإفساد في الأرض ﴿ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

٤- اتهام مخالفيه بأنهم قلة بالنسبة للموافقين ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ﴾ [الشعراء: ٥٤-٥٦]، وهكذا يدّعون دائما، فأكثرية الشعب هم مع السياسة الفرعونية!

٥- الاستبداد في الرأي ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، فحسب السياسة الفرعونية ليس هناك إلا رأي واحد، هو ما يراه فرعون فقط.

٦- التعالي بما هو قبله وليس من صنعه وإيجاده، وربما كان مجرد وارث له: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾ [الزُّخرُف:٥١].

٧- الاعتداد بالقوة ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ﴾ [الأعراف:١٢٧].

٨- اتهام من يدعو إلى الله بأن له غايات خفية: ﴿يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ﴾ [الشعراء:٣٥].

٩- القول بأنه وحده صاحب القرار ولا بد من استئذانه قبل عمل أي شيء ﴿ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ﴾ [طه:٧١]، فكيف يؤمن أحد بلا ترخيص؟

١٠- تهديد المخالفين لسياسته بالصلب والقتل والتعذيب والسجن، ولو كانوا على الحق، ﴿فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١]، ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩].

قال ابن القيم رحمه الله ما مختصره: "وهذا هو الجواب الذي أجاب به الجهمية الإمام أحمد وأجابوا به شيخ الإسلام ابن تيمية"، وهذا هو الجواب الفرعوني الدائم لكل داعية.

١١- تجاهل الحق، ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء:٢٣].

١٢- المنّ وادعاء الإحسان إلى الدعاة ﴿أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ [الشعراء:١٨].

١٣- الإغراء بإعطاء الموافقين له من بيت المال: ﴿ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٤١-٤٢].

١٤- الاستكبار على الآخرين: ﴿ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴾ [الزُّخرُف:٥٢]، واليوم يدعي الغرب أنه دول العالم الأول والشمال الغني، أما غيره فهم دول العالم الثالث والجنوب الفقير.

١٥- السخرية من دعاة الحق: ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ﴾ [الزُّخرُف:٤٧].

هذه بعض ملامح السياسة الفرعونية غير الرشيدة، أما نهاية فرعون فهي معروفة وكذلك عاقبة موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فأين من يعتبر، وقد قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

ومن الطغيان الفرعوني أنه قال لموسى عليه السلام ﴿فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ﴾ [طه:٥١] لكن موسى رد العلم إلى عالمه ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [طه:٥٢]، وليس من شرط النبي أن يكون عالما بكل شيء.

وهكذا استخدم فرعون العلم في السياسة -ولو تمويها- وتبعه في ذلك الغربيون وأذنابهم.

ومما ينشأ عن فرح الغربيين بما عندهم من العلم دعوى أن غيرهم -لا سيما المسلمون- متأخرون متطرفون فلنلق الضوء على ذلك.

- أينا المتأخر:

كان بعض العرب في الجاهلية يترفعون عن أكل الميتة وينهون عن ذلك ويقولون "وإياك والميتات لا تقربنّها".

فهم أرقى من الأوربيين والأمريكيين الذين يأكلونها في هذا العصر؟

أما من يأكلها من الجاهليين فإنما حجتهم على المؤمنين كيف تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله؟ وهذه حجة داحضة.

وقد رمى أحدهم بقرة مخنوقة في العقيق ولكن الخواجات تهافتوا عليها وأكلوها!

ولست أدري كيف يكون هؤلاء متطورين عند أنفسهم وعند أوليائهم؟

أليس ما نسمع كثيرا من أننا نريد أن نصل إلى مصاف الدول المتقدمة اعترافا من القائل بأننا دولة متأخرة؟

وكيف نجمع بين القول بأننا متأخرون وبين قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]؟

أليس المتأخر هو من يزعم أن لله ولدا تعالى الله عما يشركون، ويفعل هذه الأفعال الشنيعة كالدياثة والفحشاء وأكل الميتة، على أن أمريكا والأمم المتحدة والغرب عامة يهذب مصطلحاته أو يخففها لتروج علينا، فلا يقول الدول المتأخرة بل "الدول النامية"، وهي في الحقيقة دول نائمة متأخرة - في نظره-!!

وكيف يكون من يوحّد الله هو المتأخر، ومن ينسب له الولد هو المتقدم؟ وأي توحيد نعني حين نقول: مجتمعنا قام على التوحيد، ودولتنا دولة التوحيد مع أن أفعالنا بخلاف ذلك؟؟

فأينا المتطرف المتأخر؟

أليس المنجمون والكهان في البيت الأبيض؟

أليست عبادة الشيطان إنما مصدرها الغرب؟

فأي الفريقين يؤمن بالخرافة ويعبد إبليس؟

وهل يعقل أن يحرم الله علينا ميتات الغرب وخنازيره ويُحل لنا جيفه الفكرية وفلسفاته الخنزيرية؟

- **التطرف**:

كما أشرنا إلى المتأخر من الطرفين نشير هنا إلى المتطرف منهما أهُم أهل الدين أم أهل التأمرك والتغريب والإسلام الذي يسمونه (المودرن).

والتطرف في الحقيقة هو الشذوذ، فانظر مثلا إلى مذيعات "العبرية" اللواتي يكشفن نحورهن وشعورهن وسيقانهن وأذرعتهن على الطريقة الغربية، هل يستطعن فعل ذلك إذا خرجن من الأستوديو إلى الشارع، وانظر من الذي يسبح عكس التيار وضد المواطن، ويفرّق المجتمع ويفتح باب الفتنة؟ لتعلم من يقصد الذين يحاربون التطرف.

وإذا كان التطرف هو المحافظة على العرض والتستر والشرف، فنحن أول المتطرفين، وإذا كان التقدم هو الدياثة فنحن نبرأ إلى الله ممن يفعل ذلك وليسمونا ما شاءوا.

فالمتمسك بدينه هو الأصيل وهو الغيور، وإن سماه الكافرون والمنافقون "متطرفا"، والتعري والدياثة هي شذوذ عن الوطن وعن المجتمع، كما أن ذلك شذوذ عن الدين، فانظر هل تستطيع إحداهن أن تطوف بالبيت الحرام أو تقف بالمشاعر وهي هكذا؟

ومن الذي يسير عكس عقيدة أهل السنة والجماعة، أهو من يقول إن التطرف هو مشابهة أصحاب الجحيم، أم من يقول إن التطرف هو الإسلام السياسي كما يسميه؟ وكيف يصح أن هذه الأمة وسط بين أهل الملل مع أنها متطرفة؟

ومن الذي يعمل طابوراً خامساً لأمريكا وإسرائيل؟

وإذا كان أتباع الغرب بهذه الصفة فما ظنك بالغرب نفسه.

وهل كل من يخالف أمريكا وإسرائيل متطرف؟ دع ما نقوله نحن أو تقوله أمريكا، وانظر إلى أن منظمة حقوقية مثل منظمة "هيومن رايتس ووتش" فقد ذكرت أن العنصرية في أمريكا زادت بنسبة ١٧٠٠% فأينا المتطرف؟ ومن الذي ألف كتاب "دفاعا عن الاعتقال" أهو أمريكي أم مسلم؟ ولماذا لا تتحدث عنه "العبرية" و"الرياض" و"عكاظ"!

ومن الذي يهاجم المساجد بالقنابل الحارقة ويرسم عليها الصليب المعكوف؟

وكيف يصدق عاقل ما تقوله أمريكا وطابورها الخامس، من أن كراهية العرب المسلمين إنما بدأت بعد أحداث ٩/١١، وهو يعلم أن الأمريكيين قتلوا إسماعيل راجي الفاروقي وزوجته، وعودة، ومحمد أسلم قبل تلك الأحداث، وفي أي خانة تصب أقوال "ترامب" في حملته الانتخابية؟ وكيف رأت حملته أن العزف على وتر "الإسلاموفوبيا" يجعله يفوز بالانتخابات؟ ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

ومتى أحرق أي مسلم كتابهم المقدس، مع أن القس (جونز) أحرق القرآن في فلوريدا، وهل رسم أي مسلم صورة مسيئة للمسيح عليه السلام كتلك الرسوم التي يرسمونها للنبي ﷺ لا سيما في (شارلي ايبدو)؟

وهل لدينا نحن -معشر المسلمين- مرتزقة مثل مرتزقة بلاك ووتر؟ وهل نحن الذين عذَّبنا الأمريكان في أبو غريب؟؟

وكيف يهاجمون هم منظمة "كير" كذبا، ونحن لا نذكر إلا الحقائق عن "إيباك" وأخواتها؟

فمن المتطرف إذن؟

- عداوة أهل الكتاب؟

من الخطأ الظن بأن العداوة الغربية للإسلام ينتهجها حزب بعينه أو رئيس بعينه أو صادرة عن أحداث بعينها، وإنما هي عداوة أبدية، بدأت منذ أن بزغ نور الإسلام، وستبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة:١٠٩].

وقال عن المشركين عامة: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة:٢١٧].

وقال جل شأنه: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٠٥].

وقديما جادلوا بشأن القبلة، وفي دين إبراهيم عليه السلام، وزعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وقالوا إن المشركين أهدى من المسلمين، وادعوا أن الله اتخذ ولدا (عزير أو المسيح)، وأمثال ذلك من افتراءاتهم ومماحكاتهم وعداوتهم التي ذكر الله في كتابه.

والمجتمع الأمريكي في حالة تغير مستمر "ديناميكية"، لكن عداوة الإسلام والانحياز لدولة إسرائيل يظل معلما ثابتا في سياسة أي رئيس مهما كان حزبه.

فهم يعادوننا لأننا مسلمون منذ أن أظهر الله نوره، واشتدت العداوة منذ (مؤتة) ومنذ أن سلبهم المسلمون الشام ثم بلاد الأناضول!

- هل العراقيون وحدهم يعادون أمريكا؟

أمريكا هاجمت العراق واحتلته ودمّرت مكتباته ومتاحفه، وهو قطر عزيز على كل مسلم لا شك، غير أن ظن بعض الأمريكان أن سبب عداوة المسلمين محصور في العراقيين أو في احتلال العراق خطأ بالغ، فليست عداوة أمريكا خاصة بالعراق ولا هي مقتصرة على أهل السنة في المثلث السني كما تزعم أمريكا، بل المسلمون مع موقف كل شيعي شريف يكره أمريكا، وقضية رمي بوش بالحذاء معروفة، وإنما يطلب المسلمون من الشيعة استكمال ذلك بالإيمان بالقرآن كله وبالصحيحين، والشعوب المسلمة كلها تعادي أمريكا وإسرائيل.

ولا يؤيد السياسة الأمريكية في العراق إلا من جاء على ظهر الدبابة الأمريكية مثل أحمد الجلبي ومعارضته، أو من كان مستفيدا من وجود الاحتلال الأمريكي أو بعض الميليشيات الشيعية في العراق، والحكومات الدمية مثل حكومة المالكي والعبادي، والمنافقون الذين أغراهم "بريمر" للدخول في صحواته، وباختصار لا يؤيد الموقف الأمريكي الظالم من أهل السنة إلا من رضي أن يكون مثل يهوذا الاصخريوطي مع المسيح عليه الصلاة والسلام، أو عبدالله بن أبي مع محمد عليه السلام.

والشيعة لا يتفقون على ذلك وليسوا ميليشيا واحدة، وإن أفتاهم المرجع الشيعي "السيستاني" الذي ليس عراقيا أصلا، والذي زاره فريد زكريا ولا أدري ما دار بينهما، على أن بعض الشيعة يخالفون السيستاني، ومنهم الشيعي العربي مقتدى الصدر الذي فال للملك إنه يريد بناء العتبات المقدسة في المدينة، وإنما حمت قوات بدر ساقة الجيش الأمريكي الغازي، وقال المدعو بحر العلوم: "ينبغي إلغاء كل عيد إلا عيد دخول الأمريكيين بغداد"، وهكذا يتفق في العدوان على أهل السنة في العراق أمريكا وإسرائيل وكثير من

الرافضة، ومن يتحالف معهم أو يؤيدهم، ومن يسمي عدوانهم تحريرا تقوم به القوات العراقية ضد الإرهابيين!

إذ أن الروافض أشد من الخوارج كما قرر شيخ الإسلام مرارا.

وعليه فالعداوة تجب على كل من يقرأ سورة الصمد، أو يقرأ كل جمعه قوله تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٖ وَلَا لِأٓبَآئِهِمۡۚ كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبٗا﴾ [الكهف: ٤-٥].

وهم معتادون أن يقولوا على الله بغر علم وأن يفتروا عليه الكذب.

كما يجب معادة كلّ من يقول (إن المسيح ابن الله)!! ومن حق المسلمين ما دام "ترامب" يصرح بأنه سيمنعهم من دخول أمريكا، أن يقولوا له بملء فيهم ارحل أنت عن بحارنا ومياهنا، واقفل كل قواعدك في أرضنا، فنحن أولى أن نطردك ونمنعك من دخول بلادنا، وليس في ذلك مخالفة للقانون الأمريكي -المسمى دوليا-، فإن ديباجة تأسيس الأمم المتحدة تنص على تساوي الحقوق!! اللهم إلا إذا كفر الأمريكان كالعادة بكل المواثيق، فهم الذين ينتهكون القانون الدولي الذي ينص على أن مياههم الإقليمية محدودة.

ولو أن المسلمين فعلوا ذلك لاضطرت الحكومة الأمريكية إلى التراجع عن موقفها، والتخفيف من هذه الإسلاموفوبيا وإلى تعديل قانون المواطنة، أو إصدار قانون جديد قد يقضم المزيد مما تسميه الحقوق المدنية للشعب الأمريكي، وهو في نظرنا شعب حائر يأبى علينا عدل الإسلام أن نأخذه بجريرة غيره، أو نأخذ البريء منهم بذنب المجرم، ولكننا سوف نواجه الباطل بالحق والزيف بالحقيقة، ونضمن للأمريكان حريتهم الحقيقية بالدعوة إلى الله فيصبحوا بين مسلم وذمي.

ونقول ذلك بكل ثقة واطمئنان، فإن فرعون فعل ما هو أشد مما وعد ترامب بفعله، وشاء الله أن يتربى موسى عليه السلام في قصر فرعون، ويدفع الأجرة لأمه، وإذا كان بعض الناس يقول إن التاريخ يعيد نفسه فنحن نقول

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُ﴾ [الأحزاب:٣٨]، ونحن لن نفجِّر أو نبني القواعد على الطريقة الأمريكية، فالله أعطانا ما هو اقوى من ذلك مع العدل والهدوء، وهو اتباع منهج الأنبياء في الدعوة، أي أننا سوف نجادل ونناظر ونؤلف ونقيم حجة الله على المخالف، وندعو كل الأمريكيين إلى الإيمان بالأنبياء جميعا، لا نفرق بين أحد منهم، فمن آمن فلنفسه ومن ضل فعليها، وما علينا إلا البلاغ، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، والقوة وحدها لا تجعل الحق باطلا ولا التوحيد شركا.

وليس التستر بالعلم إلا شعارا ظاهريا، وإلا فالأمريكان منقسمون بين محافظ وليبرالي.

(المحافظون والليبراليون):

انبثقت فكرة المحافظين الجدد من فكرة المحافظة المضادة للفكر الليبرالي في أمريكا، والمحافظة هي الفكرة الرئيسية للحزب الجمهوري، حيث تجمع بين الأصولية الدينية وبين البقاء على العادات والتقاليد الغربية وتطويرها تدريجيا.

والمحافظة الأمريكية صرعة صهيونية ظهرت بعد الحرب الثانية وتجلت مظهريا في الخنفسة وإطالة السوالف على الطريقة اليهودية، وفكريا في نظريات يهود نيويورك الذين التحقوا بجامعة "نيويورك"، حيث رأى الصهاينة أنه من الخطأ وضع البيض كله في سلة واحدة، لا سيما وأن الله تعالى ألقى بينهم العداوة والبغضاء، فانضموا لكلا الحزبين الجمهوري والديمقراطي، بعد أن كان الحزب الديمقراطي تقليديا هو حزب الأقليات، ومنهم السود واليهود، والحزب الجمهوري تقليديا هو حزب المحافظة، ثم تسلل المحافظون الجدد إلى خزانات الفكر ومراكز البحث، ومنها "انتربرايز" والقرن الأمريكي الجديد، ومعهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط، ومؤسسة راند، وابتهج بهم الأصوليون وكان منهم بوش الصغير الذي تحول من مدمن خمر إلى

أصولي متعصب، وكذا وزير حربه "رامسفيلد" وسلمان خليل زاده، ومن أهم منظريهم "فريد زكريا" الهندي.

ومن المحافظين اليوم "فرنسيس فوكوياما" الذي كان من المحافظين الجدد ثم عاد، ومن مبادئهم إنشاء النظام العالمي الجديد بزعامة أمريكا، وأهم أهدافهم عداوة المسلمين وضرورة استخدام القوة معهم، ونشر ثقافة الإسلاموفوبيا، وكلا الحزبين اليوم يعاني من انقسامات وانشقاقات كثيرة ليس هذا مجال تفصيلها.

وقد نشرت جريدة الرياض مقالا عن الفكر السياسي الأمريكي كتبه الأستاذ عادل بن زيد الطريفي، اعتمادا على ما نشرته مجلة الشؤون الخارجية "فورين أفيرز"، وقد ذكر الأستاذ عادل المحافظين الجدد كما ذكر مقابليهم، وهم أصحاب الليبرالية الجديدة، الذين منهم بيل كلينتون ومادلين أولبرايت وجوزيف ناي، وكذلك منظري ما يسمى الواقعية الجديدة أمثال: هنري كيسنجر، وهانتنغتون، وبريجنيسكي، وهناك أسماء كثيرة من أبرزها روبرت كوهين.

ومن المحافظين الجدد الأصولي الحاقد "مارك ستين"، وله كتب تقطر حقدا على الإسلام منها كتابه "أمريكا وحدها"، ويجمع كلا الاتجاهين الفكريين الانحياز للصهيونية والعداوة للإسلام، وإنما يختلفون في أفضل الوسائل للقضاء عليه واستعباد المسلمين، ويتفقون على استخدام القوة الصلبة، لكن يختلفون هل نغلِّبها على غيرها كما فعل بوش، أم نغلِّب القوة المخملية، أو القوة الناعمة كما فعل أوباما؟

والمرشح الوحيد في التاريخ الأمريكي الذي استطاع أن ينتقد الصهيونية هو "ساندرز"، ربما لأنه يهودي غير متهم بمعاداة السامية! على أن "ساندرز" لم يقل ذلك من فراغ، بل لأن في الأمريكان من ضاق ذرعا بالصهاينة وسيطرتهم ودفعه الضرائب لهم و"ساندرز" يريد أن يرشحوه.

واعتمادا على كتابات المستشرقين، لا سيما المعاصرون منهم مثل "برنارد لويس"، قرر الجميع أن الوهابية -كما يسموها- هي الخطر الأكبر، وهي المعادل الإسلامي للكوكس كلان في النصرانية، وبذلك صرح (ريكس تيلرسون) وذكر أن مباحثات "ترامب" مع السعوديين في الرياض شملت ذلك، وقالوا إن الدولة السعودية دولة وهابية تدعم الإرهاب، وأرسلوا "ليبرمان" لتفتيش مناهجها، وبذلك انتهكوا السيادة الوطنية لدولة مستقلة عضو في هيئة الأمم المتحدة، وألزموا السعودية باعتقال المجاهدين، ومراقبة الأموال ومنع العمل الخيري، وجاء تنظيم الدولة الإسلامية بمثابة الدليل القطعي لتصوراتهم، ولذلك قال بعض الساسة الأمريكان إن أمريكا هي التي أنشأته، ثم جاء الملياردير الأحمق "دونالد ترامب" تجسيدا للعنصرية الأمريكية ونشراً أكثر للإسلامو فوبيا.

ونحن لا نفاضل بين الطرفين أو الحزبين بل نقول: إن الإدارة الأمريكية بكل اتجاهاتها هي أكبر عدو للإسلام، وإن أمريكا هي الشيطان الأكبر لا حسب الرؤية الخمينية، بل حسب ما قرره الدكتور عبدالعزيز الرنتيسي رحمه الله، ولذا يجب جهادها بكل وسيلة، ويحرم التحالف معها والعمل تحت قيادتها، وإطلاق يدها في البحار والخلجان والممرات المائية الإسلامية، ويبدأ ذلك بمقاطعة صناعاتها وحظر شركاتها، ومنع استقدام أي أمريكي للعمل في بلاد الإسلام، ولن نسكت عنها وهي تسب رسولنا وتطعن في ديننا وتتهمنا بما ليس فينا، وعلى ذلك إجماع المسلمين من مندناو حتى غينيا، وبذلك يتوحد المسلمون ويؤسسون لقيام خلافة على منهاج النبوة بإذن الله، ويمدون جسور التعاون مع الربيع الأمريكي نفسه لا سيما إذا دخل في مرحلة العصيان المدني.

وقد علمتنا الحقائق الواقعية أن أمريكا لم تحتل بلدا إسلاميا إلا حولته إلى دولة فاشلة، فانظر إلى حال الصومال وأفغانستان والعراق، وقس على ذلك غيرها.

و لم يعد خافيا على أي مسلم أن أمريكا تدعم عملاء الـ"سي آي إيه" والـ"إف بي آي" سواء داخل أمريكا مثل الشيعي اللبناني فؤاد عجمي، ومثل رعد القادري، وأمير طاهري، أو خارجها مثل أحمد الجلبي، ونوري المالكي، وحيدر العبادي، وبحر العلوم.. إلخ.

كما ثبت لدى المسلمين بطلان دعاوى أمريكا أن العراقيين هم يأجوج ومأجوج، وأن صدام حسين هو الآشوري وأنه المرموز له في رؤيا يوحنا اللاهوتي ب "٦٦٦".

أما العِلْم الأمريكي فقد أصبح لدى المسلمين مثله، على أن أكثر العلماء في مراكز البحوث الأمريكية مسلمون.

وأمريكا التي تدعي الإنسانية والعِلْم والحرية تهاجم مساجد المسلمين وتدعو الحكومات العميلة إلى حرب الدين، ويقرر الأمريكي فريد زكريا أن المسلمين لما كانوا لا يوجد لديهم حكومات ديمقراطية وصحافة حرة وأحزاب سياسية، لا سيما في العالم العربي الذي هو صحراء سياسية تخضع فيه المعارضة -إن وجدت- للحكومة، لجأ الإرهابيون إلى المسجد ليتخذوه منبرا للدعاية الأصولية... إلخ هذيانه، وهو بذلك يغري الحكومات العميلة بإغلاق المساجد في غير وقت الصلاة ومنع الوعظ فيها، وكذا بمنع المكبرات أو تخفيضها تمهيدا لإلغائها.

وهذا الهدف الشيطاني "منع الوعظ في المساجد" يفعله كثير من الناس بعلم أو بدون علم، ويضعون خطوطا حمراء لا يتجاوزها المتكلم الذي يتكلم رسميا بترخيص! ولا يتجاوز حدود الوعظ والإرشاد التي ترسمها المباحث.

كما أن فريد زكريا يستدل على إنسانية أمريكا وعدالتها بأنها تسمح للمسلمين ببناء المساجد وأداء الشعائر، وأن بعض مسؤوليها قد يستقيل، وأن الرئيس الأمريكي يخاطب المسلمين بقوله "السلام عليكم"، ويهنئهم إذا قدم رمضان أو المولد أو النيروز!

وكثير من المسلمين ينخدع بذلك، وينسى أن الرئيس الأمريكي بحاجة إلى أصوات المسلمين، وينسى أو يتناسى الانحياز الكامل لإسرائيل، والدعم المستمر لها والعنصرية المقيتة ضد كل ما هو إسلامي أو ملون، وانتشار موجة "الإسلاموفوبيا" واشتغال مكتب التحقيقات الأمريكية "إف بي آي" بتتبع المسلمين، وأن السياسي الأمريكي قد يستقيل لأسباب ديمقراطية، ولكن تأثيره بعد ذلك يستمر من خلال عمله الأكاديمي أو عضويته في أحد مراكز البحوث، أو الشركات الكبرى، ولا تؤثر استقالته على موقفه من الإسلام والمسلمين.

أما أن مكان الدعوة هو المسجد فحق، لكن من جهة أن الليبراليين لا يستطيع أحد منهم أن يقول رأيه فيه، وإنما ينشره في جريدة أو يقوله في قناة، فالحكومات العميلة تجعل الليبراليين مستشارين أو رؤساء تحرير صحف أو مديري قنوات، فلا يجد المتدينون إلا مضادة ذلك في المساجد أو في الزواجات والمنتديات الشعبية العامة.

وعلى هذا المنهج السياسي المتلبس بالعلم يسير الأمريكان.

هل نحن مجرد نفط وكيس فلوس؟

الشرق عند كثير من الأمريكيين ما هو إلا مستودع للنفط ومصدر للبترودولار، الذي لا بد من سنداته لتغطية العجز في الميزانية الأمريكية، وهو بربري غير مؤهل للديمقراطية! والإرهاب فيه وراثي يكمن في جينات أهله، وإسرائيل هي الدولة الديمقراطية الوحيدة فيه، ويحاول العرب تغيير تلك الصورة عنهم ببناء الأسوار حول مساكن الغربيين، وإغداق الأموال عليهم وادعاء محاربة الإرهاب! والتسابق في توقيع العقود مع الشركات الأمريكية!

والشرقيون بطبيعتهم متخلفون محدودو التفكير، ضيقو الأفق، شهوانيون، عدوانيون أغبياء وإن تظاهروا بخلاف ذلك... إلى آخر كلامهم!

وباختصار نقول إن عملاء الغرب مهما بذلوا أو حاولوا أو عادوا

الإسلام ووالوا اليهود هم عند الغرب شرقيون متصفون بهذه الصفات، وهكذا ترى عيانا مصداق قوله تعالى وهو أصدق القائلين: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١٢٠]، وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ [الأنعام:٢٥].

بل الرسول ﷺ ساحر عند المشركين مهما فعل ﴿ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٥-١٦].

وهكذا يكون منهج القوم الحقيقي هو السفسطة العندية، ولا يعرفون الحياد قط لا علمياً ولا سياسياً.

وعليه فالواجب على المسلمين الإيمان بما قاله الله وإعلان الجهاد، وليعلم الليبراليون وكل من يسميهم الغرب معتدلون، أنهم لن يرضى عنهم الغرب مهما فعلوا، فالتهمة لاحقة بهم ولا بد، ولن يستطيع الليبراليون وكل الحكومات العميلة أن يكونوا أشد عداوة للدين وجنوحا للتغريب من "أتاتورك" الذي ذهب إلى حد التنازل عن حكم تركيا للسفير البريطاني فيها لعل الغرب يرضى، ونفّذ كل ما طلبه "كرزون"، ومع ذلك قال عنه الغرب: "نحن أغريناه أن يترك دينه فلما تركه نحن احتقرناه"، فالأمر واضح ولكن الليبراليين لا يفقهون.

ففي أمريكا اليوم الفقر الشديد الذي لا تغطيه ناطحات السحاب وأبراج "ترامب" وعمارات شيكاغو.

وقد ألف أحد العرب كتابا سماه "أمريكا أفقر دول العالم الثالث" اعتمادا على الإحصاءات الأمريكية، وهذه الإحصاءات تقول بعد كتابه إن ٤٠% من الأمريكيين فقراء.

ومع الفقر ينتشر الجهل حتى عند مثقفيهم.

أخبرني أحد السعوديين المبتعثين إلى أمريكا أن أحد زملائه الأمريكيين في الجامعة سأله من أي البلاد أنت؟ قال أنا من السعودية، فهز الأمريكي رأسه قائلا: أنت من السعودية المجاورة لتكساس!

وأجرى مراسل القناة البريطانية الرابعة مقابلة مع كثير من الأمريكيين تتكون من سؤال واحد فقط هو كم عدد أضلاع المثلث؟

يقول الصحفي: فوجئت أن بعضهم يقول أربع وبعضهم يقول خمس.

ومن جهلهم أن كثيرا منهم لا يعلم من الرئيس الذي يحكمه! ونسبة منهم تظن أن أوباما مسلم لأنه أسود.

ومن جهلهم يسألون السعودي حتى لو كان من جدة مثلا كم جملا عندك؟ وهل تسافر إلى الرياض راكبا الجمل؟ وكم بئرا للنفط في منزلك.

وأكثر الأمريكيين شعب لا يقرأ وإنما تقتصر ثقافتهم على مشاهدة ما تعرضه عليهم هوليود، وأفلامه عنصرية تنمي البغضاء ضد المسلمين وضد العرب، ومن لم يكن عنصريا فهو شهواني يحرض على الاغتصاب والعنف.

وقد حدثني بعض الأساتذة في جامعة "هارفارد" أن الجامعة جعلت امتحان القبول فيها مقتصرا على كتابة اسم الطالب صحيحا فقط، ومع ذلك رسب بعض الطلاب، وهذا الطالب البليد لو جاء إلى دولة خليجية لجعلوه خبيرا بمرتب ضخم.

والمنطق السليم يقتضي من أمريكا ترك التناقض والتخلي عن الادعاءات والشعارات الكاذبة، فإما أن يجعلوا كل الأمريكيات محجبات كالعذراء، وإما أن يزيلوا صور العذراء من الشوارع والميادين، وإما أن يساووا بين مواطنيهم في التأمين الصحي وفي العيش الكريم، وإما أن يكفوا عن ذرف دموع التماسيح على المرأة المسلمة المظلومة كما يقولون، وإما أن يطبقوا ديمقراطيتهم المزعومة على كل أحد، وإما أن يعترفوا بأنها ديمقراطية السوبر أغنياء فقط.

وعليها أن تترك الفرح بما عندهم من العلم والاختيال به على البشر، ففوق كل ذي علم عليم، وأن تنظر بحيادية وعدل في كل مسألة علمية أو سياسية.

ثالثا
بعض ميزات
المنهج المعرفي الإسلامي
وضوابطه

بعض ميزات المنهج المعرفي الإسلامي وضوابطه

١- العقيدة الصحيحة: فالتوحيد أول الواجبات وأعظمها، وكل عمل المسلم مبني على توحيد الله، فمصدر المعرفة عنده موحَّد والنفس البشرية واحدة، والعالم الطبيعي واحد.

٢- السعة: فهو لا يعتمد على العقل وحده أو على التجربة وحدها بل يشمل كل دليل علمي صحيح، وفيه زيادة ليست عند الغرب كالفطرة والوحي.

٣- العمق: فنصوص الوحي لا يحتاج لغيرها غالبا من وفقه الله لفهمها، والحرفية عند بعض المعلمين تدل على عدم التعمق.

٤- العدل: في القول وفي إصدار أي حكم على أي أحد مؤمناً أو كافراً، فرداً أو جماعةً، ومن العدل إعذار المجتهد والتماس المخرج لخطئه وحمل الكلام على أحسن المحامل.

٥- حرية الرأي والاجتهاد، مادام المستند هو النص أو القاعدة الكلية المأخوذة من النصوص.

٦- الاستثناء من القاعدة الكلية يضم إليه غيره ويستخلص من مجموع الاستثناءات قاعدة عامة جديدة، بخلاف القاعدة العقلية أو الرياضية التي متى احتملت استثناء واحداً بطلت القاعدة من أصلها.

٧- من العلم ما قد يضر، ومنه ما يحرم تعلّمه كالسحر.

٨- الحق مقبول من كل أحد ولو كان كافرا أو مبتدعا أو عاميا.

٩- ليس من ديننا المكابرة والجحود، وإنما ذلك من صفة اليهود والفراعنة بنص القرآن، والحق مقبول مهما كان قائله، والخطأ يجب الاعتراف به، فلما قال المشركون: القتال في الشهر الحرام خطأ، قال الله ﴿قُلۡ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [البقرة:٢١٧] الآية.

١٠- حضارتنا برهانية لا مكان فيها للاحتمالات والتردد، وعلمنا يقين لا شك فيه، والمشترك من الألفاظ نستفسر عن المراد به كالعين مثلا فهي تطلق على الباصرة وعلى عين الماء وعلى الذهب.

١١- الاختلاف في الرأي والاجتهاد حق، لا يفسد الود، ولا يحمل على العداوة ولا يدل على أن أحد المختلفين جاهل ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩].

١٢- مداد العالم الرباني يعدل دم الشهيد، بل ربما كان أعظم، وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر.

١٣- العلم أساس كل دعوة وحكم.

١٤- العلماء هم الموقعون عن رب العالمين سبحانه.

١٥- ينبغي أن يكون العلم خالصا مجردا من التأثيرات والإيحاءات الفلسفية، مثل وجوب تجريد الكيمياء من السحر، وتجريد الفلك من التنجيم، وتجريد الأحياء من الإلحاد.

١٦- الجهل مسألة حكمية فردية مرجعها القضاء، وفرق بين جهل المرء لبعده عن أماكن العلم، وبين جهله لإعراضه عن الحق.

١٧- علوم الوسائل لها حكم علوم المقاصد، كعلم اللغة والنحو والبلاغة وعلم التفسير، وينبغي أن يكون القصد في الجميع وجه الله وإرادة ما عنده.

١٨- شرف العلم من شرف المعلوم ومن هنا كان العلم المتعلق بالله أشرف العلوم كلها، وكان العلم بالسيرة النبوية يأتي بعده وهكذا.

١٩- المسلم لا يتبع الآراء الشاذة ولو كان القائل بها له قدره ومكانته وجلالته، مثل بعض الرخص المنسوبة لابن عباس أو بعض الشواذ المنسوبة لابن مسعود.

٢٠- العوالم الأخرى كالجن والملائكة يجب الإيمان بها وإن لم نرها، كما يجب الإيمان بالخوارق والكرامات.

٢١- المخلوقات كلها قانتة لله طوعا أو كرها، وإن صح قول (آرمسترونج) لما سمع الأذان في القاهرة: (هذا هو نفس الصوت الذي سمعته على القمر)، فهو دليل إضافي على أن الله تعالى خلقاً غيرنا ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [الشورى:٢٩].

٢٢- العمل بالمحكمات، ورد المتشابه إلى المحكم في النصوص الشرعية أو في كلام الناس.

٢٣- الجمع بين المثالية والواقعية معا.

٢٤- الدليل القطعي مقدم على الظني.

٢٥- العمل باليقين واطراح الشك، كما لو شك المسلم في الطهارة أو في عدد الركعات.

٢٦- الحكم يدور مع علته وجوداً وعدما.

٢٧- الاصطلاحات المحتملة لا يجيب عنها العالم حتى يستفسر عن المراد بها كلفظ الجهة والحيز والعضو، والتأويل، ومنها في زماننا هذا الطائفية، الإرهاب، اللحمة الاجتماعية.

٢٨- تحريم الكذب والقول على الله بلا علم، وكذا الافتراء على الله أو على خلقه.

٢٩- تقديم الأهم على المهم والركن على الواجب أو المستحب، وربما كان الأهم هو ما لا يدركه السائل ولا يسأل عنه، فمن الحكمة العدول عن الجواب المباشر إلى ما هو أولى منه، كما سأل المشركون النبيَّ ﷺ: لم يبدو الهلال صغيرا ثم يكبر؟ فكان الجواب: الإلهي الحكيم ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩].

والإمام أحمد قال لسائله عن الوضوء بماء الباقلاء لما سأله عن ذكر الذهاب إلى المسجد، قال: لا أعرفه: "معرفة ذكر الذهاب إلى المسجد أولى من سؤالك عن ماء الباقلاء".

والشيخ عبد الرحمن آل الشيخ حفيد الإمام محمد بن عبد الوهاب قال جوابا للسؤال عن شرب القهوة (ما معناه): لو أن السائل سأل عما هو من أصول الدين لكان أولى.

٣٠- ترك الإجابة عن كل سؤال، والتابعي (الشعبي) رحمه الله سئل عن اسم زوجة إبليس فقال: ذلك عرس لم نشهده. وقال: لو نزل القرآن على هؤلاء لكان عامته يسألونك. وسأل أحدهم سلمان الفارسي ﷺ كم تصلي من الليل؟ فقال: أرأيت إن حملت ضعفي على قوتك أو حملت قوتي على ضعفك؟. وسئل عمر بن عدالعزيز يرحمه الله ما تقول فيما كان بين أهل العراق وأهل الشام؟ فقال: تلك فتن صان الله أيدينا من الخوض فيها فلا نخوض فيها بألسنتنا.

٣١- رد العلم إلى عالمه وهو الله تعالى، فإن قول (الله أعلم) نصف العلم، ولا يعيب العالم أن يقول (الله أعلم)، فالإمام مالك على فضله وجلالة قدره، سئل عن أربعين مسألة فقال في ست وثلاثين: لا أدري، فقال له السائل: أرجع إلى الناس فأقول لهم: قال مالك: لا أدري؟ فقال له الإمام مالك: نعم، قل ذلك على المنار!

وقيل لبعض الوزراء: كيف تقول: لا أعلم وأنت تأخذ من بيت المال كذا؟ فقال: (إنما آخذ على ما أعلم، ولو كنت آخذ على ما لا أعلم لأخذت بيت المال كله).

وقد أرشد النبي ﷺ أن الجواب عن بعض الأسئلة إنما هو الكف و"الانتهاء" فقال: (يأتي الشيطان أحدكم فيقول له: هذا الله خلق كل شيء فمن خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فلينته).

هذا ما يحضرني، ولا ريب أن للمنهج المعرفي الإسلامي ميزات وقواعد أخرى، والمقصود أن المنهج الإسلامي متميز عن كل المناهج الوضعية، ومنها المنهج الذي تقوم عليه الحضارة الغربية ونهايته هو الاخفاق مثلما عاد الصياد

العجوز بالهيكل العظمي لسمكة كبيرة اصطادها، كما في رواية (الشيخ والبحر) التي كتبها الروائي الأمريكي المنتحر (آرنست همنغواي)!

وقد قال الرازي:

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

وصدق الله ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزُّمَر:١٥].

وعلى الإنسان ألاّ ينساق وراء غروره إذا علمه الله شيئا، فإن ما يجهله أكثر مما يعلمه، ومن ذلك أنه يجهل عقله وروحه ويجهل كثيراً مما يمكن رؤيته كالثقوب السوداء في الكون، وربما رأى الأمر على غير حقيقته كما يرى القلم مكسورا إذا وضعه في الماء، وكما يحسب السراب ماء.

وقد قال الله لأعلم الخلق ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

وعليه أن ينفذ بصره إلى أعماق الأمور، ولا يقتصر على بعض الظواهر مهما كانت.

فمن ينظر إلى كون بعض عمال النظافة يعطون مكانس لتنقية الشوارع من النجاسات، لا نبغي له أن يطبِّل لمن يعطيهم المكانس وينسى أنه هو الذي فتح سيولا جارفة من النجاسات.

ومن يشاهد الناس يحصلون على الماء من صنابير مغروزة الجدران لن يحصل عليه إذا جاء بصنبور وغرزه في الجدار.

وإنما الهدى كل الهدى والخير فيما أنزل الله من الكتاب والحكمة ورحم بذلك عباده، ونعم الله على الإنسان كثيرة، أعظمها: القرآن الذي قدّمه حتى على خلق الإنسان فقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ﴾ [الرحمن:١-٤] الآيات.

فانظر كيف امتن الله عليه بالقرآن أولا ثم امتن عليه بالبيان الذي أصله اللغة ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، فخذ من القرآن العلم، ودع ما

في الفلسفات البشرية من ظنون، وما أشكل عليك فتضرع إلى ربك ليعلمك إياه.

أما الحق فاقبله أيا كان مصدره، وانظر في سنن الله الاجتماعية كما تنظر في سننه الكونية فإن الذي قال للبشر: ﴿سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠] هو الذي قال أيضا: ﴿فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١].

واعلم أنه ليس كل أحد يعلم ما وراء الخبر أو الحدث، فينبغي رد كل شيء إلى أهله، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣]، فلا تأخذ العلم من جهلة الإعلاميين، ولا من الذين حولك فقط، فإن ملك مصر لم يأخذ قول بطانته بل استدعى يوسف عليه السلام ليؤول له رؤياه، والنبي ﷺ قال: (أنتم أعلم بأمور دنياكم).

واعلم أن الفرقان بين الحق والباطل إنما هو بالتقوى قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩]، والله تعالى بكرمه جعل للتقوى ثمرات أخرى غير الفرقان، منها مغفرة الذنوب وإصلاح الأعمال فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١] الآية، وهذه الثمار لا يجنيها الإنسان الغربي التائه في ظلام الفلسفات والنظريات.

واعلم أن اختلاف الرأي لا يعني العداوة أو القطيعة فقد كان الإمام أحمد رحمه الله يختلف مع أحمد بن نصر الخزاعي، ويخالف الإمام الشافعي في بعض المسائل من العلم ومع ذلك يحبهما ويواليهما، وربما جرح بعض العلماء الرواة الذين وثقهم، و لم يبدّعه الإمام أحمد أو يضلّله، بل إن بعضهم ليجرح الإمام نفسه، ولكن أحمد لا يغمطه صلاحه، بل يقول عنه: "رجل صالح ابتلي بي فما أصنع".

وطلب العلم نوع من الجهاد لا بد فيه من الصبر والمعاناة، فانظر كيف رحل موسى إلى الخضر عليهما السلام ليأخذ عنه العلم، وارتحل الإمام أحمد إلى صنعاء ليأخذ العلم عن عبد الرزاق، وانظر كيف أصبح الأطفال أيام الجهاد الأفغاني العظيم رجالا اليوم، ولو أنهم تربوا على العلم لكانوا اليوم علماء يعلمون الناس العقيدة الصحيحة والعلم النافع، وكان الواحد منهم يعدل أمة.

واعلم أن الفساد الأخلاقي أعظم من الفساد المالي، وأن الدياثة أشد من الهزيمة ومن الموت.

واعلم أن كل شيء في هذا الكون له حكمة كثيراً ما نجهلها، وأنه ليس فيه فوضى إلا حسب نظرنا القاصر، ويقول علماء البيئة اليوم: إن حدوث أعاصير في الأمازون يتسبب في فيضانات في بريطانيا!

ومن أغرب ما قرأت العلاقة بين سقوط شعر أحدهم في أوربا وبين التيار في المحيط الهادي، ويقولون إن العالِم هو الذي يستنبط النظام من رحم الفوضى، ولازم هذا القول أن الكون ليس فيه فوضى قط، وإنما فيه علاقات قد نعلمها وقد لا نعلمها، وقد حذر النبي ﷺ الصحابة من ريح شديدة سوف تهب ساعة كذا فعصاه رجل فحملته الريح وألقته على جبل طيء، فالأصل أننا لا نعلم فيجب أن نطيع من يعلم.

وقد قال عليه الصلاة والسلام: (ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) الحديث، والعلم البشري لا يعلم ردم يأجوج ومأجوج والعلاقة بين فتحه والشر.

ولا تحرِّج على من خالفك في مذهبك الفقهي، فإن الأنبياء مهما اختلفت شرائعهم دينهم واحد، وقد كان ابن القيم حنبليا وابن كثير شافعيا وابن أبي العز حنفيا وابن عبد البر مالكيا، وكلهم على عقيدة واحدة.

واعلم أن الدين قول وعمل أي اعتقاد وامتثال، وليس مجرد شعارات نكتبها، أو نقولها، أو دعاوى نلوكها أو قراءات نتبرك بها، ورب أمر من

الدين تراه أعيننا صغيرا، هو في نفسه عظيم، فلما حاصر المسلمون حصنا من حصون الروم تأخر عنهم النصر، فقالوا لأنفسهم: لا ريب أننا تركنا شيئا من الدين، وتفقدوا أنفسهم فوجدوا أنهم تركوا السواك، فانقضوا على الأشجار، فلما رأى الروم ذلك قالوا: هؤلاء يحدّون أسنانهم لأكلنا فاستسلموا.

ولو أن الأمور بالألقاب والادعاءات لكان الدروز موحِّدين، ولكان المعتزلة هم أصحاب العدل والتوحيد، ولكان نفاة الصفات هم أهل التتريه، ولكان العبيديون فاطميين، ولكان أتباع ابن تومرت هم الموحدون، ولكان الصوفية هم أهل الحقيقة، ولكان المرجئة سلفيين، ولكان عباد اللات والعزى أهدى من الذين آمنوا سبيلا، بل لكان اليهود والنصارى أبناء الله وأحباؤه، وكان اليهود هم شعبه المختار، واعلم أن بناة مسجد الضرار لم يكتفوا بكتابة لا إله إلا الله شعارا، وأن الذين هموا باغتيال النبي ﷺ خرجوا معه للجهاد، فكن ذا بصيرة وحذر، واعلم أنك لن تجد منافقا يقول عن نفسه إنه منافق، ولا لصا كتب على بابه إنه لص، ولا تاجرا يقول إنه بضاعته مغشوشة، ولا إعلاما رسميا يقول: إن الحاكم غير رشيد.

واعلم أن مصيبتنا في تعيين جابر عصفور مشرفا ثقافيا لعكاظ أو محمد رضا نصر الله مشرفا ثقافيا على الرياض أكبر من أن يكون سعر برميل النفط ١١٦ دولارا ثم ينخفض إلى الأربعين، وكذلك تعيين من يسمون إخوان بريدة!

وأن من ولّى الجهلة وأعداء الله المنتكسين، رئاسة تحرير الصحف أو إدارة القنوات عامدا غش المسلمين.

وإذا أردت معرفة قيمة أي شيء فانظر إلى مصدره، فأما واضع الدستور الأمريكي فهو (ماديسون) وأما من أنزل القرآن فهو الله تعالى الحكيم العليم، الحي القيوم، الرحمن الرحيم، اللطيف الخبير، الغني عن خلقه أجمعين.

واعلم أن ما لدى (توماس جفرسن) من حرية التفكير إنما استمدها من الإسلام ولا تزال نسخة جيفرسون من القرآن محفوظة إلى الآن، وعليها أقسم عضو الكونجرس المسلم "أليسون".

كما أن (إبراهام لنكولن) في نظر كثير من الباحثين الأمريكيين إنما استمد تحرير الرق من القرآن فأصوله من الموريسك أي من مسلمي الأندلس، أما الرئيس المشهور (روزفلت) فإن أصله قوقازي، وكونه قوقازيا يجعلنا لا نستبعد أن يكون تركياً، وأكثر المسؤولين في الاتحاد السوفيتي من باب الأبواب الذي فتح في أيام الراشدين، وأكثر قادة إيران من إقليم خراسان حيث يكثر الترك وتنتشر اللغة التركية.

واعلم أن المنطق ليس معيار العلم كما زعم المناطقة وتابعهم الشيخ أبو حامد الغزالي في أول المستصفى، وإنما هو معرفةٌ شخصية، ولكل إنسان منطقه الخاص، ولكل أمة منطقها، ومنطق العرب في لغتها كما قال الشافعي، وبهذه اللغة استطاع شيخ المفسرين (الطبري) تفسير القرآن، وعليها اعتمد شيخنا الشيخ الأمين في هذا العصر.

واعلم أن من العلوم أمورا بيّنة يعرفها كل عاقل، ومنها أمور تحتاج إلى بحث ونظر وتفكير، كما قاله ﷺ: (الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مشتبهات) الحديث.

واعلم أن العلم البشري محدود، حتى أن الخلق لا يعلمون حقيقة الروح التي بين جنبيهم، ولا يعرفون ما في الجنة التي هي من خلق الله لكن فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أي أنها بالتعبير الفيزيائي الحديث تقع وراء جدار بلانك.

واعلم أن أنظار العلماء تختلف منذ عصر الصحابة رضي الله عنهم، خذ مثلا الربا فبعضهم يحصره في الأصناف الستة التي ورد بها النص، وبعضهم يجعله في كل مكيل وموزون، وبعضهم يقول هو في كل مطعوم، وهكذا، ولم يبدِّع أحد منهم الآخر أو يضلله.

وكل علماء الإسلام يشترطون في المفتي معرفة حال الناس، ونص على ذلك الإمام أحمد، وقد كان ﷺ يعلم حال ملوك الأرض في عصره، كما كان يعلم أن النجاشي لا يظلم عنده أحد، ويعلم أن هرقل نصراني، وأن كسرى مجوسي، وأمثال ذلك مما هو واضح في السيرة، فإن كان صلوات الله وسلامه عليه علم ذلك بالوحي فهو دليل على أن معرفته حق، وإن كان عرف ذلك عن تواتر فهو حق أيضا ونحن أتباعه.

وكان في المدينة وحدها سبعة فقهاء مشهورون غير ربيعة المسمى ربيعة الرأي، وهو شيخ الإمام مالك.

واعلم أن علماء الإسلام رحمهم الله تنوعت اجتهاداتهم ولم يجعل أحدهم معيار الحكم على أحد بأنه مبتدع أو متبع، طاعته لولاة الأمر أو موافقته هو على رأيه، ولم يدّع أحدٌ من علماء السلف أنه سلفي سائر على منهاج النبوة.

كما لا يجوز الاتهام بلا دليل وقول إن فلانا حزبي أو ما أشبه ذلك، مع خلو ما يكتب ويقول من ذلك، على أن الوسائل تتعدد، والمهم هو الغايات. وأسلوب الدعوة والإصلاح لا يقوم على التشنج والتعسف وإنما يقوم على المجادلة بالتي هي أحسن كما بيّن تعالى، وعلى البناء لا الهدم، ومن دعا إلى شيء من مقتضيات التوحيد هو بلا شك أقرب ممن دعا إلى ضد ذلك أو عمل له.

ومن المخالفات التي يقع فيها الليبراليون احتقارهم الدعاة ووصفهم بالوعاظ، مع أن القرآن موعظة من الله، ورسول الله ﷺ كان واعظا، وقال له ربه ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ:٤٦] الآية، ومن أخطاء المباحث قولهم إن فلانا خرج عن حدود الوعظ والإرشاد أو عما يعنيه، وأن السياسة ليست من الوعظ والإرشاد، ويجعلون ما يشاؤون سياسيا وما يشاؤون دينيا، فمن يملك حق الفصل بينهما؟ وبأي معيار؟ وهل من أمور المسلمين شيء لا يعني الدعاة؟

ومن الذي يضع الحدود بين ما هو الوعظ وما هو تجاوز للحدود؟ وهل قولهم إلا إقرار بالعلمنة وفصل الدعوة عن السياسة!

واعلم أنه من مخالفات هؤلاء وبدعهم، مع سكوتنا وذنوبنا، غارت عيون الأحساء والخرج وسيول الجنوب، وجفّت الأودية في الأفلاج وبوا، وقحطان وزهران وغامد وعسير والقصيم وحائل وبردى ومصر وبلاد المغرب، وجف القطر من السماء.

ولما سكتنا عن القوة الثلاثية (هيلاسلاسي) سلط الله علينا أفيورقي، وتحكمت النصارى اليعقوبية في مياه النيل، فليكن الداعية عالما بصيراً واسع الأفق يقول الحق ويرحم الخلق ولا تأخذه في الله لومة لائم.

- الكتابة:

الكتابة مهمة لا سيما للعلم، قال الناظم:

العلم صيد والكتابة قيده **** قيّد صيودك بالحبال الواثقة

وهي من أعظم نعم الله الذي علم بالقلم، ولأهميتها في التاريخ الفكري يقسم أهل التاريخ الحضاري عصوره عصرين كبيرين:

١. عصر ما قبل الكتابة.

٢. عصر ما بعد الكتابة.

على أن النصوص تدل على أن الكتابة أقدم مما يظنون، وقد ورد أنه نسي آدم أنه أعطى داود أربعين سنة من عمره فشرع الله الكتابة والشهود.

أما المؤرخون فيجعلون عمرها خمسة آلاف سنة فقط، وبحثوا في أصل الكتابة الأبجدية، ثم اختلفوا، فقال بعضهم أصلها حضارة ما بين النهرين، وقال آخرون أصلها المصريون القدامى، وقال غيرهم أصلها فينيقي، وهناك في (جبيل) اللبنانية اكتشفوها! والله أعلم.

وكان المصريون يكتبون بالهيروغلية، التي استطاعوا حل رموزها بالعثور على (حجر رشيد) وكانت نوعا من الكتابة التصويرية، وأثبت الباحث

الغربي (ولس بدج) أن المصريين القدماء عبروا بحر القلزم من جزيرة العرب، وهذا يؤيد ما ذكره المقريزي عن أن شداد بن عاد هو الذي حمل الحجارة الضخمة من مقطع الأقصر إلى الجيزة والله أعلم. وكان قدماء المصريين يرسمون صورة أبي منجل وصورة ابن آوى والعجول وغير ذلك من معبوداتهم.

ولما عرف الغرب الطباعة كان أول ما طبعوا كتبهم المقدسة، فطبع اليهود (التلمود)، وطبع النصارى بعض الأسفار والتوراة حسب معتقدهم.

واشتهر من الخطاطين المسلمين (ابن مقلة) كما اشتهر الترك بحسن الخط، وممن رأيت خطه مصطفى نظيف التركي، ومحمد طاهر الكردي.

وقد اشتهر بين أهل الفن قولهم (إن القرآن نزل بالحجاز وحفظه المصريون وكتبه الأتراك).

وأعطى أحد الخطاطين الأتراك حرف (و) رجلا فباعه بأثمان غالية، وظل الأتراك محبين العربية حتى بعد أن ألغاها (أتاتورك)!

ومن الغريب حقا أن بعض الناس اليوم يدعي السلفّية، ويسكت عن الاتجاه الأتاتوركي ويعادي الاتجاه الإسلامي في تركيا، والموقف الشرعي هو نصح أي اتجاه بما يليق به، وإذا كان لا بد من الكُره فلنكره الأتاتوركيين حيث منع أتاتورك الأذان بالعربية، وألغى الحروف العربية وجعل التركية تكتب بالحروف اللاتينية، وفرض على المسلمين الكراسي كما يفعل النصارى في كنائسهم، وفرض على المرأة التركية خلع الحجاب، ونفّذ كل شروط اللورد كيرزن في قطع أي صلة لتركيا بالإسلام!.

- العذر بالجهل وتكفير المعيَّن:

قضية العذر بالجهل مطلقا أو عدم العذر لا تحسمها كلمة واحدة، ولو كانت المسألة تحسمها نعم أو لا فما أسهل أن يقول السلف في عقائدهم (ونعذر بالجهل) أو (لا نعذر بالجهل)، لكن المسألة تختلف من شخص لآخر، ولذلك هي من شأن القاضي وليست من شأن الداعية، والشيء الثابت في السيرة هو البدء بالدعوة قبل القتال، واستماع أهل البلد، فإن أذّنوا وإلا أغار عليهم النبي ﷺ، وعموما ينبغي تعليم الجاهل، كما كان النبي ﷺ يعلّم الأعراب والسائلين، ومنهم ضمام بن ثعلبة ومعاوية بن الحكم، وأرسل مصعب بن عمير لتعليم أهل المدينة، والصحيح عندي أن الله يمتحن يوم القيامة من كان عذره عدم العلم كالأربعة المذكورين في الحديث (الشيخ الهرم، والمجنون، والصغير، والزَّمِن) أي: المصاب بمرض مزمن، وأن قيام الحجة فيه تفصيل:

١- فإن أريد بالحجة المعرفة الفطرية أو العقلية فهي قائمة على كل مخلوق، وعلى ذلك فطر الله نفوس البشر أجمعين، وبث الآيات في السماوات والأرض، وكلٌّ يعرفها حسب إدراكه، وفطر نفوس الخلق كلهم على أنه لا مخلوق بلا خالق، ولا موجود بلا موجد، وأن الحق هو توحيده بلا شريك. وهذا هو مدلول أخذ الميثاق عليهم الوارد في سورة الأعراف، وأخذ العهد عليهم وهم في أصلاب آبائهم كما ثبت في الصحيح.

٢- وإن كان المقصود بإقامة الحجة بلوغ الدعوة وما يترتب على إقامتها من عقوبة وعذاب، فالقرآن صريح في أنه تعالى لم يكن معذباً حتى يبعث رسولا، وأن أهل النار يقال لهم ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ [الزُّمَر:٧١] و﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ﴾ [المُلك:٨]، وأن الله أرسل الرسل ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، ولم يكن النبي ﷺ يعاقب أحدا قبل البلاغ قط، وعلى هذا كلام شيخ الإسلام في الجواب الصحيح، وفي الرد على البكري، وفي

مجموع الفتاوى، وقد استدل رحمه الله على ذلك بأن الكافر قبل البلاغ غير مؤاخذ، فالعفو عن المسلم أولى، بل قال إن المناطقة لا يكونون أشقياء في الآخرة إلا إذا بعث الله لهم رسولا فكذبوه.

وعندي أن الحجة تقوم بالفطرة والعقل، ولكن الله من فيض لطفه ورحمته أحب الإعذار وقطع حجة الناس بإرسال الرسل رحمةً منه بخلقه وهو الغفور الودود، ولا تعارض بين أن تكون الفطرة والعقل كافيين في قيام الحجة وبين أن يرحم الله خلقه بما هو فوق ذلك وهو الحجة الرسالية.

أما تكفير المعين فيكذِب الروافض وأشباههم حين يزعمون أن أهل السنة يكفرونه، وأن ما يسمونه (الوهابية) حركة تكفيرية خارجية، فهم الذين يكفرون أبا بكر وعمر وأكثر الصحابة، والشيخان ابن تيمية وابن عبد الوهاب من أبعد الناس عن تكفير المعيَّن ونصَّا على ذلك حرفيا، واشترط أهل السنة لتكفير المعيَّن تحقق الشروط وانتفاء الموانع عنه، والشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يكفر شمسان مثلا، ولا من بنى على القبر أو صوّر الصالحين من المعينين واكتفى ببيان أن تلك الأفعال من البدعة أو الشرك، ونسب الحكم بردة العبيديين إلى العلماء كما في مختصر السيرة له، واعتمد في كون البدو ليسوا مسلمين على ما كان في عصره من بُعدهم عن الإسلام، وهو صادق في نقل الواقع وهذا تكفير بالعموم وليس المعيَّن، وغايته أن يكون يكفِّر بترك الصلاة وهو حكم قديم من أيام الصحابة وتدل عليه النصوص، (مع أني لم أقرأ له نصا في ذلك) أما القتال فأمر آخر وليس من شرطه الكفر فإنه يجوز قتال الخوارج والمحاربين والبغاة مع كونهم مسلمين.

وأما من فهم دعوة الشيخ على غير حقيقتها، أو غلا فيها فليس حجة عليه.

والخلاصة أن قضاة المسلمين يقيمون الحد على المعيَّن وليس في الهواء، وأن من الأعمال ما هو كفر لكن لا يكفر فاعله، وأن الذين يكفِّرون بالمعصية هم الخوارج، ولا يكفِّر بها أهل السنة، وأن الإنسان الواحد يجتمع

فيه ما هو كفر وما هو إيمان، وأن تكفير المعيَّن من أهل القبلة له شروط لا بد من تحقّقها وموانع لا بد من انتفائها، وأن الوعيد قد يتخلف لسبب ما، وأن الجزاء يقدَّر لكن قد لا يقع، وأن الإخراج من السنة شديد كما قال الإمام أحمد فكيف الإخراج من الملة، ويجب التفريق بين المعذور وغير المعذور والمعيَّن وغير المعيَّن، وبين الكفر والجاهلية، وبين الظلام المطلق والظلام الذي فيه نور، وبين النجاسة المطلقة وما فيه نجاسة، وأن التوبة تَجُب ما قبلها، وآخر الأمرين من المكلَّف هو المعتبر، كما يجب التفريق بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وقد قال سفيان الثوري رحمه الله (الناس عندنا مؤمنون في الأحكام والمواريث، ولا ندري ما حالهم عند الله)، كما ينبغي التفريق بين المعرض عن كتاب الله، وبين من أخطأ فخالف حكم الله، وأهل السنة يعلمون أن ما يجب على آحاد الناس يختلف، فما يجب على الجاهل غير ما يجب على العالم، وما يجب على الحاكم غير ما يجب على المحكوم، ويفرقون بين ما يجب إنكاره بالقلب وما يجب باليد، وأن من يجهل حكم الله ليس كمن يعارضه، وهكذا جعل الله لكل شيء قدرا، ولكل مسألة حكمها، وإنما علينا العمل بالظاهر كما قال ﷺ: (فإذا فعلوا ذلك عصموا مني أموالهم ودماءهم، وحسابهم على الله)، والله وحده هو الذي يعلم من أسلم حقيقة ومن أسلم نفاقا.

- العلم الضار:

من العلم ما هو كفر ومنه ما هو ضار، ومعلوم بنص كتاب الله أن تعلَّم السحر وتعليمه كفر، وهاروت وماروت كانا يقولان لمن جاء إليهما ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢]، وتعلّمه اليوم كثير من الناس ثم وفقهم الله للتوبة.

وفي عصرنا كثير من العلم الضار، كاستخدام العلم في الإبادة وسفك دماء الأبرياء مثلما ألقى الأمريكان القنبلة الذرية على أناس أكثرهم مدنيون،

بناء على أبحاث أينشتاين وأوبنهايمر، الشيء الذي ندما عليه مع أن كونهما أصلا فيزيائيين ولا يلزم من فيزياء الذرة إلقاء القنبلة، وهكذا كل علم يتجرد عن تقوى الله وخوفه يصبح وبالًا ودماراً، قال الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله: (حين سألت العالم الألماني الأمريكي (فرانز أوبنهايمر) الذي ساهم في اكتشاف القنبلة النووية والذي ندم بعد إلقائها كانت إجابته قصيرة دالّة (لقد تقيأت)، ويعلق الدكتور المسيري على ذلك قائلا: (إن أوبنهايمر العالم المحايد اكتشف القنبلة لكم أوبنهايمر الإنسان تقيأ، وقضى باقي حياته يحارب ضد القنبلة) اهـ كلامه.

ولما وجه بعضهم السؤال نفسه إلى زميله الألماني الأمريكي (ألبرت أينشتاين) قال: (تمنيت أني كنت إسكافيا و لم أكن فيزيائيا).

فقارن حال هذين المسكينين بالعلم الذي خلّفه علماء الإسلام و لم يندموا عليه قط، بل هو من عملهم الذي لا ينقطع بموتهم.

- أساليب الظالمين ضد العلم النافع:

للظالمين أساليب كثيرة ضد العلم النافع، منها:

١- حجْب العلم، كما أوصى كفار قريش الطفيلَ بن عمرو الدوسي رضي الله عنه ألّا يسمع لكلام محمد ﷺ، فوضع الطفيل قطناً في أذنيه، ولا يزال أعداء الدعوة اليوم يمنعون كتب الدعاة ويحجبون مواقعهم، وقد كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم حتى لا يسمعوا ما يقول، وعلى هذا المستبدون فيحجبون الحق إذا خالف سياسة ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩]، ويأمرون بإقفال القنوات ومنع دخول الكتب بل ربما منعوا مجرد الاستشهاد بها، وإذا ذكر أحد عالما بخير أو قرأ له جعلوه من أتباعه في كل شيء.

٢- الضوضاء ﴿لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ﴾ [فُصِّلَت:٢٦]، وقد سلط الاستعمار الفرنسي الكلاب لكي تنبح فتشوش على فكر مالك بن نبي!

٣- الحرق، كما أحرق الأعداء كتب ابن تيمية، وفي زماننا هذا أحرق بعض الجهال (فتح الباري) لأن فيه تأويلات أشعرية، وأحرق السيسي مخالفيه في رابعة والنهضة، ومنع كتب أئمة الدعوة وعلماء السعودية وربما أحرقها.

٤- إشغال الناس، كما قال المشركون (إذا كان محمد يخبركم عن عاد وثمود فتعالوا إلى الحديث عن كسرى وقيصر)، وعلى هذا الإشغال ركز الإعلام حديثا، فأصبح إشغالا بالرياضة والمسابقات والمسلسلات والفنون والفوازير، وغيّروا مفهوم البطل والنجم والمنتصر والفائز.

٥- اتهام أهل العلم بأنهم خارجون عن عادات الآباء والأجداد، أو أنهم مثيرو فتنة، أو يريدون أن يرجع الناس إلى القرون الوسطى والعصور المظلمة، أو أنهم متطرفون، أو إرهابيون، أو خوارج، وأمثال ذلك مما يفتريه أعداء الرسل قديما والليبراليون حديثا، وهذا الافتراء سبق إليه فرعون وملؤه، فقالوا إن موسى وهارون يريدان أن يذهبا بالطريقة المثلى للمصريين، وأن تكون لهما الكبرياء في الأرض وأن يخرجوا من المدينة أهلها.

٦- سجن الدعاة، فقديما قال فرعون ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩]، وحديثا أمرهم أشهر من أن يذكر.

٧- تعذيب من يدعوهم، فقديما ألقى المشركون خليل الله في النار، وقتل اليهود الأنبياء، وأحرقوا في أجواف الجلود، وآذوا موسى عليه السلام، ونشر أصحاب عيسى عليه السلام بمناشير الحديد، وأوذي رسول الله ﷺ، ثم جلدوا الإمام أحمد رضي الله عنه، وحديثا أمرهم لا يحتاج لذكر، واسألوا من جرب من نزلاء سجن تدمر والحائر، وسجن العقرب والرمين.

هل تريد أمريكا تعليم المرأة الأفغانية؟

الجواب: لا تريد، ولو أن أمريكا تريد تعليم المرأة الأفغانية لأعطت حكومة طالبان نفقات ذلك أو أوعزت لأوليائها بالإنفاق، وهذا أهون وأوفر لأمريكا من خسارة الآلاف من جنودها والنفقات الباهظة التي تتحملها

طوال هذه السنين، وكل يوم من هزيمة إلى هزيمة،ولكنها تريد أمرا آخر غير ما تتذرع به ظاهرا، ذلك الأمر الذي عبر عنه (ويسلي كلايك) قائد جيوش (الناتو) حين قال: (من يظن أننا ذهبنا إلى أفغانستان انتقاما لأحداث ٩/١١ فليصحح خطأه، وإنما ذهبنا لدرء خطر أكبر هو الإسلام، ولا نريد أن يبقى الإسلام مشروعا حرا يقرر فيه المسلمون ما هو الإسلام، بل نحن نقرر لهم ما هو الإسلام) اهـــ.

أقول ومما قرروه فعلا أنهم قسموه إلى إسلام سياسي وإسلام معتدل، وهم يعلمون أنهم يخسرون في أفغانستان والعراق، ولكنهم اختاروا حسب تعبيرهم أخف الشرين وانتهزوا فرصة قوتهم وضعفنا كما عبر نكسون.

أما المرأة الأفغانية فقد استخدموا كل وسيلة لإفسادها، وكثير من الأمريكان فضلا عن أهل البصيرة من المسلمين يعلمون أن للرئيس جورج ووكر بوش هدفا آخر قبل تلك الأحداث، أما عملاء الغرب فانقلب عندهم فرض العين فجأة إلى جريمة يستحق صاحبها السجن.

- عالم الجن:

من سعة العلم الإسلامي أن المسلم يعلم ما لا يعلمه الغربيون من العوالم الأخرى كالجن والملائكة، وإنما عرف هذه العوالم على حقيقتها من (الوحي) حتى الحيوان يرى ما لا يرى الإنسان الغربي، فالديك يرى الملائكة، والحمار يرى الشيطان، فكيف يكون هذان الحيوانان أعلم من الإنسان فضلا عمن يرى الجن أو يسمعهم من هذه الأمة المباركة، وقد أخبرنا الصادق المصدوق ﷺ عن أخبار الجن مثلا ومن ذلك أنواعهم التي لا يمكن لنا أن نعرفها بعقولنا ولا بحواسنا المجردة، فالجن منهم المؤمنون، ومنهم الكافرون، وهم ثلاثة أصناف كما سنذكر إن شاء الله، وهم من الغيب النسبي وليس من الغيب المطلق، وآثارهم مشهودة وقد يراهم الإنس عيانا غير أن من يراهم من الأمريكان يزعم أنهم كائنات فضائية أو أشباح، ومردة الجن يكثرون عند

غروب الشمس كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، وأرشد إلى حجب الأطفال تلك الساعة، وأرشدنا إلى كيفية اتقاء أذى المؤذي من الجن، وذلك بقراءة المعوذات ودعاء نزول المترل، وأخبرنا أنهم ثلاثة أصناف:

١- صنف منهم سحابيون يسترقون السمع، ويطيرون إلى العنان ولهم أجنحة، وهؤلاء ورد ذكرهم في القرآن الكريم، ويتميزون بالقوة والبأس، قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل:٣٩] أي عرش بلقيس، والمخاطَب هو سليمان عليه السلام، وقال في سورة سبأ: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ:١٣]، ولهم قصة أيام القادسية أوردها ابن منده، وقال ابن حجر إسنادها صحيح، ومن هؤلاء الصنف القوي من قال فيهم الله ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص:٣٧].

٢- صنف أقل قوة، وأعطاه الله القدرة على التشكل، فقد يتصورون بصورة ثعابين أو عقارب، ومن ذلك قصة الفتى الأنصاري الصحيحة الذي قتل ثعبانا فمات هو أيضا، ومن هذا الصنف والله أعلم حراس الأهرام في مصر حيث يلدغون المكتشفين كما تلدغ ثعابين الأيم (الكوبرا) فيموت الملدوغ، ومن هؤلاء الموتى مستر "كارافون" الإنجليزي، وبعضهم يتصوّر بصورة صورة كلب، ومن هؤلاء أسير أبي هريرة ﷺ، وقد لمسه أبو هريرة فإذا يده يد كلب وسأله عن خلقته فقال: لقد علمت الجن أني من أعظمهم خلقة، ومن هؤلاء الكلب الأسود الذي قال النبي ﷺ إنه شيطان.

٣- ومنهم صنف يحلّون ويظعنون مثل بدو بني آدم، ولهم سوائم يرعونها، وقد حدثني عنهم من رآهم من الثقات، وكتب عنهم آخرون، وهم يسكنون الخرائب والأماكن المهجورة، ولا يؤذون من يخالطهم غالباً، ولا يعتدون على مسلم، ويأكلون من جنس ما يأكل منه بنو آدم، كما أن دوابهم تأكل من جنس ما تأكل دواب الآدميين. وبعضهم ضعيف صغير الشأن كما حدثني أحد من كان من يتعامل معهم ثم تاب الله عليه وقال:

إنهم كائنات صغيرة، وكتب أحد الأطباء الكرد بحثا مستفيضا قرأته يرجّح فيه أن الجن هم الجراثيم، وهذا ما يؤيد كلام ذلك التائب، فإذا ثبت ذلك فهم صنف رابع أو أنهم يتشكلون بهذا الشكل الصغير، والله تعالى أعلم.

والحاصل أن من ينكر وجود الجن من أدعياء العلم ضال وزعمه أن المسألة مجرد ازدواج شخصية دليل على جهله، وإذا أنكرهم مسلم كفر بالقرآن، كما أن من يظن أنهم كلهم لهم قدرات خارقة من العامة ضال أيضا.

ومن الكفر الظن بأنهم يعلمون الغيب، قال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل:٦٥]، وقال عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ:١٤]، ومما يحرم أن الشرطة الجنائية تستعين بالكهان لكشف مرتكبي بعض الجرائم، وبعض الناس يظن أنهم يعلمون أين قريبه المفقود أو الضائع، ووصل الأمر ببعض الناس إلى الظن أن الجن يعلمون الكنوز التي في الخرائب، وقد جاءني أحدهم يسأل عن ذلك فكان مما قلته له إن كان الجن يعلمون الكنوز فلم لا يأخذها من يستخدمهم لنفسه، بدل أن يدلك عليها مقابل مال؟

ومن الجن بعض الثعابين التي تسكن البيوت ويقال لهم (عمّار البيوت) وقد أرشدنا النبي ﷺ إلى إنذارها ثلاثا قبل قتلها.

أما إخواننا من مسلمي الجن فهم الذين يستمعون القرآن، وتجمعوا حول النبي ﷺ لما رجع من الطائف ببطن نخلة (اليمانية) وكان النبي ﷺ يعلّمهم وأعطاهم صلوات الله وسلامه عليه طعاما لهم كل عظم، لكن الله يملؤه لحما، وأعطى دوابهم كل روثة أيضا، ونهانا عن الاستنجاء بعظم أو روث.

- علماؤنا وعلماؤهم:

لكي تتضح لك المقارنة بيننا وبين الغرب قارن علمائنا بعلمائهم من خلال الاطلاع على سير علمائهم وسير علمائنا.

تراجم موجزة لبعض علماء الإسلام:

- الإمام أحمد بن حنبل:

محنة الإمام أحمد مشهورة، وسيرته معلومة، ولكني سوف أركّز هنا على بعض جوانب منها، له علاقة بموضوعات هذا الكتاب:

منها: حبه العظيم للجهاد والمجاهدين، فقد أراد أن يرابط بنفسه لكن جلاوزة المأمون ردوه إلى بغداد، وأفتى بأن إمام الصلاة إذا سمع النفير يقرأ قصار السور في صلاة الفجر، وعفا عن المعتصم لما فتح عمورية، وأحب الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك، كثيراً وتمنى لو كان رآه.

ومن الأحداث الجهادية في عهده: أن المسلمين فرضوا الجزية على روما سنة (٢٣٩) وليتهم قضوا على الكاثوليكية نهائيا.

ومنها: أن الإمام أحمد كان شديد التعظيم للسنة ولأقوال الصحابة والسلف، مجتهداً في اتباعهم حريصا على نقاء منهج السلف، مما قد يخالطه من الآراء البشرية لاسيما الفلسفة والكلام، وقد كتب أوسع دواوين السنة (المسند) كما كتب في الزهد والورع والإيمان والأشربة وفضائل الصحابة والرد على الجهمية والزنادقة، ومن الأحداث المشهورة في سيرته الدالة على شدة اتباعه أنه لما اشتد عليه الوجع عند موته، أنَّ كما يئنّ أي مريض، فقال له بعض أصحابه: بلغنا أن طاووساً كره الأنين، فلم يئنّ الإمام حتى مات.

ومنها: أنه كان معظما لآثار رسول الله ﷺ ولكل ما ورد عنه من الروايات أو ثبت من آثاره الشريفة، وبذلك علّل بعض العلماء كثرة الروايات في مذهب أحمد، إذ أنه كلما بلغه حديث عمل به ورأى أن الحديث ولو كان ضعيفاً خير من آراء الرجال، وليس الضعيف عنده بالواهي بل الأظهر أنه ما سمّاه الترمذي (الحسَن).

واحتفظ بشعرة من شعر النبي ﷺ، وكان يحملها معه، وأوصى أن توضع على عينه بعد وفاته وتدفن معه.

وكان رحمه الله إماما في الزهد والورع واجتناب سلاطين عصره، حتى

أن صديقه الشافعي لما عرض عليه قضاء اليمن قال له الإمام (إن أعدت عليّ هذا القول لم أكلمك أبدا) ورضي لما سافر إلى عبد الرزاق الصنعاني أن يؤجّر نفسه ليكسب قوته، ورهن لذلك بعض أدواته، ولما استقدمه المتوكل -الذي أحيا السنة وقمع البدعة وأعلى شأنه وحاسب خصمه ابن أبي دؤاد وعزله- إلى مدينة سامراء، لم يذق الإمام أحمد له طعاما وواصل الصيام أسبوعا وقيل عشرة أيام حتى كاد يهلك، و لم يأكل حتى عاد إلى بيته ببغداد، وكانوا يضعون الطعام في الدهليز، ويظنون أن أحمد يأكل منه وإنما يأكل بعض مرافقيه.

وكان عارفا بواقعه، يعرف الأوقاف والإقطاعات والأراضي المغصوبة في بغداد، وما أصله مغصوب، وكان يعرف عقائد أهل البدع ويرد على كل بدعة بالكتاب والسنة، ويفرق مثلا بين الرافضة والمعتزلة والمرجئة وأهل الرأي، ومن يعمل للسلطان ومن لا يعمل، وكان يفرق بين الداعي لبدعته وغير الداعي والثقة وغير الثقة من الرواة، ولا يحكم على أحد إلا بعد مقارنة رواياته بروايات الثقات وفحص حاله بدقة.

وكان كثير التواضع شديد الهضم لنفسه، حتى أنه لما جاءه رجل يطلب منه أن يدعو لأمه بالشفاء قال له: إذا نحن دعونا لها فمن يدعو لنا؟ غير أن بعض جلساء الإمام أدرك الرجل وبشّره أنه رأى شفتي أحمد تتحركان، ولما عاد الرجل وجد أمه قد شفيت بإذن الله.

وكان يكره التأليف، ويكره الرأي في الدين، ويقول: الحديث وإن ضعف خير من كلام هؤلاء يعني أصحاب الرأي، وإنما يؤلف فيما فيه ضرورة.

وكان واسع العلم شديد التعظيم لما كان عليه السلف يتهيب الحكم عليه بالابتداع، فلما سئل عن التعريف في غير عرفة قال: بلغنا أن محمد بن واسع كان يفعله، ولو كان ذلك في عصرنا هذا لبادر بعضهم إلى تبديع فاعله وإخراجه من السنّة.

وكان يعلم أن بعض من يقول عنهم فلان ثقة، يقول عنه غيره (ضعيف)، وبعض من يقول عنه "كان جاروديا" يقول غيره: "كان صاحب سنة"، وهكذا.

ومن سعة علمه وفهمه رحمه الله أنه لما ناظر المخالفين له كان يجيب كلاً ويرد عليه بالكتاب والسنة، إذ لم يكونوا كلهم على رأي واحد، وكان يعرف ما يريد كل منهم بالسؤال وما يعتقده! وقد كان فيهم الضراري والنجّاري وغيرهم.

وقد علمتنا سيرة الإمام أحمد رحمه الله أن نناقش ونناظر ونقيم الحجة بالعلم لا بالجهل والتعصب، وأنا أشكر مركزي براهين وتكوين وأمثالهما مما لا أعلمهم، وكل جهة بحثية تقوم على العلم والعدل وتعتمد أسلوب الإقناع للمخالف فإن قبل الحق وإلا فالحجة قد قامت عليه، كما أشكر من كتب عن قضية المرأة وعن الغيرة كالأخ عبدالله الداود والأخ فؤاد عبد الكريم، والأخ عبد العزيز البداح، ومن كان متخصصا في التاريخ كالدكتور علي بن عودة والدكتور محمد السلومي.

فهذه هي الطريقة التي علمنا إياها القرآن الكريم في مناقشة دعاوى المشركين واليهود والنصارى والغافلين، وكان عليها كل أنبياء الله لا سيما محمد ﷺ وسار عليها الصحابة الكرام والسلف أجمعون، فكلهم قدم المجادلة على المجالدة، وكلهم كان يجادل بعلمٍ وعدل، وكان لا يخشى في الله لومة لائم، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، وورَّث ذلك للحنابلة بعده، ورأى أن واجب العلماء هو قول كلمة الحق والصدع به، وألّا يسكتوا، فقال رحمه الله: (إذا سكت الجاهل لجهله وسكت العالم تقية فمتى يظهر الحق؟).

وكان يفتي بتقديم الأهم على المهم، وتقديم المهم على ما كان قليل الأهمية، وقد سأله رجل عن الوضوء بماء الباقلاء، فأجابه، ثم سأل

السائل: ماذا تقول إذا ذهبت إلى المسجد؟ فقال الرجل: لا أدري، فقال له الإمام: هذا أولى أن تسألني عنه من ماء الباقلاء!.

وكان يحب سماع الوعظ حتى من المخالفين، ويتأثر لسماعه، فقد استمع لكلام الحارث المحاسبي من وراء ستار، وكان يحفظ بعض شعر الماجن أبي نواس في الوعظ كقوله:

ألا ليت أن الله يغفر ما مضى **** ويصفح عن زلاتنا فنتوب

وبعض أناشيد ابن الخبازة في الخوف، ومنها:

إذا ما قال لي ربي **** أما استحييت تعصيني
وتخفي الذنب عن خلقي **** وبالعصيان تأتيني

وكان وقافا عند ما ورد، وعاب على من قال: (لفظي بالقرآن مخلوق)، وعلى من قال: (لفظي بالقرآن غير مخلوق) إذ كل ذلك لم يرد وهو كلام مجمل قد يتخذه بعضهم ذريعة للمحظور.

وكان معظَّما لدى أهل الإسلام قاطبة حتى أن خلفاء بني العباس كانوا يوصون أن يدفنوا قريبا من قبره، وكانت جنازته أعظم جنازة ببغداد التي هي أعظم مدن العالم آنذاك، وذكر الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله أنه يقول بكل ما قال الإمام أحمد، ويذهب إلى كل ما ذهب إليه لأنه الرئيس الكامل، وكان إذا تكلم في أحد سقط عند الناس، وجعله بعض الأئمة فرقانا بين السنة والبدعة، وبهرت سيرته تلميذه الإمام أبو بكر المروزي وأوصى أن يدفن عند قدمي الإمام وقال: (ادفنوني عند قدميه كي أكون له بعد مماته كما كنت في حياته)، ولما خرج المروزي من بغداد تبعه جمع غفير، فقال له أحد العلماء: هذا علَم رفع لك يا أبا بكر، فقال: بل رفع لأحمد بن حنبل.

وكان مراعيا لنفسيات الناس، فلما ماتت زوجته ذهب لخطبة أخرى فقال أبوها: لديَّ بنتان إحداهما الكبرى وهي عوراء، والأخرى

أصغر منها وهي سليمة، فقال: زوجني الكبرى، وإنما جاء يخطب السليمة، لكنه علم أن ذلك يؤثر في نفس العوراء.

ولما انكسرت نفس أحد الرسل لأن الإمام ردّ هدية السلطان، أخرج كسراً من الخبز اليابس، وقال للرسول: من كان هذا طعامه فما حاجته للدنيا؟

وكان مستعلياً بالإيمان -كما قال الله- ويعلم أن أهل التقوى إنما يحبون المتقي، وإن كان أهل الدنيا يحبون صاحب المال والمنصب.

ولما بلغه أن أحد المبتدعة فخر على أهل السنة بمكانته الاجتماعية قال: (بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز)، أي حيث تنقطع العلائق والمصالح الدنيوية، ولا يحضر إلا من كان يحب خالصا.

وكان صبورا يحث على الصبر وقال (ذكر الله الصبر في كتابه في نحو تسعين موضعا)، ويسلّي نفسه وأصحابه قائلا: (إنما هو طعام دون طعام ومركب دون مركب وصبر أيام قلائل).

وكان أكثر عتاباً وهجراً لمن وافق السلطان في القول بخلق القرآن من كبار أصدقائه وأهل العلم، ولما قال بعضهم: (ذكّروا أحمد بحديث بلال) قال: (بلال ضُرب وأنتم قيل سنضربكم).

ومذهبه أقرب المذاهب للسنة، وأكثرها اتباعاً، وله أصول يخالف فيها غيره، وله شروط في الإمام والقاضي والمفتي مفصّلة في غير هذا الموضع، وكان شيخا للإمام البخاري رحمه الله، وكان البخاري شديد التعظيم له.

ومن كلماته العظيمة (لا تغبطوا أحدا لم يؤذ في هذا الأمر)، وذكر أمثلة مما تعرض له السلف من البلاء، وعقب ابن الجوزي على ذلك قائلا: (ولو ذكرت كل ما بلغني من ذلك بإسناده لطال المقام جدا).

ورفع الله ذكره وجعله للمتقين إماما، وأبقى له لسان صدق في الآخرين، فإذا قيل: (إمام أهل السنة والجماعة) لم ينصرف القول لسواه، وذلك ببركة الاتباع والإخلاص.

وكانت تعجبه كلمة الفضيل بن عياض: (لو كان لي دعوة مجابة لجعلتها في السلطان) وقد رأى صدق ذلك عياناً فليس المتوكل كمن سبقه.

وكان حريصا على هداية الأمة مهما لقي من العنت في سبيل الله، فلما قال له بعض العلماء: تأوّل وخلّص نفسك، قال: انظر إلى الخارج، فنظر فرأى العلماء وطلاب العلم رافعي أقلامهم، فقال لهم: ماذا تفعلون؟ فقالوا: ننتظر ما يقوله أحمد لنكتبه، فقال له الإمام: أتريد أن يضل هؤلاء؟.

وختاما، سيرته طويلة وعظيمة، وكان رحمه الله شيئا وبعض الحنابلة شيء آخر، وانظر لما قاله عنه غير المسلمين كالمستشرق (سان ريو).

ولا ريب أنه لو عاش في زماننا هذا لكان عند بعض الناس متطرفاً، ولكانوا يصنفون ذهابه للثغر بأنه إرهاب!

- شيخ الإسلام ابن تيمية:

هو أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام النميري، المشهور بابن تيمية نسبة إلى تيماء المعروفة.

ولد في حران (في تركيا الحالية)، وهاجر إلى دمشق وعاش فيها، وفيها حبسوه، ومات في الحبس.

وهو أعظم مفكر عالمي، وكتبه يقرؤها المسلم وغير المسلم، وكل من قرأها تغيّر رأيه، وممن قرأها من المسلمين: أحمد جودت التركي، ومن غيرهم هنري لاوست، وسان ريو، وأفادوا من فقهه في وضع مجلة الأحكام العدلية.

كان شيخ الإسلام آية في الذكاء والحفظ والعمق، وإذا تكلم في مسألة ظن مستمعه أنه لا يحسن غيرها، وكان في كل مذهب أعرف به من أهله، وكان متبعا في العقيدة لما عليه السلف، ومتبحرا في كل فن كالتفسير والحديث واللغة والأحكام، وله استنباطات عظيمة، واختيارات فقهية لم يلتزم فيها بمذهب معيَّن، وإنما قال: إنه حنبلي، لأن مذهب الإمام أحمد بن حنبل هو أكثر المذاهب التزاما بالسنة مع أنه آخرها تاريخيا، وقد قال الإمام

أحمد وكل الأئمة (إذا صح الحديث فهو مذهبي)، وكثير من العلماء كالطبري وابن عبد البر وابن رشد يقولون: إن أحمد محدث وهو أقرب إلى إسحاق بن راهويه مثلا منه إلى أبي حنيفة رضي الله عن الجميع، على أن شيخ الإسلام ذكر بعض ما عند الحنابلة من الغلو في التكفير والإثبات، بخلاف ما كان هو عليه من الاعتدال والعدل حتى مع الفلاسفة والمنطقيين، والفهم العميق في النصوص.

وقد جاهد رحمه الله بلسانه ويده كما في الحديث، فأما بلسانه فها هي ذي مؤلفاته تنطق بذلك، فقد ناقش الفلاسفة والمتكلمين وأهل الكتاب ورد على المناطقة والباطنية والدروز والخوارج والصوفية وعلى كل من عدَل عن السنة، وعفا عن حقه الشخصي وما افتراه عليه خصومه، وكان بعيداً عن تكفير المعيَّن من المسلمين، حريصا على نشر مذهب السلف، وبيان فضل الوحي على الآراء والأذواق والتجارب، وكل ما في مجموع فتاواه وما استدركه عليها بعض العلماء ما هو إلا بعض آثاره، وله باع طويل في كل ميدان حتى قال تلميذه العلامة ابن قيم الجوزية: (كلنا من بحره نغترف)، مع أن ابن القيم كتب في الرد على الجهمية والمعطلة وإعلام الموقعين وشفاء العليل ومدارج السالكين والطرق الحكمية وطريق الهجرتين، وغيرها من المؤلفات العظيمة التي لا نظير لها، وخاطب شيخ الإسلام قازان ملك التتار خطاب من لا يخشى إلا الله.

وأما جهاد شيخ الإسلام بيده فمشهور جدا حتى أنه قاتل التتار شقحب وغيرها وأفتى الناس بوجوب قتالهم مع إقرارهم بالشهادتين وبعض الشعائر، وأقسم أن النصر لمن حاربهم، وكان ذلك بإذن الله كما أقسم.

وفي عصرنا الحاضر كتب الله لكتبه من الرواج ما ليس لغيره، وصدق فيه قول (ابن مري) لما أحرق الظالمون كتبه: (والله ليخرجن لهذا العلم رجالا هم الآن في أصلاب آبائهم)، واحتلت كتبه أول قائمة الكتب الأكثر مبيعا في معرض إسطنبول الأخير.

واشتهر بالدفاع عنه الشيخ (عمر نصوحي) المتوفى سنة ١٣٩١هـ، والآلوسي، وكذا المشايخ الآخرون مثل الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ ابن باز وابن حميد وابن عثيمين وعبد الرزاق عفيفي.

ولا يعاديه اليوم إلا اليهود ومتعصبة الروافض، والعلمانيون وتركي الحمد وشلته في بلاد الحرمين.

وأصبح من المألوف أن تقدّم لأحد كتابا لابن تيمية فيقول لك: هذا الكتاب غيّر رأيي في ابن تيمية.

ومن أشهر من تغيّر رأيه: وزير العدل التركي سابقا (الحقّانية) (أحمد جودت باشا) الذي اطلع على كتب الشيخ بحكم أنه أشرف على مجلة الأحكام العدلية، ثم استقال من الوزارة وتفرغ للعلم، أما المتبعون للكلام فقد ظلموا الشيخ حتى أن بعضهم كتب كتاب (ابن تيمية ليس سلفيا)، مع أن الطبطبائي المنطقي الشيعي لم يجد كتابا في المنطق مثل كتاب ابن تيمية فأعجب به واستمد منه، كما أن شيخ الأزهر (مصطفى المراغي) أعجبته كتب ابن تيمية فقرر إدخالها مناهج في كلية أصول الدين بالأزهر، وعلى ضوء علم الشيخ قامت جمعية العلماء في الجزائر، وقامت الحركة التي حاربت الاستعمار فيها وفي المغرب، وتأثر به الشيخ أبو الحسن الندوي، والشيخ حسن البنا، والشيخ أبو الأعلى المودودي، والشيخ عمر المختار، والأستاذ سيد قطب، والشيخ عبد السلام ياسين، والشيخ محمد الحامد، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني، والشيخ صديق حسن خان، والعلامة الشوكاني، والآلوسي، وغيرهم، وكل من قرأ له لا بد أن يتأثر ويجاهد الكفار والمستعمرين، ويقول الأمريكان اليوم إنه كان وهابيا.

وكان الشيخ رحمه الله كثير العبادة والضراعة، صادق التوكل، عظيم الثقة في الله، ومن ثقته فيما آتاه الله من العلم أنه لما ناظر البطائحية، قال لهم: (نغسل أيدينا بماء (كذا)، وندخل أصابعنا في النار، فمن احترقت أصبعه منا فهو كاذب) لكنهم نكلوا عن ذلك.

وله استنباطات عجيبة مما يراه بعض الناس كلاما عاديا، حتى أنه يطيل الكلام والشرح والتأليف. معتمدا على جملة من كلام الإمام أحمد أو الإمام البخاري، أو الإمام مالك أو الإمام الشافعي، أو الإمام محمد بن الحسن، تلميذ الإمام أبي حنيفة رضي الله عن الجميع.

كما أن له كلاما لم يسبق إليه في الهيئة (الفلك) وفي البلدان وفي التواريخ.

وكان يقدر العلماء مهما خالفوه في الرأي، حتى أن أحد الناس من المعجبين بالشيخ قال: (ليت الشيخ يكون لي كما يكون لأعدائه)، ولما مات خصومه ذهب إلى أهله وعزاهم وقال أنا مكانه.

وعدله مشهور مع الفلاسفة والمناطقة والرافضة واليهود والنصارى، لا سيما وقد عذر من لا يعلمون عن صلب المسيح شيئا، وقال إن ذلك قد يخفى على بعض الناس، أي أنه بلغة عصرنا مسألة تاريخية.

كما عدل مع الصوفية ومع القدرية ومع المرجئة، حتى أنه قال عن رأس الضلالة (أرسطو) إن علمه في الإلهيات متناقض ولا يؤخذ، أما آراؤه في الطبيعيات والرياضيات فتقبل، وذكر مصادر الفكر اليوناني وأصوله، ومن عدله مع الصوفية أنه جعل منهم السابق والمقتصد والظالم لنفسه كما في الآية، وذكر أن الشرك أصله نوعان: ما وقع لقوم نوح عليه السلام، وما وقع للصابئين عبدة الكواكب.

وأنا ولله الحمد قرأت لكثير من علماء الشرق والغرب فلم أجد له نظيرا، ومع ذلك لا أقول بتقليده ولا تقليد أحد كائنا من كان، وأرجو من كل من يخطّئ الشيخ في أي مسألة أن يكتب بها إليّ، وأنا مستعد لبيان مأخذ الشيخ ووجهة نظره مع ترك الحرية للمخالف أن يقول رأيه، وللقارئ أن يعتقد صحة أحد الرأيين، هذا إن كتب الله لي الحياة، وإن كتب الموت فسوف يأتي بمن هو أقدر مني على ذلك بإذنه.

وللشيخ رحمه الله كرامات كثيرة، أعظمها في نظري انتشار علمه، وكثرة الإقبال على مؤلفاته لا سيما هذه الأيام.

وإليك بعض الدرر المستخرجة من كلامه مع أن الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله قد سبقني إلى ذلك واستخرج أكثر مما أذكر:

بعض القضايا المنهجية التي ذكرها شيخ الإسلام بإيجاز:

١. لا يتعارض نص قطعي صحيح مع رأي عقل صريح، بل لا يتعارض قطعيان أبدا.
٢. لا تأتي الشريعة على خلاف القياس أبدا.
٣. ما أجمع عليه بنو آدم كلهم فهو حق، كحب العدل والصدق والأمانة والشورى وكراهية الظلم والكذب والخيانة والاستبداد بالرأي.
٤. الدنيا مظلمة إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة، وظهور الظُّلْمة أو اختفاؤها بحسب ما يبلغ نور النبوة.
٥. الصراط المستقيم واحد، وإنما تتنوع طرق الخير بحسب ما هو ميسر لكل مخلوق.
٦. الذنوب هي سبب الهلاك في كل عصر ومصر.
٧. الفلاسفة أبعد الناس عن الهدى، ومع ذلك لا يحرم الله من طلب الحق منهم.
٨. العدل واجب على كل أحد لكل أحد في كل حال.
٩. قبل الحكم على أي شيء يجب النظر من كل جوانبه.
١٠. العبودية هي عبودية القلب، والحرية هي حريته، والإنسان عبد لكل ما ملك قلبه.
١١. فرق بين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وبين مقام الدعوة ومقام إقامة الحجة.
١٢. العلم البشري كثير الصواب وإن كان فيه أخطاء.

١٣. إذا جاء الكفر معرفا بالألف واللام فهو المضاد للإيمان، أما إذا جاء منكّرا فهو كبيرة.
١٤. الفرق الثنتان والسبعون لا يخرج كل فرد منها من الملة.
١٥. الإنسان لا يترك شيئا إلا لشيء.
١٦. الموافقة في الظاهر تدل على الموافقة في الباطن.
١٧. الاسم تختلف دلالته بين الاقتران والإطلاق.
١٨. السماع المطلق لا يدل إلا على التأثير المطلق.
١٩. ليس كل من طلب الحق مصيبا وإن كان مأجورا.
٢٠. المعذور لا يقتدى به، ومن أخذ بالرخصة لا يُنكر على من أخذ بالعزيمة.
٢١. اجتماع الأمانة والقوة في الناس قليل، ولكن يُنظر إلى واقع المسلمين وما هم إليه أحوج منهما.
٢٢. أعظم العدل التوحيد وأعظم الظلم الشرك.
٢٣. إذا أراد الله إظهار الحق سخّر له ما يضاده.
٢٤. الفرعونية في كل نفس، والإنسان ظلوم جهول.
٢٥. الله تعالى بعث الرسل لتحصيل المنافع أو تكميلها، ولتعطيل المفاسد أو تقليلها.
٢٦. لا بد للحق من اجتماع الكتاب الهادي والحديد الناصر.
٢٧. الرسول ﷺ بيَّن أصول الدين وفروعه.
٢٨. الولايات كلها دينية، المقصود بها إقامة الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٢٩. ليس في القرآن تكرار محض لا في القصص ولا في غيره.
٣٠. أهل البدع بين العقوبة والحذر، ولا يجوز توليتهم.
٣١. قد يرتكب المؤمن مفسدة يراها أصغر في سبيل تحقيق مصلحة يراها أكبر، وقد يترك بعض الحق تحقيقا لمصلحة أكبر.

٣٢. لا تقوم الحجة الرسالية إلا بعد البلاغ.
٣٣. لا تكفير في العقليات مطلقا.
٣٤. لا تفريق بين الأصول والفروع أو بين العلميات والعمليات، وإنما في الشرع كبير وصغير.
٣٥. مجمع الكذب والبهتان: القرمطة في السمعيات والسفسطة في العقليات.
٣٦. الوعيد قد لا يتحقق ويمنعه عشرة أسباب.
٣٧. خاصية أهل السنة أنهم يقولون الحق ويرحمون الخلق.
٣٨. مريد الحق قد يخطئ في الأمور العلمية والاعتقادية كما يخطئ في الأمور العملية.
٣٩. الرسل قد يأتون بمحارات العقول، ولكنهم لا يأتون بمحالات العقول.
٤٠. التجربة وسيلة صحيحة للوصول إلى العلم.
٤١. الكلام في الطوائف والجماعات كالكلام في الأفراد، لا يكون إلا بعلم وعدل.
٤٢. أهل السنة والجماعة يردون المتشابه إلى المحكم.
٤٣. اللفظ المجمل يستفصل عن المراد به.
٤٤. الرجل الواحد يجتمع فيه الطاعة والمعصية والحسنة والسيئة، وما هو كفر وما هو إيمان.
٤٥. يغتفر من الرجل العظيم ما لا يغتفر من غيره، كما ألقى موسى الألواح ولطم ملك الموت.
٤٦. الحس قد يخطئ ولكن إلغاءه مطلقا خطأ.
٤٧. التحزب منه مذموم، وجائز.

هذه بعض القضايا التي تمس إليها الحاجة، وهي كما ترى قبس من نور الذكر الحكيم، ودليل على سعة أُفُق الشيخ وغزارة علمه وعمق استنباطه.

وقد جعل الله له أعداء في كل زمان إذ أن تلك سنته حتى مع الأنبياء.

- الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

وهو في الحقيقة لم يأت بجديد عما في الكتاب والسنة، وقد سبق الحديث عن دعوته تفصيلا، وإنما هو شعبة من شعب ابن تيمية، فلا غرابة أن يضع الله له القبول وأن يحبه طلاب الحق في كل مكان، وأن تكون كتبه آيات وأحاديث مع استنباطات له قليلة.

وقد ظهر للشيخ نظراء في الهند والمغرب ونيجيريا وتركيا واليمن، ربما كان أشهرهم السلطان محمد الشريف العلوي المغربي، صاحب المواقف الإسلامية المشهورة مع جورج واشنطن وغيره من رؤساء الغرب، وقد توفي قبل الشيخ محمد بسنة واحدة.

- الشيخ عبد العزيز بن باز:

هو شيخنا العلامة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

قبيلته على الأرجح يمانية، ولا يزال له حتى اليوم بعض الأقارب في تهامة ومكة زادها الله شرفا، وقيل إن قبيلته عدنانية، ولا يؤثر ذلك في شيء.

تلقى العلم على يد عدد من المشايخ أشهرهم الشيخ القدوة البحر العلامة محمد بن إبراهيم الحنبلي رحمه الله، وكذلك الشيخ سعد وقاص البخاري.

كان مستقل الرأي لا يقلّد أحدا، وقد تعرض للأذى في سبيل ذلك ومن أجل نصح الأمة وقول الحق، وقطعت الحكومة السعودية عنه راتبه، واعتقلته كما أخبرني رحمه الله، ثم توسط له الشيخ محمد بن إبراهيم فأخرجوه وأعادوا راتبه بعد مدة طويلة، ولما وقع حادث الحرم اعتقلوا سائقه وكاتبه فقال: ما بقي إلا أن تعتقلوني أنا؟

فقد بصره وهو في التاسعة عشرة من عمره، وكان ذلك خيرا له إذ حفظه الله من رؤية ما رأينا من المنكرات.

أفضى إليّ بكثير من أسراره الخاصة حتى أنني تدخلت في قضايا أسرية له، وأرسل لي نسخة من الخطة الخمسية للمملكة وأرفقها بخطاب منه لقراءتها وإبداء الملاحظات عليها، وأرسل إليّ بعض الناس لأقرأ عليهم، وجعلني ضمن الأمانة العامة للتوعية في الحج (اللجنة المركزية) كما جعلني عضوا في مجلس دار الحديث الذي كان سماحته يرأسه، وكنت أحضر له كل اجتماع للعلماء والدعاة في مكتبه.

حضر إلى منزلي وشرّفني بأن كان ضيفا عزيزا عليّ، وافتتح المركز الذي أنشأته باسم المركز الإسلامي للبحث العلمي والترجمة، وكان أهم أعمال المركز تحقيق وترجمة كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح الذي ردّ فيه شيخ الإسلام ابن تيمية على راهب صيدا (الأسقف بولس)، وكان نائبي في رئاسة المركز الشيخ عبد المحسن الخيّال رئيس محاكم جدة، وكتب الشيخ إلى أهل الخير بدعم المركز، وحضر حفل الافتتاح مع الشيخ كوكبة كريمة من أعضاء هيئة كبار العلماء، لكن الحكومة بعد أشهر داهمت المركز وأخذت مافيه من مصورات الأناجيل القديمة والكتب التي فيها حديث عن بعض من أسلم من النصارى كوزير التعليم الإيطالي السابق.

أشهر تلاميذه الشيخ: عبد الله بن قعود الذي أصبح عضوا معه في الهيئة الدائمة للإفتاء، والشيخ بن قعود زامل الشيخ بن باز في رحلة الطلب، وهو صديق لي، وكان رحمه الله يحدثني عن الكثير من الخفايا التي لا أعلم لاسيما عن استقالته من هيئة كبار العلماء، وأسبابها ونصائحه الخطية للملوك بتقوى الله.

كان من زملاء الشيخ بن باز في التلمذة على الشيخ محمد بن إبراهيم: الشيخ عبد الله بن جبرين رحمهما الله، وهو العالم المعروف الذي كان يزورنا في جدة ومكة وقبائل اليمن، وزار بعض قرى حواله، وعرف بعض المشايخ فيها.

توفي الشيخ رحمه الله وأنا في الحائر، وظهرت بعد وفاته منكرات أكبر،

وقال أحد مسؤولي الحكومة لما بلغه موته: (الحمد لله الذي خلّصنا من هذا العبد!).

شفع الشيخ في جماعة الدعوة والتبليغ، وأمر بإطلاق سراحهم، وأنا قابلت في الحائر بعض كبار الجماعة، وقرأت ما كتبه عنهم الشيخ، ولكن الدولة لم تقبل شفاعته وحظرت كل نشاط للجماعة وأي اجتماع لهم حتى في المساجد.

كتبت هيئة كبار العلماء بالإجماع أن لمحمد بن علوي المالكي بدعا وكفريات، ووعدت الحكومة بعقوبته إن لم يعلن رجوعه، ولم يحصل شيء قط، بل اعتقلوا بعض أقاربه الذين على السنة، ولما مات المالكي زار ولي العهد أهله وعزاهم فيه نيابة عن الملك.

وتجرأ أهل البدع على الشيخ بن باز حتى أنهم اعتدوا عليه في بيته وضربوا كاتبه محمد الشويعر! وقالوا إن الشيخ يكره الرسول ويتاجر في الأراضي!

في رأيي أن الشيخ أعلى من أن يكون موظفا حكوميا ومترلته عند المسلمين كافة وليس عند دولة بعينها، وكان الأولى به الاعتزال كما ثبت في الأحاديث ونصحه بذلك كثيرون جزاهم الله خيرا.

وكنت أرى أن يكون حرا لا يحكمه إلا الكتاب والسنة، وأن يناقش الرافضة والإباضية كما يشاء، ويصلح بين الصوماليين كما يشاء، وكل جاءه أو كتب له، أما الفتوى فالناس يستفتونه ويثقون في أقواله من غير وظيفة، لكنه بقي موظفا في الدولة وربما كان سبب ذلك إفراطه في التواضع وكرمه الزائد، وحسن ظنه بالمخالف.

وكان له -غفر الله له- أسلوب واحد هو الكتابة له وهو يوصل الكتابة للمسؤولين ويشير عليهم بما فيه مصلحتهم.

وعندي أن الشيخ لا يشير أو يشفع بل يأمر أمراً ويستدعي من شاء ويُلزمه بما شاء والشعب كله معه، ولهذا كنت أقول: (ما رأيت قوياً أضعف

منه رحمه الله).

منهجه الإصلاحي:

كان للشيخ رحمه الله منهجه الإصلاحي المتميز، وكان يكاتب الحكام ويطلب من الجميع تحكيم الكتاب والسنة، وممن كاتبهم جمال عبد الناصر، والحبيب بورقيبة، وحافظ الأسد، وزياد بري.

وكان لا يغمط أحدا فضله، أو يجحد مآثره سواء فردا أو جماعة، ويعرف للجماعات الإسلامية جهودها، ومع ذلك ينصحها باتباع الكتاب والسنة، ومن ذلك:

١. كان يلقي محاضرات في دار الحديث بالمدينة يثني فيها على الشيخ حسن البنا رحمه الله ويصفه بأنه مجدّد، ويدعو الإخوان المسلمين إلى التمسك بالكتاب والسنة.
٢. كان يحب جماعة أنصار السنة، وقد جعل وكيلها الشيخ عبد الرزاق عفيفي عضوا معه بهيئة كبار العلماء، ولم يعب عليها يوما من الأيام أنها كانت جماعة منظمة بل كان يدعوها للمزيد من التمسك بالكتاب والسنة.
٣. كان يثني على الجهود التي تبذلها جماعة الدعوة والتبليغ، ويذكر أن الشيخ محمد بن إبراهيم يثني عليها، ولما سجنت وزارة الداخلية الجماعة شفع لإخراجها من الحائر، وقال إن حقها هو التأييد، وليس السجن.
٤. خرج مع جماعة الدعوة المحتسبة (جماعة جهيمان) للبرّ ووجهها نفس التوجيه.
٥. كان يحب المجاهدين الأفغان جميعا ويدعو لهم بالنصر ويجمع لهم التبرعات وإن كان إلى الشيخ جميل الرحمن أكثر ميلا.

وكان رحمه الله لا يبلغه منكر إلا أنكره، ومن ذلك إنكاره مخالفة

الكتاب والسنة الذي عليه دعاة الإسماعيلية، وإنكاره على الروافض والإباضية، وإنكاره على الآثار الجاهلية، وإنكاره بدع الصوفية والغلو في النبي ﷺ، وإنكاره على أهل السفور ودعاة التبرج، وإنكاره على دخول الكفار جزير العرب، وإنكاره ظلم العمّال وأمثال ذلك، وقيل إن سبب سجنه هو أنه أنكر على الحكومة استقدام النصارى لاستخراج النفط.

ومن المشهور إنكاره على جمال عبد الناصر أن يقتل سيد قطب.

والخلاصة أنه كان رحمه الله يبذل جهده لإنكار كل منكر، ويدعو الدول والجماعات والأفراد إلى الكتاب والسنة، ويسلك منهج الإصلاح والبناء لا مسلك الاتهام والطعن والذم، وإخراج المخالف من السنة، وهذا هو المنهج الذي كان عليه السلف وذكره الحافظ ابن رجب في رسالته (الفرق بين النصيحة والتعيير) التي قال فيها: (فشتان بين من قصده النصيحة ومن قصده الفضيحة).

وقيل لبعض السلف: إن فلانا له عليك مآخذ ويتحدث بها ويريد أن يرسلها إليك، فقال: إن كان على سبيل النصيحة فنعم، أما على سبيل الفضيحة فلا.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: (المؤمن يستر وينصح، والفاجر يهتك ويعيّر).

وكان الشيخ عبد العزيز رحمه الله يعذر مخالفيه عملا بكلمة عمر بن الخطاب ﷺ (لا تظن بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءا وأنت تجد لها من الخير محملا).

وهنا أذكر بعض ما أخالف فيه الشيخ، وأرجو ممن كان لديه وجهة نظر أصح أو زيادة علم أن يرسله إليّ، لاسيما وأن بعضها مسائل اجتهادية يجوز فيها تعدد وجهات النظر، وكلٌ يؤخذ من قوله ويُرد إلا رسول الله ﷺ:

١- تفصيله في جوانب من التوحيد وإجماله في أخرى مع أن ما أجمل فيه أكثر نصوصاً، وكثرة كلامه عن أنواع الشرك القديم.

٢- قوله عن الأشاعرة: هم من أهل السنة فيما وافقوا فيه أهل السنة، وليسوا من أهل السنة فما خالفوا فيه أهل السنة، وهذا الكلام ينطبق على الخوارج، وعلى كل فرقة إلا من تمحض للكفر.

٣- قوله بإثبات صفة (الهرولة)، عملاً بظاهر حديث وإن أتاني يمشي أتيته هرولة، مع أن بعض الآيات لا يعمل بظاهرها؛ بل نص شيخ الإسلام على أنها ليست من آيات الصفات مثل قوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥]، والحديث له فهم آخر.

٤- قوله باشتراط الاستحلال لتكفير من حكم بغير ما أنزل الله، و لم يقل ذلك الشيخ محمد بن إبراهيم أو الشيخ محمد الأمين بل نص شيخ الإسلام على خلافه.

٥- قوله إن الواعظ لا بد أن يكون حاملا للرخصة من الحكومة وعمله بذلك.

٦- إفتاؤه بأنه يجب أخذ إذن من الدولة في صلاة الاستسقاء!

٧- تركه اعتزال الوظيفة.

٨- كان عليه أن يصلح بين المتنازعين الصوماليين وغيرهم بما أراه الله.

٩- وجوب الرد على رسالة الرافضة إليه، وعلى كتاب الخليلي دون استشارة، وأنا قلت: الخليلي ما يستاهل إنك ترد عليه بنفسك، ويرد عليه أحد طلاب قسم العقيدة وأنت تراجع ما يكتبه الطالب.

١٠- وجوب تغيير أسلوبه مع المخالفين من الترجي إلى الإلزام.

١١- إفتاؤه بالرجوع إلى المحكمة، مع أن السؤال جاء من دولة لا تحكم بالشرع أصلا، بل ربما عاقبت المظلوم واتهمته ومحكمتها مثلها.

١٢- قوله إن الأرض لو كانت تدور لانتقلت الكعبة أو انتقل جبل أبي قبيس من مكانه، مع أن الدوران لا يستلزم ذلك، وليس القول بالدوران فكرة غربية أو بدعية، بل إن ابن عباس قال في قوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٤٠]: "يدورون" كما في صحيح البخاري، وأظن أن المسألة لو أثيرت أيام شيخ الإسلام ابن تيمية لألف في ذلك كتابا أو رسالة، لاسيما وقد نصّ مرارا على كروية الأفلاك، وذكر كلام السلف والخلف وعلماء الهيئة واستدل بالنقل والعقل، وقد أحسن الشيخ ابن باز في إبطال كلام هرشل ولابلاس وأمثالهم عن ثبوت الشمس، ولكن نظريتهم قديمة أبطلها علماء الفلك الغربيون الذين جاءوا بعدهم، ووفق رحمه الله في الإفتاء بإمكان الصعود إلى الكواكب.

١٣- اهتمامه ببعض الفروع أكثر مما ينبغي مثل إعفاء اللحية، وترك التدخين، وتقصير الثياب، وأمثال ذلك مما هو حق في ذاته لكن غيره أولى منه.

على أن ذلك لا يقلّل أبدا من محبتي العظيمة للشيخ وتقديري لعلمه وفضله، بل إنني أدعو الله له في كل تشهد من صلاتي، وأقدّر له علمه ونصحه وكرمه واجتهاده وحسن خلقه ومناقبه العظيمة.

- الشيخ محمد العثيمين:

- هو الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، من بني تميم.
- أشهر شيوخه: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله.
- كان إمام الجامع الكبير في بلدته عنيزة.
- هو أشهر وأجل من أن يراجع إدارة المطبوعات في القصيم ليفسحوا كتبه.

- يتميز الشيخ باستقلاله الفكري واتباع الدليل.

- جاء إليّ مرارا، وكان لي شرف استضافته، وكان يعجبه بعض عادات أهل مكة لاسيما جمعهم بين التميس الذي جاءهم من بخارى، والفول الذي جاءهم من مصر، كما أنني زرته وذهبت إلى بيته في عنيزة، وكان له قريب في مكة يرأس مركز البحث العلمي في جامعة أم القرى.

- كان يطلعني على بعض أسراره، ومنها مثلا:

أنه لما قال فيه ظلم عند إنشاء (لجنة الحقوق الشرعية) منعوا ترقيته مطلقا، ورقّوا غيره مع أنه أقل من الشيخ علما، وأنا قلت له هذه نعمة فاحتفظ بثوبك هذا ومشلحك هذا لا تغيرهما.

قال لي: هل نحن صرنا مثل شيوخ الأزهر نبصم على ما تقوله الدولة؟ فقلت: هذا ما يقوله الناس وإلا فأنتم أجل من أن تكونوا بصّامين، ولا تبصموا مرة ثانية.

أخبرني بقصته مع فتوى الاستعانة بالأمريكان، وقال: أنا وقعت في الأخير مجاملة فقط.

قال إن بعض أعضاء الهيئة جواسيس على بقية العلماء، وألقى محاضرة عن ذلك بعنوان (ويل لكل أفاك أثيم).

- جعلوه بدرجة أستاذ مشارك، وهو في نظري يستحق أن يجعلوه في درجة أعلى، بل هو أعلى من كل درجة هو والشيخ عبد الله البسَّام رحمهما الله.

- كان متعففا عن أخذ المال من السلاطين، ولما علم أن أحدهم سيزوره كلّم أحد محبيه وطلب منه أن يوقف سيارته أمام بيت الشيخ، فلما زاره ذلك المسؤول وأهدى إليه مبلغا من المال، قال: أنا بحمد الله بخير، وعندي كل خير وأنت تبرع بهذا المال لجمعية تحفيظ القرآن في عنيزة.

- الشيخ حارث الضاري:

- هو حارث بن سليمان بن ضاري الشمري.

- هو حفيد الشيخ ضاري الذي قتل المندوب السامي البريطاني ليشمان.

- هو من قبيلة شمّر، وسكنه في أبي غريب.

- كان رحمه الله رئيس هيئة علماء العراق التي يرأسها اليوم ابنه المثنى.

- لما سمع أن السعودية استقبلت بعض كبار الرافضة العراقيين تشجع، وجاء للسعودية وظن أنه أولى بالاستقبال غير أنهم لم يسمعوا منه ولم يستقبلوه، وكان يعجب كيف احتفوا بإبراهيم الجعفري الذي خطّط لتفجيرات مكة، مع أنه هو سني ويعرف حرمة مكة وقدْر الكعبة، ولم يلزم أحدا برأيه، بل لمن لم يستقبله الحق في مخالفة رأيه.

- لما جاءني كان معه اثنان لا يفارقانه وفرحت بذلك ليسمعا الحق وليس لدينا شيء نخفيه، والكلام في السر هو الكلام نفسه في العلن، وأنا واثق أنه سوف تستيقظ فطرتهما ولو بعد حين.

- لما مرض بالسرطان وسافر للعلاج في تركيا، قابل من كان يختلف معهم من المشايخ العراقيين هناك، وسامح بعضهم بعضا.

- كان موقنا أن الرافضة لا يريدون للسعودية ولا للعراق أيّ خير، لا سيما وأن العبادي عيّن الإرهابي إبراهيم الجعفري وزيرا للخارجية، وقال إن موقف مقتدى الصدر خير من مواقف بعض أهل السنة، مع أن مقتدى محتال وسياسي.

- كلمة عن الأستاذ محمد قطب رحمه الله:

لم يكن الأستاذ محمد قطب من الإخوان أبدا، لا هو يقول ذلك، ولا جماعة الإخوان، وإنما كان مستقلا يتبع الدليل أينما كان.

وغاية ما يستدل به من قال إنه من الإخوان أن أخاه سيد قطب كان

منهم، والصحيح أن أخاه كان معهم في مرحلة من حياته، وبعد أن أنشأ التنظيم الخاص جعل الإخوان مادة له، لأن الصلاح فيهم كثير، وأرسل الشيخ هواش إلى الشيخ محمد بن إبراهيم للاستفادة من حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والعمل بما يفتي به الشيخ، إذ رأى سيد أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي أكثر الدعوات التزاما بالكتاب والسنة، وظلّ يطوّر دعوته ويغيّر فكره حتى قتلوه، وابتسم عند موته، وقال للموظف الذي يلقّن المقتولين كلمة الشهادة: (هذه الكلمة أنا عشت لها، أما أنت فتعيش عليها).

وكان الأستاذ محمد يقول: (سيد مرّ بمراحل عديدة وتغيّرت آراؤه، وبقي في كتبه أخطاء منها ما في تفسير سورة الصمد من الظلال وينبغي التعليق عليها).

وأقول: كل من تاب وعرف الحق مثل أبي الحسن الأشعري أو سيد قطب يستفاد منه لكن لا يقدّس، ولا تبرر أخطاؤه، وعموما لا يخرج رأي الأستاذ محمد فيه عن رأي الشيخ بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في السعودية ورئيس المجمع الفقهي، ورأي الشيخ بكر منشور في إمكان أي قارئ أن يرجع إليه.

وقد ذكر الأستاذ أحمد عبد المجيد -وهو ثقة- أن سيدا رحمه الله ذكر أنه لا بد من تصحيح العقيدة أولا وأنه طلب بعض الكتب في ذلك منها كتب ابن تيمية وابن القيم، وأن سيدا قرر كتاب الإيمان لابن تيمية منهجا للتنظيم، وليس عندي شك في أنه أراد الحق فله في ذلك أجر، فإن أصابه فله أجر آخر، ولما أراد سيد الكتابة عن مراحل الجهاد نقل عن ابن القيم، وكان زميلنا الأخ صالح العبود يقول: "ما وجدت من يعرف معنى (لا إله إلا الله) إلا الأستاذ محمد قطب".

وعلى أفكار سيد قسم من الإخوان اليوم، وقد يقاربون النصف في مجلس الشورى.

نسأل الله أن يهدي الجميع وكل المسلمين للحق.

رابعا
الفلسفة

الفلسفة في الأصل هي البحث في كنه الأشياء وحقائق الموجودات لكنها تشعبت حتى أصبح يدخل فيها أنواع أخرى، ومنها الفلسفات التي تنكر وجود الأشياء نفسها أو تؤمن بالمتناقضات، أو تعترف بالجهل عن معرفة أي شيء.

وهي عند بعض العقلاء لا يفصلها عن الجنون إلا خيط دقيق وهي عند بعضهم وهم. وعند بعضهم بحث عن شيء ضائع لا يدرون ما هو! وبعضهم يقول إن الطفل بدافع فلسفي يحطّم اللعبة لاكتشاف سرها.

وهي قديمة ومن أشهر الفلاسفة فلاسفة اليونان الذين منهم أرسطو وديوجنسي وزينون، والفيلسوف التائه ديوجنسي حمل المصباح في الظهيرة وخرج يصرخ (وجدتها! وجدتها!).

والفطرة السليمة تنكر الوهْم، كقصة العامي الذي سأل ابنه:

(يا بني، لماذا ابتعثوك؟

قال الابن: "لدراسة الفلسفة".

فقال الأب: وما هي الفلسفة؟

قال الابن: أستطيع بها أن أثبت لك أن هذه الدجاجة دجاجتان.

فقال الأب: طيب، أنا آكل هذه الدجاجة وأنت تأكل ما تثبت!

فقس هذه الدرجة التي وصل إليها ديوجنسي وديكارت وهذا المسكين باليقين الذي كان عند السلف لاسيما الصحابة رضي الله عنهم، لتعلم أن هؤلاء الشاكين الحيارى غاية ما وصلوا إليه هذه الدرجة الدنيا من الحق، وبحسب عقولهم القاصرة، بينما الوحي وراء ذلك كله.

وعلى هذا يمكنك قراءة ما كتبه عمالقة الفلاسفة من أرسطو إلى هيجل، وهي عمل عقلي، ولا يأمن أحد أن يضل عقله ويتبع هواه فضلا عن خطأ من جعل مصدره هو العقل وحده.

والفلسفة -إيمانياً- هي من تزيين الشيطان وزخرفة القول.

والفلاسفة مغرمون بالأساليب الخفية والبعيدة والملتوية.

وصدق الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل:٤].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢].

وقال: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١]، وإلا فمن أين لهم يقينا أن الله خلق السماوات والأرض حسب نظرية الانفجار الكبير؟ وكيف عرفوا ذلك كان قبل كذا مليار سنة؟ وكيف حكموا أن أصل كذا هو كذا؟

هل لهم بذلك كتاب من الله أو أثارة من علم؟ أم أن الأمر تقديرات وظنون.

والله تعالى أغنانا بالوحي عن الخوض الفلسفي المتناقض، ولكن لا حيلة لنا فيمن اتخذ إلهه هواه.

وكما مرض القدامى بداء الجدل المموّه "السفسطة" أصيب المتأخرون اليوم بلوثة "العشوائية" أو "الصدفة".

والحمد لله الذي جعلنا أمة فطرية سوية، لا نعتقد الظن، ولا نقول بالمصادفة، فلما جاء أحد العرب إلى النبي ﷺ قال له أسألك بالذي رفع السماء وبسط الأرض ونصب الجبال آلله أرسلك؟ قال: اللهم نعم، فآمن الرجل، هكذا بكل بساطة ووضوح لا نظريات ولا فلسفات ولا تعقيد.

ولما جاء جبير بن مطعم -أيام شركه- إلى المدينة سمع النبي ﷺ يقرأ ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] قال جبير: "فكاد قلبي يطير".

نعم بعض الناس لا يشفيه إلا المقدمات الطويلة والنظريات الصعبة كما ذكر شيخ الإسلام، ويحب أن يأتي من الشام إلى مكة عن طريق خراسان، ولكن أكثرهم يكتفي بالأدلة الفطرية السهلة.

ومثل ذلك الإشارة باليد اليمنى إلى الأذن اليسرى لمن قيل له أين أذنك؟

واليوم نجد من يحبون أن تحدثهم عن النيوتونات، والإلكترونيات، والكرانتينونات، ولا تحدثهم عما هو أسهل وأوضح كالسماوات والجبال والأرض والإبل.

ويريد أن نحدثه عن بطلان المصادفة ولا تقول له ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

ولا ما نع أن يداويهم العلماء بذلك الدواء، لكن أهل الفطرة السوية لا يحتاجون إليه، وهل يداوي عاقل الأصحاء بما يشفي به المرضى؟ حتى لو صح أنه شفاء؟

وأنا أرى أنه من الكمال لطالب العلم أن يتعلم الفلسفة ويعرف مدارسها واتجاهاتها ويجاهد بنقضها، وبذلك يزداد إيمانا ويحمد الله على الهدى واليقين.

وقد كانت الفلسفة الكلاسيكية تقول إن الحقائق والأحكام مختصة، ولكن جاءت الفلسفة العصرية لتدخل الفكر البشري في متاهة جديدة، ولترده إلى نوع عصري من السفسطة العنادية، حين تقول إن الحقائق نفسها مجهولة، وإنه لا يقين في الوجود وبذلك أثبتت بدون علم، كلام شيخ الإسلام في أن أعظم درجات الاستدلال هي الاستدلال بالله على خلقه، وقبل ابن تيمية كان أئمة السلوك وقبلهم كان ﷺ قد قال: (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل).

والفلسفة الكمية تجعلنا نؤمن بأن المتناقضات يمكن وقوعها معا، مثل أن تذهب الأشياء شرقا وغربا في الوقت نفسه وأن تكون المخلوقات موجودة وغير موجودة في الوقت نفسه، ويصبح ما قاله امرؤ القيس عن حصانه:

مكر مفر مقبل مدبر معاً   كجلمود صخر حطه السيل من علِ

ليس تعبيرا شاعريا بل حقيقة علمية!!

ومع كثرة القرائن على نسبية الأمور كما عبر عنها ألبرت آينشتاين، لا تعدُّ فيزياءُ الكمّ النسبيةَ قانونا علميا بل هي عندهم مجرد نظرية معدودة في الفيزياء الكلاسيكية!

وليست النسبية كلها خطأ بل منها ما هو في كتاب الله ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧] في سورة الحج ومثله في سورة السجدة، أما يوم القيامة فهو بالنسبة للكفار خمسين ألف سنة، لكنه بالنسبة للمؤمنين مثل غدوة أو روحة.

ومن الحقائق ما هو مطلق غير نسبي مثل كثير من أصول الأخلاق والدين.

لكن الاكتشافات في عالم الطبيعة لها آثار فلسفية وعلمية لم يكن الفيزيائيون يقصدونها أو يتخيلونها.

فبظهور النسبية انقلب العلم المعاصر من القطعية والجزم اللذين كانت عليهما الفلسفة القديمة، إلى الاحتمال والتقدير، ولما ظهرت قبل ذلك نظرية الجاذبية آمن الملاحدة بالكون الميكانيكي الذي يسيّر نفسه بنفسه كما يقولون، ولما أبطل ذلك آينشتاين وقال إن الكون نسبي، وإن الضوء ليس موجة كما كان يظن نيوتن عدّ الفيزيائيون ذلك رأيا شخصيا وليس قانونا من قوانين الطبيعة، ثم تطورت فيزياء الكمّ بعد آينشتاين، واكتشفوا الشفرة الوراثية في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين، وانصب أكثر البحوث على الخلايا الجذعية والخلايا الوراثية وعلى مكافحة الأمراض المستعصية من خلال المورِّثات (الجينات)، وأبطلت بحوث الحمض النووي (دي، إن، إي) الداروينية، وصدق الله ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

وهكذا نبذ العلماء مذهب الإطلاق في الطبيعيات وأنكروه، لكن لا يزال عليه بعض الجهال.

وكان من السهل أن يقول أحد هؤلاء إن الكون جاء صدفة، ولكن الرياضيات نفسها أثبتت أن ذلك مستحيل، واليوم خرست الألسنة أن تقول إن أي شيء جاء صدفة ولا يقول ذلك إلا من كان نصف عالم أو نصف فيلسوف وآمنوا بما قاله "باستور": "قليل من العلم يبعدك عن الله ولكن كثيراً منه يقربك إليه".

وقبله قال ابن القيم: "إنما أهلك الناس نصف فقيه ونصف طبيب".

ووضع المفكرون صفات للعالَم حسب مذهبهم الوضعي فطالب "آلدوس هكسلي" بعالم جديد شجاع، ووضع "برتراند رسل" شروطا للعالم النموذجي كما تخيله، بينما رضي أكثر الباحثين أن يظل حبيس مختبره واختصاصه ويدع الفلسفة وشأنها.

- أهم الاتجاهات الفلسفية الغربية:

نستعرض بإيجاز أهم مدارس الفلسفة الغربية واتجاهاتها:

- كانت الكنيسة الكاثوليكية قائمة على فلسفة أرسطو التي عرفتها عن طريق (ابن رشد) المسمى عندها (أفروش) ومن ثم وقعت فريسة لعلم الكلام وأفكار المعتزلة. لاسيما في تحكيم فلسفة الأوائل، وفي القدر، وفي الخوض الفلسفي الذي ليس وراءه طائل، وظهرت الفلسفة المدرسية اعتماداً على آراء أرسطو وابن رشد معتمدة على كون العلم والفلسفة شيئا واحدا ذلك الوقت.

وخاضت في الجدل البيزنطي العقيم حول قضايا نظرية بحتة، أو يمكن خضوعها التجربة، وآمنت بالمنطق اليوناني وأكثرت الجدل الفلسفي فيما يسمى الكليات وإثبات وجود واجب الوجود عقلاً، ومن أشهر الفلاسفة في ذلك الحين توما الأكويني وأرازمس.

- وبناء على ذلك نشأت المدرسة الفلسفة الإسمية التي تقول إن الكليات ما هي إلا أسماء، وكان من الإسميين (أنسلم).

- بعد ظهور ما سمي "الإصلاح الديني" ق ١٦ وفي عصر التنوير ١٧، ١٨ سرت روح الشك في كل شيء، وظهرت فلسفات كثيرة منها فلسفة التنوير المظلم، والتنوير في الحقيقة فلسفة مادية رفدتها أقوال هوبز ولوك ونيوتن، وقويت بظهور الداروينية.

وجاهر كثير من الفلاسفة بعقيدة وحدة الوجود أو التعطيل والإلحاد، وأهم الاتجاهات الفلسفية آنذاك نوعان:

أ- الفلسفة العقلية وأهم منظريها رينيه ديكارت وعمانوئيل كانت ومنها انبثقت الفلسفة المثالية ومن أشهر المثاليين هيجل وباركلي، وشوبنهور.

ب- الفلسفة المادية وهي تفسر الإنسان والكون تفسيرا ماديا مثل أي شيء، وأبرز منظريها آنذاك الفلاسفة الطبيعيون الذين سموا أنفسهم (الفيزيوقراطيون) ومنهم التجريبيون، والعقليون ومن أشهرهم آدم سميث، وريكاردو، وبنتام، وعلى أيديهم قامت الرأسمالية الحديثة، والنظريات الفرضية.

ومن المثالية الألمانية انبثقت فلسفة هيجل (الديالكتيكية) التي كانت فتحا جديداً في الغرب، حيث عارض هيجل بوضوح فلسفة أرسطو، لا سيما في كلامه عن المنطق والمقولات:

وأبرز ما في الهيجلية أن كل شيء يحمل نقيضه معه في داخله، ومن رجالها الآخرين "فيتشه" و"فيورباخ".

- على فلسفة هيجل وشهرتها في الغرب أنشأ ماركس وإنجلز الفلسفة الشيوعية بعد أن نقلاها من عالم الفكر إلى عالم الواقع وجمعا بين داروين وهيجل.

والفلسفة الغربية فرعان كبيران وتحت كل فرع مذاهب شتى، وكل فيلسوف له رأيه ويزعم أنه وحده الحق، ومن تأمل ما هم فيه من تيه وتخبط أيقن أن الله رحيم بالبشرية حين أنعم عليها بأعظم نعمة وهي عبده ورسوله محمد ﷺ الذي أنزل عليه النور المبين والذكر الحكيم، وأنه حقا ينبغي أن

نقول في كل ركعة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:١]، وفي كل جمعة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ [الكهف:١]، وأنه تعالى أنقذنا بالتوحيد من ظلمات الشرك، وجعلنا سلما له و لم يأذن أن يكون فينا شركاء متشاكسون كل يجذبه إليه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾ [النساء:١٧٤]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا (١٠) رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [النور: ١٠-١١]، وقال جل شأنه: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٢٢]، فالحمد لله أولا وآخرا وفي كل حين.

والفرعان الكبيران الذي تخبط فيهما أولئك المضلّون هما:

١- الفلسفة القارية وهي التي انتشرت داخل القارة الأوربية لا سيما في ألمانيا وفرنسا وأكبر مدارسها الهيجلية.

٢- الفلسفة التحليلية وكان مهدها بريطانيا وشعوب الشمال ثم انتقلت إلى أمريكا وقام عليها علم الدلالة وعلم المنطق ومن أكبر أصحابها "برتراند رسل"، و"جورج مور"، و"فتجنشتين".

- كانت الأحكام مطلقة قبل النسبية وتجلّى ذلك في فلسفات القرن التاسع عشر الجريجوري! وسادت الفلسفة القومية والوطنية، ومنهما نبعت النازية والفاشية، معتمدة على ما قرره اليهود من أنهم شعب الله المختار.

- في أمريكا سادت فلسفات عصر التنوير لا سيما فلسفة الشك، والفلسفة النفعية، واعتقد كثير من الفلاسفة الأمريكيين عقيدة وحدة الوجود.

- بعد النجاحات المتتابعة في علوم الفيزياء والكيمياء وما أشبهها جنح أكثر الغربيين إلى إمكان تفسير الكون تفسيرا فيزيائيا.

- انتشرت في أوربا وأمريكا الفلسفة البراجماتية وهي في الحقيقة فلسفة نفعية رأسمالية ابتدأت بأفكار "مكيافيلي" ثم طوّرها "وليم جيمس" و"جون ديوي" و"جورج سانتيانا"، وهي بالنظرة العميقة تعود إلى الفكر المادي الذي اشتهرت به نقيضتها الماركسية، والبراجماتية ترفض الفكر النظري المجرد. ومن هنا سميت الفلسفة العملية.

- بعد ظهور إخفاقات الماركسية، انتشرت الفلسفات الوجودية في الغرب، وأشهر فلاسفتها "كيرك جارد" للوجودية الصوفية و"جان بول سارتر" للوجودية الملحدة.

- في الغرب الآن غير الإلحاد تياران كبيران وداخل كل تيار فلسفات كثيرة:

١- التيار الأصولي اليميني: وهو يتعصب للقيم الكتابية خصوصا النصرانية وإن كان أصحابه في أنفسهم غير متمسكين بنصرانيتهم، وكثير منه مع تعصبه وصليبيته لا يذهب للكنيسة يوم الأحد، ولا يعرف من التوراة والإنجيل شيئا، وقد وجد هذا التيار بغيته في الحزب الجمهوري الأمريكي، وهم أكثر عداوة للإسلام والمسلمين، ومنهم "بات روبرتسون" و"ستيف بانون"، و"دونالد ترامب".

٢- التيار الليبرالي: وهو تيار يساري لكن في شكل آخر، ويؤمن بالوحدة الإنسانية وحرية الاعتقاد لكل البشرية ويقول إنه ليس شيوعيا ولكنه اشتراكي وزعماء هذا التيار يحكمون في أوروبا، وكثير من هؤلاء الليبراليين ينتمون للحزب الديمقراطي في أمريكا، وهناك ينضم له كثير من السود واليهود والأقليات.

وكلا التيارين يؤمن بالعودة إلى الماضي إما إلى الأسفار المقدّسة والتثليث والأساسيات الفكرية العامة وأمثال ذلك كما في الاتجاه الأول.

وإما إلى الفكر اليوناني والرشدية الجديدة والتاريخ القديم كما يؤمن الاتجاه الليبرالي.

ومن أشهر اليساريين حديثا "جورج لوكاش"، و"غرامشي"، ومدرسة فرانكفورت والحزب الاشتراكي الفرنسي، وحزب العمال البريطاني.

وهذان التياران يمثلان انتكاسة في الفكر الإنساني، ويريان العودة لما كان عليه الناس، لكن أفكارهم في ذلك تتشعب وآراؤهم تختلف، ووجهاتهم تتناقض، والكل يتخبط في الظلام.

ولما كسدت الأفكار التي يسمونها (مثالية أو عقلية) جنح كثير من الناس إلى الواقعية التي هي تطور للفكر المادي، واتجهوا اتجاها داخليا يقوم غالباً على اللغة والأسس التي وضعتها الفلسفة التحليلية، وانتشرت البحوث الدلالية، والفلسفات التأويلية وكذلك النحو التحويلي والتوليدي وفكرة البنيوية ولمع اسم "جاك دريدا"، و"كلود ليفي شتراوس"، و"جاكوبسن ورولان بارت".

وعلى هذا الفكر قامت الحداثة الأدبية واعتمدت على الفلسفة البنيوية وهي تسمي نفسها (العصرية).

ثم أنهم ارتدوا من البنيوية إلى نقيضتها التفكيكية ومن الحداثة (التحديث) إلى ما بعد الحداثة، ومن الإطلاق إلى النسبية وأفضى بهم الأمر إلى اللاأدرية المطلقة والشك في كل شيء لاسيما بعد انتشار فلسفة الكم، ولم يعد الفلاسفة يبحثون مسألة ما نوع هذا القلم؟ وكيف نستخدمه؟ بل أهذا فعلا قلم، أم هو عود، وأصبحت مقولة ديكارت "أنا أفكر إذا أنا موجود" موضع شك في ديكارت أموجود فعلاً أم غير موجود؟

وهل كان (ديوجنسي) يحمل مصباحا في الظهيرة، أم أنه لا وجود للمصباح ولا لديوجنسي أصلا؟

والوجود كله كما يزعمون غير منطقي، فلا قيم ولا عقل، ولا حكمة ولا يقين في شيء، بل المسألة كلها عبث في عبث، وفوضى في فوضى وقالوا إن الحضارة الغربية كتل من الشقاء واليأس والفوضى، والتيه، والضياع... إلخ، وأن الأخلاق كلها نسبية، والتشريعات وضعية، وأن النصرانية ما هي

إلا مرحلة من مراحل التطور الفكري للبشر، وأن الإنسان حائر مشتت لا يدري ما مصيره؟ وأن كل الحضارات مصيرها إلى الانهيار.

والخلاصة العامة عندهم: أن خالق هذا الوجود -إن آمنوا بأن له خالقاً- تركه هملاً بلا هدى ولا كتاب منير، مع ما في الوجود عندهم من تناقضات وإشكالات، وبذلك توحي نظرية فلسفة الكمّ الفيزيائية منذ أن وضعها "ماكس بلانك" و"هايز نبرج" في القرن الماضي، وعلى ذلك سار "البيركامو" في عبثيته، وأكثر الغربيين وإن لم يفلسفوا أفعالهم يؤمنون بأن الحياة عبث وأن الأبيقورية هي الحل على قاعدة:

ما مضى فات والمؤمّل غيب ولك الساعة التي أنت فيها

وعلى ذلك تنامت الوجودية وانتعشت، لكنها أفلست هي الأخرى كما هو معلوم فعمد بعضهم إلى وجودية أخرى مثل كولن ولسن، وهكذا يخرجون من نفق لكي يدخلوا في نفق آخر، وصدق الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] أي لا يُؤمر ولا يُنهى.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص:٢٧].

والمتأمل في التاريخ الفكري الغربي يجد أن كل نظرية غربية في مجال البحث والنظر يكون لها أصداؤها الفلسفية، فمثلا لما قرر إسحاق نيوتن نظرية الجاذبية كان لها صدى فلسفي هو (الإطلاق) و(التفسير الميكانيكي) للوجود، والإله "صانع الساعة" كما يزعمون، ولما قال (البرت آينشتاين، بنظريته عن النسبية) ترك الغرب الإطلاق وآمنوا بالنسبية في كل شيء حتى في الأخلاق والقيم، ولما أبطل "آينشتاين" نظرية المصادفة التي عشعشت في عقول كثير من الغربيين، آمنوا بالضياع وتفرقوا في التيه.

ولما اعتنق الغرب نظرية التطور العضوي، كانت لها آثارها الفلسفية كاعتقاد حيوانية الإنسان وماديته.

ولما قال بعض مفكريهم بأن الأرض تدور والشمس تسير، قال فلاسفتهم: إنه لا شيء ثابت في هذا الكون!

ولما ظهرت فلسفة الكمّ وقال "بلانك" إن ما خلف جداره لا يمكن للعلم إدراكه، فقد الناس الثقة في العلم وعادوا من جديد إلى الفلسفات البوذية مثلا.

وهكذا تختلف الفلسفات وتتعدد ومن أهم أسباب اختلافها اختلاف مصدر التلقي لدى كل فلسفة:

والفلسفة متاهة محيّرة، وهي مجمع التناقضات، فتجد الفلاسفة يختلفون حتى ضمن الفلسفة الواحدة كالهيجلية مثلا فقد بنى عليها ماركس نظريته، وظهرت لها تفسيرات متعددة منها مثلا الهيجلية الجديدة التي دعا إليها (كروتشه) المتوفى سنة ١٩٥١، وبعض الفلاسفة متشائمون وبعضهم متفائلون وبعضهم توفيقيون وبعضهم مثاليون وبعضهم ماديون وهكذا.

والتأثر بالفلسفة دخل عند الغربيين كلَّ الميادين حتى الميدان القانوني حيث تكثر فيه التأثيرات الفلسفية!! فهم ينشئون القانون حسب فلسفتهم للإنسان والحياة كما أن كثيراً من المصطلحات القانونية فيها دلالات فلسفية أو متأثرة بها.

فيسمون المعاملات مثلا (القانون المدني) ويسمون ما يسميه الفقهاء المسائل المالية (قضايا مدنية) ويسمون ما يسميه الفقهاء أحكام العِشرة والمواريث (الأحوال الشخصية) مع أنه لا مشاحة في الاصطلاح لذاته لكنه يلقي بظلاله الفلسفية.

وكثير من الغربيين جعل فلسفته في شكل رواية إذ رأى الرواية أقدر على التعبير وأوضح للعامة، على أن أكثر الروايات الغربية تصور المشكلة ولكن لا تضع لها حلاً.

وإليك عرضاً لأهم الفلسفات الغربية في عصرنا:

١- الفلسفة الشيوعية، وموضعها هو علم الاجتماع، فانظر هناك إن شئت.

٢- الفلسفة الوجودية: والوجودية نوعان:

أ- وجودية صوفية تستند لكتابات (كيرك جارد) الدنمركي.

ب- وجودية ملحدة أشهر زعمائها (جان بول سارتر) الفرنسي، وهو المؤيد لإسرائيل لا سيما في مجلته التي سماها (العصور الحديثة)، ومثله عشيقته "سيمون دي بوفوار"، وممن كان وجوديا من العرب عبد الرحمن بدوي الذي تاب منها وأنيس منصور الذي ارتد إليها.

وهذا الملحد "سارتر" عند احتضاره أمر بإحضار قس ليغفر له.

ولما رأى (كولن ولسن) أن وجودية سارتر أصبحت عتيقة حاول وضع وجودية جديدة كما قال.

وهذه الوجودية ترى أن وجود الإنسان سابق لماهيته وتنكر القدر السابق، وتزعم أن الإنسان هو الذي يصنع فكره، ولا تؤمن بالله ولا بالرسل والكتب واليوم الآخر.

٣- فلسفة الشك:

وهي فلسفة ابتدأت بالسفسطة اليونانية التي دعا إليها بروتا جوراس، ثم ظهر الشك الحديث الذي دعا إليه ديفيد هيوم، وقبل هيوم كان الغزالي قد شك فيما سماه (الأصناف الأربعة) وهي: الفلاسفة، الباطنيون، الصوفية، المتكلمون.

وقد عرف المتكلمون هذه الفلسفة وسموا ذلك تكافؤ الأدلة، ثم أصبح الشك هو المذهب العام في هذا العصر لا سيما عند الشعراء والفنانين والمفكرين والأدباء والفلاسفة وقال كثير من الفلاسفة إنهم (لا أدريون)، ولما ظهر داروين زاد الطين بلّة، وبسقوط العلم إلى حضيض الاحتمالات والتقديرات، غلب الشك اليقين، وفي إمكانك اليوم أن تسأل أي غربي هل

للآخرة وجود فيجيبك (ربما)، وانتقل الفكر الإنساني من القطعيات إلى الشكوك.

فقد آمن الدايزم وفلاسفة عصر التنوير بأن الكون ساعة ميكانيكية تحكمها الجاذبية، ولكن فيزياء الكم والنظرية النسبية والنظريات الحديثة قوَّضت ذلك، وتحدثت عن كونٍ مبهم لا يدري الناظر فيه ما حقيقته بالفعل، وبعد أن كان نيوتن من خلال مبشوره يقول إن الضوء موجة وإن ألوان الطيف سبعة وليست لونا واحدا كما نرى، جاء "رذر فورد" الإنجليزي و"بور" الدانماركي و"آينشتاين" الأمريكي و"فيرلز" الألماني ليقولوا غير ذلك أو على الأقل ينشرون الشك والريبة فيه.

وانتقل الغرب من النسبية التي قالها آينشتاين إلى ميكانيكا الكم.

وهكذا أصبح الرَّيب الغربي بابا للإيمان بالغيب وأن وراء هذا العالم حكيما مدبرا خبيرا، بل خلَقه لحكمة أو كما يقولون حسب تصميم ذكي وليس الأمر عبثا أو مصادفة كما كانوا يزعمون، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وقال آينشتاين "إن أشد ما في الكون استعصاء على الفهم أنه كون مفهوم"، وكتب "جيمس جيتر" عما سماه (الكون الغامض)، ثم إن فوكوياما رجع عن مقولة (نهاية التاريخ)، وأبطل كثير من الباحثين نظرية هاننغتون عن صراع الحضارات.

وانتهى أمرهم إلى الشك في كل نظرية وفلسفة.

وقد توفي آينشتاين سنة ١٩٥٥، وأعقبه تطورات كثيرة في الفيزياء، لا سيما فيزياء الكم.

٤ – فلسفة الحرية:

حار الفلاسفة قديما وحديثا في وضع تعريف مطرد لبعض المفهومات، كالحرية والجمال والفن، والغرب لا يسمح بمخالفة ثوابته، ومع ذلك يدعي الحرية الفكرية.

والمسلمون تكلموا عن نقيضها (وهو العبودية)، أما الغرب فقد اتهم من يخالف الساسة، كما تهمة أمريكا المفكر اللغوي الكبير "نعوم شومسكي" وفي نظرة فرنسا للمفكر الآخر "روجيه جارودي"، فضاقت الحرية الأمريكية عن آراء تشومسكي الذي جاهر بمخالفة السياسة الأمريكية.

وفي فرنسا حكموا على جارودي بالسجن لأنه قال إن اليهود بالغوا في المحرقة "الهولوكوست" كي يبرروا بها عنصريتهم ضد الفلسطينيين، مع أنه قدم أدلة تاريخية على قوله وقاله فكراً مجرداً لا عنف فيه على أحد، ومع أنه لا يحاكم أحدٌ نفى وجود الله أو وجود المسيح، وكتب مخالفاً لرئيس الدولة.

وإذا كان الغرب يعادي مفكريه، فكيف لا يعادي من يخالف دينه وتاريخه وقوميته ووطنه كالأتراك مثلا؟

فالحرية عند الغرب هي حرية أن تقول ما نريد لك أن تقوله.

ومن ذلك التعددية التي تعني حرية التدين والردة أي أنها كما يقول شيخ الإسلام "التأله المطلق" وبيّن أن ذلك دين الصابئة والتتار، واليوم أصبح الليبراليون يقولون: (الآخر) ولا يقولون (الكافر) ويقولون (مواطن وأجنبي) ولا يقولون (مسلم وكافر) ومن يؤمن بوجود الله يسمونه مؤمنا!!

ولهم مفهومهم عن الحرية ومنه انبثقت الفلسفة الليبرالية كما تسمى، ويخطئ كثير من المعاصرين حين يظنون أن المعتزلة هم دعاة الحرية الفكرية في الإسلام، فقد كان المعتزلة يرغمون الناس على القول بخلق القرآن، ومن لم يستجب فصلوه من العمل أو عذبوه، الأمر الذي دعا بعض الطوائف إلى ما يسمونه التوسط، والتوسط بين الحق والباطل يفضي إلى هضم الحق وقول ما لا يؤمن به عاقل، كما أراد الأشعرية والكلابية التوسط بين كلام الإمام أحمد وبين المعتزلة فقالوا إن الكلام غير المخلوق هو الكلام النفسي، أما ما في المصاحف فهو عبارة عن كلام الله، وهذا عكس قوله تعالى مثلا: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة: ٦]، فهل يسمع المشرك كلام الله النفسي؟

- كيف يفهم أعداء الدعوة الحرية:

من الفلسفات التي يدعيها الليبراليون في بلادنا فلسفة الحرية ويقولون إن الدين ضد الحرية وهم يحتكرون الحرية لأنفسهم فقط.

وقد قابلني مرة تركي الدخيل يوم كان يقدم برنامج إضاءات في "العبرية" -ولم يكونوا ذلك الحين قد جعلوه مديرا للقناة- لكي يجري معي مقابلة فقلت له: لا بأس بشرط واحد وهو حريتي في الخروج من الأستوديو إذا خرجتم بالسؤال عن حدود العلم من جنس سؤالكم لفلان من أين تأكل؟ فذهب ولم يعد!

وأخبرني أحد الناس أنهم كتبوا له ورقة وقالوا لا تخرج عما فيها، وشكى إلي أحد الشيوخ هاتفياً أنهم يريدون إجراء مقابلة معه وهو لا يريد، فقلت له: أعطني أحد مندوبي القناة، وقلت للمندوب: كيف تصرون على إجراء مقابلة مع من يقول لكم: لا أريد؟!

ومرة ألزموا أحد المحامين بورقة كتبوها له وقالوا له: لا تخرج عنها!

أليس هذا هو الإرهاب الفكري ومصادرة الحرية الشخصية؟

والعجيب أن هؤلاء يكذبون ويقولون نحن مأمورون بهذا من الحكومة كما قالوه لي. فلماذا لم يبرزوا صورة من الأمر أو يذيعوها على الملأ؟

ولو فرضنا صدق قولهم فهل تريد الحكومة إلغاء حرية الناس في التكلم بما يشاءون أو رفْض إجراء المقابلة؟

٥- الفلسفة الليبرالية:

المعنى الأصلي لليبرالية هو الانعتاق، وقد قامت في أوربا مضادة للفلسفات الدينية، ولا تزال الفلسفة الليبرالية تحارب الاتجاه الأصولي، وعليها يقوم الحزب الديمقراطي في أمريكا في حين أن الحزب الجمهوري يقوم على الأصولية، وقد كان لاحتلال الأصوليين للعراق أثره في أتباعهم عندنا، فكتب عبد الرحمن الراشد مقالا بعنوان "الحرية للعراق" وحاول عبدالله أبو

السمح أن يكون مثل أحمد الجلبي، وصدق الله في قوله عن المنافقين: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤] لكن تقوّى الاتجاه المضاد حتى أنهم اختاروا أوباما لولايتين متتاليتين، وبين الليبرالية والديمقراطية فروق لا يعرفها كل أحد، فالديمقراطية تقوم على رأي الأكثرية بينما تقوم الفلسفة الليبرالية على الحرية الفردية ولو خالفَت الأكثرية.

والليبراليون السعوديون أتباع من غلب من الحزبين الأمريكيين فهم في الحقيقة ليسوا أصحاب مبدأ ثابت، وإنا يميلون حيث مالت الريح، ويبررون كل ما تفعله الحكومة طمعا في المناصب، إذ لا يتولى المناصب غيرهم. وهم ينحصر جهدهم في محاربة الإسلاميين، وقد سئل الدكتور فؤاد زكريا عن مشروع الليبراليين فقال: (ليس لهم مشروع فكري، مشروعهم هدم مشروع الإسلاميين)! وصدق، فهمهم الأكبر هو محاربة ما يسمونه "الصحوة"!

بالإضافة إلى أنهم غير مهتمين بالقضايا الإسلامية بل ولا بأي قضية وطنية، فضلا عن قضية فلسطين، وهذا أخف ما يقال وإلا فإن موالاة بعضهم للصهيونية معروفة.

فانظر هل ترى ليبراليا واحدا فكّر في الذهاب إلى أفغانستان، أو حارب في اليمن؟

وهل يقال لأي مجاهد: قاتِل من أجل الحرية الشخصية والتخلّص من عنف الهيئة، وفكر الصحويين والمؤسسة الدينية؟

وهل تجد أحدا منهم في سجن الحائر أو ذهبان؟

ولماذا تجدهم على موائد الكبراء وقصورهم، ويبتهجون للاختلاط؟

وكل ما يطلبونه في السعودية تجده في تركيا مثل قيادة المرأة للسيارة وتبرجها وشرب الخمر، والعلمنة وهدم الهيئة وحرية الكفر، فلماذا إذن يهاجمون أردوغان؟

والليبراليون يكثرون التنقل، فتجد أحدهم هنا كثير الثناء والدفاع عن سياسة الدولة فإذا خرج من البلاد انقلب ناقداً معارضاً وهكذا.

ومع قلة الليبرالية في بلاد الحرمين وأن أكثرهم (دشير) كما قال الأستاذ محمد سعيد طيب، عمدوا إلى إفساد الناس والتهكم بالمحجبات وأُنهن غرابيب سود، فممن يسخرون؟ ومن الذي يسير عكس المجتمع ومع ذلك يدعي الوطنية؟

وهل الغرابيب السود نزلن من المريخ أم أُنهن نساؤنا وأخواتنا وبناتنا؟

ومن الذي يولي الدشير القنوات والصحف للإفساد؟

ولماذا قال بعض أعضاء مجلس الشورى السعودي عنهم إنهم صهاينة؟

ويزعم الليبراليون في بلاد الحرمين أن الإنسان حرّ في أن يتدين بما يشاء ويعتقد ما يشاء دون وصاية أحد، وأنه في وسعه أن يكون رافضيا حتى من النخاولة أو إسماعيليا، بينما دعاة الحق يريدون الحرية الحقيقية ولا يؤمنون بوصاية سلطة كهنوتية، أيا كان اسمها، بل للمؤمن حق إبداء الرأي في حدود الشرع والاستدلال عليه بالوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والمسلم يجتنب الشرك في كل صوره وكل عمل المسلم لله وبالله، وصلاته ونسكه ومحياه ومماته لله رب العالمين لا شريك له، والدين كلّه لله.

وليس ديننا كدين الغرب ولا تاريخنا كتاريخهم ولا بلادنا كبلادهم ولا نؤمن بليبراليتهم.

والحديث عن الليبرالية يقودني للحوار إجمالا، وكما أمرنا الله مع أحد المحسوبين على الليبرالية في السعودية لكن تربطني به صلة الدّم (إذ كلّنا من الأزد) والله تعالى قال لنبيه ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] وكذا التقسيم الإداري فكلانا من منطقة واحدة و لم أقطع أملي فيه حتى الآن، وهذه النصيحة وإن كانت موجهة له عيناً فهي عامة لكل الليبراليين هداهم الله، وهو كان له ماض طيب أرجو أن يتذكره ويعود إليه كما أني أعرفه وقابلته شخصيا وفيه شجاعة لا تصلح إلا للدعاة (وأعني به الأستاذ قينان الغامدي).

فأقول: نحن مختلفون طبعا ولكني ولله الحمد لم أتهم أحداً بما ليس فيه مهما اختلفنا معه.

والاختلافات بين المسلمين إنما يكون حلّها بالحوار القائم على البرهان وليس بالمهاترات والتخرصات، ويبدأ الإنسان بأن يضع نفسه موضع الخطأ أو على الأقل بمساواته بمن يخالفه.

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٢٤]، وقال: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٥].

وأرجو منه أن يدع الاتهامات جانبا ويقول لي ما الذي ينبغي أن أغيّر فيه رأيي.

ويكتب إلي على الفاكس (٠١٢٥٥٣٣٣٧) وينبهني إلى أي خطأ وله مني خالص الشكر، أما الاتهام بالظنون فليس تحت اللسان شوكة كما تقول العامة، بل الجهلة أقدر على الاتهام من أهل العلم، وحين يقول الأخ قينان: إني أتبع فلانا فإنما ينبّه الناس إلى قراءة فكر هذا الرجل المتبوع، أو يقوم بالدعاية لمؤلفاته ومحاضراته، فتكون النتيجة عكس ما يريد وتريده القناة، والمشاهدون لهم عقول يميزون بها بين الحق والباطل، وقد قال بعض الشعراء:

وأنت امرؤ إما ائتمنتك خاليا فخنت وإما قلت قولا بلا علم

فأنت من الأمر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والإثم

وبالطبع أنا لم ائتمنك ولم أخل بك، ويمكن كل أحد منا أن يتوب ويستغفر الله مما قال، كما تاب أبو سفيان بن الحارث وعبدالله بن الزبعري القائل للرسول ﷺ:

يا رسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجاري الشيطان في سنن الغي ومن سار سيره مثبور

وينبغي لنا أن نبادر إلى التوبة قبل حلول الأجل، فماذا نقول إذا سألنا الله في قبورنا أو بين يديه عما قلنا، وقد قال لنا: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ

عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وإذا نظر أحدنا أمامه لم ير إلا النار وكذا وإذا نظر عن يمينه أو عن شماله. وهل كل ما يقال حق؟ وما سندك في هذا؟

وأنت يا أخي من أعلم الناس كثرة الاتهامات والافتراءات منذ أن كنت مراسلا لعكاظ، وتعلم أن الناس يقولون إن فلانا مات وهو حي، ويقولون إن فلانا هو الذي فعل كذا وكذا مع أنه مات قبل ذلك، وهذا كثير وأذكر لك منه مثالا واحدا كتبه الشيخ صالح الحصيّن رحمه الله.

وهو أنهم اتهموه بأنه وراء الإرهاب في أمريكا ورأى في المطار صور المطلوبين في أحداث ١١ سبتمبر مع أن الشيخ كان بريئا من تلك التهم، وبعض المطلوبين قد مات منذ سنوات والمخابرات الأمريكية (سي آي إي) وكذا المباحث الأمريكية "إف بي آي" هي التي نشرت هذه الصور واعتمد عليهما البنتاجون والكونجرس والرئاسة الأمريكية، لكن الصور ظلت معلقة حتى بعد أن علمنا أن صاحبها مات.

كما تعلم أنه ليس من العدل أن تتاح الفرصة لأحد الطرفين فيقول ما شاء في فضائية أو صحيفة دون إتاحتها للطرف الآخر ومما يشكر لغازي القصيبي أنه لما طلبوا منه أن يتكلم في فلان قال: ليس من العدل أن أردّ على إنسان مسجون ولم يرد بشيء، ولما أنجانا الله من الظالمين تراجع من كثير ممن بادر إلى الاتهام به أو صدّق ما يقوله المفترون وما يصرح به الإعلام الرسمي من أننا نتلقى الأموال من جهات أجنبية!

وأنا يا أخ قينان أخالفك الرأي ولكني مستعد أن أموت لكي تقول رأيك ولا أشترط عليك إلا أن يكون هذا الرأي موافقا للكتاب والسنة؟ وما دام الله قد أعطاك هذه الشجاعة النادرة فلم لا تصرفها في نصرة الحق وتفضح اليهود والروافض ومن يتخوضون في مال الله بغير حق؟ وأمثال ذلك مما لديك عنه حقائق ووثائق.

وأنت حين قلت "الداعشية في كل بيت ولكن صاحب القرار غافل" قد اتهمت الشعب كله بالغلو والإرهاب، فهل تقصد ذلك؟ وهل هناك شذوذ

أكثر من أن يكون القائل في واد والشعب في واد آخر.

كما اتهمت صاحب القرار بالغفلة إذ هو لا يرضى بذلك، وأنا جالسته فوجدته من أدهى الناس.

وأنت يا أخي الكريم لا تختلف معي فقط، بل تخالف أقرب الناس إليك ومع ذلك أنا مستعد أن أرافقك في (الطويلة) نفسها ونرى من الشاذ منا!

وهذه البلاد هي بلاد الإسلام ومن أراد غير الإسلام فعليه أن يرحل عن بلاد الحرمين إلى أي بلد ليبرالي شاء.

صحيح أن في المتدينين (دراويش كما قلت)، ولكن بعض الليبراليين أيضا (دشير) كما صرح الأستاذ محمد سعيد طيب، أما الليبراليون الحقيقيون عنده فلا يتعدون أصابع اليد وأرجو ألاّ تكون معهم، ومن غير المعقول ديمقراطياً أن تخضع الأمة كلها لمطالب هذه القلة المجهرية، وأن يكون صاحب القرار تبعاً لها، وهكذا يتضح لكل ذي عينين من الشاذ حقا؟ ومن الإقصائي الحقيقي؟ ومن الذي يريد أن يفرض رأيه على الأمة؟

وقد نشر الأستاذ خالد الغنامي الذي كان مع الشلّة قوله: إن في الليبرالية مجموعة سرية، وذكرت الأخت نورة الصالح بعض أفعالهم وأعيذك بالله أن تكون من الليبراليين أو من الدشير.

ولأني لست ليبراليا -ولن أكون بإذن الله- سجنوني خمس سنوات ولله الحمد، أما الذي قال ينبغي أن نصحح عقيدة محمد بن عبد الله وقال: "الله والشيطان وجهان لعملة واحدة"، وقال "يجب أن نتخلى عن ابن تيمية"، فلم يعتقلوه إلا فترة محدودة إن ثبت اعتقاله، مع أنهم اعتقلوه من قبل لمدة سنتين بتهمة أنه بعثي، وما قاله أخيرا أشنع من البعثية.

وأنا ولله الحمد لم يعطني الملك عبد الله قلمه ويقول لي أكتب ما شئت، فقد أعطاني من هو خير منه وهو الله تعالى حين أمرني بأن أكتب الحق ولا أبالي بأي مخلوق.

وقد كنت أظن أن ابن عربي الذي يدين بدين الحب ماتت بموته هذه الضلالة حتى كتب ذلك هذا القائل وقال بوضوح: (إنه يجب نبذ العداوة لأي دين كاليهودية والنصرانية)، وهو بهذا القول يكذِّب كتاب الله ويكذِّب التاريخ الذي يفضح بني قينقاع وقريظة والنضير، بل يكذّب البابا الذي اعتذر عن الحروب الصليبية وقال إنها كانت خطأ.

ولست أحارب الوهم أو أتحدث عن خيالات كما فعلت، بل إن (الكراديب) وأخواتها منشورة ويمكن لكل أحد أن يطّلع عليها كما أن مواقع الليبراليين على الشبكة العنكبوتية موجودة، وفي إمكان أي قارئ أن يحكم أينا الشاذ عن مجتمعه، وأينا الذي لا يستطيع إلا أن يحتمي بالسلطة!

وأنا لا أريد أن يحبني أهل الكتاب وأولياؤهم.

وكيف يحبُّ أهل الكتاب من يقول في كل ركعة غير المغضوب عليهم ولا الضالين؟

كما أني لا أوافق من قال إنه مسلم ليبرالي! فحسبنا الإسلام وأنت عندي مسلم، وسوف انتظر موقفك من كلام هذا القائل، وأقول لك إن الليبراليين قد هرموا جميعا وأصغرهم قد تجاوز الستين فماذا ينتظرون؟

وأنصحك أن تتقي الله وألا يكون حالك كحال المفترين من قبل الذين قالوا إني خارجي وقالوا إني قطبي وقالوا إني ممن سمّوهم (الإخوان المفلسين)، وقالوا إني لست على عقيدة أهل السنة والجماعة، وقال بعضهم إني ليبرالي، وقال بعضهم إني إرهابي، وقال آخرون: إني متطرف، وقالوا إني أعمل مع سعد الفقيه أو غانم الدوسري أو عمر الزهراني، ثم إنهم أخيرا بان كذبهم جميعا وتراجع منهم كثير وأشغل الله بعضهم ببعض.

وأنا أتحدى أي ليبرالي كان أن يأتيني بأي فيلسوف أو مفكر غربي شاء ولا أبين أخطاءه وانحراف آرائه.

وإجمالا يعلم الناس كلهم المؤمن والكافر أن الليبرالية والعلمانية وكل أنواع الاشتراكيات والمذاهب الفكرية إنما ظهر أقدمها قبل قرون معدودة،

أي بعد القرون الثلاثة المفضّلة بكثير، فأي عاقل في الدنيا يدع ما كانت عليه تلك القرون ويتبع أهواء الذين لا يعلمون؟ وهل كانت النخالة إلا فيمن بعدهم؟ وهل عرف المسلمون زبالات الأفكار وخنازير الفلسفات إلا من الغرب؟

والغرب هو الذي بحاجة إلينا لاستنقاذه، ولو أننا أطعنا الفئة الليبرالية في بلاد الإسلام لكنا نحن أتباعا له، وأنا ولله الحمد قرأت كثيرا من كفر الباطنية والملاحدة فلم أجد أحدا منهم تجرأ على ما تجرأ عليه الليبراليون في بلاد الحرمين، حتى من اشتهر منهم بالإلحاد مثل نيتشه ودوكتز وجوليان هكسلي لم يقولوا (نصحح عقيدة محمد بن عبدالله).

وفي إمكان الليبراليين هنا أن يذهبوا إلى أمريكا وأوروبا، ويجربوا أن يتكلموا ضد اليهود أو يشككوا في المحرقة ليعرفوا الحرية الفكرية التي يتشدق بها القوم، فالحرية في الإسلام لها ضوابطها والمسلم ليس حرا أن يكفر ويدنّس المقدسات بل هو عبد للّه الذي خلق الذرات والمجرات والسبع السماوات وإنما هو حر في إبداء أي رأي مدعوم بالدليل.

وأقول لك ناصحًا:

أنت ما تستاهل تقعد مع الشلّة الداشرة وأنت أكرم منهم، وأنت تعلم أنهم مهما تمسحوا بالوطنية ليسوا وطنيين، وهل يكون الوطن عند أحدٍ أغلى من دينه والكعبة، وتعلم أن بعضهم لم يولد أصلا في هذا الوطن، وتعلم أين يقيم فلان، وبنت من خطبها فلان، دع ما بينهم من اختلاف.

وأنت على آخر عمرك جدير بك أن تتوب إلى الله وتستغل مواهبك في طاعة الله، والله غفور رحيم يقبل توبة العبد ما لم يغرغر.

وإذا تبت فاصبر، صحيح أن دعاة الحق مبتلون، ولكن أنت مبتلى الآن، وهم يسكتونك كما فعلوا في منى، فخير لك أن تقول الحق ثم يسكتونك، وستجد من يستمع إليك ويدعو لك بعد موتك من أهل الدين، وحينئذ لا تحتاج لوساطة أي مخلوق ولا الكتابة باسم مستعار، واعلم أن دعوة المتقي

لك في ظلام الليل، خير لك من أن يكتب عنك منافق في صحيفة الكترونية أو ورقية ثم ينساك.

ولا أشك لحظة أنك تريد العز والحرية، فالعز كل العز والحرية كل الحرية في طاعة الله.

وهنا أقف ولن أطيل عليك، فلي فيما هو أهم منك ما يشغلني عنك.

– هجرة الفلسفة:

يدعي الغربيون أن فلاسفة اليونان هم أعظم الفلاسفة في التاريخ وأقدمهم، والواقع أن أولئك الفلاسفة إنما استمدوا أفكارهم من زنادقة أهل الكتاب بعد سليمان عليه السلام بقرون، ورحلوا إلى أرض الأنبياء (الشام) لكي يأخذوها ما عدا أرسطو فإنه لم يرحل وإنما أخذ نقلا عن غيره، هذا ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية. والتاريخ العام اليوم يذكر أن سليمان عليه السلام حكم في القرن العاشر قبل الميلاد، أما أرسطو فإنما عاش في القرن الرابع فقط.

كما أن للفلسفة اليونانية مصدراً آخر هو الفلسفة المصرية الفرعونية.

ولا خلاف في أن آخر الفراعنة هو فرعون الخروج الذي أغرقه الله، ونصر موسى عليه السلام، وكان ذلك قبل سليمان عليه السلام قطعا، ويقال إن فرعون هذا هو رمسيس الثاني والله أعلم.

ففلاسفة الغرب الكبار إنما نقلوا فلسفات غيرهم، وأكبر الفلاسفة الغربيين قديما وحديثا ثلاثة: (أرسطو، وتوما الأكويني، وهيجل).

فأما "أرسطو" فالغربيون اليوم يعادونه ويعُدّون التخلص من منطقه الصوري أعظم منجزاتهم، ولم ينصفه أحد أعظم من إنصاف شيخ الإسلام ابن تيمية الذي ذكر أن أقوال "أرسطو" في الرياضيات وفي الطبيعيات تؤخذ مع ترك آرائه في الإلهيات، وقد أصبحت أقوال أرسطو تاريخاً إلّا ما قل،

ولكن بعض آرائه تسربت إلى الفرق الإسلامية كالمعتزلة والأشعرية والماتريدية، ولا زال أولئك يدّرسون منطقه ويدرسونه!

وأما "توما الأكويني" فهو مجرد مقلِّد للمنتسبين إلى الإسلام من الفلاسفة، وقد دافع "توما الأكويني" عن التثليث وقال إنه "فوق مستوى العقل"، وألف في الرد على الكفار! ويعني بهم في نظره الملاحدة والمسلمين واشترك في الحروب الصليبية ودافع عن عقائد النصارى اللاهوتية، كما في كتابه "الخلاصة اللاهوتية".

وأما "هيجل" فأعظم مآثره عندهم نقد منطق "أرسطو"، في مطلع القرن التاسع عشر مع أن شيخ الإسلام ابن تيمية نقد ذلك المنطق أكثر منه سواء في باب "التصورات" أو باب "التصديقات"، وخطّأ ما قاله المنطقيون- "أرسطو" ومن بعده- جملةّ جملة، وذلك قبل "هيجل" بقرون، ثم تأثر بـــ"هيجل" "فيتشه"، ثم جاء الصديقان "كارل ماركس" و"فردريك انجلز"، وعلى أفكار هذين قامت الشيوعية التي لا تزال إلى اليوم تسيطر على بعض الدول كالصين وكوريا الشمالية وكوبا، وعلى الأحزاب الشيوعية في العالم لا سيما الحزب الشيوعي الفرنسي.

ثم تبعهم المقلدون لهم في العالم الإسلامي فوضعوا قوانين العمل خوفا من الماركسية، أو ما يسمى عندنا "نظام العمل والعمال"، وكلها بعيدة عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهذا المسمى نظاماً وضعوه بعد ما بين الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله ما في نظام العمل والعمال من الضلال، وأصدروه عقب وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله الذي كان يفتي بضرورة إحالة كل شيء للشرع وحده، لكن المفسدين منعوا المحاكم الشرعية من النظر في القضايا العمّالية، وجعلوا ذلك من اختصاص ما يسمى اللجان العمالية وحدها.

والفلسفة عموماً هي مبالغة في تحكيم العقل وكونه الوسيلة الوحيدة لكشف الأسرار ومعرفة العلاقات، ولذلك ضربنا صفحا عن اختلافاتها

وتعريفاهما والحضارة الغربية وإنما قامت على الفكر الفلسفي البشري معرضة عن الوحي الإلهي.

وقد كانت الفلسفة والعلم في القديم شيئا واحدا، فعند المسلمين مثلا تجد الرئيس أبا الريحان البيروني، وفي الغرب تجد "ليونارد دافينشي"، وافترض الناس أن العالِم هو من أحاط بكل العلوم.

وبعد انفصال العلم عن الفلسفة حديثا وبروز مبدأ التخصص ظهرت خصوصا في الغرب فلسفات ونظريات كثيرة منها (فلسفة الشك – فلسفة التقدم المطلق – وفلسفة الطبيعة – وفلسفة الهرمونيطقيا – والفلسفة البنيوية – والفلسفة السبرانية – والفلسفة البراجماتية – والفلسفة الشيوعية – والفلسفة التحليلية النفسية – وكذلك فلسفة "هيجل"، وفلسفة "أوجست كونت"، وفلسفة "نيتشه"، وفلسفة "وليم جيمس"، وفلسفة "سارتر"، وفلسفة "ماركيوز") وهكذا وهي كلها تحتاج إلى ردّ وبيان، ولا يعفينا من ذلك جهل بعض المسلمين بهذه الفلسفات، بل الواجب التصدي لها جميعا، ولدينا كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما كتبه الأقدمون من علمائنا فبيان ما هي عليه هو من إبانة سبيل المجرمين ومن إقامة الحجة على الملحدين.

وقد بين الله ورسوله ما عليه المشركون وأهل الكتاب، وقال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: "إنما تُنقَض عُرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

أما شيخ الإسلام ابن تيمية فقد قسم الناس في كتابه العظيم "درء تعارض العقل والنقل" بحسب معرفتهم بالجاهلية كما سبق، وذكر أن منهم من يعرف الإسلام مجمَلا ويعرف الجاهلية تفصيلا وعكسُه، ونحن ندعو إلى معرفة كليهما على التفصيل.

ولو قيل لأحد المسلمين اليوم إن فلانا مجنون لما أخذ عنه شيئا، أما إذا كان هذا المجنون هو الفيلسوف "نيتشه" فإنه عند الليبراليين متقدم ومتحضر، ويجب الأخذ عنه، وهذا الفيلسوف المجنون هو صاحب الفكرة الإلحادية

القائلة "إن الله قد مات"، وفي الحقيقة أن الذي مات هو إله الكنيسة المزعوم، أما الله تعالى فهو الحي الذي لا يموت، وكان على "نيتشه" الذي كتب "هكذا تكلم زرادشت" أن يعلم أن الإسلام أقرب إليه من الزرادتشية دينا ومصادرا، وأن ما يقال عن "زرادشت" دخله التحريف، بخلاف كلام الله المعصوم المحفوظ وسيرة رسوله ﷺ.

كما أن الحداثيين وغيرهم هنا يأخذون عن المجنون الآخر "عزرا باوند" مع أن غاية المجنون في الشريعة هو أن يُرفع عنه القلم أو كما قال بعض الفقهاء "تسقط عنه التكاليف"! وكلام هؤلاء إنما هو من جنس شطحات الصوفية التي قال عنها من يدافع عنهم "تطوى ولا تحكى"، ولو قيل إن هاهنا رجلا يقول "أنا أفكر إذا أنا موجود" لقال هؤلاء عنه إنه مجنون، أما إذا كان القائل هو "ديكارت" فهي عبارة فلسفية رائعة تستحق الذكر والإشادة.

ولو قيل أن رجلا أخذ مصباحا في النهار لقالوا هذا لا شك في جنونه، أما إذا كان الفاعل هو "ديوجنسي" فهو رجل عظيم يجب أن تؤخذ آراؤه واكتشافاته... وهكذا.

ولو قيل لجريدة سعودية انشروا لفلان العربي فقد استخرج من البراز فيتامينات لقالوا: هذا قذر ولم تنشر له شيئا، أما إذا كان الفاعل يابانيا فهو إنسان متقدم يستفيد من كل شيء.

فالكيل بمكيالين أو ازدواجية المعايير ليسا خاصّين بأمريكا بل عند أذنابها الليبراليين أيضا، وهذه الازدواجية نبه القرآن الكريم من قبلُ إلى بطلانها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣].

وكما أغفل كثير من الكاتبين في الفرق كالبغدادي والشهرستاني ذِكرَ أهل السنة والجماعة، أو ذكرها بعضهم إجمالا كما فعل الأشعري في "مقالات الإسلاميين"، كذلك أغفل كثير من الغربيين من نقلوا عنه من المسلمين، بل لم يشيروا إلى من نقلوا عنه من الغربيين أنفسهم وهذه خيانة

علمية مفضوحة، وهم لم يأخذوا عن ابن سينا أو عن ابن رشد أو غيرهم إلا ما له صلة بالوثنية اليونانية مع نسبة ذلك إلى اليونان وحدهم.

ومن اطلع على ما كتبه الإمام الشافعي، وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، علم أنهما كانا أعلم بالفلسفة والمنطق والكلام، من أهل هذه المذاهب الباطلة، واستنبطا فساد المنهج الذي بنيت عليه هذه الفلسفات فانظر مثلا كيف ناظر الشافعي حفصا الفَرْد، وبيّن عوار الأخذ عن أرسطو وما منطق العرب؟ وانظر كيف رد شيخ الإسلام ابن تيمية على المناطقة والفلاسفة والنصارى والمتكلمين، وكتبه مشهورة معروفة، وهل أتى الغرب بمثل "الرد على المنطقيين"، أو "درء تعارض العقل والنقل"، أو أتى بمثل "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح"، وهل نقَد أحد من الغربيين فلسفة "أفلاطون" و"أرسطو" بأعظم مما نقدهما به ابن تيمية؟ وهل يمكن مثلا مقارنة "الكليات" عند المدارس الغربية المختلفة لا سيما المدرسيين الذين تزَعّمهم "توما الإكويني"، أو عند المتأخرين مثل "برتراندرسل" بما كتبه ابن تيمية؟ وهذا يوجب الاستعانة بما كتبه شيخ الإسلام رحمه الله ولكن لا نكون حرفيين نقف عند حدود ما نقد، والمستشرقون -قبحهم الله- تعمدوا إهمال حقائق الإسلام، وأخذوا الفلسفة عن الكندي والفارابي وابن سينا ثم عمن تلاهم أو نقدهم كابن رشد والغزالي، على أن ابن رشد هو أكثرهم تأثيرا إلى اليوم لكن الأصوليين يعدون أعماله هرطقة.

وكثير من الغربيين اليوم يعودون لآراء ابن رشد وبعضهم يطورها ويقول إنها (الرشدية الجديدة) كما ينقلون عمن جمع بين الفلسفة والتصوف من أمثال "روزنتال" و"لويس ماسنيون" و"نيكلسون"، وظهر في هذا العصر الباحثون من المتكلمين الأشعريين، ومنهم علي سامي النشار وتلاميذه الكثيرون واتبعوا أولئك مع تفضيل الكلام على الفلسفة، وانتهجوا المنهج (الفينومنولوجي) المزعوم، ونقل أكثر الباحثين عن الرافضة وأمثالهم من

الضالين، ومما يؤسف له أن بعض أهل العلم تابعوهم، وممن تابعهم علي جمعة مفتي مصر السابق، هدى الله الجميع.

وعن الفلاسفة مثل الفارابي وابن طفيل أخذ الغرب المدن الخيالية مثل "يوتوبيا" لـــ"توماس مور"، و"مدينة الشمس" لـــ"كامبانيلا".

وأثبت محمد أركون أن التوحيدي سبق فلاسفة الغرب إلى العلوم المسماة "إنسانية"، ومعلوم أن التوحيدي هو أحد الفلاسفة المنتسبين للإسلام، وقد أوصى بإحراق كتبه عند وفاته كما فعل فرانز كافكا، والله أعلم بحاله.

ومن الفلسفات التي هاجرت من المجوس إلى المسلمين الفلسفة المسماة المشرقية وهي فلسفة تقوم على الحدس الأفلاطوني أي أنها نفسية وليست عقلية، وعلى ذلك كتب الرازي في "المباحث المشرقية".

ومن الفلسفات التي ينقلها بعض المسلمين من المجتمعات الشرقية المجوسية فلسفة (اليوجا) التي عمادها التأمل الصامت، وأن في الكون قوتين موجبة وسالبة (ين ويانج)، وبالتأمل العميق يصل الإنسان عندهم إلى الاتحاد بالخالق (نرفانا)، وكان العرب في الجاهلية يعرفونها، ومن بقاياها لديهم الصّمت الدائم، كما فعل أبو إسرائيل أو المرأة الناذرة، ويختلط بها السحر والشعوذة وقد طورها المعاصرون إلى ما يسمى الطاقات الكامنة والبرمجة العصبية وأمثال ذلك، وزعموا أنها تمكن الإنسان من المشي على الجمر وتنمية قدراته الشخصية باستخراج طاقاته الكامنة.

وقد جربها الجيش الأمريكي ودرّب عليها جنوده ثم إنه نبذها.

وأصبحت وسيلة للتكسب حيث يقوم المدربون باستغلال عواطف الناس وإيهام السذّج بها ويجيئون إلى دول الخليج لجني الأموال.

واستعملها قديما الصوفية وقد ذكر الشعراني بعضهم في جامع كرامات الأولياء لكن الصوفية يسمونها "التخشّب" والله تعالى أعطانا ما هو خير منها وهو الخشوع في الصلاة وعند سماع القرآن.

ومن الفلسفات التي يعتنقها الغرب في عصر ما بعد الحداثة الفلسفة التفكيكية (التشريحية) وبعضهم يترجمها بالنقيضية أو الجزئية فقد حدثت بعد الفلسفة الدعوة "البنيوية" أو "البنائية" ومن أهم مؤسسي التفكيكية (جاك دريدا)، وهي تسير وفق المنهج الاستنباطي وليس الاستقرائي وتنكر عالم الغيب كله وتقوّض المنهج التجريبي.

ولا تؤمن بالثوابت الإنسانية وتنسب كل شيء إلى الخداع سواء كان دينيا أو سياسيا أو أخلاقيا.

وهي في الحقيقة نوع جديد من فلسفة الشك أو السفسطة اللاأدرية.

- تذبذب الفلسفة الغربية:

الموقف الفلسفي الغربي يتميز بالانتقال الحاد مما هو عليه إلى نقيضه دون توسط أو اعتدال:

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، منها مثلا الانتقال من الرهبانية إلى الإباحية. ومنها معاملة المّتهم، حيث كان الغرب يعذّبه ويقسو عليه لا سيما في العصر الإقطاعي، وهكذا كانت الكنيسة البابوية في عصر محاكم التفتيش، ثم انقلب الغرب إلى إيجاد ما يسميه "ضمانة الاتهام" وجعلوا للمتَّهم حقوقا كثيرة يكفلها الدستور والنظام القضائي والنظام الجنائي.

واشتهر في علم الإجرام إلقاء اللوم على المجتمع، والظروف التي يزعمون أنها أحاطت بالمجرم ودفعته لارتكاب الجريمة.

ويتوسط الإسلام بين هذين الطرفين فلا هو يعذِّب المتهم، ولا هو يلقي اللوم على غيره.

وتتجلى رحمة الشريعة الغراء بأصحاب الحدود في أنها تجعل الحدود كفارات لأهلها وتدرؤها عنهم بالشبهات.

ولما بايع النبي ﷺ الأنصار ليلة العقبة تضمنت البيعة أن الحدود كفارات لأهلها ترفع عنهم المؤاخذة في الآخرة.

ولما أقام النبي ﷺ حدّ الرجم على ماعز وأخبره الصحابة أنه هرب قال: (لو تركتموه لعله يتوب).

ولما رجم عليه الصلاة والسلام المرأة قال: (لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لقبل منه).

ونهى ﷺ عن اغتياب المرجوم أو غيره.

وعن الزيادة على الحدّ بالتشريب على المحدود، ولا أعلم مستندا لمن يشترط اليوم في كل متقدم لعمل ألّا يكون أقيم عليه حد شرعي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "العقوبات الشرعية إنما شُرعت رحمة من الله بعباده، ولهذا ينبغي لمن يعاقب الناس على ذنوبهم أن يقصد بذلك الإحسان إليهم، كما يقصد الوالد تأديب ولده، وكما يقصد الطبيب معالجة المريض" اهـ.

وقال في موضع آخر: "الشريعة تقطع يد السارق وتعطيه إذا كان محتاجا".

ولهذا تقرر عند الفقهاء مبدأ أن الشارع يتشوّف للتوبة والستر، ولا يتشوف للعقوبة والفضح، أما الغربيون فتقوم فلسفتهم على ردة الفعل، والانتقال من النقيض إلى النقيض، وقد مرت بتغييرات جذرية يسمونها تطورات مع أن بعضها طفرات معاكسة، والتطورات عند الغربيين كثيرة وأهمها:

التطور العضوي الداروييني، والتطور الفكري الذي قال به "أوغست كونت"، والتطور الديني الذي زعمه "تايلور"، والتطور التاريخي الذي قال به "فوكوياما"، ويأتي على رأس هذه التطورات: الانتقال من البساطة إلى التعقيد ومن القطع إلى الاحتمال. وربما كان ذلك انحدارا وانتكاسا وليس تطورا، كما انحدرت مثالية هيجل إلى شيوعية ماركس، وانحدرت عقلانية كانت إلى اللا معقول، وانتكست تفاؤلية أرسطو إلى تشاؤمية (شوبنهور).

ومن التذبذب الفلسفي عند الغرب انتقال الرأي من الفرد إلى الجماعة، فقد كان الرأي فرديا في الماضي ثم أصبح اليوم جماعيا تمثله الجمعيات ومراكز البحوث والاتحادات والنقابات... إلخ، والإنسان فردا أو جماعة علمه محدود وقد قال عنه أصدق القائلين: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء:٨٥].

وأكثر ما تعتمد عليه الفلسفات المعاصرة هو جهل كثير من الناس بها، لا سيما عباراتها المزوّقة، ومصطلحاتها الكثيرة فيحسبها الناس شيئا يصعب رده.

أي أنها تستغل حديثا ما استغله المستعمرون قديما، من جهل بعض الناس بالتقنية واستخدام علمهم لتخدير المغفلين، مثلما قال بعضهم: أنا أستطيع أن أميت ذلك الفيل وضغط زرا لرجاله بأن يطلقوا النار على الفيل، وكان آخر يعلم أن القمر سوف ينكسف تلك الليلة فقال للبدائيين: إما أن تجمعوا لي كذا من الذهب، وإما أن أحرق القمر! فما أيسر عمل الدجال إذا دعا مثل هؤلاء!

وإذا تأملت بعمق وجدت أن الفلسفة في الحقيقة لا جديد فيها وإنما تتعدد المظاهر وتتغير العبارات وتتنوع المصطلحات. ومن ذلك دعوة وحدة الأديان والفكرة الماسونية التي تدعي الإنسانية فمن المشهور عنهم قديماً قول: "المعبود واحد وإن كانت الطرق إليه مختلفة"، وهذا ماتنادي به هيئة الأمم المتحدة اليوم.

ومن تلاقح الفلسفات نشأت فلسفات واستوردت فلسفات، وهاك الحديث عن أهمها:

– فلسفة وحدة الوجود:

ينبغي التفريق بين وحدة الوجود التي هي عقيدة هندية انتقلت إلى الحضارة المصرية القديمة أو العكس ثم إلى اليونانيين وآمن بها أهل الإتحاد كابن عربي، وبين وحدة الشهود الواردة في قوله ﷺ: أصدق كلمة قالها

شاعر قول لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل)، فكل من عليها فإن ووجوده إنما هو بإيجاد الله له، وإلا فهو باطل.

وتأمل كلام أي أحد كفريد الدين العطار لكي تنسبه إلى إحداهما بعلم وعدل.

فلا يصح اتهام أحد بأنه يعتقد وحدة الوجود إلا بعلم بأقواله ومؤلفاته وجمعها كلها ومعرفة المتأخر منها من المتقدم، فقد يكون قوله مجرد خطأ وليس اعتقادا، وقد يكون تاب عنه وقد يكون متقدما، وقد يكون له كلام يناقض ذلك.

ووحدة الوجود التي يكفر معتقدها هي الاتحاد المطلق بين الذات والذات بحيث تكون إحدى الذاتين هي عين الأخرى كقول الملكية من النصارى، ومن قال من قدماء الهنود بذلك؛ فالمعبود عندهم هو عين العابد، وهو المصلِّي والمصلَّى له، وهو الداعي والمدعو، وهو الذي خلق الكون وهو عين الكون ذاته، وفيه تختفي الذات مطلقا كما تختفي الأنهار في البحار على حد تعبيرهم، وقد اعتنقها كثير من فلاسفة عصر النهضة الأوروبية تبعا لابن عربي.

وقال ابن عربي: (ومن أسمائه العلي على من؟ وما ثم إلا هو)، وقال ابن الفارض في تائيته: (ولا فرق بل ذاتي لذاتيَ صلّتِ)، وأقذع بعض المتأخرين حين قال:

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا   وما الله إلا راهب في الكنيسة

وهذا واضح، والأمثلة عليه كثيرة لكن يختلف عمن يقول إن الموجود الحقيقي هو الله، وأما غيره فوجوده عرضي أو كما قال لبيد: وجوده باطل.

ومع أن عقيدة وحدة الوجود هذه عقيدة مجوسية قديمة فقد هرب إليها كثير من المفكرين في أوروبا وأمريكا ولا سيما في عصر الهروب من النصرانية الذي يسمونه عصر التنوير وكان عليها سبينوزا في أوروبا وكذا (رالف إمرسون) في أمريكا والمعاصرون يسمونها (الواحدية المادية).

- فلسفة التعطيل والحلول:

عرف التعطيل عند المسلمين في الصفات وأكثر من أشتهر عنه التعطيل الفلاسفة وفروخهم من المتكلمين، ولما انتشر ذلك في الأندلس اعتنقه بعض يهودها مثل "سبينوزا" الذي فر من محاكم التفتيش إلى هولندا وهناك رفضه اليهود وافتوا بحرمانه، ونقل سبينوزا عن أبي محمد بن حزم نقده للتوراة والإنجيل كما في كتاب ابن حزم "الفصل" ونشر سبينوزا بعض آراء ابن حزم بلا إحالة ولا ذكر له، وسمى الغربيون عمل سبينوزا "النقد التاريخي للكتاب المقدس" ونسبوه إليه متجاهلين ابن حزم، ولما ظهرت فرضية داروين آمن بها كثير من الغربيين الفارين من طغيان الكنيسة فأصبح التعطيل إلحاداً، وأصبح الإلحاد مدعوما بالعلم كما يظنون، ولما نادى نيتشه بأن ربه قد مات أصبح الإلحاد شائعا منتشرا أكثر من ذي قبل، وفي هذا العصر انتشر الإلحاد وظهر له منظرون مثل الدارويني المشهور "جوليان هكسلي" و"داوكيتر" الذي قال إن الله وهم وإن العقائد الدينية كلها وهم.

وهنا ننبه إلى أن الإلحاد لا يهجم به الشيطان دفعة واحدة بل بالتدرج، ويبدأ بالشك وبإخراج المسلم من دينه كما اقترح زويمر، أو تشكيكه في المصادر كما يفعل عدنان إبراهيم!

وبعد أن كان قدماء المشركين يعتقدون أن الله يحل في الإمبراطور أو الفرعون أو الملك يعتقد النصارى أن الله تعالى حل في المسيح عليه السلام.

ويعتقد زنادقة الصوفية أن الله يحل في الشيوخ والأولياء كما يسمونهم وبعضهم يعتقد حلوله في كل مخلوقاته كما سبق.

ثم جاء ملاحدة العصر بتلك العقيدة ولكن بمصطلح جديد هو (كمون الإله في الطبيعة) كما يزعمون، وهكذا لكل عصر اصطلاحه، ولكن العقيدة لم يتغيّر جوهرها، وفعلوا مثل ذلك في وحدة الوجود التي اشتهرت عند مشركي الهند ثم انتقلت إلى الصوفية ثم اقتبسها الأوروبيون لكن سماها

فلاسفتهم (الواحدية)، وإذْ طغى على الغرب الاتجاه الحسي المادي سموا تلك العقيدة (الواحدية المادية).

وكل ذلك كفر صريح، اليهودية والنصرانية مع ما فيهما خير منه، والفرق بين الإتحاد ووحدة الوجود أن الاتحادية تؤمن بذاتين حلت إحداهما في الأخرى كما كان ابن عربي.

أما أهل وحده الوجود فإنما يؤمنون بذات واحدة عابدة ومعبودة في الوقت نفسه، وربما اتفق المصطلحان وقيل أحدهما ويراد به الآخر لأن وحدة الوجود اتحاد مطلق.

- فلسفة الهرمونيطقيا:

سبق الباطنيون "شلامايخر" و"فلهلم" و"دلتاي" إلى القول بالتأويل حتى إنهم أولوا الصلوات الخمس بالأئمة الخمسة عندهم (علي وحسن وحسين ومحسن وفاطم) وأولوا الصوم بحفظ أسرار الملائكة وهكذا.

على أن التأويل مدرسة قديمة الأصول عند اليهود والنصارى، وقد كانت بعض فرق اليهود بلغت حدا من التأويل يصل إلى إنكار المعاد الجسماني وظهر أثرهم في اللاهوت النصراني لاحقا، ثم عند الباطنية وأشباههم في الإسلام، وكتب ابن سينا (الرسالة الأضحوية) إنكارا لمعاد الأجسام، وليس غرضنا مناقشة هذه الفلسفة التي يغني تصورها عن الرد عليها وإنما يهمنا أنها حولت عملية الفهم والشرح من خارج النص إلى داخله.

وفسروا بذلك النصوص التاريخية والفلسفية والشعرية إلى جانب النصوص الدينية.

فبعد أن كان النص للاستشهاد تحوّل على يد هؤلاء إلى كلام له دلالات احتمالية كثيرة، ووصل الأمر بالناقد رولان بارت إلى النظرية التي سُميت (موت المؤلف) أي أن لكل قارئ أن يفهم النص انطلاقا من ذاته هو

وله حق فهمه كما يملي عليه عقله، وكتب بعضهم إلى جريدة محلية قصيدة وكتب في نهايتها "انتهت"، فأطنب الحداثيون في تعظيم كلمة انتهت وأن لها معاني ودلالات كذا وكذا.

على أن (كارل ياسبرز) قال إن النفس الإنسانية لا يمكن دراستها من الخارج بل لابد من دراستها من داخلها، من خلال ما أسماه (الاختراق النفسي) فجعلت فلسفة الهرمونيطقيا كلمته شاهداً لها.

وقد تبنى هذه الفلسفة من أدعياء الإسلام (نصر حامد أبو زيد).

- الفلسفة الديمقراطية:

محل الحديث عن الديمقراطية هو الفكر السياسي وإنما نعرض هنا لجانب واحد هو أن الفلسفة الديمقراطية تدعي الوقوف مع الأكثرية، فكيف نوفق بين وقوف أمريكا الدائم مع الأقليات وبين ديمقراطيتها المزعومة التي تقول إنها مع الأكثرية؟ وهل اليهود أكثر من العرب؟ وهل أهل بلجيكا أو هولندا أكثر من الأتراك حتى في داخل ما يسمى تركيا فقط فضلا عن الدول التركية الأخرى التي تمتد من الصين إلى أوربا؟

وهل الشيعة هم أكثرية المسلمين؟.

أوليس هذا من التناقضات الواضحة؟

ومما يؤسف له أن يكون الإعلام والعلم في بلاد الحرمين بهذه الصفة (أعني التناقض).

فالإعلام الرسمي هنا له متناقضات كثيرة أذكر مثالاً واحداً لها، وهو التعامل مع التفجيرات المؤلمة التي وقعت في المدينة النبوية فقد جزمت بعض القنوات أن المفجِّر كان يستهدف المسجد النبوي قبل التعرف عليه وعلى من وراءه، ولست أدري كيف عرفت نيته؟

مع أن هذا يتناقض مع قول القناة نفسها وفي الوقت نفسه إنه يستهدف مقراً أمنياً قرب المسجد الشريف.

كما تناقضت القناة حينها فقالت إن المكان يقع في البقيع مع قولها إنه قبلة المسجد فكيف يكون هنا ويكون هنا أم أنهما تفجيران؟

كما أن القناة صرحت بأن الذي يقف وراء التفجير هو التنظيم الفلاني قبل معرفة هوية المفجّر وعمره وجنسيته أو التحقيق معه وعدد ضحاياه، وقبل تصريح الجهة الحكومية بأي شيء وبدون صدور حكم قضائي، مع أن للتفجيرات تنظيمات كثيرة معروفة.

أما هيئة كبار العلماء فقد صدر عنها بيان عن تلك التفجيرات، قالت فيه إنه من عمل الخوارج الذين لا دين لهم ولا إنسانية، يستهدفون به مسجد رسول الله ﷺ، ما أثار أسئلة كثيرة منها:

١. كيف عرفت الهيئة عن عمله قبل أن يبدأ التحقيق؟

٢. كيف اجتمعت وأصدرت بيانها بهذه السرعة؟ أم أن أمينها مفوض أن يصدر قراراً باسمها.

٣. هل الخوارج شرعاً متجردين من الإنسانية والدين؟

٤. كيف يسوي البيان بين مسجد رسول الله ﷺ في المدينة وبين مسجد فلان في القطيف؟

٥. كيف عرف أصحاب الفضيلة أن المستهدف هو المساجد؟ أولا يقتضي العدل التريث على الأقل؟

- هل هناك فلسفة مشتركة:

بعض الناس حسب فلسفته للحرية يجعل فلسفته هي الثقافة التي ينبغي أن يكون كل العالم عليها. ويريد أن تجعلها (هيئة الأمم المتحدة) مواثيق دولية لكل الدول، لاسيما ظنه أن الدين الحق هو الدين الإنساني العام، وبعضهم يدعو إلى هذا الدين المفتعل حتى أصبح من النادر اليوم أن تسمع من يتحدث عن الدين لاسيما في الغرب بل يقول الإنسانية، وهذه (الإنسانية) فكرة قديمة نادى بها الضالون قديما وكانوا يقولون بالتأله المطلق،

ويقولون كل يعمل في دينه ما يشتهي، ورد شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الفكرة الخبيثة، التي كان يؤمن بها بعض أتباع جنكيزخان.

وكذلك فكرة أن الأديان كلها توصل إلى المعبود كما يزعم بعض فلاسفة الهند قديما، وكان إخوان الصفا يدينون بهذه العقيدة، ويغلِّفها بعض المعاصرين بقول"التعددية والتسامح" كما كان يؤمن بها بعض الزنادقة في الإسلام كالحلاج القائل:

تأملت في الأديان جدا محققا   فألفيتها أصلا له شعب شتى

وكابن عربي القائل:

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي   إذا لم يكن ديني إلى دينه داني

إلى آخر ما هو مبيّن في (مبحث الصوفية).

وإلى ذلك يسعى الكاثوليك في منهجهم عن حوار الأديان، وربما سمو ذلك الأديان الإبراهيمية كما فعل (جارودي)، أو الأديان التوحيدية كما في نشرة معرض (المملكة بين الأمس واليوم).

وبعض الغربيين يسمي ذلك (الدين المشترك).

وكل هذه مناقض لآيات يصعب حصرها ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، ولما ذكر الله في سورة (الكافرون)، ولسنته في افتراق الناس إلى مؤمن وكافر، وأن يتدافعا.

ولهذا الدين عند أهله أسباب اجتماعية ونفسية ترجع كلها إلى الخواء الإيماني الذي دعت إليه العلمانية في الغرب مع البحث الدائب عن أي دين.

ويختلف الباحثون الانتربولوجيون والنفسيون في تعليل ذلك مع اتفاقهم على أن الإنسان البدائي أو غير المتحضر يرى نفسه مثل الإنسان الغربي بل أرقى.

فيرى (ماكس فيبر) أن الإنسان البدائي والإنسان الحديث يشتركان في أن لكل منهما مرجعية من خلال عقيدة ما.

وبعض الباحثين يقول إن كل الأديان المعاصرة ما هي إلا محاولة تجميع للدين الإنساني القديم.

بينما يركز (كلود ليفي شتراوس) على أن الإنسان البدائي له أسرار لا تقل عن أسرار الإنسان الحديث.

والعجب أن الإنسان البدائي -كما يصَّنف- يسخر من الإنسان الحديث فمثلا بعض القبائل التي تستوطن الكونغو وهي متأخرة جداً ماديا، تقول: إن الإنسان الغربي ما هو (إلا خفّاش حائر!).

على أن الإنسان المشرك قديما -كما أرجح- أكثر طمأنينة واستقراراً من الإنسان الغربي المعاصر، فالمشرك كالذي يشبع من أكل نشارة الخشب المخلوطة بشيء من الطعام ولكن الإنسان المعاصر مثل الجائع الذي لا يجد طعاما، وهو لشدة جوعه وبؤسه وحيرته قد يلجأ إلى الانتحار.

وقد وجدت أمريكا في التصوف والقول بوحدة الأديان، مخرجاً لها من ورطة الإلحاد التي لم تعد تجد لدى المسلمين قبولا وممن الإسلام الموصوف عندها بالإرهاب، وقراءةٌ متأنية لتقرير مؤسسة راند توضح ذلك، أضف إليه ما كتبه بعض ملاحدة العصر مثل (نصر حامد أبو زيد)، وإلى هذه الهدف الخبيث يسعى معهد قرطبة للأديان الإبراهيمية كما يقال.

وما دعوى التقارب أو الحوار بين الأديان إلا خطوة للوصول إلى هذا الدين المشترك لبني الإنسان عامة، وهذا الدين هو الفلسفة الإنسانية المشتركة، وأهم عقائده ألا ينكر أحد على أحد.

وهذا أهون الشرين عند الساسة الأمريكان، إذ أن فرض الثقافة الأمريكية على العالم هو كما قال أحد كبار الساسة الأمريكان (كينان): "أسلوب متعجرف وسخيف" لا سيما بعد أن اكتشف الناس كذب ذرائعها الإنسانية، وكثير من الماسونيين فضلا عن غيرهم لا يدرك ما وراء هذه الدعوى، بل إن بعض المسلمين يظن أن الإنسانية لا تتعارض مع الإسلام وأن التقارب بين كل الأديان إنما هو لمصلحة جميع البشر!!

- الفلسفات الغربية عند أهلها:

يقول الغربيون اليوم إن الفلسفة الغربية ما هي إلا حواشٍ على الفلسفة اليونانية، ونحن نزيدهم فنقول إن أهل الفلسفة اليونانية نقلواً عن الصابئين والمصريين والهنود، وما عليه الغربيون اليوم من الخرافات والشركيات التي تتمسح بمسوح العلم، ما هي إلا طقوس المايانا والشامانية لكن في ثوب جديد، وإن الفلسفة العقلية الغربية قد أفلست كما قال برتراند رسل وشالي وغيرهما، وإن اتباع ما عليه الغرب هو انحدار بالعقل البشر إلى أوحال الشرك والخرافة العتيقة، وإن الغرب إذا لم ينقذ نفسه بالإسلام سوف يموت، كما قرر بوكانين أو ينتحر كما قرر أوبنهايم! والإسلام هو أصل كل مفاخر الغرب فهم يعزون قيام (إبراهام لنكولن) بتحرير العبيد إلى تأثره بالقرآن وكونه من ذرية (الموريسك) ويقولون إن أصل شكسبير هو (شيخ زبير) وغير ذلك على أنه لا يستطيع أي رئيس أمريكي لا لنكولن ولا غيره أنه يقول لشَعبه (من جدع عبده جدعناه ومن قتل عبده قتلناه)، ولا أن يُطعم العبد مما يطعم ويلبسه مما يلبس كما أمر رسول الله ﷺ .. وهكذا.

فالأفكار الغربية في الحقيقة أقدم مما يظنون والعلمانية قديمة، قال قوم شعيب عليه السلام: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَـٰٓؤُاْۖ﴾ [هود:٨٧].

أي بعبارة عصرية: ما علاقة المسجد بحرية التجارة؟!

قال الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: "الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وأي فحشاء ومنكر أكبر من عبادة غير الله ومن منع حقوق عباد الله أو سرقها بالمكاييل والموازين؟".

وقال ضمن الفوائد والعبر المأخوذة من تلك القصة: "ومنها أن ذلك من لوازم الإيمان، فإنه رتب العمل به على وجود الإيمان فدل على أنه إذا لم يوجد العمل فإن الإيمان ناقص أو معدوم".

وهذه العلمانية ترسخت عند كثير من المسلمين حتى أنك ترى بعضهم يصلون ويعمرون بيوت الله ثم يخرجون فإذا البنوك الربوية أمامهم فلا تهتز منهم شعرة بل ربما كان لهم فيها حسابات وأرصدة!! والرسول ﷺ قال: "من رأى منكم منكرا فليغيره" الحديث، فلو كان قوم شعيب أحياء هذا الزمن لطالبوا بالعولمة وانضموا إلى منظمة التجارة العالمية "جات".

ومن الطبيعي أن تكون نتيجة تلك الفلسفات المتعثرة هي الحيرة والشك والتخبط والضلال، وقد شبهت منظمة اليونسكو حال الإنسان المعاصر بسفينة تتقاذفها الأمواج وليس لها بوصله ولا هدف معين ولا خريطة تسير عليها.

ومما يعلِّمه الإسلام للمؤمن مع الإيمان بالله واليوم الآخر: الإحساس بالزمن، فالمؤمن يتميز بالحس التاريخي الذي لا تعرفه الفلسفات البشرية كلها، فهو يعلم من أبوه الأول ولماذا هبط إلى الأرض، وما سبب الهبوط، وكيف نشأت الجماعة البشرية على الأرض ومن آخر الرسل! وأين موقعه الآن من هذا التاريخ الطويل، وما نهاية هذا الكون الهائل، وماذا بعد نهايته من أحداث، وما الحكمة من وجوده، وأين سترسو السفينة في نهاية المطاف! وأمثال ذلك من العلم الذي لا يتوصل إليه البشر بعقولهم وأبحاثهم، فهم بغير الوحي جهال بل عمي، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل:٦٦].

ومن العمى أن الإنسان بغير الوحي الصافي لا يدري من أين أبحر وأين سيرسو ومتى ولماذا وكيف؟ ولا يدري أو في أول الزمان أو آخره أو أين؟

فيجب على المسلمين ألا يكونوا فئراناً في هذه السفينة وأن يحمدوا الله على ما أنعم به عليهم ويزدادوا بدينهم تمسكاً.

وإذا كنا نقرأ عن حيرة المتكلمين والمناطقة، فلنعلم أن حيرة هؤلاء أكبر وأعمق.

ومن شدة مناقضة الواقع لما يراه الفلاسفة، قد ينتحرون كما فعل أرسطو.

ولذلك تعليل نفسي ذكره شيخ الإسلام وهو كون الوارد على النفس أقوى من المحلّ.

وقد ذكر الحافظ بن كثير رحمه الله قصة الرجل الذي تردى من شاهق بعد أن أطال التفكير في الله وقال إن شأن الله عظيم.

وتزخر كتب الرجال بقصص مشابهة، مات أصحابها عند تلاوة أو سماع آية من كتاب الله كزرارة بن أوفى الجرشي، الذي كان إماما ولما قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدَّثر:٨] سقط في المحراب ميتاً وبذلك يظهر فضل النبي ﷺ وصحبه إذ كان المحل عندهم قوياً، والضعف هو مقتضى حال الفلاسفة في القرن العشرين حيث قال كولن ولسن في كتاب (ما بعد اللامنتمي): (هل على الفلاسفة الانتحار؟) يعني إذا كان الواقع عكس ما يريدون. والمسلمون يقولون لهم لا تنتحروا، بل أسلموا لله تجدوا الطمأنينة والسعادة وبيان علة الوجود وحكمة كثرة المعرضين.

ومن القضايا الفلسفية العميقة قضية هذا الكون كيف بدأ وكيف جاءت الحياة، وقد كان من مزاعم الفلاسفة أن العقل الفعال فاض الكائنات، وأن العقول العشرة خلق بعضها بعضا إلى أن خلق التاسع منها العاشر ومن العاشر جاءت المخلوقات؟ التي منها القمر!

ومن بقايا عبادة الكواكب قول أرسطو ومن شاكله (إن فلك القمر هو الذي خلق الأحياء على الأرض).

ولا يقر أحد اليوم بنفس مقالته، لا من علماء الفلك ولا من علماء الأحياء، وكلامه إنما هو نقل غير دقيق من الصابئة الذين ناظرهم الخليل عليه السلام بشأن عبادة الكواكب وهدم أصنامهم التي كانوا يزعمون أنها تتصل بالكواكب.

قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٤-٧٩].

وقال في سورة النمل عن الهدهد: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل:٢٤].

وقال في سورة فصلت: ﴿لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ [فُصِّلَت:٣٧]، وقد كان إبراهيم الخليل عليه السلام قبل أرسطو بأكثر من عشرة قرون ثم إن علماء الكون (كوزمولوجيا) يقولون إنه موغل في القدم ويقدرون عمره بنحو ١٤ مليار سنة وإنه نشأ حسب نظرية ما يسمونه الانفجار العظيم، وكل ذلك تخمين، قال عنه الله تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ﴾ [الكهف:٥١] الآية.

والشيء الثابت في الكون هو الثنائية وليس الآحادية.

فالله تعالى أقام الوجود على ثنائية حقيقية يعجب لها كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فالتوحيد يقابله الشرك، والنور يقابله الظلام، والذكر يقابله الأنثى، والحر يقابله العبد، والخير يقابله الشر، وهكذا قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات:٤٩]، وليس شرطا أن تكون هذه الثنائية بين نقيضين لا يجتمعان بل قد تكون بين شيئين يتقابلان كما بين الذكر والأنثى والغني والفقير ومثل ذلك كثير قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِي هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ [يس: ٦٠-٦١]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾

[التغابن:٢]، وقال: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ [فُصِّلَت:٣٤]، وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ [فاطر: ١٩-٢١]، وقال: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة:٢٦٨]، وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزُّمَر:٩]، وقال: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم:٣٥]، وقال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الحشر:٢٠] الآية، ولله في هذه الثنائية حكمة عظيمة ولها مقتضيات هائلة التأثير:

فجعل لكل نبي عدوا ولكل شيء ضدا.

وجعل الصراع (الدفع والمراغمة) سنة ربانية لا تصلح الحياة بدونها. وجعل فرعون وهامان وقارون أعداء لموسى وهارون عليهما السلام، وجعل أبا لهب وأبا جهل وحيي ابن أخطب أعداء لمحمد ﷺ، وجعل الخبائث مقابل الطيبات كما جعل الخمر والماء، والربا والصدقة، والميتة والمذكاة، والنكاح والسفاح، والغناء وسماع القرآن.

وضل في هذه الثنائية أمم الشرك كلها: فالمانوية جعلوا النور إله الخير، والظلام إله الشر واليهود جعلوا الثنائية بين شعب الله المختار كما يقولون وبين سائر الخلق، لا سيما العرب والفلسطينيين قديما وحديثا، وعنهم أخذ النازيون والفاشيون العنصريون والنصارى جعلوها ثنائية صراع بين الدنيا والآخرة وبين المادة والروح، وبين التبتل والزواج وبين ملكوت الرب وملكوت قيصر.

وكما ضل أناس في مفهوم الثنائية وافتعلوا ثنائيات وضعية، ضل غيرهم في مفهوم الواحدية، فبعض الناس جعلوا ربهم إبليس وحده وجعلوا التوحيد عبادة إبليس الرجيم، وله أهدى عبدالله القصيمي كتابه وقال إنه سيد الأحرار، وتركي الحمد يقول على لسان أحدهم: أم أن الله والشيطان وجهان لعملة واحدة.

والجاهليون العرب يقولون: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣]، والتوحيد عند الفراعنة هو عبادة الشمس أو الشعرى.

والتوحيد عند مشركي الهندوس هو وحدة الوجود أو (النرفانا)، وهو عند السبئية عبادة الشمس.

والواحدية في حضارات ما بين النهرين هي عبادة الكواكب كما هو دين الصابئين.

والحضارة المعاصرة جعلت توحيدها ما يسمى الأخوة الإنسانية، وعلى ذلك قام الفكر الماسوني والثورة الفرنسية وهيئة الأمم المتحدة والمساواة بين الجنسين.

والثنائية التي يراها عبيد الدنيا هي ثنائية بين التقدم والتأخر، وبين التنمية والتخلف، وبين الاعتدال والتطرف، والأمريكان يجعلون الإنسان محصورا بين الجمهوريين والديمقراطيين، والمجتمعات المعاصرة تجعلك إما حرا يستبيح كل شيء وإما عبدا تخضع لمن يتحكم فيك، وإما موافقا للدولة وإما معارضا لها.

والفلسفة الغربية تقوم على ثنائية (الفكر والمادة) أو (المثال والواقع)، وعلى هذه الثنائية قامت الفلسفة الديكارتية (العلم والوحي) وقامت الإشكالية المفتعلة بين العلم والدين وأصبحت هذه الثنائية المفتعلة هي المعمول به في دين الله ويقولون عن الإسلام إسلام سياسي أو إسلام طقوسي.

ويقول أحدهم أنا مسلم وبناتي محجبات، ولكن السياسة عندي مغايرة للدين، ولست مثل الإسلاميين الذين يتدخلون في السياسة

وهذا المفهوم النصراني الكنسي عن الدين أصبح شائعا اليوم عند الطبقة التي يسمونها (مثقفة)!!

وهو انتكاسة إلى فكر عليٍ عبدالرازق وجولد زيهر وهتلر، وهكذا يجعل المشركون له من عباده جزءا.

ولله الأمر كله والمصير الإنساني كله ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦]، ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾

[المؤمنون: ٨٤-٨٥] ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١]، ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النحل:٥١].

وفي هذه الثنائية المفتعلة يكون الشرك وتكون (تجزئة الطبيعة) التي حذر منها (هوايت هد)، بينما لا يعرف الواقع البشري دولة لها حاكمان ولا طائرة لها قائدان ولا سفينة أو سيارة كذلك، ولكن الناس يضلون فيعبدون غير الله معه أو من دونه، أو يجعلون غيره من العباد وسيلة إليه مثل الحسين أو الجيلاني، ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى ويشفعوا لنا عند الله.

أما المؤمنون الموحدون فيعبدون الله وحده، ولا يشركون به شيئا لا اللات ولا حسين ولا شيخ الطريقة، ولا الإمام المعصوم ولا العلم ولا الحضارة ولا أي معبود.

- مشكلة وجود الشر في العالم:

وهي مشكلة عويصة عند الفلاسفة، خاضوا فيها منذ القدم ولم يصلوا إلى حل ولن يصلوا، ما داموا معتمدين على نظرياتهم وعقولهم، دون إيمان بعلام الغيوب، الذي جعل لكل شيء حكمة لا تحيط بها العقول فانظر مثلا إلى الغلام الذي قتله الخضر فهذا في الظاهر شر أنكره عليه موسى، لكن الخضر بيّن أن ذلك في تأويل ما لم يستطع موسى عليه صبرا، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠]، إلى أن يقول: ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف:٨٢] أي أن كل ما تستنكره العقول من الأفعال إنما هو بقدر أو وحي من الله وله حكم لا يدركها البشر، وليس الاختلاف بين الخضر وموسى اختلافا بين الحقيقة والشريعة، كما يزعم بعض الصوفية، فكلاهما عامل بالشريعة لكن أحدهما أطلع على ما لم يطلع عليه الآخر. والواجب على البشر الإيمان بالله وأن ذلك لحكمة لا نعلمها، وأن الله يبتلي

بالشر والخير وأنه ربما كان خيرا، قال بعض الصالحين: لو اطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع.

وحينما يكون المرء أكثر علماً بالله يكون راضياً بكل ما يقدر، حتى وإن ظهر له أن ذلك شر قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَيَجۡعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيۡرٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ١٩].

جاء رجل إلى الربيع بن خثيم يشكو له أن ابنه سقط من السطح فانكسرت رجله، فقال له الربيع: لعل ذلك خيرا، فسكت الرجل على مضض وعاد إلى بيته، وبعدها جاءه رسول الوالي ليخبره بأن ابنه مطلوب للخروج مع الجيش لقتال الحسين بن فاطمة!

وأحد الملوك قُطعت إصبعه، فاستاء لذلك ولكن وزيره الهرم طمأنه، وقال لعل ذلك خيرا، ثم إن ذلك الملك أسره أعداؤه، وأرادوا أن يقدموه قربانا لصنمهم، لكنهم لم يقدموه لأن به عيبا وهو أن إصبعه مقطوع!

وأحد الناس سرق اللصوص غنمه ووضعوها في مكمن، وقدر الله أن القبيلة الأخرى اجتاحت تلك القرية وأخذت كل أنعامها غنيمة إلا مواشي ذلك الرجل فقد سلمت.

وقد حدثني أحد الإخوة الكرد أنه كان موظفا بخمسة آلاف ريال، وطمع في أن يجعل المدير راتبه ثمانية آلاف ريال وألح في ذلك فأبى المدير، قال فقدمت استقالتي ثم إني فتحت عملا حرا يدر علي أضعاف ذلك والحمد لله أن المدير رفض إعطائي ثمانية آلاف.

وقد كره المسلمون صلح الحديبية، لا سيما أن من شروطه أن يرد المسلمون إليهم من ذهب إلى المدينة، ولما اجتمع أبو بصير ومن معه وقطعوا الطريق على المشركين، أرسل المشركون وفدا يطلب من الرسول ﷺ إلغاء هذا الشرط.

ولا صحة لما قاله داروين من أن الطبيعة تخبط خبط عشواء، ولا ما وصفها به "برتراند رسل" بقوله "الطبيعة العمياء" كما قال الشاعر الجاهلي:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصب تمته ومن تخطى يعمر فيهرم

ولو أننا صدقنا "داروين" ورسل لوقعنا في مأساة (اللامعنى) التي عبر هنا كثيرون، وقال "كولون ولسن": إنها معضلة الإنسان. ونحن نجزم أنها معضلة الإنسان الذي لا يدري لماذا خلق وليست معضلة كل إنسان.

وليس في هذا الوجود قدر أعمى قط، ولا شر محض، حتى خلق إبليس الرجيم فيه خير ليس هذا موضع التفصيل فيه.

- الخاتمة:

الكلام في الفلسفة والقضايا الفلسفية طويل، لكننا نختصره للقارئ الكريم ببيان أن أمامنا طريقين اثنين لا ثالث لهما.

إما شريعة الله وإما أهواء الذين لا يعلمون.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وهذا الأمر الصريح منه تعالى أنه ليس لنا من خيار، وكذا التجربة الواقعية إذ ليس لنا سعادة ولا طمأنينة إلا باتباع شريعة الله، فهي الطريق الوحيد الذي يجمع لنا كل وسائل المعرفة الصحيحة من فطرة وعقل وحس ووحي، وهي درب مطروق، فلسنا أول السالكين، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى:١٣] الآية.

ونحن حينما نختار ذلك فإنما نعمل أيضاً وفق الحرية الإنسانية الحقيقية والقيم الراقية التي لا يصل إليها البشر بغير الإسلام.. ولا يعقل أن يرغمنا الغرب على اتباعه وهو يؤمن بخصوصية المجتمعات، ونسبية الحقيقة، ويدعو -كما يزعم- إلى أن الناس أحرار فيما يختارون.

وعملاً بقيمه ومبادئه هو، كان الواجب على أهل الإيمان هو تفتيش المناهج الأمريكية والإسرائيلية وأن يرسل المسلمون لجنة لتقصي الحقائق عن

حقوق الإنسان في هذين البلدين، ولا يصح العكس، وهو الواقع مع الأسف فقد أرسلوا هم ليبرمان ليفتش المناهج في السعودية وأرسلوا لجنة تقصي حقائق أمريكية قابلت وزير العدل السابق (العيسى) وقدم الأمريكان آراءهم على الحق، حتى أنهم اعترضوا على حدود الله وقالوا: كيف يقام حد القصاص في السعودية؟!

فيا عجباً لمن كان شرعه أهواء الذين لا يعلمون كيف يعترض على من شرعه الوحي المبين؟

ويا عجباً لمن كان بيته من زجاج كيف يرمي أهل القلاع الحصينة بالحجارة؟

وكيف تصدر وزارة الخارجية الأمريكية تقريرا سنويا عن حقوق الإنسان ولا يفعل ذلك المسلمون الذين قال عنهم ربهم: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]؟

ولكنه والله الذل والوهن (حب الدنيا وكراهية الموت) عندنا.

خامسا
قضايا علمية عامة

يلاحظ في كثير من المجالات أن المسلمين يهمهم الحقائق والمعاني دون المظاهر والمباني، وسك المصطلحات للأمور العملية، أما الغرب فهو يهتم بالأسماء العريقة والمصطلحات الكبيرة لأمر عادي ربما لا يحتاج لذلك.

والمسلمون هم أصحاب السبق الحضاري في كل مجال، وتحرص أمريكا اليوم على استقطابهم وإعطائهم الجنسية، والملاحظ تاريخيا أنه كلما قرب الزعيم السياسي أو الأدبي من ديار الإسلام كان أكثر عبقرية وإبداعا، هذا إن لم يكن مسلما، وخيرهم من امتدح الإسلام وأثنى على رسوله الكريم أو تأثر بالإسلام كليا أو جزئيا، وإليك أمثلة لذلك:

في أمريكا:

محرر العبيد عندهم "إبراهام لينكون" من أصل أندلسي، كما أن زعيمهم المشهور في الحرب العالمية الثانية "روزفلت" من أصل قوقازي.

في روسيا:

أكابر الزعماء هناك من الجنوب المحاذي لتركيا وبلاد المسلمين مثل "جوزيف ستالين" من جورجيا، و"برجنيف" من أوكرانيا، هذا في السياسة فما القول في الآداب؟

فأكبر شعراء روسيا هو "بوشكين" ذو الأصل الأرتيري، كما أن أكبر شعراء بريطانيا هو "شكسبير" الذي يقال غربيا أن أصله "الشيخ زبير"، ويقول الأسبان إن أكبر أديب في القرن العشرين هو شاعرهم "لوركا"، و"لوركا" هذا هو الذي تغنى بأمجاد طارق بن زياد، وأنه هو الذي علّم الإسبان الحضارة وهم علموها الغرب!

ويقول الإيطاليون إن أعظم كتابهم هو "جيوفاني بوكاشيو" الذي تنضح رواياته بتمجيد صلاح الدين الأيوبي.

ويقول الألمان أن أكبر شعرائهم هو جوته الذي امتدح الإسلام كثيرا.

ويقول الأيرلنديون إن مفخرهم هو "برناردشو" الذي أثنى على النبي محمد ﷺ.

ويقول الفرنسيون إن أهم أدباء عصر التنوير هو "فولتير" الذي قامت على أفكاره الثورة الفرنسية، و"فولتير" هو صاحب كتاب محمد وكان شديد البغض لليهود.

كما أن أكثر الغربيين حكمة هو "تولستوي" الذي جمع مقتطفات من كلام النبي ﷺ، وكان الشيخ محمد عبده شديد الإعجاب بتولستوي، ويقال إن حيرة تولستوي الدينية وكفره بالنصرانية قاداه للإسلام والله أعلم.

أما "جورج واشنطن" وأوائل رؤساء أمريكا فقد كانوا يدفعون الأموال (الجزية) للشريف محمد العلوي ملك المغرب وما حولها.

وقد أبدع المسلمون وظهر منهم عباقرة لم يظهر في الغرب مثلهم، دع الأجيال الأولى والدول الإسلامية الأولى، وانظر إلى الدولة العثمانية بل إلى آخر أيامها فقد كان من العباقرة في مجالات شتى العالم النحرير والسياسي المحنك والقائد العسكري القدير الشيخ أحمد جودت باشا، الذي كان وزيرا للحقانية (العدل)، وأشرف على تدوين مجلة الأحكام العدلية، وكان في الوقت نفسه سياسيا بارعا وقائدا عسكريا ناجحا وفي آخر عمره استقال من المناصب كلها وانكب على كتب العلم، وكان مما قرأ بعض مؤلفات ابن تيمية فأدهشه ما فيها من علم وغير رأيه فيه، وعلم أنه ينبغي للعالم ألا يصدق ما يشاع بل يقرأ الكتب نفسها.

وإليك بعض ما تقدم فيه المسلمون من العلوم المختلفة مع التركيز على مسألة مصدر التلقي إذ هي الأساس.

لقد فر الغرب من الخرافات النصرانية فوقع في الجهل المركب في الأمور الأخطر كالحكمة من وجود الإنسان والكون، والغرب يسمي المسلمين كلهم الأتراك، وهكذا سماهم الأديب البريطاني الحائز على جائزة نوبل (جورج أمادو) في روايته (اكتشاف الأتراك لأمريكا).

أما الصليبيون المعاصرون فمنهم (باتريك ستين) وهم في أمريكا وبريطانيا يشتمون المسلمين ويضايقون المحجبات ويسمون المسلمين (الصراصير) ويسمون دولهم (المراحيض المنتنة)!

وهكذا ينشر الجهلة والحاقدون ثقافة الاجتثاث والإقصاء بينما الإعلام العربي مشغول بنشر ثقافة التسامح والتعددية ونبذ خطاب الكراهية ونحن وحدنا المتهمون بالإرهاب!

هذا حال أكثرهم، وقد سبقت الإشارة لبعضه وستأتي له بقية بإذن الله.

والمفكرون الغربيون يبحثون عن مفقود ويتساءلون من حيث لا يجيبهم أحد.

كالعيس في البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول

فالإسلام سهل التناول وفيه الإجابة عن كل تساؤل، والشفاء من كل مرض، لكنهم ماديون ينكرون ما عدا المحسوس، والماديون يعتمدون على الحواس وحدها، ولا يدرون شيئا عما عداها، فهم كمن يرى الجثة المتعفنة ولكنه لا يرى الروح ولا يدري أين هي؟ وقديما قال أبو زكريا الرازي:

وأين محل الروح بعد خروجها عن الجسد المنحلّ والهيكل البالي

وهم يرون الضوء صادرا من النجم ولكن ربما يكون النجم نفسه قد انطفأ وإنما يرونه لبعد المسافة بينهم وبينه، وهم يحسون المريض ولكنهم لا يرون الميكروبات أو الفيروسات التي أصابته بالمرض. وهم يرون الحاسوب ولكنهم لا يرون كيف يقوم بعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة في لحظات معدودة، وهم يرون الهاتف الجوال أو الأرضي ولكنهم لا يرون كيف ينتقل الصوت إلى الطرف الآخر في اللحظة نفسها، ولو كان في أقاصي الأرض؟ وهم يقرأون تركيبة الدواء ولكن المصانع المركبة له لا يدركونها، بل لا يسألون عنها؟ وهم يفتحون التلفزيون أو المذياع ولكن لا يرون الموجات التي تنقل الصورة والصوت! وأمثال ذلك مما يتعاملون معه دون أن تدرك حواسهم عمله.

وهل رأوا بحواسهم المحدودة أطوال الموجات وحركة الالكترونيات، وهل أدركوا كيف كانوا هم في الرحلة المنوية والمرحلة الجنينية ومرحلة الطفولة أليس ذلك كله يقينا عندهم؟ فمن أين جاءهم اليقين إذا لم يكن له مصدر إلا حواسهم.

بل إن العقليين منهم أرقى من الحسيين ولكنهم لا يعلمون أين عقولهم التي بها يجادلون ويحاورون، ولا يستطيع أحد منهم أن يقول إنه رأى عقله! فهم في الحقيقة كما قال الشيخ على الطنطاوي رحمه الله كرجل حبسته في قفص من حديد وجعلت له خمسة ثقوب صغيرة (الحواس)، والمسلم لا ينكر الحس ولا العقل ولكن لا طريق للحس إلا بالعقل، والعقل طريق للوحي، والعقل بلا وحي كالبصر بلا نور، وهم يعتمدون على نظرية التطور العضوي مع أن داروين نفسه كان مترددا حائرا حتى أن بعضهم ألف كتابا عنوانه "تردد داروين".

ونحن نرى الضوء ونرى البرق ولكننا لا نرى ألوان الطيف السبعة وربما جاء زمان يكتشف فيه العلم أنها أكثر.

كما لا نتنكر للعلوم الحديثة كالكيمياء والفيزياء والرياضيات والجغرافيا فهي من علوم التوحيد لو حسنت النية، وفيها آيات وبراهين وهي من جملة النظر في ملكوت الله والتفكر في خلق السماوات والأرض، ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ﴾ [العنكبوت:٢٠].

نعم العلوم الشرعية أشرف من غيرها، ولكن من أسباب ذلك قيامها على العقل لا على الحس، وشرطها أن تزيد الإنسان إيمانا وخشية، وأن يعلم أن علوم التوحيد الأخرى تفصيل لها وأدلة عليها، والله تعالى هدى الإنسان وعلّمه وأنزل له الشريعة ليعمل بها ولسنا مخيّرين في العمل بها أو تركه، وليس قوله تعالى مثلا: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] للتخيير، بل هو كقولك إن شئت فادخل الجنة وإن شئت فادخل النار.

وحتى الحس في الإسلام له مفهومه الخاص.

ومن المحسوسات العرف والعادة، ومن رحمته تعالى جعل العادة محكّمة بشرط ألا تخالف الشرع والعرف، وما كان عليه الآباء والأجداد يسمى في الاصطلاح المعاصر "العقل الجمعي"، والعقل الجمعي قد يوافق الحق وقد يخالفه، والدعاة يريدون للناس ما هو أعلى منه وأرقى، ويجب ألا يفهم الناس أن الدعاة يريدون أن يتفضلوا عليهم، فالتفضل هو الذي ادعاه قوم نوح عليه السلام، حين قالوا ﴿يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ [المؤمنون:٢٤] ولا شك أنهم كاذبون في تلك التهمة،وأنهم إنما لجأوا إلى اختلاقها لما أعوزتهم الحجة، فهذا كقول قوم فرعون: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٧٨]، وقولهم: ﴿يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا﴾ [طه:٦٣]، ومثلهم من يتكلم عن النيات فيقول إنهم يريدون الحكم وغرضهم وهدفهم كذا، والطواغيت دائما يستدلون بالمحسوسات، كقول فرعون ﴿أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزُّخرُف:٥١]، ويدَعون ما يراه الناس أو ما رأوه، ودعوى الدجال أنه هو الله ودعوى النصارى أن المسيح عليه السلام هو الله في غاية البطلان فالله تعالى أجل وأعظم من أن يتجسد في شكل رجل يمشي بين الناس ويموت مثلهم ويأكل ويتغوط، وتسري عليه سائر قوانين عالم الشهادة، وقد صح عنه ﷺ قوله: (واعلموا أن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت)، وطلبُ موسى عليه السلام أن يرى الله كما في قوله ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١٤٣] هو في ظاهره مثل قول بني إسرائيل ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء:١٥٣]، ولكن شتان بين الطلبين، إذ أن موسى عليه السلام طلب الاطمئنان القلبي وزيادة اليقين و لم يكن متعنتاً كبني إسرائيل. على أن الرجل الذي له فضله وجهاده ومترلته يحتمل منه ما لا يحتمل من غيره.

والحس يقوي العقل ويزيد الإيمان، ويجلب الاطمئنان إذا حصل، وقد قال خليل الرحمن عليه السلام ﴿رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة:٢٦٠]،

وذلك لكي يصبح حق اليقين عنده عين اليقين، وحاشا الخليل أن يكون شاكا، وقد قال ﷺ في نفي الشك: (نحن أولى بالشك من إبراهيم).

وليس في القرآن والسنة إنكار تحلل جسد الإنسان بعد الموت أما الروح فنحن قطعا نجهلها المؤمن منا والكافر، بل الجسد يفنى كله إلا (عجب الذنب) كما في الحديث، والله تعالى يقول لمنكري البعث: (قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ)، ويقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة: ٣-٤]، أما أجساد الأنبياء والشهداء فلا تتحلل ولا تأكلها الأرض.

وبعض الناس كالبهيمة لا يؤمن إلا بما يرى، ويقول إنه لا يرى عذاب القبر ونعيمه، وهذا صحيح غير أن المسكين نسي أنه لا يرى الملائكة كالديك ولا يرى الشياطين التي يراها الحمار.

أوليس الإنسان أكرم على الله منهما؟

وهل يرى المسكين حلم النائم لو نام بجواره، وقد يكون حلما مفرحا وقد يكون حلما مزعجا.

والمسلمون لا يتنكرون لحقائق العلم وقوانين المادة التي يسميها الغربيون (قوانين الطبيعة)، ولكنهم باليقين وقوة الثقة وصدق التوكل يخرقون قوانين العالم الحسي ويأتون بالعجائب سواء القوانين الفيزيائية أو الكيميائية أو البيولوجية وغير ذلك، ويغيرون كل المعادلات الحسية المألوفة، دع آيات نبوته ﷺ وهي تبلغ ألف آية، ومنها انشقاق القمر فلقتين.

والمسلمون كذلك لا يتنكرون للعقل كما فعل النصارى، بل يؤمون أنه نعمة عظيمة من الله يجعلونه مناط التكليف، وبه يعرفون صدق الوحي، والله تعالى ضرب في كتابه الأمثلة التي يسميها شيخ الإسلام (الأقيسة لاعقلية).

والمسلمون ليسوا مجرد نصوصيين أو سماعين يقبلون أي خبر بلا عقل، وبعضهم يشتغل بالنص لأنه هو المدلول لأنه يتنكر للعقل، ،انت لو نظرت في

المسائل الخلافية مثلا لرأيت من دقة الاستنباط وحسن الاستخراج ما يدل على أن الفقيه عبقري، وأن عقله كعقل الفيلسوف وربما أكبر.

واليقين نفسه تتفاوت درجاته قال النبي ﷺ: (ليس الخبر كالمعاينة، فإن الله تعالى أخبر موسى بما صنع قومه بالعجل)، يعني قوله تعالى: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ﴾ [طه:٨٥] فلم يلق الألواح فلما عاين ما صنعوا ألقى الألواح.

وحين يرجع الفلاسفة الغربيون العقل إلى مجرد التفكير فيما تنتجه الحواس أو تختبره، فهم بذلك يقللون من قيمة العقل ويضيِّقون مصدر المعرفة، وعلى هذا التضييق كان المجوس والسمنية والجهم بن صفوان.

ولكن الإسلام قدّر العقل وامتن الله به علينا فقال: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨]، وعقيدة أهل السنة وسط في العقل بين من يحكّمه في الوحي، وبين من يهدر قيمته حتى أنه عنده لا يحسّن شيئا ولا يقبّحه، - فكيف يختار الليبراليون الضيق وبين أيديهم ما يشمل ذلك ويزيد عليه؟ ولماذا الوقوف عند السمع والبصر فقط وإنكار الأفئدة؟

وأين التجريبيون من أحكام الفطرة البدهية الضرورية؟

وكم من أحكام نصدرها بالبديهة أو نؤمن بها مصدرها عقولنا وليس الحواس وحدها، انظر مثلا عالم الغيب ومنه معرفة الله تعالى، هل الإيمان به يعتمد على الحواس وحدها؟

ولو كان الأمر كما يقولون لماذا خلق الله لنا العقول؟ وجعل لنا معلومات فطرية بدهية لا تحتاج إلى إعمال الفكر فضلا عن الحواس.

والله تعالى حينما أخبرنا عن إهلاك القرون الأولى قال ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧]، وقال: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم:٤٢]، وقال عن الكفار: ﴿وَقَالُوا۟

﴿لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [المُلك:١٠]، فللمعرفة مصدران: الخبر الصادق والنظر العقلي الصحيح.

وقد أخطأ الغربيون لما هربوا من النصرانية إلى التجربة وحدها، فليس الحل هو الهرب من الخرافة إلى الإيمان بالحس فقط أو الشك في الحقيقة.

وليس الحل أيضا أن يكون أصل اليقين هو الشك كما فعل فلاسفة اليونان والمتكلمون في الإسلام، حيث جعلوا الشك هو الوسيلة للوصول إلى اليقين.

ومتى كان الباطل وسيلة للوصول إلى الحق؟

فلا "توما الأكويني" ولا "ديكارت" جاء بالحق المبين.

وعلى هذا الشك قامت فلسفة "هيوم" و"ديكارت" ثم توسع الغربيون حتى قامت عليه جل فلسفاتهم كما تقدم.

وما النسبية المطلقة إلا صورة حديثة من الشك، فكيف يتبع الشاكِّين من آتاه الله اليقين؟

كما أن للغربيين أخطاء علمية كثيرة في المحسوسات، وربما كان عليها أكثرهم، ومن ذلك ظنهم أن جزيرة العرب صحراء قاحلة.

والعلم نفسه يكذبهم، فما يسميه خبراؤهم (الدرع العربي) ليس صحراء وكذا شمال جزيرة العرب، فهو مثل الشام ليست صحراء وإذا هطل المطر في هضبة نجد تحولت إلى جنان.

نعم جزيرة العرب منطقة مدارية، وكل المناطق المدارية في العالم يقل فيها المطر وليست كالمناطق الاستوائية لكن الأماكن غير الصحراوية في جزيرة العرب أكبر من كبريات الدول الأوروبية، وأما صحراء الربع الخالي فهي مساكن عاد الذين سلط الله عليهم الريح الصرصر العاتية لما كفروا وهي تحتضن في باطنها من النفط والمعادن ما لا تختزنه صحراء نيفادا في أمريكا.

لكن لأن الأمريكان سموا حرب تدمير العراق عاصفة الصحراء سمى مقلدوهم أنفسهم مقاتلين من الصحراء، ولما رأوا ناطحات السحاب في

اليمن سمّوها ماهاتن الصحراء متناسين أن أجدادهم إنما سموا بلاد اليمن (العربية السعيدة) وليس الصحراء.

ومما يتنافى مع العلم تصديق الإشاعات والعمل بمقتضى ما يقال دون التأكد منه، فمثلا لما سأل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله أحد المتعاقدين كيف جئت للملكة؟ قال: جئنا على الله ثم على الطيارة!

وحدثني أحد أعضاء لجنة التعاقد أنه سأل بعض الشيوخ عن حكم الصلاة على النبي ﷺ فقال: حرام!

وأنا سمعت شيخا من كبار شيخ الأزهر يقول إن الرياض مدينة قديمة وبيوتها من الطين، وإذا أراد أحد من هؤلاء المساكين أن يكون تفكيره حرا ويعتمد على ما يرى ويسمع بنفسه فإنه لا يجد في القنوات السعودية إلا الحديث عن الغرب وتعظيم ما يسمى الحليف الاستراتيجي، ويقرأ ما تقوله الصحف الغربية عن المملكة فيصدق ما يقوله الرافضة عن مذكرات "مستر همفر" المزعومة، وأن الوهابية يكفرون المسلمين ويكرهون الرسول، وأن الناس في الحج مجبورون أن يكونوا وهابية وأن ما قاله الشيخ أبو زهرة عن الوهابية صحيح، وأن ما قاله الجبرتي خطأ، ولذلك يسألون الحاج ماذا قال لك الوهابيون وأي كتاب أعطوك؟

ويقول المغرضون منهم إن الوهابية إذا أذّنوا يقولون: (محد) أي لا أحد رسول الله، فيرد عليهم من يرون أنفسهم معتدلين أو موضوعين بأنهم يقولون محمدا رسول الله لكنهم يعتقدون أنه مجرد ساعي بريد!

والرافضة وأشياعهم يطعنون في بني أمية توصلا للطعن في معاوية ؓ وبالطعن فيه يتوصلون للطعن في الصحابة ويقولون إنما معاوية أحد ولاة عمر، وإن البخاري ومسلم إنما وضعا كتابيهما بطلب من السلطة العباسية، وهكذا يطعنون في الشيخين.

والناس يصدقون الشائعات والأكاذيب وكثافة الضخ الإعلامي لا سيما إذا اقترن بذلك ضعف الدعاية المضادة، وتؤثر حتى في أصحاب العقل

والفطنة، فقد ظن ضماد الأزدي أن رسول الله ﷺ مجنون، وحديثا ظنت أخت زوجة "بلير" أن المسلمون إرهابيون واشتد كرها لما كلفتها المؤسسة الصحفية التي كانت تعمل فيها بالذهاب إلى رام الله وهناك فوجئت بعكس ما كان يقال لها فأسلمت.

فمتى تهتم وسائل الإعلام المحسوبة على السعودية بالحقائق بدلا من إفساد الناس؟.

- المصلحة والمفسدة:

لا يتنافى العمل بقاعدة المصالح والمفاسد مع العقيدة، ولا بذل الجهد وإنكار المنكر مع كون بعض الأمور محظورة من أصلها، والله تعالى إنما أمر كل امرئ في حدود طاقته ولا ريب أن الطاقات تختلف، ومن سعة الإسلام أن بعض الناس له أن يأخذ بالرخصة أو يرتكب بعض المكروه عند الحاجة أو بعض المحرمات عند الضرورة، بينما للآخر الأخذ بالعزيمة كما كان أولو العزم من الرسل، وكما حذر النبي ﷺ بعض الصحابة من الولاية وولّى غيرهم، وإنما يظهر التفاوت بالشورى والتقييم الصحيح.

وينبغي للمسلمين إحياء الشورى، وإذا أجمع العلماء أو أهل الاختصاص على مصلحة لم يجز العمل بضدها وإن لم يحصل الإجماع عمل المسؤول برأي الأكثرين، والمسلم يعمل بالقرائن إذا لم يكن في الأمر بينه تخالفه، ولا يخرج شيء من العدل عن الدين قط.

قال ابن القيم رحمه الله: "إذا ظهرت أمارات العدل، وأسفر وجهه بأي طريق فثم شرع الله ودينه".

وقال: "أي طريق استخرج بها العدل والقسط هي من الدين".

والمصالح والمفاسد لا تتمحض غالباً، بل الأغلب هو الامتزاج بينهما، وقد نبه الشاطبي رحمه الله على أن أكثرها كذلك، فهي تختلف من حال لحال، ومن شخص لآخر، ومن وقت دون وقت وفي بلد دون بلد خذ مثلاً

اليمين التي يقسمها الناس على العمل بالدستور، فهي في بعض البلاد غير مشترطة.

على أنه يجب مراعاة الحال والظرف الذي يعيشه الإنسان، ثم الحكم عليه بالعدل.

وشيخ الإسلام ابن تيمية نص على أن المبتدع خيرٌ من الكافر وعلى أن النور الذي فيه ظلمة خير من الظلام المحض، وقال عن الموازنة بين ما يأتي الإنسان وما يدع: "فهذا طريق الموازنة والمعادلة ومن سلكه كان قائما بالقسط الذي أنزل الله له الكتاب والميزان".

والحكم الصحيح على الإنسان لا يكون من موقف واحد أو جانب واحد، فكل مسلم فيه ما هو مرغوب وما هو عكسه: "والله تعالى بعث الرسل بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها" كما قال رحمه الله.

وقال شيخ الإسلام أيضا: "فتفطّن لحقيقة الدين وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد، بحيث تعرف مراتب المعروف ومراتب المنكر حتى تقدم أهمها عند الازدحام".

والله تعالى مع أن له الحكم جعل الحكم في بعض الأمور راجعاً إلى الاجتهاد البشري، فقال عن الخلاف بين الزوجين: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ ﴾ [النساء:٣٥] الآية.

وجعل للمجتهد أجر الاجتهاد وإن أخطأ.

وقال عن كفارة الصيد: ﴿وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ ﴾ [المائدة:٩٥] الآية.

والنهي عن التقليد أو عن اتخاذ المصلحة صنما يعبد من دون الله لا يعني إهدار المصالح والمفاسد بإطلاق، وترك الموازنة بين الخير والشر والحسن والقبيح.

وديننا والحمد لله هو دين الاعتدال والتوسط في كل أمر وهو تنزيل الرحمن الرحيم وليس ردة فعل بشرية، ومن الظواهر البارزة في التاريخ الفكري أن الغرب يرتد من النقيض إلى النقيض، ولا يعرف التوسط: فمن التدين النصراني والتشبث بخرافات لا أصل لها إلى الكفر بكل دين، ومحو الدين من الهوية وتصريح الإنسان بأنه ملحد لا دين له.

ومن الإيمان بالتقدم المستمر إلى الإيمان بالانهيار الحتمي.

ومن الرهبانية المتزمتة إلى الإباحية المنفلتة.

ومن الفردية المطلقة إلى الجماعية التي تحرم الملكية الفردية.

ومن الثبات المطلق إلى التطور المطلق.

ومن الإطلاق في كل شيء إلى النسبية في كل شيء.

ومن التبعية العمياء للملوك أو رجال الدين إلى الحرية التي لا ضابط لها.

ومن المدارس العقلية إلى مدارس اللامعقول.

ومن الاستبداد المذل إلى الديمقراطية وحكم الشعب.

ومن الحجر على الفكر إلى حرية التعبير التي من معانيها حرية الكفر.

وهكذا الغربيون تسوقهم ردات الفعل من النقيض إلى نقيضه بلا توسط في الحالين.

وزعموا أنهم خرجوا من العصور المظلمة إلى عصر التنوير، ولكن بعضهم قال: نحن ندخل عصر ظلمات جديد وبعضهم كتب عما سماه "التنوير المظلم".

ومن اعتدال المسلمين وحبهم للعدل أن لهم دوافع حسنة غالبا، ويقبلون الحق ممن جاء به ولا تفتنهم الحضارة الدنيوية عما عند الكفار من مساوئ خلقية وعادات ممجوجة، أما المستشرقون فأغلب دوافعهم سيئة، ولكنهم إذا خالطوا المسلمين تغيّر بعضهم ويعبِّرون عن ذلك بتعبيرات مختلفة، فمنهم من يقول إن الصحراء سحرته ومن يقول إن مصدر سحره هو العادات الاجتماعية لدى البدو، لا سيما من يرى البدوي الذي لا يملك شيئا يستدين

لكي يكرمه مع أنه لا يعرفه، وهو الأمر الذي لا يوجد قط في المجتمعات الغربية، ومنهم يبدي إعجابه بالتاريخ الإسلامي ومنهم من ينجذب لهذه المؤثرات جميعها.

وبعض أعداء الإسلام تبهرهم السيرة الشريفة وما كان عليه الصحابة والسلف عامة من المكارم والخلق، وبعضهم قد يُسلم.

وبعض القساوسة -كما حدثني بنفسه بعد إسلامه- أقسم أنه إنما قرأ القرآن والسنة أول مرة ليرد عليهما.

وقد حرص الكفار على عقد مؤتمرات تحدد المعتدلين وتبين الشاذين عن الطريق القويم في نظرهم، (الراديكاليين)، وقد كانوا يعقدون مؤتمرا كل ثلاثة أيام، ومن ذلك مؤتمر جروزني المعروف، حيث حددوا أهل السنة وميزوا من ليس من أهلها، وجعلوا المتكلمين والصوفية هم أهل السنة، وأخرجوا الوهابية والإخوان منها.

وبعد مؤتمر جروزني كثر اللغط والتشويش حول الأشاعرة، ونحن هنا لن نطيل في الموضوع وإنما نشير فقط إلى بعض الحقائق التي يتضح بها الفرق بينهم وبين أهل السنة المحضة:

١- أن أكثر المسلمين اليوم ليسوا على مذهب الأشاعرة، إذ لا يعتقدون أن الله ليس داخل العالم ولا خارجه أو أنه في كل مكان، وإنما يعتقد المسلمون أنه تعالى فوق كل المخلوقات، ولا يعتقد عقيدة الأشاعرة إلا الفئة القليلة التي علّموها خلاف فطرتها، كما أن أكثر المسلمين لا يقولون بالكسب ولا بالصفات السبع مثلا.

٢- أنه حسب عقيدة الأشاعرة يكون أكثر المسلمين يعتقدون ما هو كفر لأسباب منها:

أ- أن عقيدة الأشاعرة تقول إن النصوص لا تفيد اليقين، وإنما اليقين هو ما يحكم به العقل.

ب - أن عقيدة الأشاعرة تقول إن الإيمان بظواهر القرآن كفر.

جـــ- أن عقيدة الأشاعرة صريحة في أن نسبة الأسباب للعلل أو للمسببات كفر، (انظر مثلا المواقف للإيجي، وشرح جوهرة التوحيد للباجوري)، ومن الجوهرة مثلا يقول ناظمها:

ومن يقل بالطبع أو بالعلة   فذاك كفر عند أهل الملة

فماذا يقول العلم التجريبي؟

وماذا يقول الأطباء في هذا القول؟

٣- أن المذهب الأشعري مرَّ بتقلبات وتطورات كثيرة، بل إن الأشعريّ الواحد يُكثر التنقل كما فعل الرازي وأبو المعالي الجويني وأبو حامد الغزالي، وفي آخر أمرهم يعودون إلى دين عجائز أهل السنة.

فقد وضع الرازي قانون التعارض بين العقل والنقل، ثم إنه انتقل إلى الفلسفة الإشراقية، ثم إنه انتهى في وصيته إلى الرجوع إلى طريقة القرآن أي عقيدة أهل السنة والجماعة، وأما أبو المعالي الجويني فقد عاد للتفويض كما في كتابه (العقيدة النظامية) ثم رجع عن ذلك آخر عمره، واعترف بأن التفويض ليس مذهب السلف، وقال: "لقد ركبت البحر الأعظم وخضت فيما نهى عنه أهل الإسلام وها أنذا أموت على دين عجائز نيسابور فإن لم يدركني الله برحمته فالويل لابن الجويني".

والغزالي تاريخه معروف والكلام فيه مكرر.

٤- أن الإمام أبا الحسن الأشعري مسبوق بالقرون الثلاثة الذين لم يكن فيهم مؤوّل ولا مفوض، بل كانوا كلهم على عقيدة أهل السنة والجماعة وأفضلهم الصحابة رضوان الله عليهم، والأشاعرة متأخرون أولهم أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة (٣٢٤ أو ٣٣٠) كما يقولون، فهم ليسوا من القرون الثلاثة المفضلة قطعاً، وليسوا من السلف بل من الخلَف.

٥- أن غاية الشيخ أبي الحسن الأشعري أن يكون قد تاب ورجع عن الاعتزال كما قال بعد أن عاش معتزليا أربعين سنة كما ذكر، ولا يصح اتخاذ التائب إماما بل يجب أن يكون الإمام هو من عاد التائب إلى عقيدته،

والأشعري قال في رسالته لأهل الثغر وفي مقالات الإسلاميين: وبكل ما قال (أي الإمام أحمد) نقول والإمام أحمد كما هو معلوم هو إمام أهل السنة والجماعة.

٦- أن العبرة بالمنهج العام وليس بوقوع الخطأ أو بحسن الظن في غير محله، ومن كان منهجه اتباع الوحي المعصوم ليس هو بمعصوم إذ كل بني آدم خطاء وجلّ من لا يخطئ بل له الكمال المطلق، أما من كان منهجه الكلام فحكمه ما قاله الشافعي رحمه الله في حق المشتغلين بالكلام.

٧- مذهب الأشعرية في الإيمان هو مذهب جهم، بل صرح أبو المعالي في الإرشاد باختياره دون مذهب السلف وقال صاحب الجوهرة:

وفسّر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق

فإذا كانوا مختلفين في النطق بلا إله إلا الله فمن يتبعهم من المسلمين؟

٨- الأشعرية في الحقيقة على مذهب ابن كلاب في الصفات، هذا ما قرره الشيخ حماد الأنصاري بعد طول بحث، وقرره قبله شيخ الإسلام ابن تيمية، وقارن بين عقيدة عبدالله بن سعيد بن كلاب كما ذكر أبو الحسن الأشعري في (مقالات الإسلاميين)، وبين ما عليه أكثر الأشاعرة اليوم.

٩- الأشاعرة يؤولون كما فعل ابن فورك في كتابه "تأويل مختلف الحديث" وهذه التأويلات هي تأويلات بشر المريسي، انظر مثلا رد الإمام الدارمي على المريسي، وقال صاحب الجوهرة:

وكل نص أوهم التشبيها أوله أو فوض ورم تنزيها

١٠- ليس كل من أخطأ فأوّل بعض الصفات أو فوضها أشعريا، وإنما يرد الخطأ على صاحبه بموجب عقيدة أهل السنة والجماعة.

١١- الأشاعرة جبرية حتى أن الرازي قال الإنسان مجبور في صورة مختار، فهم في هذا الركن من أركان الإيمان (القدر) مخالفون للكتاب والسنة وإجماع السلف فكيف يكونون هم أهل السنة؟!

والله تعالى نسب فعل العبد إليه ويجازيه به كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، ومن الأفعال ما لا يصح نسبته لله تعالى مطلقاً كما يقول الأشاعرة مثل (الزنا والسرقة وشرب الخمر).

١٢- بعض المحدثين كالنووي يحسن الظن بالمتكلمين وهذا خطأ منه، والمتكلمون ليسوا هم النخبة المثقفة الواعية، كما يظن بهم من خفي عليه حالهم، بل هم فروخ الصابئة والفلاسفة والجهمية، كما أن بعض أعداء الأشاعرة ينفون الصفات و لم يقل أحد إنهم أشاعرة كابن الجوزي مثلا.

١٣- بعض العلماء -كالعز بن عبد السلام مع ماله من فضل ودين وجهاد يظن أن الأشاعرة نصروا الدين ويحبهم لأجل ذلك- مع أنهم في الحقيقة لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا.

١٤- ينبغي للأشاعرة أن يتبرأوا من أقوال الجهم بن صفوان وبشر المريسي، كما ينبغي لصوفيتهم أن يتبرأوا من أقوال بن عربي والتلمساني وابن سبعين.

١٥- يدعي بعض الأشاعرة أن الشافعية أشعرية وأن الحنفية ماتريدية، وهذا باطل تكذبه حقائق التاريخ، ويبطله حكم الشافعية كابن سريج والإسفرائيني وعقائد أئمة الحنفية (مثل ملا علي القارئ) وكثير من علماء الحنفية الآخرين مثل البيركوي.

١٦- من دخل في عقيدة الأشعري من المالكية فهو مفضل للأشعري على مالك في العقيدة كما قال قائلهم:

في عقد الأشعري وفقه مالك وفي طريقة الجنيد السالك

ولا ريب أن الإمام مالك رحمه الله أصح من الأشعري في العقيدة، وأعبد من الجنيد، وانظر إلى الموطأ مثلا وما شرحه به ابن عبدالبر رحمه الله، ورسالة ابن أبي زيد وكلام ابن خويز منداد.

١٧- للأشاعرة أقوال انفردوا بها عن أهل السنة والجماعة بل عن الفلاسفة والمعتزلة، كقولهم بالكسب وقولهم بالكلام النفسي، وقولهم بالاقتران العادي، فكيف يكونون هم أهل السنة؟ نعم هم أقرب لأهل السنة من الفلاسفة والباطنية والجهمية والمعتزلة والرافضة لكن مذهبهم فيه تناقض واضطراب، بخلاف مذهب أهل السنة المحكم المطرد لأنه يتبع الوحي المعصوم. وهم من أهل السنة بمعنى أنهم ليسوا شيعة أي بالمفهوم العام، ومن صلّى منهم فهو من أهل القبلة، لكنهم ليسوا من أهل السنة المحضة، كما كان مالك والسفيانان وشعبة وأيوب وابن مهدي والبخاري والنسائي وأمثالهم.

١٨- بقيت عند الامام الأشعري رحمه الله بقايا من مذهب المعتزلة لطول مكثه معتزليا، وهو يظن أن تلك البقايا حق لا شك فيها.

١٩- كان أبو الحسن الأشعري -غفر الله لنا وله- يعرف الجاهلية تفصيلا، أما معرفته للإسلام فهي مجملة انظر كيف فصّل مثلاً مذاهب الناس في معنى الإنسان ومعنى الجسم، ولما جاء في كتاب مقالات الإسلاميين إلى عقيدته هو أجملها، وقال: نحن بكل ما قال الإمام أحمد نقول.

٢٠- لم يذكر مؤتمر جروزني أي كتاب أشعري لكي نبين لهم ما فيه.

٢١- الأشاعرة اليوم على ما قال الباجوري في جوهرة التوحيد وهي عقيدة كلامية واضحة، فكيف يكون أصحاب الكلام هم أهل السنة والجماعة؟

٢٢- أكبر الصوفية وأعظمهم أثراً هو أبو حامد صاحب إحياء علوم الدين، ومع ما في الإحياء من الواهيات والموضوعات والحكايات الصوفية ليس فيه باب عن الجهاد قط، والذين اجتمعوا في جروزني لم يذكروا دليلا من الكتاب والسنة أو فعل أحد من السلف على الرقص الصوفي، وعلى ما يقوله الصوفي من الرؤى والمخاطبات، لا سيما دعواهم أن الله يخاطبهم وأن الرسول ﷺ يأمرهم بكذا وكذا.

كما أن للأشاعرة مصادر يأخذون منها عقيدهم منها فلسفة اليونان، وما كتبه يوحنا الدمشقي في (ينبوع المعرفة)، وما كتبه موسى بن ميمون اليهودي في (المقدمات الخمس والعشرون)، ولو كان المصدر هو الكتاب والسنة وحدهما لما كان هذا الاختلاف بينهم.

ونحن نكرر أن العبرة دائما بالمنهج وليس بمجرد الموافقة أو الانتساب، أما الأخطاء فكل بني آدم خطاء، فمن كان منهجه علم الكلام مثلا فهو مخطئ وإن أصاب، أما من كان منهجه الاتباع ولكنه أخطأ فأول صفة أو صفات أو صحح أحد المذاهب الكلامية حسب علمه، فخطؤه مغفور ولا يخرج بذلك عن السنة إذْ ليس كل واحد من أهل السنة معصوماً، لكن لا يُقلّد في الخطأ، وإنما يُنبه إليه بأفضل أسلوب.

وكذا من أحسن الظن بأهل الكلام مع أن منهجه حديثي، كالحافظ ابن حجر والإمام النووي، وقلْ مثل ذلك عن الصوفية وأصحاب الزهد البدعي.

-كان بنو إسرائيل يمسخ الله أجسادهم ويجعلهم قردة وخنازير، أما منافقو هذه الأمة فيمسخ الله قلوبهم مع بقاء اسم أحدهم عبدالله مثلا ومع ادعائهم أنهم مسلمون!

وهذا المسخ تحدث عنه بعض الصحابة الكرام، واليوم يستخدم الغرب ما يسمونه غسيل الدماغ كما يستخدم الغزو السلوكي مع الغزو الفكري ويساعد على ذلك الاتصالات الحديثة.

- العلم في الإسلام يقوم على التحرر الفكري وينكر الجمود والتقليد، وقد تمنى الإمام أبو حامد الغزالي الشافعي أن يكون مذهب الشافعي في الطهارة كمذهب مالك.

ونحن نقول: من الذي أرغم الإمام الغزالي على أن يكون شافعيا؟ ولماذا لم يتحرر من أغلال التقليد؟ أليس عقله جبارا كما تدل كتبه؟ فلم لا يكون

له اختيارات كابن تيمية؟ ألم يقل الشافعي نفسه "إذا صح الحديث فهو مذهبي؟".

– لكي يعرف المسلم حقيقة دينه وقيمته لا بد من معرفة الجاهلية، قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في مقدمة كتابه (مسائل الجاهلية):

"هذه أمور خالف فيها رسول الله ﷺ ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأميين، مما لا غنى للمسلم عن معرفته:

فالضد يظهر حسنه الضد   وبضدها تتميز الأشياء. ا هـ.

وفي هذه الرسالة المذكورة ذكر شيخ الإسلام المجدد رحمه الله أن من عادة الجاهليين الفزع إلى الملوك، والقول بأن الدين انتقاص لدين الملك (انظر المسألة الثانية والستين والرابعة والستين).

وهكذا قال اليهود عن المسيح عليه السلام لبيلاطس عامل قيصر: "هذا يقول إنه ملك اليهود ونحن لا نعرف لنا ملكا إلا قيصر".

– ينبغي التوسع في العلم قدر المستطاع والإمام أحمد رضي الله عنه إنما كان علمه بالحديث والفقه جزءا واحدا من إمامته وقد شهد له الشافعي رضي الله عنه بالإمامة في ثمانية أمور معروفة.

وعلى من يدعي أنه حنبلي أن يقتدي به في سيرته كلها ما استطاع، ولا يهمل جانبا منها إهمالا كلياً.

وكثير من الأقوال أو الخرافات التي في الفقه الحنبلي ولا سيما المتأخرة لم يقلها الإمام أحمد ولم تخطر له ببال.

– من الحكمة في الدعوة التدرج وهو طريقة عقلية حكيمة وأسلوب نبوي يبدأ بالانتقال من المعلوم إلى المجهول وإن شئت قلت يبدأ من المحسوس إلى الغيب المطلق، وربما استدل على الغيب المطلق بالغيب النسبي كما سيأتي.

فكثير من المواضع في القرآن جاء فيها الاستدلال على البعث بإحياء الأرض الميتة، وهذا أمر يراه البدوي والفلاح وعالم الأحياء وكل ذي عقل.

ومن التدرج ما حكاه الله تعالى عن خليله إبراهيم إذ بدأ في محاجة قومه من الكوكب ثم القمر ثم الشمس ثم انتقل إلى الغيب وهو الإيمان بالله الواحد الأحد.

فالمعرفة ثلاث دوائر دائرة المحسوسات ومفتاحها الحس، ثم دائرة المعقولات ومفتاحها العقل، ثم دائرة السمعيات ومفتاحها الوحي الذي يخبرنا عن عالم الغيب.

- وينبغي لطالب العلم أن يتلقى عن شيخ عالم يعلّمه صغار العلم قبل كباره، ويتدرج به في قضايا العلم، ولا يكون شيخه مجرد كتابه أو (قوقل) حيث أصبح الإقبال على الانترنت أكثر من الإقبال على العلماء، والكتابة بالعامية سائغة، والكذب رائجا.

-لا يوجد فوضى خلاقة؟ وإنما ابتدعت أمريكا مصطلح "الفوضى الخلاقة" لتستر به سعيها إلى التفتيت والاستقطاب، أو لتستر بها إخفاقاتها المتتالية في بلاد الإسلام، وهذا من تلاعبها بالمصطلحات، وإلا فالفوضى لم تكن ولن تكون خلاّقة وقد قالت "كونداليزا رايس" إن الولايات المتحدة أرادت للشرق الأوسط الديمقراطية والأمن ولكن لم يتحقق أبدا لا الديمقراطية ولا الأمن"!

وأصحُّ وصف لها لغة وعقلاً هو (اللانظام).

- الرجوع للأصول الكلية إذا لم نجد في المسألة نص:

العقل المسلم يدخل الجزئي تحت الكلي، ويستدل على النظير بحكم نظيره.

وإذا ترك الله حكما معينا رحمة بنا غير نسيان، فإننا نرجع إلى النصوص العامة، ونلحقه بالأقرب، ونجعله جزئياً يدخل تحت ما علمنا من الكليات.

وقد سئل النبي ﷺ عن بعض الأمور فقال: ما أُنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ

مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

والغرب يستخف بالعقل المسلم، ويظن أن المسلمين من البلاهة والسذاجة بحيث يصدقونه بلا تفكير، فقد زعم الأمريكان أنهم وجدوا بين الركام بجوار مركز التجارة العالمي جواز سفر لأحد الفاعلين، ثم إن فرنسا زعمت أنها وجدت جواز سفر أحد الجناة بجوار جثته المتفحمة في باريس، وهكذا.

- آيات الله أعجب مما نظن:

الإنسان بعقله المحدود وعلمه القاصر يحسب أن ما يراه عجبا هو كذلك، ولكن من آيات الله ما هو أعجب منه.

وذلك كشأن اليهود والنصارى إذ كانوا يعجبون لأن الله تعالى أمات أهل الكهف ثلاثة قرون ثم بعثهم، وجعلوا ذلك اختباراً للنبي ﷺ، لكن الله أوحى إليه القصة وقال في أولها: ﴿ أَمۡ حَسِبۡتَ أَنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡكَهۡفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُواْ مِنۡ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ [الكهف:٩].

فالبعث بعد الموت أعجب لا سيما حين يجمع الله الأولين والآخرين، وأكذبُ ممن يكذب بقصة أهل الكهف من يقول إن الله اتخذ ولدا فاقرأ السورة من أولها.

- أي العلم أعظم:

لما عظّم الناس الدنيا جعلوا العلوم التي تحفظ أبدانهم فوق العلوم التي تداوي قلوبهم، وأصبحت العيادات النفسية أعلى عندهم من العيادات الإيمانية، مع أن الأولى تتقاضى منهم أجورا، والأخرى تأتيهم مجانا، والقرآن والأذكار النبوية تحصّنهم من المرض أصلا أي أنها تعطيهم الوقاية المجّانية، مع فوائدها الأخرى لا سيما الأجر في الآخرة.

وأصبح الذين يجرّبون على الفئران والأرانب، أعلى قدرا ممن يعطونهم

الحقائق مجانا وبلا تجربة.

وأصبح الذين يشرِّحون الصراصير والحشرات أعظم شأنا عندهم ممن يعلِّمهم دينهم!

وليتهم يقتصرون على الاشتغال بالمفضول عن الفاضل، ولكنهم يعيبون الفاضل ويعيبون على أهل الدين عندهم أنهم يقدمون الوقاية أو العلاج أو البراهين مجانا، ويتحرون لها مجامع الناس في المساجد والحفلات والمنتديات والمناسبات، ويشفعونها بذكر الآخرة التي لا بد منها، كما يعيبون على الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، أنهم يدعون إلى إصلاح أحوال المجتمعات كي تدوم النعمة والرفاهية، وتنزل البركات من السماء وتخرج من الأرض، ويمنعون السفهاء من خرق سفينة المجتمع وتعكير الأمن، وقد سألت إحدى أمهات المؤمنين رسول الله ﷺ (أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث)، فالذي يدرأ العذاب هو الإصلاح وليس الصلاح، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧].

– **ينبغي التفريق بين عمل الداعية وعمل القاضي**، فالداعية ينصح ويحذر والقاضي يحكم ويقرر، وإذا اجتمع كون القاضي من الدعاة فذلك خير له.

– بم يلزم الدعاة الناس:

إنما يلزم الناس بالجمل الكلية أو المحكمات أو القطعيات والثوابت التي لا يجوز لمؤمن الإخلال بها ويجب على كل مكلّف الإيمان به على حد التعبير المنسوب للشافعي "آمنت بالله على مراد الله"، ولما جاء جبريل إلى الرسول ﷺ آخر عمره وسأل عن الإسلام والإيمان والإحسان أجابه بالكليات القطعية.

أما الظنيات وبعض الأقيسة، والفتاوى التي أفتى بها أئمة الدين مراعاة للمصالح والمفاسد وتتغير بتغير ظروف العصر فنجتهد فيها، وألف أحدهم

كتابا في الاختلاف بين الفقهاء وعرضه على الامام أحمد قال له الامام أحمد سمه كتاب "السَّعة"، كما أن الآراء ليست حكما خالفها ضال أو مبتدع، وإنما الممنوع قطعا هو الدساتير والقوانين الوضعية التي وضعها البشر بعقولهم وأهوائهم ظانين أن في ذلك مصلحتهم!

قال تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة:١٤٠].

وقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

وقال: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان:٤٣].

- الحضارة الإنسانية مشتركة:

كل الشعوب أسهمت في الحضارة يقول الفيلسوف "دايسون" في كتابه "العالم متمردا":

"من الحقائق الجوهرية عن العلم أن الاهتمام به لم ينحصر في الشرق أو الغرب أو في الشمال أو الجنوب، ولا في سلالة بشرية معينة مثل السود أو البيض أو الصفر"!

وهذا عكس ما يقوله المتعصب ريتشارد كوك وزميله عن أن العلم غربي في كتابهما (انتحار الغرب)، ومن دوافع التأليف عن ضرورة الإسلام للبشرية أن العالم اليوم على عتبة ثقافة جديدة عبر عنها "جون بروكمان". تهدف إلى إعادة النظر فيمن نكون وبماذا نكون على حد تعبيره، أي حسب الاصطلاح الإسلامي: من نحن وما غاية وجودنا؟

- التغيير القادم والتحولات الهائلة:

لم يعد الحديث عن القرن القادم بل عن (الخمسين سنة القادمة) حيث سيتغير العالَم -كما يقولون- عما هو عليه اليوم، ومن المعالم الجديدة التي يكثر الحديث عنها أن التطور العلمي سوف يجعل الهواتف الذكية تقضي

على السينما، وأن الصحافة الالكترونية تحل محل الصحف الورقية، وأن العالم الافتراضي سيحل محل العالم الواقعي، وأن الناس سوف ينتقلون لطاقة أرخص وأنظف من النفط، ومنها الطاقة الكهربائية والطاقة الشمسية والماء والرياح والرمال.

وسوف ينشغل الناس بالقضايا الحيوية مثل التغيرات المناخية التي ستؤدي إلى عصر جليدي مرتقب، بحيث يغطي الجليد أوروبا وأمريكا بارتفاع يقدرونه بخمسين متراً، ويتجلى ذلك في التحولات التي سوف تشهدها الأرض لاسيما أن بعض خصائص القطبين سوف تنتقل إلى خط الاستواء، وسوف تغمر المياه السواحل العالمية، وتهطل الأمطار بغزارة على الصحارى الواسعة في العالم كصحراء جزيرة العرب والصحراء الكبرى، الأمر الذي يجعلها مروجاً وأنهاراً، وغير ذلك كنتائج الاحتباس الحراري وقطع الغابات، والعلم عند الله.

أضف إلى ذلك الأبحاث التي تتحدث عن زيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون في المجال الحيوي للأرض والاختلال الذي سيؤدي إلى أن ينقلب دوران الأرض فتطلع الشمس من المغرب، والتطور في بحوث الخلايا الجذعية، وكيف يسهم ذلك في علاج الأمراض الوراثية أو القاتلة كالسرطان، وكيف سيكون الاستنساخ مستقبلا، وإلى ما سوف تؤدي الكشوف الفلكية الجديدة، وكيف ستكون الحياة في ظل الهندسة الوراثية، وما تقوم به من تعديلات قد تكون جذرية في الإنسان وغذائه، وكيف أن زيادة البحث في الحمض النووي والشفرة الوراثية، سوف تؤدي إلى إبطال الداروينية نهائياً، وكيف أن الإنسان سوف يستيعض بالحواسيب عن التفكير، وبالذكاء الصناعي عن الذكاء العادي، وبالطّب البديل عن الطب الكيميائي الحديث .. إلخ.

وأبرز المشكلات التي سوف تواجه العلم والعلماء هي أن السؤال قد يصاغ جيدا، غير أن الجواب عليه لا يملكه أحد منهم! بل إن العلم بلا شك

سوف يرغم على العودة للدين، وهكذا يكون الناس في حاجة إلى ضوابط أخلاقية كما يقولون، وإلا فإن التقدم العلمي وحده سوف يؤدي إلى انتكاسة كبرى في القيم الإنسانية كما عبر (هالواي، وآينشتاين) وسوف ينهار الحلم البشري الذي طمع (هومدس) في تحقيقه وهو أن يكون للناس مدارس أكثر وسجون أقل، وكتب أكثر وبنادق أقل، وعدالة أكثر وانتقام أقل. وأمثال ذلك مما تخيله اليوتيوبيون قديما ودعا إليه برتراند رسل وآلدوس هكسلي في القرن العشرين!!

أقول: وهذا كله يثبت حاجة البشرية للإسلام، وإلا ظلت تعيش النكد المتوقع وتفكر داخل القفص نفسه الذي حبست نفسها فيه (العلم التجريبي)!

وفي إمكان المسلم أن يقدم للغرب العطشان كأسا من ماء زمزم مباشرة، لكن الإنسان الغربي تعود على الطرق البعيدة وهو لا يريد أن يأتي إلى مكة إلا من طريق الصين ثم يشرب هو بنفسه. أي أنه لا بد أن يقرأ بحثا طويلا يثبت له حاجة حضارته إلى الإسلام وإفلاسها في عالم القيم.

وكون الإسلام هو دين القطع والعلم لا دين الشك والظنون والاحتمالات، يجعل غير المسلم لا يعتنقه إلا عن علم واقتناع ولو رجع بعد ذلك لكان مرتداً يجب قتله.

والمهم هو أنه لابد من الضوابط الأخلاقية التي لا يزرعها في أعماق الضمير إلا الإيمان.

والبشرية اليوم مع شدة حاجتها للقيم الأخلاقية تحتاج للفرقان الذي تعرف به النافع من الضار من العلوم.

والله تعالى جعل تقواه سببا للفرقان فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال:٢٩].

وبالفرقان يميز الإنسان بين زلة العالم وجدال المنافق بالقرآن، ويرتّب عداوته كما أمر الله، ويميّز بين الحق والباطل، وقد كان السلف الصالح

يفرقون بين المتشابهات، ويحلّون كل المعضلات بهذا الفرقان والنور الذي منحهم الله إياه لصلاحهم وتقواهم، وكان توسمهم صادقا وفراستهم حقا.

ومما يضاد هذا الفرقان أن يظن بعض الناس أنه لا بد مما يسمى تقنين الشريعة مع ما لذلك من مفاسد وأضرار، وهذه الدعوى تكاد تختفي اليوم ويحل محلها القانون باسمه الصريح وهذا ما يسعى إليه المفسدون.

فمن مفاسد التقنين:

أ- أنه يمنع الاجتهاد في معرفة مراد الله ورسوله.

ب- ومنها أنه يحمل الناس على قول واحد دون سائر الأقوال وقد يكون ذلك القول مرجوحاً.

جـ- ومنها أنه يفسح المجال لإمكان أن يُطبق المدوّنة القانونية كما يسموها أي ضابط أو عسكري من ذكر أو أنثى.

د- ومنها أنه يفسح المجال لاستقدام القضاة من الخارج بحجة إلزامهم بتطبيق المدونة.

هـ- ومنها أنه يمهد لإلغاء الشريعة كلياً بذريعة إلغاء المدونة وليس الشريعة وقد مهد التغريبيون لإلغاء الشريعة في تركيا بإلغاء مجلة الأحكام العدلية.

و- ومنها أن الذي يختار القول الراجح أو الرواية الراجحة لا بد أن يكون عالما، وقد يكون غيره أعلم منه على الأقل في هذه المسألة.

ز- ومنها أن التقنين عند بعضهم مجرد ترقيم لما تختاره اللجان، مع أن بعض كتب الفقه مرقمَّة وبعضها يمكن ترقيمه بلا لجنة، وهذا أهون أحوال التقنين.

وينبغي أن تؤتى البيوت من أبوابها وأن يعرف لأهل العلم حقهم، ونقدم من هو أعلم منا على أنفسنا، وكثير من طلبة العلم يطلبني كتاباً من تأليفي فلا أعطيه، وإنما أعطيه كتاب الملخص الفقهي الذي كتبه الشيخ صالح الفوزان.

ومما يفعله أعداء الله قتل العلماء أو تهجيرهم قسراً وقد حرصت أمريكا -ومثلها إيران فيما بعد- على قتل العلماء العراقيين في الذرة والكيمياء والفيزياء وكل ميدان إذ خافوا أن يكونوا سبب تقدم للمسلمين في هذه المجالات المهمة، وهم يريدون بقاء العالم الإسلامي متخلفا مستهلكا عالة عليهم يشتري أو يستأجر منهم كل شيء، وإن كان لابد من التقدم التقني فليكن المتقدمون شيعة يمكن السيطرة عليهم.

- العصرانية:

بعض الأساتذة يجنحون إلى العقلانية والعصرانية ولا يميلون لمنهج السلف وأقوالهم، ومنهم الأستاذ (رضوان السيد) ومجلته (الاجتهاد) في لبنان، والأستاذ جمال الدين عطية مؤسس مجلة "المسلم المعاصر"، والأستاذ حسن الترابي رئيس حزب الشعب في السودان، والأستاذ حسين أحمد أمين مؤلف كتاب (دليل المسلم الحزين) على تفاوت بينهم في ذلك.

- تفوق العلم الإسلامي:

وقد وصل العلم الإسلامي في بعض الأمور إلى مرحلة لم يبلغها الغرب حتى بأجهزته ومجاهره، فقد كان القائف "أو المرّي كما يسمى حديثا" يعرف أَثَر البكر من أثر الثيب وهو ما يعجز عن معرفته الغرب والحذاء الذكي اليوم.

- استشراف المستقبل:

من أهم ما يحتاج المسلمون إليه من العلوم " علم استشراف المستقبل"، ولديهم ولله الحمد له مصادر ليست لغيرهم، وأهمها جميعا ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، من الأخبار والسنن الكونية والاجتماعية، التي يمكن بها معرفة أسباب القوة والضعف، وأسباب انهيار الحضارات والدول والمجتمعات.

ومن المصادر الصحيحة المبشِّرات وهي الرؤيا الحسنة يراها المؤمن أو ترى له، والرؤيا الصادقة جزء من النبوة كما أخبر ﷺ، ومن آداها ألا يحدِّث ها إلا من يحب أو عالما يعبّرها تعبيرا صحيحا، ويدل على ذلك كتاب الله تعالى، كما في رؤيا الملك وتعبير يوسف عليه السلام لها.

ومن الرؤى المشهورة في التاريخ رؤى دانيال، ورؤيا الموبذان، أما رؤى الأنبياء فهي وحي كما رأى إبراهيم عليه السلام في منامه أنه يذبح إسماعيل، وكما رأى النبي ﷺ أنه طاف بالبيت الحرام.

وقد كان ﷺ يسأل أصحابه: من منكم رأى رؤيا البارحة؟ ويستبشر ها.

وإذا تواترت الرؤى الصادقة أو تواطأت فهي حق كما في ليلة القدر وفي الأذان.

ومن مصادر معرفة المستقبل اليقينية ما علمنا إياه النبي ﷺ من أحداث تأتي مستقبلا:

فأخبرنا عن قتال الترك، وعن قتال اليهود، وعن النار التي تطلع من المدينة فتضيء لها أعناق الابل ببصرى، وعن الملاحم مع الروم، وأخبرنا أنا سوف نفتح القسطنطينية وسوف نفتح روما.

وأخبرنا أن هذا الدين سوف يبلغ ما بلغ الليل والنهار وأخبرنا أن عيسى بن مريم عليه السلام سوف يترل حاكما بشرع الله وأنه عليه السلام، سوف يكسر الصليب ويقتل الختزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام، وأخبر أنه سوف يقتل المسيح الدجال بباب لد، ويصلي خلف هذه الأمة (أي خلف خليفة الله المهدي).

وأخبرنا عن أشراط الساعة وعلاماها وعن أهوال يوم القيامة والشفاعة والصراط والميزان والحوض والجنة والنار وما سيكون فيهما من سعادة أو شقاء.

ومن المصادر الصحيحة أيضاً: الدراسة الفاحصة للتاريخ وأخذ العبرة من وقائعه، ثم النظر في واقعنا المعاصر شرقا وغربا، والاستنباط منه واستخلاص النتائج من المقدمات وتوقع المستقبل من الحاضر والماضي، فسنة الله ثابتة ووعده حق، وكان السلف يستدلون بالبدايات على النهايات، ويقولون "العاقل هو الذي يعرف الفتنة حال إقبالها فإذا أدبرت عرفها العاقل والجاهل".

وعلم استشراف المستقبل ليس ضربا من التخمين أو الكهانة أو ادعاء الغيب ولكنه علم له قواعده وأصوله، وقد يخطئ ولكنه خير من الجهل، والمجتهد فيه إذا خلصت نيته هو بين الأجر والأجرين، والفهم متفاوت كما كان بين داود وسليمان، وهذا العلم اليوم من فروض الكفايات، ولا يصح لمن مكنه الله منه أن ينشغل بما هو دونه.

ونحن أولى به من الغربيين الذين ينشئون له المراكز والأقسام ويجرون الأبحاث والدراسات، ولدينا فيه مصادر قطعية لا يملكونها.

وقد حاول اليهود أن يعرفوا عمر هذه الأمة اعتمادا على حساب الجمَّل الذي تعلموه في بابل، وتنبأ الفراعنة بما سيحدث، وذهب أرسطو بالإسكندر الكبير إلى معبد (دلفي) ليستقرئ له طالعه كما يزعم.

وحاول الحكم بن برجان استنباط المستقبل من القرآن، واستنبط متى يدخل المسلمون القدس ويحررونها من الصليبيين، وحدد سنة فتحها، ومات هو قبل فتحها.

ونستطيع اليوم بكل سهولة أن نعرف نهاية إسرائيل، وضلال من يظنون أن الحل هو المفاوضات، وأن التنسيق الأمني أو التطبيع سوف يجلب لنا شيئا، وأن نعرف ضلال من يمنع الانتفاضة وقتال اليهود.

ويستطيع من آتاه الله الفهم منا أن يقارع الحجة بالحجة وأن ينقد دعايات اليهود وأكاذيبهم وافتراءاتهم بالحق، فإذا احتجوا بالتوراة نحتج عليهم بالقرآن، وإذا احتجوا بالتاريخ احتججنا عليهم بنهاية الحملات الصليبية،

وإذا قالوا إن داود غلب جالوت قلنا هذا حق، ولكن نحن أولى بداود منكم يا قتلة الأنبياء، والمقلاع الذي تقولون إن داود عليه السلام قتل به جالوت هو اليوم في أيدي أبطال الانتفاضة والمقاومة، وجالوت العصر هو جيشكم الصهيوني المعتدي، وكان الروم مدداً لجالوت كما أن أمريكا اليوم تمدكم، وبمؤامرة أحباركم صلبوا من شبه لهم أنه المسيح بن مريم عليه السلام، وأصروا على بيلاطس أن يصلبه ويطلق اللص بارباس، وإذا قالوا شمشون كان من أهل غزة قلنا أيّنا اليوم شمشون؟

وإذا فخروا بأسلحتهم الاستراتيجية والنووية، فلدينا حبّ الشهادة وهو مخزوننا الاستراتيجي، ولا يعتريه الخلل الموجود في مفاعل ديمونه، الذي لو تسربت منه الإشعاعات النووية كما هو قول بعض خبراء الذرة الإسرائيليين لدمر إسرائيل والأردن وبعض مصر والسعودية.

وإذا ذكر اليهود جيل الإرهاب وعصابات (مناحم بيجن) ذكرنا لهم الفرق الهائل بين اليهود الأوائل الذين أسسوا القُبُص (كيبوتز) أي المزارع الجماعية وبين جيلهم الحالي المترف، باعتراف اليهود أنفسهم، ومنهم القاصة اليهودية يائيل دايان ابنة موشي دايان، التي كتبت رواية "الموت له ولدان" تعبيراً عن اختلاف الجيلين.

وكذلك الباحث اليهودي الذي هرب من إسرائيل وذكر إرهابها وفسادها كثيراً، وهو (نعوم شومسكي).

وقد حذرنا النبي ﷺ -كما حذر كل نبي- من فتنة الدجال، وما هو أخوف عنده علينا من الدجال وهم الأئمة المضلون (سلاطين السوء).

وحذرنا كذلك من الهوى المتبع والشح المطاع، ومن التنافس على الدنيا، وعلمنا كيف نتقي الفتن، وأن الذنوب هي أساس كل بلاء، وأن الله يبعث لهذه الأمة من يجدد لها دينها، وأنها لا تزال فيها طائفة منصورة وأنه لا بد لها من الجهاد، وأن الأمم سوف تتداعى علينا، وبيّن مصادر لمعرفة الأحداث المستقبلية يمكننا الاستنباط منها، وأصلها الوحي ثم الإلهام

والتحديث، وفراسة المؤمن وتوقعات أصحاب العقول الفذة والنظرات البعيدة، مثل ما كان الفضيل بن عياض يتوقع الشر من المأمون، ويقول لو كان لي دعوة مستجابة لجعلتها في السلطان فإن بصلاحه يصلح الناس.

ويضم المسلمون لذلك ما ذكره الله عن سنته في خلقه، التي لا تتبدل ولا تتحول، ومن ذلك أنه أهلك قوم لوط بفعل الخبائث، وكذلك سوف يهلك كل من أباحها في أي عصر فكيف بمن يجمع إلى ذلك العتو والاستكبار، والفرح بما عنده من العلم، والتطفيف والطغيان.

وكان المسلمون يعرفون قدر هذا العلم ويسألون عنه، كما اشتهر ذلك عن حذيفة ﵁، بل كان عوامهم يهتمون به، فقد سألت امرأة من أحمس أبا بكر الصديق ما بقاؤنا على هذا الأمر؟ قال ما استقامت عليه أئمتكم.

ومن العجيب في التاريخ الفكري البشري أن تكون الأمة الأمية أعلم بأحداث آخر الزمان من غيرها من الأمم، لا سيما أهل الكتاب الذين يجمعون بين ما في كتابهم وبين نتائج علمهم، فالمسلم يعلم يقيناً عن الساعة وأشراطها والملاحم مع الروم وغير ذلك، ما لا يعلمه غيره، ولو أنك سألت الغربيين عن نهاية الحياة لذهبوا طرائق قددا، فأما الملحدون فلا يؤمنون بالساعة أصلا، وأما المؤمنون بها فبعضهم لا علم له إلا ما في التوراة ورؤيا يوحنا عن هرمجدون وسنوات الضيقة وما أشبه ذلك، وبعضهم -وهم الألفيون- يؤمنون بأن المسيح عليه السلام سوف يحكم الأرض ألف سنة، أما علماء الكون (الكوزمولوجيا) والفيزيائيون فغاية ما لديهم أن يقولوا ربما اصطدم أحد الكواكب بالأرض فأحدث بذلك ارتجاجا هائلاً يموت منه كل من عليها، ولا يعلمون شيئا عن الشمس إذا كورت والنجوم إذا انكدرت والبحار إذا سجرت والجبال إذا سيرت.. إلخ.

أما الدابة مثلا فليس لها في كتبهم ذكر، ولا يعلمون عن خروجها شيئاً، وأما طلوع الشمس من مغربها فهو عندهم جائز لكن سببه اختلال في دورانها حول الشمس، وأما يأجوج ومأجوج فتسميهم التوراة (جوج

ومأجوج) لكن ليس فيها تفصيل عن أحوالهم وعما يفعله عيسى عليه السلام والمؤمنون إزاءهم، وأمثال ذلك من العلم الذي نطق به الوحي.

والغرب المسكين الذي ليس له وحي حق يعرف به ما يكون مستقبلاً، يحاول معرفة المستقبل عن طريق المنجمين، الذين يعملون حتى في البيت الأبيض الأمريكي، ومن هؤلاء من يخط الرمل ويقرأ الكف والفنجان ويسأل الأرواح (الجن) وأمثال ذلك.

وهكذا يعدهم الشيطان ويمنيهم وما يعدهم إلا غرورا، وتلهث الإدارة الأمريكية وراء السراب الخادع وغاية ما يريده مفكروها أن يرتقوا ليكونوا مثلنا في اليقين، ووصل بهم التكلف إلى حدّ استنباط أحوال الطقس اليومية من التوراة كما هو في أمريكا.

أما معرفة نتائج الأمور من مقدماتها، مع البعد عن الخرافات فهو استنباط سبق إليه السلف الصالح، حين قال بعضهم (العالم هو الذي يعرف الفتنة عند ورودها، أما الجاهل فلا يعرفها إلا عند إدبارها)، وهم يستنتجون ذلك من سنن الله الثابتة ومن معرفة عاقبة الطاعة وعاقبة المعصية.

وفي ذلك سنن عامة مبثوثة يعرفها الناس حتى من خالفها منهم، فقد قال أحد السلاطين المتحالفين مع الصليبيين لما انكسر جيشه (قد علمت أنا لن ننتصر وقد حالفنا الكفار!!).

وقد كان الجاهليون قديما يتنبؤن بما سيكون عن طريق الكهان وزاجري الطير وأمثال ذلك من الخرافات، وقد أبطل الإسلام كثيرا من عادات الجاهلية، لا سيما خرافاتهم حول زجر الطير وعلم الغيب والعرافة والكهانة والتشاؤم من شهر صفر والإيمان بالهامة وخط الرمل، وأمثال ذلك مما يعرف العقلاء بطلانه، قال الشاعر لبيد:

لعمرك ما تدري الطوارق بالحصى   ولا زاجرات الطير ما الله صانع

وذكر الله في القرآن تطير قوم ثمود وأصحاب القرية، قال تعالى عن ثمود ﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧]، مما يدل على قدم هذه الخرافة وكذا أصحاب القرية الذين قالوا لرسلهم ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ﴾ [يس:١٨].

وعلى هذا التطير تسير أمريكا اليوم فلا تجد بيتاً ولا غرفة ولا مقعداً له رقم (١٣) أبداً.

من علامات تأخر الحكومات في العالم الإسلامي أن ميزانية البحث العلمي والتطوير قليلة إذا قورنت بكثير من دول العالم.

ونحن إذ ندين الله بالبرهان والعلم، وإذ يقوم ديننا على الحق والحجة واليقين نرجو أن يسلم كل من ينشرهما لاسيما "نعوم تشومسكي" الذي يحب الحق، وتتوفر فيه أسباب ليست في غيره منها:

١- إلمامه باللغة العربية حيث وجد أن السبيل لمعرفة اللغة العبرية هو الرجوع للمعاجم العربية.

٢- أنه استاذ عالمي في اللغويات واللسانيات.

٣- أنه إنسان حر، ويعرف حقيقة الحضارة الغربية وحقيقة المجتمع الإسرائيلي والأمريكي.

٤- أن الحكومة الأمريكية تحاربه فماذا ينتظر؟

- الإسلام وحده فيه أكثر مما تصوره هيجل عما أسماه "ديانة الجَمال"، وما سماه "روسو" "دين الفطرة"، أو برتراند رسل فيما سماه "عبادة الإنسان الحر" أو فوكوياما في كتابه "مستقبلنا ما بعد البشري"، وكذا ما يفترض من الوجودية الجديدة أو عصر ما بعد التحديث، وهذه المصطلحات مهما تنوعت تعبر عن شيء واحد هو حاجة الإنسان الفطرية إلى معبود يعبده كما قال "كولن ولسون"، وإقراره بأن له مصيرا بعد هذه الحياة.

وفي الإسلام الأجوبة الشافية عن كل الأسئلة الإنسانية الحائرة التي تحاول "فلسفة المستقبل" كما افترضها "كولن ولسن" أن تجيب عليها، وكذا ما سمي "الفلسفة الخالدة".

علما بأن خالق الإنسان العليم بحاجاته، والرحيم به، واللطيف بعباده، والرازق لهم، لم يترك الإنسان يتخبط ويبحث بنفسه، بل أرسل الرسل وأنزل الكتب وجعل دين الأنبياء كلهم هو الإسلام، وهو ملة إبراهيم عليه السلام ودين الله الذي لا يقبل سواه، ومن شك في ذلك ينبغي أولا مناقشته في أصل تصوره عن الله وصفاته وكماله.

فلا يقر مسلم أبدا ما قاله "جوستاف نيومن" كما نقله عنه كولن ولسن "إن الإنسان كالإله كلاهما عاجز تماما"!

بل نقول أما الإنسان فعاجز، وأما الله فلا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

وليس الأمر كما يظن "هيجل" أن هناك آلهة كبرى وآلهة صغرى، وإنما هو إله واحد، والله تعالى أبطل الظن بأن معه إله يشاركه بقوله: (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض)، وبغيرها من الدلائل القاطعة.

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْاْ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٤٢].

كما أنه ليس في الإسلام صراع بين ما هو بشري وما هو إلهي.

ولكن "هيجل" والإنسان الغربي عامة متأثر بالبيئة النصرانية والثقافة الوثنية التي عاش فيها، وكان عليه أن يقرأ القرآن، الذي حفظه الله مما عبثت به أيدي رجال الدين من الأحبار والرهبان، وأن يدع أساطير اليونان والرومان، كيف وهو باحث مطلع وفيلسوف حر، وألا يظل حبيس الغثيان الذي تحدث عنه سارتر أو يدحرج الصخرة ذهابا وإيابا كما قرر كامو في (أسطورة سيزيف) وأن يبحث عن الحقيقة فيما يدعي الغرب أنه خرافة (الإسلام).

- ليس البحث عن الحقيقة شهوة إنسانية مدمرة كما يقال، بل هو دافع فطري وهو الواجب على كل إنسان، والله تعالى برحمته جعل ذلك

ميسّرا لكل ذي عقل ولو كان أميا، ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟﴾ [سبأ:٤٦].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [يونس:١٠١].

وقال عن أولي الألباب: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران:١٩١].

- المسلمون مأمورون بالإيمان بالله والكفر بالطاغوت:

وقد جعل الغربيون العلم الحديث طاغوتا يأملون أن يحل لهم كل مشكلة، ويبالغون فيه مع أن له مجالا غير مجال الغيبيات (ميتافيزيقيا) وما صح منه فنحن مأمورون به، وهو جزء من التفكر في الأنفس والآفاق يقود أهله للإيمان بالله وتقواه وخشيته، أما المجال الآخر الذي لا يبلغه العلم البشري، والذي هو وراء جدار "بلانك"، فقد تكفل الله به، لا سيما التشريع قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]، فكل ما خالف حكم الله فهو هوى وجاهلية وإن سماه أهله علما، كما قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ [المائدة:٥٠]، وكل ما خالف شرعه فهو من أهواء الذين لا يعلمون، وإن ادعو العلم وتمسحوا به وجعلوه كالبقرة عند الهندوس.

والله تعالى لم ينف عن الكفار العلم مطلقا بل قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧]، وهذا هو الواقع المشاهد في الجامعات الغربية اليوم، ومراكز البحوث وكل المؤسسات التعليمية، وقد استعاذ النبي ﷺ من علم لا ينفع، وأكبر مصيبة يجنيها الإنسان على نفسه وعلى العلم أن يتخذه مرجعا لفك أسرار الموجودات، وأنه وحده يغني عن

الجانب الآخر للنفس الإنسانية وهو الإيمان بالغيب قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غافر:٨٣]، وهذا الفرح مذموم شرعا وباطل عقلا.

والجهل البشري حاليا لا يقلل من الانجازات الهائلة التي حققتها البشرية، فإن الباحثين في التاريخ الحضاري للبشرية يقولون إن البشرية انجزت في الخمسة قرون الأخيرة أكثر مما انجزته قبل ذلك في القرون الطويلة الغابرة ثم انجزت في الخمسين عاما الأخيرة مثلما أنجزت في الخمسة القرون الماضية، ثم انجزت في الخمس السنوات الأخيرة مثل ما انجزت في الخمسين عاما الماضية.

ومع هذه الانجازات فهم كمن يفتح بابا ليرى خلفه مدينة مجهولة وصدق الله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الإسراء:٨٥].

هذا في العلوم الطبيعية التي تخضع للتجربة والقياس، أما العلوم الإنسانية فهي أعقد من ذلك بكثير، ولا يستطيع العلم إلا أن يخمن أو يعمم الأحكام عنها، كتجارب "فرويد" على مرضاه، وتجارب "بافلوف" على الكلاب، وكثير من التجارب ثبت اخفاقها في البيئة الأوروبية نفسها فكيف بالبيئات الأخرى.

فلا التحليل النفسي ولا الفعل المنعكس الشرطي، يصلحان لتفسير المشاعر الإنسانية، بل إن التفسيرات الجزئية محل نقد وشك.

ومهما أُشبعت غريزة حب الاستطلاع البشرية لا يغني ذلك شيئا عن الخواء الروحي والظمأ الإيماني، الذي يجده كل من لم يجعل الشريعة مورده، وهل تمتلئ كأس إذا ملأت أخرى؟

ربما يستطيع العلم -ولو بعد حين- أن يجيب عن (كيف) ولكنه لا يستطيع الاجابة عن السؤال الاخر الملح على الفطرة (لماذا) إذا الغايات لا يجيب عنها إلا الدين ومن ذلك الغاية العظمى، وهي وجود الإنسان نفسه قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

والعلم نعمة من نعم الله الكثيرة على بني آدم، وإلا فهو تعالى غني عنا وعن كل مخلوق، ولما أراد جل شأنه أن يخلق آدم عليه السلام في هذه الأرض قالت له ملائكته فيما يشبه الاعتراض ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة:٣٠]، لكنه تعالى لما علم آدم الأسماء كلها ظهر فضله وبانت حكمة خلقه بهذا العلم النافع، ولا يزال علم اللغة اليوم من أعظم العلوم التي ميز الله به الإنسان عن الحيوان الأعجم حتى عند الماديين.

واللغة هي مظهر العقل، وإذا أردت أن تعرف مقدار عقل أحد فاستمع إلى كلامه.

ومما اختص الله به نبيه ﷺ أن آتاه جوامع الكلم، وأي عاقل اليوم يقارن كلامه ﷺ بكلام غيره من الأنبياء يرى الفرق واضحا.

فكيف بالفلاسفة وأصحاب النظريات الذين لا يعرف الغرب سواهم.

فلا يأتي الأطباء المتخصصون بمثل طبه، ولا يعلم الفيزيائيون عن الكون مثل علمه، ولا يعلم المؤرخون من أخبار الأمم القديمة مثل ما يعلم، ولا يدري الباحثون الاجتماعيون عن سنن الله في المجتمعات أكثر مما أخبر عنه أو أمر بفعله.

ويجهل علماء السلالات البشرية كثيرا مما علّمه ﷺ لأمته.

كما أن المتخصصين في الأحياء لا يعلمون كثيرا مما أخبر به ﷺ الذي كان يعرف لغة الطير والدواب.

وادارك علم البشر في الزلازل ولماذا تقع، وعلم ذلك العوام من أتباعه ﷺ.

دع ما يسمى "علم النفس"، فالقوم فيه لا يزالون يتخبطون، والنبي ﷺ وصحبه هم الخبراء النطاسون.

وغاية ما يعرفه علماء الكون اليوم هو نظرية الانفجار العظيم، الذي يقولون إنه حدث في زمان ومكان لا يعلمون عنهما شيئا بل يحول بينهم وبين معرفته ما يسمونه "جدار بلانك".

وغاية ما يعرفه علماء الأحياء هو نظرية التطور العضوي، ومع ذلك فهم أنفسهم أول من يعرف ثغراتها ويتحدث عن عيوبها.

ويعترف علماء التغذية بأنهم يجهلون بعض ما تتركب منه بعض الأغذية من الفيتامينات والمضادات الحيوية وما يترتب على ذلك من نفع أو ضر.

كما أن المستشفيات الراقية جدا في العلم البشري، تقرر أن مرض كذا ومرض كذا ليس لها شفاء لديها.

وهذا أكبر علمائهم ألبرت آينشتاين تطورت بعده فيزياء الكم وجاءت بما لم يخطر له ببال.

والفطرة تميز بين أنواع العلوم وتعرف إجمالا ما تأخذ وما تذر.

وهذه الفطرة إنسانية عامة بل هي أيضا حيوانية فالقط إذا أعطيته شيئا أكله بجوارك وإذا اختطف منك شيئا هرب به.

- تغير العلم وتفتت الغرب:

ثبت اليوم بطلان كلام أفلوطين عن الفيض بعد نظرية "الانفجار الكبير"، وكذلك بطل "اللوغوس" الذي قال به (فرفريوس) واتبعه فيه إنجيل يوحنا، كما ثبت الآن بطلان اعتقادات اليونانيين والرومان والبابليين والآشوريين والفراعنة والهنود والصينيين وكل النظريات الشركية القديمة عن نشأة الكون وأصل الإنسان.

كما تبين للغربيين بطلان نظرية تفوق العرق الآري وأن جمجمة الغربي أكبر من جمجمة الشرقي!!

كما بطلت نظرية القوميات المختلفة والتفوق العرقي، وأصبحت نوعا من الفاشية وحلت محل القوميات (الأحلافُ) التي تشمل عدة قوميات

وأجناس، مثل حلف الناتو وحلف وارسو والاتحاد الأوروبي، أي أن ما كانوا بالأمس يأخذونه على العثمانيين أصبحوا هم اليوم يفعلونه، ولما تبين لهم ضرر القومية والقطرية صدروهما للعالم الإسلامي.

ولذلك يستنكر الغربيون مطالبة بعض الإنجليز بالخروج من الاتحاد الأوربي، وبهذه الأحلاف -لا سيما حلف الناتو- قوّض الأمريكان مبادئ ويلسون الأربعة عشرة وحرفوا مسار "مبدأ مونرو".

والغرب اليوم ينتكس إلى ما هو أسوأ من الوطنية وهو التفتيت الإقليمي واللغوي، ويحاول تعويض ذلك بتقسيم بلاد المسلمين مثل فصل جنوب السودان عن شماله، وفصل تيمور عن اندونيسيا، ويضعون خرائط لتفتيت أكثر الدول مثل خارطة الدم، ولكن الداء ينخر في كيانه هو أكثر، فيطالب أهل قطلونية (كاتالونيا) بالاستقلال عن مدريد، ويطالب (الباسك) بالاستقلال عن العرش الأسباني، ويطالب سكان اسكوتلانده بالاستقلال عن بريطانيا ويطالب أهالي (كورسيكا) بالاستقلال عن فرنسا، ويطالب الناطقون بالفرنسية من البلجيك بالاستقلال عن بلجيكا الأخرى، ويطالب إقليم لمبارديا بالانفصال عن إيطاليا، ويسعى ١٥ ولاية أمريكية للانفصال عن الاتحاد، لا سيما من كانت لغته الإسبانية، بل كاد المكسيكيون أن يفوزوا في انتخابات الولاية الذهبية "كاليفورنيا".

أما فلوريدا فيقول كثير من سكان أمريكا اللاتينية إن عاصمتهم هي ميامي قاعدتها.

وبعض المدن الأمريكية اليوم تجعل اللغة الاسبانية هي لغتها الرسمية.

وهكذا يتفتت الغرب من تلقاء نفسه، وينفِّس الغربيون عن ذلك بالترويج لتقسيماتهم وخرائطهم في بلاد المسلمين ولا تكفيهم اتفاقية (سايكس -بيكو)، بل يريدون أن يجعلوا العالم الإسلامي مفتتا أكثر.

ولا يؤيد استقلال كردستان إلا إسرائيل، حتى أمريكا ترفضه علنا.

– العلم يصحح نفسه:

وقد كان مبلغهم من العلم الظن أن الضوء موجة، كما قال "نيوتين" ولكن "آينشتاين" أبطل ذلك، ثم جاءت البحوث المتطورة في ميدان فيزياء الكم بعد آنيشتاين وهكذا.

والمتوقع أن تتطور الأمور مستقبلا ولكن الناس في النهاية سوف يجدون أنه لا بد من العودة إلى مصدر العلم الصحيح الثابت (الوحي من الله)، وأنه لا إله إلا الله، وهكذا يقول العلم لا سيما "جدار بلانك"، وفي ظلال الوحي تكون الحياة الطيبة والأمة الواحدة.

ومن التغيرات التي يتوقعونها والله أعلم بها:

أنه بعد سنوات سوف يستغني العالم عن الهواتف الذكية، وينتقلون إلى العالم الافتراضي الذي يشاهدونه بأعينهم من نظارات خفيفة الوزن.

وينتقل من التصنيع الثقيل إلى التصنيع الخفيف ومن التلفزيون الحالي إلى تلفزيون المستقبل، ومن السيارات الحالية إلى سيارات المستقبل، التي تسير بذاتها.

وسوف يستغنون عن هذه المطارات بأن يكون فوق كل بيت مهبط، والطائرات نفسها سوف تكون أسرع وتهبط عموديا، وسوف يستغنون عن النفط وينتقلون للطاقة البديلة.

وينتقلون من الطب الغربي الحالي إلى الطب البديل، وأمثال ذلك مما سبق ذكر بعضه.

أما المؤمنون بالرسول ﷺ فيجزمون أنه لن يبقى بيت حجر ولا مدر إلا دخل في الإسلام بعز عزيز أو بذل ذليل، وأن الإسلام سوف يبلغ ما بلغ النجم.

– حرية الفكر في الإسلام:

ومن حرية الفكر في الإسلام وأهمية التدبر في القرآن، أن المرفوع من التفسير قليل ومن الحكمة في ذلك أن نتدبر كتاب الله ونستخرج منه الكنوز في كل عصر.

وهنا مجال الحرية العقلية لكن يخلط الليبراليون بين حرية الكفر وحرية الفكر، فتجدهم يتعدون حدودهم وينالون من المقدسات وإذا قيل لهم ما هذا؟ قالوا: حرية فكر!! ويطالبون بحرية الافتراء باسم حرية الصحافة.

والغربيون يدّعون حرية الفكر إلا إذا خالف ذلك ما يريدون.

أوليس من حرية الرأي والديمقراطية أن يسمح الأمريكان لصاحب موقع "ويكيلكس" والنازيين الجدد؟

وإذا قالوا: حرية الفكر في حدود القانون قلنا: عندنا حرية الفكر في حدود الشرع.

أم أن المفكر حر في أن يكفر بالله ويكذب بوجود الأنبياء والملائكة والجن، لكن يجب أن يعادي من يعاديه النصارى واليهود؟ وإذا شكك في أرقام الهولوكست حوكم.

نقاد للسجن إن سُبّ الزعيم وإن   سُبّ الإله فإن الناس أحرار

الناس مفطورون على معرفة الله وعلى انه وحده المعبود لا شريك له وعلى محبة الحق والعدل واتباعه، وعلى ذلك أمثلة حسية كثيرة تتضافر مع الأدلة النقلية، خذ مثلا أحدها:

كانت وزارة الداخلية السعودية تستبدل مراقبا بآخر من ضباطها ليراقبوا الأشرطة وكلما جاء ضابط آمن بما يسمع في الأشرطة وصدّقه و لم تجدِ المحاولات الكثيرة في استبداله دوريا بل إنهم عمموا الخير ونشروا الحق.

وهذا ما فعله الطفيل بن عمرو ﷺ حين نزع القطن من أذنيه.

وكذا ضماد الأزدي لما استمع للنبي ﷺ.

ومثلهما كل عاقل يثق في الله ثم في عقله.

- بالمقارنة بين قصة موسى عليه السلام كما جاءت في التوراة وكما جاءت في القرآن، يتبين لكل ذي عينين فضل القرآن، هذا عدا عن كلام زنادقة اليهود مثل فرويد الذي زعم أن موسى عليه السلام كان فرعونيا.

- الشر لا ينسب إلى الله تعالى كما جاء في الحديث "والشر ليس إليك"، وانظر كيف تأدبت الجن مع الله في سورة الجن وكذا نسب الخضر العيب إلى نفسه في سورة الكهف ونسب الخير إلى الله (فأردت، فأراد ربك).

وقال خليل الرحمن: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٨٠] ولم يقل إذا أمرضني.

- عن كثرة الظلم في الأرض وكثرة الشرور واستحكام المصائب نشأت عند الناس فكرة المخلص أو المنقذ، الذي يخلص البشرية وينقذها ويأتي بالخير والسعادة لبني الإنسان!

فآمن اليهود بأن مخلصهم هو الله تعالى كما يقول بعضهم، ومنهم جماعة (ناطورري كرتا)، أو هو الماشيح كما هو قول آخرين، أو هو الحركة الصهيونية التي أسسها هرتسل، والمؤتمر الصهيوني الأول وانتهت بقيام دولة إسرائيل كما يقول الصهاينة، وهم إنما ينتظرون المسيح الدجال كما ذكر ابن القيم في هداية الحيارى وقد ثبت أنه يتبع الدجال من يهود أصفهان سبعون ألفا وأن مسيح الحق عيسى بن مريم عليه السلام يقتله بباب لدّ.

وآمن النصارى بأن المسيح عليه السلام سوف يترل ليحكم الأرض ويقتل الوثنيين (وهم المسلمون عندهم) ويختطف النصارى إلى السحاب! وهو عندهم مخلص العالم ومشتهى الأمم.

وآمن المجوس بالمخلِّص الذي يسمونه شوتن أو الأشرزيطا" الذي يخلصهم كما يزعمون، ويجدد الامبراطورية الفارسية.

وعلى هذا الاحتمال الوهمي قامت إيران الحديثة ومدت نفوذها إلى بلاد العراق وبلاد الشام واليمن وإن كان كثير من الشيعة بل من أهل السنة لا يعلمون.

وآمن الرافضة بصاحب الزمان أو صاحب السرداب الموهوم، الذي سوف يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا، وعلى هذا الوهم قامت عقيدتهم من عبدالله بن سبأ إلى الخميني.

وآمن الإسماعيلية بأن الدورة الزمانية "الكور" سوف تؤدي إلى ظهور الإمام المعصوم، الذي يخلصهم من الواقع المرير.

وآمن كثير من الأمريكيين بأنه لا خلاص للعالم من مشاكله إلا بالقيم الأمريكية وبالحرية الأمريكية والحكم الديمقراطي.

وآمن الشيوعيون -على اختلافهم في الوسيلة- بأن الخلاص للعالم وشروره إنما هو في القضاء على الملكية الفردية والكفر بكل المخدِّرات ومنها الدين!! والقضاء على شرور الرأسمالية ومنها التفاوت الطبقي بين طبقة الأرستقراطيين "الأثرياء" وبين طبقة البروليتاريا "الكادحين".

والحق أن البشر بالإسلام يتخلصون من أوهام الخياليين، ويقيمون العدل في الواقع البشري بقدر الاستطاعة، وبانتهاج المنهج العلمي وبالاطلاع الواثق على ما يكتبه الآخرون يتبين لمن يحكم بالعدل أنه ليس في الإسلام ما سماه "محمد أركون" الانغلاق، ولا فيه ما سماه الجابري "المرابطية" إن قصد بها أتباع الولي المرابط، ولا "التأنسن" الذي زعم نصر أبو زيد أنه يقع لمجرد أن يترل النص الإلهي إلى الإنسان، وإنما فيه الخير والهدى واليقين التام والنور المبين إن تدبره.

- الملاحظ أن المفكرين المغاربة اليوم أكثر استخداما للمصطلحات الفلسفية من المشارقة، كما أن علماء المالكية يقدمون لمؤلفاتهم بمقدمة معرفية عن عقيدتهم ثم يتبعونها بالتصنيف، ومن فوائد هذه المقدمة المعرفية أن القارئ يستطيع تحديد اتجاه الكتاب، كما هو حال أهل السنة لما كثر الرفض،

وجعلوا الترضي عن الشيخين والصحابة أجمعين، علامة لكي يستطيع المصلي معرفة أن المسجد سني وليس شيعيا.

– العامة يحتاجون دائما إلى من يفتيهم فينبغي افتاؤهم لا سيما فيما تعم به البلوى ويكثر في مجتمعاتهم، مع معرفة واقعهم وماذا يقصدون؟

وعندي أن فتاوى الشيخ عبدالله المصلح أنفع من فتاوى بغض أعضاء هيئة كبار العلماء، وينبغي مع إفتاء الناس تنبيههم إلى ما هو أهم وأعم مما سألوا عنه، فالأساس هو الدعوة والتزكية وليس مجرد المعلومات.

– من المسلمين من نبغ في العلوم العصرية كثيرا، ولكن الغرب يقتلهم أو يلاحقهم بالتهم، وإن أحسن إليهم استفاد هو من علمهم مثل: يحي المشد، وعبدالقدير خان، ود. أحمد القاضي، وأمثالهم كثير كما في التفصيل في بعض الفنون الآتي.

– ليس كل المسلمين يستنبطون ما وراء الخبر، ويعرفون المنافقين في لحن القول، وإنما اختص بالاستنباط والمعرفة بعضهم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ويصيب برحمته من يشاء.

–الجاهل قد يغلب العالم ويسكته لا بقوة الحجة ولكن بالمكابرة، ومن ذلك في عصرنا أن الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله، ركب سيارة أجرة يقودها عامي يفتي الناس بغير علم فقال له الشيخ (معك بن عثيمين) فرد عليه السائق الجاهل (معك بن باز)!

وصدق الإمام الشافعي حين قال: "ناظرت عالما فغلبته وناظرني جاهل فغلبني".

– المعركة دينية بين الشيعة والسنة، وليست قومية بين العرب والفرس كما تحاول قناة الإخبارية وأخواتها، فهي معركة عقائدية بالدرجة الأولى وبذلك أقر كثير من المدافعين عن الدولة السعودية، لا سيما بعد أن استهدف الحوثيون منطقة مكة المكرمة.

ومن الأدلة على حقيقة المعركة وأنها بين السنة والشيعة، أن القوات الرافضية التي يسميها بعضهم (القوات العراقية) قتلت طفلا صغيرا بل سحقت عظامه تحت دبابة، بتهمة أنه من أحفاد قتلة الحسين!!!

ومن شك في حقيقة المعركة فلينظر إلى حال أهل السنة في العراق عربا كانوا أم كردا.

- من مفاخر الأمة الإسلامية الحضارية أنها أخرجت للعالم عباقرة أفذاذاً قلّ أن يكون مثلهم في أي زمان أو مكان حتى في التكنولوجيا التي يفخر بها الغرب، لاسيما العنصر التركي الذي يحتقره الغرب تبعاً لعقدة (فينا) وكراهية منه للجهاد، ومن هؤلاء الترك الأفذاذ الخوارزمي صانع أول كمبيوتر في العالم. وابن الجزري الذي صنع أول (ريبورت) في العالم، وحتى في المتأخرين تجد من يفخر بأن فيه عرقاً تركيا مثل أحمد شوقي ومصطفى المنفلوطي وغيرهما، والمصدر الوحيد لنبوغ الشعب التركي هو الإسلام، وأشرف ملم له هو الجهاد، ولذلك صرخ سيف الدين قطز يوم عين جالوت (وا إسلاماه) وانتصر فيها (الظاهر بيبرس) وكذا في (المنصورة) وبعد قرون فتح محمد الفاتح بيزنطة وسميت (إسلام بول) ثم تحرفت مع الزمن إلى (اسطنبول)، وقد تقدم القول عن أحمد جودت باشا.

والمستشرقون والغربيون عامة، يسمون هؤلاء كلهم (العرب) ويسمون ذلك (الحضارة العربية) ولاشك أن اللغة كانت العربية أما الأصول العرقية فمتنوعة ومن أهمها العنصر التركي.

- عرف المسلمون الحركة قديماً تلك التي ضل فيها الفيلسوف اليوناني زينون الأيلي، حين قال إن الحركة ممتنعة، لأن السهم عند انطلاقه لا بد أن يقطع نصف المسافة، ولا يمكن قطع نصف المسافة إلا بقطع نصفها أولا وهكذا إلى ما لا نهاية، واللانهاية ممتنعة فالحركة إذن ممتنعة!

وكان بعض الفلاسفة يعدّون الحركة نوعا من علم الحيل، لكنهم يسخّرونها لخدمة الإنسان كما فعل ابن الجزري والرازي.

- المفترون توعدهم الله بالعقوبة في الدنيا قبل الآخرة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢]، قال أبو قلابة -كما روى الطبري- هي والله لكل مفتر إلى يوم القيامة.

وأورد المؤرخون -ورواها الطبري أيضا- قصة لبعض الناس مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في ذلك.

فإذا كانت عقوبتهم في الدنيا الغضب والذلة فكيف بعقوبة الآخرة نعوذ بالله من عقوبته في الدارين، ومن عاجل العقوبة أن يتهم بعضهم بعضاً، وأن يتمندل بهم الساسة ثم يركلوهم وقد رأيت من كانت إدارة المباحث تحرق كتبه أو تلقيها في القمامة، ويلعنون من كتب لهم التقارير الكاذبة، واتهمهم بالتقصير مع مراقبتهم الدقيقة وسماعهم لكل درس أو محاضرة وقراءتهم لكل كتاب.

وخير للإنسان ألا يرد عليهم مطلقا، ويدعهم، فهم في النهاية سوف يرد بعضهم على بعض:

كالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وهم سيأكل بعضهم بعضا ويفضح بعضهم بعضا.

وقد كتب بعض هم بخصوصي (٢٥) صفحة للمباحث مطالبين بقتلي.

وهذا الفعل لا يعدو عندي كونه تحكما في السلطة الحاكمة على حد قول جرير:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلي قطينا

قال الخليفة الأموي لو أنه قال (لو شاء) لسقتهم إليه!

وهكذا يكون هؤلاء المفترون أشد على الحكومة من تنظيم الدولة الذي ينفذ العمليات بنفسه ولا يستخدم الحكومة لتنفيذها.

- من العلم الشرعي الصحيح أن يبدأ العالم بالأهم قبل المهم ولا ينساق وراء أسئلة الناس وهو يعلم أنهم يتركون أكبر مما سألوا عنه.

فعبدالله بن المبارك قدَّم جهاد الروم بالشام على جهاد بني قومه مشركي الترك، وقال قوله المشهور "الترك يقاتلوننا على الدنيا أما هؤلاء فيقاتلوننا على الدين"، والإمام أحمد لما ذاكر أبا زرعة في الحديث لم يصل إلا الفرائض.

وشيخ الإسلام ابن تيمية قدم الأصول على الفروع كما هو معلوم، وذكر سبب ذلك.

والشيخ محمد بن عبدالوهاب اهتم بتصحيح الاعتقاد ومحاربة الشركيات والضلالات.

والشيخ محمد بن إبراهيم اهتم بالتحاكم إلى الشرع وبيَّن حكم القوانين، وأكثر من ذلك جدا.

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي لما رأى انصراف الناس إلى الأفكار الغربية، أكثر الحديث عن كون القرآن يهدي للتي هي أقوم، وأن الإسلام كامل شامل.

والشيخ الألباني لما رأى انصراف الناس إلى التقليد اهتم بردهم إلى السنة. وهكذا.

وقال الإمام مالك: (إن الذي يجيب الناس عن كل شيء لمجنون)!

- للعلم مكانه اللائق ووقته المناسب ومن التحديث بحديث العرنيين بين يدي الحجاج أن بعض العلماء أو الدعاة أو الخطباء يقولون إن لولي الأمر أن يزيد في مدة الحكم ما شاء.

وهنا ننبه إلى أن حديث العرنيين حق وثابت، ولكن أنكر الحسن البصري رحمه الله على خادم رسول الله ﷺ أنس بن مالك أن يحدث به عند الحجاج، فالحجاج سوف يسفك المزيد من الدماء متبعا لهواه، وإذا أنكر عليه أحد استدل بهذا الحديث.

ومثله اليوم الحديث عن الإرهاب بين يدي الغرب، وما ينشره الليبراليون هنا في مجتمعنا ويصفونه بأنه أخطر من أسلحة الدمار الشامل!

- بعض الناس أصلحهم الله يُلزم غيره أن يكون مثله ناسيا أن من العلم ما هو خاص ولا يجب إلزام الناس به، وقد كان حذيفة ﷺ يعرف المنافقين بأسمائهم، وقد أسر إليه النبي ﷺ بذلك، فكان لا يصلي على جنازة أحد منهم ولكن لا ينهى الناس عن ذلك، اقتداء بالنبي ﷺ الذي كان يقول صلوا على صاحبكم و لم يصل هو على من مات وعليه دَين.

وما كان على التخيير لا يصح إلزام الناس بفعل أمر واحد فيه، ومن ذلك أنه أخبر ﷺ أن أفضل الصيام صيام داود، وهو عليه الصلاة والسلام كان يفطر حتى يقال لا يصوم، ويصوم حتى يقال لا يفطر، ودينه ﷺ دين اليسر والفسحة، لا دين التزمت والانغلاق، حتى مع غير المسلمين:

وقد أجاز للحبشة أن يلعبوا في المسجد ولنصارى نجران أن يصلوا فيه مستقبلين المشرق قبل تحريم دخول النصارى في جزيرة العرب، و لم يقتل صلوات الله عليه رأس النفاق وأصل الخوارج مع أن ذا الخويصرة قال: "إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله"، وترك العرب على عاداتهم في تقديم الغزل في الشعر وفي ذكر الخمر ونحو ذلك مما لا واقع له، ومعلوم أنه جاءه رجل وقع على امرأته في نهار رمضان وعاد إليها ومعه ستون وسقاً من التمر، وأنه ترك القبائل على راياتها وتجمعاتها، مع أنه آخى بين المهاجرين والأنصار، والأمثلة كثيرة، فالإسلام دين الرفق والأفهام تختلف منذ قديم الدهر، والأجر عند الله ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها، فالحمد لله الذي جعل ديننا هكذا و لم يكلف داود أن يفهم ما فهمه سليمان عليهما السلام، و لم يقل إن داود جاهل أو مبتدع أو مخالف للحق بل قال تعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩].

- أثناء محاكمة (العريان) اعترفت المباحث الأمريكية المسماة مكتب التحقيقات الفيدرالي (إف بي آي) في بلد الحرية المزعومة، بأنها راقبته عشر سنوات وسجلت عليه قرابة خمسمائة ألف مكالمة، كما أنهم قالوا لسامي الحصيِّن أنت لعنت أمريكا وكان ذلك قبل ١٥ عاما من محاكمته، وسجنت أمريكا -بعد التتبع- على التميمي في واشنطن والدكتور رافل في سيراكيوز،

وكذلك الداعية الكيني على المزروعي، ومن لم يسجنوه راقبوه مراقبة عينية وتنصتوا على مكالماته كالدكتور محمد حامد الأحمري، وذنب الجميع واحد عندهم هو أنهم مسلمون، ويتعاطفون مع القضية الفلسطينية وليس مع إسرائيل.

– عمالقة الحضارة الغربية:

من خلال كلام الغرب نفسه عن عظمائه، ومن تتبع سيرة أبطال الحضارة الغربية يحق لكل عاقل أن يسأل:

إذا كان هيجيل عنصريا متعصبا إلى حد أنه لما كتب ما سماه "العالم الشرقي" لم يذكر الإسلام من قريب ولا بعيد، وإذا كان فوليتر ملحداً، وإذا كان جوليان هكسلي داروينيا، وإذا كان برتراند رسل يفضل النازية على الرأسمالية، وإذا كان مؤلفا كتاب (انتحار الغرب) أحدهما قسيس متعصب، وإذا كان فرانز كافكا يهوديا حائرا، وإذا كان كارل ماركس مدرسياً، وتوماس مور خيالياً، وكان توما كذاباً، وإذا كان روسو مخفقاً في التربية، وإذا كان جميس جويس مجدفاً، وإذا كان ديفيد هيوم شكاكاً، وإذا كان "كانت" حالماً، وإذا كان "آينشتاين" كلاسيكياً، وسبينوزا مؤمناً بوحدة الوجود، وإذا كان فرويد يهودياً حاقداً، فما حضارتكم الغربية أيها الغربيون وهل كبراؤكم إلا هؤلاء!؟

– قد يستطيع المكابر أن يجادل في شيء لكنه لا يستطيع المجادلة في كل شيء.

وهذه ثغرة في فكره جعلها الله منفذاً للمؤمنين، ومن السياسة الحكيمة في الجدل والمناظرة العدول إلى ما لا شك فيه ولا جدال:

فإذا قال لك الصوفي أو الرافضي أنا لا أريد ابن تيمية أو محمد بن عبدالوهاب فدعهما، وقل له ألست تريد القرآن؟

وهذا العدول قد ذكره الله في كتابه عن إبراهيم الخليل عليه السلام فإنه لم يجادل الطاغية في قوله (أنا أحيي وأميت) مع أن كلام الطاغية باطل؛ بل عدل عنه إلى قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة:٢٥٨]!!

والذي يوحد الناس اليوم هو كتاب الله، وهو في كل مسجد ومكتبة ومن شذ عنه شذ في النار!!

- من ثمرات العلم سعة الأفق، ووحدة الأمة، وإعذار المخالف، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله أن الخلاف بين الأئمة في الشريعة الواحدة يشبه الخلاف بين الأنبياء في الشرائع مع اتفاقهم في التوحيد.

وإنما المنهي عنه في الكتاب والسنة "التفرق"، وحسبك في ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩]!!

ومن المحال أن يكون الناس كلهم على رأي واحد أو عقيدة واحدة أو مذهب واحد.

- هذا التقارب العالمي يدل بذاته على أنه يكفي الإنسانية رسول واحد وكتاب واحد، وقد جرت السنة الاجتماعية أن نشر الدعوة بين الناس يفضي بهم إلى الرد عليها وهذا أمر عادي لابد منه، ولا يمنع حدوثه من نشر الحق، قال تعالى: ﴿لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال:٤٢]، والحق ضالة المؤمن ولو صدر من عدو أو كافر.

ولا يشك عاقل أن الإعلان خير من الإسرار، وأن وضوح الحق خير من التكتم عليه، ولولا ما يقوله المطّبِلون ما ظهر الحق، ولولا ما كتبه الأسقف النصراني بولس ما ألف شيخ الإسلام الجواب الصحيح، ولولا أن ابن المطهر الحلي كتب منهاج الكرامة ما كتب منهاج السنة، ولولا شبهات

المستشرقين وما أثاروه ما رد عليهم أهل الحق وبينوا محاسن التشريع.. وهكذا.

-**العدل من صفات العلماء** التي لا بد منها ومن أعدل من قرأت له من العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية ولو قلت إنه أعدلهم لكنت صادقا، وقد حكم الشيخ بتعزير من لعن أحدا من المسلمين أو لعن الأشعرية، كما فعل الكندري، وقد يكون اللاعن جاهلا، وكذلك قد يكون المادح كأبي علي الأهوازي مخطئاً.

ومن عدله أنه ذكر أن الفلاسفة فيهم ذكاء وزهد وأخلاق ولولا الأنبياء لكانوا أعقل الناس.

ومن عدله قوله إن ما في أقوال المناطقة من تناقض وباطل لا يلزم منه أن يكونوا أشقياء في الآخرة إلا إذا بعث الله لهم رسولا فلم يتبعوه.

- **الصحيفة النبوية** هي أول دستور مكتوب عرفته البشرية، وقد ضمنت حقوق غير المسلمين، والصحيفة وردت من عدة طرق يشد بعضها بعضا وبعض ألفاظها في القرآن وبعضه في الصحيحين.

وممن رواها ابن إسحاق وابن زنجويه وأبو عبيد وأبو خيثمة، ورواها الإمام أحمد في المسند من طرق ومما يدل على ثبوتها أن النبي ﷺ ذهب لبني النضير يطلب منهم الإعانة حينها ولكنهم حاولوا اغتياله، وكذلك قصة مقتل كعب بن الأشرف، ومن العلماء من صححها مثل أحمد شاكر وعبد الرحمن البنا.

سادسا
فنون علمية مختلفة
١- الهندسة، الرياضيات، الصيدلة، الطاقة

الهندسة: يدون التاريخ أن أول من استخدم الهندسة هم بناة الأهرام التي يحتاج بناؤها لمعرفة هندسية معمارية، وذكر المؤرخون في الهندسة بأن "طاليس" اليوناني قاس ارتفاع الأهرام بعصاه، وهندسة الأهرام فيما يبدو هي الأصل الذي استمد منه "اقليدس" أفكاره الهندسية، ومن المعروف تاريخيا أن فلاسفة اليونان كانوا يأتون إلى مصر ليتعلموا.

وعن طريق المسح والهندسة المعمارية المتقدمة بنى المسلمون المدن ومصّروا الأمصار على أسس علمية يقصر عنها الغربيون كثيرا آنذاك ويقصر عنها كثير منهم اليوم.

وبأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ مسح عثمان بن حنيف، وزميله أرض السواد، وعرف المسلمون العلاقة الوثيقة بين الهندسة والرياضيات لا سيما الهندسة التي يسمونها اليوم "الهندسة المستوية"، أو "الهندسة الفراغية".

وبرع المسلمون في الهندسة وعدّلوا كثيرا من نظريات اليونان، وكانت جامعات الأندلس تدرِّس ذلك، واستخدموا المقاييس لتكون قياساتهم دقيقة، ويظهر أن إحداثيات "ديكارت" منها، وإحداثياته هي أصل ما يسمى الهندسة التحليلية، ثم طور ذلك الغربيون وشققوا فروعا للهندسة لها علاقة بعلوم أخرى كالكيمياء والفيزياء والكهرباء وعلوم النبات.

ولما مصَّر عمر ﷺ الأمصار أمرهم أن يجعلوا لكل مدينة مناهج (شوارع)، وأن يجعلوا عرض المنهج ثلاثين ذراعا للمناهج الرئيسية وعشرة أذرع للمناهج الفرعية.

ثم إن المهندسين المسلمين اختاروا موقعا لبغداد يتناسب مع حالة الجو، إذ علقوا قطعا من اللحم، ثم بنوا بغداد في المكان الذي لم يسرع إليه الفساد، وأقاموا المدينة على أسس هندسية رائعة وجعلوها على شكل دائرة تتوسطها دار الخلافة والجامع الكبير.

ثم بنيت "سر من رأى" (سامراء) وكان الخلفاء ينتقلون إليها وإلى الرقة موسميا، وإلى سامراء استقدم المتوكل الإمام أحمد بن حنبل ليكرمه ويهدي له أطيب الطعام، غير أن الإمام لم يأكل طعامه وصام وظل مواصلا صيامه حتى عاد إلى داره في بغداد.

وفي عهد المأمون -قَبْل المتوكل- مدّ المهندسون المسلمون حبلا يبلغ طوله حوالي ثلاثين ميلا لقياس الأرض ومعرفة محيطها.

ثم إن الهندسة الإسلامية تطورت تطورا أدهش ألباب الوفد الرومي الذي جاء إلى بغداد لمفاداة الأسرى كما ذكر ابن كثير وغيره.

كما عرف المسلمون الأشكال الهندسية، كالمربع والمستطيل والمعين والمخروطات والزوايا، وهم أول من عرف التطابق بين الهندسة والرياضيات.

ولعل أكثر الفروع استخداما ومعرفة للناس اليوم هو "الهندسة الوراثية" وهي استخدام الهندسة في تعديل الجينات (المورّثات)، فيسمنون الأحياء اللاحمة، ويكبِّرون أحجام الفواكه والخضروات، الأمر الذي جعل البلديات أو من يقوم مقامها يلزمون الباعة بالتمييز بين ما هو طبيعي وبين ما هو معدل وراثيا.

وفي العلوم المتعلقة بالهندسة يمكن اعتبار ما قام به ابن الهيثم ثورة علمية في ميدان الرياضيات التحليلية والبصريات، إذ لم يكتف بإتقان أصول "أقليدس" بل عدّل في الآراء والفرضيات التي وضعها فلاسفة اليونان، وأراد أن يضع مقياسا لمستوى النيل، وعلى أبحاثه في الضوء سار "نيوتن" و"آينشتاين" وطوروا، وأثبت المحدثون صحة تعديلاته وصواب نظرياته، وعلى بحوثه المتعمقة قامت صناعة النظارات في العصر الحديث.

والهندسة الغربية عالة على ما أبدعه المسلمون فإن "ليوناردو دافينشي" الذي وضع لهم الهندسة العملية، إنما اعتمد على ما كتبه المسلمون، ولا تزال الرموز العربية جلية في مخطوطاته.

ويعد "فيثاغورس" من رواد علم الهندسة عند الغرب، وقد كان كما يقول الغربيون يؤمن بالتناسخ، أما في الجانب الرياضي البحت فقد أبدع المسلمون وتفوقوا كثيرا حتى أنهم اخترعوا "الصفر" الذي يقول الرياضيون إنه أعظم اختراع في عالم الرياضيات، وقال بعض الباحثين إنه أعظم اختراع في تاريخ العلم كله، وقسموا الأعداد إلى آحاد وعشرات ومئات وألوف وهكذا، وعلى الصفر يقوم علم الحاسوب "الكمبيوتر"، ولجهل الغرب وقعت مشكلة عام ٢٠٠٠ كما سموها.

كما عرفوا البسط والمقام والكسور وعدل المسلمون كثيرا من آراء "فيثاغورس" و"أرخميدس" ولا يزال الغربيون إلى اليوم يستخدمون ما يسمونه "الأرقام العربية"، كما لا يزالون يستخدمون حرف "س" رمزا للمجهول، كما كتبه أبو الحسن الأندلسي.

ومما عرفه المسلمون مفهوم "اللانهاية" وعلى كلامهم بنى "لايبنتز" و"نيوتن"، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن أي رقم تخيلته هو بالنسبة إلى اللانهاية صفرًا، ولا عجب أن يعرف ذلك -أو ينقله عما سبقه- بعقله الجبار وعبقريته الفذة.

والمسلمون يقرأون العدد أو يتصورونه مهما كانت ضخامته، ولا يقولون هذا ليس من مجال التخصص، كما يقوله كثير من الباحثين في الغرب، وقد قرأت أن أمريكيا كتبوا له رقما فعجز عن قراءته وقال "قوقل"، أي أنه عدد ضخم لا أستطيع قراءته، ويظهر أن موقع "قوقل" الإلكتروني أخذ اسمه من ذلك.

كما عرف المسلمون حساب التفاضل والتكامل وأبدع في ذلك "ثابت بن قرة" الذي يقال إنه ذمي غير مسلم، ومع ذلك تعلّم الحساب في الحلقات المسجدية، حيث كان الطالب يتعلم أي علم، ومن الفرائض علم المسلمون الموافقة والمباينة والمداخلة والمناسخات، كما عرفوا الكسور وأصل ذلك القرآن لا سيما آيات المواريث، كما عرفوا مقادير الزكاة وأنصبتها.

كما عرفوا الطرح والجمع والقسمة والضرب، بل إنهم استخرجوا المجهولات العددية وحلوا المعادلات وأخذوا علم الجبر الذي لا يزال محتفظا باسمه العربي إلى اليوم.

ومن الظواهر الملفتة للنظر في تاريخ العلوم الإسلامية أنه لا منافاة مطلقا بين العلم والدين كما في الغرب، بل كانت كل العلوم تدرّس في المسجد، ولو أن أحدا من هؤلاء النوابغ عاش في أوروبا لأحرقوه حيا كما فعلوا بسرفت وجردانو برونو، أو حاكموه وتوّبوه كما فعلوا بجاليلو، ولما قدمت الحملة الفرنسية إلى مصر ودخلت خيل الفرنسيين الأزهر، ذهلوا حين رأوا الجبر والمقابلة وكذلك علم الفلك (الهيئة) وغيرها تدرّس في صحن الجامع الأزهر وأروقته، إلى جانب القرآن والتفسير والحديث والفقه، ولا يزال ذلك معروفا حتى اليوم في كتاب "مجموع مهمات المتون" مثلا، ولو كانت تلك العلوم في الغرب، لحكمت الكنيسة النصرانية ومجامعها بأنها من علوم الكفار أو من علوم الشيطان، وغاية الأمر في الإسلام أن يكون بعض العلوم أفضل من بعض، وأن يكون من العلوم ما هو محرّم لقيامه على أسس غير صحيحة.

وأصل التناغم بين العلم والدين مأخوذ من كتاب الله، حيث ذكر الله أنه سخر الكون كله للإنسان، وأمره بالسير في الأرض والنظر في ملكوت السماوات والأرض، وضرب للبعث أمثلة من الواقع المحسوس في الأرض وإحياء "النبات"، وأنه جل شأنه لم يخلق السماوات والأرض لعبا وعبثا وباطلا كما يظن الذين كفروا، بل خلقهما بالحق وأقامها على العدل، وكلما ازداد الإنسان معرفة بأسرار الحياة كان أكثر خشية لله وعملا بكتابه، وإنما أبقى الله آثار الأمم الغابرة، ليعتبر برؤيتها الأحياء ويتعظون، ويحذروا من نفس المصير ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٥-٤٦].

كما عرف المسلمون جداول اللوغاريتمات، ولا يزال الباحثون في أمريكا وانجلترا والغرب يسمونها "الخوارزميات"، وللمسلمين معادلات رياضية لا تزال تحمل أسماءهم حتى اليوم، منها معادلة "الماهاني" وهو أبو عبدالله محمد بن عيسى الماهاني.

كما عرف المسلمون الأشكال الهندسية كالمربع والدائرة والمكعب والمثلث والكرة، وبرعوا في معرفة الزوايا وكيفية استخراج ذلك بمعرفة الأضلاع، ثم طور الغربيون حساب المثلثات وشققوه إلى وضعه الحالي، وعرف المسلمون النسبة التقريبية ٢٢ على ٧ التي يمكن بها معرفة مساحة الدائرة، كما عرفوا التسلسل في الفاعلين أو في المؤثرات وبرهان التطبيق، وأمثال ذلك مما تتطلب معرفته علما بالرياضيات.

ومما أبدعته الخبرة الهندسية للمسلمين أن المهندسين المسلمين صمموا نفقا تجري فيه السيول في المشاعر المقدسة ومكة المشرفة، بدلا من أن تجتاح الكعبة المشرفة وتذهب بالمقام وتضر الطائفين، وسمى المؤرخون لمكة ذلك النفق سِرْبا وذكروا أن المهدي هو الذي موّله.

وأمر المهدي كذلك المهندسين بإقامة الاسطوانات التي شحنها في السفن من الشام إلى جدة، ثم جرّت على العجلات إلى مكة.

ومما يثبت أن علم الهندسة لم ينقطع عنه المسلمون ما ذكره الجبرتي في تاريخه من أن والده كان عليما بها، وأخذها عن الشيخ حسام الدين الهندي، بل إن كلام الجبرتي نفسه يدل على علمه بذلك.

ومن أعظم المهندسين المسلمين المهندس التركي "سنان" الذي بنى الجامع السليماني، وأصلح مجرى عين زبيدة وأجرى الماء العذب إلى إسلام بول، وله مآثر كثيرة منها أن جامع السليمية أفخم وأعظم من "أيا صوفيا"، ولكن القوميين يريدون طمس مآثر الأتراك كلها، ولا زالت جوامع اسطنبول من أعظم آثار الدنيا التي يأتيها السواح من كل بلد، وربما ضاهت الأهرام في ذلك، ومن معالمها المشهورة أيضا "طوب قبوسراي" وجامع السلطان

أحمد، وبنوا أيضا القلاع العظيمة منها القشلة في مكة وقلعة أجياد، أما الخط العثماني فهو آية في الروعة والجمال، حتى اشتهر بين الناس أن القرآن نزل في جزيرة العرب وحفظه المصريون وكتبه الأتراك، وقد كان في كل مكتبة أو بيت هنا مصحف بخط مصطفى نظيف التركي، وذلك قبل منع تداول أي طبعة غير طبعة مصحف المدينة النبوية.

ولسنان أيضا علوم هندسية كثيرة غير الهندسة المعمارية، منها صناعة السفن وبناء الجسور، وكان العثمانيون لا يحتاجون إلى خبير كافر في أي مجال غالبا.

وبعض المفسرين كالرازي في التفسير الكبير يذكر الهندسة على أنها نوع مما يسميه "علم الحيل"، ويعدها جزءا منه، ويذكر أمورا من علم الحركة المسمى اليوم "ميكانيكا"، والواقع أن كل ذلك ليس حيلا وإنما هو علم تجريبي يمكن أن يطبقه كل إنسان إذا عرف قاعدته.

والإنسان بطبعه يميل إلى الأشكال المبسطة كالمثلث والمربع والمستطيل والدائرة كما نلاحظ ذلك في الحدائق والمنتزهات مثلا، وذلك لأسباب منها وضوحها وسهولتها.

ولكن الله تعالى خلق الأرض والجبال والصخور والنباتات بأشكال أخرى متعرجة ومتنوعة، وهذا التعرج الذي نراه هو في الحقيقة جمال وحكمة، ولا يتناهى مهما كثرت المناظر والمخلوقات كما تتناهى الأشكال المبسطة.

كما أن المسلمين هم أول من عرف التطابق بين الرياضيات والهندسة والفلك، واستخدموا العضادة وهي مسطرة لقياس الزوايا.

ومن أشهر المهندسين المسلمين أبو الوفاء البوزجاني وأبو الريحان البيروني والمهندس المعماري التركي "سنان" المتقدم، ولو كان أحد من هؤلاء غربيا لرأيته في كل كتاب مدرسي وأشادوا به كثيرا.

فالبوزجاني هو أول من حل المسائل الهندسية المعقدة، ووضع القانون العام لما يسمونه "الجيوب" في المثلثات الكروية، واستخدم البركار، وأثبت أن دورة القمر غير منتظمة، وصنع الزيج المشهور بالزيج الواضح.

وأما البيروني فقد ارتحل إلى الهند وتعلم اللغة السنسكريتية، وكتب عن الفلسفة الهندية، والمنطق الهندي، وهو بذلك خير من "هيجل" وسمى الغربيون ما فهموه من كلامه "قاعدة البيروني" التي إنما عرفوها بعد ستة قرون، وقد استخرج البيروني حساب مقدار محيط الأرض، وقد حذى حذوه كثير من الغربيين ذكرهم المستشرق "نيلنو".

وأما المهندس التركي "سنان" فهو الذي بنى المساجد الشهيرة في تركيا مما هو أضخم من "أياصوفيا" التي حولها أتاتورك وحزبه من مسجد إلى متحف، وهو الذي أعاد بناء عين زبيدة كما تقدم، وأجرى المياه العذبة إلى اسطنبول وبنى الجسور المشهورة وكان يمزج في فنه بين الدين والعمارة، وله مآثر لا نستطيع إيرادها كلها في هذه العجالة.

ومن علماء المسلمين الذين أبدعوا في الرياضيات والهندسة أبو الوفاء البوزجاني -المتقدم ذكره- الذي عاش في القرن الرابع الهجري، وهو ماهر في حساب المثلثات وله مؤلفات في الهندسة والرياضيات كما أن له اختراعات ومنها "دالّة الظل".

ولم تكن العلوم قد تنوعت والتخصصات قد تفرعت فكان من ينبغ في علم ينبغ فيما له علاقة به.

وعرف المسلمون الأبعاد والأطوال والأوزان مثل البريد والفرسخ والميل والشعرة والشُّعيرة، والرطل والنواة والأوقية والصاع والفرق وأمثال ذلك من المكاييل والأوزان.

ومن رحمة الله تعالى أنه بث في خلقه قوانين رياضية لا يزال بعضها مجهولا وبعضها يثير الدهشة.

ومن القوانين الرياضية التي تثير فينا الدهشة أن من تراه اليوم فردا واحدا سوف يصبح بعد عشرة أجيال قبيلة يصل عددها إلى مائة ألف، وأنك لو قطعت قطعة من الورق قسمين وقطعت كل قسم قسمين وظللت هكذا اربعا وعشرين مرة، لكان ذلك يملأ ما بين الأرض والقمر.

ولما رأى الفيلسوف الرياضي الانجليزي "برتراند رسل" ما في القوانين الرياضية من الاضطراد جعل منطقه رياضيا، بل إن بعض الفلاسفة الغربيين من أيام اليونان وتبعهم بعض المعاصرين يحصرون الحقائق في الرياضيات وحدها.

- **وفي الصيدلة:** كان المسلمون أول من عرف العقاقير وركبها، وفصلوا الصيدلة عن الطب لأول مرة ولم يستوردوا شيئا من ذلك، بل كان الروم يستوردون منهم، كما عرفوا بعض الأحماض وبعض النترات، كما عرفوا اللبخات واللصقات والمراهم والمساحيق والضمادات والفتائل واستخدموا الصيدلية المتنقلة في المعارك، وكان رجال الحسبة يراقبون الصيدليات لكي ينطبق تركيب الأدوية على شروط (الأقراباذانات) أي الأدوية المركبة وهذه الأقراباذانات تحدث عنها ابن القيم وغيره، وأمثال ذلك كثير يصعب حصره.

ولا يزال الصيادلة الغربيون يعتمدون على الخبرة الإسلامية العظيمة في هذا المجال، ومن ذلك أنهم يسمون الدواء المشروب شرابا إلا أنهم ربما جعلوا الشين سينا، كما أن الغول المذكور في القرآن يسمونه "الكحول"، وكذا القلي إذ لا يزال بلفظه العربي إلا أنهم ينطقون القاف كافا.

وقد كان المسلمون يسمون الكيمياء (الصنعة) ويسمون التجارب (الدربة)، ويستفيدون من معرفتهم لذلك في تركيب الأدوية.

أما الأدوية العشبية فكانوا يحددون مقاديرها بكل دقة، وعليها يعتمد الطب البديل اليوم.

- الطاقة:

ومما له علاقة بالهندسة والميكانيكا: الطاقة التي تسير بها الآلات، واحتياطي العالم من الطاقة، والطاقة البديلة.

والطاقة المستعملة اليوم، هي النفط، وأكبر منتج له هو السعودية، لكن يقول بعض خبراء النفط العالميين إن السعودية ستتحول إلى دولة مستوردة للنفط بحلول عام ٢٠٢٥، ويقول: خبراء آخرون إن احتياطي النفط السعودي نقص من نحو تريليون ومئتي مليار برميل إلى ثلاثمئة مليار برميل فقط، وأنها سوف تتحول أيضا من الطاقة النفطية إلى زميلتها الطاقة الغازيّة، ويقول الخبراء أيضًا: إن الانتاج السعودي للغاز قليل إذا قيس بالاحتياطات الكبرى في العالم مثل الغاز الروسي والغاز الإيراني والغاز القطري ..الخ.

ويقولون إنه بعد سنوات سوف يتحول العالم إلى الطاقة الكهربائية التي لا تكلف إلا نحو عشر الطاقة النفطية، وحينها تصبح كل السيارات والمولدات بل والطائرات التي تعمل بالجاز، وكل ما يستعمل البترين والديزل والجاز أكوامًا من الخردة!

ولذلك يقدم البنك الدولي رؤى جديدة، عن المستقبل تعتمد على مصادر أخرى للدخل كالسياحة والترفيه.

هذا وقد غزت الشركات الصينية أسواق العالم بمنتجاتها الرخيصة من المفروشات والملبوسات والآلات المختلفة.

وبعض ذلك يخرج عن نطاق التجارة العادية إلى نطاق الإغراق للقضاء على المنافسة، وسوف يظهر في العالم مناطق جديدة للاستثمار كالقطبين، وبذلك تنتهي المركزية الاستثمارية لما يسمونه الشرق الأوسط.

والعجيب أن المجاهدين في بلاد الشام يكررون النفط بوسائل بدائية (إيقاد النار) ويقوم بذلك بضعة أشخاص فقط، ولا يحتاجون للمصافي الضخمة قط.

ومع ذلك يسعى الغرب إلى استتراف نفط الخليج وحفر الحفر العميقة له في أمريكا مثلا.

وبما أن السعودية تبيع النفط خامًا وبما أن الإقبال على البترين يتزايد داخليًا كان لا بد من استيراد البترين من الخارج وهذا ما نشرته صحيفة الاقتصادية السعودية، وكذا صحيفة الرياض وصحيفة (أرامكو) وغيرها ويذكرون أن (أرامكو السعودية) تشتري ما مقداره ٢٥٠ ألف طن من البترين وأن استيراد البترين سوف يتوقف بحلول عام ٢٠١٧ج والله أعلم.

ولا تكفي المصافي التي تتطلب معامل كثيرة وآلاف الموظفين ومساحات واسعة من الأرض لإنتاج البترين المطلوب وكذا الديزل وغيره من المشتقات النفطية!

علما بأن النفط المكرر يعطي أرباحًا تفوق جدًا النفط الخام، الذي يشترطه الغرب، بل إن البرميل من النفط المكرر يلغ سعره قرابة خمسين ضعفاً من النفط الخام! لكن الغرب يشترط علينا أن نبيعه النفط خاماً.

ومن العجب أن الغرب يشتري منا البرميل من النفط ثم يبيع علينا بعض مشتقاته بما يتجاوز ثمن عشرات البراميل من النفط الخام!!

ويعمدون إلى إحراق مصافي النفط الكبيرة ومنها مصفاة رأس تنورة التي هي أكبر مصفاة في العالم، وكذا مصفاة الجبيل.

٢- الطب

كان الغرب في قرونه الوسطى وعصره الإقطاعي يتداوى بالروث وبالبول الذي يستورد من الأندلس المسلمة، وببقايا الحشرات وأجزاء منها، كالضفدع ومرارة الأسد وخصيتيه، ومرارة السلحفاة، ووسخ أذن الفيل، والعقارب، والصراصير، وكثير مما قاله "أرسطو" في كتاب "سر الأسرار"، وذكره الدميري في "حياة الحيوان"، كما تحدث عنه البوني والسيوطي.

وكان يعزو كل ألم إلى الأرواح الشريرة كما يعتقد، وأن الجن أو النساء أو الحساد، أو من يكفر بالمسيح كاليهود، أو يعبد الأوثان كالمسلمين بزعمه، هم سبب كل بلاء ومرض، وإذا ظفر الغربيون بدجال أو مشعوذ تداووا عنده وسمعوا له وأطاعوا، فكانت أوروبا الصليبية ميدانا للسحرة والمنجمين والعرافين، ومرتعا خصبا للخرافات والخزعبلات.

وفي مقابل ذلك الجهل المريع وتلك الهمجية المطبقة، كان العالم الإسلامي الراقي المتحضر تكثر فيه المستشفيات المسماة آنذاك "بيمارستانات"، وكان كل خليفة أو سلطان أو والٍ يسعى لإنشاء "بيمارستان" باسمه كي يخلّد ذكراه، ومنها البيمارسًتان المقتدري، والبيمارستان الطولوني، والبيمارستان العضدي، والبيمارستان النوري، والبيمارستان الأيوبي، والبيمارستان المنصوري.

كما عرف العالم في أيام الحضارة الإسلامية لأول مرة المستشفيات المتنقلة التي كانت تحملها الجمال، وفيها أسرَّة للمرضى، كما عرفوا المستشفيات الميدانية، واستخدام ذلك لا سيما في المعارك والحروب، كما عرفوا ما يسمى اليوم "العيادات الخارجية"، وقد عرف المسلمون التمريض، وكان ذلك قديما في أيام النبي ﷺ، وكانوا يعرفون الجراحة ويخترعون لها الآلات والمخدرات، ومن أشهر الجراحين المسلمين الزهراوي الذي كتب عنه ابن أبي أصيغة قديما، والشيخ محمد المختار الشنقيطي حديثا.

وعرفوا الأدوية المفردة والأدوية المركبة وما تعالج به الأمراض التي كانوا يسمونها بأسماء إسلامية مثل القولنج، والخوانق، وذات الجنب، والطاعون،

والبرص، والخرف، والصداع، والسوداء، والمرة، والسعال.

وكانوا يسمون المعالج طبيباً أو حكيماً، وكذلك يسمون الكتب الطبية "كتب الحكمة"، أما طبيب العيون خاصة فيسمونه الكحّال.

وتحدث الإمام أبو محمد ابن حزم عن الحشرات الصغيرة التي ذكر أنها تعيش في المستنقعات، وربما كان يقصد الجراثيم المعروفة اليوم، أو على الأقل الحيوان ذو الخلية الواحدة "الاميبا" الذي يقول عنه المختصون اليوم إنه يمكن أن يرى بالعين المجردة، فكيف إذا علمنا أن علماء المسلمين كانوا يستخدمون الزجاج لتكبير الأشياء، وممن ذكر استخدامه شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله. وقد عرف ذلك بعض الغربيين قبل "باستور" و"فلمنغ"، وقبل اكتشاف المجهر الحديث.

كما عرف المسلمون اللبخات والمراهم، والضمادات، واللفافات، والفتائل، واللصقات، والكمادات، وما تقدم ذكره في الصيدلة، وعرفوا الحجامة، والفصد، وتجبير العظام، وعرفوا كذلك ما يخدر به الجسم قبل العملية الجراحية كالبنج وبعض النباتات المخدِّرة.

وعلّم الرسول ﷺ أمته بضرر زيادة الدم وأنه يزيد حتى يقتل المصاب، وليس من شرطه أن يكون دما فاسدا، كما علمهم أن المرض قد يكون خيرا لهم وأنه فيه تكفير لذنوبهم، وهذا من خصائص الإسلام التي لا يعرفها الطب الغربي ولا أي كافر من الغربيين أو الشرقيين.

ولا تزال محلات العطارة أو أسواقها تعج بالكثير مما لا نعلم.

ومن الأقوال المعتبرة أن أصل الطب هو الوحي من الله كما ذكر الأقوال "أرسطو" وابن تيميه وابن القيم وابن حجر، ولا غرابة في ذلك؛ فالله هو الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والوحي هو أصل كل خير، والطب النبوي القائم على الكتاب والسنة هو أرقى أنواع الطب، وعليه أثنى ابن القيم رحمه الله وقال إن حذاق الأطباء يقولون إن نسبة طب الأطباء إليه إنما هي كنسبة طبِّ العجائز إلى طبهم.

وأرشد ﷺ إلى أدوية كثيرة لم يعرفها الطب الغربي حتى اليوم، ولن يعرفها إلا إذا رجع إليها، وربما تعلم الإنسان الطب من الحيوان الذي هداه الله بغريزته إلى أكل "اليخضور" وتجنب النباتات السامة.

وربما تعلمه من البدو، فعائشة رضي الله عنها لما سئلت ممن تعلّمتِ الطب؟ قالت كان الأعراب يأتون النبي ﷺ فيخبرونه وأسمعهم، كما سيأتي!! ولا يزال أهل البادية اليوم يعرفون كيف يعالجون الجروح والأمراض ويجبرون العظام، ويقاومون السموم، ولهم خبرة عظيمة في الكي والحمية.

أما العلم التجريبي الحديث فلا يزال في أول الطريق، وربما سبح في الجهل، وصدق الله: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء:٨٥].

والطب تجربة وممارسة، فهو كله فروع، كما قال الخليل بن أحمد، وفي المخلوقات أسرار لم تكتشف بعد، وقبل أن يعرف العلم الخلايا وأنها تتمدد بالحرارة وتنكمش بالبرودة كان صلوات الله وسلامه عليه قد نهى أن ينام الرجل بعضه في الظل وبعضه في الشمس! وربما كان ذلك لحكم أخرى.

كما أرشد الرسول ﷺ إلى العسل والتمر والحبة السوداء التي هي خير من المضادات الحيوية التي يصفها بعض الأطباء اليوم وحظرتها -أي المضادات- بعض الدول مثل بريطانيا، وأرشد إلى الإبراد بالماء، وفي الطب النبوي تجد السنا والسنوت والإثمد والحناء والمرّ، وأرشد إلى القسط أو (الكست) كما قد يسمى، ومنه بري وبحري وإلية شاة أعرابية، كما ذكر ﷺ فوائد التلبينة، وعلّم أصحابه التداوي بألبان الإبل وأبوالها، وحث على الحجامة، وبين أن ماء الكمأة شفاء من العين، وأخبر أن الله ما أنزل داء إلا أنزل له دواء إلا الموت أو الهرم، أي أنه حتى السرطان له دواء لم يكتشفوه.

وأمر صلوات الله عليه بإطفاء السرج عند النوم، وأخبر أن الفويسقة (الفأرة) قد تجر السراج فيحترق البيت، وبذلك وضع الأساس لما يسمى اليوم "فرق الإطفاء أو الدفاع المدني" أو "إجراءات السلامة".

ونهى أن يورد ممرض على مصح، وأخبر أن العين حق، ونهى عن الاقتراب من المجذوم، وبذلك نعرف معنى العدوى الشرعي لا معناها الجاهلي قديما وحديثا.

وأرشد إلى أدوية لا يعرفها الغرب أصلا، كالأذكار والأدعية والرقية والصدقة، وكيف يعرفها من لا يؤمن برسالة رسول الله ﷺ.

كما أرشد إلى أن الذنوب قد تكون سببا لأمراض كثيرة، وهذا لا يعلمه الغرب الكافر حتى اليوم، فقد قال ﷺ: (ما ظهرت الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن فيمن قبلهم)، وهذا من أضرار المعاصي والذنوب، وقد فشا اليوم الزنا وعمل قوم لوط لدى الغربيين وأتباعهم، فابتلاهم الله بالإيدز وقبله الزهري، وكثير من أمراض الفواحش التي يسمونها "الأمراض الجنسية"، وما هي بجنسية إذ لو كانت كذلك لأصابت الصالحين من هذه الأمة الذين قد يتزوج أحدهم أربعا ويكون له عشرات من الإماء، ولا يعرف هذه الأمراض، هذا مع أنه تعالى يعفو عن كثير وإلا لأهلكنا جميعا.

وقد علّم النبي ﷺ أصحابه ما يسمى اليوم "الحجر الصحي" حيث أمرهم إذا سمعوا بالطاعون في بلد ألا يدخلوا إليه، وإذا كانوا في بلد وأصابهم فلا يخرجون منه، وبذلك عملت الدولة العثمانية فأنشأت المحاجر للحجاج في بيروت وجدة والحديدة وغيرها (الكرانتينة) التي لا تزال بهذا الاسم في جدة وبيروت وغيرهما، كما أجازت الدولة العثمانية التطعيم حسب فتوى علمائها، وقد تمنى الرئيس الأمريكي في ذلك الحين "فرانكلين روزفلت" أن يكون رجال الدين النصارى كالعلماء العثمانيين، فيفتون بجواز التطعيم، كما أن من المعروف تاريخيًا أن الجمعية الملكية البريطانية إنما عرفت التطعيم وأوصت به شركة الهند الشرقية، من المستشفيات العثمانية في اسطنبول، وفكرة التطعيم أو التلقيح فكرة سهلة، تقوم على تحفيز مناعة الجسم الذاتية لكن الغرب كان يجهلها، وكان رجال دينه يحرمونها.

ومن الطب المعاصر اليوم الطب الذي يستدل به على أي مرض في الجسم بحال عضو واحد يقول عنه "مجمع كل شيء" مثل الأقدام والآذان، وبعض الناس يذهبون إلى المعالجين بالرقية وقد يكون بعضهم مشعوذا كذابا وجاهلا بالرقية الشرعية، وربما دخل بعضهم من باب المشروع إلى غير المشروع، والله تعالى جعل كتابه شفاء للقلوب والأبدان، وأرشدنا ﷺ إلى أفضل الرقية كسورة الفاتحة، وسورة البقرة وآية الكرسي والمعوذات.

كما علمنا صلوات الله وسلامه عليه أذكار الصباح وأذكار المساء وأذكار النوم والاستيقاظ منه، وكل ذلك مجانا لا يحتاج نفقة أو كلفة، ويعمله الإنسان لنفسه أو لأهل بيته.

وقد بعث لي سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رجلا لأقرأ عليه فلم أفعل، وأرشدته إلى ما حضرني من الرقى القرآنية، ولو فتحت هذا الباب لتدفق علي الألوف ولشغلني ذلك عن العلم، ولاضطررت إلى القراءة الجماعية بالمكبر "المايكرفون" كما قد يفعل بعضهم.

وقد سألني بعضهم عن حكم الماء والزيت المقروء عليهما، اعتقادا منهم أن لذلك بركة ليست لماء زمزم أو زيت الزيتون.

ولا بأس بإجراء العمليات الجراحية على أن أعظم عملية في التاريخ البشري كله هي حادثة شق صدره ﷺ.

والعجيب أن أكبر بؤرة للشعوذة والدجل الآن في العالم هي في أمريكا، فعيادات الدجل والضلال والخزعبلات تراها في "نيويورك" وفي "لوس أنجلس" وهناك يدّعون أن الشفاء يأتي من الروح القدس المزعوم.

وأكثر الناس شعوذة وكذبا هم من يمتهن هذه المهنة الخبيثة لا سيما "مسزكولمان" و"مستر توربو تشن".

وربما ذهب العلماء هناك بل الأطباء إلى المشعوذين والدجالين.

وبعض هؤلاء الدجالين يأتون إلى بلدان الخليج ليجمعوا الأموال الطائلة، وكان أحد المشعوذين في جدة يقبض آلاف الريالات على الجلسة

العلاجية الواحدة.

وقال لي الدكتور أسامة الراضي، الذي كان مديرا لمستشفى الأمراض النفسية بالطائف، وله محاضرات قيّمة في اليابان وأمريكا وغيرها: كيف يميزون بين السحر والعين والجن من جلسة واحدة؟ وهذا سؤال حيَّرني كما حيّر كثيرًا من الناس، والعجيب أن هؤلاء يحكمون بالفرق فعلا، و لم يقابلني أحد ذهب إليهم إلا وأخبرني أنهم قالوا له عندك جان أو فيك نظرة أو أنت مسحور، وقال لي من أثق فيه إن أحد المعالجين قبض على إحدى غدده ويقول اخرج اخرج، فقال المتحدث لما اشتد عليه الألم عاهدت القارئ أن أخرج ولا أعود، وفعلا خرجت من عنده و لم أعد إليه أبداً.

ومن المشعوذين من يقول إنه يعالج بالبرمجة العصبية التي تشفي من كل مرض -بزعمه- وهي عقيدة بوذية قديمة تقوم على القوة السالبة "ين"، والقوة الموجبة "يانج"، ويجعلون السالبة "أنثوية" والموجبة "ذكورية"، وأنا أحذر كل أحد من هذه البرمجة فهي وثنية مغلفة، ولو كان فيها خير لكان الجيش الأمريكي أولى بها، فقد جربها فعلا ثم تبيّن له خطؤها، ولو أنها تحوِّل الإنسان من الوضاعة إلى قمة المجد والشهرة لكان أولى الناس بها مدربوها، ولما كانوا احتاجوا إلى القدوم إلى الكويت وقطر والإمارات والرياض وجدة وغيرها لجمع المال.

فلنحذر أن نكون كبني إسرائيل الذين تركوا كتاب الله واتبعوا أقوال هاروت وماروت.

ومن فروع الطاقة الموجبة والطاقة السالبة -وإن شئت فقل الوثنية البوذية- رياضة "اليوغا" التي ما هي إلا نوع من الإيحاء الذاتي، يعتمد على التأمل والصمت، وخير منها الخشوع في الصلاة وعند قراءة القرآن.

ومن السحر ما يستخدمه الهواة في المغرب والهند والصين وكثير من الدول، ويزعمون أن الثعابين تتبع عزفهم كسبا لمال السواح، مع أن الثعابين لا تسمع، وإنما تتمايل مع الحركات، ومن القديم عرف الناس أنها صماء، قال

الشاعر العربي:

وذات قرنين من الأفاعي ** صماء لا تسمع صوت الداعي

والسحر أنواع كثيرة رأيت بعضها على التلفاز السعودي، حيث كان الساحر يخدع أعين الناظرين ﴿سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الأعراف:١١٦]، فتتحول الورقة إلى حمامة وهكذا.

وقرأت "لكولن ولسن" كتابا سماه "الإنسان وقواه الخفية" كما كتب أنيس منصور كتاب "القوى الخفية"، وكان الدكتور مصطفى محمود يقدم برنامجا في التلفزيون المصري عنوانه "العلم والإيمان"، ونقله التلفزيون السعودي عن التلفزيون المصري، وقد شاهدت بعض حلقاته وفيه الهالة الضوئية، التي يقول عنها مصطفى محمود إنها تحيط بالبرهمي، وبذلك يظهر أن الغاية إنما هي توحيد الربوبية أي إثبات وجود الله فقط، الأمر الذي يعد بدهيا مسلّما لدى جميع الحضارات، ما عدا الحضارة الغربية التي تماري في البدهيات!! ويجعل ملاحدتها الأمر كله صدفة أو تطور عشوائي كما يقول الداروينيون.

أي أن كتاب مصطفى محمود "رحلتي من الشك إلى اليقين" إنما هو في الحقيقة رحلة من الضياع والحيرة والإلحاد إلى الإقرار بوجود الله، وليس العجب كيف عاد بل العجب كيف ألحد!.

وفي نظري أن ما يسميه بعض الأمريكيين "ازدواج الشخصية" ويضرب "كولن ولسن" له أمثلة، ما هو إلا نوع من تخبط الشيطان الذي دل عليه القرآن، وكيف لا يتخبط الشيطان قلوبا فارغة من ذكر الله والإيمان به، وإنما تطورت أساليب الناس فبعد أن كانوا يضربون باليد أو بالعصا أو بالحذاء أصبحوا يستخدمون الآن "الصدمة الكهربائية".

ويقول "كولن ولسن" أنه وجد في كتاب الموتى، الذي كتبه قدماء الفراعنة ما يدل على علم الغيب، فالحمد لله الذي أغنانا بالصراط المستقيم عن صراط المغضوب عليهم والضالين، وبكتابه الحكيم عن كتاب الموتى

المهلهل الذي فيه حق وباطل، وإنما عثروا اليوم على بعض بردياته.

والمؤمنون يؤمنون أن السحر حق، وقد سُحِر النبي ﷺ، وكذلك كان سحرة فرعون، ويؤمنون بأن العين حق، كما دل على ذلك أحاديث كثيرة، ويؤمنون بالحسد كما قال تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفَلَق:٥].

ويؤمنون بالجن كما ذكر الله ورسوله، ولكنهم أجساد وليسوا مجرد "أرواح شريرة" كما يظن الأمريكيون، بل فيهم المؤمن والكافر والطائع والفاسق، وليسوا كائنات فضائية كما يُتوهم، بل هم خلق يخالطوننا ويبيتون معنا.

ومن الجن (الشياطين) الذين سيدهم قاطبة "إبليس"، ومع كل إنسان قرين إلا أن الله أعان نبيه ﷺ فأسلم قرينه.

كما يؤمنون بآيات الأنبياء وكرامات الأولياء على حقيقتها، وليس كل خارق للعادة كرامة للشيخ أو للولي أو للمرابط أو للفقيه أو للمرشد أو لأي اسم كان، وإنما العبرة بالتدين والتقوى والاتباع، وما كان مخالفا لدين الإسلام فلا كرامة لأهله، وإن زعموا أن فلانا قديس أو مملوء بالروح القدس، وقد حذرت التوراة من الأنبياء الكذبة كما تسميهم، وهؤلاء كذبة محتالون مخادعون، أو يمكن تفسير ذلك علميا ويقع لكل أحد، وينبغي أن نعلم أنه ليس كل مشعوذ يعترف بأنه مشعوذ، كما أنه ليس كل لص يقول لك إني لص، إلا من تاب وهم قليل.

وإنما يذهب الناس إلى المشعوذين أو يزدحمون على أبواب العيادات أو غرف الانتظار لضعف الإيمان والتوكل، والإهمال في الأدوية المجانية المشروعة، وربما كان سبب ذلك الهلع الشديد: الخوف من الموت، الذي هو حق يجب الاستعداد له، وليس محاولة التشبث بالحياة بأية وسيلة، وهو يقين لكل إنسان مهما طالت حياته.

قال الحسن البصري رحمه الله: (ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت).

ومن رحمة الله بالإنسان أنه أخفى عنه كيف سيموت وإلا لتنغصت حياته.

وقد شك بعض الناس قديما في قدرة الله وأوصى أن يحرقه أبناؤه ويذروا نصفه في البحر ونصفه في البر، واليوم تجد من ينكر قدرة الله حديثا كملاحدة الأمريكان يوصي بأن يحرق ويجعل رماده في كبسولة تدور في الفضاء، والحرق تقليد مجوسي قديم، وبعض الناس تذر الحكومات رماده في البحر.

وبعض السحرة يهود من إسرائيل مثل المدعو "جيلر"، وبعضهم فرنسيون مثل المدعو "جيلارد"، وبعضهم أمريكي، وفي أمريكا عيادات وشقق وبيوت للسحرة، كما ينتشر السحر اليوم في الدول الإفريقية والدول الشرقية في آسيا.

وكانوا يحذروننا في الرياض من السحرة العمانيين، كما يحذروننا في مكة من السحرة المغاربة أو السودانيين، وكثير من الخادمات اليوم يسحرن مخدوماتهن، ومن أنواع الشعوذة ما يسمى "حيل الرهبان" وقد ذكر ابن تيمية بعضها وهي بحر لا ساحل له، ومنها اليوم ما ينسبونه إلى العذراء أو "سيدة صندنايا"، وهؤلاء السحرة والمشعوذون يكثرون في البوادي والأرياف والقرى إذ أن أخصب بيئة لهم هي الجهل.

وقد قال لي أحد قادة الجهاد الإسلامي أيام حرب الروس: إن أكثر ما يعادينا الدول الإسلامية فتعجبت، وقلت له لماذا، قال إن وجود دولة إسلامية حقيقية سوف يكشف زيفهم، فتذكرت كلام شيخ الإسلام لما قال: "إن من يبيع الذهب المغشوش إنما يبيعه في البوادي"!!

ومرة كنت في "تهامة" فذكروا أن رجلا جاء إليهم كان يبيع ورقة من فئة ٥٠٠ ريال بمبلغ ٣٠٠ ريال فقط، فقلت بالتأكيد هذا مزوِّر، يبيع عملة زائفة بعملة صحيحة.

أما الاستعانة بالجن فهي كثير، وبعضهم يقول أنا استخدم الجن الصالحين، فإذا سألته كيف عرفت صلاحهم؟، قال سألتُهم، وربما استدل بأن نبي الله سليمان كان يستخدمهم، وبذلك ضل كثير من الناس بل بعض الدعاة وطلبة العلم هداهم الله، وبعض هؤلاء الجن يدعي طول العمر وأنه صحب النبي ﷺ وروى عنه أحاديث ليست في الصحيحين.

وفي كتاب "الإصابة" وغيره كلام عن بعض هؤلاء منهم لاقيس بن إبليس" وتفصيل أخبارهم وأنواعهم مذكورة في الأحاديث، وفي كتب ابن تيمية، وفي كتاب "آكام المرجان في أحكام الجان"، وفي الاستعانة بالجن في المباحات كتب الأخ عبدالقادر الغامدي بحثا مطولا.

وحسبنا في ذلك ما جاء في الحديث، ومنه أنواعهم المتقدم ذكرها.

وأعظم الجن (العفاريت والسحابيون ومسترقو السمع)، وقد جاء ذكرهم في الكتاب والسنة كقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل:٣٩]، وقال: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن:٩].

وقد جاء في الحديث (إنهم يستمعون في العنان) أي السحاب.

ومن أخبارهم ما رواه ابن منده وغيره عن الذي كان يسترق السمع ثم احترق، وكان يصحبه أحد الإنس وحدّث عن ذلك في يوم القادسية، والله أعلم.

وأسوأ الجن قاطبة مردة الشياطين الذين يكفرون بالله، ويزينون للناس الكفر والسحر والضلال، غير أن الله تعالى إذا دخل رمضان يصفدهم بالأغلال، وكان نبي الله سليمان يصفدهم، وهم والله أعلم الذين قال الله عنهم: ﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ﴾ [ص:٣٨].

ومن القرناء من يوحي إلى المشعوذين وإلى الخرافيين وإلى الجهلة ما يسمونه "تحضير الأرواح"، والتحضير خرافة قديمة مذكورة في التوراة. والقرين يتكلم ويخبر عن الميت، ولو كان هؤلاء يعلمون الغيب لأخبروا من

يستخدمهم بقدوم الهيئة أو الشرطة إليه.

وقال الله عن عبده سليمان عليه السلام: ﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

ومما يدل على أن الشعوذة قديمة قدم الشيطان، أن الفراعنة كانوا يعرفونها، ويأمرهم الشيطان أن يستعيذوا بحورس ويتقربوا إليه.

وبعض الدجالين يقول إنه لا يعالج إلا إذا كان في حالة إغماء مثل "ديفيد" الفلبيني، والإغماء المعتاد رحمة من الله حيث يبقى الإنسان حيا دون أن يخسر الكثير من طاقته، ومثل ذلك تغير لون المشعوذ، وبلغني أنه في بلاد زهران رجل عامّي يتغير لونه ويكتب الدواء بالإنجليزية، ويذهب المريض إلى الصيدلية فيشتري الدواء، وعندي أن قرينه درس في كلية الطب، ثم إن هذا المشعوذ ألقت الجن ابنه من النافذة، وهكذا كل من يستعين بهم لا بد أن ينتقموا منه يوما ما، إلا إذا أطاعهم في كل شيء ومنه السجود لهم ووضع القرآن في المراحيض وكتابته بدم الحائض!

وفي سورة الأنعام ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وهكذا يجيب الإنس لا الجن، وإنما استمتاع الشياطين بهم أن يعبدوهم ويسجدوا لهم ويضعوا المصحف الشريف في الأماكن النجسة أو يكتبوه بدم الحيض كما تقدم أو بأي شيء نجس،ويأمروهم بالاستغاثة بكبرائهم وكتابة أسمائهم التي هي غالبا أسماء أعجمية غير مفهومه أو أسماء لملوك الجن، كما أخبرني بذلك -مع ما قرأت- أحد الذين تاب الله عليهم من أهل الطائف، ومن هذا الاستمتاع فيما أحسب ما يفعله كثير من الأمريكيين ويسمونه "التلباثي"، وهو التخاطب عن بعد، فتراهم في نيويورك يكلّمون من في لندن.

وأما في جدة فالسحرة كثيرون، وقد تتبعت أحدهم في الشارع ثم اختفى عني فجأة، وبعد فترة قرأت بعض الآيات فجاء مهرولا ودخل البيت،

والعجيب أن هذا الساحر كان محافظا على صلاة الجماعة ويأتي المسجد ببخور باستمرار.

ومن أنواع السحر التنجيم الذي يسميه الأمريكان "استرولوجي"، ومن التنجيم قولهم "برجك كذا"، وقول بعض المجلات والصحف حظك هذا الأسبوع كذا.

وهذا كذب قطعا، ومما يدل على كذبه أنه يولد في البرج الواحد الذكي والغبي ومن يكون غنيا أو فقيرا، ومن يكون أميرا أو حقيرا، ومن يعيش أو يموت، وكان المنجمون قد حذروا المعتصم ولكنه عصاهم، فقال أبو تمام:

السيف أصدق إنباء من الكتب ** في حده الحد بين الجد واللعب

ومن المنجمين المشهورين في الإسلام "أبو معشر المنجم".

ومن التنجيم اعتقاد أن الاقترانات الفلكية هي السبب في الحوادث الأرضية، وربما كان ذلك ناشئا عن الدلالات، التي جعلها الله علامات تحدث في السماء عند وقوع الأحداث في الأرض، كما عرف "هرقل" أن ملك أمة الختان قد ظهر بالنجوم التي كانوا يعرفون بها الأحداث، وليس بالتقويم الوضعي، ثم يخرج المنجمون ما كان صدقا بمئة كذبة.

ومما لا يذكره المنجمون تأثير العالم السفلي في العالم العلوي كما اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ، وكما أخبر إبليس أن رمي الجن بالشهب إنما هو لأمر قد حدث في الأرض، وكان ذلك الحدث هو بعثته ﷺ.

ومما يذكره المؤرخون أن قبيلة ثقيف لما رأت الشهب كثرت في السماء شرعوا في عتق أرقائهم وبيع مواشيهم، وقالوا هذه القيامة، ولكن أحد كبرائهم "عمرو بن عبد ياليل" قال لهم: لا تعجلوا وانظروا إلى السماء فإن كانت النجوم باقية فالأمر هين، وإن رأيتموها تساقطت فهذا يوم القيامة، فنظروا فإذا السماء على حالها وإذا النجوم على حالها.

وصدق الله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ﴾

[الأنعام:٩٧]، وقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل:١٦]، قال قتادة: جعل الله النجوم زينة للسماء وعلامات يُهتدى بها ورجوما للشياطين، "فمن قال غير ذلك فقد تكلف مالا علم له به".

ومن ذلك قراءة الكف أو قراءة الفنجان، فمن صدق بالتنجيم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد.

أما من اعتقد أن الأثير هو خالق النجوم فقد كفر كفراً صريحاً، وهذا الكفر هو ما تقوله النظرية "الأثيرية" التي أثبت "ألبرت آينشتاين" بطلانها، وقد كان بعض الناس في حينها يصدق بها، حتى قال أحد الشعراء العرب:

وخالق هذه الأكوان طرا ** إله واحد وهو الأثير

ولهؤلاء كتب كثيرة يرجعون إليها، بل يدعي بعضهم أنه فلكي وإنما هو مستنبط أو مستمد مما كتبه البوني وأضرابه وأذكر منها:

١- شمس المعارف للبوني شيخ ابن سبعين.

٢- الإنسان وقواه الخفية "كولن ولسن".

٣- الزهور أو الظهور وهو كتاب يقرأ مفردا، ويقرأ جزءا من التلمود عند اليهود لاسيما سحرتهم الذين سموا سحرهم "القباله" أو "الكابالا".

٤- أسرار الروح لمؤلفه عبدالرزاق نوفل.

٥- القوى الخفية للمؤلف أنيس منصور، الذي كان من الإخوان ثم أصبح وجوديا والله أعلم بما مات عليه.

وهناك كتّاب كثيرون أذكرهم إجمالا لضيق الوقت في هذا المجال:

منهم عبدالفتاح الطوخي، ورؤوف عبيد، وراجي عنايت.

وينبغي أن نذكر هنا أن للشفاء أسبابا كثيرة منها:

ما أودعه الله تعالى في الجسم الإنساني من مقاومة الأمراض والمناعة منها، فكثير من الناس يعافيه الله من السرطان والسكري وضغط الدم وغيرها، بلا دواء بشري، والجسم يطرد أو يحاصر أي شيء غريب، والكريات البيضاء والبكتريا النافعة تتولى الدفاع، والدم يتجمد بإذن الله

بالأكسجين الموجود في الهواء وهكذا..

وبعض الأمراض تذهب بدون علاج وتختفي بذاتها، وهذا ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية، والأطباء حديثا.

وبعض الأمراض لها -طبيا- مدة محدودة إذا انتهت ذهب المرض، كالزكام "الرشح" مثلا له مدة سواء عليك أخذت الدواء أو لم تأخذه.

وكثير من الأمراض يعالجها الأطباء بالطب الكيماوي المعروف اليوم.

وبعض الأمراض يذهب بالرقية والدعاء والصدقة، والمرضى والأطباء لا يعلمون.

وهكذا تتعدد الأسباب، وربما كان دور المعالج أو المشعوذ، لا أثر له مطلقا إلا اعتقاد المريض فيه وإحسانه الظن به.

ومن البدع الفاحشة ما يسميه بعضهم "الزار"، ويسميه الأفارقة "بوري"، ويسميه أهل الملايو "أموك"، وليس له أصل في الكتاب والسنة، بل إن الشافعي قال: "حدث في بغداد نوع من التغبير أحدثه الزنادقة"، والتغبير في ذلك الزمن هو ضرب بالعيدان على المخادّ فكيف اليوم؟

ويجوز أن يكون لنا أطباء مأمونون من أهل الكتاب، وفي غير جزيرة العرب، كما كان موسى بن ميمون طبيبا لصلاح الدين الأيوبي، وكذلك كان كثير من الخلفاء في بني أمية وبني العباس ثم في العثمانيين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إذا كان اليهودي أو النصراني ونحوهما خبيرا في الطب ثقة عند الإنسان جاز له أن يستطبه، كما يجوز له أن يودعه المال وأن يعامله، وإذا وجد طبيبا مسلما فهو أولى"، وأصل ذلك هو أخلاقه ﷺ مع من يثق فيه من اليهود، ثم ما كان أيام الصحابة كالطبيب اليهودي الذي كان ايام ابن مسعود في العراق.

ومن مظاهر الإهمال الصحي المعاصر انتشار البدانة "السمنة"، الأمر الذي يستدعي إنشاء أندية وعيادات وكتب ونشرات لمعالجتها ومحاربة

أسبابها، ويعزى ذلك إلى قلة الحركة وكثرة الأكل وعدم العمل، وإلى مطاعم الوجبات السريعة وإدمان المشروبات الغازية وتعاطي السكّر وأمثال ذلك.

ومن العجيب أن بعض النساء لا تطبخ، وتذهب إلى عيادات التخسيس!

كما أن دعاة إفساد المرأة يقررون الرياضة على النساء بزعم تخفيف وزهن، وكأهم عالجوا الرجال.

وصانعو الخبز يهمهم إنتاج الدقيق المجرّد من فوائده وفيتاميناته ليكون أسهل خَبزا، كما يجردون السكر الطبيعي من فوائده وربما يكررونه بعظام الحيوانات التي قد تكون ميتة أو نجسه، وبذلك ينتجون ما يسميه الأطباء "السم الأبيض".

والهندسة الوراثية يهمها إنتاج أكبر قدر من المحصول عن طريق التسمين والتلاعب بالجينات الوراثية، فترى الدجاج المشبع بالهرمونات وترى الأبقار المسمنة، وترى الفواكه والخضروات المعدلة، وأمثال ذلك مما يرفضه الأطباء وخبراء التغذية ويبينون أضراره وما من مجيب.

ومن الإفراط الضار بالصحة ويحذر منه الأطباء إدمان استخدام الجوال "الخليوي" أو "الموبايل"، وكذا أي شاشة مثل شاشة الحاسوب، ولذلك أضرار جسيمة على العين والدماغ، وقد نصحت الشركات الصانعة للجوالات باقتصار استخدامه على الضرورة، بحيث لا تزيد المدة في ٢٤ ساعة على ٢٠ دقيقة، ومن أراد معرفة ذلك بنفسه فليضع بجانب الجوال بيضة ليجد أنها استوت.

أما الحاسوب "الكمبيوتر" فيوصي الأطباء باستخدامه مرة واحدة في الأسبوع وللضرورة!

وتقدُّم المسلمين الطبي ذهلت له حملة نابليون على مصر، وكتب عن طبهم "جومار" الفرنسي.

ومن أشهر المستشفيات الإسلامية "البيمارستانات" ما بناه الخلفاء

العباسيون في بغداد وغيرها، ومابناه نور الدين زنكي في حلب ودمشق، وما بناه صلاح الدين في مصر، كما اشتهر عند المسلمين مدارس للطب منها مدرسة قصر العيني بالقاهرة التي حولوها إلى كلية طب قصر العيني، وكانت المستشفيات الإسلامية تقدم الدواء والغذاء والكساء ويتسابق الخلفاء والأثرياء للإنفاق عليها والوقف لها.

ومن عجيب المستشفيات الإسلامية أنها كانت تنهى المريض عن استخدام إناء غيره، وتتلف الإناء بعد استعماله لمرة واحدة.

والشيخ الفاضل محمد المختار الشنقيطي كتب عن الجراحة ونقل الدم فجزاه الله خيرا ويجب أن يسير الأطباء على ما قرره من أحكام شرعية.

والله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وجعله منتصب القامة، وحمى مخه بعظام الجمجمة وحمى قلبه بالأضلاع وجعل مخرج الأذى في الإنسان بعيدا عن وجهه، ومن تأمل في خلقه ازداد عجبا، واستنبط الكثير، وعلم أنه تعالى حكيم عليم، وأن نعمه على الإنسان لا تعد ولا تحصى.

ومن المدهش للأطباء في هذا العصر أن يكتشفوا أنه في أبوال الإبل دواء لأمراض كثيرة، وهو الدواء الذي وصفه ﷺ للعرنيين كما في حديث العرنيين الذي لا جدال في صحته، وربما عجبوا أكثر إذا علموا أن أهل البادية في جزيرة العرب وغيرها لا يزالون يتداوون بها، وأنه يشفي بها بإذن الله، من قرر أكثر المستشفيات تقدما في أمريكا أنه لا أمل له في الشفاء.

وليت الأطباء بدلا من قولهم "لا دواء له" يقولون نحن لم نكتشف له دواءا، فقد قال الصادق المصدوق ﷺ: (ما أنزل الله من داء إلا وأنزل له دواء، علمه من علمه وجهله من جهله)، فلماذا لا يعترف هؤلاء بجهلهم؟ ولماذا تجري البحوث الكثيرة في دول عديدة من العالم للشفاء من السرطان أو السكري أو الوباء الكبدي وأشباه ذلك؟ إلا لأملهم في أن يكتشفوا له دواء.

ومن وسائل العلاج المعروفة قديما ولا زالت حديثا "التراب"، وقد جاء في الحديث: (بتربة أرضنا، بريقة بعضنا).

وقبل أن يعرف الطب الحديث بعض فوائد الحجامة كان رسول الله ﷺ قد احتجم، وأمرته الملائكة الكرام أن يأمر أمته بذلك ومنذ ذلك اليوم استمر المسلمون على هذا الدواء وعلى الصيام والحمية، وتقليل الأكل بحيث لا يزيد عن الثلث كما في الحديث، أما التداوي بالأدعية والأذكار فهو شيء لا نتوقعه من كافر مطلقا.

والغربيون اليوم يأكلون ويشربون بالشمال كما يفعل الشيطان، ويستجمرون بالمناديل وليس بالماء، بل إذا أكلوا مسحوا بالمناديل.

ومما أرشد إليه النبي ﷺ السواك، وإعفاء اللحية وكل ذلك ثابت لدى الأطباء اليوم، فكيف إذا تقدم الطب مستقبلا، وقد قرأت للدكتور صبري القباني صاحب مجلة "طبيبك" أنه كل يوم يجري عملية جراحية بحلاقة لحيته، فما كان أغناه عن ذلك، وله سوى المجلة كتب طبية مفيدة على أنه قومي وليس إسلاميا، واليوم يقرر الأطباء أن إعفاء اللحية هو العمل الصحيح، حيث أن جروح الحلاقة قد تكون منفذا للجراثيم وسببا لالتقاط العدوى خاصة بين الأطباء، وبعض الناس لا يعفي لحيته تدينا بل صحة أو "ديكور" كما يقولون، ويقولون ذلك حتى لا يظن الرائي أنهم مطاوعة!، وبالإضافة إلى أن إعفاءها أقل تكلفة وأحفظ للوقت تجد فاعله أبعد عن تهيج الجلد والحساسية، كما أن إعفاءها يؤخر من أعراض الشيخوخة عكس ما يفعله الغشاشون الذين يحلقونها تشبها بالمردان، وبقصد إثبات أنهم شباب!، وإعفاؤها من سنن الفطرة وقد حرص كل الأنبياء على سنن الفطرة لا سيما خليل الرحمن إبراهيم وحفيده محمد ﷺ، ومما يشبه ذلك إخفاء التجعيد عند كثير من الناس.

كما أن الأطباء يقررون أن ضرر التدخين لا يقتصر على المدخن فقط بل يستنشق جليسه مع الدخان الجراثيم وغيرها مما ينفث، وإني لأعجب كيف لا تنهى كل زوجة زوجها عن حلق اللحية والتدخين، ومثله الشيشة.

ووزارة الزراعة الأمريكية تصدر نشرة عن أضرار الخنزير والميتة والدم

والمنخنقة وأمثال ذلك، والمسلمون مهما بلغوا من الجهل ملتزمون بذلك قبل وجود تلك الوزارة بقرون.

ويقول الأطباء الغربيون اليوم أن أفضل دواء لعلاج السعال (الكحة) الماء، فكيف لو عرفوا قيمة ماء زمزم وأنه شفاء لما شرب له، وممن شربه واكتفى به أبو ذر رضي الله عنه.

وحرم الله الميتة والدم، وهو تعالى رحيم بنا عليم بحالنا لم يحرم علينا إلا ما يضرنا، ولا يباح شيء مما حرم الله إلا للمضطر إليه، وقد قرر الأطباء في عصرنا هذا مضار الدم، واعتمدت وزارة الزراعة الأمريكية قرارا بإسالته. والمسلمون في الغرب أنشأوا مسالخ ومحلات للحلال.

وقد نشرت هيئة كبار العلماء السعودية أبحاثا تضمنت قول رئيس إحدى الشركات في أمريكا الجنوبية إن الذبائح المخنوقة أسرع فسادا ويتغير لونها فتصبح زرقاء داكنة، ولو حفظت مجمدة، بخلاف ما أنهر منها الدم.

والمجوس يأكلون الحشرات والثعابين والكلاب، ومن زار اليابان أو كوريا أو الصين يرى ذلك عيانا، فالواجب علينا هو حمد الله على ديننا والاستعلاء به ودعوة هؤلاء المنحطين إليه، وينبغي تعلّم الطب والتفوق فيه، وإن كان كما قال الإمام الشافعي رحمه الله "هذا علم غلبنا عليه أهل الكتاب"، غير أن الغرب اليوم أصبح محتاجا لكثير من الأطباء المسلمين.

وقد اشتهر أطباء من أهل الكتاب منهم ابن بختيشوع وابن ملكا والسموأل بن يحيى المغربي الذي كان يهوديا ثم أسلم، وألف كتاب "بذل المجهود في إفحام اليهود" واحتفظ بلقب الحكيم الذي يعني "طبيب"، أما الطب الحديث فما هو إلا نتيجة تجارب ودراسات، إذ الطب كله فروع ولذلك انتقل الطب الكيميائي إلى ما يسمى اليوم الطب البديل الذي يسميه البعض الطب الإسلامي كما سماه الدكتور أحمد القاضي.

ولما يئس الأمريكيون من الطب الغربي، انتشرت الشعوذة وسافر الأمريكان بحثا عنها إلى شرق آسيا وشبه القارة الهندية وإلى الصين وإلى القارة

الإفريقية، وأصبح أكبر مصدر داعم للشعوذة هو المال الأمريكي، وأكبر نمو للشعوذة هو في أمريكا، ويُعَدُّ أمرا عاديا عند أمة آمنت بغير الإسلام أن تؤمن بالشعوذة، فهي أمة لا قرآن لديها تستشفي وتسترشد به.

هذا وكان الطب عند المسلمين أرقى من الطب الذي يجري العمليات الجراحية المعروفة اليوم، فالحصوات التي يجرون لها عمليات الجراحة لاستئصال الكلية أو المرارة يستخدم الأطباء المسلمون نباتات تفتتها وتحولها إلى رمل يتزل من الجسم، وتصلب الشرايين وأمراض القلب يعالجونها أيضا بما يؤدي إلى مرونة الشرايين وشفاء القلب، وعرفوا أن الدهون يحل بعضها بعضا، والزنجبيل والمر يستشفون بها من أمراض لم يكونوا يعلمونها، منها اليوم ارتفاع الضغط، والعجيب أن أكثر أدويتهم مفردة فلا هي مركبة (اقرباذانات) كما كانت أدوية الهنود والفرس والروم، ولا هي كيميائية كالطب المعاصر.

على أن مشكلة الاستطباب قديما وحديثا واحدة، ولا سيما ارتفاع تكلفته ففي أيام الفراعنة كان الطب والتحنيط، لا يستطيعه إلا الملوك والكهان وطبقة من الناس -الأغنياء فقط-، وحديثا في أمريكا هو مرتفع التكلفة ولا يطيقه إلا الأغنياء ولذلك يَعِد كل رئيس لأمريكا بإيجاد تأمين صحي للمواطنين.

ومن القواعد الشرعية في الطب وهي قاعدة طبية مشهورة اليوم أن "الوقاية خير من العلاج"، ومن ذلك أن الله تعالى حرم الخمر التي يشربها الغربيون اليوم، وأباح سائر العصيرات، وتقول آخر الابحاث الطبية إن الخمر تسبب سبعة أنواع من السرطان -حمانا الله وإخواننا المسلمين- هذا خلاف الأمراض الأخرى، وما تسببه من حوادث كثيرة، غير سقوط هيبة شاربها وتصرفه كالمجانين وقد صدق ابن الوردي حين قال لابنه:

ودع الخمرة لا تشربها ** كيف يسعى في جنون من عقل؟

وانظر إلى آثارها على من يشربها كالرئيس الأمريكي بوش الصغير،

والرئيس الروسي بوريس يلتسن، وكيف أن بوش كان يرقص ليلة العزاء في دالاس، وانظر كيف أخفقت أمريكا في سن قوانين تحرمها إخفاقا يعرفه الخاص والعام، وكيف نجح المجتمع الإسلامي في المدينة في ذلك حتى جرت بها أفواه السكك، فسبحان الحكيم العليم.

والوقاية من المرض من أسبابها الأكل الطبيعي والطازج، وقد تكلم شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن مزية ما خلق الله على ما يقلده فيه الخلق، واليوم يقولون إن أي شيء طبيعي أفضل من أي شيء صناعي، ونحن مع إقرارنا بتلك الحقيقة لا ندعو إلى البقاء على ما قاله الأولون، بل إلى تسخير التطور الحديث لخدمة ما خلقه الله طبيعيا، ولمزيد من الاكتشافات في هذا المجال، بعيدا عن استخدام ذلك في زيادة الأرباح ونمو الشركات على حساب صحة الناس.

والله تعالى بجوده ورحمته جعل الشفاء سهلا ميسورا، وجعل في كل بيئة ما يتداوى به أهلها، ولكن الناس يأبون إلا ما كان معقدا.

وقد قرأت لأحد الأطباء قوله:يأتي إلى عيادتي بعض المرضى يشكو لي مرضه، فأعلم أن دواءه في بصلة، ولكن لو قلت له ذلك أو كتبته لربما سخر مني، فأكتب له دواء ربما يكلفه عشرة دولارات أو أكثر ولكنه يتقبله بكل سرور.

وفي زيت السمسم شفاء بإذن الله لمعظم أمراض الصدر، وفي الذرة (الدخن) شفاء لأمراض العظام، وفي الصمغ العربي شفاء لأمراض المسالك البولية، وفي الموز دواء للإرهاق أما التفاح والعنب والرمان والبلح ففوائدها لا تعد ولا تحصى، وعند الانجليز عبارة شهيرة مفادها أن تفاحة واحدة في اليوم تبعد عنك الطبيب، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ﴾ [الرعد:٤] الآية.

والعسل هو أفضل شفاء بإذن الله للجروح باعتراف الاطباء أنفسهم، وقد حدثني الأخ الدكتور الداعية محمد بن سعيد القحطاني زميلنا في الجامعة

ثم في الحاير، كيف عالج أبناءً له بالعسل كما حدثني زعيم مجاهدي الشعب الأورومي، كيف أن المجاهدين يتعالجون بالعسل.

ومن المعقمات التي يبثها الله في الكون (قاتلات الجراثيم) الظرم، وهو ينبت طبيعيا، ومنه أشكال، ويتميز بقوة رائحته، ويسميه الغربيون الفلاندر، ومن أشكاله ما يسمى في بعض جزيرة العرب الخزامى، ويقال له إكليل الجبل، ومنه يستخرج الفكس.

ومن الأدوية الطبيعية (المر) الذي كان من أنفس البضائع، ومما يعالج من الأمراض ارتفاع الضغط، ولا يزال كثير من الغربيين يستخدمه لذلك ويحمله معه، ومما يتوفر عندنا اللبان الشحري الذي له فوائد كثيرة.

وقد كثرت المستشفيات في المدن الإسلامية حتى أنها بلغت في قرطبة وحدها خميسن مستشفى، ومن مميزات المستشفيات الإسلامية الفصل التام بين الذكور والإناث، فالنساء يعالجهن نساء، والرجال لا يعالجون النساء إلا عند الضرورة.

ومن العجائب أن الأنبياء كالأطباء بل هم أعظم، إذ يعالجون القلوب والأبدان معا، وعلى المؤمن التسليم لهم، والطبيب يكتب الوصفة للمريض دون أن يتحدث مم تتركب أو تتكون. أما الفلاسفة ويتبعهم في ذلك التجريبيون فإنما يبحثون في التركيب والكيفية لا في الغاية والغرض.

وقد قال "آينشتاين": "العلم يحدثك عما كان والدين يحدثك عما سيكون ولذلك لا يتعارضان، إذ لكل منهما مجاله"، والأطباء اليوم يحدثونك عن سبب الوفاة الظاهري، ولكن الروح أين ذهبت، لا يعلمون!

والله تعالى أنزل الكتب وأرسل الرسل لهداية الناس التي لا تحصل لهم بالعقل ولا بالتجربة، وأمر أن نسير في الأرض ونتفكر في الكون، لكي نستخرج العبر ونتعلم الأدلة على أنه حق وأن القرآن حق وأن النبيين حق وأن البعث حق وهكذا.

ولا يتعارض أن يكون الإنسان عالما بالكيمياء أو الفيزياء أو الفلك أو

الهندسة أو الحساب مع كونه مؤمنا بالله موقنا بالبعث، بل هذه العلوم كلها يصح أن نسميها (علوم التوحيد المساعدة) إذ هي جزء من التفكر المطلوب منا، ولذلك تجد من يتعلم هذه العلوم غالبا يكون أكثر تدينا ممن يتعلم العلوم التي يسمونها "إنسانية" وتشوبها الفلسفات البشرية كعلم النفس والاجتماع والسياسة والإعلام، وقد اعتمد الكونغرس الأمريكي تمويل العلوم الطبيعية دون تمويل العلوم الإنسانية!

ومن الطب الذي عرفه المسلمون وتفننوا فيه طب الأسنان فالمسلم يستخدم السواك عند كل صلاة، وهذا خير من الفرشاة التي لا يحملها معه طوال اليوم، والسواك يستخدمه حتى ساكن الغابة إذ هو يصلح من أي شجر، وحث النبي ﷺ الصحابة على السواك ونهاهم عن ترك أسنانهم يصيبها القلح، وهو الاصفرار الناتج عن تراكم بقايا الطعام، وهذه البقايا تتسبب في أذى الملائكة، كما أنها تتسبب في الجير والروائح الكريهة.

وقد نبغ من المسلمين أطباء كثيرون منهم الحسين بن كيشريا الذي كان طبيبا في المستشفى "البيمارستان" العضدي، وألف كتابا في الطب سماه "الكناش".

كما عرف المسلمون الحشو والجسور وقلع السن وجراحة الفك وأمراض اللثة، وبيَّنوا سبب نخر الأسنان وتسوسها.

وبعض ما أوردوه لا يزال الطب الغربي يستخدمه مثل استخدام الزرنيخ والزيت والكافور.

أما استبدال الأسنان فهو معروف منذ القدم وتحدث عنه الأطباء والفقهاء، مثل كون السن من الذهب مثلا، بل إن النباشين كانوا ينبشون قبور الموتى لاستخراج أسنان الذهب.

كما تكلم المسلمون عن البخَر وشخصوه وعرفوا أسبابه وعلاجه.

ونباتات التخدير كانت معروفة عند العرب وكان الأطباء يستخدمونها لتخدير المرضى حين يجرون لهم العمليات الجراحية، وكان التخدير فناً معروفاً

آنذاك، حتى ذكر المؤرخون في سيرة التابعي عروة بن الزبير ﵁ أن الأطباء لما قرروا قطع رجله أرادوا تخديره بأن يشرب مخدراً فأبى، وقال: إذا دخلت في الصلاة فافعلوا ما شئتم.

وقد أرشد الله تعالى في القرآن الكريم ونبيه ﷺ إلى الوقاية من الأمراض وأنجع أساليب العلاج، وقد جاءت النصوص بكليات عامة في الطب العضوي والنفسي وتركت التفصيل للتجربة البشرية مع الحث على معرفة ذلك وعلى التداوي.

وأنا ألقيت محاضرة عامة في جامعة أم القرى، فسألني سائل كيف عالج النبي ﷺ جرحه يوم أحد؟ فقلت: بالرماد حيث أحرقوا حصيراً وذروا رماده على جرح النبي ﷺ. فقام أحد الأطباء الحاضرين وقال: الرماد لا تعيش فيه الجراثيم! ولم أكن أعلم عن ذلك قبل قوله، وقد جرى المسلمون على نهج الطب النبوي وبنوا لذلك المشافي، وقدروا الأطباء جدا ولو كانوا من أهل الكتاب، وكان للعرب طبهم قبل الإسلام واشتهر بذلك الحارث بن كلدة، ثم حث رسول الله ﷺ على خصال الفطرة ومنها الختان وقص الأظافر وإعفاء اللحية، والطب اليوم لا ينكر شيئاً من ذلك بل يتحدث عن فوائده ومزاياه.

وليس بغريب أن يداوي النبي ﷺ، أو يرشد إلى أفضل الأدوية أو يوصي هذه الأمة بالتداوي، ولكن في أن الطب والإسلام لم يتعاديا في أي وقت كما حصل في الغرب.

وأحل ﷺ الطيبات كما ذكر الله تعالى عنه وحرم الخبائث، ومن الخبائث المنتشرة اليوم الخمر والمخدرات والتدخين، وكلها ثابت ضررها عند الأطباء، وحرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وحرم أكل لحم الخنزير والميتة وذوات المخلب من الطير، وذوات الناب من السباع.

وقد سبق المسلمون الطب المعاصر إلى علم الأجنة أخذا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وكان لهم قصب السبق في الطب الوقائي وغيره.

وقد أخبر صلوات الله عليه أنه ليس من كل الماء يخلق الولد، وبين كيف يكون الشبه وكيف يكون الجنين ذكراً أو أنثى، وبين أن النطفة إذا مضى عليها ٤٢ ليلة تحولت بإذن الله، وكثير من كلامه صلوات الله عليه في علم الأجنة لم يعرفه الطب إلا حديثاً.

وللصوم مثلا فوائد طبية عظيمة: منها ما نراه اليوم من قدرة إخواننا المجاهدين في سجون الصهاينة على فرض معركة الأمعاء الخاوية بالإضراب عن الطعام مددا قد تطول، واليهود يعجبون لذلك وبعضهم لا يصدق به.

وقال الدكتور الفرنسي "موريس بوكاي" إنه ليس في القرآن ما يخالف العلم أبداً.

بل إن القرآن قد سبق العلم وزاد عليه، فالله تعالى أعلم من كل طبيب، ولو خالفه الطب عملنا بما في القرآن.

وعلم الطب كله فروع كما قال -خبير العلوم- الخليل بن أحمد رحمه الله، أي أنه تجارب بشرية مختلفة، واليوم نرى الطب العربي والطب اليوناني والطب الروسي والطب الصيني والطب الألماني، والطب الحديث الذي يسمونه الطب البديل.

ويعجز الطب الغربي اليوم عن علاج مرضى الخرف الذي يسمونه "الزهايمر" ويقولون إن أفضل وقاية منه هو أكل الفول، أي أن التواضع هو الحل، وقد ذكر الذهبي رحمه الله أن من حفظ القرآن قل أن يصيبه الخرف، وهل يمكن لمثل "رونالد ريجان" وهو كافر وممثل أن يحفظ القرآن؟ وبعض الكبار يذهب عقله ولكن لا يذهب حفظه للقرآن.

هذا مع أن المسلمين عرفوا علاج كل مرض، ويمكن تعلم الطب حتى من أقل الناس تحضراً، ولما سئلت أم المؤمنين عائشة (كيف تعلمتِ الطب؟ قالت: كان الأعراب يأتون إلى النبي ﷺ ويصفون له ما يتداوون به فأسمعه) وقد تقدم قولها، فانظر كيف يسألهم الرسول الكريم بنفسه عن تجاربهم البشرية وكيف تحفظ ذلك أم المؤمنين عائشة.

ولا يزال الطب البديل اليوم يعتمد على الأعشاب وهي التي يصفها البدو ويتداوون بها، وقد حدثني أحد كبار الأطباء المعاصرين أن طبيبا غربيا كاد يجن حين رأى ما لدينا من النباتات والشجيرات.

وعرف المسلمون الدورة الدموية قبل أن يعرفها "هارفي" والغرب، وبالأدوية النبوية عالجوا ما يسمى اليوم ضغط الدم دون أن يسموه كذلك.

وأخبر صلوات الله عليه وسلامه بأنه يترل الوباء في ليلة من السنة، والوقاية منه تكون بتغطية الآنية ولو بعود معترض.

أما في طب العيون أو في الإبصار: فقد خطّأ ابن الهيثم وغيره من الأطباء المسلمين ما كتبه "أرسطو" واليونانيون من قبل، وعدلوه بما يعلمه كل مختص.

والأطباء اليوم يوصون بترك مشاهدة ما يضر العين لا سيما شاشات الحاسوب والتلفاز والجوال، كما أن الغربيين يصدرون قوانين لتحديد مشاهدة التلفاز خصوصا الأطفال، والمسلمون أولى من الكفرة بذلك، وأخطر منه الألعاب الالكترونية ولها مضار عقدية ونفسية وعضوية وأمنية.

وأوصى صلوات الله عليه بالقسط، والصبر، والسنا، والسنوت، والإثمد، والعجوة، والحناء، وإلية شاة أعرابية، وبألبان البقر وسمنها، وأخبر أن الكي أسلوب للعلاج غير أنه مكروه، وبالتلبينة، والحجامة، وداوى صلوات الله عليه وسلم بألبان الإبل وأبوالها، وأوصى بإطفاء السرج عند النوم كما تقدم.

كما أرشد إلى الرقية والكمأة، وأخبر أن العين حق، ونهى أن يُورِد ممرِض على مُصِحّ، وأن يدنو السليم من المجذوم، وبعض هذه الأدوية النبوية لا يعرفها الغرب أصلا خصوصاً الرقية، وربما أخطأ فيها أو بالغ كالعين والحسد، أما التداوي بالقرآن أو بالصدقة والدعاء فذلك من خصائص الإسلام التي لا يعرفها الغربيون، وكون المرض قد يكون خيراً لا يعرفه الغربيون، وكذا كونه تخفيفا من الذنوب.

وقد أرشد صلوات الله وسلامه عليه إلى الطب الوقائي وسد كل طريق

يؤدي للمرض، وذلك أنه حث عليه الصلاة والسلام على النظافة في أحاديث كثيرة، ومنها أنه ﷺ أمر بالوضوء والغسل، وحث على السواك والطيب ونظافة الشعر، وبين أن إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، وأمر بنظافة الأفنية ولا تكون قذرة كأفنية اليهود، وحث كل قادر على أن تظهر نعمة الله عليه.

وأمر الله تعالى في القرآن الكريم بأخذ الزينة عند كل مسجد، وبين أن النصارى ابتدعوا الرهبانية، فليس من الإسلام الوساخة ولا ترك الزواج.

ولا يعرف الغربيون أن كثيراً من الأوجاع والأمراض أصلها الذنوب والمعاصي، كما تقدم.

وهكذا الحضارة الإسلامية في كل زمان ومكان هي حضارة النظافة ظاهرا وباطنا، إذ يأمر الإسلام بالغسل والوضوء والسواك والرقي، فالإسلام هو الذي ينقل المجتمعات البدائية إلى التحضر، وهو الذي يكسو العراة، ويحث الجوعى وجوباً على الأكل، ويبيح للمضطر أن يأكل ما يسد رمقه من الميتة، ويحرِّم على الناس قتل أنفسهم، وتعجبني قصة العامل الهندي المسلم الذي قال لرئيسه النصراني في العمل: قدمي أنظف من وجهك؛ فأنا أغسلها خمس مرات في اليوم وأنت تغسل وجهك -إن غسلته- مرة واحدة فقط.

والماء البارد علاج قرآني وهبه الله لعبده أيوب ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:٤٢]، ولا يزال يوصي به الأطباء وأهل التجربة، ومن فوائد الاستحمام بالماء البارد أنه يخفف الحرارة في الجسم، وقد ثبت في الحديث (أن الحمى من فيح جهنم فأبردوها بالماء).

وقد أكرم الله تعالى بلاد المسلمين بالغذاء النافع الذي هو أصل كل دواء وأفضله، ومنه اللبن والتمر، فأما اللبن فهو غذاء كامل ولذلك يعطى وحده للأطفال فيغني عن كل غذاء، وأما التمر فهو غذاء وفاكهة وحلوى، ولا يحتاج إلى حفظ، وأي بيت ليس فيه تمر جياع أهله كما في الحديث، وقد تحدث الأطباء عن فوائده ومنهم الدكتور صبري القباني، كما قال بعض

خبراء التغذية إن أكل ١١ تمرة يغني عن وجبة كاملة، مع أن الثابت في السنة والسيرة أن النبي ﷺ كان يزود الجيوش بالتمر، وربما كانت إدارة التموين أو الإعاشة في عهده محدودة في جراب من التمر يحمله القائد كما حدث لأبي عبيدة بن الجراح الذي كان يعطي كل فرد من الجيش تمرة واحدة في اليوم، وهكذا تغذى إخواننا المجاهدون اليوم في غزة لما حاربهم اليهود عليهم لعائن الله.

ولو أنك قرأت مثلا ما قررته وزارة الزراعة الأمريكية عما في التمر من الفوائد، لحرصت عليه دائما، حتى النوى يجعلونه قهوة ويبيعونها.

وبعد هذين (اللبن والتمر) تجد الماء وأفضله على الإطلاق ماء زمزم الذي لا يعرفه الغرب قط.

وربما كانت الذُّرة أقل الحبوب أكلاً، ومع ذلك أثبت الأطباء الغربيون أنفسهم أن الذرة التي يأكلها الناس في أفريقيا خير من الدقيق الأبيض الذي ليس فيه ألياف ويأكله الغربيون، فيصيبهم سرطان الأمعاء، بينما تتدنى نسبة ذلك كثيراً في أفريقيا الفقيرة، وفي الغرب يحثون على النخالة ويبينون فوائدها!

كما أن الله تعالى جعل في بلاد المسلمين هذه الشمس التي قد نكرهها مع أنها تقتل الجراثيم، أما الغربيون فإذا زادت الحرارة عندهم تأذوا وربما ماتوا، ولا يبالي إخواننا الأفارقة أن يحجوا في الصيف، أما الغربيون فيختارون لحجهم فصل الشتاء.

وكثير من الأطباء يوصون بالغذاء وليس بالدواء، وألف في ذلك الدكتور صبري القباني صاحب المؤلفات المعروفة و"مجلة طبيبك"، كما ألف الدكتور "جايلورد هوزر" الذي يسمونه زعيم علم التغذية في العصر الحديث كتابه (الغذاء يصنع المعجزات) هكذا ترجمه أحمد قدامة، ومن أقوال "هوزر" الشهيرة: "إن لحم الخنزير لا يدخل في أي نظام غذائي صحيح".

وفي القرآن الكريم ما يدل على أن الزيتون شجرة مباركة، كما أن

زيتها خير من الزيوت الأخرى، والناس اليوم يتسابقون إلى هذه الشجرة وزيتها، والأطباء ينصحون بزيتها وأنه يحل الدهون الضارة خاصة ما يسمى "الكولسترول"، وأنه يقي بإذن الله من السرطان وغيره.

كما أن التين الذي يكثر في بلاد الشام فيه فوائد كثيرة يعرفها الأطباء.

وقد قرأت أن طبيباً يابانياً أسلم لما رأى فوائد التين والزيتون، وأن تركيبهما كيميائياً هو كما في القرآن، أي أن نسبة كل منهما للآخر هو نسبة عدد الآيات فيهما.

وإلى هاتين الشجرتين يعزى ذكاء أهل الشام، حتى أن بعضهم قال إن اليهود يسيطرون على الثروة والتجارة، في كل بلد يتيح لهم ذلك إلا في بلاد الشام؛ لأن أهل الشام أذكياء والله تعالى أعلم، والناس هنا في السعودية يستقدمون الخبراء بالمال، إلا أهل الشام فإنهم يدفعون المال للكفيل ويقولون له: دعنا نعمل ولك منا (كذا) شهرياً.

وكان النبي ﷺ يحب القرع، ويقول الأطباء اليوم إنه علاج للبروستات، التي لا يوجد علاجها إلا في الخضروات ذات اللون الأصفر أو البرتقالي كالقرع والجزر.

والطب النبوي يجمع بين رخص السعر ومجانيته، وبين عظيم الفائدة وقاية أو علاجاً.

وقد قرر ابن القيم رحمه الله: "إن نسبة طب الأطباء إلى الطب النبوي كنسبة طب العجائز إلى طبهم"، ونقل إقرار ألأطباء بذلك، وأورد مسرداً أبجديًا بما ورد في الحديث من النباتات والأدوية النبوية مرتباً على حروف المعجم، وطبعه بعضهم مستقلاً عن الهدي.

وكانت جامعات أوروبا تدرس الكتب الطبية التي ألفها المسلمون مثل كتاب "القانون" وكتب الحكمة على اختلافها، واستمر ذلك قروناً.

وكان السلف الصالح منذ عصر النبوة يشرب بعضهم سؤر بعض، والأطباء اليوم يقسمون البكتيريا إلى نافعة وضارة، ويوصون ألا تُقتل النافعة

كأن يعصر الليمون في الفم مباشرة.

وينادي الأطباء اليوم بالعودة إلى الطبيعة، فتجدهم مثلاً يحثون على المشي وعلى التعرض للشمس لاكتساب فيتامين "د" الذي يشتريه الغربيون وإلا أصابهم الكساح، ويحثون على الحفاء وعلى شرب الماء من الزير أو بدون ثلاجة، وأكل الفاكهة والخضار طازجة، وعلى أكل الدخن والسمسم والبردقوش والزعتر.

وكل سلعة يريد أهلها رواجها يكتبون عليها طبيعية، وإذا كانت خلقة الله أفضل فكيف بوحيه وهداه الذي هو أعلى وأعظم.

كما أن الطب يتغير ويتطور وهكذا كل علم بشري، فقد كان الأطباء يحذروننا من أي شيء حار، وكانوا إذا اشتكى أحد بطنه حموه عما يضره، وأول ما يبدأون به الأشياء الحارة، وقد اختفى ذلك اليوم.

ويقول الأطباء المعاصرون إنك لا تجد مثلا هنديا له كرش؛ لأنهم يأكلون الفلافل الحارة، وكان الأطباء يحذرون من الشاي ويقولون إن به "نيكوتين" ويقولون أنه لا يعالج إلا الحديد إذا زاد، وهذا مرض نادر، وهم الآن يقولون إنه ضد السرطان ويحثون عليه، وقس على ذلك.

على أن الصبر خير في كل حال، مع جواز التداوي، بل ربما كان التداوي واجبا علينا لضعف إيماننا وقلة صبرنا، والنبي ﷺ خير الجارية التي كان يصيبها الصرع بين أن يدعو الله لها فتشفى، وبين أن تصبر ولها الجنة، فاختارت الأخير، وإنما طلبت منه صلوات الله وسلامه عليه أن يدعو الله ألا تتكشف فدعا لها. ولو كانت هذه المرأة غربية لانتحرت!!

والمقصود أن ما يبذل له الأطباء جهودًا شاقة ويستمر ذلك أجيالا ويستغرق مددًا، يأخذه المسلمون من دينهم سريعا أو يعلمهم إياه النبي ﷺ بلا ثمن، وهذا ما قالته الطبيبة الأمريكية "أوريفيا" للأطباء في أحد المستشفيات الأمريكية، وأعلنت إسلامها بسببه.

ومن العجائب التي أودعها الله في الكون ولها علاقة بالطب الشم، وقد

أكرم الله نبيه يعقوب عليه السلام بأن يشم ريح قميص يوسف منذ أن فصلت العير من مصر وهو بالشام، وأعطى بعض الحيوان منه ما ليس للإنسان، وبه تعرف الأم صغيرها، ويعرف الصغير أمه، وعوض الثعابين به عن ضعف السمع.

وأنه لو عصبت عيني بعض الحيوان ونقلته إلى مكان آخر لاهتدى وعاد إليك، فسبحان الذي أعطى كل شي خلقه ثم هدى.

والشم لا يحتاج لغيره كالبصر الذي يحتاج للضوء.

والأطباء اليوم ينسبون الأمراض للجراثيم وهي كائنات دقيقة علم الأطباء المسلمون عنها وكانوا يسموها الصؤابة وتحدث عنها صاحب الحاوي قبل (هوك) الغربي بستة قرون، ومنها ما يمكن رؤيته بالعين المجردة لمن كان بصره حادا كالإميبا، كما تحدث عنها الإمام أبو محمد بن حزم وقال إنها حشرات صغيرة تعيش في المستنقعات، وذلك ما أثبته المجاهر الحديثة، وعرفه باستور وفلمنغ، علما بأن المسلمين كانوا يستخدمون الزجاج للتكبير وممن استخدمه شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكتاب الحاوي موسوعة طبية ضخمة ظل الغرب يعتمد عليه قرونا، ولا يزال من أهم مراجع الطب البديل.

ويقول بعض الأطباء اليوم إن أول غرفة عناية مركزة هي الخيمة التي بناها النبي ﷺ لسعد بن معاذ بجوار بيته الشريف، وإن أول أخصائية اجتماعية في التاريخ هي الصحابية رفيدة الأسلمية.

ونختم الكلام عن الطب ببيان أن الفارق بين عملنا بكلام الأطباء وعملنا بكلام الأنبياء عميق وكبير، فنحن نأخذ كلام الأطباء من باب إيكال الأمر إلى أهل الاختصاص الذين هم أعلم منا وأكثر خبرة، وهو على أية حال يؤخذ على سبيل التجريب.

أما ما يوحي الله به إلى الأنبياء فنأخذه على سبيل التسليم والاعتقاد المطلق بصدقه والتقرب إلى الله به.

٣- الصناعة

نظراً لأننا أمة الجهاد، ولحاجتنا الدائمة إلى الصناعة الحربية، طور المسلمون ذلك ولم يعيشوا على الاستيراد كحالنا اليوم، وعرف المسلمون "المنجنيق"، وأول من استخدمه النبي ﷺ في حصار الطائف، وكان أول الأمر بدائيا يقوم على وضع حجر كبير له حبل مطاطي ضخم، ويقوم العسكر بضرب الحبل بالسيوف فينقطع وينقذف الحجر، ثم طوره المسلمون.

ثم نشأت صناعة المدافع التي استخدمها المسلمون في معاركهم ومنها معركة "عين جالوت" مع التتر، واشتهر في التاريخ المدفع السلطاني الضخم الذي استخدمه السلطان محمد الفاتح في فتح إسطنبول، وأشرف على صناعته المهندس المجري "أوربان"، ثم كتب الرئيس ابن غانم كتابه "المنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع".

كما عرف المسلمون الدبابة واستخدمها النبي ﷺ في حصار الطائف أيضا، وكانوا يصنعونها من الجلود آنذاك.

وعرف المسلمون بناء القلاع، ومنهم تعلَّم الغرب بناءها أثناء حروبه الصليبية مع المسلمين، وكان بناؤها قفزة نوعية في تاريخ الحروب انتقل بها الناس من الحصون التقليدية، ولم يقض عليها إلا اختراع البنادق والمدافع الحديثة، ومن أشهر القلاع عند المسلمين قلعة دمشق التي سجنوا فيها شيخ الإسلام ابن تيمية، وقلعة آلموت التي سكنها الحشاش الإسماعيلي الحسن بن الصباح، وقلعة صلاح الدين في القاهرة، وكذا قلعة حلب وقلعة شقيف.

وعرف المسلمون بناء القشلات في العصر العثماني، وهي قلعة كبيرة تحوي عددا من الجنود، ومن أشهرها القشلة التي بمكة.

وباختراع البنادق والمدفع قضى الغرب على العصر الإقطاعي عندهم، الذي كان يعتمد أساسا على القلاع التي يسكنها النبلاء الإقطاعيون.

وكان المسلمون أيام الدولة العثمانية يسمون إدارة المدافع "الطوبجية"، ويسمون أماكنها "طوب قبو"، ومن ضباط المدفعية العرب شعيب بن عبدالحميد الدوسري، الذي كان قائداً لسلاح الطوبجية في أبها، وقد قال ﷺ

في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال:٦٠]: (ألا إن القوة الرمي).

وهكذا طور الغرب الدبابات وراجمات الصواريخ والأسلحة التي تخترق التحصينات، كما فعل الأمريكان في ملجأ العامرية في بغداد، وكما فعل الروس في حلب والغوطة.

كما عرفت وزارات الحرب الغربية التي سموها وزارات الدفاع تمويها ما يتركب من المدفع والدبابة معاً، بصنع الدبابات ذات المدافع، ومن أشهرها الدبابة (تي ٧٢) ودبابة "ميركفا" الإسرائيلية، التي وضع المجاهدون في فلسطين لها لغما شطرها شطرين.

وقد أصبحت تركيا اليوم تصنع الدبابات والطائرات وكل ما تحتاجه الصناعة العسكرية.

وقديما قال أحد أمراء المسلمين في الأندلس: (فقدنا العز يوم فقدنا القلعة)، فماذا نقول اليوم.

وقد آثر الفاتحون المسلمون القوس الفارسية على القوس العربية.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، أن المسلمين كانوا إذا حاصروا الروم فأطل أحدهم من الحصن وشتم النبي ﷺ، استبشروا بذلك، وأيقنوا أن النصر قريب؛ إذ أنه لم يشتمه أحد إلا هزمه الله وأخذه، وهذا ما نرجوه في عصرنا الحاضر.

وإذا تتبعت قصة الصناعة اليابانية وكيف أن الأمريكيين أكثر إقبالا عليها من الصناعة الأمريكية، وجدت أنها ابتدأت بإعدام الامبراطور الياباني لأوائل المبتعثين اليابانيين، الذين عادوا إلى اليابان، وقد قلدوا الغربيين في لباسهم وعاداتهم وشعورهم، وابتعث قوما آخرين ذهبوا وهم متشبعون بالثقافة اليابانية المجوسية، وعادوا متشبعين بها، فقارن بين حال هؤلاء المجوس وبين حال المسلمين! ولا أقول يُقتل كل من يقلد الغرب، ولكن كيف

يكونون وزراء أو رؤساء؟ مع أن الواجب هو محاكمتهم شرعا، ومن ثبتت ردته وجب إقامة الحد عليه، ولا يجوز تعيينه في أي منصب.

وبهذا لا تتفوق علينا تايلاند التي هي بلد غير نفطي، ولكن التايلنديين غزوا العالم بصناعتهم، وابتدأت تايلند صناعتها تجميعا لمصنوعات غيرها، ثم تقليدا له، ثم أنتجت صناعتها هي كالسيارات، في حين عجزت الدول العربية كلها عن إنتاج سيارة واحدة، وهكذا بدأت اليابان، فقد كان أمهاتنا يحذرننا أن يغشنا البقال فيعطينا (جاباني)، ثم أصبح اليوم من يوصينا بأن تكون الصناعة (جابانية).

أما نحن فإذا صنع الخواجات شيئا لشركة عربية مثل شركة النيل في مصر، والدوائية في السعودية، وضعوا عليه أسماء غربية ومصطلحات غربية، وكأننا أمة متسولة لا حضارة لها، ولا علم ولا لغة، ولو بقينا على هذه الحال قرونا لم نتقدم خطوة واحدة.

ومثلما قلت عن تايلاند قل مثله عن تايوان وسنغافورة وهونج كونج والفلبين، والسوق المستهدفة لبضائع هؤلاء جميعا هي السوق الخليجية!

وهكذا تحرص كل أمة على الاحتفاظ بعاداتها وتقاليدها إلا المنافقين من المسلمين، وليس ذلك خاصا باليابان بل حتى العالم الغربي، فهل تفرط إنجلترا وأمريكا مثلا في الميل والياردة والقدم؟ وهل يفرط الانجليز والدول التابعة لهم في قيادة السيارة عكس كثير من الدول؟ وهل تفرط الهند في عبادة البقرة؟ وهل يفرط المجوس عامة في تقديس تماثيل بوذا؟ وهل يفرط النصارى في رسم صورة المسيح مصلوبا كما يعتقدون، أو وأمه وهي ترضعه؟ وهل فرط اليهود في شمعداتهم وعبريتهم وهيكلهم المزعوم؟

فكيف يقف بعض الناس عائقا عن التقدم الصناعي راضيا بالاستيراد من الغرب؟

أبهذا أمرنا الله الذي أنزل مع الكتاب الحديد، وجعل للحديد فائدتان مذكورتان في القرآن هما: نصرة الدين (أي الجهاد في سبيل الله)، ومنافع للناس كالصناعة.

ومن الخطأ حصر فائدته في جانب واحد فقط.

والدعوة إلى الله في نظر الكافرين والمنافقين تؤخر التطور الصناعي للبلاد وتجلب الشؤم على المجتمع، وتعكر عليه الأمن والأمان والاستقرار، فهؤلاء دعاة الإيمان المتطرفون –حسب رأيهم– يريدون منع تحرير المرأة والسياحة، ولا يعترفون بقداسة أولياء الله، ويريدون حظر المشروبات الروحية وقفل دور السينما، ومحاربة البنوك وأمثال ذلك مما يخشى معه تبديل الطريق المثلى! وإظهار الفساد في الأرض كما قال فرعون وقومه، والتعويق عن الالتحاق بركب التقدم العالمي والحضارة الإنسانية، إلى آخر تلك التهم!

فهل حالنا أيام الصحوة كحالنا الآن في المجالات: الأمنية والاقتصادية والعسكرية والصناعية.

وكيف نحيي التشاؤم الجاهلي القديم نفسه، ونتطير بمن يدعوننا إلى الله؟

وقديما تطيرت ثمود من صالح، وتطير فرعون وقومه بموسى، وتطير أصحاب القرية بالمرسلين، وإذا كان أولئك الأنبياء الأخيار مشئومين، يعكرون الأمن ويقاومون الوحدة الاجتماعية واللحمة الوطنية، فكيف يكون أتباعهم من الدعاة إلى الله؟

والذين يريدون تصحيح المسار وبدء الطريق من أوله هم عند هؤلاء إرهابيون تكفيريون طائفيون مذهبيون مثيرون للفتنة، يدعون إلى الفرقة، أعداء للديمقراطية والحرية، يحتكرون الإسلام ولا يعترفون بالتسامح والتعددية، ولا يقبلون الرأي الآخر، وهم ضد التماسك الاجتماعي الذي كان عليه الآباء والأجداد ...إلخ، وهم خوارج عند بعض الناس حتى يقروا بحق المراهقين السياسيين في فعل ما يريدون، وأن يكون النخاولة إخوة للدعاة؟

أما الثابت تاريخيًا فهو أن المرء حيث يضع نفسه، فانظر إلى اليابان مثلا، أرضيت بالالتحاق بركب الحضارة أم وضعت نفسها موضع الند له، فبدأت بالتقليد وانتهت بالتقنية المتطورة التي أصحبت الولايات المتحدة أكبر سوق لها، والروس والأمريكان اليوم يعتمدون على التقنية اليابانية في صنع شرائح الصواريخ الفضائية، هذا وهم نوع من المجوس، فكيف ترضى أمة الإسلام بالتبعية للغرب؟ و لم ترض كوريا الشمالية إلا بأن تكون دولة نووية تتحدى أمريكا، وهم أيضا نوع من المجوس!

والصناعة قديمة وهي تتغير وتتكيف بحسب الأحوال والظروف والأدوات، فقد صنع نوح عليه السلام الفلك، قال تعالى عنه: ﴿وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ﴾ [هود:٣٨]، وصنع داود عليه السلام الدروع الواقية من السيوف والرماح في ذلك العصر، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء:٨٠]، وصنع الجن لسليمان عليه السلام ما يشاء، قال تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ:١٣].

وهو عليه السلام كان لديه الصرح الزجاجي الذي حسبته ملكة سبأ لجة، ومن الملك الذي أعطاه الله إياه أنه جلب العمال والمهندسين ليبنوا له المسجد، الذي يزعم اليهود والليبراليون أنه هيكل أو معبد استعان الملك سليمان على بنائه بالفينيقيين، وأن الفينيقيين هم الذين جلبوا له أخشاب الأرز والسنديان من لبنان إلى القدس!

وقد تفوق المسلمون كثيرا في الصناعات الحربية، وكانوا أعرف بأهميتها وقيمتها أخذا من قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠]، وقوله ﷺ: (ألا إن القوة الرمي)، واستخدموا ذلك في جهاد الكفار وإخراج البشرية من الظلمات إلى النور، فصنعوا السيوف والرماح والتروس

والخوذات والدروع، وطوروا النار التي كانت تسمى النار الإغريقية، ثم صنعوا الأسهم النارية والقذائف المختلفة، والرعادات (الطوربيدات).

وفصَّل القول في ذلك (حسن الرمَّاح) في كتابه عن أدوات الحرب، ومن ذلك عرف الغربيون صناعة الصواريخ التي هي تطوير للسهام.

كما تفوقوا وأبدعوا في صناعة المدافع والبنادق واستخدموا تلك المصنوعات في معاركهم وهزموا الصليبيين والتتار، واستطاع صلاح الدين مقاتلة الصليبين بأن عمل مهندسوه مركَّبات صناعية.

وبعد ذلك استطاع العثمانيون فتح بلاد اليونان والبلغار والصرب ورومانيا ومقدونيا، وأن تخضع لهم روسيا بل حتى النرويج وبعض بلاد اسكندنافيا، ودفعت لهم موسكو الجزية، كما دانت لهم المجر وسلوفينيا، وحولوا المعركة من حلب إلى فينيا، ولولا أن الصفويين كانوا يطعنوهم من الخلف لأخضعوا القارة الأوربية كلها، ولما اشتهر "أوربان" المجري بخبرته الصناعية ومدافعه عرض ذلك على ملوك أوروبا فلم يقبلوا منه، ولما عرضها على السلطان الشاب محمد الفاتح قبِلَه وآواه وكلفه بصناعة المدفع العملاق، الذي سماه "المدفع السلطاني"، فاستخدمه السلطان العثماني محمد الفاتح في فتح القسطنطينية (إسطنبول الآن)، وسحب المدفع العملاق بمئة ثور وأشداء الرجال لكي يرمي به أسوارها المحصّنة.

كما عرف المسلمون "البارود" وكان الصينيون قبلهم قد عرفوه واستخدموه في حفلاهم، غير أن المسلمين طوروه واستخدموه في قتال الكفار.

وفي ذلك الحين كانت أوروبا تغط في نوم عميق، وتكتنفها الهمجية من كل جانب.

وكان المسلمون أسبق من الغربيين إلى ركوب العربات واستخدامها.

وربما كانت السيارات أو العربات التي نركبها اليوم هي التي ورد في الحديث، أنها هوادج الشيطان، حيث يرى أحدهم أخاه على الطريق فلا يحمله.

وعرف المسلمون في بغداد تكييف الهواء من خلال إجراء الماء المبرد في جدران المنازل، وهو ما لم يعرف سره الغربيون حتى اليوم.

كما أنشأ المسلمون المعاصر والمدابغ قبل أن تعرف ذلك أوروبا بقرون، وصنعوا الساعة الرملية.

وأهدى هارون الرشيد ساعة إلى "شارلمان" ملك الفرنجة، فظن "شارلمان" وحاشيته أن بها جنا ففزعوا منها.

وتمتاز الساعة عند المسلمين بأن فيها صورة لعبد يحمل مطرقة تنجلي الشاشة عن صورته كل ساعة، فيضرب بالمطرقة كلما مرت ساعة من الوقت.

كما صنعوا "المزولة" التي لا تزال بقاياها معروفة حتى اليوم، ولما كنت أدرس في الجامعة الإسلامية كانت في المسجد النبوي.

كما عرف المسلمون البرادات ولا تزال مستخدمة حتى اليوم في بعض بلاد المسلمين.

وكان المسلمون يسكُّون العملة وبها أختام وكتابات وصور ليس لها روح، ثم تطورت إلى المطابع الحديثة، بينما يجحد الأوروبيون فضلهم، وينسب بعضهم اكتشاف الطباعة إلى "جوتنبرج" الألماني على خلاف بينهم.

وفي عهد النبي ﷺ صنع له أحد النجارين منبرًا ليرقى عليه، ففعل صلوات الله وسلامه عليه ذلك ورقى المنبر، بعد أن كان يرقى جذع نخلة، ولما تحول عن الجذع حنَّ كما تحن العشار، واشتاق لأن يقف عليه النبي ﷺ، و لم يسكن الجذع حتى احتضنه ﷺ أو مسح عليه بيده الشريفة.

وكان خباب بن الأرت ﷺ حدادا يصنع السيوف بمكة، ولما أراد أن يهاجر منعه المشركون فافتدى هجرته بماله كله، فأنزل الله تعالى فيه: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٠٧].

وصنع المسلمون الزجاج المكبّر لكي يقروأ به الكتب، وقد أوصى شيخ الإسلام ابن تيمية، تلميذه ابن القيم أن يكون كالزجاجة، وكان هذا التقدم منهم ممهدا لصناعة المجاهر في هذا العصر، ويقال إن صناعة الزجاج قديمة ويستشهدون بقول الشاعر:

إن القلوب إذا تنافر ودها ** مثل الزجاجة كسرها لا يجبر

وبأن النبي ﷺ استعمل المرآة، وبأن ذلك ورد في شعر امرئ القيس: ترائبها مصقولة كالسجنجل.

كما صنعوا القطع الاسفنجية، والسرج للإضاءة، وصنعوا ما يحتاجونه لركوب الجمال والخيل من الهوادج والعماريات والسروج، وكذلك الخطام واللجام والزمام، وبرعوا كثيرا في تجليد الكتب، وفي صناعة المطاحن، وكذلك أدوات الحرث والحصاد، وصناعة الحبال، وفي صناعة الكتان، ومنه نسجوا الملابس والمناديل، وصنعوا الحلل والعمائم والأزياء المختلفة للرجال والنساء كالبرانس والطيالس والمدرعة والعباءة والسراويل، ولا يزالون حتى اليوم يتفننون في صناعة الشال أو الطرحة الكشميري، والقماش الموصلي أو الحلبي .. الخ، ولا يزال الغربيون يسمون الأقمشة الفاخرة "موسلين ودمسكس" نسبة إلى الموصل ودمشق، والمسلمون يراعون الذوق الإسلامي والشرقي، ولا يراعون في شيء من ذلك نظر الغربيين ولا ذوقهم.

كما عرف المسلمون صناعة الصابون واستخرجوه من زيت الزيتون، وعرفوا صناعة الأواني وصنعوها من المعادن والفخار، كما عرفوا صناعة المهضمات كالجوارش، والمنظفات كالأشنان، وعرفوا صناعة أدوات التجميل واستخرجوها من بعض المعادن أو النباتات، كالإثمد والحناء والعسل

والليمون، كما صنعوا أنواعا متطورة من الأساور والخواتم والفتخ (الدبلات)، واستخرجوا الدهانات والأصباغ من الرمان وغيره.

وأبدعوا في النجارة والصناعة الخشبية فصنعوا من الأخشاب أنواعا كثيرة من الأواني والسرر والدواليب والسرج، ومقابض الفؤوس والهراوات، وعرف المسلمون بداية ما يسمى اليوم (صناعة السينما)، حيث صنعوا الدُّمَى والخيوط الدقيقة لما كان يعرف بخيال الظل.

كما عرف المسلمون الصناعات المعدنية ومن ذلك استخراج الذهب والفضة والنحاس والكبريت والحديد والأحجار الكريمة، ومنها المرو الذي يسمونه اليوم "كوارتز"، والكهرمان، وحاولوا صنع حجر الفلاسفة الذي يعيد الشباب ويطيل العمر كما يقال!! وقد أخفقوا في ذلك، ولكن محاولتهم دليل على الرقي الذي وصلوا إليه.

وكان لهم معادن بعضها معروف اليوم، وصنعوا من المعادن أشياء كثيرة كالسيوف والرماح والدروع والتروس والدراهم والدنانير والحلي والمجوهرات والخرز، قال الأزرقي في "تاريخ مكة": "حدثني جدي قال: كان ابن الزبير أول من ربط الركن الأسود بالفضة .."، ثم قال: "فلما اعتمر أمير المؤمنين هارون الرشيد وجاور في سنة تسع وثمانين ومئة أمر بالحجارة التي بينها الحجر الأسود فثقبت بألماس من فوقها وتحتها، ثم أفرغ فيها الفضة وكان الذي عمل ذلك ابن الطحان ومولى ابن المشمعل" اهـ كلامه.

وأدخلوا صناعاتهم إلى صقلية عندما فتحوها، وعرف المسلمون المعادن السائلة كالنفط والقار، والمعادن الجامدة كالحديد والنحاس والذهب والفضة، وتكلم عن ذلك الفقهاء، ونص على النوعين شيخ الإسلام ابن تيمية.

وكان لهم آلة يستخدمونها في إحكام البناء يسمونها (السابورة)، وصنعوا من الفخار كل الأدوات الفخارية، ومنها الأباريق والكؤوس، كما

صنعوا البلاط والرخام ومواد البناء، ومنها بنوا القصور والقلاع والمساكن الفخمة، وبعض ما بناه المسلمون لا يزال حتى اليوم.

كما صنعوا البُسُط والمفارش والحصُر والبواري والسجاجيد، وسائر المفروشات التي يصعب حصرها.

ومن عجيب ما بنوا في الأندلس بناء فيه فتحات بعدد الأيام وتطلع الشمس كل يوم من فتحة منها.

ولاكتشاف ما يسميه المسلمون علم الهيئة ومعرفة مدارات النجوم والكواكب، صنعوا "الاسطرلاب" والزيج والبوصلة وأمثال ذلك، مما يدل على التفوق الحضاري الهائل لديهم، وكان ذلك مقدمة لأن يصنع الغربيون الحاسوب أو الكمبيوتر، ذلك الجهاز الغبي الذي هو أكثر تطورا من الاسطرلاب، ولكنه في الوقت نفسه لا يزال بنفس الغباء، ويذكر الحافظ ابن حجر كما يذكر غيره أن أول اسطرلاب صنع في الإسلام من صناعة الإمام المحدث الثقة المجاهد أبي إسحاق الفزاري، وهو الذي رابط في الثغر رحمه الله.

كما أن الخوارزمي صنع أول كمبيوتر في العالم وهو الاسطرلاب الخوارزمي.

وربما كان أعلى من الكمبيوتر ما صنعه المراكشي، حيث صنع آلة فلكية تضيء إذا بزغ نجم جديد، وتنطفئ إذا أفل نجم أو جرم، وهو ما لا تستطيعه وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) اليوم.

كما صنع الجزري أول إنسان آلي (ريبوت) وسماه (نافورة الطاووس)، وكان يقدم الصابون والمنشفة للضيوف وغيرهم.

وليس أعجب من تقدمهم الصناعي إلا أن الغرب كان يعيش في عصور الظلام التي هي ميزة عصوره الوسطى، وكانت القراءة والكتابة محصورة عند الغربيين في بعض القساوسة، وفي قراءة التوراة أو الانجيل فقط، وقيل إن ذلك العصر امتد اثني عشر قرنا، وبفضل الحضارة الإسلامية انتقل الغرب من

عصوره الوسطى إلى عصره الحديث، وأفاق من سباته العميق، وتحرك بعد ركوده الطويل، وعرف الحضارة بعد أن كان همجيا متوحشا.

وقد تقدم المسلمون في صناعة السفن في البصرة والاسكندرية والأندلس، وفي كل ميناء، وأوجدوا ما يسمونه اليوم أحواض السفن، وتاجروا بها مع الهند والصين والغرب وكل مكان، وكانت السفن النهرية تبحر من البصرة إلى بغداد.

وتطويرا للحراقات الإسلامية صنع الغربيون الفرقاطة والبارجة وحاملة الطائرات، وبالجهاد البحري استطاع العثمانيون أن يجعلوا البحر الأبيض بحيرة إسلامية لا يمر بها إلا من شاؤوا من سفن "البندقية" و"جنوه" للتجارة مع المسلمين، وأن يبثوا في الناس ما قاله الرسول ﷺ من قبل من أن (لشهيد البحر أجر شهيدين من شهداء البر وأن المائد في البحر كالمتشحط في دمه).

وأسلم كثير ممن كانوا قراصنة من قبل، وأشهرهم "بربروسا"، أي ذو اللحية الحمراء، حيث عينه العثمانيون قائدا لأسطولهم الكبير.

وصنعوا ما هو أعظم من ذلك وهو الإنسان الصالح الذي ينشر الخير أينما ذهب، ولم يعرف المسلمون قط ما يسمى اليوم (الرقيق الآلي)، أي البشر الذين هم عبيد للماكنه، كما تحدث عن ذلك الغربيون في كتبهم ورواياتهم، مثل كتاب "انتحار الغرب" لريتشارد كوك ورواية "الساعة الخامسة والعشرون"، لقسطنطين جورجيو، وإنما وقع الغرب في هذه المأساة، لما تقدم كثيرا في الصناعة التقنية وأهمل كثيرا الجانب الإنساني.

وحاول جمال عبدالناصر وهواري بومدين وأضرابهما أن يسلكوا طريق الغرب، وأن يستوردوا الصناعة الثقيلة من "خروتشوف" و"تيتو"، ولكنهما باءا بالخيبة والخسران.

وقد كان بعض ملوك أوروبا يرسلون أبناءهم إلى الأندلس ليتعلموا من المسلمين الصناعة والهندسة والحساب والفلك ويقتبسوا منهم العادات والآداب الحميدة.

ولا تزال بعض رسائلهم محفوظة في المتاحف الغربية.

وممن بحث ذلك مع الملوك الغربيين السفير "يحي الغزال" الذي سافر من الأندلس إلى أوربا، ودهش لما رأى عندهم من الدياثة والتفريط في الأعراض.

وذكر المؤرخ الجبرتي أن بعض الفرنجة كانوا يأتون والده ليتعلموا منه فنون الصناعات.

وفي العصر الحديث حل بعض المهندسين الأسبان النوافير التي صنعها المسلمون ثم عجزوا عن ردها كما كانت، وتفوق المهندسون الأتراك على زملائهم الألمان، حتى أن المهندس التركي نجم الدين أربكان طور دبابة في ألمانيا، بينما لا يزال العرب وكل من يعتمد على الغرب متأخرين في الصناعة، حتى أنهم يعجزون عن صناعة السيارة وهم عن غيرها أعجز.

ومما برع فيه المسلمون الحياكة والنسج من الصوف أو القطن، فكانوا يصنعون الجبب والأقبية والعمائم والعباءات، كما كانوا يتاجرون في العاج والمعادن من آسيا وأفريقيا، ولا تزال آثارهم في أفريقيا الغربية إلى اليوم.

كما أن أول من عرف البريد الالكتروني (الإيميل) في أمريكا مسلم، وسمعت أن الغربيين إنما اغتالوا يحيى المشد خوفا من أن يصنع قنبلة نووية.

ولا تجد اليوم مصنعا أو جامعة أو مركز أبحاث إلا وجدت فيه خبراء مسلمين، ولما كانت أزمة الخليج المعروفة هنا قاد بعض الطيارين من بني شهر ومن غامد طيارات أمريكية متطورة.

والخلاصة: أن المسلمين صنعوا ما يعجز الغربيون اليوم عن بعضه، وسبقوا الغرب في مجالات كثيرة، ولهم فضل كبير على الصناعات الغربية الحديثة، ولكن الغربيين لا يذكرون الإسلام، وإن ذكر المنصفون منهم -وهم قليل- فضل الشرق عليهم يقولون العرب ولا يذكرون الإسلام، مع أن أكثر المخترعين لم يكونوا من الجنس العربي، ولم تكن الحضارة الإسلامية تسمي نفسها الحضارة العربية، ولم يكن أحد من الباحثين يسمي نفسه عربيا، فما يفعله هؤلاء ومعهم القوميون العرب مخالف للتاريخ فضلا عن

مخالفته للمنطق السليم، ولا يزال الغربيون إذا أرادوا لبعض منتوجاتهم أن تنفق يقولون أنها مفعمة بسحر الشرق أو بنكهة الشرق.

ولا ما نع في شريعتنا من إرسال شخص أو لجنة إلى مصانع الكفار وأخذ الفائدة منهم ونقلها إلينا، لا سيما فيما كانت مواده الأولية في بلادنا مثل الزيت والمر والعُشُر والنيم والزيزفون والظرم (إكليل الجبل) والقطن والفواكه، ولو أننا قيدنا الاستيراد أو حظرناه إلا عند الضرورة واستعلينا بإيماننا لما احتجنا إلى ما يصنعه النصارى والمجوس.

والمسلمون نجحوا في تحويل المادة الخام إلى أشكال مختلفة من المصنوعات، أو بالتعبير الفلسفي اليوناني حولوا الهيولى إلى صورة.

وكثيرا ما يتحدث الغرب وأذنابه عن الثورة الصناعية التي قامت في إنجلترا، وينسون المآسي التي جلبتها للمجتمع الإنجليزي نفسه، كوضع الأطفال والنساء، وما جلبته لبلاد المسلمين التي كان عليها أن تنتج المواد الخام كالقطن والحديد سُخرة أو بثمن بخس، ثم تصدر إلينا تلك الثورة منتوجاتها بأثمان باهظة، وامتدادا لها قامت الصناعات الثقيلة في الغرب وعلى رأسه الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أرجع "ماكس فيبر" سر النهضة الصناعية إلى العقيدة البروتستانتية!! مع أن البروتستانت إنما أخذوا شيئا من الإسلام وقاموا بما يسمونه الإصلاح الديني ضد الكاثوليكية.

والإنجليز جلبوا لثورتهم أبناء المستعمرات لا سيما من الهند، وتسببت في شقاء أهلها كثيراً.

ولما جلبته تلك الثورة من المآسي، نشأت الحركات العمالية المطالبة بتحديد ساعات العمل، وتحديد الحد الأدنى للأجور، وقامت الشيوعية التي كان "كارل ماركس" يظن أنها ستقوم في إنجلترا، ثم نشأ حزب العمال البريطاني، وعن بعض المآسي كتب "شارل ديكنز" رواياته وكتب "برناردشو" مسرحياته.

وتخطئ كل النظريات التي تجعل الصناعة هي المرحلة الأخيرة من تطور البشر، ويظنون أن القدماء كانوا يعتمدون على الصيد، ثم اكتشفوا الزراعة، فانتقلوا إلى العصر الزراعي، ثم انتقلوا من الزراعة إلى الصناعة، وبذلك تكون الأدوات والتكنولوجيا هي معيار التأخر أو التقدم عندهم، ونحن نبطل هذا علميا، فالحاجات الإنسانية لا تختلف بين صانعة السلال الفجة من قبائل الزولو وبين المدير في شركة حديثة للبتروكيماويات مثلا، وإنما الضرورة الثابتة هي الدين الحق الذي لا يستقر بغيره فرد ولا مجتمع، أما المظاهر المادية فتختلف وتخضع لعوامل كثيرة، وليس لعامل واحد، وهذه المجتمعات التي يصفونها بالبدائية كانت على التوحيد في مرحلة سابقة لا يعلمونها.

واليوم انتقل العالم من التصنيع الثقيل إلى التصنيع الخفيف، وأصبحت الشركات الصناعية تتنافس في صناعة ما هو أصغر وأذكى، وأصبحت الشركات العملاقة كشركة أرامكو مثلا تبيع أسهمها للمخدوعين.

وبذلك تخلصت الشركات الغربية من مسؤولية التلوث أو الاحتباس الحراري أو رفع أسعار النفط، وغير ذلك مما ليس هذا موضع البسط فيه، وباعت الخردة التي مضى عليها نصف قرن أو أكثر، علما بأنهم إنما باعوا الأسهم ولم يبيعوا أصل الشركة، فشركة أرامكو مثلا هي شركة أمريكية قانونيا، ولا تزال، كما أن بعض البنوك تبيع أسهمها مع بقاء الأصل قانونيا.

والغرب يغش في صناعته، ولولا النقابات والصحافة وخوف الكساد لكان أكثر غشًا.

وكثيرًا ما زعموا أن سياراتهم صديقة للبيئة، وأن كذا أوفر أو ضد التلوث غير أن الشركات الصانعة إذا افتضح أمرها سحبوا ملايين المصنوعات من الأسواق، وقالوا بها عيب غير مقصود!

لكن غشهم متطور متحضر خفيّ الكشف، وهم يستخدمون الطائرات العمودية في السرقة ويسرقون القطارات وأسواق المجوهرات والبنوك بواسطة العصابات الجماعية والوسائل الحديثة.

وشركات الاتحاد الاحتكاري المسماة "كارتل" تبعث بالمواصفات للدول الناشئة صناعيًا مثل الفلبين أو هونج كونج وسنغافورة وتايوان لتصنع لها ما تريد بثمن بخس، ثم إن الشركة تكتب عليها (صنع في كذا) وتضع اسم دولة غربية، وتبيعه على المغفلين بأسعار باهضة.

أما المتأخرون فغشهم بدائي ساذج لا يتجاوز غالبًا الفواكه والحبوب!

وفي أيام الشيوعية خشيت الدول منها كثيرًا فأنشأت مؤسسات أو شركات عامة لصناعة بعض المنسوجات ثم إنها توسعت في المؤسسات العامة وجعلتها رديفًا للدوائر الحكومية، وبلغ عدد المؤسسات العامة في السعودية أكثر من ٣٠ مؤسسة.

ولما انهارت الشيوعية الروسية، ودخل العالم مرحلة الرأسمالية الجديدة عمد كثير من الدول إلى ما يسمى (الخصخصة)، فباعت الشركات والموانئ والمطارات والمستشفيات والخطوط الجوية للقطاع الخاص.

ولا اعتراض على تغيير الأساليب بتغير الواقع، ولكن لا يجوز إهمال التغيير النفسي الذي هو الأساس.

فيتغير الناس أولا من الشرك إلى التوحيد ومن الباطل إلى الحق، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١].

وعلينا البدء بالتغيير النفسي وأن نكون ندًا للغرب وليس تبعًا له، ونحن الأعلون إن كنا مؤمنيين.

والخلاصة: أن الصناعة قديمة وأن المسلمين طوروها وصنعوا كل ما يحتاجون إليه، بينما كانت أوروبا في عصورها المظلمة وسباتها العميق، وأكثر الروم تقدما حينها هو من كان يعمل لدى المسلمين، أو دياره قريبة من ديارهم، وهذه حقيقة يعرفها كل مؤرخ لتاريخ الحضارة العالمية، أو باحث في التاريخ العلمي، أو في فلسفة العلوم.

وإني ليطول عجبي ممن يستأجرون بعض الطائرات بملايين أو مليارات الريالات مع أن في الإمكان شراءها بالآلاف، خذ مثلا الطائرة بلا طيار؛ إذ

يمكن أن تشترى الواحدة بألفي ريال، وإذا كان المزاد بالجملة فقد يكون أقل، بل يمكن أن نصنعها بأنفسنا، وإذا عجزنا عن ذلك فرضا يمكن أن نستورد المهندسين والخبراء من قطاع غزة الصغير.

وأنا أعرف مواطناً هنا صنع لهم جهازاً يكشف موضع الخلل في الطائرة العسكرية فكانت مكافأته زيادة شريط في رتبته، والحمد لله على سلامته، ولو كان أمريكياً لمنحوه جائزة الملك فيصل أو جائزة نوبل، ولأعطوه براءة اختراع غربية!

الف٤-ِ لك

وفي الفَلك: تقدم المسلمون تقدما عظيما دون حدوث أي إشكال، فعرفوا كبر الشمس كما ذكر الغزالي في "الإحياء"، وكما ذكر في "تهافت الفلاسفة" قول بعضهم إن الشمس أكبر من الأرض ١٧٠ مرة، والمؤرخون الغربيون المنصفون اليوم يقولون إن نظرية القسيس البولندي "كوبرنيق" عن الأجرام السماوية منقولة عن المسلمين لاسيما في الأندلس، و"كوبرنيق" نقل عن غيره لاسيما البتاني وجابر بن أفلح، وعن أبي إسحاق نور الدين البطروجي، وقال وزير التعليم البريطاني: إن نظرية كورنيق كانت معروفة في أذربيجان قبل وجود كوبرنيق، وعرف المسلمون النجوم ولا سيما العظيمة، وكتبوا عن الجغرافيا الفلكية وعن منازل القمر وعن أنواع المطالع، وعن مواقع النجوم والاهتداء إليها بواسطة "الاسطرلاب" أو "الزيج"، وبعض المعاصرين يرى أن قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]، إشارة إلى أن الظل ليس سببه الشمس وأن الأرض هي التي تدور، والله أعلم.

وقد تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن "ابن المنادى" الفلكي وهو من الطبقة الثانية من أصحاب الإمام أحمد، وتلميذ للإمام أبي داود السجستاني صاحب السنن، وتكلم ابن المنادى عن كروية الأرض التي أنكرتها الكنيسة، وفي كتاب الله إشارة إلى ذلك كما قال تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ [الزُّمَر: ٥].

وقد أنشأ المسلمون المراصد الكثيرة لرصد النجوم والكواكب، لاسيما في المدن الكبيرة مثل: سمرقند، وفرغانه، وبغداد، وحلب، ودمشق، والقاهرة، والقيروان، وقرطبة، ثم أنشأ الغربيون المراصد وأهمها اليوم المراصد التي تقيمها و"كالة ناسا" الأمريكية، أو "وكالة الفضاء الأوروبية"، ويختارون لها الجبال العالية ولو كانت بعيدة كما في جبال "الأنديز" مثلا.

و لم يعد علم الفلك اليوم على ما كان يقوله "هرشل" أو "لابلاس"، بل تطور كثيرا، وما كان يقال فيه من أن الشمس ثابتة تبين للفلكيين المتأخرين

بطلانه، وحسبنا -نحن المسلمين- أن الله تعالى أخبر أنها تجري، وصدق الله وكذب من عداه، والفلكيون المعاصرون يقولون إن الأرض إنما تدور ظاهرا والله تعالى أعلم.

وقولهم اليوم إن النجوم ومنها الشمس تجري بمجراها ومنها مجرة درب التبانة التي فيها الأرض إلى البرج الذي يسمونه "الجبار" فإذا اصطدمت به انتهى الكون لا نصدقه ولا نكذبه، وإذا كان الجبار هو الجوزاء فقد عرفها العرب حتى في الجاهلية، وقد ذكر شيخ الإسلام أن الأفلاك كروية وأن العرش كريّ مثل القبة، واليوم يقول أصحاب النظرية النسبية التي قال بها "ألبرت آينشتاين" إن العالم أحدب والله أعلم.

وفي القرآن العظيم حديث عن خلق السماوات والأرض، وعن مواقع النجوم وعن التوسع في الكون، وعن سباحة الليل والنهار والشمس والقمر، وذكر المفسرون أن معنى (يسبحون) يدورون، وبعضهم قال يجرون، وهذا كله قبل "جاليلو" بقرون.

وذكر البغدادي في "الفرق بين الفرق" (أن أهل السنة (يعني الأشاعرة) قالوا إن الأرض ثابتة! ولكن خالفهم في ذلك علماء الهيئة)، وكانوا في ذلك الوقت مسلمين، وبعضهم اليوم يسمون "علم الهيئة" الجغرافيا الفلكية، وأخطأ من اتبع كلام البغدادي حين قال "أهل السنة" وظن ذلك المتبع أن أهل السنة عند البغدادي هم أهل السنة والجماعة المعروفون.

والنبي ﷺ صلى صلاة الكسوف وأخبر أن (الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد من الناس أو حياته)، أي أن السبب ليس موت ابنه إبراهيم كما أشاع بعض الناس، وحث ﷺ على الصلاة والاستغفار والصدقة عند وقوع الكسوف، الأمر الذي عجب له الدكتور "موريس بوكاي" وقال: لو أن محمدا مدّع -(حاشاه من ذلك)- لجارى العرف العربي السائد حينئذ.

والمشركون عبدوا الشمس والقمر وكانوا يسمون القمر الإله "موقاه"

أو الربة "ديانا"، وكان الغربيون يسمونه الرب "مون" تعالى الله عما يشركون، وكانت عبادة القمر منتشرة في الحضارات القديمة مثل حضارة ما بين النهرين والحضارات المصرية، وبعضهم يجعل القمر ذكرًا تزوج الشمس فولدوا النجوم، وبعضهم يجعله أنثى ويرسمه في شكل حيّة، وفي النقوش القديمة صور لذلك، وقد جعل الناس في العصر الحديث تلك الصور رمزًا للصيدلة، واقتبست من ذلك (الماسونية) شعاراتها.

وأصل عبادة الكواكب هو ما كان عليه الصابئة الذين أنكر عليهم خليل الله إبراهيم هذا الشرك.

وعرف المسلمون متى يحدث الكسوف، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: إن معرفة وقت حدوثه ممكنة بالحساب وليس ذلك من علم الغيب، هذا في حين أن الكنيسة الغربية كانت تنسب إلى الكسوف الشرور والحروب والمصائب والكوارث ونهاية العالم، وكان الغربيون يتخذون من معرفتهم لوقته وسيلة للكسب المادي من الذين يجهلون ذلك.

وبعض الروايات الغربية تذكر أن أحد مصاصي الدماء الغربيين طلب من الناس في إفريقية أن يعطوه ما شاء وإلا أحرق القمر!

وقد أخبر صلوات الله وسلامه عليه أن الشمس سوف تطلع من المغرب، وبعض المفسرين يقول: إن ذلك هو معنى قوله تعالى في القرآن: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨]، واليوم تقول وكالة الفضاء الأمريكية "ناسا" ووكالة الفضاء الأوربية: إن دوران الأرض سوف يقع به خلل يؤدي إلى طلوع الشمس من مغربها والله أعلم.

ومن علماء الفلك المسلمين البتاني صاحب "الزيج" المشهور، وهو جدول فلكي وضعه وعدّه "لا لاند" من بين أشهر فلكيي العالم في التاريخ، ولم يعدِّل العلم الحديث فيما وضعه البتاني إلا قليلا مع أن البتاني توفي سنة ٣١٧ هـ.

ومما يدل على تقدم المسلمين في علم الفلك ما وضعه "الفرغاني" عن

أحجام الكواكب بالنسبة للأرض، ولا بأس أن نورد بعضه: فالقمر مثلا ذكر أن حجمه ١على ٣٩ من حجم الأرض، وعطارد ١.٣٢ والشمس: ١٦٦ ضعفا، والمريخ ١٥ على ٨، والمشتري: ٩٥ ضعفا، وزحل ٩٠ ضعفا.

أما البتاني فيقولون إنه وضع نظرية في دوران الأرض حول الشمس قبل أن يضعها "كوبرنيق" بخمسة قرون، كما وضع البتاني حسابا لمعرفة ميل "فلك البروج" ولمعرفة السنة الشمسية لم يعدِّل فيه علم الفلك الحديث إلا دقائق قليلة.

وقد أخبر جل شأنه أنه جعل النجوم زينة في السماء الدنيا، وللاهتداء بها في ظلمات البر والبحر، ولها وظائف محددة، بيّنها قتادة ﷺ وغيره، وليس منها التنجيم الموجود حتى في البيت الأبيض.

والتنجيم يقوم على أساس تأثير الأجرام العلوية في العالم السفلي، وهذا عكس ما جاء في كتاب الله والسنة من تأثير الأحداث الأرضية في العالم العلوي، فإن الجن قالوا: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩]، ولما قال ذلك الشياطين لكبيرهم إبليس قال: "ما هذا إلا لأمر قد حدث في الأرض"، وصح أنه لما مات سعد بن معاذ ﷺ اهتز لموته عرش الرحمن.

واليوم يقولون إن الكواكب في السماء كثيرة وإن كنا لا نراها، وأنها مثل الأبنية التي لا تشاهد من الطائرة ولا نشاهد إلا الأضواء فقط أي النجوم والله أعلم.

وقد عرف المسلمون ما أسموه "الكواكب السبعة المتحيرة" وكذلك "السبعة السيّارة"، والله أعلم بحقيقة ذلك.

وقبل ما يسميه الغربيون الثورة "النيوتنية" أي نظرية "إسحق نيوتن" عن الجاذبية، عرف المسلمون الجذب، وبعضهم يقول إنه معنى قوله تعالى ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [لقمان:١٠]، وأن العُمُد غير المرئية هي الجاذبية والله أعلم.

وأنكر "أرسطو" انشقاق القمر، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية في "الجواب الصحيح" أثبت ذلك نقلا وعقلا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر:١]، ويقال إن الصينيين يؤرخون بانشقاقه إلى اليوم.

أما "نيوتن" فهو مع وضعه لقانون الجاذبية كان يؤمن بالتنجيم وأمثاله من الخرافات كما بين "ول ديورانت" في "قصة الحضارة".

والأولون لم يكونوا مهتمين بأحجام الأجرام السماوية وأبعادها والمسافات بينها، وإنما كان يهمهم ثمرة المعرفة الفلكية وهي مواسم المطر وأوقات الزروع وأنواع المزروعات، وهذا ما يحتاجه كل فلاح، ولا يحتاج الفلاح إلى أن يكون فلكيا.

وعرف المسلمون اختلاف المطالع، وأمر النبي ﷺ أن نصوم لرؤيته (أي الهلال) وإن غمّ علينا أن نكمل عدة شعبان ثلاثين يوما، وهذا من رحمة الله ويسره، و لم يكلفنا الله تعالى إصابة عين الواقع، بل قد يكون غيما في بلد وليس غيما في البلد الآخر، وقال ﷺ: (إنا أمة أمية لا نحسب ولا نكتب، الشهر هكذا وهكذا)، أي ثلاثون يوما أو تسعة وعشرون يوما، ولا نعتمد الحساب المزعوم، وهل التقاويم المختلفة إلا مبنية على الحساب؟!

ولو كان الحساب يوحد لوحد الكنائس التي تختلف كثيرا، وليس باليوم أو اليومين فقط، فكل كنيسة لها حسابها وتقويمها كما هو معلوم، ولا يزال الخلاف بين التقويمين الشرقي والغربي إلى اليوم، و لم يتبع أحدهما الاخر رغم اتفاقهما في النصرانية، فكيف يتبع المسلمون التقويم الغربي الكاثوليكي؟

وفي عهد الصحابة رضي الله عنهم اختلفت الرؤية بين الشام والمدينة و لم يضر ذلك.

وتحدث الفقهاء عن رؤية الرجل الواحد مثلا، وبعض المسلمين اليوم – هداهم الله– كلما جاء رمضان أو العيدان تباكوا على المسلمين الذين لا يوحدون يوم صومهم ويوم عيدهم.

وليتهم يتباكون على ما يحل بالأمة الإسلامية من المآسي ويقولون كلمة الحق في تلك الأحداث، وليتهم يطالبون الناس بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وتوحيد الأمة على عقيدة واحدة هي عقيدة أهل السنة والجماعة.

كما أنه قد يكون كسوف للشمس أو القمر في مكان ولا يشاهد في مكان آخر.

ونحن -المسلمين- لا نحتاج معرفة الهلال لشهر معين فقط، بل نحتاجه طول العالم لمعرفة الحج والأشهر الحرم وعاشوراء والكفارات والنذور والديون والعدة وغير ذلك، وهذا وحده كاف في المحافظة على الشهور القمرية والتقويم الهجري، كما أن للقمر ارتباط بالدورة الشهرية عند النساء وبالمد والجزر.

ومن الفلك ما جاء في القرآن الكريم من أن الله تعالى استوى إلى السماء وهي دخان، وأنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام، أي آماد متباعدة وليس دفعة واحدة.

وقبل أن يضع المعاصرون نظرية أو فرضية "الانفجار العظيم" قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف:٥١]، فكل ما يقوله الفلكيون أو الداروينيون خرص وظن وتخمين، والله تعالى لم يُشهدهم ذلك ولا علم لهم به عن يقين، فإن جزم به أحد فرَضا فهو ضال مضل.

وبعض الفلكيين المتأخرين يسخرون من نظرية الانفجار العظيم، مثل الفلكي البريطاني "فريد هل".

و"جيتز" في كتابه (الكون الغامض) ليس لديه يقين، ولا أعلم أن "ساغان" ذكر ذلك.

وفي الحديث أن أهل اليمن جاءوا إلى النبي ﷺ ليسألوه عن أول هذا الأمر كيف كان، وقد ذكر شيخ الإسلام وذكر شارح عقيدة الطحاوي "ابن أبي العز الحنفي" أن سؤالهم كان عن هذا الكون المشهود، ثم تحدث

"الحافظ ابن حجر" عن ذلك، وتحدث كثير من علماء المسلمين عن الأزل وهو ما لا أول له، وتكلم في ذلك من تكلم ولا نطيل بذكرهم.

كما بحث المسلمون بدون ضجة وبكل حرية عن عمر الكون أو أعمار المخلوقات، وممن أطال في ذلك المفسر "البقاعي" في تفسيره "نظم الدرر" واستدلوا بحديث (أنتم توفون سبعين أمة)، وتكلموا متى خلق آدم عليه السلام؟ وكلامهم في هذه المسائل يطول، والمهم أن ما قاله الأسقف "آشر" من أن الكون خلق سنة ٤٠٠٤ ق.م باطل، وكذلك ما يعتقده بعض النصارى اليوم مثل "شهود يهوه" عن الألفية السعيدة كما يسمونها، وكذلك معتقدات الأصوليين الأمريكيين.

وفي القرآن الكريم ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ [الإسراء:١٢]، أي القمر، ومن كلام ابن عباس رضي الله عنهما: أن القمر كان يضيء أي كما يقولون في العلم الحديث، أما اليوم فهو نور كما جاء في القرآن وليس سراجا وهاجا كالشمس، أي أنه يعكس ضوءها فقط والله تعالى ذكر في سورة يونس أنه جعل الشمس ضياء والقمر نورا.

ومن أجل تحديد القبلة ومعرفة جهتها تكلم المسلمون كثيرا عن النجوم وعن الطول والعرض، كما مدوا حبلا من بغداد إلى جنوب العراق ليعرفوا قطر الأرض، وقال ابن تيمية عن حديث (ولكن شرقوا وغربوا): إن الغرب هو مصر والمدينة بالنسبة لمكة وإن حران على سمت مكة. وهكذا!!

وفي القرآن الكريم ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود:٧]، مما يدل على أن الماء والعرش هما أول المخلوقات وأن حديث (أول ما خلق الله القلم) بالنصب لا بالرفع، أي أن رواية الرفع تحمل على رواية النصب والله أعلم، والمؤلفات في العرش كثيرة وبعضها قديم.

وأخبر ﷺ (أن الشمس والقمر ثوران عقيران في النار)، تنكيلا بمن عبدهما من دون الله، وأنهما آيتان صغيرتان، وهما كذلك بالنسبة للنجوم

العظيمة في هذا الكون العجيب، ومن أعظمها "الشعرى" المذكورة في القرآن.

وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج:١]، وبعض الفلكيين المعاصرين يرون أن البروج هي النجوم العظيمة الواقعة على أطراف الكون ويسمونها "سوبر نوفا"، وربما كان ذلك صحيحا والله أعلم.

ومما يتعلق بالكون أن ينحدر بعضهم إلى القول بأن هذا الكون العظيم جاء صدفة والحمد لله أن هذا لم يعد أحد من العلماء يقوله اليوم، وهل أحد من هؤلاء يصدِّق أن الحضارة الغربية جاءت صدفة؟ وممن أبطل ذلك ورده "آينشتاين" صاحب النظرية النسبية، ومن كلمات "آينشتاين" المشهورة: "إن الله لا يلعب بالنرد"، أي ليس لديه احتمالات بل لكل شيء غاية وهدف.

وهكذا انحدر التدين الغربي إلى عبادة الشيطان وانحدرت الفلسفة الغربية إلى "نظرية التطور العضوي" وأن الإنسان أصله قرد، وانحدر بعض الملاحدة إلى القول بأن الكون جاء صدفة.

وقد أخبر جل شأنه أنه لم يخلق السماوات والأرض باطلا ولا لعبا، وأن أولي الألباب يذكرون الله تعالى على كل حال ويتفكرون في خلق السماوات والأرض.

وهؤلاء الغربيون إنما كفروا وألحدوا لقول الكنيسة: "إن يسوع هو الذي خلق الكون" تعالى الله عما يشركون، وكثير من الجامعات اليوم في أمريكا هي أصولية على هذه العقيدة الباطلة، وقد قال تعالى: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥].

وهل يصدق عاقل أن هذا الإنسان الذي حكم عليه "هيرودوت" بالصلب وكانت السماوات والأرض قبله، وولدته امرأة من رحمها، وكان يأكل الطعام هو الذي خلق السماوات والأرض.

ومن ذلك (أي الانحدار) أن الإيمان بوجود الله تعالى -مجرد وجود- هو عند بعض الغربيين المؤمنين به احتمال راجح فهو مجرد "رهان" كما قال "باسكال"، أو قول الدين وليس قول العلم كما قال "ديكارت" في ثنائيته المعروفة.

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله في المدارج قول بعضهم:

قال المنجم والطبيب كلاهما ** لا تبعث الأجساد قلت إليكما

إن صح قولكما فلست بخاسر** أو صح قولي فالخسار عليكما

وذكر أن الإيمان بالله أو بالبعث ليس هكذا، أي ليس رأيا أو احتمالا راجحا، بل هو يقين مطلق لا شك فيه.

وذكر أن ابن تيمية رحمه الله كان يرى أن أعلى الدرجات هي الاستدلال بالله على خلقه كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فُصِّلَت:٥٣]، أقول: ولهذا لا نستغرب أن القرآن لا يرد على السوفسطائية، فالسفسطة -بأقسامها الثلاثة- مرض وليست في حقيقتها فكرا.

ومما يدل على عظمة هذا الكون وضخامته الهائلة أن الفلكيين لا يستخدمونه لقياس أبعاده ما نعرفه من المقاييس، بل يحسبون ذلك بالسنين الضوئية، أي ما يقطعه الضوء في سنة وهو يقطع آلاف الكيلومترات في الثانية الواحدة!

ومما يدل على عظمته وسعته أيضًا أن وكالة (ناسا) الفضائية الأمريكية أطلقت مسبارًا إلى الكوكب (بلوتو) استغرق عشرين سنة، ومسبارًا آخر إلى زحل استغرق أكثر من عشرين سنة!!

ومما له علاقة بعلم الفلك (**الطيران**)، وهو ما سبق إليه المسلمون أيضا ومنهم نقله الغرب.

ومن المحاولات الشهيرة تاريخيا محاولة عباس بن فرناس، وقد حاول غيره أيضا.

والطيران الحديث أصله ما قام به الأخوان (رايت) في أمريكا، وقبلهما كان الطيار التركي الملقب (هزار فن) أي: (ألف فن) قد طار من القسم الأوربي لاسطنبول إلى القسم الآسيوي ثم تطور الطيران حتى استطاع (لندن جوتنبرج) أن يقطع المحيط الأطلسي من أمريكا إلى انجلترا لأول مرة، وكانت الطائرات مروحية، ثم أصبحت نفاثة ثم صنعوا الكونكورد التي هي أسرع من الطائرات المعروفة وهم الآن يحاولون صنع طائرات أكثر سرعة بحيث يكون الوقت بين نيويورك وجدة خمس ساعات فقط والله أعلم.

والأرض بالنسبة للكون مثل الإنسان بالنسبة للبحر مثلاً أي أنه أصغر حجما ولكن الله استودعه كثيرًا من الأسرار وعجائب الخلق، والأرض هي الكوكب الوحيد المحاط بغلاف جوي تتفتت فيه الشهب والنيازك، ويقاوم ما يسميه الفلكيون (الرياح الشمسية) وهي الكوكب الوحيد المحتوي على الماء الذي هو أساس الحياة .. وهكذا، فهي ليست كما ظن (كارل ساغان) نقطة زرقاء باهتة بل هي التي أنزل الله فيها كتابه وأرسل رسالاته وأسكن فيها آدم وذريته. فالعبرة ليست بكبر الحجم ولكنه بقيمة المخلوق عند الله، وينسبون إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله:

وتزعم أنك جرم صغير ** وفيك انطوى العالم الأكبر

والأرض مركز الكون بهذا الاعتبار.

ومن علماء المسلمين في الفلك "ابن يونس الصفدي"، وهو عالم مصري وصفه الإمام الذهبي بقوله: "الإمام الحافظ المتقن، له إسهامات بالغة في الأرصاد والفلك"، وقد اخترع رقّاص الساعة (البندول) قبل "جاليلو" بقرون، وظل العالم على آرائه حتى القرن العشرين، حيث عدلوا فيها تعديلات طفيفة، وقد كان يخبر أهل مصر بمواعيد الكسوف والخسوف وفيضان النيل، وكان مكرما معظما عند الحكام والعامة على عكس البائس "جاليلو" الذي سجنوه وتوبوه، حتى قال أمام الكهنوت الكاثوليكي: أرجع عن كل الآراء التي سوّل لي بها الشيطان.

ووضع ابن يونس الزيج المسمى "الزيج الحاكمي".

- وهنا نذكر بإيجاز شديد بعض ما تقدم فيه المسلمون لا سيما في رسم الخرائط وتخطيط المدن:

فقد رسم الإدريسي خريطة كروية لملك صقلية النصراني "روجر"، ومن عجيب الخرائط الإسلامية أنها تضع أوروبا في الأسفل وأفريقيا في الأعلى، وممن رأيته لاحظ ذلك البروفسور أحمد داود أغلو في كتابه "العمق الاستراتيجي".

وهكذا رسم المتقدمون علميًا خرائط للمتأخرين ولو كانوا ملوكًا.

ولا تزال الخرائط التي وضعها العثمانيون تثير دهشة الغربيين إلى اليوم لدقتها، وكثير من الكنوز مخبوء في المتاحف وليتها تخرج للناس، ومن ذلك متحف إسلام بول الذي شاهدت بعض ما فيه.

على أن الله في كتابه أخبرنا عما هو أعجب من الخرائط، وهو أن ذا القرنين وصل إلى ما يسمى اليوم العالم الجديد أي الأمريكتين، وذلك قبل قرون كثيرة من رحلة "كولمبس" الضالة.

وقد آتاه الله من كل شيء سببا، حتى أن رواية وردت عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ تقول إن الله سخّر له السحاب.

وفي التخطيط وإنشاء المدن: بنى المسلمون البصرة والكوفة وبغداد، وبنوا الكثير في الأندلس وغرب أفريقيا أو شمالها كالقيروان مثلا.

وكان في العالم الإسلامي مدن عظيمة باعتراف المؤرخين الغربيين أنفسهم، في حين أن لندن وباريس لم تكونا سوى قريتين صغيرتين لا يزيد عدد سكان كل منها عن خمسة آلاف كما يعترف التاريخ الغربي! ولا يقارنهما بإسلام بول إلا غبي.

هذا في الوقت الذي كان يسكن بغداد مثلا ملايين البشر، حتى أن الشافعي رحمه الله سأل أحد تلاميذه هل رأيت بغداد؟ قال: لا. قال: لم تر الدنيا إذن. وإذا قارنت كم كان حضور جنازة الإمام أحمد رحمه الله وكم

أسلم يومئذ؟ وكم قصّ الإمام ابن الجوزي من قصَة شعر؟ وكم قتل التتار؟ وأمثال ذلك بما كان عليه الغرب رأيت الفرق واضحا.

وبغداد لم تكن على عظمتها استثناء، بل كانت المدن الإسلامية الأخرى عظيمة أيضًا مثل الكوفة التي يقال إن الأزد وحدهم كانوا فيها ٣٦ ألف بيت، وكذلك البصرة والموصل والقاهرة وقرطبة ودمشق عدا مكة والمدينة شرفهما الله.

وفي القرن الماضي زار المقيم السياسي في الكويت "ديكسون" بعض المدن الإسلامية فأدهشه سعتها وقال: "إن الأرطاوية يبلغ طولها ١٠٠ ميل" وهو ما لم يره في لندن.

ولما أراد العباسيون بناء بغداد أو سامراء أو بناء مستشفى لهما كلفوا الخبراء بارتياد أفضل الأماكن فوضعوا قطعا من اللحم، وبنوا ما يريده الخلفاء في البقعة التي لم يفسد فيها اللحم.

ومما يدل على تقدم المسلمين وتأخر الغربيين آنذاك. أن الإسبان بعد طرد المسلمين والغدر بهم جعلوا عاصمتهم مدينة "مجريط" التي يسمونها اليوم "مدريد" وهي في منطقة حارة بخلاف اختيار المسلمين لقرطبة التي هي أفضل مناخا.

وقد عرف المسلمون تخطيط المدن قبل الغربيين بقرون طويلة، وأول من مصّر الأمصار هو عمر بن الخطاب ﵁، فقد حدد لهم أين يبنون وكيف يبنون، وكم يكون عرض الشوارع الرئيسية والفرعية.

واليوم يقول كل من يعرف الرياض وجدة ودبي والكويت إنها أكثر تقدما من "تل أبيب"، ولكن كثيرا من الغربيين لا يعترفون بذلك ولا يهتمون به، وإذا قيل لأحدهم إن حمارا أو جملا في الشارع الفلاني في مدينة عربية هرعوا إليه وصوروه، وأظهرت قنواتهم وصحفهم تلك الصور وعلقت عليها أسوأ تعليق، وكانت المدن الإسلامية مثل بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة

تضاء ويبلغ ضوؤها مسافات بعيدة، وكانت الشوارع تضاء وليست البيوت فقط.

وفي مقابل القَدم الذي يقول به الغربيون، استخدم المسلمون ويستخدمون الذراع، والعاقل يقدم الذراع على القدم، ولكن الداخلين في جحر الضب يقدمون القدم.

كما عرفوا المقاييس واستعملوها كثيرًا وبعضها كان معروفا قديما، وورد ذكره في الحديث مثل الميل، وعنهم أخذ الغرب.

وحول الغربيون مقاييسهم إلى الذراع الفرنسي (المتر)، وإلى الديسيمتر والسنتيمتر والمليمتر، ولا حرج في النقل عنهم وعما طوروا.

أما أمريكا فلا يزال الميل فيها معروفا ومستخدما حتى اليوم، وكذا الياردة والقدم، وقبلها انجلترا.

وقد أثبت العالم المصري (محمود حمدي) أن المقاييس الفرنسية (المتر والسنتيمتر.. إلخ) منقولة عن المقاييس الإسلامية وأن المقاييس المصرية أدق.

وكما عرف المسلمون المقاييس عرفوا المكاييل ومنها المد والصاع والفرَق والوسق، ومن الكيلة اشتق الغرب الكيلو، كما أن المسلمين عرفوا الرطل وأنه في بلد غيره في الآخر، ولا يزال معروفا في الغرب حتى اليوم.

كما عرفوا الوزنة والميزان، وهذه المكاييل والموازين عرفية ولا مانع من تطويرها، وقد ذكر الجبرتي في تاريخه أن والده حسن الجبرتي كتب كتابا سماه "الدر الثمين في علم الموازين"، كما أن له كتابا آخر في المواقيت، وفي هذا العصر يعبرون عن الأوقية بالأونصة، ويقولون إن القيراط هو وزن حبة خردل.

وقبل أن يعرف الغربي "تورشيللي" أن للضغط الجوي وزنا، كان الخازني قد عرفه وقاسه ولكنهم يجحدون.

وكما ظهر أثر المسلمين مادياً تجد أثرهم الفكري جليًا في كل علم، فقد أخذوا كثيرا مما كتبه أهل الكلام دون عزو وتواطأ أكثرهم على كتمانه

ويصعب حصر ذلك لكثرته، ولكننا نشير إلى أمر واحد يشترك فيه المعتزلة ومتكلمو الأشعرية والصوفية وهو (النعمة)، فأنت تجدها عند المعتزلة وعند الأشعرية وعند أبي حامد الغزالي مثلا وعند الكتاب النصارى في الغرب!

كما ظهرت لدى الغربيين "الفلسفة الاسمية" التي تقول إن كثيرا من المعتقدات لا سيما الكليات ما هي إلا أسماء لا حقيقة لها في الخارج. وقد سبق إلى ذلك كتاب الله تعالى وربما نقلوا ذلك عنه، قال تعالى عن أصنام المشركين: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ﴾ [النجم:٢٣].

وعلى كلام المسلمين عن الجزء الذي لا يتجزأ عرف الغرب الأبحاث الذرية وطورها شيئا فشيئا، ونقل "لايبنتز" ما سماه المونادات الروحية عنهم.

وبعد أن دمر البرابرة -كما تسميهم الكنيسة- روما قبل الإسلام وذلك سنة ٤١٠م فقد الغرب تاريخه وعلمه، وعن طريق المسلمين عرف الغربيون في عصر النهضة الأوروبي آراء أرسطو وأفلاطون وظلوا قرونا على منطق أرسطو الصوري، ذلك المنطق الذي هدم قضاياه واحدةً واحدة شيخ الإسلام ابن تيمية قبل أن يهدم بعضها "هيجل" أو "جون ستيوارت مل"، ثم أحدث بعضهم المنطق الحديث وسموه المنطق الرياضي أو "المنطق الرمزي" ومن المناطقة المتأخرين "برتراند رسل" وزميله "هوايت هد"!

حتى الشك نقله الغرب من المسلمين فقبل قرون من ظهور "ديفيد هيوم" صاحب الفلسفة التي سميت "فلسفة الشك" كان أبو حامد الغزالي قد شك في كلام الفلاسفة وأهل الكلام والباطنية واختار الصوفية من بين الفرق أو الأصناف الأربعة التي ذكرها، وشرح في "المنقذ من الضلال" تجربته في ذلك.

وكذا النقد العلمي للكتب الدينية التي كانت تتشبث بها الكنائس الكاثوليكية فقد نقد الإمام أبو محمد بن حزم الظاهري التوراة نقدا علميا قبل أن ينقدها "سبينوزا"، وبذلك أسس ابن حزم العلم الذي سماه الغربيون "النقد

التاريخي للكتاب المقدس"، وزعموا أن واضعه هو "سبينوزا" كما سبق، وقد دهش أحد الدبلوماسيين الهولنديين لما أخبرته بذلك وقال لي: تعرفون "سبينوزا" وتعرفون كتبه. قلت: نعم. ومن كتبه المعروفة بالعربية "رسالة في اللاهوت والسياسة" التي ترجمها حسن حنفي، قال الله تعالى عن اليهود: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧]، فإذا كان هذا شأنهم مع الأنبياء فكيف "سبينوزا"، هذا في حين أن ابن حزم رحمه الله لم يحرمه أحد لما كتب، فهو بين الأجر والأجرين بإذن الله تعالى، أما "سيبينوزا" فقد حرمه الربيون في هولندا.

كما ظهر أثر الفرق الإسلامية في بعض أصول الإيمان كالقضاء والقدر مثلا منذ أواخر عصر الصحابة ظهرت القدرية النفاة كما ظهرت القدرية المجبرة، فأما الكنيسة الكاثوليكية فمالت إلى كلام المعتزلة، وأما "مارتن لوثر" والبروتستانت عامة فمالوا إلى آراء الجهمية، والماركسيون والوضعيون والداروينيون يعتقدون أن الإنسان مجبور، وأن الانتقال من مرحلة إلى مرحلة لا اختيار للإنسان فيه، كما أن المدرسة الألسنية الحديثة ترى أن الإنسان تجبره اللغة!!

وقد ظهر الأثر الكلامي في الفلسفة الغربية جليًا في مسألة "التأثير" أو الأسباب، فقد جاء ذلك صريحًا في القرآن والسنة وإن ضعف تأثير الأسباب عمليا، لكن لا بد منها كقوله تعالى: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾ [مريم:٢٥]، ومن الأخذ بالأسباب أن يحذر المؤمنون ويحتاطوا قال تعالى: ﴿خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء:٧١].

كما أن كثيرًا من الأحاديث تدل على أن الأسباب لا تنافي القدر أو التوكل، ومن ذلك الحديث المشهور (اعقلها وتوكل) لمن سأل النبي ﷺ أيتوكل أم يعقل ناقته؟ ولما سئل رسول الله ﷺ عن الرقى والأدوية أتردّ قدر الله؟ أجاب: هي من قدر الله.

وقد قرر أهل السنة والجماعة في عقيدتهم أن ترك الأسباب قدح في الشرع، ونفي أن تكون الأسباب أسبابا نقص في العقل، ولكن بعض المتكلمين ومنهم الأشاعرة أنكروا الأسباب بل جعلوها بدعة أو كفرا قال صاحب الجوهرة:

والفعل في التأثير ليس إلا للواحد القهار جل وعلا
ومن يقل بالقوة المودعة فذاك بدعي فلا تلفت
ومن يقل بالطبع أو بالعلة فذاك كفر عند أهل الملة

أي أن من يقول إن النار تحرق بطبيعتها كافر.

وقال علماؤهم إن النار لا تحرق بذاتها، ولكن الله جعل ذلك حين ملامستها، وقالوا إن الطعام لا يشبع وإن الثياب لا تستر، وهكذا، والمسألة عندهم مجرد ربط أو اقتران عادي، وغلا بعضهم في ذلك حتى قال النحوي "ابن مضاء" إن العامل في الرفع أو النصب هو الله.

وكما قال ملاحدة الصوفية: لا موجود إلا الله.

قال بعض الصوفية: لا فاعل إلا الله!! وعلى ذلك بعض المعاصرين الذين قالوا إن من يعتقد أن غير الله يفعل شيئا كافر.

أي أن من يزني أو يسرق ليس فاعلا بل الله عياذا بالله، والله تعالى يقول: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، فأسند العمل لفاعله والآيات والاحاديث في ذلك كثيرة جدا.

لكن المتكلمين ستروا عقيدتهم الباطلة بأن سموا ذلك كسبا: ولهذا قيل:

مما يقال ولا حقيقة تحته ** معقولة تدنو إلى الأفهام
الحال عند البهشمي والكسب عنـــ ** ـــد الأشعري وطفرة النظام

والبهشمي هو أبو هاشم الجبائي المعتزلي.

وتبعًا لذلك ظهرت في الغرب المدرسة الفلسفية التي سميت (الوضعية المنطقية)، وهي التي وضع أصولها "أوغست كونت" ثم آمن بها كثيرون بعده،

وهي تجعل المراحل الفكرية ثلاثا (مرحلة الخرافة والسحر ثم مرحلة الدين ثم مرحلة العلم)، وانتشرت في الغرب كثيرا وتأثر بها الشيخ محمد عبده، ومن أشد تلاميذ "كونت" الباحث الاجتماعي الشهير "دوركايم"، وأنكر هؤلاء الأسباب، وبذلك خالفوا أكثر العلوم ومنها كل علم تجريبي، ولا يزال بعض الضائعين من الغربيين يؤمن بها حتى اليوم، والظاهر أن "أوغست كونت" أخذ ذلك من علم الكلام، وقد تأثر بمذهب المعتزلة كثير من الشرقيين والغربيين، وممن تأثر به من الغربيين "توما الإكويني" ومن الشرقيين المتأثرين به "محمود قاسم"!

والصوفية -أو الفقراء كما قد يُسمَّون- فرحوا بترك الأسباب وبعضهم أسقط كل سعي وقال بإسقاط التدبير، وابتدعوا الفقر والزهد الكاذب حتى أن بعضهم وضع حديثا يقول فيه "إن الفقر هو الله" تعالى الله عما يصفون، وهذا مذهب الهندوس قديما وحديثا، والواجب هو الاقتداء بالكتاب والسنة في كل أمر، وقد كان من الصحابة رضي الله عنهم من هو صاحب مال وثروة، وكانوا يأخذون بالأسباب، كما في مبحث الزهد الآتي بإذن الله.

وقد قال جل شأنه: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠].

وقال تعالى: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ﴾ [المزّمل:٢٠].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك:١٥].

وقال جل شأنه: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ﴾ [الأعراف:٣٢]، فالله تعالى لم يحرمها وإنما حرمتها الشياطين كما في حديث عياض بن حمار القدسي (كل مال نحلته عبدا حلال، وإن الشياطين اجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم).

وكتب بعض العلماء في فضل التجارة والكسب مثل الخلال جامع علم الإمام أحمد، ومثل الوصابي في كتاب "البركة في فضل السعي والحركة"، وكان كثير من السلف تجارا، وقل منهم من عمل لأحد من الولاة، وذكر القرطبي رحمه الله أن أهل الفضل لا يُنقص من فضلهم أن يتعلموا الصنائع والحِرف.

والمقصود أن الحضارة الإسلامية كان لها الأثر المحسوس في الفكر الغربي وفي النقلة العظيمة التي حدثت فيه.

فالبروتستانت الذين أحدثوا أكبر ثورة فكرية لدى الغرب، يحرِّمون الايقونات والتماثيل و"الآثار المقدسة" كما يقول النصارى، وفي ذلك يظهر تأثرهم الواضح بحركة تحطيم الصور والتماثيل في الدولة البيزنطية، تلك الحركة التي تأثرت بالمد الإسلامي العظيم، وكذلك تأثر الغربيون بما سمي "الفلسفة الإسلامية"، وبالعلم العربي خاصة، فكان ذلك من أهم عوامل كفرهم بدينهم ومحاولتهم تعديله أو إصلاحه، كما أن الأخلاق الإسلامية لا سيما العفة والفضيلة أثرت كثيرًا فيهم.

وإجمالا أسس المسلمون حضارتهم على قاعدتي العلم والإيمان، عكس الغرب الذي لم يستطع الجمع بينهما فأقام حضارته على الكفر والإلحاد، ففرنسا بعد الثورة هي أول دولة لا دينية في التاريخ، ولذلك قال وزير الثقافة الفرنسي المعاصر "إن الحضارة الغربية هي أول حضارة في التاريخ لا معنى لها" أي ليس لها هدف، وقال الرئيس التشيكي السابق: "إن الحضارة الغربية هي أول حضارة ملحدة في التاريخ".

ونعوذ بالله أن تكون حضارتنا كحضارتهم أو علماؤنا كرجال دينهم.

وقد جاب الغربيون الأرض ورأوا الجزر البعيدة ورأوا المشابهة بين تراثهم الديني الخرافي وما عليه البدائيون، وذلك أحد أسباب كفرهم بدينهم كما يقول العقاد في كتابه (عقائد المفكرين)، ولكنهم لم يجدوا أبدا أمة بلا دين أو أمة تؤمن بالإباحية والدياثة والتعري، كما لم يجدوا أمة تصوّر

العورات، فالمجتمعات العلمانية في الغرب هي أحط من البدائيين وهي حالة شاذة في الفكر الإنساني، ويعترف بذلك أهلها، لا سيما المفكرون والصرحاء ويتوقعون لها الفناء.

وقال "كولن ولسن": "إن حضارتنا هي الجحيم بعينه"، وهو مؤلف ومتفلسف إنجليزي، أما الأمريكيان "بول كندي" والآخر "ج بوكانين" الذي ترشح لرئاسة أمريكا فهما يقرران -كل منهما على حدة- أن الحضارة الغربية سوف تنهار، وهو ما كتب عنه "أسوالد شبنجلر" و"أرنولد توبيني" و"جورج أورويل" من قبل!.

فهل ننتظر حتى تنهار كي نعود إلى ديننا؟.

وكيف نتبع من هو عالة علينا؟.

٥- الأحياء

مما يدل على سبق الحضارة الإسلامية وتفوقها، تقدمها في علم الأحياء "الإنسان منها والحيوان والنبات"، فهم يعلمون من كتاب الله ما لم يعرفه الغربيون إلا قريبا، وبعض ذلك لا زال الغربيون يجهلونه، ويسترون جهلهم بالتخرصات والتقديرات التي يختلفون فيها كثيرا.

ومن أعظم ما يهتم به الغربيون أصل الإنسان بعد أن كفروا بما تقوله التوراة في سفر التكوين عن الخلق المستقل، وما تقوله النصرانية عن الخطيئة الأصلية، ولم يجدوا بديلا إلا الاعتماد على علم الأحياء أو ما له صلة به.

ويدرس الغربيون باهتمام أي أثر للإنسان القديم ضمن ما يسمونه "البيولوجيا الطبيعية"، وإذا عثروا على ذلك في جاوه سموه "إنسان جاوه"، وإذا عثروا عليه في بكين سموه إنسان الصين أو إنسان بكين، وإذا عثروا على بقايا في كهف بجنوب فرنسا سموا ذلك "إنسان كروماسيون"، وإذا عثروا على جثة في ثلوج القطب، أو في جبال الألب، سموا العصر كله باسم تلك الجثة، وإذا عثروا على تلك البقايا في الحبشة سموها إنسان الحبشة، وهكذا.

وهذا غير ما يعترفون هم بأنه أكذوبة مختلقة مثل "إنسان بلتداون"! وليس شرطا أن يعثروا على جثة، بل أكثر ما يعثرون عليه هو آثار أصابع، أو ضرسا أو عظما نخرا، ويختلفون كثيرا في تقدير عصر ذلك الأثر.

وقد ظهر لي بعد الدراسة والتأمل أن النسناس الذي يتحدث عنه المؤرخون والإخباريون في تاريخنا أقرب إلى العقل من كلام هؤلاء.

وقد قال بعض الجيولوجيين بصراحة إن الإنسان العاقل نشأ من تزاوج بين الأجناس القديمة، أي إن الإنسان ابن زنا في الأصل!

ومثل هذا الخبط يخبطه علماء الأحياء، وكل ذلك افتراضات وتقديرات غير يقينية وأوهام غير علمية، لا سيما وهم يقولون إنه ربما كان في عصر كذا قبل مئات الملايين من السنين، وصدق الله العظيم ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف:٥١]، وقال وقوله الحق: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية:٢٤]، وليتهم يعترفون أن ذلك إنما هو ظن وخرص،

ولكن بعضهم يجزم به، والليبراليون عندنا يجزمون بما يجعله أهله احتمالا، ولكل هؤلاء يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء:٣٦].

وقد جيء إلى عبد الله بن المبارك رحمه الله -وهو تركي من أواسط آسيا، حيث الحضارة التي لا زالت شبه مجهولة إلى الآن- بأضراس عظيمة، فقال فيها أبياتا ذكرها الذهبي وغيره.

وقد جعل الله للأحياء قدرات كثيرة منها الرائحة ومنها الشم ومنها حدة البصر، فكما أن يعقوب عليه السلام ارتد بصيرا لما شم رائحة يوسف، فكذلك عن طريق الرائحة تعرف أم الحيوان ابنها ويعرف الصغير أمه ويهتدي بها الحيوان أو يعرف طريقه ولو كان الليل مظلما أو العين معصوبة، ولو أنك حملت قطا في زنبيل محكم ووضعته في مكان بعيد لعاد إلى موطنه الأصلي!

وكما يستدل بعض الحيوان بالرائحة يستدل بعضها بالزاوية "هندسيا"، ومن ذلك الزنابير والنحل، وقد كنا ونحن صغار نبعد الفريسة قليلا عن الزنبور ونتعجب لأنه يقع قريبا منها ولكن لا يراها!

ومنها الشم، فالثعابين تمد ألسنتها لتشم بها، وهذا يعوضها عن الضعف الذي في سمعها.

وتمتاز الطيور كالنسر والصقر والحدأة وغيرها بحدة البصر حتى إنها لتبصر الماء وهي محلِّقة في الأجواء البعيدة، ولما أنبع الله ماء زمزم لأم إسماعيل استدلت جرهم بطائر عائف رأته يحوم، فقالت: "ما يحوم هذا إلا على ماء"!.

كما يتميز الحمام بإمكان تدريبه وبهدايته إلى المكان المراد، ومن هنا استخدم الأولون الحمام الزاجل، لإيصال رسائلهم خصوصا نتائج المعارك.

فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وهناك هدايات لا يستطيعها الإنسان، ومع ذلك يشترط بعض الناس ألاّ يؤمن إلا بما يحس مع أنه يؤمن ويصدق بما لا يعلم لا حسا ولا عقلا، فتجد المريض يؤمن بما يقوله الطبيب، ويصدق ما تنطق به الأشعة أو تدل عليه التحاليل المخبرية، ويتناول الدواء حسب توجيهات الطبيب أو الصيدلي.

ثم تجد هذا المخلوق الضعيف يعترض على ما جاء به الرسول ﷺ، ومع إيمانه بهذا الغيب النسبي، يأبى الإيمان بالغيب المطلق.

والإنسان ضعيف ليس فقط في فكره وعلمه، بل هو ضعيف حتى في بنيته وتكوينه، فإذا سقط من مكان عال انكسر، وإذا دخلت في رجله شوكة عاقته ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا﴾ [النساء:٢٨].

وإذا قارنته بالقط وجدت أن القط يقع على قوائمه، ولا تنكسر رجلاه، وإذا قارنته بالجرادة وجدت أن الجرادة تهرب منك بعد أن تستأصل رجليها الخلفيتين، وإذا قارنته بالنملة، وجدت أنها تقوم بلا علاج، وتسير بعد أن حاولت قتلها.

والإنسان يتيه ويضل طريقه لكن الحمار يعرف دربه، والإنسان شمه محدود ولكن الكلب يشم أضعافه، والإنسان لا يرى الملائكة ولكن الديك يراها، ولا يرى الشيطان ولكن الحمير تراه، وقس على ذلك، فلو أن الإنسان لا يؤمن إلا بما يحس لكان الحيوان أفضل منه!

والفهد مثلا أسرع من البشر، والفيل يحمل ما يعجز عنه الإنسان.

ومن رحمة الله بالإنسان ومن علمه جل شانه بضعفه، أرسل إليه رسولا يهديه الطريق، ومعه كتاب الله يهدي للحياة السعيدة، وأعطاه عقلا يمكن به أن يعرف صدق رسوله ويتدبر كتابه، ولكن الإنسان بجهله وظلمه يصر على أن يعرف ذات الله وكيفية صفاته وأمثال ذلك من علم الغيب المحجوب عنه، والذي لا طاقة لعقله باستيعابه.

والإنسان له عمر محدود ويريد معرفة كنه الحي الذي لا يموت، وهو قليل العلم ويريد معرفة الحكمة من شرع العليم الحكيم، بل ربما يرى أن ما يشرِّعه بعقله أقوم من شرع الله!

ومن العجيب أن بعض الناس يقول إنه يفهم لغة الحيوان، وفي ذلك كلام طويل ليس هذا موضعه، على أن ذلك لو ثبت ليس بغريب على قدرة من علّم الإنسان ما لم يعلم، قال ابن القيم في "شفاء العليل": "قال أحمد بن مروان المالكي في كتاب المجالسة: سمعت ابن أبي الدنيا يقول: إن لله تعالى من العلوم ما لا يحصى، يعطي كل واحد من ذلك ما لا يعطي غيره، لقد حدثنا أبو عبد الله أحمد بن محمد بن سعيد القطان، حدثنا عبيد الله بن بكر السهمي عن أبيه: أن قوما كانوا في سفر فكان فيهم رجل يمر بالطيور فيقول: أتدرون ما تقول هؤلاء؟ فيقولون: لا. فيقول: تقول كذا وكذا. فيحيلنا على شيء لا ندري أصادق فيه هو أم كاذب، إلى أن مروا على غنم وفيها شاة قد تخلفت على سخلة لها فجعلت تحنو عنقها إليها وتثغو، فقال: أتدرون ما تقول هذه الشاة؟ قلنا: لا قال: تقول للسخلة إلحقي، لا يأكلك الذئب، كما أكل أخاك عام أول في هذا المكان، قال: فانتهينا إلى الراعي فقلنا له: ولدت هذه الشاة قبل عامك هذا؟ قال: نعم ولدت سخلة عام أول فأكلها الذئب بهذا المكان، ثم أتينا على قوم فيهم ظعينة على جمل لها وهو يرغو ويحنو عنقه إليها، فقال: أتدرون ما يقول هذا البعير؟ قلنا: لا قال: فإنه يلعن راكبته، ويزعم أنها رحلته على مخيط وهو في سنامه، قال: فانتهينا إليهم فقلنا: يا هؤلاء إن صاحبنا هذا يزعم أن هذا البعير يلعن راكبته، ويزعم أنها رحلته على مخيط وأنه في سنامه، قال: فأناخوا البعير وحطوا عنه فإذا هو كما قال".

وربما كان أعظم من فهم لغة الحيوان: مخاطبة الحيوان نفسه مثل ما يذكره المؤرخون عند بناء عقبة بن نافع لمدينة القيروان، حيث نادى ما في الأرض من هوام وطلب منها الخروج، فخرجت الأفاعي حاملة صغارها.

وعلماء الأحياء يعرفون ما يسمونه "الطفرات الوراثية"، أي التغيرات المفاجئة في المخلوقات، ولكنهم يجهلون سببها.

وفي الأحياء عجائب كثيرة لمن يتأمل، منها الهجرة، وقد قبض بعض الناس في جبال السروات على طائر وفي رجله كتابة تدل على أنه من حديقة الحيوان في هولندا.

وبعض الطيور تهاجر من الهند إلى جدة والعكس، والطيور تقطع المحيطات وتعرف في أي جزيرة تحط لتتغذى، والجراد يطير في وقت واحد من أماكن متباعدة، والتوراة تذكر أنه ليس للجراد ملكة، فسبحان الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأخبرنا أنه ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨].

والهدهد هاجر من الشام إلى اليمن وعلم ما لم تعلم استخبارات سليمان عليه السلام، ولولا أن الله سبحانه علم سليمان منطق الطير، لظل يجهل هذه المملكة الكبيرة.

ومن عجائب خلق الله التي لا يعلمها كثير من الناس أو يمرون عليها وهم عنها معرضون: أنه تعالى جعل بين الأحياء تكاملا وتكافلا، ولذلك دلالات علمية وفلسفية عظيمة قد نجهلها.

ومن ذلك مثلا:

التكامل بين الفِطَر والأشجار، وبين البكتريا والبقول، وبين الحيوان والنبات، وبين الحيوانات المفترسة وبعض الطيور، وبين الحشرات والخمائر، وبين الأسماك وبعض المخلوقات الأخرى.

فالنحل مثلا يمتص الرحيق، وفي الوقت نفسه ينقل اللقاح، فيجري عملية "التأبير"، وبعض النمل يصلح بين قبيلة منه وأخرى، وبعض السمك يعالج الحيوان الآخر في عيادته.

ومن الدلالات العلمية والفلسفية لهذا التكامل أن ما يقال عن نظرية التطور العضوي باطل واقعيا، وإذا كان النوعان المتكاملان أو المتكافلان لا يمكن أن يعيش أحدهما بدون الآخر، فذلك يبطل ما يزعمونه من تنازع البقاء أو صراع البقاء، فهما متكاملان وليسا متصارعين.

ويمكن لأي عاقل أو متفكر أن يستنبط من الدلالات ما لا يحتويه أي كتاب، وصدق القائل:

وفي كل شيء له آية ** تدل على أنه واحد

وليس في هذا الكون شيء خلقه الله لغير حكمة أبدا ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص:٢٧].

والله تعالى قدَّر فهدى، حتى الحيوان الأعجم.

فهدى الحيوان الذي يرعى الحشائش أن يتجنب النباتات السامة، ولذلك أمثلة أخرى ذكرها ابن القيم عند ذكره لقول من قال إن أصل الطب حيواني تعلَّمه الإنسان من الحيوان.

وهدى الطيور لمعرفة دخول الفصول.

وهدى كل حيوان لمعرفة صغاره مهما هاجر وابتعد عنها وهي لا تزال في البيض.

وهدى الحمام فلا يضل طريقه بل يستخدمه الأولون في نقل الرسائل كما تقدم.

وهدى الفئران لمعرفة الزلازل.

وهدى الغربان لمحاكمة الجاني وقتله ودفنه، ومنها تعلم ابن آدم كيف يواري سوأة أخيه.

وهدى النحل لبناء بيوتها بالشكل السداسي دون غيره.

وما أكثر ذلك في بقية الأحياء كالهدهد والنمل.

والحيوان يرى ما لا نرى ويسمع ما لا نسمع، ولما نفرت الخيل عند مرورها بقبور المشركين، قال ﷺ: (لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم

من عذاب القبر ما أسمع)، وقال ﷺ عن الكافر أو المنافق: (فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين) الإنس والجن.

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الخيل إذا حبست بطونها يذهبون بها إلى قبور الروافض والباطنية لكي تُسهل.

أما الشم فمشهور حتى اليوم، وقد ذكر بعض العلماء المعاصرين أن الكلب أقوى من الإنسان في ذلك بأربعين مرة، ولذلك تتخذ الشرطة الكلاب البوليسية وهي تكتشف المخدرات وكلَّ ممنوع، وكثير من الناس شرقا وغربا يعرفون الفصول بالهدهد أو غيره من الطيور، كما أن الزلازل يعرفها الناس قديما وحديثا بهرب الحيوانات أو خروجها من جحورها، كما أن الناس منذ القدم يعرفون النباتات السامة بترك الحيوانات لها، ومن ذلك مثلا أنها لا تأكل التبغ بينما يدخن كثير من الناس، فإذا كان هذا هو الحال مع الحيوان، فهل يترك الله جل جلاله مع سعة رحمته وكرمه وفضله الإنسان بلا هداية ولا شرع؟! هذا محال، وقد قال جل شأنه: ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد:٧]، وقال عن عبده ورسوله محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢]، وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦].

وقد تقرر أخيرا لدى علماء الأحياء المعاصرين أن النمل -وكذلك النحل- ليس جماعة واحدة بل طبقات وقبائل، منها ما يعمل ويسمونه عاملات، ومنها ما يصلح بين الطوائف إذا تقاتلت كما يحكون عن النمل مثلا، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ [الأنعام:٣٨]، وقد مر النبي ﷺ بعنزين تنتطحان فسأل بعض أصحابه (أتدري فيم تنتطحان؟ قال لا. قال ﷺ: ولكن الله تعالى يعلم وسوف يقضي بينهما يوم القيامة)!.

وقد شكى إليه ﷺ جمل أن صاحبه يدئبه ويجيعه، وشكت إليه حمّرة أن بعض الجيش أخذ صغارها.

ومن عجيب الأحياء في الكون أن الجراد يطير في وقت واحد من أماكن متباعدة ويهاجر من الحبشة إلى جبال السروات قاطعا البحر الأحمر، فبأي لغة يتفاهم؟ وبأي توقيت يعمل؟

والله تعالى بحكمته في الأحياء إذا سلب شيئا بعض الخصائص عوضه بغيره كما جعل الأعمى أكثر تحسسا من البصير، وجعل الشم لدى الأفاعي وبعض الحيوانا تعويضا عن ضعف السمع، ولما كان بعض الناس ربما احتقر من من هم سود البشرة، جعلهم الله أعذب صوتا كما كان بلال، وكذا المذيعون في عصرنا الحاضر، فسبحان الله على حكمته البالغة.

وقال المفسرون لقوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠] إن الكافر إذا قيل للدواب كوني ترابا تمنى أن يكون حيوانا، أي أن هذا ما سوف يتمناه الكفار كلهم ومنهم الأمريكان والغربيون إلا من أسلم منهم.

وصدق من قال من الشعراء وهو الشيخ محمد المجذوب رحمه الله:

ويوم يود الظالمون لو انهم ** على دربنا ضربٌ من الحشرات

وكثير من الغربيين يقولون إن "أرسطو" هو مؤسس علم الحيوان، والمسلمون نقدوا بعض آرائه وطوروها كما في كتاب "الحيوان" للجاحظ أو كتاب "حياة الحيوان" للدميري.

وكل ما ذكر الله في القرآن من الأحياء له عجائب كثيرة، وعلى كتاب الله اعتمد المسلمون وفصّلوا في هذا العلم، وحضارةٌ هذه معارفها لا يصح أن تقارن بأي حضارة.

ومما يذكره علماء الأحياء اليوم أن للطير لغة يتخاطب بها، وأن أحد الناس سجل صوت عصفور ثم فتحه بعد مدة فجاء عصفور آخر إليه، وربما خصصوه بالطائر المسمى (المهذار)!

وفي كتاب الله تعالى يقول الله جل شأنه عن نبيه سليمان عليه السلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النمل:١٦] فكل طائر له منطقه ولا يصح تخصيصه ببعض الطيور.

وخاطب عليه السلام الهدهد وأرسله إلى قوم سبأ، بل في السورة نفسها ما يدل على أن ذلك ليس خاصا بالطير، فإنه عليه السلام تبسم ضاحكا من قول النملة: ﴿ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ [النمل:١٨]، وقد سمى بعض المفسرين سورة النمل هذه "سورة العجائب" لما فيها من العجائب ومنها خطاب الطير والنملة والدابة.

وكل الأحياء التي ذكرها الله في القرآن كالبعوض والجمل والغراب والذئب لها عجائب.

وللإنسان مترلته العالية على كل المخلوقات، وتقول الداروينية الجديدة إن الطبيعة وضعت الإنسانية في مترلة قريبة جدا مما وضعه فيها الدين!! وهي لا تعرف دينا غير اليهودية والنصرانية، ولا تعلم شيئا عن خلق الإنسان غير ما تقوله التوراة المحرفة، فماذا ستقول لو أنها قرأت القرآن الذي ليس فيه ما في التوراة من خرافات في هذه المسألة؟

ومن الأحياء النباتات التي يقوم عليها الطب الغربي قديما وحديثا، والغرب اليوم لا يزال عالة على ما كتبه أبو حنيفة الدينوري في معجمه عن النباتات، وربما كان أول مخترعيهم هو القس "مندل" المعروف في علم الوراثة الغربي.

وقد أجرى "مندل" أبحاثه على نبات البازلاء، وهو نوع من الباقلاء، وسلك طريقة التهجين الوراثي التي سبق إليها الدينوري الذي عاش في القرن الثالث الهجري.

وعلى أبحاث مندل قام علم النبات الغربي، وأنشأوا كليات خاصة للزراعة أو للنبات.

وأقدم من الدينوري ومن معجمه: النباتات المذكورة في الطب النبوي الذي رتب ابن القيم أحاديثه على حروف المعجم.

كما أن العلم المعاصر أثبت العلاقة بين النبات وكمية هطول الأمطار، وأن المناطق التي لا أشجار فيها أو يزيل الإنسان الأشجار تكون قليلة الأمطار.

(الإلحاد)

يبني الملاحدة إلحادهم على بعض ما وصل إليه علم الأحياء، لا سيما نظرية "تشارلز داروين" ذلك الحائر المسكين الذي توفي في القرن التاسع عشر الجريجوري، خاصة كلامه عن الانتخاب الطبيعي والطفرات الوراثية والصراع بين المخلوقات، وكيف أنه ينشأ لها أعضاء جديدة، حسب الحاجة بينما يموت العضو الذي لا تحتاج إليه، على أن دارون نفسه يعترف بأن في نظريته -والصحيح أن يقال في فرضيته- حلقة مفقودة بين الإنسان والقردة العليا.

ولكي يساير الداروينيون ما يتطور من العلوم نشأ ما يسمونه "الداروينية الحديثة" ومن أشهر هؤلاء الداروينيين في القرن العشرين الملحد "جوليان هكسلي" مؤلف كتاب " الإنسان يقوم وحده" الذي رد عليه رئيس أكاديمية العلوم في نيويورك "كريسي موريسون" بكتاب "الإنسان لا يقوم وحده" وهو كتاب مشهور، نقله الأستاذ محمود صالح الفلكي إلى العربية باسم "العلم يدعو للإيمان"، ومن الملاحدة المشهورين "برتراند رسل" الذي كان كثير الثناء على داروين، وأشهر الملحدين المعاصرين هو "داوكينز" مؤلف كتاب "وهم الإله"، والذي عدَّل في الداروينية حيث قال إن العامل الأساسي في التطور ليس هو الاستعمال كما قال داروين، بل هو الجينات "المورِّثات"! واتهم زميله السابق في الإلحاد "انطوني فلو" بأنه إنما آمن بالإله لما كبر وخرف.

وقد أثبت كثير من العلماء الغربيين بطلان فرضية "داروين"، فجاء الملاحدة بفرضية أخرى هي "المصادفة" التي هي أبطل من فرضية داروين، والتي أبطلها علماء الرياضيات أمثال السويسري "شارل أوجين" والإنجليزي "هوايتهد" كما أبطلها الفيزيائي المعروف "آينشتاين" ومما قاله شارل أوجين:

"إن احتمالية المصادفة تحتاج إلى كون أعظم من كوننا هذا الذي قدره "ألبرت آينشتاين" بأرقام لا نستطيع نطقها، وهو "كرة نصف قطرها (١٠ ^٨٤^) سنة ضوئية" أي عشرة أمامها أربعة وثمانون صفرًا.

وهذه المصادفة هي إيمان بعبثية الوجود وعشوائيته، وأن هذا الكون ليس لخلقه حكمة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥].

وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص:٢٧].

وأخبر أن أولي الألباب يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران:١٩١].

وقد تفسر علوم الأحياء كيف كانت عملية الخلق ولكنها لا تفسر أبدًا من الذي خلق، ولماذا خلق؟ أي أن ما يسمى الانتخاب الطبيعي والتكيف مع البيئة، لو قدّرنا أنه ارتقى من الفرضية إلى النظرية ثم إلى الحقيقة العلمية، ولم تكن فيه ثغرة الحلقة المفقودة: لكان جوابا عن كيف فقط! دون أن يكون جوابًا عن من؟ ومتى؟ ولماذا؟.

فكيف وهي فرضية فيها ما فيها؟ وإنما ذهب إليها بعض الملحدين هربًا من إثبات الخلق الخرافي المستقل المذكور في سفر الخليقة "التكوين"، ومن الإيمان بالذي يكذبه الواقع والعقل أن المسيح عيسى ابن مريم هو الذي خلق السماوات والأرض، مع أنهما كانتا قبل خلقه وخلْق أمه، بل قبل النوع الإنساني كله.

وصدق الله ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة:٧٥]!!

أما كونه تعالى اختار هذه الكيفية دون تلك، فهذا راجع إلى حكمته ومشيئته ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص:٦٨].

والتسلسل في الفاعلين لا نهاية له فلسفياً، فلا بد من الوقوف من أول الأمر، والانتهاء هو الحل المنطقي الصحيح، وإلا انساق العقل البشري وراء تسلسل الفاعلين وضاع في بحار الحيرة والشك، وحينئذ لا بد له من التوقف عند نهاية ما، وقد أرشدنا ﷺ إلى أن ننتهي فلا نتكلف ونشقى ثم نعود!.

فما كان لا بد منه بعد تفكير طويل نؤمن به الآن بلا مشقة ولا عناء، فالعقل أقل من أن يصل إلى اللانهاية، ولو وصل إلى شيء لسلَّم بأنه لا بد من الوقوف عنده، ولذلك خير له أن يسلم مقدَّمًا وينتهي، وهكذا اختار له النبي ﷺ الطريق السهلة دون الأخرى الوعرة.

وقد كثر المشركون والضالون في الأمم السابقة، والقرون الخالية، والحضارات المنقرضة، لكن لم يُعهد الإلحاد بهذه الكثرة إلا في الحضارة الغربية:

والإلحاد أنواع أهمها:

١- إنكار الرسالات والوحي، وهؤلاء الملاحدة يعرفون في الغرب بالدايزم، وهم يؤمنون بصانع الساعة الذي صنعها ثم تركها تدور، أي ما يسمى النظرية الميكانيكية كما توحي بها نظرية الجاذبية، وقد يترجمها بعضهم بكلمة "الربوبيون"!

وقد ألف الملحد المشهور داوكيتر كتابه "صانع الساعة الأعمى".

٢- إنكار وجود الخالق، وهؤلاء يكفرون حتى بالربوبية.

ولهذا الداء أسبابه المحلية في الغرب، أهمها الهروب من الخرافات والأساطير، التي كانت تمليها الكنائس على أتباعها، ومناقضة العلم والعقل،

والمشابهة بين ما عليه رجال الدين وما عليه الكهان والسحرة، في المجتمعات البدائية.

٣- ومن الإلحاد وصف الله بعكس ما ثبت بالوحي من صفاته، حتى كتب أحدهم كتاب "الله ليس أكبر"، تعالى الله عما يشركون.

والإسلام بريء من الخرافات كلها، وبريء من كل ما يخالف العلم والعقل، بل إن كل العلوم، الكوني منها والإنساني، وكذا كل المكتشفات تؤيده وتشهد له.

وإذا كان الغربيون رأوا أن الواجب عليهم هو التخلص من دينهم، فإن الواجب على المسلمين هو التمسك بدينهم، وإذا كان الغرب نهض في بعض الجوانب الدنيوية لما ترك دينه، فإن في الإسلام سعادة الدنيا والآخرة.

ومن طبيعة الهارب أنه لا يلوي على شيء ويتمسك بالقشة، ولذلك ترى هؤلاء الهاربين يفرحون بما افترضه داروين، وأوغست كونت، وماركس، وفرويد، مع أنه لم تثبت نظرياتهم عقلا، بل هي إما فرضية لم ترق لأن تكون نظرية، وإما خطأ بيِّن، وإما ظنون وتخرصات ينكرها العلم الصحيح، وكل ذلك نزغات شيطانية، أنكرها الهدهد فضلا عن الإنسان، قال الهدهد عمن هم أخف كفرًا من هؤلاء، ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [النمل:٢٤].

وإنما ألحد الملحدون في الغرب لأن الكنيسة فرضت عليهم خرافات لا يقبلها العقل ولا يقرها العلم، كقولهم إن قوس قزح جعله الله علامة يتذكر بها ألا يغرق أهل الأرض، وأن الحية تتغذى بالطين، وأمثال ذلك مما هو داخل في تحريف كلام الله، وفي التصور البشري الذي قد يقره عصر ثم يأتي عصر آخر يبطله.

ومن الإلحاد الشك، والشك أنواع:

١- منها الشك المنهجي الذي يبتدئ منه الشاكون كي يصلوا إلى اليقين، كما شك ديكارت في الوجود فقال عبارته الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا

موجود" وقبله شك الغزالي، في كتابه "المنقذ من الضلال" وقبل الغزالي كان بعض المعتزلة وأهل الكلام قد جعلوا أول واجب هو "الشك"، والشك عندهم يؤدي إلى "القصد إلى النظر" الذي يؤدي إلى "النظر"، فجعلوا الشك أصلا للحقيقة، فهذا الشك هو الخطوة الأولى للمعرفة عندهم.

٢- الشك المطلق، أي: عدم الجزم بشيء كما فعل "بروتا جوراس" ومن معه من السفسطائيين وكما ينسبون إلى ديفيد هيوم ومدرسته، وأكبر الشكاكين الأحياء اليوم هو الملحد "داوكينز".

٣- الحيرة الكاملة، كما حدث لمن يسمون اللاأدريين في العصر الحديث، فهم في غيهم يعمهون وفي حيرتهم تائهون وحسبك منهم أن تشارلز داروين الذي يستند أكثر الملاحدة إلى آرائه يقول: "بالرغم من تقلباتي الكثيرة لم أكن يوما من الأيام منكرًا لوجود الله، وحسبي أن أكون لا أدريًا في هذا الأمر".

وعندي أن اللاأدرية أكثر ضلالا من الشك، إذ قد يكون في الشك نسبة من الحقيقة أو مقدمة لها، أما اللاأدرية فهي العمى والحيرة.

ولقد قال "ديكارت" في شكه المنهجي "أنا أفكر إذًا أنا موجود"، وكل إنسان يفكر إذن هو موجود، وكل موجود لا بد له من موجد أوجده بعد أن لم يكن شيئًا، فهذا الوجود إذن الذي لا يشك عاقل في وجوده، هو آية عظيمة، ودليل قاطع على وجود الموجد بل على حكمته وإتقانه كل شيء صنعه، وعلى قدرته المطلقة التي تفوق أي تصور بشري، وعلى علمه الذي أحاط بكل شيء، وعلى وحدانيته وصمدانيته، وعلى كل صفاته العلى إما بالمطابقة وإما بالتضمن وإما باللزوم، فلا إله إلا هو، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وامدد بصرك حيث شئت تجد آية له:

وفي كل شيء له آية ** تدل على أنه واحد

وصدقت العجوز التي قالت: "سبحانه، ومتى غاب حتى يستدل عليه".

بل صدق شيخ الإسلام ابن تيمية، حين جعل أعلى درجات الاستدلال هي أن يستدل الإنسان بالله على خلقه، وذلك ما انتصر له ابن القيم وأيده.

وقال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور:٣٥].

وهذه الآية هي التي سمعها جبير بن مطعم حين كان مشركا فكاد قلبه يطير.

أما عقيدة الخلق المستقل كما يصورها سفر التكوين من التوراة فليست علمية، وليست دينية محضة، بل دخلها كثير من الأساطير والخرافات التي أنتجها التحريف، فألحد بعض الملحدين هربًا منها، ولم يجدوا قشة يتشبثون بها إلا فرضية داروين الناقصة، وهكذا حار الإنسان بين خرافة متمسحة بالدين، وخرافة متمسحة بالعلم.

أما الحق المحض الذي تشهد له الفطرة والعقل وقوانين الوراثة، فهو الوحي المحفوظ الذي نزل به الروح الأمين من الله الذي أبدع هذا الكون، وابتدأ خلق الإنسان من طين بعد أن لم يكن شيئًا مذكورا، وخلقه في أحسن تقويم، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، وعلمه ما لم يكن يعلم.

ولم أجد في تاريخنا الإسلامي من يشبه هؤلاء التائهين، إلا من يقلدهم من الفئة الضالة التي ترفع شعار الليبرالية، أو بعض مثقفي الرافضة الذين هربوا من خرافات الملالي إلى العلمانية والإلحاد، وكذا من هرب من خرافات التصوف إلى الماركسية كما حدث في اليمن الجنوبية!

والإلحاد في أمريكا هو عقيدة الاتجاه الليبرالي وعكسه الاتجاه الأصولي، وأكثر الأمريكيين لا يعرفون إلا التوراة ويؤمنون بها.

ففي استطلاع أجراه "معهد غالوب" قال أكثر الأمريكيين: إنهم يؤمنون بما في سفر التكوين التوراتي، من الخلق المستقل، ويكفرون بنظرية الانتخاب الطبيعي، كما فسرها داروين، وهكذا فليست الداروينية علمية ولا دينية ولا شعبية لها.

ومن الملاحدة المشهورين في الشرق، عبد الله القصيمي الذي بدأ بالصراع وانتهى بالأغلال، وإسماعيل أدهم الذي انتحر وصادق العظم الذي مات في باريس.

وبعض الملاحدة يرجع عن الإلحاد، حين يتقدم في السن ويرى الثمار الخبيثة لهذه العقيدة غير العلمية وغير العقلية، مثل "انطوني فلو" الذي اتهمه الملحد "داوكيتر" بأنه إنما رجع عن الإلحاد لأنه خرف كما سبق.

وبعد أن أدلج الغرب في دياجير الإلحاد، وتخبط في ظلماته، عاد رغما عنه إلى ما يسميه "الروحانيات"، فبعض الغربيين عاد إلى التوراة والإنجيل القديمين، لكن أنكر ما فسرهما به رجال الكنيسة من تصوراتهم، وبعض الغربيين اعتنق البوذية أو الهندوسية حسب عقله وهواه، وبعضهم دخل في الإسلام على ما يفهمه، وربما فسره بمقتضى تربيته وثقافته الغربية.

والقاسم المشترك بين كفرة الغربيين هو التعصب على الإسلام والعداوة له، أو الخطأ في فهمه إلا ما قل.

يقول الدارويني الملحد "جوليان هكسلي" بعد ذكره كثيرا من خصائص الإنسان التي أثبتها العلم: "هكذا يضع علم الحياة الإنسان في مركز مماثل لما أُنعم عليه كسيد للمخلوقات كما تقول الأديان".

وهذا الكلام إنما يقوله أكبر أصحاب الداروينية الجديدة لواحد من سببين:

١- إما أن الناس صُدِموا لما قيل أن أصلهم قرود فنفروا من هذه النظرية التي لا تقرها فطرتهم.

٢- وإما أن العلم أثبت القول بالخلق المستقل ولذلك قال أحد علماء الأحياء الانجليز "أنا أعلم سسلة نسبي إلى آدم".

وهذا الملحد لو قرأ القرآن لوجده خاليا من الخرافات التي هرب من إثباتها، وإنما ابتهج الغرب بالنظريات المضادة للدين، لأنه رأى فيها بديلا عن خرافات الكنيسة المفروضة بالقوة على الناس.

ولذلك فلا عجب أن تحظى نظرية الجاذبية ونظرية التطور العضوي، بانتشار لم يحلم به نيوتن ولا داروين.

وعلماء الأحياء اليوم في أمريكا يختلفون فيما بينهم اختلافا شديدا، حتى أن أحد علماء الأحياء سأل ١٥٠ عالما في الأحياء فكانت النتيجة ١٥٠ جواباً.

فأيها يختار الملاحدة؟ ولماذا؟ ولو أنه سأل ٢٠٠ فكم ستكون النتيجة؟ وكيف يترك أحد اليقين أو يتكلف ما لا علم به، ويتبع هؤلاء الجاهلين والحيارى؟

من الدلائل على بطلان الداروينية:

نظرية -بل فرضية- التطور الدارويني يكذّبها العلم نفسه، ويقول إن الأكذوبة غير محصورة في أكذوبة"بلتداون" أو في افتعال الفراش الأبيض في انجلترا أو في الحلقة المفقودة، أو في أجنة هيكل بل إن الداروينية كلها أكذوبة، وممن نقضها بإيجاز شديد "هارون يحيى" التركي، وله كتاب بالانجليزية لا أدري هل ترجموه إلى العربية، كما كتب في نقدها كثيرون منهم محمد علي يوسف، وقيس القرطاس، ومحمد أحمد با شميل.

ومما يثبت بطلان الدراوينية علميا أن "تشارلز داروين" مات في (ق ١٩) قبل اكتشاف الشفرة الوراثية التي بشّر بها الرئيس "بيل كلنتون" وقال إنها أعظم اكتشاف بشري، وذلك اواخر (ق٢٠) وقال إن العلماء سوف تنتهي بحوثهم في أوائل القرن القادم، أي في القرن الحادي والعشرين.

على أن مجرد وجود ما يسمى (الداروينية الجديدة) يدل على أن النظرية غير ثابتة، بل هي متحيرة، فماذا سوف يسمونها في (ق ٢١) وبعده؟

وكانت معلومات داروين الجيولوجية ضئيلة، فلم يكن يعلم عن عصر ما قبل الكامبري، ومعلوماته عن العصر الكامبري نفسه قليلة مشوشة، وربما جاء العلم القادم بما ليس في الحسبان، ولا نعلمه اليوم.

ومات داروين قبل اكتشاف الصِّبغيات (الكوروموزمات) والمورِّثات (الجينات)، فضلا عن تغير الخلية والبروتين.

ثم ظهر بعده ما يسمى الداروينية الجديدة كما تقدم، ولما كثرت الضربات على الداروينية وتوالت عليها الطعنات من كل جانب وسدد عليها مناوؤها سهامهم، اختفت صور داروين من العملة البريطانية، ووضعوا مكانها صورة إحدى الكاتبات، و لم يبق مؤمنا بهذه الخرافة إلا المقلدون بلا عقل ولا علم.

وإنما لجأ الملحدون إلى هذه الفرضية التي لم تثبت علميا لأنه لا بديل عنها إلا الإيمان بالخلق المستقل كما وصفته لهم التوراة في سفر التكوين أو الخليقة، وفيه خرافات من صنع البشر كعادة اليهود والنصارى، منها قولهم إن الله تعالى كذب على الإنسان حين قال لأبويه إذا أكلتما من الشجرة فسوف تموتان موتا، ومنها أنه تعالى لم يعلم أنهما أكلا من الشجرة حتى تعرَّيا.

ومنها أن الله تعالى إنما نهاهما عن ذلك حتى لا يكونا عارفين الخير والشر مثله.

ومنها أن الشجرة التي نهى الله عنها هي شجرة معرفة الخير والشر.

ومنها قول شراحهم ومفسريهم إن تلك الشجرة التي أكلا منها هي شجرة التوت أو التفاح، وأمثال ذلك مما لم يرد فيه وحي.

ومنها أن التوراة لا تذكر إبليس الرجيم، وإنما تقول إن الحية هي التي أغرت حواء وآدم.

ومنها أن الله تعالى عاقب الحية بأن تأكل من الطين، الأمر الذي ينفيه العلم اليوم.

وهكذا فرّ ملاحدة الغرب من خرافة إلى خرافة أخرى، وساعد على ذلك الطغيان الذي مارسته الكنيسة عليهم، وألزمتهم بمقتضاه أن يسلِّموا بأن ما في التوراة وحي من الله، وأنه كلمة الله التي لم تتغير قط.

وكذا إلزامهم بعقيدة الخطيئة الأصلية التي فعلها آدم وورثها ذريته، حتى جاء المسيح وكفّر الله عن خطايا البشر بصلب ابنه الوحيد، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

ومن أكبر خرافات التوراة أن كاتبها قال عن الله "نخلق إنسانا مثلنا"، والله تعالى ليس كمثله شيء ولا ند له ولا شبيه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١].

بل كل ما خطر على بالك فالله بخلاف ذلك، وأنى لهذا العاجز المسكين أن يحيط بعالَم الغيب، فكيف يحيطون بالله علما، نعم يرونه يوم القيامة بقدرته تعالى، ولكن أبصارهم لا تدركه.

وهكذا وجد الإنسان نفسه حائرا مضطربا بين نوعين من الباطل، فإما أن يختار أساطير الكنيسة وخرافات التوراة، وإما أن يختار فرضيات تخرصية يسمونها علمية، وهي لم تثبت حتى عند أصحابها أنفسهم.

فلما كفر أكثر الغربيين بفكرة الخطيئة والتكفير والصلب ألحدوا أو اعتنقوا الداروينية، إذ لا يعلمون لها بديلا إلا ما في التوراة الذي فروا منه، وكيف يؤمن الغربيون بالخرافة التي تقول إن الله ضد المعرفة الإنسانية، وعلمهم إنما قام على هذه المعرفة؟

ولذلك أصبحوا أمام طريقين: إما البقاء على الجهل والإيمان بكلام الكنيسة، وإما الكفر بها واختيار العلم لا الدين.

وليس في القرآن والسنة ولله الحمد شيء من هذه الخرافات التي تتمسح بالدين ولا الأخرى التي تتمسح بالعلم.

وليس في كتاب الله تجهيل للإنسان، بل فيه الأمر بالنظر والبحث والعلم، وفيه تفضيل المعلَّم ولو كان كلبا، فكيف بالإنسان الذي أمره ربه أن يتفكر ويعقل ويؤمن بالله لا عن مجرد تقليد، بل عن يقين وبصيرة، وأن يكفر بالخرافة وأن يؤمن بأن التوراة والإنجيل دخلهما التحريف، وجعل سبحانه

فوارق عميقة بين الإنسان والحيوان، كالتخيّل واللغة والتفكير، وجعل للإنسان حضارة لا يعرفها أذكى خلق الله من الحيوان.

وكرم بني آدم وفضلهم وسخر لهم ما في السماوات والأرض جميعا منه، فليس في القرآن شيء من خرافات التوراة، ولا من خرافات الداروينيين.

وليس العلم البشري قاصرا عن معرفة كيف خلق الله الإنسان فقط، بل هو قاصر عن تفسير كثير مما يراه الإنسان أو يحس به، فهو قاصر عن معرفة نفس الإنسان التي بين جنبيه، وهو قاصر عن معرفة حقيقة الثقوب السوداء، وحقيقة الضوء وحقيقة حركة النجوم، وحقيقة الذرَّة، ومعرفة بعض الفيتامينات، وعن تفسير بعض الأحلام، وعن حواس الإنسان غير الخمس، وعن تفسير الأطباق الطائرة، وعن تعليل اختفاء الطائرات والسفن في بعض الأماكن، كمثلث برمودا، وعن أسرار التحنيط التي عرفها قدامى المصريين، وعن معرفة الجن وأوصافهم، وعن معرفة كثير من أسرار المخلوقات وكيف يشفي الله المريض ببعض أنواع العقاقير الطبيعية.

وألف الدكتور "أليكسس كارل" "الإنسان ذلك المجهول"، وألف الفلكي الشهير "جيمس جينز" "الكون الغامض".

والعلم البشري يعترف بعجزه عن تفسير كثير من الظواهر المشاهدة، وإن حاول تفسيرها جاء كل باحث بتفسير مختلف حسب ثقافته وبيئته وتربيته، وقد سبق قول أحد علماء الأحياء الأمريكان المعارضين لنظرية "داروين" إنه استطلع آراء ١٥٠ عالما من علماء الأحياء فكانت النتيجة ١٥٠ رأيا، فأيها هو الصادق؟

والإنسان يجهل السماء الدنيا بل أقرب شيء منها إليه وهو المجموعة الشمسية، فقد أطلقت وكالة "ناسا" الفضائية الأمريكية مسبارا فضائيا لاكتشاف "بلوتو"، فاستمر مسبارهم عشر سنوات لكي يصل إلى جاذبية بلوتو وكم فلكي مات والمسبار في الطريق، أما اكتشاف المريخ بالمسبار فقد استغرق ضعف ذلك.

وقد كان جيل من الفلكيين لا يعلم وجود بلوتو بل افترضه وقدّره ثم جاء جيل رآه بالمناظير والمراصد، ثم حاولوا معرفة تكوينه بإرسال مسبار إليه.

هذا في حدود المجموعة الشمسية فكيف بمجرة التبانة، فكيف بمليارات المجرات كما يقولون، وهذا كله إنما هو في السماء الدنيا التي يعود العلم البشري منها خاسئا وهو حسير، فكيف بمعراجه ﷺ فوق السماوات السبع ورؤية سدرة المنتهى، وسماع صرير الأقلام؟ ثم عودته في الليلة نفسها؟

ونحن هنا نسوق بعض الملاحظات العلمية وندع التعمق والزيادة للمختصين:

١- لم يوجد حتى الآن في أي مكان من العالم ما يسمى الحلقة المفقودة، فكيف يؤمن العاقل بما لا وجود له؟

٢- تعتمد الداروينية على السجل الأحفوري، وهو سجل ناقص تتناقض الآراء في تقدير أزمان ما فيه، ولم يعثروا على جثة كاملة تعود للعصور السحيقة المفترضة، وإنما عثروا إن صح قولهم على عظام بعضها للكفين وبعضها للساق، وبعضها للجمجمة، بل ما يسمونه إنسان بكين أو إنسان الصين لم يعثروا منه إلا على ضرس واحد، ومع ذلك نسجوا حوله كثيرا من الآراء والتخرصات والظنون، فافترضوا شكل الجمجمة وشكل القامة، وكيف كان يعيش وماذا كان يأكل وكيف كانت أسرته وقبيلته، وأمثال ذلك من التخرصات التي هي أهواء وآراء قابلة للخطأ والصواب، وافتراضات خيالية يرسمها كل باحث كما يشاء، لا سيما صور أسرته وقبيلته.

فالسجل الأحفوري ليس ناقصا فحسب، بل هو احتمالي ظني لا يقين فيه، والمسلمون عثروا على عدة أضراس دون ضجة كما تقدم.

وكثير من الحيوانات التي يُفترض أنها أصل قديم للإنسان قد انقرض، ولا وجود لها اليوم، كالديناصور الذي يقولون إنه أصل الطيور، والبيسون الذي يفترضون أنه عاش في العالم الجديد، والماموث وأمثال ذلك.

٣- أن العصور الجيولوجية وما في داخل كل عصر من تقسيمات قد طال بعدها عنا ويصعب معرفة ذلك حتى بالكربون المشع، وهي بمليارات أو ملايين السنين، وتختلف حولها التقديرات اختلافا كبيرا.

٤- كثرة الأكاذيب المتعمدة للداروينيين، ففي كل عصر تكتشف لهم أكاذيب جديدة، فما وجدوه في بلدة "بلتداون" الانجليزية، اكتشفوا أنه مصنوع مفبرك قام باحثان داروينيان بصنعه وسحله بأيديهم، كما اكتشفوا أن البق أو الفراش الانجليزي ما هو إلا تخمين، كما عرف علماء الأجنة اليوم، أن أجنة "هيكل" كانت خداعا منه، وأن اعتماد داروين الذي لم يكن عالم أجنة قط، على أجنة هيكل إنما هو اعتماد على التمويه والافتعال، ولم يعد أحد يجرؤ اليوم كما قال "كريسي موريسون" أن يقول كما قال "هيكل" (لو أعطيت وقتا ومواد كيماوية لصنعت إنسانا)، وقد تحداهم الله تعالى أن يخلقوا حبة أو شعيرة، وغاية ما يفعلونه هو الاستنساخ عن خلق الله، أو تعديله وراثيا، وقل مثل ذلك عما يسمى عصافير داروين، بل إن داروين نفسه يقول إن بين الإنسان والقرد الأعلى حلقة مفقودة، ولم يعثر أحد على هذه الحلقة حتى الآن كما تقدم، مع أنها متأخرة جدا، فكيف يعثرون على القديم دون العثور على الجديد؟

٥- تكذّب بحوث علم الأحياء الإيمان بالأصل المشترك للقردة والإنسان، وبأن الإنسان خلق سدى، وأن تطوره لا خيار له فيه، وكيف يكون هناك أصل مشترك حتى بين الحيوان نفسه لا سيما إذا كانا مختلفين ولا يمكن أن يعيش أحدهما مستغنيا عن الآخر، كالطيور التي تتغذى على ما بين أسنان التماسيح.

وكذب داروين حين قال: الطبيعة تخبط خبط عشواء، وافترض الداروينيون أنه لا غاية للوجود الإنساني ولا هدف له، بل قال "جوليان هكسلي" (لو أن التطور أصاب الدودة أو الفأر أو أي شيء لكان هو الأرقى!).

وإنما يتمسك الملحدون بأوهن من بيت العنكبوت، وبأي ذريعة تجعلهم يهربون من أن الله هو الخالق، وأنه خلق الإنسان في أحسن تقويم، إذ أن الله تعالى عند الغربيين هو من جاء ذكره في كتابهم المقدس!.

٦- أن هذه اللوثة قديمة، وإنما اتسعت وكبرت في العصر الحديث، وحاولت أن تتخلص من مآزقها الكثيرة بادعاء العلم الذي يدعيه أو يؤمن به كثير من الناس قياسا على منجزاته المادية، وإلا فإن الناس يعرفون آفة الإلحاد منذ القدم.

فقد عرف المتكلمون آفة "إنكار الصانع" أو إنكار "القديم" وما يسميه الملاحدة "وهم الإله".

وعرف اليونانيون قبلهم مشكلة إنكار الحقائق التي سماها أرسطو (سوفسطيا)، وكان من زعمائها "بروتاجوراس"، وللرد على السفسطة كانت المُثل الأفلاطونية أو الكليات الطبيعية وكذا الاستدلال العقلي الاستنباطي كما ذهب إليه أرسطو.

وقد مر بإحدى العجائز في الري موكبٌ ضخم للفخر الرازي صاحب "المباحث المشرقية"، فقالت العجوز لمن هذا الموكب؟ فقيل لها: هذا موكب ابن الخطيب "فخر الدين الرازي" الذي جاء بألف دليل على وجود الله، فقالت العجوز: لو لم يكن لديه ألف شك لما جاء بألف دليل، سبحانه ومتى غاب حتى يستدل عليه؟!

وهكذا عدلت هذه العجوز عن الأدلة الاستنباطية التي افترضها أرسطو والمناطقة وتوما الإكويني وراهن على صحتها باسكال، إلى الأدلة الفطرية البدهية، كما قال المتنبي:

وليس يصح في الأذهان شيء ** إذا احتاج النهار إلى دليل

٧- أن الداروينيين يفترضون انفجارا في العصر الكامبري يشبه الانفجار العظيم الذي يقول به الباحثون في نشأة الكون في نظريتهم المشهورة "الانفجار العظيم"، فكما أن المادة الأولى في عالم الوجود انفجرت

ثم تمددت حتى نشأ الكون، حدث انفجار مماثل محتمل في الأحياء انتقلت به المخلوقات طفرة إلى الأصل المشترك المفترض من خلال ما يسمى "الانتخاب الطبيعي"، وكلا الانفجارين ظني، وربما أثبت العلم البشري نفسه بطلانه، قال تعالى: ﴿مَّآ أَشۡهَدتُّهُمۡ خَلۡقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَا خَلۡقَ أَنفُسِهِمۡ﴾ [الكهف:٥١].

ولو صح وجود هذا الانفجار لكان المستفاد منه هو الرد على من زعم أن الكون جاء صدفة، وأن الإنسان خلق بطريق المصادفة كما يزعمون، أي أنه كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "لا يستفاد من كلام المعتزلة إلا الرد على الفلاسفة"، علما بأن داروين نفسه كانت معلوماته عن العصر الكامبري ضئيلة كما سبق، ولم يكن يعلم شيئا عما سبق الكامبري من العصور التي يتحدثون عنها اليوم.

٨- أن كثرة المآزق التي واجهت الداروينية قديما وحديثا، وكثرة الفضائح التي ارتكبها الداروينيون، وكثرة هجوم علماء الأحياء عليها، جعلت الداروينين يعترفون أن الداروينية تضع الإنسان في مرتبة قريبة جدًا مما وضعه فيها "الدين"، وهذا الكلام صرح به "ألفرد لابلاس" صديق داروين الحميم، كما صرح به "جوليان هكسلي"، من الداروينيين الجدد، والدين المقصود طبعا هو دينهم، أما الإسلام فلم يعرفوه وربما لو عرفوه لقالوا إنه هو الحق.

٩- أن البحوث العلمية والوراثية أثبتت عكس ما يقوله هؤلاء، فقد قال علماء النباتات إن أصل البرتقال في العالم كله برتقالة واحدة، فلم لا يكون أصل الجنس البشري كله إنسانا واحدا، وهل كان داروين يعرف شيئا عن الحمض النووي "دي إن إيه".

١٠- إنما انزلق الداروينيون من مترلق التشابه الظاهري بين القرد الأعلى والإنسان، وليس التشابه الظاهري دليلا علميا، إذ كذبته البحوث البيولوجية، وكان فيه من الثغرات ما تقدم بعضه، كما أن النظرة الظاهرية لا يصح الاستدلال بها، وإلا فإن الإنسان يرى بأم عينه أن الأشجار تسير

بعكس سرعة سيارته أو مركبته، وقد أخبر الله تعالى أن ذا القرنين وجد الشمس تغرب في عين حمئة، فهكذا تبدو للناظر إليها، والفلكيون المعاصرون يقولون إن حركة الأرض ما هي إلا حركة ظاهرية، فالقائلون بنظرية التطور ما هم إلا كمن يزعم أن الطائرة تطورت عن العربة، وإنما الفرض العلمي الصحيح أن نقول إن كلا منهما صنعه الإنسان، فلا تطور ولا أصل مشترك، وإنما هو الله خلق الإنسان وخلق القرد.

١١- أن الداروينية في حقيقتها إنما هي فرع عن نظرية المصادفة، التي هي نظرية عبثية جبرية، فما الفرق علميا بين الحتميات التي تقاذفت الإنسان حتى ظهر، وبين كونه جاء صدفة، تلك النظرية التي يبطلها العقل وتبطلها الفطرة، كما يبطلها العلم الحديث جملة وتفصيلا، ومن أشهر من أبطلها "ألبرت آينشتاين" في النسبية الخاصة والنسبية العامة، وفي رسائله إلى أصدقائه ومعارفه وفي كل كتبه وبحوثه، وقال: "إن الله لا يلعب بالنرد"، أي ليس لديه احتمالات، بل خلق كل شيء بحكمة ولغاية، وهو ما يسمونه التصميم الذكي أو الموجَّه، وقد قال تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥]، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "أي وُجدوا من غير موجد أم هم أوجدوا أنفسهم"، وداروين نفسه لما سألوه أهو مؤمن بالله أم ملحد قال: "حسبي أن أكون لا أدريا في هذه المسألة"، ويقول بعض المؤرخين عن حياته: إنه آمن بعد وفاة ابنته، وعلى كل حال نحن في غنى عنه وعن إيمانه الذي لا يتعدى توحيد الربوبية، والله تعالى غني عن العالمين كلهم المؤمن منهم والكافر".

والمهم أن لا نترك كتاب ربنا وسنة بينا ﷺ لقول حائر متشكك لا يدري، وليس في هذا الوجود من يترك القطعي اليقيني لاحتمالات وظنون قد يثبت الزمن بطلانها.

١٢- أن الذي يجعل بعض الغربيين يعتقد الإلحاد أو اللاأدرية إنما هو تعصبه الشديد وتركه لقراءة القرآن، الذي ليس فيه ولله الحمد خرافة مطلقا،

بل كله نور وهدى، وقد بلغ بهم التعصب للداروينية حدا لا يكاد العقل يصدقه، حيث وضعوا إنسانا في حديقة الحيوان، ولما طلب بعض الناس من شركة أمريكية عددا من القرود، أكلموا الناقص أو النافق من القردة بالبشر من غير البيض، وباعوها جملة واحدة.

١٣- أن غاية هذه النظرية لو صحت أن الله تعالى خلق الإنسان بهذه الطريقة! فماذا في ذلك لو ثبت؟ أليس الله هو الذي يخلق ما يشاء ويختار؟

١٤- لو نجحت الداروينية في تفسير حدوث الطفرات في بعض المخلوقات أو تعرضها للانتخاب الطبيعي مع بقاء الأنسب فإنها تخفق حتما في تعميم ذلك على كل المخلوقات لا سيما الإنسان.

والتطوريون فرضوا إرهابا فكريًا منقطع النظير، على أي إيمان بغير الداروينية، حتى منعوا مجلة "الطبيعة" في أمريكا من نشر أي مقال ضدها، كما أرغموا مجلة "الجغرافيا الوطنية" على التراجع عن تراجعها عن علمية الداروينية، وهذه المجلة الآن لها فرع في دبي بعد أن كانت تعتمد على ما تنشره لها قناة الجزيرة القطرية.

واستجاب لهذه الضغوط "بيل كلينتون" وزوجته "هيلاري كلينتون"، وشنّا حملة كبيرة لإثبات أنهما تطوريان وليسا من الأصوليين، وبذلك ثبت للأمريكان أنهما ديمقراطيان حقا وليسا جمهوريين.

ومن الإرهاب الذي مارسوه فجاءوا بمثلما فعلت الكنيسة الكاثوليكية أو أشد، أنهم حظروا تدريس أي نظرية غير نظرية التطور في الجامعات، وأصبح من ينقد الداروينية لا بد أن يكون متحليا بقدر من الشجاعة والمغامرة.

كيف خلق الله الإنسان:

ابتدأ الله خلْق الإنسان من طين، وجعل طول آدم ستين ذراعا، ثم ما زال الخلق ينقص كما صح في السنة، وهذا يكذب قول بعض الباحثين إن الخلْق يزيد، ويستدلون على هذا بأنهم عثروا على جثة أقصر من الإنسان المعاصر، وقدّروا تاريخها باثني عشر ألف سنة، ونحن نرد عليهم بأن نقصان الخلق صريح عن الصادق المصدوق ﷺ، وأنه لو صح عثورهم على جثة كما زعموا لقلنا بأن الإنسان قد يعتريه النقصان في بيئة معينة، وقد يمر بمراحل يطول فيها أو يقصر، ولا تؤثر على الأصل العام، وهو النقص كما نرى اليوم، فالله تعالى في القرآن ذكر زيادة قوم عاد بسطة في الجسم عن قوم نوح، أو على أهل زمنهم، وذكر الحافظ ابن كثير ما يدل على أن الطول والقصر نسبي، واستدل بأن الله تعالى زاد طالوت بسطة في العلم والجسم بالنسبة لبني إسرائيل، وزاد عادا بسطة في الجسم على أهل زمانهم والله أعلم.

ومما هو مستقر في عرف الناس، أن الأولين كانوا أضخم جثة من المتأخرين، والله تعالى شبه قوم عاد بأعجاز النخل الخاوية، وقد اضطرت إدارة العلاقات بأرامكو إلى نفي ما ورد في أحد أفلام الخيال العلمي عن عثورها على جثة عملاقة لرجل من عاد.

والقبور العملاقة الموجودة اليوم والتي رأيت بعضها بنفسي في بلاد زهران وغامد، ورأيت صور بعضها الآخر في ألمانيا تؤكد أن الخلق ينقص، وهو صلوات الله وسلامه عليه لا ينطق عن الهوى.

وبعد أن كان آدم عليه السلام كالنخلة السحوق أصبح حالنا على ما نرى.

وقد يستدل على ذلك بأن أعمار البشر كانت أطول منها الآن، فقد كان عمر آدم ألف سنة كما في السّنة، ونوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما كما هو في القرآن.

وهذا فيه حكمة لله تعالى إذ أن الناس كانوا قليلين فأطال الله أعمارهم والله أعلم.

وفي بعض الآثار أن رجلا ممن كان قبلنا مر بامرأة تبكي عند قبر ابنها فقال لها: يا أمة الله اصبري واحتسبي، فقالت: كيف لا أبكي وابني هذا مات شابا عمره ستمائة سنة فقط! فضحك الرجل، فقالت: أتسخر مني يا عبد الله، وأنا في مثل هذه الحال؟ فقال: لم أضحك منك، وإنما ضحكت لأن قوما بعدنا إذا مات أحدهم وعمره ستون سنة لم يقولوا مات شابا!

وقال أحمد بن أبي الحواري لشيخه أبي سليمان الداراني: إني لأغبط من كان قبلنا، كان أحدهم يعبد الله ستمائة سنة أو ثمانمائة ورد عليه شيخه.

وطول العمر ممكن عقلاً، لكن الله تعالى عوّضنا بأن منّ على هذه الأمة بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، والمخلوق الواحد منا قد يمر عليه ليالي قدر كثيرة.

والله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وميّزه بمزايا ليست في غيره، منها اللغة حيث علّم آدم الأسماء كلها ليبيّن للملائكة حكمته في خلقه، ومنها العقل، إذ يعترف البيولوجيون اليوم أن للبشر جمجمة تختلف عن أي كائن آخر، وهم يؤمنون بالمخ أو الدماغ، ولكن كيف يعقل الإنسان وبم يعقل: لا يدركونه.

وقد بين الله أنه خلق الإنسان من ماء مهين في ظلمات ثلاث، وأنه خلق النطفة ثم جعلها علقة ثم جعل العلقة مضغة، ثم خلق المضغة عظاما، ثم كسى العظام لحما.

وقد جاء في الحديث تحديد بقاء النطفة بالضبط وهو اثنتان وأربعون ليلة أي ستة أسابيع.

وكان أهل اليمن -لا ادري أي قبيلة هي- أرقى فكرا من الأمريكيين والغربيين اليوم، فقد ورد في حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنهم جاءوا

يسألون النبي ﷺ عن أول هذا الأمر كيف كان، قال ابن تيمية ثم ابن أبي العز إنهم جاءوا يسألونه عن أول هذا الكون.

كما ميزه الله بالتصور "التخيل"، وميزه بالتفكر والحياة المتطورة، فترى سائر المخلوقات مهما بلغ بها الذكاء تعيش كما كان يعيش سابقوها، فجحر الثعلب مثلا لم يطرأ عليه أي تغيّر، أما الإنسان فإنه ينتقل من سكنى الكهف أو الكوخ إلى أن يسكن أفخم القصور، وميزه بالعلم الذي يمكن بواسطته الإبداع والتأليف، وأكثر الجماعات البشرية انحطاطا في نظرهم كما في الجزر المعزولة أو المجاهل الاستوائية أرقى من أي كائن حي آخر.

والله تعالى هو الذي أعطى لكل عضو في الإنسان وظيفته، وجعل له أعضاء تعمل بطريقة لا إرادية تكفل الله بها من رحمته وفضله، فليس هضم الطعام ولا فرزه ولا تسيير الدم من شأن الإنسان، والإنسان قد تؤلمه قدمه فيبلع حبوبا تذهب إلى معدته، ثم لا يدري كيف تذهب إلى قدمه.

وليس في جسمه قط أي عضو لا معنى له ولا حكمة، بل كثيرا ما كانت الحكمة مجهولة ولله وحده العليم الحكيم.

وقد ذكروا في التاريخ أن رجلا انجليزيا زعم أن شعر الحاجبين ليس له ضرورة، فحلق حاجبه فسخر منه الناس، ثم إنه لما عرق نزل العرق من جبهته على عينيه، فكيف القلب والرئة والكبد والجهاز الهضمي والجهاز اللمفاوي، والجهاز البولي وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات:٢١].

ولهذه العجائب والآيات الخلقية أثبتت استبانات أجراها معهد "كارنيجي" في أمريكا أن أكثر علماء الأحياء مؤمنون ورأى بعض الدعاة السير (جيمس جيتر) ذاهبا إلى الكنيسة للصلاة فعجب من ذلك، وكلمه كلاما طويلا، ولما قرأ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر:٢٨] قال له السير: انقل عني أن هذا القول حق، وأنه وحي من الله.

وقال "باستور": "قليل من العلم يبعدك عن الله وكثير منه يقربك إليه".

وقال ابن القيم: "إنما أهلك الناسَ نصفُ طبيب ونصف فقيه"!

وإذا أردت معرفة خلق الإنسان فانظر كيف زود الله ما هو أقل منه شأنا بأعاجيب قد لا يعلمها الإنسان نفسه.

فلبعض الحيوان قدرات كثيرة، وللطير وغيره لغة يتفاهم بها، وللبعوضة قلوب كثيرة كما يقولون.

غير أن للإنسان ميزات وخصائص كثيرة، منها ما تقدم، ومنها أن الواحد منه يعدل ألفا من جنسه، وليس ذلك لغير الإنسان كما جاء في الحديث، أي أن الأسد يشبه الأسد، والعصفور يشبه العصفور، ومنها أن الإنسان يستطيع أن يأكل الخضروات مثل آكلة الأعشاب، أو يأكل اللحوم مثل آكلة اللحوم.

ومما يتميز به الإنسان أن الله جعل له ساعة بيولوجية كما يقولون توقظه متى شاء، وقد كان النبي ﷺ وأصحابه والسلف يستيقظون للصلاة أو السحور بلا منبه.

٦- الجيولوجيا

وفي "الجيولوجيا" أو "علم الأرض": بحث المسلمون أهم ما فيه وهو الفائدة التي يجنيها الإنسان منه مثل موسم سقوط الأمطار، وأين يكثر نزولها ومجاري الأنهار ومصباتها؟!.

والجيولوجيون اليوم، يتوقعون عودة العصر الجليدي الذي كان قبل ١٠ آلاف سنة كما يقدرون، وبعضهم يقدره بأحد عشر ألفا وخمسمائة سنة، وكل ذلك تقدير وتخمين.

ويقولون: إنه إذا عاد سوف تصبح المناطق الصحراوية خصبة ذات أنهار، بينما تصبح أوروبا وأمريكا متجمدة، أو على الأقل مغطاة بالثلوج، واليوم تمتنع الطائرات في أمريكا عن الطيران إذا غطت الثلوج المطارات، فكيف إذا جاء ذلك العصر كما يقولون؟.

ولعل هذا إن صح، هو ما أخبر به النبي ﷺ من عودة جزيرة العرب مروجا وأنهارا، وأخبر به ﷺ معاذ بن جبل في غزوة تبوك، وقد تتبعتُ منبع نهر "بوا" في بلاد بني مالك كما رأيت نهر" تربة" ونهر "عليب" ولا يبعد أن يعود "وادي الرمة" نهرا ثالثا كدجلة والفرات، وما أقل علمنا وما أعظم علم الله تعالى.

ويقول علماء الأرض، إن ظاهرة "النينو" أو"النونو" سوف يكون لها تأثير ملحوظ، ويعلم العرب خاصة أن "النونو" كلمة عربية أندلسية تعني الطفل، وهي لا تزال مستعملة حتى اليوم في الغرب، انتقلت إليه من البرتغالية أو الأسبانية، ويقولون إن "النونو" يأتي كل سبع سنوات، فإن صح ذلك فتعبير يوسف عليه السلام سبقهم إليه، والقانون في ذلك مطرد والله أعلم.

ويقولون إن سبب الزلزال؛ هو اصطدام الصفائح الأرضية بعضها ببعض، وهذا قد يفسر كيفية وقوعها، ولكن لا يفسر لماذا تقع؟ ولماذا تخرج الأفاعي من جحورها كما يخرج كثير من الحيوان أو تحاول الهرب قبل الزلزال؟.

ومما لا شك فيه اليوم، أن الإنسان لا يسمع إلا في حدود موجات معينة، والأولون تكلموا في سماع الحيوان، وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الخيل التي تُسهِل عند الذهاب بها عند قبور الرافضة والعبيديين وأمثالهم، إنما يأخذها الإسهال لما تسمع من عذاب القبر، وقد قال النبي ﷺ: (لولا ألا تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع)، وقد ورد في سبب هذا الحديث، أن البغال نفرت عند قبر أحد المشركين، والسؤال الذي ربما يكون أهم الأسئلة، هو: لماذا تقع الزلازل غالبا في أيام الأعياد أو المهرجانات والمواسم! كما يقررون هم، وهذه هي مباءات الفسق والفجور؟.

ولماذا يكثر وقوعها في المناطق التي يستخرج منها النفط مثلا؟، لا سيما إذا لم يوضع مكانه ماء؟، وكيف ندفع الزلازل نحن البشر؟ ولماذا تهتز بنا السرر إذا كنا في غرب أمريكا مثلا؟ ويتوقع الخبراء ذهاب ثلث أمريكا في المحيط الهادي، وبعضهم يتوقع أن أمريكا كلها سوف تدّمر، ويقدرون ذلك قريبا والله أعلم.

ولماذا تصيب الزلازل مدينة "سان فرانسيسكو" مدينة قوم لوط، وتدع مدنا مجاورة لها مع أن الصفيحة واحدة؟.

وأمريكا المُظلمة أهي اعتبرت بذلك أم أباحت زواج الرجل بالرجل عياذا بالله؟.

وما أثر السدود فيما يسمى الانهيارات الأرضية، والأولى أن تسمى خسوفات أرضية؟ وأسئلة كثيرة لا جواب لها عندهم إلا بالإقرار بالغيب، وقد يفسر الغربيون كيفية وقوع الزلازل وحدوث الخسوف، لكنهم يحارون في أسبابها وفي الوقاية منها، ولا يوجد الجواب الكامل إلا عند المسلمين وحدهم، وهل يعرف الغرب أثر الذنوب أو التوبة والاستغفار والصدقة والعتق؟.

ونحن نؤمن أن من علامات الساعة، خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، ولا شك في ذلك عندنا.

وهل يعرف الغرب القنوت عند النوازل التي تقع لبني الإنسان؟.

وكيف يعرفه وهو لا يؤمن بالله أصلاً، والأمر عنده مجرد ظواهر طبيعية متقلبة، ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

والزلازل تقع كثيرًا، وقد حدثنا المؤرخون عن وقوعها في بلاد الشام والعراق وفي مصر، بل في مكة وجزيرة العرب، ثم وقع ذلك حديثا وتحدث عنه الباحثون المعاصرون، فيجب على المسلمين التوبة والاستغفار وترك المعاصي والذنوب، لا سيما الربا والزنا والفواحش والتبرج، كما يجب إحياء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن نعلم أنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

وقد وقعت في أيامنا هذه هزات بمكة، لكن الإمارة قالت إنها من بقايا ألغام شركة بن لادن في الجبال، مع أننا لم نشعر بشيء حينما كانت الشركة تعمل وتفجِّر.

ومما هو مهدد بالزلازل مدينة جدة التي تقع في منطقة زلزالية معروفة.

فالواجب هو ما أرشد إليه النبي ﷺ، وهو التوبة والصدقة والدعاء والإنابة إلى الله.

وجاء في سيرة عمر بن الخطاب ؓ أن المدينة أصابتها رجفة في عهده فقال: "إن رجفت مرة أخرى لم أساكنكم فيها"، أي: هربا من الذنوب! هذا في عهد عمر ؓ فكيف بعهدنا هذا؟.

والعلم البشري لا حجر عليه أن يقسم الأحقاب أو العصور بمقتضى العلم والملاحظة والتجربة، ونص فقهاؤنا على أنه لا مشاحة في الاصطلاح، كما لا حجر على أحد أن يبحث في تاريخ أي علم، إنما الشرط الصحيح أن يكون مؤمنا متقيا ويسخر علمه للحق لا للباطل، ويقول إن هذا ما أظن ولا يجزم به.

وليست المشكلة هي معرفة متى وقع الزلزال مثلاً، أو كيف سيقع، إنما الإشكال في أسباب التخلص من العقوبة التي لا بد من وقوعها، وكيف ندفع القدر بالقدر ونجعل الدعاء والقضاء يعتلجان.

وعلماؤنا يفسرون نشأة البحر الميت بما وقع من عقوبة لقوم لوط والله تعالى أعلم، ويذكر ابن كثير أن الله تعالى جعل مكان قرى قوم لوط "بحيرة منتنة" ولا يذكرون -أي علماؤنا- فيما أعلم الأخدود العظيم الذي يذكر الجيولوجيون ويقولون أنه كان حسب تقديرهم قبل ٢٠٠ مليون سنة والله أعلم، وأنه سبب المنخفض الذي فيه البحر الميت وهو أخفض منطقة في العالم.

وهم في الغرب يسمون قوم لوط "المثليين" أو "الصدوميين" وربما قيل: "السدوميين" أخذا من إخبار التوراة: أن قرى قوم لوط هي سدوم وعمورة، ونحن لا يهمنا أسماء القرى، وإنما نقول إن هذه الفاحشة الشنيعة الشاذة، التي يتظاهرون لها في أمريكا وتقرها بعض الكنائس والمحكمة العليا في أمريكا ومؤتمرات الأمم المتحدة -السكانية-، قد بين الكتاب والسنة تحريمها وعقوبة مرتكبها! ولا يوجد بين المسلمين من يفخر بها ولله الحمد، فمجتمعاتنا الإسلامية أرقى منهم؛ وقد نشر بعض الناس هنا أن بعض العلمانيين من أمثال عبدالرحمن الراشد تزوج رجلا، فإذا صح ذلك فسوف يرقّون هذا الضال ويرفّعونه وربما عينوه وزيرا؛ إذ هو بالمعايير الأمريكية متقدم متحضر ..إلخ، وهو على كل حال غير إرهابي ولا متطرف!.

ويقول الجيولوجيون: إن الجزر التي بالمحيطات والبحار ما هي إلا قمم لجبال عظيمة فيها (أي أوتاد) لا نراها، أما الموقع الفريد للأرض فقد تحدث عنه كثير من العلماء الدنيويين الذين لا يؤمنون بالإسلام، وأذكر أني قرأت لـــ"كريسي موريسون" رئيس الجمعية العلمية بنيويورك آنذاك قوله: "إن الأرض لو ابتعدت قليلا لتجمدت ولو اقتربت قليلا لاحترقت"، فسبحان الذي اختار لها هذا الموقع وجعلها لنا قرارا وله الحمد والشكر على ذلك.

والله سبحانه وتعالى يذكر في كتابه أنه خلق السماوات والأرض في ستة أيام أي في أوقات متفاوتة، فما علاقة ذلك بالحقب أو العصور الجيولوجية؟ الله أعلم؟ ويذكر أنه خلق الأرض في يومين وأنها كانت غير

مدحوة ثم إنه تعالى دحاها فقال: ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ۝٣٠ أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾ [النازعات: ٣٠-٣١].

ويذكر جل شأنه -وهو أعلم بذلك- أن الجبال أوتاد تحفظ الأرض من أن تميد وتضطرب، والجيولوجيون المعاصرون يقرون بذلك ويقسمون الجبال إلى حديثة وقديمة وبركانية وغير ذلك، ويقولون اليوم إن الأرض سبع طبقات وأن أسفلها أشد حرارة، وإن كل كذا متر إلى الأسفل يزداد بمقدار كذا درجة في الحرارة، فهل هذه الطبقات هي معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]؟ وأما القول بأنه تعالى خلق سبع أرضين لكل أرض نوحها وهودها ..إلخ فهو غير ثابت بل مخالف للآيات والأحاديث الصحيحة التي ليس هذا مكان عرضها.

والجيولوجيون اليوم يقولون إن القارات كانت ملتصقة ثم تباعدت، ويقولون إن القارة الإفريقية تبتعد عن القارة الأسيوية بمعدل كذا سنتي متر كل سنة والله أعلم، فهل هذا الالتصاق هو "الرتق" المذكور في كتاب الله؟ لا نقول في كتاب الله بغير علم وإنما نقول إن سعيد بن جبير والحسن وقتادة ذكروا ذلك.

نعم هناك تطابق واضح بين غرب إفريقيا وشرق أمريكا الجنوبية، والذي نجزم به أن ما ذكره الله في كتابه هو الحق سواء صح ما يقوله المعاصرون أم لم يصح فهمناه أو جهلناه، بل نجزم أن ابن عباس رضي الله عنهما أعلم من هؤلاء المعاصرين، وكلامه في تفسير الطبري وفي "الدر المنثور" وغيرهما.

وابن عباس إنما تعلم ذلك من النبي ﷺ أو وفقه الله له ببركة دعاء النبي له، ومما يقوله ابن عباس وجمع من المفسرين أن أمم البحر أكثر من أمم البر، وهذا ما يقوله اليوم علماء الأحياء، وربما أيد ذلك ما رأيناه في الشعيبة وجدة.

والمهم لنا هو أننا مكلفون بالعمل وليس بمعرفة الكيفيات والماضي السحيق، وأن نعلم أن هذه الحضارة الغربية مهما تقدمت في بعض العلوم فهي متأخرة كثيرا في أهم العلوم والمعارف وهي معرفة الله تعالى والإيمان بالغيب، وكيف تدفع الكوارث، ثم معرفة أسباب تزكية النفس وصلاحها الذي هو أهم العلوم بعد توحيد الله.

وقد ينتقد بعض الباحثين الغربيين حضارهم -وما أكثر هؤلاء- غير أنهم يفشلون في وضع الحل الصحيح لمشكلاتها، وليس لديهم حل إلا الرجوع في نظرهم إلى العلم، أي أنه لا حل للمشكلة إلا المشكلة ذاتها، وعلمهم هذا تجرد عن الإيمان منذ قرون.

وكل أمة قبلهم ﴿فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ [غافر:٨٣]، ولم يغن عنهم ذلك شيئا، وتظن أن علمها هو الغاية والنهاية.

وإنما الحل الوحيد هو الإيمان بالله والرجوع إلى الوحي المعصوم ففيه السعادة والشفاء لهم ولنا، وغاية ما يعلمونه هو كما قال تعالى: ﴿ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧].

وإذا تهاوت النظريات الكونية وأبطلها العلم البشري المتأخر عنها فلابد من سقوط ما هو أوهى منها وهي النظريات الإنسانية، ولا يبقى أمام الليبراليين وأشياعهم إلا التمسك بالباطل المنقرض، أو التوبة والرجوع إلى المصدر الصافي الذي لا يأتيه الباطل مطلقًا وهو الوحي.

ومما يتعلق بالعصور الجيولوجية العصور المعرفية كعصر الكتابة وما قبلها.

ومما يدل على أن التقسيم الوضعي للعصور باطل أو فيه نظر، أن الكتابة بدأت كما يقولون: قبل خمسة آلاف سنة تقريبًا، أما المسلمون فيعتقدون أن الكتابة قديمة معروفة علَّمها الله تعالى من يشاء من خلقه.

فالله تعالى كتب في الذكر كل شيء قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، والنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج صعد حتى سمع صرير الأقلام.

وأنزل عليه ربه ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ [القلم:١] والظاهر أن الله تعالى علّم آدم الكتابة مع تعليمه الأسماء، وهو الذي علم الإنسان ما لم يعلم.

وقال بعض السلف إن أول من خط بالقلم إدريس عليه السلام، وكان ذلك قبل الطوفان، والكفار يسمون إدريس "هرمس" والله أعلم.

وعلى كل حال فالعصور احتمالية سواء أكانت العصور الجيولوجية أو العصور المعرفية، ومن أشهر الجيولوجيين المسلمين "القزويني" والمقصود أنهم بلغوا في ذلك شأواً بنى عليه الغربيون.

وفي الكيمياء: بنى الغرب على ما بحثه أو عمله خالد بن يزيد بن معاوية في القرن الأول وذكر الله في كتابه بناء ذي القرنين لردم السّد وهو يتطلب خبرة كيميائية فائقة، كما يعلم الباحثون.

كما عرف المسلمون التقطير والتكبيس والتبلور والتذويب، وبلغ من اعتداد المسلمين بمعرفتهم أنهم حاولوا تحويل المعادن الخسيسة إلى معادن نفيسة، وبذلك ضاعت جهود كثير منهم في العلم الذي سمي "السيمياء"، وصدق من قال: "من طلب المال بالسيمياء أفلس" وليت المسلمين تركوا ذلك، ولو تركوه لأبدعوا إبداعا عظيما، وليتهم تركوا الخوض في علم الغيب، وآمنوا بالوحي وخاضوا في علم الشهادة فقط.

ومما أحسبه من "السيمياء" الحجر الذي يسمونه "حجر الفلاسفة" ويدعي الجهلة أن له خواصًا ليست فيه، هذا إن وُجد.

ومن أشهر المسلمين الذين خلّصوا الكيمياء من السحر، العلامة المجريطي من علماء القرن الرابع الهجري، أي حين كان الغربيون يغطّون في عصورهم المظلمة.

وقد تتداخل بعض العلوم مع بعض، كما تتداخل الكيمياء والجيولوجيا، والهندسة والرياضيات، والفيزياء، والفلك، والرياضيات.

وعلى ذلك نكمل الحديث عن الزلازل والبراكين مع التركيز على الكيمياء.

وقد قال بعض العلماء المعاصرين: إن الحَرة في المدينة جاءت نتيجة انفجار نووي، وقالوا إن أرض المدينة يتوفر فيها اليورانيوم، والله أعلم.

ومن مناطق الزلازل المشهور في جزيرة العرب منطقة العيص، أما الطائف فإن بالقرب منها آثاراً بركانية وحفراً عميقة، وحدث صدع عميق في الظفير بالباحة، وقد أصابت الزلازل اليمن كما يعلم الجميع.

ولا غرابة في أن تقع الزلازل بوضع شبه يومي في العيص والقنفذة وفي جبال السروات عامة، فقد وقعت في مكة المشرفة، كما أن حي الجامعة في جدة هو مركز لزلزال قوي كما يقال، وقد يشمل ذلك جدة كلها، ولولا رحمة الله لوقع ما نحذر لا سيما مع كثرة ذنوبنا.

ولما أصابت الزلازل القاهرة خطب بعض الرؤساء المصريين نافيا أن تكون الذنوب والمعاصي هي السبب وقال فخامته: -فض الله فاه-: الزلازل تصيب الدول المتقدمة مثل اليابان وإيطاليا، أي الدول التي لم تذنب كما يرى، وكأن الذنب هو التأخر المادي، ونسي فخامته ما في هذه الدول من الكفر الذي هو أعظم الذنوب، وشبيه به ما قاله أحد المسؤولين هنا حين أغرقت السيول جدة إذ قال: الفيضانات تقع حتى في الدول المتقدمة، وقارَن ذلك بما يحدث في أمريكا مثلا، فانظر إلى هذه العبقرية الفذة! كيف لم تفرق بين إمهال الله الكافرين واستدراجه لهم وبين دعوة المسلمين إلى التوبة والاستغفار، وإذا كان صادقا موقنا بقوله: "أمطري حيث شئتِ" فلماذا يرسل الطائرات لكي تفرق السحب عن جدة؟

أما معرفة درجة الزلزال حسب مقياس فلان أو أنه سوف تعقبه توابع زلزالية فهذا علم بشري تجريبي قليل الفائدة عمليا.

كما يفسر الجيولوجيون كيفية نشوء البحار والخلجان في الأحقاب أو العصور الجيولوجية المختلفة ومنها عصر الكامبري مثلا، ويقولون إن البحر الأحمر والبحر الميت تكونا عن زلزال أظهر ما يسمونه الأخدود العظيم.

والمسلمون عرفوا تركيب الأدوية والعقاقير قبل الغرب، وهي -كما هو معلوم- تحتاج إلى خبرة كيميائية، كما تحدثوا عن تحول الخمر إلى خل أو تحول الميتة إلى ملح وأمثال ذلك من المباحث الكيميائية.

وقد قال لي أحد الأطباء إن عقاقيريًا غربيًا دُهش لما رأى النباتات والأشجار التي عندنا، وكان يقفز من السيارة ويقول عندكم كذا وعندكم كذا، ومن ذلك ما قد نحتقره نحن وليس له قيمة طبية عندنا مثل: "العُشُر، أو العرعر"، فالحمد لله على ما أعطانا.

وكان القدماء يظنون أن العناصر الكيميائية أربعة، وهكذا ظن الهنود واليونانيون لا سيما "أرسطو" وهي اليوم أكثر من ١٠٠ عنصر، وقد قابلت أحد الهندوس وسألته ما تعبد؟ فقال: التراب، وأراني ذلك عمليا بأن أخذ حفنة من التراب وقال أعبد هذا. فالحمد لله الذي هدانا للإسلام.

وهذا الهندوسي -مع انحطاطه- هو في نظري أرقى من الغربيين الذين يلحد بعضهم ويقول لا أعبد شيئا مطلقا ولا أؤمن بإله -تعالى الله عما يشركون-، وقد زعم الفيلسوف الأمريكي "ريتشارد روتي" أن الإنسان المعاصر لا يعبد شيئا، ولا أضل من هؤلاء الغربيين إلا من يقتدي بهم أو يعظمهم ممن يدعون الإسلام، فهو يفقأ عينه لكي يتبع العميان ويرمي الموز ويأكل القشر ويقول: "العبس كبير"!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكذلك المطر معروف عند السلف والخلف أن الله تعالى يخلقه من الهواء ومن البخار المتصاعد".

أما الفقهاء فقد انصرفوا إلى ما هو أجدى من الكلام عن مجرد التركيب الكيميائي، وهو الحديث عن المعادن وأنواعها بغرض معرفة نصابها وزكاتها، وكذلك الربا فيها، وتحدثوا عن الحكمة في كون الذهب والفضة أثمان

الأشياء، أي أنهم ضد أن يكون الورق هو الثمن، ومن ذلك تعويم الدولار الذي قال به القس الرئيس "كارتر"، ولا تزال أمريكا تتّبع ذلك إلى اليوم وتشتري أمريكا النفط وما تريد مقابل الورق.

وتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية مثلا عن المعادن التي سماها "سائلة" ومثل لها بالنفط والقار.

ومما هو معلوم حتى اليوم أن النفط في العراق يظهر في بعض الأماكن على سطح الأرض، وكان الأولون يستخدمونه في طلاء السفن وغير ذلك، ولسهولة استخراجه نجد خبراء النفط الأمريكيين يقولون إن استخراج البرميل من النفط العراقي لا يكلف إلا (٩٧) سنتًا، في حين أن البرميل من النفط الأمريكي يكلف عدة دولارات، ولما احتل بوش العراق طوق وزارة النفط فقط وذلك لا يمنع أنه جاء للعراق في سبيل إرضاء إسرائيل فالأهداف تتعدد.

وفي رده على الفلاسفة ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الله تعالى لم يخبر أنه خلق أي شيء من غير مادة قبله، أو أنه تعالى يعدم السماوات والأرض نهائيا ثم يعيدها كما يظن ابن سينا وأمثاله، وإنما أخبر أنه يغيرها ويبدلها أي كما في سورة إبراهيم، وكما جاء في الحديث، ونقل رحمه الله النصوص من التوراة والقرآن في ذاك، ومسألة المادة وهل هي لا تفنى ولا تستحدث من أهم ما يشتغل به الكيميائيون اليوم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: " ونحن لا نعرف شيئًا قط خلق إلا من مادة، ولا أخبر الله في كتابه بمخلوق إلا من مادة".

وقد ذكر "العقاد" أن دعاة المادية الأوائل في الغرب كان أحدهم يضرب بيده على الخشبة مثلا ويقول: "هذه هي المادة"، ولكن علماء الذرة اليوم يقولون إن ذلك مركّب من فراغات وكهيربات تدور حول النواة، وهكذا تتطور العلوم وتتغير وصدق الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فُصِّلَت:٥٣].

وسيد المخلوقات هو الإنسان، وقد أخبر الله تعالى أنه خلقه من التراب وأخبر تعالى أنه جعل من الماء كل شيء حي، وهذا ما يقوله العلم الحديث، ولو قال غير ذلك رددناه عليه ونأخذ بما في القرآن ولا نبالي.

والفلكيون اليوم يبحثون عن أي مكان فيه ماء لإثبات أن فيه حياة، ويقولون إن أكثر الكواكب شبها بالأرض ويحتمل وجود ماء عليه هو المريخ.

وكل كتب الفقه والكلام تتحدث عن خواص الأشياء مثل خواص السكنجبين، وخواص التمر، وخواص القسط، وخواص المرّ، وخواص المعادن، والأحجار الكريمة، وخواص الكسفر "الكزبرة" وخواص الليمون البلدي "بن زهير" وخواص اللحم "على اختلاف أنواع اللحوم"، وأمثال ذلك مما يبني عليه الكيميائيون بحوثهم، ويحددون أين تكون الفيتامينات أكثر، أهي في الجذع أم في الورق أم في الزهر مثلا؟.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية كلام قد يستغلق على كثير من الناس، وذلك في مسألة أن الناس لا يستطيعون أن يصنعوا ما هو كخلق الله وأنا أقرِّب ذلك بأمرين:

١- إما أن شيخ الإسلام كان يتكلم عن واقع عصره وهو غير مكلّف بما لا يعلم ولا بما سيأتي بعده.

٢- وإما أن كلام الشيخ عام وإن كان موضوعه إخفاق أهل الكيمياء في صناعة الذهب والفضة وكل المعادن النفيسة وإنتاجها من المعادن الخسيسة، ولهذا شواهد في عصرنا الحاضر أذكر منها:

أ- لا يزال العلم الحديث مع تطوره في التقنية عاجزًا عن إيجاد ذهب صناعي له نفس خصائص الذهب الحقيقي.

ب- يستطيع البشر أن يغيِّروا في الحبوب التي خلقها الله في التلاعب في الجينات لكنهم لا ينتجون حبوبًا.

ج- يستخدمون ما يسمى "الهندسة الوراثية" لكن هذه الحبوب لا تنبت في التربة.

د- يصنعون ما يسمون "الريبورت" أي الإنسان الآلي، ولكنه ليس كالبشر أنفسهم، ومن أول نظرة تستطيع أن تحكم عليه بأنه ريبورت وليس إنسانا.

كما أن الأرض في نظرياتهم أعظم كيميائيا مما يبدو، وهي مضغوطة مركزة والله أعلم، ونوجز دليلنا على ذلك في أمرين:

١- أن النجوم التي هي أكبر من الأرض تتكون من غازات، ولو حولنا الأرض بما فيها من البحار والغابات والجبال والصحاري إلى غازات كبر حجمها جدا، فهي عالم صغير في الظاهر وكبير في الحقيقة كالإنسان بين سائر المخلوقات.

٢- أنها موطن الإنسان سيد المخلوقات، وتنزل كتاب الله الحكيم، ومكان بعثة رسوله الكريم، والله يخلق ما يشاء ويختار، ويصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس، وكذلك يصطفي هذه الأرض على كل الكواكب والله أعلم، فليست هباءة وتافهة ولا نقطة زرقاء باهتة كما تظن "ناسا" و"ساغان".

ومما له علاقة بالجيولوجيا (الأعاصير) التي يخشاها الناس كثيرًا ومعلوم أن سبب الأعاصير هو الرياح.

وقد كان النبي ﷺ إذا هاجت الرياح قال: (اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما فيها، وخير ما أرسلت به، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به).

وكل رياح في القرآن فهي خير، وكل ريح فهي عذاب. والله تعالى أهلك عادًا بالدَّبور ونصر رسوله ﷺ بالصّبا، ومما يلجأ إليه المؤمن لدرء الأعاصير والحسبانات التكبير.

قال ابن عمر: "عليكم بالتكبير"، وفي ذلك حديث مرفوع وهو بمجموع الشواهد حسن، ومن أخطر أنواع الأعاصير ما كان فيه نار، كما ذكر الله في سورة البقرة، واليوم تكثر الأعاصير البحرية لا سيما في المحيطات ويخافها الناس لا سيما في أمريكا واليابان والصين والفلبين، وهي تدمر المدن الساحلية والقواعد العسكرية، كما دمرت قاعدة "ديجو غارسيا" الأمريكية التي يقال أنها أكبر قاعدة أمريكية في العالم. وتقع في المحيط الهندي وقاعدة فلوريدا النووية. ومن أشهرها إعصار كاترينا في أمريكا.

وهكذا علم الإسلام المسلمين ما يقولونه عند خوف الخطر وهذا يبين فضل الدعاء والذكر وكيف أن الله تعالى يرفع البلاء بالذكر، وهذا ما لا يعرفه الكفار، وكما تهرب الشياطين والغيلان من ذكر الله يهرب اليهود، وهذا ما فطن له إخواننا المجاهدون المرابطون في المسجد الأقصى.

ومما له علاقة بالكيمياء الحديد.

– الحديد:

قال بعض السلف إن الله أنزل الحديد مع آدم عليه السلام، وقال بعضهم إن التنور الذي فار زمن نوح عليه السلام كان لآدم وحواء، وقال آخرون إن أحد ابني آدم كان صاحب زرع.

وإذا ثبت هذا فإن الحضارة البشرية قديمة، وإن صحّ ما يقوله الجيولوجيون حديثا عن العصر الحديدي فما هو إلا قومة بعد انتكاسة، وهذا مبلغهم من العلم، والمهم عندنا هو أننا ينبغي لنا أن نستخدم الحديد في الجهاد ونصرة الحق وفيما ينفع كما تقدم في مبحث الصناعة.

وقد سالوا عالمهم المشهور "البرت آينشتاين": ماذا سيستخدم الناس في الحرب العالمية الثالثة؟ فقال: أما الثالثة فلا أدري، ولكنني أعلم ما سوف يتحاربون به في الرابعة، فقالوا: وما هو؟ فقال: الرماح الحجرية!!.

٧- البحار والجغرافيا

في أيام شيخ الإسلام ابن تيمية أبحر ملك التكرور من غرب إفريقيا، وصمم على اجتياز بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) واستخلف على المملكة الإسلامية العظيمة هناك الأمير (منسي).

كما عرف المسلمون الرياح ووقت هبوبها وأنواعها، إذ السفن آنذاك شراعية، وعرفوا أجزاء من أوروبا قبل أن تعرف أوروبا نفسها، وعرفوا كيف يهتدون بالنجوم في ظلمات البر والبحر.

وقد برع المسلمون في قطع البحار حتى أن أحد الباحثين الأمريكان من أصل صيني في جامعة بنسلفانيا قال إن المسلمين عرفوا أمريكا قبل كولمبس، واستدل على كلامه بوثائق صينية تعود للقرن الثاني عشر الميلادي، وسيأتي لذلك ذكر قريبا.

والمغامرون الغربيون اليوم يركبون سفنا شراعية ويقطعون بها المحيط الأطلسي.

وعرفوا كيف يسافرون إلى بلد كذا أو كذا مما بنى عليه الغرب اليوم خرائطه وبوصلاته.

وكانت الملاحة النهرية معروفة لدى المسلمين، وكانوا يبحرون من البصرة إلى بغداد، وكان لهم زوارق كثيرة يسمونه "حراقات"، وذلك قبل أن تفكر الامبراطورية البريطانية في حفر قناة تربط بين البحر الأبيض المتوسط ونهر الفرات، ومنه إلى الخليج ثم إلى الهند، وهو ما لم تفعله بريطانيا بالطبع.

ووصلت السفن الإسلامية إلى أمريكا الجنوبية، كما تاجر المسلمون مع الصين وعرفوا الشاي الصيني لأول مرة، كما أن ما تذكره " ألف ليلة وليلة" عن السندباد البحري، إما أنه صحيح وإما أنه صدى للمعرفة البحرية والتجارة البحرية عند المسلمين.

على أن مذكرات "كريستوفر كولمبس" المعروفة الآن لا تزال تحتفظ بصرخة "كولمبس" لما رأى المساجد في جزر الكاريبي وقال: "يا إلهي حتى اليابان فيها مساجد"، مما يدل على أن المسلمين عرفوا تلك الأصقاع قبله.

وقد أثبت ذلك كما تقدم بالأدلة القطعية باحث أمريكي من أصل صيني ظل سنوات يدرس الوثائق الصينية المكتوبة قبل رحلة "كولمبوس".

وقد أكد هذا الباحث ويدعى "هوي لزلي" أن المسلمين انطلقوا من مدينة الدار البيضاء وعرفوا الأمريكتين آنذاك.

واقتداء بما فعله البحارة المسلمون لا سيما في الأندلس والمغرب الأقصى، عرف الغربيون أن وراء بحر الظلمات "المحيط الأطلنطي أو الأطلسي" أرضا أخرى هي اليوم أمريكا.

ولا شك أن بعض سكان أمريكا كانوا مسلمين، وأن المسلمين الأولين لو رأوا أمريكا اليوم لعلموا أنها أشد ظلاما من بحر الظلمات، الذي كانوا قد قطعوه، وكان الناس في تلك الأيام يعتمدون على السفن الشراعية التي تجري بها المراكب بإذن الله.

وقبل رحلة التيه والتخبط التي قام بها "كولمبوس" الذي كان يظن لما وصل إليها أنه وصل إلى الهند واليابان. كان المسلمون قد وصلوا إليها بلا ضلال.

ولما مضى على "كولومبس" (٥٠٠ سنة) كتب المفكر العالمي "نعوم تشومسكي" الذي عاش في إسرائيل ثم في أمريكا كتابه (خمسمائة سنة ويستمر الغزو)، أي غزو أوروبا وأمريكا للعالم.

وبعض الباحثين الأمريكيين اليوم يقول إن أمريكا دفعت الجزية للمسلمين في أيام الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومما يدل على ذلك أن الفينيقيين -وقد كانوا قبل المسلمين بالإجماع- كانت سفنهم تبحر إلى أمريكا من صور وقرطاج وتجتاز أعمدة هرقل "جبل طارق" إلى أمريكا.

وعن طريق الرئيس "ابن ماجد" عرف البحارة الغربيون الإبحار إلى أمريكا الجنوبية، دع ما اكتشفه "برباروس" الذي أعلن أن البحر الأبيض المتوسط بحيرة إسلامية وكافأه العثمانيون على إسلامه بتعيينه رئيسا لأسطولهم الضخم، أما الغربيون فيزعمون أنه "قرصان" كعادتهم.

ويقول الباحثون المعاصرون أن أبا الريحان البيروني هو واضع نظرية "الأحواض البحرية" قبل أن يعرف الغربيون ذلك بقرون، وعرف المسلمون بعض الأجزاء من أوروبا قبل أن تعرفها أوروبا نفسها، وقلّ أن يكتشف الأوربيون أرضا جديدة أو جزيرة مجهولة إلا ويجدون فيها عملات إسلامية مطمورة، وممن اشتهر لدى الباحثين الغربيين أنفسهم التاجر "سليمان السيرافي" الذي ركب البحر إلى الصين، وعرف الشاي وتحدث عنه لأول مرة، مع أن السيرافي متقدم عاش في القرن الرابع الهجري.

وكتب الملاح المسلم ابن ماجد كتابه العظيم "الفوائد في أصول البحر" وهو يسمي البرتغال "البرتكال".

أما ابن خلدون فتحدث عن الجزر البريطانية في مقدمته المشهورة، وكان الأندلسيون قد عرفوها قبله وتحدث السفير يحيى الغزال عن مقابلة لملكها وملكتها.

وكان الهدف الغربي من الرحلات التي سمّوها كشوفات هو الالتفاف على عدوهم اللدود "الدولة العثمانية"، وهكذا ذهب "ماجلان" و"فاسكو دي جاما" ومَن قبلهما، وأرسل البابا "كولومبوس" لاكتشاف الهند فوصل بطريق الخطأ إلى أمريكا، ومات وهو يظن أنه وصل إلى الهند، غير أن الدولة العثمانية تنبهت لذلك وعملت جاهدة على حماية البحر الأبيض من خطر النصارى الأوربيين، وأهم منه البحر الأحمر أقرب بحار الدنيا إلى مكة والمدينة.

وعمد العثمانيون إلى حماية الهند من شرور البابا وجنده، ومن المؤلفات الناطقة بذلك "البرق اليماني في الفتح العثماني"، وكذلك تواريخ الصومال والحبشة، ولا ينسى "تاريخ زيلع" كيف أن العثمانيين أنجدوا السلطان أحمد وحملة غوري للاستيلاء على الحبشة، ومنع تحالفها مع البرتغاليين لغزو مكة والحجاز.

كما كتب الرئيس ابن غانم كتاب "العز والرفعة والمنافع للمجاهدين في سبيل الله بالمدافع"، وجعله أكثر من ثلاثين فصلا.

وكان لدى العثمانيين أسطول بحري ضخم للتجارة والكشف، غير قوتهم البحرية العسكرية، فاستطاعوا أن يعرفوا القارات القطبية المتجمدة، وأن يضعوا خرائط علمية لقارات الدنيا، والغربيون اليوم يعجبون لدقة المعلومات العثمانية واقترابها الشديد من المعلومات العصرية عن تلك المجاهل، وعليه يمكن كتابة التاريخ العثماني بعدل وليس بتحيز مسبق كما فعل القوميون العرب، أو الإعلام السيسي ولا أقول المصري.

ومن أشد المعارك التي خاضها المسلمون بحريا معركة "ذات الصواري" أيام عثمان ﷺ، كما أن من أشهر أمراء البحر المسلمين القائد الفقيه أسد بن الفرات صاحب "المدونة" في الفقه المالكي.

ولا يزال الغربيون يسمون القائد البحري "أميرال" التي أصلها "أمير الماء"، وكذلك "كابتن" التي أصلها "قبطان" في العربية، والعرب مع ذلك يقولون "ربان" أي الرئيس البحري أو القائد الملاح.

كما عرف المسلمون الخرائط الجغرافية ورسمها الإدريسي على كرة لملك صقلية "روجر"، وعرف الغربيون البلدان ومواقعها اعتمادا على ما كتبه البكري في كتاب "معجم ما استعجم"، وما كتبه ياقوت الحموي في كتاب "معجم البلدان"، وما كتبه أبو الفداء في "تقويم البلدان"، وأفاد الغربيون من خرائط المسلمين ومؤلفاتهم في معرفة ذلك كثيرا.

و لم أعرف أن أي كتاب إسلامي نص على كون أوروبا قارة، وكيف تكون قارة وهي مجرد شبه جزيرة بعض الأقاليم الإسلامية أكبر منها، كما تحدث الأمير شكيب أرسلان في كتابه "الحلل السندسية" عن الشباب الأندلسيين المغامرين الذين انطلقوا في بحر الظلمات وعرفوا الجزر الخالدات.

وكما انطلق المسلمون من الأندلس انطلقوا من المغرب وإفريقية، ومن الدار البيضاء المغربية تحديداً وذهبوا حتى وصلوا إلى أمريكا الجنوبية، كما

تحدث التاريخ العربي والغربي عن قصة ملك التكرور الذي انطلق من غرب إفريقيا بأسطول من السفن، لكن لم يعد، والله أعلم بمصيره، على أن "كولمبوس" رأى المساجد ورأى الزنوج في بعض ما وصل إليه وتحدث عن ألفاظ عربية في لغة الهنود، وعلى ذلك بعض الوثائق، ولا يزال بعض الهنود اسمه محمد، والله أعلم.

والمؤرخون الأمريكيون اليوم يبحثون في حضارة الباما والأنكا في أمريكا، وعن الذهب فيها وعن حيوان اللاما الذي يشبه الإبل، وعن الغزو الأسباني لتلك البلاد.

كما تفوق المسلمون في الرحلات العلمية والاستكشافية، ومما لا يزال معروفا حتى اليوم كتاب البيروني "تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة"، وهو مطبوع متداول فيه جداول وعلوم لا يعلم عنها الغربيون شيئا، ولما أراد البيروني معرفة ذلك والتأليف فيه عن علم وإطلاع سافر إلى الهند وتعلم اللغة السنسكريتية، وتحدث عن فلسفاتها وأديانها وطبقاتها وعلومها حديث الواثق العارف، بخلاف الفيلسوف الغربي الكبير "هيجل" الذي اعتمد على مصادر ومشاهدات من كتابات المستعمرين والإنجليز، ولم يسافر بنفسه كما أن "الأسواري" طاف بكثير من البلاد وتعلم لغاتها.

على أنه ليس أعجب من وصول المسلمين إلى أمريكا أو أجزاء نائية من الدنيا إلا أنهم لم يضلوا ولم يخطئوا كما فعل الغربيون، حين ظن "كولمبس" أن أمريكا هي الهند، أو ضل البحار البرتغالي "ألبوكرك" ونظراؤه حين ظنوا أن بلاد الحبشة "أثيوبيا" هي الهند، فالمسلمون أعلم وأدق من أولئك التائهين الضالين.

ومن البحريين الذين عرفوا الإسلام عن قرب الإنجليزي "جوزف كنراد" المتوفى سنة ١٩٢٤ هو حائر مضطرب له روايات كثيرة باللغة الإنجليزية.

وقد أعطى المسلمون النقل البحري أهمية بالغة وعرفوا قيمته الكبرى مع رخص تكاليفه.

وراودهم فكرة وصل البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر، وابتدأ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حيث أمر قائده عمرو بن العاص بوصلهما، فحفر عمرو ما سماه خليج أمير المؤمنين بين النيل والبحر الأحمر، ثم إن المهدي كان ينقل الاسطوانات من بلاد الشام إلى جدة، ومنها إلى مكة المشرفة لتوسعة المسجد الحرام، ثم أراد هارون الرشيد أن يحفر قناة بين البحرين، ولكنه عدل عن ذلك حتى لا يهاجم الروم مكة، وفي أيام الدولة العثمانية أراد السلطان سليم الأول أن يصل بينهما لكي يفتح الهند، وأمر بذلك الصدر الأعظم، ولكن الأجل فاجأ السلطان قبل تنفيذ المشروع.

وفي أيام ذرية محمد علي باشا حفروا قناة السويس وحضر حفل افتتاحها كثير من أباطرة أوروبا، وأنفق الخديوي مالا عظيما، وأظهر بذخا كبيرا أدى في النهاية إلى تورط مصر في الديون، وإلى أن يحتلها الغرب بحجة التسديد، ثم كان عصرنا حيث تمر في القناة السفن الحربية الأمريكية، وتصل إلى البحر الأحمر، ومن ذلك البحر أطلقوا صواريخ "كروز" على بغداد ليدمروا مواقع الحرس الجمهوري كما قالوا، وذلك بعد سنوات من حرب الخليج والاستعانة المزعومة.

والبحر الأحمر والخليج الإسلامي بحيرات إسلامية يحيطها المسلمون من كل جهة، وكذا يحيطون بأكثر جهات البحر الأبيض المتوسط، فلا يجوز أن يكون في شيء من هذه البحار أسطول أجنبي لا للأمريكان ولا للروس، وإنما يمرون للتجارة مع المسلمين مرورا، وبرسم يفرضه المسلمون.

وقد تطورت صناعة السلاح في الغرب كثيرًا لا سيما عند الأمريكان الذين أنتجوا أسلحة إلكترونية وأصبحوا يستغنون بتوجيه الكمبيوتر عن القواعد البحرية المباشرة.

أما السلاح التقليدي الأمريكي فلن يُرمى مادام السذج يشترونه بل يستأجرونه بالمليارات؟ حتى شاحناتهم القديمة التي صنعوها قبل ستين عاما أو أكثر، وقد قاد بعض العسكر تلك الشاحنات من تبوك إلى الرياض فدخل المشفى وظل قرابة الخمسة عشر يوما متنوما فيه بسبب ذلك!

وأنا وضعوني خمس سنوات تحت مكيفات قديمة مزعجة، كثيرا ما تتعطل وكنت دائما أسأل نفسي أين ذهبت الميزانيات الضخمة؟

وفي القرن السادس عشر بالتقويم الغربي الجريجوري وضع البحار التركي "بيري ريِّس" خارطة لم يعدل فيها العلم الحديث، بل أثبت صحتها، وممن أثبتها المراكب الفضائية التي صورت الأرض من الفضاء.

ولم يحتج المسلمون إلى مثل رواية (حول العالم في ثمانين يومًا) لإثبات كروية الأرض، بل قالوا: إن الأفلاك كلها كروية، أخذًا من كون العرش كالقبة ومن قوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [الزُّمَر:٥] وذلك ما قرره ابن المنادي في القرن الثالث الهجري، ورسم الإدريسي خريطة لروجر على كرة كما تقدم.

وليس في العرف الإسلامي مياه دولية يمر منها المسلم والكافر لكن الأمر عكس ذلك عند الليبراليين الذين يدّعون الوطنية.

وليست المصيبة عند الليبراليين أن الصواريخ التي أطلقها الحوثيون على الطائف أصابت أو أخطأت، فهذا لشدة بساطتها لم يتحدثوا عنه، وإنما المشكلة عندهم هي أن الحوثيين أطلقوا صاروخا على بارجة يملكها أصحاب قانون "جاستا" لمحاولة إغراقها، ولكن الله ستر فأخطأها، وسلم الحلفاء الاستراتيجيون وواصلوا السير في المياه الدولية!!

وهذا دليل على أن الحوثيين والمخلوع غير ملتزمين بالقوانين الدولية والإجماع الأممي.

ولو أن هذه البارجة تعطلت لهبَّ الأشاوس لإنقاذها ولحملت الخطوط السعودية طاقمها في الدرجة الأولى بالمجان من جدة إلى نيويورك كما فعلوا بالسواح الألمان من قبل.

وبلغ التقدم بهؤلاء الأشاوس إلى حد اعتبار مضيق باب المندب والبحر الأحمر كله مياها دولية، ولم يكونوا "متأخرين" كالدولة العثمانية التي كانت تقول إن البحر الأبيض فضلا عن الأحمر بحيرة إسلامية! ولا قراصنة مثل خير الدين برباروس أو القواسم وأهل الصومال أما المحيطات كالمحيط الأطلسي أو المحيط الهندي أو المحيط الهادي فهي كلها بحيرات أمريكية حسب رأي المتقدمين!!

ومن المؤلم أن يترجم بعض الناس كتاب "جاكلين بيري" اكتشاف جزيرة العرب وأن يثني الأستاذ حمد الجاسر -غفر الله له- على أولئك الغربيين الذي بعضهم جواسيس وبعضهم كذاب لم يتعد بيروت، وأولى من كل هؤلاء الرحالة المسلمون مثل "أولياء جلبي" وهو رحالة تركي وصف مكة والمشاعر والمدينة عن علم وقرب، وضم إلى ذلك معلوماته الشرعية وكتب رحلة ضخمة تتكون من عشر مجلدات، وفيها وصف لرحلته البحرية إلى الديار المقدسة.

وذكر كيف كان أهل مكة والمدينة يعيشون غالبا على "الصرّة الهيمايونية"، وهي المال الذي كان يرسله السلطان العثماني من "إسلامبول".

كما تحدث تفصيلا عن السقاية والرفادة حيث كان الحجاج يشربون مجانا عصير العسل والسكر مثلا، ويقوم على ذلك أوقاف كثيرة في كل البلاد الإسلامية، وتحدث بالتفصيل عن بناء المسجد الحرام منذ أقدم العصور إلى عصره، وعن اهتمام سلاطين آل عثمان ببنائه وتوسعته وخدمته.

كما تحدث عن المدارس الشرعية التي تعد بالعشرات في مكة والمدينة.

وهذا بالإضافة إلى دلالة الوطنية يحتوي على معلومات مهمة.

لكنه عند التغريبيين (تركي)، ولو كان أمريكيا لاعتنوا بكتاباته!!

تاسعا
الفكر الإنساني

مقدمة عن المصطلح:

لما بدأ الغرب في التخلي التدريجي عن الفكر اللاهوتي، جعل العلم قسمين: علوم إلهية أو لاهوتية، وعلوم إنسانية، وسمى كلياته العلمانية كليات العلوم الإنسانية، ونحن مع أن الإسلام ليس فيه هذه القسمة، نقول إنه لا مشاحة في الاصطلاح لذاته، وعلى ذلك نخص بالعلوم الإنسانية ما سنذكره هنا بإذن الله.

أولا
مبادئ عامة في
المنهج العلمي الإسلامي

تقدمت الإشارة إلى بعض ضوابط المنهج المعرفي الإسلامي، ومن استقراء العلوم الإسلامية نجد أن المسلمين برعوا في المنهج العلمي، وبلغوا في ذلك شأوا لم تبلغه أمة قبلهم ولا بعدهم، فقد اعتمدوا الدقة في النقل والصدق، ومن كذب على رسول الله ﷺ مرة واحدة تركوا حديثه مطلقا.

بل ترك بعض الأئمة حديث رجل رآه يكذب على الدابة، ويوهمها أن في حضنه طعاما لها.

والمسلمون متواضعون يقولون "المدرسة" أو "المدرسة العليا" أو "بيت كذا" أو "دار الحديث"، دون افتعال أو تضخيم كما سيأتي.

وممن رأيت عدله ودقة نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، ولذلك لا عجب أن نجد من المعاصرين من يصحح المخطوطة التي لديه على كلام شيخ الإسلام ونقله، وقد نقل الشيخ بعض الكتب أو نقل منها فأطال، مثلما نقل كتاب الحسن بن أيوب المذكور في "الفهرست" لابن النديم، وفي إمكان أي قارئ له أن يعرف أسلوب الشيخ من غيره بمجرد قراءته.

وعرف المسلمون الإسناد بل جعلوه فارقا بين الروايات الصحيحة والضعيفة أو الموضوعة وطالبوا به في كل خبر، ومن القديم عدُّوا الإسناد من خصائص هذه الأمة المباركة، قارن ذلك بمن آتاهم الله نصيبا من الكتاب كيف يروون الكتب حتى التوراة والإنجيل بغير إسناد ويعترفون أن بعض النسخ -أو بعض الأسفار- مكتوبة خلال آلاف السنين، أو مجهولة الكاتب ومجهولة المترجم والكل بلا سند.

والمسلمون لا يجحدون فضل المتقدم أيا كان، كما فعل أصحاب المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي، حيث لم يذكروا كتاب الأطراف للحافظ المزي ولو بكلمة واحدة.

والمسلمون مع الحق أيا كان قائله وفاعله، ولذلك فالمسلمون يؤيدون ما كانت الكنيسة تفعله من حرب السحر، وليس لدينا سحر أبيض وآخر أسود، فكله سحر حرام.

وكذلك لا يؤمن المسلمون بالعرَّافة التي يسميها أهل الكتاب "سيبيلا".

والعلم في الإسلام منه واجب ومستحب وجائز ومكروه وحرام، والبدعة درجات، كما أن العقيدة أصول وفروع، والواجب على كل الناس الإيمان المجمل كما في حديث جبريل المعروف.

ومن العلم غير النافع ما يبيد البشر ويدمرهم، كما هو في العلم الغربي المنفلت من الدين، ومنه الاختراعات الضارة كالقنابل النووية والأسلحة المحرمة، وكل علم بلا خلق ولا ضابط، وقد قال أحمد شوقي:

وأفٍّ على العلم الذي تدّعونه إذا كان في علم النفوس رداها

وذلك في وصفه للغواصة، وقد جاء بعدها ما يجعلها لا تكاد تذكر.

وقد طور الباحث يحيى المشد ما قاله (رذر فورد) وغيره عن الذرة وأراد أن يصنع قنبلة ذرية يدافع بها المسلمون عن أنفسهم فاغتاله الكفرة، وكما اغتالوه شنعوا على عبدالقدير خان الباكستاني واتهموه بالإرهاب، وسمى هنري كيسنجر القنبلة الباكستانية "القنبلة الإسلامية".

ولا يؤمن المسلمون باعتقاد اليهود الذي يدين به كثير من الغربيين اليوم، وهو أن سليمان عليه السلام مجرد ملك، وأنه أقر عبادة الأصنام كما في التوراة المحرفة، ومن ذلك الرواية المعروفة في الأدب الغربي "كنوز الملك سليمان" التي كتبها "هنري رايدر"، فسليمان عليه السلام عند المسلمين نبي مفهّم وعبد صالح، وليس مجرد ملك، وحاشاه أن يكون نساؤه عبدن الأصنام ورضي هو بذلك كما تقول التوراة المحرفة، وهو عليه السلام بنى المسجد الأقصى المبارك، وليس الهيكل كما يدّعون، وقد ثبت في الحديث أنه عليه السلام بنى مسجد بيت المقدس، أي أنه جدد بناءه، وأعاده ووسعه، وإلا فهو

ثاني مسجد بني في الأرض بعد المسجد الحرام، كما أخبر النبي ﷺ في حديث أبي ذر في البخاري.

وهؤلاء المكابرون لا يلتزمون بالضوابط المعرفية، ولا ينفع فيهم الإقناع العقلي أو الحسي، وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها ولو فتح الله عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا هذا سحر، ولو كشف عنهم العذاب قليلا لعادوا إلى كفرهم، ولو ردهم إلى الدنيا لعادوا لما نهوا عنه، فالقوم يعتمدون على السفسطة والمكابرة.

وللرد على أصحاب السفسطة قرر أرسطو أن الإنسان يمكنه معرفة الحقيقة بالعقل والمنطق، وقرر أفلاطون أن لكل شيء مثالا وأن الإنسان يعرف الحقائق بالحدس.

وظهر أثرهما في الفلسفة العقلية والفلسفة الإشراقية، والحمد لله الذي عافى المسلمين من السفسطة في العقليات ومن القرمطة في السمعيات، وأن تكون جُّل علمهم يستند إلى الظنون والأوهام.

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أن العلم لا ينحصر في العلم الشرعي وحده، بل حث الشرع على كل علم نافع، ولو كان في الظاهر دنيويا بحتا، قال الإمام البخاري في كتاب العلم: "باب طرح الإمام المسألة على أصحابه ليختبر ما عندهم من العلم"، وأورد فيه حديثا عن ابن عمر أن النبي ﷺ سأل عن الشجرة التي لا يسقط ورقها.. الحديث.

ولا شك أن العلم الشرعي أفضل من غيره، ولكن الإسلام لا يحرم ما عداه.

وهكذا عرف المسلمون المنهج العلمي الصحيح -استقراء أو استنباطًا- وعرفوا الأمانة العلمية، وتثبتوا في الأخبار، وعرفوا الإسناد ولم يقبلوا ما هو غير مسند، وتركوا الأحاديث الموضوعة والضعيفة فضلا عن الأساطير والخيالات والأوهام، وتركوا الابتداع في الدين والقول على الله بغير علم،

وكثير منهم نص أن لازم المذهب ليس بمذهب، وبدلا من التخمين والظن يقولون "الله أعلم".

بخلاف ما يسمى العلم الحديث الذي يعتمد على التقديرات المظنونة، كما قدر عمر الكون والحقب التاريخية تقديرا ظنيا ذاتيا احتماليا، و لا تجد في كلامهم كلمة "الله أعلم".

كما عرف المسلمون التواضع في العلم، وتسمية الأشياء على حقيقتها، حتى أنهم كانوا يسمون مراكز العلم مدارس أو بيوتا أو دورا كما تقدم، أما الغربيون فيضعون الأسماء الكبيرة والألقاب العريضة، ويسمون كل مدرسة عليا جامعة أو كلية، وتبعا لهم غيروا مدرسة طب قصر العيني إلى "كلية طب قصر العيني" في مصر، وسموا مدرسة الطب في اسطنبول "كلية" وهكذا، وهنا رأينا كيف يبنون في كل بلدة أو مدينة مدرسة كبيرة ويسمونها جامعة، وتبعا لذلك التقسيم الغربي، جعلوا مرتبة الشيخ محمد بن صالح العثيمين هي (أستاذ مشارك) ولم يجعلوه أستاذا، مع أنه أعلى من ذلك، ولا بد أن توافق إدارة المطبوعات في منطقته على فسح الكتاب الفلاني له، وافرض أنها لم توافق!

وقد بنى نور الدين في دمشق وحدها قرابة ٨٠ (كلية) وكانت تسمى حينئذاك "دار الحديث"، كما أن بغداد امتلأت كذلك بالجامعات ومن أشهر جامعاتها "المستنصرية"، وبنى نظام الدين "النظامية"، وكذا بيت الحكمة الذي بناه المأمون للترجمة، وإذا نبغ في الغرب إنسان وأرادوا إعلاء مرتبته جعلوه "أستاذ كرسي" وأيُّ كرسيٍّ يمكن أن تضعه للإمام أحمد أو البخاري أو لابن تيمية أو للذهبي أو لابن حجر، وغاية ما يقوله المسلمون أن العالم الفلاني درَّس في كذا كما يقولون درس في المستنصرية أو في النظامية أو في دار الحديث الفلانية.

مع أن تسمية أستاذ كرسي إسلامية كما هو مبين، في غير هذا الموضع.

وكان المسلمون في تاريخهم العلمي يهتمون بالإنسان وربما أهملوا المادة أو لم يهتموا بها كثيرًا، فتجدهم في تاريخ دمشق أو تاريخ بغداد أو تاريخ

جرجان أو أي تاريخ، يذكرون من عاش أو مر بهذه المدينة أو المنطقة من العلماء والفقهاء والمفسرين والمحدثين والمؤرخين والنحويين والشعراء والمغنيين، وهكذا، وقلما يتعرضون للبناء واتساعه أو انحساره، ولما كتب المقري نفح الطيب كان أكثر اهتمامه بتلاميذ الإمام مالك وجهودهم العلمية، وعلماء الأندلس وشعرائها .. إلخ.

والمسلمون أمرهم ربهم بالصدق والأمانة والتثبت والعدل، وخوفا من مجانبة ذلك تجد أحدهم يترك الحديث بالكلية أو لا يروي منه إلا القليل، ويقول لما لا يعلم "الله أعلم" ويود أن الناس كلهم علموا ما يعلم و لم ينسبوه إليه.

وإذا شك أحدهم في قوله قال: أشك أنه قال كذا، وتكلموا عن الرواية بالمعنى أتصح أم لا؟

وقد تقدم الكلام عن أسبقية المسلمين إلى كل فن في مبحث الفكر العلمي السابق.

ومن أصولهم وضوابطهم الرد على المخالف بالعلم والعدل، ولهذا الرد تجد أعداء الدين قديما وحديثا يتهمون أهله بالإقصائية، مع أنهم هم الإقصائيون الذين لا يعرفون العدل ويتهمون اليوم المتدينين بما شاؤوا، دون أن يسمحوا لهم بالرد في نفس البرنامج مثلا.

والعلم البشري عرضة للتغير المستمر، فقد أدى اكتشاف "اينشتاين" للنسبية إلى تقويض العالم النيوتني القديم.

ثم جاء بعد "اينشتاين" المتوفي سنة ١٩٥٥م "هبتز نيرج" الألماني الذي طور فيزياء الكم وتوفي ١٩٧٦م وسيأتي في المستقبل ما لا نعلمه ولا يعلمه أحد من الأحياء اليوم.

والعجيب حقا هو أن هذا الكون يجمع بين شدة الوضوح ودقة الأسرار غير المفهومة، ولذلك قال "آينشتاين" "إن أكثر شيء استعصاء على الفهم في

هذا الكون هو أنه مفهوم"، وقد قال أحمد شوقي: "وفي شدة الوضوح الخفاءُ"!

وأنشأ الغرب المتعصب علمه على أفكار "كانْت" غالبا، و"كانْت" هو الذي وضع لهم نظرية المعرفة -كما سبق-، وأنشأ الفلسفة العقلية التي لا تعتمد على الفكر وحده، بل تجمع بين العقل والحواس وبعض كلامه شديد الشبه بكلام ابن تيمية فإما أنهما توافقا أو أن "كانْت" نقل عن ابن تيمية بلا ذكر لمصدره كعادة الغربيين، ومن المثير أن كانت كان ألمانياً، والألمان هم أكثر الغربيين علاقة بالمسلمين وتأثرًا بهم مع بعدهم النسبي عن التأثيرات البابوية الكاثوليكية.

وفيها قام "لوثر" بحركته المسماه الإصلاح الديني.

وأكثر موظفي المصانع الألمانية العملاقة اليوم هم المهندسون أو العمال الأتراك.

وإلى الألمان ينتسب "هيجيل" و"كبلر" و"جوته" و"كافكا".

وأكبر فلاسفة الغرب هو "هيجل" الألماني تلميذ "كانت" الذي يقول بعض الباحثين إن فلسفته (رشدية جديدة).

وكل شبهة أو فلسفة أو ضلالة يجد جوابها في كتاب الله كلٌّ من وفقه الله لقوة الفهم ودقيق الاستنباط، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، ويقول ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]، ويقول: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، ولكن الله تعالى جعل الفهوم مختلفة، وفهم سليمان ما لم يفهمه داود، وأعطى شيخ الإسلام بن تيمية ما لم يعطنا.

وقد أرشدنا ﷺ إلى ذلك حين سألوه عن حكم كذا؟ فقال: ما أنزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا

يَـرَهُۥ ۞ وَمَن يَعۡـمَلۡ مِثۡقَـالَ ذَرَّةٖ شَـرّٗا يَـرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧-٨]، وبذلك وأمثاله علمنا أن نرد الجزئيات إلى الكليات.

وقد كان الأولون يعتمدون على الرواية، بينما نحن اليوم نعتمد كحال المتأخرين على الوجادة، وإذا جاءتنا نسخة مصورة من المتحف البريطاني، أو مكتبة الأسكوريال أو لاييزك وأمثالها اعتمدناها، مع أن الغرب إنما سرقها منا.

ونحن أمة العلم به نعيش ونُعرف، وقد كان في الكوفة في القرن الهجري الثاني حلقة للحديث يحضر ضمن جمهورها ٤٠٠ فقيه، كما ذكر الامام أنس بن محمد بن سيرين، فكيف بالحلقات الأخرى فكيف ببغداد بعد ذلك؟ فيكف بأساتذة الكرسي المستقلين الذين كانوا يعلمون التلاميذ في المساجد شرقا وغربا؟

هذا في الحديث ومثل ذلك في سائر الفنون مع دقة الحكم وروعة الاستنباط، فالقراءات مثلا منها ما هو متواتر رواه الجمع الكثير عن مثله، ومنها ما هو شاذ متنا صحيح سندا، يعين على التدبر وفهم الآية لكن لا يقرأ به المصلي.

ونحن بالوحي نعلم ما لا يعلمه غيرنا لا سيما التاريخ البشري القديم.

فالوحي يخبرنا عن التاريخ القديم الذي لا علم للبشر به حتى الأنبياء:

فقال تعالى عن قصة نوح عليه السلام في سورة هود: ﴿تِلۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ﴾ [هود:٤٩].

وقال في سورة يوسف: ﴿ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَ﴾ [يوسف:١٠٢].

وقال في قصة موسى عليه السلام وفرعون ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلۡغَرۡبِيِّ إِذۡ قَضَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلۡأَمۡرَ﴾ [القصص: ٤].

وأخبر تعالى عن الحضارات القديمة (القرى) أن ﴿مِنۡهَا قَآئِمٞ وَحَصِيدٞ﴾ [هود:١٠٠].

وهذا أحد الفروق بين الأساطير المنسوجة التي اعتمد عليها الغربيون كما بنى "فرويد" نظريته على أسطورة "أوديب" و"أليكترا"، وبين الصدق الذي جاء به الوحي ويعتمد عليه المسلمون.

ومن الصدق الذي أخبرنا به الله ولا يعلمه غيرنا قط: قصة زكريا ومريم عليهما السلام، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران:٤٤]، وقال: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران:٣٧]، وأمثال ذلك مما لا وجود له عند أهل الكتاب.

ومن الأمور التي ينبغي للعالم التنبه لها التجسس، فالتجسس على العلماء دأب الطغاة والخائفين، وقد تجسسوا على الشيخ بن عثيمين وكان أحدهم جزائرياً له لحية طويلة ومواقف متشددة، كما تجسسوا على الشيخ ابن باز وراقبوا كل تحركاته وعرفوا كل من يأتيه، وكان رحمه الله يعلم ذلك، حتى أنه اتخذ طابعا أبكم، وإلى ضعف الاستخبارات يعزو اليهود هزيمتهم في العدوان على غزة، وتعزو الإدارة الأمريكية إخفاقها في التنبؤ بالربيع العربي، كما أن الجواسيس كانوا يتجسسون على الشيخ محمد بن جماح والشيخ عبدالله القرعاوي ورشيد عالي الكيلاني وغيرهم.

ثم شاع ذلك اليوم، حتى أن بعض الوزارات تتجسس على بعض، وبعض الأسر تتجسس على بعض، وهكذا كثر الشبيحة والمخبرون والبوليس السري وأشباه ذلك، على أن أخبث الجواسيس من يأتيك بظاهرٍ غيرِ ذلك، مثل بعض الإعلاميين فيسألك عن معلومات كثيرة لا تهمه في شيءٍ، ثم يقدم تلك المعلومات لمن أرسله ولو فرضنا أن أحدا لم يكن جاسوسا بالفعل فإنه أداة توصيل جيدة للجواسيس، وكثيرا ما اخترقوا حسابك ونقلوا منك وسمعوا كل مكالماتك، وإذا أردت معرفة سياسة أي دولة فانظر إلى إعلامها.

وللتجسس الحديث أساليب خفية لا يعلمها اكثر الناس، ومنها (ارتباط صناعة الترفيه بالمخابرات الأمريكية) إذ يعلم البنتاغون والسي آي أيه تأثير هوليود على عامة الناس، ويراقبون ما تنتج من أفلام، وكثير من الأفلام

الأمريكية التي ظاهرها الترفيه لها أهداف خفية ومرامي سياسية وعسكرية بعيدة، يعرفها البنتاغون وتعرفها المخابرات الأمريكية، ضمن حروبها القذرة، واغتيالاتها الدائمة.

فمثلا يحذف البنتاغون المشاهد الدالة على خسارة أمريكا في حرب فيتنام، وما فعلت من الجرائم بحق الشعوب، كما تحذف "السي آي أيه" أيّ مشهد يُشَمُّ منه معاداة "السامية" كما يقولون، أما ما كان فيه من صورة سيئة للمسلمين وللعرب، فيبقى بل يكثف باسم مكافحة الإرهاب، وأنه حتى هوليودضده.

وقد كان سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز إذا جئناه، يقفل الباب ويسحب أفياش كل الهواتف، ويخبرنا بمن يتجسس عليه في المكتب، ولما مات رحمه الله قال بعض المسؤولين (الحمد لله الذي خلصنا من هذا العبد)!

دع الجماعات الجهادية فهي مخترقة حتى إن أجهزة الاستخبارات التي تتجسس على (الدولة الاسلامية) تبلغ ٤٠ جهازا، وانظر مثلا كيف يستهدفون مجلس شوراهم وتجمع قادتهم ويعرفون أن أبا فلان قد قتل أو أصيب، كما يعرفون رموز المتجسس عليه كقولهم "أعرس، أو أقام حفلة، أو خرج من المستشفى، وأمثال ذلك.

وهذا لا يعني بحال إيقاف الدعوة أو العلم ولكن ينبغي التحوط والحذر والله تعالى نهانا عن الخوف وأمرنا بالحذر.

وبسلوك المنهج الصحيح، وبما آتاهم الله من العقول الجبارة، عرف المسلمون القواعد العلمية، كالسبر والتقسيم الذي به يتوصلون إلى تمييز الصحيح من غيره، بواسطة التحكيم العقلي، ودخل السبر والتقسيم في كثير من العلوم لا سيما أصول الفقه، حيث يمكن به الاستنباط والقياس الصحيح، لا سيما في النوع المعروف باسم "تنقيح المناط".

ومن استقراء الشريعة المطهرة عرفوا القواعد الفقهية، حيث يدل على القاعدة نصوص كثيرة كقاعدة (لا ضرر ولا ضرار).

والاستثناء في القاعدة الفقهية يتحول تلقائيا الى قاعدة مثل (الضرورات تبيح المحظورات) إذا دلت عليها النصوص، بخلاف القواعد الرياضية مثلا التي بمجرد الاستثناء تبطل القاعدة نفسها.

وبعلم أصول الفقه استطاع المسلمون عقلنة الفقه، بل إن بعض الباحثين يقولون إن أصول الفقه هو فلسفة التشريع في الإسلام، وليس السبر والتقسيم خاصا بالأصول بل هو قاعدة علمية تدخل في كثير من العلوم.

وبالسبر والتقسيم يمكن معرفة الصحيح واستبعاد الزائف من الاحتمالات العقلية

وأصله ما ذكره الله تعالى في سورة الطور، حيث تكرر قول (أم، أم)، فلا يبقى إلا الاحتمال العقلي الوحيد، وهو أن يكون الله هو وحده المعبود وأن يكون القرآن وحيا من الله، فيلزم المشركون أن يقروا بذلك، وإلا كانوا معاندين ليس لهم اي حجة.

والمسلمون يعظمون العالِم ويحبونه من غير مطمع مادي، ويظهر ذلك في حضورهم جنازة من مات منهم، قال الإمام أحمد: (بيننا وبين أهل البدع يوم الجنائز)، إذ تنقطع العلاقات الدنيوية، وتظهر حقيقة المحبة، فالعلمانيون والليبراليون والتنويريون إلى آخر هذه الأسماء، وكل المتأثرين بالأفكار الغربية مخذولون مرذولون لا قيمة لهم في المجتمع، ولولا أن الحكومات تمكّنهم من الإعلام والوظائف والمناصب لما كان لهم أي صوت، وأذكر أنني مرة ذكرت أحدهم لشيخ قبيلته فقال هذا منبوذ عندنا، وذكرت آخر لبعض الجواسيس فتبرأ منه، وذكر لي من مساوئه ما لا أعلم، فقلت يجب أن تكتبوا لأهل القرار، فقال كتبنا مرارا ونحن نعرف عداوتهم للحكومة، ولكن لم يتعرضوا لهم بشيء! فقلت: اكتبوا أنهم إرهابيون!

والأمثلة على ذلك كثيرة جدا، ومنها أن أحد الملوك اعترف بانقلاب أحدهم وأعطاه المليارات لكن لما هلك الملك لم يحضر ذلك المعطَى جنازته!

وأهل العلم والتقوى أولى الناس بالمناصب وليس أهل الجهل والعداوة.

وسألت رجلا ثقة كان سائقا لأحد الوزراء: هل كان ذلك الوزير يصلي؟ وسألت رجلا عمل موظفا لدى وزير آخر هل ذلك الوزير يصلي فاتفقت اجابتهما على أن الوزيرين المذكورين لم يستقبلا القبلة أصلا.

والعجيب أن أحدهما كان وزيرا للحج والأوقاف وأخذت عليه الهيئة تعهدا بالصلاة، وقد اقترح الآخر على الحكومة أن تخاطب العلماء بشأن جعل يوم عرفة ثلاثة أيام بدلا من يوم واحد، حتى تتمكن الوزارة من تقديم الخدمات للحجاج وحتى يكون الزحام أخف!

فأثبت معاليه أنه من النوع الذي يأتي إلى مكة من جدة دون أن يعرِّج على الكعبة وما أكثرهم.

ووزير آخر كان أمريكي الولاء يقول إننا عشنا ثلاثة آلاف سنة في حياة لا إنسانية!!

ووزير غير هؤلاء دخل مجلس الوزراء وهو سكران!

وللعلم أساليبه ومنها الجمع بين الأدلة الكثيرة وتتبع كلام السلف، والبعد عن الظاهرية في فهم النص، وليس كل ما جاء منصوصا عليه أو صح لدينا نثبته على ظاهره لا سيما نصوص الصفات، فهناك آيات أجمع السلف على أنها ليست من آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١١٥] نص على ذلك شيخ الإسلام مرارا.

ومنها ما لم يقل أحد أنه من آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦].

ومنها آيات اختلف فيها السلف كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم:٤٢].

ومنها ما اتفقوا على أنه من آيات الصفات كقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه:٥] وهكذا.

وإنما يكون الفهم الصحيح بجمع النصوص بعضها إلى بعض وتدبرها والتبصر فيها.

وليس من صفاته تعالى (الهرولة) وإنما من صفاته القرب والمجازاة على العمل بأعظم منه فقد جعل سبحانه جزاء الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

وهناك مسائل يكتنفها الغموض ويجوز فيها الخلاف بين العلماء كمسألة بم كان الإسراء، أهو بالروح وحدها أم بالروح والجسد؟

وعندي أن اختلاف الناس بين من قال أسري بروحه ﷺ، ومن قال بجسده مرده إلى أن قوانين كلا العالَمين مختلفة، وكذا كون القرآن أنزل على سبعة أحرف كلها كافٍ شاف والله أعلم، فنحن في عالم الشهادة نتكلم عما هو من عالم الغيب فلابد ان تختلف تصوراتنا وتتباين آراؤنا وهل نستطيع مثلا التعبير عن الكمبيوتر لمن لم يره ونأتي بتعريف متفق عليه؟ ومن يقول أن القرآن لما أنزل إلى هذا العالم "تأنسن" صحيح من جهة أن الذي يقرؤه ويفسره هم الناس وسيدهم هو رسول الله ﷺ، فالقرآن خط مسطور، وإنما ينطق به الرجال كما قال علي رضي الله عنه، والعلماء هم الموقعون عن رب العالمين.

وإنما يجب على من يقول تأنسن، أن يؤمن به ويسلّم له ويستنبط منه، أما إذا كان له قصد آخر فلا، وقريب من ذلك كله ما جاء من نصوص الفتن وأحداث آخر الزمان.

فنحن يجب علينا أن نؤمن بكل ما أخبر الله ورسوله به من الأشراط والفتن، لكن لا نفتعل ذلك ولا نحدده، ولا نجزم به، ومن الافتعال أن يتجمع المجاهدون في أَبْين، حتى يكونوا هم جيش أَبْين عدن، أو يصبغون المنارات في شرق دمشق باللون الأبيض حتى يترل عليها المسيح.

وقد صحت الأحاديث في المهدي وصحت في القحطاني وفي نزول المسيح، والله تعالى يعلم حقيقة كل ذلك ومتى يكون؟

وبعض الأشراط قد تتكرر مثل اجتماع الروم على المسلمين، والمطلوب منا هو العمل وليس التنبؤ والافتعال، وأما ما قاله أهل الكتاب في بعض أسفارهم فلا نصدق به ولا نكذبه، وإنما فائدته إلزام أهل الكتاب أنفسهم بما في كتبهم.

والغرب يستر جهله بالخرافة ويتمسح بالعلم في كل شيء، هربًا من طغيان الكنيسة وتسلطها، ومن خرافاته:

١- إنكار عالَم الغيب، والشك في الآخرة.

٢- جعلهم العلم بقرة مقدسة، يلجأون إليها لحل كل مشكلة.

٣- انتشار الإلحاد بينهم وأن الإيمان بالله وهم.

٤- إيمانهم بما يسمونه المجتمع القديم "الانسان البدائي" (حسب قياسهم الباطل على المجتمعات البدائية حاليا).

٥- إيمانهم بأن أصل الإنسان قرد (حسب نظرية التطور العضوي) وأن آدم وحواء خرافة دينية.

٦- اعتقادهم المساواة المطلقة بين الذكر والأنثى.

٧- تعصبهم على الإسلام واعتقاد أنه وثنية!.

٨- إيمانهم بالنظريات السياسية الخيالية: (يوتوبيا، العقد الاجتماعي، الفصل بين السلطات، الديمقراطية).

٩- اعتقادهم أن العرق الآري هو أفضل العروق وأرقاها.

١٠- ظنهم أن التقدم التقني أو الوفرة الاقتصادية، هما الغاية التي يسعى إليها الفرد والمجتمع للحصول على السعادة.

١١- إيمانهم بما يسمى التطور المطلق، وأن الزمن هو المعيار الوحيد للحكم على الأشياء بأنها حق أو باطل.

١٢- إيمانهم بأن حادثة الطوفان مثلا هي الضلالة التاريخية المشتركة بين كل الأمم.

١٣- الإيمان بأفكار اليهود (السامية، الماسونية، السلام العالمي، الحرية)، ويجمع ذلك كله خرافة واحدة كبرى، وهي تكذيبهم بالقرآن وبرسالة محمد ﷺ.

والإسلام لا حظر فيه على طلب العلم من أي مصدر، ولو كان ذلك من طريق الابتعاث إلى بلاد الكفر، لكن مع الاحتياط والتوعية والمتابعة الإيمانية.

وإذا وجدنا البديل الإسلامي فيجب أن يغنينا عن الكافر.

أما الزج بالمراهقين إلى بلاد الكفر والدياثة باسم الابتعاث فليس صحيحا، وهذا إجبار على فعل المنكر أو إلفه على حد قول الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفا وقال له إياك إياك أن تبتل بالماء

ومن تعظيم العلم في الإسلام أن يكون العلماء أحرارا فيما يقولون، وألا يتجسس عليهم أحد، وأعداء الإسلام درجوا على ذلك منذ ظهور الإسلام ومن تجسس الروم على المسلمين ما ذكره كعب بن مالك رضي الله عنه، لما نهى النبي ﷺ عن كلام الثلاثة الذين خلفوا، وكان كعب أحدهم وجاءه كتاب من ملك غسان والي قيصر الروم "بلغنا أن صاحبك قد جفاك و لم يجعلك الله بدار مضيعة فالحق بنا.." إلخ.

قال كعب "فتيممت بها التنور"، وأصبحت التقنية الحديثة اليوم تخدم ذلك، بل إنهم ليتخذون وسائل غير مباشرة كالمقابلة الإعلامية، ويتخذون من عامة الناس وسائط للدلالة على أن العلم الفلاني يخالف الرأي الرسمي، ويغلقون ذلك باسم (البلاغ عن الإرهاب) ومن لم يبلّغ يُعاقب!

ومن أخبث وسائل الحرب على العلم الإسلامي، أن يضع له أعداء الله المتلاعبون بالعقول بدائل من عند أنفسهم، كما وضعوا الإسلام المعتدل (المودرن) بديلا عن الإسلام الرباني المنزّل، وكما تحرص أمريكا على نشر التصوّف، وإنفاذ مقررات مؤتمر "جروزني"!

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية "إن النفوس لا تقبل الباطل إلا مشوبا بشيء من الحق"، وقد كان المنافقون زمن النبي ﷺ يتوصّلون للجلوس معه بالشهادة بأنه رسول الله كما ذكر الله، وفي زماننا هذا أرادت أمريكا أن تستميل "فتح الله غولن" إلى صفها، فأكرمته في بنسلفانيا وأرادت أن ينقلب على أردوغان، وسمعت من كان نائبه يتحدث عن دعوى غولن أن الله يكلمه، وتلك دعوى صوفية قديمة، ادعاها عبدالجبار النفري في كتابه "المواقف والمخاطبات"، ثم إنهم أرسلوا له عثمان العمير، الذي يفتخر بالتعاون مع الاستخبارات، وتحدث وتصور بجانبه، لأن العمير درس في المعهد العلمي بالزلفي ثم الرياض، وتخرج من الجامعة الإسلامية كما يقول، غير أنه أوصى -كما اعترف- أن يحنطوه إذا مات ويحفظوا جثته، حتى يجد العلماء -كما يقول- طريقة لإعادته للحياة، ويقول إن من أكبر أخطائه أنه طرد إحسان عبد القدوس، ويقول إن انحطاط الأمة مقترن بتحريم الموسيقى، وأنه لا يحرمها إلا من هو أحط من الحيوان! ويذكر أن الملك فهد أعطاه (شرهة) قدرها ستة أرقام، ومن غرائبه أنه إذا جاء للسعودية مع ندرة ذلك يسكن في القصر الملكي في الرياض، وليس عند أسرته في (الزلفي) لأنها أسرة متدينة، وأنه هو وصديقه عبدالرحمن الراشد القصبي بلغا من الكبَر عتياً و لم يتزوجا!!

وهكذا يعرف الأمريكان وأولياؤهم من يختارون!

ثانيا
الممارسة العملية
للتربية والتعليم

يجب تربية النشء تربية إسلامية متكاملة، فعلى الحكومات واجبها، وعلى وزارات التربية واجبها، وعلى الإعلام واجبه، وعلى إمام المسجد واجبه، وعلى ولي الأمر واجبه، وهكذا كل منا راع وهو مسؤول عن رعيته، ومن التواكل إلقاء المسؤولية على الآخرين والتنصل منها، والاعتذار بكثرة الأشغال، كما حدث لأحد الآباء المشغولين بالتجارة والعقار، حين ذهب للبحث عن ابنه في مدرسة متوسطة، وقد تخرج منها وأصبح طالبا في الثانوية، لكن الأب لا يعلم، ومن الطبيعي أن مثل هذا الأب لم يحفِّظ ابنه كتاب الله، أو يأمره بالصلاة، وإنما الابن كالحيوان يأكل ويشرب، ويصاحب من شاء ويتولى تربيته غير أبيه.

وبالهدف الأسمى للتربية الإسلامية يظهر الفرق بينها وبين التربية الغربية، إذ تهدف التربية الغربية المسماة (حديثة) إلى تربية المواطن الصالح، في حين تهدف التربية الإسلامية إلى تربية الإنسان الصالح وشتان بينهما.

ومن أهداف التربية والتعليم تقديم التزكية النفسية على مجرد الحشو الذهني بالمعلومات.

كما أن التربية الإسلامية تتميز في الأسلوب التعليمي، فهي تبدأ بتحفيظ الطفل المتون الضرورية، وأهمها كتاب الله، ولها في ذلك أسلوبها المتميز، ومنه الضرب أو التهديد كما سيأتي.

ومن أساليبها أنها تبدأ بالحرف ثم الجملة ثم الجمل، عكس ما يسمى التربية الحديثة التي تبدأ بالجُمْلة.

ولا يزال الغربيون متخلفين في الميدان التربوي عما وصل إليه العالم الإسلامي، والسلف من عموم الهدف وجودة الأسلوب، وقد كتب الإمام أبو حامد الغزالي كتابه "أيها الولد" قبل أن يكتب الفاشل في تربيته "روسو" كتابه "إميل" بقرون.

فالمسلمون مثلا لم يجعلوا اهتمامهم منصبا على مجرد التربية، بل على التزكية وهي التي ذكر الله في كتابه وعمل بها النبي ﷺ والسلف الصالح.

وإبراهيم عليه السلام لما بنى الكعبة دعى الله أن يبعث في ذريته نبيا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، وكان النبي ﷺ هو دعوة أبيه إبراهيم كما ثبت في الحديث، غير أن الله تعالى مع هذه الاستجابة قدم التزكية على العلم فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة:٢]، وقال جل شأنه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠]، فالمهم هو التزكية وليس مجرد العلم، وقد زكى النبي ﷺ أصحابه الكرام خير تزكية، وعلمهم العلم الذي يزكيهم، قال معاوية بن الحكم السلمي: "بأبي هو وأمي ما رأيت قبله ولا بعده معلماً أحسن منه"، فعِلْمه ﷺ يمسّ شغاف القلوب، وهو أعظم معلِّم في تاريخ الإنسانية.

أما العلم من غير تزكية للنفس وإصلاح لها فهو حجة على صاحبه، والعلماء المنحرفون أشبه بعلماء أهل الكتاب، وقد كان "أرسطو" مثلا معلمًا، ولكنه كان وثنيًا اعتاد الذهاب إلى معبد "دلفي"، ويؤمن بخرافات اليونان وأساطيرهم، وكان "بلعام" عالماً ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه.

وعرف المسلمون الحلقات العلمية في المساجد وعنهم أخذ الغرب ما يسمونه اليوم (نظام الساعات المعتمدة)، (ولكن هذا النظام فيه مساوئ معاصرة منها: إجبار الطالب على إنجاز عدد محدد من الساعات)، وفي تلك الحلقات الإسلامية كان المتعلم يدرس ما شاء من تفسير وحديث وفقه، أو من طب وفلك وحساب وهندسة، فلا منازعة في الإسلام بين العلم والدين، وإنما يكون النزاع والخلاف بين الحق والباطل في كل منهما، على أن العلم الديني الشرعي أشرف وأعلى، ولا يمكن أن يُنال بغير الوحي، وأشرفه معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، أما العلوم الدنيوية فيمكن أن تعرف بالتجربة والتحصيل، فهي علوم تراكمية، وهكذا العلم البشري، لذلك أمرنا الله في القرآن الكريم، بأوامر عامة كالسير في الأرض والنظر في المخلوقات، وكان الشيخ يجلس على كرسي مخصص له في المسجد، ومن ثم أخذ ذلك الغربيون

وسمَّوا الأستاذ "البروفيسور" أستاذ كرسي، وسموا الحلقات الدراسية جامعات أو كليات وهكذا.

وعلى العلمانية في افتعال العداوة بين الدين والعلم وَضع (شمس الدين) تلميذ طه حسين أولى كليات جامعة الملك سعود على منهج (دنلوب)، لتكون جامعة علمانية ولكنها أصبحت اليوم خيرا من جامعة الإمام التي أرادوا لها أن تكون كالأزهر أول الأمر، ولكن الإسلام ليس كالنصرانية، فليس في الإسلام علم كهنوتي، بل كل علم نافع في الدنيا والآخرة هو علم مشروع، وهو خير من الجهل.

ومن مساوئ ما يسمونه "التربية الحديثة" حشو اليوم الدراسي بعدد كبير من الحصص أو الساعات، وقد كان النبي ﷺ يعظ الصحابة كل خميس خشية الإملال.

ومن مساوئ التربية الحديثة جعل الطالب الذكي الموهوب مع الطالب الغبي البليد، وقد كانت التربية الإسلامية قديما تتيح للمواهب الفردية أن تنطلق كما تشاء، وقد كان المؤلف القدير يؤلف قديما في الفن الواحد عشرات الكتب بينما لا يؤلف زميله الغبي في شيء.

ومن هذه المساوئ أن الطالب قد يعيد السنة الدراسية كلها لأنه رسب في مادة واحدة، قد يكون كارها لها ولن يتخصص فيها.

وهذا ما استنتجه "اليكسس كارل" حين ذكر أن من مساوئ الديمقراطية القضاء على المواهب الفردية، ولما فطن الديمقراطيون إلى هذا العيب التربوي أمكن لديهم ترقية الطالب الموهوب إلى مرحلة أعلى.

ومن مساوئها أيضا أنها تلغي الحفظ وتذكر عيوبه -وبعض هذه العيوب نوافق عليه-، ولكن ليس إلغاء العيوب بإلغاء الحفظ وإنما نلغي العيوب فقط، وبهذا الحفظ نبغ علماؤنا وأبدعوا، وفوائده من الأمور المشاهدة المحسوسة.

وقد قرأت لأحد المغرورين قوله: إن الذي أضعف ذاكرته وعقله هو أنه

حفظ القرآن، فانظر كيف جحد هذه النعمة العظيمة، وهل رأيت حافظا لكتاب الله يقول "إن اللهُ" بالرفع أو يقول "وكان اللهَ" بالنصب، وهل يحفظ القرآن إلا المتفوقون والأوائل!

فطلاب مدارس التحفيظ هم الأوائل والأصح لغة، وأحياء التحفيظ هي أكثر الأحياء أمنا، وذلك واضح مشهور تعلمه الوزارات والشرطة وغيرها، وليس على مستوى السعودية فقط بل على مستوى دول الخليج.

والمسلمون يبدأون بالحرف كما تقدم، انظر مثلا من يدرسون "القاعدة النورانية" كيف يتفوقون على أي طالب آخر، وكيف أن الأمر أصبح ألعوبة أو مدعاة للتكسب، فيغيرون مناهج التعليم ويستشيرون في ذلك شركات أجنبية بمبالغ كبيرة من بيت مال المسلمين، ويهربون من إخفاق إلى إخفاق، وبين أيديهم المنهج المجاني المستقيم الذي علّم سلفنا الصالح.

وقد كتب المسلمون في أصول التربية والتعليم كتبًا كثيرة منها ما كتبه الخطيب البغدادي وابن عبد البر والفارسي والحاكم وابن مفلح.

والعلم الإسلامي ليس علما مرتجلا، أو يعتمد على الكتب وحدها، بل إن الوجادة من أضعف الطرق التعليمية.

وفي ترجمة كل عالم تجدهم يتحدثون عنه وعن شيوخه في العلم وتلامذته، وهو ما يحتاج عند الغربين إلى بحث وتنقيب وقد لا تجده أصلا، وكل العلم يرجع إلى الكتاب والسنة، وأعظم المعلمين في التاريخ هو محمد ﷺ، ذلك الأمي الذي أخرج الأمة الأمِّية لتكون أعظم قائد للبشرية وأعدله وأحكمه، وعلّم الرعاة الأميين ليصبح الواحد منهم جامعة متنقلة مباركا أينما ذهب، فأصبحوا رعاة أمم بعد أن كانوا رعاة غنم.

وقد جاء الإسلام الحنيف بمعايير علمية جديدة لا يعرفها إلا المؤمنون مثل "المفلس" "نصرة الظالم" "الشديد"، "الغني"، "البخيل"، "الرقوب"، وهكذا.

كما عرف المسلمون من الكتاب والسنة أعظم وسائل التعليم، فقد

أتلف موسى عليه السلام العجل كما في سورة "طه"، إذ إن أعظم وسيلة لنسيانه ولإبطال عبادته هي إتلافه، ولقفت عصاه الحبال والعصي بما فيها من سحر فأتلفت عين المادة السحرية، ثم عادت عصا كما كانت.

وخليل الله إبراهيم عليه السلام جعل الأصنام جذاذا، وابنه محمد ﷺ أمر أصحابه ألا يبقى تمثالا إلا طمسوه ولا قبرا مشرفا إلا سوّوه.

ولهذا يأمل المتبعون للسنة اليوم إزالة مكتبة المولد، ومسجد البيعة ومسجد الكوع، وكل قبر يعظمه الجهلة والخرافيون.

وجرير بن عبد الله البجلي ﷺ يأمر من كان يستقسم بالأزلام أن يكسرها.

والنبي ﷺ خط خطوطا وخط خطا نافذا وخط خطوطا صغارا على جانبي الخط، وقال: (هذا الإنسان وهذا أمله..) الحديث! فهذه وسيلة إيضاح نبوية وهي اليوم تستخدم في الرسم البياني وفي حركة الأسهم والأموال وفي علم الإحصاء.

وعلى الرسم الإيضاحي اعتمد السلف في بيان معرفة مراتب الدين الثلاثة: الإسلام والإيمان والإحسان، فرسموا دوائر ثلاثة بعضها داخل بعض، وجعلوا الدائرة الأوسع للإسلام، ثم إن الدائرة التي تليها للإيمان، والدائرة الصغرى للإحسان.

ومن الأساليب العجيبة التي انتهجها النبي ﷺ في التعليم، ربط الفكرة التي قد تضيع، بأمر متكرر محسوس يذكّر المتعلّم بها، قال النبي ﷺ لبعض أصحابه: (قل اللهم اهدني وسددني، واذكر بالهدى هدايتك للطريق، وبالسداد سداد السهم).

وقد أوضح صلوات الله وسلامه عليه، أن بعض العلوم ممكن في ذاته ولكن تستحيل معرفته، فقال لمن سأله عن خط الرمل..؟ (كان نبي يخط فمن وافق خطَّه خطَّه فذاك).

وهل يمكن معرفة كيف كان يخط ذلك النبي؟ وكفى بذلك زجراً عن

التكلف والافتعال.

وهذا سلمان الفارسي ﷺ، الذي عرف الزرادشتية في شكلها المجوسي والنصرانية واليهودية ثم هداه الله للإسلام، وعايش النبي ﷺ، يقول إنه ﷺ علّم أمته كل شيء، حتى قضاء الحاجة.

وإذا كان ﷺ علم أمته كل شيء فالقول بما يسمى "الإسلام السياسي" باطل، وهو من القياس الفاسد للإسلام على النصرانية وترديد لما قاله المستشرقون وعلي عبد الرازق من قبل، من أنه ﷺ كان حاكمًا دينيًا فقط.

وقد قال كرومر: "الإسلام ناجح كدين ولكنه فاشل كنظام اجتماعي"!

ولا مقارنة بين مترلة العلم في الإسلام وبين مترلته في الغرب، فقد كان علماء الإسلام أجلّ من الخلفاء ومن الملوك، فضلا عن التجار وأهل الدنيا، وهل لأحد من خلفاء بني العباس مترلة توازي مترلة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله؟.

وقد بحث الأمريكيون الذين يقتدي بهم بعض المخدوعين، أسبابَ تدهور التعليم لديهم وكتبوا تقريرا مترجما عنوانه "أمة معرضة للخطر"، ومما ذكروا فيه أنه لو أن عدوا لأمريكا احتل أمريكا وفرض عليها أسلوبا في التعليم لما كان أسوأ مما هو عليه، وأرسلوا الوفود إلى هذه البلاد المباركة ليدرسوا كيف أن خريج الابتدائية، كان إماما وواعظا وقارئا للوثائق والرسائل وكاتبا للعقود، ومع ذلك يضعون هم في أرقى جامعاهم كجامعة "هارفارد" امتحان القبول مجرد أن يكتب الطالب اسمه كتابة صحيحة، كما حدثني أحد المدرسين فيها، فكيف لو رأوا السلف الصالح وأنه كان يؤذَن لأحدهم بالفتوى، أو يؤمرون بها، وهم لا يزالون مراهقين، كما كان الإمام مالك مثلا، وفي سن مبكرة نبغ الأئمة الأربعة كلُّهم وأكثر علماء السلف، وكان العالم المسلم يبلغ رتبة الاجتهاد المطلق، في السن نفسه الذي يتخرج فيه أي خريج من الجامعات الأمريكية.

ولذا يخضعون المدارس في أمريكا للمنهج المسمى "المنتيسوري" نسبة إلى الإيطالية "ماريا منتيسوري".

ولما عرف البنتاجون عبقرية هذه الأمة قرر إعطاء المسلمين المتفوقين الجنسية الأمريكية، وجعل منهم طيارين في طائراته المقاتلة مثل (بي ٥٢)، وقد جاءوا في حرب الخليج، وكان منهم من هو غامدي أو شهري أو عتيبي أو قحطاني، وغير ذلك من القبائل المشهورة، وبذلك يقطفون الثمرة التي تعبت دول العالم الثالث في تدريسها وابتعاثها.

ومع الإبداع اشتهر عن أئمة السلف قوة الحافظة وتنمية العبقرية، وكان الإمام البخاري لا يكتب اعتماداً على حفظه العجيب، وذلك مع سمو الهدف والغاية، ففي مقدمة أي كتاب للمسلمين يذكر مؤلفه أن غايتَه وجهُ الله وخدمةُ الكتاب العزيز.

وفي حين أن أهل الكتاب اليوم لا يحفظون التوراة والإنجيل، تجد أن من لا يحفظ القرآن من المحدِّثين مثلاً نادر جدا، ويذكر مترجمو حياته ذلك لغرابته وندرته! وترى اليوم حفاظ كتاب الله بالملايين ويقولون إنهم في ليبيا وحدها بضعة ملايين على قلة سكانها، وهم كذلك بالملايين في تركيا والهند وباكستان وبنجلاديش وجاوة وماليزيا وإفريقيا عامة فضلا عن بلاد الغرب، وقد قابلت بعض الحفاظ الذين لا يتكلمون العربية ولا يفهمونها واختبرتهم في حفظهم، وهذا من حفظ الله لكتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلو أحرق الظالمون كل نسخة مطبوعة من القرآن لأعاده هؤلاء.

ولما زار البابا الحالي "فرنسيس" اليسوعي المغرب الأقصى -وكان البابا قد تعلم في جامعة القرويين تصدى له طفل مغربي- وقال له أنا مسلم عمري سبع سنوات، وأحفظ القرآن، فقل لي وأنت البابا هل تحفظ التوراة والإنجيل؟ فأجاب البابا بالنفي.

وبلغ من اقتناع البابا فرنسيس بأن الإسلام حق، أن قال عنه الكرادلة إنه كافر، وربما كان أسلم سراً كبعض أسلافه من البابوات.

وأما رجال الدين النصارى فيقرأون كتابهم في كنائسهم ولو كان محرفا تحريفا حديثا، وقد حَرفت الدولة الصهيونية أكثر من خمسمائة كلمة، خصوصا ما يتعلق باليهود من الإنجيل، على صغر الإنجيل بالنسبة للقرآن الكريم، ومع ذلك يقرؤونها في يوم الأحد.

وربما قرأ بعض رجال الدين ما يسمى "مختصر الكتاب المقدس"! وهذا أحفظ لأوقات المستمعين! وأبعد عن التفصيلات المملّة الموجودة في الأسفار!

ومن العجب أن تختار الحكومة هنا وزيرًا للتعليم من الناقدين لحفظ القرآن الكريم، ويصرح بذلك في مؤلفاته ومحاضراته!

وينبغي للمناهج التعليمية في بلاد المسلمين أن تخدم القضايا الإسلامية لا أن تكرس التبعية الثقافية، والمناهج التعليمية الصهيونية التي يقرؤها كثير من الغربيين اليوم انطلاقا من كونها مناهج عنصرية تتعصب لليهود، تقول إن العرب إذا أرادوا أن يغتسلوا يبصقون في أيديهم ثم يدلكون بها أبدانهم، فليعلم هذا من يصافح اليهود أو يواليهم من المتصهينين العرب حكاما أو إعلاميين!

ومن التناقض المشهود اليوم -وهو دليل على ما يعيشه بعض الناس من الرق والتبعية- أنه في الوقت الذي يعترف فيه الغربيون بانحطاط التعليم لديهم ويتحدثون عن جهل كثير من خريجيهم وعن وجود جامعات زائفة لديهم، تجد أن الابتعاث إلى بلادهم يتسع، بل إن الذي يدرس في الغرب، يفتخر به على من يدرس في بلاد المسلمين، وبعض الجامعات الأمريكية إنما هي غرفة واحدة، تديرها عجوز واحدة كحال الجامعة المسماة "الجامعة العالمية"، ومنها تخرج كثير من الوزراء والمسؤولين هنا.

وإذا كان الجامعي أمريكياً وجاء إلى هذه البلاد مثلا فهو خبير دولي، يعطونه مرتبا يكفي عشرة أو أكثر من المسلمين الآسيويين الذين تخرجوا من نفس الجامعة، وربما كان تقديرهم أعلى.

ولما كثر ذلك الغش وفاحت رائحته، تنبهت إليه وزارة المعارف لا سيما أيام الدكتور عبد العزيز الخويطر، وأصبحت الملحقية التعليمية بالسفارة تعمم أسماء الجامعات الزائفة على الجامعات المحلية وعلى الطلاب.

ومن التناقض المشهود أن نقول إننا وفرنا كل مجالات التعليم، وقدمنا للجامعات كل وسيلة، وفي الوقت نفسه يبتعث الطلاب للدراسة في الخارج، اللهم إلا إذا كان القصد هو العيش وفق الحياة الغربية أي وفق الدياثة والشرك وأكل الجيف وقلة المروءة.

ومن وسائل التعليم النبوية الإلغاز، قال ﷺ يوما لأصحابه: (أخبروني عن شجرة لا يسقط ورقها لا في الصيف ولا في الشتاء؟).

ومن الأساليب المأثورة التكلم ببطء وإعادة الموضوع مرارا، وفي "كتاب العلم" من صحيح البخاري إشارات لذلك، وفي السيرة النبوية المزيد.

والخوف هو أحد أسباب التعلم، وأحد أساليب التأديب المشروعة فإذا تكاسل الطفل عن طلب العلم أو قصر في معرفته جاز تأديبه تبعاً للمصلحة، على أن لا يزاد على عشرة أسواط، وسيأتي الحديث عن الضرب قريبا إن شاء الله.

ومن الخلل في التربية الحيلولة دون معاقبة من يستحق العقوبة، كما تفعل بعض الأمهات أصلحهن الله.

والليبراليون أو العلمانيون في العالم الإسلامي يمنعون الضرب وغير ذلك مما ورد في الشرع مع ضوابطه، ويقلدون التربية الغربية البائسة، ولو أنهم قرأوا الكتاب والسنة وحياة السلف الصالح، لأفادوا من ذلك كل خير وتربية وتعليم وهدى، ولما أصبح المدرسون هم الذي يُضربون وتُمتهن كرامتهم، ويشتكيهم بعض أولياء أمور الطلاب بتهمة حمل العصا.

ومع ذلك لا أحد اليوم ينكر تدهور التربية والتعليم في بلدان المسلمين المعاصرة، وأنها في الماضي كانت خيرًا منها اليوم.

بل إن المسلمين الأولين لم يقتصروا على العلم النافع وحده، ولكن عرفوا العلوم الضارة ليجتنبوها، وللحسن البصري كلام في حل السحر بالنشرة، وقبله قال عمر رضي الله عنه: "إنما تنقض عُرى الإسلام عروةً عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية".

وتبعا لهم ما يزال لدي شخصيًّا بعض الكتب، أو الحروز أو توقيعات ملوك الجن، أو التمائم المحرمة أو كتب السحر، وكل ذلك أعطانيه من وفقهم الله للتوبة وترك الشركيات والمنكرات، وصدق من قال -وينسب للشافعي-:

عرفت الشر لا للشـــ ـــر لكن لتوقّيه

ومن لا يعرف الشر من الناس يقعْ فيه

ولا ريب أن من علم شيئا خير ممن جهله، وقد انتفعنا كلنا بمعرفة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لفلسفة ابن سينا وابن رشد وأضرابهما، وانتفع بمعرفة الفلسفة الشيخ أبو حامد الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة" وكذا معرفته للباطنية كما في كتاب: "فضائح الباطنية"، وانتفع قبلهما نعيم بن حماد بمعرفته للجهمية، وعبدالله بن المبارك بمعرفة حال الترك والروم، وانتفع الأستاذك: عبد الوهاب الميسيري بمعرفته للماركسية ولليهودية.

وانتفع الدكتور عبد الرحمن بدوي بمعرفته لأهداف الغربيين.

وقد يكون العلم ضارًا لا خير منه كعلم السحر، وقد ذكر الله في كتابه العزيز أن هاروت وماروت كانا يعلمان الناس السحر، وهذا ما حذر من تعلمه ديننا الحنيف.

ومن العلم الذي لا ينفع ما يبيد البشر من الأسلحة الفتاكة.

وقد أفدت كثيرا ممن حدثني عن المراهَنات التي تجري اليوم حول لاعبي الكرة أو المصارعين أو الملاكمين أو ملكات الجمال، وما أشبه ذلك وهي مراهنات مرتبطة بالميسر.

ومن ذلك الشر رأيت بالفعل ضعف كيد الشيطان، وعلمت علم اليقين ضعف بعض الجن وخبث السحر وجبن أهله وهلعهم، والحكمة من تحريم

الميسر، وعلمت أن العلم الحق هو ما في الكتاب والسنة وحدهما، كما عرفت بعض الأحكام وراجعت مصادرها، وأيقنت أن تقليد الأمريكان أو الغربيين هو الغاية في التأخر والانحطاط، وأن المسلم لا يحتاج إليهم إلا فيما طوروه من العلوم والمعارف الدنيوية وحدها، مع تخبطهم في أمور الدين وغفلتهم عن الآخرة، فهم كما قال تعالى: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧]، أي أنه حتى علمهم الدنيوي إنما هو ظاهري فقط، وهذا والله عين الحق، ومن أخذ عنهم علمهم الظاهر فليكن محصّنًا بدينه وإيمانه، الذي هو أعلى من كل علم، وكم من فلسفة لهم أو نظرية كما يسمونها يزدريها المؤمن ويحمد الله على عافيته منها.

ومما تفيد به معرفة الجاهلية والكفر، أن يعدل المرء في الحكم على الكفار، فلا يتكلم فيما ليس له به علم، أو يكفِّر المسلمين بالجملة عياذا بالله.

كما أن من يطلع على تلك الكتب، يعلم مقدار ما كان يقوم به رجال الحسبة، أو الناهون عن كتب السحر والخرافة والتنجيم والبدع والأكاذيب، ويشكرهم على ذلك ويدعو الله تعالى لهم.

وكلٌ من استطاع معرفة الجاهلية فليعرفها، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه العظيم "درء تعارض العقل والنقل" أقسام الناس في ذلك مع أمثلة من العلماء المعروفين، كما ذكر ابن القيم في "الفوائد" مثل ذلك، وهذا من معرفة سبيل المجرمين، الذي لا ينبغي للعالم أن يجهله، وفي نظري أنه كلما كان الإنسان أكثر معرفة بالجاهلية، مع معرفته للإسلام الذي هو الأصل، كان أكثر إيمانا وشكرا لله على هذا الدين القيم، وازداد به يقينا وتمسكا، وقد قال نعيم بن حماد الخزاعي رحمه الله: "أنا شديد على الجهمية لأني كنت منهم"، وفي هذا العصر نجد أن أكثر الناس نقدا للغرب، هو من عاش بينهم وقرأ مؤلفاتهم، ورأى ما هم فيه من الظلمات، مثل عبدالرحمن بدوي الذي كان وجوديا وتلميذا للفيلسوف "لالند" ثم هداه الله آخر عمره، ومثل عبدالوهاب المسيري الذي كان يساريا ثم هداه الله، ومثل زكي نجيب محمود

الفيلسوف سابقا وقد كان -كما ذكر- يظن أن الفكر الغربي هو وحده الفكر الذي لا فكر سواه، ومثل سليمان دنيا الذي عاش في الغرب ورأى حيرته وضلاله، وقرأ كثيرا من الفلسفة، وحقق "الرسالة الأضحوية" لابن سينا، ثم إن الله تعالى هداه وعرف الحق، وكتب نقدا علميا لشرح "العقائد العضدية"، أما منير شفيق -وهو الذي أحب أن أسمع أحاديثه وتحليلاته- فقد ولد في مدينة القدس من أبوين نصرانيين، ولكنه قرأ عن الإسلام فأعجب به، وأعلن إسلامه وليته ينبه شورش لذلك، وقبله القس القبطي سابقا الذي احتفظ باسمه خوفا عليه، وقد أقسم لي أنه لم يقرأ القرآن إلا للرد عليه بتكليف من الكنيسة القبطية، ولكن القرآن أذهله ورأى ما فيه من الحق.

وأمثال هؤلاء كثير فلا أطيل بذكرهم.

وكانت مناهجنا -مع الأسف- غربية لا أثر فيها للعقيدة أو الأحكام الشرعية، وبعضها درسْته بنفسي، وبعضها اطلعت عليه وقرأته وهذه أمثلة من ذلك:

١-كان التاريخ كلُّه تاريخاً قوميًا، فتجد فيه العداوة المقيتة للدولة العثمانية، دون أي إشارة إلى جهادهم، ونقلهم المعركة من حلب إلى فينا، وكانوا يسمون الدولة العثمانية "الاستعمار التركي" وكان نموذج الاستبداد هو السلطان عبد الحميد الثاني، أما نموذج البطش والتنكيل فهو الوالي العثماني "جمال باشا" الذي قتل كثيرًا من حملة الفكر القومي، وسموه "جمال السفاح".

وكان بعض المدرسين ناصريين يعجون بشخصية جمال عبد الناصر، وأنه زعيم الأمة العربية، وعلى يديه سيكون تحرير القدس حسب قاعدة المسجد الأقصى التي قال عنها الشاعر قديما:

وكلما حرره ناصر يقيض الله له ناصرا

فكان الناصر صلاح الدين، ثم المنقذ المنتظر ناصر هذا العصر! وهذا يبذر في الوعي أو اللاوعي ما تقدم، ويصحح فكرة وصف العرب بأنهم "بدو

ناصر"، وكان منهم بعثيون يجعلوننا نعلق الأمل على مدرسة "ميشيل عفلق"، وكان من البعثيين تركي الحمد هداه الله.

وإيمانا بهذه القومية التي ربانا عليها الناصريون والبعثيون، والمناهج العوجاء، كان النصارى العرب كالمسلمين، وعليها جعلوا فارس الخوري رئيساً لوزراء سوريا، وجميل البارودي مندوبا دائما للسعودية في هيئة الأمم المتحدة، وبقي مندوبا حتى مات بعد أكثر من ربع قرن، وقد كانا نصرانيين لكنهما عربيان وإنما عدونا الأتراك ولو كانوا مسلمين!

وكنا نؤمن بكوننا أمتين عربية وإسلامية، ونكتب ذلك في تهنئاتنا.

وكنا نُعلَّم أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب خرج على الدولة العثمانية، وبذلك كان بطلا، وأسس أول حركة تحريرية من الحكم العثماني، وكل من خرج على الدولة العثمانية هو عندنا معظَّم، ذو أثر بارز في النهضة العربية الحديثة والتقدم والاستقلال، مهما كان دينه أو عقيدته! وقد درسنا أن من أول حركات التحرر العربي والاستقلال عن الدولة العثمانية الحركة قام بها "فخر الدين المعني الثاني" في لبنان، وبعد أن اطلعنا على حياته لما كبرنا علمنا أنه درزي.

وكانوا يعلموننا في الجغرافيا أن الدولة الفلانية استقلت عام كذا، وهي عضو في هيئة الأمم المتحدة، وجامعة الدول العربية، وفي مجموعة الكومنولث البريطانية، ودون أي إشارة إلى أنها خرجت على الدولة العثمانية.

وأسوأ من ذلك زعمهم عند الحديث عما تعرض له الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأذى، أن ذلك من شأن المصلحين أمثال "ماركس" و"لينين".

وكانوا يعلموننا في الأدب، أن من أعظم الشعراء شاعر القطرين، "خليل مطران" دون أن يذكروا أنه نصراني، وكان مطران يمجد انتصار الصرب على الأتراك، ومما نحفظ من شعره في ذلك:

هكذا هكذَا تدور الليالي على الباغي ويهلك الظالمونا

وكنا ننشد جماعيًا في الطابور الصباحي أشعار بشارة الخوري وأمثاله من نصارى العرب، ومن ذلك نشيد:

داعٍ إلى العهد الجديد دعاك فاستأنفي في الخافقين علاك

وفي آخرها:

إنا نقاضي الطعن في أحسابنا بالرأي لا بالصارم الفتاك

أي أن الحل هو الحوار واستبعاد السيف.

كما كنا ننشد:

بلادُ العُربِ أوطاني منَ الشّـــامِ لبغدانِ

وكان منها:

فلا دين يفرقنا ولا حد يباعدنا

ثم إنهم غيروا كلمة دين فجعلوها "لون".

وكانوا يدرسوننا أن كمال أتاتورك أسس الجمهورية التركية الحديثة!

وكانوا يقرِّرون ان الموسيقى غذاء الروح.

وكانوا ضد الجهاد الذي يأباه الغرب، ويسميه عنفا وغزوا وإرهابا، حتى أنهم حذفوا من تعريف التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب عبارة "والبراءة من الشرك ومعاداة أهله".

وقد أثر المد القومي في المجتمع السعودي تأثيرا هائلا، حتى أن الأستاذ حمد الجاسر مع كونه قاضيا شرعيا في الخرج، تتبع الأماكن المذكورة في الشعر الجاهلي، ثم إنه أصدر مجلة "العرب" التي كانوا يوزعونها على الإدارات الحكومية، وكلفوا الشيخ بن بليهد بالكتابة عن الآثار في جزيرة العرب، وألّف "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار"، وأحيوا الأسواق الجاهلية كسوق عكاظ، وأحيوا اليومين الذين كان عرب الجاهلية يحتفلون بهما، وهما أول الميزان وأول الربيع، وأشغلوا الناس بالأمثال العربية العامية، وافتخر القوميون بندوة قريش في الجاهلية وأصدروا في مكة صحيفة الندوة..

ووصل الأمر إلى حد إنشاء تنظيم سري أدخلوا فيه بعض الأمراء،

وأصدروا مجلة "القصيم"! لكن الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله رد عليها.

وكانت اللغة الفرنسية لغة مقررة على طلاب القسم الأدبي في الثانوية وكانت المقررات الدينية مجموعة كلها في كتيب صغير بعنوان "توحيد وتهذيب".

وليس في ذلك الكتيب أي شيء يمس اليهود أو النصارى أو يذكر دينهم بسوء، وقد كانوا يدرِّسون بإعجاب، الثورة الفرنسية وحملة نابليون على مصر، وأمجاد مترنيخ وبسمارك.

وكان مدرس الدين هو موضع سخرية الجميع، وأضعف المدرسين وأجهلهم يختارونه لتعليم القرآن، أما أقواهم فهو مدرس الانجليزي والرياضيات!، وبلغ من جهل أحد مدرسي القرآن أنه لما قال له أحد الطلاب (يا أستاذ في سورة الكافرون آية مكررة) قال: (اشطبوها!).

وكانوا يحلمون بالوحدة العربية الكبرى، ويمجدون من يدعو إليها، ويفخرون بأن المملكة العربية السعودية حاولت الاتحاد بالمملكة العراقية أو المملكة اليمنية.

وتبعًا لتلك القومية كنا ننشد صباحًا شعر علي محمود طه "لنحمي الكنيسة والمسجدا".

وفي المقابل كان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله تعالى يكافح كفاحًا شديدًا وينشئ المعاهد العلمية، ولكنها تتعرض باستمرار لمحاولات دمجها في وزارة المعارف تارة بحجة التمويل وتارة بذريعة التطوير.

وهكذا تربينا على العلمانية منذ الصغر إلى أن أنقذنا الله منها، والحصة الأهم والأثيرة لدينا والتي تحظى بالدعم المستمر ضمن النشاط الصفي واللاصفي هي حصة الرياضة، وكان البطل عندنا هو من يكون بطلا في لعبة كذا، وكنا نحفظ أسماء اللاعبين حتى في البلاد البعيدة، ونجهل أسماء الصحابة الكرام.

و لم تكن العلمانية آنذاك هجوماً على الدين كما نرى اليوم، بل كانت

تتستر بشعارات دينية أحيانًا، وكان المخدوعون من أهل العلم كثيرًا.

ولم تَقِلّ القومية أو تضعف إلا بعد هزيمة الأيام الستة، وقيام الحرب الأهلية في لبنان، واستبدال القومية بالوطنية التي هي أضيق بل هي انتكاسة إلى الفكر الفاشي.

وأسلوب التربية الحكيم هو الأمر والنهي بالرفق والحسنى، وليست الفظاظة والفوضى ولا قلة المروءة من السنة، بل طبع الله نبيه ﷺ على اللين، وحسن التربية ولطف التعليم، حتى أنه نهى أصحابه أن يزجروا الأعرابي الجلف، الذي بال في مسجده الشريف، ولما قضى بوله أمرهم أن يصبوا عليه الماء.

ولم يكن صلوات الله وسلامه عليه، يشق على الناس أبدًا، وكان إذا قضى طوافه نزل بالأبطح (العدل)، وكان يستلم الحجر بمحجن، مع أنه أكثر الناس حبا للبيت وتعظيمًا له، وحرصًا على استلام الحجر.

فاحرص يا متبع رسول الله على سنته، وفاضل بين الأمور ولا تكن كمن يهدم مصراً لكي يبني قصرًا، كأن تؤذي المسلمين لكي تفعل إحدى السنن، وقد تنبه لذلك العلامة محمد بن عثيمين فقال في شرح الزاد: "إنه لا ينبغي للإنسان أن يفعل سنة يؤذي بها غيره".

والتربية علم عظيم كان حكرًا على الكفار، ثم إن الله قيض في هذه الأمة المباركة من تعمق وجاء بما لا يعلمه الغربيون، وأذكر لذلك بعض من أعرف مثل: د. محمد الدويش، ود. خليل حدري، وغيرهما ممن لا أعرف كثير.

ونحن أمة أصيلة ولسنا أمة ضائعة، فلا نجعل عمدتنا ما يسمى "التربية الحديثة"، التي تمنع الضرب مطلقاً، وقد قال نبينا ﷺ: (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر)، وأمر بتعليق السوط لكي يراه أهل البيت، وإذا كان ذلك خطأً تربويًا، فإن النهي عن ضرب الزوجة، وتغريم الزوج خمسين ألف ريال، خطأ اجتماعي أكبر منه، وهو فوق ذلك عكس شرع

الله، فالله تعالى يقول في حق الزوجة: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء:٣٤]، فالله تعالى جعل الضرب مرحلة ثالثة بعد الوعظ والهجر، وهؤلاء الغربيون يغرمون فاعله ويقلدهم في ذلك بعض أبناء المسلمين، ويسكت العلماء ويمتثل له القضاة!.

وقد تطور الأمر من استعمال الطالب للملاكمة أو العصا ضد المدرس، إلى استخدام المسدّس والرشاش ضد المدرس أو المدير، وإذا اقتفينا أثر ما يسمى التربية الحديثة وبقينا على هذه الحال، فسوف ينسفون المدرسة من أساسها.

كما أن تغيير الاسم لا يغير الحقيقة، فقد كانوا في أيامنا يسمونه المفتّش، وهم الآن يسمونه الموجّه، أو (المشرف التربوي)!.

وبعض الطلاب يقفز من فوق السور لكي يهرب من المدرسة، والتربويون يسمون ذلك "التسرب"!

فكيف نترك النور ونسير وراء السائرين في الظلام، والذي أنزل النور سبحانه هو الذي خلق المرأة والطفل وكل أحد، وهو أعلم بما يناسب كل مخلوق وما يصلحه؟ وهو مع كماله غني عن العالمين.

وفي تاريخنا الإسلامي كله كان التخويف بالعصا أحد وسائل التربية.

واعتاد المسلمون المعاصرون على منع الضرب، وهكذا سقطت هيبة المدرس والمدرسة، بل إدارات التعليم ووزاراته- وكما جعلت القوانين الأمريكية غرامة على من يضرب زوجته، جاء مقلدوها وتابعوها، فجعلوا غرامة مالية على الزوج، فأسقطوا هيبة الزوج كما أسقطوا هيبة المدرس، ومع ذلك لو سألت أحد قضاة السلاطين لقال: نحن نحكم بالكتاب والسنة.

ونحن مع الأسف في هذا التقليد غرَّنا تقلب الذين كفروا في البلاد، وأعجبنا ما هم فيه من الأموال والأولاد والله تعالى يقول: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِي ٱلْبِلَٰدِ﴾ [آل عمران:١٩٦]، ويقول لنبيه الكريم عن المنافقين: ﴿ وَلَا

تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَأَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:٨٥].

أي أن ما أعجبنا وقلدناهم فيه هو في الحقيقة متاع قليل يعقبه عذاب أليم.

ومما قلدناهم فيه جعل الجانب المادي هو الأساس والمرتكز، وقد قابل أحد المدرسين السعوديين وزير التعليم السابق فقال له الوزير: إما أن تلتزم بالأنظمة، وإلا فأنا مستعد أعطي راتبك ثلاثة متعاقدين!

ومع إسقاط هيبة المدرس والزوج يريدون أيضا إسقاط هيبة الأب بمنع ما يسمى "العنف الأسري"، ولا شك أن تصرفات بعض الآباء خطأ وقاسية، ولكننا نجزم بأنه لن تكون الشرطة أو حقوق الإنسان أرحم بابنه منه، وأن بعض الأبناء لا بد من عقوبته مثل مدمن الخمر ومتعاطي المخدرات.

وبعض الأبناء يضرب والديه -عياذاً بالله- بل يقتلهما أحدهما أو كلاهما، ونحن نتبع شرع الله ولا نتبع المشرع الأمريكي الذي يكيل بمكيالين، وينظر للأمور من زاوية واحدة.

وليس الغش خاصًا بأمريكا وجامعاتها العالمية بل يجب الحذر على كل الوزارات.

فوزارة الصحة مثلا، اكتشفت شهادات زائفة تضع الممرض بمرتبة الاستشاري! واكتشفت أن بعض الأطباء يبيع كِلية المريض أو أي عضو آخر بعد تخديره.

وبعد السيول الأخيرة، ثبت أن الذين جعلوا المجرى في مكان والسيل في مكان آخر، غير مهندسين ولو كان بعضهم "خواجة"! وصدقت عكاظ حين قالت "في امتحان السيول لم ينجح أحد".

والذين تكتشفهم المباحث الأمريكية "إف بي آي" من قراصنة الحاسوب "هكرز" الأمريكيين لا يحصون.

فالغش الغربي المتقدم له أنواع وأشكال، بخلاف غشنا المتأخر، ذي

اللون الواحد!.

وخير التربية ما كان عليه النبي ﷺ، ونشأ عليه العلماء الربانيون كالتواضع وحسن الخلق ومعاشرة الناس بالحسنى، والسلام على من عرفنا ومن لم نعرف، ومعرفة قدر النفس ودوام المحاسبة، والعمل بما أمرنا الله به، وكلٌّ وفْق ما يسره الله له، فمن الناس من يُسِّر له العلم، ومنهم من يسَّر الله له الحرب، ومنهم من يسَّر الله له العبادة، ومنهم من يسِّر له الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنهم من يسِّر له التجارة، ومنهم من يسر الله له فنّاً من الفنون دون آخر، وشرط ذلك كله أن يريد به وجه الله والآخرة (وكل ميسَّر لما خلق له)، كما أخبر ﷺ، فاعرف ذلك وجاهد نفسك عليه لا على ما لم تُخلق له.

وكثير من طلاب العلم يريد أن يكون عالما ولكن الله لا يريد له ذلك، وأنا قال لي بعض الناهين كيف أكون شاعرا وأتعلم العروض، فعلمته شيئا من العروض حسب طلبه وعلمه ثم نصحته أن يترك ذلك فهو ليس من أهل هذا الفن.

قال ابن القيم رحمه: "أشرف الأحوال ألا تختار لنفسك حالة سوى ما يختاره لك ويقيمك فيه، فكن مع مراده منك، ولا تكن مع مرادك منه".

وهكذا تختلف الطاقات والمواهب، ومن خلقه الله على طبيعة كأبي هريرة فليحمد الله ولا يعتسف نفسه ليكون على طبيعة خالد، وقد قال خالد بن الوليد لمعاذ بن جبل رضي الله عنهما يوم اليرموك: إذا كان الأمر أمر فقهٍ فإليك وإذا كان أمر حرب فإليّ.

وقد قال الشاعر: وبه استشهد الخليل، لما أراد الأصمعي أن يتعلم العروض ولم يكن من أهلها، كيف تقطّع هذا البيت:

إذا لم تستطع شيئا فدعه　　　وجاوزه إلى ما تستطيع

والحاصل أن علم السلف أفضل بكثير من علم الخلف، وأن طريقتهم فيه أعلم وأحكم.

ومن المعلوم أنهم يغيرون المناهج السعودية وينفقون لتغييرها الملايين فماذا غيروا في الجغرافيا مثلا؟.

أما المعلومات الجغرافية العامة فهي لم تتغير، وأما المعلومات الأخرى فيغيرونها فمثلا:

كانت المناهج عندهم تقول عن نابلس تقول إنها أكبر مدينة في الضفة الغربية، ومنها انطلقت الانتفاضة الفلسطينية، ولما غيروا المناهج حذفوا عبارة (ومنها انطلقت الانتفاضة.. إلخ).

وقد تحدثت عن سوء مناهجنا التعليمية، في محاضرة عامة وأرسل لي وزير التعليم حينها وكيله، واعتذر الوزير بأن الأخطاء ليست منه شخصيا، بل من اللجان، والله أعلم.

وأخيرا ولّوا وزارة التعليم وزيرًا يفخر بأنه أول من خلط النساء بالرجال، والتعليم في الإسلام لا يكون مختلطا بشكل ما، ولا تكون مناهج البنات مشابهة لمناهج البنين، خذ مثلاً ما لا يجب على النساء كالجمعة والجماعة والجهاد، وقد نهانا الله عن الاختلاط، كما أثبتت الدراسات الحديثة أضراره وكل ما يؤدي إليه، فأما نهي الله عنه فمعلوم لكل مسلم، وأما الدراسات الحديثة فمن ذلك دراسة أمريكية أثبتت أن تعليم المرأة بعيدا عن الاختلاط، يجعلها أكثر أنوثة، وفي دراسة أخرى اثبتوا ضرر مشاهدة الأفلام الإباحية على فتور العلاقة الزوجية، وضعف التحصيل العلمي وقلة الذكاء، ولذلك فنحن نطالب بفصل تعليم البنات عن البنين فصلا كاملا إداريا ومنهجيا، كما نطالب بحظر مشاهدة الأفلام الإباحية والخلاعية وفتح دور للسينما.

وقد ثبت للآباء والأمهات بعد أن وزعت وزارة التعليم كتابا فيه شيطان (كائن فضائي كما يقولون) يجلس بجوار الملك أن المشرفين على التعليم تفوتهم أشياء كثيرة.

ثالثا
في الإدارة

وفي الإدارة تقدم المسلمون تقدما عظيما، ولا يزال الغرب يدرس كيف استطاعوا أن يديروا أقاليمهم الواسعة التي هي أكبر بكثير من قارة أوروبا، بل إن مساحتها لتبلغ مساحة القمر، وسواء أكانوا يديرونها بواسطة الإدارة بالأهداف، أو بالإدارة الاستراتيجية أو بغير ذلك فإن أمرهم عجب.

وكان عمر ﷺ يرسل محمد بن سلمة الأنصاري للتفتيش على الولاة، ولذلك قيل إنه أول مفتش إداري في الإسلام، وعزل عمر سعد بن أبي وقاص لما شكاه أهل الكوفة وكانوا هم الظالمين له، وكان ذلك أحد مظاهر العبقرية العمرية.

ومن أهم دواعي التفتيش الدائم "المحاسبة" فقد كان الرسول ﷺ يحاسب العمال، وأنكر على ابن اللتبية قوله: (هذا لكم وهذا أهدي إلي) كما ثبت في السنة، وأرسل صلوات الله وسلامه عليه معاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وأبا موسى الأشعري إلى اليمن، وولى أبا سفيان على نجران وأبا عبيدة على البحرين، ولما طلب منه نصارى نجران أن يرسل إليهم رجلا أمينًا، أرسل أبا عبيدة بن الجراح، وهكذا يضع صلوات الله وسلامه عليه الرجل المناسب في المكان المناسب.

والغرب اليوم يفخر بما عنده من المحاسبة والشفافية، وهذا مفقود او قليل عند المسلمين.

ومن سيرة النبي ﷺ وسيرة خلفائه الراشدين عرف الناس التقسيمات الإدارية، سواء في الأقاليم، أو في داخل الإقليم الواحد، وكان تعيين الولاة دليلا على عدل الحاكم أو جوره، وإذا ولى الحاكم أبناءه أو أقرباءه أو أصدقاءه علم الناس أنه غير عادل وهكذا.

وممن تولى من الصحابة الكرام غيرَ سعد: معاذ وأبو هريرة وأبو عبيدة وعتبة بن غزوان رضي الله عنهم أجمعين.

وقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري أن يشير عليه بمن يولي؟ فكتب إليه الحسن "أما أهل الدين فلا يريدونك، وأما أهل الدنيا فلا

تريدهم، ولكن عليك بأشراف الناس"، وذلك أن أشراف الناس يترفعون عن الكذب، ويطيعهم الناس، وهم أبعد عن الانتقام والحقد وأكثر تجربة وخبرة، قال المقنع الكندي:

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس زعيم القوم من يحمل الحقدا

والتقصير الإداري قديم، وقد شكا عمر ﷺ إلى الله عجز التقي وجلَد الفاجر، وهي المشكلة ذاتها التي تعاني منها الإدارة اليوم، ولِما كان يتسم به الولاة والعمال والخزنة في الإسلام، وللمحاسبة الدائمة لوجه الله لم تنشأ عند المسلمين الظاهرة التي يعاني منها العالم اليوم، وهي مشكلة الفساد الإداري، ومن أنواعه الرشوة، وكيف يستطيعون التحذير مما يسميه المرتشون اليوم "العمولة" أو وضع القوانين لمنعها؟ والغربيون اليوم يطالبون بالمحاسبة والمراقبة والشفافية، وغير ذلك مما هو مطلوب، ولكنه خارجي فقط، دون الأمانة الداخلية، فالرشوة منتشرة عندهم بشكل مزعج، حتى أن الأمريكان يحاسبون الرئيس إذا أخذ شيئا ولم يدفع ثمنه، ويعترفون أن عدنان خاشقجي رشى الرئيس الأمريكي (كلينتون) بمائة ألف دولار.

ويكتبون الكتب الكثيرة عن هذا الخاشقجي وترفه وقصوره وطائراته ويسميه بعضهم "فأر الأنبوب"، ويقولون إنه من بدو النفط، أما الإخوة المصريون فيقولون إنه أحد القطط السمان في السعودية!

وكان بعض المسؤولين هنا يذمه علناً وهو صديق له سرًا، ويظن أن الناس لا يعلمون.

واضطر الغربيون -بل كل الدول- إلى إنشاء هيئات أو إدارات أو دواوين للمحاسبة والمراقبة والشفافية، كما اضطرت الشعوب للتظاهر ضد الفساد، وبعض رؤساء الدول أو رؤساء الوزراء يستقيل إذا فضحوه، ويتجنب المحاكمة بتقديم استقالته!.

وبعض الدول تحاكم مسؤولي إدارات محاسبة المفسدين بتهمة الفساد، كما حدث ذلك في مصر التي تدفع لها دول النفط المليارات المتتابعة.

ومن حسن الإدارة، إماتة البدع بالعطاء المادي، كما فعل عمر بن عبد العزيز، وكذا حسن التصرف، وجودة الإدارة ومحاسبة الموظفين.

وربما كان أعظم فنون الإدارة، هو قيادة الجيوش الذي اشتهر به سلاطين آل عثمان، ومن أشهر القياديين في الغرب، "الاسكندر الكبير" اليوناني، و"نابليون" الفرنسي، و"رومل" الألماني، و"جوردن" الإنجليزي، غير أن هؤلاء لا يقاسون بما كان لخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وسعد بن أبي وقاص.

والغربيون يعجبون كيف قطع خالد بن الوليد صحراء السماوة، وعبر من العراق إلى الشام، وكيف قطع السلطان سليم العثماني صحراء سيناء ليفتح مصر.

أما الشيء المحيِّر للغربيين والذي لا يستطيع أي قائد غربي أن يفعله، فهو النصر عن طريق الانسحاب، الذي فعله سيف الله خالد بن الوليد في "مؤتة"، وسماه النبي ﷺ فتحًا، كما في صحيح البخاري وغيره.

وربما كان أسوأ أنواع الإدارة، هي الإدارة المركزية حيث تكون الصلاحيات مركّزة في شخص واحد.

ومن الأخطاء الإدارية الكبرى تعميق المركزية والبيروقراطية، والقسمة التي قسموا بها المناطق الإدارية الحالية، فمثلا منطقة مكة المكرمة حيث أسكن، يتبعها قرابة عشرين محافظة، وكلها ترسل المعاملات إلى أمير واحد فيغص مكتبه بالأوراق والملفات التي ليس من صلاحية غيره أن يبت فيها.

ومع أعبائه الكثيرة في الأمارة هو في الوقت نفسه مستشار في الديوان، فأين حق الأهل والأبناء والجسد، وأين الوقت للشعر وافتتاح الندوات أو المراكز القومية! وأين استقبال الوفود وإيصال الرسائل للخارج؟ ومع ذلك يمنعون الهيئات -رحمها الله- من تقليل المشكلات!! وإزاء هذا التشتيت تضيع العبقرية مهما بلغت، وتضمحل المقدرة الادارية مهما كانت، وتكبت الطاقات الجيدة.

ولا أرى مثلا هذا التكدس في البيت الأبيض الأمريكي مع أن الرئيس الأمريكي يتحكم في أكثر من خمسين ولاية ويعالج أكبر المشكلات العالمية.

فالغرب -بصراحة- أجود إدارة منا، ولو أنا سلكنا منهج السلف الصالح في الإدارة لسبقناهم سبقا بعيدا.

وقد جعل عمر بن الخطاب ﷺ ولاته يحكمون أربع سنوات فقط، درءا للرشوة والانتهازية والاستغلال، مع أنه لم يكن فيهم قريب له.

وتبعا للمركزية الفريدة والمغالاة في تقدير عبقريات بعض المسؤولين، نجد المسؤول يأمر بتشكيل لجنة لدراسة موضوع كذا وإعداد التوصيات بشأنه، وتستمر اللجنة في عملها مدةً الله أعلم بها، ويجتمع لذلك عقول كتخصصة ناضجة ويكلف الأمر أعباء مالية كبيرة، فإذا وقع حادث عمل المنفذون بأوامر المسؤول الأعلى الذي يصفونه بالمحنك والحكيم، وتركوا توصيات اللجنة وراء ظهورهم، وينتج عن ذلك مما ينتج الاعتماد على رأي مرتجل فطير، الأمر الذي يتسبب في أخطاء جمة، إضافة إلى انشغال المسؤول بذلك الحادث عما سواه، وإذا كثرت الحوادث وتكررت كان الأمر أظهر وأعظم، وكان الإهمال من نصيب المعاملات الورقية.

ومن فنون الإدارة في الإسلام ما يمكن أن نسميه "توازن القيادة"، فانظر مثلا إلى سيرة الشيخين تجد ذلك جليا، فلما كان الصديق حليما رفيقا اتخذ قائدا شديدا قويا "خالد بن الوليد"، ولما كان عمر شديدا قويا اتخذ قائدا رفيقا "أبا عبيدة"، مع أن خالدا قريب عمر وشبيهه!!.

ومن التوازن الذي هو هبة من الله ولا يملكه البشر: أنه جعل الفاروق ذا هيبة عند الناس، مع شدة شفقته ورحمته بهم، وقد قال الفاروق ﷺ عن وصف تلك الحالة: "الحمد لله الذي ملأ قلوبهم هيبة لي، وملأ قلبي شفقة بهم".

وينبغي أن تتغير الإدارة وفقا لثورة الاتصالات الحديثة وكثرة الأعباء وتراكمها.

فثورة الاتصالات الحالية لها جانبان: إما أن تقضي على الإدارة المركزية حتى يصبح الحال مختلفا جدا، فلا بد من إعطاء صلاحيات تنفيذية لكل مسؤول، أو تفويض الصلاحيات، وإما أن تساعد على التحكم المركزي، فالجهاز المركزي يمكنه التحكم في الأجهزة الفرعية أو أخذ المعلومات منها مباشرة، و لم أفهم حتى الآن لماذا يطلبون من المواطن أن يخبرهم عن الأراضي التي لديه، وعن حسابه أو وظيفته وعن مسكنه أهو ملك أم مستأجر، وكثير من الأمور التي يمكن أن يعرفوها بضغطة زر.

وقد اضطر مدير الغرفة التجارية السابق في مكة، لاتخاذ قرار شخصي واجتهد في حضور شخصية إيرانية، لأن الرد تأخر عليه من الديوان، ثم جاءه عتب من الديوان فأخبرهم بعذره.

ومما يدل على الخلل الإداري والفوضى السياسية: كثرة جهات الرقابة أو الحماية، فكلما عرضت مشكلة رأى السياسيون حلها بتشكيل لجنة، أو تكوين إدارة أو مصلحة أو مؤسسة أو هيئة أو مجلس لها وهكذا، الأمر الذي يؤدي إلى الترهل الإداري وتنازع الاختصاصات وتداخلها، وتكريس البيروقراطية!

ومن أسوأ أنواع ألإدارة البيروقراطية تشكيل اللجان لذلك، وقد قال بعض الإداريين وتبعهم في ذلك الدكتور غازي القصيبي: "إذا أردت قتل شيء فشكل له لجنة".

ومن ذلك تغيير اللعبة بتغيير اللاعبين فيستبدلون وزيرا أو عضوا بآخر.

ومن ذلك وضع أسماء جديدة لمسمّيات قائمة أو تغيير الأسماء فقط.

والمؤسف في بلاد الحرمين أن المعضلة تتفاقم، ومن مظاهر ذلك تداخل الاختصاصات وتنازع الإدارات والوزارات.

خذ مثالا لذلك الحجّ، فله وزارة خاصة وفي الوقت نفسه تجد جهات أخرى تنازعها الاختصاص، منها وزارة الداخلية حيث تتبعها لجنة الحج العليا ولجنة الحج المركزية التابعة لأمارة منطقة مكة المكرمة، وكذا الشؤون الأمنية

في الحج، وكذلك جامعة أم القرى، التي يتبعها مركز أبحاث الحج ويلقي مدير الجامعة محاضرات عن الحج في الإدارات المختلفة وكذا وزارة الشؤون الإسلامية التي تقوم بتوعية الحجاج في المواقيت وفي مكة والمشاعر، وتقوم على كسوة الكعبة الشريفة، ومنها الديوان الملكي الذي يسير الكل حسب توجيهاته ويراجعونه في الأمور.

ومن الأخطاء الإدارية المرتكبة توظيف الموظف غير الكفء إما لقراراته السيئة وإما لقلة أمانته، فانظر مثلا إلى تسريبات وزارة الخارجية التي قالوا إنها ليست اختراقات اليكترونية!

وهكذا تبرز الحاجة إلى الإصلاح الشامل وتربية الناس على الإخلاص والأمانة وكل المعاني الإسلامية.

ولعل أهم ميزات الإدارة في الإسلام هو العدل الذي تحن إليه النفوس، المؤمن منها والكافر، والذي هو مطلوب في كل إدارة صغيرة أو كبيرة.

والله تعالى عظم شأن العدل الذي هو القسط والميزان، وجعله بحكمته مأمورا به قبل الصلاة التي هي عمود الدين، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف:٢٩].

ونهى نبيه الكريم أن يجادل عن الذين يختانون أنفسهم، وأمره إذا حكم بين اليهود أن يحكم بينهم بالقسط، وأمره عبده داود عليه السلام أن يحكم بين الناس بالحق، وقال لعموم المؤمنين ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟﴾ [المائدة:٨]، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟﴾ [الأنعام:١٥٢].

وجعل قيام الناس بالقسط هو الغاية من إرسال الرسل وإنزال الكتب، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد:٢٥]، وأقام الكون على العدل ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧-٩].

والآيات في ذلك كثيرة، وكذا الأحاديث وكلام السلف وسيرهم.

وأهل العدل هم الذين يكونون يوم القيامة على منابر من نور، جزاء لهم على عدلهم في أهلهم وما ولوا، فهم يعدلون بين الزوجات وبين الأولاد، وفي كل ما تولوا، سواء كان مؤسسة أو شركة أو مدرسة أو إدارة أو وزارة أو دولة، وليس من العدل أن يملك بعض الناس عشرات المليارات، أو مئات الملايين، بينما لا يجد بعضهم ما يستر به عورته أو عورة ذويه.

وليس من العدل تولية القريب وإقصاء البعيد.

وليس من العدل أن يسكن بعض الناس قصورا ذات حدائق غناء، ومسابح ومراقص وتمتلئ بالخدم، بينما لا يجد بعضهم إلا بيتا من القش أو الصفيح.

وليس من العدل أن يجد بعض الناس وظيفة عاليه، بينما يكون زميله في الدراسة عاطلا.

وليس من العدل أن تقام الحدود على الضعفاء، ولا تقام على الأقوياء.

وليس من العدل أن يسجن بعض الناس في زنازين انفرادية ضيقة، بينما يسجن آخرون في فنادق وقصور أو فلل فسيحة.

وليس من العدل أن يكون لبعض المناطق طرق سريعة متعددة المسارات، بينما يوجد مناطق لا يعبر الناس إلا على على جسور خشبية للماشي الواحد.

وليس من العدل أن تسطو البلدية على الباعة الجوالين، دون المراكز التجارية.

وليس من العدل أن يركب بعض الناس في الدرجة الأولى في الطائرة أو القطار، بينما يركب غيرهم الدرجة السياحية إن استطاع.

وليس من العدل أن تكون الدولة الفلسطينية مجرد مراقب بينما تكون الدولة الصهيونية كاملة العضوية.

وليس من العدل الحكم على من يقاتل اليهود بالإرهاب أو التطرف والحكم على اللاهين والعابثين والمدخنين بالاعتدال كما يفعل بعض العرب تبعاً لترامب!

وليس من العدل أن تهيمن أمريكا على العالم، ويكون لها حق النقض والكلمة المسموعة في مجلس الأمن، بينما هناك دول محاصرة محرومة.

وليس من العدل أن تكون الغابة البشرية ملكا للأسد، ولا يكون لغيره نصيب.

وليس من العدل أن تكون الجيفة كلها للنسور، وليس لبقية الطيور الأصغر شيء.

وليس من العدل أن يكون الرئيس ووزراؤه طبقة أثرياء، من رجال الأعمال ورؤساء مجالس إدارة الشركات.

وليس من العدل أن يكون للوزراء لجنة خاصة تحاكمهم، بينما يذهب عامة الناس للقضاء، والقائمة تطول ولكن الحر تكفيه الإشارة.

والعدل لا يملكه من لا يملك الهداية والتشريع، وقد بين الله تعالى في سورة الإسراء أهمية ذلك حين ذكر أن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وأن الإنسان إذا اهتدى فإنما يهتدي لنفسه، ولو أنك نظرت إلى الآيات من زاوية العدل فقط، لرأيت عجبا فالله تعالى من عدله ألا تزر وازرة وزر أخرى، وألا يعذب الناس قبل أن يرسل إليهم رسولا، وأمرنا بالعدل في الأمور كلها، حتى مع معاملة الجاني المستحق للقصاص والنفقة وبر الوالدين والكيل والوزن والأخلاق الشخصية.

وتلك هي الحكمة الحقيقية، وليست ما قاله ابن رشد وغيره، حيث الحكمة عندهم تعني الفلسفة أي اتباع العقول البشرية بغير هدى من الله، هذه العقول التي تتقاصر عن معرفة عالم الغيب والسر في السموات والأرض، ولذلك لابد أن تكون أحكامها بقدر علمها ومعرفتها.

خذ مثلا كبير فلاسفة الغرب في العصر الحديث (هيجل) أين كلامه عن الذّرة، وعن أمريكا مثلا، في حين أن المسكين يحسب أن أعظم دولة في العالم هي دولة (بروسيا)، التي لا يكاد أكثر الناس يعرفون عنها شيئا قط.

وأعظم فلاسفة الغرب في القرن العشرين (برتراند رسل) مؤلف كتاب "حكمة الغرب"، لم يكن يعلم شيئا عن الشفرة الوراثية التي بشر بها الرئيس وليم كلينتون، ثم اكتملت -كما يبدو- في القرن الواحد والعشرين.

وأعظم المفكرين الغربيين الأحياء هو "أفرام نعوم شومسكي"، الذي لا يعرف حقيقة الإسلام نسأل الله أن يهديه له.

فحقا إنه لا يشرع للناس إلا الذي خلقهم كما قال العميد (دوجي)، ولا تحسن إدارة الحياة البشرية بغير العدل، الذي يحبه الناس جميعا، ولكن عقولهم لا تعرف تفصيلاته وجزئياته، وإنما العدل في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وحدها، ولا بد لإلزامهم من قوة في القوة البشرية وإرادة فوق إرادة البشر.

والمسلمون لأنهم أمة الحق والعدل في كل شيء، يسألون الله في كل ركعة أن يهديهم الصراط المستقيم، وهو صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ليس طريق الأمة المغضوب عليها (اليهود) الذين عرفوا الحق واستكبروا عنه، ولا طريق أمة الضلال (النصارى) الذين لم يعرفوا الحق وعبدوا الله بالجهل والبدع، فكانوا عاملين ناصبين لكنهم يصلون ناراً حامية، وهاتان هما الطائفتان اللتان قبلنا، وهما خير ممن لا كتاب له كالوثنيين والمجوس.

والمسلمون كما أمر ربهم قوامون لله شهداء بالقسط، قوامون بالقسط شهداء الله، وتلك سمة أخلاقية لهم حتى على أنفسهم أو الوالدين أو الأقربين.

ولم يعرف المسلمون في تاريخهم الطويل حكما ولا مجلسا خاصا باللوردات، وآخر لعموم الناس، فكل بني آدم سواسية كما نص ﷺ،

وأكرمهم عند الله أتقاهم كما ذكر الله في كتابه، ولا تؤثر في ذلك المكانة الاجتماعية والثروة، فالمسألة كلها ابتلاء.

وبالعدل يصلح الناس ويستقيمون، وكانت هذه القيم الإسلامية راسخة عند أئمة الهدى، كعمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعمر بن عبدالعزيز، فأما عمر بن الخطاب فعدله أشهر من أن يذكر، وربما أنقص نفسه وذريته وأقرباءه وعشيرته بني عدي، توخيا للمساواة وبعدا عن ضدها، وأما حفيده عمر بن عبدالعزيز فقد كتب لأحد ولاته "كذبت إنما يصلح الناس العدل"، لما كتب إليه أنه ولاه على قوم لا يصلحهم إلا السوط والسيف! ولذلك لما أخبر أهل المدينة الحجاج بن يوسف عن عدله وتأديبه وشدة محبتهم له، قال الحجاج: "هذا أمر من السماء" وصدق.

وقال ﷺ لذي الخويصرة: (ويحك من يعدل إن لم أعدل)، وتوعد الله المطففين في الكيل والوزن، وأهلك أهل مدين وكان من أسباب هلاكهم التطفيف.

رابعا
علم النفس

علم النفس الإسلامي وثيق الصلة بالتزكية الإيمانية، والنظر لحكمة خلق الإنسان واستخلافه في الأرض، بل إن النفس الإنسانية هي المقصود الأول بالتزكية الإيمانية، حيث أنزل الله الكتب وأرسل الرسل لتزكيتها، فالأمر عند المسلمين أكبر من أن يكون توجيهات أو إصلاحات عامة، ولذلك لا غرابة أن ينبغ فيه المسلمون نبوغا لم يبلغه الغرب ولن يبلغه إلا بالإسلام لله، وإعمال العقل البشري في تدبر ما جاءت به الرسل.

وما في كتب علم النفس من حق فإنما هو جزء مما يأمر به الله أو يبيحه، وهو تعالى أعلم بالنفس، فهو الذي خلقها وركبها ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤]، وبالاستقامة على شرعه يمكن جمع شتات النفس الإنسانية، فتكون حقيقة التوحيد وإفراد الله بالعبادة، والإخلاص له وحده، والخوف منه وحده، وبذلك يتحقق للنفس كمال الحرية، وكمال الغنى، وكمال العزة، وكمال الرضا عن الله، وكمال الاطمئنان لقدره مهما كرهه الإنسان.

وفي الإسلام وحده يكون التفكير عن طريق القلب، ويكون الشعور كله تابعا للإرادة القلبية، فتكون النفس موحدة وليست أشتاتا ممزقة.

ومن القرآن والسنة عرف المسلمون كيف يواجهون الانفعالات النفسية، وعرفوا أعدى أعداء النفس "الشيطان" وماذا يريد منهم، وبذل العلماء جهدا كبيرا في الاستنباط من الكتاب والسنة وسير السلف الصالح، وإن لم يسموا ذلك (علم النفس)، وكان تقدمهم في الموضوعات النفسية كبيرا جدا، فعرفوا أن موضوع القرآن الأساس هو هذه النفس، كما ذكر الأستاذ المودودي في "تفهيم القرآن"، وألفوا كتبا كثيرة في ذلك، لا سيما في الزهد الذي هو عكس ما عليه الغربيون من المادية والجشع وإطلاق رغبات النفس للحصول على أكبر قدر من الربح، ولو من طريق الغش أو الغرر أو الخداع.

ومن ذلك ما كتبوه عن زهد الثمانية من التابعين، وما كتبه الأئمة المتبَعون كـــ"الزهد" للإمام أحمد، و"الزهد" لعبدالله بن المبارك، و"الزهد"

لوكيع بن الجراح، والزهد لهناد بن السري، ثم "الزهد الكبير" للبيهقي، وعلموا يقينا أن أهم ما تحتاج إليه النفس هو كبح جماحها وانسياقها وراء النزوات والشهوات، وفصّلوا القول في أنواع الصبر والجود والرضا.. ونحوها، وزادوا على ذلك بالتأليف في المستحبات المكملة لذلك كالأذكار والأدعية.

كما تحدثوا عن أمراض القلوب كالحسد والكبر والطمع، وعن شفائها كيف يحصل، وعن اللذة والحزن والمحبة والألم، وأفاضوا في الكلام عن أنواع الاعتقادات والجهاد، وأنواع العدل والظلم، كما تحدثوا عن الوساوس والخطرات، والهم والعزم، وأثر الإرادة والنية في كل حكم.

وكل ذلك استقوه من القرآن والسنة، والله تعالى ذكر في كتابه أوصاف الإنسان بحسب مشاعره النفسية، فهو ظلوم جهول عجول، محب للمال، فرح فخور إذا أصابته النعماء، ويؤوس قنوط إذا أصابته الضراء، ومعاييره جاهلية غالبًا، إذا أعطاه الله قال الله أكرمني به، وإذا قدر عليه رزقه قال: الله أهانني، وهو كنود لربه جاحد لنعمته، والإنسان خاسر إلا من استثناه الله في سورة العصر، والحديث عن النفس في القرآن كثير جدًا.

والحاصل أنهم تفوقوا بما لم يسبقهم فيه أحد ممن قبلهم، ولا يلحقهم فيه من جاء بعدهم.

وغاية ما نرجوه اليوم هو الاقتباس من ضوئهم، والسير على هداهم والنسج على منوالهم، أما المنتكسون فيريدون اتباع المدارس النفسية الغربية المتأخرة، خذ مثالا واحدا لذلك وهو الصبر، الذي قسمه علماؤنا ثلاثة أقسام، كما في "مدارج السالكين" لابن القيم، بحسب حرف الجر المقرون به في القرآن:

١- فإما أنه صبر بالله كما قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل:١٢٧].

٢- وإما أنه صبر على الطاعة ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه:١٣٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران:٢٠٠] الآية.

٣- وإما أنه صبر عن المعصية كما فعل يوسف عليه السلام ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠].

وهكذا يكون الصبر على المصائب الذي قال الله فيه: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ﴾ [البقرة:١٧٧]، وقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [لقمان:١٧]، والصبر على أعباء الدعوة ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥]، ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٥]، وقال الإمام أحمد رحمه الله: "ذكر الله الصبر في كتابه في أكثر من تسعين موضعا".

كما تحدث علماؤنا عن القوة الغضبية التي يسميها أفلاطون "تيموس"، وعن القوة الشهوانية وأن الله تعالى في آية واحدة ذكر أن المؤمنين يتجنبوهما، فقال في صفات عباد الرحمن: ﴿وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان:٦٨]، فالقتل غاية القوة الغضبية، والزنا غاية القوة الشهوانية كما ذكر ابن القيم رحمه الله.

وقد فصّل النبي ﷺ ذلك تفصيلا لا نظير له قط، وحثنا إذا غضب أحدنا على الاستعاذة والوضوء والجلوس لمن كان قائما والسكوت.

كما أنهم تحدثوا عن حسن الخلق وأهميته، وذكروا الأحاديث الكثيرة والصحيحة في ذلك.

وتحدثوا عن المروءة ومكارم الأخلاق واجتناب السفاسف وما يعتذر منه، وبمناسبة الاعتذار أذكر قصة قريبة العهد، وهي أن الشيخ الفاضل عبد المحسن العباد امتثل حديث (من ذب عن عرض أخيه بالغيب ذب الله عنه النار يوم القيامة)، ونصح بذلك بعض المفترين فقال المفتري معتذرا: "أنا إفريقي غلبت عليّ إفريقيتي". وهذا عندي ليس عذرًا مقبولاً؛ فإن الإفريقية لا

تقتضي الافتراء، وكم من الإخوة الأفارقة من هو أكثر تقوى وعدلا منا بل من كثير من أشباهنا!!

وقد حثنا النبي ﷺ على الحياء وأخبر أنه خُلق الإسلام، وأنه لا يأتي إلا بخير، وأمرنا أن نستحي من الله كاستحيائنا من الصالح من البشر، فكيف يعصي الله من كان كذلك.

ومن الفضائل النفسية أيضا: القيام بحق الطريق، وحق الضيف، وحق الجوار، وأمثال ذلك مما لا يوجد عند الغربيين.

ومن جهل الغربيين وأخطائهم الفادحة: أنهم ينكرون الروح ويجعلون الأمور كلها نفسية، وإنما يتميز علمهم النفسي بكثرة التشقيقات والتفريعات والاصطلاحات للشيء الواحد، أو لأمور كانت معروفة عند القدماء بغير هذه الأسماء.

ونهانا الحبيب المصطفى ﷺ عن الزور والكذب والخيانة، وأمثال ذلك من الأمراض النفسية المهلكة.

كما نهانا صلوات الله وسلم عليه عن الإعجاب بالرأي، والجدال وكثرة المزاح والضحك.

وبالجملة فالفرعونية -كما ذكر شيخ الإسلام- في كل نفس، لكن يجب على المسلم مجاهدة هذه الفرعونية ومغالبتها.

والنفوس في كتاب الله ثلاثة: مطمئنة ولوامة وأمارة بالسوء، والذي يأمر بمعصية الله هو الشيطان، ولكن أخبرنا الله أن كيده ضعيف، وأخبرنا أنه يوسوس في صدورنا، وأنه يتبرأ ممن يطيعه يوم القيامة، وذكر الشيطان عند التابعي الجليل أبي حازم الأعرج فقال: "وما الشيطان؟ أطيع فلم ينفع وعصي فلم يضر"!

وما يشعر به الإنسان إما لمة من الشيطان وإما لمة من الملَك، بذلك نطق عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وهو له حكم الرفع لأنه لا يقال بالرأي، وقد جاء مرفوعًا فعلا عند الترمذي والنسائي وغيرهما، وليس هو مجرد إيحاء

ذاتي كما يقول ملاحدة علم النفس، والله تعالى يقول: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ [البقرة:٢٦٨].

وأعلى من لمة الملك الإلهام أو التحديث الذي اشتهر به عمر رضي الله عنه، وأعلى منهما الوحي الذي يوحيه الله إلى أنبيائه ولو في المنام، أما زعم بعض المتصوفة أن الله يخاطبهم ويكلمهم فهو خيالات شيطانية، وإن زعموا أنه علم لدني، وقد قال ابن القيم هو لدني ولكن من لدن من؟ وكل من كلمه الله فهو نبي، فهل هؤلاء أنبياء؟.

ومهما أنكر الغربيون الروح، لا يستطيعون إنكار خصائص الإنسان، ومنها العقل واللغة وحرية الإرادة، وقابلية التعلم والتفاوت بين إنسان وآخر، والقدرة على التصور والتخيل وإدراك الزمن والطاقات المودعة فيه وغير ذلك.

والله تعالى مثلا جعل في الإنسان طاقات كامنة لا يعلمها كثير من أهلها فضلا عن غيرهم، وجعلها من أكبر الحوافز عند اللزوم، ومن ذلك حافز الأمومة، حيث تستميت الدجاجة في الدفاع عن فروخها ضد الحدأة، ويذكرون أن أمًا مشلولة قفزت لإنقاذ ابنها من النار مسافة طويلة.

ومن تلك الطاقات، ما يجده الأطباء في سيقان العدائين من بقايا مع أن العدائين يظنون أنها نفدت.

ومن عجائب الإنسان التي أودعها الله فيه بحكمته ورحمته، أن الإنسان ينام، لكنه يستيقظ من نومه عن طريق السمع الذي هو وسيلة إيقاظه ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

والله تعالى جعل للعامل النفسي تأثيرا عظيما قبل أن يعرف ذلك أهل الاختصاص، لا أعني الأطباء فقط، بل الخراص "فرويد" الذي قال إنه يمكن أن يُتجنب الكبت بالتسامي، والمؤمن دائما سعيد مطمئن يعلم أن كل شيء من الله، وأن ما أصابه أو أخطأه إنما هو لحكمة إلهية وأن كل أمره له خير، وقد تعجب الطبيب الفرنسي "موريس بوكاي" عندما وجد مرضاه من

المسلمين آمنين مطمئنين يحمدون الله حتى على السرطان أو الموت، بينما الكفار جزعين قنطين متلهفين، فعلم أن السر هو في الإسلام فأسلم.

وينبغي أن نقول إن النفس عند الغربيين هي ما يؤمنون به فقط، وهم لا يؤمنون بالروح مطلقا، بل يصرح أصحاب علم النفس التجريبي بأنه لا وجود للروح، ولا يؤمنون بما لا يدخل المختبر!

وينكرون نعمة الله على العالمين، ببعثة أعظم معالج لأمراض النفس، وأرقى من عني بها وهو محمد ﷺ، الذي دعا الناس إلى كل خير، وأنذرهم من كل شر، وأنزل الله عليه القرآن مصدقا لما بين يديه من التوراة والإنجيل، ومهيمنا على ما سبقه من الكتب، وشفاء لما في الصدور، وقد استجاب الله دعاء خليله إبراهيم عليه السلام ببعث هذا النبي الأمي العظيم، مع تقديم التزكية على تعليم الكتاب الحكمة الذي دعا به إبراهيم كما تقدم في مبحث التربية، وكان الصحابة الكرام يأتون إلى النبي صلى الله عليه الله عليه ويعرضون عليه كل ما يجدون من مشكلات في الدين والدنيا، لا سيما المشكلات النفسية، فيرشدهم إلى أفضل الحلول وأنجعها وأحصرها كما سيأتي التمثيل له إن شاء الله.

وكان أسعد الناس بما جاء من النور والهدى هم أصحابه الذين عايشوه ورأوه، ثم من اتبعهم بإحسان وسار على طريقهم واتبع منهجهم من إخوانه، وإن تأخر عصرهم.

وبيّن لهم كيف يعبدون الله ويستغفرونه ويتوبون إليه، وكيف أن الله هو الموفِّق للخير، وعليه وحده التوكل، وبه وحده الاستعانة ومنه الرزق، وهو الذي يقذف في النفس الحق أو الباطل، وإنما يهدى للحق من طلبه وأراده، وبذل جهده في معرفته، ويُضل من استكبر وأعرض وأبى واتبع هواه وشهوته وشرد على الله شرود البعير.

وعلمهم عليه الصلاة والسلام ماذا يقولون في الصباح والمساء، وعند النوم، وعند الاستيقاظ، وعند المشي للصلاة، وعند الوضوء وعقبه، وعند

الأكل وبعده، وكيف يتقون عدوهم النار، وماذا يقولون إذا فزعوا أو تعار أحدهم من الليل، وإذا دخل المسجد أو خرج منه، وإذا دخل بيته أو خرج منه، أو أتى أهله، وإذا رأى الهلال.

وبين لهم صلوات الله وسلامه عليه من أدواء النفوس ودوائها، ما هو أعظم وأسبق مما يقوله علماء النفس المحدَثين أو المعاصرين، وبيَّن الأثر النفسي لاعتقاد ما لا حقيقة له، فلما قال له معاوية بن الحكم السلمي (ومنا أناس يتطيرون؟ قال: ذاك أمر يجدونه في أنفسهم).

ثم إن ما جاء بعده فرعوا وشققوا، مثلما أحدث الفلاسفة وأصحاب النظريات، كعلم النفس الفردي وعلم نفس الطفل، وعلم نفس المراهقة، وعلم نفس السلوك، وعلم نفس الشيخوخة، وعلم النفس التكويني، وعلم النفس الجنائي، وعلم النفس التربوي، وعلم النفس المرضي، وعلم النفس الاجتماعي، وعلم النفس الصناعي، وعلم النفس المهني، وعلم النفس الإداري، وعلم النفس السياسي وعلم النفس النسائي، وعلم النفس الديني، وأمثال ذلك.

وهو ﷺ علمنا أصول كل شيء وإلى ما قال تُرد كل الفرعيات.

ولا مانع من الإفادة مما في هذه العلوم من تجارب بشرية وآراء صحيحة، لكن يجب تقديم ما جاء به الرسول ﷺ عليها، واعتبار الوحي هو الأساس.

وإنما جاء المتأخرون بمصطلحات جديدة مثل: التكيف، التوتر، المنبهات، الانفعالات، الاستبصار، الإسقاط، التعويض، الإدمان، الإشباع، الدافع، المثير، الإيحاء، ديناميكيات السلوك، وأمثال ذلك.

وبعض أنواع علم النفس مرتبط بعلوم أخرى، كعلم نفس الظواهر، وعلم النفس السريري، وعلم النفس الفيزيقي، وعلم النفس الإحصائي، وعلم النفس السكاني، وعلم نفس الكوارث، وعلم النفس التقليدي، وعلم نفس الأحلام، وأمثال ذلك.

وأرشدنا صلوات الله وسلامه عليه إلى العفو والصفح والحلم والإحسان، وكظم الغيظ والرحمة، والشفقة والأناة، وإلى ترك الأخلاق السيئة كالكبر والحسد، والبغضاء والحقد، وأمرنا بالعدل والصدق، والوفاء بالعهد، وبالأمانة، والعفاف، والصلة، وعلمنا النظام والاستقامة، ونهانا عن الظلم والفوضى والبغي والقطيعة، وأمرنا بالمبادرة إلى الخير والمسابقة فيه، وفي ذلك نهي عن الحيلة الشيطانية النفسية "التسويف"، مثل سوف أتوب، وسوف أجاهد، وسوف أعمل كذا.

وعلمنا ما فيه صلاح النفوس وتزكيتها، ودفع كل ما يضرها.

وهذه علوم سبق إليها المسلمون، وإن لم يشققوا ويفصّلوا كما فصل الغربيون، غير أن للمسلمين تفصيلات لا يهتدي إليها غيرهم إلا بنور الوحي، وسعةِ العقول التي أختص الله بها أولئك العلماء الربانيين، فأقسام الصبر مثلا التي تحدث عنها ابن القيم في "مدارج السالكين" لا تجدها عند هؤلاء، -كما تقدم- ومثلها أنواع الجود، وكذلك التفريق بين البخل والشح، وبين الحذر والخوف، وبين المشيئة والإرادة، وبين الهم والعزم، وأمثال ذلك مما لا يعلمه علماء النفس المعاصرون، ومثل المدارج "إحياء علوم الدين" للغزالي.

وغاية ما عند المعاصرين أن يتبعوا علماء الإسلام، وبالتزكية النفسية اهتم علماء المسلمين كثيرا، وجمعوا في ذلك ما في سيرة النبي ﷺ وصحابته الكرام والسلف الصالح، واستقوا منه وفرعوا عليه، ومن كتبهم في ذلك "حلية الأولياء" و"صفة الصفوة"، و"الطبقات الكبرى" و"إحياء علوم الدين" و"قوت القلوب" و"الأعمال القلبية" و"إغاثة اللهفان" و"مدارج السالكين" و"الآداب الشرعية" و"منهاج القاصدين" و"كتاب التوابين"، ومؤلفات ابن رجب وابن أبي الدنيا، وما كُتب عن الولاية، وهذه التزكية هي ما أراده الصوفية قديما وحديثا ولكنهم أخطأوه، كما أن بعض المصطلحات النفسية الحديثة أصلها قرآني، كالحصْر الذي أخذه علماء النفس المسلمون في هذا

العصر من قوله تعالى: ﴿أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ﴾ [النساء:٩٠]، ويمكن للمتخصص أن يقيس عليه وعلى ما في الأحاديث، ويبني على ما ذكره فقهاء الإسلام وعلماء التزكية الربانيون، فيستخرج علم نفس إسلامي يفوق جدا علم النفس المعروف.

والنفس البشرية فيها عجائب وطباع وأسرار كتب عنها علماء الإسلام، وبعضها لم يهتد الغربيون إليه حتى اليوم، وغايتهم هو التفكر والتدبر بقدر ما أعطاهم الله من قوة الفهم وصحة التجربة، قال ابن القيم: "سبحان الله، في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وظلم هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل، وفيها من أخلاق البهائم حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصولة الأسد، وفسق الفأرة، وخبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ولؤم الضبع، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك..." إلى آخر كلامه النفيس، وقس عليه ما ترى لدى الغربيين اليوم من دياثة الخنزير وتفكير الببغاء، ورائحة الجيفة.

والنفس عداوتها كعداوة الشيطان بل أشد، فانظر كيف تنجذب للشر حتى في رمضان حين تصفِّد الشياطين، وهي خطّافة كما قال السلف، ضعيفة المقاومة أمام الشهوات ﴿وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٢٨].

والنفس الإنسانية مع هذه الطباع مركبة من شر طبيعتين وهما: الظلم والجهل، قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب:٧٢].

وقال المتنبي:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

وصدق في قوله، وأقوى علة تمنع من الظلم هي خوف الله وتقواه، فمن لم يكن لديه خوف من الله ولا تقوى فإنه يظلم ولا يبالي، ومع هذه الأدواء

الكثيرة عالج النبي ﷺ النفوس بأقوى العلاج وأنجعه، وشفى من كل مرض نفسي بما يعجز عنه المعالجون النفسيون اليوم.

ومن ذلك مثلا:

١- الوسوسة، فلما شكى إليه أصحابه ما يجدونه في أنفسهم، قال من ضمن ما قال: (أوقد وجدتموه ذلك محض الإيمان)، فتبدل خوفهم أمنا.

ومن ذلك أنهم في أمريكا يسرقون ويقولون نحن نفعل ذلك قهراً.

٢- التسلسل في الفاعلين، والحل الصحيح هو الانتهاء عنه، ولذلك قال عنه ﷺ: (إذا وجد أحدكم ذلك فلينته).

٣- التطيُّر، وهو عادة قديمة جدا كان عليها قوم ثمود وفرعون وقومه، فأخبر ﷺ أنه من رده الطير عن حاجته فقد نقص توحيده.

٤- الفزع، فلما شكى إليه خالد بن الوليد ذلك، علمه كيف يتخلص منه.

٥- الهمّ والديون، وقد علمنا النبي ﷺ أن نستعيذ بالله منهما، وعلّم أحد الصحابة دعاء إذا قاله أذهب الله عنه همّه وقضى دينه.

٦- البخل، فإنه ﷺ لما قال له بعض الأنصار: سيدنا فلان على أننا نبخله فقال: (أي داء أدوأ من البخل)!

٧- الغضب، إذْ رأى النبي ﷺ رجلاً غضبان، فقال: (إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه غضبه)، وطلب منه رجلٌ أن يوصيه فقال له: لا تغضب.

٨- الجبن، فقد جاء في الحديث (شر ما في المرء شح هالع أو جبن خالع).

٩- النسيان، فقد أمر النبي ﷺ أبا هريرة أن يبسط رداءه فبسطه فلم ينس شيئا، وعلّم أصحابه ومنهم علي رضي الله عنهم أجمعين كيف يتذكرون الهداية بهداية الطريق، ويتذكرون التسديد بتسديد السهم.

ومن الحيل النفسية المألوفة الظن بأنه لا يحول بين الإنسان وما ينفعه أو ما يجب عليه فعله إلا عائق واحد، ومن ذلك الاعتذار عن الإنفاق بكثرة

الحقوق، والاعتذار عن طلب العلم بضيق الوقت، وقد قابلت رجلا يابانيا، فقال: إن الإسلام حق ولكن أنا مدير شركة ووقتي ضيق!.

ومن الحيل النفسية ترك إنكار المنكرات بتأويل المفسدين، كقول بعض الصوفية إنه لا يأمر أحد بالمعروف أو ينهى عن المنكر إلا ندم! ومنها التسويف، وتأخير عمل اليوم إلى الغد (بادروا بالأعمال ستا) وفي رواية (سبعا).

ومن الحيل النفسية استحلال سفك الدماء بحجة الجهاد، وقتل غير المستهدف بحجة أنهم سوف يحشرون على نياتهم، فمن كان مؤمنا أو مجبورا بعثه الله على ذلك!

ومن الحيل النفسية الاستمرار في ترك الطاعة وفعل المعصية، اعتمادا على أن الله غفور رحيم، مع ترك أن الله شديد العقاب وأن من عرفه لا يعصيه.

ومن المداخل الشيطانية على النفس أن يزين لها إبليس أنها وحدها المستقيمةوما عداها مبتدع أو مخطئ، والمؤمن دائما يتهم نفسه ويحسن الظن بربه، ويلتمس العذر لأخيه.

ومن الحيل النفسية الانتقام، بذريعة أن الله أجاز مقابلة السيئة بالسيئة وهذا صحيح، ولكنه ندب إلى العفو، فبعد أن قال ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى:٤٠] قال: ﴿فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]، وبعد أن قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل:١٢٦]، قال: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦]، والعفو هو ما اختاره ﷺ حينما عفا عن كفار قريش وقال: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

ومن الحيل النفسية إخراج الغيبة في ثوب الشفقة أو الثناء على المغتاب.

ومن أكبر المداخل الشيطانية على النفس مجالسة قرناء السوء أو الاستماع إليهم، وقد حذر النبي ﷺ من جلساء السوء، فهم شياطين الإنس الذين يزينون للنفس فعل كل خبيث، وقد سأل أبو ذر رضي الله عنه رسول الله ﷺ

ألللإنس شياطين يا رسول الله؟ قال نعم. وعلى ذلك يدل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:١٤]، وقوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام:١١٢]، وقال: ﴿مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ [هود:١١٩].

وكان العرب في الجاهلية يعرفون المرء من جليسه، قال طرفة بن العبد:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

وقيل لابن عمر: إن المختار -وكان صهره- يقول إنه يوحى إليه، فقال ابن عمر صدق المختار، إن الله يقول: ﴿شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:١١٢]!

وكل مدخن اليوم أو شارب خمر أو مدمن مخدرات أو لص، فإنما علَّمه أول الأمر رفقاء السوء وكذا كل زانية وفاجرة، والعامة تقول: "الصاحب ساحب".

وشياطين الإنس يبثون السموم والشبهات، ويشككون في الدين، فلا يصح مجالستهم أو مشاهدتهم والاستماع إليهم، ومن الاستماع إلى الشبهات ما كثر في عصرنا هذا من الإلحاد أو الضلال، وقد استغل شياطين الإنس الوسائل المعاصرة والاتصالات الحديثة لبث شبهاتهم وسمومهم، والنفوس ضعيفة ربما أمرضتها الشبهة وقرت فيها، وقد نشرت منظمة "شهود يهوه" عدد المتنصرين في مكة فكيف بغيرها؟.

ولهذا نهى السلف من لم يكن متمكنا في العلم، أن يجادل أو يقرأ أو يستمع لما يقوله أهل البدع، وما أكثرهم في عصرنا هذا، فقد أنكر بعضهم السنة أو طعن في الصحابة أو ألحد أو شك في الحق، وذلك مثل الاستماع إلى شبهات من يسمون القرآنيين، أو تركي الحمد، أو عدنان إبراهيم، أو حسن المالكي، أو دعاة ما يسمى "التنويرية" أو "المقاصدية" التي تنفي العمل بالنص، أو الإيمان بالداروينية وحرية الاعتقاد والتدين وحرية التعبير والقول، وحرية الصحافة، والقول بما يسمى التسامح والتعددية والإنسانية، أو اللحمة

الاجتماعية والوحدة الوطنية، ونبذ خطاب الكراهية ونبذ الطائفية، والمنع من تكفير الناس، وأمثال ذلك مما هو كفر أو بدعة تؤدي إلى الانسلاخ من الدين، أو فيه تفصيل وتدخل تحته أقسام، وبعض الناس يستمع لما يقوله الدعاة لبعض أنواع الجهاد، فيقع ذلك في قلبه، ويندفع إلى السفر إليهم، وربما ترك جهادا عظيما هو فيه.

وقديما نبه العلماء إلى ذلك، خذ مثلا إماما عظيما كأبي حامد الغزالي، فقد أدمن القراءة في كتب الفلاسفة على سبيل الشك، فكانت النتيجة أنه أصيب في مقتل حتى قيل فيه "أبو حامد أمرضه الشفاء، و"الشفاء" أحد كتب ابن سينا، وقال تلميذه المشهور أبو بكر ابن العربي: "شيخنا أبو حامد دخل في بطون الفلاسفة ثم لم يستطع الخروج"، وقال أبو حامد عن نفسه: "بضاعتي من الحديث مزجاة".

والتعذيب حرام ما كان منه جسديًا أو نفسيًا.

ومن أشد أنواع التعذيب التعذيبُ النفسي:

فمن تعذيب الزوجة أن يذرها الزوج كالمعلقة، أو يحرمها أبناءها.

ومن تعذيب العامل أن لا يعطى حقه كما أمر الله.

ومن تعذيب الداعية إلى الله منعه من الدعوة، إما مطلقًا وإما في جوانب معينة.

ومن تعذيب الحيوان إجاعته وتحميله ما لا يطيق.

ومن تعذيب السجين حبسُه في مكان ضيق، أو في الحبس الانفرادي كما يسمى.

ومن تعذيب الموظف حجب علاوته أو منع ترقيته.

ومن تعذيب المدرس أن يلهو طلابه ويشتغلون بالجوالات وأشباهها، وأن يطلب منه الطالب الكسول زيادة في الدرجات.

ومن تعذيب صاحب الحق، أن تماطله الحكومة أو الشركة أو الفرد ولا ينال حقه.

وقد عذبوا في "سجن الحائر" أحد السجناء حتى مات، واستنكرت ذلك لما بلغني الخبر، فقال لي مدير التحقيق حينها هذا رافضي، فقلت حتى ولو كان رافضيا، فالعدل معه واجب، ولذلك محاكم مختصة بالفعل، أما تعليمه العقيدة الصحيحة فهو واجبنا، ثم إنهم أضافوا إلى التعذيب الكذب، فقالوا إنه توفي بسكتة قلبية مفاجئة!.

ومن أشد أنواع التعذيب اتهام الإنسان بما ليس فيه ودعوى انتمائه لفكر فلان أو جماعة علان.

ومن تعذيب اللاجئين إغراقهم، أو إغلاق الحدود في وجوههم، وهكذا كل ألم نفسي يقع على الإنسان بأية صورة.

وعلى المسلم إذا ابتلي بشي من ذلك أن يستعين بالصبر والصلاة والاستغفار والدعاء ويحمد الله على كل حال.

ومن أشد الأخلاق الغربية انحطاطا الدياثة التي تلاحظ عليهم في كل مكان، وليس ذلك في كشف بعض أعضاء جسد المرأة، أو كشف شعرها وتركها كذلك أمام الأجانب في المنزل، أو في العمل، أو قناة، أو صحيفة فقط، بل إنه داخل البيوت، فإذا فتح الأب عندهم باب غرفة ورأى بنته وعشيقها مضطجعين يبادر بقول آسف فأنا لم أتعمد أن أعكر عليكما جو الاستمتاع!

ويعيبون على المجتمعات البدائية -كما يسمونها- أن بعضها كما في قبائل الإسكيمو يجيزون تبادل الزوجات، أو الوقوع على أي امرأة كانت، وهم يفعلون الفعل نفسه في أمريكا، وقبلهم كان القرامطة والباطنيون يجيزون ذلك فيما يسمى "ليلة الاصطياد"، وهي ليلة تشبه الكرنفال عند الغربيين ومقلديهم، ولا يزال الرافضة يجيزون المتعة وهي زنا قانوني يفعله الملالي أنفسهم.

وقد قرأت لأحد آياهم أنه حصر متعته في العجائز والآيسات خشية الحمل، وقد قررت الأمم المتحدة أنه وقع في كربلاء عدد كبير من حالات الحمل غير الشرعي قريبا من المائة في عام واحد، وما خفي أعظم.

والخميني أجاز الاستمتاع بالصغيرة عن طريق ما سماه التفخيذ، والمتعة حلال في كل كتاب شيعي ويفعلونها حتى بجوار المسجد الحرام، أو مسجد رسول الله ﷺ.

أما فاحشة قوم لوط فحدث ولا حرج، لا سيما في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أباحت ذلك المحكمة العليا الأمريكية، وقد سمعت عن ذلك في شركة أرامكو قبل أن تجيزه المحكمة العليا ومؤتمرات السكان، وبعض الناس يقول إن ذلك رائج أيضا بين الطبقات المترفة، وأن العبيد أو الخدم يمارسونه كنوع من الانتقام ولو بأصابعهم.

والعجيب أن أحدا من الحكام العرب لم يستنكر على أمريكا فعلتها، أو يقطع علاقته بها، وأن الذي استنكر ذلك زعماء آخرون منهم رئيس زمبابوي "روبرت موجابي"، وأعجب من ذلك أن هيئة كبار العلماء في السعودية لم تستنكره، وهي التي استنكرت تفجير سينما باريس،! وعلى كل حال هذه الفاحشة لا يختلف الحكم الشرعي فيها، سواء أكان النادي في سدوم قديما أو في نيويورك حديثا، وسواء كانت باسم أبناء الله كما في التوراة، أو باسم الحرية الإنسانية كما يدعي الأمريكيون، قال تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام: ﴿وَنَجَّيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَـٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء:٧٤]، وقال: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود:٧٨]، إلى أن يقول جل شأنه: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود: ٨٢-٨٣]، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً﴾ [البقرة:٢٤٨]، فانظر كيف يسميها الله خبائث وسيئات، ويعاقب عليها بهذه العقوبة العظيمة، ومع ذلك يقرها الأمريكان، وقد أصاب الزلزال مدينة قوم

لوط "سان فرانسيسكو" ولم يعتبر الأمريكيون بمصيرها، بل عم ذلك كل مدينة أو ولاية وتظاهروا مطالبين بإباحته ثم شرّعوه قانونيا، فماذا ينتظرون؟

وهذا القرار من المحكمة الأمريكية مخالف تماما لأقوال الأطباء النفسيين، حتى من أعطوه جائزة "نوبل" من أن تلك الفاحشة مرض، وأن بعض الناس شفي منه.

وأغرب من ارتكاب هذه الفاحشة الشنيعة ما لجأ إليه بعضهم لتبريرها، ومن ذلك قولهم إن ذلك في جيناتهم، وهذه الجبرية العصرية لا تبرر لهم ما يفعلون، وهذا الداء المقيت انتشر في بلاد الحرمين حتى أنهم نشروا أن رجلا هنا تزوج مثله، وكان هذا الذي يقولون إنه تزوج عشيقه رئيسا للغرفة التجارية في الدمام، وعينوه عضوا بمجلس الشورى، كما سمعت أن بعض الشباب في هذه البلاد المقدسة يتأنث ويتشبه بالنساء، ويعقدون عليه كالنساء، ويرضى أن يفعل به غيره هذه الفاحشة الشاذة، والأخبار في ذلك كثيرة، وبعض القضايا عايشته وقرأته بنفسي، وبعضها أخبرني به الثقات المطلعون، ومنهم من حقق مع المذكورين أو كان مدير مباحث.

على أن هؤلاء ليسوا إرهابيين مهما فعلوا!! وإنما الإرهابي هو الداعية أو المحفّظ أو المطوع أو المحافظ على دينه الذي سوف يصبح حتما إرهابيا عندهم.

ومما يدل على تقدم المسلمين نفسيا: أنهم لا يشربون الخمر التي أباحها الغرب المتقدم بزعمه! وأضرارها النفسية والجسدية يعرفها الأطباء أكثر مني.

ومِن تقدُّم المسلمين أنهم أقل الأمم في جريمة الانتحار، بل إن المؤمن التقي لا يعرف اليأس والإحباط أصلا، فغاية ما قد يحصل له من العدو هو القتل، والقتل شهادة يتمناها كل مؤمن، وهو بين إحدى الحسنين ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة:٥٢].

كما أن المؤمن لا يعرف الأمراض النفسية التي تسمى "الحيرة أو القلق أو الكبت أو الاكتئاب"، وكل ما يزعمه "فرويد" وتحليله النفسي من أن ترك الفاحشة يولد الكبت باطل، وهو نفسه يقول إن ترك الشهوة الجنسية على سبيل التسامي لا يُولّد الكبت، فالمؤمن يترك الفاحشة خوفا من الله وتعففا عنها.

ويجب المحو الكلي لتخرصات وأكاذيب "فرويد" غير العلمية، وتربية الناس على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وربما جمع "فرويد" بين استكبار اليهود وعلمانية النصارى، واعتمد على عقدة "إلكترا" و"أوديب" كما تخيلها "سوفوكيل".

وقد أبطلت آراءه البحوثُ الانتربولوجية والاجتماعية، يقول الدكتور حسين رشوان: نستطيع القول إن نظرية "فرويد" عن الجماعات الرُّحل الفطرية، التي ذكر فيها أن الذكر لديه كل الزوجات، وأن أحد أبنائه قد قتله، لا تتطابق مع أي شكل من أشكال المجتمعات الإنسانية التي قام الانتربولوجيون بدراستها. (صفحة ٩٣ من الانتروبولوجيا في المجال التطبيقي).

كما أبطلت آراءَه البحوثُ الحديثة في علم الوراثة وعلم الأحياء، ويكاد اليوم يُجمع كل المؤرخين والباحثين على بطلانها، حتى أن أحد الحائزين على جائزة نوبل لكثرة بحوثه وعمق دراساته (بيترنيداور) قال: "إن التحليل النفسي (الفرويدي) هو واحد من أشد الأبحاث البارزة كلها حزنا وغرابة في تاريخ فكر القرن العشرين".

وقال: "إن بحث "فرويد" غير مصدَّق، وإن معظم أفكاره غير علمية بالكامل".

ومن مزاعم "فرويد" وتخرصاته التي يكفر بها اليهود أنفسُهم، زعمُه أن موسى عليه السلام لم يكن نبيا يوحى إليه، وإنما كان فرعونيا، وأنه أخذ فكرة التوحيد عن أخناتون كما في كتاب فرويد (موسى والتوحيد)، ولا

ريب أن هذا عكس ما هو في التوراة والقرآن، فلا يؤمن بكلام "فرويد" إلا من كان ملحدا أو منافقا أو ضعيف الإيمان!

ونظريته من الوساوس الشيطانية التي لا نهاية لها، بل ينبغي زجر النفس عنها، وقد كره السلف ومنهم الإمام أحمد الكلام في الوساوس والخطرات النفسية، كتلك التي تحدث عنها الحارث المحاسبي صاحب (الرعاية لحقوق الله)، فكيف بهذه؟ وعلاج من ابتلي أو ألمّ بما حرم الله أن يتوب ويُتبع السيئةَ الحسنة لتمحوها، وقد جاء رجل إلى النبي ﷺ يشكو إليه أنه ارتكب ما لا يحل له من إحدى النساء، غير أنه لم يزن بها، فقال له النبي ﷺ: (أصليت معنا صلاتنا هذه؟ قال نعم؟ قال: إن الحسنات يذهبن السيئات).

والذي يظهر أن "فرويد" بحكم أنه يهودي، يحقد على كل الأديان، لاسيما في اللاشعور وخاصة مع ظلم النصارى لليهود، فهكذا تربى منذ طفولته.

ومن المؤلفات النفسية الرائجة اليوم الكتب التي تتحدث عن تجديد الحياة وكسب الآخرين، وعن فن القيادة وعن معرفة الذات، وعن الأخطاء السبعة وأمثال ذلك.

وكل ذلك فيه الحق والباطل والصواب والخطأ.

وأكثر الدراسات النفسية رواجا بعد المدرسة التحليلية التي تزعمها "فرويد" المدرسة السلوكية التي تزعمها "بافلوف".

ومن المدارس النفسية المعاصرة: المدارس النفسية التي خالفت مدرسة التحليل النفسي الفرويدي كمدرسة "الجشطلت"، وكثير من التجريبيين وعلماء السلوك مثل "جبرائيل تارد"، كما خالف "فرويد" بعضُ أتباعه أنفسهم الذين كانوا كلهم من اليهود عدا واحدا، وممن خالفه منهم "يانج"، كما خالفه "إدلر".

وعلى أية حال تجد فرضية "فرويد" غير علمية، فقد اعتمد في نظريته عن نشأة الدين وقوله بالأنا العليا والأنا السفلى والليبيدو والهو على الأسطورة

الموروثة عن عقدة "أوديب" وعقدة "الكترا"، كما اعتمد في كلامه عن الأحلام على رؤى مرضاه وقاس عليهم الأصحاء!

ومن أعظم ما يسعى إليه الشيطان إيقاع النفس في القنوط لاسيما إذا احتقب الإنسان ذنبا وأسرف على نفسه في المعاصي، مع أن التوبة تكفر كل ذنب حتى الكفر ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر:٥٣]، أي لمن تاب، وقال جل شأنه: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ﴾ [الفرقان:٧٠].

وفي هذا العصر راج تفسير الأحلام كثيرا (التعبير)، وهو علم موروث فصّل فيه النبي ﷺ، إذ ذكر أن الرؤى ثلاثة أنواع، منها ما هو من الله وهو المبشرات، وهي جزء من النبوة، ومنها ما هو من تهويل الشيطان، ومنها ما هو من حديث النفس.

لكن "فرويد" وأتباعه يجعلونها نوعا واحدا يسمونه "الحلم".

ورؤيا الأنبياء وحي، قال تعالى مخبرا عن الخليل عليه السلام: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ﴾ [الصافات:١٠٢]، وبيّن ذلك النبي ﷺ في سيرته وحياته.

والتعبير فتوى يشترط له ما يشترط للفتوى، قال يوسف عليه السلام لما عبر رؤيا الفتيين: ﴿قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ [يوسف:٤١].

وإذا تواترت الرؤى أو تواطأت كان ذلك دليلا على الصدق، ولكن الرؤى مهما كثرت لا تأتي بشرع كما يظن النصارى وبعض الصوفية.

وقد عبر نبي الله يوسف، رؤيا الملك ورؤيا الفتيين الذين دخلا معه السجن، وكذا فعل دانيال.

وفي الإسلام اشتهر تعبير ابن سيرين للرؤى، وقبله كان سعيد بن المسيب الذي بلغ في التعبير حدا جعله يقول لبعض الناس: ما أنت رأيت هذا وإنما رآه ابن الزبير!

كما كان الصديق الأكبر (أبو بكر الصديق) يعبر الرؤى، واشتهر بذلك وعبر بعضها بين يدي رسول الله ﷺ، فقال له الرسول ﷺ: (أصبت في بعض وأخطأت في بعض)، فإذا كان الصديق أخطأ في بعض، فكيف بمن جاء بعده لاسيما في أيامنا هذه!

والمصدر الإسلامي لتعبير الرؤيا هو القرآن والسنة، فهي ترمز لشيء مجهول، وأعظم فك للرموز هما هذان المصدران.

ووقوع الرؤيا دليل على أن كل شيء مكتوب عند الله سلفا، ومهما تأخرت الرؤيا الصحيحة فإنها ستقع بإذن الله كما تأخر تأويل رؤيا يوسف عليه السلام أن الكواكب والشمس والقمر تسجد له.

كما ينبغي أن يكون المعبِّر ذا فراسة في الرائي، فإن ابن سيرين جاءه رجلان كل منهما يقول رأيت في المنام أني أؤذن، فقال ابن سيرين لأحدهما: سوف تحج إن شاء الله، أخذًا من قوله تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج:٢٧]، وقال للآخر: أنت سارق فتب إلى الله، أخذا من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠]، ولما استنكر بعض جلسائه تفريقه قال: أما الأول فسيماؤه كذا، وأما الآخر فسيماؤه كذا.

وعندي أن خير تعامل مع الرؤى هو ما قاله ابن سيرين رحمه الله: "اتق الله في اليقظة ولا يضرك ما ترى في المنام".

فإذا رأى أحد ما يكره من الرؤى فليستعذ بالله من شرها، ولينقلب على الجنب الآخر، ولا يحدث بها أحدا، فإنها لا تضره كما أرشد النبي ﷺ.

وفي العصور المتأخرة اشتهر كتاب الشيخ الشهاب العابر (البدر المنير في علم التعبير)، كما ظهر النابلسي وهكذا.

وكثير من الناس لديه وهم بأن السعادة والراحة النفسية إنما تكون في جمع أكبر كمية من الثروة والمال، وهذا ما بددته الأرقام الحديثة عن كبار الأثرياء ونكدهم وشقائهم.

وقد دلت الإحصائيات الأخيرة لمنظمات الأمم المتحدة على أن الألمان أكثر الشعوب الأوروبية ثراء، ولكنهم أكثرها شقاء وضجرا.

ومن الأثرياء على سبيل المثال الثري الأمريكي "ستيفن جونز" الذي وصفوه بأنه يملك أكبر شركة في التاريخ، وهو الذي أسس شركة "أبل" المشهورة، وهي شركة تبلغ قيمتها أضعاف الميزانية السعودية، بل ربما وصلت إلى ما يعادل ميزانية دول "الأوبك" كلها، وقد عبر في وصيته عن عمق مشكلته النفسية وتفاهة تلك الثروة الضخمة، وقال بالنص: "في هذا الوقت، وأنا ممدد على سريري بالمستشفى، أتذكر حياتي الطويلة وأدرك أن جميع الجوائز والثروات التي كنت فخوراً بها جدا، أصبحت ضئيلة وغير ذات معنى مع اقتراب الموت الوشيك".

والأثرياء تتجمل نساؤهم لغيرهم، ويخافون أن يختطف اللصوص أبناءهم ويطالبوهم بفدية كبيرة، كما اختطف اللصوص من الفلبين أحد أبناء عائلة الراجحي في الرياض، وسمعنا مثل ذلك عن بعض أثرياء جدة، بل إن بعضهم ليسجنونه بسبب ثروته.

فأصحاب المال في قلق دائم وخوف مستمر، وذلك مما ينغص عليهم حياتهم، والغنى الحقيقي هو غنى النفس، كما بيّن ﷺ، وبذلك كان السلف كلهم زهادا في الدنيا حتى من كان منهم صاحب ثروة ومال وهم القليل.

وصدق الشاعر الذي قال قديما:

ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقي هو السعيد

وقل مثل ذلك في المنصب الذي يجمع غالبا بين الثروة والشهرة، فأصحاب المناصب دائما تحت المجهر، ولا يستطيعون مفارقة قفصهم من الحراس، ولا يستمتعون بما يستمتع به غيرهم من الحرية.

كما أن الشهرة أحد مصادر الشقاء، وقد عبرت عن ذلك الممثلة الأمريكية الشهيرة "مارلين مونرو" التي قالت بلسانها: "إني أتعس امرأة على وجه الأرض".

وأهل المال والمنصب والشهرة يشقَون أولا بالحصول على تلك الأمور، ويشقون ثانيا بالمحافظة عليها، ولا بد لهم من منافسين وحاسدين وأعداء.

ومن أثرياء العالم المعروفين "أوناسيس" اليوناني و"بيل غيتس" الأمريكي، والوليد بن طلال السعودي وكل منهم له قصة.

وإنما ضمن الغنيُّ الكريمُ سبحانه الحياة الطيبة لمن آمن به وعمل صالحا فقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧]، وسيأتي طرف من هذا عند الحديث عن الزهد إن شاء الله.

وبعض المرضى النفسيين يرتكب الجريمة ويقول في تبرير ذلك إنه فعلها قهرا بلا إرادة منه، ولا عذر لمن عصى الله ما لم يفقد عقله، وكذا اذا ادعى أنه سرق أو اغتصب قهرا أو ألحد، وقال هذا وسواس قهري، وهذه السرقة القهرية كما يقال منتشرة اليوم في أمريكا، وأصبح الأطباء النفسيون هناك يؤمنون بذلك!

وهذه القهرية لا ضابط لها، ويمكن لكل مجرم أن يدعيها.

ومن الأمراض النفسية الحصر النفسي، وإن شئت فقل الصراع النفسي الذي ينشأ عند كثير من الناس بين الإقدام على التوبة وبين الاستمرار في المعصية.

وجزى الله الشيخ المنجد خيراً، حينما عبر عن ذلك بكتاب "أريد أن أتوب ولكن".

وقال أحد السلف: "إذا قيل استعد للموت تقول كيف أموت وعندي ما عندي من الذنوب، وإذا قيل تب منها قلت سوف أتوب، وهذه حال ما أقام عليها عاقل".

أما الذكاء والفهم والاستيعاب ففيها تظهر عنصرية الغرب، إذ أن الإنسان الغربي عندهم يتميز بها دون الإنسان الشرقي الذي يغلب عليه كما يزعمون عكسها، ولذلك -كما يظنون- يكون الإنسان الشرقي خاضعا

للسلطة غير حر في التفكير، ويكون سهل التأثر قابلا للاستبداد، أناني النظرة ضيق الأفق غير متسع الصدر للتعدد والاختلاف... الخ.

ويكيلون كل ما في جعبتهم من التهم نتيجة دراسة بعض الحالات، ويعممون أحكام ضعفاء العقول على المجتمع كله، وتبعهم في ذلك كله كثير من المقلدين، فتجدهم يقولون الإنسان الغربي كذا أما الإنسان الشرقي أو العربي فهو كذا، مع أن العلة الحقيقية هي التربية والفرص.

ومن المباحث النفسية التي أطال فيها المسلمون مبحث اللذة أهي الشهوة الحسية كما يظن الأبيقوريون، أم المتعة العقلية كما يرى كثير من الفلاسفة، وقد كتب فخر الدين الرازي كتاب "أقسام اللذات".

ومما يكذب ما يزعمه بعض فلاسفة الغرب عن حصر اللذة في المتعة العقلية: أنهم يبحثون عن المتعة في أي مكان، ويعجبون بالمناظر الطبيعية، وكلما كان الشيء جذابا كانوا أكثر إقبالا عليه، وكلما كانت المرأة أجمل عندهم، كان الإقبال على أفلامها أكثر أو على توظيفها، فالمتعة تكون بالمشاعر كلها، وليست بالعقلِ وحده.

والله في الجنة جعل متعاً حسية وجعل فيها متعا عقلية أعظمها رؤية وجهه الكريم.

وأعظم الأمن هو الأمن النفسي، وليس محصورا في أن الإنسان لا يخاف على نفسه وماله وعرضه، بل مع ذلك يكون آمنا من القلق والحيرة والمعاناة، وكل ما تجلبه الحضارة الغربية من شقاء، وقد امتن الله على كفار قريش بأن مكن لهم حرما آمنا.

وكل أمراض النفس جاءت شريعتنا المطهرة لها بدواء، وهو دواء مجاني لا يكلف المريض دينارا ولا درهما.

ومن الأمراض النفسية المتأصلة مرض الأنانية، الذي لا علاج له إلا التقوى والإيمان، وبها يهضم الإنسان نفسه، ويعرف تقصيرها وتفريطها في جنب الله، وهو أعرف الناس بذنوبه وعيوبه.

وقد أراد بعض الناس أن يعقد مقارنة بين المتقدمين والمتأخرين، فقال له الشيخ:

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم   ليس الصحيح إذا مشى كالمقعد

وقال الآخر وهو من التابعين: (لقد أدركنا أقواما ما كنا بجانبهم إلا لصوصا).

ومما يدل على ما وصل إليه المسلمون في علم النفس أنه لما قيل للحسن البصري "إن بعض الناس يقولون نحسن الظن بالله ويسيئون في أعمالهم؟ فقال الحسن: كذبوا، لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل". وهذه أمر مشاهد ولكن قل من يتفطن له.

أما الاعتماد على مجرد حسن الظن بلا عمل فباطل، فالرجاء لا بد أن يصحبه عمل، ولما قال هشام بن عبدالملك لأبي حازم بعد أن وعظه وخوفه بالله، فأين رحمة الله يا أبا حازم؟ قال أبو حازم: "قريب من المحسنين"، أي كما قال تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦]، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

أما الرجاء بلا عمل فهو من أماني المفاليس، والكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى الله على الأماني!!

وليس صحيحا ما يزعمه علماء الأحياء أن مرجع أفعال الحيوان هو الغريزة وحدها.

ولا قول الفلاسفة -كابن سينا- إن ذلك راجع إلى القوة المتوهمة، ومن أبطل الباطل دعوى كثير من المتكلمين أنه يمكن الترجيح بلا مرجح، ودعوى الفلاسفة أن نفوسهم فوق الأعراب والعبرانيين (أي أصحاب محمد وموسى صلى الله عليهما وسلم) ومعنى ذلك أن أرسطو -مثلا- أعلى شأنا من الصحابي الذي لا يعقل عن رسول الله ﷺ إلا شيئا يسيرا، كمحمود بن الربيع، ولو أجرينا مقارنة بين كبير فلاسفة الغرب (هيجل) وبين (الخليل بن

أحمد الفراهيدي الدوسي)، لظهر الفرق مع أن الخليل ليس صحابيا ولكنه سائر على درب الصحابة القويم.

وقد لخص العلماء الربانيون المعاملة مع النفس في جملة قليلة المبنى، عظيمة المعنى وهي (نفسك إن لم تشغلها بالحق، شغلتك بالباطل).

وصدق الله فما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه، ومن طبيعة النفس كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها إذا شغلها شيء لم تتفرغ لغيره وجاءته كالّة مالّة، وأنها لا تجعل شيئا إلا لشيء.

ومن سبْق المسلمين في البحوث النفسية قول شيخ الإسلام بن تيمية: "والحب والإرادة ونحو ذلك تتبع العلم فهما فرع الشعور".

ولشيخ الإسلام كلام كثير جدا في النفس لا نستطيع نقله هنا.

فمن ذلك كلامه عما يسمى اليوم "الأنانية" أو "النرجسية" أو "جنون العظمة" وهو تضخيم الذات ورؤية كل شيء من خلالها، وهو داء قديم أصاب النمرود وفرعون فادعيا الألوهية، وذكر شيخ الاسلام أن الفرعونية في كل نفس، وأفرط فيه بعض الناس في العصر الحديث لا سيما كفرة الغربيين فقد قال لويس الرابع عشر "أنا الدولة، والدولة أنا" وقال الفيلسوف فيخته "أنا هو أنا".

وقال بعض من لا يزال حيا من المسلمين نحن النظام، ودلّل ذلك على بورقة خرقها وقال "إذا أردنا خرقنا النظام هكذا".

ومن بقايا ذلك في الدساتير الحديثة، منع نقد ما يسمى الذات المصونة بأي نقد، على طريقة ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩]، وترك نقد أي أحد لا صحة له في الإسلام، إذ كل أحد بعد رسول الله ﷺ في حاجة للتقويم والنصح، وذلك ما طلبه أفضل الأمة خليفة رسول الله ﷺ الصديق رضي الله عنه في أول خطبة له، وهو ما شكر الله عليه الفاروق عمر بن الخطاب حين قال "الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا زغت قوموني".

وهذا يدل على الوحدة الجوهرية للإنسان في أي زمان أو مكان ومن القواعد التي تقررت حديثا أن النفس الإنسانية واحدة في غرائزها وطبائعها وقد ذهب الباحثون الأنتربولوجيون إلى مناطق يسمونها "بدائية" مثل حوض الأمازون، أو قبائل الإسكيمو، فوجدوا أن لتلك المجتمعات الموصوفة بالبدائية طقوسا وأسرارا وعادات لا تقل بل ربما تفوق المجتمعات المسمّاة متقدمة أو حديثة، وعلى ذلك بنى "كلود ليفي شتراوس" بنيويته الاجتماعية مخالفا "تايلور" وغيره. بل إن المجتمعات القديمة تخلو من أدواء الحضارة الحديثة كعبادة الشيطان المنتشرة اليوم في أمريكا أو داء الانتحار.

بل إن البدائيين كما يقال لا يُلبسون خرافاتهم ثوب العلم، كما يفعل المتحضرون بزعمهم!

صحيح أنهم لا يزالون يعيشون في المرحلة التي سماها "أوغست كونت" مرحلة السحر والخرافة، ولكن في أي مرحلة يعيش الغرب اليوم؟

وقد أثبت شيخ الإسلام أن للإنسان حواس باطنة فقال: "إن الإنسان ليتصور الموجودات بحواسه الباطنة والظاهرة وليس بالحد و القياس"، أي لا كما يقول المناطقة، واليوم يقول علماء النفس إن للإنسان حاسة سادسة وربما اكتشفوا غيرها بعد حين.

وفي عصرنا هذا قال الأستاذ مصطفى محمود في كتابه "رحلتي من الشك إلى اليقين": إن الإنسان يشعر بالعطش حينما يكون الماء قريبا منه و لم يره.

وفي "الصفدية" مثلا يقول شيخ الإسلام إن هناك فرقا بين التأثير المطلق للسماع، وبين التأثير الخاص، فالصوفية يتحدثون عن تأثير مطلق قد يحدث حزنا أو سعادة، ولكن الصحابة والتابعين والسلف كلهم يتحدثون عن التأثير القرآني الذي يسكب الطمأنينة واليقين في القلوب، ويتبع ذلك الاهتداء والالتزام، والصوفية يستدلون على أثر السماع بالإبل التي لما سمعت الحداء

جرت حتى تقطعت أعضاؤها، وعلى ذلك كان يوسف بن أسباط كما في الإحياء، وهجا أحد الشعراء هؤلاء فقال:

يكنّون عن رب السماء بزينب وليلى وسعدى والخيال الذي يسري

وقد سبق شيخ الإسلام أيضا علماء النفس إلى أن الحواس قد تخدع، بل إن الشيخ يقول إن العقل قد يخدع، ولكن ينبغي أن يجمع الناظر بين الحس والعقل.

ومن خداع الحواس الذي يقول به المعاصرون أنك ترى القلم مكسورا إذا وضعته في الماء، ومن خداع الحواس أيضا أنك ربما رأيت من يشير إلى القلم فتظنه يشير إلى الطاولة مثلا، يقول الشيخ في رده على المتفلسفة والمناطقة: "يقولون إن شهود الحس خطأ والعقل هو الذي يشهد الكليات والمطلقات دون الحس، فإذا أبطلوا ما شهده الحس لم يبق إلا الوجود الكلّي" ويقول " والحس الباطن أو الظاهر إذا لم يقترن به العقل الذي يميّز بين المحسوس وغيره دخل فيه من الغلط من جنس ما يدخل على الممرور والمبرسم وغيرهم ممن يحكم بمجرد العقل الذي لا حسّ معه" أهـــ.

وهكذا يكون شيخ الاسلام قد سبق "فرنسيس بيكون" و"جاليلو" إلى المنهج التجريبي كما سبق "كينان" إلى التفريق بين الدماغ والعقل في كتابه "درء تعارض العقل والنقل"، ومن كلامه القيم أن النفس لا تخلو من العبودية قط، إذ أنها مركبة كذلك، فمن لم يعبد الله عبد غيره، ومن لم يجاهد في سبيل الله جاهد في سبيل ملك فلان أو علان، أو كما يقال في عصرنا من أجل الوطن والشعب، والنفس كذلك لا تخلو من الطمع وحب المال لكن من الناس من يكون صريحا في ذلك مثل مرتزقة "بلاك ووتر" في عصرنا، ومنهم من يتستر بغير ذلك، مثل شراء لاعبي الكرة، الذي هو نخاسة عصرية.

ولو ذهبنا نستقصي ذلك لطالت المسألة فرحم الله شيخ الإسلام ونفعنا بعلمه.

وعلى البحوث النفسية تعتمد اليوم علوم كثيرة مثل علم السياسة وعلم الإجرام، وعلم الطب وعلم المستقبليات وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع، ولما أراد حسن علوي التقرب من السلطة السعودية قال: أنا أعرف كيف يفكر صدام حسين، لأني عملت معه خمسة عشر عاما فجعلوه مستشارا في الديوان الملكي مع أنه شيعي علماني، ولهذا تمنى أحد القادة الانجليز الكبار أن يكون يعرف "ما وراء الجبل" كما سماه أي نفسية خصمه، واليوم يحذِّر الرئيس الكوري الشمالي جنده من مفاجآت ترامب وتقلباته.

والطمأنينة إنما تحصل للنفوس بذكر الله وقراءة القرآن، وإلى الصلاة يلجأ المؤمن إذا اشتد عليه الكرب وضاقت عليه الأمور، كما كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة وقال: (أرحنا بها يا بلال)، ولا بد من المعاناة في ذلك والمجاهدة عليه، قال بعض السلف: (كابدت الصلاة (كذا) عاما ثم تنعمت بها).

وقال ابن القيم: (شتان بين من يقول أرحنا بها ومن يقول أرحنا منها).

فالمؤمن في المسجد كالسمك في الماء، أما المنافق فهو كالطائر في القفص!

والمؤمن يرغم نفسه على قبول الحق إن أبته، قال ﷺ للرجل الذي قال أجدني كارها للإسلام: (أسلم ولو كارها)، فالكراهية طبيعة نفسية، ولكن لا بد من إرغام النفس على الحق، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال:٥]، وأرادوا أن يجعلوا الإمام أبا حنيفة قاضيا فقال: "أنا لا أصلح للقضاء لأني أكره الحق وأفر من الرحمة" ويعني أنه يكره الموت ويفر من المطر.

والمؤمن يُكره نفسه على العدل وقول الحق وإن كانت نتائج ذلك صعبة، وقد زكى الإمام أحمد رجلا وذكر من حسناته، فقيل له إنه يقع فيك، فقال: "رجل صالح ابتلي بي فما أصنع"، وقيل لأحد السلف: "إن فلانا

يقع فيك! فقال: لأغيظن من أمره، هو في حل، قالوا: ومن أمره، قال: الشيطان".

وهكذا لا ينتقم المؤمن لنفسه، أما إذا عصى الله فإنه تسوّد الدنيا في عينه وتضيق عليه نفسه، كما قال الله تعالى واصفاً حال الثلاثة الذين خلّفوا: ﴿وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ [التوبة:١١٨].

بل إنه لتضيق نفسه لحال المدعوين قال تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:٦] وقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨] ونفس المؤمن يجب أن تختلف عن نفس اللاهي الغافل فيجتنب كل ما يسخط الله مهما بدا له أنه صغير.

والمؤمن إذا خشي على نفسه الملال روحها بالمباح وهذا هو معنى قوله ﷺ: (ساعة وساعة) ولكن بعض الجهال يظن أن معناه ساعة في الطاعة وساعة في المعصية!.

والمؤمن يدع ما يحز في النفس ولا يحب أن يطلع عليه الناس، والحديث في ذلك صح، عن أبي أمامة وأبي ثعلبة الخشني، وهو دائمًا يجتنب الشبهات ولا يحتاج لكثير من الفتاوى والخلافات بين العلماء، وله معياره الذي عبر عنه الإمام مالك لما سئل عن أمر فقال للسائل: إذا ميز الله بين الحق والباطل يوم القيامة، فمع أيهما يضعه؟

ومن رحمة الله بعباده أنه جعل لهم ما يتحاجزون به في الدنيا حتى في أيام الفترات وانقطاع أنوار النبوة عن الناس، فكانوا يتحاجزون قبل البعثة بالحكم والأمثال، وكانت القبائل تتحاجز في الأزمنة الأخيرة في جزيرة العرب بمأثورات حميدان بن الشويعر وراشد الخلاوي وأبي زيد الهلالي وسعيد بن منصور، وبعض الحكماء من الشعراء وأصحاب الأمثال! كما ان الخلق يتحاجزون ببقايا النبوات، وقد كانوا في الجاهلية يقطعون يد السارق ويعرفون القسامة.

وفي هذه الأيام يتحاجز بعضهم بأن هذا عيب، أو خلاف المرجلة وهكذا!

ومن أمراض العصر النفسية: مرض الملل الذي تحدثه الرتابة المستمرة في عمل الآلة ونحوها، فيهرب الإنسان منه إلى أي شيء، والإنسان الغربي اليوم يهرب من الملل إلى مشاهدة القنوات والتشجيع الكروي والسياحة، والمثيرات كأخبار الحروب والمفاجآت والاغتيالات، والرياضة الخطرة والرقص العنيف وأشباهها، فإن الأزمات السياسية والاقتصادية تزيد الإنسان كآبة وألما، ويرتسم الشقاء دائما على وجوه الناس لا سيما في المجتمعات الكافرة المظلمة كالمجتمع الأمريكي.

ومن العجيب أن يرد ما يدل على أن الإرادة الإنسانية أقوى من القوى الكونية إذا أخلص الإنسان لله، فقد روى الأمام أحمد بسند صحيح أن الله لما خلق الأرض جعلت تميد فخلق الجبال فاستقرت، فقالت الملائكة يا رب هل خلقت شيئا أشد من الجبال؟ قال نعم، الحديد، فقالت: وهل خلقت شيئا أشد من الحديد؟ قال نعم، النار. فقالت: وهل خلقت شيئا أشد من النار. قال: نعم، الماء، قالت: وهل خلقت شيئا أشد من الماء، قال: نعم الريح، فقالت يا رب، وهل خلقت شيئا أشد من الريح؟ قال: نعم ابن آدم يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله".

والله تعالى منحنا القوة وأمرنا أن نستخدمها في الخير وليس في التدمير كما فعلت أمريكا حينما دمّرت هيروشيما، فانظر كيف أن موسى عليه السلام استخدم قوته الجسدية لرفع الحجر عن بئر مدين لمن لا يعرفهم وبدون مقابل، وكذلك القوة النفسية، قال ﷺ: (ليس الشديد بالصرعة ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب).

كما تتجلى رحمته تعالى بتسيير الجانب اللاإرادي من الإنسان مع أنه هو الجانب الأكثر كالجهاز الهضمي والجهاز الدموي والجهاز التنفّسي والجهاز العصبي وغير ذلك.

ومن الأمراض النفسية التي تكثر في عصرنا هذا "الاكتئاب والهستريا"، وهي ما كان يسميها علماؤنا في الماضي "الماليخوليا" أو "البرسمة" أو "غلبة السوداء" وما أشبه ذلك، وأكثر الأمراض العقلية والنفسية التي يحار فيها الأطباء ناتجة عن الخواء الروحي والجفاف الإيماني عند الإنسان المعاصر، ولذلك تجدها في المجتمعات المادية أكثر، فهي في الولايات المتحدة وأوروبا الشمالية مثلا أكثر منها في الهند وإفريقيا، فالقلوب إذا خلت من ذكر الله والإيمان باليوم الآخر أصبحت مرتعا خصبا للأفكار الشيطانية والهواجس المختلفة، حتى أن بعضهم قد ينتحر عياذا بالله، ويتلاعب بهم الشيطان كما يتلاعب الصبيان بالكرة، فالقوم لا يرجون لقاء الله ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها وغفلوا عن الدار الآخرة.

والذي لا يرجو لقاء الله كما في سورة يونس هم الذين لا يرجون حسابا كما في سورة عمّ، وهم الذين يتمنون أن يقال لهم كونوا ترابا كما يقال للحشرات والديدان، وهؤلاء هم الكفار في أمريكا وأوربا والصين والهند وغيرها.

أما المؤمن فهو –وإن لم يظهر ذلك– مشفق حزين في هذه الدنيا، على الحال التي وصفها الربيع بن خثيم تلميذ عبدالله بن مسعود رضي الله عنهما، لما قيل له: كيف أصبحت يا ربيع، قال: "أصبحنا ضعفاء مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا" حتى إذا بشرت الملائكة المؤمنين بالجنة قالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن وقالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦].

ومن كلمات بلال بن سعد المشهورة "واحزناه على أني لا أحزن"!

فالحمد لله وحده وله المنّة وحده، وكلنا ضالون إلا من هداه الله (يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم)، والمؤمن مع استحضاره دائما للخوف والرجاء يعلم أنه من عمل صالحا فلنفسه، ومن أساء فعليها، والنهاية الحتمية هي كما قال تعالى: ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا ﴾ [الكهف:٨]، ولا يغره ما يرى من أبراج عالية وأنهار جارية وغابات

كثيفة، فلابد أن يخلص نيته لله ويجعل عمله صوابا على سنة رسول الله ﷺ، ويحمد الله على السراء والضراء والصحة والمرض والموت والحياة، وأن الأمراض جسدية أو نفسية تخفيف من الذنوب ورفع للدرجة عند الله، وهو السبب فيها، خذ ما يسمى بالوسواس فقد قال ﷺ إن عامته من بول الإنسان في مغسله، وإذا أصابه عين أو جان فهو بتقصيره في أذكار الصباح والمساء ونحوها.

والطبيب المسلم النفسي أتاح الله له أنواعا من العلاج ليست لغيره مهما درس، فهو يقدم لكل داء دواءه الناجع، فيعالج الاكتئاب مثلا بالتسبيح والصلاة كما في سورة الحجر، وبالصوم الذي يذهب الله به وحر الصدر، ويعالج الانفعالات والغضب بكظم الغيظ والعفو عن الناس ودوام الاستعاذة والاستغفار، ويعالج شكوك الشيطان ونزغاته بالانتهاء والكف عنها.

ويعالج الغم بالدعاء والضراعة إلى الله، كما علّم الله النبي ﷺ الصحابي الذي ركبته الهموم.

ويعالج الديون والهموم بالجهاد في سبيل الله الذي يذهب الله به الهم والغم.

ويعالج الفقر والحاجة بالمتابعة بين الحج والعمرة، فقد قال ﷺ: (تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر).

ويعالج التردد بالاستخارة كما ثبت في السنة.

ويعالج المصائب بالصبر، وقول ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة:١٥٦].

ويعالج الكروب والمشكلات بدعاء الكرب المعروف.

ويعالج الفزع بالاستعاذة بالله من همزات الشياطين.

ويعالج من كان داؤه الحسد بتذكر نعم الله عليه، وأنها ربما كانت استدراجا لغيره أو سبباً فيه شر له وهو لا يعلم.

ويعالج الاستئثار بالإيثار، ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ﴾ [الحشر:٩].

ويعالج اليأس بالأمل والتوكل، قال ﷺ: (أبشروا وأمّلوا خيرا).

ويعالج الإحباط بالرجاء والثقة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر:٥٣] و﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرح:٦].

ويعالج العجز بالعمل والتوكل على الله، قال ﷺ: (استعن بالله ولا تعجز).

ويعالج العجلة بالأناة، وهي صفة يحبها الله كما ثبت في الحديث.

ويعالج فوات حظوظ الدنيا بتذكر الموت، الذي ما ذكر عند شيء إلا هوّنه.

ويعالج قسوة القلب بقراءة القرآن، وإكرام اليتيم وزيارة المقابر.

ويعالج العقم بالاستغفار والذكر كما أمر نوح قومه وأمر الله عبده زكريا.

ويعالج كل مرض بالمران على ما يضاده وبذلك يتحول الجبان إلى شجاع، والمتسرع إلى حليم، والجزوع إلى صبور، والبخيل إلى كريم، والكسول إلى نشيط، قال ﷺ (إنما العلم بالتعلم، وإنما الصبر بالتصبر..) الحديث.

والإنسان نظرته قاصرة، وقد يحسب الشر فيما هو خير قال تعالى: ﴿فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء:١٩]، وقال عن حادثة الإفك التي اعتقد بعض المسلمين أنها أكبر مصيبة نزلت بالمسلمين: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ﴾ [النور:١١].

ومن ذلك الخير إثبات أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، وأنه لا يتكلم من عند نفسه بل بما يوحيه إليه ربه، وتشريع أحكام لم تكن شرعت من قبل.

ومن مراعاة النفوس في ديننا الحنيف أن رسولنا ﷺ أمرنا إذا حضر العَشاء والعِشاء أن نقدم الطعام حتى يقضي أحدنا نهمته منه، كما نهانا أن نأتي إلى الصلاة ونحن نسعى.

ونهى النبي ﷺ أن يقضي القاضي وهو غضبان، فلا بد لتحقيق العدالة وصوابية الحكم من استقرار نفسية القاضي.

وربما كان أصعب حالات النفس هو أن يغيب الحي عن وعيه بالإغماء أو شبهه، وخير الناس من يغيب عنه وعيه اشتغالا بالصلاة ومناجاة ربه، وقد كان كثير من السلف إذا دخل في الصلاة لا يسمع ما يقول من حوله لشدة استغراقه وخشوعه، ولما أرادوا أن يسقوا عروة بن الزبير شرابا يفقده الوعي لكي يقطعوا رجله أبى، وقال: "إذا دخلت في الصلاة فافعلوا ما بدا لكم" وأكمل من ذلك حال النبي ﷺ الذي كان يخشع في صلاته لكن لا يغيب وعيه.

والنوم مظنة غياب الوعي، وقد كان الانجليز يعرفون الجاسوس الألماني، بطريقة استيقاظه من نومه ووقوفه أو جريه حين يصرخون بعبارات نازية تدرب وتعوّد عليها.

وللنفس أحوال ومفاجآت تكلم فيها الصوفية بحق وباطل، وتكلمت فيها الأديان القديمة وقد حدثني مسلم كوري كان رئيسا لاتحاد الطلبة الكوريين أن الطاوية فيها مقامات وأحوال.

ولكن المسلم بكتاب الله وسنة ورسوله ﷺ وعلى ضوء حياة السلف وكتب الصالحين يميز بين الحق والباطل، ولا يعرف الأدواء المهلكة التي كانت تنتاب "تولستوي" و"كافكا" و"كامو" و"فرجينيا وولف" و"نيتشه" و"فوكو"، وأمثالهم.

والمرأة المسلمة المتحجبة ليست كما يزعمون من الغرابيب السود، بل هي بالمعايير النفسية والأخلاقية فاضلة شريفة مترفعة تترك المحرمات عن عمد وقصد.

ومن العلوم النفسية التي أبدع فيها العرب في الجاهلية علم الفراسة حيث يستدلون على باطن الإنسان بظاهره، ويستدلون على الكاذب من وجهه، وقد كان الأعراب يأتون النبي ﷺ ويسألون الصحابة أيكم محمد

فيشيرون إليه فيقولون "والله ما هو بوجه كذاب"، وقد خاض في ذلك الأمريكان والأوربيون ومنهم البلجيكي "بول بوتس"، وقد استخدمه الغرب ليثبت به كما يزعم تفوق عرقه الآري على غيره في الخلقة والخلق، ولكنه أخفق وخاب ظنه حتى أن بعضهم انصرف عنه كليًا.

وقد أضاف الإسلام إلى فراسة العرب فراسة الإيمان، وكان الصالحون من أقوى الناس فراسة، واشتهر بذلك عمر بن الخطاب ﵁، حتى أنه ما قال لشيء أظنه كذا، إلا كان كما قال، ولما وفد عليه سواد بن قارب قال إن صدق ظني فقد كنت كاهنًا لقومك في الجاهلية، قال سواد: نعم كنت كذلك.

وكذا عثمان ﵁ الذي قال لما دخل عليه رجل: "لا يدخل إليّ أحدكم وعلى وجهه أثر الزنا" والرجل إنما نظر إلى امرأة لا تحل له!.

كما اشتهر بذلك الإمام الشافعي رحمه الله، واشتهر من المتأخرين بالفراسة شيخ الإسلام ابن تيمية وخصص لها ابن القيم بحثًا في مدارج السالكين.

واستنبطها الهروي من القرآن من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر:٧٥].

وروى الترمذي وغيره أن النبي ﷺ قال: (اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله)، وقد حسنه الشوكاني وبعض أهل العلم بمجموع الطرق.

واليوم يقول الأمريكان إنهم يعرفون الكاذب من خلال جهاز كشف الكذب، والشرطة تستدل على الجاني بآثاره، وبما يسمى الأدلة الجنائية والمرئي يستطيع اكتشاف ذلك من الأثر، والله أعلم.

وليس في إمكان أي طبيب أو عالم نفس أن ينكر الأثر النفسي، في نجاح أو إخفاق أي دواء يقدمه، وكذا في الشفاء من الأمراض العصابية والنفسية، ومنها كثرة الانتحار، وهذا الذي يسميه الغربيون "العامل النفسي" هو عندنا الإيمان الذي جاء في الكتاب والسنة وكان عليه السلف الصالح.

وقد أسلم الطبيب الفرنسي المشهور "موريس بوكاي" لما رأى أثر الإيمان بالقدر عند مرضاه من المسلمين وحمْد الله على كل حال، أما الكفار فهم في يأس وقنوط وتوسلات لاهثة للطبيب، وربما أدى بهم يأسهم إلى أن يطلبوا من الطبيب "الموت الرحيم"! كما يسمى.

ومن يقرأ سيرة الصحابة وعباد السلف وزهدهم يجد أن فيهم من يفضل الموت على الحياة والمرض على الصحة والفقر على الغنى ومن هما عنده سواء، ومن يرى الخير فيما اختاره الله.

ومن أعظم الأدواء النفسية التي تحمل على الكفر والعناد "الحسد"، وهذا ما امتهنته بعض الناس وورثوا ذلك عن اليهود مع أنهم يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبناءهم، وإنما ها جروا من الشام إلى جزيرة العرب ليكون نبي آخر الزمان منهم، ثم إنهم حسدوا بني عمهم العرب ذرية إسماعيل لما بعثه الله منهم، وليس من ذرية داود المنتمي إلى اسحاق، وقد أخبر الله عن ذلك وقال إنهم كفروا ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة:١٠٩] و﴿بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة:٩٠]، وقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النساء:٥٤].

وقبلهم كان أحد ابني آدم قتل أخاه حسداً.

وقال أبو جهل المخزومي "كنا وبنو عبد مناف كفرسي رهان أطعموا فأطعمنا ..."، ثم قال: "وقالوا إن منهم نبيا يأتيه الوحي من السماء فمن أين لنا ذلك"؟!

وبعض القبائل حسدت مضر على أن بعث الله رسوله منها حتى قالوا: إنه ليس برسول، واتبعوا مسيلمة الكذاب قائلين كذاب اليمامة خير من صادق مضر.

وبه علل المأمون كثرة الخوارج من ربيعة حين قال: "أما ربيعة فلم تزل ساخطة على الله منذ أن بعث رسوله من مضر وما خرج منهما اثنان إلا كان أحدهما شارياً" أي من الشراة.

وذلك غالبا ينشأ عن التعصب، فقد عوتب أحد شهود الزور على شهادته فقال: "الذمة التي لا تخدم الرفيق لعن أبوها ذمة).

ومن مراعاة الإسلام للمشاعر النفسية أنه يغلب جانب الشك إذا كانت نتائجه النفسية ضارة، فيقطع بذلك السبيل أمام الاضطرابات النفسية، كما ترى في أن النبي ﷺ نهى عن الزواج لمجرد أن تقول امرأة إنها أرضعت أحد الخاطبين، وحرم الصيد لاحتمال أن يكون قد قتله الكلب غير المعلم، أو أن الكلب صاده لنفسه، أو أن سبب الموت هو الماء وليس السهم.

ومن مراعاة الشريعة للنفسيات، أنها نهت أن يقضي القاضي وهو غضبان كما تقدم، أو وهو يدافع الأخبثان، كما أمر ﷺ إذا حضر الطعام والصلاة أن يبدأ بالطعام حتى يقضي منه نهمته كما سبق، وهكذا في أمور كثيرة يصعب استقصاؤها.

خامسا
اللغة والأدب والفن

- نشأة اللغة:

يزعم الأصوليون في الغرب -ويتبعهم بعض اللغويين الجهلة- أن منشأ اللغات هو تبلبل الألسنة الذي حدث في برج بابل كما تقول التوراة، ومن العجيب أن هذه الخرافة لا تزال رائجة في أمريكا.

وهذا غير صحيح ويدفعه أمور كثيرة منها:

١- أن اختلاف اللغات كان قبل برج بابل المزعوم.

٢- أن بعض اللغات لم يدخل أهلها البرج أصلا.

٣- أن شجرة اللغات والأبحاث اللغوية المعاصرة تنافي ذلك.

٤- أنه حتى من كان يهوديا من علماء الألسنة في عصرنا لا يقر بذلك، ومنهم مثلا "نعوم شومسكي".

٥- أن هناك خلافا قديما حول اللغات وهل هي اصطلاحية أم فطرية، أم أن الله تعالى هو الذي أوحى بها.

أذكر من ذلك عند المسلمين مثلا:

أن بعض المعتزلة قالوا إن اللغة اصطلاحية تواضع الناس عليها، بينما قال بعض اللغويين إنها توقيفية.

وممن يقول إن اللغة بشرية بحتة، وأن قابليتها فطرية اللغوي الكبير المعاصر "نعوم شومسكي"، ويستدل لذلك بأمورها أهمها: أن اللغة من خصائص الإنسان، فلا يستطيع القرد أو الثعلب مثلا أن ينطقا بها.

ويخالفهم آخرون قائلين بأن اللغة تعليمية تحصل بالتلقين والتعليم، ويستدلون على ذلك بأنك لو عزلت طفلا ولم يتكلم أحد أمامه لنشأ أبكم كما نشأ الطفل "فيكتور" الذي وجدوه في الغابة، وكذلك الطفلان اللذان يقال إن الفراعنة عزلوهما، والخلاف في ذلك شديد جدا، على أن "شومسكي" يقصد باللغة الكونية العمليات الذهنية التي تتجسد في شكل نطق بلغة ما، وليس الكلام وحده.

والراجح أن إمكانية التعلم فطرية، وأن الاكتساب ضروري، والله تعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ [النحل:٧٨] ألآية، ويقول: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ [العلق:٥]، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة:٣١]، وأن كلام "شومكسي" أصوب، وأنا مع تقديري لعلم "نعوم شومسكي" وعقله، أتعجب كيف انساق وراء الرواية الرسمية الأمريكية عن أحداث ١١ سبتمبر، مع تصريحه أن بوش أكثر إجرامًا ومعرفته بحيل المخابرات الإمريكية، وسيطرتها على المخابرات المصرية آنذاك، لا سيما وأن محمد صلاح الملقب سيف العدل، والذي جعلوه خليفة لبن لادن يقال إنه عقيد في المخابرات المصرية، والله أعلم.

وتثبت البحوث اللغوية الحديثة أن أقدم اللغات الحية هي اللغة العربية، حتى أن بعضهم قال إنها لغة آدم عليه السلام، وبها نزل الذكر الحكيم، وهي أيضا لغة أهل الجنة.

مع أن اللغة العربية عربيتان، أي لهجتان هما:

١- العربية القديمة، وهي لغة عاد وثمود وطسم وجديس وسبأ وسومر وبابل، وآزر أبو إبراهيم عليه السلام، وحمورابي (أمورافيل)، وقدامى المصريين وسكان الحبشة القدامى، وأهل الشام والعراق، وقد يسمونها السريانية أو الآرامية، أما أهل الكتاب فيسمونها السامية حسدا من عند أنفسهم.

٢- العربية المبينة، وهي العربية الحديثة المستعملة من إسماعيل عليه السلام فصاعدا، وهي في الحقيقة تطور للغة "جرهم" الذين أقاموا حول ماء زمزم وصاهروا إسماعيل عليه السلام بعد أن جاءوا من قنونا.

وقد ورى الحاكم وغيره أن الله ألهم إسماعيل العربية المبينة إلهامًا وعنها نشأت لغة قريش التي نزل بها القرآن.

وكان ﷺ أفصح قريش، وأمر الصديق ﷛ زيدا ومن معه أن يكتبوا المصحف بلسان قريش.

وتدل النقوش التي أمكن فك رموزها حديثا على ذلك، مثلا كانت العربية القديمة تنطق الشمس "شمش" وتسمي الطبيب "الصائن"، وتسمي القط "بس" وتسمي الصقر "حر"، والإله يسمونه "إلّ" أو "إلال" أو "إلهو" أو "إيل"، والمحفوظ اليوم من لغة مصر القديمة يدل على ذلك، والعبرية ما هي إلا اللهجة العربية لأهل الشام، حتى أن اليهود لما جاء الله بهم لفيفا، وجمعهم في الأرض المباركة عمدوا إلى تجديد اللغة العبرية بالرجوع إلى المعاجم اللغوية العربية، ولعل ذلك يأتي له ما هو أكثر تفصيلا بإذن الله.

والآثاريون اليوم في العالم أجمع يتعلمون العربية كي يفكوا بها رموز لغات الحضارات القديمة، كحضارة مصر وحضارة اليمن وحضارة ما بين النهرين.

وبحثوا في لغة آدم عليه السلام وأطنبوا في ذلك، وممن بحثها من المسلمين مصطفى محمود، وبعض الباحثين اللبنانيين.

والبحث في ذلك قليل الفائدة عمليا، على أن كلمة آدم كلمة عربية من الأدمة، وكذا حواء.

وكثير من ألفاظ العربية دخل اللغات الحية اليوم في العالم، كالانجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية ناهيك عن الإسبانية والبرتغالية.

كما أن بعض الألفاظ لا تزال عربية مع شيء من التحوير حسب اللهجة، مثلما حوّر الانجليز كلمة حوش إلى "هاوس"، وكان العرب يقولون عن أبي عاد "عابر" فجعلها الغربيون "وبار".

كما حرف الأفارقة (حوصا) إلى "هوسا"، وأمثال ذلك مما سيأتي إن شاء الله.

وإذا استطاع أحد معرفة العربية القديمة أمكن أن يقرأ اللوحات الطينية التي كتبها القدامى في حضارة ما بين النهرين، ويبلغ عددها ٣٠ ألف لوحة مكتوبة بالخط المسند، وكذا غيرها من النقوش.

والعلمانيون بعد أن فكوا رموز النقوش ومنها تلك اللوحات، غيروا نظرتهم كليا، ومنها ظنهم أن المؤرخ اليوناني "هيرودوت" هو أبو التاريخ كما كان يلقب، ووجدوا أن المسافة التاريخية الزمنية بين "سومر" و"هيرودوت" أكبر من المسافة بين "هيرودوت" وبيننا اليوم.

وقالوا هم بأنفسهم إن الحضارة المصرية قبل أول الحضارات الغربية "الحضارة اليونانية" بآلاف السنين، ثم أخذوا يبحثون في النظم السياسة والاجتماعية والمنجزات الحضارية للإنسان، فوجدوا أن الديمقراطية عند الأمم الغابرة أقدم مما عند اليونان، وعلى ذلك كتب لاكروست والباحثان الأستراليان "بنجامين عيسى خان" و"ستيفن ستوكيل".

ووجدوا أن ناطحات السحاب مثلا عرفها أهل اليمن من قبل، وأكثر العبادات قديمة، وأن معبد "أوام" باليمن أقدم من دلفي بأثينا وأن ما قاله "فريزر" و"تايلور" و"مورجان" عن المجتمعات القديمة مجرد افتراضات، وأن الكتابة بالأبجدية أقدم مما كانوا يظنون، وأن احتمال أن يكون بناة الأهرام هم قوم عاد أقوى من غيره، وأن جزيرة العرب هي مهد الحضارة، وأنها كانت مروجا وأنهارا، وأن الحبوب المعروفة اليوم كالقمح والشعير كانت تنبت فيها طبيعيا، ثم نقلها الإنسان، وأن ملوك حمير هم أشهر الملوك وهم أجداد الفينيقيين وغيرهم، وصدق رسول الله ﷺ: (كان هذا الأمر في حمير وسيعود إليهم)، كما أن الهجرة كانت من اليمن إلى الحبشة وليس العكس.

كما عرفوا الاسم العربي لهانيبال الذي غزا روما وهو "هاني بعل"، وأن الحبشة خضعت لحِمير دهرا طويلا، وهو أقرب مما هو معروف اليوم من تبعية زنجبار لعُمان، وإلى عهد قريب كانت

والحاصل أن الدراسات كلما تقدمت أثبتت أصالة الجزيرة العربية، وسقوط ما يدعيه الغرب من المركزية والسبق.

وكما تغير نظرهم إلى اللغة والتاريخ تغير نظرهم إلى العصور الجيولوجية، وطالبوا الجيولوجيين بإعادة دراستها ففعلوا ذلك، فعرفوا مثلا ما

قبل العصر الكامبري، وعرفوا بطلان نظرية التطور العضوي، ونظرية التطور الفكري، وهكذا حدث هذا الانقلاب العظيم، وربما انقلب ذلك أكثر فيما بعد والله أعلم، وأصبح المتأخر أو الرجعي أو غير العلمي، هو من يتمسك بالنظريات القديمة عن التاريخ ونشأة الحضارة وأصل الدين!!

واللغة تتغير زمنيا، وقد أثبت الله التغير في كتابه حين ذكر قصة الذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها، فقال: أنى يحيي هذه الله بعد موهّا، ولكن قدرة الله أعظم، ومما يشاهده الناس اليوم وقوع التغير في المحسوسات كما تؤثر عوامل التعرية من الرياح والأمطار في الصخور، وكما يؤثر الحبل في الحجر، ولا أحد يقول اليوم إننا نتكلم العربية كما كان يتكلمها القدماء.

ونحن نؤمن أن الشيء الذي لا يتقلب ولا يتغير هو "القرآن"، مهما تقادمت العصور وتعاقبت الأحقاب والدهور، ومثله السنة المحمدية فكلاهما وحي محفوظ، وأتقن الناس للغة هم مهرة التجويد ذلك العلم الفريد الذي لا يعرفه الغرب وذلك ما نطق به الباحث "علي عبد الواحد وافي".

كما عرف الباحثون أن العرب القدامى هم الذين يسميهم المستشرقون "الساميون" حسدا من عند أنفسهم.

والسامية ليست مجرد اصطلاح أو نظرية بشرية أو نسبة للجد الأعلى سام بن نوح، بل لها دلالات سياسية وعنصرية يحرص عليها اليهود وأعوانهم من الدول والباحثين، ومن أهدافها طمس الحديث عن اللغة العربية القديمة، والقول بأن مهد الحضارة هو أي مكان غير جزيرة العرب لا سيما الحبشة، وهي مخالفة لما صح عن الصادق المصدوق ﷺ، وتواتر عند العرب وغيرهم، وحفل به التاريخ، واتفق عليه المؤرخون المسلمون، والتعميم هو أحد أساليب التعمية أو الاختفاء غير العملية، وهو معروف ولا يزال معروفا حتى في الأنساب، فإذا أراد أحد أن يعمي نسبه قال أنا قحطاني أو حربي أو عتيبي أو أزدي، والانتساب لهؤلاء صحيح في ذاته، ولكن من أي الفروع أو البطون هو؟

وإذا صح أن السامية هي الشامية، وجب أن نرجع إلى أهل الشام ولغتهم.

والغريب هو أنه مع تصريح التوراة بأن العرب أخوة لليهود، ومع أن اليهود أقل من العرب بكثير، تجد اليهود في الغرب يحتكرون السامية وحدهم، ومن يكره السامية هو عندهم الذي يكره اليهود، وعلى هذا الخطأ تعتمد الأمم المتحدة اليوم، وإعلانها العالمي عن حقوق الإنسان.

واللغة التي أنزل الله بها كتابه المبين توضح ذلك.

والقول بأن العربية القديمة غير العربية المبينة مع اشتراكهما في بعض الألفاظ أو تقاربهما فيها، يجمع بين الأقوال المختلفة في أن القرآن بعضه بلسان الحبشة أو فارس أو الروم وغيرها، وبين كونه عربيا كما ورد في كثير من الآيات، فهو عربي كما ذكر الله وما فيه من ألفاظ بغير العربية المبينة إنما هي من العربية القديمة التي ينطق بها بعض العرب، والتي يسميها رهبان الفكر "السامية"، والعرب لم يعرفوا كلمة "السامية" وإن سموها الآرامية أو السريانية.

والآرامية هي اللغة العربية غير المبينة، وقد كان يتكلمها إبراهيم عليه السلام، وفي التوراة الحالية أنه قيل له عليه السلام "كلم عبدك بالآرامي"، ويقال إنها لغة موسى وعيسى والله أعلم. وعلى كل حال فالأناجيل الآرامية أصحّ من الأناجيل المترجمة عن اليونانية، ومع ذلك نجد الأناجيل الأربعة المعترف بها عند النصارى اليوم كلها مترجم عن اليونانية، بينما الأناجيل الآرامية محفوظة في مكتبة الفاتيكان السرية.

ويوجد في بلاد الشام اليوم قرية تعرف الآرامية تدعى "معلولا"، غير أنه لا يمكن القول إنها الآرامية فعلا إذْ اختلطت بها لغات أخرى منها التركية مثلا.

والدكتور حسن كمال في كتابه "الطب المصري القديم" أكد الصلة بين اللغة العربية واللغة المصرية القديمة، وجعل ذلك عونا له على اكتشاف بعض

المعادن والعقاقير والنباتات، وذلك يؤيد القول بأن بناة الأهرام هم قوم عاد والعلم عند الله.

وقد ذكر أن الفراعنة كانوا يسمون الطبيب "شائن"، وهي عربية الأصل "صائن"، لأنه يصون الصحة، ويظهر ذلك بوضوح في ترجمة كثير من العقاقير الطبية، ولهذا كانت معرفة العربية ضرورية لعلم الآثار ولا يجد أي آثاري في العالم بُدا من تعلم أقدم اللغات الحية في الدنيا، إذ هي المفتاح لمعرفة اللهجات المصرية القديمة، حيث يمكن معرفة أعظم آثار الدنيا وأقدمها وأغزرها.

وأهم مصدر اليوم عند الغربيين هو "حجر رشيد" مع أن الكاتب مجهول والمترجم مجهول.

ولمعرفة اللغة العبرية (لغة المسيح) عليه السلام على الأرجح، يمكن القول بأن لغة آدم عليه السلام هي العربية غير المبينة، ثم ظلت العربية تتهذب على مر العصور حتى بلغت الكمال بنزول القرآن الكريم بها.

ويقول علماء المصريات إن الملك "مينا" هو أول المعروفين من الفراعنة، وأنه مؤسس الأسرة الأولى، ويشيرون بإجمال إلى أنه كان قبل الفراعنة ملوكا سابقين لهم، و لم لا يكونون قوم عاد؟ أو يكون مينا من قوم عاد؟ والله تعالى أعلم.

وكيف يعثر الكفار أنفسهم على آثار سبئية في غرب أفريقيا ولا تكون الآثار المصرية لأمة عربية قبل سبأ، وكيف يهاجم هاني بعل أوروبا ولا يكون اليمنيون عرفوا غرب أفريقية؟ وكيف يكونون تاجروا مع أمريكا الجنوبية ولا يعرفون أمريكا الشمالية؟

وكيف يتعمد بعضهم إغفال العامل الزمني في تطوير اللغة أو تحريفها وهو لا يزال مشاهدا اليوم؟

وإنما ينشأ التحريف بحسب اللهجة والبيئة.

فـــ(توت) عند المصريين هو داود، أما الغربيون اليوم فينطقونه (ديفيد)، وهو عند أهل الكتاب عامة "اليهود والنصارى" على أصله، وكذلك وجد في العربية المبينة التي نزل بها القرآن الكريم بل حتى النيل يقولون إن أصله (النخل)، والله أعلم.

وقد أشار القرآن إلى التشابه بين العربية والعبرية في قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة:٥٩]، وجاء في الحديث وأقوال المفسرين أن الله أمرهم أن يقولوا "حطة فقالوا: حنطة"!.

ومع كون العربية عربيتين إحداهما قديمة والأخرى مبينة، فإن أول من فتق لسانه بالعربية المبينة هو إسماعيل عليه السلام كما أخبر ﷺ.

وهذا أيضا يدل على أن اللغاة ليست توقيفية كلها، وأن للبيئة أثراً واضحا في ذلك، وعلى أن اللغة خاضعة لسنة التطور كما ذكر الأستاذ علي عبد الواحد وافي وغيره.

كما يدل على بطلان قول التوراة بأن اللغة كانت واحدة، فلما عمل الناس المنكرات شتتها الله وبلبل برج "بابل"، وإسرائيل اليوم حين تجند الآراميين في جيشها بين احتمالين:

١- إما أنهم عرب ليسوا يهودا.

٢- وإما أنهم يهود وأكثرهم من جنس غير الأجناس اليهودية الأصل عندهم، لا سيما "الاشكيناز"، أي الغربيون، الذين هم مختلفو الأعراق ومنهم يهود الخزر الذين منهم نتنياهو وبعضهم ليتوانيون، وبعضهم بولنديون، وبعضهم روس، وبعضهم ألمان، وهكذا، وقليل منهم من بني إسرائيل.

ومهما حاول اليهود إخفاء شخصيتهم فإن السحنة نفسها تدل على اليهودي ومن ذلك الشعر الأسود الذي يظهر حين ترى صورة كوشنر إلى جانب صهره الأشقر ترامب، دع كون كوشنر عاش في مستوطنة يهوديةكما يقال.

وفي إمكانك اليوم أن ترى أثر اللغة العربية في اللغات كلها ومنها: الطوارقية والهوسا والسواحلية والحبشية والفارسية والأردية والتركية والملايو وغيرها، فضلا عن اللغات الأوروبية، ولا يزال كثير من اللغات الحبة يكتب بالحرف العربي كما سنذكر إن شاء الله.

وقد ذهل وفد جامعي ذهب من جدة إلى الصين حينما رأى الكتابات العربية منتشرة هناك، وقال الصينيون إن العربية كانت لغة العالم، والعملة الصينية "إيوان" عليها كتابات بالأحرف العربية كما رأيت، إذ يوجد الآن أكثر من ٢٥ لغة عالمية تكتب بحروف عربية.

واللغة هي وسيلة التواصل، ولما اشترط كرزن على أتاتورك قطع كل صلة لتركيا بالإسلام ألغى أتاتورك الحروف العربية وغير المعاني العربية، وقريب منه -لكن مع شيء من الاختلاف البيئي- فعل أمان الله في أفغانستان وزياد بري في الصومال.

على أن لذلك جانبا إيجابيا لا يعلمانه، وهو قطع الصلة بين الترك والصوماليين بالخرافات والبدع لا سيما المرتدية اسم "الكرامة"، ما يتيح الفرصة للدعاة كي يربوا الناس على العقيدة الصحيحة.

والحروف العربية أكثر من الانجليزية مثلا، وفيها حرف ليس في أي لغة كـــ(الضاد)، وسيأتي المزيد من التوضيح إن شاء الله.

وممن تعلم اللغة العربية من الفلاسفة "أرنست رينان" و"سرفت"، وبعض البابوات وكثير من الغربيين اليوم يعترفون أن العربية هي لغة المستقبل، ويدرِّسون العربية في المدارس البريطانية والفرنسية فضلا عن غيرهما.

والأمم المتحدة تعترف باللغة العربية لغة رسمية فيها، وتضع لها مترجمين معتمدين، ومع ذلك نجد بعض سفراء العرب يتكلمون الانجليزية ويتشبهون بالأمريكان في مظهرهم، وذلك عكس اللغة العبرية مثلا، حيث لا يتكلمها إلا فئة محدودة من الناس، وبعض وزراء الخارجية الإسرائيليين لا سيما اليهود

المغاربة مثل إرييه ادرعي لا يتحدثون بالانجليزية ولا يعرفونها، وإنما تستمع الإدارة الأمريكية إليهم من خلال الترجمة، ويقول قائل –من دول الاتحاد الأوروبي– لا يمكن لأوروبا أن تنشئ جيشا موحدا، لأنها لو كوّنت جيشا من عشرة أفراد لاحتاجت إلى أحد عشر مترجما! وكثير من العجم يحفظون القرآن مع أنهم لا يتكلمون اللغة العربية، وقد قابلت بعضهم واختبرته، فالسر إذن في هذا القرآن العظيم الذي يبقى إلى أن يرفعه الله قرب قيام الساعة.

ويرتبط انتشار العربية وعظمتها بالقرآن ارتباطا وثيقا، فكلما علا التدين علت العربية، وكلما ضعف ضعفت.

وكما نقل الغرب الأعداد عن العربية نقل أيضاً الأبجدية فلما كانت الأبجدية العربية تبدأ بألف باء كانت الأبجديات الأخرى كذلك، ومنها الأبجدية اليونانية التي نشأت عنها لغة الروم التي تسمى اللاتينية، وأبجديتها هي، (ألفا با تا).

أما الأبجدية الانجليزية المعاصرة فهي (إي بي سي .. إلخ)!!

غير أن الغرب يسمي العربية غير المبينة (السامية) كما تقدم، وهذه التسمية لا تجدها في المصادر العربية، بل تجد الغربيين يذكرون العربيات القديمة كالسومرية والكنعانية والقبطية دون أن يسموها العربية غير المبينة، أو يذكروا أصل أبجديتها.

ولما عرف الروم البرديات المصرية اقتبسوا من الشرق أبجديته، التي يقال أن أصلها (أوغاريت) (رأس شمرا) أو جبيل والله أعلم، والمقصود أن العربية عربيتان: عربية مبنية وعربية غير مبنية، وفي ذلك حديث صحيح مرفوع رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وكذلك الأرناؤوط.

وأصل اللاتينية لغة أهل شمال إيطاليا الذين نقلوا عن اليونانية، ومتقرر أن الحروف اليونانية مشتقة من الحروف العربية غير المبنية، ومن اليونانية اشتقوا اللاتينية والسريلية وقد غلبت السريلية على شرق أوروبا، وفيها ألفاظ تركية كثيرة.

وتدعي كل لغة غربية اليوم أنها الأقرب إلى اللاتينية لاسيما الإيطالية والاسبانية واليونانية المعاصرة.

والمقصود أن الأبجدية العربية هي الأصل لكل لغات الدنيا، وإن لم يسموها العربية غير المبينة، وأول من تكلم بالعربية المبنية هو إسماعيل عليه السلام وقد تعلّم من جرهم كما في صحيح البخاري.

وورود أن خمسة من الأنبياء كانوا مع العرب، وهم غير إسماعيل ومحمد (هود وشعيب وصالح) صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

أما ما يسمى حساب الجمّل: أبجد هوز.. الخ التي يقال إنها أسماء ملوك ما قبل الطوفان فلم أجده مرفوعا أو عن أحد من الصحابة، والله أعلم، فهو عندي خبر تاريخي يحتمل الخطأ والصواب.

والأرجح عندي أن الأمازيغ يمنيون من ذرية مازع بن حمير لكن البيئة الصحراوية مع بُعد الشقة جعلتهم لهجات مختفلة، والأمازيغية نوع من العربية القديمة، وقد جزم بعض الباحثين أنها لغة يمنية وقال آخرون إنها كنعانية وأن الحالية هي عربية، ومما يستدل به من قال أنهم أصلاً عرب ما جاء في صحيح مسلم أن قوما جاؤوا إلى النبي ﷺ من أهل المغرب ..." الحديث مع ترجيح بعض العلماء أن المغرب إنما هو دول المغرب المعروفة اليوم.

ودعوى بعض متعصبة البربر أنهم من الروم لا صحة له و إنما نشره الفرنسيون ليستعمروا اليلاد.

والعرب يعتزون ببيانهم كثيرا ويبتهجون إذا نبغ فيهم خطيب أو شاعر، ومما يثير العجب عند الغربيين منزلة الشعر عند المسلمين حتى أنهم قالوا لما رأوا ما للشعر من قيمة في الأندلس: إن العرب شعب يقول شعرا، والشعر من أهم الفنون الأدبية وأرقاها، وقد كان له عند الجاهليين قيمة عظمى أقرها الإسلام، لا سيما قوله ﷺ: (إن من الشعر لحكمة)، وكان النبي ﷺ وأصحابه يستشهدون بالشعر في المواقف ويتغنون به، وعلى ذلك كثير من الشعراء بالشعر الفصيح قديما وبالنبطي حديثا.

وكان من أنواع الشعر الجاهلي شعر الصعاليك الذي يبدو أنه أصل شعر المغامرات في الآداب الغربية، كما سيأتي إن شاء الله.

ومن أنواع الشعر الإسلامي: الشعر الوصفي الذي يتحدث عن طريق الحج، وله قيمة آثارية كبيرة اليوم.

ومن رحلة الحج على ما يبدو ظهر شعر الرحلات الذي لا يزال المسلمون متفوقين فيه على الغرب، ومن أشهر الرحلات عندهم رحلة ابن جبير وابن بطوطة، ثم إن الغرب اتبعهم كما كتب "ديفو" و"كونراد" وغيرهما.

وبعض المرفوع -على ضعفه- يدل على أن أصل الفراعنة عرب.

وفي المسند للإمام أحمد حديث ضعيف ليس موضوعا فيه أن رجلا سمى ابنه الوليد فقال له النبي ﷺ: (تسمونه بأسماء فراعنتكم)، وليس في المسند حديث موضوع، بل بيَّن ابن تيمية أن شرط الإمام أحمد في مسنده أقوى من شرط أبي داود في سننه، وكتب الحافظ ابن حجر "القول المسدد في الذب عن المسند"، والحديث الضعيف عند الإمام أحمد خير من الرأي المجرد، وبعض العلماء يجعل للضعيف شروطا ليس هذا موطنها، والضعيف عند أحمد هو الحسن عند الترمذي، أي ما كان الراوي خفيف الضبط لكن الحديث غير واهٍ وقد يضم الضعيف إلى ظاهر آية أو حديث صحيح فيتقوى، واعتقاد بعض الحنابلة المتأخرين أن كل ما في المسند صحيح خطأ نبه عليه ابن الجوزي وابن الصلاح والعراقي، بل فيه الصحيح والضعيف، وبعض أسانيد المسند أصح مما في صحيح البخاري، لأن أحمد أجل من أي شيخ للبخاري، وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية رحم الله الجميع، وما قد يوجد في المسند من الموضوعات إنما هو من زيادات القطيعي أو غيره.

والمقصود أن المؤرخين العرب يسمون فرعون "الوليد بن مصعب"، والغربيون إنما يعتمدون في معرفة "الهيروغليفية" أو النسبة إليها على "حجر رشيد" الذي عثروا عليه حديثا، وقد تقدم في مبحث التاريخ ذكر المصادر

الصحيحة لتلك المعرفة، ومنها التواتر إذ به يجزم كثير من الناس أن لندن مثلاً عاصمة بريطانيا مع أنه لم يرها قط.

ويقول المقريزي في "خططه": إن الذين بنوا الأهرام والمسلات المصرية التي أدمجها مع ما يسميه "البرابي" هم قوم عاد"، وربما صح ذلك، وبعض الباحثين الغربيين يقول ذلك مثل "ولس بدج"، والله أعلم.

والآثاريون اليوم يقولون إن بناة الأهرام عاشوا قبل موسى عليه السلام بآلاف السنين، ونحن نقول ما قال الله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]، والمهم هو الاعتبار بأحوالهم مع جواز البحث في أصولهم.

ومن الاعتبار بأحوالهم أن نوقن أن كل حضارة لا تؤمن بالله وتتبع هداه لا بد أن تزول، وإنما يبقي الله آثارهم للاعتبار كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل:٦٩]، وينبغي أن ننبه إلى أن الكلمة أو الكلمتين من أي لغة لا تؤثر في عموم اللغة، كما جاء في الحديث أنه ﷺ قال "سنا" وهي من لغة الحبشة، قالها لمن عاشت في الحبشة على سبيل مداعبتها. ومثل ذلك يقال فيما جاء في القرآن من كلمات يقال إنها غير عربية مثل "مشكاة"، و"سندس"، و"زنجبيل"، و"إستبرق"، وحتى مع القول أنها ليست عربية الأصل فالتعريب أحد أسباب إثراء اللغة العربية وسعتها ومرونتها، ومن الخطأ اليوم أن نستخدم كلمة "ستراد" التي أصلها عربي وهو الصراط، على أن تلك الكلمات لا يبعد أن تكون من العربية القديمة، والله أعلم.

وفهم اللغات عموما مفيد، وتعلمها كذلك، والجهل باللغة ينتج عنه الجهل بكثير من معاني القرآن وأسراره، كما يؤدي إلى انحسار بعض مفهومات الدين نفسها، دع جهل أكثر الناس بمعنى الدين، وانظر إلى جهلهم بمعنى العبادة مع أن الله تعالى في القرآن سمى الخضوع عبادة، قال تعالى:

﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ﴾ [المؤمنون:٤٧]، ولهذا قيل إن الأميين ثلاثة: من لا يعرف القراءة والكتابة، ومن لا يعرفون لغة غير لغته، ومن لم يسافر إلى بلد غير بلده.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنه كان يفهم العبرية من حديث بعض مسلمي أهل الكتاب في أيامه، وأنها تقارب العربية كما تتقارب ألفاظ "الاشتقاق الأكبر"، واستعان بهذه المعرفة في الرد على اليهود والنصارى.

وفي السنة (أن النبي ﷺ أمر زيداً أن يتعلم لسان اليهود لأنه لا يأمن اليهود، فتعلمه زيد في نصف شهر)، وهكذا ينبغي تعلُّمُ لغة أي قوم لخدمة الدعوة وليس إعجابا بها كما يفعل المقلدون.

والعلم باللغة قد يفيد في مجالات أخرى وبها استطاع "نعوم شومسكي" إبطال نظرية "داروين" في الأحياء بكتابه "لماذا نحن فقط: اللغة والتطور" الذي نشره سنة ٢٠١٥، وبين فيه الاختلاف بين الإنسان والشمبانزي.

والعربية لغة الحضارة الإسلامية وكانت لغة العالم الأولى، حتى الأناجيل القديمة عليها تعليقات عربية، ومن التشابه بين العربية والهيروغليفية وما قبلها من اللغات عند المصريين يتبين قدم اللغة العربية، وإنما أفسد لغة المصريين اليونان الذين أضافوا (الياء والسين)، وهي علامة النَّسب اليونانية، فجعلوا "الحر" "حوريس"، وجعلوا "عزير" "أوزيريس"، وأما "مناة" فهي عند المصريين القدامى بلفظها، وكذلك "ميْت" و"نو"، وليس ذلك بغريب إذا علمت أن أصل المصريين هو الجزيرة العربية مهد كل الحضارات، والعجيب أن المصريين القدامى يؤمنون بالقيامة وبالميزان، وبأن عرش الإله على الماء، وبالغيب، وبأن الله ليس له مثْل، وأن أول المخلوقات هو الماء، ومنه خلق الله كل شيء، وهذا مما يوضح قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤].

كما يجد الباحث التشابه بل المماثلة بين عقائد اليهود والنصارى المحرفة وبين عقائد الوثنيين القدامى في مصر وبلاد ما بين النهرين، لاسيما بنوة عزير والمسيح، كما قال تعالى عن اليهود والنصارى: ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ

كَفَرُواْ مِن قَبۡلُ﴾ [التوبة:٣٠]، وكذلك عقيدة التثليث الوثنية، وقد استطاع عالم المصريات "جيمس برستد" إثبات أن بني إسرائيل عرب مستدلا بأنهم قدموا من الشام، وأنهم بدو رعاة وهكذا يسميهم المؤرخون "الهكسوس".

وقد دخل في لغة قدماء المصريين ألفاظ عربية، ومن العربية القديمة عند قدماء المصريين "أتمو" وهي التام، وكذلك "تباح" وهي فتاح، وما يسميه المصريون القدامى أ"بموات" يسميه العرب "ابن آوى"، وما يسميه المصريون "حتب" هو حتف، وكذلك "سَخَم" عندهم أي زَعَم، والطبيب يسمونه "شائن" أي صائن، لأنه يصون الصحة، كما سبق، أما اعتقادهم أن عاصمة الإقليم الجنوبي من مصر هي "طيبة" فهو استمرار لما كان الأولون يطلقونه على كل مدينة فائقة الجمال، ثم حسم ذلك النبي ﷺ فقال عن المدينة: (هذه طيبة)، -أي أن ما ادعاه اليونانيون والمصريون وغيرهم- هو مجرد أمل وتفاؤل، واسم (طيبة) قديم وبشرت به الكتب الأولى، وطيبة اليونانية قريبة من أثينا، وقد دمرها الاسكندر المقدوني، وهي اليوم قرية، أما طيبة المصرية فاسمها اليوم الأقصُر.

كما أن للغة العربية تأثيرها على اللغات الأخرى، فمثلا زكريا هو اسم غير مبني لكن معناه في العربية "ذاكري" أي ذاكر الله.

ومن عجيب اللغة العربية عمقها الجماهيري الذي لا تجده مطلقا عند الغربيين، فالعامة من العرب بل كل المسلمين يحتفظون بالحِكم المأثورة عن زهير بن أبي سلمى، أو عنترة بن شداد، أو حسان بن ثابت مثلا، وقد فطن لهذا الأستاذ محمد أسد حين لفت ذهنَه أن الفرس يتغنون بأشعار سعدي وحافظ، وهي أشعار قيلت قبل قرون، وهكذا الحال عند العرب، وإن كان كثير من العامة يخطئ فيقول إنه شعر أبي زيد الهلالي، وحتى لو فرضنا أنه من أشعار بني هلال فهو أقدم قطعا من شعر "شكسبير" الذي لا يغني به العمال الإنجليز اليوم.

وقد كان الملاحون في نهر دجلة يتغنون بزهديات أبي العتاهية فيسمعها الرشيد من قصره، وكان الجاهليون مغرمين بذلك، وربما كان الجاهليون أصلاً أخذوا الحكم والأمثال من شعر عاد وثمود والله أعلم، وقد قال امرؤ القيس:

نبكي الديار كما بكى ابن حزام

وابن حزام هذا لا ندري من هو؟ ولا يذكر الناس شيئا من شعره!

ويبدو أنه من كلام "شومسكي" عن عمليات المخ الموحدة استنبط الغرب ما سماه "اللغة الكونية"، وعلم اللغة الكونية حديث لم يعرفه الناس إلا سنة ٢٠٠٣، وبه نستطيع إثبات أن اللغة العربية أم اللغات، وأنها الباقية عند اندثار سائر اللغات، وأن جناية البابوية وإسرائيل على العلم كانت كبيرة حين عدلا مخطوطات البحر الميت لكي توافق عقائدها عقائدهما، ومن المسلمين الذين تخصصوا في اللغة الكونية الأستاذ سعيد الشربيني المصري، ومما يثبت هذا العلم ان اللغات لا تتطور فقط كما أثبت الدكتور علي عبد الواحد وافي وغيره، بل إنها تموت أيضا، ومن اللغات المتوقع موتها اللغة الانجليزية، وقد بدأت عوامل الموت تنخرها فعلا مثل اختفاء حرف الراء الذي هو علامة على موت اللغة، ولن يبقى منها إلا المصطلحات العلمية العامة، كمصطلحات الكومبيوتر مثلا، وكذا ما أصله عربي، وبعض الكتاب توسع فيما أصله عربي ودخل في الإنجليزية كالأستاذ مهند الفلوجي، الذي جمع من الانجليزية حوالي ٢٥ ألف كلمة مأخوذة من العربية.

لكن مع الأسف راجت في السنوات الأخيرة الحداثة الأدبية التي تريد أن تقطع الصلة بالتراث كله، وتسمى "المودرن" أو "العصرية".

وقد أنكر بعض اللغويين حتى في الغرب ما يسمى "الحداثة الأوروبية"، وقاوموها بعنف لا سيما وأنهم يعرفون رموزها وانتماء أهلها، بل رفضوا حتى مظهرها الشكلي وهو اتباع الشعر الحر وترك الالتزام بالقافية، فمثلا في فرنسا أوصى زعيم المدرسة الرمزية "فيرلين" أتباعه بالقافية في الشعر

الفرنسي، وذكر في مواضع كثيرة أن الشعر الحر إفساد للشعر الفرنسي!! وقال "فيرلين" إن ذلك نثر وليس شعرا.

كما ظهر لها مناوئون في أمريكا أيضا، منهم باتريك باكونين المرشح الرئاسي للحزب الجمهوري، وهو كاتب أمريكي بارز نقلنا بعض كلامه في غير هذا الموضع.

والشعر الانجليزي يعتمد على النبر، وليس على القافية والوزن كالشعر العربي، وتقليده ما هو إلا مظهر من مظاهر التغريب، والكثير من شعراء الانجليز المشهورين نشأ نشأة دينية أو درس في معهد أو كلية لاهوتية، وجميعهم متعصبون على الإسلام أو جاهلون به، وأكبر شعراء الانجليز هو شكسبير الذي يقولون إنه "شيخ زبير"، ويختلف الانجليز أنفسهم في أصله اختلافا كبيرا، والله أعلم، كما أن من شعرائهم البارزين "بايرون" الذي حارب العثمانيين مع اليونان.

ويمكن الآن لأي ناظر أن يقارن بين ما هو موزون مقفى من شعر تميم البرغوثي مثلا، وبين ما هو من الشعر المرسل، ليعرف أيها أكثر وقعا وقبولا.

ولكون الوزن والقافية لا بد منها في الشعر العربي، عمد العباقرة إلى اكتشاف علم العروض.

ورحم الله الخليل بن أحمد الفراهيدي الدوسي الزهراني، ما أكثر إبداعاته وما أحدّ ذكاءه، ومنها ما قيل أنه مر بسوق الحدادين فسمعهم يطرقون الحديد، فخطر في باله أن طرقهم على وزن: "نعم لا، نعم لا لا، نعم لا، نعم لا لا"، وهذه على وزن "فعول مفاعيلن فعول مفاعيلن" (أي البحر الطويل)، فقرر أن يضع علم "العروض" لمعرفة أوزان العرب، فوضع علما كاملا قائما بذاته قسمه إلى بحور، وجعل لكل بحر وزنا، ومن البحور ما هو مشطور أو مجزوء، ووضع الأسباب والأوتاد، وفعل ذلك كله استنباطا بعقله الفذ، ثم جاء تلميذه الأخفش فلم يجد ما يزيد في علم العروض إلا بحراً واحدا قليل الأهمية والاستعمال سمي "البحر المتدارك"!

والشيء الملفت للنظر أن اللغويين الأوائل كانوا على عقيدة صحيحة كالخليل والنضر بن شميل وأبي عبيدة، ولم يظهر الفساد في عقائد اللغويين إلا بظهور عقيدة المعتزلة وترجمة المنطق الصوري اليوناني!!

وهنا نذكر بعض آثار الحداثة وعيوبها الأدبية دع الانتماء السياسي:

١- الغموض المتعمد والضبابية.

٢- انحدار الشعر العربي فلم يظهر بعد شوقي وحافظ ولا بعد الزهاوي والرصافي -وأمثالهم كثير- من يقاربهم في مصر والعراق مثلا.

٣- تفشي العامية في الغناء والتمثيل حتى كادت الفصحى تهمل بالكلية.

٤- إنما خلدت أشعار نزار قباني وغازي القصيبي الموزونة والمقفاة، بل إنك لا تجد شعراً لغازي القصيبي مع شدة إعجابه بنزار إلا موزونا مقفى، وكذلك شعر المقاومة الأصيل، والأستاذ عبد الرحمن العشماوي.

٥- الحداثة المزعومة تفقد الشعر عذوبته وموسيقاه ويصبح كلاما لا قيمة له.

أما في أوروبا فظهرت مدارس كثيرة متناقضة ابتدأت بما يسمى الأدب الإنساني ضد ما كان يسمى الأدب الإلهي الذي لا تقول الكنيسة بغيره، والأدب الإنساني قد يسمى الكلاسيكي إذ هو إحياء لآداب الإغريق والروم.

ومثلما ظهر في أوروبا شعر كلاسيكي ورمزي ظهر فيها الشعر الرومانسي، الذي كان من زعمائه "فيكتور هوجو" و"لامرتين" و"الفرد دي موسيه"، وكذلك "وزدروث" و"شيلي" و"كولج" و"كيتس"، كما ظهرت المدرسة الطبيعية وكان من زعمائها الروائي اليهودي "ايميل زولا" وهو الذي كتب "الأرض" و"الحانة" وغيرها من الروايات، ودافع عن الضابط اليهودي الخائن "درايفوس"، ومن أهم خصائص الرومانسية الخروج على التقاليد الشعرية الموروثة عن اليونان، والجنوح إلى الخيال والتغني بالطبيعة.

ويتميز الأدب في عصر الانبعاث أو عصر النهضة في الغرب وغيره، بأنه يجعل الغلَبة في النهاية للخير والفضيلة، وجعلوا ذلك ستارا للمسرحيات التي تتهكم بالدين أو فيها من الإباحية والمجون ما تحمر له اليوم خدود ممثلات هوليود، غير أن ممثلات مسرح الرويال وغيره كن يتجرأن عليه بلا حياء.

وكل أدباء الغرب ومدارسهم عانوا من الأزمات النفسية التي وصلت ببعضهم إلى حد الانتحار، وتبعا لهم انتحر خليل حاوي، الحداثي اللبناني، ومن الغربيين الذين عانوا من الاضطرابات النفسية الأديب الشهير "تولستوي"، كما انتحرت الحداثية البريطانية "فرجينيا وولف"، وهذا جزء من المعيشة الضنك لمن أعرض عن ذكر الله.

وبعد الرومانسية ظهرت الواقعية، ثم ظهرت مدارس اللامعقول ممثلة في الحداثيين، كما تفرعت مدارس كثيرة من أهمها "الرمزية".

وأشهر اللغات الحية اليوم هي اللغة الانجليزية التي ٥٥% منها عربي لاسيما المصطلحات العلمية، و٣٠% منها فرنسي خاصة المصطلحات السياسية والاجتماعية والتجارية، والباقي من اللاتينية أو لغات أخرى، وسبب انتشارها عالميا هو أنها لغة أمريكا وأتباعها.

والانجليزية لغة هجين كما سيأتي، ومع هجنتها ليس فيها بعض الحروف، وفيها حروف لا تنطق، ومع ذلك يكتبونها ويحفظونها، وربما نطقوا الثلاثة حروف حرفا واحدا، والحرف الواحد قد ينطقونه على نوعين من النطق، مرة كذا ومرة كذا، كما أن الحرف الواحد عندهم قد ينطقونه فتحة، وقد ينطقونه ضمة، ولا تجد معجما انجليزيا إلا ويضع اللغة المنطوقة إلى جوار المكتوبة، وهي لغة سماع وليست لغة قياس كالعربية.

والعجيب أن بعض من يجهل اللغة العربية من العرب قد يتعلم هذه اللغة الهجين ويحرص على الابتعاث إلى بلادها، وقد يلتقي مسلمان ويتكلمان بها ولا يتكلمان بلغة القرآن الكريم، وبعد خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي قلّ الاهتمام بهذه اللغة، وازداد تخلي الأوروبيين عنها، ولم يبق متمسكا بها

خارج بريطانيا وأمريكا وما تفرع عنهما إلا مقلدو الغرب من المسلمين، وقد رأيت وقابلت كثيرا ممن يحب اللغة العربية ممن ليس عربيا، لا سيما في تشاد وأريتريا وفي أفريقيا كلها، وفي باكستان والهند وتركيا وأندونيسيا، بل في روسيا وأمريكا نفسها، ومعرفة اللغة العربية مفخرة في كل دولة، أما الغرب والأمريكان فيغلب عليهم الجهل بلغتهم نفسها فضلا عن غيرها.

وفي دراسة حديثة أن ٤٠% من البريطانيين لا يجيدون التهجئة، وحدثني أستاذ سابق في جامعة "هارفارد" الأمريكية، أنهم جعلوا امتحان القبول في الجامعة هو أن يكتب الطالب اسمه كتابة صحيحة فقط، ومع ذلك رسب بعض الطلبة.

ولكي يفهم الانجليز ما كتبه شكسبير وأمثاله قبل قرون قليلة يترجمونه إلى الانجليزية المعاصرة، وأنا وجدت صعوبة في قراءة شكسبير كما قاله، ووجدت يسراً في قراءة ترجمات شعره إلى الانجليزية المعاصرة.

وفي كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" تأليف "سغريد هونكه" كثير من الأسماء التي لا تزال عربية حتى اليوم، وقد سمته هي "شمس الله" ولكن المترجمين ترجموه غير ذلك، فقد كان ذلك في وقت انتشار الفكر القومي، ومن تلك الأسماء: لبن، سكر، ليمون... الخ.

وإضافة إلى ذلك يمكنك أن تجد عند الأوروبيين كلمة "ثور" العربية نفسها، وكذلك كلمة "مناخ"، كما تجد اسم "سلافة" التي ينطقونها "سلافا"، أو "كامل" التي قد ينطقونها "كاميل"، كما تجد كلمة "كفَر" بمعنى غطى، واسم "فريد".

ومما يكثر لدى الغربيين اليوم مصطلح "برج" ومن ذلك مثلا "بطرس برج" و"هامبرج" "ولكسمبورج"، والبروج مذكورة في القرآن، وهي عربية تعني الحصون العظيمة.

ولم يقتصر أثر العربية على ذلك، بل دخل المصطلحات الاجتماعية مثل "نبيل"، و"شريف"، و"بلد"، ومما أصله عربي ولا يزال "سمت" و"مسك"

و"قطن"، وغير ذلك مما لا يحصى، كما دخلت المصطلحات الكيميائية مثل "قلي، وكحول، كما دخلت المصطلحات الفلكية والجغرافية مثل أرض، وكثير من أسماء النجوم، وكذا مصطلحات رياضية مثل (صِفر وجبر، وخوارزميات).

ومن الأسماء في الانجليزية ما أصله عربي ولا يزال مثل: جمل، غزال، جن، وبعضها حرفوه مثل "قط" فينطقونه "كات"، أو "شيطان" فينطقونه "ساتان"، أو قهوة التي ينطقونها "كوفي"، و"عطر" التي ينطقونها "إتر"، وأخذوا من العامية العربية لفظ "بت" التي أصلها "بس" أي "لكن"، وأخذوا في رواياتهم كلمة "خلاص" وهم يكتبونها "ألاس" كما أنهم ينطقون غرناطة "جرينادا" وسرقسطة "سيراكيوز".

وبعض الأسماء في الغرب لا تزال عربية، وبعضها حرفوه بحسب لغتهم أو لهجتهم، مثل: فاطمة التي ينطقونها "فاديما"، وعائشة التي ينطقونها "آيشا"، ومريم التي ينطقونها "ماري".

والخلاصة أن اللغة الانجليزية:

أ- لغة هجين من لغات مختلفة منها العربية.

ب- لغة طِفْلية تحرّف الأعلام العربية وتنطقها كما يتلفظ بها الأطفال العرب، فالانجليز لا ينطقون مثلا صالح وعبد الحكيم والقاضي، بل يقولون "ساله، وأبدل هكيم، والكادي"، أي كما ينطقها الأطفال عندنا، والغريب أنهم يكتبون الأسماء هنا بالانجليزية حتى في المستشفيات، وأن الأعمال التجارية لغتها غالبا الانجليزية.

ومما يدل على أن العربية هي أم اللغات أن كلمة أب أو بابا هي المستعملة اليوم عند الكاثوليك، أما أطفال الانجليز فيقولون: باب، ومام، كما ينطقها الأطفال العرب، وهذا من الأدلة التي يمكن الاستدلال بها على أن العربية هي لغة الفطرة، كما أن الكلمات العربية في السنسكريتية لا تزال،

ومنها أن دينهم هو البرهمية نسبة إلى نبي الله إبراهيم عليه السلام، على أحد الأقوال.

ومما يدل على أن اللغة واحدة هو أن عبادهم واحدة وشركهم أيضا واحد، فعبادة الكواكب التي كان عليها الصابئة في الهلال الخصيب هي أيضا ما كان عليه اليابانيون القدامى، ولا تزال الأهرام موجودة إلى اليوم في اليابان وأمريكا الجنوبية، ولها ارتباط وثيق بالكواكب.

جـــ- لغة متغيّرة فلو قارنت مثلا بين طبعة الملك "جيمس" للكتاب المقدس عندهم، وبين اللغة المعاصرة لرأيت الفرق واضحا بينهما، مع أن تلك الطبعة بالانجليزية الحديثة كما يقال، فالضمائر مثلا التي في طبعة الملك جيمس غيرها الآن، أما شعر "شوسر" أو كتاباته مثل حكايات "كانتر بري" أو مسرحيات "شكسبير"، فلابد أن تترجم إلى اللغة المعاصرة اليوم، وعامل الزمن لا بد أن يؤثر في الانجليزية لأنه ليس لها كتاب محفوظ.

وبعض الباحثين في موت اللغات يؤكد أن الانجليزية ستموت، والله أعلم، ويقولون إن "أوتيلّو" المذكور في مسرحية "شكسبير" هو "عطا الله" والله أعلم.

ويقولون إن الروم سموا شهورهم بأسماء من العربية مثل كانون، شباط.. إلخ، وكذا شهر الماء "مايو"، والعلم عند الله.

واللغة العربية واسعة، ولكنها ليست صعبة كما يروِّجون، ففي إمكان من يجهلها أن يتعلم أهم الكلمات فيها، فيفهم ما يقوله الناس ما بين المحيط الهندي والمحيط الأطلسي، ومن اللغات الصعبة في العالم التي يقر أهلها بصعوبتها: اليابانية، والصينية، واليونانية، وبعض اللغات لا تكتب كتابة بل يرسمها أهلها رسما ومع ذلك لم يتخلّ أهلها عنها!!

وممن عبر عن إعجابه بالعربية، الكاتب اللغوي الإسباني "فيلا سباز"

وقد عجب غربيون آخرون حيث وجدوا أن الناس من البحرين إلى المغرب كما قال يتكلمون لغة واحدة، والواقع أنهم كذلك حتى في عُمان

وموريتانيا، ونضيف أيضا أن مساحة الدول العربية وحدها أكبر من مساحة قارة أوروبا، وأن العرب سيكونون أكثر من الأوروبيين عما قريب، وأن العربية ستعود لغة العالم الأولى كما كانت.

ورحم الله حافظ إبراهيم إذ يقول على لسان اللغة العربية:

أنا البحرُ في أحشائِهِ الدرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَأَلُوا الغَوَّاصَ عَنْ صَدَفَاتي

ومن الأدلة على ذلك أنها لغة اشتقاق وقياس لا يتناهيان، ففي وسعك أن تقول منظار بدلا من "دربيل" أو "مجهر" بدلا من "تليسكوب"، أو ناسوخ بدلا من "فاكس"، وهكذا.

ومن العجيب أني قرأت أن بعض الغربيين قال عن آخر أنه يجيد اللغة السورية واللغة اللبنانية.. الخ، وليس هذا بغريب على من يعرف جهل كثير من الغربيين.

والتراجع الملاحظ على أمريكا اليوم سياسيا وعسكريا واقتصاديا يصحبه أيضا تراجع لغوي لا سيما وأن الدستور الأمريكي لا ينص على لغة موحدة للبلاد، فبعض الولايات تتكلم المكسيكية كولاية "كاليفورنيا" مثلا، وبعضها تتحدث الإسباني، والأمريكان يعترفون بما يسمونه "ثنائية اللغة" والأفارقة فيها أحدثوا لهم لغة خاصة، هذا في حين أن البريطانيين يقولون إنهم يتكلمون الفصحى، أما الأمريكان فيتكلمون العامية، وبين اللهجتين فروق يعرفها المختصون، وبعض الباحثين اليوم يقول إن ما ينطقه أهل "سكوتلنده" هو لغة وليس مجرد لهجة.

ولا يزال الأمريكيون يستخدمون الميل في قياس الأطوال، وهو عربي قديم، استخدمه النبي ﷺ والصحابة الكرام، واللغة اللاتينية التي يسميها الإمام ابن حزم "اللطينية" فيها ألفاظ واستعمالات عربية، فأنت تجد مثلا الألف واللام أداة التعريف العربية في كثير من اللغات اللاتينية، ومن الأقوال المشهورة عندهم أن العربية أم الأسبانية والبرتغالية، وبعض اللغات الأوروبية لا تزال محتفظة بالكلمات العربية، ولو أنك تجولت في اليونان وإيطاليا

وأمثالها لوجدت ذلك، مثل لفظة "دراخمة" أي "درهم"، وفي المطار يقول لك المتسولون "مسكينو فكيرو" أي مسكينٌ فقيرٌ، وهذا غير ما يوجد في كل اللغات الغربية مثل كلمة "كيبل" أي حبل بالعربية، وكلمة "عشتروت" التي يقال إن أصلها "العزّى" وكلمة "أوزيريس" التي هي "عزير"، وكذا مصطلح "جرامر" أي "الآجرومية"، و"مدريد" أصلها "مجريط"، و"غرينادا" أصلها "غرناطة"، كما أن "حورس" هو "الحر" أي الصقر، والله أعلم، أما كلمة "فلك" بمعنى سفينة فلا تزال على أصلها العربي، وكذلك اسم (مي) وقد يقولون (ماي)، أما كلمة "كهف" العربية فينطقها الغربيون "كاف".

وفي أمريكا الجنوبية يكثر اسم "عمر" وهو مأخوذ عن الإسبانية المأخوذة عن لغة أهل الأندلس، ومن الأسماء العربية عند الغربيين "سافاري" أي (سفري) وهو يطلق على الرحلات، ويسمون به أنواع السيارات، وكذا "لينه" التي ينطقونها "لينا، كما أن الغربيين يسمون الجنة وكل جميل "بردايس" أي "فردوس"، وممن استخدم هذه الكلمة الشاعر "ميلتون" في "الفردوس المفقود"، والغربيون اليوم يقولون إن الله أوحى إلى "ميكال"، و"يوسف" اللذين يحرفونهما إلى "ميشال" أو "ميشيل" أو "ميخائيل"، و"جوزف" أو "جوزيف"، ونبي الله "داود" يحرفونه إلى "ديفيد"، ونبي الله سليمان يحرفونه إلى "زليمان"، ويكثر عندهم اسم "جون" ويقولون إن أصله "يوحنا"، أي يحي عليه السلام، أما العرب فلا يقولون "يوحنا" ولا "خسرو"، بل يحيى وكسرى، ولا يقولون عيسو كما في التوراة بل يقولون عيسى أو عيص، وهو جد الروم.

والغربيون إن لم يغيروا الاسم كليا كما فعلوا إذ غيروا "نهر جيحون" إلى "موداريا"، فإنهم يحرفونه كما حرفوا "ابن رشد" إلى "أفيروش"، و"ابن زهر" إلى "آفنـــزور"، و"ابن ماجه" إلى "إمماجا"، و"سرقسطه" إلى "سيراكيوز"، و"قطلونية" إلى "كاتالونيا".

كما حرف الغربيون كلمة "زفت" العربية إلى "اسفلت"، وحرفوا "نهر الطونة" إلى "دانوب" وغيرها.

والغربيون حتى اليوم يحذفون بعض كلماتهم خاصة إذا كانت مهجورة، أو ذات أحرف كثيرة، ويعممون ذلك على القنوات والصحف والإذاعات والمواقع ونحوها لاعتماده.

كما أن الغربيين ينتسبون إلى الشرق كثيرا، ومن الأمثلة على ذلك قولهم "أسكلوني" نسبة إلى عسقلان، أو "أمّوني" نسبة إلى عمّان، أو "توري" نسبة إلى "صور"، ولديهم مصطلحات باقية على الأصل العربي أو قريبة مثل "فاين" للشيء الجميل، أو "انفلونزا" أي "أنف العنزة"، وإذا أعجبهم الشيء قالوا "فني".

واللغة نعمة من الله جعلها وسيلة للتواصل بين الناس وانتقال الأفكار من جيل لجيل.

وتخضع اللغة لعوامل كثيرة، منها أن الناس قد يتحادثون فيما بينهم بلهجة غير اللغة المكتوبة، وأن بعض اللغات ما هي إلا لهجات أو عاميات من لغات أخرى. فمثلا يقال إن اللغة الانجليزية ما هي إلا عامية من اللغة الألمانية القديمة، ومن المعروف أن الانجليز والألمان أبناء عمومة يجمعهما العرق المسمى (الانجلوسكسوني)، وتلك اللغة بدورها هي عامية للغة اللاتينية الأم.

أما المستغربون في بلاد الحرمين فيجبرون الحجاج على اللغة الانجليزية، مع أنهم لا ينطقونها.

ولا يكتبون اللوحات الإرشادية بأي لغة إسلامية يتكلمها قطاع كبير من الحجاج مثل الأردية أو لغة الملايو أو الهوساوية)، بل حتى كلمة الحج نفسها المجمع عليها بين كل المسلمين في كل اللغات يكتبونها مترجمة (بلجرام)!

مع أن الانجليزية الحالية لها لهجات مختلفة داخل بريطانيا، ومن الأمثلة على ذلك لهجة أهل "ويلز" وأهل سكوتلانده"، بل إن أهل ويلز لهم لغة لا يفهمها غيرهم.

وبريطانيا اليوم تفكر في إدخال اللغة العربية ضمن منهاجها، بعد أن كثر الناطقون بها فيها كثيرة غير عادية، ولو أنها خففت قيود الهجرة إليها لكان المتكلمون بالعربية أكثر.

والتنوع اللغوي والثقافي ظاهرة عالمية، وأصبح من المعتاد أن تجد في غرب أمريكا لوحات مكتوب عليها "نحن نتحدث العربية".

واللغة من مظاهر الاستقلال والاعتزاز القومي عند الشعوب كافة، كما أن التبعية اللغوية دليل على الاستعباد السياسي والتبعية الفكرية، وأنا أستغرب أن تكتب شركة (أرامكو) على الطرق وغيرها "أرامكو السعودية" مع أنها تفرض التحدث بالانجليزية حتى على المستخدمين من الأميين من شركة سمارك التي كانت لغتها العربية. وخف هذا الاستغراب قليلا حين علمت أن شركة أرامكو قانونيا شركة أمريكية أيًا كان المالك لأسهمها والسعودية إنما اشترت الأسهم فقط، ومع ذلك يريد الأمريكان أن تباع هذه الأسهم في بورصة نيويورك لكي يشملها قانون جاستا، فإذا كانت حقًا سعودية فلتتكلم العربية كما كانت سمارك.

ولما دخل الألمان باريس في الحرب الثانية تعلم منهم الفرنسيون كلمة ألمانية، لكن الفرنسيين لما استعادوا باريس منعوا هذه الكلمة وفرضوا غرامة على من ينطق بها فاختفت، وهذا مع الأسف غير موجود في الدول العربية بل إن بعضها يدعي العربية:

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان

وهذه الغربة لا تجدها عند أعداء الله اليهود، فإذا هاجر إليهم أحد، أدخلوه أولا دورة يتعلم فيها اللغة العبرية الحديثة.

والكلمة لها تأثير عظيم، والإعلام يمسخ العقول ولو كانت كبيرة، فانظر مثلا إلى سيدة عاقله وصحفية محترمة (أخت زوجة توني بلير) كيف توجست من الفلسطينيين، لما كلفتها المؤسسة بالذهاب إلى رام الله حيث قيل إنهم إراهابيون، ولما وجدت الفلسطينيين عكس ما يقوله الإعلام أسلمت.

كما أن الكلمة من الحق تدفع آلاف الكلمات من الباطل كما كان النبي ﷺ وأصحابه، ورسلُ الفاتحين والدعاة الأولون.

وللمسلمين السبق في الدراسات اللغوية المقارنة، فقد عاش أبو بكر بن وحشية في القرن الثالث الهجري (أي بعد المائتين)، لكنه استطاع مقارنة أكثر من ثمانين لغة قديمة باللغة العربية، ومنها الهيروغلفية المصرية، وعرف أسراراً لغوية لم يعرفها الغرب إلا بعد حوالي عشرة قرون، ويُعد بذلك من أقدم الباحثين في اللسانيات.

ومن الفروق بين العربية والانجليزية أنه ليس في العربية فعل الكون الذي لابد منه في الانجليزية، فالعرب تحذف ما هو بدهي أو يفهمه السامع بدون ذكر، فهم يقولون زيد قائم ولا يقولون زيد يكون قائما، وصدق الشافعي رحمه الله حين قال: "منطق العرب في لغتها".

كما أنها كانت لغة العالم وستعود كذلك بإذن الله.

ولما قابل "فردريك" الثاني الملك الأيوبي الكامل، تحدث معه بالعربية التي كان يجيدها "فردريك"، زعيم الحملة الصليبية آنذاك.

ويجب علينا اليوم أن نحي اللغة العربية وننشرها وألا نسمح للعامية أن تنتشر أو تُكتب كما فعل دعاتها مثل سعيد عقل وأتباعه.

ونحمد الله على أنها لغة ثابتة بينما يضطر الغربيون إلى ترجمة آدابهم التي قبل ثلاثة أو أربعة قرون إلى اللغة المعاصرة كما سبق، ويظهر أنهم بعد حين سوف يضطرون لتغير الكتاب المقدس عندهم، أي طبعة "الملك جيمس"،

ونحن اليوم نقرأ "كتاب الحياة" مثلا بالإنجليزية المعاصرة وليس بطبعة "جيمس"، التي نعدها قديمة.

هذا في حين أنك تقرأ الشعر الجاهلي وكأنما قيل بالأمس القريب بل تفهمه أكثر مما تفهم ما يسمونه الشعر الحر المتأثر بكلام "بودلير" و"عزرا باوند" و"إليوت" وغيرهم، وقارن بين شعر السياب الموزون، وبين قصيدته "أنشودة المطر" مثلا.

وحدثني بعض المسلمين الهنود أن الولاية الهندية المسماة اليوم "كيرالا" كانت هندوسية حتى قدم الشيخ "خير الله" فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وسموا ولايتهم باسمه ولا تزال حتى اليوم يقال لها "كيرالا"، ويحرص كثير من الناس هنا على استقدامهم، ويتناقلون الحديث عن أمانتهم وإخلاصهم في العمل، وحدثني ما لا أحصي من الفلبينيين أن عاصمة الفلبين اليوم المسماة "مانيلا" بناها المسلمون وسموها "أمان الله"، وإنما سميت الدولة "فلبين" باسم "فيليب" الخامس ملك إسبانيا، وقد قَتَل سلطان هذه الدولة المسلم "لابولابو" المنصرَ الخبيث "ماجلان"، وقالت الكنيسة إن الوثنيين قتلوه، فالمسلمون عندها وثنيون، وقد أراد "ماجلان" أن يطوق الدولة العثمانية القائمة آنذاك من الشرق، وإنما أرسله الكاثوليك، وأنفق البابا تكاليف رحلته لتطويق الدولة العثمانية، وقد تعلمنا في مناهجنا أنه قاهر البحار، وأنه مكتشف بعض الطرق البحرية، والأمثلة على ذلك كثيرة، والمختصون يعلمون أكثر مما ورد هنا.

ومما يقال إن أصلها عربي قول الغربيين "أوكيه" ويقال إن أصلها "وهو كذلك"، ثم اختصرها العرب أو الغربيون.

ومما بقي حتى اليوم "علي" لكن ينطقونه "أليك"، كما يحرفون "رفقة" إلى "ربيكا"، ويحرفون "راحيل" إلى ر"اشيل"، والمجدلية إلى "مادلين"، وفاطمة إلى "فاديما"، وعائشة إلى "آيشا" أو "آيشه" أو "آيزا"، وبعض الأسماء لا زالت

عربية حتى اليوم، مثل ساره وليلى ونورة، ولا تزال كلمة "آمين" في الأناجيل.

وفي الأناجيل أيضا جملة ينسبونها للمسيح عليه السلام وهي قوله لما صلبوه بزعمهم: "إيلي إيلي لم شبقتني"، و"إيل" هي الإله، وقد قال أبو بكر الصديق ﷺ لما سمع بعض قرآن مسيلمة الكذاب: "والله ما خرج هذا من إلّ"، أي إله، و"الإل" و"الأيل" وأمثالها كلمات عربية مذكورة في مصادر كثيرة، والعرب يسمون جبل عرفات جبل "إلال"، أي جبل الإله، وقول المصلوب "لِمَ" عربية لا تزال معروفة، و"شبقتني" أي "شبكتني" العربية.

وقد أقبلت الشعوب الإسلامية في شرق الأرض وغربها على اللغة العربية التي لم تكن في الجاهلية إلا في جزيرة العرب وبعض أطراف الشام والعراق، وقد بقي لدى بعض العلماء شيء من اللكنة الأعجمية مثل ما يحكون عن مكحول ﷺ.

وللمسلمين السبق في جعل اللغات عائلات، فقد نص الإمام أبو محمد بن حزم على أن اللغات أُسر، كما أن لهم السبق في علم مقارنة اللغات كما فعل ابن وحشية، ولهم السبق في مجال الخطوط المختلفة، ولا تزال المقارنة بين الخطوط موجودة حتى الآن في كتاب "الفهرست" لابن النديم مثلا،

والخط العربي آية في التشكيل والزخرفة، والكلمة الواحدة في العربية يمكن أن تكتب بأنواع مختلفة من الخط كالنسخ والرقعة والثلث والديواني والكوفي والفارسي... الخ، ولا يزال الغربيون حتى اليوم يستخدمون الخط العربي في الزخرفة لا سيما على الألبسة أو المفروشات أو الأواني وما أشبه ذلك، في حين أن الخط بالإنجليزية مثلا اثنان فقط (إما كبير وإما صغير)، ويضطر المقلدون أن يكتبوا على الفنادق أو الشركات أو العملات أو الأندية بأحدهما.

ونظرا لأن الإسلام يحرم تصوير ذوات الأرواح، ولما يتميز به الخط العربي من جماليات انصب اهتمام المسلمين على الزخرفة والتشكيل عن طريق

الحروف، ثم إن العثمانيين اخترعوا الطغرة، وكان لكل خليفة عثماني طغرته أو طغراؤه، وهو التوقيع أو الشارة الخاصة.

والخط العربي قديم، ويقال إن أصله المسماري والله تعالى أعلم، وهو مع قدمه ثابت لا يتغير.

وقد قال بعض الأمريكيين يكفي أن تكتب أي اسم بالعربية دون حاجة إلى شعار.

وينبغي أن يعلم أن مملكة "آرام" ليست هي "إرم" المذكورة في سورة الفجر، وأن العبرية اليوم وإن كان فيها ألفاظ عربية كثيرة قد غلبت عليها "اليديشية" لغة اليهود الألمان، ولا تزال منها ألفاظ عربية ربما حرفوها مثل الأرض التي ينطقها اليهود "هاآرتس"، أو المرْكبة التي ينطقها اليهود "ميركفا" وهي دبابة متطورة، وعند اليهود جماعة "ناطوري كارتا"، وهي جماعة غير صهيونية، فأما "ناطوري" فهي كلمة عربية معروفة مشتهرة، فالناطور هو حارس العنب كما قال المتنبي:

نامت نواطير مصرٍ عن ثعالبها وقد بشمن وما تفنى العناقيد

وأما "كارتا" فهي القرية، ولا يزال اليهود يستخدمون ذلك مثل "كريات شمون" أو "كريات أربع"، واليهود ينطقون السامري "الشمروني" ويلفظون السبت "الشبت"، أما "لاوي" فينطقونها "ليفي"، كما أن الجنازة ينطقونها "جنيزة"، وهم يقولون بن فلان وهذه "بن" نحن أولى بها، وإنما يتركها الغربيون أو المستغربون، كما ينطقون المسيح "الماشيح" وينطقون "العموريين" "الأموريين"، واليهود يسمون الأقوام "الجويم"، ويسمون المثْنى "المشنا"، ويسمون الصدِّيق "سديك"، والظهور "الزهور"، ويسمون المعارف "معاريف".

وقد قال العقاد في كتابه "إبراهيم أبو الأنبياء" إن إبراهيم عربي، واستدل بمقابلته لزوجة إسماعيل، وقد رواها البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه، وقال العقاد إن أباه آزر هو "آشور" والله أعلم.

وبعض الباحثين بحث عن لغة آدم عليه السلام وقال إنها العربية، والظاهر لي أنها عربية فعلا، وأن لغة أهل الجنة هي العربية أي كما هي لغة الكتاب المجيد، وبعض المصادر العربية تنسب لآدم شعرا عربيا الله أعلم بصحته، وبعضها تذكر أن قوم عاد أرسلوا "الجرادتين" وهما مغنيتان إلى مكة تستنجد بأهلها لما أصاب عاداً الجدب، وذكروا بعض الشعر الذي غنتا به والله أعلم.

ومن المعروف في التاريخ الغربي "هانيبال" أي "هاني بعل"، و"نصربال" أي "نصر بعل"، وبعل هذا هو المعبود القديم الذي أنكره إلياس عليه السلام على قومه وقال: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾ [الصافات:١٢٥]، كما في سورة الصافات، وهو مذكور أيضا في التوراة حتى اليوم، ومن ذلك "بعلبك" و"بك" هي "بكة"، وعندهم أن "حمورابي" وضع شريعة، ومن يقرأ شريعته يجد أنه يقول في أولها: إنها وحي من الإله "شمش" أي الشمس، فقد كان على دين الأولين الذين يعبدونها.

والغاية أن اللغة العربية قديمة ودخلت في كل اللغات، وأنها لغة المستقبل، وهذا ما يقوله الغربيون أنفسهم.

ثم ظهر المولود الميت المسى (الحداثة) في عصرنا السيئ هذا، وادعى أصحابه أنه تطور طبيعي وأن الشعر لا بد أن يكون حداثيا، ولتطور الشعر مراحل نذكرها بإيجاز:

١- شعر اليونان والرومان، وكانوا يتضرعون إلى من يسمونه ربَّة الشعر، فهم مشركون، يؤمنون بتعدد الآلهة والأرباب، وربما كان أشهر القصائد اليونانية "الإلياذة" لـــ"هوميروس". وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ [النساء:١١٧].

ولعل أوضح مثال على تأثر الانجليزية بذلك هو قصيدة "الفردوس المفقود" لـــ"ميلتون"، حيث يتضرع "ملتون" لربة الشعر أن تعينه وتلهمه.

٢- شعر من يُدعون الفلاسفة وهو كلام بارد غث.

٣- شعر المدرسة الإنجليزية الحرة، وهي التي نشأت في انجلترا ثم في أمريكا وفرنسا وغيرهما.

٤- الموشحات الأندلسية.

وعلى الحداثة الغربية كان "عزراباوند" وصديقة "اليوت" و"كافكا"، ثم تبعهم المقلدون في الشرق ممن ينتسبون إلى الإسلام، ومن أِشهرهم "أدونيس"، وهو نصيري اسمه الحقيقي "علي أحمد سعيد"، وكان مقربا عند انطون سعادة، وأما "أدونيس" فهو رب الجمال عند الفينيقيين كما يزعمون، ثم ارتد "أدونيس" إلى المارونية. ومن الشرقيين أيضا سميح القاسم وهو درزي، وكذلك محمود درويش الذي يكاد المرء لكثرة استدلاله بالتوراة والإنجيل يجزم بأنه غير مسلم، لاسيما وقد كان شيوعيا ينتمي للحزب الإسرائيلي لاشيوعي "راكاح"، وهو يجمع كما يقول بين (محمد ويسوع)! ومنهم كذلك بدر شاكر السياب وهو عراقي مهووس بالجواسيس، وقد تحول من الشعر الفصيح إلى ما يسمى "الشعر الحر"، ويبدو أنه عاد للشعر القصيح آخر عمره لما مرض وتنقل بين الكويت وبيروت، وعد مرضه من الهدايا الربانية له.

وانتقالا من شعر التفعيلة وضعوا (شعر) الغموض النثري وتفوقت الحداثة الأدبية وراج استعمالها حتى في هذه البلاد وفي اليمن اللتين لم يدخلها المستعمر عسكريًا.

وقد دأبت صحيفة "عكاظ" على الدعاية للأناجيل مثل نشرها الدائم جملة "في البدء كان الكلمة"، وهي أول جملة في إنجيل "يوحنا" حيث يقصد يوحنا بالكلمة "يسوع"، وكان يؤيدها في ذلك بعض المتنفذين في تلك الأيام، حتى قال أحدهم أثناء كلامه: "أرجو ألا يكون أحد من جريدة المدينة هنا". وجريدة "المدينة" في ذلك الوقت كانت ضد ما يسمى "الحداثة"، والنيات يعلمها الله، وكانت جريدة "عكاظ" تشجع كل حداثي، وتنشر له

ما يريد وتتهم من يعارض الحداثة بالفنطاسية، ولا تنشر له شيئا، وكان للحداثة خصوم مشهورون مثل المليباري وأحمد الشيباني وعاصم حمدان وغيرهم، وكتب الله لي أن أزور صحيفة "عكاظ"، وكان المشرف الثقافي في عكاظ هو الحداثي المصري جابر عصفور، الذي عيّنه عبد الفتاح السيسي وزيرا للثقافة، وقد ألف ضد الحداثيين كثير من المنكرين لها، أهمهم الدكتور سعيد بن ناصر الغامدي، والدكتور عوض القرني، وجزى الله خيرا كل من ردّ عليها ولو بالدعاء.

ومن عجائب الحداثيين أنهم كتبوا كثيرا عن كلمة "انتهت" التي كتبها أحد المتشاعرين ليدل بها على أن قصيدته انتهت، كما أنهم كانوا كثيري الكلام عن الحلم لأنه ينتمي إلى اللامعقول، كما يكثر كلامهم عن وطن له طعم الشمس، أو القطارات، وذلك دليل على أنهم يقلدون الغربيين، فنحن كما يعلم الجميع نشكو من الشمس المحرقة، وليس لدينا قطارات في ذلك الحين في الغربية.

وممن رد على الحداثيين وهدم ما يسمى "الأدب الحر"، الأديبة العراقية "نازك الملائكة" التي كانت حداثية.

وكان الدكتور عبدالله الغذامي يؤيدهم ثم أعلن رجوعه عن ذلك، وهذا اللائق بدينه وبأسرته، وهو ذو آراء خاصة لكن يخالف الحداثيين.

ومن تأثر الأدب الغربي بما كتبه المسلمون أن كاتب "دون كيشوت" ينقل عن مؤلف مسلم يدعى ابن الجبلي" وابن الجبلي كثيرون، ولست أدري من المقصود منهم؟.

ومن أدباء الغرب المشهورين جدا "جورج برناردشو" وهو كاتب مسرحي بريطاني من ايرلندا، اشتهر بسرعة بديهته وأجوبته اللاذعة ونقده التهكمي، و"شو" ساخط على الغرب كله وبريطانيا خاصة، وقد تحدث "شو" عن الكوارث التي جلبتها الحرب الأولى، وكيف أن المصائب لم تقتصر على التخريب والتدمير، بل تعدت ذلك إلى القيم والأخلاق والطباع،

فالحكومة فاسدة، والبرلمان أحمق، والشعب تحول إلى منافقين ولصوص، وحتى المتدينين عنده أصبحوا يذهبون للكنيسة لا للدين بل لأن فيها متبرجات، وذكر أن "اللورد" يصبح لوردا بالوراثة وإن كان غبيا، وقد شهد "شو" الحرب الثانية التي كانت أكثر فظاعة ووحشية وفسادا من الأولى، لكنني لم أطلع على أقواله عنها وكل ما أعرفه أنه مات بعدها بقليل سنة ١٩٥٠م.

وله كلام في نقد الديمقراطية وحكم مأثورة يحفظها كثير من الناس شرقا وغربا، منها قوله "يكفي الكذاب عقوبةً أنه لا يصدقه أحد"

وقد كان "شو" -أول الأمر- من دعاة الاشتراكية الفابية نسبة إلى القائد الروماني "فابيوس" الذي يقول الغربيون إنه هزم القائد القرطاجني "هانيبال" أي "هاني بعل"، ومع مهاجمة "شو" للبريطانيين خصوصا الطبقة الثرية، نجده يثني على رسول الله ﷺ، ويقول إنه الوحيد الذي يمكنه أن يحل كل مشاكل العالم، وأنه في وقت وجيز سوف يقضي على كل ما يعاني منه الناس، وقد أراد "شو" أن يكتب مسرحية عن النبي ﷺ فدلوه على السفير التركي في لندن، ولست أدري ماذا حدث له.

ومما يميز مسرحيات "شو" أنه يقتبسها من واقع الاستعمار في ذلك الوقت، ويذكر فيها حال الشعوب المستعمَرة، فتجده يتحدث عن "الدنشواي" في مصر، وعن مراكش وما جلبه لها الغرب.

وقد سمعت تسجيلا بصوت "شو" بثته إذاعة لندن في ذكرى وفاته.

وكان "شو" نباتيا يمتنع عن أكل اللحوم، ولست أدري أهذا طبعه الدائم أو أنه فقط يتركها أمام الناس! والمهم أنه كان يائسا قانطا مضطربا يبحث عن دين ليؤمن به.

وله مسرحيات كثيرة من أهمها "بيت القلب الكسير" أو "البيت المحطم للقلب" و"بجماليون" و"العودة إلى متوشالح"، وينتقد "شو" كل النظريات

الغربية لاسيما نظرية "دارون" التي لم ترْقَ إلى درجة نظرية بل هي فرضية ناقصة.

ونظرا لشهرة "شو" الواسعة بين الانجليز يتمسح به كثير من أدبائهم، مثل "كولن ولسن"، ويقول حزب العمال البريطاني الذي يتزعمه اليوم "جيرمي كوربن" إنه قام على أفكار "شو".

والغربيون اليوم يحتفون بذكراه، وينشرون مسرحياته، ويذكرون تهكماته اللاذعة وتعليقاته المضحكة، ومن ذلك أن إحدى النساء، المسماة "ملكة جمال بريطانيا" قالت له أريد أن أتزوجك، كي يكون لنا ابن يأخذ عقلك وجمالي، فقال لها "شو" لكن كيف لو أخذ عقلك وجمالي!!

على أن التباين بين الغرب ومقلديهم شديد لصالح الغربيين، فعندما قرأت بعض الصحف هنا وجدتها تمجد الشاعر "إليوت"، ولكن الأصوليين في أمريكا يمجدونه لشيء آخر، وهو قوله: "إن شعبا بلا دين سيجد في النهاية أنه لا يملك شيئا يعيش من أجله". وهم هناك يرشدون إلى المصادر التي تكتب عن حياة "إليوت" وكيف أنه مات كاثوليكيا بعد أن ولد يهوديا!! وكيف أنه قال: "الفن هو تجسيد دين الشعب"، وقال: "إذا ذهبت المسيحية فإن ثقافتها ستذهب معها".

وهذا بالطبع ما لم تنقله الصحف الحداثية هنا، ولن تجده في أي جريدة تدعو إلى الحداثة هنا، كما لن تجده في "مجلة فصول" وأمثالها. وكذلك كون "فرانز كافكا" يهوديا أو كون علي أحمد سعيد (أدونيس) نصيريا ارتد إلى المارونية، أو كون "جورج لوكاش" شيوعيا، أو كون الثورة الطلابية في فرنسا ثورة يسارية كان "اللوطيون الماركسيون" أبرز دعاتها، كل ذلك وغيره كثير إنما قرأته أو وجدته لدى بعض الغربيين فقط، أما ما تقرؤه هنا فهو الثورة على الدين والتقاليد، والثناء العريض على أولئك العباقرة المجددين والديمقراطيين الثائرين! وترشيح أدونيس مثلا لجائزة "نوبل".

أما في أسبانيا فأكبر شعرائهم وقيل إنه أعظم شاعر في العالم هو "لوركا" الذي تغنى بأمجاد طارق بن زياد، وكيف أنه أدخل الحضارة إلى أسبانيا ومنها إلى أوروبا.

وقد قرأت بعض الروايات الغربية المتأثرة بخيال "ألف ليلة وليلة" ومنها الخيل التي جعلوها تتكلم وأحلوها محل البشر، ومنها "أليس في بلاد العجائب"، ومن ذلك قصص "كونراد" و"سوشر" وقصص "جيوفاني بوكاشيو" وما لا يحصى إلا بكلفة، ومن قصصها التي لا يزال الغرب معجبا بها قصة "السندباد" وقصة "علي بابا" وقصة "المقدم أحمد الدنف" وقصة علاء الدين والمصباح السحري!!

ولم يظهر أثرها أي "الليالي" في الأدب الكلاسيكي وحده، بل في الأدب الرومانسي وفي الواقعية الحديثة، ولا تزال الرواية الغربية المعاصرة متأثرة بها ولا سيما مدارس اللامعقول الكثيرة، ومنها "السوريالية والمستقبلية والتكعيبية".

وكما انتقل التكلف والأسلوب المصطنع من الفارسية إلى العربية، انتقل أيضا من العربية إلى اللغات الأوروبية، وهذا مشهور في الأدب الكلاسيكي، كما أن الغربيين يؤلفون سيراً شعبية تمجد أبطال الحروب الصليبية والحرب الدينية عامة، على غرار ما وضعه الوضاعون المسلمون من سِيَر، مثل سيرة الظاهر بيبرس، وسيرة الأميرة ذات الهمة، وسيرة عنترة بن شداد، والزير سالم، وسيرة سيف بن ذي يزن، على أن هذه السير عندنا شعبية فقط، أما في الغرب فهي ضمن الآثار الثقافية المعتبرة.

و"فرانز كافكا" من الضائعين أيضا، لكنه كان لديه بصيص من الضوء بسبب مخالطته بعض المسلمين في تشيكيا.

والغربيون اليوم يقولون إن شعر الفروسية الأندلسي أثَّر في أوروبا خاصة في الشعراء الجوالين "التروبادور" والرومانسية. وقد قالت "سغريد

هونكه" إن أصل "التروبادور" هو الطرب، وأنه منقول عن المسلمين والله أعلم.

واشتهر العرب بتذوق الشعر ولا تزال القبائل العربية كذلك حتى اليوم.

ومن ذلك أن العرب كانوا يرحلون لسماع الشعر، وربما دفعوا مبالغ طائلة من أجل قصيدة أعجبتهم، وقد أعجب الأصمعي بقول فتاة بدوية:

أستغفر الله لذنبي كلِّه قتلت إنسانا بغير حلّه

مثل الغزال ينثني في دله انتصف الليل ولم أصلِّه

قال الأصمعي: فلما سمعتُ ذلك قلت لها ما أفصحك أيتها الفتاة! قالت: هيهات! أين أنا من قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص:٧]، فقد ذكر الله تعالى أمرين ونهيين وبشارتين في آية واحدة!!

وقد بلغ بهم الحال إلى التمييز بين الشعراء بحسب شعرهم، ويروون أن الفرزدق قال لأحد الشعراء: إن قولك: "كما ألغيتَ في الدية الحُوارا" ليست من شعرك وإنما هي من شعر ابن كذا، يعني جريراً.

وإلى حد أن يتوقعوا ما سيقوله الشاعر، فلما قال جرير قصيدته البائية وذكر أن للمهجو شنبًا أي شعرًا وضع الفرزدق يده على عنفقته وعلم أن جريرا سيقول: "كعنفقة الفرزدق حين شابا".

وإلى حد أنه إذا سمع أحدهم قصيدة بليغة في الرثاء، تمنى أن يكون هو الميت الذي قيلت في رثائه، كالمرثية التي قيلت في أحدهم لما صلبوه ومنها:

كأنك قائم فيهم خطيبا وكلهمُ قيام للصلاة

وللأدب البليغ عندنا شعبية لا نظير لها في الغرب، سبقت الإشارة إليه، وقد كان الملاحون في دجلة يتغنون بزهديات أبي العتاهية وربما سمعهم الرشيد. وقد قال محمد أسد الذي كان يهوديا نمساويا: إن الغربيين لا يوجد لديهم التغني الذي سمعه في بلاد فارس من عمال بسطاء يتغنون بشعر حافظ

وسعدي، ومما لا يزال وسمعتُه أنا: تغني المسلمين في شبه القارة الهندية بشعر محمد إقبال رحمه الله.

ولكون العربية بهذه المنزلة تعلمها حتى أعداء الإسلام، فقد تعلمها البابا النصراني "سلفستر" الثاني، كما تعلمها الراهب "بولس" الذي سماه الغربيون "بطرس" المبجل أو ألموقر، وأثار بحماسته لدينه تحمّس النصارى لقتال المسلمين ونشأت الحملات الصليبية.

كما تعلمها "ريموند لول" أما إتقان "فريدريك" الثاني لها فمشهور في كل التواريخ الغربية، وقد تقدم ذكره.

كما تعلمها المبتعثون إلى الأندلس من أبناء ملوك الانجليز وبلاد الغال (فرنسا اليوم)، وما حولها من الدول، وكذلك السكسونيون الجرمن أو ولايات ألمانيا اليوم.

وممن درس في الأندلس القس "كوبرنيق" صاحب نظرية أن الأرض تدور حول الشمس! ويقول الغربيون أنفسهم إن من هناك عرف حركة الأجرام السماوية، وقد تقدم ذلك في مبحث الفلك السابق.

والبابا الحالي (فرانسوا) يعرف العربية جيدا حيث درس في جامعة القرويين بالمغرب، وتدبر شؤونه امرأة مغربية.

وقرر بعض الباحثين الغربيين بقول إنه استناداً إلى معلومات تاريخية تبيّن له أن أصل المصريين شعب هاجر من جزيرة العرب، ومما يدل على أن أصل المصريين القدامى عرب أن "امنحتب" نقل العاصمة من طيبة إلى "أخت أتون" المسماة بهذا الاسم العربي نفسه، وهي اليوم تسمى تل العمارنة، والأتون بالعربية هو الموقد، وكان المصريون القدامى يعبدون الشمس مصدر الحرارة.

وكذا "آمون" فهو المعبود الشمس، وأصله عربي أيضا، وقيل إن أصله آمين، وقيل إنه مشتق من الأمن، وفي الشعر القديم وصفوا الجواد بأنه "أمون" أي مأمون، والله أعلم.

ومما كان أصله عربيًا عند النصارى فيما بعد (الإله الأمِني) كما زعموا، فشركهم مضاهاة للشرك الفرعوني منقول عنه، ويبدو والله أعلم أن عبادة أمون مبدّلة، إذ أنه في الأصل "الإله الذي لا يرى" وربما كان ذلك بقية نبوة، والله أعلم.

والثابت في كتاب الله أن السامري أضل اليهود بالعجل الذهبي، وهذا يدل على صحة ما ذكره بعض الباحثين الغربيين من أن الفراعنة كانوا يعبدون العجل "مفيس" والله أعلم.

وكما تتشابه اللغات والمعبودات تتشابه المصطلحات وإن اختلفت اللهجات أو طريقة النطق أحيانا، بل ربما غيروا اللفظ لكن المعنى واحد، فالشيطان هو الشيطان والفطرة هي الفطرة، لكنها تضل فتعبد غير الله أو تتخذ معيارا شركيا مع ما أنزل الله، ومن هنا يتسلل الشيطان!.

فالزنوج والملونون عند الغرب هم الشودرا عند الهندوس.

وعبادة الشمس والقمر عند قوم سبأ هي نفس العبادة عند أخناتون والصابئة.

وموقاه (الرب القمر) هو (مون) عند الغربيين، وله في اليمن معبد شهير يسمى "أوم".

وبعض الرياضيين الغربيين اليوم ما هم إلا نسخة عصرية عن اليهود والبابليين الذين كانوا يزعمون أن للأعداد أسرارا ودلالات، وعنهم أخذ أرشميدس اليوناني وغيره.

والمقولات العشر في منطق "أرسطو" ما هي إلا امتداد لقول فيثاغورس إن رقم ١٠ مقدس.

لذلك فإن بعض المناطقة الغربيين قالوا يمكن أن تكون المقولات أكثر أو أقل.

ورأس شمرا في بلاد الشام هو أوغاريت عند الغربيين وأتباعهم.

والعزى هي عشتروت في الهلال الخصيب، ورموز الخصب التي احتفل بها المتأخرون هي أعضاء التناسل التي يصورها الهندوس والفراعنة، والماركسية هي المزدكية قديما.

وهكذا سلسلة طويلة من المتشابهات يجمعها كلها قول الله تعالى: ﴿مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ﴾ [هود:١٠٩].

ومن المتشابهات الخفية التشابه بين الهيروغليفية والعربية، وبالعربية استطاع المتأخرون معرفة الكثير عن الطب الفرعوني، وعن الآلهة الفرعونية والأسر الفرعونية.

والعرب يقولون إن اسم فرعون الخروج هو (الوليد بن مصعب)، وفرعون لقب لكل من حكم مصر من المشركين، وأما إذا كان من غيرهم فيسمى "الملك"، كما ورد في قصة يوسف عليه السلام.

كما لاحظ الباحثون التشابه الشديد في المعبودات وفي المصطلحات بين ما كان يؤمن به الأولون ومنهم مشركو مصر، وبين البدع التي يقول الباحثون الاجتماعيون إنها انتقلت إلى الأمم الأخرى، بينما يقرر دارسو الفلكلور الشعبي أن هذه البدع لا تزال حتى اليوم عند عوام المسلمين في مصر وغيرها، بل في أكثر بلاد الإسلام، فالشيطان واحد وهو يوسوس بالشرك ويغري به ويدعو إليه، وقد قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ﴾ [التوبة:٣٠].

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٣].

وقال: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ [الروم:٤٢].

ومن يتتبع ما عليه المشركون قديما وحديثا يرى المشابهات الواضحة حتى في المعبودات، وكذلك الحال في اللغة عامة، فالقرين أو المصاحب عند

العرب يسميه قدماء المصريين "كا"، وقد قال ﷺ: (ما من أحد إلا له قرين من الجن، قالوا حتى أنت يا رسول الله؟ قال حتى أنا، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم فلا يأمرني إلا بخير).

واليهود يسمون السيد أو الرب (أدوناي) ويسمونه أدونيس، وربما كان أصله "الديان" بالعربية، وكلمة "ثور" العربية موجودة بلفظها عند الجرمان. وقد تقدم أن "الأتون" هو الموقد في العربية.

وربما حدث التغيير مع الزمن ومن ذلك تسمية جسر الثغور، جسر الشغور وتسمية الرها أورفا.

وهكذا لا يعزف عن استعمال العربية وهو يتكلمها أو في إمكانه أن يتكلم بها إلا من سفه لسانه والسفاهة أعم مما نظن، والله تعالى سمى المعترضين على أمره كالقبلة سفهاء، ووصف بذلك من رغب عن ملة إبراهيم، والأوروبيون اليوم يخشون على شعوبهم من تأثير الأفلام الأمريكية على لغاتهم، وينبغي أن يمنع المسلمون التأثر بالكفار وأن يعدوا تقليدهم سفاهة ومراهقة، والعجيب هو أن يصبح هؤلاء السفهاء هم المتحكمون في بيت مال المسلمين، ويبذرون ليس بالمئات أو الألوف بل بالملايين والمليارات!؟

وكل عمل مخالف للشرع فالإنفاق فيه غاية السفه، ومن ذلك الإنفاق على الكفار أو تمويل مشروعاتهم، وكيف يمولهم من يؤمن بالله ورسوله وهو يعلم أنهم غير مسلمين، ويقوم دينهم على أن لله ولدا أو شريكا، وأن محمدا ﷺ مفتر كاذب، وأن القرآن مسروق من كلام البشر؟!

ومن السفاهة العدول عن الفاضل إلى المفضول، أو عن الحق إلى الباطل، وذلك أعظم كما أخبر الله أن المنافقين قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ﴾ [البقرة:١٣].

وقال عن المعترضين على تحويل القبلة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة:١٤٢].

وهكذا يقول السفهاء اليوم كيف تتركون اللغات الحضارية، وتريدون أن يتكلم الناس العربية!؟

وكما يحجر القضاة على أي سفيه يجب على أهل العلم الحجر على كل مبذر ومفسد ومغزو في عقله!

ومن السفه المراهقة السياسية مهما كان عمر صاحبها.

ولا يتعصب الغربيون لحضارتهم وعرقهم الآري فقط، بل يتعصبون لتاريخهم ولغاتهم وعاداتهم ودينهم كما هو معلوم، حتى في تسمية ما هو مشهور معروف قديما وحديثا، كاسم مصر مثلا فإنهم يصرون على تسميتها بلاد القبط "ايجبت"، كما كان أجدادهم يسمونها قبل الإسلام، ويقولون إنها أصل الغجر، ويسمون اسطنبول "بيزنطة" وهكذا.

وعاصمة مصر عندهم هي "كايرو"، ومع ذلك يقلدهم بعض المصريين لا سيما في تسمية مصر "إيجيبت".

وهم أمة مغتصِبة ولا يزال المغتصبون الأسبان يحتلون سبتة ومليلة فضلا عن الأندلس، أما بلاد الشام فهي عندهم "سورية" التي هي المعبود الشمس عند أجدادهم، والمسلمون بعد أن غادرها هرقل وفتحوها سموها بلاد الشام.

ولما سمى أحد السواح الأمريكان العالم الإسلامي (الشرق الأوسط) أصبحت تسميته هي الدارجة مع الأسف، كيلا يسمي المسلمون أنفسهم بما سماهم الله به في القرآن.

والمقلدون للغرب ينسون ما للبيان العربي من سحر ورونق ليس في أي من اللغات الغربية، وقد قرأت أن أحد المستشرقين الذين كان يملك البيان العربي عليه لبَّه، كان يردد قول الشاعر العربي:

إنّ بالشّعبِ الذي دونَ سلعٍ لَقتيلاً دَمُه ما يُطَلُّ

وكان بعضهم معجبا بشعر زهير أو طرفة بن العبد أو عنترة بن شداد أو لبيد.

وكان من عادة العرب في جاهليتهم تعظيم البيان والإشادة به، ولذلك اختاروا أفضل القصائد وعلقوها على الكعبة فسميت المعلقات وقال قائلهم:

أَلْهَى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

ولشدة إعجابهم بلغتهم يسمون غيرها "لغة الأعاجم" كما يسمون الحيوان "أعجم".

ولا يزال الغربيون مثلا معجبين ببعض شعر لبيد ومنه:

بلينا وما تبلى النجومُ الطَّوالِعُ وتَبْقَى الديار بَعْدَنَا والمَصانِعُ

ويقال إن "جان بول سارتر" إنما أخذ وجوديته من قول طرفة:

فإن كنتَ لا تستطيع دفع منيَّتي فدعني أبادرها بما ملكتْ يدي

أو أنهما اتفقا ولكن الفضل للمتقدم.

وعلى هذه الأمة المغرقة في حب بالبيان نزل القرآن الكريم الذي كان بيانه أحد أوجه إعجازه.

وكان المشركون يستمعون إليه خلسة ويسمعونه من ﷺ وهو لا يشعر.

و لم يجدوا للتعبير عما له من طلاوة وحلاوة إلا القول بأنه سحر!!

وكان بعض الجاهليين يدخل في الاسلام لمجرد سماعة آية أو أكثر منه، فيعلم أن هذا ليس من كلام البشر ولا يطيقه أي مخلوق.

قال ﷺ: (ما من نبي بعثه الله قبلي إلا آتاه من الآيات ما يؤمن الناس على مثله، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثر الأنبياء تابعا يوم القيامة) رواه البخاري وغيره.

وذلك من أسباب خلود القرآن وبقائه على مر العصور.

والقرآن متفرد يعجز الثقلان عن الإتيان بمثله.

قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء:٨٨].

وهو أعظم من الآيات الحسية التي أوتي منها النبي ﷺ أكثر من ألف آية لكن لم يرها إلا أهل عصرها فقط وبعضها أعظم من عصا موسى عليه

السلام مثل انشقاق القمر الذي رأته قريش ورأته كل الأمم التي تؤرخ بالقمر كالصينيين مثلا وهذا بلاشك آية عظيمة لكن القرآن أعظم منها.

وقارن بين كلام رب العالمين وبين الأضحوكة التي وضعها مسيلمة الكذاب، أو وضعها الأمريكان في فرقاهم المزعوم الذي كتبه "شورش" أو ما ذكره بعض الروافض كالطبرسي.

وقد ذكر شيخ الإسلام أنه ليس للإسلام فلاسفة، وأن المسلمين هذبوا علوم الأوائل (الفلاسفة القدماء كاليونانيين)، وأن ابن عربي ومن اتبعه لما صاغوا ضلال الفلاسفة في بيان عربي جميل، إنما قدموا لحم الخترير في طبق من ذهب.

ومن جمال البيان العربي واللغة العربية أنك لو قرأت الكتاب والرواية في أصلها الغربي، ثم قرأت الترجمة إذا كان المترجم ذا بيان وفصاحة، ترى الفرق بينهما جليا، ومن أكثر الانجليز بيانا عبدالله فيلبي الذي كتب بالانجليزية "اليوبيل العربي"، ولكنك لو قرأت الترجمة المعنونة "الذكرى العربية الذهبية" لتملكك الإعجاب أكثر، وكذا بعض مسرحيات شكسبير التي ترجموها، وكذا "الفضيلة" التي عربها المنفلوطي.

ومما يفسد المعاني الأصلية تحويل الرواية إلى فيلم، إذ لا يستطيع الممثلون التعبير عن المشاعر الكامنة، فيعمد المخرج إلى الخيال والوضع.

ثم عرف الناس الطباعة ويختلفون كثيرا من أول من عرفها، وأول ما طبع الغربيون أسفارهم المقدسة كما سبق.

ثم استمرت الطباعة في التطور حتى آلت إلى وضعها الحالي.

واشتهر الخطاطون العرب ومنهم (ابن مقلة) بجودة الخط، كما تفوق فيه الأتراك جدا حتى قيل إن القرآن نزل في الحجاز وحُفظ في مصر وكُتب في تركيا.

وجزيرة العرب عامة، والسعودية خاصة، أولى من معمر القذافي بمنع أي حرف غير عربي في البلاد، خصوصا الحروف اللاتينية، وتشجيع أي لغة إسلامية تكتب بالحرف العربي، أو تدرس اللغة العربية.

أما شعر العقاد الذي نشرته مجلة الهلال ومنه "معلِّمة الإنسان ما ليس يعلم"، يعني الموسيقي فظاهر الخطأ.

إذ أن الموسيقى لا تعلِّم شيئا، وكذا كل سماع مطلق يؤثر تأثيرا مطلقا كما في (الصفدية).

كما أن للغة العربية مزايا ليست لغيرها من اللغات وهي مزايا كثيرة، منها:

١- أنها لغة حية، بل هي أقدم اللغات الحية في العالم، وذلك بحفظ الله لها، وهي لغة الكتاب العزيز، ولغة الأمة المصطفاة أمة خير البشر محمد ﷺ.

٢- أنها لغة (اختزال). وتنوب فيها الحركات الفتحة والضمة والكسرة عن حروف العلة التي نراها لدى الغرب، فلا تكاد تخلو كلمة انجليزية عن حرف علة بعد الحرف المكتوب أو المنطوق. ونظرا لهذه الميزة العظيمة لا تجد عند العرب ما يسمى الملاحم الطويلة مثل الالياذة والأوديسة فإذا بلغت القصيدة صفحتين قالوا إنها طويلة.

ولها كذلك أشكال متقاربة، ويفترق الحرف وغيره بالنقَط، ولما عرفوا الطباعة الحديثة ظهرت فائدة ذلك.

٣- أنها لغة عالمية، فترى الناس يتكلمون بها ويؤلفون بها في شرق الدنيا وغربها ومن لم يكن يتقنها يتمنى أنه كذلك، وقد أقبل عليها الكفار أنفسهم فمن يجيدها في أمريكا مثلا يجعلونه في وظيفة عالية، والسفير الذي يعرفها كسفيرهم السابق "فورد" في دمشق عملة نادرة عندهم.

٤- أنها لغة واسعة فهي تجمع بين السهولة والسعة، حتى قال الإمام الشافعي رحمه الله: (لا يحيط باللغة إلا نبي)، وجعل الله منطق العرب فيها، والجمع بين ذين لا يمكن أن يكون من صنع البشر.

٥- أنها لغة قياس: وهذا بخلاف اللغات الأوربية كالانجليزية مثلا، ففي العربية يمكنك أن تضع اسم الآلة مثلا "مفعل أو مفعال أو فاعول" مهما استجد من الآلات أو الوسائل، وصدق حافظ إبراهيم حين قال عنها:

وسِعتُ كِتابَ الله لَفظاً وغايةً   وما ضِقْتُ عن آيٍ به وعِظاتِ
فكيف أضِيقُ اليومَ عن وَصفِ آلة   وتَنْسيقِ أسماءٍ لُمخْتَرَعاتِ

٦- أن حروفها أكثر من الحروف اللاتينية التي يكتبون بها لغتهم كالانجليزية مثلا، فالحروف العربية ٢٨ حرفا، أما اللاتينية فهي ٢٦ فقط، ولذلك تجد من يقلدهم في بلاد المسلمين يضع مقابل حرف الصاد حرف (إكس) لا سيما في لوحات السيارات مثلا، كما أن في العربية حرف الضاد الذي تتميز به عن غيرها فيقال لغة "الضاد".

٧- أن معاجمها في الحقيقة دوائر معارف عامة، فحين يذكرون الكلمة الواحدة يذكرون من سمي بذلك من الخلفاء أو الفقهاء أو الأعلام أو المدن أو القرى أو الأقاليم أو المحدِّثين، أو ما في الكتب المنزلة السابقة، هكذا تجد في القاموس المحيط، وفي لسان العرب، وفي تاج العروس، وأمثال ذلك، وقد أصدرت مجامع اللغة العربية في القاهرة ودمشق معاجم حديثة تشتمل على كل ذلك.

٨- أنه لا بد فيها من علاقة بين الدال والمدلول. بخلاف غيرها الذي لا علاقة فيه أو فيه علاقة غير منطقية، ومن ذلك مثلا أن كلمة "هاف" الإنجليزية تأتي أحيانا بمعنى "قد"، وتكون للملكية، وقد تكون بمعنى تواً أو آنفا، وهي علاقات غير منطقية.

٩- أنها قابلة للتوسع والتجديد من طرق كثيرة منها التعريب والنحت، ولذلك كانت اللغات الأوروبية الأقرب للعربية كالإسبانية والبرتغالية أفصح

من لغات الشمال الأوروبي، وتجد كل لغة أوروبية تدعي أنها الأقرب للأصل اللاتيني، واللاتينية نفسها تدعي أنها قريبة من اليونانية القديمة، واليونانية منقولة غالبا من لغة مصر القديمة، والمصريون شعب عربي هاجر من الجزيرة العربية في الأصل، فعاد الأمر في النهاية إلى اللغة العربية.

١٠- أن لها خصائص نحوية ليست لغيرها كالتصغير وأنه لا يجتمع فيها بعض الحروف كالجيم والقاف، ولا يكون فيها حرف مضمومٌ بعده واو مثلا مثل "خسرو"، إذ العرب ينطقونه كسرى.

وفي التاريخ العربي تصريح بأن اسم فرعون هو "الوليد بن مصعب"، وأن امرأته هي "آسية بنت مزاحم"، وورد اسمها في أحاديث صحيحة رواها الإمام أحمد والبخاري والنسائي وغيرهم، وقد جاء النهي عن التشبه بالفراعنة وذلك في حديث ضعيف كما تقدم، كما عثر بعض الآثاريين في اليمن على أسماء عربية منقوشة، مثل حبّى وسلمى وذي كذا.

ومما يدل على قدم العربية أن الأصنام التي كانت لقوم نوح أصبحت لأحياء معروفة من العرب كما ذكر ابن عباس في صحيح البخاري.

١١- أن اللفظة العربية قد تحمل في ذاتها ما يدل على معناها، مثل حفيف الأشجار وخرير الماء وزقزقة العصافير ومواء القط وما أشبه ذلك.

١٢- أنها الأصل الذي اقتبست منه كثير من اللغات، فمن السنسكريتية أو اللاتينية مثلا ما أصله عربي.

ومع ميزاتها العظيمة وإجماع المسلمين عليها بل قول من عرف الحق من الكفار الغربيين إنها لغة المستقبل، تجد بعض المثقفين الممسوخين يطالب صراحة بلغات أخرى مع العربية أو بديلة عنها متسترا بـــ(التنوع الثقافي)!

والتعريف فيها يكون بالألف واللام، وقريب من ذلك لغات الغرب المقلَّدة لها، وفي الانجليزية يجعلون "ذا"، أما اليهود فيجعلونه "ها"، فالأرض مثلا عندهم هي "ها أرتس"، ومثل ذلك كثير، ومنه تسمية سهل مجيدو

"هارمجيدو"، وبعض الغربيين يستفتح الأعلام بحرف "أ" فيقولون عن سيوط مثلا "أسيوط"، فلكنتهم كذلك.

وليس غريبا أن يصحح العراقيون للأمريكان والانجليز لغتهم، فهم أحفاد نحاة البصرة والكوفة، والعراقيون معروفون بالعلم، والأمريكيون معروفون بالجهل، وبدون تعصبٍ نقول إن العراقيين أعلم بالانجليزية من الأمريكان، وأغزر في الشعر من كثير من الشعوب، أما شجاعتهم فهي مضرب المثل، وقد آن الأوان ليعودوا إلى السنة وإلى أيام بغداد الأولى، وأن يكتبوا الحضارة من اليمين إلى اليسار.

والعربية تتفق مع المنطق السليم، فالصفة فيها بعد الموصوف، وكان الأمر هكذا في اللغة الانجليزية، ثم عكسوا فأصبحوا يقدمون الصفة ويؤخرون الموصوف، فيقولون عن الرجل الأسود أسود رجل، وعن البحر الأحمر "الأحمر البحر"، أي حسب لغتهم "بلاك مان" و"ردسي"، وأمثال ذلك. وما أكثر الغرائب في هذه الغلة الهجين.

ويذكر مؤرخو الانجليزية أن لها ثلاثة عصور:

١- اللغة الإنجليزية القديمة.

٢- اللغة الإنجليزية الوسطى.

٣- اللغة الإنجليزية المعاصرة.

أما القديمة فيندر من يفهمها اليوم، وأما الوسطى فيعدون من أشهر كتابها "جيفري شوسر" الذي كتب حكايات "كانتربري"، وهي مجموعة قصصية يظهر فيها التأثر بخرافات ألف ليلة وليلة، وقد ترجموها إلى الإنجليزية المعاصرة.

ثم أنشأ الانجليز المسرحيات الكلاسيكية وأشهرها مسرحيات شكسبير الذي يقول بعض الغربيين إن أصله "شيخ زبير"، ثم ظهر الشاعر "ميلتون" صاحب قصيدة (الفردوس المفقود)، وهي قصة دينية تصور خروج آدم عليه السلام من الجنة كما ورد في سفر التكوين من التوراة، ثم اشتهر من

المتأخرين برناردشو وتوماس هاردي وآلدوس هكسلي، وأخيرا ظهر أدب الحيرة والضياع والقنوط على يد كولن ولسن وجون أوزبورن.

ومن الأسماء العربية التي لا زالت لديهم وتكثر جدا في أمريكا اسم "سارة"، وهو اسم عربي مشهور، وكانت زوجة خليل الله عليه السلام اسمها "سارة"، وكذا كتب العقاد رواية "سارة".

والفرنسيون يقولون "ميراج"، وقد سموا بذلك إحدى طائراتهم وهي "معراج" العربية.

والغربيون اليوم يسمون المسلمين عبيد سارة أو "ساراسين"، وسارة هي زوجة إبراهيم -كما تقدم- والزوجة الأخرى هي هاجر أم إسماعيل عليهم جميعا السلام.

وما أكثر من يفرح بهذه العبودية من الذين يسميهم بعض الناس "مثقفين"، وهؤلاء لم يرفعوا بالإسلام رأسا، كما يفرح العلمانيون الأرتريون، بأن اليونان سموهم هكذا، والعلمانيون في اليمن حين يسميها أولئك الكفار "العربية السعيدة".

أما تسميتهم الله تعالى "قاد" فأصلها هندي، ولا يزال إخواننا في الهند وباكستان يقولون "خدا"، مع أن نفس التسمية (الله) موجودة في اللغات الغربية بنصها ولا يصح ترجمتها إلى غيرها.

ومن الأسماء المشهورة عندهم (ماي) أو (مي)، وهو اسم عربي معروف ورئيسة وزراء بريطانيا اليوم اسمها (ماي)، أما رئيس وزراء أثيوبيا فاسمه "هيلا مريم" أي هيل مريم يعني قوة حَيْلَها الذي هو بمعنى القدرة، ومعروف في الأدب العربي أن معشوقةذي الرمة هي "مي"، كما أن الأديبة اللبنانية "مي زيادة" مشهورة، وقيل إنها "سارة" التي ذكر العقاد، والله أعلم .

ومن أكثر الأسماء شهرة في الغرب اسم مريم عليها السلام ولكنهم يحرفونها إلى (ماري) أو (ميري).

وكان علماء المسلمين مبدعين في اللغة راقين في الأسلوب بعيدين عن اللحن، واشتهر منهم الشافعي والدارقطني وابن تيمية وابن القيم. حتى أن ابن تيمية رحمه الله قال لأبي حيان النحوي: "أخطأ صاحبك سيبويه في نحو ثمانين موضعا من الكتاب"، وكان الخليفة المنصور العباسي يأمر كتاب ديوانه أن يحاكوا ما يكتبه الأوزاعي.

وعلى معرفة لغة العرب اعتمد الطبري في تفسيره للقرآن، وكذا شيخنا الشيخ الأمين الشنقيطي، وكذلك شيخنا المختار، وكان شيخنا عبد العظيم الشناوي يستدرك على بعض علماء اللغة ويقول: قال فلان ليس في كلام العرب على وزن كذا إلا كذا، ثم يقول الشيخ: وقد وجد بعض الناس -يعني نفسه- كلمة كذا"، وكان آية في النحو والصرف، شافعي المذهب.

وبلغني من الثقات أن الشيخ عبد الخالق عظيمة المدرس بكلية اللغة العربية في الرياض يضارعه في ذلك، ومن المتمكنين في اللغة الذين قابلتهم من أهل هذه البلاد الشيخ بكر عبدالله أبو زيد الجهني، والدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي وغيرهما.

واللغة العربية لسعتها تجد فيها بعض الأشياء له أسماء كثيرة ربما وصلت إلى مئة اسم، كالسيف والأسد، وبعضها له عدة كلمات، ويتغير المعنى بتغيرها مثل: نعم، أجل، بلى، ومن اللحن -بل من الألفاظ المحرَّمة- أن تقول نعم مكان بلى إذا قرأت القرآن أو سألك أحد عن ذلك.

وتعترف هيئة الأمم المتحدة باللغة العربية كما تعترف بها إسرائيل، واللغة التي يسمونها "سامية" سبق إيضاح أنها هي اللغة العربية القديمة، ومنها تفرعت اللغات الأخرى كالحبشية والبابلية والآرامية، ولما أنشأ اليهود دويلتهم الصهيونية التي بعض مشيخات الخليج أكبر منها، علموا أنه لا يمكن إحياء اللغة العبرية المندثرة إلا من خلال اللغة العربية، فعادوا إلى المعاجم العربية واستخرجوا منها كلمات عربية، وأوجدوا اللغة العبرية التي يجبرون كل يهودي أن يتعلمها!

وبعض البابوات تعلم اللغة العربية قديما، إما ليطلع على ما يقوله المسلمون فيعكسه عليهم، وذلك مقدمة لما سمي الاستشراق، وإما لكي يُسلم سرا كما هو حال بعضهم، وانتشر تعلم العربية منذ الحروب الصليبية التي تتجه إلى بلاد الشام، وفي الوقت نفسه إلى بلاد الأندلس.

وأظن أن البابا الحالي "فرانسيس" مسلمٌ أو سيسلم، لا سيما وأنه يعرف العربية من خلال دراسته في جامعة القرويين في المغرب، وسكرتيرته مغربية.

وله تصريحات مخالفة لكثير من أصول النصرانية المعروفة، وهو من فرقة الجزويت (اليسوعيين) التي لم تعترف بها البابوية دهراً طويلا.

وأقرب اللغات اليوم إلى اللغة العربية المبينة هي ما يسمى اللغات السامية (وهي اللغات العربية غير المبينة)، كالهيروغليفية والحبشية واللغات القديمة في بلاد الشام والعراق وفارس، على ما اعترى هذه اللغات من تغيير ودخلها من تحريف.

واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، وقد ابتهج الأتراك بتقريرها في المدارس، وليس في العالم اليوم لغة يتكلم بها دول كثيرة أكثر من العربية.

ومن العبودية والرق الثقافي عند المسلمين في بلاد الحرمين أنه يوجد أحياء يتكلم أهلها الأردية أو السواحلية أو الهوساوية، ولكن اللوحات الرسمية عليها تكون بالانجليزية.

وهناك كثير من الكلمات الإنجليزية أصلها عربي مثل:

صراط: ستراد.

قسط: جست.

أيضا: أيثا.

حوش: هاوس.

خلاص: ألاس.

كما تقدم بعضها.

والانجليز لشدة حقدهم على المسلمين يميزون بينك وبين أي بريطاني بالدين أو اللون أو اللهجة، وكذا في أمريكا، فلهجة أهل الجنوب الأمريكي تختلف بوضوح عن لهجة الشماليين (اليانكي)، ولهجة نيويورك في الشرق تختلف كثيرا عن لهجة أهل لوس أنجلس في الغرب مثلا.

والاختلاف بين اللهجة الأمريكية والانجليزية معروف، والكلمات التي تختلفان فيها معروفة للدارسين، كما أن الانجليز يعدون لغتهم هي الفصحى، أما اللهجة الأمريكية فهي عندهم عامية.

وفي إنجلترا نفسها اختلاف بين لهجتي "ويلز" و"اسكتلندا".

ومما يعجب له الساكنون في بلاد الحرمين أن أحد الأمراء الذي عينوه وكيلا لأمارة منطقة كذا، قال بنفسه أنا تعلمت اللغة العربية في مرحلة المراهقة لأن مربيتي كانت سويسرية!

وأعظم البلاغة بلاغة القرآن الكريم ثم الحديث النبوي، ثم الخلفاء الأربعة ثم عائشة رضي الله عنها، وإنما منع العرب من الإتيان بمثل القرآن، تلك البلاغة التي لا يبلغونها، وليس أنهم مصروفون عن ذلك، وأول من قال بأن المانع للعرب من الإتيان بشيء مثل القرآن هو الصرفة الإلهية "إبراهيم النظام المعتزلي"، ثم تسرب هذا القول إلى بعض المؤلفات وهو قول باطل، وعلى اللغة الفصحى المبينة اعتمد كثير من المترجمين، مثل بطرس البستاني مترجم "الإلياذة، ولما أراد أحمد شوقي أن يكتب بعض المسرحيات شعراً جاء بها فصيحة، وهكذا ينبغي أن يكون الشعر والفن كله والتمثيل والغناء بدون معازف كله، ولا يصح استخدام العامية كما شجع عليها المستشرقون، وإنما أرادوا قاتلهم الله أن تكون العربية كاللاتينية لغة عبادة فقط!

وقد حرص المستشرقون قبحهم الله على بعث العامية وجمع الأمثال العامية في العراق واليمن وفلسطين ونجد وحضرموت وغيرها.

ويتذرعون بأن اللغة الفصحى أصبحت قديمة!

ونشأ في مصر ما يسمى "الصراع بين القديم والجديد" وتوسط العقاد ومدرسته، فقالوا نعتمد الفصحى لكن نأخذ ما طوره المتأخرون، أما القاعدة التي يقولون إن واضعها هو الشيخ محمد عبده (لحن مشهور خير من فصيح مهجور) فخطأ، فاللحن لحن مهما اشتهر، ولا تصح النظرية الغربية القائلة إن الفن للفن، وممن انتقدها الباحثة العراقية "نازك الملائكة" وعلى كل يجب أن يكون الأديب ملتزما بدينه في كل شيء، والقرآن والسنة والحس تدل على أن الشعر كلامٌ حسنُه حسنٌ وقبيحُه قبيح، والإنسان ما يلفظ من قول شعراً أو نثراً إلا لديه رقيب عتيد، أما الشكل والمظهر فهو أمر ثانوي.

والمؤسف جدا أن الرق الطوعي ودخول جحر الضب هما الرائجان مهما كان الخطأ فادحا وغير معقول، فانظر مثلا إلى لوحات السيارات كيف يجعلون مقابل حرف الميم العربي حرف "زد" اللاتيني، ويترجمون حرف ص بحرف "إكس"، ويضعون حرف "جي" اللاتيني مقابل حرف حاء العربي، و"في" اللاتينية مقابل الياء العربية، دع الحروف العربية التي لا مقابل لها في اللاتينية مثل العين والطاء والضاد والقاف. فلماذا لا يكتفون بالحرف العربي أو يقابلونه بأية لغة إسلامية تكتب به؟

ومع أن الغربي خبير عند المقلِّدين ورواتبه أعلى بكثير من المسلم ولو كان المسلم سعوديا، وأعلى منه في التقدير وهما متخرجان من قسم واحد، وتجد سكن الغربي محاطا بالواقيات الاسمنتية المتوالية، والحراسة عليه مشددة فمن كلفنا بذلك؟ ولماذا لا نطرد هؤلاء الذين نسميهم خبراء وأكثرهم في الحقيقة خبثاء جهلة.

ومن الدخول في جحر الضب أن الحج مع اشتهاره ومعرفة كل المسلمين به، تجد بعض اللوحات تترجمه "بلجرام"، ويكتبون التعريف بالمشاعر وغيرها باللغة الإنجليزية، مع أن أكثر الحجاج يجهل هذه اللغة، وهم بذلك يقولون للحاج تعلم هذه اللغة، وكذا في الطيران.

وقد جعل الله لكل قوم لسانهم الخاص، بل إن الله جعل لكل جنس من الأنعام لغته حتى الحشرات كالنمل والذباب وحتى الطيور فلماذا التقليد؟

والباحث المشهور "نعوم شومسكي" يقول إن لغة الطير أقرب إلى الإنسان، وقد علم الله عبده سليمان منطق الطير.

والخاسرون هم المقلدون بلا عقل، فإذا كانت حروف سيارتك هي مثلا (ح ي ط) بالعربية فسوف يكتبونها باللاتينية (جي في تي)، ولو كانت (ص و ع) لكتبوها (إكس يو إي) وحروف كثيرة لا علاقة لها بمقابلها العربي، ولكن لا بد من الدخول في جحر الضب واسترضاء من لا يرضى.

ومن أسوأ أنواع التجسس أن يمتطي الجواسيس اللغة لمآربهم الخبيثة.

ومن الخطأ الظن بأن الغرب وأولياءه لا يتجسسون علينا إلا بالطرق التقليدية، مثل العيون واستطلاع الاخبار، خذ أمثلة مما لا ننتبه له: يأتيك المراسل أو الصحفي يسألك عن حالتك المادية والاجتماعية وعن والديك وأبنائك وما فكرك؟

وكهذا تنتقل المعلومات إلى الجاسوس إن لم يكن المرسَل نفسه جاسوسا.

ورقم سيارتك وهاتفك أو حسابك تقدمه أنت طوعا لبعض الجهات؟ وما أسهل أن يسرق بالوسائط الحديثة.

والغرب اليوم وجد أن مراكز البحوث والعمل الخيري والتستر بالطب والبحث عن مدى تطبيق الديمقراطية وحقوق الإنسان، أنجح من الوسائل التقليدية في التجسس والحصول على المعلومات! حتى الإطفاء جعلوه وسيلة للتجسس، ولذلك يفزع كثير من الدول لمساعدة أي دولة ينشأ بها حرائق، وذلك لمعرفة طبيعة الأرض وتضاريسها.

ومن التستر اللغوي المزعوم التستر بجمع الأمثال العامية، والبحوث الميدانية، ولهذا الغرض يجبرون الجيوش على التحدث بالإنجليزية، وكذلك شركات النفط، مع أن تعليم الانجليزية يتطلب وقتا ومالا غيره أولى به.

وممن قدم لهذه الجزيرة المباركة لغرض الاطلاع على مجتمعها الذي يسمونه (الوهابية) وتستر بغير ذلك: "بيلي"، و"بلجراف"، و"نيبور"، و"شكسبير"، و"جروترد بل"، و"تويتشل"، و"ديكسون"، "وسانت جون فيلبي"، و"غلوب"، و"خرونكيه"، و"آن بلنت"، و"لامازيه"، ثم أصبحوا الآن يأتون على أنهم خبراء في النفط والصناعة، أو أطباء أو أساتذة في الجامعات، وأمثال ذلك.

هذا عدا المكاتب الصريحة للاستخبارات، وعملاءهم الذين من أبناء جلدتنا ويتكلمون بلغتنا، ويكتبون لهم عن مجتمعنا ما لا يعلمون، وغرضهم أن يرضى عنهم السادة أو أن يعطوا الجنسية أو الإقامة في أمريكا، أو يتزوجوا أمريكية مع نفث ما في صدورهم من الحقد على الإسلام وأهله، والذريعة عندهم هي نفسها ذريعة المستشرقين "صعوبة الفصحى"!

وبعض اللغات كالصينية تبلغ حروفها الآلاف، وبعضها كاليونانية حركاتها الإعرابية تتجاوز الثلاثين، ومع ذلك لم يتخل أهلهم عنهما.

وبالمناسبة نقول إن من الخطأ اللغوي ما يقع في قناة الجزيرة مع حرصها على اللغة الفصيحة من قولها "هكذا" بمعنى مثل هذا! وتبعتها قنوات أخرى ومتكلمون كثير، ومنها بعض القنوات السعودية حيث يقولون "بهكذا انتهت النشرة"!!

وينبغي لنا أن نستخدم العربية ونحمد الله عليها، ولا نرطن بغيرها، ونعلمها السائقين والخدم، بل يجب على الدعاة وطلبة العلم أن يتقنوها لكي يفهموا القرآن والسنة وكلام السلف، ومصطلحات أهل الفقه والحديث.

ومن الرق الفكري أو العبودية الفكرية أن ترى على كل محل ولو صغر كتابة لاتينية، أو يتحدث المسلمون بلغة غير العربية، فإذا التقى المسلم الهندي مثلا بالمسلم العربي أو الإفريقي تحدثا بالإنجليزية!

ومن الفنون الغربية التي استنكر الغرب على العرب أنها غير موجودة لديهم (القصة أو الرواية)، مع أنه قبل أن يعرف الغربيون القصة كان العرب

قد عرفوها لكن بنمط آخر، ومن أشهر القصص ما نظمه الحطيئة في شعره عن قصة الضيف الجائع، ويمكن القول إن أكثر الشعر الوصفي قصصي، ثم ظهرت المقامات، ومن أشهرها مقامات البديع الهمذاني، ومقامات الحريري وعلى منوال المقامات نسج كثير من الغربيين مثل الشاعر الإنجليزي "جيفري شوسر"، وعافى الله المسلمين من الملاحم الطويلة كالإلياذة والأوديسة، وإن تضمنت قصصا.

فالواقع أن القصة موجودة عند العرب، لكن على الطريقة العربية، فأكثر الشعر قصص لمن يتأمل كما مدح زهير بن أبي سلمى هرم بن سنان وصاحبه، ومدح المتنبي سيف الدولة على شجاعته، وأثنى الشعراء على كرم حاتم وافتخروا بكرمهم، أما الرواية فليس في الإسلام رواية تراجدية أي مأسوية أو محزنة، إذ كل أمر المؤمن خير حتى إذا كان ظاهره مصيبة، وإنما يسير على عقيدة الغرب في ذلك من المسلمين فرقة الروافض، إذ يتحدثون فقط عن الجانب المأسوي في مقتل الحسين رضي الله عنه، ولمقتله ﷺ جانب آخر ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية، وهو أنه ابتلي ليرفع الله درجته، إذ من الناس من لا يبلغ المنزلة التي أعدها الله له بعمله، كما ثبت في الحديث، فيموت شهيدا ليبلغها.

ومما يتعلق باللغة تحذير الليبراليين وأشباههم مما يسمونه خطاب الكراهية أو (لغة الكراهية)، وقد وضعت دولة الإمارات غرامة مالية ثقيلة، على من يستخدم هذا الخطاب، وكلٌّ يؤوله كما يشاء، فما المراد منه وما حكمه؟

إذا كان المراد بخطاب الكراهية إيضاح الدين فنحن -المسلمين- على ملة إبراهيم عليه السلام الذي أعلن هو والذين آمنوا العداوة والكراهية للمشركين ونقول: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ﴾ [الممتحنة:٤]، وقد جعل ربنا لنا فيهم أسوة حسنة، فلا نخفي ذلك ولا نستحيي منه.

وعلى ذلك كان ابنه محمد ﷺ وصحابته ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ

إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ الآية، إلى أن يقول: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فنحن نرجو أن نكون من حزب الله وإننا والله لنكره الكفر وأهله وإن سمّى الكفار ذلك خطاب كراهية، أما من أسلم فهو أخونا، ونحترم كلَّ أنبياء الله بلا تمييز، ولا نظلم كافرًا في شيء.

ولا تخلو نفس من الحب والبغض قط، حتى من يزعمون أنهم لا يكرهون أحدا لا بد أن يكرهوا المدمن والسكران والمعتدي، فكيف يعاب من يكره الكافر؟ أما إذا كان المراد بخطاب الكراهية "العنصرية" فهي جاهلية ممقوتة يحرمها الإسلام، والغرب هو صاحب هذه العنصرية حتى أن بعضهم قال: (إن المسلمين ليسوا بشرا) وينقل اللورد (هدلي) الانجليزي -الذي هداه الله للإسلام وهو سليل العائلة المالكة- عن أحد النصارى قوله: (كل نساء العرب المتزوجات زانيات)! وذكر نقولا أخرى لا أستطيع إيرادها، لا سيما الشتائم العنيفة، والافتراءات المتوالية على سيد الخلق رسول الله ﷺ، وهي كثيرة حتى في أمريكا، ولو أن أحداً قال شيئا منها عن رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام لحكم المسلمون عليه بالكفر.

والله تعالى خلق الخلق وجعل منهم شعوبا صفراء وأخرى سمراء وأخرى سوداء، وأخرى شقراء، فكلهم سواسية كأسنان المشط، وأكرمهم عند الله أتقاهم، لكن الأمريكان من قبل ترامب يعتقدون أن المعتدل والمتحضر هو الإنسان الأبيض فقط، وأن السود من طينة نجسة منحطة، ثم جاء ترامب فوضع المسلمين في قائمة المحظور عليهم دخول أمريكا، وأمر بذلك المطارات والقنصليات، وقال عن الملونين عامة والسود في أفريقيا (بؤر قذرة)!

فأينا الذي ينشر خطاب الكراهية ويجعله أوامر تنفيذية؟

هذا في اللغة.

وفي الأدب عامة: يبدو التأثير الإسلامي واضحا جدا، وهو أكثر من تأثر الغربيين بالخرافات أو أساطير "هوميروس" و"سينيكا" و"سوفوكيل" وأمثالهم لا سيما في الأدب الكلاسيكي ثم في الرومانسي، فرسالة المعري مثلا "رسالة الغفران" نسج "دانتي" على منوالها ما أسماه "الكوميديا الإلهية" وأمثالها كثير، والآداب الغربية كلها حديثة، وقل أن يزيد عمر أي أدب أوروبي عن أربعة قرون، أما "ألف ليلة وليلة" التي يسميها الغربيون "الليالي العربية" وكان أصلها "ألف خرافة وخرافة" كما في "الفهرست" لابن النديم، فقد أثرت في الرواية الغربية تأثيرا واضحا، وعلى غرارها كتب "جيوفاني بوكاشيو" (ديكاميون)، وبلغ من شدة الإعجاب بها أن أحد كبار الأدباء في الغرب تمنى بعد قراءتها أن تغسل من دماغه غسلا لكي يقرأها من جديد، وقد طور الغربيون بعض رحلاتها أو رواياتها.

ومن الطريف أن الشاعر الإسباني الكبير "لوركا" الذي يقول بعض النقاد الغربيين إنه أعظم أدباء القرن العشرين أثنى على طارق بن زياد، وقال إنه نقل أسبانيا من الهمجية إلى الحضارة.

على أن المثنيين على الإسلام من أدباء الغرب كثير أبرزهم "جوته" الألماني و"برناردشو" البريطاني، ويخطئ الأوروبيون في قولهم عن المسلمين "المحمديون" ويظنون أنا مثلهم فهم يقولون: عن أنفسهم "مسيحيون" وهم في الحقيقة (بولسيون) ولو كانوا على دين المسيح عليه السلام لكانوا مسلمين.

والوثنية سمة للأدب الغربي، ومما يكثر فيه قول "بحق السماء"، "تلعنه السماء"، حتى لا يقولوا الله، ويسبغون على السماء الصفات نفسها التي كانوا يسبغونها على "أورانوس" و"أبولو"!

وقد راج في الأدب الغربي قصص المغامرات الخيالية، مثل قصص "روبن هود" الذي يقولون إنه لص شريف كان عمله سرقة الأغنياء لإعطاء الفقراء، ناهيك عما فعل "جيمس بوند" و"شرلوك هولمز".

أما القصص الخيالي الفلسفي فأشهره عند المسلمين قصة حي بن يقظان التي كتبها ابن طفيل، وقد أثرت كثيرا في الفكر الغربي والأدب الغربي، حتى أن بعضهم كتب على غرارها كالأديب الإنجليزي "ديفو" ومواطنه "روبنسون كروز"، وكذلك السويسري "يورهان فيس".

وكما ظهر في الشرق أدب السخرية ظهر كذلك في الغرب، ومن أشهر الساخرين في الانجليزية "برناردشو"، و"مارك توين"، وفي الفرنسية "موليير" و"فولتير".

وأول رواية غربية هي رواية صمويل ريتشارد سون "باميلا" وهي رواية قرأتها كاملة بالانجليزية، والعبرة منها للمؤمن هي فساد الطبقية، وحكمة الله في تحريم الخلوة حتى بالخادمات.

وكتب معاصره "دانييل ديفو"رواية (روبنسون كروز) التي يبدو فيها محاكاة قصة حي بن يقظان التي كتبها ابن طفيل.

وفي طليعة الأدب العربي، وبعض الغربيين يقول إنها أعظم أثر أدبي في كل العصور رواية (دون كيخوتي) المشهورة عند الغرب باسم (دون كيشوت) التي كتبها الأسباني سرفانتس وفيها أثر واضح للحياة الأندلسية وقد أعجب الأسبان بشخصية كاتبها سرفانتس حتى أنهم صنعوا له التماثيل ووضعوا صورته على العملة.

ويشيع الآن حتى في الغرب أن سرفانتس اقتبس الرواية من أديب مسلم مغمور يدعى ابن الجبلي كما تقدم.

ومن أشهر أدب المغامرات بالانجليزية (جزيرة الكنز) تأليف "روبرت لويس"، وقد قرأت ملخصا لها بالانجليزية نشرته جامعة أكسفورد، وكذا المغامرات التي كتبها أو تخيلها هانز كريستان، وقبل ذلك عرف المسلمون مغامرات السندباد، وهانز هذا أديب دنمركي أعجبه أدب المغامر العربي.

والأدب الإسلامي لا بد أن يكون أدبا ملتزما وكل ما ينطق به الإنسان شعراً أو نثراً مكتوب عليه مسؤول عنه، قال تعالى: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ

عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وقال: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾ [الانفطار: ١٠-١١] فلا مكان في الإسلام لمثل (هايد بارك) يمكن أن يقول الإنسان فيه أي شيء بلا مساءلة، ولابد للقاذف في الإسلام من إقامة الحد عليه.

كما أنه ليس في الإسلام زمان يحل فيه الكذب كما في أول أبريل عند من لا يخافون يوم الحساب.

والالتزام يقره الكفار أنفسهم، فقد كانت بعض الروايات القديمة ممنوعة في أمريكا، مثل رواية جيمس جويس "عوليس"، ورواية "د.هـ لورانس" (عشيق السيدة تشاترلي)، وهي رواية تحكي زانا امرأة انجليزية ذهب زوجها للقتال.

ومن عجائب الإباحيين أن أحدهم يستر حالة عجزه الجنسي برواية إباحية كحال لورانس في الانجليزية "نزار قباني في العربية"، وقد حاربتها بريطانيا عقودا بما اضطر ناشروها لنشرها سرا، وظلت ممنوعة في أمريكا إلى عهد "جون كندي" وبعد أن هذبها الانجليز.

والأدب اليوم في الشرق والغرب يعيش حالة من البؤس وصفها بعض النقاد بأنها موت سريري بعد انتشار الانترنت ووسائل الاتصال الجماهيري وغيرها.

أما الحداثة الغربية فهي اتجاه رافض، وهي تعبير عما يعيشه الإنسان العربي من تمزق وضياع كالإنسان الغربي.

- الحداثة الأدبية:

ولم تذهب الحداثة العربية -مع أنها خروج عن المألوف- مذهب "كارل ماركس" في الثورة الشيوعية الحمراء نصا، بل اقتفت سيرة بعض اليساريين الجدد مثل "جاكوبسون" و"كلودليفي شتراوس"، وبعض ما قرره "ماركس" و"انجلز" و"لينين" ومن سار سيرتهم، فالحداثة العربية خليط من اتجاهات يسارية وألسنية وغير ذلك.

ومن أبرز الخارجين على المألوف في الغرب الكاتبة البريطانية "فرجينيا وولف" التي انتحرت آخر عمرها.

كما أن اهتمام الحداثة بالحلم جعلها تقترب من الشعراء الذين يتعاطون المخدرات مثل "بودلير" صاحب أزاهير الشر وانتهجوا تبعا لذلك نهجا فرويدياً.

وبعضهم يجنح دون أن يشعر إلى مذهب البطائحية ومن لف لفّهم، من الذين قال عنهم شيخ الإسلام إنهم يأكلون ما يغيّر العقل.

ووجد الحداثيون ضالتهم في أدب اللامعقول الذي انتشر في الغرب الضائع، أو كان له مدارس كالسريالية والتكعيبية، كما ظهر له في الرسم مدرسة أو مدارس أنشأت الفن التشكيلي.

وقد أعجب الحداثيون كثيرا مذهب التأويلية الحديثة، ونظرية موت المؤلف التي قال بها الناقد "رولان بارت".

والغرض من هذا الخليط هو كما قال "أدونيس" الثورة على الماضي وقطع أي صلة بالتراث.

على أنه ليس كل الحداثيين يعلمون بهذا، وأكثر ما يجمعهم هو "الثورة الثقافية" التي سار عليها اليسار الفرنسي ودعا إليها "جورج لوكاش" و"ميشيل فوكو"، ومدرسة "براغ"، كما نادى بها "غرامشي" ومدرسة "فرنكفورت" في الولايات المتحدة، و"ماوتس تونج" في الصين، و"فيدل كاسترو" في كوبا، وكل له حداثته.

وقد انتشرت الحداثة العربية أكثر في الدول التي تنتشر فيها الفرنسية كالمغرب والجزائر وتونس ولبنان، ثم انتقلت إلى دول الجزيرة العربية، واعتنقها الشواذ من فرق الضلال في الشام وجزيرة العرب كالنصارى والنصيرية والشيعة، فكان من زعمائها النصراني كما ل أبو ديب، والنصيري علي أحمد سعيد الذي لقب نفسه أدونيس، وتحول إلى المارونية، والشيعي محمد العلي، وتبعهم بعض المخدوعين من الفرق الأخرى مثل على الدميني

وعبدالله الصيخان، ومحمد بن عبيد الحربي والثبيتي وأمثالهم، وظن الأستاذ عبدالله الغذامي أن المسألة لا تعدو كونها ضربا من البنيوية، ولكن توسعه في نقيضتها التفكيكية التي يقول أصحابها إنها مذهب ما بعد الحداثة جعله يعلن تخليه عن الفكر الحداثي والله أعلم.

وقام الحداثيون في جريدة عكاظ وأخواتها على فكرة الخروج عن المألوف أيضًا، وجعلوا اللغة جبرية، وقرروا أن اللغة هي التي تتلاعب بالشاعر يمنة ويسرة.

وكان قدوتهم هو "فرانز كافكا" و"إليوت" و"عزرا باوند"، وأضرابهم في الجانب الرافض فقط، ووجد الحداثيون ضالتهم كذلك في أحلام "فرويد" وسلوكية "بافلوف"، وكلها ترجع إلى أفكار "نيتشه" و"دارون"، كما وجدوها في فلسفة الهرمونيطيقا، وفي ما يسمى علم الدلالة الذي وضع أصوله "دي سوسير"، وهكذا تجمعت فيهم أفكار وفلسفات كثيرة أدت إلى أن يكونوا طرائق قددا، وأن تواجههم الشعوب باستنكار واسع أدى بالحكومة هنا إلى حظر الكلام عن الحداثة نهائيا، فاضطروا إلى الدخول بأسماء أخرى كالعلمانية والليبرالية والتنوير والمقاصدية وأمثال ذلك من أسماء لم تحظرها الحكومة.

كما تستروا بالتحديث وأنهم لا يعادون الدين وإنما يدعون للتجديد في الأدب!

وقد وجدت الحداثة مقاومة شديدة في إنجلترا وأمريكا وكثير من البلاد الأوروبية، حتى في فرنسا ذاتها، حيث كانت المدرسة الرمزية في فرنسا عدوا لدودا لها، والحداثة لمن تأمل تسير على ما يسميه الغرب "الرشدية الحديثة"، وقد جالست بعض الحداثيين المشهورين فوجدته يسمي الله تعالى المطلق أي الذي لا صفة له!

والمعروف ميل الحداثيين إلى أي شاعر ماجن مستهتر، أو دعوة غربية أو إباحية، وقد فسر كمال أبو ديب مثلا شعر امرئ القيس تفسيرا شبقيا

كما قال، وأعجب غيره بشعر ابي نواس، وقصص البهلول المزعومة وأمثال ذلك.

كما أن أزاهير الشر لبودلير، وما كتبه "الفرد دي موسيه" في "الليالي"، وما تقيأت به به قريحة الكاتبة الماجنة "جورج صاند"، كل ذلك وأمثاله وجد فيه الحداثيون بغيتهم، وفي عصرنا الحالي مال كثير منهم إلى الفكر الصهيوني الذي أعلنه "ساندرز" في أمريكا، وهو فكر يهودي لكنه ضد الصهيونية كما يقول.

والحداثيون بالجملة أحيوا الجاهلية العربية القديمة التي كانت تؤمن بالتنجيم والكهانة، كما بعثوا الأفكار الشامانية والغنوصية، وبعضهم لا يدري ما نشر وما بعث، لذلك تجد هؤلاء ينكرون أنهم ضد الدين أو أنهم يقلدون الغرب.

والواجب على العلماء والحكومات والدعاة مقاومة كل فكر مخالف للكتاب والسنة بأي اسم ظهر وبيان أصوله العقدية.

والحداثيون في العالم الإسلامي عامة وفي السعودية خاصة يمجدون "ألتوسير" و"جورج لوكاش" و"ميشيل فوكو"، أما ألتوسير" و"لوكاش" فهما شيوعيان، وممن أثبت ذلك وذكر مناصبهم "ألان تورين".

وأما "فوكو" فهو على مذهب "نيتشه" الذي يزعم أن "الرب قد مات"، غير أن "فوكو" يقول إن الإنسان قد مات!!

ولما ضعفت العربية الفصحى واهتم الناس بالعربية الدارجة، كان فيهم شعراء بالنبطية، ومن أشهر الشعراء المتأخرين ابن رشيد والسديري، على أن الشعر حتى لو كان عاميا خير من الحداثة المستوردة من الغرب، التي لا حكمة فيها مطلقا وإنما عبارات غامضة مشوشة غير معقولة المعنى.

والملاحظ أن كل بلد يتفاخر بشعرائه، فلا تجد مصريا يرضى بأن تفضل الشاعر الأمريكي "والت ويتمان" على أحمد شوقي، أو حافظ إبراهيم، ولا تجد تونسيا يفضله على أبي القاسم الشابي، ولا يمنيا يفضله على

عبدالله البردوني، وقل مثلك ذلك في شعراء بلاد الشام والعراق، وإنما يجعل "ويتمان" وأصحابه قدوة له من كان مقلدا فاقد الشخصية إمعة حيث سار الركب يسير.

أما الأدب الغربي عامة فقد انحط إلى الدركات السفلى، وبعضها لا يصدقه العقل لولا ثبوت وقوعه.

فقد دعا المتحرورن من الكنيسة أولا إلى ما سموه الأدب الإنساني، وهو محاكاة للروم واليونان، وانتقلوا من تصوير الملائكة والعذراء والقديسيين إلى تصوير الفتيات القرويات كما فعل "مايكل انجلو".

واعتمدوا كثيراً على قصص الف ليلة ولية الخيالية، فكان شوسر ثم شكسبير وراسين، واشتهرت عندهم القصص المسماة "ديكاميرون"، ثم تطور ذلك إلى استقلال شبه تام عن قيم الكنيسة، بل عن القيم المسماة الإنسانية كافة، كما في شعر "ورد زروث" الانجليزي وقصص ديستوفيسكي الروسي، وروايات "تولستوي" و"شارل ديكتز".

ثم ظهر شعر اليأس والقنوط عند "كافكا" و"اليوت"، فكانت المحاكمة الشهيرة عند الأول والأرض المقفرة عند الآخر.

ثم جاء مسرح العبث حيث يكون صندوق القمامة هو مستقر الشخصيات، ومسرح (يوجين يونيسكو) حيث يقوم الممثلون بقتل المتفرجين.

ثم مدارس اللامعقول التي استبطنت النظرية الفرودية ممثلة في المستقبلية والتكعيبية والسريالية، وأمثال ذلك.

كما انتشر الفن التشكيلي الذي يقوم على أسس لا عقلية وخطوط ومنحنيات متناقضة ليس لها هدف محدد وهو ليس محاكاة للطبيعة كما كان عصر النهضة، وإنما تعبير عن الضياع والتناقض في عالم الإنسان.

كما ظهر الأدب الوجودي "سارتر" والعبثي "كامو"، ووصل الإسفاف الأدبي الحديث إلى درجة أنهم يعاشرون الأموات جنسيا الشيء الذي لم يفعله قوم لوط.

والفن الغربي يستعمل الوسائل الحديثة لإعادة الشخصيات الميتة الشهيرة إلى التمثيل الحديث بوساطة "الكومبيوتر" فلا تستغرب أن ترى "مارلين مونرو" أو "أودري هيبورن" في فيلم حديث.

وفي كتابات بعض الغربيين التصريح بأن أعمالهم تشبه البراز الإنساني، ولهم كتابات كثيرة من هذا النوع أعف عن ذكرها حرصا على مزاج القارئ.

ومن الحداثة الحضارية عندهم أن أحد الفنانين علّب برازه وكتب عليه براز فنان صاف ١٠٠%.

وانتشرت عدوى الحداثة الغربية في كتابات الشرقيين مثل حنّا حاوي، وأمل دنقل، ومحمد شكري.

واشتط أحد من يسمون الفنانين الغربيين في عداوته للدين وإسفافه في الوقت نفسه إلى حد أنه رسم صورة المسيح عليها السلام وعليه ماء وسماها (التبول على المسيح)! بل انتقل الداء إلى جزيرة العرب كما في كتابات الكاتب الشيعي محمد العلي، أو كتابات "عبده خال"، وقد اطلعت على كثير مما كتبوا ولكن لم أقرأ أنهم أسفوا هذا الإسفاف، إلا أن جريدة المدينة وهي ضد الحداثة ترجمت لأحد الحداثيين كلاما صريحا عن أعضاء التناسل ونشرته كما هو مما أدى إلى فصل رئيس التحرير.

وهكذا انحدر الأدب والفن كما انحدرت الفلسفة والمنطق.

أما الضياع والتيه والحيرة والنفعية فهي أمور ظاهرة جدا.

وقد قابلت بعض مديري تحرير عكاظ في بيته فأخبرني أن بعض الحداثيين من جدة يرتحلون إلى نيبال بحثا عن الحقيقة، (ومكة أقرب لهم من

نيبال!)، فنيبال -خاصة المناطق الريفية منها- هي قبلة الأدباء الغربيين الفارين من حضارتهم، ولا بد للحداثيين عندنا من الدخول في جحر الضب.

ومجلة "شارلي ايبدو" الفرنسية تدعي أن للأديب أن يكتب أو يرسم ما يشاء وأساءت إلى رسول الله ﷺ، مع ما في ذلك من احتقار للمهنة وللمسلمين، والغريب أن هيئة كبار علماء السعودية استنكرت ما وقع في سينما باريس مع أنه كان الأولى بها استنكار هذه الإساءة.

وتدعي المجلة أن ذلك منها حرية تعبير، ولو فرضنا جدلا أن ذلك حرية تعبير أليس للمسلمين حرية الاختيار على الأقل، فيقاطعون البضائع الفرنسية ويمنعون استقدام أي فرنسي، بل يقطعون كل العلاقات مع فرنسا، أم أن محمدا ﷺ رسول إلى الأتراك وحدهم!!

وقد انتهج نهج "شارلي ايبدو" وأخواتها في الغرب بعض الحداثيين في هذه البلاد المباركة فقال: أحدهم في قصيدة له: "وكساها بعسجده الهاشمي فدانت لعاداته معبدا".

فأما العسجد الذي هو الذهب! فليس بمقصود، ولعل الشاعر قال بمسجده والتعديل إنما هو من الناشر خوفا من مقص الرقيب أو من ثورة المتدينين، مع أن الله أعظم ورقابته أدوم.

وأما الهاشمي فمعروف أنه محمد ﷺ، وذلك مما لا ينتطح فيه عتران، وأما عاداته فقد كذب الشاعر فلم يكن ما جاء به محمد ﷺ مجرد عادات بل هو وحي محكم قويم، على أن عادته ﷺ هي أشرف العادات وأفضلها.

وأما قوله "معبدا" فهو دليل على المسجد كما تقدم، والمسجد لا يقال له معبد إلا تجوزا، والمصلون إنما يعبدون الله لا محمدا رسول الله ﷺ ولا أحد من الخلق، وفي القصيدة نفسها ما يدل على اعتراض صاحبها على القرآن وعلى الحجاب، ومن لم يعبد الله ويطعه ويتبع شرعه فهو في ظلام دامس، كما رأيتهم بعيني في أمريكا وأوروبا أسياد هذا القائل، وهو إنما يقلد من قال قبله (عشنا ثلاثة آلاف سنة في حياة لا إنسانية)، والحياة غير الإنسانية هو ما

شاهدته وعشته في أمريكا التي أباحت محكمتها العليا زواج الرجل بالرجل، فهل هذه هي الحياة الإنسانية التي يريدون؟ ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤]، فلم يُعرف أن جملا نزا على جمل مثله، ولا أن ثورا نزا على ثور مثله، ولا أن تيسا نزا على تيس، ومع ذلك يريد هؤلاء المتأخرون أن يترو الرجل على رجل مثله، وليس بعد هذا من انحطاط، وقد تحدث العرب قديما عن بعض الحيوان الذي يفعل هذه الفعلة القبيحة، وحدوثها في القليل من الحيوان، على أن الحيوان لا يستديم ذلك وإنما قد يفعله، أما مؤتمرات الجندر فقد أجازت تكوين الأسرة من رجلين!!

وبعد أن أصدرت المحكمة الأمريكية العليا هذا القرار المنحط، طلب رئيس زمبابوي أن يتزوج أوباما، وليس في ذلك أي إشكال قانوني عندهم إلا كون "موجابي" يعيش في أفريقيا، وقد لا تسمح له قوانين الهجرة الأمريكية بدخول أمريكا بقصد الزواج، وعليه أن يحتال لذلك بأن يدخل رئيس دولة يريد حضور اجتماع للجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة!!

أو يكتب في التأشيرة سائح يريد الترفيه!! وهذا الفعل الشنيع لا يجاهر به أي مسلم مهما كان البلد متأخرا ماديا، ولم ولن يتظاهر له قط أحد في اليمن وبنغلاديش والنيجر ولا أي مجتمع مسلم، فأيها المتأخر المنحط؟

وقول "موجابي" هذا ذكرني به أن موقف رئيس كوريا الشمالية من قضية نقل سفارة ترامب إلى القدس خير من موقف بعض العرب.

ومن نتائج انحطاط الأدب عامة هذه الحيرة التي هي أشد من حيرة المتكلمين سابقا! وقد قرأت لأحد الحائزين على جائزة نوبل قوله: "إني لا أعرف من أكون أنا، ولا أعرف الروح التي أمتلكها"!

وقوله "إن الفارق الكبير بين الشعراء والمجانين هو مصير الجنون الذي يتملكهما جميعا".

وقال الآخر: "أصبحت أنا نفسي مشكلة بالنسبة لنفسي"! ولا غرابة أن يعطيهم الحياري أمثالهم جائزة نوبل، وأن يحتفي بأقوالهم كثير ممن يدعون

الحداثيين في الشرق، فقد نال جائزة نوبل للسلام الإرهابي "مناحيم بيجين" مناصفة مع أخيه الخائن أنور السادات!

ومن تهكمات "جورج برناردشو" اللاذعة قول: "أغفر لنوبل اختراع الديناميت ولا أغفر له الجائزة"، وكيف يغفر العقلاء لمن أعطى جائزة نوبل للسلام رئيسة بورما؟

ومن هؤلاء الحيارى "ليونيد أندرييف" الروسي مؤلف رواية حياة إنسان و(إبسن) النرويجي مؤلف "عدو الشعب" و"الدمية" والانجليزي "كولن ولسن" مؤلف "طقوس في الظلام"، و"سقوط الحضارة"، وكذلك "برنادرشو" مؤلف "بيت القلب الكسير" أو "البيت المحطِّم للقلب" و"بجماليون" و"العودة إلى متوشالح".

والكل حائر مفلس يبحث عن معبود وعن اليقين!

والإسلام مع كراهيته هذه الحيرة والشك، يعظم الشعر الحقيقي ويعرف له مترلته، ومن تعظيم الشعر في الإسلام أنه صلوات الله وسلامه عليه أمر جيش المسلمين عام الفتح أن يدخلوا من حيث قال حسان، وجعل لحسان ﷺ منبرا في المسجد، وفاخر به بني تميم لما فاخروه بخطيبهم وشاعرهم سنة الوفود.

والأدب الإسلامي شعرا ونثرا له مهمته في نشر الدعوة وتقوية معنويات المجاهدين.

وهذه هي وظيفة الإعلام الإسلامي اليوم وليست وظيفته إشغال الناس بالشهوات والخلاعة والحفلات، وما يسمى الترفيه والمسلسلات والمباريات والفوازير.

وعلى علماء الأمة تذكير المسلمين الدائم بذلك، والتحذير من التشبه بالكفار والتبعية لهم.

ومن التبعية لهم تقليدهم في تخبطهم ودراسة شعر أي شاعر وفقا للنظريات الغربية التي قد تكون خطأ من أصلها! فربما تبين لنا ولو بعد حين

أخطاء هؤلاء من أمثال "دي سوسير" و"جاكبسون" و"بارت" وفلاسفة البنيوية والتفكيكية وشلامايخر وأضرابهم، وكيف ننسلخ من ديننا وأساليبنا في النقد؟

وفي نظري أن النابغة وابن سلام وابن جني، خير من هؤلاء مع إمكان الاستفادة مما يطوره الغربيون دون الذوبان في ثقافتهم وحضارتهم.

والشعر في الإسلام وسيلة للدعوة إلى الله وبيان الإسلام، ودلائل النبوة ومدح رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين ومن سار على منهج السلف وعلماء الأمة وعباقرتها بلا غلوّ.

وإنما القدوة شعر حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وأبو سفيان بن الحارث بعد إسلامه وأبو العتاهية في وعظياته، أما الزنادقة والفساق فيستخدمون الشعر عكس ذلك، ومنه ما ينسب للمعري:

في الأرض قامت ضجة ... ما بين أحمد والمسيح
هذا بناقوس يدق ... وذا بمئذنة يصيحُ
كلٌ يؤيّد دينه ... يا ليت شعري ما الصحيحُ؟

وقد كذب هذا القائل، فليس بين دين محمد ﷺ ودين المسيح عليه السلام خلاف، وإنما وقع الشر لما غيّر بولس دين المسيح وابتدعت الكنيسة ما ابتدعت، ومثله شعر الحداثيين والليبراليين في هذا الزمن.

والأدب الإسلامي أدب ملتزم بعيد عن الأساطير والخرافات التي في الآداب الرومية واليونانية، وليس فيه سحر وكهانة وشعوذة وتمجيد للفاحشة والخمر، كما في الآداب الغربية، وليس فيه مثلما فيها أيضا عبادة للطبيعة، أو للجمال، وهو بالعبودية لله وحده يحقق أقصى درجات الحرية.

وقد تأثر بالأدب العربي الشعراء الجوالون "التروبادور" في الغرب وظهر أثره في قصص شوسر ومسرحيات شكسبير، كما تأثر الشعر الرومانسي بالشعر العربي في وصف الطبيعة. وظهر أثر خرافات ألف ليلة وليلة في الرواية الغربية كالتي كتبها "سويفيت" و"الكسندر دوماس"، و"فيكتور هيجو"،

و"لامارتين"، واقتبست منها الجامعات البريطانية مثل "اكسفورد" قصصا لتعليم الإنجليزية.

وظهر أثر الليالي في قصة "فرنكشتاين" و"جزيرة الكنز" ومغامرات "أليس في بلاد العجائب"، وأمثال ذلك من قصص الخيال.

كما ظهر الاقتباس إن لم يكن النقل الحرفي في كثير من الروايات الإسبانية، مثل السيد ودون كيشوت، ومن هناك انتقلت إلى أمريكا الجنوبية.

وليست الحداثة الأدبية مجرد تحول عن الشعر الموزون المقفى إلى ترك الالتزام بالوزن والقافية، فالحقيقة التي لا يعلم عنها بعض الحداثيين، هي أنها ثورة ثقافية على الدين والتراث والمعرفة البشرية كلها كما عبر أدونيس وصحبه.

ويكثر في الشعر الشكوى من الدهر على حد قول الشاعر:

كل من لاقيت يشكو دهره ليت شعري هذه الدنيا لمن؟

وبعض الشعراء فيه شعبة من الجاهلية التي كان أهلها يظنون أنه ما يهلكهم إلا الدهر، ولكن الله تعالى ذكر في الحديث القدسي أنه هو الذي يقلب الليل والنهار، "وأنا الدهر أقلب الليل والنهار"، فنسبة ما نكره إلى الدهر باطلة، والعقيدة الصحيحة هي نسبة كل شيء إلى مشيئة الله ومنها الأسباب نفسها لا سيما ذنوب البشر التي هي سبب السيئات ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩].

وصدق من قال:

نعيب زماننا والعيب فينا وما لزماننا عيب سوانا

ولا يستلزم التجديد في الصورة الشعرية الهدم، بل يمكن التجديد مع المحافظة على الأصول العامة، فمثلا جدد عبد الله البردوني مع التزامه بالقافية، وإنما تكون العبقرية بالإبداع مع الالتزام بالأسس والقواعد.

ومما يدلك على أن منع الحداثة في هذه البلاد ليس لسبب ديني، هو أن الذين منعوها لم يمنعوا الليبرالية التي هي وجه آخر للحداثة الأدبية، على أن منعها يدل على أنه في الإمكان منع الليبرالية بجرة قلم.

ونحن نعلم أن الليبراليين مرتبطون بالدوائر الاستعمارية، وأنهم ليسوا مثلنا يكتبون بأنفسهم، بل هم يستأجرون من يكتب لهم أو يصحح، ولا يكتبون مجانا بل يقبضون الرواتب الضخمة من بيت مال المسلمين، وهم مثل أسيادهم الغربيين الذين يستأجرون مدققين لغويين لكتبهم، وإذا استمعت إليهم في مقابلة أو قابلتهم وجدتهم لا يحسنون سوى رص بعض المصطلحات التي قد لا يفقهون معناها.

والليبراليون فضحهم أسيادهم كوزارة الخارجية الإسرائيلية والمخابرات الأمريكية، وأنا أعلم صلتهم بالسي آي إيه مثلا، وبوحدة التضليل خاصة، وهم ليسوا أعداء للدين فقط بل للوطن أيضا.

وهم يدعون أنهم وطنيون وأنهم يدافعون عن المجتمع السعودي، ولكن ما يفعلونه واقعاً عكس ذلك، فقد اتهم أحدهم المجتمع السعودي بالتطرف والإرهاب وقال الداعشية في كل بيت ولكن صاحب القرار غافل!

وقال آخر: "مجتمعنا ذكوري"، لأنه طبعا يصون المرأة ويحفظ عفافها وشرفها.

وقال ثالث "إنه مجتمع متشدد".

وقال أحد الليبراليين "مجتمعنا محافظ"، وهو أخفهم قولا لكن ربما كان أكثرهم نفاقا.

وقال ليبرالي خامس "لا يزال مجتمعنا يتعلق بالتراث".

وقال سادس: "إن القرآن للمتخلفين فقط".

وقال سابع: "عشنا ثلاثة آلاف سنة من الحياة اللاانسانية"، يعني أن حياة النبي ﷺ والصحابة كانت غير إنسانية، وإن الحياة الإنسانية -كما يزعم- هي ما تعلمه في أمريكا أو تلقاه من أستاذه "هنري كيسنجر"،

ويصعب جدا حصر أقوالهم ضد الناس والمجتمع وهم عموما يقولون إن القرآن والسنة من الموروث الثقافي الاجتماعي.

﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

وأنا أطلب ممن حظر الحداثة أن يحظر الليبرالية فهي أختها، بل ربما أشد منها، والأمر لا يتطلب إلا بضعة أسطر ممن يريد الله والدار الآخرة ويخدم مجتمعه ووطنه.

وأنا واثق أنهم لو قيل لهم اسكتوا عن الدين وأهله لما تجرأ أحد منهم على الكلام.

وفي الوقت نفسه لا أنكر أن لدى بعض الناس شذوذا باسم الدين، لكن تعميم أخطائهم على المتدينين خطأ شرعي وغير علمي، وإذا لم يعجبهم متدين فلينظروا إلى غيره وأنصحهم بتدبر القرآن والسنة وقراءة ما كتبه علماء الإسلام الأفاضل، وألا يعتمدوا على أن رئيس تحرير الجريدة الفلانية منهم أو أن مدير القناة الفلانية منهم، أو أن الحاكم الفلاني يشجعهم، فكل هؤلاء مصيرهم إلى الزوال، وإنما يبقى فكر من يتوكل على الحي الذي لا يموت.

والليبراليون ليسوا صنفا واحدا، فقد ذكر بعض من تاب من اللبرالية في مقابلة منشورة له أن في اللبراليين مجموعة خفية سرية، حتى عن باقي الليبراليين، وتواتر عندي أن هذه المجموعة تتعاطى المخدرات، وتشرب الخمر، وترتكب كل أنواع الفواحش.

وهكذا انتكسنا إلى إحياء الباطنية وفرقة الحشاشين من جديد.

وفي هذه المجموعة فتيات حداثيات أتعمد ألا أذكر أي واحدة منهن، حرصا على سمعة عوائلهن، ولئلا يكون كلامي تزكية لهن عند بعض الناس.

والمقصود أن تلك الشلة الخفية حزبية، ولهم أهداف يتناقلونها فيما بينهم ويظنون أن أهل الدين لا يدرون!

ورحم الله الداعية الرسي المشهور خليفة البطاح الذي علم ما لم يعلمه غيره، وأرجو من الأستاذ عبدالله الناصر الاستمرار في فضحهم بما يعلم. كما أشكر الأخت نورة الصالح والأخ المؤرخ محمد السلومي.

وقد قال لي بعض الحداثيين إن عوض القرني عمم أحكامه، ونحن — كما قال- لسنا من هذا النوع الذي ذكر، وربما كان صادقا، ولكن النوع المذكور موجود في الواقع، وإن لم يعلم به بعضهم، والدكتور عوض إذا كان قد عمم فإنه فضح الحداثة ولا يزال، وقدّم له الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فحقه أن يشكر لا أن يعاب، وننتظر منه المزيد.

ومن الليبراليين المشهورين تركي الحمد البريداوي العقيلي، وهو يتهكم على الله ورسوله، وأعطاه أحد الملوك السابقين قلمه، وقال له: اكتب ما تشاء، ورشحوه ليكون وزيرا للإعلام مكان الأستاذ عادل الطريفي، وقد قال هداه الله "إن الله والشيطان وجهان لعملة واحدة"، أي أنه لا يقل إلا قليلا عن "نيتشه" الذي قال: "إن الله قد مات"، وتركي يقول نفس ما يقول ملالي طهران وآيات الله في كل مكان حيث صرح "محمد ونعم، لكن ما دخل قريش؟) أي ما دخل بني تيم الذين منهم أبو بكر الصديق، وما دخل بني عدي الذين منهم عمر؟ فحضرته يريد أن يكون الأمر محصورا في آل محمد فقط كما يقول الروافض، وليس للتقي من قريش كما هي عقيدة أهل السنة والجماعة، وليس تركي الحمد خارجيا يريد أن يكون الملك في أي إنسان!! بل لا بد أن يكون الحاكم ليبراليا يصحح عقيدة محمد ﷺ!

أما اصطفاء الله لقريش على كنانة فإنما قاله محمد تبعا للمجتمع الذكوري عند تركي الذي كان سائدا آنذاك، وهذا المجتمع هو الذي عليه أكثر الناس اليوم لا سيما في القصيم والرياض والحجاز وتهامة وعسير والأحساء، وهو بالمقاييس الأمريكية مجتمع متأخر، ولو كان متقدما لاختار المرأة لتحكمه، ومن ذكوريته أنه يرضى بحكم آل سعود وليس الليبراليات! وللتخلص من الذكورية والوهابية يطالب تركي بالتخلي عن ابن تيمية.

أما عادل الطريفي فهو تقدمي وإن كان سرق قصيدة لأحمد شوقي، ويشفع له أنه ترك التدين واتبع الليبراليين فاستحق بذلك أن يكون مديرا للعبرية، ثم وزيرا للإعلام ولو كان لديه ما لدى جميل الحجيلان من معرفة قانونية وسياسية لجعلوه أمينا عاما لمجلس التعاون.

وأنا أنصح الأستاذ تركي الحمد إن لم يقرأ لابن تيمية أن يقرأ له، ويقارن أي كتاب له شاء بأهم ما كتبه عباقرة الغرب، ليرى لماذا لا نعمل بنصيحته فنتخلى عن ابن تيمية، وليعلم أن الله سوف يسأله عن هذا القول يوم لا ينفع مال ولا بنون، ولا أحد يمدحه ولا أحد يوليه أو يعطيه قلمه.

وإن أشكل عليه شيء من كلام شيخ الإسلام فليكتب لي، وأرجو أن أستطيع حل الإشكال، وإن زارني فهو أفضل ومرحبا به، وإن اصطحب معه أحدا فحياهم الله جميعا، علما بأني استقبل الناس من الساعة الرابعة والنصف إلى الساعة الخامسة والنصف، وذلك الموعد يتغير بحسب الفصول، وأقيم الآن في حي العوالي بمكة شرفها الله وهاتف المكتب مذكور في أول هذا المكتوب.

وأنا لا أمنع أحدا من زيارتي مهما كان رأيه، بل إنني يزورني الكفار في جدة أو أذهب إليهم إن استطعت.

ولليبراليين مواقفهم التي لا تحجب لأسباب دينية، مثل موقع ايلاف الذي يرأسه عثمان العمير ومعه يجري اليهود مقابلاتهم وليس مع قناة مكة أو المجد مثلا، والعمير يعادي الدين وأهله، ويريد التفسخ ويحارب الفضيلة والعفاف وحماية الشرف والعرض، وله علاقة بإحسان عبد القدوس المعروف، وكان أبوه رحمه الله يعمل في هيئة الزلفي. ويعترف العمير بعلاقاته الوثيقة مع كثير من الزعماء، منهم صدام حسين والحسن الثاني و(مارغريت تاتشر) وأمير الكويت، وعينوه رئيسا لتحرير جريدة الشرق الأوسط التي تصدر من لندن، وهو يقيم الآن في المغرب ويستقبل أو يستقبله أي مسؤول سعودي يزورها، وإذا جاء إلى السعودية أسكنوه في قصر أحد الملوك، وربما

كان ذلك ليس للعلاقة الحميمة فقط، بل لكي يحرسوه من أهل الدين ويطمئنوا على سلامته.

وإذا غضب السلاطين على الليبراليين فرضا لم يمنعهم أنهم يمدحونهم أحيانا على سبيل التزلف، يقول الشاعر نزار قباني عنهم:

هذا له زاوية يومية وذا له عمود

والفرق فيما بينهم طريقة الركوع والسجود

وليعلموا أن كل مخلوق هالك وكل منصب زائل، وكل مال نافد ولا يبقى إلا وجه الله.

ومما أخذه المستغربون عن الغربيين: الغموض، فلا تكاد تقرأ لهم نثرا ولا شعرا إلا وجدته غامضا، والله تعالى أنزل كتابا مبينا واضحا، وأرسل إلينا رسوله ﷺ وآتاه جوامع الكلم، وجعله من الإبانة والفصاحة في أعلى درجاتها، وأوضح ما تفهمه اليوم من الخطيب أو المحاضر هو الآيات والأحاديث، والسلف الصالح كانوا يستفصلون عن معنى المصطلح الفلاني فيما احتمل معنيين، فكيف اذا احتمل تفسيرات كثيرة كما نرى اليوم. ويستفسر علماء العقيدة عن مراد المتكلم بما يحتمل معنيين أحدهما حق والأخر باطل، كقولهم الجهة والأعضاء والأركان والحد ونفي الجوهر والعرض، وعن الكليات ماذا يقصد بها، اما اللفظ الشرعي أو المصطلح السلفي فلا لبس فيه ولا إجمال، وإنما يتعمد الغموض من كانت الفكرة لديه غامضة ضبابية، أو كان مقلدا لا يدري ما يقول ولا يفهم ما يقال.

وإذا أردنا فعلا حل المشكلة اللغوية فالأمر في غاية السهولة، ولا تحتاج إلى كثير فكر، بل يستطيع كل مؤلف أو مذيع أن يتكلم بالفصحى، وأن يترجم أي مصطلح، وإذا لم يستطع ترجمته فلينقله كما هو ويكون اللاتيني معربا، كما يقال فارسي معرب، على أن لغتنا قياسية نستطيع بهذا القياس أن ننقل إليها أي مصطلح حضاري حديث، والعوام عندنا خير من بعض

الإعلاميين، وأكثر علماء العربية ليسوا عربا، وعلى رأسهم سيبويه الفارسي، وكذلك أكثر علماء الحديث والفقه وغيرهما.

وكل ناظر في الأدب الغربي يجد فيه ظواهر بارزة منها:

١- كثرة مدارسة واتجاهاته.

٢- تمجيد القوة والعنف وهذا الإرث ورثه الغربيون عن اليونان والروم.

٣- تمجيد الثروة والمادة لا سيما بعد أن سيطر اليهود.

٤- وصف أحوال المجتمعات أو طبقات منها، وهذا يشتغل به الأدباء المسمون (الإنسانيين) لا سيما حال البؤس والفقر في تلك المجتمعات المظلمة، كما وصف "شارل ديكتز" حال أيتام الملاجئ في روايته بالإنجليزية أوليفر تويست"، وكتب "فيكتور" الفرنسي روايته "البؤساء"، وفي الإسبانية يعدون أشهر الروايات ما كتبه كاتبوه عن بؤس الهنود في المستعمرات الإسبانية لاسيما في أمريكا الجنوبية، وفي أمريكا تجد ما كتبته "هارييت ستو" من أكثر الكتابات الكلاسيكية رواجا مثل "كوخ العم"، و"ذهب مع الريح".

٥- أنه أدب مشبع بالروح الدينية، فأعظم أعمال "مارتن لوثر" هو ترجمته للكتاب المقدس عند النصارى إلى اللهجة الألمانية، وأول ما بدأ به الأمريكان هو ترجمة المزامير "الزبور"، والانجليز بدأوا بترجمة الكتاب المقدس على يد "جون مورفي"، ولما اكتشف الغرب الطباعة كان أول ما طبعوا هو التوراة أيضا، وأشهر طبعات كتابهم المقدس هي طبعة الملك جيمس التي لا يستغني عنها باحث في الأديان.

ومن أشهر شعراء الغرب "تي إس إليوت" الذي كتب "اليباب" أو "الأرض القفر"، كما قد يترجم، وهو من أسرة يهودية، لكنه ارتد عن اليهودية إلى النصرانية على المذهب الكاثوليكي، ويمجدونه هنا دون ذكر لدينه. بل إن بعضهم قال في عكاظ إنه ما دام يصح أن يقال الأرض القفر فلم لا يقال: السفينة الصخر!

ومثله اليهودي الآخر "فرانز كافكا" وهو تشيكي الأصل ألماني الثقافة، خالط بعض المسلمين، وأوصى بإحراق ما كتب عند وفاته وكثير منه أحرقه هو بيده، والملاحظ أن قصصه ورواياته لا تنتهي بل يبترها بتراً. وحداثته تظهر في "المحاكمة" التي تخيل لا سيما قوله "هل أنا نفسي فعلا؟".

وممن له له أثره في الحداثيين الشاعر الأمريكي "عزراباوند" الذي أصيب بالجنون وأدى ذلك إلى إدخاله أحد المصحات العقلية.

وقد تبعهم الحداثيون عندنا دون إشارة إلى يهوديتهم أو جنونهم أ و حيرتهم أو عباراتهم عن ضرورة الدين!

ومن أشهر الأدباء في الغرب "برنادرشو" في بريطانيا و"كروتشه" في إيطاليا و"سارتر" في فرنسا و"لوركا" في أسبانيا و"جوته" في ألمانيا.

والأدب الإسلامي ليس فيه ملاحم ولا روايات كوميدية فإنما عرفها المتأخرون، أما المتقدمون فكانوا عبادا زهادا لا مجال لديهم للهو واللعب والضحك الكثير، كيف وقد أخبر ﷺ أن كثرة الضحك تميت القلب.

وأن الإنسان قد يقول الكلمة ليضحك بها الناس تهوي به في قعر جهنم!

كما أن كل كلمة تصدر من الانسان يحاسب عليها ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]، وهم أبعد شيء عن تمجيد مرتكبي الفواحش أو التماس الاعذار للعاهرات.

والأبطال والعباقرة كثير عند المسلمين، فهم فوق أن الكذب حرام والإضافة الخيالية عندهم وضع، لم تكثر الكتابة التاريخية عنهم، وربما كانت كثرتهم هي السبب وراء ذلك!

ومن الأخطاء العلمية التي يتعمدها بعض الحداثيين والليبراليين ووراءها ما وراءها الدعوة إلى الأدب الشعبي الذي هو جزء عندهم من "الفولكلور"، كما يطالبون بتدريس الموسيقى في المدارس كتراث وطني وافتتاح أقسام للفولكلور، وإحياء التراث الشعبي ومنه العرضات، ولنا أسئلة نوجهها لهؤلاء:

– أي قبيلة من قبائل الجزيرة المباركة أو أي قبيلة في العالم الإسلامي كانت الموسيقى من تراثها؟ أليس فخر القبائل العربية دائما هو أبطالها وشجعانها وحكماؤها؟ خذ مثلا العجمان، أليسوا إلى اليوم يفتخرون بشجاعة راكان بن حثلين؟ وكذلك شهران الذين يفتخرون بشجاعة فيصل الدويش، وهكذا.

– لماذا لا تطالبون بتنقية هذا التراث مما شابه من خرافات وبدع!

– هل وصل بنا الفراغ إلى حد إحياء العرضات والتفنن في الملهيات.

– أين تقع قضية المسجد الأقصى من هذا؟ وكذا قضية حصار غزة!

– لماذا الزيادة في الإلهاء والإشغال عن الأزمات المتتالية والانحدار السريع؟

– ماذا جنينا من الحفلات الغنائية حتى نطالب بتدريس الموسيقى؟ وأي شيء أنسب لتعاطي المخدرات وشرب الخمور والتدخين؟

– أليس هذا من الفساد الذي ينشئون له هيئات، يسمونها "هيئة الترفيه" بديلا عن هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

لقد كان آباؤنا خيراً منا في التعامل مع الحضارة الغربية، وكانوا ينسبون عظماء الغرب إلى الشرق ولو من طريق الأسطورة! فمثلا لما نبغ هتلر وظهرت شجاعته واحتل أكثر أوروبا قالوا عندنا إن والده هو راكان بن حثلين شيخ العجمان وصاحب القصيدة المشهورة التي فيها:

(لومي على الطيب ولومه عليّه) وأن راكان لما نفاه العثمانيون إلى صربيا تزوج هناك وجاء هتلر من سلالته!

وسمى كثير من الناس في الجنوب ابنه راكان، واشتهرت أشعار راكان كما اشتهرت من قبل أشعار (أبو زيد الهلالي)، ولما علموا أن العجمان من يام فرحوا بذلك، ولما تولى بعض أهل سدير حكم بعض المناطق انتشرت أشعار الشاعر الشعبي السديري، لاسيما قوله:

لا خاب ظنك في الرفيق الموالي   مالك مشاريه على نايد الناس

كما أعجب أهل الجنوب أن يكون فيصل الدرويش من شهران وأن يكون سلطان بن بجاد من البقوم، وشغفوا بالمشاعر الإنسانية التي ينسبونها لهادي بن قرملة وراشد الخلاوي وسعيد بن منصور وأمثالهم لكنهم وجدوا مثلها عند سائر العرب كقول المطيرية:

اللي يبينا عيت النفس تبغاه   واللي نبي عيا القدر لا يجيبه

وأصبح يتردد، كقول الزهرانية:

يالشيخ جار الله وش حدك على نجد الأقصى

هذا فضلا عن أشعار بن رشيد المشهورة.

وما أكثر هذا النوع من الشعر لاسيما ما يجري منه مجرى الحكم أو يعبر عن معان إنسانية عميقة، ولا تكاد تجد مثل ذلك عند الغرب أي أنه حتى عوامنا خير من عوامهم.

والفن بحسب دائرة المعارف البريطانية هو (استخدام التصور والمهارة لخلق إنتاجات جمالية، أو صياغة تجارب شعورية أو تهيئة مناخات تتميز بحس جمالي)، وقضية الفن فلسفياً قضية متشعبة كثيرة الاختلاف، لصعوبة الحكم على عمل ما بأنه إبداعي، ولاختلاف نظرة الفلاسفة حول الشيء الواحد. وقد أنتج طلاب الربح في هذه الأيام عملا جديداً، وهو استخدام الفن في الدعاية، فهو في الحقيقة فن نفعي، كما أن من الفن ما هو مؤدلج، ومن كان ضد تلك الأيدلوجيا لا بد أن يذمه، فالفلسفة الشيوعية مثلا ترغم الفنانين على خدمة العقيدة الشيوعية، وحرية الرأسمالية تنادي بحرية الفن، وهكذا.

والغربيون قد كتبوا في فلسفة الفن وتعريفه كما كتب "تولستوي" و"جون ديوي" وغيرهما.

والغربيون يستحلون نحت التماثيل وتصوير ذوات الأرواح، وأشهر الرسامين عند الغرب مايكل انجلو وليونارد دافينشي سابقا، ثم بيكاسو لاحقا ولوحات هؤلاء غالية حتى التافه منها.

والفن بخلاف العلم، فالعلم يقوم على المنطق والاتساق، بينما الفن على التصور الذاتي والفلسفة الخاصة للفنان، والمسلمون اهتموا بهما معا إلا ما حرم الله، ومن ذلك تصوير ذوات الأرواح الذي استعاض المسلمون عنه بالخط والزخرفة.

وقد كان الفن أيام اليونان مجرد محاكاة للطبيعة كالصور الفوتوغرافية، ثم تشعب وكثرت مدارسة واتجاهاته لا سيما بعد أن تعددت الأيدلوجيات والنظريات في الغرب.

ومن أنواع الفن التي اهتم بها المسلمون الفن المعماري، حيث بنوا المساجد والقصور على طراز خاص قلده الغربيون، والمسجد الحرام هو أكبر كتلة خرسانية في العالم، وهو أعظم بناء في الدنيا ليس بقيمته المعنوية فقط، بل حتى مادياً، وقد أثبت بناؤه أن في إمكان المهندسين المسلمين الاستغناء عن الهندسة الغربية تصميما وتنفيذا، لا سيما ومنا المهندسون الأتراك، وإذا اضطررننا إلى الكفار نأخذ منهم التصاميم ورقيا، ونعدل فيها وننفذ، فقارن عظمة البيت الحرام بالأبنية التي يعظمها الغربيون، مثل برج بيزا، وبرج ايفيل، وملعب الكولوسيوم الروماني، وأستغفر الله من المقارنة.

والغرب اليوم يبيح الفن بإطلاق ويراه حرية لا حدود لها، وظهرت فيه نظرية "الفن للفن"، وتبعا لذلك جعلوا من حق الشاعر أن يقول ما يشاء، ومن حق الصحفي أن ينشر ما يشاء، وجعلوا ذلك من حقوق الإنسان التي يكفلها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان!

وذلك ردة فعل للتزمت والتضييق اللذين كانت الكنيسة تفرضهما على الفنانين، واليوم لو أن فيلما غربيا خلا من النساء لاستفظعوا ذلك واستنكروه، وقالوا إنه تمييز ضد المرأة، وهضم لحقها، واشتهر لديهم ممثلات كثيرات كالممثلة الأمريكية (مارلين مونرو)، والممثلة الفرنسية (بريجيت باردو)، وغيرهن ممن امتهن التمثيل أو أجبرهن الظروف المعيشية لاحترافه، ويسمون ممتهنة الفتنة (نجمة الإغراء).

وأذواق الناس مختلفة في اللهو، فمنهم من يعجبه بطبعه، كما في الحديث (أن الأنصار يعجبهم اللهو)، وفيهم من يحبه لصغر سنه كما في حديث عائشة لما وضعت خدها على خد رسول الله ﷺ لترى الحبشة وهم يلعبون في المسجد، وقالت: (فاقدروا حق الجارية الحديثة الصغيرة السن)، أو الجاريتين الصغيرتين اللتين كانتا تغنيان عنده ﷺ يوم العيد، وقال لأبي بكر رضي الله عنه: (دعهما، فإن لكل قوم عيدا وهذا عيدنا)، ومنهم من هو مشغول عنه، والمسلم في كل حال يسير على هدى الله، وقد حرّم الشرع الصور المجسمة مما فيه روح، وحرم المعازف وهي اليوم الآلات الموسيقية، وحرم كل ما يشغل عن الطاعة ويلهي عن الصلاة وذكر الله حتى ولو كان أصله مباحا. وبعض العلماء جعل النهي في حديث (كل ما يلهو به الرجل المسلم باطلٌ، إلا رميه بقوسه، وتأديبه فرسه، وملاعبته أهله) للتحريم.

ومما أباحه الإسلام:

ضرب الدف في النكاح، والتقليس في الأعياد، ولعب الكرة لأجل التمرين على الجهاد، وكذا المصارعة لأجله، وأجاز المسابقة إذا لم يكن بها ميسر، وأباح تصوير ما ليس فيه روح كالحجر والشجر والبحار والأنهار، والشيلات لا تحرم إلا إذ اقترنت بالمعازف غير أن الأمة لم تقم بالواجب فكيف تنشغل بالمباح؟

وأباح المسابقات ذات الغرض النبيل، وقد جعل النبي ﷺ مضمار سباق الخيل قدر ميل من ثنية الوداع إلى مسجد السبق.

وأباح الغناء الذي ليس فيه معازف، لا سيما أناشيد الحجاج والمجاهدين وحداة الإبل.

وأباح الشعر الذي ليس فيه محرّم، ومن الشعر المباح ما كان فيه رثاء أو مدح أو طلب حاجة مباحة أو مشروعة، وما كان فيه عاطفة صادقة كالإخوانيات، أو قصة صادقة مشتملة على حفظ العرض وصيانة المروءة، وإكرام الضيف والتصدق على المحتاج، وبالجملة فالشعر كلام حسنُه حسن

وقبيحُه قبيح، ومنه حكمة كما أخبر ﷺ وكان يتمثل به هو والصحابة والتابعون.

وأباح الرقص عند قتال العدو.

وسكت عما جرت به العادة واستقر عليه العرف مما يقوله الشعراء ولا يفعلونه، أو ليس له أصل في الواقع كالوقوف على الأطلال والدمن والتغزل في المحبوبة، وشرب الخمر، كما ذكر حسان ﷺ في قصيدته المشهورة (عفت ذات الأصابع والجواء)، وذكر فيها شرب الخمر مع أنه قال: لم أشربها في جاهلية ولا إسلام. ولكن جرت بذلك عادة الشعراء، وقد قال: "أعذبه أكذبه".

وقد بلغ أمير المؤمنين عمر ﷺ أن أحد ولاته قال:

لعل أمير المؤمنين يسوءه **** تنادمنا في الجوسق المتهدم

فقال: أي والله، إنه ليسوؤني، ثم عزل الوالي وقال: لا تلي عملا أبدا، و لم يحدّه لأنه اعتذر أن ذلك مجرد كلام جرى على لسانه.

وقال أحد الخلفاء لشاعر أقر بالزنا في شعره: أحدك بكتاب الله، قال: أنا أدفع ذلك بكتاب الله، فإن الله تعالى قال عن الشعراء: ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء:٢٢٦]!

وقال المتنبي:

إذا كان مَدحٌ فالنَسيبُ المُقَدّمُ   فهل كل من قال المديح مُتَيّمُ

ولا يشترط في الغناء المباح أن يكون بنفس الألفاظ النبوية كقولهم: "فحيونا وحياكم"، بل يجوز بشعر المتأخرين كشعر أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، أو بشعر الجاهليين كأصحاب المعلقات.

ثم تطورت الحياة حتى عرف المسلمون خيال الظل الذي عنه تطورت السينما الصامتة ثم السينما المعاصرة، وكان خيال الظل مجموعة من الدمى تحركها خيوط خفية، وبعض أهل الإيمان كان يراه للاعتبار والاتعاظ.

حتى قال قائلهم:

رأيت خيال الظل أعظم عبرة   لمن هو في بحر الحقيقة راقي
شخوص وأشباح تمر وتنقضي   على كل حال والمحرك باقي

كما عرف المسلمون الطراز المعماري الرفيع، وعرفوا الأقواس واستخدموا الكتابة للزخرفة، ولا تزال كذلك حتى اليوم.

وتقليدا لهم بنى الغربيون الكاتدرائيات، مثل كاتدرائية قديسهم بطرس في روما، وكذلك ما في باريس وبرلين ولندن ونيويورك وكثير مما لا يحصى.

كما قلدهم الغربيون في بناء قصورهم، مثل "وايت هول" في بريطانيا، و"البيت الأبيض" في أمريكا، وقد أبدع العثمانيون في فن البناء جدا، خاصة في بناء الجسور، وقد رأيت بعضها لا سيما في المدينة، ولم يلحقهم الغرب في ذلك حتى الآن، وكان من مبدعيهم المهندس "سنان باشا" رحمه الله.

كما بنوا الصهاريج الكبيرة (خزانات الماء) في أنحاء كثيرة من جزيرة العرب، وقد رأيتها في فيفا مثلا.

وتطوعوا بل فرحوا لبناء الحرمين الشريفين، وكان الخليفة في إسلام بول أو الأستانة يفخر بلقب (خادم الحرمين الشريفين)، منذ فتح السلطان سليم الأول مصر التي كانت الحجاز تابعة لها.

وكانوا يرسلون الصرة الهمايونية إلى الحرمين الشريفين لتوزيعها على الفقراء.

وكانوا يرسلون الزيت إلى المساجد الثلاثة لإضاءتها، ولم تطأ قدم أي كافر جزيرة العرب في أيامهم.

وبعض الباحثين الغربيين يعترف بأثر الفن الإسلامي، وبعضهم يقول إن هذا من آثار الفن الروماني أو الفن القوطي، غير أن الحقائق تنطق بنفسها وتتحدث عن أصلها.

وكان الفن الإسلامي يقتدي به الغربيون، ولما أجرى البنك الأهلي مسابقة عن أفضل شعار له جعله أحد الغربيين هو القوس المعروف في

المساجد واختاره البنك، وأنا رأيت أبنية للترك بنوها على شكل قوس، وبعضها تمر عليه القطارات وغيرها فلا تسقط.

وكان من فن العمارة الإسلامية أن يضعوا الحوش في داخل البيت، وعليه يفتحون النوافذ، فيجمعون بين الستر والتهوية، ولما قلدت البلديات أسلوب البناء الغربي وفرضت على الناس الارتدادات، وجعلت الارتداد خارج البيت، اضطر ساكنوه إلى إقامة السواتر حتى لا يرى المارة نساءهم أو يكشفوا عوراتهم، أو ظلوا محبوسين داخل البيت، كأنما هم سمك معلب، واضطروا لإسدال الستائر إذا فتحوا النور.

وقد كان الفن الإسلامي متميزا ملتزما بأمر الله، أما الآن فأصبح محاكاة للكفار حتى أنهم لما وضعوا ساعات على المباني العالية وضع مثلها المسلمون! ولما تبرجت العمارات في الغرب تبرجت أيضا عند المسلمين، وجعلوا لها زجاجا كالغرب.

والمؤلم أن الفن اليوم يعني ما حرم الله فقط، ويعترف بمفاسده حتى من لا يؤمن بالدين، وقد ذكرت إحدى هؤلاء نسيت اسمها أنها كانت تستشير جمال عبد الناصر وتدخل عليه، فاستشارته أن تصبح فنانه فقال لها: "لا، الفن وسخ"، وأصبحنا اليوم إذا سمعنا أن زعيما سوف يستقبل المثقفين علمنا أنه سوف يستقبل المذيعات والممثلات، فأين الثقافة من هؤلاء الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، وكذا ما يسمى معاهد أو كليات الفنون، وجمعيات الثقافة!

وعرف المسلون فن الزخرفة الإسلامية كالفسيفساء في القصور، وفي الفنادق التي قد يسمونها النُزل، أو الخانات، كما عرفوا السقوف من القرميد وغيره.

أما فن النحت فقد ميزوا بين التماثيل وغيرها، وأغناهم الله بالخط والزخرفة عن التماثيل، بخلاف اليهود والنصارى الذين ينحتونها مع أن التوراة تحرم نحت الصور التي تسميها (مسبوكة).

وقد كانت التماثيل لبعض الأنبياء، قال تعالى عن عبده سليمان: ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ ﴾ [سبأ:١٣]، وكذا فن تصوير ذوات الأرواح، ولا يزال موجودا في الآثار القديمة حتى اليوم، وربما كان ذلك مباحا في شرعهم كما كان السجود للمخلوقين مثلما في قصة يوسف عليه السلام.

والفنان في المعاجم العربية هو حمار الوحش، وهو في عصرنا هذا يطلق على من يمارس الغناء والتمثيل والرسم، وأمثال ذلك.

- **الجَمال:**

الإسلام له ذوقه وجماله، والمسلم لديه حرية الإحساس بالجمال تلقائيا، وبصورة لا نظير لها في أي دين قط، والله تعالى ذكر الجَمال في أمور قد تخفى على كثير من الناس، قال عن الأنعام: ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل:٦]، وقال: ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾ [النحل:٨]، وقد أوضح النبي ﷺ (أن الله جميل يحب الجمال)، وهكذا كان أصحابه الكرام مع زهدهم في أعراض الدنيا واحتقارهم لمتاعها القليل الفاني، بل إن العرب عامة لهم مفهومهم الخاص عن الجمال، قال عمرو بن معد يكرب:

لَيْسَ الجَمالُ بمِئْزَرٍ فاعْلَمْ، وإنْ وشَّيت بُرْدَا
إنَّ الجَمالَ مَعادِنٌ ومَناقِبٌ أَوْرَثْنَ مجدا

وجعل الله تعالى ما في الدنيا من الجمال للتذكير بما في الجنة، جعلنا الله وكل المسلمين من أهلها، كما قال الإمام أبو حامد الغزالي، مع أنه ليس في الدنيا من الآخرة إلا الأسماء كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، فالجنة حورها وقصورها وأشجارها وأنهارها وأسواقها وتربتها... الخ، لا نظير له في الدنيا.

والفلاسفة قديما وحديثا يزعمون أن اللذات العقلية أعظم من اللذات

التي يسموها "حسية"، أما الجنة فهي تجمع بين الملذات كلها، وأعظم نعيم فيها هو رؤية الله تعالى، وقد جعل سبحانه في هذا الكون العجيب من مظاهر الجمال ما يجذب المؤمن للنظر فيه، فانظر إلى السماء ما أجملها وأجمل نجومها.

ولو فرضنا أن المقصود هو اللذة العقلية وحدها، فهل يستطيع الفلاسفة أو أي أحد أن يأتي بمثل شريعة الله وما فيها من الحكمة والتناسق؟ وهل في الكون كله كتاب أبلغ من كتاب الله وأكثر رصانة؟!

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢].

وهكذا نظر المسلمون إلى عمق الأشياء وفرقوا بذوقهم السليم بين الحق والباطل، فقد جعل قتادة ﵁ من الحكمة في خلق النجوم أنها زينة للسماء، وفي الوقت نفسه بين أن ما عدا ذلك مما يزعمه المنجمون تكلف وباطل، وجاء الحديث لبيان ما في هذا العلم الخرافي الذي يسمونه التنجيم من سحر.

أما التمحل والتكلف في التنجيم فهو معلوم لكل عاقل، والمنجمون يزعمون أن البروج والطوالع الخ هذيانهم تؤثر في المخلوقات، ويمكن أن يجمع ذلك قولهم (إن حركات العالم العلوي هي المؤثر في العالم السلفي)!

فأين الله تعالى وتدبيره وقدره وحكمته؟ وأين تأثير العوالم السفلية في العالم العلوي المذكور في القرآن لاسيما سورة الجن؟ والله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾ [الملك:٥]، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق:٦]، وقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ [الصافات:٦].

وهكذا سبقت الشياطين وكالة "ناسا" الفضائية في الصعود إلى العالم العلوي.

والمسلمون أمة حقائق وبراهين، ينكرون السحر والشعوذة والخرافة، وذلك في أمريكا وما أكثره هناك، حتى أن إحدى الساحرات هناك تدعي

أنها تعمل بتوجيه من الروح القدس، وكذبت، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

وهكذا حرر الإسلام العقل البشري والعلم البشري من أغلال الخرافة والأسطورة والسحر، أما اليونان والرومان ومَن قبلَهم فحضارتهم تقوم على الأعمدة والنحت والمعابد الشركية، وشتان بين هذين، ولو كانت العبرة بهذه المعابد وحدها لكان ما بنته ثمود أجمل وأبدع، مع أن مدائن صالح قبلهم بقرون.

ومهما يكن جمال المظهر، لا بد من جمال المخبر، يقول تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ [المنافقون:٤]، وهذا بخلاف المؤمنين الذين يهتمون بصلاح المخبر والمظهر معا، ولكن أعين المستكبرين تزدريهم.

وقد قالوا لبلال قديما إنه عبد، وقالوا عن الشيخ ابن باز حديثا إنه خضيري، فأين هؤلاء من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا"؟

صحيح أن (واسب) بيض وأن الأفارقة سمر أو سود، ولكن المسلم الإفريقي خير من ملء الأرض من كفار "واسب" ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ [البقرة:٢٢١]، والمرأة المتحجبة في "الخرطوم" أو "كانو" أكثر رقيا وتقدما من المرأة المتبرجة في نيويورك أو لندن، وهكذا المسلم دائما بإيمانه يفعل ما لا يفعله الغربي.

والطفل الفلسطيني الذي يتحدى الدبابة الإسرائيلية أكثر شجاعة من أي لواء أو فريق في قوات الماريتز، وليس في الغرب من تبلغ شجاعتُه كشجاعة التركي الذي يُلقي نفسه عاري الصدر ليمنع الدبابة من العبور.

وكما أن القوم لهم دينهم ولنا ديننا، كذلك لهم معاييرهم ولنا معاييرنا في كل شيء.

ومنها أن لهم ذوقَهم ولنا ذوقنا، ولهم جمالهم ولنا جمالنا، ولهم حريتهم ولنا حريتنا، ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة:١٤٨] و﴿كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء:٨٤].

والعبارة الفلسفية "ليس في الإمكان أبدع بما كان"، إن أراد بها قائلها أن المخلوقات جعلها الله في غاية الإتقان والحكمة والحسن فنعم، وإن أراد بها أن الله تعالى ليس بإمكانه أن يخلق ما هو أجمل منها فلا.

فانظر إلى خلق الرحمن هل فيه تفاوت؟ حتى لو قارنت بين من خلقه الله عملاقا ومن خلقه قزما تجد لكل سمعه وبصره وجهازه الهضمي والتنفسي، وربما كان القزم أكثر ذكاء وأكبر عقلا، وهل رأيت إنسانا قط عيناه في رجله؟ فسبحان بديع السموات والأرض الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، وشرع له أحسن الشرائع.

أما اليوم فيجد الفنان نفسه بين خيارين لا ثالث لهما:

إما أن يستورد الفن جاهزا من إحدى مدارس اللامعقول الغربية، كالسريالية والمستقبلية والتكعيبية.. الخ.

وإما أن يعود إلى أصالة الأجيال الماضية وتذوقها للجمال، وهذا الأخير لا قبول له في المجتمعات التي تنتهج منهج الطفرة المفاجئة، وتقوم على ما يسمى الصدمة أو التنمية، مع أن الحاصل فعلا هو أن التنمية هي قضاء مبرمج على الماضي كله، إلى حد أن ما فعله الآباء أصبح تراثا عند الأبناء، فلم يعد أمام الفنان إلا الخيار الأول فقط، وهذا هو الواقع، وليس الفن هنا مقصورا على جانب واحد من جوانب الفن، بل يشمل الرسم والفن المعماري والشعر والأدب، بما في ذلك القصة والرواية، ونحت ما لا روح فيه، والزخرفة في المنازل، والكتب والخطوط الجميلة، وما كان مباحا من ذلك فلا بأس به ولا يخالف الفن الإسلامي.

والمستثنى من ذلك هو ما حرمه الشرع كالتماثيل والمعازف.

ولو كان الذي وضع شعار البنك الأهلي مثلا هو أحد الليبراليين، لجعله على شكل غربي، إذ القوم تعودوا على التقليد في كل شيء، حتى لو دخل الغربيون جحر ضب لدخلوه.

ولانسلاخ الفن الغربي من الدين سببه الذاتي الخاص، فلما فرضت الكنيسة سيطرتها على كل شيء، سيطرت على الفن أيضا، وأرغمت الفنانين على تصوير المسيح وأمه العذراء، وعلى تصوير ما في الأناجيل، حتى أنهم صوروا القديسين والملائكة، بل صوروا الله تعالى كما في أناجيلهم القديمة، كما قال الباحث الفرنسي "أتيين دينيه" الذي أسلم وسمى نفسه ناصر الدين دينيه.

والعجيب أن صورة نبي الله إبراهيم عليه السلام عندهم التي ذكرها البيهقي في "دلائل النبوة" تماثل تماما ما يفعله المسلمون اليوم في صلاتهم، فهو قائم واضعاً يده اليمنى على اليسرى.

ولما كان عصر الانبعاث الأوروبي وبدأ الناس في التحرر من ربقة الكنيسة، والتمرد عليها وعلى قرارات المجامع وأوامر البابوات، أخذ الفنانون يرسمون غير ما يفرضه هؤلاء، فرسم "مايكل انجلو" رسومات أخرى، ونحت تماثيل ليست للمسيح وأمه، بل بعضها لفتيات قرويات، ثم رسم "دافينشي" "الموناليزا"، وفي العصر الحديث تحرر "بيكاسو" وكل الفنانين تحررا كاملا من كل القيود الكنسية وانفلت من كل قيد.

وبهذه الحرية المنفلتة أصبح الفن غير إنساني أصلا، وقد عبر عن ذلك "خوسيه جازيت" الأسباني في كتابه "انحطاط الفن".

وهو فن رافض ليس له هدف ولا رسالة، وإنما مهمته "الرفض" وحده.

وهو محاولة كما قال "رورتي" لنزع القداسة عن أي شيء.

والفنانون الغربيون من شعراء ورسامين مهما اختلفت مدارسهم واتجاهاتهم يشتركون في ظاهرة واحدة هي (الاغتراب) في هذا العالم الفوضوي، ومحاولة الهروب من واقعه النكد إلى الإدمان ومشاهدة الأفلام

الإباحية والرياضية، وأمثال ذلك، مما يعبر عن عدم ثقة الإنسان المعاصر في عالمه المعاش، وصدق الله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ [النمل:٥]، قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [النمل:٥] أي في الدنيا، وقال جل شأنه: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ فِي ٱلۡعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلۡبَعِيدِ﴾ [سبأ:٨].

فالإنسان الغربي -ومن اتبعه- كالأنعام بل هم أضل سبيلا، وهو يلهث وراء العلف حائرا مضطربا يائسا من كل الفلسفات البشرية، والمغفلون من أذنابه فقط هم الذين يظنون أنه سعيد ومتقدم بحضارته وثقافته، وإنما هو برهافة حسه مكتشف لعمق المأساة.

ومن أهم أنواع الفن المعاصر "الفن التشكيلي" وله مدارس مختلفة كالرمزية والسريالية والانطباعية وغيرها، وهو يتميز بأنه يحتوي على المتناقضات التي تعبر عن يأس الإنسان المعاصر وتناقض حياته.

وعموما تجد الطابع العام على الفن التشكيلي هو الثورة على الفن القديم والهرب من عبادة العقل أو الطبيعة إلى ما يسمونه "اللا معقول" أو عصر ما بعد التحديث، وما فيه من تناقض أو اضطراب إنما هو لأن الحياة الغربية كذلك.

ويجب على كل مسلم التلقي من المصادر الصحيحة حتى في الأدب والفن، ولا يجوز التشبه بالكفار في ذلك.

عاشرا
المخرج من كيد الغرب
كيف نتقي لفح الحضارة الغربية

بعد هذا الاستعراض الإجمالي لأهم مناحي الفكر، وما ينبغي لنا إزاءها يأتي سؤال شديد الإلحاح، تاهت في الجواب عليه كثير من العقول الجبارة، وهو **ما المخرج من هذا الكيد والمكر؟ وكيف نتقي لفح هذه الشرور التي تهب علينا من الشرق والغرب، أو كيف نقود نحن العالم ونستعيد مجدنا؟**

والجواب سهل على من سهل الله له، وميسور على من يسره الله لمعرفته، وهو لشدة الحاجة إليه جليّ واضح في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ولا نحتاج مع الإجابة الصحيحة عليه لرأي فيلسوف ولا لفكرة مثقف، ولنا تجربة تاريخية ماثلة لا يستطيع مسلم ولا كافر أن يجادل فيها، فقد جاء إلى رسول الله ﷺ وفدٌ من عبد القيس (المنطقة الشرقية) وهناك أقيمت في "جواثى" أول جمعة في الإسلام بعد المدينة النبوية كما أنه كان منهم من يدين بالزرادشتية التي كان عليها الفرس في الشرق أو بالنصرانية التي كان عليها الروم في الغرب فالقوم على صلة بالحضارات الثلاثة آنذاك، الإسلامية والمجوسية والنصرانية، وهي الحضارات الموجودة في العالم اليوم.

وجاؤا إلى الرسول ﷺ يسألونه عن أهم أمور الدين، وأخبروه أنهم لا يستطيعون الإتيان له إلا في الشهر الحرام، لأن بينهم وبينه قومه وهم كفار مضر.

ولو كان صلوات الله وسلامه عليه يعلم أن الخير لهم أن يكونوا مجوسًا لأوصاهم بذلك، وهو المعروف عند الناس قاطبة أنه لم يغش أحدًا قط.

ولو كان الحل هو أن يكونوا كالروم مثلا لقال لهم: أنتم جزء من العالم فإن لم تكونوا مثل فارس فكونوا كالروم، ولا تكونوا على ما أنتم عليه من التطرف، فإن ترفعتم على ما يفعله المجوس من نكاح الأمهات والبنات فلا تترفعوا عما عليه الروم من كون المرأة تخرج أمام الأجانب وتكشف شعرها الأشقر، فتلك هي الحضارة والحياة الإنسانية، وانظروا إلى ما في بلادكم من المعالم الأثرية كحضارة "ديلمون"، ولديكم الطريق التجاري الذي كانت تسلكه القوافل من اليمن وعمان إلى حضارة ما بين الرافدين، وأحيوا

الحفلات الشعبية والرقصات والمعالم الأثرية التي يزخر بها تاريخكم، وأمثال ذلك من الوصايا التي يقول عنها بعض الناس اليوم إنها حضارية.

ومن المعلوم قطعًا لدى العرب والعجم ولدى دارسي الحضارات كلهم أن العرب أنكد عيشًا وأصعب حياة من الحضارتين العالميتين آنذاك وهذا ما عبر عنه ربعي بن عامر وعمرو بن العاص وكل من تكلم عن هذا الموضوع، فلو أن الرفاهية والرخاء والوفرة تتحقق باتباع تلك الحضارات وتعظيم قدر الدرهم والدينار والحفلات لحث على ذلك النبي ﷺ.

لكن حاشا من أرسله الله رحمة للعالمين وأنزل عليه الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، أن يشير عليهم بمثل ذلك الذي يعني الخروج من نوع من الكفر إلى نوع آخر، ومن ظلام إلى آخر، وإنما أرشدهم إلى النور المبين والصراط المستقيم الذي يحتاجه الناس كلهم الغني والفقير والكبير والصغير والأسود والأبيض والعربي والعجمي، وبيَّن لهم بما أوحاه ربه إليه من الآيات الإيمان وما يستلزم ذلك من الشرائع، حتى قالوا وهم أصحاب العقول والفطر لو لم يكن ما تدعو إليه هو الحق من عند الله لكان هو الأليق بالمكارم والفضائل فازدادوا إيماناً وتسليماً.

وعرفوا أن الحق محصور في الإسلام وحده وأن سعادة الدارين والرخاء في الدنيا، والجنة في الآخرة مرتبطان به لا غيره.

وإلا فإن الأشهى إلى النفوس والمزيّن لها، هو العرضات والترفيه والنظر إلى النساء، وأمثال ذلك مما عاقبة الاشتغال به خسارة الدارين.

فهذا هو الإصلاح وضده إفساد، ولا يغير من تلك الحقيقة أن يكون في الناس من إذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون.

وتلك هي الحياة غير الإنسانية، وقد ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

وإنما الحضارة والإصلاح في اتباع ما أوحى الله به إلى هذا النبي الأمي

ﷺ من الهدى والشرع، الذي بهر أكبر العقول وجمع بين الفطرة التي هي داخل كل إنسان من أي لون ومن أي مكان ومهما كان مستواه الحضاري المادي، وبين الدلائل الفكرية والعقلية التي يخضع لها أكابر الفلاسفة والمفكرين.

وإنما تداعت علينا الأمم واشتد علينا الكرب وأصبحنا في قاع العالم بذنوبنا، وقلة استغفارنا وتقوانا وصبرنا، فنزع الله المهابة من قلوب أعدائنا، وقذف في قلوبنا الوهن بحب الدنيا وكراهية الموت، وقد جعل رسول الله ﷺ نهاية الأزمة واضحة معلومة (حتى ترجعوا إلى دينكم)، وهذه النهاية لا بد لها من ترك حب الدنيا بالزهد، ومن ترك كراهية الموت بالجهاد.

فكيف يرغب عاقل عن ملة إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ الذي جاء بالحق كله والعدل كله؟ وكيف يقول صاحب عقيدة صحيحة إن "بن باز" مثلا (عبد) خضيري ولم لا يقول: "لا أعلم قبيلته؟" وهل يضر بن باز أنه لا يعلم الناس قبيلته أو أن أحدا لا يعلمها؟

وكيف يقول أحد (أشهد أن محمد رسول الله) ولا يتبع شرعه؟

وكيف يزعم من جعل الله بيته المحرم في بلاده أنه جزء من العالم؟

وكيف تنشأ هيئة للترفيه بدلاً من هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

وكيف تكون أمة الإسلام في هذا المخاض الشديد والواقع المؤلم، ويدعو بعض الناس إلى الأوبرا واللعب واللهو؟

وكيف نقرر بالبحث التاريخي الموضوعي، أن نابليون اقتبس بعض قوانينه التي نقل عنها الغرب من مختصر خليل وشبهه من الفقه المالكي، وبين يدينا نحن سيرة مالك نفسه وأقواله، وشارحو الموطأ كابن عبد البر! ولدينا رسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومدونة أمير البحر أسد بن الفرات المالكي، ثم من نابليون استقى الغرب قوانينه، لكن الغرب لم يقف عند حد ما في الفقه المالكي، بل زاد عليه ما يتناسب مع دياثته وحياته الاجتماعية ودينه المحرف

وثقافته الخاصة، فجاءت قوانينه زائفة مهلهلة متناقضة حتى داخل الدولة الواحدة كأمريكا، نجد قانون كل ولاية يختلف عن الولاية المجاورة لها، فتجد مثلا ولاية يجيز قانونها عقوبة الإعدام مجاورة لولاية تمنع تلك العقوبة بإطلاق، وتجد ولايةً الضريبة فيها بالعشرات أو المئات بجوار ولاية ضريبتها آلاف الدولارات! فبمن يقتدي الحيارى؟

وكيف يأخذ الناس منا ويتبعوننا بينما نأخذ منهم ونتبعهم؟

ومع ضلال الغرب وتناقضه وتخبطه ودياثته يأتي الحل الوحيد من كتاب الرحمن الرحيم وسيرة المصطفى الكريم ﷺ، وحسبك أنه تعالى قال: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١]، وهذا قطعًا في الحجة والبرهان، أما في ميادين القتال فسنة الله هي المداولة لحِكَم هو يعلمها، وهذا ما علمه هرقل وخفي عل بعض المسلمين.

ومن الغش والمكر أن يزعم الليبراليون ومن يؤازرهم ومن يطعن في الدين أن الصحوة اختطفت المجتمع، فهل كان مجتمعنا ليبراليًا ديوثًا، لكن ابن باز وابن حميد وابن عثيمين وأمثالهم اختطفوه؟

قد يقال إن لدى بعض العلماء تحريمًا لأمور أو كراهية لها، من باب سد الذرائع عن المنكر، فهل الحل هو الوقوع في المنكر نفسه؟ وهل من الخطأ الفرار من ذلك إلى التطرف ضد التدين، وإذا كانت الصحوة أخطأت ألا يمكن تصحيح مسارها دون عداوتها واتهامها بالإرهاب والتطرف والغلو؟

وكيف يجتنب المؤمن الشبهات؟

وإنما يغيظ أعداء الدين أن الله مظهره على الدين كله، وأن الحضارة الحقيقية هي الإسلام، وأن هذا الدين كلما حورب اشتد وكلما ترك امتد.

وهو تعالى قد وعد وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾

[النور: ٥٥-٥٦].

وقد أخبرنا جل شأنه أن الكفار يمكرون ويكيدون لنا ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]، ومع هذا المكر الكبار هم الذين بدأونا أول مرة ولا يزالون يقاتلوننا حتى يردونا عن ديننا إن استطاعوا، وأرخص دم في الأرض اليوم هو دم المسلم، فالغربي الواحد مثل الطالب الإيطالي (ريجيني) يضج الغرب لمقتله ويقطعون العلاقات بينما يكتفون بالتنديد والاستنكار والشجب والقلق لمقتل مليون مسلم في بلاد الشام وحرق مئات البيوت في أراكان، وعن ما يسميه الأمين العام للأمم المتحدة الجحيم الأرضي في الغوطة الشرقية، وعن قتل وتهجير ملايين أهل السنة في العراق، ومع ذلك يريد الغرب أن ننضم معه في التحالف، وأن نحارب الدين باسم محاربة الإرهاب والتطرف، وأن نترك الإسلام الرباني المحكم لأنه عندهم إسلام سياسي! وأن نجعل الدين لمن أراد أن يتدين علاقة شخصية بين العبد وربه.

أما الإسلام الذي يريدون فهو الإسلام المعتدل الأمريكاني "المودرن" الذي لا جهاد فيه ولا غيرة ولا أخوة إيمانية.

وأمريكا تريد منا أن ندع عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله الداعية إلى نص الكتاب والسنة بلا ابتداع، وتسميه "الفكر الوهابي" لتضع وهابية جديدة تتزعمها "شيرين عبد الوهاب".

والمسلمون اليوم في مخاض شديد وولادة صعبة، ولكن لا يفوتنا أن الإسلام لا يولد طفلا ضعيفًا وإنما يولد عملاقًا هائلا يرتجف منه الشرق والغرب.

وأكثر شعب يحقد عليه الغرب وأذنابه اليوم، هم الأتراك، لما في تركيا من نهضة اقتصادية كبيرة، وما لديهم من عاطفة إيمانية صادقة وتطلع للجهاد، وهم الذين حجروا أوروبا في غربها فقط، والتاريخ الغربي يسمي المسلمين كلهم الأتراك، كما كتب "لوثر" من قبل.

وقد عمم أعداء الإسلام سياسة "فرِّق تسد"، واشترطوا على أتاتورك قطع كل صلة لتركيا بالإسلام، والمناداة بالقومية الطورانية، وفي المقابل شجعوا العرب على القومية العربية، وأنشأوا ما سمي جامعة الدول العربية مضادة لفكرة عبد الحميد الثاني وجامعة الدول الإسلامية، و لم تكن اتفاقية (سايكس بيكو) إلا قمة جبلِ الثلج الخفي، و لم يكن وقوفهم مع إنشاء الدويلة اليهودية آنذاك إلا جزءا من مؤامرات اليهود والنصارى، وصدق الله ﴿بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ﴾ [البقرة: ٥١].

وهكذا يأتي الجواب على السؤال السابق، وهو كيفية المخرج من كيد الغرب، وكيف يقود المسلمون الحضارة البشرية من جديد ويكتبوها من اليمين إلى اليسار، هل إلى ذلك من وسيلة؟

وهذه الوسيلة سهلة ميسورة كما تقدم، ويمكن تلخيصها حسب رأيي القاصر في كلمتين ينبغي للمسلمين إحياؤهما:

أ- الزهد.

ب- الجهاد.

.بمفهوميهما الواسع والإيجابي، وقد ظللت سنوات أفكر كيف نستطيع مقاومة المكر الكبّار والكيد العظيم الذي يتعامل به الغرب معنا ويتآمر به ضدنا، فوجدت أنه لا بد من إحياء هذين الأمرين في نفوس المسلمين، مع نقاء التوحيد والحرص عليه، وبهما نتقي الحضارة الغربية بإذن الله وإلا ظللنا قابعين في الذل والتبعية ندور في فلك الغرب كدويلات تابعة مسلوبي الإرادة مستهلكين لما ينتج، وتستطيع دولة مجوسية واحدة مثل كوريا الشمالية أن تتحدى أمريكا بينما تعجز أمة الإسلام عن ذلك وتلتمس رضا الأمريكان الزائف عنها.

وهذان الأمران هما المظهر التطبيقي لركني الصبر والتقوى اللذين قال الله عنهما: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠]، وبهما

تتوازن العوامل الثلاث التي ذكرها ابن طباطبا بعد استقرائه لحال أكثر الأمم، وهي:

١- الحاكم العادل.

٢- العالم العامل.

٣- الرعية المجاهدة.

وهذا ما تتيحه الخلافة على منهاج النبوة ونرجو أن يتوفر أيضا.

ولست أعني بالزهد الفقر الهندوسي الذي جنح إليه المتصوفة، ولا أعني بالجهاد ما جنح إليه أهل الغلو، وأرجو أن يكون في الصفحات التالية بيان لما أعني.

ومن الخطأ في نظري أن يترك الناس الزهد والجهاد ويظنون أن الحل لمشكلاتنا السياسية والاجتماعية والاقتصادية هو الخصخصة أو تنويع مصادر الدخل، أو الاستدانة، أو وضع خطط ورؤى جديدة يمليها علينا صندوق النقد الدولي، أو التحايل على الناس بتخفيض قيمة العملة مع بقاء المبلغ كما هو، أو التحويل من التقويم الهجري إلى التقويم الميلادي لكي نكسب اياما معدودات، أو إشغال الناس عن التفكير في واقعهم المزري بالترفيه والسياحة والكرة والمسلسلات، وإنما الحل في اتباع كتاب الله، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويجعل له من أمره يسرا.

أولا: (الزهد):

من أهم ما يستعين به المسلمون على المادية الغربية الجارفة وعلى الأزمات الاقتصادية المتعاقبة الزهد في الدنيا ومعرفتها على حقيقتها، كما أخبر الله عنها، قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ﴾ [الحديد:٢٠] الآية.

وقال: ﴿قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧].

وقال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَـٰقِيَـٰتُ ٱلصَّـٰلِحَـٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ [الكهف:٤٦].

والباقيات الصالحات هي ذكر الله وما يقرب إليه.

فإذا وضعت الدنيا كلها في كفة ووضعت ما يراد به وجه الله في كفة، رجح ما يراد به وجه الله، وحسبك أن موضع سوط أحدنا في الجنة خير من الدنيا وما فيها، وأن من كتب الله له الفوز بالجنة إذا غمس فيها غمسة واحدة، ثم سئل هل مر بك بؤس قط؟ هل ذقت شقاء قط؟ يقول في ذلك كله: كلا.

وقال تعالى: ﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأنعام:٧٠]، وقال: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾ [الحديد:٢٠].

وقال ﷺ: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافراً منها شربة ماء).

والدنيا جيفة إذا أردت الأكل منها زاحمتك كلابها، فلا تجعلها أكبر همك ولا تنس الآخرة، وبعد فرض الضرائب وزيادة الأسعار تبين لنا حقيقة قول أبي الدرداء: (فاز المخفون)، وبعض العلماء يصححه مرفوعا كالحاكم.

وبالزهد نحارب الإسراف والترف والسمنة، ونقضي على الهدر المالي وكل ما يعوق التنمية الحقيقية، ونقضي على إدمان الشراء والاستهلاك الذي يدفع الناس هنا لتغيير الأثاث المنزلي كل سنة أو ستة أشهر، وإلى شراء

الأطعمة ثم رميها في القمامة.

تقول الإحصائيات العالمية إن السعودية من أكثر دول العالم هدرا للغذاء، وهذا بالطبع حكم على ما يرون في داخل المدن، دون من يعانون من سوء التغذية في البوادي وتهامة، والذين لا يراهم إلا المحسنون أو المنصِّرون.

وقد اعتذرت إحدى الشركات الغربية عن تنظيف مدينة الرياض من القمائم بقولها "إن أكثر ما في القمائم إنما هو غذاء"، والسعودي الذي يذهب لبعض الدول ويطلب كمية من الطعام يفرضون عليه غرامة إذا بقي من الطعام شيء، مع أنه دفع كامل تكاليف الطعام، ولكنهم يعللون ذلك بأنه يؤدي إلى إشكالية اجتماعية وبيئية، منها زيادة تكاليف القمائم على البلدية وزيادة التلوث وغير ذلك.

وهكذا أصبح الكفار يأخذون علينا الإسراف، ويعلموننا الترشيد والتوفير والتوسط في الإنفاق.

وبالزهد لا نبالي بارتفاع الأسعار أو انخفاضها، ولا بالأزمات الاقتصادية، ولما قيل لأحد السلف إن السعر قد غلا ببغداد قال: "والله لو كانت الحبة بدينار ما باليت، إن علينا أن نعبده كما أمر، وعليه أن يرزقنا كما وعد"، فمتى نقول والله لو كان برميل النفط بسنت ما بالينا؟

وقد أصابنا الهلع لما انخفض من نحو ١٢٠ دولارا إلى نحو ٤٠ دولارا، ولما فرضوا الضرائب بنسبة ٥%، فكيف إذا جعلوها أكثر.

ونحن مع الأسف استصحبنا حالة الترف ولو بالتقسيط، مع أن الطفرة المالية الحقيقية استمرت سنوات معدودات فقط.

وبنشر ثقافة الزهد لا سيما في الإعلام كافة يتخلص الناس من الأزمة التي لا بد منها، وهي تحوُّل السعودية إلى دولة مستوردة للنفط سنة ٢٠٢٥م كما يقرر بعض الخبراء الدوليين، وهب أن الأمر استمر إلى سنة ٢٠٣٥م أو أكثر، فلا بد أن ينفد، وقد بدت بواكير نفاد النفط عيانا في السعودية، فهناك دول تتخطى السعودية في الإنتاج اليومي، وهناك دول تتخطاها في

الاحتياطي، وهناك مناطق نفطية مكتشفة غير منطقة الخليج، كما أن هناك محاولات كثيرة لاكتشاف أنواع بديلة للطاقة، وقد بدأت الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والطاقة الكهربائية بالفعل، ويقولون إن السعودية ستحتاج إلى ثلاثة ملايين وظيفة جديدة في غضون عشر سنوات فقط، ونحن الآن نعاني من البطالة فكيف إذا تضاعف عدد الوظائف المطلوبة، والإحصاءات الرسمية نفسها تقول إن نسبة خريجي الجامعات الذين لا يجدون عملا بلغ ٤٧% اليوم، والخدمة المدنية تقول إن ٤٠% من الموظفين اليوم سوف يحالون للتقاعد عما قريب، وبذلك تزداد البطالة ويكثر العاطلون.

وبالزهد يتغلب الإنسان على مصائب الدنيا من الموت والألم في نفسه أو في أهله أو قريبه أو صديقه.

والزهد هو مقتضى الحكمة، وبذلك لقب المسلمون أبا الدرداء ﷺ، فسموه (حكيم هذه الأمة)، ولما زاره قوم واستقلوا ما في بيته من متاع قال: "إن أمامنا عقبة كؤوداً نقلنا كل متاعنا خلفها"، وهو يقصد لقاء الله، وقد ورد كلامه هذا في حديث مرفوع من روايته.

والغرب المادي لما نسي الله والدار الآخرة اشتغل بالتكاثر، فتراهم يحسبون أرباحهم السنوية ونصفها وربعها وفي الشهر، بل يحسبون الانخفاض والارتفاع كل يوم وربما أقل، وهكذا ألهاهم التكاثر حتى زاروا المقابر.

وصدق ابن السماك حين قال في بعض مواعظه: "الدنيا كلها قليل، وما بقي منها إلا القليل، وأنت نصيبك منها قليل".

وأرقى دول الغرب اليوم هي أمريكا التي تقول كما قالت عاد: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت:١٥]، ويقول بعض الخبراء العسكريين إنها تزيد قوة عن الدولة التي تليها بخمسة عشر ضعفا، وأن قوتها العسكرية تعادل سبعة عشر دولة في حلف الناتو، وأن لها آلاف القواعد العسكرية في العالم.

ومع ذلك ينخرها الخواء من داخلها، وتكثر فيها الأمراض والأوجاع التي لم تكن فيمن قبلها، وبعض المسلمين يغترون بتقلبها في البلاد ويخضعون

لمظاهر قوتها، والله تعالى يقول: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ١٩٦ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٩٦-١٩٧]، وقد يبلغ الغرور بها إلى الحد الذي بلغ بيأجوج ومأجوج أن يقولوا: "قهرنا أهل الأرض فلنقهر أهل السماء فيرمون بالحراب والسهام إلى السماء فتعود مخضبة بالدم" ابتلاء لهم وفتنة، وربما رمت أمريكا بصواريخها إلى السماء أيضا.

وقد كانت بريطانيا أقوى دول الدنيا وتملك أكثر العالم ثم تقلصت وانتابتها المشاكل بطريقة دراماتيكية، وأصبحت أغنى أقاليمها "اسكتلنده" تريد الانفصال عنها، كما تريد ولاية كاليفورنيا أغنى الولايات الأمريكية الانفصال عن أمريكا.

فانظر كيف وصف الله ما يراه الخبراء العسكريون كثيراً، بأنه قليل وزائل.

ولو أن الغرب كله ومنه أمريكا بلغ ماله عنان السماء واستمر له ذلك، لكان قليلا إلى جانب الجنة ونعيمها، الذي ما له من نفاد، والتي أُكلها دائم وظلُّها، وأعدها الله للمؤمنين المتقين، وهل يقوم أي رقم إذا نسبته إلى اللانهاية؟

بل إن كل عاقل -ولو لم يكن مسلما-، لا تغره ناطحات السحاب عن الأحياء الفقيرة في نيويورك وشيكاغو ولوس أنجلس، ولا يغره كثرة الأثرياء في أمريكا، عن المشردين الذين يفوقون الأثرياء عددا، ولا تغره المستشفيات الضخمة عن غلاء الطبابة في أمريكا، حتى أن الأمريكان يصوّتون لمن يعدُهم بالتأمين الصحي، وكثيراً ما تكذب الوعود لاسيما إذا اصطدمت بالواقع، وتقول الإحصائيات الأمريكية نفسها إن عدد الفقراء في أمريكا يبلغون ٤٠ مليونا، فكيف إذن طبقوا عليهم ضرائب ترامب؟

ولولا أن الدنيا حقيرة لما أعطاها الله أحطّ خلقه وهم اليهود، وحجز عنها أكرم خلقه وهو محمد ﷺ، وقد مات صلوات الله وسلامه عليه ودرعه مرهونة عند يهودي في شعير.

واليهود -زادهم الله غضبا وذلة ومسكنة- يكتمون الحق ويحرفون الكلم ليشتروا بذلك ثمنا قليلا هو هذه الدنيا، فبئس ما يشترون.

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

وقال جل شأنه: ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

وقال: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى ١٦-١٧].

فالآخرة بها هذان الوصفان: خير، وأبقى، أما الدنيا فما مضى منها فحلم، وما بقي فأماني، وحسبها أن حلالها حساب وحرامها عقاب.

ودخل عمر بن الخطاب على النبي ﷺ فوجده ينام على حصير أثّر في جنبه الشريف، فبكى عمر فقال الرسول ﷺ: (ما يبكيك يا عمر. قال: أبكي لأن كسرى وقيصر يتقلبون في الحرير والديباج، وأنت على هذه الحال، فقال له الرسول ﷺ: أوفي شك أنت منها يا ابن الخطاب؟ أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا).

وقوله هذا موافق لقوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠]، وهكذا الكفار الذين يسكنون اليوم في البيت الأبيض، والكرملين، وداوننغ ستريت، والإليزيه، وأمثالها.

أما هو صلوات الله وسلامه عليه فقد كان يمر عليه الهلال والهلالان لا يوقد في بيته نار، وكان يربط الحجر على بطنه من الجوع، فما ابعد ما بين حياته وحياة كسرى وقيصر.

وقد قال الله تعالى عن الكافر: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾ [الانشقاق:١٣]، بينما قال عن المؤمنين: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور:٢٦].

وقد أوصى صلوات الله وسلامه عليه أمته، وهو المشفق عليها الرؤوف بها أن يكون زاد أحدهم كزاد الراكب.

ورحم الله الإمام أحمد حيث قال: "إنما هو طعام دون طعام، ومركب دون مركب، وصبر أيام قلائل".

ولما قرأ الحسن البصري رحمه الله قوله تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧] قال: "رحم الله عبدا صحبها على ذلك، وما الدنيا كلها أولها وآخرها إلا كرجل نام نومة فرأى في منامه بعض ما يحب ثم انتبه".

وحبس أحد السلاطين رجلا من آل البيت الصالحين فكتب له من السجن: "إنه لا ينقضي علي يوم من البلاء، إلا وينقضي عليكم مثله من الرخاء، حتى نصير إلى يوم ليس له انتهاء".

وإذا ربِّي الناس على الزهد قلّ المرابون والمرتشون والمزورون، وبذلك يقل الهدر المالي وعوائق التنمية.

كما تختفي الجرائم الاجتماعية التي سببها التنافس المحموم والتكالب المذموم على المتاع الزائل، ولا يتطاول الحفاة العالة في البنيان، بل يرضون بما رضي به النبي ﷺ، "ثمامٌ وخشيبات وعريش كعريش موسى، والأمر أعجل من ذلك"!

وزعماء الحكومات اليوم يجعلون أكبر أهدافهم هو كسب الشعوب وإرضاء الجماهير، والزهد أفضل باب لذلك، بل لرضا الله الذي هو أعظم، قال ﷺ: (ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس).

ومما يعين على نشر ثقافة الزهد وتربية الأمة عليه، أن المسلمين يصومون شهرا من السنة وجوبا، وكثير منهم يصوم الأيام البيض أو الاثنين والخميس تطوعا، بل إن بعضهم ليتعمد إخفاء صومه، وكذلك كثرة المتصدقين سراً وجهراً.

والزهد له اليوم معاني أخرى، منها التقشف أو الترشيد أو التوفير، وإن لم يزهد الناس طوعا زهدوا كرها، وسلط الله عليهم الظلمة فيضعون المكوس

ويفرضون الضرائب.

وإذا كان للإنسان من الدنيا مركب وخادم فهو ملك، كما جاء في تفسير سورة المائدة، عن ابن عباس، ونقله ابن جرير وابن كثير عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة:٢٠]، وينبغي له أن يستعفف عما في أيدي الناس، وقد قال "كارنيجي": مهما ملكت من الأبنية فإنك لن تنام إلا على سرير واحد، وقد قال أصدق الخلق وأكملهم صلوات الله وسلامه عليه: (من بات آمنا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها).

وقد جاء الروح الأمين إلى الحبيب المصطفى ﷺ فقال له: (يا محمد عش ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزي به، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الخلق).

واشتهر عن السلف الصالح قولهم: "خذ ممن شئت تكن أسيره، واستغن عمن شئت تكن نظيره، وأعط من شئت تكن أميره"، وهذا القول نقله شيخ الإسلام ابن تيمية في "العبودية"، ويشهد له قوله ﷺ: (اقنع بما رزقك الله تكن أغنى الناس).

ومن الزهد قصر الأمل في هذه الدنيا، قال ﷺ: (نجا أول هذه الأمة باليقين والزهد، ويهلك آخرها بالبخل والأمل)، وهذه سنة اجتماعية من خالفها نالته العقوبة وإن أمهله الله، فالنجاة إنما هي في الزهد واليقين، والهلاك إنما يكون بالبخل وطول الأمل، والإنسان لا تنتهي مطالبه، وقد قال أحد السلف: "إن كان ما عندك لا يكفيك فليس في الدنيا شيء يغنيك".

وإنما رضي اليهود بأي حياة لهوانهم على الله، وأقبل المسلمون على الشهادة في سبيل الله لعلمهم أن الشهيد لا يموت، ولما انهزم المسلمون يوم أُحد وأصابتهم المصيبة جزع بعضهم، فأخبرهم الله أن هذا من عند أنفسهم، وأن منهم من يريد الدنيا ومنهم من يريد الآخرة، ولو أرادوا الآخرة كلهم لما حل بهم ما حل، قال عبدالله بن مسعود ﷺ: "ما كنت أظن أن في أصحاب

محمد ﷺ من يريد الدنيا حتى نزلت هذه الآية".

والعاقل لا يكون مقتّرا للمبذِّرين ولا أمينا للخونة، ولا أداة للظلم ويعتذر بقوله "أنا عبد مأمور"، فالعبودية إنما هي لله وحده والأمر له وحده، فلا يصح أمر المخلوق في معصية الخالق، ولا يبيع دينه بدنيا غيره، وأخسر الناس صفقة من باع دينه بدنيا غيره، فهو كما قال ابن القيم مثل الكير الذي ينفخ أضلاعه لينفع غيره، وإن شئت قل هو مثل فقراء اليهود لا دنيا ولا آخرة.

وبعض السلف امتنع عن قبول هدايا الأمراء زهدا وتعففا، والإمام أحمد لم يقبل هدية من المتوكل، مع أن المتوكل أحيا السنة وعرف للإمام قدره، فلما رأى الألم في وجه الرسول الذي جاء بالهدية، أخرج كسراتٍ يابسةً من الخبز وقال: "من كان أكله مثل هذا فما حاجته إلى الدنيا".

وأحد العلماء مد رجله لما زاره الوالي، ولما أعطاه بعض النقود قال: إن الذي يمد رجله لا يمد يده!!

ولما كان من دأبهم التعفف، كان من شأنهم ترك الإسراف في أي شيء حتى في الوضوء والغسل، ولو كان أحدهم على نهر جار أو بحر زخور.

وبعض المترفين اليوم يفتح صنابير الماء ويسافر، وربما ظل مسافرا عدة أشهر، وبعضهم يغسل يديه بالعود!

والسلف الصالح أغناهم الافتقار إلى الله وحده عن طلب الدنيا، بل خافوا منها ورفضوها، وكان أحدهم يرى الدراهم وكأنها حيّات، وسيرهم في ذلك مشهورة، وأزهدهم الصحابة رضي الله عنهم، تأسيا بحياة رسول الله ﷺ الذي اختار العبودية على الملك، ورفض جبال الذهب والفضة، وأمره ربه أن يخيِّر نساءه بين الحياة الدنيا وزينتها وبين اختيار رضا الله ورسوله والدار الآخرة.

وقالت زوجه الصديقة عائشة رضي الله عنها: "إنه ليمر علينا الشهر والشهران ما يوقد في بيتنا نار"، قال الراوي عنها: "فما كان طعامكم؟

قالت: الأسودان التمر والماء".

وكان ﷺ يربط الحجر على بطنه من الجوع كما تقدم، ولما شبع مرة هو وأصحابه قال لهم: لتسئلن عن نعيم هذا اليوم.

وسار صلوات الله عليه ببعض أصحابه للجهاد وكان غذاؤهم تمرة واحدة يوميا، وإذا أخطأها أحدهم فإنه يجد فقدها ويأتي على ذلك بشاهدين!

وغزا أبو عبيدة بجيش من الصحابة وكانت "إدارة التموين والإعاشة" جرابا واحدا من التمر يحمله أبو عبيدة، ويعطي كل فرد في اليوم كله تمرة واحدة، وهذه من الكرامات التي رأيناها اليوم في أبطال غزة لما اعتدى عليهم اليهود.

وقال أبو هريرة ﷺ: "إني لأسأل الرجل عن الآية وأنا أعرف الجواب قبل أن يولد؛ وإنما أريد أن يطعمني شيئا".

ولا نطيل في هذا فهو مشهور لكل طالب علم، والمقصود أن حياته ﷺ وأصحابه لم تكن كحياتنا: رفاهية، وبشوت، وبخور، وعود، ولحوم متنوعة، ولم يكن يسكن في مساكن فخمة ذات أثاث فاخر مثلنا.

والحل الوحيد إنما هو في اتباع سنته وحياته، وسيرة أصحابه والسلف الصالح، وليس في الوعود بمستقبل مشرق ومساكن متوفرة، وقضاء على البطالة والغلاء، ولا بما هو باطل كإلهاء الشعوب بالكرة والفن والمسلسلات والسينما والدياثة والترفيه والسياحة وأمثال ذلك من الملهيات.

فلا وعود فارغة ولا إلهاء، ولا نقرّ الخيانة والاختلاس والسرقة، أو نسمي البلديات أمانات لعلها تترك الرشوة، كما أن مِن استبدال الذي أدنى بالذي هو خير أن نحذِّر من التبذير والإسراف بعبارات غير دينية، تملأ الشوارع والطرق كعبارة "سلوك غير حضاري".

إذن فقد كانت حياته ﷺ كما هو معلوم، وعلى ذلك سار صحابته الكرام.

ثم جاء بعد الصحابة من هو مثلهم، كسيد التابعين سعيد بن المسيب ﷺ، الذي رفض تزويج ابنته من ولي العهد في عصره "الوليد بن عبد الملك"، وزوجها لتلميذه الفقير "أبو وداعة".

وهذا يذكرنا بقصة أم الدرداء لما خطبها معاوية ﷺ بعد موت أبي الدرداء، فرفضت، ويقال إنها كسرت ثنيتها حتى لا يخطبها أحد.

وكان السلف على فقرهم يتعففون عن السؤال حتى أن الجاهل بحالهم يحسبهم أغنياء، وكانوا يؤثرون على أنفسهم مهما يكن بهم من خصاصة، واشتهر عنهم أن الصدقة تدور بينهم حتى تعود إلى المتصدق بها نفسه.

وأحد التابعين وقيل إنه الربيع بن خثيم اشتهى دجاجة مشوية فشوت له امرأته دجاجة، ولما أراد أن يأكلها طرق الباب سائل، فقال لزوجته: أعطيه إياها، فقالت: ألا أدلك على ما هو خير لك وللسائل؟ عندي بضعة دراهم أعطيها السائل وتأكل أنت شهوتك، فقال لها: أحسنت، هات الدراهم فلما أعطته الدراهم، وضعها فوق الدجاجة ودفعها إلى السائل!

وآخر كان يفرح إذا قيل له بالباب سائل، ويقول أهلا بمن يحمل متاعي إلى الجنة، ويهش له ويدنيه منه، ويعطيه أفضل ما عنده، ويقرأ قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران:٩٢].

ولهم في ذلك حكايات طويلة وقصص كثيرة لو ذكرتها لطال المقام جدا، والخلاصة أنهم عرفوا قيمة التجارة مع الله وأنفقوا مما يحبون فنالوا البر وربحوا أعظم الربح، وعملوا بقوله ﷺ لما قيل له تصدقنا بالشاة كلها إلا كذا منها: (بقيت كلها إلا ما أكلتم منها).

ثم استمر ذلك فيمن بعدهم إلى عصرنا هذا، وقد رأيت علماء زهادا في "لاهور" لا يأخذون المال من السلاطين، ولا يعملون لهم أي عمل، وإنما يشرحون كتب السنة أو يكتبون المخطوطات فنعم التجارة.

ومما قد لا ننتبه له أن إيثار الفاني وقبول المال من السلاطين قد يذهب البصيرة، ويقلل الفهم، قال أحد السلف: "كنت أوتيت الفهم في القرآن،

فلما قبلت الصُّرّة ذهبت البصيرة".

وكان السلف زهادا، حتى من كان منهم موسرا، مثل الليث بن سعد وعبدالله بن المبارك، ويثنون على كل زاهد، وينصحون تلاميذهم به، واشتهر من الزهاد أبو حازم الأعرج وصفوان بن سليم، ومحمد بن واسع، ويونس بن عبيد، وداود الطائي، وحبيب الفارسي، والإمام أحمد، والنووي، وعز الدين بن عبد السلام وسائر العلماء والفقهاء الذين يفوقون الحصر، وعلى منهجهم سار شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن رجب وابن كثير.

وجمع المصنفون في الزهد أخبارا كثيرة وكتبوا في ذلك مؤلفات مشهورة، مثل "الزهد" لعبد الله بن المبارك، و"الزهد" للإمام أحمد، و"الزهد" لهناد بن السري و"الزهد" لوكيع بن الجراح، و"الزهد الكبير" للبيهقي.

ومن آتاه الله مالا جعله في سبيل الله وتاجر به مع الله.

فجهز عثمان بن عفان ﷺ جيش العسرة، ولما سمع تجار المدينة أن عثمان ﷺ جاءته بضاعة من الشام، اجتمعوا لديه وأعطوه ربحا مضاعفا، فقال: أُعطيت أكثر من ذلك، فأعطوه الضعفين، فقال: أعطيت أكثر من ذلك، فقالوا ومن أعطاك وإنما نحن تجار المدينة؟ فقال: أعطاني ربي عشرة أضعاف.

وقد كان السلف الصالح زهادا والقاعدة الدائمة عندهم هي النفقة في سبيل الله، ومواساة الفقراء والمحتاجين، وكان من أهداف الموسرين إغناء أهل الآخرة عن أهل الدنيا، وصدق عبد الله بن المبارك رحمه الله الذي كان ذا مال واسع لما قال: "لولا هذا المال لتمندل بنا هؤلاء" يعني السلاطين، وكان الليث بن سعد يبعث المال من مصر إلى الإمام مالك في المدينة، لكي يظل مالك حرا في فتواه، وكان أبو بكر الصديق ذا مال أنفقه كله في سبيل الله، وقال ابن المبارك لبعض العُباد: "لولا أنت وصحبك ما اتجرت".

وبعضهم بلغه أن صفوان بن سليم كان دائم العبادة والتلاوة فقير الحال، فقرر أن يعطيه مالا يكفيه، وقال: أفرِّغ صفوان لعبادة ربه.

وأمر أحد السلاطين رسوله أن يرمي المال إذا لم يقبله منه الزاهد في بيته، ثم إن السلطان بعد سنة غضب على الشيخ وأرسل رسوله ليسترد منه المال بحجة أنه مجرد قرض، فوجد الرسول المال حيث رماه، وقد بنى عليه العنكبوت بيتا.

وأخبارهم في ذلك كثيرة، والمقصود أن زهد السلف، كان زهدا إيجابيا وليس مجرد فقر سلبي، كما كان عند الهندوس ثم عند اليونانيين، ثم انتقل أخيرا إلى أوروبا العصور الوسطى قبل أن تغرق في وحل المادية المعاصرة، وتنقلب من النقيض إلى النقيض.

وعلى هذا الزهد الإيجابي ينبغي تربية الأمة المسلمة، لا على الجشع والطمع والتنافس في الدنيا والاستثمار، وجذب رؤوس الأموال الأجنبية، والحرص على أن يكون المسلمون وكلاء للكفار.

وليحذر المسلمون أن يكون حالهم كحال من قبلهم من الغافلين، الذين قال الله تعالى فيهن: ﴿فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ كَمَا ٱسۡتَمۡتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُم بِخَلَٰقِهِمۡ﴾ [التوبة:٦٩].

وليعلموا أن متاع الدنيا فتنة لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ [التغابن:١٥].

فلا تلهيهم هذه الفتنة عن ذكر الله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩].

فانظر كيف جعل الله تعالى من تشغله دنياه خاسرا، والأمم كلها اليوم تسعى للربح لا للخسارة.

والمؤمن لا يكره لقاء الله، لأنه يعمر دنياه بالعمل الصالح لآخرته التي هي الحيوان والمستقبل، وقد سال هشام بن عبد الملك أبا حازم ما بالنا نكره الموت؟ فقال: لأنكم عمرتم دنياكم وخربتم أخراكم، فتكرهون الانتقال من العمار إلى الخراب"!!

والزهد لا يعني بحال أن يكون المرء مغفّلا، يصدق كل ناعق، والمؤمن يدرس الظواهر الاقتصادية، ويقارن بين كلام العدو والصديق ولا يأخذ رأيه من جهة واحدة فقط كما يفعل الدراويش.

ونحن لا نطالب بالزهد لأن ذلك هو المطلب الشرعي، وإن كان ذلك كافيا وحده، ولكن انظر إلى الواقع الاقتصادي العالمي والمحلي اليوم أيضا.

وأضرب لذلك مثالا واحدا: هو إقدام الشركات الرأسمالية الضخمة كشركة أرامكو على بيع أسهمها مع بقائها مسجّلة في أمريكا قانونيا، ومعلوم أنها أكبر شركة في السعودية بل أكبر شركة نفط في العالم.

وهذا ما يحضرني الآن من أسباب بيع أسهمها للحكومة:

١- أن النفط سلعة ناضبة ولا بد، وهذا ما يتوقعه الخبراء وتعرفه الشركات الأمريكية التي تمتلك أرامكو ومنها شركة "أكسن موبيل" التي يملكها "ريكس تيلرسون" وزير الخارجية الأمريكي حاليا، حيث يبلغ الاحتياطي العراقي حوالي ٤٠٠ مليون برميل بينما يقدر الاحتياطي السعودي بما لا يزيد عن ٣٠٠ مليار، فاحسب كم سيبقى إذا استنزفوه حسب الأرقام المعلنة، وهو عشرة ملايين برميل يوميا، وقد ظهر لي صحة ما توقعه خبراء الطاقة العالميين حين وضع المسؤولون هنا خطة لعصر ما بعد النفط.

٢- أن المصانع والمعامل المباعة أصبحت قديمة مرت عليها عقود وتحتاج إلى تكلفة ضخمة للصيانة والتشغيل والإصلاح، وهذا ما تريد الشركات التخلص من تبعاته.

٣- أن تقديرات من نسميهم الخبراء العالميين تكون غالبا مخطئة إما عن عمد وإما عن جهل، وهم يقدمون الحقيقة إن عرفوها للشركات الاستشارية الغربية، والذين طمأنونا قديما بأن المياه الجوفية سوف تكفي مدينة الرياض ١٢٠ مليون سنة! هم أنفسهم الذين يقولون إن إنتاج النفط سوف يبقى طويلا، وسوف يظهر كذبهم في النفط كما ظهر كذبهم في الماء.

٤- أن أسعار النفط سوف تنخفض حتما ليس لأن طبيعة الأسعار هي

التقلب فقط، بل لأن الأسعار تخضع للأهواء السياسية والمصالح الدولية أكثر من خضوعها للعرض والطلب في السوق، وهكذا لما أراد حلف الناتو إضعاف الاقتصاد الروسي انخفضت الأسعار كثيرا.

٥- أن الشركات العملاقة أصبحت محاربة وتتعرض للعداء المستمر ليس من قبل عمالها فقط، بل أيضا من نمو الفكر القومي والوطني، فتحوُّلها إلى أسماء أخرى وإنتاج آخر كالنفط الصخري مثلا، أو نفط بحر قزوين أو نفط حوض الأمازون أو نفط القارة السمراء، خير لها وأجدى، أما نفط الخليج فيفجرون الأرض بالقنابل النووية لخزنه.

٦- أن العالم يسعى حثيثا نحو إيجاد طاقة بديلة، مثل الطاقة الهوائية والطاقة الشمسية، والطاقة الكهربائية والطاقة النووية، بل استخراج الطاقة حتى من الرمال.

وقد ظلت أمريكا تشتري النفط عقودا بأقل من دولار، وهم يطمحون اليوم أن تكون الدولة الأولى عالميا في إنتاجه، ويفتخرون بذلك، وإنما تحسّن سعر النفط بعد قطعه عن الغرب عام ١٩٧٣م وخوفا من نجاح اتفاقية "أوكسيراب" التي لم تر النور.

ويقول الأمريكان إن النفط العراقي لا يكلف إلا أقل من دولار (٩٧ سنتا) وإن البئر الأمريكية تنتج عشرة براميل في اليوم بخلاف البئر رقم (٧) في الظهران وهي أول بئر استخرجوا منها النفط في المنطقة الشرقية، فإنها تنتج عشرة آلاف برميل في اليوم طوال عقود، ولذلك يرون خزن النفط الخليجي ويحفرون باطن الأرض لتخزينه، ويرون ذلك تصحيحا لخطأ الرب، تعالى الله عما يصفون، ورفضت شركة أرامكو شركتي "أوكسيراب" و"توتال" وحرمت عليهما العمل في السعودية.

ولما اشتد التنافس بين شركة أرامكو الأمريكية، وشركة "توتال" الفرنسية تنازلت أرامكو عن أراض مساحتها آلاف الكيلومترات فنقصت بذلك مساحة المملكة العربية السعودية، وازدادت مساحة اليمن مقابل ألا

تعمل "توتال" في السعودية، وتقتصر على العمل في اليمن.

وكان ينبغي للحكومة السعودية أن ترفض التنازل عن أي أرض لعلي عبد الله صالح بما في باطنها من نفط، وما عليها من منشآت ومهابط، وينبغي أن تتكلم شركة أرامكو بالعربية كما كانت "سمارك" وإلا فليست سعودية.

ومن العجيب أنه بعد ذلك ضموا لأرامكو مشروع مجاري جدة، وبعد أن اجتاحتها السيول أعطتها البلدية مشروع تصريف السيول.

٧- أن الاقتصاد العالمي في مرحلة تحوّل تدريجي من الاقتصاد الذي يتطلب رأس مال كبير "رأسمالي" إلى الاقتصاد المشخّص، الذي يعتمد أساسا على الفكرة والإبداع والتجربة، وأصبح الكمبيوتر الصغير يؤدي عملا ضخما ربما عجزت عنه المصانع الكبيرة، حتى التجارب النووية اصبحوا يجروها بطريق الكمبيوتر.

٨- أن الرأسمالية نفسها بدأت تفكك نفسها بتدرج، وتنتقل من مرحلة المصانع الضخمة إلى مرحلة الصناعة الفردية الصغيرة، بل إن المجاهدين في بلاد الشام ليكررون النفط بوسائل فردية بدائية.

٩- أن الرأسماليين في الحقيقة لن يخسروا شيئا، فالعبودية التي مني بها الجهلة سوف تبقى، وسوف يتحول المالكون الكبار إلى خبراء ومستشارين بمرتبات عالية، وقد يكون معها نسبة مقررة من الأرباح، وكل ذلك يتحمله المستهلكون، وبذلك تجمع الشركات بين أسهمها السابقة وبين ما يدفعه المشترون، وهكذا أصبحت إدارة الشركة في الواقع بيد المجلس المكون من الأمريكان، وبمرتبات وامتيازات عالية، وأصبح السعوديون خاضعين لمشورة الخبراء الأمريكان ومنفذين لسياساتهم.

١٠- أن إرضاء غرور الحكومات والشعوب المغفلة، يقتضي ظاهرا انتقال ملكية الشركة إلى أولئك الذين سوف يفخرون بأن ما كان أجنبيا في الماضي أصبح اليوم وطنيا مملوكا بالكامل للدولة، وإنما يشتري المغفلون أسهمها مع بقاء الشركة قانونياً على حالها.

١١- التخلص من قرارات مؤتمرات المناخ والبيئة والأحزاب الخضر حيث يطالب الجميع بتخفيض مخلفات المصانع السامة، ويتهمون بذلك المصانع الضخمة، وينشئون النقابات والجمعيات لحماية البيئة ونظافتها أو للصداقة معها كما يقولون، ويفرضون ذلك بقوة القانون، ويعزون إليه ذوبان الثلوج في القطب، وارتفاع منسوب المياه في البحار، والاحتباس الحراري، وانكماش طبقة الأوزون وأمثال ذلك من المخاطر الكونية التي يسمونها "الانتحار البيئي"، ويرجعون كل ذلك إلى سبب رئيس، هو ما تنتجه المصانع الكبيرة من المخلفات البتروكيماوية، ومن اللهب والسموم والدخان والكربون والإكسيدات القاتلة، وأمثال ذلك مما يؤدي إلى تدمير البيئة وتلف الأشجار، وانتشار الأمراض الفتاكة كالسرطان، وتلوث المياه.

١٢- إلقاء المسؤولية كاملة على كاهل الدول المنتجة ونجاة الشركات من التبعات الواقعة والمحتملة من حرائق وغيرها.

١٣- النمو المطرد في إنتاج ما هو أصغر وأخف وأذكى، فبعد ان كانت الكمبيوترات القديمة تتطلب مساحات تقدر بمئات الأمتار المربعة أصبح في إمكان الطفل أن يحمل كمبيوتره الشخصي الذي هو أسرع وأذكى، وأصبح الجوال يحتوي على آلة حاسبة وكاميرا وهاتف وكمبيوتر وربما غير ذلك.

ولذلك وغيره أقدم آل "روكفلر" على بيع أسهم شركتهم "أرامكو" والاستثمار في أسهم أخرى!

وهكذا يتقدم العقل البشري وينتقل من التصنيع الثقيل إلى الإنتاج الخفيف، ويستبق الرأسماليون ذلك ببيع حصصهم على السذج، ويتحولون إلى أعمال فردية أخرى أجدى لهم وأنفع، وما على الشعوب الفاسقة إلا التهيؤ لهذا الرق الجديد، وصدق من قال من السلف: "من أراد الدنيا فليتهيأ للذل".

والأمريكان يريدوننا أن نكون على ما كانوا هم عليه قبل عقود من

إنشاء مصانع ضخمة تتطلب مساحات كبيرة، وموظفين كثر، وتعقيدات آلية كثيرة، بينما ينصرفون هم للتصنيع الخفيف، وينافسون فيه اليابان وكوريا والصين وغيرها، ونحن لشدة حاجتنا إلى الصناعة ولكثرة العاطلين عن العمل نرضى بكثرة الوظائف وننسى البطالة المقنعة.

وقد حققت أرامكو بعد سعودها ما كانت تبغي قبل السعودة ومن ذلك:

١- استولت على الشركات الوطنية مثل "سمارك" التي كانت وطنية عربية اللغة.

٢- قضت نهائيا على فكرة "أن نفط العرب في خدمة قضيتهم"، وهو شعار رفعه القوميون واختفى من السياسة السعودية منذ مقتل الملك فيصل، وأسعار النفط إنما تحسنت نسبيا بعد حظر تصدير النفط.

٣- أصبحت بعد السعودة لها مشروعات أخرى غير النفط، ومن ذلك مشروع تصريف مياه جدة!

وهكذا يبني أحفاد "روتشيلد" ومن اتبعهم للمسلمين مصانع ضخمة في الجبيل وينبع وغيرها، بينما يتجهون هم إلى التصنيع الخفيف وينافسون في إنتاج ما هو صغير، ويكيد لنا أهل الكتاب كيدا تزول منه الجبال، ويشيرون علينا بالخروج من مأزق لكي نقع في مأزق أكبر منه.

وإنما الحق على من يثق في كلامهم، ويستشيرهم، ويسند إليهم أمره، ويفخر أن الشيء الفلاني نفذته شركة أجنبية.

ومن جعل الغراب له دليلا   يمر به على جيف الكلاب

وهؤلاء الذين نسميهم خبراء ونظن أن لهم عقولا أفضل من العقول المسلمة، إنما يردون بضاعتنا إلينا ويأخذون أفكارهم منا ويطلعون على ما تكتبه لجاننا وينتقون منه ما يشاءون، ويقبضون الملايين من الدولارات.

هذا مثال واحد وعليك القياس.

ومن الخروج من مصيبة بالوقوع في أكبر منها أن نعمد إلى تخصيص

القطاع النفطي كي تخف المشكلة الاقتصادية، كما نظره بعضهم، علما بأن المتنفذين واثقون في أن الذين سوف تخصص لهم الشركة سوف يعطونهم، وإذا كانوا لا يملكون ذلك كليا فسوف ينهبون ما لدى الهوامير الذين يرضون بنصيب من الثروة وهم يفوزون بالنصيب الأكبر، ولولا ثقة هؤلاء أن الذهب سيؤول إليهم لما باعوا الإوزة التي تبيض كل يوم ذهبا، والناقة التي تعطيهم حليب الخلفات مجانا.

والحل الوحيد للخروج من هذه المآزق هو التوكل على الله وأن نضع أنفسنا موضع المنافس، والاعتماد بعد الله على الذات ونشر ثقافة الزهد، وتبيان حقارة الدنيا وفنائها وسرعة انقضائها، واليقين بأن الموت قادم والجزاء حق، وأنه من يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب.

كما أنه ليس الحل محصورا في ترشيد الإنفاق أو تنويع مصادر الدخل، لا سيما استغلال المعادن الأخرى، فتكفينا مأساة النفط عن مأساة غيره، ولا هو في تخصيص ما تملكه الدولة، فكل ذلك تنظيم فوقي وقد لا يلتزم به أحد، وهو يجعل المال دولة بين ألأغنياء منا، أما الزهد فهو مع الاحتساب والصبر أمر طوعي شعبي عام يشمل كبار القوم وصغارهم، والأقوياء والضعفاء والأغنياء والفقراء.

وليس الحل هو تغيير الوزراء أو الوزارات وفق الطريقة الغربية القائلة: إذا أرغموك على تغيير اللعبة فغيّر اللاعبين، بل لا بد من التغيير الشامل التوبة والزهد، الذي به يتم تحويل المجتمع من الاستيراد والاستهلاك والتبذير والإسراف، فيكون الترشيد والتقشف طوعيا اختياريا عاما، ويرضى الناس بالدخل وإن قلّ ويندفعون للعمل.

وبالزهد نستغني عن الشركات اليهودية التي ترتدي ثوبا أمريكيا وبه نحافظ على ثروات المسلمين، ونكتفي شر الغش الغربي، ونتجنب الغلاء الفاحش الذي يمارسونه علينا، وقد نشروا في أمريكا أن الشركات الأمريكية تشتري الحليب من كمبوديا وتبيعه بسبعة أضعاف التكلفة، فبكم يبيعون

للدول النفطية بضائعهم؟

والعودة للطريق الصحيح خير من الإمعان في طريق الخطأ والضلال، كما ينبغي مراعاة مصلحة المنتجين وليس المستهلكين، ومن مراعاة المستهلكين أن يباع لهم النفط خاما، ويشتري المنتجون البترين، كما اعترفت بذلك أرامكو نفسها، وأعلنته في جريدتها، لكنها وعدت بأن ينتهي ذلك بحلول عام ٢٠١٨ كما قالت، فما علينا إلا أن ننتظر وتتقاذفنا الوعود!

ولا ريب أننا اليوم في مخاض شديد، غير أن ذلك إنما هو من عند أنفسنا وبذنوبنا، ومنها حبنا للدنيا وبما كسبت أيدينا، فلا بد أن نغير ما بأنفسنا لكي يغير الله ما بنا، ومن رحمة الله تعالى أنه أعطانا سلاحا لا يملكه عدو لا إسرائيل ولا الغرب كله، وهو سلاح الدعاء، وتلك القوة التي لا يملكها أحد وهي قوة الإيمان، والمخزون الاستراتيجي وهو حب الشهادة.

ولا نقول كما قال ابن عطاء: "سؤالك إياه اتهام له"، ولا كما يقول أهل التصوف "لا فائدة من الدعاء فالقدر مكتوب"، ولا كما يقول بعض العامة "علمه بحالي يغني عن سؤالي"، بل نتوسل إليه سبحانه وندعوه تضرعا وخيفة ونوقن أنه لا يبرم بإلحاح الملحّين وكثرة السائلين، وهو تعالى أمرنا بالدعاء في كتابه المجيد، وعلى لسان رسوله الأمين ﷺ.

وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه مؤمنا كان أو كافرا، وإليه يفزع المكروبون وبه يستغيث المستغيثون، والتوحيد هو مفزع أوليائه من الأنبياء كما هو مفزع أعدائه حال الشدة، فانظر كيف دعاه نوح وهود وخليل الرحمن إبراهيم، ودعاه ذو النون وزكريا وداود وأيوب وخير الخلق محمد ﷺ لا سيما يوم بدر.

وهو تعالى حييّ كريم يستحيي أن يمد العبد له يديه فيردهما صفرا.

وإليه تضرّع الصحابة الكرام في القادسية واليرموك وغيرها، وكذلك كل السلف الصالح والأئمة الكرام، وإنما يأتي الفرج منه وحده حين اليأس من الناس وانقطاع الرجاء من الخلق، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية بجواب

طويل ليس هذا موضعه، وقد بيَّن ابن القيم أن التوحيد هو مفزع أوليائه وأعدائه، ولو أنه لا يستجيب إلا لأوليائه فمن رب أعدائه؟ ومن الذي يرزقهم ويجود عليهم بالنعم؟ ولما قال خليله إبراهيم ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة:١٢٦] قال: ﴿وَمَن كَفَرَ﴾، فعلينا إذن أن ندعوه ونوحده ونتدبر كتابه، ونغير ما بأنفسنا من حب الدنيا وكراهية الموت إلى حب الجهاد والاستشهاد، ومن عبادة الدرهم والدينار إلى عبادة الله وحده، ومن سياسة استجداء دول الكفر، إلى الإعداد الذي أمرنا الله به، وهو سبحانه لم يكلفنا أن نعد لهم ما يوازي عُدتهم، وإنما أمرنا أن نعد ما استطعنا فقط، ولا نقنط من رحمة الله ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا لحظة واحدة، وهذا مجمع حل كل المشكلات.

وبالجهاد والزهد نستطيع مقاومة ما أسماه الفيلسوف الاجتماعي الألماني "هابرماس" (استعمار الحياة)، وهو أحدث ما تفتقت عنه العقلية اليهودية من أنواع الاستعمار، ونتخلص من المستعمر السري الذي ذكر عبد الله البردوني.

ورغم ضعفنا الحالي يجب أن نتحسس مواضع قوتنا وهي كثيرة، وهو سبحانه على كل شيء قدير، وقد قلت لبعض الإخوة في صنعاء أنتم أقوى من أمريكا، وقابلت هنا من أخبرني من شيوخ القبائل في اليمن أنه يجير مطلوبين من أمريكا وسمى لي بعضهم ممن أعرفه، وقل مثل هذا في بلاد أخرى.

وكان السلف الصالح ينظرون إلى النصف المملوء من الكأس، ويحمدون الله على ما أولاهم من النعم، حتى أن محمد بن واسع لما خرجت له في وجهه قرحة، قال لمن حزن لذلك من جلسائه: (أتدري كم لله علي من نعمة في هذه القرحة إذ لم يجعلها في لساني و لم يجعلها في طرف ذكري)، وذكر أشياء أخرى، فهكذا يكون الرضا عن الله، والإيمان بأقداره على العبد، دون إقرار الظلم والمنكرات.

ونحن بعقيدة أهل السنة والجماعة نستطيع مواجهة حرب الأفكار التي

تخطط لها أمريكا ومراكزها البحثية وخزانات فكرها، وهي الحرب الخبيثة التي دعا إليها المجرم "رامسفيلد"، بعد أن عاين قوة العشائر العراقية.

وبالزهد في الدنيا والتمسك بكتاب الله نقتدي بخير الخلق بعد الأنبياء، وهم أصحاب رسول الله ﷺ، فقد جاء بعض الصحابة رضي الله عنهم إلى النبي ﷺ ليقطعه معدنا في أرض قومه، فلما سمع النبي ﷺ يقرأ: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:١] عاد و لم يطلب منه شيئا.

والصحابة رضي الله عنهم فتحوا العالم المتحضر في ثلاثين سنة أو أقل، وإنما كان أشجعهم أزهدهم، حتى أن من أنفق بعض ماله مثل خالد بن الوليد إنما أراد به أن يكسب بعض الأعداء أو يرهبهم.

كما أننا بالجهاد نوحد الأمة ونهزم قوى الكفر مهما تكالبت علينا، وبتأييد الانتفاضة المباركة في الأرض المحتلة نستطيع محاربة اليهود ومن يؤيدهم من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين، وقد ذكر الله تعالى في كتابه كيف أنه حرّم على بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة، وكتب عليهم التيه لما نكلوا عن الجهاد في سبيله، وكثير منا اليوم يريدون أن نترك الجهاد وسنة الله أن لكل ذنب عقوبة ولا بد، وقد قال رسول الله ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم بأذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم).

فهكذا يكون ترك الجهاد تركا للدين، وهم اليوم لم يتركوه فقط، بل ألغوه واتهموا من يطالب به بالإرهاب والعنف، ونشروا ما يسمى ثقافة السلام وجعلونا نتعلق بوهم المفاوضات!

وبعض الصحابة الكرام جاءه رجل يعرض عليه بعض أرض أقطعها إياه النبي ﷺ، فقال له: "بارك الله لك في أرضك، لا حاجة لي فيها، فقد نزلت اليوم آية أذهلتنا عن كل شيء"، فهكذا عرف القوم عظمة كتاب الله ووعده ووعيده وتخويفاته الكثيرة، وينبغي لنا أن نعرف ذلك أيضا.

ولكي نعرف عظمة كتاب الله ينبغي أن نعرف عظمة من أنزله تبارك

وتعالى، ومن أراد أن يقدر الله حق قدره فلينظر إلى مخلوقاته العظيمة ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، ولينظر إلى نفسه ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

وهكذا يعظم في عين المرء كل أحد، بقدر ما يعلم من شأنه وصفته، وفي مقابل ذلك تصغر الدنيا وأهلها وأثرياؤها.

والواحد منا إذا قيل له إن الذي ألف كتاب كذا هو العالم الفلاني صاحب الصفات التي منها كذا وكذا زاد في تعظيم ذلك الكتاب وحرص عليه، فكيف بالكبير المتعال سبحانه الحكيم! وإذا قيل لك إن جارك عالم نووي كبير عظم قدره في عينك!

فمتى نرفع رؤوسنا إلى السماء ونتفكر في خلق الله بدلا من الانهماك في هذه الدنيا الفانية حتى يفاجئنا الموت، وإنما يسترخص المرء نفسه في سبيل الله إذا عرف صفاته حقا، وعرف عظمته تعالى مع معرفته لحقارة نفسه.

فانظر مثلا إلى عظمة السموات والأرض وتفكر في خلق الله لكي تعرف حقارة نفسك وصغرها أمام قوة الله، يقول الفلكيون: إن أرضنا هذه إنما هي جرم صغير في مجرة درب التبانة، والأرض أصغر من الشمس بكثير كما ذكر علماؤنا من قبل، والشمس ومجموعتها كلها ما هي إلا جزء ضئيل من المجرة، وقد أطلقت وكالة "ناسا" الفضائية في أمريكا مسبارا إلى أحد كواكب هذه المجموعة الشمسية "بلوتو"، فاستمر بسرعته المذهلة مدة عشر سنوات مات خلالها بعض العلماء الذين أطلقوه، لكي يصل إلى بلوتو، أما المسبار الذي أطلقوه إلى المريخ فاستغرق ٢٠ عاما، ويقول الفلكيون إن المجرة التي تلي مجرتنا تبعد عنا بملايين السنين الضوئية وربما بمليارات، علما بأن الضوء سرعته ثلاثمائة ألف كيلو في الثانية، وأن عدد المجرات يفوق الخيال البشري، وهذا كله في حدود السماء الدنيا، فكيف بالسموات السبع، فكيف بالكرسي الذي السموات السبع فيه كسبعة دراهم ملقاة في ترس، فكيف بالعرش العظيم الذي لا يعلم حقيقة عظمته إلا من خلقه، فكيف بمن

استوى على العرش الذي هو أعظم منه سبحانه وتعالى، وإذا تأمل الإنسان ذلك علم عظمة الله، وأنه لا يحق له وهو الظلوم الجهول، أن يعترض على كتاب الله ويتمرد على شرعه، ويقول لماذا حرم الله الربا ولماذا أمر بالحجاب، ولماذا قسم الميراث هكذا؟

وانظر كيف ترتد التلسكوبات الضخمة خاسئة وهي حسيرة، وكيف يكل العقل البشري عن تصور هذا الكون العظيم، وكيف تعجز المجاهر الدقيقة التي تكبر كل شيء، عن معرفة حقيقة الذرّة، وربما لو تفكر الإنسان في أي شيء لما استطاع الصمود له فلا يجد حيلة إلا بالانتحار إما رهبة وإما يأسا.

وقد تردى رجل من شاهق لما سمع آية في كتاب الله وقال إن شأن الله لعظيم، وقد ذكر قصته ابن كثير وغيره، وربما تردى آخرون ونحن لا نعلم، وكل ما نعلمه عن الملحدين هو ما تنضح به آثارهم ووصاياهم من اليأس والقلق مثل إسماعيل أدهم المصري الذي ألقى بنفسه في البحر، ومثل بن لافي الذي تردى من عقبة الباحة (وقد كان سكرتيراً لتحرير مجلة اقرأ).

وبعض العلماء تضعف قواهم فيموتون أو يغمى عليهم، كما كان زرارة بن أوفى عندما أمّ الناس وقرأ سورة المدثر، فلما قرأ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدَّثر:٨] سقط ميتا، وكذلك غيره من السلف، وبعضهم قال "وما يؤمنني أن يأتيني الله من حيث لا أحتسب"، وسيد العابدين وإمام المتقين ﷺ لما قيل له شبت يا رسول الله قال: (شيبتني هود وأخواتها)، وقد جاء في بعض الروايات الصحيحة أن أخوات هود هي (الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت).

وقد بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن الصحابة لم يكونوا يموتون أو يغشى عليهم، لأن الوارد عليهم يجد محلا قويا، فكانوا يكتفون بهديه ﷺ، وهو أن يكون لصدر أحدهم أزيز كأزيز المرجل، وبذلك كانوا يعلمون حقارة الدنيا ويعرفون عظمة الله ويتدبرون كتابه ويندفعون لقتال أعدائه.

هذا في الكون، أما النفس البشرية فهي أعجب، فالإنسان يتحدث عن روحه وعقله، ويؤمن بهما وهو يجهلهما.

وقد فرّق "كينان" بين المخ "الدماغ" والعقل فقال: إن الإنسان قد يعلم شيئا عن المخ، ولكنه لا يعلم شيئا عن العقل.

وقد كان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي يجزم بأن عقل الإنسان في قلبه إذْ لم يجد في القرآن آية تدل على قول الفلاسفة إن العقل في الرأس!

أما الروح فلا نعلم عنها شيئا قط ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء:٨٥].

ويقول "كريسي موريسون": "إننا لو أردنا أن نصنع آلة تقوم بعمل الكبد لاحتجنا إلى ١٥٠ كم٢".

وهذه الكِلية التي مثل التمرة يستطيع الأطباء غسلها أو وضع كلية بشرية محلها، ولكنهم لا يستطيعون صنع مثلها، وقل مثل ذلك عن القلب، إذ قد يستطيعون زراعة قلب مكانه بعناء لكنهم لا يستطيعون صنع قلب مثله.

وقد حاولوا صنع عين مثل عين الإنسان فعجزوا حتى لم يعودوا يفكرون في ذلك، ولما لفوا أدق ما عرفوا من الخيوط كعدد لفات العين البشرية خرج لهم كتلة ضخمة أكبر من العين بكثير.

وهكذا خرس كل العلماء، وأصبح ضربا من الجنون أن يقول أحد كما قال عالم الأجنة "هيكل" زميل "داروين" "لو أعطيت وقتا ومواد كيمائية لصنعت إنسانا"، بل إن الله تعالى قال لهم فليخلقوا ذبابا أو شعيرة، فالمسافة بين الحيوان والجماد هائلة جدا لا يستطيع العلم البشري اجتيازها.

فما أعظم علم الله وما أقل علم المخلوقين، وصدق الله ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [البقرة: ٨٣].

ولا يزال بعض الفيتامينات مجهولا، والعلم الحديث يعجز عن علاج بعض الأمراض عجزا يعترفون به، ويقولون ليس عندنا له دواء، وبعض

الأوبئة ليس له عندهم لقاح، وبعض اللقاحات لا يزال تحت التجربة.

والإنسان صعد في السماء فكلّ بصره واعترف بجهله، وسفل إلى الذرة فتاه وعجز عن معرفتها كاملة، حتى إن أحد العلماء قال عن الاكتشافات العلمية نحن مثل الذي يرى بابا فيفتحه ليرى خلفه مدينة مجهولة.

وقال "ألبرت آينشتاين": "إن أكثر شيء استعصاء في هذا الكون على الفهم، أنه كون مفهوم"، والله تعالى رحمة منه، وإقامة للحجة، جعل الدليل محسوسا مشاهدا للأمي وللعالم الكبير كلٌّ بحسبه فقال: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية:١٧] الآيات، وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق:٥] الآيات، وقال: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ﴾ [ق:٦] الآية.

وهكذا في إمكان البدوي الجاهل أن ينظر في بعيره وأن يتأمل في نفسه، وأن ينظر إلى النجوم فيعتبر ويتعظ، وليس من شرطه أن يكون عالما بالأحياء أو الفيزياء، قال الشاعر:

وفي كل شيء له آية   تدل على أنه واحد

فلا يحتاج الإنسان أن ينظر في العالم العلوي والعالم السفلي مرة واحدة على الأقل لكي يؤمن كما يزعم المتكلمون، ولا إلى أن يشك لكي ينظر كما زعم الفلاسفة والمعتزلة وديكارت، ولا أن يقول حسبي أن أكون لا أدريا كما قال "تشالز داروين".

ومع اشتهار الصحابة الكرام بالزهد كان زهدهم متفاوتا ومختلفا، فقد كمل زهد أبي بكر وعمر في المال والمنصب، وكمل زهد عثمان في المنصب، كما كمل زهد عليٌّ في المال.

والحسن بن علي لما تنازل لمعاوية رضي الله عنهما كتب إليه كتابا فيه "وإن أدري لعله فتنة لكم ومتاع إلى حين".

وكان بعض الصحابة يتصدق ببعض ماله وبعضهم يتصدق بماله كله.

والعجيب أن المال قد يكون سببا في الإضلال عن الحق، كما قال تعالى عن عبده موسى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا

لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس:٨٨].

وقد يكون الغنى سببا في طغيان صاحبه، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧]، وربما دفعه ذلك لهمز الدعاة ولمزهم واتهامهم بالباطل، قال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ ١ ٱلَّذِي جَمَعَ مَالٗا وَعَدَّدَهُۥ﴾ [الهمزة: ١-٢]، وقال عن أبي لهب: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:٢]، وقال عن الوليد بن المغيرة: ﴿ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ١١ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا﴾ [المدثر: ١١-١٢]، وقال: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٖ وَبَنِينَ﴾ [القلم:١٤]، وقبل عقود قال الرئيس الأعلى للدولة هنا "إنه لا يوجد سعودي لا يملك مليون ريال"، ووفقا للنمو المطرد يكون المليون قد تضاعف الآن فوصل إلى ملايين فاحذف منها الكثير وخذ الأقل، فهذا يعني أن كل سعودي اليوم يملك مليونين، فماذا يقول المواطنون السعوديون عن هذا الرقم؟

ومهما بلغت الرفاهية المادية فإن أمدها محدود، فهي مجرد زينة ظاهرة وشهوة عابرة، قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ ٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ٢٠٦ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

وقال: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ..﴾ [آل عمران: ١٤].

وقل مثل ذلك في الأبراج والشقق والعمارات!

وقد ذكر الله النهاية الحتمية لهذه الزينة في سورة الكهف إذ قال: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيۡهَا صَعِيدٗا جُرُزًا﴾ [الكهف: ٧-٨].

وقال فيها أيضا: ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا﴾ [الكهف:٤٦]، أي أن ذكر الله خير من كل زينة وثروة.

والنبي ﷺ وهو الذي وصفه ربه بأنه بالمؤمنين رءوف رحيم، لم يخَف

علينا من الفقر، وإنما خاف أن تفتح علينا الدنيا فنتنافسها فتهلكنا.

قال ﷺ: (والله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم).

هذا والتنافس بين المنتجين من مصلحة المستهلك، وتطمح إليه الرؤية المستقبلية للسعودية بعد انخفاض أسعار النفط، ولكن المؤمنين لهم رؤية خاصة تنحصر في الإيمان بالله ومعرفة حقيقة الدنيا.

وبالرغم من أن قول المحللين الاقتصاديين إن التنافس بين المنتجين يوفر للمستهلك أكثر، نقول هبوا أن ذلك صحيح، فأين هذا التنافس في ظل الشركات الاحتكارية التي تصنّع بنفسها كل ما تحتاج إليه، وتملك المليارات وتقضي على الشركات الأقل منها، فهل ترضى شركة عملاقة للنفط أن تنافسها شركة أخرى؟ ألم تسيطر "أرامكو" على شركة "سمارك" وغيرها سيطرة تامة؟

وهل نستطيع شراء البترين بغير السعر الذي تقترحه أرامكو؟ ثم تصدر به الأوامر من الجهات العليا؟

والحر لا ينخدع بالدعايات ولا يصدق ما تردده بعض وسائل الإعلام التي هي مكر الليل والنهار اليوم، فقد أعطاه الله عقلا وأعطاه مجالا واسعا في الفضاء الإعلامي، ولا ينظر إلى جانب من الحقيقة وينسى بقية الجوانب:

فالسعودية مثلا أكثر انتاجا للبترول ولكن الاحتياطي العراقي للنفط أكثر، كما أن قطر أكثر من السعودية في انتاج الغاز وإيران أيضا أكثر منها في الغاز، والعالم اليوم يتحول إلى الطاقة الغازية هربا من الطاقة النفطية، وكثير من دول العالم أكثر من السعودية في الماء بل إن فيها أنهارا جارية، كما أن السعودية ليس فيها قطن ولا كاكاو ولا بن، وهي تستورد غذاءها كالرز والقمح والذرة والعدس والفول والفواكه، وإنما يقوم الاقتصاد السعودي على النفط وعلى الضرائب، فلا تنخدع بما يقال في بعض البرامج

الفضائية، وقد جربنا تجارة الأسهم من قبل، فحلت الخسارة بأكثر الناس، ولذلك وضعوا بديلا له هو السياحة، فإذا استيقن المسلم من أوضاعنا الاقتصادية، علم أنه لا مخرج من ذلك إلا بالاستغفار وبالتقلل من الدنيا، وهذا هو الاستعداد الحقيقي للمستقبل.

والدنيا تفرّق ولا تجمّع، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣].

والالتزام بأمر الله مع الثقة فيه يرفع عنا الفقر، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَاۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [التوبة: ٢٨].

وهكذا أينما اتجهنا نصطدم بجدران سميكة تعيدنا إلى الطريق الصحيح لو أردناه، وهو طريق الإيمان والزهد.

فالإيمان بالله وتدبر كتابه حق التدبر، والزهد في الدنيا، واليقين بالبعث هو المخرج من هذه الأزمة الخانقة والمكر الغربي المستمر، وليس بمنع العمل الخيري ومراقبة الحسابات وتنويع مصادر الدخل.

ومن أولى الناس بالوعظ اليوم المترفون، الذين تكاد التخمة تهلكهم والسمنة تعوقهم، مع أن العالم اليوم يعاني من المجاعة التي تفتك بكثير من الدول لا سيما المسلمون حسب إحصائيات الأمم المحتدة، وقد قال فرعها (الفاو) إن من يموت سنويا بسبب الجوع يبلغ الملايين من الأطفال وحدهم، فأين القوم من التوجيهات النبوية الكريمة ليس بشأن الإنسان فحسب، بل بشأن الحيوان وحثه على الصدقة، وكيف أنه تعالى جعل العقبة هي فك الرقبة أو إطعام المسكين وقت المجاعة، وكيف أنه قبْل أن يؤمر المسلمون بالجهاد أنزل الله قوله ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان: ٩]، وكيف أثنى رسول الله ﷺ على الأشعريين الذين إذ أرملوا جمعوا متاعهم فاقتسموه بينهم بالسوية، ونفى الإيمان عمن يبات شبعان وجاره جائع.

ودول العالم اليوم عكس هذه الأوامر الحكيمة والتوجيهات الكريمة، إذ يلقي فائض الغذاء في البحر محافظة على السعر، ومن أشد هؤلاء الولايات المتحدة التي ترمي فائض الحبوب، ودول شمال أوروبا التي ترمي فائض الحليب، والبرازيل التي ترمي فائض البن وغيرها.

وكان الصحابة رضي الله عنهم يعرفون قدر الدنيا، ويخشى من فتح الله عليه من الدنيا أن تكون حسناته عجّلت إليه، ويتذكرون حال من مات وأنه لم يبلغ مبلغهم من الدنيا فيغبطونه على ذلك.

روى الشيخان عن خباب بن الأرت ﷺ قصة استشهاد مصعب بن عمير، ورواها البخاري عن عبدالرحمن بن عوف أيضا، كما روى ذلك بعض أصحاب السنة.

وقد ذكروا النعيم الذي كان مصعب بن عمير يتقلب في أعطافه في مكة قبل أن يسلم، ومع ذلك آثر الفقر والضنك وجلف المعيشة مع الإسلام على نعيم الدنيا مع الشرك، وهاجر إلى الحبشة والمدينة واستشهد بأحد.

وذكر الترمذي أن النبي ﷺ بكى لما رأى حاله في المدينة، وتذكر ما كان فيه من النعيم قبل إسلامه.

وكل الروايات في شأنه تذكر أنه لما مات يوم أحد لم يجدوا له كفنا، وكان عليه نمرة غليظة إن غطوا بها رأسه بدت رجلاه، وإن غطوا بها رجليه بدا رأسه، فأمر النبي ﷺ أن يغطوا بها رأسه، وأن يغطوا رجليه بشيء من النبات.

وفي وراية عبدالرحمن بن عوف ﷺ أن عبدالرحمن كان صائما، ولما ذكر قصة معصب بكى وخشي أن تكون حسناته عجلت إليه وترك الطعام.

وفيها زيادة مع ذكر مصعب ذكر حمزة أيضا وقال ابن عوف عن كل منهما: (وهو خير مني).

والحديث هنا عن خباب وعبدالرحمن بن عوف يؤكد نفس الحديث عن عتبة بن غزوان، وفيه قول عتبة "وما منا اليوم إلا من هو امير على مصر

من الأمصار".

وهذه الإمارة هي من الثمرة التي أينعت فصاحبها يهدها، كما في حديث خباب وعبدالرحمن رضي الله عنهما.

وفي كل تقدم علمي وبحث تجريبي، ما يثبت أن الزهد والتواضع حتى في هذه الدنيا خير من الكبر والتعالي والغرور، وأن ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم هو الأفضل حقا وصدقا، وعلى ذلك تدل الشواهد والدلائل.

فأقل الناس تأثرا بالزلازل هم أصحاب العشش والصنادق، وأكثرهم تضررا هم أصحاب الأبراج العالية.

كما أن أقل الناس سمنة وبدانة هم الذين لا يأكلون حتى يشبعوا، وأفضل دواء للزكام (الرشح) وللسعال (الكحة) هو الماء.

وأفضل دواء لهشاشة العظام هو الدخن وحب الرشاد، وخير دواء لعلاج السرطان هو حليب الإبل وأبوالها، وأفضل طريقة لصيانة المسالك ونقاء المعدة من السموم هي شرب الماء العادي صباحا.

والطريقة الأفضل لجلب السعادة هي الصلاة، وأفضل طهور للفم هو السواك، وأفضل طريقة لتجنب أمراض الروماتيزم هي المشي حافيا، وأفضل طرية للتأمل هي الخشوع، وأفضل طريقة لمنع السحر والحسد وتلبس الجن هي الذكر، وعموما من اتبع هدي الله لا يضل ولا يشقى.

فسبحان الحكيم العليم الذي جعل ما يراه الناس لا قيمة له ولا أهمية له هو المهم حقا، وهدى الخلق للتي هو أقوم.

ويبدأ المخرج والزهد الإيجابي: بالتوعية الإيمانية العقدية الدائبة، وبمقاطعة منتجات كل دولة تنتشر فيها الإسلاموفوبيا، مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وهولندا والدانمارك، وكذا التربية الجهادية بتجنيد الشباب وإعطائهم الرواتب بدلا من انشغالهم بالكرة والسينما والحفلات والآثار، كما يجب أن نكون على علم بما يدور حولنا وترك السذاجة والغفلة، وتصديق كل ما نسمع، ونعلم أن العالم مليء بالمؤامرات والكيد والفلسفات المتناقضة

والخداع، وهمّ أكثر الخلق الكسب المادي بأي وسيلة.

ويجب مساعدة إخواننا في فلسطين والحديث المستمر عن جرائم المستوطنين واعتداءاتهم وحكم الإخراج من الديار ظلما وعدوانا وهكذا.. وكذلك تخلف أمريكا، فالحل لدينا وبأيدينا لو أردنا فمتى نريد؟

وبلغ من شدة حساسية السلف أنهم يحملون كل كلمة يسمعونها وكأنهم هم المقصودون بها، حتى أن أحدهم سمع صاحب عمل يقول لخادمه: "إلى كم تغلط" فحملها على نفسه وجعل الغلط هو المعصية.

وقد بين الله تعالى في كتابه أن تقواه هي السبيل الوحيد للهدى والاستقامة، كما بين ذلك النبي ﷺ والصحابة والوعاظ من السلف.

جاء شاب إلى إبراهيم بن أدهم يشكو إليه أنه لا يستطيع التخلص من المعاصي، فقال له إبراهيم إذا كان لا بد لك أن تعصي الله فلا تأكل من رزقه، فقال الشاب: وكيف أستطيع أن لا آكل من رزقه؟ فقال له إبراهيم إذا كان لا بد لك أن تعصي الله فاخرج من مخلوقاته، فقال الشاب: وأين أخرج وإلى أين أفر، واستمر معه إبراهيم في قصة طويلة ليثبت له أنه من المحال على الإنسان أن يعصي الله، وإنما عليه أن يستغفر وينيب، فسبحان الذي بلغت رحمته إلى حد إنزال هذه الغفلة التي في قلوبنا، ولو ذهبت لما استطعنا البقاء ولا طاب لنا عيش.

ولو كنا نعلم كيف سنموت مثلا لتنغصت حياتنا و لم يقر لنا قرار.

وعاتبت إحداهن امرأة أخرى أثناء الطواف حين سمعتها تقول: "سبحانك! إذ جعلت عقوبة من يعصيك هي النار"، فقالت لها: إنك لا تدرين أين مشت هذه الأقدام من قبل، ولها قصة ذكرها الواعظون ومنهم ابن قدامة في كتاب "التوابون"، ويقول لك الغافلون: "المعيشة الرغيدة، والرفاهية، والرخاء، والوفرة، وتنوع مصادر الدخل وكأننا أمة لا تؤمن باليوم الآخر ولقاء الله، وإنما همنا هو هذه الدنيا فقط ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

لا والله لا حياة طيبة ولا عيشة هنية ولا سعادة إلا في تقوى الله والعمل لما بعد الموت، والتجافي عن دار الغرور، فإذا رضي الله عنك وأدخلك جنته فذلك هو الفوز العظيم، جعلنا الله وإياكم وكل إخواننا المسلمين ممن ذلك مصيرهم.

وصدق من قال من الشعراء:

الناس في غفلة عما يراد بهم   كأنهم غنم في حبل جزار

والقرآن أكبر موقظ من هذه الغفلة وأعظم واعظ ومذكر، وإن قصر عقلك عن استيعاب وعظه، فاقرأ أشعار أبي العتاهية وما كتبه "فيكتور هوجو" لما زار مقبرة، بل زر بنفسك أقرب مقبرة إليك كي تشاهد بعينك المصير المحتوم لكل مخلوق، حتى أبا نواس لما زار مقبرة ذهل، وقال:

رأيت القبور فخاطبتها فأين المعظَّم والمحتقر

في أبيات له، واعلم أن صمتها أبلغ من كل نطق، ولكن قتل الإنسان ما أكفره!

وإلا فكيف يكفر برب خلقه ورزقه ويسر له الهواء والغذاء والماء والدواء، ويسير خلف من هربوا من خرافات الكنيسة ليصطلوا بنار التيه والإلحاد في هذه الدنيا؟ ولعذاب الآخرة أشد وأبقى.

وهل يهرب عاقل من الحق إذا رأى غيره يهرب من الباطل؟

وهل يفر الناس من شدة الحر لكي يقذفوا بأنفسهم في النار؟

وقد استقدم عمر بن عبد العزيز ﵁ أبا ممطور سلام الحبشي على البريد لكي يحدثه بحديث فقراء المهاجرين الذين يدخلون الجنة قبل غيرهم، وليس لديهم ما يحاسبون عليه، بل يقولون للملائكة على أي شيء نحاسَب، وإنما كانت سيوفنا على عواتقنا؟

فعلى كل من أراد أن يفر من جحيم الحضارة الغربية أن يفر إلى الله ويلجأ إليه وحده، فإنه لا ملجأ منه إلا إليه، ولا مفر من قدره إلا بالفرار إليه، ولا منقذ منه إلا بأن نستعيذ به هو، ولا فكاك من سخطه إلا بالهرب

إلى رضاه، ما للإنسان من ذلك محيص، ولو أوتي كنوز قارون أو أموال آل "روتشيلد" أو دنيا ملوك النفط.

قال بعض السلف: "كل شيء إذا خفته هربت منه إلا الله إذا خفته هربت إليه".

والمؤمن يتعرف إلى الله في الرخاء لكي يعرفه في الشدة.

أما الكافر فإنما يؤمن في الشدة فقط، كما إذا ركب في الفلك واضطرب الموج، أو اختُطفت الطائرة التي يركبها، أو أوشكت على السقوط أو رأى بأس الله وأيقن بعذابه، أو أصابه مرض قاتل وكرب شديد، أو داهمه إعصار أو زلزال، وحينها فقط يدعو الله مخلصا له الدين ويكون ذا دعاء عريض.

والملحدون يلجأون إلى حضن الإيمان حين لا يجدون بداً، فلما وقعت الحرب العالمية الثانية، وهاجم الألمان روسيا فتح ستالين الملحد الكنائس وأمرهم بالدعاء، ولما أدرك "جان بول سارتر" الموت أمر أن يستدعوا له قسا يعترف له وتخلى عن وجوديته، وهكذا، ولو تتبعت حال الملاحدة لطال بك الحديث جدا.

والمؤمن يعلم أن الله كرّمه على المخلوقات كلها، فلا يرضى أن يأكل كما تأكل الأنعام، ولا يرضى أن يكون مثل شر الدواب عند الله، ولا مثل دجاج مزارع الدواجن الذي لا يهرب ولا يؤذن.

والمؤمن إذا أذنب استغفر وكذا إذا أراد وفرة المال وكثرة النسل قال تعالى على لسان عبده نوح: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

والاستغفار كذلك سبب للقوة، وقد ذكر الله أن هودا عليه السلام قال لعاد تلك الأمة القوية: ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

فهكذا التنمية الحقيقية والوفرة الاقتصادية والعيش الكريم والمستقبل

المشرق.

ولما خرج بعض السلف للاستسقاء لم يزيدوا على الاستغفار، وأمير المؤمنين عمر الفاروق رضي الله عنه استسقى للناس من على المنبر، فأكثر من الاستغفار، ثم قال للناس: "لقد استسقيت لكم بمجاديح السماء"، وإذا نزل الغيث تحقق الأمن الغذائي والاكتفاء الذاتي، وأمكن الاستغناء عن التحلية وعن استنفاذ المياه الجوفية، وعن استيراد المواد الغذائية من الخارج، وعن كثير من المشروعات.

وإذا أكثر الله نسل المسلمين استطاعوا التغلب على الغرب الذي يهرم ويموت، ذلك الغرب الذي يحمل الضغينة على مصر لأن سكانها كثيرون، ويصدّر لها تحديد النسل، بينما هو يمنح الأم التي تنجب أطفالا الأوسمة ويجعلها "بطلة قومية".

وللاستغفار المصحوب بالتوبة فوائد عظيمة حتى في هذه الدنيا، فوق فائدته الأخروية.

أما أن يكون في الناس طبقة مترفة لا تتصدق، ولا تراعي حق الله في المال ونسمي ذلك تقدما ورفاهية بل تنمية، فهو لا يصح، وهذا ضعف في الإيمان ونذير بسوء العاقبة، وقد تمنى الذين يريدون الحياة الدنيا أن يؤتيهم الله مثلما آتى قارون، كما يتمنى بعضهم اليوم أن يكون كدولة كذا، ولكن بعد أن خسف الله به الأرض عرفوا صدق أولي العلم الذين قالوا لهم: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [القصص:٨٠]، فقال المتمنون: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢]، أي أنهم أفاقوا بعد غيبوبتهم.

فالقضية قضية إيمان وعمل صالح وليست قضية ثروات مكدسة وكنوز كثيرة وحسابات في البنوك.

وبالرغبة فيما عند الله والزهد في الدنيا نتجنب كيد الشيطان الضعيف، ومكر الغرب الذي تزول منه الجبال، ومن مكرهم التقسيمات التي يريدونها

والخرائط التي يضعونها، فلا يستطيعون أن يحققوا أهدافهم العسكرية والاقتصادية مع الزهد والجهاد.

والزهد هو أكبر ضربة نوجهها للمطففين والمحتكرين في الشرق والغرب، وبه نحبط ما يسمونه "ضريبة الكربون" ونقلل من الازدحام المروري في شوارعنا، ونتحرر من التبعية الاقتصادية والرق الثقافي، ونقضي على مؤامرات الليبراليين ودسائسهم.

ونلجأ إلى كتاب الله الذي فيه الحل الناجع والدواء الشافي، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠]، أما الأذى والتأليب والتهم فذلك مما لا بد منه، ولكن ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗى﴾ [آل عمران:١١١].

ولخوف الغربيين من الجهاد يحرصون على مصادرة السلاح، فإن البنادق القديمة هي التي هزمتهم في أفغانستان وغيرها، فإما أن يسحبوا السلاح وإما أن تنوب عنهم الحكومات الدمى، والمسلمون حين يكون سلاحهم بأيديهم يكون لهم استقلالهم وحريتهم، وهذا ما لا يريده أعداء الله.

فهم في الوقت الذي يصادرون فيه السلاح من القبائل يبيحون للغربيين حمل السلاح لحماية أنفسهم من الإرهاب حتى في بلاد الإسلام.

كما أننا بهذين أيضا -أعني الزهد والجهاد- نواجه ما يسمى الفوضى الخلاّقة التي تريد أمريكا أن تبذرها بين المسلمين، لا سيما منذ أن حاصرت العراق وغزته، وكانت النتيجة ما اعترفت به "كونداليزا رايس" حين قالت: "إن أمريكا لم تحقق الأمن ولا الديمقراطية"، وإنما تريد أمريكا اليوم تقسيم بلاد الإسلام باسم الفدرالية، ونظام المقاطعات على تفسيرها له.

ثم إن من حكمة الله التي نؤمن بها نحن -المسلمين- أنه تعالى لا يقدّر شراً محضا، فقد كان احتلال أمريكا للعراق هزيمة لها، وضربة قاصمة نذرت أمريكا بعدها ألا تتورط في أي بلد إسلامي، كما أن ذلك أسهم في بيان حقيقة الروافض، وقضى على حزب البعث وقبضته الحديدية، وقد رأيت

بعيني أيام حزب البعث عبارات ماركسية في الشوارع، والله تعالى فضح بالجهاد في سورية رؤوس الشر كلها من باطنية ورافضية ويهود ونصارى وبعثية وقومية ووطنية وغير ذلك، فلو أن المسلمين دفعوا المليارات لفضح واحد من تلك الرؤوس لكان ذلك قليلا، فالمسألة أكبر من إسقاط نظام بشار بكثير، كما أن المهاجرين إلى الغرب منهم الكثير من الدعاة الذين يوقظون الغرب من غفلته، وكل شيء نراه بعقولنا القاصرة سلبيا يجعله الله بقدرته العظيمة وحكمته الشاملة إيجابيا، دع أحداث العراق والشام، وانظر إلى هزيمة المسلمين في أُحد، وتأمل ما فيها من الحكم الباهرة والمصالح الكثيرة التي ذكر الله في سورة آل عمران، ومنها أن الله تعالى اتخذ من المؤمنين شهداء وفضح المنافقين وما يقولون، وأظهر شؤم المعصية، وبيّن أن من المؤمنين من يريد الدنيا، وأن المؤمنين هم الأعلون دائما، وأن ما كسبت أيدي المؤمنين سبب في استزلال الشيطان لهم.

ومنها أن لله سننا في الأولين والآخرين لا تتغير ولا تتبدل، وغير ذلك من المصالح التي لم تكن لتتحقق لولا ما جرى يوم أحد.

والخلاصة أنه لا بد للتخلص من كيد الغرب ومكره الكبّار، من العودة إلى الله والزهد في الدنيا والعمل بشرع الله وتدبر كتابه حق التدبر، وحسبك أنه تعالى بيّن لنا ضرورة الصبر والتقوى، فقال: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠]، فمهما كان كيد المتآمر لا يضرنا كغفلة الغافل منا، وأمرَنا ربنا أن نعتبر بحال من أهلكهم الله وكانوا أشد قوة وآثارا في الأرض، فنتلمس المخرج ونأخذ بالأسباب، ولا نكون غافلين مثلهم، وكرر ذلك في مواضع كثيرة من كتابه، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ [الروم:٩] الآية.

وقارن بين قوة أمريكا وبين قوة عاد، فإن شداد بن عاد حمل "المسلاّت" من الأقصر إلى الجيزة إن صح كلام المقريزي، فهل تستطيع اليوم

أكبر شاحنة أمريكية أن تحمل ما حمله شداد بن عاد؟ وهل تستطيع أمريكا أن تبني هرما كالهرم الأكبر الذي تزن حجارته ٢٢ مليون طن، ويبقى قرونا طويلة لا تزيده الأيام إلا شدة؟

نعم تستطيع أمريكا أن تبني ناطحة سحاب اسمنتية، ولكن الاسمنت سوف يتحول إلى تراب بعد ٢٠٠ سنة كما يقول خبراء البناء.

ويقال في أخبار الأولين لا سيما عند أهل الكتاب أن عادا بنت لبنة من ذهب ولبنة من فضة.

فهل تستطيع أمريكا أن تبني لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وقد أهلك الله هذه الأمة العاتية القوية "عادا" بالريح فبماذا سوف يهلك أمريكا؟

وهل تستطيع أمريكا أن تحنط الجثث "المومياءات" كما حنطها الفراعنة؟

وهل يستطيع أي رائد فضاء أمريكي أن يصل إلى ما وصل إليه محمد ﷺ ليلة الإسراء؟

وهل يستطيع أي مغامر أمريكي أن يقود سيارته في جبال اليمن الشاهقة فضلا عن أن يفتح تلك الطريق؟

وهل يستطيع مهما كان ماهرا في قيادة السيارة، أن يسير كما يسير إخواننا في الباكستان والهند؟

وهل تستطيع أمريكا أن تصل ما بين نهري الطونة والفولجا كما فعل العثمانيون؟

وأمريكا اليوم يشق عليها بناء جدار عازل بينها وبين المكسيك، فكيف لو كان المطلوب أن تبني مثل سور الصين العظيم.

وقد جاءت النذر لأمريكا من كل مكان، فماذا تنتظر بعد أن جعل الله نفطها غورا وتسرب إلى خليج المكسيك، وسلط الله عليها الأعاصير والفيضانات وحرائق الغابات وسقوط الطائرات وكثرة الجرائم وحوادث إطلاق النار، وسلط عليها الهزات الأرضية والخسوفات "الانهيارات" وابتلاها

بالعنصرية الجاهلية المقيتة، ومع ذلك كله لم ترتدع بل تمادت في طغيانها وغيها؟ وماذا عليها لو آمنت بالله واليوم الآخر وعملت بوصية "بنيامين فرانكلين" ومصحف "توماس جفرسن" الذي أقسم عليه "أليسون" حديثا؟

نقول لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد إن الحل ليس في الازدهار الاقتصادي والتنمية المستدامة، وتنويع مصادر الدخل وخصخصة المؤسسات العامة، وتحويل الأندية إلى شركات، بل في الاهتداء بهدى الله والتمسك بكتابه، واليقين بأن كل قوة غير قوته ضعيفة، وأنها تحت سلطان قدرته لا تستطيع الخروج ولا الفكاك لحظة واحدة.

وربما كان أكثر ما يخيف الناس من أمريكا هو أن تكتشفهم بأقمارها الصناعية وتقذفهم بصواريخها وقنابلها النووية، لا سيما ما يسميه الأمريكان "النووي التكتيكي"، غير أن ذلك لا يجدي شيئا مع قوة الإيمان، وقراءة القرآن بإخلاص ويقين، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥]، وهذا أفضل خلق الله وأكثرهم تدبرا لكتابه قرأ القرآن فلم تره امرأة أبي لهب "أم جميل"، فقد جاءت -عليها من الله ما تستحق- بفهر تريد أن ترمي به النبي ﷺ، فخاف الصديق على سيد الخلق، فطمأنه رسول الله ﷺ بأنها لن تراه، وفعلا لم تره أم جميل، ووجهت خطابها للصديق قائلة: "بلغني أن صاحبك قد هجاني".

وقيل للإمام القرطبي: "إن أمامك قوما يريدون بك شرا، فقال: لن يروني بإذن الله"، وقرأ شيئا من القرآن فلم يروه، وهذا ليس خاصا بالقرطبي وحده، ومن المدهش أن تنظيم الدولة الإسلامية اتقى ذلك كما قال "البنتاجون" بالخشب والورق المقوى، أي أن الأساليب البدائية كفيلة بمقاومة الأقمار الصناعية، فمتى يسقفون القصور بالخشب؟

وبئس الترف إذا أشغل عن الجهاد، وبئست التنمية إذا لم يصحبها يقين.

قال أبو أمامة الباهلي ﷺ: "لم تكن السيوف التي فتح بها الفاتحون

البلاد محلاة بالذهب والفضة".

وملك النوبة لما جاءه من يتأنق في ملبسه، أبى أن يعطيهم الجزية وقال: إنما كنا ندفعها لقوم شعث غبر، وهكذا الذين يلبسون العُقُل ويصلحون المرازيب اليوم مع فراغ القلوب وربما موتها.

ولما جعل المسلمون السلاح للعرضة والحفلات سقطت هيبتهم من قلب العدو، وأصبحوا يستجدون نتنياهو أن يوافق على ما سمي "المبادرة العربية"، وأصبح الكفار من كل جنس يدنسون جزيرة العرب الطاهرة، كما يدنس أحقر الخلق المسجد الأقصى، ولما جعلوا الجيوش مرتزقة تحمي الأنظمة سلط الله عليهم الهزائم المتتابعة.

وفي إمكاننا اليوم أن نقول إن الأقمار الصناعية، وكل قوة هي تحت قوة الله، بل هي لا شيء بالنسبة لقوته وعظمته، غير أن مثل هذه الأقوال إنما يقولها من يعتز بإيمانه ويتوكل على الله ويعد لأعداء الله ما استطاع، أما الأمريكان فمن الطبيعي أن يغشونا كالزعم بأن "الإيواكس" لم تر الطائرات الإسرائيلية التي اغتالت المفاعل النووي العراقي، ولا وهي تهاجم العراق مع الطائرات الأمريكية، وأنه إذا ادعت فرنسا ذلك فهي كاذبة، حتى وإن صورته وكالة الصحافة الفرنسية.

ونحن إذ ندعو إلى الزهد فإنما نعني به ما كان عليه سلفنا الصالح، ذلك الزهد الإيجابي السني الذي قد يملك صاحبه الثروات الطائلة، لكنها في يده وليست في قلبه، وليس الزهد المبتدع الذي يعني الفقر والعوز، كما فعل المخطئون الذين أغرقوا في الشكليات والمظاهر وأهملوا اللب والحقائق، كما أغرقوا هم ومن يدّعون السلفية في كيفيات العبادة، وأهملوا روحها، فلا يتكلمون عن الخشوع مثل كلامهم عن إلزاق الكعب بالكعب، ولم لا يكون الحديث عنهما معا؟

هذا في الزهد، أما الجهاد ففي مبحثه الآتي ما يدل على ذلك.

والخلاصة أنه يمكننا مقاومة العدو بل غزوه في عقر داره إذا أحيينا

هذين المبدأين "الزهد والجهاد"، وهذان يستلزمان الصبر والتقوى ومعرفة الجاهلية مع الدعوة إلى الله، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وألا نطلب رزق الله بمعصيته.

بل علينا إذن أن نتوب ونتمسك بدين الله ونتقيه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف:٩٦].

وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦].

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

فالله تعالى غني كريم لطيف بعباده، وإذا اتقيناه جمع لنا بفضله وجوده بين خيري الدنيا والآخرة.

قال جل شأنه: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ﴾ [النساء:١٣٤].

وليس المخرج في اتباع طريقة الكفار أو العمل بمشورتهم، تحت ستار العمل بتوصيات صندوق النقد الدولي ورؤيته، فإن ذلك نوع من الموالاة لهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٤٤].

وقال عن بني إسرائيل: ﴿وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٨١]، وقال عن المنافقين: ﴿بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

وعليه أنصح كل من يعرف قيمة الآخرة من المسلمين بضرورة مغادرة بلاد الحرمين وأي مكان فور تلقيه العقيدة، ومعرفته باللغة العربية، ولْيعش على ما عاش عليه أهل بلاده من زراعة أو رعي، فالمهم هو الدعوة إلى الله وتعليم الناس العقيدة الصحيحة، وتحفيظهم كتاب الله ووصيتهم بتدبره،

وهناك لا يقولون له أجنبي، أو يمنعونه من الإمامة والتحفيظ والوعظ.

وعدو الزهد وضده هو الترف المستلزم: إضاعة المال وقتل الأبرياء:

فقد أحصيت أحذية زوجة رئيس الفلبين السابق فبلغت آلاف الأزواج وكذا أحذية زوجة "شاوسيسكو"، فأين هم من زوجة عمر التي أمرها عمر أن تضع في بيت المال هدية جاءتها من زوجة ملك الروم؟

والإبادة الجماعية سمة هذا العالم حتى الدول التي تدعي أنها جاءت لخدمة الكادحين، فانظر كم قتل "ستالين" ومن قبله، وكم قتل الشيوعيون العرب والحكومات المستبدة؟ وكم من المليارات في البنوك الغربية. وفي ربع الساعة الأخير من الحرب الثانية وبعد أن دمّر الحلفاء ألمانيا وأوشكت الحرب على الانتهاء ألقت أمريكا قنابل نووية على اليابان "هيروشيما ونجازاكي" فبقيت أجيال مشوهة غير من مات فورا.

وقد قتل في الحربين الكبيرتين حوالي ١٠٠ مليون من البشر، وسيطر الكفار على معظم الاقتصاد العالمي.

ولما احتلت أمريكا العراق ألقت آلاف القنابل، وكلها تحتوي على اليورانيوم المنضَّب، ومعلوم أن الأمراض لا تعرف الحدود وأن تلك القنابل التي تجعل المولود يولد مصابا بتشوهات خِلقية وصلت أيضا إلى السعودية بل إلى جنوبها.

وألقى الحلفاء القنابل على المدنيين في "دوسلدروف" أثناء الحرب الثانية.

فأين هذا الإهلاك للبشر من حرص الدين على الحيوان فضلا عن الإنسان؟ قال ﷺ: (لولا أن الكلاب أمة لأمرت بقتلها)، وقول عمر رضي الله عنه "لو عثرت بغلة بالعراق لخشيت أن يسألني الله عنها".

وقد تحدث فقهاء الإسلام ووعاظه عن حكم الحطب إذا كان فيه ذر، وكره بعضهم صيد الطير أيام تفريخه.

فأين معاملة الحيوان في الإسلام من معاملة من يدّعون حقوق الإنسان في الغرب؟

وقل مثل ذلك في الإسراف المادي فقد حثت الشريعة على التقاط ما يسقط من الطعام، وعلى لعق الأيدي قبل غسلها وعلى ألا يُلقى شيء من الطعام.

فالتقدم، والتنمية، والازدهار، والرفاهية، والعيش الرغيد للمواطنين، كل ذلك أسماء لشيء واحد هو متاع الدنيا القليل الزائل وربما لا ينفع في الآخرة، وهذه الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب، وهي لهو ولعب وزينة، وسوف يرحل عنها الصغير والكبير والأمير والحقير، وكل أحد من البشر ولا ينفع في الآخرة إلا العمل الصالح.

ولا يصح لنا أن نتحول من دولة العقيدة إلى دولة الرفاهية، ومن دولة الشريعة الربانية إلى دولة القانون الوضعي والعرف القبلي، وقد أثبت التاريخ قديمة وحديثه أن أي دولة قامت على عقيدة ثم تخلت عنها فإن مصيرها إلى الزوال، والدولة السعودية إنما قامت على عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وليس على حفلات شيرين عبد الوهاب.

كما أن السعادة ليست في الغنى والثروة ولا شيء من أعراض الدنيا، بل في ذلك الشقاوة والتعاسة والنكد إلا من أنفق في سبيل الله، وقد قال الناصح المشفق رسوله ﷺ: (تعس عبد الدرهم...) الحديث، والغرب اليوم يدرك الإنسان ذلك لو أراد، فأغنى الشعوب الأوربية وأكثرها تقدما اقتصاديا هي ألمانيا ومع ذلك فالألمان أكثر الشعوب الأوربية تعاسة كما قررت هيئة الأمم!

وقالت الممثلة الأمريكية المشهورة "مارلين مونرو" لكل النساء: "إني أتعس امرأة على وجه الأرض".

ومن العجب أن بعض المسؤولين قال لي: لماذا لا تشغلون القبائل عندكم بالكرة والأندية؟

فماذا جنت الشعوب من ذلك؟ أما كان الواجب هو تذكيرهم بآخرتهم، وتعليمهم دينهم؟

وهل أذكت الكرة إلا الثارات القبلية، والشحناء والعداوات بين الأقاليم بل بين المدن، بل بين الأحياء والطبقات داخل المدينة الواحدة.

والسلف مع زهدهم في الدنيا وكراهيتهم لعمل السلطان، أو قبول هداياه وعطاياه وتركهم لأبواب السلاطين، ترفعوا عن الإرث الذي لهم، لأن من خلفه كالأب أو الاخ كان مبتدعا، ولهم في ذلك حكايات عجيبة، لا نظير لها عند الغربيين، وهذا هو الزهد الحقيقي.

والقليل من السلف فضّل هدايا السلطان على عطايا الإخوان، لأن هدايا السلطان عنده إنما هي حق له مسلوب، وذلك قياسا منهم على أن المختلس من بيت مال المسلمين له فيه حق ولذلك يدرأون عنه حد القطع.

والفرق كبير بين المرتزق وبين من يجاهد في سبيل الله، والعسكريون اليوم يتنافسون في المناصب ونيل الرتب الرفيعة، والنبي ﷺ قال: (طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله إن كان في الساقة كان في الساقة، وإن كان في الحراسة كان في الحراسة)، وأعطى أعرابيا حقه من الغنيمة، فقال الأعرابي ما على هذا بايعتك!! إنما بايعتك على سهم ينفذ من هاهنا إلى هاهنا، أي من عنقه إلى قفاه، فالسلف جمعوا بين كمال الاخلاص وكمال الزهد.

وانظر كيف أن أكثر الناس أصبحوا لا يزهدون في شيء، بل يبذرون ويسرفون حتى في الماء مثلا، فبعد أن كانت القربة تكفي البيت الواحد بما فيه من بشر وحيوان يوما أو نصف يوم أصبح بعض الناس يفتح صنابير الماء ليل نهار، وربما يسافر شهورا ثم يعود وهي مفتوحة؟ وبعضهم يستهلك ربع مياه المدينة مجانا مع أن الناس يشترون الصهريج بحوالي ألف ريال أو أكثر، ألا يستحق هؤلاء المبذرون لجنة للتعديات تساوي بين خلق الله؟

وترى الناس يتسابقون وينتظرون طويلا للحصول على المياه المحلاة، وقليل منهم من يصلي صلاة الاستسقاء.

وقل مثل ذلك في الغذاء حيث ذهب أكثر الناس هنا إلى الوجبات الجاهزة والمشروبات الغازية والإفراط في الأكل، فظهرت البدانة والسمن وكثرت عيادات التخسيس وكتب الحمية (الريجيم)، وفقراء المسلمين يشكون من سوء التغذية وانعدام الطعام.

وقد قال طبيب العرب في الجاهلية الحارث بن كلدة: "المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء"، بل قال الله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف:٣١] وعلمنا النبي ﷺ أنه (بحسْب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فثلث لطعامه...) الحديث.

وكذلك العصيرات حث يتهافت الناس على شرائها بالمفرد أو بالجملة، وإذا قُدمت لهم الفاكهة نفسها تركوها خاصة الأطفال!!

وهذا أحد مظاهر فساد الإعلام وفساد التربية.

ومما يدلك على طبيعتنا الاستهلاكية أن الانسان يذهب لشراء سلعة واحدة، ثم يعود محملا بسلع كثيرة لا يحتاج إليها.

وهكذا تعجز إدارات أو جمعيات حماية المستهلك عن إقناعه بترك الكماليات، وملء بيته بها، وقل أن تجد في بيت نوعا واحدا من العطورات أو الإكسسورات، أو سائر الحلي، أو الاقتصار على ما يستعمل من الملابس والفرش والأواني.

وربما خدع المستوردون الناس بالتتريلات والتخفيضات والعروض الخاصة وكثير من ذلك كذب وتضليل.

فالقنوات والصحف لا تربي الناس على الاكتفاء بل على المزيد من الشراء بالدعاية وغيرها، والهدف هو استتراف ما في الجيوب من المال بكل صنوف المغريات، فهذا سعره رخيص، وهذا طيب، وهذا أوفر استهلاكا للطاقة، وهذا طعمه لذيذ، وهذا متميز، وهذا ناعم، وهذا جذاب، وهذا مهم، وهذا ينبغي لك المبادرة لشرائه أو استئجاره قبل نفاد الكمية، وهذا مخفّض، وهذا عرض، وهذا الاختيار المنطقي، وهذا أفضل من غيره، وهذا

ذوق النخبة، وهذا علامة الجودة وهذا أخذ جائزة كذا، وهذا يوصي به الأطباء، وهذا خال من كذا، وأمثال ذلك مما لا حصر له.

ولا تجد لوحة واحدة أو دعاية واحدة تحث على القناعة والزهد!!

ومع أننا نمر بأزمة اقتصادية خانقة، تجد الترف والتبذير لا يزالان يسيطران على كثير من الناس.

أثر الترف في التخلي عن الجهاد في سقوط الدول:

كانت الدولة الأموية تعتمد على الجنس العربي ثم إن العرب أخلدوا إلى الدنيا والترف، وقامت الدولة العباسية على الفرس، ولما دبّ إليهم الترف اعتمد العباسيون على الترك واشتهر ذلك أيام المتوكل، وتحدث الجاحظ عن شجاعة الترك وفروسيتهم، ثم كان من الترك السلاجقة الذين كان منهم آل زنكي، وبعد زمن ظهر العثمانيون الذين كانوا يقطنون آسيا، وأعانوا المسلمين في معركة ملاذ كيرد، ثم أخذت الدولة العثمانية في الامتداد والتوسع حتى كانت القوة الكبرى في العالم ولها اليد الطولى في ثلاث قارات وجعلت البحر الابيض المتوسط بحيرة إسلامية، وفتحت الكثير من أوربا، وكانت دولة جهادية ولما ظهر فيها الترف والتغريب والنعرة القومية واستقدمت المدربين الكفرة لجيشها، وأنشأت ما سمي التنظيمات ومعهدا للإدارة في اسطنبول، انكمشت وانهزمت ثم جاء أتاتورك فقضى على البقية الباقية من الدين وحظر اللغة العربية، غير أن أهل الدين قاوموه، ومنذ ذلك الحين انقسم الأتراك إلى إسلامي وعلماني، وأصاب الأتراك حب الدنيا وانحسار مفهومات الإسلام، إلا المؤمنين منهم.

فالترف هو الداء الدفين في كل عصر، واليوم يسمون الترف "التنمية" أو "الرفاهية" أو أي اسم مرادف، ويسمون الجهاد إرهابا!!

وصدق رسول الله ﷺ حين سأل أصحابه "كيف أنتم حين يجاء على أحدكم بصحفة ويراح بأخرى؟ قالوا نكون حينئذ خيرا منا اليوم، فقال عليه

الصلاة والسلم: (بل أنتم اليوم خير منكم حينئذ).

وسئل أبو الدرداء: لم أبيت أن تُنكح الدرداء ابن الخليفة؟ فقال: نظرت إلى دين الدرداء كيف يكون إذا لبست الشفوف وقام على رأسها الخصيان!

وإذا اقترن الترف بالفسق تحقق الهلاك حينئذ، وفسق الشعوب وانشغالها بدنياها هو الذي جعل الطواغيت يتسلطون عليها، قال تعالى عن فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥٤]، وكيف تطمع الشعوب في زعماء عادلين وهي بهذا الفسق والغفلة والسذاجة؟ وكيف لا يتفرعن عليها أحد وهي بهذه الحالة؟

والعبد المؤمن مهما بلغ جهاده وزهده إنما يثق في الله ويعتمد على رحمته، قال يحيى بن معاذ الرازي: "يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال الصالحة، لأنني في الأعمال الصالحة اعتمد على الاخلاص وربما فقدته وأنا لا أعلم، أما مع الذنوب فأعتمد على عفوك الذي وسع كل شيء، وكيف أركن إلى عملي وأنا بالآفات معروف ولا أركن إلى عفوك وأنت بالجود موصوف".

وهكذا لا يترك المؤمن العمل والإخلاص فيه ولكن عفو الله أعظم من ذلك، والقاعدة في هذا أن يكون الرجاء والخوف كجناحي الطائر، وأن يكتفي من الخوف بما يحجزه عن معصية الله، ومن الرجاء بما يجعله يحسن الظن بربه.

وعلى عكس ما فعل ابن عمر حين لم يقبل الجوارش، نجد أن شبابنا اليوم يسرفون في الأكل، ثم يشربون المهضمات كالبيبسي وأخواته أصلحهم الله.

وأنا إخال من كان همه الدنيا وحدها سوف يتبع الدجال لو ظهر وهو حي، لأن الدجال لا يمر بأرض مجدبة إلا أمطرت، وكثرت زروعها، وسمنت ماشيتها، وأهل الدنيا ينظرون إلى ذلك ولا يقرأون ما بين عيني الدجال!!

أما المؤمن الموحد فلا تغره الدنيا، ولا تخدعه المظاهر، بل يجمع الأدلة

ويقارن بينها، ومع الأسف أصبحت الدنيا أكبر الهم، والراتب هو الدافع للعمل والتوظف عند العسكري والمدني، وأصبحت كل محاولة غير إيمانية لتخفيف ذلك غير مجدية، وانتشر الفساد المالي دونما رادع إيماني من أكثر الناس، وأعظم منه الفساد الأخلاقي، واستعاض الذين يريدون محاربة الفساد عن الدين بعبارات دعائية لا أثر لها في الواقع، إذ لا يمتنع المفسدون ماليا عن الفساد المالي لمجرد أنهم يقرأون لوحات في الشوارع مكتوب عليها بعض مخاطره مثل "الفساد تعطيل للتنمية وهدر للموارد"، وإنما يهتدي من وفقه الله للهداية، إذا بلغه الوعيد الشديد في الرشوة وفي الغلول والتلاعب ببيت المال.

كما أن الشوارع والطرق تكون نظيفة إذا علم المؤمن أن إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، وأنها صدقة، وليس لمجرد أن ذلك سلوك حضاري.

والغش يتركه المسلم ظاهرا وباطنا، لأنه ﷺ قال: (من غش فليس منا)، وأمثال ذلك، وليس لمجرد أن القانون يمنعه، أو أن الوزارة الفلانية أو الإدارة الفلانية سوف تفتش المحل.

كما لا يتوب أحد من تعاطي المخدرات لمجرد قراءته عبارة "لا للمخدرات" التي تكتب في أماكن كثيرةو على صدور اللاعبين، وعلى الدفاتر المدرسية، وعلى مناديل الورق وعلب عيدان الثقاب، وغيرها.

كما لا يمتنع المدخن عن التدخين لمجرد عبارة "التدخين ضار بالصحة" التي تكتب على اللوحات الدعائية، وفي المجلات والصحف والمستشفيات وعيادات مكافحة التدخين، بل على علب السجائر نفسها.

وقد قال "رينان" على كفره: :إن الدين هو أقوى الدوافع البشرية"، فكيف نهدر ذلك؟

ومن الكيل بأكثر من مكيال ومن التحيز الإعلامي الغربي، أنك تجد الإعلام في الغرب يحدثك عن أن داعش سوف تستخدم المدنيين دروعا بشرية، وسوف تستخدم الأسلحة الكيماوية، وأمثال ذلك من الأمور

الاحتمالية المتوقعة، ولا يذكرون الواقع فعلا، الذي تفعله إيران وميليشياتها الرافضية في ديالى والفلوجة وبغداد والرطبة فضلا عما فعلته في البصرة وجرف الصخر والأنبار وكل مكان، وما فعله الأمريكان أنفسهم لا سيما في معركة مطار بغداد.

والمؤلم أكثر أن يكون الإعلام العربي، ولا سيما الإعلام السعودي تابعا لهم في ذلك، ولم لا يقال الإرهاب الشيعي كما يقال الإرهاب الداعشي؟

أما ما يفعله الروس في بلاد الشام عامة وحلب وحماة وحمص وإدلب والغوطة خاصة، فإنما يذكره الغرب لأنه فعل عدوه، ولو أن شيئا من ذلك فعله الروس في إحدى دول البلطيق لثارت ثائرة الغرب، وربما حاربوا الروس؟ وقارن كلامهم عن أوكرانيا بكلامهم عن مسلمي التتار والقرم، فالواقع أن كلا من روسيا والغرب متفق علينا، ويجعل أرضنا أرض معركة لهما يجربون فيها أسلحتهما، غير أن الروس يحاربون والأمريكان يستنكرون لفظياً، ويضعون الخطوط الحمراء بدون عمل، ولا يستهدفون أي منشأة إلا بتنسيق مسبق مع الروس!

وهذا ما ينير لنا طريق الخروج والحل الصحيح للمشكلة، وكل من الطرفين يستغل ما عند داعش من الشجاعة لمصلحته، وكلاهما يعمل لمصلحته وسياسته، ويدعي أنه يحارب الإرهاب ويستخدمه شماعة له، ولن ينتهي الإرهاب وبقاياه إلا إذا استطاع الغربيون صنع شماعة أخرى.

وكل من نادى بحل غير ما في كتاب الله مخطئ، وأنا مستعد لمناظرته كتابيا أيا كان.

ونحن الآن في تيه كتيه بني إسرائيل، فكيف نرضى بما رضوا به، وننكل عما نكلوا عنه؟

أما من رضي أن يتعامل مع أعداء الله بموجب ما يسمى الشرعية الدولية، فالمتوقع له هو الذل والهزيمة مهما أمهله الله.

والحديث في ضرورة الزهد متشعب، وحسب المؤمن أن يقرأ الكتاب

والسنة وسيرة الرسول الكريم ﷺ وسير السلف الصالح الكثيرة، ولا أظن مسلما يجادل فيه، وإنما يكون الإشكال في مفهوم الجهاد وحقيقته وأنواعه، ولذلك سنحاول إن شاء الله الحديث عنه بقدر الإمكان إن شاء الله.

ولما كان الصحابة الكرام أزهد الناس، وكانوا يرضون بتمرة واحدة في اليوم حتى وهم في الجهاد، وكان الإمام أحمد رحمه الله مضرب المثل في الزهد، وكان يخاف من فتنة الدنيا أيام المتوكل، مثلما خاف من فتنة الدين أيام المعتصم والواثق بل ربما أشد، ولذلك امتنع عن طعام المتوكل وواصل الصيام حتى عاد إلى بيته في بغداد واشترط على المتوكل ألا يهدي له، وقال نحن متباعدون عنهم وما أرانا نسلم!

وأكرم الخلق على الله ﷺ كان يعاني من الجوع، ولم يكن في بيته الشريف منخل للدقيق، وكان يمر عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار ولم يملأ بطنه من الدّقَل (وهو رديء التمر)، ودعا أن يكون رزق آل محمد قوتاً، وكان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص وقال ﷺ: (آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد)، وسأله بعض الصحابة أن يحملهم فقال: ﴿لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة:٩٢]، كما ذكر الله، وكان يقول: (والذي نفس محمد بيده ما أصبح عند آل محمد صاع من حب ولا صاع من تمر)، وكان يجيب دعوة المملوك على خبز الشعير، وكان يعتقل الشاة فيحلبها وكان يقول ما لي وللدنيا، ما أنا فيها إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها، وكان أكثر أصحابه فقراء وأفقرهم أهل الصفة.

وكان ﷺ يؤثر يتامى بدر وأهل الصفة على نفسه وأهله، وكان يعصب على بطنه الحجر أياما من الجوع.

وكان الصحابة رضي الله عنهم لا تلهيهم الدنيا وزخارفها ورفاهيتها، لا سيما بعد أن قال ربهم: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا﴾ [الجمعة:١١]، وكانوا موقنين أن فقرهم خير من غنى اليهود، ومما كانوا يرتجزون به:

هذي الحمال لا حمال خيبر هذي أبر ربنا وأطهر

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم:٧٤].

وكان السلف لا يسرفون ولا يبذرون، وبلغ أحد الصالحين أن قاضي بلده بنى بيتا وزخرفه، فأراد أن يعظه وجاء إلى القاضي وقال له: أنا أتوضأ أمامك فإذا أخطأت فأرشدني، ثم إنه أسرف في الماء، فقال له القاضي أسرفت، فقال العبد الصالح: أنا أسرفت في الماء، وأنت أسرفت في البناء

وهكذا كان السلف رضي الله عنهم أجمعين.

وقد أمر بعض الجبابرة بإحضار أحد السلف إليه وقال له: ما حاجتك؟

فقال: حاجتي أن يغفر الله لي، فقال الجبار: هذا لا يملكه إلا الله فما حاجتك مني؟

قال: لا حاجة لي سوى ذلك.

وجاء أحد السلاطين إلى حلقة بعض التابعين (عطاء أو غيره) فلم يأبه التابعي له، ولما سئل الشيخ عن سبب ذلك قال: أردت أن يعلم أن لله عبادا يزهدون في دنياه.

والمؤمن لا تغره المظاهر، وقد رأى أحد المغرورين المدعو (عبد الرحمن الراشد) ما عليه أهل الإمارات من الترف، فقال لأحد كبرائها: هكذا أنتم متقدمون، أما نحن المتأخرون فلنا القرآن، ولو أن الراشد عمل بما في القرآن لما كان متخلفا.

وممن جمع بين الزهد والجهاد التابعي المشهور أبو وائل، شقيق بن سلمة تلميذ عبدالله بن مسعود الذي كان له خص "عُشة" إذا أراد الغزو هدمه وإذا عاد بناه.

واليوم يطلب منا مجلس الشورى، وبعض الوزارات والكُتَّاب أو المحاضرين والخطباء الترشيد في استخدام الماء، وهو طلب محمود إذ يحرم الإسراف في كل شيء، ومع ذلك نقول لهم:

١- يجب مخاطبة الجهات الإعلامية بذلك، وأن تذكّر الناس بالنصوص

الشرعية وعمل السلف وأقوال العلماء.

٢- يجب الإنكار أيضا على الذين يجعلون في بيوتهم شلالات ومسابح ويملأون الأحواض بالماء.

٣- التبذير في المال أعظم من التبذير في الماء، وسرقة المليارات أكبر فلا بد من تذكير المبذرين بذلك صغروا أو كبروا.

وقد قام في أمريكا ضجة لما ولى ترامب صهره مستشاراً في البيت الأبيض، أما الفرنسيون فاستنكروا أن يكون راتب الرئيس تسعة آلاف يورو، بل إن اليهود وجهوا لسارة امرأة نتنياهو تهما منها أنها لم تسدد فاتورة الكهرباء وتلتزم بالعداد، وحاكموها محاكمة أدت إلى اتهام زوجها نفسه وتهديده بالتخلي عن الحكم، أما المجوس في كوريا فقد حكموا بسجن ولية أمرهم الرئيسة السابقة ٢٤ سنة!

ووصل التفاخر وحب الدنيا إلى حد المفاخرة بكبر حجم المدينة أو التطاول في البنيان.

وليست العبرة بكر الحجم أو اتساع العمران، فقد قال "ديكسون" إن الأرطاوية تمتد مسافة مئة ميل (أي ١٦٥ كيلو)، ويقول الصحفيون الهنود إن أبراج دبي عالية ولكن لا يسكنها أحد، بل إن التوسع العمراني الأفقي، يؤدي إلى إشكالات كثيرة منها زيادة تكلفة البنية التحتية، كالطرق والمراكز الصحية والتمديدات (الكهرباء والمياه والصرف الصحي).

وقد ظهر الندم في أمريكا زمن الشدة على أنهم بالغوا في الترف أيام الرخاء، وأصبح يصعب عليهم صيانة ما بنوا وترميمه، ولو أنهم اقتصدوا لما ندموا مع ما في الاقتصاد من حفظ حق الأجيال القادمة وبعد نظر المخطِّط.

وهكذا كل دولة تتوسع أو تنفق وقت الطفرة المادية فإذا وقع الانكماش كان ذلك عبئا عليها وتمنت أنها لم تفعله.

ولذلك تجد أهل التخطيط الأفضل، يحرصون على أن تكون الأحياء متقاربة وأن يكون العمران متلاصقا، ويجعلون التوسع رأسيا لا أفقياً.

وللحرص على الدنيا وترويج البضائع في هذه الأيام أنواع جديدة، ربما كان أجلاه الدعاية الكاذبة، فالسيارات كلها فارهة والتقسيط فيها بدون دفعة أولى والشقق والمحلات كلها فخمة، والمياه كلها نقية، والمناديل كلها ناعمة، والبضائع كلها فائقة الجودة، حاصلة على جوائز التميز، وكلها رخيصة الثمن توفر الدخل، والبنوك فيها تسهيلات جديدة للعميل، وفي إمكانك أن تكسب كل يوم كذا وأنت في بيتك، وهكذا، وعكس ذلك كان السلف الصالح عملا بمبايعته ﷺ على النصح لكل مسلم وكان جرير بن عبدالله البجلي من المبايعين على ذلك وإذا اشترى من أحد بضاعة قال له "اعلم أن ما أخذنا منك خير مما أعطيناك"، وعلى ذلك يونس بن عبيد، ومحمد بن واسع، والسلف الذين لا يحصون.

ومن لم يبلغ به النصح إلى هذا الحد كان يعظ الناس ويذكرهم بمغبة التنافس في الدنيا ونسيان ألآخرة، ويقول كما قال أحدهم: "إن أهل الدنيا يتنافسون فيما عليه أهل القبور يتحسرون".

وقول الآخر: "لو أن الموت جاء أحدنا لما سأل الله إلا النظرة والإمهال، فها نحن الآن في المهلة، أفلا ينبغي المبادرة للتوبة والعمل الصالح قبل الموت؟

وكانوا على جلالة قدرهم يقول أحدهم: إني لأعظ وما أريد إلا نفسي"!

والزهد لو لم يرد به شرع لكان مقتضى العقل والحكمة، ولو أنك رأيت رجلين يقتتلان على بعوضة لحكمت أنهما مجنونان، فكيف إذا تقاتلا على جناح بعوضة؟ فكيف إذا تقاتلا على ما لا يساوي جناح البعوضة؟ فكيف إذا تقاتلا على جزء يسير من جناح البعوضة وهو الدولة، فكيف إذا تقاتلا على جزء يسير من ذلك اليسير وهو قطعة أرض ضمن الدولة؟

ثانيا: الجهاد:

قبل الحديث عن الجهاد، ينبغي أن نقول إن سببه هو العداوة، غير أن هذه العداوة في ديننا مرتّبة، وكل شيء مرتب، وهذا الترتيب يدل عليه الوحي والعقل والفطرة.

وكل من الإيمان والكفر درجات، كما أن الخير والشر درجات، والدين مراتب بعضها أعلى من بعض، والجنة درجات والنار دركات وبعض الناس فيه شعبة من شعب الإيمان، أو خصلة من خصال النفاق، وبعضهم فيه كل شعب الإيمان أو خصال النفاق.

والرسل منهم أولو العزم، ومنهم دون ذلك، والله تعالى فضل بعضهم على بعض، والصحابة الكرام بعضهم أفضل من بعض، والعلماء بعضهم أعلم من بعض، والرواة بعضهم أوثق من بعض.

وأهل الكتاب خير من عبدة الأوثان، والخوارج خير من الرافضة، والباطنية أكثر ضلالا من أهل البدع، وأصحاب وحدة الوجود أكفر من غيرهم، والفلاسفة والصابئة أضل من المعتزلة، والأشاعرة خير من المعتزلة، ومن نقض الصحيفة من المشركين خير ممن علّقها، والكافر العادل خير من الظالم، واللاتين في أمريكا الجنوبية وأمريكا الوسطى، خير من المتعصبين في الولايات المتحدة، ومن كان معادياً لترامب خير ممن يؤيده، وهكذا.

والدول الأوروبية النصرانية كلها كافرة، ولكن سياساتها تختلف، وعداواتها للإسلام تتفاوت، والحكومة الكندية تختلف عن الحكومة الأمريكية في الموقف من المسلمين.

والنصراني الموحد خير ممن يقول إن الله ثلاثة! واليهودي غير الصهيوني أهون من اليهودي الصهيوني.

والمرأة الكافرة التي لا تتبرج خير من زميلتها المتبرجة، والدول التي تحرم الربا خير ممن يضم إلى كفره أكل الربا.

ومن يعادي إسرائيل ويتعاطف مع الفلسطينيين من الكفار خير ممن يؤيد الصهاينة.

والإسماعيلية أخطر من الحوثيين وهكذا.

ومن الخطأ الظن بأن القتال خير من دعوة ومجادلة أهل البدع ودعوتهم بالحسنى.

وقد قيل لأحد الملوك السابقين "لا يصح حوار أهل البدع مع إيماننا أنهم على الباطل وإنما ينبغي دعوتهم وإقامة الحجة عليهم، ولا يصح أن تترك القبائل العربية الأصيلة في همدان فريسة للرافضة والمكارمة"، فقال: "مِن كُثْر الشعب حتى تجعلوا هذا إسماعيلي وهذا رافضي .." إلخ كلامه، فظهر أن مقصوده هو كثرة المحكومين وليس هدايتهم، مع أن أهل السنة هم الأكثر باعتراف أهل البدع أنفسهم، فالقوم في واد والدعاة في واد آخر، وهذا القول أذكرني بما قاله المأمون إن الإرجاء هو دين الملوك، فلا يهم على أي عقيدة تكون الشعوب إذا خضعت لحكمهم وأطاعت أوامرهم وصدقت أقوالهم.

وإنما تبدأ الأقليات بالمطالبة بالمساواة، ثم يتحكمون بعد ذلك في الأكثرية، ولذلك شواهد واقعية من التاريخ، فيهود فرنسا أيدوا الثورة الفرنسية لأنها تدعو إلى الإخاء وتجعل المعيار هو المواطنة وليس الدين، ثم إنهم أصبحوا اليوم يحاكمون من يقول إن هتلر قتل أقل من الرقم الذي يذكرون، ويتهمونه بالنازية ومعاداة السامية! ويدافعون عن درايفوس!

والنصيرية كانوا ولا يزالون أقلية في سورية، ولكن التغاضي عنهم أدى إلى أن يحكموا أهل السنة ويلقوا البراميل المتفجرة عليهم، ويسلطون عليهم الكيماوي، حتى يكون المجتمع (متجانسا) كما يقول بشار، أي أن التغيير الديمغرافي ضروري لهذه الجمهورية الوراثية!

وإنما بدأ أمر النصيرية بأن يقولوا (العروبة تجمعنا والوحدة الوطنية لا تفرق بيننا)، ثم آل الأمر إلى ما نحن فيه، حتى أنك لا تجد نصيرياً في مخيم

الزعتري مثلاً، ولست أزعم أن النصيرية لم يلحقهم الضرر مما يفعله بشار وزمرته، بل لا بد لكل مصيبة من ضريبة.

وقد كانت الدولة العثمانية أقوى دولة في ألأرض، والآن يقض حزب العمال الكردستاني مضاجع الأتراك أفلا نعتبر؟

أقول: ولذلك ينبغي ترتيب العداوة والمجادلة مع كل طائفة بما أنزل الله، والتعامل بالعدل وليس بالهوى السياسي.

وأكفر الطوائف في هذه البلاد هم "الإسماعيلية" على النحو الذي تريده المكارمة لهم وعلى ما في كتبهم وليس على واقعهم، والحل ليس في إقرارهم مع التجسس عليهم وإشغالهم بآثار الأخدود، أو في توسيع شركة اسمنت نجران، أو بالعرضات والغناء، ولا هو في ترفيعهم ليكونوا مستشارين في الديوان واسترضائهم بالقصور، كما فعلوا مع الهالك (علي المسلَّم) الذي يكرهه أكثر أهل نجران، ولما أخذ ما أخذ أنشأ شركة سماها مياه نجران، فلم ينس بني قومه وظن أن ذلك يرضيهم!

ولا يقول الإسماعيلية إنهم دخلوا في الدين لا رغبة ولا رهبة، بل يقولون: عندنا ورقة أن ندخل في الطاعة مقابل بقائنا على المذهب!

ومن الأخطاء الشائعة الخلط بين قبيلة يام والمكارمة والظن أن كل يام إسماعيلية، وكذا إهمال ما عند يام من نخوة وشجاعة ومرجلة، ويجب دعوة تلك القبيلة الكريمة بالحسنى كما دعا رسول الله ﷺ قبائل العرب، ولا يجوز تركهم فريسة للمكارمة ولا الحرص على أن تدخل في الطاعة فقط.

بل واجبنا نحوها أن تدخل في الدين لا سيما وهم أهل فصاحة ولغة ولا يخفى عليهم أكثر معاني القرآن الكريم، وبمجرد تدبرهم له يعرفون ما في مذهب المكارمة من بعد عنه.

وفي يام -كما في كل قبيلة - معتدون جهال لا يرتدعون إلا بما يزجرهم.

وهذا الخطأ يشترك فيه ثلاثة أطراف:

أ- بعض المخطئين من دعاة أهل السنة والذين يدفعون ياماً إلى التعامل من منطلق ردة الفعل لاسيما من يقيسون قبيلة يام على رافضة الشرقية وإيران والعراق ونخاولة المدينة، ويضعون له إقامة الحجة موضع الدعوة.

ب- الحكومة حين تظن أن إغراء بعض اليامين بالمال والمنصب يجعلهم ينسون رابطتهم القبلية وعاداتهم الموروثة.

ج- المشاركون عن يام فيما يسمى الحوار الوطني إذ هم أجدر الناس بالتأليف عن عدل وعلم في أمجاد القبيلة وميزاتها -وأنا مستعد لنشر ما يكتبون- في أوساط أهل السنة وباللغات التي يريد المؤلفون.

كيف عامل النبي ﷺ وفد نجران:

ونحن إمامنا رسول الله ﷺ الذي عامل نصارى نجران أفضل معاملة وأكرم وفدهم وأجازه، وكان ذا خلق عظيم وليّن ربه برحمته قلبه ولم يجعله فظا غليظ القلب، فسمح لهم بالصلاة في مسجده الشريف على صلاتهم وتركهم يستقبلون قبلتهم (المشرق) ولما طلبوا منه أن يرسل معهم رجلا أمينا وافق، وشرط عليهم شروطا أهمها ألا يأكلوا الربا وإلا كان ذلك نقضاً منهم للعهد، وبهذه الأخلاق الكريمة كسب قلب خالد بن الوليد وعمرو بن العاص بل قلوب قريش كلها عام الفتح وحاربوا معه كلهم في حنين.

ولما أكل أهل نجران الربا أجلاهم الفاروق رضي الله عنه إلى العراق وهناك أسسوا (النجرانية) ولم يبق في جزيرة العرب دينان قط.

وفي أيام علي رضي الله عنه وقفت همدان كلها معه ونسبوا له قوله:

ولو كنت بوابا على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

ولما حاربت الزيدية الإسماعيلية في اليمن في القرن الثالث الهجري، كان ذلك من الأعمال التي حفظها التاريخ الإسلامي لإمامهم الهادي المتوفى سنة ٢٩٨هـ، وظهر للمؤمنين أن الزيدية خير من الباطنية.

وهمدان هم أبناء عم الأوس والخزرج الذين هم خير عند الله من مضر وغطفان وأمثالهما، وفي يام نسبة من أهل السنة لا تقل عن الثلث، ومن أشبه

القبائل اليوم هم قبيلة قحطان وزهران.

ثم بعد الإسماعيلية نقيم الحجة على الرافضة ونحكم فيهم بحكم الله الذي لا يظلم أحداً، ولا نقول كما قيل لهم: أنتم ما جانا منكم شر، بل الشر كله في الشرك، كما أنهم الذين قاموا بثورة مسلّحة وقتلوا رجال الأمن ولا يزالون يقتلون في العوامية وغيرها، أليس قتل الأبرياء ورجال الشرطة شرا؟

أليست المطالبة ببناء المقامات في البقيع والمعلاة شراً؟

أليست التسريبات من وزارة الخارجية شراً؟

أليست السموم الفكرية التي تنشرها جريدة الرياض تحت زعامة المشرف الثقافي الرافضي (محمد رضا نصر الله) شراً؟

ولست أدعو إلى أن نصبح دواعش، فنقذف الإسماعيلية والرافضة بالصواريخ، أو نشن عليهم الغارات الجوية، بل أطلب إتاحة الفرصة للدعوة لكي تحصّن الناس من عقائدهم ولكي تدعوهم إلى الله وفق المنهج الراشد، ونقيم الحجة عليهم، ولا نحرمهم حقوقهم الإنسانية لكن لا نوليهم ونطلعهم على الخطط ونعطيهم الحقوق السيادية بزعم أنهم مواطنون، ومن أبى الحق من طوائفهم فليكن آخر الدواء الكي، ودعوتنا لهم من الجهاد، وصبرنا عليهم جهاد.

- مفهوم الجهاد الشرعي:

الجهاد هو بذل الجهد، ومن أنواعه القتال، ولما ذكر الله تعالى شراء الأنفس وبين فضل قتال الكفار، أعقب ذلك بقوله: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

وليس الجهاد محصورا في قتال الكفار فقط، فكل من جاهد نفسه في طاعة الله فهو مجاهد، وكل من دعا إلى الله وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو كالمقاتل في سبيل الله وربما أعظم منه لأنه يحافظ على رأس المال الذي

إذا ذهب لا ربح بعده.

قال ابن كثير في تفسير آية الشراء المتقدمة من سورة التوبة: "هذا نعت المؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم"، وقال: "وهم مع ذلك ينصحون خلق الله ويرشدونهم إلى طاعة الله، بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه عملا وانقياداً، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق" اهـ.

وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر كما ثبت في الحديث، ومن رحمته تعالى أن جعل الجمع بين أنواع من الجهاد ممكن، فما على فاعل ذلك من تبعة.

والجهاد ليس فيه أكبر وأصغر وفق زعم بعض الصوفية، إذ يجعلون قتال الكفار أصغرا، وإنما فيه أفضل وفاضل كما في الحديث وكلاهما كبير.

ومن قتال الكفار ما هو فرض عين ومنه ما هو تطوع، أما طاعة الله فهي فرض عين على كل مسلم حسب طاقته، كما أن الهجرة قبل فتح مكة كانت فرض عين وبعدما فتحت مكة أصبحت هجر ما نهى الله عنه، وقد يقتضي ذلك الانتقال من بلد لآخر.

وعلماء الإسلام يجب عليهم الجهاد الأفضل ما استطاعوا إليه سبيلا، وإذا تخلّوا عنه أصبحوا كالحجر في الساقية، بل ربما من قطّاع الطريق إلى الله كما ذكر ابن القيم، ولا يجوز لهم تأويل كل ما يفعله الحكام، فإن الأصنام إنما عُبدت بالتأويلات ومن كان منهم عاجزا عن قول الحق فليعتزل ولا يقل الباطل، ولا يخدر الأمة بالثناء على من يعطيه الراتب!

والجهاد في سبيل الله -بمعنى القتال- أجره عظيم وفضله كبير، يرفع الله به من شاء من خلقه، وهو المراد بالجهاد إذا أطلق.

ووجوب الجهاد لا يعني تقحم المراحل أو إغفال بعض أنواعه التي لا يتم إلا بها ولا بد منها، فالله تعالى جعل لكل فريضة وقتها، ولا يقبل ممن صلى الظهر مثلا قبل الزوال، ولم يأذن للأنصار ليلة العقبة أن يميلوا بأسيافهم

على أهل الموسم، وهكذا، فلكل شيء وقته ولكل مرحلة تعاملها.

وعقيدة أهل السنة والجماعة متسقة مع العقل في كل شيء، ومن ذلك أن الناس كما يتفاوتون في الإيمان يتفاوتون في شُعبه، فليس كل أهل لا إله إلا الله سواء، وليس كل المصلين سواء، وليس كل الذاكرين سواء، وليس كل المستحين سواء، وليس كل مميطي الأذى عن الطريق سواء وهكذا.

وهذا التفاوت وارد في القرآن، فليس من أنفق وقاتل قبل الفتح كمن أنفق وقاتل بعده، وليس الأعراب كالمهاجرين وإن كان ما لديهم من الإيمان يسمى إسلاماً.

كما أنه ثابت بالسنة فليس من أسلم متأخراً مثل سيف الله خالد بن الوليد كالسابقين الأولين من مثل عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، ولما اختلفا زجر النبي ﷺ خالداً.

ولما قال أحد الصحابة للنبي ﷺ: أين أنت من فلان إني لأراه مؤمناً، قال له النبي ﷺ (أوْ مسلماً).

ولما جئ له ﷺ بأحد الصحابة أقام عليه حدّ الشرب ولما قال أحدهم "لعنه الله كم يشرب"، قال النبي ﷺ: (لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله).

وقد صح أنه ﷺ حكم أن بعض الناس لا يقبل الله منه عدلا ولا صرفاً، وقال: (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم).

وقال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء:٩٥]، وأمثال ذلك كثير.

وكلام الصحابة والتابعين وسائر السلف في ذلك لا يحصى.

ومن مجموع هذه الأدلة نوقن أن بعض أنواع الجهاد أعلى من بعض، وأن المجاهدين متفاوتون فيه.

ومن قاتل من أجل مُلْك أحد أو من أجل القومية أو الوطنية أو قاتل من أجل شيء وكله الله إليه.

وقد قتل قزمان سبعة أو ثمانية من المشركين وقال الصحابة إنه شهيد، فقال ﷺ: (بل هو من أهل النار)، فلماذا ذهبوا إليه قال: إنما قاتلت عن أحساب قومي، فالقومية أضيق من الوطنية وتجعل من قاتل لأجلها غير شهيد.

وكذا من قاتل ليقال شجاع أو قاتل لأجل الراتب، وهو الذي قال عنه النبي ﷺ: (لا أجد له إلا الدريهمات تلك)، ومثله من قاتل ليترقى في الرتب العسكرية.

وقد روى صاحب الصحيح أن أبا برزة الأسلمي قال: (اللهم إني أحتسب عندك أني أصبحت ساخطا على كل هؤلاء)، ثم ذكرهم وقال: (إنهم يقاتلون على الدنيا).

وقال الصحابة رضي الله عنه عن مولى لرسول الله ﷺ يقال له كركرة: "هنيئاً له الشهادة"، فقال: ﷺ: (والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلّها لتشتعل عليه ناراً).

وقد روى قصته البخاري وفيها أنه من عبيد رسول الله ﷺ، فكيف بمن يغل اليوم المليارات من بيت مال المسلمين؟ وليس له صحبة ولا صلة بالنبي ﷺ؟

ونحن مأمورون بقول الحق والعدل مع الأفراد والجماعات والأحزاب والدول والحضارات، والعدل مع المسلمين أولى.

فلا نغمط الإخوان المسلمين مثلا فضلهم وجهادهم ولا نبخسهم أشياءهم ولا نفضل السيسي عليهم، ولا نقول إنهم جماعة إرهابية ولا نسميهم الاخوان المفلسين، بل نذكر ما نعلمه عنهم من الصواب والخطأ، وسوف يسألنا الله عن كل قول قلناه (ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد).

والإخوان منهم المحافظون ومنهم دون ذلك، والحكم عليهم جميعا خطأ، وإنما كل امرئ بما كسب رهين.

وأعظم مآثر (الإخوان المسلمين) مثلا هي جهادهم في حرب السويس، الذي كتب عنه كامل الشريف، وأكبر أخطائهم ترك الجهاد ومع ذلك لم يسلموا بل وصفوهم بأنهم إرهابيون وصنفوهم كذلك.

وقد أسس الشيخ حسن البنا -رحمه الله وتقبله شهيدا- جماعة الإخوان المسلمين، لتكون حركة دعوية تجديدية، لا لتكون حزبا سياسيا معارضا يؤمن بالديمقراطية، وكتب الوصايا العشرين وغيرها لتكون مصدرا دعويا للإخوان، وكان الشيخ متأثرا بدعوة الإخوان في جزيرة العرب، وجعل الجهاد ركنا ركينا من دعوته، ولكن الإخوان المتأخرين انحرفوا عن دعوته، وأصبحت حزبا سياسيا ولا يكادون يذكرون الدعوة والمهمة الأساسية للحركة، ولا يذكرون الجهاد الذي هو ذروة سنام الإسلام، ويقولونه في شعارهم المشهور "الموت في سبيل الله أسمى أمانينا"، وكذا في نشيدهم:

هو الحق يحشد أجناده ويعتد للموقف الفاصل

واشتغلوا بالأعراض عن المرض نفسه كإلغاء فلان للديمقراطية، بل يقولون نحن سلميون، ولم يمنع ذلك أن يتهمهم أعداؤهم بالإرهاب!! ويقولون إن فلانا انقلب على خيار الشعب وعلى الديمقراطية، وفي عهده تدهورت الأوضاع الاقتصادية، وهذا صحيح في ذاته، لكن ليس هو الداء، وصار أكبر همِّ بعضهم الحصول على حقيبة وزارية أو مقعد في البرلمان، بل إن بعضهم أصبح من ركائز الطواغيت، الذين قامت الحركة أساسا لتخليص الأمة منهم، وهكذا تداخلت الأهواء الشخصية مع الأهداف الدعوية وبعضهم يدعو إلى العلمانية وهو لا يشعر.

وبعضهم ذهب لأبعد من ذلك فتحالف مع الشيوعيين أو الاشتراكيين أو غيرهم من المعارضين.

وبعضهم يقول إنه حزب وطني محلّي، أي أنه يؤمن بالتقسيم الذي وضعه (سايكس وزميله بيكو)، واستدرجهم أهل الكتاب ليدخلوا اللعبة السياسية ففعلوا، وبعضهم يقول إن كون الدستور الفلاني فيه عبارة دين

الدولة الإسلام كاف!! ولا حاجة للمطالبة بتطبيق الشريعة، وخير من الإخوان من جاهد وجهاد اليهود هو جهاد المرحلة.

أما الجماعات الجهادية فأكبر أخطائها هو أنها حصرت الجهاد في أحد معانيه، وهو القتال، وأهملت الأنواع الأخرى وذمت أهلها وأهدرت دماءهم وجعلتهم مرتدين، مع أن الأنواع الأخرى مذكورة في القرآن والسنة ومنها:

أ- الجهاد بالقرآن ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٢]، وهو الدعوة والمجادلة، ويدل عليه قوله تعالى عن الوالدين: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ [لقمان:١٥].

ب-جهاد النفس كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، وقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨]، وقوله: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت:٦].

ت-جهاد المنافقين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [التوبة: ٧٣].

ث-الصدع بالحق، قال ﷺ: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)، وقال: (سيد الشهداء حمزة ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله)، ولذلك كانت حياته ﷺ كلها جهادا.

فهل كان الرسول ﷺ في مكة إلا مجاهدا؟

وهل كان حين أرسل المهاجرين إلى الحبشة إلا مجاهدا؟

وهل كان في صبره على الأذى وتحمله لما يقوله عبدالله بن أبي وحزبه إلا مجاهدا؟

وهل كان حين همّ المنافقون باغتياله وهو قافل من تبوك إلا مجاهدا؟

وهل كان حين عقد صلح الحديبية إلا مجاهدا؟

وهل كان حين يستقبل وفود العرب إلا مجاهدا؟

وهل كان وهو ينذر عشيرته الأقربين، ويجادل الكفار، ويبلِّغ شرع الله

لعامة الأمة إلا مجاهدا؟

وهل كانت مناظراته لليهود وذهابه لبيت المدراش إلا نوعا من الجهاد؟

وهل كانت مناظرته لنصارى نجران إلا نوعا من الجهاد؟

وهل كانت مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار وتكفله بالنفقة على أهل الصفة ويتامى بدر إلا جهادا؟

وهل كان بناؤه للمسجد إلا جهادا؟

وهل كانت إقامته للحدود إلا جهادا؟

وهل كان دعاؤه ربه إلا جهادا؟

وهل تواضعه للفقراء والعجائز إلا جهادا؟

وبالجملة كانت كل أعماله العسكرية والتعليمية والاقتصادية والسياسية جهادا، فجاهد في الله حق جهاده حتى لقي ربه وهو عنه راض.

وتأمل قوله ﷺ: (إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم)، وابحث بنفسك عن سبب النصر والتنمية الدائمة والرفاهية الحقيقية!! وهل ذلك يتحقق بالقتال وحده؟

وانظر أي خطأ يرتكبه الذين يحصرون الجهاد في بعض أنواعه، أو يجعلونه صراعا بين قوى شريرة وحشية ظالمة من جهة، وبين قوى خيرة أخلاقية عادلة من جهة أخرى كالغرب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الجهاد منه ما يكون باليد ومنه ما يكون بالقلب والحجة والبيان والدعوة واللسان والبذل والصناعة" أهـ، وفي زماننا هذا أصبح الإعلام من أخص أنواع الجهاد وأهمها، وأصبحت مواقع العدو الاليكترونية من أكبر أهداف المجاهدين! وأصبح اختراق مواقعهم أكثر تاثيرا من قتل قادهم.

ولا يصح حصر الجهاد في بعض أنواعه مهما كان عظيما، كما لا يصح حصر الرسالة في محمد ﷺ، أو حصر ما أنزل الله في القرآن وحصر الإسلام في هذه الأمة، وإن كان محمد ﷺ هو أفضل الرسل، والقرآن هو

أفضل الكتب، وهذه الأمة هي أفضل الأمم.

والجهاد ليس فرض عين في كل الأحوال، بل حسب المصلحة الشرعية، وإنما يكون الجهاد فرض عين في ثلاثة مواضع:

أ- إذا استنفر الإمام المسلمين كلهم، كما فعل ﷺ عام تبوك.

ب-إذا دهمهم العدو وجاء إلى بلادهم، فيجب على أهل تلك البلاد الدفع عن أنفسهم ويجب على المسلمين نصرهم وإمدادهم بالمال والدعاء وبأي وسيلة ممكنة.

ت-إذا حضر المجاهد بين الصفين، لم يجز له الفرار من الزحف، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ..﴾ [التوبة: ١٢٣].

وأكثر الفقهاء على أن حكمه العام فرض كفاية، قال ابن القيم: "وأما جهاد الكفار والمنافقين فقد يكتفى فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصود الجهاد"، ورجح أن الجهاد بمعنى القتال فرض كفاية وكذا قال ابن كثير.

وقال ابن القيم: "والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد، على كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع، أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية".

واستدل ابن كثير على أن القتال باليد فرض كفاية بأنه تعالى أمر المؤمنين أول الأمر بكف اليد.

هذا ويجوز قول فلان شهيد لمن علم القائل أنه مات شهيدا أو غلب ذلك على ظنه، والدليل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤]، وقول الصحابة رضي الله عنهم بحضرة رسول الله ﷺ فلان شهيد، وفلان شهيد، وأقرهم على ذلك حتى قالوا "فلان شهيد"، فقال: (كلا والله إني رأيته في النار في بردة غلّها)، رواه مسلم.

لكن لا يكون ذلك على سبيل الجزم، وإنما على سبيل الرجاء خروجا من الخلاف في المسألة.

ولا شك أن قتال الكفار له في الدين مترلة عالية وفضل عظيم، ولكن غيره أهم منه وقد يقدَّم عليه في النصوص لا سيما الإيمان بالله.

وإنما يكون فرض عين في حالات معينة تقدم ذكرها، وحتى في هذه الحالات لا يكون كل الناس حاملين للسلاح، بل كلٌّ يجاهد في ميدانه، فالإمام أحمد مثلا صبر على الأذى والجلد، ولو أنه ذهب إلى الثغر لما فعل من ذلك شيئا، ولربما فعل بعض العوام أكثر منه، وصبره هذا من أعلى أنواع الجهاد.

قال شيخ الإسلام: "والواجب أن يعتد في أمر الجهاد برأي أهل الدين الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا"، فلا بد من الرأي ومن معرفة الواقع.

والدعوة مقدمة على القتال حتى في حالة قتال العدو أو محاصرته.

قال ﷺ: (إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال فأيهن أجابك فاقبل وكف عنهم: ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم..) الحديث.

وقد يكون الجهاد فتحا سياسيا للدعاة يُسلم به كثير من الناس، وقد سمى الله تعالى صلح الحديبية فتحا مبينا مع أنه لم يكن فيه قتال بل رجع النبي ﷺ و لم يعتمر تلك السنة.

وسمى الرسول ﷺ الانسحاب يوم مؤتة فتحا كما في الصحيح، مع اتفاق أهل السيرة على أن المسلمين إنما رجعوا، وجهز عليه الصلاة والسلام أسامة ليأخذ بثأر أبيه، وأخبر ﷺ باستشهاد قادة المسلمين في ذلك اليوم: زيد وعبدالله بن رواحة وجعفر بن أبي طالب.

وعاد ﷺ عن حصار الطائف، وهمى عن قتال الترك والحبشة، وقال: (جاهدوا المشركين بأيديكم وأموالكم وأنفسكم)، وجعل انتظار الصلاة إلى الصلاة رباطا.

والدعوة عامة لكل الناس ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ:٢٨]، وليس القتال كذلك.

ويجب البدء في الجهاد بأشد الناس عداوة للذين آمنوا وهم اليهود كما بين الله.

ومن ترقى في درجات الإيمان، أعطى كل مترلة حقها وعرف أن الترتيب واجب، وأن الأهم مقدم على المهم، وأن واجب الوقت مقدَّم على غيره، وشرط ذلك كله هو الإخلاص لله، فمن قاتل فليكن قتاله لله، ومن دعا فلتكن دعوته إلى الله، ومن تعلم فليكن علمه لله ومن قرأ فلتكن قراءته لله، ومن تصدق فلتكن صدقته لله، وإن أعطى فلله، وإن منع فلله، وإن والى فلله، وإن عادى فلله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من المعلوم أن القتال إنما شرع للضرورة ولو أن الناس آمنوا بالبرهان والآيات، لما احتيج إلى القتال، فبيان الإسلام وآياته واجب مطلقا وجوبا أصليا، أما الجهاد فمشروع للضرورة، وإذا وجب علينا جهاد الكفار بالسيف ابتداء ودفعا، فلأن يجب علينا بيان الإسلام وأعلامه ابتداء ودفعا لمن يطعن فيه، فهو واجب بطريق الأولى"، اهـــ.

أي أن نشر العلم وإبلاغه عند الشيخ مقدَّم على القتال، قال ابن القيم بعد أن ذكر مراتب جهاد النفس والشيطان: "أما جهاد الكفار والمنافقين فهو أربع مراتب بالقلب واللسان والمال والنفس"، وقال: "كذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]".

وقال أيضا: "حقيقة الجهاد في حصول ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح".

"فجهَاد الْمُنَافِقِينَ أَصعَبُ مِن جهَادِ الكُفَّار، وَهُوَ جهَاد خَوَاص الأمَّةِ وورَثَة الرَسُل، وَالقَائِمُونَ بِهِ أَفرَادٌ فِي العَالَمِ، وَالْمُشَاركون فِيه وَالْمُعَاونُونَ عَلَيهِ وَإِن كَانُوا هُمُ الأَقلين عددًا فَهُمُ الأَعظَمُونَ عِند اللَّه قَدرا" اهـــ.

وهذا الذي سماه في "زاد المعاد" جهاد خواص الناس، سماه في "مفتاح دار السعادة" جهاد الخاصة من أتباع الرسل، وقال: "وهو أفضل الجهاد".

والنبي ﷺ في بعض الأحاديث قدّم بر الوالدين على الجهاد، وقال لبعض أصحابه: (أحيّ والداك؟ قال نعم، قال: ففيهما فجاهد)، وقال لآخر: (ألك أم؟ قال نعم، قال: ارجع فاستأذنها).

والدعوة واجبة كل حين، على كل اتباع الرسول ﷺ قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف:١٠٨].

أما القتال فقد يكون فرض كفاية أو تطوعا أو ممنوعا منه كما سبق.

ولما قال الصحابة: "الشهيد من قتل في سبيل الله"، قال ﷺ: (إن شهداء أمتي إذن قليل)، وذكر ﷺ أصنافاً أخرى، فشهداء الأمة كثير أوصلهم بعض العلماء إلى قرابة الثلاثين حين جمع الأحاديث كلها ومنهم (المطعون والمبطون، والغريق، والنفساء، والمصاب بالسل، والمهدوم، ومن وقصته دابته، ومن مات حرقا، والمصاب بذات الجنب، ومن قتل دون مظلمته أو عرضه).

وقال: (أحب الجهاد إلى الله كلمة حق تقال لإمام جائر).

وقال في الرواية الأخرى: (أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)، وفي الرواية الثالثة (إن من أعظم الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر).

وقال: (سيد الشهداء حمزة، ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله) كما تقدم.

وقال (أفضل الجهاد من جاهد نفسه في ذات الله عز وجل).

ودعا ربه قائلا: (اللهم اجعل فناء أمتي قتلا في سبيلك بالطعن والطاعون).

وقال ﷺ: (اعملوا فكل ميسر لما خلق له)، ومن الناس من يسر الله له أن يكون مقاتلا، ومنهم من يسر الله له أن يكون داعية وعالما، أو قاضيا أو مصلحا أو متصدقا، فليس من شرط أولئك أن يكونوا مقاتلين.

فللجهاد في الإسلام معنى واسع لا يصح الاقتصار على بعض ذلك دون بعض، وقد أوضحه الله في كتابه حيث قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩]، والسبل هي طرق الخير كما قال النووي، وأشار إليه

ابن كثير، وقال تعالى عن القرآن: ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣]، وقال: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨]، وأمثال ذلك مما يرجع كله إلى المعنى الأصلي الذي هو بذل الطاقة والجهد في إقامة الدين كما سبق.

وقد كان النبي ﷺ مجاهدا حياته كلها كما تقدم حتى وهو في مكة قبل الهجرة حين كان مأمورا بكف اليد عن قتال المشركين، وقد ورد الأمر بكف اليد حتى أذن الله بالقتال.

والانحراف في مفهوم الجهاد أدى إلى الوقوع في الغلو، ومن ذلك:

١- تتريل نصوص جاءت في حق الكفار على المسلمين وهذا ضلال، جاء الحديث بإبطاله وشنع عليه كثير من الصحابة والسلف والعلماء والفقهاء ويشهد به واقع الخوارج.

٢- المساواة بين القاعدين وبين من يلغي الجهاد نهائيا، وقد قال تعالى: ﴿لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ﴾ [النساء: ٩٥-٩٦].

وفي الآية دليل على أمور:

أ- أن القضية قضية فاضل ومفضول وليست قضية مؤمن ومرتد.

ب- أن الجهاد بالمال عظيم، ولا ينبغي لمن قدر عليه أن يتركه.

ت- أن مذهب من قال بإكفار القَعَدة من الخوارج كالأزارقة باطل.

ث- أن الناس يتفاوتون في الخير والشر، والله تعالى هو الذي يفضل أو يزكي أو يرفع درجات من يشاء، فيجب معاملة المسلمين بالظاهر وإيكال السرائر إلى الله تعالى.

ج- أن المضطر من أهل الإيمان معذور.

ح- أنه يصح قول قعدتَ لمن قعد، أو كفرتَ لمن كفر، دون أن يعني

ذلك أنه خرج من الملة بالضرورة، ولكن على سبيل التحذير أو التخويف، كما قال الشافعي لحفص الفرد.

خ- أن على المؤمن أن يرتب ولاءه وعداوته فكل ذلك يتبعض ويتفاضل.

وإنما الكفر الظن بأن المجتمع الدولي وقرارات الأمم المتحدة وما يسمى الشرعية الدولية تغني عن الجهاد، حتى أن قوما ألغوا بالكلية بعض ما يترتب على الجهاد كارق، وإنما كان ذلك كفرا يجب بيانه والتحذير منه لأنه يعني أن البشر أعلم من الله ويجوز لهم نسخ أحكامه.

والجهاد له أساليبه ومراحله وهو يتدرج حسب شرع الله وسنته الكونية، وليس هذا خاصا بالمسلمين الذين تحولوا من رجل واحد هو محمد عليه الصلاة والسلام إلى أمة عظيمة تنتشر في كل قارات الدنيا، بل إن الفكرة الصهيونية مثلا تدرجت من الصهيونية النصرانية التي وضع بذرتها "لوثر" ثم صندوق اكتشاف فلسطين، ثم المؤتمر الصهيوني ثم الهجرة إلى فلسطين وتأسيس المنظمات اليهودية والمزارع الجماعية ثم إنشاء ما سمي الوكالة اليهودية، ثم إلى قيام الدولة الصهيونية "إسرائيل" وهكذا، فكل من يقول اليوم كيف تمضي هذه المدة ولم يذهب نظام بشار ولم تزل دولة الصهاينة هو عَجِل ﴿وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا﴾ [الإسراء:١١].

وبعضهم يريد كرامة خارقة، تأتي بشكل إعجازي تخضع له أعناق الكافرين ونسي أن الجهاد نفسه كرامة، وأن خير المسلمين هم أصحاب بدر، وأن الثبات على الحق هو نفسه كرامة ونصر، وللنصر في الإسلام مفهوم أوسع من مجرد الغلبة في القتال، وتقدم الحديث في أن النصر قد يكون بالدعاء، وقد قال سيد التابعين، سعيد بن المسيب رحمه الله: "كفى بالمرء نصرا من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله".

ومن النصر إجابة دعوة المظلوم الذي قال الله فيه، كما في الحديث القدسي: (وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)، وعليه أبشر إخواني

المظلومين بالنصر، وأن الله ليس بغافل عما يعمل المغتصبون (المستوطنون)، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [إبراهيم:٤٢]، وقد قال القاضي شريح رحمه الله: "إن المظلوم ينتظر النصر، والظالم ينتظر العقاب".

ومن الجهاد إحياء العمليات الاستشهادية ذات النكاية العظيمة في العدو، وهي نوع من الانغماس في الأعداء يدل على شجاعة المسلمين، وحبهم للشهادة، ويثير الرعب في قلوب أعدائهم، وقد أفتى العلامة محمد بن إبراهيم رحمه الله المجاهد الجزائري بجواز قتل نفسه، إذا كان لديه أسرار يخشى أن يفضي بها تحت التعذيب.

والعمليات الاستشهادية ليست انتحارا كما يزعم بعض الناس، فإن الأعمال بالنيات، ومن نوى تأثيرها، فهو كالغلام صاحب الأخدود، لما قال للملك: إن أردت أن تقتلني فافعل كذا، كما هو معلوم، وإنما يستنكرها من أعمى الله بصيرته من الفلسطينيين أو غيرهم، كما استنكرها ياسر عرفات وأفاض في ذلك وشنَّع محمود عباس، وكذلك استنكرها "جورج بوش" الصغير و"بوتين".

وقد رد على القائلين بأن ذلك انتحار علماء كثيرون، بعضهم أعضاء في هيئة كبار العلماء بالسعودية، وبعضهم من كبار شيوخ الأزهر، وبعضهم فلسطينيون، وبعضهم من دول أخرى.

كما رد عليهم بعض العلمانيين مثل غازي القصيبي في قصيدته التي يقول فيها:

يشهد الله أنكم شهداء   يشهد الأنبياء والأولياء

وحسبنا في ذلك حديث (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى).

ولا بد في الجهاد من صواب العمل وسداد الرأي، وإلا صار ذراعا بلا عقل وعملا بلا حكمة، حسب ما يقول العامة في مكة "غشيم ومتعافي".

وجهاد اليهود فضله عظيم، وأجلّ أعمال ياسر عرفات هو كتائب شهداء الأقصى، وأسوأ أعماله هو اتفاقية "أوسلو"، وأنا بحمد الله لم أقابل ياسر عرفات وإنما قابلت أخاه محمد عرفات، الذي كان مدرسا في متوسطة بني سالم، والمهم أن ياسرا غيّر مكان ولادته من القاهرة إلى القدس، بل غير اسمه ولم يذكر عائلته الأصلية "آل قدوة"، وكان في المعسكرات الكشفية في مصر بزعامة "حسن دوح"، وجعل وزيرا يهوديا لشؤون الأديان "هِرش" ونادى صراحة ومرارا بدولة علمانية، وأنفق المليارات التي تعطى له لتحرير القدس في إنشاء (البنك العربي) الذي أسس فروعا له في فلسطين ودول الخليج وغيرها، وأسس عرفات منظمة "فتح" المعروفة.

وبعد "أوسلو" غيرت منظمة فتح ميثاقها لكي يتفق مع شروط "أوسلو"، واستخدمها اليهود استخبارات لهم ضمن ما سموه "التنسيق الأمني"، وأخذ كبارها مقاولة بناء الجدار العازل وأصبح أعدى عدو لها هو من يجاهد أو يدعو للجهاد، وسلكت ما سمته الجهاد السياسي وآمنت بالقانون الدولي الداعي للمفاوضات التي لم تحرر شبرا واحدا، ولو كان الفلسطينيون يعرفون الإسلام على حقيقته، ما كانت لعرفات و"فتح" هذه الشعبية بعد "أوسلو".

وإذا أطلق الجهاد فالمراد به قتال الكفار.

والجهاد هو وسيلة التربية العظمى وأسلوب التكفير والتوبة، وبه تاب أبو محجن الثقفي من شرب الخمر يوم القادسية.

والجهاد هو الذي يفجر طاقات الأمة ويوقظها من سباتها ويجتمع عليه المسلمون كافة، ويحقق الحياة الطيبة في هذه الدنيا، فلما أحيا السلاجقة روح الجهاد في الأمة انفجرت كل طاقاتها الهائلة، حتى أن امرأة فقيرة من المسلمين، لم تجد ما تقدمه للجهاد، إلا أن تقص شعرها ليكون قيدا لفرس في سبيل الله فمن ظن أن هذه الأمة خلقها الله لغير ذلك فقد أخطأ، وإنما جاء السلاجقة من القبائل التركية في أواسط آسيا، وكان منهم عماد الدين زنكي

ونور الدين زنكي، بعد أن خضعت الأمة للرافضة والباطنيين أمثال بني بويه وبني عبيد والقرامطة، وولى نور الدين على الجيش صلاح الدين وهو ليس عربيا ولا تركيا، ولكنه يعشق الجهاد.

ولما حاصر صلاح الدين الصليبيين في عكا تجمعت لنصرته قبائل اليمن عند جبل حضن بالقرب من الطائف، فهذا الذي يحرك الأمة ويدفع الشعوب للعمل.

وكان في أيام الجهاد مجنون من المسلمين، إذا جاهد شفي وإذا عاد إلى أهله رجع له جنونه، فالجهاد هو حياتنا وروحنا وشفاؤنا وفيه ذهاب الهم والغم، كما ذكر رسول الله ﷺ، وفيه الكرامة والعزة والحياة الطيبة وفيه السداد والتوفيق، حتى قال بعض السلف: "إذا أعيتكم الأمور فاسألوا أهل الثغور".

وفيه السعادة كما ذكر الشيخ ابن سعدي، وسيأتي مزيد إيضاح لذلك بإذن الله.

وسنة الله تعالى الثابتة والمشهورة منذ قديم الدهر، أنه ينصر كل زاهد وعادل، ويقصم كل باغ وظالم، يريد العلو والفساد في الأرض، ويلقي الهيبة لمن أعرض عن زخارف الدنيا ومتاعها، وهكذا نصر نور الدين زنكي الذي قضى أكثر عمره في الجهاد، كما نصر قائده صلاح الدين الذي لم يخلف عند موته سوى سبعة عشر دينارا صوريا، كما قال من يقول إنه خلف تركة، فاستحق الثناء عليه من العلماء، ومنهم شيخ الإسلام بن تيمية فهل يعتبر الذين يملؤون بنوك سويسرا من مال الله؟

وتغنى الشعراء بمدح الزهاد والثناء عليهم، قال ابو العتاهية:

إذا أردت شريف الناس كلهم   فانظر إلى ملك في زي مسكين

وقال أحمد شوقي في مدح الزهاد من شيوخ الأزهر الأوائل:

كانوا أجل من الملوك جلالةً   وأعز سلطانا وأعظم مظهرا

وانظر إلى حال الأئمة الزهاد في عصرنا كالشيخ محمد بن إبراهيم،

والشيخ محمد الأمين الشنقيطي، والشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عبدالله بن حميد، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبدالله بن جبرين، كيف كانت حياقم؟ وكيف كان لباسهم؟ ومع ذلك يهابهم الخاص والعام.

والزهد تنادي به الدنيا نفسها فإنك لو ملكت أفخم الأبراج لم تنم إلا على سرير واحد، ولو ملكت أحدث السيارات لم تركب إلا واحدة منها، ولو كان لديك أفخر الطعام لما ملأت منه إلا بطنا واحدا..وهكذا، وينبغي لنا مع الدعوة للزهد والجهاد أن نرتب العداوات ونبدأ بأشد الناس عداوة للذين آمنوا، ثم نتدرج في ذلك كما تقدم.

فأشد الناس عداوة للمؤمنين هم اليهود بنص كتاب الله، ومثل اليهود من والاهم وإن ادعى أنه عربي. وكذا من عرف الحق وأعرض عنه مثل فرعون، واختار متاع الدنيا القليل والمحافظة على كرسيه، ومن الضلال القول بأن حركة حماس إرهابية كما سمعنا، وأشنع من ذلك القول بأنها مرتدة.

وبعد اليهود يأتي المشركون ويمثل ذلك في عصرنا الملاحدة، وعباد الأوثان، وكلّ أنواع المشركين، لا سيما من يؤله غير الله كما يؤله النصارى عيسى عليه السلام، ومن المشركين من يدعو غير الله ويستغيث به، ويظن أنه تخضع له كل ذرات الوجود وأنه يتصرف في الكون!

ثم من أظهر الإسلام وهو كاذب كحال المنافقين في الصدر الأول والزنادقة فيما بعد ومثلهم الفلاسفة، والمنافقون في بعض الوجوه أخطر من اليهود والنصارى لكن يخفى حالهم على كثير من المؤمنين حتى أن من الصحابة من كان يحسن الظن بهم وانقسموا فيهم فئتين، وفيهم سماعون لهم، حتى النبي ﷺ إنما كان يعرفهم في لحن القول وإنما عرفهم بأعيانهم لما أوحي إليه ربه بأسمائهم وإلا فقد قال الله: ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة:١٠١]، ومن عرف منهم الحق وأعرض عنه فهو كالمغضوب عليهم "اليهود"، ولا ينفعهم أن يعرفوا أن القرآن حق ولكنهم يتبعون غيره ويتحاكمون إلى الطاغوت، وقد سمى الله دعواهم الإيمان زعما، وثبت عنه ﷺ أنه قال: (وإن صلى وصام

وزعم أنه مسلم)، وبيّن خصال النفاق التي إذا اجتمعت في أحد كان منافقا خالصا، وبيّن أن المنافقين يتخذون أيمانهم جنة ليحفظوا دماءهم، وذكر أنهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون.

والمؤسف اليوم أن يحسب بعض المسلمين أن المرتد من المسلمين هو من يكفر بالقرآن بلا عذر، وأن المنافق هو من أطاع الكفار في كل شيء.

ثم الرافضة الغلاة والصوفية الغلاة وأشباههم وقد يدخل بعضهم في الأقسام المتقدمة كالمشركين والمنافقين، مثل من يعتقد وحدة الوجود أو أن شيخه يتصرف في الكون!! وكذا غلاة الخوارج والمرجئة.

ثم بقية الروافض وأخفهم الشيعة المفضِّلة كالزيدية.

ثم الخوارج وأشدهم الأزارقة وأخفهم الإباضية.

وعليه يكون الإسماعيلية لا سيما المكارمة أشد من الهادوية الزيود، وأغلظ بدعة من الحوثي، والثابت تاريخيا أن الهادي قاتل الإسماعيلية في نجران، كما أن الواقع الذي لمسته بنفسي في اليمن، وشهد به كثيرون أن كثيرا من الزيدية عادوا إلى السنة، وتركوا مذهب الرفض وهم يشعرون أو لا يشعرون. ويؤذنون كأذان أهل السنة ويصلون كصلاتهم وأمرهم إلى الله، ولا يجوز في شرعهم التقليد بل يجب الاجتهاد، وكان منهم الإمامان الجليلان الشوكاني والصنعاني، وكذلك يحيى حميد الدين الذي هدم القبور المشرفة وسواها في تهامة بالأرض، ومن عرف دين الإسلام علم أن المكرمي إذا بقي على باطنيته أولى بالقتال من الحوثيين، ولكن يجب إقامة الحجة على الجميع قبل القتال، كما يعلم أنه لا شرعية إلا باتباع الشرع، والحكومة الشرعية هي التي تحكم بشرع الله وليست من ينتخبه الناس، أو تقره المنظمات الدولية وتعترف به القرارات الأممية!

وبترتيب العداوة يظهر الفارق الكبير بين الإسماعيلية والزيدية.

ترتيب العداوة:

ديننا الحنيف هو دين العدل، ومن العدل ترتيب العداوة كما رتبها الحكم العدل سبحانه ورتبها نبيه ﷺ ودل على ذلك نصوص شرعية كثيرة كما دل عليه عمل السلف الصالح وحياتهم، والشريعة منها ما هو ضروري وما هو حاجي ومنها ما هو تحسيني، كما بينه الأصوليون والفقهاء.

وقد تقدم ما يدل على الترتيب، وبناء على هذه الحقيقة البدهية المعلومة لكل ذي عقل ودين نقول: إنه لو أن باحثا عادلا نظر نظرة مجردة موضوعية إلى ما يقوله أو يفعله الخوارج، لجزم أنه أخف ضررا مما تفعله الإسماعيلية والرافضة، فالخوارج ليس لهم تقية الرافضة بل هم في منتهى الصراحة والشجاعة ويهاب اليهود والنصارى أن يحاربوهم، ولا يستوي عند من يعرف عقيدة السلف الصالح من كان شعاره لا إله إلا الله لكنه ضل مع من كان شعاره "يا حسين، يا زينب، يا علي، يا عباس، يا فلان"، وهذا مشاهد بالعين لا يحتاج ذو لب لتوكيده، وكون الروافض أغلظ بدعة من الخوارج وأولى منهم بالحرب تدل عليه السيرة النبوية الشريفة، وفعل أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وإجماع الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين، وعليه نص ابن تيمية مراراً.

والرافضة هم الذين قتلوا عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وأغلظ الروافض كفرا هم غلاتهم لا سيما الإسماعيلية والنصيرية، سواء أكان ذلك الإسماعيلي في نجران أو في سلمية أو في جبل حراز أو في شمال باكستان أو الهند أو باريس أو كينيا، وخطرهم وكفرهم معلومان لكل من يفقه عقيدة السلف، ومن أعمالهم الظاهرة اعتداؤهم على أهل السنة قديما وحديثا، وتواطؤهم مع الصليبيين ومحاولة قتل صلاح الدين، وانظر إلى عصرنا الحديث كيف أنهم أطلقوا النار على "مشعل بن سعود" أمير نجران وحاصروه في أحد الفنادق، وقتلوا رجال الأمن والدوريات، وهم لا يقيمون صلاة الجمعة، لأنها

لا تصح عندهم في ظل الحكم الفاسد، وإنما خلف المعصوم المنتظر!

وهم يصومون ويفطرون مع إيران، ورمضان عندهم ثلاثون يوما دائما، وهم يمدون الحوثيين بالشاحنات التي يعلم الله ما فيها، ويقولون إن لديهم عهدا بالبقاء على مذهبهم مقابل دخولهم في الطاعة، ولهم أربطة في مكة منها الرباط السيفي (نسبة إلى الداعي طاهر سيف الدين)، وهو رباط كان بجوار الحرم المكي ثم نقلوه.

وغير ذلك من الضلالات، وقد سمى النبي ﷺ الخوارج (كلاب أهل النار)، فكيف ينبغي أن يسمى هؤلاء؟

وكيف يقال إنهم مواطنون؟ وكيف لا يشجعون على التوبة والبراءة من المكارمة؟ وماذا يقول عنهم أصحاب ما يسمون (الحوار الوطني)، ولماذا يدّعون أنعم فاطميون؟

والعبيديون يدعون الانتساب لآل البيت الشريف مع أن أصلهم يهود فرس، لا صلة لهم بآل البيت كما بين ذلك أئمة المذاهب الأربعة حينها، وهم شيخ الحنفية "القدوري" وشيخ المالكية "ابن أبي زيد" وشيخ الشافعية "الإسفرائيني" وشيخ الحنابلة "أبو يعلى".

والإسماعيلية طبعهم دائما الاغتيال حتى أن "مصطفى غالب" الذي حقق كتبهم في هذا العصر بعنوان "سلسلة التراث الفاطمي" ذكر أنه هو نفسه يخشى من ذلك، ومن قبل حاولوا اغتيال صلاح الدين الأيوبي.

ومن شنائعهم وكفرياتهم الطعن في عرض النبي ﷺ، واتخاذ ذلك ذريعة لقتل أهل السنة أو على الأقل عداوتهم، فإذا أرادوا أن يلعنوا أحدا قالوا "عليك ما على عائشة"!!

وهم يسمون أهل السنة والجماعة "جماعة أبو هريرة" أو "قوم أبو هريرة"!.

وكتبهم السرية كثيرة، وهم يأخذون العهد على من يعطونها إياه ألا يعطيها أحدا، ولا يستطيع أحد أن يقرأ تلك الكتب، إلا ويشعر بالملل

والغثيان، لكثرة ما فيها من الافتراءات، والمخالفة للكتاب والسنة، والحشو الفلسفي، والتأويلات البعيدة، وأهم عقائدهم وجوب الإيمان بالإمام الوصي المعصوم، وإثبات كفر من لم يؤمن به على مذهبهم، وأول الكافرين عندهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم بقية خلفاء المسلمين وحكامهم، ومن كتبهم "الافتخار"، و"أسرار النطقاء"، و"الكشف"، و"كتز الولد"، و"الهفت"، و"الهمة"، ومن أهم كتبهم عندهم "صحيفة الصلاة"، و"دعائم الإسلام".

وهم على الفلسفة اليونانية، التي كان إخوان الصفا يظنون أنها غاية ما وصل إليه العقل البشري، وهي فلسفة وثنية كما هو معلوم، ومن بقاياها الاعتقادية عندهم سلب النقيضين في صفات الله تعالى، والعقول العشرة والنفس الكلية، كما أنهم أخذوا عن اليهود والنصارى وغيرهم، فأخذوا من اليهود مثلا، الإيمان بأن الله تعالى يبدو له، وأنه استراح في اليوم السابع لما خلق السموات والأرض، كما أنهم أخذوا عن النصارى عقيدة الحلول التي يسميها الإسماعيلية "التجلي"، وذلك في صحيفة الصلاة التي لا يكاد يخلو منها بيت إسماعيلي، وهي صحيفة أفتت اللجنة الدائمة للإفتاء بتحريم نشرها وتداولها لما فيها من الشركيات، وهم يؤمنون بالسحر حتى أنهم لما اختلفوا أخيرا سحر بعضهم بعضا.

كما أخذوا من الجهمية نفي الصفات وزادوا عليه، وغلوا في الإرجاء وأخذوا كثيرا من عقائد الرافضة والصوفية.

ومن ضلالاتهم أن عليا والحسين لم يقتلا وإنما شبِّه لقاتليهم، وأن الله حلَّ في أبي عبدالله الحسين، وأن الحسين قال عن نفسه (أنا رب العالمين) أي نفس عقيدة (العلي إلهية) التي أحرق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من قالها من الزنادقة.

والإسماعيلية فرقة من الشيعة الغلاة ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق الذي مات في حياة أبيه، لكنهم جحدوا أنه مات وبعضهم يزعم

أنهم ينتسبون إلى إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام.

ويجعلهم شيخ الإسلام ابن تيمية رديفا للباطنية، وهم باطنية بالفعل، والمنظرون الفكريون للإسماعيلية هم المكارمة، ومن مبادئهم التأويل والسرية والمراتب الشبيهة بمراتب الماسونية، وقد انقسموا أول الأمر إلى الواقفية والمباركية، ثم انقسموا إلى نزارية ومستعلية أيام العبيديين، أما في عصرنا هذا فأشهر فرقهم السليمانية والداوودية والبهرة.

وقد قال الشيخ أبو حامد الغزالي عن العبيديين: "ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض"، وفي هذا العصر كان كبيرهم يمشي على شعور نسائهم في مكة، ولا يجوز إقرارهم على مذهبهم، ولا الحوار معهم كما يفعل بعض الناس اليوم، وهم كما قال ابن تيمية: أكفر من النصيرية. وهم تاريخيا أعداء ألداء للزيدية، وحاربهم الهادي إمام الزيدية المتوفى سنة ٢٩٨هـ في حوالي ٧٠ معركة، وحاربتهم الزيدية قرونا، كما حاربهم بن عائض، وهم أخطر من الحوثيين وأولى بالدعوة والعداوة منهم، وللاستزادة عن عقائد الباطنية اقرأ كتاب الغزالي "فضائح الباطنية"، وما كتبه ابن الجوزي في "تلبيس إبليس"، وابن حزم في "الفِصل"، وما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى، وما في الموسوعة اليمنية عنهم، وفي مجلة الإرشاد اليمنية مقال "باطنيون في اليمن" وغيره.

كما أنهم أخطر من الرافضة الاثني عشرية، وهم يؤمنون بالتقية، ويجب دعوتهم إلى الحق.

وبالقطع هم أخطر من الخوارج وأشد من الجهمية وغلاة المرجئة والصوفية.

ومن أشهر دعاتهم علي بن الفضل، ومنصور اليمن، وإبراهيم الحمادي.

وينبغي أن يعلم أنه ليس كل قبيلة يام إسماعيلية بل منهم كثير من أهل السنة، بل إن بعض مشائخهم تسننوا، مثل بعض أبناء "أبو ساق" نفسه، ولا يجوز إقرارهم على دينهم، ولا يعني ذلك مقاتلتهم قبل إقامة الحجة عليهم

وبيان الحق لهم كما تقدم.

ويجب منع المكارمة من دخول السعودية، والمقر الأساسي للمكارمة مدينة بومباي الهندية وهناك أضرحة لأئمتهم كما يجب منع الأغا خان وسلطان البهرة، إلا أن يعلنوا صراحة رجوعهم عن الباطنية.

أما قبيلة يام فهم قبيلة أصيلة من همدان، وفيهم جهل كثير، ولا يعرفون غالبا من المذهب إلا الاسم وآل "أبي ساق" على الصحيح من قحطان، وفي يام نخوة ومروءة وإكرام للضيف وصفات كريمة استغلها المكارمة ونشروا مذهبهم بينهم، لذا يحرم غشهم وتركهم على المذهب، بل يجب استغلال هذه الصفات في بيان الحق لهم ولا يجوز الحكم بتكفيرهم رأسا، ولا نشر الفتاوى المصرحة بذلك فالفتاوى في تكفيرهم، إنما هي لإقامة الحجة عليهم، وهو مقام غير مقام الدعوة وبيان الحق لهم.

وينبغي التفريق بين عموم اليامية وبين المكارمة الذين يوجهون الباطنية، ومنهم الدعاة الهنود كما تقدم، كما لا يجوز أن يعملوا، وهم على عقيدتهم في وظائف حساسة كالخارجية أو الدفاع أو الداخلية أو العدل، فضلا عن الديوان بذريعة أنهم مواطنون.

ولا يجوز استرضاء طائفة منهم بإعطائهم القصور والفلل والأراضي وتوظيفهم مستشارين في الديوان الملكي، ولا أن ندعوهم للولاء لفلان أو علان، بل ندعوهم إلى الولاء لله ورسوله والمؤمنين، ومن اهتدى منهم وجب إكرامه، ومن بقي فيحكم فيهم بحكم شيخ الإسلام في رافضة كسروان، وحالهم بين الحذر والعقوبة كما قال شيخ الإسلام.

ومن أهل السنة اليوم من يعرف عقائدهم، كالشيخ ممدوح الحربي، والشيخ صالح الدرويش، والشيخ محمد إبراهيم الحمد، والشيخ ناصر القفاري ومنهم من عاد للسنة وهم كثير ويعرفون ما عليه القوم حاليا، ومن يام قبيلة العجمان، وهم من أهل السنة ولله الحمد.

وهؤلاء الإسماعيلية يكرهون دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب منذ

ظهورها، وقد أرادوا احتلال الدرعية قبل الباشا، وحاربوا من اتبع الدعوة من أهل نجد أو اليمن، ولما بايع أهل نجد سعود بن فيصل بن تركي واستعان أخوه عبدالله بالإسماعيلية فرحوا بذلك وأنجدوه، وقد فصَّل في ذلك ابن غنام وابن بِشر والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب.

وأنا بعد دراسة طويلة متأنية وقراءات كثيرة ومقابلات طويلة، أجزم بأن الإسماعيلية أخطر من الحوثيين، بل هم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله "أكفر من النصيرية"، وذلك لأسباب عدة أذكرها وأعوذ بالله أن أفتري عليهم كما افتروا علي، ولا يدخل في ذلك من كان يحسن الظن بالإسماعيلية من يام أو ينتسب للإسماعيلية بلا علم.

وهذا ملخص عقائدهم وأحوالهم:

● الإسماعيلية على عقيدة الباطنية الذين يسمَّون الإسماعيلية أو السبعية أو القرامطة أو العبيدية أو الحشاشون أو الخرمية.

● الإسماعيلية ينكرون صفات الله تعالى كلَّها ويؤمنون بالسحر، ويستغيثون بأسماءَ أعجمية.

● لما وقع الخلاف الأخير بين محسن وحسين استخدموا السحر كعادتهم.

● الإسماعيلية يؤمنون بالعقل الأول والنفس الكلية وبتأثير الكواكب في الحوادث الأرضية، أي عقيدة "إخوان الصفا" نفسها، وإذا ما قارنت عقائد إخوان الصفا منفردة أو كما ذكر بعضها التوحيدي، وبين ما عليه المكارمة اليوم وجدت العقيدة نفسها.

● الإسماعيلية في حقيقة عقيدتهم، ينكرون البعث الجسماني ويقولون إن البعث روحاني فقط، وعلى ذلك كتَب ابن سينا "الرسالة الأضحوية".

● انشق عنهم الدروز الذين يؤلهون الحاكم بأمره العبيدي، وهم في لبنان ومن زعمائهم اليوم "وليد جنبلاط"، وكذا في سورية خاصة في محافظة

السويداء، ومنهم سليم حاطوم وزهر الدين.

وبعض الدروز يقيمون في الأرض المحتلة، ويتجندون في ما يسمى "جيش الدفاع الإسرائيلي"، وهم معروفون في تاريخهم كله بولائهم للإنجليز وكراهيتهم للدولة العثمانية، وكان منهم فؤاد حمزة، وكذا يوسف ياسين وكلاهما معروف هنا.

● الإسماعيلية عبيدية يعترفون بذلك، وقد قال أبو حامد الغزالي رحمه الله عن العبيدية "ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض"، وقد انقسموا إلى فرقتين: ١- نزارية ٢- مستعلية.

ومن البهرة المكارمة السليمانية، وكبيرهم الذي يسمونه سلطانهم، يزور جبل حراز القريب من صنعاء، ويأتي إلى مكة المشرفة، ويزور السليمانية في نجران، ومنهم الآغاخانية الذين يعيشون في الهند وكينيا وباريس وبعضهم في صنعاء ونجران.

● ومنهم فرقة الداوودية التي يعرفها أهل نجران جيدا.

● ومنهم من يعيش في سلمية ببلاد الشام إلى هذا اليوم، ومن الباطنية في هذا العصر "عارف تامر" صاحب الكتب المعروفة.

● من الإسماعيلية فرقة الحشاشين الذين كانوا في قلعة "ألموت" بزعامة الحسن بن الصباح ثم من جاء بعده، ولا تزال الكلمة في الإنجليزية تطلق على القتلة، وقد حاول الحشاشون اغتيال صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، واغتالوا كثيرا من قادة المسلمين منهم الأمير مودود الذي اغتالوه يوم العيد، فقيل فيهم "إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها حق على الله أن يبيدها".

● ليس عند الإسماعيلية صلاة جمعة بل يعتقدون أن صلاة الجمعة لا تصح إلا مع إمام عادل، وهذا غير موجود اليوم.

● الإسماعيلية يؤمنون بالتقية كما يؤمن بها الشيعة، وقد اعترفوا لي بذلك.

● الإسماعيلية في نجران يصومون رمضان (٣٠) يوما وهم يتبعون إيران

في عيدها وفطرها، مثلما يتبعونها في عقيدتها، علما بأن كتب الشيعة القدامى تكفِّرهم!!

وهم بهذه التبعية الظاهرة يعلنون عن عدم ولائهم للسعودية، فكيف يقال بأنهم مواطنون سعوديون؟ والذي يذكر عقائدهم طائفي يثير الفتنة.

● من أهم كتب الإسماعيلية اليوم في نجران كتاب "دعائم الإسلام" الذي كتبه "النعمان المغربي" وفيه يقرر النعمان أهم الأصول بعد الإيمان بالله على مذهبهم، هو الإيمان بالإمام المعصوم الذي هو من ذرية علي خاصة بل من ذرية الحسين بن علي وليس الحسن بن علي.

● يقول من بقي على دينهم وقد قابلته شخصيا إنه لا يدخل في مذهب السنة إلا من كان يرضى أن يُعمل به عمل قوم لوط وأنا أخفف عبارته التي قال، ولا أنقلها بنصها.

● يلعن الإسماعيليةُ في نجران –حتى العوام منهم– الصحابةَ رضي الله عنهم، وإن ترضوا عن أحد تقية فإنما يعنون من يوافق عقيدتهم وليس كل الصحابة لا سيما أبو بكر وعمر!!

● يوجد هؤلاء الباطنيون في مكة وجدّة والرياض والدمام وأبها وغيرها.

● يسمي الإسماعيلية في نجران أهلَ السنة (عامة) كالروافض، ولا يستثنون أحدا، كما يسمونهم (جماعة أبو هريرة)، وإذا دعوا على أحد أو لعنوه قالوا "عليك ما على عائشة" كما تقدم.

● حارب الإسماعيلية في نجران دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله منذ أول ظهورها على يد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، والأمير محمد بن سعود رحمهما الله، ولكنهم انهزموا، ولا يزالون يكرهون أهل نجد كلهم إلى اليوم.

● يدعي الإسماعيلية أن عندهم عهدا بأن يبقوا على مذهبهم مقابل الدخول في الطاعة، والواجب هو تمزيق هذا العهد إن وُجد، ويُدعون إلى الكتاب والسنة لا إلى الطاعة، فالعقيدة عندنا أهم من الطاعة.

● بعض الإسماعيلية في نجران يمدون الحوثيين بالشاحنات المحملة بالأرزاق وربما بغير ذلك! وهذا أيضا أمر مقطوع به شاهده كثير من أهل السنة ولا ينكره شيوخ الإسماعيلية.

● قتل هؤلاء الإسماعيلية كثيرا من أهل السنة وحاصروا أمير نجران السابق، "مشعل بن سعود" في أحد الفنادق وأرادوا قتله، والحادثة معلومة للجميع، ولم يفعل ذلك أحد من ضُلاّل أهل السنة حتى الآن، ومع ذلك لا يسمى الإرهابي أو المتطرف إلا من كان من أهل السنة!!

● يدعون أن قبيلة يام منهم، وليس ذلك على إطلاقه كما تقدم، بل من "آل أبو ساق" أنفسهم الذين هم شيوخ القبيلة من هو من أهل السنة، وكتاب الحمادي قديم، وهو يتكلم عن الإسماعيلية وليس عن قبيلة يام، بعمومها.

● الإسماعيلية لديهم كتب سرية لا يطلع عليها إلا الخاصة ويقولون إنها من العلم الباطن أو من علم الحقيقة وبعض كتبهم تُفضِّل قائم أهل البيت على رسول الله محمد ﷺ!

ومما ينبغي أن يقال ويعاد إن أهل نجران وغيرها عربٌ أقحاح وفيهم خصال حميدة كالكرم والشجاعة والجوار والنجدة وتقدير من يزورهم، وكثير منهم لا يعلم حقيقة الدعوة الإسماعيلية، ويتميز أهل السنة منهم بهذه الصفات أكثر من غيرهم، وبين المكارمة الإسماعيلية خلافات كثيرة يجب استغلالها ومن المحال استرضاؤهم جميعا بالمال والمناصب التي تعطى لبعضهم.

وأنا أرى أنه لا يجوز لأهل السنة أن يغشوا الإسماعيلية أبدا، وأرى أن أكبر غش لهم هو تركهم على هذه العقيدة المنحرفة.

وأرى أن من السياسة الفاشلة، إعطاؤهم القصور والفلل في الرياض وجدة، وإغداق المال العام عليهم، لا سيما مع إهمال من يعود للسنة منهم، وقد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية فقال: "ومن كان من هؤلاء مظهرا لبدعة تخالف الكتاب والسنة من بدع الاعتقادات والعبادات فإنه مستحق للعقوبة،

ومن عقوبته أن يُحرم حتى يتوب".

ولا يجوز تعيينهم في مجلس الشورى أو في الديوان، أو في الجيش، بل يجب دعوتهم وإعطاء الجنسية للقبائل المجاورة لهم وحث هذه القبائل على دعوتهم.

ولا يصح في الرد على الإسماعيلية الاعتماد على مجرد الفتاوى القديمة التي قد تعرّفهم ببعض ما يجهلونه من كتبهم، أو من يجهلون عنه من أئمتهم وينبغي زيارتهم ودعوتهم.

● الإسماعيلية أولى بالجهاد من الحوثيين ومن الخوارج، فإذا لم يستجيبوا للدعوة وقامت عليهم الحجة وجب قتالهم.

- من ضل في مفهوم الجهاد:

مثلما انحسر كثير من المفهومات الإسلامية كمفهوم التوحيد ومفهوم العبادة ومفهوم الطاغوت، انحسر مفهوم الجهاد عند أكثر الناس، فنشأ عند بعضهم ردة فعل جنحت إلى الغلو واستحلال الدماء المعصومة، وكذا حصر الجهاد في بعض معانيه، والوقوع في العلمنة بوعي أو بغير وعي، وساعد على هذه الكارثة، أن بعض أهل العلم يحصرون الدعوة والأحكام في الأسلوب الفردي المباشر وحده، مع أن الدعوة أرحب مجالا ولها وسائل عصرية كالمؤسسات والفضائيات والمراكز، وبعض الوسائل تتأخر ثمرته ولكنها أجدى وأعم، فأهل العلم حين يحصرون الدعوة في بعض مجالاتها، وحين يزكون من لا يستحق التزكية، وحين تغلب عليهم الغفلة أو المجاملة، وحين يشددون النكير على من يقاتل الكفار ويسكتون عن غيره، إنما يصبون الزيت على النار، ويفتحون الباب لدعاة التغريب الذين يرتدون ثياب العلم والثقافة والتنوير كما يقولون.

ومنطلق أهل التفريط وأهل الإفراط واحد، وهو ضيق المفهوم، وبين هذين يكون مستقبل الأمة في مهب الريح، ويكون القاعدون عن الجهاد

وأولياؤهم هم المنتصرون ظاهرا، لا سيما إن كانوا أقوى تأثيرا في الناس، والله تعالى لا ينصر المفرِّط أو المقصر، ولا ينصر الغالي أيضا، وهو تعالى غني عن كلا الطائفتين، وإذا عصاه من يعرفه سلط عليه من لا يعرفه، كما سلط المجوس على بني إسرائيل، وسلط علينا التتار والصليبين، وسلط علينا هذه الحضارة المتعصبة ولا يظلم ربك أحدا.

فالجهاد وسط بين طرفين، ولا يصح لأحد أن يأخذ منه جانبا ويدع آخر، أو يخطئ في مفهومه وحقيقته، وأهل السنة دائما وسط بين الغالي والجافي، وأهل السنة في الفرق كأهل الإسلام في الملل.

والانحراف في مفهوم الجهاد حاصل وقديم وأشد منه إلغاء الجهاد بالكلية، والصحيح أن الجهاد منه عام وهو مجاهدة النفس على الطاعة، وخاص وهو قتال الكفار كما هو معلوم من السنة والسيرة، وتقدم أن حصر الجهاد في بعض أنواعه هو كحصر النبوة في محمد ﷺ وحده، أو حصر الكتب المنزلة في القرآن وحده.

أما أهل السنة والجماعة فهداهم الله لاجتناب كلا الطريقين، وإقامة دولة التوحيد التي لا تقتصر على أن تكون دولة رفاهية، أو دولة تنمية ذات دخل مرتفع، واقتصاد متين، وطرق فسيحة، ومصانع وجامعات كثيرة، مع أنها لا تهمل ذلك، ولكن الأصل فيها هو الدعوة إلى الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإسلامها إسلام رباني مستمد من الكتاب والسنة، وليس إسلاماً أمريكيا مستمداً من رقصات الصوفية أو أفكار المعتزلة والحداثيين، والذي يحدد إسلامهم، هم العلماء الموقعون عن رب العالمين، وليس مؤتمر جروزني ولا مراكز الدراسات الأمريكية.

والإرهابي عند أهل التوحيد الحق، هو الذي جاء من أقطار الأرض ليحتل أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، وليس الارهابي هو (الإخوان وحماس) كما يقول عادل الجبير وسفراؤه.

وقد ألف الأخ الدكتور (محمد السلومي) المتخصص في التاريخ كتاباً

قيماً عنوانه (الإسلام والغرب تنافس أم صراع)، والواقع أن التنافس الحضاري بين الأمم هو سنة الله، لكن الغرب يرغمنا إرغاماً على الصراع، و"ترامب" يريدنا عبيداً وليس أحراراً، ولن نكون كذلك بل ندعوه إلى الله وإلى منهج محمد ﷺ، ونعمل لتكون ثرواتنا ملكاً لنا، وإذا ذهبنا إلى أمريكا أو الغرب لا نندمج اجتماعيا كما يقولون، بل نتميز ونستعلي بديننا ولغتنا، ولا نأكل الخنزير والميتة ونشرب الخمر ونعري نساءنا مثلهم، بل نحن أعلى من ذلك وأقوم سبيلا بتوحيدنا لله وطاعته في تحريم ما حرم، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، أما هم فأضل من الأنعام، ويشتمون الله أعظم الشتم بقولهم إن له ولدا، ويكفرون برسالة النبي محمد ﷺ ويزعمون أنه افترى القرآن!

وأكبر الخوف على الإسلام هو من المنافقين، إذ هم أشد على الأمة من الكفار الصرحاء، والتغريبيون السمر أشد من الغربيين البيض.

والذين من أبناء جلدتنا ويتكلمون بلغتنا أغلظ ممن لم يكن كذلك، ولذلك ليس في القرآن وصف لليهود والنصارى بأنهم ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]، وإنما اء ذلك في حق المنافقين.

والله تعالى يقول للجن يوم القيامة: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ﴾ [الأنعام:١٢٨]، فيأتي الجواب من الإنس ﴿رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام:١٢٨].

ومن المعروف تاريخيا خطر (قازان) و(خدابنده) على الإسلام وكثرة السماعين لهما.

وقد ضل في الجهاد فئتان:

- التاركون للجهاد أو الذين يشترطون له شروطاً تعجيزية.
- الغالون في مفهوم الجهاد والحاصرون له في نوع من أنواعه.

أولاً: أصناف التاركين للجهاد:

أ- الرافضة وأشباههم وهم يعتقدون أنه لا جهاد إلا مع الإمام المعصوم

(صاحب السرداب) إلا من يعتقد منهم النيابة عن المهدي المنتظر، المعروفة في عصرنا بولاية الفقيه فيرون الجهاد الآن ضد من يسموهم "الوهابية" مع النائب عن الإمام.

ب- بعض الصوفية وهم يرون أن الجهاد إنما هو جهاد النفس فقط، وقد اشتهر عنهم قول الحلاج "لا تصح عبادة عابد في ظل حكم فاسد"، وإذا لم تصح العبادة فلا يصح الجهاد، والإمام المشهور الشيخ أبو حامد الغزالي غفر الله لنا وله حين كانت أوروبا تشن حملاتها الصليبية لم يجاهدها؛ بل ليس في كتابه الشهير (إحياء علوم الدين) مبحث عن الجهاد أصلا. وهؤلاء أشبه برهبان النصارى الذين يقولون (الله محبة)، وهذا الذي جاهر به غلاة الصوفية الذين يجعلون الأديان كلها طرقا إلى المعبود كالحلاج وابن عربي.

ج- دعاة اللاعنف كما يسمونه وعمدتهم هو الفلسفة الهندية والبوذية فالمتدينون منهم ينكرون القتل، حتى قتل الحيوان، وجعلوا المرء نباتيا، وورث "غاندي" عقيدة المقاومة السلبية (اللاعنف)، وهذا الاتجاه وجد بعينه في العلمانية التي دعا إليه حزب المؤتمر، ولكن المتعصبون الهندوس منهم في هذا العصر حزب "بهارناجانتيا" بعكس ذلك، ويقولون إن الهند يجب أن يكون دينها الهندوسية فقط، وهؤلاء المتعصبون هم الذين قتلوا غاندي، ولا يزالون يهاجمون المسلمين ويستحلون قتلهم، وهم الآن أكثر وأقوى بل يقولون إنهم أكبر حزب في العالم، وإليهم تنتمي العصابة القاتلة التي ترمز لاسمها بـــ(إس إس آر).

د- بعض المذاهب النصرانية التي تمسكت بما ينسب للمسيح عليه السلام: (من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر)، وهم قريب من الهندوس في هذا، ومنهم جماعة (الكويكرز).

هـــ- الذين يشترطون موافقة السلطة الحاكمة ويرون وجوب طاعتها، إذا نهت عن الجهاد مطلقاً كما كان أحمد القادياني ينهى عن جهاد الانجليز

ويرى وجوب طاعتهم، وعلى ذلك بعض الفلسطينيين اليوم الذين يشترطون أن يستنفرهم محمود عباس لقتال اليهود ولن يفعل ذلك أبداً، وإنما غايته التنسيق الأمني مع إسرائيل، ومنع قيام انتفاضة أخرى، وتفتيش الحقائب المدرسية بحثاً عن السكاكين ومنع العمليات ضد اليهود بأي شكل، ووصف المقاومة بأنها عبثية!

و- المخدوعون بالشعارات الوهمية عن الإنسانية، والسلام العالمي، ومبادئ الأمم المتحدة والمجتمع الدولي.

وأمثال ذلك من شعارات الماسونية التي يرفعونها تمويها وهذا نسخ للقرآن، وهؤلاء المخدوعون يقولون إن زمن الجهاد قد ولّى وأن عصره قد انتهى.

وأشد منهم ضلالاً من يعتقد أن الجهاد من بقايا المرحلة القطيعية الوحشية لإنسان الكهوف، وأن الحضارة الحديثة ألغت الجهاد كلياً، وعلى هذا الظن الفاسد كتب بعضهم إثر اتفاقية معسكر داود المشؤومة كالأستاذ تركي السديري، وعلى ذلك استند الذين ألغوا الرق مطلقاً لأنه ناشئ عن الجهاد، وإذا ألغى الأصل وجب إلغاء الفرع، وقد كتب عن ذلك مؤلف "معجزة فوق الرمال"، وهو يبرر إلغاء الرق في السعودية بأنه لا جهاد فلا رق، وذلك ما أمر به الرئيس (جون كندي) ولا تزال عليه الأمم المتحدة اليوم.

وبعض هؤلاء الذين تركوا الجهاد حبا في الدنيا، هم في الأصل فساق، ولكنهم فلسفوا التَّرك وعقلنوه حتى أصبح عقيدة على حد قول المتنبي:

يرى الجبناء أن العجز عقل   وتلك خديعة الطبع اللئيم

فما كان قديما فسقا أو أسلوبا شاعريا، جعله المتأخرون دينا وعقيدة، وكذا ما كان شهوة وترفا، مثل قول جميل بثينة عن الشهوات:

يقولون جاهد يا جميل بغزوة   وأي جهاد غيرهن أريد

لكل حديث عندهن بشاشة   وكل قتيل عندهن شهيد

واليوم تسمع من يسمون أنفسهم "النخبة المثقفة"، يقولون "شهيد الواجب"، بل قالوا "شهيد المسرح"!

والمسلمون أمة جهاد وليست أمة شهوات، ودولتهم دولة عقيدة وليست دولة رفاهية، ولهم تجارة خاصة بهم، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ [الصف: ١٠-١١].

و لم يغفل إخواننا الفلسطينيون المقاومة السلبية فخاضوا معركة الأمعاء الخاوية، وقاطعوا بضائع اليهود، وأضربت المحلات التجارية وكثرت الاعتصامات والمسيرات، وأمثال ذلك مما هو نوع من أنواع الجهاد لكنه ليس الجهاد كله.

ثانيا: الغلاة في الجهاد، وقد سبق ذكر بعض الغلو، والغلاة من المسلمين فئتان:

أ- الخوارج، وأصل بدعتهم الخروج بالسيف على أئمة الجور، ودارهم فقط دار الإسلام.

ب- المعتزلة، وهم في الحقيقة خوارج لكنهم فلسفوا مذهب الخوارج وجعلوه بناء عقليا، فخالفوا الخوارج في اسم مرتكب الكبيرة ووافقوهم في الحكم، ومذهبهم يقوم على الأصول الخمسة، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يعني عندهم الخروج بالسيف على كل ظالم.

وعلى ذلك بعض الهادوية المعاصرين (الزيدية)، وبعض الرافضة، والفرق بينهم وبين الخوارج أنهم يقولون إن مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتي الكفر والإيمان.

وفي عصرنا هذا كثر النفاق وتحكّم نسأل الله أن يهدي جميع المسلمين.

وممن أخطأ في مفهوم الجهاد في عصرنا وغى فيه جماعة (جهيمان)، وقد كان منهم منصور النقيدان، ومشاري الذايدي، وعبد الله بن بجاد، وتركي الدخيل، وقد ناظرتهم واستدللت عليهم بأمور أهمها:

١- أن الدماء المعصومة لا تستحل بالرؤى والأحلام.

٢- أنهم يصححون حديث (يبايع لرجل) و لم يقل المهدي.

٣- أن ظهور المهدي يقتضي نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وأمثال ذلك مما علمه عند الله، ولا يصح أن نتعجله نحن البشر من عند أنفسنا.

٤- أنهم يقولون إن المهدي يخرج عقب موت خليفة ولا خليفة اليوم. وأذكر ممن ناظرت منهم (عبد الله الحربي).

٥- أنا نكر على هؤلاء لا سيما من تقدم اسمه حين يطلقون النار على الدشوش أو يفجرون الجمعيات النسائية باسطوانات الغاز، ولما كنت في سجن الحاير عرض علي مدير التحقيق أن يكون معي بعضهم فرفضت.

هذا وعقيدة أهل السنة والجماعة أن الجهاد ماض إلى قيام الساعة، مع البر والفاجر، وترك الجهاد من الكبائر وهو منذر بالعقوبة الربانية التي منها الذل وتداعي الأمم، وغلبة المفسدين واستئصال أهل الإسلام أو احتلال بلادهم، وأشد من ترك الجهاد إلغاؤه بل إن إلغاءه كفر، وليس مجرد معصية.

والمسلمون مجاهدون بالفطرة فإن لم يتح لهم الجهاد كحالنا اليوم لجأ الشباب إلى التفحيط والتطعيس، والسرعة الجنونية، والرياضات الخطرة، والمغامرة المهلكة، وإن حيل بينهم وبين الإنفاق في سبيل الله أنفقوا لدعم الأندية الكروية وفي السياحة والمسارح والتبذير والكماليات.

وكما أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة فإن بلاد الشام كلها أرض رباط إلى قيام الساعة وتدل على ذلك جملة من الأحاديث في الصحيحين وغيرها، وجسر الشغور مثلا اسمها في الأصل جسر الثغور، أما رباط عسقلان فقد ورد بشأنه حديث مرفوع صححه الألباني وغيره، وقد أخبر النبي ﷺ أنه لا تقوم الساعة حتى تنزل الروم بالأعماق أو بدابق حسب اختلاف الروايات وهما قرب حلب، وقال بعض أهل المراتب العليا في دراسة التاريخ إنهم نزلوا بالفعل، فإن صح ذلك فلا مانع من تكرار النزول، وكل ذلك غيب لا علم

لنا به، ولا نتزله على الواقع، وإنما نحن مأمورون بالجهاد وبمعاداة كفار الروم.

والجهاد اليوم إرهاب في نظر أمريكا وأوليائها.

وأمريكا لا تريد أن يجاهد المسلمون بل أن يظلوا عالة عليها ولا ينتجون شيئا أو يصنعون شيئا قط، لا سيما السلاح إذ أن انتاجه نوع من الإعداد، والشواهد على ذلك كثيرة وإليك هذين المثالين من واقع الحال هنا في المملكة ولا ينكرها أحد:

١- لما بدأ المزارعون إنتاج القمح جاء وزير الزراعة الأمريكي، وقال لوزير الزراعة السعودي آنذاك أوقفوا زراعة القمح وأمريكا مستعدة لبيعكم بنصف الثمن الحالي.

٢- لما بنت إيران مفاعلات نووية وخشي الأمريكان أن تبني السعودية مثلها قال وزير الخارجية الأمريكي "كيري": "أمريكا مستعدة لإقامة مظلة أمنية تحمي دول الخليج من النووي الإيراني"!!

والمرء حيث يضع نفسه، إما موضع الند أو موضع العبد، وهذه كوريا الشمالية المجوسية وضعت نفسها ندا لأمريكا فأصبحت تهددها في عقر دارها، وقطاع غزة الصغير هزم إسرائيل في ثلاثة حروب متوالية وحماس تنذر إسرائيل بما تشاء وتهدد كما تشاء، ولذلك لا غرابة أن أكثر الشعب يؤيدها ولا يؤيد السلطة، ولو أن أهل غزة اتبعوا رضا أمريكا لكانوا قد اعترفوا بإسرائيل من زمان.

ولو فرضنا جدلا أن أهل القطاع مبتدعة، أليسوا مظلومين والواجب هو الوقوف مع المظلوم لا مع الظالم مع نصح المبتدع وتحذيره، وكفر المظلوم أو فجوره عليه لكن لا يمنع استجابة دعوته، وقد وعد الله المظلوم بالنصر ولو بعد حين!

ولنفرض أن الصهاينة العرب لا يقفون مع إسرائيل، أليسوا يقفون مع أمريكا؟

ومن ذلك يتبين لكل ذي عينين وجوب إعلان معاداة أمريكا وإسرائيل،

ومن اتباع حال الصحابة رضي الله عنهم ألا نخاف قوة العدو مهما كانت، وإنما نخاف من معاصينا وذنوبنا نحن.

ولسنا مع من يقول إن حماس إرهابية أو يسكت عن الصهاينة المعتدين، فهذا الكلام مع أنه مخالف لكتاب الله وحديث رسوله ﷺ، ولما تقرر من عقيدة أهل السنة والجماعة، هو مخالف للمادة (٥١) من ميثاق هيئة الأمم المتحدة التي تنص على حق الشعوب في الدفاع عن نفسها ضد المحتلين، بل حتى أمريكا لما احتلت العراق اعترفت أنها قوة احتلال وأن اتفاقية جنيف تلزمها.

وإنما الإرهابي هو المعتدي المحتل الكافر الذي جاء للأراضي المقدسة من أطراف الأرض، و الإرهاب متأصل في الفكر الصهيوني من قديم، لا سيما لما أنشأ الصهاينة العصابات الإرهابية مثل "شتيرن، والأرغوي، والهاجانا، وكاخ، وأصحاب الخناجر" لتخويف سكان البلاد، وارتكبت هذه العصابات مجازر تقشعر لها الأبدان كمجزرة دير ياسين، ولما أنشأوا دويلتهم في الأرض المباركة جعلوا مسؤوليها هم نفس رؤساء تلك العصابات، مثل: "بيجن"، و"موشيه ديان"، و"إسحاق رابين"، و"شمعون بيريز".

و لم يقتصر إرهابهم على فلسطين بل وصل إلى تونس وبيروت ومصر وفي الأخير قتلوا طلاب المدارس، ومن كان في قلبه ذرة من الإيمان لا يحب اليهود أبدا، ولا يدعو لهم ولا يخاف منهم، كما لا نخاف أبدا من أسلحة النصارى التي يمدون بها اليهود.

وأقوى ما عند الكفار هو الأسلحة النووية التي هي للردع فقط، وضررها يصيب أهلها وحلفاءها، ولذلك يدمرها صانعوها أنفسهم.

وقد صنع الروس والأمريكان أسلحة فتاكة أنفقوا عليها المليارات وظلت شبحا يهدد العالم تحدث عنه "البيركامو"، و"سارتر"، و"برتراند رسل"، وارتعدت أوروبا الغربية خوفا من أن يحل بلندن أو باريس ما حل ببراغ، وأن يكون مصير أي زعيم غربي كمصير "دوبتشيك"، ثم دمر الروس

والأمريكان بعض هذه الأسلحة بموجب اتفاقية "سالت" بينهما، وقالتا إن ذلك لمصلحة السلام الدولي والإنسانية جمعاء، وهكذا يضطر الكفر إلى تدمير نفسه بنفسه، وذلك إقرار بأن النظرية التي بنوا ذلك عليها، كانت خطأ وأنها ضد مصلحة الإنسانية، مع أنهم ينافقون ويقولون إنهم إنما دمروها لمصلحة السلام العالمي.

وقد شنت إسرائيل حروبا كثيرة لم تستخدم مفاعل "ديمونه" في أي منها، بل سخّرت لحراسته طائفة من جيشها، وكان هدفا للمجاهدين، وإنما بنته في الماضي لتهدد به القاهرة والعواصم العربية الأخرى، وهم اليوم يخافون من إشعاعاته التي يقول الخبراء الصهاينة إنها سوف تدمر إسرائيل والأردن وبعض مصر وبعض السعودية!

كما أن من الخطأ سياسيا مع كون ذلك محرما في الدين الدخول مع أمريكا في تحالف لمكافحة الإرهاب كما يقولون، فقد رأينا بأعيننا كيف أن السياسة الأمريكية المراوغة تتخلى عن حلفائها وتسمي التنظيم الفلاني إرهابيا ولكنها تقاتل معه وتمده بالسلاح بوضوح، أكثر مما فعل الرئيس الفرنسي حين كانت أقواله مع حكومة الوفاق في طرابلس ولكن أفعاله مع المنشق "حفتر" في الشرق، وقد قال "بوتين" بصراحة إن أمريكا غير جادة في حرب الإرهاب، وكيف يكافح الإرهاب أكبر الإرهابيين في التاريخ، وكم مرة صرحوا بعداوتهم للجهاديين، وسموا الجهاد إرهابا، أما دعوى أمريكا أن أسلحتها ذكية ولذلك تستخدمها في الحروب فهو عكس الواقع، وقد تجلى هذا الذكاء قبل شهور من قيام معركة القيارة، حيث دمرت الطائرات الأمريكية الذكية! جامعة الموصل وقتلت أساتذتها الإرهابيين عند الأمريكان! وشهد اللاجئون العراقيون الفارون من محافظة نينوى أن هذه الأسلحة الذكية استهدفت النساء والأطفال الذين لا سلاح لهم إلا الدعاء، كما أن الأسلحة الأمريكية ضربت منظمة (أطباء بلا حدود) وكثيرا من الأصدقاء!! دع أسلحة "بوش" التي استخدمها قبل ذلك في احتلال العراق وزعم أنها ذكية!

وإذا كان الأمريكان قد طوروا أسلحتهم لتكون أكثر ذكاء ولتكون إليكترونية فلمن يبيعون —بل يؤجرون– الأسلحة التقليدية؟

وقد كتب أحد الصحفيين العرب –مستهزئا– لقد رأيت الطلقة الأمريكية الذكية تنطلق من قاعدة كذا وتذهب إلى فندق كذا وتبحث عن الجنرال فلان، ودارت حتى وجدته في شقة كذا في غرفة كذا مع مجموعة من أفراد عائلته فأصابته وتركت النساء والأطفال؟!!

ثم أليس لمقاومة الإرهاب كما يسمى وسيلةٌ غيرُ الوسيلة الأمريكية الذكية!!

وما الفرق بين أن يكون الموت بالأسلحة الذكية أو الكيماوية، وبين أن يكون بالأسلحة التقليدية؟

وهل كان صلاح الدين الأيوبي محروما من الذكاء الأمريكي حين لم يدخل في تحالف مع الحشاشين أو يحالف الإمبراطور البيزنطي عدو الصليبيين؟ بينما تحالفت أمريكا مع الناتو وغيره لاحتلال مدينة الموصل؟

ولماذا يقولون إن تنظيم "داعش" سوف يستخدم أسلحة كيماوية، هل هذا تمهيد لاستخدامها من جانبهم؟

وإذا كان لديهم أسلحة بهذا الذكاء الخارق فما حاجتهم للتحالف أصلا؟ ولماذا لا يستخدموها في أفغانستان مثلا؟

ولماذا يسيطر عليهم الرعب إذا قاتلوا المسلمين مهما كان ضعف المسلمين وغباء أسلحتهم؟

وقد اتضح للناظر أن الخوف من الإسلام هو الدافع وراء انسياق اعدائه وراء مقولات لا يصدقها العقل، مثل قول إعلام السيسي إن "أوباما" من الإخوان وإن أردوغان ادعى الخلافة، وإعلان أحد أقطاب اليمين المتطرف في فرنسا أن المرشح الاشتراكي الفلاني هو مرشح الإخوان! فإذا كان الغرب وأذنابُه يخافون من الإخوان الذين يقبلون الدخول في اللعبة الديمقراطية كما حدث في مصر، وربما يتنازلون عن الثوابت كما حدث في تونس وغيرها

فكيف بمن يكون الجهادُ شعارَه عمليا؟

وقد قال إعلام السيسي أيضا إن القدس ليست في فلسطين، وأن صلاح الدين هو أحقر شخصية في التاريخ الإنساني، وإن قائد معركة حطين كان رمسيس الثاني، وإمعانا في الجهل والكذب والتدليس قال بعض المثقفين من نصارى لبنان يمكننا الاستعاضة عن القدس بأي منطقة أخرى مثل "أبو ديس"، وأين يضع هذا الأفاك المسجد الأقصى؟

وإني لأعجب كيف يدعم أهلُ التوحيد أعداءَ الله؟ وقد قالت قوات سوريا الديمقراطية الكردية إنها تتلقى مساعدات عسكرية من التحالف الدولي، وذكر الرئيس "ترامب" أنه يجب إعطاء السلاح لهم، وطائرات التحالف تدعمهم حاليا، وقالت تركيا إن الأسلحة المعطاة لهم ثقيلة، ألا يعني هذا أن السعودية تدعم الأكراد ضد تركيا، وأن الحرب على الإرهاب إنما هي وفق السياسة الأمريكية، مثلما كانت الحكومة تشجع على الذهاب لأفغانستان، وتقول إن الجهاد فيها فرض عين، وذلك لهزيمة الاتحاد السوفييتي وانتصار أمريكا، ويدل على صحة ما قيل إن المجاهدين اقتربوا من قصر بشار في دمشق، ولكن جاءتهم الأوامر من الدول الممولة بالانسحاب؟ وأن الهم الأكبر لـــ"دونالد ترامب" وأوليائه ليس القضاء على نظام بشار بل القضاء على "الإخوانجية" كما يسمونهم؟

وكما أنهم حرفوا مفهوم من يجب جهاده حرفوا مفهوم الجهاد نفسه، وجعلوا للنصر والبطولة والهزيمة مدلولات مغايرة.

فالبطولة عندهم هي أن يحصل الفريق على كأس الدوري في لعبة من الألعاب، والانتصار هو تحقيق ذلك في مجال الرياضة واللعب أيضا، وظنُّ بعض الساسة أن ذلك هو النصر هو مثل تصديق أشعب الطماع أن في البيت الفلاني وليمة وجريه وراء الصبيان مع أنه هو الذي أوهمهم.

كما حرفوا مفهوم النجومية وكرروه حتى أصبح عند بعض الناس هو التفوق في مجال الغناء أو التمثيل أو الكرة.

بل حتى الإباحية جعلوا لها نجومها ويسمون الممثلة "نجمة الإغراء".

والجهاد هو الذي يرغم الأعداء على الانسحاب من بلاد الإسلام، فبعد أن كانت إسرائيل تقول إن مستوطنات غزة عندها مثل تل أبيب، انسحبت صاغرة من قطاع غزة، بعد أن خسرت كثيرا من جنودها، واستخدم معها مجاهدو غزة اللغة الوحيدة التي يفهمها الصهاينة، وليس المفاوضات العبثية والتنسيق الأمني وحلّ الدولتين.

وأكبر مآخذ الغربيين والمتصهينين العرب على المجاهدين في فلسطين أنهم يعملون في شكل تنظيمات تابعة لحركةٍ عملَ العرب على إنقاذ مصر منها كما قال الأمير تركي الفيصل، وهذا الانتماء إن كان ذنبا فيكفي الجهاد كفارة له وإن كان مشروعا فلا إثم فيه.

والواجب الشرعي هو الاحتفاء بالذين يخاطبون العدو بهذه اللغة وتعظيم قدرهم وليس سجنهم واتهامهم.

ومن فضل الجهاد وشرفه أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أقسم على الطفيل بن عمرو الدوسي لما قطع الروم يمينه يوم اليرموك، أن يأكل ثم أكل عمر من موضع يساره رضي الله عنهم أجمعين، فهذه منزلة المجاهدين الحقيقية وليس أن نعتذر عن استقبالهم بأنهم إنما جاؤوا للعمرة!

وهذا العذر قد يصلح عند استقبال عبد اللهيان وعلي مملوك وأضرابهم، أما عند استقبال خالد مشعل وإسماعيل هنية ورمضان شلح فلا يصلح أبدا.

- حكم التحالف مع الكفار والتبعية لهم:

ولا يجوز التحالف مع الكفار والعمل تحت قيادتهم وذلك للأسباب التالية:

١. التحالف هو موالاة لهم والله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]، وعبد الله بن أبي بن سلول هو الذي قال "يا محمد أطلق لي حلفائي إنني أمرؤ أخشى الدوائر"، بينما تبرأ عبادة بن الصامت من حلف اليهود علانية، فلنكن من أتباع عبادة لا من اتباع ابن أبي.

٢. أنه على فرض أن تنظيم الدولة كله خوارج، لا يجوز التحالف عليهم مع أمريكا فالخوارج مسلمون، والأمريكان كفار، ولا يجوز نصرة كافر على مسلم، وانظر إلى موقف كل من الطرفين من رسالة محمد ﷺ واحكم بنفسك.

٣. أن القتال مع أمريكا هو تعاون مع الحشد الشيعي والميلشيات الرافضية الكثيرة الموالية لإيران، وإيران هي التي سمته "الشيعي"، وبالتالي فهذا التحالف تأييد لها، فأين دعوى عداوة إيران؟

٤. أن احتلال الموصل لن يقضي على الإرهاب بل سيؤدي إلى زيادته وتعميمه وإعطاء الغلاة المبررات لذلك، وسوف يكون أهل الإسلام أول الضحايا فالتحالف مع أمريكا هو صب للزيت على النار، وتوكيد لما يقوله الدواعش كما يسمَّون.

٥. إن تدمير الموصل إنما هو تدمير لأكبر مدينة سنية في العراق وتاريخها لجهادي المعروف وتاريخها العلمي المشهود، وقد رأى العالم كله ماذا فعل التحالف قبلها بمدينة المساجد "الفلوجة"، فالتحالف في الحقيقة إنما هو ضد السنة وللانتقام لأمريكا.

٦. أن ما فعله الصليبيون الجدد في حلب دليل على أن لهم هدفا آخر

يخفونه ليخدعوا المسلمين، فانظر مثلا ما العلاقة بين محاربة الارهاب وتدمير المستشفيات وقتل المدنيين؟ والتسابق لبناء القواعد العسكرية، وهل في مدينة حلب دواعش؟

٧. أن المعتاد من هجمات التحالف على المدن السنية هو اتباع سياسة الأرض المحروقة، ولا عاقل يسعى لحرق أهل السنة.

٨. أن الحل العسكري وحده قد ثبت إخفاقه، لا سيما مع إمكان الحلول الأخرى التي أهمهما المناظرة، كما فعل ابن عباس لما أرسله الخليفة الراشد علي بن أبي طالب ﷺ إلى أهل حروراء، فينبغي الاقتداء بأمير المؤمنين ﷺ وكشف الشبهات والمجادلة فكريا بالتي هي أحسن، فالفكر يقاوم بالفكر لا بالاستئصال والعنف.

٩. أن أمريكا قد فشلت من قبل في الصومال وأفغانستان وفي العراق فالتحالف لن يزيد على الحكم على محاولاتها مجددا بالفشل، وقد قال أكبر مفكر أمريكي "نعوم شومسكي" "إن أمريكا دولة إرهابية وحشية مارقة"، ولا يمكن وصف "شومسكي" بالافتراء والتحيز، فهو يهودي وقد عاش سنوات في إسرائيل، ورأى بأم عينيه كذب المزاعم الإسرائيلية وأسطورة الحلم الصهيوني، ثم قضى بقية عمره في أمريكا، والأوربيون يعظمونه جدا وتفرح أي قناة أو صحيفة إذا أجرت مقابلة معه، وآراؤه ليست شخصية، بل هو يمثّل قطاعا كبيرا من الأمريكان وربما كان القطاع الأكبر.

والعاقل يقارن بين آراء "شومسكي" وآراء الإدارة الأمريكية، والموافق له والمخالف يعترفان بأن كتبه تأتي في الدرجة الثانية في أمريكا بعد كتابهم المقدس "البايبل"، وقد أعلن البنتاجون أن ٨٠ % من الطلعات الجوية يقوم بها طيارون سعوديون وإماراتيون، فلماذا إذن لا يحاربون داعش استقلالا؟

١٠.أن أمريكا في الحقيقة تعامل المسلمين معاملة عنصرية صليبية، وإن لم يكن كل الأمريكيين فعلى الأقل نصفهم وقد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر، وإنما أعلن "ترامب" ما كان يتكتم عليه جورج

بوش و"أوباما"، وقد قلل من سياسة "أوباما" ومشروعاته إلا موقف "أوباما" من الإسلام، فكيف يتحالف المسلمون معه؟

١١.أن التأييد الأمريكي لدولة الصهاينة لا ينكره أحد من المسلمين أو الكفار، فكيف نتحالف مع من يؤيد الصهاينة المعتدين الذين يحتلون المسجد الأقصى ويريدون هدمه وبناء هيكلهم المزعوم مكانه.

١٢.أنه ليس للدخول تحت قيادة أمريكا دليل، ولم يفتِ به أحد من العلماء فيما أعلم، وأنا أقترح إحالة القضية إلى هيئة كبار العلماء وطلب حكم الله منهم، عملا بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٦٠].

١٣.أنه في الإمكان حرب الدولة الإسلامية استقلالا عن التحالف إذا رأى أهل العلم المستقلون حتمية ذلك وضرورته، وبذلك فرضا يصح القول بأن الجيش ورجال الأمن على مستوى عال من الكفاءة والجاهزية، وإذا كان لا بد من التحالف فلم لا يكون مع طالبان مثلا التي تقاتل تنظيم الدولة في أفغانستان؟ أو مع تركيا التي تحارب التنظيم في بلاد الشام؟

١٤.أن أمريكا لا تخفي عداوتها للإسلام وما انتشار موجة الإسلاموفوبيا فيها إلا مظهر لذلك، ولكي تكون الصورة أجلى ينبغي أخذ رأي إخواننا المسلمين في داخل أمريكا، وألا يتحالف المسلمون مع أعداء الإسلام.

١٥.أن السعودية عند أمريكا هي مصدر الإرهاب وتقول بأنها وهابية ومتطرفة، وتضع ضدها قانون "جاستا" فكيف يتحالفون معها؟

١٦.أن أمريكا أكبر دولة إرهابية في العالم، وعليها وحدها حكمت محكمة العدل الدولية باستخدام القوة المفرطة، فكيف نتحالف معها في الحرب على الإرهاب؟

١٧.أنه لا أحد يتحالف مع غيره ويعمل تحت قيادته إلا وهو يتمنى انتصاره، وحكم تمني انتصار الكفار معروف.

١٨.أن أي نصر في محافظة نينوى التي أكبر مدنها الموصل هو نصر لحيدر العبادي وليس لثامر السبهان فضلا عن أهل السنة.

١٩.إذا كانت إيران تحتل العراق كما يقول الإعلام السعودي، فلماذا لا نقف مع من كان ضدها، لا سيما وأن الخوارج أقل شرا من الرافضة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مواضع كثيرة، بعضها في منهاج السنة وبعضها في مجموع الفتاوى.

٢٠.إذا كان لا بد من الوقوف مع الشيعة، فالشيعي العلماني إياد علاوي أخف من الشيعي المتعصب قاسم سليماني، كما أن الشيعي الذي ينتقد التشيع الصفوي مثل كمال الحيدري أهون من الشيعي الآخر حيدر العبادي.

وهل المجاهرة بتأييد الشيعة في الأحواز وإجراء مقابلات معهم، إلا تأييد لدعوى إيران أنهم متعاونون مع العدو الخارجي، وإعطاء إيران مبررا لمحاربتهم؟

٢١.مع هذه المساعدات المستمرة لأعداء الله ورسوله والتحالف معهم، يقول المسؤولون أنفسهم إن في البلد أزمة إسكان، وانهيار في البنية التحتية ومشروعات متعثرة وبطالة وتفاوت طبقي وفساد مالي.

وهل الوحدة الوطنية مبرر لتوظيف أعداء الدين، حتى في الوزارات السيادية حيث سربوا من وزارة الخارجية ٥٠٠ ألف وثيقة فقط! وأعلنت الوزارة أنها تسريبات قليلة؟ أي أنه كان عليهم تسريب ملايين الوثائق لتعتبرها الوزارة كثيرة.

وإذا كان الرافضة مواطنون، أليس سعود الهاشمي وعبدالعزيز الطريفي وموسى القرني والحازمي والعلوان والرشودي وأمثالهم مواطنين أيضا؟ مع أنهم لم يهربوا شيئا ولم يوالوا إيران؟ والذين سربوا الوثائق استثنوا إيران فمن هم يا ترى؟ وهل هم لم يسربوها فعلا أم أعطوها إيران سرا؟ أو من خلال شبكات التجسس الإيرانية؟

وماذا جنى المسلمون من مخالفة أمريكا والعمل تحت قيادتها؟ أو الوقوف مع من تكون سياستها معه.

٢٢.ماذا كانت نتيجة الوقوف مع البدر ضد عبدالله السلال، والوقوف مع عبد ربه منصور هادي ضد الحوثيين، والوقوف مع علي عبدالله صالح ضد حزب الإصلاح، وإعطاء جورباتشوف ١٥ مليار، وإعطاء بن جديد ٩ مليارات، وإعطاء حافظ الأسد وأنور السادات وحسني مبارك وجون قرنق والوقوف مع حفتر؟ وإرسال بعض هيئة كبار العلماء لتهنئة الخميني بثورته؟ مع أن التصريحات الرسمية قبل ذلك تقول إن الثائرين هم حزب "تودة" الشيوعي، وإنها تؤيد الشرعية "الشاه"، ولماذا الوقوف المطلق مع صدام حسين وإعطاؤه ميناء "القضيمة" ثم الانقلاب عليه وتأييد بوش الأب والوقوف مع السيسي؟ وتأييد علي سالم البيض الشيوعي الجنوبي على اليمن الشمالي أو القول بأن الوحدة لا تتم بالقوة؟ ثم الوقوف مع السيسي ضد مرسي؟ أليس قضاء السيسي يحكم على من كان مسافرا قبل الأحداث وعلى الرضيع في مهده وعلى الميت في قبره وعلى الأسير في سجنه فمن يصدق هذا القضاء المسيس؟ وكيف يعطى السيسي المليارات من الرز؟ وهذا السيسي يصادق بشار علنا ويرفض الانضمام للتحالف العربي في اليمن، ويجاهر بموالاة إسرائيل ويقيم لديه الحوثيون ندوات ضد العدوان السعودي على اليمن، والنماذج الدالة على أن اتباع سياسة أمريكا مخفقة كثيرة جدا.

٢٣.أن التحالف مع الكفار تكذيب لوعد الله بنصر هذه الأمة وظهور الإسلام على الدين كله وأن الإسلام هو النور وما عداه ظلام.

٢٤.أن هذا التحالف مع الكفار والانضواء تحت قيادتهم يصدق قول من قال من قبل إن الفرق بيننا وبين الذين يوالون الصهاينة علنا هو أن السعوديين يفعلون اليوم ما سوف يصرحون به غدا.

٢٥.نحن نطلب من هيئة كبار العلماء إصدار فتوى بشأن حكم التحالف مع الكفار، وعلى الكل الالتزام بما يصدر وإلا وجب الكف عن

قول إن السعودية قامت على الكتاب والسنة، ووجب تصديق قول عبد الرحمن الراشد "إن السعودية تسلقت على الدين للوصول إلى الحكم".

٢٦.أن أمريكا لم تلغ قانون جاستا الذي يتيح لأسر ضحايا ٩/١١ إقامة الدعاوى على السعودية، وهي تعتذر لذلك بدستورها فلماذا لا نعتذر نحن بقرآننا؟

٢٧.لو أن أمريكا قاتلت الرافضة في إيران أو النصيرية في بلاد الشام لما جاز للمسلمين أن يتحالفوا معها! فكيف إذا كان القتال ضد المسلمين مهما أخطأوا فإن تنظيم الدولة على فرض أنهم خوارج أهون وأقل إجراما من الحشد الرافضي الذي تسميه وسائل الإعلام السعودية "القوات العراقية".

٢٨.أن الصحيح هو أن يدخل بعض الكفار في حلف المسلمين إن أرادوا ووافق المسلمون، كما دخل مشركو خزاعة في حلف النبي ﷺ، وقد كانت خزاعة كيانا مستقلا فيه المؤمن والمشرك، لكنهم كلهم كانوا أوفياء للنبي ﷺ وعيبة نصح له، وانتماؤهم القبلي أقوى من شرك بعضهم.

٢٩.قالوا في المرة الأولى إن الاستعانة بالكفار تجوز، فهل يقولون ألآن إن استعانة الكفار بالمسلمين تجوز؟ أم أن المسألة من أصلها لا علاقة لها بالاستعانة؟

وبذلك يتبين لطالب الحق أن التحالف مع الكفار لا يجوز شرعا ولا يصح سياسة، وأنه ركون للكفار واستكانة لهم واتباع لسياستهم.

كما نرفض التطبيع مع إسرائيل نرفض أيضا أن تكون السعودية هي التي تدفع رواتب زمرة عباس، ونرفض زيارة الصهاينة سواء قام بها إياد مدني، أو أنور ماجد عشقي، أو تركي الفيصل، أو أي أحد.

وإنما يجب على السعودية وعلى المسلمين كافة أن يجاهدوا اليهود كما أمر الله ورسوله.

وأن يعودوا للحق الذي في القرآن والسنة كما فهمهما السلف، وليست هذه العودة مستحيلة، بل هي مجرد تحول من مفهوم لمفهوم أوسع

ورجوع للحق الذي كان عليه المسلمون ولا يزال عليه أكثر الشعب.

وما دمنا نقر بأن أكثرية الشعب متدينون فعلينا الوقوف مع رأي الأكثرية الداعمة للانتفاضة وللحق الفلسطيني، وليس مع الأقلية جدا المؤيدة للصهيونية.

والقضية عندي ليست تطبيعا فقط، بل هي انبطاح وهرولة، وقد سمح موقع (إيلاف) الذي يرأسه عثمان العمير، أن يقول فيه رئيس الأركان الصهيوني ما أراد، وأصرح منه ما كتبه أحدهم بعنوان "لك العتبى حتى ترضى يا نتنياهو"! والحبل على الجرار.

ولكي يستر النتن إخوانه لن يفتح سفارة ألآن، وربما لن يفتحها أبدا، بل سوف تخترع العقلية اليهودية وسيلة أخرى للتواصل تحفظ ماء وجه العملاء!

والمسألة قديمة ليست وليدة اليوم، وقد كان مكتوبا في مناهجنا هنا أن نابلس منطلق الانتفاضة ثم حذفوا هذه العبارة حتى لا ندعم الإرهاب! ولأن الانتفاضة الفلسطينية اعتداء على اليهود في نظر المجرمين كما قالت قناة العربية حيث أذاعت "منفذ الاعتداء هو مهند العقبي من النقب".

ولا يعقل أبدا أن تكون هذه المواقف عفوية، لا سيما وأن للعبرية مواقف سابقة ولاحقة كلها تخدم الصهاينة، منها موقفها من الحاخام الصهيوني المتطرف "يهودا غليك" الذي اقتحم المسجد الأقصى.

وهي قناة سعودية سواء كان بثها من الرياض أو من دبي أو من القاهرة، إذ تمويلها معروف، كما أن من تستهدفه معروف.

وإذا كانت جبهة ما يسمى الصمود والممانعة كاذبة كما ثبتت حقيقته وتفاوض إسرائيل سرا، فإن موقف ما يسمى جبهة الاعتدال أكثر ضررا على القضية من جبهة الصمود.

إذ يستطيع الناس في ظل شعارات الصمود أن يجاهدوا اليهود فكريا

ويؤلفوا عنهم الكتب ويذكرون مساوءهم إعلاميا، و لم يقل أحد من جبهة الصمود أن حماس إرهابية، أما في جبهة الاعتدال فلا يستطيع الناس ذلك ونادرا ما يقدمون عليه، ويقولون إن حماس إرهابية، ويزورون إسرائيل ويأتي إليهم مندوب (معاريف) وغيرها.

وجبهة الاعتدال متناقضة حين تجعل من حق الشعب السوري الثورة على بشار وليس من حق الشعب عندها الثورة على الصهاينة، مع أ ن الثورة الفلسطينية أولى وأحق، وكلاهما واجب وكنا نتبرع بما يسمى ريال فلسطين، وكانت عندنا لجنة لجمع التبرعات، وكان في الإذاعة السعودية برنامج خاص عن الفدائيين وكانت تنشد:

ثورة ثورة ع المحتل ** بغير المدفع ما في حلّ.

وكانت الإذاعة السعودية تسمي دولة اليهود (العدو الصهيوني) فالحكومة إذن تؤمن بالكفاح المسلح ونحن اليوم حين ندعو للجهاد لم نغير ولم نبدل، وسياستنا ثابتة وموقفنا واحد، وهو الموقف المتفق مع النقل والعقل، ومع ميثاق الأمم المتحدة، ولذلك نوصي أهل العلم والإيمان بتكوين جبهة ثالثة تسمى جبهة الجهاد، وتشمل كل المسلمين ويكون الناس من بلاد الحرمين أولهم.

ومن كان يؤمن بالله وأنه تعالى فوق الأقمار الاصطناعية وفوق الصواريخ والطائرات، فليبادر إلى الجهاد ولا يبالي بما كان تحت ذلك.

ومن كان يؤمن بقدَر الله وأن الجهاد لا يقدّم الأجل الذي كتبه الله قبل خلق السماوات والأرض فلا يتقاعس عن قتال اليهود.

ولو كنا مجاهدين لما وضعت أمريكا خارطة الدم وقانون جستا وما خفي أعظم.

والأمريكان جميعهم يعترفون بهزيمتهم بفيتنام فهل عصابات الفيت كونغ أقوى من المسلمين؟ وهل كوريا الشمالية أقدر منهم وأصبر؟.

وكيف نستطيع بدافع قومي أن نحمي النصيرية من إسرائيل –لما ذهب

الجيش السعودي إلى سورية- ولا نستطيع بدافع إيماني أن نحرر القدس، لا سيما الآيات والأحاديث صريحة في قتال اليهود وفضائل الشام عامة وبيت المقدس خاصة.

وقد ذهب الجيش السعودي إلى سورية لحماية ما سمته وسائل الإعلام السعودية آنذاك الأخ الشقيق حافظ الأسد ولم يذهب لإنقاذ القدس من قبضة اليهود!.

ولنفرض أن هذا الأخ ليس نصيريا بل هو مجرد بعثي مثلا فما حكم البعثيين؟

لكي نحكم على حزب البعث بالعدل لنتأمل شعاراته مثل:

آمنت بالبعث ربا لا شريك له   وبالعروبة دينا ماله ثاني

ومثله قول (لا إله إلا الوطن)، وشعار "وحدة، حرية، اشتراكية".

ومثل "طائرات الميج تتحدى القدر"، وانظر إلى مؤسس الحزب "ميشيل عفلق" النصراني وإلى العضو اليهودي "إيلي كوهين" الذي سمّى نفسه "كمال أمين ثابت".

وإذا أردت معرفة بعض الجوانب العملية لهذا الأخ فحسبك سجن تدمر وسجن صيدنايا، على أننا لا نشك في عروبته ولا في عروبة أبي جهل.

كما لا نشك في عروبة الموارنة بعد مؤتمر الطائف وحضور ميشال عون قمة عمّان المنعقدة في رجب ١٤٣٨هـ، ومثله النصارى العرب الذين لقوا المسلمين في مؤتة! أو نصارى بني تغلب، وذهاب الجيش السعودي لحماية الأسد دليل على أن تكوين جبهة عريضة للجهاد ممكن وأن القتال ليس مستحيلا، وأننا لو أردنا لحررنا القدس لكن بوصلتنا كانت مخطئة، وقد قابلت ضابط الاتصال بين الجيش السوري والجيش السعودي لأعرف حقيقة الحال.

والفرق بين ما ندعو إليه اليوم وما كان عليه الإعلام السعودي لفظي اصطلاحي، فهم يسمون ذلك ثورة ونحن نسميه جهادًا.

والذهاب لتحرير القدس ممكن عمليًا ووارد رسميا، فقد أعلنت السعودية استعدادها لقتال بشار سنة ١٤٣٧هـ، على لسان العميد أحمد عسيري، بعد عاصفة الحزم، وأعلنت السعودية تأييدها للجيش السوري الحر باعتباره معتدلا، وأمدته بالسلاح فلم لا تكون البوصلة متجهة إلى القدس؟.

ومِن وضْع العربة قبل الحصان اشترط الخلوّ من الكبائر لمن يجاهد الكفار، فإن الجهاد نفسه مكفر لما يرتكبه الإنسان، ولكن لا يجاهد أحد لينشر بدعته أو كبيرته، فذلك من أعظم الدعوة إليها.

وشيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله استنفر الناس كلهم لقتال التتار ووعدهم بالنصر، ويجب اليوم أن نستنفر كل المسلمين لقتال اليهود والنصارى والملحدين، والمهم أن تكون القيادة لأهل السنة.

وبعض الناس يضع للجهاد شروطًا تعجيزية ولسان حاله يقول: لا تجاهدوا أبدًا.

ولكن أهل الإيمان يجاهدون وإذا رأوا أن المصلحة في الهدنة هادنوا، وإن جنح الكفار للسلم جنح لها المجاهدون، وقد رحمنا الله وخفف عنا وأباح لنا التقية باللسان كما قال ابن عباس عند الضرورة تخلصًا من مكر الكفار، ومحمد بن مسلمة قال لكعب بن الأشرف (إن هذا قد عنانا)، وقد صدق والله، وهل الدنيا إلا دار عناء، وهل تنال الجنة بلا عناء، وهل نستطيع أن نعبد الله دون أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، ونحن إنما نجاهد الكفار ونعاملهم بما أمر الله به من الحذر لكن لا نخافهم، والغرب يشيع بيننا لإخافتنا وتثبيطنا (نظرية المؤامرة) مضخِّما لها، وقد صاح سيدهم الشيطان يوم أحد (إن محمداً قد مات)، ومن إيمان بعض المفتونين بذلك أنهم لا يصدقون أن الغرب ينهار وتحيط به الأزمات، بل يقولون: هذه لعبة ومؤامرة منه! حتى الربيع العربي جعلوه مؤامرة غربية، وليس حراكا شعبيا لا يستطيعه الغرب.

وجعلوا أكبر همّ المسلمين هو زيادة الثروة وتنويع مصادر الدخل، والله

تعالى جعل أعظم الثروة ما كتبه للنبي ﷺ فقد اختار له أعظم المكاسب وأعلاها وجعل رزقه تحت ظل رمحه، ومن هذا الرزق الغنائم، وما يدفعه الكفار لمفاداة الأسرى والحصول في ساعة على ما يبنيه الكفار أعوامًا وقرونًا، والفيئ وأمثال ذلك، مما هو مورد ثابت لبيت مال وليس نافدًا كالنفط والغاز.

والمسلمون لا ينكلون عن الجهاد ويقولون كما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٥]، فكانت عقوبتهم أن تاهوا في الصحراء أربعين سنة فني فيها ذلك الجيل الناكل وجاء جيل خشن دخل الأرض المقدسة مع فتى موسى، ثم إن العلامة ابن خلدون استقرأ أحوال الأمم فوجد أن الترف من أعظم عوامل هلاكها وأن الخشونة من أعظم العوامل لرقيها.

وترك الجهاد يقود حتما إلى ما تسميه أمريكا (الإسلام المعتدل)، والاعتدال عندها هو التبعية لاستعمارها، والكل يعلم ماذا تكتب مؤسسة "راند" بشأن ذلك، وماذا يقول رؤساء أمريكا ومراكز بحوثها وخزانات فكرها، وماذا تكتب مخابراتها وكيف تصنف مباحثها.

والإسلام المعتدل عندها هو الإسلام الأمريكاني الذي يؤمن بكتابهم الفرقان الحق ولا يتبع كتاب الله، ويعمل بالأناجيل الأربعة التي لا قتال فيها، وهو ما دعا إليه الأغا خان ثم أحمد القادياني من قبل، وعلى ذلك سار مبارك الصباح وأولاده مع الإنجليز.

والأمريكان يريدون أن نرتد على أعقابنا وننتكس إلى كفرهم وجاهليتهم، وأن يفتنونا عن بعض ما أنزل الله إلينا وأورثنا إياه.

ولا مانع عند الأمريكان من الإسلام السلبي المنعزل، وأن نكتفي بالصلاة والصيام، ونوزع المصاحف أو نوسّع المسجد الحرام أو نعظّم الكعبة الشريفة، وأن نكون شيعة أو صوفية على النحو الذي كانت فيه رهبانيات النصارى (الدومنيكانية والبندكتية) وأخواتها، والمهم عندهم هو ألاّ نجاهد،

وأن نعترف بحق إسرائيل في الوجود وأن نطبّع العلاقات معها وأن نعمل خدما لليهود ونمدهم بالمال وهم سوف يمدوننا بالتكنولوجيا!.

وهذا أحد أهداف السياسة الأمريكية المخادعة، فهل الفوضى المحلية في اليمن جزء من الفوضى التي تسميها أمريكا (خلاّقة) والغرب كله وليست أمريكا وحدها له سياسة علنية منافقة وسياسة سرية متبعة!.

والسياسة المتبعة له هي سياسة ميكافللية مراوغة، تقوم على النفاق والخديعة والهيمنة، وهو في كل الأحوال ظالم معتد يكره الإسلام، ومن لم يصدق هذا الكلام فليأخذ كلام الذين يعرفون الغرب على حقيقته وجالسوا زعماءه وجاءتهم التقارير عنه، مثل الرئيس التركي رجب طيب أردوغان ورئيس وزراء ماليزيا محاضر محمد والرئيس البوسنوي علي عزت بيجوفيتش والسفير الألماني السابق مراد هوفمان، ومن أراد ان يعرف حقيقة السياسة الأمريكية من غير المسلمين، فليستمع إلى ما يقوله الرئيس الفلبيني "رودويلفو روا دوتريت" عنهم، علما بأنه ليس معاديا لأمريكا كالرئيس الكوري الشمالي مثلا.

والمخدوعون هم من يظنون أن سياسة الدول العظمى تجعل في اعتبارها حقوق الإنسان أو تأبه لما يسمى (جرائم حرب)، وإنما تستغل ذلك لأسباب سياسية، حتى ما تقدمه من مال له أسباب سياسية.

ومن المعلوم أن أرض الشام عامة وفلسطين خاصة أرض مباركة، وفيها آثار مدهشة وحضارات متعاقبة وهي أرض الرسالات وأرض الملاحم، وفيها ينزل عيسى عليه السلام وعليها تنافس بل تصارع الامبراطوريات، ويأتي إليها يأجوج ومأجوج، وهي أرض المحشر والمنشر وفيها بركة ليست في غيرها وحتى شجرها مبارك وزيتها مبارك وفيها ما هو أعظم من ذلك، وهو العبقريات الفذة والعقول المبدعة، فلا عجب أن تكون مهاجر نبينا إبراهيم عليه السلام ومسرى نبينا محمد ﷺ، ومنطلق جهادنا لقتال كفرة أهل الكتاب والمشركين من الصين حتى أوروبا، وفلسطين التاريخية لا تصل

مساحتها إلى (٣٠) ألف كيلوا أي مثل مساحة كثير من الدول الأوربية، ولكنها مباركة تزخر بالمدن التاريخية وبأنواع الفاكهة والخضروات، وبالجهاد بكل أنواعه تكمل بركتها وتزداد قيمتها حتى من اشتهر بالفسق من الشعراء تجد أروع قصائده ما قيل فيها، وقد قال نزار قباني مثلا:

أصبح الآن عندي بندقية ** إلى فلسطين خذوني معكم

أرض الروابي الخضر والحجارة الندية... إلخ.

وهي تستحق حقًا أن يبيع لأجلها حقيبة أمه ومحفظة عمه وكل ما يملك، وكل شبر من أرض الإسلام يستحق البذل فكيف إذا كانت الأرض المباركة.

وتستحق أيضا منه عاطفة وإن كانت قومية لما زار غرناطة.

وهذه الأمة كما قال عمر المختار رحمه الله: "نحن لا نستسلم، بل ننتصر أو نموت".

ولا سواء بين من قُتل من المسلمين ومن قُتل من اليهود، ومعلوم أنه لولا تسول اليهود للغرب، وعلى رأسه أمريكا وأتباعها من صهاينة العرب، ما بقيت دولتهم يوما واحدا.

ولذلك نحن نطالب المسلمين بأمور:

١- ترك إعطاء السلطة الفلسطينية والتعاون معها، ما دامت تعترف بإسرائيل.

٢- ترك إعطاء أنظمة الحكم الصهيونية وكل من اعترف بإسرائيل.

٣- فتح المجال في كل مكان للتبرع للمجاهدين الفلسطينيين.

٤- حظر أي كتابة أو مقابلة أو مشاهدة ضدّ المجاهدين، وإذا ثبت أن مؤسسة مالية تجمع المال من الشعب وتدعم به المجاهدين فهذا عمل مشكور، ولا يجوز سجن أحد بسبب ذلك بل ينبغي الإشادة به والثناء عليه.

والغربيون على المستوى الثقافي يعاملوننا باحتقار وازدراء شديد ويكفيك في ذلك أن كبير فلاسفتهم "هيجل" كتب عن العالم الشرقي دون

أن يذكر الإسلام، كما أن فيلسوفهم المتأخر "برتراند رسل" ينظر إلى الإسلام نظرة قاسية ويعتبره من الأديان البدائية.

ووزير التعليم البريطاني يفتخر بالنصرانية، ويقول إن للمسيحية الفضل في تقدم الغرب وتفوقه! حيث جعلت الإنسان مسؤولا عما يفعل وجعلت الله يهتم بكل فرد!.

ونحن نريد من مثقفيهم العدل والرجوع للمصادر الأصلية وتوثيق الأقوال والتحلي بالأمانة العلمية

وعزا الباحث الاجتماعي المشهور "ماكس فيبر" تقدم الغرب إلى البروتستانتية، حتى إذا أرادوا أن يفصلوا بين دين الإسلام وبين ما يفعله الغلاة، قالوا "إن الإسلام دين عالمي عظيم يدعو للتسامح والتعددية واحترام الآخر ولا يعادي الغرب"، أي أن غاية قولهم هو أن يكون كما قال التتار من قبل: "رجلان عظيمان محمد وجنكيز خان".

حتى فرنسا التي يقول العلمانيون عندنا إنها منبع الأنوار يحمون الكنيس اليهودي، وينسبون كل الحوادث فيها للمسجد، وتنزع غطاء الرأس عن المسلمة و لم تنزعه عن يهودية قط.

وتتجسس المباحث الأمريكية "إف بي آي" على المسلمين قديما وحديثا، أي حتى قبل أحداث ١١ أيلول "سبتمبر".

ولا تخفي "السي آي ايه" أنها ضد الإسلام، والعدالة الأمريكية والغربية يعرفها كل مسلم.

أما في المجال الاقتصادي فالأمر جليّ لكل ناظر، وحسب المسلمين أن يكونوا وكلاء محليين للشركات الغربية. وإذا اختارت الشركات الغربية تاجرا مسلما ليكون وكيلا مورِّدا لمنتوجاتها، هنأه الناس وعدّوا ذلك فوزا عظيما.

خذ مثلا لذلك الشركات أو المحلات التابعة لشيني وبوش وترامب ورامسفيلد وأمثالهم في الرياض وجدة والشرقية وغيرها.

ويقول الناس -والله أعلم- إن من محلات ترامب بالسعودية: سنترهوم، وسنتر بوينت، وسيتي ماكس، وتيلونيك لايف!! ويقال إن له مشروعات تجارية كثيرة في السعودية ومنها شركة لإدارة الفنادق بجدة

ولا بد أن يعلن الوسيط المحلي المباشر أنه لا علم له بذلك، أو أنه قطع علاقته مع ترامب.

والغربيون يجهلون واقعنا ويقيسون مجتمعنا المسلم على مجتمعهم الرأسمالي، وأحد الغربيين في السعودية لما رأى كثرة المطاعم التي تبيع الرز البخاري قال "أكبر شركة سعودية هي شركة الرز البخاري حيث أن لها فروعا في كل شارع!!.

فقل لي بربك هل لهذا الغرب غير الجهاد؟.

ومن الأخطار الكبرى التي تهدد بلاد الحرمين القانون الأمريكي المسمى قانون جاستا، وله تبعات كثيرة غير مسألة المليارات التي تطلبها أسر ضحايا ٩/١١.

ولا يكفي سحب الأرصدة السعودية في أمريكا، ولا الاستثمارات هناك لإشباع جشع الجشعين، بل لا بد أن يطالبوا أيضًا بتجميد مال شركة "أرامكوا" لا سيما وأنها شركة أمريكية، والحكومة السعودية إنما اشترت الأسهم، ولا تملك الشركة نفسها بحكم القانون، وإذا جمدت أموالها أي محكمة أمريكية فلا يستطيع أحد أن يفك ذلك إلا عن طريق المحكمة نفسها.

والظاهر أن المحاكم الأمريكية لن تكتفي بكشف حساب الأرصدة السعودية في البنوك الأمريكية، بل سوف تطالب بكشف حساب البنوك السعودية، وليست الإدارة الأمريكية والكونجرس الأمريكي، وأسر ضحايا سبتمبر ومن يستأجرونهم من المحامين على الدرجة التي نظن من الغباء! ولن يجدي تعليق الأمل على ترامب.

والأمر أشهر من أن يذكر على المستوى العسكري، منذ أيام اللنبي وغورو ثم غزو الصومال وأفغانستان والعراق.

وهكذا يكون الجهاد بدءاً بالمقاطعة أخصر طريق لحماية الأمن ومقاومة المجرمين.

ومن المستحيل أن ننجو من همّ أمريكا ما دام فكرها بهذا الاعوجاج.

وقد قال أحد الأمريكيين في الحرب العالمية الثانية يجب على أمريكا أن تفتح معسكرات اعتقال تجمع فيها كل اليابانيين، فقال آخر اليابانيون مواطنون صالحون لم يرتكبوا حتى الآن أي عمل تخريبي، فرد عليه الأول برسالة أرسلها إلى وزير الحرب الأمريكي في حينه وفيها: "إن حقيقة عدم حدوث أعمال تخريبية حتى تاريخه هي بذاتها باعثة على القلق، ودلالة على أن مثل هذه الأعمال سترتكب".

وبهذا المنطق يتعامل الأمريكيون مع المسلمين، فكيف يمكن التخلص من المشكلة إذا كان عدم كونك إرهابيا هو نفسه دليل على أنك إرهابي؟

وليس لقب إرهابي هو اللقب الوحيد بل للمسلم عند الأمريكيين غير المسلمين ألقاب أخرى منها (أبله، أحمق، غبي، حاجي، زنجي، حقير، عدو الحرية، مبذر، مبغض الديمقراطية، يستحق حملة صليبية...) إلخ.

وإذا رأوا عليك ثوبا سألوك: كم بئر نفط تملك؟ وكم لديك من الجمال لتركبها؟.

وقد لا يشعر بهذا من يتخلق بأخلاقهم، ولكن يلمسه من يتمسك بدينه ويلتزم بتعاليمه ويعتز بهويته.

وكل من كان ذا لحية يعدونه إرهابيًا، حتى من كان مكتوبًا في جوازه أنه (نصراني أو يهودي أو هندوسي أو سيخي أو هسبانيولي من سكان أمريكا الجنوبية!).

وإذا حاول المسلمون بناء مسجد برخصة قانونية في مانهاتن فإن القس الأصولي "جونز" يهدد بمظاهرة عارمة يحرق فيها المصحف الشريف في فلوريدا.

ونحن في هذه البلاد شعارنا مع لا إله إلا الله هو السيف في العلم بل إن

الشعار الأكثر استعمالا هو السيفان والنخلة، وهذا عند الأمريكان كافٍ لتصنيفنا إرهابيين وإن الإسلام إنما انتشر بالسيف، ولا يفهمون السنة الربانية في اقتران السيف بالكتاب والقوة بالحق، أضف إلى ذلك كثرة المساجد عندنا، واحترام لعلماء الذي يفسرونه بأن للمؤسسة الدينية تأثير كبير على السياسة الخارجية.

وقد جرب الغرب معنا كل حيلة ثم إنه فطن إلى نقطة الضعف عندنا وهي هذه السذاجة بحيث يسكر أحدنا من زبيبة ويتعلق بالوهم، وهذا ما يجعل الغرب يبدو ذكيا داهية!.

والغرب يعاملنا بعنصرية مقيتة وازدراء شديد ولا بد من جهاده الذي يبدأ بالإعداد، والمعتدل في اللغة الإنجليزية هو الأشقر فإذا كنت أسود الشعر مثلا فأنت ملّون ولو كانت بشرتك بيضاء، وأنت عندهم هجين أو خلاسي اللون إلا إذا ثبت أنك يهودي -عياذا بالله-.

وهم يسموننا البدو، ويسموننا المحمديين، ويسموننا الأتراك. ويقولون إننا وثنيون نعبد الحجر الأبيض، هكذا "الأبيض" وإننا إرهابيون نفجر من عدانا، وإننا نركب الجمل في تنقّلنا بين المدن ولازلنا نركبه بين الرياض وجدة.

وإننا نعتقد أن الشيطان باض ثلاث بيضات، خرج النصارى من إحداها، ويقولون إن ذلك في القرآن في سورة البقرة، وإن المرأة في القرآن مظلومة محرومة!

ويقولون إن عندنا ثروة لا نستحقها ويقولون إننا أغبياء لا نفهم شيئا.

ولما أرادوا أن يقدموا لأحد الملوك هدية أهدوه علبة من تمر كاليفورنيا. وهو عندهم أجود نوع وعندنا من الأنواع الرديئة.

ولا أطيل في تصورهم عنا والخلاصة أنه ما من نقيصة إلا ويجعلوها فينا وما من حسنة إلا ويجعلوها في اليهود، وأنا لا أعجب لهم فهم عدو ظاهر وكذبه تاريخي، وإنما أعجب ممن يعطيهم المال، أو يواليهم ويثق بهم، ويقول

إنه مؤمن موحِّد يعمل بكتاب الله.

فجهاد هؤلاء سياسة حكيمة وضرورة اجتماعية وعمل وطني لمن أراد الوطنية أو عمل قومي لمن يقاتل عن أحساب قومه.

وبالجهاد يتبخر خداع الصهاينة لبقية اليهود فضلا عن غيرهم، وحتمية زوال إسرائيل يتوقعها الصهاينة أنفسهم ولذلك لا يهاجر إليها بعضهم.

وعند تأسيس الدولة الصهيونية سنة ١٣٦٨هـ في (١٩٤٨ج) برئاسة "بن غوريون" نص إعلان ميثاق التأسيس، على جواز احتفاظ اليهودي بجنسيته الأصلية، ثم إن قادة هذه الدويلة رحّلوا أسرهم إلى تلك الدول لا سيما بعد العمليات الاستشهادية، ورمي المدن المحتلة بالصواريخ، هذا حال المهاجرين الصهاينة فكيف بمن لم يهاجر إلى إسرائيل أصلا؟

وقد نظم أحد الشعراء اليهود قصيدة، ينصح فيها اليهود ألا يهاجروا إلى إسرائيل وكنى عن المهاجرين بمن سماه "إسحاق" وجعل عنوان القصيدة (خدعوك يا إسحاق).

ولذلك يطالب عبدةُ الذهب "نتنياهو" بالتعويض عن هذا الخداع، قبل أن يهاجروا من الدولة الصهيونية إلى حيث يشاء الله لهم من البلاد، التي يأمنون فيها.

ولذلك أيضًا يقول اليهودي الإسرائيلي لليهودي الأمريكي، لقد آن أن تذهبوا أنتم إلى إسرائيل ونحن ندفع لكم!!

وقال اليهودي الثالث -وهو أستاذ كبير في الجامعة العبرية- إذا كان ثمن الأمن هو الانسحاب من القدس فإن الحياة أقدس عندي من كل شيء.

وتساءل اليهودي الرابع: في أي أرض يجوز قتل اليهودي غير أرض إسرائيل؟

والجنود يهربون وهم في برنامج تدريبي إذا علمهم المدرب كيف يتقون السكّين، وهكذا قذف الله في قلوبهم الرعب بينما لا تجد فلسطينيا واحدا يموت بالصدمة ولو كان طفلا.

وإنما ينصرهم الصهاينة الغربيون أو العرب ولا يزال الناس يذكرون ما رأوه في معركة الكرامة مثلا حيث يقيّدون الجندي اليهودي بالسلاسل لكي يحارب فلا يخاف المسلمون من هؤلاء الجبناء وكذا أولياؤهم من المنافقين، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر:١١].

وتأمل قوله جل شأنه بعد ذلك بآية ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ [الحشر:١٤]، وانظر إلى المحاولات الإسرائيلية لتطوير دبابة "مركفا" وبناء الجدار العازل ليحول بين اليهود وبين غزة والأردن وإنشاء الطرق الالتفافية غير أن اقتحام الفلسطينيين للمستوطنات ينذرهم بالويل وتكبيرات المرابطين في المسجد الأقصى ترعبهم.

فاليهود جبناء مذعورون دائما، ولكنهم وجدوا المقابل مثلهم، أي من ينسق منهم وكذا من يسترضي أمريكا بالتقرب إليهم، وإنما الحل هو جهادهم وليس استمرار الشكوى لمجلس الأمن كي ينصفنا، وقد قالت العجوز جولدا مائير: (إن رصاصة واحدة أكثر فاعلية من كل قرارات مجلس الأمن)، وصدقت وهي كذوبة.

يقول الإعلام السعودي (كالعبرية والإخبارية) مثلا: إن إيران وتابعها حزب اللات تستخدم القضية الفلسطينية جسرا لمآربها السياسية، وتعلن "الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل" لكي تغطي به علاقاتها مع أمريكا وإسرائيل، ونحن نقول هب أن الأمر كذلك فلماذا لا تفعلون أنتم مثله؟ ولماذا لا ترفعون شعار المقاومة الفلسطينية عن صدق، إذا رفعوه هم عن كذب؟.

أم أن إيران أكثر حنكة ودهاء منكم، ولا بد أن تكونوا تابعين للسياسة الأمريكية ومؤيدين لمطالب السلطة الفلسطينية وتنسيقها الأمني!.

وإذا كانت إيران دولة متطرفة فهل يعني الاعتدال أن تكون الانتفاضة الفلسطينية عدوانا كما قالت العبرية؟.

وإذا اكانت جزيرتا "تيران وصنافير" سعوديتين ألا يعني ذلك أنهما من جزيرة العرب التي لا يجوز لليهود الإقامة فيها بل يجب منعهم من ذلك شرعا بمقتضى قول الرسول ﷺ: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان).

فلا يجوز لإسرائيل شرعا الإبحار بكل حرية في خليج العقبة الذي يسميه اليهود "خليج إيلات"، بعد أن ألغوا التسمية الفلسطينية أم الرشراش" أم أن هذا مجرد حيلة لكي تكون السعودية طرفا في معاهدة اتفاقية "كامب ديفيد"، ولها حدود مباشرة مع إسرائيل؟! ولكي يخدم مشروع نيوم؟

وكيف ندعم نظام السيسي وهو يقفل معبر رفح الذي يمنع عن السعودية آلاف المعتمرين والأطنان من الفواكه والخضروات، وهل الذي اختطفوا رجل الأعمال السعودي في مصر إرهابيون فلسطينيون؟.

وماذا يعني استمرار الخطوط السعودية في السفر إلى شرم الشيخ مع ما فيه من خروقات أمنية؟ أفننتظر أن تقع الكارثة أم يجب أن ندرأ سببها قبل وقوعها؟.

وبالجهاد تظهر قيمتنا الحقيقية، وليس بالغناء والاختلاط والفولكلور الشعبي كما يقال، وبالرغم من هذا الانحدار الذي نعيشه والتأخر التقني الملحوظ نجد الناس في مجتمعاتنا أفضل وأرقى من الدول التي تسمى متقدمة، كما نجد أن جهلنا خير من علمهم وفقرنا خير من غناهم، وهم لما ألقوا القنبلة الذرية على هيروشيما تمنى آينشتاين أن يكون إسكافيا، ولم يكن فيزيائيا، والمخترع الآخر يقول إنه تقيأ لما سمع خبر إلقائهما ولست أشك لحظة واحدة أن سكان صنعاء والحديدة أو دكا وشيتاكونج أكثر رقيا من سكان واشنطن ونيويورك وبوسطن ولوس أنجلس، مع أن كثيرا من المسلمين جهلة أميون.

هذا في العلم أما الفقر فهو دافع للتراحم والترابط بين المسلمين ولمزيد من الصبر، والثبات وحقيقة التوكل على الله التي قال عنها أحد السلف "أكثر ما أكون ثقة في الله إذا قال لي أهلي ليس في البيت درهم ولا دينار"،

وقال الجنيد (التوكل نظام التوحيد)، وقد تحدث الأستاذ الدكتور لطف الله خوجة عن أساس التوحيد هو: ترك سؤال الناس، لكن أمريكا تدعي أن ذلك واقعية وأن ترك سؤال الناس مثالية مفرطة.

وقد قال نيومن وهو ديبلوماسي أمريكي سابق لأحد المسلمين: "لو كانت إسرائيل تحتل كاليفورنيا لاعترفنا بها من أمد بعيد"، فانظر إلى صبر أهل غزة واحتمالهم الحصار بل تحقيقهم النصر مع قلة الإمكانيات والوسائل، وكيف أن نتنياهو يغلق معبر كرم أبو سالم، وأخاه السيسي يغلق معبر رفح مع أن العدل يقتضي القول بأن الذين يعبرون من الأراضي المحتلة إلى الأردن أكثر بكثير ممن يعبرون من غزة إلى مصر، فإسرائيل أخف من عميلها السيسي.

وأبو مازن يتواطأ مع الاحتلال رافضا فتح ميناء أو مطار في غزة، كما نصت اتفاقية "أوسلو" نفسها، ويمنع عن غزة ما يريد أسياده منعه ومع ذلك تجد أهل غزة صابرين صامدين كل هذه السنوات، وهذا من ثمرات الجهاد.

ولست أدري كيف يأمر نتنياهو بقتل كل فلسطيني فور الاشتباه به، ويُجهز اليهود على المجاهد الجريح أمام المراسلين، ويمنعون إسعاف المصاب فيظل ينزف حتى يموت ويكون ذلك تحضرا ودفاعا عن النفس؟ وإذا أراد أحد أن يجاهد من احتل دياره من شذاذ الآفاق مع التزم بالأخلاق الإسلامية الفريدة في الحرب قالوا إنه إرهابي مخرب يفكر بعقلية العصور الوسطى العدوانية!؟ وينبغي له أن يستمر في التفاوض والتباحث إلى ما لا نهاية، والله تعالى جعل أخذ السفينة غصبًا مبررا لأن يخرقها الخضر عليه السلام، فكيف من اغتصب الأرض؟

أما المتحضر الفلسطيني -عندهم- فهو الذي يمنع قيام الانتفاضة، ويفتش الحقائب المدرسية، ويستخرج منها السكاكين، ويقول لليهود "جربوني" ويفتخر في وسائل الإعلام الأمريكي بأنه أحبط أكثر من (٢٠٠) عملية ضد اليهود، المحتلين ويسمي الانتفاضة أعمال شغب!.

والمتحضر من البواسل العرب المعتدلين هو من يقف مع السلطة العميلة، ويؤمن بصفقة القرن، ولا يذكر الجهاد في إعلامه بل هو عنده إرهاب ومن يؤيده متطرف!!

ومن الطبيعي أن أمريكا تطعن في الجهاد ولا تريده بل تريد أن يظل المسلمون عالة عليها ولا ينتجون شيئا أو يصنعون شيئا قط لاسيما السلاح إذ أن إنتاجه نوع من الإعداد، أما إذا أرادت الشركات الأمريكية الاستمرار في الحروب فليس لجهاد اليهود وإنما هو لكي تبيع السلاح لكلا طرفي الأزمة، قال الله: ﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ﴾ [المائدة:٦٤].

والغرب إما صريح في عداوته لنا وإما مخادع ما لم نكن على الإسلام الأمريكي، فقد طالب بسمارك بما طالب به "لايبنتز" من قبل وهو أن تتوحد أوربا لمواجهة ما أسماه "الخطر التركي" أي الإسلامي، وكانت بريطانيا أخبث من ذلك حيث تظاهرت بأنها مع الدولة العثمانية، ولكنها سراً وضعت الخطط للتقسيم والانتداب، وابتدأ التقسيم الفعلي بوثيقة كامبل ثم اتفاقية سايكس بيكو ثم صكوك الانتداب، ولا زالت أمريكا تسعى إلى التقسيم.

والغرب كان يجبر غير البيض الآريين على التجنيد، ويجعلهم في مقدمة جيوشه طعما للألغام المعادية، وكان كثير من الهندوس، والمنافقون وضعاف الإيمان من المسلمين وعموم المرتزقة يرضون بذلك، ويسميهم الإنجليز "سباهي"، ولا يحسبونهم من القتلى أو الجرحى، وهذا ما كتبه كثير من الضباط الإنجليز، وتحدث عنه هيجل" أثناء مقابلته لبعض الإنجليز ويعرفه الأخوة في إفريقيا والدول الأفريقية وكتب عنه كثير من الهنود.

وقد فعل الأمريكان كذلك، فلما اعتدوا على العراق استأجروا شركات خاصة، تجنّد المرتزقة مثل شركة (بلاك ووتر).

و لم يقف الأمر عند وعد أمريكا إخراج البترول من المعركة، بل صرح وزير النفط السعودي لما أعلن صدام حسين أنه سيقطع النفط عن أمريكا، أن

السعودية مستعدة لتعويض أي نقص في النفط!.

وإنما تحسن سعر النفط نسبيا، وأذعن الغرب لبعض المطالب لما قطعوا النفط عام ١٩٧٣هـ، ورأى الغرب بنفسه أن حضارته إنما تقوم على كنوز الشرق!!

وإذا قطعنا النفط عن أعداء الإسلام من أهل الكتاب وجدنا دولا وشركات أخرى تشتريه ولن نخسر شيئا، فأين الإرادة؟ ومتى نجاهد؟

وبالاعتماد على الانطباع المسبق والتأثير الإعلامي المستمر نستدل المباحث الغربية على أن العمل إرهابي وإسلامي، بأن فاعله قال "الله أكبر" عند التنفيذ، وهل يصعب على أي كافر أن يقولها، وهل عتاة المجرمين في الغرب الذين يزورون العملة ويسرقون القطار ويخفون شخصياتهم لا يستطيعون قول "الله أكبر"؟

وكيف تتبعهم في ذلك الحكومات الشرعية أو علماؤها؟، ألا ينتظرون نتيجة التحقيق على الأقل؟

ويخدع بعض الناس بإنشاء المراكز الاجتماعية والأعمال الخيرية التي تمد المنكوبين بالحاجات الإنسانية، مع أنه يجب مساعدة الشعوب المسلمة المنكوبة لا بالغذاء فحسب، بل بالسلاح وقد قال مسلمو البوسنة والهرسك قديما لمن يعطيهم الغذاء "أتريدون أن تسمنونا للصرب؟ أعطونا سلاحا نقاتلهم به"، فلا يصح تكرار ذلك الخطأ في الشام والعراق واليمن وبورما وأفريقيا الوسطى وغيرها.

ثم أليس إرسال الجيش لليمن أو البحرين دليلا على صدق قول الإخوان "الغطغط" إننا نستطيع الجهاد لو أردنا، وعلى صدق القاعدة القديمة (من ترك العمل لوجه الله عمله لغير وجهه)، ومهما اختلف الناس في عدد الجيش السعودي فلا يقول أحد قط إنه يقل عن ١٢ ألفا، وقد صح الحديث في أن اثني عشر ألفا لا يغلبون من قلة، وأين ثلاثة آلاف صحابي من مئتي ألف من النصارى في مؤتة، وإذا كانت العبرة بالكثرة فلا ريب أن ما يسمى قوات

درع الجزيرة قليل، أوليس قتال اليهود منصوصا عليه بينما قتال المسلمين منصوص على تحريمه؟ ولماذا لم نجمع رعد الشمال لقتال اليهود؟ أليس في استطاعتنا أن نأتي بمليون متطوع ضخم الجثة من بنغلاديش المشهورة بالفقر والنحافة؟ فتكاليف الجهاد أهون بكثير من تكاليف تركه وبعضه أفضل من بعض.

والجهاد هو خير وسيلة للخروج من النفق المظلم الذي نتخبط فيه، وهو أقصر طريق للحصول على العزة والتخلص من العفونة التي يعيشها المجتمع، والقضاء على أسباب الإرهاب.

وإذا كنا صادقين في معاداة إيران فلنجعل السفراء كلهم دعاة ولنجعل الاعلام كله دعوة، ولنجعل الدعوة متاحة لكل مؤهل لا سيما في المدينتين المقدستين، ولنطلب من كل دولة علنا إغلاق المراكز الشيعية والجامعات الشيعية وأمثال ذلك، وكل دولة تطردهم نعطيها بعض ما يعطى للسيسي وترامب، فالمليار الواحد مما يعطى للسيسي من الرز يمكن أن يقسم بين أكثر من دولة آسيوية أو افريقية وبذلك يعم الإسلام القارات!! لا سيما القارة المسلمة المستباحة (إفريقية).

ونحن لا ينقصنا المال ولا الرجال ولا أنواع الإعداد، وإنما ينقصنا التوبة والإرادة والعزم.

ولمصلحة من يقاتل بعض الناس تحت قيادة الأمريكيين جنبا إلى جنب مع قاسم سليماني والمليشيات الشيعية المتحالفة مع إيران؟ ويقف الصفان في خندق واحد مع قانون جاستا، ومعلوم إحراق إيران للسفارة السعودية وإنشاؤها فيلق مكة وإمدادها للحوثيين. فمتى نسمي الأشياء بأسمائها، ونقول إن الخلاف مع إيران عقدي وليس قوميا؟

وينبغي أن نعلم أن العالم اليوم متغير الولاءات، ويعيش في حقبة تتميز بالتقلبات والمفارقات، أخذ مثلا "ترامب" وتقلباته في اليوم الواحد والتي أصبحت أقرب الدول إليه في أوربا وحلف الأطلسي تخاف منها.

فيجب علينا الإعداد، فقد يكون من مفاجآته تقسيم السعودية وتقسيم المسلمين من جديد، وهو شخص متقلب المزاج متناقض السياسة، مهما أعطاه بعض الناس من المليارات أو جمعوا له كل قادة العالم الإسلامي ولن يطيعنا وينسى ما علمه أستاذه ستيف بانون، وهدفه الحقيقي العمل بقانون جاستا ضد من يسميهم (الوهابية) لكنه يحلب البقرة قبل ذبحها كما قال.

ومن الإعداد القنوت والدعاء والضراعة إلى الله ليحبط المؤامرات الأمريكية ضدنا، ولما أراد كارتر مهاجمة إيران اصطدمت الطائرات الأمريكية بعضها ببعض وهزمتهم العاصفة، فكيف إذا أراد ترامب مهاجمة السعودية ودعونا عليه.

ومن الخدمة لأمريكا في هذه المرحلة العصيبة، إشغال الناس بالترفيه والسياحة والسينما ولعب الكرة وأشباهها والظن بأن سلعة الله رخيصة إلى درجة أنه يمكن الجمع بين رضا الله ورضا أمريكا، وبين اتباع الشهوات والفوز بالجنات!

والعالم لا يعترف إلا بالقوة العسكرية، وبها استطاعت كوريا الشمالية المجوسية أن تهدد أمريكا وأخرست ترامب، وأصبح الغرب يحسب لتركيا ألف حساب، والدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن إنما هي الدول الأقوى، وكانت بريطانيا العظمى تخشى الدولة العثمانية وقوة الاخوان في نجد، وقوة المهدي في السودان وقوة المجاهدين في الهند ونيجيريا، ولم تنس أن المسلمين هم الذين قتلوا ليشمان وغوردن، وموفيت وهزموا جيشها في عُمان وعدن، ثم إن الإمبراطورية الأمريكية ذاقت الأمرين في الصومال والعراق وأفغانستان فكيف لو أن المسلمين أعدوا العدة وجاهدوهم كلهم؟

قد يقول الغربيون كالعادة، إن محمد بن عبد الوهاب متشدد، وإن أردوغان إرهابي، فبماذا يتهمون الرئيس الفلبيني وهو غير مسلم؟ أهو أيضًا وهابي إخونجي قطبي، أوليس من الخدمة للغرب الاهتمام بالكورنيش، وترك جدة تتنفس تحت الماء، أو إسناد مشكلة تصريف سيول جدة إلى أرامكو.

وإذا كانت أرامكو تنجح في تنفيذ المشروعات المتعثرة في جدة وحائل والرياض والخفجي، فلماذا لا تتولى البلد كله؟

ألم نفقد الثقة في أنفسنا ووضعناها في أصحاب الشعر الأشقر والعيون الزرقاء، وعذرنا الدائم هو تخلفنا الحضاري.

وهذه الأمة المباركة مع تخلفها الحضاري متقدمة إنسانياً وأخلاقيًا ومن مظاهر تقدمها التماسك الأسري والتكافل الاجتماعي والسمو الأخلاقي، ولو منحناها الثقة لأبدعت، ويمكن القضاء على غثائيتها بإحياء الجهاد، ولديها قوة الحق الذي هو أقوى ما في الوجود، ولديها الإرادة التي لا تقهر.

وليس التخلف الحضاري عائقا عن إيقاظ الأمة والجهاد في سبيل الله فقد كان في الفاتحين الأولين من لا يفرق بين الملح والكافور، وكان فيهم من يظن أنه ليس بعد الألف عدد، وكان فيهم من لم ير الجوارش والمهضمات بعينه قط، ومنهم من لم يذق الحلوى، وبعضهم عجب لما رأى الأرز في العراق!.

نعم، العلم خير من الجهل، ولكنهم فتحوا مملكتي كسرى وقيصر ومن المحال أن يكون الناس كلهم علماء، حتى الصحابة الكرام لم يكونوا كلهم كأبي بكر وعمر ومعاذ وأبي هريرة وابن مسعود وأبيّ.

وقد كان بعض الناس هنا يظن أن في البرقية جنا، وأن السيارة تأكل البرسيم، وأمثال ذلك ولكنهم محبون للجهاد مستبسلون للموت في سبيل الله، مستعدون للتضحية بالنفس والمال، وإنما يفتقرون للتعليم والتهذيب والثقة.

وبرغم تخلفنا التقني حاليًا لا نزال أفضل الأمم روحيًا، ولدينا استعداد للجهاد، وإنما ينبغي أن نفهم الإسلام على حقيقته، ونفهم الجهاد على حقيقته.

ومع أن حضارتنا هي الأصل يجب أن نتذكر دائما إسهام المسلمين في الحضارة العالمية المعاصرة، ومن ذلك أن الحضارة الغربية تعتمد على المسلمين

في كثير من الأمور، لا سيما العلوم الدقيقة والتخصصات النادرة ويُسمونهم العقول المهاجرة، ويمنحونهم الجنسية الغربية وقد يرقونهم إلى أعلى المناصب والدرجات إن لم يجدوا غيرهم، فمن ذلك مثلا:

● وكالة ناسا الفضائية الأمريكية لم تجد أمريكيًا يفوق الدكتور فاروق الباز تسند إليه منصبا كبيرا فيها.

● يقرر الاطباء الأمريكان أن المريض الفلاني ميؤوس من حالته وأنه لن يعيش إلا أسابيع معدودة، ولكن هذا المريض إذا ذهب إلى الدكتور "أحمد القاضي" ورقاه ببعض القرآن الكريم، عاش سنوات بعدها إلى أن يشاء الله.

● إذا عجز الأطباء الفرنسيون عن علاج أحد عالجه الأطباء المسلمون من بلاد الشام هناك، وربما شفي تماما بإذن الله، وقد رأيت بعض أولئك الأطباء وحدثوني.

● أما التفوق العلمي في العراق فلا ينكره أحد وقد كان بعض الإعلاميين العراقيين يصححون للإعلاميين الأمريكان أخطاءهم في اللغة الإنجليزية نفسها.

● المسلمون من بنغلاديش أو الهند وباكستان والعراق وبلاد الشام والجزائر ومصر أرقى من الانجليز في الطب، والهندسة الكهربائية، والهندسة النووية وأمثال ذلك.

● يدير المسلمون أكبر المصانع والشركات الصناعية في الصين التي تسمى مصنع العالم وتنتشر بضائعها في كل دول العالم. وكذا الحال في تايلند وكوريا الجنوبية وغيرها من البلدان رغم أن نسبة المسلمين دون ١٠% وربما أقل من ذلك.

● الذي اخترع البريد الالكتروني "الإيميل" مسلم، وكذا غالب موظفي الشركات البرمجية الأمريكية هم من الهند أو باكستان أو المعرب، أو الملايو.

● المهندسون الأتراك في الغرب -لاسيما في ألمانيا- أدهشوا المهندسين بصناعاتهم واختراعاتهم.

● المهندسون الأسبان لا يستطيعون اليوم أن يصنعوا مثل النوافير التي صنعها المسلمون، في أسبانيا ولما فكوا إحداها عجزوا عن إعادها.

● الطلبة الأوائل في أمريكا هم إما فلسطينيون أو من بلاد الشام عامة، وإما من جزيرة العرب المباركة وإما من مصر وسائر الدول الإفريقية الآسيوية.

● إخواننا في بلاد شنقيط أحفظ من كل الغربيين، وقد عرفت هؤلاء وهؤلاء.

ومع تهافت نظرية تفوق العرق الأبيض الآري ينسى الأوربيون أن أصلهم هندي وأن المسلمين في أفغانستان وما حولها هم بيض أيضا ينتمون لذلك العرق، فأين يذهبون؟

وهكذا نستطيع الجهاد العلمي والتقني أيضًا.

فليست مشكلتنا في أنه لا يوجد لدينا علماء أو متخصصون في العلوم العصرية وإنما هي في قعودنا عن الجهاد بل ربما إلغاؤه مطلقًا، واتهام من يريده بالإرهاب كما يفعل الغرب.

والغرب لا يسمي الإرهاب الذي ترتكبه حكوماته ومنظماته إرهابا نصرانيا، كما لا يسمي ما يرتكبه اليهود إرهاباً يهوديًا، ولا يكاد يذكر إرهاب الدولة الذي هو أشد إرهاب المنظمات، ومن أوضح الأمثلة في عصرنا هذا إرهاب نظام بشار ونظام نتنياهو.

ونحن لا نخشى عواقب الجهاد ولا قوة الأعداء ولا نتوقع الهزيمة في النهاية، وكيف تُهزم أمة يبلغ من ثقتها في الله وتوكلها عليه أن تقول لمن يخوّفها بعواقب الجهاد وأن الكفار لديهم طائرات "الله فوق الطيارة وإلا الطيارة فوق الله"!؟

ولذلك نوصي إخواننا المجاهدين في كل مكان بضرورة التوكل على الله والثقة في وعده، وقد ظهر جليا كذب اليهود، في دعواهم أن كبار الفلسطينيين سيموتون وأن صغارهم سوف ينسون، فأكثر المشاركين في

الانتفاضة الثالثة "انتفاضة القدس" إنما ولدوا بعد اتفاقية "أوسلو" النكدة، ونحن أمة لا تنسى مآسيها قط، حتى وإن نسي شباب أوربا كوارث الحرب الثانية، وإنما يزيدنا الزمن ثقة وإصرارا، وكيف ننسى ما بيّنه الله في كتابه، وما صحت به الأحاديث، وثبت في السيرة لا سيما عن اليهود وكفرهم وعداوتهم وتناقضهم ووجوب قتالهم على كل مسلم.

وكيف ننسى الصليبيين والتتار وما فعلوه في القدس والشام والعراق وسائر بلاد الإسلام؟ فلا خيار للمسلمين بين الجهاد أو الرفاهية الدنيوية، فنحن إنما خلقنا للجهاد، والذي أنزل القرآن على خير خلقه محمد ﷺ هو الذي أنزل معه الحديد وأمره بالجهاد، وضرب أصحابه رضي الله عنهم مثالا عظيما في ذلك حتى أن من لا يُعرفون ليقولون له ﷺ لما أعطاهم نصيبهم من الغنيمة ما على هذا بايعناك، وإنما بايعناك على سهم يأتي من هاهنا وينفذ من هاهنا " مشيرين إلى أجسامهم ولما قابل أحد الفاتحين بعض كبار القادة من الكفار قال له "جئتك من عند قوم يحبّون الموت كحبك أنت وقومك للحياة".

وكان المسلمون يعرفون مهمتهم وأنها ربانية، ولذلك قال ربعي بن عامر: (الله ابتعثنا) ولم يقل عمر ولا غيره، فعمر نفسه عبد لله، وإن كان قطعاً أعظم من كسرى.

كلمة لإخواننا المجاهدين الفلسطينيين والمجاهدين في بلاد الشام كافة:

أنتم شرف الأمة العظيم، والتاج على رؤوسنا أحييتم فريضة كادت تنسى في ظل الأمم المتحدة والشرعية الدولية والأسرة الدولية وأمثال تلك الشعارات التي ثبت زيفها!! والخائن من يتهمكم بالإرهاب وهو المتصهين أيا كان.

وأنتم الذين تقاتلون أعدى أعداء الله اليهود المغضوب عليهم، قتلة الأنبياء، والنصيرية الباطنية وكل قوى الكفر والإلحاد، وأنتم الذي سطرتم بدمائكم الزكية أروع التضحيات وحققتم الكرامات والمعجزات وبفضل صبركم وجهادكم قذف الله الرعب في قلوب أعدائكم.

وأنتم تملكون مالا يملكه العدو ولا يمكن أن يملكه إلا بالإيمان بالله تعالى، نعم العدو يملك القوة العسكرية والإعلام وتقف وراءه امبراطورية الشر الكبرى في العالم "أمريكا" وبعض الدول الأوربية والمتصهينين العرب وعند هؤلاء كلهم تكون الدويلة الصهيونية فوق أي قانون وفوق أية مساءلة، ولكن هل يملك اليهود ما تملكون مما هو أغلى من كل ذلك، أي القلوب المؤمنة في شرق الأرض وغربها، ومعها قلوب ومشاعر أحرار العالم من أي دين، وكل من يحب الصدق والعدل والحق من بني البشر أجمعين.

قد يكون للباطل جولة ولكن الحق هو المنتصر في النهاية، وعلى ذلك تدل أحداث التاريخ منذ القدم بل الآيات القرآنية، وخالق هذا الكون يقول في كتابه الحكيم ﴿وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]، وهذه النهاية التي ستأتي يوما ما للظلم والظالمين، تحدث عنها اليهود أنفسهم، لا أعني "هنري كيسنجر" فقط ولا "ديفيد وايز" فقط، بل حتى الذي يتلقون الأوامر من المستوطنين، بأن يسجنوا المجاهدين ولا يرضون إلا بأن يكتب السجين لهم ورقة عهد وكأنه هو السجان وهذه الورقة تنفع السجان في اليوم الذي لابد منه، وهو يوم زوال الدولة المعتدية، وتصديق كلام النبي ﷺ، وهل ينطق عن الهوى ﷺ؟

وتأتي هذه الدلالة أيضا من "جيش الدفاع الإسرائيلي" كما يسمونه فالقادة في هذا الجيش يرضون أن يبيعوا السلاح للفلسطينيين مقابل شيء واحد فقط، وهو بقاؤهم أحياء، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦]، ولا يهم اليهود ما تكون المهم أنها حياة، وهكذا كل من لا يرجو الدار الآخرة أو يعلم مصيره فيها؟

ألم يقله أحد جنرالات اليهود بل قله "نتنياهو" نفسه بعد صفقة تبادل الأسرى، وقال خبيرهم "فان كرليد" إذا اضطررنا للانسحاب من القدس مقابل الحياة فلننسحب، فالحياة أقدس من كل شيء" أما المجاهد الفلسطيني فيعلم بأن هناك ما هو أقدس من الحياة وأشرف، وهو الموت في سبيل الله والذود عن المسجد الأقصى مسرى رسول الله ﷺ.

ولأجل ذلك يتحدى الطفل الفلسطيني، الدبابة من طراز "مركفا٣" ويقف أمامها صامدا فتضطر الدبابة إلى الرجوع للخلف!! ويقذف بالحجارة الدبابات والعربات اليهودية غير خائف، وتصفع الطفلة الفلسطينية الضابط اليهودي، فماذا نتوقع إذا شاهد الشعب الأمريكي أو البريطاني هذه المناظر وغيرها فضلا عن المسلمين الذين يعرفون السر في ذلك.

ولماذا تكره الشعوب كلها اليهود كما قال "مارك توين" ولماذا يلعن اليهود أنفسهم دولة إسرائيل، بل يكره اليهود أنهم يهود، وممن يكره أنه يهودي "كارل ماركس" المشهور، و"فرويد"، وهم يعلمون مصيرهم السيئ، يقول بروفسور روسي يهودي "إن اليهود سيئو الحظ جدا، فما كادوا يتخلصون من التعصب الأوربي، حتى وقعوا فريسة لأعتى شعبٍ على وجه الأرض".

وماذا على اليهود لو أسلموا كلهم أو أعطوا الأرملة والمسكين والفقير ما يستحقون؟ وتركوا المماطلة والمماحكة والعناد والاستكبار والأوصاف التي يعلمون وتصفهم بها التوراة نفسها!!

ولماذا الفلسطينيون أشد رهبة في صدورهم من الله؟

ولماذا عبدوا العجل وقتلوا الانبياء، ووضعوا السم لآخرهم محمد ﷺ.

أليسوا المغضوب عليهم الذين نسأل الله أن يجنبنا صراطهم كلما قرأنا الفاتحة في الصلاة وغيرها؟

وهل كان توماس جيفرسن وبنيامين فرانكلين، وأمثالهم مخطئين في نظرتهم لليهود؟ دع من كان يهوديًا وكتب عن اليهود أمثال "هنري فورد".

ولنفرض أن هؤلاء كانوا متحاملين على اليهود "المساكين" حسب تعبير أحد المتصهينين العرب فهل كان شكسبير متحاملا أيضا، ومثله "شارل ديكنز" و"مارك توين"!!

وهل حقًا أن كل من لم يكن صهيونيا هو إرهابي حاقد غير متحضر وغير ديمقراطي؟

والمسلمون يسألون يا ترى ما هي الحرية والإنسانية والعدالة وأمثال ذلك، كما تريده لنا إسرائيل الكبرى "أمريكا" وإسرائيل الصغرى "الدويلة الصهيونية"؟

أليس لله حكمة عظيمة في أن يكون اليهود في العالم كله "صهاينة وغير صهاينة" لا يتعدون عشرين مليونا؟ وأن تكون مساحة دولتهم العنصرية الصهيونية صغيرة لا يزيد عرضها في بعض الأماكن عن ١١ كيلو متراً، وأن تعيش هذه الدويلة كل هذه العقود بلا هوية -إذ لم يضع اليهود حتى الآن تعريفًا لليهود- ولا حدود ولا دستور؟ وأن يشتكي اليهود الأمريكيون أنفسهم من أن هذه الدويلة أصبحت ماخوراً للإباحية وموطنا للفواحش الشاذة، ومباءة للمخدرات والجريمة؟

وأين هؤلاء من هذه العودة الطاهرة إلى الدين وهذا الحجاب المنتشر وهذا التصديق المطلق لكلام الله ورسوله وهذه المساجد العامرة، والكفر بالجاهليات كلها والأفكار العلمانية كلها، وغير ذلك من المظاهر الإسلامية التي أصبحت واضحة جلية ليس في غزة الصامدة فقط، أو في الضفة الغربية المجاهدة، بل داخل ما يسمونه "الخط الأخضر"، ولو جاز شكر عدوّ ظالم

لشكرنا الصهاينة على هذه الصحوة، وشكرنا نتنياهو على رفضه الحلول والمبادرات، كما نشكره لو جاز ذلك على تنفيذه لأوامر المغتصبين وعلى تطرفه وشدته على المظلومين ويمينيته، وكيف يعود اليهود إلى دينهم ولا يعود المسلمون؟ وهل يقضي على الدين المحرّف المنسوخ، إلا الدين الحق المحفوظ؟؟

وإنا لنرجو أن تزداد تلك الصحوة بإذن الله وأن يكثر الشرفاء من كل منظمة وحركة، وأن يفضح الله العملاء والمتصهينين، من السلطة والعرب ومن كان ضد الجهاد في كل مكان، وأن يخزي الله كل من يريد المفاوضات العبثية أو يعلق أمله عليها؟ وكم شبرا حررت هذه المفاوضات والمبادرات والحلول التي تهدف كلها لبقاء ما كتبه الله له أن يزول؟ وقد ثبت علميا أن المسلمين كافة والفلسطينيين خاصة لا يوحدهم شيء كالجهاد، وهل التطبيع المزعوم كاف لإطفاء ما في قلوب المسلمين على هؤلاء الكفرة الغاصبين؟ هب أنهم غيروا المناهج، وصاغوا الأخبار كما يريد الصهاينة، وزاروا القدس راجين من اليهود الانسحاب فقط عن الأراضي المحتلة في حرب ١٣٨٧هـ الموافق ١٩٦٧ج، وفعلوا كل ما يريده اليهود فهل يستطيعون تغيير القرآن الكريم؟ وتغيير طباع اليهود؟

وهل يستطيع الأمريكان أن يمدونا –نحن المعتدلين– كما تصنفنا أمريكا بنسخ من كتابها (الفرقان) ونستغني بها عياذا بالله عن القرآن الكريم؟

هب أن اليهود قتلوا وسجنوا وحاصروا وخنقوا، وأن اولياءهم قطعوا الكهرباء والماء ومنعوا الدواء، وأُعطوا على ذلك المال الوفير، واتهموا المجاهدين بكل ما شاءوا، وأغرقوا القطاع واقفلوا الانفاق، وحكموا بالإعدام على الموتى، أيستطيعون أن يفتحوا أو يقفلوا رحمة الله تعالى وقد قال: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢]، وهل يستطيعون حجب هذه الطمأنينة والسكينة والرضا والصبر وأمثال ذلك مما يترله الله على قلوب ساكني غزه والضفة وأهل فلسطين.

أو منع الرعب والذعر اللذين يقذفهما الله في قلوب اليهود أينما كانوا

حتى الذين في روسيا أو الأرجنتين؟.

لا شك أن الحصار، والقتل، والأسر، والجراح، والظلام، وقطع الزيتون، وهدم البيوت وسلب المزارع والاستيلاء على الاراضي، وتحويل العيون والأنهار وسرقه المياه، ومنع العمال، والطرق الالتفافية وكثير من ما يفعله اليهود كلٌ ذلك واقع مؤلم، ولكن متى كانت الحرية بلا ثمن؟ ومتى كانت الكرامة مجّانية؟ ومتى كانت الحقوق توهب؟

ومتى سلم الشرف الرفيع من الاذى و لم يرق على جوانبه الدم؟

أو ليست سنة الله تعالى في هذه الدنيا لكل مؤمن ان يبتلى كما قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥]، وقال جل شأنه: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

تأمل يا أخي القارئ من الذي يقول متى نصر الله؟

وقرأ أيضا سورة الأحزاب وتأمل من الذي زلزل زلزالا شديدا؟

وإذا حوصر النبي ﷺ وأصحابه فلنضرب ذلك في عشرة أو مئة ليحاصر من بعدهم، هذه حكمته جل شأنه ولو شاء لانتصر منهم، ولكن ليبلو بعضنا ببعض وليدفع الناس بالناس، فيفك المجاهدون الحصار غير مبالين باليهود ولا بالمتصهينين العرب الذين قال إخوانهم المنافقون من قبل ﴿لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟﴾ [المنافقون:٧]، والآن يريدون أن ينفضّ الفلسطينيون عن الجهاد ومقاومه العدوان ويتبعوا السلطة ويؤمنوا بالحل السياسي، وهل بارك الله تعالى في أرض الشام كافة، مهاجر إبراهيم عليه السلام لسبب لا يعلمه هؤلاء المحاصرون وأولياؤهم؟

وهل قام المجاهدون في أرض الشام، وفضح الله بهم اليهود والنصارى والرافضة والنصيرية والعلمانيين والبعثيين والقوميين والوطنيين، وكل الملاحدة إلا لعبادة الله وحده لا شريك له؟

وهل كانت سلعه الله الجنة غالية، إلا لأنها ثمن لشيء عظيم؟

وقد قال الشاعر العربي:

لولا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قتّال

وهل يسلط الله علينا أعداءنا بأي اسم كانوا إلا بذنوبنا نحن، وهو تعالى غني عنا في الحالين الطاعة أو المعصية؟ ومن فضله جعل الجهاد كفارة لها.

وهل يمكن أن يشتغل المسلمون بالحرث والزرع، ويقولوا لا فرق بين سني وشيعي، وبين مسلم ونصراني، ويتركوا الجهاد ثم لا يبتليهم الله باليهود والنصارى والنصيرية والروافض يقتّلوهم ويهجّروهم ويجهّلوهم؟

وأين الجيل الفلسطيني الغافل أيام النكبة الأولى من الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والشيخ صلاح شحاته والمهندس يحيى عياش والمحدث نزار ريان رحمهم الله تعالى وكل المجاهدين الأبطال اليوم؟.

إخواني المجاهدين في الشام أبشركم أنكم الطائفة المنصورة في هذا الزمان، وهذه الطائفة لا يضرها من خالفها من الأعداء ولا من خذلها من الأصدقاء وهم بالشام كما جاء في كلام المصطفى المختار وصحابته الأخيار.

وستبقى أرض الشام قلعة للإسلام مهما حاول الروم وأعداء الله جميعًا، وهي أرض الملاحم مع الروم لكن المسلمين في الغوطة هم المنتصرون.

قال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله " وفي الصحيحين أن معاذ بن جبل قال في الطائفة المنصورة وهم بالشام، وقال: "وقد جاء في حديث آخر أنهم في بيت المقدس"، ثم قال الشيخ: "وأيامهم مع النصارى ومع المشركين من الترك وغيرهم ومع الزنادقة والمنافقين من الداخلين في الرافضة وغيرهم كالإسماعيلية ونحوهم وغيرهم، من القرامطة معروفة معلومة".

وأقول: فكيف باليهود اليوم وبالنصيرية وأذنابهم وشبيحتهم؟.

ولا تحتقروا صواريخكم أو مسيراتكم أو مؤسساتكم أو جمعياتكم أو أي جهاد أو عمل، وإن قل في أعينكم فإن الله لا يكلف نفسا إلا وسعها،

وقد قال جل شأنه: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ [الأنفال:٦٠] فلم يكلفنا برحمته وفضله ما لا نستطيع، والمعارك الإسلامية الكبرى كما تعلمون كان فيها المسلمون أقل عددا وعدة من أعدائهم، ولكن الله ينصرهم وما النصر إلا من عند الله

وأخوف شيء على هذه الأمة المباركة هو ذنوبها ومعاصيها وليس مكر الأعداء وتخطيطهم أو قلة عددها وعدتها، وأبو بكر الصديق ما فرغ من حروب الردة حتى وجه الجيوش لفتح العراق والشام وهذه حياتنا دائماً، ومن الجهاد العِلم والصَّدقة، وتعظيمُ شعائر الدين، ومقاطعة منتجات العدو، وحفظ كتاب الله والاهتمام بسنة رسول الله ﷺ، والحجاب وكل نشاط خيري أو ثقافي وما أنتم أعلم به مني، ورأس ذلك كله أن تقاتلوا اليهود وتشكروا الله على هذه النعمة العظيمة المهداة لكم، وتقاتلوا البعثيين وكل المرتدين والمنافقين.

كما أوصيكم بالنية الصادقة مع الله وبالصبر والتقوى قال تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠]، فكيد أعداء الله الذي أخبر الله عنه في الآيات الأخرى أنه كبير، وأنه تكاد تزول منه الجبال، لا يضر شيئا مع الصبر والتقوى.

وإنما التهلكة والموت في حب الدنيا وكراهية الموت، وما ترك قوم الجهاد إلا ذلوا، والتاريخ شاهد بذلك، وكلام أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أصدق عندنا من كلام الصهاينة وأذنابهم.

ومع الإخلاص والصبر والتقوى، نوصيكم بالثقة في وعد الله ونصره مهما تأخر في نظرنا القاصر، قال ﷺ: (والله ليتمن الله هذا الأمر..)، إلى أن قال: (ولكنكم تستعجلون).

وربما مضت أعمارنا دون رؤية ما وعدنا الله، ولكن الجهاد نفسه نصر، والثبات على الحق نصر، والتمسك بطاعة الله نصر، فنحن إذن منتصرون ما دمنا كذلك، وأما الغلبة على العدو وإزالته فلذلك موعد عند الله قد ندركه

وقد لا ندركه.

والمؤمنون يرجون النصر إذا تكالب الأعداء عليهم، ويعلمون أن ذلك وعد الله وأن النصر قريب بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢]، وبعد هذا التكالب والحصار والزلزلة سلط الله على الأحزاب الريح فتفرقوا، وقتل ﷺ يهود بني قريظة بعد أن نزلوا على حكم سعد بن معاذ ﷺ، ولما بلغ المسلمين أن الكفار جمعوا لهم لم يخشوهم بل زادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

ونسأل الله أن يقر أعيننا بغلبة المجاهدين الفلسطينيين لليهود، وأن يشتت شمل اليهود، ويفرق جمعهم، ويحقق فيهم ما كتبه عليهم من الذلة والمسكنة والغضب والتفرق ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر:١٤] وما ألقى بينهم من العداوة والبغضاء، وقد بين لنا جل شأنه أنهم لا يقاتلوننا جميعا –اليهود ومعهم المنافقون– إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر.

وهكذا بنوا جدارهم العنصري، وظنوا أنه يمنعهم من عذاب الله، ومن بأس المجاهدين، ولكن هيهات، وبنوا مثله بينهم وبين الأردن أما مصر فقد قام الجنرال السيسي بأكثر مما يظنون ولهذا وغيره يُعطى المليارات.

والله تعالى غني عن جهادنا ودعوتنا وإن تولينا عياذًا بالله يستبدل قوما غيرنا ممن يشاء سودا أو بيضًا، من جاوة أو من الأتراك أو من الهند أو من أمريكا، مثلما ترك بعض المسلمين قديمًا الجهاد، فجاء الله بالسلاجقة ثم بالأيوبيين فأحيوه، ولا يبالي الله جل شأنه، ولا يزال التاريخ يحتفظ بالخزي والعار لمن والى الصليبيين تلك الأيام مثل الملك المدعو الصالح إسماعيل وهكذا حال كل عميل.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[المائدة: ٥٤].

وقال: ﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩].

وقال جل شأنه: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[العنكبوت: ٦].

وانظر إلى كل من ترك الجهاد ورضي بالترف والرفاهية كما يظن، كيف سلط الله عليه العذاب والأمراض، وهذا عذاب الدنيا، والآخرة أشد وأخزى، أما الذل فهو مشاهد محسوس لا ينكره أحد.

وأول ما ينبغي أن نجاهد فيه هو سلوك طريق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا سيما خاتمهم محمد ﷺ، فهذا هو أساس كل نصر في الدنيا والآخرة، والدعوة إلى الله لا سيما مع انتشار الجهال بين كثير من المسلمين.

وأنتم أعلم الناس بأن وسائل الجهاد تتغير ولكن حقيقته ثابتة لا تتغير، فما كان بالسيف والرمح قديما، أصبح بالمدفع والصاروخ والطائرة حديثا. وأما اتخاذ بعض الغافلين السيوف للعرضة أو الزينة فهو مرض عضال، وليته مرض جسدي ولكنه مرض قلبي لا شفاء منه إلا بالتوبة إلى الله، ونحن بالجهاد نصنع الأعاجيب، وقد فتح الصحابة الكرام مملكتي كسرى وقيصر، بسيوف لم تكن محلاة بالذهب والفضة كما قال أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه بل كانوا يلفّون عليها الخِرَق.

وفي هذا العصر قتل المجاهدون في فلسطين "موفيت" البريطاني، كما قتلوا "ليشمان " في العراق، و"غوردن" في السودان، و"كليبر" في مصر، وقل مثل ذلك في نيجيريا وفي الصومال والهند وفي جاوة والفلبين.

والمسلمون -ومنهم العثمانيون- خاضوا كثيرا من المعارك فيما يشبه الأساطير!!

وقد قرأت للشيخ عبد السلام ياسين رحمه الله أن المجاهدين في المغرب في إحدى معاركهم لم يكونوا يملكون إلا ١٨٠٠ طلقة فقط، وقتلوا بها ١٨٠٠٠ من المستعمرين الغزاة!!

أما إخواننا المجاهدون في أفغانستان فقد هزموا أقوى دولتين معاصرتين في العالم، وبعض الأفغان أميّ وكثيرًا ما قاتلوا بأسلحة قديمة، ولو كانوا جيشا حديثا يتكلم اللغة الإنجليزية، ويتسلح بالأسلحة الغربية الذكية لربما كانوا مثل الجيوش العربية! ومن العجيب أن الصحافة الغربية المعاصرة تتحدث عن أجبن جندي وأسرع الجيوش فرارًا، أهم الإنجليز أم الفرنسيون أم الأمريكان فأين هؤلاء من هؤلاء؟

واحذروا وفقكم الله يا أهل غزة أهل البدع ومنهم الفرق الضالة فقد عانينا منهم، وعانى منهم إخوانكم في بلاد الشام كافة، وأنتم بهم أعرف وبخطرهم أدرى، فلا تدخلوهم أرضكم المباركة ولا تسمحوا لهم بشيء، وقد قال لي أحد أعضاء هيئة كبار العلماء هنا في السعودية في حديث خاص بيني وبينه، (إن الفلسطينيين هم أقل شعوب الأرض بدعة) وهذا من نعمة الله عليكم

وقد عافاكم الله من هذه الضلالات فليس في فلسطين رافضة ولا نصيرية ولا إسماعيلية ولا جهمية، أما النصارى فهم فئة قليلة ونحن نقرهم على دينهم بشرطه، وحسبهم في ذلك العهدة العمرية، ولا نصحح ما يسمونه "آثارهم المقدسة" بل كل ذلك موضع شك ولا ندري أَوِلد المسيح عيسى عليه السلام في الناصرة، أو في بيت لحم، وحسبنا أن نؤمن به عبدًا ورسولا، وليس بإله، ولا نؤمن بالتثليث المزعوم، بل نجزم أن (بولس) خاصة ورجال الأكليروس عامة بدّلوا وغيّروا ما جاء به المسيح عليه السلام، وقد ذكرت "كاترين أرمسترونج" وهي مؤلفة بريطانية غير مسلمة أن الخلاف الشديد بين فرق النصارى، جعلهم يضعون مفتاح إحدى الكنائس عند رجل مسلم، والله تعالى هو الذي ألقى بينهم العداوة والبغضاء، لكفرهم وغلوهم ووثنيتهم، ونحن المسلمين شعارنا الدائم هو أنه لا إله إلا الله، فلا المسيح ولا محمد صلوات الله وسلامه عليهما إلهين من دون الله، ولا يجوز للنصارى إحداث كنيسة أو رهبنة جديدة ولا نفتخر بأي كنيسة، ولا نقول المقدسات

الإسلامية والمسيحية! ولا أن القدس مدينة إسلامية مسيحية.

والنصارى يزعمون أن عيسى عليه السلام ذهب من فلسطين إلى مصر أو الهند وهذا ليس في الأناجيل، كما لم أقرأه في أي تاريخ.

ولأن قضيتكم قضية مقدسة يرتفع بها من يؤيدها أحذّركم من الذين يعملون في الظلام ويقولون (الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل)، وأمثال تلك الشعارات التي أنتم أعلم بحقيقتها ويزعم أعداؤكم أنكم ذراع لإيران كتنظيم الصابرين.

وربما قالوا: إننا أمة واحدة وإن الخطر الصهيوني أو الأمريكي لا يفرق بين مسلم ومسلم، وهذا صحيح لكنه لا يعني أنه ليس في المسلمين مبتدعة.

والمساعدات غير المشروطة يمكن أخذها وصرفها والاستغناء عنها خير، ولابد من الاستعانة بالله ولا يضرنا كثرة المخالفين مهما بلغ عددهم، والنبي ﷺ لما عُرض عليه الأنبياء، رأى النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي ليس معه أحد وكلهم مع ذلك منصورون كما ذكر الله.

وقد أخبر الله تعالى عن أطول الأنبياء دعوة، وهو نوح عليه السلام الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاما ودعاهم ليلا ونهارا وسرا وجهارا ومع ذلك أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، ولم يضره ذلك، وقديمًا قال الشاعر العربي:

وما ضرّنا أنا قليلٌ وجارنا   عزيزٌ وجار الأكثرين ذليل

مع أن هذه الأمة المباركة المرحومة لن تترككم وحدكم بإذن الله، وشعوبها معكم في كل مكان، وإنما طالب ما يسمى (الربيع العربي) بنصرتكم، فأنتم بها كثير، ومن بركة هذه الأمة ومن بركة الشام أن يكون أكثر اشعب الفلسطيني معكم، وقد سمعت بنفسي مقابلة مع أحد دعاة القومية، قال إن الأمل اليوم معقود على الحركة الإسلامية. فالحمد لله على ذلك ومن تصديق كلامه أن قطاع غزة الصغير، صمد في وجه اليهود أكثر مما صمدت سبعة جيوش عربية بل انتصر على اليهود وعلى قوات النخبة

الصهيونية، وقد ظهر للمجاهدين عجائب وكرامات يصعب حصرها مثل هجوم المجاهدين على (زكيم) و(نحال عوز) وجهل اليهود المطبق بالأنفاق واعتراف كبار قادتهم أن (المظلة الأمنية) أكذوبة ولله الحمد.

فلا تنظروا إلى القلة والكثرة ولا إلى كون الشعب الفلسطيني منقسماً، فهذا أمر لابد منه، وتلك هي سنة الله فالناس مؤمن وكافر، ومجاهد وقاعد، ومقاتل للعدو ومتعاون معه، ومن المحال أن يجتمعوا على رأي واحد بل ربما انقسمت الأسرة الواحدة، ومتى كان الشعب الفلسطيني غير منقسم؟ وإنما أمر الله خير خلفه محمدًا ﷺ أن يقاتل بمن أطاعه من عصاه.

ولا يجوز للمجاهدين أن يصالحوا أعداء الجهاد باسم الوحدة الوطنية فتمايز الهدف مطلوب، ونقطة البول تفسد بركة الماء، وتمنع الشرب منها، ولو لم يجاهد اليهود إلا قلة قليلة ولكن ليس فيها منافق يوضع خلال المجاهدين، وليس فيها من يريد الدنيا والمتاع الفاني القليل لنصرهم الله، وقد قال ﷺ: (لا يُغلب اثنا عشر ألفًا من قلة).

وإنني هنا لأقترح -وأنتم أعلم- أن يقوم الشعب الفلسطيني بانتفاضة جهادية شاملة على اليهود ومن يتحالف معهم أو يواليهم في الداخل والخارج، وقد رأينا الآثار الحميدة للانتفاضة، ومنها انتفاضة القدس الثالثة فكيف لو قامت انتفاضة عامة ووضعت الحكام والشعوب والسلطة العميلة أمام الأمر الواقع، فإما أن يكونوا مع اليهود -والعياذ بالله- وإما مع المجاهدين، وليس هذا الأمر بكثير على من يطلب جنة عرضها السماوات والأرض.

وقد رأينا الرعب يدب في قلوب اليهود من السكين فكيف لو جاهدتهم الأمة بعبادٍ أولي بأس شديد -كما ذكر الله تعالى- آخذين بكل الأسباب.

وإن من بشائر النصر التي لمستها بنفسي أن هذا الشعب الصامد المجاهد، هو أرقى الشعوب العربية تعليمًا ووعيًا، كما أنه من أكثر شعوب الأرض ذكاءً واختراعًا، وكلما حاول اليهود التضييق عليه في وسيلة؛ اخترع غيرها

الأمر الذي جعل اليهود وأشياعهم يحارون في مواجهته، ويصرخون إنه شعب إرهابي عدواني مخرب.

ونحن أمة واحدة فالشيخ المجاهد عز الدين القسام لم يكن فلسطينيا كما يعلم الجميع.

والمغضوب عليهم مهما حاربوكم يظلون أقل شرا من بعض الحكومات العربية المتصهينة.

والفلسطينيون أكثر حرية من كثير من الشعوب العربية مع ما أعطاكم الله من الشرف واختصكم به من المرابطة والصهاينة يمددون الأحكام أو يبعدون إما أيامًا أو أسابيع، بينما يمدد الأعراب عشر سنوات، وربما أكثر فوق الحكم القضائي.

نعم، لابد من الحل الشامل والعادل ولا بد أن يتوحد الفلسطينيون وهذا ما ندعو إليه غير أن الحل الشامل والعادل والوحدة الحقيقية إنما تكون بالجهاد، وهل وصف الله تعالى عباده في سورة الإسراء بأنهم ﴿أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء:٥]، وهل يكون البأس الشديد والجوس خلال الديار والعلو والتتبير بغير جهاد؟ وهل قال النبي ﷺ: (تقاتلونهم) إلا عن بصيرة ووحي من الله؟ نعم لابد مع القتال من الجهاد بالوسائل الأخرى السياسية والإعلامية والإغاثية، وقد قال ﷺ عن الشِّعر: (والذي نفسي بيده لهو أشد عليهم من وقع النبل)، وهذه هي اللغة التي يفهمها الغرب واليهود، ويخافون منها ولا يملكونها أصلا، وهي اللغة التي أصر عليها الأتراك فطالبت أمريكا لأول مرة في تاريخها الإرهابي بالاكتفاء بالتوغل ٣٠ كيلو متر، واعترفت أنها لا تملك ما تضغط بها على المتوغلين وانقلبت اللهجة الحادة إلى توسلات! والمهم هو أن المفاوضات وحدها أسلوب عقيم لا يلجأ إليه إلا الضعفاء، وهل اكتفى الجزائريون بالمفاوضات مع الفرنسيين؟

وهل اكتفى عمر المختار بها مع الإيطاليين؟

وهل اكتفى محمد الفاتح بمفاوضة أباطرة بيزنطة ليفتحوا له

القسطنطينية؟

وهل أدت مفاوضات جنيف، وما تلاها إلى ما يصبوا إليه أهل الشام؟.

وقد قرأت في إحدى الصحف الإسرائيلية قول خبير يهودي كبير: "جنائزنا مآتم وجنائز الفلسطينيين أعراس"، وصدق وهو كذوب، وكيف لا تكون جنائزنا أعراسا، وقتلانا في الجنة بإذن الله وقتلى اليهود في النار؟! وما عند الله خير وأبقى ونرجو منه ما لا يرجون.

فماذا يتربص بنا اليهود ومن معهم إلا إحدى الحسنيين؟

إما النصر وهم يعرفون آثاره وإما الشهادة التي هي أمنية كل مؤمن.

وليفعل اليهود والبعثيون ما شاءوا وكل أمر المؤمن له خير وقد ثبت ذلك في السنة كما ثبت في القرآن، وأخذه بعض من وفقه الله من قوله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ [التوبة:٥١] حيث عبر بقوله "لنا" لأن أمر المؤمن كله له خير، ولم يقل علينا.

ولما قال البرلمان للمرأة المسماة (الحديدية) "مارغيت تاتشر" لماذا نشكو الأرجنتين إلى مجلس الأمن؟ قالت "تاتشر": الذين يشتكون لمجلس الأمن هم العرب، أما نحن فنأخذ حقنا بأيدينا!.

والجهاد سياحة هذه الأمة ورهبانيتها كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ، وحسب المجاهد أن الله يغفر له عند أول قطرة من دمه، ويشفع في سبعين من أهل بيته، ولا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدنا ألم القرصة كما أخبرنا ﷺ ويقيه الله من عذاب القبر، ومن الفتّان، ويأمن يوم يفزع الناس، ويجري له أجره إلى يوم القيامة، ولا يستطيع أحد من القاعدين أن يعمل مثل عمله مهما تعبد، ورباط المجاهد غدوة أو روحة خير من الدنيا وما فيها ورباط ساعة في سبيل الله خير من قيام ليلة القدر عند الحجر الأسود، وجهاد ليلة أفضل من عبادة ستين سنة، وفي رواية سبعين سنة وفي إحدى الروايات في مكان "ساعة" "فواق ناقة" أي مقدار حلبها وهو أقل من ساعة.

وهذا الأجر لشهيد البر أما شهيد البحر فيضاعف له الأجر بإذن الله وله

أجر شهيدين من شهداء البر.

هذا وحسب الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يُرزقون كما ورد ذلك في القرآن الكريم ونهى الله تعالى أن نقول عنهم إنهم (أموات) فهل هذا لغيرهم من الأمة؟

وليس الأمر مختصا بمن أصاب هدفه بل حتى من رمى فأخطأ! قال ﷺ: (من رمى في سبيل الله بسهم فبلغ أخطأ أو أصاب كان له كعتق رقبة من ولد إسماعيل...) الحديث، فهل يحلم بهذا الأجر العظيم أحد من أعداء الله؟

ومع النصر في الدنيا يفوز المسلم المجاهد بجنة عرضها السموات والأرض بينما يكون الكفار في نار حامية.

وقد كان بعض المجاهدين يتغذى بتمرة واحدة في اليوم كما فعل الصحابة رضوان الله عليهم مع أبي عبيدة أيام النبي ﷺ. وتلك كرامة لا يستطيعها اليهود وأولياءهم ولا يحلمون بها، وهل مات أحد من الفلسطينيين بالصدمة؟ أو أصيب بالعجز المكتسب الذي أصاب اليهود؟.

وقد رأينا اليهود يلجأون كالفئران إلى الجحور هربا من صواريخ المجاهدين ولا يقتصر الأجر على ما له نكاية في العدو بل يشمل ما هو خلقي جيلي في البشر من الوسائل البشرية العادية قال جل شأنه في المجاهدين ﴿وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [التوبة:١٢١]، حتى إذا أسنّ الفرس في طوله كان في علفه وروثه أجر كما في الحديث، أي أنه حتى إذا زُوّدت السيارة أو الطائرة بالوقود فالمزّود مأجور بإذن الله.

بل حتى من حبسه العذر يكتب الله له أجر المجاهد، وكذا من ينفق على المجاهدين أو يخلفهم في أهليهم بخير. ولهذا الأجر العظيم حرص النبي ﷺ على الجهاد وقال: (لولا أن أشق على أقوام لا يتخلفون عني لخرجت مع كل سرية تخرج في سبيل الله)، ثم حرص عليه من بعده الصحابة الكرام، والجهاد أمنية عمر بن الخطاب ﷺ وليس الذهب على فضل الصدقة والإحسان، وقد

حرص عليه السلف الصالح كلهم، وكذلك من بعدهم ممن لا يحصون، ومنهم عبدالله بن المبارك الذي كتب من الثغر إلى الفضيل بن عياض لما آثر الفضيل المجاورة في المسجد الحرام، يقول شعرا:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا   لعلمت أنك بالعبادة تلعب

في أبيات كثيرة لا مجال لذكرها هنا، وكان هذا الأمام الجليل يبارز الروم متقنعا حتى أن مولاه "عبدة" لا يعرفه إلا إذا كشف القناع عن وجهه، ومنهم الإمام أحمد بن حنبل الذي أفتى بأن الإمام في صلاة الفجر إذا كان في الثغر وسمع النداء للجهاد يقرأ بالسور القصار، وعفا عن المعتصم لجهاده مع أنه جلده كما يعلم الجميع، وكذلك أبو إسحق الفزاري بل كل علماء المسلمين حرصوا على الجهاد إما بالنفس وإما بالمال، ومن المجاهدين شيخ الإسلام ابن تيمية الذي جاهد التتار لما قدموا بلاد الشام، كما أنه جاهد النصيرية في جبالهم وأفتى فيهم فتواه الشهيرة، وأحيا الله به أهلها، وقصته في ذلك ذكرها ابن كثير في تاريخه.

ومنهم حبيب الملقّب حبيب الروم، ومالك بن عبدالله الخثعمي، وكانت الصوائف والشواتي ترابط على الثغور صيفا وشتاء، منذ أيام معاوية ﵁.

وبلغ من حب السلف الصالح للجهاد أن بعض الصحابة الكرام يرفض الركوب، ويريد أن يغبر قدماه في سبيل الله، وأوصى أبو أيوب الأنصاري ﵁ أن يدفنوه عند أقرب مكان من القسطنطينية، وقال بعض المؤرخين إن صلاح الدين أوصى أن تدفن معه لبنتان من غبار الجهاد، ثم قام بعد ذلك الشيخ محمد بن عبدالوهاب ومن سار على دعوته، بجهاد الروافض والكفار وكذلك جاهد القواسم الإنجليز، وجاهد كثير من أهل مصر أيام نابليون، وأفتى شيخ الإسلام بن تيمية أن جهاد التطوع هو أفضل التطوعات.

وأن المرابطة على الثغر أفضل من المجاورة بأحد المساجد الثلاثة المفضّلة، وحسب الجهاد أن يكون مكفّرا للذنوب ودواء شافيا لها سواءً كانت ذنوبا علمية أو عملية.

قال الشيخ ابن تيمية الشامي الذين نحبه لجهاده وفضله وعلمه: "ومن كان كثير الذنوب فأعظم دوائه الجهاد فإن الله تعالى يغفر له ذنوبه كما أخبر الله في كتابه بقوله ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الصف:١٢]"، يعني رحمه الله آية الصف.

وقال الشيخ أيضا: (واعلموا أن الجهاد فيه خير الدنيا والآخرة، وفي تركه خسارة الدنيا والآخرة).

وهؤلاء الأئمة إنما عرفوا قدر الجهاد من قوله ﷺ لمن سأل عن عمل يعدل الجهاد "لا أجده" أو "لا تستطيعه"، وأمثال ذلك من الأدلة الكثيرة التي أنتم أعلم بها.

والجهاد فيه الطمأنينة والراحة كما قال ﷺ: (ويذهب الله به الهم والغم)، وقال الشيخ السعدي رحمه الله "فيه السعادة"، وهذه السعادة لا يجدها القاعدون عنه مهما تنعموا به من ملذات الدنيا.

وأي سعادة أعظم من مغفرة الذنوب ونيل الشهادة وحياة العزة والكرامة، وفي تركه الذل الذي ذكر النبي ﷺ، فالواجب من الجهاد هو أعظم الواجبات بعد الإيمان بالله والتطوع هو أفضل التطوعات.

ومن الجهاد العظيم الذي وفقكم الله له المرابطة بالمسجد الأقصى المبارك ومنع تكرار ما حدث في المسجد الإبراهيمي، فجزى الله كلّ المرابطين والمرابطات ومن دلّهم ومن أعانهم، وجزى الله خيرًا كل من حارب اليهود والنصيرية بصدق.

ومن الجهاد قنواتكم الفضائية، والصحافة والإعلام عامة، فقد قال ﷺ: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم)، وقد شهد العالم بما يتميز به الإعلام الفلسطيني من المصداقية حتى أن الصهاينة في الحرب الأخيرة على غزة يقبلون عليه ويهجرون الإعلام الصهيوني الكاذب والمراقب.

ومن الجهاد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقفال أماكن اللهو والدعارة وإقفال محلات السينما والخمّارات، وما أشبه ذلك، بل حتى الرياضة ينبغي أن يكون الغرض منها التدريب على الجهاد، وقد كان نور

الدين أستاذ صلاح الدين الأيوبي رحمهما الله يأذن لجيشه بلعب الكرة تمرينا لهم على الجهاد.

وقد علم الناس قديمًا وحديثًا ما للجهاد الاستخباراتي من أهمية وكذا الجهاد الإعلامي.

ومن الجهادِ الجهاد الإلكتروني، الذي أنتم أعرف به وبفوائده، وقد أثلج صدور المؤمنين أن يخترق المجاهدون المواقع اليهودية.

واعلموا -نصركم الله- أنه من المخالف لسنة الله أن يجتمع الناس كلهم على رأي واحد أو عقيدة واحدة أو فكر واحد، وإنما الواجب هو إكرام المتقين من أي فئة، وتقريب الصالحين من أي طائفة، ومعاداة من عادى الله ورسوله من أي فصيل.

والله حرم دم المسلم وماله وعرضه مهما خالفنا في الرأي، وإنما للمسلمين أخلاقهم الخاصة في الحرب والسلم.

والدويلة الصهيونية عنصرية يتحكم فيها اليهود الغربيون "الأشكنازيم" وهم يفرقون بين اليهودي الأبيض واليهودي الأسود حتى في القتل والأسر، وهذا أحد أسباب تظاهر يهود الفلاشا في تل أبيب فالفلاشا عند الصهاينة لا يصلحون إلا جنودًا إن جاءوا. وقد قال يهودي مغربي يعمل في مفاعل ديمونه، إن سبب إهانته وطرده هو أنه مغربي من "السفارديم" ولو كان يهوديا غربيا من الاشكنازيم لما أهين!

والنصيرية في بلاد الشام بل البعثيون عامة ليس الشبيح عندهم كأي مواطن، والنصيري الذي يسمونه علويًا لا تجده لاجئاً.

وليعلم إخواننا المجاهدون في بلاد الشام كلها أن اليهود هم رأس الأفعى فإذا انتصر المجاهدون على بشار والروافض -وذلك كائن بإذن الله- فليقضوا على اليهود في فلسطين وليحرروا المسجد الأقصى إن بقي اليهود.

واعلموا أن من ضعف الإيمان أو فقده، وقلة الثقة في الله أو فقدها أن يعترف أحد بدولة اليهود أو بجزء منها، والواجب هو إزالتها كلها من نهر

الأردن إلى البحر الأبيض، فالكفر والظلم والعدوان والعنصرية لابد أن يزول مهما طال الزمن وليس لعرق ظالم حق.

واعلموا -نصركم الله- أن حق العودة حق شرعي ثابت لكل فرد ولا تملك سلطة أو أي حركة أن تسقطه، وليس في شريعتنا سقوط أي حق بما يسمى التقادم وإنما يسقط الكفر بالتوبة كما بين الله في كتابه.

أما بيت المقدس الشريف فليس ملكا لأحد كائنا من كان، بل هو للمسلمين إلى قيام الساعة، كالمسجد الحرام الذي جعله الله للناس سواء العاكف فيه والباد كما نص في كتابه، وإذا ائتمن الله عليه أهل فلسطين فهذا شرف عظيم لهم وخدمته والمرابطة فيه فخر وعز وشرف.

وقد قابلت بعض من رابط فيه ورأيت ذلك الفخر في وجوههم وعباراتهم.

وقد شرّف الله المسجد الأقصى المبارك بأن جعله أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى رسول الله ﷺ خاتم المرسلين، وبارك الله حوله وكل مهاجر إبراهيم عليه السلام مبارك، وهذه البركة وهذا المهجر يشمل أرض الشام كافة التي جعلها الصليبيون المستعمرون أربع دول اليوم.

وأوصيكم بالعلم الشرعي النافع، وخصوصا ما كتبه علماء الإسلام المجاهدون كابن تيمية رحمه الله وابن القيم وابن كثير وابن رجب وما ذكره ابن حجر في فتح الباري، وكذلك أئمة الدعوة التجديدية في كل جيل ومن كل بلد.

وأحيوا -وفقكم الله- الشورى بينكم فإنه ما ندم من استشار ولا خاب من استخار، وكلما كان الإنسان أعلم بالحرب والسَّلم فقربوه واجعلوا القيادة والرأي له، ولا تأخذوا الفتوى من كل أحد واعرفوا من تستشيرون ومن تستفتون.

والواجب شرعا هو معاداة من عادى الله ورسوله، من النصيرية والرافضة والدروز والخوارج مع معاداة اليهود والنصارى ونبذ الشرك بكل

صوره والبدعة بكل أنواعها وليس القديم منها فقط بل قديمها وحديثها.

ومن الشرك العصري قول بعض الناس إنه يريد إقامة دولة علمانية ديمقراطية يتساوى فيها المسلم واليهودي والنصراني!!

كما نوصيكم -نصركم الله- بترك الغلو في الدين، وبالرفق والصبر والحكمة في التعامل مع المقصّر أو الغافل والاستعانة بالصبر والصلاة.

والله تعالى جعل الظالم لنفسه من جملة الذين اصطفى من عباده فكيف بمن كان مقتصدا فكيف بمن كان سابقا؟ وفي الشباب المسلم خير كثير قد لا تدل عليه المظاهر الغربية واسألوا إخوانكم في لبنان، كيف جاهد أصحاب هذه المظاهر، وطردوا أكثر الصليبيين من بيروت الغربية إلى قبرص لا سيما عند تمايز الصفّين ووضوح الرؤية.

كما نوصيكم بتعليم الجاهل، وقبول عذر المعتذر إذا أخطأ واعترف، وترك غيبة المسلم، أو تكفير المعيّن قبل استيفائه الشروط الشرعية ومعرفة حاله على الحقيقة وإحالة ذلك إلى أهل العلم والقضاء، وقد قرر شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله في مواضع كثيرة أن الحجة إنما تقوم ببلوغ الرسالة وهذا في كتاب الله وسيرة نبيه ﷺ وخلفائه الراشدين.

ومن كتب الله له منكم أن يجاهد اليهود، فلا ينتقل إلى غيرهم وكيف يجعله الله في أفضل رباط ثم ينتقل إلى غيره، واليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا وهم أعدى أعداء الله، وهم المكذبون بما عرفوا من الحق، وهم قتلة الأنبياء وهم المغضوب عليهم وهم قوم بُهت بخلاء قذرون، فيهم كل صفةٍ ذمها الله ورسوله.

ومن قاتل مع اليهود وجب قتاله حتى وإن ادعى أنه مسلم أو عربي أو فلسطيني أو درزي أو آرامي أو مهما كان، وأنتم أعرف الناس بخطر المندسّين والمستعربين وكيف يدلون اليهود على قادة المجاهدين وعلى عورات المسلمين.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وكأنما يخاطبكم: "ليعتبر المعتبر

بسيرة نور الدين وصلاح الدين ثم العادل كيف مكنهم الله وأيدهم وفتح لهم البلاد وأذل لهم الأعداء لما قاموا من ذلك -أي الجهاد وإعزاز الدين- بما قاموا به، وليعتبر بسيرة من والى النصارى كيف أذلّه الله وكبته" اهـ.

وهذا مصير من يوالي الإدارة الأمريكية والاتحاد الأوربي.

وليس زوال دولة إسرائيل لأن التاريخ يخبرنا بزوال الممالك الصليبية فقط، وليس لأن بول كيندي مؤلف كتاب "قيام الامبراطوريات وسقوطها، "قال" لا تستطيع الدولة اليهودية البقاء إلى منتصف القرن " وليس لأن زوالها هو ما يشهد به اليهود في داخلها وخارجها، ولا لأن المخابرات الأمريكية توقعت لها الزوال، وليس لأن هنري كيسنجر وزير خارجية أمريكا اليهودي حدّد سنة زوالها بأقل مما توقعه "بول كيندي"، وليس لأن الرئيس نيكسون نفسه تنبأ بذلك وهو الرئيس الذي قالت عنه "جولدامائير" إنه أكبر حليف لإسرائيل، وليس لأن أكثر الإسرائيليين يعلمون ذلك، ويسمونه اليوم الأسود، ويتحاشون الحديث عنه، ويتخذون أيادي عند بلدانهم الأصلية وربما أبقوا هناك بعض ذويهم، وربما كان للإسرائيلي جوازان أحدهما إسرائيلي والآخر لدولة أخرى، فهم يعلمون أن بقاءهم وانتصارهم مؤقتان، وليس لأن الدراسات الاستشرافية في أمريكا وأوروبا بل في إسرائيل نفسها تتوقع سقوطها، بل أعظم من ذلك كله أن الله جل شأنه قد أخبرنا بذلك في سورة الإسراء، كما أنه موجود في التوراة والإنجيل، فلا شك عندنا أن إسرائيل هي "رجسة الخراب" أو "الرجس المفسد"، وأن وجودها هو فساد وربما كان إحدى الإفسادتين اللتين يفسدهما اليهود، وأن أهل الأيمان سوف يدخلون المسجد الأقصى ويظهرون على الصهاينة، وتوراتهم نفسها التي يقرأون، تقول لهم إنهم لن ينجو منهم إلا البقية التي ترعى كما ترعى النعاج أي تدفع الجزية عن يد وهي صاغرة، مقابل الاحتفاظ بحياتهم ودينهم.

والثمن الوحيد لزوالها هو الجهاد بكل أنواعه.

وكذلك دولة النصيرية وحزب بشار لاسيما المنافقون الذين قال الله

عنهم (هم العدو فاحذرهم).

وبعض المجاهدين يسأل: ما حكم قتل المدنيين؟

والجواب: أن الأصل ألاّ نقتل من لم يقاتل بيده أو بلسانه لا سيما المرأة والطفل والعسيف -وهو الأجير- إذا تميزوا عن المقاتلين، غير أن المحتلّين الصهاينة فيما أرى كلهم معتدون ظالمون، فالدولة الصهيونية جيش يملك شعبا وليس العكس، وهذا القول إنما اقتبسته من أحد الصهاينة أنفسهم، وهذا الشعب كله مجنّد ذكورًا وإناثا ومستوطنين، ويعلم أن أمامه شعب مجاهد صابر وإلا فما الذي جاء بهؤلاء القتلة من آفاق الأرض؟

والصهاينة في نظري بين مقاتل واحتياطي ودافع ضرائب، يمد الجيش والميزانية بالضرائب وغيرها، وهم عنصريون مع اليهودي الشرقي فكيف بالمجاهد المسلم؟

والصهاينة يسعون لقتل كل فلسطيني، ويستعينون على ذلك بأمريكا وبالحكومات الغربية، كما يستعينون بالمتصهينين العرب، فينبغي إنذار اليهود ألا يأتوا وأن يعودوا إلى بلدانهم ويخرجوا من الأرض المحتلة وإلا فهم أعداء سوف يقتلون.

والقول الفصل في هذا يرجع إلى قادة المجاهدين فهم أعرف الناس بالمصلحة والمفسدة نصرهم الله.

وأخيرا أوصيكم أن تحذروا من المستعربين، ولا أعني جواسيس إسرائيل المعروفين لكم، بل العملاء الكبار الذين اجتمعوا في بيروت والجزائر وعمّان ومدريد ويزورون إسرائيل سراً أو جهراً ويحسنون معها العلاقات وأقروا بما سمي (المبادرة العربية) للسلام التي وضع أصلها اليهودي الصهيوني "فريدمان" والتي هي بعثٌ لمشروع التقسيم وبلورة جديدة لوعد اليهودي بلفور، ولا تنخدعوا لمن شكل لجنة سماها (لجنة القدس) ولا بمن يقول إن المسجد الأقصى تحت حمايته وفقا لمعاهدة وادي عربة، ولا لمن ينسقون أمنيا مع اليهود ولا لمن يريد أن يعطي اليهود سيناء، ويعترف لها بالضفة، وأمثالهم من

المستعربين، ولا بمن يشترون بيوت المقدسيين من العرب ثم يعطونها اليهود، ولا بمن يزور اليهود ويزعم أنه إنما زار أسر الشهداء.

واعلموا أن المؤامرة على الإسلام قديمة، وتحاك الآن ضدكم، فقد كانت المؤامرة محلّية منذ زمن الرسول ﷺ وهو في مكة ثم صارت إقليمية حين اجتمعت عليه العرب يوم الأحزاب ورمته ثم أصبحت المؤامرة دولية - في مؤتة وتبوك- وما بعدها حتى أن هرقل ورجال دولته كتبوا لكعب بن مالك ووعدوا المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار بالمعونة والنصر.

فأوصيكم أن تعلنوها باسمها القرآني "جهادا" ذا راية وقيادة جهاديتين والنصر قادم بقوة الله، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

حصار غزة:

من سنن الله الاجتماعية التي لا تتبدل ولا تتحول أنه بعد اشتدادا الأزمة على المؤمنين وتكالب الأعداء تنقلب الموازين وتتحول الأحداث، فالنبي ﷺ إنما قال "اليوم نغزوهم ولا يغزونا" بعد أن رمته العرب عن قوس واحدة، ونقضت قريظة عهدها، وزلزل المؤمنون زلزالا شديدا، وبلغت القلوب الحناجر وجاء الأعداء من فوق المؤمنين ومن أسفل منهم.

أي أنهم أطبقوا على المسلمين من كل جانب، وحاصروهم من كل جهة، وأنتم يا أهل غزة كذلك اليوم فأبشروا واصبروا واستقيموا على أمر الله، وهذا الحصار له فوائد قد لا يعلمها بعضكم، سنذكرها ان شاء الله، ومن فوائده أن تعتمدوا على الله ثم على أنفسكم في جهاد الصهاينة والأمريكان، ومنها أن تتراحموا وتتكافلوا وهذا غير ما للقطاع من مزايا سيأتي بيانها بإذن الله، وكم لله علينا وعليكم من منحة تأتي في شكل محنة!!

واعلموا أن المؤمن كلما اشتد عليه الكرب أيقن أن النصر قد اقترب، وهذه حقيقة إيمانية نطق بها القرآن الكريم.

فإن يعقوب عليه السلام أيقن برجوع يوسف لما أخذوا أيضا أخاه، فقال لبنيه: ﴿وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:٦٢].

وذلك عرفه العلماء والناس جميعا من التجارب الكثيرة، حتى اشتهر بينهم قول "اشتدي أزمةُ تنفرجي".

وأنا أقول ليس قطاع غزة هو المحاصر فالمحاصر، حقيقة هي الدويلة الصهيونية وعملاؤها، والمحاصر من حاصره كفره أو نظامه، كالصهاينة والإدارة الأمريكية والسيسي، والمحبوس هو من حبسه الله في جلده، أما من أنعم الله عليه باتباع طريق المرسلين فهو الواثق المطمئن المؤمن، وقد اختص الله أهل أرض الشام المباركة بالرباط وجعل منهم الطائفة المنصورة وجعلهم يقاتلون أعدى أعدائه اليهود ويجاهدونهم في سبيله، وجعلهم يحفظون القرآن ويقيمون الصلوات وأنعم عليهم بحرية لا نظير لها، وجعلهم يصلون في المسجد الأقصى الذي هو القبلة الأولى، ومسرى رسول الله ﷺ، وجعل مخالفيهم يترددون في غياهب المخالفة وأوحال المعصية، ويتمرغون في الكفر والضلال، فأي نعمة دنيوية أعظم من هذا؟

ومن الطبيعي جدًا، أن تكون هذه النعمة مصحوبة بالأذى والبلاء، ولكن العاقبة للمتقين والنصر مع الصبر، ومن بشائر حسن العاقبة واقتراب النصر ألا يجد الكافرون بدًا من المجيء بأنفسهم ويتكالبوا علينا وهل كان الفتح إلا بعد غزوة الأحزاب.

وهل جاء الروس والأمريكان إلا بعد إخفاق جيش بشار، وهل بنت أمريكا قاعدة في النقب إلا بعد فشل ما سمته القبة الصاروخية، وهل أمدت أمريكا حزب العمال الكردستاني ضد من هو معها في "حلف الناتو"، إلا بعد النهضة الإيمانية التركية؟.

والحصار ليس بغريب على المسلمين فقد حوصر العراقيون والليبيون، ولا على غير المسمين كما هو على كوبا وكوريا الشمالية، فاصبروا أنتم لله واستعينوا عليه بالذكر والإنابة والاستغفار، واعلموا أن لله في ذلك حكما كثيرة منها ما يخفى علينا، ومنها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى:٢٧] الآية، والحمد لله الذي جعلكم

مظلومين و لم يجعلكم ظالمين.

وقطاعكم هذا هو الأرض الوحيدة في الدنيا التي لا يستطيع الغرب أن يفرض عليها رأيه، وهذه هي إحدى بركات الجهاد.

وبعض الدول أشد منكم بلاء وفقرًا كاليمن بل إن الضفة الغربية نفسها فيها غلاء وبلاء.

كما أن أهل بلاد الشام عامة يرفضون الإملاءات الأمريكية للمجاهدين في كل بلاد الشام، وكل فرد هناك هو مشروع شهادة يمشي على الأرض، ونرجو أن يحقق الله أمنيته ويحقق نيته، وهم من أجل هذا الشرف العظيم والاصطفاء الرباني الكريم يستعذبون كل ما في الطريق من عقبات لابد منها، وهم لعشقهم للشهادة إنما يألمون إذا أبلغهم قائدهم أن نوبتهم انتهت، ولمشاركتهم في هذا الشرف والاصطفاء الرباني يخترق عشاق الجهاد المسلمون الحدود، ويفاخرون بالمجيء إلى القطاع من بلاد بعيدة، وتقوم المظاهرات المؤيدة لهم في قلب واشنطن ونيويورك ولندن.

ومن مميزات أهل الشام عامة وقطاع غزة خاصة أنه بإذن الله هو النواة لقيام الخلافة الراشدة على منهاج النبوة إذ فيه يجتمع كلا جانبي الحل لأزمة الأمة في هذا العصر "الزهد، والجهاد".

وقطاع غزة بإجماع كل خبراء الديموغرافيا هو أكثف منطقة سكانية في العالم، وليست المسألة مجرد كثرة، بل فيهم شجاعة وذكاء نادران أيضا.

والقطاع مهما قدّم من الشهداء يلِدُ نساؤه مقابل كل شهيد عددًا من المواليد، وأعداء الله اليهود يعبّرون عن خشيتهم الدائمة مما يسمونه "القنبلة الديمغرافية"، ويقولون إن الفلسطينيين يتكاثرون تكاثر الأرانب.

والصهاينة حين يقتلون الشهداء ينسون أنهم بذلك يزيدون النار اشتعالا، إذ أن كل شهيد يأتي مكانه المئات ممن ينتقمون له عاجلا أو آجلا بإذن الله.

ومن الميزات التاريخية لقطاع غزة أنه يهزم كل مهاجميه وما دويلة

الصهاينة إلا حلقة في هذا الصراع، وغزة هي التي هزمت الصليبين مرتين وسميت المعركة الكبرى الأخيرة سنة ٦٤٢هـــ، (حطين الثانية) وقال عنها ابن كثير (وكان يوماً مشهودًا وأمرًا محمودًا)، وقال ابن الجوزي السبط: (كان يومًا عظيمًا لم يجر في الإسلام مثله، ولا في زمان نور الدين وصلاح الدين)!.

وعلى ثرى أرض فلسطين المباركة وقعت معركة عين جالوت التي هي من أهم المعارك في التاريخ.

ويحب ذلك على العالم كله والمسلمون خاصة لا سيما أهل التوحيد.

ومن فوائد الحصار الأخرى:

١. التوكل على الله والاعتماد على عبقرية أهل القطاع وإنتاجهم الصناعي والزراعي والإفادة من كل شبر في القطاع.

٢. إنشاء الجمعيات الخيرية ولجان الزكاة والصدقة.

٣. أن الحصار حماية لأهله من أوضار الدنيا، وقد قال الرسول ﷺ: (إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا كما يحمي أحدكم وليه من الطعام والشراب) فاصبروا يا أهل القطاع واحتسبوا بل اشكروا الله الذي حماكم.

٤. أن الله يفضح بالحصار كثيرا من المنافقين مثل (المجتمع الدولي) (وجبهة الاعتدال) و(حقوق الإنسان)، ويفضح الله جبهة ما يسمى جبهة الصمود والممانعة وعلماء السوء والسلطة، ويهود العرب، وكل من رضي أن يكون غرقدا لليهود.

واعلموا أن التسبيح والتهليل يقومان مقام الغذاء وأن الدعاء يجلب البركة ويهزم العدو.

وهذه الفوائد لا تعفي العالم كله لا سيما المسلمون من واجب فك الحصار.

وإنما ندعو الإخوة في فلسطين وأرض الشام كافة إلى الجهاد والصمود والإنفاق في هذه المرحلة الصعبة، فلنكن يدا واحدة على العدو المشترك وفي

نفس الوقت نتباحث فيما بيننا ونتبع الدليل أو ما هو أقرب إلى الدليل.

﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ [الحديد: ١٠]، وليس من غزا أو جهز جيشا يوم العسرة مثل من غزا بعدها والنبي ﷺ قال "لا هجرة بعد الفتح".

والواجب التفاؤل والثقة في وعد الله وتأييده، ومهما تقلب الذين كفروا في البلاد، وبلغوا من القوة، وأنتجوا الصواريخ والطائرات وبنوا المستوطنات وشادوا من الحضارات ما شادوا فكل ما يعملونه هو غنيمة المسلمين في المستقبل بإذن الله، ولما قيل للرسول ﷺ إن هوازن خرجت بالأنعام والنساء والبنين وقضها وقضيضها، قال ﷺ "تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله " وكان الأمر كما قال ﷺ.

كما يجب على المسلمين في كل مكان فك الحصار وفتح أبواب الجهاد والإنفاق على المجاهدين.

ونحن في بلاد الحرمين علينا في ذلك ما ليس على غيرنا من الواجب.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء:٣٧]، فلماذا لا نأمر السيسي ونحن ندفع له المليارات بفتح معبر رفح للمعتمرين؟ باستمرار؟ ألم يوضع قطاع غزة تحت الإدارة المصرية منذ أن احتل اليهود؟ أليس الأمر بذلك خدمة للحرمين الشريفين؟ واهتماما بقضايا المسلمين؟

وهل السيسي هو الذي خسر آلاف المعتمرين والأطنان من الفاكهة؟

أليس من اللائق بأصحاب العقيدة أن يفرحوا بانسحاب اليهود من القطاع وأن يدعو للمجاهدين بالنصر؟

وكيف نمنع المال عن المجاهدين في غزة، ونعطيه لمن يغرقهم ويدمر أنفاقهم؟ ونقول إن منظمة حماس "إرهابية"؟.

والمجاهدون في غزة يستصرخوننا ويقول خطباءهم من فوق منابر الجمعة وغيرها نحن "سلفيون"، فهل وسيلة الدعوة الأفضل هي أن نرشدهم إلى ما نرى لديهم من أوجه النقص مع إعطائهم المال أم فرض الحصار عليهم؟ كما

يريد نتنياهو والسيسي والأمريكان؟

وكيف نشتغل بالسياحة والعرضة والكرة ولا نهتم بأحوالهم، وكأن الأمر لا يعني كل مسلم؟ وكأن تحرير المسجد الأقصى ليس من شأن أصحاب العقيدة الصحيحة؟

وكيف يفتح السيسي معبر طابة لليهود يوميا، ولا يفتح مثل ذلك معبر رفح؟

ولماذا يرد التائه من اليهود ويسجن التائه من الفلسطينيين، وهل رفْض المجاهدين للمبادرة المسماة عربية وأخواتها مبررٌ لحصارهم ووصفهم بالإرهاب وتمني نصر اليهود عليهم؟ وهل يرفض المجاهدون ما يسمى المبادرة العربية واتفاقية أوسلو إلا لما هو خير من ذلك وأكثر اتباعا للسنة المحمدية؟ وهل يبذلون أرواحهم عبثا؟ وهل يحفرون الأنفاق للتسلية؟ وهل الوارد في كتاب الله هو لعن اليهود أم الإقرار بدولتهم والتنسيق الأمني معهم وتسمية من يجاهدهم إرهابيا؟ هب أن في المجاهدين كل عيب أليسوا ولاة أمر انتخبهم الشعب الفلسطيني؟

فإذا كانت الشرعية هي الحكومة المنتخبة كما في اليمن مثلا فحكومة غزة حكومة شرعية وحكومة السيسي التي تقف مع الانقلابين باليمن ومع بشار غير شرعية، أم لا بد للشرعية من شرطين ١-الديمقراطية ٢- ألا يكون المنتَخَب إسلامياً، وبذلك يرضى ضاحي خلفان وولي عهد أبو ظبي ويرضى من خلفهم الأمريكان!

وقد أخبر النبي ﷺ أنه رأى امرأة من حمير، دخلت النار في هرة حبستها فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض" فكيف بمن يحبس مليونين من بني آدم ويحاصرهم؟

وهل من حل لهذا غير الجهاد؟ وما حكم من حارب الجهاد وعادى المجاهدين واتهمهم بالإرهاب؟

القنوت وعودٌ لضرورة الجهاد:

حَسنٌ أن يقنت أئمة المساجد لنكبة حلب، ولكن القدس أفضل منها، ولا يكفي القنوت للقدس أو الشجب أو الاستنكار، بل يجب مع ذلك إعلان الجهاد وتطهيرها من رجس اليهود، ودوام الحديث عن الارهاب اليهودي في فلسطين، والحمد لله الذي منّ علينا بالقنوت لمن لم يستطع أن يجاهد بيده أو ماله أو بهما معا.

والقنوت داخل فيما يستطيع كل مسلم من الاعداد لأعداء الله.

وكذلك الصبر الإيجابي الذي قال الله عنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:٢٠٠]، وهذا ما لا يعرفه أحد من الكافرين.

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

قال النبي ﷺ: (واعلم أن النصر مع الصبر)، ومن حكم العرب "بين النصر والهزيمة صبر ساعة"، وقال الإمام أحمد: (ذكر الله الصبر في نحو تسعين موضعا من كتابه).

وقيل لعنترة بم تغلب خصمك؟ قال: كلما حدثتني نفسي أن أفر، قلت أصبر لعله هو الذي يفر".

ونحن لا نخاف إلا من الله وحده، ويجب ألا نخاف من النمر الورقي المسمى أمريكا، وأن نعلم أن حقيقة هذه القوة المزعومة، وقد كتب دومنيك تيرفي (لماذا فقدت أمريكا إرادة الانتصار في الحروب)، وكتاب (الطريقة الصحيحة لخسارة الحرب)، وهو بروفيسور أمريكي في التاريخ وكاتب في مجلة "ذا أتلانتك"، وكتاباته مشهورة ذكر فيها إخفاقات أمريكا المتوالية في أكثر من عشرة فصول.

كما كتب المحامي "ديفيد فرانش" نحو ذلك وكتب كاتب أمريكي آخر (لماذا خسرت أمريكا كل حروبها؟).

ومما كتب تيرفي أن أطول حربين خاضتهما أمريكا هي حرب العراق

وأفغانستان و لم تكسبهما.

كما أن قائد القوات الأمريكية قال في شهادته أمام لجنة شؤون الدفاع في الكونجرس: إن جاهزية القوات الأمريكية بل فروعها ضعيفة وإن التدريب ليس على المستوى المطلوب.

وأقوى ما عند أمريكا من الأسلحة هو السلاح النووي الذي هو للردع فقط وقد أنتجت باكستان سلاحا نوويا، كما أنه يحق لتركيا أن تستخدم حوالي ٤٠ رأسا نوويا أمريكيا موجودة في قاعدة (أنجرليك).

وقد قال قائد سلاح الجو الإسرائيلي: إن (المظلة الأمنية) أكذوبة.

وتنبأ الباحث الاجتماعي النرويجي الحائز على جائزة نوبل (يوهان غالتنونخ) الذي سبق أن تنبأ بسقوط الاتحاد السوفيتي بأن أمريكا في طريقها للسقوط أيضا، وحدد لسقوطها سنة ٢٠٢٠ كما تحدث عن انهيارها الجنرال الأمريكي هاملتون هوز في كتابه (السقوط التراجيدي).

ولا يشك أمريكي ولا غيره في الأزمة الاقتصادية التي تعاني منها أمريكا والتي شبهها بعضهم بأزمة اليونان، وهذا ما توقعه لها باحث أمريكي ألف كتاب (١٩٩٥ الإفلاس) وقد أفلست فيها كثير من المدن والشركات والمصانع.

والمديونية الأمريكية هي أكبر مديونية في التاريخ، والمحللون الاستراتيجيون العسكريون يقولون إن أي ضعف اقتصادي لا بد أن يصبحه ضعف عسكري.

و لم يفكر الأمريكان في احتلال أي بلد بعد العراق، وتراجَع فوكوياما عن كتابه (نهاية التاريخ) واعترف بوش أن الحرب على العراق كانت خطأ.

وإنما يعتمدون على المال الخليجي لإنقاذهم كما سمعت من أحد الجمهوريين الكبار، كما صرح ترامب أن على دول الخليج أن تدفع!

وخسرت أمريكا أهم مقومات المعنوية للجندي وهي عدالة القضية، وقال أحد الأمريكان "لما كنا نحارب من أجل الفقراء كنا ننتصر فلما أصبحنا

نحارب الفقراء الهزمنا"، حتى أقرب دول العالم لأمريكا وهي الدول الغربية، أصبحت تجاهر أنها ضد أمريكا وتبدي الفرح بانهيارها. وهذا ما قرره أحد المتعصبين على الإسلام.

أضف إلى ذلك صعود (دول البركس) وعودة الروس مجددا للسيطرة على سياسة الشرق الأوسط، والتهديد النووي لكوريا الشمالية وإيران، دع عداوة أمريكا الجنوبية والشعوب العربية لها، وعلماء المناخ يتوقعون لأمريكا فيضانات وجليد، كما أن علماء الزلازل يتوقعون لها زلزالا عنيفا، وعلماء التعدين مجمعون على تسرب النفط الأمريكي إلى خليج المكسيك، وانهيارها الأخلاقي لا يماري فيه أحد، والغباء الأمريكي متغطرس، وأعدى أعداء أمريكا هم المجاهدون وهي تصر أنهم أقوى المقاتلين كما في (تورا بورا) و(قلعة جانجي) ولذلك تحلق طائراتها كثيرا فوق (رغدان) و(وادي مهور) القريب من الشعراء بتهامة زهران، إذ تقول إن الإرهابيين في غامد وزهران هم رأس الحربة.

والخلاصة أن أمريكا في ضعف وتراجع لم تقتصر إحباطاته على الفلاسفة والمفكرين والكتاب وكبار القادة العسكريين فيها، بل أصاب وزير الدفاع نفسه (تشاك هيجل) ودفعه للاستقالة وعبر السيناتور المشهور (ماكين) عن ذلك بقوله "إن هيجل محبط من السياسة الدفاعية لأمريكا"، وإنما الخاسر هو من يسترضي أمريكا، ويظن أن قوتها دائمة ويصدق الدعاية الأمريكية.

وأعظم من تنبؤات الخبراء كلهم أن سنة الله هي المداولة بين الناس، وأنه حق عليه ألا يرفع شيئاً من الدنيا إلا وضعه.

والسنة الاجتماعية التاريخية أن كل صعود لابد أن يعقبه هبوط، وكل قوة لابد أن يعقبها ضعف.

وطبيعة أمريكا الدائمة هي التخلي عن حليفها إذا استغنت عنه، وتقول له وداعا. وذلك ما قاله "ريكس تيلرسون" للحشد الشعبي بعد انتهاء معركته

في الموصل، والأنكى من ذلك هو أن أمريكا تستخدم أموال المسلمين لبناء قاعدها في النقب ومساعدة إسرائيل في التغلغل الثقافي والتسلل التجاري، والشركات الإسرائيلية تبيع الأسلحة لبورما والهند وغيرها تحت سمع أمريكا وبصرها، وتلوذ الدول الحليفة لها بالصمت عن مأساة (الروهينجيا)، وتعرض على أمريكا المساعدات على الكوارث التي يترلها الله بها مثل إعصاري (هارفي وإيرما)، حيث أصبحت التماسيح المفترسة، والأفاعي البحرية تجوب شوارع ميامي وهيوستن وتكساس، وفي فلوريدا مثلا هاجم إعصار (إيرما) القاعدة النووية التي كانت تدير الحرب على العراق، وكذا عدواهم على أفغانستان، ثم إن الله سلط عليهم حرائق كاليفورنيا.

ومن تخلي أمريكا عن حلفائها تخليها عن الشاة وحسني مبارك، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

والمسلمون لا يقاتلون كل من كان غير مسلم كما يظن بعض المسلمين، ويغالط به الغربيون فالرهبان والشيوخ والنساء والمستأجرون (العسفاء) لا يقتلون مالم يقاتلوا، وكذا المعاهدون والذميون مالم يخونوا وينقضوا العهد، بينما يجوز قتال المسلمين إذا كانوا محاربين أو بغاة.

وإنما سبب القتال هو المحاربة وليس مجرد الكفر، كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه القيم (الصارم المسلول على شاتم الرسول)، مستشهدا بالسيرة النبوية كما أوضحه العلامة ابن القيم في كتابه (أحكام أهل الذمة).

وعلى ذلك سار المسلمون من عهد الراشدين إلى عهد العثمانيين، وهم يبغضون الكفر ويعدون الكافر أجنبيا، لكنهم لا يظلمونه.

والجهاد عند المسلمين له وقته المحدد فلم يأذن النبي ﷺ للأنصار بعد بيعة العقبة أن يميلوا بأسيافهم على المشركين، ولم يأذن لحذيفة بن اليمان أن يحدث حدثا، وقد رأى زعيم الكفر (أبا سفيان) أمامه وسهم حذيفة في كنانته، ولم يأمر أبا ذر أن يسب إساف ونائلة ويصدع بالشهادتين والمشركون يسمعون، فلكل فريضة وقتها وصلاة الظهر لا تصح قبل الزوال

بإجماع الأمة.

والرقاق مقدمة على الأحكام.

وقد قالت الصديقة عائشة رضي الله عنها "لو أن أول ما نزل الحلال والحرام ما استجاب الناس"، وقال الصحابة: أو تينا الإيمان قبل القرآن، كما أن الأصول مقدمة على الفروع والدعوة مقدمة على القتال.

والجهاد في الإسلام لا يقتصر على القتال فقط كما تقرر، فرب قصيدة أو برنامج إعلامي أو اختراق الكتروني أشد على الأعداء من هزيمة عسكرية، وقد قال ﷺ عن الشعر لهو أشد عليهم من وقع النبل".

والمسلمون يقولون في كل ركعة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥]، فلا يستعينون بغير لله في حرب الأعداء ولما ضلوا عن ذلك واستعان بعض سلاطينهم (إسماعيل) بالصليبيين حلت به الهزيمة، وقال "قد علمت لما استعنا بهؤلاء الكفار أنا مهزومون".

والنبي ﷺ ثبت عنه في صحيح مسلم (إنا لا نستعين بمشرك).

وهذا ما ينبغي معرفته لإخواننا لمجاهدين في فلسطين وبلاد الشام كافة وفي العراق وليبيا وكل مكان، ولو كانت الاستعانة بالكفار تحقق النتيجة لاستعان صلاح الدين الأيوبي بالإمبراطورية البيزنطية المعادية للبابوية الغربية، التي شنت الحملات الصليبية.

وإنما تحقيق التوحيد بالاستعانة بالله وحده (إذا استعنت فاستعن بالله).

وجهاد المسلمين اليوم إنما هو دفع فقط، وهكذا أكثر حروبهم والغرب هو المعتدي عليهم بحروبه الصليبية وباستعماره القديم والحديث، وكذا أهل الشرك كالتتار والهندوس فنحن في كل الأحوال مستعمرون للكفر على الطريقة التي سماها الفيلسوف الاجتماعي (هابرماس) استعمار الحياة، والغرب إن لم يستعمرنا بقواعده استعمرنا بشركاته، فنحن مثل علي المقلب (ملادي) حين أراد أن يدفع عن نفسه هذه النبز، فقال له جماعته: "لا يمكنك ذلك إلا إذا ذبحت لنا ثورك"! فذبح لهم ثوره لكنهم لما أكلوا وشبعوا قاموا وقالوا

"كثر الله خيرك يا ملادي" فالتهمة لاحقة بنا والاستعمار لاحق بنا مهما فعلنا ولا بد من الجهاد.

ومن أخطر أنواع الغزو الفكري حرب المصطلحات حيث يَعُدُّ المنافقون الغيورَ متخلفا والمجاهد إرهابيا والداعية متطرفا والمتدين ظلاميا، وهذه الحرب تعلمها أمريكا من الانجليز الذين كانوا يسمون القواسم قراصنة، مع أنهم هم الذين جاءوا إلى الخليج، وكذلك يأتي الأمريكان إلى شواطئ الصومال وإذا منعهم الصوماليون قالوا قراصنة.

وقد جمع السفير عبدالستار الراوي مصطلحات أمريكية كثيرة في كتابه "معجم العقل السياسي الأمريكي".

ومن التلاعب بالمصطلحات غير تسمية المجاهد الفلسطيني إرهابيا تسمية الاستعمار استثمارا، والربا فائدة، والزنا حبا، والخمر شرابا روحيا، واللعب والتمثيل والغناء فنا، وتسمية الردة حرية دينية، والاستهزاء بالمصطلحات حرية تعبير، وتسمية المكس قيمة مضافة، وهكذا.

ولا بد من الجهاد لكي ينقذ المسلمون أنفسهم والعالم من لهيب الحضارة الغربية ولكي يكون العالم على حد ما وصفه ألدوس هكسلي في رواية "عالم جديد شجاع" ولابد لذلك من التخلي عن فكرة الثمرة الآنية العجلى التي قال عنها مالك بن نبي:

(المسلم يفضل الموت حالا على أن ينخرط في مشروع بعيد المدى كبناء مسجد).

ومن السذاجة التي عبر عنها المخلوع المشوي على عبدالله صالح لما اقترح عليه بعض المشايخ ما رآه ساذجا "أمانة الله أنتو مشايخ".

ولما علم نابليون سذاجتنا وسهولة انخداعنا، ادعى الإسلام واحتفل بالمولد ولبس العمامة وزعم أنه إنما جاء لمصر لكي يخلصها من ظلم المماليك، ولا ريب أنه وجد في المسلمين سماعين له مصدقين لمزاعمه، والغرب اليوم إذا رأى الإسلاموفوبيا فترت استفز المسلمين بعمل عدائي سافر ضدهم،

فيقومون هم برد فعل مباشر ساذج. وبعض العوام هنا في مكة كانوا على هذه السذاجة حتى أن أحدهم لما رأى أحد المباني قال "هذا مقر جامعة الدول الإسلامية" و لم يُفق حتى علقوا لوحة مكتوبا عليها "فندق كذا"!

ومن هذه السذاجة إيمان بعض المسلمين بما يسمى (السلام العالمي) وظنه أن المقاومة السلمية مجدية، كما يظن محمود عباس وأصحاب المدرسة العصرية التي يتزعمها (جودت سعيد) مع أن اللاعنف المزعوم عقيدة هندوسية آمن بها غاندي وغيره، كما آمن بها بعض أبناء المسلمين كأبي العلاء المعري الذي قدموا له دجاجة فقال: استضعفوك فأكلوك هلا أكلوا شبل الأسد".

وهذه عكس المدافعة التي ذكر الله وسماها ابن القيم (المراغمة)، والغرب نفسه لم يؤمن بالمسالمة حين قامت فيه حركات مثل الكوكس كلان والنازية الجديدة وغيرها واستبعد الفكرة المنسوبة للمسيح عليه السلام من لطمك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر أيضا"، وينهبون خيرات بلادنا ويستعمروننا ويدعون أن (الله محبة) وأن (المسيح) يحمل الآلام عن البشر.

ولما رأى أحمد شوقي ما يرتكبه الغرب من الفظائع مع دعوى أنهم مسيحيون قال:

يا حامل الآلام عن هذا الورى كثرت علينا باسمك الآلام

والمجوس في مينمار (بورما) تخلوا عن عقيدتهم القديمة "لا تقتل" واستباحوا قتل مسلمي الروهينجا الذين تصفهم (عكاظ والشرق الأوسط) بأنهم متمردون بنغاليون.

ودين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه فلا نغلو في الجهاد ولا نتركه، والتغيير النفسي مطلوب والدعوة مهمة والبرهان لا بد منه، ولكن كل ذلك ليس بديلا عن قتال الكفار والمرتدين، والعلاقة بيننا وبين الغرب هي علاقة صراع وليست مجرد تنافس حضاري.

والجهاد له معنى أوسع مما يظن بعض الناس، وربما أصبح جنرالات

الانترنت أقوى تأثيرا من جنرالات الميدان العسكري، والممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني هم المجاهدون، وهم الرقم الصعب في كل معادلة وليس أبطال (أوسلو) المزعومين، والأجدر اليوم بمحمود عباس أن يكتب كتابا عنوانه (خطأ أوسلو) بدلا من كتابه السابق "الطريق إلى أوسلو" لاسيما وقد تراجع اليهود أنفسهم عما لا يريدون من تلك الاتفاقية المشؤومة خصوصا أن يكون لغزة مطار وميناء.

فالجهاد هو الحل الوحيد.

وقد فطن لذلك ياسر عرفات فبالرغم من كل ضلالاته وأخطائه أنشأ كتاب شهداء الأقصى لتكون بديلا عن فشل المفاوضات، ومخرجا للمتحرقين للقتال من منظمة فتح وعلم أن المفاوض إن لم تكن له قوة جهادية تسنده لا يأبه به الصهاينة الذين يقفون على يمين صهاينة أمريكا أمثال: ترامب وبنس.

وقد تسللت القوة الاستعمارية الناعمة إلى بلاد المسلمين ودخلت بلادا لم تطأها قدم مستعمر عسكري وعبر عن ذلك الشاعر اليمني عبدالله البردوني بقوله:

غزاة لست أبصرهم   وسيف الغدر في صدري

فانظر مثلا كيف استطاع (بوتين) بمكره أن يدخل من ثغرة الثورة الثقافية في أمريكا، وأن يثأر لكرامة روسيا ويحول القضية من تدخل أمريكي يحقق نصرا بلا حرب في البروسترويكا إلى تدخل روسي في الانتخابات الأمريكية يحقق فيه (مولر).

وإذا ترك المسلمون الجهاد سلط الله عليهم تيها مثل تيه بني إسرائيل في شكل أزمات محيرة تتيه فيها عقولهم، أوْ عدوا يحتل بلادهم كما سلّط هولاكو على المعتصم الذي طلب من صاحب الموصل أن يرسل له المغني المدعو "صفي الدين" وكانت الجواري يغنين بين يديه أثناء حصار بغداد ولم يفطن لأهداف هولاكو وتغرير ابن العلقمي، حتى وقع سهم تتري على جارية رقاصة، ولما ترك المسلمون اللهو وانصرفوا إلى الجد هزموا التتار في

معركة عين جالوت حيث صرخ قطز "وا إسلاماه".

ومثل الأمة التي تترك الجهاد وتحصر نفسها في دائرة ما يسمى "الشرعية الدولية" أو "المفاوضات" كمثل بعض الفرق الضالة التي إذا رسم العدو حولها دائرة ظلت حبيستها حتى يفكها عنها أحد، ولو أنها خرجت منها ما ضرها ذلك.

فلنجاهد ونخرج من هذه الدائرة، ولنجعل مكة توأما للقدس فليس في العالم مدينة أولى منها بالتوأمة لها.

وهذا من واجب النصرة علينا الذي لا يمنعنا منه أن يكون الأخوة الفلسطينيون كأعراب المسلمين الذين فضلوا العيش مع مشركي قبائلهم على الجهاد.

وإذا ترك المسلمون الجهاد تداعت عليهم الأمم كما يتداعى الأكلة على قصعتهم، وهذا هو الواقع حاليا، فكلما تداعى شذاذ الآفاق من اليهود تداعى أيضا إخوانهم النصارى على بلاد الشام الأخرى فجاءوا من روسيا وبريطانيا وفرنسا وجاء الروم من كل مكان باسم الحرب على الإرهاب، ودمروا حلب التي ليس فيها دواعش أصلا.

كما تداعى علينا عباد الأبقار وبوذا.

ومن بشائر النصر أن يجتمع علينا الأعداء وتتداعى علينا الأمم، ولكن يخرج من هذه الأمة جيل يقول له الناس ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ [آل عمران:١٧٣]، فيزيدهم ذلك إيمانا ويقولون ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣]، ويكفيهم الله شرهم بما ليس في الحسابات البشرية، كما كفى المؤمنين القتال بالريح التي أرسلها على الأحزاب.

وكما نجى عبده إبراهيم عليه السلام من النار، وعبده موسى من فرعون وجيشه.

وقد قال لي أحد المجاهدين السوريين: "لو أنفقنا المليارات ما تحققت لنا هذه النتائج".

وصدق الله.

ولو لم يحققوا من النتائج إلا حرية الدعوة لكفى.

ونحن لا نرضى بالصلح المزعوم بديلا عن الجهاد، وفي الحِكم المأثورة أن رجلا صالح حية ثم إنه ضربها بفأسه فأخطأها، ودعاها للصلح فقالت: كيف أصالحك وهذا أثر فأسك؟

فيكف نصالح اليهود والفأس في الرأس؟

وينبغي أن يعلم المسلمون أن عداوة الكفار لهم قديمة منذ أن بعث الله نبيه بالهدى ودين الحق، وأن عداوة ترامب ونتنياهو ما هي إلا امتداد لذلك وقد قال لسفير الأمريكي السابق في سوريا: إن ترامب يسير على ما قرره أوباما بنسبة ٩٠% وقال أحد زعماء اليمين في أمريكا "إن المعركة هي بين الإسلام والغرب"، ونقلت ذلك وكالة (بلومبيرج) الأمريكية!

هذا ولم يبال الحوثيون بقوة أمريكا بل هاجموا بوارجها في البحر الأحمر وهددوا بإقفال باب المندب في وجهها، ويرفعون علنا شعار (الموت لأمريكا) ويكتبون ذلك في المناهج الدراسية في اليمن، واكتفت امريكا بقولها إنها تحتفظ بحق الرد، على طريقة البعثيين.

ولذلك عندي تفسيران اثنان:

إما أن أمريكا عاجزة عن الرد وأن قوتها التي صدعوا بها رؤوسنا دعاية كاذبة، ومما يؤيد ذلك أنها بعد أن احتلت العراق بتحالف فيه (٣٣) دولة حشدت ضعف ذلك لاحتلال الموصل وحدها.

وإما أن أمريكا متواطئة مع الحوثيين لاسيما وأن صاحبها السيسي سمح للحوثيين بندوة في القاهرة ضد العدوان السعودي، كما أعلن أن أمن بشار من أمن مصر، فأمريكا تظاهرت به تريد بقاء الحروب وبقاء الأزمات لتحلب الطرفين.

ولما رأى أردوغان ترددها وتراجع شأنها قرر الدخول لبلاد الشام.

وحتى لو ثبت أنها قوية فهي كالعصا الغليظة بيد الأعمى، لا سيما وقد

أسقطت حماقة (ترمب) هيبتها ومكانتها، وهب المسلمون شرقا وغربا لأجل القدس رغم أنفها ولم يبق مؤيدا لها إلا الحكومات المستبدة التي أجزم أن تأييدها مصلحي أو لحسابات خطأ.

وبهذين التفسيرين تعرف موقف أمريكا من إيران التي هو أقوى من الحوثيين.

وهذا أحد دلائل الفشل السياسي.

يقول رئيس وزراء حكومة هادي "بن دغر" إن التحالف العربي يقدم ثلاثة أرباع الشعب اليمني هدية لإيران ويعني به الجنوب فكم من اليمنيين مع الحوثي في الشمال؟ وكيف لو جمعت هؤلاء وهؤلاء؟

والذين يجرون وراء السلام من الفلسطينيين يشبهون من شرب من النهر الذي ابتلى الله به جيش طالوت. ولكن بينهما فرقا أن الشاربين شربوا من النهر الحقيقي، وهؤلاء يلهثون وراء الوهم! والكل خاسر إلا من لم يشرب ولم يخدعه الوهم.

ومع هذه الإخفاقات المتتالية نريد حلا لمشكلاتنا، والحل لمشاكلنا الاقتصادية والاجتماعية هو الجهاد، وليس الحل هو التخصيص فالتخصيص ليس علاجا وإنما هو في أحسن الأحوال مسكن يهدي الألم مؤقتا.

وقد جرب حزب العمال البريطاني ذلك، وخصّص بعض القطاعات الحكومية العامة مثل سكك الحديد، ولكن الفنيين والعمال اكتشفوا أن ذلك ما هو إلا نوع من سيطرة فئة جديدة، حيث تحولت السيطرة من الحكومة إلى الشركة، وبقي الحال كما هو، وعندنا هنا يريدون خصخصة المطارات والجامعات والمستشفيات والصناعات ثم فرض ضرائب أو رسوم عليها، بل يريدون خصخصة شركة أرامكو، ومع هذا فلن يتغير جوهر الأمر كما لن نحل المشكلة بتحويل أملاك الدولة إلى شركات مساهمة؟

وكيف تتغير الأمور والمالك الحقيقي واحد ووكلاؤه هم نفس الوكلاء، بل إن كل شيء في الدول الرأسمالية حقيقة خاص، سواء أكان شركات

السيارات أو المطاعم الكبرى أو شركات البناء والتطوير العقاري أو الصيدليات أو الوحدات السكنية والفنادق.

والحكام المنصَّبون في أكثر دول العالم، إنما يعملون في الحقيقة لمصلحة الطبقة الرأسمالية فهم يوقعون على الصفقات ويعقدون المعاهدات، ويزورون الدول الأخرى، وكل ذلك ضمن توجيها ت الأغنياء ولا بد أن يصطحبوا معهم الكثير من رجال الأعمال في كل زيادة، والشعوب تدور في حلقة مفرغة، إذ تخصص ما كان عاما، وتعمم ما كان خاصا، وتُنشئُ المؤسسات العامة حينا، ثم تخصصها حينا آخر، وبعد أن كنا نسير وفق خطة مدتها خمس سنوات، أصبحنا نسير وفق رؤية مدتها خمسة عشر عاماً.

والشيء الغائب في العملية، هو ذكر الله والدار الآخرة والزهد في الدنيا والعمل لما بعد الموت، والمحكومون الفسقة يلهثون وراء شهواتهم ويُشغلهم الملأ بالتعري والدورات الكروية والملاهي المختلفة والوطنيات الضيقة، وأول من يكذّب بالحق ويجحده هم الملأ الذين أترفهم الله في الحياة الدنيا وإمامهم فرعون وهامان وقارون وصدق الله ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:١٦]، ويبدو أن الغرب انتقل من مرحلة التحكم الخفي لرجال الاعمال إلى مرحلة أن يكون رجال الأعمال هم أنفسهم الحكام مثل الملياردير العقاري (ترامب) والملياردير النفطي "ريكس تليرسون" رئيس شركة أكسون موبيل.

وفي زمن الشيوعية كانت الحكومات تسعى لإيجاد (المؤسسات العامة) فلما جاء زمن الرأسمالية اتجهت للتخصيص.

وهكذا جعلوا الشعوب حقلا للتجارب الغربية.

والأتباع يسيرون في تلك التجارب التي يقول أهلها إنها خطأ، فاليوم يقول الأمريكان إن حربهم على العراق كانت خطأ، فهل ننتظرهم حتى يعترفوا بأن حربهم على الإرهاب كانت أيضًا خطأ؟ وأن التحالف مع الشيعة كان خطأ، وأن تقسيمهم كان خطأ، وأن وعدهم بمظلة أمنية لدول الخليج

كان خطأ؟

أم يجب علينا جمعيا الجهاد في سبيل الله، وإلغاء كل التحالفات مع كل من يكفر برسالة رسول الله ﷺ، وربما كان أكبر عقبات الجهاد هي توفير السلاح، ويمكن صنعه محليًا أو توفيره من المسلمين ومن الشركات الغربية نفسها، حتى من الشركات الصانعة له في أمريكا وإسرائيل، هذا فوق الغنائم والإنتاج المحلي، وينبغي مقاتلة من يقاتلنا على الدين قبل مقاتلة من يقاتلنا على الدنيا، فهكذا فعل الأمام المجاهد عبدالله بن المبارك حين انتقل إلى قتال الروم بعد أن كان مقاتلا للترك.

وأظن أن الامريكان كانوا صادقين حين قالوا إن قتلاهم في دير الزور ليسوا من جنود النظام إنما هم من سجنائه، ومعروف من الذين يسجنهم النظام!!

والجميع يعلمون أن للظالم بطنا يشتكي من غير علة، فلا تخدعنا دعاوى أمريكا أن إسرائيل هي المظلومة، وأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في المنطقة.

فالمظلومية ذريعة قديمة، وقد احتلت أمريكا العراق لأسباب أولها المحافظة على أمن إسرائيل، فليس عند اليهود أخوف من محاربة أهل العراق لهم وهم يعرفون ما في العراقيين من الشجاعة وقوة الشكيمة، والصدق في الإقدام، وثانيا النفط فحسب المعلومات الأمريكية يكون الاحتياطي العراقي حوالي ٤٠٠ مليار برميل أي أنه أكثر من الاحتياطي السعودي بمقدار الربع تقريبا، فالاحتياطي السعودي لا يزيد عن ٣٠٠ مليار برميل تقريبا، وبعد أن باعت أرامكو أسهمها من النفط السعودي لم تعد أمريكا تبالي بكثرة الانتاج الذي هو استتراف لأهم الموارد.

وأمريكا بعد أحداث ٩/١١ ادعت أنها هي المظلومة والمعتدى عليها وعلِمت من سنن التاريخ أن المظلومية سبب مهم لاستجلاب التعاطف، ولذلك تدعي حتى وهي تأتي من وراء البحار أنها هي المظلومة، وأن ذلك

منها محافظة على أمنها القومي!

والنصارى من قبل استجلبوا تعاطف الروم بالمظلومية، حيث كان أباطرة الروم يعذبونهم ويضطهدونهم، وتعلّم الرافضة ذلك واستغلوا مظلومية آل البيت لنشر التشيع.

واليهود في هذا العصر ضخّموا المحرقة "الهولوكوست" وجرائم النازية، ليحتلوا الأرض المباركة ويجعلوها وطنا قوميا لهم، وأمثال تلك المظلوميات مما هو معلوم.

وتقول أمريكا إن الوهابية لا تدعو إلى الدين الطقوسي المعروف عالميا بل إلى الإسلام السياسي الذي يريد محمد مرسي وأردوغان ومحاضر محمد وحزب التجمع اليمني أن يحكموا به العالم ويجعلوه بديلا للحضارة الغربية.

وتبعا لذلك حكم مؤتمر جروزني بأن الوهابية والإخوان ليسوا من أهل السنة كما أملي على المؤتمرين.

وقد علمتنا الأحداث الواقعة أن أمريكا لا يهمها نصرة الحق ولا من يحكم صنعاء مثلا بقدر ما يهمها أمران:

١- السيطرة على باب المندب الذي تستطيع به استمرار سيطرتها على البحر الأحمر وقناة السويس ومضيق هرمز، وإن لم تستطع هي بنفسها فلتحتله دولة الإمارات السائرة في ركابها.

٢- القضاء على تنظيم القاعدة في اليمن لأن محاولتها القصاص يوفر لها المبرر لزيادة حاملة الطائرات والمدمرات والبوارج في بحر العرب والبحر الأحمر، وباسمه تحارب المسلمين وتضمن ألا تقوم لهم قائمة، وتعين عليها زيادة قوتها البحرية بعد ان أرغمت على تقليل وجودها البحري ايام أزمة الخليج.

واتساقا مع الحقد الكتابي على المسلمين، أوعزت أمريكا إلى أممها المتحدة بالتركيز على انتهاكات التحالف العربي في اليمن، وذلك مغزى ما صرح به جون كيري للقيادة السعودية في جدة عام ١٤٣٧هـ من ضرورة

احترام حقوق الأقليات أي: (الحوثيون في اليمن، ورافضة السعودية)، وهو أيضا أحد قناعات قضية "صنافير وتيران" وجعل سيناء وطنا فلسطينيا بديلا، لا سيما بعد أن ألغى من سماه بعض السعوديين (الصديق الحقيقي للإسلام) أي "ترامب" فكرة حل الدولتين الذي كانت تتشدق به أمريكا، وتبعا لما قررته أمريكا اختفى التصنيف العقائدي في السعودية، بل أصبح ذلك التصنيف ضد الوحدة الوطنية ويثير الفتنة الطائفية!!

وصرح وزير خارجية بريطانيا أن السعودية تخوض حربا بالوكالة في اليمن!.

وإليك مثالا آخر، فبدلا من مساندة أهل السنة في العراق باعتبارهم خط الدفاع الأول ضد المطامع الإيرانية والحشد الشيعي ونظرًا لكون أمريكا في تراجع ملحوظ، فإنه ينبغي لها أن تبادر وتنتهز الفرصة السانحة بوجود زعامات استبدادية لا تزال تظن أن أمريكا قوة لا تقهر، وأنها على كل شيء قديرة.

وليست قوة الأمة الإسلامية والطاقات الجهادية فضلا عن القوة الفكرية والأخلاقية فيها مهدرة فحسب بل إن أولياء أمريكا يسعون إلى إفراغها في صنوف الملهيات كالمباريات والسباقات والترفيه المزعوم والاحتفاء بالآثار والاهتمام بالسياحة، هذا عدا إشغال الشباب بالتدخين وتعاطي المخدرات والتسكع في الأسواق وأمثال ذلك.

وإنما يُسقط في ايديهم حين يبور مكرهم وينقلب متعاطي المخدرات مجاهدًا وتنقلب المتبرجة إلى متحجبة، وينقلب المغني إلى داعية، وأمثال ذلك مما يسبب لأهل الكتاب صدمة عنيفة، وهذا ما يوجب على الدعاة إحباط المشروع الأمريكي الليبرالي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل مكان، وإذكاء الجهاد وإيقاظ الغافلين ومعرفة حقيقة المعركة.

وكيف لا تكون أمريكا مع الرافضة وتطالب بحريتهم الدينية والرافضة مستعدون للتعاون معها كما تعاون الصفويون مع البرتغاليين.

وهم يعدون العدة للانقضاض على أهل التوحيد وبناء المقامات في البقيع والمعلاة، وبإيعاز منها ثاروا في العراق، وربما بعلمها دفنوا السلاح في القطيف وقتلوا رجال الأمن في العوامية.

يقول الإعلام السعودي كالعبرية مثلا إن إيران وتابعها حزب اللات تستخدم القضية الفلسطينية جسرا لمآربها السياسية، وتعلن "الموت لأمريكا، الموت لإسرائيل"، كذبًا لكي تغطي به علاقاتها مع أمريكا وإسرائيل، ونحن نقول لماذا لا تفعلون أنتم مثله بصدق.

وإذا كانت إيران دولة متطرفة، فهل يعني اعتدالكم أن تكون إيران عدوكم الوحيد وأن يكون الفلسطينيون هم الظالمين؟ وأن تكون إسرائيل صديقة؟

وإذا اكانت جزيرتا "تيران وصنافير" سعوديتين فهذا يؤكد فرض الجهاد لتحريرهما وهما من جزيرة العرب التي لا يجوز لليهود الإقامة فيها بل يجب منعهم من ذلك شرعا بمقتضى قول الرسول ﷺ: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان).

فلا يجوز شرعا أن ندع اليهود يبحرون بكل حرية في خليج العقبة الذي يسميه اليهود "خليج إيلات"، بعد أن ألغوا التسمية الفلسطينية أم الرشراش"، أم أن هذا مجرد حيلة لكي تكون السعودية طرفا في معاهدة "كامب ديفيد" ولها حدود مباشرة مع إسرائيل؟!

وكيف ندعم نظام السيسي وهو يقفل معبر رفح الذي يمنع عن السعودية آلاف المعتمرين والأطنان من الفواكه والخضروات، وهل الذي اختطفوا رجل الأعمال السعودي في مصر إرهابيون فلسطينيون؟

وماذا يعني استمرار الخطوط السعودية في السفر إلى شرم الشيخ مع ما فيه من خروقات أمنية؟ أفننتظر أن تقع الكارثة؟.

وكيف يتوقع تقرير سري للمخابرات الأمريكية سقوط إسرائيل سنة ٢٠٢٥ ويتخوفون من هجرة ثلاثة ملايين يهودي إلى الولايات المتحدة

ونقيم نحن علاقات سرية مع إسرائيل أصبحت مكشوفة.

وبعد أن كان الغرب يحظر على المسلمين أي شكل من أشكال التدين اضطره الربيع العربي والصحوة الشعبية في العالم الإسلامي وكراهية المسلمين للغرب، إلى الإيعاز لأوليائه بمراعاة خصائص المجتمعات وعدم مصادمة الشعوب والتزام مؤسساته بنوع من الإسلام (المودرن)، ولما كان المسلمون يعظمون كتاب الله كان لا بد من السماح لإذاعات القرآن بتلاوته قولا لا عملا، كما تفعل إذاعة لندن وإذاعة صوت أمريكا ومحطة "سوا" أو تلفزيونه.

ولما كانوا يعظّمون رسول الله ﷺ كان لا بد من السماح للمحطات عن الحديث النبوي أو ملصقات في الصلاة عليه ﷺ وإقامة المولد في بعض البلاد.

كما يسمحون لبعض ما هو من خصائص المجتمعات الإسلامية كالحجاب دون الإسلام الرباني الكامل الذي يحكم الحياة كلها، ودون أن تقوم دولة على الإسلام وتحكيم الشريعة في كل أمر، وعلى هذا نصت مؤتمراتهم ومراكزهم وأوصت به خزانات فكرهم، وفي الوقت نفسه يجعلون مساندة الحركات الجهادية في العالم دعمًا للإرهاب، ومخالفا للمجتمع الدولي، أي أنهم يسمحون بإسلام خاص يفصّلونه على مقاسهم ويقولون إن الدين الذي أنزله الله "إسلام سياسي"، ولما التفت الأفعى الصهيونية اليهودية حول المسجد الأقصى، عصرت الصهيونية الإنجيلية المنشار العراقي، ولما أحست أمريكا أن دماءها تسيل من عشرات العمليات يوميا للمقاومة العراقية، اضطر الأمريكان إلى الاستنجاد بعملائهم الذين تسميهم الدبلوماسية الأمريكية حلفاءنا أو أصدقائنا في المنطقة، فأشاروا على "بوش" بتكوين (الصحوات) كما تسميهم أمريكا، وهم الذين يسميهم العراقيون (الجحاش)، ونشَر فكرة الإرجاء لتكون عماد تلك الصحوات، وتقول إن المقاومة خارجة عن طاعة ولي الأمر "بول بريمر"! وأن من قتل أمريكيا

وجبت عليه ديته لولي الأمر.

وأعقب ذلك زعم أمريكا أن الرافضة هم الأكثرية في العراق، وأنْ توليهم الحكم تقديرًا لجهودهم، أوليس (أحمد الجلبي) هو الذي شجعها على احتلال العراق؟ والرافضة هم الذين ثاروا على صدام حسين و(بحر العلوم) هو الذي ابتهج بقدومها، وطالب بإلغاء كل عيد في العراق إلا عيد دخولها البلاد في ٩ نيسان، والمالكي هو الذي أمر عشرات الألوف من قواته بالانهزام أما عشرات من داعش في الموصل، وقوات بدر هي التي حمت ساقة الجيش الأمريكي أيام عدوانه، ألم يقل البنتاجون بل وزير الدفاع الأمريكي (رامسفيلد)، إن مقاومة الأمريكان إنما تأتي مما يسميه المثلث السني (الفلوجة، والرمادي، والموصل) وأمثالها من المناطق السنية التي انتقم منها طيران التحالف فيما بعد.

وبسقوط الاتحاد السوفييتي وخمود الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي، تحقق للأمريكان ما أسماه "نيكسون" (نصر بلا حرب)، وسنحت الفرصة لتكون أمريكا هي القطب الأوحد وشرطي العالم الوحيد، ونشر الأمريكان حضارتهم باسم "العولمة"، وأصبحت قوتهم الناعمة في كل شارع وجعلوا حربهم على أفغانستان والعراق تمهد لقوتهم الناعمة.

فليست مشكلتنا مع الغرب (المتحضر) أنه يقتل المسلمين ويتهمهم بالإرهاب فحسب، بل إن حملته الصليبية المعاصرة تعني استعمار حياتهم في جوانبها المختلفة: فثرواتهم منهوبة له، وأراضيهم الزراعية يستخدمها الغرب لزراعة ما يُفسد الأرض ويتلف التربة، وصحارى المسلمين هي مدفن لمخلفاته النووية والإلكترونية، وكل ما هو ضار بالغرب وبيئته وممرات المسلمين المائية يستخدمها الغرب لتجارته ويسميها مياها دولية، وبحار المسلمين يصيد الغرب فيها أسماكه، ثم يصدّرها بأغلى الأسعار للعالم الإسلامي، هذا غير القوة الصلبة المعروفة التي زادها ببناء قواعده العسكرية في بلاد الإسلام وفوق الجزر الإسلامية، وهو يحكم على أي مجتمع أنه متقدم أو

متأخر، بحسب قربه أو بعده من الثقافة الغربية، فثقافة المسلمين وعاداتهم مجرّمة عنده، ولا بد لكل مسلم أن يرطن بلغتهم ويندمج في عاداتهم ويجعل مسكنه مثل مساكنهم، ولباسه مثل لباسهم وجامعاته مثل جامعاتهم...الخ، وهكذا أصبحنا نسبح عكس التيار، فنحن نسير في الاتجاه المعاكس لسير العالم كله وإليك هذه الأمثلة!.

١- في حين يزور أنور عشقي الدولة الصهيونية وتظهر الصحف الإسرائيلية نفسها صُوَرَه مع مسؤولين إسرائيليين يمتنع نائب برلماني هولندي عن مصافحة نتنياهو؟ ويقول إنه قاتل، وصدق.

٢- بينما تضع بعض شركات الطيران العالمية صورة لا ملامح لها، لكي يتعلم منها الركاب ربط الحزام والعمل في حالة الطوارئ، نجد الخطوط السعودية تعمد إلى خادمة جوية "مضيفة كما يسميها" لتتولى تلك الإشارات، فينشغل كثير من الركاب بالنظر إليها، ولا يفقهون شيئا من الإرشادات.

٣- بينما نجد رائد فضاء ماليزي يصلّي في الفضاء، تجد بعض السعوديين لا يصلي مطلقا وبعض الوزراء لا يعرف الكعبة، وبينما نجد أهل الدين والقبائل عامة يفرحون بفشل الانقلاب في تركيا، تجد المرجفين وبعض الكتاب في الصحف السعودية أو بعض القنوات يفرحون بوقوع الانقلاب ضد أردوغان ويتمنون نجاحه؟ فكهذا تريد أمريكا!!

٤- وفي حين نجد أن معاملة الفرنسي في السعودية تفوق معاملة المواطن، نجد أن فرنسا الصديقة تستنكر كلمة "الله أكبر" وتحاكم قائلها، وتحكم عليه بالسجن وتنظر بمقت وازدراء إلى محلات بيع اللحم الحلال، أي أن حرية التجارة عند هذه الدولة العلمانية إنما هي لمن يبيع الجيف والخنازير، وأما اللحم المذبوح فهو دليل قاطع عندها على أن آكله وبائعه ومشتريه إرهابيون!.

٥- كيف تتحدى كوريا الشمالية المجوسية أمريكا وروسيا واليابان

ويعجز عن ذلك المسلمون؟ لا سيما أهل التوحيد المزعوم؟ وعرفت كوريا أن المرء حيث يضع نفسه. ورضينا أن نضع أنفسنا في مصاف الدول المتأخرة؟

٦- في حين نجد إيطاليا تقيم العالم كله ولا تقعده، لمقتل طالب إيطالي واحد، نجد أن المبتعث السعودي يُقْتَل في أمريكا ويمر ذلك كأي حدث عابر! مع أن قبيلته معروفة بالشجاعة مشهورة بالقوة وتستطيع الانتقام لمقتله، إن لم ينصفها القضاء الأمريكي الذي لا يعرف الإنصاف، لا سيما وبعض ولاياتها ينص قانونها على تحريم الحكم بالإعدام، أي أنها لا قصاص في شرعها.

وأقول لأسر الضحايا وقبائلهم مقدّما إن (الإف بي آي) سوف تقرر إن القاتل كان مختلا عقليا، أو يعاني من اضطرابات نفسية!! ويقولون إن الطالب السعودي هو الذي ذهب إلى أحياء الجريمة، وقد قتلوا مسلما في المحكمة فهل المحكمة أيضا من أحياء الجريمة؟.

٧- في حين تعود المسلمات للتحجب -فهكذا المرأة المسلمة- في الفلبين مثلا، دع مصر والعراق وبلاد الشام وكل بلد إسلامي، وانتشر الحجاب عالميا حتى ولو كانت المحجبة مذيعة في تلفزيون (البي، بي، سي) أو عاملة في مركز الأهرام، نجد بعض السعوديات تريد نزع الحجاب.

٨- في حين يُقبل الناس حتى في الدول الغربية على تعلم اللغة العربية، ويقول العلماء اللغويون إنها اللغة الوحيدة التي لا تفنى، نجد أبناءنا الجهلة يتسابقون لتعلم اللغة الإنجليزية والرطانة بها!.

٩- مع إقبال الناس من كل مكان إلى هذه البلاد لتعلم العقيدة الصحيحة، تجد بعض الناس هنا هداهم الله يريدون التخلي عن هذه العقيدة وتغيير المناهج لكي ترضى أمريكا وإسرائيل والإمارات.

١٠- في حين يزداد عدد الدول أو الولايات التي تطبق الشريعة بعد أن جربت القوانين الوضعية طويلاً، نجد القوم هنا يفتحون كليات للحقوق

وأقساما للقانون وإن أحسنوا جعلوا كلية الشريعة والقانون معا، ويحيلون القضايا إلى النائب العام، ويستشيرون القانونيين.

١١- كثير من الدعاة يفتحون حتى في الدول الشيوعية قنوات إسلامية تبث ما تشاء بينما يخضعون القنوات الإسلامية هنا للسياسة الرسمية فتوالي وتعادي فيها، وتثني على كل قرار!.

٢١- يقبل المسلمون على الجهاد ويزداد المتلهفون له يوما بعد يوم، بينما تجد بعض الناس هنا يسمونه الإرهاب إرضاء للغرب وخلفان!.

١٣- يسمي الناس المتدين (سنيا أو متدينا) لكنهم يسمونه هنا متطرفا أو مطوعا متشددا، أو محافظا يخطو الخطوة الأولى عندهم نحو الإرهاب!

١٤- يستطيع المرء في أمريكا أو الغرب أن يعترض على أي قرار حكومي، أما هنا فعلى مبدأ "ما أريكم إلا ما أرى"، ومن كان له رأي مخالف فمكانه السجن وربما طول عمره، ولا بد من تسميته خارجا على ولي الأمر.

١٥- في حين تقفل دور السينما أبوابها في كثير من الدول تجدهم هنا يفتحون دور السينما، والشواهد كثيرة، وكلها تدل على أننا في هذه البلاد نسبح عكس التيار العالمي.

ويبدو أنه سيكون الأتراك المعاصرون منطلقا لإنقاذ الأمة، لا سيما والمسلمون في جزيرة العرب يرون فيهم البديل الواعد، ولينصرن الله من ينصره ولما رفضت أمريكا أن يقيموا منطقة عازلة شمال سوريا أقاموها بالقوة فلم تملك أمريكا إلا الرجاء ألا تزيد عن ٣٠ كم، ولأول مرة نجد أمريكا تتوسل ثم تنسحب استجابة للأتراك، وهم جيران الأرض المباركة (الشام) وقد بدأ الجهاد العسكري في بلاد الشام، ففضح الله به مكر أهل الكتاب والقوميين والروافض، وفي الكتب المتقدمة أن نبي آخر الزمان سيكون مولده بمكة ومهاجره المدينة وملكه بالشام، وللأتراك قوة يهابها الشرق والغرب، منذ أن انطلق جهادهم من الموصل في عهد آل زنكي، وقد رأى النبي ﷺ

عمود الكتاب ينتقل إلى الأرض المقدسة، فتبًا للذين يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، والذين يزعمون أن الجهاد من بقايا المرحلة القطيعية تلك المرحلة الوهمية، التي يريد اليهود أن نؤمن بها، وتبا لأمريكا حين تعمد إلى استثارة الأتراك، وتبًا لمن يسمي حكمهم احتلالا عثمانيا أو تركيا، بينما لا يسمي الأمريكان كذلك، ويريد منا أن ندع الإعداد، وقد غاظ الصليبيين جدا ما حققه صلاح الدين والظاهر بيبرس وقطز ومحمد الفاتح، ويريدون منا أن نقبع في الأغلال التي صنعوها لنا، وعلى الشروط التي اشترطها اللورد "كيرزن" على "أتاتورك"، ونتخلى عن المراغمة والمدافعة التي لا بد منها، كما أوضح العلامة ابن القيم.

والأتراك أيضا جيران النشامى الأبطال، وأعني بهم العشائر العراقية التي هزمت أمريكا وأذاقتها الأمرين.

ومن حماقات أمريكا اليوم، أنها تمد حزب العمال الكردستاني بالسلاح وتقاتل هي وتحالفها إلى جانبه، مع أن تركيا هي شريكتها في حلف الناتو وحزب العمال عندها إرهابي شيوعي، وهي بذلك تعلم الأتراك الطريق الصحيح وتستجلب عداوة أشد أمم الأرض شكيمة وتختار حزبا على دولة استراتيجية كبيرة!

وليس في يد أمريكا سوى الحصار والضائقة الاقتصادية من حلفائها على الأتراك.

وقد ظلت أمريكا هذه السنوات الطوال، ولم تستطع هزيمة طالبان فكيف الظن بتركيا؟.

ويقول كثير من الأمريكان اليوم -ومنهم رؤساء سابقون ومسؤولون- إن هذا القرن سيكون قرن تركيا.

ويقرر الباحثون الديمغرافيون أن اسطنبول الآن هي ثاني أكبر مدينة في العالم، وقد تصبح الأولى.

كما يجمع الغرب على أن تركيا هي ثاني قوة في حلف الناتو، وإنما

الخلاف متى تصبح الأولى.

وقد ذكرت صحيفة الجارديان البريطانية أن أي مواجهة عسكرية بين أمريكا وتركيا في سوريا سوف تكون لصالح تركيا، هذا في القوة الظاهرة أما في القوة الباطنة فلا مقارنة أصلا، وقد أعلنت تركيا عن ميزانيتها التي تساوي ميزانية ٢٥ دولة أوربية وميزانيات الدول العربية كلها، نعم الغرب يحاصرها اقتصاديا ولكن سنرى؟

ولذلك لا غرابة أن تجتهد أمريكا في وأد أي نموذج إسلامي ناجح سواء أكان في تركيا أو مصر أو في باكستان أو في ماليزيا، وأرادت أمريكا أن تنتصر لهزيمتها في الفلوجة فحرضت الحشد الشعبي على غزوها وانتقمت مما تسميه (المثلث السني) وثأرت لهزيمتها المنكرة، أما الحرب الإعلامية فهي مستعرة دائماً تولاها الإعلام البديل أو إعلامها، والكل يسمي الشيعة (القوات العراقية) ومثلما أوحت بريطانيا إلى أحمد القادياني دينًا لا جهاد فيه، أوحت الإدارة الامريكية إلى شورش أن يضع قرآنا خاليا من الجهاد ولكن الناس اليوم أوعى منهم أيام الإنجليز، ولكثرة ما تكذب أمريكا ينبغي أن نقول في أخبارنا قال الرئيس الأمريكي كذا، أو قال الكونجرس كذا، أو قال البنتاجون كذا ثم نتبعه بقول (لم يتسن لنا معرفة حقيقة ذلك من مصدر مستقل)، ولا يصح الاقتصار على رأي واحد فقط، بل نأتي بالرأي والرأي الآخر المقابل له.

وإذا أردت معرفة الوجه الحقيقي لأمريكا، فاقرأ ما كتبه من يجرؤ على الكلام من وزرائها السابقين مثل وزير العدل الأمريكي "رمزي كلارك" ووزير الدفاع "تشاك هيجل"، وما يعترف به الباحثون الأمريكيون أنفسهم وإجمالا كل محلل يخرج عن رأي حكومته ويقول الحق.

وأنا أشبه اعتداد أمريكا بقوتها باعتداد عاد التي قالت: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فُصِّلَت:١٥]، فأمريكا هي عاد هذا الزمن وخذ مثالا قرآنيا واحدا مختصرًا وهو ما ذكره الله عن عاد في سورة الأحقاف وقارن بين عاد وأمريكا لتجد

المشتركات بينهما:

١.التعلل بالأماني الكاذبة والأوهام الباطلة، فقد قالت عاد: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف:٢٤]، وتقول أمريكا هذه ظاهرة طبيعية وتغير مناخي مفاجئ.

٢.المصير المحتوم حسب سنة الله ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٥]، وهذا هو مصير أمريكا إن ظلت على ما هي عليه من العصيان ولم تُسلم، وهذا الذي في سورة الأحقاف يفسره ما في سورة الأعراف ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأعراف:٩٧-١٠٠]، ولا شك أن الله طبع على قلوب كفرة الأمريكان.

٣.التمكين في الأرض، قال تعالى عن عاد: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ﴾ [الأحقاف:٢٦]، والأمريكان اليوم يبنون القواعد العسكرية حيث أرادوا ويعتدّون بما هم فيه من التقدم التقني.

٤.إعطاؤهم العلم قال تعالى عن عاد: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً﴾ [الأحقاف:٢٦]، واليوم أعطي الأمريكان العلم التجريبي والمختبرات والمراصد والأقمار الصناعية وغير ذلك.

٥.الله تعالى يجعل للعذاب مقدمات تنذر بوقوعه فقد أنذر عادا بالقحط وأنذر أمريكا بالأزمة الاقتصادية، وكل منهما بلغته الدعوة وقامت عليه الحجة، فقد أرسل الله هودا إلى عاد: ﴿وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ﴾ [الأحقاف:٢١]، ومحمدًا ﷺ إلى أمريكا.

٦.أصبحت أرض عاد بحارا من الرمال لا يسكنها أحد وسوف تصبح أرض أمريكا بحارا من الرمال أو جبالا من الجليد ولله الأمر من قبل ومن بعد وبعض الباحثين يتوقع أن يعتريها الجفاف، وبعضهم يتوقع أن يعود العصر

الجليدي ويغطيها ويكون سمكه خمسين مترًا، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدَّثر:٣١].

وصدق أبو الدرداء "من يشتري مني تركة آل عاد بدرهمين"، وإن بقيت أمريكا على هذا فسوف يأتي من يقول مثل ذلك في حقها.

وعكس ذلك كان السلف الصالح فلما قيل للربيع بن خثيم ألا نأتي لك بطبيب قال لا إن عادا وثمود كانت فيهم الأوجاع والأسقام وكان فيهم الأطباء فهلك المداوي والمداوى"، مع أن التداوي ليس حراما ولكن الصبر حق.

أخيرا نقول إن الراجح أن الأحقاف هي بأرض اليمن وكانت خصبة وكانت كما قال قتادة والسدي بيت مملكة عاد (أي بلغة عصرة كانت العاصمة) ولا يمنع ذلك امتدادهم خارجها فقد ذكر المقريزي أن شداد بن عاد كان يحمل الحجارة من مقطع الأقصر إلى الجيزة، والتشابه بين الصحراء الكبرى وصحراء الربع الخالي لا ينكره الجغرافيون أو الآثاريون، بل إن بعضهم يقول إنه عثر على آثار يمنية قديمة في غرب أفريقيا.

ومما يؤيد كلام المقريزي أن أحد السلف عثر على كتاب أو (نقش) فيه "أنا شداد بن عاد وأنا الذي رفعت العماد...إلخ".

وبعض السلف قال إن عادا كانوا بدمشق كما يُروى، عن سعيد بن المسيب وعن محمد بن كعب القرظي وأن مدينتهم الإسكندرية، وقد روى ابن أبي حاتم مرفوعا (أن الرجل فيهم كان يأتي على الصخرة فيحملها على الحي فيهلكهم)، ولا يمنع أن تكون عاصمتهم العامة في حضرموت والاسكندرية عاصمة فرعية.

وذكر ابن كثير أن من الخرافات الإسرائيلية التي وضعها زنادقة أهل الكتاب حديثهم عن مدينة بنتها عاد كانت لبنة من فضة ولبنة من ذهب، وهو فعلا من الإسرائيليات، و لم أجده مرفوعا.

وما دامت تلك الخرافة إسرائيلية فلا بد من أن يصدقها الأمريكان بل

ربما جزموا أنها وحي من الله، ويرون مساكن عاد بالأقمار الصناعية مثل (لاندسات) فإذا هبطوا إلى الأرض لم يجدوا ذهبا ولا فضة.

والأمريكان حين يرتكبون هذه الحماقات، إنما هم جزء من الغرب حيث العالم المتحضر في نظره هو العالم الغربي فقط بل الغرب هو العالم، وما عداه حواش همجية متأخرة فإذا قال الغرب الحربان العالميتان فالمقصود هو الحربان الغربيتان، وإذا قال العالم لا يقبل كذا فالمقصود أن الغرب لا يقبل ذلك.

أما الدول الخليجية فهي عند الحكومات الغربية مجرد مجموعات من البدو المتأخرين لديهم ثروات لا يستحقونها، وهم غير إنسانيين وغير ديمقراطيين وغير جديرين بالثقة وواجب الغرب تحضيرهم ما أمكن وأدلة غبائهم كثيرة منها أنهم يبيعون النفط بأقل مما يشترون به الماء به المستورد من الغرب، وإن الشركات التي تستخرج النفط والغاز غربية!

ومنها أنهم يبالغون في الاحتفاء بمن يزورهم، ومنها أنهم يعقدون الصفقات الضخمة مع من يعاديهم، ومنها أنهم لا يعتبرون بل يصادقون اليوم من كان عدوا لهم بالأمس، والمهم أن يمدحهم إعلاميا ويقول إنهم سائرون في طريق التقدم!

ومنها أنهم يعاملون الغربي غير ما يعامل به مواطنيهم، فللغربي ميزات كثيرة مهما كان جهله.

ومثل دول الخليج سائر الدول التي تقول إنها إسلامية.

ومنها بيع الأطنان من الكاكاو والصمغ وغيرها بثمن بخس للغرب الذي يبيع الجرامات من تلك الأطنان بثمن غال، ومن ذلك أن الغربي إذا تقاعد يذهب إليهم فيعطونه الراتب الضخم والبدلات الكثيرة، ويسكنونه في الشقق الفخمة ويحرسونه بالجنود ويحيطون سكنه بالمكعبات الخرسانية.

وإذا ارتكب جنايةً أطلقت سراحه الشرطة بلا محاكمة، وإن حاكموه وفروا له كل ما يتوفر من ضمانات ومن ذلك إطعام كلابه وقططه، وإذا

سجنوه ففي أماكن جماعية مع غيره من المتحضرين! وربما عفا عنه رئيس الدولة.

ومن تأخرهم وهمجيتهم كما يقول الغربيون أن دينهم يحكم برجم من يمارس الحب! ويجلدون من يشرب المشروبات الروحية!!

ومن تأخرهم أنهم لا يزالون يركبون الجمال في تنقلاتهم بين المدن، هكذا ينظر إلينا الغرب عامة والأمريكان خاصة.

ومن الأخطاء العقائدية التي يقع فيها بعض الشباب المسلمين ظنهم أن من يحالف الغربيين لا بد أنه يوافقهم في كل شيء وأن من يعاديهم لابد أن يخالفهم في كل شيء، وما كان هكذا عبدالله بن أبي، ولا كعب بن الأشرف ولا عمرو بن العاص حال شركه، فقد آثر ابن أبي حليف اليهود أن ينافق ويقف على المنبر يوم الجمعة حاثا الأنصار على الإسلام وأن يخرج مع رسول الله ﷺ في الغزوات، بينما آثر كعب أن يهجو رسول الله ﷺ بشعره ويشبب بنساء المؤمنين، أما عمرو بن العاص فحتى بعد إسلامه قد ذكر مناقب أعدائه الروم وخصالهم الحسنة حيث أن الإسلام دين العدل حتى مع الخصم.

والله تعالى يصحح هذه الخطأ لاسيما في قوله تعالى عن المنافقين: ﴿قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِ﴾ [محمد:٢٦]، ولم يقولوا سنطيعكم في كل شيء.

والغرب اليوم ليس أسلوبه مع رجاله هو أسلوب الأمر فقط بل له أساليب كثيرة منها:

- الأمر المباشر (افعل كذا أو لا تفعل كذا) كما يأمر السيد عبده، وهو ما يعرفه الناس غالباً.
- إظهار الرغبة مثل العالم يرغب كذا أو يريد كذا أو الديمقراطية تقتضي كذا.
- فتح الإشارة الخضراء، والعميل يتصرف.
- تشجيع الخطوات التابعة لثقافته كفرحه بالتغيرات الاجتماعية في

السعودية وقوله هذه خطوة في الاتجاه الصحيح.

- قد يفعل الأولياء فوق ما يظن السادة كما يفعل شياطين الأنس فوق ما يظنه شياطين الجن، ويبتكر أصحاب الضرار ما لم يأمرهم به هرقل وأصحاب المدراس.

وعلى هذا الأساس ينبغي أن ننظر إلى تحالف المسلمين مع الكفار والإعلام العميل لا يقول الدول الآمرة والناهية بل يقول عن أمريكا الحليف الاستراتيجي وعن أوروبا الدول الصديقة، والمخرج من تلك التبعية هو معاداة الكفار جميعا.

ومن بركات الجهاد أن كل من جاهد جعل الله له لسان صدق في الآخرين، وانظر إلى العصر الحالي كيف رفع الله ذكر عمر المختار وجعل الناس يترحمون عليه ويتحدثون عن شجاعته بينما يلعن العالم عدوه موسوليني ويذكره بأقبح النعوت، وكذلك من جاهد بالقرآن كالشيخ حسن البنا الذي أبقى الله ذكره بينما لا يكاد أحد يذكر ملك بريطانيا آنذاك أو الملك فاروق الذي قتلوا البنا في عهده.

وكل من جاهد نصره الله وأيده ولو كان هو في نفسه ضالاً والله يقبل دعاءه على من ظلمه، خذ مثلا حزب الله في لبنان إذا جاهد اليهود، وقد قال ﷺ: (اتقوا دعوة المظلوم ولو كان كافرا فإنه ليس بينها وبين الله حجاب).

فإذا اعتدت إسرائيل على القرى الشيعية في جنوب لبنان وجب علينا الوقوف مع المظلوم ضد الظالم ومع المعتدى عليه ضد المعتدي، وانظر مثلا هل ذهب حزب الله إلى واشنطن أم أن الأمريكان هم الذين جاءوا إلى بيروت (مشاة البحرية).

قد يقال حزب الله رافضة يدعون غير الله ويطعنون في الصحابة وذلك صحيح بالنسبة للروافض، ولا يقرون على الشرك أو الطعن في خير الناس بعد الأنبياء، ولكننا لا نقف معهم إلا في هذا الجانب فقط أي جانب أنهم مظلومون والله تعالى يستجيب دعاء الكافر إذا أخلص ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا

دَعَاهُ﴾ [النمل:٦٢]، ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء:٦٧]، كما أنه هو الذي يرزق الكفار ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ﴾ [الإسراء:٢٠].

وقديما قال أبو نواس:

إن كان لا يرجوك إلا محسن فمن الذي يرجو ويدعو المجرم

وربنا تعالى أمرنا بالعدل حتى مع من يصدنا عن البيت المحرم، وأمرنا أن نكون قوامين له شهداء بالقسط، ولو على أنفسنا أو الوالدين والأقربين.

وإذا فعلت إسرائيل أو أمريكا أو إيران أو الحوثيون أو حزب الله ما هو حق قلنا هذا حق، وإذا فعلنا نحن أو هم أو من نحب باطلا قلنا هذا باطل قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ﴾ [النحل:٩٠].

ولإحقاق الحق نجاهد إما فريضة وإما تطوعا، وإما دفعا وإما طلبا.

جهاد الطلب: المنهزمون نفسيا يقولون إنما شرع الجهاد في الإسلام للدفع فقط، وهذا فوق أنه خطأ شرعا هو خلاف سنة الله في خلقه ومن كلام علي رضي الله عنه (ما غزي قوم في عقر دارهم إلا ذلوا)، والنبي ﷺ خرج إلى نصارى الروم عام تبوك وهم أعتى الناس آنذاك، وقد غلبوا الامبراطورية الفارسية و لم ينتظر أن يأتوا هم، وإن كان الإمبراطور الرومي قد غزا المدينة استخباراتيا كما في حديث كعب بن مالك في صحيح البخاري كما كان له فيها أولياء كأبي عامر الراهب والمنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضرارا ومعهم سويلم اليهودي وحزبه.

ولما استعد المسلمون لقتال الروم سخر منهم المنافقون وقالوا أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب... الخ. وهكذا المنافقون في كل عصر وهم اليوم يقولون أتحسبون قتال القوى العظمى سهلا مع أن لديهم رؤوسا نووية وقاذفات استراتيجية وأسلحة ذكية.. إلخ.

والليبراليون يقولون لا نستطيع منع إسرائيل من الإبحار في خليج العقبة أو البحر الأحمر، والأصل أن المجاهدين يجاهدون طلبا، والمسلمون هم وأحرار

العالم إنما هم معاونون على المقصد، حسب المثل الشعبي عندنا (عمود الضيعة راعيها والجماعة فزاعة).

فيا أطفال -بل أبطال- الحجارة ارجموا الزانية (أهلوبية) والزانية الكبرى التي زنت مع كل تجار الأرض وارموا جالوت العصر بمقلاع داود عليه السلام واعلموا أن إخوانكم في كوالالمبور وجاكرتا لن يخذلوكم مهما خذلكم الأقربون، واعلموا أن الدفاع عن القبلة الحالية في مكة يقتضي الدفاع عن القبلة الأولى القدس، ومعكم الله وهو نعم المولى ونعم النصير ثم إخوانكم المسلمون في كل مكان، واعلموا أن شعوب جزيرة العرب معكم وإن كانت صرختها مكبوتة، عدا من يتحدث عن الاحتلال التركي وليس الاحتلال الأمريكي.

ولينظر ملك الأردن الهاشمي كيف اجتمعت حوله القلوب لما تحدث عن الهلال الشيعي، الذي أصبح بدرا كما يقولون، ثم إن نشامى الأردن رفعوا قدره بعد موقفه من القدس، فليستمر وليحكم الأردن بكتاب الله ولا يبالي بما يقدمه ترامب من ملايينه العفنة، إذا ما كانت الملايين من المسلمين معه، وكل المغاوير في الغوطة الشرقية ومصر أندونيسيا وماليزيا فوق الملايين المتحرقة للثأر في لاهور واسطنبول معكم، ودعوا السلطة البائسة تلهث وراء سراب السلام وكأنه لم يمر على "أوسلو" أكثر من ربع قرن بلا جدوى، ودعوها تبحث عن وسيط جديد يكون في نظرها نزيها، ومتى عرف عالم الظلم والمصالح الدنيوية النزاهة، وأيقِنوا أنه لا حل إلا بالجهاد وأنكم إن لم تجاهدوا العدو راضين فسوف يجبركم هو عليه، أولم يرفض كل مشروعات ومبادرات ما يسمى السلام؟ أولم يرفض إقامة دولة فلسطينية منزوعة السلاح أقل من أن تكون بلدية؟ وانظروا كيف تعاديه دول في أمريكا الجنوبية وتخفض تمثيلها الدبلوماسي معه دولة كجنوب أفريقيا، بينما يتسابق المتصهينون العرب لتقبيل قدميه وتمويل مشروعاته، فالقدس إذا إسلامية وستظل كذلك إلى الأبد وليست فلسطينية أو عربية فقط.

والحل وحده هو الجهاد الذي ذكر الله في كتابه، وذكره رسوله الكريم ﷺ، ونحن لا نعترف بقدس شرقية وأخرى غربية، فبادروا قبل أن يذبح ترامب بقرته إذا نفد حليبها، واذبحوا أنتم بقرة الاحتلال والإرهاب.

وقد هدد محمود عباس الرئيس الأمريكي ترامب بأنه سوف يبحث عن غير أمريكا لتكون وسيطا للسلام؟ وهكذا من رضي بالعبودية واعتادها لابد أن يبحث عن سيد آخر، وربما كان كالسيد الأول أو أسوأ وبدلا من أن يدعو الله أن يرزقه من فضله، يدعوه أن يرزق من يديّنه، أوليس الشعب الفلسطيني يا عباس أقرب إليك من كل سيد؟ أوليس كتاب شهداء الأقصى أقرب إليك من كل راع؟ أما آن لك أن تعرف حقيقة ما يسمى (مشروع السلام)، وتعلم أن الدولة الكرتونية المتوهمة لك لن يعطيك إياها نتنياهو أبدا؟ ولماذا لا تجعل كل جهودك السياسية والقانونية جزءا من المقاومة للمحتل؟ وبذلك يجتمع عليك الفلسطينيون والعرب والمسلمون كافة، بل وكل محب للعدل والحق في العالم حتى من كان منهم تحت حكم ترامب؟

ألم يقل الشاعر الجاهلي يا عباس:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

فكيف ترضى أن يسقوك بالذل كأس الحنظل؟

أليست الإدارة الأمريكية تَعُد منظمة التحرير الفلسطينية منظمة إرهابية وتقول إنك لا تريد السلام؟

أنقول إنه لا فرق بين أبي ديس ورام الله وبين القدس لا والله، لا نقول ذلك أبدا ولا يقوله إلا من كفر بالقرآن والسنة.

وأمريكا تسمى عميلها من العرب رجلنا وتجعل مشروعاتها مقابل الدعم وتهدد منظمة "أونروا"، لأن إسرائيل تريد ذلك حتى كون الفلسطينيين لاجئين لا تريدانه بل القضاء نهائيا على حق العودة.

وإنما الحل الصحيح هو أن يتحول اللاجئون إلى مجاهدين بكل أنواع الجهاد ويكفروا بمؤامرات أمريكا وعملائها فهم العباد أولو البأس الشديد

الذين يدخلون المسجد بإذن الله كما دخلوه أل مرة، ولا تخدعكم أمريكا ببديل تصنعه أو مشروع تزعمه، وقد أثر صبغة الله مجددي في أفغانستان على المجاهدين ونشرت التصوف، وتريد أن يكون عباس مثله.

ثم إنها بعد التراجع الملحوظ للطرق الصوفية تحاول نفخ الروح في التصوف مستخدمة فزاعة الإرهاب، وضرورة القضاء على التطرف الوهابي كما تسميه ومن أهم الإجراءات العملية لذلك:

- تقرير مؤسسة راند الشهير.
- مؤتمر جروزني المعروف.
- تشجيع ما يسمى الإصلاحات في الدول التي يخشى فيها انتشار ما يسمى الفكر المتطرف مثل مصر ودول الخليج ومن أهم هذه الإصلاحات عمل المرأة ونشر الثقافة الغربية وتحجيم دور الدين في الحياة العامة وإطلاق وصف الإرهاب على مناهضة إسرائيل.
- التطبيع مع اليهود، واحترام العقائد الهندوسية والبوذية والزرادشتية وغيرها.
- الإسهام بواسطة الحكومات المحلية وصرف المساعدات الأمريكية في البناء على الأضرحة وتقديس القبور والمقبورين.
- تشجيع إقامة الموالد والاحتفالات الدينية الراقصة.
- تنفيذ التوصيات والاقتراحات المقدمة من شيخ مشائخ الصوفية في مصر، ومن أحمد صبحي منصور ومحمد هشام قباني وأمثالهم.
- دعم الحكام المستبدين وتقوية الحركات الموجبة لطاعتهم، وأن الجهاد لا يصح بغير إذنهم لاسيما إذا قالت إنها سلفية.

ومن مشروعاتها لغير المتدينين مشروع الشرق الأوسط الجديد وتقوم فكرته على ثلاثة عناصر:

١- التقنية الإسرائيلية.
٢- العمالة العربية.

٣- وأدخلوا عنصرا ثالثا جعلته إدارة ترامب ركنا ركينا، وهو رأس المال الخليجي.

غير أن المتوقع هو فشل المشروع كغيره، وإنما فائدته فضح المتصهينين العرب الذين قال عنهم الشاعر الشعبي خلف بن هذال:

من دون صهيون بذتنا صهاينا

وأصدق منه تسمية الشيخ أحمد القطان لهم (يهود العرب).

وأصدق منهما قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ﴾ [الحشر:١١]، وقد وضع ترامب العربة قبل الحصان حين قرر أن يسبق الطبيع الكامل للعلاقات ذلك الاندماج الثلاثي! فرفضه الفلسطينون والمسلمون وأكثر العالم، لا سيما وأن الحرب مع اليهود حتمية ذكرها الله في القرآن قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء:٨]، أي في كل مرة تفسدون فيها نبعث عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد وإذا كانت هذه الإفسادة هي الأخيرة فنحن نؤمن بأن مسيح الله المسلم عيسى ابن مريم سوف يقتل مسيح اليهود الدجال وليس عندنا أدنى شك في ذلك.

والمقصود هنا أنه لا بد من الحصار ولابد من نقص الأنفس والثمرات ولابد من العيلة "الفقر" وإذا كان المشركون حاصروا النبي ﷺ والمؤمنين وبني هاشم سنوات فلا نستغرب أن يحاصر اليهود وأعوانهم قطاع غزة قرونا ولم يصل أهالي غزة بعد إلى ما وصل إليه الصحابة أثناء الحصار حيث أكلوا ورق الشجر ولم يكن لهم غذاء غيره.

وإنما ندعو الإخوة في فلسطين وأرض الشام كافة إلى الجهاد والصمود والإنفاق في هذه المرحلة الصعبة، فلنكن يدا واحدة على العدو المشترك وفي نفس الوقت نتباحث في ديننا ونتبع الدليل أو ما هو أقرب إلى الدليل وهذا أوان البذل والعطاء، و﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ﴾ [الحديد:١٠]، ولس من غزا أو جهز جيشا يوم

العسرة مثل من غزا بعدها؟

والواجب التفاؤل والثقة في وعد الله وتأييده مهما تقلب الذين كفروا في البلاد، وبلغوا من القوة وانتجوا الصواريخ والطائرات، وبنوا المستوطنات وشادوا من الحضارات ما شادوا، فكل ما يعملونه هو غنيمة المسلمين في المستقبل القريب بإذن الله.

والله جعل قانون الصراع هو الذي يحكم حياة كل الكائنات الحية، وهذا ما يؤمن به الباحثون الاجتماعيون وعلماء الأحياء وعلماء النفس، ويقولون إنه لولا الصراع لامتلأت الأرض بالشرور.

أي أنه بالمفهوم الإسلامي سنة إلهية كونية، قال الله تعالى عنها: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١]، لكنه ليس صراعا بين الطبقات كما توهم ماركس"، ولا بين الحضارات كما يظن "هانتغتون"، وإنما هو صراع بين الحق والباطل فالله قد خلق آدم وجعل له إبليس عدوا ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [الأعراف:٢٤]، وكذا بين الرسل وأقوامهم ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]، وبين دعاة الحق أتباع الأنبياء وبين المتبعين لأسيادهم الملأ المستكبرين، وعلى رأسهم النماردة والفراعنة.

والجهاد ضرورة اجتماعية من تركه ابتلاه الله بالموت في مجال آخر، ولو لم يكن واجبًا شرعيًا لكان هو مقتضى السياسة الحكيمة والتعامل الصحيح، ولو لم يكن الجهاد مأمورا به دينًا لكان هو ما ينبغي فعله في هذا الواقع السياسي والعلاقات الدولية، التي إذا لم يكن المرء فيها ذئبا أكلته الذئاب، على أن الذئب المسلم له ضوابطه التي ينفرد بها عن كل مقاتل، والغرب بعدوانيته وعنصريته لم يترك لنا مجالا غير الجهاد بكل أنواعه، وهو الذي يعتدي علينا قديما وحديثا، وكلام رؤساء أمريكا في ذلك مشهور، وكذا بعض القادة الذين عيّنهم البنتاجون من أمثال "ويسلي كلارك" قائد قوات التحالف قبل تقاعده الذي قال: "إن حرب الولايات المتحدة ضد الإرهاب

إنما هو حرب ضد الإسلام".

أما الرئيس السابق للاستخبارات الأمريكية "جيمس ولزي" فقد سمى تلك الحرب "الحرب الرابعة" وقد صدق السفير الألماني سابقا "مراد هوفمان" حين قال "سيكون وهما خطيرًا أن نعتقد أن الروح الصليبية قد تلاشت"، وينبغي تدبر كلام ترامب في مؤتمر دافوس الأخير.

فلا بد من الجهاد بمعناه الواسع الشامل ومنه القتال في سبيل الله، وإلا كانت الفتنة بتنصير المسلمين في الغرب، وإخضاعهم للقوة الخشنة أو الناعمة في الشرق، أما الأوهام التي يسبح لها دعاة ما يسمى (الإسلام العالمي) فقد ثبت بطلانها وستزيدها الأيام بطلانا، وحسبهم الزعم بأن العداوة بين البشر من بقايا المرحلة الحيوانية القطيعية!.

لكن مشقة الجهاد يضخمها الشيطان ويعد بها القاعدين عنه، وفي الوقت نفسه من طبيعة النفس البشرية محبة حصول المغانم بدون مغارم.

فمع أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا أكثر الناس شوقا إلى الجنة، وحبا للشهادة وغيظا على أعداء الله ذَكر الله أنهم يودون أن غير ذات الشوكة تكون لهم، بل إن فريقا من المؤمنين كانوا كارهين كما ذكر الله.

لكن فطر الله نفوس البشر لا سيما أهل الإيمان على محبة المجاهدين، حتى أن أحد المنافقين لما زار الدولة الصهيونية قال: ذهبت لزيارة أسر الشهداء وأذاعوا رسميا أنه لا يمثل إلا نفسه.

ولا نستنكر أن يجاهد من ينتمي إلى الطريقة النقشبندية مثلا، بل نرجو أن جهاده الأمريكان والروافض، يكفر عنه اتباعه لهذه الطريقة، وقد جاهد مع شيخ الإسلام ابن تيمية كثير من المنتمين للطرق، وأهل السنة لم يكونوا يمنعون أحدًا عن الجهاد لكن القيادة دائما لهم، والنبي ﷺ ترك عبد الله بن أبي يخرج معه للجهاد لكن لم يوله القيادة، ولم يول أحدًا من المنافقين أي ولاية، فحسن المعاملة شيء والتولية شيء آخر.

ويجب على كل مسلم أن يجاهد الكفار وأولياءهم ولو بالدعاء،

وللجهاد فوائد كثيرة منها:

أ- إحباط المكر الكتابي الذي تخطط لنجاحه قوى الكفر اليهودي والصليبي.

ب- جمع كلمة المسلمين وإن كان فيهم من أخطأ أو خالف ولكن انضواءه تحت القيادة الإسلامية وجهاده معها، هو كفارة لذنوبه العلمية والعملية بإذن الله، حتى في عصرنا هذا السيئ، تجد أن فلسطين توحدنا والجهاد يجمعنا.

ج- إزالة العفن من المجتمع.

د- إتاحة الفرصة للمشتاقين إلى الجنة.

هـ- إحياء شعائر الإسلام.

وإنما ابتدأت الثورة الجهادية القائمة اليوم في بلاد الشام بقول بعض البعثيين للرئيس الهالك حافظ الأسد "بدنا نصلي"، ثم خرجت المظاهرات السلمية ثم منها تكونت الفصائل الجهادية.

و- استنقاذ أسرى المسلمين لا سيما النساء الأسيرات.

قال الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك:

كيف القرار وكيف يهدأ مسلم والمسلمات لدى العدو المعتدي

القائلات إذا خشين فضيحة جهد المقالة ليتنا لم نولد

وأقسم المجاهد نور الدين محمود زنكي أستاذ صلاح الدين رحمهما الله ألا يبتسم ما دام في أيدي الكفار مسلمة، وما أكثر المسلمات اللاتي يستصرخن اليوم ولا مجيب، ومع ذلك يشغلون المسلمين بالأفلام الكوميدية، والتشجيع الكروي،والمسلسلات العفنة، والترفيه، كما يسمونه.

ز- إظهار عزة الإسلام وقوته، وقد قال أحد الناظرين للأمور من علٍ، من أراد أن ينظر إلى عز الإسلام فلينظر إلى ثلاثة:

١. صلاة التراويح بالمسجد الحرام.

٢. صلاة الجمعة ببغداد.

٣. صلاة العيد بالثغر.

ولكي تعرف بنفسك فضل الجهاد وكيف يرفع الله به أقوامًا كانوا منخفضين، انظر كيف كان حال الأتراك أيام الجهاد وكيف أصبح حالهم أيام التغريب؟ وقارن بين محمد الفاتح، وكمال أتاتورك"

وانظر بأي شيء رفعهم الله من عشيرة خاملة في أواسط آسيا إلى أن يكونوا أعظم دولة في العالم تسيطر على ثلاث قارات! وليس بعد ذلك من عز، وإنما الذل في ترك الجهاد والاشتغال بالحرث، وقد اعترف "عبدالله فيلبي" في كتاب اليوبيل الذهبي "الذكرى العربية الذهبية" بأن حل مشكلة الإخوان "الغطغط" إنما هو في أن تحل المحاريث محل السيوف، أي توطين هؤلاء!! واشتغالهم بالزرع وأخذهم بأذناب البقر وترك الجهاد.

ح- ومن فوائد الجهاد، إحلال السلام في العالم وقد أصبح ذلك مقررا يزعمه قادة الجيوش، حتى إنني سمعت كثيرا من رؤساء أمريكا والغرب يخاطبون جيوشهم بقولهم أنتم تحاربون من أجل السلام، وهذا هو ما شرع الله الجهاد لأجله حقيقة لا شعارا أجوف، وشتان بين من تحكمه الشريعة والأخلاق ومن تحكمه المصالح والأطماع والشهوات.

ملكنا فكان العفو منا سجية ... ولما ملكتم سال بالدم أبطح

وأحللتمُ قتل الأسارى وطالما ... غدونا على الأسرى نمن ونصفح

وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

والجهاد الإسلامي لإحلال السلام حقيقة هو ما يشهد به التاريخ وينطق به الواقع، فانظر كيف دخل عمر القدس وكيف دخلها صلاح الدين، وقارن ذلك باحتلال الفرس ثم الصليبيين ثم كيف احتلها اليهود في عصرنا! فليس الجهاد عدوانية عمياء تضرب يمينا وشمالا، وتسلب حق من لم يقاتل، بل له أهدافه المشروعة، ومنها الحرية بإزالة الطواغيت الذين يحولون بين الإنسان واختياره، ولا غرابة أن يكون من الناس من يقادون إلى الجنة بالسلاسل.

وأمريكا اليوم تفرض هيمنتها على كثير من الدول، بزعم إتاحة الحرية للشعوب وتبرر حربها الاستباقية بنشر الديمقراطية بالعالم، فكيف ينكرون على المسلمين جهادهم الرحيم العادل.

ط- أن تكون القضية كاملة في يد المجاهدين.

وقد قال أنور السادات: أوراق القضية كلها في يد القوتين الأعظم.

وقال: ٩٩% من أوراق القضية في يد أمريكا، وأنا أقول أثبت الزمن أن كلامه باطل، وأن ١٠٠% من أوراق القضية بيد الله سبحانه وتعالى ثم بيد المجاهدين الفلسطينيين وليس لأمريكا ولا روسيا من الأمر شيء.

ي- معرفة قدر الدنيا وقيمة الزهد فيها واجتناب طريق أهل الجشع والترف والتبذير وإنفاق الثروة فيما لا ينفع، وقد قال الرئيس "نيكسون": "إن الوهابيين هبطت عليهم ثروة من السماء لا يستحقونها ولا يدرون فيم يبذرونها)، وقال غيره قريبا من ذلك.

ومن الأدلة على كلام أولئك الأعداء، أن أحد أمراء النفط تبرع بمليار دولار لإعادة بناء مركز التجارة العالمي كما قال، ولولا أن والده كان وزيرًا للمالية، لما استطاع إنشاء شبكة مالية ضخمة، وأنا أجزم أنه لو وزع هذا المبلغ على الدول الإسلامية الفقيرة في إفريقيا وآسيا، ولو أنه فك بها الحصار عن غزة لكان أجدى، ولو أنه أوجد به وظائف للشباب العاطل في البلاد لكان خيرا له، بل إن الفقراء في بلاده كثير وهم أولى بهذا المبلغ من مركز التجارة الذي يريد الأمريكيون هدمه أساسا!!

ك- ومما يترتب على الجهاد أيضًا تخفيف حدة الإسلاموفوبيا التي تجتاح الغرب بل مقاومتها ومعاملة دول الصليب من موقع النّدّية.

يقول ستيفن شيهي الأستاذ بجامعة كارولينا في كتابه "الإسلاموفوبيا": "تسود الإسلاموفوبيا جميع مستويات الحياة الأمريكية من اليمين إلى اليسار ومن المتدينين إلى الملحدين".

وقد سادت ثقافة محاربة الإسلام باسم محاربة الارهاب كل مناحي

الحياة الثقافية الأمريكية، إلى حد أن الكونجرس الأمريكي وافق بالإجماع على رفع الحصانة الدبلوماسية التي تحول دون مقاضاة المسؤولين السعوديين وذلك في ١٤٣٧/٨/١٠هـ، الموافق ٢٠١٦/٥/١٧، أي أنه على القوة الصلبة الأمريكية أن تقسم السعودية إلى دويلات، وعلى القوة الناعمة أن تنشئ الشركات الكثيرة وتغزو الأسواق السعودية بمنتجاها، وفي الوقت نفسه تحاكم المسؤولين، وهكذا يدلنا التعجرف الأمريكي على سلوك طريق التميز والاستعلاء والجهاد دون أن يشعر ودون أن نستجيب، ولماذا لا يُجمع الناس هنا مقابل ذلك على إلغاء تأشيرة كل أمريكي، ومنع البضائع الأمريكية من الدخول، وحظر الشركات الأمريكية والبنوك الأمريكية، ونسحب من تحت قيادهم فيما يسمى التحالف الدولي، أم أن هذا أيضا استعانة بأمريكا على الخوارج؟!

أليس هذا من حقنا بموجب القانون الدولي، وهو حق سيادي لنا وهذا أقل الواجب، وإلا فإن إعلان جهادهم فرض والحرة تجوع ولا تأكل بثدييها، والمنية خير من الدنية، ونحن أمة مجاهدة بطبعها فإن لم يفتح لها طريق الجهاد لجأت إلى بدائل أخرى مثل التطعيس والتفحيط والرياضة الخطرة وإلقاء النفس في المهالك، وقد هيأ الله لنا بدائل كثيرة تغني عن أمريكا وغلائها الفاحش، وقد قاطعت دول كثيرة أمريكا، فكيف بأمة الإسلام ﴿أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ﴾ [التوبة:٣٨]، وهل كانت أمريكا ستفعل ذلك أيام الجهاد؟ والله تعال يقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء:١٤١] وأنى لهم سبيل؟ وقد هزمتهم طالبان التي لا تزيد ميزانيتها عن سبعين مليون دولار، وهزمتهم العشائر العراقية بعد الحصار الأمريكي الطويل، واستطاع "بومنقاش" إسقاط طائرهم ببندقيته، واستطاع "قناص بغداد" أن يقتل منهم العشرات!!

أم أنه يجب علينا أن نصنع "فرنكشتاين" ثم نخاف منه.

ولا ريب أن للعز والحرية تكاليف وتبعات، ولكنها أقل من تكاليف

الذل والرق وتبعاتهما، وإنما تقوم قوة أمريكا على ضعفنا، وذكاؤها على غبائنا، وشجاعتها على وهننا، ذلك الوهن الذي قذفه الله في قلوب المسلمين حتى كان المغولي الواحد يقيم ثلاثين منهم، ويقول انتظروا حتى أُحضر سيفا.

والحمد لله على أن أمريكا أثبتت بنفسها أن سياسة التعامل معها بالعبودية والانبطاح والتبعية غير مجدية، وأنها لا تفهم إلا لغة المعاملة بالمثل.

ومن السنن الثابتة في التاريخ كله أن القتال لا بد منه إما على سبيل الجهاد في سبيل الله وإما لأنه ضرورة اجتماعية يمارسها الناس من أجل الدنيا، ومن عادة الأمم كلها افتراس الضعيف والهجوم عليه حسب قاعدة "إذا لم تكن ذئبا أكلتك الذئاب"، بل إن بعض الحيوان يفترس الجريح من بني جنسه وقد قال عنتر بن شداد في الجاهلية:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظلِ

وهكذا لا نخاف هذا النمر الورقي المسمى أمريكا، ولو جمع علينا كل أقطار الدنيا وقد أخبر النبي ﷺ (أن اثنى عشر ألفا لا يغلبون من قِلّة).

ونبدأ ذلك بمقاطعة أمريكا اقتصاديا وإيقاف منح الأمريكان تأشيرات لدخول بلاد الحرمين، وحينما قال الناصح الشفيق ﷺ (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان)، وفي رواية أبي داود (قبلتان)، فقد كان عزيزاً عليه ما عنتنا حريصا علينا بالمؤمنين رؤوف رحيم!!

فكيف نقبل الأمريكي الكافر نصرانيا أو ملحدا؟ وكيف نقبل المذيعة المارونية المتبرجة ونخالف قول النبي ﷺ؟!

فهذه جزيرة الإسلام صرفا ومن كان غير مسلم أو دعا إلى مبدأ غير الاسلام كالليبرالية والحداثة والتأمرك فليرحل إلى بلاد أخرى.

وكيف يحق للمحاكم الأمريكية محاكمة المسؤولين السعوديين، ولا يحق للمحاكم السعودية محاكمة المسؤولين الأمريكيين؟ أليس الإسلام يعلو ولا يعلى عليه؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، ولا يجوز للمسؤولين في السعودية التسوية مع المدّعين بدفع أي تعويض، بل

يجب أن نعلن الجهاد والحرب، والله ناصرنا ومعيننا ولن نُغلب من قلة، وهذه التسوية أو الصلح تشتمل على مفاسد منها:

١- أنهم سوف يعوّضون من مال الله أي مال جميع المسلمين.

٢- أنه يفتح شهية الأمريكان وغيرهم لافتعال المزيد من الدعاوى.

وقرار محاكمة السعودية يأتي نموذجا حيّا للإسلاموفوبيا لديهم، وكيف لا يعادوننا وتوحيدنا عكس تثليثهم، وقد نشروا أن دولة الإمارات دفعت ١٥ مليارًا لتفادي مقاضاتها لأجل شخص يمني واحد يحمل الجنسية الإماراتية فكم يريد الأمريكان من السعودية التي شارك في تلك الأحداث بضعة عشر يحملون جنسيتها؟

وسوف يظل القرار سيفا مصلتا يهدد به أي رئيس أمريكي ويبتز به، فلماذا أصلا توضع الأموال في أمريكا وفق شروطها؟ وقد استنزف الغرب معمّر القذافي وقال أنه أسقط طائرة "لوكربي" التي مات فيها أكثر من مئتي راكب، ثم إنه أسقطه كما يدعي.

وكيف استطاعت فئة من الصوماليين أن تمرغ أنف أمريكا في التراب ولا تستطيع ذلك دولة!

وكيف تستطيع كوريا الشمالية أن تتحدى أمريكا ولا يستطيع المسلمون؟

دع كوريا الشمالية فهي دولة، ولكن انظر كيف هزمت مدينة واحدة لا يبلغ عدد سكانها ومساحتها ١٠% من الرياض -أعني الفلوجة- الجيشَ الأمريكي، الذي استخدم في معركته فيها كل الأسلحة المحرمة التي استخدمها في معركة مطار بغداد، وقد اعترف الأمريكان أن الفلوجة هزمت الجيش الأمريكي مرتين، وفي الثالثة حشدوا لها ما يسمى التحالف الدولي أي أكثر من ٦٠ دولة ومع هذه الدول الميليشيات الشيعية والمنافقون من الصحوات السنية، كما أن معهم طالبي الثأر من العشائر، وهذه الحشود تقاتل بضع مئات فقط، والعجيب أن هؤلاء المئات قتلوا الآلاف من الرافضة حتى أن

المقابر لم تتسع لهم في النجف وكربلاء.

وكيف يكرر الاعلام الغربي والعربي معه مسرحية تمثال بغداد دون ذكر ما فعل "بو منقاش" و"قناص بغداد" والمقاومة العراقية؟ بل حتى أطفال العراق وكلابه؟

ونحن نعلم أنه كما جنّد الأمريكان منافقي الصحوات في العراق سوف يجندون هنا أولياءهم الليبراليين استخباراتيا، فلماذا يتم توظيفهم وإعطاء المناصب والرواتب لهم؟

وكيف تموت الأسد في الغابات جوعا ولحم الضأن تأكله الكلاب

أليس هذا هو نفس ما فعله صدام حسين حين قال بلسانه "نحن أطعمنا الكلاب وتركنا الذئاب" أي أعطينا البعثيين وتركنا أهل الدين، وقد حدثني أحد شيوخ عشائر العراق المجاهدين، أن زنزانته كانت مجاورة لزنزانة صدام حسين فسأله صدام أين البعثيون؟ قال الشيخ: فقلت له تفرقوا ذهب بعضهم لبشار، وبعضهم سافر للغرب وبعضهم سافر إلى إيران، وبعضهم اختفى، فقال صدام: من الذي يقاتل الأمريكان، فقلت أهل الدين مثل الجيش الإسلامي وكتائب العشرين، فقال صدام: الحق علينا نحن أطعمنا الكلاب وتركنا الذئاب.

وكيف تستطيع غزة المحاصرة من كل جهة أن تهزم إسرائيل ومن ورائها امبراطورية الشر العالمية وتصنع ما تشاء ويعجز عن ذلك من يملكون المليارات؟

أليس قولنا إن الأعداء لديهم صواريخ وطائرات مثل قول بني إسرائيل ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾ [المائدة:٢٢].

مع أن الله أعطانا كل أسباب القوة والنصر، ولكنا رضينا لأنفسنا الهوان والذل، فقذف الله في قلوبنا الوهن فغزانا الكفار في عقر دارنا، وتداعت علينا الأمم كما يتداعى الأكلة إلى قصعتها.

فهما طريقان لا ثالث لهما: إما القوة والإعداد بكل ما يعني ذلك، وإما

الذل والهوان والتبعية مع عذاب السعير في الآخرة.

هب أن الشعب هنا لا يريد الجهاد، كما يظنون أليس في إمكاننا تجنيد جيش من دول الصحراء الكبرى أو من دول شرق آسيا ونقاتل به الأمريكان؟ دع من يتطوع من المسلمين بلا راتب أما من يقبض المليارات كالسيسي فلم ولن يقاتل معنا حتى في اليمن، وقد أعلن القطان بأنه سوف يُعطى حتى لو عجزت الميزانية السعودية!!

ألم يقل أوباما نفسه إن الحرب على داعش صعبة ومكلفة فكيف تكون حرب أمريكا على من هو أقوى من داعش؟

وفي حين يشن الاعلام الغربي كله وليس الأمريكي وحده حربا شعواء ليل نهار على المسلمين في كل مكان تجد الاعلام مشغولاً بتذكيرنا بأحداث العليا والمحيا التي مضى عليها مدة طويلة "حتى لا ننسى".

مع أن الحكومة هنا قد أعدمت عبدالعزيز المعثم ومصلح الشمراني ورفاقهما الذين اتهموا بتنفيذ تلك الأحداث، فما الفائدة بالتذكير بالقديم إلا التحريض الإعلامي وتــأجيج نار الانقسام؟ وفتح باب الفتنة وإثارة القبائل؟ وهل بقيت قبيلة من قبائل العرب ليس منها قتيل أو سجين؟ فما المصلحة من تذكيرها بأحداث مثل تلك؟ أم أن هؤلاء ليس لهم أسر وقبائل؟

ألا تعترف أمريكا بضعف حجتها حين تحظر نشر أي كلمة للملا عمر، وحين تحاكم مؤسسة الأرض المقدسة، وما الذي يجمع بين الملا والمؤسسة إلا الإسلام؟

ولماذا لم تستصدر أمريكا حكما قضائيا بإدانة أي دولة أو تنظيم بارتكاب أحداث ٩/١١ ثم تبني عليه محاكمة أو محاربة المحكوم عليه وحده ولماذا غض النظر عن دور الموساد في أحداث سبتمبر؟ مع أن بعض الصحف الأمريكية توقعت عملا تقوم به الموساد وتنسبه للعرب قبل يوم واحد فقط من الأحداث؟ انظر إلى "واشنطن بوست"، وكيف تقع الأحداث في يوم يغيب فيه اليهود عن العمل؟ وكيف يصوِّر اليهود ما حدث؟.

نعم، لدى أمريكا أقمار صناعية للتجسس ولكن أليست هذه الأقمار تحت قدرة العلي الكبير سبحانه الذي لو شاء لجعل مصيرها مثل مصير شالنجر أو ما يشاء، وقد استخدم تنظيم الدولة الإسلامية للوقاية من ذلك ما في البيئة نفسها من أشياء طبيعية تافهة، بل ربما تتلف كالورق المقوى أو الانفاق تحت الأرض أو تحت الأنهار، دع ما سمته أمريكا حرب النجوم فهو مشروع خيالي الغرض منه تنفيع الشركات القائمة عليه.

ولماذا ينكر الليبراليون هنا الاعتراف بأن أمريكا في تراجع وانحدار، وأن المسلمين خصوصا تركيا في صعود مستمر، ولماذا لا نستعين بقوة الأتراك؟ أليس الأتراك مسلمين، وأمريكا كافرة؟

ألم يقل أصدق القائلين ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [طه:١٣٢]، ويقل: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]، ويقل: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَٰمِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [هود: ١٢١-١٢٢].

وأنا أجزم أن امريكا أجبن من أن تتحدى المسلمين كلهم بالهجوم على بلاد الحرمين، وهذا وحده كاف لطمأنتنا بشرط أن ننفض عنا غبار الذل والتبعية.

وأما إذا رضينا بذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد:٣٨]، ويقول جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

وكما نتعلم من الرياضيات أن أي رقم بالنسبة إلى اللانهاية لا قيمة له كذلك كل قوة بالنسبة إلى قوة الله لا قيمة لها فأساس قضيتنا هو كيفية التعامل مع الله! فالله وهبنا هذه الحصانة الذاتية والحماية الإلهية بوجود الحرمين في بلادنا وتطوّع المسلمين لحمايتها وشرفنا بقدوم المجاهدين إلينا.

ولو كان لكل مسؤول هنا راتبا محددا لا يزيد عليه ما طمع فينا

الامريكيون، ولكن أُسَر الأمريكيين الذين ماتوا في أحداث ٩/١١ يعلمون أن تعويضاهم ستكون بالمليارات ولذلك طالبوا بمقاضاة المسؤولين في السعودية، وأنا كنت متهما في المحاكم الأمريكية، وكان معي متهمان اثنان أيضا الشيخ صالح الحصين والأمير سلطان بن عبدالعزيز الذي دفع خمسة ملايين للمرحلة الأولى من القضية فقط التي يسموها "الاكتشاف"، وهو مبلغ ضخم أعجز عنه أنا والشيخ صالح، ثم إن القاضية حكمت ببراءتنا ولله الحمد، ومن أين لي مال وأنا ليس راتب ولا تقاعد وليس في حوش بيتي بئر نفط! وليس لدي بيت مال آخذ منه كما أشاء! وهذا ما أعلمته المحامي وربما قاله للقاضية!.

والآن وقد احتل الصهاينة مقدساتنا ونزل الصليبيون في أرض الشام المقدسة ماذا ينتظر المسلمون ألم يقل رهم سبحانه: ﴿قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤]، ألم يجعل رسوله الكريم التولي يوم الزحف من الكبائر الموبقة، فكيف تتولى الأمة أو الفرد يوم الزحف.

ألم يخبرنا النبي ﷺ عن الملاحم ونزول الروم بالأعماق قرب حلب وأهم سوف يغزوننا في ثمانين راية، فهم الذين يهاجموننا ويعتدون علينا أول الدهر وآخره، فيجب الإعداد لهم ما استطعنا، ولا يلزم من ذلك بالضرورة أن نشرع في قتالهم فورا ولكن الإعداد هو وسيلة السلام والقوة، التي يعترف بها الغرب المستكبر، وبه يكون كما ذكر الله إرهاب العدو، وبالإعداد تقوى مفاوضاتنا أو مهادنتنا لهم وليس باستبعاد ذلك كما يزعم المنهزمون، ﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً﴾ [التوبة:٤٦]، وبالندية لقوهم يسمعون حجتنا وبراهيننا ويكفّون عن استضعافِ من دخل منهم في الإسلام وفتنتِه عن دينه.

والغرب يتقوى يوما بعد يوم، والمستضعفون يقولون نحن سلميون، وملتزمون بالقرارات الدولية والمفاوضات والحل العادل والشامل وفق القرارات الأممية، ولا بديل عنه ليس في فلسطين وحدها، بل في بلاد الشام وغيرها، وانظر إلى مفاوضات جنيف وأستانه هل تختلف عن مفاوضات

واشنطن وأوسلو؟

وانظر هل أجدى السوريون شيئا أن يقولوا سلمية وهل نفع الإخوان المسلين (الالتزام بالسلمية)، وهل رضي عنهم الغرب مع التزامهم بالديمقراطية.

وبالقوة لا نستجدي الكفار بل نرغمهم على قبول التفاوض والكفار دائما هم المعتدون حتى في الدول البعيدة مثل الفلبين وبورما وإفريقيا الوسطى.

فصراعنا مع هؤلاء يستمر إلى قيام الساعة ولا بد لنا من الجهاد.

وبالجهاد وحده نحبط المؤامرة المستمرة على الإسلام، ولو أنك تأملت حجم المؤامرة الكتابية والكيد لهذا الدين العظيم من المنافقين ومن الأعداء أجمعين، لملئت منها رعبا، ولكن الله تعالى جعل هذا المكر الكبار والكيد العظيم حابطا إذا أحيت الأمة الإسلامية الجهاد حسب مفهومه الشرعي الصحيح، وأعدت لأعداء الله ما تستطيع من قوة.

فبالتربية الإيمانية على الزهد والجهاد كما كان سلفنا الصالح، وسار نور الدين وصلاح الدين، نغلب كل قوى الظلم والعدوان في الأرض ونحرر المقدسات ونستعيد هيبة الأمة وقيادتها للإنسانية، وهذا هو الحلّ الذي جربناه من قبل حين احتل الباطنية والرافضة الأراضي المقدسة في الحجاز، وحين احتل الصليبيون القدس، ثم جاء الله بالسلاجقة الأتراك فحرروا البلاد والعباد، وكذلك نأمل إن شاء الله.

ومن ثمرات الجهاد الكثيرة أنه يجدد شباب الدول، فالدولة التي تترك الجهاد تزول في الجيل الثالث (جيل الأحفاد) كما قرر العلامة ابن خلدون في مقدمته أما الدولة التي تحي الجهاد فتستمر، ومن أوضح الأمثلة الدولة العثمانية التي استمرت قرونا بفضل احياء الجهاد، ولما تخلت عنه سقطت.

وترك الجهاد عياذا بالله- يؤدي إلى مصائب كثيرة منها كثرة القتلى في غير الجهاد، ومنها الذل الذي يضربه الله على من تركه، ومنها الوعيد

بالعذاب الأليم، ومنها الخسارة الماحقة وإذا تُرك الجهاد باسم الرفاهية والعيش الرغيد فهو المؤذن بعذاب الله والمبشر بالنهاية المفجعة، ومن عواقب تركه أن الله الغني الحميد يأتي بقوم آخرين يجاهدون في سبيله قال تعالى: ﴿إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة:٣٩].

وقال: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال ﷺ: (إذا تبايعتم بالعينة واشتغلتم بالزرع وأخذتم بأذناب البقر وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم).

وهذا هو المشاهد والمحسوس اليوم، فانظر مثلا إلى ما آلت إليه الأمور، عندما أخذ أهل الشام بأذناب البقر وتركوا الجيش للنصيرية، الذين كانوا يعملون في أحط المهن، وكيف عاد لهم المجد والعز لما شرعوا في الجهاد، وقد دعا الغرب المسلمين إلى هذا الذل، فقالت المخابرات البريطانية إن على الإخوان "إخوان من طاع الله" أن يتركوا السيوف وينصرفوا إلى المحاريث، كما ذكر "فيلبي"، ونادى الغرب وأذنابه، بتوطين الإخوان ونزع السلاح من أيديهم واليوم تنادي أمريكا بما تسميه الترفيه، وبالتنمية، وبالوظائف، وبالنمو الاقتصادي، ورخاء المعيشة، ودولة الرفاهية، وأمثال ذلك، وأن نأخذ بأذناب البقر ونظل عالة نستورد كل شيء متجرّعين أسوأ العواقب المترتبة على ترك الجهاد، وإذا كان الشاغل عن الجهاد هو اللهو أو اللعب فذلك والله هو الدمار والمهلكة في كل مجال كما هو حالنا اليوم حيث أشغلونا بالكرة والسينما والحفلات، وما يسمونه التنمية والفلكلور الشعبي والموضات.

وقد جعل الرسول ﷺ الرجوع للجهاد رجوعا إلى الدين فدل ذلك على أهميته وأن تركه ترك للدين من جهة أن هذه الشعيرة العظيمة بها قوام

الدين وهي ذروة سنام الأمر كما في حديث معاذ.

وانظر كيف لو أن المسلمين تجمعوا كلهم لتحرير الأقصى ولتحرير بلاد الشام والعراق، وانظر كيف كان التخلي عن الجهاد سببا لأن يحتل النصارى الأندلس ويضم الشيوعيون تركستان ويضطهد المجوس البوذيون (أراكان) ويقتل عباد البقر في الهند المسلمين ويبيد عباد الصليب في أفريقيا الوسطى أهل التوحيد، وتحتل أمريكا بقوتها الناعمة كل بلاد الإسلام.

والحل لكل تلك الماسي هو الجهاد وليس الحل هو المعاهدات أو المفاوضات كما يزعمون ولا ما يسمى الشرعية الدولية والمجتمع الدولي.

ولمعرفة الكفار بأن الجهاد يشكل خطرا تجدهم يدعوننا إلى غيره وتقول هيئة الأمم المتحدة وأمريكا والعالم المسمى متحضرا إنه لا بد من المفاوضات بين الفلسطينيين واليهود، غير أن الله في محكم التنزيل قال: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء:٥]، وهؤلاء يريدوننا أن نبدل كلام الله فماذا يتبع المسلمون أهو كلام الله أم كلام أعدائه من الكفرة والمجتمع الدولي والسلطة العميلة والمتصهينين العرب؟

وانظر إلى المعاهدات التي عقدوها في كامب ديفيد، واتفاقية الذل المسماة اتفاقية أوسلو ومؤتمر الاعتراف بإسرائيل الذي عُقد في مدريد، والمبادرة العربية التي قدمتها جبهة ما يسمى الاعتدال، كيف كانت نتائجها ومن الذي يرفضها، قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ [البقرة:١٠٠].

فهذه طبيعة اليهود ليس لهم عهد، وإن لم يتمكنوا من نقضه أفرغوه من مضمونه وجعلوه وسيلة لسيطرتهم وإفسادهم، وحجتهم الدائمة أنهم ديمقراطيون والعرب همج!

وقد مضى على السلام بين مصر وإسرائيل عقود وتبخرت أحلام المصريين بالرخاء الذي سوف يجلبه السلام مع اليهود عندما تسكت المدافع، فهل يعتبر بذلك بقية العرب؟

وقارن بين اليهود والعرب وماذا يصنع كل منهما فالمصانع الحربية التي انشئت في مصر وأسهمت دول الخليج في إنشائها تنتج المراوح والغسالات والثلاجات، وما أشبه ذلك.

أما المصانع الحربية في إسرائيل فهي تنتج عوزي" و"مركفا" والصواريخ والقنابل لا سيما النووية منها، وقديما أنشأ اليهود مفاعل ديمونه وإلى الآن لم تنشئ أي دولة عربية مثله؟ هذا عدا أفعال المتطرفين اليهود مثل الحاخام "يهودا غليك" و"الياهور مجير" وعمل اليهود الدائم لبناء هيكلهم المزعوم مكان الأقصى، وأفعال التنظيمات المتطرفة في الغرب التي تذكرنا بالراوية وفرسان المعبد أيام الحروب الصليبية، وهي الأساس للتنظيمات المتطرفة في الغرب حاليا.

وعداوة الغرب للإسلام قديمة وكما سمى المشركون نبي الإسلام ﷺ "مذّمم" سماء الغربيون "ما هوت" أي الكلب!! حاشاه ﷺ.

والصور المسيئة للنبي ﷺ لا تقتصر على فرنسا، بل نشروها في كثير من الدول الغربية كما أعيد نشرها في إسرائيل ولو أن تلك الرسوم كانت لأحد الزعماء أو لأبيه، لغضب وثار وقطع العلاقات وسحب السفراء، وأطنب الإعلام فيها، ولكنها لرسول الله ﷺ.

وقد داس أحد التنفيذيين في مكة المدعو "صالح حجازي" بحذائه لأنه قال لخصمه تكتب صقر الجزيرة يا منافق!!

وقد بيّن شيخ الإسلام بن تيمية أن سب الرسول ﷺ ناقض لعهد الكتابي يبيح دمه، في كتابه القيم "الصارم المسلول" وقال بعض السلف "نحن لم نعطهم العهد على شتم نبينا محمد ﷺ".

وحسبك قصة كعب بن الأشرف دليلا على ذلك، وما توعد الله به من يؤذيه في سورة براءة، ومع ذلك فقد حضر الرئيس الفرنسي بعد صور مجلة "شارلي إيبدو" قمة خليجية في الرياض، أما الرسول ﷺ فهو عند عبيد أمريكا رسول الأتراك فقط، وقد كان ﷺ يعلم تلك العداوة بأمر ربه وقد قتل الروم

حبّه زيدا فعقد اللواء آخر عمره لابنه أسامة ليأخذ بثأر أبيه وأمره أن يغزو الروم في فلسطين والبلقاء، وكان عمر أسامة لا يتجاوز الثامنة عشرة.

واليوم يعادي أعداء الله المسلمين الدعاة ويسعون للتطبيع المزعوم.

وأعدى أعداء الجهاد اليوم هو التطبيع وبعض العرب يريدون التطبيع وفق ما يسمى المبادرة العربية للسلام، والحمد لله أن نتنياهو رفضها، وقد أطلق الرئيس الأمريكي دونالد ترامب الرصاص على المبادرة العربية للسلام، تلك المبادرة التي وضعها الكاتب اليهودي الأمريكي "فريدمان" وأطلقتها السعودية، وتتضمن إنشاء دولة فلسطينية على حدود الرابع من حزيران مقابل التطبيع مع إسرائيل، وبذلك قُضي على كل ما صدر بشأن الصراع العربي الإسرائيلي من قرارات واتفاقيات وقرارات التقسيم، وإسرائيل رفضت أي شيء يشير إلى دولة فلسطينية كاملة السيادة، وبذلك جرى سد كل الطرق السياسية المتهافتة، ولم يبق إلا طريق لابد من سلوكه، وهو طريق الجهاد، والعباد أولي البأس الشديد، الذين يسوؤون وجه اليهود ويدخلون المسجد الأقصى، كما دخلوه أول مرة، والحل الوحيد هو أن تكون فلسطين دولة واحدة لكن إسلامية، وهنا قد يسأل بعض الإخوة عن المبادرة العربية فنقول بإيجاز:

وضع الصحفي اليهودي الأمريكي "توماس فريدمان" رؤية للحل بين اليهود والفلسطينيين الذي يقوم على أساس دولتين، والأرض مقابل السلام بشرط التطبيع الكامل بين الطرفين، وإلغاء حق العودة ثم إن السعودية تبنت رؤيته وقدمتها إلى مؤتمر القمة العربية في بيروت فأصبحت تسمى المبادرة العربية"، وبناء عليه تبنى بوش الصغير فكرة حل الدولتين وغيّرت منظمة فتح ميثاقها لكي توافقها.

والعجيب أن هذه المبادرة هي مضمون قرار التقسيم القديم الذي رفضه الشعب الفلسطيني آنذاك كما أنه رفض ما دعا إليه الحبيب بورقيبة والعقيد معمر القذافي الذي اقترح تسمية الدولتين اسما واحدا هو "إسراطين" ولم يبق

رافضا لكل الحلول الانهزامية إلا من آمن بكتاب الله وجعل الجهاد سبيل التحرير الكامل، وهم أكثر الفلسطينيين ولله الحمد.

والشعب الفلسطيني هو الرقم الأصعب في معادلة حل القضية الفلسطينية، وإذا رفض الاستسلام وأصر على المقاومة فماذا في إمكان ترامب وعباس أن يفعلا؟.

وقد كان وعد بلفور بداية لجعل فلسطين وطنا قوميا لليهود وأرجو أن يكون وعد ترامب بنقل سفارته إلى القدس بداية نهايتهم.

ومما ينبغي أن نعلمه ولا يجوز لنا نسيانه أو إهماله أن اليهود والنصارى بعضهم أولياء بعضهم قديما وحديثا بهذا أخبرنا الله في القرآن الكريم وبهذا ينطق التاريخ وتثبت أحداثه، ومن أراد معاداة أمريكا أو معاونتها فليبدأ بإسرائيل، فالصهيونية النصرانية سبقت الصهيونية اليهودية ولا تزال، ولما اعتدت أمريكا على العراق رأى صدام حسين أن أفضل وسيلة للرد عليها هو إطلاق الصواريخ على إسرائيل، وهكذا يعرف البعثيون من أين تؤكل الكتف، ولما حدثت حرب رمضان واجتاز المصريون خط "بارليف" أمدّت أمريكا اليهود بجسر جوي فيه كل أنواع الأسلحة.

ولما أرادت إيران الرافضية أن ترغم (الشيطان الأكبر) على قبول أجندتها جعلت حزب اللات مقاومًا لإسرائيل، وقتل الحزب عددًا من الجنود الإسرائيليين، ولما أراد الاتحاد السوفيتي الانتقام من أمريكا سلط على إسرائيل جورج حدش ونايف حواتمة، ولما أراد القيصر الأرثوذكسي الماكر "بوتين" أن يحسن علاقاته بأمريكا بدأ بتحسين العلاقات مع إسرائيل، وبعد ذلك التقى "سرجي لافروف" و"جون كيري".

ولما أرادت كوريا الشمالية إغاظة أمريكا هددت بتدمير إسرائيل.

ولما وقع نتنياهو في ورطة المبادرة الفرنسية أوعزت أمريكا إلى صاحبها السيسي بإنقاذه.

ولما أرادت بعض دول الخليج زيادة التقرب لأمريكا أمدت إسرائيل

والسيسي بالمليارات.

ولما خشيت بعض الدول الخليجية الأخرى من تصويت الكونجرس الأمريكي ضدها أمدت إسرائيل بالمال، والمهم أنه إذا زكمت إسرائيل عطست أمريكا!.

ولذلك فنحن نتوقع وندعو أن يكتب الله على أمريكا والغرب عامة وعلى الصهاينة العرب ما كتبه على اليهود مثل:

أ- الذلة.

ب-المسكنة.

ت-الغضب.

ث-الفرقة.

ج-الرعب.

مهما أملى لهم وأمهلهم فهو تعالى يمهل ولا يهمل.

ومن مظاهر وقوف الغربيين النصارى مع اليهود:

١- الفيتو الأمريكي دائما لصالح إسرائيل

٢- يبرر الغرب عدوان اليهود بأنه دفاع عن النفس أما يفعله الفلسطينيون للدفاع عن أنفسهم حقًا فهو إرهاب وعدوانية!.

٣- الأسلحة المتطورة المشتراة يشترط الغرب أن توضع بعيدًا عن إسرائيل كأن توضع في وادي الدواسر أو في قاعدة خميس مشيط أو الدوادمي.

٤- التركيز على عداوة إيران والحوثيين، دون عداوة اليهود، واغتر النصارى اليهود بإملاء الله لهم ونسيانهم أنه يملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلته وأنه يستجيب دعوة المظلومين ولو بعد حين.

٥- وتخدمهم المرونة الإنسانية التي يتحدث عنها علماء الاجتماع، ومن المظاهر لذلك انحياز الغرب المكشوف وتهافت وفوده للإفراج عن أسير يهودي واحد، ولا يأتون إلى إسرائيل للإفراج عن آلاف الأسرى

الفلسطينيين، وصدق الله ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٢].

ومن الأجوبة المسكتة أن وفد حركة حماس قال إن شاليط قد أسلم!! فأطرق الوفد الغربي رؤوسهم فهذه أكبر مصيبة تنزل بالغربيين واليهود، مع أن شاليط لو فعل ذلك لما كان مخالفا للقيم الغربية، ولكلامهم الدائم عن حقوق الإنسان، وحرية التدين، وللإعلان العالمي لحقوق الانسان! وعن مبادئ فجرهم ونورهم "الثورة الفرنسية"!.

وبالجهاد يفتح الله لنا العالم، وبه يفتخر المفتخرون وانظر إلى حركة فتح الفلسطينية كيف تفتخر بمقاومتها التاريخية وبانتصاراتها القديمة على العدو الصهيوني! وكيف أنها تعرف أن الشرف الحقيقي، هو الجهاد وأن اسمها نفسه مأخوذ من الفتوحات، وهل يكون فتح بلا جهاد.

وكيف أن اليهود غاظهم جدا تكوين حركة شهداء الأقصى وحاصروا لذلك ياسر عرفات.

وأنصح الإخوة في (فتح) بمقاومة العدو بكل وسيلة لا سيما المقاومة المسلحة، وأن ماضيهم الذي يفخر به المسلمون هو ماضي الجهاد، وليس ما يفعلون اليوم من التنسيق الأمني ومصادرة السكاكين، وقول "جربوني" ومنع الانتفاضة.

كما أنصح أهل السنة في سوريا أن يتخلوا عن مناصرة النصيرية والبعثيين، وأنصح الإعلام السعودي بالكف عن تسمية المجاهدين بالثوار أو المتمردين، كما أنصح أهل السنة في العراق وهم الأكثرية ألاّ يتعاونوا بحال مع الروافض باسم أننا كلنا عراقيون، نعم عراقيون، ولكن في العراقيين شيعة ونصارى ويزيدية وصابئة وأقليات أخرى! وانظروا ماذا جنت الصحوات من الأمريكان والمالكي والعبادي؟ وأين ذهبت الوعود المعسولة بعد إضعاف المقاومة.

كما أنصح الإخوة الذين يقاتلون في اليمن أن يخلصوا في جهادهم لله رب العالمين، ولا يكن همهم الدنيا ولا يكن همُّ ورثتهم التعويض من البشر،

وألا ينخدعوا بمن يقول (شهيد الواجب) فكل من قتل في غير سبيل الله فليس بشهيد، وقد أفتى بذلك أهل الفقه كالشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ صالح الفوزان، ومن مات في سبيل الوطن أو القبيلة أو العرب فسلفه قزمان الذي قاتل دون أحساب قومه زمن النبي ﷺ، ثم مات فكان مصيره النار.

ولا تقاتلوا أيضا من أجل الراتب فقد اشترط رجل زمن النبي ﷺ أن يعطى مالاً ولما سئل النبي ﷺ عن مصيره، قال: (لا أجد له في جهاده إلا دراهمه التي اشترطها).

هل نتوقف عن الجهاد؟

يجب الاستمرار في الجهاد مهما كانت التضحيات، ولا يصح أن ينظر إخواننا المجاهدون في فلسطين وبلاد الشام عامة، إلى كون الخسائر البشرية كثيرة، أو يسوّل لهم الشيطان إيقاف الجهاد بتلك الذريعة، وإنما يجب إخلاص النية لله، فلا سواء بين من يموت شهيدا من المسلمين وبين اليهودي أو النصراني الظالم الذي ربما جاء من وراء البحار.

وقد قال "فان كرفيليد" وهو خبير استراتيجي يهودي، يدرِّس العلوم العسكرية في الجامعة العبرية: "في هذه الحرب يقتل الكثير من المنتفضين ولكنهم يكسبون الحرب"، ويوضح ذلك قائلا: "لقد قُتِل خمسون ألف أمريكي وثلاثة ملايين فيتنامي، وعدة آلاف من الفرنسيين مقابل ٣٠٠ ألف جزائري، وفي البلقان قُتل عشرات الآلاف من الجنود الألمان مقابل ٨٠٠ ألف يوغسولافي، فالأرقام شيء غير مهم" انتهى كلامه.

واليهود هم أحرص الناس على حياة وأجبن الخلق، وقد رأينا قوات النخبة الاستخباراتية يفرون من مهاجم فلسطيني واحد كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة، فأين هم مّمن أمنيته الشهادة ويقدم على الطعن أو الدهس مع علمه أن اليهود سوف يقتلونه، ويهدمون بيته ويعاقبون أسرته كلها،

ويفرضون عقوبة جماعية على المدينة أو الحي الذي يسكن فيه، وما ذا لو أن هذه الأعمال كثرت في كل قرية وحي ومدينة في الأرض المباركة، ألا يصبح الصعود "عاليه" هو الهجرة من إسرائيل إلى أي بلد؟ وهل ذلك الفرار يحصل بالمفاوضات.

وترك الجهاد يؤدي إلى تكالب قوى الكفر علينا، وكما تداعى شذاذ الأفاق من اليهود على أرض الأقصى المبارك "فلسطين" تداعى إخوانهم النصارى على بقية الأرض المباركة المسماة "سورية" فجاء الروم من كل مكان "البريطانيون، والأمريكيون، والفرنسيون، والألمان، والروس" واستخدم الغرب سياسة المراوغة والمخادعة استفادة من تجربته الاستعمارية، أما الروس فإن رجال دينهم "الأرثوذكس" أعلنوا تأييدهم لبوتين وجيشه، ورشوا الأسلحة الروسية بالماء المقدس عندهم، وأصروا أنها حرب مقدسة أي صليبية عصرية، غير أن مصير هذه الحملة الصليبية سيكون مصير الحملات السابقة التي استمرت قرابة قرن في أرض الشام، كما أن الروس بالذات لم يعتبروا بمصيرهم القريب في أفغانستان مع الجزم بأن المجاهدين من أهل الشام لا يقلون بأسًا وشكيمة عن المجاهدين الأفغان، ولكل ميزته وفي كل خير.

وهكذا يتضح يومًا بعد يوم، أن الشعارات عن السلام والاستقرار زائفة، وأنه لا حل إلا بالجهاد في سبيل الله، وأن الصليبين وأعوانهم يتذرعون ظاهرا بمحاربة الإرهاب، بينما يقتلون المدنيين من أهل الأرض المقدسة حتى بالأسلحة المحرمة دوليًا ويدعون أنهم جاءوا لمحاربة "داعش"، بينما يدمرون بلادا ليس فيها داعشي واحد، ويتهم بعضهم بعضا بأنه غير جاد في محاربته الإرهاب، وإذا اختلف اللصوص ظهر المسروق.

كما أن ترك الجهاد يؤدي إلى إضاعة شرائع أخرى من الإسلام، كالجزية واسترقاق الكافر وأحكام الغنائم والفيء.

واليهود مهما زوروا التاريخ أو نقبوا في الأرض، وحفروا تحت المسجد الأقصى لن يجدوا أبدا هيكلهم المزعوم، وكتاب "اختلاق إسرائيل القديمة"

ليس مؤلفه "كنيث وايتلام" مسلما، وقد شحنه بالنقول عن الآثاريين الإسرائيليين أنفسهم وبالحجج العلمية الدامغة.

ثم إن اليونسكو أصدرت قرارها بذلك، فكان صفعة قوية لنتنياهو، وخطط المستوطنين جعلت إسرائيل تعلّق مشاركتها في اليونسكو .

وقد جاء قرار اليونسكو الأخير بأنه ليس لليهود أي حق تاريخي في القدس مؤيدا لما قاله ﷺ من أن سليمان عليه السلام بنى مسجدا، وفتح الباب ليعلم المعرضون صدق حديثه أن المسجد الأقصى، ثاني مسجد بني في الأرض بعد المسجد الحرام، وهكذا يشهد الحق للحق وتبطل الاختلاقات والأساطير اليهودية ومنها الحفريات التي يحفرون تحت المسجد الأقصى والحمد لله لم يعثروا على شيء يدل على أساطيرهم، ولن يعثروا.

وقد كان سليمان عليه السلام كتب لملكة اليمن ﴿أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٣١]، وانتهى بها الأمر إلى أن قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [النمل:٤٤] فالإسلام هو دين الأنبياء جميعا.

والقضية الفلسطينية هي القضية المركزية للمسلمين جميعا ومن بلاد الشام المباركةوستكون الانطلاقة بإذن الله، وفيها سوف يترل المسيح بن مريم عليه السلام.

وإسرائيل ليست دولة ديمقراطية، دع تعاملها مع الفلسطينيين ونظرها إلى العرب، وانظر كيف تعامل اليهود غير الصهاينة، وتمنع نشر الصحف لصور حاخاماهم وتحظر مظاهراهم ومن هؤلاء جماعة (ناطوري كرتا)!

والممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني هم المجاهدون الفلسطينيون الذين يقاومون اليهود، ويسعون لطردهم وتحرير فلسطين من البحر إلى النهر.

وقد كتب أبو مازن أو كُتب له عن اتفاقية "أوسلو" كتابا جعلوا عنوانه (الطريق إلى أوسلو)، وغيّرت (فتح) ميثاقها استرضاء لليهود، ومع هذا الذل أخلفت إسرائيل كل ما يتعلق بها في هذه الاتفاقية المشؤومة، وحاصرت قطاع غزة بدلا من السماح له بمطار وميناء!

وهكذا يثبت اليهود أنفسهم أنه لا حلّ إلا بالقوة!

ومع ما فعله ياسر عرفات من ضلال وشر يظل أوعى سياسيا ممن جاء بعده، فقد احتاط للأمر وأنشأ (كتائب شهداء الأقصى)، فأرضى بذلك مريدي الجهاد من (فتح)، وجعل للمفاوضات سندا يدعمها ويقوي موقفه أثناءها، ولما مات كثرت الانشقاقات في فتح وضعف موقف (أبو مازن) في المفاوضات، إذ أصبح يفاوض بلا بديل، وكلما أظهر وسيط عداوته بحث المسكين عن وسيط آخر.

ونحن ليس لدينا فوبيا ضد احلق والعدل أينما كانا، بل نحن ندعو العالم كله شرقه وغربه إلى اتباع ملة أبينا إبراهيم عليه السلام.

ونحن أولى بموسى عليه السلام وأولى بعيسى عليه السلام من النصارى!

وهذا طبعا عكس المخطط الأمريكي الظالم حيث اعتدت أمريكا على العراق وافتعلت لإسقاط بغداد تمثيلية إسقاط التمثال وكان يحمي ساقتها جيش (بدر) وإنما فعلت ذلك بعد حصارها الطويل ووجدت بديلا عن أحمد الجلبي في حيدر العبادي ونوري المالكي وصحواتها المزعومة. ولكي تفصل بين أهل السنة في جزيرة العرب وإخوانهم في الأنبار جعلت الأجزاء الجنوبية من الأنبار تابعة لمحافظة النجف!!

ومن أوحال ذلك المستنقع استنقذها أوباما فانسحب يجر أذيال الهزيمة ورضيت أمريكا من الغنيمة بالانسحاب، وانسحب معها تحالفها الذي يضم أكثر من ثلاثين دولة، ولم يعثر ضباطها في بغداد بالطبع لا على القاهرة ولا على شارع الهرم وإن كانوا سألوا عن ذلك كثيرا.

وظهرت (قادسية صدام حسين) في شكل جديد تولى كبر تسويقه برنامج " همساية " السعودي.

ولكي تدمر أمريكا ما سماه البنتاجون المثلث السني حشدت ضعف التحالف السابق وحولت أكبر تجمع سني في العراق (الموصل والفلوجة) إلى أطلال وخرائب وقتلت وهجرت الملايين من أهل السنة في العراق.

وفعلت في الأرض المباركة ما هو مثل ذلك أو أشد وجعلت إسماعيل هنية إرهابيا ولكن أولياءها من المنافقين ومرضى القلوب والظانين بالله ظن السوء جعلوا الشعب الفلسطيني كله إرهابيا.

ونحن لا ننكر أن بين الفلسطينين خلافات وكذا بين المسلمين، ومنذ مقتل عثمان ﵁، ولكن ما يجمعنا أكثر مما يفرقنا وحسبنا أن القدس تجمعنا، والأقصى يجمعنا وظلم الصهاينة يجمعنا وأمثال ذلك، ولا يعني هذا ألا نتحاور ونقرب وجهات النظر ونضيّق شقة الخلاف فيما بيننا، وإنما ننبذ دعاة الاستسلام والساعين وراء مشروعات السلام الوهمية، ونوقن أن ما أوخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وأن الجهاد ليس فرصة لتحرير الأرض المحتلة فقط بل هو فرصة للتربية والتوبة، وقد كانت القادسية أشد معارك الإسلام هولا وقد كان فيها بعض خيار السابقين الأولين كسعد بن أبي وقاص وبعض المتهمين بالمعاصي كأبي محجن الثقفي.

مشكلة ما يسمى الإرهاب

مشكلة ما يسمى الإرهاب:

يجب أن نعلم قبل كل شيء أن مصطلح (الإرهاب) قرآني، وأن معناه في كتاب الله غير معناه المتداول في القرارات الدولية والإعلام التابع لها، وأن الناس لم يتفقوا حتى الآن على معنى محدد له، وهيئة الأمم المتحدة لم تضع له تعريفا حتى الآن.

فالله تعالى قال لبني إسرائيل: ﴿وَإِيَّىٰ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة:٤٠].

وقال مخاطبا عباده المؤمنين: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال:٦٠].

وقال عن أنبيائه الكرام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠].

- أسباب الإرهاب:

ليس للإرهاب سبب واحد كما يظنه بعض الناس، بل للإرهاب أسباب كثيرة بعضها يرجع إلى التكوين النفسي للغلاة وللمجتمع، حيث إن بعض الغلاة مرضى نفسيا، والمجتمع بطبيعته منغلق محافظ، وتربيته الإيمانية فيها ضعف وتناقض.

وبعضها يرجع إلى العدو الخارجي، حيث يضخِّم اليهود والنصارى والليبراليون والمنافقون والمخدوعون ما يفعله الغلاة ويرتكبونه من أخطاء.

والوعي السياسي عند كلا الطرفين (الغلاة والمجتمع) ضعيف أو معدوم، مما يتيح وجود حاضنة اجتماعية شعبية للغلاة لا سيما مع انتشار الفقر، وكثرة المظالم الاجتماعية، وفقد المساواة، وترك محاسبة المهمل وانعدام الشفافية والرأي الآخر.

وبعضها يرجع إلى المخالفات الصارخة التي تدفع الشباب إلى العجلة.

وبعضها يرجع إلى التحريض الإعلامي المستمر الذي يصب البترين على النار، والملح على الجرح، ولا يعدل في القول حتى لا يُتهم بمساندة الإرهاب،

وكله تَشفٍّ واتهام وتَجنّ.

ومنها ما يرجع إلى طبيعة العصر حيث سهلت وسائل الاتصال، وكثر المسافرون، وأصبح تناقل المعلومة أو الخبر في المتناول لحظة بلحظة.

وبعضها يرجع إلى البيروقراطية القاتلة، والمركزية الشديدة التي تجعل اتخاذ القرار يستغرق وقتا طويلا، حتى أن بعض اللجان تنتهي مدتها ولم تبدأ عملها.

ومنها ما ترتكبه الجهات الأمنية من أخطاء جسيمة، كالقوة الكبيرة للمداهمة والاعتقال، وإخلاف الوعود، والتعذيب، وطول مدة الاعتقال، وسجن من تاب وحرمانه من العمل في أي مجال، وقلة الوظائف أو انعدامها والإضافات الإدارية على ما يحكم به القضاة.

كل هذا مع فتح المجال لمن يسافر للفساد اينما شاء، لا سيما في دبي والبحرين، والممنوع هو ألا يكون سفره للدين، أما من يسافر للدنيا أو للسياحة أو لأي شيء غير ديني فالأمر متاح، والجواز مدته سنين.

والتراجعات الفكرية لا قيمة لها لأنها تتم من سجناء.

وهكذا يُجمع المحللون والمراقبون على أن الإرهاب مشكلة كبرى ومصيبة خطيرة، ولكن كثيرا منهم يغفل عن الأسباب المؤدية إليه، ولا يتعمقون في دوافعه وأنه لم يأت من فراغ، ولا يعالجونه العلاج الشرعي الصحيح.

وقد بيّن الله تعالى أن أي مصيبة تقع فإنما مرد ذلك إلى أنفسنا نحن، فقال لأكرم جيل: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡ﴾ [آل عمران:١٦٥].

وقال لنبيه الكريم ﷺ وهو لنا من باب أولى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَ﴾ [النساء:٧٩].

فعلى كل من يقول إن الإرهاب مصيبة أن يفتش نفسه أولا قبل أن يتهم الآخرين!

والشيء الذي يتفق فيه "ترامب" و"نتنياهو" و"بشار" والسيسي، وكل الحكومات في العالم الإسلامي هو حرب الإرهاب، فهو الشماعة المشتركة بين المختلفين.

والإرهاب عند الحكومة السعودية وغيرها هو أكبر مشكلة، ولخطورته يكثر الحديث عنه في الإعلام، وتكثر عنه التصريحات والبيانات، كما يعلنون عن المطلوبين أمنيا ويشفعون ذلك بصورهم وأسمائهم وجنسياتهم.. إلخ.

ويعقدون لذلك ندوات وجلسات توصياتها معدة مسبقا، وقد قالت صحيفة عكاظ إن ٨٨% من توصيات الأوراق المقدمة فضفاضة وغير عملية.

والواجب على المسلم هو الإيمان بكل أقدار الله، وأن له في ذلك حِكَما لا نعلمها وأنه يجب اتهام النفس، حتى وإن ظن الإنسان أنه لم يشارك فعلا لا في الأسباب ولا في النتائج، فالمصائب تعم والابتلاء يقع حتى لمن ينكر المنكر، وكل حي مبتلى بنوع من أنواع الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود:٧]، وقال: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

كما أن الواجب هو العدل مع من نحب ونكره، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨].

وأنه ليس من سنته أن يدوم الأمن مع هذه الذنوب والمعاصي، التي ما حلت بفرد أو أمة إلا ابتلاها الله بما يشاء من المصائب.

وبهذه المصائب يعاقب الله المنحرفين، ويكفّر الخطايا عن المؤمنين، ويرفع درجات المحسنين.

وهذا واضح في سير السلف الصالح، ولكن دع ذلك وانظر إلى من وفقه الله في حياتنا المعاصرة، فقد بلغني أن الشيخ عمر عبدالرحمن -رحمه الله- لما كان الزبانية يعذبونه في مصر كان أحدهم يجلده وهو يردد "اضرب جسدا طالما عصى الله"، كما أن من سنن الله المعتادة أننا لا نجني من الشوك

العنب، ولا نوقد النار من الماء، والله تعالى أمرنا بالعدل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾ [النحل:٩٠]، ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [الأعراف:٢٩]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النساء:٥٨]، ﴿وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ﴾ [الأنعام:١٥٢].

ومن مجافاة العدل الانحياز لطرف واحد من أطراف النزاع، إما الحكومة وإما تنظيم الدولة الإسلامية، والقول بأن أحدهما محق مطلقا والآخر مبطل مطلقا، مع أن أسباب ذلك مشتركة بينهما، كما دلت عليه وقائع التاريخ، وتكلم عنه علماء الإسلام، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ومما ينبغي أن يعلم أن أسباب الفتن تكون مشتركة".

وقال: "أسباب الضلال والغي والبدع والفجور في الدنيا مشتركة، تعم بني آدم لما فيهم من الظلم والجهل".

وسيأتي ما يؤيد ذلك من كلام عمر وسعيد بن المسيب رضي الله عنهما.

والعدل يقتضي النصح لكلا الطرفين وإن كان أكثر الناس لا يحبون الناصحين، وهو في حق هذه الدولة أوجب، لأننا نعيش فيها ونسمع كلام مسؤوليها ونعرف سياستها ونتبين أخطاءها، ونرى كيف تعامل الدعاة إلى الله رأي العين.

أما السكوت عن قول الحق فهو نوع من الغش لا نرضاه لأنفسنا ولا لأي مسلم.

ولما وقع الجدب عام الرمادة خطب عمر رضي الله عنه الناس وكان مما قال: "لا أدري السخطة عليَّ دونكم أم علي وعليكم"!

وقال سعيد بن المسيب رضي الله عنه كما روى البخاري وغيره: "وقعت الفتنة الأولى فلم تبق من أهل بدر أحدا، ثم وقعت الفتنة الثانية فلم تبق من أهل الحديبية أحدا، ثم وقعت الفتنة الثالثة فلم ترتفع وللناس طباخ".

وهذا تصديق لقوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ ﴾ [الأنفال:٢٥].

ولما انتشرت البدع وكثرت الفلسفات والترجمات سلط الله على المسلمين الصليبيين ثم التتار، ولما انحرف بعض الأتراك ومالوا إلى التغريب والعلمنة والاقتداء بأوروبا واقتبسوا منها القوانين، واستقدموا الكفرة لتدريب الجيش، وغلبت الغفلة على صالحيهم، ابتلى الله المسلمين بالاستعمار الأوروبي وفتّتنا المستعمرون ومزقونا وقسمونا.

وأخزى من ذلك وأنكى أن الله تعالى يعاقب على الذنب بالذنب، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ [الصف:٥].

وقال على لسان خليله إبراهيم: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ [مريم:٤٥].

ولذلك رأيت أن أدلي بدلوي في هذا الموضوع الشائك، راجيا قبول نصحي واجتهادي، وإعذاري وتنبيهي إلى ما أخطأت فيه على رقم الفاكس المذكور.

كما آمل ألا تكون هذه الورقات مجرد اقتراحات فضفاضة كغيرها، فكل الحلول التي سأطرحها حقيقية وواقعية وعملية، وفي إمكاننا التطبيق لو أردنا بسهولة.

وسوف أنطلق في الحديث عن الإرهاب من أن الإرهاب ليس فعلا بل هو رد فعل، ولكن رد فعل لأي شيء؟ هذا ما سوف يظهر بإذن الله.

- الإرهاب في السعودية ردُّ فعل لعوامل كثيرة ومنها:

١- سوء اختيار العاملين في الأجهزة الإعلامية السعودية، فهم إما ملاحدة وإما منتكسون وإما مشجعون للكرة، وإما منافقون ينظرون للأمور من جانب مصلحتهم المادية، ويكيلون المديح لمن يعطيهم والعداء للطرف الآخر، ويلقون الكلام على عواهنه، وجُعل ذلك إلى اختيار أصحاب التقارير

السرية الذين يريدون التخلص من المسؤولية، فرشحوا كل من هو بعيد عن الدين لا سيما رؤساء التحرير، ولا شك أن "الهوليجانز" بعيدون عن التدين بل عن أي شيء جاد، وكون المندوبين الرياضيين يتحولون إلى إعلاميين مأساة، وإن رضي بذلك الساسة وتخلص به أصحاب التقارير.

وبهذه الطريقة تولى الإعلام أناس أكثرهم يصبون الزيت على النار، ويسكبون الملح على الجراح، من خلال إطلاقهم عبارات جارحة جدا، وأوصاف تفسد ولا تصلح، فوق أن هذا ينافي ما أمر الله به من العدل في القول، فأعطوا المبررات للشباب كي يهربوا إلى الخارج، أو يلتزموا بتعليمات مملاة عليهم، والمؤسف أن هيئة كبار العلماء وبعض طلبة العلم الشرعيين يستعيرون هذه العبارات غير الشرعية، كعبارة "متجردين من الدين والإنسانية"، وعبارة "لا يمتون للدين بصلة"، فكيف يكون وقْع مثل هذه العبارة على الشباب؟ وهناك عبارة أخرى قالها أحد المذيعين وهي "لا أذكرهم في هذا المجلس المحترم"، ولماذا يا حضرة المذيع؟ هب أنك حقا تعاديهم، ألم يذكر الله تعالى إبليس وفرعون أم أن المجلس أكثر حرمة من القرآن؟

وهؤلاء الإعلاميون أصلحهم الله يقولون إن المفجر كان ينوي كذا، فكيف عرفوا نيته، وربما لم يخطر له ذلك ببال أصلا.

وهكذا صدق حديث الصادق المصدوق (وينطق الرويبضة)، فقد أصبح هؤلاء الرويبضات يتكلمون في أمر العامة، وانطلقت ألسنتهم بما لا يعرفون أثره ولا يدركون أبعاده، فهم يزيدون الفتنة اشتعالا والطين بلة ربما وهم لا يشعرون، وأين هم من قوله ﷺ لما أخذ اليهودي بتلابيبه وأراد عمر ﷺ أن يبطش به: (غيرَ هذا يا عمر، كان عليك أن تأمره بحسن الطلب، وتأمرني بحسن القضاء)، وأمر عمر أن يزيد اليهودي مقابل ترويعه.

ويكرر هؤلاء الرويبضات أن الإسلام دين الرحمة، وهو كذلك، ولكن لماذا لا يذكرون أنه دين القوة والشجاعة أيضا.

والنبي ﷺ كان أرحم الناس، ما في ذلك شك، لكن كان أيضا أشجع الناس، وكان الأبطال يتّقون به صلوات الله وسلامه عليه، وهو نبي الملحمة كما هو نبي المرحمة.

٢- فقدان المعاملة الشرعية لمن يغلو أو يضل، فربما كان جاهلا حث الشرع على تعليمه، وربما كان مغررا به، وربما كان في قلبه حقد لسبب ما يجب إزالته، وربما كان لديه شبهة فيجب كشفها، والتعامل إنما يكون بالعدل الذي أمر الله به، ويقوم به العلماء وليس الرويبضات، فهيئة كبار العلماء مثلا هي التي تحكم في ذلك بعدل وحرية.

وقد ولى عمر بن عبدالعزيز رجلا على إقليم فكتب لعمر: "إن هؤلاء القوم لا يصلحهم إلا السيف والسوط"! فكتب له عمر: "كذبت، إنما يصلح الناس العدل".

والتعامل الشرعي مفقود، جعلوا محله التعذيب والسجن للمخالف إذا كان متدينا، حتى من تاب ورجع عن خطئه، وقد قال تعالى عن المحاربين ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣٤].

وقد قال مدير المباحث في إحدى المناطق: رفعنا أربع مرات عن فلان، وقلنا إنه بريء، ولم يثبت عليه شيء في التحقيق، لكن لم ترد علينا الداخلية، وبذلك بقي في السجن، بل إنهم ليسجنون من يعرف المفجِّر أو جالسه حتى وإن نصحه وبيَّن له أخطاءه حتى من يسمونه السجين المثالي، ويشهد بمثاليته كل من يتعامل معه من الضباط والجنود، فالتمديد فقط في حقه قد يكون عشر سنوات!! فوق الحكم القضائي! بينما لا تفعل ذلك إسرائيل في أحكامها الإدارية.

فهل هذا علاج فعلا؟ ومن الذي أشار بهذا التصرف السيئ؟

وتنظيم الدولة لا يقر تسميته (داعش) فكيف إذا أطلقوا عليه (فاحش)!

وقد أمرنا الله على لسان رسوله ﷺ أن نتبع سنة الخلفاء الراشدين

ونهتدي بهديهم، وقد أجمع الصحابة الكرام على صحة ما فعلوه فكيف عاملوا المعارضين:

أ- رضي عثمان رضي الله عنه أن يقتله الثائرون ولا تقع الأمة في فتنة عمياء يقتل بعضها بعضا.

ب- اشتد أمر الخوارج زمن الخليفة الراشد الرابع "علي بن أبي طالب" ﷺ، وصاحوا في جنبات المسجد: لا حكم إلا لله، وكفروه ﷺ فبماذا عاملهم؟

إنه لم يعاقبهم بشيء، بل قال: "كلمة حق أريد بها باطل".

ومجرد المخالفة لا عقوبة عليها قط، وكذلك إبداء الرأي، وقد يكون سببها أن صاحبها لا يدرك الحكمة من وراء ما يظنه خطأ، والنبي ﷺ الذي الاعتراض على حكمه كفر، لم يعاقب ذا الخويصرة التميمي لما قال: "إنها لقسمة ما أريد بها وجه الله"، أو "اعدل يا محمد"، ولما أراد بعض الصحابة أن يبطش به، قال ﷺ: (وما يدريك أنه يصلي).

فحرية الرأي حق مكفول في الإسلام، ومن ذلك حرية المحكوم في مخالفة رأي الحاكم وسياسته.

أما إن تعدى صاحب المخالفة إبداء رأيه إلى السب فإنه يقابل بالسب، على أن العفو والسكوت أفضل، وإن ضَرب ذلك المخالف عوقب بالضرب، قال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦].

ولما قال الخوارج ما قالوا وكفّروا عليا ﷺ قال: "أما إن لكم علينا ثلاثا"، وذكر منها: "ألا نمنعكم مساجد الله"، فانظر كيف أنه بيّن لهم ما يجب عليه، وربما ابتدأ بذلك، فكيف بمن يسجنون المخالف؟ أليس أدنى الدرجات عندهم أن يمنعوه مساجد الله!

دع قوله في الحق الثالث: "وألا نمنعكم حقكم من الفيء"، أو "من بيت المال ما كانت أيديكم مع أيدينا"، فكم فصلوا ظلما بلا محاكمة، وهذا مما

يغيظ المسجونين المفصولين ومنهم من جمعوا له العقوبتين معاً، أي السجن والفصل، مع أن المفصولين ليسوا خوارج ولم يتحيزوا عن المسلمين ولم يحاكموا، والنبي ﷺ جبذه أعرابي جبذة شديدة أثّرت في عاتقه الشريف، وقال له: أعطني من مال الله يا محمد فإنك لا تعطيني من مال أبيك وجدك، فضحك صلوات الله عليه وأعطاه. فمن يقبل منك اليوم أن تمدحه ثم تبدي رأيك بألطف أسلوب؟ فضلا عن أن تجبذه؟

وقد ذكر قصة أمير المؤمنين علي مع الخوارج بعض العلماء مسندة كابن أبي شيبة، وبعضهم ذكرها بلاغا كالشافعي، كما ذكرها المؤرخون والإخباريون وكتّاب السير، وذكرها الفقهاء -ومنهم ابن قدامة صاحب "المغني"-، كما ذكرها المؤلفون في الأحكام السلطانية كالماوردي، ويذكرها الفقهاء عادة عند حديثهم عن أحكام الخوارج أو البغاة.

والمقصود أن هذا ما قالت به المذاهب الأربعة وغيرها، وذكروا أنه رضي الله عنه علم الأمة كيف تعامل الخوارج لا البغاة كما علم الصديق كيف تعامل المرتدين.

ولما تحيز الخوارج وسفكوا الدم المعصوم أرسل إليهم أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حبر الأمة ابن عباس لمناظرتهم، فناظرهم ورجع منهم الآلاف، فمن الذي ذهب إلى "داعش" وناظرهم؟

والمهم أن لهم حقوقا لا تسقط شرعا وإن غلوا أو أساءوا.

٣- الاتهامات الباطلة كقولهم إنك إرهابي أو تدعم الإرهاب أو تحرض عليه أو تثير الفتنة، أو خارجي أو تنتمي إلى تنظيم محظور، أو تريد قلب نظام الحكم، أو أنك اليوم محافظ وغدا ستكون متطرفا ثم تكون إرهابيا، وأشباه ذلك مما يصح أن يسمى "إسلاموفوبيا غربية"، وهل كل من أبدى رأيا مخالفا لما يرون يكون متهما؟

أوليس فرعون هو الذي قال: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩]، أما رسول الله ﷺ فقد قال: (أشيروا علي أيها الناس)،

وقال: (إنما أنا بشر أقضي بنحو ما أسمع، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من الآخر) الحديث.

٤- الإصابة بمرض "عقدة الخواجة"، وهو مرض تفشى في كل الوزارات والمصالح، وعندنا هنا نماذج منه، ومما رأيته بعيني أن الجسور التي أقامها سلاح المهندسين الأمريكي اجتاحتها السيول وكأنها ورق، ولم يحاسبهم أحد على ذلك، ولو كانوا مواطنين لاتهموهم وحاسبوهم.

فلم تعد القضية قضية إتقان بقدر ما هي قضية من المنفذ وكم تكلفة المشروع؟ فالذين يذكرونها لبيان الانحراف في المجتمع ليسوا مخطئين.

٥- محاصرة الشباب من كل جهة، وهم طاقة لا بد أن تجد لها منفذا، وماذا سيخسر الذاهب الذي لا عمل له، بل تلهب ظهره هذه المنكرات وتدغدغ غرائزه هذه القنوات، وهو يسمع الكلام من الحكام والعلماء يرى التناقض، ويرى أن كتب العقيدة والدعوة في واد وحالة الناس في واد آخر، ويقال له يجب التمسك بالكتاب والسنة والمحافظة على الهوية، وأمثال ذلك من الشعارات، ثم يرى أن واقع الشعب والحكومة بعكس ذلك، وهذا التناقض الصارخ يوقعه في أزمات نفسية يظن أن المخرج منها هو المغامرة والسفر لمواضع الموت.

ومعلوم أن الظلام لا يحتاج لمولِّدات، بل حسبك إطفاء النور، والنور هو العلم والدعوة، وقد منعوها عمن لا يريدون.

٦- اعتبار بلاد الحرمين جزءا من العالم وانضمامها لهيئة الأمم المتحدة، مع أن هذه الهيئة تعادي الإسلام، ويتحكم فيها الطواغيت الخمسة، وتتهم المسلمين بالإرهاب، وتنشر القيم الغربية في العالم، وتتهم معاداة اليهود بمعاداة السامية!

٧- انتشار التغريب بكل مظاهره، ولا سيما في صروح العلم، ولعل أوضح مثال لذلك هو جامعة "ثول"، وإنشاء كليات للحقوق أو اقساما للقوانين حتى في الجامعات الإسلامية، بل في مدن ليس فيها كليات للشريعة

أصلا.

٨- الجهل بأحكام الجهاد، ويستوي في ذلك جماعات الغلو والحكومة.

٩- حديث الإعلام الدائم عما يسمى الوحدة الوطنية، مع أن في الوطن من يجب عداوته والبراءة من عقيدته.

١٠- سوء توزيع الثروة والتفاوت الهائل بين الناس، فالأغنياء يزدادون غنىً، والفقراء يزدادون فقراً، والمترفون يشكون التخمة، والفقراء يشكون الفاقة، وبعض الناس يملك طائرات أو يتحكم في الطائرات العمومية، ويملك المليارات، ويركب السيارات المصفحة بالذهب، ولا يدفع أي فاتورة، والضغط دائما على الفقير المعدم، وهو الذي تتجرأ عليه البلديات ولجان التعديات، وهو الذي يدفع الضرائب للأغنياء، والفقر هو الغالب حتى في المدن الكبرى ذات العمارات الشاهقة.

وقد قال صالح الراجحي صاحب مؤسسة الراجحي في كتاب له أو عنه إن من كان راتبه أقل من خمسة آلاف يستحق الزكاة، فكم من المتقاعدين من لا يجد ذلك فضلا عمن لا عمل له ولا وظيفة؟

١١- القول بأن الأمر يرجع للشعب في اليمن أو بلاد الشام، والواجب هو تذكير الحكام والشعوب بأن الأمر يعود للكتاب والسنة في كل شيء، وأنه لا يجوز نبذهما وتحكيم القوانين الوضعية، إذ ذلك ناقض من نواقض الإسلام ولا تقبله الشعوب.

١٢- لا وجود لتداول السلطة والقرار، فأمراء المناطق كلها من أسرة واحدة، والسلطة التنفيذية هي المحكّمة، وصاحب السلطة يبقى فيها إلى أن يموت، أو يتنازل بمحض إرادته، وكان في بعض المناطق أمراء مثل تركي الماضي، وفهد بن زعير وبتال المطيري، ثم إن ذلك اختفى.

١٣- إنساء المسجد الأقصى وعداوة اليهود، وقد كان حق ذلك برامج يومية توعوية وكتابة مستمرة في الصحف والمواقع، وانحصار التركيز على عداوة إيران فقط، وباعتبارها فارسية فقط، وإلغاء الجهاد.

١٤- تعرض المعتقلين للتعذيب بآلات رأيت بعضها بعيني، وبعضهم كشف آثار التعذيب في جسمه للقاضي، لكن فضيلته قال له: "أجل تبغى يعطونك حلاوة"!

١٥- تكميم الأفواه ومنع الكلمة الصادقة والنقد البناء وتعليم الناس النفاق.

١٦- وقوع كلا طرفي المشكلة في خطيئة داود عليه السلام، فلا الدولة تستمع للغلاة، ولا هم يستمعون للدولة، وداود عليه السلام كانت خطيئته على الصحيح أنه حكم لأحد الخصمين و لم يسمع من الآخر.

١٧- العدالة الانتقائية، فبعض الناس لا يحاكم أصلا، وبعضهم يعفو عنه، وبعضهم يطول سجنه بحسب المكانة الأسرية وبحسب الجنسية، حتى أن العامة يقولون "قل لي ما هي جنسيتك أقول لك بماذا سيحكمون عليك"، ويحكون أن أحد العاملين في المرور قال للمدير "طال عمرك وقع حادث"، فقال له المدير: حط الحق على الأجنبي، فقال: "الاثنين أجانب طال عمرك"، فقال: "حط الحق على المصري!".

١٨- تقسيم المسلمين لأول مرة في التاريخ إلى مواطنين وأجانب!

١٩ كثرة التقصير والخيانة، وحجب الحقائق عن الناس، خذ مثلا سقوط الرافعة، وحوادث منى، وكوارث السيول وأمثال ذلك.

٢٠- كثرة المخالفات الصريحة لكتاب الله كالربا والتبرج، ومنع الزوج من تأديب زوجته، والسماح للكفار بسكنى غير الحرمين، مع أن عمر ﷺ أجلاهم من خيبر ونجران، وأجمع على ذلك الصحابة، وكتب أحد الفقهاء كتابا اسمه "الفرج بعد الشدة في أن النصارى لا يدخلون جدة"، والتشبه بالكفار والنساء وغير ذلك.

٢١- التدخل في شؤون القضاة، مع أن ذلك ينافي ما قرره الفقهاء، ومنهم العز بن عبد السلام الذي قال: "القضاء ليس من شأن السلاطين"، وإلزام القاضي بأن يحكم بالأنظمة والمدونات أو الأوامر، مع أن الواجب هو

إحالة تلك الأنظمة والمدونات والأوامر إلى القضاة الأحرار لتصحيحها ومراجعتها.

لينظر كل عاقل: أيهما الفئة الضالة؟ أهم سجناء الرأي في سجن "الحاير وذهبان"، أم هم دعاة التبرج والاختلاط في قناة "العربية" مثلا؟

٢٢- المنع من التدين، وقد قال أحد الملوك السابقين لما رأى على ابنه مظاهر التدين "تبغى تسوي لي مطوع"، وقد حدثني أحد من هداه الله وكان لاعبا كرويا مشهورا أنه يصعب عليه الجمع بين التدين والنجومية الكروية، وأن أهل الشأن كانوا يعيرونه بأنه متدين ويقولون له يا مطوع على سبيل الاستهزاء، والشباب الذين احترفوا (ما يسمى الإرهاب) لا يستسلمون إلا لمن يثقون في دينه حتى من الأسرة الحاكمة نفسها، فالواجب على من يريد القضاء على الإرهاب هو الإكثار من المتدينين في الأسرة الحاكمة وفي الشباب، وهذا جربته بنفسي وعرفته عن يقين.

والحاصل أن دوافع الإرهاب تختلف، فمنها ما يعود لنفسية المفجر، ومنها ما يعود لطبيعة المجتمع، ومنا ما يعود لسوء معاملته، ومنها ما يرجع إلى العداوة الغربية المكشوفة للإسلام، وهي عداوة لا يركز عليها الإعلام،بل ربما لا يذكرها أصلا، وإنما تعترف بها المنظمات الغربية نفسها، ولو أن الحزب الجمهوري و"ترامب" يعلمون ما هو أكثر تأثيراً من "الإسلاموفوبيا" لجذْب الجماهير لسلكوه، فإذا كان المصابون بهذا الداء يعدون بالملايين، فماذا نتوقع منهم؟

وكل هذه الأسباب ترجع إلى الذنوب، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأعراف:١٠٠].

وإعمالا للنصوص ولإجماع الصحابة يستطيع المرء أن يجزم أن كثيرا ممن هو في "سجن الحاير" أو "ذهبان"، وغيرهما من الدعاة مظلوم، كالشيخ العلوان والدكتور سعود الهاشمي، والقاضي سليمان الرشودي، والدكتور موسى القرني، والشيخ عبدالعزيز الطريفي، والأستاذ عبدالرحمن بن صديق،

ومن لا يحصيهم العد، خذ مثلا الدكتور سعود مختار الهاشمي فهو مدرس في كلية الطب بجدة، غامر بحياته لكي يعالج المرضى في العراق بعد سقوط صدام، وكان الوضع الأمني هناك في أسوأ أحواله، وجمع التبرعات علنيا في التلفزيون السعودي، ولديه خطاب بالجمع من الأمير نايف، وهو من أهل البيت الشريف، وآل المختار في كثير من الدول، ولكن ذلك كله لم يشفع له في شيء!

وقارن حاله بمن ارتدوا عن الإسلام عياذا بالله، وبمن طعن في رسول الله ﷺ من الملاحدة، وكيف أنهم خصصوا برنامجا يستمر شهر رمضان كله لأحد المشككين في السنة؟

وكيف أنهم عرضوا برنامجا عن الحزب الشيوعي العراقي وقت الإفطار في رمضان سنة ١٤٣٧هـ، وكيف أن أحدهم قال بلسانه وعلى الهواء: "أنا لا أعتقد أن إيران عدوة لنا"، وأمثال ذلك من الضلالات، الأمر الذي ذكّرني بما كنت قرأته من قبل عن صدور أوامر ملكية تجعل عقوبة من يهين علم دولة صديقة بكذا، وإذا قارنت ذلك بعقوبة من ينشر الإلحاد وجدتها أغلظ، ومن الكفر الصريح قول الغريافي:

"واسألي يا بنت رب العالمين واسألي من أنزل الآيات والسور؟".

وقول الحربي: "منذ تبت وحتى نزول القناع".

وأمثال ذلك كثير، فمَن رب العالمين، ومن الذي أنزل الآيات والسور أو أنزل سورة تبت، وأنزل آيات الحجاب؟ وهل هذا يحتمل التأويل؟

وهل سمعت عن ليبرالي أو علماني أدخلوه سجن "الحائر" أو "ذهبان" مثلا؟

ومن الذي قال: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩]، وقال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩].

أما كفانا غفلة وسكوتا، ألم ينه النبي ﷺ عن الدخول على سلاطين السوء أو تصديقهم مع أنهم كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾

[المنافقون:٤]؟

وجزى الله خيرا الأستاذ عصام العطار الذي قال: بعض الناس يعيش للإسلام وبعض الناس يعيش على الإسلام!

حقائق عن الإرهاب ينبغي التنبه لها:

١- أن المنطقة لم تعرف الإرهاب قبل قيام دولة إسرائيل، فأصل الإرهاب هو هذه الدويلة اليهودية المسْخ، وهذا ليس كلامي وحدي، بل هو كلام من جرّب وعرف قبلي، أي الدكتور "محاضر محمد" رئيس وزراء ماليزيا السابق، وانظر إلى اغتيالات إسرائيل ليس في غزة وحدها بل في أوروبا وهجومها على المدارس في مصر مثلا! فهي الدولة الإرهابية الظالمة وليس المجاهدين في حماس والجهاد وشهداء الأقصى وألوية صلاح الدين وأمثالها.

٢- أن إرهاب "داعش" لا يساوي إلا ١% من إرهاب بشار واليهود والحشد الشيعي لكن الإعلام السعودي يسمي الحشد "القوات العراقية"، وقد جاء في جريدة الشرق الأوسط السعودية أن إيران أخطر من داعش بألف مرة، فهب أن في ذلك القول مبالغة وأن إيران وداعش متساويتان في الإرهاب فهل هما سواء في الحرب؟

وإذا كنتُ في نظر القوم إقصائيا أو متشددا فليدعوا قولي ولينظروا في قول سيدهم رئيس المخابرات الأمريكية أيام أوباما حين قال: "إن الخطر الحقيقي على استقرار العراق والأمن في المنطقة على المدى الطويل يأتي من ميليشيات الحشد الشيعي المدعوم من إيران وليس من تنظيم داعش".

٣- أن أكبر إرهابي في التاريخ وهو أمريكا إنما تضع جرائم القتل التي ارتكبها مسلمون في ذيل القائمة، بينما تضع جرائم المتطرفين الأمريكيين في رأسها، وانظر إن شئت القائمة التي أصدرها المباحث الأمريكية المسماة عندهم مكتب التحقيقات الفيدرالي "إف بي آي"، وصدق شيخ الإسلام

حين قال: "الشر في هذه الأمة أقل منه في غيرها".

وقد بلغت العدالة في أمريكا شأوا بعيدا وصل إلى حد أن أحد الشهود في قضية الشيخ عمر عبدالرحمن وضع يده على الشاهد الآخر وقال: هذا هو عمر عبدالرحمن! وحكموا على العجوز الأمريكية (عمرها ٧٠ عاما) التي تولت المحاماة عن الشيخ عمر بالسجن عشر سنوات!

فكيف يتحالف مسلم مع من هذه عدالته؟ بل كيف يعمل تحت قيادته بذريعة محاربة الإرهاب؟

وكيف تدعي أمريكا الحرب على الإرهاب وهي تحارب مع من تضعهم في قائمة الإرهاب مثل "حزب اللات" وقاسم سليماني؟

وكيف لا يكون الإرهابي هو الشيعي الذي جاء من أفغانستان أو بنغلاديش ليحارب تنظيم الدولة، بينما تحصره أمريكا في من يأتي من الدول السنية المجاورة للعراق كالكويت والسعودية؟

نعم، أخطاء الغرب وتضليله الإعلامي كثيرة، وتشويهه للتاريخ وتزييفه للحقائق لا ينكره أي عاقل في الشرق أو الغرب، غير أن ذلك لا يبرر أن يقتل المسلمون أنفساً بريئة معصومة، فديننا ينهانا عما هو دون ذلك وهو سب المسلم، فقد قال ﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)، وجعل عليه الصلاة والسلام أربى الربا (الاستطالة في عرض المسلم)، وحذر أمته أن يرجعوا بعده كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، وحرم قتل الذمي وقتل من لم يقاتل كالرهبان والأطفال، وغير ذلك من آداب الحرب الشرعية التي ليس هذا موضعها، ولكن الغرب وأتباعه إنما ينشرون ثقافة "الإسلاموفوبيا" ويتهمون المسلمين بما صنعوه هم، ومن أخطأ أو ضل من المسلمين فإنما يقتدي بالغرب، وكل من درس الاعتداء على الأبرياء والتعصب على المخالف يعلم هذه الحقيقة.

وفي الغرب آلاف التنظيمات وبعضها وصل للحكم وبعضها ينافس عليه فهي ليست شاذة.

كما قرأت أن عدد الميليشيات الأمريكية المطالبة بالاستقلال عن الحكومة الفيدرالية في واشنطن تبلغ أكثر من ٤٠٠ ميليشيا، وهي تنظيمات إرهابية معروفة، وتحدث الأستاذ أبو إسلام أحمد عبدالله عن التنظيمات الارهابية القبطية الكثيرة، هذا عدا الاتجاه الأصولي المنتشر في أمريكا وأوربا والذي يجهد لمعركة "هرمجدون" التي يشترك فيها أربعمئة مليون جندي، ويتألم لنجاح أي مشروع سلام أو الدعوة إليه، وقد تحدثت عن ذلك الموظفة في البيت الأبيض "غريس هالسل" في كتب ألفتها عنه، كما تحدثت عنه صحف أمريكية وإعلام امريكي، ولهؤلاء الإرهابيين وجود ظاهر في أمريكا حتى أن أحدهم "بات روبرتسون" كان مرشحا رئاسيا وكان منهم الرئيس بوش الذي غزا العراق وأفغانستان، ثم جاء دونالد ترامب المعروف.

وهم الذين كتبوا كتاب "رحيل الكرة الأرضية العظيمة"، وهمهم الأكبر هو إخفاق كل مشروعات السلام وقيام معركة هرمجدون!!

وكان على (العبرية) وأخواتها الانشغال بهم عن حماس والإخوان.

وممن كان يؤمن بهرمجدون الرئيس الأمريكي "ريجان" كما صرح هو بنفسه ونقلت كلامه "غريس" عندما كانت موظفة في البيت الأبيض، فمن الإرهابي إذن؟

وقد أنشأوا في أمريكا وغيرها تنظيمات صريحة في أسمائها مثل (الصليبيون الجدد)، وجيش الرب، وهناك تنظيمات كثيرة تتخفى أو يخفيها الغرب تحت اسم (الشعبويين)، ويقولون إن المسيح عليه السلام قال: "ما جئت لألقي سلاما بل سيفا"، ولكن لا يذكرهم المنهزمون.

هذا عن النصارى، أما اليهود فإن ربهم كما في توراتهم هو رب الجنود فالحرب سمة أساسية لهم، وكل تاريخهم هو تاريخ العنف، وعلى هذا العنف، قامت دولة إسرائيل ولا تزال إرهابية، ويقول الباحث الاجتماعي "ماكس فيبر" أن كلمة "إسرائيل" تعني شعب إله الحرب، فلماذا لا يتكلم الاعلام العربي عن إرهابهم؟ وكيف أصبحوا أصدقاء للسيسي ولقناة العبرية؟

وهل الإرهاب جائز إذا كان إرهاب دولة؟

ولماذا يعيبون على قناة عربية "الجزيرة" استخدام تعبير "ما يسمى الإرهاب" ويقولون إنها تعادي أمريكا بالحديث عن الأطفال في سجن غوانتنامو؟ وهل وضعت هيئة الأمم المتحدة تعريفا للإرهاب يمكن الالتزام به، أم أن تنظيمات الغرب ودوله كلها معتدلة إنسانية والإسلام هو الدين الارهابي الوحيد؟

أوليس من حق كل أحد أن يقول ما يسمى الإرهاب ما داموا لم يضعوا له تعريفا؟

وكيف يرى الغرب القذاة في عيون المسلمين ولا يرى الجذع في عينه؟

ونحن لا ننكر وجود البدعة والشر في المسلمين ولكن نقول عن اطلاع إن الغرب أكثر منا في ذلك وقد بيّن شيخ الاسلام في مواضع من كتبه أن "كل شر في المسلمين ففي غيرهم أكثر منه".

ونحن لم نؤلف كتبا مستفزة مثل كتاب (الله ليس أكبر)، أو كتاب (دفاع عن الاعتقال) أو نصور فلما عن حياة المسيح الجنسية، أو نسيئ لأي نبي قط.

وإنما الغرب هو أكثر شيء في الدنيا إرهابا وظلما.

وهو الذي رمى المسلمين من الطائرات وهم أحياء، فالمصدر الحقيقي تاريخيا لانتشار العدوان في الدنيا هو ما فعلته أمريكا حين كانت تصطاد السود من أفريقيا وتسميهم عبيدا، وقد بين النبي ﷺ حكم من باع حرا وأكل ثمنه، وقد قدّر المؤرخ الفرنسي "تزفيان ديروتوف" أولئك السود بمائة مليون إنسان، وبعضهم قدره بثلاثمائة مليون إنسان، وكثير منهم مات في الطريق، وحشروهم مسلسلين إلى أمريكا، وهناك يقطعون أقدامهم ويشغلونهم في مزارع الذرة والقطن، ويجبرونهم على شرب الخمر وأكل الخنزير والجيف.

أما أوروبا فقد استعمرت بلاد الإسلام وغيرها وأبادت كثيرا من

الشعوب كاملة، وظهرت في الغرب حركات ومذاهب تستحل قتل مخالفها ايا كان مثل حركة "الكوكس كلان"، وجيش الرب، وكنيسة الله، وغيرها مما لا يذكره الإعلام هنا ولا يتحدث عن عنصريته واعتباره المسلمين شياطين يجب قتلها.

وكانت محاكم التفتيش تجبر المسلمين على التنصر وإن أبوا قتلتهم، وكان الإسبان يجبرون مخالفيهم في أمريكا الجنوبية على الكثلكة، وأمثال ذلك مما ليس هذا موضع البسط فيه.

إرهاب الغرب:

الغرب المظلم هو منبت الإرهاب وأكبر داعم للتطرف، وفيه نشأت الألوية الحمراء، والكوكس كلان، وحليقو الرؤوس، والقبعات السود، والقمصان السود، والنازية الجديدة، وعصابات المافيا، واليمين المتطرف، والميليشيات الكثيرة، وقتل المخالفين وإغراق المهاجرين، وهو باعتراف أهله ومفكريه لديه أكثر من ألف تنظيم، وبعض متطرفيه وصلوا إلى الحكم ولهم أحزاب معلنة وحاضنة شعبية كبيرة، وهم يصرحون بمنع أسلمة أوروبا ويخرجون لذلك مظاهرات كثيرة، وتنتشر هناك موجة الإسلاموفوبيا، ومع ذلك وأمثاله يحصرون الإرهاب في الإسلام وحده.

وربما حصروه فيما هو أضيق كالدعوة السلفية التي يسمونها "الوهابية".

وإذا وقع انفجار في الغرب أشاروا إلى المساجد وقالوا إن السعودية أو أثرياء النفط في الخليج بنوا مسجدا قبل عقود، وصدق الله ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران:١١٨].

وقال سبحانه: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ [آل عمران:١١٩].

قال ابن عباس: "والله ما سمعنا أحدا منهم سأل المسلمين".

والعجب أن بعض المسلمين يحصل على درجة الدكتوراه في الفقه أو في الحديث من لندن!

والواجب على المسلمين هو الاقتداء بإبراهيم عليه السلام والذين معه الذين قالوا لقومهم الكفار: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [الممتحنة: ٤]، وحسبهم أن ديننا ينهانا عن ظلمهم وغشهم والغدر بهم، فنحن نحسن معاملتهم مع كراهيتنا لدينهم.

ثم إن الغرب أنشأ الدولة المسماة "إسرائيل" فبث الرعب في المنطقة، ونشرت الإرهاب بين أهل الأرض الأصليين، وكانت عصابات "شتيرن" و"الأرغوي" وأمثالها عصابات إرهابية -بالمعنى المتداول حاليا- ونشأ الحزب الإرهابي الرافضي الذي سماه الروافض "حزب الدعوة الإسلامية"، وفجر أتباعه مصافي النفط ومنشآته في المنطقة الشرقية، كما أن الإرهابي إبراهيم الجعفري خطط للتفجير في مكة أيضا، وبلغني أن المحكمة الشرعية الكبرى في مكة حكمت على الجعفري بالإعدام إذا قبضوا عليه، وهو الآن وزير خارجية العراق، وهو الذي هدد أتباعُه باغتيال السفير السعودي في بغداد "ثامر السبهان"، فسحبته الخارجية السعودية من العراق، وهو الذي اشترك معه عادل الجبير في مؤتمر صحفي واحد في بغداد وأثنى عليه معاليه!

والغرب كلما رأى قلة نسبة "الإسلاموفوبيا" فيه استنفر بعض المسلمين لعمل ما يشعلها، ويستهين بالإرهاب الذي يفعله غير المسلمين، ويتابعهم في ذلك الإعلام العربي.

ومن الاستفزاز نشر الصور المسيئة للنبي ﷺ، وإنشاء منظمات غربية تسمي نفسها "الصليبيون الجدد"، والأمريكيون لا يذكرون هؤلاء، بل يقولون إن مصدر أيديولوجيا التطرف هي رغدان ووادي مهور، ويقولون إن التوانسة والسعوديين هم أكثر المقاتلين مع داعش، دون الحديث عن السبب في ذلك، وعن أثر سياسة تجفيف منابع التدين وسجون بن علي، ومثل ذلك سوف تخرجه سجون السيسي، كما خرجت جماعة شكري من سجون عبدالناصر.

ولا يذكرون جرائم الروس ضد المسلمين كما في القرم وتتارستان

والشيشان وداغستان وغيرها من مناطق باب الأبواب حيث يفرضون اللغة الروسية والمظاهر الأرثوذوكسية، فأين التنوع الثقافي المزعوم؟

أما الصين، فقد رصدت جوائز سخية لمن يدل الأجهزة الأمنية على رجل ملتح أو امرأة محجبة، ويرغمون المسلمين على الإفطار في رمضان والدخول للمسجد بالبطاقة، وعلى نهجهم يسير إخوانهم في بورما ضد الروهينجيا.

والديمقراطية التي يريدها الغرب هي ديمقراطية حزب "بهاراتيا جانتيا الهندي" الذي يقول علنا أنه يريد الهند دولة هندوسية فقط.

والغرب الجائر يتحدث عن تنظيم أو تنظيمين لدى المسلمين، ويسكت عن الإرهابيين الذين يبلغون عنده آلاف التنظيمات، وبعضها مع استخدام السلاح والعنف يطالب بالاستقلال علنا، مثل ميليشيات ميتشيجان في أمريكا، وممن سكتوا عنه: النرويجي الأبيض النصراني الذي قتل ٩٠ شخصا غير من أصيب، ومثله "تيموثي ماكفي" في أوكلاهوما الذي قتل أكثر من (١٦٠) شخصا غير من جرح.

بل إن الجماعات المتطرفة في الغرب قد تصل إلى الحكم ولها وجود علني في البرلمان الأوروبي، وما مثال "ماري لوبون" في فرنسا عنا ببعيد.

وأفظع من ذلك أن الغرب نفسه يفجر وينسب ذلك لأعدائه، مثل تفجير قطار روما الذي قتل فيه ٨٥ شخصا، وقالوا إن الذي عمله هو الألوية الحمراء اليسارية.

وربما هيأ الغرب نفسه لوقوع بعض التفجيرات كما هيأ الصومالي محمد عثمان محمد نور أو الباكستاني رضوان فردوس.

واليهود أحرقوا عائلة "الدوابشة" حتى الطفل الرضيع، ومر عليهم الإعلام مرور الكرام!

وانظر من الذي يُغرق الآلاف من المسلمين في البحر الأبيض، ويعلن بصراحة السماح لليهود والنصارى وحدهم بالدخول إلى بلاده.

ومن يقول إن هؤلاء المهاجرين المساكين يريدون أسلمة أوروبا.

وانظر كيف برر الاتحاد الأوروبي علانية منع الأتراك من الانضمام إليه بأن أوروبا نصرانية والأتراك مسلمون.

وضد أي عقيدة أصدر الكونجرس الأمريكي قانون "جاستا"؟

وضد أي دين يقف "ترامب" وأوامره التنفيذية؟ ومن هي المجتمعات التي استهدفت قوانينه مواطنيها؟ ومنعتهم من دخول أمريكا.

والشواهد على ذلك تفوق العد، فلنعد إلى نشأة ما يسمى الإرهاب عند المسلمين:

لما قام الجهاد في أفغانستان ضد السوفييت هرب إليه مجموعة من منظمة الجهاد المصرية وغيرها، ثم اشتهر الشيخ عبدالله عزام رحمه الله باعتباره مؤسس قاعدة الجهاد، والشيخ إنما استفاد من المنظمات الفلسطينية مع المنظمات الأفغانية، ووجد بغيته في الشجاعة التي أبداها المجاهدون العرب هناك لا سيما الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله ومن اتبعه، ومن هؤلاء نشأ "تنظيم القاعدة"، ولما احتل "بوش" الأب الخليج، كان أسامة بن لادن وتنظيمه لا يزالون يحترمون رجال الأمن السعودي، بل إن الشيخ أسامة عرض مساعدته على الأمير سلطان، وكانت السياسة الأمريكية آنذاك مع المجاهدين ضد السوفييت، وكانت التبرعات للجهاد الأفغاني تجمع علانية في المساجد.

ولما احتل "بوش" الابن العراق نشأت المقاومة العراقية، وهي عمل مشروع تقره شرائع السماء، وتقره شرائع الأرض، وهنا بزغ نجم "أبو مصعب الزرقاوي" رحمه الله، وأبلت المقاومة العراقية بلاء حسنا في جهاد المحتلين، وفوجئت أمريكا بما لم يكن لها في الحسبان، وبعد القاعدة ظهر التنظيم الذي أسمى نفسه "تنظيم الدولة الإسلامية"، وبعد أن كانت القاعدة مجرد حركة أصبح التنظيم الجديد دولة أعلنت أنها خلافة على منهاج النبوة!

ولكي تنتقم أمريكا من المقاومة السنية ومن مدينة المآذن "الفلوجة"

وأمثالها أنشأت ما سمي "التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب"، واستبدت أمريكا بقيادته وانفردت بتوجيهه، وخضعت لذلك بالطبع المنظمة الدولية المسماة "هيئة الأمم المتحدة".

وباختصار شديد نقول: إن تنظيم "داعش" إنما نشأ كإحدى نتائج العدوان الأمريكي على العراق، ذلك العدوان الذي تسبب في إيجاد حاضنة شعبية لداعش من أهل السنة في العراق، لا مشاركة منهم في أيديولوجية التنظيم ولا حباً فيه من كثير منهم، ولكن لأنهم وجدوه أخف من ميليشيات بدر وسوات وأمثالها من ميليشيات الرافضة وما يسمى "الحشد"، حتى أن بعض الشيعة كالصدر ورئيس وزراء العراق "العبادي" نفسه ينكرون انتهاكات الحشد ويخافون من عواقبها، ويصرح العبادي بأن الحشد لن يدخل منطقة كذا!

ولئن كان "جواد كاظم" المالكي المتسمي "نوري" و"حيدر العبادي" ينتميان إلى "حزب الدعوة" الشيعي، فإن "إياد علاوي" شيعي علماني، كما أن "مقتدى الصدر" شيعي عربي، يتزعم التيار الصدري، ويعادي المالكي كثيرا، وهكذا ألقى الله العداوة والبغضاء بين الرافضة كما ألقاها بين اليهود من قبل!

ولا مانع لدى الغرب أن يصنع بعض الإرهابيين على عينه، أو يقتل بعض مواطنيه من أجل نسبة الإرهاب إلى المسلمين.

ومن السهل جدا عليه أن يكتب على الطرف المفخخ "الله أكبر"، أو يقول إن المفجر مسلم من أصل أفغاني أو مصري أو تونسي.

وقد قالت "هيلاري كلينتون" التي كانت وزيرة للخارجية الأمريكية إن أمريكا هي التي أوجدت "داعش"، وقال "ترامب" إن الذي صنع "داعش" هو "أوباما"، ويقول "الجيش الحر" وغيره إن بشار هو الذي أوجدها، والذي نجزم به هو أن الداعشيين ليسوا صنفا واحدا، وأن دواعش الشام غير دواعش العراق، وأن مقاتلة "داعش" للمجاهدين في بلاد الشام لا تجوز، وإنه لا يجوز

أن يسافر إلى ذلك التنظيم أحد، وأن الأمريكان والروس وإيران يوجهون أعماله لخدمة سياستهم، وأن كثيرا من أعماله تصب في مصلحة بشار والأمريكان والأنظمة، وأن الأولى به أن يقاتل اليهود والروافض، أما المجاهدون فيناظرهم بينه وبينهم، وأنه لا يجوز محالفة الكفار لحرب هذا التنظيم حتى لو كان كله من الخوارج فعلا.

ونقول: إن أصل كل إرهاب هو أمريكا وإسرائيل، وإن أمريكا هي الدولة الوحيدة التي حكمت عليها محكمة العدل الدولية، وإنها رفضت التوقيع على اتفاقية عدم الإبادة لّما وضعوها، كما رفضت التوقيع على اتفاقية حقوق الطفل، كما لم توقع على اتفاقية حقوق الإنسان حين وضعها، وإنه قبل أن يحتل الأمريكان العراق كانت إسرائيل قد دمرت المفاعل النووي العراقي، فاغتالت "أوزيراك" دون أن تراها الإيواكس، التي تستطيع أن ترى ما هو أدنى من ذلك وأبعد!

دع الاغتيالات الأمريكية فهي تشمل كل قارات العالم وتزيد عن (٣٠)، منها: اغتيال "سلفادور الييندي" في تشيلي، واغتيال "أولف بالمه" في السويد، واغتيال "ضياء الحق" في باكستان، واغتيال "لومومبا" في الكونغو، وهي التي اغتالت أيضا أسامة بن لادن رحمه الله، ولا يزال المبتعثون السعوديون يُغتالون فيها!

وهكذا تكون أمريكا مثل مشركي قريش الذين قالوا إن القتال في الشهر الحرام لا يجوز، ونسوا ما هو أكبر منه وهو الكفر وإخراج المؤمنين من المسجد الحرام.

ومع أفعالها التي يعلمها القاصي والداني، تريد أن تعلّمنا العدل كما قال الأستاذ فهد العرابي الحارثي، وترسل لجنة خاصة قابلت وزير العدل السعودي "العيسى" للتقصي عن حقوق الإنسان في السعودية!

أما اغتيالات إسرائيل فهي تشمل تونس ولبنان وأوغندا وغيرها.

والإرهاب عند هاتين الدولتين الإرهابيتين محصور في "داعش"

و"القاعدة" فقط!

كما أنه من الخطأ استنكار ما يحدث من تفجيرات في سينما باريس (وماذا في سينما باريس)، مع ترك إنكار ما يحدث في المسجد الأقصى من اقتحامات اليهود اليومية، ونجزم أن الفكر خير ما يواجه به هو الفكر، أما مواجهته بالقوة فهذا هو ما يريده الغلاة، وقد أثبتت الأحداث إخفاقه، ولا يستفيد منه إلا تجار السلاح، وأن مفهوم الجهاد في الإسلام أوسع من مجرد القتال، كما هو موضح في مبحث "الجهاد"، وأن البديل عن تنظيم الدولة ليس هو الأنظمة الرافضية ولا الأنظمة المستبدة، ولا تأييد اليهود والنصارى، وأن الاستقرار المنشود ليس هو استقرار أصحاب الفواحش والمنكرات والخبائث.

هل السعودية تدعم الإرهاب؟

يزعم الغرب أن السعودية تدعم الإرهاب، وعلى ذلك أصدر الكونجرس الأمريكي قانونه المسمى "جاستا" استنادا إلى أنها دولة وهابية كما يقولون، والوهابيون كما يسمون تكفيريون يستحلون دماء الآخرين عندهم، والوهابية عند مراكز البحوث الأمريكية مثل "مؤسسة راند" وعند الإدارات الأمريكية المتعاقبة جزء من التدين الأصولي المتطرف، وهي السبب في ظهور القاعدة وداعش، ويتبع الغرب في هذا الزعم الروافض حتى داخل السعودية، ويساندهم في ذلك كل من يصف المتدينين بأنهم أصوليون أو إسلامويون شعر أو لم يشعر وهذا عندي محض افتراء لم يتفوه به أي مسؤول سعودي، ولدحضه أجوبة عدة منها:

١- أن الغرب يضغط بشدة لتغيير المناهج في السعودية وصرفها عن عقيدة أهل السنة إلى أي عقيدة أخرى، وهي مناهج تبين أنواع الكفر وأنواع النفاق وتحرم قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

٢- أن أحفاد كلا الرجلين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد

بن سعود رحمهما الله ليسوا مثلهما، فبعض آل الشيخ ينشر إلحاده علنا، وآل سعود فيهم الصالح والطالح.

٣- أن السعودية في الحقيقة لا تنسب نفسها لعقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وليس في نظامها الأساسي ما يدل على ذلك أو يشير إليه من قريب أو بعيد، ولا أي عقيدة أخرى، والسعودية لم تجاهد الرافضة منذ أن هاجمت كربلاء والنجف قديما، وقد صرح عبدالرحمن الراشد في قناة العربية بأن الحكم السعودي تسلق على الدين للاستيلاء على السلطة، بل صرح أحد ملوك السعودية السابقين بأنه ليس "وهابيا"، ومن جاء بعده يقول بلسانه لسنا طائفيين ولا مذهبيين، وقد نفذوا هذا المبدأ عمليا، فمنعوا تداول "الدرر السنية" والطبعة الأصلية من فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، وإذا ظللنا أو بقينا بهذه السذاجة والغفلة فسوف يمنعون فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ محمد بن صالح العثيمين، وقد سموا الجامعة باسم "الإمام محمد بن سعود" وهو إمام لا شك، ولكن خير منه الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

والسعودية حسب التصنيف الأمريكي دولة معتدلة، والوهابية كما يسمونها حركة متطرفة حسب التصنيف الأمريكي نفسه، فكيف يجتمع هذان؟

وأمريكا نفسها في القرن الحادي والعشرين ليست على ما كتبه أو قرره المؤسسون من أفكار عصر التنوير في القرنين ١٧ و١٨، فكيف تكون السعودية على ما كتب محمد بن عبد الوهاب؟

نعم دعوة الشيخ محمد هي مصدر شرعية النظام السعودي، ويوافقها النظام في بعض القضايا، ولا يصادمها، ولكن فرق بين أنه لا يصادمها وبين أنه لا يعاقب من يطعن فيها، ولكل دولة في العالم عقيدة أو فلسفة أو فكرة أو أيديولوجية تستمد منها شرعية بقائها، ولا يخص ذلك السعودية، وقد صرح وزير الخارجية السعودي أن السعودية تقف في مسافة واحدة من كل الطوائف في العراق، فكيف تتركون قوله وتتبعون ما في كتب الشيخ محمد

بن عبدالوهاب المتوفى قبل قرون؟

وللسعودية مفهوم خاص عن الدين وعن الدعوة ينبغي تحديده أولاً ولو بطريق الاحتمال، ولو أنها على نفس ما قرره الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما دخلت تحت قيادة أمريكا أصلا، والشيخ محمد بن عبد الوهاب يدعو للبراءة من أعداء الإسلام وله كتاب خاص في الرد على الرافضة، فكيف تساوونه بمن ينضم للتحالف الدولي، ويقول الرافضة إخوة في الوطن ويعاقب من يثير الخلاف بين طوائفه بالسجن كما ينص نظام مكافحة الإرهاب!!

وهكذا يجب النظر في كل دعوة، فليس الشيوعيات كلها هي شيوعية "ماركس"، وليست كذلك الوجودية ولا البنيوية ولا الحداثة الأدبية، كما أن البروتستانتيات ليست واحدة.

وبعض من ينتسب للسلفية اليوم ليس سلفيا قط، خذ مثالا على ذلك: قطعة قماش علقتها إحدى الجماعات التي تدعي السلفية مكتوب عليها "الدعوة السلفية ترحب بقداسة البابا"! فهل هؤلاء سلفيون؟ وقس على ذلك من يقول إن "بول بريمر" ولي أمر، وإن بشار الأسد ولي أمر، وهكذا.

ولو أن أحدا عمل بتوصيات مؤتمر جروزني لما كان الإخوان والوهابيون -كما يسمون- يُعدُّون من الحركات السلفية!

فالسلفيات كثيرة "وكلٌّ يدعي وصلا لليلى"، والمفاهيم تتغير، وقد يتفق الناس في الشعار ولكنهم يختلفون في مفهومه عمليا وعلميا، مثل شعار "العلمانية"، فهو شعار واحد، ولكن تطبيقاته تختلف، فليست العلمانية التي نادى بها "هتلر" كعلمانية "ستالين"، ولا "روزفلت"، وليست "المبادئ الأتاتوركية" التي نادى بها "أتاتورك" هي نفسها التي كان يقولها "حزب السلامة الوطني"، ثم جاء حزب العدالة التركي بمفهوم آخر.

وأتباع دعوة الشيخ محمد انقسموا فريقين واختلفوا جماعتين، فذهبت مجموعة مع ابن بطي، ومجموعة مع ابن عمرو، وكل منهما يدعي السلفية، وبعد سقوط الدرعية اختلف كثير من أهل الدعوة في تكفير الدولة العثمانية

الذي لم يتعرض له الشيخ محمد مطلقا، كما اختلفوا بشأن قتل عبدالله بن سعود في الأستانة "اسطنبول حاليا" فقال بعضهم قتلوه مظلوما، وقاتلوه هم البغاة، وقال آخرون بل قتلوه تعزيرا لأنه خرج على ولي الأمر، ولو أن الدولة العثمانية سكتت عن كل خارج لاضطرب أمرها جدا.

وكتب الشيخ حمد بن عتيق في الرد على الخصوم رسالة "النجاة والفكاك من موالاة أهل الإشراك"، وعلى كلٍّ ظهر في هذه الدعوة المباركة غلاة ومتساهلون، والله هو الحَكَم العدل وكتابه هو المتبع وجوبا.

وقد اشتد الهجوم على الدعوة المسماة "وهابية" في القنوات والصحف السعودية أخيرا، وقد رد عليهم مجموعة من السعوديين منهم الدكتور منصور بن تركي الهجلة حامل شهادة الدكتوراه في القانون الصحي، وقد حدثني الشيخ "الهدية" رحمه الله رئيس جماعة أنصار السنة بالسودان أن الخرافيين هناك قالوا: الوهابية تركها أهلها في بلدها وأنتم هنا لازلتم متمسكين بها!

والمتهمون للسعودية بالإرهاب يتجاهلون أن السلفيات أنواع كثيرة في هذا الزمن، فيصدرون حكما انطباعيا مستهلكا، والعقيدة السائدة اليوم لدى أكثر السعوديين هي حب الدنيا والرفاهية الاقتصادية والوحدة الوطنية!! ومقارنة عجلى بين ما كتبه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وما عليه الواقع اليوم، ينطق بالحقيقة، وليست عقيدة الشيخ هي مجرد ترك بناء المشاهد ورفع القبور، فهذا جزء منها، وهي أشمل من ذلك وأوسع، كما أن هناك فرقا بين من لا يبني المشاهد معتقدا أن بناءها وسيلة للشرك بالموتى، وبين من لا يبنيها مسايرة لواقع الناس واستبقاء للشرعية ومراعاة للظرف السياسي.

وقد قال الرئيس الفرنسي "ميتران" إذا كانت جبهة الإنقاذ تريد إسلاما على النمط السعودي فلا مانع لدينا، وإن كانت تريد على النمط المتشدد فسوف نتدخل عسكريا في الجزائر!

وتدعي داعش أنها تسير وفق دعوة الشيخ، لكن مقارنة بين دعوة الشيخ ودعوتها تظهر الفارق بينهما.

ولذلك فإن الأمريكان لا يأخذون السياسة السعودية من شعارات بعض مسؤوليها إلا استهلاكية، بل من واقعها العملي ومن كلام عبدالرحمن الراشد وخالد الدخيل وخالد با طرفي وعثمان العمير وماجد التركي، ومن أفعال عادل الجبير الذي زار العراق وفق العلاقة مع حيدر العبادي، ومن أفعال الاستخباراتي أنور عشقي الذي زار إسرائيل!

ولذلك أيضا هرب محمد أسد و لم يهاجر مالك بن نبي.

وأنا -كاتب هذه السطور- قرأت كلام من قال إن العقيدة الوهابية أصبحت عبئا على الدولة.

صحيح أن في السعودية قناة للقرآن الكريم، ولكن فيها أيضا قنوات مخالفة للقرآن كـ"العربية"، وقنوات "إم بي سي" والروتانا وغيرهما، والقرآن الكريم يحرِّم الربا، والبنوك الربوية في كل شارع، والقرآن يدعو إلى التوحيد ولكن الرافضة يطالبون بالشرك بل إن في السعودية من هم أخطر من الرافضة وهم الإسماعيلية، بل كتب الليبراليون في السعودية أن سبب الإرهاب هو "التيمية" و"الوهابية"، وأمثال ذلك مما يؤكد قانون "جاستا" ويعرفه الأستاذ عادل الطريفي جيدا، أولم يصرح تركي الحمد بأنه يجب التخلي عن ابن تيمية و لم يعاقبه أحد؟

وصحيح أن في السعودية مساجد كثيرة، ولكن فيها أيضا هيئة للترفيه والسياحة قدوتها دبي!

وصحيح أن فيها موسم الحج، ولكن فيها أيضا مهرجان الجنادرية.

وصحيح أن فيها الكعبة، ولكن فيها أيضا مدائن صالح.

٤- لو كانت السعودية تدعم الإرهاب، لكان معنى ذلك أن التفجيرات التي وقعت في "القديح" و"أبها" وأمثالها من تمويلها أيضا، وهذا لا يقوله أحد.

٥- لو كانت السعودية تدعم الإرهاب لما كانت عضوا في التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب الذي تقوده أمريكا، ولما كانت الممول الأكبر لحرب

الإرهاب، بل ربما الوحيد الذي يمول مركز مكافحة الإرهاب، علما بأن الرئيس الأمريكي "باراك حسين أوباما" هاجم السعودية كثيرا، وحالف عدوها إيران، و"أوباما" كان مسلما ثم أصبح معمدانيا، وله أسرة معروفة في كينيا، وبعضهم يعتمرون ويأتون إلى مكة، وهو أيضا قانوني فهو أعرف بالوهابية من "ترامب".

٦- لو كانت السعودية تدعم الإرهاب لدعمت أكبر الإرهابيين في العالم وهم "نتنياهو" والميليشيات الأمريكية واليمين الأوروبي المتطرف، ونظام بشار، وما يقال عن أن السعودية تدعم إسرائيل عن طريق الإمارات لم يثبت حتى الآن.

٧- تقف السعودية مع عبد ربه منصور هادي ضد الحوثيين والمخلوع "علي صالح"، وتصف نظام هادي دائما بالشرعية استنادا إلى أن أكثرية الشعب اليمني انتخبته، ولم تفعل مثل ذلك مع "محمد مرسي".

بل لما اتهمت الحكومةُ المصرية الإخوان بالإرهاب اعتبرتهم السعودية كذلك، وفصلت من ثبت عندها انتماءه منهم، أما السلفيون فقد حظرت كتبهم أصلا، فكيف تكون داعمة للإرهاب؟

٨- لا يعرف للسعودية موقف واحد مخالف للإجماع الدولي والقانون الدولي وقرارات مجلس الأمن والأمم المتحدة.

أما دعوى الليبراليين أن المناهج السعودية تخرّج إرهابيين، فما هو إلا نوع من جلد الذات تكذِّبه التفجيرات التي حدثت في فلوريدا وبلجيكا وأوكلاهوما والنرويج التي قام بها نصارى بيض درسوا في مدارس نصرانية، وبعض المفجرين جاءوا من بلاد تقول إنها إسلامية، ولكن ليس في مناهجها شيء عن الإسلام، ثم من أين تخرَّج هؤلاء القائلون وماذا درسوا إلا هذه المناهج، ولو كانت إرهابية لكانوا هم إرهابيين، أم أنهم نافقوا تلك المناهج ولا يؤمنون بها؟

ولماذا تفسر المباحث الأمريكية ما عمله الأمريكي الذي هاجم ملهى

ليليا للشواذ في فلوريدا بأنه من أصل كذا في مجتمع كله من المهاجرين؟ وهل درس هذا الأمريكي مناهج وهابية أيضا؟

ولماذا لا يكون دافعه كراهية عمل قوم لوط؟ أم أن فاحشة قوم لوط مجمعٌ عليها بين الأمريكيين؟

والمعروف أن الذين يفجرون يحرمون المدارس فكيف تكون المناهج هي التي دفعتهم؟

وكان ممن يحرم المدارس: جهيمان، وإخوان بريدة، وأحمد قاسم الغامدي.

أما الإعلام السعودي فهو كتلة من المتناقضات يهدف إلى كسب المجتمع، مع أنه في الحقيقة لا يرضى الجميع لا سيما هذا الاستقطاب الحاد حيث أصبح الناس فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا نظر أهل الدين ومنهم العلماء والمشايخ المخدوعون إلى قناة القرآن وقناة السنة رضوا، وإذا نظروا إلى القنوات العكسية لم يرضوا، وكيف يتفق ما في "قناة القرآن" أو "مكة" أو "المجد" مع ما في "العربية" و"الإخبارية" وقنوات "إم بي سي" و"الروتانا".

وكيف يتفق القول بأن القضاء مستقل وأنه يجب احترام المفتي وأعضاء هيئة كبار العلماء مع القول بأن أهل الدين ورم سرطاني يجب استئصاله كما قرأت؟

وكيف لا يرد الإعلام السعودي على من يزعم إننا تكفيريون إرهابيون نستحل دم المخالف بدلا من إشغالنا بأحداث مضى عليها عقود، كحادثة "العُليّا" و"المحيّا".

خذ مثلا ما قالوا بعد تفجيرات "بروكسل"، فقد أخرج الله أضغانهم وأخذوا يتمحلون ويتكلفون لإثبات أن الوهابية وراء التفجير، فلم يجدوا إلا أن يقولوا إن السعودية بنت مسجدا في بروكسل عام ١٩٧٢م!

ولما وقع الاعتداء على البرلمان البريطاني قالوا إن فاعله بريطاني ولكنه

مسلم جاء إلى السعودية معتمرا قبل دهر، ولم لا يكون من حزبٍ بريطاني معارض؟

وهكذا يتمحلون ويتكلفون الذرائع على الطريقة التقدمية الديمقراطية! وهنا يسكتون حتى عندما ينشأ في أوروبا ما يسمى "فرسان المعبد" وهو اسم صليبي معروف! أصله "فرسان الهيكل" أيام الحروب الصليبية، وله مجلة ونشرات صريحة، دع الأحزاب اليمينية الصريحة التي انتعشت بقدوم ما سمي "الصديق الحقيقي للإسلام" كما يقال "دونالد ترامب"!

ولماذا لا يكون المسلمون في موقع المهاجم، بدلا من موقع الدفاع وردة الفعل إن حدث، ولماذا لا يكون الكفرة في قفص الاتهام وهم المعتدون والغادرون؟

وكيف يخاف أهل التوحيد من أهل التثليث أو الإلحاد؟

وكيف يوافق أهل القرآن قوما مرجعهم التوراة المحرفة وأصل الأنواع؟

وكيف تصبح أقوال عادل الجبير مجرد صدى لما يقوله "جون كيري" أو خلَفُه "تيلرسون" ويوسف العتيبة وضاحي خلفان؟

وكيف يحارِب اليهود والنصارى والباطنية عقيدةَ أهل السنة بالافتراء والتشويه، ويحاربها الإعلام السعودي بنشر التعري والدياثة والتشكيك؟

أم أن الطرفين يحاربان عدوا واحدا لكن يختلفان في الأسلوب فقط؟ كما أن بشار يلقي البراميل المتفجرة والروس يرمون المجاهدين بالطائرات والأمريكان يرسلون الآلاف من القوات الخاصة، فلكل أسلوبه ولكن العدو واحد.

ومن الخطأ قول الإعلام السعودي وتصريحات المسؤولين: (الدول الشقيقة) ويعنون بها الدول العربية، والدول الصديقة ويعنون بها ما عدا العرب لا سيما أمريكا وانجلترا ودول الغرب، فالشقيق هو المسلم أيا كان لونه وجنسه ولغته، أما الكافر فهو عدو وليس بصديق.

ومن يقول إن الدين ورم سرطاني لم ينشره في "نيويورك تايمز" مثلا، إنما

في "الوطن" هنا، (انظر عددها الصادر بتاريخ ١١/٩/٢٠٠٧م).

وبالطبع لن نكون أبدا يهودا ولا نصارى، ولكن هذا الكلام مِن صبّ البترين على النار فتزداد الفتنة ويزداد الإرهاب؟

وعلماؤنا وقضاتنا وطلبة العلم لدينا أجل من أن يكونوا ورما سرطانيا، بل هم صفوة المجتمع وخيرة الناس وأحرصهم على الأمن.

ومع هذه الأقوال الشنيعة، ومع منع الماء عن علمائنا الجلاء، إذا ذهبوا للديوان يقال اكتبوا وأنكروا سرا، فلماذا هذا الذل والشعب كله يحترمهم ومترلتهم عنده أغلى وقدرهم أرفع؟

وحاشا كرم الله أن يضيق الله عليهم إلى هذا الحد، إنما يجب عليهم تغيير الأسلوب والصدع بالحق، ومراعاة وجه الله وحده، وأن يعلموا أن المرء حيث يضع نفسه، وأن الحقوق لا توهب وإنما تنتزع انتزاعا، وأنه لا بد من المراغمة ودفع الباطل بالحق بطريقة أخرى.

والحاصل أن الفتن تعم، والإرهاب له أسباب عدة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥].

قال ابن تيمية: "إن الظالم يظلم فيبتلى الناس بفتنة تصيب من لم يظلم"، والسياسة المعاصرة بلغت حدا من التعقيد جعل السناتور "جون ماكين" يقول: إن تنظيم الدولة من صناعة نظام بشار.

وأنا أقول: إن صح ذلك في بعض فئات التنظيم، فإنه لا يصدق على كل أحد، وإن صح أن التنظيم كله صناعة فلا يعني ذلك دوام الإنفاق عليه وإملاء الأوامر عليه، كما أن الصناعة لا يشترط لها العمل المباشر فقد تكون بتهيئة الوسائل وإذكاء الأسباب وأمر العملاء ...إلخ.

والليبراليون يقولون عن كل من يبين العقيدة الصحيحة، إنه محرض على الإرهاب داعية للفتنة وشق الصف ...إلخ، ولو انا أخذنا بمعاييرهم لكان الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أكبر المحرضين على الإرهاب، والداعين إلى الفتنة والعاملين ضد الوحدة الوطنية، فهو يقول: "ومن الإيمان بالله الحب

في الله والبغض في الله، والموالاة والمعاداة في الله، فيحب المؤمنين ويواليهم ويبغض الكفار ويعاديهم".

ويقول: "وأهل السنة والجماعة يتبرأون من طريقة الروافض الذين يبغضون أصحاب رسول الله ﷺ، ويسبونهم ويغلون في أهل البيت ويرفعونهم فوق مترلتهم".

ويقول أيضًا: "صرف العبادة لغير الله شرك، كقول الصوفية يا عبد القادر وقول الرافضة ياحسين" وعلى هذا كان الشيخ محمد بن صالح العثيمين والشيخ عبد الله بن جبرين تلميذ الشيخ محمد بن إبراهيم.

واليوم نسمع الرافضة -ومنهم حسن نصر الله- يقولون إنهم يأخذون بثأر أبي عبد الله الحسين، ويعلق حزب اللآت "يا حسين" فوق منائر مساجد أهل السنة، ويدهسون الطفل من أهل السنة بالدبابة ويقولون إنه من أحفاد قتلة الحسين!

فمن الذي يثير الفتنة ويشق الصف؟

ومع الجرائم الكثيرة لهذا الحزب تجد من يدَّعون التوحيد يعطونه ما يعادل ١٥ مليار ريال، باسم إعطاء الجيش اللبناني، وقوات الأمن اللبنانية، وعلى غراره أنشأت إيران "أنصار اللات" الحوثيين في اليمن، وللحزب خلايا محلية في الشرقية والمدينة ومكة، بل حتى في الخطوط السعودية.

وقد أوعزت أمريكا إلى السعودية باعتقال "جواد مغنية" أحد أركان الحزب الهالكين فاعتذرت السعودية بأن ذلك يعرض سفاراتها ومصالحها للخطر.

وهذا صحيح فالرافضة لا يتورعون عن أي جريمة، ولكن الشرك بالله أكبر من ذلك.

وإذا قارنت بين ما كان عليه أواخر سلاطين آل عثمان وما عليه الدولة السعودية اليوم لم تجد فارقا، اللهم إلا في تغييرات لفظية يقتضيها الحال مثل تسمية "التنظيمات" الأنظمة.

وقد استعان عبد الله بن فيصل بن تركي بالإسماعيلية على أخيه سعود، ولو كان الذين فعلوا ذلك هم العثمانيون لأطال فيه المفترون جدًا، وقالوا هذا مخالفة للسلفية!

ونحن لا ندافع عما يسمى الإرهاب، لكننا ندافع عن العدل ونكيل بمكيال واحد للجميع، ولو أن المنظمات المتطرفة في الغرب التي يخفون اسمها فيقولون يمينية أو شعبوية كانت إسلامية لرأيت سيلا من الاتهامات يلاحقها، أما إذا كانت تبث أتباعها بين الناس وهم يحملون السلاح ويقولون نريد أن نقتل المسلمين، فهي تقوم بعمل وطني دستوري تبيحه الديمقراطية.

وقد تعرض أكثر من ١٠٠ مسجد في بريطانيا للهجوم فهل المسجد داعشي؟ وهل يسمح القانون البريطاني بإنشاء مسجد دون ترخيص؟ وإذا كانت هذه المساجد قانونية، فلماذا يهاجمونها؟

وكذلك الحال في أمريكا.

وهل الاعتداء على المساجد من فعل اليمين المتطرف وحده؟ أم أن هذا اليمين له ظروف موضوعية اقتضته وقوانين يختبئ تحتها؟ وله حاضنة شعبية قد تصل إلى النصف.

وأقول للشباب الذين يقتلون ويفجرون: أمر الله نبيه الكريم ﷺ أن يجاهد الكفار أولا بالقرآن ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٢]، وأن يكون أسلوبه مما يقبلونه ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل:١٢٥]، كما أمره بجهاد المنافقين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ [التحريم:٨]، أي: بنقض ادعاءاتهم وكشف شبهاتهم، فالجهاد ليس محصورا في القتال فقط، والمجالدة لا بد أن تسبقها المجادلة، بل ربما اكتفى بها الأنبياء، قال قوم نوح عليه السلام: ﴿يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا﴾ [هود:٣٢]، وجادل إبراهيم عليه السلام الكافر الذي آتاه الله الملك، وجادل موسى عليه السلام فرعون، وجادل المشركون النبي ﷺ، وسفه صلوات الله عليه أحلامهم وعاب آلهتهم، وهو في مكة، أما عيسى عليه السلام فقد رفعه الله إليه قبل أن يجاهد

الكافرين، وكانت دعوته كاملة بكشف شبهاتهم ومجادلتهم باللسان، وكان من أولي العزم الذين هم أفضل الرسل جميعًا.

والمسلمون كالجسد الواحد، ولا يصلح أن يكون الجسد ذراعًا لا عقل له.

وبعض الناس يتقحم الطريق ولا يعرف الصبر، ولا يؤمن بالتدرج ويوجب على كل مؤمن أن يقيم الدين كله ويلتزم شرائعه كلها، ويقيم حدود الله كلها وإلا جاز قتله، وهذا مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولأقوال أهل العلم، كحال من يُلزم الأتراك اليوم بإقامة جميع شرائع الإسلام وإلا جاز التفجير وإشاعة الفوضى في بلادهم، وقد نص القرآن على أن من المؤمنين من يكتم إيمانه وعلى أن المكره معذور، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "وكذلك الكفار ومن بلغته دعوة النبي ﷺ في دار الكفر، وعلم أنه رسول الله وآمن به وآمن بما أنزل عليه واتقى الله ما استطاع كما فعل النجاشي ولم يمكنه الهجرة إلى دار الإسلام، ولا التزام جميع شرائع الإسلام، فهذا مؤمن من أهل الجنة كما كان مؤمن آل فرعون وكما كانت امرأة فرعون بل كما كان يوسف الصديق عليه السلام" اهـــ.

ومن يفجِّر أو يقر هذه الأفعال هو في الحقيقة يخدم الغربَ، والسيسي الذي يأخذ المليارات من دول الخليج ويعطيها حزب العمال الكردستاني، ولست أدري كيف يُعطى الرز باستمرار! وكيف يساعد منظمة إرهابية شيوعية؟ وكيف يفرح إعلامه بما يحدث في إسطنبول من تفجيرات مع أن من بين القتلى سعوديين وخليجيين أي من الذين أعطوه الرز، نعم مَن يذهب للملهى ويشارك الكفار في أعيادهم يُعزّر، ولكن ليست عقوبته الشرعية القتل، وإنما يجب قبل ذلك تعليمه وإقامة الحجة عليه، أما عقوبته فهي من اختصاص القاضي الشرعي.

وهكذا الإسلام يبزغ كما تبزغ الشمس ثم يعلو كما تعلو الشمس في الظهيرة، ولو أن أحدًا استعجل إقامة الدين، مع أن الدستور علماني،

والأحزاب العلمانية قائمة، والبرلمان هو المتحكم وقد لا يوافق الشعب كله على الدين، وهذا ما أثبته الاستفتاء الأخير في تركيا، لكان استعجاله خطأ شرعًا وعقلا، ومن تعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه، ولا أعلم نوعًا من أنواع الفواكه تطلع ثمرته ناضجة.

ومن يفجّر نفسه ويحث الشباب على ذلك إنما يفطن إلى جانب واحد من قوة الكفر وهو قوته الصلبة ويهمل قوته الناعمة التي هي أخطر وأكثر ضررا، فهي كما قال ابن تيمية تستهدف القلوب ابتداء بينما القوة الصلبة تستهدف القلوب تبعا، ونص رحمه الله على أن انتشار الضلالات أعظم من استيلاء الكفار على بلاد الإسلام، فما تبثه العربية مثلا أخطر من لو أن الطائرات هاجمت السعودية.

ومن العجيب أن نتائج الغلو عكسية، فالغلاة يحاربون الأنظمة للتخلص منها كما يقولون، لكن الأنظمة الطاغوتية تستفيد من ذلك إذ تقول للجندي: أنت إما قاتل وإما مقتول، فيندفع لقتال الغلاة أشد ما يكون، ولو كان في نفسه غير مقتنع قبل ذلك!

فالإيمان القلبي والسعي لمعرفة الحق له اعتباره، ولا يظلم ربك أحدا.

وقد نهى النبي ﷺ عن سبِّ زيد بن عمرو بن نفيل بل شهد له بالجنة، وأنه لم يجد دين الله الحق ولو وجده لاتبعه، وكذلك نهى عن سب تُبّع وورقة بن نوفل، وتُبّع مات قبل الإسلام، وورقة مات قبل ظهور الإسلام، بل نهانا الله أن نسب اللات والعزى إذا ترتب على ذلك مفسدة، كأن يسب عابدوها الله تعالى فقال: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍ﴾ [الأنعام:١٠٨]، والله تعالى لا يكلف نفسا إلا وسعها كما في أواخر سورة البقرة، وهل استطاعت امرأة فرعون التي أثنى عليها القرآن أن تفعل أكثر مما فعلت؟

والنبي ﷺ نظر للأمر من جميع جوانبه، فلم يمنع عبد الله بن أبي أن يقول للناس يوم الجمعة "اتبعوا هذا النبي"، مع أنه كان في نفسه كاذبا، فربما صدَّق قوله بعض الصحابة فآمن عن صدق.

وكذا لم يعط الكفار فرصة أن يقولوا "إن محمدا يقتل أصحابه".

وقد أخذ بعض الخوارج على عمر بن عبد العزيز أنه لم يلعن فلانا وفلانا، فقال له عمر: متى آخر عهدك بلعن فرعون؟ قال الخارجي: لا أذكر أني لعنته. إلخ الحكاية.

كما أن هناك حالات غير القتال يمكن اتخاذها، وللمؤمن في ذلك سلف، منها:

١- حالة الحياد فلا نسب ولا نحب كما قال الإمام أحمد عن يزيد "لا نسبّه ولا نحبّه".

٢- حالة إيكال أمره إلى الله وقد كثرت في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١٥٩]، وقال: (وأمره إلى الله) كما ورد في الحديث (وحسابهم على الله)، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠]، ويمكن أن نستخرج ذلك من قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤].

٣- حالة الانتظار حتى يتضح الحال، ولما بلغ النبي ﷺ أن بني قريظة نقضوا العهد أرسل من يتأكد وانتظر الخبر اليقين وصالح الكفار عشر سنوات وانتظر منهم نقض الصلح.

٤- حالة التوقف وقول الله أعلم، كما توقف كثير من السلف.

والواجب هو أن ندعو لمن هو في طريق الإصلاح ونعينه عليه، لا أن نعين الغرب على تدميره، وكما يحرم التفجير في بلاد يسعى بعض أهلها لإقامة الدين، يحرم أيضًا دم كل داعية إلى الله لا سيما من كان مقيمًا في بلاد الكفر ولو كان فيه ما لا نقره عليه، وقد يباح جلد أحد وتأديبه ولا يباح قتله.

ومن اليقين عندنا أن نقل الناس من الكفر إلى الإسلام خير من بقائهم على الكفر ثم نتدرج في دعوتهم وبيان الحق لهم مكتوبًا أو منطوقًا.

والمجتهد بين الأجر والأجرين، والإيمان القلبي هو ما لا تدرج فيه وكذا ما استطاع المؤمن من الأعمال، وإنما يحرم ضد ذلك وهو أن تكون البيئة مواتية ويكون الليبرالي أو العلماني شاذًا لا قيمة له، فيجعل المتسلطون له قيمة ويولونه المنصب ويتيحون له أن يعمل ما أراد كما تراه في بعض الدول.

وقد جعل الله لكل شيء مقدمات، وجعل العذاب ألأدنى قبل العذاب الأكبر، وجعل لكل دعوة مراحل وذلك ما بينه الرسول ﷺ، فقد بدأ دعوته سرا ثم جهر بها ثم هاجر ثم جاهد ثم صالح ثم فتح مكة ...إلخ.

والنبي ﷺ لم يحطم الأصنام وهو في مكة، بل كان يصلي إلى الكعبة وفيها ٣٦٠ صنما، وإنما حطمها أولا في القلوب حتى كان عام الفتح فجعلها جذاذاً.

فالذين يستهدفون تركيا مثلا هم في الحقيقة يدعمون الغرب الصليبي الذي يقول علنًا عن اسطنبول "عاصمة البيزنطيين"، وعن الحكومة التركية "تنظيم أردوغان"، أما الصحف التركية المعارضة وليس الحكومية فتقول: إن أعداء تركيا في الخارج والداخل يريدون جعلها أندلس جديدة!.

ويقول "جون فيفر" في كتابه "الحرب الصليبية الثانية" (ص٢٠ من الترجمة العربية): "والبلد الذي أثار أشد المخاوف وأقض مضاجع العواصم الأوربية لم يكن المملكة العربية السعودية أو اليمن بل تركيا".

إلى أن يقول: "أصبحت تركيا العدو اللدود للإسلاموفوبيا".

بل قال الرئيس كلينتون: "إذا انطلقت صحوة من أنقرة فقد يكون القرن الحادي والعشرون قرن تركيا"، فلماذا تحاربون الصحوة؟

ومن المعلوم لكل أحد أن تركيا عملاق ناهض يصنع الدبابات والطائرات ويستطيع أن يستخدم ٤٠ رأساً نوويا في قاعدة "انجرليك"، وسكانها يبلغون ٨٠ مليونا فضلا عن امتدادها اللغوي والبشري خارج

الجمهورية التركية المعروفة، دع التاريخ الجهادي الماضي، ولذلك لا بد أن يستهدفها الإسلاموفوبيون، وبعد الانقلاب الفاشل فيها أعلنت القنصلية الأمريكية في أضنه أن تركيا أقفلت قاعدة أنجرليك، وقطعت عنها الكهرباء، فهي إذن المتحكمة في القاعدة.

وقريب مما قاله فيفرما قاله "جورج فريدمان" في كتابه "المئة عام القادمة"، فكيف يرضى مسلم أن يكون مع الإسلاموفوبيا؟.

وأنا أعرف بعض الأمريكيين الذين تركوا أمريكا وهاجروا إلى تركيا، وقالوا الحياة فيها أفضل... ويقولون إن الولايات المتحدة أفلست.

ويعلم المتبعون للسنة النبوية أن بعض الشرع قد تطبقه الأجيال القادمة، فالنبي ﷺ لم يخرج كل اليهود والنصارى من جزيرة العرب، وإنما أوصى بذلك أصحابه.

وليعلم كل أحد أن السياسة اليوم قد تطورت وتعددت أساليبها حتى أصبح أعداء الله يستخدمون من لا يشعر، ويدفعون المسلمين لتحقيق ما يريدون منهم، مع أجهزتهم الاستخباراتية والمكر الكبّار، قال تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦].

وكيف يعلم الكفار أن الاجتماع السري يعقد في البناء الفلاني وأن عدد الحاضرين كذا، ومنهم الرئيس فلان أو القائد فلان، إلا بإخبار من نحسن الظن به من المسلمين؟!

وفي الشرع من نحن منهيون عن قتاله كالحبشة والترك، والترك اسم يشمل الجنس الذي يسكن أواسط آسيا كله، ومنه المغول الذين استثارهم بعض جهلة سلاطين المسلمين آنذاك فاجتاحوا العالم الإسلامي ودمروا بغداد وقتلوا الخليفة، ولو لا لطف الله ثم هزيمتهم في معركة عين جالوت لاجتاحوا المسلمين كلهم.

ويحرم اليوم مقاتلة الدولة التركية المعروفة، وكذا كل مسلم فالمقاتلة تؤدي إلى القتل الذي جعله الله من المحرمات في وصيته العظمى، قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ إلى أن يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام:١٥١]، وإذا كان المسجد هو المستهدف كمسجد قوات الطوارئ، فالمصيبة أعظم إذ الغالب أنه لا يصلي فيه إلا المؤمنون فالتفجير فيه تنفير للناس من المساجد، وهذا ما يشعر به من كان يقيم في مناطق بعيدة.

وبعض المصلين ليس مقتنعا بالمنكرات، بل ربما كان عدوا لأهلها مؤمنا في الباطن، فكيف يحل دمه؟ وربماكان حاله حال من يكتم إيمانه من آل فرعون؟ وربما دفعه الفقر ليعمل في عمل غير مقتنع به؟

وبعض أعمال الإيمان أهم من الجهاد أو هي جزء منه، كالدعوة والحسبة وطلب العلم النافع، وبر الوالدين وغير ذلك.

وقد نص بعض العلماء على أن الحسبة آكد من الجهاد، وعللوا ذلك بأن الجهاد قد يكون منهيًا عنه لمن لم يحصل بقتله نكاية في الكفار، بل قتله مؤكد، وفي ذلك توهين للمسلمين، أما الحسبة فإنها مشروعة في كل حين!.

أضف إلى قولهم هذا أن في الحسبة محافظة على رأس المال، وهو آكد من طلب الربح إجماعًا.

ومن أسوأ الظن أن يسول الشيطان لبعض الشباب المندفعين لساحات الجهاد أنهم خير من الصحابة الذين كانوا يكرهون الموت بحكم الفطرة والجبلة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ [الأنفال:٥]، وانظر كيف تردد عبدالله بن رواحة في معركة مؤتة، وهؤلاء المساكين قد تظهر لهم الحقيقة إذا رأوا القذائف الصاروخية أمامهم والنيران تحيط بهم من كل مكان والموت وشيك، وربما زين الشيطان لأتباعه هذا الاندفاع وجعله نوعا من تمني لقاء العدو الذي نهانا عنه النبي ﷺ.

تنظيم الدولة الإسلامية، وتنظيم القاعدة:

أما تنظيم القاعدة فأعرف الشيخ "أسامة بن لادن" رحمه الله، كما قرأت ما كتبه وسمعت بعض أشرطته، وأعرف بعض أفراد التنظيم، كما أعرف الشيخ عبدالله عزام رحمه الله، وهذا التنظيم قابل للإصلاح، وجهادهم في أفغانستان مما يشكرون عليه، لا سيما في معركة "تورابورا".

وكذا اهتمامهم بالقضية الفلسطينية، ولا أعلم أنهم خوارج وإنما لديهم أخطاء في ترتيب الأولويات، وغلوّ في الجهاد، ولم يفجروا أول الأمر في بلاد الحرمين، بل كان الشيخ أسامة يعتبر رجال الأمن في السعودية إخواناً له.

ولما دخل صدام الكويت عرض الشيخ "أسامة" على وزير الدفاع في حينه أن تزوده السعودية بسلاح مضاد للدبابات -ذكره له- وهو يأتي بالشباب من أفغانستان للدفاع عن السعودية ومقاتلة العراقيين لو أرادوا التقدم للسعودية، وقال له: لا حاجة للقوات الأجنبية مطلقا.

وله محاضرات كان يلقيها في مسجد "بن لادن" بجدة وغيرها، بيّن فيها الواقع السياسي العالمي كما يعرفه أو يتصوره.

وتنظيم القاعدة الآن هو من يرد على تنظيم الدولة وأعلم الناس بهم.

ومما يؤخذ على تنظيم القاعدة تسرب فكر جماعة الجهاد المصرية إليه، واعتماده على كتاب المتسمي (عبدالقادر عبدالعزيز) عن الجهاد، وهو كتاب رجع صاحبه (إمام شريف) عنه، كما تسلل إلى تنظيم القاعدة بعض أعضاء المخابرات المصرية وغيرها، وكذلك وجد فيه بعض الغلاة بغيتهم، كما أن لتنظيم القاعدة أخطاء في التربية والإعداد ليس هذا محلها.

ومما يؤخذ عليه إصدار بعضهم لمجلة "الجهاد" التي فيها ما هو حق وباطل.

ولهذا -ولأسباب أخرى- كان رأيي آنذاك مخالفاً لسياسة الحكومة التي تجهز الشباب للذهاب إلى أفغانستان، بينما كنت أنا ضد ذهابهم.

وأما إيواء طالبان لهم فهو من الوفاء الذي تشكر عليه الحركة، وقد كف ملا عمر رحمه الله أيديهم عن العمل إلا بإذنه.

وأنا مستعد لإقناعهم ومناظرتهم بشرط امتناع القنوات والصحف عن الفساد، وإيقاف التهم عنهم.

ولي عليهم شروط سأذكرها لهم، علما بأنني لن أتوسط لأحد منهم بتسليم نفسه اليوم، فقد رأيت رأي العين أن الحكومة تريد أن تتخذ الوساطة جسرا لاعتقالهم مع أن بعضهم تاب وأقلع، والله تعالى يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِن قَبۡلِ أَن تَقۡدِرُواْ عَلَيۡهِمۡۖ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [المائدة:٣٤]، ولكن الحكومة خالفت كلام الله هذا وغيره، وسجنت من سلم نفسه وتعاون مع المحققين سنين طويلة، ولا يزال بعضهم في السجن حتى الآن.

وعملت ما هو أشد منه إذ أرادت استدراج أسامة بن لادن رحمه الله وخطفه في إحدى الطائرات، من خلال وعود وأماني قدموها للمجاهد محمد عمر رحمه الله، غير أنه فطن لما يريدون ولم يسلمهم بن لادن.

وأبطال "تورابورا" من حقهم التكريم لا السجن، لا سيما وأنهم لم يذهبوا إلى هناك إلا بناء على فتوى العلماء أن الذهاب فرض عين.

أما تنظيم الدولة الإسلامية فالأمر فيه مختلف، إذ لم أقابل منه أحدا قط، ولم أقرأ لهم كتابا، ولهذا فسوف يكون كلامي عنه قائما على أساس أنه كما يقول الإعلام الرسمي، أي أنه بكل طوائفه خارجي، وعلى هذا الافتراض الأسوأ سوف أناقشه استنادا إلى أعماله المعروفة، وإلى ما تنشره قناة الجزيرة عنه نقلا عن وكالة أعماق من اعترافات، بأنه هو الذي فجَّر، واعتمادا على مصادري الخاصة إذا أرسلت من عرفم وخبر أمرهم.

والله يعلم إنني إنما أريد المصلحة للجميع لا سيما أهل السنة والحُجاج والمعتمرون والمسلمون كافة.

وبالرجوع إلى عقيدة أهل السنة والجماعة أرى هذا التنظيم أقرب للحق من الرافضة ومن الأمريكان، وأنا قد فررت من القضاء ومع ذلك أجدني

مضطرا لأقول بعض ما أعلم، وأحكم بمقتضى ما بلغني فأقول:

إذا فرضنا أن هذا التنظيم بكل طوائفه خارجي فعلاً كما يقول الإعلام، فأنا لا أحكم عليهم حكما قاطعا حتى أسمع منهم مباشرة، و لم يبلغني أن أحداً من العلماء ناظرهم كما ناظر ابن عباس أهل حروراء وكشف شبهاتهم.

والخوارج على شرهم وفسادهم خير من الرافضة، والخوارج لا يكذبون ولا يستخدمون التقية التي هي النفاق بعينه، والنصيرية والإسماعيلية والدروز شر من الرافضة، بل إن كتب الرافضة تكفّر الباطنية لاسيما النصيرية، فللمسلمين مفهومهم عما يسمى إرهابا، وهذا المفهوم لا يتفق مع ما يعنيه به الغرب أو يقوله الإعلام التابع له.

والغرب وهيئة الأمم لم يضعوا حتى الآن تعريفا محددا للإرهاب، غير أن الغرب يرى القذاة في عين المسلم ولا يرى الجذع في عينه.

وأنا أعلم كثيراً مما يقوله هذا التنظيم عني أو يتهمونني به، ولكني لا أعامل من عصى الله فيَّ إلا بأن أطيع الله فيه -كما أوصانا بذلك السلف-، ومنهجي الدائم هو العدل والحق وأعفو وأصفح عن الحق الشخصي مهما كان، أما الأخطاء الشرعية فأقول فيها ما أرى أنه الحق. وقد كان رسول الله ﷺ لا ينتقم لنفسه قط، فإذا انتهكت محارم الله غضب أو جاهد، وهو ﷺ قدوتي كما أرجو، ونسأل الله أن يعينني على ذلك.

وقد قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]، فأسأل الله تعالى الأجر.

وقد حكى النبي ﷺ نبيا شجَّه قومه فمسح الدم عن وجهه وقال: (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)، كما ذكر الله تعالى في سورة يس من كتابه، قصة مؤمن آل ياسين الذي يقال إن اسمه حبيب النجار، فقال جل شأنه: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾

[فُصِّلَت:٣٤].

وممن قرأت أنه عفا عمن ظلمه شيخُ الإسلام ابن تيمية الذي كتب من سجن الاسكندرية يقول: "فلا أحب أن يُنتصر من أحد بسبب كذبه عليّ أو ظلمه أو عدوانه، فإني قد أحللت كل مسلم، وأنا أحب الخير لكل المسلمين، وأريد لكل مؤمن من الخير ما أحبه لنفسي، والذين كذبوا وظلموا فهم في حل من جهتي، وأما ما يتعلق بحقوق الله فإن تابوا تاب الله عليهم، وإلا فحكم الله نافذ فيهم"، وهذا هو موقف الشيخ رحمه الله لو عاش وقرأ لبعض المفترين اليوم، وأنه ليس سلفيا!!

ولم ولن أرد على أي مفترٍ من الغلاة أو الجفاة، بل أعفو وأصفح وأتوقع لهم العقاب من الله إن لم يتوبوا، ومن العقاب الذي توعدهم الله به: الذلة والغضب في هذه الحياة الدنيا، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ ﴾ [الأعراف:١٥٢]، قال بعض السلف: "هي والله لكل مفترٍ إلى يوم القيامة".

وحسبه هؤلاء قول من قال من السلف "كفى بالمرء نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله".

وقول القاضي شريح رحمه الله: "إن المظلوم ينتظر النصر والظالم ينتظر العقاب".

وما يقوله خصوم الدولة الإسلامية في "الإعلام الرسمي" هو عندي مجرد دعوى لا أصدقه كله ولا أكذبه كله، وعندي أنه لا بد من السماع من الطرفين لكي يكون الحكم عادلاً، فهكذا أمر الله تعالى عبده داود، وهذا يتأكد في زمان كثر فيه الافتراء والظن الكاذب.

وإنما وقع داود عليه السلام في الذنب لأنه حكم بعد سماع دعوى المدعي قبل أن يسمع خصمه، إذ قد تكون المئة نعجة كلها للمدعى عليه، وهذا هو ظاهر الآيات في سورة (ص)، ودع عنك الإسرائيليات، ونحن محكومون بالكتاب والسنة ولسنا حاكمين، ونحن متبعون ولسنا مبتدعين.

وكل ما أستطيع قوله الآن -وهو حق في نظري واجتهادي-: إن إعلان الخلافة من الاستعجال الذي نهينا عنه، وإن كل مسلم معصوم الدم، وإن تحرير المحافظات المحررة في بلاد الشام باطل، وأن الدعوة قبل القتال خطأ، وأن هذا التنظيم ليس شيئاً واحداً بل هو أقسام مختلفة، ولا أنصح أي شاب أن يذهب إلى هناك.

وأرجو من هذا التنظيم -إن كان فيه من يستجيب للرجاء- أن يقاتل اليهود ليجد المسلمين كلهم معه بإذن الله، فاليهود هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا بنص كتاب الله، وأن يحيِّد من الغرب ما استطاع ولا يستعديه، بل يدعوه ويصبر على الأذى في سبيل ذلك مهما كان، فتلك هي سنة الله وهي منهج الأنبياء الكرام جميعاً، كما أدعوهم ألا يفجروا في بلاد الحرمين ولا في بيوت الله، فالمفسدة بذلك متحققة.

ولا يعني هذا أننا غير مشتاقين لقيام الخلافة، وأن اليهود والنصارى ليسوا أعداءنا.

ومِن قَبْل قلت أو أشرت: "إذا كنا لا يمكن أن نحارب كل دولة أو نفجِّر في كل ولاية أمريكية -وهذا هو الواقع- فلماذا لا نعلن أن أية دولة أو ولاية لا تحاربنا فنحن نهادنها ولا نحاربها، ولا نفجر فيها ولا نقتل أحدا انتمى إليها، وحينئذ سوف نرى كثيراً من الدول الغربية والولايات الأمريكية تعلن الهدنة معنا كما أظن، فلا يبقى إلا الحكومات التي تأتمر بأمر اليهود في الغرب" وهذا جزء من السياسة الشرعية، يسحب البساط من تحت أقدام الغرب ويثير الاختلافات بينه.

والله تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [البقرة:١٩٠].

أما من كان يؤمن بولاية الفقيه، أو يدعو إلى إقامة الأضرحة في المعلاة والبقيع، فنعلن عداوتنا له وإذا استطعنا غزوناه في أرضه لاسيما رافضة الفرس "إيران"، وليس من العدل ولا من الترتيب الشرعي للعداوة أن نفجر في

الكويت والدمام وأبها ونترك "قم" و"طهران" كما يفعل بعضهم.

ولكون الخوارج لا يكذبون يروي عنهم بعض الأئمة ولم يرووا عن أحد من الرافضة قط، فالرافضة يكذبون على رسول الله ﷺ أو يطلبون من المحدثين الكذب عليه، وإذا قال إمام معتبر من أئمة الجرح والتعديل فلان رافضي وثبت ذلك ترك العلماء كل حديثه.

والإمام البخاري رحمه الله يروي في الصحيح عن "عمران بن حطان" وهو من الخوارج المعروفين.

وأهل حروراء لم يكفرّهم علي ﷺ، بل قال كما روى عبد الرزاق عن الحسن بن علي (من الكفر فروا) والصحابة الكرام على الصحيح، وهذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية فيهم، وكذلك سائر الفرق المخالفة لا نقول إن كل واحد منهم يكفر بعينه، وإنما نعتقد التفريق بينهم ونبين ما وقعوا فيه من الضلال ونكل أمر آحادهم إلى الله، وإنما يكفر بعضهم ببعض المقالات مثل قول بعض الخوارج إن سورة يوسف ليست من القرآن، وقول بعض الرافضة إن القرآن محرف، وحذَّر المسلمون من مقالات الكفر لا سيما ما كان من فلسفة أمم الشرك كاليونان والهنود والبوذيين والفراعنة والبابليين، دون الحكم بكفر المعين من المعتزلة مثلا.

وأنا مستعد لمناظرة هذا التنظيم إذا أتاح أهل الشأن له أن يأتي إلى مكة، لأني أنا لا أستطيع الذهاب إليهم، وبنفس الشروط السابقة، ونحن نقول ونعتقد حسب عقيدة أهل السنة والجماعة أن المسلم وإن أخطأ أو ابتدع أو غلا خير من المشرك أو الكافر، ولهذا لا يجوز التحالف مع الكفار لقتال المسلمين، فلا نتحالف مع أمريكا ولا غيرها، بل نحارب الكفر أكثر مما نحارب الغلو، هذا بالقتال وهذا بالجدال.

وإذا اضطررنا لمحاربة أحد نقاتله مستقلين ولنا الخطة والمبادرة، ولنا القيادة، ولنا أحكامنا الشرعية التي لا يشاركنا فيها أحد، ومنها أخلاقنا في الحرب.

ونحن أمة متميزة حتى في أبسط العادات الاجتماعية، كشرب الشاي مثلا، فنحن نشربه حارا، والأمريكان يشربونه مثلجا!

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن بعض الرافضة ذهبوا إلى بلاد المشركين فأسلموا، وكونهم مسلمين مبتدعة خير من كونهم كفاراً! كما ذكر في مواضع كثيرة أن الرافضة شر من الخوارج، ولذلك لا يجوز السكوت عن الرافضة بحجة الوحدة الوطنية، أو ضرورة ترك الفتنة المذهبية ولا أي حجة، بل يجب معاملتهم بالعدل والعلم، كما فعل الإمام أحمد والإمام عثمان بن سعيد الدارمي، وابن تيمية وابن عبدالوهاب.

وقال شيخ ألإسلام في موضع آخر: "الذي فيه نور وظلمة خير من الذي ليس فيه إلا ظلمة".

وقد غلا اليهود والنصارى في عزير وعيسى أشد مما غلا الخوارج، قال جل شأنه: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠].

ولهذا قال جل شأنه: ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [المائدة:٧٧].

والغرب اليوم لا يصنف كل من شعاره "الموت لأمريكا" إرهابيا، فالإرهاب عندهم محصور في أهل السنة فقط، وكذا الذين يضعون المسدس فوق رأس أردوغان ويقولون اقتلوا أردوغان، وهذا في المطارات والفنادق الغربية وغيرها.

وهذا أحد الأدلة على أنهم إنما يريدون الإسلام في الحقيقة، لكن يجعلون الإرهاب ستارا لذلك.

كما أنهم لا يمنعون مقدمات الإرهاب كلطم الرافضة أنفسهم، وإسالة الدم من رؤوسهم وتسميتهم أهل السنة "أحفاد قتلة الحسين"، حتى أن أطفال الرافضة يتعودون على رؤية الدم من الصغر، فكيف لا يقتلون القرشي أو الزهراني وكل رجال الأمن في العوامية؟

ويحاور بعض المشايخ اليهود والنصارى، فكيف لا يُحاور الغلاة من

المسلمين؟ وكيف تكون هناك علاقات مع "العبادي" ولا تكون علاقات مع الدولة الإسلامية؟ ولماذا لا يكون الإعلام الرسمي على الأقل مثل البنتاجون الأمريكي؟ فالبنتاجون يعترف بأن الحشد الشعبي شيعي كما سمته إيران، وأن أهل السنة مظلومون، وهكذا، وهذا ما لا صوت له ولا صدى في الإعلام هنا، لا في "إم بي سي" ولا في "العربية" ولا في قنوات الروتانا، بل هم هنا يتعمدون ألا يذكروا الشيعة مجرد ذكر.

ولا ريب أن الدماء أمرها عظيم، وأن المرء لا يزال في فسحة من دينه حتى يصيب دماً حراماً، وأن موسى عليه السلام قال عند قتله القبطي الذي كان عدواً كافراً لكنه لم يكن مستوجبا للقتل ويمكن دفع شره بما دون ذلك: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [القصص: ١٥-١٦].

ونهى النبي ﷺ عن ترويع المؤمن وسبابه فكيف قتله؟

وأمر إذا وقعت الفتنة أن يكون الإنسان عبد الله المقتول لا عبد الله القاتل.

والغرب اليوم يقول إن الاشتراكية الفابية أقرب للعقل من الماركسية الحمراء.

ولما طلبوا من سعد بن أبي وقاص ﵁ أن يقاتل في الفتنة امتنع وقال: "لا أقاتل حتى تأتوني بسيف له لسان يقول هذا كافر فاقتله وهذا مسلم فلا تقتله".

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ لما رأى ما جرى بعد صفين: "لله در مقام قامه سعد بن مالك (أي سعد بن أبي وقاص) وعبدالله بن عمر، إن كان خطأ إن خطبه ليسير، وإن كان صوابا إن أجره لكبير"، وكان سعد وابن عمر ممن لم يشارك في القتال.

وقد ثبت في السنة المتواترة أن الدعوة قبل القتال، كما أن العفو خير من العقوبة، ومن المعلوم لدى كل أحد أن أكثر أهل العراق والشام اليوم

جهال يجب تعليمهم ودعوتهم قبل قتالهم، وقد غيَّبهم البعثيون عن الإسلام كثيرا، وعندنا أن إسلام أستاذ جامعي في موسكو أحب إلينا من قتل جنرال كافر في الشيشان، وكثير من أهل الغلو رجعوا، بل رجعت جماعات بأكملها، وهذا من الشجاعة في الحق، ونرجو أن يستمروا في طريق الدعوة، وإذا قاتل المسلمون في سيناء جيش السيسي الذي رضي أن يكون غرقدا لليهود فذلك مفهوم، ولكن قتال اليهود أولى.

وينبغي أن نعلم أن الكافر لا يقتل لمجرد كفره، فمن الكفار من هو معاهد أو ذمي أو غير محارب، وهؤلاء لا يقاتلون، وقد بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه "الصارم المسلول"، كما بين أحكام الذميين والمستأمنين تلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى.

ومن الكفار من لا يجوز استهدافه أصلا، كالشيخ الهرم، والطفل والمرأة، والرهبان في الصوامع، وهكذا، وهؤلاء يحرم قتلهم استقلالا، وإنما يقاتلون تبعا أو إذا كانوا يعينون على قتل المسلمين.

وقد قال ﷺ: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة) ومعلوم أن المعاهد كافر.

وفي كل حال تراعى المصالح والمفاسد ويحيَّد من يمكن تحييده، ومن نهى رسول الله ﷺ عن قتالهم أو استثارتهم كالترك والحبشة لا نقاتلهم، وكم جرَّ على المسلمين من البلاء مخالفة النبي ﷺ باستثارة جنكز خان؟ والحبشة هم الذين يهدمون الكعبة آخر الزمان، وقد يقاتل المرء ثم يندم على القتال كما فعل علي رضي الله عنه وأبو وائل.

وإنما يُقضى على الغلو وعلى سفك الدماء المعصومة بالتوازن التام، والاقتداء المطلق والإيمان بأن النبي ﷺ "نبي الرحمة" وأنه أيضا "نبي الملحمة".

وهو ﷺ أرحم الناس، وهو أيضاً أشجع الناس، وهو الضحوك القتال، فيجب أن يكون هوانا تبعا لما جاء به، ولا بد لكل مسلم من الدخول في الدين كله والإيمان بالكتاب كله، ولا نكون كاليهود الذين قالوا: ﴿إِنَّ

أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْ﴾ [المائدة:٤١].

وإذا أظهرنا أحكام الإسلام بالعدل والحق والتوازن وأطلقنا الدعوة من أغلالها، ضعف الغلو، وقل اندفاع الشباب إلى المنافذ والمطارات لكي يلتحقوا بالجهاد -كما يظنون-، ولا نتحدث عن جانب الرحمة فقط مع أن ذلك حق، ولكن ليس وحده، أو حسْب فهمنا له، ولا نتحدث عن منهج الوسطية بغير علم، بل نتحدث عن الاعتدال بالتوازن حسب فهم السلف الصالح لهما لا حسب المفهوم الأمريكي.

وأعظم الجهاد هو اتباع منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، وهذا كتاب الله تعالى يحدثنا عن سيرهم وحياهم، وأفضلهم جميعًا محمد ﷺ، وأفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر كما في الحديث، والدعوة إلى الله كلها خير، فإما أن يهدي الله من يشاء أو تقوم الحجة على المعاند وكلاهما خير.

ويستطيع كل أحد أن يكون مجاهداً (أي مقاتلا) وأن يدير أعتى الآلات الحربية وأصعبها في أيام أو أسابيع. أما العلم فلا يستطيعه كل أحد، بل طالبه منهوم لا يشبع منه حتى يأتيه الموت، كما قال ﷺ: (منهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب مال)، ومن درر كلام الإمام أحمد رحمه الله: "من المحبرة إلى المقبرة"، كما أن طلبة العلم والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر في جهاد عظيم، لا ينبغي تركه والذهاب لبلاد لا يعرفونها، بل إن الواحد قد يفعل بذكائه ما لا تفعله الجيوش، فانظر كيف استطاع نعيم بن مسعود تفكيك التحالف بين بني قريظة والمشركين.

ومما ينبغي العلم به أن القتال لا يعني القتل دائما، بل صح في الحديث إطلاقه على مطلق المدافعة، كقوله ﷺ فيمن يمر بين يدي المصلي: (فإن أبى فليقاتله)، كما يطلق في القرآن على ما دون القتل كما في قوله تعالى عن المنافقين والذين في قلوبهم مرض: ﴿أُخِذُوٓاْ وَقُتِّلُواْ تَقۡتِيلٗا﴾ [الأحزاب:٦١]، وقد يكون ذلك بنفيهم وتغريبهم وإخراجهم.

ومن فصيح العامة قولهم "أعطيته قتلة" أي ضربته ضربا شديدا.

وإذا قاتل أهلُ الغلو الرافضةَ أو النصيرية فذلك خير، ولا نشارك نحن في القتال تحت قيادة الغلاة، ومن الغش الذي نُهينا عنه أن ندعو إلى التعايش بين المذاهب، ولا يجوز أن نقول نحن نريد الحرية والأمن لكل إنسان أيا كان مذهبه"، وهذا ما سمعته بنفسي من وزير الخارجية السابق هنا، ولماذا لا نقول للمذاهب الباطلة هذه باطلة؟ ومن ذلك الأديان الباطلة إضافة إلى اليهود والنصارى والمجوس وعباد الأصنام والصابئة والبهائية، والقاديانية، والنصيرية، والإسماعيلية، والدروز، والروافض، أما إيران فليست مشكلتها اقتصادية تتمثل في العوز والانكماش الاقتصادي، ولو كان ذلك وحده المشكلة لكنا نحن أجدر بها منها.

ومن حق الجاهل علينا ألاّ نبادر بتكفيره، بل نعلّمه ونقيم الحجة عليه أولا، وهذا ما فعله النبي ﷺ وأصحابه الكرام، وإذا سألك أحد عن حكم الجاهل فقل له حكمه أن يعلَّم، كما أنه ليس كل مخطئ مرتدّاً، والواجب علينا هو أن نبين له ما أخطأ فيه بالدليل، وقد قال جل شأنه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ﴾ [التوبة:١١٥]، وقال: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، والله تعالى لم يؤاخذ من أخطأ من الصحابة فحلف باللات والعزى، ولا من جارى العرف العربي الجاهلي فقال: "زيد بن محمد".

وقد نكون نحن المخطئين وقولنا هو المرجوح.

والصحابة الكرام بدأوا الطريق من أوله، وأوتوا الإيمان قبل القرآن، وأنزل الله عليهم الآيات عن الآخرة والجنة والنار قبل آيات الأحكام، والله تعالى قدم الوفاء بالمواثيق على النصرة في الدين لمن أسلم لكنه لم يهاجر.

وكثير مما تراه أنت حراماً قد يراه غيرك حلالاً أو مكروهاً إما لدليل عنده أو فتوى أو مذهب آخر أو اجتهاد شيخ آخر، وفوق كل ذي علم عليم، فما عليك إلا أن تبين له الراجح لديك "إن عليك إلا البلاغ".

وقد بلغني أن أحد الطيارين من المنطقة الشرقية أراد أن يلقي القنابل على بشار أو "قرداحة" فمنعته السلطات، وقالوا له إن العدو هو داعش "فقط"، وأظنهم سجنوا الطيار مع قولهم إن نظام بشار فقد شرعيته إذن فما ذنب الطيار؟

والأمريكان اليوم يصرحون بأنهم لا يريدون إسقاط بشار!! وأولوا عداوتهم لإيران كما أولت إيران شعار "الموت لأمريكا" واختفى نهائيا من "صحيفة كيهان".

وهكذا العلاقات الدولية تتبدل، والسياسة الأمريكية تتلون، فلا تنخدع بالمظاهر والملاسنات والتهديدات اللفظية، ولا بأن أمريكا رمت مطار الشعيرات بصواريخها.

وقد دمر الجيش الأمريكي متحف بغداد وأحرق المكتبات العامة وقتل الملايين من المدنيين ولم تقم ضده ضجة، ولما دمَّر بعض الناس متحف الموصل -إن صح ذلك- وتماثيل قرية نمرود، قيل هذا إرهاب وتحطيم للتراث الثقافي الإنساني.

والنبي ﷺ أرسل علي بن أبي طالب وجرير بن عبدالله البجلي وخالد بن الوليد لتدمير الأصنام وتسوية القبور، فهذه عقيدتنا نجاهر بها ولا نخفيها خشية الناس، كما نشكر البلديات في تركيا حين تضع لوحات إرشادية على المقابر، وهذه مقدمة لا بد منها.

وكل تمثال لا بد من تحطيمه كما فعل خليل الله، أو كما أمر جبريل النبي ﷺ أن يقطع رأس التمثال فيكون كالشجرة، وأما من يعظِّم أو يحمي الصنم "نسر" المحفوظ الآن في الرياض، فهو مخالف لأمر الله ورسوله بلا ريب ويجب تنبيهه إلى ذلك. وليس هذا "تراث ثقافي" كما يقول بعض الجهَّال، بل هو وثنية جديدة ودعوة إليها، وربما عبدوها ولو بعد حين، وقد أخبر ﷺ أنه (لا تقوم الساعة حتى تعبد فئام من أمته الأوثان، وحتى تلحق طائفة منها بالمشركين، وحتى تضطرب إليات نساء دوس على ذي الخلصة)،

ومن هذه الوثنية الجديدة السكوت عن دولة الإمارات، إذا بنت معبداً للهندوس وإبقاء العلاقات معها وكأنها لم تفعل شيئاً، ولم يصدر من هيئة كبار العلماء بيان بشأنها، مع أن عبادة غير الله أعظم من التفجير.

ومما هو مقرر في الشريعة الغراء أن الكتابي خير من عابد الأوثان فكيف بالمبتدع الذي هو خير من كليهما؟

وقد ذكر ابن الجوزي أن أهل الكتاب هم الشهود لديننا، ولذلك يتركهم المسلمون بالجزية، ومن شهادتهم أنهم يؤمنون بالكتاب وبالملائكة وبالنبيين السابقين، وبالوحي..إلخ، وينقلون إليها الوثني الذي يعبد الأصنام، وهذا خطوة إلى الإسلام.

ويجب على العلماء أن يكون فيهم من يتخصص في السياسة الشرعية، وهذا من الكمال الذي نطلبه لعلمائنا، ولا يصح أبدا تركه لفلان وعلان من الساسة، وإذا كان لدى الساسة معلومات وآراء فليكتبوها لأهل العلم.

ولما ناظر ابن عباس ﷺ أهل حروراء -وكانوا خوراج صرحاء- رجع منهم الكثير، وأرجو أن يوفق الله مشايخنا الأفاضل، للحوار مع تنظيم الدولة الإسلامية المتهم بأنه من الخوارج، وأن يحقق الله على أيديهم الخير ويحاورونهم بكل حرية، ولا يخضعون لغير الكتاب والسنة، ولا يتبعون إلا الحق أينما كان أي سواء وافق السياسيين أو خالفهم.

وإنما ينفر الشباب من اللجان التي تأتيهم في السجون، أو يحابونها ظاهرا فقط لعلمهم أن الحكومة وراءها.

وكثير من الشباب إذا وعدهم أحد موثوق في وعده بأنهم سوف يعامَلون كما عامل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الخوارج سوف يرجعون، لاسيما وعْدُه ﷺ بألاّ يمنعهم حقهم من بيت المال، وألا يمنعهم مساجد الله...إلخ. وإذا كان هؤلاء الشباب موظفين وجب عودتهم إلى أعمالهم نفسها.

وأظن أنهم لو وعدوا بصدق ألاّ يُقتلوا ويُسجنوا لعادوا كما عاد الأخ

الشريف عبدالعزيز الشنبري عن المعارضة، وكل من تاب قبل القدرة عليه وجب العفو عنه كما قال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة:٣٤]، ومن حقهم أن يشكروا على جهاد الكفار وعلى عودهم للحق، وكل من سلّم نفسه لا يجوز سجنه ولا ليوم واحد، وإذا أعطى ما يعلم من الأخبار وجب أن يعطى الجوائز والمال، مع الشكر والإشادة الإعلامية به.

وقد سلَّم نفسه عن طريقي بعض من كان من تنظيم القاعدة، ولكنهم سجنوا سنوات طويلة، والله تعالى شرع العفو عمن تاب قبل القدرة عليه فكيف بمن سلَّم نفسه لهم!

ولما عدل عمر بن عبد العزيز ﵁ وأتاح مناظرة الخوارج بالكتاب والسنة، لم يخرج منهم عليه أحد.

وإنما خرج من خرج وغلا من غلا وفجّر من فجّر وانتحر من انتحر لأن التعذيب الشديد والسجن الطويل ينتظرهم وإن تابوا وعادوا، فلماذا يعودون؟، والغريب أن أحد مديري الإدارات الأمنية أعطي وساما وكُرِّم، مع أن بعض السجناء فروا من سجنه، ومع أنه عذَّب بعض السجناء، وبعض السجناء لا تزال عليه آثار التعذيب رأيتها بنفسي، واعترف بما لم يفعل، وقالوا لوزير الداخلية في حينه ألم يرفعوا لك اعترافاتنا؟ ومع أن ذلك المدير كان يستعبد العاملين في إدارته، ويأمرهم باستقباله إذا قدم أو سافر متشبها في ذلك بالملوك، وقال لهم بصريح العبارة: "علينا أن نؤمّن لآل فلان البنات ثم نحكم نحن البلد"، وكان يتجسس على المكاتب العقارية وعلى كبار التجار. فإن لم يتب إلى الله فليبشر بانتقام الله. ولست أدري كيف يكرَّم هذا المجرم ولا يحاكم.

أما تسمية من جاهد في أفغانستان (الأفغان العرب) وسجنهم وتعذيبهم فلا يجوز. وهل ذهب أحد منهم إلا لما قيل له إن الجهاد هناك فرض عين وأعطي تذكرة مخفضة، أي أن المشايخ والحكومة على علم بذلك، بل شجعوا عليه، وكانت المساجد تجمع التبرعات علانية، وكانت أمريكا حينها

تستقبل قادة الجهاد الأفغاني وتعطيهم صواريخ "ستنجر"، فكيف ترضى لرضاها ثم تغضب لغضبها.

وأعيد أني لا أنصح بذهاب أحد إلى تنظيم الدولة، وهم يظنون أنه لا يأتي إليهم إلا من يتجسس عليهم، وربما بادروا بإعطائه سيارة مفخخة بغرض التخلص منه.

كما لا يجوز لأحد أن يرسل أحداً ويتحمل عنه دَينه، بل يجب الصبر على البلاء وترك الاستعجال، ومن كان في جهاد كالآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر أو كان في مكان أفضل كمن يقول كلمة الحق أو يجاهد اليهود فلا يغادر مكانه، وكذا من ينكرون المنكرات على مواقع التواصل الاجتماعي.

ومن أخطاء هذا التنظيم أنه يعطي المبرر ليضربَ الرافضة وقوات التحالف العشائر السنية والمدن السنية كما نرى! وفي هذا أعظم خدمة لأعداء السنة في العراق وبلاد الشام.

وقد قابلني من كان مسؤولا كبيرا أيام صدام حسين، وقال: نحن متهمون الآن من قبل الحكومة في بغداد بأننا إرهابيون داعشيون، وكذلك متهمون من قبل التنظيم بأننا مرتدون!!

وقد اجتمعت قوات التحالف الذي يضم أكثر من ستين دولة، وما يزيد على أربعين من الميليشيات الرافضية في إيران والعراق وغيرها لقتال أهل السنة في الفلوجة، بذريعة وجود خمسمئة مقاتل من تنظيم الدولة وبعضهم يقول إنهم أكثر من ألف.

وعلى كل حال لا يجوز قتل البريء كافراً أو مسلماً، بل نرى أن الحوار الصريح الصادق هو الحل مع كل غال، وإذا كان الكافر ذميّاً وجب علينا أن ندفع عنه ما استطعنا، وقد رأى أحد التابعين بعض أعوان السلطان يجر رجلاً من أهل الذمة، فكلم الشرطي أن يطلقه، فأبى الشرطي، فما كان من التابعي إلا أن ألقى كساءه، وخلّص الذمي بالقوة، وقال: "لا تخفر ذمة محمد ﷺ وأنا

حي"! وهذا من عدل الإسلام، وانظر كيف كتب شيخ الإسلام إلى ملك قبرص بإطلاق سراح أهل الذمة، فميف بالمسلم الذي يسمى متخلفا؟ هكذا يعامل شرعاً؟

ولا ريب أن فروض الأعيان تكثر وتتزاحم، والواجب حينئذ البدء بالأهم، وقد عانى من ذلك أئمة السلف، ومنهم الإمام سفيان الثوري الذي قال: "إذا انبثق البحر من يسكّره"، وبدأ سفيان بما يراه أهم وهو إصلاح حال السلاطين، ولما لم يجدِ معهم كلامه ومواعظه حرّم الدخول عليهم، واختفى عنهم.

وهي مشكلة عويصة قديمة قال عنها الشاعر العربي:

تكاثرت الظباء على خراش فما يدري خراش ما يصيد

فحتى في حالة كون الجهاد فرضا يجب أن يقدم عليه ما هو أهم منه.

ونحن نختلف مع الغلاة والفرق الضالة قديما وحديثا، ولكن المرجع عند التراع هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وليس رأي فلان أو سياسة علان، بل يجب أن يرجع إلى كتاب الله كل سياسة وكل قول، وأقوال الساسة يستدل عليها ولا يستدل بها.

وإجمالا أرى ضرورة التفريق بين من يُنسبون للغلو، وضرورة الحوار الصريح معهم، وضرورة العفو عمن تاب قبل القدرة عليه، وضرورة إعادة من رجع منهم إلى عمله نفسه، وسلوك منهج آخر غير الحل الأمني، وعزل الحاضنة الشعبية عنهم، بإصلاح الإعلام وقول الحق، وبيان ما يترتب على الغلو من المساوئ، وإكرام من يعترف بخطئه أو يسلم نفسه، ولا يجوز ظلم أحد لا كافر ولا مبتدع، ولا أي إنسان مسلما أو كافرا، ولا يجوز تقويله ما لم يقل، أو تحميله وزر ما لم يفعل.

وقد سبق أن حذرنا الحكومات والشعوب من سلوك المسلك الخطأ في التعامل مع تنظيم القاعدة، وذلك في الرسالة التي جعلنا عنوانها "الموقف الشرعي من أحداث ١١ سبتمبر"، ولكن الخطأ تكرر، ونشأ تنظيم الدولة

الذي أصبح تنظيم القاعدة إلى جانبه حمامة سلام، وإذا استمر الحال على هذه الوتيرة فربما ينشأ تنظيم يرى المراقبون والمحللون أنه أخطر، وهكذا، كما أنني أنكرت -ولله الحمد- قتل من قالوا إنه رافضي وقتلوه تحت التعذيب في سجن "الحائر"، فالرافضي لا يقتل وإنما يعزر تعزيرا بليغا، والقتل من اختصاص المحاكم وليس من اختصاص المباحث.

وحسبك الآن أن ما يسمى (التحالف الدولي لحرب الإرهاب) إنما يحارب المسلمين أهل السنة، وكأن الإرهاب الرافضي يوزع الحلوى والورود!

ويزعم الروس أنهم إنما يحاربون "داعش"، مع أن طائراتهم تدمر حلب التي ليس فيها من تنظيم الدولة أحد، وما علاقة "داعش" بقاعدة "حميميم" مثلا؟ وبالأسطول الروسي في طرطوس؟

ويزعم حزب اللات أنه إنما جاء إلى سورية لحماية المراقد، فأي مراقد شيعية في حلب وشمال بلاد الشام، ومن قال بشرعية تلك المراقد من العلماء؟ وهل تتضمن حمايتها تعليق "يا حسين" على مساجد أهل السنة؟ وقتل أو دهس من يسمّون حفدة قاتلي الحسين؟

وقد ذكر ﷺ أعمالا هي أفضل من قتال الكفار، ومنها: العمل الصالح في العشر، ومنها ذكر الله.

ويمكن الجمع بينهما بأن يقاتل المسلم الكفار وهو ذاكر لله تعالى.

وليس الجهاد باليد جهادا أصغر كما تزعم الصوفية، بل الجهاد منه فاضل ومفضول، وواجب وتطوع .. وهكذا.

وقتال الكفار واجب كفائي، إذا قام به بعض الأمة سقط عن الآخرين، ويكون فرضا على الكفاية، صرح بذلك ابن القيم في "زاد المعاد"، وابن كثير في تفسيره لا سيما عند قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء:٧٧].

كما نرى ضرورة اتباع كتاب الله وترك كلام "خلفان" وأضرابه، والاشتغال بهذه الحقائق الجلية بدلا من محاربة الظنون والتصنيفات المدعاة.

والمفترون سوف ينتقم الله منهم مهما أمهلهم وزين لهم، وهم صنف من المنافقين الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ﴾ [المنافقون:٤]، ولم يقل سبحانه ذلك في حق اليهود وأهل الكتاب أو المشركين قط.

والناس عادة يشيع بينهم ما يقال علناً وليس الأعمال الخفية ولذلك لم يأخذ زهاد السلف المال من السلاطين ثم يتصدقون به، بل قالوا: إنما يقال عني ويقتدى بي فيما أخذت ولا يعلمون إني تصدقت به!

والمقصود أن للإرهاب أسباباً تقتضيه، وأنه لا يأتي من فراغ، وأن المشكلة أعمق من أن تكون مجرد غلو يقع، وسوء فهم يقع فيه بعض الشباب، وأن لهم حاضنة شعبية شئنا أم أبينا، حتى أنه بلغني أن بعض الناس يقول للشباب "سافر وعليّ دينك"، وبعض الناس يؤيدهم سرا، وبعضهم من الأكثرية الصامتة، وبعضهم مشغول بدنياه ولا يهمه الأمر من قريب أو بعيد! وكل هذه الأصناف قد يذهبون للسينما لأسبابهم الخاصة.

وليس المحرضون على الإرهاب أو مؤججو الفتنة من يدعون إلى الكتاب والسنة، وإنما أكبر محرض عليه هم حاخامات اليهود الذين يصدرون الفتاوى المستمرة بوجوب قتل الفلسطينيين! فلماذا لا يركز الإعلام عليهم ويعيد ويبدئ في حكمهم؟

والشباب المفجِّر يستفزهم وصف الحشد الشيعي بأنه القوات العراقية كما تقول القنوات السعودية، ويستفزهم مشاركة الطيران السعودي قوات التحالف في قصفها لأهل السنة، كما يستفزهم إنشاء (فيلق مكة) الذي لا يكاد يذكر، وكذلك تقارير منظمة العفو الدولية والمنظمات الحقوقية، بل تقارير الأمم المتحدة نفسها، حتى أن "البنتاجون" نفسه يقول ما لا يقوله الإعلام هنا عن أهل السنة وحالهم في العراق؟ وأنهم الأكثرية في سورية.

وبأي معيار يكون استفتاء الشعب البريطاني على البقاء في الاتحاد الأوروبي عملا ديموقراطيا، ويكون استفتاء الشعب التركي على تحويل الحكم إلى رئاسي استبدادا وتسلطا؟

أما كفى الكيل بمكيالين وعملا بازدواجية المعايير؟

ألم يقل بعض زعماء الغرب ومنهم "انجيلا ميركل" إن أوروبا مسيحية والأتراك مسلمون؟

ولا يجوز شرعا الانضمام للكفار ولا التحالف معهم، فإن ذلك موالاة لهم، وانظر إلى هذا المثال القرآني وقس عليه، قال تعالى في سورة المائدة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

وهذا خطاب عام منه سبحانه وتعالى للمؤمنين في كل زمان ومكان، ينهى عن اتخاذ أهل الكتاب أولياء، ويخبر أن بعضهم أولياء بعض، وأن من تولاهم فإنه منهم، وصدق الله فإن الأمريكان اليوم يتولّون الدويلة اليهودية، ويقول رئيسهم -جمهوريا أو ديمقراطيا- إن إسرائيل هي الحليف الاستراتيجي لأمريكا، وإن العلاقة أعمق من أن تكون مصلحية -أي لأنها توراتية دينية-، مع أن الإدارة الأمريكية تسير مع غير إسرائيل وفق الفلسفة البراجماتية التي عبر عنها وزير الخارجية الأمريكي سابقا "هنري كيسينجر": "نحن لنا مصالح دائمة وليس لنا صداقات دائمة"، والمرشح الأمريكي الوحيد الذي قال عن إسرائيل بعض الحق هو (ساندرز)، وربما تجرأ على ذلك لكونه يهوديا غير متّهم، فكيف نقول مع هذا إن أمريكا دولة صديقة؟

ولو كان عبدالله بن أبيّ بن سلول يؤمن بأن الله سوف يأتي بالفتح وسوف يظهر دينه على الدين كله لما قال: "لا والله لا أرسلك يا محمد حتى تحسن في مواليّ، أربع مئة حاسر وثلاث مئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر"!!

وإنما كان يؤمن بذلك عبادة بن الصامت الذي نبذ كل حلف وانحاز إلى الله ورسوله.

ثم يقول جل شأنه عن المؤمنين: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة:٥٣].

فقد كان من أهل الإسلام من يصدق أن المنافقين مسلمون، تخدعهم الأيمان والأقوال السياسية حتى كانت هذه النهاية وكان التحالف الذي لا يحتمل التأويل.

ثم قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤].

فقد بين سبحانه غناه عن الخلق كلهم وأن كل شيء يخضع لمشيئته المطلقة، وأن محالفة الكفار ردة، وأنه يستبدل من حالف الكفار بقوم ذكر صفاهم وهي:

أ- (يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ)، فالمحبة متبادلة بين الغني الحميد وبين العبد الفقير، قال الحسن البصري: "ليس الشأن في أن تحِب ولكن الشأن في أن تحَب"، أما الادعاء فيستطيع المنافقون أن يدعوا محبة الله ومحبة دينه والعمل بكتاب الله وسنة ورسوله ﷺ.

ب- (أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)، فهم يخفضون جناح الذل لمن كان مؤمنا أيا كان لونه أو بلده أو جنسيته، لا فرق عندهم بين من كان من أبناء وطنهم أو قريبا لهم، وبين من كان من بلاد بعيدة إلا بالتقوى، وليس عندهم هذا تكروني وهذا أمريكي!

ج- (أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ)، فمن كان كافرا غربيا فلا عزة له مطلقا، وإن استدرجه الله تعالى وأعطاه ومكّن له مؤقتا، كما مكّن للامبراطورية البريطانية ثم للامبراطورية الأمريكية حالياً ابتلاء منه لهما.

ح- (يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ)، فلا يترك الجهاد في سبيل الله إلا منافق وكذا من يؤمن بما يسمى السلام العالمي والقرارات الدولية ومواثيق الأمم المتحدة، أما المؤمنون فهم يخشون الله ولا يخشون أحدا إلا الله.

د- (وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٍ)، فهم لا يخشون ما يقال عنهم في الصحافة الغربية ومحطات التلفزة، قال الشاعر:

أجد الملامة في هواك لذيذة حبا لذكرك فليلمني اللوَّم

ثم بين سبحانه صفات أولياء المؤمنين وأنها ليست موالاة الكافرين بالدين فقال: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمۡ رَٰكِعُونَ﴾ [المائدة:٥٥].

وهذا ما لا يفعله اليهود والنصارى والملاحدة قط، ولو رأينا أمريكيا صلى لحكمنا أنه مسلم وآخيناه في الله وأعطيناه ما يستحق من بيت المال، وهو سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك، ولا يحابي من لم يؤمن ولو كان من آل محمد ﷺ فضلا عن آل فلان وعلان.

قال جل شأنه: ﴿بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا ١٣٨ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَيَبۡتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلۡعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلۡعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٣٨-١٣٩].

فإذا كانت العزة لله جميعا وهذا هو الإيمان الصادق بأسماء الله وصفاته فكيف تُطلب العزة من التحالف الدولي أو التحالف العربي، وما أشبه ذلك من أسماء المخلوقين! وأين قوة أمريكا -مثلا- من قوة الله؟

ثم قال سبحانه: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة:٥٦]، وهذه الغلبة هي التي سبقت بها كلمة الله واقتضتها سنته الثابتة، ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات:١٧١-١٧٣]، وقال جل شأنه في سورة المجادلة: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة:٢١].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ إلى أن يقول: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

فلا يصح أن نستغرب وقوع الإرهاب قبل أن ننظر في أنفسنا وذنوبنا، ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

وبعض الناس يفرق بين الموالاة والتولي، وهذا عندي مرجوح، فالله تعالى جمع بينهما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، فقد جمع الله بينهما وحكم عليهما بحكم واحد.

وافتتح سورة الممتحنة بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة:١] الآية، ثم قال في السورة نفسها: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة: ٩]، فجعل اتخاذهم أولياء وتوليهم شيئا واحدا، وقال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المائدة:٨٠] الآية، ثم قال عقب ذلك: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [المائدة:٨١]، فجعل ذلك أيضا شيئا واحدا ولم يظهر لي التفريق بينهما فمن فرق بينهما فليأت بدليله وعليَّ الرجوع للدليل!

على أن الواقع اليوم أعظم من أن يكون مجرد موالاة إذ هو خضوع وتبعية، بل هو شراء للعبودية والخضوع، فهؤلاء الزعماء الذين يدفعون المليارات للتقرب هم مثل العبد الذي يدفع للسيد كي يستعبده، أو يدفع الهدايا للمرأة كي يخضع لها، ويدفع الراتب للخدامة لكي تسحره.

ولا يجوز قتل عوام المسلمين؛ فإن العوام في العراق والشام وغيرها لا يعرفون عن الإسلام الكثير، والواجب هو تعليمهم وإن طال الزمن، ومن الخطأ قتالهم قبل قيام الحجة عليهم ودعوتهم وبيان الحق لهم، فالله تعالى بعث الرسل لكي لا يكون لله على الناس حجة بعد الرسل، نعم، الفطرة تكفي، والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم يكفي، لكن رحمته تعالى اقتضت أن يرسل الرسل وأن لا يعذب قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وهذا إبراهيم عليه السلام نهاه ربه عن الاستغفار لأبيه، بعد أن كان عليه السلام قد وعد أباه أن يستغفر له، ومع ذلك النهي وأنه لم يستغفر له ظل طامعا ألا يدخله الله النار إلى يوم القيامة، لأن ذلك من الخزي، وقد وعده ربه ألا يخزيه.

وليس كل من نطق بالشهادتين أو قال أنا مسلم يعلم شروط الشهادتين ونواقض الإسلام، حتى الصحابة الكرام لم يكونوا على درجة واحدة من الفهم والمعرفة، وكانت معاملة النبي ﷺ لمن تخلَّف عن بدر وأحد تختلف كثيرا عمن تخلف عن تبوك، وطلب بعض الصحابة أن يجعل لهم ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط.

والعقيدة الصحيحة لا تأتي بأوامر فوقية فقط، والضعفاء الذين يؤمنون ستكون لهم العاقبة، وبلال وعمار خير عند الله من أبي جهل وأبي لهب، وابن مسعود خير من أبي سفيان.

والنبي ﷺ طهر المدينة من قبائل اليهود قبل أن يغزو الروم، فاليهود أشد عداوة لاسيما وقد نقضوا العهود كالعادة، ولو أن التفجير الذي وقع في "أبها" -وفيه من المفاسد ما فيه- وقع في "تل أبيب" لأجمعت الأمة عليه.

وليعلم المفجرون أنهم حتى وإن استهدفوا الطواغيت لا يقتلونهم وإنما يقتلون غالبا المجنَّدين، وبعضهم مكره مجبور، والقول المشهور صحيح وهو: "الساسة يوقدون الحروب ولكن الذي يدفع الثمن هو الشعوب"!

بل إن الشعوب أصلا لا تدري لماذا اتفق فلان وفلان وعلام اختلفا؟

والله تعالى أنزل الكتاب الهادي والحديد الناصر كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال ابن القيم إنما جعل السيف ناصرا للحجة.

ولو أن أمة قبلت منا الدعوة وأقامت كتاب الله أو دفعت الجزية لما احتجنا إلى قتالها، والنبي ﷺ لم يقاتل قبل الدعوة، و لم يقتل كل كافر، بل إنه ترك قتل رأس النفاق عبدالله بن أبي للمصلحة الدينية، و لم يستفزه كافر للخروج عن منهجه، مع أنه ﷺ لم يترك الدعوة والجهاد يوما واحدا قط، قال ابن القيم: "ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه، كان للرسل صلوات الله عليهم وسلامه من ذلك الحظ الأوفر، وكان لنبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه من ذلك الحظ الأوفر". اهـ.

فهكذا جاهد صلوات الله وسلامه عليه وشرع لأمته من بعده.

قال ابن القيم: "ولما كان جهاد أعداء الله في الخارج فرعا عن جهاد العبد نفسه في ذات الله، كما قال النبي ﷺ: (المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه)، كان جهاد النفس مقدما على جهاد العدو في الخارج وأصلا له".

إلى أن يقول فيما يشبه الشرح لقوله تعالى: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج:٧٨]: "فحق جهاده أن يجاهد العبد نفسه ليُسلم قلبه ولسانه وجوارحه لله فيكون كله لله وبالله لا لنفسه ولا بنفسه"، وللجهاد مبحث خاص تقدم.

ولمزيد من العلم ينبغي لتنظيم الدولة الإسلامية أن يعلم أنه يفيد الأعداء في أمور كثيرة، من غير قصد، ومنها:

أ- يجد فيه الغربيون فرصة للتنصل من ماضيهم الإرهابي الطويل، وتاريخهم المليء بالتراعات والحروب المذهبية، كما يجدون فيه مبررا لعداوتهم المتأصلة للإسلام، ويسمون كل تفجيراته إرهابا إسلاميا، ونجد الإسلاموفوبيا في الغرب مستنداً.

ب- الرافضة يقولون إن أهل السنة تكفيريون ويستشهدون دائما بأفعال التنظيم.

ج- بعض العصابات ترتكب ما تشاء وتنسبه للتنظيم.

د- تتحالف الدول على اختلاف أيدولوجياتها لمحاربة التنظيم، ويقول أعضاء العصابات في الغرب "الله أكبر" تمهيدا لقول المباحث الغربية إن ما وقع كان إرهابا إسلاميا.

هـ- الروس والأمريكان والروافض والباطنية يحاربون المجاهدين في بلاد الشام، ويتآمرون على وأد القضية الفلسطينية باسم محاربة الإرهاب، وكذلك يفعل السيسي وبن زايد ومن يتبعهما.

و- حتى إسرائيل دخلت من هذا الباب وتسمي من يجاهد إرهابيا، وتبعها في ذلك من يتبعها من العرب، وكذلك تفعل حكومة بورما وإفريقيا الوسطى وغيرها.

ز- الدول التي يحاربها التنظيم تقول لكل فرد من جنودها أنت إما قاتل وإما مقتول، وترسله لمحاربة التنظيم، فيستميت في طاعتها دفاعا عن نفسه.

ح- تغذية العنف والتفرق بين المسلمين حتى أن التنظيم نفسه يعترف بوجود انشقاقات فيه ويهرب بعض الناس من حكمه، وأمثال ذلك مما يستدعي من التنظيم على الأقل إعادة النظر في منهجه، وتقرير المصالح والمفاسد كما كان يقررها النبي ﷺ حين قال: (حتى لا يتحدث الناس أن

محمدا يقتل أصحابه)، أوليس بعض وفود العرب سوف يمتنع عن الإسلام ويلومه لو قاتلهم؟ وحين أبقى الكعبة المشرفة على بناء قريش وليس على قواعد إبراهيم، اعتبارا للمصلحة وهو عليه الصلاة والسلام راعاها في أحيان كثيرة منها:

حين لم يحطم الأصنام حتى فتح الله عليه مكة.

وحين عاقد اليهود ثم حاربهم قبيلة قبيلة.

وحين عقد صلح الحديبية ورجع و لم يعتمر تلك السنة.

وحين أمر بترك الترك والحبشة.

وحين قاتل الروم و لم يقاتل الفرس.

وحين رجع عن حصار الطائف.

بل كل السيرة الشريفة دالة على اعتبار المصالح والمفاسد، ولا تقوم السياسة الشرعية على غير ذلك، أما إن أخطأ بعضهم في مفهوم المصلحة فخطؤه مردود.

بل وقع تنظيم الدولة في الخطأ التربوي الكبير الذي ضل فيه الحكام العرب وهو البدء ببناء قمة الهرم قبل قاعدته.

وممن يصب الزيت على النار وهو لا يشعر من يقول إن "داعش" أكفر من اليهود والنصارى، فكيف يتفق هذا مع قوله إنهم خوارج؟ وهل قال أحد من السلف إن الخوارج أكفر من اليهود والنصارى؟ وهل حكم بذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟ وهل أفتى به شيخ الإسلام ابن تيمية مثلا!! وهل في هذا القول أي مصلحة؟ وهل من يوحد الله كمن يشرك به المسيح أو عزير ويكذب برسالة محمد ﷺ من أساسها؟

ويجب على المسلمين كلهم إعادة النظر في المفاسد والمصالح في كل فعل.

وليس إعمال المصلحة الشرعية تركا لما هو مشروع، كما يظن بعض الغلاة، بل هو في ذاته مشروع ومراعاتها اقتداء واتباع.

ألا ترون أن النبي ﷺ لم يقتل رأس النفاق عبدالله بن أبي لمصلحة ألا يقول العرب: إن محمدا يقتل أصحابه كما سبق.

كما لم يقتل ذا الخويصرة قبحه الله الذي اعترض على حكم الله وقال: اعدل يا محمد، بل نهى النبي ﷺ أصحابه عن قتله لاحتمال أنه يصلي!

وقد نظر ذو الخويصرة إلى أن العدل مشروع في الكتاب والسنة، وفاتته المصالح الكثيرة التي توخاها النبي ﷺ في قسمته ومنها:

- جبر قلوب قريش لأنهم حديثو عهد بمصيبة.
- تأليف قلوب كبار القبائل الأخرى على الإسلام، كتميم وغطفان وبني سليم.
- أنه لو عاد الناس بالشاء والبعير فسوف يعود الأنصار برسول الله ﷺ.
- أنه ﷺ يعطي الرجلَ وغيرُه أحب إليه منه.

وهناك فئة أخرى تسهم في غلو الشباب وتدفعه للذهاب والالتحاق بإحدى الفصائل الجهادية في الخارج، وهي الفئة التي تسمى "الجامية"، وهي تغلو في الطرف الآخر وتجانب العدل الذي أمر الله به، وتتفق مع داعش في بعض الأمور كالموقف من الإخوان مثلا، مع اختلافهم وتشتتهم المعروف والدائم.

وليس في ديننا غلو من أي نوع ولا مجانبة العدل، وإذا كان تنظيم الدولة يجند الشباب فإن غلو الجامية يثيرهم ويدفعهم للسفر.

وإذا أرادت الدولة منع الغلو فعليها منعه من الطرفين معاً، إذ لا فرق في الحقيقة بين من يقول التنظيم إنه يجب قتله لأنه خارج عن الإسلام، ومن تقول الجامية يجب قتله لأنه مبتدع خارج عن طاعة ولاة الأمر، ومع ذلك هناك أوجه شبه بين الطائفتين، هذا بعضها.

أوجه الشبه بين تنظيم الدولة والجامية:

تنظيم الدولة	الجامية
من خالفهم غير سلفي	من خالفهم غير سلفي
المواقف المتشنجة	المواقف المتشنجة
ترك العدل في الحكم والقول	ترك العدل في الحكم والقول
المخالف لهم على ضلال	المخالف لهم على ضلال
يسلبون من لم يوافقهم كل حسنة	يسلبون من لم يوافقهم كل حسنة
امتحان الإنسان بالتبعية لهم	امتحان الإنسان بالتبعية لهم
أهم شيء عندهم مبايعة الدولة	أهم شيء عندهم مبايعة الدولة
لا بد من طاعة الزعيم أو الولي	لا بد من طاعة الزعيم أو الولي
ادعاء أن ما هم عليه هو عقيدة السلف	ادعاء أن ما هم عليه هو عقيدة السلف
تجوز غيبة من لم يتبعهم	تجوز غيبة من لم يتبعهم
إذا خاصم فجر	إذا خاصم فجر
يجب الاشتغال بما يرونه من أنواع الإيمان	يجب الاشتغال بما يرونه من أنواع الإيمان
لا تتزاحم عندهم الواجبات	لا تتزاحم عندهم الواجبات
الأمور إما أبيض وإما أسود	الأمور إما أبيض وإما أسود
استحلال دم المخالف	استحلال دم المخالف

والتشابهات كثيرة وفي إمكان الباحث أن يزيد، وقد رأيت الجامية يشتبكون فيما بينهم بالأيدي فكيف نستغرب تعاملهم مع من يرونه عدوا.

وقد ظهرت نغمة أن الإرهابي أصله محافظ، فهل على الإنسان أن يترك الصلاة ويكون ديوثا حتى لا يكون إرهابيا.

وهل الجامية محافظون أم لا؟

والعجيب أن الجامية يقولون عن الجماعات الإسلامية إنها تنظيمات، وهم أنفسهم يعينون فلانا لأهل العراق أو للجزائر أو للأردن أو لبريطانيا!

ومن خالفهم فاتخذ مرجعا غير من يعينونه فهو خارج من السنة وربما من الإسلام، كما أن بعضهم يتهم بعضا بأنه تنظيم حزبي سري، والله أعلم.

وإذا كان الدواعش قتلوا من قتلوا فإن الجامية قتلوا الشيخ نادر العمراني في ليبيا، مع أنه حائز على درجة الدكتوراه من الجامعات السعودية.

فهما متفقان حقيقة وإن اختلفا شكلا.

ومن الغلاة أيضا: الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، فهو الذي قتل وسجن كثيرا من المصريين، وهو يمنع قيام أي حزب على أساس ديني، ويحرق كتب العلماء ويستدل بكتابة أو قول "هل صليت اليوم على النبي" على أن كاتبها إرهابي، ومع كل جرائمه يعطى من الرز مليارات لو قسِّم بعضها في الداخل لأغنى كل فقير، وفتح الجامعات لقبول أي طالب، وأعطى كل مواطن مسكنا يملكه، وأغنى عن فرض الرسوم حتى على الترميم، فكيف يحصرون الإرهاب في طائفة منه؟

وكل مخالفة لمنهج الأنبياء لا بد أن تكون نتيجتها عكسية.

فالتفجيرات تفيد الحكومات في دعم شرعيتها، وفي تكثير الجماهير المخدوعة في جعل التفجيرات مشجبا يعلقون عليه أخطاءهم المالية والإدارية.

كما أنها تنفي عن الحكومات تهمة تمويل الإرهاب أو دعمه أو إنشائه، وهكذا يبني المفجرون ما يرومون هدمه.

وليتفكر العاقل في نفسه هل كان هذا الإرهاب موجودا يوم أن كانت الحلقات العلمية والمراكز وجلسات الرصيف ولجان الاحتساب قائمة؟

ولماذا تغير الحال من صفر تفجيرات إلى خمسة تفجيرات في يوم واحد؟

واسأل نفسك يا أخي المسلم مَن حراس الأمن الحقيقيون أهم العسكريون والشرطة -دون تقليل من جهود المخلصين منهم-، أم دعاة الإسلام؟

ولذلك من حقنا أن نسأل هل صحيح أن الذين فجروا في المدينة النبوية هم مدمنو المخدرات وأن الجهات الأمنية بالمدينة نسبت ذلك لهم؟ وأن داعش لم تعلن مسؤوليتها عنه؟

ومن العجيب أن هؤلاء الشباب يندفعون للقتال في مخيم "نهر البارد"،

وفي العراق وفي سورية وغيرها تاركين الفساد يستشري في الرياض وجدة ومكة والدمام، وكل مكان هنا!

ماذا يقول الغربيون وأولياؤهم عن داعش؟

– يقولون إن داعش صنيعة أمريكية، ألا يلزم من اطراد ذلك أن يكون المفجر الحقيقي في باريس وبروكسل ولندن هو الحكومة الأمريكية؟ ووجوب محاربة من يكون صنيعة لأمريكا؟

– يقول الغربيون إن تنظيم داعش يبيع النفط، وماذا في ذلك؟ وماذا تفعل منظمة "أوبك" وغيرها بالنفط؟ وهل حاكمتم من يشتريه من الغربيين حكومات وشركات، وهل الأخوات السبع شركات شرقية؟

– يقول بعض المحللين إن "داعش" من إنشاء نظام بشار، ألا يعني ذلك أن النظام أولى بالحرب منها؟

– تقول بعض دول الخليج إن تنظيم "داعش" الإرهابي هو الذي فجر مساجدها، ونحن ننكر وقوع التفجير ولا نقره وهو في المساجد أشنع، ولكن نسأل: أكان ذلك قبل أن تتبع هذه الدول منهج أمريكا أم بعده؟ أي من الذي بدأ الضلال والخطأ؟

– يقولون إن "داعش" لها حاضنة اجتماعية في هذه البلاد، نعم لها حاضنة ولكنها أقل من حاضنة الرافضة، فلم التركيز عليها دون الرافضة؟

– يقول التحالف الدولي لمحاربة الإرهاب إن تنظيم "داعش" يقتل الصحفيين والأطباء ممن يعملون في أعمال الخير!!

فهل المسلمون أغبياء إلى درجة أن يتوقعوا أن يكتب الجاسوس إن مهنته هي التجسس؟

– يقول الغربيون إن "داعش" تقطع الاتصالات عن المناطق التي تحتلها، وكأن الواجب عليها هو أن تدع جواسيس الدول يفعلون ما يريدون؟

– يقول الغربيون إن "داعش" يأتي إليها المقاتلون من كل مكان، فأيهما

أقرب للعراق: من يأتي من الكويت أو من السعودية، أم من يأتي أفغانستان؟

- يقول الغربيون إن تنظيم "داعش" يسلِّح العشائر السنية في العراق، فمن الذي يسلّح "البيشمركة" والنصارى واليزيدية والرافضة وما لا نعلم؟

- يقول الشيعي العربي مقتدى الصدر، ويقول أهل السنة -الكردي منهم والعربي- إن إيران تحتل العراق ويخضع لها العبادي والمالكي، فكيف يجمع بعض الناس بين عداوته لإيران وإعطائه لأتباعها؟

ونحن لا نقر التنظيم حين يقتل ويحكم قبل الدعوة وإقامة الحجة، والله تعالى يقول من آخر ما نزل من القرآن: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ﴾ [التوبة:٦].

فالأصل ذلك، وليس قتل كل مشرك كما يقول بعضهم، فربما سمع كلام الله فحصل المقصود، ولكن الجهلة لا يفقهون، وقد مرَّ واصل بن عطاء الغزال المعتزلي المشهور ببلاد بعض الخوارج، فقال لأصحابه: أنا أجيبهم عنكم، فوافقوا، ولما قال له الخوارج: من أنت؟ فقال: مشرك مستجير، فقالوا: اقرأوا عليه القرآن وأبلغوه مأمنه!

والمصيبة الكبرى في هذا الزمن هي أن المنافقين كانوا زمن النبوة قلة متوارية مكروهة، فأصبحوا اليوم المسيطرين والموجهين، ونجح الغزو الفكري في اصطناعهم وتمكينهم، فتحول عبد الله بن أبيّ إلى أن يكون زعيمًا يأمر وينهى ويطاع ويتبع.

وقد سمع الحسن البصري رجلا يقول: "اللهم اهلك المنافقين، فقال: يا هذا لو أهلكهم لأقفرت بكم الطرقات"، فما بالك بعصرنا الذي يقل فيه الوعي ويكثر مكر الليل والنهار وينخدع فيه بعض أهل الحق؟

نعم في المؤمنين قديمًا سماعون للمنافقين، يصدقون مكر الليل والنهار ومنه "الإعلام الفاسد"، ويثقون في وعود الكفار ووعيدهم، ولكن الله يأبى إلا أن يفضحهم بأعمالهم وأقوالهم، وأهل الاستنباط يعرفونهم، على أن كثرة

المنافقين لا تُفقد المؤمن ثقته بالله وتوكله عليه، بل يزيده ذلك إيمانًا وتسليمًا، ويعاملهم بما أمر الله به ودلت عليه السنة.

أما الكفار الصرحاء فلا مكان لهم، لا سيما في جزيرة العرب بل نقول لهم: ارحلوا عنا فالمياه مياهنا -بحارًا وخلجانًا ومضايق-، والنفط نفطنا، وحماية ثروتنا مسؤوليتنا نحن، ونحن الذين نوالي أو نعادي أو نفاوض حول السلاح النووي وليست دول الصليب (٥+١) وليس لإسرائيل منا إلا القتال إن لم تُسلم أو تدفع الجزية صاغرة.

ونحن نعلم أن كثيرا من دول الغرب تتآمر على الإسلام ولو سرا، حتى في بورما وبنغلاديش والفلبين، وفي دول النمور الآسيوية كلها، وقد حذرنا الله من كيدهم ومكرهم وأنبأنا عن أخبارهم، وإنما مثل من يثق فيهم أو يصدق وعودكم كما قال الله: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت:٤١] الآية.

ونعلم أنكم معشر المتآمرين أعطيتم جائزة نوبل للسلام لمناحيم بيجن ورئيسة ميانمار؟

ولن ننخدع بمخططاتكم التنموية وشعاراتكم الكاذبة، ونعلم أنكم توعزون إلى أوليائكم بتجفيف منابع التدين فيطيعونكم ويمنعون المجلة والنشرة والشريط، حتى إذا نهضت الأمة وأفاقت قلتم لهم: إنا برآء منكم، إنا نرى ما لا ترون.

ونحن نجزم بأن الله سوف يظهر الإسلام على الدين كله، وأن كل محاولاتكم إنما هي كمن يريد إطفاء نور الله بفيه ويحجب أشعة الشمس بالغربال.

وأنكم لا تغلبون المسلمين بقوتكم العسكرية والاقتصادية بل بمعصيتهم وذنوبهم وتقصيرهم، فإذا تخلصوا من ذلك وتابوا إلى الله واستغفروه نصرهم عليكم.

ونحن نعلم أن موجة "الإسلاموفوبيا" عندكم، وأهداف اليمين المتطرف والحركات المسماة شعبوية لا تستهدف تنظيما بعينيه من المسلمين بل تقول علنًا يجب أن نحمي بلادنا من غزو الإسلام، وإنما تبدؤون بأكل الثور الأبيض ثم تفترسون البقية إن استطعتم.

على أن الجهاد عندنا أنواع والدعوة قبل القتال وبعده، وديننا هو دين الإقناع المنطقي، فنرد أهل الزيغ ونكشف شبهات المبطلين، وندعو إلى الله على بصيرة، قال تلميذ الإمام مالك -رحمه الله- يحيى بن يحيى التميمي الذي قال عنه الإمام أحمد "ما رأى يحيى مثل نفسه": "الذب عن السنة أفضل من الجهاد".

وقال عبد الكريم بن أمية: "لأن أرد رجلاً عن رأي سيء أحب إلي من اعتكاف شهر".

وقد حذر النبي ﷺ من ترك الجهال يخرقون السفينة بناء على أن الماء أقرب والطريق إليه أخصر، والاستعجال في قطف الثمرة مخالف لسنة الله.

والذهاب إلى بلاد لا نعرفها وتختلف لهجتنا عن لهجتها، وهي متهمة أصلا بأنها تجمع الأجانب لا يصح، والتفجير في قم أولى من التفجير في أبها، وأولى منهما التفجير في تل أبيب، بل إن هذه البلاد التي يذهب إليها بعضهم ليست في حاجة إلينا، وأنا قد سألت كثيرًا من أهل العراق والشام: هل تحتاجون للرجال؟ فقالوا لا، نحتاج إلى المساعدة الإعلامية وإلى المال والدعاء.

ولا يصح لأحد أن يفرض علينا رأيه فيذهب دون استشارة، ومن هناك يقول أنا ينقصني العلم فتعالوا وعلّمونا.

وكيف يأتي إليكم أحد ويترك جهاد من قال: "الله والشيطان وجهان لعملة واحدة"، وقال: "يجب أن تتخلى عن ابن تيمية"، ومن قال: "إن التدين ورم سرطاني يجب استئصاله"، ومن قال: "الداعشية في كل بيت"، ومن اثار الشكوك في السنة النبوية، وأمثال ذلك بالحجة والبرهان والحق، وإذا كان جهاد النصارى والنصيرية والروافض باليد فإن جهاد هؤلاء بالحجة والإقناع

واجب، أوليس عندنا من النصارى والإسماعيلية والرافضة ما يكفينا؟

أو ليس المخدوعون بالكفار هاهنا كثير؟ أليس من المعضلات في نفسية المسلمين في العصور المتأخرة أنهم كما قال مالك بن نبي مستعدون للموت الآن، غير مستعدين للإسهام في بناء مسجد ينتهي بناؤه بعد ثلاث سنوات؟

نعم نصرة المسلم واجبة، ولكن الله في صريح القرآن قدّم الوفاء بالميثاق على نصرة المسلم إذا لم يهاجر؟ فقال في سورة الأنفال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌۗ﴾ [الأنفال:٧٢].

فانظر كيف جعل الأمور مرتبة وليست كما يحلو لنا.

نعم قتال الذين يحرقون مدن أهل السنة في العراق والشام واجبة، ولكن أوجب منه جهاد من أحرقوا مصافي النفط في "رأس تنورة" و"الجبيل"، ومن يمدون الحوثيين بالمال والسلاح ليرموا مكة والرياض.

وقد كان السلف الصالح يبدأون بالأهم ويراعون واجب الوقت، فالإمام مالك رحمه الله كان إذا دخل رمضان ترك الحديث وانصرف إلى تلاوة القرآن، والإمام أحمد بن حنبل رحمه الله كان إذا ذاكره أبو زرعة في الحديث لم يصلِّ إلا الفرائض.

وهنا أذكر قصة وقعت في مكة زادها الله شرفا، وهي أن أخا قدم من مصر وجلس إلى أحد الشيوخ وهو يشرح كتاب "المغني" لابن قدامة المقدسي، فقال له: يا شيخ هذا الكتاب كم مجلد، فقال الشيخ "تسعة مجلدات"، فقال الأخ: حتى تنتهي من هذه المجلدات يكون الروس قد احتلوا أفغانستان وفعلوا كذا وكذا.

وهذا الأخ الآن يعلم ماذا فعل قادة الجهاد الأفغاني، وأن المجاهدين اليوم هم من كانوا أطفالا يوم كان الشيخ يشرح المغني!!

فقتال الكفار -على أهميته- ما هو إلا حل عاجل لمشكلة تردي الأمة وتخلفها، وإنما الحل الجذري في بدء الطريق من أوله وتصحيح المسار،

والعودة لتصحيح أول متزل، وهو الإيمان الخالي من البدع والشوائب كما قال الإمام الغزالي رحمه الله بعد طول تجربة وكثرة ضياع، ومات و"صحيح البخاري" على صدره وقال أو تمثّل بقول القائل:

تركت هوى سعدى وليلى بمعزل   وعدت إلى تصحيح أول متزل

وبذلك أوصى الرازي أيضا.

وبعد تجربة مريرة وممارسات طويلة عادت جماعات العنف عنه، وبدأت الطريق من أوله، ونشرت الدعوة في مصر لا سيما في الريف، وممن عاد الكاتب الذي كتب للغلاة كتابا واستعار لنفسه اسم "عبدالقادر عبد العزيز"، ويقال إن اسمه الحقيقي "سيد إمام شريف".

والمقصود أن من ظن أن المنكر يتغير بالقوة وحدها رجع، ونشر الإعلام في بلاد كثيرة التراجعات الفكرية لهؤلاء، بعد أن كانوا قد أوصلوا الغلو إلى أفغانستان وأصابوا به بعض الشباب المتحمس!

وإنما يكون تحرير الأرض بعد تحرير الإنسان، فأهم فروض الأعيان هو الدعوة إلى الله، وتوحيده وعبادته وحده لا شريك له، ثم بعد ذلك نطرد اليهود والأمريكان من بلادنا، ونجعل طردهم جزءا منه، ومما يوجب ذلك أن أكثر النصيرية كالبهائم وأنهم لو دعوا للحق لأجابوا.

مسألة دفع الصائل:

بعض الناس يحتج بمسألة دفع الصائل على الذهاب للقتال، ودفع الصائل حق، لكن لا ينبغي أن تفوتنا أمور أخرى ومنها:

١- أن دفع الصائل مسألة فردية تتعلق بالإنسان، وليس بعموم الأمة.

٢- أن الصائل قد يمكن دفعه بما هو أقل من قتله.

٣- أن الصائل هو النصيرية والرافضة والعلمانيون والقوميون وأمثالهم، وليس هو الجبهة الإسلامية والفصائل التي تقاتل النظام، وكل الحركات الجهادية التي يقاتلها تنظيم الدولة حاليا.

٤- أنه إذا أخطأ الكفار وجعلوا غايتهم تحرير الأرض فلا نخطئ نحن أيضا.

٥- أن دول الكفر تصول علينا بطرق أخرى ينبغي معرفتها وهم يغلّفون تقسيمهم بحسن الجوار، ويغلفون محاربتهم للإسلام باسم محاربة الإرهاب، وما يسميه الغرب وأذنابه إرهابا يسميه الروافض "كربلاء جديدة"، ومن يسميهم الغرب "هراطقة الإسماعيليين" يسميهم الروافض "أحفاد قتلة الحسين"، ولما أراد فيصل الدويش المطيري تحرير الكويت أنذره الانجليز، وعدوا عمله عدوانا على بلاد هي تحت حمايتهم، ولما احتل الانجليز الخليج قبل مدة وهاجمهم القواسم سموهم "قراصنة"! ولما طهر القواسم السفن التي استولوا عليها من خنازيرهم وخمرهم وجيفهم قالوا هكذا يفعل الهمج المتأخرون!

وقد كان من ثوابت السياسة البريطانية البقاء في البحر وترك التدخل فيما يسمونه "البر العربي"، بعد هزيمتهم النكراء على يد بني بو علي في سلطنة عمان، غير أن "بوش" كرر الغلطة نفسها بعدوانه على العراق، الأمر الذي جعل "أوباما" يسحب الجيش الأمريكي منها ويجعله في البحر، حيث أصبحت المنامة قاعدة للأسطول الخامس الأمريكي وهو عند الأمريكان أهم الأساطيل، وله في غير الخليج كالبحر الأحمر والمحيط الهندي وجود كثيف، وأنا أطمئن اتباع أمريكا عنها بأنه ليس تركيا.

٦- إذا كانت مقاتلة الكفار الذين احتلوا بلادنا دفعا للصائل فلنسأل أنفسنا هل دعوناهم إلى الله وفق قوانينهم نفسها؟

٧- أن الحالات العارضة لا تلغي الأحكام الدائمة.

على أن ما يسمى الإرهاب إنما هو عقوبة ربانية على ما فينا من الذنوب، وقد عاقبنا الله قبل داعش بالعقيد معمر القذافي، وقد كان العقيد يريد تفجير الجسور وقطع الطرق ومنها طريق الهدى، ويقول إن السعودية صنيعة بريطانية، وقد ذهب إليه بعض العلماء ومنهم الشيخ صالح اللحيدان،

فقالوا إنه كافر، وهاجم السعودية علنا حتى في حضور الملك فهد مما اضطر الملك فهد إلى إطفاء سيجارته والرد عليه، وقال له الملك عبدالله عبارته الشهيرة "الكذب أمامك والقبر قدامك".

وسكت العلماء عن كفرياته، وجاء للسعودية دون أن يتوب وكان حرسه من النساء، ولما قال له أحد الإخوة المصريين في المسعى "اتق الله" سجنته المباحث السعودية.

ومع كفرياته وإرهابه وعداوته المعلنة للسعودية نجد قناة العبرية تؤيده الآن بعد موته، ووقفت غير مشكورة مع الثورة المضادة السائرة على دربه، وقالت كما قال بعض دول الغرب إن ما قام به حفتر "انقلاب على الحكومة الليبية" وتسمي قوات حفتر "الجيش الوطني الليبي"!

ثم دهانا حزب الدعوة الشيعي وحزب اللات بما هو أشد، فكان أحد أفراد حزب الدعوة "إبراهيم الجعفري" خلف التفجيرات التي وقعت في مكة وغيرها، وكان لحزب اللات خلايا في الشرقية والمدينة سجنوا بعضها معي، وهذه الخلايا هي التي عكرت الأمن وروعت الناس في الشرقية، وقتلت ١٩ أمريكيا في "الخُبر"، ومع ذلك لم يقتلوا منها أحدا.

ومع كثرة العبر وتوالي العقوبات أصر كثير من الناس على ما فعلوا، وازدادت الذنوب والمعاصي، وزاد حب الدنيا وأقبل عليها كثير من الخلق باسم "التقدم والعيش الرغيد والرفاهية الاقتصادية والترفيه والرياضة والتنمية"، وبالجملة كل ما يشغل عن الآخرة.

إجمال أسباب الإرهاب ودوافعه:

دون نسيان للمكون النفسي لبعض الشباب، نذكر إجمالا ما نعلمه من أسباب الإرهاب ودوافعه، لأخذ العظة ولإقامة الحجة وإبراء للذمة وقياما بواجب النصح وبعض المنكرات تختفي.

وكل أسباب الإرهاب ودوافعه موجودة في مجتمعنا، فلا يصح أن ندفن رؤوسنا في الرمال، ونشغل المجتمع عنها، ومنها:

١- ترك العدل مع الغلاة ومعاملتهم بمقتضى شرع الله واعتماد الحكومة على الحل الأمني وحده، فبالعدل يطمئن الناس ويسكنون، فقارن مثلا بين درة عمر وسيف الحجاج.

٢- الانحراف عن مفهوم العقيدة الصحيحة، وعن حقيقة الإسلام الذي عرّفه الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بأنه "الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله"، فهل تبرأنا من أمريكا والملاحدة والروافض؟

٣- التحالف مع الكفار، وأشنع من التحالف معهم الانضواء تحت قيادتهم، فالواجب شرعا هو عداوتهم والبراءة من كفرهم، ولا يجوز للمسلمين محالفتهم ولا موالاتهم بحال، قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المسألة الثالثة من الأصول الثلاثة: "الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ولو كان أقرب قريب".

وهنا ننبه إلى أن ذهاب الشباب وانخراطهم في صفوف تنظيم الدولة في العراق وبلاد الشام أو في أي مكان مخالف لفكر التنظيم نفسه من جهة أن فكره يقوم على تكفير الدولة السعودية وكل الدول.

وإنما يذهب هؤلاء الشباب إلى هناك اعتقادا منهم أن مجتمعهم مسلم لكن تنقصه بعض التوجيهات، فكيف يتفق الأمران؟

وإنما أنصح هؤلاء الشباب -هداهم الله- بطلب العلم الشرعي الذي به يلتزمون بقواعد أهل السنة في تكفير المعيَّن وغيره، وبه ينشرون معاني الجهاد في مجتمعهم المنغمس في الدنيا، ويعرفون المنكرات وأسباب تفشيها.

٤- إثارة النعرة الجاهلية بقول هذا أجنبي أو قطعة هندي كما سمى عبدالله بن أبي المهاجرين "جلابيب قريش"، ولذلك قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [المنافقون:٨] فهم لجهلهم يقولون هذا.

٥- الاقتصار على بعض جوانب من الإرهاب دون الآخر، ولا شك في خطأ تنظيم الدولة الإسلامية وتنظيم القاعدة، ولكن خطأ من يحاربون الدين مثل اليهود والنصارى والمتصهينين العرب أكبر، ومما يحاربون به الدين دعواهم الصريحة للديمقراطية وتحكيم القوانين الوضعية، وقولهم إن التمسك بالدين ظلامية وإرهاب ورجعية وطائفية، إذ أن هؤلاء إما أنهم لا يؤمنون برسالة محمد ﷺ أصلا مثل أمريكا وإسرائيل وسائر الحكومات الغربية، وإما أنهم يقرون بها ظاهرا ويحاربونها بأساليب صريحة أو ملتوية كما يفعل السيسي وبشار وسائر الدول العربية، ومن محاربة الدين ونشر الغزو السلوكي إعلامياً في كل مجال كالسينما والكرة ولعب لابلوت والدياثة.

٦- السجن الطويل حتى لمن تاب، ومنعه من السفر وفصله من العمل.

والخوارج لا يسقط حقهم من بيت المال إلا إذا قاتلوا المسلمين، والمسلمون لا يبدأونهم بقتال، بل يناظرونهم، وكذا حكم من كفَّر المسلمين، وبهذا حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه كما سبق، وجاء بعض الناس إلى عبد الله بن عمر يسأله عن حكم من قرأ القرآن وعمل كذا وكذا، ولكنه يكفِّر المسلمين، فقال له: تريد أن أقول: قاتلهم؟ عظهم وانصحهم فإن قبلوا منك وإلا فدعهم، أي إنما عليك الدعوة والبلاغ.

٧- عدم معاقبة من نشر الكفر الصريح، وإتاحة الفرصة له لينفي ما قال أو يؤوله، ومن هذا الفكر قول الشاعر الحداثي عن بلاده:

كساها بعسجده الهاشمي فدانت لعاداته معبدا

هب أن الشاعر قال: بعسجده وليس بمسجده، فمن هو الهاشمي الذي خضعت له جزيرة العرب؟ وهل القضية قضية عادات يجب اتباعها؟

وكذا قوله الآخر: "جاء رسولنا ليصحح عقيدة إبراهيم، وجاء زمن نحتاج فيه إلى من يصحح عقيدة محمد (ﷺ)"!!

فانظر إلى أي حد يصل الكفر، ومع ذلك يسألون كيف يقع الإرهاب؟

أليس إنكار ما يفعله الغلاة، مع السكوت عما يقوله هؤلاء، من الكفريات، مثل إنكار المشركين القتال في الشهر الحرام، دون نظر إلى صدهم عن سبيل الله والكفر به وإخراج أهل الحرم منه؟

٨- الظلم والسَّجن التعسفي ومحاربة الإسلام أيام جمال عبد الناصر أنتجت جماعة "شكري" التي سمت نفسها "جماعة المسلمين"، وسماها أعداؤها "جماعة التكفير والهجرة"، فلماذا تكرار ذلك أيام السيسي وبمعونة الرز الخليجي؟

د ع أخطاء أمريكا فهي أكبر من ذلك، فقد كان المجاهدون أيام "بوش" بضعة آلاف، وأصبحوا أيام "أوباما" أكثر من ١٠٠.٠٠٠، وليس هذا قولي بل قول الأمريكيين المتخصصين في شؤون ما يسمونه "الإرهاب"، وأعمال ترامب تزيدهم حتماً.

وهكذا أخطأ عبد الناصر وبوش وهو عين ما وقع فيه حكام العرب اليوم، وحجة الجميع واحدة وهي حرب الإرهاب.

وقد اعترف كثير من كبار الساسة البريطانيين أنه لا علاقة للحرب على العراق التي خاضها "بوش" و"بلير" بالإرهاب، فهل ننتظر سنوات الله أعلم بها لكي يقال إن ما يسمى اليوم الحرب العالمية على الإرهاب لا علاقة لها به؟ وإذا كان ذلك لا علاقة له بحرب الإرهاب، فماذا يحاربون إذن؟

وإلى متى يظل المخدوعون ينتقلون من دوامة إلى أخرى، ولم لا تعود الفئة المسماة "النخبة" إلى رشدها وتتمسك بدينها رافضة هذا النوع من "الإسلاموفوبيا" في بلاد الإسلام.

على أن القاعد عن قتال الكفار لا يكفر، وإن كان قعوده بغير عذر شرعي فهو عاصٍ، والله تعالى قال في كتابه الكريم: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [النساء:٩٥]، بعد قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾ [النساء:٩٥] الآية.

فجعل درجة الجهاد أعلى من القعود، ووعد المؤمنين جميعا بالجنة (المجاهد والقاعد)، إما ابتداء وإما بعد حين، فكيف يقول بعض الناس من لم يبايع فلانا فهو مرتد، ومن الطبيعي أنه إذا بايعه جاهد معه والتزم جماعته، وإنما الإمام جنة يقاتل من ورائه كما في الحديث، فكيف إذا أصبح يحتاج لمن يقاتل معه!، وهذا التفاوت في الجزاء يدل على أن قتال الكفار ليس فرض عين، وأن الجهاد يسقط عن المعذور كالمريض والأعرج والأعمى كما ذكر سبحانه، والرسول ﷺ لم يحكم بردة من تخلف عنه ساعة العسرة، إذ فيهم المعذور والعاصي، بل قال: (إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم، حبسهم العذر)، ومن الأعذار المذكورة في القرآن ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة:٩٢]، فهم لا يجدون النفقة ولا يجد الرسول ﷺ ما يحملهم عليه، وهو تعالى لم يفرض النفرة على كل أحد، بل أن ينفر من كل فرقة من المؤمنين طائفة.

ومثلما ننصح أن لا يسافر الشباب وأن على من ذهب أن يرجع، ننصح أيضا الحكومة بحسن معاملة الراجعين، وفتح مجالات الدعوة وزجر المخالفين لذلك من الإعلاميين والكتبة، وتربية الأمة كلها على الدين.

ونقول لها إن تحجيم مجالات الدعوة والعمل الخيري والتضييق على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كل ذلك سوف يأتي بنتائج عكسية، وهو سياسة علمانية مخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ومن ذلك تحويل كثير من أهل الدين إلى الغلو والثورة، ومن ذلك ترسيخ القاعدة لدى المصلحين كافة بأنه لا يمكن إصلاح النظام من داخله، وإذا علمنا أن أكثرية الناس متدينة بالفطرة أمكننا تصور مقدار الشذوذ التي تسعى هذه السياسة العقيمة إلى فرضه، كما أن ذلك يؤدي إلى التنافر والاستقطاب، وربما إلى تقسيم الأمة حقيقة وإن بقيت موحدة شكلا.

ومن الخطأ الظن بأن المال وحده يكفي، أو أن التدرج في التغريب سوف ينجح، فالعالم كله في عودة إلى الأصول، والسباحة عكس التيار غير

مجدية، وهذا الدين لا يرتبط بموت جيل أو فناء دعوة، لأنه دين الحي الذي لا يموت، وقد وعد بإظهاره على الدين كله ولو كره المشركون، كما أن من الصعب جدا إحكام القبضة على كل شيء، في ظل هذه الثورة الهائلة في المعلومات، ولا يصح التملص من المسؤولية وإلقائها على البطانة أو على العلماء، فلكل مجاله وعلى كل واجبه، وكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته! ومن الخطأ البيِّن الظن بأن الناس سوف تشغلهم الرياضة أو الأفلام أو الشهوات أو الملهيات عن واقعهم الأليم، أو أنهم مغفلون إلى درجة أنهم لا يعلمون من وراء النهب من بيت المال والشركات الصورية، أو أن تخديرهم بالفتاوى المضللة والشعارات اللفظية سوف يدوم.

وعلينا إذا أردنا دوام النعمة بالتوبة والاستغفار، ونستعد بذلك للمستقبل وعصر ما بعد النفط، وأن نحرص على تجنب الذنوب التي هي أصل كل شر.

ولأن جهاد الكفار مرتبط بمصلحة المسلمين وواقعهم جُعل الجهاد موكولا إلى رأي الإمام الذي يشاور بطبيعة الحال أهل الرأي في ذلك، وقد تكون الهدنة هي الأصلح، فيهادنهم الإمام مدة تكفي لبناء دولة المسلمين واستقرارها، والدعوة إلى الله، كما هادن النبي ﷺ كفار قريش عشر سنين.

ولكون الجهاد تابعا للمصلحة أمر عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه برجوع الجيش الذي حاصر القسطنطينية، وظل فتحها مستعصيا قرونا حتى كان شرفه لمحمد الفاتح كما هو معلوم، وعد العلماء ذلك من أعظم أعماله، ولو أن المسألة مسألة حرص فقط، لفتحها الصحابة، فقد كان أبو أيوب الأنصاري ومن معه أكثر حرصا على فتحها.

والصحيح أن مراحل الجهاد لا تُتَّبع حرفيا، وإنما عموماً ويراعى في ذلك حال المسلمين ومصلحة الدعوة، فإذا كان المسلمون والدعوة في حال ضعف فهم مأمورون بكف اليد والصبر كما في القرآن، أو بالهجرة كما أذن لهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة.

وإذا كانوا في حال قوة ومنعة، أُمروا بأخذ الجزية وضرب الذل والصغار على المخالف.

وإذا كانت مفسدة الجهاد أرجح من مصلحته، جاز لهم تركه كما رجع النبي ﷺ عن حصار الطائف.

ففرق بين النسخ وبين التدرج ومراعاة المصالح.

كلمة أخيرة:

مهما اختلفنا مع من يسمون الإرهابيين يقتضي العدل الذي أمرنا الله به أن نقول إنه يندفع بهم شر عظيم عن بلاد الحرمين، فالخوف يدفع الأمريكان لتأخير مشروعهم الرامي لتقسيم السعودية، وهو أيضا يدفع اليهود لعدم فتح سفارة لهم في الرياض، وهم السبب لنقل الأمريكان قاعدتهم العسكرية من الخرج إلى العديد في قطر.

وهم كذلك أكبر رادع لأن يبني الرافضة مقامات وعتبات لهم في البقيع والمعلاة.

ومهما كان انحرافهم لا يستطيع المرجئة إخراجهم من الدين، فهم كما قال ابن تيمية في الجزء الخامس والثلاثين من مجموع الفتاوى (ص٢٠٠): "كل من كان مؤمنا بما جاء به محمد ﷺ هو خير من كل من كفر به، ولو كان في المؤمن بذلك نوع من البدعة سواء كانت بدعة الخوارج والشيعة والمرجئة والقدرية أو غيرهم، فإن اليهود والنصارى كفار كفرا معلوما بالاضطرار من دين الإسلام" اهـ.

وهم كذلك يمنعون الغرب من الإساءة للنبي ﷺ وإلا كان مصيره كمصير المخرج الهولندي الذي قتلوه، كما أن كون كل متدين إرهابياً كما يزعمون قول بيِّن البطلان، وكذا قول إن المحافظ سوف ينتهي به الأمر إلى الإرهاب!

فلا يرضى أي عتيبي أو مطيري أن يوصف سلطان الدين أو فيصل الدرويش بالإرهاب مثلا.

ونختم الكلام عن مشكلة ما يسمى الإرهاب الإسلامي بذكر أنواع أفعال غير المسلمين ويمكن وصفها تبعا لتصنيف القوم بأنها إرهابية ونذكرها إجمالا دون تفصيل:

١- **الإرهاب الهندوسي:** ومن الأمثلة عليه منظمة (اس.آر.آر) مع أن كل الأحزاب الهندوسية في الحقيقة تقتل المسلمين أينما وجدتهم، وأكبر حزب في العالم بهارتا جانتا يهدف لتحويل الهند كلها إلى دولة هندوسية بحتة.

٢- **الإرهاب البوذي:** ومنه منظمة (أوم شنريكو) التي وضعت غاز السارين في أنفاق طوكيو.

٣- **الإرهاب النصراني:** وهو منظمات تفوق الحصر منها منظمة (جيش الرب) ومنظمة (الصليبيون الجدد) ومنظمة (أنتي بالاكا) ومنظمة (كوكس كلان) وأكبر الإرهابيين هو المنظمات الأصولية التي يؤيدها دونالد ترامب وإدارته.

٤- **الإرهاب القبطي**: وقد ذكر الاستاذ أبو إسلام أحمد عبدالله، أن شنودة إنما ترشح بمعونة بضعة عشر تنظيماً إرهابياً، فكم هي اليوم؟ ومع ذلك فالإرهابي عند السيسي من يتبع جماعة كذا الإسلامية فقط، وكل حادث في مصر يقول إنه إرهابي حتى ولو كان قبلياً بحتاً.

٥- **الإرهاب النازي:** ومن منظماته المشهورة في أمريكا وأوروبا النازيون الجدد.

٦- **الإرهاب السيخي**: ومن منظماته منظمة (بابار فالسا).

٧- **الإرهاب اليهودي**: وله منظمات كثيرة قديما وحديثا منها منظمة (كاخ) التي أسسها (مائير كاهانا تحت اسم كاهانا حي) وهي تؤيد إرهاب الدولة الذي تمارسه إسرائيل وتعتمد على فتوى الحاخامات باستحلال دم كل فلسطيني بل كل عربي وكل مسلم.

٨- **الإرهاب الأوروبي**: وهو ما يعلمه كل أحد حتى في الدول التي

تظهر بمظهر الحياد وتتمسح بالإنسانية، كالسويد فقد صرح عضو أحد أحزابها بأن المسلمين ليسوا بشرا ومنه (الجيش الجمهوري الإيرلندي) والإرهاب في أوروبا ليس مجرد تنظيمات، بل هو أحزاب سياسية تسعى للوصول للحكم كما في فرنسا وهولندا والنمسا وألمانيا وإسبانيا وإيطاليا، وله أيضا منظمات كثيرة مشهورة كمنظمة (إيتا) و(الألوية الحمراء) و(الباسك) و(القمصان السود) و(يامن هوف) و(كهنة فينيس).

٩- **الإرهاب الأمريكي** الأبيض الذي يستهدف المسلمين والسود واللاتينيين وله منظمات كثيرة يدعمها كلها (دونالد ترامب)، ومن أعماله المشهورة إطلاق النار في أوكلاهوما حيث قتل ١٦٠ أمريكيا، وكذا إطلاقها في لاس فيجاس حيث قتل حوالي ٦٠ أمريكيا، وفي داخل الكنائس حيث مات ٢٦ شخصا في حادث واحد داخل كنيسة معمدانية، وكذا إطلاق النار في الجامعات والقطارات والمدارس في شيكاغو وفلوريدا وفيرجينيا وكارولينا وتكساس.

ومن العجيب أن المباحث الأمريكية (اف.بي.آي) إنما تضع أفعال بعض المسلمين في ذيل القائمة، بينما يأتي في رأسها هؤلاء.

هذه نماذج حية تثبت أن ما يسمى إرهاباً في الحقيقة ليس له دين، وأن اتهام الإسلام وحده به تحامل ومخالفة للحقيقة، مع أننا هنا اقتصرنا على بعض التنظيمات دون بعض، و لم نذكر إرهاب الدول.

حادي عشر
لمن المستقبل؟

لماذا نتفاءل؟

الإسلام يعلم المسلمين دوام التفاؤل وتمام الثقة وعلو الهمة إذا سألناه، وقوة الإرادة دائما، والمسلمون في أشد حالات أذى المشركين والرسول ﷺ وصحبه لا يزالون بمكة، جاء الصحابة إليه ﷺ قائلين يا رسول الله ألا تدعو الله لنا؟ ألا تستغفر لنا؟ فبشرهم النبي ﷺ بالأمن وحسن العاقبة، وأحال المشكلة إلى الخصيصة النفسية للبشر (ولكنكم تستعجلون)، ولما كان الكرب الذي ذكر الله يوم الأحزاب ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:١٠-١١].

وزاد في الزلزلة وتفريق الصف المؤمن أن ينخذل المنافقون ويتسللوا لواذا، وأن ينقُضَ بنو قريظةَ العهدَ، وفي ذلك الموقفِ الحرِج الذي لم يكن للمسلمين فيه مِن حيلة إلا حَفر الخندق والاحتماء به، كان من ذلك البلاء والشدة أن يجد المسلمون صخرة عاتية منعتهم من الحفر لم تجد فيها معاولهم وفؤوسهم، فشكوا حالهم لرسول الله ﷺ الذي ضربها بمعوله وقال باثًّا الأمل في نفوسهم: (الله أكبر، أضاءت قصور الشام)، ثم ضرب الثانية وقال: (الله أكبر، أضاءت قصور كسرى...) إلخ.

وكان لهذه التربية النبوية الفذة أثرها العظيم في نفوس أصحابها الكرام، فانطلقوا لفتح أعظم إمبراطوريتين في الدنيا آنذاك: امبراطورية الفرس وامبراطورية الروم في آن واحد.

وحتى في الدعاء علمنا النبي ﷺ أن نسأل الله الفردوس الأعلى من الجنة.

وقال عز من قائل: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩]، فالقضية ما هو موقفنا من الإيمان وليست النصر أو الهزيمة ولا التأخر والتقدم.

ونحن بالرغم من التقهقر الحضاري ماديا وتقنيا، لا نزال أقرب أمم الدنيا للحق وأكثرها تقدما في المجال الإنساني والأخلاقي، وأكثرها تكافلا

اجتماعيا، وأغناها بالشخصيات الخارقة والأعاجيب المعجزة، وأوفر الناس حظا بالحياة الطيبة التي قوامها الإيمان والعمل الصالح، ونحن نتفوق على الغرب أخلاقيا مهما تأخرنا تقنيا، وهذا مما يجعلنا نضمن أن المستقبل لنا بإذن الله، وإليك هذه القصة الواقعية التي حدثني بها أحد الثقات من أقربائي: قال محدثي: خرجت بأهلي من الطائف متجها إلى الجنوب وسالكا الطريق السياحي وقدر الله أني لما وصلت بلاد بني مالك (بجيلة) تسرب الهواء من إطار سيارتي (بنشرت) وهناك فاجأني أحد الناس وقال تفضل عندي وأنزل أهلك عند أهلي حتى تصلح سيارتك، ثم إن المذكور جاء بغداء ذبيحة كاملة ولم يكن إلا أنا وهو والأهل، فأكلت وأنا مهموم بشأن السيارة، وبعد الأكل والشرب قال: تفضل الآن إن شئت، قال: فقمت إلى السيارة فوجدتها قد أصلحت وكان قد أصلحها دون علمي، ثم غادرت المنطقة أنا وأهلي، وقد تأسفت لأني لم أسأل الرجل من هو وما قريته، وكل ما أعرفه أنه أمي!

أقول: هذا هو مخزوننا الاستراتيجي وأخلاقنا التي لا يحلم بمثلها الغرب الذي يخزن الأسلحة النووية والصواريخ عابرة القارات، وهذه القيم لم يتعلمها ذلك المالكي الأمي من مناهج صحوية، ولا فكر إخواني كما يزعمون، وإنما هي سجية عربية وفطرة إسلامية مغروزة فينا، لاسيما منذ أن راغ أبونا إبراهيم عليه السلام وجاء بعجل حنيذ، وقربه إلى قوم لا يعرفهم، وبمثل هذه الأخلاق جزمت خديجة رضي الله عنها أن الله لا يخزي رسوله قط، كما قالها ابن الدغنة للصديق لما أراد أن يهاجر.

فقل لي بربك أليس الذين يحاربون الصحوة يسبحون عكس التيار الشعبي؟

والسير وراء هذه الحضارة الزائفة يعني إنكار الحكمة الربانية من خلق الإنسان، تلك الحكمة التي يسميها الغربيون (التصميم الذكي)، والاكتفاء بالعلل الصورية الظاهرة عن الأسباب الحقيقية والأهداف العميقة، مع أن

القائلين بالتصميم الذكي يجهلون ما رواءه، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون:١١٥]، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة:٣٦] قال الشافعي رحمه الله: "سُدى أي لا يؤمر ولا ينهى".

وقال عز من قائل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فلتسقط كل النظريات الغربية من عدمية وعبثية ومصادفة وتطورية، ولتبق الحكمة الإلهية العظيمة، وليسقط التفسير المادي للتاريخ، ولتبق حقيقة أنه ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤]، ولتسقط كل التخرصات والتخمينات عن الإنسان القديم، ولتبق حقيقة أن آدم عليه السلام كان نبيا مكلما.

وليذهب كل ظن باطل بالله إلى مزبلة الفكر قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص:٢٧].

والحمد لله الذي أنطق بالحقائق ألسنة الغربيين أنفسهم من علماء الأحياء والفيزياء والكيمياء والطب والرياضيات وغيرها، ولكن إعلام المسلمين عن هذا غافل يريد إغراق الناس في الشهوات وعلى كل هؤلاء الغافلين يصدق قوله تعالى: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٦٣]، وقوله: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل:١٠١]، وقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وليس للمسلمين خيار بأن يتبعوا الغافلين أو المتقين، فالله تعالى حسم المسألة، وبين أن هداه هو الهدى، وفي الآية الأخرى أن الهدى هدى الله، فمن الذي يتبع الضلالة ويترك الهدى؟

ومن نعم الله علينا وتسخير أعدائه أن الغرب نفسه هو الذي يدل المسلمين على فضائلهم وميزة مواقعهم الجغرافية، وأنه يكشف حقيقة أعداء الإسلام ويبين خطر الابتداع ويفضح عملاءه ويتحدث عن عيوب ديمقراطيته ولا إنسانيته، وكيله بأكثر من مكيال، وينشر تقسيماته، ويبين للمسلمين

حقيقة الشرعية والجهاد، كما أن تقنيته الإعلامية وقوله إن العالم قرية إعلامية تدل على أنه يكفي البشر رسول واحد ودين واحد، كما أن جشعه على الثروات جعل المسلمين يعرفون قدر ثرواتهم وتكتلاته، مع اختلاف أديانه ولغاته دافع للمسلمين إلى ضرورة التوحد، واهتمامه بالقوانين المائية ينبه المسلمين إلى معرفة أهمية مضائقهم وممراتهم، كما أن منعه للمهاجرين إليه من المسلمين يجعل المسلمين يعرفون قيمة مجتمعاتهم رغم ما فيها من الفقر والاستبداد، وحين تقر الأمم المتحدة أن جنودها يرتكبون اعتداءات جنسية مع عجزها عن حل مشكلات العالم، فإنما تقول للمسلمين إنها منظمة فاشلة، وإن مصيرها مثل مصير عصبة الأمم قبلها، كما أن الطب البديل ينادي بأن الطب الغربي يدخل مرحلة الأفول، ويقر علماء الاجتماع أن الحكم الوراثي هو من بقايا حكم العشيرة في المجتمعات البدائية، وأن الإنسان أرقى وأعلى من الانحطاط الذي تقول به الداروينية، وأن فكرة العولمة إنما تبين قيمة قوله تعالى عن نبيه الكريم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧].

والحرية التي يتيحها الغرب تجعل الإنسان الغربي يقرأ عن الإسلام ولو فضولا.

فعجب لمن يستأجر لنفسه محاميا لإثبات دعوى خصمه، حتى دراساته الاستشرافية تؤكد قيام ما يسمونه إمبراطورية إسلامية، يكون مرتكزها تركيا كما يقولون، والله أعلم متى ستقوم وأين، وصدق الله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]، والله تعالى له في كل جيل نشأ يستعملهم في طاعته، ويهدون الناس بأمره يأتي بهم من العرب أو العجم كما يشاء.

وقد عبر لواء أمريكي عمل محققا في سجن غوانتنامو عن التفوق الإسلامي قائلا: "في هذا السجن الحصين كنا نؤوي بعض الجنسيات كاليابانيين فلا يمضي السجين بضعة أشهر إلا أصابه الجنون، أما هؤلاء

المجاهدون المسلمون فبعضهم أمضى قرابة العشرين عاما، وهو كل يوم أكثر صبرا ويقينا ومطالبا وكانوا يطالبون بالصلاة جماعة وبالرياضة الجماعية، ويتداولون المصاحف والكتب بانتظام، ويحذرون الجنود من إهانة المصحف، وينشدون أناشيد جماعية موحدة، ولم تجد فيهم القوة ولا الإغراءات المادية أو المعنوية التي كنا نقدمها، والغريب حقا هو أن الجنود بل الضباط أصبحوا يتحاشون الصدام معهم".

ويضيف ذلك اللواء "وبعد الدراسة والتفكير والتحقيق وجدنا أن أكبر بؤرة إرهابية هي مدرسة رغدان التي فيها (٤٢) إرهابيا، وكذلك وادي مهور في تهامة زهران"، وأن هؤلاء ليسوا من دولة واحدة، بل من دول شتى ولا يعرف بعضهم بعضا.

ويقول ذلك اللواء الذي فضل ألا يذكر اسمه:

"التعميم خطأ، فقد كنا نظن أن كل هؤلاء متبعين لفكر القاعدة، ولكن التحقيق كشف لنا أن بعضهم إنما جاء لأفغانستان حبا في الشهادة، ولم يتأثر بأحد ولم يقرأ كلاما لأحد، بل إن بعضهم ذهب لأفغانستان للعمل الخيري فقط، وكلهم مجمعون على خطأ السياسة الأمريكية"، انتهى كلامه.

فسبحان من أخرج هؤلاء الرجال من بين فرث الشيوعية ودم الرأسمالية واستبداد الطواغيت.

هكذا قال اللواء الأمريكي، فماذا يقول الزعماء العرب والمباحث العربية والإعلام العربي؟

والواقع أن الغرب عامة وأمريكا خاصة لم تتقدم في كل المجالات، لكننا نحن المسلمين تأخرنا عن هدى الله فصار الناظر إلى الحضارة من زاوية التقنية والصناعة فقط، يرى الغرب متقدما علينا.

ونحن بالرغم من هذا الانحدار الذي نعيشه والتأخر التقني الملحوظ، نجد الناس في مجتمعاتنا أفضل وأرقى من مجتمعات الدول التي تسمى (متقدمة)، كما نجد أن جهلنا خير من علمهم، وفقرنا خير من غناهم، ولست أشك

لحظة واحدة أن سكان صنعاء والحُديدة أو دكا وشيتاكونج أكثر رقيا من سكان واشنطن ونيويورك وبوسطن ولوس أنجلس، فالفقر -مثلا- عندنا دافع للتراحم والترابط بين المسلمين، ومزيد من الصبر والثبات وإظهار حقيقة التوكل على الله، التي قال عنها أحد السلف "أكثر ما أكون ثقة في الله إذا قال لي أهلي ليس في البيت درهم ولا دينار"، وبعض ما يسميه الغرب واقعية هو عندنا استسلام، وقد قال "نيومن" وهو دبلوماسي أمريكي سابق لأحد المسلمين "لو كانت إسرائيل تحتل كاليفورنيا لاعترفنا بها منذ أمد بعيد"، فانظر إلى صبر أهل غزة واحتمالهم الحصار بل تحقيقهم النصر مع قلة الإمكانيات والوسائل، وكيف أن نتنياهو يغلق معبر كرم أبو سالم، وأخاه السيسي يغلق معبر رفح، و"أبو مازن" يتواطأ مع الاحتلال رافضا فتح ميناء أو مطار في غزة، كما نصت اتفاقية "أوسلو" نفسها، ويمنع عن غزة ما يريد أسياده كالدواء والكهرباء، ومع ذلك تجد أهل غزة صابرين صامدين كل هذه السنوات.

على أن العدل يقتضي القول بأن الذين يعبرون من الأراضي المحتلة إلى الأردن أكثر بكثير ممن يعبرون من غزة إلى مصر، فإسرائيل أخف من عميلها السيسي الذي يقفل معبر رفح عن الفلسطينيين، ويفتح ليلا ونهارا معبر طابه لليهود، وإرضاء لعيون السيسي ظل أهل قطاع غزة محرومين من العمرة، وظل أهل الحجاز محرومين من فاكهة أهل القطاع وأموالهم.

ولا شك أن الفلسطينيين أقوى إرادة من الصهاينة، وصراعنا الحالي مع اليهود هو في الحقيقة صراع إرادات، وشتان بين الظالم والمظلوم والمعتدي والمعتدى عليه.

ونحن لا نستعجل المراحل الربانية، وإنما يحمل بعضنا بعضا ويعود سابقنا على لاحقنا، ونقود البشرية إلى بر الأمان وننقذها من هذه الحضارة الزائفة، ضمن مراحل مدروسة لا نخرقها ولا نقفز عليها، ومن القفز على المراحل واستعجال النتائج أن نهدم الأضرحة والمزارات حسيا، قبل أن نهدمها في

القلوب، ولا ريب أن رقينا الاجتماعي سيعقبه -بإذن الله- رقي مادي إذ هما لا يتعارضان.

وقد قال تعالى لليهود والنصارى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٥-١٦].

فالعاقل يسأل نفسه هل المستقبل للظلمات أم للنور؟ وهل أتاح الله لـــ"نيوتن" و"كبلر" وعلماء الفلك والكونيات عامة أن يكتشفوا بعض ما أودع الله من الأسرار والقوانين إلا ليؤمنوا؟ أليس لهم في معادلات الرياضيات وقوانين الكيمياء والفيزياء ما يدعوهم لشهادة الحق؟ وهل يعقل أن الخالق العظيم سبحانه يقيم الكون كله على هذه القوانين الثابتة ويترك سيد الكائنات (الإنسان) بلا شرع؟

وأحط من كفرة أهل الكتاب ملاحدة الدهرية المنكرين لوجود إله، فمن وضع هذه الموازين والقوانين المحكمة في الكون حتى النباتات أنبت الله من كل شيء موزون وهو تعالى الذي عنده خزائن كل شيء، وما يترله إلا بقدر معلوم، إذ كل شيء عنده بمقدار، فمن وضع هذه القوانين والموازين يا ملحدون؟

وقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال في "قاعدة نافعة في وجوب الاعتصام بالرسالة"، وهي في الجزء (التاسع عشر من مجموع الفتاوى): "الدنيا مظلمة ملعونة إلا ما طلعت عليه شمس الرسالة".

وهذا الظلام يشاهده بعين البصيرة كل ذاهب لبلاد الغرب، ويرى الحياة الاجتماعية المفككة والضجر القاتل والإحباط المريع.

وهذه الأمة لها قانونها التاريخي الخاص، إذ يكون البلاء مقدمة للنصر، وخذ هذين المثالين وقس عليها ما تشاء:

١- لما اجتاحت جحافل التتار الممالك الشرقية الإسلامية وباعوا أبناء ملوك المسلمين أرقاء في سوق النخاسة، أخرج الله من أولئك المماليك من هزموا التتار في عين جالوت.

٢- لما زار السادات إسرائيل ووقع الاتفاقية المشؤومة كامب ديفيد، وتوالت الاستسلامات في مدريد وأسلو، وطرح العرب على اليهود مبادرتهم النكدة، جاء الله بجيل جهادي يرفض كل ذلك الذل والانبطاحات، ويوقن أن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة، وشرع في البناء الجهادي في فلسطين المباركة كما هو معلوم لكل ذي لب.

وفي الحالين تحقق للمسلمين النصر حين انتصروا على أنفسهم، وأيقنوا أن العاقبة للمتقين، وأنه لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا، ولكننا نستعجل.

كما أن قرار "ترامب" بشأن القدس أعاد القضية الفلسطينية إلى الصدارة، وما سمي (صفقة القرن) وهدفه تصفية القضية الفلسطينية لا بد أن يخفق أيضا.

والشعب الفلسطيني هو الرقم الصعب في المعادلة الصهيونية لأمريكا وإسرائيل، فهو يتكاثر كما قال الصهاينة قديما تكاثر الأرانب، وعدده اليوم ١٢ مليونا، وبعد سنوات ليست كثيرة سوف يصبح الفلسطينيون وحدهم أكثر من كل يهود العالم، والصهاينة أنفسهم يصفونه بأنه شعب شرس وعدواني.

ولو أن الدولة اليهودية وافقت على فكرة الدولة الواحدة المشتركة لأصبحت الأكثرية منه، وإن جعلتها دولة يهودية واحدة كما اختار ترامب فأين يذهب الفلسطينيون؟

- وهابية الغرب:

يعيب علينا الغربيون أننا وهابية كما يزعمون، فلنتأمل حالهم وتاريخهم بكل موضوعية لنرى قرب أو بعد الوهابية عن التفكير السليم:

فالألمان والنمساويون حرموا زيارة قرية "هتلر"، والإيطاليون حرموا زيارة قرية "موسوليني"، والكنائس البروتستانتية الكثيرة كالإنجيلية والمشيخية واللوثرية تحرم التماثيل والمذابح والأسرار الكنسية وسر الاعتراف للخلق، كما تحرم شفاعة القديسين عند النصارى، وتحرم نظام الرهبنة وعزوبة رجال الدين.

كما أن "توني بلير" ارتد عن الإنجيلية إلى الكاثوليكية، أما أخت زوجته فأعلنت إسلامها، كما أعلنت طبيبة أمريكية قالت لمريضتها المسلمة: الاتصال الجنسي عقب الولادة ممنوع ما دام عندك دم، والأحوط أن تمتنعي عنه أربعين يوما.

وقد حدثني من رأى بابا الفاتيكان يصلي، وكان خادما عنده كما حدثني من رأى خوريّا في بلاد الشام مسلما يكتم إسلامه.

وأعلن البابا الحالي "فرنسيس" أنه لم يجد عيد الميلاد في الإنجيل!

كما أن طراز البناء الإسلامي ملحوظ في الكنائس، وهي الآن أشد شبها بالمساجد، وأكثر الكنائس في أمريكا وبريطانيا ليس فيها مذبح ولا صور.

والكنائس المعمدانية تحظر التدخين على أتباعها.

وكثير من الغربيين يصرح أنه ضد الإجهاض، ويقول إن تعدد الزوجات ضرورة اجتماعية كما كان الأنبياء من قبل!!

كما أن البحوث اللغوية المعاصرة تجزم بأن اللغة الانجليزية سوف تموت، وأن البقاء إنما هو للغة العربية.

والدراسات الطبية الحديثة تثبت تفوق الطب النبوي.

وعلم الفيزياء الحديث يؤمن بأن ما وراء (جدار بلانك) لا يمكن أن يفتي فيه إلا الدين.

والقائلون بالعلمانية والإسلام الطقوسي بين متولٍ وهارب، وكلهم حكَم عليه غيرُ دعاة الدعوة المسماة (وهابية)، ومنهمٌ فرج فودة ومحمد محمود طه والعشماوي وأبو زيد.

والعلماء والفلاسفة يقولون: إن العلم لا بد له من ضوابط أخلاقية، وإلا انقلب وبالا ودمارا على الإنسانية.

وعلماء النفس يقولون إن العامل النفسي هو أهم العوامل في النفع أو الضر.

والعقوبات التي تقررها المحكمة الفيدرالية في أمريكا أشد بكثير مما تقرره هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في السعودية.

فالوهابية إذن ليست خاصة بنا لكنها ولدت باسم آخر في الغرب.

والجوانب السلبية من الحضارة الغربية ساقطة ولا بد، حتى باعتراف الغرب نفسه، ولن يبقى منها إلا الجوانب الإيجابية التي أشار إليها عمرو بن العاص لما حدثه شداد بن أوس بحديث (تقوم الساعة والروم وأكثر الناس) كما في صحيح مسلم.

والغربيون حين يقبلون على الإباحية فليس ذلك لمجرد الإشباع الشهواني، بل هو مع ذلك محاولة للهروب من واقعهم النكد وحياتهم النمطية، واحتجاج على هذا الشكل غير الإنساني من الحياة.

ولا بد أن تبقى الثنائية بين المتصارعين حضاريا، غير أن الصراع على المستقبل هو صراع بين الحق والباطل، وبين الحضارات أو الطبقات الاجتماعية.

ولا يشك فيلسوف عاقل في أن الثنائية لن تنقضي في هذا العالم ويصبح عالما ساكنا ذا اتجاه واحد لا تركيب فيه، وهذا وإن كان الفلاسفة يحلمون به ويظن أصحاب اليوتوبيا هو غير متحقق واقعيا، حتى أن الفيلسوف

اليهودي (موسى هس) يأخذ على اليهودية أنها تتنكر للحقيقة، وبعض المعاصرين مثل فوكوياما ظن ذلك بعد انهيار الشيوعية، لكنه تراجع لما صدمه الواقع، وإنما ظن فوكوياما أن المسألة كذلك انسياقا وراء الفكر الهيجلي والنظرية الألفية عند النصارى (خصوصا البروتستانت)، غير أن الفكر البشري غيّر الموقف بل عكسه، وأصبح استخدام ما بعد (بوست) أكثر من استخدام ما قبل، وأصبح أقرب إلى الإيمان بالغيب لا باعتباره مجهولا أو سرا كنسيا باعتباره هو مقتضى العلم والتفكير المنطقي.

وتأثر العالم بالإسلام قديم، ولا تزال الدراسات عن تأثيره في أعدائه اليوم، كالانجيليين المتعصبين الذين منهم ترامب مجالا خصبا للباحثين، ومن ذلك العلاقة بين الآباء المؤسسين لأمريكا والإسلام لا سيما الرئيس الذي يقال إنه مسلم سرا "توماس جيفرسن".

ومن أقوال "جيفرسن" قوله "إننا سنكون أحسن حالا لو كنا نعيش في بلد مسلم"، وأذاعت ذلك إذاعة (سوا) حديثا، وصدقه الآباء المؤسسون لأمريكا ثم انتخبوه رئيسا، فكان الرئيس الثالث، وهو كاتب إعلان استقلال أمريكا، كما ذكرت تعاطفه مع الإسلام إن لم يكن إسلامه صحيفة "الحياة اللندنية"، ومن أعماله المشهورة في الغرب أنه نقح كتابهم المقدس وحذف منه الخرافات حسب عقله، وفكره توحيدي، وبذلك يكون قريبا من الإسلام بعيدا عن النصرانية.

والشيء الذي لا جدال فيه ويسلِّم به كل الأمريكيين هو أنه كان له مصحف وأنه وضع قوانين الحرية الدينية في أمريكا، وقرر أن من حق المسلمين أن يقيموا دينهم كما يشاؤون، وأن من المتأثرين بذلك (ماديسون) أبو الدستور الأمريكي، الذي يقال إنه كتب الدستور على غرار الصحيفة النبوية التي كتبها النبي ﷺ مع قبائل اليهود بالمدينة، كما أن إبراهام لنكولن يستشهد في خطاباته بآيات قرآنية، وكان الأمريكيون ومنهم الرؤساء "جورج واشنطن" و"جيفرسن" يسمون المسلمين (المحمدين) على عادة

النصارى الغربيين، والمؤكد أيضا أن "جيفرسن" عاش في باريس وقابل هناك بعض شيوخ المسلمين، وكان أستاذه الأثير عنده هو سليم العثماني الذي أعطاه نسخة من ترجمة القرآن وهو لا زال فتى، كما أن "بنيامين فرانكلين" الذي نصح أمريكا أن لا يدخل إليها اليهود اتهم هو الآخر بأن دوافعه لذلك إسلامية، كما تأثر بالإسلام "جورج واشنطن" أول رئيس أمريكي، وتأثر "آدمز" الذي صار رئيسا ثانيا.

فالإسلام أساس الحرية الدينية، وهو الذي علمها البشرية التائهة، وقد كان الأمريكيون يتهمون كل من ينادي بالحرية الدينية بالإسلام، وذلك غير بعيد لاسيما وأن الغرب في فترة يقظة ضميره بعد الصراعات الدينية العنيفة، آمن بضرورة تنوع مصادر العقل والانفتاح على الحضارات الأخرى، والتاريخ الأمريكي العام يقول إن الآباء تأثروا بكتابة "جون لوك" عن التسامح، وهي رسالة معروفة مستمدة من الإسلام.

ولما كانت العقيدة النصرانية الموحّدية عادية جدا، كان أولئك الآباء المؤسسون ينتمون إليها ظاهرا والله أعلم بما كانوا عليه باطنا، وقد نفذت فكرة التسامح الديني في أمريكا من فكرة العلمانية نفسها، والفصل بين الدولة والكنيسة، وأنه في الإمكان أن يكون الرئيس مسلما أو موحدا، كما نفذت فكرة الحرية التي كانت آنذاك أوضح منها اليوم في الغرب، وكانت مقتضى الفلسفة الداعية إلى حرية الضمير! ومن هنا كان إعجاب المؤسسين بالإسلام والقرآن حتى أن بعضهم قيل إنه مسلم (جيفرسن).

وقد كتب عن العلاقة بين الإسلام وأمريكا كثيرون، منهم (مايكل جيمس) من جامعة نيويورك، وكذلك المستشرق المعاصر "جون سبوزيتو"، كما كتب عن العلاقة بين الإسلام والآباء المؤسسين لأمريكا (جيمس هتسون)، وكانت لشخصية صلاح الدين وعدله وما دوّنه المؤرخون الغربيون عن سيرته الفريدة أثر في ذلك.

وكتب "كيفين" في كتابه (كيف قرأ جيفرسن القرآن).

وقد كان المسلمون عند تأسيس أمريكا أكثر من اليهود والكاثوليك، وكثير منهم عبيد اصطادهم الأمريكان من إفريقيا، وكان أول دبلوماسي مسلم في أمريكا هو القنصل التركي.

كما أن الأستاذة (سبيل برج) بحثت التأثير الإسلامي بعد أحداث (٩/١١)، وكل من يقرأ أفكار "لوثر" والطقوس البروتستانتية عامة يلاحظ بوضوح تأثرها الشديد بالإسلام.

ومن البروتستانتية خرج الموحدون النصارى، وما بقي إلا الخطوة الثالثة وهي اعتناق الإسلام، وهذه مهمة المسلمين وواجبهم العظيم.

وليس ذلك بغريب على الشعب الأمريكي المؤمن بالحرية مع جهله بالإسلام حاليا، وكل من اطلع على الإسلام فاجأته الأنوار والحقائق.

ومما يؤيد ذلك التقلبات الفكرية في الغرب حيث أصبحت التفكيكية هي السائدة بدلا مما كان يسمى البنائية، وأصبح التقويض هو المنهج، وأصبح الغرب أكثر ميلا إلى التجريدية والتشكيلية.

وانتفاء الثنائية فكرة بشرية قديمة، وكانت سائدة عند اليونان وفي العصر الرومانسي، حيث تنتهي المسرحيات بل كل الأحداث بانتصار الخير على الشر، والفضيلة على الرذيلة، وأصبح من الرائج اليوم أن يطلق على ذلك نهاية التاريخ، وحقا سوف ينتهي تاريخ الفكر الوضعي، ويبدأ تاريخ الإسلام، لكن مع بقاء الثنائية بين الحق والباطل، وقد صدق رسول الله ﷺ حين عبر عن نهاية الثنائية الوضعية بقوله: (ينزل فيكم عيسى بن مريم حكما مقسطا فيقتل الخنزير ويكسر الصليب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام)، لكنه ﷺ لم ينف الثنائية من الوجود، بل ذكر أنها ستكون يوم القيامة وما بعده، لا سيما في الجنة والنار بين الأبالسة وأصحاب الهدى.

والغيب في الإسلام يختلف عن المجهول في الفكر الغربي، وما علينا لكي نكون منسجمين مع عالمنا ومع أنفسنا وطبيعتنا الإنسانية إلا أن نكون

مسلمين، ونؤمن بالغيب، وأن الله هو المتفرد بالتمييز بين الخير والشر، وأن ما يدل عليه العقل البشري من معرفة إجمالية لكليهما إنما هو منحة من الله.

والله تعالى يذكر أن أهل النار يقولون لأهل الجنة ﴿أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٥٠]، ويتمنون العودة للدنيا كي يؤمنوا ويعملوا صالحا، ويسألون الله أن يضاعف العذاب على أصحاب النظريات التي صدتهم عن الهدى والسادة والكبراء الذين أغووهم ويقولون ﴿رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧-٦٨]، ولكن الله الحكيم العليم يجعل لكلٍّ ضعفاً، إذ المسؤولية مشتركة، وكم من ضعيف مقهور عصى الكبير المتأمر.

ونحن لا نشك لحظة واحدة في أن المستقبل إنما هو للإسلام، وليس ذلك تعصباً، بل هو ما تقوله الحقائق الموضوعية الكثيرة، التي سوف نورد طرفا منها بإذن الله.

ألم يقل "كلينتون" نفسه "لو قامت في أنقرة صحوة جديدة فسيكون القرن الواحد والعشرون قرن تركيا".

ونستطيع بواسطة استشراف المستقبل أن نجزم بأن مصير الغرب هو الانهيار، وأن حضارته سوف تنتهي، وأن الإسلاموفوبيا التي تسوده اليوم ما هي إلا محاولة يائسة غير مجدية، وهي مثل محاولة من يريد إطفاء نور الشمس بنفخة من فيه، أو يحجبها بالغربال.

واليوم أصبحت المجامع الفقهية الإسلامية واللجنة الدائمة للإفتاء وعلماء المسلمين ومجالس الفتوى تتلقى أسئلة من مناطق نائية تغيب فيها الشمس شهورا.

ونحن ندعو الغربيين -وهم أكثر العالم انشغالا بالحضارات الغابرة- أن يسيروا ويفقهوا سنة الله في أهلها، ويعتبروا بذلك، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [النمل:٦٩].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:١٣٧]، وقال: ﴿فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِهِمْ﴾ [يونس:١٠٢].

وقد قال بعض السلف: (كفى بالمرء نصراً من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله).

وأي معصية أكبر مما يرتكبه الغربيون اليوم بقولهم إنهم ملحدون أو لا أدريون أو اعتقادهم أن الله اتخذ ولدا تعالى الله عما يشركون.

ويدل على هذا التفاؤل أمور منها:

١- النصوص من الآيات والأحاديث، فلم يكن عند القرون الثلاثة أي شك في ذلك وإنما كان بعضهم لا يعلم أيّ المدينتين تفتح أولاً أهي القسطنطينية أم روما؟

٢- العودة العالمية وانتهاء مركزية الغرب وهما متلازمان.

٣- حاجة الناس الفطرية إلى الدين وحاجة العالم إلى منقذ.

٤- أن الاسلام أسرع الاديان انتشارا وسوف يزداد ذلك في المستقبل.

٥- الخصائص الفريدة للإسلام ومنها سلامته من العبث البشري، والتوازن بين المادة والروح وبين الدنيا والآخرة، ومنها العدل المطلق، ومنها أخذ الحكمة والحق من الموافق والمخالف، ومنها الوسطية بين المغضوب عليهم والضالين، وغير ذلك.

٦- الإسلام هو الدين الوحيد الذي تشهد له الفطرة والعقل والعلم والتاريخ.

٧- الإسلام وحده هو الدين الذي لا تحريف فيه وليس مصدره إنسانيا، ولم تخالطه أفكار البشر، وآخر الأديان قبله (النصرانية) لها أربعة أناجيل متناقضة، في حين أن القرآن واحد في شرق الدنيا وغربها المخطوط منه والمطبوع ولم يتغير منه حرف واحد.

وقد بشر النبي ﷺ بأننا سوف نغزو الروم وأن عيسى عليه السلام سوف يلغى الجزية ويقتل الخنزير ولا يقبل إلا الإسلام، دين الله الذي قال عنه حواريوه "واشهد بأنا مسلمون".

وقد بدأت بشائر نصر الاسلام تلوح، ولذلك مقدمات وعلامات، وهذه المقدمات من البشائر التي تجعل المسلم على ثقة ويقين:

١- الثقة في وعد الله ولن يخلف الله وعده، قال تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة:٢١].

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة:٣٣]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩]، وقال: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١].

٢- أذى النبي ﷺ كما فعلت الصحف الغربية في الدانمارك وفرنسا ونقلته بعض الصحف اليهودية في إسرائيل، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية: أن المسلمين إذا حاصروا حصناً فسب أعداء الله رسول الله ﷺ تفاءلوا بأن النصر قريب، ومن المعروف نفسياً أنه لا يعمد لهذا الأسلوب إلا فاقد الحيلة.

٣- تكالب قوى الكفر على المسلمين وتداعي الأمم عليهم قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢]، وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣].

وإنما قال ﷺ كما في الصحيح (اليوم نغزوهم ولا يغزوننا) بعد اجتماع الأحزاب عليه ورمي العرب له عن قوس واحدة، وهكذا اليوم حال أهل السنه في كل مكان وهناك حالة مجربة بشرياً وطبيعياً، وهي أن الأزمة تنفرج

بعد أن تشتد، وأن الله تعالى يستجيب الدعاء عند انقطاع الرجاء من الخلق، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا﴾ [يوسف:١١٠]، وأن اشتداد الظلام إنما يكون عند قرب الفجر.

٤. ضعف الطواغيت المحلّيين أمام قوة الشعوب، الأمر الذي أدى إلى استنجادهم بقوى خارجية وأن تأتي قوى الكفر اليهودي والصليبي بنفسها كما جاء الروس إلى أفغانستان وإلى بلاد الشام، وجاء الروس والأمريكان إلى الصومال والعراق وأفغانستان وبلاد الشام، وكل ذلك كان متوقعاً لكن نهايتهم معلومة قال تعالى: ﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] الآية.

٥. الانهيار الوشيك للحضارة الغربية وما ألقاه الله بينهم من العداوة والبغضاء، كما يحدث بين الروس والأمريكان، وبين أمريكا وأوربا كما هو مشاهد حاليا بين أمريكا وألمانيا، قال تعالى: ﴿فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة:١٤]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَأَلۡقَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [المائدة:٦٤]، فلابد أن تتعارض المصالح والأهداف، وإن كان العدو المشترك لهم هو الإسلام، ولا يغرنك بعض مظاهر الاتفاق التي هي مثل تصافح المتباريين عن حقيقة ما تكنه القلوب.

٦. العودة إلى الله بين المسلمين في كل مكان، وهي عودة هائلة يعلمها الخاص والعام سواء سميت الصحوة أو التوبة أو الرجوع أو أي اسم.

٧. فقدان الثقة فيما يسمى السلام الدولي والمجتمع الدولي وهيئة الأمم المتحدة، وأن كل ذلك لا يغني عن البشرية التائهة شيئا، قال تعالى: ﴿فَمَآ أَغۡنَتۡ عَنۡهُمۡ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِي يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَ﴾ [هود:١٠١]، وقد فقد العرب الثقة فيما يسمى جامعة الدول العربية وسوف تصبح هيئة الأمم المتحدة كذلك.

٨. انكشاف زيف شعارات المنافقين وأتباعهم كما ينكشف زيف الذهب المغشوش، وإخفاق ما يسمى سياسة الاحتواء، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد:٢٩].

٩. الأزمات القانونية والسياسية والمالية المتتابعة في الغرب، خذ مثلاً لذلك تفكك الاتحاد الأوربي، وأزمة خروج بريطانيا منه، وكذلك تريد قطالونيه واسكتلنده وكورسكيا وشمال إيطاليا.

وسوف يبطل سحر الحضارة الغربية، كما أبطل الله سحر السحرة الذين استخدمهم فرعون لإثبات أن موسى عليه السلام ساحر، وأنه سوف يأتي بسحر مثله! ومن حق المسلمين اليوم أن يقولوا للغرب:

زمان الظلم يا فرعون ولَّى ** ودالت دولة المتجبرينا

بل أن يقولوا: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:٨١].

١٠. إعلان الجهاد وهو إن بدا اليوم غريبا محاربا يقول الغربيون وأذنابهم عنه إنه (إرهاب) فما ذلك إلا تمهيد لزوال استغرابه حين يصبح ذا حكمة وبصيرة، قال تعالى: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾ [الطارق:١٧]، وقد كان الجهاد الأفغاني غريبا ثم ألف الناس طالبان اليوم، وذلك ما سوف يثبته الزمن بإذن الله ولكن خلق الانسان عجولا.

١١. دلالة السنن الكونية على ذلك فالليل يعقبه نهار، والمخاض يعقبه ولادة، والشدة يعقبها الفرج، والعسر يعقبه اليسر، والهزيمة يعقبها النصر، وهكذا، وعليه تدل دراسات استشراف المستقبل التي تقدم فيها الغرب اليوم، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشَّرح:٦]، وقال: ﴿سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق:٧].

فلنفتش أنفسنا ونبحث عن ذنوبنا وأوجه تقصيرنا، ولننظر في حقيقة توحيدنا ولنحذر الركون إلى الدنيا، فنحن الذين نؤخر النصر، أما الله فلا يخلف الميعاد وقد قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ

فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا﴾ [النور:٥٥] الآية.

وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة:٢١٤].

ومما يدل على أن الناس لا بد أن يرجعوا إلى الله استقراء الحضارات السابقة ومعرفة حقيقة الحضارة الحالية من كلام أهلها أنفسهم.

درس المؤرخ البريطاني الكبير "ارنولد توينبي" المتوفّى سنة ١٩٧٥م الحضارات البشرية دراسة عميقة لم يدرسها غيره، وقد بلغ عدد الحضارات التي درسها واحدةً وعشرين حضارة، وكانت خلاصة دراسته (أن للحضارات سمات مشتركة ولقيامها أو سقوطها أسباب مشتركة أيضا)، ومن النتائج التي توصل إليها:

١. صحة كلام المؤرخ اليوناني "بلوتارخ" في أنه لا توجد حضارة بلا دين، بل إن المعابد هي المركز المهم في كل حضارة.
٢. أن الحضارات تسقط إذا فقدت العقيدة أو الفلسفة أو الأيديولوجية، التي قامت عليها، وقد قامت الحضارة الغربية على الحرية وحقوق الإنسان، ثم ها نحن أولاء نرى اليمين المتطرف ينقلب عليها ويتنكر لها.
٣. أن الانحطاط الخلقي عامل مشترك بين كل الحضارات الساقطة كما انتشر بين الرومان معاشرة البهائم، واليوم ينتشر اللواط ومعاشرة البهائم في أمريكا.
٤. أن انتفاء العدل وانتشار الظلم عامل حاسم في سقوط الحضارات، وقد مر أحد الظلمة من ملوك الفرس بخربة فيها البوم ينعب، فقال لوزيره: ما تقول هذه البوم؟ فقال الوزير تقول: (إن أطال الله عمر الملك فلن تكون هذه الخربة هي الوحيدة).

٥. أن نشوء الدولة الإقليمية يعجّل بسقوط الحضارات وسقوط الدولة الإقليمية نفسها.

هكذا سماها "توينبي"، واليوم يسمونها الدولة الوطنية.

٦. أن الترف ما فشا في حضارة إلا كان مقدمة انهيارها (وهذا ما قاله ابن خلدون قبله)، وحسبك في ذلك حال أهل الأندلس وإنما طال عمرهم بعد أن قدم إليهم الملثمون الخشنون من إفريقيا.

٧. أن كل الحضارات تدعي المبدأين المتناقضين المساواة والحرية.

٨. لاحظ "توينبي" أن الحضارات لا تسقط من الخارج وإنما تسقط من داخلها.

٩. قال "توينبي" إن الحضارة الغربية سوف تسقط بسبب الخمر والمخدرات.

ونحن نضيف إلى كلامه ما يتم به الحديث مستلهمين في ذلك كتاب الله المحفوظ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه:

١- أن قيام الحضارات وسقوطها سنة ثابتة لا تتخلف ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

٢- أن الله تعالى أمر المؤمنين بالسير في الأرض ومعرفة سنة الله التاريخية مثلما أمرهم بالسير في الأرض لمعرفه سننه الكونية، قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [الأنعام:١١]، وقال: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت:٢٠].

٣- أن النعمة والرفاهية الاقتصادية لا تدل على البقاء ولا على درء الهلاك قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأنعام: ٦].

٤- أن التطور العلمي والتقدم التقني وظن الإنسان أنه علم وسيطر، بلا توبة وإيمان وإنما هو استدراج، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ

وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس:٢٤].

٥- من المجمع عليه قبل "توينبي" أن الظلم سبب رئيس في سقوط الحضارات وأن العدل سبب في البقاء وأظلم الظلم الشرك ثم ظلم العباد، وتوينبي لم يذكر الشرك الذي هو أعظم الظلم وأكبر الذنوب، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف:٥٩]، والله تعالى قَرَن الظلم بالكفر وجعل حكمهما واحد فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا﴾ [النساء:١٦٨]، وقال في الحديث القدسي: (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا)، واشتهرت العبارة التي ذكرها شيخ الإسلام مؤيداً لها (إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا يقيم الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة).

٦- صحيح أن الخمر والمخدرات ينتشران في الغرب، ولكن ذلك عرض وليس هو المرض فلا ينبغي لمن نراه مصاباً بسرطان الرئة مثلا أن نقول إنه يسعل.

وقد درس الحضارات أيضا المؤرخ (غوستاف لوبون) الذي خرج بنتائج مماثلة ومن أهم النتائج عنده:

١- أن أرحم الفاتحين هم المسلمون الذين سماهم العرب.

٢- أن اليهود أفسد الشعوب في الأرض وأنهم يسعون لتدمير الحضارة البشرية.

سقوط الحضارة:

على أن للحضارة الإسلامية خصوصية لا يعرفها "توينبي" ولا "لوبون" وهي أنها لا تموت كغيرها، بل يعتريها المرض والضعف بقدر ما تبتعد عن هدى ربها وتشتغل بالدنيا عن الجهاد، فيصيبها داء الحضارات الأخرى، قال ﷺ: (لا تزال طائفة من أمتي قائمين على الحق يقاتلون على أمر الله، لا

يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله)، فهذه الأمة لها سنتها الخاصة بها.

والحضارة المسيطرة اليوم هي الحضارة الغربية وأقوى دولها أمريكا ولكنها لن تفلت من تلك السنة الربانية، إما الآن وإما بعد سنين لا يعلمها إلا الله.

وقد بدأت مظاهر الانهيار في الغرب عامة وفي أمريكا خاصة ومن ذلك:

١- الدياثة: فالإنسان الغربي ديّوث لا يبالي أن يرى الأجانب امرأته وهي شبه عارية، ولا يوجد بين الغربيات من تغطي شعرها فضلاً عن ذراعيها وساقيها، وقد كان رؤساء أمريكا يصطحبون زوجاتهم في زياراتهم، ثم إن "دونالد ترامب" زاد على ذلك فاصطحب ابنته وزار بها الرياض وتل أبيب والفاتيكان وبروكسل.

٢- الخرافات: فأخصب بيئة اليوم للخرافات هي البيئة الغربية لاسيما بين الأمريكيين.

٣- التعصب والعنصرية: فلا يسمح الأمريكان بقسيس أسود أن يعظ في كنيسة بيضاء، بل إن الأمر يصل إلى حد أن القسيس الأبيض يضرب السود ويطردهم من الكنيسة، ووفق ذلك تنتشر الإسلاموفوبيا في الغرب.

٤- الانتحار: ولم يكتف الغرب بكثرة المنتحرين، بل جعلوا للانتحار نشرات إرشادية وكتباً وعيادات وجمعيات، وقد بدأ به الفلاسفة وأصحاب الإحساس المرهف والتنبؤ من الشعراء والأدباء ثم استمر، وقد درسوا الانتحار ودوافعه كما فعله دوركايم وغيره، واليوم جعلوا للانتحار لعبة يسمونها (الحوت الأزرق)!

ومما يتعلق بالانتحار ويكثر في الغرب اليوم كل ما قد يتسبب في الموت كالرياضة الخطرة الناشئة عن الشعور بتفاهة الحياة وعبثيتها عندهم، وذلك مثل: سباق السيارات، والسباحة في الفضاء، وتسلّق القمم، والقفز من فوق

الجسور العالية أو الأبراج الشاهقة، والمبارزة، والمصارعة، وكذلك الأمراض القاتلة والخطرة كالإيدز، وكذا الإقبال على الموسيقى الصاخبة، وأمثال ذلك من علامات الضياع والقنوط والإحباط.

ومن ذلك الأزمات الاقتصادية: فأقوى دول العالم اليوم اقتصاديا هي أمريكا، ومع ذلك ففيها أكبر مديونية في التاريخ العالمي، وفيها ملايين الفقراء وملايين المشردين، وقد كانت أمريكا تحاول أن توازن ميزان مدفوعاتها مع اليابان، ثم جاءتها الصين بالداهية الدهياء، وأصبح الأمريكيون بعد تفضيلهم السيارات اليابانية، يقبلون بشغف على الصناعة الصينية الرخيصة، حتى أن البضائع الأمريكية أصبحت شبه معدومة داخل أمريكا نفسها، وأصبحت كفة الشركات الألمانية هي الراجحة في الميزان التجاري مع أمريكا، وأصبح الأمريكيون يفضلون المرسيدس والفولكس واجن وتويوتا على السيارات الأمريكية، ثم ارتفعت فيها نسبة البطالة والجريمة وكثر الفقراء ومن لا يجدون مسكنا وقد قرأت كتابا قديما عن أمريكا عنوانه (١٩٩٥ الإفلاس)، وهذا أحد نتائج الربا، قال تعالى: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ﴾ [البقرة:٢٧٦]، وهكذا أحيط بثروات أمريكا كما أحيط بثمر صاحب الجنتين الذي ظن أن جنتيه لن تبيد أبدا، وسوف يأتيها يوم تعلم فيه أن الباقيات الصالحات خير من حطامها.

وليست مشكلة الحضارة الغربية هي ذلك فحسب بل هي المعيشة الضنك التي ذكر الله في سورة طه والعذاب المذكور في سورة النمل، فهذه الحضارة المادية كبَّلت الإنسان، وقضت على إنسانيته وقيَّدت حريته، خذ مثلا هذه المراقبه المستمرة على الإنسان فالكاميرات ترصد حركاته والأقمار الصناعية وغيرها تتجسس عليه من السماء كما ترصده الهواتف الذكية وغيرها من الأرض.

والإنسان الغربي يخيِّم على وجهه سحابة من الشقاء لا يراها إلا المتفطنون، وقد عبر عنها "دوتو كفيل" حين زار أمريكا، ثم فصَّل الحديث

عنها الأستاذ محمد أسد رحمه الله، وفي إمكان أي مسلم أن يراها على وجوه القوم اليوم سواء عند خروجهم من دار عرض سينمائي أو من سوق تجاري أو في الجامعه أو المطار أو الحافلة، وقد أجرت هيئة الأمم المتحدة إحصاء عن أكثر الأمم ارتفاعا في دخل الفرد وعن شقاء الإنسان فكانت النتيجة العجيبة هي أن أكثر الأمم ثراء هي أكثرها شقاء.

والحضارة الغربية ساقطة منذ أن قضت على إنسانية الإنسان وسحقتها وجعلت الاعتبار للمادة، والإنسان ما هو في نظرها إلا شيء مادي.

وبكل وضوح يصرخ "كولن ولسن": "إننا في حاجة لمعبود نعبده"، ويصرخ: "الأديان تقول إن وراء هذه الدنيا جحيما فهل هناك جحيم أشد مما نحن فيه"، نعم يا كولن ما بعد هذه الدار من دار إلا الجنة أو النار! وما تراه إنما هو عاجل العذاب، كما يصرخ جورج لوكاش: "من ينقذنا من الحضارة الغربية؟" ولا ينقذ منها إلا الإسلام.

- ومن عوامل سقوط الحضارة الغربية أيضا هذا التردي المعرفي والثقافي، فقد أصدر مسؤولو التعليم في أمريكا كتيباً بينوا فيه انهيار التعليم في أمريكا، جعلوا عنوانه "أمة معرضة للخطر"، وقالوا: إنه لو أن عدواً لأمريكا احتلها، وفرض عليها مناهج تعليمية، لما كانت أسوأ مما هي عليه، وقد قابل مراسل إحدى الصحف البريطانية عدداً من الأمريكان ليسألهم سؤالا واحدا: كم عدد زوايا المثلث؟ فقال بعضهم خمس زوايا!.

وأرقى جامعات العالم وأكثرها حصولا على جائزة نوبل وإليها ينتمي كثير من المسؤولين السعوديين هي جامعة "هارفارد" الأميركية، حدثني أحد من درَّس فيها أنها جعلت اختبار القبول فيها هو أن يكتب الطالب اسمه كتابة صحيحة فقط !!.

ولما احتل الأمريكان العراق أخذوا يسألون أين القاهرة؟! وكانوا يظنون أنهم سيجدونها في العراق، وقال أحد المتعالمين الأمريكيين إن السعوديه بجوار تكساس، والقوم إنما يتبعون الرئيس بوش الصغير الذي سألوه عن طالبان

فقال "فرقة موسيقية"، وقال ترامب عن الانتخابات الأمريكية الأخيرة التي اختاروه فيها بعد انتخابه: إن أكثر الأمريكيين شاركوا في الانتخابات بطريقة خطأ، ويعتقد الأمريكيون اليوم أننا لا نزال نركب الجمال، وأن قوافلها تسير من الرياض إلى جدة، وقالوا إنه يمكن استرضاؤنا بإعطائنا فدانا من الصحراء أو جملاً.

وقد صدرت في أمريكا نفسها كتابات تنذر بسقوط الغرب كتبها كّتاب مرموقون فيها ومن هذه الكتب:

١- "موت الغرب" وهو كتاب ألفه المرشح الرئاسي عن الحزب الجمهوري الأمريكي "ج، باتريك بوكانين" وكان قبله قد كتب عن نهاية الامبراطورية الأمريكية، وجعل سبب سقوط الغرب هو هرمه السكاني والهجرة إليه، والانحدار الأخلاقي، والعجيب أنه بعد كتابه قنَّنت المحكمة الأمريكية العليا فاحشه قوم لوط أي أن السقوط ازداد.

٢- كتاب "اندرو شابيرو" وعنوانه "نحن القوة الأولى في العالم، أين تقف أمريكا وأين تسقط في النظام العالمي الجديد" ركَّز فيه على نقد الديمقراطية وعلى الفساد السياسي في أمريكا واختصر المأساة في عبارة واحدة "إن شعاراتنا مناقضة لواقعنا".

٣- كتاب "أمة من شعبين: السود والبيض"!! ومؤلفه "أندرو هيكر" ركز فيه على العنصرية الأمريكية الشيء الذي يذكرنا بما كتبه "ألبرت كان" في "مصرع الديمقراطية"، وذكر "هيكر "ما بين الفريقين "بحسب اللون" من عداوة وتمييز.

٤- كتاب "السقوط التراجيدي سنه ٢٠ ٢٠" أو السقوط المأساوي وقد ألَّفه أحد الجنرالات الأمريكيين "هاملتون هاوز"، وهو قائد سلاح الجو الأمريكي ومستشار في البنتاغون لَّما كتبه، ومن أهم ما ذكر هاملتون فيه الانحطاط الأخلاقي في أمريكا وكثرة من يتحول من الرجال والنساء إلى الجنس الآخر كنوع من التغيير، وكيف أن الشهوة أصبحت هي الرائجة في

أمريكا إعلاميا ودعائيا، ونقل قول أحد الغربيين إن نهاية الحضارة الغربية لا تنحصر في الصواريخ والقنابل النووية بل هي قبل ذلك في اللامبالاة والضياع، وتوقع هاملتون أن تسقط أمريكا سنة ٢٠٢٠، والله أعلم.

٥- كتاب "ليس للبيع بأي ثمن" تأليف: "سروس بيرو" الثري الذي ترشح للرئاسة الأمريكية أيضا، وهو رجل أعمال وخبير في المجال الاقتصادي ذكر فيه الانهيار الاقتصادي المتوقع لأمريكا، وبيَّن أنه خلف الستار تكمن الحقيقة!

كما صدر في أوروبا كتب أخرى مثل "انتحار الغرب" الذي ألفه "أوبنهايم" بعد الحرب العالمية الثانية وكتاب "تدهور الحضارة الغربية" الذي كتبه شبنجلر بعد الحرب العالمية الأولى.

نعم، اليوم تتفوق الرأسمالية على الشيوعية بل إن الاتحاد السوفيتي قد انهار ولكن ذلك ما هو إلا مقدمة، كما انتصر الروم على الفرس ثم انتصر المسلمون على كليهما.

وهذا يوجب أن يتخلص المسلمون من دعاة التبعية والانبطاح، سواء كانوا حكامًا أو محكومين أو مثقفين أو أيًا كانوا وأن يغيروا ما بأنفسهم حتى يغير الله ما بهم، وهكذا يشهد الغربيون أنفسهم أن حضارتهم ساقطة ولا مستقبل لها.

أما هذه الأمة فهي خالدة منصورة بإذن الله، وهي عكس ذلك الانهيار المريع، ولها عجائب ومعجزات ليست لغيرها.

ومما يدل على أن هذه الأمة تمشي رويدا وتجيء في الأول، ما يقذفه الله في قلوب الكفار من الرعب، فاليهود لا يطيقون سماع التكبير، والحجر الفلسطيني أعظم أثرا من القبة الحديدية، والمقلاع أكثر تأثيراً من الصاروخ، وتثير العبوة البدائية هلعًا أكثر من مادة (تي، إن، إن) والأساطيل الكبيرة تهاب الزورق البسيط، وتقول إنه زورق إرهابي، وربما ذهب المسلم لقضاء حاجة فهربت كتائب من الكفار، كما أن العجوز المسلمة تعلم ما لا يعلمه

فلاسفة الغرب وأن حياة الراعي في الصحراء الكبرى خير من حياة الثري في لندن ونيويورك، وأن الفلاح المصري أسعد من مالك المصانع الأمريكي، ولذلك ينتحر الأمريكي ولا ينتحر المصري، وأن الذي يسكن العشة في تهامة مثلا خير ممن يسكن القصر في بوسطن.

وصدق رسول الله ﷺ (نحن الآخرون الأولون يوم القيامة)، وقد استشهد ابن القيم بقول أحد الشعراء:

يا عجبًا لسيرك المدلل ** تمشي رويدا وتجيء في الأول!

ومن حكمة الله أن يصطدم الغرب المادي بأشد أهل القبلة بأسًا فيكونوا واجهة المسلمين كلهم، ومعروف أن المسلمين يتمنون الشهادة ويحبون لقاء الله وليس فيهم من يموت بالصدمة كحال الصهاينة، أما الغرب لاسيما أمريكا فجيوشه مرتزقة يحبون الدنيا، وقد اعترف البنتاغون أن أكثر الجيش الأمريكي من الشركات الخاصة، أي من طالبي الجنسية الأمريكية، ومن هذه الشركات شركة "بلاك ووتر" التي جربت نفسها في العراق.

وقد شكا قادة الجيوش الأمريكية للجنة الدفاع في الكونجرس من انعدام الجاهزية وضعف التدريب.

وكوريا الشمالية وحدها تهدد أمريكا واليابان بالصواريخ البالستية وأخرست ترامب، غير أن أمريكا تسلي شعبها بأنها تجري تجارب لمضادات الصواريخ، ولما هددت إيران باستهداف القواعد الأمريكية القريبة منها خرس ترامب عن تهديداته، فإلى متى يخاف المسلمون؟.

وهناك تدين ملحوظ في جزيرة العرب خاصة ولا يشذ عن ذلك إلا القلة التغريبية الليبرالية فهي الصوت النشاز، في هذه الأمة المباركة، وأصبح كثير من الناس ملتحين إما تدينا وإما ديكوراً كما يقولون، بل إن الغربيين أنفسهم يغلب عليهم الجدّ وسوف يقودهم ذلك حتما للإسلام.

خذ مثالا للجدّ قناة "الجزيرة" التي ليس فيها مسلسلات ولا أغاني، ومع ذلك يقول الغربيون أنفسهم: إنها أكثر القنوات العربية جماهيراً، وإذا أراد أي زعيم غربي أن يوصل صوته للعرب، فإنه يجري مقابلة مع الجزيرة.

واختارت الأمم المتحدة قناة الجزيرة الانجليزية من بين كل القنوات الأمريكية أو البريطانية، ولما قامت الحرب في اليمن مثلا كانت هذه القناة تفضح المخلوع وأسرته بينما اشتغلت قناة العربية وأخواتها بإفساد مجتمعنا المسلم، ولم تشغلها أحداث نجران وجازان وسامطة وأبها، عن أحداث الأولمبياد في ريودي جانيرو!.

وقد منيت أقوى قوة غربية "أمريكا" بهزائم متتابعة في الصومال والعراق وأفغانستان على يد مجموعات لا تملك إلا السلاح القليل والقديم.

وأصبح الغرب في مواجهة تحديات عسكرية وسياسية وحضارية وثقافية كما يقول هو، فخذ مثلاً التحدي الثقافي والحضاري، وقارن بين ثقافته وبين الثقافة الإسلامية، وكذا التحدي التقني حيث يخاف الغرب من وثبة تركيا، ويقول إن مطار اسطنبول إذا انتهى سيكون المطار الأول في أوروبا.

والغرب لا يشك في تفوق الإسلام على ثقافته، ولا ريب أن تفوق أي فكرة مقدمة لتفوق أهلها، ومن التفوق الإسلامي الذي لا يستطيع الغربيون إنكاره بل هم الذين يجرون له الاستطلاعات:

١- أن الإسلام اليوم أكثر الأديان انتشارا في العالم، وسيكون دين المستقبل بإذن الله، وقد وعد الله بإظهاره على الدين كله، وفيه يدخل الأمريكان والإنجليز والأوربيون والهندوس وغيرهم.

٢- التوحيد: الذي كلّ النفوس البشرية مفطورةٌ عليه فلا خرافات ولا فلسفات ولا تعقيد وهو أقوى قطعاً من التثليث النصراني، المنافي للفطرة ولمبادئ الرياضيات.

٣- ثورة المعلومات في هذا العصر بحيث يتاح لكل إنسان معرفة ما يقوله الدعاة وما يقوله أعداء الإسلام.

٤- التجربة التاريخية، فكل الشعوب تاريخيا دخلت في الإسلام أو دفعت له الجزية وأتيح لكثير منها التنعم بعدله والعيش في ظلاله، فليس بجديد عليهم.

٥- استعلاء الإيمان: فقد يعمل المؤمن خادما، وقد يكون فقيرا، ولكنه مؤمن أن إسلامه خيرٌ من كفر غيره من أصحاب الترف، ومن ذلك أن المسلم الماليزي الذي اصطحبته إحدى المركبات الفضائية صلىّ في الفضاء وأن أحد الخدم الهنود قال لمديره النصراني أنا قدماي أنظف من وجهك إذ أغسلهما خمس مرات يوميا.

٦- التقارب: فقد أصبح العالم اليوم قرية إعلامية صغيرة، يكفيها رسول واحد وكتاب واحد وقبلة واحدة.

٧- حرية الفكر والفضول المعرفي لدى الغرب: لاسيما والفرد الغربي يتمتع بحرية لا نظير لها في الشرق، وهذا الفضول يدفعهم للتعرف على الإسلام، إذ أن العقلاء منهم يعلمون أن وسائل الإعلام إنما تخدم الأغراض السياسية والمصالح المادية، وتستخدم المرأة والجنس لتحقيق المطامع، ومما يزيد ذلك ما يأتي في الفقرة التاسعة.

٨- سنة الله في إهلاك الظالمين وإزالة المفسدين، وهي سنة مطردة في الحياة البشرية عامة.

٩- أُفول كل الحضارات غير الإسلامية اليوم وبداية صعود المسلمين، حتى في الجوانب التقنية التي تفوق فيها الغرب علينا، ومن الأمثلة لهذا الصعود "تركيا وماليزيا وباكستان"، أضف إلى ذلك الإبداع الفكري لدى أهل الشام ومصر والعراق وغيرها، فالمسلمون في الشام مثلا لا يحتاجون لمعامل كبيرة ومصافٍ ضخمة للنفط بل يكررونه على النار، والعقبة الكأداء في سبيل النهضة هم المنافقون من أولياء الغرب الذين هم من أبناء جلدتنا ويتكلمون بلغتنا ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون:٤]، وقد أصبح الناس يفرون من تلك الحضارة البائسة، خذ مثلاً الأمريكان الذين يهربون من نيويورك

وشيكاغو وبوسطن إلى نيبال والهند ودول الصحراء الكبرى، ليس إلى حواضر هذه الدول بل إلى حيث لا يوجد أي أثر للحضارة الغربية كما في بعض الأرياف، والأميشيون في بنسلفانيا وغيرها من الولايات يرفضون أي شيء حضاري، ويستخدمون الدواب في الحرث والركوب والسيارات مثلاً عندهم حرام.

١٠- الحرب على الإسلام في الغرب وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في أول الجواب الصحيح وفي مجموع الفتاوى: أن سنة الله إذا أراد إظهار دينه أن يقيم له من يعارضه، لكنه يحق الحق بكلماته ويقذف بالحق على الباطل، وهذا فطن له بعض المسلمين حديثا، حتى أن الأخت إحسان الفقيه كتبت مقالاً عنوانه: "شكرا أيها الأعداء" وقد قال الشاعر:

لولا احتراق النار فيما جاورت ** ما كان يعرف طيب ريح العود

والمسلمون كلما اشتدت عليهم الحرب، واستهدف الكفار دينهم، كانت عودتهم له ومعرفتهم به أكثر، وكيف يتعصب أهل الباطل لباطلهم ولا يعود أهل الحق لحقهم، ومن العجيب أن يتسبب الكفار أنفسهم في إسلام غيرهم فقد قيل إن سبب إسلام إحدى قريبات البابا شنودة هو بعض النصارى الأقباط، ثم إنني أعرف من كان قسيساً كلفته الكنيسة القبطية بالرد على الإسلام، فلما قرأ القرآن أسلم، والأمر في الغرب أشهر، وقد كان البابا بولس مسلما في السر، والبابا الحالي درس في القرويين بالمغرب.

ومما يدل أي باحث على أن الإسلام سيعود حتمًا، أنه قد بدأت العودة للماضي واستلهام التراث عالمياً وأن الإنسان الأمريكي مثلا يهرب من مستشفيات بلاده التي تفتخر بأنها الأرقى عالميا إلى المشعوذين في الهند والصين والفلبين وغيرها، وأن البحوث الغربية نفسها تدل على بعض الأمور التي تبدو شكلية كالسواك واللحية هي أمور ضرورية للإنسان.

وهذا مع كونه إحدى الأدلة على العودة للماضي، يدل على إفلاس الطب الغربي أو الإنسان الغربي أو إفلاسهما معا، بل نهاية العلم التجريبي غير

الإسلامي كله، هذا فوق أن كثيرا من الباحثين في الغرب مسلمين وكثيرا مما نرى في الصيدليات إنما هو مأخوذ من النباتات التي تنمو عندنا تلقائياً.

ومن مظاهر العودة العالميه للماضي أن بعض الدول تغير اسمها المعاصر وتتسمى باسم أحد مشهوريها القدامى ولو كان أسطوريا، بل إن وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) تسمي رحلاتها الفضائية بأسماء معبودات اليونان والرومان، مثل (أبولو) الذي هو معبود قديم للمشركين.

ومظاهر العودة للماضي كثيرة جدا لا نستطيع حصرها هنا وحسبنا أن نقول: إن كل مهرجان يقام في الجنادرية، وكل بناء يرممونه في جدة والطائف هو صفعة في وجه الليبراليين فالعودة إلى كتاب الله الحكيم أهم من العودة للمشربيات والهجن والرواشن وغيرها، والعودة للقران خير من العودة للشعر العامي والطبول الموروثة.

ومما يدل على عظمة الاسلام وأنه فخر لكل إنسان أن كل مسلم أسود في أمريكا يقول أنا مسلم -ولو كان غير مسلم- وقد جاء في السيرة أحداث كثيرة مثل هذا، حتى "أولبرايت" اليهودية أعلنت تضامنها مع المسلمين، ضد عدو الله ترامب، وأن (بوش) لما قيل له إن ابنتك أسلمت قال: "هذه لعنة العراق" وكما يقال عن لورا بنت بوش يقال عن ديانا ومايكل جاكسون وعن ابنة البابا شنودة، ومن أسلم فلنفسه ومن كفر فعليها والله غني عن العالمين.

كما أن الإسلام في أمريكا زاد الإقبال عليه بعد أحداث "١١ سبتمبر"، وكلما ازدادت الإدارة الأمريكية والكونجرس الأمريكي سيراً وراء الصهاينة، ازداد انتقادهم داخل أمريكا نفسها.

وبالإسلام تهتدي الحضارة الحائرة إلى الطريق الصحيح فتعيش المرحلة التي يسميها الغرب "ما بعد التحديث" أو "ما بعد الانتماء" آمنين مطمئنين، ويعرف معنى الحياة الذي لم يجده "لوك فيري"، ومستقبلنا ما بعد البشري الذي حاول أن يقرره "فوكوياما" دون جدوى، وبه نتجنب السقوط في

الهاوية الذي حذر منه "ادغار موران" والتباسات الحضارة التي ذكر "بينوش" أو التمرد على الحضارة حيث لا يجد العالم مناصاً من التمرد كما ذكر مؤلف "العالم متمردًا".

وبسقوط العلم الأعور تسقط هذه الحضارة على حد تعبير "كولن ولسن"، وبالإسلام نعرف سنة الله الدائمة في صعود الإمبراطوريات وسقوطها على حد تعبير "بول كندي"، ونعلم يقيناً لماذا سقطت أثينا وروما وبيزنطة ولندن ثم تسقط حاليا "واشنطن"، وبه نعرف حقا مصير الإنسان الذي كتب عنه "ليكونت دي نوي" وبه تكون الحرية، وليس عبودية الآلة كما في رواية " الساعة الخامسة والعشرون" التي كتبها قسطنطين جورجيو.

وبه لا نرى الظلمات في النهار كما تحدث عنه "آرثر كوستلر" وبه وحده نحول الأرض من كوكب قردة تتهارش كما عبر "بيرل بول"، إلى كوكب إنساني يعمه السلام، وقد ذكر أصدق القائلين أن كل من كفر بالله في الظلمات ليس بخارجٍ منها، ولكن الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، ورحمةً منه بهؤلاء المساكين أمرنا أن نبلغهم دينه الذي لو آمنوا به لذهب عنهم هذا التخبط الذي يجعلهم طرائق قددا، والظلام المطبق الذي يعيشون فيه تبعا لأوليائهم من شياطين الإنس والجن، وبه نحل المعضلة الإنسانية، وليس برقص معجب الزهراني ولا فسوق عبده خال ولا إلحاد تركي الحمد، وبه وحده نستخرجه من "متاهة أوزيريس" التي كتب عنها "بول سوسمان" ومن شطحات "ميلر".

وقد اختصر الفيلسوف "برتر اند رسل" المسألة كلها في إخفاق ما سماه نظامي موسكو وروما أي الشيوعية والرأسمالية.

كما اختصر لويس فيشر ضجر الإنسان الغربي من حضارته في قوله: "بعض الناس يقض مضاجعهم ما يقترفه العالم الرأسمالي من جرائم وآثام ولا يرون جرائم البلشفية وإفلاسها، وكثير منهم يستغلون نقائص العالم الغربي

ليصرفوا الانتباه عن فظائع موسكو البشعة، أما أنا فأقول: لعن الله كليهما" -أي: أنه يلعن كلا النظريتين الرأسمالية والشيوعية-.

وليست الماركسية وحدها هي التي أفلست بل كذلك الاشتراكيات المختلفة مثل أفكار ماوتسي تونج في الصين أو أفكار تروتسكي، أو كاسترو، أو حزب العمال البريطاني، أما اليسارية الفرنسية فقد تلقت ضربة قاضية يوم أن صوت الفرنسيون للرئيس الحالي "ماكرون".

ومن علامات سمو الحضارة الإسلامية ورسوخ قيمها وأن المستقبل لها بإذن الله، أن الناس في أمريكا الجنوبية مثلاً يكرهون سياسة أمريكا وإسرائيل ولهم صفات كلها فى صالح المسلمين نذكر منها:

١- نفورهم من الخرافات الكاثوليكية ومنها خرافة التثليث والوساطة بين الله وخلقه والاعتراف للمخلوق، وصكوك الغفران والأسرار، وأمثال ذلك مما تتلطخ به الكاثوليكية قديماً وحديثاً، فحين يُسلم منهم أحد فإنما هو يعود لفطرته، ويأخذ ما في الكاثوليكية من حق كالإيمان بالله والوحي والرسل ويرد ما فيها من باطل كألوهية المسيح، فالإسلام يقول إنه قد جاءت رسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام وليس لله ابن تعالى الله عما يشركون.

٢- العودة للأصول فهم من أصل موريسكي أندلسي وكثير منهم مغاربة ونعني بذلك المسلمين الذين تنصروا قهراً، وأجبرهم الكاثوليكية على اعتناق دينها لكنهم لا يزالون يحتفظون بكثير من القيم الأندلسية، ولا تزال قرطبة التي كانت من أعظم مدن الأندلس مدينة في الأرجنتين مثلاً، ولا يزالون يحتفظون بأسماء إسلامية مثل عمر وعلي وفاطمة وعائشة كما أن لديهم عادات إسلامية أصيلة مثل إكرام الضيف وحسن الخلق وحماية العرض.

٣- التقارب اللغوي فهم يتكلمون الاسبانية والبرتغالية اللتين هما لغات أندلسية وفيهما آلاف الكلمات العربية.

٤- هم مع هذا التقارب الاجتماعي واللغوي يشبهون العرب كثيرا في الخِلقة، وكثيرا ما حسبتهم أنا مغاربة، ولا مانع عندهم أن يحكمهم أي عربي كما حكمهم عبد المنعم كارلوس، وقلَّ منهم من يعترف بدويلة إسرائيل، ومن الموريسك علماء لا تنكر الولايات المتحدة نفسها عظمتهم مثل ابراهام لنكولن، وقد حضر الرئيس الفترويلي "مادورو" القمة الإسلامية الأخيرة في إسطنبول.

٥- أكثر من يسلم في الولايات المتحدة منهم وهم سكان أكثر الولايات الجنوبية، مثل (تكساس) وأغنى الولايات الأمريكية مثل (كاليفورنيا)، فالتقصير إنما هو منا نحن -المسلمين-، وقد هيأ الله لنا وسائل الاتصال الحديثة.

ومن علامات أن المستقبل للإسلام انهيار هذه الحضارة الغربية وتدهورها، ومما يدل أي باحث على انهيار الحضارة الغربية أن أكثر دول الغرب تقدماً في التقنية "أمريكا" تعصف بها اليوم أزمات أخلاقية واجتماعية تؤذن بسقوطها، مع أنها أكثر دول العالم اشتغالا بالدين كما يقول "ادوارد سعيد" وهي في الوقت نفسه أكثر الدول الغربية تأثرا بالتراث اليهودي كما قال وزير التعليم البريطاني، وتجتمع فيها أسباب الهلاك التي أهلك الله بها القرون الماضية ففيها مكر قوم نوح وطغيانهم، وفيها جبروت عاد واستكبارها، وفيها ترف ثمود وعماها، وفيها خبائث قوم لوط وسيئاتهم، وفيها تطفيف قوم شعيب وظلمهم، وفيها عتو فرعون وإفساده، وفيها ربا اليهود وسحتهم.

وكل واحد من هذه الأدواء كفيل بانهيار من يتصف به فكيف إذا اجتمعت، فما أحلم الله عليها وما أغفلها حين تحسب الإمهال إهمالاً والاستدراج استقرارا.

وفي أمريكا اليوم أفظع مما تخيله أورويل وأكثر مما توقع شبنجلر وأشنع من فواحش روما وبومباي.

وفي الولايات المتحدة العنصرية التي قال عنها القس الرئيس الأمريكي "كارتر" أنها متأصلة في المجتمع الأمريكي، وفيها وقعت أحداث دالاس العنصرية، وليست العنصرية فيها موجهة ضد السود فقط بل ضد كل ما هو ملوَّن، وهي التي أبادت الهنود الحمر مع أن منهم مسلمون بنوا المساجد على الأسلوب المعماري الأندلسي، تلك المساجد التي لما رآها كريستوفر كولومبوس، لم يملك أن صرخ (يا إلهي حتى اليابان فيها مساجد)!

والسبب المباشر في اندلاع أحداث دالاس هو تحيز الشرطة الأمريكية البيضاء وعنصريتها والمؤسف حقا أن "الرئيس أوباما" وعمدة دالاس لم يذكرا أن ذلك إنما هو بعض الثأر للذين اصطادهم البيض من أفريقيا، وزعموا أنهم عبيد، أي أنه إذا أكل الآباء الحصرم فلا غرابة أن يضرس أبناؤهم!! وبشر القاتل بالقتل ولو بعد حين.

فأي مستقبل ينتظر أمريكا مع هذا الاستقطاب الحاد في مجتمعها؟ وكيف لا يكون ذلك مقدمة للهلاك وظهور زيف الدعاوى الديمقراطية وحقوق الإنسان؟ مع أن واقعها هو كما عبر عنه: ألبرت كان وأوبنهايم، وريتشارد وايت، وهاريت ستو، وغيرهم.

ومما يدلك على انهيار الغرب وإخفاق سياسته: أن الحكومات الغربية تقف غالباً مع الدويلة الصغيرة المسماة "إسرائيل" مع أن المسلمين شرقا وغربا يتقربون إلى الله بكرهها، وهي مكروهة في المنطقة المترامية الأطراف من مندناو إلى غينيا، ولذلك نجد أن كل منافق يريد رواج سياسته يتستر بمعاداة إسرائيل والصهيونية، وأن بعض الشعوب الإسلامية الصغيرة أكثر عدداً من كل اليهود في جميع أنحاء العالم، وفي النهاية لن يجد اليهود من ينصرهم إلا الدجال ويهود أصبهان، فكيف يختار ساسة الغرب الأقل على الأكثر؟.

وبسقوط أمريكا الذي بدأت بوادره سوف يسقط كل عملائها ويفضحهم الله، وتُنشر الوثائق الناطقة بذلك كما نشر البريطانيون بعض

وثائق امبراطوريتهم البالية، أما المحاصرون في فلسطين فسوف ينصرهم الله مهما طال الزمن.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [القصص: ٥-٦].

فما عليك إلا أن تضع أمريكا وإسرائيل مكان فرعون وهامان وإلا فالنتيجة واحدة.

و لا تقتصر الأزمة على أمريكا وبريطانيا بل هي كذلك في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وكل أوروبا وبسقوطها يتقطع الحبل البشري الذي يحمي اليهود، أما الحبل الإلهي فهو مقطوع عنهم منذ أن كفروا برسالة عيسى عليه السلام ثم برسالة محمد ﷺ، وهكذا تكون ثقة المسلمين في انتصار دينهم في محلها.

والإسلام دين الفطرة كما خلقها الله ليست تلك الفطرة التي كتب عنها (روسو) فلم يجدها لا في النصرانية ولا في موسوعة (ديدرو) ولا في (قاموس فولتير) ولا في شيء من علوم عصره المسمى عصر التنوير.

وإنما كان عصر التنوير أو عصر الأنوار -كما قد يسمى- عصر الهروب من خرافات الكنيسة، وليس عصر الاستقرار الفكري للإنسانية، وربما نجح في نصف كلمة الشهادة (لا إله) حين كفر بالإله النصراني المتجسد المصلوب، لكن لم يؤمن بالنصف الآخر وهو (إلا الله) كما هو في الإسلام، فآمن بالنفي و لم يؤمن بالإثبات.

وقد ألف ذلك المسكين "روسو" (دين الفطرة) حسب ما يعلم وليته اهتدى للإسلام، يقول الأستاذ عبد الله العروي الذي ترجم كتاب "روسو": (دين الفطرة) "توجد مؤشرات كثيرة على أن روسو لم يكن يحمل أي عداء مبدئي للديانة الإسلامية، بل أكبر الظن أنه ربما أدرك أن مفهوم دين الفطرة

أقرب إلى عقيدة الإسلام منه إلى اليهودية أو المسيحية (النصرانية)، لكن من الواضح أن معلوماته حول الإسلام كانت جدًا محدودة، أغلبها مأخوذ من مونتسكيو، الذي اعتمد بدوره على كتابات الرحالة الأوروبيين، الذين تجولوا في الأراضي العثمانية والصفوية".

ومثل "روسو" أخوه "نيوتن" الذي اكتشف إضافات بشرية في التوراة والإنجيل، وآمن بأن الله واحد وليس ثلاثة، لكنه لم يعرف الاعتقاد الصحيح، وكذا سائر الموحدين البروتستانت.

والإسلام مع كونه دين الفطرة هو الوحيد الذي يجيب عن كل الأسئلة التي تؤرق الإنسان وتحيّره.

ومثلما أن الإسلام دين الفطرة، هو كذلك دين والعقل والتفكر، ما أمر بشيء فقال العقل ليته لم يأمر به، وما نهى عن شيء فقال العقل ليته لم ينه عنه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ:٤٦] وجاءت آيات كثيرة (أفلا يعقلون)، وفي آيات كثيرة (أفلا يتفكرون) (أفلا تبصرون)، أي أن على الإنسان أن يوقظ عقله، ويحرر فكره من التبعية لما عليه المجتمع، وينظر في كتاب الله المقروء (القرآن) وفي كتابه المنظور(الكون)، ويُلاحظ عندَ التأمل في السيرة الشريفة، أن الملوك والعقلاء دائما يسألون ما الذي يأمركم به هذا النبي؟ وأجاب المؤمن جعفر بن أبي طالب، أو المشرك حينئذ كأبي سفيان بن حرب بجواب واحد، والأجوبة مهما اختلف قائلها لا تخرج عن كونها أصول الاعتقاد وأصول الأخلاق الفاضلة التي يجمع على صحتها عقول كل بني آدم.

ومنها مثلا "يأمر بتوحيد الله وصلة الرحم والعفاف ونبذ الأوثان وترك شرب الخمر وأكل الميتة" فأي عاقل في الدنيا يقول غير ذلك، وهل في العالم شرع خير من هذا الشرع؟

فعلى كل ذي عقل وعدل سواء كان غربيا أم مسلما، أن يدرس الأسباب التي تجعل المسلمين يرفضون الحضارة الغربية، وأن يجري مقارنة بين

الناس في كلا المجتمعين، ويستنتج بنفسه ما وراء ذلك الرفض، وأنا هنا ألّمح إلى بعض ما لا اظن احدا ينكره:

١- المجتمعات المسلمة مجتمعات مؤمنة موحدة وإن غلبت البدع البشرية على كثيرٍ منها، وهي بهذا السمو الإيماني لا تقارن بالمجتمعات الغربية المادية، حيث التناًقض والتهالك على الربح بأي وسيلة، وحيث يريدون من دول العالم الثالث أن تقبع في التبعية الثقافية! وتظل سوقاً لأفكار الغرب وصناعاته! ومن تشبه بالغربيين في بلادنا في ما هو حرام في كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ هو ساقط منحط لا قيمة له ولا حجة، وإن تمكن من الإعلام أو لدى الحكام، ولا يتبع هؤلاء الساقطين المنحطين إلا من كان أكثر سقوطاً وانحطاطاً منهم.

٢- المجتمعات المسلمة مجتمعات محافظة، وتختلف اختلافا جذريا عن مجتمعات الغرب، التي تفشو فيها الدياثة والإباحية، وتحارَب فيها الفضيلة والأسرة والأخلاق، وحسبك أن تقارن بين المجتمعات الإسلامية في الغرب مثل ألبانيا والبوسنة وغيرهما، وبين المجتمعات الغربية نفسها، وقد صرح مؤلف كتاب موت الغرب "أن ألبانيا هي الأمة الأوروبية الوحيدة التي لن تموت لأنها مسلمة" كما قال بنفسه، وهذا ظاهر فيمن يعتنق الإسلام من الغربيين كما رأيته بنفسي.

٣- إن المسلم مع محافظته على العرض يتميز بالشجاعة النادرة، والإقدام على الموت، فإيمان المسلم بالدار الآخرة وحرصه على الجنة، يجعله يندفعٍ للموت في سبيل الله غير آبه، فأين منه الإنسان الغربي الذي لا يؤمن غالباً إلا بهذه الحياة الدنيا.

٤- أن الغربي نفسه يحتقر من يقلده ويرهب من يحافظ على دينه، وأما التهم والتشهير فأمر لابد منه، ونحن نعلم أن من سنة الله تعالى أن يتهمنا الغربيون وأتباعهم، ويقولون عنا ما ليس فينا، لكن لدينا جهال كما لديهم جهال، والعامة تقول "القبيلة التي ما فيها جاهل حقها ضائع"!.

٥- ومن أسباب رفض المسلمين للحضارة الغربية أن الغرب ينتهج في تعامله مع المسلمين سياسة خرقاء بادية العوار، ويعود لأصله الكتابي، وليس لديه استراتيجية لنهوض الشرق وتقدمه صناعيا، وإنما يلهث خلف مصالحه ويعبد الدرهم والدينار، وبعد زيف دعواه عن حقوق الإنسان، ووقوفه الدائم مع من ينتهك تلك الحقوق إذا راعى المصالح الغربية ولو كان معتديا أو مستبدا، وبعد السيطرة الغربية الواضحة على هيئة الأمم المتحدة، بعد ذلك وأمثاله كفر المسلمون بكل من ينكر رسالة محمد ﷺ شرقاً وغرباً، وأيقنوا أن كل مخلوق يعود إلى أصله وإن ادعى غير ذلك، فقد قال أحد الأعراب لما ربى ذئبا صغيرا فغدر به:

أكلت شويهتي وفجعت نفسي ** فمن أنباك أن أباك ذيب

وهكذا صعد اليمين المتطرف الغربي وعاد لصليبيته كما عاد هذا الذئب لأبيه.

ولا ريب أن الأمة اليوم تمر بظرف صعب وأن أعداءها يسلكون نوعين من السياسة! سياسة التدرج فيما قد يثير حساسية الشعوب، وسياسة التّسرع في الأمور الأخرى، غير أن الله تعالى وعد بإظهار دينه على الدين كله، ووعد بهزيمة اليهود ومن والاهم، ووعد المؤمنين بالاستخلاف في الأرض، وجعل النصر مع الصبر، وجعل مع العسر يسرا، ثم إنه تعالى أكرم هذه الأمة بهذه الصحوة المباركة التي عمت أكثر العالم، وفضحَ زيف الكافرين والمنافقين وجعل اشتداد المحنة علامة على اقتراب النصر، واشتداد الظلمة علامة على قرب الفجر، قال جل شأنه: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٢٢]، وها هي ذي الأحزاب قد عادت لا في شكل قريش وغطفان وقريظة والمنافقون بل في شكل الروس والأمريكان واليهود والمتصهينين العرب، فلا ينبغي أن يزيدنا ذلك إلا توكلا وإيماناً، وهذه المرحلة الصعبة تدل على أننا في

أزمة، لكن ديننا ليس فيه أزمة ولن يكون كما يزعم المستشرق البريطاني سابقا والأمريكي حاليا (برنارد لويس) أن الإسلام في أزمة وألف كتابا جعل عنوانه "أزمة الإسلام" ونحن نقول خاب فألك أيها اليهودي العجوز فالإسلام في ذاته لا يعرف الأزمات، وإنما تمر بالمسلمين حالات عارضة من الضعف قد تطول أو تقصر كما يشاء الله، ثم يقويهم الله وينصرهم وتلك الأيام يداولها الله بين الناس، ولئن طال عمرك لترينَّ زوال اسرائيل بنفسك، وهذه الأمة يبتليها الله بذنوبها فتضعف ولكنها لا تموت ابدا، والله تعالى حكيم عليم، قدر علينا بحكمته أن نعيش في زمن الضعف هذا غير أننا لا نفقد ثقتنا فيه وتوكلنا عليه.

ومما يبشر بأن المستقبل للإسلام وأهله أن الدعاوى الجاهلية أفلست كلها كالقومية والوطنية والاشتراكية والبعثية وأصبحت القضية إسلامية عامة، بينما يتفكك الغرب ويعود لقومياته الجاهلية، مثلما انفصل البريطانيون عن الاتحاد الأوروبي، وأصبحت بريطانيا نفسها معرضة للتقسيم والتشرذم وأصبحت أمريكا مهددة فعليا بانفصال بعض ولاياتها مثل كاليفورنيا وتكساس وأصبح سكان قطالونيه يريدون الانفصال عن أسبانيا، وأهل كورسيكا يريدون الانفصال عن فرنسا، أما بلجيكا فاحتمال انقسامها بحسب اللغة وارد جدا.

فطرية التدين:

مهما ران على قلب الإنسان من الشهوات أو التعلق بالمتاع المادي، فإنه يظل لديه فراغ لا يسده إلا الدين، كما أنك مهما ملأت أي كأس تظل الكأس الآخر فارغة إلى أن تملأها هي، وبعبارة أخرى مهما بلغت البشرية من التقدم المادي أو العلم الدنيوي، فلا بد من الإيمان الذي يملأ القلب والروح بالطمأنينة والثقة، ويسمو بالنفس عن الأوحال القذرة والانحدار المشين كما نرى اليوم في الغرب، وما قرار المحكمة العليا في أمريكا بإباحة

الفاحشة الشاذة إلا صورة من صور الانحطاط الخُلُقي المريع، فالإنسان المعاصر في حاجة ماسَّة للتدين في الصورة المثلى للدين، بدلا من عبث الأحبار والرهبان، وحيرة الفلاسفة، واستبداد الأباطرة والملوك، ولن ينقذه من ذلك إلا توحيد الله كما جاء في الإسلام.

والإلحاد المعاصر هو في حقيقته هروب، والهروب ليس فكرة علمية، والحضارة الغربية هي أول حضارة ملحدة في التاريخ.

ولأن الدين ضرورة في فطرة في كل إنسان ترى الأمريكي الحائر يقوم بالشعائر الدينية لأي دين، قبل أن يستمع إلى محاضرة دعائية عن ذلك الدين.

وبالدين يمكن العبور من المتناهي إلى اللامتناهي، ومن المحدود إلى اللامحدود، ومن العدم إلى الحياة، كما نستطيع بالدين الحق وحده ايجاد قيم عالمية تخضع لها البشرية جمعاء، إما تديناً به أو تبعيةً لأحكامه، ولهذا أخبر الرسول ﷺ أن عيسى بن مريم سوف يترل حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخترير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام.

وتدل كل البحوث التي أجراها المؤرخون والدارسون الأنثروبولوجيون على أنه قد يوجد -لاسيما- عند البدائيين حضارة بلا تقنية، وحضارة بلا تجاره، وحضارة بلا تاريخ، وحضارة بلا كتابة وحضارة بلاد آداب، وحضارة بلا مسارح، ولكن لا يوجد حضارة بلا دين، والدولة التي تتخلى عن ما قامت عليه من المبادئ لا بد أن تكون نهايتها قريبة، وأقرب الدول لعصرنا هي الدولة العثمانية التي قامت أولا على الجهاد نصرة لله، ولما تخلت عن الجهاد واعتنق كثير من الأتراك الأفكار الغربية سقطت.

ولعل أخوف ما يخاف الغرب في الإسلام هو مفاجآته وسرعة انبعاثه، ومن عجائب الإسلام أنه لا يولد طفلا بل يولد عملاقا، ويخرج من القمقم ماردا هائلا، وهذا ما ترتعد له فرائص الغربيين، ويحسبون له ألف حساب، ومن تأثيره السريع أن المسلم ينتقل فجأة من الملهى إلى المسجد ومن الرقص إلى الجهاد والمسلمة تنتقل فجأة من المسرح إلى الحجاب الكامل!!

وقد قال أحد خبراء المخابرات الأمريكية (سي آي ايه) ان هذه المفاجئات تؤرقه كثيرا.

ونحن لديننا وعدلنا ولأن الحكمة ضالتنا أينما وجدت، لا نرفض الحضارة الغربية جملةً بل نحن لأسباب ذاتية من ضميرنا ووازعنا الأخلاقي ننتقي منها ونختار ما يصلح لنا، وكل ما كان فيها من خير فنحن أولى به، وما لدى الغرب من عدل وحرية حقيقية لا ننكره، ومهما جحدوا فضلنا لا نجحد نحن مزاياهم، وهم حين يحاسبون حكامهم مثلا إنما يقتفون منهج الخلفاء الراشدين، والشورى خير من ديمقراطيتهم، ونحن مع أخذنا الصالح من أنظمتهم في الحكم والإدارة، نتجنب عن وعي فلسفاتهم الشركية عن صفات الله، وغاية خلق الكون والإنسان، وكل ما نحن في غنى عنه من نظرياتهم، وليس موقفنا موقف العدو المتعصب المهاجم، بل موقف المثقف الواعي المدرك، الذي يتحلَّى بالحرية والمسؤولية، وكلّ تاريخنا الإسلامي يدل على هذا التعامل الناضج مع أية حضارة منافسة أو معادية كحضارة الفرس والروم والتتار.

- التحولات الفكرية والاجتماعية:

ومن الملاحظ الذي يبشر باستيقاظ هذه الأمة ما نراه من تحولات فكرية لدى من كان مخدوعاً بالغرب، مثل الدكتور عبد الرحمن بدوي، والأستاذ عبد الوهاب المسيري، والدكتور زكي نجيب محمود، والأستاذ سليمان دنيا، وهؤلاء المتحولون أرقى فكرا من أساتذتهم، فالأستاذ المسيري أرقى من كل الماركسيين والأستاذ بدوي أرقى من أستاذه لالند، وهكذا، وهذه التحولات شملت غير المسلمين، مثل روجيه جارودي الذي كفر بالماركسيه، ونقد الأساطير الصهيونية، والأستاذ منير شفيق الذي كان نصرانياً، كما عاد معلم الوجودية عند احتضاره (جان بول سارتر) وطلب

قسيسا ليعترف له، فكيف نستغرب عودة المسلمين إلى دينهم ويقال إن الصحوة اختطفتهم؟.

كما أن الشيوعية نفسها غيَّرت جلدها وشهدت تحولات جذرية كانهيار الاتحاد السوفيتي وحلف وارسو، وظهور نظريات اشتراكية أخرى لاسيما الاشتراكية الفابية التي دعا إليها (برنارد شو) ويمثلها حاليا حزب العمال البريطاني، وكذا التحولات الاقتصادية العميقة مثل تحول الصناعة من الثقيل إلى الخفيف.

وشمل التحولُ الفلاسفة الغربيين فانتقلوا من أحكام عصر التنوير القاطعة والمطلقة، إلى الأحكام النسبية والاحتمالية، ولم تعد الأمور إما خيراً محضاً أو شراً صرفاً، بل غلب اللون الرمادي على اللونين الأبيض والأسود، كما أن الغربيين جعلوا التنوير نفسه قسمين أحدهما التنوير المظلم، الذي ينتقد القسم الآخر، ولم تعد العولمة فكرة واحدة بل ظهرت عولمات كثيرة، كما شهد العالم تغيرا هائلا في السياسة فبعد أن سادت سياسة المحاور والأحلاف في مرحلة الحرب الباردة، ظهر ما سمي "النظام العالمي الجديد" ثم ظهر ضده ما سمي "اللانظام"، وبعد أن كان لأمريكا استراتيجية موحَّدة في معالجة المشكلات أصبحت سياستها متناقضة مترددة.

ومما يدل على أن المستقبل للإسلام هرم أعدائه لاسيما ساسة الغرب، ومثل ذلك ينطبق على عملائه وأتباعه:

فدونالد ترامب مثلا تجاوز السبعين، والباجي قائد السبسي ومحمود عباس تجاوزا الثمانين، والسيسي لا يقل كثيراً عن سيده ترامب، ومثله العجوز تريزامي وكل التغريبيين في بلاد الحرمين هرمون، وليس لهم من يخلفهم من أمثال تركي الحمد، وعثمان العمير، وعبد الرحمن الراشد، وقينان ومحمد سعيد طيب، وكذا أكثر المنافقين والناعقين باتباع الغرب والمنبطحين لليهود وأمثلة ذلك كثيرة معلومة.

وإنما المستقبل للأطهار وليس للأنجاس، وقد حكم الله في كتابه أن المشركين نَجَس وأنجس النجس اليهود وإخوانهم ومن والاهم، اليهود جعلوا الغرب وأذنابه في خدمتهم، والإرهابيون هم هؤلاء الذين توافدوا من أقطار الأرض ليحتلّوا الأرض المباركة ويشردوا منها أهلها، ويبنوا الهيكل مكان المسجد الأقصى، وجهادهم واجب على كل مسلم، وإنقاذ المسجد الأقصى أمانة في عنق كل مسلم، وليس فقط المجاهدين الفلسطينيين الذين يسميهم اليهود وأولياؤهم "إرهابيين"، وأنا أجزم أنَّ كل من سكت عن جرائم اليهود ليس من أهل التوحيد، ولا من حملة العقيدة الصحيحة، ولو أن احداً فتح سفارة لإسرائيل أو طبَّع العلاقات معها لتعرض للتفجير، لا أعني من داعش بل أول من يفجر السفارة الإسرائيلية هم حراسها ولا حرج عليهم في ذلك.

ولكي تتيقن أن الإسلام هو المنقذ للبشرية، وأن عدله وأخلاقه هي الأعلى والأرقى وأن حرية الفكر إنما هي فيه وحده، انظر الى المحظورات التي تسمعها في كثير من الدول التي تسمي نفسها متحضرة بل في هيئة الأمم المتحدة نفسها أو في أيٍّ من منظماتها الحقوقية من مثل:

١. نقد المحرقة "الهولوكوست" ولو بأدلة علمية تاريخية وثائقية.

٢. أي كلام عن السامية لا يعجب اليهود ولو تأويلا.

٣. أي حديث علمي عن الفروق العضوية بين الذكر والأنثى.

٤. أي حديث عن الجهاد.

٥. الحديث عن أن دين الله واحد وما عداه محرف.

وهذه الخمسة هي بعض ما يحظر المتقدمون -كما يزعمون- الحديث عنه، والمتحدث عنها إرهابي عندهم عدو للسامية، يميز بين الجنسين، ولا يؤمن بحرية الاعتقاد يريد أن يفرض الجزية علي العالم المتحضر! ويريد العودة لعصر الحريم ويفرض على النساء أن يكن غرابيب سود!!.

والغرب يعيش حياة التناقض والتذبذب والحيرة والضياع والعنصرية، وإليك الدليل من تاريخهم، مثلاً كتب "جان جاك روسو" كتاب "إميل" عن

التربية ولكن روسو كان من أخفق خلق الله في التربية، وهكذا كل قادة الغرب فإن اسحق نيوتن تحدث عن قانون الجاذبية وعرف ألوان الطيف من خلال منشوره، ولكنه في الوقت نفسه كان يفكر تفكيراً غير علمي ويؤمن بالتنجيم والسحر وبعض خرافات الكنائس ووثنية الأوروبيين.

واينشتاين صاحب النسبية المتوفى سنة ١٩٥٥، بالتقويم الجريجوري كان يهوديا ومع علمه الكوني الواسع لم ترق نظريته النسبية إلى أن تكون قانوناً علمياً، وإنما هي مجرد نظرية كلاسيكية عند الفيزيائيين، وكثيرٌ من فلاسفة الغرب يتكلمون عن الفضيلة وهم في الحقيقة أبناء زنا ويستحلون ما حرم الله، ويأكلون الجيف ويشربون الخمر ويفسدون في الأرض.

ومثل آينشتاين الفيلسوف المعاصر نعوم شومسكي اليهودي أيضا، وكثير من الغربيين سيطرت عليهم الحيرة والشك بأكثر مما كان عند المتكلمين أو الفلاسفة في تاريخ الإسلام فاقرأ مثلا كيف عاش تولستوي يائسا مضطرباً، وكانت نهاية حياته مأساوية، وكيف انتهت حياة نيتشه وعزرا باوند إلى الجنون، وكيف أن فرجينيا وولف انتحرت وكذلك آرثر كوستلر وإرنست همنغواي، وكيف أن هتلر انتحر، وكيف أن الولايات الأمريكية لا سيما الجنوبية كانت تستعبد العلماء والسلاطين ولما حررهم لنكولن اغتاله الأمريكيون، وكيف أن الأمريكان اغتالوا كندي لأنه مد يدَه لخروتشوف وأراد السلام لا الحرب ثم قتلوا قاتله (أسوالد) وهو في السجن ليموت معه السر.

وكيف عاش جان بول سارتر ملحدا مؤيدا لإسرائيل في كتبه وزياراته وفي مجلته "العصور الحديثة"، ولكنه عند موته عاد للنصرانية وطلب قسيسا.

وقارن بين آراء دي سوسير وجاكوبسون وأضرابهما وبين المعتزلة ومهيار الديلمي وأبي تمام، وانظر كيف تتناقض النظريات الغربية عن الكون ويبطل بعضها بعضا فلا أحد اليوم يؤمن بالنظرية السديمية أو الأثيرية أو الكوكبية أو المدية، الأمر الذي اضطر "جيمس جيتر" إلى القول بأن هذا

الكون (غامض)، وكيف عبر شو وكولن ويلسن عن تفاهة الحياة وعبثيتها كما يزعمون.

وانظر كيف أن رسل لما رأى إخفاق الشيوعية والرأسمالية والنازية رجع إلى القول إن الحقيقة هي في الأعداد وحدها، واشتغل بالرياضيات وعلى ذلك صديقة وايت هد، كما تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية من قبل عن اشتغال علماء اليهود والنصارى بالمنطق والفلسفة، حتى تمضي أعمارهم دون تفكير في عقائدهم الضالة.

وانظر كيف أباحت المحكمة العليا الأمريكية الفاحشة الشاذة، وضربت عرض الحائط بكلام الأطباء حتى من حصل منهم على جائزة نوبل.

وانظر كيف يتعصب الغربيون على المسلمين ويسمونهم الوثنيين أو الأتراك أو المحمديين، ويسمون الإسلام "هرطقة الإسماعيليين"، ويسمون نبينا محمد ﷺ "ماهوت" وانظر كيف يسعون إلى تحطيم أي نموذج إسلامي أيّاً كان.

وانظر إلى معاملتهم للمهاجرين، وكيف يقدّمون تعصبهم وعنصريتهم، على مصالحهم المادية الكثيرة لو استقبلوهم.

وانظر الى حقوق الإنسان عندهم خصوصاً إذا كان فلسطينيا ولم يقسم ولاء التجنُّس، وانظر إلى ديمقراطيتهم إذا كانت في الجزائر أو بورما أو غزة أو مصر، وانظر إلى إسلامهم المعتدل كيف اختاروه ومن رجاله؟

وانظر إلى حق النقض "الفيتو" أين هو دائما؟ وانظر كيف ابتدعوا فكرة (السامية) مع اعترافهم أن جزيرة العرب هي مهد هذه السامية، وانظر كيف ينسبون الحضارة إلى اليونان ثم الرومان ثم أوروبا ويهملون عن عمد التاريخ الإسلامي كله، بل يتعمدون إهمال الأصل المصري في الفلسفة اليونانيه فلا يعرفه إلا من ينقب ويبحث.

ويجحدون كل فضائل هذه الأمة التي هي ملء السمع والبصر ومن يعدل منهم قليل أو نادر، وانظر كيف يطمسون أي ملك يعتنق الإسلام مثل

(ريكس) البريطاني و(منليك) الحبشي، وقد قرر (اوبنهايم) أن مصير الغرب هو الانتحار، بينما يقول وزير التعليم البريطاني وزميله أن الليبرالية هي أيدلوجية الانتحار الغربي، ومما يبشر بأن المستقبل للإسلام فوق انتحار الغرب وتدهور حضارته، هذا التفوق العددي للمسلمين الذي يسميه الباحثون اليهود "القنبلة الديموغرافية" حيث سيصبح الإندونيسيون وحدهم أكثر من الأمريكان، ومع أن تركيا حاليا ثاني دولة بعد أمريكا في حلف الناتو من حيث القوة، فانظر كيف ستكون إذا أصبح سكانها ١٥٠ مليوناً بينما يتناقص عدد الأمريكيين.

ولنأخذ نموذجا للإنسان الغربي شخصيا، ليس بإنسان عادي بل هو شخص يوصف بأنه أكبر فيلسوف غربي في القرن العشرين، وله دراسات وإبداعات كثيرة في الفلسفة والمنطق أنه (برتراند رسل) وهذه أهم المعالم في سيرته وفكره:

١- نشأ بروتستانتيا موحِّدا كافراً بالثالوث النصراني.

٢- كان ملحدا لا يؤمن بأي دين لا سيما النصرانية.

٣- جرَّب كلا النظامين الشيوعي والرأسمالي، وزار الاتحاد السوفييتي وأمريكا والصين، وانضم إلى الحركة الاشتراكية الإنجليزية، ثم انفصل عنها وهاجمته، ودعا بوضوح إلى نظام عادل للبشر أجمعين، وأعلن ان نظامي موسكو روما أفلسا، أي الشيوعية والرأسمالية.

٤- كان مستقلَّ الرأي واسع الاطلاع، تصور نظرياً الحالة المثلى،التي تجمع بين ما في الشيوعية والرأسمالية من حسنات وتنفي من كل نظام عيوبه.

٥- كان مفتونا بالعلم ويعزو إليه كل حدث أو تقدم، كما يعزو انحطاط الغرب وتأخره إلى الكاثوليكية.

٦- كان يفضل الاشتراكية على الرأسمالية ولكن النازية خيراً منهما عنده، وأكثر منهما علمية.

٧- معلوماته عن الإسلام ضحلة كعادة الغربيين ومستقاة من الكنيسة وآراء المستشرقين، ويعلل الفتوحات الإسلامية بالجدب الصحراوي!

٨- على أفكاره وأفكار "شو" اعتمد حزب العمال البريطاني وهو حزب اشتراكي فابي يتزعمه اليوم (جيرمي -أي ارميا - كوربين) وموقفه من القضية الفلسطينية عكس حزب المحافظين وهو يعلن دائما أن إسرائيل دولة عدوانية.

٩- اشتهر بدعوته للمسالمة ونبذ الحرب ودافع عنه "آينشتاين ووايت هد، وديوي" وغيرهم.

١٠- عمَّق المنطق الرياضي ليكون بديلا عن منطق "هيغل" الذي كتبه ليكون بديلا عن المنطق الصوري.

١١- كان محتارا يشك في مستقبل الإنسان إذا بقي في هذه الحال ويصرح بأن قيادة الرجل الأبيض قد انتهت وأن الجماعة البشرية لابد لها من نظام عادل.

١٢- توفي رسل سنة ١٩٧٠ ميلادية.

ومن الطبيعي أن يكون في طريق الدعاة عقبات ومصاعب تتمثل أساساً في جهل كثير من المسلمين بدينهم، وما يكاد لهم ﴿وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦]، ويجب توعية الأمة بذلك مهما كلف الأمر، وأقول من تجربتي الخاصة أن صاحب الدين متَّهم، وإن لم يجدوا عليك شيئاً افتروا عليك والصقوه بك، وإنما يندم الإنسان على أنه لم يقل كل ما في نفسه، وأعلم أيها الداعية أن تهمتك معروفة سواء قلت او لم تقل؟ والحكم عليك جاهز قبل التحقيق والقبض، وإذا أرادوا أخرجوك ولو كنت محكوما بالمؤبد، وإذا أرادوا بقيت مسجونا حتى ولو كنت أمضيت المدة التي حددها القضاء، فادع إلى الله واستغل فرصة سقوط الحضارة الغربية وحاجة الناس للدين، وما يقوله الغرب نفسه عن سقوط حضارته.

ومن الكتب الغربية التي تتحدث عن سقوط الغرب والتي صدرت حديثا: كتاب (تحدي الحضارة) والمؤلف وزير فرنسي سابق، وكتاب (مذكرات السلام في زمن الحرب) تأليف رئيس الحكومة الفرنسية سابقاً، وكتاب (عدالة) للمفكر الأمريكي مايكل ساندل.

والكتب في هذا كثيرة وكذا الروايات والقصائد والنظريات وكلها تدل على ما سبق.

وبالإسلام تتجدد الأمة ويعود لها مجدها وبالكفر الملازم للظلم تتدهور وتضعف فانظر مثلاً إلى حال كلٍ من تركيا وبريطانيا وكيف أن تركيا لما دخلت في النفق الغربي فقدت اقاليمها وأن بريطانيا كانت ذلك الحين لا تغيب الشمس عن مستعمراتها وانظر لحال كلٍّ منهما اليوم.

المستقبل للإسلام أما الحضارة الغربية ففلسفتها لا تؤمن بالله تعالى ورسالة نبيه ﷺ ولا تدين بدين الإسلام وكفى بذلك دلالة على تأخرها وانحطاطها وفنائها.

والذين جربوا سياستها عملياً ومنهم أكابر زعماء المسلمين عرفوا ذلك وذكروا تجاربهم كتابةً أو عمليا أو هما معاً مثل الرئيس البوسني (علي عزت بيجوفيتش) رحمه الله والرئيس التركي (رجب طيب أردوغان) ورئيس الحكومة الماليزية سابقا (محاضر محمد) والرئيس النيجيري (محمد بخاري) وسلطان بروناي وشهد ذلك الجنرال الباكستاني رئيس باكستان الأسبق وقاله المفكرون من أبناء الغرب أو أبناء الإسلام، وكذلك كل من جالس زعماء الغرب وقادته وعرف حقيقة الحضارة الغربية عن اطلاع وتجربة ومعرفة وحذر المسلمين من التقليد والتبعية واستنساخ التجربة.

وقد ظهر لكل ذي عينين إخفاق ما سمي العولمة واشتدت حاجة البشرية لفكرة عالمية بديلة يقول مؤلفا كتاب (مساءلة العولمة): "تعمق ارتيابنا كلما مضينا في البحث حتى صرنا مقتنعين أن العولمة كما يتصورها

أشد دعاتها تطرفاً هي إلى درجة كبيرة أسطورة"، ثم ذكرا أربع حجج على قولهما

يقول مقدم كتاب حضارة الموجة الثالثة والذي ألفه "توفلر": "الموجه الثالثه مكمل لكتاب آخر للمؤلف نفسه هو (صدمة المستقبل) الذي أثار حين نشره -أوائل السبعينات- ضجة واسعة في الغرب لما ورد فيه من نظريات احتمالية مثيرة للجدل تنتقد المجتمعات الرأسمالية الغربية الصناعية لكن للموجة الثالثة نكهة خاصة إذ كما الجراح الماهر شرّح الحضارة السائدة تشريحاً دقيقاً مبيّناً الأساس الفاسد، والبذور المتآكلة لهذه الحضارة" إلى آخر كلامه.

ومن آثار هذه الحضارة: نهب الثروات، وحدوث ثقب الأوزون، وتدمير البيئة، وغلبة النزعة الفردية، يقول "توفلر" نفسه في مقدمته: "حكومات العالم إما مشلولة أو ذات سلطة مطلقة، رجل الشارع يقول بأن العالم قد جُن وتوقعات الخبراء تنذر بكارثة تلوح في الأفق!

غير أن "توفلر" يبشر بموت الحركة الصناعية ونشوء حضارة جديدة ويعلق الأمل على العودة للضوابط والقيم، ولما كان يجهل الإسلام علق أمله على البوذية.

أما فيلسوفهم الكبير "هيجل" فيقول ضمن محاضراته عن فلسفة الدين أنه لا بد للبشرية من دين الجمال والدين المطلق، وحسبك أنه يقر بأن النصرانية قد استنفدت أغراضها وأن الناس بحاجة الى دين آخر.

والمسلمون -مهما كان سلاحهم- هم أقوى قوة في الأرض.

وبعد الهزيمة التي نزلت بالإرهابي المجرم بوش الصغير في عدوانه على العراق لم تفكر أمريكا في الاعتداء على أي بلد مسلم،و من شك في ذلك فليقرأ ما قاله البنتاجون عن ما سماه (المثلث السني) والعشائر العراقية، ونرجو أنه كما كانت هزيمة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان بداية سقوطه أن تكون هزيمة أمريكا في العراق بداية سقوط الامبراطورية الأمريكية وتفككها، وأن

تكون الانتفاضة الثالثة (انتفاضة القدس) بداية سقوط الدولة الصهيونية، ويقيننا أن كل من عادى الله ورسوله والمؤمنين خاسر مهما طال الزمن واستدرجه الله بالمال والنعم لاسيما وقد تبين لكثير من الشعوب في الشرق والغرب حقيقة المعركة وكثرة أكاذيب أمريكا ودفاعها الدائم عن الأخطاء لتبرير انحرافاتها، فقد زعمت أن قصفها لمنظمة أطباء بلا حدود كان بالخطأ، وأن ضربها لأهل بلاد الشام كان خطأ، وأن إسقاطها للسلاح على الدواعش في عين العرب كان خطأ، وأن ضرب المدنيين في العراق واليمن كان خطأ، وأن ما مارسته من التعذيب في ابو غريب كان خطأ، وأمثال ذلك مما ليس هذا موضعه فما أكثر اخطائها وما أسخف تبريراتها وما أكذب اعتذاراتها! ولو كان الذي فعل شيئا من ذلك أحد المسلمين لقالوا إرهاب إسلامي ومتعمد، وردد أقوالهم اتباعهم الليبراليون هنا، ويعلم الجميع أن أمريكا اتهمت طالباً سودانياً بالإرهاب مع قوله وهو أصدق من (الإف بي آي) أن ذلك لم يخطر على باله قط، ولو فرضنا جدلا أن تلك الأفعال خطأ فلماذا يتحالف البعض مع الأخطاء ويدفع المليارات؟ وكيف يأمن ألاّ تتكرر؟

ولماذا لا نفترض أن أمريكا تضرب السعودية وتقول إنها تريد إيران ولكن ذلك بطريق الخطأ، وكما فضح الله أمريكا فقد فضح أوروبا السائرة هي الأخرى في طريق الانهيار، ومن ذلك أن يتفق زعماء الاتحاد الأوروبي وصحفيوه أن هجرة المسلمين إلى الغرب هي أكبر مشكلة واجهته بعد الحرب الغربية الثانية، مع أن مصر والشام استقبلتا المهاجرين الأوروبيين في حروب الغرب الطاحنة بذراعين مفتوحتين ولم تغرق أو ترد منهم أحدا، وهكذا يترك الغرب دينه ولكن لا يترك تعصبه على الإسلام، بل يصرح بوش وبوتين أنهما يخوضان حرباً صليبية، وأنه لابد من إرسال الجيوش لحماية المسيحيه في الشرق، ثم جاء المتطرف اليميني دونالد ترامب بما هو أدهى.

فعلى المسلمين أن يعرفوا حقيقة المعركة ويعلموا أن الحل إنما هو في إعلان الجهاد بكل معانيه، وأن مملكة كسرى وقيصر الجديدتين لن تُفتحا إلا كما فتح المسلمون المملكتين القديمتين.

ومن أكبر أسباب سقوط الغرب المتوقع ذلك الخواء الإيماني المحسوس المشاهد في الغرب عامة وفي أمريكا خاصة فالفرد الأمريكي مثلا ضخم الجثة لكنه خاوي الروح ضعيف التفكير مغسول الدماغ فهو شبيه بالديناصور الذي يقول متخصصون في الأحياء أنه كان ضخم الجثة ولكنه مخّه في حجم الليمونه.

ومن العوامل أيضا سقوط النظريات الغربية على يد الغربيين أنفسهم كنظرية تفوق العرق الآري، وسوف يتبعها بإذن الله نظريات أخرى كالديمقراطية والحرية والإنسانية والتعددية والليبرالية والسلام العالمي والشرعية الدولية وحقوق الإنسان وأمثال ذلك من الأكاذيب والنظريات المزعومة وهي مهما كثرت أو تعددت يكذبها أسلوب غربي واحد وهو ازدواجية المعايير وتقديم المصالح على المبادئ.

أخيرا أقدم هذه النصائح لأهلها، فقد كان النبي ﷺ يبايع أصحابه على النصح لكل مسلم، وهي نصيحة مشفق خائف من عذاب الله.

الملحق
ثلاث نصائح

النصيحة الأولى للعلماء

مُقَدِّمَة

العلم شأنه عظيم، وهو نعمة ربانية عظمى، أظهر الله به ميزة الإنسان على ملائكته الكرام، وفضّله به على الحيوان وإلا ففي الحيوان ما هو أكثر منه رشاقة، وأكثر حملاً للأثقال وأسرع جرياً وأحد بصراً، والحيوان يشم ما لا يشم الإنسان ويرى ما لا يرى حتى الحشرات، وإنما فضل الله الإنسان بأن أعطاه العقل الذي هو وسيلة لعلم ما لم يعلم، وأخذ الميثاق على أهل العلم أن يبلغوه للناس، وجعل علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل وجعلهم ورثة الأنبياء، وجعلهم مصابيح الدجى، وسرج الهدى، وجعلهم الموقعين عنه، وفضّل العالم على العابد، وجعل مداد العلماء كدماء الشهداء، ومع هذه المترلة العالية لأهل العلم جعل الله حمْلهم ثقيلاً وواجبهم عظيماً، ونهاهم عن المداهنة وكتم الحق، أو النظر دائما من جانب واحد، أو الحكم على أحد بتصديق كلام خصمه فيه، وأخذ على عبده داود عليه السلام وهو خير من أي عالم، أن حكم على طرف قبل أن يسمع من الآخر، وأوجب الحكم بالحق، وبيّن عاقبة إرادة الدنيا حتى على الصحابة الكرام.

وهو سبحانه أنزل للبشرية دينا واحداً، تضمنه الكتاب وشرحته السنة وعمل به السلف، ولكن يريد أعداء الدين اليوم أن يجعلوه دينين أحدهما: متطرف أو إرهابي أو سياسي إلى غير ذلك، والآخر طقوسي أو شعائري، أو صلة روحية بين الإنسان وخالقه، لا صلة له بالحياة العامة.

والنصيحة هي شأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وكل من سار على دربهم، فقد قال أول الرسل نوح عليه السلام لقومه: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢]، وقال هود لعاد: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨]، وقال صالح لقومه: ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩]، وما كان إبراهيم عليه السلام إلا ناصحا لأبيه وقومه، وما كان موسى عليه السلام إلا ناصحا لفرعون، وما كان محمد ﷺ إلا ناصحا لما رقى الصفا وأنذر قريشا،

وكان يبايع الصحابة على النصح لكل مسلم، فنشهد أنه ﷺ نصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده.

ولهذا أقدم هذه النصائح الثلاث: أولاها للعلماء، والثانية للدعاة، والثالثة للحكام، على أمل قبولها من الجميع.

أما العلماء والدعاة فأنا خادمهم ولهم الفضل علي وعلى الناس، أما آل سعود فلهم واجب النصح ما دمت حيا، وأنا ملتزم بالعدل معهم مهما أساءوا إلي ومنعوني من كل شيء، فالدرس ممنوع والمحاضرات ممنوعة والمطبوعات ممنوعة والمركز ممنوع، والحملة ممنوعة والوظيفة ممنوعة والتقاعد ممنوع، ومع هذا فأنا لهم ولكل من على البسيطة وليس للمسلمين فقط ناصح أمين ورأس مالي هو الكلمة التي لا خير فيّ إن لم أقلها.

كما آمل من هذه الفئات الثلاث نصحي وتسديدي وتنبيهي إلى ما أخطأت فيه، ولهم مني خالص الشكر.

وواجب علماء الإسلام هو بيان مخالفة الإسلام الإلهي للإسلام الأمريكي، الذي يسمونه "المعتدل"، وماذا تكتب بشأنه مؤسساتهم مثل مؤسسة "راند"، وخزانات الفكر ومراكز البحوث التي تقارب الألفين، وما يقوله أو قاله رؤساء أمريكا عن الإسلام.

فالأمريكان يريدون الإسلام السلمي المنعزل، الذي ينشغل ببعض الأمور، مثل توزيع المصاحف أو تعظيم الكعبة أو إقامة الموالد أو بعض الشعائر دون فهم لمضموناتها، ذلك الإسلام الذي قرره مؤتمر جروزني وأيده بعض المغفلين، والذي ينص صراحة على أن الوهابية والإخوان ليسوا من أهل السنة، فماذا يريد علماؤنا الأفاضل أوضح من ذلك؟ وأين الردود المستفيضة على ما قرره القوم؟

فيجب على علماء الإسلام الاستقلال عن التبعية لأمريكا وأوليائها، وأن يقوموا لله بالقسط سواء وافق الحكام أو خالفهم.

وهاهنا سؤال مهم جدا وهو بماذا يبدأ العلماء من أمور الدين؟ وللإجابة نقول:

أهم ما يجب على العلماء والوعاظ بيانه، هو حقيقة الشرك وأنه ليس نوعا واحدا أو نوعين بل هو سبعون بابا كالربا، وقد صحح الشيخ الألباني حديث (الربا سبعون باباً والشرك مثل ذلك) في صحيح الجامع وصحيح الترغيب والترهيب، وقد رواه ابن ماجه والبيهقي، وقال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: "رواه البزار"، وفي بعض الروايات (الربا بضع وسبعون بابا والشرك مثل ذلك)، ومن الأحاديث الحسنة قوله ﷺ (الشرك أخفى في أمتي من دبيب النمل)، والمقصود أنه أنواع كثيرة.

وقد سمعت أحد طلبة العلم يقول: كل من لم يدع الأموات عقيدته صحيحه. فقلت: كلا، فهذا نوع من أنواع الشرك فأين الأنواع الأخرى المذكورة في القرآن مثل شرك التعظيم وشرك التسوية، وشرك الطاعة، وشرك التشريع، وشرك الشفاعة، انظر مثلا إلى شرك التشريع الذي قال الله فيه: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى:٢١]، وقال عن اليهود والنصارى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١]، وكم من الأحبار والرهبان كان حياً لما اتخذوه رباً ولم يسجدوا له ولم يمت حتى يدعوه من دون الله، ولكن يملك عندهم حق التحريم والتحليل افتراءا على الله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ﴾ الآية [النحل:١١٦].

وقد فسر الحبر ابن عباس قوله تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٣١] بأنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، ومعلوم حديث عدي بن حاتم الذي حسنه شيخ الإسلام ابن تيمية، ولا يزال النصارى يؤمنون بما يسمونه حق التحلة.

والشرك حذر الله منه أنبيائه وقال لخيرهم وخاتمهم محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ الآية [الزُّمَر:٦٥]، وهؤلاء الذين من قبل هم الرسل الكرام وقد ذكر الله منهم في موضع واحد ثمانية عشر في سورة الأنعام، وقال بعد ذكرهم ﴿وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٨]، وقال لسيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْـًٔا﴾ [الحج:٢٦]، وقد قال رسول الله ﷺ بنفسه: (إني لا أحل حراما ولا أحرم حلالا)، فكيف يجعل بعض الناس التشريع مجرد معصية لمن يصرح بأنه ديمقراطي وأن التشريع حق للأمة أو للبرلمان؟

ومن الشرك المخرج من الملة النفاق الأكبر، واتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وانظر كيف أن إبراهيم الحنيف عادى أقرب الناس إليه، وأمر الله ابنه محمدا ﷺ أن يتبع ملته، وقال عنه: ﴿قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران:٩٥] بعد أن زعم أهل الكتاب أنهم على ملته، وكيف أنه تعالى قال للمسلمين: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١]، وأنزل بشأن المنافقين سورة التوبة وأوائل سورة البقرة وسورة المنافقون وغير ذلك.

وكذا شرك الشك الذي هو في الحقيقة إلحاد وتعطيل، هذا عدا الشرك الأصغر الذي هو أيضا أنواع أعظمها الرياء، وبه فسر السلف قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

ومن الشرك في هذه الأيام الفصل بين الدين والحياة أو أي شيء، وهذا مشابه لقول المشركين قبل الإسلام ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦]، وأول من غيَّر ملة إبراهيم عليه السلام هو عمرو بن لحي الخزاعي، الذي هو أول من سيّب السوائب كما في الحديث، وإذا كان علّم الناس مع ذلك عبادة الأحجار فهو شرك إلى شرك وزيادة في الكفر.

نعم، لكل تخصصه كما كان الشيخ محمد بن غبراهيم رحمه الله متخصصا في الفتيا والقضاء، لكن لم يهمل الجانب السياسي قط، وعلى هذا سار تلميذه الشيخ عبد العزيز بن باز.

وشرك الطاعة الذي وقع فيه كثير من الجند والقضاة كما قال شيخ الإسلام سببه هو فسق الأتباع وغفلتهم، فيتسلل به الشيطان من طريق الانحراف السلوكي.

وليس من شروط الفاسق أن يكون منحرفا وهو يشعر بل كثير من الناس يلبس عليهم الشيطان بأنه صاحب العقيدة الصحيحة ومستقيم ومهتدي ويحافظ على الفرائض، وإنما طاعته للبشر من باب طاعة ولاة الأمر من العلماء والأمراء. وفي هذا مخالفة لقوله ﷺ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وهو متضمن للجهل بحقيقة العبادة التي أمر الله كل ركعة من صلاتنا أن نجعلها له وحده، وبطبيعة الحال يظن المسكين أنه حر مع أنه لم يفهم حقيقة الحرية، وأنها لا تنال بلا ثمن.

وقد كان الأنبياء والصالحون أكثر الناس حرية بعبوديتهم لله وحده.

كما أن للعبودية صوراً كثيرة غير مجرد السجود والركوع، انظر إلى قوله تعالى عن فرعون: ﴿فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ [الزُّخرُف:٥٤].

فلفسقهم مكنّوه من أن يدعي الألوهية وخرجوا معه جيشا لكي يدرك موسى عليه السلام ومن معه من المؤمنين، وخافوا من سجنه لما قال: ﴿لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾[الشعراء:٢٩].

وليس شرطا أن يدعي أحد الألوهية في صورتها الصارخة كما كفعل فرعون.

وحسب مدعيها أن يتصف بها وأن يقولها بلسان الحال لا بلسان المقال.

فإن الله تعالى قال عن اليهود والنصارى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣١]، ومعلوم أن بابوات الكاثوليك مثلا لم يأمروا أتباعهم بالسجود لهم، وإنما ادعوا أن الحلال هو ما يحلّونه والحرام هو ما يحرمونه! وأن ما يحلونه في الأرض يكون محلولا في السماء كما ينسبون للمسيح عليه السلام.

لكن لا يصح الاشتغال بأحد نوعي الشرك وترك النوع الآخر أعني شرك القبور وشرك القصور، ومن أنواع الشرك أن يتخذ المشرك غير الله معبوداً يطيعه ويتبع أوامره، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴾ [آل عمران:١٤٩]، وقال لنبيه الكريم ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [الأحزاب:١]، وقال عمن يطيعون حكامهم أو عظماءهم في معصية الله: ﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ [الأحزاب:٦٧]، ونهى عن طاعة كل غافل ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾ [الكهف:٢٨].

والآيات نحو ذلك كثيرة، وبذلك بعث الله الرسل، وطاعتهم إنما تكون باتباع شرائعهم ونبذ ما عداها، فقال أولهم نوح: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء:١٠٨]، وكذا قال هود وصالح ولوط وشعيب كما في سورة الشعراء، ونبي الله صالح بين ما يضاد طاعته وهو طاعة المسرفين، وقال لثمود: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ١٥٠ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾ [الشعراء: ١٥٠-١٥٢]، والمفسدون في زماننا هذا هم التغريبيون.

وضد الطاعة هو التولي، والتولي عن طاعة الله كطلقا كفر، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران:٣٢]، وقال عن الكافر: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ۝٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة:٣١-٣٢].

والله تعالى نهى عن طاعة المخلوق في معصيته ولو كان أولى بالطاعة من العالم والحاكم كالوالدين، فقال: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾[لقمان:١٥]، وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ صالح الفوزان بأنه لا تجوز طاعة الأب إذا أمر ابنه ببيع السجائر أو الجلوس مع المدخنين.

والإتباع من العبادة، ويكثر في القرآن الحديثُ عن المحاجة بين الأتباع والمتبوعين ويكفي في ذلك قول السادة كما أخبر الله ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾ [القصص:٦٣]، فيتبرأ فرعون وماركس وداروين وميشيل عفلق من الأتباع، وينكرون أنهم أغووهم، كما قال إبليس: ﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى﴾ [إبراهيم:٢٢]، ورحم الله ابن القيم حين جعل المطاع من أنواع الطاغوت، وكذا شيخه ابن تيمية، أما أتباع الأنبياء فهم في الدرجات العلى من الجنة، ويحمدون الله الذي وفقهم لاتباع خير الناس.

قال جل شأنه: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾الآية [البقرة:٢٦٥].

فما علمنا حكمه شرعاً إنما نتبع فيه ما شرع الله، ولا نطيع المخلوق أيا كان.

ويجب على علماء الإسلام حث الأمة كلها، على الصلاة والغيرة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتلاوة كتاب الله والعمل بأحكامه، ومنع القنوات والصحف والمواقع، من قول ما يخل بالدين أو يطعن في سيد المرسلين ﷺ، أو يرفع صوت الفلاسفة والمنظِّرين فوق صوته الشريف، ولا يجوز لهم تبرير ما يفعله السلاطين، حتى قال بعض الناس لو أن

علماء السلطان دخلوا عليه فوجدوه يعبد الأصنام لقالوا وجدناه يعمل لمصلحة الأمة وقضايا المسلمين!

كما أنه لا يصح أن يكون أهل العلم مجرد موظفين عند السلطة، أو جزء مكملا للسلطة التنفيذية، ولا أن تكون فتواهم تبعا لما يرى الساسة.

ونحن حين نتحدث عن أي مشكلة ومنها مشكلة التبعية للغرب وحضارته نصطدم بمن ينسبون كل مصيبة للعلماء، ولذلك وجب النصح لعلمائنا الأجلاء وبيان ما قد يخفى عليهم من أمور تشغلهم عنها أعمالهم الكثيرة، وأذكرهم بمترلتهم وقيمتهم عند الناس، التي ربما لم يدركوها، إما مبالغة منهم في التواضع، وإما لأنها لا تبلغهم.

قد هيأوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وعلى علمائنا الأجلاء معرفة قدر أنفسهم وقدر علمهم، فهم الملوك على الملوك، وهم فوق كل السلطات وأن يصونوا علمهم، وقد قال علي بن عبدالعزيز الجرجاني قديما:

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فهان ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما

والعلماء هم بنص كتاب الله ولاة أمر، بل يحكمون على الحكام قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [النساء: ٥٩] الآية.

وقال: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾[النساء:٨٣].

فمن الذين هم أعلم بما أنزل الله إذا رُدّ الأمر لله ورسوله، ومن الذين يستنبطون؟

وأقول للعلماء:

أنتم قبل كل شيء دعاة، تدعون الناس إلى الخير وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتميزون بين المصلحة والمفسدة، وما أنا إلا واعظ، كما تسميني الجهات الأمنية، وتظن أنه للاحتقار، ولا ريب أن الأمانة عليكم ثقيلة ولكن هذا هو الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم، لكي يرفع درجتهم إذا قاموا به إلى أعلى المراتب.

وحق العلماء على الأمة -حكاما ومحكومين كبيرهم وصغيرهم- عظيم، وعلماء هذه البلاد هم العلماء الذين يتبعون الدليل، ويجتهدون ألا يقولوا إلا الحق، ومن حقهم -إذا قاموا بواجبهم- الإجلال والتقدير من عامة الناس، فهم موقعون عن رب العالمين، وهم الذين يفتون المسلمين، وهم الأدلاء إلى جنة عرضها السماوات والأرض، ويجب على كل أحد أن يطيعهم ويستجيب لأوامرهم، ولهم حسنات كثيرة إن استقاموا، ويجب على طلبة العلم النصح لهم وبيان ما قد يجهلونه، ولا يجوز الطعن فيهم، وقد سمعت بأذني من يقول بأن ابن باز ضال، ومن يقول ابن جبرين مثل الطفل، والعجيب أن قائلي هذا يدّعون السلفية والاستدلال بكلام العلماء.

فمتى كانت غيبة العلماء حلالا لهؤلاء المدَّعين؟ وأغرب من ذلك أنهم يستصدرون الفتاوى من العلماء ليستخدموها ضد مخالفيهم، الذين يثنون على العلماء، والعلماء كالغيث أينما هطل نفع، والعلماء العاملون كالأرض المخصبة التي تحتفظ بالماء، وتنبت من كل زوج بهيج، وأما غير العاملين فهم كالأرض الرملية التي لا تحفظ ماء ولا تنبت كلأ.

ومن التكليف بما لا يطاق أن نكلف علماءنا معرفة تفاصيل الكيد الكتابي، والمكر الكُبَّار الذي يبيته لنا القوم، وإن كان الجهل العام به لا ينبغي، والواجب الشرعي هو أن يستعينوا في أي شيء بأهل الاختصاص فيه، ويأخذوا خلاصة ما عندهم ويعرضوه على الوحي المعصوم.

ومما يشجِّع على النصح لهم أنهم يقبلونه وينتفعون به وينفعون، وهذا هو المقصود عند من كان يريد الله والدار الآخرة، ولا يهمه أن ينسب ذلك إليه، بل خير له ألاّ ينسب إليه، قال الإمام الشافعي رحمه الله: "وددت أن الناس علموا ما أعلم ولم ينسبوا ذلك إليّ"، وأصحاب الفضيلة العلماء يعلمون أن من ينصح لهم ويذكِّرهم بالله، خير من أهل الأهواء والبدع والشهوات والشبهات، الذين يتظاهرون باحترام المشايخ، والله أعلم بالحقيقة.

كما أن العلماء يتاح لهم ما لا يتاح لغيرهم، ويستطيعون مخاطبة من لا يصل إليه غيرهم، ولصلاحهم أهميته ووقعُه على العام والخاص.

ومن ذلك أن ينصحوا الولاة، شفويا أو كتابيا بإبعاد بطانة السوء، ودعاة التغريب وأصحاب ما يسمى تحرير المرأة، أي نزع قوامة الرجال على النساء التي ذكرها الله في كتابه، ومن يشير عليهم ولو من طرف خفي بالتخلي عن مصدر شرعيتهم، وهو دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية بمفهومها الحقيقي، أو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله وإصلاح الإعلام والاقتصاد والتعليم والصحة والعمل والإسكان، وكل شيء بالكتاب والسنة، وبطانة السوء حق، عانى منها بعض الفضلاء كالشيخ عبد المحسن العبيكان آل سعود، والأستاذ تركي الروقي وأعرف بعضهم وقابلته، ونسأل الله أن يرزقهم التوبة، وقد أخبر الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ (أن ما من أمير إلا وله بطانتان...) الحديث، وقال في آخره: (وهو (أي الأمير) من التي تغلب عليه منهما).

والواجب على العلماء الأفاضل تجديد الدين وإحياؤه، والتصدي للهجمة الشرسة التي يقوم بها المنافقون، وللعداء الكتابي السافر للإسلام وأهله، وإيقاظ هذه الأمة المستهدفة المنغمسة في شهواتها وملاذها الفانية، وتنبيهها إلى أن أعداء الله يريدون لها الاشتغال باللهو واللعب والترفيه والسياحة عن الواجبات لا سيما الجهاد، لكي تظل تابعة لهم، مستهلكة لمنتوجاتهم، محتاجة لحمايتهم، وتبتغي عندهم العزة.

وسكوت أهل العلم هو بخلاف ما أمر الله به في كتابه إذ هو كتم للعلم الواجب نشره، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟﴾ [البقرة:١٥٩-١٦٠] الآية.

فجعل الله ثلاثة شروط وهي:

١.التوبة: وهي أول المنازل وآخرها، وإليها يفتقر كل عبد، إذ لا يخلو من الذنوب أحد منّا.

٢.الإصلاح وبه يعصم الله أهله والأمة من الهلاك، فمن كان صادقا في حب الأمة ومن كان مخلصا في قوله إنه يريد الصلاح، فليفتح المجال لأهل الإصلاح، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾[هود:١١٧].

٣.البيان: فلا يترك العلماء بدين الله حاكما ولا محكوما ولا صغيرا ولا كبيرا، إلا بيّنوا له الحق، ودعوه إلى أمر الله، كما أمر الله ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[النحل:١٢٥]، ولا يكفي أن يبيّن الحق لطائفة في المسجد مثلا، أو في وسيلة تقليدية معروفة، بل الواجب بيان ذلك في كل وسيلة وتكراره في كل مناسبة، فإن بعض البقاع أيمن من بعض، وإن بعض القلوب أوعى من بعض، وبعض الأساليب أجدى عند البعض، وبعض الناس لا يستمع إلى وسيلة تقليدية معروفة يسميها "دينية"!

وعندي أن أول ما يجب على علماء هذه البلاد المباركة عمليا، هو الاعتزال الذي قاله النبي ﷺ في الصحيح: (لو أن الناس اعتزلوهم)، وقال: (من اعتزلهم فقد نجا)، ولا يصح أبدا أن يكون العلماء مجرد موظفين عند أحد، فمن طبيعة النفس مجاملة من يكرمها ويدفع لها، وهذا ما فطن له السلف الصالح، فعاشوا على المهن الحرة، أو على الأوقاف العامة.

والله أمرنا أن نكون ربانيين وألا نقول عليه إلا الحق، ولذلك مزيد بيان مذكور في باب الفكر السياسي المتقدم، وسيأتي أيضا قريبا إن شاء الله، وضرب في كتابه الحكيم أسوأ الأمثلة لعلماء السوء أعاذنا الله وعلماءنا من طريقهم، فقال في كتابه: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا﴾[الجمعة:٥].

وقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾[الأعراف:١٧٥]، إلى أن يقول: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف:١٧٦].

فانظر إلى هذين المثلين القبيحين "الكلب والحمار"، وهل ذكرهما الله تعالى في حق من هم أغلظ كفرا كفرعون والنمرود؟ إذ كفروا بكل نبي وكذبوا كل رسول وادعوا أنهم هم الرب الأعلى الذي يحيي ويميت.

ونشج أبو هريرة نشيجا عظيما، ثم قال إنه سمع النبي ﷺ يقول: (أول من تسعَّر بهم النار يوم القيامة ثلاثة)، وذكر منهم (العالم الذي تعلّم العلم ليقال عالم).

قال ابن القيم رحمه الله: "علماء السوء جلسوا على باب الجنة، يدعون الناس إليها بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم"، إلى أن يقول: "فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطاع طرق".

والعلم ليس استكثارا من المعلومات، بل هو مسؤولية ووسيلة لإصلاح النفس والمجتمع.

وجاء الإمام الثوري إلى أحد السلف رضي الله عنهما يطلب العلم فقال له: "يا سفيان هل عملت بكل ما علمت، قال سفيان: لا، قال: فلم تستكثر من حجة الله عليك"، هذا وهو إمام مصلح ناصح مطارَد مستخفٍ عن الأعين لم يعمل للسلاطين قط، وقد نهى ﷺ عن التصديق بكذب الظالمين فكيف بتأييدهم والافتتان بدنياهم والائتمار بأمرهم؟.

وأشرف العلم هو العلم بالله الذي يثمر خشيته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر:٢٨]، وقال كثير من السلف: إنما العلم الخشية.

أما الخلق فيدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، لا بحسب أهوائهم وما ترغبه نفوسهم، ولا يخشاهم العلماء بالله أبدا، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩].

كما أن أشرف الشعر ما كان ثناء على الله تعالى، هكذا فعل أبو نواس قديما ومحسن الهزاني أخيرا.

قال ابن القيم رحمه الله في الفوائد: "كل من آثر الدنيا من أهل العلم واستحبها، فلا بد أن يقول على الله غير الحق في فتواه وحكمه، في خبره وإلزامه، لأن أحكام الرب سبحانه وتعالى كثيرا ما تأتي على خلاف أغراض الناس، لا سيما أهل الرياسة والذين يتبعون الشهوات، فإنهم لا تتم لهم أغراضهم إلا بمخالفة الحق ودفعه كثيرا، فإذا كان العالم والحاكم محبّين للرياسة متبعين للشهوات، لم يتم لهما ذلك إلا بدفع ما يضاده من الحق" إلخ كلامه النفيس.

ثم ذكر الآيات في علماء بني إسرائيل وذكر قصة بلعام، وأن الله تعالى ذمه من عشرة أوجه ذكرها ابن القيم جميعاً.

– مواقف السلف من العمل للسلاطين أو التقرب إليهم:

الوظيفة في ذاتها ليست حراما، ما لم تشتمل على محرم، كالتوظف في البنوك الربوية، غير أن على العلماء ما ليس على غيرهم، وهم أولى الناس بالزهد والاعتزال عنها لينطلقوا أحرارا يقولون ما يشاؤون، وقد اشتهر عن علماء الجرح والتعديل أنهم يجرحون الراوي بعمله للسلاطين، كما قالوا عن حميد الطويل مثلا، كما اشتهر منهم تزكية الرجل بأنه لم يتول للسلطان عملا، مثلما أثنى السمعاني مثلا بذلك على أبي القاسم الأصبهاني، الملقّب "قوام السنة"، أما الإمام أحمد فذلك مشهور عنه جدا ليس مع المعتصم، بل مع المتوكل الذي أحيا السنة وقمع البدعة وكرم الإمام وكبت عدوه.

والإمام الجليل عبدالله بن المبارك قطع الأموال عن إسماعيل بن علية لما عمل للسلطان، وكتب له شعرا يقول فيه:

أين روايتك فيما مضى   عن ترك أبواب السلاطين

وفي ذلك أحاديث مرفوعة صحيحة، منها ما صححه الشيخ الألباني رحمه الله عن البصرة وفيه "وباب أمرائها" ضمن ما يحذر منه المؤمن.

وقالوا عن يونس بن بكير التابعي "كان مرجئا يتبع السلطان"، ونهى بعض السلف عن مجرد الاستظلال ببابهم، ولأبي بكر المروزي تلميذ الإمام أحمد كتاب مستقل مطبوع عن أخبار الشيوخ، فليراجعه من شاء، وجمع السيوطي في ذلك كتابا سماه " ما رواه الأساطين في عدم المجيء إلى السلاطين"، مع أن الولاة في أيامهم كانوا مجرد أهل جور ولم يكونوا علمانيين أو ديمقراطيين أو موالين للروم.

واشتهر ذلك عن طائفة منهم، بل عن علماء بعض البلاد قاطبة، حتى قال الإمام أحمد "أهل الشام لا يزكون من دخل في عمل السلطان".

وقال الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام: ما فعل محمد الزبيدي؟ قيل: ولي بيت المال، قال الأوزاعي: إنا لله وإنا إليه راجعون، والزبيدي هذا هو تلميذ الإمام الزهري، وتواتر ذلك عن السلف كما سيأتي إن شاء الله.

وينبغي لعلماء المسلمين -وفقهم الله لكل هدى وخير وصلاح- أن يحذروا من هذه العلمانية الجديدة، التي لا يقولونها باسمها الصريح، بل يستروها باسم حدود الوعظ والإرشاد، تلك الحدود التي يرسمها كل مخبر حسب هواه، وربما انتدبوا مخبرا من أجهل الناس، لكي يكتب عن عالم فاضل، فيقرر أنه خرج عن حدود الوعظ والإرشاد!

والشيخ محمد بن إبراهيم وكذا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمهما الله لم يكونوا يؤمنون بهذه الحدود، وكذا كل عالم من السلف، ومن هذه العلمانية الظن بأن المساجد إنما بنيت للصلاة فقط.

وتأكيدا لما سبق نسوق لعلمائنا الأفاضل بعض ما حواه التاريخ من سير السلف الصالح، لا سيما تركهم العمل الرسمي، ونفورهم من أبواب السلاطين وقولهم الحق في وجه كل أحد، مما يدل على صحة منهجهم واستقامة عقيدتهم، وثبوت الأحاديث لديهم في ذلك:

١. قال أبو حازم الأعرج -من التابعين-: "إن بني إسرائيل لما كانوا على الهدى كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء، وكانت العلماء تفرّ بدينها من الأمراء..." إلخ كلامه المعروف.

٢. كتب أبو حازم المذكور إلى عالم قريش "الزهري" فكان مما كتب: "اعلم أن أدنى ما ارتكبت، أنك آنست الظالم وسهلت له طريق الغي، فما أخلقك أن ينوه باسمك غدا مع الجرَمة"، وقال له "إنك أخذتَ ما ليس لمن أعطاك، جعلوك قطبا تدور عليه رحى باطلهم، وجسرا يعبرون عليه إلى بلائهم، وسلما إلى ضلالاتهم، يدخلون بك الشك على العلماء، ويقتادون بك قلوب الجهال، فلم يبلغ أخص وزرائهم، ولا أقوى أعوانهم لهم، إلا دون

ما بلغت من إصلاح فسادهم، واختلاف الخاصة والعامة إليهم، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خرّبوا عليك...." إلخ كلامه كما تعلمون.

٣.قال ابن أبي ذئب للمنصور لما سأله: "نشدتك الله ألست أعملُ بالحق؟ أليس تراني أعدل؟" فأجابه "أما إذا نشدتني بالله، فأقول: اللهم لا أراك تعدل، وما أراك إلا جائرًا، وإنك لتستعمل الظَلَمة وتدع أهل الخير".

٤.قال العُمرَي -نسبة إلى عمر بن الخطاب ﷺ- لهارون الرشيد: "إنك تُسأل عن الخلق كلهم" فبكى هارون فقال له العمري وأخرى أقولها؟

قال هارون: قل يا عمّ، قال العمري: والله إن الرجل ليسرف في ماله فيستحق الحجر عليه فكيف بمن يُسرف في مال المسلمين؟".

٥. طاووس بن كيسان التابعي المعروف، مرَّ بنهر حفره أحد السلاطين، فأرادت بغلتة أن تشرب منه فحولها إلى نهر آخر.

وزين له بعض أصحابه الدخول على فلان وأثنوا عليه فأبى طاووس، فقالوا إنا نخافه عليك، فقال: فما هو إذن كما تقولون.

وكتب ابنه إلى بعض الأمراء يشكو إليه فقر أبيه وما هو عليه من شظف العيش، فلما بلغ ذلك طاووسا هجر ابنه

٦.وهيب بن الورد من أتباع التابعين، قال: "لو أن علماءنا عفا الله عنا وعنهم نصحوا في عباد الله، فقالوا يا عباد الله اسمعوا منا إذا أخبرناكم عن نبيكم وصالح سلفكم من الزهد في الدنيا فاعملوا به، ولا تنظروا إلى أعمالنا هذه الفسلة، كانوا قد نصحوا لله في عباده ولكنهم يأبون إلا أن يجروا عباد الله إلى فتنتهم وما هم فيه".

٧.عبد العزيز بن أبي رواد (وهو أيضا من أتباع التابعين) أي من القرون الثلاثة، بينما هو يطوف طعنه أبو جعفر المنصور، فالتفت إليه وقال: "قد علمت أنها طعنة جبار".

٨.الفضيل بن عياض (وهو العابد المعروف من أتباع التابعين) لما بلغ الفضيل أن سفيان بن عيينة (العالم المحدث الثقة المعروف) جلس في حلقته

ذكّره فكان مما قال: "كنتم معاشر العلماء سُرج البلاد يستضاء بكم فصرتم ظُلمة، وكنتم نجوما يُهتدى بكم فصرتهم حيرة، ثم لا يستحي أحدكم أن يأخذ مال هؤلاء الظلمة".

كما أن طلب ما هو مشروع لا غبار عليه، فقد طلب موسى عليه السلام من فرعون أن يرسل معه بني إسرائيل ولا يعذبهم.

والله تعالى نوّع المواهب والاختصاصات ويسّر كلا لما خلق له ولم يكلف العامي الأمي أن يكون كالعالم البصير، ولم يكلف العالم أن يكون طبيبا أو إداريا أو معماريا، غير أن من حق العالم وحده أن يبين للسياسي أو الإعلامي أو للطبيب ما يأتي وما يذر وفق الكتاب والسنة والإجماع.

أما وضع حدود لما لله وحدود أخرى لما لقيصر، فهو بدعة نصرانية لم يأت بها كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ، فالمسلم منذ أن يشهد ألاّ إله إلا الله، يعلم أنه تعالى هو وحده الذي لا يشرك في حكمه أحدا، وله وحده يجب أن تعنو وجوه القياصرة والأكاسرة، والملوك والأباطرة ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ﴾ [الأنعام:١٦٢-١٦٣]، أما من قال: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ [غافر:٢٩] ففرعون، ودعوى الحق الإلهي للملوك هو ما كان يدعيه ملوك النصارى في عصورهم الوسطى.

والله تعالى بعث رسله لكي يكون الدين لله وحده، فحذّر شعيب عليه السلام قومه من أن يطففوا المكيال والميزان، أو يزعموا أن التجارة لا دخل للدين فيها، يفعلون في أموالهم ما يشاؤون، كما نهى نبي الله لوط قومه عن فعل الفاحشة المعروفة التي تقرها اليوم بعض الكنائس وبعض الدول، ولم يقل هو ولا أحد منهم ما للدين وللعرف الاجتماعي، وحذّر نبي الله صالح قومه ثمود من الفساد في البلاد والبطر والترف، وقد من الله عليهم بالناقة التي كانت تعطيهم حليب الخلفات مجانا، وهو أفضل من النفط وأجود غذاء وأغلى سعرا.

وقبل ذلك حذّر نوح عليه السلام قومه من عبادة الصالحين، وأرشدهم إلى وسيلة الغنى وكسب الثروة، كما أن نبي الله إبراهيم عليه السلام حذّر أباه وقومه من عبادة الكواكب والأصنام ومن كل شرك.

ثم إن الله تعالى بعث خاتم النبيين محمدا ﷺ لتجديد ملة إبراهيم، وليكون رحمة للعالمين ونذيرا للثقلين، فعلّم الأمة كل خير، وحذرها من كل شر، وجاء بها بيضاء نقية ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وحذره صلوات الله وسلامه عليه من اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وأخبره أن الكفار إنما يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون، وأخبر أن متاع الدنيا كله قليل، وحذّره سبيل اليهود والنصارى (المغضوب عليهم والضالين) الذين يكتمون ما أنزل الله، ويشترون به ثمنا قليلا، أي عرضا من أعراض الدنيا التي هي كلها قليل، وأمره أن يقاتل حتى يكون الدين كله لله، وأمر أتباعه أن يدخلوا في السلم كافة، أي في شرائع الدين كلها، ولم يقبل صلوات الله وسلامه عليه أن تستحل ثقيف الربا، ولا أن يجعل المشركون القرآن عضين، ولا أن يعبد المشركون الله سنة، وأن يعبد المسلمون اللات والعزى سنة أخرى، ولا بأي حلّ يظنه المشركون وسطا بين التوحيد والشرك، وأنزل إليه الكتاب مفصلا، وجعله تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين، وجعل القرآن يهدي للتي هي أقوم، وأمره هو والمؤمنون معه أن يقولوا ما قال أبوه إبراهيم عليه السلام والمؤمنون معه لمن حاد الله ورسوله: ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤]، فليست دول الكفر لنا شقيقة ولا صديقة كما يزعمون.

وأنكر الله ورسوله أن يؤمن اليهود ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ومن الذي يضع الحدود بين الإسلام المعتدل والإسلام السياسي كما يزعم الليبراليون؟

وكيف يحرّف المسلمون دينهم كما حرّفت اليهود دينها؟ وكيف يكتمون كتاب الله ويصطلحون على سواه؟ ويستنصحون الرجال في دين الله مهما كانوا علماء؟

وكيف يحتل الكفار بلاد المسلمين ويبنون فيها القواعد؟ ويطالبوننا بما يسمونه الإسلام المعتدل؟ وإذا جاهدهم أحد قالوا: إرهابي!؟

وكيف يترشح زعماء الأصوليين لرئاسة أمريكا وينشئون فيها الأحزاب الدينية المسماه شعبوية أو يمينية، مع أن كنيستهم تشرك بالله وتقول "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، أي كما قال المشركون ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦]؟.

وكيف تترأس "انجيلا ميركل" الحزب المسيحي بألمانيا؟ ويرضى حاخامات اليهود ونتنياهو بإنشاء حزب "راية التوراة"؟

وكيف يعمل المسلمون اليوم بما دعا إليه "كرومر" وعلي عبد الرازق من قبل؟.

وهل يجوز في ديننا أن نتحلل من كل قيد أخلاقي، ونسير على ما عليه الأمريكيون من ميكافلية وبراجماتية ودياثة؟.

وكيف يكون علماء الإسلام كالشيطان الأخرس؟

وما الفرق بين أن يكون للبيت الأبيض قسيس دائم، وبين أن يكون لملوك المسلمين من يفتيهم أو يزورهم أسبوعيا كما يقال، أو يقيم لهم الدروس إذا جاء رمضان؟ أو يمدحهم في الخطب المنبرية؟.

وكيف ينادي الفكر السياسي الغربي، بضرورة الفصل بين السلطات، بينما تكون السلطات القضائية والتشريعية خاضعتين خضوعا كاملا للسلطة التنفيذية في بلاد المسلمين؟

كما يجب على علمائنا الأفاضل إصلاح المجتمع، وهذه بعض ما نراه من الوسائل لإصلاحه ولا ريب أن لدى المشايخ ما هو أكثر وأوسع، ونرجو

منهم تعديل ما يرون خطأ فيما أذكر، والأمة الآن في أشد الحاجة للإصلاح فلا يجوز تأخيره أو الانشغال بما دونه من الفرعيات:

نصح أنفسنا وعلماءنا والناس أجمعين بالإخلاص لله تعالى، وإصلاح الإرادات والنيات التي صلاحها شرط لكل عمل ونؤمن أن النصيحة لن تذهب هباءً، فالله على كل شيء قدير وهو الذي يخرج الحي من الميت، ويخرج المطيع من العاصي، ويخرج العادل من الظالم، ويخرج البر من الفاجر، والزاهد من المتخوض في مال الله، والمتعفف من اللص، وطالب الآخرة من طالب الدنيا.

ومثل هذه النصيحة مثل البذرة التي ربما صادفت صخرة صماء، ولكن الرياح بعد ذلك تنزلها إلى الأرض الخصبة، فتكون شجرة باسقة بعد حين، والناصح لا يدري أنه هو الذي ألقى البذرة، وربما يموت قبل أن يرى الشجرة وثمارها.

ونحن لا ندعو أن نحكم بأنفسنا -عياذا بالله- ولا نرشح لذلك أحدا وإنما ندعو لتحكيم كتاب الله وسنة رسوله ولا ننازع أحدا ملكه ولا نغبطه عليه، وقد أعطانا الله ما هو خير منه، وأراحنا من مسؤولية الحكم و أعبائه، وقد قال ﷺ: (ما من وال يلي عشرة فأكثر إلا جاء يوم القيامة مغلولا، فإما أن يفكه عدله أو يوبقه ظلمه)، ولما حضر الأجل عمر بن الخطاب ﵁ أسند الأمر إلى أهل الشورى المعروفين وأوصاهم أن يحضر معهم عبدالله بن عمر وليس له من الأمر شيء، وقال: "إن كانت النار فيكفي من آل عمر واحد"، يعني نفسه. ولما قال له بعضهم ولِّ عبد الله بن عمر قال: "والله ما أردت بهذا وجه الله".

والولاية ليست نعمة، قال الفضيل بن عياض لما دخل عليه هارون الرشيد أو أحد الخلفاء: "إن عمر بن عبدالعزيز لما ولي الخلافة دعا سالم بن عبدالله، ومحمد بن كعب القرظي، ورجاء بن حيوة، فقال لهم: إني قد ابتليت

بهذا البلاء فأشيروا علي، قال الفضيل: فعدّ الخلافة بلاء وعددتها أنت وأصحابك نعمة" اهـــ.

هذا غير ما في المناصب من عذاب ونكد وضنك، ومثل هذا لا يسعى إليه عاقل، ولا يُغبط عليه من ابتلاه الله به، وأهله أنفسهم يندمون عليه.

وقد تمنى أحد خلفاء بني أمية أيام التابعين رضي الله عنهم لما جاءه الموت، أن يكون قصّاراً أو صبَّاغاً ولم يلِ الحكم، ولما بلغ ذلك سعيد بن المسيب رحمه الله، قال: "الحمد لله الذي جعلهم عند الموت يفرون إلينا ولا نفر إليهم"، مع أن الإسلام في أيامهم -أي بني أمية- عزيز ويعملون بكتاب الله والفتوحات قائمة أما المعاصي والذنوب فلا يسلم منها بشر.

ولذلك أسباب سنذكرها إن شاء الله في النصيحة الثالثة.

وعلى كل حال "من أحب غير الله عذبه الله به" سواء كان المنصب أو الزوجة أو المال.

والخلفاء السائرون على منهاج النبوة يعلمون ذلك، وليس عمر بن الخطاب وحده، قال عمر بن عبد العزيز لرجاء بن حيوة: "يا رجاء أوضَعتني مع من ذكر سليمان (أي خليفة من بعده)؟، فقال له رجاء: لقد ذهب ظنك بعيدا".

وكتب الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز لما سأله من يولي "أما أهل الدنيا فلا تريدهم، وأما أهل الدين فلا يريدونك، ولكن عليك بأشراف الناس"، وتأملوا وفقكم الله "وأما أهل الدين فلا يريدونك" هذا وهو عمر بن عبد العزيز.

وإنما ندعو الناس جميعاً لا سيما العلماء والأمراء، إلى دين الله تعالى، أي إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأرجو أن تتسع صدور الجميع لقبول ما سأقوله من مقترحات ومن سبل إصلاح، وعلى العلماء أن يبلغوا ما هو صحيح منه ويراد به غيرهم إلى المراد منه:

١- حظر تقسيم الناس إلى إسلاميين وإسلامويين، أو تسمية دين أهل

التوحيد الإسلام السياسي، فالدين كله كما أنزله الله وليس فيه تفريق بين الدنيا والآخرة، وبين السياسة والشعائر، وعلى هذه القسمة الضيزى يكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب إسلامويا حركيا!

٢- العدل في توزيع الثروة وبيان أن المال مال الله تعالى، وجعْل الماء والكهرباء حقاً مجانياً لكل أحد، ولابد أن نقضي على الفقر، ونعطي كل مسلم حقه من بيت المال، وأن نحرم الربا ونحاربه، ونحارب الاحتكار والغش والغلاء، ولا يجوز أن نحتقر العامة فهم واعون بكثير من الأمور، ولا يصح أن يكون بين المسلمين عاطل عن العمل.

٣- يجب أن نحول المجتمع من مجتمع استهلاكي إلى مجتمع إنتاجي فاعل، ونقضي على هذا الترف الكاذب، وندعو إلى الزهد والحياة الطيبة التي قال الله عن سببها: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

٤- يجب أن نمنع السرقة من بيت المال والتخوض في مال الله بغير حق، ونعطي لكل إنسان ما يكفيه، ولا يزيد على ذلك ولو كان ذا قربى، أما الجمعيات العلمية والخيرية والدعوية فيجب تشجيعها وبذل الخدمات لها.

٥- يجب الدعوة للجهاد في سبيل الله تعالى، ولاسيما جهاد اليهود واسترجاع المسجد الأقصى المبارك من أيدي الصهاينة اليهود ونقاوم صهاينة العرب أيضاً.

٦- إعادة النظر في كل المعاهدات والاتفاقيات والتحالفات لكي توافق كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، ونشترط للتصديق عليها موافقة العلماء كما يشترط أهل الدنيا موافقة البرلمان الإيراني، أو الكونجرس الأمريكي أو أي جهة.

٧- ندعو إلى إيجاد فرص العمل أو الدراسة لكل مسلم دون تفريق، وإعطاء كل موظف مسكناً في البلد الذي يختار، كما ندعو إلى إجلال قرابة النبي ﷺ وتقديمهم على كل قرابة، ثم سائر بني هاشم ثم قريش، ونلغي أي مخصصات لغير القرابة الشريفة، فهذا من الحب لرسول الله ﷺ وتعظيمه وبغير

محبته لا نكون مؤمنين.

٨- مد يد العون لكل مسلم، لا سيما الدول الفقيرة في إفريقيا أو في القارة الآسيوية، ولا نعطي أعداء الله من الكفار أو المرتدين أو الليبراليين أو العلمانيين أو المنافقين أو المبتدعين من بيت مال المسلمين، وقد بدت البغضاء من أوامر "ترامب" وأفعال "بوش" وما تخفي صدورهم أكبر، وكل من حكم بالقوانين الوضعية لا يجوز إعطاؤه شيئاً إلا على سبيل تأليف قلبه ومع دعوته للشريعة.

وكيف نعطي "ترامب" مئات المليارات ونعوضها بأخذ أموال رجال الأعمال بالباطل؟

ويجب تصحح مفهوم التنمية الحقيقية والتقدم والرفاهية، مع ضرورة إصلاح الإعلام وإسناده للأخيار، ونمنع منه ما يدعو إلى الإلحاد والفواحش وما حرم الله، ونقفل كل قناة فيها ما حرم الله أياً كان مالكها إلا أن تتوب وتستقيم.

٩- إحياء الشورى الحقيقية وأن يكون كل إنسان حراً فيما يقول، كما يقرر ذلك أهل العلم والتقوى لا أهل المديح والتزلف، ونلغي مبدأ التعيين في الشورى وتولية أهل البدع، من الصوفية والرافضة والإسماعيلية، ولا نتبع ما يريده الناس أو يرغبه المجتمع، أو تقضي به التقاليد، بل نعلن ولا نستحي أننا نتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن المجتمع والرغبة والتقاليد، يجب أن تخضع لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

١٠- نضع في النظام الأساسي مادة تنص على أننا نسير وفق منهج أهل السنة والجماعة، وهو ولله الحمد المنهج الذي عليه أكثر المسلمين، ونعتقد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم، كما قال ﷺ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطيع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان).

١١- توسيع صلاحيات رجال الحسبة واستقلالهم، مع مناصحتهم إن

رأينا منهم خطأ، وبيان أسلوب الدعوة لهم، كما يقرره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلماؤنا المجتهدون قديماً وحديثاً، ومن قال عنهم شيئًا أحلناه إلى المحكمة ونلتزم بما يقرره القضاة دون تأثير، أما أن يُعتقل أهل الحسبة ويطلق أهل الرفض والفساد فهذا منكر، وأهل الحسبة ليسوا أعداء لأحد بذاته بل هم يعادون الشر والفواحش، وليس عليهم أن يأتوا بشهود على ما يقولونه فهم أصلا غير متهمين، بهذا ندين الله وبهذا أفتى الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

١٢- ندعو إلى تحكيم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل صغيرة وكبيرة، ونؤمن أن في ذلك علاجا لكل أمراضنا، وأن ما عند الغرب من خير في قوانينهم فإنما أخذوه من الفقه الإسلامي.

١٣- الانسحاب فوراً من المنظمة التي يسمونها "الأمم المتحدة" التي تجعل المؤمن والكافر سواء، ونمنع منعا باتاً المصطلحات غير الشرعية، مثل (الإنسانية أو الآخر أو الغير)، فالناس إما مؤمن وإما كافر، إما على السنة وإما على البدعة، كما نلغي القومية والوطنية من الإعلام والمناهج والمواقع وكل شيء، ونلغي كليات ما يسمى الحقوق، ونجعل مكانها كليات للشريعة مع بيان ما في القوانين من مخالفات وتناقضات، ونجعل مكان الدعوة الوطنية "الأمة الإسلامية الواحدة"، ولا نجعلها أمتين عربية وإسلامية، ولا نجعل الدول الكافرة صديقة أو شقيقة.

١٤- إصلاح كل الأنظمة والمحاكم، وإلغاء كل محكمة أو هيئة أو لجنة أو دائرة لا تحكم بما أنزل الله، سواء في قضايا البنوك، أو العلاقات الدولية، أو المرور، أو الشركات، أو العمال، أو الاقتصاد، أو التجارة، أو الإعلام، أو غير ذلك.

١٥. إسناد المناصب كلها إلى الأكفأ لا إلى الأقرب أو لمن له واسطة، وأساس الكفاءة هو الإيمان والتقوى.

١٦- إلغاء ارتباط العملة المحلية بالدولار الأمريكي الورقي أو اليورو،

أو سلة العملات .. إلخ، ونمنع الإسراف والتبذير فضلاً عن الحرام.

١٧- إلغاء الجاهليات القديمة، وأسواقها وشعائرها، ونقوشها، ومن البديهي عندنا أن هذه البلاد كانت مسكونة بأمم قبلنا، فلم بذل الجهود للعثور على الآثار؟

١٨- منع الاستدانة أو التقسيط لكي يحتفظ المستدينون بالترف، لا سيما في الكماليات وما نسميه الموديلات من السيارات والأزياء والأثاث، وتغيير ذلك كل سنة أو كل ستة أشهر كما يفعل بعض الناس، وقد قال الأطباء إن الله جعل الطب في نصف آية ﴿وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ [الأعراف:٣١].

١٩- لا نظن أن الدنيا ترضي أو تجمِّع، بل هي تُفرّق وتُغضب مهما كثرت، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال:٦٣]، ومنها ما يسمى الرفاهية، أو الرخاء أو العيش الرغيد، أو التقدم الاقتصادي، أو زيادة الدخل أو رفع الأجور، وكل هذه الأمور لا تتعارض أصلا مع الدين، وإنما أمر الله الأنبياء والمتقين من عباده بأن يأكلوا من الطيبات ويعملوا صالحا.

٢٠- بدلاً من أن نترك الحقد والغبن يغليان في الصدور خفية، نجعلهما يظهران بالعدل والحرية إن بقي منهما شيء.

٢١. لا نبيع النفط خاماً بل نكرره لكي نكسب أكثر ولا نراعي حال المستهلكين، بل نراعي حال محتاجينا وفقرائنا نحن، وإني لأعجب كيف تستورد أرامكو البترين والاسفلت، ولولا أنها هي تقول ذلك ما صدقت.

٢٢- نلغي كل منحة تخالف الشرع من الأراضي أو من النفط أو غير ذلك، فلا يعقل مثلاً أن يملك أحد أرضاً طولها أكثر من ٤٠٠ كليو متر وعرضها ١٥٠ متراً، أي بقدر الطريق من مكة إلى المدينة، كما لا يعقل أن نشتري الأرض اليوم بما كنا نشتري به القصر بالأمس، ولا يصح أخذ المال

بذريعة الاعانة على الحبوب، وكم من مشروع تعطل أو تأخر بسبب تعويض الأرض غير المملوكة لأحد، كما لا يعقل أن يدعي أحد ملكية أرض مطار الدمام ويعطى ١١ مليار، وإذا رضي بتقسيطها صفق له مجلس الوزراء.

وقد كان آباؤنا يضربون المثل برخص التراب، فأصبحنا اليوم نضرب المثل في الغلاء بغلاء الأراضي، وأصبح الإنسان يدفع الأقساط طول عمره ليحصل على أرض.

٢٣- نعلن الحرب على كل من يتعرض لنبينا محمد ﷺ بالأذى ونعاديه شرقاً أو غرباً، وأقل ذلك أن نقاطعه كلية، ونجزم أنه هو "الأبتر" وأنا إن لم ننتقم منه فسينتقم الله منه ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[التوبة:٤٠]، ويجب على من قال إنه تاب من ذلك أو أقلع عنه، أن يعتذر ويتوب علانية.

٢٤- نري الناس جميعاً عزة الإسلام واستعلاءه، وأن الله تعالى لا يقبل سواه كما قال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥].

٢٥- إلغاء ما يسمى "حوار الأديان" أو "الحوار الوطني"، ونجعل مكانه "المجادلة بالتي هي أحسن" مع كامل الحرية للدعاة، والدعوة إلى الكلمة السواء التي أمر الله أن نجادل بها أهل الكتاب، فضلا عن غيرهم.

ولأضرب لكم مثالا أعرفه يقينا: دعاني "ابن معّمر" من الديوان الملكي إلى الحوار الوطني وقال إن الملك فلان يأمرك بذلك، فقلت له: لا أوافق، ورفضت المشاركة في ذلك الحوار وشرحت أسباب رفضي للأمير نايف في حينه فأيّدني على ذلك، وعلمت من كلامه أن الأسرة الحاكمة مختلفة بشأنه.

وإنما ندعو أنفسنا، وكل بني البشر إلى توحيد الله تعالى وإلى دين الحق، ولا نولي مبتدعا أو منافقا، ونظن أنا نكسبه بذلك، ولا نستشيره في شيء، والظن اننا نكسبه بذلك سياسة عقيمة ثبت فشلها قديما وحديثا، وتسببت في ذهاب ملك بني أمية كما قال أبو مسلم الخراساني للمنصور، لما سأله عن

أسباب ذهاب ملك بني أمية، وفي عصرنا الحاضر تكررت المأساة فتكرر الإخفاق، فلم يرض شيخ الإسماعيلية في نجران بسبب ما أعطي شريكهم في المذهب "علي المسلّم" من قصور وأراضي ومناصب، بل هذا مما يعلّم القبائل أن تتمرد، وتخالف في العقيدة لكي تظفر بما تريد.

ولا نظلم أحدًا ولا نغشه ببقائه على ظلمه وبدعته وتركه عليهما، بل نعتقد أنه من مات وهو غاش لرعيته لم يرح رائحة الجنة كما أخبر ﷺ، وكذا أهل العلم والدعوة.

٢٦- يجب أن نقيم حدود الله على الأمير والحقير، والصغير والكبير، والشريف والوضيع، والغني والفقير، ولا نفعل كما فعل بنو إسرائيل، ولا نقبل في ذلك شفاعة ولا وساطة، وإذا رضي الله عنا فليغضب من شاء من الخلق، قال ﷺ: (من ابتغى رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس).

يذكر المؤرخون أن رجلاً دخل على هشام بن عبدالملك فقال: "يا أمير المؤمنين اردد علي أرضي، فقد أعطانيها أخوك الوليد، ثم جاء سليمان فأقرني عليها، ثم جاء عمر بن عبدالعزيز رحمه الله فنزعها مني، فقال له هشام: أعد ما قلت! فأعاده كما قاله أولا، فقال هشام: عجبا لك تترحم على من نزعها منك ولا تترحم على من أعطاكها!! فقال الرجل: يا أمير المؤمنين إن عمراً رحمه الله كان يريد وجه الله". فعلينا إذن إرادة وجهه وتقواه ومراقبته في كل شيء، قال جل شأنه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩]، فإذا أخلصنا له وصدقنا معه وأردنا وجهه جعل العدو صديقا، والله يجعل لمن يتقيه ويخلص له ويعدل فيما ولي هيبة ووقارا وتقديرا واحتراما، ولا ينال ذلك الظالمون بظلمهم أو بقوة عساكرهم.

كما يذكر المؤرخون -وعنهم نقل شيخ الإسلام ابن تيمية- أن عمر بن عبد العزيز لما كان والياً على المدينة كان يسوسهم بالعدل، فزاره الحجاج المعروف بظلمه، وسأل الحجاج أهل المدينة، كيف هيبة عمر فيكم؟ قالوا: لا

نستطيع أن ننظر إليه لهيبته، قال الحجاج: كيف محبتكم له؟ قالوا: هو أحب إلينا من أهلنا. فقال الحجاج: كيف أدبه فيكم (أي كم يضرب من يجب تأديبه)؟ قالوا: بين الثلاثة أسواط إلى العشرة (أي أنه لم يعذب أحدًا أو يقتله)، فقال الحجاج: هذه هيبته وهذه محبته وهذا أدبه، هذا أمر من السماء. (أي أن هذا من الله تعالى ولا حيلة فيه).

ولما ولي الخلافة، كتب إليه أحد ولاته إن الإقليم الفلاني لا يصلح أهله إلا بالسيف والسوط، فكتب إليه عمر "كذبت، إنما يصلح الناس بالعدل".

وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين قال: "العدل جماع كل خير، والظلم جماع كل شر"، وقال رحمه الله: "الدين كله العلم والعدل، وضد ذلك الظلم والجهل. قال الله تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب:٧٢]، وذلك من الرعاة تارة ومن الرعية تارة ومن غيرهم تارة" انتهى كلامه.

٢٧- نفيد مما لدى المغضوب عليهم والضالين من تجربة أو حكمة أو نظام أو علم، فكذلك كان رسول الله ﷺ وخلفاؤه، وهم اليوم أوفى منا بالوعد وأكثر تعاملا بالصدق والشفافية والمحاسبة.

٢٨- نشترط فيمن يبتعث، أن يكون متمكنا من دينه مستعليا بالإسلام، وقد أعدم "ميكادو" اليابان من تشبع بالأفكار الغربية من أوائل المبتعثين اليابانيين ولهذا نهضت اليابان ماديا مع أنهم مجوس.

ولا مانع أن نقتبس النافع منهم، مع استعلائنا بالإيمان، كما قال جل شأنه: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩] مع اتخاذ الشرع ميزانا لكل قوم.

٢٩- نقول لمن يوظف كافرا أو يستقدمه لأي عمل كان، ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لأحد عماله: "هب النصراني مات والسلام"، وقد قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ [آل

عمران:١١٨]، أي من غيركم، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود:١١٣] والآية نهي لكل من يوالي الكفار، أو يوليهم.

٣٠- نفتح بيت الله الحرام للمسلمين كافة، ولا نمنع منه أحداً في ليل أو نهار، والشرط الوحيد أن يكون مسلماً، ولا نفتّشه ولا نرحّله ولا نبحث عن هويّته ووطنه.

وبيت الله هو أعظم أثر كما يقال، وفيه أعظم سياحة مشروعة، ومن أقام فيه فإنما ينفق على أهل الفنادق والمطاعم التي يملكها الناس، وقد قال جل شأنه: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥]، وقال جل شأنه لخليله عليه السلام: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج:٢٧]، وغير ذلك من الآيات والأحاديث المصرحة بأنه للمسلمين كافة، ولا ريب عند كل مسلم أن هذا البيت الحرام خير من مساكن المعذبين أو نقوش المشركين الذين تعظمهم هيئة السياحة والآثار، وحجه خير من مشروع البحر الأحمر ومشروع (نيوم)!

ومع تعظيمنا لبيت الله وحجنا أو عمرتنا إليه، نمنع السياحة إلى ديار المعذبين -كمدائن صالح التي كانت لثمود- وإلى غيرها، وحسبنا أنه ﷺ لما مر بديار ثمود في غزوة تبوك قال لأصحابه: (لا تدخلوها إلا مستعبرين)، أي باكين، ولم يدخلها ﷺ، وكذا نقوش الأخدود أو نقوش رمسيس وجدة القديمة أو حائل القديمة وما أشبه ذلك.

وسنذكر إن شاء الله أكثر من ذلك بشأن البيت الحرام في النصيحة الثالثة.

٣١- استقلال القضاء استقلالا حقيقياً والنص في نظامه على إلغاء كل ما يخالف الشرع أو ينازعه من الأنظمة والقوانين، وأن القضاء ينظر في كل قضية ونظام، واستقلال القضاء هو ما عليه بعض الدول التي يسميها المغفلون

متقدمة، فقد أبطل القضاء في "سياتل" أمرا تنفيذيًا لترامب، ومثل ذلك في القضاء الغربي، فكيف بالقضاء الشرعي الذي هو خير من كل قضاء؟

٣٢- إلغاء الدياثة والاختلاط في أي مكان، وضرورة مراقبة الأماكن التي يتوقع فيها الاختلاط، لا سيما الأسواق والمستشفيات والطائرات، وتربية الناس على الفضيلة والعفاف إعلاميًا وسلوكيًا.

٣٣- الاهتمام بقضايا المسلمين في كل مكان، ولا يصح اعتبارها شأنًا داخلياً قط، ولا يجوز بحال أن نترك شأنها للأمم المتحدة، أو الدول التي استعمرت البلاد سابقًا، ولا إغفالها من أجل الدنيا مثلما أغفلنا مأساة الروهينجيا، من أجل أنبوب للنفط يمر من أراضي بورما إلى الصين، وليت الأمر وقف عند هذا الإغفال، بل وصل إلى تبني وجهة النظر المعادية للمسلمين والقول بأنهم أقلية بنغالية، وأن جيش تحرير أراكان متمرد، كما نشرت عكاظ والشرق الأوسط وغيرهما.

٣٤- إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب "وليس من الحرمين فقط"، وبذلك أوصى النبي ﷺ وأفتى علماؤنا قديماً وحديثاً، ومن جزيرة العرب الجزر التابعة لها كجزيرة البحرين أو سُقطرة أو دهلك أو فيلكه كما نص الشافعي، وحسبنا قوله ﷺ: (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان)، وقد أفتى الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بذلك، وألف بعض العلماء كتاب (الفرج بعد الشدة في أن النصارى لا يدخلون جدة)، ولا يجوز أن يكون للنصارى مقبرة كما رأيت بعيني في جدة، ويقولون إن من المدفونين فيها القنصل البريطاني الذي وزع الخمر على الحاضرين، لكن أحد الأمراء لما سكر أطلق النار على القنصل.

وكان عمر رضي الله عنه يسمح لتجار أهل الكتاب بأن يأتوا إلى ظاهر المدينة ثلاثة أيام فقط، لكي يشتري منهم المسلمون بعض حاجاتهم، وإنما أجاز السلف دخول عبيد المسلمين لخدمتهم.

وكانت الدولة العثمانية تمنع دخول غير المسلمين جزيرة العرب برها

وبحرها، وكان الزوار الأوائل من المستشرقين يأتون في أيام الدولة العثمانية بأسماء إسلامية، ويلبسون ثياب الحجاج ويدّعون أنهم مسلمون، فكيف نسمح نحن بأن تنطلق الطائرات لغزو العراق من جدة كما رأيت، أو بأن تطلق أمريكا على بغداد صواريخ "كروز" من البحر الأحمر؟

٣٥- قطع كل صور الموالاة لأعداء الله لا سيما الغربيون منهم، الذين لا يحترمون إلا القوي والمستقل، وعلى رأس هؤلاء الكفار أمريكا وبريطانيا وفرنسا، ولا يجوز أن يحضر رئيس فرنسا أو أي كافر قمة خليجية مطلقاً.

وإذا احتجنا شيئا فنستورده من المسلمين فقط، وكل شيء عندهم ولله الحمد، وانظر إلى حال تركيا وماليزيا وباكستان وأندونيسيا وغيرها كيف يمكن أن نشتري منهم حتى الصواريخ والطائرات بدون طيار والقذائف والقنابل، وبأسعار أقل مما نشتري من الشركات الغربية، ولما رمى الحوثيون قصر اليمامة بالصواريخ قلنا إنها صناعة إيرانية، فهل إيران خير أم السعودية؟

ولدينا مثال حي وهو ما نرى في مكة والمدينة النبوية شرفهما الله من طرق وأنفاق ومشروعات نفذها الأتراك وحدهم، وإذا اضطررنا لشراء شيء من الكفار فلنبدأ بالدول التي كانت شيوعية، ونتدرج من الأرخص للأغلى، وكذلك شركات السلاح، ولا نشتري من أي دولة إلا بشرط إعلان عداوتها لإسرائيل المجرمة.

وإذا اشترينا سلاحاً فنحن أحرار أين نضعه وكيف نستخدمه وإذا كان ناقصاً رددناه.

أما ما يسمى العقد من الباطن الذي يصل أحيانا إلى عشرة مقاولين آخرهم يربح وأولهم غربي يأخذ مجاناً فيجب إلغاؤه.

ومعلوم أن أمريكا مثلا تشترط لبيع السلاح أو تأجيره ألا يستخدم ضد إسرائيل، ثم إنهم تمادوا فمنعوا وضعه في قواعد قريبة من إسرائيل مثل تبوك.

وإذا ربح المسلم من حلال وكثّر أمواله من حلال فلا نجعل معه غيره ممن لم يكدح، ونقول: "شركة مساهمة"!! كما يفعل الغربيون، فالله تعالى

يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، وربما كان هذا المال فتنة لصاحبه ومتاعاً إلى حين.

ولا يجوز نهب رجال الأعمال لدعم الميزانية، كما فعل ملوك الدولة الخوارزمية فسلط الله عليهم التتار.

٣٦- تحريم انتهاك السيادة، ومن السيادة التي لا يجوز انتهاكها أن ننظر بكل دقة وحرية وكما يقرره العلماء المتقون في البنوك الأجنبية (الأمريكي والبريطاني والفرنسي والهولندي) وأيّا كانت، وكذلك الشركات بأنواعها فما كان من ذلك موافقاً للشرع أقِرّ وما كان مخالفاً ألغي، وتكون للمسلمين خاصة.

ولا يجوز حماية البنوك وضمان بقائها، وأن تكون الرواتب والتقاعد والمكافآت عن طريقها ضماناً لها، وعلى البنوك المركزية ومؤسسات النقد أو وكالاته أن تشجع البنوك الإسلامية وتلغي غيرها.

٣٧- العمل على أن يتحد المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، ونتيح بل نوجب الدعوة إلى الله في كل دولة، ولا نكتفي بأن نبني المساجد أو نوزع المصاحف، فإن هذا وحده علمانية مخالفة للإسلام، بل ندعو إلى دين الله كله في كل مكان، ولا نؤمن بالعلمنة، ولو أن الذين ينهبون المليارات بنوا ألف مسجد ووزعوا مليار مصحف، لم ينفعهم ذلك، بل ينطبق عليهم أنهم يتصدقون مما يسرقون، فلا يقبل الله منهم الصدقة، وقد ذكر النبي ﷺ الرجل الذي يطيل السفر أشعث أغبر ...) الحديث.

وقد سرق رجل من المتقدمين رمانة وتصدق بها قائلا: سرقتها فكتبت علي سيئة واحدة، وتصدقت بها فكتبت لي عشر حسنات، فقال له أحد السلف: سرقتها فكنت ظالما، وتصدقت بها فلم يقبل منك، فإنما يتقبل الله من المتقين.

ونجعل السفراء دعاة قبل أي شيء، ونفتح المجال للعمل الخيري والأوقاف، والتطوع بالمال، فذلك حرية شخصية لا يجوز لأحد أن يقيدها

فالغربيون أنفسهم يقولون إنها القطاع الثالث.

٣٨- إصلاح نظام التعليم، ونبني المدارس ولا نستأجرها، ونمنع الاختلاط والدياثة في الإعلام والوظائف والأسواق وأينما كان ذلك، ولا نقلد الكفار في دياثتهم، ونشكر القبائل التي تحمي أعراضها، وتدافع عن ذلك.

ونفصل تعليم البنات عن تعليم البنين فصلاً كاملاً في كل شيء، لا سيما في الإدارة والمناهج.

٣٩- منع المغريات والملهيات، لا سيما دور السينما والجنون الكروي، والمعازف والمسلسلات، فهي فوق ما تشتمل عليه من المحرمات، تلهي عما هو أولى، وكيف نلهو والمسلمون من حولنا تفتك بهم الأمراض أو يضطرون للهجرة من ديارهم.

٤٠- نستغفر الله دائما ونتوب إليه ونستغيثه، لكي يترل علينا الغيث، ويكفينا شر الأعداء وشر الزلازل، وشر المفسدين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون، ونجعل صلاة الاستسقاء تبعا لحاجة كل قرية أو مدينة أو قبيلة ونرفع الوصاية عليها.

ويجب أن نعلم أن كل ما يترل بنا من المصائب فإنما هو بذنوبنا ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾[آل عمران:١٦٥] أي ليست بسبب تخطيط العدو ومكره فقط، ولا بسبب انخفاض سعر النفط أو عجز الميزانية.

ونجزم أنه لا يَصلح آخرُ هذه الأمة إلى بما صلح به أولُها كما قال الإمام مالك رحمه الله، وإنما نجا أولُ هذه الأمة بالزهد واليقين، كما ثبت ذلك في الحديث، وسوف يهلكون إذا تحاسدوا وتكاثروا وأصابهم الوهن وتركوا الجهاد، وآثروا الدنيا على الآخرة، وصدق من قال: حب الدنيا رأس كل خطيئة.

والجرْي وراء الحضارة الغربية هو لهاث وراء السراب، فأهلها أنفسهم

يعترفون أنها جحيم وأنها عوراء عرجاء، فلا ندخل نحن في جحر الضب، ونستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، كما فعل اليهود، وإنما نأخذ من الغرب ما ينقصنا، ونفرّق بين العلوم التطبيقية البحتة وبين النظريات الاجتماعية والإنسانية، وبعض طلاب الثانوية عندنا يخترعون ما يعجز عنه بروفيسورات الغرب، فلا ينقصنا العقول، وإنما تنقصنا التوبة والاستقامة.

قال تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة:٦٦]، والقاعدة الإيمانية التي دل عليها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن الله يعاقب على الذنب بالذنب، فيجب أن نجتنب الذنوب جميعاً، فقد قال جل شأنه عن بني إسرائيل: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥] هذا مع غناه المطلق عن كل ما سواه، وقد قال تعالى على لسان عبده وخليله إبراهيم مخاطبا أباه: ﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم:٤٥]، وهكذا يُعَاقب الكافر بأن يكون ولياً للشيطان، ونحن اليوم نرى من يوالي أولياء الشيطان وهم اليهود والنصارى، ولا بد أن يعاقبهم الله، وآثار الذنوب مذكورة بتفصيل أكثر في مبحث (أثر الذنوب).

فلنقم نحن الدين ولنحكِّم فينا كتاب الله ولا نقلد أحدا من الكفار ولا نقتدي به، وقد اقتدى بهم بعض الناس في البناء، فاضطروا إلى إقامة سواتر تقي بيوتهم من الناظرين، فعلى البلديات والناس كافة التنبه لذلك.

والدول الغربية اليوم تنشئ البنوك الإسلامية وتخفض نسبة الفائدة إلى الصفر وتقر بما لدينا من ميزات، منها تحريم الربا والمسكرات والمخدرات ومنها تماسك الأسرة وإكرام الضيف وغير ذلك، ونحن ندعوهم لما هو أعظم، وهو توحيد الله تعالى والإيمان به، وترك ما هم عليه من الإلحاد أو العلمنة والتثليث، ونصرة اليهود، ونريد أن يقيموا مجتمعهم كله على الإسلام والشريعة الغراء السمحة الكاملة. ولا يتبعون من يدعو إلى الشهوات، فإن

الله تبارك وتعالى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾[النساء:٢٧].

وبعض النعم التي نحن نتقلب بها لا نشعر بها، لكنهم يشعرون بها، وقد زار أحد المرضى في المستشفى العسكري بالخميس أبناؤه فدمعت عين الاستشاري الأمريكي، فقال له المريض: لم تبكي يا دكتور؟ فقال: أنت واثق أنهم ابناؤك، وأنا عندي أبناء لا أثق أني أبوهم.

ونقول لأنفسنا ولهم: إن كل خير في الدنيا والآخرة وكل تنمية أو تقدم وحضارة أو عدل أو تسامح أو شورى أو حرية، هي في كتاب الله وسنة ورسوله ﷺ وعقيدة السلف الصالح.

وقد أغنانا الخالق جل شأنه عن تسول الكفار واستيراد الثقافات والفلسفات من الشرق أو الغرب.

ولا نرضى أن نكون العالم الثالث كما يقول الغربيون عنا، فنحن بإيماننا الأولون والأعلَون.

وقد جعل -جل شأنه- للمسلمين الطرق والمنافذ والنفط والطاقة الشمسية والإنتاج الحيواني والزراعي والأنهار وكل ما تحتاج إليه الحضارة، وتكفل بالنصر والخلود لمن نصر دينه وأعلى كلمته، مهما لقيه من الابتلاء والأذى.

كما تكفل ببقاء طائفة على الحق منصورة لا يضرها من خالفها (من الأعداء) أو خذلها (من الأصدقاء) حتى يأتي أمر الله، وجعل من صفاتها أنها (تجاهد على أمر الله).

وأما أذى الأعداء وكيدهم ومكرهم واتهامهم وتخطيطهم فأمر لا بد منه حسب سنته جل شأنه، غير أنا مأمورون بالصبر والتقوى واليقين، ولو لا ذلك لم يتميز المنافق من المؤمن والخبيث من الطيب.

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾[آل عمران:١٢٠]، وحسبنا

أننا موعودون من الله بالعاقبة الحسنة والنصر، وإن لم يدركنا ذلك فسوف يدرك الأجيال القادمة بإذن الله تعالى.

وإني لأعجب وألوم من لم يعجب كيف يتجرأ المجرم القاتل "نتنياهو" على أن يقول -حتى على منبر الأمم المتحدة- "إنه يهودي" ويؤمن بالدولة اليهودية، ويستدل بما في سفر التكوين من التوراة المحرفة، على أن أرض فلسطين المباركة أرضه، وأن إبراهيم عليه السلام هو جده، ولا يقول المسلمون مثل ذلك ولا قريباً منه، ولما قال "محمد مرسي" شيئاً من ذلك، وترضّى عن الصحابة في طهران لم يُعط ملّيماً واحداً، مع أن القرآن الكريم أحدثُ من توراتهم ولم يحرَّف منه حرف واحد، وإبراهيم عليه السلام هو جدُّنا بنص التوراة والقرآن، فهل هذا القول منا لو قلناه إرهابًا أو لا سامية أيضًا؟.

كما أعجب للبابا النصراني كيف يزور من شاء ويصرح بما يشاء وينتقد سياسات الدول كما يشاء، بينما علماء الإسلام مجرد موظفين عند الزعماء، وأعظم من ذلك أن منهم من يكتم الحق وبعضهم يقولون على الله ما لا يعلمون، وربما اعتذروا بأنهم لا يعلمون، وهم أعلم بالأمور من غيرهم.

بل ربما أفتى بعضهم بالباطل تقربًا للسلطة وإيثارًا للدنيا واتباعا للهوى، وهذا أعظم المحرمات التي نهى الله عنها، قال جل شأنه: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف:٣٣]، فتدرج من الأدنى إلى الأعلى كما ذكر ابن القيم.

وقد يعتذر بعضهم بالخوف، والله أحق أن يخشوه، ولما قيل للإمام أحمد إن الموافقين على أن القرآن مخلوق كانوا مكرَهين، وقال قائلهم: ذكِّروا أحمد بحديث بلال، قال الإمام: "بلال ضُرب، وأنتم قيل سنضربكم"، فهو رحمه الله يفرق بين الإكراه وبين احتمال الإكراه، ولو قال علماء الأمة كلهم:

القرآن كلام الله غير مخلوق، لصعب على المبتدعة أن يكرهوهم جميعاً، وكذلك اليوم لو قال كل العلماء هذا منكر!

ومن العجيب أيضاً أن الألمان يسمحون بقيام ما يسمى "الحزب المسيحي الديمقراطي"، وهو الحزب الذي ترأسه المستشارة "انجيلا ميركل"، وتسمح إسرائيل بحزب "راية التوراة" ولا أحد يقول إن ذلك إرهاب! أو رجوع إلى الوراء، أو حياة لا إنسانية كما سمعنا هنا، كما أن الحاخام اليهودي يعفي لحيته كما يشاء ولا تستطيع إسرائيل أن تتهمه، وإذا أعفى المسلم لحيته اتهموه بأنه مطوع إرهابي وسخروا منه وراقبوه، فهو إما متهم وإما مظنة التهمة، ومن العجيب أن أحد مدربي الطيران في جدة كان ملتحيًا ويمنع كل الطيارين من إعفاء لحاهم، وقد أخبرني بعض منسوبي معهد الدفاع الجوي بأن بعض الكفار قال: في اليابان صنعوا فأرًا يقضي على الفئران، وقال الكافر أمام الطلاب إن الملك فلان اليوم في حاجة إلى فأر مطوِّع للقضاء على المطاوعة!!

وقد حصل لهذا الكافر ما أراد وكثر الفئران المطاوعة، وهذا الكافر لم يأت بجديد بل قال العرب قديما: لكل شيء آفة من جنسه.

٤١- لا تقتضي ضرورة الإصلاح أن نغير كل شيء طفرة واحدة إن لم نستطع، فنحن نؤمن بالتدرج، كما فعل رسول الله ﷺ، ولكن يجب توفر النية الصادقة في الإصلاح، والبدء بما هو في الإمكان، مع ترتيب العداوات كما ذكر الله ورسوله وسار عليه الأئمة، وحسبنا أن نحيي كل يوم سنة ونميت بدعة.

٤٢- يجب على أهل العلم الرد على كل طاعن في الإسلام، وإصدار بيان ملزم بذلك دون استشارة أحد، وممن طعن في الإسلام وطعن في القرآن وفي الرسول ﷺ على سبيل المثال: الجنرال الأمريكي المدعو "مايكل فلين" وهو صاحب كتاب "ميدان الحرب كيف يمكننا الانتصار في الحرب العالمية

ضد الإسلام المتطرف وحلقاته"، ولم يبلغني أنكم رددتم عليه ببيان منكم. أليس القرآن هو كتاب الله؟ والإسلام هو ديننا؟ ومحمد ﷺ نبينا؟

أم أنه لا بد أن يتعرض لأشخاص الحكام وآبائهم كي نرد عليه؟ أليس رسول الله ﷺ أغلى عندنا من كل حاكم وأب بل من أنفسنا؟ وهل ننتظر إذنا من أحد حتى نرد على من يطعن في الإسلام والقرآن ورسول الإسلام ﷺ؟

وماذا تنتظرون بعد هذا الطعن الجريء الذي تحدثت عنه وسائل الإعلام في الشرق والغرب؟ وهذا المجرم معروف لدى "ترامب" إذ اختاره مستشاراً للأمن القومي، كما أنه معروف لدى كافة الأمريكان.

والله تعالى أمرنا بقتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين وهذا منهم، فلا أقل من الرد عليه، وهذا أولى شرعا بالرد ممن يقال إنه (داعشي أو إرهابي وفعل كذا) وأنتم أولى بالرد من ملالي إيران.

والواجب عليكم ذو شقين:

أ- بيان ما يجب على الحكومة شرعا إزاء الهجمة الشرسة من أعداء الإسلام في أوروبا وأمريكا، إذ ليس هذا المجرم إلا أحد ممثليها وأحد راكبي موجة الإسلاموفوبيا!

ب- بيان ما يجب على عامة المسلمين ومثقفيهم، ولا يغني أحد الشقين عن الآخر.

ومثل "فلين" بل أشنع منه الأمريكي الآخر أنيس شورش، وهو نصراني فلسطيني استوطن أمريكا ووضع لها كتاب "الفرقان الحق"، على غرار كتاب مسيلمة الكذاب ألغى منه آيات الجهاد، وذكر أن الله أنزله على الرسول المسمى "الصفي"، إلى آخر ترهاته، والحكومة عليها واجب إزاء المفترين والظالمين، وأنتم عليكم واجبكم، والله تعالى قال عن رسوله الكريم: ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور:٥٤]، أما ترك الأمور حتى تأذن الحكومة فلا يليق

بكم، والإعلام الرسمي مشغول بقضايا إفساد الأمة وإلهائها وتعظيم آثار المشركين، أو بقضايا قديمة.

كما لم يبلغني أن أحد أعضاء الهيئة الموقرة كتب بعدل عما يفعل النصراني الأردني (ناهض حتر) الذي يقولون إنه فعل ما هو أشنع مما فعلته مجلة "شارلي إيبدو" الفرنسية، حيث طعن في الذات الإلهية وليس في الرسول ﷺ فقط.

٤٣- إذا افترق القرآن والسلطان، كما هو حاصل اليوم، وجب على العلماء اتباع القرآن وليس السلطان.

وقد افترقا في كثير من البلاد حتى في الأحوال الشخصية، وأصبحنا نسمع في المغرب ومصر وغيرها من يطالب بإلغاء الطلاق الشفوي، وأنه لا يصح الطلاق إلا في المحكمة (أي أن المعاشرة بين الزوجين تبقى بعد الطلاق مع أنها حرام شرعا)، واليوم يطالبون في السعودية بترع القوامة من الرجال، وإذا استمر السكوت أو الإنكار المحدود، فسوف يطالبون غدا بأن يكون الطلاق في المحكمة فقط، ويسمحون للمرأة أن تطلق الرجل أيضا كما في الغرب!

٤٤- ينبغي أن يكون أهل العلم حائلا دون ما يريده أصحاب الشبهات والشهوات من الحكام فمن دونهم، فإن المأمون قال: (لو قد مات يزيد بن هارون لأعلنت القول بخلق القرآن)، وفعلا أعلنه المأمون لما مات يزيد، وأجاب كثير من الناس، ووفق الله الإمام أحمد تلميذ يزيد بن هارون لمعارضة ذلك وتحمّل رحمه الله الأذى والجلد.

٤٥- من قرأ سيرة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية في كتبه، أو ما كتبه تلاميذه، أو ما قاله عنه المؤرخون يلاحظ ازدحام الناس عليه والتفافهم حوله، وإذا جاهد مضوا معه، وإذا كتب قرأوه وتداولوه وإذا أفتى تفاعلوا مع فتواه، فالعلماء هم قلب الأمة النابض، وهكذا الأمة المسلمة دائما تسمع وتطيع للعلماء الربانيين وتخلّد آثارهم، بينما يهلك بهلاك الحاكم كل من

أطاعه، وآثر أوامره أو أهدى كتابه إليه، أو زعم أنه لولاه ما أبصر كتابه النور!

٤٦- على علمائنا الكرام ألا تستعبدهم المطامع والمناصب والألقاب، وقد قال لي بعض من جعلوه بدرجة وزير وبعض رؤساء تحرير الصحف في هذه البلاد "نحن نغبطكم على أنكم أحرار تقولون ما تشاؤون، أما نحن فمقيدون لا نستطيع أن نخالف الأوامر في شيء"!

فقلت له: نحن لسنا أحرارا بإطلاق، ولا وجود في الكون كله لحرية مطلقة قط، بل من لم يقيده الشرع قيدته القوانين، ونحن عبيد لله، ولا نتبع إلا أمر الله وحده، ومن عداه نبذل له النصيحة ونعلن الإنكار، ونصرّف في الأسلوب، وأنتم إنما استعبدتكم الوظائف، ولو تركتموها لكنتم أحرارا، وقديما قال الشاعر:

أطعت مطامعي فاستعبدتني   ولو أني قنعت لكنت حرا

٤٧- لا بد من العلنية والبلاغ العام والنصح لكل مسلم ولو بدون ذكر الأسماء، إذ في العلنية النصح لكل مسلم وتحذيره من المحرمات، خذ مثلا البنوك: أليس من يتعامل معها هم عامة الشعب غالبا، وكذلك الذين يقرأون الصحف ويسمعون المعازف، ويعرون نساءهم؟ وعمل الحكام هو الترخيص والسماح، وكلٌ مسؤول عن رعيته.

وإذا امتنعت قناة أو صحيفة عن نشر ما يفتي به العلماء، فعليهم إلزامها وعدم السماح لها باختيار ما تهوى، أو باختيار كيفية طباعته ووقت إذاعته، كما يجب أن يكون لأهل العلم إعلامهم المستقل الذي لا يخضع إلا لكتاب الله وسنة النبي ﷺ.

٤٨- ينبغي للعلماء تصريف الوعيد، ولا يكتفون بنوع واحد مكرر من الإنكار، أو استخدام طريقة واحدة، والله تعالى نوّع في القرآن من الوعيد:

أ- فتارة يذكر العقوبة الدنيوية.

ب-وتارة يذكر العقوبة الأخروية.
ج- وتارة يذكرهما معا.
د- وتارة يذكّر بسنة الله في الغابرين.
ه- وتارة يخوف الكافرين من جهاد المؤمنين.
و- وتارة يحكم على فاعل الإثم باللعن أو الضلال.
ز- وتارة يوقظ الحس والعقل للنظر في مخلوقات الله والتفكير في ملكوت السماء والأرض.
وغير ذلك.

والشيخ العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله على فضله وعلمه وتقواه وكرمه، كان -في نظري- لا يمارس إلا أسلوبا واحدا وهو أسلوب (اكتبوا لي)، وقد لاحظت ذلك مرارا، وأظن أن الذي قيده بذلك هو الوظيفة الرسمية التي قبلها، وظنه أن النصيحة داخل الوظيفة أجدى، وظنه أن الحكام يستطيعون تغيير كل شيء، وأن النصح من خارج الوظيفة هو خروج عن طاعة ولي الأمر!!

وينبغي لأهل العلم وللمؤمنين عامة أن ينوّعوا في أساليبهم بحسب استجابة المدعوين، فما لا تنفع فيه الكتابة السرية يجب فيه الكتابة العلنية، وما لا تنفع فيه الموعظة والمجادلة، وجب فيه التخويف بالجهاد، وما سيؤدي إليه من المنكرات ومن انفجار غضب الشعوب.

ومن لم يرتدع بالقرآن وجب ردعه بالسلطان، ومن أمن العقوبة أساء الأدب، والمهم هو سدّ الطرق المؤدية للمعصية، وعلى الموظف الحكومي طاعة ما أنزل الله لا ما تأمر به السلطة، وإذا أمر بمعصية أن يرفض أو يستقيل، وقد قال ﷺ عن الأمراء الضالين: (لو أن الناس اعتزلوهم)، وقال: (ومن اعتزلهم فقد نجا).

ومن الواجب الجهر بما يرتكبه الناس جهرا، والإسرار بما ينسب للحكام سرا، وكذا الرد على المخالف، فقد يكون علانية إذا أعلن المنكر كأن ينشر

الكتاب، وقد يكون بين الراد والمخالف، ولا غيبة لمجاهر ولا لمن كذب كذبة تبلغ الآفاق.

والتصريف والتنويع فوق كونه قرآنيا، هو أيضا مما تريده نفوس البشر، فانظر مثلا كيف ينكر المصلون على إمام لم يقرأ إلا بسورة واحدة أياما متتالية!

٤٩- أعوذ بالله أن تكون بيانات هيئة كبار العلماء مثل تحديث الحجاج بحديث العرنيين، فالبيانات ذاتها حق وأحق منها حديث العرنيين، ولكن لا يُحدث به عند الحجاج، وهذا ما أنكره الحسن البصري على أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وعقد البخاري رحمه الله بابا ترجمته "باب من اختص بالعلم قوما دون آخرين".

وإذا كانت أمريكا ترى أن المجاهدين في فلسطين إرهابيون، فعلماؤنا إما أن يوافقوها إن كان قولها حقا، وإما أن يردوا عليها وينكروا ذلك ويبينوا منزلة المسجد الأقصى وما ينبغي للمسلمين بشأنه !! وفي الحالين ينبغي إصدار بيان من هيئة كبار العلماء بذلك.

٥٠- يجب على أهل العلم دعوة الناس للكتاب والسنة، تلك الدعوة التي تقيهم الأمراض الحضارية الموجودة اليوم في الغرب، ومنها الانهيار والسقوط الذي كتب عنه "كولن ولسن"، ومنها الإلحاد الذي عبّر عنه الرئيس التشيكي، ومنها الحيرة التي عبّر عنها جان بول سارتر لما قال "لا معنى أن نعيش ولا معنى أن نموت"! كما عبّر عن فقدان المعنى وزير الثقافة الفرنسي حين قال "الحضارة الغربية هي أوّل حضارة في التاريخ لا معنى لها".

ومن الأمراض والنتائج الحضارية المعيشة الضنك والعذاب، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾ [النمل: ٤-٥].

ومنها الدياثة التي تراها الآن وكتب عنها قديما (أسامة بن منقذ) و(السفير يحيى الغزال) والغرب اليوم أشد دياثة مما كتبا.

والمقصود أن على علمائنا الأفاضل أن يبينوا للناس طريق القرآن، الذي يهدي للتي هي أقوم، وأن يحثّوا أهل الحكم والرأي في الأمة، على تجنب طريق هؤلاء الكفار الذين يأكلون الجيف والخنزير ولا يغتسلون من الجنابة، ويستحلون الزنا واللواط ويعرّون نساءهم، فالمقتدي بهم أو من يظنهم متقدمين متطورين من المسلمين هو كما قال الشاعر:

ومن جعل الغراب له دليلا   يمر به على جيف الكلاب

وأشنع من ذلك العمل بمشورتهم وتنفيذ رؤاهم وخططهم، فذلك نوع من اتخاذهم بطانة وقد نهانا الله عنه.

لكننا مع الأسف وثقنا فيهم، وأصبح لكل مشروع نقيمه شركة استشارية غربية، وهذا دليل على ضعف الإيمان أو فقده، وإلا فالمرء يتوكل على الله وحده ويعتمد على نفسه وعلى مشورة أبناء الوطن.

فهذه هي العقيدة الصحيحة ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم، وقد أمرنا الله أن نستقيم على الصراط المستقيم، ونسأله أن يهدينا له في كل ركعة، وأن يجنبنا صراط المغضوب عليهم والضالين الذين هم اليوم في إسرائيل أمريكا والغرب، وأن نستعين به وحده ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣]، وكان علماء السلف يستغنون عما في أيدي الناس بأن يكون لكل واحد منهم مهنة يتعّيش منها، وكان النادر فيهم من يأخذ هدية من السلطان، ولما سئل عن قبولها قال "هدايا السلطان أحب إليّ من عطايا الإخوان لأن لي حقا في بيت المال".

أي أن ما يأخذه حق له، وليس هبة ومكرمة؟

وحقيقة التوحيد والإيمان بأن الله هو الرازق تقتضي من العالم ذلك.

وكان سيّد التابعين "سعيد بن المسيّب" الذي لا يخفى على علمائنا الأفاضل، أنه كان أعلم الأمة في زمانه وأنه صهر أبي هريرة رضي الله عنهما، يتّجر بالزيت ويرفض قبول عطايا السلاطين.

وتعلمون أنه كان يدعو على بني أمية حكام عصره، وأنه قال: "لا أبايع لاثنين أبدا"، وجلده والي المدينة على ذلك، وكان الوالي من أقرباء سعيد، وأن سعيدا شدّ عليه التبّان حتى لا ينكشف وظن أنه الموت، ورفض أن يزوج ابنته لولي العهد في أيامه وزوجها تلميذه الفقير (أبا وداعة)، وكذلك كان ابو الدرداء رضي الله عنه.

٥١- ينبغي للعلماء -وفقهم الله- تحذير الناس من الغش بكل أنواعه.

والغش الغربي معلوم لدى علمائنا الأفاضل، ومن ذلك ما قرأته في أبحاث هيئة كبار العلماء من كتابة "مذبوح على الطريقة الإسلامية" دون أن يكون لذلك مصداقية ولذلك أرسلت الهيئة مندوبين إلى بعض الدول الأوربية، وإلى البرازيل وغيرها وأزيد علماءنا الأفاضل أن ذلك مكتوب حتى على صناديق السمك!

وجزاهم الله خيرا على التأكد والتحري، وهذا ما ينبغي عليهم دائما دون تصديق مجرد الكتابة، كما تفعل وزارة التجارة.

كما أن هيئة الغذاء والدواء تحذر من بعض أنواع ما يسمى (أحمر الشفاه) وأن الشركات الصانعة وضعت فيه كمية كبيرة من الرصاص لكنها تخفي ذلك.

٥٢- يجب على العلماء الكرام محاسبة المقصّر وتنبيه المهمل أيا كان موقعه ولا يستأذنوا في ذلك أحدا، ولا حجة لمهمل في قوله "هذا قضاء وقدر"، نعم، كون الأنهار مثلا تجري في الشوارع قضاء وقدر، وكون رائحة البحر كريهة بسبب أن المجاري تصب فيه أيضا قضاء وقدر ولا يقع في عقيدة أهل السنة والجماعة أي شيء في الكون إلا بقضاء وقدر، ولكن هذا لا يعني

ترك محاسبة المقصّر والمهمل، وقد ذكر ذلك الشيخ عبد الله بن حميد رحمه الله في نقده لنظام العمل والعمّال.

وأحسب أنه لو قام العلماء بواجبهم في ذلك، ما غرق من غرق، ومات من مات، وجرح من جرح.

٥٣- لا تقولوا "تكاثرت الظباء على خراش"، فإن سكوتكم هو أهم أسباب تكاثرها، وسيزيد ذلك مستقبلا إذا استمر السكوت، ولو أنكم قلتم الحق لقلّت، وعرفتم كيف تصطادون.

وقديما قال سفيان الثوري -رحمه الله- "إذا انفجر البحر من يسكّره".

لكنه بدأ بنفسه، وقال الحق فأوذي وطورد، حتى أنه آثر الاختفاء عن الأنظار، ولا يزال الناس يذكرونه ويترحمون عليه، وأكثرهم لا يعرف من آذاه، وأمر أجهزته الأمنية أن تقبض عليه!! فالحق قد يسبب الأذى ولكنه خير من الباطل أو السكوت.

وأعداء الدين اليوم انتقلوا من موقع الدفاع إلى موقع الهجوم، وأصبحوا يقولون علنا إن المؤسسة الدينية، ممثلة في العلماء والصحويين اختطفوا المجتمع!!

أي أنه كان مجتمعا كارها للدين كما يزعمون، وكأن العلماء والدعاة إلى الله حين يصححون بعض المفهومات يختطفونه!

ولو أن علماءنا الكرام أنكروا على المخلوع إلغاء المعاهد العلمية في اليمن، وتحصينه بالمبادرة الخليجية، لما وقعت مشكلة اليمن، ولما احتجنا لهذه الحرب الخاسرة.

فالواجب هو الصدع بالحق حتى لا يكثر الفساد والانحراف، وأن لا يكون علماؤنا كالشيخ المصري الذي دعته بعض وسائل الإعلام للحديث عن قضية تحديد النسل، فقال: الحكومة عاوزة إيه؟

صحيح أن السلطة الحاكمة هي المختصة بالقضايا السياسية، ولكن ذلك لا يعني سكوت العلماء عن بيان الحق، والاختصاص لا يعني عدم الالتزام بالقواعد العامة.

ويجب على الحكام تحكيم الشرع في كل شيء، كما يجب على العلماء توعية الناس وبيان الحق لهم، وإذا صلح الأمراء والعلماء صلحت الأمة واستقامت أحوالها.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله: "فالواجب على جميع المسلمين حكومات وشعوبا الرجوع إلى الله سبحانه وإخلاص العبادة له، والتوبة إليه من تقصيرهم وذنوبهم، والبدار بأداء ما أوجب الله عليهم من الفرائض والابتعاد عما حرم عليهم، والتواصي فيما بينهم بذلك، والتعاون عليه، وأهم ذلك إقامة الحدود وتحكيم الشريعة بين الناس في كل شيء، والتحاكم إليها، وتعطيل القوانين الوضعية المخالفة لشرع الله وعدم التحاكم إليها، وإلزام جميع الشعوب بحكم الشرع، كما يجب على العلماء تبصير الناس في دينهم، ونشر التوعية الإسلامية بينهم، والتواصي بالحق والصبر عليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتشجيع الحكام على ذلك، كما يجب السعي في محاربة المبادئ الهدامة، من اشتراكية وبعثية وتعصب للقوميات، وغيرها من المبادئ والمذاهب المخالفة للشريعة" ا.هـ.

وهذان -أعني الأمراء والعلماء- هم أولياء الأمر كما نص عليه شيخ الإسلام مرارا، وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

يا معشر العلماء يا ملح البلد   ما يصلح الملح إذا الملح فسد؟

٥٤- أنصح مشايخنا الأفاضل أن يتركوا التصنيفات الظنية، التي يمليها عليهم بعض الحاقدين أو المفترين، واعتبار ذلك مجرد دعوى، وأن يعلنوا إنكارهم للمخالفات الواضحة اليقينية مثل مخالفة ما نصت عليه المادة الثانية من النظام الأساسي للحكم، وهي أن تقويم المملكة هو التقويم الهجري، وليقارنوا بين ما نص عليه النظام، وبين ما وقع فيه أكثر الناس وكل الصحف

والقنوات تقريبا، وما وقعت فيه وزارة المالية والبنوك والمستشفيات وغيرها من التعامل بالتقويم الذي يسمونه ميلادياً.

والنصارى الذين يزعمون أن ذلك تقويم ميلادي يختلفون فيما بينهم، فمثلا الثورة الشيوعية، وهي من أهم الأحداث العالمية في القرن الماضي، يسميها الشرقيون ثورة سبتمبر، بينما يسميها الغربيون ثورة أكتوبر.

ولا ريب أن أهل الفساد يخططون لذلك من قديم منذ أن جعلوا اليوم الوطني في ما سمي أول الميزان أي ٢٣ سبتمبر، ونقلوا صدور الميزانية من أول رجب إلى أول يناير، ولكن السياسة المتبعة هي التدرج وفق قاعدة "سلوبت شور" أي بطيء ولكنه مؤكد، ولما اقترحوا عيدا للجلوس على العرش، وأفتى الشيخ محمد بن إبراهيم بمنعه، سموا الاحتفال به ذكرى البيعة.

وما هو معمول به اليوم من عمل المرأة، ما هو إلا مقدمة لما هو أشنع كالاختلاط، وما جعل قسم للبنين وقسم للبنات ضمن وزارة التعليم، إلا مقدمة لجعل التعليم واحدا.. وهكذا.

وقد آلمني أن يقول أحد العلماء (إن فلانا باطني) وهو أبعد شيء عن الباطنية، والرسول ﷺ قال: (من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما)، وفي رواية (فإن كان كما قال وإلا حار عليه)، ولا ريب أن الباطنية كفر.

٥٥- لم يقل أحد من الصحابة عن بلال رضي الله عنهم أجمعين "قطعة حبشي"، كما لم يقل أحد من السلف عن عطاء (قطعة نوبي)، ولا أن أبا حنيفة (قطعة عجمي)، ولا أن فلانا قطعة كذا، كما يقال اليوم: قطعة يماني أو قطعة سوري أو قطعة بخاري أو قطعة مصري، وهذا من العنصرية الجاهلية ومن المنكرات التي يجب أن ينكر العلماء إطلاقها، ويكرروا ذلك ويأمروا به دون أخذ رأي أحد.

وعبيد الدنيا إذا مس أحد دنياهم، كأن تهدم البلدية بيت أحدهم، أو تأخذ أرضه بل جزءاً منها، طالب وأبرق واشتكى، وحرص على الترصد

للأمراء والملوك كي ينكر ذلك، فكيف يسكت أهل الدين على المنكرات، والدين أعظم من الدنيا؟

وعبد الدنيا إذا فرضت الحكومة عليه ضريبة ضج واستنكر وكتب التغريدات والهاشتاقات، فكيف يسكت أهل العلم والدعوة على من يمس دينهم؟

وانظروا وفقكم الله كم جر سكوتكم عن مؤتمر الطائف للفرقاء اللبنانيين من تحكّم النصارى والرافضة والدروز، وكيف أنه أصبح "تيار المستقبل" هو ممثل أهل السنة في لبنان، وما جر ذلك على الدولة من الدواهي، ومنها أن الدولة أعطت ما يعادل خمسة عشر مليار ريال للجيش اللبناني والأمن اللبناني، وقد كان فقراء هذه البلاد أولى بذلك.

٥٦- يجب عليكم إنكار كل منكر ومن ذلك منكرات المواكب الرسمية، إذ لا يصح حبس الناس لمرور المواكب، ومن أراد إخفاء شخصيته فليتلثم ويتنكر بما شاء، وأعظم التخفي هو المساواة، فتكون سيارة المتخفي كسيارة آحاد الناس، ويسير بينهم كواحد منهم.

وقد قال الشاعر الحكيم: وفي شدة الوضوح الخفاء.

وقد ثبت في صفته ﷺ أنه لم يكن يُدفع الناس عنه ولم يكونوا يضربوا بين يديه، بل لم يكن له ميزة يختص بها، وكان الداخل عليه يقول: أيكم محمد؟ بينما نرى اليوم من يحبس الناس لأجل مرور موكب فلان أو طواف فلان، وأشنع من ذلك أن يسير بعض الناس بموكبه في طريق المشاة وقت الحج.

مع أن المفسدة في حبس الناس أكبر إذ في ذلك دلالة على شخصيته، ولو أنه تخفّى بين الناس لما عرفه أحد.

وكان أبو هريرة -وهو أمير المدينة- يحمل الحطب، ويقول للناس "أوسعوا للأمير" وقصده ألا يصيبهم الحطب!

وقال سفيان الثوري للمنصور في منى: (حجَّ عمر، فلم يُدفع أحد بين يديه، و لم يقل لأحد "إليك إليك". ولما رآه رسول كسرى نائما تحت شجرة بلا حراسة قال: (عدلت فأمنت فنمت يا عمر)، فأساس الأمن هو العدل والإيمان، وبهما يلقي الله الهيبة في نفوس أهل الشر، ولما كنا أعدل منا اليوم، كانت السيارة تسير بين السيارات محمَّلة بالذهب والفضّة غير خائفة، أما اليوم فإن الإنسان يخاف إذا خرج من مصرف، ولا يضع ماله في السيارة فما أكثر ما تُسرق السيارة أو يكسر درجها.

وإذا استمر سكوت العلماء فربما منع أهلُ المواكب من إيقاف السيارات بجانب الشوارع، وربما منعوا من سكن العمارات، فالمتفجرات اليوم تشمل مساحات واسعة، والتفجير عن بعد أصبح حقيقة واقعة، وربما رأى أصحاب المواكب أن الأفضل هو الاختفاء بين الناس والسير بسيرهم، وأن يكون مبنى الإمارة أو الديوان كسائر المباني، وهكذا من لم يُعد للأصل مأجورا عاد إليه مجبورا.

وإذا كانت الحواجز الإسمنتية كافية لحماية بيوت (الخواجات) فكيف لا تكفي لحماية القصور؟

وربما كان القاتل حارسا للمقتول، كما قتلوا بوضياف وأنديراغاندي، و لم تغن الحراسة شيئا لما قدر الله أن يقتل الملك فيصل، فكيف تجدي المواكب؟

ويقال إنه قيل للعصفور كيف ترى الدودة في باطن الأرض ولا ترى الفخ؟ فقال: إذا وقع القدر عمي البصر.

٥٧- الشيخ (صالح الفوزان) أعلى قدرا من أن يستخدمه غيره أيا كان، وأكثر عدلا من أن يحكم لسماعه من طرف واحد ربما اعتمد على وكالة (يقولون).

وليس الشيخ بأفضل من نبي الله داود الذي عاتبه ربّه لأنه حكم قبل أن يسمع من الطرف الآخر.

والمفترون يتهمون الدعاة إلى الله بأنهم من جماعة كذا أو جماعة كذا بلا يقين.

على أن الأمر الآن أكبر من خلاف بين الجماعات والتنظيمات، فقد ظهر ما هو أدهى وأمر، وأصبح الإلحاد والكفر يزدادان في كل مكان، والنفاق أصبح هو الأصل لدى أكثر الناس، أعان الله الشيخ وكل العلماء وكل من يدافع عن الحق.

وينبغي للمسلم أن يفيد مما كتبه الشيخ الفوزان، حتى من كان من المسلمين في مصر أو في أمريكا أو استراليا، لا سيما شرحه لكتاب التوحيد، وبيانه -جزاه الله خيرا- لحقوق المصطفى ﷺ، ولا يجوز إهمال شيء من فتاواه، ومع الأسف الشديد أهمل الكبراء بعض فتاواه، مثل ما كتب عن الآثار أو التبرج أو الموسيقى أو شهيد الواجب.. إلخ. فشعارهم هو إن أفتى بكذا فخذوه وإن أفتى بكذا فاحذروا.

وأما قول الشيخ إن الفكر الفلاني وافد، فهذا ليس مبررا لرفضه، إذ أن أهل البدعة يحتجون بذلك ويقولون إن الدعوة (الوهابية) وافدة علينا، والكفار يقولون (إن الإسلام وافد علينا)، وهكذا، وإنما المؤمن كالنحلة تقع على كل زهرة، وضالته هي الحق يأخذه أنى وجده.

ويجب أن يكون العلماء وطلبة العلم في هذه البلاد وفي كل بلاد يدا واحدة على من يخالف الكتاب والسنة، مع التباحث فيما بينهم في الحق، واتباع أقرب الأقوال للصواب.

والشيخ يعلم أن قوله: ليس لدينا مشكلة، فالعلماء يفتون والدولة تنفذ غير صحيح، لا سيما بعد أن أصدرت هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء، وسماحة المفتي، وبعض أعضاء الهيئة فتاوى لم تعمل بها الحكومة، وليست عازمة على العمل بها فيما يظهر.

وأنا أقطع أنه لا يوجد طالب علم فضلا عن العلماء الكرام، يقر بقاء المكتبة المنسوبة للمولد ومسجد الكوع أو مسجد فلان، أو وجود كليات

للقانون في المملكة، أو فتح دور للسينما ووجود مخالفات كثيرة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ليس هذا موضعها، ولا أحد يصدق أن الداعشية في كل بيت، ولا يوافق على ما يبثه التغريبيون من الدياثة، ولا أحد يجهل عقيدة من يعظّمهم المسؤولون أو يعطونهم أقلامهم ويولونهم المناصب، ويجعلونهم رؤساء تحرير أو مديري قنوات، من أمثال تركي الدخيل وعثمان العمير وعبد الرحمن الراشد، وتركي الحمد.

ولا يقر أي طالب علم أن يكون الرافضة والباطنية مستشارين وسفراء.

ولا يقر طالب علم بما يسمى المبادرة العربية للسلام، التي وضع صياغتها اليهودي الصهيوني "توماس فريدمان"، والتي تحفظ أمن إسرائيل وحقها في الوجود.

ولا يقر من هو أقل من فضيلته شأنا بكثير هذه البنوك الربوية المنتشرة في كل مكان.

ولا يرضى أي طالب علم أن يعزي ولي العهد السابق، في وفاة أحد كبار المبتدعة أهلَه في بيته بمكة، مع أنه قال لبعض أعضاء هيئة كبار العلماء، وربما لكلهم: لو توليت الملك لأمرت بقتل فلان.

وليس حكم الشرع إما القتل وإما العزاء؟ وكيف يَعِدُ بقتله ثم يعزي في وفاته، أليس من وقّر صاحب بدعة، فقد أعان على هدم الإسلام؟

ولا يرضى أي طالب علم فضلا عن الشيخ أن يعطى السيسي، والمخلوع، ونصارى لبنان، المليارات؟ بينما تكلف القبائل نفسها بفتح العِقاب (جمع عقبة).

٥٨- يتردد اليوم بين الناس أن داخل الأسرة الحاكمة أجنحة كثيرة متصارعة، فإلى أين يذهب الناس إذا تحول ذلك إلى صراع مسلّح، كما حدث أيام الخلاف بين سعود وفيصل؟ لا سيما إذا استمر سكوت العلماء، وانشغلوا بالقضايا الأقل أهمية؟ وإلى متى سيظل العلماء مع من غلب؟

٥٩- كون الملك مخدوعا -كما ذكر الشيخ عبد المحسن العبيكان آل سعود المستشار بالديوان سابقا- معناه أن العلماء الذين يدخلون عليه لم ينبهوه لخطر المفسدين، ومقاصدهم. وبذلك يظهر أن مجاملة الملوك أو الزعماء باطلة، وأنه يجب مصارحتهم بالحق. وإن قالوا نبهناه فلماذا لم ينبهوا الشعب؟

وقد كان العلماء يثنون على الملك عبد الله في ايامه فهل يذمونه اليوم؟

والتغريبيون غشاشون بلا ريب فيجب التنبيه إلى غشهم، وكذلك المداحون والمداهنون وطلاب الدنيا، وإذا سكت عنهم العلماء فكيف يعرفهم الناس؟

وقد أنكر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله على كل ملك أو وزير أو سفير بأفضل أسلوب وأحكمه، كما أفتى بأن قول بعض الناس "خذوه -أو- انفروا به" تشم منها رائحة الشرك لكن لا تحرم ذبائح قائليها.

ورد الشيخ ابن باز على القوميين وعلى معظمي الآثار، وكثير مما علم عنه من المنكرات.

ورد الشيخ عبد الله بن حميد على نظام العمل والعمّال وعلى مجلة القصيم، وهذا هو واجب أهل العلم.

٦٠- من التناقض أن نقرأ هنا أن من ينضم للقاعدة أو الدولة الإسلامية خارجي، وفي الوقت نفسه نقرأ مطالبة الرافضة بإقامة المقامات في البقيع والمعلاة، ونقول إن هؤلاء الروافض إخوة لنا في الوطن، ومنهم النخاولة، ومع هذا كله نقول إننا أصحاب العقيدة ودولة التوحيد، التي تحكم بشرع الله وتقيم دينه!

وأنا أكثر ما سألوني في بغداد لما رأوا مظهري جئت لزيارة العتبات المقدسة؟

ولما قلت لا، قالوا: كثير من السعودية يأتون لزيارتها.

وبناء العتبات المقدسة هو ما قال مقتدى الصدر للملك عبد الله إنه ينبغي في السعودية.

ومع ذلك يستقبلون "الصدر" ولا يستقبلون حارث الشمري!

واعلموا -حفظكم الله- أن عهد المجاملة قد انتهى، وجاء عصر الصراحة والوضوح، فأوضحوا الحقيقة للحكام وللشعب، وبينوا لهم ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبينوا لهم لماذا يتضجر الناس، وبينوا الحكم الشرعي في أهل البدع قديمها وحديثها، وكيف ينبغي دعوة أهل الكتاب، والمؤمنين لترك قشور هذه الحضارة الزائفة، وبينوا أن العلمانية ليست من ديننا في شيء، وزوروا الحجاج -إن لم تكونوا تفعلون ذلك- وبينوا لهم العقيدة الصحيحة، واهدموا أماكن الفجور وآثار البدع، ولا تنتظروا إذنا من أحد، فأنتم الملوك على الملوك، وأنتم الموقعون عن رب العالمين.

ونحن نقول خصوصا للإعلاميين الغربيين -الذين يزوروننا وبعضهم يقول إنه مدير وكالة كذا، وبعضهم يقول إنه من قناة كذا الأمريكية-، إننا لسنا معارضة -كما يظنون- بل نحن ناصحون مصلحون نحب الخير لكل الناس، ونسير على منهج الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، كما في القرآن الكريم، ونحرص على أمن الحاج والمعتمر والزائر وكل إنسان، ونحن لا نريد الحكم والمناصب الدنيوية، وقد أعطانا الله ما هو خير منها، ونقول الحق ولا نخشى في الله لومة لائم، كما كان النبي ﷺ يبايع أصحابه، ونشكر كل من دلنا على عيب أو خطأ منا، ونصبر على الأذى، ونحمد الله على كل حال، وغاية الأذى الشهادة وهي أمنية كل مؤمن، نسأل الله أن يبلغنا إياها.

وكل الأنبياء أوذوا وكُذبوا، ولكنهم صبروا، فنبينا ﷺ يقول "لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد"، وحاصروه ﷺ سنوات كما هو معلوم، وقتلوا بعض أقربائه، وجرحوه ورموه بالحجارة، وألقوا عليه سلى الجزور وخنقوه حتى كادوا يقتلونه، وأشد من ذلك أنهم كذبوه واتهموه بما ليس فيه حتى اتهموه بأنه مجنون، ومع ذلك أمره ربه بالصبر والصفح.

قال جل شأنه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام:٣٤].

وقال جل شأنه على لسان رسله الكرام: ﴿وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:١٢].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَاغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف:٣٥].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج:٥]، والصبر الجميل هو الذي لا شكوى معه.

وقال له ربه: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة:١٠٩].

ومن الأذى: الاتهام الباطل فقد قالوا إن النبي ﷺ "شاعر" ومرة قالوا "ساحر" ومرة قالوا "كاهن"، ومرة قالوا "مفتر" ومرة قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ [النحل:١٠٣]، ومرة قالوا "صابئ" ومرة قالوا "أساطير الأولين اكتتبها" وتارة قالوا هو "مجنون" وسخروا منه ﷺ وقالوا: ﴿أَهَٰذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ [الفرقان:٤١]، وسموه "مذممًا" و"ابن أبي كبشة".

وقد قال تعالى: ﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فُصِّلَت:٤٣].

وقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات:٥٢-٥٣].

ومن حكمة الله تعالى أنه جعل لكل نبي عدوًا من المجرمين، قال جل شأنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان:٣١].

وفي الآية الأخرى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام:١١٢].

وإذا كانت هذه العداوة -بحكمته تعالى- لم يسلم منها الأنبياء الكرام، فكيف نستغرب اليوم وجود أعداء للدعوة وللكتاب والسنة؟ أو من يفتري على الدعوة، ويتهم الدعاة بأنهم دعاة فتنة وخوارج وطائفيون ومندسون وإرهابيون وإخوانجية... إلخ التهم.

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد:٤].

وعلى هذه السنة الربانية كان السلف الصالح رضي الله عنهم، وأوذي أبو بكر وعمر ولا يزالان، وأوذي بقية العشرة ولا يزالون، وأوذيت أم المؤمنين عائشة، وأوذي سعيد بن المسيب وكثير من التابعين منهم سعيد بن جبير، وكذلك أوذي أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ومن بعدهم، وأوذي سفيان الثوري، وأوذي أبو الزناد، قال ابن الجوزي: "ولو ذكرت ذلك بالأسانيد لطال جدًا"، وأوذي شيخ الإسلام ابن تيمية، وأوذي الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأوذي الشيخ محمد بن إبراهيم، وأوذي الشيخ عبد الرحمن بن سعدي، والشيخ عبدالله بن حميد منعوا نقده نظام العمل والعمال وفصلوا من نشره أو وزعه، وأرادوا قتل الشيخ عبدالله بن سعدي العبدلي الغامدي، والشيخ عبدالعزيز بن باز اعتقلوه وقطعوا راتبه، ولا يزال العلمانيون يؤذون هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويفترون عليها، بل يفترون على من أنكر منكرًا ظاهرًا معلومًا لكل أحد.

والخلاصة أن هذه هي سنة الله تعالى في كل من يدعو إلى الخير، فلا غرابة إذن في العداوة والاتهام والأذى، ولا يعقب الأذى والشدة إلا النصر بإذن الله تعالى، وبعد الاستضعاف يأتي الاستخلاف والتمكين، الذي علْمُهُ

عند الله، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ [القصص:٥].

وليس التمكين هنا أن يحكموا كما قد يظن بعض الناس، بل هو انتشار الدعوة وظهورها، فالدعوة إلى الله أغلى عند العلماء من أنفسهم ومن كل شيء! وليس غرضهم الوصول إلى الحكم، وقال جل شأنه: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف:١٣٧]، فهذا وعد الله لبني إسرائيل وقد مكنهم جل شأنه، وأورثهم الأرض، وأغرق فرعون وهم ينظرون، بعد أن كان يتهم الأنبياء بأنهم يريدون الكبرياء في الأرض، ويمكرون في المدينة ليخرجوا منها أهلها! أي إنهم في نظر فرعون ليسوا وطنيين! وقد يكون من التمكين أن يغلب أهل الحق ويرثوا الأرض، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ [النور:٥٥]، وهذا ما وقع للصدر الأول، كما وقع لبني إسرائيل بعد وفاة موسى عليه السلام.

ولما سئل الشافعي رحمه الله أيبتلى الرجل أم يمكن؟ قال: لا يمكَّن حتى يبتلى"، وقال سفيان الثوري رحمه الله: "لا تنال الإمامة في الدين إلا بالصبر واليقين"، وقرأ قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

ولا يكون الصبر إلا على مكروه كما عانى الأنبياء ومن سار على طريقهم.

وقد عانى السلف الصالح كثيرا، منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، د ع جلده وتعذيبه ليقول إن القرآن مخلوق فتلك فتنة الدين، ولكن صمد في فتنة الدنيا أمام من رجع عن تلك العقيدة الفاسدة -كالمتوكل- وأكرم الإمام أحمد وعظمه، وعزل خصمه وحاسبه، وأمر بإشخاص الإمام من بغداد إلى

سامراء لكن الإمام لم يذق له طعامًا، وكاد يهلك جوعا لكثرة ما واصل الصيام ولم يأكل حتى عاد إلى بيته ببغداد، وقيل إنه ظل عشرة أيام.

فإذا كانت هذه هي معاملة أهل السنة لصحيح العقيدة القرشي العدل المجاهد، فكيف يكون الحال مع من لا يحكم بالقرآن الكريم أصلا بل ينضم للأمم المتحدة ويؤمن بالوطنية أو الإنسانية ويترك الجهاد؟

٦٢- العالم الإسلامي اليوم يمر بحروب وانقسامات وابتلاءات ومحن كثيرة، وهي على أية حال أقل من الحروب الطاحنة التي مرت بها أوروبا، ولا تزال أوربا تتغير خريطتها كل عشر سنوات تقريبا، وتنقسم الدولة الواحدة إلى دولتين.

وهذه الآلام الكثيرة بالنسبة للمسلمين ما هي إلا مخاض لابد منه، وهي إرهاص بإذن الله تعالى لانتصار الإسلام، وظهوره على الدين كله، وبلوغه ما بلغ النجم، أو ما بلغ الليل والنهار.

٦٣- لا أقول لكم قولوا كذا أو كذا، ولكن كلٌّ يقول الحق الذي يعتقده وهو بين الأجر والأجرين واجعلوا كلامكم في السر والعلن واحدًا، واعرفوا حقارة الدنيا ومتاعها واطلبوا ما عند الله، وأبشركم أن الصحوة الإسلامية اليوم تعم العالم، والحمد لله، والإسلام هو دين الفطرة، وهو أكثر الأديان انتشارا، ومن يدخل فيه من الغربيين كثير، وأيُّ كتاب عنه يُنشر ويُقرأ.

ومهما قيل إن العودة إلى الله اليوم لا تزال ضعيفة أو هشة فالمستقبل لها بإذن الله تعالى، والواجب علينا هو التوكل على الله، ونشر دينه في العالمين والثقة في الله وترك العجلة.

وسوف يفتح المسلمون "روما" كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ وحينها يطلب الكفار تسليم سبعين (٧٠) ألفا من بني اسحاق (والظاهر أنهم أوربيون) ولكن المسلمين يمتنعون ويقولون "والله لا نسلمكم إخواننا"، ولا غرابة فقد سبق أن دفعت روما الجزية للمسلمين زمن الإمام أحمد.

ويجب على علمائنا الأجلاء أن يسايروا هذا التوجه الهائل للدين، ويزيدوه استقامة وصلابة، وقد كان عبد الله بن أبي بن سلول على نفاقه، ذا عقل حين قال بعد بدر (إن هذا أمرٌ قد توجَّه).

ولا نتزل شيئا من أحاديث الفتن والملاحم على واقعنا، بل نؤمن بها ونعتقد أن الغيب بيد الله وحده، وهو الذي يدبر الأمر كما يشاء، وأشراط الساعة ربما وقع بعضها، وربما يقع بعضها مرارا.

ولا ندع وسيلة لنشر الدعوة أو إقامة الحجة إلا سلكناها، ونعلم أن الوسائل لا تتناهى، وليست توقيفية كما قد يظن بعض الدعاة، وقد أفتى بأنها غير توقيفية الشيخ ابن باز كما أفتى به الشيخ محمد بن صالح العثيمين وغيرهما، وهل يقول أحد اليوم إن استخدام الشبكة العنكبوتية للدعوة بدعة؟

وعلى كل حال فالسيرة النبوية الصحيحة، وما عمله الخلفاء الراشدون وما فعله السلف الصالح ومن اتبعهم، وكذا السياسة الشرعية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كلها تدل على أن أي وسيلة صحيحة نافعة ينبغي أن تستخدم.

٦٤- وللصحوة الإسلامية، والرجوع إلى الله فضله على الشرق والغرب، حتى على العلماء، ولا يحارب الدعوة إلا ملحد أو علماني.

حدثني سكرتير الشيخ بن باز رحمه الله أن الحضور عند الشيخ كانوا أربعة أو خمسة ولما رجع الشباب إلى الدين صاروا بالآلاف.

كما حدثني بعض العلماء أن الشيخ محمد العثيمين رحمه الله كان شبه مجهول في بلده "عنيزة" ثم أظهرته الصحوة المباركة، وصار يحاضر في مكة والمدينة وجدة والرياض والدمام وغيرها، وجاءته الدعوات من كل مكان، وجاءه التلاميذ من دول تُعد بلاداً بعيدة.

وأنا صليت التراويح بالمسجد الحرام ولم نكن حينها نتعدى ثلاثة صفوف.

ونحن نفرح بالمبشرات -من الرؤى المنامية أو الفراسة الإيمانية- ولكن لا نتعدى بها ذلك فهي مجرد مبشرات، ولا تؤخذ منها الأحكام الشرعية وحسبنا ما جاء في الكتاب والسنة من الأحكام.

٦٥- الحكومات الغربية نفسها موقنة بظهور الإسلام، وإنما غيَّرت مكرها ومخططاتها بسبب ذلك العلم، لكن حربها للإسلام لم تتغير في جوهرها والله من ورائهم محيط، وكل من حاد الله ورسوله خاسر ولا بد.

ومصير الحضارة الغربية هو مصير من قبلها، ولكن خلق الإنسان عجولا، وقد بشر النبي ﷺ بهلاك كسرى وقيصر، وأن كنوزهما سوف تنفق في سبيل الله، وقال: "والله ليتمن الله هذا الأمر" إلى قوله: "ولكنكم تستعجلون".

وبشرنا الله تعالى في كتابه الكريم، بأنه سوف يظهر دينه على الدين كله ولو كره أعداؤه فقال جل شأنه: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة:٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَـٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف:٧-٨-٩].

ومن إتمام نور الله وإظهار دينه، أن كثيرا من الغربيين اليوم يعتنقونه هربا من حضارتهم التي يقولون إنها كُتل من القلق والضجر والتفاهة والاضطراب والإفلاس والفوضى والإباحية، ولهذا ظهرت فيها الأفكار والفلسفات الهدامة، كالإلحاد والشيوعية والوجودية والعبثية والعدمية ومدارس اللامعقول، وفي مبحث لمن المستقبل؟ تفصيل أكثر لذلك، ومن هؤلاء الحيارى الذين يعيشون المعيشة الضنك وعاشوها (إبسن، وهيدجر،

وسارتر، وإليوت، وألبيركامو، وكولن ولسن، وتولستوي، وهمنغواي، وجيمس جويس، وجراهام جرين، وبرناردشو) وكثير غيرهم.

ومنهم من لا يجد وسيلة إلا الانتحار! وقد انتحر من الأدباء المشهورين "أرنست همنغواي" ومن الممثلات المعروفات "مارلين مونرو"! كما انتحر "ارثر كوستلر"، وفي تلك البلاد التي توصف بأنها "متقدمة" عيادات للانتحار وكتب ومواقع!!.

وقد انتشر هذا الوباء الخبث "الانتحار" في بلادنا الإسلامية التي لم تكن تعرف ذلك من قبل إلا شذوذا.

ومن عظّم هؤلاء الحيارى واتبعهم وأعرض عن الوحي كتابا وسنة فهو كما قال الشاعر:

أعمى يقود بصيرًا لا أبالكم ** قد ضل من كانت العميان تهديه

وإذا كنا قد حاربنا الفلسفة القديمة، فيجب أن نحارب هذه الفلسفة الحديثة، ونكون لها أشد إنكارا، فهي فلسفة لا دينية تنكر الوحي ولا تذكر الله، وإذا كانت فلسفة ابن رشد مثلا ضالة، فما حكم الرشدية الجديدة؟

وحسبك من أعداء الإسلام اليوم ما نراه من تخبط وانحطاط وتفكك أسري، وضياع وجريمة وعنف وجحيم لا يطاق، كما عبر "كولن ولسن" حين قال: الأديان السماوية تتحدث عن جحيم وهل هناك جحيم أعظم مما نحن فيه؟!"، وذكر أمثلة كثيرة على ذلك منها ما أسماه "الاغتصاب الجنسي" وأنه كان يخشى منه وهو صغير، وحذره الكبار من المشي مع الغرباء خشية الاغتصاب.

وهذه المعيشة الضنك، والحياة النكدة ما هي إلا جحيم الدنيا، وما عند الله أشد وأخزى، ولكن أكثرهم لا يعلمون.

وقد تستنكر هيئة كبار العلماء ما وقع في سينما باريس؟، مع أن المسلم القريب من تلك السينما لا يدخلها، واحتلال اليهود للمسجد الأقصى أولى بالاستنكار.

وكيف ندعي خدمة القضايا الإسلامية ونحن لا نتكلم عنها أصلا؟ والداعية عندنا متهم دائما، والرجوع للحق قليل، وكل يرى الحق فيما يقول، ويرى أن غيره مخطئ، مع أن التنبيه للخطأ لا يكون إلا من ناصح مشفق؟ والرجوع للحق فضيلة، وأنا أدعو كل عالم وداعية ومواطن، خاصة في هذه البلاد، إلى تنبيهي لما غفلت عنه وجزاه الله عني خيرا.

وعقيدتي هي التفريق بين العيوب الشخصية للإمام أو الوالي أو العالم، وبين السكوت عن المنكرات العامة والقوانين الملزمة، والعيوب الشخصية من الولاة قد تكون مجرد إشاعات لا حقيقة لها، فالأعداء يكذبون ويفترون، وقد قال الرافضة إن يزيد بن معاوية كان يشرب الخمر ويترك الصلاة، وأمثال ذلك من النقائص التي لم يأتوا عليها بدليل، وكان كثير من السلف يخالفهم في ذلك، وممن خالفهم عبدالله بن عمر ﷺ، فيجب التثبت مما يقوله المفترون وإذا ثبتت لدينا ينبغي أن ننصح بها سرا، على أن العيوب الشخصية ليست مما يهمنا ولو ثبتت، ويبدو أن الاتهامات لا بد منها لكل شخصية عامة، تولت شيئا من الحكم زعامة أو قيادة أو قضاء، قال ابن الوردي:

إن نصف الناس أعداء لمن ** ولي الأحكام هذا إن عدل

أي إن الملك أو الرئيس أو القاضي أو المدير، إذا لم يعدل فأعداؤه سيكونون أكثر من النصف.

ومن سخريات برناردشو أنه لما أرادوا عرض إحدى مسرحياته، أرسل تذكرتين لرئيس وزراء بريطانيا آنذاك "تشرشل"، وكتب معها "واحدة لك والأخرى لصديقك، إن كان لك صديق"!

أما المنكرات العامة فيجب -عندي- إنكارها عامة وكل ما هو من المخالفات المعلنة يجب إنكاره علنا، ويجب أن يجهر العلماء وأهل الدين بمحاربة ما يخالف الحق، ولو أدى ذلك إلى سَجن المنكِر أو قتله، أما الافتراء عليه فلا بد منه ولا بد من إشهار الحملات التحريضية عليه في القنوات

والصحف والمواقع، وحيثما استطاع أعداء الحق، وذلك لازم حتى لمن قعد في بيته، وكل عامل لا بد أن يخطئ على أن أكبر خطأ هو ترك العمل.

والعامة والجهلة والفساق يقولون: لو كان هذا منكرا لأنكره العلماء.

ولا يزال المسلمون يذكرون للعز بن عبدالسلام منقبة إنكاره، وعزمه على بيع الأمراء في مزاد علني، قبل أن تجمع الأمة التبرعات لمقاتلة الكفار، وسماه الناس "سلطان العلماء" ولا أعلم أحدا قال إنه خارجي يريد إثارة الفتنة.

ولا يزالون يذكرون لشيخ الاسلام ابن تيمية فتواه القيمة عن التتار، وكيف أنه قاتلهم بنفسه في شقحب، مع أن ملكهم قازان كان يظهر الشهادتين، ويدعي تعظيم النبي ﷺ، ويقيم بعض الدين، ويطبق بعض الشريعة.

وأعظم من كل العلماء: أنبياء الله تعالى الذين نصحو لأقوامهم، وجادلوا النماردة والفراعنة والملأ المستكبرين، ولم يسألوا أحدًا عليه أجرا، ومع ذلك كذِّبوا وأوذوا.

وكتاب الله واضح في بيان منهجهم ناطق بحقيقة دعوتهم، وصبروا على الأذى إلى حد أن منهم من أدموه، منهم من قتلوه، وبعض المؤمنين أحرقهم الظالمون، فهذا لازم عبودية المراغمة، ويجب على العلماء والدعاة والمرجئة معرفته!.

والله تعالى يقول: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢].

وقول بعضهم إنه أخذ الملك بالسيف الأملح إقرار بأنه متغلِّب، والمتغلِّب لا نأمن أن يتغلب عليه غيره، غير أن الشروط الشرعية ثابتة، والشعب يعلم من كان معه السيف الأملح آنذاك، ومهما يكن فإن المتغلِّب لم تختره الأمة ولم يأت من طريقها ولو أننا أقررنا لكل متغلب لكان تغلب صدام حسين على الكويت هو المعتبر، بل تغلب اليهود على الأقصى؟

كما أن كون فلان من العلماء أو ليس منهم، ليس بحسب القرارات السياسية التي تصدرها السلطة التنفيذية، فالناس يعرفون العلماء، كما يعرفون المداحين المتزلفين ومَن غرضهم الوظيفة والراتب، ويعلمون إذا أصدرت هيئة كبار العلماء الرسمية قرارًا يخالف السياسة.

وليس إنكار المنكر -عندي- خروجا ولا معارضة ولا ثورة، ولا إثارة للفتنة ولا يضاد اللحمة الاجتماعية، وليس افتئاتا على ولي الأمر كما قد يقال، وإنما هو واجب شرعي على كل مسلم بقدر استطاعته كما بين النبي ﷺ، بغض النظر عن موقفه من الحكومة أو موقف الحكومة منه، ولم يتركه أحد من السلف مطلقا، كيف والله تعالى جعل خيرية هذه الأمة منوطة به، أليس هذا صريح الكتاب والسنة؟ وفي الوقت نفسه هو عين المصلحة وسبب الوحدة الفكرية للأمة؟ وهو صفة الرسول الأمي الكريم ﷺ.

وعندي أنه يجب على الأمة كافة أن تكون مناصرة لمن يدعو إلى الله، وألا تكون القلوب مع فلان ولكن السيوف مع فلان، وإذا أخطأ أحد من الدعاة، أو الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، يجب بيان الحق له بدليله، وعليه الرجوع للحق، وليس الحل أن نقلّص جهاته ولا أن يسجن أهله، ولا أن يفترى عليهم، ولا مانع لدي من مقابلة أي كافر أو مبتدع، ولا يحرم عندي تأجير العمارات من الروافض مع دعوتهم، وبيان الحق لهم وإهدائهم الكتب ليهتدوا، فكثير منهم جاهل، مع أن تأجير المتبعين للسنة خير.

٦٧- ويجب على العلماء الصدع بالحق، وألا يخافوا في الله لومة لائم مهما أوذوا، ولا يصح منهم أن يسحبوا فيش الهاتف ويقفلوا الجوال، ويتحدثوا لك بصراحة ثم يقولوا عكس ذلك في محاضرة عامة.

ولا يصح من مقلدي المشايخ الاعتذار بأن الشيخ الفلاني لم ينكر كذا وسكت عن كذا، وهل سمع هؤلاء ما يقوله العلماء في مجالسهم الخاصة، وما يقولونه للحكام إذا خلوا بهم! وهل عرفوا صبرهم واضطهادهم والمصلحة التي توخوها، وهل مخالفة اجتهادهم بدعة ومتابعته سنة؟ وما هو التقليد إذن؟

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله: "عجبت لقوم يعرفون الإسناد وصحته، ثم يذهبون إلى رأي سفيان"، وهل المقتدى بهم سكتوا عن المنكرات؟، ولو أنهم فعلوا، أيجوز الاقتداء بهم في ذلك؟.

وهل المنكرات بعدهم أكثر أم أقل؟

على أن أقوال العلماء يستدل لها ولا يستدل بها.

وقد قال بعض العلماء ناصحًا "لا تكونوا مثلنا فنحن مجرد موظفين"، فكيف نرضى أن نكون مثلهم وهم يحذروننا من ذلك؟ وبعض العلماء قدم استقالته وأخبرني لماذا قدمها؟

أفلا يعارض هذا بهذا على الأقل؟ ولو أن العلماء قالوا ما يعلمون، ولو أن كل مسلم أنكر ما يعلم أنه منكر لما وقعت الأمة في هذا المأزق والذل، ولما اتخذ الناس رؤساء جهالا، ولما نطق الرويبضات، ولما أفتى كل أحد بما شاء، وشرع كل صاحب هوى ما يشاء، ولما أصبحت البدهيات موضع نقاش.

وقد يظن بعض الناس أن قول الحق فتنة وإثارة، وينسى ما تعيشه الأمة اليوم من الفوضى في الفتوى، والغلو في الأحكام، وإنما السقوط في الفتنة هو ترك الشبهات والشهوات تفتك بالناس، والأمة اليوم تنتظر ما يقوله علماء السعودية لتعمل به، فماذا تقول هيئة كبار العلماء هنا في المسجد الأقصى مثلا، وماذا تقول في المواقف الأمريكية والفيتو الأمريكي؟ وماذا تقول في التشبه بالكفار؟ وماذا تقول في القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تهم المسلمين في كل مكان؟ وماذا تقول في قانون (جاستا) وماذا تقول في الإسلاموفوبيا؟.

٦٨- اعلموا وفقكم الله أن المنكرات قد انتشرت وغصّ بها كل مكان وليس الأمر مقصورا على السلطة، وإن كانت مسؤولة على كل حال، وانظروا مثلا داء الوطنية، فلم يعد مقتصرا على من يقول عمن يموت في اليمن، شهيد الوطن أو شهيد الواجب، بل أصبحت الوطنية من المصطلحات

المتداولة شعبيا إلا ما رحم الله فلابد لكم من إبراء الذمة بإصدار بيان عام مفصل تنشره كل القنوات والصحف والمواقع عن حكم ذلك، وقول هذا مواطن وهذا أجنبي، وهل الرافضة والباطنية إخوة لنا في الوطن؟

وما حكم من قال ذلك أو اعتقده؟

واعلموا أن الناس هنا يفعلون ما يحل ومالا يحل، ويقولون (نحن في ذمة هيئة كبار العلماء)، ويقولون (لو أن كذا حراما لأصدرت الهيئة فيه بيانا).

واعلموا وفقكم الله أنه وسد الأمر إلى غير أهله، وتكلم الرجل التافه في أمر العامة، وكثير من الصحفيين أو المراسلين ما هم إلا رويبضات، ولكننا في زمن يخوّن فيه الأمين ويصدّق الكذوب، وينطق الرويبضة، وإن بقي أهل الدين وعلماء الأمة، على هذا الصمت لا سمح الله، فسوف يصبح الرويبضات هم المتنفذون، ولا يصح السكوت عن هؤلاء الرويبضات إحتقارا لشأنهم، فقد كان الجهم بن صفوان جاهلا حقيرا، ثم غلبت الجهمية على الناس حتى عرّضوا الامام أحمد للفتنة، وإذا سكت علماؤنا الأفاضل عما تنشره عكاظ والوطن والرياض وأخواتها وعما في القناة العبرية وأمثالها من فساد فكري وأخلاقي، واحتقروا شبهات عدنان إبراهيم وأمثاله وما يقوله الرافضة من الشرك فسوف يقع المصير نفسه بل أشد.

٦٩- على علماء الأمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والأخذ على يد الظالم والضال، حتى لا تحل بنا العقوبة العامة، ونستحق اللعن كما استحقه بنو إسرائيل، ولا ريب أن علماءنا يعلمون أن الذي يدفع العذاب هو الإصلاح وليس مجرد الصلاح، وأن الله تعالى وبّخ علماء اليهود على سكوتهم ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣]، وكان السلف الصالح يخافون من هذه الآية جدا، حتى قال بعضهم "ما في كتاب الله أشد توبيخا للعلماء من هذه الآية" وقال آخرون "هذه أكثر آية تخويفا للعلماء في القرآن".

نعم بعض أصحاب الباطل لا يجدي معهم مجرد قول الحق، ولا يستجيبون لنقل ولا عقل، بل هم كما قال الله عنهم: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام:١١١]، لكن لا بد من إقامة الحجة عليهم وجهادهم ومجادلتهم، معذرة إلى الله ولعهم يتوبون، وإذا سكت أهل الحق أو أنكروا سرّا فسوف ينقلب المنكر معروفا، والمعروف منكرا، والسنة بدعة والبدعة سنة، ويعمل أهل القرار بآراء الرويبضات!

٧٠- نحن واقعيون جدا، إذ لا نطلب من الحكام في هذه المرحلة، إلا بأن يكونوا كالغرب الذي فيه أصولية نصرانية وأحزاب تسمي نفسها مسيحية، وألا يسجن أحد بتهمة الانتساب إلى "حزب الأمة" مثلا، نعم نحن نقول إن المسلمين كلهم حزب الرحمن، وإننا أمة واحدة ولكن قيام الأحزاب عند المسلمين حق إنساني، وهو خطوة لقيام الأمة الواحدة ووسيلة لا غاية، وهو من حرية الرأي والفكر التي أتاحها الإسلام، وما لم يستخدموا العنف لذلك فأي منكر فيه؟

ولن نذهب بعيدا اليس في إمكان أي فرد في كثير من الدول المجاورة لنا كاليمن والسودان أن يعبِّر عن رأيه وأن ينشئ جمعية أو حزبا أم أن هذا أيضا دليل على فساد عقيدة أهل اليمن أو السودان حيث يخالفون ولي الأمر!!

ونحن واقعيون جدا إذ لا نطالب أحدا أن يكون كالشيخين، بل نريد أن يكون مثل المتوكل مع الإمام أحمد، ومن واقعيتنا أننا نريد أن يكون حكامنا مثل سلطان المغرب الأقصى الشريف محمد العلوي، أو مثل محاضر أو علي عزت بيجوفيتش، وأن يُعطَوا من بيت المال ما يكفيهم كرؤساء الدول الغربية، فالغربيون يحددون راتب رئيس الدولة وتقاعده ويحاكمونه إذا ولّى زوجته أو صهره أو أحد أقربائه، حتى اليهود لعنهم الله أخذوا على شارون أنه ولّى عمري ابنه.

أما أن نتبع الغرب فيما نريد ولا نتبعه فيما لا نريد، فهو كقول اليهود: ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ﴾ [المائدة:٤١].

كما ينبغي أن يعلم علماؤنا الأجلاء وكل الدعاة أن خطة الإفساد والتغريب الحالية تستخدم قفازات ناعمة لزراعة الألغام في بلاد الحرمين وفقا لمنهج "بطيء ولكنه أكيد"، وهو أسلوب شيطاني قديم، تحدث عنه السلف.

ويجب على العلماء التنبّه لخطط المفسدين، وأنهم يغيّرونها حسب مقتضيات الحال، فلما علم اليساريون مثلا أن الشيوعية في شكلها الماركسي أصبحت مرفوضة جاؤوا بشيوعية أمريكية، تختلف عن الماركسية في اللون فقط، فدعوا إلى نفس ما دعا إليه ماركس، لكن ليس في شكل الثورة الدموية الماركسية، بل في شكل الثورة الثقافية الناعمة، وذلك ما فطن له بعض فلاسفة التيار الأصولي في أمريكا، غير أن علماءنا أولى بالتفطن له.

كما ينبغي لهم أن يحاربوا الفرق الحديثة، على ضوء ما حارب به السلف الفرق القديمة.

فكيف يسكت علماء العقيدة مثلا عن الفرقة اللبنانية المسماة "الأحباش" نسبة إلى مؤسسها عبدالله الهرري الحبشي الجهمي، الذي يدعي أنه أشعري فقط، وللحبشي كتب قد قرأت كثيرا منها، وفيها دعوة صريحة للشرك وإنكار لصفات الله، كما أن للأحباش قبلة خاصة بهم في أمريكا، وفي جدة عالجوا عبدالله الهرري المذكور، وفيها كثير من الأحباش، ومنها يحصلون على المال، وقد سيطروا على المجلس الإسلامي الأعلى في أثيوبيا، ولهم أتباع في الأردن وسورية وفلسطين، ومنهم أعضاء في مجلس النواب اللبناني، وكذلك الرافضة والإباضية المعاصرتين.

كما يجب أن يكون العلماء صخرة عاتية يرهب جانبها اليهود والنصارى، ويحذروا المسلمين من مكر الكفار وخططهم الخفية.

فلما وافقت السعودية دون استشارة العلماء على أن تأتي فرقة من الجيش الأمريكي إلى المنطقة الشرقية كما قال "بيكر" و"تشيني"، تدفقوا بفرق

كثيرة زادت على المليون جندي، ونزلوا في الرياض وجدة والطائف والخميس وينبع، وليس في المنطقة الشرقية فقط، وحملتهم الخطوط السعودية في الدرجة الأولى، واختار الصليبيون الجدد الطريق البرية من ينبع مرورا بالقصيم لكي يمروا قريبا من المدينة النبوية ويوفوا بنذر أرناط "أرنولد" الذي أسر أخت صلاح الدين الأيوبي، ووعد بتدمير قبر محمد ﷺ، وأقسم صلاح الدين إن ظفر به أن يقتله بيده، كما ظهر أن الدولة العثمانية التي تؤمن بالجهاد، لا بالمواثيق المسماة "دولية" كانت مصيبة ومتقدمة، حين حصّنت جدة وينبع والبحر الأحمر كلّه، وحرّمت دخوله على البرتغاليين ثم الإنجليز، ووضعت الحاميات العسكرية في مداخله، وحرمت دخول النصارى جزيرة العرب.

ونشأ كثير من الأزمات بسبب قدوم هؤلاء الكفرة، ومع ذلك كان يجب علينا أن نصدّق أن الله سخّرهم لحماية حرمه، وأن ذلك مجرد استعانة بهم أملتها الضرورة، ولا نقول إنما جاءت فتوى العلماء تأييدا لموقف الحكومة الذي اتخذته قبل الفتوى وليس عملا بها.

ودون إذن العلماء سمحوا للبنتاجون أن يقيم مركزا له في شارع المطار القديم بالرياض، وسمحوا أن تفتح السي آي إيه مقرا لها في السعودية، وكثيرا مما نعلمه ولا نعلمه، وكل ذلك بذريعة أن العلماء أجازوا الاستعانة.

وقد سُجن معنا في الحائر بعض الطيارين السعوديين أتعمد ألا أذكر أسماءهم، كما أوذي كل خطيب اعترض على قدوم هذه القوات، وأثناء ذلك قابلت بعض المفكرين أو الاعلاميين الأمريكيين ووصلت إلى قريب من قادتهم العسكريين، ورأيت طيرانهم، وقرأت مجلاتهم مثل التايم، والنيوزويك، واضطرنا الأمريكيون لشراء الأشرطة اللاصقة التي تنتجها شركاتهم، لكي لا تقتلنا الأسلحة الكيماوية، التي اعترف الامريكيون بعدم وجودها بعد احتلالهم للعراق لاحقا، وقالوا إن سفيرتهم في بغداد "جلاسبي" خدعت صدام حسين حين قالت له إن احتلال الكويت قضية عربية لا تهم أمريكا!!

واعترف الرئيس بوش بنفسه أن الاستخبارات الأمريكية ضللته، ومن الذي وافق على إنشاء وحدة التضليل غيره، واكتفت أمريكا أول الأمر بالكويت لكنها أوعزت إلى شيعة العراق أن يثوروا على صدام حسين!!

والمخطئ في نظر بعض الناس هو "البرلمان التركي"، الذي لم ينطل عليه الكذب الأمريكي، ورفض أن يستخدم الجيش الأمريكي قاعدة "أنجرليك" التركية في حربه ضد العراق، مع أن تركيا عضو في حلف الناتو مع أمريكا، ومن العجب أن هؤلاء المساكين يصرحون أن السودان أو قطر سمحتا للقوات التركية التي يسمونها أجنبية! دون أن نسمع لهم نأمة ضد القواعد الأمريكية! فهل الأجنبي هو المسلم؟

كما يجب على مشايخنا الكرام الاطلاع على ما يكتبه أعداء الإسلام من فلسفات وإلحاد، والتحذير من الأصولية الكتابية والشعبوية في الغرب، وكذا حزب بهارتيا جانتيا الهندوسي، الذي يقول: إنه أكبر حزب في العالم، وماذا يجب على المسلمين حيال إخوانهم في فطاني، أو إفريقيا الوسطى، والشيشان، وبورما.

ولو أن كل مخالف يُسجن، لكان أولى بالسجن من يخالف هيئة كبار العلماء حين كان على رأسها الشيخ عبدالعزيز بن باز، ويكتب رأيه في الفتوى نفسها.

وما القول بمخالفة العلماء إلا ذريعة فقط، أما الحقيقة فهي مخالفة السياسة الرسمية ولو كان المخالف ناصحا مُشفقا.

٧٣- يجب على العلماء قول الحق لكل أحد، وألا يكونوا خوارج مع هامان مرجئة مع فرعون، فلو أن الله هدى فرعون لاهتدى هامان تبعا له، ولو أن فرعون أمر بمنع كذا لمنعه هامان، ومن المنكرات المتفشية اليوم ألا يسمحوا لمن يعظ إلا أن يكون مرخصا له، وأنهم يحصرون الفتوى أيضا في جهة محددة، ويحصرون الإنكار أيضا على جهة معينة في منكرات محدودة، والصلاحيات آخذة في التقلّص شيئا فشيئا، كما قلصوا العمل الخيري

وجعلوا الأوقاف تحت سيطرتهم، وجعلوها موردا من الموارد المالية، وقرنوا الزكاة بضريبة الدخل.

وهناك أوامر كثيرة مخالفة للكتاب والسنة لا يجوز للمؤمن أن يعمل بها.

٤٧- وعلى العلماء -أعانهم الله وسددهم- أن ينظروا إلى أي أمر من جوانبه كلها، وأن ينظروا إلى سيرة كل أحد من جميع نواحيها، ولا ينخدعوا ببعض المظاهر أو الأخبار والادعاءات، فالأهداف المختلفة تلتقي، والمصالح تتشابك، وقد يقول الإنسان أمرا، أو يتظاهر بما ليس في قلبه، والله أعلم بالنيات، ولكن من رحمته تعالى التي وسعت كل شيء، أن المنافقين لا بد أن تظهر منهم أقوال، وأن تنبئ عن باطنهم أفعال لا تخفى على الذين يستنبطونه من أهل العلم، وقد قال النبي ﷺ (إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر)، وقد يكون أحد عمل لاستعادة ملك آبائه وأجداده، ويكون في ذلك نصرة للدين في الوقت نفسه. ولما قال الصحابة عن بعض مواليه "هنيئا له الشهادة" قال ﷺ: (كلا والله؛ إن الشملة التي غلّها يوم خيبر لتشتعل عليه نارا).

ولما قتل قزمان سبعة أو ثمانية من المشركين جاءه بعض الصحابة يبشرونه بالشهادة، فقال علام تبشرونني وإنما قاتلت دون أحساب قومي؟!

وبنى المنافقون مسجدا للضرار خُدع به كثير من المؤمنين، ولكن الله أبان عن حقيقة أهداف المنافقين من بنائه.

وما أكثر مؤسسات الضرار في عصرنا من جامعات ومعاهد وروابط ومراكز!

واعلموا أن ترك الإنكار على ما يفعله اليهود والنصارى والمجوس، يجعل العوام يصدقون من يقول من أعداء الدعوة، إن الوهابية صنيعة بريطانية، ولذلك لا تنكر الوهابية على المنافقين ولا تهتم بقضايا المسلمين، ولا تبالي بخرق الإجماع.

٧٥- ولا يصح ترك أحد على ضلاله بذريعة أن حكمه الشرعي معروف، أو أنه تافه لا قيمة له، فهل كان الجهم بن صفوان في عصره إلا

تافها، وهل كان منصور الكسف الرافضي إلا تافها، وهل كان اليهود في المدينة إلا معروفين، ومع ذلك بين الله حكمهم ورد على شبهاتهم في الكتاب وفصّلت ذلك السنة والسيرة، ونحن اليوم نفرح برد عثمان الدارمي على بشر المريسي، ونفرح بما كتبه شيخ الإسلام في الرد على أهل الكتاب في الجواب الصحيح، أو ما كتبه في الرد على الرافضة في منهاج السنة النبوية، ولو أن شيخ الإسلام ابن تيمية قال أمر اليهود والنصارى معروف، وأمر الرافضة معروف، وما أشبه ذلك لحرمنا من هذا العلم الغزير، وما كان باطلا عند جيل قد يأتي بعده جيل يكون هو الحق في نظره، وهل عذبوا الإمام أحمد إلا على ما قاله الجهم بن صفوان وابتدأته المنصورية، وهل بدأ الإلحاد إلا شاذا، وهل بدأت البدعة إلا قليلة، وهل بدأ عبدك الصوفي إلا مجهولا، وانظروا كيف انتشر الإلحاد والبدع والتصوف اليوم.

والرد على المخالف أصل من أصول أهل السنة، وبيان حقيقة المبتدعة داخل في قوله تعالى: ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥]، فلا بد من بيان الحق علنا والرد على أهل الباطل، ولا يلزم من ذلك التصريح باسم فاعله إذا لم يكن في ذلك مصلحة.

وقد قال السبكي معارضا ابن تيمية في رده على الرافضة:

والناس في غنية عن ردّ إفكهم   لشهرة الرفض واستبشاع مذهبه

فمن يتبع العلماء الأفاضل كلامه؟ أهو السبكي أم ابن تيمية؟

وابتدأ الرأي قياساً بذريعة الخوف من الوضع، وابتدأت الترجمة قليلة ثم أنشأوا لها جامعة ضخمة سموها "بيت الحكمة"، ولما اشتغل علماء الحديث بغرائب الإسناد وعواليه -كما قال الذهبي- أفسحوا المجال لظهور الفلسفة والكلام والمنطق، واهتم المعتزلة بدلائل النبوة، وقد كان الإمام البخاري رحمه الله جعل ذلك في أول صحيحه، وقبل البخاري كان القرآن الكريم يرد على أقوال المشركين وينقضها.

ولم يكن أبو الحسن الأشعري إلا تائبا عاد للسنة، ثم انظر كيف انتشر المذهب الأشعري في أكثر الجامعات والمعاهد بعده إلى اليوم.

وفي عصرنا هذا كان الليبراليون مغمورين، ثم صاروا وزراء ورؤساء تحرير ومديري قنوات، وأصبحوا يجاهرون بالعداء الصريح للحق ويدعون علانية إلى ما يسمونه تحرير المرأة أي الدياثة والتبرّج، وإلى الديمقراطية والإنسانية ويسكتون عن التخوض في مال الله ومحالفة المشركين.

وهكذا كل بلاء يبدو أول الأمر تافها أو شاذا أو حكمه معروف.

والعجب أن يترك العلماء هذه الأديان والفرق الظاهرة ويردون على ما ينكره أهله، ولا يصدقه المطلعون.

وينبغي لأهل العلم أن يعلموا أن العداوة الأمريكية للإسلام دائمة، مهما تغير الحزب الحاكم، وأن اللوبي الصهيوني في أمريكا قد يغير اللاعبين ولكنه لا يغير اللعبة، وأن كل صهيوني يترك رئاسة أي مؤسسة صهيونية في أمريكا، يجعلونه في عمل آخر للهدف نفسه، فمثلا هنري كسينجر جعلوه بعد أن ترك وزارة الخارجية مستشارا للأمن القومي، وهو مهندس كامب ديفيد، كما أنه شديد العداوة للإسلام والمسلمين خصوصا ما يسمونه "الوهابية" التي تحث على الجهاد، وعينه بوش الصغير رئيسا للجنة دراسة أسباب أحداث ١١ سبتمبر، أي أن قانون (جاستا) أحد آثاره، ومن توصياته أيضا: أن تلتزم أمريكا مباشرة بحماية إسرائيل ولذلك بنوا قاعدة أمريكية في النقب.

٧٦- ومن صفات العلماء، أنهم لا يصدقون كل ما يسمعون إعلاميا، وأنهم لا يعملون خدما للسلاطين بل لا يأتون إليهم أصلا، وقد قال ﷺ عن سلاطين السوء: (فمن دخل عليهم وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم، فليس مني ولست منه ولن يرد عليّ الحوض).

فإذا كان النبي ﷺ قد تبرأ ممن يصدقهم بكذبهم فكذلك من يصدِّق إعلامهم اليوم، الذي هو مكر الليل والنهار في زمننا، والناطق باسم الأئمة المضلِّين، غير أن السلف أكرموا علمهم واحتفظوا بدينهم وتجنبوا أبواب

السلاطين، ولكي يرى علماؤنا الأفاضل مقدار التحول الاجتماعي حيث أصبح شعار المنافقين هو العلمنة وشعار المتدينين هو الخرافة، ينبغي مشاهدة (العربية) و(الإم بي سي) و(روتانا) وأمثال ذلك.

وأهل السنة يحبون الإمام البخاري مثلا لأسباب كثيرة أهمها: أنه ألف صحيح البخاري المعروف، وأنه تلميذ للإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة وأجلّ شيوخ البخاري، فكيف كان موقف البخاري من ولاة عصره؟

ذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد أن أمير بخارى خالد بن أحمد طلب من البخاري أن يحمل إليه كتاب الجامع والتاريخ وغيرها ليسمع منه، فقال البخاري: "أنا لا أُذل العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة فاحضرني في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا فأنت سلطان فامنعني من الجلوس، فيكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم لقول النبي ﷺ (من سُئِل عن علم فكتمه أُلجِم بلجام من نار).

قال الخطيب "فكان ذلك سبب الوحشة بينهما".

واستمراراً لهذه الوحشة عاقبه الأمير بإخراجه من البلد، كما ذكر الحافظ ابن حجر وغيره.

ولا يجوز للعلماء أن يسكتوا عن الإنكار وقول الحق، بذريعة أن ذلك يستخدمه المعارضون أو تستخدمه (داعش) لأسباب:

أ- أن الله تعالى جعل الفتنة أكبر من القتل في آية وأشد منه في آية أخرى، وغاية ما يفعله الداعشيون هو قتل الأبرياء.

ب- أنه لولا ما يراه الناس من المخالفات لما كان للمعارضة وداعش سامع، ولا يطلب الناس من العلماء إلا إنكار ما هو ظاهر معلوم يراه الموافق والمعارض.

ج- أن السكوت هو الذي يقوّي المعارضة وداعش، ويؤجج الناس على الحكومة والعلماء.

د- أن المعارضة والدواعش أو الشعب إذا قالوا ما هو حق قبلناه فهكذا أمرنا ربنا.

هـ- أن العاقل إذا وضع ما تقوله المعارضة في كفّة، وسكوت أهل العلم في كفّة يترجح لديه أن السكوت أعظم جرما، لا سيما مع افتراض حسن النية والمقصد من الدواعش والمعارضة فهم لم يهبطوا من المريخ، وإنما عاشوا بيننا ورأوا كثرة المنكرات وفشوّ الإلحاد مع سكوت أهل العلم فانطلقوا معارضين باللسان أو باليد.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "الناس يستفظعون سكوت العالم وجبن الجندي".

و- أن سكوت أهل العلم شر بذاته، وهو في الوقت نفسه سبب لازدياد الشر.

ز- أن من تراه الحكومة اليوم عدوا قد تراه غدا صديقاً، وقد كان المخلوع والسيسي أصدقاء لها ثم انقلبوا عليها ثم عادوا يلتمسون الصداقة، والرافضة كانوا أعداء ثم أصبحوا اليوم مواطنين، والمعارضة الرافضية التي كانت في لندن صالحوها، وربما جاء اليوم الذي تصبح فيه إيران صديقة أيضا، وكذا بشار والحوثيون، وكانت تركيا صديقة ثم صارت عدوة، وكانت قطر من ضمن مجلس التعاون الخليجي، ثم صار كما هو معلوم، وهكذا.

ح- أن العلماء أجلّ قدرا من أن يكونوا كالإعلاميين الذين هم مثل الكلاب تنبح متى أراد السيد نبحها، وإذا أمرها بالسكوت سكتت.

ط- أنه لا يصح إهدار مصالح كثيرة في الدنيا والآخرة والنظر فقط إلى مفسدة الأمر والنهي.

ي- أنه لم يرد أي حديث في سؤال الإنسان يوم القيامة عن ولي أمره، وإنما ورد سؤاله عن علمه فإلى متى الكتمان؟ وولي الأمر من جملة الخلق الذين يجب قول الحق لهم، وليس بولي أمر من يرفض قول الحق، ومهما كان

صادقا فعليه واجب وعليكم واجب، وقد قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور:٥٤].

فيا علماءنا الكرام جربوا الزهد وقول الحق علنا، وانظروا إلى النتيجة واعلموا أن من يقتله لسان الحكام (الإعلام الرسمي) أكثر ممن تقتلهم داعش، وإذا كان الدواعش يقتلون الأبدان فهؤلاء يقتلون القلوب!

والعلماء هم الذين يجب عليهم تبديد الأوهام المسيطرة على عقول كثير من الناس، وكشف الشبهات حتى لا يظلوا في أمر مريج، ويعتمد الجاهل على الجاهل، أو يقبلوا من كل أحد ويصدقوا ما يتردد الفضائيات والإذاعات والصحف دون تمحيص، وينصحوهم ألا يغتروا بالأوهام التي يكرّرها الإعلام المتملّق في بلاد الحرمين، ويرددها بعض العاملين فيما يسمى الأمن رجالا ونساء، حتى أن الواحد يكتب بأسماء كثيرة متنوعة، وأكبر هذه الأوهام وهم تحكيم الشرع ووهم الأمن والأمان، وسنورد ما نرى في شكل أسئلة ونرجو من علمائنا الأفاضل بيان ما فيها من صواب أو خطأ على الفاكس المدون على الغلاف، فنقول:

- هل من شرع الله ما يسمونه (تنازع القوانين) كما في نظام القضاء نفسه.
- هل من شرع الله هذا التحول المستمر إلى العلمنة؟
- هل من شرع الله هذه التشريعات الوضعية؟؟
- هل من شرع الله إنشاء كليات للحقوق؟
- هل من شرع الله الربا في البنوك والتأمين والسندات؟
- هل من شرع الله تحاكم الناس إلى المدوّنات القانونية؟
- هل من شرع الله ما تحكم به المحكمة المختصة، أو المحكمة التجارية...إلخ.

- هل من شرع الله كثير من الأوامر التي تعمم على ديوان المظالم، والمحاكم التي يسمونها جزائية؟
- هل من شرع الله الترك المطلق لما في الفقه من أحكام الشركات والعمل بالقوانين، حيث تكون الشركة مثلا إما مساهمة وإما محدودة وإما توصية بالأسهم وإما توصية بسيطة وإما شركة تضامن...إلخ من هذه الأسماء؟
- هل من شرع الله سجن الدعاة إليه وإبقاؤهم هذه المدد الطويلة جدا، مع ترك اللصوص والمجرمين والزناة وشاربي الخمور ومتعاطي المخدرات والملاحدة والحداثيين والعلمانيين وأشباههم؟ والعمل فقط بما يروجه أعداء الدعوة عن أهل الدين وترك هؤلاء الأعداء يؤججون الفتنة كما نفخ الوزغ في النار على إبراهيم عليه السلام؟
- هل من شرع الله هذا التبرج والسفور وكشف الشعر في الفضائيات كالعربية مثلا؟
- هل من شرع الله أن تعطى المليارات لأعداء الله، ويبقى كثير من الشباب هنا بلا وظيفة أو مسكن؟ وتنتشر البطالة حسب الإحصاءات الرسمية نفسها؟
- هل من شرع الله التضييق على الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمؤسسات الخيرية؟
- هل من شرع الله محاربة الحوثيين عسكريا وإعلاميا، مع ترك الإسماعيلية والرافضة والإباضية بلا ردود، وليس تركهم فقط، وإنما وصفهم بأنهم إخوة لنا في الوطن وفي العروبة؟ ويكون من هؤلاء المبتدعة وزراء وسفراء ووكلاء ومستشارون؟
- هل من شرع الله أن تكون حياة السادة والكبراء مثل حياة كسرى وقيصر، لا كحياة رسول الله ﷺ؟

- هل من شرع الله نشر الأكاذيب بأن جيشنا ينتصر في اليمن وأن اقتصادنا متين؟ وأقول: إذا كان الإعلام صادقا أنه يموت من الحوثيين كذا كل يوم فكم بقي منهم؟ وإذا كان الاقتصاد متينا فلماذا اللجوء إلى التخصيص والاقتراض والضرائب ورفع أسعار الوقود وطلب المليارات من رجال الأعمال وبيع أرامكو؟
- هل من شرع الله أن يكون الحرص على معيشة الناس، أهم من الحرص على عقيدهم؟
- هل من شرع الله أن يحب الزعماء أن يحمدوا بما لم يفعلوا؟
- هل من شرع الله أن يضطر الإنسان إلى بيع دَينه المستحق على وزارة المالية نقدا، ولو بالنصف على متنفّذ يستطيع استخلاصه من المالية فورا؟
- هل من شرع الله تقريب الجهلة أو العلمانيين أو كلاب الدنيا وتعيينهم في أعلى المناصب السيادية؟
- هل من شرع الله أن يكون الإعلام والسياسة والاقتصاد في واد، والشريعة في واد آخر؟
- هل من شرع الله تسمية الكفار "الدول المتقدمة" أو المجتمعات المتقدمة؟
- هل من شرع الله تفضيل الغربي الكافر على المسلم في أجرة العمل، دون مراعاة الكفاءة وإتقان العمل؟
- هل من شرع الله دخول اليهود والنصارى جزيرة العرب؟
- هل من شرع الله إقامة الحدود على الضعيف وترك الشريف؟
- هل من شرع الله تعيين الدارس وزيرا إذا كان ينتمي لأسرة معينة مع ترك زميله في نفس الدراسة بلا عمل؟

- هل من شرع الله أن يسكن بعض الناس القصور الفخمة وينفقوا المبالغ الكبيرة بلا حساب ويحجزوا الفنادق والشواطئ بالكامل بينما يسكن آخرون العشش وبيوت الصفيح إن وجدوها؟
- هل من شرع الله ترك الفساد والإلحاد وعبادة الشيطان تتفشى في هذه البلاد؟ مع وضع القيود على الدعاة إلى الله؟
- هل من شرع الله أن تسمي قناة العربية الانتفاضة المباركة في فلسطين اعتداءا؟
- هل من شرع الله إحلال مصطلح "المواطنين محل "المسلمين" الذي تعارف عليه الناس؟
- هل من شرع الله فرض الضرائب على المرافقين للمقيمين العاملين في هذه البلاد؟
- هل من شرع الله عدم محاربة الانتشار المخيف للسحر والكهانة والعرافة والشعوذة ومعرفة الحظ وأشباه ذلك؟
- هل من شرع الله عدم محاربة انتشار المخدرات بهذا الشكل الفظيع؟
- هل من شرع الله استقدام الجيوش من بلاد كافرة؟
- هل من شرع الله هذه المعازف ومزامير الشيطان، التي في القنوات التلفزيونية أو الفضائية والإذاعات الرسمية؟
- هل من شرع الله منع الكتب الإسلامية بحجة وجود آراء مخالفة؟ ومن بينها كتب أئمة الدعوة النجدية؟ بينما تترك الكتب والروايات والدواوين الإباحية؟
- هل من شرع الله إثارة الشهوات والغرائز، ودغدغة المراهقين وصرف الناس عن الجدّ باللهوالمحرّم؟
- هل من شرع الله إهمال التقويم الهجري، والحديث عن حج عام ١٩٩٧ لأول مرة في التاريخ؟ وجعل الميزانية في أول يناير بدلا من رجب؟

- هل من شرع الله الاحتفال بما يسمى اليوم الوطني بزعم أنه أول الميزان، مع العلم أنه أول الانقلاب الفصلي وهو اليوم الذي كان العرب يلعبون فيه في الجاهلية، وهو دائما في ٢٣ سبتمبر؟
- هل من شرع الله الحكم على الزوج بغرامة خمسين ألف ريال إذا ضرب زوجته الناشز؟
- هل من شرع الله السكوت عن البدع الظاهرة من الإسماعيلية والرافضة والصوفية وكل أصحاب البدع الظاهرة، بحجة الوحدة الوطنية واللحمة الاجتماعية؟
- هل من شرع الله التخوض في مال الله بغير حق، وعقد الصفقات الضخمة مع دول الكفر مثل أمريكا وبريطانيا وفرنسا وروسيا وغيرها؟
- هل من شرع الله إكرام جنبلاط، وجعجع، وشهاب، وعون، وأضرابهم من الدروز أو النصارى؟
- هل من شرع الله إعطاء السيسي مليارات كثيرة من الرز يحارب بها الدِّين، ويساعد بها إيران وبشار وحفتر؟ ويستعين بها على إحكام حصار غزة؟
- هل من شرع الله البحث عن الرافضي موسى الصدر، وترك أهل السنة في العراق يبادون؟
- هل من شرع الله التخلي عن المسجد الأقصى المبارك، ليدنسه اليهود ويحفروا تحته الأنفاق كما يشاؤون؟
- هل من شرع الله الوقوف مع عباس أو دحلان وزمرتهما ممن لا يرى جهاد اليهود؟
- هل من شرع الله محاورة اليهود والنصارى، وغيرهم وفق شروط يضعونها هم لا وفق كتاب الله كما أمر؟

- هل من شرع الله تحويل الجيش من مجاهدين في سبيل الله لا يأخذون أجرا، إلى مرتزقة يسعون للكسب المادي، ويتخذه الكبراء وسيلة للنهب غير المحسوب؟ وأن يضعوا له الميزانية الضخمة التي لا يعرف الشعب أين تذهب ولا كيف تصرف؟ إنما الثابت أن دبابات الحوثيين أكثر من الدبابات السعودية! وأن الشاحنات العسكرية السعودية قديمة وأن بعض الأسلحة رديئة وأن الكمامات من أيام الحرب العالمية الأولى! وأن بعض الدبابات تسخِّن وهي لا تزال على جسر الميناء!
- هل من شرع الله فتح فروع للشركات الأمريكية في كل شارع مع أنهم نصارى، أو ملاحدة، ومع أن ترامب يقول ما يقول، والكونجرس الأمريكي يُصدر عندهم قانون (جاستا)، والمبتعث السعودي يقتل؟
- وهل من شرع الله أن يكون ما يقوله "ضاحي خلفان" أصدق مما يقوله كثير من العلماء والدعاة؟
- وهل من شرع الله إنشاء ما يسمى مجلس التعاون الخليجي، بدلا من اعتبار التضامن الإسلامي مقدمة لإعادة الخلافة؟
- هل من شرع الله تعظيم الآثار ولو كانت من أصنام قوم نوح مثل "نسر" المحفوظ في المصمك، وتشجيع الاستثمار في مساكن المعذبين كمدائن صالح، والاحتفاء بنقوش الفراعنة كنقوش رمسيس، وإحياء أسواق الجاهلية كسوق عكاظ؟
- هل من شرع الله تناسي الفتوحات الإسلامية العظيمة وسير أبطال الجهاد؟
- هل من شرع الله انتشار الرشوة، والفساد الإداري المستشري؟
- هل من شرع الله منع صلاة الاستسقاء إلا بإذن عام من ولي الأمر يشمل من أمطروا ومن لم يمطروا؟

- هل من شرع الله إقامة تحالف استراتيجي وصداقة مستمرة مع دولة تبيح فاحشة قوم لوط قانونيا؟
- هل من شرع الله دفع المليارات للحزب الجمهوري الذي يتزعمه بوش وترامب وينشر الإسلاموفوبيا؟ ويخصص مليارات الدولارات للتنصير.
- هل من شرع الله حضور رؤساء الدول الصليبية قمة خليجية كما حضر أوباما وأولاند وتريزا ماي؟
- هل من شرع الله أن يرسم الكفرة صورا مسيئة للنبي ﷺ؟ وهل نرضى أن تكون هذه الرسوم لنا أو لأبينا؟ لا أعني بذلك فرنسا وحدها ومجلتها شارلي إيبدو؟ بل حتى الدنمارك والنرويج وكل أبتر يشنؤ رسول الله ﷺ ويؤذيه بأي نوع من أنواع الأذى؟ أوليس رسول الله ﷺ أغلى عندنا من آبائنا؟
- هل من شرع الله السكوت عمن يسمي رسول الله ﷺ ماهوت أي الكلب -حاشاه من ذلك-، ويسمي الإسلام هرطقة إسماعيلية كما يقول الغربيون؟ وترك كتب المستشرقين وآرائهم تنتشر؟
- هل من شرع الله أن يكون المطلوبون أمنيا كلهم من أهل الإسلام وإن أخطأوا وليس بينهم علماني واحد مهما ألحد، ولم يكن معنا في الحائر علماني واحد؟ وكذلك اليوم لا في الحائر ولا في ذهبان ولا في غيرها؟
- هل من شرع الله ترك الكفر الظاهر المعلن يستشري، واشتغال العلماء بالرد على الموتى من الدعاة، والجري وراء ظنون وتخرصات وهمية يختلقها المفترون أو الزنادقة؟
- هل من شرع الله الرد على الطريقة الحفصية مثلا، وترك الطريقة العزمية مع أن زعيمها "أبو العزائم" في مصر، له مؤلفات صريحة في

الرد على ما يسميه الوهابية والطعن في الدولة السعودية، وله علاقة قوية بإيران؟

- هل من شرع الله إبقاء خرافة مكتبة المولد ليستقبلها الجهلة في صلاتهم، ويستدبرون الكعبة المشرفة كما رأيت؟
- هل من شرع الله تحديد عدد الحجاج، وتحديد أشهر العمرة وتحديد إقامة الحجاج أو المعتمرين بذريعة أنهم أجانب؟ وزيادة رسوم التأشيرات عليهم؟ وربح المليارات من ورائهم مع تشجيع السياحة إلى البحر الأحمر والدعاية الدائمة لتكثير السواح؟
- هل من شرع الله تسمية المعتكف في بيت الله متخلفا؟
- هل من شرع الله ترك التعاطف مع حكومة طالبان، مع نصرة حيدر العبادي وتسمية الرافضة: الجيش العراقي أو القوات العراقية؟
- هل من شرع الله التطبيع مع اليهود تدريجيا والمناداة الدائمة بتطبيق المبادرة العربية للسلام التي وضعها اليهودي "فريدمان" مع منع الناس من التبرع للمجاهدين ومراقبة حسابات المتبرعين؟
- هل من شرع الله ترك بعض دول مجلس التعاون تبني كنائس للنصارى، وبيوتا للمجوس وحسينيات للرافضة؟ وتضع غرامات ثقيلة على من ينشر ما يسمونه خطاب الكراهية للأديان؟
- هل من شرع الله اعتبار الحكومات العلمانية حكومات شرعية لمجرد أن الجهلة المخدوعين انتخبوها كما يقال؟
- هل من شرع الله هذه الجعجعة الدائمة عن الوطن، والترك المطلق لتحكيم الدين؟
- هل من شرع الله تسمية المقتول من الجيش أو الشرطة شهيد الواجب؟
- هل من شرع الله أخذ البيعة الثلاثية وتقنين أن الحكم وراثي؟ وهل تولى محمد بن أبي بكر الصديق أو عبدالله بن عمر؟

- هل من شرع الله فتح بلاد المسلمين لشركات الكفار ومؤسساتهم حتى للمجوس والهندوس؟ والتسلل إلى أهل الغلو؟
- هل من شرع الله ترك البطالة تفتك بالشباب فينحرفوا إلى التفحيط وتعاطي المخدرات والمغامرات غير المحسوبة؟

أخيرا هذه مجرد أمثلة غير مستقصية وأنتم أعلم مني بأمور أخرى، لا سيما مقالة (حنا شرعها وفرعها)، فإلى متى عدم البيان؟

كما أن من أكبر الشبهات المضللة للناس، التي يجب عليكم كشفها شبهة الأمن والأمان؟

والأمر أوضح من أن أطيل فيه ولذلك سوف أختصر وأذكر بعض ما يحضرني الآن من الأمثلة:

- هل من الأمن والأمان أن تنتشر الجريمة بهذا المستوى الفظيع، وفقا للإحصاءات الرسمية نفسها؟ مع أن كثيرا من الناس لا يبلّغ عن الجرائم الواقعة عليه؟
- هل من الأمن والأمان أن تقتل العصابات الضابط المحقق، وتعتدي على الشرطي في الشارع وعلى المدير في مكتبه؟
- هل من الأمن والأمان أن يكون للطرق قوات أمن؟
- هل من الأمن والأمان ألاّ يستطيع أحد إظهار ما لديه من النقود؟ وألا يتركها في درج سيارته؟
- هل من الأمن والأمان أن يتعرض الإنسان للقتل لمجرد خروجه من أحد المصارف أو وقوفه أمام الصراف الآلي؟
- هل من الأمن والأمان أن تهاجَم البنوك والصناديق في وضح النهار؟
- هل من الأمن والأمان أن تكون كثير من الدول في المراتب المتقدمة أمنيا بينما تكون بلاد الحرمين في ذيل القائمة. كما أخبرني بذلك مسؤول أمني رفيع المستوى؟

- هل من الأمن والأمان ألاّ تستطيع الفتاة عبور الشارع إلا ومعها مرافق؟ ويضطر من يسافر بأهله أن يكون معه سلاح؟
- هل من الأمن والأمان أن يصور السراق سرقتهم ولا يخافون من أحد؟
- هل من الأمن والأمان أن يستطيع اللص القدوم من بلاد بعيدة وينهب ما يريد؟
- هل من الأمن والأمان إيهام الناس بالحيل التي تفعلها بعض الجهات الأمنية حين تقيم حد القصاص على من حكم عليه القضاة بالقصاص بسبب جريمة محددة أو جرائم عدة، وإيهام الناس أنه أمير أو أنه مرتكب جريمة كذا وكذا وهي جرائم أخرى ارتكبها غيره ليطمئن الناس؟
- هل من الأمن والأمان أن تقول الشرطة لمن يستنجد بها في البحث عن ضالته (هذا كثير والله يخلف عليك) أو (تاخذها يوم القيامة)؟
- هل من الأمن والأمان ألاّ يأمن أحد على عرضه وبيته وسيارته؟
- هل من الأمن والأمان هذه التحذيرات المستمرة من الوزارات والإدارات الرسمية عن ضرورة الاحتراس والتحري؟
- هل من الأمن والأمان كثرة القتل بطرق بشعة كالإحراق للوالدين؟
- هل من الأمن والأمان أن يتحدى الناسُ رجالَ الشرطة ولو كانوا مسلَّحين؟
- هل من الأمن والأمان انتشار الاختطاف، لا سيما اختطاف أبناء بعض التجار مقابل فدية مالية؟
- هل يستطيع أحد ممن يتذرّع بالأمن والأمان الاستماع إلى مكالمات الدوريات في ليلة واحدة، في مدينة واحدة؟
- هل من الأمن والأمان هذه الاعتداءات الجنسية المتكررة حسب الإحصاءات الرسمية؟

- إذا كان الأمن والأمان موجودا، فلماذا فرض حظر التجوال بطريقة غير مباشرة؟ على الأسواق وغيرها؟ والتعميم بأن على المحلات أن تغلق أبوابها في الساعة الفلانية؟
- هل من الأمن والأمان هروب البنات بشكل مستمر؟ وما أكثر ما لا يبلّغه ولاة أمورهن.
- هل من الأمن والأمان أن رجل الأمن أصبح هو الخائف وهو المعتدى عليه؟

أليست دعوى تطبيق الشريعة مثل دعوى السادات أنه الرئيس المؤمن وكذا دعوى الأمن؟

أيها العلماء الأفاضل: وسائل الإعلام تفخر كثيرا بمحاكمة وزير ولى ابنه، واصفة ذلك بأنه حادثة تاريخية فلم لا تصدرون فتوى بذلك يلتزم بها الحاكم والمحكوم والصغير والكبير؟

وهل يقصد الإعلاميون الوزير الفلاني أو المدير الفلاني أم أن ذلك مجرد مثال؟ وكيف يطعن الليبراليون في العائلة الحاكمة في دولة كذا، ويبينون فضائحها بينما يقصدون غيرها؟ واللبيب بالإشارة يفهم.

فمثلا، يشجعون المظاهرات في إيران، ويقولون إن حكومة الملالي تنفق المليارات في الخارج، وإن الملالي يولون أقرباءهم!! وغير ذلك، فأبدل كلمة الملالي بغيرها وانظر ما الفرق؟

قد يقال إنكار كل هذا من التكاليف الباهظة، ونحن لا ننكر أن ذلك شاق لكن نقول: هل سلعة الله رخيصة؟ وهل يمكن حصول متاع الدنيا القليل بلا تكاليف؟ وهل الذل والسكوت لا تكاليف لهما؟

ومن واجبات العلماء الكثيرة والتي سيأتي ذكر بعضها: بيان حكم الولاء للكفار لا سيما من تسميه دول الكفر (رَجُلَنا).

كما أن من واجبات العلماء إعلان الجهاد والدعوة إلى النفير العام، وعلى الحكومة تدريب المتطوعين لذلك، والكف عن اتهام أهل الدين

بالتطرف والإرهاب والتحجر الفكري، فمنهم سيكون المتطوعون وهم الذين سوف يحمون المقدسات لوجه الله.

وقد ثبت أن التحالف العربي هو تحالفات أما الاعتماد على الجيش السعودي وحده فقد تبيّن أنه غير مجدٍ في معركة اليمن، وقد نشر الإعلام السعودي نفسه أن الحوثيين يستهدفون قبلة المسلمين وبيت الله الحرام، وأنهم قد أطلقوا صواريخهم مرارا تجاه منطقة مكة المكرمة، وأطلقوها فعلا تجاه الرياض، ولا ينفع مقالات يكتبها عبدالرحمن الراشد وأمثاله في صحيفة الشرق الأوسط، ولا برامج تسبهم على طريقة (أوسعتهم شتما وساروا بالإبل)!

وقد كانت عاصفة الحزم موجهة لاسترداد صنعاء من الانقلابيين، فأصبحنا نخاف على جازان ونجران؟ بل على الرياض والديوان! حتى القمة العربية تقام في المنطقة الشرقية ولا تقام في الرياض خوفا من صواريخ الحوثيين.

وكيف يكون الجيش المقابل أكثر من الجيش السعودي في عدد الدبابات، أما المعنويات لدى الجيش فهي هابطة لدى الكثير منهم، بل إن بعضهم يتهرب بدعوى أنه مريض أو مصاب، بحاجة إلى العلاج في المستشفيات وكيف تكون المعنويات عالية والجيش يحارب قوما يزعم عادل الجبير أنهم اخوانه وجيرانه؟ أما الغرب فيريد إطالة الأزمة كي يبيع السلاح للطرفين.

هذا مع الحوثيين وحدهم، فكيف لو هاجمتنا معهم إيران والرافضة من الشرق، واليهود والهاشميون وروافض العبادي والجعفري من الشمال، واستمر الاعلام الغربي في صمته إن لم يكن في تأييده للمهاجمين ضد الإرهابيين الوهابيين! واستمر سعي الغرب للتقسيم والتفتيت فتصبح السعودية عدة دويلات كما نشروا ذلك في أمريكا وإسرائيل! ولم يعد التقسيم سرا كما كانت (سايكس بيكو)، بل نشرته مجلة الجيش الأمريكي نفسه وبينته خارطة

الدم وغيرها، وقد شرعت أمريكا في تنفيذ ذلك حين أقنعها اللوبي الصهيوني ببناء قاعدة أمريكية في النقب.

ومع ذلك كله نجدهم يقولون إن تجنيد الفتيات ضروري، فماذا أغنى عنا الرجال؟

وفي نظري القاصر يجب على العلماء مقاومة التبعية للحضارة الغربية ومقاومة غزو الغرب ومن ذلك:

١- إنكار هذا التحول الاجتماعي الكبير نحو العلمانية، وبيان حقيقة التوحيد وأنواع الشرك العصرية والموروثة.

٢- إظهار حقيقة دعوى بعض الناس أنه على عقيدة الإمام أحمد وأنه يتبع الحديث والأثر، وبيان كيف كانت سيرة الإمام أحمد؟

- ٣- ضرورة التجديد وتغيير أسلوب الدعوة ومن ذلك فيما أرى:
- ترك الإنكار سرا في الأمور التي يعملها الناس علنا، وضرورة الإنكار المستقل، واعتزال السلاطين كما سبق.
- تعميم التذكير والإنكار في كل مكان من كل مؤهل، كما أمر الله ورسوله ﷺ وبيان وجوب ذلك على كل طالب علم، وتمزيق أي ترخيص بذلك من البشر.
- تطبيع الدعوة لا سيما في جزيرة العرب وتعويد الشعب عليها.
- اعتقاد أن كل المسلمين سواسية وأنهم أمة واحدة مهما اختلفت ألوانهم وأوطانهم ومهنهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا﴾[الحُجُرات:٩].
- بيان الحق لكل مخالف ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].
- رد افتراءات الإعلام: قنوات وصحف ومواقع ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥].

- الصبر على كل بلاء أو أذى قد يقع كما قالت الرسل: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم:١٢]، وعادة الناس المؤمن منهم والكافر التعاطف مع المظلوم.
- المراجعة المستمرة للنفس كي نظل على منهج الكتاب والسنة كما فهمهما سلفنا الصالح، دون النظر إلى كثرة الأتباع أو قلتهم، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود:١١٢]، وقال عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠]، وقال عن المقاتلين مع طالوت ﴿فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٩]، وهذا أحد التصفيات لجيش طالوت.
- الاعتناء بالأخلاق الإسلامية والمظهر الإسلامي للرجال والنساء، ومخالفة اليهود والنصارى والمجوس.
- فضح المنافقين وتحذير الأمة منهم.
- الموازنة بين الخوف والرجاء.
- مناصرة كل من دعا إلى الله في أي مكان وإتاحة الفرصة له لكي ينكر أو يقول ولا حكم عليه إلا حكم القرآن والسنة.
- التفريق بين ما هو من وسائل الدعوة وما هو من وسائل إقامة الحجة.

كما أن من واجبات العلماء لا سيما علماء أهل السنة في الرياض ومكة والمدينة وبريدة واليمن والكويت وعامة الجزيرة، ولا سيما من تسميهم القرارات "هيئة كبار العلماء" ما يلي:

- الاعتزال الفوري لأهل الدنيا بالتقاعد أو بأي وسيلة مناسبة، كما فعل الامام أحمد بن حنبل رحمه الله.
- الزهد في أي جاه أو منصب.
- الأمر بإزالة البدع والخرافة دون تأخير ولا يستشيرون في ذلك أحدا.
- الاطلاع الواسع على الجاهلية الغربية المعاصرة.

- بيان شمول الإسلام وأنه ليس فيه إسلام سياسي وآخر طقوسي.
- زيارة الحجاج والمعتمرين والدعوات الإسلامية في كل مكان.
- ترك الاشتغال بما غيره أولى منه وأهم، مثل بعض الفتاوى، وما ليس تحته عمل والطعن في الجماعات الإسلامية دون ذكر إيجابياتها وهذا مجافاة للعدل الذي أمر الله به.
- التحذير من الإرجاء ومناظرة أهل الغلو بكل حرية.
- إصلاح القضاء، وجعل الشريعة هي المرجع في كل شيء، وإحالة كل قضية إلى حكم الشرع فقط، كما أفتى الشيخ محمد بن ابراهيم والشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله بن حميد والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين رحمهم الله جميعا، وكل عالم أو داعية.
- الاشراف المباشر على كليات الحقوق، أو أقسام الانظمة أو الادارات القانونية وإلغاء كل ما يخالف الشرع منها ولا تدرّس القوانين إلا على سبيل بيان ما فيها من عوار وبذلك أفتى الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله من قبل.
- تغيير الأوضاع والأحوال لكي توافق عقيدة أهل السنة والجماعة حقا، ويكون ذلك فورا أو بالتدريج كما يقررونه هم.
- رفض التطبيع مع العدو الصهيوني، والوقوف الكامل علنا مع المجاهدين في فلسطين والاهتمام الدائم بالمسجد الأقصى، وبيان ما ورد بشأنه من الآيات والأحاديث وتوجيه الشباب لتحريره، بدلا من قتل المعصومين.
- أن يكون لهم إعلامهم المستقل بكل وسائله، فهم ليسوا أقل من أدمورات اليهود لعنهم الله.
- فتح باب التبرع والعمل الخيري، وحظر مراقبة الحسابات.
- منع المحرمات، ومنها الربا والتبرج وما هو أشد: كالتحالف مع الكفار، والمنع المطلق للحفلات الغنائية، وفتح دور للسينما وإن فتحها المتنفذون وجب على الجمهور مقاطعتها.

● تقوية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعميم الإنكار وليس استجداء أحد أن تعود الهيئة كما كانت، فقد كانت ضعيفة ويريدون إضعافها أكثر.

● توعية الناس بما يجب عليهم وما يجب لهم.

● إصدار بيانات عن حق الرعية على الراعي، وبيان حكم الأمراء الذين نعرف منهم وننكر، وما صح بشأنهم مثلما صدرت مؤلفات عن حق الراعي على رعيته.

● بعض العلماء سكت سابقا وبعضهم أنكر سرا، وبعضهم أقرّ بأنه لا شأن للعلماء بكذا، وبعضهم قال: أنا لا أتجاوز نظام هيئة كبار العلماء، وقد آن لكم يا علماء التوحيد أن تنطقوا وتجهروا بالحق ولا تتجاوزوا الكتاب والسنة، لا سيما بعد جهر الملاحدة بأن علينا التخلي عن ابن تيمية وقول بعضهم: إن سبب الإرهاب هو التيمية والوهابية! وسعى المفسدون لتغيير المناهج، وإحلال اللاعبين محل الصحابة والتابعين، وإحلال دولة الرفاهية محل دولة الإيمان، فماذا تنظرون؟

● ويجب الرد على من قال إن مناهجنا التعليمية تعلم الإرهاب لأنها وهابية، ومن العجب أنهم أقالوا وزير الشؤون الدينية في تونس لما قال إن الفكر الوهابي هو مصدر التكفير والإرهاب، بينما قال ذلك بعض الصحفيين والكتاب في هذه البلاد، و لم أسمع أن أحدا منهم تعرض لشيء.

وقد طالب الرافضة ببناء مقامات لهم في البقيع وغيره، وذلك منشور في جريدة الحياة التي يموّلها الأمير خالد بن سلطان، ويقول الإعلام هنا إنهم -أي الرافضة- إخوة لنا في الوطن، تبعا لمعالي وزير الخارجية! وإننا لسنا مذهبيين ولا طائفيين مع استهداف الحوثي حسب الإعلام الرسمي والناطق الرسمي مكة واستهدفوا الرياض فماذا بقي لكي تكون المعركة عقدية؟

وقد اقتضت السياسة غير الحكيمة السماح لدولة الامارات أن تبني كنيسة للنصارى وبيت نار للمجوس و لم تعترض على ذلك هيئة كبار

العلماء، ولم تقطع السعودية العلاقات معها، ومن حق الإماراتي رسميا باعتباره مواطنا خليجيا التملك في أي مدينة سعودية فلو أنه بنى كنيسة أو بيتا للنار لكان ذلك من حقه القانوني؟ ومن الذي سوف يعترض عليه وقد أجاز ولي الأمر أن يتملك ويفعل في ملكه ما يشاء؟ فهو أخ شقيق خليجي كما يقال.

ونحن متبعون ولسنا مبتدعين، ومسبوقون بسير علماء الإسلام من السلف الصالح فلم لا نكون مثلهم؟

وقد استدعى الحجاج بن يوسف علماء اليمن وقيل انه استدعى طاوس اليماني رحمه الله ليسأله عن أخيه محمد بن يوسف (والي اليمن آنذاك)، فقال الشيخ: عهدته خراجا ولاجا سمينا معافى! فقال له الحجاج لم أسألك عن هذا بل عن سيرته فيكم؟ فقال: هو والله ظالم غشوم!

ولما استسهل الناس التعاقد مع الكفار أو سكت العلماء توافد الكفار من كل حدب وصوب إلى هذه البلاد المقدسة، لكي يتدربوا وليعودوا إلى بلادهم خبراء لهم قيمتهم وتجربتهم، كما تدرب الكوريون على أعمال الكهرباء، وتدرب الكَنديون على الاتصالات، وتدرب الأمريكان والبريطانيون على الأعمال العسكرية، وجربت كثير من الدول كالصين وفرنسا أسلحتها هنا.

كما جرب اليابانيون كل منتجاتهم في هذه البلاد، وعمل كثير من الهندوس في الورش والأعمال الهندسية والطبية فوق عملهم في نشر دينهم.

ألا يجب طرد كل كافر لأنه أجنبي على الأقل؟

أليس على العلماء مسؤولية في ذلك، وقد قال ﷺ: (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب)؟ وقال: (لا يجتمع فيها دينان) وفي رواية (قبلتان)؟

وينبغي للعلماء أن يكونوا زهّادا في الدنيا يرضون بالكسرة وبالقليل من المال، ويزيحوا الرضاعة عن أفواههم فماداموا يرتضعون فلن يستطيعوا الكلام، وقديما قال أحد الشعراء:

قالت الضفدع قولا صدقته الحكماءُ
في فمي ماءٌ وهل ينطق من في فيه ماءُ

قال ابن القيم ما مختصره: "كل من آثر الدنيا على الآخرة فلابد أن يقول على الله غير الحق في حكمه وفتواه لا سيما وأن أهل الرئاسة تتعارض شهواهم مع قول الحق".

وقد فطن لذلك السلاطين فأغدقوا على العلماء الأموال والبيوت والسيارات، وأهدوا لهم الهدايا ليوافقوا على سياساهم، وليس الزهد قديما فقط بل أنا زرت ورأيت بعض علماء الحديث في لاهور وكيف يعيشون، وبذلك كتب الله لعلمهم القبول والانتشار، وكل الشعب يعظمهم أكثر مما يعظم رؤساء الدولة، وقارنت حالهم بحال أحد أعضاء هيئة كبار العلماء في السعودية الذي كتب مع الأسف إلى الديوان الملكي يقول "جاء رمضان وما جاءنا التمر"!!

وصدق العز بن عبدالسلام لما قالوا له: إن السلطان سيرضى عنك إذا قبّلت يده، فقال: والله لو قبّل هو يدي ما رضيت، يا قوم أنتم في واد وأنا في واد".

وعليكم -وفقكم الله- نصح الشباب بترك الاستعجال، والكتابة للحكومات الغربية ألا تستفزهم.

فالواقع هو أن أعمال بعض المتعجّلين من المسلمين إنما هي رد فعل للعنصرية الغربية والاستفزاز الغربي، وليس فعلا ابتدائيا منهم.

وكلما شعر الغرب بافتقار حملته على الإسلام إلى مبررات، استفز المسلمين، واستخدم ردات الفعل على استفزازه حجة لزيادة عداوته، وبعض المحللين يقولون إن نوري المالكي إنما ترك الموصل لتنظيم الدولة بأمر من

سادته، لكي يستخدموا الإرهاب شماعة لحرب الإسلام، ويدمروا أكبر مدينة سنية في العراق، ومنها خرج آل زنكي لجهاد الروم.

ثم نقلوا داعش إلى أفغانستان ليبرروا عجزهم عن القضاء على طالبان، وليبرروا استخدام أي سلاح.

وعلى هيئة كبار العلماء في السعودية أن ترد على هذه الاستفزازات وتخاطب رؤساء الدول بما يفعله مواطنوها، مثل إحراق القرآن الكريم في أمريكا وأوروبا، ونشر الصور المسيئة للنبي ﷺ في أوربا، وأن تستنكر أي سب للمسلمين، أو ازدراء للإسلام في أي قناة أو صحيفة، فهذا واجبها الذي لا تستأذن فيه أحدا، ولو عملت به لخفّ الاستهزاء بالدين و الجرأة على المقدسات، وقلّت ذرائع المعتدين وشماعاتهم، وقد منع الصهاينة الأذان في المكبرات و لم يصدر بحقهم بيان.

وإن لم تفعل الهيئة ذلك فلتخبرنا ماذا تستنكر وماذا يستفزها؟ وهل بعد إحراق القرآن أو وضع كتاب بديلا له يشبه آيات مسيلمة الكذاب من منكر يحركها!

ومما يجب على هيئة كبار العلماء السعودية، أن تخاطب كل زعماء الكفر من رؤساء الدول والفلاسفة والمفكرين، وتدعوهم إلى الاسلام وتبين لهم محاسنه وفضائله، إقامةً للحجة وإعذارا إلى الله، وإن لم يُسلموا فنحن الأعلون بإيماننا وهم الأدنون بكفرهم، ورسولنا ﷺ بعثه الله إلى الثقلين كافة، وجعله للعالمين نذيرا، وكاتَب كل ملوك الأرض الذين في عصره ولنا فيه أسوة حسنة، والدعوة إلى الله واجبة على كل أتباعه ﷺ وأول أولئك العلماء، ومن لم يفعل ذلك فقد حكم على نفسه بأنه الأدنى، وأن الكفار هم الأعلون وأقر بأن فلسفاتهم متقدمة والإسلام متأخر! وأن إلحادهم وتثليثهم خير من التوحيد، ونكتب لكل منهم حسب عقيدته وحاله، ونقتدي بالرسول ﷺ في أصل الكتابة وليس في النص الحرفي، وانظر كيف كتب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى ملك قبرص.

وهذه المكاتبة لا تخص العلماء وإن كانت عليهم أوجب، بل تجب على كل قادر من المسلمين، لا سيما السلطة التنفيذية والدبلوماسيون.

وليست مهمة العلماء هي الإعجاب بما شاهدوا في المتحف الوطني، بل السؤال عن صنم نسر الموجود فيه وإنكار ذلك، وليقل الغرب عن العلماء أنهم يصادرون حرية الاعتقاد ولا يعبأون بالتراث الإنساني! بل ينشرون خطاب الكراهية ويثيرون العداوات بين الشعوب! ويرفضون التعايش بين الأديان والثقافات، فنحن قدوتنا إبراهيم عليه السلام، أما هم فلن يرضوا عنا حتى نتبع ملتهم، ونحن لا نبالي برضاهم، وإنما علينا البلاغ كما أمرنا ربنا وقد جعل للجنة ملأها وللنار ملأها، فمن شاء منهم فليؤمن ومن شاء فليكفر.

وقد صدق العلماء الذين زاروا المتحف، حين قالوا إن ما في المتحف كأنه حلم في المنام، فمن كان يتوقع أن الأصنام في بلاد التوحيد؟

وعلى علمائنا الأجلاء بيان أن الإسلام بريئ من الخرافات التي اضطرت الرئيس الأمريكي "توماس جفرسن" لحذفها من كتابهم المقدس، وكيف وجد الدكتور موريس بوكاي أنه ليس في الكتاب والسنة ما ينافي العلم عكس ما في التوراة والإنجيل فأسلم.

ونحن لسنا خياليين في مطالبنا، بل نحن واقعيون جدا، فلا نطلب من علمائنا الأجلاء ومن الدعاة الأفاضل ومن كل من يقول إنه من أهل السنة والجماعة، إلا أن يعيش كما عاش الإمام أحمد إمام أهل السنة، قال عبدالله بن أحمد: "كنت أضع طعام المتوكل في الدهليز وأوهمه أن الإمام أحمد أكل منه".

ذلك الإمام الذي التزم بالأحاديث الواردة في الزهد، والنهي عن أبواب السلاطين وبما كان عليه السلف في ذلك، فتورع عن طعام المتوكل دون أن يحرمه، وقال قولته الشهيرة "خرجنا من فتنة الدين إلى فتنة الدنيا".

وعمل بالأحاديث التي وردت في أن فتنة الأئمة أعظم من فتنة المسيح الدجال "أي أئمة الضلال" مع أن المتوكل في الحقيقة لم يكن منهم، ولم يقل الإمام أحمد ما دام ولي أمر فهو أدرى بالمصلحة!

والمتوكل هو الذي وسع المسجد الحرام وأكرم الإمام أحمد وقمع المعتزلة وألزم أهل الكتاب بالغيار.

وإذا كنتم كالإمام أحمد فلكم عند الله وعند الناس منزلة عالية في الدنيا والآخرة، فالعالم العامل يبلغ درجة الصديقية التي ليس أعلى منها إلا درجة النبوة، والعلماء في هذه الأمة كالأنبياء في بني إسرائيل، والعلماء الربانيون يجب عليهم أن يعتزلوا أي منصب أو وظيفة، وأن يزنوا كل شيء بالقسطاس المستقيم، وأن يقودوا ولا يقادوا، ويقولوا الحق أينما كانوا، ولا يخشون في الله لومة لائم، وأن يبدأوا بالمنكر الأكبر قبل ما هو أصغر منه، وأن يجمعوا الأمة حولهم فهي لا تقدِّم على قولهم غيره، ولا تجتمع إلا عليهم، ويجب أن يكون لهم إعلامهم المستقل الذي لا يخضع إلا لهم، ولا دياثه فيه ولا إلهاء، وأن يوقنوا أن ما عند الله خير وأبقى، وأن الدار الآخرة هي الحياة الحقيقة والمستقبل الذي لا بد منه، وأن ينصحوا لله ثم لرسوله ﷺ ثم لأئمة المسلمين وعامتهم، وإذا لم يقبل أحد منهم ما يقولون، فليبلغوا الناس، إذ ربما كانوا أقدر منهم على ذلك، مع ما في البلاغ من دفع عن أعراضهم وإبراء لذمتهم.

كما يجب تغيير طريقتهم السابقة فقد ثبت لكل أحد أنها غير مجدية، وأن ينزلوا أنفسهم المنزلة اللائقة بهم فإن المرء حيث يضع نفسه.

وإذا فعل أهل العلم ذلك قلّ الإرهاب والتزوير، وتقلّصت المنكرات، وقلّ التبرج والفساد، وقلّ التخوض في مال الله وهابهم العدو والصديق، واجتمع عليهم الشباب، وأعظم من ذلك أنهم ينالون رضا الله تعالى، والفوز في الدار الآخرة ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ويكون مدادهم كدماء الشهداء عند الله، وإذا لم يفعلوا -عياذا بالله- سقطوا

وهانوا وقد قال العمري "عبدالله": "من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوف المخلوقين، نزعت منه الهيبة فلو أمر بعض ولده لاستخف به".

وعلى العلماء أن يأخذوا بالعزيمة لا بالرخصة، قال الإمام أحمد بن حنبل: "إذا سكت الجاهل لجهله وسكت العالم تقية فمتى يظهر الحق؟".

وعليهم أن يفتوا بما يوافق الكتاب والسنة، لا بما يوافق رغبات الحكام، وهنا قصة مشهورة يعرفها كثيرون، وهو أن خدم بعض الملوك اقترح نقل الكعبة المشرفة، فقال الملك: هذا لا يجوز عند العلماء، فقال الخادم: لو تبي جاز.

أي أن العلماء إنما يعملون حسب رغبتك أنت.

ومن واجب العلماء تذكير الأمة بما يجب عليها خصوصا حماية بيت الله الحرام ممن ينتهك حرمته، ومن واجباتهم تذكير المسلمين بأن آخر ما استقر عليه الأمر في الجهاد، هو المبادرة بقتال المشركين، وليس انتظارهم حتى يهاجموا بلاد المسلمين، مع الاستمرار بالجهاد باللسان، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً﴾[التوبة:١٢٣].

وقد ذهب الرسول ﷺ إلى تبوك ولم ينتظر ان يهاجمه الروم، وكذلك عقد الصديق رضي الله عنه الألوية ضد كسرى وقيصر، وأجمع على ذلك الصحابة، ثم إن الفاروق رضي الله عنه أمدّ المسلمين، وكانت القادسية واليرموك وأخواتها معارك هجومية وليست دفاعية.

وفي عهد الفاروق رضي الله عنه فتحت مصر وغيرها، وكان في الفاتحين كثير من الصحابة وفرحوا بذلك: المجاهد والمقيم، ثم امتدت الفتوحات شرقا وغربا حتى وصل المسلمون الصين وأوربا وهذا مقتضى العقيدة الصحيحة.

ومن واجب العلماء بل كل الناس الإنكار على من فعل المنكر، ويجب على الداعية الإنكار علنا بالوسيلة المتاحة وبالاسم الصريح إذا اقتضى الأمر، فإن المعصية إذا كانت سرا لم تضر إلا صاحبها، أما إذا كانت علنا، فإنها

تضر العام والخاص، ويصبح الناس مستحقين أن يعمهم الله بعذابه، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة، حتى ما كان خلاف الأولى، فلا يزال قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس:١] قرآنا يتلى إلى يوم القيامة، وكذلك الآيات بشأن الأسرى وغير ذلك، والنبي ﷺ نزل إلى السوق وقال: ما هذا يا صاحب الطعام؟ ولا يلزم من ذلك التشهير بولاة الأمر كما يقولون.

والصحابة رضي الله عنهم أنكروا إنكارا علنيا، فقد أنكر عمرو بن عبسة على معاوية ﵁ لما أراد غزو الروم قبل أن ينبذ إليهم، وصاح قائلا "الله أكبر هذا يوم وفاء لا غدر" وسأل معاوية من هذا؟ قالوا: هذا عمرو بن عبسة، فقفل بالجيش، وكان عبادة بن الصامت يذهب بنفسه إلى السوق فينكر على أهله ما يرى من المنكرات على سبيل الإلزام.

واعترض بلال والفاتحون على حكم عمر في وقف أرض السواد، وقالوا: اقسمها بين الغانمين، فأبى عمر ودعا الله عليهم قائلا "اللهم اكفني بلالا وأصحابه"، و لم يأخذ عليهم تعهدا أو يسجنهم.

وهذا مقتضى بيعته ﷺ لأصحابه ليلة العقبة أن يقولوا بالحق أينما كانوا ولا تأخذهم في الله لومة لائم.

ولا يتعارض هذا مع ما ورد عن بعض السلف في الإنكار سرا كما روى ابن أبي عاصم وغيره، فإن الذنوب السرّية تنكر سرا لا سيما إن كانت شخصية لا يتعدّى ضررها، أما المنكرات العلنية فتنكر علنا، ولكل مقام مقال.

وبذلك عمل فقهاء الإسلام، فقد أراد العز بن عبدالسلام بيع سلاطين المماليك في مزاد عام، وأفتى ابن تيمية بقتال التتار علنا، وكذلك قاتل الرافضة والنصيرية في كسروان وجبال النصيرية.

ولما اختبر معاوية ﵁ الناس وقال " المال مالنا فمن شئنا أعطيناه ومن شئنا حرمناه" أنكر الناس عليه علنا وهو على المنبر، فحمد الله على ذلك، وقال للمنكِر عليه "أنقذتني أنقذك الله" وأمير المؤمنين الخليفة الراشد عمر ﵁

لما قال له المفتش الإداري "محمد بن مسلمة": "والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بالسيوف" قال عمر: "الحمد لله الذي جعلني في قوم إذا اعوججت قوّموني"، وأمر بإحراق باب سعد بن أبي وقاص وحانوت رويشد الثقفي. والإحراق كما هو معلوم لا يكون إلا علنا وتبقى آثاره طويلا، وقال له سلمان الفارسي وهو على المنبر: "لا سمع لك ولا طاعة"!

وقال أبو بكر الصديق في أول خطبة له: "إذا زغت فقوموني، أطيعونا ما أطعت الله ورسوله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لي عليكم".

وليس من الإسلام قول "الشيوخ أبخص" على إطلاقه، ولا منه اتباع الأحبار والرهبان، وترك الكتاب والسنة.

وليس المسلم إمّعة يتبع قول فلان أو علان، بل يسأل كل أحد عن دليله؟ ومن المنكرات العلنية اليوم البنوك الربوية، وإعلان أصحاب العقائد الباطلة بها، كالإسماعيلية والرافضة ومنها التبرج والسفور الذي في الأسواق أو في القنوات الفضائية، كالعبرية والإخبارية وإم بي سي والروتانا، وما يسمى المجلات الفنّية، ومنها الإلحاد الذي ينشره بعضهم في الوطن وعكاظ والرياض وأخواتها أو في موقع إيلاف وأمثاله، والله تعالى قال عن الفساد ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور:١٩] الآية.

وفي هذا العصر بلغ أحد علماء اليمن أن في الشارع الفلاني سيارة محمّلة بزجاجات الخمر وكان كفيفا، فقال قودوني وأدخلوني تحت السيارة، فقادوه ولم يخرج حتى كسّر العسكر كل الزجاجات، ولم يبال بما يسمى (الأمن السياسي).

ومن واجب العلماء حث الناس على إنكار المنكرات، فهكذا حث النبي ﷺ المؤمنين، وهكذا حثهم الصديق رضي الله عنه، وبيّن لهم خطأ فهم بعض الناس لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] وصدق رضي الله عنه في قوله، فإن الله تعالى لعن الذين كفروا من بني

إسرائيل لما كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، مع أن الحافظ ابن كثير رحمه الله ذكر أن الدار قطني صحّح رفع الصديق له، وبيّن النبي ﷺ أن ذلك من أول ما دخل من النقص على بني إسرائيل، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "ما في القرآن أشد توبيخا لأهل العلم من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ [المائدة:٦٣]، وقال الضحاك عن هذه الآية "ما في القرآن آية أخوف عندي منها".

والحديث في ذلك رواه الإمام أحمد وأبو داوود والترمذي وابن ماجة وقال الحافظ المزي رحمه الله "رواه شعبة عن أبي إسحاق" أي السبيعي.

وإنما نجّى الله الذين كانوا ينهون عن السوء كما في سورة الأعراف، وجعل الإنكار مانعاً من الهلاك فقال: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧]، وإذا أنكر المؤمن المنكر لم يضره بقاء أحد عليه، ومن أخطأ وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحيانا، وتأول في ذلك، يقال له: قد يكون السكوت في مكان دون آخر، ويكون للمعذور شرعا، وأما السكوت المطلق عن الإنكار فهو منكر، وإنما فضّل الله هذه الأمة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله، ووصفها بنفس وصف نبيها الكريم ﷺ، والإنسان مأمور بالإنكار في خاصته دائما.

ولا أحد من العلماء قديما وحديثا، إلا حث على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن المحدَثين الشيخ محمد بن إبراهيم والشيخ عبدالعزيز بن باز والشيخ عبدالله بن حميد والشيخ محمد بن صالح بن عثيمين والشيخ عبدالله بن جبرين والشيخ عبدالله بن جاسر، والشيخ عبدالله الوابل والشيخ عبدالرحمن الفريان والشيخ عبدالله بن قعود، وغيرهم رحمهم الله جميعا.

وأنا عاشرت كثيرا الشيخ عبد العزيز بن باز، وكان يكتب فيما استطاع من الصحف العربية وغيرها، وكان الشيخ محمد بن إبراهيم أيضا ينكر علنا.

وينبغي للعلماء الأمر بإطلاق سراح كل سجناء الرأي وتعويضهم وإعادتهم إلى أعمالهم ورد اعتبارهم، ولو قدّرنا أنهم ارتكبوا أكبر جريمة في نظر بعض الناس وهي تغيير النظام أوليس هذا رأيا لهم وينبغي مناقشتهم فيه؟

أليس سجنهم هو عين ما يريده التغريبيون والمفسدون الذين تثق بهم السلطات؟

أليس السجن هو التهديد الفرعوني لمن اتخذ إلها غيره كما قال؟

والحكومات دائما تتهم أعداءها بأنهم يسعون لقلب الحكم وهو أصلا مقلوب، أو بالخروج على القانون، ومن وضع القانون؟

ومن واجب العلماء بيان حقيقة الكفر والإيمان والشرك والتوحيد، وسعة مفهوم كل منها والرد على من ضيّقه، كمشترط جحد الوجوب الذي لم يشترطه الله ورسوله ولا أحد من السلف، بل أجمعوا أن الدين قول وعمل وأن من ترك بعض الأعمال كفر مثل ترك الصلاة، أو ترك الحكم بما أنزل الله، ولم ينفع إبليس وكفرة أهل الكتاب وفرعون وأبو طالب أنهم كانوا يعرفون الحق بقلوبهم، ولم يذكر الله عن إبليس أنه جحد وجوب السجود بل أبى واستكبر.

قال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤]، وقال له موسى: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢]، وقال عن أهل الكتاب: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٦].

وقال أبو طالب في شعره:

ولقد علمت بأن دين محمد هو خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذاك مبينا

وقال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، أي يعلمون أنك صادق لكنهم يجحدون، وقال: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾[المنافقون:١].

وكذلك اشتراط الاستحلال:

إذ ليس شرط الاستحلال أن يقول المرء بلسانه إنه مستحل لكذا، وحسبه من الكفر أن يقول إن غير الله أصدر به ترخيصا وعمل له قانونا، وأن يسكت أهل العلم عن إنكاره، قال الإمام أحمد "إذا قال لا أصلي فقد كفر".

وقال ابن تيمية "إذا ترك الحكم بما أنزل الله كفر مستحلا أو غير مستحل".

والاستحلال كفر بذاته حتى ولو لم يعمل ومن الأعمال ما هو كفر ومقترن بالكفر، والله تعالى لما ذكر أفعال اليهود ذكر غير كفرهم الاعتقادي أمورا عملية من الكبائر قال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَقَدْ نُهُوا۟ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء:١٦١].

وعكس ذلك أعمال البر التي ذكر الله في سورة البقرة، وقال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة:١٧٧] كما سيأتي قريبا إن شاء الله.

فلا بد من تصحيح المفاهيم، وبيان ما ذكر ابن القيم من أن الكفر خمسة أنواع، أحدها التكذيب.

وكذا التذكير بالواجبات الأخرى التي يغفل عنها كثير من الناس، مثل كونه تعالى قرن العدل بالصلاة، قال تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٢٩] الآية، وذلك في سورة الأعراف، وفي سورة البقرة قال: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى

ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية.

فالدين ليس شكليات تقام ولا مشاعر قلبية ولا شعارات تُرفع، وإنما هو حقائق عملية لا بد أن يتحلى بها كل مصل، ولأهميتها قدمها الله تعالى على الصلاة في الذكر كما سبق، وقال الإمام الشافعي رحمه الله "لا يُحتج على أهل الارجاء بأشد من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[البيِّنة:٥].

والإيمان له شعب كثيرة، كما أن الكفر له شعب والنفاق له شعب.

وقال الإمام البخاري رحمه الله "رويت عن أكثر من ألف نفس ولم أرو إلا عمن يقول: الدين قول وعمل"، أي اعتقاد وامتثال.

وقد عاب النبي ﷺ على عدي بن حاتم الطائي أنه ركوسي، ويأخذ من الغنيمة وأنكر عبدالله بن سلام ﷺ على رأس الجالوت أنه لم يفاد الأسرى اليهود، على أن مرجئة عصرنا أكثر تخديرا وإضلالا للأمة حين يستنصحون الرجال في دين الله ويعتقدون أن كل من حكم هو ولي أمر شرعي، وحين يقصرون حربهم وعداوتهم على الجماعات الدعوية، ويظنونها فرقا عقدية.

وكان السلف الصالح ينكرون المنكر علنا، ولا يبالون بمن خالف الحق، ولو كان الخليفة أو الامام، فاقرأ سيرة عبادة بن الصامت ﷺ وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وكذا سيرة أبي الدرداء، وحذيفة، وعمرو بن عبسة.

واقرأ سيرة الصحابة الآخرين كعبدالله بن عمر، وجابر وعبدالله بن عباس، وأبي سعيد الخدري وأبي شريح العدوي.

ثم جاء التابعون فتمسكوا بذلك وأنكروا المنكرات كأبي حازم وسعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين والحسن البصري وطاووس اليماني وكثير لا يحصون.

ثم كان بعدهم من ينكر ما في عصره من المنكرات مثل مالك الذي جلدوه بسبب فتواه بأن بيعة المكره لا تلزمه، وابن أبي ذئب، وأمير المؤمنين في الحديث سفيان بن سعيد الثوري، وعبدالله بن المبارك، واشتهر عنهم ترك الدخول على السلاطين والعمل لهم كما اشتهر ذلك عمن جاء بعدهم كالإمام أحمد والبخاري.

وهكذا كان السلف أجمعون و لم يقل أحد في أيامهم ما ابتدعه بعض الناس في زماننا هذا "الخروج بالكلمة" و لم يكن منهم من يرى الطاعة المطلقة لولي الأمر، كما فعلت المروانية والمرجئة و القدرية الجبرية، وكما يعتقد الرافضة في أئمتهم.

ومن شأن العلماء وضع الضوابط الشرعية للإيجار وأحكامه.

ومن شأنهم أيضا وضع الضوابط لفواتير الماء التي أصبحت موضعا للمساومة، وكأنها بيع وشراء، وبعض الناس خفضت إدارة المياه فاتورته من أكثر من عشرين ألف ريال إلى ثلاثة آلاف فقط، بعد مجادلته ومساومته لهم.

كما يجب عليهم بيان الراجح في مسألة التكافؤ في النسب، ويجب على المسلمين حكاما وقضاة ومحكومين الالتزام بالراجح، ومنع الصحف وغيرها من الخوض في الشرعيات بمجرد الرأي.

وأين وزارة العدل من قوم يخوضون بآرائهم، في مسألة شرعية من اختصاص المحاكم فيما يسمونه "الأحوال الشخصية"، وهو القدر الضئيل المتروك للشريعة حاليا، وحتى هذا القدر لم يسلم من هجوم الملاحدة فلا ترضيهم أحكام الميراث ولا الزواج والطلاق ولا القوامة، ويريدون الخوض في ذلك بآرائهم، واتباع شرائع الجاهلين، والله تعالى يقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

ويجب على العلماء إنكار كل ما يخالف الشرع من المعاصي الواضحة كإجازة المؤسسات الربوية من البنوك وشركات التأمين وغيرها، والربا

حُرمته صريحة في كتاب الله بل إن الله توعد عليه بالحرب، ووصف آكله بأنه كالذي يتخبطه الشيطان من المس.

● ومن المخالفات الصريحة تحديد مدة إقامة الحاج والمعتمر إذا لم يكن مواطنا مع أن الله يقول ﴿سَوَآءً ٱلْعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥].

● ومن المخالفات أيضا ما في القنوات من التبرج والسفور، وقد قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الأحزاب:٣٣].

● ومن المخالفات أيضا أن ندعي أننا نعمل بالسنة مع أن الأحاديث الصحيحة صريحة في كون الأئمة من قريش.

● ومن المخالفات كذلك قول (الأمتين العربية والإسلامية)، مع أن المسلمين أمة واحدة، والكافر ولو كان عربيا لا يعتد به.

● ومنها أن الله تعالى بيّن لنا عداوة الكفار، وأن ما تخفي صدورهم أكبر مما يظهرون لنا من العداوة، ومع ذلك نتحالف مع أمريكا ونصادق فرنسا ونحتفي بالإنجليز بل بكل غربي، فللكفار مجمعات سكنية محصّنة، ولهم رواتب ضخمة، ولهم ميزات لا يحلم بها أي مسلم، خصوصا إذا كان المسلم هنديا أو حبشيا أو جاويا، مع أن هؤلاء الكفار يُقرون بأنهم لا يؤمنون برسالة محمد ﷺ، بل يعتقدون أنه كاذب، وغاية ما يقوله بعضهم إنه لم يفكر في هذه المسألة ولا تهمه.

● ومن المخالفات أن الجاني إذا كان غربيا يعفى عنه، وإذا كان مسلما أسود أو كان أفغانيا أو باكستانيا أو ما أشبه ذلك أقاموا عليه الحدّ.

● ومن المخالفات تقديم القرارات الأممية والأعراف الدولية وما يسمى القانون الدولي على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

● ومنها إغفال الجهاد من أجل المسجد الأقصى نهائيا وكأن الله لم ينزل سورة الإسراء وغيرها، وكأن الرسول ﷺ لم يخبرنا عن فضائل المسجد الأقصى وفضائل الشام.

● ومن المخالفات إعطاء المليارات لمن يحارب الدين والمسلمون يعانون من الفقر والشدة و العراء والجوع وعدم المساكن، وقد قالت قناة العبرية إن ٨٠% من السعوديين لا يملكون مساكن خاصة.

● ومن المخالفات اتهام من يدعو إلى الله وتصنيفه بالظن، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[فصّلت:٣٣].

● ومنها إخضاع هيئة كبار العلماء، ووزارة العدل، ووزارة الحج، وأعمال الدعوة والحسبة، والجمعيات الخيرية، وجمعيات تحفيظ القرآن الكريم للسياسة الرسمية.

● ومن المخالفات التضييق على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الذي جعلنا الله به خير أمة أخرجت للناس، ووصف به نبينا الكريم ﷺ ولعن بني إسرائيل لما تركوه.

● ومن المخالفات الشنيعة تسمية الدول الكافرة دولا متقدمة وقد بعث الله نبيه محمدا ﷺ إلى العالمين كافة، فكل من كفر بدينه فهو متأخر، وإن بنى وشاد وصنع وكنز، ويجب على هيئة الأمم المتحدة وعلى أمريكا والاتحاد الأوروبي وكل أحد من جني وإنسي أن يتبع هذا الرسول ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥]، وهو صلوات الله وسلامه عليه سيد الأولين والآخرين، وقد قال تعالى بعد هزيمة أحد ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩]، فهذه الأمة هي المتقدمة الراقية المتحضرة، حتى في حالات الهزيمة العسكرية والتخلف المادي، والكافرون بالإسلام في ظلمات لا يبصرون كما ذكر الله، والدنيا مظلمة ملعونة إلا ما أشرقت عليه شمس الرسالة كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وقد تقدم إيضاح ذلك في مبحث (لمن المستقبل؟).

● ومن المعاصي أيضا استشراء الفساد الإداري والهدر المالي، وكثرة الرشوة والجريمة، والتزوير والسطو، وأمثال ذلك مما يوجب سرعة المبادرة لحلّه جذريا.

وهذا غيض من فيض إذ يصعب حصر المخالفات كلها، وما لا نعلمه أكثر، والواجب هو التوبة والاستقامة على أمر الله، وتربية الناس على ما يرضيه واجتناب ما نهى الله عنه وتحكيم كتابه في كل شأن.

ويجب على العلماء إنكار التبرج، في أي وسيلة والإنكار على المتبرجات اللاتي يكشفن الشعر والنحر كما في القنوات الفضائية أو محطات التلفزيون وتلك مخالفات صريحة لقوله تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور:٣١]، وإن كن (مارونيات) كما في العبرية فهذا أنكر وأنكر.

وإذا سكتنا عن ذلك -معاذ الله- فسوف يصل الأمر إلى فعل الفاحشة على قارعة الطريق كما يحصل في الغرب.

وينبغي للدعاة أن يعلموا أن هذه القنوات والصحف لا تستطيع أن تخالف ما هو معلن من سياسة الدولة دون توجيه سرّي، وإذا شككت في ذلك فانظر مَن المثقفون ومن الطبقة الراقية؟ وقارن ذلك بالمتدينين الذين لابد أن يتهموا بما ليس فيهم، ولا بد على الأقل أن تؤخذ عليهم التعهدات، وانظر كيف أن دعاة الحق أو أعضاء الهيئة يُسجنون، وأهل الفسق والفجور يسرحون ويمرحون.

ومع ذلك نعجب لحبس القطر وقلة الأمن وكثرة التفجيرات وانخفاض أسعار النفط، ونستغرب استهداف الأعداء الكعبة أو الديوان الملكي، أو نهب العلمانيين شرف الأمة وكرامتها.

ولا يصح الاقتصار على بيان كيفية الحج والعمرة، أو بيان ما يفعله المسلم من أخطاء في الحج والعمرة وغيره، دون حث الناس على إصلاح الأوضاع في أي مكان، وحشر دعاة الفساد في أضيق الزوايا، فبيان كيفية

التعامل مع الواقع السيئ شيء كما فعل الخرقي لما قال عن الحجر الأسود (إن كان)، ونصح الناس عامة بما ينبغي أن يكونوا عليه شيء آخر.

وإنما الواجب الاتباع لما كان عليه رسول الله ﷺ ورد أمر كل ولي أمر خالفه.

وقد مرّ عمر الفاروق ﷺ بالمسجد النبوي الشريف، فرأى حسان بن ثابت ينشد فيه الشعر فنهاه عن ذلك، لكن حسّانا رفض قائلا "قد كنت أنشده وفيه من هو خير منك" يعني رسول الله ﷺ مع أنه وبإجماع المسلمين لم يكن في زمان عمر ولا بعده من يدانيه في فضله وفقهه وعدله من الولاة.

● كما ينبغي على أهل العلم تعليم الناس الفرق بين القول أو الفعل الذي يقال فيه إنه كفر، وبين تكفير فاعله وقائله المعين وإخراجه من الملة، وأن الحكم على القول والفعل لا يستلزم تكفير المعين، وكذا عموم الزجر والتحذير كما في حديث (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر)، وحديث (من قال لأخيه كافر ولم يكن كذلك إلا حار عليه)، وقول الشافعي لحفص الفرد "كفرت بالله العظيم"، كما أن الجاهلية لا تعني الكفر، وكذا الجهل بمعنى لا إله إلا الله.

● لكل فن أهله ولا يشترط في الفقيه، أن يكون عالما بالخطاب السياسي، لكن إسناد الاختصاص إلى أهله لا يعني العلمانية، وأن لقيصر دائرة ليست لله، فالنصارى إما أنهم لم يفهموا مغزى قول المسيح (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) وإما أن المسيح عليه السلام لم يقل ذلك.

● يقتل الرافضةُ بعضَ اليهود كما قتل قزمان بعض المشركين، والله ينصر دينه بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، وربما كان الرافضة مظلومين اعتدى عليهم اليهود والله ينصر المظلوم على الظالم، بغض النظر عن عقيدة المظلوم وكفره أو فجوره.

● على قاعدة بطيء ولكنه مؤكد، أو التدرج في المنع قام المخلوع حين كان رئيسا بإلغاء المعاهد العلمية ونقل دروسها إلى المساجد.

● حرية القبائل هي في بقاء سلاحها بأيديها، وحرية العلماء هي بقاء مصدر رزقهم بأيديهم أو من الأوقاف وليس من الوظيفة الحكومية، ولذلك ألغى جمال عبد الناصر الأوقاف وأنث الجامع الأزهر.

● ينبغي أن نعلم أن الأحواز شيعة غالبا، وأن الشيخ (خزعل) شيخ المحمرة في زمنه شيعي أيضا، فلا ننساق مع مطالبهم القومية في الاستقلال نكاية بإيران، بل ندعوهم إلى السنة ونعلم أن المعركة في الحقيقة معركة بين السنة والشيعة، وما يقوله بعض الأحوازيين في برنامج (همساية) أو غيره لا نصدقه كله ولا نكذبه كله.

● نحن بالعلم المستمد من الوحي المعصوم أرقى فكرياً من كل عالم غربي، لاسيما الفكر الفلسفي القائم على المنطق الصوري الذي ثبت عقمه، ويجعل العقل البشري يدور حول ذاته، وهذا معنى قول علمائنا عنه إن النتائج مضمنة في المقدمات، وبذلك يعوق الحركة العلمية ويؤدي إلى جمودها.

وصدق شيخ الإسلام حين قال عنه "لا يحتاج إليه الذكي ولا يستفيد منه البليد"، والواقع الغربي يدل على ذلك، فإن أوروبا لما نبذت فكر أرسطو القياسي وانتقلت عنه إلى التجربة أبدعت وأنتجت، ومن أعظم الفتوحات الفكرية الغربية، الثورة على المنطق والانتقال من العلم العقلي النظري إلى العلم التجريبي الذي ابتدأه عندهم "فرنسيس بيكون".

فثارت أوروبا على المنطق الأرسطي ضمن الثورة على أفكار الكنيسة.

ولكن تلك الثورة كان اهتمامها قاصراً عن العلم بالله الذي هو أشرف، وباشتغالهم بالعلم المادي الدنيوي وحده اتجهت الحضارة اتجاها أعرج أعور، واستبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير، وهذا ما لا نريده لأي مسلم، وندعو علماءنا الأفاضل إلى الجمع بين الدنيا والآخرة ما أمكن وبذلك يقيموا الحضارة المتكاملة الخالية من التشوه. وأن يثبتوا للناس من كلام أهل الحضارة الغربية نفسها، أن الخروج من المتاهة المحيرة والنفق المظلم، إنما يكون بالوحي

الذي يأمر بالنظر في ملكوت السموات والأرض ويحرّم تقليد الأولين في الباطل.

ومع الأسف لا يزال بعض المسلمين يشتغلون بذلك المنطق العقيم، فلم يبدعوا شيئا بل تقهقرت حضارتهم كما هو مشاهد.

ومنطق أرسطو يقوم أساساً على (قياس الشمول) ولذلك نجد قضاياه مسوّرة كما يقول المناطقة، أي كلية مشتملة على كملة (كل) حيث تندرج الجزئيات تحت الكليات وأسوأ من منطق أرسطو آراء أفلاطون المعتمدة على الحدس.

وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على المنطق القديم، وعلى ابن رشد الحفيد، فمن أولى من علمائنا الأجلاء بالرد على الرشدية الجديدة التي ينتسب إليها كثير من فلاسفة الغرب في هذا العصر؟

والواقع أنه لا العقل ولا الحدس يهديان للتي هي أقوم، والله تعالى جعل أسماءه وصفاته يعرفها البشر من الوحي القائم على ما هو أعلى من قياس الشمول، وهو قياس الأولى فكل صفة كمال للبشر -كالعلم والقوة- هي لله تعالى من باب أولى.

وقد يصلح منطق أرسطو علاجاً للفلسفة اليونانية آنذاك، ولكنه لا يصلح لكل عصر، و لم يستخدمه أحد من الأنبياء أو السلف.

وأكثر المنتسبين للإسلام تعظيما لأرسطو هو ابن رشد الحفيد وهو من أقرب الفلاسفة للإسلام، وقد قرر أن الأفول الذي في قصة إبراهيم عليه السلام لما رأى الكوكب نوع من الحركة والحركة عنده نوع من الحدوث كما قرر أرسطو، فأولَ القرآن كي يوافق كلام أرسطو، ومع ذلك كانت نهاية ابن رشد مأسوية، ونفر منه العلماء والعامة، واضطر هو إلى القول بأن بعض ما قيل عنه مفترى عليه.

وقد كان من أجل ما يمدح به العلماءُ أهل السلطان منع كتب الأوائل أو القدماء، التي هي كتب فلاسفة اليونان، وقد أفتى ابن الصلاح والنووي

والرملي وغيرهم بتحريم تعلّم المنطق لأنه باب التزندق، بينما أثنوا على المعظم الأيوبي وغيره لما منع تلك الكتب.

والمقصود أن كل لجوء إلى العلم أو العقل هذه نتيجته، وكل الطرق مسدودة على البشر إلا طريق محمد ﷺ، وإلى الله وحده يكون الفرار، وهو الرحمن الرحيم الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، وهو الذي يفرح بتوبة عبده ويبسط يديه بالليل ليتوب مسيء النهار، ويقول للكرام الكاتبين إذا عصاه العبد "دعوه لعله يتوب".

وكل من لجأ إلى غيره خسر، فانظر مثلا إلى اليهودي الصهيوني "جاريد كوشنر" لما فر إلى سيده "ترامب" واعتمد على أنه زوج "إيفانكا" بنت "ترامب" بعد زيارته السرية للمنطقة، كيف أن "كيلي" المتحكم في البيت الأبيض قلص صلاحياته وطرده، وأشنع من ذلك ما وقع لعلي عبدالله صالح لما رجع للإمارات والتحالف ولم يصدر منه ما يدل على رجوعه إلى الله فقتله الحوثيون!

● كل نتيجة لها مقدمات، فقبل أن يزور أنور عشقي الدولة الصهيونية كان قد بدأ يمدح (نتنياهو) وزار مندوب "معاريف" الرياض، وسكتت عنه هيئة كبار العلماء، ثم زار عشقي الأرض المحتلة، وأعلنت الجهات الرسمية أنه لا يمثّلها، فماذا تنتظرون وإلى متى السكوت؟

أليس ذلك مما يصحح قول من يقول إن أكثر المليارات في بورصة تل أبيب عربية، وإن بعض العرب يقضي عطلة نهاية الأسبوع على شواطئ الأرض المحتلة؟

وإن بعض المسؤولين في هذه البلاد اجتمع مع بعض الصهاينة في عمّان أو باريس أو نيويورك أو القاهرة أو العقبة أو تل أبيب؟

ومن يقول إن وراء صفقة صنافير وتيران وبناء الجسر ما وراءه!

وإن الحرب على الإرهاب لا تشمل إسرائيل فهي دولة ديمقراطية عندهم؟

وإن شذاذ الآفاق لم يعودوا اليهود بل هم المطاوعة!

وإن زيارة بعض الناس إنما هي جس نبض للموقف الشعبي وسيعقبها التطبيع؟

وإن دخول اليهود مسجد رسول الله ﷺ له ما وراءه.

كما أن ترك القسم بالسوية بين الرعية، من أجلى الذنوب والمخالفات.

وقد قال أحد الدعاة الأكاديميين الحاملين لشهادة الدكتوراه لأحد الأمراء المشهورين: لو قدرنا أن ما يأخذ كل أمير من المخصصات والشرهات وتحسين الوضع .. إلخ مليون ريال فقط ووصل عددكم إلى ٤٠٠٠٠ فمن أين لنا أربعين ألف مليون ريال؟

أقول: وهذا في العام الواحد فكم يكون المبلغ في السنوات المتتابعة؟

وقد احتج الفرنسيون لأن راتب رئيسهم تسعة آلاف يورو فليت المتخوضين في مال الله يكتفون بتسعة آلاف مليون ريال.

ومما يؤسف أن بعض العلماء -رأيته بعيني- يسحب فيش الهاتف ويقفل الجوال ويبعده ويخرج كل من في مكتبه من العاملين حتى الخدم، ويقول كلاما لا يقوله أمام العامة فكيف يستدل بعض الناس بما يسمعه مع العامة؟! وأين الميثاق الذي أخذه الله على أهل العلم؟ لا سيما وأن مصادر العلماء موثوقة، إذ يطلعهم الوزراء الطيبون والسفراء، والعاملون في المباحث والاستخبارات وفي الديوان من أهل الدين، على أوامر وتعميمات صادرة من الجهات الرسمية، ويستفتون الشيخ كيف يعملون حيالها.

وعلى العلماء التثبت قبل الحكم على أي عمل.

وليس أعجب من كون بعض أهل العلم هنا يحكمون بأن هذا العمل إرهابي قبل التحقيق فيه، إلا استدلال المباحث الغربية على أنه عمل إرهابي إسلامي، بأن فاعله قال "الله أكبر" قبل التنفيذ، وهل يصعب على أي كافر أن يقولها؟ وهل عتاة المجرمين في الغرب الذين يزوّرون العملة، ويسرقون

القطار ويخفون شخصياتهم، لا يستطيعون أن يتعلموا قول "الله أكبر" تضليلاً للشرطة؟

ولا يجوز للعلماء الاشتغال ببعض الباطل والسكوت عن بعض، أو تقديم المهم على الأهم، كالسكوت عن الروافض والاشتغال بالخوارج فقط.

ومثل عقد مؤتمر للجهاد عندما دخل صدام حسين الكويت دون عقد مؤتمر بل مؤتمرات للتذكير بتدنيس اليهود للقدس والمسجد الأقصى.

كما لا يجوز لهم الاشتغال بالمظنون والمشكوك فيه، عما هو يقين يجاهر به أصحابه ويعلنونه؛ كالروافض مثلا، الذين تقول حكومة البحرين كل يوم تقريبا، إنها تعرضت لهجمات منهم، وقد بدأت هذه الهجمات في السعودية فعلا. ونقلت إيران حربها إلى داخل السعودية، وما أحداث العوامية عنا ببعيد، فهل يشتغل أحد عنهم بالطعن في الهواء وحرب المظنون؟

وأرجو من العلماء إبلاغي عمن يقول هؤلاء علماء حيض ونفاس لكي أرد عليه، وأوجه لعلمائنا الأجلاء أسئلة أرجو منهم الإجابة عليها، واعذروني يا علماءنا على ما قد يكون فيها مما لا تريدون.

- ألا يدخل في نطاق الشؤون الدينية المسموح بها للمطاوعة أن تنكروا منع اليهود الأذان في مكبرات الصوت في القدس المحتلة؟

- ألا يدخل في الـــ ١٠% المتروكة لكم أن تبينوا ما في دين اليهود من انحراف.

- إذا كانت قضية الأذان ليست من الدين فما هو الدين إذن؟

- وما هي الشؤون الدينية التي يسمحون لكم بالكلام فيها؟

فلا مناص من القول بأن ذلك لا تشمله هذه العشرة في المئة أو أنه حتى العشرة في المئة لا وجود لها اليوم.

وكيف يخرجكم "قديروف" من أهل السنة، ثم تجري معه جريدة الشرق الأوسط مقابلة ويزور السعودية دون أن يعتذر عن ذلك ويعترف بخطئه في مؤتمر جروزني؟

وسأذكر أسئلة أخرى أرجو منكم الإجابة عليها.

١. إذا كانت فتنة داود عليه السلام هي الحكم للخصم بمجرد دعواه، فمن الذي سأل الخصم الآخر واستدعاه؟

٢. أين الاعتزاز بالإسلام، والفخر بجهاد المجاهدين في أفغانستان مثلا، حيث يواجهون الحملة الصليبية التي أطلقها بوش ببنادق قديمة، لكنهم ينتصرون بإذن الله، ألم يقل بوش (الحملة الصليبية) حتى بعد قولهم إنها زلة لسان منه؟ وكيف يُجمع الكونجرس والصحافة على هذه الزلة؟ وكيف جعل ترامب الزلة منهجًا؟ وجعل عام ٢٠١٧ أسوأ عام في معاملة المسلمين بأمريكا، وأين الفخر بجهاد إخواننا في فلسطين والفرح باستقبال قادتهم؟ ألا يدافعون عن المسجد الأقصى المبارك؟

٣. أيهما أولى أن يكون حاكما لمكة زادها الله شرفا، أهو حافظ وهبة أم خالد بن لؤي، وما ذنب خالد بن لؤي؟ وإذا أبى خالد شأن من يريد الله والدار الآخرة، فليرشّح من هو أقرب للتقوى، وترشيحُه أولى من ترشيح غيره؟

٤. لماذا العدول عن الحقائق الساطعة إلى ظنون وتخرصات واحتمالات؟ أليس كلام الرافضة والصوفية أوضح من الاتهامات والافتراءات الباطلة، كالقول إن فلانًا من المعارضين أو من الحركيين أو من الإخوان أو من القطبيين، أو يريد الفتنة ويثير الطائفية؟

٥. من علامة المرجئة في هذا العصر تزكية أنفسهم، وادعاء أنهم سلفيون! ومن علامات أهل السنة الخوف من النفاق وترك تزكية النفس، وهل أحد من السلف قال عن نفسه إنه سلفي وكل من خالفه مبتدع؟

٦. هل قول نحن تبع لعلمائنا إلا التقليد بعينه؟ وهل أحاط هذا القائل بكل ما يقوله العلماء سرا وجهرا؟ وهل اعذارهم موجب لاتباعهم؟

٧. الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾ [النحل:٩٠] الآية، وهذا ما يذكّرنا به خطباء الجمعة جزاهم الله خيرًا، فهل من العدل أن يكون طالب العلم خارجيا مع الدعاة ومرجئا مع الحكام؟

٨. قال لي المحامي الأمريكي، إن الحكومة الأمريكية لا تتدخل في القضاء فلماذا إذن أطلقوا الجاسوس الإسرائيلي "جوناثان بولارد" و لم يطلقوا الشيخ عمر عبدالرحمن يرحمه الله؟

٩. عبدالرحمن الراشد -رئيس تحرير الشرق الأوسط سابقا- والمقرب من السلطة دائما، إذا صح أنه تزوج رجلا مثله فهو بالمعايير الأمريكية متحضر ومعتدل وعمله قانوني وربما جعلوه وزيرا، وقد كان رئيسا للغرفة التجارية بالمنطقة الشرقية، وعضوا في مجلس الشورى نسأل الله أن يتوب عليه، وأن يعمل لما بعد الموت. فما الموقف الشرعي منه، ومن أمثاله لا سيما من قال: "إن الله والشيطان وجهان لعملة واحدة"، أو قال: "سبب الإرهاب هو التيمية والوهابية"؟

١٠. هل يجوز لأحد أن يضايق المسجد الحرام بفنادقه وقصوره ولا يترك حوله أرضا للفسحة لأي حادث -لا قدر الله- أو للتوسعة المستقبلية؟ وقد كلمت في ذلك وكيل أمارة منطقة مكة المكرمة السابق أثناء مقابلة خاصة مع الأمير عبد المجيد، وفي التاريخ أن الزاهد العمري ﷺ لما رأى القصور حول الكعبة صاح "يا أصحاب القصور المشيدة اذكروا ظلمة القبور الموحشة"، وذلك في القرن الثاني الهجري، كما كلمتُ الأمين العام لمنظمة المدن الإسلامية، نرجو بيان الحق في هذا؟

١١. كيف يصح القول بأن فلانا على مذهب السلف ومن أهل السنة والجماعة مع أنه يصرح بنفسه أنه ليس مذهبيًا ولا طائفيًا، ويكرر ذلك إعلامه في كل مناسبة، و لم يقل مرة واحدة إنه على مذهب السلف؟

١٢. إذا كان رجل المخابرات القيصر الماكر "بوتين"، يؤيد نظام بشار ويقاتل لبقائه، فما حكم أهل العلم في عقد الصفقات معه، ومحاولة انقاذ

اقتصاده من الانهيار وتحريف الاخبار عن فضائع "بوتين" وانتهاكاته، بل إنشاء مجلس تنسيق مشترك مع رجال أعماله؟ سمّوْه (مجلس التنسيق السعودي الروسي)؟ وماذا قال بطريرك موسكو لجيش بوتين؟ ولماذا رشّهم أحد القساوسة بالماء المقدس حسب العقيدة الأرثوذكسية؟ وكيف يزعمون أنهم جاؤوا لحماية "المسيحية" في الشرق؟

١٣. أنا أنصح إخواننا في مصر ألا يصدقوا إعلام السيسي، وقد اتضح لي أنه إعلام كاذب وأن قضاءه تابع له، وقد زعم إعلام السيسي وحده أن أردوغان ادعى الخلافة، أما قضاء السيسي فقد حكم على من هو ميت، أو على من يأسره اليهود منذ سنوات، وعلى من لا يزال في المهد، وبرأ حسني مبارك، فمن الذي أنكر ذلك على من قاله؟ وبماذا أجابوه؟

١٤. من يقول إن الداعشية في كل بيت ولكن صاحب القرار غافل، ألا يرتكب جرائم عدة:

أ- اتهام الشعب السعودي كله بالإرهاب.

ب- اتهام صاحب القرار بالغفلة.

جـ- تكليف الدولة بما لا يطاق، إذ أن ما كان في كل بيت لا يستطيع أحد أن يزيله لا صاحب القرار ولا غيره.

أما التدين فهو ولله الحمد في كل بيت شاء من شاء وغضب من غضب، وهذا اعتراف من القائل بأن المجتمع كله ضده، وهو كذلك فما الجواب عن هذا؟

١٥. لماذا لا ننص في النظام الأساسي على أننا من أهل السنة والجماعة نتبع الراجح من أقوال أحد الأئمة الأربعة ونتبع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في كل شيء، ونلزم بالتقويم الهجري واللغة العربية كل الوزارات والصحف والهيئات والشركات والسفارات والأفراد، ولماذا تجرؤ إيران على أن ينص دستورها أنها تتبع المذهب الاثني عشري ولا نجد ذلك هنا، وكيف تمنع أرامكو اللغة العربية ويكتبون أرامكو السعودية؟

١٦. لو أن أي رئيس أمريكي حكم هذه البلاد المتدينة، ألم يكن يراعي دين الأكثرية ديمقراطيا، فيسمح لهم بأداء الصلوات وبناء المساجد، ويمنع البناء على القبور، ويطبع المصاحف، ويسمح للقضاة بالحكم في القضايا الشخصية، ويسمح للمرأة أن تغطي شعرها أو تتحجب، بل ويسمح للتبرعات التي هي ممنوعة للخارج هنا، ويجعل له ولقرابته راتبًا لا يزيد عليه، ويسمح باستقلال القضاء، ويلغي المخصصات لأسرته، وينمي الزراعة في سهل تهامة والاحساء والخرج والقصيم والشمال، ويعظِّم الكعبة المشرفة ويكسوها، ويحاسب الشركات المهملة، وينشئ المشروعات والطرق ويكفي عنده مظلة القرآن والسنة عن أي مظلة، ويرصد الجوائز لحفظة كتاب الله، وعموما يسير وفق دين أكثر الشعب، وإذا كان وزير الداخلية السابق سمح بالدين في حدود ٢٠% على الأكثر فأظن أن هذا الأمريكي سوف يسمح به في حدود ٥٠% أو ٦٠ % فكيف يؤذى المسلم ويكرم العلماني؟

١٧. هل المشكلة دائما من هامان ومشورته أما فرعون فذاته مقدسة لا تمس؟ وكيف يجلبون إلى فرعون ما لا ينفق عنده، ألم يقل السلف "إن السلطان كالسوق يجلب إليه فيه ما ينفق فيه"، والطيور على أشكالها تقع، ولماذا لا ينصح العلماء كل أحد؟

١٨. من الذي أعطى تركي الحمد قلمه، وقال له اكتب ما شئت، وقد كتب بعد ذلك وكان مما كتب (علينا أن نتخلى عن ابن تيمية كما تخلى الغرب عن (أوغسطين) فأبان بذلك عن عداوته للإسلام وجهله بالتاريخ، وما رأيه في التخلي عن البابا وحواره؟

١٩. متى يكف الإعلام عن الغموض والإبهام والكذب، والقول بأن الطرفين ناقشا القضايا ذات الاهتمام المشترك، أو أن وجهات النظر كانت متطابقة في كل ما بحثاه، والقول إن الزيارة كانت ناجحة، والفحوصات ناجحة وأمثال ذلك، وهل يتناسب ذلك مع الانفتاح وسهولة وصول المعلومة؟

٢٠. هل يعقل أن كل ما يفعله الحكام صواب وحكمة ورشد وحنكة، وأنهم أدرى بالمصلحة دون أن ينصحهم أحد؟ وما الفرق حينئذ بينهم وبين أئمة الرافضة المعصومين؟ وهل قيل ذلك لأبي بكر وعمر؟ ولماذا قال أبو بكر الصديق ﷺ "إذا استقمت فأعينوني وإذا زغت فقوموني"؟ بل إن عمر الفاروق ﷺ حمد الله على أن في الأمة من يقومه ولو بالقوة، ومعاوية ﷺ لما قال على المنبر: "المال مالنا" ليختبر الرعية، ورد عليه رجل من الناس بأن المال مال الله قال: "انقذتني أنقذك الله"! فمن خير من هؤلاء الصحابة؟.

٢١. لماذا لا ننص في النظام الأساسي على أن أهل الحل والعقد يختارون الأصلح للحكم وفق كتاب الله وسنة رسوله وعمل الخلفاء الراشدين والسلف الصالح، ألسنا على عقيدة السلف؟ ألسنا متبعين للسنة؟! أم أن الشورى حرام والحكم الوراثي حلال؟!

٢٢. ما حكم قفل المساجد في غير وقت الصلاة؟ ولماذا لا نبني غرفة خاصة بما نخاف على سرقته من لوازم المسجد؟

٢٣. هل صحيح قول بعض الملوك للرافضة: "أنتم ما جانا منكم شر؟" ومن الذي فجر في الخبر، وأطلق النار على أمير نجران مشعل بن سعود؟ ومن الذي قتل ضيف الله القرشي ويقتل رجال الأمن؟ ومن الذي يمد الحوثيين بالمال والسلاح والأرزاق؟ ومن الذي طالب ببناء المقامات بالبقيع والمعلاة؟ ومن الذي يدفن الاسلحة في المقابر ليستخدمها وقت الحاجة؟ ومن الذي يشتري العقار في الدمام ومكة والمدينة؟ ومن الذي يرسل المرأة الحامل من القطيف إلى بريدة حتى تكتب الاحوال المدينة مكان الولادة بريدة؟ ومن الذي يقلب اسمه من البحراني أو النخلي إلى القحطاني أو العتيبي أو الزهراني؟ ومن الذي يتعلم الطب اليوم لكي يستخدمه ضد أهل السنة غدا؟ وكيف كانت نهاية الشيخ عبدالله بن جبرين رحمه الله؟ ومن الذي يعتقد أن الواحد من ملوك أهل السنة عامي ناصبي؟ وهل في الوجود شر أعظم من دعوى

تحريف القرآن والافتراء على عائشة وتكفير أبي بكر وعمر وأكثر الصحابة، وكل من حكم من المسلمين بعدهم؟ ومن قال من السلف أنتم ما جانا منكم شر؟ وهل كان ابن تيمية مخطئا لما قاتل رافضة كسروان؟ وشرط عليهم أمورا منها: القبض على رؤسائهم، وإقامة الشعائر الإسلامية في بلادهم كالجمعة والجماعة، وإقراء القرآن والصحيحين وكل كتب السنة في مناطقهم، ومعاقبة من أظهر البدعة منهم؟ أي أن ما يسمى اليوم الحرية الدينية لا بد من تقييده؟ وهل كان الإمام أحمد مخطئًا حين قال: "الرافضة رفضوا الإسلام" وقبل أن توصي التقارير الأمريكية بإتاحة الحرية الدينية للرافضة، أليس عليها أن توصي الأمريكان بإتاحة الفرصة للبروتستانتي الأسود، أن يصلي في كنيسة بروتستانتيه بيضاء، وتسكت عن ديننا وعقيدتنا؟

٢٤. لماذا لا نضع مادة أساسية في النظام الأساسي، تنص على أن كل من أساء إلى نبينا ﷺ بأي شكل، أو طعن فيه، فإن ذلك يكون بمترلة إعلان الحرب بيننا وبينه؟ أليس رسول الله ﷺ أغلى عندنا من أنفسنا ومن بيع النفط؟ أو شراء الحليب والجبن؟ أليس رسولنا أم أنه رسول الأتراك فقط؟

٢٥. ألا تكفي اتفاقية (سايكس/ بيكو) الاعتباطية عن خرائط أمريكا التي وضعتها لزيادة التفتيت؟ ونشر ذلك جيشهم وصحفهم علانية؟ وكأننا مجرد بهائم يقسموننا حظائر كما يشاؤون؟ ومن خرائطهم "خارطة الدم" ويجعلون في آخر اسم كل حظيرة "ستان" ويسمون نجدا "وهابيستان" أي بلاد الوهابية!

٢٦. هب أنهم غيروا شكل ما نشروا أليس هدفهم هو التقسيم في أي صورة؟ ولماذا لا نطلق الجهاد لا سيما بعد أن أصدر الأمريكان قانون جاستا؟

٢٧. لماذا لم يعط محمد مرسي شيئا من الرز –هب أنه كافر، ألا يعطى الكفار تأليفا لهم على الإسلام– أم أنه لا يُعطى إلا من حارب

الإسلام، وأحرق كتب السلف، وكُتب علمائنا كالسيسي؟ أما محمد مرسي فلا يستحق شيئا لأنه ترضّى عن الشيخين في طهران واستشهد ببعض الآيات على منبر الأمم المتحدة، علما بأنه متخرج من أمريكا ويرطن بالانجليزية؟ أم أن الانقلاب هو ما يحدث في اليمن وليس في مصر والشرعية لهادي وليس لمرسي؟

٢٨. أليس من السياسة غير الشرعية إدخال الاسماعيلية والاثني عشرية في مجلس الشورى، وتعين بعضهم سفراء وتوظيف بعضهم في الوزارات السيادية كالخارجية والداخلية والدفاع، مع مراقبتهم والتجسس عليهم في المنطقة الشرقية وغيرها، واتخاذ عملاء منهم، وبذر الفرقة بينهم؟ وإنما السياسة الشرعية منع كل أهل البدع من الوزارات السيادية مع اعطائهم كل الحقوق الدنيوية بلا تجسس ولا مراقبة وهل تولية البعيد كسبا له، وإبعاد الصديق ثقة فيه، إلا السياسة التي انتهجها بنو أمية كما قال أبو مسلم الخراساني فأضاعت ملكهم؟

٢٩. ما الدليل على أن الأمر دائر بين تكفير الحكام أو إقرارهم على كل شيء أو بين الثورة عليهم أو طاعتهم بإطلاق لأنهم ولاة أمر؟ وأن الإنكار عليهم خروج؟

٣٠. مَن مِن أئمة المسلمين منع المخالف له من الدعوة مطلقا؟ وحجَّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ وأمر من يدعو إلى الله أن يكون معه ترخيص بالدعوة؟ وجعل للدعوة حدودًا! وجعل صلاة الاستسقاء بإذن ولي الأمر، وجعلها عامة لكل البلاد المخصب منها والمجدب، وأجاز لبيوت الربا أن تكون علانية، وتبنى في كل شارع، وأجاز الموسيقى والسفور، وسمى الدول الكافرة "الدول المتقدمة"؟

٣١. هل صحيح أن المجرم الإرهابي قاتل الأطفال نتنياهو يحكم على الشيخ رائد صلاح بالسجن بضعة أشهر، وعلى نائبه الشيخ كمال الخطيب بالتحقيق بضع ساعات وأن القضاء السعودي يحكم عليهما لو كانا في

السعودية بما هو أشد، ويجيز القتل تعزيرًا لمن قال هو أقل مما قالا، ومتى أصبح قضاء المغضوب عليهم أخف وأعدل من قضائنا؟

٣٢. لماذا يتتبع الناس أي مقالة ضد الدولة ويصورونها ويتناقلونها في الجوالات، إذا كان قول الحق متاحا لكل أحد؟ ولماذا يكتبون ذلك على أبواب دورات المياه؟

٣٣. هل ما يمارس في السجون ضد علماء الإسلام حق؟ ولماذا لا تكون مخصصة للعلمانيين الذين يخرجون علنًا على الكتاب والسنة؟

٣٤. أين تذهب ميزانية الدفاع إذا كان الحوثيون أكثر عددا في الدبابات؟ وإذا كانت السيارات والأسلحة هنا قديمة؟ والكمامات من مخلفات الحرب العالمية الأولى؟ وكيف يحتاج من يقود الشاحنة العسكرية من تبوك إلى الرياض إلى أن ينوم في المستشفى،

٣٥. أليست قرابة رسول الله ﷺ أولى بالإعطاء والمخصصات من قرابة أي أحد، أم أن الأمر كما قال دعبل الخزاعي:

بنات زياد في القصور منيعة ** وبنت رسول الله في الخلوات

وذلك غير حقهم الشرعي (الخمس) الذي بين الرسول الكريم مصارفه؟

٣٦. لماذا يُرحِّلون الإنسان إلى بلده، ولو كان داعية، وتوسط له الشيخ ابن باز مثلا؟ بينما يعطونه الجنسية فورا إذا كان ليبراليا أو فنانا أو لاعب كرة؟

٣٧. هل كان الإمام أحمد رحمه الله مخطئا، حين أفتى بأن مالك القينة المغنية يبيعها على أنها ساذجة؟ وهل أخطأ ابن تيمية حين أفتى بأن المغنين لا يعطون من بيت المال؟ وهل أخطأ الفقهاء الذين أفتوا بأن الآت اللهو ودنان الخمر لا حرمة لها ويجوز اتلافها؟

٣٨. ما الذي نسخ الآيات والأحاديث الدالة على وجوب قتال الكفار، وإذا كان اثنا عشر ألفا من هذه الأمة المباركة لا يغلبون من قلة، ألا نستطيع نحن تكوين جيش من ١٢٠٠٠ متطوع بل ١٢٠٠٠٠ متطوع؟

٣٩. لماذا لا تكون دول مجلس التعاون هي الطرف الذي يفاوض إيران بشأن الأسلحة النووية؟ أم أن أمريكا تكفي وربيبتها اسرائيل تصرخ؟ وما حكم استثناء مفاعل ديمونه من التفتيش؟

٤٠. لماذا تبرع أحد الاخوة الفلسطينيين من غزة لفقراء تهامة؟ ولماذا اعتذر بعض الناس للأخوة الذين جاءوا من جدة إلى أضم عن حضور ابنائه وقال إنهم عراة؟ ولماذا يسكن بعض الناس في العشش أو بيوت الصفيح؟

٤١. أي الأمرين أصون للأعراض وأبعد عن الريبة، أحين كان الشيخ محمد بن إبراهيم ومن بعده العلماء يشرفون على تعليم البنات أم حين أدمجوا الرئاسة في وزارة المعارف "التعليم"؟

٤٢. أيهما الموافق لعقيدة السلف أهو كشف المرأة عن شعرها ونحرها كما نراه في قناة العربية أم هو التستر المعمول به في الشوارع وكل مكان، وهل كان التلفزيون السعودي ضالا حين كان لا يبدو من المرأة فيه إلا الكفّان؟

٤٣. لماذا أعطي علي عبدالله صالح المليارات من المال وأعطي المراكز والمهابط والمنشآت؟ ولما أراد الشعب اليمني التخلص منه مَن الذي عالج حروقه وأين؟ مع أنه لم يكن سابقا ولا لا حقا يحكم بكتاب الله، بل حارب الدين وأقفل المعاهد العلمية، التي لم تكن على مذهبه الزيدي؟ وما الغريب في أن ينقلب ذلك المجرم على من أعطاه ويطلق حلفاؤه وأتباعه الصواريخ على سامطة وأبها والخميس ومكة والرياض، ومن كان نائبه؟ نعم المخلوع أدهى، ولكن من يقال إنه شرعي أفسد عقيدة من المخلوع!

٤٤. في أي مرحلة من مراحل التاريخ غسّل الكعبة المشرفة زوج قينة مع وجود آل الشيبي ومع قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨]، وبعد نزول هذه الآية أعطى النبي ﷺ طلحة بن شيبة مفاتيح الكعبة وقال: (لا ينزعها منكم إلا ظالم)؟

٤٥. لماذا لا يناظَر من رأينا فيه غلواً أو أخطأ في فهم الجهاد، كما ناظر ابن عباس أهل حروراء؟

٤٦. لماذا كتب الشيخ بن بليهد "صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار"، و لم يكتب ردًا على القومية مثلا التي كانت منتشرة أيامه، ومن الذي أوصى بالمحافظة على الآثار، ووفق ذلك حافظوا على الصنم "نسر" في الرياض؟

٤٧. متى كان المال مقابل الولاء للسلطة الحاكمة، وإذا علموا من أحد أنه لا يواليهم فصلوه من الوظيفة؟

٤٨. ما حكم من يقول المرحوم "روزفلت" كما قرأت؟ وهل كان روزفلت والشيخ جون وجميل البارودي مندوب السعودية في الأمم المتحدة لأكثر من ربع قرن مسلمين؟

٤٩. أليس الإمام محمد بن عبدالوهاب أفضل من الإمام محمد بن سعود رحمهما الله؟ فلماذا لا تسمى الجامعة باسم الأفضل منهما؟ وإذا كان المقصود هو التعمية ونفي تهمة الوهابية عنا، فلماذا لا تسمى جامعة إمام الدعوة أو أي اسم آخر؟

٥٠. ما حكم تنازع القوانين كما تقول المادة (٢٩) من نظام القضاء وهل يصح أن ينازع الشريعة شيء من القوانين أو الأوامر؟

٥١. ألم يقل النبي ﷺ من اتخذ غير ذلك –أي السكن والزوجة والدابة والخادم– فهو غال أو سارق فماذا يختار المتخوضون في مال الله منهما؟

٥٢. أنا أنصح قناة العربية ألا تسمي شعائر الحج طقوسا! وألا تسمي الحجاج لاجئين! وألا تسمي الانتفاضة اعتداء! وألا تسمي "غليك" ناشطا إسرائيليا، مع إغفال اسمه وفتاواه ومرتبته الدينية واقتحاماته للمسجد الأقصى! وأن يراعي الموارنة والليبراليون والملاحدة والرافضة فيها شعور الشعب الذي يعطيهم الرواتب، وهل يرضى بهذه التسميات أي رجل أمن؟

أوليس الحاخام غليك ممن يفتون اليهود بإزالة المسجد الأقصى وبناء هيكلهم المزعوم مكانه، أم أن المسجد الأقصى مسجد للإرهابيين أيضا، أما هذا الحاخام الذي تعده حكومة نتنياهو متطرفا، فما هو إلا ناشط إسرائيلي؟!

٥٣. لماذا يمنعون كتب الدعاة ويسمحون بكتب الاباحة والإلحاد؟ وكيف تكون عقوبة منع من أهان علم دولة صديقة أضعاف عقوبة من يسب الله؟

٥٤. أليس الباطنيون أشد ضررًا من الهادوية، أي أن دعاة الاسماعيلية أشد ضررًا من الحوثيين، ومن مناقب الإمام الهادي المتوفي سنة ٢٩٧هـ أنه قاتل الباطنيين في سبعين معركة؟ والله تعالى بعث الرسل لإبطال المفاسد أو تقليلها؟ وإذا كان الحوثيون إخواننا وجيرانا كما قال معالي الأستاذ: عادل الجبير، فلماذا لا نحارب نحن أولئك الملاحدة المشركين وندع إخواننا وجيراننا؟

٥٥. لماذا لا يؤخذ رأي شيوخ القبائل في المسائل التي هم بها أعلم من غيرهم، أم أنهم (بقر) عند الحكومة كما يقول نادي البقر في جدة؟

٥٦. أليس أهل الساحل أو أهل أضم والمخاليف وأهل تهامة كلها أولى بالمليارات من النصارى في لبنان واليهود في المغرب؟ أوليس فتح العقبات بينهم وبين السراة أولى من جعل فتحها من مسؤولية القبائل؟ وإعطاء الأموال للكفار؟

٥٧. لماذا يعطون الموارنة في لبنان المليارات أو مئات الملايين بينما لا يعطون المسلمين اللبنانيين إن أعطوهم إلا بضعة آلاف في ظرف، أي كما يُعطى الشحاذون؟

٥٨. هل المال مال الله أم مال فلان من الناس؟ وهل أخطأ ابن تيمية حين قال إن ولي الأمر ليس مالكا للمال؟ وهل كان سيد البشر ﷺ إلا قاسما لمال الله والله هو المعطي كما ثبت في السنة؟ وقال ﷺ (ليس لمحمد ولا لآل

محمد منها شيء)، وقال عمر بن الخطاب إنما أنا وكيل؟ وهل أخطأ أبو مسلم الخولاني حين قال لمعاوية ﷺ (السلام عليك أيها الأجير)؟

٥٩. لماذا يرفض بعض أهل مكة وغيرهم أخذ التعويضات عن ممتلكاتهم المجاورة للمسجد الحرام، مهما بلغ التعويض، ويقولون نؤخره إلى يوم القيامة؟ ويقولون لو كان الذين يدفعون التعويضات أمناء لتبرعنا بأملاكنا مجانا، ونحن مستعدون للتبرع بها للحرم أما أن يقيم عليها فلان وفلان القصور والفنادق فلا؟

٦٠. أيهما أفضل أن يتهمنا الأمريكان بالإرهاب ونحن نجاهدهم أم يتهموننا به ونحن نحالفهم؟

٦١. لماذا لا تكون توسعة الحرمين من الذين يُعطون مجانا مثل سلطان بروناي؟ ثم من الذين يأخذون أقل؟ ولماذا يحتكرها أناس معروفون؟ ولماذا يسجنون بعض المنارات مدة سنين؟

٦٢. كيف تدرِّس كلية الطب في دمشق الطب باللغة العربية، بينما تدرسه كليات الطب في المملكة باللغة الانجليزية؟ وكيف يقول البعثيون إن أي عربي يحق له دخول بلاد الشام بلا تأشيرة، وله حق الإقامة فيها كما يشاء، ولا يقول أهل التوحيد إن من حق أي مسلم أن يدخل إلى الحرمين بلا تأشيرة لاسيما والله تعالى يقول: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾[الحج:٢٥]، وقال ﷺ: (يا بني عبد مناف لا تمنعوا أحدا أتى هذا البيت في ليل أو نهار)؟ وكيف يأتي شذاذ الآفاق من كل حدب ولا يتكلمون في اسرائيل إلا بالعبرية؟

٦٣. هل كانت الدولة العثمانية متأخرة حين لم تسمح بدخول أي إنسان غير مسلم إلى جزيرة العرب؟ ولا لأي اسطول غير مسلم بدخول بحارها وخلجانها؟

٦٤. كيف نقول (الحكومة الشرعية أو الرئيس الشرعي) لمن لا يحكم بالشرع؟ وكيف نضمن أنه إذا تمكن لم ينقلب علينا كما انقلب المخلوع؟

٦٥. هل صحيح أن (علي مملوك) جاء إلى هنا سرا؟ ولماذا يأتي؟ ومن استقبله أهو الجبير أم عشقي أم من؟

٦٦. من الوزير الذي استقال بسبب قتلى جبل دخان، أو بسبب حريق مستشفى جازان؟ ألم يستقل وزير داخلية غربي لما ماتت امرأة نيجيرية لا تحمل إقامة وهي في الترحيل؟ ولو أنها كانت مواطنة لاستقالت الحكومة كلها! أم أن أولئك الغربيين ليسوا لنا بقدوة فنحن على طريقة ﴿إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ﴾ [المائدة:٤١] أو طريقة ﴿وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ﴾[النور:٤٩].

٦٧. أليس من التهوين والاستخفاف بعقول الناس القول بأن ما تسرب من الوثائق السرية قليل؟ وهل ٥٠٠.٠٠٠ وثيقة قليل؟ ولماذا لم تُسرب الوثائق عن إيران؟

٦٨. لماذا يسجن القائمون على العمل الخيري وتقفل المكاتب الخيرية مع اعطاء مركز القس كارتر في أطلانطا، وإعطاء مؤسسة الصدر الرافضي؟

٦٩. ما الفرق بين أن يمنع الشيوعيون في الصين الصوم، وبين أن يمنعه بورقيبة في تونس، دون أن ينكر أهل التوحيد على أحد منهما، وكيف يستقبلون بن علي وقد فعل ما هو أشد من فعل أبي رقيبة، أم أن بن علي أحد العشرة المبشرين بجدة فيجب إيواؤه؟

٧٠. لماذا تمنع البلدية "التكارنة" من تعبئة ماء زمزم أو بيعه مع أن التكروني كان يعبئ ما مقداره ٤٠ لترا بريالين ولما أصبح الماء معبأ لفلان أصبحنا نشتري العشرة لترات بعشرة ريالات؟ والحبل على الجرار؟

٧١. لماذا استبعدوا الدين عند تأسيس ما يسمى (جامعة الدول العربية) واشترطوا في تعريف العربي أن يكون مؤمنا بالعروبة، أي أن يكون

قوميا؟ وهل كان فارس الخوري وبشار وبطرس غالي إلا عربا؟ وهل من الديمقراطية أن نهضم حق الأكثرية ونجعل الأمة الواحدة أمتين عربية وإسلامية؟

٧٢. كيف نرضى أن يكون أهل الجاهلية الأولى خيرا منا في السقاية والرفادة ودفع الظلم عن أيّ قادم للحرم، بينما لا يستطيع أي حاج أن يوصل كلامه أو سلامه لأهله، إلا بأن يشيد بالخدمات الجليلة والتسهيلات، ولو كان الذين يقدمونها في الحقيقة هم أهل الخير وليس المطوفين أو الحكومة؟

٧٣. أليست الجزر التابعة لجزيرة العرب منها فيجب إخراج اليهود والنصارى من سقطرة ودهلك وحنيش والبحرين ومن كل مكان في بحر القلزم أو بحر البصرة؟

٧٤. لماذا التعتيم وكتم الحقيقة؟ فيوم اجتاحت السيول شرق جدة، ودمرت الجسور وأغرقت المواليد في المستشفى الجامعي، كان الإعلام الرسمي ينقل صور الذين يتفسحون على البحر غرب جدة ولولا أن الجوالات فضحت الأمر لما علم به أحد؟

٧٥. هل أخطأت الجريدة التي نشرت خطة حج العام الماضي على أنها خطة حج هذا العام؟ أليس الانسياب هو الانسياب والنجاح هو النجاح، والتوجيهات هي التوجيهات والخدمات هي الخدمات فما الذي تغيّر؟

٧٦. مع أن الحجاج لا يذهبون للمشاعر إلا في أيام معدودة من السنة تجد القطار يخرب، والماء ينعدم، ودورات المياه تتسخ، والقمائم تتراكم، ترى هل تقع مثل هذه المصائب في استاد رياضي مثلا؟

٧٧. لماذا لا نجعل الخيام أبراجا عالية، وتؤجر الأبراج كما تؤجر الخيام، إذا كان أخذ الأجرة حلالا؟

٧٨. أليس من الاجحاف المنافي للعدل، أن تكون النجاحات في الحج من نصيب أصحاب التوجيهات، والإخفاقات تكون من نصيب الجنود والشركات والمطوفين؟

٧٩. كيف يسمحون لأحد من أبناء الذوات أن يسير بسيارته في طريق المشاة؟ نعم هو يفلت من عقوبة الناس في الدنيا، ولكن هل يفلت من عقوبة الله لاسيما وقد دعا عليه الحجاج؟

٨٠. لماذا يحتل بعض الناس أراضي واسعة بالمجان تتسع لأضعاف ذلك، بينما لا يجد كثير من الحجاج مكانا يسكنون فيه وإنما يستأجرون في مكة إن استطاعوا؟

٨١. إذا كان وضع قرآن مكذوب مثل قرآن مسيلمة في ولاية المسيسبي، وإحراق المصحف الشريف في ولاية فلوريدا لا يكفيان لقطع العلاقات مع أمريكا فما هي الجريمة التي ننتظر أن يفعلها الأمريكان حتى نقطع العلاقة معهم؟

٨٢. شيخنا الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله لما جاء بعض الناس إلى المدينة وقال: هذا مستشارنا رشاد فرعون، قال: أعوذ بالله، إن الله تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ [هود:٩٧]، وسمع القائل ومستشاره وكل الناس ذلك، فلماذا لا يفعل العلماء كذلك؟ وهذا المستشار لما أراد أحد الملوك بعد حادثة الحرم أن يولي الاسلاميين بعض المناصب في الدولة قال له المستشار المذكور: لا تفعل فهؤلاء يعملون لك في الظاهر ويعملون لله في الباطن! فهل يجب أن يكون العمل لغير الله حتى توافق عليه الحكومة؟ وبعض ذرية فرعون أسس شركة "ردك" في جدة فوضعت أغطية بلا مجاري، ثم جمع أمواله وسافر إلى أمريكا وأقام هناك، وقد صدق الشاعر:

هذي العصا من هذه العصية   لا تلد الحية إلا حية

فماذا يقول علماؤنا الأجلاء في كل ذلك؟

٨٣. أليس عجيبا أن تكون دولة العقيدة والتوحيد من دول الاعتدال، وتتقدم بمبادرة للاعتراف بإسرائيل، التي احتلت المسجد الأقصى أولى القبلتين ومسرى رسول الله ﷺ وثالث الحرمين الشريفين، أم أن هذه رغبة أمريكا ولا يمكن أن نحارب إسرائيل أو نعاديها مهما احتلت أو أحرقت؟ فأمريكا تضمن لإسرائيل الفيتو، وأهل التوحيد يضمنون لها الأمن! ومن أين نبعت المبادرة العربية، ومن الصحفي الذي وضعها؟

٨٤. لماذا امتنعت بعض الجهات الرسمية عن إعطاء الشيخ عبدالرحمن بن قاسم وابنه الشيخ محمد بن عبدالرحمن كثيرا من فتاوى الشيخ المفتي محمد بن إبراهيم رحمه الله؟ (قارن بين ما نشره الشيخ في حياته وما استطاع المؤلفان أن يجمعاه) وبعض الفتاوى أنا أعلمها شخصيا و لم أجدها في مجموع فتاواه، ومنها فتواه في أن البنك الزراعي لا يجوز له أخذ فائدة ربوية مقدارها ٩% ومع ذلك يأخذها لأن جون كندي اشترط ألا تزيد النسبة على ١٠%)؟

أما فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز فقد نقحوها وعدلوها، وحذفوا كذلك بعض فتاوى الشيخ عبدالله بن حميد! ومنها فتواه عن مجلة القصيم ورده على نظام العمل والعمال.

٨٥. إذا كان الصحابة رضي الله عنهم، قالوا إن نصارى بني تغلب ليس فيهم من النصرانية إلا شرب الخمر وأكل الختزير، وضاعف عمر عليهم الجزية فماذا في نصارى أمريكا وأوربا اليوم غير ذلك سوى التعري والدياثة ومزيد من محاربة الإسلام؟

٨٦. لماذا رفض الشيخ عبدالله بن حميد لما كان رئيسا لمجلس القضاء الأعلى الاقتراح الحكومي باستقدام قضاة أزهريين؟

٨٧. لماذا سحبوا الرقابة الاعلامية على الكتب من الشيخ بن باز وأحالوها إلى وزير الإعلام؟

٨٨. لماذا لا يذكرون في الإعلام ولا في القنوات ولا في الصحف لفظة "كافر" القرآنية بل يقولون الآخر أو الغير؟ ألم يقل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن:٢]، وأمثال ذلك كثير؟ وهل يكذِّب أحد بالقرآن وببعثة محمد ﷺ ولا يكون كافراً، وأيهما أصدق أهو الإعلام أم رسول الله ﷺ؟

٨٩. لماذا منعوا الضرب وغرموا من يفعله، والله تعالى يقول: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء:٣٤] الآية. والنبي ﷺ يقول: (مروا أبناءكم بالصلاة لسبع واضربوهم عليها لعشر) الحديث، ويأمر أولياء الأمور بتعليق السوط بحيث يراه أهل البيت، وعلى هذا كان السلف الصالح أجمعون؟ أليس هذا هو الحق وما يقوله دعاة ما يسمى التربية الحديثة أو العنف الأسري هو الباطل؟

٩٠. هل يجوز لأحد كائنا من كان أن يقول إننا لسنا طائفيين ولا وهابيين ولا ننتسب إلى أي مذهب؟ بلى والله إننا على مذهب أهل السنة والجماعة، وعقيدة السلف الصالح ونفخر بالإمام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، رضي من رضي وغضب من غضب، ومن كان على غير ذلك فإنما يعبِّر عن نفسه فقط؟

٩١. لماذا نلوذ بالصمت حتى عندما يأمر الروافض في العراق بقتل سبعة آلاف سني؟ أليس العبادي والمالكي من نفس الحزب المسمى حزب الدعوة؟ أليس إبراهيم الجعفري وراء تفجيرات مكة التي هي أشنع من تفجيرات القديح وأبها؟ أم أنه لا بد من الكيل بمكيالين ومتابعة ما قرره "بريمر" اعتمادا على النسبة القديمة التي افتعلها الانجليز في العراق؟ وكيف يجعل بريمر تلك القسمة لا هي بحسب المذهب ولا هي بحسب القومية بل جعلها سنة وشيعة وكرد وهل الكرد إلا قسم من السنة لا سيما وهم يفتخرون بأن صلاح الدين كردي؟

٩٢. لماذا رفضوا استقبال الشيخ حارث بن سليمان الضاري الشمَّري رحمه الله وقد كان رئيسا لهيئة علماء المسلمين في العراق وشكى لي ذلك، بينما يستقبلون سمير جعجع النصراني ووليد جنبلاط الدرزي؟، والشيخ حارث يعبر عن وجهة نظر أهل السنة أو طائفة منهم فما الضير في استقباله وإن قال ما هو خطأ نرده عليه ولا نعمل به، أم أن ذنب الشيخ حارث أن جده ضاري قتل "ليشمان" الانجليزي؟

٩٣. كيف يلقي الطيارون السعوديون القنابل على الفلوجة مختلطة بالصواريخ الرافضية التي عليها صورة نمر النمر؟ أليس هذا على الأقل إهانة للقضاء السعودي وأحكامه، ولوزارة العدل السعودية ومحاكمها؟ إن لم يكن إهانة للمملكة كلها حكومة وشعبا، ثم الفلوجة أهي مدينة شيعية أم مدينة سنية؟

٩٤. لماذا النظرة الدونية للمرأة المسلمة إذا كانت سوداء مع الإعجاب والحفاوة بالمرأة الغربية الكافرة الشقراء؟

٩٥. صحيح أن بشار يقتل شعبه لكن أهذه هي مشكلته أم أنه نصيري حتى ولو أكرم الشعب وهزم إسرائيل وفتح القدس فرضا؟ وصحيح أن في إيران شعوبًا مضطهدة ولكنها تضطهدهم لأنهم سنة لا لمجرد أنهم عرب أو ترك أو كرد أو بلوش أو أذر بل إنها لتضطهد الفارسي إذا كان سنيا، وانظر إلى سياستها في العراق وسوريا ولبنان واليمن والبحرين هل كانت مع غير الروافض؟ وما المذهب الذي تريد نشره في آسيا وإفريقيا ولماذا ينشر علماء الشيعة مذهبهم، ويجعلون معاركهم ثأرا من أحفاد قتلة الحسين ويرفعون علنا شعار يا حسين يا زينب يا زهراء بينما يكون هَمُّ علماءِ أهل السنة محاربة التصنيفات المكذوبة أو المظنونة؟ كقول هذا حركي وهذا داعشي وهذا خارجي، وهذا يتلقى المال من دولة أجنبية، وهذا يعمل ضمن خلية تجسسية، وهذا قطبي وهذا لا بيعة له، وأمثال ذلك.

٩٦. لماذا لا يسمحون لأئمة الحرمين أن يقولوا ما يعتقدون من الحق؟ وإذا ادعوا فرضا أنهم يمثلون وجهة نظر الحكومة فلها حق الرد عليهم، أما منعهم أو مراقبة خطبهم أو رسم الخطوط الحمراء لهم، فهذا لا يجوز علما بأن السياسة متقلبة، وقد كانوا يأمروننا في التوعية الإسلامية أن نوزع كتاب كذا ثم في السنة القادمة يمنعون توزيعه وهكذا!

٩٧. طلب أحد الأخوة من المخلاف السليماني وهو ذو منصب عال من أحد مسؤولي الدولة أن يضموهم لليمن، فقال له المسؤول كيف تتركون هذه النعمة وتنضمون لليمن على ما فيه من فقر، فقال الأخ: اليمن فيها فقر وعز ونحن في فقر وذل. فهل هو صادق في ذلك؟

٩٨. لماذا لا نحظر الربا وكثير من دول العالم تحظره لأضراره الاقتصادية لاسيما الدول الاشتراكية، وأمريكا تقرر خفض الفائدة للصفر أما بريطانيا فإن ٨٠% من زبائن البنوك الإسلامية من غير المسلمين؟

٩٩. إذا كنا نفخر بإقامة شرع الله وتحكيم الكتاب والسنة، فلماذا لا نرحب بالدول التي تسعى لذلك وننشر عنها الكتب والأفلام والمقالات؟ مثل نيجريا وغامبيا وجنوب الفلبين وباكستان والسودان وتركيا وماليزيا وكثير من الدول الإفريقية؟ ولماذا لا نركز على من يُسلم وعلى المرأة المحجبة؟

١٠٠. هناك سؤال يسأله كثير من الناس، والجواب عليه إنما يكون من الحكومة أو من علمائها، أهذه القنوات والصحف وكل وسائل الإعلام توافق الأوامر العليا أم تعصيها؟

١٠١. من حقنا أن نسأل: اللحمة الوطنية أو الوحدة الوطنية وما أشبه ذلك أهي من عقيدة السلف أم أن المنافقين هم الذين قالوا: ﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْ﴾ [الأحزاب:١٣].

١٠٢. لماذا يسمي الإعلاميون هنا مليشيات الرافضة التي يتزعمها العبادي وقاسم سليماني، والحشد الشيعي، وقوات بدر التي يسميها أهل

السنة في العراق قوات غدر (الجيش العراقي) وهل هم عراقيون فعلا؟ أليس السيستاني إيرانيًا من إقليم سيستان الإيراني؟

نحن لا نطالبهم باتباع الكتاب والسنة وهم كارهون، ولكن ألا يقولون كما يقول البنتاغون إن الشيعة يظلمون السنة ويبيدونهم ويهجرونهم؟ ولماذا قال "رامسفلد" إن المقاومة العراقية إنما هي في المحافظات السنية، ولماذا لا يقدم الإعلام السعودي إحصائيات حقيقية عن عدد السنة وعدد الشيعة في كل المحافظات العراقية لنرى عن يقين أيهما أكثر!

١٠٣. ألم يثبت بعد أن استهدف الحوثيون مكة المكرمة كما سمعنا أن المعركة عقدية؟

١٠٤. لماذا لا نساير ظاهر ما تقوله أمريكا والأمم المتحدة من استنكار أن يستخدم الروس الأسلحة المحرمة دوليًا، ونقول إن هذا العمل منهم إرهاب؟ أم أن الإرهاب محصور فقط في المتدينين؟

١٠٥. من الذي استقال من وزارة الدفاع بعد أن استهدف الحوثيون جدة؟ وكيف طالبوا الرئيس العام لمدارس البنات بالاستقالة بسبب مشكلة أهون من ذلك؟ ولم يكتفوا بإقالته، بل ألغوا الرئاسة كلها مما يدل على أن الأمر مبيت، ولكن ينتظرون أي حادث لتنفيذه.

١٠٦. أليس من التناقض كتابة (وقف فلان) مع أخذ الأجرة ممن يسكنه؟

١٠٧. لماذا اختاروا في مهرجان الجنادرية سنة ١٤٣٨هـ فنانة سعودية تصور الآدميين بيدها، وأعطوها أعلى وسام في البلاد؟

١٠٨. لماذا لم يعلنوا الحكم على سمير الخازن -إن كانوا حاكموه- وهو أخو جهاد الخازن، أم يشفع له أنه نصراني وليس متطرفا، وهو لص محترف ومن مسروقاته خزانة جريدة الشرق الأوسط.

١٠٩. في الأخير أسألكم هل الدولة تسير وفق فتاواكم أم أنتم تسيرون وفق سياستها؟

١١٠. أخيراً أقول لعلمائنا الأجلاء: ارفعوا سقف مطالبكم واحذروا أن يستدرجكم أحد لقضية فرعية أو نادرة أو عرضية، كمن لا يقيم حد السرقة لكنه يسأل عن حكم إجراء عملية جراحية لإعادة اليد بعد قطعها، وكمن لا يقيم الحد على الزاني لكنه يسأل عن حكم معاشرة الميتة؟

كما ينبغي أن نتأمل في كل شيء ونعرف ما راءه، حتى العمل الذي ظاهره حسن له أهداف سياسية خفية فمثلا إنشاء هيئة كبار العلماء عمل حسن، لكن لا يكون المراد نقض الحلف وإقصاء آل الشيخ، وإدخال الجواسيس وأهل البدع ضمن العلماء، وإلا فهل كل هؤلاء علماء؟ أليس فيهم من لا يثق الناس في فتواه؟

وذلك أسلوب قديم فعله أصحاب مسجد الضرار.

كما أذكر علماءنا الأفاضل بما سبق أن قلته لكن الحاجة تقتضي تكراره، وهو أن المعركة ليست من أجل إزالة منكر معين وإنما هي معركة بين الشرك والتوحيد، بين الدين والعلمانية اللادينية، فلتعرفوا حقيقة الصراع وليكن إنكاركم مما يرضي الله عنكم ثم يرضي المسلمين كافة.

ويجب على العلماء كشف أي شبهة وبيان حقيقة الإيمان بقدر الاستطاعة، وأن يعلموا أنهم مهما حاولوا فسيظل في الأمة سماعون للمنافقين إذ ذلك كان في الجيل الأول كما في القرآن، بل إن ذلك الجيل الفريد ذكر الله أنه في المنافقين فئتين، والله تعالى سمى إيمان بعض الناس زعما وأوضح ذلك نبيه الكريم بقوله (وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم)، فكيف من يزعم اليوم أنه مقاوم أو عدو لليهود مع أن عقيدته باطلة ومقاومته كاذبة، وأنتم تعلمون مصير قزمان و لم يكن مدعيا بل هو حقيقة قتل سبعة أو ثمانية من المشركين.

ولا يليق بعلمائنا الأجلاء جهل الفكر من حولنا فليقرأوا على الأقل كتابين مترجمين إلى العربية هما (قصة الفكر الغربي) الذي كتبه جرين برنتن و(النار والغضب) الذي كتبه مايكل وولف.

والعلماء هم الذين يقودون الجماهير وليس العكس، والعلماء إذا سألهم العوام عن شيء وغيره أهم أرشدوهم إليه ولا يجيبونهم مباشرة على كل سؤال، فلما سأل بعض أهل العراق عبدالله بن عمر عن دم البرغوث قال: "عجبا لكم يا أهل العراق تقتلون ابن بنت رسول الله ﷺ وتسألون عن دم البرغوث".

ولما سأل بعض الناس سلمان الفارسي رضي الله عنه كم تقوم من الليل؟ قال سلمان: " أرأيت إن حملت ضعفي على قوتك أو حملت قوتي على ضعفك"، أي أن الطاقات تختلف.

ولما سأل رجل ابن عباس رضي الله عنه عن قملة سقطت منه وهو محرم قال له: تلك ضالة لا تُبتغى.

والعوام كما قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين: "العواهم هوام".

وشأن العلماء أجل من أن ينص نظام المطبوعات في السعودية على عدم تجريحهم، والواجب هو النص في كل نظام على وجوب طاعتهم وتعديل الأنظمة حسب فتواهم، وهذا ينسجم مع النظام الأساسي نفسه.

وعلماء الآخرة سلطة فوق السلطات الدنيوية، وهم في هذه الدنيا يمثلون الصورة المثلى للحياد الإيجابي، فلا ينحازون لفئة أو متاع أو سلطة، وإنما ينحازون لله ورسوله في كل أمر.

وإذا قام أهل العلم بواجبهم كان لهم أعظم الأثر في إيقاظ الأمة وانتصارها، كما فعلوا أيام سيف الدين قطز، والظاهر بيبرس في معركة عين جالوت.

وقد كان الفضل الله ثم للشيخ عز الدين بن عبدالسلام الذي أبطل كثيرا من البدع والمنكرات كصلاة الرغائب ورقص الصوفية وفرْض المكوس.

وعلى العلماء إنكار ما يكتبه المخالفون من كفر وضلال، والأمر بإسكاتهم ومعاقبتهم، وبيان أن ما يقوله تركي الحمد مثلا من أن أهل العلم

لو قالوا ١+١=٤ يتبعهم الناس فيه، هو استخفاف بعقول أهل العلم ومتبعيهم معاً.

وهو مع إلحاده واستخفافه وإباحيته لا يجد من يردعه عن تلك الأقوال بل ما هو أشد.

وأعداء الدين اليوم يستهزئون بالعلماء دون ذكر أشخاصهم علما بأن الدين أغلى عند العلماء من نفوسهم، ولا يسموهم العلماء بل "الكهنوت" ولا يقولون هيئة كبار العلماء بل "المؤسسة الدينية"، ولهم في ذلك سلف، أعني الذين استهزأوا بقراء الصحابة بل استهزأوا بالأنبياء الكرام ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[الحجر:١١] الآيات، واستهزأوا برسول الله ﷺ فقالوا: ﴿أَهَٰذَا ٱلَّذِي بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴾[الفرقان:٤١]، لكن الله تعالى تكفل لنبيه ومن اتبعه بأن يكفيهم شرهم ﴿ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴾[الحجر:٩٥]، وماذا في إمكان المستهزئ أن يفعل؟ وهل الاستهزاء إلا دليل على ضعف النفس وفقد الحجة وعجز المستهزئ، والمستهزؤون لا قيمة لهم عند الناس ولولا أن القنوات والصحف الورقية أو الالكترونية تفتح لهم ذراعيها ما علم عنهم أحد، فهم كالبعوضة التي وقعت على الفيل، ولما أرادت أن تطير قالت له "استمسك"!

وقد وصفكم بعض الناس في السعودية بأنكم (مافيا الأديان)، ولم يسجنوه ويؤذوه بل كتب ذلك في حماية السلطة التنفيذية وربما بإملائها ووصف التحالف بين السياسة والدين في السعودية بأنه (تحالف بين الطغيان والشيطان).

وتمادى بعضهم لما أهدى إليه الملك عبد الله قلمه، فكتب أن محمدا (ﷺ) صحح عقيدة إبراهيم، وآن الأوان أن نصحح عقيدة محمد، ونشرته الصحف حينها وممن نشره أيضا مجلة سيدتي!!

وأنتم قد استنكرتم تفجير سينما باريس مع أن المؤمن الذي يسكن قريبا من سينما باريس لا يذهب إليها أصلا، وكيف تستنكر الهيئة الموقرة ما يحدث فيها، مع أنها لم تر جثة واحدة مما يقولون ولو أن شرطة باريس زعمت أن القتلى أكثر مما قالت أو أقل لصدقها كثيرون؟ وهذا جزء من الإسلاموفوبيا التي يعيشها الغرب.

ويوجهون للمسلمين كل تهمة ويسكتون عن غيرهم، فلما قتل أحد الأمريكيين غير المسلمين ستين شخصا في لاس فيغاس، وقتل آخر ستة وعشرين شخصا داخل كنيسة معمدانية في تكساس كتب اليهودي فريدمان مقالة (ماذا لو كان القاتل مسلما أو أسود)، ولا يعقل أن يكون هذا اليهودي أجرأ منكم.

أيها المشائخ الأجلاء: الدين يحارَب وأنتم أول المسؤولين أمام الله تعالى، ولأضرب لكم مثلا لحرب الدين وهو شركة اسمها (نابكو الوطنية) في جدة أكثر الذين فيها نصارى موارنة، والمسلمون قليل والسعوديون قليل جدا وبلغت حرب الدين في الشركة إلى حد إقفال أماكن الوضوء والكتابة عليها (ليس مخصصا للوضوء).

وإذا أرادت القلة المسلمة أن تصلي فالصلاة ممنوعة داخل مبنى الشركة وليبحثوا عن مكان للوضوء والصلاة في غيرها.

فقد أصبحت حرب الدين علنية و لم يعد المنصرون بحاجة إلى التستر بصنع الخيام كما علمهم بولس، أو باسم "المستشارون الروحيون" كما سماهم بوش الأب وديك تشيني لما جاءت عساكرهم إلى هذه الجزيرة الطاهرة.،

واعلموا أن من أسباب محاربة الدين وانتشار المنكرات سكوت أهل العلم، أو الإنكار بأسلوب غير شرعي، كالإسرار بما حقه الإنكار علنا، وعليكم واجب عظيم في ذلك، وقد قال الله تعالى عن رسوله المصطفى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ﴾ [النور:٥٤]، وإذا انصرف الناس

للدنيا كما هو حالهم اليوم وجب أن يقول لهم أهل العلم ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾[القصص: ٨٠].

ولا يصح أن يظل بعض علمائنا على الغفلة التي كان عليها مرافق الريحاني (نوار)، أو يتغافلون عن المنكرات ولا أن يكونوا جزءا تكميليا للسلطة التنفيذية، وهذا مجمع عليه بين كل الحكومات، وإن كانت مختلفة في كيفية ذلك، فالدين من أهم العوامل الاجتماعية وهو أكبر العواطف الإنسانية، فقد يسمى أهله "هيئة كبار العلماء"، وقد يسمون "مجمع البحوث"، ولكل دولة مفتٍ، وفي كل دولة وزارة تسميها الشؤون الدينية ويسميها بعض الدول وزارة الأوقاف، وبعضها وزارة الشؤون الإسلامية، أما قضايا السياسة وشؤون النفط والجنسية وغيرها، فليست عندهم من شأن أهل الدين مطلقا، كما يجب على علمائنا الأفاضل تذكير الأمة بأن يعود من كان ذا فضل من علم أو مال على أخيه بذلك، وحث الدعاة على أن تتوازى جهودهم ولا تتعارض، ويجب على كل مسلم استكمال شُعب الإيمان ما أمكن، فنحن في معركة طويلة شرسة لا تنفع فيها الأرباع والكسور، وبيان أن سلعة الله غالية تنال بالتضحيات لا بمجرد الأمنيات، ومن الخطأ في هذه المعركة مع الكفر أن نخرق السفينة أو نقفز فوق المراحل، أو نستدعي أحاديث الفتن ونحن قاعدون.

النصيحة الثانية
للدعاة

لكي نتقي لفح الحضارة الغربية لا بد أن ندعو أنفسنا والناس إلى الله، وعلى الدعاة واجب عظيم ولهم صفات يجب أن يتخلقوا بها، وكل ذلك موضح في الكتاب والسنة أجل توضيح، ولكن لا بد أن نذكر ما نستطيع أن نذكره.

وقد بين الله تعالى للنبي ﷺ ولكل من اتبعه أن الدعوة إلى الله ثلاث درجات، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل:١٢٥]، وذلك ما فصله ابن القيم رحمه الله فقال ما مختصره:

١. الحكمة مع الموافق.
٢. الموعظة الحسنة مع الغافل والناسي.
٣. المجادلة بالتي هي أحسن مع المخالف.

ومن الصفات الواجب توفرها في المسلم البصيرة، قال تعالى: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ [يوسف:١٠٨]الآية.

ولنهضة الأمة وعودتها إلى العقيدة الصحيحة ثلاث مراحل:

١. مرحلة الدعوة وهي مرحلة الجهاد بالفكر والعلم والإقناع، ولا بد منها مهما طالت مدتها ومهما تغيرت الأحوال.

٢. مرحلة إقامة الحجة وهي امتداد طبيعي للمرحلة الأولى، وتكون بعد اليأس من استجابة المدعو.

٣. مرحلة المقاومة باليد وإقامة الجهاد بالسلاح ويتوج ذلك بإعادة الخلافة الراشدة والحكم الشوري، وهذه المرحلة ضرورية لكي يكون الناس أحرارا فيما يعتقدون لا تضغط عليهم سلطة طاغية ولا تكبلهم أصفاد قوة بوليسية.

ومن الطبيعي أن تطول المرحلة الأولى او يتأخر الوصول إلى إعادة الخلافة الراشدة قرونا أو ما شاء الله، ومن الاستعجال الذي طبع عليه البشر

البدء بإقامة الخلافة مثلا قبل التدرج الطبيعي في المراحل، فقد كانت دعوة النبي ﷺ متدرجة وبدأ بالمراحل على الترتيب فدعا الكفار بالمواعظ والمنطق السليم والإقناع العقلي واستلهام الفطرة، وأقام الحجة عليهم بنقض كل شبهاتهم، وأتم ذلك بجهاد الكفار وجاهدت أمته من بعده فأسقطت طواغيت الأرض في حوالي ربع قرن وساد العدل الإسلامي كل العالم المتحضر آنذاك.

وبعض الأنبياء السابقين ماتوا ولم يتجاوزوا المرحلة العظيمة (مرحلة النصح والبلاغ).

ومِن تنكّب الطريق الصحيح للدعوة البدء بقتل المنافقين أو الحكم عليهم مقدما قبل دعوتهم وجهادهم بالقرآن وإقامة الحجة عليهم، كما أن من الخطأ أن يسافر الشباب المسلم بحثا عن مواقع الجهاد باليد، قبل أن يجاهد بالقرآن الذي قال فيه منزله سبحانه ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ [الفرقان:٥٢]، ويتركون المنكرات تنتشر خلفهم، وكأن دعوة الناس إلى تركها ليست من الجهاد.

والأمر ليس بالصناديق والديمقراطية، كما أنه ليس بالعنف والاغتيال، وإنما باتباع منهج الأنبياء الكرام من الدعوة إلى الله والصبر على الأذى وتحمل المشاق، لا سيما وكتاب الله وسيرة النبي ﷺ بين أيدينا غضة طرية، فالداعية لا ينتقم لنفسه وإنما يغضب لله مع الثقة المطلقة في وعده والتوكل عليه وحده.

ولست أشك لحظة في أن لا عزة لهذه الأمة بغير الجهاد، وذلك مما يدفعنا إليه الغرب دفعا وهو بمكره الكبّار يوقظنا دون أن يشعر، وهو بتبنيه سياسة الإسلاموفوبيا والتطرف اليميني أو الشعبوي كما قد يسمى، يردنا إلى الصراط المستقيم ويعلمنا كيف نقاومه وفق هذه المراحل المذكورة وبحربه واتهاماته يدلنا على أهمية تميز الخبيث من الطيب والمؤمن من المنافق.

كما لا أشك أن مجتمعاتنا الإسلامية قابلة للإصلاح وقادرة على التغيير للأفضل، لكن ينقصها الوعي والتوجيه، وإذا دعونا إلى الله تحقق لنا من

المعجزات ما لم يكن لنا في الحسبان، فقد اهتدى -مثلا- بعض الأسر النصيرية حتى أنهم ارادوا هدم ضريح حافظ الأسد، وهذا خير من قتلهم.

أما الذين يقفزون فوق هذه المراحل أو يحرقونها ويبدأونها عكسيا، فيسهمون في ما يريده الغرب حاليا، وهو جعل الإسلام فزاعة وبعبعا تخاف منه البشرية وتشقى بسيطرته وإن كان في أولئك المخطئين من المغامرة والشجاعة ما يستحق التقدير.

وقد أمر الله رسوله الكريم أولا بالصفح والعفو ثم أمره بقتال من يقاتله.

ثم أمره بجهاد الكفار والمنافقين إما وجوبا وإما استحبابا، وفي بيان ذلك فصل شيخ الإسلام ابن تيمية في "الصارم المسلول".

وحين يغلب عليَّ التفاؤل بالمستقبل فإن ذلك لا يعود إلى مجرد بث الثقة في نفوس الناشئة فقط، بل إلى الثقة المطلقه في وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، بأن يظهر دينه على الدين كله ولو كره الكافرون، وهو سبحانه لو شاء لمحا الكفر من الوجود في مثل لمح البصر أو أسرع ولكن حكمته اقتضت أن يبلو بعضنا ببعض وإنما علينا العمل وعليه النتيجة، وقد قال لأكرم الخلق ﷺ "فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب"، والإسلام منصور ودين الله غالب ولكن هل انتصرنا نحن على أنفسنا وشهواتنا؟

ينبغي للداعية أن يكون حكيما فإذا سأله المذنب دلّه على التوبة والاستغفار، وقد سُئل ابن الجوزي عن الذكر والاستغفار أيهما أفضل فقال: "الثوب الوسخ أحوج إلى الغسل منه إلى البخور"! وإذا سأله من يعلم أن لديه شبهة كشفها وأرشده إلى قراءة القرآن.

على كل مسلم أن ينكر المنكر أينما رآه، وقد أصبحت المنكرات اليوم ملء السمع والبصر، فلا يجوز السكوت عنها تبعا لرأي فلان وعلان وإن كانا من أهل العلم، فقد يكونان أنكرا و لم نعلم، وقد يكونان معذورين، وقد يكونان ضعيفين، وقد لا يعلمان المنكر، وقد يكونان أخذا بالرخصة أو قدما الأهم عندهم على المهم، وقد يكونان سكتا لمصلحة لديهما، وقد يكون

الساكت مخطئا، وقد يكون عميلا مأجورا، وقد يكون منافقا، وغاية الأمر أن يكون لذلك سبب لا نعلمه فكيف نترك ما في كتاب ربنا وسنة نبينا لقوله، ونستنصح الرجال في شرع الله كما فعلت اليهود؟

ولا يقل الإنسان أنا لا أستطيع أن أغيِّر حال الأمة ويتجشم ما لا يطيق، فالله لا يكلف نفسا إلا وسعها، والمهم أن يعمل على اتباعٍ وسنةٍ ولو لم يهد الله به إلا رجلا واحدا، والعمل خير من الشكوى والقولُ بأن الناس فسدوا، وإنما يتلاوم الأنتان كما قال ابن مسعود وليكن الشعار هو:

شمعة توقدونها في ظلام الـــ ليل أجدى من شتمكم لليالي

ولا يخلط الداعية بين واجبين: أحدهما عام تجاه أمة الإسلام، والآخر خاص تجاه خلطائه وتلاميذه.

وكل إنسان له قرابة وأصدقاء يثق بهم ودعوتهم أوجب وأجدى، ولا ينظر إلى كون المدعو حقيرا اليوم، فبالدعوة يتحول إلى ذي مكانة، وقد قال عمر بن الخطاب عن بلال الذي كان عبدا أسودا يحتقره أهل مكة (أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا)، فانظر كيف صار هذا الحبشي سيدا لعمر ولا يشك أي طالب علم أن بلالا أصبحت مترلته أعلى من مترلة أبي سفيان سيّد مكة وقريب رسول الله ﷺ.

والمبتدع خير من الكافر، والعاصي إذا أسلم فهو خير له من البقاء على الكفر، وينبغي للدعاة اذا أصرّ أحد على التدخين أو سماع الأغاني أو ترك الختان أو مشاهدة المسلسلات وأشباه ذلك مع إسلامه أن يقبلوا إسلامه مع بقائه على ذلك ويتدرجوا في وعظه ونصحه.

وينبغي للمسلم دعوة كل أحد استطاع أن يدعوه، فقد يصبح هذا المدعو مجاب الدعوة أو مجددا أو قائدا، والمسلمون كالطعام الطيِّب لا تدري في أيّه تكون البركة، وهذه الأمة كالغيث لا يُدرى أوله خير أم آخره، وهي أكثر أهل الجنة.

ينبغي للمؤمن أن يتلو القرآن على الكفار والمسلمين، وأن يكون جداله للمخالفين إما بالقرآن نصاً وإما بما دل عليه من الآيات والبراهين وإبطال كل الشبهات، وهكذا كان رسول الله ﷺ، وقال له ربه ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق:٤٥]، وبذلك دعا مصعب بن عمير ﷺ الأنصار، وبذلك تأثر العرب حتى قال أحدهم وكان كافراً يومها (فلما سمعتها (أي الآية) كاد قلبي يطير)، وقال الأعرابي: (من أغضب الجبار حتى يحلف؟)، وقال جلّ شأنه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان:٣٣]، وفي عصرنا هذا قال البروفيسور الأمريكي "جيفري لانج" لما قرأت القرآن أحسست أنه هو الذي يقرأني ثم أسلم ولله الحمد، وإذا قال أحد أريد أن أقرأ عن الإسلام فينبغي أن يعطى القرآن أو ترجمة معانيه، فإن كان صادقاً فهذا أقصر سبيل وإن كان كاذباً فقد قامت عليه الحجة، قال الله لنبيه الكريم صلوات الله وسلامه عليه ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ [التوبة:٦]، وقال له: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْءَانَ﴾ [النمل:٩١-٩٢]، وقد تعاهد قوم من كفار قريش ألا يسمعوا القرآن ولكنهم عادوا إلى سماعه في الليلة التالية، والله تعالى أقام الحجه بإرسال الرسل وإنزال الكتاب، قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة:٢١٣]، وقال: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥]، و لو أنه عاقبهم قبل ذلك لقالوا ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ﴾ [طه:١٣٤].

ومن الحكمة إلزام الخصم بما يعتقد هو، فإن اليهود لما جاءوا إلى النبي ﷺ أحالهم إلى حكم التوراة في الرجم، وقال تعالى عنهم: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ

﴿وَعِندَهُمُ ٱلتَّوۡرَىٰةُ فِيهَا حُكۡمُ﴾ [المائدة:٤٣]، وهذا أحد الأدلة على أن التوراة لم تحرف كلها.

وينبغي التدرج مع المدعوين شيئا فشيئا، وإزالة ما في القلوب من الأمراض أولا، والبدء بالأهم قبل المهم، فإن الله تعالى أول ما أنزل ذكر الجنة والنار وسورا من المفصل، ولو أنه أنزل الحلال والحرام قبل ذلك لما استجاب الناس، كما صح عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبين يديك كتاب الله، فتأمل المكي منه والمدني وموضوع كل منهما.

وانظر ماذا فعل المصلحون في التاريخ الإسلامي مثل عمر بن عبد العزيز رحمه الله، الذي قال لابنه عبد الملك: (ألا يكفي أن أباك كل يوم يحيي سنة ويميت بدعة)، وكيف أنه يقرن بعض المصالح بشيء من الدنيا ليقبلها الناس!

وانظر كيف أجمع المفسرون والفقهاء والأصوليون والمؤرخون قاطبة، على أن أفضل الشهداء هم شهداء بدر، ومع ذلك لقوا الله والخمر في بطون بعضهم إذ لم تكن حرمت بعد، ورسول الله ﷺ صلى إلى الكعبة وفيها ٣٦٠ صنما، ثم إنه حطمها بعد الفتح، ولم يبن الكعبة على قواعد إبراهيم ولم يخرج اليهود والنصارى بنفسه من جزيرة العرب.

ولما شتم أبو ذر إسافا ونائلة كاد المشركون أن يقتلوه.

فانظر كيف نقفز ونطلب ممن في شعبه أو برلمانه علمانيون قد تصل نسبتهم إلى ٥٠% أو ٤٠ % أن يقيم كل الشريعة، ولا زالت معاهدة لوزان الجائرة تكبله مثل (أردغان)، وكيف يعاديه المخالفون شرقا وغربا، ونكون -نحن المسلمين- من ضمن أعدائه، وهل كان انحراف المسلمين دفعة واحدة وهل انتقلوا من العفة والفضيلة إلى المجون والدياثة دفعة واحدة؟ وانظر كيف أن يوسف عليه السلام دعا إلى الله حتى وهو في السجن قبل أن يكون وزيرا، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩]، وانظر كيف بهرت أخلاقه الكفار حتى قالوا: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾

[يوسف:٧٨]، وإنما جعل العلم والمنصب وسيلة للدعوة إلى الله، وجعل رسول الله ﷺ كل منصب فداء لدعوته حتى أن المشركين قالو له "إن كنت إنما تريد الملك ملكناك علينا"، وهكذا ينبغي مع كل أحد، وإذا كان الخصم يحسب أنه على الحق بدأنا معه بقول: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ:٢٤].

ومن دعا إلى الله فليتبع الحق مع من كان ويدعو إلى الله بالرفق ما أمكن، فقد أمر تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يقول لعدو الله فرعون قولا ليناً، وانظر كيف أحسن صلوات الله وسلامه عليه صحبة رأس النفاق "عبدالله بن أبي سلول" وأعطى ابنه قميصه الشريف كي يكفنه فيه. بل قال بعض السلف كما روى الطبري أنه صلى عليه، وعلى ذلك يدل ظاهر القرآن.

وكيف نقتل أحدا أو نذبحه ونفجر فيه أو نقول إن دمه هدر قبل دعوته وإقامة الحجة عليه، لا سيما والشعوب غيبها النصيرية والرافضة والبعثيون عن الإسلام، وكيف نحكم بردة من لم ندعه إلى الله، أو نسمي الجهاد (الفريضة الغائبة) مع أن الفرائض الغائبة كثيرة وبعضها مقدم على قتال الكفار، والصلاة تركها أعظم من ترك الجهاد، وبعض المسلمين لا يعلمون الشهادتين أصلا، ويظنون أن الإسلام محصور في ترك الخمر والخنزير، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن بعض النساء إذا قيل لها صلي، قالت: حتى أصير عجوزا، وبعض المسلمين لا يصلي في اليوم إلا فريضتين!!

والمشركون لجهلهم يريدون الخوارق المادية لكي يؤمنوا، ونحن نجادلهم بالمنطق العقلي المبني على القرآن أو المأخوذ منه، أما الخوارق فهي هينة سهلة على الله ولكنه تعبَّدنا بمنهج الأنبياء الكرام، قال تعالى: ﴿إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ﴾ [الشعراء:٤] فاقتضت حكمته تعالى أن يبلو بعضنا ببعض مجادلة ومجالدة، وأن تكون الآيات برهانية يراها كل جيل.

ومن وسائل الدعوة الصحيحة أن نضع للدعاة برنامجا علميا يسيرون عليه وأن ندع التعصب وادعاء احتكار الصواب، ومن البرامج العملية اليوم الدعوة إلى توحيد المسلمين في وجه أعدائهم، فنكون يدا واحدة على العدو الخارجي، وفيما بيننا نتحاور ونتبع الحق.

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بالميزان وأن الله تعالى لا يظلم أحدا، ولا يضيع من الإيمان شيئا، كما يفرقون بين ما ينافي أصل التوحيد وما ينافي كماله، وبين من يدعو غير الله وبين من يدعو الله عند قبر، وبين من كان يهوديا أو نصرانيا، وبين المسلم الذي يبني علي القبر.

والمؤمن لا يكون عبدا إلا لله وحده، أما أهل الدنيا فيتعبدون لغيره بأي نوع من أنواع العبودية، لكن الطواغيت يسمون العبد الكبير (الفريق أو الوزير)، وإن عصاهم مرة واحدة عاقبوه بعقوبات اهونها طرده من العمل، وإحالته للتقاعد ويغيرونه كما يغيّرون أحذيتهم ولسان حالهم يقول (إن ذهب عير فعير في الرباط)، وأما العبد الصغير فيسمونه جنديا أو صف ضابط.

ينبغي للمسلم أن يحرص على ما يجمّع لا ما يفرق، والله تعالى نوَّع الاختصاصات والمجالات وفاوت قسمته في خلقه ولو شاء لجعل الناس أمة واحدة، وجعل المذاهب مذهبا واحدا وجعل المواهب واحدة وهكذا، ولكن حكمته جل شأنه اقتضت غير ذلك.

ومن المحال جمع الناس كلهم على دعوة واحدة واجتهاد واحد وأن يكونوا كلهم أطباء أو تجارا أو حدادين مثلا، ولكن يجب أن تتوازى المناهج ولا تتعارض أو تتصادم، واختلاف التنوع قوة يؤدي إلى التنافس، وإنما المشكلة في اختلاف التضاد، وينبغي الاجتماع على الأصل العقدي المشترك والضرورات الخمس، ولا يضرنا بعد ذلك اختلاف وجهات النظر في كيفية تحقيق التوحيد، وكل نبي له شريعة ولكن دينهم واحد وكل إمامٍ أو مذهبٍ من المذاهب الأربعة وغيرها له أصوله ونظرته الفقهية وبيئته حتى أن الإمامَ

الواحد له مذهبان قديم وجديد، ولكن كلهم من أهل السنه والجماعة، وكل واحد من الخلفاء الراشدين له اجتهاده ورأيه، ولكن كلهم راشدون، وهديهم يجب اتباعه، وقد كان في المدينة النبوية سبعة من الفقهاء المشهورين، واليوم تجد في المسلمين آراء مختلفة أو جماعات دعوية كثيرة أو باحثين كثيرين، وهكذا، وتجد في العمل الجهادي وحده فصائل مختلفة الاجتهاد، ولا حرج في ذلك بشرط التوازي والاتفاق في الأصول والتفاهم، وألا يدعي أحدٌ احتكار الحق، وأنه وحده على صواب، والألوان تختلف ولكن كلهم بشر، واللغات تختلف ولكن كلهم يبحثون عن وسيلة جامعة للتواصل، وإخراج الناس من السنة شديد كما قال الإمام أحمد رحمه الله، وحسب المؤمن أن يرجح أو يختار ولا يحكم بضلال من خالفه، والصحابة رضي الله عنهم تعددت وجهات نظرهم واجتهاداتهم حتى وصلت إلى حد التقاتل أيام الفتنة، ولكن هذا لم يقطع حبل المودة بينهم، وتأمل كيف عامل أمير المؤمنين علي رضي الله عنه الزبير بن العوام رضي الله عنه وكيف عاملت أم المؤمنين عائشةُ حسانَ بن ثابت رضي الله عنهما وكيف عامل أبو بكر مسطحا، وهكذا، فهم كانوا كما أثنى عليهم ربهم ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩]، ولا يجحد بعضهم فضل بعض بل يثني عليه بما ورد في حقه.

كما أثنى ابن عمر على ابن الزبير وذكر ما يعلم من محاسنه، وكان بعض التابعين يثني على الآخر مهما اختلفا مع إجماع الكل على الاتباع، وقد قال الشافعي رحمه الله لأحد مخالفيه: أفلا يكون بعضنا لبعض صديقا، ولو لم نتفق في مسألة؟

ومعلوم حفاوة أحمد بالشافعي وفرحه به، وبما أصلح الله به بين أهل الرأي وأهل الحديث وماذا فعل أبو يوسف لما زار الإمام مالك وكيف كان الخليل بن أحمد يحتفي بالأصمعي، وكيف كانت العلاقة بين عبد الله بن المبارك والفضيل بن عياض، وفي هذا العصر توسط الشيخ محمد بن إبراهيم لإخراج الشيخ بن باز من السجن، على أن الشيخ محمد حنبلي والشيخ بن

باز لا يتقيد بمذهب معين، وكيف أن اختلاف الاجتهادات في التفسير بين التفسير بالأثر والتفسير بالرأي غير قادحة، ولم يتهم أحدهما الآخر في نيته ومقصده، وكيف كان الإمام أحمد يحب أحمد بن نصر الخزاعي، دون أن يعمل مثلما عمل الخزاعي، وكيف كان يثني على معروف دون أن يوافقه في التصوف، ويعرف قدر بشر الحافي مع أن بشرًا لم يتزوج، ويستمع خفية للحارث المحاسبي.

وكان الإمام أحمد رحمه الله يحب الحسن بن صالح بن حي مع ميل الحسن إلى مذهب الزيدية، وقبل ذلك أثنى النبي ﷺ في مواطن كثيرة على الشيخين أبي بكر وعمر، ومع ذلك اختلفا بين يديه، وارتفعت أصواتهما حتى كادا أن يهلكا، ولكن لم يبغض أحد منهما الآخر، وكيف كان رأي ابن مسعود في القصر، ولما صلى خلف عثمان أتم الصلاة وقال "الخلاف شر"، وكيف أن عبيدة السلماني قال لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب مواجهة "رأيك في الجماعة أحب إلينا من رأيك في الفرقة"، وكيف أن بعض الناس بعد ذلك تمنى أن يعامله ابن تيمية كما يعامل الشيخ خصومه! وكيف أنه لما مات بعض خصومه قال الشيخ لأهله: (أنا مكانه فاطلبوا مني ما شئتم) ولما قابل ملك التتار اصطف معه العلماء حتى من كان صوفيا منهم، وكيف أن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله كان يحترم العلماء مهما خالفوه.

والله تعالى أثنى على المنفقين سرا أو جهرا وأذن بقطع اللينة أو تركها قائمة على أصولها، ووعد بالجنة من قاتل وأنفق بعد الفتح ومن أنفق وقاتل قبله، والرسول ﷺ أثنى على من صلى الوتر قبل أن ينام وعلى من صلاه في السحر. وأقر من صلى العصر ثم ذهب إلى بني قريظة ومن لم يصلها إلا في بني قريظة، ومن صام في السفر أو أفطر، وكذا من قنت قبل الركوع أو بعده، وأدخل بعض الصحابة دار الأرقم، وقال لآخرين "عد إلى أهلك فإذا سمعت أن الله أظهرني فتعال"، وكلهم من السابقين الأولين.

والأمة لا تجمعها المسائل الاجتهادية، وإنما يجمعها ما سماه شيخ الإسلام "الجمل الكلية"، وسماه بعض الإخوة "المحكمات"، فإذا اتفقنا على ذلك فلا يضيرنا اختلاف الطباع، واختلاف البيئات، وتنوع الاجتهادات وعلى الأمور الكلية العامة وأصول الإيمان جاء حديث جبريل عليه الصلاة والسلام في أواخر حياته ﷺ.

ومن أهم الأمور الواجبه على الدعاة الحرص على وحدة الصف، وإن اختلفت وجهات النظر، واليقين بأن ما يكرهه المرء في الجماعة خير مما يحبه في الفرقة، مع ضرورة التنبه إلى أن بعض الناس قد يسهم في الفرقة وهو لا يشعر، كما حدث في قضية أفغانستان أيام السوفيت، فقد كان بعض المخلصين يرى ألا يعطى إلا من كان على عقيدة السلف الصالح له راية مستقلة، وأن يجمع الناس له التبرعات مع أن هذا في الحقيقة يزيد من تعدد الجماعات، بينما يرى آخرون أن العقيدة الصحيحة تكون منبثقة من الأحزاب الجهادية نفسها، ويتبرع الناس لكل حزب بمقدار تمسكه بها وإذا اجتمع عليها حزبان كان نصيبهما من التبرعات أكثر، مع أن الكل مظلوم ونصرة المظلوم واجبة وإن أخطأ، ومن نصرته بيان خطئه دون التجني عليه.

ولا يعجز الدعاة عن الجمع بين كونهم مختلفي المنظومات ومتعددي الاتجاهات، وبين كونهم يتباحثون فيما بينهم بروح الأخوة والألفة، ولا يشترط إزالة المخالفات بالكلية، فالله تعالى بعث الرسل لأمرين:

١. إزالة المنكر بالكلية.

٢. تخفيفه ما أمكن، فأن تعود السفينة لأصحابها مخروقة خير من أن يأخذها الملك الظالم غصبا.

والعداوة متفاوتة ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقۡرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنۡهُمۡ قِسِّيسِينَ وَرُهۡبَانًا وَأَنَّهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾[المائدة:٨٢]الآية.

فإذا رأى المسلمون حزبا أكثر إتاحة للحرية من غيره فلينتخبه من شاء منهم مع أنه علماني لا يقيم شرع الله لكنه أقل ضررا، ومن تعاطف مع القضية الفلسطينية مثل "جيرمي كوربن" وحزبه (حزب العمال البريطاني) أقل شرا ممن يقف مع الصهاينة كحزب (المحافظين) بل ربما كان اليساري متسامحا مع المسلمين، وهو على أية حال أهون من المعادي المنتسب إلى اليمين المتطرف، فالنبي ﷺ أذن إلى أصحابه بالهجرة إلى الحبشة لأن ملكها لا يظلم عنده أحد، مع أنه كان آنذاك نصرانيا، ودخل مكة في جوار المطعم بن عدي وقد كان مشركا، واتخذ مشركا آخر "عبد الله بن أريقط" دليلا له في الهجرة، والذين مزقوا صحيفة الجور والحصار والقطيعة المعلقه في الكعبة كانوا مشركين، ولكن عملهم خير بلا شك من عمل من كتبها وعلقها وتقاسموا على الكفر.

وقد كان أبو طالب على شركة يحمي النبي ﷺ وينصره، وهو خير من أخيه أبي لهب الذي استخدم أسلوب الإعلام المضاد، فكان يلاحق النبي ﷺ في أسواق العرب، وإذا دعاهم عليه الصلاة والسلام إلى الله نقض كلامه وحذر الناس منه، هذا مع أن كلا منهما عم النبي ﷺ.

- الفرق بين مقام الدعوة ومقام إقامة الحجة:

الردود والمناظرات وحكم الطائفة الفلانية أو الشخص الفلاني قد لا يحتاج إليها وقد تقيم الحجة على المخالف، وهذا مقام من مقامات الإيمان غير أن مقام الدعوة أمر آخر، وآخر ما نعامل به أهل الكفر والبدعة هي إقامة الحجة عليهم، ولكن دعوتهم لا تسقط في أي حال، ثم يعقب ذلك قتالهم.

ويقول بعض الناس كالأستاذ خالد الدخيل إن السعودية يجب أن تكون دولة قوية، لأن الولايات المتحدة تريد حليفا قويا، أما أنا فأقول نعم يجب أن تكون دولة قوية، لأن الله يريد ذلك، ويجب أيضا إلغاء التحالف مع أمريكا

وإعلان عداوتها، والعمل لما فيه مصلحة الأمة ولا ننظر إلى ما تريده أمريكا ولا غيرها، والحل في منتهى السهولة وهو العودة إلى الله وإعلان الجهاد بكل أنواعه، وأساس ذلك الإيمان بالله وحده والتوكل عليه وحده، ثم على هذه الأمة المباركة التي تشكل أكثر من خمس العالم، وحينئذٍ تضطر أمريكا للتحالف معنا ولكن وفق شروطنا نحن، فلسنا عبيداً لها، ولن نرضى بالعبودية أبدا لأي مخلوق، وإنما نحن عبيد لله وحده مالك الملك القوي العزيز دائما، وإنما نضعف بمقدار ضعف علاقتنا بالله، فكلما كنا أقوى علاقة به كان العالم يهابنا، ولما انحدرنا عن ذلك قلت هيبتنا وأصبحنا بهذه الحال المزرية، وتكالبت علينا قوى الكفر وعلى رأسها أمريكا، التي تريد أن تتخلص مما تسميه "الوهابية" لكي نتعلم منها العدل والديمقراطية كما قال الأستاذ فهد العرابي الحارثي الهاشمي في كتابه، والأستاذ فهد يجيد الفرنسية فيجب أن يدعو إلى الله بها، وله خالص الشكر.

ونحن لا نفرق بين المتماثلات أو نسوي بين المتناقضات، فهل يكون الاشتغال بالسهام مشغلا عن الصلاة، ولا يكون اللعب والتشجيع في وقتها حراما وصداً عنها؟ وهل يكون القمار في جزيرة العرب حراماً وفي لاس فيغاس حلالاً، وهل تكون حروب الجاهلية غزواً وعدواناً وثارات قبلية، بينما تكون حروب أمريكا تحضراً ورقياً ونشراً للعدالة وحقوق الانسان؟

وأئمة السلف الصالح علي عبقريتهم لم يذكروا ما جاء بعدهم من فلسفات ونظريات في الأحياء والفيزياء والاجتماع والسياسة، وهذا أمر طبيعي في كل البشر إذ لا أحد يعلم الغيب إلا الله وحده، ولم يرد شيخ الإسلام على البروتستانتية أو على المنطق الرياضي، ولو أن العلمانيه والليبرالية والقومية والوطنية وأمثال ذلك ظهرت في أيامهم ما تركوها، ولذكروها في عقائدهم إذ هدفهم هو الرجوع إلى الكتاب والسنة ونقض كل بدعة.

لكن القواعد الكلية موجودة والوجوب علينا متعين، وكذا من جاء بعدنا ممن يكون من البدع في عصره ما لا نعلم نحن اليوم.

والدعوة إلى الله هي وظيفة الأنبياء الكرام وعملهم الدائم وقد كان ﷺ يدعو إلى الله أينما ذهب، وانظر إلى ما فعل يوسف عليه السلام في السجن؟ فالقضية أكبر من كونها إسقاط نظام فلان أو نجاح الثورة عليه أو الطمع في الوصول للحكم كما يقولون.

وأعوذ بالله أن يتخلى المسلم عن الدعوة، أما عن اتهامي بأني تخليت عن الدعوة وأصبحت حلاقا كما نشر أحدهم في جريدة العرب الدولية (خضراء الدمن) فهو أشد علي من اتهامي بأني أدعو على الطريقة الفلانية.

وأقول لكل مفتر: افرضوا أنني صرت حلاقا فما العيب في ذلك، وقد كان لكل واحد من السلف مهنة يعيش منها، بل حتى الأنبياء الكرام كان منهم النجار والخياط والحداد كما تعلمون.

ثم أما كان واجبكم أن تكتبوا للحكومة بأن تعطيني هي كما تعطي اليهود والنصارى والمجوس، أو على الأقل مواطنيها من الباطنية والنخاولة والبحارنة، أم أن من حقي وحدي الشماتة ولغيري العطاء.

أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من كل جنس

ألم تجدوا ما تكتبون غير هذا الافتراء؟ ألم تسألوا أنفسكم كيف تسارع خضراء الدمن لنشره وهي التي تزعم أنه ليس من منهجها التجريح الشخصي؟ ثم إني أسألكم أسئلة يقتضيها المقام: هل من شرط الحلاقة أن أمارسها بنفسي! وهل تتعارض مع الدعوة لو حصلت؟

وهل حث السعوديين على المهن والعمل يتعارض مع ذلك؟ وأين حقوقي المقتطعة من راتبي؟

وكيف أترك الدعوة كما قلتم وهي روحي وحياتي ولأجلها أعيش؟ فاتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون.

على أنني أدعو نفسي وهؤلاء إلى التوبة وأن باب التوبة لا يزال مفتوحا، وأن الله سائلهم عما يقولون في قبورهم حيث يدفن كل واحد منهم وحده، ليس معه ولي أمر ولا جند ولا شفعاء، فبماذا يجيبون الله؟

وحسب القائل أنه كذب، والكذب هو الكذب من أي طرف جاء، كما أن الغلو هو الغلو والجور هو الجور.

ومن كان اليوم مرجئا مع الحكام لا تدري ماذا سيفعل بهم غدا، وقد وقع بعضهم خطاب شوال ثم نكص على عقبيه، وقال قائلهم والله إني أود رؤية فلان وفلان مصلوبين، وقد قتلوا الشيخ نادر العمراني في ليبيا مع أنه حاصل على أعلى الشهادات من هذه البلاد ومفتيا وعالما جليلا -تقبله الله شهيدا.

وهل هناك فرق بين أن يكون استحلال الدم باسم الردة أو باسم البدعة؟ ولا يصح تبني أحد جوانب الغلو وإفساح المجال له ليقول ما يريد في أي وسيلة إعلامية رسمية، مع التركيز الإعلامي على محاربة الجانب الآخر فقط، فهذا من الاجحاف، ومما يبرر الانتقام ويزيد من الإرهاب.

إنني إذ أنشر هذا المكتوب وأقدم هذه النصيحة، لأرجو أن ينفع الله بذلك وأهيب بكل داعية إلى الله أن يصدع بما يراه من الحق، فقد انتهى زمن المجاملات والسكوت، وجاء وقت الصراحة والوضوح، وأن ينشروا الحق على الملأ لا أعني في القنوات الإسلامية أو المجلات الإسلامية وحدها، بل في الجرائد الرسمية نفسها وفي القنوات الرسمية نفسها، وأن يكون تغيير المنكر كتابة وزيارة وعن طريق تكثيف الاتصال بأهله هاتفيا حتى يعلموا أن للحق رجاله وللدين أهله فلا يتجرأ أحد على الحق وأهله، وإذا لم ينشروا لهم فليزرهم الداعية ويسألهم عن السبب في عدم النشر ويحرجهم ويعلم أن القوم أحقر مما يظن، وأن الليبراليين ما هم في الواقع إلا مستنقع قذر على ضفة هذا النهر العظيم من الأكثرية المؤمنة.

وعلى الدعاة أن يصبروا على الأذى كما صبر الرسل الكرام، وليعلموا أنهم كلما اجتمعوا وكثروا كان الأعداء عن الفساد أعجز وأن التربية الإسلامية التي عاشوها لها ضريبة لابد منها، لاسيما وقد تكاثرت الظباء على خراش، فإلى متى يظل أهل الخير ساكتين ويظل الجو خاليا لأهل الفساد (خلا لك الجو فبيضي واصفري)، والكفر البواح يحيط بنا من كل جانب؟ وكيف يعلم من يوليهم أنهم لا يمثلون المجتمع إذا لم يجد من ينكر عليه؟ وكيف يكتب بعض أهل التغريب بأسماء أو كنى كثيرة مع أنه شخص واحد، وكيف يكتب بعضهم بأسماء نسائية لإفساد نساء المسلمين، بل إن إحدى المغنيات اللبنانيات النصرانيات كانت تغني وتتهتك باسم "سارة لاغامدي" مع أن اسمها سمر حنا.

وقد غيَّر بعض الناس المنكر لما كثر الاتصال عليه وصار يقول لمن يتصلون به هذا قديما وتعالوا بأنفسكم وانظروا، وبعض الوزارات اضطرت لتأجيل برنامجها الإفسادي، وبعض القنوات ألغت برنامجا لما ضج المجتمع.

وقد انتهت مرحلة (دار الأرقم)، فالقرآن والحمد لله في كل مكان، والإيمان ولله الحمد في كل بيت مسلم والشعوب الإسلامية كلها مع الدعاة، وليس في الأرض اليوم عصابة يقال عنها (اللهم إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض)، والعدو قد كشر عن أنيابه وأهل الفساد أولى أن يستتروا بفسادهم! ويخفوا معاصيهم، ومن كان منهجه التربية الفردية ينبغي أن يعلم أنها لا تعارض الإنكار الجماعي.

ويجب على المسلم أن ينكر كل منكر بقدر استطاعته، وكثير من العصاة فيه خير لا نعلمه وبعضهم إنما كره الدعوة من باب العناد للسلطة، ولما رأى السلطة نفسها ضد الدعوة عاد إليها، كما يجب الصبر على الأذى إن حصل، وأرض الله واسعة، فإذا ضاقت بلد عن الدعوة فليهاجر المؤمنون إلى أخرى إن استطاعوا، ولكل مرحلة وقتها وينتهي، وقد جاء رجل إلى

النبي ﷺ بعد فتح مكة بأخيه قائلا: بايعْه يا رسول الله على الهجرة فقال له النبي المصطفى ﷺ: (مضت الهجرة بأهلها..) الحديث. فلم البقاء في الغلس؟

وبعد أن أنزل الله قوله تعالى: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحِجر:٩٤] لم يبق مجال للدعوة سرا، فالواجب علينا هو الصدع بالحق وإنكار المنكر بحسب استطاعتنا وإقامة الحجة على كل أحد، فمن أبصر لنفسه ومن عمي فعليها، ومن انتكس فلا يضر إلا نفسه.

وينبغي في هذه المرحلة العصيبة الانتقال من التربية الفردية إلى التربية الأممية، ومن اقتضت ظروفه استمرار التربية الفردية فليوازها بالكتابة على مستوى المسلمين كافة وليجمع بينهما، ومن التربية العامة غير الكتابة، إنشاء المؤسسات الإسلامية والخيرية، والتحافيظ والمؤسسات التعليمية، وبناء المساجد والمراكز والمعاهد وإبلاغ الدعوة لكل بلاد المسلمين، وتوعية الأمة بما يراد لها، والحذر من المنافقين والمتاجرين بالدين لأجل مناصبهم وكراسيهم.

وينبغي للمرأة المسلمة أن تقول ولو هاتفيا لكل امرأة تتبرج أو تخالط الرجال أو تسعى للعمل ولا تقر في بيتها: يا أختي هذا منكر فاتقي الله، وإن لم تعرف المنكر عليها.

والدعوة السرية مرحلة وليست دائمة ووسيلة وليست غاية، فلا بدمن الجهر بالحق والصدع بإنكار المنكرات، وكيف يسر الدعاة أو يشتكون الفساد من أمور يفعلها الناس علانية ويجاهرون بها؟ ولنفرض أن أحدا يوالي الحكومة في كل شيء، فهل يحب المنكرات أم أنه يجب عليه إنكارها.

ولا تجوز المشاركة في الأنظمة القائمة التي قد تبدأ بالسماح للإسلاميين بتشكيل الحكومة وتنتهي بإعطائهم مقعدا في الوزارة أو البرلمان، مع الاعتراف بشرعية النظام، والقول إنه يجب على الشعب الالتفاف حول قيادة فلان والإقرار بشرعية نظامه، والتحاكم لقوانينه، وتزكيته أمام الناس فرارا من تهمة التكفير أو الإرهاب التي لا فكاك منها مهما تنازل الدعاة.

وأنا مع أني عفوت عمن أساء إلي، والتزمت ألا أرد ولا أنتقم لنفسي ولا آذن لأحد أن يذكر أحدهم في مجلسي بسوء فإني أرى من الواجب الشرعي أن أكتب عن صفات المفترين عامة دون ذكر الأشخاص بيانا للحق وإعذارا إلى الله لعلهم يتقون ويخافون الله ويهدي الله من شاء منهم، وإلا فإنه جل شأنه جعل هداية القلوب بيده، وأخبر أن قوما إن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وأن قوما قالوا سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين، وأن قوما يجحدون الحق بعد أن استيقنوه في أنفسهم وأن قوما يؤثرون القليل الفاني، وأن قوما يرجون بقاء المودة بينهم وبين غيرهم غير أنه تعالى جعل لأعداء الدعوة إلى الله في هذا العصر سمات وصفات يعرفها العاقل، أذكر بعضها وإن كان حصرها مستحيلا، ولا زلت امتنع عن ذكر أحد بعينه وأكره من يظن أنه يتقرب إليّ بذكر أسماء المفترين وهاك بعض صفاتهم:

• ترك صريح الكتاب والسنة واتباع أهوائهم، أو من لبسوا عليهم من أهل العلم، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الأعراف:٣].

• يدعون أنهم وحدهم أصحاب العقيدة الصحيحة وأن من عداهم مبتدع والمعيار عندهم في صحة العقيدة هو طاعة الحكام، وقد قال ﷺ: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، وقال: (إنما الطاعة في المعروف)، وقال عمن أمرهم عبدالله بن حذافة بدخول النار وكان هو الذي ولاه عليهم (لو دخلوها ما خرجوا منها)، قال ابن القيم تعقيبا على الواقعة: "فإذا كان هذا حكم من عذب نفسه طاعة لولي الأمر فكيف من عذب مسلما لا يجوز تعذيبه طاعة لولي الأمر"، فهكذا فهم السلف معنى الطاعة ومن أعظم التعذيب غير صورته المعروفة: الافتراء على البريء، واتهام المخالف بأنه خارجي، وكما أنه لا يؤخذ من الخوارج إلا قول بعضهم في بعض، كذلك هم، فبعضهم أعرف بقول بعضهم الآخر لا سيما في مجالسهم الخاصة.

• أن أحدا لم يسمع منهم القول بأن فلانا مبتدع إلا بعد أزمة الخليج فما الذي طرأ؟ أليس هذا تصديقا لما قال أحدهم لي "إن الجهة الخبيثة التي لا أريد ذكر اسمها قالت لي: رد على فلان فقلت معاذ الله أن أرد عليه فهو شيخي". ثم إن هذا القائل رد عليّ، ومن ردوده ما سماه "فقه الواقع" وهو ما لم أقله، ولكن الله أراد أن يعرفه الناس، وما قال العلماء بشأنه.

• الزعم بأن إنكار المنكر إنما هو إنكار على الحكام أنفسهم، وبذلك حصروا المنكر فيما يفعله الحكام، وحصروا المسؤولية في الحاكم وحده، والأمر أعم من ذلك كما يعلمه كل عاقل، فعلى الحاكم مسؤوليته وعلى الفاعل مسؤوليته، وعلى ولي الفاعل مسؤوليته، وعلى المجتمع كذلك مسؤوليته.. وهكذا، وهم بهذا أوغروا صدور العامة على الحكام، والله تعالى يقول: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[المائدة:٧٨-٧٩]، فلم يحصر سبحانه المنكر فيما يفعله ملوكهم فقط.

• أن المذكورين عمموا حكم ولي الأمر على الدول التي لا تحكم بما أنزل الله أصلا، وتخالف الدين صراحة، بل ربما كانت كافرة، ولم يقتصروا على الدولة السعودية وحدها.

وهذا فيه تكذيب لدعوى السعودية أنها الدولة الوحيدة التي تحكم بشرع الله، وقد قال لي المغني البريطاني سابقا "كات ستيفن" هل يريد مني هؤلاء أن أطيع فلانا وهو غير مسلم؟ كما أخبرني من أثق فيه من علماء العراق أنهم أفتوا بطاعة (بول بريمر)، وأن من قتل أمريكيا فعليه ديته! دع حزب النور والذين وقفوا مع العبادي وحفتر.

وعلى قولهم يكون (نتنياهو) ولي أمر وكذا (أبو مازن) وقبلهما كان النماردة والفراعنة!.

• حصرهم أسلوب الإنكار في الاسرار أو الكتابة فقط، ولذلك عدة أجوبة:

*أنهم لم يلتزموا بذلك بل أنكروا على مخالفيهم في كتب وأشرطة وغير ذلك فكيف يدعون الناس إلى ما يخالفونه هم.

* أنهم لا يفرقون بين العيوب الشخصية والمنكرات العامة.

* أن هذا أسلوب جربه كثيرون وثبت لهم إخفاقه، فلماذا لا يستبدلونه بما هو أجدى؟ والله تعالى صرَّف في كتابه من الوعيد و لم يجعله نوعا واحدا.

* يزعمون أن كل من خالفهم غير سلفي بل هو مبتدع!! ولذلك يحق لنا أن نسألهم: إذا كان أي شيء يراه المجتهدون مما وقع بعد النبي ﷺ بدعة فالسلفية بدعة، وإذا كان الاجتهاد على ضوء نصوص الكتاب والسنة جائزا فكيف تتهمون غيركم بالبدعة؟

* أن بعض الحكام تجيز دساتيرهم إنشاء الأحزاب وتبيح حرية التظاهر، وجمع التبرعات وهم ضد ذلك وضد كل من يخالفهم من السلفيين، مثل دار إحياء التراث في الكويت، وحزب الرشاد في اليمن وجماعة أنصار السنة في مصر والسودان فضلا عن غيرهم.

* أن منهجهم التعيير وليس النصيحة، ويخالفون بذلك ما تواتر عن السلف الذين قيل لبعضهم أتأذن لفلان أن يقول فيك؟ فقال: "إن كان على سبيل النصيحة فنعم وأما على سبيل التعيير فلا"، وقد ألف الحافظ ابن رجب رسالة في ذلك سماها "الفرق بين النصيحة والتعيير"، فلماذا لا ينصحون ويتخلون عن التعيير؟ وقد قال الله على لسان عبده هود عليه السلام ﴿أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٨]، وقال عمن يخالف الحق ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٧٩].

* أن السلف الصالح خالف بعضهم بعضا، ورد بعضهم على بعض، بل قاتل بعضهم بعضا ومع ذلك لم يتهم أحد منهم مخالفه بأنه غير سلفي! وانظر كيف يختلفون في الرجل الواحد فيقول بعضهم ثقة ويقول بعضهم ضعيف.

• أنهم يبخسون الناس أشياءهم كحال قوم شعيب، فهل يعقل أن مخالفهم شر محض وخطأ محض؟ ومن الذي ادعى العصمة من مخالفيهم؟ وهم بذلك يخالفون كتاب الله الذي أمر بالقسط ونهى عن بخس الناس أشياءهم! ويخالفون سنة النبي ﷺ الذي حث على الرفق وذكر مزاياه، ونهى عن العنف وعن الغيبة والنميمة والتطفيف، وهم لا يحرمونه ويحكمون حتى على علماء الأمة الأفاضل، فقد قالوا عن (ابن باز) ضال، وهذا سمعته مباشرة، وقالوا إن الألباني لا يؤخذ عنه التصحيح، وقالوا (ابن جبرين) كالطفل، وابن فوزان تراجع، وابن لحيدان مخرِّف، وابن غنيمان يزكي الحزبيين، وبكر أبو زيد يدافع عن الإخوان، وابن عثيمين يزكي لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية، وابن تيمية أخطأ في الحكم على الصوفية، وابن القيم صوفي، كما اتهموا كل من يخالفهم ولو كان موافقا لهم في قضايا كثيرة، فالشيخ علي حسن عبد الحميد وسليم الهلالي كذا! ومقبل الوادعي ضد السعودية وكذا، والمأربي كذا، أما من لا يوافقهم فهو عندهم حركي حزبي إخواني قطبي سروري مبتدع ليس من أهل السنة ليس سلفيا .. إلخ.

• لا يضعون أنفسهم موضع الشك أو الاتهام، والله تعالى يقول للصادق المصدوق البعيد عن كل تهمة: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٥]، ويقول: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٤١]، ويقول: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي﴾ [هود:٣٥].

• أن بعضهم يتمنى علنا أن ينصر الله اليهود على المجاهدين في فلسطين وهذا ما لا يفعله مسلم قط، هب أن ما ذكروه من الذنوب عند الفلسطينيين

حق أليس الجهاد يكفر كل ذنب بنص الكتاب السنة! وافرض أنه لا يكفره أما كان من الأولى مناصحتهم؟ وكيف تنسون المسجد الأقصى الذي ثبت فضله في الكتاب والسنة، وكيف يكون خلفاء كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب أولى عندكم من خلفاء رسول الله ﷺ؟ أم أن ذلك طاعة لولي الأمر؟

• أنهم يقلبون الحقائق ويحرفون الكلم، ويقتطعون من السياق ما يشاؤون ويحذفون ما يشاؤون، ويشبهون قول من قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [النساء:٤٣] ووقف، أو من قال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ﴾ [الماعون:٤] ووقف.

• ليس لديهم مكان للعزيمة والصدع بالحق والله تعالى يقول في صفات المؤمنين ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ [المائدة:٥٤]، ويقول: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]، وقد بايع النبي ﷺ الصحابة ليلة العقبة، على أن يقولوا الحق أينما كانوا ولا تأخذهم في الله لومة لائم". وهذا عندهم تشهير وتهييج!

• التلبيس على الحكام وغشهم وكان الواجب نصحهم وبيان الحق لهم وقد قال الحسن البصري لابن هبيرة "إن الذي ينصح لك في دينك ويخوفك آخرتك خير لك من الذي يغرك ويمنيك) والواجب هو النصح وليس التزيين والغش عملا بقوله ﷺ (الدين النصيحة قلنا لمن يا رسول الله؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم)، فلم يبق من المسلمين أحدا. وكان الصحابة كلهم ناصحين لا مادحين، والحاكم يقول: (رحم الله امرءا أهدى إلي عيوبي)، ولسان حال هؤلاء يقول: ليس لك أي عيب!

• ترك القريب الواضح والاشتغال بالبعيد الخفي فهم كالأمريكان الذين يتحدثون عن جريمة الدولة العثمانية -كما قالوا- بحق الأرمن، ولا يذكرون جرائم اليهود اليومية في حق الفلسطينيين، ولذلك يحارب هؤلاء الأوهام ويتركون الروافض والمتصوفة والنصيرية والإسماعيلية، بل لا يتحدثون عن

المسجد الأقصى المبارك، وليتهم إذ سلم منهم الملاحدة ودعاة التغريب والليبراليين والروافض والباطنية سلم منه أيضا دعاة التوحيد وأهل الإصلاح، فلا يخصون أهل الحق باللوم والتعنيف ويجعلونهم سبب البلاء!

• الاتهامات الباطلة فمن دعا إلى الله فهو عندهم داعشي خارجي يريد الفتنة ويسوؤه الأمن والأمان! وقد قيل للرسول ﷺ ما هو أشد من ذلك، فقيل إنه مجنون وقيل ساحر وقيل كاهن وقيل شاعر وقيل مفتر وقيل صابئ وقيل ابن أبي كبشة، وقيل إنه مسحور وقيل إنما يعلمه بشر وقيل إنه يريد تغيير عقيدة الآباء والأجداد وقالوا إنهم إن يتبعوا الهدى معه يتخطفون من أرضهم، فالأمن والعقيدة الصحيحة عندهم في ترك اتباعه ﷺ، والغربيون اليوم يقولون إنه ﷺ كاردينال هارب، وإنه شهواني وإنه كان يريد انتشال العرب من الفقر وقالوا إن إرساله كوني مثل إرسال الله للريح، وأمثال ذلك من الافتراءات، وأمثلهم طريقة من يقول هو نبي للعرب خاصة، فانظر من قدوة القوم؟

• استحلالهم أربى الربا فقد قال ﷺ (أربى الربا الاستطالة في عرض أخيك المسلم)، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾[الحُجُرات:١٢]، فانظر كيف نهى عن كثير مع أن الإثم إنما هو البعض.

• التلبيس على السذج بالخلط بين مقام الدعوة ومقام إقامة الحجة، وبين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة، وبين الرد على الفرق الضالة الذي قد يستغرق أعواما بل أعمارا، وبين بيان العقيدة الصحيحة الذي لا يستغرق سوى دقائق معدودات، كما يخلطون بين مقام القول بعلم وعدل ومقام إنكار المنكر، وإذا امتدح أحد كتابا جاؤوا بكتاب آخر للمؤلف نفسه، بل يردون عليك من خلال ما ينسبونه لغيرك.

• يدّعون السنة والجماعة، وسيرتهم مختلفة عن سيرة إمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد ليس مع المأمون والمعتصم، بل مع المتوكل، الذي أحيا

السنة وقمع البدعة وألزم اليهود والنصارى بالغيار وعظم الإمام أحمد جدا، كما أنه لا يُعلم أحد من أهل السنة جمع أخطاء مخالفيه من أهل السنة.

• يتبعون ما تقرره السياسة دون أي اعتراض، مع أن الساسة أنفسهم يعترفون بأن السياسة المعاصرة تقوم على النفاق والكذب ونكث المواثيق والتقلب المستمر، فماذا يقولون مثلا في فتح دور للسينما وفي تجنيد الفتيات، أم يرون السكوت؟ وما هو الاعتدال والتوسط عندهم؟

• يقولون كلاما لا يقوله الصادقون من رجال البحث الذين يراقبون الدعاة في كل حركة وسكنة، ويتنصتون على كل كلمة منهم، بل إن الحكام أنفسهم يتورعون عن بعض ما يقوله هؤلاء، ويزعمون أن التحافيظ مخترقة ووزارة الشؤون الإسلامية مخترقة، وهيئة كبار العلماء مخترقة والمساجد مخترقة، ومعنى ذلك أنه ليس على الحاكم إلا أن يستسلم إذ لا يمكنه إلغاء كل ذلك، وأنا أذكر ما جرى لي والله على كل شيء شهيد:

سجلت الإدارة المختصة كل محاضراتي في كل مكان، وتشددوا جدا حتى أنهم راقبوا أطفالي الصغار حين يذهبون الروضة، وراقبوني بالناظور (الدربيل)، وكنت أسهل لهم ذلك بأن تكون أبواب المكتب من الزجاج، وتنصتوا على كل مكالماتي، وراقبوا السائق والخادم وأمروا من كان يعمل معي بمغادرة المكتب ففعل.

ومع ذلك لم يجدوا لدي شيئا مما يقال، ولما قالوا إنهم لم يجدوا شيئا اتهمهم المفرتون بالتقصير والإهمال والغفلة، فلا بد عندهم أن تطير العنز وتكون غراباً.

• يفتون في كل قضية ولو بغير علم ومن ذلك أن بعض الاخوة من الجزائر استفتوهم بشأن القتال بين الحكومة والغلاة فأفتوهم أن يقاتلوا مع الحكومة! وكان الأجدر بهم الدعوة إلى الاصلاح بين المتقاتلين وكف اليد عن القتال أو السكوت وإحالة السائل إلى أهل العلم.

• يخالفون منهج الأنبياء في الدعوة، فليس لديهم لين ولا حكمة بل تشنج واتهام وطعن، والله تعالى أمر عبده موسى عليه السلام أن يخاطب أعتى الطغاة ومدعي الألوهية فرعون بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]، وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون:٩٦]، وخليل الرحمن عليه السلام عدل عن تكذيب من قال: ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة:٢٥٨] إلى إلزامه بحجة أخرى.

• يستنصحون الرجال في دين الله فهم يشبهون الذين اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله، وربما لبسوا على أحد ثم اتبعوه، وقد ذكر الإخباريون أن أشعب الطماع أوهم الصبيان أن في البيت الفلاني وليمة، فلما ذهبوا إلى البيت اتبعهم، أما إذا قال العلماء غير ما يريدون كما قال الشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد فكلامهم مردود، ولا بد من تجريحهم واتهامهم.

• بعضهم جاسوس بالفعل، ودعا غيره إلى ذلك، وبعضهم يحتسب غيبته وتجسسه عند الله، وهو تعالى قد نهى عن التجسس بكل صوره فقال: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾ [الحُجُرات:١٢]، وقال بعض السلف: "إن من الورع ما يكرهه الله"، فكيف لا يكون من الدعاة من هو جاسوس شعر أو لم يشعر.

• إذا قضت الجهات المختصة أو حكمت المحكمة بأن فلان برئ غضبوا وتألموا، إذ كل من خالفهم مذنب وكل من بلغوا عنه مجرم! ولم يحدث أن شفعوا في محبوس أو دفعوا الظلم عن مظلوم، وتجد بعض رجال الأمن لا يوزعون كتبهم ولا يؤيدون أقوالهم، بل يحرقون كتبهم ويرمونها مع الزبالة.

• يفرحون إذا أخطأ أحد الدعاة ويعدون ذلك معصية فهم يحبون أن يعصى الله تعالى، ولو رجع المخطئ عن خطئه لم يرجعوا هم عن التشهير به.

• بعضهم يعلم أن الله فهم الدعاة ما لم يفهمه ولكنه يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله

• الدين عندهم طاعة الحكام، والجهاد إنما هو ضد الفرق القديمة فقط، ومن رد على فلسفة حديثة فهو يدعو لفقه الواقع المحرم عندهم، فلا ينكرون على من رد على جهمي مثلا، وإنما ينكرون من رد على ليبرالي في قناة أو صحيفة، وإذا كان ولي الأمر هو الذي ولاه فيجب السكوت عنه عندهم.

• وربما اعتمدوا على الطبعات الأولى من كتاب له طبعات متأخرة، وقدموا المتشابه في مرة واحدة على المحكم آلاف المرات، أو على كتاب صاحبه في طور مراجعته، وأسوأ من ذلك منهجهم في التعامل مع النصوص، فحين يتكلمون في الحجاب يأتونك بحديث في الحج، وحين يتكلمون عن الإيمان يأتونك بحديث في الشفاعة، وهكذا.

• لا يعملون بقوله ﷺ: (كلكم راع)، الحديث المعروف وأن الله سائل كل راع عما استرعاه، وكان الأولى بهم نصح الحكام وبيان أن الله سائلهم عن كل مريض لم يداووه وعن كل فقير لم يعطوه، وعن كل جاهل لم يعلِّموه، وعن كل جائع لم يطعموه وعن كل عار لم يكسوه، ونصح كل من يغتاب غيره من أهل الدعوة والعلم.

• يصفون كل من خالفهم بأنه حركي معارض فلا احتمال عندهم لأن يكون مجرد قائل بالحق، وهذا من فجورهم في الخصومة.

• ربما غرهم سكوت أهل الحق عنهم وظنوا أن ذلك عجز وانقطاع، مع أنه اشتغال بالعمل عن الرد، والنبي ﷺ لوشغل نفسه برد تهمة أنه مجنون لما وجد الفرصة لدعوة المشركين ثم لجهادهم في بدر وغيرها، والإعراض عن الرد هو امتثال لأمر الله الذي أمر بالإعراض عن الجاهلين، ووصف المؤمنين بأنهم إذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وإذا مروا باللغو مروا كراما، وأمر نبيه ﷺ أن يصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال له: ﴿فَٱصۡفَحۡ عَنۡهُمۡ وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [الزُّخرُف:٨٩]، وقال فيمن عفا وأصلح: ﴿فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠]،

كما أننا لا نأمن أنفسنا إذا دافعنا عنها، ولا نريد أن نخفف عن المفترين ذنوبهم، ولهذا كان مذهبي الدائم ألا يذكرهم أحد في مجلسي قط.

• هم لا يبحثون إلا عن الخطأ الذي لا ينجو منه أحد، وقد شبه ابن تيمية رحمه الله فاعل ذلك بالذباب الذي لا يقع إلا على العقر.

• إذا بحثوا ولم يجدوا خطأ افتروا على من شاؤوا ما لم يقل وحملوا كلامه على أسوأ المحامل.

• يؤمنون بالحدود التي وضعها سايكس وبيكو وبالشعارات المسماة "وطنية" ويقولون إن الفكر الإخواني جاءنا من مصر والفكر التبليغي جاءنا من الهند والفكر الجهادي جاءنا من أفغانستان... الخ، والله تعالى أخبر أن المؤمنين إخوة، وأن الحق يقبله المؤمن من أي مصدر جاء، ويرد الباطل أو الخطأ ولو كان وطنيا أو من ذي قربى!

• يخالفون ما اشتهر عن السلف الصالح من قولهم "كلامنا صواب يحتمل الخطأ وكلام غيرنا خطأ يحتمل الصواب"، ويزكون أنفسهم وأقوالهم.

• الماء عندهم يحمل الخبث ولو بلغ ألف قلة، مع أن النبي ﷺ قال: (إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث)، فكل من دعا إلى الله أو أمر بمعروف ونهى عن منكر متهم عندهم ولا يغفرون له أي ذنب ولا يحتملون منه أي خطأ في نظرهم.

• مهما يكن في منهج الإخوان من خطأ فإن سياسة خلفان ضلال وانحراف، والعداوة فيها علنية لأهل الدين، ولا يتبعها إلا المنافقون، والله تعالى أمرنا بالعدل، وقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢]!! وهم لا يفصلون بين السياسة القرآنية والسياسة الخلفانية، التي تقول إن الجهاد إرهاب؟ وتعادي (حماس) مثلا، أو (حزب الإصلاح) بتهمة الانتماء للإخوان، فإلى أي عقيدة ينتمي خلفان؟ أم أنه سلفي عندكم؟

• هم يتفقون مع داعش ومع الاخوان في كثير من الصفات التي ليس هذا موضعها! وهكذا انقلب السحر على الساحر وعاد الكذب على الكاذب.

• هم يخدمون دون أن يشعروا الخطة الأمريكية في ضرب الإسلام (الوهابي) عندهم بالإسلام المعتدل، كما يخدمون الليبراليين الذين ينشرون الأكاذيب عن الدعاة في القنوات والصحف والمواقع.

• وأختم الحديث عنهم بأن أطلب منهم البيان لما أخطأنا فيه ولا يكتبون اسماءهم إن شاءوا.

وأنا أنصح الإخوة الدعاة بالعدل والاعتدال، وأوصيهم بالتوسط وترك الجنوح من النقيض إلى النقيض، ولا يكونوا مثل هؤلاء ولا مثل الطائفة المسماة (إخوان بريدة)، وهم مجموعة لا علاقة لها بالإخوان المسلمين، وإنما هم بقية من إخوان من طاع الله كما يقال، أو من جماعة جهيمان، والله تعالى أعلم، ومنهم منصور النقيدان ومشاري الذايدي وتركي الدخيل وفهد العبيد وعبدالحكيم الحميد، وهم غلو جيئة وذهابا وبعد أن كانوا يكفرون الدولة ويتهكمون بالعلماء أصبحوا تابعين لضاحي خلفان ويؤيدون الحكومة ويخدمونها وبعد أن ذهبوا لافغانستان أصبحوا أعداء ألداء للجهاد.

وبعد أن كانوا يحرقون كتب أهل العلم أصبحوا يدعون المسلمين للتسامح مع أهل كل دين، وبعد أن كانوا يستحلون إطلاق النار على الدشوش وإحراق الجمعيات النسائية ومحلات الفيديو بأسطوانات الغاز أصبحوا من أكبر دعاة الفساد في المجتمع.

ولهم فهم خاص عن الزهد أقرب للتصوف كما لهم نظرة خاصة إلى علم الفلك، ويرسمون لذلك خرائط ساذجة، ولهم غرائب لا نستطيع حصرها هنا وأقرب الفرق إليهم فرقة الأميشيين النصرانية في بنسلفاينا، مع أنهم أهل توحيد وبعد أن كانت الوسائل الحديثة عندهم من السحر أصبحوا مديري قنوات ومراكز! وبعد أن كان الفقر هو الغالب عليهم تخطى بعضهم حاجز

المائة مليون ريال! وهؤلاء أولى أن يحاسبوا على الفساد، دع أملاكهم في لندن ودبي.

واقتفى أثرهم بعض الناس مثل أحمد بن قاسم الغامدي أصلحهم الله.

والمفقود عندهم هو الاعتدال والتوسط في الحالين وعلى كثير من آرائهم عن الصحوة يعتمد أعداؤها.

وقد قالت عائشة رضي الله عنها لأخيها عبد الرحمن: "أحببت فأسرفت ثم أبغضت فأسرفت".

وعلى الداعية أن يدعو إلى الله برفق ولين، وتدبر أخي الداعية كيف خاطب الله موسى عليه السلام وكيف أجاب أصحاب فرعون كما في سورة طه.

فالله تعالى كلم عبده موسى وذكره بنعمه عليه في رضاعته وصغره، وإنجائه له بالذهاب إلى مدين ثم أجاب سؤله وجعل معه أخاه هارون نبيا وأمرهما أن يأتيا فرعون فيخاطباه بالقول اللين أولا لعله يتذكر أو يخشى لكن فرعون عاند وتحداهما وسأل موسى عن ربهما فأجابه موسى إنه الله الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهدايته معلومة لدى الناس لا سيما من يعلم هجرة الطيور والأفاعي ويستخدم الحمام الزاجل، وفي ذلك تلميح أن أرسلهما لهداية المسكين فرعون، غير أن فرعون استمر في عناده وسأل موسى وهارون عن القرون الأولى.

ولما كانت المسألة غيبية ولا تحتاج الهداية إلى معلومات تاريخية عن الأمم الخالية والحضارة المنقرضة قال: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي﴾ [طه:٥٢] وعدلا إلى ما هو مشاهد يراه الفلاح والراعي فضلا عن الملك، وهو عالم النبات الذي هو أدنى درجات الأحياء، وهو الذي ينبت في الأرض بإذن الله إذا أنزل عليها الغيث. نعم إذا شاء تعالى أجدبت فيظنها الإنسان ميتة هامدة حتى إذا أراد سبحانه إحياءها أنزل عليها الغيث فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج فهذا هو رب العالمين، وهذه آياته وآثار رحمته، والرسالة إنما هي إحياء،

فكيف يستكبر الكفار على الله ويجحدون نعمته ويدعي بعضهم الألوهية؟ وربما أنكر بعضهم وجوده أصلاً، وظن المسكين أنه مخلوق من غير خالق؟ وأنه جاء للحياة صدفة!! وأنه خلق عبثاً ويترك سُدى لا يؤمر ولا يُنهى.

وهكذا يخدم العلم الإيمان ومن ذلك علوم الكيمياء والفيزياء والأحياء والزراعة والتربة وغيرها، فهي كلها علوم توحيدية مساعدة لابد للداعية من معرفتها ولو إجمالاً، وهي تقوي حجة الداعية وتساندها.

وتدبر كيف أن الله أمرهما أن يخاطبا هذا الكافر المعاند مدعي الألوهية بالقول اللين الذي فسره بعض السلف بأنه مخاطبته بكنيته، ليكون ذلك أوقع في نفسه، وأقرب لهدايته، وقارن هذا بما يفعله بعض الناس –دع الفجور في الخصومة– وانظر إلى التلقيب بألقاب لا يرتضيها المخاطب بل هي من النبز الذي نهى الله عنه. كقول بعضهم إذا تكلم عن الاخوان مثلا ومخالفتهم (الإخونجية) أو (الإخوان المفلسين) مع إمكانه إبداء وجهة نظره ونقدهم وبيان أخطائهم بدون نبز، وقد رد الله تعالى في القرآن على أبي لهب واليهود وسماهم كذلك وعلى هذا درج السلف كالدارمي والإمام أحمد ثم شيخ الإسلام ابن تيمية، وفي عصرنا هذا رد الشيخ عبدالعزيز بن باز على القومية ولم يسمهم القومجية مثلا كما أن الشيخ صالح الفوزان رد على كتاب الحلال والحرام للقرضاوي دون أن يسميه "الكلب العاوي"، ففي إمكان الراد أن يرد دون نبز الكوثري مثلا بالعلقمي أو نبز السقاف بالسخاف، أو تسمية الأزهر (الأزعر)، كما يمكننا نقض مذهب الرافضة دون تسميتهم (أولاد المتعة)، ونقض كلام الليبراليين والتغريبيين دون أن نسميهم (أولاد الراقصات) وأمثال ذلك.

والله تعالى وصف نبيه الكريم وصحبه بأنهم ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح:٢٩]، فلم الشدة على المؤمنين ممن سلم منه الكفار! وإنما عكس

الأسماء المشركين الذين سموا محمداً ﷺ مذمماً، وكيف نحارب أهل الإسلام وندع أهل الأوثان؟

ومن صفات الداعية الصبر وطول النفس، ومما يوجب الصبر أن غاية ما يفعله الغرب وأذنابه هو أن يفتنوا المسلم عن دينه، ولكن الله تعالى جعل المؤمن الصادق يقارن بين عذاب الله وفتنة الكفار وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وأقوى وسائلهم هو اجتثاث الدعوة وقتل أصحابها، وسياسة الاستئصال واجتثاث المشكلة من جذورها هي سياسة فرعون قديما وترامب حديثا، فقد أمر فرعون بقتل كل مولود من بني إسرائيل، أما ترامب فإنه منع هجرة المسلمين إلى أمريكا، فهما وجهان لعملة واحدة، والعجيب أن الإعلام في بلاد المسلمين يقول عن تصريحات ترامب إنها "مثيرة للجدل" ولم يقل إنها عنصرية جاهلية، ومع ذلك فقد تربى موسى عليه السلام في قصر فرعون وانتشر الإسلام في أمريكا، فهذا الدين كلما ترك امتد، وكلما حورب اشتد.

وقال أحد العلماء: أخطأ فرعون في حكمه بالاستئصال وكان أجدى للفرعونية أن يبني لبني إسرائيل مدارس ويضع لهم مناهج ويبتعثهم إلى كهنة الفراعنة!

ومن صفات الداعية أنه ليس معارضا سياسيا كما يزعمون، وهو مع عدم ترشيح نفسه لا يرشح للبلاء أحد يعمل لكي يصل إلى الحكم، والداعية يعرف بمن يبدأ في دعوته إذ لا بد أولا من تصحيح الإيمان والعقيدة، ولا يصح تجازوها إلى غيرها ولا اشتراط شيء لم يشترطه الله ورسوله كالاستحلال مثلا، فالله تعالى لم يخبرنا عما في قلوب أصحاب السبت وإنما أخبرنا أنهم اعتدوا.

وليس الإسلام التزاما بالشكليات كما نرى عند اليهود، ولا هو دعوى تلوكها الألسن كدعوى صحة العقيدة والتوحيد! التي يدعيها المسلم والكافر والمنافق، ولكن الأعمال هي التي تصدق ذلك أو تكذبه.

قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٧٧].

والدين قول وعمل وليس شعارا بلا تنفيذ، قال عمر رضي الله عنه: "لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له".

ومما تبتلى به الدعوة ولا بد منه أن بعض الناس لا يفهم مقصدها وغرضها، أو يتجاهل مقصدها ويفهمها بأنها معارضة تريد الحكم أو بأن لها أهدافا أخرى:

فقد قالت قريش لأبي طالب إن كان ابن أخيك يريد الملك ملكناه علينا، وإن كان يريد النساء زوجناه أجمل نسائنا... الخ.

وقال القائد العام لجيوش كسرى "رستم" لربيعة بن عامر: إن كنتم معشر العرب إنما تشكون الظلم ولينا عليكم ملكا يعدل بينكم، وإن كنتم تشكون الجوع أعطيناكم.. الخ الاحتمالات الكسروية!

ولكن ربعي بن عامر رد عليه بعد أن مزق بساطه بحربته: "لا شيء مما ذكرت، ولكن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبودية العباد إلى عبودية الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام".

وكان الصحابة والفاتحون كلهم دعاة، أما نحن فنسكت ونزعم أننا تابعون لهم!

أوليس من ضعف الإيمان أو الغش في الديانات الذي هو أعظم الغش أن يدعو اليهودي أو النصراني أو المتبدع إلى دينه وبدعته، بينما نحن لا ندعو إلى الحق؟ قال أحد الغربيين أقمت في هذه البلاد سنوات طويلة لم يكلمني أحد عن الإسلام!

ومن التهم التي يلوكها أعداء الدعوة أن الدعاة إلى الله يخرجون على العادات الاجتماعية الموروثة، مع أن كل الأنبياء اتهموا بالخروج على العرف والإرث الاجتماعي الذي كان عليه الآباء والأجداد، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٣]، فمن كان سائرا في طريق الأنبياء الكرام فلا بد أن يتهم بذلك.

وعلى ذلك اعتمد المشركون في قولهم لأبي طالب "أترغب عن ملة عبد المطلب؟".

وليس طريق الدعوة مفروشا بالورود، وإلا لادعاه المنافقون ولكنه محفوف بالأذى والبلاء، وقد ينتكس بعض الأتباع أو ييأس ويعتقد أنه كُذِب، وهذا من العجلة الطبيعية فينا معشر بني آدم ولكن النصر آت ولا بد ولن يخلف الله وعده.

ولا تقولوا أيها الدعاة نحن مذنبون فكلنا ذلك الرجل، لا تمنعنا ذنوبنا من أن ندعو الناس ونتواصى بالحق ونتواصى بالصبر، ولو أننا لا ندعو إلى الله حتى نتخلص من الذنوب لما دعونا إليه أبدا، ولكن نجعل من الدعوة إلى الله كفارة لذنوبنا وحسنة نمحو بها سيئاتنا.

وإنما قال الله لأهل بدر "اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم"، بعد أن قاتلوا في بدر.

وأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح:٢] بعد صلح الحديبية.

ولا تقفوا موقف الدفاع وتضعوا الدين في قفص الاتهام فأصحاب الصراط المستقيم دائما في موقع الهجوم، والمغضوب عليهم والضالون والملاحدة هم الذين ينبغي أن يكونوا في موقع الدفاع، وكل من كتب أو قال غير الحق: في قناة أو صحيفة أو موقع أو شبكة أو خطبة وجب الرد عليه بكل وسيلة مستطاعة، فقد انتهى زمن السلبية القاتلة التي ربانا عليها بعض الذين يقدسون الأباطرة والأحبار والرهبان، وجاء دور الصراحة والصدع بالحق وإنكار المنكر، ولا أنسى أبدا كيف قفز الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله من سورة الفرقان ليعود إلى آية ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج:٤١] من سورة الحج، وذلك لما قيل له إن الذي يحضر الدرس عندك هو الملك فلان، فأعلنوا الدعوة في كل مكان ولا يقتصر ذلك على حملة التصاريح بل يجب على كل متبع لرسوله ﷺ أن يكون على سنته.

وقضية الدعوة ليست قضية إقناع عقلي أو نقص في الحجة، ولكن المشكلة في أناس معاندين ولو استيقنت الحق أنفسهم، وقد قال الله تعالى عن هذا الصنف ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا﴾ [الأنعام:٢٥]، وقال: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٤-١٥] ولو أنهم أخرجوا من النار لأصروا على الجحود ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾ [الأنعام:٢٨]، وقال تعالى لعبده ورسوله ﷺ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣]، وقد أراهم الله انشقاق القمر فقالوا سحر محمد أبصارنا، ووصف لهم بيت المقدس فلم يؤمنوا، ثم إن المشكلة أن أكثر الناس يؤثر العاجل على الآجل.

وهكذا كل من بهرته دنيا الغرب، أو غرته مناصب الحكام، أو سحرته أموال الأعداء، وبعضهم يعطونه الجنسية فيكون بوقا لهم!

وينبغي للداعية ألا يتوقف عن الدعوة إلى الله و لم لم يجد إلا السجَّان أو أحدا من أقربائه أو معارفه، ولكل إنسان أقرباء وأصدقاء ولا يكلف الله

نفسها إلا وسعها، فكيف بهذه الأمة المباركة؟ وما أتاح الله من الوسائل الحديثة التي تجعل كلمة الداعية تبلغ آفاق الدنيا.

- هل تنقصنا القيادة فقط؟

كثيرا ما يقول الإسلاميون إن الذي ينقص المسلمين هو قائد كصلاح الدين وهذا خطأ ولو عاد فينا صلاح الدين لاعتقله أو قتله الزعماء العرب، واتهموه بالإرهاب والتطرف! فلا يخرج القائد إلا من أمة مجاهدة ناهضة. ورحم الله الشيخ عبدالله بن حميد الذي قال له أحد الدعاة من القصيم: انظر يا شيخ ما فعل الخميني فلماذا لا تفعل أنت مثل فعله؟ فقال الشيخ أنتم لستم مثل أتباع الخميني ولو أنني قمت بأمر لتركتموني وحدي!

فالأمة شرط لوجود القائد وليس العكس، والإصلاح دائما يبدأ من القاعدة، وليس من القمة.

وإنما نحتاج اليوم أن نقوم لنهضتنا بعزمة كعزمة الصديق يوم الردة، إذ لا شك أن في العالم الاسلامي اليوم ردة كما تحدث عنها الشيخ سعيد حوّى غفر الله لنا وله، وإلى وقفة صادقة لله كوقفة الإمام أحمد بن حنبل يوم الفتنة، أولئك الذين هداهم الله، فعلى كل مسلم أن يقتدي بهداهم، وليس لهذه المهمة العظيمة إلا شرط واحد يسير على من يسره الله له وهو أن يسترخص المؤمن نفسه في ذات الله ويبيعها له وحده ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم﴾[التوبة: ١١١].

وهذا أمر يدركه العامة الجهال الذين إذا ذكر عندهم كبار العلماء قالوا: ما عندك أحد!".

ينبغي للدعاة الاهتمام بما أخبر به النبي ﷺ من خصائص بعض القبائل، كقبيلة حرب، فقد أخبر النبي ﷺ أن الإيمان يأرز بين المسجدين، ويقول المؤرخون للهجر الإخوانية إن أول هجرة كانت من تأسيس سعد بن مثيب الحربي سنة ١٣١٠.

كما ينبغي الاهتمام بقبيلة تميم فقد أخبر النبي ﷺ أنهم أشد أمته على الدجال، ولا ننسى فضائل أهل اليمن وفضائل الأرض التي بارك الله فيها (الشام) وبكلمة جامعة قال ﷺ: (خياركم في الإسلام خياركم في الجاهلية إذا فقهوا)، كما ينبغي الاهتمام ببلاد فارس التي قال عنهما النبي ﷺ: (لو كان الإيمان معلقا بالثريا لناله رجال من فارس)، وهكذا كل أرض أو قبيلة أو أمة ورد فيها ما يفضلها أو لها خصائص يهابها العدو كالعراق وأفغانستان وتركيا.

فإذا جمعنا القوة المعرفية التي لشمال إفريقيا، والقوة العلمية التي لأهل مصر، والشجاعة والكرم اللذين لمستهما في عشائر العراق، والقوة الجهادية التي للأتراك والأفغان، والقوة العقلية التي لأهل الشام فماذا ينقص هذه الأمة المباركة؟ ولماذا لا يكون النفط مع القوة التركية الصاعدة؟

كما أن أهل العراق مع ما فيهم من الكرم والشجاعة، معروفون أيضا بالعلم والجرأة، وقد أراد أحد العلماء أن يخرج من بغداد أيام عزها فسمع حطّابا يقول "لو أدركت ابن عباس لقلت له: كيف تقول بجواز التراخي في الاستثناء إذا حلف أحد، والله تعالى قال لعبده أيوب: ﴿ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ﴾ [ص:٤٤]، ولو كان التراخي جائزا لقال له: قل "إن شاء الله" فعاد العالم وقال: لا أخرج من بلد يرد فيه حطاب على ابن عباس!!

على أن أهل الإسلام كافة يغلبون عدوهم في أي ميدان، إذ جمع الله للمسلمين المجد من كل أطرافه وأعطاهم قوة الحجة ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ [النساء:١٤١].

وفي هذا العصر وفق الله الشيخ عبدالله القرعاوي فدلّه على ما تتميز به قبائل المخلاف السليماني من ذكاء فطري وحدة في الحفظ ونبوغ في الفهم، فأخرج منهم علماء ولو لم يخرج الشيخ القرعاوي منها إلا الشيخ حافظ الحكمي يرحمهما الله لكفاه.

والله تعالى فضل بعض النبيين وبعض الأمكنة وبعض الأزمنة وبعض القبائل على بعض، ولا يزال أهل الشام معروفين بالفطنة والقدرة على الاختراع، وأهل اليمن مشهورين بالحكمة، وهكذا.

وقد أدركت أمريكا هذه الخصائص الفطرية فكان أكثر مترجميها من بلاد شمال إفريقيا، كما أدركت ذلك إسرائيل فكان وزير دفاعها من العراق غالبا.

وهذه الخصائص نستفيد منها ولا تكفي وحدها، إذ لا بد معها من الإخلاص لله وقوة الإيمان والزهد في الدنيا، وإنما نجا أول هذه الأمة بالزهد واليقين كما في الحديث الشريف ولا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها كما قال الامام مالك رحمه الله. تلك هي سنة الله الثابتة، فلابد لنا من العودة إلى التوحيد والزهد في الدنيا والجهاد في سبيل الله وبذلك نكون الأمة المصطفاة المجتباة.

ومن أهم شروط الداعية صدق التوكل وقوة اليقين، والإيمان بالله والتوكل عليه وحده وذلك يقتضي منا التحرر من أغلال الحضارة الغربية، والتخلص التام من ماديتها وجفافها وجحيمها، مع الإفادة الكاملة من تجاربها النافعة أو علومها المحايدة، لا سيما التفوق التقني، والمحاسبة والشورى والمساواة بين الحاكم والمحكوم والتنظيم الإداري الجيد، وحرية إبداء الرأي، وأمثال ذلك من الفضائل التي هي أصلا من ديننا، ويجب أن نرتقي إليها وننفي عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين وتلبيسات المنافقين، وخداع المشعوذين ونظريات المرتابين وفلسفات المتهوكين وتبعية الأذلاء.

ولا يصح التعصب لحزب أو فئة أو حركة أو حكومة بل يجب أن نعامل كل أحد بحسب قربه أو بعده من الكتاب والسنة، وأن نكرم المتقين من أي فئة كانوا ونبعد المجرمين من أي فئة كانوا أيضا، ونؤدي حق كل مسلم أو معاهد أو صاحب حق إليه، كما أمر الله ورسوله، ومن ذلك محبة الخير لكل الناس ومحض النصح لهم مهما أساءوا إلينا.

والقضية ليست مجرد دراسة فلكورية للتراث الشعبي وإنما تصفية له مما علق به من الشوائب والمحدثات، ولا هي نوع من الانتربولوجيا الثقافية كما تسمى بل عودة صادقة إلى الله وتصحيح كل وضع ليوافق شرعه وهداه، فنحن ندرس لنقوم لا لمجرد الاطلاع. وبذلك نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله عن حق وحقيقة.

بم يفرح الداعية:

وينبغي للداعية أن يفرح بتوبة العاصي، فالله تعالى أشد فرحا بتوبة التائب ممن وجد دابته بعد أن يئس أن يراها، والنبي ﷺ كان يفرح بمن هدى الله مثل دوس وثقيف وكثير من قبائل العرب، وعمر رضي الله عنه يقول للعباس: (والله لإسلامك عندي خير من إسلام الخطاب)، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين، حتى ظهرت مرجئة هذا الزمان فيأتيهم الرجل ويقول إنه سلفي، وتشهد بذلك أعماله وأقواله من قبل، فيقولون له كذبت أنت من جماعة كذا وتعتقد كذا وكذا، واعتمدوا في هذه التهمة على قول عدو أو واش أو متهم أو سيء الظن، أو مجهول، وقد شهد أهل الكتاب بأن المشركين أهدى من الذين آمنوا سبيلا، وربما تاب العاصي وهم لا يعلمون، ولو صح قولهم لكان قائل ذلك جديرا أن ينصحوه، ويبينوا له الحق ويكلوا أمره باطنا إلى الله، كما قال تعالى عن آكلي الربا ﴿فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٥]، وقال ﷺ: (أمرت أن أقاتل الناس...) الحديث وفي آخره (فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا مني دماءهم وأموالهم وأمرهم إلى الله)، وغاية الأمر أن يعلم عنهم الداعية خطأ فينبهم عليه إليه مع ذكر محاسنهم وفضائلهم، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥]، ولم يكن من هدي النبي ﷺ ولا أصحابه ولا السلف الصالح تيئيس أحد أو تثبيطه، أو الغلو في جرحه ولا معاملته بالتهمة والظن السيئ،

بل ثبت عنه ﷺ أنه قال لأسامة بن زيد "أشققت عن قلبه" وقال لخالد بن الوليد "وما يدريك لعله يصلي" حتى من فعل ما ظاهره كفر، يسأله النبي ﷺ ما حملك على هذا؟ كما سأل حاطبا، وقد قال له أحد الأعراب "اعدل يا محمد" و لم يعاقبه.

فعلى الداعية أن يقبل من الناس علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله وأن يحسن الظن بالمسلمين، ولا يعدل عن ذلك إلا بيقين لا يحتمل الشك، والله يأمر بالعدل والإحسان ويحرِّم كثيرا من الظن.

وإليك بعض القضايا المهمة التي يجب مراعاتها:

١- يجب على كل من يدعي أن فلانا هو ولي أمر تجب طاعته، أن يترل عليه كل النصوص من الكتاب والسنة وهدي الخلفاء الراشدين وسير السلف الصالح، ولا يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، ولا ينتقي ما يشاء ويدع ما يشاء.

وعلى كل من ادعى الإسلام أن يحكّمه في كل شأن.

وعلى كل من قال أنا اتبع الكتاب والسنة، أن يجعلهما دليله الوحيد في كل أمر ولا يبالي بمن خالفهما.

ومعلوم أنه على دين الإسلام (الذي يسمونه اليوم الإسلام السياسي) قام التحالف بين الشيخ محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود رحمهما الله وقامت الدولة السعودية الأولى، ولو أننا اتبعنا بعض التصنيفات المعاصرة لكان محمد بن عبدالوهاب والأمير محمد بن سعود إسلامويين، ولكان الشيخ محمد بن عبدالوهاب حركيا أو خارجيا لم يتبع علماء الدولة العثمانية، و لم يقل إن سلاطينها ولاة أمر! وكان له في كتاب التوحيد وغيره آراء خالف فيها شيخ الإسلام في اسطنبول.

٢- ليس عند المسلمين فكر وافد يجب التخلي عنه وفكر أصيل يجب التمسك به، بل الأصيل هو الحق أينما كان، والوافد هو الباطل من أي

مكان جاء، وكيف يقول مسلم إن الفكر الإسلامي فكر وافد، مع أن الذي يغزونا اليوم هو الفكر الغربي الوافد حقا؟

٣- أظلم شخصية في تاريخنا الإسلامي هو الحجاج بن يوسف الثقفي، ومع ذلك ليس من العدل مقارنة الحجاج بالمرتدين والمنافقين في عصرنا، ومن مساوئ الحجاج كراهيته لسيرة عمر، واليوم لا يكاد الإعلام في بلاد المسلمين يذكر شيئا عن سيرته، بل هو على رأي الحجاج.

٤- إذا كان النبي ﷺ ورّث دينه للعلماء، فكذلك الأئمة المجددون لدينه كالإمام أحمد وشيخ الإسلام ابن تيمية، والإمام محمد بن عبدالوهاب وليس الإسلام حكرا على أمة أو طائفة أو أسرة وليس ميراثا لكل من يدعيه من الناس، فاتبع أيها المسلم الحق، وما عليك ممن يطعن أو يتهم أو يلوم، وليس العالم هو من يعينه الحاكم عالما، بل هو من يخشى الله ويقول الحق ويتبع كتاب الله، وليس قارئ القرآن هو من أقام حروفه وترك حدوده، وليس المحدِّث من اشتغل بجمع الطرق والتصحيح والتضعيف، دون اتباع السنة والعمل بها والاستغناء بها عما أحدثه أهل الكلام وغيرهم من البدع.

٥- إذا كان الغرب يؤمن بالديمقراطية كما يزعم ومنها اختيار الشعوب فلماذا لا يؤمنون بما اختاره الشعب التركي؟ أين المشكلة؟ أم أن الأتراك شعب مسلم ولو حكمه العلمانيون في الجيش لرضي الغرب وأذنابه ولم يتآمروا عليه!

الصحوة المعاصرة لم تختطف المجتمع كما يزعم أعداؤها وإنما وضعت له الأسس والمنارات وجعلت تدّينه عن علم ويقين، فهي لم تأت بجديد، والمختطِف هو التغريبيون الذين يريدون تحويل المسار، وويسرقون البسمة، ويفرضون علينا التبعية.

ونحن لا نجادل في مجرد المصطلح فللمسلم أن يسميها توبة أو أوبة أو رجوعا إلى الله أو ما شاء من الأسماء الصحيحة، والمهم أن فضلها لا ينكر حتى على العلماء أنفسهم وقد قال لي سكرتير الشيخ ابن باز رحمهما الله:

كان يحضر للشيخ أربعة أو خمسة فأصبح الحضور بعد الصحوة بالآلاف، وقد ذكر بكر بن عبد الله أبو زيد كيف كان الحال قبلها، وكذا الشيخ أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري.

وهي التي أخرجت الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله من خطيب شبه مغمور في عنيزة إلى عالم يعرفه المسلمون كلهم.

وقد تحدث عن فضلها الشيخ أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري، وسمى الجيل الصاعد المتأثر بها (جيل الالتزام).

وأنا أذكر يوم كنا نصلي التراويح في المسجد الحرام قبل هذه الصحوة، وكنا صفين أو نحو ذلك فقط خلف الشيخ الخليفي أو الشيخ السبيل رحمهما الله، وكان رواد المساجد من الشباب قليلا، ثم أصبحوا اليوم كثيرا ولله الحمد وضاق المسجد الحرام بأدواره وتوسعته وساحاته.

كما أن الصحوة في السعودية ما هي إلا جزء من العودة العالمية للإسلام.

ومن رحمة الله تعالى أنهم لما ضيقوا على الدعوة هنا فتح الله لها مجالات لم تكن تخطر لنا ببال، فأصبح في إمكان الداعية أن يكتب ما يشاء هنا في جزيرة العرب وهو في بيته فيقرأه الناس في أمريكا الجنوبية أو الفلبين في اللحظة نفسها.

وهكذا أسقط في أيدي أهل الكتاب، والأنظمة التابعة لهم، وفي أيدي أعداء الدعوة ممن يدعي الليبرالية ولكن ﴿وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ومن مصلحة الدعوة أن يتمايز الناس ويصبحوا فسطاطين، فيهلك من هلك عن بيينة ويحيى من حي عن بينة، أما الأذى والاتهام فلا بد منه.

والزعم بأن فلانا يتبع جماعة كذا أو يتبع فلانا، هو كزعم المشركين أن النبي ﷺ إنما يعلمه بشر، وزعم بعض المستشرقين وكثير من الغربيين اليوم أن

النبي ﷺ تعلم من أهل الكتاب وأنه قسيس هارب لم تتخذه الكنيسة بابا فابتدع دينا جديدا واختلق قرآنا كما يزعمون!

فلماذا لم يدعُ المعلِّم نفسه إلى هذه الشريعة المحكمة؟

ولماذا عجز المشركون عن معارضة شيء مما جاء به لو كان مدعيا كما يزعمون، أليسوا هم أفصح الناس وأبلغهم؟

ولماذا يختفي هذا المعلِّم سواء أكان قائد الفيل أم بحيرا؟

ولماذا تختلف صيغة الحديث عن صيغة القرآن، لو كان القرآن من صنع بشر؟

وهكذا أسئلة عقلية كثيرة وكل إنسان يورد ما لا يورد غيره.

ومن الضلال في طريق الدعوة اتباع طريقة بعض الفرق المنحرفة في إنكار المنكر، فالمعتزلة -الذين هم في الحقيقة شعبة من الخوارج- يرون إنكار المنكر بالسيف، وكذا الزيدية والرافضة: وتبعهم في عصرنا هذا من يقول إن المسلمين مرتدون.

أما أهل السنة فيحثون على الصبر والرفق ويدعون إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، ويقولون الحق ولو كان على أنفسهم أو الوالدين أو الأقربين، ولا يصدقون بالكذب ولا يخدعهم الخب ولا يلدغون من جحر مرتين، ولا يريدون المناصب أو الدنيا بل يصبرون على الأثرة وعل كل أذى.

وقد أخبر ﷺ الأنصار بأنهم سوف يلقون بعده أثرة، وحثهم على الصبر حتى يلقوه على الحوض، وهذا حال كل من نصر الدين لابد أن يضيقوا عليه، والحل هو الصبر. فإذا رأيت الكبراء يعطون الأموال والقصور لمن شايعهم من الليبراليين وغيرهم فاعلم أن الأمر كما قال الإمام أحمد رضي الله عنه: "إنما هو طعام دون طعام ومركب دون مركب وصبر أيام قلائل".

والله تعالى يقول لنبيه الكريم ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨] الآية.

ودعاة الحق مع الصبر والاحتساب لا يطمعون مثل غيرهم في منصب ولا جاه، ويعلمون أن تلك إنما هي لأعدائهم الذين إذا انتكس شاب من شباب الدعوة، جعلوه وزيرا أو مدير قناة أو مدير مركز، ولا يهم الدعاة أن يكون التغرييبون كالحدأة التي تختطف طريقة الطبخ، والمهم عندهم هو أن يكون اللحم بأيديهم (أي الشعوب).

ولا بد للداعية من معرفة واقع المدعوين وأحوالهم، وقد اشترط الأئمة ومنهم الإمام أحمد في المفتي معرفة الواقع، وكان رحمه الله يعرف الأوقاف والإقطاعات في البلاد، وفرَّقت كتب الرجال بين غفلة الصالحين وبين من يتعمدون الوضع وكان أئمة الجرح والتعديل عارفين بأحوال الرواة وعقائدهم وتواريخهم وبلدانهم.

وأول من عدّ معرفة الواقع بدعة في التاريخ هم المرجئة المعاصرون، وبذلك وقعوا في بدعة خطيرة وجعلوا السنة هي الجهل، وجعلوا الكمال عيبا، ونظروا دائما إلى نقص البداية وليس إلى كمال النهاية، فهم كمن يعيِّر عبدالله بن سلام ﵁ أنه كان يهوديا، أو يعير سلمان ﵁ بأنه كان مجوسيا. والسلفي عندهم هو العارف بالبدع القديمة وحدها، ويضمون إلى ذلك موالاة من حادّ الله ورسوله واتبع طرق الكفار، وحكّم القوانين لا الشرع.

الأمر الذي لم يكن عليه النبي ﷺ ولا الأنبياء عليهم السلام ولا الصحابة رضوان الله عليهم ولا أحد من السلف قط.

ولسان حالهم هو إذا أردت السلامة فاكفر كفرا مطلقا، أما أن تكون داعية وتخطئ فلن تسلم منا، فمن كفر بالقرآن جعلوه عاصيا، ومن خالف قول فلان جعلوه مبتدعا، وكل بدعة عندهم أعظم من كل معصية!!

وقد كان خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام عارفا بأحوال عصره، وكان النبي ﷺ والصحابة عارفين بواقع الدنيا، ونص ابن القيم في إعلام الموقعين على ضرورة معرفة الواقع، وبها افتخر الهدهد على سليمان عليه السلام فقال (أحطت بما لم تحط به).

ولما أرادت هيئة كبار العلماء السعودية برئاسة الشيخ عبدالعزيز بن باز أن تفتي في اللحوم المستوردة سألت وزارة التجارة السعودية، وأرسلت وفدا إلى مصانع اللحوم في أمريكا الجنوبية وأوروبا.

ولما أرادت أن تفتي بشأن المهور سألت وزارة الشؤون الاجتماعية وغيرها، وقد بحث الشيخ محمد المختار الشنقيطي عضو الهيئة -وفقه الله- في أحكام الجراحة وحكم نقل الدم وغير ذلك من الأبحاث التي يقتضيها العصر. كما بحث مثل ذلك الشيخ سعد الشثري-حفظه الله-.

وقد نصت المادة العاشرة من نظام هيئة كبار العلماء بأنه (لدى بحث الهيئة قضية تتعلق بالشؤون الاقتصادية أو الاجتماعية الخ، تشرك في البحث واحدا أو أكثر من المتخصصين في تلك العلوم ويجري اختيار المتخصصين واستدعائهم من قبل الأمن العام ورئيس إدارة البحوث معا)، وهذا حق إذ أن أهل كل فن أدرى به، والفتوى ينبغي قيامها على الواقع.

وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن يقوم هذا الوجود على قاعدة التضادات والثنائية، فكل دعوة حق أو باطل في التاريخ لابد لها من ضد، وأكرم خلق الله على الله هم الأنبياء واقتضت حكمته تعالى أن يكون لكل منهم عدو، كما كان إبليس الرجيم عدوا لأبيهم آدم عليه السلام، قال تعالى في موضعين من كتابه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾[الفرقان: ٣١].

وكل من سار على منهج النبي ﷺ لابد أن يكون له أعداء، يقتلونه أو يسجنونه أو يتهمونه، ولكن كفى بربك هاديا ونصيرا، ولابد أن يعترض الملأ المستكبرون على ما يقوله دعاة الحق لا سيما عداوة فرعون وهامان وجنودهما، وليس من شرط جنود فرعون أن يكونوا جيشا يرتدي البزة العسكرية، بل كل من قدم له خدمة من فتوى أو رأي أو تحريض أو خبر فهو جندي له.

وأكثر جنده خدمةً له هم عيونه الذين يبثهم ليخبروه عن كل مولود في بني إسرائيل، وليست العبرة بالتخلف المادي مع التقدم العقلي الذي لا يكون إلا بالتوحيد.

فلم يكن يضر النبي ﷺ وصحبه أن لا تكون في بيوتهم كنف لقضاء الحاجة، أو أن بعضهم لا يفرق بين الملح والكافور، ولا يظن أن فوق الألف عددا. ولا أن كثيرا منهم إنما رأى الأرز بعد فتح العراق، ولا أن مساجدهم كانت مبنية من جذوع النخل، ولا أن سيوفهم لم تكن محلاة بالذهب والفضة.

ولم يكن يضرهم الجهل بخرافات اليونان وأساطيرهم وشركهم، لا سيما وقد أنزل ربهم عليهم الوحي المشتمل على الحق واليقين.

ولم يكن يضر العربَ أنهم يعيشون في صحاري مجدبة بينما يعيش أعداؤهم في أراضٍ خصبة، وحسبهم أنهم كانوا سليمي الفطرة يفتخرون بإكرام الضيف وحماية العرض والذب عن المحارم، عميقي الفصاحة، معتزين ببيانهم ولغتهم يقدمون ذلك على أي مكسب مادي، وتفرح القبيلة إذا نبغ فيها شاعر، ويعلقون المعلقات على الكعبة الشريفة.

ثم جاءت البلاغة القرآنية بما لا يستطيعه بشر، وأوتي ﷺ جوامع الكلم وعجز فصحاء العرب عن الإتيان بمثله، وكان صلوات الله وسلامه عليه إذا أعلمه ربه بخلجات قلوبهم وهمسات ألسنتهم وأخبرهم بها، آمنوا وشهدوا أن ما جاء به حق.

وأمر الله نبيه ﷺ بأن يمضي في دعوته ويصدع بالحق وأن يعرض عن افتراءات المشركين التي لا تنتهي، بل هي مثل افتراءات فرعون وحزبه.

قال تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٤].

وقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

فالإعراض خير من رد الافتراءات ودحضها، سواء قالها أهل الكتاب أو المشركون أو أهل البدع أو من يسير على منهج المرجئة في الثناء المطلق على الحاكم والذم المطلق لمن دعا إلى الله، أو بذل ما في وسعه للإصلاح لكنه أخطأ في بعض المسائل مع إصابته في أكثرها.

والتهم الفرعونية لابد منها وقد ذكرها الله في كتابه لنعرفها ونصبر عليها، كما قال تعالى للمؤمنين: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾[البقرة:٤٥]، ومن ذلك:

١. الاتهام بتبديل العقيدة الصحيحة وقد قال فرعون ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ﴾[غافر:٢٦] وقال هو وقومه ﴿وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ﴾ [طه:٦٣].

٢. تهمة تعكير الأمن وقد قال فرعون: ﴿أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

٣. تهمة المآرب والأهداف الخفية كما قال فرعون وقومه ﴿إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَا﴾[الأعراف:١٢٣]، وقال فرعون: ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس:٧٨]!

٤. ومن هذه التهم التي يقولها المشركون ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞ﴾ [النحل:١٠٣] وهم اليوم يقولون إنما يعلمه فلان أو فلان أو الجماعة الفلانية، مهما قلت من الأدلة الشرعية واستدللت به من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

فإذا قال لهم أحد إن الرسول ﷺ قال "أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب"، وقال "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان"، قالوا هذا يريد أن يخرج السعوديين من جزيرة العرب، أو يريد أن نقول للدول الخليجية الشقيقة لا بد أن يكون خطابكم خطاب كراهية.

والدعوة إلى الله أهمّ من كل ما سواها، والبدء فيها يكون بالأهم فالأهم، كما بعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمن وقال له (إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة ألا إله إلا الله"، وفي رواية "إلى أن

يوحدوا الله"، ورواية "إلى أن يعبدوا الله"، ثم قال: "فإن هم أجابوك لذلك" أي إلى الإيمان والصلاة، "فأخبرهم أن الله افترض عليهم صدقة" أي زكاة "تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم" إلى آخر الحديث.

وكان ﷺ يأمر قادة جيوشه وسراياه بأن يبدأوا بشهادة ألا إله إلا الله كما هو صريح القرآن، فالعقيدة قبل أركان الإسلام الأخرى على أهمية تلك الأركان، ومن مجافاة الحكمة في الدعوة اشتراط ما لا يعقل، كاشتراط أن يكون النجاشي كأبي بكر، وكمن يريد اليوم أن يفعل الأتراك كل شيء وإلا فليسوا على شيء، والخوارج هم الذين قالوا (ائتونا بمثل عمر)، ولما لم يأتهم أحد بمثل عمر، أمَّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي، وهو كما قال ابن حزم (أعرابي بوال على عقبيه ليس له صحبة ولا سابقة)، وتحتاج الدعوة إلى فهم عميق وتأمل وثيق لا سيما إذا اختلطت المسائل على الناس.

وينبغي مثلا التفريق بين وحدة الوجود التي يؤمن بها كثير من الهنود والبوذيين وكثير من المفكرين الغربيين والهاربين من استبداد البابوية ومنهم في أمريكا "رالف أمرسون"، وتدين بها الاتحادية كابن عربي والتلمساني وابن الفارض، وبين وحدة الشهود التي دل عليها الوحي وكلام الأئمة الثقات.

قال ﷺ: (أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في رده نقضه لفصوص الحكم: "ونشهد أن كل معبود سواه فإنه باطل إلا وجهه الكريم"، ثم قال: "والكائنات ليس لها من نفسها شيء بل هي عدم محض ونفي صرف وما بها من وجود فمنه وبه".

وقد فصل ابن القيم ذلك في كتابه العظيم "مدارج السالكين".

وهنا نقول إن طالب الحق لا بد له من التفصيل إذ ليس كل ما يقوله اليهود باطل، ولا كل ما تقوله الكنيسة باطل، ولا كل ما يقوله الصوفية أو المعتزلة أو الخوارج باطل، وإنما الحق المحض في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ،

ولا يصح لأحد أن يجازف بالقول إن ما كتبه فلان خطأ دون أن يقرأ كل ما كتبه ويحمل المتشابه من أقواله على المحكم، ويميز بين القديم والمتأخر منها وينبه على ما في الكلام من خطأ بعلم وعدل بلا انفعال أو تشنج.

واعتقد أن (تركي الحمد) لو فعل ذلك بحق ابن تيمية لما طلب من أحد التخلي عنه، ولو أن منتقدي صاحب الظلال فعلوا ذلك أيضا لما طلبوا أن تترك كل كتبه، وأنصح كل أحد أن يقرأ كتاب (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) لابن تيمية، وكتاب (الفرق بين النصيحة والتعيير) لابن رجب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (الجاهل في كلامه على الأشخاص والطوائف والمقالات بمترلة الذباب الذي لا يقع إلا على العقر، ولا يقع على الصحيح، والعاقل يزن الأمور جميعا هذا وهذا" اهـ.

وقال: "ومن عرف حقائق أقوال الناس وطرقهم التي دعتهم إلى تلك الأقوال حصل له العلم والرحمة فعلم الحق ورحم الخلق وكان مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وهذه خاصة أهل السنة المتبعين للرسول ﷺ فإنهم يتبعون الحق ويرحمون من خالفهم باجتهاده"، إلى آخر كلامه النفيس وهو في شرح الاصفهانية.

وقال في (منهاج السنة): "من سلك طريق الاعتدال عظّم من يستحق التعظيم وأحبه ووالاه، وأعطى الحق حقه فيعظم الحق ويرحم الخلق، ويعلم أن الرجل الواحد تكون له حسنات وسيئات..الخ".

وقال "من عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطّئون ولا يكفِّرون".

ومما ينبغي التنبيه له عند عرض مسائل العقيدة ومجادلة المخالفين أن للمسألة مقامين مختلفين كما سبق: مقام الدعوة ومقام إقامة الحجة، وهذان المقامان مجموعان في قوله تعالى عن منكري الاعتداء في السبت ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف:١٦٤].

كما أن للشخص حكمين: حكم في الدنيا وحكم في الآخر، فحكم الدنيا ما ظهر منه وحكم الآخرة يعلمه الحكيم الخبير، قال سفيان الثوري "الناس عندنا مسلمون في المواريث والأنكحة ولا ندري ما حالهم عند الله"، فإذا ظهر لنا أن أحداً أخطأ قلنا هذا الكلام خطأ لكن لا نجزم بأن قائله كافر أو مبتدع إلا بدليل.

ينبغي للداعية أن يكون حكيما يضع الأمور في مواضعها ومن مجافاة الحكمة دعوة الفقراء إلى ترك الدنيا، فلم يذهب النبي ﷺ إلى أهل الصفة ويدعوهم إلى ترك الدنيا! والداعية إنما يدعو الناس إلى ترك الذنوب والمعاصي، وإذا دعا الفقراء فليحثهم على الصبر ويبين لهم أن الآخرة خير، وإلا فإنه يجوز لهم أن يطالبوا بحقهم من بيت المال ولا يتركوه يبذره السفهاء.

والداعية مهما صدقت نيته وصحت غايته لا بد أن تكون وسيلته أيضا صحيحة، فالغاية في ديننا لا تبرر الوسيلة مهما صحت الغاية، ولا يجوز أن يسرق الإنسان بيت المال ليبني مسجدا، أو يقيم لهواً للفساق ويقول هذا حفل خيري يعود ريعه للفقراء.

ومن مجافاة الحكمة أيضا أن يدعو الداعية الناس إلى الاقلاع عن ذنب، وهو يعلم أنهم يرتكبون ما هو أشد منه، كما إذا أمر العاصين في مؤسسة أو بنك ربوي أن يتركوا الاختلاط مع أن الاختلاط منكر ولكن الربا أعظم منه، وإذا حث ليبراليا على إعفاء لحيته، أو أفتى تارك الصلاة بأن الغش حرام.

وكذا إذا اقتصر على جانب دون آخر مثل من ينكر على بعض الناس استحلال الدماء ولا يتكلم عن الردة والكفار، أو يعظ الناس بأن الإسلام دين الرحمة ولا يذكر أنه دين الشجاعة.

أو يتحدث عن فضائل الأعمال ولا يتحدث عن العقيدة والإيمان، أو يحصر العقيدة في جانب منها ويترك الآخر مطلقا أو لا يفصّل فيه، ومن

يتحدث عن كيفيات العبادة وينسى لبّها.

ومن نزغات الشيطان وتسويله أنه يوسوس للمسلم بأنه لا فائدة من الإنكار، وصرح بعض الصوفية بأنه ما أنكر المنكر أحد إلا ندم، وهذا باطل فالله تعالى أمر بذلك، وفي الإنكار مصلحتان:

١. توبة فاعل المنكر ولو بعد حين فكم صاحب منكر تاب لما أنكر عليه أهل الدين، وكل داعية له تجربته في ذلك، وبعضهم يرتكب المنكر جهلا بالحكم أو بناء على فتوى ضالة بأن ما يفعله جائز أو مجرد مكروه، وجدوى الإنكار لا ينكرها عاقل وهنا في بلاد الحرمين مثلا ألغوا تدريس الموسيقى لما ضج عليهم الناس في مواقع التواصل الاجتماعي، ولو أن أهل الفساد كلما أمروا بمنكر أو كتبوه أو اقترحوه تصدى لهم الشعب بالإنكار لتقلصت المنكرات كثيرا، وربما أنكرت أنت ونسيت ولكن صاحب المنكر تذكر إنكارك بعد حين وتاب وأنت لا تعلم.

٢. إقامة الحجة على فاعل المنكر، والإعذار إلى الله بذلك وليس علينا ولا على الرسل هداية الناس، وإنما علينا التذكير والدعوة والبيان، فأن يفعل أحد المنكر وهو يعلم أنه منكر، خير من استمراء ذلك حتى يصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا، وربما تذكر ولو بعد حين وربما استغفر وتاب في نفسه وهذا خير من الإصرار، وقد قال الله لسيد البشر: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾ [الرعد:٤٠].

قال الله تعالى في كتابه الكريم عن هاتين المصلحتين: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٤]، فإن لم تحصل التقوى حصل الإعذار، وفي الحالتين الداعية رابح.

ومن التهم الباطلة اتهام الدعاة بأنهم يخالفون الحاكم في قوله: ﴿مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ﴾ [غافر:٢٩]، وعندهم لا يصح أن يترك المتطرفون الإيمان الفرعوني

ويتبعون الذي هو مهين ولا يكاد يبين، إما لأنه لا يتكلم لغة فرعون بطلاقة كما يقول الدكتور حسن ظاظا، أو لأنه لا يستطيع الكلام إلا بصعوبة والله أعلم.

والمهم أن الطريقة الفرعونية المثلى هي الالتفاف حول فرعون والثناء عليه في كل عمل، ووصف قراراته بأنها صائبة وحكيمة وريادية وتاريخية..إلخ، فيكون الناس كلهم على رأي واحد فقط، ومنع الشعب من اتباع موسى عليه السلام، لأنه بالمعايير الفرعونية سوف يذهب بهذه الطريقة المثلى والمنهج الرشيد، ويحدث في الأمة حالة من الخلل الأمني والفتنة، وينسف التلاحم الوطني بين المصريين وفرعون!!

فينبغي سجن صاحب الرأي الآخر كما قال فرعون ﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء:٢٩].

وإنما التقدم والأهداف النبيلة عند هذا الشعب المخدوع هي ما كتبه (هيرودوت) وأمثاله من مشركي اليونان قديما أو الباحثين الغربيين حديثا وما سطرته أقلام باحثي المصريات أو الفرعونيات"، ومنهم في هذا العصر هنري برستد وأحمد فخري.

ومنهم القائل:

أنا مصري بناني من بنى ... هرم الدهر الذي أعيا الفنا

والقائل: "لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا"!

والتقدم هو تسمية المنتخب المصري (الفراعنة)!

- ما يحتاج إليه الداعية:

يحتاج الداعية مع العلم والتقوى إلى ثلاث صفات:

١- حسن الخلق مع الناس كافة لاسيما الوالدين والعفو عمن أساء إليه كما كان رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى:٤٠].

وقال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف:١٩٩].

ومن حسن الخلق الرفق بالمدعوين، كما ترفق النبي ﷺ بالأعرابي الذي بال في المسجد وبالذي تكلم في الصلاة، وبالذي طلب منه أن يبيح له الزنا، وقال لكفار قريش: (اذهبوا فأنتم الطلقاء).

٢- العزيمة والقوة في الحق فالداعية لا يأخذ بالرخصة بل بالعزيمة ما استطاع:

قال تعالى لموسى عليه السلام: ﴿فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَا﴾ [الأعراف:١٤٥].

وقال: ﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ [مريم:١٢].

وقال لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾[الأحقاف:٣٥].

وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ﴾ [القلم:٤٨].

وصاحب الحوت هو يونس عليه السلام الذي ذهب مغاضبا لما كذبه قومه ولم يصبر.

٣- التفاؤل والاستبشار فلما عثروا في الخندق على صخرة عاتية، ضربها عليه الصلاة والسلام بمعوله، وبشر أصحابه بقصور لم تفتح بعد، وقال لأصحابه أبشروا وأمّلوا خيرا، وغير ذلك، ونهى سبحانه عن اليأس والقنوط، وقال: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗا﴾[البقرة:٢٦٨].

وقال بعد مصيبة أحد: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩].

وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ﴾[هود:٤٩].

وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر:٥١]، وأمثال ذلك كثير معلوم، فالنصر حاصل ولابد بإذن الله تعالى وإنما مصيبتنا أننا قد لا نعرف حقيقة النصر وربما توهمناه أو علقناه على أمر والله

يريد لنا ما هو خير منه، وكم من محنة كانت عاقبتها منحة، وإنما يشتد الظلام عند قرب بزوغ الفجر.

٤- ينبغي للمؤمن ألا يحتقر شيئا من الطاعة أو المعصية، فإن الله تعالى غفر لبغي من بني إسرائيل لما سقت كلباً، وأدخل امرأة من حمير النار لما حبست هراً، وقد ضرب النبي ﷺ مثلا لذلك بقوم كانوا مسافرين فأحضر هذا عودا وهذا عودا حتى أنضجوا خبزهم، والنار مهما كبرت إنما تبدأ من شرارة واحدة والسيل الجرار إنما هو قطرات متجمعة من المطر، وقال ابن القيم ما معناه "كيف تأمن عذاب الذي كتب على إبليس الشقاء بتركه سجدة"؟ وقال بلال بن سعد: "لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عظمة من عصيت"، وكلام السلف في ذلك كثير.

ولو كان لغير الدين اعتبار لكانت حكم كليلة ودمنه وزهديات صالح بن عبدالقدوس ومواعظ أبي العتاهية تغني عن الوحي.

وأنا أعجب لحال بعض الدعاة حين يستحي من دينه، فيتحدث طويلا ولا يذكر الله وحين يدعو إلى الانتخابات، أو ينتقد المآسي الاجتماعية وكأن قضيتنا هي قضية الظلم والغلاء وترك الديمقراطية مع أن هذه الأمور واقعة فعلا. ولكن ما هي إلا أعراض للمرض الأكبر الذي هو الانحراف عن دين الله وشرعه مع ما في الانتخابات من تزكية للنفس وتزكية للرأس الكبير، فلم لا ندعو إلى الله مباشرة ولا نبالي؟ وكيف نخشى من وصمنا بالإرهاب أو التطرف؟ وهل نسلم من ذلك لو تنازلنا مع في التنازل من المفاسد؟

وربما كان في تلك المصائب خير من جهة، وإن لم تكن خيرا في الجملة، فمثلا:

عندما قلصوا صلاحيات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنما كانوا يردوننا إلى الطريق الصحيح دون أن يشعروا، إذ أن الانكار حسب الشريعة واجب على كل مسلم، ولو أن كل مسلم أنكر المنكر واحتسب الأجر من الله لأعادوا صلاحيات الهيئة رغما عنهم، فعلينا الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر وكفانا رجاءات وتوسلات، وعلينا غزو أقسام الشرطة والمباحث وغيرها ونجعلها مراكز للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أما التوسل فهو ذل ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[المنافقون:٨].

وأنا أعتقد أن قناة العربية قناة حكومية تعبر عن وجهة النظر الرسمية وعلى ذلك عدة شواهد، ومن شك في ذلك يمكنه المقارنة بين مواقف القناة والمواقف الرسمية ويحكم بنفسه، كما أطلب من كل من ظهر له شيء من ذلك أن يعلنه ويكتبه، ولا يبالي بمن خالف الحقيقة، فهذا من النصح لكل مسلم ويكفينا سكوتا ومجاملة.

فإن كانت الحكومة غافلة وجب تذكيرها، وإن كانت على علم وجب نصحها، ولا تأخذنا في الله لومة لائم، ألسنا الأمة التي تتواصى بالحق وتتواصى بالصبر؟

وإنما أحذر نفسي وإخواني المتقين من الغش وحظ النفس، أما قول الحق والنصح فهو عمل الأنبياء، ومنهم سيدنا عبدالله ورسوله محمد ﷺ الذي قال لقومه: (أرأيتم لو أخبرتكم أن وراء هذا الوادي خيلاً تريد الاغارة عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)، وقد أنذرت النملة جماعة النمل فكيف لا ينذر الدعاة حكامهم.

ولا يصح السكوت من أهل الحق فيتمادى أهل الباطل.

وكأن لسان حالنا يقول لهم (أكثروا من الضلالات كي نسكت عنها).

وقد تجرأ الملاحدة حتى على إنكار وجود الله تعالى الله عما يشركون، فيجاهرون بالإلحاد ويقولون مثلا إن الكون جاء صدفة وإن الإنسان تطور من الثدييات العليا إلى شكله الحالي! وبعد أن كان المسلمون يجاهدون الروم أصبحوا اليوم يتحالفون معهم على المسلمين في الفلوجة وهيت والرمادي

والموصل والصومال وأفغانستان، ومعاذ الله أن يرضى بذلك أو يسكت عنه مثلا الامام أحمد أو شيخ الإسلام ابن تيمية أو الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولكن خلف من بعد هؤلاء الأئمة خلْف يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا ويقولون ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزُّخرُف:٢٢]، وقال بعضهم (نحن تبع لعلمائنا)، ومن علماؤه؟ وهل يرضى علماؤه بهذه الضلالات؟ وهل دعا علماؤه الناس إلى أن يكونوا مثلهم ويقلدوهم في اجتهاداتهم أم أمروا في كل مناسبة بالرجوع إلى الكتاب وسنة رسول الله ﷺ؟ وهل يصح أن نلتقط الحكمة ولو كان قائلها كافرا أو مجنونا أو عدوا، وإذا جاءتنا من مسلم يخالفنا قلنا فكر وافد؟ وكيف نستنكر ما يحدث في نيويورك وباريس وبروكسل ونسكت عما يجري في القدس؟

وكيف تكون مواقفنا تابعة لأهواء الساسة ولو ضلوا؟ ونقول الشيوخ اخص أو ولي الأمر أدرى بالمصلحة، وكيف نخشى غير الله؟ ونحل اليوم ما كنا نقول بالأمس إنه حرام؟

وهل يكفي أن نقول إن الحركات الإسلامية اتخذت رؤساء جهالا وإن القادة المجاهدين لا علم لهم؟

وهل قال أحد من رجال الطريقة النقشبندية أو الخوارج أو القدرية أن "الله والشيطان وجهان لعملة واحدة" وأنه آن الأوان لتصحيح عقيدة محمد بن عبد الله؟ أو قال أحدهم عن الحجاب "مزقيه ذلك البرقع، واسألي يا بنت رب العالمين واسألي من أنزل الآيات والسور"؟

وهل حذر الله ورسوله من إتيان الكهان وكتب في ذلك العلماء وأجاز السكوت عمن يقول "يا كاهن الحي" من الحداثيين؟ وهل كانت حياة النبي ﷺ وأصحابه حياة لا إنسانية كما قال أحدهم في بلاد الحرمين؟ أم يجب الإنكار على هذا وذاك كل بقدر خطئه.

وأي توحيد أو عقيدة لمن يرى المنكرات تتفشى، والتقديم بين يدي الله ورسوله ينتشر، وجهاد الكفار والمنافقين يُترك، والكفار يعيشون في جزيرة

العرب ومعابد المجوس تقام فيها وأمم الكفر تتداعى على الشام والعراق ويسكت عن ذلك كله؟ وأي عقيدة لمن يقول إنما لعن الله بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم، أما نحن فنحن خير أمة أخرجت للناس تطيع حكامها وتؤمن بالقرارات الدولية وتحارب من أجل الحكومات الشرعية!!

وهل تكون حروب الجاهلية غزوا وعدوانا بينما تكون حروب أمريكا تحضرا ورقيا ونشرا للعدالة وحقوق الإنسان؟

وكيف يذمون ترامب في الإعلام الأمريكي ويمدحونه في الإعلام السعودي والإماراتي؟

ومما ينبغي للداعية معرفته التفريق بين التحذير من كل ما حذر الله منه ورسوله، وبين الحكم على المعين، فمهمة الداعية هي الدعوة والنصح والتحذير وتنبيه الغافل وتذكير الناس ومجادلة المبطل وبيان ما في كلامه من حق وباطل، وإنما يصدر الأحكام القاضي بعد سماع الطرفين، فرب ظاهر ليس له باطن ورب ظاهر كان الباطن أفضل منه، ورب ظاهر لديه ما يخالفه كل المخالفة ورب كاتم للحق وخائف، ورب معذور لا نعلم عذره، ورب مأجور أجرا واحدا ورب مذنب تاب من ذنبه ونحن لا نعلم، ورب منافق اندس في صف المؤمنين وهم لا يعلمون، والله تعالى هو وحده العالم بالسرائر.

ورسولنا ﷺ إنما يقضي بنحو ما يسمع، كما أخبر عن نفسه ﷺ وعلى ذلك تدل سيرته العملية، وكم من منافق لا يعلمه وقد قال له ربه جل وعلا: ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ﴾[التوبة:١٠١]، وهذا لا يمنع أن يكون الله قد أخبره بهم بعد ذلك.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "إن النبي ﷺ كان يترل عليه الوحي من السماء، أما نحن اليوم فإنما نحكم بما يظهر لنا فمن عمل خيرا قبلنا منه ومن عمل شرا عاقبناه".

وينبغي للمسلمين أن يعملوا بأي حق شرعي، ليس له نظام يمنعه فما دام القوم يقولون إن هذا الأمر يخالف النظام، فمن حق المسلم أن يعمل ما لا نظام له، إذ الأصل في الأشياء الإباحة، وهذه من أكبر الثغرات التي لا يجوز للدعاة إهمالها.

وإذا قيل لك من أمرك فقل: من نهاني؟

وإذا كانت الإشارة المرورية حمراء فينبغي للداعية أن يقف في المقدمة لا في المؤخرة وهكذا في كل شيء، حتى ما تحظره الأنظمة يجب على طالب العلم أن يبحث عن الثغرات فيه، وهي موجودة في كل قانون بشري، وقد قال لي أحد الدعاة أخذوا عليه التعهد ألا أعظ في المسجد والمدرسة أو أي إدارة وأنساهم الله الطائرة، (وأنا سوف أعظ فيها).

وأنا كان رأيي ألا يتعهد أحد أصلا وإن سجنوه، ولو تعهد لا يلزمه الوفاء بتعهده ما دام رسوله ﷺ أمره بذلك.

ويجب على الدعاة أن ينبذوا الوهن والضعف والخوف وإذا منعوا من شيء فليبحثوا عن غيره، وإذا أوذي أحد منهم وجب تحريك المجتمع ليقف معه، وللدعاة مؤيدون كثير حتى داخل الأجهزة المكلفة رسميا بتتبعهم والقبض عليهم.

وإذا نشرت قناة أو صحيفة ما هو منكر ينبغي تكثيف الإنكار عليها بالزيارات والمكالمات ونصحها عن ذلك ونحن لا نكذب، أما الليبراليون فليكذبوا كما شاءوا، ويقولون عن الناصح إنه إرهابي اقتحم القناة أو الصحيفة، فلا بد أن يملوا من الكذب، ولا بد للمجتمع أن يقارن بين الحقيقة والزيف، ولا يصح لمن دعا إلى الله أن يستسلم أو ييأس ولو كان وحده. فهكذا كان كل الأنبياء وكل المصلحين، والحبل مع التكرار يقطع الحجر، والماء يحفر الصخر، وإنما مصيبتنا أن الشيطان يسول لنا أن الإنكار سيؤدي بنا إلى الأذى، وهو السجن غالبا، فماذا في ذلك ألا ينبغي تهنئة الداعية إذا سُجن أو أوذي، بل إذا قُتل، وقد بين لنا الرسول ﷺ أن الشيطان يقعد

للإنسان بأطرقه كما هو معلوم، وأمرنا بالإنكار وبالأخذ على يد الظالم، وإذا كان أهل الباطل يجرأون على قوله وفعله فكيف يسكت أهل الحق أو يخافون؟ والإنسان لا يجعل نفسه فتنة للذين كفروا ويجادل بلا علم فيستطيل عليه الأعداء.

وسلعة الله غالية تنال بالعمل لا بمجرد الأماني، وقد قال العبد الصالح لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

ومما يدلك على عمق التفكير الدعوي، وبعد نظر أهله أن الدولة أخيراً اضطرت إلى اقتفاء نهجه وسلوك دربه فقد أنشأ بعض الدعاة ما سموه (لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية)، وقابلت الدولة أولئك بقسوة بالغة، ثم إنها هي أنشأت ما سمته هيئة أو إدارة (حقوق الإنسان) وأراد بعض الناس إصدار موسوعة عامة مستمدة من كتب ابن تيمية وغيره، فأبت ذلك الدولة ثم إنها أصدرت موسوعة بعنوان "الموسوعة العالمية" وإذا انتكس أحد عينوه في منصب مهم!.

فالدعوة أقوى علميا وفكريا وأسبق من خصومها، الذين يعممون الأحكام ويطعنون في الصحوة كلها لمجرد أخطاء قد يرتكبها بعض منتسبيها، ويستعدي أولئك الخصوم الدولة لمزيد من التضييق على الدعاة، والمؤسف حقا أن إرجافهم مقبول وتشويههم مسموع، وأن السجون أصبحت مقرا للدعاة فقط، ولم يدخلها من قال (إن الحكم السعودي تسلّق على يد الدين للاستيلاء على السلطة)، بل اقترحوا تعيينه مسؤولا عن الملف الشيعي بالديوان، وقد جعلوه عضوا بمجلش الشورى فهم كمن يجعل الذئب راعيا للغنم.

بل هو متهم أنه تزوج رجلا مثله وهو القائل "القرآن بضاعتنا نحن المتخلفين"، وأمثاله كثير، وقد سماهم الأستاذ عبدالله الناصر عضو مجلس الشورى السعودي سابقا في جريدة الرياض، (الصهاينة)، وكما انتقدهم

الدكتور منصور بن تركي الهجلة والأستاذ عبدالله المفلح، وقال عن قناة العربية "هي قناة الصهيونية والصهيونيين العرب"، د ع الإعلامي الأستاذ أحمد بن راشد بن سعيِّد.

وقد تتبعت بعض ما قيل عنها وسألت اللواء (م.ص) الذي كان مسؤولا في الدولة ومطلعا على أخبارهم، ووجدت كلام الأساتذة صحيحا، بل إن بعض من أثق فيه قال ما هو أعظم من ذلك، ومن ذلك أن هذه القناة ألحقوها بوحدة التضليل الإعلامي في البنتاجون، وأنها مدعومة أمريكيا.

ومن أشد أنواع الأذى للدعاة اتهام منهجهم بالتطرف والظلامية والنصوصية وإلغاء العقل.. وأمثال ذلك من الألقاب غير أن الله سخر لدينه من ينصره عليهم فقد بينت الكاتبة (ريم آل عاطف) بعض جرائمهم في صحيفة (العرب) ومما ذكرت (والترقيم مني):

١- هاجموا شابا سعوديا رفع الأذان في النمسا.

٢- استنكروا تمسك امرأة مسلمة بحجابها في فرنسا.

٣- حرضوا على مثقف وأكاديمي أطلق مبادرة للتبرع للأقصى عبر منظمات رسمية

٤- انتفضوا ضد وزير فتح فصولا اختيارية لتعليم القرآن في المدارس

٥- اعترضوا على مسؤول أصدر قرارا بمنع تبرج الموظفات

٦- اعترضوا على آخر يمنع إجبار السعوديات على الابتعاث.

٧- حرضوا على قتل الآلاف في رابعة.

٨- صفقوا لاعتقال عشرات الآلاف من المصريين.

٩- وقفوا ضد حق المسلمين في الدفاع عن أرضهم.

١٠- هاجموا أشكال المقاومة كافة من الحجارة إلى المقلاع إلى الصاروخ.

١١- برروا حصار غزة وخنق أهلها واغتيال مجاهديها.

١٢- فرح بعضهم بقصف الروس الصليبيين لأطفال سوريا.

١٣- ذهب بعضهم إلى مطالبة أوربا بإغلاق أبوابها أمام المهاجرين السوريين. اهـ كلام ريم، فانظر كيف يمارس الكفار والمنافقون صنوف الأذى للدعاة ومن يقول الحق أو يفعله، ولكن المنافقين الجدد يدعون أنهم أحرار (ليبراليون).

وممن جمع مقالاتهم المعادية للإسلام الشيخ خليفة البطاح الخزي رحمه الله، وممن فضحهم ونشر أسماءهم وزارة الخارجية الإسرائيلية لكن بوصف آخر.

وحقيقة الأمر أنه ليس لليبراليين مشروع إيجابي وإنما مشروعهم هو مهاجمة أهل الدين في أي مكان.

يقول (فؤاد زكريا) كما نقل عنه الدكتور المؤرخ محمد بن عبدالله السلومي (ص١٥٣) من كتابه شاهد من الصحوة: "ليس لليبراليين العرب مشروع حقيقي، مشروعهم هو تخريب مشاريع الإسلاميين".

كما ينقل الصفحة نفسها عن الأستاذ محمد سعيد طيب قوله: "الحقيقة هي أن الليبراليين السعوديين يعدون على أصابع اليد الواحدة والباقي دشير".

وكثير من هؤلاء الليبراليين للدعوة فضل عليه فكانوا أصلا دعاة فالدعوة هي التي صقلتهم وجعلت منهم مفكرين.

وممن تغيرت مواقفه ولا حرج على من قال انتكس:

١- عادل الطريفي وزير الإعلام السعودي سابقا.

٢- تركي الدخيل مدير قناة العربية ورئيس مركز مسبار.

٣- منصور النقيدان الذي أحرق محلا للفيديو في بريدة ثم عينوه مدير تحرير في مركز مسبار وله كتابات وقحه في جريدة الشرق الأوسط ومجلة المجلة، وقد وصفه الدكتور أحمد التويجري بالمسطول.

٤- أحمد بن قاسم الغامدي الذي ناقشتُه مرارا ناصحا إياه إدخال أبنائه المدارس فأبى، وعينوه رئيسا لهيئة الأمر بالمعروف بمكة، ثم إنه نكص على عقبيه وأخرج امرأته أمام الناس.

وكل هؤلاء أعرفهم عن قرب ولهم أشباه كثيرون أعرف أسماءهم لكني لا أذكرها لعل الله أن يهدي الجميع ونعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن الضلال بعد الهدى، علما بأن هؤلاء إن بقوا جميعا على موقفهم من الدين فلن يضروا إلا أنفسهم والإسلام غني عنهم.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٤٤].

على أن اختيار هؤلاء للمناصب والكتابة يدل على أمرين:

١- أن الدعوة هي التي تربي الناس على الفكر، وتعرفهم قيمة النشر.

٢- أن من يقرِّب هؤلاء ويولِّيهم إنما فعل ذلك لموالاته لهم ولمعرفتهم السابقة بالدعوة والدعاة ولأنه كما قال لويس التاسع "لا يقطع الشجرة إلا غصن من أغصانها"!! وأحصر طريق للمناصب هو الطعن في الدين واتهام الصحوة!

فمتى نفيق ولا نخاف إلا الله ونرجو الدار الآخرة؟

ونحن نصبر على الأذى والاتهام لكن لا يعني الصبر أن نسكت عن المنحرفين، بل ينبغي الرد عليهم، ونشر الحق في كل مكان بالحجة والعلم، ونفض اليد منهم وممن يعينهم ويوليهم ونصبر على الأذى في سبيل ذلك.

والعجيب أن هؤلاء ومن وراءهم يزعمون أن عقيدتهم صحيحة! وصحة العقيدة تقتضي صحة العمل فالدين قول وعمل، ولا يصح إقامة جانب من الدين دون الآخر فالتوحيد الاعتقادي الطلبي لا يقبل إلا بالتوحيد العملي الإرادي.

وتوحيد الربوبية لا ينفع إلا بتوحيد الألوهية وعبَّاد اللات والعزّى كانوا مقرين بأن الله هو الخالق الرازق المدبر ولم يكونوا منكرين لذلك إطلاقا. لكنه لم ينفعهم وحده بل بعث الله إليهم خاتم الرسل محمد ﷺ، يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والالتزام بطاعته وحده وإلى أن يحكِّموه في كل شيء ولا يبغون حكم الجاهلية ولا طواغيت الشرك من الكهان والأحبار والرهبان والأولياء والسادة والكبراء.

فمن الباطل إذن قول من يقول إن الإيمان يكفي فيه الإقرار بالقلب أو باللسان، أو يؤمن بجانب الرجاء وحده بلا خوف ولا محبة، أو يكون من المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعض، ويؤمنون بالإسلام ا(لمعتدل) كما يقال، ولا يؤمنون بما يسمونه الإسلام (السياسي) الذي فيه حكم بالقرآن وشورى وجهاد وولاء وبراء.

ولا ينبغي لمن كان يريد الله والدار الآخرة من الدعاة أن يضيق صدره بما يقول الليبراليون أو يفتريه المفترون، بل يجعل ذلك مرآة لنفسه يتعرف بها على أخطائه وذنوبه.

فلا بد من العداوة والاتهام فالله تعالى يقول: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ﴾ [الأنعام:١١٢].

وقوم نوح عليه السلام قالوا به (جنة)، وقال قوم هود له: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾ [هود:٥٤]، وكذا كل أمة ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢].

وقالوا عن النبي ﷺ (إنه كاهن أو صابئ أو مفتر) إلخ.

وقال الرافضة عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما إنهما الجبت والطاغوت!

وسمى نفاة القدر أهل السنة جبرية، وسماهم نفاة الصفات مشبهة ومجسمة وحشوية .. إلخ.

وجريا على ذلك يقول الليبراليون وأشباههم اليوم عن الدعاة:

أصوليون، نصيون، ظلاميون، حركيون، يريدون المناصب، دعاة فتنة، إسلامويون، إقصائيون، متشددون.. الخ.

وجعلوا الإسلام نوعين: إسلام أمريكاني معتدل لا جهاد فيه، وإسلام سياسي متطرف!!

ولكي تعرف حقيقة دينهم انظر ماذا قالوا يوم نشر أهل الكتاب صورا مسيئة للنبي ﷺ، وقال القس (جونز) في فلوريدا "إذا بنوا مسجدا في مانهاتن فسوف أحرق القرآن"، فالقوم إنما يحاربون طرفا واحدا فقط ويعادونه ويحرضون عليه أما الذين يقبعون في سجن الحائر أو ذهبان وغيرهما سنوات فلا يدافعون عنهم قط ولا تشملهم حريتهم المزعومة.

والطواغيت يسلكون طريقة "دنلوب" "بطيء ولكنه أكيد" في كثير من الأمور، فالمخلوع علي عبد الله صالح مثلا لما ألغى المعاهد العلمية من المحافظات اليمنية أمر بنقل الدروس الشرعية منها إلى المساجد، فهو لم يستطيع إلغاء دروس المعاهد نهائيا بسبب قوة القبائل، وإنما كان يراهن على إعلامه الذي سوف يفسد الناس، حتى يأتي جيل يشترط لإلقاء الدروس حمل تصريح رسمي بذلك.

والواجب على دعاة الحق في كل مكان معرفة هذه السياسة الماكرة وما تؤدي إليه، والتحذير منها.

- وجوب العدل والصبر:

ومن صفات الداعية الواجبة العدل مع الموافق والمخالف، وبذلك يذكرنا خطباء الجمعة حين يقولون: "إن الله يأمر بالعدل والإحسان" وقد قال تعالى أيضا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٨]، فالعدل في ديننا قيمة مطلقة لا يحدها اختلاف الدين والعرق واللغة. وقد ضرب شيخ الإسلام ابن تيمية مثالا رائعا في ذلك حين نقض كلام الرافضي (ابن المطهر الحلّي) ولما قال الرافضي ما هو حق أقره الشيخ وقال: (وإذا قال اليهودي أو النصراني فضلاً عن هذا الرافضي الحق قبلناه).

وقال رحمه الله: "العدل واجب على كل أحد لكل أحد في كل حال"، والله تعالى أخبرنا أن أهل الكتاب ليسوا سواء فكذلك كل مخالف.

والداعية قدوة في الزهد وترك الإسراف والتبذير، فيجب المحافظة على المال والثروة لا سيما الثروات الناضبة، والأخذ على أيدي السفهاء ولا يجوز إعطاؤهم الأموال.

ويجب الصبر على البلاء والأذى في ذلك فقد أخبرنا الله به فقال: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾[آل عمران:١٨٦]، وهذا هو طريق الرسل كافة ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا﴾[إبراهيم:١٢]، وتلك سنته سبحانه الدائمة ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾[الفرقان:٣١]، وقد قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ أول ما نزل عليه الوحي: (ما جاء أحد بمثل ما جئت به إلا عودي)، وقال ﷺ: (لقد أوذيت في الله وما يؤذى أحد)، ومن الأذى اتهامه ﷺ فقال المشركون عنه أنه مجنون وقالوا كاهن وقالوا ساحر وقالوا شاعر وقالوا مفترٍ، وقالوا: يعلمه بشر، وقالوا: كاذب، وقالوا: مسحور وأرادوا قتله فخنقوه ووضعوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد.

وسمّوه مذمّما وابن أبي كبشة والصابئ وقالوا: ربما يريد الزوجة أو الملك.

والعجيب، أن هذا الأذى لا يخص دعاة الحق بل كل داعية ولو كان كافرًا أو ضالاً فماركس آذوه وطردوه، ولوثر حاربوه وجردانو برونو أحرقوه وكذا سرفت، وجاليليو سجنوه وكان الإمام أحمد رحمه الله يدعو لأبي هيثم فقيل له: من أبو هيثم هذا، فقال الإمام: (لما أخذوني للجلد إذا برجل يناديني من ورائي ويقول: اثبت يا أحمد، فالتفتّ إليه فلم أعرفه فقلت: من أنت رحمك الله فقال: أنا أبو هيثم اللص العيّار ضُربت ثمانية عشر ألف سوط بالتفاريق وصبرت على ذلك طاعة للشيطان ولأجل الدنيا فاصبر أنت في طاعة الرحمن لأجل الدين)! اهـــ.

وأنا رأيت لوحات في بعض المدن مكتوب عليها (الحرية لفلان)، وقد حكموا عليه بالسجن ثلاثين سنة! ومعلوم لكل طالب علم مصير الجعد بن درهم والحارث بن سريج.

وهذا دأب الخلق، قال بعض السلف "الناس إن ناقدهم ناقدوك وإن تركتهم لم يتركوك"!

وقال مجاهد رحمه الله: "إن يحيى بن زكريا عليهما السلام سأل الله أن يكفيه شر الناس، فأوحى الله إليه إن هذا أمر لم أجعله لنفسي فكيف أجعله لأحدٍ من خلقي".

وقد أوذي الصحابة الكرام ومنهم بلال وعمار وصهيب، كما أوذي التابعون وعامة السلف حتى قال الإمام أحمد: "لا تغبطوا أحدًا لم يبتل في هذا الأمر" وذكر الإمام أمثلة لذلك، وقال عقبها ابن الجوزي: "ولو ذهبنا ننقل ذلك كله بالسند لطال المقام".

وقال ابن القيم: "لا بد من حصول الأذى لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان".

وقال: "ومن تأمل أحوال العالم رأى هذا كثيرا فيمن يعين الرؤساء على أغراضهم الفاسدة" اهـ.

كما أوذي علماء عصرنا هذا فالشيخ محمد بن إبراهيم اتهموه حتى أنهم قالوا سمّى نفسه المفتي الأكبر والمفتي هو الله.

والشيخ بن باز اعتقلوه وقطعوا راتبه حتى توسط له الشيخ محمد بن إبراهيم وقد حدثني الشيخ بن باز بذلك، وأخبرني أنهم قطعوا راتبه مدة طويلة ذكرها لي، واتهموه أنه صاحب عقار وأنه يكره الرسول ﷺ وضربوا سكرتيره في وجوده.

ولما وقعت حادثة الحرم اعتقلوا كاتبه وسائقه، وكذبوا عليه كثيرا وكانوا إذا فعلوا منكرا قالوا ابن باز أجازه.

والشيخ محمد بن صالح العثيمين قالوا إنه حلولي، ولم ترفِّعه الحكومة لأنه قال "فيه ظلم"، وقد أخبرني بذلك أيضا، والشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي أوذي كما هو معلوم، والشيخ عبد الله بن سعدي الغامدي أطلقوا عليه النار وافتروا عليه. والشيخ محمد بن علي جماح آذوه وحوّلوا مدرسته السلفية إلى مدرسة عادية.

والشيخ عبد الله القرعاوي راقبوه وتابعوا كل تحركاته.

والشيخ بكر خوقير سجنوه.

وما من داعية في الشمال أو الجنوب قديما وحديثا إلا أوذي بنوع من الأذى فلا نطيل في ذكرهم وتعداد ما جرى لهم.

وحسبك أنهم أحرقوا أصحاب الأخدود، وقتلوا الأنبياء أو شجوهم، ونشروا الصالحين بالمناشير ومشطوا أبدانهم بأمشاط الحديد.

وأن الأذى لا بد منه كما قال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله.

ومن التهم التي قيلت للأنبياء أنهم يريدون الفساد في الأرض!.

وقال فرعون كما أخبرنا عنه رب العالمين: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾ [غافر:٢٦].

ومنها الاتهام بالفوضى بعد الأمن والاستقرار ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص:٥٧].

ومنها أنه يريد الفتنة بين الشعب وإذهاب اللحمة الوطنية بين الناس، فقد طلب موسى من فرعون بكل هدوء أن يرسل معه بني إسرائيل لكن فرعون قال له: ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ﴾ [طه:٥٧]، وبعض الدعاة اليوم أنكر على إحدى المتبرجات وآخر أنكر إحياء سوق عكاظ فقال أعداء النهي عن المنكر بأنهم وعصاباتهم اقتحموا على الآمنين وأنهم في الهيئة.

ومن التهم أن الدعاة أصحاب فكر ضال، لكن الله تعالى يقول: ﴿وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾[طه:٧٩].

ويجب علينا الاعتزاز بالإسلام واعتقاد أنه هو الأعلى والأرقى دائما ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾[المنافقون:٨]، حتى وإن أصابنا ما أصابنا، فقد قال الله تعالى بعد مصيبة أحد ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[آل عمران:١٣٩].

ونحمد الله الذي لم يجعلنا يهودا ولا نصارى ولا ملاحدة كالأمريكان والانجليز، ولم يجعلنا عباد بقر كالهندوس، ولا عباد نار أو تماثيل كالمجوس في اليابان والصين، وإنما أعزنا وشرفنا بالإسلام.

وقد كان عمر بن الخطاب ﷺ يرتدي ثوبا مرقعا ويركب دابة مما يركب الناس ولما أراد الدخول إلى القدس نزل عن الدابة ليركب مولاه يرفأ فتلك نوبته، واجتاز عمر مخاضة زادت ثوبه وسخا، فقال القائد الكبير أبو عبيدة: لو لبست غير هذا يا أمير المؤمنين وركبت برذونا؟ فقال عمر: (لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نحن قوم أعزنا الله بالإسلام، فمهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).

ومن الاعتزاز بعقيدتنا أن ننص في النظام الأساسي على أننا نتبع مذهب أهل السنة والجماعة ونعمل بالراجح من أقوال الأئمة الأربعة أو غيرهم، فيا عجبا كيف ينص الدستور الإيراني على ذلك ولا ينص عليه أهل التوحيد!!

ونحن لسنا أمة فقيرة في الرجال، فينبغي تسمية الجامعات والمطارات والشوارع الرئيسية والميادين الكبرى وأبواب المسجد الحرام والمسجد النبوي وغير ذلك بأسماء الصحابة والأئمة والفاتحين.

وقد جعل الله عز الإسلام آية ظاهرة للعين حتى قال بعض السلف: (من أراد أن ينظر إلى عز الإسلام فلينظر إلى صلاة التراويح في المسجد الحرام، وصلاة الجمعة ببغداد، وصلاة العيد بالثغر).

والرافضة في إيران لم يخجلوا أن ينص دستورهم على أن مذهب الدولة هو المذهب الاثنا عشري، ولا أن يصلي منتخبهم في الملاعب، وأن يشترط رئيسهم إذا زار دولة ألا يجلس على مائدة تدار عليها الخمر.

واليهود لا يستحي كبيرهم أن يستشهد بالتوراة فوق منبر الأمم المتحدة، ولا تستحي خاخاماتهم أن يعطلوا الأسواق عصر الجمعة استعدادا للسبت، ولا أن يسبت الحكام حتى وهم في أي دولة، ويأكل اليهود الطعام اليهودي (كاشير) دون ما هو مخنوق أو خنزير وحتى الخطوط الجوية تسألك أتريد طعاما عاديا أم طعاما يهوديا؟ ويفتش المتدينون اليهود على المطاعم وعلى البيوت التي فيها مذياع أو تلفاز، ولا تستطيع الحكومة الإسرائيلية منع ذلك بقرار.

وينبغي للدعاة إنكار الجاهليات والبدع بكل أنواعها لاسيما ما كان قبل الإسلام مثل الصنم "نسر" الذي عبده قوم نوح ولا يزال اليوم محفوظا في المتحف الوطني بالرياض، وسوق عكاظ، والذي كان الجاهليون يلتقون فيه وكذا الأخدود ومدائن صالح.

كما ينبغي إزالة الآثار المكذوبة ومنع الذهاب إلى كل ما هو غير شرعي مثل "مكتبة المولد" و"مسجد البيعة" و"مسجد الكوع" و"خيمة أم معبد" وقبر الولي فلان سواء كان في مكة أو في المدينة أو في الأبواء أو في الطائف.

ولا يصح أن تزيل البلديات كل شيء حول هذه الآثار المكذوبة وتبقيها هي لا يمسها أحد بسوء مع ما يترتب عليها من بدع ومنكرات، منها أني رأيت بعض الحجاج يستدبرون الكعبة الشريفة ويستقبلون مكتبة المولد المزعومة بالصلاة.

ومن ذلك أيضا أن بعض الحجاج يتمسح بالسارية الخضراء!!

ومن الآثار أيضا نقوش رمسيس، وقرية الفاو وجدة القديمة، وحائل القديمة، وحصون اليهود بالمدينة، وقد أعطانا الله ما هو خير من ذلك كله (الكعبة المشرفة).

وإني لأعجب من ترك الاسماعيلية على دينهم والاهتمام بالأخدود!.

كما ينبغي الثقة في الله وترك الاستعجال، والقول بأنه قد مضى كذا سنة ولم نحرر القدس أو تنجح الثورة في بلاد الشام، أو نستنقذ جنوب الفلبين من قبضة النصارى فهذه المدد قصيرة إذا قيست بأعمار الأمم وأحداث التاريخ، وقد قال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج:٤٧]، وقال ﷺ لأكرم الأجيال: (والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون)، وقال الإمام أحمد: (ذكر الله الصبر في كتابه أكثر من تسعين مرة).

ويجب الدعوة إلى طرد الكفار من بحار المسلمين ومضائقهم، وتنبيه الأمة لذلك فنحن نرفض مثلا أن تكون لأمريكا جيوش أو سفن في الخليج والبحر الأحمر أو البحر الأبيض أو باب المندب أو مضيق هرمز أو أي مضيق أو بحر أو قناة، وعلى الأسطولين الخامس والسادس أن يرحلا.

وينبغي معرفة ما اختص الله به بعض البلاد أو القبائل من الفضائل والمناقب وإحياء ذلك مثل خصائص الحرمين وبلاد الشام، وخصائص أهل العراق والترك، والخصائص التاريخية لمصر وميزات القارة السمراء، وكيف أن المسلمين قتلوا ماجلان في الفلبين، وليشمان في العراق وغوردن في السودان، وهزموا أمريكا في أفغانستان، وأسروا لويس التاسع في مصر، وطردوا الصليبيين من الرها والقدس وأنطاكية، وينبغي أن نخاف على المسجد الحرام الذي ينتزعون الأطراف تمهيدا لانتزاعه، وقد قال تميم البرغوثي:

إذا ما أضعنا شامنا وعراقنا   أضعنا من البيت الحرام مداخله

و لم يعد ذلك مجرد خطة أو فكرة، بل أنشأوا جيشا سموه "فيلق مكة"، بل قيل إن ما يسمى "فيلق القدس" إنما غرضه احتلال مكة.

ولا يجوز أن يلدغ المؤمنون من جحر واحد مرتين، فانظر مثلا كيف انقلب السيسي على من أعطاه المليارات من الرز! ثم عادت العلاقات معه طبيعية، وجاء إلى الرياض أكثر من مرة ومنها مجيئه لما جاء ترامب، وانظر إلى المخلوع ألم يقل إن الأمريكان يحيطون بالكعبة الشريفة؟ ثم إنهم أعطوه بعض الأجزاء الحدودية وعالجوا حروقه في الرياض، وحصّنوه بالمبادرة الخليجية وأعطوه الثروة الهائلة التي قدرتها الأمم المتحدة بأكثر من اثنين وستين مليار دولار، أي أكثر من مئتين وعشرين مليار ريال سعودي، ثم إنه استهدف منطقة مكة المكرمة بالصواريخ، ولما جاء ترامب إلى الرياض استهدف الرياض أيضا، وذهبت المليارات التي قبضها حسني مبارك وحكمت محكمة مصرية على (حسين سالم) وهو أحد التجار أيام حسني بأن يدفع ٣٠ مليار جنيه قبل انخفاض قيمة الجنيه حاليا، لكنه عرض الصلح بمبلغ ٢٤ مليار فقط فكم يملك سيده وأبناؤه وبقية التجار؟ وحزب اللات يسيطر على الجيش اللبناني الذي أعطته السعودية ١٥ مليار ريال! وقبض بن جديد ٩ مليارات وهي اليوم تعادل أكثر لكي يقضي على جبهة الإنقاذ في الجزائر، وهذا عدا المليارات التي أعطيت لـــ(بن علي وحفتر) وللاتحاد السوفيتي، وغير ما يسرقه بعض الوزراء وبعض النهابين من بيت مال المسلمين.

وأخيرا أعطوا عدو الله ترامب مئات المليارات من الدولارات (أكثر من تريليون ونصف تريليون ريال)، أي أضعاف الميزانية المعلنة بحوالي ثلاثة أضعاف، وهو مبلغ يعادل ما قبضه المسلمون من النصارى طوال التاريخ وربما يزيد.

وعقدت السعودية مع "ترامب" أكبر صفقة في التاريخ، مع أن هذا الكافر الديوث الذي عرضوا له واحتفوا به صرّح مرارا بأن السعودية يجب أن تدفع لمشروع كذا ومشروع كذا ومنها مشروعه عن المناطق الآمنة في

سوريا، ولبقاء جيشه فيها، ومشروعه (سوفت بنك) وصرح أن زمان حماية أمريكا لحلفائها قد ولى، وآن لهم أن يدفعوا، ولمزيد من الابتزاز أصدرت أمريكا قانون (جاستا)!

وأنا لا أعلم مما يعطون إلا بعضه وما خفي أعظم، ولو كان الإعطاء لله والمنع لله لاستطعنا بأقل من ذلك أن نكسب المسلمين إلى صفنا، وحققنا التوحيد، وصدق من قال من السلف: "لمصانعة وجه واحد (يعني وجه الله) خير من مصانعة الوجوه كلها".

فإذا أعطيتَ الحكومة غضبت المعارضة، وإذا أعطيت حزبا أغضبت الآخر، فليس الأمريكان ولا المصريون ولا الإسرائيليون شيئا واحدا، وليس اليمين الأوروبي كاليسار، وإذا أعطيت علي المسلم مثلا، لم ترض عنك الإسماعيلية كلها، وكل هذا التلاعب يقع وما من نكير أو ناصح.

والأسوأ من ذلك أن كل هذه الأموال الهائلة تذهب لحرب الإسلام والمسلمين ولا يتحدث أحد من أهل العلم.

فيجب الحديث عن حكم التخوض في مال الله، كما صح في السنة أو حكم إعطاء أعداء الله ليحاربوا به المسلمين!

ومع هذا التخوض تفتك البطالة بالشباب ويفتك الفقر بالناس حتى أهل البيت الشريف، وإذا أرادت القبائل أن تفتح عقبات إلى تهامة ففتْحها إنما هو على نفقتها الخاصة وبعد أن تفتحها تسلّمها للدولة!

ومن أهم ما يتصف به الداعية تقوى الله في السر والعلن وهي صفة بدهية لكل مؤمن ولكنها في حق الداعية أشد.

ومنها حسن الخُلُق والدعوة بالأسلوب النبوي الحكيم.

وينبغي للدعاة تنبيه أثرياء المسلمين إلى خطر التعامل بالدولار الورقي باعتباره عملة وهو في الحقيقة ليس عملة وإنما هو سند بها، والدولار ليس له رصيد من الذهب ولو أن أمريكا ألغته لأصبح ملاك البنوك والأثرياء كلهم

فقراء معدمين، وكذا لو حدثت موجة جديدة من الكساد الذي ضرب أمريكا سنة ١٩٣٠ج.

وبعض الأمريكان اليوم يخزنون الذهب نفسه، فهم يعلمون أنه ليس للدولار رصيد إلا القوة الأمريكية المزعومة، وكذا بعض أبناء إخواننا المقيمين.

وأمريكا تزيد من يؤمن بقوتها رهقا، والعجيب أن يكون من حق السفارات الأمريكية إصدار دولارات ولم لا والقضية مجرد ورق، وقد أبت بعض الدول الغربية -مثل فرنسا- ذلك، وقالت إنه يجب أن تكون في كلِّ عملة ورقية ما يعادلها من الذهب الحقيقي لكن أمريكا رفضت الاقتراح الفرنسي ثم إن أمريكا أصدرت ورقة مكتوب عليها ألف دولار فكان أكثر الناس فرحًا بها الذين احترفوا تزوير العملات، في حين أن الفرنك السويسري مثلا مستقل عن الدولار واليورو، ومرت بسويسرا مرحلة أتلفت فيها كل الورق، وبعض الدول كالسويد مثلا ألغت التعامل الورقي تدريجيا، ولو أننا التزمنا بشرع الله وطبقنا نظام الاقتصاد الإسلامي لما وقع ما يسمونه التضخم، ولا ارتفاع سعر الفائدة ولا نحتاج لتعويم العملة.

وأصبح الحديث اليوم عن البنوك حتى أن بعض الباحثين تنبأ بنهاية قريبة لها.

وهكذا أصبح الذهب والفضة سلعة من السلع، يرتفع ثمنها بالدولار أو ينخفض، فما الفائدة إذن؟ على أن التكنولوجيا الأمريكية لا تعجز عن تطويع الذهب لو أرادت أمريكا ذلك.

وينبغي للداعية مراعاة حال عصره وتكون دعوته بحسب ذلك، وهكذا كان المجددون العظام من السلف ولم يحاكوا من تقدمهم مع الإفادة منه:

فأول المجددين الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز مثلا جعل شغله الأول رد مظالم بني أمية، ومنع سب أحد من الصحابة مطلقًا وناظر أهل البدع،

ومن عجيب أمره أنه قرب العلماء وأقصى الشعراء، وأمر بسحب الجيش المحاصر للقسطنطينية.

ولما جاء الإمام أحمد كان عصره كثير البدع ولكنه كتب ضدها جميعا:

فلما انتشرت الترجمة عن اليونانية واشتغل الناس عن القرآن والسنة بما كتب أرسطو ونظراؤه كتب الإمام أكبر دواوين السنة (المسند) وجرده من آرائه الشخصية.

ولما انتشر الإرجاء في بيئته (العراق) كتب الإيمان.

ولما رأى الإمام انصراف كثير من الناس إلى الدنيا كتب الزهد.

ولما أظهر بعضهم سب الصحابة رضي الله عنهم كتب (فضائل الصحابة).

ولما انتشر في بغداد شرب النبيذ بناء على فتوى بعض فقهاء العراق وشرب الناس الخمر، كتب الإمام كتاب "الأشربة".

ثم إن البدع الاعتقادية والعملية كثرت، ورفع اليهود والنصارى والمناطقة رؤوسهم وشاع علم الكلام اعتمادا على الفلسفة اليونانية وانتشرت الصوفية فقيض الله للأمة شيخ الإسلام ابن تيمية فأفاض في الرد على أولئك وكتب في الرد على كل طائفة مجلدات عميقة.

ولما كثر في المسلمين دعاء الموتى والغلو في الصالحين والأضرحة والتحاكم إلى الطواغيت، وضعف التوحيد وناصروه، جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فكتب مختصرات صغيرة متأثرا، فيها بشيخ الإسلام لكنه لم يفض كإفاضة ابن تيمية إذ كان الشيخ محمد في بيئة تغلب عليها الأمية وتحتاج للبدهيات، وكتب الشيخ كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، ومسائل الجاهلية، ورسالة في الرد على الرافضة: بين أنواع الطواغيت والأصول الثلاثة والقواعد الأربع.

وقد افتتن المسلمون بهذه الفلسفات الحديثة اليوم ونخرت جامعاتنا وقنواتنا وصحفنا ومنتدياتنا العلمية فينبغي أن نرد عليها كل بما يستطيع، وتبيين ما فيها من حق وباطل تفصيلا.

والمهم أنه لا يقتصر المسلم على مجرد ما كتبه من قبله أو يقلده، وإنما يقرأ ما كتب ويفيد منه ويبني عليه وكل ميسر لما خلق له.

وانظر مثلا إلى الأصول الثلاثة التي هي أساس الدين كيف استنبطها ابن تيمية من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [البقرة:٦٢] الآية وجعل الأصول الثلاثة هي:

١- الإيمان بالله. ٢- الإيمان باليوم الآخر. ٣- العمل الصالح، كما في "درء تعارض العقل والنقل" مثلا.

لكن الشيخ محمد بن عبد الوهاب جعلها غير ذلك كما هو معلوم، وهذا من التجديد وعدم التقليد.

ولا بد من التجديد في الدعوة فقد ظهرت بدع وفرق جديدة تحتاج للرد من أهل المعرفة، ولدينا ولله الحمد المصدر النقي الذي فيه الرد على كل شبهة وهو (الوحي)، وإنما ينقصنا الفهم والتدبر، ويجب على الدعاة تجديد الدين وعد أعمالهم لبنات في صرح التجديد.

ومما يوجب التجديد أنه ظهر في اليهود والنصارى بدع جديدة وفرق جديدة وقامت لليهود دولة بعد أن كانوا أحقر من ذلك، كما ظهرت فلسفات ونظريات وضعية جديدة كالماسونية والديمقراطية والليبرالية، والشيوعيات الجديدة، وفكرة مقارنة الأديان، وتعايش الثقافات المختلفة، والحوار، وقضية ما يسمى تحرير المرأة ومساواتها بالرجل، وفكرة القانون الدولي والعولمة وعبادة الشيطان، وحرية الفكر، والفلسفات الحديثة على

اختلافها، والوثنيات الجديدة، والشرك العصري، وتشويه التاريخ الإسلامي أو إهماله.

وظهرت أمراض وأوبئة عقدية لم تكن معروفة من قبل بهذا الانتشار، مثل التشبه بالكفار والتبعية الفكرية لهم والذل الحضاري وضعف الاعتزاز بالدين، مع أن الناس تقول في كل ركعة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة:٧] فأي صراط نسلك؟.

كما وقعنا في أخطاء منهجية كالإغراق في الجزئيات مع إهمال الكليات، ومن الكليات جمع كلمة المسلمين على الجُمل الثابتة والمحكمات فنجمع بين كوننا يدا واحدة على العدو، وبين أن نتحاور فيما بيننا ونعمل بالراجح.

كما حدثت نوازل كثيرة تحتاج لاجتهاد علمي عميق، مثل أطفال الأنابيب ونقل الدم واللحوم المستوردة، ومعاملات البنوك.

ومما يوجب التجديد غفلة كثير من الناس عن معرفة واقع الكفار، وتركهم الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومنع الظلم ونصرة المظلوم، وأشنع من ذلك أن يعدوا الجهاد إرهابا والدعوة إلى الله تطرفا.

ومما يوجب التجديد وقوع المسلمين في فخ الخديعة، وتوحيد سبب التخلف ونسيان أن المنافقين إنما بنوا للضرار مسجدا، وأنهم كانوا يصومون ويصلون ويجاهدون، وأن الجاهليين كانوا يعظمون الكعبة وأن قزمان قتل سبعة أو ثمانية من المشركين وهو في صف المسلمين، وأن المنافقين كانوا يقولون للنبي ﷺ (طاعة) وإذا خرجوا من عنده ﴿بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ ﴾ [النساء:٨١] وأن الله ينصر دينه بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم، وكان رأس النفاق عبد الله بن أبيّ يقوم يوم الجمعة حاثّا على الإسلام واتباع رسول الله ﷺ، وفي هذا العصر احتاج المنافقون إلى وسائل أخرى كالإعلام ووحدات التضليل.

ومما يوجب التجديد اختلاف أحوال العصر واستحداث وسائل اتصال أخرى فقد وضعوا الدستور الأمريكي قبل عصر الطائرات، وألزموا الرئيس فيه بإخطار الكونجرس عن شن حرب خلال ستين يوما، وهذا مدة طويلة اليوم، وتحدث الماوردي وغيره عن بيعة أهل العاصمة أتكفي عن بقية الأمصار، ومن الخطأ البقاء على كلامه في عصر الهواتف والانترنت، وكان ابن نباته يقول في خطبه التي لا يزال بعض الأئمة يقرأونها: (ليس العيد لمن لبس الجديد وركب الخيل المسومة وخدمته العبيد... إلخ).

ولا يزال بعض فقهاء الحنابلة يقرأون في مختصر الخرقي عن كيفية الحج والعمرة قوله: (ويستلم الحجر الأسود إن كان)، أو يقرأون في الزاد (مصانع طريق مكة)!

وينبغي للدعاة الإنكار العلني على أي ذنب يرتكبه المذنب علنًا، ولا يأبهون بقول من يقول إن الإنكار لا يكون إلا سرًا.

فالإنكار العلني له أدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعمل السلف الصالح، ومن ذلك:

١- في القرآن الكريم نقرأ الآيات الكثيرة في عتاب النبي ﷺ، وهي آيات تتلى إلى قيام الساعة، كقضية الأعمى وقضية تحريم العسل وقضية الأسرى، وغير ذلك.

٢- لما بلغ النبي ﷺ خبر الثلاثة الرهط قام على المنبر وخاطب الناس جميعا وقال: (إني أخشاكم لله وأتقاكم له..) الحديث.

٣- لما أراد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أن ينكح ابنة أبي جهل قام النبي ﷺ على المنبر وأنكر ذلك.

٤- بايع النبي ﷺ الصحابة ليلة العقبة على الإنكار أينما كانوا لا يخافون في الله لومة لائم، وعلى ذلك كان الصحابة رضي الله عنهم ولو كان المخالِف سلطانا أو واليا من قبل السلطان، فهذا عبد الله بن عمر رضي الله

عنها، لما قال الحجاج على المنبر إن ابن الزبير بدّل كلام الله، قال: كذبت ليس تبديل كلام الله بيد ابن الزبير ولا بيدك!!

وعلى ذلك سار التابعون وأتباعهم مما يطول ذكره لو ذكرناه.

ويجب على الداعية أن يوقن أن المستقبل إنما هو للإسلام ولله الحمد.

فالحضارة الغربية اليوم في أزمة اقتصادية حادة ونمو لليمين المتطرف، ووصوله في بعض الدول إلى الحكم، وتفكك الاتحاد الأوربي، وتفشي العنصرية في أمريكا، وانتشار الإسلاموفوبيا وكثرة الميلشيات فيها، وانحسار مفهوم الحرية، وانكشاف عيوب الديمقراطية، وضمور الحركة الإنسانية، ومعرفة مساوئ الثورة الفرنسية وزيف شعاراتها، واتضاح خضوع هيئة الأمم للسياسة الأمريكية، وارتفاع الأصوات المطالبة بانفصال بعض الولايات من الولايات المتحدة مثل كاليفورنيا وتكساس وفلوريدا، والتراجع الأمريكي الملحوظ عن الاهتمام بالمنطقة المسماة أمريكيا (الشرق الأوسط)، وتركيز الاهتمام الأمريكي على منطقة بحر الصين، وتذبذب أمريكا في التحالفات الأمريكية بين دول الخليج وإيران، وخوفها من كوريا الشمالية والتحالف مع ميليشيات الأكراد في سورية ضد الحليف الاستراتيجي القديم (تركيا) التي تقول أمريكا إنها أقوى قوة في حلف (الناتو) بعدها.

وكذا غياب استراتيجية أمريكية للتعامل مع القضية السورية، ومجاهرة كثير من الدول بمقاطعة الشركات الأمريكية والاستثمارات الأمريكية لاسيما في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية وأصبح أفضلٍ سوق للبضائع الأمريكية هو سوق الخليج، واستجداء أمريكا لعدوّها سابقًا (روسيا) للضغط على بشار، وتفاقم الخلافات بين أمريكا وأقرب الناس إليها (الاتحاد الأوروبي) و(نافتا).

هذا مع المقاطعة لإسرائيل، ثقافيا وتجاريا، وقيام المظاهرات في الدول الغربية ضدها وتراجع المشروع الصهيوني، ومن الغريب أن يكون في بعض

السفن التي انطلقت من أوروبا لفك الحصار عن غزة إسرائيليون، و لم ينطلق من أي دولة عربية محاولة لذلك لا سيما بلد التوحيد!

وهكذا ينتكس الغرب ويسقط نحو الهاوية ويتعرض لهزات دراماتيكية متسارعة، في حين يعلو الإسلام ويرتفع، وأصبح المسلمون هم أمهر الأطباء والرياضيين وعلماء الكون حتى الأندية الكروية الغربية نفسها أصبحت تعتمد عليهم في الرياضة، ولا ينكر شرقي ولا غربي التطور الاقتصادي والوثبة الجبارة لتركيا مثلا، وأصبح العالم كله ينظر إليها لا كقوة إقليمية فقط، بل كقوة عالمية صاعدة.

و لم يبق مطار اسطنبول بعد التفجيرات فيه إلا ساعات قليلة ثم عاود نشاطه بينما بقي مطار بروكسل مغلقا أياما طويلة.

ولو كان ما جرى في اسطنبول من السرعة حدث في أي مطار غربي لملأ الغرب الدنيا ضجيجا وفخرا وتابعه على ذلك الإعلام العربي.

والناتج المحلي التركي هو أعلى ناتج في العالم كله سنة ٢٠١٧، وهو المتوقع أيضا سنة ٢٠١٨، ولذلك يحاصرون تركيا اقتصاديا.

أما شجاعة الترك فلا نظير لها في أي مجتمع غربي وقد رأينا في الإعلام من يدخل تحت الدّبابة العسكرية كاشفا عن صدره ليمنعها من التقدم حتى كبار السن، وبذلك أفشل الشعب التركي المسلم المؤامرة الانقلابية التي دبرها أعداء تركيا، والمهم أن هذه الشجاعة والتحدي ليس لها نظير عند الغربيين، ولو فعل ذلك غربي مغامر واحد فرضا لنحتوا له التماثيل، وبنوا له الأنصاب التذكارية وتحدثوا عن شجاعته طويلا وأدخلوه تاريخهم وأسبغوا عليه صفات مفتعلة.

وبعض الكتَّاب الغربيين من شدة حسده للأتراك وغيظه عليهم أراد صرف الأمر من الشجاعة الإيمانية إلى الأسباب المادية وحدها فقال: يحق للتركي أن يفعل ذلك لأن أردوغان وثب بتركيا وثبة اقتصادية كبيرة، فارتفع دخل الفرد التركي من ٣٠٠٠ دولار إلى ١٢٠٠٠ دولار!!

وهذا في ذاته حق ولكن ليس هو السبب كما زعم، وأراد بعض كتاب الغرب أن يسوِّق مقاله فجعل عنوانه: كيف غلب جوال أردغان الدبابات؟!

وكثير من الكتاب في أوروبا وأمريكا يعترفون بحقيقة الصعود التركي وعودة العثمانيين إلى الإسلام، وأن الأتراك يستيقظون شيئا فشيئًا. ولندع هؤلاء الكتاب، ولنأخذ قول الرئيس الأمريكي السابق "بيل كلينتون" الذي صرح بذلك هو ومستشاروه إذ قال: (إذا ما انطلقت من أنقرة حركة إصلاحية فمن الممكن أن يكون القرن الحادي والعشرون تركيًّا).

ويحار الاتحاد الأوروبي في قضية قبول تركيا في الاتحاد الأوربي، إذ ذاك سيجعلها تسيطر على الغرب وتتحكم في الناتو وهي بموجب الاتفاق مع الناتو من حقها استخدام أربعين رأسا نوويا في قاعدة انجرليك.

كما أن رفض دخولها لا يقل عن ذلك إشكالا، فلو أنهم رفضوا دخولها لأيقظوا المسلمين وعلموا أنها حرب صليبية جديدة، وأتاحوا لتركيا الالتفات إلى عمقها الإسلامي الهائل، وهذا ما بدأ فعلا، فقد كان الرئيس رجب طيب أردغان هو الحاكم المسلم الوحيد الذي استنكر الإعدامات في بنغلاديش، ورفض الانضواء تحت القيادة الأمريكية، وطلب من أمريكا تسليمه فتح الله غولن وأصرّ على مبدأ التعامل بالمثل مع دول الناتو، وصرح بأن الغرب تجاوز حدوده. وكان خروج بريطانيا من الاتحاد الأوربي وفشل زعماء الاتحاد في إيجاد صيغة مشتركة للتعاون بين دول الاتحاد ومشكلة المهاجرين المسلمين مبرِّرا إضافيا للأتراك لتخفيف طلب الانضمام للاتحاد.

وعجب أردغان -وحق له أن يعجب- من وصف الاستفتاء الشعبي في تركيا بأنه غير ديمقراطي، مع إسباغ وصف الديمقراطية على الاستفتاء في بريطانيا، مع أن مؤيدي الاستفتاء التركي أكثر.

وأقام أردغان علاقات مع إسرائيل هي أشد عليها مما يسمى جبهة الصمود والتصدي، إذْ امتلأ المسجد الأقصى بالأتراك وطالب أردغان برفع الحصار عن قطاع غزة.

و لم يعترف أردغان بانقلاب السيسي عميل الغرب وصديق إسرائيل، وأخذ الأتراك ينقضون ما بناه أتاتورك شيئًا فشيئا، وليس ذلك خاصا بحزب العدالة والتنمية بل إن أشد أعداء الحزب وهو الكيان الموازي، رفض قطع كل صلة لتركيا بالإسلام كما اشترط "كيرزون" وباسم العلمانية والديمقراطية والتفسير التركي للتسامح أعاد الأتراك مآثر العثمانيين وأمجادهم بل إنهم ليعيدون أمجاد السلاجقة الذين هزموا البيزنطيين في معركة "ملاذ كرد" المشهورة.

واجتمع قادة الغرب لدى بابا روما مع أن البابا ليس عضوا معهم ورموا تركيا عن قوس واحدة، ومنعوا لأول مرة في التاريخ الدبلوماسي وزير خارجية تركيا عن زيارة الأتراك في هولندا، وقالوا إن أردغان ديكتاتور يجب التخلص منه وأن قتله جائز، واستخدموا كل صنوف الإرهاب ضد الأتراك.

وكون المستقبل للإسلام وحده مذكور في مبحث (لمن المستقبل) في هذا الكتاب.

وليس رفض المسلمين للحضارة الغربية لعنصرية منا، ولا لأن الغرب غرب ونحن شرق ولا يجتمعان، كما قال أحد الشعراء الغربيين، وليس السبب هو أننا نكره الحرية كما قال بوش الصغير، وليس هذا مجرد تعصب لديننا كما يظن كثيرون.

بل ينكرها المسلمون ويرفضونها عن علم ومعرفة واطلاع عليها ونفورا من واقعها المظلم وحياتها النكدة، ونحن لا نرفض الحضارة الغربية من حيث هي حضارة وإنما نرفض التبعية للغرب وثقافته، ولذلك أسباب كثيرة منها:

١- أننا نحن أمة التوحيد والأعلى والأعز.

٢- أن هذا الغرب إما أنه ملحد لا يؤمن بدين وإما أنه نصراني صليبي، وفي كلتا الحالتين هو يكره الإسلام والمسلمين وهم في نظره إرهابيون تكفيريون متطرفون متشددون إلى آخر الأوصاف.

٣- أن هذا الغرب يحتضر الآن كما رأينا ذلك بأعيننا وشهد به بعض الغربيين أنفسهم.

٤- أن هذا الغرب يرتكب كل المحرمات التي في التوراة والإنجيل والقرآن، وما قرار المحكمة العليا في أمريكا بإباحة زواج الرجل بالرجل عنا ببعيد.

٥- أن هذا الغرب تفتك به المخدرات والخمر والجريمة والربا والزنا وكل الأوبئة التي يجب علينا أن نحاربها.

٦- أن هذا الغرب هو المحتاج إلينا لإنقاذه، ويضطر الغربيون لإدخال الدعاة المسلمين في سجونهم كي يحولوا المجرم العاتي إلى إنسان.

٧- أن لدينا من الأخلاق والقيم والعادات والآداب ما هو مفقود عندهم.

٨- نحن نؤمن بكتب الله كلها وبآياته كلها وبأنبيائه كلهم.

ونحن نعتقد أن التغيير النفسي من الركون إلى الدنيا إلى الجهاد أعظم من التغيير المادي، والتغيير النفسي لا يتعارض مع قتال الأعداء وسنة الله وقانون الكائنات وحركة التاريخ أنه لا بد من الصراع، ونحن جهادنا من أجل العدل والسلم حقيقة لا ادعاء.

ومن الجهاد أننا لا نؤمن بما يسمونه الإنسانية، تلك الفكرة الماسونية البدعية المخالفة لكتاب الله، وهي فكرة خيالية لا رصيد لها من الواقع، إلا عند بعض المخدوعين بها من المسلمين أما الغرب نفسه فقد أغرقتها حكوماته مع من أغرقت من المهاجرين، فليت الببغاوات في بلاد الإسلام يفيقون ويرجعون.

وهل يؤمن الغرب برسول الله الصادق الأمين مثل إيماننا بموسى وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام؟

٨- أن الغرب قد يتخلى عن دينه ولكنه لا يتخلى عن عنصريته وتعصبه وادعائه أن العلم غربي وأن الحضارة غربية، وأن العالم هو الغرب،

وقد اقترح هيجل حلا لما سماه غباء الهنود وتأخر الصينيين هو أن يستعمرهم الغرب، وقال: "إن قدر الأمم الشرقية هو أن تخضع للأمم الغربية"!

ومما يدل على التعصب الغربي ما نراه من حربه على الجهاد وعلى الحجاب وعلى الحشمة وعلى المساجد، وكل ما لا يتناسب مع تقاليده، ومع ذلك يقول إن المشكلة في المسلمين وأنهم يرفضون "الاندماج" في المجتمعات الغربية!

٩- أن الغرب يتحكم فيه اليهود الذين خرجوا من "الجيتو" ليكونوا أصحاب رأس المال والشركات الاحتكارية التطفيفية، التي يخضع لها رجال السياسة الغربيون وما دامت السياسة الغربية سياسة مصالح فلابد أن تكون الأولوية لعبدة الذهب.

١٠- أن الذي يرى الغرب أو يقرأ ما يكتبه الغربيون لا يجد الصورة التي يريدها لنا أتباعه من الليبراليين والعلمانيين وأشباههم، بل يتبين له قطعا أن هؤلاء الأتباع إما جهلة لا يعرفون الغرب على حقيقته! وإما غشاشون لا يتحدثون عن الدين الذين نراه شاغلا للغربيين موافقة أو معارضة.

١٢- كما أن كل أمة اليوم تطالب بالعودة إلى دينها! فلماذا نحن فقط نتخلى عن ديننا وهو وحده الحق.

١٢- الله تعالى يريد لنا التوبة ويريد أن نكون نحن الأعلى أما الغرب فيريد لنا أن نكون العالم الثالث المتأخر التابع له فماذا يختار أي عاقل؟

١٤- الغرب نفسه يعود للدين وممن عاد من الغربيين "اليوت وكافكا وفيرلين" وبعضهم يتدين بأحد أديان الشرق المجوسية أو يعود نباتيا، أو ربوبيا، أو شاكا حائرا كما كان برناردشو، وتولستوي، فإذا جازت العودة إلى التثليث أو البوذية، فلماذا لا يرجع المسلمون إلى الحق؟

ولذلك وغيره ينبغي لدعاة الإسلام أن يرفضوا الحضارة الغربية وثمارها المرة، وأن يطالبوا بقية المسلمين بالعودة إلى دينهم إنقاذ المسلمين والغربيين

من هذه الحضارة اللادينية، ونقول لدعاة الإسلام آن لكم أن تدعوا الناس إلى كتاب الله وأن تقولوا باستعلاء لا تكبر فيه للغرب:

زمان الظلم يا فرعون ولى ودالت دولة المتجبرينا

فارفعوا رؤوسكم أيها الدعاة في بلاد الحرمين، وطالبوا بإخراج المسجونين ورد اعتبارهم، ومنع كل كافر من القدوم إلى هذه الجزيرة المباركة ولو كان في دبي أو الكويت أو الدوحة.

وطالبوا بتحديد الرواتب للمسؤولين وإعلانها وحظر إعطاء أي أحد لمجرد القرابة ما عدا خمس أهل البيت، وبينوا حكم إعطاء الدول التي لا تحكم بما أنزل الله أو الأحزاب والمنظمات العلمانية، فكل ما يقبض هؤلاء هو أصلا لكم. وقد أتاح الله لكم من الوسائل ما تعبرون به عن مشاعركم مع لزوم العدل وعدم تصديق الإشاعات.

ولا تنتظروا ردات الفعل الاجتماعية، بل كونوا أنتم الرواد في كل مجال بأسمائكم وصوركم الصريحة واصبروا على الأذى إن نالكم منه شيء.

واعلموا أن الليبراليين أعدى لله ورسوله وللدين من المباحث الذين فيهم المتعاطف ومن يخفي تدينه وطالب الدنيا والمجبور، ودعوا الغفلة والسذاجة، وأكثروا المناصحة -وبكل شجاعة- للحكام وأمراء المناطق ومديري الشرط ورؤساء البلديات وكل مسؤول.

واعلموا أن الذنوب هي سبب كل معصية تحل بنا، وأن الحل هو التوبة والاستغفار كما تقدم في مبحث (أثر الذنوب).

- استخدام الإعلام وسيلة للاتهام:

كما أنصح المفترين الذين تربطني بهم رابطة الإسلام ألا يكونوا أداة تحريضية في يد الإعلام المضاد، وألا يكونوا خلفا للأعراب، فكان ﷺ كلما غشي سوقا من أسواق العرب تبعه عمه أبو لهب محذرا منه ومن دعوته، حتى

ظن بعض العرب أن المشركين صادقون وأن النبي ﷺ مجنون، وكان ممن توهم ذلك: "ضماد الأزدي" الراقي ذو القصة المشهورة.

لكن إعلامهم ذلك أخفق أمام صبر النبي ﷺ وأدبه وحلمه واستمر ذلك الخلق الكريم بعد الهجرة، فقد كان صلوات الله وسلامه عليه ينهى أصحابه أن يخبروه عن عيب أحدهم ومنقصته حتى يخرج عليهم وهو سليم الصدر، فأين من ذلك هؤلاء المفترون الذين يثيرون الضغائن ويزعمون أنهم على سنته.

كما زعمت الأعراب أنهم آمنوا لكن الله كذب زعمهم، فقال: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم".

وهؤلاء يدعون أنهم على منهج السلف ويوقدون نار الفتنة ويتقربون إلى الله بالطعن في فلان وعلان ناسين ذنوبهم وعيوبهم هم وأن فيها شغلا عن عيوب غيرهم! ورحم الله امرأ قال خيرا فغنم أو سكت عن شر فسلم، وهذا لا ينفعهم عند سادتهم وأولياء أمرهم مثل "بول بريمر" و"ميتران" و"ترامب" و"نتنياهو" وأتباعهم، وجهلة الحنابلة من قبل قالوا إن محمد بن جرير مبتدع وردموا عليه بيته، ومن الإعلام المضاد الاستعداء والافتراء، وقد كتب أحد المفترين ٢٥ صفحة تبريرا لقتل فلان وفلان تعزيرا، وأمرت الداخلية مباحثها بإسماعنا بعض ما قيل عنا فلم نسمعه، ووضعته المباحث في الزبالة، وهذا الافتراء سنة الله، ومقدمات النصر وبشائر حسن العاقبة، وهذا مما يزيد المؤمن إصرارا على الحق وتمسكا به، وقد سئل الشافعي رحمه الله: كيف تعرف أهل الحق فقال: "تدلكم عليهم سهام الأعداء"! فانظر إلى من تتجه سهام الغربيين والليبراليين والمفترين.

دع ما يقوله الناس سواء المتهم أو المدافع، وانظر حال أنبياء الله الكرام كما ذكر كتاب الله العزيز، أكان همهم تصنيف الناس والطعن فيهم والحكم عليهم وبيان مساوئهم أم نصحهم والشفقة عليهم وزجرهم عن طريق النار

وإرشادهم إلى طريق الجنة، وكيف أن خطابهم كان أرحم خطاب وألينه وأحرصه على الهدى فالله تعالى يأمر موسى عليه السلام أن يقول لفرعون قولا لينا ونوح عليه السلام يقول لقومه ﴿وَأَنصَحُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٦٢]، وصالح عليه السلام يقول لقومه ﴿وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ [الأعراف:٧٩]، ويوسف عليه السلام ينقذ أهل مصر من الجدب، وكان أكثرهم كفارًا، ومحمد ﷺ يقول له ملك الجبال إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين فيأبى ذلك ويستمر في الدعوة، فهل من تمنى أن يرى فلانا وفلانا مصلوبين على سيرتهم؟ فإن لم يكونوا هم قدوة المفترين فليقتدوا بما فعل غازي القصيبي لما قيل له ألا تكتب في حق فلان وفلان فقال: أنا أخالفهم، ولكنهم الآن مسجونون فكيف أرد على مسجون؟

فكان بذلك خيرا ممن كتب للحكومة (٢٥) صفحة في الحث على قتل فلان وفلان ما داموا عندها في الحائر، وآخر أفتاهم بجواز قطع رأس فلان وفلان، مع أن كفار الكونجرس الأمريكي طالبوا الحكومة بإطلاق سراحهم جميعا، وأنه لا يصح سجنهم خمس سنوات بلا تهمة ولا محاكمة.

وانظر أيها الداعية إلى تجرد أنبياء الله عن المطامع الفانية، والحطام الزائل، والتزلف للملأ، حيث قالوا لأقوامهم: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [هود:٥١]، و﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود:٢٩]، و﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان:٥٥].

فليس لهم عليهم السلام هوى ولا طمع ولا غاية، إلا أن يهتدي الناس ويوحدوا الله ويعبدوه ولا يشركوا به شيئا"، وقد قال مؤمن آل ياسين: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس:٢١].

وقد أمر الله أحب خلقه إليه سيد الأولين والآخرين المصطفى عليه الصلاة والسلام أن يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، فمع أيها يضع المفترون اتهاماتهم وظنونهم؟.

وماذا عليهم لو دعوا إلى الله كما أمر وصبروا أنفسهم على ذلك؟ أم أن أنفسهم لا تطاوعهم إلا بأن يقولوا إن فلانًا كان أشعريا وإن فلانا إخواني أو حركي أو قطبي .. إلخ التهم وكأن كل شاب متدين أو لديه وعي لا بد أن يكون كذلك؟

وماذا يضرهم لو أنهم قاوموا الرغبات النفسية واستجابوا للمقتضيات العقلية التي أمر الله بها، وماذا يضرهم أن يحضر لفلان الآلاف؟ وهل حضورهم دليل على الصواب وكثرتهم تنفع عند الله؟

ولماذا لا يتركون بُنيات الطريق ويعمدون إلى الدرب اللاحب ويستغفرون الله من التقصير إذ كلنا مقصرون حتى في صلاتنا، لا بد نعقبها بالاستغفار وكأنها ذنب.

ومتى كان التشنج والاعتساف وسيلة لدعوة الناس؟.

ولماذا لا يرحمون الخلق ويرحمون أنفسهم، والنبوة نفسها رحمة وقد كان ﷺ رحمة للعالمين وأنزل القرآن رحمة، ونحن لا نطالب القوم بالرحمة ولا بالعفو بل بالعدل الذي هو واجب على كل مسلم.

ومن الذي أرغمهم أن يكونوا من أحباء فلان أو من أعدائه؟

أما آن لنا أن نكف ألسنتنا كما كان السلف يقولون عمن سبقهم على الأقل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:١٣٤]، إن لم يقولوا: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحشر:١٠].

وهل بقوا هم على رأي واحد أم غيروه، فلماذا لا يعتقدون أن غيرهم تغير فرضا؟.

وهل من خالف طريقتهم ينتمي ولا بد إلى فرقة من الفرق الثنتين والسبعين؟.

ولا يصح اعتبار المختلفين في كيفية الإصلاح فرقا من الثنتين والسبعين

وغيرها كما قد يتوهم بعضهم، فالصحابة رضي الله عنهم اختلفوا بعد مقتل عثمان ﷺ فمنهم من كان مع أهل العراق ومنهم من كان مع أهل الشام ومنهم من اعتزل كلتا الطائفتين، ومنهم من رأى الإصلاح بين المختلفين كعائشة من معها، والمهم أنهم لم يعدّوا أيًا من المختلفين فرقة من الفرق، وإنما كانت القضية عند من رأى الحديث عنها قضية أي الطوائف اكثر قربا للحق وأرجح في الميزان.

وأهل السنة والجماعة يعتقدون أن الصحابة كلهم مجتهدون معذورون وكلهم من أهل السنة لم يخرج أحد منهم الآخر منها، وإنما أخرجهم من السنة أصحاب البدع كعمرو بين عبيد وبشر بن المعتمر وأضرابهما.

وهكذا الناس يختلفون عند كل فتنة أو نازلة، ونحن اليوم في فتنة أعظم ولا بد من الاختلاف، وكل طائفة ترى أن مشكلة الأمة اليوم هي كذا، وطريق الإصلاح هو كذا والكل مجمعون على أن تحويل المذنب إلى الطاعة خير، فينبغي لطالب العلم ترك التسرع والتشنيع وأن يعتقد أن كل من أراد الحق مأجور إما أجرا واحدا وإما أجرين والله تعالى هو العليم بالنيات، وهو الذي يثبت أو لا يثبت، وإن خفي عليه وجه الصواب فليمسك ولا يقفو ما ليس له به علم ولا يغتاب أو يتهم أحدا في نيته.

وكبير المفترين يعترف أنه كان منضما لإحدى الجماعات الدعوية التي يقول الآن إنني منها؟

وأنا أسأله لما كنتَ معها أكنت أنا معكم؟ ومن الذي بين لك بعض عيوبها؟

والمفترون سطوا على الكتب التي يريدون، فغيروا فيها وبدلوا بدون إذن مؤلفيها أو ورثتهم، وليس لهم إلا حجة واحدة يسمونها التهذيب!

وهذا التهذيب حيلة جعلوها للسطو والتغيير، فمن الذي حال بينهم وبين كتابه مقالات مستقلة لبيان ما يرون من أخطاء؟

ومثل التهذيب الاختصار الذي اشتهر به السيوطي حتى أن رجلا رأى

آخر عملاقا ضخما فقال له: لو رآك السيوطي لاختصرك، فأين الإبداع والتجديد؟

وينبغي للداعية أن يبين للناس أن المطلوب من النصوص الشرعية هو التدبر والفهم، وليس مجرد الألفاظ ومن ذلك:

أ- الفاتحة التي يكررها الكثيرون دون فهم لمعناها، ومنه أن الصراط المستقيم هو مجانبة كل ما خالف الوحي وأن أوضح مثال للمغضوب عليهم هو اليهود، وأوضح مثال للضالين هم النصارى، فلا نواليهم ولا نحالفهم ولا نحبهم أبدا بل نشهد الله والناس كافة على بغضهم ومعاداتهم.

ب- حين يقول خطباء الجمعة إن الله يأمر بالعدل والإحسان، فمعنى ذلك أن العدل واجب في كل شيء ومع كل أحد ومنه:

١- العدل بالتوحيد فإن غاية الظلم هي الشرك بالله فكيف نجعل لله ندا وهو الذي خلقنا ورزقنا؟.

٢- العدل في الاستقامة على أمر الله وترك الذنوب التي هي سبب كل مصيبة قديما وحديثا، فقد كانت سبب استيلاء عساكر الباشا على الدرعية، حيث اشتغل أهلها بالدنيا وتركوا الجهاد وبلغوا من الترف مبلغا جعل الميازيب تسيل حمراء من الزعفران.

٣- العدل في المواقف فما دام اليهود دنسوا المقدسات وأخرجوا أهل الديار منها ظلما، فالعدل يقتضي إنكار ذلك وبيانه للناس وأن اعتبار المجاهدين إرهابيين في غاية الظلم، ولا يجوز اتباع أمريكا وإسرائيل في ذلك بل يجب مساعدة المجاهدين بالسلاح والمال والدعاء، ومحاربة الذين يريدون هدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل مكانه، وفعل ضد ذلك ليس خيانة للأقصى وحده بل هو خيانة للحرمين الشريفين، وإقرار للظلم.

وإني لا ينقضي عجبي ممن يدعي أنه سلفي، ومع ذلك يدعو أن ينصر الله اليهود على حماس، وهذا الداعي أولى بوصف التجرد عن الدين ممن فجر في سينما باريس.

ونحن اليوم نريد إيمانا بلا فتنة، وكأن الله تعالى لم يقل: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت:٣-٤]، وقد عذبوا بلالا في رمضاء مكة وطعنوا سمية في موضع عفتها، وأمثال ذلك مما هو معلوم.

فالداعية إلى الله يتوقع الأذى منذ أول خطوة له في طريق الدعوة، فتلك هي سنة الله وذلك هو حال الأنبياء كلهم.

فلا بد من الأذى ومنه السخرية والاحتقار والتهم، ولا بد من رعل وذكوان وعضل والقارة، لكن يجب الصبر والاستعانة بالله تعالى، والصفح عن المؤذين حتى يأتي الله بأمره وإلا فإن الاحتقار وإطلاق الأسماء والألقاب الباطلة أمرٌ لابد منه، وانظر إلى الأمثلة:

١. كان قوم نوح عليه السلام يسخرون منه خصوصًا لما رأوه يصنع الفلك، وقالوا إن أصحابه هم (أراذلهم)!

٢. عادة الكفار جميعا واحدة ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون.

٣. استهزؤا بالنبي ﷺ وقالوا أهذا الذي بعث الله رسولا؟

٤. قال فرعون إن موسى عليه السلام مهين.

٥. قال مشركو قريش "لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم".

٦. قال المنافقون "أنؤمن كما آمن السفهاء" يعنون من آمن بالنبي ﷺ.

٧. سمى الكفارُ النبي ﷺ ابن أبي كبشة وهو رجل من العرب فارق ما عليه قومه.

٨. قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ۝٢٩ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾ [المطفِّفين:٢٩]الآية.

٩. سمى عروة بن مسعود الصحابة (أوباش الناس).

١٠. قال عبد الله بن سلول عن المهاجرين: "جلابيب قريش" فلا عجب أن سار الليبراليون اليوم على الطريق نفسه وقالوا "المطاوعة، المتزمتون، الظلاميون، ضيقو الأفق، المتشددون... الخ، تشابهت قلوبهم.

معنى الجماعة:

ينبغي لنا أن نصحح معنى الجماعة في عقيدة أهل السنة، فالجماعة هي اتباع الحق ولو كنت وحدك، وليست أن تكون مع الكثرة على الضلال، ولا حق إلا باتباع الكتاب والسنة، فلا تستوحش من قلة السالكين، وقد رأى رسول الله ﷺ النبي وليس مع أحد، فاحمد الله أن جعلك من الغرباء و لم يجعلك خارجيًا أو رافضيا أو ليبراليا.

وقد عرف كثير من العلماء الجماعة بأنها السنة، وقالوا إن مفارقة الجماعة مفارقة للسنة.

وقال الشاعر قديما:

لا تعجبن من هالك كيف هوى ** بل فاعجبن من سالم كيف نجا

وسئل بعض السلف عن الجماعة فقال: "الجماعة هو محمد بن أسلم الطوسي وهو السواد الأعظم"، والطوسي هذا إمام جليل، متبع للسنة معاصر للإمام أحمد وهو تلميذ يزيد بن هارون وشيخ ابن خزيمة وأبي نعيم.

والإيمان حسب هذه العقيدة هو: "قول وعمل" فلابد للاعتقاد القلبي أن يتبعه الامتثال العملي وإلا فالعقيدة فاسدة، ولا نكون كاليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض وعاب الله عليهم ذلك، قال قتادة: "كان اخراجهم كفراً وفداؤهم إيمانًا".

وقال أبو العالية: "آمنوا بالفداء وكفروا بالإخراج".

وقال ابن جريج: "كفرهم القتل والإخراج، وإيمانهم الفداء".

روى ذلك بأسانيده الطبري، فانظر كيف يعدون ترك العمل بالأمر كفرا، وقد توعد الله من فعل ذلك بأشد العذاب.

ولا يصح للمسلم أن يجعل القرآن عضين، يؤمن ببعض ويكفر بعض فإن ذلك فعل المشركين، الذين جعلوا القرآن عضين كما ذكر الله تعالى عنهم، ومعنى (عضين) أهم آمنوا ببعضه وكفروا ببعض كما قال ابن عباس ومدرسته في التفسير، وليس ذاك خاصًا باليهود والنصارى وإن كانوا مثالا واضحا له بل كل من سار سيرهم وعمل عملهم، وهذا الذي سماه الله تجزئة وتبعيضا هو العلمانية في عصرنا، وعليها قال النصارى "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، وقال المشركون ﴿هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ [الأنعام:١٣٦].

فكيف يقيم أحد بعض حدود الله أو لا يكون في مملكته بناء على القبور، وفي الوقت نفسه يسمح بأكل الربا وبناء البنوك الربوية؟ ألا يكون ذلك إيمانًا ببعض الكتاب وكفرًا ببعض، ولا يقتضي ذلك الخروج من الملة لمن لم يشرعه أو يستحله، والله تعالى إنما أمر بالدخول في شرائع الإسلام كلها كما ذكر ابن جرير وأمر بقتال الكفار حتى يكون "الدين كله لله" وليس بعضه، وليس من العدل أن ينظر بعض طلاب العلم إلى ما يقام على الضعفاء من الحدود أو ما يُتبع فيه الوحي من أحكام الأحوال الشخصية ولا ينظر إلى باقي الإسلام، والله تعالى وصف من قالوا للكفار ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ [محمد:٢٦] بأهم ارتدوا على أدبارهم، فالأمر خطير، ويجب إنكاره والنصح بتركه مرارا وتكرارا.

تنبيهات ضرورية للداعية:

- ليس إصلاح الخلق بيدنا، ولا هو من شأننا أصلا وإنما علينا إبلاغ الحق وإنكار المنكر، بغض النظر عن موقف طالب العلم من الدولة، قال تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾[آل عمران:١٢٨].

وقال له: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ﴾[الرعد:٤٠].

وإنما علينا الدعوة إلى الله بالطريقة المناسبة فردية وجماعية، ومن ظن أن السلفية هي الفوضى والعبوس فقد أخطأ، وقد مد أحد العامة يده ليصافح بعد الصلاة أحد مدعي السنة، فنهره و لم يصافحه، فقال له العامي: أنت ترى المصافحة بدعة، فهل قلة الذوق سنة؟

والله تعالى يقول: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[آل عمران:١٠٤].

قال السلف في معنى أمة: "فرقة تنتصب لذلك"، وليس في الدنيا فرقة إلا لها رئيس ولها أعمال وأعضاء وفيها محاسبة للمخطئ، وإن سمى بعض الناس ذلك تنظيما.

فالدعوة الجماعية في ذاتها مشروعة، وإنما المذموم هو التعصب، والإنكار العام واجب لاسيما إذا ظهرت بعض المفهومات وقد بين الصديق على المنبر خطأ بعض الناس في فهم قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [المائدة:١٠٥]، وكذا كل من قال المنكر أو نسب إليه ذلك لا بد أن يعلن التوبة أو التكذيب، وعلى ذلك كثير من ردود الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله فإنه يذيلها بقوله: "فإن كان ذلك صدر منكم فالواجب الشرعي المبادرة إلى التوبة النصوح وإعلانه بطرق الإعلان الرسمية، وإلا وجب إعلان بيان رسمي بتكذيبه".

ومن الحكمة العدول عن البدهيات إلى ما الناس أحوج إليه، قال أحدهم لبعض السلف "أين الله؟ قال: بالمرصاد".

- من الضروري للداعية الثبات وترك التذبذب، ولو كان الميل للكفار أو الفجار يسيرًا، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا

نَصِيرًا ﴾[الإسراء:٧٥]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[هود:١١٣].

فالمسألة في منتهى الخطورة، وموالاة الكفار والعمل تحت قيادتهم ينافي الإيمان والتوكل، والحكم أن الجهاد إرهاب أعظم من مجرد ترك الجهاد.

- ينبغي دعوة الناس إلى الجمل الكلية الثابتة في الكتاب والسنة والإقلاع عن المحرمات الظاهرة كالشرك وأكل الربا، والميسر وعقوق الوالدين والفواحش، وشرب الخمر والرشاوى والتبرج وسوء الخلق، وموالاة الكفار، وترك الزكاة، وتعاطي المخدرات، والقذف، والغيبة، والإفساد بين الناس، وقطيعة الرحم، والظلم، وأكل مال اليتيم أو الأجير، والسحر والكهانة بأي صوره.

وينبغي تأجيل المسائل الدقيقة وحجبها عن العامة، وحصر النقاش فيما بين أهل العلم بلا اتهام ولا تجريح ولا عداوة أو سوء ظن.

فيكون المسلمون يدا واحدة على العدو ويتناقشون فيها بينهم للوصول إلى الحق بالحب، فهكذا كان أصحاب النبي ﷺ والسلف الصالح.

وما كان من الأمور مما يجوز كتمه كتموه، كما قال أبو هريرة رضي الله عنه: "حملت وعائين من العلم أما أحدهما فبينته وأما الآخر فلو بينته لقُطع من أبي هريرة هذا الحلقوم"، وهو ما كان من الفتن وقتل الخليفة وأمراء السوء.

- ينبغي النظر لكل شيء من منظور إسلامي خالص كالدراسات الإنسانية والاجتماعية متسلحين بأقوى سلاح، وتصحيح كثير من الأخطاء في فلسفة التاريخ وسيره وصيرورته، وفي مصدر المعرفة وكل جوانب الفكر، وتصحيح اعتقادات الناس، فيدينون لله بالحق لا بالباطل أو الشك والحيرة، ونقل الثقافة من مفهومها المحدود إلى مفهومها الايماني الواسع وبذلك يتسع أفق الإنسان وتزداد معارفه وهدايته.

وبتوحيده تعالى واتباع كتابه تستقيم الأخلاق ويحسن التعامل وتتهذب النفوس وتزّكّى.

وبالعقيدة الصحيحة تستطيع أمة الإسلام مقاومة الغزو الفكري أو الغزو السلوكي والتبعية الحضارية للاستعمار بشقيه، القديم "الاستعمار البريطاني والفرنسي والبرتغالي" والجديد "الاستعمار الأمريكي".

وبالعقيدة الصحيحة يتحول المسلمون من عالم ثالث متخلف إلى أمة متفوقة تقود ركب الإنسانية الحائر وتهديه بإذن الله إلى الصراط المستقيم.

وفي غياب هذه العقيدة والدعوة يضع المستعمرون الجدد قوانينهم مكان الشرع المطهر ويشجعون عليه، سواء أكان ذلك قانونًا عرفيا كما هو عند القبائل، أو تشريعا يتساوى فيه الذكر بالأنثى من الأولاد كما في المغرب الأقصى، أو تغييرا للتبعية من اتباع القوانين الغربية لا سيما قانون نابليون الذي كانت تحكم به بعض الدول أو القوانين الأمريكية المعاصرة التي يلغي بعضها القصاص نهائيا، فالقصاص عندهم هو الإعدام الذي يطالبون بإلغائه ويزعمون أنه عقوبة وحشية! وكذلك سائر الشرع ويبدأ ذلك تدريجيا بتحجيم الشريعة وحصرها في الأحوال الشخصية ثم بالتحكيم القانوني بين الأطراف المتنازعة، ثم بالغزو التشريعي الكامل.

وبفقد هذه العقيدة نفقد المعايير والموازين الصحيحة، ويستطيع الاستعمار الجديد أن يعرضنا لاغتيالاته الاقتصادية باسم التنمية، وأن يضعنا تحت إبطه باسم "منظمة الجات"، وأن يسلبنا مميزاتنا باسم الانضمام إلى هيئة الأمم المتحدة والخضوع للقانون الدولي، حتى الصدقات أو التبرعات لا بد أن تكون تحت هيئة الأمم المتحدة، التي تدفعها تلقائيا للصليب الأحمر ويذهب أكثرها في مصروفاتهم الإدارية.

وبالعقيدة الصحيحة المتضمنة للوعي والإدراك يختفي مع الاستعمار الجديد كل مظاهر التبعية للغرب، ويختفي التنصير الذي يعمل تحت ثوب الحوار الديني أو العمل الإنساني!!.

وتختفي الحروب الصليبية التي تأتينا تحت رداء محاربة الإرهاب، ويختفي الرق الثقافي الذي يؤمن به بعضنا تحت رداء "الثقافة الحديثة، والفنون الحديثة"، ويختفي قلب المفاهيم والعادات الإسلامية الحسنة باسم "التحولات الفكرية" أو "التحولات الاجتماعية"!.

ومن التحولات الاجتماعية التي يزعمون، أن تصبح الغيرة على العرض تخلفا من بقايا أخلاق العصر الزراعي!

ويريدون منا أن نطبِّع مع اليهود، وأن تصبح العداوة لليهود عداوة غريزية من غرائز القطيع الحيواني وهكذا.

أما إذا أردنا التقدم والتحضر والتنمية على رأيهم فينبغي أن نتبع أمريكا وإسرائيل فهما دولتان صناعيتان يجب اللحاق بهما، ومن الشرف العظيم للعبيد أن يعملوا لديهما مجرد عمال.

أما محاولة التخلص من اليمينيين اليهود أو الصليبيين فهو الإرهاب بعينه عندهم، وهو العودة إلى العصور الوسطى حيث الظلامية والتخلف والكهنوت!

- وينبغي للداعية ألا يكون مغفلا بل يكون فطنا يميز بين ما يسمعه من المنافقين وبين واقعهم العملي، فقد كان عبد الله بن أبي بن سلول يقف على المنبر كل جمعة ويدعو الناس إلى الإيمان بالرسول ﷺ.

ويقول لله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ﴾ [النساء:٨١]، ويجب على المؤمن أن ينكر المنكر أينما رآه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "أيٌّ دينٍ وأيٌّ خيرٍ فيمن يرى محارمَ الله تُنتهك وحدوده تُضاع ودينه يُترك، وسنّة رسول الله يُرغب عنها، وهو بارد القلب ساكت اللّسان شيطانٌ أخرس".

ويقول بعد أن ذكر غضب هؤلاء الساكتين وإنكارهم على من يمس دنياهم: "وهؤلاء مع سقوطهم من عين الله ومَقْتِ الله لهم قد بُلوا في الدنيا بأعظم بلية تكون وهم لا يشعرون، وهو موت القلوب".

وينبغي للداعية إذا أنكر منكرا أن يفرق بين الدافع والعمل، فقد كان النبي ﷺ يقر الدافع الحسن مع تحذيره من تكرار الخطأ.

فلما صلى خلفه أبو بكرة لكنه سعى وركع دون الصف قال له: (زادك الله حرصا ولا تعد).

وهذا مطلوب من كل متبع لسنته، فالدافع الحسن يجتمع مع الفعل الخطأ، ولهذا تجد شيخ الإسلام ابن تيمية يقول: إن من يقيم المولد قد يؤجر على محبة النبي ﷺ لا على إقامة البدعة، وكذلك إذا جاهد من هو متلبس ببدعة كالصوفي مثلا، ورجال الطريقة النقشبندية في العراق، يؤجرون على الجهاد إذا خلصت النية ولا يؤجرون على الطريقة أو أي بدعة.

ويلحق بذلك أن علماء الجرح والتعديل وعلى رأسهم الإمام أحمد يفرقون بين الداعي لبدعته وغير الداعي، وكان الإمام أحمد يعتقد أن ابن أبي دؤاد داعية وأن المعتصم ملبس عليه.

ففرق بين من يجاهد لنشر بدعته ومن يجاهد وهو متلبس ببدعة.

- هل دعونا إلى الله؟

قبل أن ننظر لحال اليهود والنصارى والليبراليين وما هم عليه من الضلال وما عليه الغرب من الضياع والخواء، ينبغي أن ننظر إلى تقصيرنا نحن في الدعوة إلى الله، فهل دعونا اليهود غير الصهاينة مثلا، وهل خاطبنا البابا الحالي الذي هو أندلسي الأصل ودرس في القرويين، ولديه بعض المساعدين من المغرب، وعنده مكتبة سرية فيها أنا جيل قديمة بالآرامية صريحة في ذكر اسم رسول الله ﷺ والكعبة، أليس من واجب كل مسلم أن يكتب إليه ويذكره كيف أن البابا "بندكت" السادس عشر استقال من البابوية وأفاد

الناطق باسم الفاتيكان أنه استقال بسبب تسرب بعض "الوثائق السرية"، وهذه الوثائق على ما أرجح هي أناجيل.

ويجب علينا أن نتواصى بالحق ونتواصى بالصبر، وأن ننكر أي منكر نراه أو نقرأه أو نشاهده، وأن نبلغ دين الله كاملا غير مكتفين بأن هذا مستحيل الوقوع.

فكم مما نراه مستحيلا جعله أعداء الدين واقعا، فأصبح بعض الشباب يعبد الشيطان وأصبح بعضهم ملحداً، وأصبح آخرون مرتدين، وكان من المحال أن يمنعوا كتاب الدرر السنية، وفتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم، وكان من المستحيل عند بعض الناس تبرج النساء أو الاستعانة بالباطنية ودخول الكتب الإباحية، مع منع كتب الدعاة.

وما كنا نظن أننا سوف نضطر للتنقيب على من كان ضد الموالد من العلماء لنحتج بأقوالهم، ولم نكن نظن أنه سيأتي يوم لا بد فيه أن يحمل الداعية ترخيصا بالدعوة، ولم نكن نظن أنه سوف يمنع من يحفظ القرآن ما لم يكن سعوديا، ولم نكن نظن أن الدعاة سوف يعتقلون، بل إن المباحث أنفسهم لم يكن يظنون ذلك، وأنا أذكر أنهم لما سجنوني فتح مدير سجن الحائر الزنزانة وقال بجزع: هذا ما بنيناه للمشائخ! فطمأنته قائلا: هذه أوسع من القبر.

وكان من أسئلتي لكل سجين أو عسكري هل معنا أحد علماني؟ فكان جواب الجميع: لا. وصدق والله مدير سجن الحائر الذي لا أعلم الآن أحي هو أو ميت، والسجون إنما هي مخصصة للدعاة فقط.

- بعض الأخطاء في منهج الدعوة:

ومن الأخطاء المنهجية التي يقع فيها بعض الدعاة:

١. ظنهم أن الحق محصور فيما ورثوه من علم أو عادات.
٢. حصرهم العقيدة الصحيحة في جوانب منها.

٣. ظن بعضهم أن الإسلام مجرد تاريخ انقضى أو أن ما ينطبق على عصرنا الحاضر هو نفس ما ذكره علماء الإسلام من عصور سابقة كالنفاق والكفر وإنكار الصفات.
٤. الوقوع في التقليد ربما وهم لا يشعرون.
٥. الجنوح عن العدل مع المخالف لا سيما بذمه مطلقا وذكر أخطائه فقط أو مدحه مطلقا وذكر محاسنه فقط.
٦. هضم الحقوق الشرعية للمسلم وللذمي وللمعاهد ولكل ذي حق.
٧. ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
٨. جعل المرحلة الضرورية صفة دائمة للدعوة.
٩. اعتقاد العصمة لغير نبينا محمد ﷺ، ولو بلسان الحال.
١٠. الجهل بواقع الجاهلية المعاصرة لا سيما النظريات الغربية.
١١. السذاجة السياسية.
١٢. العجلة في اصدار الأحكام.
١٣. قلة الفهم في سنن الله الاجتماعية وفي آياته الكونية والمبثوثة.
١٤. الظن بأن قول الحق فتنة وأن الجهاد هلكة وأن الاستدراج نعمة دائمة وأن الابتلاء عقوبة.
١٥. تزكية النفس أو الجماعة أو الدولة أو الإقليم.
١٦. تقديم المهم على الأهم ومن ذلك تقديم الجهاد بالقتال على الجهاد بالدعوة.

- كيف ينظر أعداء الدعوة إليها:

الإسلام عند غير المتدينين رجعية وأساطير، وهذا لا جديد فيه فقبلهم قال قوم هود عليه السلام: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء:١٣٧]، وقال كفار مكة: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان:٥]، وقال بعضهم ما للدين وللبنوك.

والبنوك الربوية عندهم ضرورة اقتصادية، حتى صرح بعضهم بأنه لا اقتصاد بلا بنوك ولا بنوك بلا فائدة.

ويضعون العراقيل لإنشاء البنوك الإسلامية والصحف تفتح صفحاتها لمثل هذا الهراء، وهذه هي العلمانية التي قال عنها قوم شعيب عليه السلام: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟﴾ [هود:٨٧]، أي أن الليبراليين يقولون: إذا أردت أن تصلي فاذهب إلى المسجد ولكن أن تنكر هذه البنوك المنتشرة في كل شارع فلا!!.

ومن الملفت للنظر أن كل معصية كانت في عاد أو ثمود أو قوم لوط أو قوم شعيب أو في فرعون نجدها اليوم في أمريكا ولكن يغرهم استدراج الله لهم.

وهو تعالى ينبههم فيرسل عليهم الحرائق والأمراض والفيضانات والزلازل والخسوف والأعاصير، ويفتح عليهم باب كل شيء فلا يزدادون إلا طغيانا وعتوًا.

والغرب اليوم سادر في غفلته ولا يرجو الله واليوم الآخر، وكل الكوارث والمثلات التي تملى عليهم -تنبيها من الله لهم لعلهم يرجعون- يؤولونها بأنها من فعل "الطبيعة" ويفرحون بما عندهم من العلم، ويؤمِّرون عليهم مترفيهم من الشركات الاحتكارية الكبرى، والعجب كل العجب ليس في أحوالهم المشؤومة، وإنما أن يقلدهم المسلمون في أفعال الهلاك تلك.

والله تعالى إنما ينجي المؤمنين، فأنجى نوحا من الغرق، وأنجى إبراهيم من النار، وأنجى هودًا من كيد قومه، وأنجى لوطًا من مؤامرات الشواذ، وأنجى موسى عليه السلام وقومه من بطش فرعون وهامان وجنودهما، وأنجى المسيح عليه السلام من القتل والصلب، وأنجى محمدًا ﷺ من مكر المشركين يوم الهجرة ويوم الأحزاب، والعاقبة للمتقين وإن كان ذلك بعد التمحيص والأذى والزلزلة، فمن يريد إنقاذ هذه الأمة هو من يدعوها للإيمان، وتجنب صراط المغضوب عليهم والضالين.

هل واقعنا كما أمر الله؟

الواقع الذي يراه ويعلمه كل أحد هو وجود بعض المصارف الإسلامية مع البنوك الربوية، وهذا يدل على أن الدين ليس كله لله، وعلى أن دعوى الحكم بشرع الله محدودة محصورة وعلى أن الأنماط الرأسمالية هي المسيطرة، وليس أسوأ من ذلك إلا سكوت أهل العلم عن الإنكار، فالناس كما ذكر شيخ الإسلام يستعظمون سكوت العالم وجبن الجندي، وهذا المنكر العظيم أغلظ من السماح ببيوت الدعارة، فإن درهما واحدا من الربا أشد من ست وثلاثين زنية نعوذ بالله منهما.

ومن المعلوم أن إنشاء أي بنك لا يأتي عفويا، حسب رغبة المنشئ، بل لا بد من سجلات وتراخيص وشروط وسلسلة من الإجراءات تقوم بها الجهات المختصة كوزارة المالية ومؤسسة النقد، ومجلس الوزراء وغيرها، فتكون المسألة تشريعا وليست مجرد مجاهرة بالمعصية.

فيجب على الحكومة إلزام البنوك كلها بأن تمتنع عن الربا بأي اسم أو شكل، ولا يجوز أن يتوظف فيها أو يحرسها أحد حتى تكون على شرع الله وحده.

ومن العجيب أن هذا الشرك لا وجود له في الدول الاشتراكية، فكيف توجد في الدول التي تدعى أنها إسلامية.

على أن بعض الشر أهون من بعض، ولا بد من مراعاة المفاسد في الإنكار، والمسلمون أمة واحدة وأهل الإيمان هم حزب الله تعالى الذي كتب الله أن يغلب، وندعو إلى أن تكون الأحزاب والجماعات الإسلامية وسيلة وليست غاية، ونوقن أنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها، ومع ذلك لا نقول إن التعامل مع من كان أقل شرا حرام مطلقا، إذا كان البديل أكثر منه شرا، حرام أو أنه خروج، وهذا ما يقوله أهل العلم قديما وحديثا ومنهم الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى، إذ يقول ضمن فتواه عن

حكم الانتخابات: "لا أرى ما يمنع الشعب المسلم إذا كان في المرشحين من يعادي الإسلام، وفيهم مرشحون إسلاميون من أحزاب مختلفة المناهج فننصح -والحالة هذه- كل مسلم أن ينتخب من الإسلاميين فقط!".

والله تعالى في كتابه الحكيم نهى عن سب الأوثان إذا أدى ذلك إلى أن يسب عابدوها الله تعالى، وليس ذلك من باب إقرار الخطأ أو الاعتراف بالشرك، والأحزاب التي تدعو لحرية التدين في الغرب أقل شرا من الأحزاب المتطرفة.

وكذا قال الشيخ بن باز رحمه الله تعالى عن الانتخابات، أي أن هذا من باب تخفيف الشر واختيار أخف الضررين، ولا يعني الإقرار بالديمقراطية ولا غيرها، ومن كان يعيش في الغرب فليضع صوته مع الأقل شرا.

وإذا علم الداعية عن جماعة إسلامية وجب مع ترشيحها نصحها، واعتبارها أقرب للحق من الذين لا يذكرون الله ولا يريدون أن يقوم للإسلام دولة، وعلى المسلم إعذار من يحب الإسلام ويريده لكنه لا يستطيع إقامته، كما كان النجاشي ﵁، والله تعالى يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، ورسوله الكريم ﷺ يقول: (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم)، وكان يلقِّن من يبايعه (فيما استطعت).

- نصيحتي لحزب الإصلاح:

الجناح الحداثي من حزب الإصلاح يسمي الشيخ عبد المجيد الزنداني "شيخ التكفيريين" لأن الشيخ حريص على عقيدة السلف والاستشهاد بكلامهم،و العجيب أن هذا الحزب يكرر أخطاءه ويلدغ من الجحر الواحد مرارا، فقد سبق أن حارب الشيوعيين في أيام الحمدي، وقتل المجرمون الشيخ حسين الهجرة وغيره، كما حارب الحزب في معركة توحيد اليمن، وصدق أكاذيب علي عبد الله صالح، واليوم تعتمد المقاومة على الحزب وعلى أهل

الدين مثل حمود المخلافي وعلي محسن الأحمر، لتأييد شرعية عبد ربه منصور هادي الذي سينقلب عليهم بعد انتهاء غرضه كما انقلب المخلوع.

وأنا أنصح الحزب أن يصحح مساره وأن يترك الساسة المنحرفين مكتفيا ببيان حكمهم الشرعي، وأن ينصرف لدعوة القبائل اليمنية التي تتمتع بقسط كبير من الحرية وقبول الحق وأن ينصرف عن التجميع إلى التربية العقدية، وأن يعلم أنه عند الغرب وأذنابه "إرهابي" ما دام إسلاميًا فقد تنازل حسن الترابي وراشد الغنوشي و لم ينفعهم ذلك.

فلا يتحالف مع الناصريين أو غيرهم فيما يسمى (اللقاء المشترك)، فهو أصلا ليس مجرد معارضه بل هدفه الإصلاح بإعادة الأمة إلى دينها، وليعلم أن ١٠٠ على عقيدة ثابتة خير من ١٠٠.٠٠٠ على عقيدة متذبذبة، وأن الفوز بواحد مستقيم خير من تصويت الكسور، أو ممن همهم الدنيا وحدها، وولاؤهم لمن يدفع!

والنبي ﷺ رأى النبي ومعه الرهط أو الرهيط والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد، فلو فرضنا أن الحزب لم يصوت له أحد فلا حرج.

وقال ﷺ لعلي ﷺ: "لأن يهدي الله بك رجلا واحدًا خير لك من حمر النعم"، وقال تعالى عن نبيه نوح عليه السلام: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠].

وحين أنصح بالعقيدة الصحيحة لا أخص حزب الإصلاح فقط بل أدعو إليها كل رواد المساجد في اليمن، وأنصح نفسي وكل مسلم، فالدعوة هي عمل الأنبياء وهذا خير قطعًا من عمل الفراعنة، فلا نستعجل بل ننظر كيف نبدأ وإلى أين ننتهي.

وانظروا كيف بدأ الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر وبم اشتغل الشيخ عبد الله القرعاوي في جنوب جزيرة العرب!

وليعلم حزب الإصلاح أنه ليس يمنيا فقط، بل هو لعامة الأمة وعليه يعلق كثير من المسلمين آمالهم.

- نموذج للداعية الناجح قديماً (نوح عليه السلام):

أكثر الأنبياء عملا بأصول الدعوة وفروعها، وتفصيلا في ذلك هو خاتمهم محمد ﷺ، ولا يجادل في ذلك مسلم، وهنا نعرض نموذجا لنبي ذكره الله في كتابه وأمر نبيه الكريم أن يقتدي بهديه ويصبر كما صبر، وهو نوح عليه السلام.

فنوح عليه السلام هو أول الرسل، وهو أحد أولى العزم الخمسة، وقد جعل الله له سورة كاملة تتحدث عن دعوته وإعراض قومه الذين هم أظلم من عاد وأطغى، كما أن مدة دعوته كانت طويلة ألف سنة إلا خمسين عاما، ومع ذلك ذكر الله أنه ما آمن معه إلا قليل، وقال بعض السلف كان يؤمن معه في كل عشر سنوات واحد، مع أنه استنفذ كل الوسائل والأسباب، فدعا قومه ليلا ونهار وسرا وجهارا، لكن قومه كذبوه واتهموه بالجنون وإرادة الترفع عليهم.

ونصح لهم وأخبرهم أنه لا يسألهم على الدعوة مالا، واتهموا أتباعه بأنهم أراذل، وأمروه بطردهم، وهو مع ذلك صابر صامد يأتمر بأمر ربه، وقد كفر به حتى أقرب الناس إليه وهم ابنه وامرأته، وأكثر جدال قومه بالحق، وطلب منهم أن يجمعوا أمرهم وشركاءهم، وصبر على سخريتهم المرة به حتى وهو يصنع الفلك، ونبههم إلى أن يعرفوا صفات الله ويستغفرونه ويتأملوا بعين البصيرة مخلوقاته، لكنهم أصروا على الاستكبار والمكر الكبار، وتركوا اتباعه واتبعوا أهل الأموال والأولاد.

وفي تلك المرحلة السحيقة من التاريخ أيقظ حسهم للنظر في الكون حولهم من السموات والأرض والشمس والقمر، فكانت أول دعوة

للاستدلال بالفيزياء على الإيمان، ولما استنفد كل وسيلة دعا الله عليهم فكانت نهايتهم ما يعلمه كل أحد.

هل الغرب وراء كل بلاء؟

عندما انقلب السيسي على الرئيس محمد مرسي ثار سؤال مهم هو: هل الغرب وراء كل بلاء؟

والرئيس محمد مرسي في نظري رجل صالح كانت له رغبة في إعلاء شأن مصر وحكمه لمصر هو الذي ينبغي، أما أن تكون الوسيلة لذلك هي الانتخابات فلا، وقول هيلاري كلينتون إن أمريكا هي التي أوجدت داعش دعوى تحتاج لمزيد من البينات والقرائن، وكذا قول ترامب إن أوباما هو الذي أوجدها.

وقد تعودنا نسبة كل شيء إلى الغرب، وهذا من الأخطاء السياسية عندنا، كيف وقد كتبت المخابرات الأمريكية أن نظامي بن علي وحسني مبارك من أقوى الأنظمة قبل سقوطها بمدة وجيزة، فالغرب بخبرته السياسية يركب الموجة ويحاول أن يوجه الأحداث لمصلحته ولكنه لا يصنعها.

وأنا أختلف مع من يقول إن ثورات الربيع العربي صناعة غربية لأسباب كثيرة منها: أن عودة الشعوب لدينها هو أمر غير غريب، ولا يختص ذلك بالعرب بل هو شامل للأتراك والهنود والجاوة وكل مسلم وهذا هو الأصل.

والأغلبية الساحقة من المصريين وغيرهم مسلمون ومتدينون بالفطرة ولا يجوز لأي مسلم في مصر أو في تركيا أو في أي مكان أن يختار لحكمه غير المؤمن التقي.

ولا شك أن مرسي خير من السيسي مثلا، ولكن الخطأ يقال إنه خطأ ايا كان فاعله.

ولما حلت المصيبة بالمسلمين يوم أحد لم يقل الله إن ذلك من تخطيط المشركين وكيدهم بل قال: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران:١٦٥]، أما

كيدهم فهو قديم، وإنما مقاومته بالتقوى ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾[آل عمران: ١٢٠].

- إلى متى؟

إلى متى لا نعيد النظر في عداوتنا ومحبتنا، وإلى متى نظل نعيش على وهم العقيدة الصحيحة والتوحيد الصحيح ونجعل ذلك مجرد تصورات ذهنية، أو نسمح لكبار السن أن يتعبدوا كما يشاؤون في حدود ما رسم وتظل العقيدة الصحيحة تتقلص حتى لا يبقى شيء في الوقت الذي نزعم فيه أننا وحدنا على هذه العقيدة الموهومة ونرتكب كل ما حظرته الشريعة مع تغليف ذلك كله بورقة التوت المكررة، "مع تمسكنا بكتاب الله وسنة رسوله" أو "في حدود شريعتنا وتقاليدنا"، وما أشبه ذلك من الاسطوانات المشروخة والكليشات الجاهزة؟

وإلى متى تظل القنوات عندنا والصحف المحلية تحب أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ونتبع خطوات الشيطان ولا نقاوم ذلك؟.

وإلى متى نظل نثق في الكفار ونصدق وعود المنافقين؟.

وإلى متى تظل المنكرات متفشية ونحن مشغولون بالفن والكرة؟

وإلى متى تظل الثروات منهوبة ونسكت عن الناهبين؟

وإلى متى نظل نصدق مكر الليل والنهار، ولا نسمع غيره.

وإلى متى نؤجر عقولنا لغيرنا؟.

وإلى متى تبقى هذه الغفلة والسذاجة في عصر المؤامرات والمكر الكبار؟

وإلى متى إذا صدر الحق أو الرأي الصائب ممن نعلم يقينًا أنه من جماعة نختلف معها رددناه؟.

وإلى متى نظل كالكرة التي يلعب بها الساسة؟

وإلى متى تظل الوسطية عندنا هي العلمنة، والإرهاب هو الجهاد؟

وإلى متى نظل مؤمنين بالمبادرة العربية ونلهث خلف سراب السلام، ويكون الاعتدال هو التطبيع مع اليهود؟

وإلى متى نصدق بالكذب ونسمع وجهة النظر الواحدة فقط؟

وإلى متى تظل قنوات الفساد تبث علينا ما تريد، وفينا سماعون لها متأثرون بدعاياتها؟

ونحن إنما أمرنا ربنا بالعدل وأن ندعو أهل الكتاب إلى كلمة سواء بيننا وبينهم نلتزم بها نحن وهم ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٦٤]، والغربيون يشغلوننا بآثار الجاهلية ويذكرون الهند والصين وغيرهما ويتجاهلون الحضارة الإسلامية العظمى.

أما جهالنا أو الليبراليون منا فليسوا حجة علينا وهم قليلون جدا، لا يكادون يذكرون، وإنما هم كالمستنقع على المجرى العظيم فكيف ينظر أهل الكتاب للمستنقع ولا ينظرون للمجرى؟

ونحن من ديننا تعظيم المسيح وأمه وموسى عليهم جميعا السلام، ولا نرضى أبداً أن يطعن فيهم طاعن في الشرق أو الغرب، وقد أخبرنا الله ورسوله عنهم بما ليس في التوراة والأناجيل، ونحن أول من يرد عنهم الإفك والبهتان أيًّا كان فاعله.

ومن تجربتي وبعد معاناة أستطيع القول بأن الحكم على الأشخاص صعب بخلاف الحكم على الكتب، خذ مثلا إماما مشهورا كالأشعري فالخلاف شديد متى مات وما آخر ما كتب، بينما الحكم على كتابه مقالات الإسلاميين مثلا ممكن والاستدلال منه سهل وهكذا.

وأصعب من الأشخاص الحكم على الجماعات أو الفئات إذ في كل جماعة أفراد مختلفون بعضهم في القمة وبعضهم في الحضيض.

والقاعدة الذهبية في التعامل وهذا هو المهم هي كما ذكر ابن تيمة رحمة الله اكرام المتقين من أي فئة وقد قال مؤمنو الجن كما ذكر الله عنهم ﴿وَأَنَّا مِنَّا

ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴾ [الجن:١١] وهكذا كل طائفة، ولو أنك اطلعت على التصويت في مجلس شورى الجماعة الفلانية مثلا لرأيت العجب من تباين وجهات النظر واختلاف الاراء.

وعلى المسلم أن يحكم بما يعلم وما يظهر، ويرشد إلى الصواب ويحسن الظن بالعلماء وبإخوانه المسلمين ويحمل كلامهم على أحسن المحامل ويكل أمر الجميع إلى الله أما الحكم على عقيدة فلان أو علان فربما ضاع العمر دون الوصول فيه إلى نتيجة حاسمة، أو جازف أحد بالحكم بغير مستند.

والخطاب الفردي المبني على معرفة حال المدعو خير من الخطاب العام أو المبنى على أنه لا يفد إلى هذه البلاد إلا من كان يريد المال مثلاً وليس له حكمة أو تجربة، وإليك قصة واقعية من هذا: طلب عجوز أفغاني من صاحب بقالة أن يعطيه لبنا فقال البقال ما عندي إلا ما هو منتهي تاريخه، فقال العجوز أعطني منه فأنا أصلا منتهي تاريخي!!

ينبغي تصحيح الخطأ برفق ومراعاة حال المخطئ وتعليم الجاهل ومن قال أنا أدع المنكر الفلاني ليس لأنه شرك بل لأنه محرم قبلنا منه، ومثله من قال أنا أترك كذا لأنه مكروه وليس عندي بحرام، والنبي ﷺ لما غنت عنده جارية (وفينا نبي يعلم ما في غد) نهاها فقط، وقد سأله الصحابة هل الله يعلم كل ما نقول؟

ولما قالت العجوز اليهودية للصديقة المباركة أعاذك من عذاب القبر. سألت النبي ﷺ، وسأله الصحابة الكرام أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ وأمثال ذلك كثير.

ومن الحكمة أيضا أيضا التنويع في الإنكار ومخاطبة صاحب المنكر بعقل ورفق، كما فعل النبي ﷺ مع الفتى الذي طلب أن يبيح له الزنا، ولآخر الذي شمت عاطسا في الصلاة، وكذا الأعرابي الذي بال في المسجد وكل سنة الشريفة هكذا.

كما ينبغي أن نعلم أن للمكانة الاجتماعية للداعية أثرها، كما أن لقوم الرجل وعشيرته أثرهم، وقد ذكر الله تعالى أن قوم نبيه شعيب عليه السلام قالوا له ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود:٩١] بخلاف نبي الله لوط عليه السلام الذي قال: ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[هود:٨٠]، وهذا ما علمه المشركون العرب فإنهم ضربوا أبا ذر ﵁ وإنما استنقذه منهم العباس لما قال لهم إن تجارتكم إلى الشام تمر بغفار، ولما انتدب النبي ﷺ عمر عام الحديبية للذهاب إلى قريش، قال له عمر يا رسول الله ألا أدلك على من هو أعز مني عند قريش؟ وذكر له عثمان ﵁، كما أن معرفة ما عليه الكفار كمال، وشهادة الحق للحق كمال، والرجرع لأهل الاختصاص كمال، وكل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ﴾[المائدة:٤٣]، ولما كان ﷺ أميا اصطحب معه عبدالله بن سلام -عالم بني إسرائيل قبل إسلامه وهو الخبير بالتوراة- إلى بيت المدراس، وناشد أقرب اليهود للحق ألا تجدون حكم الله عندكم في التوراة.

وأكثر ما يتسلط علينا به أعداء الدين هو الوهم. واستغلال ما فينا من الخور والضعف وإلا فالجواسيس أقل وأذل من أن يكون لهم هذا الوجود وهذه الهيمنة، علما بأن ما يكتبونه إنما هو مجرد دعوى عند أسيادهم، ويمكن للمتهم تكذيبه بالدليل، وهم أصحاب مطامع دنيوية وليس عداوة دينية، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥].

وهم يعجزون عن إدخال جاسوس واحد في بعض الإدارات الحكومية فضلا عن أن يكون لهم جواسيس في كل مدرسة وكل قرية ولكن الناس يخاف بعضهم من بعض.

والمباحث المقنّعة (المحتسبة) هم أخطر أنواع الجواسيس، والمباحث المكشوفة أكثرهم يريد الراتب فقط، وإذا وجد عملا آخر انتقل منها أما المقنعة فهم في الصورة طلبة علم وفي الحقيقة جواسيس.

ولا بد للداعية من التصريف والتنويع في الاسلوب والله تعالى قال: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴾[الإسراء:٨٩].

وقال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ ﴾[طه:١١٣].

والقرآن نفسه فيه ذلك لمن تدبره.

فتارة ينذر المخالفين بالعذاب، وتارة باللعنة، وتارة يأمرهم بالسير في الأرض، والتأمل في نهايات الذين كفروا من قبل، وتارة يحثهم على التفكر وتارة يوقظ حسهم إلى ملكوت السموات والأرض، وتارة ينذرهم بجهاد المؤمنين لهم، وتارة ينذرهم بقرب الساعة، وتارة يذكرهم بما أنعم عليهم وتارة يذكر الله ثواب من لم يفعل ذلك ويثني عليه باجتنابه، وهكذا.

فلا بد من تنويع الاسلوب وقد أخبر سبحانه عن عبده نوح عليه السلام الذي هو أول الرسل وأحد أولي العزم أنه دعا قومه سراً وجهاراً وليلاً ونهاراً، فمن قال إن الدعوة لا تكون إلا بالكتابة سراً فقد حصرها في أحد أنواعها، ومن عدم التنويع أن الشيخ العلامة عبدالعزيز بن باز رحمه الله يقول لكل من أخبره عن منكر أكتب لي ويضعه في جيبه فلم يغيّر ذلك كثيرا من المنكرات، وليت الشيخ عليه الرحمة كتب إلى أهل المنكر وبيّن لهم أنه منكر وحثهم على تغييره، وليته كتب لأجل ذلك فتوى عامة لتبقى فتواه بعد موته يستفيد منها الناس بعده.

للتراجعات دلالتها ومنها حاجة الناس إلى الإسلام، وهذه التراجعات إما جماعية كما تراجع الاتحاد السوفيتي عن الشيوعية وإما فردية، وسوف نقتصر على الأفراد المشهورين الذين هم شخصيات حائرة لو أن أحد دعاها لاستجابت للإسلام أو على الأقل أقام عليهم الحجة:

نعوم تشومسكي.

فوكوياما.

جارودي.

توني بلير.

وقد كتب جواد الخالصي الرافضي لرجاء جارودي قبل إسلامه، ونحن أولى بذلك.

ومن المعجبين بالإسلام الذين كانوا قريباً منه: مهاتما غاندي، نيلسون مانديلا.

ومن القريبين منه اليوم: الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا، والبابا فرنسيس الذي درس في القروين وقال: ليس لعيد الميلاد ذكر في الكتاب المقدس وعنده الأناجيل الآرامية القديمة. وقد سبقه بعض البابوات الذين كانوا يصلون سراً.

ولا بد من الاستعانة بالكتب النفسية في الدعوة إلى الله ومنها علم النفس الدعوي للدكتور عبدالعزيز النغيمشي، وكذلك آراء الأطباء النفسيين الموثوقين كالدكتور عبدالرزاق ياسين الحمد.

هذا مع ما يكتبه الدعاة إلى الله والخبرة الشخصية مع الضراعة إلى الله أن يوفق الداعي ويهدي المدعو، فالقلوب بين إصبعين من أصابعه تبارك وتعالى، ولا ينبغي لمن يدعو إلى الله أن يظن أن أحداً من الناس أكبر من الاستجابة، فمن الممكن جداً اهتداء البابا أو ترامب. والمهم ألا يكتب الإنسان إلا الحق، وبعض الناس لا يستجيب للأسلوب المباشر، فلا بد من التعريض. ونقتدي بالنبي ﷺ في مشروعية الكتابة وفي كيفية مخاطبة الكفار، لا في أن نكتب نفس ما كتب، وبعض الناس أصلا متردد حائر مثل "توني بلير" الذي تحول من الانجيلية إلى الكاثوليكية؟

وعلى الدعاة معرفة أين يدعون؟ ومن ذلك اجتناب القنوات الإباحية أو قنوات الفساد، وهذه القنوات المفسدة تدعي أن فلاناً زكاها، والنبي ﷺ كان

يرتاد منتديات قريش وأسواق العرب وأمثال ذلك، لكن لم يرد عنه قط أنه ذهب إلى بيت للبغاء أو خمارة للمشركين.

على الدعاة أن يعلموا أن واجبهم عظيم وأن عليهم تتويب الناس ما أمكن، فالشرع الحنيف يتشوف للتوبة ولا يتشوف للعقوبة، وقد رد النبي ﷺ الغامدية مرارا ولو لم ترجع لما طلبها، ولما افترى الكاذبون حاثة الإفك على الصديقة الطاهرة قال لها: (إن كنت ألممت بذنب فاستغفري).

بل قد ورد تلقين المتهم بأن يقول لم أفعل، وقد روي ذلك عن أبي هريرة وأبي الدرداء وأبي مسعود وغيرهم، ورواه ابن ماجه مرفوعا بلفظ (ما إخالك سرقت)، وأن النبي ﷺ قال ذلك للسارق، كما ذكر ابن القيم وصححه الألباني.

وأنصح إخواني الدعاة بالتوسط والرفق وترك الغلو واضرب مثلا واقعيا ممن غلا ذات اليمين ثم غلا ذات اليسار المجموعة المسماة "إخوان بريدة".

وكذا كل من ينقلب من النقيض إلى النقيض، وقد قابلت بعضهم ونصحته وكان يحرّم ما لم يحرمه الله ورسوله، وجادلتهم في مسألة تحريم الدراسة مثلا، وقد ترك أحدهم -وهو اليوم يقدم برنامج مرايا في قناة العربية- الدراسة في المرحلة المتوسطة، كما أني لا أرى إحراق محلات الفيديو واستهداف الدشوش بالبنادق أعمالا شرعية.

والمفقود عندهم هو الاعتدال والتوسط وعلى كثير من آرائهم عن الصحوة يعتمد أعداؤها لاسيما الجامية.

وعلى دعاة الإيمان أن يكونوا من أولي الأيدي والأبصار، وأن يقولوا الحق لا يخافون لومة لائم مهما أوذوا، وأن يكونوا سداً منيعا ضد الضلالات والبدع وقد شهدت الساحة الخليجية تحولات اجتماعية فكرية هائلة، وخرج بعض الناس على ثوابت المجتمع وأعراف القبيلة وحدود العيب الذي تربينا عليه فضلا عن حدود الدين التي هي الأصل في كل خير، وتطاول بعض الناس على الدين وعلى الرسول ﷺ باسم محاربة الإرهاب حتى أن بعضهم

قال في دولة الإمارات: (إن كان قدوة الإرهابيين محمد الرسول فنحن قدوتنا محمد بن زايد!).

وقال آخر في السعودية: (جاء الرسول الكريم ليصحح عقيدة إبراهيم الخليل وجاء زمن نحتاج فيه لمن يصحح عقيدة محمد بن عبدالله!).

وأمثال ذلك من الشنائع.

فلماذا يسكت أهل الحق ويخافون، أليس لمثل هذا يستعذب الأذى ولو كان قتلا، وهل أهل الباطل أشجع من أهل الحق؟ وهل يدخل المؤمنون الجنة بلا أذى؟ أليست المنية خير من الدنية؟ أليس الابتلاء سنة ربانية؟ ألم يقل الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢]؟ ألم ينشر من قبلنا بالمناشير ويمشط بأمشاط الحديد؟ ألم يؤذ رسول الله ﷺ ويحاصر ويخنق وتأتي أم جميل حمالة الحطب بحجر لترميه به؟ ألم تغدر به اليهود وقبائل من العرب؟ ألم يُعذب بلال رضي الله عنه في رمضاء مكة؟ ألم يهاجر المسلمون إلى الحبشة لما اشتد الأذى في مكة؟ ألم يطعن المشركون سمية رضي الله عنها في موضع عفتها؟ ألم يترك مصعب بن عمير حياة الترف ويموت بلا كفن تام له؟ أليس العلمانيون والليبراليون أنفسهم في شقاء ونكد؟

- يعيب بعض الناس كقناة العربية على الدعاة أنهم يجمعون بين أقوال قديمة وحديثة، ويقولون إن الصحوة جمعت بين جُبة فلان وبنطال فلان؟ فما العيب في ذلك؟ ألم يقل الله ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزُّمَر:١٨] وما العيب أن يأخذ المسلم الحق حتى ولو كان قائله كافرا؟ وما العيب في أن يكون المسلم ينتقي أطايب الفكر كما ينتقي أطايب الطعام؟ وما العيب في أن يكون المسلم حرّ التفكير في حدود الكتاب والسنة لا يقلد عالماً ولا حزبا ولا فئة؟ وما العيب أن يضم إلى فقه علمائنا الكرام كل فكر ناضج مستمد من كتاب الله؟

أليس العيب والتناقض يأتيان ممن يدعي أنه على العقيدة الصحيحة لكنه في الوقت نفسه يتبع ميشيل عفلق أو دي سوسير؟ ويترك الصلاة لكي لا يكون إرهابيا.

وما العيب أن يكون المؤمن كالنحلة يقع على زهرات كثيرات؟

ومن العجيب أن هؤلاء الذين يعيبون في قناة العربية وغيرها يعيشون ضحالة فكرية وينتقلون من النقيض إلى النقيض، وبعضهم لم يحصل أصلا على شهادة الكفاءة المتوسطة.

وهم انتهازيون ولولا أن المناصب تعطى لهم لكانوا من الدشير، وبالشرهات والعمالة لدول معروفة ترتفع أرصدهم البنكية فتتخطى حاجز المئة مليون ريال فجأة وأرجو ألا نضطر لفضحهم وبيان ارتباطهم بوحدة التضليل الإعلامي في البنتاجون والحديث عن ماضيهم المتطرف حقاً.

وأحذر إخواني الدعاة من الغلو الذي وقع فيه من يكفر المسلمين وكذا التناقض الذي وقع فيه (إخوان بريدة).

الجهل بالله:

- من أهم واجبات الدعاة التعريف بالله تعالى وبيان عظمته التي لا يحيط بها الواصفون، وأنا من خلال اطلاعي المحدود وما يردني من أسئلة في العقيدة، علمت أن كثيرا من المسلمين يجهلون ذلك، أما أهل العلم والدعوة فلا يذكرونه إلا إجمالا وأما الإعلاميون فهم في واد والناس في واد آخر.

وهذا المنصوح به فوق الرد على من أول الصفات أو أنكرها وكل منهما مطلوب لا ينبغي إغفاله أو ذكره عرضا.

والجاهلية مشتقة من الجهل وأعظمه الجهل بالله، وقد تكون كفراً، وقد تكون مجرد معصية بحسب درجتها، ومن أكبر الجهل بالله تعالى دعوى أن له ولداً إما عزير كما تقول اليهود وإما المسيح كما تقول النصارى وإما الملائكة كما كان يقول جاهليو العرب، وكل ذلك إفك وافتراء وظن سوء

تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدّا، ولا يقوله من يقدر الله حق قدره ويرجو له وقارا.

ومن الجهل بالله الجهل بأسمائه وصفاته، وعدم الإيمان الحقيقي بها، إذ لا يكفي المؤمن أن يؤمن بها بلا تأويل أو تمثيل، بل لابد مع ذلك من الإيمان بمقتضياتها وآثارها في النفس، وتغيُّر الحال بحسب ذلك.

انظر مثلا إلى أعظم الكلام وهو كلامه الخالد بيننا (القرآن) كيف كان أثره النفسي العميق في نفس ﷺ وصحابته الكرام بل في الأجيال اللاحقة، فأشهر من وقف في وجه القائلين إنه مخلوق، هو الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ولكن هل اكتفى الإمام بذلك، أم تمثَّل القرآن علما وعملا وجهادا ودعوة، وانظر كيف اختصرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الحياة النبوية الشريفة وأخلاقه العظيمة في كلمة واحدة، لما سئلت عن خُلقه ﷺ فقالت: (كان خلقه القرآن)، وانظر كيف كان أكثر الصحابة الكرام هيبة (عمر بن الخطاب ﵁) وقافا عند كتاب الله، والأمثلة على ذلك كثيرة جدا.

وانظر إلى اسم الله (الحي) وهو أول اسم في أعظم آية (آية الكرسي) وكيف أن التعلق بمخلوق هالك يهلك مقامه بهلاكه، كمن يتعلق بالملوك والسلاطين، أما من يتوكل على الحي الذي لا يموت سبحانه فهو يحفظه ويخلّد ذكراه ويجري له عمله ويكتب له آثاره.

وانظر إلى اسم الله (الرّزاق) كيف تنقلب حياة من يؤمن به حقيقة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ولا يهاب أحدا من المخلوقين مهما كانت منزلته فالله وحده هو الرزاق ذو القوة المتين.

وانظر إلى من يؤمن بأن الله (أحكم الحاكمين) هل يتخذ غيره حكما وهل يتبع غير شرعه وهداه، وقس على ذلك سائر الأسماء الحسنى والصفات العلى.

والجاهلية جاءت في كتاب الله أيضاً زجراً عن المعصية، إذ أن المعاصي شعب الكفر وبريده كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ﴾

[الأحزاب:٣٣] وقد ترجم الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في صحيحه لذلك بعنوان "باب المعاصي من أمر الجاهلية" والجاهليون قبل البعثة المحمدية كان فيهم معاصٍ كثيرة، وكان فيهم بقايا من أهل الكتاب وكان فيهم الحنفاء وكان فيهم من يعبد الله كيف ما اتفق له كأبي ذر، وكان فيهم أهل الفترة، ولا يظلم ربك أحدا مثقال ذرة، حتى عدو الله أبو لهب لما أعتق ثويبة حين بشرته يوم الأثنين بولادة النبي ﷺ رآه بعض أهله في المنام في شر حيبة إلا أنه في يوم الإثنين جعل الله له نقرة في إبهامه يشرب منها كما روى البخاري عن عروة.

وليس كل الجاهلين العرب على ملة عمرو بن لحي أو يشربون الخمر أو يئدون البنات ولا يتحالفون لنصرة المظلوم من ظالمه.

وكان اليهود في الجاهلية يستفتحون على المشركين بني آخر الزمان، وكان منهم من يحترق شوقا لرؤيته كما كان عالمهم عبدالله بن سلام رضي الله عنه.

وكان من أهل الكتاب من يؤمن أن عيسى عبدالله ورسوله كالنجاشي وعامة الآريوسيين والموحدين.

والخلاصة أن من عرفه تعالى بأسمائه وصفاته حقاً لم يعصه أو يبتغ غير هداه، ولم يوال أعداءه أو يخف من أي مخلوق.

النصيحة الثالثة
إلى آل سعود

- علاقتي بآل سعود:

ليست علاقتي بآل سعود عابرة بل هي عميقة وشخصية، وبعضهم جالسته مرارًا منفردًا به كالملك سلمان قبل أن يصبح ملكًا، ووزير الداخلية الأمير نايف، ثم الأمير محمد بن نايف، وكثيرًا من الأمراء جالستهم أيضًا.

ولم أكن -ولن أكون بإذن الله- غاشًا لهم أو كاذبًا عليهم، بل أجتهد قدر الإمكان في النصح، وبيان الحق بصدق وشفافية حسب استطاعتي، وأشكر من يهدي إلي أي خطأ يراه فيما قلت أو أقول.

كما أشكر كل من يوجهني لزيادة في فهم أو يبلّغني عن حقائق لا أعلمها، وعلى رأسهم آل سعود، وقد أحسن إلي دون أن يقصد من فصلني من العمل ومنعني كل حق حتى التقاعد، فقد جعلني حرًّا ليس في فمي ماء وليس لدي شيء أخسره إذا نصحت، والمتّهمون لي تبين لهم أنفسهم كذب الاتهامات، ومنها الزعم بأن لي علاقة بدولة أجنبية أو بالمعارضة في الخارج أو أنتسب كما يقال لجماعة إرهابية.

وأرجو أن يحشرني الله بفضله وكرمه مع فقراء المهاجرين، الذين هم أول دفعة تدخل الجنة وتقول لهم الملائكة هل حوسبتم؟ فيقولون علام نحاسب؟!.

وأنا لا أيأس من إصلاح أحد فالله تعالى يخرج الحي من الميت، وقد أخرج عمر بن عبد العزيز من بني أمية، والمتوكل من بني العباس، وليست قراءتي لأحد دليلاً على أني أتبع ما كتب وأؤمن به، فأكثر من أعجبت به من المعاصرين الشيخ ابن باز، ومن الأولين شيخ الإسلام ابن تيمية، ومع ذلك فالحق أحب إلي منهما، ولا أقلدهما، ولا أنصح أي طالب علم بتقليدهما.

وربما كان أفضل كتاب قرأته من غير الوحي، هو كتاب "سير أعلام النبلاء"، ومع ذلك لي عليه ملاحظات قد أكون فيها مخطئا، والمهم أنني أرى أنه يجب على كل طالب علم أن يكون مستقل الرأي حر التفكير، وأن يبذل

النصح ويحب الخير لكل إنسان كما كان الأنبياء ومنهم محمد ﷺ، وأنا أختلف مع آل سعود، ولكني أنصح لهم وأعدل معهم، كما أمر الله ولا أقول عنهم إلا الحق ولا أتفق مع من يغشهم أو يقدح في نسبهم، ولا يغل قلبي على نصحهم وتخويفهم من بأس الله في الدنيا وناره في الآخرة، وحين أنصحهم لا أريد منهم أجرًا ولا منصبًا ولا شيئاً من أعراض الدنيا، بل أرجو ألا يذكروني في أي وسيلة إعلامية مطلقًا، ولهم صفات شخصية لا أغمطهم إياها ولا أعيبهم بما ليس فيهم، وقد سئل الإمام أحمد عن فلان فقال (لا نسبّه ولا نحبّه)، وأنا لا أملك إلا الكلمة ولا خير فيّ إن لم أقلها، وإنما يخاف منها العروش المهترئة والكراسي المهزوزة، ولو شئت لأقسمت أني ما أريد بهذه النصيحة إلا وجه الله والعدل بقدر جهدي، وحسن القصد يشفع لما في النصيحة من القسوة والمرارة، وأنا قد ظُلمت ولكن ذلك لا يعني أن أظلم من ظلمني، وإنما أؤخر ذلك ليوم القيامة.

وأنا ولله الحمد لم أتعرض للتعذيب في السجن، ولم أعتذر لأحد، وإنما غاية ما فعلته ولا زلت عليه: أنني أنكر المنكر، ولست معارضا سياسيا كما يقولون، ولا أرى مغادرة هذه البلاد مهما لقيت من الأذى، وأرجو أن يصبرني الله عليه، ولست بأفضل ممن نُشروا بالمناشير، ومُشطوا بأمشاط الحديد، ومع أنني آخذ نفسي بالعزيمة، وأنصح بها كل قادر، ولا اعتبار عندي بما يقال أو يكتب بالإكراه، لا أنكر على من أخذ نفسه بالرخصة، والنبي ﷺ أثنى على ولاية عمر، ونهى أبا ذر أن يتولى على اثنين، وأضرع إلى الله أن يثبتني على الحق دائما، ويعينني على نفسي وشيطاني.

وأنا وغيري حين ندعوكم يا آل سعود إلى الإصلاح، ونبين طريقه، لا ننطلق من فراغ ولا ندعوكم إلى استنساخ تجربة غيرنا، أو أي إصلاح وافد، بل ندعو إلى تجربتنا نحن القريبة العهد، والتي تعلمونها أكثر من غيركم، مع تلافي ما فيها من سلبيات، لا سيما تحريم بعضهم -غفر الله له- لبعض ما

يجهلون، كالساعة والبرقية والكبك. وندعوكم لاستلهام واقعنا وتفعيل إيجابياته.

وهذه الجزيرة المباركة لا تنفد معجزاتها، ولا تَذهب بركتها قط، حتى عندما اجتاحتها القوات الأجنبية، ولم يحاربها الناس حاربتهم هي فلدغتهم هوامها، وعطلت رمالها طائراتهم، وسلط الله عليهم الرياح، وفشى فيهم المرض الذي لم يعرفوا له تشخيصا قط، بل سموه (متلازمة حرب الخليج)، وأكدت جريدة الرياض السعودية أنه ليس المرض الوحيد!

وحماها الله بالصحراء الحارة وصانها من الخنازير، وإذا كان نابليون أو هلتر قالا إن الجنرال الشتاء من هزمهما في روسيا فإن الجنرال الصحراء هو الذي منع الفرس والروم من غزوها.

ولا بد من تطبيق ما ورد بشأن الإمامة الشرعية من نصوص على كل حاكم.

وكون الإمام يصلي أو يصوم أو يحج، هذا شأنه وبينه وبين ربه ولن أتعرض له، وإنما يهم الناس أمران هما (العدل والأمن)، بمفهومهما الإسلامي وذلك ما عبر عنه حسان بن ثابت رضي الله عنه بقوله:

وما الدين إلا أن تقام شرائعٌ وتأمن سبْل بيننا وهضاب

ولا يَتِمّان إلا بأن يكون الأمر شورى بين أهل الشورى، ويكون العقد الاجتماعي هو البيعة الشرعية، ويكون الأمن -فكريا وغذائيا واجتماعيا- هو السائد بين الناس، وعلى هذين العمودين سوف تقوم النصيحة.

وهذه البلاد -التي ابتلى اللهُ آلَ سعود بحكمها- فيها ميزاتٌ كثيرة، وخصائصُ عظيمة، وأنا أحبها كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب مكة، وأرجو أن تكون مهداً للخلافة التي تجمع كل المسلمين تحت راية واحدة.

وأنا كتبت لعامة المسلمين، وليس لآل سعود وحدهم، ولا يجوز لي ولا لأي أحد أن يكذب على آل سعود ولا على يهودي أو نصراني، ولا أن ينقب عن النيات والمقاصد، فالله هو العالم بها، المطلع عليها، ولا يجوز ظلم

أي إنسان مهما كان، وموقفي معلوم من قَتْل (جعفر الحائك) الذي مات تحت التعذيب، وكيف أني بذلت جهدي للوصول إلى اللواء مدير عام التحقيق، كي أبلغه إنكاري مع أنه كما قيل شيعي!.

ومجمل ما أنصح به هو تقوى الله والعمل بالكتاب والسنة واتباع دينه الذي لا يزال ولله الحمد مصدر الشرعية، وعليه قام كياننا، وقد جعل الله حرمه في بلادنا، وجعل جزيرتنا هذه المباركة منبعاً لكل خير ومهداً للحضارة الإنسانية قاطبة، فليس في الدنيا كلها أمة لديها كتاب خير من قرآننا، ورسول خير من رسولنا؟ فكيف نرضى أن نكون عبيدًا تابعين والله تعالى خلقنا لنكون سادة وقادة للعالمين؟.

وكيف نطمح إلى أن نكون في مصاف الدول، التي يجب أن تكون هي في صفنا ونسميها متقدمة وهي متأخرة، لا قيمة فيها للعِرض ولا للشرف، وتدعي أن الله هو المسيح ابن مريم وتقول إنه تعالى اتخذ ولدًا، ونحن نقرأ في القرآن أنه ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص:٣] و﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن:٣].

وأنا لا أقول للأسرة الحاكمة لا تحاكموا أهل الدين بالمرة، بل ساووهم بالزناة وشاربي الخمور ومتعاطي المخدرات في إحالتهم للقضاء، وإطلاق سراحهم إذا أطلقتم أولئك!.

وقد فرح بعضنا ونحن في السجن لما سمع أن الحكومة سوف تفرج عن السجناء في العيد، ولكن ضباط المباحث أخبرونا أن ذلك لا يشملنا وصدقوا.

وأنا لا أتتبع المؤاخذات فقط، كما قد يُظن، بل أعدل وأنصح بقدر جهدي، وإنما أدعو نفسي والعلماء والدعاة والحكومة إلى الاستقامة، وقد قال الله تعالى لنبيه الكريم ﷺ: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود:١١٢] ولا ريب أن المطلوب عظيم، والاستقامة صعبة، ولهذا قال رسول الله ﷺ (شيّبتني هود وأخواها)، وهذه الآية في سورة هود، وبعضهم يقول إن سبب الشيب

هو أن الله أمره أن يستقيم، وقال ﷺ لمن سأله: (قل آمنت بالله ثم استقم)، وجاء في رواية صحيحة أن أخوات هود هي (الواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت).

ولست أدعي العصمة من الخطأ، بل أعطيكم رقم الفاكس للاتصال (٠١٢٥٥٣٣٣٠٧)، وأرجو أن تعطوني أي وسيلة تريدون للاتصال بها، ورحم الله امرءا أهدى الي عيوبي!.

ومن أبطل الباطل: الاتهام بطلب الملك الدنيوي، وهو اتهام قديم قاله قوم فرعون لموسى وهارون عليهما السلام ﴿وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:٧٨]، وكذلك الاتهام بالانتماء إلى إحدى الفرق الضالة.

وسنة الله أن المفترين إن لم يستطيعوا اتهام أحد بطلب الملك افتروا عليه شيئا ما، فاتهموا شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه خرق الإجماع، واتهموا الشيخ محمد بن عبد الوهاب بأنه خارجي، واتهموا الشيخ محمد بن إبراهيم بأنه يلقب نفسه بالمفتي الأكبر، والمفتي الأكبر هو الله، واتهموا الشيخ ابن باز بأنه يكره الرسول ﷺ، واتهموا الشيخ محمد بن صالح العثيمين بأنه حلولي.

وأنا مع نزولي عن درجة هؤلاء الأخيار اقترح أحد ضباط المباحث (ع.ي) أن يوضع في البنك مبلغ من المال ويقال إن إيران حولته لي!

وهكذا لا بد لمن دعا إلى الله، أن يبتلى ويفترى عليه، والله تعالى جعل لكل نبي عدواً وكذلك من سار على دربهم.

وأنا أؤكد أنني لا أسعى للملك مطلقاً، وأؤكد أيضا أنني لست معارضاً بالمفهوم الغربي للمعارضة، وقد قلت ذلك لمن جاءني من الاعلاميين الغربيين أو المتأثرين بالفكر السياسي الغربي، وإنما أنا ناصح أعارض ما خالف الكتاب والسنة وأوافق ما وافقهما.

وليس عزوفي عن الملك بسبب التعفف أو الزهد في الدنيا فقط، بل له أسباب شرعية وواقعية كثيرة وهذا بعضها:

١. أنني لست من قريش، فكيف أطلب شيئا لا يحل لي.

٢.أن الحكم مسؤولية ولو كان على فئة قليلة من الناس، ففي الحديث أنه (ما من وال يلي عشرة أنفس فأكثر إلا جاء يوم القيامة ويده مغلولة، فإما أن يفكه عدله أو يوبقه ظلمه).

٣.أن من جعله الله وارثا لمحمد ﷺ، كيف يرضى لنفسه أن يكون من ورثة كسرى وقيصر.

٤.أن من جعل الله عمله عمل الأنبياء والرسل الكرام، وهو الدعوة إلى الله كيف يقبل عمل آحاد الناس؟

٥.من أذاقه الله حلاوة ذكره ومعرفته، كيف يرضى أن يستبدل بذلك مجادلة الناس وكلامهم، وأنا وإن لم أكن من هذا الصنف، يجب علي أن أسعى إليه وأرجو من الله أن يبلغني ذلك، وقد قال بعض السلف: "كابدت الصلاة كذا سنة ثم تنعمت بها"، فعليّ المكابدة وعلى الله اتمام نعمته.

٦.أن ذنوبي وحدها كافية فكيف أتحمل مسؤولية غيري، وقد قال العُمري الزاهد لهارون الرشيد: "كلٌّ يُسأل عن نفسه وأنت تُسأل عن الناس كلهم".

٧.أن النبي ﷺ نهى عن الإمارة بعض أصحابه كأبي ذر وعبد الرحمن بن سمرة وغيرهما، وقال: (بئست الفاطمة)، وقال: (إنها خزي وندامة يوم القيامة)، فكيف يقبلها من هو أضعف منهم وكيف يسعى لها أي مؤمن؟

٨.إن من المشاهد المعلوم أن كل من غاص في أوحال السياسة المعاصرة، يحتال أو يكذب أو ينافق، وكل ذلك حرام، فكيف يسعى إليه عاقل؟

٩.أنك مهما حملت الناس على الحق لم يقبل ذلك منك طائفة منهم، فكيف لو حملتهم على الباطل عياذا بالله.

١٠. أن ذلك من حب الشرف، الذي شبهه النبي ﷺ بالذئب الجائع الذي عاث في زريبة قوم، وشرحه ابن رجب بكلام نفيس.

١١. أن التصوير الدائم والتصريحات المستمرة يجعلان المرء معروفا بين الناس، وقد كان أفضل الخلق أجمعين لا يعرفه القادم عليه من بين أصحابه، ونهى عن القيام بين يديه كما تفعل الأعاجم لملوكها.

١٢. أن الزهد من خصائص كل من سار على دربه ﷺ، وهكذا كانت حياته الطاهرة فكيف يدعو أحد إلى ما لا يفعل.

١٣. أن اليهود هم الذين يريدون أن يستبدلوا البصل والقثاء والعدس بالمن والسلوى، وقال الله فيهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة:٦١].

١٤. أن من اشتغل بأي علم، وكان ذا عقل لا يريد أن ينصرف عن العلم لأي منصب، فكيف ينصرف من وفقه الله للعلم الشرعي، الذي يعادل مداده دماء الشهداء، وهل تولى الإمام أحمد أو البخاري أي منصب أو ولاية أو خلافة؟

١٥. أنه لا شيء يعدل السلامة لا سيما في عصر الفتن هذا.

١٦. أن سلفنا الصالح حذرونا من فتنة الدنيا، وقالوا: من أراد الدنيا فليتهيأ للذل، ولما رأى الإمام أحمد إكرام المتوكل له قال: "خرجنا من فتنة الدين إلى فتنة الدنيا"، ولما كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري، أن يشير عليه بمن يولي، كتب إليه الحسن "أما أهل الدنيا فلا تريدهم، وأما أهل الدين فلا يريدونك"، هذا في عصرهم فكيف بهذا الزمان حيث تعقدت الأمور وكثرت المشكلات وتعددت التخصصات؟

وكيف يسعى إلى الملك الظاهر "ملك الإجبار" من أعطاه الله الملك الباطن "ملك القلوب"، ودعاء الصالحين له بظهر الغيب وهو لا يعرفهم ولا يعرفونه.

ولما جاء عبد الله بن المبارك وهو عجمي تركي إلى بغداد، خرج الناس إليه حتى كادت بغداد أن تخلو من ساكنيها، فقال أحد أبناء الأسرة الحاكمة،

من قرابة هارون الرشيد: من القادم؟ قالوا: عبد الله بن المبارك، قال: (هذا والله هو الملك، لا ملك هارون الذي يساق الناس إليه بالعصا)، وقد تمنى الإمام أحمد على جلالة قدره أن يكون رأى عبد الله بن المبارك.

وأعظم من هذا المُلك أن يدعو له المسلمون بظهر الغيب حتى بعد مماته، وأن يكون العلم صدقة جارية له.

ولا يشك مسلم أن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا كلها، وكتب الحجاج إلى عبد الله بن عمر كتاباً جاء فيه: بلغني أنك تريد الخلافة" فرد عليه عبد الله بن عمر، بكتاب قال فيه: "وأما قولك إني أريد الخلافة فلا والله ما طلبتها يوما ما، ولا خطر ذلك لي ببال، ولا أريد أن يراق لأجلي محجمة من دم".

ونحن لنا نعيم آخر قال عنه عبد الواحد بن زيد أو عبد الله بن المبارك "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف".

وقال أحدهم قديما:

سهري لتنقيح العلوم أحب لي ... من وصل غانية وطيب عناق

هذا في طلب العلم فكيف بقراءة القرآن والذكر؟

وقد قالت امرأة عبد الله بن وهب له: "كتبك هذه أشد علي من ثلاث ضرائر".

وقد قال بعض الوعاظ -وأظنه ابن السمّاك- لأحد الخلفاء: "أرأيت لو أنك عطشت ومنعوك شربة ماء إلا بنصف ملكك أكنت مفتديا به؟ قال الخليفة نعم.

فقال الواعظ: أرأيت لو أنك شربت ولم يخرج منك ذلك إلا بالنصف الآخر أكنت مفتديا به؟ قال الخليفة: نعم.

قال الواعظ: فأفّ لمُلْكٍ لا يساوي شربة ولا بولة".

وقال الله تعالى -وهو أصدق القائلين-: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾[الكهف:٤٦].

وقال نبيه الكريم: (الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه، وعالما أو متعلما).

وأخبر صلوات الله وسلامه عليه، أن أقل أهل الجنة يعطيه الله عشرة أضعاف أنعم ملوك الدنيا، مع أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وأنا كذلك لا أرشح للمنصب أحداً، ومن زعم أني أريد الفتنة فقد كذب، والله حسيبه يوم القيامة، ولن يكون هذا المفتري أحرص على سمعة الدولة من مباحثها واستخباراتها.

وقد تتبعت المباحث والاستخبارات محاضراتي وأشرطتي البالغة نحو ألف، وتحفظوا على بضعة محاضرات منها، ومع أن هذا عدد قليل فلي إجابة على كل مأخذ.

وقد قيل للإمام أبي عبيد: وجدوا في كتابك عن الغريب ألف كلمة خطأ، فقال: ألف قليل في كتاب فيه مئة ألف كلمة، وقد يكون لي جواب صحيح على نصفها، ولا يبقى للناقد إلا النصف الآخر المختلف فيه!) اهـــ.

وأكبر المآخذ عليَّ -وإن لم يحققوا معي فيه أبداً- هو استنكاري لقدوم القوات الأجنبية للسعودية، وهو موقف قلته ولا أزال عليه، وقد أثبتت الأحداث صحته، ومن ذلك أن السعودية لما حاربت الحوثيين في اليمن لم تستعن بالقوات الأمريكية، كما أن أمريكا هي التي استعانت بالمملكة لمحاربة ما سمته (الإرهاب)، ولم يؤخذ رأي المشايخ في هاتين الحادثتين الكبيرتين، علما بأنني في هذا الموقف حفظت للمشايخ قدرهم ولازلت، ولم أكلفهم معرفة ما لا يعرفون، ولم أقل قط (فقه الواقع) ولكن الله أراد أن يعلم الناس أنه لابد من فقه واقع ولو إجمالا، مع أنه في القرآن والسنة ما يدل عليه، وهذا على الأقل مني موقف وطني مشكور، ولا أنسى عاملا فلبينيا، فوجئت

به يقتحم علي زنزانتي، ويكلمني بلسان عربي مبين (أنا أعرف أنهم اعتقلوك بسبب موقفك من الأمريكان، وأنا من المعارضة في الفلبين وأرفض القوات الأمريكية فيها...) إلخ، ثم إنه ذهب وتركني!

ومسألة الاستعانة فيها خلاف فقهي من قديم، وهي بين الراجح والمرجوح وهيئة كبار العلماء نفسها ليست كل فتاواها إجماعية، بل تفتح المجال للرأي الآخر، ومن حق المخالف أن يكتب رأيه في الفتوى نفسها، كما أن الشيخ الفاضل عبد العزيز بن باز رحمه الله في رسالته عن القومية العربية صرح أن من مساوئ القومية أن يقاتِل المسلم والكافر بلا تفريق وهذا لا يجوز، ولم يذكر الشيخ ولا أحد من العلماء السجن مطلقا في البيان الذي صدر ضدي.

ولذلك وغيره يحق لي التمسك بموقفي حتى يأتيني المخالف بما هو أرجح منه.

كما أنني أتمسك بعداوة أمريكا وإسرائيل ما حييت، وأشهد الله على بغض كل من كفر برسول الله وحاد الله ورسوله وزعم أن الله اتخذ ولداً سواء عزير أو المسيح، وأني على ملة إبراهيم عليه السلام التي من رغب عنها فقد سفه نفسه، ومستعد لتحمل أي أذى أو بلاء في سبيل ذلك، ولو أدى الأمر إلى قتلي، ولم يخطر على بالي قط أن أخون بلاد الحرمين -معاذ الله- ولكن النصيحة والتجرد لله تقتضي قول الحق بدليله، ولا زلت مستعدا لقول الراجح في أي مسألة، والرجوع عن الخطأ، وأقول لليهود والنصارى وكل عدو للإسلام ﴿فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ﴾ [هود:٥٥].

وأنا إنما أنصحكم يا آل سعود قياما بالواجب وإبراء للذمة مع أني أعلم أن بعض الناس غشاشون لكم وأن كثيرا منكم مغشوش، لكني واثق في عقولكم في معرفة الناصح من الغاش، وأحمد الله أنني مرفوض من الساقة والحراسة!

وهذه النصيحة في الحقيقة ليست الأولى لكم، فقد كتب الشيخ أحمد محمد شاكر نصيحة مماثلة قبل نحو ٧٠ سبعين عاما يحذر فيها من خطر القوانين، وكان كلامه رحمه الله عن تجربة ومعرفة، فقد تولى القضاء في إحدى المحاكم المصرية، وكان أبوه رئيسا لقضاة السودان، كما أنه على علم بالقوانين حيث تحدث عن كلية الحقوق في مصر حديثَ المطّلع، وهذه مسألة عظيمة من مسائل التوحيد يجب تنبيه الحكام لها.

كما قدم لكم النصائح كثير من المواطنين وعلى رأسهم العلماء الأفاضل، وكان الشيخ ابن باز ينصحكم كل ثلاثاء، أما المفسدون فيزينون لكم الباطل، ويلبسون عليكم الأمور، وهم دعاة على أبواب جهنم، ومن أبناء جلدتنا ويتكلمون بلغتنا، ويوهمونكم أن سبب الإرهاب هو التيمية والوهابية، وقد قالوا بضرورة التخلي ابن تيمية كما تخلى الغرب عن أوغسطين! والتخلي عن ابن تيمية معناه التخلي عن القرآن والسنة، فما كان شيخ الإسلام رحمه الله إلا داعيا إليهما.

ويدعونكم للتخلي عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي هي مصدر شرعية حكمكم، زاعمين أنها متشددة وتكفيرية، وما كان محمد بن عبد الوهاب إلا شعبة من ابن تيمية.

وبسبب اتباع سبيل المفسدين، وقعنا في هذه الأزمات العسكرية والفكرية والمالية والسياسية، وغزانا أهل الضلال قديمهم وحديثهم من الشرق والجنوب والشمال، والله تعالى لا يغيّر ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

وبعد تولي الليبراليين الوزارات والقنوات، تمكنوا بهذا الزخرف من القول والبهرجة، بينما كان مصير الغرباء هو "الحائر" و"ذهبان" وغيرهما، والحمد لله.

وهذه النصيحة لا تعني بحال أنني لا أطيعكم في طاعة الله، بل يجب علي شرعا أن أطيعكم في طاعة الله وأعصيكم في معصيته، ولا أريد منكم جزاء ولا شكورا، ولا أريد أن تذكروني مطلقا لا بألسنتكم ولا في أي وسيلة

إعلامية لكم، وأنا لا أريد أن تتبعوا ما في قولي من الخطأ، بل أنصحكم باتباع الكتاب والسنة وسلوك سبيل الإصلاح ما استطعتم، والسير على منهج السلف الصالح وتحكيم الشرع في كل صغيرة وكبيرة، وما خالفتُ فيه الكتاب والسنة فاضربوا به عرض الحائط.

وأقول لكم إنه قد مضى الجيل الذي كان العلماء فيه لا يتكلمون إلا في شرب الدخان وإعفاء اللحى والأكل بالملعقة، أو بعض الشكليات المتعلقة بالإيمان الظاهر فقط، وجاء جيل يتقن اللغات الأجنبية، ويعرف النظريات الوضعية، ويتخصص في علوم كثيرة كانت من قبل حكرا على أعداء الله، بل ربما حصل بعضهم على أعلى الشهادات من تلك البلدان حائزا المراكز العليا فيها ومتفوقا على أهلها، وهو مع ذاك محافظ على دينه مستمسك به، ويستعلي على الحضارة الغربية عن علم ومعرفة بها، وعن معايشة لواقع مجتمعاتها.

ولكن الليبراليين وأشياعهم لا يزالون متخلفين، ونحن ولله الحمد لسنا أمة متسّولة في سوق الأفكار العالمية، بل لنا تاريخ وتجارب ليست لأي أمة على الأرض، وهي كافية لو تأملناها عن أي استنساخ لفكر غيرنا.

وأرجو ألا تخدعكم مرونة هذا الشعب فتحسبوا أن السكوت رضا، فهو غالبا عن صبر واضطرار، والناس يخشون ما يسمونه القبضة الحديدية، وإن كان قول الحق لا يقرب أجلا ولا يؤخره.

وأنتم حالة استثنائية، فلستم من قريش التي ثبت النص في كون الملك لها، أي بالأحقية والاختيار، ولستم من حِميَر التي يؤول الملك إليها إذا فسد الزمان، وأصبح الحكم بالغلبة والاضطرار، وقد أثبتت الأحداث ضرورة تعديل السياسة السعودية الحالية، وكل ما أعطيتم من المال ذهب هباء حتى الآن، بل ربما كان ضدكم، والناس إنما يصبرون ويستعذبون كل بلاء لأجل الدين والعقيدة فقط.

فالمليارات التي قبضها السيسي لم تجعله يتزحزح عن موقفه المؤيد لبشار، وعدم اشتراكه في التحالف العربي، بل أسوأ من ذلك أنه ثبت إمداده للحوثيين بالسلاح، وقل مثل ذلك عن الجيش اللبناني الذي يسيطر عليه حزب الله الرافضي، بينما أنتم تراهنون رهانا خاسرا على (تيار المستقبل)، وسياستكم في الخليج أيضا كذلك، فقد جعلت قطر والكويت وعمان ترتمي في حضن إيران، بل وأصبح أهم ميناء لإيران هو دبي، وكأنما أنتم تؤيدون سياسة إيران وتقدمون لها الهدايا، لا سيما في محاولة التطبيع مع إسرائيل، بينما شعارات إيران وأذرعتها هو (الموت لإسرائيل، النصر للإسلام) وذلك ما يجعل الملايين من المسلمين يصدقونها!

وكذلك داخليا -أنتم أحوج ما تكونون لمن ينصحكم- فقد قال بعض الوزراء عنكم (شلة بدو، ابتلاهم الله بحكم دولة)، وغير ذلك مما قد يأتي مبسوطا ضمن هذه النصيحة، وأعوذ بالله أن ينفجر صمت الشعب في وجهي ووجه هيئة كبار العلماء ووجوهكم.

قد يقال لكم إن الذي كتب هذه النصيحة "مطوع مهبول" وما أشبه ذلك، وهذا دأب كل من يرفض الحق ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ﴾ [الذاريات:٥٢].

وقد يقال إن العمل بالنصيحة يقتضي تغييرا جذريا للأمور، وهل تُغيّر مسيرة التاريخ إلا بذلك؟ ألستم أهلا لتغيير مسيرة التاريخ، وماذا ننتظر أنا وأنتم وقد علانا الشيب؟

وأنا لا أقول يجب أن نعتبر بمصير عاد وثمود فقط، بل بمصير من حكمنا قريبا وعاشرناه، وبنى قصر خزام وقصر الحمراء، وظل يحكم قائما وقاعدا وعلى جنب وناطقا وساكتا، ثم كان مصيرهم كما هو معلوم.

ولست أدعي العصمة من الخطاء بل أكرر لكم رقم الفاكس للاتصال (٠١٢٥٥٣٣٣٠٧).

والنصيحة بطبيعتها لا بد أن تشتمل على قسوة، ولكنها خير من النفاق والمدح الزائف والغش، وصديقك من صَدَقك لا من غشك. وإنما أقدم لكم هذه النصيحة لسببين:

أولهما: أنه واجب شرعي فرضه الله على المؤمنين.

والثاني: أن العودة إلى الصواب لا زالت ممكنة، ولا يزال باب التوبة مفتوحاً فالشمس لم تطلع من المغرب، وأنتم لم تغرغروا، والمجتمع فيه خير كثير، ولا يزال الإصلاح ممكناً والكل يتطلع إليه، والرجوع للحق خير من التمادي في الباطل.

ولا يغركم أن الشعب صابر، فاحمدوا الله على هذا الشعب واعدلوا معه.

واعلموا أن للصبر حدوداً وأن الصابر مهيأ للانفجار، وكم من صابر ساخط، وأن بعض مقربيكم المدعين حبكم، إنما ذلك لمصلحتهم المادية، ولو انقطع عنهم الراتب شهراً واحداً لظهرت لكم حقيقتهم.

واعلموا أن العلمانيين مهما اتفقوا معكم ظاهراً في بعض الأمور، يعملون لأهداف أخرى مثلما تحالفتم مع دولة الإمارات التي يقول (هادي) إنها قوة احتلال، وأنتم تعلمون أهدافها المخالفة لكم!

وأنتم أعطيتم الأستاذ محمد جلال كشك سبعة ملايين، وهي تعادل اليوم أكثر من ذلك، ليكتب عن مصدر شرعية النظام السعودي، وأتحتم له أن يسأل من شاء ويتصل بمن شاء، مع أنه حسب العرف الإعلامي الرسمي أجنبي، فخذوا هذه النصيحة المجانية من أحد أبناء وطنكم.

وأنا إيماناً مني بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩]، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة:٥١]، وقوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾

[البقرة:١٢٠]، وقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، وقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] قال الإمام أحمد: أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك. وقوله ﷺ: (الدين النصيحة ...) الحديث. وقوله: (إن الله يرضى لكم ثلاثا) الحديث. واتباعاً للسيرة النبوية وسيرة كل الأنبياء قبله ﷺ لما قال كل نبي لقومه: ﴿وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[الأعراف:٦٨]، و﴿يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾[هود:٥١]، أقدم لكم هذه النصيحة فاقبلوها ولا تكونوا كالذي ساقوا أمامه قطيعاً من الغنم ليختار فاختار كلبها، والكلب هنا هم المفسدون التغريبيون.

ولا كالذي أعطوه موزة ليأكلها، فأكل القشرة ورمى اللب وقال: "عبسها كبير".

وهذه النصيحة أكتبها لكم وأنتم على أعتاب التحوّل الاجتماعي الهائل، وإقامة الدولة السعودية الرابعة كما قال الاستاذ أحمد بن عثمان التويجري.

ولا خلاف أن التحوّل ضروري وأنه سنة الحياة، ولكن يجب أن يكون إلى الأفضل وليس إلى الأسوأ.

وكلنا نتفق الموافق منا والمخالف، الأسرة الحاكمة والمعارض لها، على أن السعودية اليوم تعيش تحولا وأنها على مفترق طرق، فلماذا لا يكون التحول باتجاه الإسلام ولا يكون الطريق هو الصراط المستقيم؟

وبذلك يغفر الله لنا ما سلف، وتكون عاقبتنا هي الخير في الدنيا والآخرة.

أليس الله تعالى يأمر نبيه الكريم ﷺ أن يقول لعابدي الأصنام (﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾[الأنفال:٣٨]، فكيف بمن لم يعبدها؟

أليس الأولى بنا جميعا أن ننتهي ولا تحل بنا سنة الله في عاد وثمود وقوم لوط وقوم فرعون وبني إسرائيل؟

وانظروا ما أعظم كرم الله علينا، وما أشد عداوتنا لأنفسنا.

وأنا أنصح نفسي وإخواني المسلمين جميعاً -وآل سعود خصوصاً- بالتوبة والاستغفار مما فرطنا في جنب الله، والتحلل من خلقه فيما هو من حقهم، فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها.

والسعودية على مفرق طريقين لا مناص لها من سلوك أحدهما، إما طريق الإسلام المستلزم نفي أن تكون السعودية دولة علمانية، وهذا ما ننصح به وأسبابه كثيرة جداً.

وإما أن تنضم لركب العلمانية وترضي أمريكا وإسرائيل والإمارات، أي إما فسطاط الإيمان وإما فسطاط النفاق، وإذا اختارت الفسطاط الثاني لا قدر الله وجعلت الإسلام ينسلخ من السياسة الداخلية كما هو منسلخ من السياسة الخارجية، فلنتوقع انتقام الله وغضب الشعب وردة فعله، وزيادة الإرهاب ضدها إذ لا مكان للعلمانية في بيئتنا المتدينة، وإذا تذرع العلمانيون بحرية الرأي، قلنا لهم حرية الرأي مكفولة إسلاميا، ويجب إقامة الإسلام الرباني، وليس لدينا حرية ردة، والإسلام يؤخذ من مصادره وليس من أخطاء فلان أو واقع علان، وليست حرية الرأي في الإسلام بدْعا، فهي معروفة متاحة منذ نزول القرآن واستمرت إلى عصرنا هذا، وكثير من فتاوى هيئة كبار العلماء السعودية غير إجماعية بل يكتب المخالف رأيه في الفتوى نفسها.

أما من بدل دينه فعقوبته القتل، ومن ذلك سبُّ الرسول الله ﷺ بأي شكل، ومن سبَّ الصحابة فعقوبته التعزير، وكل دول العالم تتيح الحرية في حدود قانونها ونحن قانوننا هو الشرع.

وأما الرخاء والتطور الاقتصادي، فهو فرض كفاية على المسلمين، ويجب علينا تنمية بلادنا ماديا، مع بقائها محافظة اجتماعياً ولا يتعارضان قط.

ولا يجدي رفع الإسلام شعاراً بلا تطبيق واقعي، كما لا تجدي الاحترازات اللفظية كقول في حدود عاداتنا وتقاليدنا، فقد أصر أحد الناس على أن يسأل في المسجد، وقام في المسجد، وقدّم لذلك بمقدمة أقسم فيها أنه لن يسأل الناس، لكنهم خرجوا كلهم! فعجب لذلك، لكن أحد معارفه أزال عجبه قائلاً كل الشحاذين يحلفون ثم في النهاية يسألون.

وأنا أقول إن السعودية تريد التخلص من الازدواجية المزمنة من الحياة في المنطقة الرمادية التي يصر بعض الناس على أنها بيضاء، بينما يصر غيرهم على أنها سوداء، والأحداث الواقعة والتي ستقع كفيلة بإيضاح اللون الذي تتجه إليه البلاد، ومن هنا وجب النصح.

وهذه الازدواجية ألمح إليها وزير الإعلام السابق محمد عبده يماني، حين قال: "كان الملك (يعني فيصل) يأمرني وأنا أعلم ما يدور في رأسه".

وقد قال عبد الرحمن الراشد "السعودية تسلّقت على الدين للوصول إلى الحكم".

وقال محمد أسد ما ملخصه "إن بن سعود أراد بتبني الإخوان تحويل الصراع مع ابن رشيد من نزاع عائلي على السلطة إلى خلاف عقائدي".

والواقع أن النخر المشاهد اليوم في الحكم، قد بدأ من قرون، لا سيما منذ أن بدأ الركون إلى الدنيا في عهد سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود، ولكنه يزداد مع الأيام.

وأنا أختلف مع الأستاذ محمد جلال كشك في ظنه أن سبب انكماش دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، أنها لم تفتح إحدى الحواضر العالمية مثل بغداد أو دمشق أو القاهرة، وأقول إن الدعوة لم تنكمش أصلا، بل فتحت بلاداً كثيرة، والفتح الفكري أعظم من الفتح العسكري، والصراع قائم ومستمر، وقد كان الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله يكافح، وفي الوقت نفسه كان الأمريكان يكافحون لا سيما (أرامكو).

وبعض الناس ينظر فقط للنقلة المعيشية، من مرحلة الكدّ والتناحر إلى مرحلة الترف والرفاهية، دون نظر لما جلبته الحضارة مع ذلك من المآسي والشرور، على أن الذي يفتح للأمل باباً وللنصح مجالاً، هو أننا ما زلنا قريبي العهد بالفطرة والأصالة، وأن الأجيال الحاضرة والمستقبلة ترضى بالدين وحده، خذ مثلا إنكار المنكر الذي وصلت به مواقع التواصل الاجتماعي إلى مستويات عالمية غير مسبوقة، مع السكوت المطلق لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأصبح من صنع بيده (فرنكشتاين) يخافه، فمن يكون الفتح على يديه؟ ومما يساعد على ذلك أن العلماء لا يزالون أحياء وأن العقلاء في الأمة كثير، وأن الناس لا يزالون ينكرون المنكر وهم الأكثرية الكاثرة.

والإسلام لا يرفض التحديث والتقدم الحضاري، لكن ليس من التحديث والأساليب العصرية والديمقراطية، أن تسير المملكة وفق هوى القلة الليبرالية الضئيلة، التي لو حسبناها مع دشيرها ومستأجريها لا تبلغ قط ١% من الشعب! والقضية ليست كما يظن البعض قضية هيئة للسياحة والترفيه، أو حفلة غنائية أو اهتمام بالآثار الجاهلية، أو تقليص لصلاحيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو مجرد تعديل في تعريف التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب، أو أن هذا لا يرضى به العلماء أو أهل الدين... الخ، بل القضية أكبر من ذلك، فهي صراع بين الدين واللادينية، وبكلمة أوضح صراع بين التوحيد والشرك بالمفهوم القرآني لكل منهما.

وأنا أقول: -إن الزحف العلماني يجب مقاومته بكل قوة، وإن على فسطاط الإيمان واجب ثقيل في هذا الخصوص.

- أنتم أسرة متدينة أصلا أي بحسب الاصطلاح الدارج (مطاوعة)، ويغشكم من يشير عليكم بغير ذلك، ومصدر شرعيتكم هو الدين وليس العلمانية ومن تديَّن مِن الأسرة أحبه الله وخلقه، فلا تضعوا أنفسكم في صف

أعداءِ الدين ويُمكنكم بالدين لا بحربه، إفهام من أخطأ منكم ومن غيركم فمثلاً:

١- الأمير خالد بن مساعد كان بالإمكان تفهيمه بغير قتله، لا سيما وأنه كان غيورا على الدين، ولا يصح أن يقال إن الذي قتله هو بن هلال مدير شرطة الرياض حينها فلا بن هلال ولا غيره يستطيع قتل أحد من آل سعود من عند نفسه.

٢- الأمير ممدوح بن عبد العزيز وقد كان شابا متدينا، إذا بلغه منكرٌ غيَّره، أو تبرجُ امرأة ضربها بالعقال، ثم إنكم أرسلتموه للخارج وأجريتم له عملية غسيل مخ، فتعلم التدخين ثم صار جاميا، ولا أدري ما حاله الآن.

ولهذا صدّق الناس ما يقال عن نهاية خالد بن لؤي، وسلطان الدين بن حميد، وفيصل الدويش.

- احذروا النفاق ولا تتبعوا الهوى والمصلحة السياسية، فالقرآن صريح كما في سورة (المنافقون) أن المنافقين يقولون بألسنتهم ما هو حق وكذا حديث هرقل في البخاري.

وكان عبد الله بن أبي بن سلول يقف على المنبر يوم الجمعة، مثنيا على الرسول ﷺ حاثا على الإيمان به كما سيأتي، لكن ذلك كله لم ينفع هرقل ولا ابن أبي فهرقل نصراني وابن أبي منافق.

ولا بد من تصديق الأقوال بالأعمال، أما أن يقول أحد قول أهل الإيمان بلسانه، ومع ذلك يتبع هواه ومصلحته في شرعية حكمه وبقاء كرسيه، فهذا نفاق وضعف في الإيمان ربما أخرجه من الملة نسأل الله العافية.

وهكذا فسر السلف قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ﴾[الجاثية:٢٣] الآية في (الفرقان) و(الجاثية).

قال الحسن: هو الذي لا يهوى شيئا إلا ركبه.

وقال قتادة: هو الذي كلما هوي شيئا ركبه، وكلما اشتهى شيئا أتاه، لا يحجزه عن ذلك ورع ولا تقوى.

واحذروا الوقوع في شرك الطاعة الذي حذر منه شيخ الإسلام في (الإيمان الكبير)، وبيَّن أن ضد الطاعة التولّي، مستدلاً بقول الله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور:٤٧]، والتولي قرين التكذيب، قال تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١،٣٢]، وقال ابن تيمية في شرح العمدة: حقيقة الدين هي الطاعة والانقياد، فالدين عند أهل السنة والجماعة قول وعمل، أي اعتقاد وانقياد تصديق وامتثال، وليس مجرد شعار أو دعوى.

وقال الشافعي رحمه الله لا يستدل على أهل الإرجاء بأقوى من قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البيِّنة:٥].

فالحنيفية والدين القيم هو معاداة المشركين والبراءة منهم كما في سورة الممتحنة، أما مجرد القول الظاهر فهو ما كان عبد الله بن أبي بن سلول يفعله كما سبق، وكما ذكر الحافظ ابن كثير عن ابن إسحاق صاحب السيرة عن الزهري عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون:٥]، ورواها عن الزهري البيهقي في دلائل النبوة، كما ذكر السيوطي في الدر المنثور.

ومن تحكيم الهوى -وربما تأليهه عند بعض الناس- الأخذ ببعض فتاوى العلماء دون بعض، والافادة منهم إذا اقتضت المصلحة على طريقة ﴿إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟﴾ [المائدة:٤١]، وهذه أمثلة من واقعكم لا ينكرها أحد:

١- لما أردتم عزل الملك سعود استعنتم بالعلماء.

٢- لما جاءت القوات الأمريكية الأجنبية إلى السعودية فعلتم كذلك، والعلماء إنما أصدروا الفتوى بعد قدومها.

٣- لما أردتم سجن من يخالفكم قلتم نحن نعمل بفتوى العلماء، الذين لم يذكروا السجن قط.

٤- اليوم ليس في هيئة البيعة أحد من هيئة كبار العلماء، والعلماء كلهم يفتون قديما وحديثا بأن الربا حرام، وأنه لا يصح قول "شهيد الواجب"، ويشترطون للابتعاث شروطا لا نرى منها شيئا.

- أنصحكم ألا تسموا الفساد إصلاحا كما قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة:١١،١٢]

ومن ذلك الهدم المستمر المتعلق بالنساء بالسماح لهن بدخول الملاعب الرياضية، الأمر الذي استغله بعضهم لصناعة عباءات مطرّزة، حسب ألوان الفريق المطلوب، والمفسدون في الإعلام يقولون هذا إصلاح اجتماعي وإنجاز للمرأة السعودية، وكأن الذي ينقص المرأة السعودية هو ذلك، على أن الأمريكان لم يرضهم ذلك وحده ولن يرضيهم، وإنما قالوا إنها خطوة في الاتجاه الصحيح، بينما صمتت هيئة كبار العلماء، وعندي أن صمتها خير من تأييدها لهذه الخطوة واستمراها القول بأن ولي الأمر أعلم بالمصلحة.

وإن الاتعاظ بما جرى للآخرين ليدفعنا دائما إلى التفكير السليم قبل اتخاذ أي خطوة، فماذا جنت مصر من سواح شرم الشيخ لكي تنشئ السعودية (نيوم)؟ وكيف يعطينا الله هذه الملايين التي تفد إلى بيته الحرام للعمرة والحج، إجابة لنداء أبينا إبراهيم، واستجابة من الله لدعوته، ونعزف عنها مهتمين بمشروعات خياليه ذات جذب سياحي كما يقال، أليس هذا من عمى البصيرة وسوء التخطيط، واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فلا تحيدوا عن ملة إبراهيم عليه السلام التي لا يرغب عنها إلا من سفه نفسه.

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الأصول الثلاثة: "اعلم أرشدك الله أن الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام"، وقال تعالى للمسلمين:

﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ﴾ [الممتحنة:٤].

وقال لنبيه ﷺ: ﴿ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل:١٢٣].

فمن يدع هذه الملة القويمة ويطيع الكافرين، أو من يُسمَّون المستثمرين، من أمريكا وأوروبا؟

هذا على افتراض أنه ليس لإسرائيل منفعة من المشروع، وهو افتراض خطأ قطعاً.

ونحن نُشهد الله تعالى ثم نشهد ملائكته وجنه وإنسه، أننا نبغض اليهود والنصارى والمجوس والمشركين عامة، وأننا لا نظلمهم، ولكن نرفض اتباعهم والتطبيع معهم، ونرفض هيمنتهم على بحارنا وثرواتنا، وأننا ندعوهم للحق فإن قبلوه فهم اخواننا وإن أبوا فليس بيننا وبينهم إلا السيف ويحكم الله بيننا وبينهم.

سيقول دعاة التغريب: المملكة في مرحلة تحول اجتماعي وثقافي فلا بد من التغيير، والتغيير عندهم هو ترك الدين ومتابعة الغرب في الدياثة والترفيه والألعاب وأمثال ذلك.

ونحن نقول إن التغيير حق وحتم، ولكنه لا يعني أبدا أن نقضي على ثوابتنا بأيدينا، وندمّر مجتمعنا بأنفسنا، ونحن أمة لها خصائص تختلف عن غيرها، وفخرها هو هذان الحرمان اللذان لا وجود لهما لا عند الغرب ولا عند الشرق، والعالم كله يحتاج للإسلام ولسنا الذين نحتاج لدين آخر أو ثقافة أخرى.

ونعتقد أنه للتحول الصحيح يجب البدء بالإصلاح دون تأخير، ومن ذلك إصلاح الوزراء، فبعضهم لا يصلي وبعضهم جهلة وبعضهم أصحاب كبائر، كمن يدخلون مجلس الوزراء سكارى. وبعضهم متأمرك الباطن

والظاهر، وأشد من ذلك جهله بالعقيدة وعدم اعتبارها أساساً للموالاة والمعاداة كما صرح وزير الخارجية أن الحوثيين إخوانه ويمكن التفاهم معهم!

كما يجب إصلاح كل السفراء والقناصل أجمعين وجعلهم كلهم دعاة.

ولا يكفي وضح ملحقية دينية في السفارة، بينما تكون السياسة الأخرى تابعة للهوى السياسي.

ويجب إعادة النظر في الموقف من إيران في ضوء أنها جارة كما قال الجبير، لكن دون أن يعني ذلك إقرار التشيع والشرك، ولا يجوز التسلل إليها من بوابة العراق أو جعلها العدو الوحيد مع السكوت عن اليهود، الذين قال الله تعالى إنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، وليت المسألة تقف عند حد السكوت ولكنه التطبيع.

وسواء كانت إيران صادقة في عدائها لإسرائيل أم كاذبة، يجب الإفادة من ذلك سياسياً لاسيما ونحن نرحب بمن يعرف حق إخواننا الفلسطينيين، ويقف مع المظلوم على الظالم من أحرار العالم، ولو كانوا يهودا أو نصارى أو ملاحدة.

فإن كانت صادقة فالواجب الشرعي أن نكون معها.

وإن كانت كاذبة فلنكن نحن صادقين في عداوة اليهود، ولنفد من قوتها الإعلامية والعسكرية والسياسية، ولنسخرها هي ودعايتها والمصدقين لها في الشرق والغرب من الدول والأحزاب والأفراد، وكل ذلك عندها لاسيما المخدوعون من أهل السنة، كما أننا نكتفي بذلك شرها ونحصر عداوتنا في فئة منها.

ولو أن حربا اشتعلت بين إيران من جهة وأمريكا وإسرائيل من جهة فمع من سيقف أكثر المسلمين، ومن الذي سوف تزداد شعبيته أهي إيران أم السعودية؟

ومع ذلك نرجو أن يتوب الجميع، وانظر لحال المجاهدين الفلسطينيين الذي أيدهم في موقفهم الذكي وزير الخارجية السعودي السابق الأمير سعود

الفيصل، فهم يقبلون من إيران مساعداتها المادية، ويقبلون من حزب الله عداوته لأمريكا وإسرائيل ولكنهم في الوقت نفسه لا يسمحون ببناء حسينيات أو مراكز شيعية ولا بتنظيم "الصابرين" الشيعي.

ومع أن عداوة الرافضة لا تخفى، فإنه يجب الحديث عمن هو أشد عداوة وهو أمريكا التي تريد تقسيم السعودية كما نشرت مجلة جيشها، وإسرائيل التي ينضح إعلامها ومناهجها بالهجوم على المسلمين ودينهم.

والفرق بين الرافضة وأهل الكتاب، مع كون الرافضة مبتدعة وأهل الكتاب كفار، هو أن مظهر الروافض خشن ومظهر (ترامب) و(نتنياهو) ناعم إذ هم مثل الحية السامة.

وأمريكا فوق عداوتها العسكرية وتقسيمها المرفوض، غزت السعودية بقوتها الناعمة أيضا ففي كل شارع ترى فروعا لبنوكها أو لمنتوجاتها أو لمطاعمها وأمثال ذلك.

والكارثة أنه بتماهي السعودية مع السياسة الأمريكية تصحح دعوى الرافضة أن الذي أسس (الوهابية) هو مستر (همفر) البريطاني، وبتأييدها لإسرائيل، تصحح شعار الحوثيين الموت لإسرائيل وتجعل الناس يصدقون كلام حسن نصر الله.

فالواقع أن أكبر من يقدم خدمة للمشروع الصفوي هو السعودية وإن كانت لا تشعر.

وما المانع شرعا وعقلا أن يكون للسعودية أكثر من عدو؟ أليس لأمريكا أعداء كثير منهم روسيا وإيران وكوريا الشمالية؟

ولماذا لا يكون الرد على إيران بإدخال مادة في النظام الأساسي للمملكة تنص على أن مذهب الدولة هو مذهب أهل السنة والجماعة، وبذلك يظهر للناس كافة أن الرافضة أقلية بين أهل السنة؟ وأن السعودية لا تكفر المسلمين!

وإيران ينص دستورها على الالتزام بالمذهب الاثني عشري، وتعلن إنشاء جيش التحرير الشيعي، كما أنها أنشأت فيلق مكة، وهذا الفيلق أنشأوه قبل الاعتداء على السفارة السعودية في طهران والقنصلية السعودية في مشهد، وإنشاؤه أعظم من ذلك الاعتداء، وكان جديراً بأهل السنة أن يقطعوا علاقاتهم بإيران بمجرد تكوين ذلك الفيلق.

ثم نقول أليس في إنشاء فيلق مكة تسوية للسعودية بإسرائيل؟

أم أن ذهاب مكة ووقوعها -لا قدر الله- في أيدي الروافض أهون مما جرى للسفارة والقنصلية؟

أليس تهجم الرافضة على الصحابة أعظم جرما وأكبر شرا؟

- لما سمعتُ وصف الإعلام التسريبات الوثائقية بأنها قليلة ظننت أنها عشرة أو حول ذلك، ولما أذيع في غير الإعلام السعودي، وبلغني أنها أكثر من نصف مليون وثيقة، فسّرت ما أذيع رسميا بأنه من التهوين الذي تعودنا عليه إعلاميا وثارت لدي أسئلة كثيرة:

١. لماذا لم تكشف الوثائق عما يفعله اليهود ضدنا؟ ولماذا لم تتحدث عن الخطط الإيرانية أيضا أم أن المسربين كانوا جواسيس أو رافضة؟

٢. أليست أجهزة وزارة الخارجية محمية من الاختراق، ويقوم بحمايتها شركات أجنبية تقبض مبالغ طائلة؟

٣. لو كان ذلك حدث في أمريكا ألم يكن الأمريكان يحققون فيه، ويعلنون التحقيقات للجمهور؟

٤. ما الاختلاف بين هذه الوثائق وبين السياسة العلنية؟

٥. ما يؤمننا أن تنشر وثائق أخرى؟

٦. المعروف عن جهاز الكمبيوتر أنه غبي، فكيف بلغ ذكاء الاختراق الإلكتروني درجة التفريق بين الوثائق؟

٧. هل هذا هو كل ما سُرِّب أم أن هناك وثائق سرية أخرى مسرّبة أو تسرب باستمرار في وزارات أخرى كالداخلية والدفاع والمالية بل ربما من الديوان الملكي؟

٨. كيف يمكننا تكذيب هذه التسريبات وفيها توقيعات المسؤولين وأسماء الأحزاب والطوائف والجمعيات والفنانين والشعراء والسفراء وغيرهم.

٩. إذا كانت هذه التسريبات غير إلكترونية فمن المسرب إذا؟

١٠. لماذا لا نعيد النظر فيما يسمى اللحمة الوطنية، ونعلم أن من أبناء الوطن عملاء لا يجوز أن يعملوا في أي جهاز فضلا عن وزارة الخارجية.

١١. إذا كان عدو اليوم هو صديق الأمس والعكس فكيف يطلع على الأسرار؟

١٢. أليست هذه التسريبات دليلاً على أن من أبناء هذه البلاد من هم خونة يقتلون رجال الأمن والقضاة المتعاونين مع السلطة، بل أي سني يدخل مناطقهم وأن دعوى اللحمة الوطنية غير مجدية، وأن هؤلاء هم الطائفيون الذين يجب أن يكونوا -كما نص شيخ الإسلام- (بين الحذر والعقوبة).

- كيف نقول إن كل شيء سيكون إلكترونيا ونسعى لإنشاء يسمى الحكومة الالكترونية (الأوامر والقوانين والوظائف والشهادات والوكالات) الخ أي بأعلى المستويات الكمالية، وعندنا مناطق تفتقر إلى أبسط الضروريات كالكهرباء مثلا.

وبعض المحافظات ليس بها مستشفى، وبعضها تنقطع عنه الاتصالات والانترنت.

وفي بعض المناطق يركب الناس الحمير أميالا كثيرة للوصول إلى أقرب مركز صحي للرعاية الصحية الأولية وقد تضع الحامل في الطريق!

وبعضها لا يزال الناس يعبرون على جسور خشبية يسمونها "الصراط"!

والخدمات هناك وفي تهامة إما معدومة وإما متعثرة وإما شحيحة، أعني السهل الساحلي كله ما بين جبال السروات والبحر والأحمر، وقد كان بعض

ما قبض (ترامب) وشركاته يكفي لإنقاذها، ومع إهمال تلك المناطق الشاسعة نلاحظ الاهتمام الشديد بما يسمى طريق الفيل!

والراجح -والعلم عند الله- أن طريق الفيل إنما هو طريق حجاج اليمن الذين كانوا يأتون من تهامة إلى مكة ولا يكلفهم ذلك إلا اجتياز عقبات يترلون منها إلى تهامة والنبي ﷺ جعل ميقات أهل اليمن (يلملم)، أما الطريق الموجود بعضه حاليا بمحافظة العقيق بمنطقة الباحة، فهو طريق القوافل التجارية حيث كان الناس يبيعون المحاصيل في مكة والطائف كما ذكر ابن جبير والله أعلم، ومن الصعب جدا أن يسلك أبرهة الطريق الجبلية الوعرة عبر السروات وقد ذكر وعورته الشعراء قديما وحديثا، ومن ذلك قول بديوي الوقداني:

وتضحك عليّه يا كرا شفتني تعبان ** ونا لو دريت أعطيت خط اليمانيه

والعجب لقوم يهتمون بالنقوش في الجبال، ويتركون الأهالي الذين لا يجدون ما يمرون عليه إلا تلك الجسور الخشبية التي يسمونها الصراط، ويمرون عليها وهم محملون بالحشائش والحطب، فأين المهملون من قول عمر بن الخطاب ﷺ "لو أن بغلة عثرت بالعراق لسألني الله عنها لِم لَمَ تمهد لها الطريق يا عمر"، والساقط من الصراط ميت لا محالة، بل إن أشلاءه تتناثر في أودية سحيقة ولا يفكر أقرب الناس له في دفنها، والناس مع ذلك ممنوعون من الجهاد، فلا دنيا لهم ولا آخرة وحالهم هو ما قاله أحمد مطر:

أدام الله والينا
رآنا أمة وسطا
فلا أبقى لنا دنيا
ولا أبقى لنا دينا

ومع كل هذه المآسي نريد منهم أن يصدّقوا أن المستقبل مشرق، والدخل متنوع، والخدمات ستكون كلها الكترونية!

- استقلوا في سياستكم الخارجية عن دولة الإمارات التي تقرب كل أهل البدع ما عدا من تسميهم الوهابية، والتي -كما تعلمون- نادت من قبل بضرورة التخلص من الأسرة السعودية والدعوة الوهابية، وتدعي أنكم تحتلون جزءاً من أرضها!

وقد أثبتت مقدرتكم الأخيرة على جمع أكثر من رئيس خمسين دولة لمقابلة (ترامب)، على أن في إمكانكم جمع العالم الإسلامي وتوحيد كلمته، وهذا ما تقتضي خطة أمريكا الحيلولة دونه مستخدمة دولة الإمارات.

كما أن انضمام الإمارات للتحالف العربي يهدف إلى تحقيق أهداف خاصة، منها انفصال وحدة اليمن، وبناء قواعد عسكرية لأمريكا باسم غيرها والإمارات -كما قال عبد ربه منصور هادي- قوة احتلال وليست مساندة للشرعية المزعومة، وهي ترفض طبعا وجود قاعدة تركية في قطر، لأنها سوف تزاحم القاعدة الأمريكية في (العديد)، والكافر عندها أولى من المسلم!

فالله منحكم أن تغترفوا "بالكريك"، فكيف ترضون أن تتركوه وتجروا طلباً للملعقة؟

- عليكم بلزوم الصراط المستقيم والفرح بخدمة الحرمين، والمسلمون يسألون الله في كل ركعة أن يهديهم الصراط المستقيم وهذا الصراط هو ملة إبراهيم عليه السلام، التي أمر الله باتباعها قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٣] [الأنعام: ١٦١-١٦٣] ، فليس لقيصر شيء كما يعتقد النصارى، ولا لأي شريك كما كان يعتقد الجاهليون، بل حقيقة التوحيد وحقيقة الإسلام، هي أن يكون كل شيء لله، وهذا في سورة التوحيد العظمى (الأنعام) وقد قال تعالى في سورة النمل: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ

كُلُّ شَيۡءٍۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ * وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [النمل: ٩١،٩٢]، ويجب كسب قلوب المسلمين باتباع الصراط المستقيم وخدمة بيته العتيق، فكل المسلمين في العالم يعظمون الكعبة المشرفة، التي رفع إبراهيم القواعد منها، ويعظمون مكة التي حرمها إبراهيم عليه السلام بأمر ربه، وخدمتها شرف لا فضل لأحد فيه، وقد كان الجاهليون يتسابقون لإطعام الحجاج لحم الكوم ولباب البر بشهد النحل، ولسقايتهم بماء زمزم مخلوطا بالزبيب، ثم أصبح الناس اليوم يأخذون من الحاج رسم التأشيرة وقيمة السكن والطعام والشراب!

وعموماً لا يجادل عاقل، في أن كسب قلوب المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، خيرٌ من إنفاق المليارات على المشروعات السياحية لتنويع مصادر الدخل، ومنها المشروع الكبير المسمى (مشروع البحر الأحمر)، ومشروع (قدّية) ومشروع (نيوم)، وينبغي قبل هذه المشروعات إعطاء كل مواطن سكناً، وتعميم المجاري في كل أحياء جدة، ومنع تلوث البحر الأحمر ونفوق أسماكه، وأمثال ذلك من الضروريات الحياتية، وتحويل المليارات التي سوف تكلفها المشروعات إلى المشاعر، حيث ينبغي إلغاء خيام منى وبناء أبراج مكانها، وتوظيف آلاف الشباب العاطلين في هذه المشروعات، وإعادة ما كان عليه الجاهليون ودرج عليه الخلفاء المسلمون من الرفادة والسقاية، وبدلا من امتصاص دماء الحجاج نفتح للجهات الحكومية وللمحسنين المجال لإكرامهم وإسكانهم، ونستغني بشباب هذه البلاد عن مرتزقة "بلاك ووتر" واستقدام الجيوش من مصر وباكستان.

أما إرادة غير وجه الله، فمن أعظم الذنوب التي يجب تحذيركم منها، ولذلك قصة شهيرة يذكرها الوعاظ، وهي أن أحد العباد سمع عن شجرة يقدسها الناس، فأخذ فأسه وذهب إليها ليقطعها فتصور له الشيطان في صورة رجل، ولكن العابد صرعه وعزم على قطع الشجرة. فقال له الشيطان: أعطيك كل يوم دينارا وتؤجل قطعها. فقال العابد لنفسه: وما لي

لا آخذ الدنانير ثم أقطعها فيما بعد، وأعطاه الشيطان الدنانير أياماً، ثم إنه لم يعطه إياها فجاء العابد ليقطع الشجرة لكن الشيطان تصور له في صورة رجل وصرعه. فعجب العابد وقال كيف يصرعني وقد صرعته؟ فقال له الشيطان: لما جئت أول مرة كان عملك لله فصرعتني، أما الآن فعملك مشوب بالدنيا فصرعتك!

وهذا يذكرني بقصة واقعية أخرى لبعض من كان يعمل في هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لأجل الراتب، وهي أنه مر بأناس جالسين يتحدثون وقد أقيمت الصلاة فلم يأمرهم، فقيل له: لماذا تسكت؟ قال: أنا في إجازة!

فأنصحكم ونفسي وكل مؤمن بالإخلاص لله وحده، وأنا لا أقول إنكم لا تبنون المساجد ولا توزعون المصاحف وتعطون المؤسسات الإسلامية، ولا تنشئون ملحقيات دينية في كل سفارة، ولا تدعمون بعض الجماعات الدعوية في العالم بالمال والغذاء، وأمثال ذلك مما لا ينكره إلا مكابر، وإنما أوصيكم بالإخلاص لله في ذلك كله وإرادة وجهه، وليس المصلحة السياسية وانتظار أقوال المخلوقين، فكل ما قبضه البدر وعلي عبد الله صالح والغرب ذهب هباء منثورا، وأصبحت كل الشعوب تكرهكم، وقد ذكر الحسن البصري قصة رجل تعبد وقرأ وسهر لغير الله فكرهه الناس، فقال لنفسه وما لي لا أجعل ذلك خالصا لله، فلما غيّر نيته أقبلت إليه وجوه الناس.

- والإسلام هو الأصل في الأمة وعقيدة أهل السنة والجماعة السلفية هي حقيقة الإسلام، وجعل الله لها القبول حتى في المغرب الأقصى! ومن المغاربة الذين دعوا للسلفية مكي الناصري ومحمد الكتاني، ثم إن الشيخ أحمد الريسوني أثنى على شيخ الإسلام ابن تيمية ودعوته، وأصدر ملك المغرب محمد الخامس ظهيرا بحظر كل الطرق الصوفية في المغرب، فالعالم كله يتجه

للدين لكن الليبراليين يريدوننا أن نسير عكس التيار، فأطيعوا الله ورسوله ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

وأهل الدين لا يتلونون، والثبات خير لكم من التلون.

انظر مثلا لحال من كان يدافع عنكم بحرارة من خلال صحيفة الوطن وفي قناة الجزيرة، وكان كثير اللوم لهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعمل في مكتب الأمير تركي الفيصل كيف انقلب وماذا يقول الآن؟

- ماذا قدم حبيب العادلي وزكي بدر لأهل مصر حتى تستشيرهم السعودية وتجعلهم في المراتب العليا وتعطيهم مرتبات لم يكونوا يحلمون بها؟ ومن كانوا يحاربون هناك؟ وكيف نأمن بذلك من انتقام المصريين ودعواتهم، لاسيما وآبار النفط وأنابيبه مكشوفة والمصالح السعودية في كل بلد في العالم تقريبا؟ وكيف لا تجرؤ أمريكا على اعتبار الإخوان جماعة إرهابية بينما تفعل ذلك السعودية؟ مع أن الإخوان ليسوا إلا جزءا من الجماعات الإسلامية الكثيرة في مصر وغيرها، وهذه الجماعات أشد بأسا وأجرأ على الموت.

وهل استطاع الجيش المصري السيطرة على سيناء مثلا لكي نجفو المجاهدين ونقرب هؤلاء؟

أليس هذا العمل مثل الشاة التي حفرت عن السكين بظلفها، أو اليمامة التي قالت للصياد عمّ تبحث؟

أوليس الخليج والمنطقة الشرقية بل الرياض أقرب إلى إيران منها إلى اليمن؟ فكيف نعادي إيران وعندها صواريخ بالستية بعيدة المدى؟ أم أن إسرائيل سوف تحمينا وهي التي لم تغن عنها قبتها الصاروخية شيئاً؟

ألم يقل الله تعالى عن اليهود: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٦٠]، وأخبرنا أنهم ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾

[الحشر:١٤]، وقال عنهم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢]، فمن كانت هذه صفاته كيف يرضى المسلمون أن يقاتلوا به الرافضة؟ علما بأنهم لن يقاتلوا مجانا، ولن يشبعوا مهما أخذوا، بل دأبهم هل من مزيد، ولو فرضنا أن إسرائيل هاجمت حزب الله في الضاحية، فكيف يأمن من يرضى بذلك أن تنفلت الحدود وينطلق الناس من جزيرة العرب لمهاجمة اليهود؟ وأن تقذف الطائرات السعودية الكنيست الإسرائيلي، وكيف يمكن الجمع بين هذا وبين قول الجبير إن إيران جارة مسلمة منذ ٥ آلاف سنة فضلا عن إخوانه وجيرانه الحوثيين، أما النخاولة فهم إخوانه في الوطن، واللحمة الوطنية تقتضي ألا تثار أي دعوة طائفية!؟ ومع كل هذا يرضى المراهقون السياسيون بصداقة السيسي صديق إسرائيل ويقربون وزراء في الدولة العميقة، وليس شرطا أن يتعمد هؤلاء أن يغشوا من يوليهم، ولكن سياسة (خلفان) هي ما عملوا له سنين وذلك مبلغهم من العلم فهل يرجى من الشوك العنب؟

- ليس الحل هو تدويل الحرمين كما تزعم بعض الدول والوسائل الإعلامية، وتريد ذلك إيران وأذرعتها وأصحاب البدع والدجل، ولكن يجب على السعودية قبول الخرائط المجانية الصالحة للتنفيذ، وكذا الشفافية في التعامل مع التبرعات الإسلامية مثل الأربعة مليارات دولار التي تبرع بها سلطان بروناي ولا ندري أين ذهبت! وقبول تبرعات المسلمين من أي بلد وذلك لا يمس السيادة بل يعمم المحبة والتآلف، ويقطع الطريق على المطالبين بالتدويل.

وإذا كانت عداوة إيران من المنطلق القومي فلماذا لا تُعادى إسرائيل ولو من المنطلق نفسه؟ أليس عرب فلسطين مثل عرب الأهواز؟

- اعلموا أن بعض من يعمل في الأجهزة الأمنية يكذب عليكم، وأنا أنقل إليكم هذه القصة الواقعية التي حصلت معي شخصيا:

مرة وأنا في سجن الحائر افتخر مدير عام التحقيق وكان برتبة لواء بأنه يحمي الأمن بينما المطاوعة يغطون في النوم. فقلت له: أي أمن؟ أنا أستطيع لو كنت غشاشا عياذا بالله أن أعمل عملكم بكل بساطة. قال كيف؟ قلت: أثناء توقفي عند إحدى الإشارات ألتفت وإذا رأيت سيارة شكلها (كذا) وفيها (كذا)، والسائق مطوع، ألقيت القبض عليه وأودعته في زنزانة انفرادية، ومنعت عنه كل وسيلة للاتصال بالعالم الخارجي، وكتبت لوزارة الداخلية مشروع بيان يذاع يوم الجمعة فيه: (بتوفيق من الله ثم بيقظة رجال الأمن، تم القبض على خلية نائمة تتبع تنظيم (كذا) الإرهابي، وقد اعترف أحد أعضاء الخلية بأن لها صلات بدولة أجنبية، وأن هدفها زعزعة الأمن في المملكة وعند تفتيش المذكور، وبحضور عمدة الحي ومندوب من الهيئة، ومندوب من (كذا)، وجدت اللجنة الأمنية ما يلي من المضبوطات:

عدد (كذا) من النقد فئة (كذا) وفئة (كذا)، وعدد (كذا) من الرشاشات، وكذا من القنابل والمسدسات.

وتكتبون للوزارة أن ذلك تم بعد التحريات الدقيقة والمتابعة اللصيقة، دون أن تشعر الخلية ولمدة (كذا) وتم القبض على الخلية بكل لباقة ومعاملة أفرادها بكل إنسانية، وتكتب الصحف عناوين ضخمة (العيون الساهرة تلقي القبض على خلية إرهابية نائمة)، وتقولون إن الخلية كانت تستخدم من استراحة (كذا) وكرا لاجتماعاتها، ثم تكتبون بطلب مكافأة مالية على هذا الإنجاز العظيم، وإذا أُعطيتم مكافأة أستأثر به المدير دون سائر الضباط والأفراد، اهـ، والقضايا في هذا كثيرة، وأنا لما تكرر ذلك ورأيته وعلمته، فإني بعد خروجي من السجن جاءني الضابط (ع. أ) أبو (ص) مدير شؤون المساجد الذي كذب مرارا، فقلت له: أنت كذاب ولا تتكلم أمامي بكلمة واحدة، وإذا كان عندك شيء أعطه الملازم الذي معك فأعطاه الأوراق. ومرة جاءتني لجنة من الشؤون الأمنية بمنطقة مكة المكرمة وقالوا نريد منك محضرا بأنك استلمت المكيفات والثلاجة والمكتب، فقلت لهم ولكن أين

الحاسوب وأين الأناجيل؟ قالوا في وزارة الإعلام، فقلت: لا، أنا أعرف القصة كاملة، أما الحاسوب فقد ذهب كل ما فيه لأن العسكري جذبه بقوة بأمر من اللواء الزقزوق، وبذلك طمسوا صناعة القنبلة الذرية مع المعلومات التي فيه وأما الأناجيل فهي في الشمس في حوش إدارة المباحث، والمؤسف أني اشتريت بعضها بمبلغ ٣٠ ألف ريال لأن فيه التصريح بنبي آخر الزمان، وكذلك كُتُب من أسلم من أهل الكتاب وهو ذو منصب كبير عندهم.

والمعروف في العالم كله أن الأجهزة الأمنية تجمع المعلومات، ثم تستصدر أمرا قضائيا بالتفتيش، أما هنا فالأجهزة الأمنية تداهم لكي تحصل على المعلومات.

وأنا أنصح آل سعود بأن تكون أسماء رجال المباحث صريحة بدلا من الاختفاء تحت كنى ساذجة أصبحت معلومة ومن السهل التحايل عليها، وأنا اضرب لكم مثالا واقعيا، كنت أنا بطله الموهوم، فقد لاحظتُ أن كل الضباط يتخفون تحت كنية (أبو محمد) فاستخدمت حيلة سهلة لاكتشاف حقيقة أسمائهم، فكنت أسأل أحدهم هل هذا هو الأخ (أبو محمد عبد الله الشهري)؟ فيقول لا، هذا (أبو محمد عبد الله المطيري)، وهكذا.

- المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين فكيف تلدغون أنتم مرات؟ وكيف تستبدلون المخلوع بابنه الذي جعله أبوه رئيسا للحرس الجمهوري؟ ويريد أحمد الآن أن يستخدمكم لرفع العقوبات الأمريكية عنه ثم ينقلب عليكم كما انقلب أبوه؟ وكما انقلب الحوثيون حسب قول اللواء أنور ماجد عشقي، وقد كانت معركة جبل دخان كافية لمن يعتبر، والأولى في نظري أن تصطلحوا مع شعبكم الذي هو مستعد أن يفتح حسابا يسميه حساب الحكومة، ويدفع لكم ضعف ما يسمى (حساب المواطن)، مقابل أن تردوا أسعار الوقود إلى ما كانت عليه، لا أعني قبل أعوام بل قبل عقود، وتحديدا سنة ١٤٠٤هـ الذي رفعتموه سنة ١٤١٧هـ وقلتم إن الزيادة مؤقتة، ثم ترفعونه الآن مع غيرها تزامنا مع بيع بعض أسهم شركة أرامكو.

- تعبيراً عن أزمة التغير الاجتماعي الهائل في السعودية، ناقش بعضهم لأول مرة قضية قفل المحلات وقت الصلاة، وتجرأ بعض الليبراليين على وضع هذا الموضوع الخطير موضع نقاش، واقترحوا عدم قفلها متذرعين بشبهة أن ذلك يكلف الدولة مادياً، وكأن الأمر وجهة نظر، وإزاء ذلك صمتت هيئة كبار العلماء أو منعها ولي الأمر أن تتكلم، كما سكتت هيئة الأمر بالمعروف عن هذا المقترح.

ولذلك وجب على من لديه علم أن يتكلم مستشهداً على ذلك بالأدلة الصحيحة، لا ردا على ما يقترحه الليبراليون فحسب، فالنقاش معهم إنما يكون فيما هو أهم، وهو أيهما المقدم الربح الدنيوي أم العمل للآخرة، وهل التسليم لله ورسوله حق؟ وهل يجوز التقديم بين يدي الله ورسوله؟ وهل للمؤمن الخيرة إذا قضى الله ورسوله أمرا، وهل المسألة رأي قابل للنقاش أم شرع يجب الالتزام به؟ ومن كان غير مؤمن بالثوابت فليقل بصراحة إنه ملحد وإنه ضد الدين وإنه شاذ عن الوطن!

وأول ما يجب قوله وتنبيه الحكام إليه، هو أن الهدف من كلامهم المغرض ليس التوفير المادي كما يزعمون، بل هو إسقاط الشرعية عن الحكومة، واستهداف بقية المؤسسات الدينية، وزحزحتها عن آخر معاقلها، فلننظر إلى الأدلة الشرعية:

١- يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ [الجمعة:٩]، وأجمع العلماء على تحريم البيع بعد الأذان الثاني يوم الجمعة.

٢- وصف الله المؤمنين صغاراً وكباراً بأنهم ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:٣٧]، فكيف يطالب هؤلاء أن يلهيهم البيع.

٣- قال جل شأنه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]، فالله تعالى يحكم

على من ألهاه ماله بالخسارة، فكيف نصدق أعداء الدين حين يقولون إن ذلك يكلف الأمة كذا؟

٤- يقول الله تعالى في صفة الدولة المسلمة: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [الحج:٤١] الآية، فكيف يسقطون هذا الواجب المهم الذي هو أساس عمل الدولة، ومن تركه فليس بوال شرعي وقد أوجب العلماء على الأمة -مع الإمكان- عزل أي وال يترك الدعوة للصلاة. فهل يريد هؤلاء أن تقتتل الأمة وتثور، وتفقد الحكومة شرعيتها؟

٥- لم يأذن النبي ﷺ في ترك إجابة النداء للأعمى كما في صحيح مسلم، وقد اعتذر بأنه أعمى ولا قائد له كما هو معلوم، فكيف يقول هؤلاء إن الإجابة على أصحاب المحلات غير واجبة.

٦- أراد النبي ﷺ إحراق بيوت المتخلفين عن حضور الجماعة، وقال: (ما هم بمسلمين)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة لا يتسع لها المقام هنا. وذهب بعض العلماء إلى وجوب الصلاة في المسجد، فكيف يذهب الإنسان إلى المسجد دون قفل متجره، وبعضهم جعل الجماعة شرطا لصحة الصلاة.

٧- أن عدم قفل المتاجر يفقد الأذان للصلاة حكمته، وهي التذكير بالصلاة والمسارعة بأدائها، وهو مقدمة لأن يطالب أعداء الدين بمنع الأذان في مكبرات الصوت.

٨- لا يشك مسلم بأن أمر قفل المحلات وقت الصلاة هو من التعاون على البر والتقوى، الذي قال الله فيه ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، وهو من التذكير الذي أمر الله به رسوله ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الأعلى:٩]، ووصفه به ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية:٢١]!! أما الشبهة الواهية التي يتذرع بها بعضهم بأن أوقات الصلوات متفاوتة، فقد قضت عليها وزارة الأوقاف قديما، حيث كتبت رئاسة الإفتاء آنذاك بتحديد وقت الأذان، والوقت بين الأذان والإقامة، وقد حددها الأوقاف فعلا، ولا يزال ذلك مكتوبا معلقا في

كثير من المساجد، فإذا كتب أحد عن المشكلة فلا يطالب بعدم قفل المحلات، بل يطالب بالالتزام بما هو محدد.

٩- ليس الأمر بذلك رأيا يقبل النقاش، بل هو أهم واجبات الدولة الإسلامية، إذ أهم واجباتها إقامة الدين الذي عموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ [الحج:٤١]، وكتب عمر إلى ولاته "إن أهم أموركم عندي الصلاة".

١٠- إن هذا هو ما تركوه للهيئة الآن، فإذا ألغوه ألغوا الهيئات.

١١- أن قفل المحلات لأداء الصلاة راحة من الإجهاد ومصدر للسعادة، وقد كان رسول الله ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وكان يقول (أرحنا بها يا بلال)، ويقول (جعلت قرة عيني الصلاة)، وأمثال ذلك.

وقد أثبتت الدراسات النفسية في عصرنا ضرورة الراحة، والإدارات عندنا تخصص وقتا للغداء، والدول التي تكون الأجازة فيها يومين وساعات العمل أقل، تفخر على غيرها، ومن هرمونات السعادة التي تجلبها الصلاة هرمون السيروثين، فالمطالبة بفتح المحلات جهل بالدين وبالعلم.

١٢- الفريضة الواحدة عند المؤمن خير من الدنيا وما فيها، فكيف يقول الجهال إن قفل المحلات يكلف كذا.

١٣- أن دأب السلف الصالح هو الاهتمام بالصلاة، وهي الربح الأكبر ولأجلها يتوقفون عن كل عمل، حتى أن أحدهم كان إذا سمع النداء وفأسه مرفوعة لم يترلها، بل يتوقف، ولما أرادوا قطع رِجل عروة ابن الزبير قال "إذا دخلت في الصلاة فافعلوا ما شئتم"، وقال سيد التابعين سعيد بن المسيب: "ما أذن المؤذن منذ أربعين سنة إلا وأنا في المسجد"، وأخبارهم في ذلك كثيرة جدا.

١٤- الصلاة من وصايا النبي ﷺ عند احتضاره، وبها أمر عمر ولاة الأقاليم كما تقدم، فلا يتقدم عليها حسابات مادية يتوهمها الجهال.

١٥- أن من يطالب بفتح المحلات التجارية اليوم سوف يطالبنا غدا بتنازل آخر، وهكذا يجرنا التنازل عن أمر الله ورسوله إلى سلسلة من التنازلات لا نهاية لها، فكيف نطيع المفسدين، وقد قال نبي الله صالح لثمود ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ [الشعراء:١٥٠-١٥٢]، وبذلك يكون حالنا، كما قال الشاعر:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

١٦- إن هذا مطلب من لا يصلون فمن الذي يطيعهم؟

وختاما أقول لهؤلاء الناعقين: احمدوا ربكم على الإسلام، فإن المتدين من اليهود والربيين والأحبار والحاخامات، يلزمون المحلات في إسرائيل أن تُقفل مساء الجمعة استعدادا للسبت!!

وبانحطاط منزلة البيت الحرام (مكة) والحرم انحطت قيمة الدين عند أصحاب الفكر التغريبي، حتى أن أحدهم ليذهب إلى الغرب ولا يأتي إلى مكة طول عمره، وعلى ذلك -مع الأسف الشديد- بعض الوزراء هداهم الله.

وقد أدركنا الناس يفرحون بطريق الجنوب لأنه يقربهم إلى مكة للعبادة، فأصبح بعضهم هداه الله يفرح به لأنه يقربهم إلى جدة للتجارة.

وليست خدمة الحرمين شعارا أو وسيلة للتصدي لمن يقول بتدويلهما، بل يجب تعظيمهما لأن تعظيم شعائر الله من تقوى القلوب، وكذا تعظيم حرماته لا سيما البيت العتيق، الذي يدهش كل من تأمل تاريخه وتجديده:

أ- المسجد الحرام أول بيت بني للعبادة في الأرض، ثم بني بعده بيت المقدس كما في البخاري عن أبي ذر، وحج إليه الأنبياء لا سيما أنبياء بني إسرائيل كموسى عليه السلام.

ب- جدد بناءه خليل الله إبراهيم -أبو من جاء بعده من الأنبياء- وابنه إسماعيل عليهما السلام ورفعا قواعده.

جـ- كل من عظمه وإن كان في الجاهلية رفع الله قدره في الدنيا أو في الآخرة، وكل من أراد به شرا قصمه الله وأهلكه

د- ذكر الله بعض خصائصه الشرعية والقدرية في كتابه المجيد وذكر ذلك النبي ﷺ، فوجوده في أرضنا شرف لنا وخدمته واجبة علينا، والحج والعمرة لا يحتاجان لدعاية، فقد جعل الله أفئدة من الناس تهوي إلى هذا البيت الحرام استجابة لدعاء إبراهيم عليه السلام، كما أن الحجاج والمعتمرين لم يأتوا لخدمات خاصة، وإنما جاءوا من بلادهم ابتغاء رضوان الله لا ليسكنوا فندق ٥ نجوم ويتسوقوا كما يظن مصاصو الدماء! كما أنهم لم يأتوا للسياحة والترفيه.

وقد جربت المملكة إعطاء تأشيرات للسياحة في إحدى السنوات، فلم يزد العدد على بضعة آلاف والمسلمون منهم يأتون للحج والعمرة هربا من القرعة، وربما لم يفعلوا غير ذلك، فاضطرت الحكومة إلى إلغاء التأشيرات، ولا شك أن السائح الغبي هو الذي يأتي ليشاهد الصنم "نسر" في قصر "المصمك"، ويترك أهرامات الجيزة.

فإذا أردنا التنمية الحقيقية فعلينا أن نتيح الفرصة أكبر لمن يأتي إلى مكة والمدينة، دون زيادة في التأشيرات والرسوم.

والحج والعمرة هما أعظم مورد لهذه البلاد وأدومه، وليس النفط الذي لا بد أن ينضب يوما، فيجب إلغاء كل سياحة إلى الآثار التي حرمها الله ورسوله، وإلغاء السياحة على الشواطئ، ويكفينا ما في شواطئ جدة من الفساد والرائحة الكريهة التي تأتي من المجاري أو من بحيرة المسك كما تسميها الأمانة! بل إن السواح الكفرة كما عبروا هم أكثر ما يجذبهم هو صفوف الصلاة على البحر في المغرب.

كما أن لهذا للبيت الحرام ميزاتٍ عظيمةً، نذكر طرفا منها مع بعض ما نقترح:

١- خلوده مع نفاد كل سبب مادي، وإذا انقطع الحج قامت الساعة.

٢- كل المسلمين يعرفون قيمته، وأن اهداء قطعة من كسوة الكعبة خير من كل ما بنت عاد وثمود، وماء زمزم خير من الذهب والفضة، وقد

احتار الفلاسفة قديما في ذلك، حتى أنهم زعموا أن للكعبة طلسمات جاذبة للقلوب.

٣- شرع الله استقبال الكعبة وحرم البدعة في الدين، فكيف يستدبرون الكعبة ويستقبلون المشرق أو مكتبة المولد، وبهذه القبلة ميزنا الله عن أهل الكتاب.

٤- من الدين إجلال مكة وتعظيمها، فإليها يتجه الناس في أعظم أركان الإسلام العملية (الصلاة)، وإليها يحجون الركن الخامس وفيها يمكن أداء كل أركان الإسلام

٥- جعل الله الكعبة قياما للناس، كما جعل المال قياما لهم، فلا تفريق بينهما، بل الكعبة أجل وأعظم وإذا كان المال عصب الحياة فإن الكعبة قلبها.

٦- جعل الله للحرم خصائص لا يشاركه فيها أي بلد، وكما حرم إبراهيم مكة حرم ابنه محمد صلوات الله وسلامه عليهما المدينة.

٧- أمر الله خليله إبراهيم وابنه إسماعيل بتطهير البيت، وهكذا هو.

٨- جعل الله بيته الحرام مباركا وتجبى إليه ثمرات كل شيء.

٩- جعل الله بيته الحرام آمنا فهو أأمن من سويسرا ومن نيويورك، وأستغفر الله من هذه المقارنة وإنما أجبرني عليها ضعف عقول العلمانيين، ومن يضيعون أموالهم في هاتين المنطقتين الكافرتين.

١٠- لا يقبل المسلمون أن يدّنس بيت الله ولا أي بيت، فكيف يرضون أن يُدَّنس ثاني مسجد لله في الأرض (المسجد الأقصى)، وأن يكون المدنسون أنجس الخلق؟

١١- أفضل أرض بعد مكة هي أرض الأنبياء الشام، وكل من أحب شيئا أحب قرينه.

١٢- أهل الحرم بنص القرآن منهم المؤمن والكافر، وقد كانوا كفارا في الجاهلية الأولى، ومنهم في الإسلام ملاحدة ومنافقون وعلمانيون وليبراليون، غير أن كل من عظمه جازاه الله على ذلك خير الجزاء، كما

عظمه تبّع فأبقى الله ذكره، وعظمته قريش فجعل الله النبوة والخلافة فيها، وسمى الجاهليون الحرب فيه (حرب الفجار).

١٣- من بركة البيت دوام الرزق لأهل مكة، حتى من كفر منهم، مع قلته أو عدمه في كثير من أنحاء العالم، وعند أهل مكة قصة مشهورة، وهو أن أحدهم قال لمن كان خارج مكة (مرت علينا سنة شديدة أكلنا فيها الذرة)، فقال الآخر (نحن مرت علينا سنة أكلنا فيها الثرى).

وقد دعا خليل الرحمن ربه أن يرزق أهله من الثمرات، وأخبر أنه يجبى إليه ثمرات كل شيء.

١٤- المتابعة بين الحج والعمرة وسيلة للنماء والرفاهية والتخلص من الفقر، أما اتباع توصيات (ماكيتري) وصندوق النقد الدولي ورؤيته فهي مجلبة للخسار.

١٥- جعل الله بيته هدى للعالمين، فليس الهدى فيما يقوله فلاسفة الغرب ومنظروه.

١٦- من تعظيم الله لرسوله الكريم ﷺ أن جعله حلا ببلده الحرام وأحل له القتال فيه ساعة من نهار.

١٧- جعل الله أفئدة من الناس تهوي إلى بيته المحرم، وعلى ذلك فطر الله القلوب مهما حاول الكفار صرفها، ولما أراد أحد المنصرين في اندونيسيا مكافأة تلاميذه على تحولهم للنصرانية بما يشتهون قالوا: نشتهي أداء العمرة!

١٨- وحّد الله قبلة المسلمين ومناسكهم ليعلموا أن وحدتهم حق وأنها من الدين، وهذا خير من الاتحاد الأوروبي أو الولايات المتحدة قطعا.

١٩- حتى الظواهر الكونية لبيت الله هي بخلاف ما عليه بلاد الغرب! فإذا غطى الجليد أوربا وأمريكا عادت جزيرة العرب مروجا وأنهارا

٢٠- حرم الله كل ما ينافي تعظيم البيت من التبرج والدياثة والمعازف وتشبه النساء بالرجال أو العكس والبدع، وكذا القنوات الماجنة والصحف

المسماة فنية، ومع الأسف الشديد تجد ذلك كله في جزيرة العرب عامة وفي الحرمين خاصة! نسأل الله أن يتوب علينا.

٢١- بوأ الله لإبراهيم عليه السلام مكان البيت ونهاه عن الشرك فكيف نقبل شرك الباطنية ودعاء غير الله فيه؟ وكيف نقر شرك الرافضة باسم الوحدة الوطنية؟

٢٢- حرم الله تنفير الصيد في الحرم فكيف ترويع المسلم؟ ومن هذا الترويع أن إمام أحد المساجد غاب فقدم الناس للصلاة أحد الوافدين، لكن أحد المصلين قال: (الإقامة) (أي إقامة الصلاة) فهرب المسكين.

٢٣- الأصل أنه لا يجوز حمل السلاح في الحرم كما قال عبد الله بن عمر للحجاج.

٢٤- كيف يكون من دخله كان آمنا والناس يخافون من التفتيش؟

٢٥- كيف يجعل الله الحرم مناخا لمن سبق وليس في مكة اليوم مناخ؟

٢٦- حول الله القبلة من أرض الأنبياء، إلى بيته المحرم لكيلا نستمد الهدى من غيره، أو نظن أن ما عند الكفرة أهدى مما في القرآن.

٢٧- ماء زمزم لما شرب له وهو طعام طعم وشفاء سقم، وكان مشاعا بين المسلمين، ولم يكن اللتر منه بريال إلا في هذا العصر الرديء، إن كان ما نشتري من زمزم وليس من الداودية. وممن أعجب بمذاقه (ونستون تشرشل) المعروف.

٢٨- تنظيم الحجاج والمعتمرين وضبط أعدادهم منوط بهيئة إسلامية عالمية من أهل السنة، لا يكون فيها رافضي ولا علماني وليس منوطا بالحكومات كما هو الحال اليوم.

٢٩- لم يجعل الله مكة هدى للمواطنين بل هدى للعالمين، وجعله للناس سواء العاكف فيه والباد، وقال عن المشركين ﴿وَمَا كَانُوٓاْ أَوۡلِيَآءَهُۥٓۚ إِنۡ أَوۡلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤]، فالبيت الحرام عالمي والإسلام هو الدين العالمي

الوحيد، وهو وحده السائر على ملة إبراهيم عليه السلام الحنيفية، التي من رغب عنها فقد سفه نفسه.

٣٠- لا تجوز خيانة الأمانة بأن تجعل سدانة البيت لغير آل الشيبي، فقد أمر الله نبيه الكريم ﷺ أن يدفع المفتاح لعثمان بن طلحة الشيبي.

٣١- لا يصح المن بإقامة مصنع لكسوة الكعبة، بل الله يمن علينا أن وفقنا لخدمة بيته ووفده.

٣٢- ذكرت كتب اليهود والنصارى أن الكعبة تتزين كالعروس، ويلحس الملوك ترابها وتساق إليها أغنام مدين، ويخدمها رجال سبأ، وقريب منها ماء الحياة، ويمتنع الناس عندها عما تخرجه الطبيعة، وعندها الطريق التي لا يسلكها نجس، وعندها تسكب العبرات ويحيط بها الناس كما يحيط السوار بالمعصم! أي أن قدسيتها معروفة حتى عند أهل الكتاب.

٣٤- ذكر كثير من العلماء أن الحدود لا تقام في الحرم وأن من وجب عليه حد أقيم خارج الحرم وأن العائذ بالبيت مؤمّن، وإذا وجب عليه عقوبة ألجئ للخروج من الحرم، فلا يجوز التنقيب فيه عن الهوية أو الإقامة، إذ له خصوصية يجب مراعاتها، ولا يصح تسمية المجاور متخلفا!

٣٥- مكة زادها الله شرفا لا تحتاج إلى دعاية، بل إن التزاحم فيها لشديد، وإنما تعقد المؤتمرات للحد من التزاحم، فيا لله كيف يعظمون مدائن صالح ونقوش رمسيس وأصنام قوم نوح؟ وكيف يبتهجون بقرارات اليونسكو ولا يبتهجون بكتاب الله تعالى؟ وكيف يشرفنا الله بالحرمين وخدمتهما، ونرضى بالتنقيب عن آثار مشركي عاد وثمود والفراعنة، أليس ذلك من استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير كما فعلت اليهود؟

٣٦- لا يجوز الصد عن بيت الله، والصد عن المسجد الحرام نوعان:

أ- صد الناس بمنعهم عن الحج والعمرة كما كان يفعل بعض المشركين قديما لا سيما أوقات الفتن والحروب.

ب- صد الناس عن الحج والعمرة بغلاء الأسعار والإخافة، وإيجاب الحصول على تصريح بالحج أو رخصة إقامة.

والمقصود أن خدمة الحرمين ليست شعاراً أو تسمية لها ببلاد الحرمين، بل هي حقيقة وعمل، ومن أعظم أعمال خدمة الحجاج السقاية والرفادة، فقد كان الجاهليون يفخرون بهما وأنهم يطعمون الحاج لباب البر بشهد النحل مجانا، وكان لذلك عادة بطون معروفة من قريش في الجاهلية، واستمر الحال على إطعامهم في الإسلام حتى جاء هذا العصر الرديء، حيث أصبح مصاصو الدماء يتبارون في نهب الحجاج بأي وسيلة، وأصبح موسم الحج فرصة لتأجير الأبراج والعمارات، وتسويق ما كسد من السلع، وأصبح الناس إذا أجَّروا لك يطلبون منك الخروج في الحج، وإذا قامت مؤسسة خيرية لإطعام الحاج قالوا غرضها دعم الإرهاب!!

ووصل بهم الحال إلى حد أنهم جعلوا أحد جسور المسجد الحرام معوجاً، تنفيذا لرغبة أحد الذوات الذي أجر عمارته لشؤون الحرمين آنذاك.

وقد تحدث الكرماني الذي اختصر تاريخ مكة للأزرقي عن الإطعام فقال: "ثم قام عليه الخلفاء وهلم جرا حتى الآن، وهو طعام المواسم الذي يطعمه الخلفاء اليوم في أيام الحج بمكة حتى تنقضي أيام الموسم" اهـ.

ثم جاء بعد الكرماني خلفاء بني عثمان وكانوا يعظمون الحرمين، بشهادة العالم الجليل عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، وبعض آل الشيخ الكرام.

وكانوا يفخرون بخدمتهم للحرمين وأول من سمى نفسه خادم الحرمين هو السلطان سليم الأول، بعد أن هزم الشاه اسماعيل الصفوي وهزم السلطان المملوكي قانصوه الغوري، ودخل مصر التي كان الحجاز تابعا لها آنذاك، فقام أحد الخطباء وقال له أنت من اليوم حاكم الحرمين الشريفين، فقال السلطان سليم: بل أنا خادم الحرمين الشريفين، ووضع على رأسه مكنسة علامة على الخدمة، وكان الخلفاء العثمانيون بعده يتلقبون بذلك ويأمرون

الناس بتعظيم الحرمين، بل إن بعضهم لينهى عن البدع والشركيات، وكانوا يعثون إلى الحرمين بالصرة الهميانوية، وعلى هذه الصرة كان يعيش أهل مكة والمدينة، وقد فصل الخبر عن الصرة وتاريخها الرحالة التركي أولياء جلبي.

ولم يُشغل العثمانيين جهادُهم في ثلاث قارات عن خدمة الحرمين، بل كانوا يبنون الأربطة والفنادق والمطاعم الخيرية في طريق الحج ويحثون الشعب على ذلك، وكان من حق الحاج أن يسكن في الفندق ثلاثة أيام مجانا، هذا إن لم يكن الفندق كله وقفا.

ونحن اليوم نطالب بإنشاء مطاعم وفنادق مجانية للحجاج.

وقد يستغرب بعض الناس كيف نطالب بأن تكون مكة والمدينة مفتوحة لكل مسلم دون تفتيش مع دعوانا للتنظيم الذي يقوم به أهل العلم وحدهم، فنقول:

أ- هذا قدر الله وشرعه ولا خيار لنا فيه، فقد قال تعالى عن المسجد الحرام ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ﴾ [الحج:٢٥]، قال الإمام البخاري: "الباد هو الطارئ"، وقال مجاهد: "أهل مكة وغيرهم فيه سواء"، وقال قتادة: "سواء فيه أهله وغير أهله".

ب- يقولون إن ذلك يؤدي إلى التوسع العمراني في المدينتين المقدستين!! أو لم يقع التوسع العمراني الهائل في الرياض وجدة والطائف والدمام بل في كل قرية بلا اعتراض من أحد بل يعدونه مفخرة ودليلا على التطور! وكيف يستغرب التوسع في قرية هي أم القرى؟

ج- أن في ذلك إرضاء للمسلمين وكسبا لقلوبهم، مع قطع الطريق على التقسيم الاعتباطي الذي وضعه (سايكس وبيكو)، قريبا ووضعه الأمريكان حديثا.

د- أن مصير النفط إلى النضوب، وقد بدأ عصر ما بعد النفط، والمصدر الذي لا ينضب هو الحج، فالحجاج والمعتمرون سوف يستأجرون منا البيوت

والسيارات وإذا لزم الأمر سوف يتصدقون علينا، وقد أخبرني والدي رحمه الله كيف كان يفرح إذا أعطاه الحجاج المصريون جنيها.

هـــ- أن المستقبل قطعا للإسلام، فلم لا نبدأ نحن من الآن ولم لا نصلح أنظمتنا وأحوالنا لتساير المد الصاعد؟ مع أن أحوالنا كلها يجب أن تصلح لتوافق الشرع، ومن أهم ما يجب المبادرة لإصلاحه أنظمة الجوازات وأنظمة الطوافة، وأمثال ذلك مما يعلمه الإخوة في شؤون الحرمين ومعهد أبحاث الحج وأمانة العاصمة أكثر مني، ومما أرى إصلاحه السكن في منى، فلنهدم كل الخيام فيها ولنجعل مكانها أبراجا عالية، بشرط إتاحة الفرصة لكل مسلم أن يسهم في بنائها، ولا نجعله حكرا على شركة واحدة مثل شركة بن لادن أو شركة نسمة، أو غيرهما، وقد قال عابد البقرة (حاكم الهند) لو كانت الكعبة في الهند لجعلت العالم كله هندوسيا!

وكيف نفرض اللغة الانجليزية لغة أمريكا على الحجاج ونكتب (بلجرام)، مع أن الناس إنما جاءوا للحج؟ وكلمة حاج معروفة في كل لغة إسلامية؟

الدين وتجربتنا المعجزة:

نحن لا نحتاج إلى الفكر الغربي ولدينا تجارب محلية أفاد منها غيرنا، ومن التنكر لآبائنا وتاريخنا ألا ندرس تجربتنا ونتأملها بعدل، ولنوطئ ذلك بالحديث المجمل عن حال العالم في النصف الأول من القرن الهجري الماضي:

كان الواقع العالمي في النصف الأول من القرن الهجري الماضي يدعو للأسى، فالمسلمون غالبا مستعمَرون، ويحتل الأوربيون ديارهم، والاشتراكية تغزو العالم، وتسيطر على نصفه تقريبا، ولم يسلم من الاستعمار العسكري، إلا هذه الجزيرة المباركة، ذات الخصائص الفريدة التي حماها الله، فلم تدنسها قدمُ كافر تعظيما لبيته، وفيها صحارى واسعة ومرتفعات شاهقة، وصانها بشدة الحرارة، التي لو أن أقوى الدول الاستعمارية آنذاك "بريطانيا العظمى" أرادت غزوها لذابت رؤوس جندها، بمجرد أن تطأ أقدامهم أرضها من شدة الحرارة، كما قال جون فيلبي ولورانس وديكسون، وآمنت به الملكة فيكتوريا، فاضطرت بريطانيا إلى الاكتفاء بحماية الحجاز وسلامة الحجاج الهنود وغيرهم من أهالي مستعمراتها، وسخر الله لحماية البلد الحرام وإطعام أهله الدولة العثمانية التي كان يرهب جهادها أهل الكتاب، ويحاولون إفسادها ونشر التغريب فيها، وقطع كل صلة لها بالإسلام.

أما قبائل الجزيرة العربية فكانت متشاحنة متناحرة، وليس في هذه الجزيرة سلطة مركزية، وكادت تعود للجاهلية الأولى، وخشي أهل الدين من اجتياح القومية والاشتراكية لهذه الأرض المباركة، وفي ذلك الظلام الدامس منَّ الله على هذه الجزيرة المباركة برجال ما كان لأحد أن يتوقعهم، وإنما أراد الله تعالى أن يخرجوا من رحم الصحراء المحرقة، وأن يكونوا على درجة كبيرة من البساطة، وأن يكونوا أميين، ولكنهم كانوا أقوى قوة في الأرض بفضل دينهم القويم، فكانت تجربتنا المعجزة التي حيّرت ألباب المؤرخين والفلاسفة، وأجهزة التجسس الغربية والرحالة الأجانب.

وفي ذلك الحين كانت أمريكا كالنرويج اليوم لا يخشى منها أحد. ولم يكن الصهاينة قد توغلوا فيها إلى الدرجة التي هم عليها اليوم.

ثم إن الله ابتلانا بالنفط وهو يبتلي بالشر والخير فتنة، وبعد هذا البلاء تحولنا فجأة من مرحلة الرعي أو الحرث إلى مرحلة الصناعة الثقيلة، وقفزنا من الجمل إلى الطائرة، ومن الأمية إلى كثرة المدارس والجامعات، فهل شكرنا النعمة أم أننا أحدثنا هذا التغيير الاجتماعي الهائل وانتقلنا من المحافظة إلى التبعية، ومن الموت حمايةً للعرض إلى الدياثة، ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى السياحة، ومن الجهاد إلى الوهْن؟

أترك الإجابة للقارئ الكريم.

أما بريطانيا فإنها لكي تتقي لفح الثورة الماركسية، وفي الوقت نفسه تحابي الرأسماليين واللوردات، ولتسلم من انتقاد الكنيسة الإنجيلية، توسطت بين الشيوعية والرأسمالية فأعطت العمال كثيرا من الحقوق، وجاءت باشتراكية سُميت (الفابية) نسبة إلى القائد الروماني "فابيوس" الذي سلك في منازلة أعدائه الأسلوب المتدرج.

وعلى هذه الأفكار الفابية قام حزب العمال البريطاني سالكا سبيل الديمقراطية لنشر عقيدته!

أما نحن البدو البسطاء فقد كان لنا موقف مغاير يختلف عن كل ما سبق، وكانت لنا تجربة خاصة يريد البعض اليوم أن نتخلى عنها!

وهذه الأمة لا تنفذ معجزاتها، فقد حدث في قلب الجزيرة وبدون ثورة أو ضجة معجزة خارقة لا نظير لها، وكانت تجربة دعوية لنا، تتلخص في كلمة واحدة (الدين)!

وإن من أعظم الدلائل على أن الدين هو الذي به وحده تنقاد به قلوب الجبارين، وتغمد سيوف الفاتكين، أن المجتمع المدني الذي توطن في وسط جزيرة العرب ثم امتد في أرجائها في النصف الأول من القرن الهجري الماضي، اعتمد على قوة الدفع الإيماني التي اطلقتها مواعظ أكثر زعماء

الدعوة الإسلامية في ذلك الحين تأثيرا، على أنه من أقل المصلحين ذكراً واشتهارا، وهو الشيخ الزاهد عبد الكريم الدرويش -رحمه الله- ذلك الحاج الأفغاني، الذي هاجر لله وجاء إلى قبائل نجد حين كادت الجاهلية أن تخيّم عليها من جديد، بسبب الفرقة الناشئة عن اجتياح الجيوش المصرية لها، إلا أن آثار المد الإيماني لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله لا تزال حاضرة، فحقق الله على يد هذا المهاجر من الكرامات ما هو متواتر متوارث عند العامة والخاصة، ومنها خوارق ذات دلالات عميقة كخوارق ((جز الشوارب))!! شوارب عمالقة الرجال وزعماء القبائل الذين لا تستطيع أكبر قوة مركزية أن تسيطر عليهم، لكنهم يأتون مختارين طائعين ويسلمون للشيخ المقصَّ والشارب رمزا للطاعة لله والانقياد للدين، ويتبع ذلك أن تدين القبيلة كلها وتلين القلوب القاسية، حتى يصبح الفاتك الخطير صواما قواما، يبكي لسماع الموعظة ويوصي نفسه وقومه بالصبر والمرحمة، ويخرج بنفسه وفرسه وماله في سبيل الله، وهكذا خضع شيوخ العشائر الكبيرة لذلك الشيخ الذي يسمونه خضيرياً!! (وما هو بخضيري بل هو من بني خالد)، ويسمونه المغربي وما هو من المغرب، ولكن البعض آنذاك كان يسمي من جاء من الحجاز المغربي، ومن جاء من نجد الشرقي، أما الشيخ نفسه وإرادته وجه الله والدار الآخرة فحدث ولا حرج، وذلك معجزة لهذه البلاد ولكل متدين، والمهم أنه بفضل الله اختفت النعرة التي كان شعارها قول شيخ قحطان (بالعامية).

لي لابة زوعتها من تهامه وسلاحهم صنع الفرنجي والأروام
لا بد من يوم يثور قتامه إما على المطران وإلا على يام

لكي تصبح قبائل حرب ومطير وعتيبة وقحطان وتميم ويام وغيرها عناصر عضوية، مبثوثة في التجمعات الحضرية التي لم يشهد تاريخ الجزيرة لها نظيرا منذ صدر الإسلام، وأصبح الانتساب لهذه القبائل لمجرد التعارف الذي ذكر الله، وانتظم الجميع عقد (الأخوة في الله) سواء في العبادة أو الجهاد أو

التكافل أو الأمن، ومن هنا سميت هذه التجمعات "الهجر"، وقد ابتدأها أحد شيوخ حرب ((سعد بن مثيب سنة ١٣١٠ تقريبا)) وكان الشيخ الدرويش يعيش فيها على الحال الذي وصفه أبو العتاهية:

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زي مسكين

يشاطرهم الكسرة والتمرة، لكنه يأمر فيطاع ويقول فيسمع له، بلا جيش ولا رتب ولا ألقاب ولا مراتب كالتي تكالب عليها الناس من بعد إلا من رحم الله، وتتلمذ عليه مجموعة من الدعاة لم تسطر أسماؤهم في دواوين السياسة، ولا في تراجم العلماء، ولكن أثرهم المحمود في الأرض شاهد على مقامهم الموعود عند الله.

وحين دمرت جيوش الباشا الدرعية، وقضت على الدولة في نجد هبّ أهل اليمن وسعوا لتجديد الكيان، وإعادة بنائه برغم الفوضى والإحباط، ومهد ذلك لقيام الكيان الذي ننعم جميعا بالعيش فيه ونحرص على أن يظل قائما على التوحيد والسنة، واستجابوا للدعوة الجديدة كما استجابوا من قبل لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل لدعوة النبي ﷺ.

وهكذا حدثت معجزة ربما كانت أكبر معجزات القرن، وهي أن تصبح "نجد" قبسا من نور الدعوة المحمدية، في قرن هو أكثر قرون التاريخ إلحادا وجاهلية حتى ذلك الحين، وكادت تلك المعجزة أن تعيد سيرة الإسلام الأولى، لما فتح الصحابة العالم المتحضر آنذاك، الأمر الذي خافت منه الدول الاستعمارية.

وكان زعماء القبائل من الإخوان ومشايخ الدعوة، يعيشون مع عامة الناس سواسية في السراء والضراء في السلم والحرب، بل إنهم هم الذين يصلون نيران الحرب، ويتحملون العبء الأكبر من نفقات الحرب والسلم، وهم دائما في الصدارة، ولم يمدوا يدا إلى عدو متوكلين على الله وحده يدعونه فيجيبهم، ويستسقونه فيغيثهم ويستنصرونه فينصرهم.

أما قبائل اليمن -ونعني بها هنا ما بين الطائف إلى عدن- فهم في كل مراحل التاريخ لم تفارقهم رقة القلوب ولين الأفئدة، وسرعة الاستجابة لله وللرسول، فقد دخلوا في الإسلام أول مرة استجابة لكتاب رسول الله ﷺ، ولما تنبأ الأسود العنسي قتلوه، ولما جاءهم كتب أئمة الدعوة ما كان أسرع من ردهم، بأن هذا التجديد السلفي هو العقيدة الصافية نفسها، والدين القويم الذي عليه الفقهاء، وهكذا كانت دولة آل عائض الأموية سنية سلفية شورية، غير متأثرة بما يحيط بها من زيدية في صنعاء وباطنية في نجران وصوفية في تهامة وخليط كثير في مكة والحجاز.

وفي التجديد الثاني الذي أسسه الشيخ عبد الكريم الدرويش في شكل "الهجر"، كانت المهمة في الحي اليماني كما سماه ابن مشرّف أسهل كثيرا في القرى الظاهرة، والتجمعات الحضرية في سلسلة جبال السروات وما حاذاها من عالية نجد وتهامة، التي كانت هِجَرا قائمة بذاتها لا تحتاج إلى أكثر من المواعظ والدروس المبسطة في الأصول الثلاثة والقواعد الأربع ونحوها، وإليها ينتسب كبار قادة الدعوة مثل فيصل الدويش وسلطان بن بجاد، حتى أن غلاة الإخوان دهشوا عندما دخلوا تلك القبائل فلم يجدوا قبة ولا ضريحا يطاف به ولا شجرة معبودة من دون الله، وإنما وجدوا جهلا وخرافات كثيرة وأدواء تحتاج إلى أطباء القلوب لعلاجها، والمقصود أنه بالانقياد للدين لم تجد هذه القبائل غضاضة في السمع والطاعة للولاة المنصَّبين، وهي التي استعصت على الترك وهزمت المصريين!! ونفرت من الإيطاليين والبريطانيين باعتبارهم نصارى.

لقد حاربهم أشراف مكة طويلا فما استطاعوا إخضاعهم، فلما جاء خالد بن لؤي بصفته داعية من الإخوان، لا زعيما من الأشراف سلَّموا له، لأنه هو نفسه كان قد سلم (لابن سعود) تدينا، وتناسى النسب الشريف رغبة فيما عند الله، بل هزم جيش الأشراف في (تربة) هزيمة شنعاء.

وكذلك فعلت القبائل ذات المجد والحسب منذ الجاهلية الأولى مثل قريش وثقيف وبجيلة والأزد ودوس، التي لم تكن تعترف لأحد عليها بفضل، ولكن الإيمان أذهب الحمية وأذاب العبية. وأصبح العبد من خدم الوالي يطوف ببغلته لتبليغ زعماء تلك القبائل الحصينة الأوامر، ولأخذ الجبايات وجمع الضرائب، وإعداد المقاتلين، وقبض الزكاة، وخرص الثمار، ونحو ذلك، فلا يجد إلا القبول والطاعة، من أناس كانوا طوال عصور التاريخ في منعة من جبالهم واكتفاء في معيشتهم، لم يخضعوا لأي سلطة مركزية بعيدة، وإنما هم كما كتب الرحالة المسلمون مثل ابن جبير، أو الكفار مثل موريس لامازيه، يخضعون لشيخ القبيلة، وكل الرسائل التي جاءتهم صريحة في أنها كتب إمام دعوة لا طالب مُلك، وأن غاية المطلوب منهم هو الدخول في الدين لا في طاعة مخلوق، وأن كل ما كفلته الشريعة الغراء من الحقوق مصون محفوظ!!

وصدَّقوا بذلك معتمدين على ما رأوا من سلوك قادة الجهاد وشيوخ الدعوة لا سيما زهدهم وإيثارهم الآخرة على الأولى.

على الدين إذن تلاقت القلوب وتراصت الصفوف واتفقت الألسنة، لا على القوة ولا على المال ولا على النسب، فلم يكن في ذلك الوقت للسلطة الناشئة شيء من هذه الأمور، إذ كان قوام جيشها هو الإخوان أنفسهم، وقلة المال حينئذ لا تحتاج إلى استدلال، أما النسب فلو كان له شيء لكان لبني هاشم في مكة وبني أمية في أبها!! ولم يكن في تلك القبائل نصراني ولا رافضي ولا حداثي ولا ليبرالي قط ولم يكن فيهم وهم حماة العرض والشرف من يدعو إلى ما يسمى تحرير المرأة وتبرجها أمام الأجانب، وكان الواحد منهم إذا اعتزى وأراد تحميس نفسه قال: (أخو فلانة)، ولم يكن فيهم من يعظِّم ما يسمى الآثار والنقوش، أو يبني مدنا للترفيه فضلا عن حفظ الأصنام في المتاحف، بل كان التوحيد رايتهم وشعارهم، والشريعة مرجعهم في كل شيء وإذا قيل هذا حكم الشرع اذعنوا له جميعا.

فهذا الذي جمع حولهم القلوب وجعل لهم من الهيبة والإجلال ما شهد به القاصي والداني، وارتد جواسيس الاستعمار صاغرين، ولو أنهم جمعوا الكنوز، وشيدوا القصور، واتبعوا الشهوات، وحرصوا على الترقي في المناصب، لما عجز كلوب باشا (حسب اعترافاته) عن إدخال جاسوس واحد بينهم طوال نصف قرن، والاستئثار بالدنيا مورِّث للحقد لا جامع للصف، ومن باب الحقد يدخل كل من أراد تفريق الأمة وإذهاب ريحها، ودهش أعداء الدين من صلاتهم حتى أن المعتمد البريطاني في الخليج "ديكسون" -وكان من الطائفة البيوريتانية النصرانية- قال لما زار الأرطاوية قولته الشهيرة ((إن هذه هي الأمة التي تعبد الله حقا))، أي ليس البيوريتان ولا بقية البروتسانت ولا الكاثوليك في أوروبا، الذين إن عبدوا الله ذهبوا إلى الكنيسة يوم الأحد، أو تعبدوا الله بالبدع التي لم تُشرع.

وكل من زار الهجر أو المعسكرات من جواسيس الدول المتشدقة بالديمقراطية أو الاشتراكية، لم يسعه إلا أن يعترف بأن هذا النوع من المساواة ليس له نظير، فلا ألقاب ولا رتب ولا أوسمة ولا حرس، بل الخيمة تشبه الخيمة واللباس يشبه اللباس والناقة تشبه الناقة، والفرس تشبه الفرس، والبندقية تشبه البندقية!! والمال والزاد بينهم بالسوية، كما كان الأشعريون زمن النبي ﷺ.

وحاول الشيوعيون أن ينسبوا ذلك لحركتهم دون جدوى، فقد كان الإخوان في تلك القبائل غالبا أميين لا يقرؤون شيئا لا عن الشيوعية ولا عن غيرها، وكيف ينقلون عنها وهي ملحدة لا تؤمن بوجود الله أصلا، ولم يكونوا يعرفون التوجيهات التي تأتي من بعيد، بل كان زعماؤمهم في المقدمة يصلون نار الحروب لنشر التوحيد وطلب الشهادة، وكان الجميع يتحرقون لتخليص العراق من الرافضة، وفلسطين من العصابات الإرهابية اليهودية، ولم يستعينوا بمشرك قط، بل يأخذون على عبد الله بن فيصل آل سعود أنه استعان بإسماعلية نجران على أخيه سعود، وفيما كانت هذه أعمال الجناح

العسكري وأهدافه، كان الجناح الدعوي يعمل جاهدا في هذه القبائل ممثلا في المرشدين (المطاوعة) الذين يحتسبون عند الله تعليم الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

ولم تكن المزارع الاشتراكية (خلوكوز أو كيبوتز) هي الوحيدة التي أخفقت في تكوين مجتمع عقدي يعيش على المساواة، بل أخفق قبلها مشروعات رأسمالية لتوطين البدو، أبرزها المشروع البريطاني لتوطين بادية العراق، الذي قام على أسس علمية مدروسة، وخبرة حديثة ومساواة في توزيع الأراضي، وتقنية متقدمة في الري، ولكنه مُني بالإخفاق لأن الغاية منه كانت إعداد فلاحين يعبدون الأرض لا رب السماء والأرض، وخلا من الأساس الذي هو دين الله!

لقد حقق دعاة التوحيد هذه المعجزة في الزمن الذي اجتاحت فيه الاشتراكية نصف الكرة الأرضية تقريبا، سافكة دماء ٨٠ مليونا من البشر، وفق إحصاءات إعادة البناء (البرستوريكا) ورافعة يديها في النهاية استستلاما للرأسمالية اليهودية !

ومن حيث أخفق الانجليز في أخذهم بالشكل دون المضمون نجح حكام واشنطن ومديرو سجون نيويورك ولندن في الأخذ بالمضمون، حين فتحوا الأبواب للدعاة المسلمين لكي يصنعوا من العجائب الحية ما يفوق المعجزات التي يدعيها "بيلي جراهام" و"جيمي سواجارات" لقدماء قديسيهم!!

فعلى أيدي هؤلاء الدعاة تحولت طائفة من السفاحين العالميين وعتاة المجرمين، إلى أناس أسوياء صالحين، كأنما خلقوا خلقا آخر فأعيد ترتيب جيناهم من جديد، الأمر الذي أذهل المراقبين الاجتماعيين والنفسيين في السجون وغيرها، ولا عجب فهو الإيمان في كل زمان ومكان!! وأنا سمعت بنفسي اعترافات عمدة واشنطن بأعمالهم.

ومن هنا يصبح من الانتكاس والبوار أن يراد لأحفاد الهجر اليوم، أن يلتقوا مع أحفاد الخلوكوز في الإيمان بالدين الجديد "العولمة واقتصاد السوق"!!

وهذا هو أخشى ما يخشاه الناصحون، دون أن يظن ظان أن الحل هو العودة إلى حرفية التجربة وشكلها، بل إلى المضمون الإيماني الذي قامت عليه الهجرة ومن ثمّ الكيان كله، وهو التقوى والعدل والمساواة قدر المستطاع وفي حدود الإمكان، ونحن نطالب وبأقصى حد من الحياد والموضوعية، بأن ندرس التجربة ونستخلص منها العبرة بما لها وما عليها، كما أن من الانتكاس أن نظن أن سقوط الشيوعية دليل على أن الباقي هو عدوها (الرأسمالية)، فهو الآخر مخفق ومنهار، فانهيار كسرى لا يعني بقاء هرقل، وإنما العبرة من ذلك هو أنه لا بقاء إلا للدين ولا دين إلا الإسلام.

لقد اضطررت للاختصار مع أن من حق هذه الصفحة المشرقة من تاريخ الدعوة أن نفيض فيها، لا سيما وهناك من يحاول طمسها أو يحرص على تجاهلها والتجهيل بها، غير أننا هنا لا نريد إلا أخذ العبرة لواقعنا لا سيما ونحن الآن نكاد ننتكس إلى ما يشبه ذلك الوضع إلا أن يحفظنا الله بالتوبة والإنابة.

ولو أننا أطعنا هذه الشرذمة التغريبية، لاتبعنا الغرب في انتكاساته الفكرية وتخلينا عن تجربتنا الثرية وتاريخها العجيب.

إنها تجربتنا وعليها قام كياننا، وما حاضرنا إلا امتداد لها، ولا يجوز أبدا أن نفقد ذاكرتنا، وكثير من البلاد في أشد الحاجة إلى اقتباسها، وإن الذين يريدون أن يهدموا هذا الكيان الكبير هم أعداء الدين لا سيما الليبراليون والشهوانيون، ويجب أن ندرس تجربتنا ونعلم أنه كان فيها من الوعي والتواصل مع ما حولها من العالم ما يدعو للإعجاب في تلك البيئة المغلقة، والأحوال القاسية والدليل على ذلك أن أقلام العلماء وفي مقدمتهم الشيخ سليمان بن سحمان الخثعمي، كانت جهازا إعلاميا مضادا لما ينشر ضد

الدعوة في اسطنبول وبغداد والقاهرة والخليج، ولا تزال كتبهم معروفة مطلوبة في أنحاء العالم الإسلامي، ومنها كذلك ما كتبه الشيخ ابن معمر في الرد على المنصِّرين في البحرين، ونحن لسنا كوريا أو جنوب إفريقيا، ولسنا جزءا من العالم على المفهوم الذي يزعمون، بل اختصنا الله وحبانا بخصائص ليست لأي مجتمع، وفي مقابل ذلك خلقنا للجهاد وجعل قدَرنا هو المواجهة وليس التواري، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس، وحمَّلنا مسؤولية إخراج العالمين من الظلمات، وقيادتهم إلى سعادة الدارين وتعليمهم الحرية الحقيقية، إذ لا ينال بشر السعادة ويشعر بالحرية إلا بالعبودية لله وحده.

وبالدين نجمع بين التقوى والفلاح من جهة، وبين السعي في الأرض والسير في مناكبها، وأخذ الطيبات التي أخرج الله لعباده من جهة أخرى، وبه نقتحم العقبة وننصر المظلوم أينما كان على ظالمه ولو كان منا، ونتواصى دائما بالصبر والمرحمة، ونعين على نوائب الحق.

هذا في الشق الدعوي والإعلامي، أما التعليم فقد كان إلى جانب ما يقدَّم في الجناح الجهادي، يقوم على الجهد التطوعي الذي يُعدُّ الشيخ عبد الله القرعاوي رحمه الله نموذجا له، فقد افتتح المدارس الكثيرة وأخرج المخلاف السليماني من ظلمات التصوف وخرافاته إلى نور السنة وعلميتها، وكان من تلاميذه الشيخ حافظ الحكمي رحمه الله الذي درّس علماؤنا كتبه وأعجبوا بها.

وكان خريج مدارس القرعاوي إماما وواعظا وموثق عقود ومأذونا وقارئ حجج أو صكوك وكاتب عدل، بل قاضيا يُصلح ويقضي بين الناس، وهي تجربة فريدة أذهلت رجال التربية في أمريكا، فأرسلوا وفدا إلى هذه الديار المقدسة ليستفيدوا من هذه التجربة، التي نجحت فيما أخفقت فيه جامعات عالمية كبرى، ينفقون عليها ملايين الدولارات، مع أبنية فخمة وقاعات فسيحة وخضرة دائمة، ولكن الثمرة قليلة أو شبه معدومة كما في التقرير الأمريكي "أمة معرضة للخطر"، فأرسلت أمريكا وفدا لدراسة

التجربة ومعرفة سر نجاحها وتقدمها ذلك في كل جوانب الحياة، وكيف أن القاعدة البغدادية خير من مناهج هارفارد وبرينستون.

فقارن أخي المسلم ذلك التفوق العظيم بالمستوى المتدني الذي نعيشه اليوم، لما سلكنا مسلك الغرب واتبعنا نصائحه غير القيمة، وشتان بين ما كتبه هؤلاء الدعاة وبين ما كتبه المستأجرون من بعد من أمثال أحمد عسه ونهاد الغادري وأمين الريحاني وبولس سلامة وخير الدين الزركلي!

أما الجانب الاقتصادي فلم يكن أولئك الأفاضل يحملون همه، إذ أن يقينهم وتوكلهم وزهدهم كان كفيلا باستقرار معيشتهم التي كان أساسها التمر واللبن وما يزرعون، وكانوا في كل مشكلة يفزعون إلى الله ويتضرعون إليه ويسألونه ألا يكلهم إلى أنفسهم، وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه ولو كان فاجرا أو كافرا، وهو الذي يكشف البلاء ويجيب دعوة الداعي إذا دعاه.

ولم يكونوا يعانون من مشكلة البطالة كحالنا اليوم، بل يشكون كثرة العمل حتى الأطفال الصغار، كانوا يرعون البَهْم وربما ما هو أكثر، وكانت البلاد مكتفية بمواردها، لا يمدون أيديهم لأحد ولم يكن لديهم مستشفيات إذ كانوا يتعالجون بالرقى وبالدعاء وبالنباتات أي بالطب المسمى اليوم (الطب البديل).

وتبعا لذلك لم يكن لديهم مشكلة تصريف للسيول ولا خوف من الأمطار، بل كانوا إذا أجدبت الأرض استسقوا وإذا خافوا الغرق التجأوا إلى الله ضارعين: اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب، وكان التصريف طبيعيا فإما أن تمتص الصحراء فائض المياه وإما أن تجري في المجاري التي خلق الله لتنحدر من السفوح إلى الأراضي الواطئة ثم إلى البحر، وإذا حدثت لهم هزيمة عسكرية أو اجتاحهم وباء عزوا ذلك لذنوبهم قبل كل شيء، فبها تنتابهم المصائب وتحل بهم الكوارث، ويتولى أمرهم اليهود

والنصارى، ويجف القطر، وتختفي السيول وتكثر الأوجاع والأمراض كالجدري والطاعون، والجرب.

وإذا تأملت ما قيل عن سقوط الدرعية ونجاح عسكر الباشا يتبين لك ذلك.

والمقصود أنهم كانوا في كل مشكلة يفزعون إلى الله ويتضرعون إليه ويسألونه ألا يكلهم إلى أنفسهم طرفة عين ويحمدونه على السراء والضراء وإنما يأتي الفرج من الله عند انقطاع الرجاء من الخلق كما أوضح شيخ الإسلام.

وقس على ذلك سائر جوانب الحياة التي لم نذكرها، على أن من لم يكن همه الدين بل همه المتاع الرخيص وحده، فإنه يجده في الجواري الانجليزيات لا سيما اللاتي كان القواسم يأسرونهن ويبيعونهن في عنيزة ومكة، ومع أن عيونهن مثل عيون (البسس) كما كانوا يقولون، فإن لهن ثمنا غاليا، وهن على قدر من الجمال الظاهري، ولذلك تقول بريطانيا إن القواسم قراصنة، وإن الرق يجب أن يلغى.

فقد شملت عزة الإيمان من كان يريد الدنيا والآخرة، ومن كان يريد الدنيا وحدها، وكل ذلك مصدره الدين، وهو عمود تجربتنا العظيمة، ولذلك سوف نتحدث بإيجاز عن اثره العظيم وبعض ما نلاحظه، على عجل، تاركين التفصيل للباحثين المفيضين.

لماذا الدين؟؟

ليس التدين إرهابا ولا تطرفا ولا تشددا ولا تزمتا، بل يجب أن نجعله أساس نهضتنا وحل مشكلاتنا، وكيف لا يكون الحل الوحيد لكل مشاكلنا مع الإفادة من تجربتنا، وهل أغنت عنا الحلول المستوردة شيئا؟ وهذا ما يحضرني من ذلك ولغيري أن يشفعه بما هو أكثر وأعمق:

١- بالدين يتعلم الإنسان أنه يؤدي ما عليه قبل أن يطالب بما هو له، أما الأفكار الليبرالية فإنها تثير الناس لأخذ حقوقهم دون أن تعلمهم واجباتهم، وتحفز المواطن لطلب المشاركة في الحكم والوقوف في صف الرأي المعارض ولو بلا حجة ولا علم.

٢- وبالدين يحرص الإنسان على الوصول إلى الحق سواء كان له أو عليه.

٣- بالدين يقنع الإنسان بما أعطاه الله إياه ويعلم أن الدنيا فتنة، حلالها حساب وحرامها عقاب، ويعلم حقارة المناصب، وأنه من ولي على عشرة فصاعدا جاء يوم القيامة ويداه مغلولتان فإما أن يفكه عدله أو يوبقه ظلمه.

٤- بالدين يسعى المجتمع إلى التراحم والتكافل والتواصل بدلا من التناحر والتنافس، ويحمل عن الدولة أعباء كثيرة من الواجبات في الخدمات والنفقات، بلا خوف ولا منة.

٥- بالدين يخلص كل موظف في عمله ويتقنه، وإن ضعفت الجهات الرقابية أو عُدِمت أو تحيزت.

٦- بالدين يأمن المجتمع ويطمئن، ويتراح عن كاهل الدولة تلك التكاليف الأمنية الباهظة، ونضع حدا لسعار الشهوة وتطور الجريمة والفساد الإداري، وتطوير الأجهزة الأمنية لمواكبتها حمى التنافس الذي ينتهي أحيانا بالاستسلام والإقرار بشرعية أنواع من الجرائم أو التساهل بشأنها، مثلما

اشتكت الشرطة أن القضايا كثرت عليها بعد تقليص عمل هيئة الأمر بالمعروف، فكان الجواب: غضُّوا النظر عن بعض القضايا، وأصبح الخائف هو الشرطي أو الضابط.

٧- وبالدين ينعم الناس بالإخوة الإيمانية ويتجنبون مهالك النعرات الجاهلية والتمزق الحزبي والقبلي، الذي تجعله الليبرالية حقا بل غاية للمجتمعات.

فلو لم يكن الدين شريعة ربانية ووسيلة للسعادة الأخروية لكان الواجب على العقلاء أن يلتزموا به ويحضوا عليه لسعادة الدنيا وصلاح الأمم، ولو لم يكن الإسلام الحنيف بين أيدينا لكان الواجب أن نبحث عنه في أي مكان ونشتريه بأي ثمن، فنحمد الله على هذه النعمة التي لا يساويها نعمة، ولنتمسك بعرى هذا الدين القيم ولنعض عليه بالنواجذ، وليعلم الجميع أن المقصود بالدين هنا الإسلام الصافي كما أنزله الله تعالى وعلّمه رسول الله ﷺ وفهمه السلف الصالح وعمل به الأئمة المهديون والخلفاء الراشدون، وليس ما أحدثه المبتدعون أو المنافقون، فلا نقتدي إلا بالمجتمع الفريد الذي أسسه الرسول ﷺ والخلفاء الراشدون وأئمة العدل، وذلك وحده كاف، على أن لنا تجربتنا الفريدة المعاصرة وهي جديرة بالتسجيل والمتابعة لأنها سالكة في جزئها الأهم على ذلك المنهج، وإن طرأ عليها الانحراف والاضطراب في العقود الأخيرة.

٨- وبالدين ينقاد الشريف للوضيع في النسب كما انقاد كبار قريش لابن أبزى مع أنه مولى.

والمتدين وإن كان تدينه خطأ أسهل إصلاحا من عدو الدين الممتلئ بالشبهات، المعادي لمن لا يريدون صحوة الأمة من الليبراليين والمفترين.

وللدين أهميته البالغة في تاريخنا الحديث، وبه كانت المعجزة التي حققتها صحراؤنا المجدبة، وهكذا كان طوال التاريخ.

٩- وبالدين نجمع بين دولة العقيدة ودولة الرفاهية أي خيري الدنيا والآخرة، ونقول كما علمنا ربنا ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[البقرة:٢٠١]، أما مجتمع الرفاهية الذي لم ولن يتحقق فيقول الداعي له ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة:٢٠٠].

١٠- وبالدين نقود العالم ونكون حقا خير أمة اخرجت للناس، ويجتمع حولنا المسلمون، وقد كان من الأليق بنا إسلاميا وعالميا أن نشتري نسخ الأناجيل القديمة المصرحة باسم نبي الإسلام وكون عيسى عليه السلام لم يصلب، بدلا من لوحة (مخلِّص العالم) التي تخيلها خيال دافينشي المريض، والتي تماثل ما صوره المشركون لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وهما يستقسمان بالأزلام، وكذبهم في ذلك رسول الله ﷺ، وكل نصراني يعتقد أن المسيح عليه السلام لم يستطع تخليص نفسه من الصلب فكيف يخلص العالم؟

١١- وبالدين نعادي من يكفر برسالة نبينا محمد ﷺ ولا يجرؤ علينا أي كافر ولا يقترب منا، وانظر مثلا لما أراد اليهود أن يجروا مقابلة لرئيس الأركان اليهودي، هل أجروها مع عتيبة أو مطير أو قحطان أو زهران أو مع أي مطوع، كلا وإنما أجروها مع أقرب الناس إليهم (الليبراليون) في موقع (إيلاف).

١٢- بالدين نقضي قضاء مبرما على ما يسمى الإرهاب، فالمتدين لا يؤذي الحيوان فضلا عن أن يقتل البشر، ونحن أولى الناس بدراسة هذه التجربة والحكم عليها بعدل ومعرفة ما لها وما عليها، ومن الملاحظات التي تؤخذ على بعض أبطال تلك التجربة الفذة، أنه لديهم تشدداً وغلواً خلاف سنة رسول الله ﷺ ومعاملته للمخالفين كالأعرابي الذي بال في المسجد، والآخر الذي وقع على امرأته في نهار رمضان، فكان بعضهم يحرم ما أحل الله ويجعل بعض المخالفات ضلالات عقدية، ويبالغ في المظاهر والشكليات،

مع جهل لمعرفة ارتباط الظاهر بالباطن على الحقيقة، وأمثال ذلك، لكن هذا ليس خاصاً بهم بل هو مرض اجتماعي في البيئة المنغلقة كلها، وأنا مع تأخري زمنياً عنهم قابلت بعض من ألّف وحرّم بعض الحلال، بل لا يزال عليه بعض المنغلقين إلى اليوم.

لكن العلماء الأفاضل في إمكانهم تعليم المتشدّدين وتهذيب الغالين، وأولئك تشفع لهم جهودهم في الرد على أهل البدع والضلال، أما الانحياز للطرف الآخر (العلمانية أو الليبرالية) فهو باطل شرعاً وسياسة، فالغلو يحارب بالتهذيب وليس بالغلو في الطرف الآخر.

والجهد الذي نبذله لإقناع هؤلاء أقل بكثير من الجهد الذي نبذله لإفساد الناس وإنسائهم الدين مع أن الله تعالى إنما أمرنا بالإصلاح لا بالإفساد، ومهما ملنا إلى النخبة المثقفة يظل الجاهلون مواطنين يجب إرشادهم، فلماذا لا نفعل ذلك ونعادي من يعادي الدين من الآن؟ لا سيما مع إقرار الجميع بأن بناء الإنسان وتحريره هو الأهم، وأن أعظم ثروة لنا ليست النفط بل هو هذه العقول الفذة والنفوس التي تحب الاستشهاد، وهنا نذكر جانبا من العبقرية الفذة التي يأمر بها الدين، وكان عليها أولئك الرجال ويجهلها كثير منا:

فقد كان للجناح الدعوي جهازه الإعلامي التابع لواقع عصره، لاسيما الشيخ سليمان بن سحمان الخثعمي رحمه الله، وأصله من قرية (الفوقاء) القريبة من حوالة، وقد كان الشيخ سيفاً للسنة على أهل البدعة في الدول المجاورة وفي كل مكان، لا سيما من دعا الأموات وطاف بالقبور، وجحد صفات الله وتحاكم إلى الطاغوت.

فقد رد على من دعا إلى التجهم أو طعن في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب واتهمها، وله فتاوى في "الدرر السنية"، وفي كتاب "علماء نجد في ستة قرون" للشيخ عبد الله البسام، كما أن الشيخ بن سحمان رغم بعد الشقة تنبه إلى ضلالات جمعية الاتحاد والترقي ودستورها.

وقد حدثني بعض كبار السن من (الفوقاء) أن الشيخ سليمان كان يرفض دخول النصارى جزيرة العرب وكلم في ذلك بعض المسؤولين الذين أدخلوهم، وقال له: النصارى لا يجوز أن يبحثوا لا عن النفط ولا عن غيره، ولكنه لطم الشيخ على وجهه لطمة شديدة أذهبت بصره، فاضطر الشيخ للذهاب إلى البحرين لتلقي العلاج هناك، ثم ما لبث أن توفاه الله وهو أعمى سنة ١٣٤٨هـ.

وتبعا لفتوى هذا العالم الجليل واتباعا لأمره ﷺ يجب حظر دخول الكفار جزيرة العرب، ومن القصص المؤثرة في ذلك أن أحد من كانوا مسجونين مع سلطان الدين في الرياض قال: قال لي ابن بجاد: والله إن طال عمرك ليزاحمونك الحمران في البطحاء.

قال الرجل: كنت مرة في سوق البطحاء فزاحمني بعض الناس، فالتفت فإذا هو من الحمران، فاغرورقت عيناي بالدموع.

أقول: ليت الكفار زاحمونا بأكتافهم فقط، وإنما الواقع أنهم زاحمونا في كل شيء وبكل شيء.

فعقيدتنا زاحمتها عقائدهم حتى أن بعض المسلمين يتحدث عن صلب المسيح عليه السلام، ويصنع شجرة ميلاد ليهنئ النصارى بالكريسمس!!

ونظرياتهم وفلسفاتهم زاحمت القرآن بل صارت عند بعض الناس أهدى منه.

وقانونهم زاحم فقهنا، حتى نحاه عن طريقه.

ورطانتهم زاحمت العربية، حتى أنهم أدخلوها في شعائرهم الإسلامية، فالحج مثلا يعرفه كل المسلمين وينطقونه حج، ولكن الداخلين في جحر الضب يترجمونه (بلجرام)، ولما ابتلعت أرامكو الشركة الوطنية "سمارك" أجبرت الفرّاش الأمي أن يقول: "تي" و"كوفي" ولا يقول: شاي وقهوة!!

وزاحمونا في العملة فأصبحنا نتعامل بالدولار الورقي الذي لا رصيد له، وقضى على الريال العربي، الذي جعلناه بديلا للريال الفرنسي (ريال ماريا تريزا النمسوية)، لما كنا نريد التميز والاستقلال عن الغرب.

وزاحمونا حتى في التقويم فأصبحت بعض الصحف لا تعرف إلا التاريخ الميلادي، وأصبحت الرواتب في اليوم السابع والعشرين من كل شهر ميلادي حسب التقويم الغربي.

وزاحمونا في التجارة حتى قضت بضائعهم على بضائع المسلمين أو كادت.

وزاحمونا في الطب حتى قضى الطب الكيماوي على الطب العربي أو كاد.

وزاحمونا في القيم والفضائل، حتى أصبح التقدم هو أن نحاكيهم والتأخر هو الاحتفاظ بما كان عليه مجتمعنا، خذ مثلا قضية العرض والشرف فقد كانت المرأة عندنا مصونة لا يراها أجنبي، مكفولة لا تحتاج أن تتوظف، فأصبح التقدم هو أن يراها الكفار، وأصبحت تخلع الحجاب بمجرد أن تركب الطائرة وأصبحت تسافر بلا محرم، وتفخر إذا عملت خادمة جوية أو ممرضة في مستشفى وما أشبه ذلك، بل يعمد المطبلون لإسباغ الأوصاف على هذا الإنجاز العظيم!!

وانتقلوا لحرب ديننا بأسماء صريحة أو متسترة:

فلئن كانت ذريعة بريطانيا في حرب الدعوة هي مكافحة الجراد، فقد أصبحت ذريعة أمريكا هي مكافحة الإرهاب، فالإرهاب عند أمريكا هو الجهاد نفسه، والإرهابيون هم حماس والجهاد والإخوان المسلمون، وإذا أصبحت هذه الذريعة مستهلكة فسوف يأتون بغيرها.

ولئن كان في ولاء البريطانيين (عز الراس والراحة) كما قال مبارك الصباح، فإن في الولاء لأمريكا بقاء الملك والكرسي، دع ما يقوله بعضهم عن حرب الإسلام، واقرأ ما كتبه الغربيون (فيلبي ولورانس وجلوب باشا)،

وانظر ما يقوله اليوم (ترامب وفيلين وبانون ونتنياهو)، وكل ما يقوله أهل الكتاب لاسيما في أمريكا.

وزاحمونا في الثروة، فقد كان أهم شيء عند (ترامب) لما زار الرياض بعد الاعتراف بإسرائيل، المليارات التي يفرح بها الأمريكان، وسيحصلون على آلاف الوظائف بل ملايين، ليبقى المتأخرون من حاملي الشهادات العليا في السعودية! والذين يقدرون بالآلاف بلا وظائف، ولتتعطل كل المشروعات التنموية هنا ما دامت مشروعات أمريكا غير معطلة، ولا يهم أن تفلس الشركات في بلاد الحرمين ما دامت شركات أمريكا غير مفلسة!

ولو أن المليارات الفلكية التي أعطيت لترامب وشركاته -غير ما أعطي من الهدايا- أُنفقت لقضايا المسلمين وفكاك أسراهم، لكان خيرا حتى في السياسة الدنيوية، ولو أننا اشترطنا على أمريكا إلغاء قانون جستا مثلا لوجَدَت المخارج القانونية لذلك، ولكن الله بحكمته جعل الناس يرزق بعضهم بعضا، وتقول العامة "رزق الهبل على المجانين".

أقول نستحق ذلك لأننا سكتنا ولم ننكر المنكر، ورضينا بالحياة الدنيا من الآخرة، وما بقي إلا تكلفة بناء الهيكل فهل تبنيه الإمارات مثلا؟ تلك الإمارات التي تشتري البيوت من المقدسيين وتعطيها لليهود، أم تبنيه السعودية وتحفر القناة بين البحر الأبيض وخليج العقبة لينجح مشروع (نيوم)، وأقوال (ترامب) نفسه مقدمة لذلك، فقد صرح أنه على العرب تمويل المناطق الآمنة التي تقترحها أمريكا في سوريا، وقد بدأ التطبيع العلني مع اليهود، وشعاره أعطنا ما نريد لكي نعطيك فوق ما تريد.

نسأل الله أن نعود لرشدنا وأن نتمسك بديننا ونعرف عدونا من صديقنا، وأن نجاهد في سبيله، وأن تكون الآخرة أحب إلينا من الدنيا، وأن يبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر، وعزاؤنا في هذه المصيبة الجلل أن بغض اليهود يجري في عرق كل مسلم مع الدم، وأن قلوب كل المسلمين تعاديهم،

لأن ربنا تعالى قال: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾ [المائدة:٨٢].

ولن نصبح أبدا شركاء كما يقول نتنياهو ووزيره ليبرمان، بل نحن أعداء وسنظل كذلك إلى الأبد وإن غضب (ترامب) والصهيونية النصرانية، والقضية عندنا ليست بين الفلسطينيين واليهود ولا بين العرب واليهود، بل هي قضية كل مسلم في الأرض، فنحن لا نؤمن بما سماه ريتشارد كوك وزميله (القومية الخبيثة) وسماه (أرنولد توينبي) (الدولة الإقليمية)، بل نؤمن بما قاله ربنا تبارك وتعالى ورسوله ﷺ من أن المسلمين أمة واحدة من عهد آدم إلى اليوم عربنا وعجمنا، ولا نؤمن باللات والعزى ولا بالذئب الأغبر، ولا غير ذلك من الأوثان، بل نعبد الله وحده كما أمرنا، ونكفر بكل الطواغيت ما كان منها عربيا، وما كان طورانيا، وما كان فرعونيا.

ونحن لا نؤمن بالحدود التي افتعلها (سايكس وبيكو)، ثم زاد الغرب عليها حدودا ثقافية، فأصبح الناس في السعودية مثلا لا يتحدثون عن الكعبة بل عن آثار الأخدود، ونسر، ومدائن صالح، ونقوش رمسيس، وسوق عكاظ، ثم أصبحت هذه الحدود جبالا من نار وأصبح الفخر بالفرعونية أو بالسومرية أو بالفينيقية وأمثال ذلك من الجاهليات هو الفخر وحده، أما القادسية واليرموك فلا يذكرهما إلا النادر من المهتمين بالتاريخ، وقد عرّفت قناة الإخبارية طارق بن زياد بأنه أمير طنجة، دون أي إشارة إلى فتحه الأندلس، فلَمْ تتبع أكبر شعراء أسبانيا (لوركا) فضلا عن اتباع التاريخ الإسلامي، و لم تذكر كيف وصل إلى طنجة وكيف أصبح أميرا عليها؟

وهكذا أصبحت هي الأخرى تبعا لأختها العبرية.

و لم تتعكر العلاقات المتينة مع رئيس المجوسية "حاكم الصين" بسبب أن حكومته تعاقب من يقرأ القرآن ومن يحفظ الفاتحة بالسجن، وتجبر الناس على الفطر في نهار رمضان وكشف شعر المرأة المسلمة! نعوذ بالله من الخذلان.

يا آل سعود: إن لم تبادروا بالتوبة فلا بد أن تحل بكم المثلات، ومنها الهرم الذي ذكر ابن خلدون أنه إذا حل بدولة لا يزول، وما أحسب الخلاف الذي بين الأسرة الحاكمة حاليا إلا نوعا من الهرم، وقد قال ﷺ (حق على الله ألا يرفع شيئا من الدنيا إلا وضعه)، فتلك إذاً سنة الله ليس لها تبديل ولا تحويل، ولا تحابي أحدا قط، وعامل الزمن إنما هو في صالح المتقين، وليس في صالح من يقول: ﴿أَمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦]، وفي السورة نفسها (ص) بيّن سبحانه لعبده داود عليه السلام وجوب اتباع الحق لا الهوى، وبإنابته لربه أورث سليمانَ بنَ داود الملكَ بعد أبيه، وبين أن صبر أيوب أورثه العاقبة الحسنة، فبادروا يا آل سعود بالتوبة إلى الله ما دمتم في المهلة.

واحذروا من التناقض الذي يراه كل أحد ومن التناقضات الظاهرة أن يكون في الديون الملكي مستشارون صالحون وآخرون فسقة، ويكون من السفراء دعاة وآخرون يدمنون الخمر ويرتادون المسارح ويقيمون في القاهرة مثلا بينما تكون السفارة في غرب أفريقيا، ومن الاختلاف المشهود الذي به نخسر ولاء المسلمين أن الطالب في إيران يسلمه شهادته وزير التعليم نفسه ويودعه في المطار بينما الطالب الذي تخرّج من هنا يحال لقسم الترحيل!!

ومن ازدواجية المعايير التي نعيشها -وربما وصلت إلى حد التناقض- أن للفساد مفهومين مختلفين بين القضاء الشرعي ولجنة مكافحة الفساد.

ومثل ذلك بل أشد أن يكون للقرآن والسنة قنوات وللهو واللعب قنوات أخرى فلم الازدواجية؟ و لم لا نكون من أهل التوحيد.

وقد رأيت السفير السعودي قبل مدة ليست ببعيدة يقبل رأس كبير الرافضة، ثم أصبحت إيران هي العدو الوحيد الذي ينبغي التعاون مع إسرائيل لمحاربته.

ولا تقولوا إن الشعب لا يصدّق أكاذيب إيران، أو لم يصدق بعض تشكيكات عدنان إبراهيم في صحيح البخاري، فبعضهم يصدق تصنيفات

مؤتمر (جروزني)، وكيف لا يصدق الناس من شعاره الموت لإسرائيل و(ترامب) ونتنياهو يقولون إنه عدو؟

وأصارحكم أن أكثر الناس يصدقون ما يقال ضدكم، حتى بعض من تكلفونه بالردود.

أهمية الدين في بلاد الحرمين وفي كل البلاد:

إنما توحد أكثر جزيرة العرب على العقيدة والمنهاج ونشأ عن ذلك الوحدة الفكرية العامة والوحدة السياسية القائمة اليوم، ولم تتوحد بالمصطلحات الانهزامية مثل (الغير، الآخر، غير المواطن) والناس إنما يعرفون القسمة الثنائية (مسلم، كافر) كما في كتاب الله، وإنكار أثر العقيدة والقول أن البلاد توحدت بالسيف الأملح مخالف لحقائق التاريخ، فالسيف كان نتيجة ولم يكن سببا، ومستخدمه متغلّب وليس مختارا من المسلمين، والسيف الأملح حارب به خالد بن لؤي قريبه عبد الله بن الحسين في تربة لأجل العقيدة، وكان الأمر على حد قول الشاعر العامي "عبدلي غلب له عبدلي".

وبالعقيدة أيضا توحد أكثر أهل نجد ولأجلها حاربوا عبد العزيز بن متعب آل الرشيد النجدي العثماني صحيح العقيدة، وقدموا فتح حائل على فتح مكة، وبالعقيدة افتخر المسلمون الذين لا نعرفهم في جاوة ونيجيريا، وبالعقيدة أصدر السوداني المتمهدي منشوراً يحظر كل الطرق الصوفية في السودان، وأصدر ملك المغرب بذلك ظهيراً.

وعلى العقيدة قامت الدعوات المناصرة لحكام هذه البلاد في كل مكان، وقبل ذلك كان الأتراك، حيث أنكر الشيخ بيركوي رحمه الله، قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الطرق الصوفية، وكتب كتابا سماه "الطريقة المحمدية"، وأنكر فيه مخالفة الكتاب والسنة وكل البدع.

ثم كان تلميذه الشيخ "قاضي زاده" قبل دعوة الشيخ محمد أيضا، وذهب في قيادة الجيش العثماني لحصار فينا لكي تخرج أوربا من الظلمات إلى النور، وناصره الخليفة العثماني على ذلك، وهو الذي وضعه في قيادة ذلك الجيش كما ظهر الشيخ "جيوي" فنقض كلام ابن عربي وعاب أقواله وكان مفتيا للدولة العثمانية.

وللعقيدة ديّنت القبائل العربية التي استعصت على من هو أشد قوة وأكثر جمعا.

وانضوى الجميع تحت راية لا إله إلا الله وجاهدوا بأنفسهم يريدون الجنة من الله ولم يقبضوا من أحد قرشا، وهكذا أهل الدين لا يريدون على عملهم أجرا، ولا يطلبون ذلك من مخلوق، ولم يجرؤ عدو في أيامهم أن يصدر قانوناً مثل "جستا"، وهكذا نصرهم الله على قلة العدد والعدة، وفتح لهم من كنوز الأرض، ومنَّ عليهم بالأمطار والغيول والسيول ليرى أيشكرون أم يكفرون، فكان الابتلاء الذي يعلمه الجميع وكانت النتيجة التي يعلمها الجميع.

ولا يزال مصدر الشرعية في هذه البلاد هو الدين، وبه يتخدّر الناس إذا أراد منافق أن يخدِّرهم.

وإنما دبت الفرقة والفتنة والبغضاء وكثر الشقاق والتحاسد والأزمات لما تخلت الأمة عن الدين والجهاد، وأصبح جيشها ارتزاقيا، وأصبح من يدعو غير الله مواطنا، ووُسد الأمر إلى غير أهله، وجعلوا السيفين مجرد شعار، وتكلم الرويبضة في كل شيء، بينما يطيع العالم الفطن ويرضى أن يكون من جملة الرعية لراعٍ لا يرضاه راعياً لقطيع من أغنامه، وجعلوا المسؤول عن الوزارة أو القناة أو الصحيفة هو الرويبضة ذا الراتب الضخم والبدلات الكثيرة، وبذلك يمكننا معرفة من الذي يفرق، ومن المتطرف أو الإرهابي!

ولما ظهر من طالب بتدويل الحرمين من الصوفية أو الرافضة أو المتأثرين بهم، كان أفضل رد عليه أن يصبح لقب الملك خادم الحرمين، وحاكم هذه البلاد لا يدعي عقيدة غير الإسلام، ولا يأخذ لنفسه إلا البيعة، وهي مصطلح شرعي كما هو معلوم، ولا يذكره العلمانيون إلا في ذكرى البيعة السنوية وربما مجاملة فقط.

فالدين هو المرتكز والمنطلق، ومكمن القوة ومصدر الشرعية وموضع الإجماع، وبه نقود الحضارة، ونرث الأرض، ولو أننا نظرنا بتجرد وعدل

لوجدنا أن من يقتلهم المعارضون من الرافضة من رجال الأمن أكثر ممن تقتلهم داعش، كما أن أمريكا الظالمة، لما أصدرت مباحثها الـــ(إف بي اي) إحصائية، كان قتلى الأصوليين النصارى أضعاف من قتله المسلمون فيها.

والناس في أمريكا يعرفون الكثير عن العنصري الأصولي "دونالد ترامب"، وشيخه "ستيف بانون"، والإدارة الأمريكية عرفت حرصنا على القرآن والعمل بأوامره، فوضعت كتاب الفرقان، وهو مثل قرآن مسيلمة وحذفوا منه آيات الجهاد، ومع ذلك ينضم أهل التوحيد، إلى التحالف الذي تقوده أمريكا مرتكبة ما هو أشد من الإرهاب، مع أن الإرهاب الحقيقي هو الإسلاموفوبيا، والوقوف مع أحفاد الصليبيين الفرنجة ضد الإسلام، والوقوف مع فرنسا ضد أحفاد الملثمين في مالي ودول الساحل الإفريقي، وهذا التحالف امتداد لاستعمار بلاد الإسلام وتعبير عن خشيتهم من أن ينبعث الإسلام من جديد على يد المتدينين، ووضعوا مشروعات حسب الوثائق البريطانية منها ما سموه توطين البادية، وسموا الجهاد غزوا وسلبا، ووضعوا حدودا وتقسيمات للأمة الواحدة، ولم يكن أهل الدين مقلدين للغرب في شيء، ولا متشبهين بالكفار، خذ مثلا عادة اجتماعية قد لا نأبه لها، فهل عرف أحد من رجال هذه الجزيرة المباركة الخروج مكشوف الرأس أمام الناس فضلا عن بناتها؟

دع الرقص والغناء ودخول الملاعب الذي لا يرضى بنات الحمايل بها، وإنما تفعله الساقطات أو الجاهلات! أليس بعد هذه الحياة حساب وسؤال ودار هي أبقى وأدوم.

فلما طلب أمير عنيزة من الحضور باباً يضعونه على آخر بيوته، قال الشيخ عبد الكريم الدرويش أنا أضعه، ثم إن الشيخ وضعه على القبر!

وصدق، فهذا هو آخر بيت في الدنيا لكل إنسان، وهو أول منازل الآخرة.

وهل انشغل المجاهدون بالتشجيع الكروي عن الجهاد؟ وهل حاربوا الأعداء بسبب تخطيطهم للانتصار في الملاعب؟!

وهل كان أولئك المجاهدون يقبلون المسخ لمعاني الجهاد، كما قال أحد وزراء الدفاع في هذه البلاد للمنتخب: أنتم حققتم ما عجزت عنه الجيوش، وقال ملكه للمنتخب: إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم؟

وهل كانت إحدى هذه القبائل الأصيلة، ترضى أن يكون باب المندب وقناة السويس ممرات دولية؟

وبماذا كانوا سيواجهون العصابات الإرهابية التي أنشأها اليهود في الأرض المباركة لو أتيحت لهم الفرصة؟ ولماذا وضع الانجليز حائلا بينهم وبين فلسطين؟ وهل كانت ستحدث مذبحة دير ياسين أو تقوم إسرائيل لو سمحوا لهم بالجهاد؟ وهل كانوا سيرضون أن يدّنس اليهود المسجد الأقصى المبارك، وأن يكون الحل هو المبادرة العربية المبنية على حل الدولتين، والتي وضعها الصحفي اليهودي الأمريكي فريدمان.

وكيف سيكون حال الكويت لو أن (فيصل الدويش) فتحها كلها، وألغى البغاء الذي كان له بيوت علنية آنذاك وطهرها من فساد الإنجليز الأخلاقي والسياسي، وهل كان المجاهدون مثلنا مستهلكين لما ينتجه الغرب، أم أنهم أسسوا وحدات حضارية متكاملة يسميها إخواننا في بلاد المغرب الإسلامي الزوايا؟

وهل كانت مدينة الزبير في العراق مدينة لجواد كاظم المالكي، الذي سمى نفسه نوري المالكي تمويها.

والحقائق كثيرة والأمثلة كثيرة يعلمها الكثير، وحسبنا الدعوة إلى الاستغفار والتوبة، وأنه لا يصح إقصاء أهل التقوى والإيمان، وتمكين أهل العلمنة والفجور والدياثة، وقد قال نوح عليه السلام في فجر التاريخ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلِ

وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢]، ولا يصلح آخرُ هذه الأمة إلا بما صلح به أولها كما قال الإمام مالك رضي الله عنه.

أما التخبط، واتباع منهج "ام تي آي" أو رؤية صندوق النقد الدولي وشركة (ماكيتري) فقد جربها غيرنا ولمسنا آثاره عيانا.

وماذا جنى من حارب الدين مثل أتاتورك، وبن علي، والسيسي؟

لقد سيطر التغريبي (محمد علي باشا) على الدرعية وأيده بعض أهل نجد، لكنه لم يطفئ جذوة التدين الفطرية عند الناس، ومن الخطأ الظن بأن الترك كانوا يعادون دعوة الشيخ لأجل الدين، بل كانت عداوتها سياسية لأجل المُلك، إذ خشوا أن يمتد ما فعلت إلى باقي الأقاليم العثمانية فتسعى للانفصال عن الدولة، وكان الخلفاء يكرهون محمد علي ويعلمون نواياه السيئة تجاههم، وكان من مصلحتهم السياسية أن يُضرب الخصم بالخصم، وزين لهم علماء السلاطين أن ولي الأمر يفعل ما يشاء، بعد أن كان القاضي "أولياء" قد حكم على السلطان محمد الفاتح بقطع يده قصاصا، ولولا أن خصمه العلج تنازل عن الدعوى لقطعوا يد الفاتح العظيم.

وكما أن التدين هو الذي وحّد هذه البلاد، فهو أيضا الذي يفجر الطاقات والمواهب، ويستخرج الإبداع، فانظر مثلا إلى أكبر علامتين في هذه البلاد وهما الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ حمد الجاسر رحمهما الله، أليسا من أهل العقيدة والدين؟

وانظر إلى المعاهد العلمية التي أسسها الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله والتي يسميها الأمريكان (المدارس الدينية)، كم خرَّجت من المبدعين في الشعر والدعوة والفقه والخط والعربية والنحو، فكيف لو كان التعليم كله دينياً؟

وانظر ممن تختار الدولة قضاتها وكبار علمائها؟

ولا يزال طلاب حلقات التحفيظ أكثر ممن يجتمعون في ملاعب الكرة، أو يحضرون الحفلات الغنائية! وهم المتفوقون وأحياؤهم أكثر الأحياء أمنا.

وانظر إلى الجمعيات العلمية المختلفة وإلى المتفوقين في الطب مثلا أليسوا أهل الدين؟

وأنظر إلى هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كيف كان أثرها كبيرا رغم أن مبانيها مستأجرة وصلاحيتها مقلصة!

وأنظر من أكثر الناس قبولاً عند الشعب والناس يدعون له؟

وانظر من الذي قاد الجهاد في أفغانستان ضد السوفيت ثم ضد الأمريكان، وكذا في العراق والصومال والفلبين وأرض الشام كافة، ومن أجرأ الناس على قول الحق والصدع به، ومن أكثرهم صبراً وأوسعهم حرية، ومن الذين يخاف منهم الصليبيون لا أعني أيام صلاح الدين الأيوبي، بل في هذا العصر حين جاء المستعمر الأمريكي والروسي؟

دع قوة الحفظ والذكاء التي منحها الله لابن باز وابن حميد ولا يتمتع بها أحد من العلمانيين.

والمتدينون لا يدخنون مثلا وبذلك لا يملأون مستشفيات وزارة الصحة لعلاج السرطانات التي يسببها التدخين.

وهم كذلك لا يتعاطون المخدرات ولذلك لا تجد أحداً منهم في المستشفيات التي تبنيها الحكومة لعلاج المدمنين كمستشفى الأمل مثلا فضلا عن سلامة إدارات مكافحة المخدرات ومن فيها!

فاعجب لأمة لا يعقم رحمها عن إنجاب الأفذاذ، كيف أن بعض الناس لا يعرف قدرهم، فهل يعرف الغرب مهندسا مثل نجم الدين أربكان، أو رئيس وزراء مثل محاضر محمد، أو رئيسا كرجب طيب أردوغان، أو مفكرا مثل علي عزت بيغوفيتش، وأحمد داود أوغلو، ومن الذين تختارهم الحكومة إذا حرصت على نجاح المفاوضات أو التوفير والترشيد؟

وهل في وكالة ناسا الفضائية الأمريكية من يفوق الدكتور فاروق الباز رئيس مركز الاستشعار عن بعد في بوسطن، وهل في أي جمعية طبية

أمريكية، من يفوق الدكتور أحمد القاضي الطبيب المشهور في أمريكا والشرق؟

ولماذا يقول لك المصري: أنا مصري ولكنني ضد السيسي، ويقول الفلسطيني: أنا فتحاوي ولكني من الشرفاء؟

ولماذا اختارت شركة "سامسونج" خبراء من مصر وبلاد الشام والمغرب وغيرها يعملون في كوريا.

وهل تجد بين المفكرين الغربيين من هو أعظم من عباس محمود العقاد، وجعفر شيخ إدريس، والمودودي، والمسيري؟ وكيف لو أن أحدا من هؤلاء غربي؟

والواقدي متروك عند أهل الحديث، مع أنه كان يحمل قربته ويذهب إلى أماكن الغزوات كي يكتب عن معرفة، ولو كان غربيا لجعلوه ثقة محققا مدققا.

وعلى الدين يعتمد كل مخادع، فلما انقلب السيسي على ولي نعمته مرسي، جاء بشيخ الأزهر وحزب النور (السلفي) ورؤساء الكنيسة القبطية، ويعلم الغرب من الذي قام بالربيع العربي، كما يعلم أنه لو أتيح للشعوب الإسلامية أن تختار لما اختارت إلا الإسلام، ولذلك يدعم الحكومات الاستبدادية، وقد قال جهاد الخازن إن الحكومات العربية تجبر شعوبها على السلام!

ولما أراد الرافضة استجلاب مشاعر المسلمين رفعوا شعار (الموت لأمريكا الموت لإسرائيل)، ولما أرادت السعودية جمع مشاعر الناس ضد الحوثيين قالت إنهم استهدفوا الكعبة.

وبالدين حقق أهل البادية معجزات كانت خيالاً يسبح في أذهان الفلاسفة، مثل "الفارابي" و"توماس مور" لاسيما المساواة بين الطبقات التي أرادت الماركسية أن تفرضها بالثورة الحمراء، وأرادت الصين بزعامة ماوتسي تونج فرضها بالثورة الثقافية، وكذلك أراد "غرامشي" في إيطاليا

وأمريكا، وأرادت الأحزاب اليسارية في أوروبا جلبها بالديمقراطية والانتخاب، ولكنهم فشلوا جميعا كما هو معلوم، لاسيما إخفاق اليساريين منذ تأسيس كومونة باريس بعد الثورة الفرنسية ثم بعد الثورة الطلابية في فرنسا سنة ١٩٦٨، وإلى أن حكم الاشتراكيون بزعامة صديق العرب الوهمي "فرانسوا أولاند"، ثم الصديق الآخر "ماكرون"، كما أخفقت الإشتراكية الفابية التي ينادي بها زعيم حزب العمال البريطاني "جيرمي كوربن"، واستطاع الشيخ عبد الكريم الدرويش رحمه الله أن ينجح في ما فشل فيه هؤلاء جميعا وأن يحوِّل ما بدأه سعد بن مثيب الحربي إلى قوة جهادية هائلة ترتعد لها فرائص الإمبراطورية البريطانية، التي كانت عظمى آنذاك، لا تغيب الشمس عن مستعمراتها وإنما استلهم الشيخ الدرويش المجتمع الإسلامي في المدينة، لا مدينة الله التي أنشأها كالفن في جنيف، ولا التي اقترحها أوغسطين، وكانت كرامات الشيخ وزهده الحديث الدائم إذا لم يكن الاخوان في حالة عبادة وعمل.

وإنما يتهافت الناس في كل معرض سعودي، على كسوة الكعبة المشرفة، وإنما يحبون كل سعودي لأجل الحرمين، حتى لو جاءهم من الظهران يقولون جاء من مكة، وقد قال لي من لست أعرف: أنت محظوظ تستطيع الذهاب إلى مكة.

فمن الذي يفرط في هذه المشاعر العميقة، ويستبدل بها ثناء كاذباً من بعض الصحف أو القنوات الغربية التي لا تثني إلا بمال؟

وبالدين تحول الأمر من صراع عائلي على السلطة إلى صراع بين سلطة فتية، وعشائر قبلية!

ويريد اليهود والنصارى والمنافقون إسقاط الدولة بإسقاط الدين فهل نطيعهم؟

والمقصود أن الدين هو الذي يجمع الفرقاء ويذهب الشحناء ويجعل الخوف أمنا والعدالة واقعا وبه تحول الحنشل إلى عباد أتقياء.

وإليه عاد أكثر المصريين وأكثر الناس في دول الشام الأربع؟ وعليه قامت الصحوة العامة المعاصرة، واعترف المفكرون الغربيون أنفسهم، أنه أقوى الضرورات الاجتماعية والنوازع الفطرية (انظر اعترافات رينان مثلا). فأين يذهب الليبراليون وفي أي واد يهيمون، ومن الذي يتخلى عن الدين ليرضيهم؟ متهما أهل الدين بالتطرف والإرهاب.

والليبراليون إذا أرادوا إفراغ سمومهم، ونفث أحقادهم مزجوا ذلك بشيء من التطبيل للحكام وادعاء الوطنية! وأعقبوا ذلك بالتشنيع على من ينكر أقوالهم من أهل العلم والإيمان، وقديما لما جعل بعض السلاطين ابنه وليا للعهد قال بعض المطبِّلين ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم:١٢]، غير أن الإمام أبا مطيع البلخي الحنفي، قال: "من جعل هذه الآية في غير يحيى بن زكريا فقد كذب على الله". ولما رأى غير المتدينين في عصرنا ما يفعله الليبراليون والاعلام المداح من التطبيل قال -والشعر لنزار قباني-:

هــذا لــه زاوية يومية وذا لــه عمــود
والفرق فيما بينهم طريقة الركوع والسجود

ونحن لا ننكر عاطفة الحنين للديار وحب الوطن وإنما ننكر أن يصبح ذلك ديناً يُوالى ويعادى فيه، وأن يعبد الناس قديماً الحجر والشجر فيأتي هؤلاء فيجمعون تلك الأوثان في وثن واحد يسمّونه (الوطن).

أما مشكلة التطبيل واحتراف المديح وقلب الحقائق فهي قديمة، وهي غش وتعمية فوق أنها كذب صراح، فلما ضرب الزلزال مصر قال أحد المطبلين لسلطانها:

ما زلزلت مصر من كيد يراد بها لكنها رقصت من عدلكم طربا

ولو أن هذا الشاعر حيا اليوم لجعلوه وزيرا أو مديرا لقناة، أو رئيس تحرير لإحدى الصحف.

ولما سقطت الرافعة في المسجد الحرام على بعض المصلين، قال بعض محترفي التطبيل إنها سجدت! وهكذا عند الليبراليين والمطبلين لكل حادثة تأويلها.

فمصيبتنا أكبر من مصيبة انخفاض سعر النفط، إذ هي أخلاقية وليست اقتصادية فقط.

وفيما يحكى قديما أن أحد السلاطين جيء له بباذنجان فمدحه فمدحته البطانة، ثم إنه ذمه فذمته البطانة في الجلسة نفسها، فقيل لأحدهم تمدحه ثم تذمه في الوقت نفسه، فقال: ما يهمني هو السلطان ومالي وما للباذنجان!

فيا عجباً لأمة تقرب أمثال هؤلاء، وتبعد المخلصين، وحالها كما قال الشاعر:

تموت الأسْد في الغابات جوعا ولحم الضأن تأكله الكلاب

وصفوة القول أن الدين هو مصدر شرعية النظام السعودي، وأن الذين أسسوا الدولة السعودية، ليسوا العلمانيين والليبراليين والتنويريين والرافضة والإسماعيلية ولم يكن منهم نصراني أو قومي أو حداثي أو ديوث، وإنما أسسها أهل الدين ولم يكن يقال عن القبيلة التي تدخل في الطاعة إلا تدينت أو ديّنت، فالدين هو الأساس وهو الموحد، وهو السبب في هذه الوحدة الفكرية التي يشهدها مجتمعنا، بينما تموج المجتمعات حولنا بالمتناقضات، ولا يصلح آخر هذه الدولة إلا بما صلح به أولها"، وكان هؤلاء المطاوعة في الهجر التي أسسها سعد بن مثيب الحربي سنة ١٣١٠هـ أي قبل دخول الرياض سنة ١٣١٩هـ، وكانت أحب البقاع لديهم مكة.

والقوى العالمية تهاجمهم وترتعد عند ذكرهم، حتى الامبراطورية البريطانية ذلك الحين اعترفت بأنها لو أرسلت إليهم خمسين ألف جندي بريطاني لذابت رؤوسهم من حرارة الشمس، ولهزمهم الإخوان هزيمة منكرة كما فعلت بهم قرية (بني بوعلي) في سلطنة عمان.

و لم يكن يضر أولئك المجاهدين أنهم لا يرطنون بالانجليزية، ولا يؤمنون بالمواثيق الدولية

و لم يكونوا يخافون من العدو مهما كانت قوته المادية، ولما خُوِّفوا بأن لدى بريطانيا طائرات قالوا "الله فوق الطيارة وإلا الطيارة فوق الله"، وأسقطوا بعضها ببنادقهم.

ولو أن أحداً قال إنهم إرهابيون لكان كلامه ينسحب أيضاً على دخول الرياض وضم الحجاز!

وهنا في جدة وقف المشجِّعون مع الهيئة في ملعب الجوهرة، فيجب عليكم يا آل سعود الحرص على الدين والتمسك به، والتعميم على كل القنوات والصحف والمواقع بأن تترك اتهام أهله بالإرهاب والتطرف والأصولية والطائفية والماضوية والظلامية، وإثارة الفتنة وتعكير الأمن، والعمل ضد اللحمة الوطنية، وأن يكون التركيز الإعلامي على ما تموج به دول الكفر كالتثليث والانتحار وشرب الخمر والدياثة، ونُذِر الهلاك الموجودة اليوم في الغرب، وكل ذلك يعترفون هم به ثم على ما يفعله أهل البدع من التفجير والقتل، ومن ذلك أنهم فجّروا في الخبر وقتلوا ضيف الله القرشي، علما أنهم قتلوا الكثير من رجال الأمن ولا يزالون.

وإذا كان الهدف هو الاستعداد للمستقبل وتحقيق الأمن، فهما يتحققان بالدين حتى مستقبل هذه الدينا الحقيرة، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل:١١٢].

هذا ويستدل بعض الناس على الطاعة المطلقة لأولي الأمر (الحكام)، وربما على السكوت عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بحديث (وإن جلد ظهرك وأخذ مالك).

وأي شيء ثبت عن رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس، وله السمع والطاعة، والخير دائما فيما يختاره الله ورسوله، ولا نرد شيئا من السنة لأنه يخالف هوانا عياذا بالله فهذا شأن أهل الأهواء والبدع.

وإنما المسألة أولا هي في ثبوت ذلك وسلامته من المعارض الصحيح له. ثم كيف نفهمه فهما صحيحا، ونتزله على الواقع تتريلا صحيحا، وماذا قال عنه العلماء، ولا نلوي أعناق النصوص لتوافق رأينا أو مذهبنا أو ما يقوله سادتنا وكبراؤنا.

وعلى ضوء ما قرره جهابذة الحديث وأهل مصطلحه نقول وبكل حيادية:

١- هذا الحديث رواه الإمام مسلم رحمه الله في المتابعات، وليس في الأصول عن حذيفة ﷺ.

٢- قال الإمام الدارقطني عن هذا الحديث: "هذا عندي مرسل، لم يسمع ابن سلاّم من حذيفة، ولا من نظرائه الذين نزلوا العراق فهذا يدل على إرساله". أي أن الحديث عند الدارقطني منقطع ومعلول. قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

"أكثر ما انتقده الدارقطني على البخاري الحق فيه مع البخاري، وأكثر ما انتقده على مسلم الحق فيه مع الدارقطني".

والحديث حسّنه الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله لشواهده، ولكن ليس فيها هذه الزيادة.

على أن بعض الإخوة السلفيين قال: "إذا ضعّف الألباني أخذنا به أما إذا صحح فلا"، أي أن تصحيحه يقبل الصحة وعدمها.

وقال بعض الإخوة السلفيين أيضا: (أما أنا فلا أرضى أحدا أن يأخذ مالي ولا أن يجلد ظهري)، أي أنه سوف يعمل بحديث (لا تدعه يأخذ مالك)، وغيره مما سنذكر إن شاء الله.

٣- هذا الحديث معارض بما لاشك في ثبوته وبعضها في الصحيحين، ومن ذلك:

أ- قول الله تعالى: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلۡجَهۡرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ إِلَّا مَن ظُلِمَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٤٨]، والجهر بالسوء يستلزم ذكر المرء بما يكره ومنعه من الظلم لمن قدر عليه بلا مفسدة، ومن ذلك ما يكتب اليوم في المواقع أو ينشر في الصحف أو يقال في الفضائيات، والمهم هو لزوم العدل وقول الحق.

ب- حديث مبايعة ﷺ لأصحابه على أن يقولوا بالحق أينما كانوا، وهذا ما كان يفعله عبادة بن الصامت رضي الله عنه في سوق دمشق وجامعها.

ج- حديث مبايعته ﷺ على النصح لكل مسلم، وهذا ما فعله جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

فترك قول الحق وترك النصح من الغش الذي نهى عنه الله ورسوله، ولا تعارض بين الطاعة وقول الحق.

د- قصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه لما بلغه أن بعض الأئمة يريد أخذ أرضه (الوهط) بالطائف، فلبس سلاحه وأمر غلمانه بلبس السلاح للدفاع عن الأرض، وذلك منه رضي الله عنه إعمال لحديث (لا تدعه يأخذ مالك)، وحديث (من قتل دون ماله فهو شهيد)، الذي رواه البخاري ومسلم.

٤- ماذا قال العلماء في هذا الحديث غير من ضعّفه:

- قال بعضهم هذا الحديث إنما يكون في آخر الزمان بدليل ذكر الدجال فيه.

- وقال بعضهم: هذا الحديث مع انقطاعه متناقض، ولا يتناقض كلام النبي ﷺ أبدا، فإن فيه الأمر بالصبر، مع أن فيه أن المخرج هو السيف، ولا يجتمعان أبدا.

٥- ماذا قال فيه المتأخرون أو المعاصرون:

قال زميلنا الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في تعليقه على الإلزامات والتتبع: (وفي حديث حذيفة هذا زيادة ليست في حديث حذيفة المتفق عليه

وهي قوله (وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك)، فهذه الزيادة ضعيفة لأنها من هذه الطريق المنقطعة والله أعلم) اهـــ كلامه.

وأنا أضيف إلى ما تقدم:

١- لا يدل الحديث بحال على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى وإن صح، بل يجب على كل مسلم إنكار ما يرى من المنكرات بغض النظر عن موقفه من النظام.

٢- هذا الحديث -إن صح- فإنما يدل على الصبر، وهو أفضل من الانتقام عند كل العلماء، وبه أوصي نفسي وكل من دعا إلى الله.

٣- لو أن كل أحد امتنع عن جلده وأخذ ماله لاستحال الأمر إلى فوضى

٤- ما من أحد من الناس إلا وهو يرى أن الحق معه، وقد يكون الأمر بخلاف ذلك.

٥- روى مسلم أن عمرو بن العاص ﷺ وهو الخبير بأحوال الروم ذكر من ضمن ما ذكر، أن للروم خصلة أخرى حميدة وهي أنهم أمنعهم من ظلم الملوك" فللمظلوم أن يشكو من ظلمه ولو كان ملكا أو أميرا إلى من يأخذ له الحق منه، ويجوز له الامتناع عن جلد غيره وأخذ ماله.

٦- هذا الحديث إنما هو في الحقوق الشخصية وتأمل الضمير (الكاف) في قوله (ظهرك، مالك)، أما حق الله فيجب فيه قول الحق والتصريح به، ولا يخشى قائله في الله لومة لائم، وإنما يسلك فيه السبيل الأمثل.

٧- ليس في عقيدة أهل السنة والجماعة طاعة مطلقة، ولم يقل بذلك أحد من السلف قط.

٨- إذا رأى المسلم كفرا بواحا عنده فيه من الله برهان، وجب عليه الخروج مع الإمكان وباتفاق أهل السنة والمرجئة.

٩- الجزاء الأخروي مسكوت عنه في هذا الحديث فربما كان الأمير هو الظالم ولكن الله تعالى ينتصر للمظلوم، ويقبل دعاءه.

١٠- لا يصح في أي مسألة إعمال دليل واحد -وإن صح- مع إهمال ما عداه، وعلى المؤمن أن يجمع الأدلة ويعمل بأقربها للكتاب والسنة، ويستعين على ذلك بأقوال الصحابة وأفعالهم وترجيحات العلماء، ويسأل الله الذي فهّم سليمان أن يفهّمه، ولا يعدل عن الجمع ما أمكن ويشكر من جمع ويدعو له.

١١- الحديث موضوعه الطاعة والمعصية، وليس كيفية الاختيار! وكل ما ذكره علماء السنة والعقيدة من وجوب السمع والطاعة للإمام في الطاعة والغزو معه، وتحريم الخروج عليه حق يجب على المسلمين اتباعه، وهو في حق الإمام الذي توفرت فيه الشروط الشرعية ولذلك نصوا في عقائدهم على هذا، خلافا لمن يرى الخروج بالسيف من أجل إنكار المنكر كما تقول المعتزلة والخوارج وخلافا لمن يرى الطاعة المطلقة كما تقول المرجئة. وهذا من توسّط أهل السنة فهم لا يَخرُجون لأجل الجور، ولكنهم لا يسكتون على المنكر. وأهل السنة وسط في الأمور كلها.

فهم مثلا وسط في المسيح عليه السلام بين اتهام اليهود وغلو النصارى، وهم وسط في الفرق كما أن أهل الإسلام وسط في الملل، وقد نبه تعالى إلى أهمية التوسط فقال جل من قائل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾[الفرقان:٦٧].

وقال: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩].

وجعل صراط الذين أنعم عليهم مستقيما وسطا، بين من علم وخالف عمله علمه، وبين من أعرض عن العلم وعبد الله بالجهل، قال تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:٦-٧].

والمشاهد اليوم هو الميل عن الصراط المستقيم، والتركيز على محاربة أحد جانبي الغلو فقط، وندر من يتحدث عن الانحراف المقابل، ولذلك انتشر الإرجاء وعم الفسق.

١٢- أن أولي ألأمر هم العلماء والأمراء معاً، وليس الأمراء فقط، ومن شكى الأمراء للعلماء فليس خارجاً عن الطاعة.

- قدَر بلاد الحرمين:

اعلموا أن قدر هذه البلاد هو الإسلام كما أنزله الله، وليس الإسلام الأمريكاني الذي يسمونه معتدلا، ولذلك يجب إخضاع كل وزارة أو هيئة أو مجلس أو إدارة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١]، أوليست إدارة مكافحة المخدرات وإدارة حماية المستهلك، والتفتيش الذي تقوم به البلدية، وإدارة الدفاع المدني، وكل الجهات الرقابية التي تحارب الفساد والتبذير وتحفظ الحقوق وتصون المجتمع إدارة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ أولستم لما قلّصتم صلاحيات اليهئات احتجتم إلى غيرها لعدم الخروج على الآداب العامة؟ أوليس الناس ظلوا ينكرون المنكر ويحتجون عليه ولو باسم مخالفة العادات والتقاليد حتى تغيره الجهات المختصة؟

ووظيفة الحكومة الإسلامية كما في كتاب الله هي ذلك، أما المفسدون والتغربيون فيريدون أن تكون بلاد الحرمين ذيلا لأهل الكتاب، وأن يكون مثوى البقية الذين ينهون عن الفساد في الأرض، والغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس، هو الحائر أو ذهبان، ويخلو لهم الجو لتغريب الأمة، غير أن الله يأبى إلا أن يتم نوره، ويعين الذين يأخذون على أيدي من يريدون خرق سفينة المجتمع.

ومعلوم أن السعودية ليست من دول الصمود والتصدي، وهي تعلن أنها دولة غير طائفية، وأنها متشبثة بالمبادرة العربية، وملتزمة بالقرارات الأممية، وهي تؤيد السلطة ولا تؤيد الإرهابيين كما يسميهم الأعداء مثل (حماس، والجهاد، وألوية صلاح الدين، وكتائب شهداء الأقصى) وغيرها.

على أن واجبها الشرعي هو أن تكون أكثر الدول جهادا وعداوة لليهود، إذ أن احتلال اليهود للمسجد الأقصى منكر شنيع يجب على كل مسلم إنكاره وأول من يجب عليهم إنكاره أهل الحرمين.

- الاسم:

قد يصلح أن تنتسب القبيلة لحاكمها أو تكون مشيختها وراثية في الماضي، ولكن ذلك لا يصلح للدولة العصرية المعقدة.

وقد كان العرف القبلي أن ينتسب الناس إلى القبيلة أو الأسرة الحاكمة، مثلما كانوا ينتسبون إلى بني هلال أو بني خالد أو خفاجة أو العثمانيين، والذي سمى المملكة بهذا الاسم الحالي هو فؤاد حمزة الذي كان درزيا ثم أشهد عند موته أنه عاد لعقيدة أهل السنة، كما ذكر زميله خير الدين الزركلي في "الأعلام".

والمسلمون لم يسموا أنفسهم محمديين كما سمى النصارى أنفسهم (مسيحيين)، ولم يسموا المدن التي اختطها عمر بن الخطاب (العمرية) مثلما يقولون: مدينة صدام سابقا، أو مدينة الصدر حاليا، والعزيزية، والفيصلية، والناصرية، والمشعلية، وليس تغيير الاسم بجديد على لاعالم، بل كثير من الدول غيرت اسمها ومنها مثلا: ١- إثيوبيا: كان اسمها التاريخي الحبشة، ٢- موريتانيا: اسمها التاريخي شنقيط، ٣- مصر: وكان اسمها الجمهورية العربية المتحدة، فأصبح جمهورية مصر العربية، ٤- تاليند: وكان اسمها سيام، ٥- سيلانكا: وكان اسمها سيلان، ٦- ميانمار: كان اسمها بروما، ٧- لما اتحدت زنجبار وتنجانيقا سمت نفسها تترانيا، ومثل ذلك كثير.

وأنتم هنا شكلتم لجنة لذلك لا يزال بعض أعضائها أحياء، ولا تزال قراراتها محفوظة، فاقترحت اللجنة تسمية الدولة (المملكة الإسلامية المتحدة) مثلا، ومع أن أمريكا اسم لكل قارات العالم الجديد، فقد استأثرت به الولايات المتحدة.

فيجب إحياء ذلك والتسمية باسم جامع تلتئم عليه الأمة، وليس هذا استهانة بالاسم الحالي "السعودية)، ولكن الانتساب لغير القوم لا يجوز شرعا، وقد أوضح ذلك مشايخنا الأجلاء، كالشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين، والشيخ الفوزان، بل اللجنة الدائمة للإفتاء كلها.

وآل سعود أسرة كريمة من هذه الأمة المباركة، وإن شئت فقل هي قبيلة من قبائلها، ولا يجوز أن تنتسب الأمة كلها لها، لا سيما وأن تاريخ هذه البلاد غير ذلك، وأعظم رجالها بعد النبي ﷺ هم الخلفاء الراشدون، ويخطئ من يقول إنهم سعوديون كما سمعت بنفسي! ولا مانع من تحديد مدة يتم فيها تغيير اللوحات والكتب.

كما يجب وضع مادة في النظام الأساسي تنص على أننا نسير وفق مذهب أهل السنة والجماعة ونعمل بالراجح من فتاوى العلماء (الأئمة الأربعة) وغيرهم، ومن ثمرات ذلك قطع الطريق على المناوئين للعقيدة وقولهم إننا على مذهب الخوارج، أو أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب جاء بمذهب خامس، وتبيين أن القول الراجح مرجعه هيئة كبار العلماء وفقهم الله إما كلهم وإما اللجنة الدائمة للإفتاء، ويجب اتباع كل القرارات والفتاوى الصادرة منهم، ومع الأسف أن المعمول به اليوم هو إهمال كثير من الفتاوى غير ما هو حرام صريح كالربا والتبرج، ومن الفتاوى غير المعمول بها على سبيل التمثيل لا الحصر:

١- الفتوى بشأن منع الكفار من دخول جزيرة العرب.

٢- الفتوى بشأن الابتعاث.

٣- الفتوى بتحريم قول شهيد الواجب.

٤- الفتوى بشأن مسلسل (طاش ماطاش)، والمسلسلات الضارة.

٥- الفتوى بشأن تعظيم الآثار.

وتصحيحا للموقف من إيران أنصحكم بأن تعلنوا أن عداوة إيران عداوة للتشيع والرفض، فإيران شيعية وليست مجرد فارسية تقاومها القومية العربية، وأذرعتها في كل دولة هم الشيعة، والشيعة والمعارضون في السعودية مرجعهم إيران، ولا نقول إن التشيع نوعان: عربي يُقر، وفارسي يُرفض، كما يقول الحيدري وموسى الموسوي بل خلافنا مع التشيع عقدي وفي أمور أكبر من ذلك. واعلموا أنه كما قال أبطحي لا معنى للنار بدون إيران ولا لإيران من دون النار، وأنها تحتفل بالنيروز، وأن اسمها نفسه يدل على انتمائها القديم، وأن الذي حولها للرفض هو الشاه إسماعيل الصفوي، بعد أن كانت صوفية، ودستورها وثورتها صريحان في انتمائها للرفض، أما الشعائر المجوسية والصفوية فليست على الرافضة بغريبة، والحديث الإعلامي عن مظالم العرب في إيران صحيح لكن لا يكفي، وكذا اللقاءات المستمرة مع عرب الأهواز، ومن التناقض القول بأن الشيعة مواطنون مع مراقبتهم والتشديد الأمني عليهم، والعدل هو إعطاؤهم حقوق المواطنة، ومنعهم من حقوق السيادة كالعمل في الدفاع والخارجية والداخلية، وهم كما قال شيخ الإسلام بين الحذر والعقوبة.

وليس الحل لمشكلة اليمن وبلاد الشام وغيرها هو استبدال من ثار عليه الناس بآخر مثله يدين بنفس أيدلوجيته الفكرية، واستبدال من لا يحكم بالقرآن بآخر مثله، كنقل الحكم من بشار إلى نائبه الشرع، أو إحلال دحلان محل عباس، أو إحلال عبدربه منصور هادي محل علي عبد الله صالح.

وإنما الحل في تنحية من لا يحكم بالقرآن والمجيء بآخر عكسه، وبذلك تهدأ الفتن ويستتب الأمر وتحبط سياسة إيران.

- ضرورة إصلاح الإعلام:

يجيب مصارحتكم بالفساد الإعلامي فكريا وسلوكيا، ولعل أوضح مثال هو قناة العربية التي إما أن تكون قناة مستقلة لا تخضع للسياسة الرسمية، ويكون نشرها لفيلم "حكاية حسن" من عندها كما قلتم، فنحن نطالبكم بقناة مستقلة مثلها علما بأننا نتبع الكتاب والسنة والعقيدة التي قامت عليها الدولة، وقد نص النظام الأساسي للدولة على أنها تسير وفق الكتاب والسنة.

وإما أن تكون خاضعة للسياسة الرسمية بدليل اختصاصها بالحديث عن (رؤية ٢٠٣٠) والتعميم على الدوائر الحكومية بمشاهدتها، فيجب عليكم إنكار ما فيها من المنكرات العقدية والأخلاقية، ولا يصح بحال أن تستمر على منهجها الحالي، وإذا بقيت عليه فلا يصح خداع الشعب بأن الدولة تسير على الكتاب والسنة! ومثل ذلك كل القنوات والصحف، والخطة الإعلامية الجديدة للسعودية تقتضي دمج بعض القنوات، فينبغي أيضا دمج الأندية الكروية وإلزامها بالدين.

ومما يدل على ضرورة تغيير منهج السياسة السعودية حاليا ما كتبه الأمير تركي الفيصل الرئيس السابق للاستخبارات والعضو البارز في الأسرة:

ما كتبه تركي الفيصل (١٤٣٨/١/٢٥هـ):

مقال (لا يا سيد أوباما) كتبه تركي الفيصل ردا على اتهامات أوباما لا سيما قوله إن السعودية تغرد خارج السرب، نورد فقرات منه دون أي تغيير -اللهم إلا الترقيم-، وقد ونشرته جريدة الشرق الأوسط:

قال سموه:

"١- نحن من شاركناك معلوماتنا التي منعت هجمات إرهابية قاتلة على أمريكا.

٢- نحن المبادرون إلى عقد الاجتماعات التي أدت إلى تكوين التحالف الذي يقاتل فاحش (داعش).

٣- نحن من قدم جنودنا ليكون التحالف أكثر فعالية في إبادة الإرهابيين.

٤- نحن الذين أسسنا تحالفا ضم أكثر من ثلاثين دولة مسلمة لمحاربة كافة أطياف الإرهاب في العالم.

٥- نحن أكبر متبرع للنشاطات الإنسانية التي تقدم للاجئين السوريين واليمنيين والعراقيين.

٦- نحن من حارب العقائد المتطرفة التي تسعى لاختطاف ديننا وعلى كل الجبهات.

٧- نحن الممولون الوحيدون لمركز مكافحة الإرهاب في الأمم المتحدة.

٨- نحن نشتري سنوات الخزانة الأمريكية وبفوائد أقل.

٩- نحن من يبتعث آلاف الطلبة إلى جامعات بلادك وبتكلفة عالية.

١٠- نحن من يستضيف أكثر من ثلاثين ألف مواطن أمريكي وبأجور مرتفعة.

١١- والآن تنقلب علينا وتتهمنا بتأجيج الصراع الطائفي في سوريا واليمن والعراق، وتزيد الطين بلة بدعوتنا إلى أن نتشارك مع إيران في منطقتنا.

١٢- هل هذا نابع من استيائك من دعم المملكة للشعب المصري، الذي هب ضد حكومة الإخوان المسلمين التي دعمتها أنت؟

١٣- نحن نقود في المقدمة ونقبل أخطاءنا ونصححها.

١٤- وسنستمر في اعتبار الشعب الأمريكي حليفنا، ولن ننسى عندما حمى الوطيس وقفة (جورج هربرت ووكر بوش) معنا وإرساله لجنوده الأمريكيين ليشتركوا معنا في صد العدوان الصدّامي على الكويت حين وقفوا مع جنودنا كتفا لكتف.

١٥- خلصنا العالم من حكم الإخوان المسلمين". أهـ

هذا كلامه الذي نشرته جريدة الشرق الأوسط وهي جريدة سعودية كما نشرته صحيفة سعودية اليكترونية هي جريدة "المواطن"، ولا يمكن القول بأن الأمير تركي الفيصل عدو للسعودية، أو أنه يعبر عن وجهة نظره الشخصية، وأن للسياسة السعودية منحى آخر! بل إن كل الأحداث السابقة واللاحقة لتؤكد كلامه.

والموقف من أمريكا صرح به، كما صرح بقبول الأخطاء وتصحيحها، وبذلك يسدد سموه ضربة قاضية للذين دأبوا على تبرير كل شيء، ولا شك أن قبول الأخطاء وتصحيحها من المواطن أولى من قبولها من أوباما وغيره، ولهذا وجب النصح لكم لكي تغيِّروا على ضوئه.

وهناك ما لم يذكره سموه كتفضيل الغربيين ومنهم الأمريكيون في الرواتب على المواطن، كما أن سموه لم يذكر حراستهم والعلاوات التي يقبضون!

كما صرح بأكل الربا بشراء السندات، ودع أن المسألة ليست مسألة استعانة "قطّ"، ودع أن السعودية لا تحارب حربا عقدية بل تحارب الدين (التطرف)، وتتبرع للروافض في العراق والنصيرية في سورية، والزيدية في اليمن، ودع التعاون الاستخباراتي في نادي الاستخبارات الذي تحدث عنه محمد حسنين هيكل في كتابه "خريف الغضب"، وتشترك فيه أمريكا وإسرائيل ضد العدو المشترك المعروف، والذي فضحه الانفجار الذي دبره الثوار في بلاد الشام، ضد الخلية التي أنشأها بشار، وأيده التعاون بين السعودية والجبهة النصرانية المسماة الجبهة الشعبية لتحرير السودان بقيادة "جون قرنق"، وسماه تركي الفيصل (المشاركة المعلوماتية).

وسموه كما يعلم الجميع كان رئيسا للاستخبارات وسفير للسعودية لدى الولايات المتحدة. والسعودية قاتلت الحوثيين في اليمن بدون طلب قوات أمريكية، كما قال الأمير تركي الفيصل أي أننا إذا شئنا أو شاءت أمريكا لا نحتاج للاستعانة بغيرنا.

في أي شيء نتفوق؟

يؤسفني القول إن الشيء الذي نتفوق فيه وتتقدم مرتبتنا فيه هو كثرة الحوادث وإدمان المخدرات والتدخين، والتلوث الذي تتفوق به شواطئ جدة، وأن البضاعة التي ننتجها محليا ولو أبيحت لما احتجنا فيها إلى استيراد هي صناعة الخمور!

وقد أردتم أن تكون جدة رئة ومتنفسا للشعب وبذلت أمانتها جهدا كبيرا في ذلك لا سيما منذ أن كان مديرها "محمد علي فارسي" ولكن النتيجة أنه انتشر فيها الدين! وكثرت تحافيظ القرآن وظهر العمل الاحتسابي، أي أنه حسب التصنيف الإعلامي كثر التطرف والإرهاب!

وأنا أعلم أن في مستشاريكم من يدلكم على الخير وينصحكم بالحق، ولكن يبدو أنكم لا تحبون الناصحين ولا تقع أيديكم إلا على الليبراليين وكأنه (ما في البلد إلا ذاك الولد)، ولذلك أنصحكم وأنا خارج البطانة.

- حرية التدين:

اعلموا أن الناس أمانة في أعناقكم، فإذا كانت الموالد والبدع التي يفعلها الصوفية والرافضة حقا فألزموا بها الرعية، وإن كانت باطلا فألزموهم بالحق!!

أما السكوت وترك كل طائفة على ما تريد فهو غش للطائفتين معاً، وقد جاء الحديث (ما من راع يموت وهو غاش لرعيته إلا حرم الله عليه الجنة).

وليس في الإسلام حرية منفلتة، بل يجب على الإمام أن يلزمها بالحق ويحث عليه ليل نهار، كما يجب أن يحوط الأمة بالنصح ولا يغشها وأن يعلم أن الله سائله عنها يوم القيامة أحفظ أم ضيع، وترك كل إنسان يعتقد ما يشاء إعمال لفلسفة الحلاج وابن عربي والتتار والمذهب الإنساني وقرارات الأمم المتحدة عن حرية العقيدة وفق القاعدة التي أبطلها شيخ الإسلام ابن

تيمية "كلٌّ يعمل في دينه ما يشتهي"، وكل ذلك لا يجوز في الإسلام، قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الفرقان:٤٣]الآية.

وإذا آمن الناس بحرية التدين أصبحت إقامة حد الردة مما لا معنى له وكذلك إنكار المنكر وهذا مناف للكتاب والسنة والإجماع.

– الحوار:

ألغوا كل الحوارات الخارجي منها والوطني، ونحن إذ نرفض الحوار الوطني كما يسمى نرفض كذلك التقسيم الذي هو أشد وأنكى وإنما يبدأ الانقسام بهذا الحوار المزعوم أو بدعوى الحكم الذاتي والفيدرالية.

وليس الشيعة هم رُبع الشعب السعودي كما زعم غازي القصبي، ولا هم أهل الشرقية كما زعم محمد رضا نصر الله، بل كل الأقليات ما هي إلا مستنقعات جانبية على ضفاف نهر السنة العظيم، ولذلك يجب على الدولة إلزام الناس كلهم بالحق وجعل الأصنام كلها جذاذا كما فعل خليل الرحمن.

ولو أننا جمعنا كل النخاولة والبحارنة والإسماعيلية والليبراليين لما بلغوا ١٠% من الشعب، فالوقوف معهم ليس شرعيا ولا ديمقراطيا، اضف إلى ذلك أنهم مختلفون فيما بينهم إلى حد التكفير والتقاتل كما يقع بين الرافضة، وهكذا الإخباريون والأصوليون منهم، وهكذا السليمانية والداودية من الإسماعيلية، أما الليبراليون فمنهم الشيوعي والناصري والبعثي والقومي، ومنهم الدشير كما قال الأستاذ محمد سعيد طيب.

فليس الشاذ هم عمار بيوت الله في بريدة والزلفي والقصب ومكة وبلاد غامد وإنما الشاذ هو تركي الحمد البريداوي، وعثمان العمير الزلفاوي وعبد الرحمن الراشد القصبي، ومحمد سعيد طيب المكاوي، وقينان الغامدي ونظراؤهم ومراقبة هؤلاء خير من مراقبة مركز أسبار لأن رئيسه فهد العرابي الحارثي "الهاشمي" أصدر كتابا عنوانه أمريكا التي تعلمنا العدل والديمقراطية،

وقد حظي الكتاب بقبول شعبي لا سيما وأن منهجه علمي وموثق من التاريخ الأمريكي نفسه.

ومما يدل على شذوذ القوم أنه لما أجرت الحكومة انتخابات بلدية لم ينتخب الناس هؤلاء الشواذ، فلم السير عكس إرادة الناس وخلافا لرغبة المجتمع؟

- (من يستحق أن يتولى الملك):

الذي ثبت في الكتاب والسنة هو الشورى واختيار الأتقى من قريش، ولذا أنصحكم بذلك، كما أنصح من يتولى من قريش أن يفيد من خبرتكم في المجال السياسي، وكونكم وزراء عنده أو مستشارين له خير لكم في الدنيا والآخرة من أن تكونوا أنتم المسؤولين عند الشعب ثم عند الله، وأنجى لكم من النار وأعذر لكم عند الخلق، وهذا المطلب وإن كان شاقا على النفس فأنتم أهله وأولى الناس به، وفي ذلك مصالح وإيجابيات شرعية منها:

١- أنه لا خيار لنا في ذلك بعد أن قال رسول الله ﷺ: (إن هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان)، أي مهما صغرت الرقعة الجغرافية أو قل العدد.

فهذا حكم مستمر إلى قيام الساعة ولا عبرة بأي قول مخالف لقول الذي لا ينطق عن الهوى ﷺ، ولا خيار لأحد بعد حكم الله ورسوله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب:٣٦]، قال ابن القيم رحمه الله عن هذه الآية: "فقطع سبحانه وتعالى التخيير".

فإن خالفه من يدعي الإسلام دل ذلك على أنه منافق خالص، أو فيه خصلة من النفاق وليست عقيدته صحيحة في الحالين، وهو يسعى إلى إماتة ما أمر الله بإحيائه، وهذا عكس ما فعله النبي ﷺ، فإنه لما رجم الزانيين اليهوديين قال: (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه).

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[الحُجُرات:١]، فلا نقدم على أمر الله ورسوله عرفا ولا عادة ولا نظاما ولا قانونا ولا شهوة ولا أي شيء.

وهو سبحانه أرحم بنا من أنفسنا، وأعلم بأحوالنا وبما يصلحنا، وفي ذلك انتقال سلس للسلطة وتجنيب للأمة شر التنازع والفتن، مع أنه التزام بشرع الله وعمل بمقتضى الدين.

٢- أن أكثر الأنظمة الديمقراطية اليوم تطورا هو النظام الأمريكي حسب الإعلام الرسمي الحكومي عندنا، والرئيس الأمريكي إنما يحكم أربع سنوات فقط، منها المدة التي يكون فيها كالبطة العرجاء فلا يستطيع اتخاذ أي قرار مصيري، وإنما هو أشبه بمن يسيّر الأعمال، فإما أن يكونوا متقدمين فيجب أن نكون مثلهم بل أكثر منهم تقدما، فنحن مسلمون وهم كافرون، وإما أن يكونوا متأخرين فلا يجوز وصفهم بالتقدم، والقول بأن الأمريكان متأخرون يستحيل الإجماع عليه بل الاقدام عليه في الوقت الحاضر، إذ يسيطر الليبراليون اليوم على الإعلام الرسمي، فلم يبق إلا تحقيق مطالب الشعب وأصل الدين بإحياء الشورى، وبذلك يتم أيضا تحقيق مطالب الليبراليين إذ لا يمكن لأحد منهم أن يعترض على الحكم الديمقراطي.

٣- أن من لم يتنازل عن الحكم اختياراً، ويربح رضى الله والأمة، سوف يتركه اضطرارا ولا يربح شيئا من ذلك إذ أن الموت لابد منه لكل حي.

٤- قوة الإيمان في الحقيقة هي في قمع كبرياء النفس وشهواتها ورغباتها، وإنما حفت النار بالشهوات التي منها شهوة الرياسة والعلو في الأرض وهي أفسد لدين المرء من الذئب الجائع إذا عاث في زريبة الغنم - نزهكم الله عن ذلك-.

وقد قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا﴾ [القصص:٨٣].

٥- أن هذا قرار جريء لا ريب، ولكنكم أهل لأي قرار مهما كان جريئا، لا سيما ومصلحته ظاهرة وعاقبته مضمونة.

٦- بعض الحكام المعاصرين يفعلون ذلك لسبب من الأسباب فقد تنازل عبد الرحمن سوار الذهب عن حكم السودان، وتنازل حمد آل ثاني عن حكم قطر. دع من تخلى عن الحكم في العصور الماضية كخالد بن يزيد بن معاوية وغيره، فإذا تنازل غيركم لشيء ما فأنتم أولى بالتنازل لوجه الله. وقد أراد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أن ينقل الخلافة إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر أحد الفقهاء السبعة لكن بني أمية وضعوا له السم كما يقال والله أعلم.

٧- أن تعيين ولي للعهد إنما إرهاص بذلك الانتقال الحتمي، فماذا على المؤمن أن يزيد خطوة واحدة على ذلك استجابة لأمر الله ورسوله؟

وقد استطعتم بلا ضجة أن تنقلوا الحكم إلى الأحفاد وأن تلغوا منصب (وليِّ ولي العهد)، فكيف لا تستطيعون استبدال بطانة السوء وجعل الأمر شورى؟

٨- أن هذا جزء من الإصلاح الذي تسعى الأمة إليه حكاما ومحكومين، ولا يتضرر منه إلا النفعيون الماديون وهؤلاء لا عبرة بهم أصلا ولن يتضرروا كلهم.

٩- أنتم قد وليتم بعض الناس الوزارة وبعضهم ظل سنوات طويلة حتى وهو مريض، وبعضهم نقلتموه من وزارة إلى وزارة، وبعضهم بلغ أعلى رتبة عسكرية، وبعضهم وليتموه وزارتين، ولم يبق إلا من يتولى الملك، ومقتضى المساواة أن التقاعد يشمل الملوك والوزراء كما يشمل سائر الموظفين.

١٠- يصف بعض العلماء قراراتكم بأنها صائبة ورشيدة ومحنكة.. ألخ، وهذه أوصاف عظيمة، تنطبق على ما قلناه، وإذا خلت من اتباع السنة فقد خلت عن كل خير.

١١- أنه لو كان الأمر يبقى لكم لبقي لمن كان قبلكم، ولو بقي لمن كان قبلكم لما وصل إليكم، ولكن المداولة بين الناس هي سنة الله الدائمة في المؤمنين والكافرين.

١٢- أن ذلك لا يمنع من فترة انتقالية محددة ثم إسناد الأمر إلى من يختاره مجلس الشورى الذي سنذكر أعضاءه.

وأنتم تعلمون أنكم لستم من قريش وقد تعلمون أن الخوارج هم الذين قالوا بجواز أن يكون الإمام غير قرشي فحينئذ لابد لكم من أحد هذه المواقف:

أ- إما أن تعلنوا للناس أنكم على مذهب الخوارج وهذا لا ترضونه لأنفسكم ولا نرضاه لكم.

ب- وإما أن تتخلوا عن الإمامة لقريش وهذا هو الذي ننصحكم به.

ج- وإما أن تعلنوا للناس أنكم لستم أئمة، وحينئذ للأمة الحق في أن تختار من تنطبق عليه الشروط الشرعية، ليحكمها أو تعتقد أن الزمان شاغر عن وجود إمام كما في حديث حذيفة.

نعم حب السلطان دافع إنساني قوي كما يرى علماء النفس، وأنا أدعوكم لمقاومة هذا الدافع بالإيمان بالله، وإنما ينافس على السلطة من لا يؤمن بالآخرة كما نرى اليوم من حال الحزبين الديمقراطي والجمهوري في أمريكا، وقس عليها غيرها، ففكروا في الأمر جيدا، ولا تبالوا بشيء مقابل استنقاذ أنفسكم من النار.

كما يجمع علماء الاجتماع على أن المَلَكية الوراثية تؤدي إلى أن يثور الناس وينتزعوا حقوقهم بالقوة، وهذا ما لا نريده لكم ولا للأمة، ولا يغرّكم من يفتي لكم من بعض أهل العلم إن وجد، واعلموا أن العلماء رحمهم الله لم

يجمعوا على خلع الملك سعود وترشيح فيصل للحكم، فكيف يجمعون على من بعده، فكونوا كالشجرة اللينة التي تميلها الريح يمنة ويسرة، ولا تكونوا مثل الشجرة الصلبة التي تنجعف مرة واحدة.

ومن مساوئ الملكية الوراثية الاستبداد والانفراد بالرأي، واتهام الناس لكل تصرف، وكثرة الإشاعات ولو كانت كذبا، وتحكم النساء والصبيان ولو بعد حين!

والإسلام ليس فيه كسروية وقيصرية مطلقاً.

ومما يؤكد وجوب الرأي الجماعي أن مرحلة المركزية والرأي الفردي قد انتهت، سواء كان الرأي علميا أو سياسيا، ومرحلة الرأي الجماعي واللامركزية من فوائدها الشفافية والوضوح، مع إتاحة الفرصة للرأي المخالف للأكثرية أن يبديه صاحبه وينشره للناس في حدود القانون.

وللتخلص من هذه المشكلات ومن كل مشكلة يجب الرجوع إلى حكم الله ورسوله، وما أوضحه علماء السلف الناصحون، وترك أوهام من فتنه الملك وغره المتاع الزائل، فظن أنه يملك البلاد والعباد إلى قيام الساعة.

وقد قال السفاح العباسي إن الأمر سوف يبقى في آل عباس إلى أن يسلموه لعيسى بن مريم عليه السلام، ومعروف ماذا كانت النتيجة، وهكذا كان يظن السلطان سليم، وقبل ذلك ظنت عاد التي بنت بكل ريع آية، وظن الملأ من سبأ الذين كانت المرأة منهم تسير ويمتلئ ما فوق رأسها من الفاكهة الساقطة، وقد كان الشريف حسين بن علي يظن أن الإنجليز سوف يعطونه مملكة أو خلافة؟ والأمريكان اليوم أغدر من الانجليز وأكثر تضحية بحلفائهم، وهم فعلا لهم مصالح دائمة وليس لهم صداقة دائمة، والله تعالى لم يعد أحدا بأن يبقى الملك فيه وفي ذريته إلى يوم القيامة، وقد ذكر الحافظ ابن كثير، رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾[آل عمران:٢٦] القصة التي رواها الحافظ ابن عساكر وفيها:

ما اختلف الليل والنهار ولا ... دارت نجوم السماء في الفلك
إلا بنقل النعيم عن ملك ... قد زال سلطانه إلى ملك
وملك ذي العرش دائم أبداً ... ليـــس بفـــان ولا بمشترك

ومن سأل الأمارة لم يولّها، قال ﷺ: (إنا لا نولي على هذا العمل أحدا سأله وحرص عليه)، وإنما طلبوا أن يكونوا عمالا أو ولاة للنبي ﷺ، وفي أعمال محدودة كصدقة بني فلان، ولم يطلبوا أن يوليهم أمر الأمة، بل ربما لم يكونوا يريدون من ذلك إلا التزكية لهم.

وقد شبه النبي ﷺ إفساد الدين بطلب الشرف والمال بإفساد الذئبين الجائعين لزريبة غنم، وخصص ابن رجب رحمه الله لشرح الحديث رسالة قال فيها: "أما حرص المرء على الشرف فهو أشد إهلاكا من الحرص على المال"، ثم بين ذلك بقوله "فإن المال يُبذل في طلب الرئاسة والشرف". ثم قال في بيان أنواع الحرص على الشرف بالولاية والسلطان والمال: "وهذا الحرص خطر جدا، وهو في الغالب يمنع من خير الآخرة وكرامتها وعزها، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣].

ثم ذكر ابن رجب الأحاديث الواردة في النهي عن سؤال الإمارة، وقال رحمه الله: "واعلم أن الحرص على الشرف بطلب الولايات يستلزم شرا عظيما قبل وقوعه، بالسعي في أسبابه وبعد وقوعه بالخطر العظيم الذي يقع فيه صاحب الولاية من الظلم والكبر، وغير ذلك من المفاسد" اهـــ.

وذكر أن ذلك قد يكون شركا أو سببا للشرك ومزاحمة للألوهية، قائلا: "إن حب الشرف بالحرص على الأمر والنهي وتدبير أمور الناس، إذا كان القصد بذلك مجرد علو المترلة على الخلق والتعاظم عليهم، وإظهار صاحب هذا الشرف حاجة الناس إليه وذلهم له في طلب حوائجهم منه، فهذا نفسه مزاحمة لربوبية الله تعالى وإلهيته"، اهـــ كلامه رحمه الله.

وأنتم أول أسرة في تاريخ هذه البلاد ليس لها صلة بقريش: وقبلكم كان العثمانيون الذين قرأت أنهم من ذرية أدبالي القرشي، وكان ولاتهم الأشراف ذوو النسب المشهور، وكان يحكم الناس آل عائض وهم من قريش أيضا.

وقريش اليوم في بلادٍ كثيرة وليسوا فقط في مكة وجزيرة العرب. وفيهم صالحون كثير ولله الحمد فلم لا يحكمون؟

وهم اليوم أكثر عدداً بالإجماع من يوم كان الصديق من بني تميم ثم أعقبه عمر من بني عدي ثم تلاه عثمان من بني عبد شمس ثم تلاه علي من بني هاشم.

وقد قال العلامة ابن خلدون في الفصل السادس والأربعين من مقدمته: "إن الهرم إذا نزل بالدولة لا يرتفع" وختم كلامه بقوله: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد:٣٨]، وهي آية كريمة اقتبسها للدلالة على ما قال.

وما نراه اليوم من الترف وسوء الإدارة وكثرة المظالم وانتشار الجريمة وتحكم النساء والصبيان وأمثال ذلك، ما هو إلا من علامات الهرم التي ننصح بإزالتها.

وزوال الدول سنة ربانية بينها المصطفى ﷺ في قوله (حق على الله ألا يرتفع شيء من الدنيا إلا وضعه).

وهو كذلك سنة اجتماعية، وسواء نزل الهرم بالفرد أو بالدولة الكافرة أو الدولة المسلمة، فالفرد مصيره الموت، والدولة الكافرة مصيرها الزوال، كما زالت امبراطورية اليونان وإمبراطورية الرومان والإمبراطوريات الحديثة والمعاصرة كالإمبراطورية البريطانية ثم ستزول الإمبراطورية الأمريكية اليوم، وكذا الدولة المسلمة كما كان بنو أمية وبنو العباس والعثمانيون.

وبالقرشية صحت الأحاديث، وعلى ذلك أجمع الخلفاء الراشدون والصحابة أجمعون، ولا نريد لكم ولا لأي إنسان مخالفة ذلك، فيعيش

المخالف معيشة ضنكا، ثم يكبه الله على وجهه في النار، مع أن الأمر ليس لأي قرشي بل لمن توفرت فيه الشروط.

وبذلك تضمنون للأمة الانتقال السلس للحكم، وتدرأون عنها الاضطرابات الاجتماعية، وتقدمون لها خدمة لن تنساها، وتدخلون التاريخ من أوسع أبوابه، وما لديكم من خبرة وعبقرية ودهاء يمكنكم تقديمه لمن يأتي بعدكم.

والملك لله يؤتيه من يشاء، ولا تكونوا كاليهود الذين اعترضوا على إيتاء الملك لطالوت وقالوا (نحن أحق بالملك منه).

ومن علامات آخر الزمان أن تسلب قريش ملكها، ومن نازعها فيه كبه الله على وجهه في النار، والبديل عن ذلك هو إما الملك غصبا، والعمل بمذهب الرافضة في أن الحكم لأسرة معينة، وإما الديمقراطية الغربية التي هي على مذهب الخوارج.

وإنما يتجدد الشباب بالجهاد والخشونة، وقد ذكر ابن خلدون في فصل آخر أن الدولة غالباً لا تتعدى ثلاثة أجيال وهي:

١. جيل الأباء (المؤسسين: وهو جيل بداوة وخشونه وقتال.
٢. جيل الأبناء: وهو جيل بناء واستقرار.
٣. جيل الأحفاد: وهو جيل ترف وتنعم وفيه تتحكم النساء والصبيان وبه تنتهي الدولة.

ومع معرفة تلك السنة الربانية والعمل بمقتضاها يجب أن نعلم حقيقة الأجنبي، فقد ظل المسلمون أربعة عشر قرنا لا يعدون المسلم أجنبيا، وهذا عكس ما عليه الحال اليوم، بل إن الدول التي يسموها متقدمة تمنح الجنسية لكل من ولد على أرضها أو تزوج امراة حاملة لجنسيتها، أما هنا فالبرماوي مثلا يظل برماويا حتى وإن ولد هنا وكذلك اليماني والنيجيري والهندي بل كل مسلم، وإذا عفوا وتكرموا فإنهم يرحِّلون المسلم بلا عقوبة أخرى، ويعلقون كل مصيبة على الوافدين وكأن غيرهم ملائكة، مع أنه لا يكاد يخلو

بيت من خادمه أو سائق، فنحن بحاجة إليهم وليسوا هم فقط بحاجة إلينا، ونحن الذين استقدمناهم وليسوا هم الذين أجبرونا، والمجرمون من حملة الجنسية كثير، ولو أننا جمعنا كل ما يحوله الوافدون من مكاسبهم لقاء عملهم لكان أقل مما يطلبه من يسمى (فخامة الرئيس دونالد ترامب الصديق الحقيقي للإسلام والمسلمين -كما يقولون-) وما ينفقه أهل الفسق أكثر مما يحوله الوافدون، والدولة لا تدفع لهم الأجور فلم هذا التباكي؟

كما أنه في مقابل من يرحلون تستقدم الدولة مثلهم!!

وليس للمملكة العربية السعودية عدو واحد هو إيران كما يصور الإعلام السعودي، بل لها عدوان آخران أشرس هما: أمريكا وإسرائيل، وهما أشد عداوة بمقتضى الشرع المطهر، فالكافر أشد من المبتدع، ولهما قوة صلبة يهددان بها بتفتيت السعودية واحتلالها إلا إذا أصبحت قابلة من ذاتها للتطبيع، كما أن لهما قوة ناعمة يسيطرون بها على الشركات والمشروعات، ويستترفون الثروة ويشغلون الشعب بالملهيات والترف، ونحن أحوج شيء للتغلب على كل عدو، والتغلب على الأعداء إنما يكون بالجهاد الداعي بطبيعته إلى الزهد، والتخلي عن ثقافة الاستهلاك وعبودية الاستيراد، ولا نعني بالجهاد مجرد القتال، فهذا أحد أنواعه، فلنبدأ الطريق بجمع كلمة المسلمين وبيان مخاطر الأعداء، وندع الانهزامية القائلة بما يسمى "الوحدة الوطنية"! مستمدين ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته، ومن تاريخنا الناصع المشرق الدال على سنن الله في التغيير وكيفية ذلك.

ومن السياسة غير الشرعية بل هو انتكاسة فكرية أن نعطي أمريكا مئات المليارات بعد إصدار قانون "جستا" وأن نعطي إسرائيل عن طريق عميلها السيسي مليارات الرز، وكأننا نصيح بعدونا: افعل بنا ما شئت فمحن أمة لا تعتبر.

كما يجب عليكم إصلاح الإعلام، ويجب عرض النساء المحجبات اللاتي هن أكثر النساء والتركيز عليهن في العربية والإخبارية وقنوات الإم بي سي

والروتانا وكل وسيلة، ولا يصح تصويرهن باعتبارهن لاجئات، أما في المسلسلات فهن كاشفات!! ولا يصح الاستهزاء بالحجاب مثلما في برنامج (غرابيب سود).

- بناء المعابد في جزيرة العرب:

لكي نكون دولة إسلامية فعلا، ونحكم بالكتاب والسنة ونغار على الدين يجب مخالفة من يبني الكنائس لا سيما في جزيرة العرب مثل الإمارات والكويت وقطر، ولنبدأ بنصحه وتحذيره من هذا العمل الشنيع، وهذا قد جرأهم لطلب ذلك من السعودية وقالوا إن فيها ٤ ملايين نصراني!

وإذا كان المبنى بيتا للنار كما فعلت الإمارات زادت الحرمة، ويجب نصحهم وبيان أن ذلك لا يجوز وإن أصروا على فعل ذلك، فأقل ما يجب هو عداوتهم وألا يكونوا أعضاء في مجلس التعاون الخليجي.

كما لا يجوز السماح بكتاب "الفرقان" الذي وضعه "شورش" الأمريكي مضاهاة للقرآن كما فعلت الكويت، ولا أي عمل تنصيري كما في البحرين وغيرها.

وأنصحكم باجتناب أهل الغلو والتناقض إذ لا تضمنون أن ينقلبوا عليكم فجأة مثلما انقلبوا على ماضيهم المتدين، ومثلما انقلب عليكم عبد العزيز الخميس وجمال خاشقجي ومن تعلمون. فالتقلب مرضى نفسي وربما لا يعرف صاحبه الاسقرار أبداً.

ومن هؤلاء المجموعة المسماة "إخوان بريدة" ومنهم منصور النقيدان ومشاري الذايدي وتركي الدخيل وفهد العبيد وعبد الحكيم الحميد وهم مجموعة تحولت من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

وبعد أن كانوا يحرقون كتب أهل العلم أصبحوا يدعون المسلمين للتسامح مع أهل كل دين وبعد أن كانوا يستحلون إطلاق النار على الدشوش وإحراق الجميعات النسائية ومحلات الفيديو أصبحوا من أكبر دعاة الفساد في

المجتمع. وأقرب الفرق إليهم وإن كانوا متدينين فرقة الأميشيين النصرانية في بنسلفاينا، مع أنهم أهل توحيد وبعد أن كانت الوسائل الحديثة عندهم من السحر أصبحوا مديري قنوات ومراكز!!

ومما يستلفت النظر أن بعض هؤلاء لا يحمل شهادة الكفاءة (المتوسطة) وربما كان ما يقولونه يكتبه لهم غيرهم، وعملهم هو مجرد القراءة في العربية! وممن أعرفه منهم معرفة مباشرة الأستاذ تركي الدخيل مدير قناة العربية وكذلك منصور النقيدان الذي عينوه في مركز يبحث في الحركات الإسلامية، وتركي الدخيل أقربهم للصراحة عن تلك المرحلة، أما منصور النقيدان فهو كما قال الأستاذ أحمد بن عثمان التويجري مسطول، وأنا لا أنفي أنهم أذكياء وأنهم بحاجة إلى ردود علمية مقنعة، ولكن أخشى عليكم من تقلبهم.

والمقصود أنكم بحاجة إلى شخصيات مستقرة نفسياً وليس شخصيات قلقة متذبذبة.

الخلاف داخل الأسرة:

هذا الكلام صعب مر، وربما كان جارحا لا يرغب أحد من الأسرة التحدث عنه، لكن الصراحة تقتضيه والصدق يستلزمه، وأي خطأ في كلامي فأنا مستعد للرجوع عنه، فأقول:

الخلاف بين الأسرة أصبح اليوم معلومًا لكل الناس، لا سيما بعد سجن الأمراء وتجمع بعضهم في الديوان، ويجب عليكم أن تضعوا حدا للقيل والقال والإشاعات حولكم، وذلك بتصريحات منشورة تتبرأ من أي فعل صدر مخالفا لسياستكم من أي إنسان محسوب عليكم، ولا تلوموا الناس إذا جعلوا كل كلام يقوله أحد منكم محسوبا على الأسرة كلها، مثلما ينسب للوليد بن طلال من كلام عنصري ضد قبائل الجنوب، وما يقوله الأمير ممدوح بن عبد العزيز من اتهامات صريحة للدعاة، ومثل كثير من التصريحات المنسوبة لأمراء

آخرين، عن استئثار أولاد السديرية -كما يقال- بالحكم، وهو ما سمعته مباشرة من بعض أولاد عبد العزيز وأمثال ذلك.

وقد وصل الخلاف بينكم إلى حد أن يسجن بعضكم بعضا ويكيد بعضكم لبعض، بل أن يختطف بعضكم بعضًا، ويضعه تحت الإقامة الجبرية حبيس قصره، وأشد من ذلك أن يغتال بعضكم بعضا، فقد وصل الإيقاع بالأمير تركي بن عبد العزيز إلى حد محاولة سحره كما سنذكر، ثم إن المسؤولين اختطفوا بعض أبنائه كالأمير سلطان بن تركي الذي اختطفوه مؤخرًا، وقد كان يغنيكم عن الكيد والاختطاف، ألا تعطوا الإنسان مالا ولا منصبًا، وأن تتركوه يعيش كما يعيش سائر الناس ويكون رأيه كرأي آحاد الشعب.

وهذا لا يختص بالأمراء، بل وصل إلى الملوك، وأقرب الملوك إلينا هو عبد الله الذي أبناؤه بين معزول ومسجون ولاجئ، وكل من ينتمي إليه فهو على الأقل خائف.

والخلافات بين الأسرة قديمة حديثة ويعلمها الناس كلهم، فالخلاف بين أولاد فيصل بن تركي مسجّل في الدرر السنية وفي تاريخ الدولة السعودية الثانية.

والملك سعود بن عبد العزيز جعله أبوه وليا للعهد، وحكم البلاد مدة طويلة أثناء مرض أبيه، ثم بعده صار ملكا، ولكنكم عزلتموه وجردتموه حتى من لقب الملك، وكانت المناهج التعليمية مدة طويلة من الزمن تدرس الطلاب هكذا (سعود بن عبد العزيز) بدون أي لقب، ومحوتم اسمه من الجامعة وغيرها، ولكنه بعد عزله سافر إلى مصر، وفضح السياسة السعودية في إذاعة (صوت العرب) آنذاك، ولما تولى ابنه محمد بن سعود وزارة الدفاع عمد إلى تطهيرها من أولياء سلفه من الأسرة، فإذا كان هذا هو الحال مع من ولاه الأب نفسه فما الظن بغيره.

والأمير طلال بن عبد العزيز يخالفكم جدا، وقال عن نفسه "أنا مسلم ليبرالي"، وذكر أن قصور أبيه كانت مختلطة، واعترض على قرارات هيئة البيعة علنًا، ولما عينوه وزيرا للمالية أخذ كل ما في الخزينة، كما أخبرني بذلك بعض العاملين معه، وكوّن ابنه الوليد النواة الأولى لثروته الطائلة، وحرر طلال مجلة القصيم صوت المعارضة في ذلك الحين، وعينه الأمراء الأحرار رئيسا لهم، وتنازل هؤلاء الأمراء حتى عن لقب أمير، وطالبوا بإلغاء المَلكية.

والأمير تركي بن عبد العزيز كان يكتب عنكم صفحة كاملة، وإن لم يعطوه صفحة مجانية استأجرها، لا سيما أيام كان صهره الفاسي مسجونا، ثم ممنوعا من دخول المملكة، واستخدم بعض الأمراء كل وسيلة ضد تركي حتى أن أحد السحرة من السودان، تحدث عن أن الوزير الفلاني (من آل سعود) أمره أن يسحر الأمير تركي مقابل كذا من المال!

وادعى الفاسي أنه خليفة المسلمين، فإن كان قرشيا فمن الذي اختاره، وإن كان غير قرشي فليس لدعواه حقيقة!!

والأمير سلطان بن عبد العزيز كان له آراء معلنة يخالف فيها السياسية الرسمية، وقال لأهل جازان "أنقل إليكم تحيات الشعب السعودي"، وابنه الأمير خالد بن سلطان، مالك جريدة "الحياة" تحدث عن الخلافات داخل الأسرة في كتابه (مقاتل من الصحراء)، ولما تولى المسؤولية في وزارة الدفاع، مُنيت القوات بهزيمة معلومة في معركة جبل دخان.

وأخوه بندر بن سلطان لم يعترف بعض الأسرة بنسبه إلا تحت طائلة التهديد.

وبعض الأمراء يعلن انشقاقه، ويجري مقابلات مع فضائيات أو صحف عالمية، يبين فيها أسباب الانشقاق، وكثير من الأمراء ساخطون، ولم يتركوا مناصبهم، إلا بعد أن أعطيتموهم مليارات من بيت مال المسلمين، ومع ذلك

لم يذهب الغل من قلوبهم إذ لا يعدو الأمر أن يكون وضعًا للصقة على جرح غائر.

وقال لي بعضكم إذا أردت أن تأتي إليَّ فتعال وحدك ولم يكن معي إلا واحد فقط من نفس الأسرة المالكة.

والأمير أحمد كان نائبا للأمير نايف، وكان يقوم بالوزارة في أوقات كثيرة بعضها أعرفه بنفسي، لكنه لم يبق وزيرًا إلا أشهرًا معدودة!

والملك خالد قال للشاعر عبد الرحمن العشماوي علنا "ياليتك منا"، وقال عن بعض الأمراء "فلان حرامي".

ووليتم عادل الجبير وزارة الخارجية، وهو منصب سيادي مهم، لم يكن يتولاه من قبل إلا الملك نفسه، وكان السياسيّ عمر السّقاف مجرد وكيل للوزارة، وقد تولى عادل الجبير هذا المنصب في حياة سعود الفيصل، مع أن مظهر الجبير ورطانته بالانجليزية على لهجة أهل (واشنطن دي سي) وإقامته الطويلة بأمريكا تنبئ عن تأثره بطريقة الحياة الأمريكية وتشبهه بالكفار، ولسان الحال يقول: من أراد أن يكون وزيرًا فهذا هو النموذج المقبول لدينا، وكثير من الأمراء لا يرضونه.

وقد أمرتموه بخلع السترة والبنطال ولبس البشت والعقال، أفلا تامرونه بأن يخلع الفكر الغربي ويتبرأ من حياته السابقة، أم أن قوله إن "حماس" منظمة إرهابية سياسة عامة؟

والأمير عبد العزيز بن فهد كان رئيسا للديوان أيام والده، ثم عزلتموه بعد وفاة والده وأشيع أنه قتل! كما عزلتم الأمير متعب بن عبد الله بعد موت أبيه، أما عبد العزيز بن عبد الله فقد طلب اللجوء في باريس.

وبعض الأمراء كتب في الانترنت عن مشاكل البلاد ومشاكلكم الداخلية، وبعضهم كتب عن أسرار خاصة لا يعرفها غير من كان داخل الأسرة، إن لم يكونوا مجموعة من الأمراء.

وبعض القراء يقول إن (مجتهد) أو (العهد الجديد) هما مجموعة من الأسرة، والله أعلم.

وقد كثر المخالفون لسياسة الدولة حتى من داخل الأسرة كالأمير خالد آل سعود والشيخ عبد المحسن العبيكان آل سعود، وممن حدثني عن الخلاف داخل الأسرة الشيخ عبد العزيز التويجري صاحب كتاب (لسراة الليل حتف الصباح)، وهو شخصية معروفة وله علاقة وطيدة بالملك عبد الله، وهو والد خالد التويجري.

وممن كان له رأي مخالف لبقية العائلة الأمير نواف بن عبد العزيز، وقد قيل إنه هو الذي يكتب باسم (مجتهد) أو يرأس مجموعة من الأمراء لذلك توقعاته كلها تصدق والله أعلم، وله كتابات باسمه الصريح ومن ذلك مقدماته لمؤلفات المدعوة (سميرة بنت الجزيرة العربية) التي أسست مجلة الشرقيّة، وهي أخت عدنان خاشقجي، ومقدماته لها تدل على أن له فكرا لا يختلف عمن سماهم الشيخ عبد المحسن العبيكان آل سعود (المفسدين) أو دعاة التغريب.

وكثيرون من الأسرة جعلوا همهم الحديث عن الأزمات والمشكلات التي تتعرض لها الدولة.

ثم إن الخلاف اليوم أصبح علينا مشهوراً وأنا أخشى أن يكون مصير الدولة السعودية الثالثة كمصير الدولة السعودية الثانية، وأصبح المألوف محلياً وعالمياً أن تقوم السلطات باختطاف أحد أو حرف وجهة الطائرة، وهذا يؤكد قصة اختطاف ناصر السعيد ومحاولة اختطاف بن لادن، ومن آخر المختطفين من الأسرة الأمير سلطان بن تركي بن عبد العزيز، والعرض التاريخي للخلاف يطول، وهو كله شر، والرابح فيه خاسر، وهو يفقد الشعب الثقة في الجميع.

وقد ذكر الشيخ عبد المحسن -وهو صادق- أن بعض الملوك كان يتأثر بمواعظه، ويفتخر بالإسلام، وأظن الشيخ خفي عليه أن العلمانية نوعان، منها

نوع لا يعادي الدين، ولا غرابة أن يجتمع الأمران (حب الدين وأهله، وحب التغريب وأهله)، فإن حب الدين يدخل في القسم المتروك للمطاوعة من الأمور، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية لها أثرها البالغ خاصة في نجد، وبقاياها مشهودة، ومن البقايا التأثر بالمواعظ والرقائق.

وأنا اختلف معه في الظن أن (فلانا) مخدوع، فهو ليس بمخدوع وإن كان لا يعلم عاقبة كل تصرّف، فالقضية انحسار في مفهوم لا إله إلا الله وحقيقة الدين وليس خدعة كما يظن فضيلته، واتهامه بأنه مخدوع تنقيص له وحط من قدره، وكان الواجب عليه طاعة الشيخ عبد المحسن لا طاعة المفسدين، والله تعالى يقول عن نبيه صالح: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [الشعراء:١٥٠-١٥٢]، وأخبر سبحانه أن هؤلاء المفسدين لهم تأثير عظيم -مهما كان عددهم- فقال: ﴿وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ﴾ [النمل:٤٨]، والهدم أسهل من البناء.

والشيخ حافظٌ لكتاب الله، ولا أظن مثل هذا يفوت عليه.

على أن العصاة هم أكثر أهل الأرض، ولكنهم غثاء أمام الحق ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦]، وهذا ما نبه عليه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى.

والواجب هو استئصال المفسدين وطردهم من الديوان والوزارات، والله تعالى ضمن أن يعين كل من أخلص له واتقاه، ومن يتقه يجعل له مخرجا، والنبي يبعث في قومه واحدا، ولكن الله ينصره ويؤيده، وليس الشيخ وحده في الإصلاح فمعه العلماء والشعب، فالشاذ هم المفسدون، والغريب أن يزدادوا إفسادًا مع الأيام، وتلك سنة الله في خلقه إذا سكت أهل الإصلاح، والمؤمن ليس خبا، ولكن لا يخدعه الخب، ولما قضى هارون الرشيد على البرامكة لم يذهب ملك بني العباس!

وأنا أسأل فضيلة الشيخ جزاه الله خيرًا، لماذا اصطحب وزير العدل النساء في رحلته لأمريكا؟ وهل كان سيفعل ذلك لو كانت رحلته إلى تركيا مثلا؟ وهل يعقل أن يصطحبهم رغم أنف القيادة؟ أليس لعمله هذا شواهد كثيرة من قبل ومن بعد؟ أليس الحجاب جزءا من الحياة اللاإنسانية التي قال عنها بعضهم من قبل ولكنه ظل في منصبه؟ ألم يقولوا إن الرافضة إخوة لنا؟ وأمثال ذلك من البلايا.

وعلى فرض أن بقاء اللجنة الإعلامية التي ذكر الشيخ كان خدعة، فهل تعيين عادل الجبير خدعة أيضًا، وهل السماح لتركي الحمد أن يكتب ما يشاء خدعة؟ وهل إسكان عثمان العمير في القصور الملكية بالرياض، وإعطاؤه شيكا على بياض خدعة؟ أم أن الواجب على أهل العلم التحذير من خطر هذا المنهج المتبع؟ وبيان حقيقة الإسلام الرباني، وماذا يرى فضيلته من حلٍ إذ كثرت الخدع؟ وهل يجوز للمسلمين أن يحكمهم من يخدعه غيره؟ أليس في الأسرة وغيرها من لا يمكن خداعه؟ أو يفيق إذا نبهه مثل فضيلتكم؟

والواقع أن الفساد يزداد يوما بعد يوم، وهو الآن أكثر مما كان لما قال الشيخ عبد المحسن ما قال، وأرجو من فضيلته أن يزورني فحياه الله وبياه، أو يكتب إلي إن لم يستطع الزيارة. فليس لي غاية إلا الحق والعدل، وهو خير من يخبرني بذلك، وأنا ولله الحمد ليس في فمي ماء، وأستطيع أن أقول ما أعلم، ولا أخشى إلا الله وحده، وربما فعلت ما يعجز عنه فضيلته، وعلمت بعض ما لم يحط به علمًا.

على أن كلام الشيخ يدل على أن مجرد الإسرار، مباشرةً أو بالكتابة -كما يقول المرجئة- لا يجدي بل يجب التصريح بالحق لمن لم يقبل النصح.

والشيخ ليس نكرة بل هو من آل سعود، وكان مستشارًا في الديوان الملكي بمرتبة وزير، وهو أقرب عقديا وعائليا من تركي الحمد وعثمان العمير وغيرهما، وما قاله وفصّله هو دعوته للخير والإصلاح والصالح العام، وكل

كلامه يدل على ذلك، لكن الشيخ العبيكان مطوع مثل مساعد بن عبد العزيز، وخالد الجبير، وعادة المطاوعة أن يكون لهم دائرة محدودة.

لقد تساءل الشيخ حفظه الله ما دخل النساء من وزارة التعليم في القضاء، حيث اصطحبهن وزير العدل الذي هو عضو في هيئة كبار العلماء إلى أمريكا"؟

وقال: أنا لا أستبعد أنهم -أي أهل الفساد- يخططون للإطاحة بالحكم، وصرح أنهم يريدون "قلب نظام الحكم".

فماذا ينتظر المشايخ الأجلاء وإلى متى السكوت؟ وقد قال فضيلته ذلك وكرره لعله يجد أذانًا صاغية؟

وقال: هم يريدون أن تكون المرأة قاضية، وتحدث فضيلته عن اللجنة الإعلامية بوزارة الإعلام، وأن المفسدين استصدروا أمرا ملكيا لها، وقال إن ذلك مخالف للشرع والأنظمة التي صدرت بمراسيم ملكية وبين فضيلته أنه اعترض ويعترض على هذه اللجنة، ونحن معه في ذلك. وتحدث عن (السموم والافتراءات والهجمات التي يشنها المفسدون على من يقول الحق) وصدق.

وتحدث عن أنهم يمنعون القضاة من النظر في القضايا الإعلامية والصحفية، وذكر أنه هو لم ينظر القضاء في قضيةٍ رفعها؟ وأن هذا من خداع أهل التغريب للملك.

ويلتمس العذر للملك بأنه مخدوع!!

وينقل عن الملك عبد الله ما معناه "الشعب والعلماء والكبار والصغار كلهم متدينون"، ونحن يحق لنا أن نتساءل:

صدق حين قال: الملك لا يسمع كلامه، ولكن لماذا فَصَله من الديوان مع أنه يمكن أن يبقى مستشارًا دون العمل بمشورته؟.

ألا يكفي أن الملك منعه من الدخول عليه (كما قال)، وهب أن الملك مخدوع فعلا فإلى متى نظل نحن مخدوعين، ونحن نعلم ما يدبِّره المفسدون ويريدونه؟ وكيف يولَّى هؤلاء المفسدون بينما يودَع المصلحون في السجن؟

ولماذا لا يُساوون بينهم على الأقل؟ مع أن أهل الدين حالهم كما قال الشاعر:

ليس في العالمين أقنع مني أنا أرضى بنظرة من بعيد

ولست أشك أننا إذا سكتنا سوف يجعلون المرأة قاضية، وقد بدأوا ذلك بإصدار مدوّنات يمكن أن يطبقها أي أحد، وقد عينوها محامية ومستشارة قانونية، وأنا أعرف بعض من عينوها ضابطة أمْن فما المانع أن يعينوها قاضية؟

وذكر الشيخ العبيكان أن المفسدين يفرغون عبارات يقولها الملك وتصدر في الأنظمة الشرعية كعبارة "كل قراراتنا شرعية" من المعنى؟

وكثيرا ما قاطعه المذيع خاصة إذا أراد الحديث في أمر حساس.

وقال الشيخ "لا نريد وعودا بل أفعالا"، وصدق والله.

وقال "إن الوزراء يكررون الوعود وتبقى سنوات بلا تنفيذ"، وأقسم الشيخ "أن الناس خارج المملكة يعلمون عنا أكثر مما نعلم عن أنفسنا"، وذلك ما شاهده وعرفه خلال زياراته لهم.

وقال: إن الشعب لم يعد يحب الملك (وضرب لذلك مثالا)، وأن الفساد قد استشرى.

وهاجم العبيكان بعض الوزراء والمسؤولين في الدولة، وذكر أن بعض الأمراء يكتب باسم مستعار، وبعضهم يكتب ولا يذكر اسمه مكتفيا بقول (واحد من الأسرة المالكة) أو نحو ذلك.

وبعد التصرفات الأخيرة اتضحت الأمور ولم يعد خافيا على ذي لب ماذا يريد المفسدون من الأسرة وغيرها.

فلماذا يلجأ بعض الناس إلى الاتهام بالظن ويتركون الكلام الصريح؟ وليس الشيخ عبد المحسن هو المتهم الوحيد، بل بعض المحطات الفضائية المفسدة يعلم الناس من يملكها من الأسرة ومن يكرهها؟ فلماذا لا يجعلونها إسلامية أو يغلقونها؟ وكيف يموّلونها من مال المسلمين؟

أليس فسادها أكبر فساد؟

وهكذا انضم الشيخ إلى ركب الناصحين أو المعارضين لست أدري، ولكنه متطرف أصولي ليس لكلامه قبول!

وليسمح لي فضيلة الشيخ أن أعبر عن رأيي، ولينبهني إن كان به خطأ لا سيما عن اعتذاره:

١. اعتذارك بأن الملك مخدوع غير مقبول عندي إذ هو أقبح من الذنب نفسه.

٢. أنه يعني أنك لم تبين له أنه مخدوع وأن المفسدين يريدون قلب نظام الحكم كما قلت.

٣. أن المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين، وبيانك كافٍ في معرفة ما يريد المفسدون.

٤. أن الواعظين قبلك وبعدك وعظوا و لم تنفع موعظتهم، فقد وعظ الشيخ عبد العزيز بن باز، الذي كنا نلتقي به دوريا لبحث قضايا المنكرات وما يستجد من أمور الدعوة، ووعظ الشيخ عبد الله بن قعود الذي حدثني عن بعض ما أنكر، ولما يئس قدم استقالته، وكذا الشيخ عبد الرحمن الفريّان، كما أن الشيخ بكر أبو زيد غيَّر أسلوب الوعظ المباشر إلى أسلوب إصدار الفتاوى، وأمثالهم كثير.

٥. أن قولك هذا يذكرني بأحد المشائخ المخدوعين فعلاً، الذي قال عن احتلال اليهود للمسجد الأقصى (أكيد الملك ما يدري).

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وقد أخذ عبد الله البردوني ذلك فقال:

فظيع جهل ما يجري   وأفظع منه أن تدري

٦. أنك لست الوحيد الذي فصلوه لما نصح.

٧. أن بعض البطانة الناصحة قد بيَّن كثيرا مما يعلم.

٨. أن بعض الأسرة غير راض بل قال ذلك بنفسه، وكتبه وصرح به للناس.

٩. أن الذي ذكرت ليس الوحيد، فقد كان قبله وبعده من سار على المنهج نفسه، فالشخصيات تختلف ولكن المنهج واحد، وقد قال أحد السلف الصالح (السلطان كالسوق يجلب إليه ما ينفق فيه)، وأنت تعلم أن سعود القحطاني مثلا من البطانة!.

١٠. ينبغي لفضيلتكم أن يكون أكثر جرأة وصراحة، وأن يخرج ذلك للناس ويقيم الحجة على الذين يأكلون الكعكة كما ذكر ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴾[الأعراف:١٦٤]، والواجب هو نصح الحكام فعسى ولعل.

١١. أن عليك تغيير وسيلتك وأن تجرب غيرها، فربما كان ذلك أجدى، فالشيخ عز الدين بن عبد السلام لما رفضوا نصيحته جرب غيرها ونجح.

١٢. أننا لو قدَّرنا أن أحدا مخدوع فأين بقية أصحاب القرار؟ فالمخدوع هو السمَّاع المصدّق لما يقال مثلي ومثلك.

وليس من الخدعة أفعالهم مع عثمان العمير وإكرام عبد الرحمن الراشد، وترشيح النساء للانتخابات المحلية، وإحياء سوق عكاظ، وإدراج الآثار ضمن التراث العالمي وأمثال ذلك، بل ما هو أشد منه كإقرار الربا، واعتقال سجناء الرأي، إذ لا يعقل أن يفعل ذلك كله مخدوعون!

١٣. أن بعض الناس اتخذ مسجدا للضرار ومع ذلك ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡ﴾ [المنافقون:٤]، بل إن منع القضاة الشرعيين من النظر في قضايا البنوك كان قبل أن يتولى المخدوع وقبل أن تكون مستشارًا.

١٤. أنهم أعفوا بعض أعضاء هيئة كبار العلماء كالشيخ راشد بن خنين، والشيخ عبد الله بن قعود و لم أقابل الشيخ راشد ولكني قابلت الشيخ عبد الله بن قعود، وقال لي: أنا قدمت استقالتي وسوف نذكر إن شاء الله بعض المفصولين في فقرة آتية.

١٥. أن بعض الآراء يرتجلها من ذكرت ولا يستشير فيها بطانة ولا مفسدا.

١٦. أنه لما أخطأ من فصلك وقال الشعب السعودي الشقيق، اعتذروا له بأن ذلك زلة لسان فهل كان فصلك زلة قرار؟

١٧. أن المخدوع لابد أن يخطئ بالصواب، ويرجع إلى أصله الذي هو الصدق والوضوح، والملاحظ أن القوم لا يخطئون في مثل هذه الأمور الخطرة فلم يصطحبوا مخالفًا لهم أو يعينوه وزيرًا قط.

١٨. أن في الأسرة -وأنت أدرى- دهاة كثيرين، لا ينخدعون لأحد.

١٩. أنه ليس كل عذر صحيحًا، والله تعالى في كتابه ذكر أعذارًا كثيرة غير مقبولة، كعذر الذين قالوا ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر:٣]، وعذر الذين قالوا: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ﴾ [يونس:١٨] وكعذر من قال ﴿ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة:٤٩]، وعذر القائلين ﴿لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ﴾ [التوبة:٨١]، والذين قالوا﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة:٦٥]، وكذلك من قال ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء:٦٢] وغير ذلك.

٢٠. أن مشكلتك الحقيقية ليست في كونك لم تبين وتنصح، ولكن في كونك متطرفًا عندهم، إذ أنك ملتحٍ، وتحجّب زوجتك، وتسير على مذهب أهل السنة والجماعة، وأنت تكره الرافضة ولا ترضى ببناء كنائس في جزيرة العرب.. إلخ، وهم يعلنون بأفواههم أنهم ليسوا متطرفين ولا مذهبيين ولا طائفيين فكيف يلتقي هذا وهذا.

وأنت فيما يبدو تجاوزت حدود الوعظ والإرشاد! بالتدخل فيما لا يعنيك كما يعتقدون!

وأنت فصلوك ولم يفصلوا حسن العلوي الذي تعرف، وهو شيعي علماني عمل عند صدام حسين (١٥) سنة، ثم جاء إلى الرياض فعينوه مستشارًا بالديوان كما تعلم.

وأنت تدعوهم إلى العدل الذي أمر به الكتاب والسنة، وهم سائرون على سياسة خلفان ولا يلتقيان.

ولذلك لم استغرب أن يفصلوك، فذلك دأبهم مع كل من يسمونه أصولي، فقد فصلوا قبلك الشيخ عبد الله بن جبرين، والشيخ حمد الصليفيح ومن معهم، وفصلوا من يبلغهم أنه على منهج فلان، أو يثني على علان، بدون يقين أو محاكمة، وربما كانت التهمة كاذبة، وربما أثنى عليه فيما وافق الكتاب والسنة وهذا من العدل، كما منعوا بعض أئمة الحرمين من الخطابة بل إنهم فصلوا بعض أعضاء هيئة كبار العلماء منها، لما استنكروا الاختلاط في بعض الجامعات، وقد قال بعض أعضاء هيئة كبار العلماء (نحن موظفون فلا تكونوا مثلنا).

وبعض المشايخ قابلهم وتوسط لديهم فلم ينفع ذلك في شيء، بل فصلوا أو سجنوا من كان طول عمره مؤيدًا لهم مثنيا عليهم، لكنه خالفهم الرأي مرة واحدة، طالما أن ذلك هو رأيهم.

وعندي أن الشيخ الفاضل حسين المؤيد الذي هداه الله للسنة -ولا أعرفه أنا- خير لهم من حسن العلوي ولكن القوم لا يريدون مستقل الرأي، مع أن للمؤيد علاقة شخصية بكثير من أعلام الشيعة وتربطه علاقة قرابة مع آل الصدر، وعلاقة مصاهرة مع آل الحكيم، وقد شهد علماء الشيعة الكبار بنبوغه وعبقريته وهو شاب، وبلغ درجة الاجتهاد المطلق عندهم، لكنهم انقلبوا عليه بعد تسننه، فهم قوم بهت كما قال عبد الله بن سلام ﵁ عن اليهود.

٢١. لا يصح تحميل بطانة السوء كل شيء، نعم هم مسؤولون بين يدي الله عما غشوا به الحاكم وعلموه من الضلال، ولكن الحاكم العاقل يختار، وينبذ أقوال المفسدين.

والصحيح هو عقيدة أهل السنة والجماعة التي لا تناقض فيها، وأنت نصحت فصدقت، لكن لم يطيعوك، وغيرك قال عكس كلامك فأطاعوه، وحسب أنه بموجب هذه العقيدة يجتمع في الإنسان الواحد ما هو طاعة وما هو معصية بل ما هو كفر وما هو إيمان، وعلى هذا أدلة كثيرة من الكتاب

والسنة، ومنها حديث الرجل الذي كان يشرب الخمر، ولكنه يحب الله ورسوله، وأعظم منه أنه تعالى أخبر عن اليهود أنهم يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، ويفادون الأسرى وهو محرّم عليهم إخراجهم، كما نرى اليوم إذ يسمحون بالزيارة والخلوة مع أن السجن نفسه محرَّم، وحاطب بن أبي بلتعة شهد بدرًا ومع ذلك كاتب المشركين حتى أن بعض العلماء قال المانع من تكفيره شهوده بدرًا؛ وإلا فقد جَسَّ على النبي ﷺ، ولا يصح القول بأن حاطبًا مخدوع، بل قد يجتمع الأمران، وللقلب حسب هذه العقيدة مادتان، ولكل حاكم بطانتان وهو لأي المادتين أو البطانتين غلب.

أما العقيدة التي لا يجتمع فيها هذان فهي عقيدة الخوارج والمرجئة، حيث الإيمان عند الفرقتين إما أن يذهب كله أو يبقى كله، ولا يتجزأ ولا يتبعض (وللتفصيل في ذلك يمكن لأي قارئ أن يرجع إلى كتاب الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية (الجزء السابع من مجموع الفتاوى).

وعلى مذهب الخوارج سارت المعتزلة ثم ظهرت الباطنية العبيدية التي هي أشد كفرًا بل هي فرقة مرتدة عن الإسلام وتسمي نفسها الفاطمية وقد قال شاعرهم:

جدي رسولي وإمامي أبي ... وديني التوحيد والعـــدل

فأما كون جده رسوله فهو كذب إذ ليسوا من آل البيت الشريف، كما كتب بذلك أئمة المذاهب الأربعة، وعلى فرض صحته لا ينفع وحده، وأما كون دينه التوحيد والعدل كما قالت المعتزلة فنقول ليته بقي كذلك فهو أخف من أن يكون باطنيًا.

وأما كون إمامه أبيه فصدَق غيرَ أن الله أمرنا باتباع الرسول ﷺ وليس باتباع الآباء، فلا نقول ﴿حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [المائدة:١٠٤]، وهذا مع شهادة القرآن التي هي أعظم شهادة هو ما يشهد به التاريخ أيضا، فكل من يقتدي بأبيه فهذا مصيره، ولما سار التتار على منهج جنكيز خان كان مصيرهم ما هو معروف.

٢٢. أن من كان في سلك الدعاة أو الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ثم انقلب على عقبيه، يعينونه وزيرًا أو مديرًا لقناة أو رئيس تحرير لصحيفة تمهيدًا لترقيته.

٢٣. أنا أسأل فضيلتك وأسأل المطبلين والمرجئة، أليس في إمكان النساء إبداء رأيهن عبر الإنترنت، أو بواسطة محارمهن، عوضا عن حضورهن كاشفات إلى مجلس الشورى؟ أم يريدون أمرا آخر كما أشار فضيلتك؟.

٢٤. كيف يكون مخدوعا من يدعو المغرب لتكون عضوًا في مجلس التعاون الخليجي مع علمه أن للعراق ميناء على الخليج، وأن دورة الخليج تحضرها العراق ولا يدعو العراق لهذه العضوية، فضلا عن إصراره الدائم على أن اليمن لا تدخل؟

فالحقيقة أن القوم ليسوا مخدوعين، وإنما الواجب نصحهم وتحذيرهم من الإفساد والمفسدين، وادع الله أن يهديهم للحق فإن أبوا فاعلم أن الله قد زين لكل أمة عملهم!! وأنه إذا قضى أمرا هيأ له أسبابه ولا راد لما قضى، وأن أكثر الناس إنما يهمهم استمرار العلف أو شيء منه، ولا يتحركون إلا إذا مسه أحد.

٢٥. أليس اعتذاركم بأن فلانا مخدوع، يشبه اعتذار المرجئة عن الانحراف بأنه مجرد أخطاء، وأن الأخطاء البشرية لا بد منها، وأن التقصير من طبيعة الإنسان؟

٢٦. بعد موت ذلك المخدوع في نظرك، وأنت أعلم، هل زادت المنكرات أم نقصت؟ فإن كان الجواب أنها زادت فهل استمر الخداع أيضا؟

٢٧. أخي عبد المحسن، كلامك قريب مما قاله الأستاذ محمد الهويمل في جريدة "الجزيرة الثقافية" بعنوان (فهديون لا صحويون)، إلا أن الأستاذ الهويمل صرح بأن الليبراليين يتعمدون العمل ضد الصحوة وضد الثوابت، ويعملون لاختطاف الثقافة، ويصف أفعالهم بالتدخل الليبرالي الأحمر، في الإشارة إلى سعيهم للثورة والدم!

٢٨. يقول الذي طردك في كلام له يردده الإعلام: إن العلماء وافقوه على أوامره فهل العلماء مخادعون أم مخدوعون؟

وفي الختام أقول لمن يحاربون الأوهام ويطعنون في الهواء، اقرأوا كلام الشيخ كاملا، واعلموا مَن أسرته؟ وما رتبته؟ وانظروا إلى أقواله وزنوها بالميزان الذي أعطاه الله للإنسان، ولا تطغوا في الميزان.

أخيرا أقول أنا لا أنفي الخداع أو أنكره مطلقا، ولكنه لا يفسر كل شيء، والاختلاف بشأن فلان من الناس أهو مذنب أم نلتمس له الأعذار قديم ولا حرج فيه، فإن الله تعالى قال عن أكرم جيل: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾ [النساء:٨٨]، وقال رجل بحضرة النبي ﷺ عن رجل إني أراه مؤمنا، فقال ﷺ: (أوْ مسلمًا)، وفي كتاب "تهذيب التهذيب" لابن حجر رحمه الله نماذج كثيرة لذلك، فقد يقول أحد أئمة الجرح والتعديل المعتبرين عن رجل هو ثقة، ويقول إمام آخر هو ضعيف.

أما الآن فإذا قال أحد الناس كذا مما يعلم، اتهموه في عقيدته!!.

– الميثاق القديم والحنث العظيم:

أما الميثاق فهو ما حدث بين الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وبين الأمير محمد بن سعود رحمه الله، فهناك في قلب الصحراء بعيدا عن السلطة المركزية في اسطنبول، تعاقد الكتاب والحديد، والقلم والسيف، على الدعوة إلى التوحيد وإقامة الدين على منهج السلف الصالح، وقامت دولة التوحيد على عمودين متساندين، وهو تجربة من تجارب الإصلاح والتجديد المتنوعة التي يجب دراستها بعمق وحياد.

ولما كان من غير سنة الله أن يظل العمودان على حالهما، فإن أسوأ ما يُتوقع هو انهيارهما معا، وسبب الانهيار دائما هو الركون إلى الدنيا حيث يفقد العالم عزة الاستغناء عن السلاطين، ويقع الحاكم في ذل العبودية لشهوة السلطة، ثم إن لكليهما سببه المستقل، وفي التاريخ نماذج كثيرة للجدلية

الدائمة بين العلماء والأمراء عند افتراق القرآن والسلطان، فكلما كان العالم أتقى وأقوى كان استعلاء الحق أظهر، وكلما كان الحاكم أدهى وأقوى بدون عالم، كانت صولة الباطل أغلب.

إن عنصر الضعف في هذه التجربة هو أن بقاء الكيان مرتبط بوفاء السلطان للقرآن، وهو أمر غير مضمون، كما دلت التجارب التاريخية الكثيرة، لأن الأصل هو التوحد وليس التقاسم، أي أن يتخلق السلطان بالقرآن ويتجسد الكتاب والميزان في الحديد والسلطان، وإذا كان شرط بقاء العمودين هو التوازن، فإن التوازن هنا يقوم على التكافؤ في القوة، وسنة الحياة تأبى استمرار التكافؤ، بل تدل على أن الحديد عادة يتسلط على الكتاب، وأن القوة تطيح بالميزان، والمخرج الصحيح ميسور، ففي إمكان عمود الحكم أن يستولي على الشرعية كاملة بالتزام شروطها، وهو التفقه في الدين، والعمل بمقتضى الكتاب والسنة، وحينئذ ينتفي سبب النزاع أصلا، أما الكارثة فهي في عكس ذلك، أي في تحول العالم إلى جزء من سلطة الحاكم بأن يكون "موظفا" عنده، ففي الحالة الأولى يصبح العمودان عمودا واحدا قويا، ويتحقق شكل من أشكال التوازن، وفي الحالة الأخرى يختل التوازن فينهار العمودان معا، ويقع الحنث العظيم.

ومن هنا كان أصلح أيام الدولة الإسلامية هي حين يحكمها العالم الزاهد الفقيه كعمر بن عبد العزيز، ثم التي يحكمها الحاكم المنقاد للشرع، وأسوأها هو حين يحكمها الجاهل بالدين مع غياب العلماء الأقوياء الناصحين، أو يتسلط عليها الكهنوت المتعصب، مثل بابوات الكنيسة وملالي الرافضة، أما حين يكون الحاكم طاغوتا والعلماء مضطهدين فذاك خروج عن الإسلام.

إن التاريخ نفسه يحدثنا عن تجربة واقعية قريبة أيضا، فعند انهيار العمودين بسقوط الدولة السعودية الأولى، استطاعت دولة سلفية أن تحمل الراية جزئيا من حيث الجغرافيا، ولكن كليا من حيث الشرعية، وهي دولة

آل عائض التي حكمها العالم العادل علي بن مجثِّل اليزيدي، هذا الرجل الذي لم يعاهد أحدا من الخلق لكنه أخذ العهد على نفسه بالسير على المنهج القويم، وقد لقبه بعضهم بالنجدي لأنه سار على السلفية نفسها، واستطاع أن يهزم جيوش الباشا، ومن هنا نقول إنه كان في إمكان الدولة السعودية الثانية أو الثالثة أن تخرج للأمة الحاكم العالم دون أن يكون ذلك خيانة للعهد، بل ذاك توثيق له أيما توثيق، فماذا على الأمراء أن يتفقهوا في الدين ما دامت لا تقوم شرعيتهم إلا به؟ لاسيما والطريق مطروق والدرب سالك والتجربة قريبة؟ وهذا دليل واقعي على إمكان ما هو ممكن عقلا وواجب شرعا في كل حاكم.

لقد مرت سنوات ليس بين الأمراء فقيه، ولا في كليات العلم الشرعي وحلقاته أمير، وإن وجد فهو قليل لا يكاد يذكر والشهادات غربية! والتخصصات غير شرعية!

ومن يعلم نسبة دارسي الشريعة مقارنة ببقية الأمراء يعلم هذه الحقيقة، والأمراء المتنفذون في الدولة هم أوضح الأمثلة، إذ ليس فيهم واحد من طلبة العلم الشرعي!!

ولا تفسير لهذا إلا أحد أمرين:

١- إما باعتمادهم في العلم على العمود الآخر (العلماء).

٢- وإما إعراضهم عن العلم الشرعي وقلة اهتمامهم به.

ومقتضى الأمر الأول هو إعزاز العلماء والتلقي عنهم وتنفيذ ما يشيرون به، ومقتضى الأمر الآخر معروف، فأيهما يدل عليه الواقع والحال؟

إن مقارنة بين خريج كلية الشريعة في المملكة وخريج كلية الحقوق في مصر من السعوديين قبل ٤٠ سنة تعطينا صورة لذلك:

فالأول يوظف مدرساً في المرحلة المتوسطة، والآخر يعين مستشاراً في مجلس الوزراء أو وزيرا أو في أي منصب، وفي ذلك دلالته على التوجه لاستبدال الشريعة الدينية بالدعوة الدنيوية، أي الجنوح نحو العلمانية؟

وإذا كانت العلمانية هي الغول البشع الذي يكسر بيضة الأمة، ويحول دون اجتماعها، فإن لها في كل بلد أسلوبها المتميز ولونها الخاص، وهنا في بلد تقوم شرعيته على ميثاق الدين، وجدت العلمانية سبيلها في نخر عمود الدين وتقليصه، مستندة إلى العمود الآخر مغررةً به، وكان شعار الليبراليين في هذه البلاد (لنحكم أو لنهدم)، وهذا هو ما يريده أهل الكتاب لا سيما الأمريكان.

ولم ترتكب العلمانية هنا حماقة الخروج المباشر على الدين كما فعل "أتاتورك" مثلا، أو "أمان الله" الأفغاني أو "بورقيبة: أو "عبد الناصر"، بل سلكت طريق التقليص التدريجي لمفهوم الدين، ثم وجهت معاولها لهدمه في صورة هدم المؤسسات الدينية، أي حصر الدين في جزء يسير من مؤسسات الدولة وهو أكبر ممهد لإسقاط عموده كله، وفسر الليبراليون التاريخ تفسيرا ساذجا، وقالوا: "إن السعودية تسلقت على الدين لتصل إلى الحكم"، وقال آخر: "السعودية دولة مدنية"، وطالب ثالث بتصحيح عقيدة محمد كما سماها مثلما صحح محمد عقيدة إبراهيم حسب زعمه!

وأنا أقول بثقة في الله: إن كيان التوحيد سيبقى، لكنٍ على عمود متوحد جديد، وما علينا جمعيا إلا أن نجتهد في بنائه وتثبيته كلٌّ بما يستطيع، وتيار التدين أثبت وأقوى من أن ينهزم أو يستسلم، وإنما الخوف عليه أن ينخدع أو يتشرذم.

إن وزارة المعارف التي التهمت مؤسسة دينية رسمية "رئاسة تعليم البنات"، ليست علمانية كاملة، بل إن فيها من الرجال المخلصين من لا يقل إخلاصا ودعوة عن الدعاة المنكرين للدمج، والسياسة التعليمية للسعودية صريحة في أن الإسلام هو الأساس.

ومن هنا احتاج تمرير العلمنة فيها ودمجها في المعارف إلى قرار فوقي، أي إلى أمر تنفيذي سياسي، وليس إلى قرار مهني تربوي أجمعت عليه الأمة، والقرار السياسي حين يخدم العلمانية، إنما ينتقص السياسة التعليمية للمملكة،

هذه السياسة التي من نقضها وقع في الحنث العظيم، وسقطت شرعيته المستمدة من الميثاق القديم.

والأمثلة كثيرة غير ذلك منها: تقليص صلاحية الهيئات وتقليل مدارس تحفيظ القرآن الكريم، ويدلك على ذلك أن تقارن بين نوع المعلّم اليوم بنوعه من قبل، وبين واقع الدعوة والبيئة اليوم وبين واقع ذلك قبل عقود.

ويجب أن يعلم المسؤولون أن دوام الحال من المحال، وأن ترك الأمور بلا ضوابط وضمانات ينذر بعواقب وخيمة، يعم ضررها الأمة كلها، ومن هنا وجب على كل من يهمه الأمر منها أن يسهم بما يستطيع لحلها، ومن حق هذه الأمة أن تعرف مصيرها وتتدبر أمورها.

وآل الشيخ هم الطرف في هذا الميثاق ولا يصح أن يكونوا ملحدين أو مشغولين عن العلم بالكرة والبلوت.

إن غموض المصير وتعليق القضايا الحاسمة لا يزيد المشاكل إلا تفاقما، ويفتح الباب لمصاعب جمة على كل المستويات، ومهما طال التأجيل أو التسكين فسيؤدي في النهاية إلى اتخاذ قرارات مرتجلة غير مدروسة، فتتضاعف الأزمة وربما تحل الكارثة.

والضمان الذي نقترحه هو: إنشاء مجلس مستقل من أهل الحل والعقد، لا يكون له صفة الشورى الحالية أو غيرها، بل هو أشبه بمجلس طوارئ أو خلية أزمة متنفذة، تُلزم الحاكم والمحكوم بالشرع والعمل بالكتاب والسنة، وتساوي بين الناس في العطاء، أي تحكم بالقسط بين الرعية وتساوي في العطية، وللمجلس كل صلاحياته الدستورية التي تجيز له تعديل النظام الأساسي وتعيين الحاكم، والاهتمام بكل قضايا المسلمين. وسيأتي بيان كيف نكوّن هذا المجلس وممن يتكوّن؟

ولا يجوز القول بأن قضايا المسلمين شأن داخلي، كقضية الشيشان وأراكان وإفريقيا الوسطى وغيرها، أو تركها للأمم المتحدة أو الدول التي كانت مستعمِرة لحل النزاع.

ويجب دينا محبة الأتراك ومساعدتهم سياسيا وماديا، وبذل المال لمن وقف مع الدولة العثمانية ضد الانجليز، كأهل حائل الذين رفضوا أن تمد بريطانيا سكة حديد بين البصرة ويافا، وكان يحكمهم محمد بن عبد الله الرشيد، الذي ظن كثير من أهل نجد أنه المهدي لما كان في عهده من الأمن والرخاء.

- عقدنا الاجتماعي:

ليس عقدنا الاجتماعي خيالا تخيله "روسو"، ولا افتراء يفتريه "هوبز"، وإنما هو بيعة شرعية واقعية جرها الخلفاء الراشدون، وكتب شروطها أئمة الإسلام المعتبرون، مثل الماوردي ونظام الملك وابن تيمية، وآن لنا أن نبدع ونجدد فالحكيم العليم سبحانه أرشدنا إلى القواعد الكلية وترك لنا التفصيلات بحسب المكان والزمان رحمة منه غير نسيان، ولكي نحقق العقد الاجتماعي كما أمر الله وجاء في شريعته الغراء علينا أن نستلهم ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه السلف الصالح، وأن نكفر بالمذاهب الغربية كالديمقراطية مثلا نيابية أو مباشرة، فلسنا في حاجة إليها لا فلسفة ولا آلية، وإنما نحن في حاجة إلى الإفادة من تجارب الأمم في السياسة والإدارة والنظم، نأخذها أخذ المعتز بإيمانه المستعلي بدينه، ولا نضع قوانين انتخابية بل ضوابط للشورى، والبيعة عقد بين طرفين لكل منهما حقوق وعليه واجبات، وإذا قام الإمام بواجباته كان أجره عظيما، وإذا لم يقم بها كان إثمه عظيما، والإمامة تكليف وليست مجرد تشريف!!

والناس هنا إنما يبايعون على الكتاب والسنة لا على غيرها، ولم يبايع أحد أبدا على العمل بالدستور أو اتباع النهج الغربي، ومن الحيف أن ننظر إلى ما يجب على المحكوم فقط، دون ما يجب على الحاكم أو العكس، فالعقد أصلا تبادلي وليس من طرف واحد فقط، والشاذ هو الذي يدعونا لغير ذلك.

وعلى هذا ينبغي أن يكون عقدنا الاجتماعي، وينبغي أن نعمل به باستمرار، ولا نكون مثل الليبراليين الذين لا يذكرونه إلا إذا حلت ذكراه، وهذا أحد مظاهر شذوذهم عن الأمة.

ومثلما خاف الغرب أن يُبعث الإسلام من جديد على يد الإخوان خاف أن تثور الشعوب على أفكاره فينبعث من جديد، وهكذا خافوا من امتداد الربيع العربي كما يسمونه إلى بقية المسلمين، وهذا الخوف مع غيره جعل الأمريكان يبدؤون في التخلي عن المنطقة وجعل الروس يعلنون الانسحاب من بلاد الشام، قبل أن يحل بهم ما حل في أفغانستان.

وجعل الشعوب في الغرب تراجع مواقفها مع إسرائيل، فالكل يعلم أن الشعوب تكرههم.

والربيع العربي نوعان:

١- ربيع ثائر متضجر عبر عن سخطه، من خلال الثورات التي قامت في كثير من الدول.

٢- ربيع غاضب يغلي كغلي القدور، وسوف ينفجر يوما ما، إن لم تتحسن الأوضاع، وصمته يدل على الكتمان وليس الموافقة.

والغرب يعلم الأثر الديني وراء الربيع العربي بنوعيه، وهو الذي يفرض الأنظمة المستبدة المتسلطة ويصرح أن البديل عنها هو الإسلام، أي أنه اختار بتأييد الأنظمة أهون الشرين عنده.

والشعب هنا صابر خائف، وهو لم يطالب بحقوقه إذ يخدره علماء السوء ودعاة السوء، وإعلام السوء بأن المطالبة بالحق خروج على ولي الأمر، ومن مداخل الشيطان وأوليائه نشر الفساد في هذه البلاد بحجة أننا الدولة الوحيدة في العالم التي تحرم دور السينما والاختلاط، وكذا، وربما كان ذلك صحيحا، ولكننا أيضا الدولة الوحيدة في العالم التي فيها الحرمان الشريفان، وفيها نزل القرآن وفيها بعث الله نبيه الكريم محمدا ﷺ، وهي وحدها التي تقول إن دستورها القرآن، فكيف نفخر على غيرنا ونقلدهم في آن؟

ليس طلب المشروعات وتحسين الأوضاع المادية مما يعاب، بل هو مما يستعان به على طاعة الله، وقد طالب أهل الشام عمر بن الخطاب بذلك، كما طالب به أهل البصرة على لسان الأحنف بن قيس، وكتب عمر نفسه إلى أهل مصر طالبا امداد أهل المدينة عام الرمادة، وذلك داخل في الإنفاق والصدقة الواردين في الإنفاق كثيرا، ومثل ذلك (الوقف) المجمع عليه بين المسلمين، وعمر فرض لكل مولود في الإسلام، وإن كان أبوه موظفا، والغرب اليوم يفرض لكل مولود إعانة، ويعطي كل عاطل حتى يعمل.

- أنصحكم أن تتابعوا بأنفسكم ما يقوله عنكم منتقدوكم، سواء من المواطنين أو غيرهم، فهم المرآة التي يكون عليها إصلاح العيوب، ولا تنظروا لكلام المداحين والغشاشين والمطبلين، ولو كانوا ممن يتمسحون بالعلم.

ودعاة الإصلاح لا يريدون الفتنة أو تعكير الأمن كما يزعم المنافقون، وإنما الفتنة هي التطبيع مع من دأبهم قديما وحديثا إثارة الفتن، وإيقاد الحرب، وبيع السلاح لكلا طرفي الفتنة، وإحياء النعرات الجاهلية بين القبائل والمناطق والأقاليم، ومن الغش لكم قول من يقول "للقدس رب يحميها"، و(لو قامت دولة فلسطينية فستكون مثل الدول العربية) أي أنه لا يمكن جهاد اليهود، وقوله بعدم قيام الدولة الفلسطينية هو اعتراض على المبادرة العربية والسياسة السعودية كلها، وأنتم أعلم.

- واحذروا أن يتسلل دعاة الفتنة والفساد من (رؤية ٢٠٣٠)، ويتذرعون بها لمآربهم حتى فيما لا علاقة لها بالرؤية، كدخول النساء للملاعب والحفلات الماجنة، ومسابقات البلوت.

- وأنا لا أنصحكم بإعطاء موظفي القطاع العام فقط بدل غلاء معيشة، بل أنصحكم بالاستمرار في اعطاء العلاوة كل سنة للموظفين والمتقاعدين، وإعطاء موظفي القطاع الخاص أيضا، وأولى منهما من لا عمل له كما تفعل الدول الغربية.

ولا تجعلوا الخدمات مرتبطة بكبار القوم، كما كان الناس -وأنا منهم- إذا سكن في الحي أحد الكبار استبشروا لأن الخدمات سوف تصل، وإذا انقطع شيء منها سيعود فورا، وكنت أقول لأبنائي إذا صرخوا اصبروا فإن فلاناً سوف يعيد الخدمة!

- ولا يصح أن يكون خيرنا لغيرنا، لا سيما والله تعالى يقول: ﴿قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾[البقرة:٢١٥]، ورسوله الكريم ﷺ يقول (ابدأ بمن تعول)، ويقول: (أمك وأباك وأخاك، ثم أدناك أدناك)، كما لا يصح أن يأخذ منا صندوق الدولي ويقرضه لمن يشاء، ويكون الشكر له فوق أخذه ربا القرض.

- اعلموا أن المسؤولية الأولى على الحكومة في كثير من المنكرات والفواحش، فبعض الناس لا مانع لديه أن يخلو بالشغالة، وبعضهم يستقدم الخادمة من بلد والسائق من بلد آخر، ولا يعلم ماذا يفعلان؟ وبعض الناس يستقدم ساحرة أو داعية لدينها، وبعض الناس يؤجر أرضه لمن يستخدمونها مقبرة لمن لا إقامة لديه من أصحابه، ورأيت بعض الكفار يوم الجمعة يصيدون السمك في مياه المجاري!

والمآسي كثيرة، والواجب ألا يستقدم أي كافر مطلقا، وألا يستقدم كل مسلم بل المؤمن التقي فقط، وألا يشتغل أحد بدنياه متلهيا عما يفعله الخدم والسائقون من الدعوة لدينهم، أو الفساد خلفه، وأنا هنا لا أدعو إلى سوء الظن عياذا بالله، وإنما أدعو إلى سد منافذ الشر، وأرجو من الدولة والعلماء ومن مكاتب الاستقدام، ومن الدعاة والهيئات والإعلاميين، القيام بواجبهم في ذلك، وكل مسؤول بين يدي الله.

- ربما كانت أكثر الشبهات عند الساكتين عن الإنكار شبهة أن أعداء الدولة سوف يتعلقون بهذه المنكرات لو ذكرناها!

وهل يخفى عليهم شيء منها، وهل الإنكار إلا على ما هو ظاهر في الأسواق والشوارع والقنوات والصحف؟

ألم يقل الأمير خالد بن سلطان إن الأمريكان اكتشفوا التفاوض مع الصينيين عبر الأقمار الصناعية؟

ولماذا يقول الغربيون إن هذا خطوة في الاتجاه الصحيح أو خطوة نحو إعطاء المرأة حقوقها؟

ومن الشبهات التي يتعلق بها بعض الناس ويبررون بها ترك المنكرات أن ذلك مجرد أخطاء بشرية أو تقصير طبيعي.

ومع أن هذا القول باطل كما سنذكر إن شاء الله فهو أيضاً دليل على الجهل بحقيقة المعركة الدائرة اليوم. وهب أن ذلك مجرد أخطاء وتقصير فأين الحياء من الله، أيسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة، ونستمر في أخطائنا وتقصيرنا؟ وما حكم النصح لتلافي التقصير والخطأ؟

- إلى متى نظل في رق هذه المخالفات؟ أما آن لنا أن نكف وتخشع قلوبنا لذكر الله ومانزل من الحق؟ ونتدرج فعلا نحو التوبة وتلافي التقصير، ولا نتدرج نحو المعصية والانحلال، ولا نبرر ذلك بأنه مجرد أخطاء بشرية، أو نتمسك بالأوهام ونزكي مجتمعنا ونقول إنما يحدث هو مجرد أخطاء، بل نرد ذلك إلى تفريطنا في جنب الله، وقد قال عمر ﵁ كما روى البخاري وغيره (وددت لو أني خرجت من هذا الأمر كفافا لا علي ولا لي) فلم لا نعكس النظرة؟

ولنفرض جدلا أن ما نرتكبه مجرد صغائر فأين الإيمان بعظمة الله؟ ألم يقل التابعي الواعظ بلال بن سعد "لا تنظر إلى صغر المعصية، وانظر إلى عظمة من عصيت"؟

وأنا أقول إنه يجب التدارك قبل فوات الأوان، وإن المسألة ليست مجرد أخطاء، بل هي انحراف منهجي يوجب النصح والتحذير، وإليكم ما يحضرني من الأمثلة:

- هل التحالف مع الكفار والعمل تحت قيادتهم مجرد خطأ؟
- وهل اعطاء علي عبد الله صالح والسيسي مئات المليارات مع حرمان أهل الدين في مصر واليمن من ذلك مجرد خطأ؟
- هل اتباع كلام خلفان مجرد خطأ؟
- وهل تغريم الزوج مجرد خطأ؟
- وهل استشارة الإسماعيلية والروافض مجرد خطأ؟
- وهل سَجن الدعاة سنوات مع تعيين العلمانيين والليبراليين وزراء ورؤساء تحرير ومديري قنوات مجرد خطأ؟
- وهل تأسيس هيئة للسياحة والآثار مجرد خطأ؟
- وهل إعطاء الغربي أضعاف الشرقي مجرد خطأ؟
- وهل ترك محاسبة المهملين مجرد خطأ؟
- وهل إقامة البنوك الربوية مجرد خطأ؟
- وهل القرارات المجحفة بحق هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مجرد خطأ؟
- وهل المثقفون السعوديون هم المذيعون والمذيعات في القنوات أو غيرها؟
- وهل حضور بعض الصليبيين للقمة الخليجية مجرد خطأ؟
- وهل افتتاح كليات للحقوق مجرد خطأ؟
- وهل دخول النساء الملاعب مجرد خطأ؟
- وهل افتتاح السينما مجرد خطأ؟
- وهل كون ٨٥% من الناس بلا مساكن مملوكة مجرد خطأ؟
- وهل قوة لجنة التعديات على الضعفاء وسكوتها عن الأقوياء مجرد خطأ؟
- وهل رصد جوائز للمتفوقين في لعبة البلوت مجرد خطأ؟

ومثل ذلك أسئلة كثيرة جدا؟

– وأخيرا: لماذا لم نخطئ مرة واحدة فنفعل ما هو صواب عن طريق الخطأ؟

وماذا يجب على المسلمين عامة وأهل العلم خاصة والناصحين المشفقين إذا تراكمت الأخطاء؟

والله تعالى قطع كل روابط الولاء والمودة إلا رابطة العقيدة وحدها، قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] الآية، فكيف بمن كفر برسالة محمد ﷺ وهو بعيد النسب عنا جدا مثل حاكم الصين، ودونالد ترامب؟

وإذا لم تكن الأواصر إسلامية، وقعت الفتنة في الأرض والفساد الكبير، فتعكر الأمن وقامت الثورات وانتشر الظلم، وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣]، ومع تداعي الامم علينا، وقعت القطيعة وفشلت كل الأواصر من عربية أو إقليمية أو خليجية أو وطنية.

–اعلموا أن مفارقة الجماعة لا تقتصر على الخروج على أمراء المسلمين أو الخلفاء بل هي مفارقة السنة إلى البدعة، وإنما أرشدنا النبي ﷺ إلى اعتزال كل من خالف أمر الله ورسوله، ولو أن نعض على أصل شجرة حتى نلقى الله.

–نحن نؤمن بالخلافة الراشدة ومن سلك سبيلها في أي عصر من ملك أو سلطان وليس من ديننا أن يكون الحكم وراثيا، بل من حق الأمة أن تختار من يحكمها بشروطه الشرعية التي منها الصلاح والعدل والقرشية، وهذا دعوة للجماعة، أما الملك العاضّ أو الجبري فلن تجتمع عليه الأمة قط، وإنما يجمع الأمة اتباع القرآن والسنة، والإيمان بالجمل الكلية فيهما، وبذلك تتوحد في جهادها وعملها كما تتوحد في قبلتها وصومها وحجها.

وقد قرر الشاطبي رحمه الله أن الاجتماع على غير السنة خارج عن معنى الجماعة.

وهذه الجماعة ليست حكرا على أحد، بل ينبغي لها اجتماع الأئمة الربانيين الذين يخشون الله ولا يخشون أحدا إلا الله.

ولما تحطمت السفينة الكبرى السائرة على منهاج النبوة، كان لا بد للمسلمين من زوارق صغيرة يلجأون إليها، فكانت منهم جماعات، لكل جماعة منهج وأسلوب في الإصلاح.

وبعض الناس ينتظر توحد الأمة على يد المهدي أو عيسى بن مريم، لكن المهدي وعيسى ابن مريم لا يعملان في فراغ ولابد من التهيئة لهما والإعداد لقدومهما.

ومن ذلك أن تجتمع كلمة المسلمين على الحق وينبذوا التفرق، ولا بد لكي ينصرنا الله أن ننصره.

والجماعة إنما هي الحق، ولهذا نص كثير من العلماء على أن مَنْ عقيدته أن "القرآن مخلوق" قد فارق الجماعة، واتفقت الأمة على أن الرافضة والفلاسفة والخوارج ليسوا من الجماعة، وقال البخاري: الجماعة هم أهل العلم.

وقال شيخ الإسلام بن تيمية رحمه الله: "الجماعة هي الاجتماع".

وقال الطبري: "هم جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام"، والإسلام دين الجماعة فلا بدمن صلاة الجماعة ومن الصيام جماعة أما الحج فهو جماعي ولله الحمد.

أما هواتف العملة فهي ليست من الجماعة، وقد وصف صدام حسين (حسني مبارك) بأنه هاتف عملة فبماذا يوصف السيسي اليوم؟

وكذا من كان خاسراً يؤمن بأن المستقبل لليهود ويزور إسرائيل، ويظن أننا لا نعلم لم زارها؟

- وقد قلتم إن "عشقي" لا يمثل إلا نفسه وصدّقكم بعض الناس فهل عادل الجبير أيضا لا يمثل إلا نفسه؟ وما عقوبة من لا يمثل إلا نفسه عندكم؟

وهل يجوز لأحد أن يزور قطاع غزة ويقول إنه لا يمثل إلا نفسه؟

- نحن مع نقل المجتمع من مرحلة البداوة إلى مرحلة الدولة المركزية الحديثة، ولكن ذلك لا يقتضي القضاء على الفضائل الاجتماعية للقبيلة مثل الغيرة والوفاء والكرم، وأن تكون المراكز الاجتماعية في الخرج ووادي فاطمة، نسخة لما عمله الغربيون في (سرس الليان) بمصر.

- قد جعلكم الله رأسا فلا تكونوا ذنبا، وقد جمعتم قادة خمسين دولة لدونالد ترامب فاجمعوهم لمن هو خير منه وهو الله تبارك وتعالى، وللجهاد وتحرير المسجد الأقصى، وتفكروا في أنفسكم ماذا جنيتم من إمارات بن زايد، ومصر السيسي وأمريكا (ترامب)، إلا الخسارة، فكيف تجعلون همكم محصورا في الدائرة الخليجية المتنافرة، وقد أتاح الله لكم الأفق الإسلامي الواسع ولكم في كثرة الحجاج والمعتمرين عبرة. أما الفئران فيصعب جمعها في صندوق!

- كما يجب عليكم أن تولوا المراكز الإسلامية أهل العلم الشرعي الموثوق بدينهم، كالجامعة الإسلامية مثلا، التي كان يرأسها الشيخ محمد بن إبراهيم، ثم الشيخ عبد العزيز بن باز، وأخيرا تولاها من لا صلة لهم بالعلم الشرعي، فعرفت أنكم محتاجون جدا للنصح، وأنكم يجب إرجاعكم عن طريق الذين يشيرون عليكم بما هو ضد مصلحتكم.

- أنصحكم أن تعيدوا للأمة أصالتها وتميزها بإعادة التقويم الهجري الذي ينص عليه النظام الأساسي للمملكة وألزموا كل وسائل الإعلام والمواقع باستخدامه فإن لم تفعلوا فأنتم أول من يخالف الأنظمة، وذلك اعتراف منكم بأن النظام الاساسي إنما وضع بهذه الصيغة مؤقتا، وكنتم تنتظرون الفرصة لتغيير التقويم الهجري واستبداله بالتقويم الغربي، وهو اعتراف كذلك بأنكم السبب في إيقاع الأمة في هذه الازدواجية حيث تتعبد

بتقويم وتستخدم تقويما آخر، والحقيقة أن أكثر الناس لا يعرف الشهور الغربية ولا التقويم الغربي أصلا، ثم صارت الرواتب بحسب التقويم الشمسي، والإعلام يستخدم التقويم الجريجوري فأصبح في البلد ثلاثة تقاويم! وأصبحنا لا نعرف رجب من الجدي من أبريل، وخذوا رأي المشايخ ومستشاريكم فيه كالشيخ صالح بن حيد والشيخ سعد الشثري والشيخ عبد الله المطلق، وأنتم قد جعلتم إجازة الموظف يومين في الأسبوع، فما الضير أن تضحوا بربح عشرة أيام في السنة؟ وتكونوا عاملين بالإسلام وبالنظام الأساسي وبرأي الأكثرية؟

وبذلك نكون منسجمين مع ديننا وعبادتنا وأنفسنا، أما التقويم الغربي فهو تقويم الكنيسة الغربية الذي لا يوافق عليه أكثر النصارى العرب الشرقيين، فضلا عن المسلمين.

- اعلموا أن من أسباب سقوط الدول هو ما قرره نظام الملك في سير الملوك، وأقره شيخ الإسلام ابن تيمية وتحدث عنه العلامة ابن خلدون في مقدمته، وهو الظلم.

ومن أنْكرِ الظلم بعد الشرك أن تعطى أموال المسلمين لمن لا يستحقها، بل يعادى الدين وأهله.

وممن لا تؤمن غائلته وقد ينقلب عدوا مبينا ويتخلى عنكم إذا انتهت مصلحته "دونالد ترامب"! ولست أدري كيف تجمعون بين عدم استنكار قرارات (ترامب) بمنع المسلمين من دخول أمريكا وبين خدمة المسلمين وقضاياهم؟

- لا يغرنكم من يحتفل باليوم الوطني كما يسمى، فمنهم من هو غير راض، ومنهم من يجد ذلك فرصة للّهو والنظر فيما لا يحل له، واعلموا أن الكراهية لكم قديمة ولا يمكن حصول الإجماع عليكم، وقد فرح بعض أهل نجد لما خربت جيوش الباشا الدرعية، وتولوا المناصب للباشا.

وبعد الغزل مع إسرائيل كرهكم أكثر المسلمين.

- كونوا مع الأكثرية من الشعب أما النخاولة والبحارنة والإسماعيلية والليبراليون، فهم كلهم لا يعادلون منه إلا أقلية ربما لا تزيد عن ٥%، وأنا أعطيهم من عندي الضعف وأقول لنفرض أنهم ١٠%، فأين يذهب ٩٠%؟ وانظروا كيف ضجت (قبيلة حرب) لما ادعى بعض النخاولة أنهم منها.

ومراعاة الأكثرية المحقة مع كونه الواجب شرعا هو المعمول به ديمقراطيا.

- احظروا أي تهمة إعلامية للأتراك، لاسيما مقولة الاستعمار التركي أو الاحتلال التركي، وهل يساوي مسلم بين من يحب الله ورسوله مهما كانت بدعته، وبين من يضع كتاب (الفرقان الحق) ويحرق القرآن، ويزعم أن رسول الله ﷺ مفتر كذاب، وأن الدين الصحيح هو التثليث وليس التوحيد، الخ ما يؤمن به من يسمى الحليف الاستراتيجي!

وقد كان بن عايض وبن رشيد وأشراف مكة، يرون أن الدولة العثمانية سياسياً خير من الإنجليز، ولا شك أن المسلم مهما ضل أو أخطأ خير من الكافر، ولم يكن مع الانجليز آنذاك ظاهرا إلا مبارك الصباح الذي كشف الله مقاصده ومقاصدهم، حين أخطأ فبعث رسالة ابن سعود لابن رشيد، والعكس، واليوم ورثهم الأمريكان، والقاعدة العسكرية التركية خير ألف مرة من القاعدة الأمريكية.

- ظهر أثر التربية الإعلامية المنحرفة في الجيل المعاصر، فهو جيل لا يعرف حق معلم ولا عالم، ولا حاكم ولا قريب، ويغلب عليه عدم المبالاة، وهو غالبا لا يعرف الاعتدال في أي أمر، فإما أن ينغمس في شهواته، وإما أن يندفع لساحات الموت، ويضرب يمنة ويسرة، غير مبال بدماء المصابين، وقليل منهم من يثني ركبته عند عالم فيتعلم منه ما ينفعه، ونحن في مجتمع أَلِف الاتكالية والاعتماد على الآخرين، وعلى الرأي الواحد الذي يأتي جاهزا فعليا، في شكل أمر من السلطة، أو فتوى عالم، وسيطر علينا وهم شيطاني بأن السلامة هي في ترك قول الحق، وتسلل إلينا الأعداء مستغلين غفلتنا

وحسن ظننا في كل أحد، حتى سمعنا من يقول "للقدس رب يحميها"، نعم لها رب يحميها، لكن أمرنا بالإعداد والجهاد، فلم لا نعمل، وإن نكلنا فسوف يستبدل بنا قوما غيرنا ولا نضره شيئا، وقد بدأت بوادر ذلك حينما أصبح الأتراك مثلا خيرا من كثير من العرب.

- احذروا المشروعات السياحية التي تخدم الصهاينة أو تمهد لنجاح مشروعاتهم، كمشروع (نيوم) الذي تقترحه أمريكا، وما تسرب حتى الآن عما يسمى صفقة القرن، كاف في إلغاء المشروع، وخدمة القناة التي يقترحها اليهود، لربط خليج العقبة بالبحر الأبيض، ويقولون إنها سياحية وليست تجارية كقناة السويس!

واليهود يصرحون أن عليهم الخبرة التقنية، بينما على العرب العمال والمال!

وعلى السيسي أن يتبرع بسيناء أو جزء منها لإقامة الدولة الفلسطينية مع قطاع غزة.

ومن أبى من الفلسطينين الهجرة إلى الدولة المقترحة، فسوف تمد إسرائيل جسرا يعبر عليه الشيوخ من أبي ديس إلى المسجد الأقصى، وكفى بذلك عند أمريكا حرية للعبادة وإنسانية وديمقراطية!

أما السياحة في (نيوم) فهي حلال لأحفاد كعب وحيي، وحرام على هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ هم أحفاد أبي بكر وعمر.

- يجب أن يعلم دعاة الاختلاط أن الفاسقات هن الشاذات، وأن الأكثرية الكاثرة التي يمكن القول إنهن أكثر من ٩٩% من نساء المجتمع شريفات أصيلات بنات حمايل ولا يردن الاختلاط أبداً.

فالاختلاط الذي يدعون إليه فوق أنه منكر وحرام شرعاً هو غير ديمقراطي أصلا، وليس الحل في تربية النساء على الفساد، كما تفعل بعض القنوات الفضائية، وإجبارهن عليه، بل في تربيتهن على الحشمة والطهارة والعفة وتنمية الفطرة والأصالة فيهن.

وكل ما أتيح للفاسقات في بلاد الحرمين، ما هو عندهم إلا خطوة صغيرة في الاتجاه الصحيح، لكن لنا نحن اتجاه مغاير تماما، وحتى على فرض أن اتجاههم المزعوم صحيحا فلِمَ لم يستعملوه هم، فقد مضت عقود بل قرون دون أن تكون المرأة الأمريكية رئيسة للولايات المتحدة، أو وزيرة للدفاع، ولا يزال كثير من الأمريكيات يعانين من تمييز (ترامب) ضدهن، ويقمن المظاهرات للحصول على بعض حقوقهن.

وإنما يركز الإعلام على ممثلات هوليود وأمثالهن، كما يركز على فنانات بشار مع أن اللاجئات أكثر منهن بكثير!

وقدوة العفيفات عندنا هن أمهات المؤمنين الطاهرات، وليس ممثلات هوليود، ولا عضوات نوادي العراة التي تغص بها شواطئ أمريكا ومدنها.

- من السهل جدا أن تسخر من العلمانيين وتنشر لك العبرية وأخواتها ويلمع نجمك عند القوم، وذلك بأن تكتب أبو فلان وتكتب أنك صحوي سابق، وتختلق أكاذيب عن الصفات الشائنة التي عند أهل الدين، وأنهم يحتقرون المرأة، وتُكثر من المصطلحات الغربية والمصادر الصناعية، وقل أنا الآن في الخارج ولم أتزوج، وترسل ذلك لأي قناة أو صحيفة ليبرالية، وعندها سوف يتوسطون لك، وربما عينوك في منصب كبير ذي راتب ضخم، وإذا كانت شهادتك عليا، وشتْمك للمتدينين أكثر،، فربما توسطوا لك لتكون وزيرا أو بدرجة وزير، ويسبغون عليك الألقاب العريضة، ولكن ذلك معناه شراء الدنيا بالآخرة!

- لا بد أن يكون الحكم على كل أحد بالعلم والعدل، فليس كل من يوالي الحكام جاميا وليس كل من يخالفهم حزبيا، والعجيب أنهم فصلوا أناسا هنا أو قاعدوهم بدون محاكمة، مكتفين بتقارير المغرضين.

- لا يحتاج أحد إلى تحليل أو استنباط لكي يعرف ماذا تعني أمريكا وإسرائيل بالاعتدال والتشدد، فأمريكا تصرح في مناسبات كثيرة، وعبر عقود طويلة، بأن الاعتدال هو الاعتراف بإسرائيل، وأن التشدد هو رفض ذلك،

ولكن كل من يقرأ القرآن وما ذكره الله عن بني إسرائيل وأهل الكتاب، وكذا كل من يقرأ سيرة النبي ﷺ وما صح من أحاديث الفتن وأشراط الساعة يعلم ماذا يختار!

والمتطرفون عندهما هم كل من يرفض مبادرات الحل كما تراها أمريكا وإسرائيل والصهاينة العرب، ولو أن أكثر الشخصيات في التاريخ الإسلامي ظلما وهو الحجاج بن يوسف الثقفي عاد للحياة لما كان عند القوم إلا متطرفا متشددا، بل هو إرهابي لأنه يبعث الجيوش لفتح البلاد كما بعث محمد بن القاسم أو قتيبة بن مسلم!!

- من المعلوم أن (رؤية ٢٠٣٠) مستمدة من التقرير الذي كتبته شركة (ماكيتري) الأمريكية للصين واليابان ومصر وقطر وغيرها، إن لم تكن الشركة هي التي صاغت الرؤية، وشركة (ماكيتري) الأمريكية تعنى بالشؤون الاقتصادية، وإذا احتاجت أي دولة لرؤية تضغط زر الحاسوب وتقدم لها الرؤية جاهزة، لكن بملايين الدولارات وربما بالمليارات، ثم إن صندوق الفقر الدولي يشرف على تطبيق الرؤية، ويثني عليها لوجه الشركة، ويقول إنها رؤية بناءة عميقة وإن الأمم المتحدة استفادت منها، ويمكن للباحث المتعمق في الأمور أنْ يعلم أنّ مشورة (ماكيتري) نوعاً من استعمار الحياة والقوة الأمريكية الناعمة، وهي شركة لها فروع في السعودية، ويعترف الإعلام السعودي كما تعترف الشركة نفسها بأنها إحدى الشركات الاستشارية التي صاغت برنامج التحول في السعودية، وهو الذي يجعل الدين -كما زعموا- سبباً في هضم حقوق المرأة، ويجعل المؤسسة الدينية هي حجر العثرة، ولذلك وظفوا النساء ولا يوظفون الرجال.

- اعلموا أن "خطابات شوال" وقيام "لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية" أو جماعة "حسم" أو "حزب الأمة" وأمثالها لم تنشأ من فراغ وإنما نشأت واكتسبت الشعبية الهائلة من الشعور بالظلم والاستئثار.

ونحن أحقر من أن يكون حالنا كحال المهاجرين والأنصار الذين كانوا يعبرون عن رأيهم، لكننا لا نقل حالا عن اليمن، حيث في إمكان كل أحد أن يعبِّر عن رأيه أو ينشئ جمعية أو حزبا إن شاء أو يكتب نصيحة لرئيس الدولة كما يشاء.

وننصحكم بالتعامل مع الشعوب وليس الحكام، وأعيدوا النظر في علاقتكم بالربيع العربي الذي عاديتموه، بينما رحبتم بما يسمى "الربيع الإيراني".

- اعرفوا قدر الدعاة إلى الله الوافدين إلى هذا البلد، وأحسنوا استقبالهم، فإنكم بتقديركم لهم تقدرون من خلفهم من محبيهم من المسلمين، وهم أولى من أي زائر من الخارجية الأمريكية أو من البنتاجون، وخذوا أمثلة على ذلك:

١- لما قدم الشيخ علي بلحاج الجزائري -نصره الله- ومعه وفد من جبهة الانقاذ أرسلتم لاستقبالهم بعض أئمة الحرم وأنعم بهم، ولكن كان الأولى أن تستقبلوهم أنتم استقبالا رسميا، فإن صدام حسين يومها لم يكتف بأن استقبلهم شخصيا بل قدم الشيخ علي للصلاة به في مقره، وأشادت بقدومهم إذاعاته ووسائل تلفزته، ولا ريب أنكم تعلمون أن الجبهة فازت بأكثر من ٩٠٪ من أصوات الجزائريين.

٢- ولما قَدِم الشيخ حارث بن سليمان الضاري الشمري -رحمه الله- رئيس هيئة علماء المسلمين في العراق، لم تستقبلوه كما تستقبلون عدو الله جواد كاظم "نوري المالكي"، والرافضي الآخر "حيدر العبادي"، والإرهابي الرافضي الذي أشرف على خطة التفجير في مكة والمشاعر "إبراهيم الجعفري"، بل طلب الشيخ حارث مجرد التحدث أمام الملك أو ولي العهد فلم تستجيبوا له! علما بأن أهل السنة في العراق لم يفكروا في الاعتداء عليكم قط، ولم يحاولوا اغتيال ثامر السبهان، بل يعدون أنفسهم جزءا منكم، وخط الدفاع عنكم في وجه إيران.

٣- لما قدم الشيخ عبد المجيد الزنداني حفظه الله لم يعلم به أحد، مع أنه أشهر وأحب من المخلوع ونائبه عبد ربه منصور هادي، وعدو للروافض كلهم، واختاره المخلوع ليكون عضوا معه في المجلس الرئاسي الذي حكم اليمن!!

- احذروا الليبراليين واعرفوا المقصد من إسقاط الدين، فالليبراليون في بلاد الحرمين يريدون إفساد الدين والتسلط على الحكم، ومن أكبر أقطابهم عبد الرحمن الراشد القصبي الذي تعامله السلطات أكرم معاملة، ولا شك أن للوبي الأمريكي دوراً في ذلك كما قال الأستاذ عبد الله المنصور في مقالته: (الليبراليون الدولة لنا أو فلتسقط)، ومعروف ارتباط هؤلاء بوحدة التضليل في البنتاجون فهل يسكتون أو نفضح ارتباطهم وتمويلهم.

ويؤيد ذلك ما قاله الشيخ عبد المحسن العبيكان آل سعود المستشار السابق بالديوان الملكي، وكذا ما كتبه الأستاذ تركي الروقي، وكذلك مواقفهم من صحيفة (سبْق) التي كانوا يريدون أن يتملكوها، ويدل على تمكنهم المناصبُ التي تقلب فيها الراشد بعد كلامه الذي لو قاله متدين لسجنوه ورددوه مرارا وقالوا هذا كلام الإرهابيين.

وكلامه عن الدولة السعودية الأولى واضح البطلان، فقد كانت الدولة صادقة متبعة للشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي دعاها للكتاب والسنة، ولذا امتلأت قلوب أعداء الله عليها حقدا، حتى أنهم اغتالوا عبد العزيز بن محمد بن سعود في المحراب، فكيف يقول عبد الرحمن الراشد إنها تسلقت على الدين للوصول إلى السلطة؟

فاحذروا يا آل سعود هذا العدو الأرقط المتسلل إليكم، والمعتمد على أخطاء بعض المتدينين، وأشنع من ذلك أن تصبحوا أنتم -لا قدر الله- ليبراليين وتخربون دولتكم بأيديكم.

- أنتم بثثتم المئات بل الآلاف من شرطة المرور، في كل مكان للحفاظ على سلامة أبدان الناس من الحوادث، وهذا عمل جيد، أفلا تبثون الشرطة أيضا لسلامتهم من عذاب الله في الدنيا والآخرة.

- أنصحكم بضرورة الانسحاب مما يسمى "هيئة الأمم المتحدة"، والمسخ الآخر الميت الذي يسمى "جامعة الدول العربية".

والانسحاب من الهيئة حق طبيعي لكل دولة، وهو مقتضى ملة إبراهيم عليه السلام، وسوف يتبعكم فيه غيركم، وقد امتنعت أمريكا عن الدخول في محكمة الجنايات الدولية، ولما انسحبت غامبيا من المحكمة انسحبت بورندي وجنوب أفريقيا وانسحبت روسيا، وانسحبت بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وسوف تتبعها دول أخرى، وقد ثبت علميا إخفاق ما يسمى "المجتمع الدولي"، كما أفلست الفكرة القومية التي أسسوا عليها ما سمي "جامعة الدول العربية"، فكيف ينضم من كان على عقيدة السلف إلى هذه الأحلاف الضالة.

وهذا الانسحاب ممكن ووارد قانونا، واقرأوا إن شئتم النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية.

وكل المنظمات الإسلامية المجاهدة اليوم لم تنضم إلى الأمم المتحدة، بل تأخذ ما فيها من خير وترفض ما فيها من شر.

وإنما أنصحكم بالمبادرة للانسحاب منها لأسباب كثيرة مفصل بعضها في مبحث (هيئة الأمم المتحدة)، وأذكر هنا أن هذه الهيئة سوف تفصلكم إذا آنست منكم الإصلاح والرجوع للدين وإقامته كله، وتتذرع بذرائع كثيرة منها:

أ- أنكم لا بد أن تعلنوا العداوة لليهود، وهذا عندها بغض للسامية ونشر لخطاب الكراهية.

ب- أنكم سوف تأمرون بالحجاب وتنشرون الفضيلة، وهذا عندها تمييز ضد المرأة.

ج- أنكم سوف تحثون على الجهاد في سبيل الله، وهذا عندها إرهاب.

فقبل أن تفصلكم بادروا أنتم بالانسحاب منها، فأنتم أولى بذلك من دولة الفاتيكان التي لم تنضم إليها قط.

- يجب إحداث تغيير جذري في وزارة الخارجية بأن يكون مسؤولها الأعلى ملتزما بالشرع، وأن يكون كل سفير داعية للعقيدة كسفراء إيران، وطرد أي موظف فيها ينتمي لإحدى الفرق الضالة وقد سربوا ما تعلمون فلماذا محاباتهم؟

- اعلموا أن الإسلام ليس مجرد شعارات مثل كتابة لا إله إلا الله على العلَم أو الفخر بما ليس من صنعنا، كقول إن الحرمين الشريفين في بلادنا، أو دعوى أننا نحتكم إلى الكتاب والسنة في كل صغيرة وكبيرة، وإنما الإسلام حقائق وأعمال، والله تعالى لا ينظر إلى الصور والمظاهر، وإنما ينظر إلى القلوب والأعمال.

ولو جاز تصديق الشعارات لصدّق الناس شعار "الموت لأمريكا".

وهذا الدين مع أصالته وفطريته في النفوس كالماء المتسرب خفية، وكل من نصره منصور، وكل من حاربه خاسر، وهو يولد عملاقا، ويشرق فجأة، ولا يزيده كيدُ الأعداء إلا قوة، ومن أجلى الأمثلة على ذلك أنه بعد اشتداد الهجمة الأمريكية عليه وأحداث ١١ سبتمبر، أقبل عليه الأمريكيون بشغف وتضاعف معتنقوه، ولما اعترف (ترامب) بالقدس عاصمةً لإسرائيل قوي الدين، وتزحزحت أمريكا عن مرتبة الدولة العظمى.

- اعلموا أن مُلك بني أمية قد تلاشى واضمحل لما تركوا سيرة عمر بن العزيز، وجعلوا الجعد بن درهم مربياً، وترجموا الفلسفات الوثنية، وأشغلوا الناس بالنقائض بين جرير والفرزدق، وأشاعوا الغناء في الحجاز، وصدّق بعضهم الدعوى الزائفة التي قالها المنافقون والمبتدعة من أن طاعتهم واجبة في كل شيء، وقد علل قائدُ الثورة عليهم (أبو مسلم الخراساني) سبب ذهاب ملكهم بأنهم أبعدوا الصديق وقربوا العدو، وقال ذلك للمنصور العباسي.

فكيف تقرِّبون الليبراليين ورواد السفارات الغربية وتبعدون أهل العلم والإيمان؟

– ادرسوا بعناية وتجرد حال المساجد وما آلت إليه اليوم، وعمِّموا على المساجد بأن تفتح أبوابها في غير أوقات الصلاة فهي لم تبن للصلاة وحدها، وإن كان فيها ما يخشى عليه فهناك حارس للمسجد، وإن لم يكن له حارس فيمكن وضع ما يخشى عليه في غرفة خاصة.

ولأول مرة في التاريخ الإسلامي تكون المساجد للصلاة فقط، وقد كان النبي ﷺ يحكم فيها ويعقد الألوية ويجمع فيها الصدقات، فكانت المدرسة والمحكمة والمبرَّة والثكنة، ومقر أمير المؤمنين وغير ذلك، وقد بين البخاري بعض ذلك ضمن كتاب الصلاة من صحيحه.

– اعرفوا عداوة أهل الكتاب، ولا تحسبوا أن قانون (جستا) جديد، ولا أن الكونغرس هو الوحيد، ولا أن تصريحات (ترامب) وقراراته شاذة، فحكومات الغرب تعادي المسلمين وتقتنص أي مناسبة لتعلن ذلك (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)، وقد اتهموا عبد القدير خان مثلا صانع القنبلة الذرية الباكستانية، وقتلوا علماء العراق واغتالوا علماء مصر، وسمي هنري كيسنجر القنبلة الباكستانية "القنبلة الإسلامية"، ويغيظهم وثبة تركيا الاقتصادية، واستقلالها السياسي وقوتها العسكرية، ويريدون بقاء المسلمين عبيدا لهم إلى الأبد، وهذا كله جزء من الإسلاموفوبيا التي يمتلئ بها إعلامهم ومجتمعهم، وإذا جُرح أحدهم سارعوا إلى الاتهام بأن هذا إرهاب إسلامي، أما إذا قتَل يهودي أو نصراني المئات منهم فلا يذكرون دينه أبدا، وغاية ما نطمح إليه أن يقولوا إن الحادث لا علاقة له بالإرهاب الإسلامي!

وهم يظهرون العداوة والتحالف ضدنا متى ما استطاعوا وقد شاهده القاص المصري جمال الغيطاني عيانا.

وكما أن جورج ووكر بوش أصولي معروف، تجد (توني بلير) يذهب مع زوجته إلى الكنيسة كل أحد، و(دونالد ترامب) أصولي متطرف وكل

مستشاريه كذلك، وهو أشد عداوة من المحافظين الجدد، إذ جاء هو بالإنجيليين الجدد، وهو عنصري ومتعصب حتى أخمص قدميه!

ولما اعتذر (بلير) عن جربه في العراق كان اعتذاره موجها للشعب البريطاني خاصة و لم يعتذر للشعب العراقي الذي قتل منه الآلاف، أما الإعلام الأمريكي فيضج لقتل أمريكي واحد في سوريا، قد يكون جاسوسا ظاهره طبيب أو صحفي، ويسكت عن قتل مليون من أهل البلاد!! وتهجير الملايين منهم في العراق والشام، ويكوّن الأمريكان التحالف الدولي الذي دوله أكثر من ٦٠ دولة للثأر لأمريكا، ولحماية الرافضة وحشودهم، التي يقودها قاسم سليماني، بينما ينصب الاعتراض على تركيا وحدها لأنها سنية، ويلوذون بالصمت عندما يدمر (بوتين) والرافضة حلب، فما أرخص الدم المسلم عند هؤلاء!

وما قانون (جستا) إلا قمة الثلج، والعجيب أننا كما ذكر الله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم)!

- احظروا استقدام الكفار إلى جزيرة العرب، وكل الشعب يشاهد بعض ما يترتب على استقدامهم ومن ذلك:

١- إعطاؤهم الرواتب الضخمة التي يكفي الواحد منها لبضعة نفر من السعوديين العاطلين.

٢- إنشاء الأسوار والحواجز لحراستهم.

٣- السماح لهم بحمل السلاح مع جمعه من القبائل.

٤- ومن أجلى الأمور مخالفة أمر الله بشأنهم، فالنبي ﷺ أوصى في مرض موته بقوله (أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب، لا يجتمع فيها دينان)، وفي رواية أبي داود (قبلتان)، وهذا حكم قاطع أجمعت عليه الأمة واستمرت عليه أيام الأمويين والعباسيين والعثمانيين، وبذلك أفتى مشايخ الدعوة وعلماء العصر، كابن باز وبن عثيمين، فماذا تنتظرون لا سيما وقد رحّلتم الكثير من المسلمين؟

- الحقيقة المؤلمة أننا في السعودية أمة بلا هوية، فلا نحن على الإسلام الصحيح ولا على الاشتراكية ولا على الرأسمالية، فكل هؤلاء يجدون في مجتمعنا مبتغاهم، ويمكن القول إن ما نشاهده من تحول اجتماعي كبير هو ثورة ثقافية، أو ثورة اجتماعية، لكن ما وجهتها؟

وإن ما نراه ونسمعه هو قفزة كبرى أرجو ألا تكون الهاوية مستقرها، وإني لأعجب لمن كان كتاب الله بين يديه كيف يسقط في الهاوية؟ والله تعالى يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

- لماذا تتأخرون والعالم كله يتقدم، ومن مظاهر ذلك:

١- كان حكام وأمراء المناطق من الوافدين كما كان حافظ وهبة - مثلا- مصريا وعينتموه حاكما على مكة، وهذا غير أهل الشام الذين وصل بعضهم إلى ما هو أعلى من ذلك، كأن يكون مستشارا للملك، مثل يوسف ياسين، ورشاد فرعون، ومعروف الدواليبي، أو يكون مندوبا للسعودية في الأمم المتحدة مع أنه نصراني، مثل جميل البارودي الذي ظل مندوبا للسعودية سبعة وعشرين عاما توفي بعدها.

وكان من الأمراء من ينتسب إلى قبائل معروفة، مثل تركي الماضي وسعود السديري، وبتال المطيري، وفهد بن زعير، ثم أصبح أمراء المناطق كلهم من آل سعود فقط.

٢- كانت الكليات تنتخب عمداءها وكانت الأقسام تنتخب رئيس القسم، ثم أصبح ذلك كله بالتعيين المبني على أساس التقارير السرية.

٣- كان لكل حرفة شيخ كما للخبازين والخياطين وهكذا، وليس لهم اليوم أي شأن، وألغيتم كل النقابات إلا نقابة السيارات لأن شركات السيارات تريد الاستمرار، ومن هو نقيب النقابة اليوم؟

- اجعلوا الخلاف مع الشيعة عقديا وليس سياسيا، فمن لم يكن أخا لنا في الدين، فليس أخا لنا في الوطن، والشيعة هم الفئة الضالة فعلا.

والذين استقبلتموهم وأنشأتم لهم مخيم رفحا أكثرهم روافض، ولم يجدِ معهم أن جامعة الملك سعود فتحت فرعا لها لديهم، بل اعترضوا فيما بعد على مقتل نمر النمر مع أنه قُتِل معه كثير من أهل السنة دون اعتراض، وتظاهروا ضد السعودية وهاجموها كما ذكر السفير السعودي في بغداد، فلم يكن لديهم أدنى اعتبار للحكومة السعودية ولا للقضاء السعودي ولا لهيئة كبار العلماء.

فلماذا الخلط بشأنهم؟ مع أن هذا الخلط ليس من عقيدة أهل السنة والجماعة وإنما هو مشهور عن الطوفي، الذي قيل فيه أشعري حنبلي رافضي وقد شكى السفير السعودي في بغداد ثامر السبهان في مقابلة له مع إحدى القنوات المحلية بألم ومرارة، أفعال الشيعة دون أن يسميهم، وقال إن المملكة لها اتصالات بالصابئة واليزيدية وأنها غير مذهبية ولا طائفية، أي أن الكافر والمرتد والمسلم ومن يدعو البشر والموحد سواء، ثم إن الرافضة أعلنوا أنهم يسعون لاغتيال ثامر السبهان وكتبت الخارجية العراقية باستبعاده والمغتالون هم طبعا الحشد الشيعي الذي يسميه الإعلام السعودي الجيش العراقي! ورأى حيدر العبادي أن أفضل وسيلة لحماية هذا الحشد، هو أن يعلن أنه جزء من الجيش، أي أن كل فعل ارتكبه هذا الحشد فإنما يرتكبه الجيش العراقي نفسه، ثم نقلتم ثامر السبهان من العراق!!

ولست أشك أن بعض أفراد الأسرة يعرف حقيقة الشيعة فخذوا رأيه.

ومن قال للرافضة "أنتم ما جاء منكم شر" كما قال أحد الملوك فقد خالف الواقع المحسوس، فقد فجر الرافضة في مكة والخبر، وهم إلى هذه اللحظة يزرعون المتفجرات لقتل الجنود الذين ذهبوا إلى البحرين، وحاصروا الأمير مشعل بن سعود، وأطلقوا عليه النار، ويقتلون رجال الأمن في العوامية وغيرها، وهم الذين يخزنون السلاح في المقابر ويختطفون من يؤيدكم ولو كان رافضيا، وتكتشف وزارة الداخلية مخازن للسلاح عندهم، أما تعاطفهم

مع حزب اللات فمشهور ولا يحتاج لبيان، وهم الذين يحثون شيوخهم على الثورة على الحكومة، وتخليص الشيعة من حكم آل سعود الوهابي!

وهم الذين يرسلون الشاحنات من نجران إلى الحوثيين، وهم الذين يتظاهرون مع الإيرانيين بمكة في السابع من ذي الحجة، وهم الذين يعكرون على الحجاج حجهم، وهم الذين يطالبون علنا بتدويل الحرمين الشريفين، وهم الذين يريدون علانية تشييد المقامات في المعلاة والبقيع، وهم الذين يتدربون لدى حزب الله، وهذا كله غيض من فيض لبعض أعمالهم، أليس هذا من الشر؟

ومتى أصبح النخاولة والبحارنة والإسماعيلية إخوة لنا؟ وإذا كان من الشيعة السعوديين من هو كافر بالتشيع فلماذا لا يصرحون بذلك؟ ويُلزم به الجشي والصفار والسيف والخنيزي ومحمد رضا نصر الله وأضرابهم؟ وتصدر به بيانات من هيئة كبار العلماء ويبرزه الإعلام السعودي.

ومن ظن أنه يخدعهم بالتقرب إليهم فهم الذين يخدعونه، ويرون خديعته دينا يتقربون به إلى الله، ويروون عن جعفر الصادق -رحمه الله- أنه قال: "التقية ديني ودين آبائي".

فاحذروا الوقوع في الفخ باسم اللحمة الوطنية أو التلاحم الاجتماعي، وترك الفتنة المذهبية وما أشبه ذلك، فأنتم مهما فعلتم (وهابية نواصب).

وقد بلغ بهم الغش والتزوير إلى حد إرسال الحوامل إلى القصيم لكي تكتب الأحوال المدنية أن مكان الولادة هو بريدة أو عنيزة أو الرس أو غيرها، ويسمون أبناءهم فلان القحطاني وفلان الزهراني، إلخ، وقديما افتروا على محمد بن سعود واغتالوا ابنه عبد العزيز، فما الذي جاء منهم إلا الشر.

وكل طائفة منهم تكفِّر الأخرى كالإخبارية والأصولية فما ظنك بالوهابية؟

- اعلموا أن الرافضة في أي مكان أو منطقة يقولون إنكم وهابية تكفيريون، وإن لبسوا جلود الضأن واستخدموا التقية، ولهم حكم شرعي نحن مسبوقون إليه ومذكور في محله (التاريخ العقدي).

واعلموا أن الإسماعيلية يعتقدون أنكم أكفر من أبي بكر وعمر عندهم، وأنكم من ضمن جماعة أبي هريرة، وأن الحوثيين والزيدية أهون منهم عداوة وأقل ضلالة.

فالحوثيون لا يجاهرون بسب الصحابة، وبلغني أنهم يعاقبون من فعل ذلك، ومناهجهم التعليمية يدرسون فيها عداوة إسرائيل وشعاراتهم (الموت لأمريكا الموت لإسرائيل)!

وهم فئة من الزيدية الذين يقول عنهم الباحثون إنهم ١٥% فقط من أهل اليمن، وأسوأ أحوالهم أن يكونوا معتزلة بينما المكارمة على الفلسفة اليونانية.

وكل طالب عقيدة يعلم أن الفلاسفة أشد خطرا من المعتزلة.

أما الصحابة فالإسماعيلية يسموننا (جماعة أبو هريرة) علنا، ويقولون لمن يكرهون: (عليك ما على عائشة)!

- نقَل الرافضة الحج من مكة إلى كربلاء سنة ١٤٣٧هـ، وفي كتبهم أن زيارة كربلاء تعدل ألف حجة، وهذا دليل إضافي على أن المعركة عقدية وليست مجرد خلاف سياسي، وقد سبق ذلك جعل المناطق العراقية المحاذية لحدود السعودية تابعة لكربلاء وليس للأنبار لأن الأنبار أهل سنة كما هو معروف، وبذلك أضاف الروافض بُعدا جديدا لبني عقيدتهم، الذين يسكنون في المنطقة الشرقية، وفي المدينة النبوية وفي نجران وما حولها، وفي بعض ديار قبيلة حرب ويريدون إكمال الطوق بزياراتهم لمؤتة، وإنشاء مركز أهل البيت في الأردن، وتشييع من استطاعوا من قبائل الأردن والشمال، كما سبقه إنشاء فيلق مكة، دع موالاتهم بل مقاتلتهم مع نظام بشار، فهذا معلوم للمؤمن والكافر وكل أحد.

فماذا يقول الذين يتبرؤون مما يسمونه طائفية؟ وماذا يقول الذين يزعمون أن بشار ولي أمر تجب طاعته؟

– وكما أن الرافضة يستخدمون التقية، فإن الليبراليين يكتبون عنكم مستخدمين غيركم، فعندما قالوا الملالي مثلا فإنما يعنونكم، وقد قلت لأحد المتنفذين من آل سعود، لماذا تعادوننا ونحن ننصح لكم ولا نسألكم عليه أجرا ولا نسعى للحكم، وفي الوقت نفسه تقربون الليبراليين الذين يتحدثون عن قصور صدام حسين ونهبه للمال، وعن عصابة علي عبد الله صالح وأنه يريد الحكم لأبنائه وإنما يقصدونكم أنتم؟

وهكذا، فالليبراليون لهم تقيتهم أيضا.

– احذروا القوى الصهيونية بجميع أنواعها لا سيما القوة التجسسية التي تحدث عنها الأمير خالد بن سلطان، وذكر أن الأمريكان عرفوا أن السعودية سوف تشتري الصواريخ من الصين قبل شرائها، الأمر الذي يثير الشك في وضع الصواريخ في السليِّل وليس في تبوك، وقد ألقى الأستاذ عبد الله الدفاع محاضرة منشورة ذكر فيها كيف أن الأمريكان يكتشفون توالد الحشرات في الصخور، وقد عرفوا قبحهم الله عن طريق القمر (لاند سات) ديار قوم عاد تحت الرمال، وأخبرني شخص آخر رفيع المستوى أنهم أروه الملك في الديوان، وأخبرني شخص ثالث من بلاد الشام أنهم صنعوا طائرات من دون طيار تكتشف ما تحت الأرض، وهذا عندي ممكن بل هو مطلب إسرائيلي بعد الجهل الذي عانت منه المخابرات الإسرائيلية تجاه الأنفاق.

وفي الإمكان محاصرة هذه القوة الخفية بأمور:

١– منع الجيش مطلقا حتى الطيارين من التحدث باللغة الانجليزية.

٢– عدم استخدام الحواسيب في الاتصالات العسكرية بحجة أنها محمية إذ لا يصعب إدخال الجواسيس في شركات الحماية، التي تتقاضى مبالغ كبيرة مقابل ما يسمونه (الأمن السبراني).

٣- اللجوء إلى الله بالدعاء وهو أهم سلاح لكنه مع الأسف أهمل، وقد قال ﷺ (إنما تنصرون وترزقون بضعفائكم بدعائهم وإخلاصهم)، أي أن عجوزا في خدرها تستطيع أن تدعو فيضل الله الصاروخ الحوثي في طبقات الجو، وهذا السلاح لا يملكه الصهاينة لا في أمريكا ولا في إسرائيل.

٤- قراءة القرآن بيقين، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء:٤٥].

- اعلموا أن كفة الحوثيين هي الراجحة حتى في حالة التصدي لصواريخهم، وذلك أن تدمير صاروخ حربي قبل أن يصب هدفه إنما يكون بعدة صواريخ (باتريوت) أو غيرها، والصاروخ الاعتراضي قيمته أكثر من قيمة الصاروخ الحوثي، وهذا استنزاف للقوة السعودية والمال السعودي.

وبالقوة الاستخباراتية استطاع الحوثيون معرفة تحول المخلوع لكي يلدغ السعودية مرة أخرى، فقتلوه.

- واعلموا أن من يمدحكم اليوم طلبا للدنيا، لا بد أن يذمكم غداً، وأن من قال الحق اليوم وغدا ولم يحد عنه هو الذي ينبغي الاستماع لرأيه وقبول قوله.

وكثير من الناس اليوم يطعنون في الإخوان مثلا، ولو أنهم كانوا أيام الصراع بين الملك فيصل وجمال عبد الناصر لكانوا كلهم مؤيدين للإخوان، وبعض من يؤيدكم اليوم كانوا بالأمس مع القوميين وناصر السعيد، ولا تجدون ثابتا على موقفه وكلمته إلا من دعا إلى الله واتبع منهج الأنبياء الكرام، ونعوذ بالله من التلون والنفاق.

وعلى أية حال رأي الإخوان أصح قطعا من رأي خلفان، وما في كلا الرأيين من خطأ فعلى صاحبه ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فُصِّلَت:٤٦].

كما أنكم تعلمون العداوة بين حزب الإصلاح والسلفيين من جهة، وبين الحوثيين والمؤتمر الشعبي من جهة أخرى، لكنكم آثرتم الوقوف مع الحوثيين ضد العدو المشترك تبعا للإمارات، واشترطتم على حزب الإصلاح ألا يكون له أي صلة بالإخوان، وهذا تدخل سافر في شؤون حزبية خاصة، وأنتم تعلمون أنه بموجب القانون الدولي لا يجوز التدخل في شؤون دولة أخرى فضلا عن حزب رسمي، ومقاتلين سلفيين يدافعون عما يسمى (الشرعية)، وتتكون منهم الجبهة القوية المسماة (المقاومة الشعبية)!

- أخلصوا لله يعنكم ويوفقكم، وإن لم يعنكم فلا ينفعكم الدهاء والفطنة، قال الشاعر:

إذا لم يكون عون من الله للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

وانظروا كيف وفق الله عمر بن عبد العزيز لما أخلص لله وجعل الآخرة أكبر همه، ففي فترة حكمه القصيرة خمد الخوارج والمرجئة وغيرهم، وقامت وثبة اقتصادية هائلة، حتى أن الرجل يطوف بصدقته فلا يجد من يقبلها، وبلغ العدل الآفاق.

- غيروا من المنكر إلى المعروف بحسب واقع عصركم وحاله، وهذه سنة متبعة فقد رد عمر بن عبد العزيز مظالم بني أمية، وعزل المتوكل داعية الفتنة ابن أبي دؤاد وحاسبه على كل الأموال، كما حارب نور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي الرافضة في الشام ومصر وكل من صدق مع الله له في هؤلاء أسوة.

- مثلما ألغيتم الرئاسة العامة لتعليم البنات ألغوا اليوم هيئة السياحة والآثار، وانقلوا الصالحين من موظفيها إلى هيئات أو وزارات أخرى.

- نحّوا التطرف والشذوذ في الإعلام الرسمي إن أردتم أن يقل التطرف لدى الآخرين، واطردوا كل الليبراليين من الصحف كالشرق الأوسط والرياض وعكاظ والوطن وغيرها، وأنا أضرب لكم أمثلة مما قالته قناة العربية التي يسميها الناس "العبرية":

١- لما أطلق الأخ معتز حجازي (النار) على الحاخام اليهودي المتطرف، الذي يقتحم المسجد الأقصى "يهودا غليك" أذاعت القناة الخبر هكذا:

أُطلقت النار -بصيغة المبني للمجهول- على "ناشط إسرائيلي" وأبهمت اسمه وأعماله ومنها اقتحامه للمسجد الأقصى وفتاواه الطنانة.

٢- لما قام مهنّد العقبي بواجبه ضمن الانتفاضة الفلسطينية المباركة أذاعت العربية النبأ هكذا: (منفذ الاعتداء هو مهند العقبي من النقب)!

٣- سمت العربية شعائر الحج طقوس الحج وهي تسمية نصرانية لم يذكرها القرآن ولا السنة ولا أحد من الفقهاء مطلقا، ولا يرضى بها أي حاج.

٤- سمت العبرية الحجاج لاجئين، وهي تسمية لا يرضى بها أي رجل أمن سعودي، ولا حاج ولا مواطن، وبهذا وبما قبله تكون خدمة العبرية لضيوف الرحمن!

٥- بثت هذه القناة فيلما صوّر كيف صلبوا المسيح عليه السلام، وتلك هي عقيدة النصارى، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧]، وما ذكره الله هو ما في الأناجيل التي في مكتبة الفاتيكان، ولكن لا يعترف بها البابوات رسميا.

٦- بثت هذه القناة وقت الإفطار في رمضان برنامجا عن الحزب الشيوعي العراقي، فمتى أصبح إعلامنا منبرا للدعاية الشيوعية؟!

وأنا أعلم أن هذه القناة إما أن تكذب عليكم وتكابر وتقول "هذا لم يحدث مطلقا" وإما أن تقول إن ما حدث مجرد خطأ ثم تلافيناه، وما أكثر الأخطاء، وأنتم المسؤولون أمام الله عن زجر هذه القناة وحثها على الالتزام بدين البلاد وعاداتها، لا سيما تغطية الشعر كالقناة الإخبارية مثلا، وكيف يقبض العاملون في هذه القناة رواتبهم من مال الشعب ويصادمون مشاعره؟ وهل ما فيها من الموارنة والرافضة يمثّلون الشعب؟

والعجيب أن هذه القناة وغيرها -بل الإعلام السعودي كله- تسمي الشيعة "الجيش العراقي" حتى بعد أن اعترف العبادي ومنظمات حقوق الانسان قاطبة بأن الحشد ينتهك حقوق الإنسان، ومع أن الاعلام العراقي الرسمي يقول ما لا يقوله الإعلام هنا.

وعموما تشجع هذه القناة وسائر الإعلام هنا على الإرهاب، وتصب البترين على النار.

ويجب أن يُجمع الإعلام السعودي كله على تقسيم الناس إلى مؤمن وكافر فقط، كما هو كتاب الله، وليس من الكفار صديق لا أمريكا ولا غيرها.

- ليس المجاهدون في فلسطين إرهابيين، بل هم يعملون وفق كتاب الله ووفق المادة (٥١) من ميثاق الأمم المتحدة، وإنما الإرهاب هو ما يفعله نتنياهو كإحراق الرضيع وقتل الأطفال، وكذا من يؤيده كالإدارة الأمريكية، وكل من ينسق مع اليهود أو يحاصر المسلمين، أو يمد يده لليهود بأي شكل كان سرا أو جهرا، وكيف تضع أمريكا قانون (جستا) بذريعة الاعتداء عليها بينما تعتدي هي واليهود على الفلسطينيين، وبأي عدل تقارن أمريكا خسارتها لمركز تجاري بخسارة مقدساتنا؟ وكيف يكون الدم الأمريكي غاليا والدم المسلم في فلسطين وأفغانستان والعراق رخيصا؟

- احذروا التطبيع مع إسرائيل، وألغوا ذلك كليا، وألغوا ما يسمى المبادرة العربية للسلام التي صدرت أصلا من هنا، وقد رفضتها إسرائيل ومر على إصدارها سنوات طويلة بل عقود، ثم أطلق عليها (ترامب) الرصاص.

ووجهوا إعلامكم كله لمضادة الصهاينة، ونصرة المجاهدين وتحرير المسجد الأقصى، وإن غضبت إسرائيل وأمريكا وأولياؤها.

- واعلموا أن دعاء الناس لا سيما في خطب الجمعة، يدل على الكره الذي يكنه الشعب لليهود والنصارى، وكيف لا يكرهون من يدنّس المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى نبينا محمد ﷺ، وقد

عبّر الجزائريون عن كرههم لليهود فكيف بالناس هنا، وكيف نؤمن بأي مبادرة تستبعده، والقرآن بيننا يحذرنا من موالاة اليهود ويذكر أفعالهم القبيحة ويعدد صفاتهم الذميمة، ونسأله تعالى في كل ركعة من صلاتنا -فضلا عن القراءة خارجها- أن يجنبنا طريقهم، واليهود هم الذين جاءوا إلينا و لم نذهب نحن إليهم!!

إنما وضع اليهودي (فريدمان) ما سمي المبادرة العربية للسلام لأنها تحقق لإسرائيل وأمريكا ما يريدون أو بعضه، وأذّكركم ببعض عيوب المبادرة العربية الموجبة للتخلي عنها:

- أنها لا تذكر حساسية الأقصى وأهميته لكل المسلمين.
- أنها لا تذكر حق العودة مطلقا.
- أنها تحوّل العرب من أعداء إلى وسطاء.
- أنها تعترف بإسرائيل "أي أنها تقر الظلم" بل تؤمن بما يسمى بالتطبيع معها.

- والمؤسف أن يكون أول المتبنين لها هو السعودية وأن يقدمها المسؤول الأول فيها إلى قمة بيروت العربية!

والحمد لله أن إسرائيل رفضتها، ثم إن (ترامب) أطلق عليها رصاصة الرحمة، وهذا مبرر قانوني ومخرج شرعي يستوجب رفضها منكم فهل تفعلون وتسمحون لنا بالجهاد؟

- واعلموا أن من يشير عليكم بإقامة العلاقات ولو سرا مع اليهود هو غاش لكم وإن لم يتعمد ذلك، وهو يريد أن يجعلكم على درجة من درجات المستعربين، وأن تكونوا نوعا سياسيا من الغرقد، وربما رضيت عنكم الإدارة الأمريكية مؤقتا وبعض الشعب الأمريكي، ولكن الله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠] فلم تنكب الطريق؟ وطلب رضا الذين لن يرضوا؟ والإعراض عن وحي الذي يبسط يديه بالليل ليتوب مسيء النهار، ويفرح بتوبة العبد إذا تاب؟ ويبدِّل السيئات

حسنات ويعفو عن كثير ويخرجنا من الظلمات إلى النور، وحزبه هم المفلحون، وجنده هم الغالبون، وفي اتباع هداه سعة الرزق وسعادة الدارين والهداية التامة والأمن المطلق.

وانظروا كيف حاربت أمريكا الجنرال عيديد بعد أن قالت إنه (رجلها)!.

واعلموا أن عامة الناس ليسوا حزبيين ولا حركيين ولا متشددين، وإنما يعملون بمقتضى فطرتهم السليمة وإيمانهم المطلق بأن ما قاله الله ورسوله هو الحق والصواب.

أما السياسة البشرية فهي متغيرة وقد يرى الحاكم اليوم رأيا ويرى غدا عكسه وقد يعترف بنفسه أنه كان مخطئا في قراره.

وأنتم عمليا تختارون من آراء المستشارين المتناقضة، ما ترونه أقرب للصواب في نظركم، وأنتم وفقكم الله للصواب، تعلمون بأن الكفار لا سيما اليهود والنصارى لا يضمرون لهذه الأمة خيرا، وتجسون نبضها شيئا فشيئا، وتأمرون بعض من يطيعكم في كل شيء أن يبدأ هو، فإن كانت ردة فعل الشعب هي السكوت استمر الأمر، وإن كانت ردة الفعل هي الرفض تبرأتم منه وقلتم إنه لا يمثل إلا نفسه أي أنه بالونة اختبار فقط.

وأنتم بلسان المقال والحال تدعون الناس إلى الالتزام بالقرارات والتعليمات وتنفيذ النظام، فكيف يكون من دعا إلى الالتزام بكتاب الله أصوليا متشددا أو متطرفا، وهو الكتاب الذي كله حق وصواب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا اختلاف فيه ولا تناقض ولا اضطراب، وينص النظام الأساسي على كونه مصدر الاستمداد، وتقولون إنكم تعملون به وعليه يبايعكم الناس؟ فمن المخالف للنظام أنحن أم الليبراليون؟

والناس هنا متدينون بطبعهم، وإنما عمل العلماء أو الدعاة هو تصحيح المفهومات وترسيخ معاني التدين عندهم، والخروج من الفهم التقليدي

المحدود إلى الفهم الواسع الرحب، ويخطئ الليبراليون حين يظنون أن الأصل في الناس هو الفسق لكن الصحوة اختطفتهم، وإذا صدق أحد ما يقوله الليبراليون والمفترون من أن فلانا صحوي وفلانا حركي وفلانا حزبي وفلانا إرهابي.. إلخ، فأين من منهجه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في بلد الإسلام ومهد التوحيد؟ وأين من هم كذلك ممن هم على الأصل.

- واعلموا أنكم كلما عملتم بعكس رغبة الشعب، وواليتم اليهود والنصارى، وقربتم أبناء كعب وحيي بن أخطب وشيلوك وفاغين، ازداد الشعب بغضا لكم. كيف وهو كلما قرأ الفاتحة سأل الله الصراط المستقيم، وأن يجنبه صراط المغضوب عليهم والضالين، ويعلمون أن أوضح مثال للمغضوب عليهم هم اليهود، وأوضح مثال للضالين هم النصارى، وقد صح الحديث في كون اليهود مغضوبا عليهم، وذلك موافق لما في القرآن، وليعلم كل من انحاز لترامب ونتنياهو أنه سالك للطريق الخطأ، وأنه سوف يحاسب على ذلك بين يدي الله تعالى، وأن التاريخ في هذه الدنيا لن يحابيه، وأنه ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد، وأن الله كتب أن العاقبة للمتقين.

- اعلموا أن الذين يخالفونكم الرأي، ليسوا بالضرورة حزبيين أو حركيين أو أصوليين -كما يقال- وأيا كانت صفتهم.

فقد يكونون على حق، والحق يؤخذ ويقبل بغض النظر عن قائله، وربما كان قائله يهوديا أو نصرانيا أو عدوا أو معارضا.. إلخ، فالواجب قبوله والعمل به لأنه حق وصواب، ثم قائله كفره وفجوره وخطؤه عليه، لا يضركم ولا يسألكم الله عنه، وإنما يسألكم لماذا لم تقبلوا الحق، وكون صاحب الرأي المخالف مخطئا لا يعني أنكم مصيبون فقد يكون كلا الرأيين خطأ.

ومن الحق الذي لا مرية فيه، أن الشعب كله يكره اليهود إلا الليبرالي الشاذ، وأن الشعب لا يريد التطبيع معهم ولا إقامة علاقات من أي نوع، وأنه لا يرضى أحد -ولو كان ليبراليا أو علمانيا أو ماسونيا- أن يقال له

يهودي أبدا، وكلمة (يهودي) في الغرب مقترنة بكلمة (خنزير)، فلا تسبحوا عكس التيار، ولا تطيعوا أمر المفسدين. ولا يرضى الشعب أن يُسمى المجاهدون (إرهابيين) فكله مجاهدون ولو فُتِحت الحدود وتهيأت الظروف لتدافع الناس بالآلاف لتحرير المسجد الأقصى، وعلى الجهاد قامت الدولة السعودية الثالثة، وعليه تقوم الدعوة في كل مكان.

وهو الذي أفتى العلماء هنا بأنه فرض عين في أفغانستان فكيف في القدس؟ وهو الذي لما دخل صدام الكويت عقدتم له مؤتمرا.

- محاولة السعودية التنصل من تهمة الإرهاب بالتنصل من الدعوة المسماة الوهابية، أشد من محاولة حزب النهضة في تونس التقرب إلى العلمانية الغربية، ورفع الإسلام مجرد شعار، كما في الدستور التونسي لكي لا يوصم بالإرهاب، وعلى الحزب أو الحركة التمسك بالدين، أما الغرب فلن يرضى عنا مهما تنازلنا حتى لو صبغ راشد الغنوشي شعره بالأشقر وحلق لحيته، ولو أننا أطعنا تركي الحمد وتخلّينا عن ابن تيمية واطعنا كل من يقول إن سبب الإرهاب هو التيمية والوهابية، لكنا شر أمة أخرجت للناس!

-من الضلال الذي يردده الإعلام السعودي والحكومة السعودية مصطلح (الحكومة الشرعية) في اليمن، فلا تقولوا إن حكومة عبدربه منصور هادي حكومة شرعية وكيف تكون شرعية وهي لا تحكم بشرع الله، ورئيسها المذكور لا يذكر ذلك ولا يعد الشعب بالشريعة، وهو قد كان عضوا في حزب المخلوع، بل كان نائبا له، وهو ينتمي إلى الحزب الاشتراكي، اللهم إلا إذا كان للشرع والشرعية مفهوما آخر فبينوه لنا.

فحتى لو ثبت أن حزب الإصلاح إخواني، فالإخوان أقرب إلى العقيدة الصحيحة من الاشتراكيين وغيرهم، ممن لا يحكم بما أنزل الله ويسير وفق سياسة خلفان، والحزب يُناصح ولا يحارَب.

وإذا كان مصدر الشرعية هو التصويت فأنتم غير شرعيين إذ أنكم لم تحكموا عن طريق التصويت، ونظام محمد مرسي شرعي بهذا الاعتبار إذ صوّت له أكثر المصريين.

وإذا بقيتم على هذه الحال فسوف تضطرون للرجوع إلى أكثرية المصريين ضد السيسي كما رجعتم في اليمن إلى السلفيين وحزب الإصلاح.

وليست عداوة الإخوان مثلا بجديدة، فقد سمعتها مباشرة وعلى انفراد من الأمير نايف مثلا قبل عقود، وكان الضباط في سجن الحاير يجاهرون بذلك، ثم أصبحت مهاجمتهم أمرا عاديا في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي!

- تقدم السعودية خدمة كبيرة لإيران وهدية مجانية دون قصد، حين يكون لها مع إسرائيل علاقة ما، وسياسة المحافظة السعودية غير المعلنة (البحرين) تستدل بها إيران على السياسة السعودية تجاه إسرائيل، دع زيارة اللواء المخابراتي "أنور ماجد عشقي" لإسرائيل، وانظر إلى خروج المظاهرات العنيفة ضد زيارة وفد بحريني للكيان الصهيوني، ومن العجيب أن هذا الوفد يزور الدولة الصهيونية والمظاهرات على أشدها حتى في الدول الغربية، وهذا يتيح لإيران فرصة ذهبية ثمينة، كي تنشر التشيع وتكسب الأنصار باسم (معاداة اليهود والنصارى)، ويصدق كذلك زعمها أن تحرير القدس يمر عبر مكة، والعلاقات السعودية البحرينية تؤكد ذلك، وهي علاقة قديمة لا سيما منذ أسهمت القوات السعودية في (قوة دفاع البحرين) وكذا قوات درع الجزيرة، وأنتم كما قال الأمير تركي الفيصل حررتم مصر من حكم الإخوان فلم لا تحررون فلسطين من حكم اليهود؟

- من المسؤول الذي استقال بعد أحداث سقوط الرافعة في المسجد الحرام أو بعد أحداث منى في حج ١٤٣٦هـ؟ فكيف نزعم أننا سوف نكون في مصاف الدول المتقدمة ولم نفعل هذا التقدم الذي هو في إمكاننا؟ وكيف تُرجف لذلك الحدث. الصحافة المصرية ولم ينقطع عنهم الرز؟

- من العُقَد التي لا أحسب الناس هنا سوف يتخلصون منها، عقدة التخلف الحضاري، ومن آثار هذه العقدة لدى كثير من الناس، أنهم يبرزون المعالم الحضارية التي لديهم من المصانع والطرق والعمارات وأمثال ذلك، ويتحدثون كثيرا في الإعلام عن نجاح الخطط وعن المستقبل المشرق، والتقدم المستمر، وارتفاع الدخل، وكثرة المستشفيات والمدارس.. إلخ.

ونحن بإيماننا أعلى من الغرب، وهو الذي ينبغي أن تكون لديه عقدة النقص لتثليثه ودياثته وخرافاته وتحيزه لليهود.

- **حاييم وايزمان:** رئيس الحركة الصهيونية قبل تأسيس دويلة الكيان الصهيوني وأول رئيس للدولة بعد تأسيسها قابله فؤاد حمزة مندوبا عن السعودية، كما جادله محمد أسد رحمه الله وذكر ذلك في كتابه (الطريق إلى مكة)، وقد كانت بريطانيا تعتبر السعودية من جملة محمياتها بموجب اتفاقية القطيف أو العقير كما قد تسمى، وفي سنة ١٩٢٧ اعترفت باستقلال السعودية وألغت الاتفاقية المذكورة، وبحث الطرفان العلاقات العربية اليهودية لاسيما موضوع الأحساء، وقد كانت الأحساء إحدى الخيارات التي قدمتها بريطانيا لليهود آنذاك كما ذكر منير العجلاني، ولكن اليهود اختاروا فلسطين حسب الوعد المزعوم في سِفر الخليقة (التكوين) من التوراة.

وأنا أنصحكم يا آل سعود ألا تثقوا في أمريكا ولا في إسرائيل، لا سيما ما يسمى إعلاميا (الحليف الاستراتيجي).

فإنما يريد صهاينة أمريكا أن تشتروا منهم السلاح بأغلى الأثمان، وتمولوا حرب إسرائيل على حزب الله فإذا نفد المال من عندكم رموكم كما تُرمى الليمونة إذا عُصرت!

وقد خدمهم شاه إيران أعظم خدمة، لكنهم تعاونوا مع الانقلابيين عليه، وساعد الجنرال الأمريكي (هويزر) نائب قائد القوات الأمريكية في أوروبا الخميني في ثورته على الشاه، ثم إن الشاه طلب من أمريكا اللجوء فقط فلم يفعلوا، وكذا في الصومال مع عبدهم الذين سموه رجلهم عيديد.

والمهم أنه ليس لأمريكا عهد ولا ذمة ولا صداقة دائمة مع أحد، وقد قال (ترامب) نفسه في حملته الانتخابية إن دول النفط بقرة حلوب إذا انتهى حليبها ذبحناها، أولم تنقلب أمريكا على باكستان بعد أن ساعدها على طالبان، بل على إسامة بن لادن الذي تجسسوا عليه حتى دلوا الأمريكان على مكانه؟

وأخلف الأمريكان وعودهم بالجائزة التي رصدوها لمن يدلهم على بن لادن!

أما الذين يعادون أمريكا مثل فنزويلا وكوريا الشمالية والمجر وغيرها، فلم تستطع أمريكا أن تضرهم، فكيف بأمة الإسلام التي هي أكثر عددا وأهم موقعا وأعظم مساحة، وأغزر إنتاجا.

ولأول مرة أسمع غير العرب يستجدون ويقول هذا لا يتماشى مع القانون الدولي، وذلك حين دخل الجيش التركي سوريا وانسحب الجيش الأمريكي صاغراً أمام قوة المؤمنين.

- اتهام بعض الأمراء وكبار رجال الأعمال بالفساد هو مما يشكر عليه فاعله، وهو خطوة في الاتجاه الصحيح، وذلك يستدعي أسئلة كثيرة منها:

أ- أليس الذي يعتقل الأمراء قادر على التعميم على القنوات والصحف وغيرها بمنع أي حديث عن التطبيع مع اليهود أو يسيء للدين؟

ب- إذا كان بعض الناس يتبرع بـــ١٠ ملايين من ماله الخاص فكم ماله الخاص؟ ومن أين له هذا المال؟

ج- إذا كان (من أين لك هذا) سؤال يصح توجيهه لبعض الناس فلماذا لا يوجه لكل أحد؟

د- أليس من يعمل وينهب خيرا ممن ينهب ولا يعمل، فبعضهم يملك الملايين بل المليارات وهو جالس في بيته؟

هـــ- من الذي حصّن بعض الناس عن المساءلة؟

و- أليس من حق الشعب أن يعرف أعضاء هيئة مكافحة الفساد قبل أن تبدأ عملها؟

ز- أين مساءلة أهل الفساد الفكري والفساد الأخلاقي الخ؟

ح- لماذا يسجنون بعض الناس في الفنادق بينما يسجن المواطنون في الحائر وذهبان وأشباههما؟ أليس في سجن الحائر مثلا زنزانات ضيقة، وفلل؟

ط- هل الفساد مختص بهؤلاء فقط أم أن فتح ملفاته ينكأ جرحا غائرا في جسد كله منخور؟

ي- هل هؤلاء اعتقلوا لأجل فسادهم المالي أم لأسباب أخرى؟

ك- أليس الفساد المالي قديما ومتغلغلا في الأمة؟

وإليكم هاتان القصتان الواقعيتان:

١- يحكى أن أحد سلاطين الدولة العثمانية قيل له يا صاحب الجلالة: إن المسجد النبوي في حاجة للزيت، كي يوضع في السرج، فأمر السلطان أن يصرف لكل سراج برميلا من الزيت، فقالوا له يا صاحب الجلالة يكفي أن تصرف لكل سراج جالوناً. فقال: البرميل من هنا في اسطنبول لا يصل إلى المدينة إلا وهو جالون.

٢- اعتذر أحد المسؤولين هنا عن عدم تخصيص بند لكذا بأن الطاسة ضائعة، فقال أحد الحاضرين: بشرك الله بالخير، المهم عندنا طاسة!

- حسب التصنيف اليهودي الأمريكي الذي يريدون للسعودية أن تتبعه، تكون الوهابية مرادفة للإرهاب وتكون السلفية مرادفة للتطرف وداعمة للإرهاب، غير أن الله تعالى قال لنبيه الكريم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾[الأحزاب:١].

- أنتم بين احتمالين:

إما أن تكونوا مغشوشين مغررا بكم فها نحن أولاء قد بينا لكم ما يكنّه الغربيون والمستغربون لكم، إضافة إلى ما صرح به الشيخ عبد المحسن

العبيكان آل سعود وغيره من أن الليبراليين "يريدون الحكم" وشعارهم "الدولة لنا أو فلتسقط" كما قال أحد المتابعين.

وإما أن تكونوا موافقين للعلمانيين، لكن سياستكم تقتضي مجاملة العلماء ومسايرة الشعب الذي هو متدين بطبيعته، وتراهنون على المستقبل حين يتحول الشعب إلى مجموعة من الأنعام لا همّ لها إلا تشجيع الأندية الكروية، ومتابعة القنوات، والروايات، والصحف، والمواقع، التي تثير الشهوات وتدغدغ الغرائز. وهذه سياسة فاشلة ورهان خاسر، دع المثقفين ولكن انظر إلى الشعراء الشعبيين ماذا يقولون؟

فأنصحكم أن تكونوا ربانيين متقين ليجعل الله لكم مخرجا، ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون.

- **أنصحكم لا تتورطوا في اليمن ثانية،** فمن يحكم اليمن إنما هو كمن يرقص على رؤوس الثعابين كما قال المخلوع، وسلطة القبيلة أقوى من سلطة الدولة، والقبيلة ليس لها ولاء ثابت وإنما هي لمن يدفع أكثر، وكراهية السعودية متأصلة عند اليمنيين، ولما كنا في اليمن خرج في إحدى المدن مظاهرة تقول "يا سعودي يا يهودي"، وأنا لما كنت في أمريكا صليت بهم الجمعة مرغما في ديترويت، وبعد الصلاة قام أحد اليمنيين وقال: "حتى هانا باتحكمنا السعودية"! ومن مساوئ التورط في اليمن الشعور العام بالخيبة والإحباط اللذين يشعر بهما الجيش السعودي حين يسمع تصريحات عادل الجبير بأن الحوثيين إخواننا وجيراننا ويمكن أن نتفاهم معهم وأن أعداءنا هم الإرهابيون، أي أن المقاتلين كانوا يقاتلون جارا يمكن التفاهم معه وليس عدوا.

وقد قال بعض قادة الجيوش نستطيع أن ندخل صنعاء، ولكن جاءتنا الأوامر بالتوقف.

وانفصال الجنوب في اليمن تؤيده دولة الإمارات، وعبدربه منصور هادي اشتراكي ويقولون إن تواطؤه هو السبب في دخول الحوثيين إلى صنعاء، وأنتم أعلم به، لكن لا تدرون ماذا يبيّت؟

ولهذا ولاعتبارات أخرى قد أُورد بعضها أنصحكم ألا تتورطوا في اليمن مرة أخرى، وأن تحافظوا على سيادة البلاد، وبعض القبائل اليمنية لديها دبابات، وكل يمني لديه سلاحه والموت عندهم أمر عادي، وقد فطن لذلك بعض المتطرفين اليهود فلما أرادوا التخلص من إسحاق رابين أسندوا ذلك إلى عمير اليمني!

ولهم خفايا لا تظهر لكم إلا بعد حين، ولهم مفاجئات كثيرة، وقد كان الحوثيون فئة محدودة محصورة في شمال الشمال "بعض محافظة صعدة" وحاربهم المخلوع أما الآن فقد امتد خطرهم وأصبحوا يستهدفون الديوان الملكي في الرياض بصواريخهم، وكان خالد بحاح نائبا لعبدربه في الظاهر، متواطئا مع الحوثيين باطنا، وقد كان مجرد موظف عند بقشان سابقا.

وأعتقد أن الجيش السعودي المحارب في اليمن إذا سمع تصريحات الجبير عنهم أنهم جيران يمكن التفاهم معهم، وأن أعداءه هم داعش والقاعدة، سوف تضعف معنوياته كثيرا.

والواقع يصدق كلام عادل عن العدو الحقيقي للسعودية، فقد هوجمت المكلا وفي يوم واحد تغير حالها، بينما استمر حصار تعز سنوات!

وكلام الجبير هذا لو صدر من أوباما أو (كيري) أو (ترامب) لم يكن غريبا أما أن يقوله وزير خارجية سعودي فهو حقا مستغرب، فمتى أصبح الروافض إخواننا؟ وقد قال الشيخ المقبلي رحمه الله (ائتني بزيدي صغير أخرج لك منه رافضيا كبيرا)، وهي عبارة منسوبة للأولين كالشعبي والشافعي.

ولا تسمحوا لأي إنسان بانتهاك سيادة البلد وخصوصيته، كما فعل "ليبرمان" الأمريكي حين فتش المناهج الدراسية، أو فعلت اللجنة الأمريكية التي جعل الأمريكان مهمتها التقصي عن حالة حقوق الإنسان في السعودية،

وقابلت اللجنة وزير العدل السعودي آنذاك محمد العيسى (انظر مثلا جريدة الرياض بتاريخ ٢٠١١/٢/١٨)، ووجهت إليه أسئلة كثيرة ليس من حقها أن توجهها بل ليس من حقها حتى وفق القانون الدولي أن تأتي للمملكة، ومن هي أمريكا ولجنتها؟ وأين استقلال القضاء؟ وأين حق السيادة؟ وأين خصوصية المجتمعات التي تقرها الأمم المتحدة نفسها؟ ومن الذي جعل الرأي الأمريكي هو الحكَم؟ وكيف ترمي أمريكا الناس بالحجارة وبيتها نفسه من الزجاج، بل مما هو أقل منه؟ وكيف يفتش من يرى اللواط حقا مدنيا، على من يراه فاحشة مقيتة يجب إقامة حد الله على فاعلها؟ وكيف يسمح من لديه ذرة من العروبة والوطنية بالثناء والتمجيد لهذه اللجنة وما سبقها وما تلاها من انتهاكات!!

- ليس في كتاب الله إسلام سياسي وإسلام غير سياسي، بل في الواقع إسلام وعلمانية ويجب أن يكون الدين كله لله وتكون العبادة كلها له وحده، وما يقال عن تسييس الحج أو عدم تسييسه ينبغي إعادة النظر فيه، وإنما العبرة بالثبوت عن المعصوم، فلم يثبت عن النبي ﷺ ما يسميه الرافضة البراءة من المشركين بالتظاهر في السابع من ذي الحجة أو في منى، وقد أرسل النبي ﷺ علياً ليبلغ عنه أنه لا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، وأن من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهده باق، وأن من لم يكن بينه وبينه عهد فيسيح في الأرض أربعة أشهر، وهي كلها قضايا سياسية من صميم المعاهدات الدولية، فمن يزعم الفصل بين الدين والسياسة فقد افترى وضلّ.

وإنما في النصرانية المحرفة دين طقوسي لا علاقة له بالسياسة كما يقولون، ونحن لسنا نصارى، كما أننا لسنا أصوليين بالمعنى النصراني.

والأصولية إنما نشأت في الغرب عند الكاثوليك ثم البروتستانت واليهود، ولا يستخدم الأصولية الإسلامية بنفس المعنى (أي العمل السياسي)

إلا من يجعل الإسلام كأي دين آخر، لا علاقة له بالسياسة، أي أنه يقر بالشرك شعر أم لم يشعر.

- حين نقول أو يقول أحد إن بين أمريكا وإيران توافقا تحت الطاولة، فإن ذلك لا يعني اتفاق الدولتين في كل الأهداف، ولا أن أمريكا أذكى سياسة من إيران، بل إن إيران أذكى من أمريكا وأمهر، ومن يعادي إيران وفي الوقت نفسه يصادق أمريكا مخطئ بلا ريب.

- لا يصح أن تكون الشريعة مجرد مصدر تاريخي للأنظمة، بل يجب الرجوع إليها في كل نظام وأن تكون مصدر كل أمر.

- لن يرضى عنكم الغرب مهما فعلتم، والنبي ﷺ نفسه لم يسلم من شر اليهود والنصارى قديما وحديثا، فإذا قلتم نحن نحتكم إلى كتاب الله، ولا تملكون قول غير ذلك، قال الغربيون: السعودية دولة ثيوقراطية أي دينية، وإذا قلتم نحن دولة ملكية قال الغربيون هذه حكومة استبدادية تؤمن بالحق الإلهي للملوك! وإذا قلتم نحن نمنع التجني على العلماء ونشرتم ذلك في نظام المطبوعات، قالوا هؤلاء يؤمنون بحق الكهنوت، وإذا جعلتم سعر النفط مراعيا للغربيين قالوا هؤلاء الأغبياء يبددون ثرواتهم، وإذا لبستم البشت والعقال أو أمرتم به عادل الجبير وغيره، قالوا انظروا إلى هؤلاء البدو، وإذا أعطيتموهم المال، قالوا الثروة الهائلة عند السفهاء المتأخرين ويحرم منها المتقدمون المتحضرون، ويجب عليهم أن يدفعوا لأن الفلوس عندهم مثل الرز، ولا أحد يحاسبهم أو يسألهم، أما تهمة الوهابية ودعم الإرهاب فلا يمكن التخلص منها حتى لو قلتم نحن لسنا وهّابية ولا طائفيين ولا مذهبيين، ولا ندعم الإرهاب، وبلغ بهم الاحتقار إلى حد قولهم عنا بدو (ناصر) أي جمال عبد الناصر، وإلى حد أن أحدهم لما أراد أن يهدي لكم هدية جاء إليكم بشيء من تمر كاليفورنيا! وآخر أهدى لكم صورة جمل وبجواره نخلة! وثالث أهدى لكم بعض الحيوان، وقد رأيت ذلك في حديقة الحيوان.

كما أن الغرب أحزاب مختلفة وفلسفات متناقضة، بل دول متعادية، وأيدلوجيات متضاربة، فمن ترضونه أو تسكتونه يفضحه الآخر.

وقد قال أحد السلف: "لمصانعة وجه واحد -أي وجه الله- خير من مصانعة الوجوه كلها"، وحتى لما سمحتم بالاختلاط والتبرج وفتح دور السينما لم يزيدوا على قولهم: هذه خطوة في الاتجاه الصحيح!

والشيء الذي يجعل اليهود والنصارى يرضون هو أن يرتد المسلمون لا قدر الله عن دينهم ويتبعون اليهود والنصارى، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠].

مع أننا لو فعلنا ذلك عياذا بالله لما كنا إلا طائفة من اليهود الشرقيين (سفارديم) أو مجموعة من (الأرثوذكس) لا بد من نشر التبشير بيننا وتحويلنا للإنجيلية أو الكاثوليكية.

كلمة موجزة عن الإسلام السياسي:

الغرب وأذنابه هم الذين ابتدعوا فكرة ما يسمي الإسلام السياسي، وصدّروها للمسلمين وغاظهم أن يكون الإسلام ديناً ودين، وهم لذلك يريدون تحريف القرآن وإلغاء الجهاد وحرق المصحف ومما يغيظهم:

١. قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١-٣]، فينبغي على هذا المذهب الرديء حذف (ملك الناس)، إذ سوف يستغلها دعاة الإسلام السياسي كما يقولون!

٢. يقول الحجاج (إن الحمد والنعمة لك والملك)، وهذا كسابقه.

٣. يقول الذاكرون (لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد)، وعلى هذا ينبغي حذف قوله (له الملك) إذ هي عبارة سياسية أيضا!

٤. تقول الدولة السعودية إنها تسير وفق كتاب الله، فهي حسب زعم القوم تسير على الإسلام السياسي وليس الإسلام الطقوسي، ويجب على السعودية إما إلغاء كلامها وإما معاقبة من يقول ذلك القول، والتنبيه على ضلاله، وهذا ما يقتضيه الأمر بكتاب الله، واتباع دين الإسلام كما تقتضيه السياسة الرشيدة حقا.

٥. الآيات في سورة التوبة والممتحنة وغيرها، تدل على المنهج الشرعي في التعامل مع الدول غير الإسلامية، وهذا قانون دولي وجزء من القانون الدستوري، فهذه الآيات إذن سياسية يلزم على قولهم حذفها.

٦. الآيات الدالة على وجوب الحكم بما أنزل الله في الأنعام والمائدة والنساء وغيرها، وتسمية إيمان من أراد التحاكم إلى الطاغوت زعما، يلزم أيضا حذفها على قولهم، لأنها عين الإسلام السياسي.

٧. لما كان النبي ﷺ في المدينة من كان يحكمها أكسرى أم قيصر؟ أم أنه ﷺ أمره ربه بإسلام طقوسي لكن حكمها بالإسلام السياسي؟

٨. كتب علي عبد الرازق كتابه عن المسألة، لكن شيوخ الأزهر سحبوا منه الشهادة الأزهرية، وقالوا إن كلامه هو كلام المستشرقين، وأنه إنما كتبه بإيعاز من الوالي الانجليزي على مصر، ورد عليه كثيرون بكتب قيمة، أكل هؤلاء مخطئون إلا هو؟

- الذي يبدد الثروة الوطنية ليس تحويلات الوافدين كما يزعمون، بل هم السعوديون السواح الذين ينفقون مئات المليارات في الخارج، فمن أراد أن يحافظ على الثروة فعليه منع ذلك، أو إلغاء الإجازات التي تؤدي إلى سفر الناس، دع فتاوى العلماء عن حكم السفر إلى بلاد الكفر، أو الفسق، فهو عند الليبراليين كلام الرجعيين المطاوعة، الذين يريدون حرمان الناس من التمتع بمباهج الحياة في هذه الإجازات المتعددة، التي هي مكارم من أهل الشأن.

- باستعراض التصويت في الأمم المتحدة، نجد أنكم كثيرا ما صوتم عكس رغبة أمريكا، وهذا يدل على أنه يمكنكم مخالفتها إذا شئتم، وأنه لا عذر في قول أحد الملوك أمريكا (ماسكتنا من هنا)، ووضع يده على رقبته، ففي إمكانكم مثلا منع ما يسمى "اللجنة الأمريكية لحقوق الإنسان" من دخول السعودية مطلقاً، ومنع أمريكا عن الحديث عما يسمى "الحرية الدينية في السعودية"، التي يريدون بها حرية التنصير، ومنع الحديث عما يسمونه "حقوق الأقليات في السعودية" ويعنون به الروافض، ولماذا لا يعطون هم (المورمن) حريتهم وكذا اللاتينيون الكاثوليك، والإميشيون، أم أن هذه عقوبة لنا حين تركنا من بيته من زجاج يرمينا بالحجارة.

- تُعزى نهضة ألمانيا واليابان الاقتصادية بعد أن دمرتهما الحرب العالمية الثانية، إلى أن الناس فيهما لم يقرضوا أموالهم للبنوك باسم الإيداع، بل بنوا بها المدن والمصانع وغيرها.

- احذروا الاستعمار الجديد الذي سماه "هابرماس" استعمار الحياة، وسمى عبد الله البردوني صاحبه (المستعمر السري)، وسماه جوزيف ناي القوة

الناعمة، ويسميه بعض الدعاة الغزو الفكري، وسماه صلاح نصر رئيس المخابرات المصرية سابقا (الحرب النفسية).

ومن أدواته اليوم الشركات الأجنبية، وقد كانت الشركات حسب الاستعمار القديم تتطلب الجيوش الاستعمارية لحمايتها، كما كانت (شركة الهند الشرقية) محمية بالجيش البريطاني، أما الاستعمار الجديد فيحميه الوكلاء والموظفون والزبائن من الدول المستعمَرة نفسها، وتبادر أقسام الشرطة لنجدته لو اعتدى عليه أحد.

وهو يعتمد على الخبرة الوطنية نفسها، كما اعتمدت شركة (ماكيتري) مثلا على الأستاذ إياد مدني، الذي هو عضو في إدارة البنك السعودي الفرنسي، وأمين عام منظمة التعاون الإسلامي، لكنه أقيل من المنظمة لما تهكم محقاً بكلام السيسي عن ثلاجته!

وأيا كان الأمر، فالحل لمشكلاتنا جميعا ولتحررنا من كل استعمار هو التربية الإيمانية، فلو صدقنا مع الله واستلهمنا تجربتنا المحلية لنصرنا.

- نحن نطلب المساواة في السجن، وهذه نبذة عن سجن الحائر وعن المستشارين الأمنيين:

سجن الحائر للذين لا يعرفوه -أسأل الله ألا يعرفه أي داعية- مدينة واسعة ذات أقسام إدارية وغيرها، وفيه زنازين ضيقة للمطاوعة، ظننت أنها ثلاجات متراصة، وفيه فلل ذات ملاعب ولوازم ترفيهية لكبار الشخصيات.

ولما كنا نحن الدعاة في الزنازين الضيقة كان ابن أمير الرس يسكن في فلة.

وأشبه السجون بالحائر السجون المصرية التي رأيتها على الشاشة يوم ثار المصريون على حسني مبارك، وكان من كبار المسؤولين عن سجون حسني مبارك حبيب العادلي وفؤاد علام، وأمثالهم ممن أصبحوا مستشارين أمنيين للسعودية، بعد أن كانوا قد استشاروا قبلهم (زكي بدر) الذي يقولون إنه شتّام بدرجة وزير، والذي أمر بدفن كل ملتح لما كان في مصر.

أما حبيب العادلي فهو وزير داخلية مصر سابقاً، وأما فؤاد علام فهو خبير مكافحة الإسلاميين! بالإضافة إلى مستشارين انجليز كلمت بعضهم منفردا في الحائر منهم (مستر لير).

فالقضية ليست حرباً على الإخوان كما يشاع، وإنما هي حرب على كل المطاوعة!!

من الخطأ تجاهل الطابع القبلي للمجتمع، والظن بأن طلاء العصرنة ألغاه، فنحن لسنا خليطا عرقيا كالأمريكان، بل أكثرنا قبائل عريقة في جزيرة العرب، وفي الهلال الخصيب، بل حتى في المغرب وإفريقيا، ومما يُظهر ذلك جليا المباريات الكروية التي تدعمها الدولة، ومن الأمثلة الحية للترابط القبلي والفزعة للفروع، أن بعض قبيلة يام سافروا من نجران إلى الكويت كي يصوتوا مع العجمان، واطلعت على توقيعات هائلة من أحد فخوذ قبيلة حرب لما اعتقل أحد أبنائها.

ثم إنه أصبح لكل قبيلة موقعها الذي تفاخر فيه بنسبها ورجالها!!

- مما يقرؤه بعض الناس بدلاً من تدبر القرآن وتصفح السيرة النبوية وسير أبطال الإسلام ومعاركه المجيدة: هو كتاب فن الحرب، وهو كتاب قديم جدا ألفه أحد المجوس في الصين قبل الميلاد بستة قرون، ويصنف عالميا ضمن كتب الخيال، على أن فيه كلاما عن الاستراتيجيات العسكرية في تلك الأزمنة.

- أخيرا أنصحكم أن تثقوا في ابن البلد وأن توظفوه فهو أنصح لكم من عمال (بلاك ووتر) ومن أبناء محمد بن زايد واعلامكم نفسه يُقر بذلك ولا يقول غيره.

ويجب عليكم المبادرة بالإصلاح العام والشامل الذي به يرضى الله عنكم ويرضى كذلك الشعب.

وإليكم بعض الجوانب المهمة التي أرى البدء بإصلاحها.

بعض الأوضاع العامة الموجبة للإصلاح الفوري

ملاحظات:

١- هذه الأوراق قديمة، يدل على ذلك التواريخ والأسماء التي فيها، وكنت أنوي أن أقدمها للملك قبل سنين، ثم حال المرض دون ذلك والحمد لله.

وقد تعمدت أن أتركها على حالها لأسباب منها: أن يعلم القارئ أن ما نعيشه اليوم من التغريب والعلمنة لم يأت فجأة، وأن جذور البلاء قديمة، ولكن ضمن الخطة الدنلوبية (سلو بت شور) أي بطيء لكنه أكيد، كما أن قوم نوح لم يعبدوا غير الله فجأة، وإنما أوحى إليهم الشيطان الشرك تدريجيا، فانحراف اليوم إنما هو ثمرة الانحراف القديم الذي بدأ منذ قرون وازداد مع الأيام، والمستقبل سيكون أشد قتامة إن لم نستدرك.

٢- أنا مع حرصي الشديد على أمانة النقل والتوثيق لما أقول، قد مارست ذلك عملياً من خلال عملي في إحدى المحاكم، واطلعت بعيني على كثير من المآسي وبعضها لم أذكره مطلقاً.

٣- تضاعفت المنكرات وتسارعت وتيرة الفساد في السنوات الأخيرة كثيرًا، بل في الأشهر الأخيرة، ولا نزال "من جرف في دحديرة" كما يقال، وأكثرنا مشغول بدنياه أو بشهواته، ولكن حسب أهل الدين أنهم على الحق، وقد قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء:١٨]، فالكلمة الواحدة أو الموعظة الواحدة، قادرة على إزهاق ألف كلمة من الباطل، وهذا التسارع هو نذير بالفشل إلا أن نتوب.

٤- شهدنا تحولا اجتماعيا هائلا، يصرح به المسؤولون في الدولة، ولا يخفى على مراقب للأوضاع، وتحدثت عنه الصحافة الغربية.

٥- جاءت رؤية (٢٠٣٠) وهي رؤية اقتصادية بمثابة الفرصة للتغيير الاجتماعي، وباسمها يسعون للإفساد وهدم الدين ضمن شعار العلمانيين (الدولة لنا أو فلتسقط).

٦- ينبغي أن يعلم القارئ أن التقارير الرسمية تتأخر كثيرا، بل إن بعض المجالات ليس فيها إحصاء بالمرة.

ومن النصح أن أقدم لكم الآن بعض الجوانب التي يظهر بها عمق المأساة وضرورة الإصلاح، مع اعتقادي بأن ذلك لا يخفى عليكم، وأن ما خفي علي أعظم.

القضاء والتشريع

أصدرت المملكة منذ ضم الحجاز حتى الآن أكثر من (٥٠٠) قانون أو نظام، وبها غير المحاكم الشرعية ما يقارب (٤٠) محكمة أو هيئة أو مجلسا أو لجنة لفصل الخصومات في القضايا التجارية والعمالية والعسكرية والبنكية والجمركية والتأديبية والطبية، هذا غير التعاملات الخارجية، حيث لا عين للشريعة ولا أثر، (وهي لا تقتصر على الشؤون الإدارية).

وفي المملكة أقسام أو تخصصات لدراسة القانون، غير المبتعثين لدراسته في الخارج.

وفي كل وزارة تقريبا إدارة للشؤون القانونية لم تؤسس على أصل موافقة الشريعة والاستمداد منها، أو مراعاة المصالح والمفاسد على الوجه الشرعي.

وينص أعلى القوانين التنفيذية في البلاد وهو نظام مجلس الوزراء على أن المجلس يملك السلطتين التنظيمية (التشريعية) والتنفيذية (المادة ١٩) وللمجلس هيئة قانونية تشرف على إصدار جميع القوانين (شعبة الخبراء) ليس في نظامها ما يدل على الالتزام بالشريعة إعدادا أو مراجعة، وليس فيها عضو واحد من كبار العلماء أو المتخصصين في الدراسات الفقهية البحتة، ولا تلتزم أصلا بالتقيد بأحكام الشريعة.

ومع ذلك فإن المسؤولين، وبعض حملة العلم لا يترددون في كل مناسبة بالتصريح أن المملكة تحكم بالكتاب والسنة في كل صغيرة وكبيرة؛ وأحيانا يزيدون "نصا وروحا"!! ومن ذلك صدور قرار ملكي بعد أن رأس الملك جلسة مجلس الوزراء في يوم الاثنين ١٤١٢/٧/٣٠هـ ونشرته الصحف بعناوين كبيرة بارزة (استبعاد أي نظام يتعارض مع تعاليم العقيدة)! وليست العبرة بالموافقات العرضية، فإنه ما من أمة إلا وهي تحاول العدل.

ولو أننا أردنا استعراض القوانين والمحاكم والهيئات القانونية في المجالات والمؤسسات التي لا تراعى فيها الشريعة لطال المقام جدا، ولذلك سوف نستعرض فقط: أقسام القانون في المجالات العامة من خلال تنزيلها على التقسيم الأكاديمي للقانون، وفقا للاتجاه السائد في معظم كليات القانون في العالم حيث يقسم القانون قسمين كبيرين لكل منهما فروعه، وهما:

١. القانون العام.

٢. القانون الخاص.

والقانون العام هو (مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات القانونية التي تكون الدولة طرفا فيها باعتبارها صاحبة السلطة).

والقانون الخاص هو (مجموعة القواعد التي تنظم العلاقات القانونية التي لا تكون الدولة طرفا فيها باعتبارها صاحبة السلطة).

القسم الأول: القانون العام، وفروعه أربعة:

أولا: القانون الدولي العام: وهو (القواعد التي تنظم علاقات الدول بعضها ببعض في الحرب والسلم)، وتدخل فيه المنظمات غير الدولية، كالشركات مثلا إذا كانت طرفا في النزاع مع دولة.

وتحتكم المملكة في هذا المجال المهم إلى جملة من القوانين الوضعية التي لا تقتصر على كونها مخالفة لأحكام الشريعة المطهرة، بل هي محادّة ومعادية لها في كثير من الأصول القطعية، ومن هذه القوانين:

١. ميثاق الأمم المتحدة وقوانينها ومعاهداتها وقراراتها الصادرة عن مجلس الأمن والجمعية العامة ومحكمة العدل الدولية ومحكمة الجزاء الدولية.

وسائر فروع المنظمة الدولية: كمنظمة اليونسكو، وصندوق النقد الدولي، ومنظمة العمل الدولية، ومنظمة حقوق الإنسان، ومنظمة التجارة العالمية وغيرها كثير.

ولا تخفي المملكة التزامها بهذا، بل هي تفخر بذلك إعلاميا، وتدعمه ماليا، وتقرره دراسيًا في مناهجها، وإن كانت تتحفظ أحيانا على قضايا

جزئية أو شكلية، وقد يأتي التحفظ مجملا دون اعتراض على الأصل أو الإخلال بالالتزام العام بما تصدره المنظمة، كجهة تشريعية دولية كما هو الشأن في قرارات مؤتمرات السكان ووثيقة منع التمييز ضد المرأة.

٢. ميثاق جامعة الدول العربية، أو الاتفاقيات والمعاهدات الصادرة عنها وعن فروعها من المنظمات والمؤتمرات، والالتزام بهذا غني عن البيان والاستدلال.

ومن نافلة القول أن يقال إن الدول العربية لا تتفق على شيء إلا على محاربة ما يسمى ((التطرف أو الإرهاب))، ومن هنا كانت المؤتمرات والاتفاقيات بهذا الخصوص هي وحدها الموصوفة بأنها أكثر مجالات التعاون العربي نجاحا واستمرارا!!

٣. اتفاقيات منظمة "الأوبك" و"الأوابك".

٤. مقررات دول عدم الانحياز.

٥. الاتفاقيات والمعاهدات الثنائية مع الدول الأخرى، وكل هذه الاتفاقيات والمعاهدات لا بد أن تجري وفقا لقواعد القوانين الدولية للمعاهدات؛ خصوصا اتفاقية فينا لعام ١٩٦٩م المسماة "اتفاقية الاتفاقيات".

وقد فرضت المنظمة الدولية على كل دولة في العالم تعقد اتفاقية مهما كان نوعها، أن تسجلها بالسجل الدولي للاتفاقيات المحفوظ بمقر الأمم المتحدة، ليتم الاطلاع عليها والتأكد من مطابقتها للقانون الدولي المزعوم، ولمحاكمة طرفيها بمقتضى ذلك فيما لو نشب بينهما نزاع.

وتعد المملكة من أكثر دول العالم عقدا للاتفاقيات بكل أنواعها، السياسية والثقافية والتجارية والإعلامية والمالية والرياضية، ومع كل دول العالم تقريبا؛ وبصفة خاصة مع أمريكا وبريطانيا وفرنسا وكندا وألمانيا واليابان والصين وكوريا والهند، حيث تعد هذه الاتفاقيات مع هذه الدول بالمئات، وبعضها بالآلاف!!

ثانيا: القانون الدستوري: وهو القواعد التي تحكم شكل الدولة ونظام الحكم فيها والسلطات وتوزيعها.

ويمثله في المملكة النظام الأساسي للحكم ونظام مجلس الوزراء، وكلاهما -عند التحقيق- لم يوضع استمدادا من الشريعة ولا على منهاجها؛ وإنما وضعا على منوال الدساتير العربية المنقولة عن الدساتير الغربية عدا عبارات إسلامية عامة في النظام الأساسي لا يحال إليها عند إصدار النظم، لأن مقتضى الإحالة الموافقة والاستمداد، فهي شعار لا مصدر للقرار.

ثالثا: القانون الإداري: ومنه أو يلحق به القانون المالي: وهو القواعد التي تنظم السلطة التنفيذية وتنظم الميزانية في الوزارات والمؤسسات العامة وعمل البنك المركزي والبنوك التجارية...الخ.

ولا يخفى على أحد أن هذا القانون لا نصيب فيه للشريعة سواء في الاستمداد أو التحكيم، وما المحاولات التي تبذلها بعض البنوك بمبادرات ذاتية للتوافق مع أحكام الشريعة إلا دليل على ذلك.

رابعا: القانون الجنائي: وهو القواعد التي تحدد الجرائم وعقوباتها وطرق الحكم فيها، وهو يشمل نوعين من الأحكام:

١. **أحكام موضوعية**: وهي تحديد الجرائم وتشريع عقوباتها.

٢. **أحكام إجرائية**: وهي تنظيم المحاكم والهيئات الجنائية بتعيين درجاتها واختصاصاتها.

فأما الأحكام الموضوعية فهي التي للشريعة فيها نصيب مما لم تستثنه القوانين الأخرى بموجب نظام القضاء، الذي ينص على أن للمحاكم الشرعية النظر في ما لم تستثنه الأنظمة من القضايا إلى المحاكم الشرعية -كما سيأتي إيضاحه-.

والواقع أن ما تسمح السلطة التنفيذية بإحالته لا يكاد يتجاوز القضايا الزوجية وقضايا العقار الفردية وبعض القضايا الجنائية، وما عدا ذلك فيكاد

يكون إشغالا للمحاكم بشئون لا فائدة منها، واستكمالا لمطالب بعض الجهات الإجرائية والشكلية.

علما بأن إقرار هذه الأحكام أو تعديلها أو إلغاءها من اختصاص السلطة التنفيذية التي أصدرتها، والقضاة مع الأسف يقولون هذا من شأن ولي الأمر.

القسم الثاني: القانون الخاص وفروعه خمسة:

أولا: القانون المدني: وهو القواعد المنظمة لعموم العلاقات بين الأفراد والمؤسسات في المجتمع وهو أكبر الفروع، إذ أن الفروع الأخرى هي أقسام منه فُصلت عنه لاعتبارات خاصة، وقد ذكر واضعو مجلة الأحكام العدلية أن القانون المدني هو ما يسميه الفقهاء "فقه المعاملات".

ثانيا: القانون التجاري: وهو القانون المنظم للعلاقات التجارية، كقوانين الشركات والتأمين وأحكام الأوراق التجارية وسائر المعاملات التجارية، وهو جانب عظيم من الأحكام جرى استثناؤه من الشريعة منذ ضم الحجاز وصدور نظام المحكمة التجارية سنة (١٣٥١هـ) المنقول عن القانون الفرنسي في أغلب أحكامه بواسطة القوانين العثمانية الأخيرة.

ومع أن نظام المحكمة التجارية أكبر الأنظمة التي أصدرتها الدولة حتى الآن، فقد انتُزعت منه فصول لتكون أنظمة مستقلة وأكثر تفصيلا، تبعا لتغير الأحوال وتطور المعاملات، حتى أصبح مجموع الأنظمة التجارية للمملكة يعادل مجلدات، ومختص بالفصل به جهات عدة كالغرف التجارية، والمحاكم التجارية التي اتخذت أكثر من اسم وشكل، وديوان المظالم، ولتمييز الأحكام التجارية مجلس يسمى ((المجلس التجاري الأعلى)) بوزارة التجارة، وهو هيئة قانونية تملك حق البت النهائي في كل المنازعات التجارية التي تحال إليها من الهيئات واللجان المتعددة، وليس فيه أحد من العلماء قط.

ثالثا: قانون العمل: وهو القواعد المنظمة للعلاقة بين العامل ورب العمل، وقد كان للثورات الاشتراكية في الغرب أكبر الأثر في استقلاله عن

القانون المدني، ووضع أحكامه وإلزام الدول به، لاسيما بعد إنشاء منظمة العمل الدولية وفروعها، وقد مرت له في المملكة مرحلتان:

الأولى مرحلة النظام القديم: الذي استنكره العلماء حين صدوره، لاسيما العلامة الشيخ عبدالله بن حميد رحمه الله (رئيس مجلس القضاء) فيما بعد. ولكن الرد صودر وأوذي بسبب نشره كثيرون، وحُظر طبعه في الداخل أو دخوله من الخارج حتى أصبح شبه مفقود، وكذلك اعترض عليه سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله في فتاوى كثيرة.

الثانية: مرحلة النظام الجديد: وهو أعظم من القديم مخالفة للشريعة، وأكثر منه مواد وتفصيلا، وقد صدر بعد زمن وجيز من وفاة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله سنة (١٣٨٩هـ)، وهو منقول نقلا مباشرا عن القانون الذي وضعه مكتب العمل الدولي في جنيف، وقد حذى حذو القوانين المستغربة في مصر وغيرها، فجعل مبادئ الشريعة -وليس أحكامها- مصدرا احتياطيا مع العرف ومبادئ العدالة.

ويحكم بهذا القانون لجان عمالية ابتدائية في مكاتب العمل، تنظر في مئات القضايا يوميا ثم ترفع للجان التمييز الاستئنافية في الوزارة.

رابعا: قانون المرافعات التجارية والمدنية: وهو الجانب الإجرائي من القانون المدني، فأما قانون المرافعات التجارية فليس للشريعة فيه نصيب من أصله.

وأما قانون المرافعات المدنية فهو مستمد من القوانين المصرية، اللهم إلا أنهم وضعوا كلمة (المملكة) بدل (الجمهورية)، والريال بدل الجنيه!!

خامسا: القانون الدولي الخاص: ويعنون به القواعد والأحكام التي تنظم شؤونا داخلية ذات علاقة بالدول الأخرى.

وأهم أقسامه:

١. تنازع القوانين والاختصاص.
٢. قوانين الجنسية ومركز الأجانب في الدولة.

فأما القسم الأول فلا نصيب فيه للشريعة ولا للمحاكم الشرعية، إذ كل ماله صلة بالدول الأخرى فالقرار فيه في المملكة سياسي وليس قضائيا، وتحرص السياسة الحكومية على أن تكون تسوية المنازعات فيه تحكيما لا قضاء، مما فتح الباب لجهات قانونية تحكيمية لا علاقة لها بالإسلام غالبا فضلا عن الشريعة.

ويتولى ديوان المظالم تنفيذ التوجه السياسي في بعض القضايا، ويمارس الحكم في بعض القضايا الأقل أهمية، إلا أن تنفيذ الأحكام منوط بالقرار السياسي، ولأسباب موضوعية وشكلية لا ينطبق على ديوان المظالم وصف المحكمة الشرعية، مع التنويه بما لبعض قضاته من جهد وحرص على موافقة الشريعة، وبعض الباحثين يقول إنه أشبه بالمحكمة الإدارية، وبعضهم يقول هو أشبه بمجلس الدولة في مصر، وبعضهم يقول غير ذلك.

وأما قانون الجنسية والإقامة ومركز الأجانب في الدولة، فلا صلة له بالشريعة من قريب ولا بعيد، وليس لأي جهة شرعية أو شبهها عمل فيه سواء في الإعداد أو القضاء أو التنفيذ، وهو جملة من الأنظمة تشتمل على مخالفات لنصوص شرعية كثيرة. من أعظمها مخالفة قوله ﷺ: "لا يجتمع في جزيرة العرب دينان"، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ﴾[آل عمران:١١٨]، وقوله تعالى عن المسجد الحرام: ﴿ٱلَّذِى جَعَلۡنَـٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَـٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِ﴾ [الحج:٢٥].

والنتيجة الواضحة هنا هي انحسار اختصاص الشريعة أمام الغزو القانوني الزاحف من كل جهة، مما أنشأ كيانا متميزا للقانون السعودي، يشبه كثيرا القوانين المعمول بها في البلاد الأخرى، والعمل قائم على قدم وساق ليصبح تام الانفصال مكتمل الملامح كأي واحد من تلك القوانين كما سنرى في الفقرة التالية.

القانون السعودي

إن التشريعات السعودية بكثرتها وتنوعها وتعدد هيئاتها القضائية، هي تشريعات عامة ملزمة شاملة لمعظم جوانب الحياة، ومستوعبة لمعظم فروع القانون، وليست مجرد تنظيمات إدارية أو أقضية في وقائع معينة، وأي دارس لهذه التشريعات يصح له اعتبارها قانونا ذا كيان معنوي متميز يسمى ((القانون السعودي))، وقد أصبح هذا المصطلح تعبيرا عن حقيقة واقعة.

وهذا القانون بالنظرة الرأسية ابتداء من قمة الهرم -(نظام مجلس الوزراء) و(النظام الأساسي) وانتهاء بالقاعدة (اللوائح)- مركب عضويًا من التقنين لا من الشريعة، ومستمد من إرادة السلطة الواضعة، وليست الأنظمة الشرعية -كنظام القضاء، ونظام تركيز مسؤوليات القضاء الشرعي-، إلا جزء من هذا الهرم، وعضواً في هذا الكيان، صادرة كسائر الأنظمة بمقتضى المادة الدستورية ذاتها (المادة رقم ١٩ من نظام مجلس الوزراء)، وكلها موضوعة ابتداء من قبل الهيئة القانونية المختصة بذلك دستوريا (شعبة أوهيئة الخبراء القانونيين)، وكل مادة منها قابلة للإلغاء أو التعديل أو الدراسة من قبل ذات الجهة بمقتضى النصوص الدستورية دون أي حرج قانوني، لأن من يملك سلطة الإصدار يملك سلطة الإلغاء والتعديل، وليس للفقهاء من ذلك نصيب.

وهذا الاحتكار التشريعي مصادم لما دلت عليه قطعيات الشريعة وإجماع الأمة من أن مجرد الكشف عن حكم الله في أي قضية يقتضي الإلزام به، ويجعل الالتزام واجباً معيَّناً، سواءً صدر ذلك من مفتٍ أو قاضٍ أو أمير، وسواء كان مقروءاً في كتاب أو مسموعا في خطبة أو نصيحة....الخ.

ومعلوم أن تعليمات السلطة التنفيذية وأوامرها -**الأوامر والمراسيم الملكية وقرارات مجلس الوزراء وقرارات وزارة الداخلية**...الخ ويرمزون لذلك بحروف مثل (م، أ)- قد قننت جوانب اختصاص المحاكم الشرعية

(وهو محصور في القضايا الزوجية وقضايا العقار الفردية وإثبات التملك والاستحكام وبعض القضايا الجنائية)، وإذا استمر الحال على ما هو عليه فسوف تتحول الشريعة من مصدر مادي للتشريع السعودي، إلى مصدر تاريخي فقط وتتحول المشروعية كاملة فتصبح رسمية وضعية.

هذه هي الحقيقة، وهذا هو الواقع، الذي يراه ويلمسه الدارس أو المطلع على التشريعات السعودية، والجهات القضائية الكثيرة والمتنوعة شكلا واختصاصا وإجراءا. والتشخيص الخطأ للحال يزيد الأمر إشكالا وتعقيدا، مثل وصفه بأنه "ازدواجية قانونية"، وأسوأ من ذلك الظن بأنه مجرد تنظيمات إدارية وإجرائية.

وهذا ما لا يقوله إلا مخادع ولا يصدقه إلا جاهل. فالقانون السعودي وإن كان مهلهل النسيج هو كيان عضوي متميز ومن السهل إثبات هذا بأي جهة نظرنا وبأي مقياس اعتبرنا:

١. من جهة المضمون:

فهو قواعد آمرة مصدرها السلطة على سبيل الإلزام انتظمت جوانب الحياة إلا قليلا يقول الدكتور عبد الرحمن القاسم في كتابه النظام القضائي... ص٦٨٩:

(باستقراء ما صدر من أنظمة نجد أنَّ المشَرِّع السعودي قد تناول جميع أوجه النشاط في المجتمع بالتنظيم أو التقييد فأصدر أنظمة في جميع فروع القانون إلا القليل منها).

ونعيد القول إنه لو كان الأمر مقتصرا على التنظيم -وليس التشريع- لما اعترضنا عليه، بل الواجب على الدولة أن تأخذ بأفضل التنظيمات الإدارية والإجرائية التي تحقق المصلحة الشرعية ولا تتعارض معها.

٢. من جهة الشكل:

فهو مواد قانونية مصاغة تستند دائما إلى المادة الدستورية (المادة ١٩) من نظام مجلس الوزراء وما شابهها وتنتهي عادة بالنص على إلغاء ما يخالفه.

٣. من جهة الواضع:

باستقراء القوانين السعودية (المسماة "أنظمة" غالبا) لم نجد ولا نعلم نظاما واحدا منها وضعته هيئة شرعية بحتة، حتى الأنظمة المتعلقة بالشريعة، كنظام القضاء، ونظام الحسبة، بل حتى نظام هيئة كبار العلماء! وإنما تضعها الهيئة القانونية المختصة التي سبق ذكرها، أو هيئات قانونية أخرى فيما دون ذلك.

٤. من جهة الاستمداد:

بالاستقراء أيضا لا نجد أن هذه القوانين مستمدة من الشريعة، بل لم نجد على كثرة ما قرأنا من الأنظمة والتشريعات إحالة واحدة إلى كتاب من كتب الفقه، بل ظاهرٌ جليٌّ استمدادها من القوانين الوضعية نصًّا وفحوى.

٥. من جهة التنفيذ:

يتولى تنفيذ هذه القوانين هيئات قضائية، بعضها يسميه القانون محاكم أو دواوين أو هيئات أو لجان، يقارب عددها الأربعين أو يزيد وتنظر في مئات القضايا يوميا، كالقضايا العمالية والتجارية والمصرفية والعسكرية.. وغيرها.

٦. من جهة الإجراء:

النظام الإجرائي قانوني بحت: الضبط، التحقيق، الدعوى، الإثبات، الطعن، التمييز، التنفيذ.

٧. من جهة مصدر الإلزام:

فالسلطة هي التي تُصدره حسب تدرج القاعدة القانونية: مرسوم ملكي، أمر ملكي، أمر سام، قرار مجلس الوزراء، قرار وزير.. الخ، وينشر في الجريدة الرسمية وتحدد بداية العمل به، ولا يعذر أحد بعد ذلك بجهله.

٨. من جهة التطوير والمتابعة:

حددت الأنظمة جهات عدة يحق لها اقتراح القوانين أو تطويرها، مثل الإدارات القانونية بالوزارات، والغرفة التجارية والصناعية، ولجنة استثمار

رأس المال الأجنبي، ومعهد الإدارة العامة، وكثير من اللجان الوزارية، وليس للعلماء وحملة الشريعة نصيب في المتابعة أو الاقتراح إلا ما قد يفعلونه احتسابا، ويمر ولا بد بتلك القنوات القانونية لتقر ما تشاء وترفض ما تشاء، مع أن هذا الاحتساب قليل والله المستعان.

وبهذا يتبين أن حق السيادة وحق التشريع والمشروعية العليا، في هذا الكيان المعنوي بجملته معطاة للسلطة التنفيذية، وأن ما أبقته للشريعة من مجال وأحكام لا أثر له في هذا الحكم، فإن السلطة هي التي أقرت ما أقرت، واستدركت ما استدركت، وذلك عن علم وقصد، مع غفلة من أهل العلم أو سكوت منهم، والأنظمة الأساسية الأولى للدولة صريحة في هذا. فقد كانت السلطة التشريعية قبل تأسيس مجلس الوزراء بيد مجلسي الوكلاء والشورى القديمين، وقد اشتمل قانون مجلس الوكلاء وهو المجلس الأعلى في الدولة، على مادة دستورية مماثلة لما في دساتير الأنظمة الملكية في أوروبا من أن الملك هو مصدر السلطات، فقد نصت المادة الخامسة منه على أنه ((**يستمد مجلس الوكلاء سلطته من حضرة صاحب الجلالة الملك**)) ونشر ذلك في الجريدة الرسمية (أم القرى) عدد٣٧٠سنة ١٣٥٠هـ.

وكان المجلسان صريحين في استخدام المصادر والمصطلحات القانونية، واعتبار عملهما تشريعًا، فلما أسس مجلس الوزراء سنة ١٣٧٣هـ احتفظ لنفسه بهذا الحق لكنه سماه ((**السلطة التنظيمية**)) واعتمد له هيئة قانونية سميت ((**شعبة الخبراء القانونيين**))، ليس من أعضائها عالم أو فقيه ولا ترجع إلى جهة شرعية مطلقا، واشتملت بعض القوانين والمذكرات التفسيرية على وصف ((**الشارع السعودي**)) أو ((**المشَرِّع السعودي**))، وهو وصف لأمر واقع، غير أن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله أصدر فتوى سنة ١٣٨٠هـ بأن هذا الوصف غير جائز لأن المشَرِّع هو الله تعالى، فتنبه المجلس إلى مراعاة الاسم دون الحقيقة، وتغيير الشكل دون المضمون، فكفَّ عن استخدام كلمة المشَرِّع واستمر في التشريع!

ولا تقتصر الوظيفة التشريعية على المجلس وشعبته، بل إن الإدارات أو المجالس القانونية في الوزارات تقوم بذلك في حدود اختصاصها فتسن التشريعات دون التزام بالشريعة أو الرجوع لأحكامها.

ومن الأمثلة على ذلك وزارة المالية، التي أصدرت مدّونة قانونية ضخمة، بعنوان ((مجموعة أنظمة ضريبة الدخل والطرق وفريضة الزكاة))، ليس فيها من الفتاوى الشرعية في هذا الركن العظيم من أركان الإسلام (الزكاة) والجانب المهم من جوانب الحياة والدولة (المال) إلا فتويان هزيلتان إحداهما عن إيراد الفنادق والأخرى عن الديون والإعانات، أما فتاوى وكيل وزارة المالية، ومدير عام مصلحة الزكاة والدخل المبنية على الاستشارات القانونية فتملأ الكتاب، ولم يقتصر الأمر على التشريع بل تعداه إلى القضاء، فقد أسند إلى المستشارين القانونيين بالوزارة، القيام بوظيفة اللجنة الاستئنافية لنظام تطبيق الزكاة الشرعية (صدر بالقرار الوزاري رقم ٣٩٣ في ١٣٧٠/٨/٦هـ)، فقد نصت المادة (١٢) على أنه (للمالية والمكلَّف الحق في استئناف قرار اللجنة الابتدائية إلى اللجنة الاستئنافية المنصوص عليها في المادة (٢٦) من القرار ٣٤٠ وتاريخ ١ رجب ١٣٧٠هـ)، وقد صدر القرار الوزاري رقم ٤٠٤٢/٧ في ١٣٩٣/١١/١٧هـ ونصه (... وبعد الاطلاع على القرار الوزاري رقم ٣٤٠ في ١ رجب ١٣٧٠هـ يقرر ما يلي:

أولا: تشكيل لجنة الاعتراض الاستئنافية من الأعضاء الآتية أسماؤهم:-

١. الدكتور غازي القصيبي المستشار بالوزارة رئيسا.
٢. الدكتور حسن دياب المستشار القانوني بالوزارة عضوا.
٣. الأستاذ صالح الحمد المهنا المستشار القانوني بالوزارة عضوا.

أما لجنة الاعتراض الابتدائية فإن أعضاءها هم حسب القرار الإداري رقم ١٠١٨٤ في ١٣٩٣/١٠/١٠هـ:

١. وكيل عام مصلحة الزكاة والدخل.

٢. خبير الضرائب بالمصلحة.

٣. مستشار قانوني بالمصلحة.

وقس على هذا سائر الوزارات كوزارة التجارة ووزارة العمل وغيرها، فالمستشارون قانونيون بصراحة، ولا وجود فيها لعالم أو فقيه قط، بل الشريعة تحاصر من كل جهة، والزحف القانوني لا ينوي الوقوف عند حد وفي هذا خطر عظيم على الإيمان والعقيدة ووقوع صريح في الشرك ولو أن دولة صرَّحت بالقسمة، بأن جعلت الشريعة والقانون قسيمين لكل منهما النصف لكان ذلك شركًا وعدلا للطاغوت بالله تعالى وتسوية بينهما، وجعْل البشر المشرعين أندادا لرب العالمين، فكيف وللشريعة الفضلة والحظ الأقل، الذي يتناقص يوما بعد يوم، وبدهي في عقيدة المسلم أن الشرك بالله في بعض أنواع العبادة كالشرك به فيها كلها، وأن اتخاذ غيره ندًا معه في أمر كاتخاذه ندا في كل أمر، وأن الكفر بآية واحدة من القرآن، أو حكم واحد من أحكامه، كالكفر به كله.

وأن كون ذلك عدلا ومساواة وندية، هو مما تقرّ به القوانين الدستورية نفسها، فإنها تعتبر المصادر المادية للتشريع متساوية في القيمة والقوة، وإن كان بعضها لا يستمد منه سوى فصل أو بضعة مواد، بل إنه حتى المصادر الاحتياطية تكتسب القيمة المعنوية نفسها التي للتشريع لكن عند فقده، وعليه فلو أن أحدا جعل القانون مصدرا احتياطيا للتشريع لكان هذا مناقضا للتوحيد، فكيف بمن جعله أصلا، وضاهى المشركين في أن ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ﴾[الأنعام:١٣٦]، فالأمر في غاية الخطورة ويجب استدراكه بلا مهلة، حتى يكون الدين كله لله وحتى تدخل الدولة في السلم كافة.

وقد تحدث علماء الإسلام والسنة –كابن تيمية وابن القيم وابن كثير– وتبعهم علماء الدعوة التجديدية عن شريعة التتار المسماة "الياسق"، وذكروا

أنها تشتمل على أحكام، بعضها مأخوذ من الشريعة الإسلامية، وبعضها مأخوذ من غيرها، و لم يؤثر هذا في حكمهم عليها بالكفر واعتبار أهلها من الممتنعين عن الشريعة، أو الخارجين عليها.

وكما استعرضنا فروع القانون فرعا فرعا، وما للشريعة فيها من نصيب، فسوف نتناول الموضوع من جهة أخرى تكشف البون بين الشريعة وبين واقع التشريع والقضاء في المملكة.

أ- إنشاء المحاكم والهيئات القضائية القانونية:

يمثل تعدد المحاكم والهيئات واللجان القضائية في المملكة ظاهرة شاذة على المستوى العالمي، وقد أثارت مسألة الانضمام إلى منظمة التجارة العالمية الاهتمام بهذه المشكلة العميقة، وأدت إلى التعجيل بل الارتجال في حله بما يزيد بعدا عن الشريعة، ولحوقا بذيل القوانين العالمية.

فالحال في سائر الدول وجود قوانين عامة لكل فرع من فروع القانون، ولهذه القوانين محاكمها المحددة المعروفة، أما هنا فالوضع التشريعي والقضائي جزء من التفلت التدريجي من الشريعة في كل جوانب الحياة، وكلما اقتطع جزء وضعت له محكمة أو لجنة خاصة به، وهكذا صار كل نظام يصدر تقريبا ينص على تشكيل جهة التقاضي له، وهذه الأنظمة موزعة زمنيا وموضوعيا وتطبيقيا، وبهذا لا يدرك كثير من الناس الحجم الحقيقي للقانون والمقدار المتبقى للشريعة، ومع أم نظام القضاء ينص على أن المحاكم تختص بالفصل في كافة المنازعات والجرائم إلا بما يستثنى بنظام، وهذا ما قد عكسه التطبيق فأصبح المستثنى أضعاف المستثنى منه، وهذا النص نفسه فيه تدليس، لأن اللفظ عبَّر باختصاص المحاكم، والواقع أن المقصود هو اختصاص الشريعة نفسها بقرينة أنه قال (إلا بما يستثنى بنظام)، والنظام تشريع وليس محكمة، ولو كان المقصود مجرد الولاية القضائية مع توحد المصدر التشريعي لقال: (إلا بما يستثنى بقرار)، علما بأن ذلك النظام هو نظام للقضاء عامة!

كما أنه قال المحاكم و لم يقيدها بكونها الشرعية.

على أن المشكلة أعمق من ذلك فجوانب كاملة من الحياة عزلت تماما عن الشريعة، ووضعت لها القوانين المماثلة لما في الدول الأخرى، ومن ذلك التجارة والعمل والعمال والنظام المصرفي والأنظمة الدولية عامة، وهذا هو الذي أدى إلى تنازع الاختصاص.

وهكذا عزلت عن الشريعة –حكما وقضاء– جوانب مهمة من الحياة، ووضعت لها القوانين والمحاكم –بأي اسم كان– على نفس المنوال في الدول التي لا تعرف الشريعة أو لا تؤمن بها، لكن من غير أن تتخذ الوضع القانوني المعروف اختصاصا وشكلا، كما أن جوانب أخرى لا تخضع للشريعة وفي الوقت نفسه لم يوضع لها قانون، مما أدى إلى تقليص اختصاص الشريعة من جهة، والوقوع في فوضى تشريعية وقضائية من جهة أخرى، ويهمنا هنا تتبع أثر هذه الظاهرة الشاذة في محاصرة القضاء الشرعي ابتداء من الإقرار بالتنازع بينه وبين القضاء القانوني، وانتهاء بإباحة هذه السلطة السيادة الشرعية لمن لا يدين بالإسلام ولا ينتمي إلى هذه البلاد!!

ب– الإقرار بالتنازع بين القضاء الشرعي والقضاء الطاغوتي:

بالرغم مما يتردد دائما من أن هذه البلاد تحتكم إلى الإسلام في كل صغيرة وكبيرة، وبالرغم مما يقوله بعض من لم يعرف الحقيقة، من أن الأنظمة السعودية لا تخالف الشرع ولا تنازعه وإنما هي تنظيم مصلحي أو إداري، فإن القانون السعودي يعترف صراحة بوجود قضايا يتنازع فيها القضاء الشرعي والقضاء القانوني، وتتناقض فيها أحكامهما، ويحدد القانون حل تلك المشكلة بتعيين (لجنة تنازع الاختصاص)، وهذا ما نص عليه نظام القضاء نفسه:–

(مادة ٢٨ – إذا دفعت قضية مرفوعة أمام المحكمة بدفع يثير نزاعا تختص بالفصل فيه جهة قضاء أخرى، وجب على المحكمة إذا رأت ضرورة الفصل في الدفع قبل الحكم في موضوع الدعوى أن توقفها، وتحدد للخصم الموجه إليه الدفع، ميعادا يستصدر فيه حكما نهائيا من الجهة المختصة، فإن لم

تر لزوما لذلك أغفلت موضوع الدفع، وحكمت في موضوع الدعوى، وإذا قصر الخصم في استصدار حكم نهائي في الدافع في المدة المحددة، كان للمحكمة أن تفصل في الدعوى بحالتها.

مادة ٢٩ – إذا رفعت دعوى عن موضوع واحد أمام إحدى المحاكم الخاضعة لهذا النظام، وأمام أية جهة أخرى تختص بالفصل في بعض المنازعات، ولم تتخل إحداهما عن نظرهما أو تخلتا كلتاهما، يرفع طلب تعيين الجهة المختصة إلى لجنة تنازع الاختصاص التي تؤلف من ثلاثة أعضاء: عضوين من أعضاء مجلس القضاء الأعلى المتفرغين يختارهما مجلس القضاء الأعلى، ويكون أقدمهما رئيسا والثالث رئيس الجهة الأخرى أو من ينيبه، كما تختص هذه اللجنة بالفصل في النزاع الذي يقوم بشأن تنفيذ حكمين نهائيين متناقضين، صادر أحدهما من إحدى المحاكم الخاضعة في هذا النظام، والآخر من الجهة الأخرى).

وبعد أن تحدد المادة (٣٠) الإجراءات المتبعة في الطلب تأتي المادة (٣١) لتقول:

(يترتب على رفع الطلب إلى اللجنة المشار إليها في المادة (٢٩) وقف السير في الدعوى المتقدم بشأنها الطلب، وإذا قدم الطلب بعد الحكم في الدعوى فلرئيس لجنة تنازع الاختصاص أن يأمر بوقف تنفيذ الحكمين المتعارضين أو أحدهما).

وهذا الكلام واضح، وعليه تكون القضايا في القانون السعودي ثلاثة أنواع:

١. قضايا من اختصاص محاكم وهيئات قانونية وقد نصت الأنظمة على أنه لا يجوز إحالتها إلى المحاكم الشرعية بحال، كقضايا البنوك مثلا، والقضايا العمالية التي صدر بشأنها قرار من وزارة العدل رقمه (١٨٠) في ١٣٩٣/٨/١٢هـ، يوجب على القضاة عدم النظر في تلك القضايا وتركها للجهة المختصة.

٢.قضايا من اختصاص المحاكم الشرعية عادة، ولا يوجد ما ينص على عدم إحالتها إلى غيرها بل الواقع المشاهد ينطق بأنها قد تحال لغيرها.

٣.قضايا مشتبهة أو متداخلة فهذه موضع تنازع الاختصاص كما نصت عليه المادتان ٢٨ و٢٩ السالفتا الذكر.

ج- النص الصريح على عدم جواز الاحتكام إلى الشرع ومحاكمه:

تنص الأنظمة على إلغاء ما يتعارض معها، كما أنها تقرر نصا أو مفهوما أنها وحدها مصدر القواعد الآمرة والناهية في موضوعها، والرجوع إلى غيرها في ذات الموضوع أو التقاضي لغير ما نصت عليه مردود ومطعون فيه بعدم الاختصاص، والأمثلة على هذا كثيرة، كما في نظام العمل والعمال واللجنة المصرفية وغيرها، وحسبنا تمثيلا لذلك لائحة الإجراءات التي تُتبع في إدارات الحقوق المدنية عند المطالبة بحقوق خاصة، الصادر بقرار وزير الداخلية رقم ٢٠ وتاريخ ١٤٠٦/١/٢هـ، فاللائحة أشارت في المادة الأولى إلى نظر المحاكم الشرعية للقضايا التي لا تحتاج إلى تحقيق دون الرجوع للإمارات أو الشرطة، لكنها نصت في المادة التاسعة (على أنه عند وجود منازعة في الحق المدعى به أو في حلول موعد استحقاقه، فيجب على إدارة الحقوق المدنية إحالة المستدعى مع المدعى عليه إلى الجهة المختصة بنظر الدعوى مع مراعاة الآتي:

أ- إذا وجدت مشارطة تحكيم بين طرفي الخصومة فيطلب منهما اتخاذ الإجراءات النظامية لتنفيذ مقتضاها للبت في المنازعة بينهما.

ب- إذا لم توجد مشارطة تحكيم، وكان المدعى عليه تاجرا، والدين تجاريا، فيحال الطرفان إلى هيئة حسم المنازعات التجارية، ولا يجوز إحالتهما إلى جهة أخرى.

ج- إذا كانت المطالبة بمقتضى أوراق تجارية، فيحال المدعي والمدعى عليه إلى لجنة الأوراق المالية، ولا يجوز إحالتهما إلى جهة أخرى).

د- إذ كانت المنازعة بسبب حقوق عمالية خاضعة لنظام العمل والعمال، فيحال الطرفان إلى مكتب العمل المختص ولا يجوز إحالتهما إلى جهة أخرى).

وقد شهد الواقع وما يزال نماذج كثيرة من طلب المتخاصمين أو أحدهما الرجوع إلى شرع الله، ولا يكون الجواب من الإمارات أو الحقوق المدنية إلا بالرفض، بل المؤلم أكثر أن رئاسة المحاكم ووزارة العدل لا تقبل هذه الطلبات، وفي هذا إرغام للناس على التحاكم إلى الطاغوت ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والحكومة السعودية منذ تأسيسها تمنع الهيئات القضائية الشرعية من النظر في القضايا التي تسميها (سيادية)، ومن ذلك السياسة الخارجية عامة، ثم إن الأمر توسع فدخل فيما لا تنظره المحاكم الشرعية قضايا البنوك والإعلام وغيرها بأوامر صريحة، وليس للعلمانية معنى سوى هذا، فهل السعودية دولة علمانية؟

د- إدخال عناصر قانونية في الهيئات القضائية:

هذا لون آخر من الانحراف وسبب من أسباب الفوضى والاضطراب، يتمثل في إدخال قانونيين ضمن هيئات قضائية شرعية أو العكس، وقد أنكر سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله هذا الأمر إنكارا شديدا في نقده نظام الغرفة التجارية والمحكمة التجارية، وقال: ((هذا فيه تسوية بين الشرع والقوانين الوضعية، وفتح بابٍ لتحكيم القوانين الوضعية واستبدال الشريعة السمحاء بها)).

ثم قال: ((فالقانون ورجاله لا يجوز بحال من الأحوال أن يحكموا بين الناس، لأنهم إذا حكموا في أمر فسيحكمون بما تقتضيه القوانين الوضعية المخالفة لدين الله وشرعه، لأنهم لا يحسنون سواه وما يصدر منهم من الأحكام التي توافق الحكم الشرعي فهو إنما جاء عن طريق الصدفة وعن غير قصد للأمر الشرعي))!!

وكان ذلك في آخر حياته رحمه الله حيث صدرت هذه الفتوى في ١٣٨٨/١٠/٢٣هـ، وقد صدق فيما قال، وحدث ما خشي حدوثه، بل أكثر فلم يقتصر الأمر على إدخال قانونيين من أهل البلاد، بل جاءت القوانين صريحة في إدخال القانونيين غير المسلمين تحت اسم "العالميين"!! كما سنوضح في الفقرة التالية.

هـ - إسناد ولاية القضاء للكفار:

وليس المراد هنا التحاكم إلى الهيئات الدولية المختلفة -كما أشرنا سابقا- بل إيضاح ما وقع فيه القانون السعودي من التفريط في حق الدين والسيادة بإسناد هذه الولاية العظيمة إلى الكفار في قضايا داخلية سيادية ومن أمثلة ذلك:-

١- هيئة تمييز منازعات التعدين المنصوص عليها في المادة (٥٠) من نظام التعدين الصادر بالمرسوم الملكي رقم ٤٠ وتاريخ ١٣٨٢/٩/١١هـ ونصها:

(تنشأ بمقتضى هذا النظام هيئة مستقلة لتمييز المنازعات الناجمة عن تطبيق هذا النظام، وتتكون من ثلاثة أعضاء على الأقل، وخمسة على الأكثر، يختارون بغض النظر عن جنسيتهم من رجال القانون والقضاة البارزين، ذوي الخبرة بالقانون الدولي، وبالمشاكل المتعلقة بالامتيازات المعروفين بالسمعة العالمية، ولا تجوز مساءلة هؤلاء الأعضاء مدنيا أو جنائيا إلا طبقا لقواعد يحددها النظام).

تقول المذكرة التفسيرية التي أصدرها مجلس الوزراء بمقتضى المادة الأخيرة من ذلك النظام ص٣٥: (تنشئ المادة (٥٠) هيئة عليا مستقلة، لتمييز المنازعات الناجمة عن تطبيق هذا النظام، وقد حرصت المادة على أن توفر للهيئة الضمانات الكافية، حتى يكون أعضاؤها في أعلى مستوى من التخصص والسمعة الحسنة، وفي ذات الوقت مستقلين عن أي تأثير سواء من قبل الإدارة أومن الغير تأمينا لحيدتهم التامة، والهيئة على هذا النحو تعتبر

عمادا جوهريا لحسن تنفيذ نظام التعدين، واجتذاب رؤوس الأموال الأجنبية إلى الاستغلال التعديني المحلي، ومن المتوقع بفضل حسن تشكيلها، أن تقوم بدور جوهري في مجالات المشاكل النظامية لصناعات التعدين، بل ينتظر أن تصبح قراراتها من المراجع الأساسية في هذا الخصوص).

وهكذا نشأ عن هذا النظام مخالفات كبرى منها:

أ- عزل الشريعة عن ميدان التعدين، رغم كثرة وتفصيل أحكام الشرع فيه، ومع أن القضاة لا يعجزون عن الاجتهاد لما يستجد، ومع أن شيخ الإسلام ابن تيمية قد نص على أن من المعادن ما هو جامد كالذهب، وما هو سائل كالقار (النفط)، وإعطاء امتياز أعظم ثروات الأمة لأعداء الله.

ب- الإقرار بأحكام الطاغوت الممثلة في القوانين الدولية والأجنبية، وإقرار التحاكم إلى خبرائها، وجعلها مراجع تشريعية أساسية.

ج- تحكيم قضاة كفرة في أمر من أهم أمور المسلمين في هذا العصر.

د- إضفاء الحصانة على هؤلاء القضاة الكفرة، ليس فقط بأنهم لا يحاكمون، بل لا يساءلون أصلا، فهم مثل القناصل في القرن التاسع عشر.

٢. قانون الملاحة الجوية، فإنه مع أهمية قضايا الطيران، وازديادها المطرد، ووقوعها على أرض الإسلام، وجريان العرف الدولي بسيادة القانون المحلي وتحكيمه، فيما يقع على أرض الدولة، فإن هذه القضايا لا تخضع للشرع، ومن أوضح الأمثلة على ذلك حادثة طائرة الترايستار السعودية المنكوبة في شوال سنة ١٤٠٠هـ التي تولى التحقيق والحكم فيها، قضاة كفرة من منظمة الطيران الدولية، والمنظمة الأمريكية الفدرالية للطيران، وقد رفض هؤلاء القضاة بشدة، طلب أحد الشهود من موظفي الخطوط السعودية إحالة القضية إلى المحكمة الشرعية، باعتبارها واقعة على أرض سعودية، والطائرة سعودية، والقائد سعودي ومعظم الركاب سعوديين، ولأن المحاكم الشرعية هي الأصل في الاختصاص، ولأن القوانين تنص على تحكيم القانون المحلي، وقد أصدر أولئك القضاة الحكم على الطيار (عبدالعزيز الخويطر)

رحمه الله الذي قاد الطائرة ببراعة، ثم أنزلها المطار بعيدا عن الطائرات الأخرى، فماذا يريدون منه أن يفعل بعد ذلك.

كما أن هناك قوانين، تنص على إدخال عنصر أجنبي ضمن التشكيل القضائي لها، ومن ذلك اللجنة العليا للمحاسبين القانونيين، المشكّلة بموجب المرسوم رقم ٤٣ في ١٣٩٤/٧/١٣هـ الخاص بنظام المحاسبين المادة (١٤)، وهي هيئة قضائية يشمل اختصاصها الدعاوى الجنائية والتأديبية معا، كما في المادة (٢٨)، والعقوبات التي تحكم بها تصل إلى سجن سنتين وغرامة عشرة آلاف ريال، وقد نصت المادة (٤١) على أن يكون أحد أعضاء اللّجنة من المحاسبين القانونيين العالميين.

ومعلوم ما للمحاسبين من أهمية قصوى في الاقتصاد المعاصر، وأيا ما كان الأمر فإن تولية الكافر القضاء مهما كان محدودا من المحرمات القطعية، وقد نص شيخ الإسلام رحمه الله في كتاب السياسة الشرعية (ص١٥-١٦) على أن القاضي اسم لكل من قضى بين اثنين وحكم بينهما... حتى من يحكم بين الصبيان في الخطوط إذا تخايروا، وأسند ذلك إلى الصحابة رضي الله عنهم.

مثال للتخبط القانوني والاضطراب التشريعي (المحاكم التجارية):

١) أول هيئة خاصة لفض المنازعات التي تقوم بين التجار هي ما سمي (المجلس التجاري)، وكان إنشاء ذلك المجلس بأمر ملكي سنة ١٣٤٥هـ.

٢) بعد ذلك بخمس سنين صدر نظام المحكمة التجارية بموجب الأمر السامي رقم ٣٢ وتاريخ ١٣٥٠/١/١٥هـ الذي اشتمل على (٦٣٤) مادة.

٣) هذه المحكمة لم تدم طويلا، فقد ألغيت بقرار رئيس مجلس الوزراء رقم ١٤٢ في ١٣٧٤/١٠/٢٧هـ، وعهد مجلس الوزراء بقراره رقم ٢٢٨ في ١٣٨٠/٦/٢هـ إلى وزارة التجارة بتولي اختصاصات المحكمة الملغاة وتطبيق العقوبات المنصوص عليها.

٤) بناء على قرار مجلس الوزراء، أصدر وزير التجارة قراره رقم ٢٢٧ في ١٣٨٢/١/٢٥هـ بإنشاء هيئة تسمى (هيئة فض المنازعات التجارية)، وتتكون من رئيس وعضوين أحدهما مستشار قانوني، والثاني تاجر ترشحه الغرفة التجارية، ويكون التقاضي لدى هذه الهيئة على درجتين ابتدائية واستثنائية.

٥) في عام ١٣٨٣هـ صدر نظام الأوراق التجارية بموجب المرسوم الملكي رقم ٢٧ في ١٣٨٣/٩/٢٦هـ فأصدر وزير التجارة قراره رقم ٢٦٢ في ١٣٨٤/١١/٢٦هـ ليحل محل القرار السابق، ونص القرار الجديد على إنشاء هيئة بوزارة التجارة تسمى (هيئة فض المنازعات التجارية) تختص بالفصل في المنازعات التجارية التي تعهد الأنظمة والقرارات والأوامر لها بنظرها.

وتشكل في كل من الرياض وجدة والدمام من رئيس وعضوين، ويكون الرئيس موظفا من وزارة التجارة والصناعة برتبة مدير على الأقل، أما العضوان الآخران فيكون أحدهما مستشارا نظاميا، والثاني تاجرًا ترشحه الغرفة التي يقع النزاع في دائرتها (المادة الثانية).

٦) صدر القرار الوزاري رقم ٣٠٨ في ١٣٨٦/١١/١٤هـ معدلا للمادة الثانية من القرار السابق، بحيث يكون تشكيل الهيئة لكل من جدة والرياض من ثلاثة مستشارين قانونيين، يكون أحدهم الرئيس، أما الهيئة المشكلة في المنطقة الشرقية فتكون برئاسة مدير الفرع أو من ينوب عنه، وبعضوية مستشارين قانونيين.

٧) وفي عام ١٣٨٥هـ صدر نظام الشركات بالمرسوم الملكي رقم م/٦ في ١٣٨٥/٣/٢٢هـ، ناصا في مادة رقم ٢٢٢ على إنشاء هيئة حسم منازعات الشركات التجارية لتكون مختصة بحل المنازعات الناشئة عن تطبيق هذا النظام.

٨) وجدت وزارة التجارة أن إنشاء هذه الهيئة إلى جانب هيئة فض المنازعات التجارية أدى إلى وجود هيئتين تابعتين لمرجع واحد ما نشأ عنه تداخل في الاختصاص وتعارض في مزاولة الأعمال، فقدمت اقتراحا بدمج الهيئتين في هيئة واحدة تسمى (هيئة حسم المنازعات التجارية) وتشكل هيئة عليا لتمييز قراراتها.

وبناء على هذا الاقتراح صدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٨٦ في ١٣٨٧/٢/٥هـ القاضي بدمج الهيئتين السابقتين في هيئة واحدة تسمى (هيئة حسم المنازعات التجارية) ويكون تشكيلها وفق المادة ٢٢٢ من نظام الشركات.

وتضمن الأمر كذلك تشكيل هيئة تمييز تجارية، برئاسة وكيل وزارة التجارة أو من ينوب عنه وعضوية مستشارين قانونيين.

٩) طلب وزير التجارة من مجلس الوزراء إعادة تشكيل هيئة حسم المنازعات التجارية، وصدر قرار مجلس الوزراء رقم ١٢٢١ في ١٣٨٨/٩/٨هـ الذي قضى بإعادة تشكيل الهيئة المذكورة بحيث تتشكل من عضوين شرعيين، وآخرين من المتخصصين من وزارة التجارة والصناعة، في كل من الرياض وجدة والدمام.

١٠) نظرا لما حدث من تعقيد وإشكاليات، اقترح وزير التجارة أن تصبح قرارات هيئة حسم المنازعات التجارية نهائية، فصدر أمر سام رقم ١٠١٨ في ١٣٩٠/١٠/١٨هـ بإلغاء استئناف قرارات الهيئة، وبذا أصبحت قرارات الهيئة نهائية وواجبة النفاذ بمجرد صدورها ولا تحتاج لتمييز واستئناف!.

١١) في سنة ١٣٩٢هـ أعيد النظر في تشكيل الهيئة واستقر الأمر على تشكيلها من عضوين شرعيين يرشحهما وزير العدل، ومستشار قانوني يرشحه وزير التجارة، وذلك بموجب خطاب رئيس مجلس الوزراء رقم ٢٤٧٥٣ في ١٣٩٢/١٢/١٨هـ.

١٢) في ١٣٩٢/٣/١٦هـ صدر أمر سام برقم ٦٧٨ بتشكيل الهيئة المذكورة من اثنين من القضاة العاملين في المحاكم الشرعية ومستشار قانوني يرشحه وزير التجارة.

١٣) نظرا لتزاحم الأعباء والمسؤوليات على هيئة حسم المنازعات، فقد كتب وزير العدل بتاريخ ١٤٠٦/٦/٤هـ تعميما على المحاكم في المناطق النائية، بعدم إحالة القضايا التجارية إلى هيئة حسم المنازعات كي لا يثقل عليها بناء على كتابة من وزير التجارة!! أي أنهم عادوا إلى المحاكم الشرعية مرغمين.

١٤) صدر نظام مكافحة الغش التجاري بالمرسوم ٤٥ تاريخ ١٣٨١/٨/١٤هـ وحدد عقوبات من يرتكب إحدى جرائم الغش التجاري، ونص النظام على تشكيل لجنة ثلاثية لكل من الدمام والرياض وجدة بقرار من وزير التجارة، ويرأس كل لجنة مندوب عن الوزير وتختص تلك اللجان بإصدار العقوبات التي يقضي بها النظام، ولا تصبح قرارات هذه اللجان نهائية إلا بعد أن يصدق عليها وزير التجارة.

١٥) وفي ١٤٠٤/٥/٢٩هـ صدر مرسوم ملكي رقم ١١/٩ بشأن مكافحة الغش التجاري يحل محل النظام السابق، ونص هذا النظام على أن

تتولى توقيع العقوبات المفروضة عليها في النظام، لجان تشكل بقرار من وزير التجارة، وتتكون كل لجنة من ثلاثة أعضاء اثنين من وزارة التجارة وثالث من وزير الشؤون البلدية، على أن يكون أحد الأعضاء على الأقل من ذوي الخبرة النظامية، ونصت المادة ١٧ على أن تكون قرارات اللجنة نهائية بعد مصادقة وزير التجارة عليها، ما عدا قرار العقوبة بالسجن، فيجوز لمن صدر بحقه هذا القرار التظلم منه أمام ديوان المظالم خلال ثلاثين يوما من تاريخ إبلاغه به.

١٦) استمر دخول قضايا نظام الأوراق التجارية في اختصاص هيئة حسم المنازعات التجارية، إلى أن صدر قرار من وزير التجارة برقم ٣٥٣ وتاريخ ١٣٨٨/٥/١١هـ بإنشاء لجنة في مدينة الرياض للنظر في المنازعات الناشئة عن تطبيق نظام الأوراق التجارية، وأصدر قرارين بإنشاء لجنتين في الدمام وجدة، وكذلك في الأحساء والقصيم، كل لجنة تتكون من ثلاثة مستشارين.

١٧) وفي ١٤٠٣/٩/٢٢هـ صدر قرار من وزير التجارة رقم ٩١٨ متضمنا إنشاء مكتب في وزارة التجارة، يسمى مكتب الفصل في منازعات الأوراق التجارية، ويختص بالفصل في المنازعات الناشئة عن نظام الأوراق التجارية في مدينة الرياض، وصدر القرار بإنشاء لجنة قانونية في الوزارة من رئيس وعضوين، وجعل من اختصاص هذه اللجنة استئناف قرارات المكتب.

١٨) في ١٤٠٧/١٠/٢٦هـ صدر قرار مجلس الوزراء رقم ٢٤١ والمرسوم رقم م/٦٣ بتاريخ ١٤٠٧/١٠/٢٦هـ، ناصا في أول مادة على إلغاء المادة ٢٣٢ من نظام الشركات التجارية الصادر بالمرسوم رقم م/٦ وتاريخ ١٣٨٨/٣/٢٢هـ، ونصت المادة ٣ على نقل اختصاصات هيئات حسم المنازعات التجارية إلى ديوان المظالم!!

كما نصت المادة ٦ على تكليف وزارة التجارة، ورئيس الديوان، بدراسة وضع اللجان القائمة في وزارة التجارة المتعلقة بحل المنازعات الأخرى

للنظر في نقل اختصاصها إلى ديوان المظالم، ورفع التوصيات بهذا الشأن إلى مجلس الوزراء، وبذا يضاف لولاية ديوان المظالم واختصاصه، كل اختصاصات هيئة حسم المنازعات التجارية.

فانظر إلى هذا التخبط والتغيير المستمر في الأسماء والاختصاصات، مع الإصرار على أن الحكم للقانون وليس للشريعة، وقد كان يغني عن هذا كله إحالة القضايا للمحاكم الشرعية من البداية!

وكان ينبغي لوزير العدل -وللعلماء كافة- معرفة أن المسألة معركة بين الدين والعلمانية، وبين الشريعة والقانون، فيستشهدوا بهذا التخبط على ضرورة إحالة كل قضية للمحاكم الشرعية، وكان على وزير العدل أن يعمل بالفتاوى الصادرة من رئيس القضاء الشيخ محمد بن إبراهيم، ويطالب بإلغاء هيئة فض المنازعات التجارية كليا حتى في المدن الكبرى، وليس فقط في المناطق النائية التي ليس فيها فروع لتلك الهيئة؟

ولكن الثقة المطلقة انتقلت من رئيس الدولة إلى من يوليهم حتى الوزير الذي لم يكن يصلي أصلا (وزير التجارة).

في المال والميزانية والأزمة الاقتصادية

قد يأتي اليوم الذي يكتب فيه الدارسون لمرحلتنا هذه أن أكبر هدر في التاريخ الإسلامي -بل العالمي- هو هدر ثروة النفط، الذي ارتكبه القائمون على الشأن في هذه البلاد، إذ ليس في تاريخنا كله كارثة مالية ارتُكبت تماثل أو تقارب هذه الكارثة المرتكبة والمتضاعفة، مع ما في ذلك من إقامة حجة الله علينا إذ أمدنا بسبب عظيم من أسباب القوة في عصر ضعف وهوان، فلو أحسنا التدبير وتمسكنا بعرى الشرع لأمكن أن نحقق نوعا من التكافؤ مع الحضارة الغربية التي لا تستطيع القيام من غير هذا المدد الحيوي من بلادنا، ولكننا أسأنا تقدير الثروة وتدبيرها وكفرنا النعمة بالمعاصي، وأعظمها في هذا الشأن الإنفاق الهائل في غير مصلحة شرعية بل بلا أي ضابط عقدي، فضاعت الدنيا من حيث ضاع الدين، وصدق علينا قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾[إبراهيم:٢٨]، وقوله: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾[النحل:١١٢].

فلما أدبرت النعمة تلطخنا في وحل دَيْنٍ مخيف (أكثر من ضعف الناتج المحلي وضعف المعدل العالمي)، ولم يتوقف الناهبون عن نهبهم ولا المبذرون عن تبذيرهم ولم يكن من وقفة صادقة للمراجعة والتدارك ولم يرحمنا أحد ممن أغدقنا عليه بلا حساب، والأعجب من ذلك أن نستمر في الاستدانة على الأجيال التالية لكي يظل الاستئثار الصارخ والترف الكاذب، ولكي لا نقطع تلك الإعانات والمساعدات الدولية والحزبية التي لا مصلحة فيها للدين ولا للبلاد، **فكيف حدث هذا؟**

بسذاجة بالغة ونتيجة للإجهاز على الجناح العسكري للدعوة ولإقصاء المعارضة السلمية المتمثلة في العلماء الرافضين لدخول الكفار أرض هذه البلاد

الطاهرة جرى توقيع **الصفقة المشهورة بأنها أكبر صفقة غبن في التاريخ حيث أعطيت شركة أمريكية أربعة أخماس جزيرة العرب مقابل خمسين ألف دولار!!** وكانت هذه هي البداية المؤلمة.

وكان في الإمكان –على أضعف الإيمان– مضاعفة الثمن وتعديل العقد إلى الأفضل، لو أن الطرف الضعيف استخدم سلاح المعارضة الدينية في أخف صورها وأكثرها اعتدالا!!

كان ذلك فاتحة تحول هائل في تاريخ الأمة، وسقوط غير مسبوق في فخ قوى الهيمنة العالمية بعد أن ظلت هذه الجزيرة طوال تاريخها السحيق في منأى عنه.

أقامت الشركة (وهي تنتمي إلى أكثر طوائف النصارى تهودا وتعصبا) أكبر مستعمرة في العالم، وحظرت على أي مسلم أو عربي دخولها (وكأنها تنتقم من مكة التي لا يدخلها نجس)، وجعلتها على شاطئ البحر بحيث لا يستطيع أحد معرفة شيء من الخطط والإنشاءات والأعمال والاتصالات بين الشركة والخارج.

وفي المنطقة التي تلي الحظر الكلي، اختارت الموظفين بدقة ظاهرة، فالعرب كانوا من النصارى، أو من المتربين على عين الأمريكان، وأكثرهم في المواقع المهمة من الرافضة وشبههم، وغير العرب كانوا من النصارى بل من البروتستانت وبخاصة المتنصرين من الهنود أو من العلمانيين، ولم يكن من المسموح به رفع الأذان أو إنشاء مسجد في هذه المنطقة، بل أنشأت الشركة من أول وهلة جهازا فكريا وإعلاميا بكفاءة متطورة وإدارة حديثة (صحافة، تلفاز، سينما)، وكذلك مكتبة ضخمة تضم أقدم المخطوطات إلى جانب أحدث الوثائق، وجاب مراسلوها طول البلاد وعرضها، واشتروا كل ما عثروا عليه من المخطوطات في المساجد ولدى الأفراد، في احتكار معرفي مواز للاحتكار الاقتصادي، وكل هذا شهدته بنفسي واطلعت عليه شخصيا غير القراءة عنه، وفيما هو محسوب على أنه فضل وتكرم من الشركة، تم

تعاقدها مع الحكومة على بناء المدارس، وإنشاء مرافق وخدمات أخرى، بحيث تتحقق للشركة الهيمنة على معظم نواحي الحياة في المنطقة الشرقية من البلاد، التي حددها التقسيم الإداري للمناطق لكي تكون من أكبر المناطق مساحة فيه، تشمل ما بين اليمن والكويت طولا وما بين نجد والخليج عرضا حيث جعلوا نجران تابعة للمنطقة الشرقية.

وطوال أربعة عقود تقريبا كان النفط يباع بسعر زهيد للغاية، وكان نصيب البلاد منه ضئيلا بالنسبة لقيمته، لكنه كان عظيما بالنظر لرؤية المسؤولين واغتباطهم.

فقد كانت الأمة كلها تعاني من قصور نظر شديد وتخلف حضاري رهيب، ولا مكافئ للتفاوت الحضاري الكبير، إلا بالعقيدة الصادقة، حيث يكون الولاء والبراء في الله هو الحاجز الذي يصد مكر العدو ويمنع تسرب سمومه المدمرة، فلما استأثرت السياسة بالتعامل المنفصل عن العقيدة بل انحسرت مفاهيم العقيدة عنها، اجتاح العدو المعاقل بمهارة وجدارة. فالقوى الحارسة التي كان يمكن أن تكون معارضة إسلامية، استؤصلت أو أسكتت، وهكذا خلا الجو للكفار، وكان بن جلوي يحكم على من يمس أي شيء للشركة، حتى أشيع أن رجلا حاول تحريك أحد الأجهزة بأصبع قدمه، فقُصت إصبعه!!

وساعد على سمعة الشركة تأخر صرف الرواتب من الحكومة، إذ كانت تتقطع أشهرا متتالية، إضافة إلى تفوق الشركة إداريا وطرد الأستاذ عبد الله الطريقي من وزارة البترول.

وحين وصلت آثار المد الاشتراكي العالمي إلى هذه البلاد، وانتشر الوعي القومي لا سيما الناصري، وُجِدَ نوع من المعارضة للهيمنة الرأسمالية، تمثلت في خلايا سرية ومظاهرات من العمال العرب في الشركة، ومع أن ذلك جوبه بالقمع، فقد كانت له نتائج مفيدة أبرزها إنشاء شركة مستقلة عن أرامكو هي شركة بترومين التي سميت فيما بعد (سمارك)، وقد كانت وطنية

في لغتها وإدارتها، وكان من المتوقع أن يكون لها شأن لاسيما في مجال تأهيل العناصر الوطنية واكتساب الخبرة. وصاحب تطورها ونموها، تطور الوعي الإسلامي الذي حل محل الوعي القومي في مناهضة الغزو الثقافي والاحتكار الغربي، والمرجح أن ذلك هو السبب الحقيقي وراء القرار الغريب والمباغت بإلغاء الشركة وضمها لشركة "أرامكو"، لاسيما وقد حصل ذلك عقب ضجة مفتعلة في الصحافة الأمريكية عن المعارضة الدينية والبوليس الديني في البلاد عقب أزمة الخليج.

وكان من أهم مواضع الخلاف بين استراتيجية كل من "أرامكو" و"سمارك" اعتماد "أرامكو" بيع النفط خاما صرفا، وهو ما يعد بإجماع الخبراء بل العقلاء أسوأ أنواع الإفادة من النفط بل إن "أرامكو" ضربت صفحا عن إنشاء مصاف للتكرير إلى حد أن أكبر المصافي (رأس تنورة) ذهبت طعما لحريق لم تعرف أسبابه، ولم تعمل الشركة جديا لإعادة بنائها!!

ومما ضاعف الكارثة أن القرار السياسي كان يتدخل دائما لمصلحة المستهلكين الكبار (لاسيما أمريكا) مضحيا بالمصلحة الوطنية، ومفارقا لإجماع المنتجين الآخرين! واستمر هذا المنهج حتى أصبح أصلا ثابتا في السياسة النفطية السعودية، دون أن يكون له أي أثر في تفهم المستهلكين لمشكلة البلاد الاقتصادية أو تعاطفهم ولو قليلا لمصلحتها.

وفي مقابل ذلك انتهجت (سمارك) -أو حاولت- مبدأ بيع النفط مكررا، وهو إجراء طبيعي لا يمثل شيئا من التحدي ولا نوعا من الذكاء، لأن النفط مكررا يباع بأضعاف سعره خاما، وكان لها أثر في أن يظل السوق الداخلي مستقلا عن التأثر بالأوضاع الخارجية حتى جاء قرار الدمج حاسما وعاجلا.

وهكذا لم تخسر البلاد الفرق بين السعرين فقط، أو تخسر مع ذلك جهازا وطنيا مستقلا بدمجه قسرا في آلة أمريكية ضخمة، بل حدث عقب قرار الدمج مباشرة مفارقة غريبة، وهي أن البلاد أصبحت تشتري وقود

السيارات من كوريا والبحرين وغيرهما، ورفعت الحكومة سعره في الداخل بما يقارب الضعف، مما جعل الكارثة مزدوجة، وجعل لها الأثر البالغ السوء على مستوى المعيشة العام، وأعلن المسؤولون أن الأمر مؤقت، لكن أحدا من المراقبين لم يصدق ذلك، لأن المقدمات تؤدي إلى تلك النتائج حتما، وهذا ما وقع فعلا.

وظهر بذلك وبغيره أن سعودة "أرامكو" اسمية فإن أبسط دلائل السعودة ومؤشرات السيادة هو (اللغة) والذي رآه الجميع وسمعوه هو فرض لغة المستعمِر بالقوة، وحظر استخدام اللغة العربية، ليس في الكتابة فقط، بل في التخاطب والنقاش حتى على الخدم والمراسلين!!

وسواء كان القرار السابق مقصودًا للدخول في عصر العولمة أوليس كذلك، فقد أجلبت العولمة بخيلها ورجلها في السنوات التالية، مما يمثل مرحلة جديدة ذات أبعاد مخيفة، والعجيب أننا لم نأخذ العبرة من الصفقة الخاسرة الأولى، بل دخلنا في النفق المظلم من جديد والفرق أننا دخلناه أول مرة عن جهل وغفلة، وندخله هذه المرة طواعية وعن وعي بمخاطره الهائلة وكأننا مسلوبو الإرادة.

والمقارنة بالدول المجاورة تؤكد ذلك، فقد تعلّمت الدول الفقيرة من تجربتها السابقة، فقامت بإنشاء شركات محلية، وعقد اتفاقيات تعاون فيما بينها، تجنبًا للمغامرة مع المطففين الكبار -وإن كان لابد من الكبار فليكن مع شركاتهم الصغيرة أو الناشئة وهذا ما فعلته اليمن والسودان وغيرهما، فقد وزعت مناطق الإنتاج ومراحله بين شركات عدة من دول مختلفة بعضها شقيق وبعضها صديق، وبعضها دول كبرى لكن لشركات صغرى ومتعددة، وهذا أتاح قوة للموقف الحكومي مع الجميع، كما أتاح فرص الكسب من خلال التنافس وغير ذلك على العكس مما فعلت المملكة، فكل الشركات المتعامل معها هي إمبراطورية ضخمة، متعددة الجنسيات راسخة في الاحتكار وامتصاص دماء الضعفاء بل هي من القوى الضاغطة بشدة على حكومات

الدول الصناعية الكبرى، فالموافقة لها عبودية اختيارية، والمخالفة لها دخول في معركة خاسرة، وتكوّن من مجموع تلك الشركات كارتل ضخم يحمل الجنسية الأمريكية.

وليس مفاجئا بعد هذا أن نجد أن عقود الاستثمار للغاز وغيره فاز بها المالكون الأصليون للكارتل "أرامكو" نفسها، بوجوههم المختلفة أي أننا أوقعنا أنفسنا من جديد في فخ الاخطبوط الرهيب، الذي يعده كثير من الباحثين أكبر عملاق احتكاري في هذا الكوكب، وهذا العملاق وشركاؤه هم الذين يسيطرون -حقيقة- على منظمة التجارة العالمية وغيرها من المؤسسات الدولية، فما لا يختلسونه من طريق الاحتكار وتخفيض الأسعار وفرض الضرائب، ينهبونه رسميا ودوليا بواسطة المنظمات المالية العالمية وأهمها صندوق النقد الدولي!.

وهنا ننقل نصَّين لكاتبين سعوديين غيورين ليسا من المطاوعة الأول للدكتور/ عبد الواحد الحميد، والآخر للدكتور/ وديع كابلي، لنعرف الأسباب وراء إخفاق السياسة الاقتصادية وعلى من تقع المسؤولية؟.

١- مقال الدكتور الحميد بعنوان (**المملكة وظلم التجارة العالمية**) والحميد يحمل شهادة الدكتورة من أمريكا في الاقتصاد وكان نائبًا لغازي القصيبي وهو لا ينطلق من منطلقات إسلامية فيما يكتب.

(تساءل وزير التجارة الأستاذ/ أسامة فقيه أمام المؤتمر التاسع لمنظمة الأمم المتحدة للتجارة والتنمية "الأونكتاد" عن منطقية الإجراءات الجمركية والحمائية، التي فرضتها الدول الصناعية المتقدمة -بدرجات متفاوتة-، ضد النفط والمنتجات البترولية والبتروكيماوية في هذا العصر الذي يرفع فيه العالم شعار تحرير التجارة الدولية.

(وقد أشار الوزير إلى الوضع الغريب في أسواق النفط بالدول الصناعية، حيث قامت هذه الدول بفرض ضرائب على النفط بشكل يفوق سعره الأصلي مرات عديدة!! وقد لا يعرف المستهلكون للنفط في هذه الدول أن

معظم ما يدفعونه من أموال لشراء النفط يصب في خزائن حكومات هذه الدول وأن ما يذهب إلى حكومات الدول المنتجة لا يشكل إلا جزءا يسيرا مما ينفقونه).

(والواقع أن ما يسمى بــ"ضريبة الكربون"، وهي الضريبة التي تتحامل على النفط بالذات، ما هي إلا واحدة من التعاملات غير العادلة، التي تمارسها الدول الصناعية المتقدمة ضد منتجات الدول النامية... ويعرف كل من قرأ تبريرات الحكومات الصناعية حول "ضريبة الكربون" أن هذه الضريبة ليست منطقية، لأنها تتحامل على النفط في حين أن الفحم الحجري بدلا من النفط هو الأكثر تلويثًا للبيئة).

(لكن الواقع يدل دلالة قاطعة أن الهدف من زيادة الضرائب على النفط ليس المحافظة على البيئة، وإنما زيادة دخل حكومات الدول الصناعية للمساعدة في تخفيف العجز المالي الذي تتعرض له الميزانيات العامة في تلك الدول!).

(وبما أن العالم يتحدث عن ترتيبات تجارية جديدة، على المستوى العالمي في إطار منظمة التجارة الدولية) تتحرر من كافة القيود، فقد كان من المفروض أن لا يتم استثناء النفط والمنتجات البترولية... بل إن النفط الذي يمثل الإنتاج الرئيسي للعديد من الدول النامية كان من المفروض أن يحصل على معاملة تفضيلية. تقدمها الدول المنتجة للنفط إلى تلك الدول النامية.

(ومثلما أشار وزير التجارة، فإن المملكة ساهمت من خلال إيراداتها المالية، التي جنتها من تصدير النفط في دعم ومساندة عدد كبير من الدول المحتاجة في كافة أنحاء العالم..، وقد بلغت المساعدات والمساهمات التي قدمتها المملكة خلال العشرين عاما الماضية واحدا وسبعين مليار دولار أمريكي... أي حوالي ٥،٥% من المتوسط السنوي للناتج المحلي الإجمالي السعودي خلال تلك الفترة.. مما يدل على أن المملكة لم تستأثر بهذا الدخل لنفسها،

وإنما أفردت نصيبا منه للدول المحتاجة على نحو يفوق ما فعلته الدول الصناعية المتقدمة!) اهـــ.

المصدر (جريدة الرياض بتاريخ ١٤١٦/١٢/١٨هـــ).

٢- كتب الدكتور وديع كابلي: (**نحن... وصندوق النقد الدولي؟؟؟**) وهو أستاذ الاقتصاد بجامعة الملك عبد العزيز.

(في مقال بعنوان (الخليجيون: ظاهرة نفطية؟!) كتب الأستاذ / محمد بن حمد القنيبط (أستاذ الاقتصاد وعضو مجلس الشورى) في مجلة اليمامة العدد ٥٤٢ بتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٠هـــ عن دور دول الخليج النفطية والمؤسسات الدولية، ولاحظ كما لاحظ غيره من قبل غياب الدور الفاعل لتلك الدول في عملية الإدارة والتوجيه الفعلي، لتلك المنظمات والمؤسسات التي تساهم فيها الدول الخليجية بمبالغ طائلة، تصل في بعض الأحيان إلى ما يزيد على ٦٠% من رأس المال.

(وأوضح أن النظرة التقليدية لدول الخليج النفطية بأن لديها أموال لا نهائية، وليس لديها الخبرة والقدرة على إدارة الأموال لا زالت سائدة منذ ربع قرن وإلى الآن! وضرب أمثلة لبعض الشركات الحكومية المساهمة والتي تساهم فيها الحكومات الخليجية بغالبية رأس المال، وكيف أن تلك الشركات لا زالت تفتقر إلى الكفاءات الإدارية والفنية الخليجية رغم تغير الظروف وتوفر الكفاءات، ثم تطرق بعد ذلك إلى المنظمات الدولية، وخصوصا صندوق النقد الدولي، والبنك الدولي وتساءل: كم عدد السعوديين الذين يعملون في البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي -غير الممثلين الرسميين للمملكة؟.

(ثم أجاب: ولتوفير الوقت والجهد على القارئ.. نقول إن الإجابة هي: صفر بالتمام والكمال؟!).

(ثم تساءل ثانيا: على من تقع المسؤولية في ذلك.. على القيادات السياسية الخليجية أم على القيادات التنفيذية؟؟

(وأجاب على ذلك التساؤل: بأن المسؤوليات تقع على القيادات التنفيذية (الإدارية) الخليجية، التي ساهمت في خلق تلك النظرة الدونية للكفاءات والخبرات الخليجية، وتقاعسها عن استعمال وسائل التدخل والضغط (اللوبي) السياسي، في أمور التوظيف في المؤسسات والمنظمات الدولية كما يفعل الآخرون!!)

(وضرب العديد من الأمثلة والوقائع، التي توضح كيف أن كل الدول تستعمل وسائل التدخل والضغط المشروع (اللوبي)، لتوظيف مواطنيها في تلك المنظمات والمؤسسات الدولية).

ويواصل الكاتب قائلا:

(**تجربة وخبرة شخصية:** لم أكن أريد أن أكتب في هذا الموضوع حتى لا أتهم بأن لي مصلحة شخصية، ولكن ما أقوله هنا هو نوع من الشهادة ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة:٢٨٣].

(ومن تجربتي وخبرتي الشخصية في كل من صندوق النقد الدولي والبنك الدولي أستطيع أن أقول بكل صراحة: أن ما كتبه الدكتور محمد القنيبط كله صحيح، بل إن ما خفي أعظم!!!).

(والحقيقة أن مساهماتنا في تلك المنظمات الاقتصادية الدولية (رغم عظمها) لم نجن منها الفوائد المرجوة، سواء على مستوى التوظيف (وهي أقل الفوائد)، أو على المستوى الاقتصادي بوجه عام).

(فإن اشتراك أي دولة في منظمة اقتصادية دولية، يفترض أن يحقق لها على الأقل بعض الفوائد والمزايا، التي لم تكن لتتحقق بدون الاشتراك في تلك المنظمة! كما يجب لتلك الفوائد أن تكون مساوية للعبء الذي تتحمله الدولة في تلك المنظمة!!!).

(وإذا أخذنا مساهمتنا في صندوق النقد الدولي (كمثال فقط لتلك المنظمات) والعبء الذي تتحمله المملكة العربية السعودية، وقسناه بالفوائد

والمزايا التي تحصل عليها من الصندوق لوجدنا أن هناك هوة كبيرة بين ما نعطي وما نأخذ -لو كنا نأخذ شيئا البتة-.

(إن المملكة العربية السعودية وحدها تتحمل حوالي ٣,٥% من رأس مال الصندوق، الذي بلغ حوالي ٢٩٠ بليون دولار (بعد الزيادة الحادية عشرة) وذلك يمثل أكثر من ١٠ بلايين دولار (حوالي ٣٨ بليون ريال)، بالإضافة إلى القروض للصندوق والتي تقدر بحوالي ٢ بليون دولار (٧,٥٥ بلايين ريال!!!؟).

(ومع ذلك لا يوجد موظف سعودي واحد في الصندوق -غير ٣ تعيّنهم الدولة رسميا- رغم أننا أعضاء في الصندوق من ٢٤ عاما بالتمام والكمال!!).

(هل تلك الفترة لم تكن كافية لتدريب وتأهيل الشباب السعودي لشغل أي وظيفة في تلك المنظمة الدولية الهامة؟).

(إذا كانت الإجابة بأن الكفاءات السعودية كانت نادرة وقليلة في الماضي... فما هو الجواب الآن وقد توفرت الكفاءات، وأصبح حملة الماجستير والدكتوراه يعدون بالمئات بل بالآلاف، وأصبح بعضهم لا يجد العمل المناسب؟؟

(ومع ذلك ليست قضية التوظيف في المنظمات والمؤسسات الدولية التي نشارك فيها بعبء كبير، هي القضية الوحيدة، بل إن السؤال الأكبر الذي يطرح نفسه الآن ما هي الفوائد التي تحصل عليها الدول النفطية الخليجية من تلك المنظمات والمؤسسات؟ وهل تساوي العبء والمسؤولية الملقاة على عاتقها؟؟).

((أعتقد أنه يجب علينا إعادة النظر في علاقاتنا مع تلك المنظمات والمؤسسات الدولية، وخصوصا في ظل الأوضاع الاقتصادية الراهنة، والتدهور المستمر في أسعار البترول، وما يترتب عليه من تدهور إيرادات الحكومات الخليجية النفطية، فكيف يمكن أن نستفيد من تلك المنظمات

والمؤسسات الدولية التي كنا ولا زلنا نضخ فيها الأموال الطائلة لمساعدتها لإقراضها للدول الأخرى (على حسابنا) بدون أن يكون لنا فيها فضل أو منة؟؟)).

(إن هؤلاء القوم يتعاملون معنا على أساس أننا مجرد (كيس فلوس) فقط، فمن هو المسؤول عن هذه النظرة الخاطئة للدول الخليجية النفطية، نحن أم هم؟) ثم يختم الكاتب قائلا:

((الخلاصة والعبرة: لقد نكأ د.القنيبط بمقاله ذلك جرحا غائرا، ولكنه خير ما فعل، فالحديث حول هذا الموضوع ذو شجون و لا يكاد ينتهي.

فنهاية الطفرة النفطية أصبحت واضحة للجميع، ولا يضرنا أن نرى أخطاءنا خلالها وأن نتعلم منها الدروس والعبر، ولكن الخطأ كل الخطأ هو أن نتجاهل الواقع، وندس رؤوسنا في الرمال، ونحلم أن الأزمة ستنتهي بدون جهد أو عمل منا، فلا بد من مواجهة الواقع، والتفكير في الحلول، وإعادة النظر في كل حياتنا وأساليبنا، وطريقة معيشتنا السهلة التي تعودنا عليها خلال سنوات الطفرة، والله ولي التوفيق))اهـ من (جريدة الرياض بتاريخ ١٤١٩/١٠/٢٨هـ) وكلا الأستاذين يكتب عن حرقة ومعاناة وخبرة واطلاع وليسا عضوين في هيئة كبار العلماء ولا في هيئة الأمر بالمعروف ولا هما محسوبين على (المطاوعة) أو (الصحوة).

وهناك بعد آخر يزيد المأساة عمقًا وإقلاقا، وهو أزمة المعلومات من خلال الغموض والتلبيس في الأرقام والمجازفة في المعلومات، كما أن التقارير الرسمية لا تقدم للاعتماد إلا بعد سنتين أو نحو ذلك، والجهات المخولة لإصدار المعلومات متعددة وكل منها يحيل الباحث على الآخر (مثل وزارة المالية ومؤسسة النقد- وزارة التخطيط)، ومن هنا أصبح البنك الأمريكي هو المصدر المعتمد، وهناك مجالات كثيرة لا يستطيع الباحث معرفة الحقيقة عنها مثل:

١. المشتريات العسكرية وما يقال عالميا عن العمولات والرشاوى فيها.

٢. المخصصات للأسرة المالكة.

٣. البنود السرية (الأمنية، الاستخباراتية، وغيرها)، التي ينبغي نشر المخصص لها إجمالاً.

٤. المساعدات والالتزامات الخارجية.

ولذلك أصبح من المعهود على ألسنة المواطنين والباحثين أن تتردد أسئلة كثيرة مثل:

١. كم تنتج البلاد من النفط فعلا؟

٢. بكم يباع النفط حقيقة؟

٣. كم يدخل من ثمن النفط -وغيره من المصادر- إلى ميزانية الدولة وأين يذهب الباقي؟

٤. كم نصيب الأجهزة الأمنية الاستخباراتية من الميزانية؟

٥. ما مدى العدالة في توزيع الميزانية والرقابة على الإنفاق؟

إنني أعتقد أن التحفظ الرسمي والتحسس الشديد من الإجابة على هذه الأسئلة ولا سيما في المجالات الأربعة السابقة ذكرها لا جدوى منه، بل هو غير جائز شرعا فهي أسئلة مشروعة، والجواب عليها سيأتي عاجلاً أم آجلاً، بحق أو بغير حق، فالباب مفتوح لكل التكهنات والتحليلات الاقتصادية العالمية والمحلية التي لا تدع السؤال بلا جواب، ونحن نقدم لمريد الإصلاح الإجابة المجملة على بعض تلك الأسئلة بغرض إيضاح عمق الأزمة وذلك في مجالين:

- التوازن والتوزيع للثروة من خلال الأرقام الرسمية نفسها، وأثر ذلك على معيشة المواطنين.

- حجم الإنفاق الخارجي من خلال تقديرات بعض المصادر العالمية.

أولا: التوازن والتوزيع:

لن نقف هنا عند مشكلة انخفاض مصادر الدخل، واحتمال نضوب النفط مع نمو عدد السكان، وازدياد الاحتياجات الضرورية لهم، بل نعمد إلى بيان فقد التوازن بين القطاعات في توزيع اعتمادات الميزانية، وإلى الخلل في ترتيب الأولويات بينها، وكذلك التفاوت الهائل في الإنفاق بين منطقة وأخرى مثال:

بلغ نصيب قطاع الدفاع والأمن القومي من ميزانية عام ١٤٢٠-١٤٢١هـ = ٤٠,٤٧% في حين كان نصيب قطاع مؤسسات الإقراض الحكومية المتخصصة وهي خمس مؤسسات كبيرة (صندوق التنمية العقاري، وصندوق التنمية الصناعية، والبنك الزراعي، وبنك التسليف، وصندوق الاستثمارات العامة أقل من ربع في المائة ٠,٢٣%!!

ولا تخفى أهمية هذه المؤسسات، من حيث صلتها المباشرة بضرورات الحياة للمواطنين، ودفع عجلة التنمية، ومع ذلك فإن القطاع المذكور يزيد عليها بمقدار ١٧٦ ضعفا، دون أن يلمس المواطنون أي أثر لهذه الزيادة في خدمات هذا القطاع وكفاءته، بل الشعور العام هو أن الأمن متدهور، وأن الدفاع ضعيف، وليت هذا التفاوت الكبير صاحبه -على الأقل- زيادة في الوظائف والرواتب في قطاع الدفاع والأمن، ولكن الواقع أن المواطنين فيه يعانون مثلما يعاني غيرهم في القطاعات الأخرى.

ونتيجة ذلك ظلت القروض التي تقدمها تلك الصناديق تعتمد على التسديدات من المواطنين وليس على الميزانية. مثال ذلك:

صندوق التنمية العقارية، حيث لم يزد المنصرف الفعلي من القروض على التسديدات إلا بمقدار مليوني ريال فقط، في حين أشار جدول الإحصاء إلى أن صافي الإقراض كان أربعة ملايين ريال فقط، وهو بلا شك مبلغ هزيل جدا قياسا بالنمو السكاني المطرد، والحاجة المتزايدة إلى هذه الضرورة

من ضرورات الحياة، أي المسكن المريح الذي جعلته الشريعة الغراء حقا لكل مسلم.

وهذا يوضح أنه لو صرف على هذا القطاع الحيوي، بعضٌ من المبالغ الضخمة التي صرفت على قطاع الدفاع والأمن القومي، لكان أنفع لحاجة المواطنين وأجدى للتنمية.

أما قطاع التعليم العام فبالرغم من ضخامة ما يعتمد له من مبالغ فإن أكثرها يذهب في تسديد إيجارات المدارس، والنفقات الإدارية، وهو ما صرح به وزير المعارف وغيره من مسؤولي الوزارة مرارًا.

والاعتماد للتطوير والبحث العلمي ضئيل للغاية، لا يتناسب والأحوال العادية، فضلا عن حالة الولوج في عصر العولمة وطغيانها المدمر!!

وأما قطاع الصحة فإن وزير الصحة قد أوضح في لقائه مع الصحفيين (أواخر شوال ١٤٢١هـ)، أن ميزانية الوزارة الحالية تذهب في تسديد الديون المستحقة على الوزارة في السنوات السابقة لولايته!!

وصرح بأن المواطنين يحتاجون لعدة سنوات حتى يمكن حصولهم على خدمات طبية بالمستوى المطلوب!!

ومما يزيد الشعور بالأسى والمرارة لدى المواطنين أن موارد الميزانية نفسها قد أصبحت عبئا عليهم، بل يعتقد كثير من المواطنين أن ما تعطيهم الحكومة من رواتب وغيرها بيد تأخذه باليد الأخرى ويستدلون على ذلك بالأرقام الرسمية:

فمثلا في ميزانية عام ١٤١٩-١٤٢٠هـ بلغت إيرادات الدولة غير النفطية ٥٤,١١٩ مليون ريال (والنفطية ٧٥,٨٨١ مليون ريال) مع أن الإيرادات غير النفطية كانت لا تزيد على (٦٠٣٢) في ميزانية سنة ١٤٠١-١٤٠٢هـ، وهم يعتقدون أن هذه القفزة في الإيرادات غير النفطية ترجع إلى الرسوم المتضاعفة، التي تفرضها الدولة عليهم ويضطرون لدفعها من رواتبهم

أو دخولهم المحدودة بالرغم من أنه طوال تلك المدة لم يطرأ أي زيادة في الرواتب أو تحسن في مستوى المعيشة.

ومعنى ذلك أنه لو كان متوسط دخل الفرد سنة ١٤٠٢هـ لا يزيد عن ثلاثة آلاف ريال شهريا فإنه أفضل من لو كان متوسط دخله سنة (١٤٢٢هـ) عشرين ألف ريال، ولا نحتاج إلى القول بأن الغالبية العظمى من المواطنين لا يحصلون على هذا المبلغ الأخير ولا قريب منه.

بل نقول إن كثيرا من الخريجين الجامعيين يبحثون فقط عن المبلغ الأول ٣٠٠٠ ريال في الوقت الحاضر.

ومما يوضح حجم المعاناة أن كثيرا من الرسوم والزيادات وقع بشكل مباشر على الحاجات المعيشية الضرورية ((البترين، الغاز، الكهرباء، الماء، الهاتف، النقل))، فضلا عن الرسوم المتعلقة بالعمال والخدم، ثم إن وعود الدولة بأن تلك الزيادات ستكون مؤقتة لم تتحقق، بل حدثت زيادات جديدة، ومن ناحية أخرى يقارن المواطنون مستوى الدخل والمعيشة ونسبة النمو في هذه البلاد، بغيرها من الدول المماثلة لها في الظروف الاقتصادية والأحوال الجغرافية كدولة الإمارات العربية مثلا، ويتحدثون عن الفارق الواضح بل الكبير بين البلدين،كما أن التفاوت بين مناطق المملكة كبير للغاية، فهناك مناطق لا تزال تقبع في الظلام وليس فيها مدارس ولا مستشفيات، ولا نعني بذلك المناطق المهملة في الساحل وتهامة ونحوها، بل إن الأحياء الفقيرة في المدن الرئيسة تعاني من ذلك كله أو بعضه، وما أزمة الماء ومشكلة الصرف الصحي في جدة إلا مثال واحد، أما الأجزاء المشار إليها من تهامة وما شاكلها من المناطق فالواقع أنه ينبغي مقارنتها بالمناطق الأفريقية المقابلة لها في الشاطئ الآخر من البحر الأحمر، وهذا ما تشهد به الجمعيات والمنظمات الخيرية التي عملت في كلا المنطقتين، بل تؤكده تقارير الوزراء والمسؤولين الزائرين للمنطقة، وقد تحدثت الصحف في ذي القعدة ١٤٢٠هـ عن الوزير الذي تعطلت سيارته أربع ساعات في الطريق الترابي

في محافظة تعتبر أفضل وأحسن حالا من غيرها من المحافظات في تهامة، وقد كتبت الصحف ولا تزال تحقيقات واستطلاعات كثيرة عن تلك المناطق تشتمل على أحوال غريبة وأوضاع قاسية لا تكاد تصدق، من الجوع والفقر والمرض والإهمال المطلق ومن مظاهر ذلك بإيجاز شديد:

١. يسكن المنطقة عدة ملايين يعيش أكثر من ٨٠% منهم في بيوت من الصفيح الصدئ والعشش، وكلاهما لا يتوفر فيه أي شرط من شروط المسكن الصحي، فالأسرة كلها مع الدواب تنحشر في البيت وما حوله بلا ماء ولا كهرباء ولا دورات مياه صحية ولا وقاية من الحشرات الطائرة أو الزواحف السائرة، بل إن من الناس من يسكنون المغارات ويعيشون تحت الأشجار، ولا يملكون تلك المساكن نفسها، ولا سيما بعد كوارث السيول والأوبئة، وأصعب ما يكون على الموظف أن يعين أو ينقل على واحدة من تلك المناطق سواء كان عمله في قطاع الصحة أو التعليم أو الأمن، حتى لو أعطي زيادة كبيرة في مرتبه مع أن هذا غير معتمد، وإنما ينقل إليها الموظف تأديبيًا.

٢. الجهل والأمية هما الحال الغالب على الناس، ولا يوجد مركز واحد للدعوة والإرشاد فيما بين جدة وجازان، أما مراكز الهيئة على ندرتها فحالها في المدن الرئيسة معروف فما بالك بتلك المناطق.

٣. عدا الأوبئة المعروفة ومشاكلها المزمنة، تنتشر الأمراض المتعددة الناشئة عن سوء التغذية وقلة النظافة، ونادرا ما تجد أسرة ليس فيها مريض أو أكثر، ومتوسط عمر الفرد هناك منخفض للغاية، ونسبة الوفيات عالية جدا، مع أن كثيرا من الأمراض مما يمكن علاجه برخص وسهولة، وإجمالا نقول إن الصحف نشرت مقابلات مع مشايخ المنطقة أثناء زيارة ولي العهد لمنطقة عسير سنة ١٤١٩هـ، فتحدث أحدهم عن شكره العميق وامتنانه لما وفرته الدولة من خدمات ونهضة شاملة في جميع المجالات وأفاض في ذلك كالعادة، ثم استدرك قائلا ونحن ولله الحمد في مركز (....) لا ينقصنا إلا بعض الأمور

التي نرجو أن تحظى باهتمام حكومتنا الرشيدة، وهي الماء والكهرباء والهاتف والمدارس والمستشفيات والطرق والضمان الاجتماعي والمساكن والمساجد فهذه الأمور التي تنقصنا في المركز الذي يبلغ تعداد سكانه أكثر من ٨٠ ألف نسمة!! والمريض أو المرأة عند الولادة -يحتاج إلى أن يركب الدابة مسافة طويلة ثم يركب السيارة في طريق وعرة ساعتين أو أكثر حتى يصل إلى أقرب مركز صحي!!).

أقول إذا كان كل ذلك ينقصهم فما الذي لديهم؟.

ومن ناحية أخرى أقول: معلوم أنه منذ الطفرة الاقتصادية والتوظيف الحكومي هو مجال العمل الأكبر، ومصدر الدخل الأساس، -مع الأخذ في الاعتبار النسبة العالية للبطالة في البلاد- وغني عن البيان والإحصاء أن يقال إن الأغلبية الكبرى من الموظفين، هم من ذوي الدخل المحدود، وأن الراتب التقاعدي غير كاف، فإذا أضيف من لا يجدون وظيفة ولا عملا لأسباب كثيرة معلومة -فإن قطاعا عريضا من الناس تحت مستوى خط الفقر، أما الغنى فهو محصور في فئة أقل من القليل.

وإن ما قد يشاهد -لاسيما في المدن- من مظاهر الترف أو التطور في المسكن والمركب، لا يدل على المستوى الحقيقي للمعيشة والدخل، وذلك لأن كثيرا منها مصدره الاستدانة بالتقسيط الذي تتنافس في الإغراء به وتزيينه مجموعة محدودة من البنوك والشركات وغيرها ويسقط في شباكها كثير من الناس.

وإن استمرار هذه المظاهر الخداعة، بالرغم من الأزمة الاقتصادية الخانقة، لهو دليل على غياب الوعي بالمتغيرات الاقتصادية بشكل مخيف، إذا قورن بالوعي لدى اليابانيين مثلا، ولا زلنا نذكر ملاحظات الوفد الاقتصادي الياباني الذي زار المملكة سنة ١٤١٨هـ، ومن أهمها تصريح رئيس الوفد (إن الناس هنا-يعني المملكة- لا يدرون شيئا عن الوضع الاقتصادي العالمي عامة وسوق النفط خاصة)!

ومع فقد الوعي لا يمكن لأي تخطيط سليم أن ينجح -هذا إن وجد تخطيط سليم.

على أن الأمر في الحقيقة أعمق من ذلك -وهذا من دلائل ارتباطه بالعقوبة والابتلاء قبل كل شيء- فإن ارتفاع أسعار النفط إلى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه حين قال هؤلاء ما قالوا (وهو الأمر الذي لم يكن نتيجة تخطيط واع من المنتجين)، نقول: إن هذا الارتفاع لم يكن له أي تأثير ملحوظ في حماية المواطنين أو دخولهم، بل لا زالت المعاناة والشكوى مستمرة من الإدارات الحكومية قبل غيرها، مع أن من المؤكد أن زيادة الدخل الحكومي على ما هو مقرر في الميزانية السنوية لعام ٢٠٠٠م بلغت ١٠٠مليار!!

وبمقارنة عابرة مع السودان مثلا، يظهر الفرق، فقد حققت السودان نتيجة ذلك الارتفاع أعلى نسبة معدل نمو في العالم العربي، وظهر تحسن ملموس في كل القطاعات مع قلة الدخل وتراكم المشكلات، كما ظهر ذلك في كثير من الدول الأخرى.

وهكذا أصبح الأمر دوامة محيرة، تعجز كل التكهنات والتحليلات الاقتصادية عن فهمها، والشيء الوحيد المفهوم، هو أن هذا عقوبة من الله على ترك الشورى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والاحتساب على المتخوضين في مال الله بغير حق.

ثانيا: المساعدات والالتزامات الخارجية:

تقول بعض التقديرات إن ما أنفقته المملكة في هذا المجال يتراوح بين ٢٥٠-٤٠٠ مليار ريال وهناك تقديرات أخرى ترفعه إلى ٨٠٠ مليار، إلا أن تصريح وزير التجارة في مؤتمر "الأونكتاد" سنة ١٤١٦هـ يتحدث عن ٧١مليار دولار، أي أكثر من ٢٢٦ مليار ريال، وهذا الرقم قريب من أقرب التقديرات العالمية إلى الاعتدال وهو ٣٠٠ مليار، لا سيما إذا أضفنا أربع سنوات أخرى أي حتى عام ١٤٢٠ ووضعنا في الاعتبار أن الرقم تقريبي،

وأن هناك ما لا يطلع عليه الوزير، ومما يؤيد ذلك أننا إذا حسبنا وفقا للنسبة المئوية ٥,٥% كما ذكر الوزير، فإن الناتج هو ٢٩٧مليار تقريبا (وزيادة في الاحتياط فقد أدخلنا تكلفة حرب الخليج الثانية ضمن التقديرات مع أن بعض المصادر المعتبرة لا تجعلها كذلك).

وهذا جدول يوضح تفصيل الإنفاق الخارجي حسب الدول بمليارات الريالات، وذلك وفق التقديرات العالمية، والله أعلم:

١٠٠ للحلفاء الغربيين في حرب تحرير الكويت.

٣٠ لحكومة صدام حسين لحرب إيران.

١٥ للحكومة الروسية.

١٢ لحكومة الأردن.

١٣ لحكومة مصر.

١٠ للحكومة السورية.

١٢ لحكومة المغرب.

٧ للحكومات والأحزاب اللبنانية (ليس واحدا منها إسلاميا).

٥ لحكومة تونس.

٦ للحكومات والأحزاب اليمنية (ليس واحدا منها إسلاميا).

٤ للسلطة الفلسطينية.

١,٥ لحكومة الجبهة الشعبية لإريتريا وحكومة أثيوبيا.

٣ للحكومة التركية وأحزابها غير الإسلامية.

٣ لحكومات جنوب شرق آسيا وأحزابها غير الإسلامية.

٢ لحكومة البحرين.

٥٠ لمنظمات الأمم المتحدة.

٢٨٢,٥ المجموع.

١٧,٥ لدول وجهات أخرى.

٣٠٠ المجموع الكلي.

ومن حكمة الله أن المال السعودي شؤم على من أخذه، فما أخذ أحد منه إلا أهلكه الله أو دمر خططه، هذا إن لم ينقلب على من أعطاه ويصبح عدوا له.

القرارات والقوانين الاقتصادية:

صدرت قرارات مهمة في هذا المجال هي:

١. إنشاء مجلس أعلى للاقتصاد وهيئة استشارية منبثقة عن المجلس.
٢. إنشاء هيئة عامة للاستثمار.
٣. صدور نظام الاستثمار الأجنبي.

وكان من قرارات المجلس الأعلى: الموافقة على قائمة النشاط المستثنى من الاستثمار الأجنبي، والذي شمل (٢٢) نشاطا في قطاعي الصناعة والخدمات، مع أن الفرض الصحيح هو صدور قائمة بالنشاطات التي يسمح فيها بالاستثمار الأجنبي لا العكس، مما سيفتح الباب على مصراعيه للاستثمار الأجنبي في هذه البلاد إما قانونيا وإما متسترا.

وإن أخطار الاستثمار الأجنبي تذكرنا بالشركات التجارية التي كانت رأس حربة للاستعمار الأوروبي في صورته القديمة، وذلك حين أنشأت بريطانيا ما سمي (شركة الهند الشرقية)، وفي أرخبيل الملايو أنشأت هولندا شركة مماثلة.

فمن تلك الأخطار وفقا لما كتبه باحث سعودي متخصص:

أ- أن الشركات الأجنبية تحاول تغيير الخرائط السياسية في الدول المضيفة، وذلك حسب مصالحها لزيادة مواردها المادية.

ب- تقوم هذه الشركات بتقديم الرشاوى والهدايا الكبيرة وتسهيلات أخرى للقيادات السياسية، والمسؤولين الذين تستفيد منهم في صنع القرارات، وهذا سيسبب فسادًا إداريًا وماليًا كبيرا في الدولة، وتهدف هذه الشركات من هذه الأعمال سواء في محاولة تغيير الخارطة السياسية، أو تقديم الرشاوى للمسؤولين إلى زيادة أرباحها المالية.

وتتمثل قوتها في ضخامة ما تملك من موارد مالية تساعدها على الهيمنة الاقتصادية فمثلا:

-مبيعات شركة جنرال موتورز، تعادل الدخل القومي الكلي لإندونيسيا.

-ومبيعات شركة سيمتر الألمانية تعادل الدخل القومي الكلي لفنزويلا، كما نشرت جريدة الاقتصادية للدكتور عبدالوهاب القحطاني، عدد ٢٦٦٣، ٢٤ يناير ٢٠٠١م.

كما أن من أخطارها:

أن الانتماء والولاء من قبل العاملين بهذه الشركات سيكون للشركة التي يعملون بها -حتى ولو كانوا مواطنين- ويزيد من هذا الخطر كثرة البطالة، فلا نستغرب أن يكون من بين أبناء هذا البلد من يكون ولاؤه للشركة التي يعمل بها فقط.

ومن جهة أخرى لا يعني صدور قائمة الاستثمارات المحظورة على غير السعوديين أنها ستكون سالمة من الأثر الأجنبي، فقد أكد عدد من رجال الأعمال أن إغلاق فرص العمل في مجالات التأمين والسمسرة العقارية والتعليم والاتصالات... الخ سيفتح الباب أمام عدد من صور التستر التجاري السائد في قطاع التجارة المحلية. (الوطن عدد ١٣٧ وتاريخ ١٤٢١/١١/١٩هـ).

وبهذا نعلم أن بعض رجال الأعمال الذين لا همهم مصلحة البلاد وإنما همهم زيادة مواردهم المالية كيفما جاءت، قد بيتوا النية للقيام بأعمال التستر الاستثماري الذي عانى البلد منه كثيرا يوم كانت الأمور بيد الحكومة، فماذا سيكون عليه الحال إذا خرجت من يديها؟

لقد استبشر الغرب بمنح تراخيص للمشروعات الاستثمارية الأجنبية، فهو المستفيد من ذلك، كما جاء في صحيفة عكاظ عدد ١٢٢٩٨ في

٢٣/١/١٤٢١هـــ في مقابلة مع (هينلي) وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية سابقا وأحد رجال الأعمال حاليا أنه قال:

((إنه متأكد من أن قرار مجلس الوزراء السعودي بتعديل قوانين الاستثمار في المملكة سينعكس بشكل إيجابي على مجتمع رجال الأعمال في بريطانيا)).

ونشرت مجلة "المجلة" مثل ذلك عن أكثر من مستثمر أمريكي.

وبالإضافة إلى ذلك فإن هناك أضرارا أخرى لا تقل خطورة عما سبق، تتمثل في المحاذير الأمنية التي ستترتب على وجود هذه الشركات العملاقة بموظفيها وعمالها، وما سيجلبونهم معهم من عادات وممارسات تصادم دين وتقاليد هذه البلاد، مما سيترتب عليه اختلال في الأمن وتهديد لدين الأمة وسلوكها.

والكلام في التردي الاقتصادي كثير، وأنا شخصيا لست اقتصاديا محترفا، وإنما أسهل الأمر بتقديم بعض الحلول الشرعية.

بعض الحلول للمشكلة الاقتصادية وفروعها:

١- الإعلان عن حملة شاملة لرد المظالم والحقوق إلى أهلها، ومن جملتها الرد إلى بيت مال المسلمين، ويبدأ بها علية القوم وكبار الموظفين والمورِّدين ومنفذي المشروعات ونحوهم، ثم يتبعهم سائر الناس ويكون ذلك تطوعا منهم في مقابل عفو الأمة عنهم ظاهراً وباطنا.

ويوضع للحملة برنامج إعلامي دعوي في كل وسائل الإعلام يتضمن المواعظ البليغة والقصص المؤثرة من سير السلف والتائبين والآثار الحميدة لذلك في الدنيا والآخرة. وسوف يكون في النماذج الصادقة من المعاصرين أسوة لغيرهم حين يتحدثون في وسائل الإعلام معلنين التوبة طالبين العفو، وهذه الخطوة ستكون رائدة على مستوى العالم وتمحو الانطباع السائد عن هذه البلاد على أنها بلاد فساد هائل لا تنفع معه المراقبة ولا وجود فيه للمحاسبة.

وأهم شروط النجاح هو إعلان المسؤولين عن تأييدها، وتقديم أنفسهم أسوة للناس فيها. ومنع كل ما يعوّق أعمالها.

٢- المبدأ العام الذي تقوم عليه الحملة هو أن كل ما زاد عن الدخل الشرعي -كالراتب والعلاوات والانتدابات- هو مما يجب إرجاعه سواء كان نقداً أو عقاراً أو أي شيء.

ويجب ذلك اتباعا لمنهج النبي ﷺ وخلفائه الراشدين ومن أقوى الأدلة في ذلك حادثة (ابن اللتبية) الذي بعثه النبي ﷺ على الصدقة فلما جاء قال: (هذا لكم وهذا أُهدي إليَّ)، فأنكر النبي ﷺ ذلك إنكارا شديدا عاما حيث خطب الناس وحذر من هذا أبلغ تحذير، وهذا يعم كل من ولي شيئا من أمور الأمة كبيرا أو صغيرا، وقد أخبر صلوات الله عليه في حديث آخر أن من أخذ شيئا من بيت مال المسلمين فهو سارق أو غال.

ومن فروع ذلك بيان أن التصدق بالمال المنهوب أو صرف بعضه في مؤسسات خيرية، لا يعفي من المحاسبة في الدنيا والآخرة، إذ الواجب إرجاعه إلى بيت المال أو إلى أهله، ولا عدول عن ذلك إلا في حالة تعذر معرفة صاحب الحق، فيتصدق به عنه مع التوبة الصادقة.

٣- يتولى جمع هذه الأموال هيئات خيرية محتسبة، تتكون من رجال العلم والصلاح وأهل الخير المعروفين بالإحسان والبر، وتبادر بإنفاقها في أشد الأحوال حاجة وأولاها بذلك شرعا.

٤- في المرحلة التالية تبدأ المحاسبة، وذلك بإنشاء مجالس احتسابية ذات صلاحيات تنفيذية واسعة ولا سلطة لأي جهة عليها -يرأسها القضاة المعروفون بالاستقامة والقوة- وتكون مهمتها استقبال الشكاوى والبلاغات وتصنيفها، ثم الشروع في محاسبة المتهمين وفقا لضوابط محكمة مع إعلان النتائج تباعا، ويحق لها تقديم حوافز مادية وغيرها لمن يبلغ عن شيء من الفساد.

٥- يتم تسجيل وإعلان هذه المجالس على أنها هيئات ذات شخصيات معنوية على المستوى العالمي، ويتم التنسيق بينها وبين المنظمات العالمية المتخصصة مثل "منظمة الشفافية العالمية" فيما يتعلق بالأموال والأرصدة الموضوعة في البنوك الخارجية، ويشمل ذلك كل من يحتسب للتعاون بتقديم معلومات صحيحة بهذا الشأن.

وتستقبل الدعاوى الاحتسابية من خارج البلاد، ويحق لها إعطاء حوافز مادية أو معنوية، وكذلك التعامل بالمثل بالنسبة لغير المسلمين.

٦- تكون المحاسبة علنية وتبدأ بالنماذج الأسوأ -إلا من استجاب منهم للحملة الأولى وتقدم طائعا -وهؤلاء النماذج معروفون وتحدثت عنهم الصحف والمجلات، كما في (المجلة) بتاريخ: ١٤٢١/٦/٨هـ الموافق: ٢٠٠٠/٩/١٦م، وجريدة (المدينة) بتاريخ ١٤٢١/٦/٢٢هـ.

٧- في البدء بهم تمهيدٌ لمحاسبة من بعدهم، وطمأنة لقلوب الناس بجدية الأمر ونجاحه، ولا يجوز بأية حال قبول استقالة من لا يزال منهم في العمل الوظيفي مقابل ترك محاسبته بل يكون عزله في مقابل قوة التهمة ثم تبدأ المحاسبة.

٨- كل من يرفض مبدأ المحاسبة أو حضور جلساتها أو تقديم ما يطلبه المجلس منه، يجب الحجر التام على كل أمواله، وإرغامه على الاستجابة لكل المطالب، أيا كان موقعه ومهما كانت طبيعة عمله.

هذا هو المبدأ المقترح الذي يجب إعلانه والعمل به، مع العلم أن المشكلة عويصة وأن الأمر جد خطير، وأن هناك من يرى نفسه فوق السؤال والمحاسبة، وقد يرفض هذه الحلول من أصلها. غير أن هذا لا يجوز أن يثير اليأس والإحباط ويدعو إلى الاستسلام للشر والفساد، فإن الشريعة الغراء جاءت بتقليل المفاسد كما بتعطيلها، وتكميل المصالح كما بتحصيلها، فإذا حوسب من تمكن محاسبته ولو بشيء من الجهد والتضحيات فهو خير من ترك المحاسبة مطلقا. على أن الرافضين لذلك أو المستكبرين عنه أو الناهبين خفية لن يكونوا في منأى عن المحاسبة كما قد يتوهمون، فإن حسابا ينتظرهم هو أشد حساب وأغلظه، ذلك هو حساب المنتقم الجبار الذي لا تخفى عليه خافية بعد الموت -وما أسرع أن يموتوا- كما أن حساب التاريخ وما يسطره من الخزي والعار في هذه الدار ينتظرهم، ولا يغرنهم أنهم يملكون الحماية من محاسبة المستضعفين، فإنهم لا يستطيعون الاحتماء من أقوى سلاح لهم وهو الدعاء.

إن حسرات المحرومين ودموعهم لا تضيع أبدًا بل لها ثمن دفعه فرعون وهامان قديما ودفعه شاوسيسكو وسوهارتو حديثا، وسيدفعه كل سلطان ظالم ومستبد غاشم، فجدير بكل من له بقية من عقل ورأي، أن يستدرك أمره وأن ينتهز فرصة قبول التوبة من الله وحصول التجاوز من الناس قبل أن يحل الأجل المحتوم:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤].

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

من الأصول القطعية في الشريعة المطهرة أن المقصود بالولايات كلها - ابتداء بالولاية العظمى (الخلافة) وانتهاء بأدنى الولايات- هو إقامة الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [الحج:٤١].

ويدخل في المعروف كل ما أمر الله به، وأعظم ذلك معرفة الله وتوحيده تعالى في الربوبية والألوهية والطاعة والتشريع، ويتبع ذلك سائر ما فرض الله من الأحكام وشرع من الطاعات، كالعدل وأداء الحقوق وصون الحرمات، والقيام بواجب الرعاية والمسؤولية.

ويدخل في المنكر كل ما نهى الله عنه، وأعظم ذلك الشرك بالله وموالاة أعداء الله واتباع شرائع الجاهلية والابتداع في الدين، ويتبع ذلك سائر ما نهى الله عنه من الفواحش والكبائر كالظلم والكبر والربا وإضاعة الأمانة والغش.

ومن هنا لم يكن الاحتساب للأمر والنهي حقا لكل مسلم فحسب، بل هو واجب على كل مسلم، قال ﷺ: (من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)، وقال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل)، وليس هذا محصورا في أن يحتسب الفرد من الأمة على الآخر، ولو كان الوالي الأعظم -كالخليفة أو الملك-، بل أوجبت الشريعة ما هو أعظم من ذلك وأوسع، وهو أن على الأمة العامة (المسلمين كافة) أن يكون منها أمة خاصة، تقوم بأداء هذه الأمانة العظمى ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل

عمران:١٠٤]، ثم تأتي الدائرة الأوسع وهي أن يكون المسلمون هم الأمة الخاصة التي تقوم بهذا الواجب في الجماعة الإنسانية كافة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[آل عمران:١١٠].

فالمسلمون كلهم يقومون بما يقوم به اليوم ما يسمى المجتمع المدني، وهيئات الدفاع عن حقوق الإنسان مثل (أمنستي وهيومن رايتس وتش)، كما لا يصح الاحتساب سرا على ما يفعله أهله علنا، فإن أبا سعيد الخدري إنما روى حديث المراتب الثلاث عندما أنكر أحد الرعية على أمير المدينة مروان وكان مروان على المنبر وكان ذلك بمحضر الصحابة رضي الله عنهم ولم يرد عليه قوله أحد منهم.

ومما يشهد أن هذه الشريعة منزلة من أحكم الحاكمين أن الشرائع البشرية -مع إفادتها من الأنظمة الإسلامية- لم تستطع في أرقى نماذجها -الدول الديمقراطية- أن تزيد على إعطاء حق المعارضة وتكوين الأحزاب وحرية النقد وإقامة الدعوى، ونحو ذلك من أساليب الإنكار على الحاكم وغيره لحماية الدستور، وحفظ العقد الاجتماعي للأمة، أما الشريعة الربانية فقد أوجبت على الأمة -حكومة وشعبا- إيجاد من يحتسب على المخالف أيا كان، بل إن الحكومة نفسها ما هي إلا جهاز حسبة، ويجب على كل فرد فيه أن يحتسب على غيره وإلا أثم ولُعن، ولا يشترط لذلك أن يكون من جهة معينة تسمى الهيئة أو الحسبة أو غير ذلك، فكل مسلم هو محتسب كما يمكن أن يكون محتَسبا عليه، والاستقامة على أمر الله هي غاية الكافة، لا سعيا لمغنم ولا طمعا في منصب ولا تشفيا من أحد.

وإذا تخلت الأمة عن هذا فقد استوجبت اللعنة وحلول العقوبة، قال تعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[المائدة:٧٩]، وقال ﷺ: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه).

وقد أدرك عقلاء الأمم أهمية الاحتساب لإقامة العدل وأثره الواضح في تماسك الأمة وعلو شأنها، فقد حدث المستورد بن شداد عن النبي ﷺ أنه قال: (تقوم الساعة والروم أكثر الناس) فقال له عمرو بن العاص -الخبير بأحوال الروم وسياساتها، بعد أن تأكد مما أخبر به المستورد-: "أما إن فيها لخصالا أربعا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة، وأوشكهم كرة بعد فرة وأرحمهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة جميلة وأمنعهم من ظلم الملوك"، رواه مسلم، وهو يؤيد حديث الروم ذات القرون.

والواقع التاريخي يشهد لذلك في القديم والحديث فقد انهارت المملكة الكسروية الظالمة، وبقيت لدولة الروم بقية، كما انهار الاتحاد السوفيتي وبقي الغرب، واندثرت ألمانيا الشرقية وبقيت الغربية، لأن الأولى كان عمادها الاضطهاد والتجسس وقهر الرعية، والأخرى قامت على احترام حقوق الإنسان وإتاحة أساليب تحقيق العدل في حدوده البشرية.

بل إن حكومة مدينة واشنطن حققت نجاحًا أمنيا منقطع النظير باقتباسها جزءا من نظام الحسبة الإسلامي، فقد ظهر لها بالاستقراء أن الأحياء الإسلامية فيها هي أكثر الأحياء أمنا، وأن المسلمين في المدينة هم أقل السكان إجراما، فأصدرت تشريعا يقضي بتوزيع السلاح على المسلمين وتمكينهم من حراسة الأحياء في أوقات الذروة، فكانت النتائج باهرة، أشاد بها حاكم الولاية علانية في خطابات ومذكرات رسمية!!

وقد حقق المجتمع الإسلامي الأول أعظم النتائج، وضرب أروع الأمثلة في الرقي السياسي والاجتماعي واستتباب الأمن وإقامة العدل ونشر الفضيلة والمساواة فيما أوجب الشرع المساواة فيه من الحقوق، وذلك لفقه الأمة في دينها ووعيها لواجبها في القيام بهذه الشعيرة العظمى، وفي وقائع الاحتساب

على الخلفاء الراشدين وهم خير الأمة بعد نبيها ﷺ ما تتضاءل معه أرقى الأنظمة السياسية المعاصرة، وهي أشهر من أن نطيل بذكرها، وكانت الأمة قائمة بهذا الأمر، أي أنه لم يكن في عهدهم تحديد لولاية الحسبة واختصاصها، وحين تم ذلك لم يؤثر على منهج الأمة العام، و لم يستلزم إسناد هذا الواجب العظيم في فئة، حظره على غيرها، إذ الأصل أنه لا تعارض بين تخصيص ديوان أو ولاية للحسبة، وبين بقاء واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حقا لكل مسلم. فذلك التخصيص لا يعدو أن يكون تفويضا من الوالي العام لذلك الديوان، فيما هو من اختصاصه باعتباره رأس السلطة التنفيذية دون مصادرة واجب الآخرين، كما لديوان المظالم أو قضاء المظالم اختصاصات تنفيذية يعجز عنها سائر الناس، وفي الواقع المعاصر شواهد لذلك، مثلا: تخصيص وزارة للتعليم لا يعني حظر التعليم على من هو خارجها من مؤسسات حكومية أو أهلية جماعية أو فردية، والتخلي عن واجب تعليم الجاهل، وكذلك تخصيص وزارة للصحة لا يعني حظر إنشاء المؤسسات العلاجية على جهات أخرى حكومية أو فردية، والإعفاء من واجب إسعاف المصاب أينما وجد، بل إن قيام المؤسسات الأهلية مما تحبذه الدولة وتمده بالمال مع أنه تجاري غالبًا، وإذا كان هذا هو الحال في مداواة الأبدان وتوفير الأمن الصحي، فإن مداواة القلوب وتوفير الأمن الاجتماعي أهم وأعظم، بل لا يمكن تحقيق ذلك إلا بهذا.

ومن ناحية أخرى قارن بعض الباحثين في الحضارة والنظم الإسلامية، بين ديوان الحسبة قديما والمؤسسات الحكومية حديثا، فوجد أن اختصاصات الديوان تعادل ما يزيد على كثير من المؤسسات الحديثة ومنها: البلدية، والدفاع المدني، وديوان المراقبة، وهيئة التأديب، والرقابة على المستشفيات، وإدارة الطرق، والجمارك (في الجانب الجائز من أعمالها)، وحماية المستهلك، ومراقبة الجودة، وبعض اختصاصات وزارة الشؤون المدنية والجنسية، وهيئة الادعاء العام والتحقيق....الخ، فلو أرجعنا الأمور إلى أصولها -بغض النظر

عن الأسماء والأشكال الإدارية والتنظيمية- فإن الحال ستتغير بما ليس في الحسبان.

وبكلمة أوضح، لو أن أنظمة هذه المؤسسات قامت على أساس الاحتساب واستشعر المنتمون إليها من الموظفين -وهم ألوف مؤلفة- الواجب الديني في عملهم واعتبرهم المجتمع رجال حسبة دينية لا رجال خدمة مدنية، لرأينا مجتمعا يعمل كخلية النحل، وتتوفر له من سبل الراحة والأمن ووسائل السعادة ما لا نظير له، هذا غير ما يوفره ذلك من الجهود والأموال والتجهيزات والإجراءات، وكل ذلك ممكن دون أن تتغير الأسماء أو الأشكال الإدارية والرتب الوظيفية، فالعبرة هي بالمضمون والمبدأ لا بالاسم والدعوى، والنية الخالصة ركن كل عمل.

ومن تبين له هذا علم البون البعيد والفرق الكبير بين واقعنا الحالي، وما يجب أن نكون عليه بشأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو الآن ولاية محدودة النطاق مقيدة الصلاحية خاضعة للسلطة التنفيذية المحلية في كل صغيرة وكبيرة، بل أصبح موضوعه موضع التهمة والريب!! هذا مع أن باب دعوى الاحتساب قضائيا موصد، فلم يبق أمام من يريد القيام بهذه الشعيرة العظيمة إلا التسول على أبواب من يرجو فيه الخير من المتنفذين، أو التسلل من منافذ ضيقة إلى بعض المسؤولين للإبلاغ عن أمور لا يتجادل اثنان في أنها منكر بصريح القرآن والسنة وإجماع الأمة، وأنها منكرات ظاهرة مجاهر بها تملأ الرحب وتغطي الفضاء.

ثم فوق هذا نسمع من يمن على الدين والأمة، بأن هذا هو البلد الوحيد الذي فيه جهاز حسبة رسمي! ولو أنصف القائل وعلم أن العبرة بالحقيقة لا بالاسم، لذكر أن كثيرا من أمور الاحتساب القائمة في بعض الدول لا وجود لها هنا أو هي أقل في هذه البلاد، فحق الاحتساب، ووسائله في الصحافة والإعلام وغيرها وأجهزة الرقابة في بعض دول الخليج تقوم بجانب مهم من هذا وإن لم تتسم بهذا الاسم، وقد أطاح إدخال بعض الكتب المحظورة بوزير

الإعلام في الكويت، في حين عجز المحتسبون هنا -من رسميين وغيرهم- عن إلغاء عقد رسام للصور الساخرة، رسم الملك وفي يده ملقاط يلتقط به أناسا طويلي اللحية قصيري الثياب! كما لم تزد عقوبة صحيفة نشرت قصيدة كفرية ضد الحجاب على الإيقاف ثلاثة أيام، والنماذج من هذا النوع كثيرة، ومنها بعض تلك الكتب نفسها فقد دخلت في بعض المعارض الدولية إلى المملكة و لم يفصل لأجلها موظف صغير!! دع عنك الوزير!! بل الأمر أسوأ من ذلك فحين خطب أحد أئمة المسجد الحرام وعرّض ببعض تلك المؤلفات الكفرية أوقف عن الخطبة!! وقد تأتي نماذج أخرى لاحقا.

لقد كان تأسيس جهاز مختص بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بمشورة من "حافظ وهبه"، وهو عضو سابق في جمعية الاتحاد والترقي التركية (لا تخفى صلتها بالماسونية العالمية والفكر العلماني)، قدم إلى البلاد، وعمل مستشارا سياسيا، وأصبح أول حاكم إداري لمكة المشرفة بعد ضمها، وكانت هذه المشورة عقب حادثة "المحمل" المعروفة وقرر حافظ وهبة ألا يترك باب الإنكار مفتوحا لكل أحد -حسب رأيه- وأن الحل هو إنشاء هيئة مختصة بهذا تخضع للسلطة، مع حظر ذلك على غيرها من الناس -هكذا كتب بنفسه- فلم يكن التأسيس مبنيا على المصلحة الشرعية المجردة، و لم يكن الاقتراح يتضمن -مع إنشاء الجهاز- توعية الناس بأساليب الإنكار المشروعة والمحظورة ومراعاة المصالح والمفاسد وغير ذلك من فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مما لا يتعارض مع تخصيص هيئة رسمية لذلك تتولى الجانب التنفيذي العام منه، وفي الوقت نفسه تحض المجتمع عليه وتوجهه وتزيل عنه العراقيل والعوائق.

وهكذا نحى التأسيس منحى آخر، وظل الأمر ميدانا للصراع الخفي أو المعلن أحيانا بين العلماء والمحتسبين من جهة، وبين السلطة السياسية أو الإدارية من جهة أخرى، لاسيما بشأن المنكرات التي يرتكبها الممثلون السياسيون الأجانب وبعض علية القوم، والمبتدعة من الحجاج والزوار.

وفي المرحلة الممتدة من التأسيس حتى وضع الخطط الخمسية، كان للهيئة قوة ومهابة تستند إلى قوة العلماء وهيبتهم، وإلى نوعية رجال الحسبة من حيث القوة والأمانة، وكانت الأحوال والأنظمة أقرب إلى البساطة في أكثر الأمور، وكان النسيج الاجتماعي شبه موحد، ومن هنا كان مجال عمل الهيئة واسعا نسبيا، فكانت تشارك في التفتيش على القادمين في الموانئ والمطارات، وتراقب الأسواق والطرقات وتقوم بالرقابة الإعلامية وتشارك في عضوية كثير من المجالس والمصالح العامة باعتبارها جهازا فاعلا مؤثرا.

وعند وضع الخطط الخمسية وما صاحبها من طفرة اقتصادية، تغير الحال كثيرًا بإقبال المجتمع بنهم على الدنيا، وقدوم أعداد هائلة من الكفرة الأغراب -كالكوريين والأوروبيين- فضلا عن الأمريكان وكذلك مبتدعة المسلمين-، وفتح باب السفر للذهاب لأوكار الفساد العالمية، وأسوأ من ذلك أن الخطط لم تضع في حسابها تطوير هذا الجهاز بل الدلائل تشير على إهمال متعمّد لكل المؤسسات الدينية، لاسيما إذا علمنا أن الخطة كان يضعها في الأصل خبراء أمريكيون -من معهد التقنية التطبيقية- بناء على ما سبقها من توصيات مؤسسة فورد والبنك الدولي للإنشاء والتعمير، وحينئذ وجد القائمون على الجهاز ومعهم بعض العلماء والوجهاء في المجتمع، أن الضرورة تقتضي استصدار نظام للهيئة يرسّخ وجودها قبل أن تقتلعها رياح التغيير المفاجئ، وفعلا تم إعداد نظام جيد نسبيا أقره مجلس الوزراء في ١٤٠٠/١٠/١٦هـ ثم صدر به مرسوم ملكي برقم م/٣٧ في ١٤٢٦/١٠/٢٦هـ، وقد حقق ذلك نجاحا مهما يتمثل في اعتبار الهيئة جهازا رسميا ذا صفة قانونية، إلا أن الذي حدث فعليا هو أنه -وبخلاف كل الأجهزة الحكومية الأخرى- لم تستقل الهيئة بتطبيق نظامها، ولم تستفد من كثير من الصلاحيات الممنوحة فيه، مع أن بعضها دون المطلوب شرعًا، بل بقيت في الغالب الأعم تابعة للسلطة التنفيذية -وزارة الداخلية وإمارات المناطق- ولاسيما إمارة الرياض التي كانت تصدر الأوامر المقيدة لعمل الهيئة

تباعا، كما لو كانت قسما من أقسام الشرطة في المدينة، وأحيانا ترفع لوزارة الداخلية لتستصدر الموافقة فيصبح نظاما ملزما لكل الهيئات في المملكة، وعقب النشاط الملحوظ للهيئة مع بداية مرحلة الصحوة الدعوية المعاصرة سنة ١٤٠٦هـ صدر ما هو أعم أثرا من ذلك، وهو الأمر البرقي الملكي رقم ٤/ب/٢٠٠٨ في ١٤٠٨/٢/٦هـ الذي نسخ أهم الصلاحيات الممنوحة للهيئة في النظام، أو هكذا أريد له عمليا، ومن ذلك أنه حظر على الهيئة التحقيق مع المقبوض عليهم، وسلبها صلاحية العقوبة على المخالفات البسيطة وهي الجلد (١٥) سوطا أو التوقيف ثلاثة أيام فأقل، وحصر عمل الهيئة فيما لا يزيد على عمل المبلِّغ العادي من المواطنين إلا بالقبض على المجرم وتسليمه الشرطة، وحتى هذا القبض لم يبق بلا قيود بل سرعان ما انتهزت إمارة الرياض الفرصة فأصدرت أمرها رقم ٨٣٨٠ في ١٤٠٩/١٢/١٩هـ تتميما لأمرها السابق رقم ٣٠٠ في ١٤٠٧/٣/١هـ، وفيهما من الشروط التعجيزية لتفتيش أوكار الفساد ومصانع الخمور وبيوت السحرة والقبض عليهم ما أثار دهشة المواطنين، فضلا عن رجال الهيئة وفتح الباب على مصراعيه للمفسدين، ومن ذلك إلزام رجال الهيئة باصطحاب عمدة الحي ووكيله، وشخصين معروفين من الأعيان في الحي، أو صاحب المسكن أو أحد أقاربه أو المتصلين به، واستصحاب سَجَّانة -مع أنه لا محرم لها- إذا كان المترل المبلغ عنه لعائلة، وإبلاغ الإمارة باسم المتَّهم وجنسيته، وهل المترل مترله أو لكفيله، واسم الكفيل، وهل المترل لعائلة أو لعزاب، وتحديد موقع المترل واسم الشارع وأوضح معلم بجواره...الخ، وفضلا عن هذا التكبيل الشديد ثبت لكثير من المواطنين الذين يقومون عادة بالإبلاغ عن أوكار الفساد وبيوت الدعارة، أنه بمجرد وصول المعلومات المطلوبة للجهات التنفيذية، تظهر على المجرمين دلائل وقرائن العلم بكل ما حدث، حتى أنهم يعلمون بالمبلِّغ فيؤذونه فيما بعد بما يستطيعون، أما رجال الهيئة فما أن

يدخلوا الوكر فيجدوه خاليا حتى تنقلب التهمة عليهم وتتشكل اللجان العاجلة للتحقيق معهم، وتسارع الرئاسة (إلى البراءة) منهم ومن أعمالهم!

ثم جاءت الأزمة الكبرى سنة ١٤١٠هـ المسماة "أزمة الخليج"، فكان لها في هذا الشأن أثران واضحان:

١- نمو الوعي بالمخاطر التي تهدد أمن المجتمع ووحدة الأمة، وتستهدف الإجهاز على البقية الباقية من الخصائص الإيمانية، الأمر الذي أدى إلى ضخ قوة دفع جيدة في جسد المجتمع، وفتح عيون الناس على كثير من المنكرات التي كانوا في غفلة عنها، فكان عام ١٤١٣هـ عاما نموذجيا بالنسبة لأعمال الهيئة، حيث بلغ مجموع القضايا المضبوطة قرابة ٧٠ ألف قضية وضبط فيها قرابة ١٠٠ ألف مجرم!!

٢- دخول بُعد جديدٍ في المشكلة هو البعد الخارجي، فقد وجدت الصحافة الغربية وغيرها، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضالتها المنشودة، وموضوعها الجذاب للحديث عن المجتمع المغلق -كما يسمونه- وانصب أكثره عن الحديث عمَّن سموهم "المطوِّعين" أو الشرطة الدينية، واختلقوا الأساطير ونسجوا الأوهام عنهم حتى ارتقى الموضوع من التقارير الصحفية، إلى تقارير المنظمات العالمية لحقوق الإنسان وأصبح الحديث عن انتهاكات "المطوِّعين" يذكر جنبا إلى جنب مع انتهاكات الأجهزة السرية المختصة بالأمن السياسي، وأسوأ من ذلك أن قيادة مشاة البحرية الأمريكية في المنطقة، وزعت منشورا تحذيريا للرعايا الغربيين في المملكة حددت فيه أوصافهم في رجال الهيئة (اللحية الطويلة والثوب القصير بدون عقال!)، وأوضحت كيفية التعامل معهم (استدعاء أقرب دورية أمنية، الاتصال بالسفارة -الاتصال إذا لزم الأمر بالقيادة لكي تنجدهم حالا).

وكانت نتيجة هذين العاملين وغيرهما أن أصدر الرئيس العام للهيئات القرار الذي هو بمثابة كارثة في المسيرة التاريخية للهيئات (رقم ١/١٨٢س في ١١/٤/١٤١٣هـ)، فهو ليس قيودا إدارية أو إجرائية فحسب، بل هو

تحريف لمنهج الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتبديل لمفهومه وتحريف لبعض المصطلحات والحقائق الشرعية، الأمر الذي قوبل بالإنكار والاستغراب من داخل الجهاز وخارجه، إلا أن الدوافع سرعان ما ظهرت حين أصدرت وزارة الداخلية تعميما على الإمارات والشرط كافة برقم ١٦/٢/٨٧٩٠س تاريخ ١٤١٤/١١/٢هـ، بمتابعة رجال الهيئة في تطبيقهم للتعميم رقم ١٨٢ والرفع عمن يخالفه، لتطبق عليه أحكام المرسوم الملكي الصادر سنة ١٣٧٧هـ، القاضية بسجن الموظف المتجاوز لأوامر إدارته عشر سنوات أو غرامة عشرين ألف ريال!! وهكذا تحول التضييق وتقليص الصلاحيات والاتهام لرجال الحسبة إلى سجن طويل وعداوة واستنفار شامل للأجهزة الأمنية والرقابية داخل الجهاز وخارجه، وشُرِّعت حملة التشهير والتطاول في الصحافة، ومن الأمثلة لذلك أن إمارة الرياض شكلت بموجب خطاب نائب الأمير رقم ١٧٥٩ش في ١٤١٦/٣/١٠هـ لجنة على مدى الأربعة والعشرين ساعة، لمتابعة تجاوزات رجال الهيئة ومعاقبة أي مخالف بسجنه في قبو الإمارة!! وبدلا من الحصانة التي توفرها الشريعة الغراء لرجل الحسبة باعتباره ناصحا لا خصما، وبذلك أمر الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله وذلك منشورٌ في فتاواه -ومن ثم لا يجوز التحقيق معهم واتهامهم إلا ببينة جلية في سوء القصد- بدلا من ذلك أصبح رجال الحسبة، يطالبون الحكومة بمعاملتهم معاملة المجرمين المحترفين من مروجي المخدرات ومنتجي الخمور والزناة وقطاع الطرق الذين تتحوط القوانين واللوائح في اتهامهم والقبض عليهم، ولا توقع عليهم العقوبة إلا بعد سلسلة من الإجراءات للتأكد من استحقاقها، في حين أن رجل الحسبة يؤخذ بالظنة وعلى جناح السرعة ولا تقبل فيه شفاعة؟؟ ولا تراعي مكانته الاجتماعية والأسرية، فضلا عن وظيفته الشرعية.

ومن الحوادث المتكررة أن بعض من يقبض عليه رجال الحسبة -بعد استكمال الإجراءات المعقدة- ويضبط متلبسا بالجرم المشهود ويقر بذلك في

التحقيق ويصدق إقراراه في المحكمة، يفاجأ باستدعائه من الجهات التنفيذية ويطلب منه سحب اعترافه والادعاء على رجال الحسبة بأنهم عذبوه وأكرهوه، وأخذوا ما كان لديه من مال...الخ التهم، هذا عدا تهوين القضايا فترك الصلاة هو من المخالفات البسيطة حسب لائحة الاستيقاف، وقد أدى إلى ذلك النظر إلى الجريمة من زاوية ضررها على المجتمع فقط، وإلا فكيف تكون الجريمة التي أجمع الصحابة على تكفير فاعلها من الجرائم البسيطة في دولة تحكم بالقرآن، والزنا تسجله الهيئة "خلوة" مع اعتراف طرفيه بوقوعه، والمرأة التي تسافر مع خدينها، وتبيت معه ليالي يكتفى بتسليمها لوليها، والمعاكسات في الأسواق وغيرها كثيرا ما تمر بسلام إلا إذا اشتكى الأهالي ووافقت السلطة التنفيذية على معاقبة مرتكبيها، والأشرطة والمجلات الإباحية والخليعة وما أشبهها ترد إلى أصحابها أو تسلم للإعلام ليستردوها منه، ثم هناك الجرائم الأكبر وهي جرائم الاعتقاد، وهذه ليس لها جهة مختصة غير الهيئة ومنذ حوصرت الهيئة وعوديت أخذ المنصِّرون والملحدون يسرحون ويمرحون كما يشاؤون، وإذا حاولت الهيئة الإنكار عليهم فمعناه أن الأعضاء سوف يتعرضون للتحقيق والعقوبة، التي من أهونها تحويلهم إلى إداريين أو نقلهم إلى مناطق نائية.

ونقدِّم هنا مثالا واحدا لذلك وهو محلات بيع الأغاني الأجنبية، التي تبيع الأشرطة والاسطوانات المتضمنة للاستهزاء برب العالمين، وسب دين الإسلام، والتصريح بفعل الفاحشة وأسماء الأعضاء التناسلية، وألوان من الإلحاد والإباحية تحظرها القوانين في أكثر دول العالم، فقد حدث أن مركزا للهيئة في الرياض قام بواجبه فأغلق هذه المحلات وأحال ما فيها من تلك الأشرطة إلى الإعلام، ولم يستح أصحابها من الشكوى لوزارة الداخلية، وسرعان ما استجيب للشكوى، ببرقية لأمير الرياض الذي أصدر من جهته برقيات سرية عاجلة إلى الهيئة والشرطة بإبلاغ أصحاب المحلات (بسرعة فتح محلاتهم) -هكذا في حرص وإشفاق- ومراجعة وزارة الإعلام لاستلام

الأشرطة المصادرة، والتأكيد على منسوبي الهيئة بعدم تكرار ذلك، وعندما شكى أعضاء الهيئة ذلك إلى بعض العلماء لم يجدوا في الأمر جديدا، فهذا شيء معتاد بالنسبة للهيئة، ولكنهم ذهلوا حينما اطلعوا على بعض ما ورد في الأشرطة فإذا هو جرائم مركَّبة (عقدية وأخلاقية) وعرفوا لماذا ترددت الجهات المأمورة في تنفيذ الأمر حتى احتاج الأمر إلى تكرار البرقيات السرية العاجلة من الإدارة، وقارنوا ذلك بحال التسجيلات الإسلامية التي تنتهك حقوقها لأدنى شبهة وبلا مبالاة، ونحن هنا لن نورد شيئا مما فيها من ألفاظ الفاحشة الصريحة وتسمية الأعضاء التناسلية بل نقتصر على بعض الألفاظ، ونستغفر الله تعالى:-

١.في شريط بعنوان "ماذا يريد الله": (الله يريد الجنس.. الله يريد جريمة.. الله يريد حربا صليبية.. الله يريد الجهاد.. الله يريد دولارات.. الله يريد قروشا.. الله يريد جنيهات.. الله يريد بطاطا صغيرة).

٢.في شريط آخر أغنية "الله هو الكمبيوتر": (ننتظر ثورة، نظرة جديدة من أجل تطوير الله وجعله كمبيوتر من أجل برمجة دماغه).

٣.في أغنية أخرى يخاطب الزاني خدينته: (هناك أخذتكِ إلى غرفة لا يستطيع الله الوصول إليها).

٤.أغنية أخرى عنوانها "دموع الرب"!!

٥.شريط جنسي لمادونا جاء فيه:- (عزيزي عيسى، أغمض عينيك وستكون في المكان الذي تغني فيه الحوريات، إذا كان المسيح موجودا فإنه سيأتي في المساء ويصلي من أجل العيون الأسبانية، لكن كيف ستكون الحيلة إذا كان الرب موجودا).

٦.شريط آخر بعنوان: "أخبرني عن وجود الجنة" في إحدى أغنياته: (جدي يقول إنه سعيد لأنه يسكن مع الله في الجنة ومعه ملائكة ذوو أجنحة. الأمر الذي يجعل شعوري مثل الثلج أخبرني هل توجد جنة؟ هل هذا شيء حقيقي؟).

٧.في شريط آخر أغنية تقول: (أنا تائه في جنة عدن، نحن ضائعون في جنة عدن، جميع الأديان تسخر من الإنسانية.. جنات عدن ليست إلا مقبرة.. لن يؤمن أحد بهذه الجنة)!!

ولم يقتصر الأمر على الدعاية للتنصير والإلحاد، بل تعداه إلى بناء الكنائس ثم إلى المطالبة الصريحة بحرية الأديان في البلاد، ولم يعد المقيمون في المملكة من هؤلاء يخفون أسماءهم وعناوينهم حين يكتبون للحكومة الأمريكية وغيرها، مطالبين بذلك حتى آل الأمر إلى مشروع قرار في الكونجرس بمعاقبة الدول التي تمنع الحرية الدينية، وجاء ذكر المملكة كواحدة منها، وبكل صفاقة ووقاحة كتب القنصل البريطاني في الظهران يشتكي من توزيع الهيئة لبعض النشرات عن محاسن الإسلام في الأسواق، حيث كان بعض البريطانيين المتسوقين ممن أعطي أو أخذ نسخا منها، ومعنى ذلك أنه يرى أن مجرد اطلاع البريطانيين على شيء عن الإسلام أو عرضه عليهم هو خدش لكرامتهم وإهانة لعقيدتهم، وإذا كان احتمال وجود بريطانيين في أي سوق وارد، فالحل هو منع التوزيع مطلقا لكي يرضى المندوب السامي، أما لو أن الهيئة استهدفت البريطانيين بخصوصهم، فإن المطلوب سيكون إلغاء الهيئة من الوجود، وقد استجابت الإمارة للشكوى وكتبت خطابين سريين عاجلين في ١٤١١/١١/٦هـ و١٤١١/١١/١٣هـ مساءلة الهيئة عن الأمر الذي استندت إليه في توزيع النشرة، وكأن مثل هذا العمل يستحق إذناً خاصا.

أما القنصل الأمريكي فقد تذمر لدى أمير المنطقة، من وجود إعلان معلق في أحد الأماكن العامة عن ضرورة اللباس المحتشم -ليس في واشنطن ولكن في الخبر-، ولكون الإمارة تعلم بأن ما عملته الهيئة يستند لأوامر صادرة من الجهات العليا، فقد اعتذرت للقنصل الكبير، بأن المقصود من الأوامر ليس التعليق في الأماكن العامة -أي أن تكون حبيسة الأدراج فقط-

وجرى التنبيه للهيئة بعدم العودة إلى مثل هذه الأعمال التي تزعج القادمين للبلاد!!

وهكذا أصبحت المنكرات العقدية والأخلاقية التي يرتكبها الكفار -ولاسيما الغربيون- محروسة عسكرياً (بمشاة البحرية) وسياسيا (بالقناصل)، وأصبح عضو الهيئة يتحاشى الإنكار على كل ذي عين زرقاء، لأن شبح اللجان العاملة ٢٤ ساعة والسجن عشر سنوات يلاحقه أينما ذهب.

وأصبح الغرب يمنون علينا أنهم جاءوا لحمايتنا، ومع ذلك نحن نحثهم على الاحتشام ونبين لهم محاسن الإسلام!.

وفي خفارة الحصانة للغربيين دخل المجوس والهنادك والبوذيون ونصارى آسية وأفريقية وغيرهم من الكفرة والملحدين، وأنشأوا تنظيمات دعوية بعضها معروف وبعضها في غاية السرية، مثل تنظيمات السيخ، وعبدة الشيطان، وأقباط مصر، وبعض الطوائف اللبنانية، هذا عدا السحرة الذين توافدوا من كل حدب وصوب، من المنتسبين للإسلام ومن غيرهم وهؤلاء يستهدفون أساسا، علية القوم والأثرياء لاسيما النساء، وقد أحدثوا من الفساد وتدمير البيوت وتقطيع العرى بين الناس والتلاعب بعقولهم ما لا يكاد يصدق.

والمتوقع -مع الانفتاح التجاري والسياحة وتخفيف القيود على المقيمين والقادمين- أن تتطور عصابات الدعارة والفساد وتنتشر أوكارهم ويعم دمارهم.

كل هذه وجهاز الحسبة يرسف في أغلاله، والأجهزة الأخرى إما غير مهتمة بالأمر وإما عاجزة كذلك بسبب عدم الصلاحيات وقلة الإمكانيات والمخلصون فيها يعانون الأمَرّين فأين السيادة الوطنية بعد هذا؟.

الاحتساب خارج اختصاص الهيئة

إذا كان المنكر فلما أو شريطا فيمكن أن يدخل في اختصاص الهيئة ولو بإحالته إلى الإعلام أما إذا كان المنكر قناة فضائية إباحية أو إلحادية فليس من اختصاص الهيئة، وإذا كان المنكر فرديا فقد تستطيع الهيئة استدعاء صاحبه وأخذ التعهد عليه أو إحالته للشرطة، أما إذا كان عاما كأن تكون مؤسسة حكومية، أو مأذونة من الحكومة قائمة على منكر كالبنوك، وإدارات المكوس، وأقسام تدريس القوانين والنظريات الإلحادية، ومعاهد الموسيقى ومكاتب استقدام الكفار، والمستشفيات والمطارات الملأى بالمنكرات، وبعض الأسواق والمراكز التي يملكها الملأ، والمؤسسات التجارية القائمة على الميسر والغرر والغش والبيوع المحرمة، والمؤسسات التعليمية المشتملة على الفساد الأخلاقي والعقدي، والمجمعات السكنية ذات الحصانة الخاصة فهذا وأمثاله مما هو خارج عن اختصاص الهيئة نظاما أو عرفا، ناهيك عما هو أعظم وهو المنكرات التي ترتكبها الحكومة من تشريعات وقرارات وعلاقات ومعاملات في الداخل والخارج وما يرتكبه الملأ وأشياعهم من سلب حقوق الضعفاء أو التخوض في مال الله بغير حق، فهم يسرقون المليارات ويتبرعون منه ببضعة آلاف أو ملايين، وضم إلى ذلك اضطهاد القائمين لله المحتسبين لحفظ دين الأمة وأنفسها وأموالها.. ويلحق بهذه المنكرات منكرات أخرى كالفساد الإداري وهو ضارب بأطنابه في كل مؤسسة، إلا ما رحم الله من أفراد مخلصين يجتهدن في الإصلاح ويسعون له، ولكنهم قليل ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم، وهذا كله وغيره مما لم يذكر لا علاج له بالنصائح والتوجيهات ولا بالحلول المؤقتة والمسكِّنات، بل الأمر يستدعي انتفاضة شاملة على المنكرات كلها والفساد كله، ويكون قوامها خطة متكاملة -إعلاميا وعمليا وعلميا ويبدأ به علية القوم وتصدر به أوامر عليا وتشمل الانتفاضة:

أ- برامج إعلامية قوية في كل وسائل الإعلام للتذكير بقيمة هذه الشعيرة ومنزلتها من الإيمان، واستنفار الأمة كلها، للاهتمام بها وإحيائها في البيت والشارع والإدارة والسوق وكل مكان.

ب- برامج علمية شاملة: إقامة المحاضرات، والندوات، والمواعظ، في وسائل الإعلام والمساجد والأسواق والمدارس والإدارات الحكومية، يشارك فيها العلماء والدعاة وطلبة العلم عامة والمربون والموجهون والمشرفون الاجتماعيون.. وغيرهم، تهتم بفقه الإنكار وضوابطه مع بيان فضله ومكانته وتحث الناس على التعاون مع اللجان الاحتسابية.

ج- خطط عملية وتشمل:

١- تكوين لجان احتسابية في كل محافظة أو مركز يرأسها أحد العلماء أو المسؤولين المعروفين بالاهتمام بهذه الشعيرة، ويتكون أعضاؤها من الأعيان والمسؤولين الإداريين والتجار إلى جانب طلبة العلم ورجال الحسبة، وتهتم بتصنيف المنكرات القائمة وبحث أفضل السبل للقضاء عليها ووضع أوراق عمل لذلك، وإصدار التوصيات للجهات المسؤولة، ووضع الأسئلة للعلماء عما يشكل حكمه من القضايا، وتعقد لذلك ندوات حوارية في وسائل الإعلام وتستكتب البحوث وتستقبل آراء المهتمين من مواطنين ومقيمين.

٢- أعمال ميدانية مكثفة يقوم بها رجال الحسبة، ومن يتعاون معهم من المؤهَّلين وتشارك فيها الأجهزة الأمنية، ويكون من شأنها: توزيع النشرات والأشرطة والملصقات وغيرها، في الأماكن العامة والإدارات الحكومية، والإنكار المباشر بالأسلوب الأفضل للمنكرات القطعية المعروفة كالتخلف عن الصلاة، والتبرج، والمعاكسات، وما في محلات الفيديو والمكتبات.. بحيث يجد الناس أثر ما يقال في الإعلام والمساجد ممثلا في صورة عملية، وفي المرحلة التالية توضع الخطط المحكمة لتمشيط الأحياء في المدن والقرى ومداهمة أوكار الفساد المتخفية، والنشر عنها تباعا في الإعلام، وحض المسلمين على التبليغ عن كل ما يعلمون من ذلك، واستقبال

البلاغات والشكاوى وفقا لأفضل التجارب والضوابط المعمول بها في جهاز الحسبة.

٣- تكوين لجنة دائمة -ويمكن أن تكون غير معلنة- من الجهات المتعاملة مع الأجانب -لاسيما الغربيون- مثل وزارة الخارجية والدفاع والداخلية والصحة والبترول والتجارة...الخ، يختار أعضاؤها من ذوي الإيمان والغيرة، ويضم إليهم أعضاء من العلماء ورجال الحسبة لدراسة وضع هؤلاء الكفار وتقديم التوصيات للتقليل من استقدامهم تدريجيا، وإلزام مكاتب الاستقدام والمؤسسات الحكومية وغيرها بذلك، وكذلك التقليل من فسادهم ومنكراتهم ومحاسبة الجهات التي تهاونت في ذلك، ومراقبة مجمعاتهم السكنية وإلزامهم بالآداب العامة، ودعوتهم إلى الإسلام بكل وسيلة وأفضل أسلوب، والتفاهم مع حكوماتهم بشرح خصوصية هذه الجزيرة الطاهرة والسعي الدائب لإحلال الشركات الإسلامية محل شركاتهم، وفي الحالات الاستثنائية القصوى لوجودهم، تُعتمد برامج تدريبية لإحلال المواطنين محلهم ويضرب لها مدة زمنية لا تتعداها، ويلزمون بتقليل عددهم إلى أقصى درجة، ولا يقتصر ذلك على أعيانهم بل يشمل ثقافتهم وبضائعهم، وكل ما يمكن الاستغناء عنه من منتجاتهم، وإحلال البديل الإسلامي محله، وقد أصبح كثيرا ولله الحمد. وباختصار تؤسس هذه اللجنة على اعتبار أن هذا الأمر أمر عقيدة وإيمان كما هو أمر سيادة وكرامة وكفى تدليلا ومداهنة -إن لم نقل موالاة ومحبة- لقوم كشف الله نواياهم وفضح سريرتهم! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ﴾[آل عمران:١١٨]، وقد أبى ضعاف الإيمان ومرضى القلوب إلا تصديقهم وتكذيب كتاب الله، حتى جاءت الأحداث والوقائع بالبينة القاطعة، وما التفجيرات المتتابعة المبرمجة التي قام بها بعضهم كي لا ينافسه غربي آخر إلا غيض من فيض وقليل من كثير.

٤- على مستوى الأسرة الحاكمة ننصح بإنشاء مجلس احتسابي برئاسة الملك وعضوية الأمراء المستقيمين لبحث ومعالجة ما يصدر عن الأمراء من منكرات ذات أثر عام أو خاص في الداخل والخارج، واستقبال النصائح بهذا الشأن، فلا يخفى على أحد أن الانطباع السائد عن الأمراء وحواشيهم -لاسيما في الخارج- سلبي للغاية.

د- على المستوى العالمي ينبغي إنشاء هيئة إسلامية عالمية للاحتساب -لا سلطة لأي دولة عليها- هدفها إحياء هذه الشعيرة بالتعريف بها عالميا وبيان خصوصية الإسلام وأسبقيته في هذا، وإقامة علاقات التعاون والمجادلة والرد على المنظمات العالمية المتخصصة في حقوق الإنسان وما شاكلها، وإعداد تقرير احتسابي للدول الراغبة في إنشاء أجهزة احتسابية في بلادها، ويمكن أن يكون للهيئة فروع أو مكاتب أو مراسلون في الدول الإسلامية وغيرها، وأن يكون لها حضور في المحافل الدولية وصلات بالجهات ذات العلاقة، علمية أو سياسية، وجهاز إعلامي مسموع.

هـ- وعلى المستوى المحلي: المطلوب إعطاء أولوية خاصة لجهاز الحسبة والتزام تقويته وتأييده نظاميا وماديا وبشريا ونقترح لذلك:

١- إصدار نظام جديد أشمل وأكثر صلاحيات من النظام الصادرة سنة ١٤٠٠هـ.

٢- اختيار أهل القوة والأمانة لتولي الجهاز -رئاسة وفروعا- وتخويلهم باختيار أفضل العناصر وتأهيلها، ومنح الحصانة للجميع ضد التشهير أو المساءلة أو التحقيق، إلا من خلال إدارة مختصة لا سلطة لأي جهة عليها إلا أحكام الشريعة وضوابطها.

٣- تحسين أوضاع رجال الحسبة وظيفيا بما يكافئ جهدهم العظيم في حفظ الأمن وصون الحرمات.

٤- توسيع ميادين عمل الجهاز وافتتاح فروع له في كل حي أو قرية أو هجرة، وتشييد مباني حكومية لائقة وإعطائه ما يليق به من تجهيزات مكتبية وسيارات مهيأة لمختلف أعماله.

٥- دعم الجهاز بنظام اتصالات حديث، وشبكة متطورة للحاسب الآلي.

٦- تأسيس جامعة للاحتساب يتبعها كليات ومعاهد في كل أنحاء البلاد لتخريج محتسبين مؤهلين علميا مدربين عمليا.

٧- تأسيس محاكم في المناطق والمدن الرئيسة تختص بقضايا الاحتساب، ويختار لها القضاة المشهود لهم بالسابقة والخبرة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفقه الواقع، وتستقبل الدعاوى الاحتسابية مباشرة ضمن إجراءات شرعية يضعها قضاتها أنفسهم.

٨- تأسيس جهاز للشرطة الاحتسابية يتميز في نوعية أفراده ومظهرهم وصلاحيتهم، ويكون الذراع التنفيذي للجهاز.

٩- إلزام الجهات التنفيذية كافة بالتطبيق العام والصارم للعقوبات الشرعية على كل من يضبطه الجهاز فردا أو مؤسسة.

١٠- إلزام أقسام الشرط وغيرها بإمداد الجهاز يوميا بالواقعات وصور من ملخصات محاضر التحقيق، ليقوم بمتابعة ما هو داخل في اختصاصه أو إبداء الرأي فيه.

١١- إنشاء لجنة لمناقشة القضايا وغيرها، يكون العضو المحتسب هو الرئيس وليس مندوب الجهة الإدارية والأمنية.

١٢- يحق للجهاز مخاطبة كل من يقتضي عمله مخاطبته دون استثناء وبلا واسطة.

١٣- يحق للجهاز وضع لائحة للمحتسبين المتعاونين، وتجنيد أكبر عدد ممكن من المؤهلين.

١٤- يجب على الدولة أن تقدر هذا الجهاز حق قدره، لما له من أثر عظيم في الجانب الوقائي الأمني الاجتماعي وهو أساس تحقيق الأمن وعماده ويشمل ذلك:

أ- حض كل المواطنين من كل وسائل الإعلام على التعاون مع الجهاز، ويشمل ذلك الأفراد ومجالس الأحياء والجمعيات الخيرية، مع تشجيع وحماية كل من يتعاون معه من مواطن أو مقيم، فالمشهود واقعا هو ثقة الناس فيه واطمئنانهم للتعاون معه بخلاف الأجهزة الأخرى التي يتحاشى كثير من الناس التعاون معها، إما خوفا من الشبهة لدى المجتمع، أو لجهلهم بعملها بل بمواقعها أحيانا، أو لعدم اطمئنانهم إلى إجراءاتها، بخلاف الهيئة فهي على ضعفها وقلة إمكاناتها متميزة جدا في هذا الشأن، وتكاد تكون فريدة على مستوى العالم.

ب- منح الجهاز صلاحية مطلقة في استقبال البلاغات، ودعما ماديا لمكافأة المبلِّغين بما يتناسب وخطورة القضية.

ج- إعطاء الجهاز صلاحية مطلقة في التفتيش والتحري ضمن ضوابط شرعية يضعها الجهاز، ولا تخضع لتقييد أي جهة أخرى.

د- الإشادة بإنجازات الجهاز في هذا المجال بدل الهضم المعمول به حاليا، فكثير من الجرائم الكبرى تكتشفها الهيئة ويكون الشكر للمباحث وغيرها.

هـ- إعطاء الجهاز حق ترحيل من يشتبه فيه من المقيمين ووضعه في قائمة الممنوعين، ويشمل ذلك منع الاستقدام مطلقا لبعض الجنسيات أو المنع المطلق لبعض المهن التي تمتهنها جنسيات معروفة بالفساد والشذوذ، وذلك دون مراجعة أي جهة أخرى.

و- إشعار المواطنين ورجال الحسبة معا بأن كون رجال الحسبة موظفين بمرتبات لا ينافي الاحتساب، ولذلك ليزداد رجال الحسبة إخلاصا وبذلا، ويزداد المواطنون تعاونا معهم وتقديرا لجهودهم التي هي أكبر -إذا خلصت النية- من كل مرتَّب أو مقابل مادي.

١٦- إنشاء مجلس أعلى للاحتساب يرأسه الرئيس العام للهيئات، ويشمل الأعضاء على مستوى وكلاء الوزارات أو المصالح من القطاعات ذات العلاقة، كقطاع الأمن والشؤون الدينية الاجتماعية التجارية والتعليم والدعوة والصحة... ويرفع توصياته إلى رئيس مجلس الوزراء مباشرة لإقرارها وإصدار الأوامر بها، وله حق اتخاذ القرارات في التنسيق بين هذه القطاعات وغيرها لإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتكامل الجهود وتبادل الخبرات في هذا الشأن.

الإعلام والثقافة

في مجال الإعلام والثقافة نجد أكبر مظهر وأوضح دليل على التحول البعيد والانتقال الكبير من مجتمع العقيدة والأصالة والفضيلة، إلى مجتمع الرفاهية والشهوانية والتطبيع المستمر مع الرذيلة والاندماج في اقتصاد السوق فكريا وقيميا، فوق الاندماج ماديا وتجاريا، وهي حال تماثل الحالة المسماة طبيا فقد المناعة المكتسبة بل والموروثة أيضا؟

ففي حين نجد الهلع والاستنفار يسيطران على المجتمعات الواعية في الشرق والغرب حيال طوفان التدفق المسيطر للمعلومات، وهو الجانب الثقافي من العولمة، ذلك الغول المرعب الذي يفسره الأقوياء كما يشاءون، ويسخرونه كما يبتغون، نجد الحمى المباح والقصعة المتاحة في المنطقة الإسلامية عموما وهذا البلد خصوصا، وليت موقفنا تجاه هذا الخطر الداهم اقتصر على الغفلة عنه، وغياب الحراسة على خصوصيتنا منه، إذن لكانت الثغرات التي فتحها المجرمون في سور حصانتنا قابلة للسد بالوعي الذاتي والمدافعة الاحتسابية، لكن المصيبة هي أن طائفة من أبناء هذا البلد ذات مال ونفوذ جندت نفسها لهدم السور كله، وأعانتها فئة المنحرفين عقديا وسلوكيا ممن يكتبون أو يتحدثون في وسائل الإعلام، وسار في ركابها عباد الدرهم والدينار الجشعون، الذين لا يبالون بالوسيلة إذا نالوا المطمع؛ فهم يقدمون المال للغزاة مقابل الدعاية لبضائعهم!! أو في غفلةٍ -وربما تأييدٍ- من ذوي الشأن، والذي نستنتجه من مخاوف الدول القومية هو:

أن الدعاية الوطنية لا تكفي بل الأمر يقتضي عقيدة إيمانية، ولا عقيدة هنا سوى الإسلام الذي يستطيع بعالميته وعمقه في القلوب أن يصد زحف العولمة المدمر، بل أن يسخرها لخدمة الحق والعدل وسعادة الدارين، ونحن أولى المجتمعات وأكثرها قدرة على تحقيق عالمية الإسلام، وإثبات قوته التي لا تهزم، فكيف يليق بنا أن نخرب بيوتنا بأيدينا، وأن نجند بأنفسنا الطابور

الخامس لعدونا، في هذه المعركة التي لم يشهد تاريخ الأمة لها نظيرا، لأنها معركة وجود وهوية، إن الواجب شرعا فإن لم يكن كذلك فمصلحة وطنية -أن نأخذ على أيدي هؤلاء العابثين من مالكي القنوات الفضائية والمعلنين فيها والمروجين لها أخذا شديدا، وأن نجعل إعلامنا أقوى وأعم، بل أن نسعى لتشكيل جهة إعلامية إسلامية كبيرة، وأن نستشعر الخزي والعار حين نرى الإعلام المفسد بكل أنواعه ينافس على سوقنا، ويستهوي شبابنا ويستأثر بإعلاناتنا ويستهدفنا استهدافا صريحا في عقر دارنا، وفي أغلى ما لدينا وهو ديننا وأخلاقنا، ونحن مطرقو الرؤوس، وإذا قال قائل أو اشتكى مشتك أجيب بأن هذا واجب الأسرة وحدها؟! وهو الجواب الذي لا نسمعه أبدا حين يتعرض أحد لذوات أحد "الذوات" بنقد، أو يتاح لذي رأي يخالف رأينا أن ينشر، ولنأخذ مثالا واقعيا "شبكة أوربت" التي يمتلكها بعض الذوات من هذه البلاد، فهي مثال لكلا طرفي المشكلة، وتعد قنواتها بالآلاف، منها قنوات إباحية لا تستحي الشركة من الإعلان أنها ممنوعة من العرض في مصر وتونس والمغرب وغيرها، ولكن "أوربت" تنشرها كاملة، ومع ذلك نقول إننا البلد الوحيد الذي فيه هيئة لإنكار المنكر! وفي القنوات المختلفة ومواقع الانترنت لا سيما في تلك الشبكة دلائل على:

١- انعدام التقوى والحس الإيماني بل والشعور الوطني عند المالك.

٢- انعدام الشعور بالمسؤولية، وإضاعة الأمانة بالنسبة لمن يملك إيقاف دمارها أو تخفيف شرها، مع الحزم وعدم التساهل حين يتعلق الأمر بمخالفة الرأي السياسي!!

فهذه الشبكة خططت لتكون الشبكة الإعلامية الأكبر أو الوحيدة على مستوى المنطقة عامة والمملكة خاصة، وبتأثيرها ربما مع الغير، ألغت الجهات المسؤولة نظام الكيبل رغم ميزاته، فالشبكة تعتمد على نظام الترميز "التشفير"، وهي حسب مصادرها تستحوذ على ٤٠٠,٠٠٠ نقطة مشاهدة ويقوم نظام البث فيها على أسلوب واحد وهو إعادة بث قنوات أمريكية

بالكامل! مع الحرص على عدم المساس بالمحتوى، وعدم التعرض له، إلا في نطاق محدود جدا فيما لا يمكن التغاضي عنه، نظرًا لحساسية المنطقة وخصوصا السعودية كأكبر سوق مستهدف، حسب تصريح أحد مسئوليها وسنرى تفسيره عما قليل.

والقنوات التي تبثها الشبكة كثيرة منها:

١. ثلاث قنوات أفلام.
٢. قناة مسلسلات.
٣. قناة هوليود الفنية.
٤. قناتان رياضيتان.
٥. قناة أطفال.
٦. قناتان للأخبار.
٧. قناة للفكاهة.
٨. قناة عروض أزياء.

كما أنها تبث قناة وستار البريطانية وتشمل:

٩. قناة أفلام
١٠. قناة مسلسلات
١١. قناتان للأخبار.
١٢. قناة عامة.

وكذلك قنوات عربية معادة البث وهي:

١٣. تونس.
١٤. المغرب.
١٥. الأردن.

وهناك قنوات عربية خاصة بالشبكة منها:-

١٦. قناة أوربت الأولى.
١٧. قناة أوربت الثانية.

هذه جوانب من الإمبراطورية، وهذه الإمبراطورية استطاع أن يؤسسها أفراد من هذه البلاد على مستوى عالمي، فكيف تعجز الحكومة عن تطوير القناتين المسميتين صحفيا (غصب ١، وغصب ٢).

أما المضمون الذي تبثه هذه القنوات المتعددة فلا رقابة للحكومة عليه باستثناء الحالات السيادية كما يقال.

كل هذا عن القنوات، أما المضمون فننقله من دراسة أجراها أحد المهتمين بالشأن الإعلامي وهذا نص ما كتب: ((تم متابعة أغلب قنوات "أوربت" في أوقات مختلفة، وتم تسجيل العديد من البرامج بأسلوب الانتقاء العشوائي، سواء في القناة أو البرنامج أو الوقت دون تقصد لفترة معينة أو قناة محدودة.

وكانت النتيجة مذهلة، لأن مشاهدة الشيء ومتابعته تختلف عن التصور السابق، خصوصا إذا كانت المتابعة دقيقة سواء للمحتوى أو الفكرة أو المشاهد أو العبارات والتي سوف نلخصها أسفل.

لقد وجد الكثير مما يندى له جبين المسلم، فضلا عن أهل الصلاح والدعوة والخير، والأدهى أن هذه البرامج مقصود بها المنطقة العربية والسعودية ودول الخليج على وجه الخصوص.

أبرز النتائج:

١. ممارسة الفاحشة بالكامل (الجنس) ومقدماته علنا أمام المشاهد.
٢. مقدمات جنسية فاضحة وحركات وكلمات مثيرة للرغبة الجنسية.
٣. صور عارية للنساء في صالات رقص.
٤. عبارات جنسية فاضحة جدا على لسان الأب والأم والصغير والكبير (fuck).
٥. عرض فاحشة اللواط وبطريقة مثيرة وعرض الشباب عراة من الخلف بدون ملابس.
٦. الضم والعناق والقبلات الساخنة.

٧.الملابس الفاضحة والمثيرة للكثير من النساء بعضها قصير جدا وبعضها ممزق.

٨.العبارات الغزلية الكثيرة جدا ذات المغزى الجنسي.

٩.الحركات المثيرة والتغنج من قبل النساء.

١٠.الأغاني الساقطة وأيضا المثيرة في كثير من الأحيان.

١١.تناول الخمور -بأنواعها- وبأساليب الشرب المختلفة في المترل والخمارات في كل مكان.

١٢.الكذب والخداع والألفاظ السيئة.

١٣.الصلبان في كثير من المظاهر، وبأنواعها المختلفة، فضلا عن الذهاب للكنائس وتقديس العقيدة النصرانية.

١٤.تبييض صورة المنصِّرين (المبشرين) وبيان جهودهم الطيبة تجاه الشعوب الفقيرة والضعيفة (أفريقيا) واستدرار العطف تجاه القسس والراهبات.

١٥.تأصيل مفهوم الصداقة بين الرجل والمرأة والعلاقات المحرمة خارج دائرة الأسرة.

١٦.تأكيد مفهوم اللذة والمتعة كغرض أساسي وهدف للحياة.

١٧.تشجيع ظاهرة الشذوذ الجنسي وتأكيد مشروعيتها.

١٨.تعزيز صورة الفنان كقدوة مثلى في المجتمع.

١٩.تقديم الشباب ذوي التقليعات الغربية المنحرفة، سواء في اللباس أو الشعر أو الزينة.

٢٠.محاربة الأديان عن طريق تقديم نماذج من العقائد المنحرفة، كجزء من سيناريو الفلم دون نقد أو اعتراض.

٢١.الاستهزاء بالمسلمين والعرب في لباسهم وشخصياتهم ودينهم حتى من خلال أفلام الكرتون للأطفال.

٢٢. في قنوات أوربت العربية (الثانية) استضافة عتاة العلمانية في العالم العربي، الذين لا يتوانون عن رفض الشرع، وإطلاق العبارات الكفرية الصريحة، أما الكلام عن عدم صلاحية الشريعة لزماننا فهذا متكرر على لسانهم، إضافة إلى عروض كتب لبعض المنحرفين (نجيب محفوظ، زكي نجيب محمود)، والتي فيها مساس بذات الله.

ملاحظة: الاستقصاء في هذا الأمر صعب جدا، وما قدم يمثل نماذج من خيارات عشوائية ومن مواد هذه الشبكة. اهـ كلامه.

هذا هو النموذج "الوطني"، وله شقيقات عربية قنوات عربية هي شبكة "إي.آر.تي"، التي يملكها أحد التجار وأحد الأمراء، وكذلك شبكة "الروتانا" و"الإم بي سي" وغيرها.

ولسنا نرى أية صعوبة في إصلاح هذا القطاع (الثقافة والإعلام)، ليوافق قواعد الشريعة المطهرة وأحكامها:

فالشريعة المطهرة تقوم على ثلاثة أسس:

١. الأمر بالمعروف: المقتضي إتاحة الخير ما أمكن.

٢. النهي عن المنكر: المقتضى منع الشر ما أمكن وترك اتباع الشهوات.

٣. إحسان الظن بالمواطنين: وأنهم يريدون الشيء النافع والجاد، وأكبر دليل على ذلك أن متابعتهم لقناة الجزيرة تأتي في المرتبة الأولى حسب استبانات عدة وهي -على ما فيها- قناة إخبارية ثقافية تخلو من المسلسلات والأغاني، فإذا أتيح الخير ومنع الشر حصل الإعلام الناجح والمفيد، الذي لا يقتصر أثره النافع على هذا البلد وحده، بل يجب أن يعم الأرض كلها ليشمل دعوة الناس إلى الله في كل بلد بلغته وتعليم المسلمين كافةً أمورَ دينهم.

وهذا هو دور الإعلام وعلى الخصوص ما يبث من هذه البلاد التي تحظى وتبوء بالمكانة المقدسة في نفوس أهل الأرض، فهم لا يرونها إلا جزيرة

الإسلام، ونحن بلد ذو رسالة عالمية، ولا يصح لنا بحال أن نغتنم ذلك ماديا، كما في استغلال الحج والعمرة للسياحة وزيادة الدخل، أو سياسيا كما في استغلال الجماعات الإسلامية لتأييد مواقفنا السياسية، دون أن نقوم بواجبنا الحقيقي وهو حمل عبء الدعوة. وتحقيق هذه الأهداف الكبرى ليس مما يعجزنا ولا مما يستغرب منا.

وكل ما نحتاج إليه هو قرار قوي وإرادة صادقة للإصلاح على محورين:

١. تطوير الأجهزة الإعلامية الثقافية وتسخيرها لخدمة الحق والفضيلة ونشر الوعي الديني والاقتصادي والصحي والأمني، وكل ما من شأنه إفادة المتلقي في دنياه وآخرته مما هو أوضح من أن نطيل فيه، وذلك مقتضى عقيدتنا الإيمانية وعقدنا الاجتماعي، وسياستنا الإعلامية المعلنة.

٢. انتهاج منهج الخلفاء الراشدين والملوك العادلين في الجانب الوقائي، وهو صيانة الأمة وحفظ حوزة الدين من المفسدين كافة، وتسخير معطيات الحضارة لهذا، وقد قص الله تعالى في كتابة قصة المشروع الحضاري الجبار الذي أقامه الملك العادل ذو القرنين لحماية أمة نائية، استنجدت به على أمة من المفسدين، ليجعل بينهم وبينها سدًا، فجعل بينهما ردما محكما حصينا، وهذا مثال وقدوة لكل وال عادل لاسيما من ولاه الله أمر هذه الجزيرة الطاهرة، التي هي حمى الإسلام وبيضة الدين وحصن الأصالة والفضيلة، بأن يؤسس حمايتها على المنهج النبوي الصريح (لا يجتمع في جزيرة العرب دينان)، ويطهرها من اليهود والنصارى والمجوس وعبدة الأبقار والأحجار والسحرة والمشعوذين، وكذلك إخوانهم العلمانيين والملحدين والمفسدين في الأرض وأهل البدع الضالين، وليجعل ردما على الفضائيات والمطبوعات وكل وسائل المعلومات الفاسدة المفسدة، التي تأكل الأخضر واليابس وتفتك بأقوى أركان الأمة: عقيدتها وأخلاقها وشبابها.

إن الملك العادل ذا القرنين بنى الردم لأمة تعوزها خصائص الأمة المؤمنة حقا فهم ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ [الكهف:٩٣]، ومع ذلك غير داخلين في حكمه

ولا هو مسؤول عنهم يوم القيامة، فكيف بمن ولاه الله هذه الأمة المتميزة في خصائصها وقيمها وهو مسؤول عنها يوم القيامة فردا فردا! ألا تجب المبادرة والإسراع في كل ما يحفظ لها إيمانها وأصالتها وتميزها، ويصد عنها كيد المفسدين أيا كانوا؟!

بل إن الضرورة القصوى تقتضي بناء ردم شامل بين الأمة المصطفاة المجتباة، وبين كل ما تفرزه الحضارة الغربية من ضلالات وموبقات بأسماء خداعة، كنشر الفواحش والمنكرات الإباحية باسم الحرية الشخصية، وتشريع الربا والجشع والاحتكار والتطفيف والغش، باسم الاقتصاد الحر -أو اقتصاد السوق- ونقض عقيدة الولاء والبراء واستعلاء المؤمنين باسم العولمة والانفتاح، والسماح لأهل البدع والأهواء والمنصِّرين والملحدين بإفساد عقيدة الأمة باسم حرية الفكر أو ديمقراطيته، وما أشبه ذلك من الأسماء، فإذا تحققت الإرادة وصدقت العزيمة، فالمؤهلون لتنفيذ ذلك والمتخصصون فيه كثير ولله الحمد، لا يعوزهم المنهج ولا وضوح الرؤية ولا سمو الهدف، وإنما يعوزهم التفويض للعمل والإذن بالبدء، ومنع المعوقات في سبل الإصلاح.

انفلات الأمن وانحلال القيم

بعد أن كانت المملكة معدودة ضمن الدول الأكثر أمنا في العالم (في الجانب الاجتماعي لا السياسي)، تدهورت الأوضاع بشكل مخيف، حتى أصبحت في السنوات الأخيرة في صدارة الدول الأكثر ارتفاعا في معدلات الجريمة بأنواعها، حسب الإحصاءات الرسمية، والمشكلة مضاعفة نفسيا، إذ أن الشعور العام لدى المواطنين والمقيمين أن الأرقام الرسمية لا تعطي المؤشر الحقيقي لانهيار الأمن، وبعض هذا الشعور يستند لأسباب واقعية، مثل حرص المجتمع عموما على الستر، وعدم التبليغ عن كثير من الجرائم، وحرص السلطات على التهوين أو التقليل من شأن التدهور الأمني مع الحرية المحدودة للصحف في ذلك...الخ. وبعضه الآخر يرجع إلى الإشاعات التي تقوم على المبالغة والتلفيق، ومن الملاحظ جليا أن ارتفاع معدل الجريمة يتناسب طرديا مع التضييق على الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من جهة، وفتح نوافذ الفساد والانحراف من جهة أخرى، وقد كانت أول طفرة ظاهرة في زيادة الإجرام مصاحبة لكبت الدعوة الذي أعقب حادثة الحرم المكي مطلع سنة ١٤٠٠هـ، واستمر مطبقا قرابة سبع سنوات عجاف، وصحب ذلك فتح الباب على مصراعيه لأسباب الفساد كالسفر لمباءات الفجور والرذيلة، وابتعاث عشرات الألوف من الجنسين إلى الغرب، وانتشار الإعلام المدمر للخلُق (محلات الفيديو والغناء والمجلات الخليعة)، وانحراف الصحافة وسائر منافذ الثقافة وسقوطها في وحل الحداثة والانحلال.

ثم كان التردي السريع والمريع، بعد التضييق أو الكبت الثاني للدعوة ابتداء من سنة ١٤١٤هـ، وقد صاحب ذلك أيضا انفتاح هائل على الفساد واجتياح مدمر لوسائله وأبرزها الفضائيات والإنترنت والسياحة، وقد تضاعفت الأزمة بالتدهور الاقتصادي الذي نتج عنه الديون الضخمة والتكاليف الباهضة، التي تحملتها الدولة لمساندة الحلفاء الغربيين على العراق،

ثم انخفاض أسعار النفط سنة ١٤١٧/١٤١٨هـ إلى أسوأ معدلاتها، مما أضاف إلى سوء التخطيط وقلة الترشيد أسبابا كبرى للبطالة وانحراف الشباب، لاسيما حينما وصدت أبواب الجامعات في وجههم، وتضاعفت أعداد العاطلين والعالة منهم، حتى وصلت في الرياض وحدها ٣٠٠,٠٠٠ شاب سنة ١٤٢٠هـ، بل إن أكثر من جهة مراقبة قد قدرت نسبة البطالة بما يزيد على ١٤% أي ما يزيد حاليا على ثلاثة ملايين عاطل من الجنسين كلهم في عنفوان المراهقة وفورة الشباب!!

وفي التقرير (الأمني؟؟؟) كما في دراسة مجلس القوى العاملة تورد البطالة على أنها سبب كبير للسلوك الإجراميّ [قطوف رمضان ص٥٨] فوق أنها مشكلة اقتصادية، أي أن فقد المال ينتج فقد الأمن، الذي تعود آثاره المباشرة على المحتكرين للمال والوظائف.

هذا عدا العمالة الأجنبية التي تصل نسبتها في المدن الكبرى رسمياً إلى ٤٠% وهم في الواقع أكثر من ذلك، وكثير منهم غير مسلم أو مسلم اسما، وهم في أي بلد في العالم مظنة الإجرام بكل أنواعه، لاسيما وهنا خليط من أديان وبيئات ثقافية متناثرة، ويجمعهم الإحساس بالغبن والقهر من صاحب العمل السعودي خاصة والمجتمع عامة.

وقد أدى ضعف وارتباك الخطط والإجراءات الأمنية من جهة، وقلة وعي المواطنين أو إهمالهم من جهة أخرى إلى إتاحة أكبر فرصة للعابثين والمفسدين، من قُطَّاع الطرق ومروجي المخدرات والمهربين والمختطفين والمغتصبين ومسوقي الرذيلة والفاحشة، حتى أصبحت بمثابة كارثة تتفاقم باستمرار ولم يقتصر حجم الكارثة على زيادة الجرائم وانتشار دواعيها، بل برز لها وجه قبيح كالح، وهو غرابة أنواعها وشذوذها لا بالنسبة لهذا المجتمع المسلم بل بالمقاييس العالمية عامة ومن ذلك:

١. ظهور ما يسمى الجنس الثالث، واستباحة الفاحشة الشاذة بينهم بفظاعة منكرة حتى آل الأمر إلى عقود زواج وطلاق بين الجنس الواحد!.

٢. تفاقم جريمة الاعتداء على المحارم بالفاحشة إلى حد غير مقبول ولا معقول، وأصبح كل من يسافر ومعه عائلته لا بد أن يصطحب سلاحاً.

٣. ظاهرة قتل الوالدين أو الأولاد أو الأزواج، بطرق في غاية الفظاظة والغرابة كالإحراق، وصب المواد الكاوية المذيبة، وتقطيع الأوصال ورميها في القمامة... ونحو ذلك، والأنكى أن هذه الشنائع ترتكب لأتفه الأسباب، أو للتمهيد لارتكاب الفواحش وغيرها من الجرائم كتعاطي المحرّمات، وذلك عن عمد وإصرار، فضلا عما يرتكب نتيجة مباشرة لتعاطي المسكرات، والمخدرات.

٤. الانتحار: هذه الجريمة النكراء لم تكن معروفة في مجتمعنا كظاهرة، ولكن نسبتها تضاعفت في بضع سنوات بما يعدل ٤٠٠٠% رسمياً، وهو رقم مذهل، ودلالة ذلك أعمق وأكبر من أن تستوعبها الإشارات المجملة هنا، فهل هناك سبب واحد لهذا أم أسباب؟!! وإن قيل السبب هو الضائقة الاقتصادية كما يشاع في الصحف فلماذا لم يحدث هذا قبل خمسين سنة يوم كنا من أفقر الشعوب في الأرض إن لم نكن أفقرها؟! وإن قيل ضعف الإيمان -وهو لا يتعارض مع الأول- فالسؤال لماذا ضعف إيماننا إلى هذه الدرجة؟! ولماذا إذن نزكي أنفسنا حين نقارنها ببقية الشعوب الإسلامية، بل إن هذه النسبة المخيفة لم يشهدها أي بلد غير إسلامي فيما قرأنا من دراسات وبيانات!! وإذا كان الناس قد انتقلوا هذه النقلة البعيدة في قتل الذات، فما المانع أن يكون كثير من الناس متهيئين بمثل ذلك لقتل المجتمع وتحطيم كل الحواجز فيه؟ ألا ينبهنا هذا إلى ضرورة الإصلاح الاجتماعي الذي لا وسيلة له أبدا إلا فتح أبواب الدعوة ومجالاتها، وتسخير الإعلام لنشر الوعي الإيماني والإرشاد السليم، ونبذ دواعي الإجرام من أفلام ومسلسلات وأغاني ومقابلات، وسد الباب في وجه الإفساد الفكري والخلقي الغربي بكل أنواعه، ومع ذلك ضرورة التوزيع العادل للثروة، وفسح المجال للعمل الخيري بلا أي قيد رسمي، وحث الناس على الإحسان والبر وضرورة أخرى هي

الإسراع برفع الظلم والمعاناة والقهر عن المواطنين والمقيمين، لكي لا يلجئوا إلى هذا المخرج المحرَّم، وإتاحة كل السبل للحياة الكريمة والتقاضي النزيه، وحظر كل ما يمنع وصول الحقوق إلى أهلها.

وأخيرا دراسة الحالات كل على حدة للوصول إلى النتائج، ورفعها للمسؤولين بكل صراحة وصدق.

٥. ظاهرة هروب الفتيات إلى دول أو مدن ومناطق بعيدة، ورفض العودة من الخارج بصحبة الأهل!

٦. ظاهرة الجرأة والصفاقة في ارتكاب أكثر الجرائم إثارة وأشدها حساسية، وهي الاعتداء المباشر -وبالسلاح أحيانا- على النساء بصحبة محارمهن داخل المدن في وضح النهار، وعلى مرأى ومسمع من رجال الأمن وجمهور الناس، ليس ذلك في حق المشاة وحسب بل -يحدث اقتحام السيارات أو الأماكن العائلية وعنوة، وارتكاب تلك الأعمال الشائنة المخزية، وأصبح مما يشبه المألوف ملاحقة سيارات نقل الطالبات وغيرهن، جهارا بلا أي وازع، مما يثير باستمرار استنكار وضجة في المجتمع والصحافة، وحين كتب بعض الكتاب واصفا هذه الظاهرة الغريبة على مجتمعنا بأنها مستوردة من الغرب رد عليهم آخرون ومنهم أستاذ جامعي مرموق بأن هذه الظاهرة لا وجود لها في الغرب!! وصدق، إذ كيف توجد هذه الظاهرة في أمريكا وعقوبة التحرش الجنسي هناك السجن خمس سنوات عدا تكاليف المحاماة وغيرها... بينما هو في اللوائح السعودية من الجرائم البسيطة، التي لا تزيد عقوبتها على ١٥ يوما، وأكثر الحالات لا يزيد الأمر عن أخذ التعهد بعدم العودة، خاصة بعد تكبيل الحسبة، بل إن أقسام الشرطة كثيرا ما تحول جريمة ارتكاب الفاحشة إلى مجرد خلوة وتحرش "معاكسة" لاسيما إذا كانت المجني عليها خادمة أو مستضعفة!!

وقد وصل الحال من السوء والتردي، إلى حد أن أحد رؤساء الهيئات المخلصين في إحدى المدن الكبرى صارح الرئاسة العامة وإمارة المنطقة بأنه

لن يتابع أي قضية من قضايا الاختلاء والمعاكسة، وعلّل ذلك بأنه مادامت اللوائح والإجراءات بهذا الشكل فإن قيامه بمتابعة الحالات وتسليمها للشرطة هو بمثابة "قيادة" بين البغايا والفساق من رجال الأمن!! وقد أقيل ذلك الرئيس وبقيت اللوائح على حالها وازدادت الإجراءات سوءا وضعفا.

ومما يجدر ذكره هنا وهو مما يكشف أسباب الانهيار والدمار، أن اللائحة المشار إليها "لائحة الاستيقاف" تجعل "ترك الصلاة" من المخالفات البسيطة!!

وهو ما يشير إلى أن انحراف المنهج في التعامل مع المسألة الأمنية، من العبودية لله تعالى بإقامة حدوده ودفع أسباب غضبه وانتقامه، إلى مجرد الضبط الاجتماعي الذي تنتهجه سائر الدول ومختلف الملل!!

٧. تصرفات غير مألوفة كتوابع لانتشار الجريمة والشعور بفقد الأمن (تمتلئ بها الصحف والمنتديات)، مثل إعداد كمية من الحجارة والمقذوفات لدى عمال محطات الوقود لملاحقة من يهرب دون دفع الثمن، وتخصيص حراسة أمنية خاصة في المطاعم لمن يأكل ولا يدفع، وحرص أصحاب سيارات الأجرة على التأكيد بأنهم لا يحملون إلا القليل من النقد قبل ركوب الزبون، واستصحاب بعض الزملاء أو الأقارب عند سحب أي مبلغ من البنوك ليسير خلف الساحب حتى يبلغ مأمنه، بل إن ذلك الاحتياط يُتخذ في طوابير الكهرباء أو البلدية وغيرها.

أما من يسمونهم (الأجانب المتخلفين) حتى وهم في مكة أو المدينة فترتكب بحقهم شنائع أبكت عيون وقلوب كثير ممن يعرفهم من المواطنين فضلا عن المقيمين، سواء في البيت حين التفتيش والنهب، أو في السيارة أو في السجون الضيقة، التي يحشر فيها الألوف ويفرق بين المرء وزوجه، والأم وابنها، ويموت كثير منهم من الإجهاد النفسي والبدني ويحدث ما يعجز القلم عن وصفه، وأسوأ من هذا كله أن بعض العسكر وغيرهم يسب الدين ويمدح الكفار، ويعزم على الهجرة إلى بلادهم، وخاصة حين حدث في أواخر

إحدى الحملات أن وزير الداخلية في هولاندا استقال بسبب وفاة امرأة مسلمة نيجيرية أثناء حملة ترحيل الأجانب هناك، بل طالبت المعارضة باستقالة الحكومة كلها احتجاجا على هذا الإهمال والمعاملة غير الإنسانية، وقد أدى سوء التعامل معهم إلى مشكلات مضاعفة منها:

١- قيام عصابات من غير رجال الأمن أو بالتنسيق مع بعضهم بارتكاب أعمال النهب والسطو.

٢- احتياط أولئك المرحلين وتجمع بعضهم للدفاع عن أنفسهم، مما أحدث معارك في بعض الأحياء.

ومن أهم أسباب انتشار الجريمة فقد التعاون بين المواطنين ورجال الأمن، بل إن المواطنين يستوحشون من رجال الأمن ويرتابون من تصرفاتهم، سواء في أعمال الدورية أو التحقيق، ومن يستدعيهم فللضرورة، ومع الاحتياط الشديد على عرضه وماله، ويأتي على رأس الشنائع التي ارتكبها المنتسبون على الأمن حقيقة أو انتحالا ارتكاب الفواحش وهتك الأعراض والسطو على المنازل ونهب الأموال من نقود وحلي في أقدس بقعة على وجه الأرض، وهي حرم الله الذي جعله مثابة للناس وأمنا، وذلك باسم القبض على المتخلفين، وقد وقع في البلد الحرام قصص مأساوية في غاية الفظاعة، بعضها وصل إلى المسؤولين وبعضها لم يصل، وهي بحق نوع من الإجرام المنظّم المتستر بالأعمال الأمنية، ومن الأمثلة المتواترة على ذلك أن تنقسم فرقة التفتيش مجموعتين، تقتحم إحداهما المساكن بكل فظاظة وترويع، فتجد أهل البيت المرعوبين واقفين في أيديهم تصاريح الإقامة، فتأخذها منهم وتخرج واعدة إياهم بإرجاعها بعد قليل، حين يتأكد الضابط الذي في السيارة من صحتها، ثم تقتحم المجموعة الأخرى المترل وتطلب من الساكنين إبراز التصاريح فيقولون قد أعطيناها زملاءكم قبل قليل، فترفض المجموعة هذا مهما حلفوا وتحشرهم بالقوة في السيارات.

٣- ارتفاع عدد السوابق المسجلة على كثير من المجرمين إلى رقم غير معقول مطلقا، فقد أصبحت الزيادة على ١٠ سوابق أمرا شبه عادي، ووصل البعض إلى ٢٥ سابقة، والإشاعات في الصحف وغيرها تتحدث عن أناس سجلوا ٧٠ سابقة على مدى ٣٠ سنة!! (وخاصة في السرقة وتعاطي المسكر والمخدر).

٩- ظاهرة انحراف نزلاء السجون من الجنسين بصورة شنيعة، حتى أصبح من المعتاد أن يدخل التريل بسبب ارتكاب مخالفة أو جريمة عارضة، ويخرج وهو مجرم محترف في أنواع شتى من الإجرام، وتعالت الأصوات في الصحافة وغيرها بالتقليل قدر الإمكان من العقوبة بالسجن لهذا السبب، ولسبب آخر هو ضيقها عن استيعاب أعدادهم الكبيرة، بل صدرت أوامر رسمية بذلك مما جعل رجال الدوريات الأمنية وغيرهم لا يحرصون على متابعة المجرم، لما في ذلك من مخاطرة دون نتيجة تذكر من العقوبة!! فقد تعودوا على أن مصيره سيكون الإطلاق!

وأخيرا: وفي مجال التفلت الأمني ندع لغة الأرقام هي التي تتكلم، فهي التي لا يتهمها أحد بالكذب، وإنما تنقل الوقائع كما هي، فالقضايا المنظورة في محكمة التمييز مثلا ارتفعت من (٨٧٤٦) في عام ١٤١٠هـــ إلى (٢١٧٥٤) في عام ١٤١٩هــــ، فنسبة التغير بين العامين بلغت ٢٤٩%.

وفي محاكم منطقة الرياض ارتفعت القضايا الجنائية المنظورة المتعلقة بالفاحشة من (٤١٧) في عام ١٤٠٩هـــ إلى (١١١٧) في عام ١٤١٩هـــ حسب إحصائية وزارة العدل، مع العلم أن هناك قضايا أصبحت لا تحال للمحاكم الشرعية، فقضايا المعاكسات والاختلاءات تحال للجنة في الإمارات تحكم فيها، ولا تحال للمحاكم، وقد بدأ العمل بها منذ عام ١٤١٥هــــ، باقتراح من أمارة منطقة الرياض، وتأييد من وزارة الداخلية، وكذلك قضايا السكر المقبوض عليها من قبل الدوريات الأمنية، فإن أصحاب هذه القضايا يحتجزون حتى يذهب عنهم أثر السكر ثم يطلق سراحهم، وفي مجال

المخدرات فإن حيازة أقل من عشر حبات مخدرة ليس عليها عقوبة، وجاء في التقرير الخاص بالكتاب الإحصائي من إدارة التخطيط والإحصاء، الإدارة العامة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية لعام ١٤١٩هـ، أن عدد المتهمين في قضايا الخمور والمخدرات عام ١٤١٨هـ بلغت ١٠٤٦٥، وأن هذا العدد زاد خلال عام واحد فقط ٣٣٧٣، حيث بلغ عدد المتهمين في هذه القضايا عام ١٤١٩هـ ١٣٨٣٨، كان نسبة المروجين منهم ٣٥%، وبلغت نسبة العاطلين من هؤلاء ٦٧,٦% أي أن ٩٣٥٤ كانوا عاطلين بدون عمل، وفي إحصائية هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفي القضايا الأخلاقية بلغت نسبة التغير من عام ١٤١١هـ إلى عام ١٤١٩هـ ٦٣٧%، وهي نسبة كبيرة جدا، حيث بلغت هذه القضايا الأخلاقية عام ١٤١١هـ ٥٣٦٦ وارتفعت عام ١٤١٩هـ إلى ٣٤١٦٩، رغم التقييد الذي حصل للهيئات وتقليص الصلاحيات، إضافة إلى ضعف الإمكانيات البشرية والمادية لهذه الجهاز، وكشفت هذه الإحصائية للهيئة أيضا خطر المجرمين الوافدين إلى البلاد، حيث بلغ عدد المضبوطين في الهيئات سواء في القضايا المحالة إلى جهات أخرى، أو تلك المخالفات التي أنهيت داخل مراكز الهيئة ٢٣٠٨٤٨ في عام ١٤٢٠هـ، بينما بلغ عدد السعوديين المضبوطين في نفس المخالفات ونفس الفترة ٨٨٤٥٤، ثم حدث للهيئات تضييق أشد.

التعليم والشباب

ربما كان التعليم -ومثله الدفاع - أوضح مثال على أن شيئا ضروريا غاب فغاب كل شيء، فبالمعايير العادية لأي دولة لا يمكن اتهام هذا البلد بالتخلف والإهمال في قطاع التعليم، بل إن دواعي الفخر -ظاهرا- كثيرة (تنوع المجالات، حداثة الوسائل والتجهيزات، تضاعف الأعداد)، أما الأموال المنفقة على التعليم فهي من الكثرة بحيث تشبه الأرقام الفلكية، ولو أن لغة الأرقام تدل وحدها -كما يقولون- لكان مستوى التعليم في المملكة أعلى مستوى في التاريخ العالمي كله!! (مع الأخذ في الاعتبار النقص المتزايد في الاحتياجات في السنوات الأخيرة)، وسنعرض له لاحقا، فإن مقارنة عابرة بين مرحلتي ما قبل التحديث وما بعده تكشف لنا عن وجه الحقيقة:

كان التعليم قبل التحديث في غاية البساطة، مدرس واحد غالبا لكل أبناء القرية أو الحي، ومنهج محدد (القاعدة البغدادية، مبادئ الحساب، الأصول الثلاثة، متن في الفقه، الأجرومية)، والدراسة لا تمنع من المشاركة في الحياة الاجتماعية، والغاية اكتساب العلم وليس الحصول على الشهادة، وفرص التميز متاحة، فالطالب المتفوق يصبح تلقائيا معيدا أو مستمعا ثم مدرسا ويتخرج في الوقت الذي يتأهل فيه ولو كان زمنا يسيرا، والمتخرج يقوم بأعباء اجتماعية تناط الآن بأجهزة حكومية كثيرة، فهو بمنزلة القاضي والإمام وكاتب العدل والمدرس والواعظ والمحتسب والمأذون والمصلح بين الناس، وغالبا ما يكون له أيضا إسهام طبي بالعلاج بالقرآن والأعشاب، وهو فوق ذلك قدوة في الأخلاق ومفخرة للقبيلة أو القرية أو البلدة.

ولو أتيح له فرصة الهجرة والرحلة في طلب العلم لبلاد أخرى أو لمدن الكبرى، لكان عالما على مستوى البلد كله!!

كل هذه الإنجازات تتحقق بلا أي عبء على الدولة أو المجتمع، فالمبنى هو المسجد أو وقف خيري، والمدرس إن لم يدرس احتسابا، أو يعتمد على

مزرعته أو ماشيته، فعلى الكفاف يعيش، والوسائل التعليمية بدائية ذاتية.

ثم جاء التحديث فقامت في معظم القرى فضلا عن المدن، تلك المباني الكبيرة المجهزة بالملاعب والمعامل، واستقدمت الخبرات العربية المتخصصة، وطبقت الطريقة الحديثة في الإدارة والمناهج والمراحل وأتيحت وسائل النقل وإعانة المغتربين، وأنشئت الجامعات الحديثة، وتبعتها البعثات الخارجية مما جعل هذا القطاع يستهلك ربع الميزانية..

وكانت كل الأمور مهيأة لتبشر بالخير، ولكن النتائج ظلت تتضاءل باستمرار وظل الأمر يستدعي إعادة النظر دوريا في الخطط التعليمية باستمرار، ويستعان بالخبرات الأجنبية، ولكن الأمر يزداد سوءا فيكون الحل هو مزيد من التبسيط والتيسير في المادة التعليمية وفي الامتحانات، بحيث فهم الجميع أن المسألة "تنجيح" وتسريع للحصول على الورقة المسماة "شهادة"، ثم تحول الأمر إلى سياسة "تدليل" بقوة القانون، وسقطت قيمة العلم والمعلِّم وقلّت نسبة الأمية كمّاً وازدادت نوعا، والأسرة تتحمل الأعباء الباهظة لكي يجتاز الابن أو البنت هذه المراحل الطويلة التي لا ثمرة لها غالبا في النهاية، والمجتمع يخسر طاقات عمل هائلة لكي يتفرغ الشباب للدراسة، والحصيلة تافهة يعرف حقيقتها من شارك في لجان القبول بالجامعة؛ بل كل بيت يعرفها، فإن الشاب الذي أمضى من العمر ١٨-٢٠ سنة لكي يحمل الشهادة الثانوية لا يحسن كتابة الجمل البسيطة، ولا يعرف من الحساب مثل معرفة أبيه التاجر الأمي، ولا يحفظ من قصار السور ما يحفظه طلاب حلقات التحفيظ في المرحلة التمهيدية، ومن شذ عن ذلك فلأسباب أخرى، مثل: إخلاص من بعض المعلمين، الذين لا ينتظرون لأجل عملهم جزاء ولا شكورا، ورعاية متميزة من الأسر بتوجيه خاص، وإلحاق الصغار بحلقات التحفيظ والمعاهد المتخصصة، ونشاطات غير منهجية في مراكز دعوية خيرية.. وليت الأمر وقف عند الخسارة المفجعة في التحصيل العلمي لكنه تعدى إلى ما لم يكن يخطر ببال أحد من قبل.

لقد تحول الطالب -إلا من رحم الله- نتيجة استبعاد الهدي النبوي في التربية، ودخول جحر الضب الأمريكي، إلى لص محترف ومخاصم شرس وعابث لا يقيم وزنا لقيمة، ومنتقم يدمر كل شيء.. وفي النهاية أصبح يجتهد في تدمير نفسه بالألعاب وبالمخدرات وبالانتحار المباشر، وأصبحت المأساة مفزعة مدمرة يشكو منها كل بيت ومدرسة وشارع إلا ما ندر.

ويجب التنبيه هنا إلى أننا لا نحمِّل الجهات التعليمية كل شيء، فالمسؤولية عامة ولكننا نتحدث عنها باعتبارها المحضن الأصل والأوسع للشباب، ولا شك أن الانهيار الأخلاقي والانفلات الأمني الذي تعيشه البلاد يرجعان إلى أسباب كثيرة، لكن محورها هو فساد التربية بمفهومها الأعم في البيت والمدرسة والإعلام!.

وهنا نعرض بعض الثمار المرة التي أنتجتها السياسة التربوية المنبثقة من المنهج الذي جعل شعاره "مجتمع الرفاه" و"اقتصاد السوق" وليس "مجتمع الإيمان" و"اقتصاد التكافل والقناعة"!!

الكلام عن أهمية العنصر البشري:

في دراسة كبيرة أجريت لتقييم أداء مستشفيات الأمل الثلاثة عن طريق مركز مكافحة الجريمة بوزارة الداخلية بإشراف الدكتور/ حمد المرزوقي مع خبير من المجلس الدولي لدراسات الكحول والإدمان ١٤١٩هـ /١٩٩٩م وشملت الدراسة النزلاء والمعالجين، ظهر أن توزيع عينة هؤلاء حسب العمر كالآتي:

العمر	النسبة
٢٠-٤٠ سنة أقل من ٣٠ سنة	٨٨% من النزلاء ٦٠% من النزلاء

١- وجاء في التقرير الخاص بالكتاب الإحصائي من إدارة التخطيط والإحصاء بالإدارة العامة للتطوير الإداري بوزارة الداخلية لعام ١٤١٩هـ/١٩٩٩م ما يلي:

البيان	الكمية
عدد المتهمين في قضايا الخمور والمخدرات لعام ١٤١٨هـ	١٠٤٦٥
عدد المتهمين في قضايا الخمور والمخدرات لعام ١٤١٩هـ	١٣٨٣٨
عدد الزيادة السنوية من عام ١٤١٨هـ إلى عام ١٤١٩هـ	٣٣٧٣
نسبة المستعملين في إحصائية عام ١٤١٩هـ	%٦٥
نسبة المروجين في إحصائية ١٤١٩هـ	%٣٥
نسبة المهربين في إحصائية ١٤١٩هـ	%١٠
عدد العاطلين منهم في عام ١٤١٩هـ	٩٣٥٤
نسبة العاطلين إلى المجموع في عام ١٤١٩هـ	%٦٧,٦

٢- وجاء في مجلة "طب وصحة المجتمع" البريطانية، والصادرة في الشهر السادس ١٩٩٩م مقال للدكتور/ وليد ملعاط، عن الصحة في السعودية ما يلي:

نسبة التدخين تصل إلى ٣٧% في الذكور من طلاب الجامعات، وإلى ١٢% في البنات من طالبات، وفي البالغين تتراوح النسبة من ٤٠% إلى ٤٥%.

٣- عن مشكلة التدخين وظاهرة المخدرات بين طلاب وطالبات المدارس الثانوية والجامعة بمحافظة جدة، مع دراسة العوامل الاجتماعية

والسكانية والمشاكل الصحية لمدمني المخدرات نشر مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة لعام ١٤٢١هـ:

٤- في دراسة أجريت على عينة كبيرة (٤٩٠٧) طالب وطالبة نسبة الطلبة ٥١,١% ونسبة الطالبات ٤٩,٩% ونسبة السعوديين منهم ٧٩%... وقد تم ذلك من خلال استبيان صمم لهذا الغرض يشمل أسئلة التدخين والمخدرات والعوامل المتعلقة بذلك وجاء فيها:

البيان	النسبة
المدخنون من الطلاب	٢٦,٤%
المدخنات من الطالبات	٩,٨%
المدمنون على شرب الكحول	٥,٧%
المدمنون على شرب الدخان	٨٨%
يدركون ضرر التدخين	٨٧%
يعرفون حكمه الشرعي	٨٠%
الذين يمارسون التدخين من آباء العينة	٣٦%

٥- ونشرت الصحف دراسات أخرى مفزعة نتركها للاختصار، والغاية أن كلا السياستين فاشلة سواء سياسة التنجيح أو سياسة الترسيب، ونحن في حاجة لسياسة راشدة قوامها الصدق والحق والإيمان.

قطاع الصحة

واقع البلاد صحيا هو المرآة التي ينعكس عليها الواقع المادي، ومادام الناس لا يدخرون وسعا في سبيل التداوي فإن الذين تحصد الأمراض والأوبئة أرواحهم وتنخر أبدانهم، لا يمكن أن يكونوا إلا معدمين بائسين، وأن تتمتع فئة أخرى بامتيازات هائلة بحيث لا تجرى لهم الفحوصات العادية إلا في أرقى المستشفيات العالمية وأغلاها، وهذا من علامات الثراء الفاحش، وبين هذين فئة محدودة لا ترقى إلى مستوى الفئة الخاصة، ولكن بقية الناس يحسدونها على ما أتيح لها من فرص للتداوي في مشاف تستترف أموالا ضخمة من الثروة العامة [كالمستشفيات العسكرية ونحوها]، ومع هذه الفئة الأخيرة تصنف المستشفيات الخاصة المتميزة وروادها من المقتدرين، وتبقى الوزارة المعنية (وزارة الصحة) هي المسؤولة عن عامة المواطنين، فهي عندهم بمترلة الشعير الذي هو مذموم ومأكول، فهي مذمومة لما تعاني بنيتها وعناصرها من المشكلات والقصور ومأكولة إذ ليس في الوجود أفضل من الموجود.

ومن نافلة القول التذكير بما كرم الله به النفس الإنسانية وما حضت عليه الشريعة من التداوي وأحاطت به الأرواح من سياج الحفظ والوقاية، وما كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون وملوك الإسلام العادلون، من الالتزام بالمساواة مع عامة الناس وترك الاستئثار عليهم بشيء، وما كان الخلفاء يتنافسون فيه من إنشاء المشافي المتخصصة وجعلها أوقافا عامة للأمة، وهذا أحد الوجوه المشرقة للحضارة الإسلامية، بعد أن كانت الحضارات القديمة -كالحضارة المصرية مثلا- تخص الفراعنة بالطب الراقي، وتحتكره أسرارا لهم، وعلى هذا الأساس أنشئ المستشفى التخصصي ثم إنهم عمموه.

وقد قال عبد العزيز التويجري وكيل الحرس الوطني: لولا أن القوم يعلمون تقصير المستشفى التخصصي ما ابتعثوا المريض للخارج.

وفي ظل ما أنعم الله به على البشرية من تقدم عظيم في هذا الميدان، وما أسبغ على هذه البلاد من ثروة، كان الواجب اقتفاء منهج النبي ﷺ والخلفاء الراشدين وتهيئة أسباب التداوي لكل مسلم فالمسلمون، تتكافأ دماؤهم ودياتهم، وإنما التفاضل عند الله بالتقوى والعمل الصالح، فلو أن الثروة قسمت بالعدل وأنفقت بمقتضى المصالح الشرعية، لما كانت المشافي المتقدمة مخصوصة بمكان ما أو بفئة ما، ولما كان نقل أحد المرضى من المناطق المهملة إلى أحد تلك المشافي (الإخلاء الطبي) خبرا تنقله الصحف ويشكره المداحون.

وبصدق ووضوح نقول إن تكلفة علاج فرد واحد من الفئة المتميزة داخل أحد المستشفيات المتقدمة في الداخل أو الخارج تكفي لشراء جهاز ضروري جدا "كجهاز غسيل الكلى" لمنطقة تهامة، التي تمتد مابين جدة وجيزان وليس فيها إلا جهاز واحد تبرع به أحدهم مؤخرا.

وأكبر ما يقع فيه المطّلع من الوهم -أو ما توهم به الجهات المختصة- هو تصديق الأرقام النظرية التي تتبع أسلوب قسمة عدد السكان على عدد الأسرة ثم تخرج النتيجة، فإذا لدينا سرير واحد تقريبا لكل ٥٠٠ شخص، وليس مصدر الوهم والإيهام هو المبالغة في عدد الأسرة، والخلط بين المستشفيات العامة والمستشفيات الخاصة بفئة محدودة [كالعسكريين]، والخلط بين الأطباء وأطباء الأسنان فحسب؛ بل هناك المصدر الأكثر والأهم وهو عدم العدالة في توزيع الخدمات الصحية، فإن هناك فئة معدودة لكل فرد منها سرير أو أكثر، وفئة هائلة تقدر بالملايين لا تجد إلا سريرا وحدا لكل عشرة آلاف وقد تصل في بعض المناطق المهملة ١٠٠ ألف وأكثر!! وحسب إحصائيات وزارة التجارة فإن قيمة الأدوية المتداولة في السوق تبلغ ٣٠ مليارا، وتبلغ قيمة مشتريات كل القطاعات الحكومية بما فيها وزارة الصحة حوالي ١٠مليارات، بل إن ميزانية الوزارة لسنة ١٤٢١هـ حوالي ١٢مليارا منها ٣ مليارات فقط للأدوية والمستلزمات الطبية وهذا يعني:

١- أن ١٠% من قيمة ما يحتاجه عامة الناس من الأدوية، هو الموفر لهم عن طريق الوزارة المتخصصة بتقديم العلاج المجاني لعامة المواطنين.

٢- أن ٢٠ مليارا يتحملها الفقراء والأقل قدرة، أما المقتدرون فكثير منهم يحصلون بالواسطة على الخدمات التي تقدمها المليارات السبعة المخصصة للقطاعات الحكومية الأخرى ومعهم الفئة الخاصة (العسكريون) بل يحصلون على العلاج في الخارج على نفقة الحكومة، وهو غير داخل ضمن هذه الإحصائية.

٣- أن كلفة العمليات والتنويم غير داخلة هنا، فإذا علمنا جشع القطاع الخاص فلنا أن تصور مقدار الكلفة التي تتحملها الشريحة الأكثر عددا والأقل دخلا في هذا المجال، ولماذا وصلت الشكاوي في هذا الشأن إلى حد غير معقول!!.

ويجب أن نضيف هنا مشكلة مهمة تجعل المعدمين في المناطق النائية يتحملون أعباء أخرى، غير ما يتحمله المعدمون في المدن الكبرى وضواحيها، وهي مشكلة استئثار مدينة الرياض ثم جدة بالنسبة الكبرى من الخدمات الحكومية والخاصة [٢٨,٨% من أسرّة وزارة الصحة، ٢٩.٣% من أسرة الجهات الحكومية الأخرى، ٥١,٥% من أسرّة القطاع الخاص، ٤٩,٦% من المستوصفات]، في حين تصل هذه الخدمات في المناطق المهملة، وهي كثيرة إلى درجة الصفر وقريبا منها، وعلى مواطنيها أن يتحملوا نفقة السفر والسكن بالرياض وجدة للعلاج!!.

ومن ناحية أخرى تظهر المحاباة واضحة في الحالات التي ترسل إلى الخارج للعلاج، فقد بلغ عددها سنة ١٤١٩هـ ١٣٤ حالة منها ٨٤ حالة بأمر خاص منهم ٧٦ من الرياض و٥٠ حالة فقط بقرار من الهيئات المختصة.

وبما أن وزارة الصحة هي التي تتحمل العبء الأكبر في هذا القطاع البالغ الأهمية، فلننظر إلى حالها بما له وما عليه:

١- **القوى العاملة:** بالرغم من النمو السكاني المرتفع في المملكة والزيادة التي بلغت ٣ ملايين نسمة ما بين عامي ١٤١٢-١٤١٩هـ، فإن مجموع الأطباء والممرضين والصيادلة السعوديين وغير السعوديين سنة ١٤١٥هـ كان ١٢٣٢٣، وفي سنة ١٤١٩هـ بلغ ١٣٤٩٧ فقط. (حسب المعلومات الواردة في كتاب الإحصاء السنوي ١٤١٩هـ).

وأعجب من ذلك أن عدد الأطباء وحدهم كان سنة ١٤١٥هـ ١٠٣٦٥، ثم هبط إلى ١٠٠٥٠ سنة ١٤١٩هـ!! فهل تقاعدوا، أم هربوا للمستشفيات الخاصة؟!

أي أنه يمكن القول بأن نسبة الأطباء إلى المواطنين هي ١ إلى ٢٠٠٠، بما فيهم أطباء الأسنان وهي نسبة تجعل البلد في مصاف الدول المتخلفة طبيا.

ثم إن كفاءة الأطباء علميا، ومدى متابعتهم ومحاسبتهم أمر آخر.

٢- **الميزانية:** تشكو وزارة الصحة حاليا -بحق- من أن جزءا من ميزانيتها ذهب لتسديد الديون السابقة، وهذا يعطي بعض العذر للوزارة لكنه يدل على خلل عميق في الخطة العامة للدولة بهذا الشأن، ويسري على الوزارة ما يسري على غيرها من الوزارات من تعقيدات وقيود فنحو ٩٠% من الميزانية لا يمكن إعادة تبويبه أو المناقلة بين بنوده إلا من خلال وزارة المالية وعبر إجراءات إدارية موغلة في الرتابة والتعقيد.

كما أن السياسة الغالبة على الوزارة، هي ما يسمى سياسة "التنقيط"، وهي تخصيص مبلغ ضئيل لكل بند ومشروع سنويا، وبهذا تمر سنوات دون تحقيق تحسن ملحوظ ولو أنها انتهجت سياسة الأولويات وأنجزت كل سنة مشروعا أو أكثر لكان أجدى، وبالرغم من انتهاج الوزارة لسياسة الرعاية الصحية الأولية وكون ٨٠% من المراجعات الطبية تتم على هذا المستوى فإن نصيبها لا يتجاوز ٢٠% من ميزانية الوزارة الأمر الذي ضاعف معاناة المواطنين ونقص الخدمات الأساسية لهم وأضاف أعباء تشغيلية كبيرة على أجهزة الخدمات الأخرى.

وعلى مستوى الرواتب يشعر منسوبو الوزارة ومثلهم منسوبو المستشفيات الجامعية بالغبن، بالنظر إلى ما يتمتع به نظراؤهم في المستشفيات الحكومية الأخرى وفي مستشفيات القطاع الخاص، وهذا ما يدفع بعضهم للبحث عن مصادر أخرى -كالعمل غير المشروع بالقطاع الخاص-، ويجعل مستوى قيامهم بواجبهم دون المطلوب ومع ذلك فإن الوزارة وعامليها، هم الجهة الضعيفة التي يستطيع الصحفيون وغيرهم التجرؤ عليها في نقد الحالة الصحية للبلاد كما في الكتابات الكثيرة عن حمى الوادي المتصدع وغيرها.

٣- **الإدارة:** سوء الإدارة ظاهرة عامة في الأجهزة الحكومية كلها، إلا أنه حيث يتعلق بأرواح الناس يكون كارثة حقيقية، فأنظمة الوزارة عتيقة لم يحدَّث معظمها منذ أكثر من ١٥سنة مثل نظام المطبوعات، ونظام المشتريات، ونظام مزاولة الطب البشري وطب الأسنان، ولا يوجد أنظمة إجرائية واضحة، ولا أنظمة لقياس الأداء، وكذلك فإن التخطيط غائب، والمنهجية مفقودة أو متذبذبة، ومن الأدلة على ذلك أن الوزارة على مدى الخمس عشرة سنة الماضية قد جربت في آليات الإدارة وتشغيل الخدمات ثلاث وسائل:

وسيلة تشغيل عن طريق الوزارة، ثم وسيلة تشغيل الشركات بأنواعها الثلاثة الكامل، والجزئي وأخيرا فكرة التشغيل الذاتي. هذا دون أن يكون هنالك دراسة تقويمية دقيقة بني على أساسها الانتقال من تجربة إلى أخرى، والتوجه الجديد لتطبيق نظام التأمين الصحي هو مما يزيد المخاوف ليس من جهة سلامته من المخالفات الشرعية فحسب بل من جهة اشتماله على المشكلات التي سوف يثيرها أيضا.

كما أن طول الإجراءات الإدارية وتعقيدها، وعدم وضوح الصلاحيات وتداخلها، هو ظاهرة مزعجة، وعلى الجانب الآخر نجد أن رقابة الوزارة على الجهات الأخرى الخاضعة لرقابتها متراخية أو غير ذات أثر!!

٤- **الروافد:** وهي المؤسسات التعليمية التي تخرج العاملين من الأطباء والمساعدين والممرضين. وواقعها لا يتناسب مع الحاجة الكبيرة والإمكانيات المادية للبلاد، فوفقا لإحصائيات سنة ١٤١٩هـ لا يتعدى خريجو المعاهد الصحية ٣٠٥ من الطلاب و ٣٩٣ طلاب جدد و ١٢٦ خريجة من الطالبات و٢٠٥ ملتحقات جدد، كما أن مجموع الملتحقين بكليات العلوم الصحية من الجنسين لم يتجاوز ٨٢٠ طالبا وطالبة، أما كليات الطب الجامعية فهي ليست قليلة فحسب، بل إن طاقتها الاستيعابية محدودة جدا، ووفقا للإحصائيات فإن الخريجين والخريجات لسنة ١٤١٩هـ هم كالآتي:

جامعة الملك سعود ١٣٠ و٥٩ طب أسنان.

جامعة الملك عبدالعزيز ١٦١.

جامعة الملك فيصل ٨٣.

جامعة الملك خالد ٣٣.

وقد نصت آخر إحصائية وزارية على أن نسبة الأطباء السعوديين هي ١٨,٨% فقط، ولهذا كتب أحد المراقبين للوضع التعليمي -في جريدة الرياض- أن المملكة تحتاج إلى قرابة ٥٠٠سنة لتحصل على الاكتفاء من الأطباء إذا استمرت هذه النسبة الهزيلة، هذا في حين أن منسوبي كلية الطب في صنعاء يقارب ٣٥٠٠ طالب وطالبة!!

والحال في السودان أفضل من اليمن أما الأردن فهي بالنسبة للمملكة بلد متقدم طبيا سواء من حيث الإعداد أو التأهيل أو حسن الإدارة.

والخلاصة أن كل هذه الشواهد تدل على ضرورة الإصلاح الشامل لهذا القطاع، ومما يدعو إلى التفاؤل أن هناك رجالا من ذوي الخبرة والإخلاص لو أتيح لهم أن يقترحوا الحلول وتمكنوا من تنفيذها لتغير الحال إلى الأفضل بإذن الله، والشرط الوحيد هو انتفاء الداء الذي يفتك بكل جهد ويقضي على كل أمر، وهو الدخول في دوامة اللجان ثم مقبرة الأدراج العليا.

الزراعة والمياه والبيئة

لقد دمرت خطط التنمية -إلى جانب التدمير الأخلاقي والقيمي- البنية الأساسية الطبيعية التي قامت عليها جزيرة العرب طوال التاريخ من دون أن تأتي بالبديل العصري الصالح، ونقلتها من مجتمع الاكتفاء الذاتي والبيئة الفطرية النقية إلى مجتمع استهلاكي عالة على غيره في كل شيء تقريبا وإلى بيئة ملوثة متنافرة.

إنه مع عدم إغفال ما كان ينتاب الجزيرة من دورات الجفاف والجوائح، فقد كانت دورة الحياة في الغالب متكاملة وعناصرها (الإنسان، البيئة، الحيوان) كلها محلية ثابتة، واستطاعت اكتساب صفة التكيف مع الطوارئ والصمود للتحولات، حتى على مستوى العامل البشري، الذي هو أكثر العوامل تغيرا وتأثيرا، فقد كانت الهجرة والعمالة شبه انسيابية.

وكان التبادل التجاري والمعرفي والسكاني بين البيئات الثلاث (الساحلية والصحراوية والجبلية) أحد أسباب التكامل وثبات المنسوب العام للحياة، وكان بقاء مصدر الحياة الرئيسي (المياه)، بعيدا عن العبث الإنساني أحد أهم أسباب الاستقرار والبقاء، ولا تزال الذاكرة الحية تتغنى بأيام وادي فاطمة وعيون الخرج والأحساء وبحيرات الافلاج والقصيم، وعيون المدينة وخيبر وسيول بيشة والعقيق وغيول تهامة...الخ.

فضلا عن الطبيعة الساحرة لجبال السروات التي فتنت الرحالة قبل ٥٠ سنة أو أقل، أما المساكن فكانت على بساطتها تجمع بين حفظ الخصوصية والتناسق المدهش مع البيئة عدا قلة الكلفة وسهولة النقلة، وفي الجملة كانت الحياة منظومة متناغمة يجب تطويرها مع الحفاظ على أصولها وجمالها وتناسقها، وكانت بلا شك في حاجة إلى التقليم والتهذيب والتنشئة الدائمة والتغذية المستمرة بالجديد المفيد، من غير طفرة قاتلة ولا إهمال مميت، وهذا هو المفهوم الصحيح للتنمية.

أما ما حدث لا حقا باسم خطط التنمية ومشروعاتها ومؤسساتها المتنوعة فهو هجوم مدمر متعدد الأطراف، نسفَ المقومات وحطّم الثوابت وقلب الأوضاع إلى أسوأ ما تكون، فباستثناء تسهيل التواصل بين أجزاء الجزيرة، جاءت كل المتغيرات لتهدم البنى الأساسية وتقطع العلائق بين عناصر البيئة المتكاملة، وشتان بين التنمية والتدمير.

لم يكن صعبا ولا محتاجا إلى ذكاء أو خبرة زائدة أن توضع الخطط لتطوير مصادر المياه وزيادة الإنتاج الزراعي والحيواني بما يضمن الشروط الحيوية للتنمية، ولكن الدخول في جحر الضب وتسليم الأمر للغير -وبالأصح للعدو-، وإغفال أعظم أسباب استجلاب النعمة واستدامة الرخاء وهو تقوى الله والتوكل عليه مع الأخذ بالأسباب؛ كل ذلك أدى إلى ما لا يحسدنا عليه أحد في هذا المجال.

مئات المليارات ذهبت سدى في وهم الاكتفاء الذاتي من الحبوب والحيوان، وعشرات المليارات ذهبت وتذهب في سبيل توفير مياه الشرب لكن دون جدوى، ووعود متواصلة من الخبراء الجيولوجيين بمخزون مائي يكفي لملايين السنين تتبخر في الهواء، ومشروعات سدود ضخمة تحجز الماء لكنها لا تنفع الأرض!!

وأسوأ من هذا كله استنفاد مخزون التنمية واحتياطها لتدمير البنية الأساسية لها، فقد غارت العيون وجفت الأنهار ونفقت الأنعام، وعبثت المشروعات بما في باطن الأرض فضلا عما فوقها، وكانت النتيجة بمنطوق التقارير الرسمية انهيارا من مظاهره:

١- تراجع مستمر في المساحة المزروعة بلغت نسبته ٣,٧% في عام ١٤١٨هـ عن الذي قبله.

٢- تراجع مستمر في الانتاج الحيواني بلغت نسبته ٨,٣% في نفس العام عن الذي قبله.

٣- تراجع مخيف في مخزون المياه الجوفية.

٤- طلب متزايد على المياه المحلاة -مشروعات تكلف عشرات المليارات- حتى إن أي خلل جزئي كفيل ببث الهلع في نفوس المواطنين!!

ولم يعد الهم والشغل للخطط الزراعية هو التنمية بل الترشيد، أي التقليل من استهلاك المياه وإن قلّت المحاصيل، مما أدى إلى التناقض والتخبط وإفلاس كثير من المشروعات.

على أن الإحصائيات وكذلك الدعاية الإعلامية والإعلانية تشير إلى التقدم في مجال إنتاج الألبان، والواقع أن ذلك هو ثمرة القروض الباهظة والتسهيلات الهائلة، حيث اشترى المنتجون البقرة والمصنع والعلف والأوعية واستوردوا الخبير والعامل والشاحنة والموزع، أي أن هذا هو استحداث لبيئة اصطناعية لا علاقة لها بمناخنا وخبراتنا، وذلك ما لا يصح تسميته تنمية بحال.

على أن الجانب الآخر يمثل إخفاقا إلى حد الكارثة، وهو ما يتعلق بإنتاج العجول: فقد أنتجت مشروعات تربية وتسمين العجول سنة ١٤١٧-١٤١٨هـ أربعة آلاف رأس عجل، وانخفض في سنة ١٤١٨-١٤١٩هـ إلى ألفي رأس أي ما يعادل انتاج قرية من القرى في السراة، أو هجرة من الهجر في الصحراء قبل خطط التنمية ومن غير قرض حكومي! علما بأن ما كانت تنتجه القرية أو الهجرة يعد غذاء صحيا جيدا، أما ما تنتجه المشروعات فحاله معروف قبل جنون البقر وبعده فلعل في إخفاق هذه المشروعات خيرا من جانب آخر، والحمد لله على كل حال.

ولكارثة هذا القطاع جانب آخر حيث نجد أن المليارات التي خصصت للصرف الصحي قد ذهبت إلى حيث لا نعلم، والمؤكد أن كارثة بيئية تهدد كثيرا من المدن والمناطق؛ ولعل "جدة" أوضح مثال لذلك. فإن الشركة التي تولت تنفيذ مشروع الصرف الصحي وظلت تحفر الشوارع قرابة عقدين قد رحلت أو اختفت بعد أن استنفدت مليارات الريالات تكلفة أصلية، ومئات الملايين دعما إضافيا ويعيش صاحبها في أمريكا معدودا ضمن المليارديرات،

أما المدينة نفسها فقد أكدت دراسات علمية قامت بها الجامعة و"الأمانة" وغيرها أن جدة تسبح فوق ٧٠ مليون متر مكعب من المياه الجوفية الملوثة بالإضافة إلى ضخ ٧٠٠ ألف متر مكعب يوميا إلى باطن الأرض، وهذا يهدد بتدمير أساسيات المساكن وهترئة تمديدات المياه والهاتف والكهرباء وتلف المحاصيل النباتية وتسممها بالعناصر شديدة الضرر هذا فوق ما تجلبه شاحنات نقل مياه الصرف الصحي من تلوث وقذارة وزحام.

وقد قال أحد المراقبين ذات مرة إن الفائدة الحقيقية لقطاع الزراعة والمياه هي توظيف آلاف من المواطنين في أعمال إدارية ضمن نظام شديد البيروقراطية ومن دون أي إنتاج زراعي.

ومع هذه الكوارث المزدوجة فإن لعاب الشركات الأمريكية يسيل لالتهام المليارات المخصصة لهذا القطاع، فقد استعانت بصندوق النقد الدولي وبمنظمة التجارة العالمية لإقناع الدولة بضرورة إلغاء الدعم الحكومي، وإخضاع القطاع لاقتصاديات السوق، فهي ببساطة تريد إدخالنا في المتاهة المظلمة، التي أدخلوا فيها دولا أخرى مثل جنوب شرق آسية واليمن.

وإن قال قائل إن الحكومة فيما يختص بالحفاظ على البيئة قد أنشأت هيئة وطنية لحماية الحياة الفطرية وجعلت لها مجلسا على مستوى وزراء يرأسه النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء، وترصد لها مئات الملايين سنويا! قلنا: نعم، ولا نتحدث عن دوافع ذلك ومدى فائدته للأمة بل نستعرض النتائج كما أوردها الصحف المحلية على لسان المسؤولين عن الهيئة ووصفته بأنه إنجاز علمي وعالمي منقطع النظير، فقد كتب مندوب جريدة الرياض في عددها المؤرخ في ١٠/١١/١٤١٨هـ يقول:

(قام صاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل العضو المنتدب للهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها بزيارة تفقدية لمحمية محازة الصيد، اطلع من خلالها على بشائر موسم التكاثر لطائر (الحبارى) والتي أعيد توطينها في المحمية عام ١٤١٠هـ حيث قام آنذاك صاحب السمو الملكي النائب الثاني

لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام ورئيس مجلس إدارة الهيئة الفطرية بالطائف. بإطلاق بعض الطيور في المحمية ومن بين الطيور التي أطلقت نحو خمسين طائرا تأقلم على العيش والبقاء في المحمية حيث شاهد سموه الكريم ست عشرة أنثى من طيور الحباري الآسيوية وقد وضعت نحو أربعين بيضة، وبدأ عدد من الأعشاش في التفريخ مما يبشر بنتائج جيدة هذا الموسم، ويقول د. عبد العزيز أبو زنادة أمين عام الهيئة الذي رافق سموه في جولته التفقدية: (إن تكاثر الحبارى التي أعيد توطينها وبهذه الأعداد في محازة الصيد يعد إنجازا علميا وعملا عظيما! ويعطي دفعة قوية للجهات المعنية بالهيئة والحياة الفطرية في المضي لإكثار أنواع أخرى أوشكت على الانقراض وكان يعتقد أنه من المستحيل إعادتها إلى مواطنها الطبيعية).

أما الجهود والأموال المبذولة لحماية النمر العربي والمحافظة على حياته فهي مما لم يصدقه الناس في تهامة، حتى أقيمت المحميات فعلا، فالناس هناك يشكون من عدم الاهتمام بحياتهم والرعاة منهم يشتكون من الوحوش – وأخطرها على البيئة الحيوانية هو النمر، وهو إن وُجد مما يجوز قتله ولو كان في الحرم–، فلماذا يترك الواجب المتعين مع الاهتمام بالتوافه الضارة؟ هذا غير الإشكالات الناشئة عن إنشاء المحميات من تهجير أهلها ومنع الرعي والصيد فيها وإحلال غرباء في قراهم ومراعيهم باسم البحث العلمي!!

وبعض المواقع استولت عليها الشركات السياحية، والكل يعلم أن ليس في تاريخ الأرض ما هو أخطر على البيئة من نفايات السياحة والسواح وتلويثهم، فهل هذا حماية للبيئة أم حماية لمصالح خاصة؟!!

والخلاصة أن المستقبل مظلم والحال في غاية السوء، والحاجة شديدة جدا إلى خطة عملية متكاملة مبدؤها الاستغفار والتوبة والتعجيل باستدراك ما يمكن تداركه، يكون رجالها من ذوي الغيرة والإخلاص مع التمكن العملي والخبرة الواعية، وإلغاء العراقيل التي تحول دون تنفيذها.

ولا أقل من تحقيق مطلب واحد لا يحتمل التأجيل وهو السماح للناس بالاستغاثة بربهم والصلاة له ليترل عليهم من رحمته؛ كل بلد متى شاء وحسب حاله، بدلا من حصرها بيد السلطة التي تصدر أمرا عاما يشمل المستغني والمضطر معا.

الصناعة

جاء في تقرير مؤسسة النقد لعام ١٤٢١هـ أن قطاع الصناعة قد حقق نموا خلال العام السابق بلغت نسبته ٥,٢%، وأن عدد المصانع في المملكة بلغ ٣٢٧٥ مصنعا، بلغ إجمالي تمويلها حوالي ٢٣٣,٧ مليار ريال، وهي تعمل في مختلف الأنشطة الصناعية وتوظف ما يزيد عن ٣٠٠,٠٠٠ عامل.

وهذا القول مثال لما تكتبه التقارير وتسطره الصحف وينشره الإعلام، وكله مما يوهم المواطن وغيره، بأن البلاد مشرفة على مستقبل صناعي عظيمٌ يعوّض إخفاق الزراعة ونفاد النفط، ولكن أهل الشأن أعلم بحقيقة الحال وشكواهم المعلنة تمنع من التمتع بهذا الوهم اللذيذ.

فوفقا لما نشرته جريدة الرياض بتاريخ ١٤٢١/١٢/١٨هـ فقد (فجر رئيس مجلسٍ إدارة غرفة الرياض (...) ونائبه (...) ورئيس اللجنة الصناعية بالغرفة عدداً من القضايا التي تواجه قطاع الصناعة بالمملكة، وأعلنوا في مؤتمر صحافي عقد في غرفة الرياض نيابة عن الصناعيين في المملكة عدم قدرة المصانع السعودية على تحمل المزيد من التكاليف والقرارات التي أدت إلى تعثر الكثير منها، مشيرين إلى أن نحو ٧٠ من المصانع في المدينة الصناعية بالرياض بدأت في التعثر، وأنها لا تحقق أرباحا وأن ثلاثة مصانع دخلت فعليا في الخسائر، ومن المحتمل أن تقفل إذا زادت عليها أي تكاليف جديدة.

وأجمع ممثلو القطاع الصناعي في غرفة الرياض أن البيئات الصناعية في دول الخليج العربي تعد أفضل بكثير مما هو موجود في المملكة، وإذا ما استمر الوضع كما هو فإن نسبة كبيرة من المصانع السعودية سوف تنتقل إلى الدول المجاورة.

وتحدث المسؤولون الثلاثة عن زيادة الغاز والديزل والكهرباء والماء وتصاريح الإقامة ورخص العمل، وتأشيرات الاستقدام خلال السنوات

الأربع الأخيرة مؤكدين بأنها حولت أرباح الكثير من الشركات إلى خسائر بسبب عدم توقع أصحابها هذه الزيادات).

ووفقا لجدول الزيادات الذي نشرته الصحيفة مرفقا بالمقال فإن بعض زيادات مشتقات النفط بلغت ٢٩٤% وبلغت زيادة التيار الكهربائي ١٤٠% وبلغت زيادة الماء ٦٦% وبلغت بعض زيادات تصاريح الإقامة والعمل ٢٩٧%، وأشار الجدول إلى أنه بالنسبة لمنشأة صناعية متوسطة فإن هذه الزيادات تؤدي إلى رفع تكاليف الإنتاج بعشرات الملايين من الريالات سنويا.

(واستبعدوا -المشار إليهم- أن تعود الأموال السعودية المهاجرة والتي تقدر بنحو ٨٠٠ مليار دولار إلى أرض الوطن، إذا لم يتم تعديل الأنظمة القائمة حاليا، وإيجاد بيئة صناعية كما هو في دول الخليج العربي).

(ونبه المسؤولون إلى أن الاتفاقيات الاقتصادية مع الدول المجاورة هي مجحفة بحق المملكة، وأنه مازال ينظر إليها على أنها بلد مرتاح ماليا مشيرين إلى أن الصناعة السعودية تواجه ضغوطا داخلية تتعلق بارتفاع كلفة الانتاج وضغوطا خارجية تتعلق بالإغراق).

(وفيما يختص باستراتيجية وهيئة تطوير المدن الصناعية التي تعمل عليها وزارة الصناعة والكهرباء أبدى رئيس غرفة الرياض ونائبه، ورئيس اللجنة الصناعية في الغرفة تخوفهم من تطبيق هذه الاستراتيجية مؤكدين أنها جاءت لتزيد من حجم المشاكل التي تواجهها الصناعة في المملكة).

هذه شكوى القطاع الذي يشغل الفخر بتطوره الكبير ومستقبله الباهر وسائل الإعلام في المناسبات وغيرها وهو القطاع الذي يستأثر كذلك بالنصيب الأكبر من القروض والمساعدات والتسهيلات -بعد قطاع الأمن والدفاع-، وبديهي أنه لا يستطيع الانتظام في سلك أصحابه إلا نفر قليل من الشعب أما البقية فهي تغبط هؤلاء باعتبارهم أفضل أهل البلد ثروة وأمنا على مستقبلهم ومستقبل أبنائهم!!

ولا ننسى أن هؤلاء الصناعيين ومثلهم التجار لا يبوحون بكل ما يعانون، فكل شركة ناجحة في البلد صناعيا وتجاريا تخشى قطف ثمار نجاحها واستيلاء بعض الأقوياء عليها باسم الشراكة! وهي شراكة من نوع غريب إذ تجد الشركة نفسها تحت تأثير حصار وضغوط لا تستطيع معها إلا القبول بل الإذعان لشراكة طرف قوي يأخذ حصة الأسد، ويفرض شروطه على مستقبل الشركة وأهدافها، ويصبح المؤسس أو المالك الذي أمضى عمره وأنفق ماله لإنجاح الشركة أشبه بالموظف أو المستضعف، ويترتب على ذلك هروب رؤوس الأموال والتحايل في إظهار نجاحها وإخفاق المشروعات، هذا فوق الغبن والقهر الذي لا تحتمله النفوس إلى الأبد.

وإذا كان هذا هو الحال والدولة لم تقرر بعد مبدأ الضريبة على هذه الشركات والمصانع فكيف إذا تقرر ذلك وهو أمر وارد وكثير من الخبراء الاقتصاديين يجعلونه الحل الوحيد للأزمة التي تعاني منها البلاد ويوافقهم على ذلك بعض الأثرياء جدا كالوليد بن طلال.

الواقع أن الأزمة خطيرة وسوف تبقى، سواء رفعت الإعانات وألغيت القروض أو لم يحدث ذلك، وسواء فرضت الضرائب أو لم تفرض، فالمدخل إلى الحل الوحيد والباب إلى المخرج الحقيقي هو إعادة الهيكل المالي والتجاري والصناعي كله ليوافق شريعة الله فيما أحلت وفيما حرمت، وإسناد الأمر إلى المختصين في هذا المجال، ليضعوا الخطط الإصلاحية بكل روية وثقة، ويستفيدوا من تجارب الأمم كلها فيما أباحت الشريعة أو أحبت الإفادة منه.

ختامًا أقول: هذا ما كتبته قديمًا، ثم قيض الله بعض الجريئين من الناس يتحدث عن هذا في مواقع التواصل الاجتماعي، وملخص ذلك ما كتبه شيخنا الفاضل عبد المحسن العباد، وهذا بعض كلامه:

(وفي فترة وجيزة من عمر الدولة السعودية، ابتداءً من ولاية الملك عبد الله بن عبد العزيز في منتصف عام ١٤٢٦هـ وحتى الآن تحقق للتغريبيين في هذه البلاد أمور غريبة على بلاد الحرمين كانت في عافية منها، منها سفور النساء واختلاطهن بالرجال في وسائل الإعلام والبيع في الأسواق وغير ذلك، ودخولهن مجلس الشورى وجلوسهن مع الرجال وفيهن السافرات، ودخولهن المجالس البلدية ترشحًا وترشيحًا وإضعاف هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتقوية الرياضة وتشجيع الرياضيين والعناية بالترفيه وإنشاء هيئة عامة له، يخشى منها إحداث أمور منكرة كافتتاح دور السينما التي تسخط الله وتدمر الأخلاق، ويضاف إلى ذلك ما اتخذه وزير التعليم الحالي الدكتور أحمد العيسى من قرارات جائرة أحدها: قرار بتعيين امرأة عميدة لكلية الطب بالطائف، تكون مرجعًا للرجال والنساء أساتذة وموظفين وطلابًا، والثاني: قرار بإدخال التربية البدنية في مدارس البنات، والثالث: قرار بالإعداد لجمع البنين والبنات في الصف الأول والثاني في المرحلة الابتدائية يقوم بتدريسهم نساء).

ويستمر شيخنا حفظه الله فيقول:

(وقد كتبت عن القرار الأول كلمة بعنوان: "كارثة أخلاقية عظمى تحل بالشعب السعودي بقرار جائر من وزير التعليم على العهد السلماني" نشرت في ١٤٣٨/٦/١٢هـ، وكتبت عن القرارين الثاني والثالث كلمة بعنوان "بيان جنايات الدكتور أحمد العيسى وزير التعليم على العهد السلماني" نشرت في ١٤٣٨/١١/٩هـ، وقلت في ختام هذه الكلمة (ومن الخير لولاة الأمر في هذه البلاد التخلص من هذا الوزير وإقصاؤه من عمله وإلغاء قراراته الإفسادية نصرة لدين الله رجاء الظفر بنصره وتأييده، وقد قال الله عز وجل:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد:٧]، وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾[الحج:٤٠-٤١] وقد ذكرت فيها أن له كتابا عنوانه: "إصلاح التعليم في السعودية بين غياب الرؤية السياسية وتوجس الثقافة الدينية وعجز الإدارة التربوية" نقلت منه كلامًا خبيثًا من تسعة مواضع منه توضح قراراته الجائرة، وأنه جاء إلى الوزارة لإفساد التعليم، ويغلب على الظن أن ولاة الأمر لو اطلعوا على كلامه الخبيث الذي نقلته عنه لبادروا إلى إبعاده عن الوزارة ليسلم التعليم من إفساده، ولم يكتف هذا الوزير التائه بما جاء في كتابه من الكلمات القبيحة وفي قراراته الجائرة التي غايتها إفساد التعليم بالسعودية)، انتهى ما نريده من كلام الشيخ.

وأنا نقلته لكي أثبت لكم أن ما كتبته ليس رأيًا فرديًا وإنما هو نصيحة من كل أهل الدين والغيرة، وأنا أشكر الشيخ عبد المحسن وكل ناصح مشفق وأهمس في أذنه، أن وزير التعليم هذا دأبه منذ أن كان في كلية اليمامة ولأجل ذلك ترفع من مدير إلى وزير، ولا يصح عندي اتهام من ولاه بأنه لا يعلم ولماذا يغلب على ظنك أنه لا يعلم، ولذلك فإن من ولاه جدير منك بنصيحة علنية لأن المستشارين قد لا يعرضون عليه النصائح السرية!

ودع ما يقوله عنه ناقدوه أمثال قينان الغامدي وخذ كلامه من أقواله هو، واعلم أنه يحضر جلسات مجلس الوزراء!! فالقول إن رئيس مجلس الوزراء لا يعلم اتهام له، وأنت لما كنت مسؤولاً في الجامعة الإسلامية لا ترضى أن يقال عنك إنك لا تعلم ماذا يفعل الأحمدي والباحوث!!

– المال:

يجب عليكم وعلينا وعلى كل مسلم تصحيح التصور عن المال ليوافق الشرع لا ما درج عليه الناس، وتختلف النظرة الإسلامية عن النظرة الغربية الرأسمالية اختلافا كبيرا، ومن ذلك أن معيار النجاح في الغرب هو الربح والثروة، بينما معياره في الإسلام هو الصدقة والإحسان.

والله تعالى جعل المال قياما للناس وزيّنه لهم، وفطر النفوس على حبّه ونهى عن إيتائه السفهاء وإضاعته والتبذير أو الإسراف فيه، وجعله فتنةً واختباراً، واستخلف الناس فيه وأمرهم بالإنفاق في وجهه، ونهى عن التخوض فيه أو الغلول منه، لاسيما المال العام الذي هو مال الله تعالى الذي يملك كل شيء، وإنما جعله لعموم المسلمين، إذ هو تعالى غني عن العالمين، والعباد كلهم فقراء إليه، وحرم الظلم فيه، والإنسان لو أعطوه عشرة دنانير مجانا وظلموه في دينار واحد، لتألم واشتكى وشغله الدينار عن الفرح بالعشرة، والناس يكرهون من يظلمهم ويستأثر عليهم، بل ويكرهون من ينافسهم في المال، أو يشاركهم فيه، ولذلك نهى السلف أصحاب المناصب عن التجارة وقالوا: "من اتجر فقد ظلم"، ولما بلغ عمر بن الخطاب ﷺ أن ابنيه عبد الله وعبيد الله أعطاهما أبو موسى الأشعري ﷺ مالا ليتجرا فيه، ويضعا أصله في بيت المال، أمرهما عمر أن يضعا الربح أيضا، ولذلك قصة قال ابن حجر إنها مروية بإسناد صحيح.

وأفضل جيل بعد الأنبياء وهم الصحابة رضي الله عنهم أجمعين، لما بلغهم أن أبا عبيدة قدم من البحرين بمال تجمعوا في المسجد فجراً لكي يعطيهم النبي ﷺ منه، فلما رأى اجتماعهم قال: (لعله بلغكم أن أبا عبيدة قدم بمال ...) الحديث، وفي آخره (فأبشروا وأمّلوا خيرا).

فليس المال شرا في ذاته كما يعتقد بعض الهندوس وبعض الصوفية، وإنما هو تابع للنية، وقد كان في الصحابة من هو ذو مال كثير، مثل عثمان وعبد الرحمن بن عوف، والزبير، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، وسار على

نهجهم بعض السلف أيضا، واشتهر عن عبد الله بن المبارك ﷺ أنه كان كثير المال، ويقول (لولا المال لتمندل بنا هؤلاء)، يعني السلاطين، وقال للفضيل بن عياض (لولا أنت وصحبك ما اتجرت)، وفي الحديث (نعم المال الصالح للعبد الصالح).

وقد غبط فقراء الصحابة أغنياءهم وقالوا (ذهب أهل الدثور بالأجور)، وقدم الله في القرآن الجهاد بالمال على الجهاد بالنفس إلا في آية الشراء فقط.

والكلام في ذلك يطول، والمقصود أني أنصحكم ألا تستأثروا على الناس، ولا تتجروا ولا تشاركوهم في المال، وأنا من واجبي أن أنصح لكم وأطلعكم على ما قد يخفى عليكم من الحقائق وأقول:

أ- أعيدوا للأمة ما أخذتم من بيت المال، وما عجزتم عنه فاستحلوه منها وعُدّوه دَينا لها في أعناقكم، وقد طلب النبي ﷺ من الناس أن يقتصوا منه، فلكم فيه أسوة حسنة، وذلك وفق الخطة المشار إليها.

ب- لا يجوز التخوض في مال الله أبدا، أوليس من التخوض أن يطلب أحد الأمراء من زوج امرأة أن ينام معها ليلة واحدة مقابل عشرة ملايين دولار!

ج- كل مال من مال الله أعطيتموه من عصاه عاد عليكم حسرة بل حرباً، ولا أظنكم إلا نادمين على ما قبض عليه علي عبد الله صالح، وحافظ الأسد وأضرابهم، ولا يصح تكرار ذلك مع المعاصرين لاسيما السيسي وهادي، فضلا عن (ترامب) و(بوتين)، ولا تعطوا أحدا إلا إذا حكم بما أنزل الله والتزم بالشرع المطهر، أو سهل أمور المسلمين، إن لم يكن مسلما، وعادى إسرائيل، وليشرف على ذلك لجنة من أهل الخير والعلم، كما هو في الخطة السابقة، والعجيب أن التاريخ يدل على أنه ما أخذ أحد عن طريقكم شيئا من بيت مال المسلمين، إلا كان عليه شؤما وشرا، وذلك لأنه لا يحل له أصلا، بدءا من محمد البدر وانتهاء بترامب، وقد كان القليل منه كافيا لحل

مشكلات كثيرة يعاني منها الناس هنا، كالفقر والبطالة والتداوي والتعليم والسكن، وكسب قلوب كثير من الشعوب في أفريقيا وآسيا.

د- لا يصح أن يكون خيرنا لغيرنا كما يقول الناس، فالرعية سوف يسألكم الله عنها، والأقربون أولى بالمعروف، وقد قال تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [البقرة:٢١٥]، وفي الحديث (أمك وأباك وأخاك ثم أدناك أدناك). فكيف بمن هم أمانة في أعناقكم ويجب عليكم إعطاؤهم؟

هـ- الغوا كل معاملة ربوية حتى لا تدخلوا في حرب مع الله، وما يعلم جنوده إلا هو، وحربٌ مع أهل الإيمان، فإن أكل الربا ردة إما عن أصل الدين، وإما عن شريعة من شعائره، كما كان أهل الطائف الوارد ذكرهم في الحديث، وفي فتوى ابن تيمية عن التتار، وقد أخبر الصادق المصدوق أن أبوابه كثيرة، وأن درهم ربا أشد من ست وثلاثين زنية، وأن أمره إلى قُل مهما كثر، وأنه ممحوق لا بركة فيه، وشهد بذلك أكبر الاقتصاديين الغربيين في القرن العشرين (شاخت).

وكلام الله ورسوله أصدق من كلام الليبراليين، وكهنة الاقتصاد الذين يشيرون عليكم بافتتاح مزيد من البنوك الربوية، والانضمام إلى اتفاقية (الجات) وصندوق النقد الدولي، فاتركوه لوجه الله، ولا يكن الشيوعيون واليساريون عامةً خيراً منكم.

و- ألغوا المخصصات الممنوحة للأسرة الحاكمة، وحددوا راتبا لكل عامل في الدولة ابتداء بالملك وولي عهده.

ز- يجب مراعاة حق الأجيال القادمة في الثروة، ولا يصح استترافها لمصلحة المستهلكين، لا سيما دول الغرب، وقد بين الله في سورة الحشر أن في المال حقا للذين يأتون من بعد، لذلك أوقف عمر ﷺ الأراضي المفتوحة ولم يقسمها بين الغانمين، وعلى ذلك نص ابن القيم رحمه الله، وذكر أن

الإمام مالك تبع عمر في ذلك، وفي عصرنا هذا احتفظت النرويج بحق الأجيال القادمة من النفط، مع أن لديها منه احتياطيا كبيرا فكيف نشبع نحن ويجوع أبناؤنا؟

ح- لكي تحصل لنا البركة أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب، كما أوصى رسول الله ﷺ، وإن كان المانع من ذلك هو خوفكم من الأزمات الاقتصادية فإن الله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ ﴾[التوبة:٢٨] الآية.

ولما أراد سبحانه أن يبتلينا أخرج لنا النفط دون أن يكون أحد يتوقعه، وإذا أخرجنا الكفار فسوف يبارك لنا في الطاقة الشمسية أو غيرها.

ط- ألغوا رسوم التأشيرات على الحج والعمرة، ورسوم مرافقي المقيم، والضمان البنكي للحاج، ولا يكن الجاهليون خيرا منكم، إذ يتنافسون في إطعام الحاج وسقايته ورفادته.

ي- إذا كانت جزيرتا (تيران وصنافير) سعوديتين، فيجب أن تعودا بلا مال، وإذا كانتا مصريتين فلا يحل لكم أخذهما وإن تنازل عنها السيسي، ولا يحل جعْل ذلك مقدمة لمشروع (نيوم) السياحي، وربما للتطبيع مع الكيان الصهيوني.

ك- بالتمسك بالدين نستطيع التوفير والاقتصاد في النفقة، وكل ما قدمه المتدينون لنا مجاناً عدنا إليه مع تكلفة باهضة، مثل كون التدخين ضارا، ومثل إنشاء المحاكم التجارية، حيث أمرت وزارة التجارة نفسها بالرجوع للمحاكم الشرعية في المحافظات التي ليس فيها محاكم تجارية، ومثل السياحة التي ألغت الدولة نفسها تأشيراتها، إذ أن أكثر الناس يستغلونها لأداء العمرة.

ل- احذروا الأخذ من مال الله، فعاقبة ذلك خطيرة، فقد غل مولى للنبي ﷺ شملة، فأخبر ﷺ أنها تشتعل عليه في قبره ناراً، فكيف بمن ينهب

المليارات؟

وهنا ينبغي تذكيركم بما قد يكتمه عنكم البطانة أصلحهم الله، بل إن وزارة الإعلام لتحجب مواقعه، وهو الفقر التي تعاني منه البلاد، لا سيما منطقة تهامة ما بين جدة واليمن، وأنا أعرفها جيدا، وأعرف أحوالها، وقد قمت برحلة بل رحلات لها، دع ما تنشره الصحافة والمواقع، وأوجز لكم بعض الدلائل وبعض ما أعرف عن حال الناس:

١. البنك الدولي يقول إن نسبة الفقر في السعودية أعلى منها في الأردن وفلسطين وأمثالهما، وأعلنت الأمم المتحدة عن صدمتها للفقر في السعودية، وفقا لما كتبها مبعوثها (فيليب ألستون) مثلا.

٢. ٨٥٪ من السعوديين بلا مسكن، وبعضهم لا يزال يسكن في عُشة أو كهف ولا يجد بيتا من الصفيح، فإن لم تذهبوا إليها فبإمكانكم الذهاب إلى الأحياء الفقيرة في الرياض وجدة.

٣. الموظف والمتقاعد لا يكفيه راتبه التقاعدي، فكيف بمن لا دخل له مطلقا؟

٤. بيوت الصفيح منتشرة ولها أحياء خاصة حتى داخل المدن الكبرى، والبلديات تزيلها لأنها تشوه منظر المدينة، أما العمارات الشاهقة والفنادق الضخمة، فتملكها الطبقة الثرية، وبالطبع لا يزيلها أحد مهما خالفت.

٥. بعض القرى تخلو من أهلها طلبا للماء في المدن، وبعض القرى يبقى فيها بعض السكان، مما يضطر إدارات التعليم إلى دمج المدارس.

٦. القبائل القريبة من مكة مثل قريش وهذيل وبني لحيان وخزاعة، رأيتهم ورأيت فقرهم، بل زرت بعض أهل البيت الشريف في بيوتهم في مكة، فوجدتهم في بيوت شعبية مستأجرة وفي غاية الفقر.

٧. قابل مندوب جريدة الرياض شيخ قبيلة أحتفظ باسمها، فشكر الشيخُ الحكومةَ الرشيدة على الخدمات الجليلة التي تقدمها للشعب، وعلى التنمية الشاملة التي يعيشونها، وقال: لا ينقصنا إلا الطرق والمدارس

والمستوصفات والبريد، وذكر تسعة أمور من قرأها علم أنهم ينقصهم كل شيء.

٨. حدثني ضابط كبير في الشرطة، أنهم يستعينون بالأخوياء في الأمارة لسد النقص عندهم في العاملين.

٩. الذي يهم هيئة السياحة والآثار، وهيئة الترفيه والحياة الفطرية، مما عندهم هو النقوش أو الكوبرا العربية والنمر العربي، فهم كالمرأة البكماء التي رأت زوجها وقد جيء به للشنق ووضعوا الحبل في رقبته، فأشارت إليه أين البطيخ؟

١٠.بعضهم يصبغ ساقيه وغيرها بأصباغ من الشجر، ويلبسون قلائد قديمة جدا رأيتها، وبعضهم اعتذر عن رؤية أبنائه بأنهم عراة.

١١.الأخبار عن جهلهم بالعقيدة بل حتى بالتاريخ المعاصر متواترة، يعرفها الشيخ عبد الله الفنتوخ والشيخ عبد الله بن منيع العبدلي، حتى أن بعضهم يصب العسل والسمن على الحجارة، وخطباؤهم لا يزالون في خطبة الجمعة يدعون للسلطان عبد الحميد، وأحدهم يسأل المشايخ هل مات فيصل؟

١٢.مرجع أكثرهم الإداري هو منطقة مكة التي تبعد عنهم كثيرا.

١٣.سمعت أحد الملوك السابقين يقول "لا يوجد سعودي لا يملك مليون ريال"!

١٤.صحيح ما يقال هنا من أن الشعوب الإيرانية كالأهواز والبلوش فقراء، ولكن هؤلاء أفقر وأنا قابلت هؤلاء وهؤلاء.

١٥.الإعلام الليبرالي يذكر فقر العراقيين أيام صدام حسين، وفقر اليمن بسبب الحوثيين، وإنما يقصد الحكومة هنا! والفقر هنا.

١٦.رأيتهم بنفسي يمرون على أصحاب المطاعم ويقولون لا ترموا البقايا، فنحن نأكلها، والثري عندهم من يبيع الفحم أو الحطب أو المساويك.

١٧.مع أنهم يشكلون ربع سكان السعودية وربما أكثر، ومع ما فيهم من عبقرية وذكاء، لم يصل أحد منهم إلى أن يكون وزيراً.

وأخبارهم كثيرة فلا نطيل فيهم، وإنما نقول حسبنا الله على من يبذر المليارات، أو يعطيها الكفار والعاهرات ويترك هؤلاء.

وأنا لما رأيت حالتهم نذرت نفسي للدفاع عن حقوقهم، وعن المسجد الأقصى، وآل البيت الشريف ما دمت حيا، وإذا تحدثت عن حق شخصي لي فلا جزى الله خيرا من يعطيني إياه، وقد خدم عمر بن الخطاب امرأة لا تعرفه فقالت "أنت والله خير من عمر. فقال: ما يدري عمر عنكم؟ فقالت: أيتولى أمرنا ولا يدري عنا"!

- مما يكثر السؤال عنه عندنا والمسؤول عنه هو من يتولى أمر هذه الأمة (الفساد)، ويحصر الغربيون -حسب ثقافتهم- الفساد في الجانب المالي فقط، ويتبعهم الليبراليون ومن لا يعلمون، أما أهل الإيمان والقرآن فالفساد عندهم أعم من ذلك.

ومما ورد في الكتاب والسنة من أنواعه:

أ- الشرك بالله المؤدي إلى فساد السماوات والأرض ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء:٢٢].

ب- إيقاد الحروب والفتن الذي هو دأب اليهود وجواسيسهم ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ [المائدة:٣٣].

ج- الطبقية ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ إلى أن قال: ﴿إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص:٤].

د- موالاة الكافرين ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ [الأنفال:٧٣].

هـ- ارتكاب الفواحش، قال ﷺ: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير)، وقال لوط عليه

السلام: ﴿رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[العنكبوت:٣٠]، وبعد هذه الآية بآيات قال: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾ [العنكبوت:٣٥]، فمن لم يعتبر بمصيرهم فهو لا يعقل بنص القرآن، ولا ريب أن من أباح تلك الفاحشة مثل أمريكا لا يعقل.

و- الاختلالات الكونية، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾ [الروم:٤١]، ومن هذا الفساد الكوني كثرة الزلازل والبراكين والجفاف والتصحر والتغيرات المناخية، ونفوق كثير من الكائنات البحرية، واختفاء كثير من الجزر.

ز- الدمار البيئي، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ﴾ [البقرة:٢٠٥] فكل من يتكبر ولا يقبل نصيحة الواعظين مفسد.

ح- الطغيان الذي أهلك الله به عاداً وثمود وفرعون كما ذكر في أول سورة الفجر ثم قال ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوۡاْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ﴾[الفجر:١١-١٣].

ط- الدمار الاجتماعي كتخبيب المرأة على زوجها، والسعي بالنميمة بين الناس، قال ﷺ: (فساد ذات البين هي الحالقة ..) الحديث.

ي- اتباع الشهوات والضلالات والأهواء والبدع، كما قال الإمام عبد الله بن المبارك:

وهل أفسد الدينَ إلا الملوك وأحبارُ سوء ورهبانُها

فما في اللوحات الدعائية على الطرق، من أن الفساد هدر للثروة وإعاقة عن التنمية صحيح، ولكنه قاصر ليس هو كل الفساد وكل أضراره.

ك- كل الذنوب والمنكرات فساد قال تعالى ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [هود:١١٦] ومن أعظم الفساد تحويل المجتمع من الفضيلة إلى الرذيلة، قال تعالى ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ

﴿إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]. وأخطر من الفساد تسميته (إصلاحا) كما توحى أمريكا إلى من تريد بأن عملهم إصلاحات أو زعم المنافقين أنهم يصلحون، قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[البقرة:١١]!

ل- ومن الشرور التي وفدت علينا تحت ستار محاربة الفساد زعم بعضهم أن ما كنا عليه في الماضي تطرف بعيد عن وسطية الإسلام وسماحته واعتداله أي لما كان يوجهنا العلماء أمثال: ابن باز وبن عثيمين، ولم يكن لدينا دور للسينما ولا يدخلن نساؤنا الملاعب.

ولما تربى الشعب على ثقافة الاستهلاك والنظرة الرأسمالية للمال، ولم يسمع إلا قليلا ممن يحث على الزهد، والعمل للآخرة، أصبح أكبر همه التنافس في الدنيا، وإنشاء المؤسسات والشركات وأمثال ذلك، فلما وقعت الأزمات ومنها الأزمة الاقتصادية، شق عليه العودة لأيام القناعة، والرضى بما كتب الله، ولم يجد الإعلام السيئ حلا لذلك إلا المزيد من إشغال الناس وصرفهم عن الجد، بالتشجيع والغناء والسباقات والعرْضات، وإن تحدث عن المستقبل قال "مستعدون للمستقبل"، وبدلا من أن يقول "المستقبل المظلم" يقول "المستقبل المشرق"، ويكثر من وعود الرخاء القادم والخطط الحكيمة، وعرْض نماذج للمصانع في بلادنا ويجري مقابلات مع أصحاب الثروة، إذ من الطبيعي أن يمدح السوق من ربح فيه. وبعض الأثرياء يمدح خوفا على نفسه من مصير فندق الريتز!

لو أن المليارات الضائعة التي قال مجلس الشورى السعودي إنها تقدر بالمئات تم توزيعها نقداً على المواطنين، لكان خيرا من المشروعات الفاشلة في الإسكان وتصريف السيول والمجاري فضلا عن ضياعها، فلا يدري الشورى أين ذهبت،وأنا أجزم أنها ما ضاعت لكن نهبها اللصوص، ولكن لا يجرؤ أهل الشورى على ذكر أسمائهم.

وأصبحت التنمية عندنا هي هدم الماضي، حتى أن المدن الكبرى بنيت

ثلاث مرات أو أربع، من بيوت الطين إلى القصور الحديثة وما بينهما، وانطبق علينا قول أحد المؤلفين (تنمية التخلف)!

وبعض الدول الغربية مثل أمريكا وبريطانيا، تخصص شيئا من ميزانيتها لما تسميه المساعدات الخارجية، وذلك ليس مساعدة مجانية، بل له أهداف سياسية وتجارية معروفة، أظهرها الأحمق (ترامب) حين قال كيف نعطي أموالنا من لا يصوتون معنا؟ حينما قلّص الأموال التي كانت تعطى للأونروا، كما أن هذه المساعدات المزعومة ليست نقدية بل تعطى للشركات في أمريكا وأوربا لتصدرها لدول العالم الثالث في شكل بضائع من منتوجاتها! والواجب على الدولة المسلمة تخصيص نسبة لوجه الله، وجعْل ذلك من أعظم مهامها، وقد جعل الله تعالى من أسهم الزكاة سهما للمؤلفة قلوبهم.

ولأضرب مثالين أعرفهما وقرأت عنهما كثيرا وهما الخطط التنموية والسيول:

- خطة التنمية:

لما أحال الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله إلي خطة التنمية الخمسية وكلفني بدراستها، كان لا بد أن أعرف واضعها ومنفذها، فأما واضعها فهو معهد التكنولوجيا التطبيقية الأمريكي (إم تي آي) القريب من جامعة (هارفارد)، ولا أدري كم قبض مقابل ذلك؟ وأما المنفِّذ فهو وزير التخطيط هنا، الذي قسّم المشروعات إلى مجموعتين، أحدهما المجموعة التي سماها "وجدت لتموت"، وهي الأوقاف والهيئات وكل الشؤون الدينية، وقال معاليه في محاضرة بجامعة أم القرى التي فيها قسم للتاريخ: النجار أفضل من خريج قسم التاريخ! وقد وجدتُ في الخطة أخطاء كثيرة توجب إلغاءها لا تعديلها، وأيقنت أن أي قرار اقتصادي صائب لا بد له من قرار سياسي صائب، وأنه لا يستقيم الظل والعود أعوج، ومعاليه خريج كلية فكتوريا بمصر، وكان لا بد أن يكتشف أخطاءه من وضع (رؤية ٢٠٣٠) التي التزمت الإدارات الحكومية كلها بتنفيذها بعد ظهور خطأ خطط التنمية

السابقة، وهذه الرؤية مع تحفظي على بعض ما ورد فيها إنما هي رؤية اقتصادية، ولا تستلزم هذا التحول الاجتماعي الخطير الذي ينسبه لها الليبراليون.

وإذا كتب الله مستقبلاً واستغنينا على النفط أو أخرج لنا كنوزا أخرى لا نعلمها الآن، فسوف يغير الإعلام لهجته، ويبيّن عيوب (رؤية ٢٠٣٠)، وأنا أشبه وضع هذه الرؤية الطويلة بوضع خطة يسير عليها الناس أيام اللؤلؤ، لكن النفط فاجأها، ولي على الرؤية ملاحظات سوف أبلغها للمسؤول إن شاء الله، والواجب هو وضع أكثر من خطة (أ، ب، ج)، ونعلن ذلك كله للناس، إذ أن أمرها يهمهم كلهم، وأن يرحّب المجلس الاقتصادي بملاحظات المختصين ويدرسها جيدا.

٢- السيول:

نحن البلد الوحيد في العالم الذي إذا لاحت في الأفق سحابة توقّع كارثة محدقة، وأرسل الطائرات لتفريق السحب، وقال "اللهم حوالينا ولا علينا"، خاصة في المدن، وأسعد المناطق هي التي ليس فيها بلديات ولا شركات لتصريف السيول، وقد قال أحد حكام جدة إن الأمر لا يختص بجدة، وصدق، فالمصيبة عامة، وكل المناطق تشكو، وبعضهم كتب عن تعليم السباحة فيه، وبعضهم كتبوا عمن غرق، خذ مثلا مخرج ١٣ في الرياض، الذي قرأت في إحدى الصحف المحلية أن على وزارة الزراعة الإفادة منه في إنشاء السدود!

والذين أخذوا مليارات في تصريف المياه يجعلون الحق على الدفاع المدني والأرصاد وإدارات التعليم، وما بقي إلا أن يضعوه على السيول التي جرت في مكان غير المجرى الذي خصصه لها الخواجات!! وملخص المصيبة هو كما قالت عكاظ (في امتحان السيول لم ينجح أحد)، والعجيب أن هؤلاء الغشاشين لا يغشون إذا نفذوا المجاري للخواجات في ينبع والجبيل فلماذا؟ أما بلدية جدة فدافعت عن نفسها بأن التصريف هو من اختصاص شركة

أرامكو، وصدقت لكن أرامكو شركة نفط وليست شركة مجاري، وإن كان فيها خواجات!

وإذا كانت أرامكو بهذه الخبرة والأمانة، فلماذا لا تولّى البلاد كلها ويصبح رئيسها مندوبا أمريكياً سامياً!!

كما أن ما عمله المهندسون الأتراك في مكة، خير مما عمله المهندسون الغربيون في جدة!

وإذا ضج الناس من أضرار السيول، يعوضونهم من بيت مال المسلمين، فتكون الخسارة مضاعفة على بيت المال، الذي يدفع أولا لمالكي شركات التصريف، ويدفع ثانيا للمتضررين، أما الأموات فلهم الرحمة من الله ولأهلهم الصبر والسلوان!!

واكتشف الناس بعض الغش حينما عثروا في جدة على أغطية تفتيش بلا مجاري!

دع جدة والدمام وأبها، وخذ مثلا العاصمة الرياض، فليس تطويرها موكولا إلى أمانة العاصمة وحدها، بل له لجنة وزارية تُنفق المليارات سنويا، ولما أُمطرت الرياض جرت الشوارع أنهاراً، وتعطلت الإشارات المرورية والاتصالات، وأقفلوا المدارس!

والعجيب أن بعض الدول يهطل عليها المطر يوميا بغزارة، وليس في شوارعها قطرة واحدة، والتصريف أصلاً من الأعمال الهندسية للشوارع، وليس له شركات خاصة تحفر الاسفلت وتكتب (تحويلة)، وفوق هذا تريد من الدولة تحسين وضع!!

وهم يحسبون حساب التصريف والتمديدات الكهربائية والهاتفية عند تصميم الشوارع.

والأنكى من ذلك عندنا هو التضليل الإعلامي، لاسيما من أهل العلم وطلبته فمأساتنا مركَّبة وليست اقتصادية فقط.

وبفضل تلك الشركات، استخدم الناس الزوارق للتنقل، ولم يعودوا

يذهبون للبحر بل أصبح البحر هو من يأتيهم! وبعد أن كانوا يصطادون السمك في مياهه، أصبحوا يصطادون في الأنفاق، وهذا ليس تقولا أو رجما بالغيب، ولا نقلا عن أحد، بل شاهدته بعيني، والدفاع المدني عثر على سيارة في أحد أنفاق جدة بعد مدة من الزمن!

– نحن لا نعيش أزمة هوية، بل نحن مسلمون كما سمانا الله، ونتبع ملة إبراهيم عربا وعجما، ولسنا قوميين ولا خليجيين ولا طورانيين، وأمثال ذلك من الانتسابات الضيقة، وأضيق منها الوطنية، وأضيق منها المناطقية والقبلية، والأجنبي عندنا هو الكافر، أما المسلم فهو أخونا، بل ربما كان خيرا منا عند الله، والله تعالى نهانا عن التنابز بالألقاب، كنبز أهل الدين بأنهم متطرفون أو إرهابيون... الخ ونبز الوافد بأنه أجنبي!

وليس الحل عندنا هو التخصيص، فأكثر الشركات خاصة من قبل، ولا هو في الدخول في جحر الضب، أو دفن الرؤوس في الرمال، ولا في سن قوانين لمعاقبة المخالفين، وإنما هو في الدين، إذ به يكون العمل المخلص الذي تفرضه الأمانة داخليا، وأي تقصير فالدولة هي المسؤول الأول عنه، وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ "لو أن بغلة عثرت بالعراق لخشيت أن يسألني الله تعالى عنها: لِمَ لم تمهد لها الطريق يا عمر"، هذا وهي بغلة وليست إنسانا، وعثرت فقط.

– أنا أنصح آل سعود ألا يدعموا الإرهاب، لا أعني بالصورة المباشرة التي يتحدث عنها الصليبيون، فهذا كذب وافتراء، ولكن بالإهمال وبدعْم (ترامب) وإدارته، ودعْم من يمارسون الإرهاب مع شعوبهم ويستعينون بطائرات اليهود لضربها، أو يغلقون قطاع غزة، ويتهمون المظلومين في فلسطين بالإرهاب!! وكأنهم هم الذين جاءوا من آفاق الأرض لاحتلال بلاد اليهود!!

وأكبر الإرهابيين في التاريخ العالمي هو أمريكا، التي قامت على إبادة الهنود الحمر، ورفضت التوقيع على اتفاقية حقوق الطفل، واتفاقية محكمة

الجنايات، واتفاقيات البيئة، والتي لما هددها صدام حسين بقطع النفط عنها، رد معالي وزير النفط السعودي حينها بأن السعودية سوف تعوض أي نقص في البترول، ثم إن أمريكا أصدرت قانون (جستا) الظالم، ومع ذلك تدفقت عليها المليارات، وقد ظهر بعد ذلك موقف (ترامب) حين اعترف بالقدس عاصمة لإسرائيل، ووضع صفقة القرن.

فمن الذي يدعم الإرهاب ويؤجج ناره؟

وهناك غير ذلك قضايا مختلفة أقدمها لكم على سبيل النصيحة، آملا منكم استدراكها واستشعار المسؤولية نحوها، ووضع الحلول الشرعية لها:

• إنشاء كليات للحقوق حتى في المدن التي ليس فيها كلية للشريعة مثل جدة.

• تقليص صلاحيات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تمهيدا لإلغائها أو دمجها، وإنشاء هيئة للترفيه ذات ميزانية ضخمة!

• ضرورة تعديل النظام الأساسي للحكم واستقلال القضاء، والسماح للرأي الآخر بلا عقوبة وإطلاق سراح سجناء الرأي.

• ضرورة التخلي عن الحكم الوراثي، وجعل الأمر شورى للأمة، لتختار الأصلح من قريش، ولذلك تفصيل ليس هذا موضعه وتقدمت الإشارة إليه.

• استقالة الحكومة أو الوزير بحسب درجة التقصير، فضلا عن المنفذ المهمل، وقد استقالت وزيرة التعليم الإسرائيلية بسبب ربع مليون شيكل، واستقال وزير الداخلية الهولندي لما ماتت في الترحيل امرأة نيجيرية لا إقامة لديها، والآن يحاكمون نتنياهو بسبب سجائر كوبية!

• إذا كان ولا بد من الضرائب، فلتوضع أولا على الكبار، وليدفعوا كلهم فواتير الماء والكهرباء والاتصالات مثل سائر المواطنين.

• يجب منع استخدام الأمراء والأميرات للخطوط السعودية.

• لا يجوز وضع الأموال في بنوك أمريكا وسويسرا بأسماء خفيّة، وإذا

مات المسؤول سيطرت البنوك على تلك الأموال.

• يجب على أمريكا أن تلغي قانون (جستا)، وإلا فالواجب جهادها.

• يجب ترك انتهاج السياسة الخلْفانية والاستقلال عن الإمارات.

• يجب أن تكون السياسة الإعلامية للبلاد شرعية.

• يجب أن يكون التعيين في المناصب بحسب الكفاءة وليس القرابة أو الواسطة.

• لا يجوز أن يكون المال دولة بين الأغنياء بحجة الالتزام بقرارات منظمة (الجات)، واقتصاد السوق والعولمة، وأمثال ذلك.

• لا يجوز فرض الرسوم على الحجاج والمعتمرين بأي شكل، بل يجب أن تكون التأشيرات لهم مجانية.

• يجب إخراج غير المسلمين من جزيرة العرب كلها حتى جزرها، ولا يجوز بناء كنائس فيها.

• يجب إخراج كل المسجونين من أهل الدين وتعويضهم عن كل يوم وإرجاعهم إلى أعمالهم ورد اعتبارهم وكل من يستحق السجن شرعا فإنما يسجنه القضاة وحدهم.

• يجب السماح للشباب بالجهاد بل تشجيعهم عليه، ومنعهم من السفر إلى أماكن الفساد، مثل دبي والبحرين والقاهرة وبيروت والمغرب.

• يجب إصلاح "الإدارة والتربية"، ومنع الخلوة وكشف الوجه للنساء، ومنع توظيف الموارنة، ومنع الرافضة من أي موقع سيادي.

• يجب مراعاة الدعوة للصلاة، فهي من أهم واجبات الدولة المسلمة، وترك الدعوة إليها مما ينقض الشرعية ويوجب الخروج، والتذكير بالواجبات ولا أزلت أذكر كيف أن الشيخ الأمين الشنقيطي رحمه الله، لما حضر أحد الملوك درسه عاد إلى سورة الحج، وإلى آية ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [الحج:٤١] تحديدا، وأمضى الحصة كلها في تفسيرها.

• يجب اعتبار الزكاة فريضة شرعية كما أمر الله ورسوله، ومنع اعتبارها ضريبة (مغرما)، والزكاة تؤخذ من الأغنياء وترد على الفقراء، أما الضرائب فهي تؤخذ من الفقراء وترد على الأغنياء!

• يجب إلزام شركة أرامكو باللغة العربية كما كانت "سمارك"، وإلا فليست سعودية.

• إذا لم تستجب أي إدارة لتغيير المنكر، وجب على الدولة والمجتمع تغييره.

• يجب الانتقال من مرحلة إطفاء الحرائق (الأزمات)، إلى مرحلة تأسيس المنافع.

• يجب السماح للقنوات الإسلامية بالقيام بواجبها استقلالاً، ولا يصح التعميم عليها وإخضاعها للسياسة الحكومية.

• يجب أن تكون الدولة مستقلة استقلالا حقيقيا، وترفض استعمار الحياة، وأن تصنع من السلاح ما تشاء وتشتريه ممن تشاء، وتعطيه من تشاء، وتضعه أينما تشاء مثل تركيا.

• يجب إلغاء العلمنة بأي شكل، وإلغاء التناقضات التي تعج بها البلاد، حيث تقام المساجد والبنوك الربوية معاً! وتبث فيها محطات للقرآن والسنة ومحطات للغناء معاً! وكليات للشريعة مع كليات للقانون!.

• يجب أن يكون التدرج في الخير وليس في الشر، فلم يكن يظهر من المرأة شيء، ثم ظهر الكفان فقط، ثم ظهر الوجه، والآن تكشف المذيعة عن شعرها ونحرها وساقيها.

• يجب إلغاء التبعية الاقتصادية للكفار، وفك ارتباط الريال بالدولار أو سلة العملات، ومنع البنوك الأجنبية والاستثمار الأجنبي، وكل مظاهر القوة الناعمة، وكل ما يخالف الشرع.

• السياسة الحكيمة تقتضي الوقوف مع القوة الصاعدة التي لها المستقبل، وليس مع القوة الآخذة في الأفول، وكل ناظر في أحوال العالم اليوم يقول إن المستقبل للإسلام، وأن أمريكا آخذة في الأفول والتراجع.

• السياسة الحكمية تستلزم الدخول في حرب مضمونة النتائج وليس المغامرة في حرب خاسرة.

• يجب التقدم صناعيا، فكيف تصنع تايلند السيارات، وكيف تصنع الدول الاسكندنافية ما تريد، مع أنه ليس في هذه الدول نفط.

• من الخطأ علميا جعل أوباما شيطانا و(ترامب) ملاكاً، وإنما كان أوباما يبحث عن الربح إذ الخليج مضمون والربح هو إيران، وكلاهما يعمل لمصلحته ومصلحة حزبه ومصلحة أمريكا.

• احذروا المطبّلين والليبراليين، أو المتمسحين بالدين، وقول من يغشكم ويقول (الاقتصاد متين والشعب مرتاح) وبعضهم يمدح كل شيء حتى السجون، قالو (إنها فنادق خمسة نجوم) نسأل الله أن يسكنهم تلك الفنادق.

• إعملوا أن أصحاب الأهداف الخفية هم الذين يقولون إن للدعاة أهدافا خفية، وإذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه.

• العقيدة ليست شعارات نكتبها على الطائرات أو الأعلام، بل هي (قول وعمل)، أي اعتقاد وامتثال، أما وضع السيفين ضمن شعار الدولة، والسيف على العلَم، فهو عند اليهود والنصارى دليل على أننا إرهابيون!

• لو أن أي عاقل قارن بين (قناة الجزيرة) وهي قناة غير إسلامية، و(قناة العربية) مثلا، لحكم أن قناة الجزيرة أفضل، فهي قناة فكرية جادة، ليس فيها أغاني ولا مسلسلات، وتعمل بمهنية واحتراف، وتأتي بالرأي والرأي الآخر، وعليها يعتمد ساسة الخليج في فضح بشار والحوثيين وليس على مسلسلات غيرها.

• لا يجوز كتم شيء من المال، قال ﷺ: (من استعملناه على عمل فكتمنا مخيطا فما دونه، كان ذلك غلولا يأتي به يوم القيامة).

• لا بد من الشورى بين المسلمين حتى في اختيار الحاكم، وبذلك صحت الأحاديث وأجمع السلف، وبها أمر أبو حازم هشام بن عبد الملك، وأمر محمد بن طلحة المنصور والمهدي، ونحن اليوم في عصر أصبحت فيه الشورى كالماء والهواء، ولا بد للشعب أن يبدي رأيه في أي شيء، ولا بد ليكون الاتفاق نافذاً من موافقة البرلمان عليه، ولا أحد يضرب على صدره ويهب المليارات!

• يجب الصدق، والقول بأن السياسة تتغير حسب مقتضيات الحال، فهذا شأنها دائما، فلا نكذب ونقول إن لنا سياسة ثابتة، ومن أوضح الأمثلة (بشار) الذي أصبح عدوا لدودا، بعد أن كان أبوه أخا شقيقا يذهب الجيش السعودي لحمايته.

• احذروا الليبراليين وكل أعداء الدين، فقد كتبوا أنهم يرحبون بالديمقراطية ولو جاءت على ظهر دبابة أمريكية، وقالوا إن أمريكا احتلت العراق بشبهة أسلحة الدمار الشامل، بينما عندنا ما هو أخطر من أسلحة الدمار الشامل، أي نحن أولى بالاحتلال، وثالث منهم حجزته مواكبكم فقال الله يسلط عليكم أمريكا، وقال رابعهم: السعودية تسلقت على الدين لكي تصل إلى الحكم، وقال خامس: آن أن نصحح عقيدة محمد"، وقال سادس: إذا مت فحنطوني حتى يكتشف العلماء ما يعيد الحياة، وهكذا.

• فساد بعض البطانة ليس موضع شك عند أي مواطن فاصلحوا البطانة واعملوا بشورى المصلحين منهم، وقد أخبر النبي ﷺ أنه ما من خليفة أو أمير إلا وله بطانتان، فاحذروا بطانة السوء.

• اعلموا أن الشعب هنا يكرهكم أكثره إن لم يكن كله، وأن حالكم معه كحال الذي أمر شعبه أن يملأوا ليلا بِركة من اللبن في قصره، فلما أصبح الصباح وجدها كلها ماء!

• احذروا من افتراق السلطان والقرآن، وهي مسألة تحتاج شيئاً من التفصيل لكثرة من يغفل عنها ويضل فيها:

وافتراق السلطان والقرآن ثابت شرعا وواقع تاريخاً، وعلى ذلك تدل أحاديث الفتن وتحول خلافة النبوة إلى ملك، كما يدل عليه حديث (ألا وإن السلطان والقرآن سيفترقان) عند من يصححه.

وكذلك حديث (تنقض عرى الإسلام عروة عروة)، وحديث انتقال الخلافة إلى الأرض المقدسة، وحديث (إن هذا الأمر كان في حمير وسيعود إليهم)، وقول الصديق للأحمسية "ما استقامت عليه أئمتكم"، وقول عمر لأبي عبيدة ومعاذ "لستم منهم"، وقول عثمان ﷺ "ليس هذا زمانه"، وأمثال ذلك.

أما الواقع التاريخى فالأمر فيه جلى.

وقد كان الرسل عليهم الصلاة والسلام وآخرهم رسولنا محمد ﷺ، يجمعون بين الدعوة والقوة كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد:٢٥]، وكانوا أولي أيد وأبصار معاً، ولم تكن القلوب مع أحد والسيوف مع غيره.

وسار الخلفاء الراشدون على ذلك، فقد كانوا أئمة في الدين مجتهدين في نشره والدعوة إليه، وفي الوقت نفسه مجاهدين بالسيف.

ولما انقضى عصر الخلافة الراشدة، جاء المُلْك فكان منه عاض، ومنه جبري، ومن الحكام من سار على منهاج النبوة في الزهد والجهاد، كما فعل عمر بن عبدالعزيز، والسلطان نور الدين، محمود زنكي، وقائده صلاح الدين الأيوبي، وابن تاشفين، وغيرهم.

ثم افترق السلطان والقرآن، ودار كثير من المتبعين للدنيا ولشهواتهم، مع السلطان لا مع القرآن، وجعلوا أنفسهم في جوقة المطبّلين المداحين تزلفا للسلاطين.

وفي الجانب الأخر، كان علماء الآخرة يأنفون التزلف ويرضون بالكسرة الجافة، ويعلمون أن ما يقبضونه من السلطة في صورة عطاء، إنما هو

رشوة للولاء، وقالوا: وبعضهم يرفعه ويجعله حديثا مرفوعا "خذوا العطاء ما دام عطاء، فإذا صار رشاء فلا تأخذوه".

وقال بعضهم: "وددت أن جسمي قرض بالمقاريض وأن الناس لم يعصوا الله عز وجل".

والإمام أحمد لما قيل له: لو أجبت أو ورّيت، قال للقائل: انظر في الخارج فنظر، فإذا طلبة العلم وبأيديهم الأقلام ينتظرون ما يقوله أحمد ليكتبوه، فقال الإمام "أتريدني أن أضل هؤلاء؟".

وهكذا الدعاة الصادقون لا يهمهم إلا رضا الله عنهم، وطاعة الخلق لله، وليس لهم مآرب شخصية أو أطماع خفية، كما قال المشركون عن رسول الله ﷺ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾ [ص:٦].

وهكذا أصبح مرجع الأمور (العلماء) متباعدين عن الأمراء أي السلطة ومن يدور في فلكها. وروى البخاري في الصحيح أن ذا عمرو وذا كلاع قالا: إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير أمرتم آخر مكانه، فإذا صارت بالسيف كانوا ملوكا يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك".

فهما يفرقان بين الاختيار والغلبة.

وظلت الخلافة عامل وحدة ولو معنويا، وإن كان الخليفة ليس له إلا الخطبة والسكة كما قال بن القيم رحمه الله، أي أنه بالتعبير السياسى الحديث يملك ولا يحكم، كما هو حال ملوك الغرب اليوم، ومنصبه شرفي فقط كرئيس الجمهورية في الدول التي تكون السلطات بيد رئيس الوزراء.

وهذه الوحدة الرمزية ظل المسلمون محافظين عليها، حتى الذين هزموا التتار في عين جالوت، كانوا مقرين للخليفة العباسى في القاهرة، ولما جاء السلطان العثماني سليم إلى مصر وحكمها، تنازل له ذلك الخليفة عن الخلافة، وقيل إن سليم أجبره على ذلك، ولما كان الحجاز حينها تابعا لمصر فقد أصبح السلطان سليم (خادم الحرمين الشريفين) كما قال.

ثم بعد قرون جاء عدو الله أتاتورك، فألغى الخلافة نهائيا كما أراد الغرب.

والمقصود أنه كلما جاء عصر ازداد الخرق اتساعا، وأصبح العامة يعدون تبرع السلطان ببعض مال المسلمين، أو اهتمامه ببعض الدعوة عملا مشكورا، ومكرمة سلطانية.

ولما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كان القرآن قد افترق عن السلطان، وانفصلت الدعوة عن القوة، والحديد عن الكتاب، فكان لا بد للشيخ -يرحمه الله- أن يساير ذلك الوضع القائم، وأن يبحث عن سيف ينصر الدعوة ورفض ذلك بن عريعر، إذ أن الله كتب شرفه لمحمد بن سعود رحمه الله، وفي عهد حفيده سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، دب الترف إلى أهالي الدرعية، حتى أنهم كانوا إذا اغتسلوا جرت الميازيب حمراء من الزعفران الهندي، وكان ذلك الترف فرصة سانحة لأعداء الدعوة، ففرحوا بقدوم عسكر إبراهيم باشا، ودلوه على ثغرات الدرعية، ورضوا أن يحكموا باسمه بعض مقاطعات نجد.

وفي (بسل) قريبا من الطائف، هزمت جيوش الباشا عبدالله بن سعود، وأرسلوه إلى ولى الأمر في الاستانة (اسطنبول) وهناك أعدم، وقد بين الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن أن سبب ذلك هو الذنوب واتباع الشهوات.

والمقصود أنه على هذين العمودين المتساندين قامت الدولة السعودية الأولى، أما الدولة السعودية الثانية فقد شُغل فيها الناس بفتنة الأخوين سعود وعبدالله أبناء فيصل بن تركى، وابتعد السلطان عن القرآن كثيراً حين استعان عبدالله بالإسماعيلية على أخيه سعود، وأصبح الأمر تقاتلا وصراعاً على المُلْك، بعد أن كان الجميع يقاتلون ليكون الدين كله لله. واقتدى بالشيخ محمد بن عبدالوهاب في ذلك الشيخ بعض الدعاة والمصلحين. وعليه اليوم حزب التحرير الإسلامي، الذي يرى ضرورة النصرة كما قرر الشيخ النبهاني

رحمه الله، بل إن بعض الناس فسر السيرة تفسيرا تحالفياً، كالشيخ منير الغضبان رحمه الله.

وبعد أن كان اجتماع المصحف والسيف يهدف لإقامة القسط، أصبح الأمر ظلما صريحا، واستحلالا لسفك الدماء من أجل الملك، وظل بعض العلماء ومن معهم من المخدوعين، يستدلون بكلام الفقهاء في عصور سابقة، كان عمود الدين فيها قائما موحَّداً، وكانت كلمة الله هي العليا، مع ما في تلك العصور من دخن.

وفي عصرنا الجبري هذا لم يعد الأمر فيه دخن، بل صار كله دخناً، وأصبح الحال كما قال أبو حامد الغزالي رحمه الله (الشريعة أصل والملك حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع) اهـ.

ولما أراد الله تجديد الدعوة قيض لهذه الجزيرة المباركة شيخا زاهداً من بني خالد، قدم إلى نجد من أفغانستان في العصر الذي اكتسحت فيه الاشتراكية أكثر العالم، ابتداء من (روبرت أوين)، وانتهاء بـ(كارل ماركس) و(أنطونيو غرامشى)، وجدّد الشيخ الزاهد (عبدالكريم الدرويش) الدعوة إلى التوحيد والمساواة الاجتماعية بلا ثورة ولا ضجة، وكانت الدعوة هى الأساس، وكان من أشهر الدعاة الشيخ عبدالرحمن الداود، فكانت التجربة على يد الشيخ وطلابه رحمهم الله، وتجدد الميثاق والحلف.

ولما قدم الصليبيون بالاستعمار الحديث ازداد الأمر سوءا، ثم إن الصهيونية النصرانية البروتستانتية ابتدعت القوة الناعمة التى رحب بها كثير من جهلة المسلمين، موهومين بالاستقلال والحرية، وأصبحت الشعوب المستعمرَة تفتخر بهذه القوة وتعدها تنمية وتقدماً، ودخلت هذه القوة بلاداً لم يدخلها الاستعمار العسكري.

– أنصحكم نصيحة المشفق محب الخير لكم أن تفسحوا المجال للرأي المخالف لكم، وتتيحوا حرية الرأي لكل أحد في حدود الشريعة، وفي ذلك حكمة سياسية إذ يمكنكم إخفاء الرأي السياسي الرسمي تحت اختلاف الآراء

ويكون لكم عنصر المفاجأة في أية مفاوضات أو مناسبة، أما فرض رأي واحد فهو مع كونه فرعونياً يضيع هذه الفرصة ويمكّن الطرف الآخر من معرفته بالاطلا ع على أي وسيلة إعلامية رسمية.

كما أن تأجيل الانفاق النهائى حتى يوافق عليه المجلس المختص، يعطى المفاوض فرصة للتروي والتفكير ويكون قوة للرأي إذا تمت الموافقة عليه، أما الرأي الوحيد الفطير فكم ندم عيله صاحبه، وكم ندم من ضرب على صدره بلا مشورة!

ثورة اللادينيين التصحيحية:

اتباعا للثورة التصحيحية التي قام بها حافظ أسد ونظراؤه قام اللادينيون في هذه البلاد وتحت تهديد السلطة الحاكمة بثورة تصحيحية زعموا إنقاذ المجتمع الذي اختطفه ابن باز وابن عثيمين وأمثالهم والعودة به إلى الإسلام الوسطي السمح الذي كان عليه الناس قبل عقود غير أن الوافدين وهؤلاء المشايخ اختطفوا المجتمع وسموا العودة للدين (صحوة)!

هكذا يزعمون، وكأن التدين هو الغريب علينا وكأننا لسنا أحفاد الصحابة وكأنه ليس لنا عقول نتدبر بها كلام الله وإنما كنا قطعانا من العراة وآكلي لحوم البشر من المتوحشين نقبع في غابات الأمازون أو صحاري أواسط آسيا أو جزر البولونيز وفيجي، لا نعرف ربا ولا رسولا ولا كعبة ولا علم لدينا ولا حضارة ولا توسط، حتى أنقذنا هؤلاء الليبراليون وهدونا للتي هي أقوم! فأصبحنا نرقص ونغني ونترفه كأي إنسان متحضر! وأصبحنا نعيش حياة إنسانية أمريكية نشرب الخمر ونعري نسائنا ونأكل الخنازير!

فمتى نقيس الأمور بمقاييسها الشرعية ونعرّف الإرهاب تعريفاً إسلاميا، ونفرق بينه وبين الجهاد، ونعلم أننا نحن وأعداء التوحيد في صراع عقدي مستميت لابد فيه من الجهاد، وكون المعركة دينية كما يزيده الزمن وضوحا، وحسبك فيه ما يعج به الإعلام الأوربي والأمريكي وذيله الإعلام

العربي من إلصاق تهمة الإرهاب بأهل الدين كي ينفر منه الناس كما كانت الكنيسة سابقا تنفر الناس من الإسلام بذريعة أنه إنما انتشر بالسيف! وهذا تلاعب بالعقول وتضليل إعلامي مكشوف.

على أن الإعلام الأمريكي -على ما فيه- يقتضي العدل منا أن نقول إنه خير من الإعلام السعودي من جهة قوله إن سبب المشكلة العراقية والسورية ظلم أهل السنة، وهذا يرد في كلام البنتاجون ولا يرد في الإعلام السعودي مع الأسف، بل الإعلام السعودي يدعو إلى ما يسميه اللحمة الوطنية أي أن يكون الرافضة إخوة لأهل السنة في الوطن، وإغفال المشكلة مطلقا حتى لا يتهمه الكفار بالطائفية!

ولا تجد الإعلام السعودي يحث على الفضيلة والاستقامة والرجوع للكتاب والسنة وسيرة السلف الصالح في كل أمر.

وإني لأعجب من إصرارهم على الخطأ رغم كثرة البراهين والشواهد ولكن لا عجب وقد ذكر الله أن القرآن الكريم عمى لبعض الناس وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها، وليس لهم حل إلا أن تمنعهم السلطة التنفيذية عن الباطل فهل هي فاعلة؟

والقضية التي يحرص الليبراليون على طمسها ويتعمدون إنساءها هي الجهاد، الذي لا يزال ممكنا رسميا ففي السعودية إدارة للمجاهدين، وكذا شعبيا فلا يخلو بيت تقريبا من بندقية أو رشاش أو مسدس كما أن عندنا سيارات كثيرة ذات دفع رباعي، قد حاربنا فعليا في اليمن فكيف لا نجاهد في فلسطين؟

من الانتكاس الفكري عندنا أن وزير التخطيط السابق -رحمه الله- مع مقدرته وذكائه بالنسبة لغيره من الوزراء تفوه بعبارات لا يقولها من هو أدنى منه ومن ذلك:

١- قال في كلمة منشورة نشرتها كثير من الصحف المحلية والدولية إذا واجهتني مشكلة رميت عليها كذا دولار. وكأن المشكلة عند معاليه محصورة في التمويل فقط.

٢- لما اعتدت عصابة إجرامية في وضح النهار على أحد فروع شركة الراجحي المصرفية قال معاليه في كلام نشرته مجلة اليمامة وغيرها: لماذا تنظرون إلى الجانب السلبي فقط انظروا إلى الجانب الإيجابي من الأمر فقد انتقلت المسألة من العمل الفردي إلى العمل الجماعي بفضل خطط التنمية!

ولا يصح التعامي عن المشكلات ودفن الرؤوس في الرمال ومن ذلك تطمين الناس بأن العلف كثير والاقتصاد مزدهر مع أن الناس يعلمون حقيقة الوضع بل الجهات الحكومية نفسها تصرح به، فمثلا أعلنت الجوازات في ١٤٣٩/٥/١٢هـــ كما في صحيفة (سبق) الإلكترونية عن ١٤٠ وظيفة نسائية فتقدم لها ١٠٧ آلاف طالبة، فاحسب من لم يتقدمن واحسب كم سيكون العدد لوكانت للذكور.

ونحن ولله الحمد لسنا في حاجة إلى استيراد أي فكرة من الخارج، أو افتعال كيانات تمثل الشعب فهي موجودة لكنها غير مفعّلة مع الأسف، أعني التجمعات القبليّة الموجودة عندنا لذلك أنا أنصح آل سعود بتشكيل مجلس شورى منهم.

وبغض النظر عن تعريف القبيلة والفرق بينها وبين العشيرة، أقول: إن من خصائصنا الاجتماعية التي لا توجد في أمريكا ولا بريطانيا وغيرهما أننا في كيان قبلي، والقبيلة تَجمُّع عضوي ذاتي لا يحتاج إلى إيجاد أو افتعال ومنه ننطلق لتحقيق أهدافنا، وكذلك بلاد المسلمين وذلك جلي جدا في أفريقيا مثلا، فالانتماء القبلي أعمق من الانتماء السياسي الذي فرضه ويفرضه الاستعمار، والقبيلة أو العشيرة لها ميزات وخصائص منها:

١. أنه يمكن معرفتها بسهولة، فكل محافظ في جزيرة العرب مثلاً يعرفها.

٢. أنها تحمي أفرادها وقد قال قوم شعيب: ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود:٩١]. وحمى أبو طالب الرسول ﷺ ودخل مشركو بني هاشم الشِّعب، ومزّق بعض المشركين صحيفة الحصار.

٣. أن شيخ القبيلة أعلم بمطالب قبيلته وأفرادها من المحافظ أو أمير المنطقة.

٤. أن شيخ القبيلة يُصلح بين الناس، ويقدر على بعض ما تعجز عنه الحكومة كمسألة العفو عن القصاص.

٥. اللهجة في القبيلة واحدة والمصطلحات موحدة كما تجمعها عاطفة واحدة.

٦. أن القبيلة تملك سلاحها غالباً، ويمكنها الجهاد ومقاومة المحتلين ولا تزال أقوى دولة في العالم (أمريكا) تعترف بما فعلته العشائر العراقية.

٧. القبيلة تحمي العرض وتهتم به جدا.

٨. القبيلة على الفطرة بلا تعقيدات فلسفية.

٩. القبيلة أقرب إلى الأصالة والأخلاق الإسلامية.

١٠. القبيلة لا تقر الفواحش كفاحشة قوم لوط مثلا، ولا تعاطي المخدرات ولا إدمان الخمر.

١١. القبيلة تعرف منزلة أهل العلم وتحترم أهل الدين، وكل ذي فضل أو موهبة.

١٢. القبيلة لا تنسى الترابط القبلي مهما تباعدت الديار، وقد ذهب بعض يام في نجران لمؤازرة العجمان في الكويت، كما أن بعض آل البيت في اندونيسيا ينزلون عند آل البيت بالحجاز.

١٣. القبيلة تتيح قدراً من الحرية لا تتيحه الحكومات.

١٤. القبيلة فيها المرجلة والنخوة والكرم والشهامة.

١٥. القبيلة ليس لها سجن، ولا هي تنّين للناس كما خشي هوبز.

١٦. القبيلة تحكم على ما يشين بأنه عيب إذا لم تحكم عليه بأنه حرام.

١٧. شيوخ القبائل مختارون شعبيا.

١٨. شيوخ القبائل قابلون للوعي السياسي السريع.

١٩. شيوخ القبائل هم مجلس الشورى الحقيقي الشعبي.

٢٠. النخبة المثقفة والمتخصصة غير مهدرة في النظام القبلي، ويمكن لها تقديم رأيها لشيخ القبيلة الذي يقدمه بدوره لمجلس الشورى، أو لكل فرد مكتوبا أو شفهيا.

٢١. القبيلة نظام شرعي أقره النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون، انظر مثلا حال الكتائب الإسلامية عام الفتح، وسنة الوفود، وفي معارك الإسلام الفاصلة كالقادسية واليرموك، وماذا فعلت ثقيف في معركة الجسر.

٢٢. القبيلة تمتاز بالمرونة والسهولة في الانضمام إليها عن طريق التحالف، ولذلك تجد كثيرا من قريش في زهران مثلاً.

٢٣. كل قبيلة لديها عرف قبلي تحتكم إليه وكثير من أعرافها يقره الشرع وهو على أية حال خير من القوانين الوضعية، ويقول القبليون "حكم القبيلة ما هو طاغوت"! وهذا ليس على إطلاقه.

٢٤. شيوخ القبائل هم أشراف الناس الذين أوصى بهم الحسن البصري عمر بن عبدالعزيز لما استشاره من يولي.

٢٥. شيوخ القبيلة هم الذين يردون من ضل، ويردعون المخطئ من أفرادها، وهم السعاة الذين يردون الناس لصاحب الحق. وقد قال حذيفة بن اليمان "إن كان مسلما رده علي إسلامه وإن كان نصرانيا رده عليه ساعيه"، وهكذا من لم يرده دينه ترده قبيلته، وأنا شخصيا لما أساء أحد المحققين الأدب هددته بأن أقول ذلك لقبيلته فاعتذر.

٢٦. عدد شيوخ القبائل يوازي غالبا عدد مجلس الشورى الحكومي.

٢٧. مع القبيلة لا نحتاج إلى مجلس نواب أو ديمقراطية نيابية أو تمثيلية.

٢٨. القبيلة تنفذ الشعار الإسلامي "يا عباد الله تمايزوا"، لا سيما في المعارك.

٢٩.القبائل تتنافس في الأمور المحمودة كالشجاعة والكرم.

٣٠.القبيلة ترعى حق الجوار لمن يستجير بها، ولا تزال بعض قبائل اليمن تجير من تطلبه أمريكا.

٣١.القبيلة أولى بالدعوة من الآخرين ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء:٢١٤] وهم أسرع الناس إجابة لها.

٣٢. القبيلة معالجة أدوائها كالعنصرية، أسهل من معالجة أدواء الأحزاب الفكرية. انظر مثلا أي عشيرة في العراق والشام وقارنها بحزب البعث.

٣٣.القبيلة إذا أسلم شيخها أو كبراؤها أسلمت كلها وقد تكون آلافا كثيرة.

٣٤.كل دول العالم فيها انتخابات بلدية والقبيلة غالبا ترشح شيخها لذلك.

٣٥.المجالس البلدية في كل منطقة تتكون من شيوخ القبائل.

٣٦.كل المناصب ما هي إلا مثل كرسي الحلاق يفارقها صاحبها، إلا شيخ القبيلة فإنه يظل شيخا حتى يتنحى أو يموت.

٣٧.بالعلاقة القبلية يمكن صلة القرابة والرحم وهما مطلوبان شرعا وإذا استجابت القبيلة للحق فذلك واجبها الذي لا منة فيه ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى:٢٣]، وكذلك أولى رجل ذكر بالميراث.

٣٨.عاطفة الإنسان نحو قبيلته لا تنكر، وكذا تضامنه معها، قال الشاعر:

بلادي وإن جارت علي عزيزة وأهلي وإن ضنوا علي كرام

ونحن باستشارة شيوخ القبائل نكون قد جمعنا عدة مصالح:

أ. استشارة الشعب وتحقيق مراده.

ب. استشارة أهل الحل والعقد والعمل بعقيدة أهل السنة والجماعة.

ج. درء الفتن والحزازات القبلية والشعوبية.

د. العمل بمقتضى الواقعية السياسية، وإيساد الأمر إلى أهله.

هـــ. إعطاء كل ذي حق حقه دون هضم أحد.

و. التفوق على من يزعم أنه ديمقراطي، مع أن لديه مجلسين أحدهما للوردات والآخر للعموم، أو أحدهما للشيوخ والآخر للنواب.

ز. ارضاء دعاة الديمقراطية من الليبراليين والإسلاميين وغيرهم.

ح. إسناد أي تقصير في الخدمات إلى القبيلة ذاتها.

ط. تحقيق أكبر قدر من المساواة.

ي. نتجنب أن تسود قبيلة على أخرى أو أسرة على أخرى بلا سبب شرعي.

ك. إزاحة كثير من المسؤوليات عن كاهل الوزارات والإدارات والمؤسسات الحكومية، ويعمل مجلس الشورى القبلي هذا بما يقوله علماء الآخرة الزاهدون في الدنيا، وإذا أشكل عليه شيء سأل أهل الذكر. وبذلك تتاح الفرصة لكل أحد للنبوغ قبليا وعلميا ولا تهدر أي طائفة فكرية قط.

ل. لا نترك تجمعاتنا الموجودة ونتبع الغرب أو غيره.

هذا ما يحضرني، والأمر يقتضي أكثر من ذلك، ويقتضي متابعة مستمرة منكم ومن أهل الدين.

الخاتمة

أهم النتائج

- لم تكن المنطقة تعرف ما يسمى الإرهاب قبل مجيء القوات الأجنبية إليها وقيام دولة إسرائيل الإرهابية.
- لم تكن بلاد الحرمين تعرف التفجير أيام كانت الدروس والحلقات.
- أسباب الفتن مشتركة وأهمها الذنوب من الطرفين الحكومة والمفجرين، وحق المجاهد أن يكرم لا أن يسجن، وإذا أخطأ وجب تصحيح خطئه.
- إنما ابتدأت الدولة الإرهاب الفكري بالتفتيش عن الأشرطة، ثم ابتلاها الله بالتفجيرات وأصبحت تنقب عن الديناميت.
- الرق مشروع بنص القرآن ويجب إلغاء أي سبب له غير شرعي، ولا يجوز إلغاؤه بالكلية.
- لا حل لأي أزمة ولا خروج من النفق المظلم إلا بالزهد في الدنيا وإحياء الجهاد في الأمة.
- نحن أمة قدَرها المقاومة وتكالب الأعداء لا مفر من ذلك لا بالرفاهية ولا بالإلهاء.
- لمقاومة الكفار رغم خطأء بعض الناس في فهمها جوانب إيجابية لا يصح نسيانها في غمرة الحرب على الإرهاب.
- لا يجوز محالفة الكفار ولا العمل تحت قيادتهم قط.
- يجب منع أساطيل كل الدول عن استباحة بحار المسلمين ومضايقهم إلا برضى المسلمين وبرسم يفرضه المسلمون.
- الله أمر بالعدل وجعله حق لكل أحد على كل أحد في كل حال، ولا يصح إحلال القوة والهيمنة محله.
- يجب ترتيب العداوة كما رتبها الله والبدء باليهود والباطنية والمنافقين قبل الخوارج والزيدية.

- الرافضة أشد عداوة من الخوارج وأكثر طوائف الأمة شركا ونفاقا فيجب جهاد من أصر منهم على ذنبه وإلزامه بالعقيدة الصحيحة وتفريقهم بين المسلمين.
- لا يجوز تولية أهل البدع أي منصب سيادي وهم بين العقوبة والحذر كما يجب التفريق بين المبتدع الساكت والمبتدع الداعي لبدعته.
- لا يجوز إشغال الناس بالمباحات عن الواجبات فكيف إشغالهم بالمحرمات؟
- لا يجوز فتح دور للسينما ولا إحياء لما يسمى الفنون الشعبية وتسميته الثقافة.
- من إكرام المرأة المسلمة ألا تعمل خادمة لا في مستشفى ولا طائرة ولا في أي مكان ولا يجوز إحواجها للعمل مطلقا بل يجب كفالتها والإنفاق عليها وصيانتها وحفظها وحمايتها قرارها في بيتها ولا يجوز دعوتها للتبرج في أي وسيلة.
- الحجاب فرض على كل نساء المؤمنين وليس خاصا بأمهات المؤمنين.
- يجب طاعة أمر المصلحين ولا يجوز طاعة أمر المفسدين.
- لا يجوز التنصل من المسؤولية وإلقاؤها كاملة على أهل الحكم والعلم فقط فكلنا راع وكل راع مسؤول عن رعيته.
- ثبت عن الرسول ﷺ أن الأئمة المضلين أخطر على الأمة من المسيح الدجال.
- كل مخالفة لأمر الله ورسوله لابد لصاحبها من عقوبة ودفع الثمن مضاعفا.
- نحن قوم أعزنا الله بالإسلام وليس بالتبعية لأمم الكفر.
- المسلمون لا يهدرون أي طاقة وإنما ينصرون ويرزقون بضعفائهم.
- لا يجوز التخوض في مال الله ولا إشباع شهوات الحكام منه وإنما إمام المسلمين وكيل عن الأمة وحارس لحقها.

- يجب استغلال إجماع العالم على إشراك الشعب في الحكم بإحياء الشورى في الأمة ومنع احتكار الحكم لحزب أو جماعة أو طائفة أو أسرة.
- لا يجوز للمؤمن أن يكون أمينا للخونة ولا حارسا للصوص ولا جنديا للظلمة.
- يجب حوط دين الله من جميع جوانبه.
- لجزيرة العرب خصائص شرعية أجمعت عليها الأمة وأقر العلم الحديث بها ولا يصح دعوى أنها جزء من العالم.
- يشهد العالم صحوة دينية وعودة إلى الله فكيف تسبح بلاد الحرمين عكس التيار العالمي؟
- الحكم إنما هو لقريش نصا وإجماعا ولا خيار للأئمة في أن يكون الأمر لغيرها ما بقي من الناس اثنان.
- لا يجوز لأي سفيه الاعتراض على أمر الله ورسوله أو التقديم بين يدي الشرع.
- ولي الأمر هو العالم المجتهد والإمام العادل وكل خبير مستنبط للأمر بنص القرآن وليس محصورا في بعض الناس ولا عاما لكل أحد.
- الزكاة تؤخذ من الأغنياء وتعطى للفقراء عكس الضرائب التي تؤخذ من الفقراء وتعطى للأغنياء.
- دعوة المظلوم مستجابة ولو كان كافرا أو مبتدعا وكفره أو بدعته عليه ولا يجوز ظلم أحد أيا كان.
- يجب قسم بيت المال بالسوية ولا يجوز أن يملك بعض الناس اليخوت والقصور والجزر والطائرات بينما يعيش غيره في فقر وشظف.
- الرسول ﷺ أغلى عندنا من أنفسنا وأهلنا وقرابته أو بالصلة من قرابتنا.
- لا يجوز مراقبة حسابات المسلمين ومنعهم من الصدقة مهما طلب الكفار ذلك.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب على كل مسلم بحسب استطاعته.
- يجب أداء الحقوق لأهلها وهي ليست مجرد واجبات يجوز المطالبة بها.
- المسلم محاسب على كل قول، وليس في الإسلام زمان أو مكان لا حساب فيه، والميزان يوم القيامة حق والله تعالى لا يظلم الناس شيئا.
- يجب تعليم الناس المعنى الصحيح للأسماء والصفات ومقتضيات ذلك سلوكيا وليس مجرد الرد على أهل الكلام أو الفرق البدعية.
- الحضارة الغربية ليست شرا كلها ويجب أن تكون الحكمة ضالة المؤمن يلتقطها أنى وجدها.
- المسلمون أسبق الأمم إلى كل خير والإسلام وسط بين الأديان وهم الأمة الوحيدة التي تؤمن بكل كتب الله وبكل رسله وتعتقد أن الكفر برسول واحد أو بكتاب واحد كفر بالجميع.
- الكتاب والسنة يدعوان إلى السير والتفكر ومعرفة سنن الله في خلقه والتفكر في الإسلام عبادة.
- كلما ازداد الانسان علما ازداد اعذارا لمخالفيه وكلما ضاق أفقه وقل علمه كان أكثر تحاملا وتشنجا على المخالف في الاجتهاد.
- المجتهد في الإسلام له أجر اجتهاده إن أخطأ وله أجر الاجتهاد وأجر الصواب إن أصاب.
- المنهج العلمي الصحيح بالاستقراء أو الاستنباط سبق إليه المسلمون ونطالب به كل أحد.
- إذا كانت سياسة أي دولة وإعلامها واقتصادها وتعليمها غير إسلامي فمن أين توصف بالإسلام.
- يجب استقلال القضاء استقلالا تاما وكذا الأوقاف وتشجيع ما يسميه الغرب القطاع الثالث.

- أذى الأنبياء والمصلحين لابد منه لكل نبي أو مصلح ولا يمكن تحاشيه أبدا.
- غاية ما يفعله أعداء الله هو القتل وهو أمنية كل مؤمن، وأقل منه السجن وهو خلوة أما الاتهام والحرب الإعلامية فلا بد منها.
- المسلمون أمة واحدة والأجنبي هو الكافر والأخوة الإسلامية حق والمسلمون كالجسد الواحد وتتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم مهما كان لون المسلم أو جنسه، ويحق للمسلم أن يمتلك أو يقيم حيث شاء.
- الأدب الإسلامي أدب ملتزم يجب تسخيره لخدمة الدعوة والفضائل.
- أهم واجبات الدولة الإسلامية هو إقامة الدين وعموده الصلاة.
- أعظم المعروف هو التوحيد وأكبر المنكرات هو الشرك.
- لا يجوز إقرار الآثار المكذوبة ولا تعظيم ما لم يعظمه الشرع.
- يجب على أهل العلم الإخلاص لله وحده والابتعاد عن خدمة السلاطين وتبرير أفعالهم ولا يصح انقلاب الأمور من الحرمة إلى الحل تبعا لآراء الحكام.
- الناس كلهم عبيد لله وفي قبضته وهو الذي يرزقهم ويتوفاهم.
- الأدلة على الإسلام ليست مجرد أخبار سماعية بل هي مع ذلك براهين قاطعة وبينات ناصعة.
- الكفار منهم الحربي والمعاهد ومن لا يجوز قتله كأهل الذمة والصلح.
- لا يحل دم أي مسلم إلا بارتكابه ما يحل به ذلك شرعا.
- يجب على كل المسلمين الحوار والجدال بالتي هي أحسن والبحث عن الحق عند أي أحد.
- لا يجوز تتبع رخص العلماء وزلاتهم ولا التخيير فيما قطعت النصوص بحكمه.
- لا تنافي بين تحقيق المصالح الشرعية والعمل بالشرع ولا بين العقل والنقل ولا بين القياس والنص الصحيح.

- الولايات كلها دينية وهي تكليف لا تشريف وأمانة لا يطيقها كل أحد ومن رشح نفسه أو حرص على المنصب لا يجوز ترشيحه.
- لا تجوز المحاباة في الولايات ولا مراعاة أحد لقرابة أو صداقة أو علاقة.
- من حق الإمام طاعته في المنشط والمكره ما لم يأمر بمعصية وعلى الأمة مناصحته وتسديده وإبعاد بطانة السوء عنه.
- الشورى ليست لكل أحد وإنما هي لأهل الشوكة ورؤساء الجند وشيوخ القبائل وأشراف الناس.
- نرفض رفضاً باتاً استعمار الحياة، والتبعية لأي قوة بشرية، وإن سموا ذلك حرية أو ديمقراطية أو ملكية دستورية وما أشبه ذلك.
- كل إنسان -دون رسول الله ﷺ- يجوز تخطئته ونقده بالدليل، وليس في الإسلام ذات مقدسة.
- غيبة المسلم حرام، وليس في الإسلام شخصيات عامة يجوز غيبتها والكلام فيها.
- ينبغي التفريق بين الخروج عن الجماعة والخروج عليها وبين الخروج وبين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبين أحكام الدنيا وأحكام الآخرة. كما ينبغي التفريق بين التكفير المطلق كقوله تعالى من فعل كذا أو قال كذا فهو كافر وبين التكفير المعين.
- على عقيدة أهل السنة والجماعة قامت الوحدة الفكرية المشاهدة من طبرجل إلى شرورة، وتأسس هذا الكيان الكبير على سؤال أهل الذكر وأهل العلم والإيمان عما أشكل وتوحدت هذه القبائل بعد التشاحن، واليوم يريد أعداء الدين أن يفرقونا ونظل متشاحنين متناحرين بعضنا ليبرالي وبعضنا صحوي وبعضنا تقليدي وبعضنا منفتح وهكذا.

-التوصيات

- ضرورة حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية وقراءة سير السلف والاطلاع على أحوال فقهاء الإسلام، وفهم ذلك فهمًا واسعًا.
- ضرورة تعليم اللغة العربية والتخاطب بها، ونبذ اللغات الأخرى ونبذ العامية.
- ضرورة التمسك بالتقويم الهجري الذي هو إحدى خصائصنا وأسباب وتميزنا.
- ضرورة المحافظة على أوامر الإسلام وبر الوالدين وحسن الخلق مع الناس كافة لا سيما حال الازدحام المروري.
- نبذ التعامل بالدولار لا سيما وقد جعلوه ورقًا.
- الصدع بالحق واستسهال الأذى في سبيل ذلك.
- مجاهدة أعداء الله فكرياً وقتاليًا، وعلى رأسهم اليهود والصهاينة في إسرائيل وأمريكا.
- منع التنصير في بلاد المسلمين قاطبة.
- إخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ومنع بناء الكنائس ومعابد النار فيها.
- الرضا عن الله في كل ما يقدر مع الأخذ بالأسباب لدفع القدر بالقدر.
- توثيق الصلة بالغربيين الذين يبدو منهم التعاطف مع العدل الإسلامي ويصرحون بأسبقية الحضارة الإسلامية، مثل الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا، وروبرت فيسك وجورج جالاوي وشارل ريو وناتانا دي لونج، وغيرهم كثير.
- الكف عن إعطاء الأموال للصهاينة النصارى والمنصرين مثل دونالد ترامب وجيمي كارتر.

- توثيق العلاقة بالقوى الإسلامية الصاعدة ودوام الدعاء لها وتأييدهم وعلى رأسهم الأتراك.
- الذنوب سبب كل مصيبة ويجب اجتنابها بقدر الإمكان والإكثار من الاستغفار وذكر الله، والتوبة إليه والضراعة إليه.
- تربية الأمة على الجهاد في سبيل الله والزهد في الدنيا، ومعرفة حقيقة الجهاد الشرعية، فلا هو ما يسمى الإرهاب ولا هو ما يسمى التسامح.
- الدراسة العميقة للتاريخ وأخذ العبرة من أحداثه فهو كما يقولون يعيد نفسه، وتلك سنة الله الدائمة.
- معرفة واقع العدو وحقيقته والتمييز بين فئاته ودراسة الجاهلية الغربية دراسة متعمقة.
- التمسك بملة أبينا إبراهيم عليه السلام المتضمنة للبراءة من الشرك وأهله ومعاداتهم، وإعلان ذلك لهم.
- الحضارة الإسلامية لها سنتها الخاصة بها، ولها رقابة داخلية لا توجد في غيرها.
- الحضارة نعمة إلهية ولا تقتصر على الجوانب المادية بل هي مُثل وأخلاق وترفع وسمو، وليست الحضارة الغربية كلها شر.
- الحضارة الإنسانية جهد إبداعي تراكمي اشتركت فيه كل الأعراق والشعوب.
- أساس كل حضارة وتقدم هو توحيد الله والعمل وفق شرعه، وما عدا ذلك انحطاط وتأخر وانتكاسة.
- الحضارة الإسلامية أسبق من كل الحضارات إلى كل خير ولها خصائص ليست لغيرها، وعلى العلم الإسلامي قامت العلوم الغربية.

- الحضارة الغربية تسعى لاحتكار المعرفة واستعباد الشعوب الأخرى لا سيما الإسلام، ولا تلتزم بالأخلاق والعدل، والعلاقات الدولية المعاصرة تقوم على المصالح المادية للدولة وليس على الحق والمبدأ.
- العلم في الإسلام لا يتعارض مطلقًا مع الدين.
- الولايات في الإسلام كلها دينية تهدف إلى إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- الإسلام هو الدين المحفوظ الوحيد وما عداه دخله التحريف والأهواء البشرية.
- لله في خلقه سنن اجتماعية كما أن له سننا طبيعية.
- السياسة الشرعية تقوم على العدل والحياة الطيبة ونشر الفضيلة والسلام بين البشر.
- القوة أحد أركان الحضارة ولكنها ليست المعيار الوحيد كما يظن الغرب.
- كلما حافظ المسلمون على استعلائهم وخصائصهم ارتقوا في السلم الحضاري، وكلما ذابوا في غيرهم واتبعوا هديه واستخدموا تقويمه، كان ذلك انحطاطاً لهم ولحضارتهم.
- النور المبين هو هدى الله وعبادته وحده لا شريك له، وما عدا ذلك تخبط في الظلمات وحيرة بين دعوات شياطين الإنس والجن.
- خُلق الإسلام هو الحياء، وأعظمه الحياء من الله.
- الإسلام يجمع بين الفطرة والتجربة، وبين العقل والنقل، وبين المنطق والعاطفة، وبين الدنيا والآخرة، وليس في الإسلام ما هو سياسي وما هو طقوسي، وليس صلة روحية فقط بل هو دين شامل كامل للدنيا والآخرة وأحكامهما.
- الطبيعة البشرية في الإسلام مركبة من نقائص كثيرة مفصلة في الكتاب والسنة كالعجلة والحرص والأنانية والظلم والجهل والجحود

وعموما –حظ النفس– والواجب على الإنسان هو الاستقامة والإصلاح والتهذيب وليس كبت المشاعر التي خلقها الله ولا الانسياق وراءها، والله يريد أن يتوب علينا ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميل ميلا عظيما.

- يجب على الإنسان التريث في إصدار الأحكام وليس الحكم بمجرد الظواهر الأولية، وقد ندم من حكم على أتاتورك أو الخميني أو حسن نصر الله بمجرد ما ظهر منهم أول الأمر.
- ضرورة التجديد والإبداع مهما رأى الناس ذلك خروجا عن المألوف، وهكذا عالج كل رسول الأدواء الاجتماعية لقومه مع اشتراكهم كلهم في الأساس وهو توحيد الله وعبادته بلا شريك.
- الرسول ﷺ هو الإنسان الوحيد الذي حاز الكمالات البشرية كلها، وينبغي أن يكون أحب إلينا من أنفسنا وأن نقطع العلاقات مع كل من يشنؤه.
- الغرب يشن علينا حملة صليبية ماكرة ويستعمرنا استعمار حياة.
- المخرج من كيد الغرب وطغيانه هو بالتقوى والصبر ومظهرهما العملي الزهد والجهاد بمفهومهما الإيجابي الواسع.
- المستقبل إنما هو للإسلام وحده، والعالم اليوم أحوج ما يكون إليه، والله مظهره على الدين كله، واللغة العربية هي لغة المستقبل.
- ضرورة الاستماع للرأي الآخر فقد يكون هو الحق، وقبول نصيحة الناصحين وإحياء البحث عن الحق بين المسلمين.
- الغرب اليوم خير منا في النظام والعدل والتربية والإدارة ولا يدخل في التشبه به أخذ ما عنده من الفضائل فالحكمة ضالة المؤمن، نعم ليس له كتاب يهدي للتي هي أقوم، ولكن من يضع علامات يسير بها في الظلام أهدى ممن ينام في النور.
- الربيع العربي نجح شعبيا وهذه الأمة ينصرها الله ويرزقها بالضعفاء.

- خيرية هذه الأمة هي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وسعادتها في الجهاد وعذابها في الدنيا.
- مع الوحي لا نحكم عقلا ولا تجربه ولا أي مصدر فكل ما عداه قابل للخطأ، وكل ما خالف النص باطل.
- يجب -لتحقيق كلمة الشهادة- تحكيم الشرع في كل صغيرة وكبيرة وأن يكون هوانا تبعا له.
- يجب الإخلاص لله تعالى في كل عمل والتوكل عليه وحده وقيام حياة المؤمن على الموازنة بين الخوف والرجاء.
- لا تعذيب قبل بعثة الرسل ولا شرع قبل البلاغ ولا تكفير أو تبديع قبل إقامة الحجة.
- المؤمنون الأعراب الذين لم يهاجروا مسلمون لكنهم أقل درجة من المهاجرين، والإيمان يتبعض ويتفاوت فيه أهله، وهذه الأمة فيها السابق والمقتصد والظالم لنفسه، وفي الأمة سماعون للمنافقين.
- يجب على من يعظم القبلة الأخيرة (مكة) أن يعظم القبلة الأولى (القدس).
- كل من رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام فقد سفه نفسه، وكل من اعترض على أمر الله فهو من السفهاء.
- الفكر الغربي الحديث أكثر تيها وضلالا من الفلسفة القديمة ولا يصح الإجمال فيه، فضلا عن ترك نقده بالعلم والعدل.
- لا مناص من الجهاد في سبيل الله والكفر بما يسمى الشرعية الدولية، والجهاد حسب عقيدة أهل السنة والجماعة ماض إلى قيام الساعة، وهذا قدرنا الذي لا يمكن تحاشيه.
- الإسلام وسط بين الغالي فيه والجافي عنه والكتاب والسنة هما مصدر بحث كل شيء.

- الإحسان لكل إنسان إما واجب وإما مستحب، وفي كل ذي كبد رطبة أجر.
- لا يجوز إشغال الناس بالملهيات والترفيه عما هم صائرون إليه، وذلك غش من الحاكم والعالم.
- الله تعالى فضل الذكور في جوانب وفضل الإناث في جوانب وجعل القاعدة هي التكامل بينهما وليس التماثل المزعوم.
- كل المنجزات الإنسانية والدراسات في العلوم الطبيعية والاجتماعية إنما هي شهادات لدين الله الحق الوحيد، ولا يزيده الزمن إلا قوة.
- على الإنسان الذي يقتله الظمأ في واشنطن أو لندن أو بكين أو غيرها أن يسلم ويشرب من ماء زمزم الفريد.
- الحكم الإسلامي إنما هو بالشورى وليس بالديمقراطية، ويجب على المسلمين أن ينتهزوا فرصة الدعوة عالميا لإشراك الشعوب في الحكم، وفي تصحيح الحكم الإسلامي وقيامه على الشورى لا على الوراثة.
- ضرورة التجديد وأن يراعي المجدد واقع عصره، والرسل الكرام صلوات الله عليهم أجمعين كلٌّ عالج الأدواء الاجتماعية لقومه مع اتفاقهم جميعا في الدين.
- **وأخيرا أنا مستعد لقبول أي ملاحظة وتصحيح أي خطأ من أي إنسان، ولو غير مسلم، ومن لا يريد الكتابة لي باسمه الصريح فليكتب بأي اسم، والمهم أن يوضح لي كيفية مراسلته، لكي أبين وجهة نظري إن كان لي وجهة نظر.**

فهرس المحتويات

أولا: المقدمة	
١. التمهيد.	**٥**
٢. تعريف الحضارة وأصلها.	**٦٨**
٣. هل يشن الغرب علينا حملة صليبية؟	**٩٥**
ثانيا: تفوق الحضارة الإسلامية وتقدمها:	**١١٩**
١. مرجع الحضارة الإسلامية: الكتاب والسنة.	**١٢١**
٢. بعض مميزات الحضارة الإسلامية.	**١٤٤**
٣. ضرورة التحاكم لشرع الله.	**٢٨١**
ثالثا: موجز للتاريخ العقدي الإسلامي وفيه الصوفية والمرجئة والرافضة	**٢٩٩**
١. الصوفية.	**٢٤٥**
٢. الإرجاء.	**٢٧١**
٣. نبذة عن الرافضة.	**٣٨٥**
رابعا: تجديد الحضارة الإسلامية بالدعوة السلفية.	**٤٣١**
١. دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وأثرها في العالم.	**٤٣٤**
٢. محاولة تجديدها في هذا العصر على يد الشيخ الألباني رحمه الله.	**٤٤٥**
٣. أعداء الدعوة السلفية	**٤٧٣**
٤. النفاق والمنافقون.	**٤٩٠**
خامسا: الفكر الديني:	**٥٠٩**
١. أصل الدين.	**٥١١**

٢. دين الغرب ومكانة المتدين عند أهل الكتاب.	**٥٣١**
٣. اليهود.	**٦٠٩**
٤. النصارى.	**٦٣٣**
٥. هيئة الأمم المتحدة والدين الإنساني.	**٦٨٧**
٦. التشبه بالكفار.	**٧١١**
٧. أثر الذنوب.	**٧٦١**
سادسا: الفكر السياسي:	**٨٧١**
١. أثر الإسلام في الفكر السياسي الحديث بإيجاز.	**٨٨٨**
٢. مبادئ الفكر السياسي في الإسلام.	**٩٣٥**
٣. معالم الفكر السياسي الإسلامي.	**٩٤١**
٤. الإمامة.	**٩٤٨**
٥. الحرية في المال.	**١٠٣٣**
٦. القضاء والقضاة.	**١٠٥٨**
سابعا: الفكر الاجتماعي:	**١١٣١**
١. علم الاجتماع.	**١١٣٣**
٢. بعض المجتمعات الإسلامية.	**١٢٣٣**
٣. بعض المجتمعات الغربية، أمريكا، روسيا، الصين.	**١٢٨١**
٤. قضية المرأة.	**١٣٥٩**
٥. الحقوق والآداب.	**١٤٥٩**
٦. التاريخ والآثار.	**١٥٠٠**

٧. البيئة والنظافة.	١٥٤٥
ثامنا: الفكر العلمي:	١٥٥٩
١. مصدر المعرفة.	١٥٦٣
٢. المنهج العلمي والتأليف.	١٦٠٥
٣. بعض ميزات المنهج المعرفي الإسلامي وضوابطه.	١٦٣٣
٤. الفلسفة.	١٦٧٧
٥. قضايا علمية عامة.	١٧٢٧
٦. فنون علمية مختلفة.	١٧٨١
- الهندسة، الرياضيات، الصيدلة، الطاقة.	١٧٨٣
- الطب.	١٧٩٣
- الصناعة.	١٨٢٥
- الفلك.	١٨٤٣
- الأحياء.	١٨٦٥
- الإلحاد (بطلان الداروينية).	١٨٧٦
- الجيولوجيا.	١٨٩٧
- البحار والجغرافيا.	١٩١٣
تاسعا: الفكر الإنساني:	١٩٢٣
١. مبادئ عامة في المنهج العلمي الإسلامي.	١٩٢٥
٢. الممارسة العملية للتربية والتعليم.	١٩٤٣
٣. الإدارة.	١٩٦٥

٤. علم النفس.	١٩٧٧
٥. اللغة والأدب والفن.	٢٠١٧
عاشرا: المخرج من كيد الغرب وكيف يقود المسلمون الحضارة البشرية:	٢١٠٩
١. الزهد.	٢١١٨
٢. الجهاد، وفيه:	٢١٧٠
أ- ترتيب العداوة.	٢١٩٢
ب- مشكلة (الإرهاب).	٢٣٢٩
حادي عشر: لمن المستقبل؟	٢٤١٧
الملاحق	
١. نصيحة للعلماء.	٢٤٧٣
٢. نصيحة للدعاة.	٢٦١٣
٣. نصيحة لآل سعود.	٢٧٣١
- بعض الأوضاع الموجبة للإصلاح الفوري	٢٩٠١
- الخاتمة (النتائج والتوصيات).	٣٠٥٠